

عبد القادر بن عمر البغدادي

تأليف



حجرات الكلاسيك

حجرات الكلاسيك

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٥ - ١٠٩٣

تحقيق وشيخ

عبد السلام محمد هاديون

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

الجزء الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك يا من شواهد آياته غنية عن الشرح والبيان ، ودلائل توحيده
متلوة بكل لسان . صلّ وسلم على رسولك محمد المؤيد بقواطع الحجج
والبرهان ، وعلى آله وصحبه الباذلين مهجهم في نصر دينه على سائر الأديان .
صلاة وسلاماً دائماً على ممر الأزمان .

أما بعد فيقول المفتقر إلى معونة ربه الهادي ، عبد القادر بن عمر البغدادى :
هذا شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة ، وفاضل هذه الأمة ، المحقق محمد
ابن الحسن ، الشهير بالرضى الأستراياذى ، عفا الله عنه ورحمه . وهو كتاب
عكف عليه فهارير العلماء ، ودقق النظر فيه أمائل الفضلاء ؛ وكفاه من الشرف
والمجد ، ما اعترف به السيّد والسعد^(١) ؛ لما فيه من أبحاث أنيقة ، وأنظار دقيقة ؛
وتقارير راقية ، وتوجيهات فائقة ؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة
المنسوخة ، أو كالأمة المسوخة ؛ إلا أن أبياته التي استشهد بها - وهي زهاء ألف
بيت - كانت محلولة العقال^(٢) ، ظاهرة الإشكال ، لغموض معناها ، وخفاء
مغزاها ؛ وقد انضم إليها التحريف ، وبان عليها أثر التصحيف . وكنت ممن
مرّن في علم الأدب ، حتى صار يلبّيه من كُتب ؛ وأفرغ في تحصيله جهده ، وبذل
فيه وكدّه وكده^(٣) ؛ وجمع دواوينه ، وعرف قوائمه ، واجتمع عنده بفضل

(١) السيد هو على بن محمد بن على الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ . وهو صاحب
التعريفات . قال كاتب جلبي : « له حاشية على شرح الرضى للكافية . وله شرح الكافية
بالفارسية » . وأما السيد فهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ .

(٢) عبارة عن عدم التقيد والضبط والتحري .

(٣) الوكد ، بالضم : السعى والجهد . يقال : ما زال ذلك وكدى ، أى فعل .
والوكد ، بالفتح : المراد والهم والتصد . والكد : الإلحاح في الطلب .

الله من الأسفار ، ما لم يجتمع عند أحد في هذه الأعصار ؛ فشمرتُ عن ساعد
الجد والاجتهاد ، وشرعت في شرحها على وفق المنى والمراد . فجاء بحمد الله
حائز المفاخر والمحامد ، فائقاً على جميع شروح الشواهد ؛ فهو جدير بأن يسمى :
(خزانة الأدب ، ولُبُّ لُبَاب لسان العرب)

وقد عرضتُ فيه بضاعتى للامتحان ، وعنده يكرم المرء أو يهان

٣ على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلصَ منه لآ على ولا ليا^(١)

وقد جعلته هديةً لسُدَّةٍ هي مُقَبَّل شفاء الأقيال^(٢) ، ونُحْمٍ سراق المجد
والإقبال : حضرة سيّد ملوك بنى آدم ، وواسطة عقد سلاطين العالم ، ملك
ألبس الدنيا خِلَعَ الجمال والكمال ، وأحيا دائر الأمانى والآمال^(٣) . حامى
بيضة الإسلام ، بالصارم الصمصام ، وناسر أعلام الشريعة الغراء ، والملة
الحنيفية البيضاء ، ومُرغم أنوف الفراعين ، وممفّر تيجان الخواقين^(٤) ، خليفة
رب السموات والأرضين ، ظلُّ الله على العالمين ، وقطب الخلافة في الدنيا
والدين ، خادم الحرمين الشريفين ، وسلطان المشرقين^(٥) ، الغازى في سبيل
الله ، والمجاهد لإعلاء كلمة الله ، ألا وهو السلطان ابن السلطان ، السلطان
الغازى (محمد خان^(٦)) ابن السلطان (إبراهيم خان) ، نخبه آل عثمان .

(١) البيت للمجنون برواية أخرى في تزيين الأسواق ٦٩ .

(٢) القبل ، بالفتح : الملك ، وقيل : من كان ملوك حبر . ومثله القول ، كنبر .
والجمع أقيال ، وأقوال ، ومقاول ، ومقاولة .

(٣) ط : « وأدى لأهلها دائر الأمانى والآمال » ، صوابه في ٧٠ .

(٤) جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك . مغرب .

(٥) المشرقان : الشرق والغرب . وبها فسر قوله تعالى : « يا ليت بينى وبينك
بعد المشرقين » .

(٦) هو السلطان محمد خان بن إبراهيم خان بن أحمد خان . تولى السلطنة بعد قتل
ابيه سنة ١٠٥٨ هـ . وأقام في السلطنة إحدى وأربعين سنة ثم خلع سنة ١٠٩٩ . نخبه
الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى ص ١٦١ .

خَلَدَ اللهُ ظلالَ خلافته السابغة الوارفة ، وأفاض على العالمين سِجَالَ رأفته المترادفة . ويسر له النصر المتين ، وسهل له الفتح المبين ، بجاه حبيبه ورسوله محمد الأمين . آمين .

وها هنا مقدمة تشتمل على أمور ثلاثة ينبغى ذكرها أمام الشروع فى المقصود ، فنقول بعون الله المعبود :

الأمر الأول

فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف .

قال الأندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر^(١) « علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو ، والمعانى والبيان والبديع ؛ والثلاثة الأولى لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المؤلفين ، لأنها راجعة إلى المعانى ، ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم ، إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البعثرى ، وأبى تمام ، وأبى الطيب وهلم جرا » . ١ هـ

وأقول : الكلام الذى يستشهد به نوعان : شعر وغيره :

فقبائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع :

(الطبقة الأولى) : الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الإسلام ، كأمى^٢ القيس والأعشى .

(١) الأندلسى هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني المتوفى سنة ٧٧٩ . وابن جابر هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهوارى المولود سنة ٦٩٨ والمتوفى سنة ٧٨٠ . وكلاهما نحوى . وكان أولهما معروفًا بالبصير ، والآخر يعرف بالضرير ، وبديعته تسمى « بديعية العميان » ، واسمها « الحلة السيرا ، فى مدح خير الورى » . وكانا يترافقان فى التجوال والسفر من الأندلس إلى بلاد المشرق ، حيث طوفا زمتا طويلا فى ربوع مصر والشام .

(الثانية): المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد وحسن.
(الثالثة): المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجرير والفرزدق.

(الرابعة): المولّدون، ويقال لهم المحدثون، وهم من بعدهم إلى زماننا، كبشار بن برد وأبي نواس.
فالطبقان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعاً. وأما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها.

وقد كان أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن أبي إسحاق، والحسن البصري وعبد الله بن شبرمة، يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم، كما سيأتي النقل عنهم في هذا الشرح إن شاء الله، في عدة أبيات أخذت عليهم ظاهراً، وكانوا يعدّونهم من المولّدين لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب.
قال ابن رشيّق في العمدة^(١) «كل قديم من الشعراء [فهو^(٢)] محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله. وكان أبو عمرو يقول: لقد أحسن هذا المولّد حتّى لقد هممت أن أمر صبياننا برواية شعره — يعني بذلك شعر جرير والفرزدق — فجمله مولّداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين. وكان لا يعدّ الشعر إلّا ما كان للمتقدّمين، قال الأصمعي: جلست إليه عشر حجج^(٣)، فما سمعته يحتاج بيت إسلامي».

وأما (الرابعة) فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً؛ وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزّغشري، وتبعه الشارح المحقق؛

(١) العمدة ١ : ٥٦ .

(٢) التّسكّلة من العمدة .

(٣) في بعض نسخ العمدة : « ثمانى حجج » .

فإنه استشهد بشعر أبي تمام في عدة مواضع من هذا الشرح .

واستشهد الزحخشري أيضاً في تفسير أوائل البقرة من الكشف ببيت من شعره ، وقال : « وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فأجمل ما يقوله بمنزلة مايرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لو ثوقهم بروايته وإتقانه » اهـ

واعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها ، ومن البين أن إتقان الرواية [لا^(١)] يستلزم إتقان الدراية . وفي الكشف أن القول رواية^(٢) خاصة ، فهي كقتل الحديث بالمعنى .

وقال المحقق النفتازاني في القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى : « ليس بسديد ، بل هو بعمل الراوى أشبه ، وهو لا يوجب السماع ، إلا ممن كان من علماء العربية الموثوق بهم ، فالظاهر أنه لا يخالف مقتضاها ، فإن استؤنس به ولم يجعل دليلاً ، لم يرد عليه ما ذكر ولا ما قيل ، من أنه يفتح هذا الباب لزوم الاستدلال بكل ما وقع في كلام علماء المحدثين كالخري وأضرابه ، والحجة فما روه لافيأراؤه . وقد خطئوا المتنبى وأبا تمام والبحري في أشياء كثيرة كما هو مسطور في شروح تلك الدواوين .

(١) نكتة لا يصلح الكلام بدونها . وفي حاشية الكشف لعمر بن عبد الرحمن القزويني بدار الكتب المصرية ٨٣ م تفسير ، مانصه :

« قوله : فأجمل ما يقوله بمنزلة مايرويه ، قيل عليه : هل الراوى ليس بحجة في مثله اتفاقاً ، إذ لا يدل على عدم العدالة . وإتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية ، لا سيما في الشعر فإنه محل الضرورات . والجواب عنه : أن القول رواية خاصة فهو كقتل الحديث بالمعنى . »

(٢) في النسختين : « دراية » ، والوجه ما أثبت . وانظر الحاشية السابقة .

وفي الاقتراح^(١) للجلال السيوطي : « أجمعوا على أنه لا يُحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية . وفي الكشف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول أبي تمام الطائي^(٢) . وأول الشعراء المحدثين بشار بن برد ، وقد احتج سيويو ببعض شعره تقريباً إليه ، لأنه كان هجاء لتركه الاحتجاج بشعره ، ذكره المرزباني وغيره . ونقل ثعلب عن الأصمعي أنه قال : ختم الشعر بابراهيم بن هرمة وهو آخر الحنج^(٣) » ٨١ .

وكذا عدّ ابن رشيقي في العمدة^(٤) طبقات الشعراء أربعاً ، قال : هم جاهلي قديم ، ومخضرم ، وإسلامي ، ومحدث . قال : ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدرج هكذا في المهبوط إلى وقتنا هذا . وجعل الطبقات بعضهم سناً ، وقال : الرابعة المولّدون وهم من بعدم كإبي الطيب المنبئي .

والجيد هو الأول ، إذا ما بعد المتقدمين لا يجوز الاستدلال بكلامهم ، فهم طبقة واحدة ، ولا قاعدة في تقسيمهم .

(١) الاقتراح في أصول علم النحو وجدله . ذكر في مقدمته أنه اختزل فيه من تضاعف خصائص ابن جني ما يتعلق بهذا الفن ، وأنه أول مقيم لهذا العلم . وقد طبع هذا الكتاب مرتين في حيدر آباد .

(٢) في الاقتراح ٢٦ : « يقول حبيب بن أوس » . وبين هذا الكلام وتاليه فيه : « ثم قال : وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة . فهو من علماء العربية ، فاجعل ما أقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول الملاء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لتوثقهم بروايته وإتقانه » .

(٣) في الأغاني ٤ : ١٠٤ : « كان الأصمعي يقول : ختم الشعراء بابن هرمة ، وحكم الحضري ، وابن ميادة ، وطفيل الكناني ، ودكين المذري » .

(٤) المدة ١ : ٧٢ .

وأما قائل الثانى^(١) فهو إما ربنا تبارك وتعالى ، فكلامه — عز اسمه — أفصح كلام وأبلغه ، ويمجوز الاستشهاد بمتواتره وشأذه ، كما بينه ابن رجبى فى أول كتابه (المحتسب) وأجاد القول فيه ؛ وإما بعض إحصى الطبقات الثلاث الأول من طبقات الشعراء التى قدمناها .

وأما الاستدلال بحديث النبى صلى الله عليه وسلم فقد جوزّه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق فى ذلك ، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم . وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان ، وسندهما أمران : أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما رويت بالمعنى^(٢) .

وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصرين لم يحتجوا بشيء منه . وردّ الأول — على تقدير تسليسه — بأن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب ، وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ . يصحّ الاحتجاج به ، فلا فرق . على أن اليقين غير شرط ، بل الظن كاف . وردّ الثانى بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به ، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى ضبط ألفاظه . ويلحق به

(١) أى النوع الثانى من الكلام ، وهو ما كان غير شعر .

(٢) قال المبنى : « النقل بالمعنى شيء ليس بمقصود على الأحاديث غلب ، بل إن تعدد الروايات فى بيت واحد من هذا القبيل . والقول بأن منشأ تعدد القبائل ليس مما يتشبه فى كل موضوع . على أن إثبات ذلك فى كل بيت دونه خرق التنازع . زد إلى ذلك ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاق ، من مثل ابن دأب ، وابن الأحر ، والكلي ، وأضرابهم . ورواية الشعر أيضاً فيهم من الأعاجم والشعرية أمم . على أن المبشرين فى القرون الأولى كانوا أحرم على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت فى روايته . وقد قبض الله لأحاديث رسوله ، من الجاهزة النقاد ، من نقي عنه ما كان فيه من شبه الوضع والانتحال . وهنا حرم الشعر مثله . »

ماروى عن الصحابة وأهل البيت ، كما صنع الشارح المحقق .

وإن شئت تفصيل ما قيل في المنع والجواز ، فاستمع لما ألقيه بإطنا ب دون إيجاز :

قال أبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل : « تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة — كسيبويه وغيره — الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصيح اللغة كلامُ النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفصح العرب . قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً ، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروى فحسن ، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى » ١٥ .

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل ^(١) : قد أكثر المصنف ^(٢) من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب . ومارأيتُ أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأولين لعلم النحو ، المستقرئين للأحكام من لسان العرب — كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين — لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرهم من نحاة الأقاليم كمنحاة بغداد وأهل الأندلس . وقد جرى الكلام فى ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال : إنما ترك ^(٣) العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول

(١) نقل السيوطى فى الاقتراح ١٧ قول أبى حيان هذا .

(٢) فى الاقتراح : « هذا المصنف » .

(٣) ط : « ذكر » صوابه فى سه والاقترح .

صلى الله عليه وسلم، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية. وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم لم تُقل بتلك الألفاظ جميعها : نحو ما روى من قوله : « زوّجتها بما ملك من القرآن » « ملكتموها بما ملك من القرآن »، « أخذها بما ملك من القرآن »، وغير ذلك من الألفاظ الواردة، فتعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ، بل لا يُجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ [غيرها ^(١)]، فأنت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه، إذ المعنى هو المطلوب، ولا سيما [مع ^(٢)] تقدم السماع، وعدم ضبطها ^(٣) بالكتابة، والاتكال على الحفظ. والضابط منهم من ضبط المعنى، وأما من ضبط اللفظ فبعيد جداً لا سيما في الأحاديث الطوال. وقد قال سفيان الثوري : « إن قلت لكم إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدّقوني، إنما هو المعنى ». ومن نظر في الحديث أدنى نظير علم العلم اليقين أنهم يروون بالمعنى. الأمر الثاني : أنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون، وقد وقع ^(٤) في كلامهم وروايتهم غير الفصح من لسان العرب. ونعلم قطعاً من غير شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب ^(٥) فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها، وإذا تكلم

(١) النكلة من الاقتراح.

(٢) النكلة من سـ والاقتراح.

(٣) في الاقتراح : « عدم ضبطه ».

(٤) ط : « ودخل » وأثبت ما في سـ والاقتراح.

(٥) هذه الكلمة من سـ فقط. وبدلها في الاقتراح : « الناس ».

بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإيجاز ، وتعليم [الله ^(١)] ذلك له من غير معلم . والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر متعباً بزعمه على النحويين ؛ وما أمعن النظر في ذلك ، ولا صحب من له التمييز . وقد قال لنا [قاضي القضاة ^(٢)] بدر الدين بن جماعة — وكان ممن أخذ عن ابن مالك — قلت له : يا سيدي ، هذا الحديث رواية الاعاجم ، ووقع فيه من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول . فلم يجب بشيء . قال أبو حيان : وإنما أمعنت الكلام في هذه المسألة لتلايقول مبتدئ : ما بال النحويين يستدلون بقول العرب ، وفيهم المسلم والكافر ، ولا يستدلون بما روى في الحديث بنقل العدول ، كالبخاري ومسلم وأصراهما ؟ أفن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذي لأجله لم يستدل النحاة بالحديث « اهـ ^(٣) » .

وتوسط الشاطبي فجوز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتنى بنقل ألفاظها .

قال في شرح الألفية :

« لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهاهم ، الذين يبولون على أعقابهم ، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنى ، ويتركون الأحاديث الصحيحة ، لأنها تنقل بالمعنى ، وتختلف رواياتها وألفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم ، فإن رواته اعتنوا بألفاظها ، لما ينبئ عليه من النحو ، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب ، وكذا القرآن ووجوه القراءات . وأما الحديث فعلى قسمين : قسم يعنى ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان . وقسم

(١) التكملة من سه والاقتراح .

(٢) التكملة من الاقتراح .

(٣) في الاقتراح للسيوطي : « انتهى كلام أبي حيان بلفظه » .

عُرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص ؛ كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ، ككتابه لممدان ، وكتابه لوائل بن حُجر ، والأمثال النبوية ؛ فهذا يصح الاستشهاد به في العربية . وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضرورى الذى لا بد منه ، وبني الكلام على الحديث مطلقاً ؛ ولا أعرف له سلفاً إلا ابن خروف ؛ فإنه أتى بأحاديث في بعض المسائل حتى قال ابن الضائع : لا أعرف هل يأتي بها مستدلاً بها ، أم هي لمجرد التمثيل ؟ والحق أن ابن مالك غير مصيب في هذا ، فكأنه بناء على امتناع نقل الحديث بالمعنى ، وهو قول ضعيف ، ٥١ .

وقد تبعه الشيوطى في الاقتراح^(١) . قال فيه : « وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيُستدل منه بما أثبت أنه قاله على اللفظ المروى ، وذلك نادرٌ جداً ، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً ، فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فرووها بما أدت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدّموا وأخروا ، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ؛ ولهذا ترى الحديث الواحد مروياً على أوجه شتى بمبارات مختلفة ، ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث » .

ثم نقل كلام ابن الضائع وأبى حيان وقال : ومما يدل على صحة ماذهبنا إليه ، أن ابن مالك استشهد على لغة أكلوني البراغيث بحديث الصحيحين : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وأكثر من ذلك ، حتى صار يسميها لغة يتعاقبون . وقد استشهد به السهيلي ، ثم قال : لكنى أنا أقول : إن الواو

فيه علامة إضمار ، لأنه حديث مختصر . رواه البزار مطولا ^(١) . فقال فيه :
 « إنَّ الله تعالى ملائكةَ يتماقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ^(٢) » .
 وقال ابن الانباري - في الإنصاف - في منع « أن » في خبر كاد . وأما حديثُ
 « كاد الفقر أن يكون كفراً » فإنه من تغيير الرواة ، لأنه صلى الله عليه وسلم
 أفصح من نطق بالضاد « اهـ » .

وقد ردَّ هذا المذهب الذي ذهبوا إليه البدر الدمايني في شرح التسهيل ،
 والله درّه ! فإنه قد أجاد في الرد ، قال :

« وقد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية ، وشنع أبو حيان
 عليه وقال : إن ما استند إليه من ذلك لا يتم له ، لتطرق احتمال الرواية بالمعنى ،
 فلا يوثق بأن ذلك المحتج به لفظه عليه الصلاة والسلام حتى تقوم به الحجة .
 وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوّب رأى ابن مالك فيما فعله ، بناءً على أن
 اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب ، وإنما المطلوب غلبة الظن الذي هو مناطُ
 الأحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين
 الإعراب ، فالظن في ذلك كله كاف . ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك
 المقول المحتج به لم يبدل ، لأن الأصل عدم التبديل ، لاسيما والتشديد في الضبط ،
 والتحري في نقل الأحاديث ، شائع بين النقلة والمحدثين . ومن يقول منهم
 بجواز النقل بالمعنى فإنما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي لا ينافي وقوع
 تقيضه ، فلذلك تراهم يتحرّون في الضبط ويتشدّدون ، مع قولهم بجواز النقل

(١) في الاقتراح وشرح الأئمة للآلفية : « مطولا مجردا » ، أى مجرداً من
 علامه الجمع الموجودة مع الاسم الظاهر لعدم إسناده في تلك الرواية التالية إلى الظاهر ،
 بل إلى الضمير .

(٢) قال الأئمة بعده : « وحكى بعض النحويين أنها لفظة طي » ، وبعضهم أنها
 لفظة أردشنة .

بالمعنى ؛ فيطلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدل ، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً ، فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها . ثم إن الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدون ولا كتب ، وأما مادون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل الفاظه من غير خلاف بينهم . قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى : إن هذا الخلاف لاتراه جلياً ولا أجراه الناس - فيما نعلم - فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظاً آخر اه . وتدوين الأحاديث والأخبار بل وكثير من الرويات ، وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، حين كان كلام أولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ^(١) يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ؛ ثم دُونَ ذلك المبدل - على تقدير التبديل - ومنع من تغييره ونقله بالمعنى ، كما قال ابن الصلاح ، فبقى حجة في بابه . ولا يضر توم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر ، والله أعلم بالصواب . اه . كلام الدماميني .

وعلم مما ذكرنا - من تبين الطبقات التي يصح الاحتجاج بكلامها - أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله ، صرح بذلك ابن الأنباري في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ؛ وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك ٧ الكلام مصنوعاً ، أو لمولد ، أو لمن لا يوثق بكلامه .

ولهذا اجتهدنا في تخرج آيات الشرح ، وفحصنا عن قائلها ، حتى هزونا كل بيت إلى قائله - إن أمكننا ذلك - ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، ومزنا

(١) هذه الكلمة ساقطة من نسخة .

الإسلامي عن الجاهلي ، والصحابي عن التابعي ، وهم جراً ، وضمننا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ؛ وإن كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة ، وأوردناها كاملة ، وشرحنا غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومنشأها ؛ كل ذلك بالضبط والتقيد ، ليعمّ النفع ، ويؤمن التحريف والتصحيف ، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، ويدفع احتمال ضعفه .

قال ابن النحاس في التعليقة : « أجاز الكوفيون إظهار (أن) بعد كي واستشهدوا بقول الشاعر ^(١) :

أردتُ لَكِما أن تطيرَ بِقِرْبَتِي فَنفركَما شَتَاً ببيداءٍ بَلقعِ ^(٢)

قال : والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ، ولو عرف لجاز أن يكون [من] ضرورة [الشعر] .

وقال أيضاً : ذهب الكوفيون إلى جواز دخول اللام في خبر لكن ، واحتجوا بقوله :

* وَلَكِنِّي مِنْ حَبِهَا لَعِيدُ ^(٣) *

والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ولا أوله ، ولم يذكر منه إلا هذا ، ولم ينشده أحد ممن وثق في اللغة ، ولا عُرِى إلى مشهور بالضبط والإتقان ، ٥١ . ويؤخذ من هنا أن الشاهد المجهول قائله وتنمته ، إن صدر من ثقة يعتمد عليه قبل ، وإلا فلا . ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحّ الشواهد ، اعتمد عليها خلفٌ بعد سلف ، مع أن فيها أبياتاً عديدة جُهل قائلوها ، وما عيب بها فاقلوها . وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالصلم وتهذيبه وكبته ،

(١) لم يعلم قائله . وانظر الخزانة ٣ : ٥٨٥ والمبني ٥ : ٤٠٠ وشرح شواهد المتن السبوطي ١٧٣ .

(٢) الشن : القرية الخلق .

(٣) الخزانة ٤ : ٣٤٣ والمبني ٢ : ٢٤٧ والأصموني ١ : ٢٨٠ .

ونظر فيه وقتش ، فما طمن أحد من المتقدمين عليه ولا ادعى أنه أتى بشعر منكر . وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ، ولا ردّوا حرفاً منها .

قال الجرمي : « نظرت في كتاب سيويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً ، فأما الألف فقد عرفت أسماء قائلها فأثبتها ، وأما الخمسون فلم أعرف أسماء قائلها ^(١) » . فاعترف بمعجزه ولم يطمئن عليه بشيء .

وقد روى هذا الكلام لأبي عثمان المازني أيضاً .

ولكون أبياته أصحّ الشواهد ، التزمنا في هذا الشرح أن ننصّ على ما وجد فيه منها بيتاً بيتاً ، ونميزها عن غيرها ، ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها . وربما روى البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة ، ربّما لا يكون موضع الشاهد في بعضها أو جميعها ، ولا ضير في ذلك ، لأنّ العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لفته التي فطره الله عليها ، وبسببه تسكّر الروايات في بعض الأبيات ، فلا يوجب ذلك قدحاً فيه ولا غصّاً منه . فإذا وقع في هذا الشرح من ذلك شيء نبهنا عليه .

(١) كتب المغفور له أحمد تيمور باشا على هامش الخزانة في هذا الموضع ما نصه : « ذكر شيخنا العلامة محمد محمود الشنيطي رحمه الله في كتابه الحماسة السنية ، أن واحداً منها عرف اسم قائله ، وهو :

* أفبعد كئندة نمدحن قبيلًا *

قال : وصدره :

* قالت فطيمة حل شمر كمدحه *

وهو لامرئ القيس من قصيدة عدتها ثمانية عشر بيتاً نادرة الوجود ، أوردها كلها في الحماسة المذكورة .

قلت : والفصيحة في ديوانه بتحقيق الأخ محمد أبي الفضل إبراهيم ص ٣٥٨ . و « حل » أريد بها حلّ . والحلّ : المطرود عن الماء . وفي أصل الحاشية « جل » بالجيم ، تحريف . (٢) خزانة الأدب

والترزنا في شرح هذه الشواهد عدّها واحداً بعد واحد ، ليسهل موضع
الحوالة فيه ، ويزول التعب عن متعاطيه .

الأمر الثاني

في ذكر المواد التي اعتمدنا عليها وانتقينا منها

وهي ضروب وأجناس

فتنما ما يرجع إلى (علم النحو) وهو كتاب س^(١) . والأصول لابن السراج .
ومعاني القرآن للفراء . ومعاني القرآن للزجاج . وتآليف أبي علي الفارسي :
كالنذكرة القصرية ، والمسائل البغدادية ، والمسائل العسكرية ، والمسائل
البصرية ، والمسائل المنشورة ، ونقض الهاذور^(٢) على ابن خالويه ، وكتاب
الشعر . وتآليف تلميذه ابن جنّي : كالخصائص ، والمختضب ، وشرح تصريف
المازني ، وسر الصناعة ، وإعراب الحماسة ، والمبهيغ في شرح أسماء شعرائها^(٣) ،
وشرح ديوان المتنبي . والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري . وتذكرة
أبي حيان ، وارتشاف الضرب له أيضاً . والضرائر الشعرية لابن عصفور .
والأمالي لابن الحاجب . والأمالي لابن الشجري . وشروح الكافية . وشروح
التسهيل . ومعنى اللبيب ، وشروحه . وغير ذلك من المتداول .

ومنها ما يرجع إلى (شروح الشواهد) وهو شرح أبيات الكتاب :

(١) هذا الحرف رمز إلى أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب بسبيويه
المتوفى سنة ١٨٠ .

(٢) انظر ما سيأتى في ص ٣٥٢ من صفحات الطبعة الأولى من الجزء الأول .
والهاذور من الهذر .

(٣) ط : « في شرح أسماءها » ، والوجه ما أثبت من س . وقد طبع هذا الكتاب
في دمشق سنة ١٣٤٨ بمطبعة الترقى .

لأبي جعفر النحاس ، وللأهل الشنمري ، ولابن خلف ، ولأبي محمد الأعرابي
المسمى فرحة الأديب . وشرح أبيات الجمل لابن السيد البطليوسي ، ولابن هشام
الغني ، ولغيرهما . وشرح أبيات المفصل لابن المستوفي الإدريلي ، ولبعض
علماء العجم المسمى بالتخمير^(١) . وشرح أبيات شروح ألفية ابن مالك للعيني ،
وشرح أبيات ابن الناظم لابن هشام الأنصاري ، ولم يكمل . وشرح أبيات
الكشاف للحموي . وشرح أبيات التفسيرين لخضر الموصلي^(٢) . وشرح
أبيات الإيضاح والمفتاح في علم المعاني . وشرح أبيات التلخيص للعباسي .
وشرح أبيات إصلاح المنطق ليوסף بن السيرا في^(٣) . وشرح أبيات الغريب
المصنف له أيضاً . وشرح أبيات أدب الكاتب للجوابليقي ، ولابن السيد
البطليوسي ، وللبلي^(٤) . وشرح أبيات الآداب المسمى بالعباب وغير ذلك .

(١) وقد ورد باسم « التخمير » في بعض مواضع من الخزانة ، وكذا في حرف
التاء في كشف الظنون . وأورد صاحب كشف الظنون في رسم (الفصل) برسم
« التخمير » أيضاً للقاسم بن الحسين المروف بصدر الأفاضل الخوارزمي المتوفى سنة ٦١٧
وهو أحد شراح سقط الزند لأبي العلاء المري ، وقد نشر شرحه فيما قامت به لجنة أحياء
آثار أبي العلاء . وصواب عنوان الكتاب « التخمير » كما ورد في ترجمته من معجم
الأدباء لباقوت ١٦ : ٢٥٣ . قال : « وله من التصانيف : كتاب المجمرة في شرح
المفصل ، صغير . وكتاب السبكة ، في شرحه أيضاً ، وسط . وكتاب التخمير ، في شرح
المفصل أيضاً ، بسيط . والمراد بالبسيط الكبير . وهو في ثلاثة مجلدات كما ذكر صاحب
كشف الظنون .

(٢) قال الميني : « يوجد منه نسخة بجيدر أماد ، وأخرى بيانكي بور ، واسمه :
الإسعاف بشرح شواهد القاضي والكشاف . وخضر هذا ترجم له الخفاجي في الرحمة
ص ١٠٦ سنة ١٣٠٦ هـ .

(٣) السيرا في المشهور هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان النحوي القاضي
شارح كتاب سيويه سنة ٣٦٨ . وابنه هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ،
شارح أبيات الكتاب المتوفى سنة ٣٨٥ .

(٤) نسبة إلى بلدة ، كتمرة ، وهي مدينة الحمراء الأندلسية . واسمه أحمد بن يوسف
ابن علي بن يوسف الفهري . توفي سنة ٦٩١ . بغية الوعاة ١٧٦ وصفه جزيرة الأندلس
للحبيري ١٦٨ .

ومنها ما يرجع إلى (تفسير أبيات المعاني المشككة)، وهو أبيات المعاني للأخفش المجاشعي، وأبيات المعاني للأشناداني^(١) بخط ابن جني وعليها أجازة أبي علي له. وأبيات المعاني لابن السكيت. وأبيات المعاني لابن قتيبة^(٢) في مجلدين ضخمين. وأبيات المعاني لابن السَّيد البطليوسي وغير ذلك.

ومنها ما يرجع إلى (دفاقر أشعار العرب) وهو قسمان: دواوين ومجاميع (فالأول): ديوان امرئ القيس الكندي، وديوان الأعشى ميمون، وديوان علقمة الفحل، وديوان ابن حِلْزة، وديوان أبي دُواد الإيادي، وديوان طَرْفة ابن العبد، وديوان عمرو بن قَمَيْثَة، وديوان طُفيل الغنَوِي، وديوان عامر ابن الطفيل، وديوان بشر بن أبي خازم، وديوان أوس بن حَجَر، وديوان أعشى باهلة، وديوان عوف بن عطية بن الخُرَيع، وديوان مطير بن الأشيم، وديوان الحادرة، وديوان المنقَّب العبدى، وديوان لقيط بن يَمْرُ الإيادي، وديوان نابغة بنى شيبان، وديوان النابغة الذبياني، وديوان زهير بن أبي سُلي، وديوان أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم. (ومن شعر الصحابة): ديوان حسان بن ثابت، وديوان لبيد بن ربيعة العامري، وديوان كعب بن زهير، وديوان حُميد بن ثور، وديوان أبي محجن الثَّقَفِي، وديوان النمر بن تُولب، وديوان عمرو بن معد يكرب، وديوان خُفاف بن نَدْبَة، وديوان الخنساء أخت صخر، وغير ذلك. (ومن شعر الإسلاميين): ديوان رافع بن هُرَيم البربوعى، وديوان القَطامى، وديوان جِران العُود، وديوان محمد بن

(١) طبع في دمشق سنة ١٣٤٠ باسم معاني الشعر لأبي عثمان سعيد بن هارون الأشناداني، برواية ابن دريد. وانظر الفهرست لابن النديم ١٢٣ وكشف الظنون في رسم (معاني). ولا عبرة بما ورد في الفهرست ٨٩ من تكرار اسم الكتاب بلفظين.

(٢) طبع في حيدر أباد سنة ١٣٦٨ باسم كتاب المعاني الكبير عن نسخة وحيدة في خزانة أبي صوفيا.

- ١٠ بشير الخارجي^(١)، وديوان ابن همام السلولي^(٢)، وديوان الشماخ، وديوان
عدي بن الرقاع، وديوان عروة بن حزام العنري، وديوان عبيد الله
الهدلي^(٣)، وديوان أبي ذهبل الجحفي، وديوان الحطينة، وديوان عمرو بن
الأهتم المنقري، وديوان ابن قيس الرقييات، وديوان الفرزدق، وديوان
جرير، وديوان الأختل النصراني، وديوان ذى الرئمة، وديوان جميل
العنري، وديوان المغيرة بن حنبل، وديوان رجز ربيعة بن العجاج، وديوان
رجز الرقيان السعدي، وديوان رجز أبي الأخضر الحناني وغير ذلك. (ومن
دواوين المولدين والمحدثين) ديوان مسلم بن الوليد، وديوان ابن الوكيل،
وديوان العباس بن الأحنف، وديوان علي بن جبلة الطوسي، وديوان أبي نواس
وديوان ابن المعتز، وديوان ابن الرومي، وديوان أبي تمام الطائي، وديوان
الشريف المرتضى^(٤)، وديوان المتنبي، وديوان أبي فراس الحمداني. وغير
ذلك. (والمجاميع) منها أشعار بني محارب للشيباني. والمفضليات للفضل
الضبي. وأشعار الهذليين للسكري وشرحها له، وللإمام المروزي. وأشعار
لصوص العرب للسكري أيضاً. والنقائض لابن حبيب^(٥). وختار شعر الشعراء
السة : امرئ القيس والنايفة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة، وشرحها

(١) نسبة إلى بني خازنة بن عدوان. الاشتقاق ٢٦٧ بتحقيقنا. وترجمته
في الأغاني ١٤ : ١٤٢.

(٢) هو عبد الله بن همام.

(٣) كذا في النسختين. ويقال له أيضاً «عبد الله»، وهو عبد الله بن مسلم
ابن جندب الهذلي. وشعره في بقية أشعار الهذليين المطبوع في برلين ١٨٨٤ ص ٧٣-٧٥
وانظره باسم «عبد الله» أيضاً في الأغاني ١ : ١٥٣ / ٤ : ٥٤ / ٥ : ١٣٨ / ٦ : ٧
٨ : ١٣٥ / ١٥ : ٦٥ وباسم «عبد الله» في الأمانى ٣ : ٨٧.

(٤) طبع أخيراً في سنة ١٩٥٨ بمطبعة الحلبي بتحقيق الأديب العراقي رشيد الصفار.

(٥) ط : «لأبي حبيب»، صوابه في س وهو محمد بن حبيب، وحبيب اسم أمه
لا يعرف. وقد طبعت النقائض في لندن بتحقيق المستشرق بيفان، برواية محمد بن حبيب
عن أبي حمزة.

للأعلم الشنمري . وأشعار تغلب لأبي عمرو الشيباني . وختار شعراء القبائل^(١) لأبي تمام ، والحلمة أيضاً وشرحها لشمري وأبي محمد الأعرابي وللإمام المروزقي^(٢) ، وللخطيب التبريزي ، ولأبي الفضل الطبرسي . والحلمة البصرية ، وحلمة الشريف الحسني^(٣) ، وحلمة الأعلم الشنمري ، وأشعار النساء للمرزباني . وشروح المعلقات لابن النحاس ، وللزوزني ، وللخطيب التبريزي . وجمهرة أشعار العرب . ومنتهى الطلب من أشعار العرب : فيه أكثر من ألف قصيدة . واليتيمة للثعالبي . وكتاب المترين ، وكتاب النساء الفوارك ، وكتاب النساء النواشر ، والثلاثة للمدائني^(٤) . والمجتني لابن دريد^(٥) . وشروح لامية العرب : للخطيب التبريزي ، ولزغزغ ، ولغيرهما . وشرح بانث سعاد لابن الأنباري ، ولأبي العباس الأحول ، ولابن خالويه ، ولابن هشام الأنصاري^(٦) ، ولابن كتيبة البغدادي^(٧) . وشرح البردة لابن مرزوق^(٨)

(١) ويسمى أيضاً « أشعار القبائل » .

(٢) طبع هذا الشرح بتحقيقنا في سنة ١٣٧٢ .

(٣) في النسختين : « الحسيني » تحريف . وهو هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة ابن علي بن عبيد الله بن حمزة بن محمد بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، المعروف بابن الشجري ، المتوفى سنة ٥٤٢ . وقد طبعت حماة في حيدر آباد سنة ١٣٤٥ . انظر ترجمته في زهرة الألباء والبنية والوفيات ، والمستفاد لابن الدمياطي نسخة دار الكتب رقم ٢٩٦ .

(٤) ولأبي عبيدة أيضاً كتاب النواشر ، ومنه نص في الآتي . لأبي عبيد البكري ٢٩ .

(٥) في النسختين : « المجتني » صوابه بالنون ، وقد طبع الكتاب بمحيدر آباد سنة ١٣٤٢ . وقال ابن دريد في مقدمته : « سميت كتاب المجتني لاجتماعنا فيه طرائف الآثار كما تجتني أطايب الثمار » .

(٦) ولعبد القادر البغدادي حاشية على شرح ابن هشام ، كما في كشف الظنون ٢ : ٢٢٤ .

(٧) هو أحمد بن محمد بن الحداد البجلي البغدادي . ألف شرحه في بغداد سنة ٧٢٤

كما نص عبد القادر البغدادي في الحزاة ٤ : ٨ وذكر أن حجم هذا الشرح في حجم شرح ابن هشام ، وأن عصرى تأليفهما متقاربان .

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المتوفى سنة ٧٨١ . ط :

« للمروزقي » صوابه في س .

ولأريب أن وفاة المروزقي سنة ٤٢١ سابقة على مولد البوصيري محمد بن سعيد سنة ٦٠٨ .

وغير ذلك . (ومن المجاميع) : النوادر والأمالى . أما النوادر فهي نوادر أبي زيد الأنصارى وشرحها لأبي الحسن الأخفش ولغيره . ونوادر ابن الأعرابي . ونوادر أبي علي القالي ، وشرحها لأبي عبيد البكري . وأما الأمالى فهي أمالى ثعلب ، وأمالى الزجاجى الصغرى والكبرى ، وأمالى أبي علي القالي ، وشرحها لأبي عبيد البكري^(١) ، وذيل أمالى القالي للقالي أيضاً ، وصلة الأمالى له أيضاً ، وأمالى الصولى ، وأمالى السيد المرتضى المسماة بالفرر والدرر ، فى مجلدين ضخمين . وأمالى شيخنا الشهاب الخفاجى .

ومنها ما يرجع إلى فن الأدب وهى : البيان للجاحظ ، والمحاسن والأضداد له أيضاً ، وكتاب الشعر والشعراء له أيضاً^(٢) . والكامل للبرد ، وشرحه لابن السيد البطلوسى ، ولأبى الوليد الوقتى^(٣) ، ولغيرهما . والمقد الفريد لابن عبد ربه . وزهر الآداب للحضرى ، وجواهر النكت والملح له أيضاً^(٤) . ١١ وديوان المعانى لأبى هلال العسكري . والأغانى للأصفهاني فى عشرين مجلداً . والعمدة لابن رشيقي ، فى مجلدين . والمثل السائر لابن الأثير . ونحوه التجدير لابن أبي الإصيص . ومساوى الحر لابن الجباب السعدى . والأوائل لابن هبة الله الموصلى فى مجلدين . ومدرج البلاغة لابن فضالة المجاشعى^(٥) . وتقد الشعر^(٦)

(١) فصل بين النوادر والأمالى للقالي ، وما شئ واحد ، وذلك ليجمع جزءاً من الكتاب مع كتب النوادر ، وجزء آخر منه مع كتب الأمالى ، وقد نشر شرح البكري للأمالى بتحقيق الأستاذ الميمنى سنة ١٣٥٤ .

(٢) لم يذكر فى الخزانة إلا فى هذا الموضع .

(٣) بتشديد التاف : نسبة إلى مدينة وقتش ، من أعمال طليطلة . وهو أبو الوليد

هشام بن أحمد بن هشام المتوفى سنة ٤٨٨ . معجم البلدان والروض المطار ١٩٦ .

(٤) طبع باسم «جمع الجواهر فى الملح والنوادر» سنة ١٣٥٣ بالمطبعة الرحمانية .

(٥) كتب الميمنى : «ابن فضالة غلط ، صوابه ابن فضال ، كشداد . ترجم له

فى معجم الأدباء ٥ : ٢٨٩ — ٢٩٥ .

(٦) فى النسختين : « نقد الشعراء » تحريف ، وإن كان قد صحح فى « الشعر » .

ونسبة هذا الكتاب إلى قدامة موضع تحقيق .

لقدامة الكاتب ، وشرحه لعبد اللطيف البغدادي . وسفر السعادة للسخاوي .
ومنها ما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وهو :
سيرة ابن هشام وشرحه : الروض الأنف للسبيلي . وسيرة الكلاعي . وسيرة
ابن سيّد الناس^(١) . وسيرة الشامي . والاستيعاب لابن عبد البر . والإصابة
لابن حجر . وجمهرة الأنساب لابن الكلبي ، وغنصرها لياقوت الحموي .
وأنساب قريش ، للزبير بن بكار^(٢) . ومقدمة الاستيعاب لابن عبد البر .
والمعارف لابن قتيبة . وتنكيس الأصنام لابن الكلبي^(٣) .

ومنها ما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم وهو : كتاب الشعراء لابن
قتيبة . والمؤتلف والمختلف للآمدي . والموشح لأبي عبيد الله المرزباني^(٤) .
وكتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني . وكتاب المقتولين غيلة لابن حبيب^(٥) ،
وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء له أيضاً^(٦) . وكتاب المنسوبين
إلى أمهاتهم للحلواني بخطه . وطبقات النحويين للتاريخي^(٧) . وطبقاتهم أيضاً
لأبي عبد الله البجلي . ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، في عدة مجلدات .

(١) طبعت باسم « عيون الأثر » في فنون المغازي والتمائم والسير سنة ١٣٥٦ نشر مكتبة القدسي .

(٢) طبعت منه قطعة باسم « جمهرة نسب قريش وأخبارها » تبدأ بالجزء الثالث عشر وهو أول القسم الثاني بتحقيق محمود محمد شاكر بمطبعة المدني سنة ١٣٨١ .

(٣) هو المعروف بكتاب الأصنام ، نشره المغفور له أحمد زكي باشا سنة ١٣٣٢ .

(٤) ط : « لأبي عبد الله » ، صوابه في ٧ . وهو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٢٩٦ — ٣٨٤) . وليس الموشح في طبقات الشعراء ، وإنما هو في نقد الشعراء وإن كان مظهره مظهر الطبقات .

(٥) انظر تحقيق تسميته في صدر نثرني له في المجلد الثاني من نوادر المخطوطات من ١٠٦ — ١٠٨ .

(٦) فقت بنشره مرتين : إحداهما في مجلة انتخطف جزء مايو سنة ١٩٤٥ والأخرى في المجلد الأول من نوادر المخطوطات من ٨١ — ٩٦ .

(٧) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج كما سيأتي في من ١١٥ من أرقام طبعة بولاق .

ومنها ما يرجع إلى كتب اللغة وهو : الجمهرة لابن دريد . والصالح للجوهري . والعياب للصابغاني^(١) . والقاموس لمجد الدين . واليوأقيت لأبي عمر المطرزي^(٢) . وكتاب ليس لابن خالويه . والنهاية لابن الأثير . والزاهر لابن الأنباري . والمصباح لخطيب الدهنة^(٣) . والتفريب في علم الغريب لولده^(٤) . وكتاب النبات في مجلدات كبار ستة لأبي حنيفة الدينوري . وإصلاح المنطق لابن السكيت ، وشرحه للبلبي ، ومختصره لخطيب التبريزي . وكتاب الألفاظ لابن السكيت . وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وشرحه للجواليقي ، ولابن السيد البطليوسي ، ولزجاجي ، ولبلبي ، ولابن بري . والفصيح لثعلب ، وشرحه لابن درستويه ، ولهرودي ، وللمرزوقي ، ولبلبي ، ولابن هشام اللخمي ، ولنيرم . وذيل الفصيح لعبد الطيف البغدادي . وكتاب الأضداد لابن السكيت ، ولعبد الواحد القفوي ، ولنيره . وكتاب الفروق لأبي هلال العسكري . وكتاب البيضة والدرع لأبي عبيدة . وخلق

(١) نسبة إلى صفتان . والصابغاني نسبة أخرى إليها . وبها ينتم صاحب الباب أحياناً .

(٢) في السكتين : « لأبي عمرو المطرزي » وإن كان قارى نسخة - قد عاها الواو من « عمرو » . وهو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، واسمه محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم . والمطرز الذي يقوم بتطريز الثياب ، وتلك كانت صناعته . وفي السكتين « المطرزي » ، تحريف .

والمعروف بالنسبة الأخيرة أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي الحواري صاحب الغرب في غريب ألفاظ فقه الحنفية . توفي سنة ٦١٠ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي . وكان يعرف بخطيب جامع الدهنة . توفي سنة ٧٨٠ . الدرر الكامنة ١ : ٣١٤ وبنية الوطة ١٧٠ .

(٤) هو نور الدين محمود بن أحمد الفيومي المتوفى سنة ٨٣٤ . وكتابه في غريب الموطأ والصحيحين . كشف الظنون ١ : ٣١٨ .

الإنسان للزجاج . والمربيات^(١) للجوابي . والمثلثات لابن السيد البطليموس
وكتاب التفسيح في اللغة^(٢) لأبي الحسين النحوي . والمرصع لابن الأثير .
والمزهر للجلال السيوطي . وكتاب القلب والإدغم لابن السكيت^(٣) وكتاب
المذكر والمؤنث له أيضاً ولغيره . وكتاب الأيام والليالي للفراء^(٤) . وكتاب
اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر لأبي عمر الطبري^(٥) . وكتاب الأنواء
وأسماء الشهور للزجاج . والأنواء لأبي العلاء المعري^(٦) وغيره . والمقصود
والممدود لابن الأنباري ، وللغالي ، ولابن ولأد ، ولغيرهم ، وغير ذلك .

ومنها ما يتعلق بأغلاط التكوين وهو : التنبيهات على أغلاط الرواة^(٧)

٢١ لعل ابن حمزة البصري وفيه : أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط
نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدينوري ، وأغلاط
الغريب المصنف لأبي عبيد ، وأغلاط صلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط
الجمهرة لابن دريد ، وأغلاط المجاز لأبي عبيدة^(٨) ، وأغلاط الفصح لتعلب ،

(١) طبع باسم « العرب » مرتين : أحدهما في ليست سنة ١٨٦٧ م والأخرى
في دار الكتب المصرية بتحقيق المنفور له الشيخ أحمد شاكر سنة ١٣٦١ هـ .

(٢) يبدو أنه من كتب المجاز اللغوي ، كما يظهر من تصويحه المكتسبة في ٤/٤٥٣:٢ ؛
١٦٤ ، ٢٧٠ من أرقم طبعة بولاق . وقد ورد في الموضع الأخير باسم « تفسيح اللغة » .

(٣) كذا في نسختين . وصوابه « القلب والإدغام » . وقد طبع في بيروت
في مجموعة الكثر اللغوي سنة ١٩٠٣ .

(٤) طبع في مصر بتحقيق الأستاذ الأنباري .

(٥) في ط : « لأبي عمرو » وفي س . « لأبي عمر » مع أثر تصحيح ، وهو الصواب
انظر ما سبق من التحقيق في ص ٢٧ . وفي نسختين : « المطرزي » تحريف . وانظر
كشف الظنون في رسم « كتاب » .

(٦) لم نجد من ذكره في مؤلفات أبي العلاء . وانظر تعريف القدماء بأبي العلاء
المعري . ولم يذكر البغدادى منه نصاً واحداً في الخزانة .

(٧) صوابه « أغلاط الرواة » كما هو في سائر المواضع التي وردت نبوس منه
فيها من الخزانة . ومنه نسخ في دار الكتب المصرية بالأرقام ٢٢٣٠٠٠٢ ، ٢٢٣٠٠٠٣ ، ٢٢٣٠٠٠٤ .

(٨) ل ط : « لأبي عبيد » ، تحريف صوابه في س . وكتاب المجاز طبع في القاهرة
سنة ١٣٧٤ بتحقيق محمد فؤاد سركين .

وأغلاط الكامل للبورد، وغير ذلك . وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف
لحمزة الأصفهاني^(١) . ولحن العامة للجوابقي^(٢) ولأبي بكر الزبيدي . وحاشية
ابن برّي على صحاح الجوهري . وأغلاط الجوهري للصلاح الصفدي . ودرّة
الفوّاص للحريري، وشرحها لابن برّي ، [ولابن ظفر^(٣)] ، ولابن الحنبلي ،
ولشيخنا الشهاب الخفاجي .

ومنها كتب الأمثال وهي : أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام ، وشرحها
لتلميذه^(٤) . وأمثال أبي فيد : مؤرّج السّدوسي . والفاخر المفضل الضبي^(٥) .
والأمثال التي على « أقل » لحمزة الأصفهاني . وجمع الأمثال للميداني .
ومستقصى الأمثال للزمخشري . وغير ذلك .

ومنها كتب الأماكن والبلاد وهي : المعجم فيما استعجم^(٦) لأبي عبيد
البكري في ثلاث مجلدات كبار . ومعجم البلدان لياقوت الحموي في عشر
مجلدات كبار، وغير ذلك مما لو سرّده لطلال ، وأورث السأم والملال .

(١) منه نسخة في المكتبة التيمورية برقم ٨٩٦ أدب .

(٢) طبع بتحقيق عز الدين التوخي باسم « تسكّة لإصلاح ما تفلّط فيه العامة »
في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٥ . ونشرت قبل ذلك في المجلة الألمانية
سنة ١٨٧٥ . وهو تسكّة لدرّة الفواص للحريري .

(٣) التسكّة من ٧٠ . وهو محمد بن محمد ، المعروف بابن ظفر المكي المتوفى سنة ٥٦٨
كما في كشف الظنون .

(٤) لم يظهر من هو . وفي ترجمته من طبقات الزبيدي ٢٢٠ : « قال أبو عبد الرحمن
الحبة صاحب أبي عبيد » . فله هو .

(٥) كذا في النسختين ، وإنما هو المفضل بن سلة اللغوي الكوفي ، وليس بالضبي
وأما المفضل الضبي صاحب المفضليات فهو المفضل بن محمد بن بلي الضبي المتوفى سنة ١٧٨
فيما ترجع ، وهو أقدم من المفضل بن سلة . انظر تحقيق ذلك في مقدمة المفضليات
بشرحنا مع الشيخ أحمد شاكر .

(٦) هو معجم ما استعجم ، ولكن وردت تسميته هكذا هنا .

الأمر الثالث

يتعلق بترجمة الشارح المحقق والخبر المدقق ، رحمه الله وتجاوز عنه

ولم أطلع على ترجمة له وافية بالمراد ، وقد رأيت في آخر نسخة قديمة من هذا الشرح ما نصه : « هو المولى الإمام ، العالم العلامة ، ملك العلماء ، صدر الفضلاء ، مفتي الطوائف ، الفقيه المعظم ، نجم الملة والدين ، محمد بن الحسن الأستراباذي . وقد أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية ^(١) في ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة » .

هذا صورة ما رأيته . وهذا التاريخ غير موافق لما أُرّخه هو في آخر شرحه قبل أحكام هاء السكت . قال فيه : « هذا آخر شرح المقدمة ، والحمد لله على إنعامه وإفضاله ، بتوفيق إكمالته ، وصلواته على محمد وكرام آله . وقد تم تمامه وختم اختتامه ، في الحضرة المقدسة الغروية على مشرفها أفضل نحية رب العزة وسلامه ، في شوال سنة ست وثمانين وستمائة » .

وقد أورده الجلال السيوطي في معجم النحويين ^(٢) ولم يعرف اسمه ، قال : « الرضى الإمام المشهور ، صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذي لم يؤلف عليها بل ولا في غالب كتب النحو منله جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل . وقد أكب الناس عليه وتداولوه ، واعتمده شيوخ المصر فمن قبلهم في مصنفاتهم ودروسهم . وله فيه أبحاث كثيرة واختيارات جمة ومذاهب ينفرد بها . ولقبه نجم الأئمة ، ولم أقف على اسمه ولا على شيء من ترجمته . إلا أنه فرغ من تأليفه هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وأخبرني صاحبنا شمس الدين بن عزم

(١) نسبة إلى الغرى ، وهو مشهد الإمام على بن أبي طالب بالنجف .

(٢) هو المعروف ببغية الوعاة انظر منه ص ٢٤٨ .

بمكة أن وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وثمانئة ، الشك منى . وله شرح على الشافية » .

هذا ما ذكره السيوطى ، والتاريخان غير موافقين لما ذكرناه . وقد ذكر البقاعى (فى مناسبات القرآن) تاريخ هذا الشرح كما نقلنا ، قال : « هو محمد ابن الحسن الأستراىذى العلامة نجم الدين ، وتم شرح الكافية فى سنة ست وثمانين وثمانئة . ولم ينقل الشرح من المعجم إلى الديار المصرية إلا بعد أبى حيان وابن هشام » ١٣ .

وعلى هذا لا يمكن أن يكون تاريخ وفاته ما ذكره السيوطى ؛ فإنه عاش مدة يحرر شرحه ، ولهذا تختلف نسخه اختلافاً كثيراً ، كما نقله السيد الجرجانى فى إجازته الآتية . وشرحه للشافية متأخر عن شرحه للكافية فلا يصح ذلك التاريخ . وعصره قريب من عصر ابن الحاجب ، فإن وفاة ابن الحاجب كانت فى سنة ست وأربعين وثمانئة .

وقد رأيت أن أكتب هنا صورة إجازة الشريف الجرجانى لمن قرأ عليه هذا الشرح ، فإنه بالغ فى تعريظه وأطرى ، ومدح الشارح بما هو اللائق والأحرى . وهى هذه : « أحمد على جزيل نواله ، وأصل على نبيه محمد وصحبه وآله . وبعد فإن صناعة الإعراب لا يخفى شأنها ، فى رفعة مكانها ، تجرى من علوم الأدب مجرى الأساس ، وتنزل منها منزلة البرهان من القياس . وبها يتم ارتشاف الضرب ، من تراكيب كلام العرب . بل هى مرقاة منصوبة إلى علم البيان ، المطلع على نكت نظم القرآن . وإن شرح الكافية - للعالم الكامل نجم الأئمة ، وفاضل الأمة ، محمد بن الحسن الرضى الأستراىذى ، تغمد الله بغفرانه ، وأسكنه بمجوحة جنانه - كتاب جليل الخطر ، محمود الأثر ، يحتوى من أصول هذا الفن

على أهماتها ، ومن فروعه على نكاتها ، قد جمع بين الدلائل والمباني وتقريرها ، وبين تكثير المسائل والمعاني وتحريرها ، وبالغ في توضيح المناسبات ، وتوجيه المباحثات ، حتى فاق بيانه ، على أقرانه ، وجاء كتابه هذا كهدى نظم فيه جواهر الحكم ، بزواهر الكلم . لكن وقع فيه تغييرات ، وشيء كثير من المحو والإثبات ، وبدل بذلك صور نُسْخه تبديلاً ، بحيث لا نجد إلى سيرتها سبيلاً . وإني — مع ما منيت به من الأشغال ، واختلال الحال ، وانتكاس سوق الفضل والسكال ، وانقراض عصر الرجال ، الذين كانوا يحط الرجال ، ومنبع الأفضال ، ومعدن الإقبال^(١) ، ومجمع الآمال ، وتلاطم أمواج الوسواس ، من غلبة أفواج الشوكة وظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، قد بذلتُ وسعى في تصحيحه بقدر ما وقي به حتى مع تلك الموانع ، ووسعه مقدرتي مع موانع العلائق ، فتصَحَّحَ إلا ما ندر ، أو طغى به القلم أو زاغ البصر . وقد قرأه على من أوله إلى آخره ، المولى الإمام ، والفاضل المهام ، زبدة أقرانه في زمانه ، وأسوة الأفاضل في أوانه ، محمد حاجي ابن الشيخ المرحوم السعيد عمر بن محمد — زِيدَتْ فضائله كما طابت شمائله — قراءة بحث واتقان ، وكشف وإيقان . وقد قرَّرتُ فيها عن معضلاته ، وكشف عن وجوه مخدَّراته . هذا ، وقد أجزته أن يرويه عني مع سائر ما سمعته على من الأحاديث وفنون الأدب والأصولين ، راجياً منه أن لا ينساني في خلواته ، وفي دعواته عقيب صلواته ، لعل الله يجمعنا في جناته ، ويتغمداً بمرضاته ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير . كتبه الفقير الحقير الجاني ، على بن محمد الحسيني الجرجاني . وذلك بمحررة مرقند سنة اثنتين وثمانمائة .

(١) في النسختين : « ومدن الإقبال » ، والوجه ما أثبت .

وهذا آخر الإجازة . وقد حان أن نلخص فيما اتوينا ، ونتوجه إلى
ما انتحينا ، راجين من الله إخلاص العمل ، والعصاة عن الزيغ والخلط .
ومن هنا نقول ، وعلى الله القبول .
أنشد في :

خواص الاسم

١ (يَقُولُ الْخَنِيْ وَأَبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقًا إِلَى رَبِّنَا صَوْتُ الْحَمَارِ الْيُجْدَعُ)
أورده الشارح ، وابن هشام في معنى القبيح ، على أن « أل » في اليجدع
اسم موصول ، دخل على صريح الفعل لمشابهة لاسم المفعول ، وهو مع ذلك شاذ
قبيح لا يبغي . إلا في ضرورة . وقال الأخفش : أراد الذي يجدع كما تقول : هو
البيضريك ، تريد الذي يضربك . وقال ابن السراج في كتاب الأصول :
لما احتاج إلى رفع القافية قلب الاسم فعلا ، وهو من أقبح ضرورات الشعر .
قيل : لا ضرورة فيه فإنه يمكن أن يقول (يجدع) بدون أل لاستقامة الوزن ،
وأن يقول المتقصع .

أقول : هذا مبني على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ما ليس للشاعر
عنه مندوحة ، وهو فاسد كما يأتي بيانه . والصحيح تفسيرها بما وقع في الشعر
دون النثر سواء كان عنه مندوحة أو لا .

قال شارح شواهد الألفية : « ذاك مسلم في يجدع دون المتقصع فإنه يلزمه
الإقواء وهو عيب » .

أقول : لا يلزمه الإقواء ، فإن البرقع مرفوع والمتقصع وصفه كما يأتي بيانه .
وقيل « أل » فيه زائدة والجملة صفة الحمار أو حال منه ، لأن أل في الحمار
جنسية ، وهذا لا يتمشى في أخواته .

وقول الشارح المحقق « لمشابهته لاسم المفعول » يريد أنها إذا دخلت على مضارع مبنى للمفعول إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم المفعول ، نحو اليجدع واليتقصع ، وقول الفرزدق :

ما أنت بالحكم الترضى حكومتَه ولا الأصيل ولا ذى الرأى والجدل
وإذا دخلت على مضارع مبنى للفاعل إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم
الفاعل كقوله :

وليس البرى للخل مثل الذى يرى له الخل أهلا أن يعدّ خليلا
وقوله :

ما كالبروح ويقدو لاهباً فرحاً مشترّ يستديم الحزم ذو رشدٍ
وقوله :

لا تبعن الحرب إني لك السندِرُ من نيرانها فائق
وقوله :

فقد المال يؤتى ماله دون عرضه لما نابه والطارق يتعمّل
وقوله :

أحين اصطباتى أن سكت وإنى لنى شغل عن دخلى اليتيم
وقول أبى على الفارسي في المسائل المسكوبة : إن دخول (أل) على الفعل
المضارع لم يوجد إلا في اليجدع واليتقصع ، وأظن حرفاً أو حرفين آخرين ،
ليس كذلك كما ذكرنا ؛ وسكت عن دخولها على الظرف نحو :

من لا يزال شاكرآ على المنة فهو خير بعيشة ذات سمة
وقوله .

١٥

وغيرنى ماغال قيسآ ومالكا وعمرآ وحجرآ بالشقر المأ^(١)

يريد القدين ما - وقال الكسائي : أراد معا و آل زائدة - وعن دخولها على الجملة الاسمية نحو :

بل القومُ الرسولُ اللهَ فيهم همُ أهلُ الحكومة من قصي

لأنه لا يرد النقص بها وإن كانت موصولة اسمية شاذة كشذوذها مع الفعل والكل خاص بالشعر .

قال الشاطبي في شرح ألفية ابن مالك : وأما آل فمختصة بالأسماء على جميع وجوهها : من كونها لتعريف المهد ، أو الجنس ، أو زائدة ، أو موصولة أو غير ذلك من أقسامها .

واعلم أن صريح مذهب الشارح المحقق في (الضرورة) هو المذهب الثاني وهو ما وقع في الشعر ، وهو مذهب الجمهور . وذهب ابن مالك إلى أنها مألوس للشاعر عنه مندوحة ، فوصل آل بالمضارع وغيره عنده جائز اختياراً ، لكنه قليل ، وقد صرح به في شرح التسهيل فقال : وعندى أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة لإمكان أن يقول الشاعر : صوت الحمار يجديع ، وما من يرى للخل ، والمتنصع ، وإذا لم يفعلوا ذلك مع الاستنطاعة ففي ذلك إشعار بالاختيار وعدم الاضطرار . وما ذهب إليه باطل من وجوه :

(أحدها) إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المزع وعلى إهماله في النظر القياسي جملة . ولو كان معتبراً لنهوا عليه . (الثاني) أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير ما ذكر ، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره ، ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل . هذه الرأى في كلام العرب من الشيعاء في الاستعمال يمكن لا يجهل ، ولا تكاد تنطق بجملتين تعريان عنها ، وقد هجرها واصل بن عطاء لمكان ثغته فيها ، حتى كان

يُناظر المخصوص ويخطب على المنبر فلا يسمع في نطقه راء، فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلاً . ولا مزية في أن اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدى أن لا ضرورة في شعر عربي . وذلك بخلاف الإجماع ، وإنما معنى الضرورة أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظة ماتضمنته ضرورة النطق به في ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص أو غير ذلك ، بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتمل في شيء يزيل تلك الضرورة . (الثالث) أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر ، واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال ، ولا شك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة ، لأن اعتناءهم بالمعاني أشد من اعتنائهم بالألفاظ . وإذا ظهر لنا في موضع أن مالا ضرورة فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال . (الرابع) أن العرب قد تأتي الكلام القياسي لعارض زحاف ، فتستطيب المزاحف دون غيره أو بالعكس، فتتركب الضرورة لذلك .

وقد بسط الردّ عليه الشاطبي في شرح الألفية ، وهذا أنموذج منه .
ثم قال : وقد بينت هذه المسألة بما هو أوسع من هذا في باب الضرائر من أصول العربية .

صاحب الشاهد وهذا البيت ثانی آیات سبعة أوردها أبو زيد في نوادره لدى الخرق قائل الشاهد الطهوي وهي :

١٦	(أتاني كلام ابن النعلبيّ ابن ديسق يقول الخني وأبغض المعجم ناطقاً فهلا تمنّاها إذ الحربُ لاقحُ يأتك حياً داريم وهما معاً	ففي أيّ هذا ويلاه يتترعُ إلى ربنا صوت الحمار اليجدعُ وذو النّبوات قبره يتصدعُ ويأتك ألفٌ من طهية أقرع
----	--	--

فيستخرج اليربوع من نفاقه ومن جُحره بالشيحة ابتقص
ونحن أخذنا الفارس الخير منكم فظل - وأعياء ذو الفقار - يُكرع
ونحن أخذنا - قد علمتم - أسيركم يساراً فَنُحْذِي من يسارٍ ونَنَقَم

شرح قصيدة
الشاهد

قوله « أَنَانِي كَلَامُ الثُّعْلَبِي » هو بفتح المثناة وسكون العين المهملة كما
في نوادر أبي زيد في نسخة قديمة صحيحة ، نسبة إلى ثعلبة بن يربوع ^(١) :
أبي قبيلة ، لا بمثناة فوقية ففين معجمة نسبة إلى تغلب بن وائل : أبي قبيلة
كما ضبطه بعضهم . فإن ابن ديسق هو أبو مذعور طارق بن ديسق بن عوف
ابن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . كذا سرد نسبه الأسود أبو محمد
الأعرجي الغندرجاني في شرحه نوادر ابن الأعرابي ، وأورد له شعراً جيداً .
وديسق علم منقول ، قال الصاغاني في العباب : قال الليث : (الديسق) خوان
من فضة ، والطريق المستعمل ، والحوض الملائن ، والشَّيخ ، والثَّور ، وكل
حلي من فضة بيضاء صافية ، ووعاء من أوعيتهم ؛ مأخوذ من الدَّسَق بفتححتين
وهو امتلاء الحوض ، يقال ملأت الحوض حتى دسق أي ساح مائه . وقيل
هو بياض الحوض وبريقه . وقوله (يتَرَع) التترع بفتححتي التاء المثناة فوق والراء ،
في العباب : ترع الرجل كفرح ، إذا اقتحم الأمور مرحاً ونشاطاً . وقيل ترع
سارع إلى الشر والغضب ، وتترع إليه بالشر أي تسرع . وكأنه توعد بالقتل
والسبي والنهب وما أشبه ذلك . يقول : إلى أي هذه الأمور يسابق بشره
وبلائه . وقوله (يقول الخن) البيت ، قال الجوهري وتبعه الصاغاني :
« هذا من أبيات الكتاب » وهذا لأصل له . وقد تصفحتُ شواهد سيويه

(١) ض : « ثعلب بن يربوع » ، صوابه في س - ومن نص نوادر أبي زيد ٦٦ وفيها :
« الثُّعْلَبِي هذا من بني ثعلبة بن يربوع » . وانظر الإنباه على قبائل الرواة ٧٧ وجهرة
ابن حزم ٢١٣ .

في عدة نسخ ولم أجده فيها . قال الصاغاني : لم أجد هذا البيت في شعر ذي الخرق ، وقد قرأت شعره في أشعار بني طهية . وساق له أبياتاً سبعة لم يكن هذا البيت فيها ، وذكر له بيتاً بدل ما قبل البيت الأخير ، وهو :

(ونحن حبسنا الدُّمَّ وسط بيوتكم فلم تقربوها والرماحُ نزعزع)

والخفي بالخاء المعجمة والنون : الفحش من الكلام ، وألفه منقلبة عن ياء ، ولهذا كتبت بالياء . يقال كلام خني وكلمة خنية ، وقد خني عليه بالكسر وأخني عليه في منطقته ، إذا أخش . وهو منصوب بالقول لتضمنه معنى الجملة كقلت قصيدة ، فلا حاجة لتأويل يقول بيقفه ويتكلم . وجملة يقول الخفي تفسير لقوله أنا في كلام التعلبي . و (أبفض) اسم تفضيل على غير قياس ، لأنه بمعنى اسم المفعول من أبفضته إيفاضاً فهو مبفض ، أي مقته وكرهته ، ولأنه من غير الثلاثي ، أو هو ^(١) من بفض الشيء بالضم بفاضة بمعنى صار بفيضاً ، فلا شدوذ . قال السخاوي في شرح المفصل : قالوا هو أبفض لي من زيد وأمقت لي منه ، أي يبغضني أكثر مما يبغضني زيد ، وقالوا إنه مردود إلى بفض ومقت ، يقال بفض بفاضة إذا صار بفيضاً . قال ابن برّي : إنما جعل شاذاً لأنه جعل من أبفض ، والتعجب لا يكون من أفعل إلا بأشد . وليس كما ظن الجوهري ، بل هو من بفض فلان إلى . وحكى اللغويون والنحويون ما أبفضني له إذا كنت أنت المبفض له ، وما أبفضني إليه إذا كان هو المبفض لك . انتهى . وإلى في التفضيل غير ما ذكر في التعجب . فإن إلى هنا بمعنى عند ومحوررها فاعلٌ معنى . و (العميم) : جمع أعجم وعجماء ، وهو الحيوان الذي لا ينطق . والأعجم أيضاً : الإلسان الذي في لسانه عجمة ، وإن كان بدوياً ، لشبهه

١٧

(١) في النسختين : « وهو » .

بالحيوان . و (ناطقاً) فاعل من النطق ، قال الراغب : النطق فى التعارف : الأصوات المتقطعة التى يظهرها اللسان وتسمى الآذان . . ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيداً أو على طريق التشبيه ، كقول الشاعر^(١) :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفقر بمنطقها فـ

انتهى . وهو هنا مجاز عن الصوت ، من إطلاق الخاص وإرادة العام ، وهو منصوب على التمييز للنسبة ، وأصله : وأبفض نطق المعجم ، أى تصويتها ، فلما حذف صارت نسبة أبفض إلى المعجم مهمة ففسرت بالتمييز ، ولا بد من هذا المحذوف ليصح الإخبار . أراد الشاعر تشبيه صوته إذ يقول الخنى ، فى بشاعته بصوت الحمار إذ تقطع أذناه . وصوت الحمار شنيع فى غير تلك الحال ، فما الظن به فيها ؟ ١ وزعم جماعة أن ناطقاً حال ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : هو حال من المعجم . ويرد عليه أنه مفرد وصاحب الحال جمع . ومن صححه بإجابة المفرد مناب الجمع ، أو أن ناطقاً بمعنى ذات نطق ، فقد تكلف . وقال بعضهم : هو حال من أبفض ، ويرد عليه أن الأصح أن المبتدأ لا يتقيد بالحال . وجوز هذا القائل أن يكون حالاً من ضمير يقول ، مع اعترافه بأنه يلزم الفصل بين المبتدأ والخبر بالأجنبي . وذهب بعضهم إلى أنه حال من ضمير أبفض ، وهذا سهو ، إذ ليس فيه ضمير ، ولو كان خبراً لتحمله . وقوله (إلى ربنا) متعلق بأبفض . وروى ابن جنى فى سر الصناعة : « إلى ربه » فالضمير يرجع إلى ابن ديسق . وقوله (اليجدع) قال الصاغانى : « الجدع بالبدال المهمة : قطع الأنف ، وقطع الأذن ، وقطع اليد ، وقطع الشفة . وجدعته أى سجنته وحبسته » ثم قال : « وحمار مجدع مقطوع الأذنين » . وأنشد هذا البيت عن نواذر أبى زيد . وزعم شارح

(١) هو حميد بن نور . ديوانه ٢٧ والمخمص ١٣ : ٩ .

معنى اليبب - وهو الحق - أنه من جدعت الحمار : سجنته ، قال : لأن الحمار إذا حبس كثر تصويته ، وإذا جعل من الجدع الذى هو قطع الأذن لم يظهر له معنى . قال السيوطى : « وليس كما قال ، لأن صوت الحمار حالة تقطيع أذنه أكثر وأقبح . وكأنه ظن أن المراد صوته بعد التجديع ؛ وليس كذلك ، بل المراد وقت التجديع » . هذا كلامه ، وفيه نظر فإنه قيل لا يصوت عند قطع أذنه أصلاً ، وقيل إن الحمار إذا كان مقطوع الأذن يكون صوته أرفع ، وإنما كان صوت الحمار مستكراً لأن أوله زفير وآخره شهيق ؛ وهذه حالة تنفر منها الطباع . وقد ورد تمثيل الصوت المرتفع بصوت الحمار فى القرآن ، قال تعالى فى وصية لقمان لابنه : « وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ » ، أى أوحش الأصوات وأقبحها . قال القاضى ^(١) : « وفى تمثيل الصوت المرتفع به ^(٢) ثم إخراجهُ مَخْرَجَ الاستعارة مبالغة شديدة . وقال معين الدين الصفوى ^(٣) : « شبه الرافعين صَوْتَهُمْ بِالْحَمِيرِ مِنْ غَيْرِ أَدَاةٍ التَّشْبِيهِ ، مبالغة فى التنفير . ولما كان صوته لا يكاد يختلف وأصواتُ سائر الحيوانات مختلفة جداً ، أفرد وجمعت . والحمير بمنزلة أسماء الأجناس على الأصح . والظاهر أن أنكر الأصوات الخ كلام لقمان ، وقيل هذا من كلام الله » انتهى . وهذا القول الأخير يناسبه قول الشاعر (إلى ربنا) فإن إلى بمعنى عند . وقال النسفى : ولو كان فى ارتفاع الصوت فضيلة لم يُستشنع صوت الحمار الذى هو أرفع الأصوات . وقوله : (فهلا تَمَنَّاها) الضمير راجع إلى معهود فى الدهن ، أى فهلا تمنى الحرب حين كانت حُبلى بمنايا الرجال ،

(١) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى صاحب التفسير المتوفى سنة ٦٨٥ . ونسبته إلى البيضاء : بلدة بفارس قرب شيراز . واسم تفسيره « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » .

(٢) لفظ البيضاوى : « بصوته » .

(٣) صاحب « جامع البيان فى تفسير القرآن » ، ولعل عبارته منقولة من كتاب آخر غير التفسير ، لأنها ليست فى تفسير آية « لَنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ » .

ومقارعة الأبطال . و (لاقح) من لَفِحَتِ الناقة لَقْحًا ، من باب تعب ، فهي لاقِحٌ مطاوع ألقح الفحل الناقة إلحاقا : أحبلها ؛ كذا في المصباح . وقوله (وذو النَبَوَانِ) في شرح نوادر أبي زيد « وذو النَبَوَانِ »^(١) لم يعرفه أبو زيد . والنَبَوَانِ - يفتح النون والبا الموحدة - اسم ماء بنجد لبني أسد ، وقيل لبني السَّيْد من ضَبَّة . كذا في معجم البلدان لياقوت الحموي^(٢) . ويقال له نبوان أيضاً بلا لام ، قال أبو صخر الهذلي :

ولها بذى نبوان منزلة قفر سوى الأرواح والرَّهم

أى لها بأراضى نبوان منزلة . والمراد بذى النبوان هنا رجل ، وهو إما صاحب هذا الماء أو لأنه دفن في أرضها . و (التصدع) : التشقق ، يقال صدعته صدعا ، من باب نفع : شققته . وصدعت القوم صدعا فتصدعوا : فرقهم فنفروا . والمراد به هنا الحفر والنبش ، أى هلا تمنيّت الحرب إذ قتلنا منكم ذا النبوان فحفرت له قبرا وواريته فيه ، وأنت شديد الحزن عليه ولم تقدر على الأخذ بثاره ؟! وقوله : (يَا تَكَ حيا دارم) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، جزم « يأت » في جواب شرط مقدر ، أى إن تمنيّت حربنا يأتك الحيان من دارم دفعة . ودارم : أبو قبيلتين من تميم . وطُهَيّة : حى من تميم ، سموا بإسم أمهم ، وهى طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهى أم أبي سود وعوف بن مالك بن حنظلة ، والنسبة إليها طُهوى بسكون الهاء وبعضهم يفتحها على القياس . و (أقرع) بالقاف : تآم ، يقال ألف أقرع ، ودرهم أقرع ، ومائة قرعاء . وقوله : (فيستخرج اليربوع .. الخ) الفاء للسببية ، ويستخرج منصوب بأن مضرة وجوبا ، وهو مبنى للمفعول ، ويجوز بالبناء

(١) ط : « والنَبَوَانِ » ، وأثبت ما في س و النوادر ٦٧ .

(٢) في رسم (النَبَوَانِ) .

للفاعل نسبة إلى الألف. والبربوع دُوَيْبَّةٌ تحفر الأرض — والياء زائدة، لأنه ليس في كلام العرب فعلول سوى صَفُوق على ما فيه — وله جحران أحدهما: القاصِماء وهو الذي يدخل فيه. وأما قول الفرزدق يهجو جريرا :

وَإِذَا أَخْنَتُ بِقَاصِمَاتِكَ لَمْ تَجِدْ أَحَدًا يَعِينُكَ غَيْرَ مَنْ يَنْقَضُ

فمعناه إنما أنت في ضعفك إذا قصدت لك كأولاد البرابيع لا يعينك إلا الضعيف مثلك. والآخر: النافقاء وهو الجحر الذي يكتسه ويظهر غيره، وهو موضعٌ يرققه، فإذا أتى من قبل القاصماء ضرب النافقاء برأسه فانتفخ أى خرج. وجمعهما قواصع ووافق. ووافق البربوع: اخذ في نافقائه، ومنه المنافق، شبه بالبربوع لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه، وقيل لأنه يستر كفره، فشبه بالذي يدخل النفق — وهو السَّرَب — يستتر فيه. والجحر يكون للضب والبربوع والحية، والجمع جَحَرَة ككعبة^(١) وانجحر الضب على انفعال: أوى إلى جحره. وقوله (بالشيعة) رواه أبو عمر الزاهد وغيره تبعاً لابن الأعرابي: « ذى الشيعة » وقال: لكل ربوع شيعة عند جحره. وردّ الأسود أبو محمد الأعرابي الغندجاني على ابن الأعرابي وقال: ما أكثر ما يصعّف في أبيات المتقدمين، وذلك أنه توهم أن ذا الشيعة موضع يُنبِت الشَّيْخ، وإنما الصحيح: « ومن جحره بالشيعة » بانحاء المعجمة، وقال: هي رملة بيضاء في بلاد بني أسد وحفظلة. وكذا رواه الجرمي أيضاً. والشين في الروايتين مكسورة. وقوله (الينقص) رواه أبو محمد الخوارزمي عن الرياشي بالبناء للمفعول^(٢). يقال تنقص للبربوع دخل في قاصمائه، فتكون صفة

(١) وأجعار أيضاً.

(٢) النص في نوادر أبي زيد ٦٧ وليس فيه قيد « بالبناء للمفعول » لا لفظاً ولا ضبطاً.

للجحر وصلته محذوفة ، أى من جحره الذى يتقصع فيه ، كما قدره ابن جنى فى سر الصناعة . وروى بالبناء للفاعل فيكون صفة اليربوع ولا حذف ورواه أبو زيد « المتقصع » بصيغة اسم المفعول وقال : « والمتقصع متفعل من القاصعاء » ، فيكون صفة اليربوع أيضا لكن فيه حذف الصلة . قال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبي زيد : رواه لنا أبو العباس ثعلب اليتقصع واليبدع ، قال : هكذا رواه أبو زيد . قال : والرواية الجيدة عنده المتقصع والمبدع . وقال : لا يجوز إدخال أل على الأفعال ؛ فإن أريد بها « التى » كان أفسد فى العربية . وكان لا يلتفت إلى شيء من هذه الروايات التى تشذ عن الإجماع والمقاييس . ومعنى البيت : إنكم إن حاربتمونا جئناكم بجيش لها ، يحيطون بكم فيوسعونكم قتلا وأسرا ، ولا نجاة لكم ولو احتلتم بكل حيلة ، كاليربوع الذى يجعل النافقاء حيلة لخلاصه من الحارث ، فاذا كثر عليه الحارث أخذوا عليه من نافقائه وقاصعائه ، فلا يبقى له مهرب البتة .

وروى بعض شراح الشواهد هذا البيت بعد البيتين الأولين ، ولم يزد على الثلاثة ، وظن أن قوله يستخرج اليربوع بالبناء للمعلوم — معطوف على قوله يقول الخنى فقال : ووصفه أخيرا بالخديعة والمكر .

ثم أخذ الشاعر فى الفخر عليه بما فعل قومهم فيهم من القتل والأسر فى الحروب السابقة فقال : (ونحن أخذنا .. الخ) الخبر هنا إما أفعل تفضيل أى أفضلكم ، وإما مخفف خير بالتشديد ، أى الجيد الفاضل . (ومنكم) على التقديرين متعلق بأخذنا . وقوله (فظل) أى استمر فى أسرنا . وقوله (وأعيا ذو الفقار) هو بفتح الفاء ، قال الصاغاني : هو مشرب بن عمرو الهمداني . وهو فاعل أعيا ، من أعيا فى مشيه أى كل ، بمعنى لم يقدر على شيء . وجملة (يكرع) بالبناء للمفعول حال من الفاعل ، ومعناه تقطع أكارعه : جمع كراع بالضم

وهو — كما قال ابن فارس — من الإنسان : مادون الركبة ، ومن الدواب :
 ما دون الكعب . وروى الصاغاني : « وأضحى ذو الفقار يكرع » فجملة يكرع
 إما خبر أضحى ، أحوال أيضا إن كانت تامة . وقوله (ونحن أخذنا قد علمتم)
 الخ يقول : نحن قد فككنا يساراً — الذى أسرتموه — من أسركم بأموالنا .
 ٢٠ فنحن نعطى ونضيف من ثروة ، وأنتم صعايلك لا تقدرون على شيء من ذلك .
 ويسار الأول اسم رجل ، والثاني بمعنى الغنى والثروة . و (نُحْدِى) بضم النون
 وسكون المهملة والذال المعجمة بمعنى نعطى ، من الإحذاء . وهو الإعطاء .
 و (نُنْقَع) بالنون والفاء ، يقال نَقَعَ الجزورَ يَنْقَعُ بفتح نين نقوعا ، إذا نحرها
 للضيافة . قال الصاغاني : وفي كلام العرب إذا نقي الرجل منهم قوماً يقول :
 ميلوا يُنْقَعْ لكم ، أى يجزر لكم ، كأنه يدعوهم إلى دعوته . والنقيعة : الجزور
 التى تجز للضيافة . وفسر بعض من كتب على نوادر أبي زيد (نُنْقَع) بقوله
 تُرَوَّى . وهذا غير مناسب . وقال الرياشي : حفظى « ونمى » ومصدره المنع
 إما مقابل الإعطاء ، وإما بمعنى الحياطة والنصرة . يقال فلان عزّ ومَنعة
 بالتحريك ، وقد تسكن النون ، وكلاهما مناسب لنحذى . قال الصاغاني :
 والمائع — من صفات الله تعالى — له معنيان : أحدهما مقابل الإعطاء ، والثاني
 أنه يمنح أهل دينه ، أى يحوطهم وينصرهم .

(تمة)

صاحب الشاهد نسب أبو زيد في نوادره هذا الشعر لثى الخرق الطهوى قال : « وهو
 جاهلى » . ومن لقب من الشعراء من بنى طهية ذا الخرق ثلاثة : (أحدم)
 خليفة بن حل بن عامر^(١) بن حميرى بن وقدان بن سبيع بن عوف بن مالك
 ابن حنظلة بن طهية ، ولقب ذا الخرق بقوله :

(١) المؤلف والمختلف ١٠٩ . والذى فيه : « خليفة بن عامر » بإسقاط « حل »

ما بال أم حُبَيْش لا تَكَلِّمنا لما افتقرنا وقد تُنْرى فننْفَقُ
تَقْطَعُ الطرفَ دوني وهي عابسة كما تَشَاوَسَ فيكَ النَّارُ الحَنَقُ
لَمَّا رَأَتْ إِبِلِي جَاءَتْ مُهَوِّلتها غرني عجافا عليها الريش والخرق
قالت : أَلَا تَبْتَغِي مَالاً تَعِيشَ به عما تَلَاقَى وشر العيشة الرَّمَقُ^(١)
فِيئِي إِلَيْكَ فَأَنَا مَعْشَرُ صُبر في الجذب لا خَفَّةَ فِينَا ولا مَلَقُ
إِنَّا إِذَا حُطِمَتْ حَتَّتْ لَنَا وِرقا نَمَارِسُ العِيشَ حَتَّى يَنْبِتَ الورقُ

(الثاني) قُرْطُ ، ويقال له ذو الخرق بن قرط^(٢) أخو بني سعيذة بن عوف
ابن مالك بن حنظلة بن طهية ، وهو فارس أيضا . (الثالث) شَمِيرُ بن عبد الله
ابن هلال بن قُرْطُ بن سعيذة ، كذا في المؤتلف والمختلف للآمدي^(٣) . ولم يذكر
هذا صاحبُ العباب ولم أر من قيد أحد هذه الثلاثة بكونه جاهليا ، فلا يظهر
أن هذا الشعر لمن هو من هؤلاء الثلاثة . وقال العيني : إن ذا الخرق الطهوي
صاحب الشعر اسمه دينار بن هلال . ولا أدري من أين نقله . وقال شارح شواهد
المغني : وفي المؤتلف والمختلف للآمدي أن اسمه قرط ، شاعر جاهلي ، شتى
بذلك لقوله :

* جاءت عجافا عليها الريش والخرق *

وفيه ثلاثة أمور : الأول أن الآمدي لم يذكر هذا الشعر فكيف ينسبه
إلى قرط^(٤) . الثاني أنه لم يقيد قرطا بكونه جاهليا . الثالث أن هذا الشعر

(١) ويروي : « الرنق » كما في نسخة من الأصمعيات . انظر الأصمعيات ١٣٤
بتحقيقنا مع الشيخ أحمد شاكر . والرواية فيها أيضا : « مما تلاقى » .

(٢) في المؤتلف ١١٩ : « ويقال ذو الخرق بن قرط » رواية أخرى في اسمه .

(٣) ذكر هذا الثالث في المؤتلف على أنه حاشية من ابن حبيب لآمن صلب الكتاب .

(٤) الحق أن الآمدي ذكره في موضع متقدم وهو ص ١٠٩ كما سبق في الحواشي .

ليس لقرط ، وإنما هو خليفة بن حمل كما تقدم آنفا . وفيه أيضا أن الرواية « غرتى عجافا » لا « جاءت عجافا » .

بقي من يلقب بذى الخرق من الشعراء من غير طهية . وهم اثنان : أحدهما ذو الخرق البربوعى أحد بنى صبير بن ربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن نعيم . والثانى : ذو الخرق بن شريح بن سيف بن أبان بن دارم . وهذا والذي قبله من شعراء الجاهلية .

ومن غير الشعراء (ذو الخرق) النعمان بن راشد بن معاوية بن عمرو ٢١ ابن وهب بن مرة ، كان يعلم نفسه فى الحرب بخرق حر وصفر .

و (ذو الخرق) أيضا : فرس عبيد بن الحارث بن عدى بن الأسود^(١) ، كان يقاتل عليه يوم البمامة . والخرق : جمع خرقة وهى القطعة من الثوب .

ترجمة الأسود
الفندجاني

والأسود الفندجاني ترجمة ياقوت الحموى فى معجم الأدباء المسمى لإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب^(١) ، قال : هو الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسود الفندجاني اللغوى النسابة ، وغندجان بلد قليل الماء لا يخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح . فى القاموس : غندجان بالفتح^(٢) بلد بفارس بمفازة معيشة . وكان الأسود صاحب دنيا وثروة ، وكان عارفا بأيام العرب وأشعارها ، قتيما بمعرفة أحوالها . وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبى الندى . وكان قد رزق فى أيامه سعادة ، وذلك أنه كان فى كنف الوزير العادل أبى منصور بهرام بن ماقتنه ، وزير الملك أبى كالتجار^(٣) ابن بهاء الدولة

(١) انظر القاموس (خرق) .

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٦١ — ٢٦٤ .

(٣) ضبطه ياقوت فى معجم البلدان بضم فسكون .

(٤) فى معجم الأدباء : « كالتجار » .

ابن بويه صاحب شيراز ، وقد خطب له ببغداد بالسلطنة . وكان الأسود إذا صنف له كتاباً جعله باسمه . وكان يُفضل عليه إفضالاً جماً ، فأثرى من جهته . ومات أبو منصور الوزير في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . قال ياقوت : وقرأت في بعض تصانيفه أنه صنفه في شهور سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وقرأ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وله من التصانيف : فرحة الأديب ، في الرد على يوسف بن أبي سعيد السيرافي^(١) في شرح أبيات سيويه . وكتاب قيد الأوابد في الرد على ابن السيرافي أيضاً في شرح أبيات إصلاح المنطق . وكتاب ضالة الأديب في الرد على ابن الأعرابي في النوادر التي رواها ثعلب عنه . وكتاب الرد على أبي علي النعماني في شرح مشكل أبيات الحماسة . وكتاب نزهة الأديب في الرد على أبي علي في التذكرة . وكتاب السِّلّ والسرقة . وكتاب الخليل : مرتب على حروف المعجم . وكتاب في أسماء الأماكن . وأكثرها عندي ، والله الحمد والمنة .

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثاني من شواهد سيويه^(٢) :

(ولا أرضَ أبقلَ إبقالمَا)

٢

أوله :

(فلامُرَّةٌ ودقت ودَقَّها)

أورده نظيراً لمرقات : في كونها مؤنثة لا يجوز فيها التذكير إلا بتأويل بعيد ، وهو أن يراد بها المكان . وأورده أيضاً في باب المذكر والمؤنث

(١) وأبو سعيد السيرافي هو الحسن بن عبد الله .

(٢) سيويه ١ : ٢٤٠ .

على أنه لا يمحذف علامة التأنيث من المسند إلى ضمير المؤنث المجازي
إلا للضرورة الشعر . وهو من شواهد الكتاب ومعنى اللبيب . قال ابن خلف :
الشاهد فيه أنه ذكر أبقل وهو صفة للأرض ضرورة ، حملا على معنى المكان ،
فأعاد الضمير على المعنى وهو قبيح . والصحيح أنه ترك فيه علامة التأنيث
للضرورة واستغنى عنه مما علم من تأنيث الأرض . وإلى هذا الوجه أشار
أبو علي . وقال غيره : وإنما قبح ذلك لاتصال الفاعل المضمر بفعله ، فكأنه
كالجزء منه حتى لا يمكن الفصل بينهما بما يسد مسدّ علامة التأنيث . ولا يخفى
ما فيه . وعند ابن كيسان والجوهري أن الفعل إذا كان مسنداً لضمير المؤنث
المجازي لا يجب إلحاق علامة التأنيث .

وقول بعضهم : وهذا ليس بضرورة لأنه كان يمكنه أن يقول « ولا أرضَ
أبقلت إبقالها » بنقل حركة الهزمة إلى ما قبلها وإسقاطها — ليس بجيد ،
لأن الصحيح أن الضرورة ما وقع في الشعر ، سواء كان للشاعر عنه فسحة
أم لا . وأجاب السيرافي بأنه يجوز أن يكون هذا الشاعر ليس من لغته
تخفيف الهزمة ، وحينئذ لا يمكنه ما ذكره . وذكر ابن يسمون أن بعضهم
رواه بالناء بالنقل المذكور . قال ابن هشام : فإن صحّت الرواية وصح
أن القائل ذلك هو الذي قال ولا أرض أبقل بالتذكير صحّ لابن كيسان
مدّعه ، وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم بعضاً ، وكلّ يسكلم على مقتضى
لغته التي فطر عليها ، ومن هنا كثرت الروايات في بعض الآيات .

وزعم جماعة أنه لا شاهد فيه ، فقال ابن القوّاس في شرح ألفية ابن معلى
أنه روى إبقالها بالرفع ، مسنداً إلى المصدر . ويردّه أن إبقالها منصوب على
المصدر التشبهي : أي ولا أرض أبقلت كما يقال هذه الأرض . ولو كان كما زعم
كان معناه نون الإبقال ، وهو تقيض مراد الشاعر . وزعم بعضهم أن ضمير

أبقل عائذ على مذكر محذوف : أى ولا مكان أرض ، فقال أبقل باعتبار المحذوف ، وقال إبقالها باعتبار المذكور . وهذا فاسد أيضاً ، لأن ضمير إبقالها ليس عائذاً على الأرض المذكورة هنا ، فتذكير أبقل باعتبار المحذوف لا دليل عليه ، ولو قال إن الأرض مما يذكر ويؤنث — كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات عندما أنشد هذا البيت : إن الأرض تذكر وتؤنث ، وكذلك السماء ، ولهذا قال أبقل إبقالها — لكان وجهاً .

قال ابن الحاجب فى أماليه : الضمير فى « ودقها » « وإبقالها » ، راجع إلى غير المزة والأرض المذكورتين ، ولا يستقيم أن يعود إليهما لتلا بصير مخيراً أنه ليس مزة تدق مثل ودق نفسها ، وهو فاسد . وإن لم تقدّر محذوفاً كان أفسد ، إذ يصير المعنى أنه ليس مزة تدق ودق نفسها ، والأمر على خلافه ، إذ لا تدق مزة إلا ودق نفسها . فوجب أن يكون التقدير فلا مزة ودقت ودقا مثل هذه المزة ، المحذوفة . وزعم الصاغاني فى الباب : أن الرواية « ولا روض أبقل إبقالها » ، وهذا لا يصادم نقل سيبويه لأنه ثقة ، والاعتداد عليه أكثر .

فقوله : (فلا مزة الخ) لا الأولى نافية للجنس على سبيل الظهور عاملة عمل ليس أو ملغاة ، والثانية نافية للجنس على سبيل التنصيص ، و (مزة) اسم لا إن كانت عاملة عمل ليس ، أو مبتدأ إن كانت غير عاملة ، وصح الابتداء بالنكرة إما للعموم وإما للوصف . وجملة (ودقت) محلها نصب : خبر لا ، أو رفع : خبر المبتدأ ، أو نعت لمزة والخبر محذوف أى موجودة أو معهودة . وجملة (أبقل) خبر لافقط ، ولا يجوز كونها صفة لاسم لا ، كما جوزه شراح الشواهد ؛ لأنه يجب حينئذ تنوين اسم لا لكونه مضارعاً للمضاف . والمزنة — واحدة المزن — السحابة البيضاء ، ويقال المطرة . والمعنى

هنا على الأول . انتهى . وكلاهما غير صحيح ، أما الأول فلأن السحابة البيضاء لا ودق لها ، وأما الثاني فبرده قوله تعالى : « أنتم أنزلتموه من المزن » . والودق : المطر ، قال المبرد في الكامل : يقال ودقت السماء يافقي تدق ودقا ، قال تعالى : « فترى الودق يخرج من خلاله » ، وأنشد هذا البيت .

٢٣ و (أبقل) قال الدينوري في كتاب النبات : يقال بقل المكان يَبْقُلُ بقولا إذا نبت بقله ، وأبقل يبقل إبقالا وهذا أكثر اللغتين وأعرفهما ، وأكثر العلماء يرّد بقل المكان . وقال بعض الرواة : أبقلت الأرض وأبقلها الله وبقل وجه الغلام إذا خرج وجهه ^(١) . وقال بعض علماء العربية : أبقل المكان ثم يقولون مكان بأقل ، قال : ولا نعلمهم يقولون بقل المكان . ومثله قولهم أدرست الأرض ونبت دارس ، ولا يقولون غيرها ، وقال أيضاً : أعشب البلد ثم قال بلد عاشب ، وكذا قال أبو عبيدة والأصمعي ، وتبعهما ابن السكيت وغيره ، قالوا : يقال بلد عاشب ، ولا يقال إلا أعشب ، وبأقل الرمث — وهو نبت — وقد أبقل ، ودارس الرمث وقد أدرس ، فيقولون في النعت على فاعل ، وفي الفعل على أفعل ، كذا تكلمت به العرب . قال الدينوري — وتبعه على بن حمزة البصري في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة — : وقد جاء عن العرب ما يرّد عليهم ، قال رؤبة :

* يملحن من كل غميس مُبْقِل ^(٢) *

وقال ابن هرمة :

(١) أي بدت لحيته .

(٢) ملح : ورد . والغميس : الجدول الصغير بين البقل والنبات . وفي اللسان (يقول) مع سبته إلى أبي النجم « يملحن » تصحيف . ولم ير الشطر في أرجوزته ولا في ديوان المجاج .

لُفَّتْ بصفراء الشحالة حرّة لها مرتع بين النيططين مبقل^(١)
وقال آخر :

• ولا أرض أبقل إجلها •

فجاء به على أبقل يقل فهو مبقل . وقال النابغة الجعدي :

على جانبي حائرٍ مفرط يبرث تبوءاً أنه معشب^(٢)

وقال الدّينوريّ في موضع آخر : « النبات كاه ثلاثة أصناف : شيء باق على الشتاء أصله وفرعه . وشي آخر يُبيد الشتاء فرعه ويبقى أصله ، فيكون نباته في أرومته الباقية . وشيء ثالث يبيد الشتاء أصله وفرعه ، فيكون نباته من بزره . وكل ذلك يتفرق ثلاثة أصناف آخر : فصنف يسمو صعداً على ساقه مستغنياً بنفسه عن غيره . وصنف يسمو أيضاً صعداً لا يستغنى بنفسه ، ويحتاج إلى ما يتعاق به ويرتقى فيه . وصنف ثالث لا يسمو ولكن يتسطّح على الأرض فينبت مقتراً . فيقال لكل ما سما بنفسه : شجر ، دقّ أو جل ، قاوم أو عجز عنه . وقيل له شجر لأنّه شجرٌ قسماً ، فكلُّ ما ممكّته ورفعته فقد شجرته . وما كان منه ينبث في بزره ولا ينبث في أرومته فاسمه البقل . وكل فابنة بقلّة في أول ما نبتت ، ولذلك قيل لوجه الغلام أوّل ما يخرج : بقل . وما نبت في أرومة وكان مما يهلك فرعه فاسمه الجنبية ، لأنّه فارق الذي يبقى فرعُه وأصله ، وفارق البقل الذي يبيد أصله وفرعه فكان جنبّة بينهما . وما تعلق بالشجر فرق فيه وعصب به فهو في طريقة العصبة . وما افترش ولم يسمُ فهو في طريقة الشطّاح ، وقد زعم أبو عبيدة أنّه النجم . على أن كل ما طلع من الأرض فقد نجم ، فهو نجم إلى أن تبين وجوهه » . ١ . هـ .

(١) اللسان (بقل) و (برث) .

(٢) ديوانه ص ٣٢ واللسان (برث) .

وقال الجواليقي في لحن العامة : يذهب العامة إلى أَنَّ البقل ما يأكله الناس خاصة دون البهائم ، من النبات الناجم الذي لا يحتاج في أكله إلى طبخ . وليس كذلك ، إنما البقل العشب وما يُنبَت الربيع مما تأكله البهائم ، قال الشاعر :

* ولا أرض أبقل إبقالها *

وقال آخر^(١) :

قومٌ إذا نبتَ الربيع لهم نبتت عِداتهمُ مع البقل^(٢)

وقال زهير : ٢٤

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطيئاً لهم حتى إذا أنبتَ البقلُ
يقال منه : بقلت الأرض وأبقلت ، لغتان فصيحتان ، إذا أنبت البقل .
قال أبو النجم يصف الإبل :

* تبقلت في أول التبقّل *

والفرق بين البقل ودقّ الشجر : أَنَّ البقل إذا رعى لم يبق له ساق ، والشجر يبقى له .

صاحب الشامد (تنمة) قال شراح شواهد الكتاب : هذا البيت لعامر بن جُوبن الطائي ، وهو أحد الخلفاء الفُتاك ، قد تبرأ قومه من جرائره . وله حكاية مع امرئ القيس ، وسنأتى في ترجمته إن شاء الله . وصف به أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث . ولم يذكروا مما قبله ولا مما بعده شيئاً . وقال شارح شواهد المغنى : قال الزمخشري : أوّله :

(١) هو الحارث بن دوس الإيادي ، كما في حواشي ابن روى على تسكئة لإصلاح ما تلفظ فيه العامة للجواليقي ص ١٣ واللسان (بقل) .

(٢) في اللسان وتسكئة الإصلاح والآلئ ٢٤ : « عداوتهم » ، وهو الوجه

وجارية من بنات المو ك تمقت بلرح خلخالها
 ككرفته الغيث ذات الصبي ر ترمي السحاب ويرى لها
 نواهدتها بعد مرّ النجو م كفاء تكثر نهطالها
 فلامزة ودقت ودقها (البيت)

انتهى . وقد رأيت البيتين الأولين في شعر الخنساء من قصيدة تروى بها
 أخاها صخرًا^(١) أولها :

ألا ما لعيني ألا مالها لقد أخضل الدمع سريلها
 ثم وصفت جيشاً فقالت :

ورجاجة فوقها بيضها عليها المضاعف زفناها
 ككرفته الغيث ذات الصبي ر (البيت المذكور)

وقال شارح ديوانها الأخفش : الرجاجة : الكنية ، كأنها تتحرك
 وتمخض من كثرتها . والمضاعف من الدروع : التي تنسج حلقتين حلقتين .
 وزفناها : مشينا لها باختيال ، وهي بالزاي المعجمة والفاء ، زاف يزيف زيفاً
 وزيفاناً : تبخر في مشيته . وشبه الرجاجة في كثرتها وحركتها وتمخضها
 بالكرفة ، وهي السحابة العظيمة التي يركب بعضها على بعض حملاً للماء .
 والحلل بالفتح : ما كان في الجوف مستكناً . والحلل بالكسر : ظاهر مثل
 الوقر على الظهر . شبه الكرفة بالناقة يكثر لحها وشحمها ، يقال : إن عليها^(٢)

(١) في ديوان الخنساء : مخطوط دار الكتب رقم ٤٣ سـ أدب : « وقالت لما وية
 أخها وقتله بنو مرة على غدير قلبي » . وفي الأغانى ١٣ : ١٣١ : « ليست هذه في صخر ،
 وإنما رئت به معاوية أخاها » . وبعد هذه الكلمة في ط : « وهو جرم بن عمرو بن
 الفوث بن طيء » ، وهي عبارة مضحكة رجع عليها في ش . وواضح أنه سهو كتابي ، وإنما
 هو اسم لقبيلة عامر بن حوین ، كما سبق .
 (٢) ط : « عليه » ، صوابه في سـ .

لكرافى* من اللحم والشحم . والصبير : سحاب أبيض . ترى السحاب هذه الكرفنة أى تنضم إليه وتتصل به ، ويرى لها بالبناء للمفعول ، أى يضم إليها حتى يستوى ويخلو لى .

قال ابن الأعرابى : هذا البيت لعمار بن جوين الطائى . وقال الأصمى : الكرفنة وجمعه كرافى : قطع من السحاب بعضها فوق بعض . والصبير : السحاب الأبيض

ثم قالت مخاطب أخاها :

وبيضٍ منمتَ غداةَ الصباح وقد كَفَّتِ الرُّوعُ أذيالها
وهالجرِ حَرَّها واقدُ جعلتَ رداءك أَظلالها
وجامعةَ الجمعِ قد سقَّتها وأعلمتَ بالمرحِ أَغفالها
ورُعبويةَ من بناتِ الملو ك قمقمتَ بالمرحِ خَلخالها

بيض ، تعنى جوارى سُبَيْن . كفت : كشفت . والروع : الفزع^(١) .
وروى ابن الأعرابى : « تكشف للروع أذيالها » . واقد : شديد الحر . جعلت رداءك أَظلالها ، أى استظلت فيها بالرداء . وتعنى بجامعة الجمع إبلا كثيرة . قد سقَّتها إما لتزويج وإما لسبأ تَفُكُّه . وروى ابن الأعرابى : « ومُعَلَّة سقَّتها قاعداً » معلمة : إبل . قاعداً : أى قاعداً على فرسك . والأغفال : التى لا سماتٍ عليها ولا علامات . تقول : أعلمتَ منها ما كان أَغفالاً . والرُعبوية : الناعمة الرخصة اللينة . قمقمتَ خلخالها ، أى تزوجت بها أو سبيتها ، فهو سلبها . ولا يخفى أن هذه الأبيات غير مرتبطة ببيت الشاهد ، ولا مناسبة لها به . والله أعلم .

(١) وأنته بتضمينه معنى الحرب .

وقد نسب أبو محمد الأعرابي - في فرحة الأديب - الأبيات التي نقلت
عن الزمخشري إلى عامر المذكور .

وقال المظهرى - في شرح المفصل - كلاما يشبه كلام المبرسمين وهذيان
المحمومين ، وهو قوله : قصة هذا البيت أن جارية هربت من غارة وفي رجلها
خلخال ، يقول الشاعر : إنَّ هذه الجارية تعدو ويصوت خلخالها كهوت
الرعد ، فليس مزنة تمطر مطراً مثل السحاب الذى يشبه هذه الجارية ، وليس
أرض تخرج النبات مثل أرض أصابها ذلك السحاب . هذا كلامه^(١)

و (عامر بن جوين) صاحب الشاهد : هو - كما قال محمد بن حبيب
ابن جوين ترجمه عامر
في أسماء المتتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام^(٢) :- هو عامر بن جوين
ابن عبد رضاء بن قران الطائي ، أحد بني جرم بن عمرو بن النوث بن طيء ،
كان سيداً شاعراً فارساً شريفاً ، وهو الذى نزل به امرؤ القيس بن حجر .
وكان سبب قتله أن كلباً غزت بني جرم ، فأسر بشر بن حارثة وهُبيرة
ابن صخر الكلبي ، عامر بن جوين - وهو شيخ - فجعلوا يندافعونه لكبره ،
فقال عامر بن جوين : لا يكن لعامر بن جوين الهوان ! فقالوا له : وإنك لهو !
قال : نعم . فذبجوه ومضوا ، فأقبل الأسود بن عامر فلما رأى أباه قتيلاً تتبعهم
فأخذ منهم ثمانية نفر - وكانوا قتلوا عامراً وقد هبت الصبا - فكلمهم ووضع
أيديهم في جفان فيها ماء ، وجعل كلما هبت الصبا ذبج واحداً حتى أتى عليهم .
قال أبو حاتم السجستاني - في كتاب المعمرين^(٣) - : عاش عامر
ابن جوين مائتي سنة .

(١) انظر اللسان (صبر) .

(٢) ص ٢٠٩ من المجلد الثاني من نواذر المخطوطات .

(٣) المعمرين ص ٤١ .

ورضاء بضم الراء والمد ؛ قال ابن الكلبي في كتاب الأصنام^(١) : وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبدونها لا أدري أعبدوها للأصنام أم لا : منها عبد رضاء ، كان بيتا لأبي ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر في الإسلام وقال :

ولقد شددتُ على رضاء شدة فتركها تلاً تنازع أسما
وقران بفتح القاف وسكون الميم وبعدها راء مهلة . وجرم اسم ثعلبة
حضنته أمة يُقال لها جرم قسّى بها ، وابنه الأسود كان شريفا شاعراً . وقبيصة
ابن الأسود وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذه نسبة عامر بن جوين من الجمهرة : عامر بن جوين بن عبد رضاء
ابن قران بن ثعلبة بن جتيان (وهو جرم) بن عمرو بن الغوث بن طلي .

ترجمة أبي حنيفة
الدينوري

(وأبو حنيفة الدينوري) هو أحمد بن داود بن وَتَنَد^(٢) . أخذ عن البصريين
والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت ، وكان نحوياً لغوياً مهندساً
منحجاً حاسباً ، راوية ثقة فيما يرويه ويحكمه . مات في جمادى الأولى سنة اثنتين
٢٦ وثمانين ومائتين ؛ قال أبو حيان التوحيدى : أبو حنيفة الدينوري من نواحر
الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم .
وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ،
وأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروض كلام أبدي بدوي ، وعلى
طباع أفصح عربي . ولقد قيل لي إن له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً
- وما رأيته - وإنه ما سبق إلى ذلك النمط مع ورعه وزهده وجلالة قدره .
وله من الكتب : كتاب الباء . كتاب ما تلحن فيه العامة . كتاب الشعر

(١) الأصنام ص ٣٠ . وفي نقل البغدادي بعض التصرف .

(٢) هذه الترجمة برمتها من معجم الأدباء ٣ : ٢٦ - ٣٢ .

والشعراء . كتاب الفصاحة . كتاب الأنواء . كتاب في حساب التدرج^(١) .
كتاب البحث في حساب الهند . كتاب الجبر والمقابلة . كتاب البلدان ،
كبير . كتاب النبات ، لم يصنف مثله في معناه . كتاب الجمع والتفريق .
كتاب الأخبار الطوال . كتاب الوصايا . كتاب نواذر الجبر . كتاب إصلاح
المنطق . كتاب القبلة والزوال . كتاب الكسوف . وله غير ذلك .

روى أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول
ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ما الشاة المجتمة التي نهى
النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن ، مثل
اللعجة ، فقال : هل من شاهد ؟ قال : نعم ، قول الراجز :

لم يبق من آل الحميد نسمة إلا عنيز لجة مجتمة

فإذا الحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري ، فلما دخل عليه قال :
أيها الشيخ ، ما الشاة المجتمة التي نهيناعن أكل لحمها ؟ فقال : هي التي جثمت
على ركبها وذبحت من خلف قفاها . فقال : كيف تقول وهذا شيخ أهل
العراق يقول هي مثل اللعجة ؟ وأشدّه الشعر . فقال أبو حنيفة : أيمان البيعة تلزم
أبا حنيفة ، إن كان هذا التفسير ممحه هذا الشيخ أو قرأه ، وإن كان الشعر
إلا لساعته هذه . فقال أبو العباس : صدق الشيخ ، فإني أنفت أن أريد
عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع ، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه .
فاستحسن منه هذا الإقرار .

* * *

وأنشده بعده لامرئ القيس ، وهو الشاهد الثالث ، وهو من شواهد س^(٢) :

(١) في معجم الأدباء : « الدور » .

(٢) سيبويه ٢ : ١٨ .

٣ (تَوَرَّتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا يَيْتَرِبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ)

وقال الشارح : يروى بكسر التاء بلا تنوين ، وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين ، ويروى « من أذْرَعَاتٍ » كسائر ما لا ينصرف . فلي هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف . والأشهر بقاء التنوين في مثله مع العلمية .

أقول : أراد بهذا الكلام تقرير ما ذهب إليه تبعاً للربيعي والزمخشري - وإن خالفهما في الدليل - من أن تنوين جمع المؤنث السالم تنوين صرف لا تنوين مقابلة ، فإن حذف التنوين في بعض اللغات مما سمي بهذا الجمع ، دليل على أن تنوينه قبل التسمية تنوين صرف . فاستند أولاً إلى تمجيز المبرد والزجاج حذف التنوين منه مع العلمية ، وثانياً إلى رواية منع الصرف فيه مع العلمية بوجهين : مماعي وقياسي ، فالأول نقله ابن جني - في سر الصناعة - عن بعض العرب فقال : واعلم أن من العرب من يشبه التاء في مسلمات - معرفة - بناء التانيث في طلحة وحمة ، ويشبه الألف التي قبلها بالفتحة التي قبل هاء التانيث ، فيمنعها حينئذ الصرف فيقول : هذه مسلمات مقبلة . وعلى هذا بيت امرئ القيس : « تنورتها من أذْرَعَاتٍ » ، وقد أنشدوه من أذْرَعَاتٍ بالتنوين . وقال الأحمسي :

تَحْيَرُهَا أَخُو عَانَاتٍ شَهْرًا وَرَجَى خَيْرَهَا عَامًا فَعَامًا^(١)

وعلى هذا ما حكاه س من قولهم : هذه قرشيات^(٢) غير منصرفة . انتهى . والثاني أن بعضهم - أي بعض النحاة - يفتح التاء في مثله ، أي في

(١) في النسختين : « لغيرها » ، صوابه من الديوان ١٣٤ واللسان (عون) ، وقال : « طانات : موضع بالجزيرة تنسب إليها الجر العانية » .

(٢) في كتاب سيبويه : « قرشيات » . والنسبتان صحيحتان .

مثل أذرعَات مما سمي بجمع مؤنث سالم ، مع حذف التنوين ، أى يفتح التاء ويحذف التنوين منه ، ويروى ذلك البعض من أذرعَات بفتح التاء قياساً على سائر مالا ينصرف . فعلى هذين الوجهين أى حذف التنوين مع كسر التاء وحذف التنوين مع فتح التاء التنوين للصرف أى التنوين الذى كان قبل التسمية . فإن النحاة اتفقوا على أن التنوين الذى يحذف فيما لا ينصرف إنما هو تنوين الصرف .

و (أذرعَات) قال ياقوت فى معجم البلدان : وهى بلد فى أطراف الشام يجاور اليلقاء وعتّان ، وينسب إليه الحمر . وقد ذكرتها العرب فى أشعارها لأنها لم تزل من بلادها . والنسبة إليه أذرعى . و (يثرِب) زاد الصاغنى : وأثرِب^(١) . اسم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ياقوت - نقلاً عن الزجاجى : « سُميت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرِب بن عَوْص بن لَدَم بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طَيِّبَة وطابة ، كراهيةً للتريب . وسُميت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لنزوله بها . ثم اختلفوا فقيل : إن يثرِب اسم للناحية التى منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : بل يثرِب ناحية من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢) ، وقيل هى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال ابن عباس : من قال يثرِب فليستغفر الله ثلاثاً إنما هى طَيِّبَة » . وقال فى المصباح : ثرب عليه من باب ضرب : عتب ولام ، وبالمضارع بياه الغائب سمي رجلاً من العالقة ، وهو الذى بنى المدينة سُميت باسمه ، قاله السهيلي . وأما (يثرِب) بالثناة الفوقية بدل المثناة ، فقال ياقوت : هى بفتح الراء قبل

(١) ط : « ويثرِب » صوابه فى سبكها تقتضيه الغاية .

(٢) فى النسختين : « من ناحية مدينة الرسول » ، صوابه فى معجم البلدان .

قرية بالجمامة عند جبل وشم . وقيل اسم موضع في بلاد بني سعد . وقال الحسن ابن أحمد الهمداني النخعي^(١) : هي مدينة يحضر موت نزلها كندة . وإياها عني الأعشى بقوله :

* بسهام يترب أو سهام الوادي^(٢) *

ويقال إن عرقوباً صاحب المواعيد كان بها . ثم قال : والصحيح أنه من قدماء يترب . وأما قول ابن عبيد الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجيةً مواعيد عرقوب أخاه يترب

فhekذا أجمعوا على روايته بالتاء المثناة ؛ قال ابن الكلبي : وكان من حديثه أنه كان رجلاً من العماليق يقال له عرقوب ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا أطلعت النخلة فلك طلعتها . فلما أتاه للعدة قال : دعها تصير بلعاً . فلما أبلحت قال : دعها تصير زهواً ؛ ثم حتى تصير بسرائر ؛ ثم حتى تصير رطباً ؛ ثم تمراً . فلما أثمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدها ولم يعطه شيئاً ، فصار مثلاً في الخلف » . و (التنوير) قال المبرد في الكامل : المتنور الذي يلتبس ما يلوح له من النار . ورد عليه أبو الوليد الوقشي - في شرحه عليه - بأن المتنور إنما هو الناظر إلى النار من بعد ، أراد قصدها أو لم يرد ، كما قال امرؤ القيس : « تنورتها من أذرعات » ، ولم يرد أن يأتيها ، كما لم يرد القائل^(٣) :

وأشرفُ بالقور اليفاع لعلنى أرى نار ليلي أو يراني بصيرها

(١) هو صاحب كتاب الإكليل ، وصفة جزيرة العرب ، المتوفى سنة ٣٣٤ .

(٢) في ديوان الأعشى ٩٨ ومعجم البلدان ٢ : ٢٥٨ : « أو سهام بلاد » . وصدوره :

* منعت قياس الماسخية رأسه *

(٣) هو توبة بن الحخير من مقطوعة في الأمالي ١ : ٨٨ ، كما ورد بهذه النسبة

في اللسان (بصر) .

والنظر إلى نارها إنما هو بنظر قلبه ، تشوقاً إليها . كما قال ابن قتيبة
في أبيات المعاني^(١) : هذا نحرٌ وتظنُّ منه^(٢) ، ليس أنه رأى بعينه شيئاً
إنما أراد رؤية القلب . ومثله قول الآخر :

أليس بصيراً من رأى وهو قاعد بمكة أهل الشام يختبئونا
وقال الأعشى^(٣) :

أريتُ القوم ناركِ لم أغمض بواقصة ومشرابنا زرودُ
فلم أر موقداً منها ولكن لأية نظرة زهر الوقود^(٤)

وجوز أرباب البديع في الإغراق من المبالغة أن يكون نظراً بالعين حقيقة .
قالوا : لا يمتنع عقلاً أن يرى من أذرع من الشام نار أحبته ، وكانت يثرب
مدينة النبي صلى الله عليه وسلم على بعد هذه المسافة ، على تقدير استواء الأرض
وأن لا يكون ثم حائل من جبل أو غيره ، مع عظم جرم النار ، وإن كان ذلك
ممتنعاً عادة . وجملة تنويرها استثنائية ، و (أدنى دارها) مبتدأ و (نظر على)
خبره بنقدير مضاف . قال أبو علي في الإيضاح الشعري : ولا يجوز أن يكون
نظرٌ خبر أدنى لأنه ليس به ، لأن أدنى أفعل تفضيل ، وأفعل لا يضاف إلا إلى
ما هو بعض له ، فوجب أن يكون بعض الدار ، وبعض الدار لا يكون النظر
فإنما أن يحذف المضاف من النظر ، أي أدنى دارها ذو نظر ، وإما أن يحذف
من الأول ، أي نظر أدنى دارها نظر على ، ليكون الثاني الأول . في المصباح :
علا علواً من باب قعد : ارتفع ، فهو عال . يريد أن أقرب مكان من دارها

(١) المعاني الكبير ص ٤٣٥ .

(٢) ط : « وتمن منه » صواب النس من ص والمعاني

(٣) ديوانه ص ٦٥ .

(٤) زهر السراج والقمر ونحوهما : تلاًلاً .

بعيد . فكيف بها ودونها نظر عال ١ والجلتان الاسميتان حال من ضمير المؤنث
في تنوّرنها ، وجاءت الثانية بلا واو كقوله :

واللهُ ييقبك لنا سالماً بُرُذاك تعظيم وتبجيلُ

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس عدتها ستة وخسون بيتاً ،
وهي من عيون شعره ، وأكثرها وقعت شواهد في كتب المؤلفين : هنا ،
وفي معنى اللبيب ، وفي كتب النحو والمعاني . فينبغي شرحها - تنبيهاً للفائدة -
وإن شرحت هنا بأجمعها طال الكلام . فلنوزعها مع الآيات التي ذكرت
قصيدة الشاهد منها في هذا الكتاب متفرقة ، فنذكر هنا من أول القصيدة إلى البيت
الذي شرحناه :

(ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصور الخالي

وهل يعمن إلا سعيدٌ مخلدٌ قليلُ المهوم ما يبيتُ بأوجال)

قوله « عم صباحاً » هذه الكلمة تحية عند العرب ، يقال : عم صباحاً
وعم مساءً وعم ظلاماً . والصباح من نصف الليل الثاني إلى الزوال ، والمساء
من الزوال إلى نصف الليل الأول . قال ابن السيد في شرح شواهد أدب
الكاتب « يقال وعمّ يعيمُ كوعد يعد وومق يبق . وذهب قوم إلى أن يم
محدوف من ينم ، وأجلزوا عم صباحاً بفتح العين وكسرهما ، كما يقال انعم صباحاً
وانعم . زعموا أن بعض العرب أنشد :

* ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي *

بفتح العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنتره :

* وعمي صباحاً دار عبلة واسلمى *

فقال : هو من نم المطر إذا كثر ، ونم البحر إذا كثر زبده ، كأنه

يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير . وقال الأصمعي والفراء : إنما هو دعاء بالنعيم والأهل وهو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب . ولم يذكر صاحب الصحاح مادة وعم قال : « وقولهم عم صباحاً كأنه محذوف من نعم ينعم بالكسر » . وزعم ابن مالك في التسهيل أن عم فعل أمر غير متصرف . قال أبو حيان : ليس الأمر كما زعم ، بل هو فعل متصرف ، وقد حكى يونس وعمت الدار أعم ، أى قلت لها انعمى . قال الأصمعي : عم فى كلام العرب أكثر من انعم . وقد روى « ألا انعم صباحاً إلخ » . ونعم الشيء نعمة صار ناعماً ليناً ، من باب كرم وحضر وحسب . ويقال انعم صباحك أيضاً ، من النعمة . وصباحاً ظرف أو تمييز محول عن الفاعل . والظلل : ماشخص من آثار الدار . والرسم : مطلق الأثر . والبالى : من بلى الثوب من باب تعب ، بلى بالكسر والقصر وبلاء بالفتح والمد : خلق . أو من بلى الميت : أفنته الأرض . وقوله « وهل يعمن » هو استفهام إنكارى ، استشهد به ابن هشام - فى شرح الألفية - على أن من يستعمل فى غير العقلاء . وقال العسكرى - فى كتاب التصحيف - اختلفوا فى معناه لا فى لفظه ، فقال الأصمعي : اللفظ على مذهب أنت يا طلل قد تفرق أهلك وذهبوا ، فكيف تنعم بعدهم ؟ أو المعنى كيف أنعم أنا ؟ فكأنه يعنى أهل الظلل . و « العصر » بضمين : لغة فى العصر وهو الدهر . والخالى : الماضى ، قال تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . وقوله « وهل يسمن إلا سعيد إلخ » قال العسكرى : المخلد : الطويل العمر الرخى البال ، ومخلد إذا لم يشب . وقيل المخلد المقرط ، والمقرط الخلد . ورواه بعضهم :

* وهل ينعمن الا خلى مخلد *

وقال : يعنى غلاماً حديثاً خلياً من العشق . والأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف ، وفعله من باب تعب .

(وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ أَحَدُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ)

قال المسكري — قلا عن الأصمعي وابن السكيت — يقول : كيف ينم من كان أقرب عهده بالرفاهية ثلاثين شهراً من ثلاثة أحوال ، على أن في بمعنى من . ثم قالوا : وقد تكون بمعنى مع ، قال ابن السيد « وكونها بمعنى مع أشبه من كونها بمعنى من . ورواه الطوسي : «أو ثلاثة أحوال» . وكل من فسرهُ ذهب إلى أن الأحوال هنا السنون جمع حول^(١) . والقول فيه عندي أن الأحوال هنا جمع حال لاجمع حول ، وإنما أراد كيف ينم من كان أقرب عهده بالنعم ثلاثين شهراً وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهي اختلاف الرياح عليه ، وملازمة الأمطار له ، والقدم الغير لرسمه . فتكون « في » ٣٠ هنا هي التي تقع بمعنى واو الحال في نحو قولك : مرت عليه ثلاثة أشهر في نعيم . أي وهذه حاله .

(دِيَارٌ تَسْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَلَالِ أَلْحَ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْمٍ هَطَالٍ)

عافيات : من عفا المنزل يعمفو عَفْوًا وعَفْوًا وعَفَاءً بالفتح والمدة : درس . وذو الخلال قال ابن الأثير — في الموضع — جبل مما يلي نجدًا ، وقيل موضع ، وأنشد هذا البيت . ولم يذكره ياقوت في معجم البلدان . والأسم : الأسود ، أراد به السحاب لكثرة مائة . وهذا البيت مصرع . وديار مبتدأ ، ولسلى وصفه ، وعافيات خبره ، وبذي الخلال حال من ضمير عافيات ، وجلة ألح خبر بعد خبر .

(وَتَحْسَبُ سَلَى لَا تَزَالُ كَهْدَنَا بَوَادِي الْخَزَائِمِ أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالٍ^(٢))

(١) في النسختين : « جمع سنة » ، صوابه من الانتصاب لابن السيد ٤٥٣ .

(٢) وروى : « رس أوعال » وبذلك غيرت في ٥٠ .

العهد: الحال والعلم ، يقال هو قريب العهد بكذا ، أى قريب العلم والحال .
والخزاي — بالضم والقصر — خيرى البر . ووادى الخزاي ورأس أوعال :
موضعان . وبرى « ذات أوعال » قال ابن الأثير فى المصع : هى هضبة
فيها بر ، وقيل هى جبل بين علين فى نجد ، والأوعال : جمع وعل . وأنشد
هذا البيت :

أى إن سلمى تظن أنها تبقى على الحالة التى كنا عليها فى ذينك المكانين .

(وتحسب سلمى لانزال ترى طلاً من الوحش أو بيضاً بميناء محلال)

سلمى فاعل تحسب ، والمفعول الأول من ترى محذوف أى نفسها ،
وجملة ترى خبر لانزال — وهذا الإعراب جار فى السابق على هذا الترتيب —
والرؤية عليه . وطلا مفعولها الثانى ، والطلا بالفتح : ولد الطيبة . ومن الوحش
صفة طلا ، وبيضا مفعوف على طلا ، أراد بيض النعام فى البياض والملاسة
والنعومة . والميناء قال فى العباب : « هو بالفتح الأرض السهلة » . وأنشد هذا
البيت ، وقال المسكرى — فى التصحيف — هو بفتح الميم طريق للماء عظيم
مرتفع من الوادى ، فإذا كان صغيرا فهى شعبة ، وهو نحو من ثلث الوادى
أو أقل ، فإذا كان أكثر من ذلك فهو تلمعة ، فإذا كان مثل نصف الوادى
أو ثلثيه فهو ميناء . والميث : مالان وسهل من الأرض ، وروى (الميناء)
بالكسر ، وهى الأرض اللينة ، وروى (الميناء) بالكسر وبالتاء المشاة
فوق ، وهو الطريق الماتى أى السلوك . والمحلال بالكسر ، من حلت
إذا نزلت به ، قال الصاغانى : وأرض محلال إذا أكثر القوم النزول فيها ،
وكذلك روضة محلال ، وأنشد هذا البيت . وقال العيني : أى تحسبها
ظبية لانزال تنظر إلى ولدها ، وتحسبها بيض نعام ، وقال بعض شراح

القصيدة : أى بالبادية حيث يكون بيض النعام أو ولد الوحش . ٥١٠ . وهذا لا يخفى ما فيه .

(لِيَالَى سَلَى إِذْ تُرِيكَ مَنْصَبًا وَجِيْدًا كَجِيْدِ الرَّبِّمْ لَيْسَ بِمَعْطَالٍ)

ليالى منصوب بتقدير اذ كر ونحوه ، وإذ بدل من ليالى ، ومنصبا ، قال المسكرى : « من رواء بالنون أراد ثمرها ، والمنصب : المستوى من الأرض المنسق . ومن روى مقصبا بالقاف ، أراد شعرها ، قصبته : جعلته ذوائب ، وشعر مقصّب أى قُصَابَة [قُصَابَة ^(١)] . وقال الأصمى : قصبة قَصْبَة . وقال غيره : قصيبة وقصائب » انتهى . وفي الصحاح : الذوائب المقصبة تلوى لياحقى ٣١ تترجل ، ولا تضفر ، واحدها قصيبة وقُصَابَة بالضم والتشديد . والمعطال : المرأة التى خلا جيدها من القلائد ، والفعل من باب قتل ، وعطلا بالتحريك وعطولا بالضم .

(أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنَّنِي كَثُرْتُ وَأَنْ لَا يَشْهَدَ اللَّهُ أَمْثَالِي)

بسباسة : امرأة من بنى أسد . وكبر : شاخ ، يقال كبر الصبي وغيره ، من باب تعب ، مَكْبَرًا كَسَجَدَ ، وكبراً كعنب . وشهده بالكسر يشهده بالفتح شهودا : حضره . واللهو : مصدر لهوت بالشئ ، إذا لعبت به . قال فى الصنحاح : وقد يكنى باللهو عن الجماع . وقوله تعالى : « لو أردنا أن نتخذ لهوآ » ، قالوا : امرأة ، ويقال [ولدآ ^(٢)] .

(بَلَى رَبِّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ بَآسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ بِخِمْالٍ)

بلى : حرف إيجاب يختص بالنفى ويفيد إثباته ، وأثبت به هنا الشهود المنفى فى البيت السابق . ورواه ابن هشام فى معنى اللبيب : « فيارب يوم الخ »

(١) التكلة من تصحيف المسكرى ص ٢٢٨ .

(٢) التكلة من ٣٠ والصحاح .

وأورده شاهدا على ورود ربّ للتكثير . وجلة قد لموت صفة يوم ، والعائد
مخدوف أى فيه ، وصفة ليلة مع العائد مخدوف أى لموت فيها ، ولا يجوز
أن يكون الوصف لهما . والآسة : المرأة التى تأنس بمحدثك . والخط :
الكتابة ، قال فى العباب : يقال خفّله فلان كما يقال كتبه . وأنشد هذا البيت .
وقال فى مادة مثل : والتثال الصورة ، والجمع التماثيل . وقوله تعالى : « ما هذه
التماثيل » ، أى الأصنام . وقوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل »
وهى صور الأنبياء عليهم السلام ، وكان التصوير مباحا فى ذلك الوقت .

(يضىء الفراش وجهها لضجيعها كصباح زيتٍ فى قناديلٍ ذُبالٍ)

الفراش : مفعول مقدم ووجهها الفاعل . والمصباح : السراج . والذبال
بضم الذال وتشديد الموحدة : جمع ذُبالة وهى الفتيلة ، لغة فى الذبال بتخفيف
الباء . ويروى : « فى قناديل آبال » : جمع أبيل ، كشریف وأشراف ،
وهو الراهب ، قال عدى بن زيد العبادى :

لِأَنِّى وَأَللهُ فَاقْبَلْ حِلْفَتِي بِأَيْبَلٍ كُلَّمَا صَلَّى جَارُ
وَفِي ، بمعنى مع .

(كَأَنَّ عَلَى كِبَاتِهَا جَرَّ مُصْطَلٍ أَصَابَ غَضًى جَزَلًا وَكَفَّ بِأَجْدَالٍ
وَهَبَّتْ لَهُ رِيحٌ بِمُخْتَلَفِ الصَّوَى صَبَاً وَشَمَالاً فِي مَنَازِلِ قُنَّالٍ)

اللبة : المنحر ، وموضع القلادة من الصدر ، والمراد هنا هو الثانى .
والمصطلى اسم فاعل من اصطلى بالنار . وصلى بها وصلبها من باب تعب : وجد
حرّها ، وجلة أصاب غضى صفة لمصطل . والغضى : شجر خشبه من أصلب
الخشب ، ولهذا يكون فى فحمة صلابة . وأصاب : وجد . والجزل : الغليظ ،
وجزُل الحطب بالضم إذا عظم وغلظ ، فهو جزل . وكفّ بالبناء للمفعول ،
من كففت الثوب ، أى خطت حاشيته ، وهى الخياطة الثانية . أراد : جُل

٣٢ حول الجر أجنال ، وهى أصول الخطب العظام ، جمع جذل بكسر الجيم وسكون الدال المعجمة . والمختلف بفتح اللام : موضع الاختلاف أى التردد ، وهو أن تذهب ريح وتجيء ريح . والصوى : جمع صوة ، كقوى جمع قوة ، والصوة قال فى الصحاح : هى مختلف الريح ؛ وأنشد هذا البيت . والصوة أيضاً : حجر يكون علامة فى الطريق ، وليس بمراد هنا ، خلافاً لبعضهم . والقفال : جمع قافل كباد وعابد ، والقافل : الراجع من سفره ، وفعله من باب قعد ، ويكون القفول فى المبتدى للسفر تفاؤلاً بالرجوع . بالغ فى سخونة هذه المرأة فى الشتاء حيث وصف الحلى الذى على لبائها بما ذكر فى البيتين ، وهذا مدخ فى النساء ، كما إذا بردت فى الصيف ^(١) . قال الأعشى :

وتسخن ليلة لا يستطيع نباها بها الكلب إلا هريرا
وتبرد برد رداء العرو س بالصيف رقرقت فيه العبيرا
(كَذَبَتْ لَقَدْ أَصْبَى عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُرْنَ بِهَا الْخَالِي)
صرح بتكذيب بسباسة ، حيث زعمت أنه لا يلهو بالنساء فقال : إني أشوقُ النساءَ إلي مع وجود أزواجهن ، ولأدع أحداً يتهم بامرأتى ، لأنها لا تميل إلى أحد مع وجودى ، لأننى محبب عند النساء . وأصبي : مضارع أصببت المرأة ، بمعنى شوقتها وجعلتها ذات صبوة وهى الشوق . والعرس بالكسر : الزوجة . ورُنَّ : يتهم ، بالبناء للمفعول ، يقال أرنته بشيء : اتهمته به ، وهو يزن بكنا ، وأزنته بالأمر إذا اتهم به . والخالى قال فى الصحاح : « قال الأصمى : هو من الرجال : الذى لا زوجة له » . وأنشد هذا البيت .

(ومثلك بيضاء العوارض طفلة لعوب تنسبني إذا قتُ سرى بالي)

(١) قال الوزير أبو بكر : شبه توقد الحلى على صدرها بحجر المصطفى . وخص المصطفى لأنه بذكيه وبقلبه ، فهو يتوقد ويظهر جرة جرة .

الواو واو رب . وهو خطاب لبساسة . في القاموس : العارض والعارضة :
صفحة الخد ، وصفحتا العنق ، وجانبا الوجه . والعارضة أيضاً : ما يستقبلك
من الشيء ، ومن الوجه : ما يبدو عند الضحك . والطفلة بفتح الطاء : الناعمة
البدن ، والطفل : الناعم . واللُعب : الحسنه الدل . والنسيان : خلاف الذكر .
وأنسانيه الله ونسانيه تنسية بمعنى . ورواه الجوهري عن أبي عبيدة : « لعب
تناساني إذا قت سربالي » . قال : ومعناه تنسيني . والسربال : القميص .

(لطيفة طى الكشح غير مُفاضة إذا انفتلت مرتجة غير منغال)

لطف لطفاً ولطافة ككرم : صغر ودق ، وهو لطيف . والكشح
بالفتح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . وطي الكشح هنا : جدلها
وقتلها ، يريد أنها مجدولة الكشح جدلاً لطيفاً ، فإن هيف الكشح والخصر
ممدوح . والمفاضة من النساء : الضخمة البطن ، وهذا ذم فيهن ، ومن الدروع :
الواسعة ، وهما من الفيض . وانفتلت : انصرفت . ومرتجة من الارتجاج ،
وهو التحريك والاضطراب ، أراد عظم كفلها ، وهي خبر تكون محدوفة .
والمِنغال بالكسر : من تفل بالمتناة الفوقية والفاء ، قال في العباب : التفل
بالتحريك : مصدر قولك تفل الرجل بالكسر ، إذا ترك الطيب ، فهو تفل ،
وامرأة ثقلة . وفي الحديث : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وليخرجن إذا
خرجن قفلات » ، أي تاركات للطيب . وامرأة منغال ، إذا كانت كذلك ،
وأثقله غيره ، ومنه حديث علي رضي الله عنه لرجل رآه نائماً في الشمس :
« قم عنها فإنها تفل الرِّيح » ، وتبلى الثوب ، وتظهر الداء الدفين » . وصفها ٣٣
بثلاثة أمور : بهضم الخصر ، وضخامة الكفل ، والطيب .

(إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير معطال)

ابتزها : نزع بزّها أى ثيابها ، وأراد مطلق النزع والسلب . والهوة
والهوة بالفتح والضم : المثدة . والهون : السكينة والوقار . والمعطال تقدم
تفسيره . ويروى « مجبال »^(١) قال الأصمى : معناه هى الغليظة .

(كدعص النقا يمشى الوليدان فوقه بما احتسبا من لين مسي وتسهال)
الدعص بالكسر : قطعة من الرمل مستديرة . والنقا : الكثيب من الرمل .
أراد تشبيه عجزها بالدّعص لعظمه ، حتى أنّ ولدين يمكنهما أن يلعبا فوقه من
غير ضرر عليهما ، لينه وسهولته . والوليدان : الصبيان . واحتسب :
اكتفى . والتسهال : السهولة .

(إذا ما استحمّت كان فيضٌ حميمها على متّنتها كألجان لدى الحال^(٢))
استحمت : اغتسلت بالحميم ، وهو الماء الحار . ومتنتا الظهر : مكتنفا
الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم ، والمفرد متن ومتنة . والألجان بالضم :
اللؤلؤ . والحال : وسط الظهر ، ومن الفرس : موضع اللبد . أراد أن الماء الذى
ينفصل من ظهرها عند الاغتسال يشبه اللؤلؤ المتناثر .

(تنورتها من أذرعات البيت)

الضمير راجع إلى بساسة . وقد شُرح البيت .

(نظرتُ إليها والنجومُ كأنّها مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفال)

ضمير إليها راجع إلى النار المفهوم من تنورتها ، وجملة والنجوم الخ حال
من الفاعل ، وجملة تشبُّ حال من ضمير النار . قال ابن رشيق فى العمدة^(٣) :

(١) فى ط : « مجبال » صوابه فى سـ والديوان ٣١ .

(٢) ويروى : « الجالى » وهو الذى يجتليها ، أى يعرضها كما فى شرح الطومى .

الديوان ٣٧٨ .

(٣) العمدة ٢ : ٤٥ .

ومن أبيات المبالغة قول امرئ القيس يصف نارا ، وإن كان فيه إغراق :
 نظرت إليها والنجوم ، البيت ؛ يقول : نظرتُ إلى نار هذه المرأة تشبّ لقفال ،
 والنجوم كأنها مصابيح رهبان . وقد قال « تنورتها من أذرعَات » البيت ،
 وبين المكانين بُعد أيام ، وإنما ترجع القفال من الغزو والغارات وجه الصباح ،
 فإذا رآها من مسيرة أيام ، وجه الصباح ، وقد خمد سناها وكلّ موقدها ،
 فكيف كانت أول الليل ؟ ! وشبه النجوم بمصابيح الرهبان لأنها في السحر
 يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلاً أجمع ، لا سيما مصابيح
 الرهبان ، لأنهم يكلّون من سهر الليل ، فرجما نعسوا في ذلك الوقت .

وقال بعضهم : ومن التشبيه الصادق هذا البيت ، فإنه شبه النجوم
 بمصابيح رهبان لفرط ضيائها ، وتمهّد الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر
 إلى الصبح ، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتنضال إلى الصبح كنتضال
 المصابيح له .

وقال « تشب لقفال » لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها
 التي تأوى إليها من مَصيفٍ إلى مشيٍّ إلى مربع ، أوقدت لها نيران على قدر
 كثرة منازلها وقلتها ، ليهتدوا بها . فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق
 تلك النيران واجتماعها من مكان بعد مكان ، على حسب منازل القفال بالنيران
 الموقدة لهم .

وقد طال الكلام هنا ولم يمكننا أن نترجم امرأ القيس . ونترجمه إن شاء ٣٤
 الله في الشاهد الثاني من شواهد شعره .

* * *

وأشد بعده وفي آخر الشرح ، في التنوين ، وهو الشاهد الرابع :
 ٤ (أَقْلَى الْقَوْمِ عَازِلَ وَالْعَتَابِ قَوْلِي إِن أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَنِي)

على أن تنوين الترنم يلحق الفعل والمعرّف باللام - وقد اجتمعا في هذا البيت - والفعل سواء كان ماضياً كما ذكر أو مضارعاً ، كقوله :

* دَايَنْتُ أُرْوِي' وَالْدِيُونُ تُقْضَيْنُ ^(١) *

وقد لحقت المضمر أيضاً كقوله :

* يَا أَبْنَا عَلَّكَ أَوْ عَسَا كُن *

قال الشارح : ولم يسمع دخولهما على الحرف ، ولا يمتنع ذلك في القياس .
أقول : قد سمع في الحرف أيضاً كما مثل له شراح الألفية بقول النابغة :
أَفِدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رَكَابَنَا لَمَّا نَزَلَ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدَن
ولحق هذا التنوين لما ذكر إنما هو عند بني تميم ، كما قال الشارح ،
وعند قيس أيضاً كما قاله ابن جني في سر الصناعة .

و (أَقْلَى) فعل أمر مستند إلى ضمير العاذلة ، يقال أَقْلَيْتَهُ وَقْلَيْتَهُ بمعنى جعلته قليلاً ، بتعدية قلّ بالهمزة والتضعيف . وهذا المعنى ليس بمبراه ، بل المقصود اتركى اللوم ؛ فَإِنَّ القلة يعبر بها عن العدم كما هو مستفيض . و (اللُّوم) مفعول أَقْلَى ، وهو مصدر لام يلوم ، ومعناه العذل ، والتوبيخ . و (عَاذَلَ) منادى محذوف منه حرف النداء ، ومرخم عاذلة ، من عذل يعذل من بابي شرب وقتل ، بمعنى لام . و (العناب) معطوف على اللوم ، مصدر عاتب معاتبه وعتابا . قال الخليل : العناب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة أى الغضب . وهذا ليس بمقصود إذ هو بهذا المعنى لا يكون إلا بين متحابين ، وإتاما المراد مصدر

(١) قال الميمني : هذا من تحمل النحاة ، فإن الشطر لرؤية . راجع الآلى . ص (٥٧) ويليه :

* فطكت بمضاً وأدت بمضاً *

فكيف تستقيم الأشرطة بتنوين الترنم .

عَبَّ عَلَيْهِ عَتَبًا مِنْ بَابِي ضَرْبَ وَقْتٍ ، بِمَعْنَى لَامَهُ فِي تَسْخُطٍ . وَقَوْلُهُ (قَوْلِي)
فَعَلَ أَمْرًا أَيْضًا مَعْطُوفٌ عَلَى أَقْلَى . وَقَوْلُهُ (لَقَدْ أَصَابَنِي) مَقُولُ الْقَوْلِ ، وَجُمْلَةٌ
(إِنْ أَصَبْتُ) مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُمَا ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ وَجُوبًا يَفْسُرُهُ
جُمْلَةُ الْقَوْلِ .

وَهَذَا الْبَيْتُ مَطْلَعٌ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ عَدَدُ أَيْيَاتِهَا مِائَةٌ وَتِسْعَةٌ ، لَجْرِيرٍ ^(١) يَهْجُو صَاحِبَ الشَّاهِدِ
عُبَيْدًا الرَّاعِي الْفَرَزْدَقِيَّ ، وَالْفَرَزْدَقُ . وَسَبَبُ هَجْوِهِ إِيَاحَا عَلَى مَا حَكَى فِي شَرْحِ
الْمُنَاقِضَاتِ ، أَنَّ عَرَادَةَ الْفَرَزْدَقِيَّ كَانَتْ نَدِيمًا لِلْفَرَزْدَقِ ، فَقَدِمَ الرَّاعِي الْبَصْرَةَ فَقَدِمَ
عَرَادَةَ طَعَامًا وَشَرَابًا ، فَدَعَا الرَّاعِيَّ ، فَلَمَّا أَخَذَتْ الْكَلَسَ مِنْهَا قَالَ عَرَادَةُ
لِلرَّاعِي : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ، قُلْ شِعْرًا تَفْضُلُ الْفَرَزْدَقَ عَلَى جَرِيرٍ . فَلَمْ يَزَلْ يَزِينُ لَهُ
ذَلِكَ حَتَّى قَالَ :

يَا صَاحِبِي دَنَا الْأَصِيلُ فَسِيرَا غَلِبَ الْفَرَزْدَقُ فِي الْمَجَاءِ جَرِيرَا

فَدَعَا بِهِ عَرَادَةَ عَلَى الْفَرَزْدَقِ فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهُ ، وَكَانَ عُبَيْدُ الرَّاعِي شَاعِرَ مَضَرَ
وَذَا سَنَاهُ ، فَحَسِبَ جَرِيرٌ أَنَّهُ مَغْلَبُ الْفَرَزْدَقِ عَلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ :
يَا أَبَا جَنْدَلٍ : إِنْ أَتَيْتَكَ بِخَيْرِ أَتَانِي ، إِنْ وَابِنَ عَمِي هَذَا — يَعْنِي الْفَرَزْدَقُ —
نَسَبْتُ صَبَاحًا وَمَسَاءً ، وَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْغَالِبِ ، فَمَا
أَنْ تَدْعَنِي وَصَاحِبِي ، وَإِنَّمَا أَنْ تَغْلِبَنِي عَلَيْهِ ، لَا تَقْطَاعِي إِلَى قَيْسٍ وَحَطْبِي
فِي حَبْلِهِمْ . فَقَالَ لَهُ الرَّاعِي : صَدَقْتَ ، لَا أَبْعِدُكَ مِنْ خَيْرٍ ، مِيعَادُكَ لِلْمِرْبَدِ .
فَصَحَبَهُ جَرِيرٌ ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَسْتَخْرِجُ كُلُّهُمَا مَقَالَةً صَاحِبُهُ رَأَاهُمَا جَنْدَلُ بْنُ عُبَيْدٍ
فَأَقْبَلَ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فَضْرَبَ بِغُلَّةِ أَبِيهِ الرَّاعِي ، وَقَالَ : مَالِكُ يَرَاكَ
النَّاسُ وَاقِفًا عَلَى كَلْبِ بَنِي كَلِيبٍ ١٩ فَصَرَفَهُ عَنْهُ . فَقَالَ جَرِيرٌ : أَمَا وَاللَّهِ

لأثقلن رواحلك . ثم أقبل إلى منزله ، فقال للحسين رَأَوَيْتِهِ : زد في دهن سراجك الليلة ، وأعدِ لوحاً ودواة. ثم أقبل على هجاء بنى نمير ، فلم يزل يُملى حتى ورد عليه قوله .

فغض الطرفَ إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
فقال : حسبك ، أطفئ سراجك ونم ، فَرَغْتُ منه . ثم إن جريراً أتم هذه بعد ، وكان يسميها الدامغة أو الدماغه ، وكان يسمى هذه القافية المنصورة ، لأنه قال قصائد فيها ، كلُّهن أجاد فيها . وبعد أن أتمها أدخل طرف ثوبه بين رجله ثم هدّر ، فقال : أخزيت ابن يربوع ! حتى إذا أصبح غداً ورأى الراعى فى سوق الإبل ، فأتاه وأنشده إياها ، حتى وصل إلى قوله :

أجندلُ ما تقول بنو نميرٍ إذا ما الأير فى آست أيبك غابا
فقال الراعى : شراً والله تقول !

علوتُ عليك ذرّوة خندقي ترى من دونها رُتباً صعباً
لنا حوضُ النّبي وساقياه ومن ورث النبوة والكتبا
إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبتَ الناس كلهم غضابا
فغض الطرفَ إنك من نمير . . . (البيت (١)) .

فقال الراعى وهو يريد نقضها :

أناى أن جحش بنى كليب تعرّض حول دجلة ثم هابا
فأولى أن يظلّ البحر يطفو بحيث ينازع الماء السحابا
أناك البحرُ يضرب جانبيه أغرّ ترى لجرّيته حبابا

(١) ورد فى ط فقط بعده الحرف « ن » ، ولله إشارة إلى التناقض ، كما يشير بالحرف « س » إلى سيويه .

ثم كفّ ورأى أن لا يجيبه . فأجاب منه الفرزدق على روى قوله :
 أنا ابن العاصين بنى نعيم إذا ما أعظم الحدّان نابا
 ثم إن الراعى قال لابنه : يا غلام بشما كسبنا قومنا^(١) . سمّ قام من ساعته
 وقال لأصحابه : ركبكم فليس لكم ها هنا مقام ، فضحك جرير . فقال له بعض
 القوم : ذلك بشؤمك وشؤم ابنك . وسار إلى أهله ، فلما وصل إليهم سمع
 عند القوم :

فغضّ الطرف إنك من نعيم (البيت)

وأقسم بالله ما بلّغها لى ، وإن لجرير لأشياء من الجن . فتشاءمت
 به بنو نعيم وسبّوه وسبّوا ابنه . وهم يتشاءمون به إلى الآن .

قال ابن رشيق فى العمد^(٢) : « ومن وضعه ما قيل فيه من الشعر ، حتى
 أنكر لسه وسقط عن رتبته ، وعيب بفضيلته ، بنو نعيم . كانوا جرة من
 جرات العرب ، إذا سئل أحدهم : من الرجل ؟ غم لفظه ومدّ صوته وقال :
 من بنى نعيم . إلى أن صنع جرير قصيدته التى هجا بها عبّيد بن حصّين الراعى
 فسهر لها فطالت ليلته إلى أن قال : فغضّ الطرف إنك من نعيم . . البيت .
 فأطفا سراجَه ونام ، وقال : والله قد أخزيتهم آخر الدهر . فلم يرفعوا رأسا
 بعدها ، إلّا نكس بهذا البيت ، حتى أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة
 ممّاراً فيصيح به بنو نعيم : يا جودابّ باهلة ، فقص الخبر على مواليه —
 وقد ضجر من ذلك — فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

فغضّ الطرف إنك من نعيم (البيت)

ومرّ بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنسيه فقال : غمّض وإلاّ جاءك

(١) انظر النقائض ٤٣٢ .

(٢) العمد ١ : ٢٦ .

ماتكره^١ فكفُّوا عنه ، ولم يَرْضُوا له بعدها . ومرت امرأة ببعض مجالس
 بنى نَمير ، فأداموا النظر إليها فقالت : قَبِّحَكم الله يا بنى نَمير ، ما قَبِلْتُمْ قول
 الله عز وجل : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » ، ولا قول الشاعر :

فغضَّ الطرف إنك من نَمير . . (البيت)

وهذه القصيدة تسمِّيها العرب الفاضحة ، وقيل سماها جرير الدماغة ، تركت
 بنى نَمير بالبصرة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نَميراً إلى أبيه ،
 هرباً من ذكر نَمير ، وفِراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة .

جرات العرب واعلم أن جرات العرب ثلاث : وهم بنو نَمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو
 الحارث بن كعب ، وبنو ضَبَّة بن أد . فطَفِئَتْ جرتان وهما بنو ضَبَّة لأنها
 حالفت الرِّبَّاب ، وبنو الحارث بن كعب لأنها حالفت مندحجاً ، وبقيت نَمير
 لم تحالف فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له : مَنْ أَنْتَ ؟
 قال : نَميريٌّ ، إدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير :

فغضَّ الطرف إنك من نَمير . . (البيت)

وكعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة . والتجدير في كلام العرب
 التجميع ، وإِنَّمَا سَمُوا بذلك لأنَّهم متوافرون في أنفسهم لم يُدْخِلُوا معهم غيرهم .
 وفي القاموس : الجَمرة : النار المتقدة ، وألف فارس ، والقبيلة لا تنضم إلى أحد ،
 أو التي فيها ثلاثمائة فارس . وجرات العرب : بنو ضَبَّة بن أد ، وبنو الحارث
 بن كعب ، وبنو نَمير بن عامر ، أو عبس ، والحارث ، وضَبَّة لأنَّ أهمَّ رأت
 في المنام أنه خرج من فرجها ثلاث جرات ، فتزوجها كعب بن المَدَّان^(١)

(١) وكذا في القاموس ، والوجه « بن عبد المدان » كما في اللسان (بيت ، جر)
 والمدان : صنم لهم . وانظر للجرات أيضاً ثمار القلوب ١٢٦ وجنى الجنتين ٣٦ ونفس
 العلوم ٢٢ والشريعتي ١ : ٢٩٨ والحيوان ٥ : ١٢٣ .

فولدت له الحارث ، وم أشراف البين . ثم تزوجها بغيض بن ريث فولدت له عَبْسًا ، وم فرسان العرب . ثم تزوجها آد فولدت له ضَبَّة . فجمرتان في مضر ، وجرة في البين .

و (جرير) ابنُ عطية بن الخطفي بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن نرجة جرير يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وجرير من الأسماء المنقولة ، لأن الجرير جبل يكون في عنق الدابة أو الناقة من آدم ، كذا في أدب الكاتب . وسمى جريراً لأن أمه كانت رأت في نومها — وهي حاملة به — أنها تلد جريراً ، فكان يلتوى على عنق رجل فيخنقه ، ثم في عنق آخر ، ثم في عنق آخر ، حتى كاد يقتل عدّة من الناس ، ففرغت من رؤياها وقصّتها على معبر ، فقال لها : إن صدقت رؤياك ولدت ولداً يكون بلاء على الناس . فلما ولدته سمته جريراً . وكان تأويل رؤياها أنه هجا ثمانين شاعراً فغلبهم كلهم إلا الفرزدق . وكانت أمه ترقصه وهو صغير ^(١) وتقول :

قصصت رؤياي على ذاك الرجل فقال لي قولاً وليت لم يقل
لتلدن عضلةً من العضل ذا منطق جزل إذا قال فصل
مثل الحسام العضب مامساً فصل يعدل ذا الميل ولما يعتدل
ينهل سماً من يعادى ويعلّ

والخطفي لقب جده ، واسمه حذيفة ، مصغر حذفة ، وهي الرمية بالعصا ، ولقب بالخطفي لقوله :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا أعناق جنان وهاما رجفا
وعنقا باقي الرسم خطفا

ويروى «خيطفا»، وهو السريع. ويكنى جريرُ أبا حَزْرَةَ، بفتح المهملة وسكون المعجمة، بابت كان له. والحزرة: فعلة من حزرت الشيء، إذا خرسته وخنته؛ والحزرة أيضاً: خيار المال، وحموضة اللبن.

قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء «وكان له عشرة من الولد: ثمانية ذكور، منهم بلال وكان أفضلهم وأشعرهم.. وله عقب^(١) منهم عُمارَةُ ابن عَقِيل بن بلال. ومن ولد جرير: نوح وعكرمة، وكانا شاعرين أيضاً. وكان جرير من فحول شعراء الإسلام، وكان يشبه بالأعشى ميمون، وكان من أحسن الناس تشبيهاً^(٢). قال الأصمعي: سمعت الحى يتحدثون عن جرير أنه قال: لولا ما شغلنى من هذه الكلاب لشببت تشبيهاً تحنُّ منه العجوز إلى شبابها، حنين الناقة إلى سقبا. وكان من أشد الناس هجاء».

وقد أجمع علماء الشعر على أن جريراً والفرزدق والأخطل مقدمون على سائر شعراء الإسلام، واختلفوا في أيُّهم أفضل، وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله:

ذهب الفرزدقُ بالفخار وإتما حلو الكلام ومروءة لجرير^(٣)
ولقد هجا فأمضَ أخطلُ تغلب وحوى اللهى بمدح المشهور

فحكم للفرزدق بالفخار، وللأخطل بالمدح والهجو، ولجرير بجميع فنون الشعر.

قال المدائني: كان جرير أعقَّ الناس لأبيه، وكان ابنه بلال أعقَّ الناس به^(٤). فراجع جرير بلالاً في الكلام، فقال بلال: الكاذب من ناك أمه!

(١) ط: «ولهم» صوابه في سه والشعر والشعراء ٤٣٥ وفيه: «ولبلال عقب».

(٢) في النسختين: «تشبيهاً» صوابه من الشعراء ٤٣٧ وما يقتضيه السياق.

(٣) أنشد هذا البيت في الشعراء ٤٣٨.

(٤) قال الميمني: «الصواب له، فإن عق لا يحتاج إلى الاء في التعدة»

فأقبلت عليه وقالت له : يا عدو الله أقول هذا لأبيك ؟ قال جرير : فوالله
لكأني أسممها وأنا أقولها لأبي .

ولما بلغ موت الفرزدق جريرا قال :

هلك الفرزدقُ بعد ماجدَعته ليت الفرزدقُ كان عاش قليلا

ثم أطرق طويلا وبكى ، ف قيل له : ما أبكاك ؟ قال : بكيت على نفسي ،
والله إني لأعلم أني عن قليل لاحقه ، فلقد كان نجمننا واحدا ، وكل واحد منا
مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضدُّ أو صديق إلا تبعه الآخر . ثم أنشأ يرثيه :

فُجِئنا بمَحْمَلِ الديات ابن غالب وحامى تميم عُرضها والبراجم^(١)
بكينناكَ حِدْثانَ الفراق وإِثْمًا بكينناكَ إذ نابت أُمُورُ العظام
فلا حَمَلَتْ بعد ابن ليلي مَهيرةٌ ولا شدَّ أنساع المطى الرواسم

ثم لم يلبث أن مات بعد قليل باليمامة .

ذكر من

وذكر الأمدى في المؤلف والمختلف من اسمه جرير من الشعراء سبعة : اسمه جرير

أحدهم هذا وتوفى في سنة عشر و قيل إحدى عشرة ومائة ، وعمره قد قارب
التسعين . والثاني : جرير العجلي^(٢) ، وهو عصرى الأول ، وقد رد على
الفرزدق . الثالث : جرير بن عبد الله ، أحد بني عامر بن عقيل ، فارس شاعر .
والرابع : جرير بن عبد المسيح الضبعي ، وهو المتلمس صاحب طرفة بن العبد .
والخامس : جرير بن كليب بن نوفل ، وهو إسلامي . السادس : جرير بن الفوث ،

(١) البراجم في بني تميم : عمرو ، وقيس ، وغالب ، وكلفة ، وظلم ، وم بنو حنظلة
ابن زيد مناة ، تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع . الاشتقاق ١٣٤
واللسان (برجم) . وفي النسختين : « المراجم » بالميم ، وهي على الصواب الذي أثبت
في الشعراء ٤٥٤ . وعرض تميم ، بالضم ، أى معظمها وجهورها .

(٢) هو جرير بن الحرقاء ، كما في المؤلف ٨١ .

أخوبنى كنانة بن القين . السابع : جُبرر وهذا مصغرٌ ، وهو أبو مالك المدلجى .

• • •

٣٨ وأشد بعده ، وهو الشاهد الخامس ، وهو من شواهد سيبويه^(١) ، أنشده في باب وجوه القوافى ، واستشهد به لما يلزم من إثبات الواو والياء إذا كانتا قافيتين ، كما يلزم إثبات القاف فى المخترق لأنها حرف الروى :

٥ (وقائم الأعماق خاوى المخترقن)

على أن تنوين الترتم قد يلحق الروى المقيد فيخلص باسم الغالى ، تبع الشارح المحقق فى جمل تنوين الغالى نوعاً من تنوين الترتم لابن جنى ، فإنه قال فى سر الصناعة : الرابع من وجوه التنوين وهو أن يلحق أواخر القوافى معاقباً لما فيه من الفنة لحرف الميم ، وهو على ضربين : أحدهما أن يلحق متمماً للبناء ، والآخر أن يلحق زيادة بعد استيفاء البيت جميع أجزائه ، نيفاً^(٢) من آخره بمنزلة الزيادة المسماة خزماً فى أوله . ثم قال : وإنما زادوا هذا التنوين فى هذا الموضع ونحوه بعد تمام الوزن ، لأن من عادتهم أن يلحقوه فيما يحتاج إليه الوزن نحو :

* قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومزلى *

وقوله :

* الحمد لله الوهوب المجزلن^(٣) *

فلما اعتادوه فيما يكمل وزنه ألحقوه أيضاً بما هو مستغنى عنه . وهذا معنى

(١) سيبويه ٢ : ٣٠١ .

(٢) النيف ، بالفتح ، وكسب : الزيادة .

(٣) لأن النجم العجلى من أرجوزته المسماة أم الرجز ، المنشورة بالعدد الثامن من مجلة المجمع العلمى بدمشق سنة ١٩٢٨ .

قول الشارح : « وإنما ألحق بالروى المقيد تشبيهاً له بالمطلق » . وزعم ابن يعيش أن قاعدة هذا التنوين التطريب والتغنى . وجمله ضرباً من تنوين الترنم ، وزعم أن تنوين الترنم يراد به ذلك . وهو غلط كما بينه الشارح المحقق . وقال عبد القاهر : فائدته الإيذان بأن المتكلم واقف ، لأنه إذا أنشد عجباً والقوافي ساكنة صحيحة لم يُعلم أو اصل هو أم واقف ؟ وأنكر هذا التنوين الزجاج والبيرواني ، وزعما أن رؤية كان يزيد في أواخر الأبيات (إن) فلما ضعف صوته بالهمزة لسرعة الإبراد ظن السامع أنه نون ، وفي هذا توهيم الرواة النقات بمجرد الاحتمال .

وقول الشارح « فيفتح ما قبل النون تشبيهاً لها بالخفيفة ، أو يكسر للساكنين كما في حينئذ » قال ابن هشام في شرح الشواهد : والأخفش يسمي هذا التنوين غالباً ، والحركة التي قبل التنوين غلوًا ، وهي الكسرة ، لأنها الأصل في التقاء الساكنين ، كقولهم يومئذ ومه . وزعم ابن الحاجب أن الأولى أن تكون الحركة قبل فتحة ، كما في نحو اضربن ، وأن هذا أولى من أن يقاس على يومئذ لأن ذلك له أصل في المعنى ، وهو عوض من المضاف إليه . ولنا أن قياس التنوين على التنوين أولى ، لاتحاد جنسهما ، ولأنهما يكونان في الاسم ، والنون لا تكون إلا في الفعل . ثم إن فتحة اضربن ، للتركيب كما في خمسة عشر ، لا لالتقاء الساكنين .

والروى هو الحرف الذي تنسب إليه القصيدة ، مأخوذ من الرّؤاء ، بالكسر والمد ، وهو الحبل . والمقيد : الساكن الذي ليس حرف علة .

وهذا البيت مطلع قصيدة مرجزة مشهورة لرؤية بن المعجاج . وقال ابن صاحب الشاهد قتيبة في أول كتاب الشعر والشعراء^(١) : حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال :

(١) الشعر والشعراء ص ٥٠ .

كان ثلاثة إخوة من بنى سعد لم يأتوا الأمصار ، ذهب رجزهم ، يقال لهم نُذِير ،
ومُنِير ومنذر ، يقال إن قصيدة رؤية التي أولها « وقاتم الأعماق » لنذير .

٣٩ وهذه القصيدة طويلة لا قاعدة في إيراد جميعها ، لكن فيها بيت من شواهد
التفسير ومعنى اليب لا يتضح معناه إلا بشرح الأبيات التي قبله ، فلهذا شرحت .

شرح الأرجوزة فقوله (وقاتم) الواو واو رب ، وهي عاطفة لا جارة ، وقاتم مجرور
برب لا بالواو على الصحيح . وقد أشد الشارح هذا البيت في رب من حروف
الجر أيضاً على أن رب محذوفة بعد الواو ، وذكر أنه يجوز حذفها في الشعر بعد
الواو والفاء وبل . ولم أر من قيد حذفها في الشعر وغيره . وهذا هو مذهب
البصريين ؛ وزعم الكوفيون والمبرد أن الجر بالواو لا يرب ، واستدلوا
في افتتاح القصائد بها ، كهذا البيت . وأجيب بجواز العطف على كلام تقدم
ملفوظ به لم ينقل ، أو مقدر حكم له — منوياً في النفس — بحكم المنطوق به .
وردد مذهبهم بوجوه أيضاً :

أحدها : أنها — مع ذكر رب — عاطفة باتفاق ، فكذلك مع حذفها ،
ولا تنقل عن ذلك إلا بدليل ، والأصل عدمه . قال ابن خالويه : الواو إذا
كانت في أوائل القصائد نحو « وقاتم الأعماق » فإنها تدل على رب فقط
ولا تكون للعطف ، لأنه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو . قال أبو على الفارسي
في تقص المأثور : هذا شيء لم نعلم أحداً من حكينا قوله في ذلك ذهب إليه
ولا قال به ، وليس هذا الذي تظنّاه من الفصل بين الأوائل وغيرها بشيء ،
وذلك أن أوائل القصائد يدخل عليها حروف العطف على جهة الخزم ، نحو
مارووا من قوله :

* بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجبا^(١) *

(١) للمجاج في ديوانه ٧ واللائى ١٥٥ . وروى الشطر بدون الخزم أيضاً .

وكأنه جعله عطفاً على كلام قد كانوا يقولونه ، وقصة خاضوا فيها ،
فعطف الشعر بحرف العطف على ذلك الكلام الذى كانوا فيه .

الثانى : لو كانت الواو عوضاً من ربّ لما جاز ظهورها معها ، لأنه لا يجوز
أن يجمع بين العوض والمعوّض عنه .

الثالث : أنها لو كانت نائية عن ربّ لجامعها واو العطف كما تجامعها
واو القسم ، كقوله :

* ووالله لولا نتمره ما حَبَبْتُهُ ^(١) *

الرابع : أن ربّ تضرع بعد الفاء وبلى ، ولم يقل أحد إنها حرفاً جراً ،
فكذلك ينبغى أن يكون الحكم مع الواو .

وقال الشاطبى : وفى هذه الأدلة كلها نظر ، وأقربها الرابع إن ثبت
الاتفاق من الفريقين على أن الفاء وبلى ليستا جارتين عند حذف رب ،
فإن الفرق بينهما وبين الواو فيه بُعدٌ وبُعدٌ . فهذه المسألة لأنمرة لها فى النحو ،
ولأنما البحث فيها مظهر للترتكب الأولى فى ضبط القوانين خاصة . وإذا
كان كذلك فما قاله أهل البصرة له وجه صحيح ، وما قاله الآخرون كذلك .
والله أعلم .

و (قاتم) قال الأصمى فى شرح ديوان روضة : القنعة : الغبرة إلى الحمرة ،
مصدر الأقم . وقال ابن السكيت فى كتاب القلب والإبدال : ويقال أسود
قاتم وقاتم ، بالميم والنون ، وفعله من بابى ضرب وعلم ؛ وهو صفة لموصوف
محذوف أى رب بلد قاتم . و (الأعماق) جمع عمق بفتح العين وضمتها ،

(١) لعلان بن شجاع النهشلى ، كما فى اللسان (حجب) . وعجزه :

* ولا كان أدنى من عبید ومشرق *

وهو ما بُد من أطراف المفاوز؛ مستعار من عمق البئر، يقال عمقت البئر عمقاً من باب قرب، وعماقة بالفتح أيضاً: بمد قمرها. وتعديته بالهمزة والتضعيف. و (الخواوي) من خوى المنزل، إذا خلا. و (المخترق) بفتح الراء: مكان الاختراق، من انخرق بالفتح، وأصله من خَرَقَت القميص من باب ضرب إذا قطعته، وقد استعمل في قطع المفازة قليل خَرَقَت الأرض، إذا جبتها. ومخترق الرياح: ممرها.

(مشتبه الأعلام لماع انلحق)

٤٠ الأعلام: جمع علم، وهي الجبال التي يهتدى بها، يريد أن أعلام هذا البلد يشبه بعضها بعضاً، فتشبه عليك الهداية. وانلحق بفتح الخاء وسكون الفاء: مصدر خفق السراب وخفقت الراية، من بابى نصر وضرب، خفقاً، وخفقاناً، إذا تحركت واضطربت؛ وتحريك الفاء ضرورة. يريد أنه يلمع فيه السراب. ومشتبه ولماع صفتان لقام.

(يكل وفد الريح من حيث انخرق)

يكل: مضارع كل — من باب ضرب — كلاله: تعب وأعياء. ويتعدى بالالف، وروى بضم الياء مضارع أكله، فالوفد مفعوله، وضميره المستتر راجع لقام، والجملة على الوجهين صفة لقام، إلا أن الرابط في الوجه الأول محذوف أى يكل فيه. والوفد: جمع وافد، من وفد على القوم من باب وعد [وفداً^(١)] ووفوداً بمعنى قدم. ووفد الريح: أولها، وهذا مثل. وقوله حيث انخرق: أى حيث صار خرقاً، وانخرق الواسع، يريد اتسع، فإذا اتسع الموضع قُرت الريح، وإذا ضاق اشتد مرورها فيه.

(١) التكملة من ص. وواو « ووفودا » ثابتة في ط.

(شَاَزَ بِنَ عَوَّةَ جَدْبِ الْمُنْطَلَقِ)

قال أبو زيد : شَازَ مكاننا شَاَزًا : غلظ واشتدَّ ، ويقال قلق . وأشارَه : أقلقَه . ومثله شَأَسَ تصرفاً ومعنى . وهو هنا وصف كصعب بمعنى الغليظ والشديد . وعَوَّةَ بالعين المهملة : مصدره التعويه بمعنى التعريس ، وهو النزول في آخر الليل . وكل من احتبس في مكان فقد عَوَّه . والجذب بالفتح : تقيض الخصب ، وهو هنا وصف كالأول ؛ فإنه يقال مكان جذبٌ وأرض جذبة ، ويقال أيضاً مكان جديب وأرض جدوب^(١) ، أى بين الجدوبة فيهما . وشَاَزَ وجذب وصفان لِقَاتِمٍ . والمنطلق بفتح اللام : محلُّ الانطلاق . يعنى أن هذا البلد شديدٌ على من تلبَّث فيه ، غير خصيب على المارِّ والسالك .

(نَاءٌ مِنَ التَّصْبِيحِ نَائِيَّ الْمُتَقَبِّقِ)

يقول : هو بعيد من أن يصبحه الراكب فيصطبج فيه أو يأتيه ليلاً فيختبئ ، وهو وصف لِقَاتِمٍ أيضاً .

(تَبَدُّوْا لَنَا أَعْلَامُهُ بَعْدَ الْفَرْقِ)

يعنى تظهر جباله بعد أن تفرق في الآل . وضمير أعلامه لِقَاتِمٍ . ومثله :

تَرَى قُورَهَا يَفْرُقْنَ فِي الْآلِ مَرَّةً وَأَوْنَةً يَخْرُجْنَ مِنْ غَاصِرِ ضَحْلِ

(فِي قِطْعِ الْآلِ وَهَبَوَاتِ الدُّقَقِ)

متعلق بالفرق قبله . قال الأصمعي . قطع الآل : غُدران من الآل ، جمع قطعة . والآل : قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « الفرق بين الآل والسراب : أن الآل يكون أولَّ النهار وآخره ؛ وتسمى آلاً لأن الشخص هو الآل . فلما رفع الشخص قيل هذا آلٌ قد بدا وتبين . أما السراب

(١) بضم الجيم ، وفي اللسان : « كأنهم جعلوا كل جزء منها جذبا ثم جموه على ذلك » .

فهو الذى تراه نصف النهار كأنه ماء . وردّ عليه ابن السّيد فى شرحه فقال : « إنكار^(١) أن يكون الآل هو السراب من أعجب شىء يسمع به » ، وذكر أبياتاً تدل على أن الآل هو السراب . والهوبة : الغبرة . والدّقى : بضم الدال وفتح القاف الأولى : جمع دُقّة ، وهو التراب الذى كسحته الريح من الأرض .

(خارجةً أعناقها من معتنق)

خارجة : حال سببية من الأعلام . وأعناقها : فاعل خارجة ، والضمير للأعلام . والمعتنق : مخرج أعناق الجبال من السراب .

(تنشّطته كلُّ مغلاة الوهق)

٤١ هذا جواب ربّ . وقد غفل عنه العيني مع أنه شرح القصيدة جميعها ، فقال : وجواب وقام الأعماق محذوف ، والتقدير ورب قام الأعماق الخ قد قطعته أوجبته أو نحو ذلك . انتهى . وتنشّطته : تجاوزته بنشاط ، قال أبو حاتم : « هو أن تمد يدها ثم تسرع ردها » . والضمير للقائم . وكلّ فاعل . والمغلاة من النوق : التى تُبعد الخطو وتغلو فيه ، أى تفرط . والوهق : المباراة فى السير . وقال الليث : المواهقة : المواظبة فى السير ومدّ الأعناق ، وتواهقت الرُّكاب : تساورت .

(مضبورة قرواء هرجاب فُنُق)

المضبورة : المجموعة الخلق المكتنزة . والقرواء : الطويلة القراء ، بالفتح والقصر ، وهو الظهر . وفى الصحاح : « وناقة قرواء : طويلة السنام ، ويقال الشديدة الظهر بينة القراء » . والهرجاب بالكسر والجيم : الطويلة الضخمة

(١) فى الاقتضاب ١١١ : « وإنكار من أنكر » . الخ

من النوق . والفنق ، بضم الفاء والنون : الناقة الفتية ، ولا يقال لشيء من المذكور فنق ، وقيل النعمة في عيشها . وقال الأصمى : هي الفتية الضخمة . وهذه الكلمات الأربع صفات للغلاة .

(مائرة المضدين مصلات العنق)

مار الشيء بمور موراً : تحرك ، وجاء ، وذهب . أى يمر ضبعها لسعة إبطها وليست بكنزة فرجعها سريع . والمضدان : بسكون الضاد مخفف من ضما ، ويروى « الضبعين » بفتح المعجمة وسكون الموحدة ، وهو كالمضدين وزنا ومعنى . والمصلات بالكسر ، ومثله الصلثة بالفتح ، وهى التى انحسر الشعر عن عنقها ، والهجنة تكون شعراء العنق ، وقيل : هى التى تنصلت فى السير أى تتقدم .

(مسودة الأعطاف من وسم العرق)

مسودة : مجرور كالمائرة والمصلات ، صفات للغلاة . يقول : قد جهدت حتى عرفت ، ونراك عليها العرق واسود حتى صار وسماً . يقال [وسمه ^(١)] وسماً وسمه ، إذا أثر فيه بسمه وكى . وروى « من وشم » بالمعجمة ، يقال : وشم يده وشمها ، إذا غرزها ^(٢) ببرة ثم ذر عليها التثور وهو النيل ، والاسم الوشم أيضاً .

(إذا الدليل استاف أخلاق الطرُق)

إذا : هنا ظرف ، وليست شرطية ، والعامل فيها ما فى كافٍ من معنى التشبيه . واستاف : شَم ، يقال ساف يسوف سَوْفاً إذا شم ، وذلك بالدليل ،

(١) التكلة من سم .

(٢) ط : « غرما » ، والصواب ما أثبت من سم . وانظر اللسان (وشم) .

يشمُّ الدليل التراب . وأخلاق الطرق : الدارس منها التي قد أخلقت ، واحدها خَلَقَ بفتحين . شبهها بالثوب الخَلَقَ لأن الاستدلال بشم التراب إنما يكون في الطرق القديمة التي كثر المشي فيها ، فيوجد رائحة الأرواث والأبوال .
(كَانَهَا حَقْبَاهُ بَلَقَاهُ الزَّلَقُ)

ضمير كَانَهَا للناقة المغلاة . والحقباء : مؤنث الأحقب ، وهو حمار الوحش سمي بذلك لبياض في جِجَويه . شبه الناقة بالأنان الوحشية ، وهى فى الجلادة والسُرعة مثلها . والبلقاء : مؤنث الأبلق . والزَلَقُ : عجز الدابة ، أى المكان الذى تزلق اليدُ عن كفها أبيضُ وأسود .

(أَوْ جَادِرُ اللَّيْتَيْنِ مَطْوَى الْحَنْقُ)

فى العباب : وَجَدِرَ لَيْتَهُ ، إِذَا بَقِيَ فِيهَا جَدَرٌ بِالتَّحْرِيكِ ، أَيْ أَثَرُ الْكِدْمِ وَالْعُضِّ . وَجَادِرٌ بِمَعْنَى ذُو جَدَرٍ . وَاللَّيْتُ بِالْكَسْرِ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ ، وَهِيَ لَيْتَانٌ . يَقُولُ : عَضَّتْهُ الْفَحُولُ فَصَارَ فِي عُنْقِهِ أَثَرٌ . وَمَطْوَى الْحَنْقُ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي شَرْحِهِ : يَقُولُ : طَوَى بِالْحَنْقِ أَيْ بِالضَّرِّ ، يُقَالُ أَحْنَقُ إِذَا ضَمَرَ ، وَإِبِلٌ مُحَانِيقُ أَيْ ضَوَامِرُ . وَفِي الصَّحَاحِ : حِمَارٌ مُحْنَقٌ : ضَمَرُ مِنْ كَثْرَةِ الضَّرَابِ . ٤٢
شبه الناقة — التى سلكت به هذا البلد المائل ممره ، فى الوقت الذى يبحر الدليل فى الطرق القديمة التى لا علمَ بها ، وذلك آية الهلاك — بالأنان الوحشية أو الحمار الوحشى ، الموصوفين بهذه الأوصاف ، وإنما خصَّهما بالتشبيه لكونهما أَجْلَدَ الْوَحُوشِ وَأَسْرَعَ . وَجَادِرٌ مَعْطُوفٌ عَلَى حَقْبَاهُ .

(مُحَلِّجٌ أُدْرِجَ إِدْرَاجَ الطَّلَقِ)

هذا وصفٌ للحمار الوحشى . والمحلج : اسم مفعول من حملج الحبل : قتله قتلاً شديداً ، وأوله مهملة وآخره معجمة . وأدرج بالبناء للمفعول أيضاً

بمعنى قُتل وطوى . وإدراج بكسر الهمزة : مصدر تشبيهي ، أى كإدراج الطلق .
والطَّلَق : بفتحين : قيد من جلود . وصف هذا الحمار بالضرر واكتناز
الخلق ، وذلك أشدُّ لعدوه

(لَوْحٌ مِنْهُ بَعْدُ بَدَنٍ وَسَنَقٌ)

يقال : لاحه السفر ولوَّحه : غيَّره وأضره . وضمر منه لجادر اليتيم .
وفاعل لَوْحَ « قُوْدُ ثَمَان » في البيت الثالث بعد هذا . ومن للتبويض . وَبَدَنٌ :
بضم فسكون وبضمتين : السَّمَنُ والاكتناز ؛ تقول منه بَدَنَ الرجل بالفتح
يبدُنْ بدنًا بالضم فيهما إذا ضخم ، وكذلك بَدَنَ بدانة فهو بادن ، وامرأة
بادن أيضاً . في الصحاح : « والسَنَقُ ، بفتحين : البشم ، يقال شَرِبَ الفصيل
حتى سَنَقَ — بالكسر — يسنق بالفتح ، وهو كالثخمة » . قال الأصمى :
والسَنَقُ : كراهة الطعام من كثرتة على الإيمان حتى لا يشبهه . قيل لأعرابية :
أترين أحداً لا يشتهي الخبيص ؟ قالت : ومن لا يشتهي إلا من سَنَقَ منه ؟ !

(مِنْ طَوْلِ تَعْدَاءِ الرَّبِيعِ فِي الْأَنْقِ)

هذا علة للسَنَقِ . والأَنْقُ بفتحين : الإعجاب بالشيء ، تقول أنقت به
من باب فرح ، فأنا به أنقُ أى معجب . وقال الأصمى : الأنقُ المنظر المعجب
ومنه أنيق . يعنى أنه سَنَقَ من طول ما عدا في الربيع في مكان أنيق .

(تَلْوِيْحَكَ الضَّامِرَ يُطْوِي لِلْسَّبَقِ)

تلويحك : مصدر تشبيهي منصوب بلَوْحِ المذكور قبل ، وهو مضاف إلى
الفاعل . والضامر مفعول به . يقول : كما تلَوَّح أنت الفرس الضامر تريد أن
تسابق عليه . وَيُطْوِي : يجوِّع ويضمّر بالبناء للمفعول . والسبق : بفتحين
والسبقة بالضم مثله : الخطر والرَّهْنُ الذى يوضع بين أهل السباق ، والجمع أسباق

(قُودٌ ثَمَانٍ مِثْلُ أَمْرَاسِ الْأَبْقِ)

قُودٌ : فاعل لَوْحِ المتقدم ، وهو جمع قوداء بمعنى الطويلة العنق والظهر .
والأمراس : جمع مَرَس ، وهو جمع مَرَسَةٍ بمعنى الحبل . والأبق : بفتح الهمزة
والموحدة : القنب وقيل قشر القنب ، وقال الأصمعي : هو السكتان يقتل .
يقول : هذه الآن كأنها جبال من شدة طيها . وهذه الأوصاف مما تزيد
في نشاط الحمار وجريه ، فإذا كانت الناقة تشبه فلا شيء أسرع منها .

(فيها خطوطٌ من سواد وبلقٌ كأنه في الجلد توليعُ البهق)

البلق بفتححتين والبُلقة بالضم مثله ، وهو سواد وبياض . والتوليع :
استطالة البلق . قال الأصمعي : إذا كان في الدابة ضروبٌ من الألوان من غير
بلق فذلك التوليع ، يقال برذون مولع . والملمع^(١) : الذي يكون في جسده بقع
تخالف سائر لونه ، فإذا كان فيه استطالة فهو مولعٌ والبهق كما في المصباح :
بياضٌ يخالف للون الجسد وليس ببرص . وقال ابن فارس : سواد يعترى الجلد ٢٣
أو لونٌ يخالف لونه . وفعله من باب تعب ، وهو أبهق وهي بهقاء . وجملة فيها
خطوط إما صفة ثالثة لقُود ، وإما حال منها ، والرابط الضمير . وبه علم سقوط
ما نقله شارح شواهد التفسيرين خضر الموصلي ، من أنَّ الضمير راجع إما إلى
بقرة يصفها كما في بعض الحواشي ، أو إلى أفراس كما قال جماعة ، أو إلى أتان
كما قاله ابن دريد ، مع أنه لم يتقدم ذكر شيء من بقر وأفراس . والعجب منه
أنه سطر الأرجوزة برمتها ولم يتأمل مرجع الضمير . وقوله من سواد وبلق ،
بيان للخطوط ، يريد أن بعض الخطوط من سواد بحت وبعضها من سواد
يخالطه بياض ، فالتقابل بين سوادين . وجملة كأنه في الجلد الخ صفة للخطوط

(١) في النسختين : « والملمع » ، والوجه ما أثبت . وانظر اللسان (لمع) .

أو للسواد والبلق ، والرابط الضمير بتأويله باسم الإشارة ، واسم الإشارة مؤول بالمذكور ونحوه ، وإنما لم يؤول بالمذكور ابتداء لأن التأويل قد كثر في اسم الإشارة كما نقلوا عن أبي عبيدة ، أنه قال لرؤبة : إن كنت أردت الخطوط فقل كأنها ، وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما . فقال رؤبة : أردت كأن ذلك ، ويك ! وتأويل اسم الإشارة بالمذكور إذا خالف المشار إليه جملة علماء التفسير والعربية قانوناً يرجع إليه عند الاحتياج ، وخرجوا عليه آيات ، منها قوله تعالى : « ذلك بما عصوا » بإفراد اسم الإشارة مع أن المشار إليه شيان : الكفر والقتل ، وأورد هذا البيت نظيراً له . وزعم ابن جني في المحتسب : أنه لو قال قائل إن الهام في كأنه عائدة على البلق وحده لكان مصيباً ، لأن في البلق ما يحتاج إليه من تشبيهه بالهق ، فلا ضرورة إلى إدخال السواد معه . انتهى . وفيه أن المحدث عنه هو الخطوط ، وهي المشبهة بالهق . فإما أن يرجع الضمير إلى المبين الذي هو المحدث عنه ، أو إلى البيان بتمامه ، وأما إرجاعه إلى بعض البيان فيلزم تشبيه بعضه دون بعض ، وهذا ليس بمقصود ، بل المراد تشبيه الخطوط التي بعضها من سواد بحت وبعضها من سواد فيه سواد وبياض أيضاً ، فتأمل . وروى الأصمعي « كأنها » أيضاً بضمير المؤنث ؛ وعليها فلا إشكال .

وفي هذه الأرجوزة بيت وهو :

(لواحق الأقارب فيها كالمَلَقْ)

أورده الشارح في حرف الكاف من حروف الجر على أن الكاف فيه زائدة . ونشرحه هناك إن شاء الله تعالى .

و (رؤبة) هو أبو الجحاف بن العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر ، ترجمة رؤبة من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، هو وأبوه شاعران ، كل منهما له

ديوانُ رجز ، وهما مجيدان فيه عارفان باللغة وحشياً وغريبها . وهو أكثر شعرا من أبيه وأفصح منه . روى أنه قال لأبيه : أنا أشعر منك لأنني شاعر وابن شاعر ، وأنت شاعر فقط . وقيل ليونس النحوي : من أشعرُ الناس^(١) ؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : لم نعن الرجاز^(٢) . قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنما الشعر كلام فأجوده أشعره^(٣) . قال ابن عون : ما شُبهت لهجة الحسن البصري إلا بلهجة رؤبة .

وحكى عن يونس بن حبيب النحوي^(٤) أنه قال : كنت عند أبي عمرو ابن العلاء فجاءه شبيل بن عَزْرَةَ الضُّبَيْ^(٥) فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبدة بغلته فجلس إليها ، ثم أقبل عليه يحدثه فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤبنا عن اشتقاق اسمه فما عرفه . قال يونس : فلم أملك نفسي عند ذكر رؤبة فقلت : ٤٤
لملك تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ، أتعرف أنت ما الرؤبة ؟ وكررها خمسا فلم يُجِرْ جوابا وقام مغضبا ، فقال لي أبو عمرو : هذا رجل شريف يزور مجلسنا ويقضى حقوقنا . وقد أسأت بما فعلت مما واجهته به ! فقلت : لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة ، فقال : أو قد سُلطت على تقويم الناس ؟ !
وحكى المدائني قال : قدم البصرة راجزٌ من رجاز العرب فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، وجعل يقول : أنا أرجز العرب ، أنا الذي أقول :

-
- (١) في النسخين : « أكثر الناس » ، والوجه ما أثبت من الأغاني ٦٠: ٢١ .
(٢) في الأغاني : « لم ؟ ولم نعن الرجاز » .
(٣) هو عبد الله بن عون بن أربطبان المزني ، أحد رواة الحسن البصري . تهذيب
(٤) في الأصل : « أبو عوف » ، صوابه من الأغاني ٦٠: ٢١ .
(٥) في الأصلين : « وحكى ابن حبيب عن يونس » والوجه ما أثبت مطابقاً لنا في الأغاني ٥٨: ٢١ .
(٥) في النسخين : « شبيل بن عمرو » . صوابه من الاشتقاق ٧٤ ، ١٩٣ حيث تكلم في الموضع الأخير على اشتقاق اسمه ، ومن الأغاني ٥٧: ٢١ .

مروان يعطى وسعيد يمنع مروان نبع وسعيد خروج

واقه أنا أرجز من المجاج ، فليت البصرة جمعت بينى وبينه - ورؤية
والمجاج حاضراً المجلس - فقال رؤية لأبيه : قد أنصفك الرجل قم إليه .
فأقبل عليه وقال : هأنا المجاج^(١) وزحف إليه . قال أى المجاجين أنت !
قال : ما خلعتك تعنى غيرى ، أنا عبد الله الطويل ، وكان يعرف بذلك . فقال :
ما عنيتك وما قصدتك ، قال : كيف وقد هتفت باسمى وتمنيت أن تلقانى ؟ !
قال : أو مافى الدنيا عجاج سواك ؟ قال : فهذا ابنى رؤية . قال : اللهم غفرأ ، إنما
مرادى غيركما . فضحك الناس وكفأ عنه .

قال ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء^(٢) : قال أبو عبيدة : دخلت
على رؤية وهو يجيل^(٣) جرذانا فى النار ، فقلت : أأأكلها ؟ قال : نعم أنها خير
من دجلجكم التى تأكل العذرة ، إنها تأكل البر والتمر .

وكان رؤية مقبلاً بالبصرة ولحق الدولة العباسية كبيراً ، ومدح المنصور
وأبا مسلم . ولما ظهر بها إبراهيم بن الحسن بن على رضى الله عنه وخرج على المنصور
خاف على نفسه من الفتنة ، فخرج إلى البادية فمات بها فى سنة خمس وأربعين ومائة .
كذا قيل ، وهذا يخالف ما روى عن يعقوب^(٤) قال : لقيت الخليل بن أحمد يوماً
بالبصرة فقال لى : يا أبا عبد الله دفنأ الشعر واللغة والفصاحة اليوم . فقلت له
وكيف ذاك ؟ فقال : هذا حين أنصرفنا من دفن رؤية بن المجاج .

(١) فى الأغاني ١١ : ٦٠ : « هأنا المجاج » .

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٦ .

(٣) فى الشعراء : « يجل » ، أى يشوبها فى اللغة ، وهى الرماد الحار .

(٤) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدي ، المتوفى سنة ١٨٢ . تاريخ

بغداد ١٤ : ٢٦٢ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٣١ . وكانت حياة الخليل ما بين سنئ ١٠٠

و ١٧٥ . والنسب فى الأغاني ١٨ : ١٢٥ ، وفيه : « عن يعقوب بن داود » .

ولم أر له في حيوانه من غير الرجز إلا هذين البيتين :

أيها الشامت المعير بالشيد ب أَقْلَنْ بالشباب افتخارا
قد لبستُ الشباب غضا طريا فوجدت الشبابَ ثوبا معارا
وبيتين آخرين وهما :

إذا ما الموت أقبل قُبِلَ قوم أَكَبَ الخطُ وانتقص العديد
أرانا لا يفيق الموت عنا كأنَّ الموت إيانا يكيد

من اسمه رؤية وذكر الأمدى ، في المؤلف والمختلف ، من اسمه رؤية ثلاثة . أحدهم هذا ،
والثاني : رؤية بن العجاج بن شدقم الباهلي ، هو وأبوه شاعران ، وكنية هذا
أبو يَئِس^(١) ومن شعره :

قالت لنا وقولها أحزانُ ذِروهُ والقول له بيان^(٢)
يا أبتا أرَفِنِي القِدَانُ فالنوم لانطمعه العينان^(٣)
من وخز بُرغوث له أسنانُ وللبعوض فوقه دَنَدَان
الدندنة : الكلام الذي لا يفهم ، والقِدَان : جمع قَذَذَ^(٤) وهو البرغوث .
والثالث : رؤية بن عمرو بن ظهير النعملي ، أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان
ابن بغيض .

(تنمة)

رؤية : اسم منقول إما من رؤية بالهمز ، وهي قطعة ترأب بها الشيء
أى يشده بها ، قال صاحب أدب الكاتب (في باب ما يغير من أسماء الناس) :

(١) في ط : « يئس » صوابه في سـ والمؤلف ١٢١ . وانظر التاموس (بـس) .
(٢) الرجز في المؤلف ١٢١ وشرح شواهد المغني ٢٠ والضرائر للأكوسي ١٦٣ .
(٣) يستشهد به النحاة على ضم نون الثني المرفوع .
(٤) في ط : « قذن » ، تحريف . وانظر اللسان (قذذ)

إن رؤية بن المجاج بالهمز لا غير . وهذا الحصر باطل لأن الميموز في مثله يجوز تخفيف همزه بلا خلاف . وقد تقتض قوله هذا بما ذكره في أوائل الكتاب في باب المسمين بالصفات وغيرها ، فجوز أن يكون مهموزاً وغير مهموز ، فإنه قال : رؤية اللبن خيرة تلقى فيه من الحامض ليروب ، ورؤية الليل ساعة منه ، ويقال فلان لا يقوم بروية أهله أى بما أسندوا إليه من حوائجهم ، غير مهموز . ورؤية بالهمز ، قطعة ترأب بها الشيء ، وإنما سمي رؤية بواحدة من هذه^(١) . فذكر لغير الميموز ثلاثة معان ، وبقي له معان آخر : رابعها رؤية الفرس وهي طرقة في جوامه^(٢) . خامسها يقال أرض روية أى كريمة . سادسها شجر الزهرور . سابعها روية الرجل عقله . ثامنها الفترة والكسل من كثرة شرب اللبن . تاسعها اللبن الذى فيه زبده ، والذى نزع زبده ؛ فهو من الأضداد . وله معان آخر .

قال ابن خلف في شرح شواهد سيبويه : قيل سمي روية لأنه ولد نصف الليل . والله أعلم .

وأشده بعده ، وهو من شواهد معنى اللبيب^(٣) ، وهو الشاهد السادس :

٦ (ياما أميلح غزلانا شدن لنا من هؤلاء ككن الضال والسر)

أورده على أن التصغير في فعل التمتع راجع إلى المفعول المتعجب منه ، أى هن مليحات ، والتصغير للشفقة . وأشده في باب التمتع أيضاً ، على

(١) انظر مثيل هذا النقد لابن السيد في الاقتضاب ٢٢٦ .

(٢) الطرق ، بالفتح : ماء الفعل . وجامه : اجتماعه . ط : « جاحه »

سوابه في ٤٠ .

(٣) المعنى ٢ : ١٩٢ في الباب الثامن وشرح شواهد المعنى للسيوطي ٣٢٤ .

أن الكوفيين غير الكسائي زعموا اسميته ، واستدلوا عليها بتصغيره في نحو البيت . وهذا جواب من : قال الشاطبي : وعُلِّل ذلك سيويه ^(١) بأنهم أرادوا تصغير الموصوف بالملاحة ، كأنك قلت مُلِيح لكنهم عدلوا عن ذلك وهم يعنون الأول ، ومن عادتهم أن يلفظوا بالشئ وهم يريدون شيئاً آخر .

وقد ذكر ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف جميع أدلة الكوفيين مع أجوبة البصريين عنها فقال : ومن جملة أدلتهم أنهم استدلوا على اسميته بالتصغير . وأجاب عنه بثلاثة أوجه :

أحدها أن التصغير في هذا الفعل ليس على حد التصغير في الأسماء فإنه - على اختلاف ضروبه من التحقير ، والتقليل ، والتقريب ، والتخزن ، والتعطف كقوله صلى الله عليه وسلم : « أصبحابي ، أصبحابي » ، والتعظيم كقوله : * دُوبِيَّةٌ تصغرُ منها الأنامل ^(٢) * .

والتمدُّح كقوله : « أنا جُذَيْلُها المحَكَّك » فإنه يتناول الاسم لفظاً ومعنى والتصغير اللاحق فعل التعجب إنما يتناوله لفظاً لا معنى ، من حيث كان متوجهاً إلى المصدر ، وإنما رفضوا ذكر المصدر هاهنا ، لأن الفعل إذا أزيل عن التصرف لا يؤكد بذكر المصدر ، لأنه خرج عن منهج الأفعال ، فلما رفضوا المصدر وآثروا تصغيره صغروا الفعل لفظاً ووجهوا التصغير إلى المصدر ، وجاز تصغير المصدر بتصغير فعله لأن الفعل يقوم في الذكر مقام مصدره لأنه يدل عليه بلفظه ، ولهذا يعود الضمير إلى المصدر بذكر فعله وإن لم يجر

(١) كتاب سيويه ٢ : ١٣٥ .

(٢) للبيد في ذيوانه ٢٨ . وصدره :

* وكل أناس سوف تدخل بينهم *

له ذكر ، فكما يجوز عود الضمير إلى المصدر وإن لم يجر له ذكر ، استثناء
بذكر فعله ، فكذلك يجوز أن يتوجه التصغير اللاحق لفظ الفعل إلى مصدره
وإن لم يجر له ذكر . ونظيره إضافة أسماء الزمان إلى الفعل نحو : « هذا يومٌ
ينفعُ الصادقينَ صدقهم » . وإنما جاز لأن المقصود بالإضافة إلى الفعل مصدره ،
من حيث كان ذكر الفعل يقوم مقام ذكر مصدره ، فكما أن هذه الإضافة
لفظية لا اعتداد بها فكذلك التصغير لفظي لا اعتداد به . الوجه (الثاني) :
إنما دخله التصغير حملا على باب أفعّل التفضيل ، لاشتراك اللفظين في التفضيل
والمبالغة ، ألا ترى أنك تقول : ما أحسن زيدا — لمن بلغ الغاية في الحسن —
كما تقول : زيد أحسن القوم ، فتجمع بينه وبينهم في أصل الحسن وتفضله
عليهم . و (الثالث) : إنما دخله التصغير لأنه أُلزم طريقة واحدة ، فأشبهه
بذلك الأسماء ، فدخله بعض أحكامها . وحل الشيء على الشيء في بعض
أحكامه لا يخرج عن أصله ، ألا ترى أن اسم الفاعل محمول على الفعل في العمل
ولم يخرج بذلك عن كونه اسما ؟ وكذلك المضارع محمول على الاسم في الإعراب
ولم يخرج بذلك عن كونه فعلا . ١٠ هـ .

و (يا) حرف نداء ، والنادى مخوف ، أي يا صاحبي ونحوه . و (الملاحه) : شرح الشاهد
البهجة ، وحسن المنظر . وفعله ملّح الشيء بالضم ملاحه . وملّح الرجل وغيره
ملّحاً من باب تعب : اشتدت زرقته ، وهو الذي يضرب إلى البياض ، فهو
أملّح وهي ملحاء ، والاسم المُلّحة كغرفة . و (الغزالان) : جمع غزال ، وهو
ولد الظبية ، قال أبو حاتم : الظبي أول ما يولد هو طلاء ، ثم هو غزال والأنثى
غزالة ، فإذا قوى وتحرك فهو شادن ، فإذا بلغ شهراً فهو شَصْرٌ بمعجمة ومهمله
مفتوحين — فإذا بلغ ستة أشهر أو سبعة فهو جدّاية — بفتح الجيم — للذكر
والأنثى وهو خشف أيضاً . والرشأ : الفتى من الظباء ، فإذا أنثى فهو ظبي ،

ولا يزال ثنيًا حتى يموت ، والأنثى ثنيةٌ وظبية . والثنى : الذى يلقى ثنيته : أى سنه — من ذوات الظلف والحافر — فى السنة الثالثة ؛ يقال أثنى فهو ثنىٌ ، فعيل بمعنى فاعل . و (شدن) ماضى شدن الغزال بالفتح يشدن بالضم شدوناً : قوى وطلع قرنائه واستغنى عن أمه . وربما قالوا شدن المهر . وأشدنت الظبية فهى مُشدِن ، إذا شدن ولدها ، النون الثانية ضمير الغزالان . وجملة شدن صفة غزالان . و (لنا) و (من) متعلقان بشدن . وقوله (من هؤلياءكن) هو مصغر هؤلاء ، شنوداً ، وأصله أولابلد والقصر . وها للتنبيه ، وهو اسم إشارة يشار به إلى جمع سواء كان مذكراً أو مؤنثاً ، عاقلاً أم غير عاقل . والكاف حرف خطاب . والنون حرف أيضاً لجمع الإناث .

وقد استشهد به النحاة على دخول ها التنبيه عليه ، وعلى تصغيره شنوداً ، وقد رواه الجوهرى :

✽ من هؤلياء بين الضال والسمر^(١) ✽

وقال : ولم يصغروا من الفعل غير هذا وغير قولهم ما أحبسنه . و (الضال) صفة اسم الإشارة أو عطف بيان . والضال : السمر البرى ، جمع ضالة ، ولهذا صح إتياعه لاسم الإشارة إلى الجمع ، وألفه منقلبة من الياء . والسدر : شجر النبق ، الواحدة سدره . وما نبت منه على شطوط الأنهار فهو العُبرى ، نسبة إلى العُبر بالضم ، وهو شط النهر وجانبه . (والسمر) بفتح السين وضم الميم : جمع سَمرة ، وهو شَجَرُ الطَّلح . والطلح : نوع من العِضاء ، وهو شجر عظام والعِضاء بكسر العين : جمع عِضاهة ، وهو كل شجر عظيم وله شوك .

(١) وروى صدره فى الصحاح (ملح) :

✽ يابا أميلح غزلانا عطون لنا ✽

وهذا البيت من جملة أبيات ذكرها ابن هشام في شرح شواهد^(١) وهي : أبيات الشاهد

(حوراء لو نظرت يوماً إلى حجرٍ لأنّرت بَسقاً في ذلك الحجرِ ٤٧
يزداد توريدُ خديّها إذا لحظت كما يزيدُ نباتُ الأرض بلطر
فالورد وجنتها والحمرُ ريقها وضوء بهجتها أضوا من القمر
يا من رأى الحمر في غير الكروم ومن هذا رأى نبت ورد في سوى الشجر^(٢)
كادت ترفُّ عليها الطير من طرب لما تغتبت بتغريد على وتر
بالله ، يا ظليبات القاع ، قلن لنا ليلاى منكنّ أم ليلي من البشر
ياما أميلح غزلانا شدن لنا (البيت)

وروى العباسي في معاهد التنصيص^(٣) عن بعضهم أنّه من أبيات لبعض
الأعراب . وذكرها في الدمية للباخرزي^(٤) أنّه أول أبيات ثلاثة لبدوى اسمه
كامل الثقفى ، ثانيها : بالله يا ظليبات القاع قلن لنا .. البيت . وثالثها :

إلسانة الحى أم أدمانة السمر بالنهى رقصها لحن من الوتر^(٥)

وقال الميمني : إمّ من قصيدة للرجي ، ومنها : بالله يا ظليبات القاع .. البيت .

وهذا البيت قد روى للمجنون ، ولدى الرثمة ، وللحسين بن عبد الله .

والله أعلم .

(١) نص السيوطي في شرح شواهد المغنى بعد إيراده للأبيات : « هكذا رأيته
بخط المصنف في بعض تماثيله » . وليس لابن هشام مؤلف خاص لشرح الشواهد .

(٢) كلمة « هذا » ليست في الأصل ، وبدونها لا يستقيم الوزن . وإنابتها من
شرح شواهد المغنى .

(٣) معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ .

(٤) دمية النضر للباخرزي ص ٢٩ .

(٥) ليس البيت ثالث هذه الأبيات ، بل هو أولها ، والثاني فيها هو « يا أميلح » .

ثم رأيت الصاغاني قال في العباب : يقولون ما أميلح زيدا . ولم يصنفوا
من الفعل غيره وغير قولهم ما أحسنه . قال الحسين بن عبد الرحمن العريفي :
بالله يا ظبيات القاع ، قلن لنا (البيت)
بانت لنا بعيونٍ من براقمها مملوءةٌ مُقلَّ الغزلان والبقرِ
ياما أميلح غزلان شدن لنا هـ .

والأدمانة قال الجوهري : والأدم من الظباء بيضٌ تملوهُن جدد ، فيهن
غبرة ، تسكن الجبال ، يقال ظبية أدماء . وقد جاء في شعر ذى الرمة أدمانة ، قال :
أقول للركب لما عارضت أصلا أدمانةٌ لم تُربِّها الأجاويد^(١)
وأنكره الأصمى . والنهي بكسر النون وسكون الهاء : القدير في لغة
نجد ، وغيرهم يقول بالفتح ، كذا في الصحاح .

وقال السخاوي في مشرح المفصل : والنحاة يفتشون : ياما أميلح غزلانا
البيت ، ظنا منهم أنه شعر قديم ، وإنما هو لعل بن محمد العريفي ، وهو متأخر ،
وكان يروم التشبه بطريقة العرب في الشعر ، وله مدح في علي بن عيسى وزير
المقتدر . وقتل المقتدر في شوال سنة عشرين وثلاثمائة . ونسبه قوم من النحاة
إلى مجنون بن عامر وأنشدوا معه : بالله يا ظبيات القاع ، البيت ، والصحيح
ما قدمته هـ

الترجمة العرجي (والعرجي) اسمه عبد الله ، وهو أموي ، وإتما لقب العرجي لأنه
كان يسكن العرج . قال في الصحاح : « والعرج منزل بطريق مكة ، وإليه

(١) في الديوان ١٣٣ واللسان والصحاح (آدم) : « لما أعرضت » . و « لم
تربها » كذا جاءت في جميع المراجع ، وهي على لغة من قال :
* يوم الصليفاء لم يوفون بالجار *

ينسب المرجى الشاعر . ولم يكن له نباهة في أهله ، مات في حبس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، وهو خال هشام بن عبد الملك ، وكان والياً بمكة بعد ضرب كثير وتشهير في الأسواق ، لأنه شُبِّ بأمه ليفضحه ، لالحجة كانت بينه وبينها . وقال في حبسه قصيدته التي منها :

كأنِّي لم أكن فيهم وسيطاً ولم تكُ لسبتي من آل عمرو
أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسيداد ثغر
وكان من الفرسان المحدودين مع مسلة بن عبد الملك بأرض الروم . وترجمته مع أحواله مفصلة في الأغاني والمعاهد .

وأشد في باب العرب ، وهو من شواهد سيبويه^(١) ، وهو البيت السابع : ٤٨

٧ (تُكْتَبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَامَ أَلْفٍ)

على أن مقصود الشاعر اللام والمهزة ، لا صورة لا ، فيكون معناه أنه تارة يمشى مستقيماً فتخط رجلاه خطأ شبيهاً بالألف ، وتارة يمشى معوجاً فتخط رجلاه خطأ شبيهاً باللام . وعليه فالظاهر أن يقول لاما وألفا . ووجه أنه حذف التنوين من الأول من باب الوصل بنية الوقف ، وحذف العاطف ووقف على الثاني على لغة ربيعة ، وليس في واحد من هذه الثلاثة ضرورة .

ووجه هذا البيت ابن جني في سر الصناعة بوجهين آخرين فقال : « إنما أراد كأنها تخطان حروف الميم ، لا يريد بعضها دون بعض ، وقد يمكن أنه أراد بقوله لام ألف شكل (لا) ، فإنه تلقاه من أفواه العامة ، لأن الخط ليس له تعلق بالعرب ولا عنهم يؤخذ . وقول من لا خبرة له بحروف

المعجم كالمعلمين لام ألف خطأ ، وصواب النطق به لا ، فإنه اسم الألف اللينة التي تكون قبل الياء في آخر حروف المعجم .

وفيما قاله نظر من وجهين :

الأول : قال الدماميني في شرح المفتي : نسبة العربي الفصحى إلى أنه اعتمد في النطق على العامة أمر بعيد لا يلتفت إليه . وقوله لأن الخط لا تعلق له بالفصاحة ساقط ، لأن ما صدر عنه لفظ لا خط .

الثاني : أن قوله لام ألف خطأ ممنوع ، فإنه قد ورد في الشعر ، أنشد أبو زيد في نوادره^(١) لراجز يصف جندياً ، وقيل غراباً :

يخطُّ لامَ ألفٍ موصولٍ والزاي والرا أيما تهليلٍ

وسياتي شرحه في الشاهد الثاني بعد هذا .

وأما ما أورده أبو بكر الشنواني في جواب أسئلة السيوطي السبع بقوله : قال : روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله كل نبي يرسل بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل . قلت : يا رسول الله أي كتاب أنزله الله على آدم ؟ قال : كتاب المعجم ألف با تا ثا إلى آخرها . قلت : يا رسول الله كم حرفاً ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت : يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت عيناه ثم قال : يا أبا ذر ، والذي بعثني بالحق نبياً ، ما أنزل الله على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً . قلت : أليس فيها ألف ولام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لام ألف حرف واحد ، قال : أنزله الله تعالى على آدم في صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على ، من لم يعدل لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه ، ومن لم يؤمن

بالحروف وهي تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبداً^(١) هـ . فهو موضوع .
قال ابن عراق : سئل عنه ابن تيمية فقال : لا أصل له ، ولو أُنحِ الوضع عليه
ظاهرة ، ولا سبب في آخره ، فهو كذب قطعا هـ

وعلى هذا فالفرق بين لا وبين لام ألف : أن لا اسم الألف اللينة ، ولام
ألف اسم لا ، لأنها على صورة اللام والمهزة إذا كتبتا معا . وعلم مما تقدم أن
بيت الشاهد إنما هو بإضافة لام إلى ألف بكون أصل لام ألف مركبا مزجيا ،
فأعرب بإضافة أحد الجزئين إلى الآخر على أحد الوجوه . لا كما زعمه الشارح ٤٩
وتبعه الدماميني في شرح المغنى .

ثم قال ابن جنى : « وإنما لم يميز أن تفرد الألف اللينة من اللام وتقام
بنفسها - كما أقیم سائر حروف المعجم سواها بأنفسها - من قبيل أنها لا تكون
إلا ساكنة تابعة للفتحة ، والساكن لا يمكن ابتداءه ، فدُعيت باللام ليقع
الابتداء بها . ويؤيد هذا أن واضع حروف المعجم إنما رسمها منشورة غير
منظومة ، فلو كان غرضه في (لا) أن يرينا كيفية تركيب اللام مع الألف لزمه
أيضاً أن يرينا كيف تركيب الجيم مع الطاء ، والقاف مع التاء ، وغير ذلك مما
يطول تمداده ؛ وإنما غرضه التوصل إلى النطق بالألف ، فدعم باللام ليمكن
الابتداء به . فإن قيل : ما بالهم دعموه باللام دون سائر الحروف ؟ أجيب بأنهم
خصوا اللام من قبيل أنهم لما احتاجوا لسكون لام التعريف إلى حرف يقع
الابتداء به قبلها أتوا بالمهزة فقالوا : الغلام ، فكما أدخلوا الألف قبل اللام
كذلك أدخلوا اللام قبل الألف ليكون ذلك ضرباً من التقارض هـ .

واعترض عليه الدماميني بأن الذى توصل به إلى النطق بلام التعريف

هو الهمزة لا الألف ، والذي توصل باللام إلى النطق به هو الألف الهوائى
لا الهمزة . فلا تقارض ا هـ .

وفيه أنها أخوان يبذل كل منهما إلى الآخر فتبدل الهمزة ألفا في نحو
راس ، وتبدل الألف همزة في نحو دابة وشابة وحبلأ في الوقف ، وفي هذا
القدر من الاشتراك يتحقق التقارض .

واستشهد به سيبويه على أنه ألقى حركة « ألف » على ميم « لام » .
وكذلك أوردته الشارح في شرح الشافية ^(١) أيضاً في باب النقاء الساكنين .
على أنه نقل حركة همزة ألف إلى ميم لام ، كما نقلت حركة همزة أربعة إلى الهاء
في قولك : ثلاثة أربعة ، إذا وصلت ثلاثة بما بعدها .

وهذا البيت ثالث أبيات ثلاثة لأبي النجم المعجلى ، وهى :
تخرجت من عند زياد كالحرف تخط رجلاى بخط مختلف
تكتبان فى الطريق لام ألف

قال المرزبانى فى الموشح - وهو طبقات الشعراء فى الجاهلية والإسلام ^(٢)
أخبرنى الصولى قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل قال : أشدنا محمد بن سلام
لأبى النجم المعجلى ، وكان له صديق يسقيه الشراب فينصرف من عنده ثملا :
أخرج من عند زياد كالحرف . . (الأبيات)

قال الصولى : وقد عيب أبو النجم [بهنا ^(٣)] قليل : لولا أنه كان
يكتب ما عرف صورة لام ألف وعناقها [لها ^(٣)] ا هـ . وقد عرفت ما فيه :
وروى أيضاً :

(١) شرح الشافية للرضى ٢ : ٢٢٣ .

(٢) هذا ما كان يلهم البغدادي ، وانظر ما سبق فى الحاشية ٤ من ص ٢٤ .

(٣) الكلمة من الموشح ١٧٧ .

أقبلت من عند زياد الخ

والخريف : صفة مشبهة من خَرِفَ الرجل خَرْفًا ، من باب تمب : فسَد عقله لكبره . وخط على الأرض خطأ : أعلم علامة . وخط بيده خطأ : كتب . وكتب ، يقال بالتخفيف والتنقيل ، والتنقيل هنا لنكثير الفعل .

(وأبو النجم) هو الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث نرجة أبي النجم

ابن عبدة بن الحارث بن الياس بن الموف بن ربيعة بن مالك بن عجل بن لجيم ابن صعب بن هلي بن بكر بن وائل . وهو أحد رجّاز الإسلام المتقدمين في الطبقة الأولى . قال أبو عمرو بن العلاء : هو أبلغ من العجاج في النعت . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ^(١) : كان أبو النجم ينزل سو الكوفة . وزاجز العجاج فخرج إليه العجاج على ناقة له كوما ، وعليه ثياب حسان ، وخرج أبو النجم على جمل منهو ، وعليه عباءة ، فأنشد العجاج :

٥٠

• قد جبر الدين الإله فجبر •

وأنشد أبو النجم :

• تذكر القلب وجهلا ما ذكر •

حتى بلغ قوله :

إني وكلّ شاهر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
فأراني شاهر إلا استر فعل نجوم الليل عين القمر

فبينما هو ينشد ، إذ وثب جملة على ناقة العجاج ، فضحك الناس وانصرفوا يقولون :

• شيطانه أنثى وشيطاني ذكر •

وقال له هشام بن عبد الملك يوما : يا أبا النجم ، حدثني . قال : عني
أو عن غيري ؟ قال : بل عنك . قال : إني لما كبرت عرض لي البول ،
فوضعت عند رجلي شيئا أبول فيه ، فقمْتُ من الليل أبول فخرج مني صوت ،
فتشددت ثم عدت فخرج مني صوت آخر ، فأويت إلى فراشي فقلت : يا أم
الخيار ، هل سمعت شيئا ؟ قالت : لا ، ولا واحدة منهما ! فضحك هشام
وأحسن إليه بصلة . وله معه نواذر ومضحكات مذكورة في الأغاني^(١) وغيرها .
وسنورد له إن شاء الله منها إذا ورد شاهد من شعره

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن :

٨ (تداعينَ باسم الشَّيبِ في مُتَنَلِّمٍ)

على أن اسم الصوت إنما أعرب في هذا للتركيب ، وإن كان بناؤه أصليا .
يريد أن أسماء الأصوات إذا رُكِبَتْ جاز إعرابها ، اعتباراً بالتركيب العارض
بشرط إرادة اللفظ لا المعنى ، كما يجوز إعراب الحروف إذا قصد ألفاظها .
والإعراب مع اللام أكثر من البناء لكونه علامة الاسم الذي أصله
الإعراب ، لكنها لا توجب دليل « الآن » و « الذي » و « الخمسة عشر » .
كذا فصله الشارح في باب الصوت .
وعجز هذا المصراع :

(جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسَلَامٍ)

صاحب الشاهد وهو من قصيدة لذي الرِّثْمَةِ يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وقبل بيت الشاهد :

(وَكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنَهِلٍ مُتَخَطِّطٍ أَقْلٌ وَأَقْوَى ، فَالْجَامُ طَوَامِي أَيْبَاتِ الشَّاهِدِ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا لَمْ نَصَادِفْ بِجَوْفِهِ سَوَى وَارِدَاتٍ مِنْ قَطَاً وَحَمَامِ
 إِذَا سَاقِيَانَا أَفْرَغَا فِي إِزَائِهِ عَلَى قُلُوصٍ بِلَقْفَرَاتٍ حِيَامِ
 تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ (الْبَيْتِ) .

يصف قطعة القفار على إبله . والعسف : الأخذ على غير هدى ، والضمير
 المستتر راجع إلى الإبل العيس . والمنهل : المورد ، وهو عين ماء ترده الإبل .
 والمنهل المتخَطِّطُ : الذي تخطأه الناس فلم ينزلوه . وأقْلٌ ، بالفاء ، فعل ماض
 بمعنى لم يصبه مطر ، وهو مع ضميره صفة لمنهل ، وهذا سبب كون الناس
 لم ينزلوا فيه . يقال أرضٌ قِلٌّ بالكسر : لا نبات فيها لعدم المطر . وأقوى
 بمعنى خلا ، يقال أقوت الدار وقويت أيضاً أى خلت . والجَامُ : بكسر الجيم
 جمع جَمَّةٍ بعضها ، وهو المكان الذي اجتمع فيه مائه . وطوامي : مملوءة ، جمع
 طامر اسم فاعل من طام الماء يطمو طمواً كسمو ، إذا ارتفع وملأ النهر .
 وساقيانا : ثنية ساق ، وهو من يستقي الماء من البئر . والإزاء ، بكسر الهمزة
 والزاى معجمة : مصب الماء في الحوض ، قال أبو زيد : هو صخرة ، وما جملت
 وقاية على مصب الماء حين يفرغ الماء ، ويقال أُزيت الحوض تأزية ، وآزيت
 بالذ إزاء . وعلى قلوص متعلق بأفْرَغَا . والقلوص ، بضمين : جمع قلووص ،
 وهى الناقة الشابة . والحيام بكسر المهملة : جمع حوم ، والحوم بالفتح : القطيع
 الضخم من الإبل . وبالقفرات صفة لقلوص ، من أقفرت الدار : إذا خلت .
 و (تداعين) : دعا بمضٍ القلوص بعضاً ، وروى (تنادين) من النداء .
 والجملة جواب إذا . و « الشَّيْب » بالكسر : حكاية أصوات مشافر الإبل
 عند الشرب ، والصَّوْتُ شَيْبٌ شَيْبٌ ، جعل هذا الصوت مما يدعوهم

إلى الشرب ، ويأتى إن شاء الله تعالى فى باب الإضافة الكلام على إضافة « اسم » إلى الشيب . و « المننم » : المنكسر والمنهدم ، أراد فى حوض مثل ، فحذف الموصوف لدلالة مصبّ الحوض عليه ، يقال ثلثته من باب ضرب كسرتة فأنثلم وتثلّم . والبصرة ، بفتح الباء : حجارة رخوة فيها بياض ، وبه سميت « البصرة » . والسلام بكسر المهملة : جمع سلمة بفتحها وكسر اللام ، وهى الحجارة .

ترجة ذى الرمة و (ذو الرمة) هو غيلان بالمعجمة ابن عتبة ، من بنى صعب بن مالك ابن عدى بن عبد مناة . ويكنى أبا الحارث . وسمى ذا الرمة بقوله :

لم يبق فيها أبدُ الأبيد غير ثلاث مائلات سود
وغير مروض الفقا موتود^(١) أشعث باقى رمة التقليد

والرمة : بضم الراء وتشديد الميم : قطعة من الجبل الخلق ، ويجوز كسرها . وقال ثعلب : إن مية لقبته بذلك ، وذلك أنه مر بجبانها قبل أن ينشئ بها ، فرأها فأعجبته ، فأحب الكلام معها ، فخرق دلوه وأقبل إليها وقال : يا فتاة اخرزى لى هذا الدلو . فقالت : إننى خرقاء — والخرقاء : التى لا تحسن عملاً — فحجل غيلان ، ووضع دلوه على عنقه ، وهى مشدودة بقطعة جبل بال ، وولّى راجعاً . فعلمت مية ما أراد ، فقالت : يا ذا الرمة انصرف . فانصرف ، فقالت له : إن كنت أنا خرقاء فإن أمتى صنّاع ، فاجلس حتى تخرز دلوك . ثم دعت أمتها قالت : اخرزى له هذا الدلو . وكان ذو الرمة يسمى مية خرقاء لقولها إننى خرقاء . وغلب عليه ذو الرمة لقولها يا ذا الرمة ، ا هـ .

(١) فى النسختين : « مروض » ، ولا وجه له ، وصوابه من ديوان ذى الرمة ١٥٥ والشراء ٥٠٨ واللائلى ٨٢ . والرضخ : الشق والدق .

وهذا خلاف ما نقله ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(١) أن مية بنت فلان^(٢) ابن طلبة بن قيس . وهي غير الخرقاء ، فإن الخرقاء من بني البكاء بن عامر . وكان سبب تشبيهها أنه مر في بعض أسفاره ببعض البوادي ، وإذا خرقاء خارجة من خباء لها ، فنظر إليها فوقعت في قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها وقال : إني رجل على ظهر سفر ، وقد تخرقت إداوتي فأصلحها — يستطعم بذلك كلامها — فقالت : والله إني ما أحسن العمل ، وإني خرقاء . والخرقاء : التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على أهلها . فشبب بها وسماها خرقاء .

وقال أبو العباس الأحول : سمى ذا الرمة لأنه خشى عليه العين وهو غلام فأتى به إلى شيخ من الحنابلة ، وصنع له معاذةً ، وشدت في عضده بحبل .
والشهور القول الأول .

قال حماد الراوية : امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيهاً ، وذو الرمة أحسن الإسلام تشبيهاً ، وما آخر القوم ذكره إلا لحدائثه وأنه حسدوه ؛ وكان الفرزدق وجبريل يحسدانه على شعره . ولقيه جرير فقال : هل لك في المهاجة ؟ ٥٢ قال : لا . قال : كأنك هبتني . قال : لا والله ، ولكن حرمك قد هتكهن السفل ، وما أرى في نسوتك مترقعا^(٣) . قال أبو المطرف : لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ منه ولا أحسن جواباً ، ولقد عارضه رجل بسوق الإبل في البصرة يهزأ به ، فقال : يا أعرابي ، أتشهد بما لا ترى ؟ قال : نعم ؛ أشهد بأن أباك ناك أمك !

(١) الشعراء ٥٠٨ .

(٢) وكذا ورد النص في الشعر ، فلعله نسي اسم أبيها ، أو أهمله للخلاف فقبل مية بنت عامر ، وقيل مية بنت مقاتل . اللآلي ٨٢ والاغاني ١٦ : ١١٤ وجمهرة ابن حزم ٢٠٦ .

(٣) مترقما : موضعا للشتم والهجاء . ط : « مرتما » ص : « مرتقما » ، وانظر اللسان (رفع) .

وقال أبو عمرو بن العلاء مرةً : خُتم الشعر بذى الرمة والرجز برؤبة . وقال أخرى — كما في الموشح للمرزبانى^(١) — شعر ذى الرمة فقط عروس تضمحل^(٢) عن قليل ، وأبعار ظباء لها مَشَمٌ في أول شتمها ثم تعود^(٣) إلى أرواح البعر وإنما وضع منه لأنه كان لا يحسن الهجاء والمدح . . قال المبرد : معنى قوله فقط عروس أنها تبقى أول يوم ثم تذهب ؛ وبعر الظباء إذا شتمته من ساعته وجدت فيه كرائحة المسك ، فإذا غبَّ ذهب ذلك منه . وقد أسند هذا التعبير في حقه إلى جماعة منهم الفرزدق وجريز . قال الأصمى : إن شعر ذى الرمة حلواً أول ما تسمعه ، فإذا كثُر إنشاده ضُفَّ ولم يكن له حسن ، لأن أبعار الظباء أول ما تشم توجد لها رائحة ما أكلت من الشيح والقيصوم والجشجات والنبث الطيب الريح ، فإذا أدمنت شمه ذهب تلك الرائحة ، ونُقط العروس إذا غسلتها ذهب .

وقال ابن قتيبة^(٤) : وقف ذو الرمة في سوق الإبل ينشد شعره الذى يذكر فيه ناقته صيدح . فوقف عليه الفرزدق فقال : كيف ترى ما نسمع يا أبا فراس؟ قال : ما أحسن ما تقول ! قال : فإلى لا أذكر مع الفحول ! قال : قصر بك عن غاياتهم بكائك في الدمن ، ونعتك الأبعار والعطن . ومات بالبادية ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم . أى ابن الأربعين

وقال المفضل الضبي^(٥) : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حجبت ، فقال لى يوماً : هل لك فى خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ قلت : بلى . فتوجهنا نريدها

(١) الموشح ص ١٧٢

(٢) فى الفسخين : « يضمحل » ، ووجهه من الموشح .

(٣) فى النسخين : « يعود » . صوابه من الموشح .

(٤) الشر والشراء ٥٠٦ .

(٥) الشر والشراء ٥١٠ .

فعدل بي عن الطريق بقدر ميل ، فإذا أبيت ففرع باباً منها فخرجت إلينا امرأة حُسانة بها قوة^(١) فتحدثنا طويلاً فقالت : أحجبت قبل هذه ؟ قلت : بلى . قالت : فما منعك من زيارتي ؟ أما علمت أني منك من مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول ذى الرمة :

تمامُ الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضمة اللثام
وفى الأغاني عن ابن قتيبة : أن مية جعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم
تراه . فلما رآته رجلاً دميماً أسود ، وكانت من أجهل الناس فقالت : واسوءناه ،
واضيعة بدنتاه ! فقال ذو الرمة :

على وجهي مسحة من ملاحه ونحت الثياب الشين لو كان بادياً
قال : فكشفت ثوبها عن بدنها وقالت : أشيناً ترى لا أم لك ؟ فقال :
ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافياً
فقلت : أمّا ما نحت الثياب فقد رأيته وعلمت أن لا شين فيه ، ولم يبق
إلا أن أقول لك هلم حتى تذوق ماوراءه ! والله لا ذقت ذلك أبداً . فقال :
فياضيعة الشعر الذي لجّ واتقضى بي ولم أملك ضلالاً فؤادياً^(٢)
قال : ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد إلى ما كان عليه من حبها .
ثم قال صاحب الأغاني : أن مية كانت لها بنت [عم^(٣)] قالت على
لسان ذى الرمة :

(١) وكذا في الأغاني ١٦ : ١١٥ رواية عن ابن قتيبة . وفي الشعر والشعراء :
« بها فوه » . والفوه ، بالتحريك : سمة الفم وعظمه .

(٢) في شرح الأمبر للنفثي ١ : ٧٣ نقلاً عن هذا الموضع من الخزائن :
« ضلالاً فؤادياً » .

(٣) التكلفة من الأغاني . وفيها : « وكانت لها بنت عم من ولد قيس ، يقال
لها كثيرة أم سلهمة » . وانظر أمالي الزجاجي ٥٧ .

* على وجه مَيّ مسحة من ملاحه *

الآبيات . فكان ذو الرمة إذا دُكر ذلك له يتمّض منه ^(١) ويحلف أنه ما قاله قط .

* * *

وأشدّ بعده وهو الشاهد التاسع :

٩ (إذا اجتمعوا على ألفٍ وواو وياء هاج بينهم جدالُ)
على أن أسماء حروف المعجم تعرب إذا ركبت وإن كان بناؤها أصلياً .
قيل : حيث كانت معربة لأجل التركيب علم أنها قبل التركيب غير معربة ،
وهذا حكم جميع الأسماء ، سواء قلنا إنها قبل التركيب موقوفة أم مبنية ، فما
الفرق بينها وبين سائر الأسماء ؟

أقول : الفرق أن أسماء حروف المعجم إنما وضعت لسردها مفردة
للتعليم ، لا لأن تكون مركبة مع عامل ، فالتركيب فيها عارض بخلاف سائر
الأسماء فإنها إنما وضعت للتركيب ، وسردها منشورة أمرٌ عارض . ثم رأيت
الشارح المحقق قد ذكر ما قلته في مواضع آخر من شرحه ^(٢) فقال : إن أسماء
حروف المعجم لم توضع إلا لتستعمل مفردات ، لتعليم الصبيان ومن يجري
مجراهم ، موقوفاً عليهم . فإذا استعملت مركبة مع عاملها فقد خرجت عن حالها
الموضوعة لها .

وهذا مذهب ابن جني في سر الصناعة حيث قال : « اعلم أن هذه الحروف
مادامت حروف هجاء فإنها سواكن الأواخر في الدّرج والوقف ، لأنها
أصوات بمنزلة صه ومه ، فإن وقعت موقع الأسماء أعربت » .

(١) في الأغاني : « يتمّض منه » .

(٢) انظر الرضي على الكافية : ٢ : ١٣٢ . ومنه نقل البغدادي النص الذي سياتي

وأراد الشارح بإعرابها عند التركيب وجوب إعرابها كما نص عليه في موضع آخر فقال : « إذا أردت إعراب أسماء حروف المعجم الكائنة على حرفين ضعفت الألف وقلبها همزة . ولا تجوز الحكاية في أسماء حروف المعجم مع التركيب مع عاملها » .

وأغرب السيوطي في جمع الجوامع وشرحه فقال : « وأسماء الحروف ألف با تا نا إلى آخرها وقف ، إلا مع عامل فالأجود حينئذ فيها الإعراب ومد المقصور منها ، ويجوز فيها الحكاية كهيئتها بلا عامل ، ويجوز ترك المد بأن يعرب مقصوراً منوناً . كما إذا تعاطفت فإن الأجود فيها الإعراب والمد وإن لم يكن عامل » . انتهى . فجوز مع العامل الحكاية والقصر ، كما إذا لم تكن مع عامل ؛ وجوز أيضاً إعرابها مع القصر ، وجوز في النعاطف مع عدم العامل الإعراب والمد .

وأما الأول فصرّح بمنعه ابن جنى والشارح .

وأما الثاني فنعه ابن جنى أيضاً فقال : فأما ما كان من نحو با تا فانك متى أعربته لزمك أن تمدّه ؛ وذلك أنه على حرفين ، الثاني منهما حرف لين ، والتنوين يدرك الكلمة فتحذف الألف لالتقاء الساكنين ، فيلزمك أن تقول بن وتن يافئى ، فيبقى الاسم على حرف واحد ، فإن ابتدأته وجب أن يكون متحرّكاً ، وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكناً ، وهذا ظاهر الاستحالة . فأما ما روى « شربتُ ماءً » يريد ماء ، فحكاية شاذة لا نظير لها ، ولا يسوغ قياس غيرها عليها ، وإذا كان الأمر كذلك زدت على ألف با تا ألفاً أخرى ، كما رأيت العرب فعلت حين أهربت لَوْا فقالوا :
* إن لَوْا وإنّ لَيْتاً عناء^(١) *

(١) هو الشاهد ٧٣٥ . ومثله في الأغاني ١٩ : ١٥٨ :
عنفت لَوْا تكررهما إن لَوْا ذاك أعباءنا

وأما قول الشاعر :

بخط لام ألفٍ موصل والزاي والراء أيما تهليل

إنما أراد (والراء) ممدودة ، فلم يمكنه ذلك لتلا يكسر الوزن ، تخفف
المهزة من الراء ، وجاء بذلك على قراءة أبي عمرو وتحقيقه الأولى من الهمزتين
إذا التقتا من كلمتين وكانتا جميعاً متفتحتي الحركتين ، نحو : « فقد جاء أشراطها »
و « شاء أنشره » ، وكذلك كان أصل هذا « والزاي والراء أيما تهليل » ، فلما
اتفقت الحركتان حذف الأولى من الهمزتين .

وأما الثالث فلا وجه للإعراب والمد جميعاً مع عدم العامل .

وأظن أن السيوطي خلص كلامه من الارتشاف لأبي حيان ، وأصله من
المقصور والممدود لابن الأنباري ، وتبعه أبو علي القالي — في المقصور والممدود
له أيضاً — حرفاً بحرف — فقالا : وما كان من حروف الهجاء على حرفين
فالعرب تدمه وتقصره فيقولون : باء و تاء ، ومنهم من يقصر فيقول با و تاء ، ومنهم
من ينون فيقول باً و تاء . قال يزيد بن الحكم يذكر النحويين :

إذا اجتمعوا على ألفٍ وواو وياه ... (البيت)

والزاي فيها خمسة أوجه : من العرب من يمدّها فيقول زاه فأهلم ، ومنهم
من يقول زاي ، ومنهم من يقول هذه زاء ، فيقصرها ، ومنهم من ينون فيقول
زاً ، ومنهم من يقول زى فيشدّد . وأنشد الفراء :

بخط لام ألفٍ موصل والزاي والراء أيما تهليل

انتهى . فأنت تراهما كيف أطلقا ولم يفصلا ؛ وهو مخالف لكلام الناس

ومراد الشارح بالتركيب أن تقع مع عامل ، نحو أول الجيم جيم ، وأوسط
السین ياء ، وكتبت ياء حسنة . وكذلك المعطف فيقال : ما هجاء بكر ؟ فنقول .

باء وكاف وراء، وكييت الشاهد . فإن لم تعطف تبين ، فتقول باء ، كاف ، راء ،
يا إسكان الأواخر .

وبيت الشاهد ليزيد بن الحكم ، كما نسبه إليه الزَّجَّاج في أول تفسيره ، صاحب الشاهد
وابن الأنباري ، وأبو علي القالي . وروى الحريري في درة الفواص^(١) عن
الأصمعي أنه قال : أنشدني عيسى بن عمر بيتا هجا به النحويين ، يعني أنهم إذا
اجتمعوا للبحث عن إعلال حروف العلة نار بينهم جدال . والجدال : مصدر
جادل إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، وهذا أصله ، ثم
استعمل في لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها . وهو محمود إن
كان لوقوف على الحق ، وإلا فذموم ، يقال : إن أول من دوت الجدال
أبو علي الطبري . ويروى بدله « قتال » .

أما يزيد بن الحكم فهو يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري ،
الشاعر المشهور . ومن قال يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص فقد وهم ،
فإن عثمان جدّه أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم الطائف . حدث عن
عمه عثمان المذكور ، وروى عنه معاوية بن قرة وعبد الرحمن بن إسحاق .

حكى أن الفرزدق مرّ على يزيد هذا وهو يُنشد في المسجد ، فقال : من
هذا الذي ينشد شعرا كأنه شعرنا ؟ قالوا : يزيد بن الحكم . فقال : أشهد
بالله أن عمّي ولدته .

وأم يزيد : بكرة بنت الزُّبرقان بن بدر . وأما هُنيدة بنت صعصعة
ابن ناجية . وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر .

وروى الزجّاجي في أماليه الصغرى قال : ورد يزيد بن الحكم الثقفي من

(١) درة الفواص ١٠٦ .

٥٥ الطائف على الحجاج بن يوسف بالعراق ، وكان شريعاً شاعراً ، فولاه الحجاج فارس ، فلما جاء لأخذ عهده قال له : يا يزيد أنشدنا من شعرك — يريد أن ينشده مديحاً له — فأنشده :

مَنْ يَك سائِلاً عَنِّي فَإِنِّي أَنَا ابْن الصَّيْدِ مِنْ سَلَفِي ثَقِيف
وَفِي وَسْطِ الْبَطَاحِ مَحَلٌّ بَيْتِي مَحَلُّ الْبَيْثِ مِنْ وَسْطِ الْغَرِيفِ
وَفِي كَعْبٍ وَمِنْ كَالْحَيِّ كَعْبِي حَلَّتْ ذُوَابَةُ الْجَبَلِ الْمَنِيفِ
حَوَيْتُ فَخَارَهَا غَوْرًا وَنَجَدًا وَذَلِكَ مَنْتَهَى شَرَفِ الشَّرِيفِ
نَمَائِي كُلُّ أُمَيْدٍ لَا ضَعِيفٍ بِحَمْلِ الْمَعْضَلَاتِ وَلَا عَنِيفِ

فوجم الحجاج وأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله ، أحمد وأشكره إذ لم يأت علينا زمان إلا وفينا أشعر العرب ! ثم قال : أنشدنا يا يزيد . فأنشأ يقول :

وَأَبِي الَّذِي فَتَحَ الْبِلَادَ بَسِيفِهِ فَأَذَلَّهَا لِبْنِي الزَّمَانَ الْغَابِرِ
وَأَبِي الَّذِي سَلَبَ ابْنَ كَسْرَى رَايَةً فِي الْمُلْكِ تَحْفَقُ كَالْعُقَابِ الْكَاسِرِ
وَإِذَا فُخِرْتُ فُخِرْتُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فُخْرًا أَدْقُ بِهِ فُخَارُ الْفَاخِرِ

فقام الحجاج مغضباً ، ودخل القصر وانصرف يزيد - والعهد في يده - فقال الحجاج لخادمه : اتبعه وقل له اردد علينا عهدنا ، فإذا أخذته قتل له : هل ورتك أبوك مثل هذا العهد ؟ ! ففعل الخادم وأبلغه الرسالة . فردَّ عليه العهد فقال : قل للحجاج : أوردني أبي بحده وفعاله ، وأورثك أبوك أعزاً ترعاها . ثم سار تحت الليل ، فلحق بسليمان وهو ولي عهد الوليد ، فضمَّه إليه وجعله في خاصته . ومدحه بقصائد ، فقال له سليمان : كم كان أجرى لك في عمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : هي لك على ما دمت حياً .

ومما مدحه به هذه القصيدة ، ومطلعها :

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْبُودَا إِذَا أَقُولُ مَحَا يَتَنَادُهُ عِيدَا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غَزْلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لَنَا شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدَا
أَجْرِي عَلَى مَوْعِدِ مِنْهَا فَتُخْلَفُنِي فَلَا أُمَلِّ وَلَا تَوَفِّي الْمَوَاعِيدَا
كَأَنِّي يَوْمَ أَمْسَى لَا تَكَلَّمُنِي ذُو بَغْيَةٍ يَشْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
ومنها :

سُمِّيتُ بِاسْمِ امْرِءٍ أَشْبَهَتْ شَيْمَتَهُ فَصَلًّا وَعَدْلًا سَلْجَانِ بْنِ دَاوُدَا
أَحْمَدُ بِهِ فِي الْوَرَى الْمَاضِينَ مِنْ مَلِكٍ وَأَنْتِ أَصْبَحْتَ فِي الْبَاقِينَ مُحَمَّدَا
لَا يَبْرَأُ النَّاسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا مَلِكَا أَوْلَاهُمْ فِي الْأُمُورِ الْحِلْمُ وَالْجُودَا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة ، وذلك خطأ^(١) .

وفي الأغاني بسنده إلى ابن عائشة قال : دخل يزيد بن الحكم على يزيد
ابن المهلب في سجن الحجاج - وهو يُمَذَّبُ - وقد حل عليه نجم كان قد^٢
عليه ، وكانت نجومه في كل أسبوع سنة عشر ألف درهم ، فقال له :

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّهَابُ وَالْجُودُ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسْبُ
لَا بَطْرُ^٣ إِنْ تَتَابَعْتَ نَعَمْ وَصَابِرُ^٤ فِي الْبَلَاءِ مُحْتَسِبُ
بَرَزْتَ سَبْقَ الْجِيَادِ فِي مَهْلٍ وَقَصَّرْتَ^٥ دُونَ سَعْيِكَ الْعَرَبُ

قال : فالتفت يزيد إلى مولى له ، وقال : أعطه نجم هذا الأسبوع ، ونصبر
على العذاب إلى السبت الآخر^(٦) .

(١) الأغاني ١١ : ٩٧ .

(٢) بسنده في الأغاني ١١ : ٩٨ : « وقد رويت هذه الأبيات والقصة لخرقة بن بيهض

مع يزيد ٥ .

وليزيد بن الحكم عدة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربّه بن الحكم ،
وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومما قال في ابن عمه (١) :

ومولّى كذّاب السوء لو يستطيعني أصاب دمي يوماً بغير فتيل
وأعرض عما ساءه ، وكأنا يُقاد إلى ما ساءني بدليل
بجملة مني وإكرام خيريه بلا حسن منه ولا بجميل
ولوشئتُ - لولا الحلم - جذعت أنفه بإعاب جدد بادي وعليل
حفاظاً على أحلام قوم رزئتهم رزان يزينون الندى كحول
وقال في أخيه عبد ربّه :

أخي يسرّ لي الشّحاء يضرها حتّى وري جوفه من غره الذّاء
حرّان ذو عُصّة ، جرّعت غصّته وقد تعرّض دون الغصّة الماء
حتّى إذا ما أساغ الريق أنزلني منه كما يُنزل الأعداء أعداء
أسى فيكفر سعي ما سميت له إني كذاك من الإخوان لقاء
وكم يد يد لي عنده ويد يُمدّهن ترات وهي آلاء
و (الغريف) بفتح الغين المعجمة هو الأجمة والغابة .

وأما عيسى بن عمر فهو عيسى بن عمر النقي ، مولى خالد بن الوليد . أخذ
عن أبي عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبي إسحاق . وروى عن الحسن البصري
والمعراج ، ورؤبة ، وجاعة - وعنه أخذ الأصمّي وغيره - وكان يتقرّ في كلامه ،
حكى عنه الجوهري في الصحاح ، أنه سقط عن حمار ، فاجتمع عليه الناس
فقال : مالي أراكم تسكأ كأنم على تسكأ كؤم على ذى جنة ؟ افرقعوا
عني (٢) . وأتهمه عمر بن هبيرة بدبابة ، فضربه نحو ألف سوط . فجعل يقول :

ترجة عيسى
ابن عمر

(١) الأغاني ١١ : ١٠٠ .

(٢) التّكأ كؤ : التّجمع . والجنة : الجنون . والافرئع : التفرق .

والله إن كانت إلا أثياباً في أسفاط قبضها عشاروك ! مات سنة تسع وأربعين ،
وقيل سنة خمسين ومائة^(١) ، كذا في معجم النحويين للسيوطي .

والبيت الذي مثل به ابن جني ووعدنا بشرحه هو من أبيات رواها
أبو زيد في نوادره^(٢) قال : إنها لراجز يصف بها جندبا ، وهي :

بججل فيها مقلزُ الحجلول بغيّاً على شقيّه كالمشكول^(٣)
بخط لام ألف موصول والزاى والرا أيّما نهليل
خط يد المستغرق المشول

أبيات الشاهد

(الجندب) بفتح الدال وضما : ضرب من الجراد ؛ وقال أبو الحسن
الأخفش في شرح نوادر أبي زيد : قال أبو العباس ثعلب إنه عن غراباً بججل .
قال في العباب : الحجلان : مشية المقيد ، يقال حجل الطائر بججل بضم الجيم
وكسرها ، إذا نزا في مشيه ؛ والحجلول بفتح المهملة وضم الجيم صفة الجندب
أو الغراب . وضمير فيها للأرض . و (المقلز) بكسر الميم وفتح اللام ، أراد
به رجل الجندب أو الغراب لأنه اسم آلة من قلز الغراب والعصفور في مشيهما ،
وكل من لا يمشى مشياً فهو يقلز بضم اللام وكسرها قلزاً بسكون اللام . ورواه
أبو حاتم بفتح الميم وكسر اللام ، فيكون مصدراً ميباً . وزعم الأخفش
في شرح النوادر أنه مقلوب مقل من القزل بفتح الحين وهو أسوأ العرج . وقد
قزل^(٤) بالكسر فهو أقزل ، والقزلان : العرجان ، وقد قزل بالفتح فرلاناً : إذا مشى
مشية العرجان . ولا حاجة إلى ادعاء القلب ، لأن مادة (قلز) نابتة مذكورة

٥٧

(١) هذا يصحح ما في بقية الرواة ٢٧٠ : « وقيل سنة خمس ومائة » .

(٢) نوادر أبي زيد ١٦٧ .

(٣) ط : « كالمشلول » ، صوابه سه والنوادر ومما سيأتى من تفسير .

(٤) ط : « قزله » في هذا الموضع وفي « مقلوبة من قزل » التالية ، صوابهما من سه .

في العباب والقاموس ، ولم يقل أحد إنها مقلوبة من قزل . ثم قال الأخفش : « روى لي ثعلب : مقلز الحجول بكسر الميم ، ولا وجه له عند أهل العربية ، لأنَّ المقلز هو الحجول ، ولا يضاف الشيء إلى نفسه : والرفع في الحجول أجود وإن كان الشعر يصير مُقَوَّى . وقد روى بالرفع . وفيه مع هذا عيب ، وهو أنه حذف التنوين من مقلز لسكونها وسكون اللام . وحذف التنوين هو الذي شجع من رواه مخفوضاً ولم يتأمل المعنى ، والإقواء أصلح من الإحالة . انتهى .

أقول : هذا تطويل بلا طائل ، يعلم فساده مما قدمناه . على أن المقلز لم يقل أحد إنه بمعنى الحجول . و (البني) هنا : الاختيال والمرح . و (المشكول) : الذي في رجله شكال ، يقال : شكلته شكلاً من باب قتل : قيدته بالشكال ، وشكلت الكتاب شكلاً : أعلته بعلامات الإعراب . وقوله (بخط) الباء متعلقة ببجول ، ويجوز أن يكون بمثابة تحتية مضارع خطأ ، فيكون ضميره المستر للمقلز و (لام ألف) مفعوله . و (موصول) وصف اللام ، والصلة محذوفة أي موصول بها أي بالألف . و (الزاي والراء) منصوبان بالعطف على محل لام ألف . وقوله : (أيما تهليل) منصوب بفعل محذوف ، وما زائدة ، أي هلل تهليلاً أي تهليل ، وهو مصدر هلل ، بمعنى نكس وجبن وفرّ و (خطأ) منصوب على المصدر التشبيهي ، أي بخط لام ألف كخط يد الكاهن المستول منه التكهّن . و (المستطرق) : الكاهن الذي يطرق الحصى بمضه ببعض ، والطرق : ضرب الكاهن الحصى ، وقد استطرقت أنا ، روى بكسر الراء وفتحها

وقد أورد هذه الأبيات ابن الأعرابي أيضاً في نوادره . قال أنشدنيها المفضل وذكر داراً خلّت من أهلها فصار فيها الغريان والظباء والوحش . ثم قال : المستطرق : الذي يتكهن ، فإذا نثّل عن الشيء خطّ في التراب ونظر . وحكى عن أعرابي قال : عجلت جارية شابة فإذا قلزة كأنها آتان وحش .

قال : القُلْزَة : الشديدة ، والقُلْز : النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد . وقال أبو المنهال : هو القُلْز ولم يعرف القُلْز : اهـ .

وروى (الحجول) بضمتين على أنه مصدر . وروى (نعبا) بدل بغيا ، بفتح النون وسكون العين المهملة بعدها موحدة ، وهو صوت الغراب . وروى (تفصيل) بدل تهليل .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد العاشر وهو من شواهد سيبويه^(١) :

١٠ (أَحْضَرَ الْوُغَى)

وهو قطعة من بيت وهو :

(أَلَا أَيُّهَا اللَّأْمَى أَحْضَرَ الْوُغَى وَأَنْ أَشْهَدَ الْذَاتَ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدَى)

على أن نصب (أن) المقدرة في مثل هذا ضعيف . وقال في باب نواصب الفعل : نصبها في مثله شاذ ، والكوفيون يجوزون النصب في مثله قياساً . ٥٨

أقول : ذهب الكوفيون إلى أنها تعمل محذوفة في غير المواضع المعدودة . واستدلوا بهذا البيت فقالوا : الدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله : (وَأَنْ أَشْهَدَ) فدل على أنها تنصب مع الحذف . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذف ارتفع الفعل ؛ ومنه عند سيبويه قوله تعالى : « قُلْ أَفَغِيرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ^(٢) » . وقالوا : رواية البيت عندنا إنما هي بالرفع ، فقال سيبويه أصله (أَنْ أَحْضَرَ) فلما حذف

(١) سيبويه (١ : ٤٥٢)

(٢) الآية ٦٤ من سورة الزمر . وقرأ الحسن : « أَعْبُدُ » بالنصب أيضاً ، كما في

الأشعري ٣ : ٣١٥ .

(أَنْ) ارتفع ؛ و (أَنْ أَحْضَر) مجرور بنى مقدرة و (أَنْ أَشْهَد) معطوف عليه .
وقال المبرّد : جملة أَحْضَرُ حال من الياء . و (أَنْ أَشْهَد) معطوف على المعنى ،
لأنه لما قال أَحْضَرُ دل على الحضور كما تقول : من كذب كان شرّاً له ، أى كان
الكذب . كذا نقلوا عنه ؛ ولئن صحت رواية النصب فهو محمول على أنه توهم
أنه أتى بأن ، فنصب ، كقوله :

بدالى أنى لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً^(١)

بجر (سابق) على توهم أنه قال : لست بمدرك ما مضى . وهذا لا يجوز
القياس عليه .

وروى (ألا أيّ هذا الزاجرى) ، وروى أيضاً (ألا أيّها اللاحي) بتشديد
الياء . و (الوغى) : الحرب ، وأصله الأصوات التى تكون فيها ، وقال ابن جنى :
الوغى بالمهملّة : الصوت ، وبالمعجمة : الحرب نفسها . و (الشهود) : الحضور ،
يقال : شهدت المجلس بمعنى حضرته . و (أخلده) : أبقاه .

ومعنى البيت : يَأْمَنُ يَوْمُنِي فى حضور الحرب لثلاث أقتل ، وفى أن أنفق
مالى لثلاث أفقر ، ما أنت مخلدى إن قبلت منك ، فدعنى أنفق مالى فى الفتوة
ولا أخلّفه لغيرى .

صاحب الشعر وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد ، وهى إحدى المعلقات السبع .
وتذكر ترجمته وأخباره فى موضع آخر إن شاء الله تعالى^(٢) . وبعد هذا البيت :
(فإن كنت لا تستطيع دفع منبى فذرني أبادرها بما ملكت يدي)

(١) زهير بن أبى سلى أو لغيره . وهو الشاهد ٧٠٤ .

(٢) فى الشاهد ١٥٢ .

يقول : إن كنت لا تقدرُ أن تدفع موتى فترنى أسبق الموت بالتمتع بإتفاق
مالى . يريد أن الموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر :

١١ (أدنو فأنظورُ)

وهو قطعة من بيت ثان^(١) أشدهما الفراء ، وهما :

(الله يعلمُ أننا فى تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صورُ
وأنتى حوثماً يبنى الهوى بصرى من حوثماً سلكوا أدنو فأنظورُ)
على أن الواو حاصلة من إشباع الضمة ، وأصله أنظر . ويرى (إلى إخواننا)
بدل أحبابنا . و (الصور) بصاد مهملة : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق
من صور^(٢) يصورُ صوراً بالتحريك : مال . وأصاره فأنصار : أماله قال .
ويجوز أن يكون جمع (صورة) ، أى إذا تلفتْنَا إلى الأحباب عند رحيلهم
فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح . و (أنتى) بفتح الهمزة .
و (حوث) ظرف مكان ، لغة فى حيث ، بثلاثى التاء فيهما ؛ وهو خبر أن .
و (ما) زائدة . و (ثناه) : أماله . و (الهوى) : العشق ، وهو فاعل ،
و (بصرى) مفعوله . أى أنا فى الجهة التى يُبيل الهوى بصرى إليها . وقوله :
(من حوثماً) روى فى الموضعين (حيثما^(٣)) متعلق بأدنو وبأنظر ، أى أدنو
فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وروى ابن جنى فى سر الصناعة ،

(١) ش مع أثر لإصلاح : « من ثان بيتين » .

(٢) فى الأصل : « صار » .

(٣) وهى رواية الصاحبى ص ٢١ . وروى فى اللسان (شرى) :
وأنتى حوثماً بشرى الهوى بصرى من حيثما سلكوا أنتى فأنظور

وفي الخصائص ، وفي المبهج : (يسرى) بدل يثنى ، وزاد في المحتسب فقال :
هكذا روى أبو علي يسرى من سرية ، ورواه ابن الأعرابي (يسرى)
بالشين معجمة أى يعلق ويحرك الهوى بصرى ؛ وما أحسن هذه الرواية
وأظرفها ! انتهى .

أما الأول فهو مضارع سريت الثوب عنى سرياً ، لغة في سروته عنى
سرواً بمعنى ألقيته . وأما الثانى فهو مضارع أشريته ، متمدى شرى البرق
شرى من باب فرح ، إذا كثر لمعانه ، وشرى زمام الناقة إذا كثر اضطرابه ،
وشرى الرجل واستشرى إذا لج فى الأمر . وقوله : (أدنو فأنظور) روى ابن جنى
موضعه (أثنى فأنظور) ، أى أثنى عنق فأنظر نحوهم ، من ثناء بمعنى لواء .
قال أبو على ، وتبعه ابن جنى : لو سميت رجلاً بأنظر لمنمته الصرف لتعريف
ووزن الفعل ، ولو سميته بأنظور من قول الشاعر « أدنو فأنظور » لصرفته
لزوال لفظ الفعل ، وإن كنا نعلم أن الواو إنما تولدت من إشباع ضمة الغاء
وأن المراد عند الجميع : أنظر .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر :

١٢ (ينباعُ من ذفرى غَضُوبِ جِسْرَةٍ)

تمامه : (زِيَّافَةٌ مثل الفَنِيْقِ المُكْدَمِ)

على أن الألف تولدت من إشباع الفتحة ، والأصل ينبع ، كذا قال جماعة ؛
وقال ابن الأعرابي : ينباع ينفع ، من باع يبيع إذا مرّ مرّاً لبنا فيه تلوّاً ،
وأنكر أن يكون الأصل فيه ينبع ، وقال : (ينبع) يخرج كما ينبع الماء
من الأرض ، ولم يرد هذا ، إنما أراد السيلان وتلوّيه على رقبته . وفي العباب :

وانباع العرق سال، وأنشد هذا البيت؛ وقال: ويروى (ينبع)، وقيل ينبع فتولت الألف من إشباع الفتحة، ويروى (ينهم) أى ينبوب، يقال همه المرض إذا أذابه، وانهم الشحم والبرد: ذابا. وإنكار ابن الأعرابي رواية ينبع مردود برواية الثقات؛ وقوله: ليس المراد ينبع الخ، مردود أيضاً، فإن (الدفري) هو الموضع الذى يبرق من الإبل خلف الأذن. وفاعل ينباع ضمير عائد على الرب أو الكحيل فى البيت السابق، وجملة ينباع خبر كأن، وهو: (وكانَ ربًّا أو كحيلًا مُعقداً حشَّ الوقودُ به جوانبُ قُقم)

(الرب) بضم المهملة معروف، وهو شبيه الدبس و(الكحيل) بضم الكاف وفتح الحاء المهملة: القطران؛ شبه عرق الناقة بهما. وقال الخطيب التبريزي: وقيل (الكحيل) ههنا ههنا به الإبل من الجرب، شبه بالنفط، يقال له الخضخاض. وقال أبو جعفر النحوى: هو ردىء القطران، يضرب إلى الحمرة ثم يسود إذا عقد. وفى العباب: (الكحيل) مصدر: الذى يطلى به الإبل للجرب وهو النفط، قاله الأصمى. قال: والقطران إما يطلى به للدبر والقُرَاد وشبه ذلك؛ وأنشد هذا البيت. و (معقد): اسم مفعول من أعقد، وهو الذى أوقد تحته النار حتى انعقد وغلظ. قال فى الصحاح: «وعقد الرب وغيره أى غلظ، فهو عقيد، أعقدته أنا وعقدته تعقيداً. قال الكسائى: يقال للقطران والرب ونحوه أعقدته حتى تعقد»، وهو وصف الثانى لا الأول فإن ٦٠ الرب يكون معقداً. و (حش) بالحاء المهملة، يقال: حششت النار إذا أوقدتها. (والوقود) بفتح الواو: الحطب، و (الوقود) بالضم المصدر؛ وهو فاعل حش. و (جوانب) مفعوله؛ ويجوز أن يكون حش بمعنى احتش أى اتقد، كما يقال: هذا لا يخلطه شيء بمعنى لا يختلط به؛ فيكون (جوانب) منصوباً على الظرف، كذا فى شرح أبى جعفر النحوى. و (الققم) كهدهد: الجرة

وآنية معروفة^(١). قال القاضي أبو الحسين الزوزنى فى شرحه : « شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل فى قفم أو قدت عليه النار ، فهو يترشح به عند الغليان ، وعرق الإبل شبهه بهما وشبه رأسها بالقفم فى الصلابة . وتقدير البيت : وكأن ربا أو كجيلا حشّ الوقود بإغلائه فى جوانب قفم ، عرقها الذى يترشح منها » ا هـ . و (الذفرى) بكسر التال المعجمة وسكون الفاء ، من القفا : الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن ، يقال هذه ذفرى أسيلة ، لاتنوّن لأن ألفها للتأنيث ، وبعضهم ينون ويجعل ألفها للإلحاق ، وهى مأخوذة من ذفر العرق ؛ لأنها أول ما يعرق من الإبل الذفريان ، وأول ما يبدو فيه السمن لسانه وكرشه ، وآخر ما يبقى فيه السمن عينه وسلاماه وعظام أخفافه . (والغضوب) بالعين والضاد المعجمتين قالوا : هى الناقة المبوس ، والمراد الناقة الصعبة الشديدة المراس ، قال الخطيب فى شرحه تبعاً لأبى جعفر : « الغضوب والغضبي واحد ، وغضوب للتكثير كما يقال ظلوم وغشوم » ؛ وروى شارح شواهد التفسيرين : (من ذفرى أسيل) ، قال : والأسيل من كل شئ : المسترسل الطويل السهل . وهذه الرواية غير صحيحة ، لأنه إن كان بإضافة ذفرى إليه فكان يجب أن يقول أسيلة لأن كلامه فى الناقة بدليل ما بعده ، وإن كان الأسيل وصفاً للذفرى — وإن صح بتقدير ألفها للإلحاق — لكن تبقى الذفرى غير مقيدة . و (الجسرة) بفتح الجيم وسكون السين المهملة قال فى الصحاح : الجسر العظيم من الإبل ، والأثنى جسرة . وفى الشروح : (الجسرة) الماضية فى سيرها ، ومنه جسر فلان على كذا ، وقيل هى الضخمة

(١) وكذا فى الناموس ، ومثله فى المصباح : « والقفم : آنية العطار . والقفم أيضاً : آنية من نحاس يسخن فيه الماء ، ويسمى اللحم كقضم ، وأهل الشام يقولون غلاية » . وقد رأيت اشتراكهما فى تفسير القفم وهو مفرد بانه آنية ، والآنية جمع إناء . فى هجاءتها نجوز .

القوية . وروى بطله (حرة) والحر : الجيد الأصل ، والخالص من كل شيء .
و (الزَيَافَة) بفتح الزاى المعجمة وتشديد المشاة التحتية والفاء ، مبالغة زائف ،
وهو من زاف يزيف زيفاً وزيفاناً إذا تبختر في مشيته ، كذا في العباب . وقال
الخطيب : هي المسرعة . و (الفنيق) بفتح الفاء وكسر النون : الفعل .
(المَكْدَم) : الذى لا يؤذى ولا يركب لكرامته على أهله ، والمكدم بضم
الميم وسكون الكاف اسم مفعول ، قياسه أن يكون من أ كدمه ، لكنهم ^(١)
لم ينقلوا إلا كدمه ثلاثياً من الباب الأول والثاني ^(٢) ، قالوا الكدم : العض
بأدنى الفم كما يكدم الحمار . والمكدم بالتشديد : المعضض . وروى موضعه
(المقرم) على وزنه ، وهو : البعير الذى لا يُحمل عليه ولا يذلل ، وإنما هو
للفحلة بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة . قال الزوزنى : ينبع هذا
المرق من خلف أذن ناقة غضوب موثقة الخلق ، شديدة التبختر في سيرها ،
مثل فحل من الإبل قد كدتمته الفحول ، شبهها بالفحل في تبخترها ووثاقة
خلقها وضخمها .

وهذان البيتان من معلقه عنتره ، وهى من أجود شعره . وكانت العرب صاحب الشاهد
تسميها المنهبة ^(٣) بصيغة اسم المفعول من الإذهاب أو التذهيب ، وهما بمعنى
التَمْويه والتَّطْلِيَة بالذهب .

ومعنى المعلقة : أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر

(١) في النسختين : « لكونهم » والوجه ما أثبت .

(٢) يعنى بابى نصر وضرب .

(٣) وهذا غير الاصطلاح الذى جرى عليه أبو زيد القرشى في تقسيم كتابه
« جهرة أشعار العرب » إذ جعل المذهبات لسبعة من الشعراء وم عبدالله بن رواحة ،
وماك بن عجلان ، وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وأبو قيس بن الأسلت ،
وعمر بن امرئ القيس .

في أقصى الأرض فلا يُعبأ به ولا يُنشده أحدٌ، حتى يأتى مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش، فإن استحسنوه روى وكان خيراً لقائله وعلقى على ركن من أركان الكعبة حتى يُنظر إليه، وإن لم يستحسنوه طُرح ولم يُعبأ به. وأول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس، وبعده علق الشراء. وعدد من علق شعره سبعة، ثانيهم طرفة بن العبد، ثالثهم زهير بن أبي سلمى، رابعهم لبيد بن ربيعة، خامسهم عنتر، سادسهم الحارث بن حلزة، سابعهم عمرو بن كلثوم التغلبي، هذا هو المشهور.

وفي العمدة لابن رشيق^(١): « وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب: إن أبا عبيدة^(٢) قال: أصحاب السبع التي تسمى السموط^(٣) امرؤ القيس وزهير والنايفة والأعشى وليبد وعمرو وطرفة، قال: وقال الفضل: من زعم أن في السبع التي تسمى السموط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل. فأسقط من أصحاب المعلقات عنتر والحارث بن حلزة، وأثبت الأعشى والنايفة. وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر، فكتبت في القباطي^(٤) بماء الذهب، وعلقت على الكعبة، فلذلك يقال: مذهب فلان إذا كانت أجود شعره، ذكر ذلك غير واحد من العلماء. وقيل: بل كان الملك إذا استعجبت قصيدة يقول: علقوا لنا هذه، لتكون

(١) العمدة ١: ٦٠ - ٦١.

(٢) كذا خط ابن رشيق بين قول أبي عبيدة والفضل، ولم يطابق ما في نص جمهرة أشعار العرب ص ٣٤ - ٣٥. وتبعه البغدادى دون رجوع إلى أصل الجمهرة.

(٣) في ط وأصل ٧. «السموط»، وأثبت ما في الجمهرة، وبذلك صححت أيضاً ص ٧.

(٤) القباطى: جمع قبطية بضم القاف على غير قياس النسب، وبكرها على القياس، وهى شرب من الثياب ينسب إلى القبط أهل مصر.

في خزانته^(١) .

ونذكر إن شاء الله خبر كل واحد من أصحاب القصائد ، وأنسابهم ،
والسبب الذي دعاهم إلى قول تلك القصائد ، عندما يأتي شعر كل منهم .
وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة .
وروى أن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار
فسيئها المعلقات .

والسبب الذي حمل عنبرة على نظم هذه القصيدة : أنه كان لا يقول
من الشعر إلا البيتين والثلاثة ، حتى ساء به رجل من قومه فمابه بسواده وسواد
أمه ، وأنه لا يقول الشعر ، فأجابه عنبرة أبلغ جواب - نقله ابن قتيبة
في طبقات الشعراء^(٢) - وقال : أما الشعر فستعلم ! فقال هذه القصيدة .
ويستحسن منها قوله في وصف روضة :

(وخلا البابُ بها فليس ببارحٍ غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحكّ ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجنم)

(البراح) : الزوال . و (الفرد) وصف من غرد ، من باب فرح ،
إذا تغنى . يقول : خلا الباب بهذه الروضة فلا زال يرجع صوته بالفناء كشارب
الحر . و (الهزج) : تراكب الصوت . ومعنى يحكّ ذراعه مراعه يُمرّ
إحداها على الأخرى . و (الأجنم) بالمعجمتين : صفة المكب ، وهو المقطوع
اليد ، شبه الباب إذا سنّ إحدى ذراعيه بالأخرى بأجنم يقده نارا بذراعيه ،
وهذا من عجيب التشبيه ، يقال : إنّه لم يقل أحد في معناه مثله ؛ وقد عدّه

(١) إلى هنا ينتهي نقل البغدادي عن العمدة .

(٢) الشعر والشعراء ٢٠٥ - ٢٠٦ . وقد أغفله البغدادي هنا لطوله .

٦٢ أرباب الأدب من التشبيهات المقيم ؛ وهى التى لم يسبق إليها ولا يقدر أحد عليها ، مشتق من الريح المقيم ، وهى التى لا تُلقح شجرة ولا تنتج ثمرة ، وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب ، وزاده اللطم فقال :

فعلُ الأديب إذا خلا بهوميه فعلُ الذباب بزَنَ عند فراغه^(١)
فتراه يفرك راحتيه ندامةً منه ويتبعها بلطم دماغه

نرجة عنزة وعنزة هو عنزة العبسى بن شداد بن عمرو بن قراد ؛ قال السكبي : شداد جدّه غلب على اسم أبيه ، وإنما هو عنزة بن عمرو بن شداد . وقال غيره : شداد عمه ، تكفله بعد موت أبيه فنسب إليه . ويقال : إن أباه ادّعاه بعد الكبر . وذلك أنه كان لامة سوداء يقال لها زبيبة ، وكانت العرب فى الجاهلية إذا كان لأحدهم ولد من أمة استعبده . وكان لعنزة إخوة — من أمه — عبيدٌ . وكان سبب ادّعاء أبى عنزة إياه : أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم ، وفيهم عنزة ، فقال له أبوه : كرت يا عنزة . فقال : العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر . قال : كرت وأنت حر . فقاتلهم واستنقذ ما فى أيدي القوم من الغنيمة ؛ فادّعاء أبوه بعد ذلك .

وهو أحد أغربة العرب وهم ثلاثة . والثانى خُفّاف كغراب واسم أمه ندبة كتمرة ، والثالث الشليك بالنصغير واسم أمه السلكة بضم ففتح ، وأمّهات الثلاثة سود .

وكان عنزة أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان شهيد حرب داحس والغبراء ، وحدث مشاهدته فيها ، وقتل فيها ضمضاً المربى :

(١) كذا فى النسختين . و « بزَنَ » الوجه فيها يزَن ، من الزين أو الإرنان وهو الصوت . على أن الشرير يبدو أنه لولد . وقد وردت « زَن » بأزاي المعجمة فى المستطرف للأبشي ١ : ٣٥ فى الأمثال العامة « زنبور زن على حجر مسن » .

أبا الحصين بن ضمضم ، وأبا أخيه هرم ؛ ولذلك قال في هذه القصيدة :
 (ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تدُرْ للحرب دائرة على ابني ضمضم
 الشامي عِرضي ولم أستمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمي
 إن يفعلوا فلقد تركتُ أباهما جزر السباع وكلُّ نسر قشَم)
 وهذا آخر المعلقة .

قال أبو عبيدة : إن عنتره ، بعد ما أوت عبس إلى غطفان بعد يوم جبلة
 وحلّ الدماء احتاج ؛ وكان صاحب غارات ، فكبر وعجز عنها ، وكان له يد
 على رجل من غطفان ، فخرج يتجازه فمات في الطريق .

ونقل عن أبي عبيدة أيضاً : أن طيئاً تدعى قتل عنتره ، ويزعمون أن الذي
 قتله الأسد الرهيص ^(١) وهو القاتل :

أنا الأسد الرهيص قتلت عمرا وعنتره الفوارس قد قتلت
 والله أعلم . والعنتر ^(٢) في اللغة : الدباب الأزرق ، الواحد عنتره ؛ قال سيبويه :
 نونه ليست بزائده .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر :

١٣ (في كِلتَ رجلٍها سلامي زائده كِلتناها قد قرنت بواحدة ^(٣))
 على أن (كِلت) أصلها كِلتا ، حذفت ألفها ضرورة ، وفتحة التاء دليل
 عليها ، رأيت في حاشية الصحاح : أن هذا البيت من رجز يصف به نعامه ،

(١) في الاشتقاق ٢٨٠ بتحقيقنا : « قتله طيئ » فيما تزعم العرب وعامة العلماء .
 وكان أبو عبيدة ينكر ذلك ويقول : مات بردا وكان قد أسن .

(٢) في النسختين : « المنتره » ، والوجه ما أثبت .

(٣) أنشده في الساز (كلا) .

فضمير (رجلها) عائد على النعامة . و (السلاى) على وزن حُبَارى : عظمٌ
 فى فِرْسِن البعير ، وعظامٌ صغار طولَ إصبع أو أقل فى اليد والرجل ، والجمع
 'سَلَامِيَات. والفِرْسَن بكسر أوله وثالثه ، هو للبعير بمنزلة الحافر للفرس. والضمير
 ٦٣ فى (كَلتاها) للرجلين . وقوله (فى كَلت) خبر مقدّم ، والكسرة مقدرة على
 الألف المحذوفة ، و(سلاى) مبتدأ مؤخر . و (زائدة) وصفه و (كَلتاها)
 مبتدأ ، وما بعده الخبر .

وهذا المصراع تأكيد للأول ، وفيه قلب : يجعل المجرور والمرفوع
 فى الأول مرفوعاً ومجروراً فى الثانى ، أى قرنت بواحدة من السلاميات .

وأورده الشارح - مرة ثانية ها - على أن الكوفيين زعموا أن كَلت مفرد
 كلنا ، لكن هذا المفرد لم يستعمل ويجوز استعماله للضرورة ، كما فى هذا البيت ؛
 أقول : (الكوفيون) ذهبوا إلى أن كَلّا وكلتا فيهما تنثية لفظية ومعنوية ،
 وأصلهما (كَلّ) فكسرت الكاف وخففت اللام وزيدت الألف للتنثية
 والتاء للتأنيث . وقد بين الشارح مذهبهم ؛ واستدلوا على أنها منثيان لفظاً
 ومعنى وأن ألفهما للتنثية ، بالسماع والقياس . أما السماع فنحو هذا البيت ،
 فأفرد كلت وهى بمعنى إحدى ، فدل عن أن كلتا تنثية . وأما القياس فقالوا :
 الدليل على أن ألفهما للتنثية ، أنها تنقلب إلى الياء فى النصب والجر إذا أضيفا
 إلى المضمّر ، ولو كانت ألف قصر لم تنقلب .

وذهب (البصريون) إلى أنها ليستا بأخوذتين من كلّ ، لأنّ كَلّا
 للإحاطة ، وهما لمعنى مخصوص ، ليس أحد القبيلين مأخوذاً من الآخر ، بل
 مادّتهما الكاف واللام والواو وهما مفردان لفظاً منثيان معنى ، والألف فى كَلّا
 كألف عصا وفى كلتا للتأنيث ، ويدلّ لما قالوا عود الضمير إليهما تارة مفرداً
 حملاً على اللفظ ، وتارة منثى حملاً على المعنى ، وقد اجتمعا فى قوله :

كلاهما حين جدّ الجرى بينهما قد أقلما وكلا أنفيهما رابى^(١)
ولو كانا مثنيين حقيقة للزّمهم أمران :

الأول : كان يجب عود الضمير إليهما مثنى ، مع أن الحمل على اللفظ
فيهما أكثر من الحمل على المعنى ؛ ونظيرهما كلّ ، فإنه يجوز عود الضمير
إليها مفرداً بالنسبة إلى لفظها ، نحو كل القوم ضربته ، وعوده جمعاً بالنسبة
إلى معناها نحو كل القوم ضربتهم ، لكن الحمل على المعنى فيه أكثر من الحمل
على اللفظ ، عكس كلا وكلنا .

الثاني : كان يتمتع نحو كلا أخويك ، لأنه يلزم إضافة الشيء إلى نفسه .
ويدل على أن ألفهما ألف مقصورة إمالتها : كما قرأ حمزة والكسائي وخلف ،
بإمالة قوله تعالى : « إِمَّا يَلُفُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا » ، وقوله
تعالى : « كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا » ، فلو كانت للتثنية لما جاز إمالتها .

وأجابوا عن الدليل الأول بأنه لاحجة في البيت فإن أصله كلتا ، حذفت
الألف ضرورة واكتفى عنها بفتحة التاء ، كما قال الشاعر :

* وَصَانِي الْعِجَاجِ فِيمَا وَصَّنَى^(٢) *

أراد وصّانى . وقال الآخر :

فَلَسْتُ بِمِدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي بِلَهْفٍ وَلَا بِلَيْتٍ وَلَا لَوَانِي

أراد بلهني ، فحذفت الألف منهما ضرورة ، ومثله كثير .

أقول : استدلالهم بهذا البيت على الأفراد يردّه معناه ، فإن المعنى على
التثنية ، بدليل تأكيده بالمصراع الثاني ، فتأمل .

(١) البيت للغرزدق في ديوانه ٣٤ ونواد رأى زيد ١٦٢ وشرح شواهد المعنى للسيوطي ١٨٨ .

(٢) لرؤبة في ملحقات ديوانه ١٨٧ .

وأجابوا عن الدليل الثاني بأنها إنما قلبت في حال الإضافة إلى المضمر

لوجهين :

٦٤

أحدهما : أنه لما كان فيهما إفراداً لفظي وتثنية معنوية ، وكانا تارة يضافان إلى المظهر وتارة إلى المضمر ، جعلوا لهما حفظاً من حالة الإفراد وحفظاً من حالة التثنية . وإتباعاً جعلوهما مع الإضافة إلى المظهر بمنزلة المفرد لأن المفرد هو الأصل ؛ وجعلوهما مع الإضافة إلى المضمر بمنزلة التثنية لأن المضمر فرع والتثنية فرع ، فكان الفرع أولى بالفرع .

والثاني : أنه إنما لم تقلب ألفهما مع المظهر لأتبعنا الإضافة وجر الأسم بعدهما ، فأشبهتا لدى ، وإلى ، وعلى . وكما أن هذه الثلاثة لا تقلب ألفها مع المظهر وتقلب مع المضمر ، كان كلا وكلتا كذلك . وبدل على صحة ذلك أن القلب فيهما يختص بحالة النصب والجر دون الرفع ، لأنّ لديك إتباعاً تستعمل في حالة النصب والجر ، دون الرفع ، فلهذا المعنى كان القلب مختصاً بهما دون حالة الرفع .

قال ابن الأنباري في كتاب الإنصاف^(١) : وهذا الوجه أوجه الوجهين ، وبه علل أكثر المتقدمين . قال : والدليل على أن الألف فيهما ليست للتثنية أنها لو كانت للتثنية لا تقلبت في حالة النصب والجر إذا أضيفتا إلى المظهر ، لأن الأصل هو المظهر والمضمر فرعه ، فلما لم تنقلب دل على أنها ألف مقصورة لا أنها للتثنية . والله أعلم .

هذا وقد قال أبو حيان في تذكرته : « هذا البيت من اضطراب الشعراء ، وكلت ليس بواحد كلتا ، بل هو جاء بمعنى كلا ، غير أنه أسقط الألف اعتماداً

على الفتحة ^(١) التي قبلها ، وعلا على أنها نكفي من الألف المائلة إلى الياء .
وما من الكوفيين أحد يقول : كلت واحدة كلنا ، ولا يدعى أن لكلا وكلنا
واحداً منفرداً في النطق مستعملاً . فإن ادّعاءه عليه مدّع فهو تشنيع وتفحيش
من المخصوص على قول خصومهم . انتهى .

ويؤيده ما رأيت ^(٢) في معاني القرآن للفرّاء عند تفسير قوله تعالى « كلنا
الجنة آتت أكلها » ؛ وهذه عبارته : وقد تُفرد العرب إحدى كلتي بالإمالة ،
وهم يذهبون بإفرادها إلى اثنيّتها . وأنشدني بعضهم :

في كلت رجلها سلاحي واحده كلتاها قد قرنت بزائده
يعنى الظلم ، يريد بكلت كلتي ^(٣)

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع عشر :

١٤ (كِلْتَ كَنِيهِ تُوَالِي دَائِمًا بِجُبُوشٍ مِنْ عِقَابٍ وَنَمَ)

على أن (كِلْتَ) مفرد كلنا عند الكوفيين . والكلام عليه كالكلام
على البيت الذي قبله . ووَالِي بين الأمرين موالاة وولاء : تابع . والجيش :
الجنْدُ ، وقيل : الجنْدُ السائر للحرب أو غيرها . والعقاب : النّكال . والنّم :
جمع نعمة ، وهو المال هنا : والظاهر أن مراد الشاعر : أن إحدى يديه تفيد
النم لأوليائه ، والأخرى توقع النّم بأعدائه ، كما قال آخر :

يداك : يدٌ خيرُها يرتجى وأخرى لأعدائها غائظه

(١) في النسخين : « الكسرة » ، وصححت في حاشية ٣٥ : « الفتحة » .

(٢) ط : « على ما رأيت » ، والوجه إسقاط « على » كما في ٣٥ .

(٣) ط : « كلنا » ، ووجه كتابتها من ٣٥ .

وحينئذ فلا يتأتى قول الكوفيين إن (كِلت) هنا بمعنى إحدى؛ فوجب أن يكون أصله كلنا، حذفت الألف ضرورة، كما تقدم بيانه في البيت السابق. وفيه أيضاً ما نقلناه.

* * *

وأشد بعده وهو الشاهد الخامس عشر :

(كِلانا إذا مانال شيئاً أفاته) ١٥ ٦٥

تمامه :

(وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْنِي وَحَرْنَكَ يُهْزَلِ)

على أن (كلا) و (كلنا) لو كانتا منفيين حقيقة لم يجوز عود ضمير المفرد إليهما ، كما عاد ضمير نال المفرد إلى (كلا) في هذا البيت ، فلما عاد إليها ضمير المفرد علم أنها مفردة لفظاً مثناة معنى ، فعاد إليها باعتبار اللفظ ، وهو الكثير . ويجوز أن يثنى الضمير العائد إليها باعتبار المعنى .

وهذا البيت من أبيات أربعة رواها الرواة لتأبط شرّاً ، منهم الأصمعي ، وأبو حنيفة الديلميّ في كتاب النبات ، وابن قتيبة في أبيات المعاني^(١) . وخالفهم أبو سعيد السكري ، وزعم أنها لامرى القيس ، ورواها في معلقته المشهورة بعد قوله :

(كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ عَلَّقَتْ فِي مَصَاهِهَا^(٢) بِأَمْرٍ اسْكُتَانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلٍ)

والأبيات هذه :

(وَقَرِيبَةً أَقْوَامٍ جَعَلَتْ عُصَامَهَا عَلَى كَاهِلٍ مَنَى ذَلُولٍ مَرَحِلٍ)

(١) المعاني الكبير لابن قتيبة ٢٠٩ .

(٢) ط : « مصامه » تحريف .

ووادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفِيرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الذِّئْبُ يَمُوتُ كَالْخَلِيعِ الْمَعْبِلِ
 قَلَعْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى : إِنَّ شَأْنَنَا قَلِيلُ الْغَنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا مَعْمُولُ
 كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْنِي وَحَرْنُكَ يُهْزَلُ
 وهذا الشعر أشبه بكلام اللص والصُّلُوك ، لا بكلام الملوك .

الواو وارُبَّ . والعصام : الحبل الذى تحمل به القربة ويضعه الرجل على عاتقه وعلى صدره . والكاهل : موصل العنق والظهر . والذَّلُول : فعول من ذَلَّتْ الدابة ذِلًّا بالكسر : سهلت وانقادت ، فهى ذلول . والمرحَّل : اسم مفعول من رَحَّلته ترحيلاً ، إذا أظمنته من مكانه وأرسلته . يصف نفسه بأنه يخدم أصحابه .

قوله : (ووادٍ كجوف العير .. الخ) الواو حرف عطف ، عطف على مجرور واو رب ، وجوف العير فيه قولان :

أحدهما : أنه مثل لما لا ينتفع منه بشيء . قال أبو نصر : والعير عند الأصمعي الحمار ، يذهب به إلى أنه ليس فى جوف الحمار شيء يؤكل وينتفع به إذا صيد ، فجوف الحمار عندهم بمنزلة الوادى القفر . وفى كتاب المشرات للنمبى^(١) : فى المثل : تركه جوف حمار ، أى ليس فيه ما ينتفع به .

الثانى : أن العير رجل من العالفة ، وقيل من عاد ، كان له بنون ووادٍ خصيب وكان حسن الطريقة ، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم فكفر بالله وقال : لا أعبدُ ربًّا أحرَقَ بَنِيَّ ! وأخذ فى عبادة الأصنام ، ودعا قومه إليها فن أبى قتله ، فسلب الله على واديه ناراً ، فأهلكه وأخرب واديه . والوادى ، بلغة اليمن : الجوف .

(١) ذكر فى كشف الظنون كتاب المشرات لابن خالويه ، ولم يذكر كتاب النمبى ،

قال حمزة الأصباهاني في أمثاله : قال أبو نصر : قال الأصمعي : حدثني ابن الكلبي عن فرّدة بن سعيد عن عفيف الكندي : أن هذا الذي ذكرته العرب كان رجلاً من بقايا عاد ، يقال له : حمار بن مؤبّلغ ، فعدلت العرب عن ذكر الحمار إلى ذكر العير لأنه في الشعر أخف وأسهل مخرجاً . ١٠ هـ .

وقد ضربت العرب المثل به في الخراب والغلاء فقالوا : « أخرج من جوف حمار » . و « أخلّ من جوف حمار » . قال الشاعر :

وبشؤم البغي والغشم قديماً ما خلا جوفٌ ولم يبق حمار ^(١) ٦٦

وقالوا أيضاً : أ كفر من حمار . وقال بمضمّن : أراد بجوف العير وسط السيف . والعير : وسط السيف .

والخلّيع ، قال ابن قتيبة في أبيات المعاني : هو الذي قد خلمه أهله لجناياته . والمعيل : الذي ترك يذهب ويحیی حيث شاء . وقال الخطيب التبريزي : « الخليع : المقامر ، ويقال : هو الذي خلع عذاره فلا يبالي ما ارتكب . والمعيل : الكثير العيال ؛ وأراد يعوى عواء مثل عواء الخليع ^(٢) » . وقوله : « إن كنت لما تمول » لما نافية ، وتمول : مضارع محذوف منه التاء ، الماضي تمول ^(٣) إذا صار ذا مال . ومثله مال الرجل يعول ويمال مؤولا ومؤولا . يقول : إن كنت لم تصب من الغنى ما يكفئك فإن شأننا قليل الغنى : أي أنا لا أغني عنك وأنت لا تغني عني شيئاً ، أي أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له . ومن رواه « طويل الغنى » أراد : همّتي تطول في طلب الغنى . وروى ابن قتيبة : وقلت له لما عوى إن ثابتاً ^(٤) « قليل . . . الخ

(١) مجسم البلدان في رسم (جوف) .

(٢) النقل من التبريزي بتصرف ، وأنتم فيه : « والكاف منصوبة بيموى » .

(٣) ط : « ماضى تمول » ، صوابه في ٨٠ .

(٤) في النسختين : « إن شأننا » صوابه في المعاني الكبير حيث عقب على النص

ابن قتيبة بقوله : « وثابت : اسم تأبط شرا » .

وقوله : (كلانا إذا ما نال) إلخ ، نال ينال نيلا : أصابه . وأقاه : فوّته ولم يدخره . ورواه ابن قتيبة :

• كلانا مُضِيعٌ لا خِزَانَةَ عنده •

والمضيع ، من أضع المال بمعنى أهلكه .

وروى الدينوري :

• كلانا مقلٌّ لا خِزَانَةَ عنده •

وقال : يقال للعمل في الحرث — لزرع كان أو لغرس — الحرثة والفلاحة والإكارة ، ثم قيل للعمل في كل شيء حرث ، فقيل : فلان يحرث لآخرته . يقول : من يكسب كسبي وكسبك لا يستغنى ، لأنه يعيش من الخلس ولا يقتنى .

وقال الخطيب التبريزي : « أي من طلب مني ومنك شيئاً لم يدرك مراده . وقال قوم : معناه من كانت صناعته وطلبته مثل طلبتي وطلبك في هذا الموضع مات هزالا ، لأنهما كانا بواد لا نبات فيه ولا صيد » .

و (تأبط شراً) اسمه نابت ، وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان^(١) ترجمة تأبطشراً ، ابن عميثل بن عدى بن كعب بن حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو ابن قيس عيلان . وأمه أميمة من قين : بطن من فهم . وفي تلقيبه بتأبط شراً أربعة أقوال :

أحدها : وهو المشهور ، أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : لا أدري ، تأبط شراً وخرج .

(١) انظر نسبه في جهرة ابن حزم ٢٣٢ والأغاني ١٨ : ٢٠٩ والشعر والشراء

الثاني : أن أمه قالت له في زمن الكمأة : ألا ترى غلماناً الحى يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها ! فقال لها : أعطيني جرابك حتى أجتني لك فيه . فأعطته فلاؤه لها فأطعى من أكبر ما قدر عليه ، وآتى به متأبطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فسمعين بين يديها في بيتها ، فوثبت وخرجت منه ؛ فقال لها نساء الحى : ما ذا كان الذى تأبطه ثابت اليوم ؟ قالت : تأبط شرّاً .

الثالث : أنه رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول طول الطريق عليه ، فلما قرب من الحى ثقل عليه حتى لم يقبله ، فرمى به فإذا هو الغول ! فقال له قومه : بم تأبطت يا ثابت ؟ فأخبرهم ، فقالوا : لقد تأبط شرّاً . الرابع : أنه آتى بالغول فألقاه بين يديها ، فسئلت أمه عما كان متأبطاً ، فقالت ذلك ؛ فلزمه .

وكان أحد لصوص العرب يفرزو على رجله وحده ، وكان إذا جاع نظر إلى الغلباء فيتنقى على نظره أسمئها ، ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه .

وترجمته مذكورة في الأغاني بحكايات كثيرة يتعجب منها العقل لغرابتها .

وقيس عيلان تركيب إصافى لأن عيلان اسم فرس قيس لا أبيه كما ظنه بعض الناس ، كذا في القاموس وغيره . وهو بفتح العين المهملة ، وليس عيلان في لغة العرب غيره وما عداه غيلان بالمجمة . وقيس : أبو قبيلة من مضر ، واسمه الناس بن مضر بن نزار ، وقيس لقبه . يقال : تقيس فلان ، إذا تشبه بهم أو تمسك منهم بسبب ، إما يحلف أو جوار أو ولأه . قال رؤبة :

* وقيس عيلان ومن تقيسا *

ثم رأيت في شرح أدب الكاتب للجوابي قال ، عند بيت رؤبة هذا : قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه الناس بالنون ، وأخوه

الياس^(١) بالياء وفيه المدد . وكان الناس متلافاً ، وكان إذا فقد ما عنده أتى أخاه الياس فيناصفه ماله أحياناً ويواسيه أحياناً ، فلما طال ذلك عليه وأثمه كما كان يأتيه قال له الياس : غلبت عليك العيلة فأنت عيلان ، فسئى لقلك « عيلان » وجُهل « الناس » . ومن قال قيس بن عيلان فإنَّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبه اهـ .

ومثله في الأنساب للكلبي ، قال : كان عيلان عبداً لمضر فحضن ابنه الناس .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر ، وهو من شواهدس^(٢) :

١٦ (فلا أعني بذلك أسفليكم ولكني أريدُ به الذَّوِينَا) .

على أن (الذَّوِين) داخلٌ في حدِّ الجمع المذكور على أي وجه كان ، لأن واحده ذو .

وأُنشده^(٣) أيضاً في آخر باب الإضافة على أن قطع (ذو) وإدخال اللام عليه شاذ ، وذلك لإجرائه مجرى صاحب .

وأُنشده أيضاً في باب جمع المذكر السالم على أنه لو اعتبر اللام أي لام الفعل لقال الذَّوِين كالأعْلِين ، فإن ذو مفتوح العين عند س .

قال أبو علي الفارسي في الإيضاح الشعري : « كسر العين من الذَّوِين

(١) الأصح أن همزة همزة وصل . وقد يقال « إلياس » بقطع همزة . انظر الروض الأنف للسهلي ١ : ٧ . ومن شواهد الوصل قوله :

لمني لدى الحرب رخي اللب أمهق خندف واليَّاس أبي

(٢) كتاب سيبويه ٢ : ٤٣ .

(٣) في النسختين : « وأنشد » .

وكان حقها أن تفتح ، لأن ذوين جمع ذوى ، وقد ثبت : « نواتنا أفنان »^(١) ،
أن العين مفتوحة « اه .

قال فى الصحاح : « ولو سميت رجلا ذو لقلت هذا ذوى قد أقبل ، فترد
ما ذهب منه ، لأنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين ، لأن التنوين
يذهب فيبقى على حرف واحد » .

وأشده من أيضاً فى باب تغيير الأسماء المبهمة^(٢) إذا صارت أعلاماً خاصة
فإنه جمع ذو جمعاً سالماً وأفرده من الإضافة وأدخل عليه اللام وجعله اسماً
على حياله .

قال فى الصحاح : « ولو جمعت ذو مال لقلت هؤلاء ذوون ، لأن الإضافة
قد زالت . وأشد بيت الكميث وقال : أراد أذواء البين^(٣) » .

وكذلك قال أبو البقاء فى شرح الإيضاح النحوى للفارسي : إنما جاز هذا
لأنه أراد ملوك البين فقد أخرجه إلى باب المفرد ، ولذلك قالوا : الأذواء فى هؤلاء .

لكن قال أبو بكر الزبيدى فى كتاب لحن العامة : « لا يجوز أن تدخل
اللام على (ذو) ولا على (ذات) فى حال أفراد ولا تنثية ولا جمع ، ولانصاف
إلى المضمرات ، وإنما تقع مضافة إلى الظاهر . وقد غلط فى ذلك أهل الكلام
وأكثر النحويين من الشعراء والكتاب والفقهاء . فأما قولهم فى ذى رعين ،
وذى أصبح ، وذى كلاع : الأذواء ، وقوله :

(١) الآية ٤٨ من سورة الرحمن .

(٢) ط : « المشبه » ، صوابه فى ٧٥ . وانظر سيبويه ٢ : ٤٢ .

(٣) نس الصحاح : « يعنى به الأذواء ، وم ملوك البين من قضاة المسون بذي
بذن ، وذى جدن ، وذى نواس ، وذى فائش ، وذى أصبح ، وذى الكلاع ،
وم التباينة » .

• ولكنى أريد به الذوينا •

فليس من كلامهم المعروف ، ألا ترى أنك لا تقول هؤلاء أذواء الدار ولا مررت بأذواء المال . وإنما أحدث ذلك بمض أهل النظر ، كأنه ذهب إلى جمعه على الأصل ، لأن أصل ذو (ذَوَى) لجمعه على أذواء ، مثل قفا وأقناء . وكذلك الذوون ، كأنه جمعه مفردا وأخرجه مُخرج الأذواء في الانفراد ، وذلك غير مقول ، لأن ذو لا تكون إلا مضافة ، وكما لا يجوز أن تقول هذا (الذو) و (الذوان) فتفرد ؛ فكذلك لا تقول الأذواء ولا الذوون ، لأن ذو لا تكون إلا مضافة وكذلك جمعها « ١٨ » .

والصحيح عدس ومن تبعه جواز جمع (ذو) في نحو ذى رعين : مما هو جزء علم على الأذواء والذوين كما في شعر الكيت ، وهو عربى فصيح . ومراد الزبيدى بتعليط من ذكر : أنهم يقولون الذات وذاته ، فيدخلون اللام عليه ويضيفونه إلى الضمير وهو مؤنث ذو ، وهذا جائز أيضاً وإن توقف فيه أكثر الناس ، فإن الذات قد أجرى مجرى الأسماء الجامدة ، فإن المراد به حقيقة الشيء ونفسه ، من غير ملاحظة موصوف يجرى عليه .

قال الزركشى في تذكرته : « سئل الزمخشري عن إطلاق الذات على الله عز وجل ، فأجاب بأنها تأنيث ذو بمعنى صاحب ، وهى موضوعة ليوصف بهما تلبس^(١) بما يلزمها الإضافة إليه من الأجناس في نحو قولهم : رجل ذو مال وامرأة ذات جال ، ثم قطعت عن مقتضاها وأجريت مجرى الأسماء الجوامد ، فلا تلزم الإضافة ولا الإجراء على موصوف ، وعنى بها نفس البارى وحقيقته ، وأصلها في التقدير نفس ذات علم وغيره من الصفات ، ثم استغنى بالصفة عن الموصوف ، ومثله كثير . وحذف المضاف إليه لإرادة التعميم كما تحذف المفاعيل . فإن قلت : كيف جاز إطلاقه على الله مع ما فيه من التأنيث ،

(١) تلبس بالشيء : تعلق به ، كما في اللسان (لبس) .

وهم ينعون إطلاق (العلامة) عليه مع أن تاءه للمبالغة لما فيه من الإيهام ؟ قلت :
 ساغ من حيث ساغ النفس والحقيقة ، ووجهه أن امتناع علامة لأنه صفة حُذِي
 بها حذو الفعل في التفصلة بين المذكر والمؤنث ، بخلاف الأسماء التي لا تجري
 على تجري الأفعال في الفرق ، فلما انسلكت اللغات في مسلك الأسماء جرت
 مجرى النفس والحقيقة . فإن صح ما حكى عن العرب من قولهم : جعل الله ما بيننا
 في ذاته . وعليه بنى 'حبيب' ^(١) قوله :

« وَيَضْرِبُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ فَيُوجِعُ » ^(٢)

فالكلمة إذن عربية ، وعلى ذلك استعمال المتكلمين « اهـ .
 واعلم أن استشهادهم بـ «حبيب» وبما وقع في الحديث من قوله : « ثلاث
 كذبات في ذات الله » لتصحيح هذه اللفظة ، فيه أن بعض المحققين قال : ليس
 معناه ما ذكره ، وإنما معنى (ذات) فيه أمور تستند إلى الله مما أراده وأوجهه
 على عبادته ، من طاعته وعبادته والإيمان به ، ونحو ذلك ، وهو المتبادر منه
 بشهادة السياق والتأمل الصادق .

وهذا البيت من قصيدة الكميث بن زيد ، هجا بها أهل اليمن تعصبا لمضر .
 وسيأتي في الشاهد الرابع والعشرين سبب عصبيته لمضر ونظمه لهذه القصيدة .
 يقول : لا أعنى بهجوى إياكم أراذلكم وإنما أعنى عيبتكم وملوكم .
 وروى :

صاحب
الشاهد

(١) في النسختين : « حبيب » مع ضبطه في « بهيئة التصغير » ، وإنما هو حبيب
 ابن أوس الطائي .

(٢) من قصيدة لأبي تمام في ديوانه ١٩١ وصدده :

« يقول فيسمع ويمضي فيهرع »

والقول مقتبس من كلام عائشة رضي الله عنها إذ تقول في صفة أمير المؤمنين عمر :
 « وإذا ضرب في ذات الإله أوجع » . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢ .

لم أقصد بذلك أسفليكم ولكن عَنَيْتُ به الدَّوِينَا^(١)

يقال : عَنَيْتُهُ عَنِيَا مِنْ بَابِ رَمَى : قَصَدْتُهُ . ففَعُولُهُ (أَسْفَلِيكُمْ) وهو جمع مذكر سالم . واعتَنَيْتُ بِأَمْرِي : اهْتَمَمْتُ وَاحْتَفَلْتُ . وَعَنَيْتُ بِهِ أَهْنَى ، مِنْ بَابِ رَمَى أَيْضاً عَنَايَةً كَذَلِكَ . وَأَمَّا الْبَنَى لِمَفْعُولٍ نَحْوُ عَنَيْتُ بِأَمْرِ فُلَانٍ عَنَايَةً وَهَيْئاً فَهُوَ بِمَعْنَى شُغِلَتْ بِهِ . وَلَتُنْجَ بِحَاجَتِي ، أَيْ لَتَكُنْ حَاجَتِي شَاغِلَةً لِسِرِّكَ . وَرَبَّمَا قِيلَ عَنَيْتُ بِأَمْرِهِ بِالْبِنَاءِ لِفَاعِلٍ . كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ . وَالْأَسْفَلُونَ : ٦٩ جَمْعُ أَسْفَلَ ، وَهُوَ خِلَافُ الْأَعْلَى . يَقَالُ : سَفَّلَ سَفْوَلاً مِنْ بَابِ قَعَدَ ، وَسَفَّلَ مِنْ قَرَبِ لَفَةٍ : حَارَ أَسْفَلَ مِنْ خَيْرِهِ . وَسَفَّلَ فِي خَلْقِهِ وَعَمَلِهِ سَفْلاً مِنْ بَابِ قَتَلَ وَسَفَّالاً وَالْأَسْمَ السَّفْلَ بِالضَّمِّ . وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَرَاذِلِ سَفَلَةٌ بِفَتْحِ السِّينِ وَكسْرِ الْغَاءِ ، وَيَجُوزُ التَّخْفِيفُ بِنَقْلِ الْكُسْرَةِ إِلَى مَا قَبْلَهَا . وَأَرَادَ بِالذَّوِينِ الْأَذْوَاءَ ، وَهُمْ مَلُوكُ الْبَيْنِ الْمَسْمُومُونَ بِذِي بَزَنْ ، وَذِي جَدَنْ ، وَذِي نَوَاسٍ ، وَهُمْ التَّبَايَعَةُ .

وَقَالَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ فِي أَمَالِيهِ^(٢) ، وَأَذْوَاءُ الْبَيْنِ مِنْهُمْ مَلُوكٌ وَمِنْهُمْ أَقْيَالٌ ، وَالْقِيلُ دُونَ الْمَلِكِ . ثُمَّ سَرَدَ مِنْ سُمِّيَ بِذِي كَذَا مِنْ مَلُوكِ الْبَيْنِ ، وَبَالِغٌ فِي جَمْعِهَا وَشَرْحِهَا ، فَهِنْ أَرَادَهَا فَلْيَنْظُرْ ثَمَّةَ .

وَمِنْ يَقَالُ لَهُ الْكَيْتُ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَمَا فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ لِلْأَمْدَى ثَلَاثَةٌ ^{مِنْ أَسْمَاءِ} الْكَيْتِ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ .

أَوْهُمْ : الْكَيْتُ الْكَبِيرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ نُضْلَةَ^(٣) . ابْنُ الْأَشْثَرِ ابْنُ جَعْوَانَ — بِتَقْدِيمِ الْمَعْجَمَةِ — ابْنُ قَعْمَسَ .

وَالثَّانِي : الْكَيْتُ بْنُ مَعْرُوفٍ بْنُ الْكَيْتِ الْكَبِيرِ .

(١) كَذَا بِالْحَرَمِ .

(٢) أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١ : ١٧٠ - ١٧٤ .

(٣) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « نُضْلَةُ » صَوَابُهُ بِالنُّونِ ، كَمَا فِي الْمُؤْتَلَفِ ١٧٠ .

الثالث : هو صاحب الشاهد ، وهو الكميت بن زيد بن الأخنس ابن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن دويبة^(١) بن عمرو ابن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وهو كوفي شاعر مقدم عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ، ومن شعراء مضر وألسنها المنعصبين على القحطانية المقارعين العالمين بالمثالب^(٢) ، يقال : ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت ، فمن صحح الكميت نسبته صح ، ومن طعن فيه وهن . وسئل معاذ الهراء عن أشعر الناس فقال : من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص ، ومن الإسلاميين الفرزدق وجريز والأخطل . فقيل له : يا أبا محمد ، ما رأيناك ذكرت الكميت أقال : ذاك أشعر الأولين والآخرين . وقال أبو عكرمة الضبي : لولا شعر الكميت لم يكن للغة تَرْجُمان ، ولا للبيان لسان . يقال : إن شعره بلغ أكثر من خمسة آلاف بيت . وقال أبو عبيدة : لو لم يكن لبنى أسد منقبة غير الكميت لكفاهم ، حببهم إلى الناس وأبقى لهم ذكراً .

وقال بعضهم : في الكميت خصال لم تكن في شاعر . كان خطيب بني أسد ، وفقية الشيعة ، وحافظ القرآن ، وكان ثبت الجنان ، وكان كاتباً حسن الخط ، وكان نساباً ، وكان جديلاً .

وهو أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك ، وله في أهل انبيت القصائد المشهورة ، وهي أجود شعره .

وكان في صفه ذكياً لودعياً . يقال إنه وقف وهو صبي على الفرزدق

(١) في الأغاني ١٥ : ١٠٨ والمؤلف : « ذؤيبية » .

(٢) في الأغاني ١٥ : ١٠٩ : « المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ،

المفاخرين بها » .

وهو ينشد ، فأعجبه سماعه ، فلما فرغ قال : يا غلام كيف ترى ما تسمع ؟ قال :
حسنٌ يا عم . قال : أيسرك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أبغى به بدلا ،
ولكن يسرنى أنك أمى ! فحصر الغزدق وقال : ما مرّ بنا مثلها .

وحكى صاعد ، مولى الكميت ، قال : دخلتُ مع الكميت على عليّ
ابن الحسين رضى الله عنه فقال : إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لى وسيلة
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أنشده قصيدته التى أولها :

من لقلبٍ متمٍّ مستهامٍ غير ما صبوةٍ ولا أحلامٍ

فلما أتى على آخرها قال له : ثوابك نعجزُ عنه ، ولكن ما عجزنا عنه فإن الله
لا يعجزُ هن مكافأتك : اللهم اغفر للكميت ، اللهم اغفر للكميت . ثم قسط
له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له : خذ يا أبا المستهل . فقال ٧٠
له : لو وصلتني بدانق (١) لكان شرّ قالى ولكن إن أحببت أن تحسن إلىّ فادفع
إلىّ بعض ثيابك التى تلى جسدك أتبرك بها . فقام فنزع ثيابه ودفعا إليه كلها ،
ثم قال : اللهم إن الكميت جادٌ فى آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنّ
الناس ، وأظهر ما كتمه غيره من الحق ، فأحييه سعيداً ، وأمته شهيداً ، وأره
الجزاء عاجلاً ، وأجزل له جزيل المثوبة آجلاً ، فإننا قد عجزنا عن مكافأته .
قال الكميت : مازلت أعرف بركة دعائه .

وحدث محمد بن سهل قال : دخلت مع الكميت على جعفر الصادق
فى أيام التشريق فقال : جعلتُ فداءك ، ألا أنشدك ؟ قال : إنها أيام عظام .
قال : إنها فيكم . قال : هات . فأنشده قصيدته التى أولها :

ألا هل عمّ فى رأيه متأملٌ وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلٌ

(١) الدانق ، بفتح النون وكسرهما : سدس الدرهم ، مرب « دانه » .

وهل أمة مستيقظون لدينهم فيكشف عنه النعسة المتزمل^(١)
 فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو أن ذا الميل يُعدّل
 وعطّلت الأحكام حتى كأننا على ملة غير التي تتحل
 كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل
 رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونُقتل
 ونحن بها متمسكون كأنها لنا جنة مما نخاف ومَعْل
 فكثر البكاء ، وارتفعت الأصوات ؛ فلما مر على قوله في الحسين
 رضى الله عنه :

كانَ حُسيناً والبهاليلَ حوله لأسياهم ما يخنلى المتبّل^(٢)
 وغاب نبيّ الله عنهم ، وفقدّه على الناس رُزّه ما هناك مجلّ
 فلم أرَ مخذولاً أجلّ مصيبة وأوجبَ منه نُصرة حين يُخذَل^(٣)

فرفع جعفرُ الصادق رضى الله عنه يديه وقال : اللهم اغفر للكيت ما قدم
 وما أصرّ ، وما أسرّ ، وما أعلن ، وأعطه حتى يرضى . ثم أعطاه ألف دينار
 وكسوة . فقال له الكيت : والله ما أحببتكم للديار ، ولو أردتها لأتيت من هي
 في يديه ، ولكنى أحببتكم للآخرة . فأما الثياب التي أصابت أجسادكم فإني
 أقبلها ببركتها ، وأما المال فلا أقبله .

وكانت ولادة الكيت سنة ستين ، وهي أيام مقتل الحسين رضى الله
 عنه ، وكانت وفاته سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد .

وكان السبب في موته أنه مدح يوسف بن عمر ، بعد عزل خالد القسرى

(١) ض : « المتزمل » ، صوابه في ٢٠ .

(٢) ط : « المتبّل » ، صوابه في ٢٠ .

(٣) ط : « لأجل مصيبة » ، صوابه في ٢٠ .

عن العراق ، فلما دخل عليه أنشده مديحه معرّضاً بخالد ، وكان الجند على رأس يوسف متمصّبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم في بطنه وقالوا : أنشد الأمير ولم تستأمره (١) ؟ فلم يزل ينزف الدم منه حتى مات رحمه الله تعالى .

والكميت مشتق من الكُمّة . يقال للذكر والأنثى ، ولا يستعمل إلا مصغراً ، وهو تصغير أ كمت على غير قياس ؛ والاسم الكُمّة ، وهو من الخيل بين الأسود والأحمر . قال أبو عبيد : ويفرق بين الكميت والأشقر بالعرف والذنب ؛ فإن كانا أحمرين فهو أشقر ، وإن كانا أسودين فهو الكميت . ووجه تصغيره س بما يستحسن فقال لأنه لم يخلص له لون بعينه فينفرد به مكبراً . والله أعلم . ٧١

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر :

١٧ (وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مرداسَ في تجمع)

على أن الكوفيين وبعض البصريين جَوّزوا للضرورة ترك صرف المنصرف بشرط العملية . وأنشده أيضاً هنا في آخر الكلام على منتهى الجموع على أن الكوفيين يمتنعون الصرف بالعملية وحدها ، لأنها سبب قوى في باب منع الصرف . أراد ببعض البصريين أبا الحسن الأخفش وأبا على الفارسي وابن برّهان (٢) .

واشترط العملية لمنع الصرف إتماً هو منهج الشهابي لا غير ، وأما الكوفيون فهم يجيزون ترك الصرف للضرورة مطلقاً ، في الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدهم قول الشاعر :

(١) استأمره : استشاره .

(٢) هو أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برّهان الأسدي المكنى . وبرّهان ، بفتح الباء كما في البقية ٣١٧ والقاموس (برهن) . توفي سنة ٤٥٦ .

فأوفضَ منها وهي ترغو حُشاشة بذى نفسها والسيفُ عريانُ أحرُ
قالوا : ترك صرف عريان وهو منصرف لأن مؤنثه عُرْيَانَة لاعرياء، وسيأتي
مثله للشارح في هذا الباب . وقول الفرزدق - وقيل هو لابن أحر - :

إذا قال عَاوٍ من تنوخ قصيدة بها جَرِبُ عُدَّتْ على بزوبرا^(١)

قالوا : ترك صرف زوبر وهو منصرف ، ومعناه نسبتُ إلى بكاملها ،
من قولهم أخذ الشيء بزوبره ، إذا أخذه كله . وقيل بزوبراً ، أى كذبا
وزوراً ، وإن كان زوبر عند البصريين معرفة .

قال ابن جنى في المبهج^(٢) ، وهو تفسير أسامى شعراء الحماسة : سألت
أبا علي عن ترك صرف زوبر ، فقال : جعلها علماً لما تضمنته القصيدة من المعنى .
وقال الزمخشري في المفصل : هو علم للكلية كسبحان علم للتسبيح .

وكذا ذكره الشارح في باب العلم . نعم أكثر شواهدهم جاءت في الأعلام ،
وكأنهم راعوا بحسب الأغلب العلمية في منع الصرف وحدها للضرورة . كما
أهلوها أيضاً للضرورة . فالسألة ثلاثية : الجواز مطلقاً ، وهو مذهب الكوفيين ،
والمنع مطلقاً وهو مذهب البصريين ، والجواز مع العلمية وهو مذهب السهيلي .
وقد حكى هذه المذاهب الثلاثة الشاطبي في شرح الألفية .

وقال المبرد : الرواية :

* يفوقان شيخى في مجمع *

قال ابن مالك في شرح التسهيل : والمبرد إقدام في ردِّ ما لم يرو ، مع أن
البيت بذكر مرداس ثابت بنقل العدل عن العدل في صحيح البخاري ومسلم ، وذكر

(١) ط : « غاو » ، وأثبت ما في سه واللسان (زبر) .

(٢) المبهج ص ١٢ .

(شيخى) لا يعرف له سندٌ صحيح ولا سبب يدينه من التسوية ، فكيف من الترجيح ١٩ وقال ابن جنى فى سر الصناعة ، بعد أن عارض الرواية المشهورة برواية المبرد : على أن المبرد قد حكى عنهم « سلامٌ عليكم » غير منون ، والقول فيه أن اللفظة كثرت فى كلامهم فحذف تنوينها تخفيفاً ، كما قالوا لم يك ولا تُبَلِّ ولا أدر . انتهى .

يريد : إن سلمنا رواية الكوفيين فهو من باب حذف التنوين لا من باب منع الصرف . وهذا ظاهر فى المنصوب . وليت شعري ما يقول فى المجرور ٧٢ إذا جر بالفتحة ، كقول الشاعر :

قالت أميمة ما لثابتَ شاخصاً عارى الأشاجع ناحلاً بالمفصل

فثابتَ علم جر بالفتحة ، وقول الآخر :

وإلى ابن أمٍّ أناسَ تَعْمَدُ نَاقِي عَمِرو لتنجح نَاقِي أو تَتَلَفُ

فجر أناس بالفتحة ، وأم أناس بنت ذهل بن شيان ^(١) وعمرو هو عمرو بن حُجر الكندى . وقوله :

وقائلة ما بال دَوَسَرَ بعدنا محاقلبه عن آل ليلي وعن هندٍ

ونحو هذا من أبيات آخر .

واستدل الكوفيون على جواز ترك الصرف ضرورة السماع والقياس : أما السماع ، فكثرة الشواهد وهى تزيد على عشرين بيتاً ذكرها ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف ، وأثبتها (البصريون) بروايات ليس فيها ترك الصرف ، فقالوا فى قوله :

(١) ط : « ذهل من بن شيان » صوابه من سه مع اثر تصحيح . ونسب ذهل ابن شيان بن ثعلبة بن عكابة نسب مشهور .

* وقائلة ما بال دوسر بعدنا *

الرواية : * وقائلة ما للقربي بعدنا *

وقالوا في قوله :

ومصعبُ حين جدَّ الأمرُ رُ أ كثرُها وأطيبها

الرواية : « وأنتم حين جد الأمر » . وهكذا رووا في سائر الأبيات .

فقال الكوفيون : الرواية الصحيحة المشهورة مارويناه ، ولو سلطنا صحة روايتكم فما جوابكم عما روينا مع صحته وشهرته . وأما القياس فإنه لما جاز صرف مالا ينصرف اتفاقا وهو خلاف القياس جاز العكس أيضاً ، إذ لا فرق بينهما ، وأيضاً فإنه إذا جاز حذف الواو المتحركة ضرورة من قوله :

فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لِنَ جل رِخوُ المِلاط نجيب

وأصله (فيينا هو) ، فجواز حذف التنوين ضرورة من باب أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الحرف الساكن أسهل من حذف المتحرك .

وأما البصريون فقالوا : لا يجوز ترك الصرف ، لأن الأصل في الأسماء الصرف ، فلو أننا جوزنا ذلك أدى إلى ردّه عن الأصل إلى الفرع ، ولا تنبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وعلى هذا يُخرَج حذف الواو من هو في نحو قوله : « فيينا يشرى رحله » فإنه لا يؤدي إلى لبس . وإنما جاز في الضرورة صرف مالا ينصرف لأنه من أصل الاسم ، فإذا اضطروا ردّوه إلى أصله وإن لم ينطقوا به في السعة ، كما لم ينطقوا بنحو ضننوا في السعة^(١) بخلاف منع الصرف لأنه ليس من أصل المنصرف ألا ينصرف .

(١) في مثل قول قنّب بن أمّ صاحب (اللسان ضنن) :

مهلاً أعادل قد جربت من خلقي أتى أجود لأقوام وإن ضننوا

وقد ذهب ابن الأنباري ، في كتاب الإنصاف^(١) مذهب الكوفيين ؛ لكثرة النقل الذي خرج عن هذا الشذوذ والقلة فقال : « ولما صححت الرواية عند الأخفش والفارسي وابن برهان ، من البصريين ، صاروا إلى جواز ترك الصرف ضرورة تبعاً للكوفيين ؛ وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار إليهم من المحققين » .

وأجاب عن كلمات البصريين فقال : « أما قولهم : يؤدي ترك الصرف إلى الفرع ؛ قلنا : هذا يبطل بمحذف الواو من هو في قوله « فيناه يشرى » خصوصاً على أصل البصريين فإن الواو عندهم أصلية ؛ وقولهم : لا التباس بمحذفها غير مسلم ، فإنك إذا قلت : غزا هو ، بتأكيد الضمير المتصل بالمنفصل ، فإذا حذفت الواو حصل اللبس ، وكذلك يحصل اللبس بصرف مالا ينصرف فإنه يوقع لبساً بين المنصرف وغيره ، ومع هذا وقع الإجماع على جوازه . فإن قالوا : الكلام هو الذي يتحصل القانون به دون الشعر ، وصرف مالا ينصرف لا يوقع لبساً بين ما ينصرف وبين مالا ينصرف لأنه لا يلتبس ذلك في اختيار الكلام ، قلنا : وهذا هو جوابنا عما ذكرتموه ، فإنه إذا كان الكلام هو الذي يتحصل به القانون فترك صرف مالا ينصرف في الضرورة لا يوجب لبساً بينهما ، إذ لا يلتبس ما ينصرف وما لا ينصرف في اختيار الكلام » .

وأطال الكلام في الرد على البصريين .

وقد أورد الفارسي في تذكرته على أصل البصريين سؤالاً لم يجب عنه فقال : أفيجوز في الضرورة أن لا يعرب الفعل المضارع ، لأن الأصل كان فيه

(١) الإنصاف ص ٢٩٦ . وقد تصرف البغدادي في النص كثيراً .

أن لا يعرب كما كان الأصل في الاسم أن يصرف^(١) فإذا لم تعربه رددته إلى الأصل في الضرورة كما رددت الاسم إلى الصرف في الضرورة . واستشهد على ذلك بقوله « فاليوم أشرب^(٢) » ونحو ذلك . قيل : أما الأبيات فليست بدليل قاطع ، لأنه يجوز أن يكون أجريت في الوصل مجرى الوقف ، وبقي النظر في هل يجوز أن لا يعرب .

هذا ما قاله ولم يجب عنه . قال الشاطبي : وكأنه إشكال على منهج البصريين ، لكن الجواب يظهر عنه بأدنى نظر . انتهى .

وهذا البيت من أبيات سبعة لعباس بن مرداس الصحابي رضى الله عنه صاحب
الشاهد
ابن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس^(٣) بن رفاعة بن الحرث بن بهثة ابن سليم . أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وأمه الخلساء الصحابية الشاعرة كما يأتي بيانه في ترجمتها . وكان عباس^٤ هذا من المؤلفة قلوبهم . ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها أعطى المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرفاً يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن الحارث بن كلدة ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وخويط بن عبد العزى ، وصفوان بن أمية - وكل هؤلاء من أشرف قريش - والأقرع بن حابس بن عقال^(٥) بن محمد بن سفيان المجاشعي ، وعيينة بن حصن الفزاري ، ومالك بن عوف النصري ؛ أعطى كل واحد من هؤلاء مائة بعير ،

(١) في النسختين : « أن لا يصرف » ، والوجه ما أثبت .

(٢) من قول امرئ القيس في ديوانه ٢٥٨ :

فاليوم أشرب غير مستعجب إنما من الله ولا واغل

(٣) هذا هو الصواب كما في جمهرة ابن حزم ٢٦٣ بتحقيقنا ، والإصابة ٤٥٠٢ ومختلف القبائل ٤٩ . وفي بعض نسخ الجمهرة والأغانى ١٣ : ٦٢ : « عبد قيس » تحريف .

(٤) ط : « عنان » - « عفان » ، صوابه من الإصابة ٢٢٩ .

وأعطى دون المائة رجلاً من قريش ، وأعطى عباس بن مرداس أباهر ، فسخطها وقال يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم :

أَتَجِئُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَبِيَّةِ دُ بَيْنَ هَيْئَةٍ وَالْأَقْرَعِ^(١)
وما كان حصنٌ ولا حابس يفوقان مرداسَ في جمع
وما كنت دون امرئٍ منها ومن تضع اليوم لا يُرفع
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرٍ فلم أعطَ شيئاً ولم أُمْنَع
إِلَّا أَفَاطِلَ مِنْ حَرْبٍ^(٢) عديدَ قوائمِهِ الأربَع
وكانت نهباً تلافيتها يَكْرَى عَلَى الْمَرْءِ فِي الْأَجْرَع
وإيقاظي القومَ أن يرقدوا إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَع

النهب : الغنيمة . والمبيد ، بالتصغير : اسم فرس العباس - وكان يدعى فارس ٧٤
العبيد - وتدرأ ، فعمل بضم التاء وفتح العين مهموز ، من التدرء وهو الدفع ؛ قال
في الصحاح : « وقولم السلطان ذو تدرٍ : أى ذو عدة وقوة على دفع أعدائه من
نفسه وهذا اسم موضوع للدفع » . وقوله : « فلم أعط شيئاً ، إلخ ، أى لم أعط شيئاً
طائلاً ، أولم أعط شيئاً أستحقه وهو المائة ، ولم أُمْنَع من الإعطاء لأنى أعطيت بعضاً ،
قبل كان أعطى خمسين . واستشهد به النحاة على حذف الصفة لثلا يلزم التناقض .
والأفائل : جمع أفيل بالفاء ، كالفصيل وزنا ومعنى ، وقال الأصمى : هو ابن
سبعة أشهر أو ثمانية . ويجمع على إفال أيضاً بكسر الهمزة . وهذه رواية سفيان
ابن عيينة ، وروى ابن عقبة وابن إسحاق « إِلَّا أَفَاطِلَ أَحْطِئُهَا » كذا
في الاستيعاب لابن عبد البر . فلما أنشد هذه الأبيات بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم قال : اقطعوا عنى لسانه ، فأعطى حتى رضى . وقال سفيان بن عيينة :

(١) السيرة ٨٨١ والآلى ٣٢ - ٣٣ والشراء ٢٥٩ ، ٧٢٤ .

(٢) ٧ : « جربة » .

أَتَمَّأَلَهُ مَائَةً . وقال ابن أبي الإصبع ، في تحرير التحبير : قال لعل « يا على »
 أقطع لسانه عنى « . فقبض على يده وخرج به فقال : أقطع أنت لسانى يا أبا
 الحسن ؟ فقال لى لميض فىك ما أمرت ؟ ثم مضى به إلى إبل الصدقة فقال :
 خذ ما أحبيت . قال : « وقول على رضى الله عنه أحسن مواربة سمعتها
 فى كلام العرب » . وفى روايات أخر حكاه السيوطى فى [شرح] شواهد
 المغنى ^(١) . والمرداس : الحصاة التى برمى بها فى البئر لينظر هل فيها ماء أم لا .
 وأخطأ شارح اللب حيث قال : إن مرداساً هذا هو رأس الخوارج وكنيته
 أبو بلال ^(٢) ، وحكى رواية الأبيات للصحابى بقيل .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر :

١٨ (أَرَقْنِي الْبِلَّةَ بَرَقُ بِالتَّهْمِ يَالِكَ بَرَقًا مِنْ يَشْقَى لَا يَلِمُ ^(٣))

قال الشارح : وكذا (تهام) بفتح التاء فى المنسوب إلى التهم بمعنى تهامة .
 يريد أن الألف فى تهام بالفتح عوض من إحدى ياءى النسب ، كما فى يمان
 إذ هو منسوب إلى يمن ، ولأما قيد بفتح التاء لأنك إذا كسرتها قلت
 تهامى بتشديد الياء لأنه منسوب إلى تهامة بالكسر ، فالألف من لفظها
 وليست بدلا .

قال المرزوقى فى شرح فصيح ثعلب : رجل تهام رأى من أهل تهامة ،
 والأصل تهى لأن تهما قد وضع موضع تهامة ، لكنهم حذفوا إحدى ياءى
 النسبة وأبدلوا منها ألفاً ؟ وأشد هذا البيت عن أبى على الفارسى .

(١) لم أجد هذا النص فيه .

(٢) رأس الخوارج إنما هو مرداس بن حدير بن بلال ، أحد بنى ربيعة بن حنظلة .
 انظر الكامل ٥٨٤ - ٥٩٢ لبيسك .

(٣) فى معجم ما استمع ٣٢٢ : « لم ينم » .

وقال ابن جني في الخصائص : « فإن قلت : فإن في تهامة ألفا ، فلم ذهبت إلى أن هذه الألف في تهام عوض من إحدى الياءين للإضافة ، قيل : قال الخليل في هذا : كأنهم نسبوه إلى فعل أو فعل ، وكأنهم كفّوا صيغة تهامة وأصاروها إلى تهّم أو تهّم ، ثم أضافوا إليه فقالوا : تهام . وإنما مثل الخليل بين فعل وفعل ولم يقطع بأحدهما لأنه قد جاء هذا العمل في هذين المثالين جميعا ، وهو الشّام واليمن ، وهذا الترقيم الذي أشرف عليه الخليل ظا قد جاء به السماع نصا ، أنشدنا أبو علي قال : أنشد أحمد بن يحيى :

أرقتى الليلة برق بالتهم * البيت

وقال أبو عبيد البكري ، في معجم ما استعجم : التهم بفتح أوله وثانيه ، قاله ابن الأعرابي . وأنشد :

أرقتى الليلة برق بالتهم * . . البيت

ثم قال : « تهامة بكسر أوله : أرض طرفها من قبل الحجاز مدارج العرج ، وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق ، وسميت تهامة لتغير هوائها ، من قولهم : تهّم الدهن ونمّه ، إذا تغيّرت رائحته » اهـ .

وقال ابن حجر في شرح البخاري : « وتهامة اسم لكل ما نزل من بلاد الحجاز ، سميت بذلك من التهم بفتح المثناة والهاء ، وهو شدة الحر وركود الريح وقيل تغير الهواء » . لكن صاحب الصحاح والقاموس قالا : إن التهم مصدر من تهامة . وبينه صاحب القاموس فقال : وتهامة بالكسر مكة شرفها الله تعالى وأرض لا بلد ، ووهم الجوهرى . ثم قال : والتهمّة بالفتح : البلدة ، ولغة في تهامة ، وبالتحريك : الأرض المنصوبة إلى البحر كالتهم ، كأنهما مصدران من تهامة لأنّ التهائم منصوبة إلى البحر ، اهـ .

و (أرقنى) : أسهرنى ، من الأرق بالتحريك وهو السهر بالليل ، وفعله من باب فرح ، وتعديته بالتضعيف . و (ياك برقاً) تعجب من البرق واستعظام له ؛ وقد شرح الشارح فى باب الاستغاة نحو هذا التركيب ؛ وبرقا تميز ، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب . والشوق إلى الشيء : نزاع النفس إليه ، يقال : شاقنى الشيء أى جعلنى مشتاقاً ، وإنما جعله البرق مشتاقاً لأن حبيته فى تلك الأرض تذكر بالبرق وميض ثياها فلم تأخذه سنة ، كما قال الشاعر :

جاريةٌ فى رمضان الماضى^(١) تقطع الحديث بالإيماض

وقال المتنبي :

أذا الغصنُ أم ذا الدَّعصُ أم أنت فتنةٌ
وذياً الذى قبلته البرقُ أم ثغر

وأستحسن قول ابن نباتة المصرى :

تذكرتُ لما أن رأيتُ جبينها هلال الدجى ، والشيء بالشيء يذكر

وفاعل يشقه ضمير البرق ، والهاء مفعول وهو ضمير من الشرطية . (ولا يلم) بالبناء لمفعول ، من اللوم وهو العذل جواب من ، ووجود لا النافية لا يمنع الجزم فإن المضارع المنفى بلا إذا وقع جزاء يجوز جزمه كقوله تعالى : « إن تدعواهم لا يستمروا دعاءكم » . ويجوز رفعه ، لكن يجب اقترانه حينئذ بالقاء نحو قوله تعالى : « فن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً » .

وأورد ابن الأعرابى فى نواذره بعد هذين البيتين ثلاثة أبيات آخر ولم يميز الشعر لأحد ، وهى :

(١) فى الإنصاف ٩٦ :

(مازال يسرى مُنجدًا حتَّى عَمِّ كَأَن فِي رَيْقِهِ إِذَا ابْنَسَمِ)
(بَلَقَاءُ تَنفَى الْخَلِيلَ عَنْ طِفْلِ مُتَمِّ)

ومنجد : من أنجد إذا ذهب إلى النجْد ، والنجد : كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وعمِّ : دخل في العمّة ، والمشهور أعمُّ بالآلف ، والعمّة بالتحريك : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق . والرَّيْقُ بالتشديد ، وريّق كل شيء : أوّلُه . والبلقاء : الفرس التي فيها البَلَقُ ، وهو بياض وسواد . وتنفى : تطرد . والخليل : مفعوله . وعن : متعلق بتنفى . والمُتَمِّ بفتح الناء : الولد الذي يولد تمام مدته . وهذا البيت مثل بيت أوس بن حجر في وصف البرق وهو :

كَأَن رَيْقَهُ لَمَّا عَلَا شَيْطِبًا أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْفَى الْخَلِيلَ رَمَاحِ
قال شارحه ابن السكيت : رَيْقُهُ : مسترقّة ليس بمعظمه . والأقرب : جمع القُرْب وهو الكَشْح . يقول : ينكشف البرق كما يرمح الأبقا فيبدو بياضه . اهـ

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر ، وهو من شواهد س (١) :

١٩ (يُحَدِّوْ نَمَانِي مَوْلَاً بَلَقَا حَا)

على أن (نماني) لم يصرف في الشعر شذوذاً ، لما توهم الشاعر أن فيه معنى الجمع ولفظه يشبه لفظ الجمع ، وكان القياس أن يقول : ثمانياً .

قال ابن السيد : في ثمانى لغتان : الصرف لأنه اسم عدد وليس بجمع ، ومنع الصرف لأنه جمع من جهة معناه ، لأنه عدد للجمع ، بخلاف يمان وشام ،

لأنه غير جمع وفيه جمع ، فإن س وغيره قالوا : إنه شاذ ، توهم الشاعر فيه معنى الجمع فلم يصرفه . ولم يقل أحد إنه لغة .

وفي شرح شواهد الكتاب للنحاس : قال سيبويه : « وقد جعل بعض الشعراء ثمانى بمنزلة حذارى : حدثني أبو الخطاب ، أنه سمع العرب ينشدون هذا البيت غير منوّن . وسمعت أبا الحسن يقول : إن هذا الأعرابي غلط وتوهم أن ثمانى جمع على الواحد وتوهم أنه من الثمن ، اه أى توهم أنه الجزء الذى صير السبعة ثمانية فهو ثمنها . وقال الأعمى الشنتمرى : كأنه توهم أن واحده ثمنية كحذرية ثم جمع فقال ثمانى كما يقال حذارى فى جمع حذرية ، والمعروف صرفها على أنها اسم واحد أى بلفظ المنسوب ، فهو يمان . والحذرية ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وتخفيف المثناة التحتية : قطعة غليظة من الأرض .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(حتى همن بزيفة الإرتاج)

وقبل هذا البيت :

(وكان أصل رحالها وحبالها علقن فوق قوُبرج شحاج)

صاحب الشاهد وهذان البيتان من قصيدة لابن ميادة ، كما قال السيرافي . شبه ناقته بسرعتها بحمار وحش قرح ، يحبو ثمانى أثن : أى يسوقها مولماً بلفاحها حتى تحمل ، وهى لا تمكنه قهرّب منه ؛ لأن الأنثى من الحيوان غير الإنسان ، لا تمكن الفعل إذا حملت . والرحال : جمع رحل ، وهو كل شيء يعدّ للرحيل من وعاء للمناع ، ومركب للبعير ، وحلس ورسن . وضمير رحالها للناقّة وعلقن بالبناء للمفعول ، والنون ضمير الرحال والحبال ، واكتسب المضاف

الجمعية من المضاف إليه لأنه يصح سقوطه . والقويرح : مصغر قارح ، وهو من ذى الحافر الذى انتهت أسنانه ، وإما ينتهى أسنانه فى خمس سنين ، والتصغير للمعظم . والشحاج بفتح الشين المعجمة وتشديد الحاء المهملة ، قال فى الصحاح : هو الحمار الوحشى ، وهو بدل من قويرح أو عطف بيان . ويحدو بمعنى يسوق ، وفاعله ضمير الشحاج ، والجملة صفة له . وأراد بالثمانى أثنه ولهذا حذف التاء منه ، أو لأن المدود محذوف . والمولع من أولع بالشئ بالبناء للمفعول ، فهو مولع به بفتح اللام ، أى أغرى به وعلّق به . والقحاح كسحاب : ماء الفحل فى رحم الناقة . وفى المصباح : القحاح بفتح اللام وبكسر ها : اسم من ألحق الذكر الأثنى ، أى أحبلها . وحتى غاية لقوله يحدو . وهم بالشئ من باب قتل ، إذا أرادوه ولم يفعلوه . والزيفة ، بفتح الزاى المعجمة وسكون المثناة النحوية وبالغين المعجمة ، مصدر زاغ يزيع ، أى مال . والإرتاج بالكسر : مصدر أرتجت الناقة إذا أغلقت رحمها على ماء الفحل .. يريد أن هذا الحمار عدا خلف أثنه ليلحقها ويركبها حتى تمجّل ، فهربت منه ، فكانه ساقها سوقاً عيقاً حتى همت بإسقاط ما أرتجت عليه أرحامها من الأجنة وإزلاقه ، وكأن زمام هذه الناقة مرتبط بهذا الحمار الشديد الحرص على القحاح بأثنه ، فهى تعدو بعدّوه ، وهذا غاية فى سرعة الناقة . وروى : « برّيقه الإرتاج » والريقة بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وبالقفاف أراد به القعد ، لأنها إذا أغلقت فم الرحم على ماء الفحل فكأنها عقدته ، ومنه الحديث : « فقد خلع ربيعة الإسلام من عنقه » أى عقد الإسلام . وأصل الريقة واحد الربق بالكسر ، وهو جبل فيه عدة عُرى تشدّ به البهائم ، الواحدة من العرى ربة . ولا بد من تقدير مضاف على هذه الرواية ، أى حتى همن بجبل ربيعة الإنتاج ، يعنى أرتجت هذه الأثن وانحلت من شدة الجرى حتى لم تقدر أن تضبط ما فى أرحامها .

ولم يقف الأعم الشنتمرى على البيت الأول . فظن أنه فى وصف راع فقال : وصف إبلاً أولع راعيها بلقاحها حتى لفتحت ، ثم حداها أشد الحداة حتى همت بإسقاط ما فى بطونها من الأجنة .

نوجة ابن ميادة

وابن ميادة هو أبو شراحيل وقيل أبو شرحبيل . واسمه الرماح ، كشداد ابن يزيد . وهو من بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، رهط الحارث بن ظالم ، كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة (١) . وميادة أمه ، وهى أم ولد بربرية ، وقيل صقلبية كان هو يزعم أنها فارسية . وفى ذلك يقول :

أنا ابن أبى سلمى وجدى ظالم وأتى حصان حصنتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم من نيطت عليه التمام

وسبب تسميتها أنه لما أقبلوا بها من الشام نظر إليها رجل وهى ناعسة تمايل على بعيرها فقال : إنها لميادة ، فسميت به وغلب عليها .

وابن ميادة شاعر مقدّم فصيح ، لكنه كان متعرضاً للشرطابا لمهاجاة الناس ومسابة الشعراء ، وله مع الحكم الخضرى (٢) مهاجاة ومناقضات كثيرة وأراجيز طويلة ، وقد أدرك الدولتين . كان فى أيام هشام بن عبد الملك ، وبقي إلى زمن المنصور ، ومدح من بنى أمية الوليد بن يزيد وعبد الواحد ابن سليمان ، ومن بنى هاشم أبا جعفر المنصور وجعفر بن سليمان . ولما قال من قصيدة :

فضلنا قريشاً غير رهط محمد وغير بنى مروان أهل القبائل

(١) الشعر والشعراء ٧٤٧ — ٧٤٩ والأغانى ٢ : ٨٥ — ١١٦ والآل ٣٠٦٠

وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والمينى : ٢١٩ .

(٢) فى النسختين « الخضرى » مع نصيحها فى سن « الخضرى » وهذا هو

الصواب . نسبة إلى خضر بن محارب ، بضم الحاء . وترجمته فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٠ — ٢٤٥ والأغانى ٢ : ٩٤ .

قال له إبراهيم بن هشام : أنت فضلت قريشاً ؟! وجردده وضربه أسواطاً .
ولما سمع البيت الوليد بن يزيد قال له : قدّمت آل محمد علينا ؟ قال : ما كنت
يا أمير المؤمنين أظنه يكون غير ذلك . فلما أفضت الخلافة إلى بني العباس قدم
على المنصور فمدحه ، فقال له لما دخل عليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره ،
فجمل يتمجب ، ولم يعد إلى المنصور بعدها لما رأى قلة رغبته في مدائح الشعراء ،
ونزارة ثوابه لهم . وتوفى في صدر خلافته في حدود الست والثلاثين بعد المائة .

وبنو ذبيان تزعم أن ابن ميادة آخر الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم .

روى أبو داود الفزاري أن ابن ميادة وقف يوماً في الموسم ينشد :

لو أنّ جميع الناس كانوا بتلعة وجئتُ بجديّ ظالم وابن ظالم

لظلتُ رقابُ الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

والفرزدق واقف عليه متلّم ، فقال له : يا ابن يزيد ، أنت صاحب هذه

الصفة ؟! كذبت والله ، وكذب سامع ذلك منك فلم يكذبك . قال : فن

يا أبا فراس ؟ قال : أنا أولى به منك . وقال :

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة وجئتُ بجديّ دارم وابن دارم

لظلتُ رقابُ الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فأطرق ابن ميادة ولم يجبه ، ومضى الفرزدق وانتحلها .

وأشد بعده ، وهو الشاهد العشرون :

٢٠ ﴿ بَلَّغْنَهَا وَاحْتَمَمْتُ أَشَدِّي ﴾

على أن (أشدّ) جمع شدة على غير قياس ، أو جمع لا واحد له بدليل

تأنيث الفعل له .

وفي الصحاح . « كان س يقول : واحدة شِدَّة ، وهو حسن في المعنى لأنه يقال بلغ الغلام شِدَّتَه ، ولكن لا يجمع فعلة على أفعل ، وأما أنتم فإنما هو جمع نَم بالضم : ضد البؤس . وقيل هو جمع شَد بالفتح نحو كلب وأكلب وقيل جمع شَد بالكسر مثل ذئب وأذؤب . وكلا هذين القولين قياس وليسا بمسموعين ، وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه مثل محاسن ومشابه ، وقيل هو ليس بجمع وإنما هو مفرد جاء على صيغة الجمع مثل آئك ، وهو الأسرِب ولا نظير لهما .

وهذا قول أبي زيد^(١) . وحكى في همزته الضمة : لغة في فتحها ، ومعنى الأشد القوة وهو ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين . وقيل : إلى أربعين ، أو إلى خمسين . قال سُحَيم بن وَتِيل :

أخو خمسين يُجْتَمَعُ أَشْدَى ونَجْدُنِي مَدَاوِرَةَ الشُّوْنِ

وفي عمدة الحفاظ للسَّيْن : هو جمع شِدَّة بمعنى القوة والجلادة في البدن والعقل ، وقد شَدَّ يَشِدُّ شِدَّةً إذا كان قوياً ، وأصل الشدَّة العقد القوي ، وشددت الشيء : قويت عقده ، وأشدَّ يستعمل في العقل وفي البدن وفي قوى النفس .

هذا واستدلال الشارح المحقق — تبعاً لابن الحاجب في شرح المفصل — بتأنيث الفعل لكون أشدَّ جمعاً محلُّ بحث ؛ فإنَّ أهل التفسير واللغة أجمعوا على تفسيره بالقوة ، فيحتمل أن يكون تأنيث الفعل له باعتبار معناه لا لكونه جمعاً ، وكان ينبغي أن يستدل بمادة الفعل وصيغته ، فإنَّ الجمع معناه تاليف

(١) يعني القول بأن (أشد) جمع شدة . انظر النوادر له ٥٤ .

المتفرق ، والاجتماع مطاوعه وهو تألف المتفرق ، فلا يتصور معناه إلا بين متعدد ، ولا يكون الاجتماع من شيء واحد . على أن الرواية :

بلغتها مجتمع الأشد

بالخطاب لا بالتكلم .

صاحب الشاهد : وهو من أرجوزة لأبي نُخَيْلة مدح بها هشام بن عبد الملك ، منها :

٧٩ (وقلت للعيس أعتلى وجُدَى ففى تَخَدَى أحسن التَخَدَى
قدِ ادْرعنَ فى مَسِيرِ تَمْدِ ليلاً كلون الطيلسان الجرد
إلى أمير المؤمنين المُجْدَى ربّ معدّ وسوى معدّ
من دعا من أصيدٍ وعبد ذى المجد والتشريف بعد المجد
فى وجهه بدرٌ بدا بالسعد أنت الهمام القرم عند الجِدِ
بلغتها مجتمع الأشد فأنهل لما قت صوب الرعد)

والعيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، مفردة المذكر أعيس والمؤنث عيساء . واعتلى : ارتقى . والجدّ بالكسر : الاجتهاد فى الأمور ، تقول جدّ فى الأمر يجدّ بالضم . وتَخَدَى ، بالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، أصله تتخدى ، أى تسرع ، حذفت منه التاء : من خَدَى البعيرُ يخْدِي خدياً : أسرع وزجّ بقوائمه . والسُد ، بفتح السين المهملة وسكون الميم ، فى الصحاح : وسدت الإبل فى سيرها : جدّت . وفى القاموس : هو السَرمد أى الطويل الدائم ، يقال هو لك سمداً أى سرمداً . والادّراع : افتعال لبس الدرع وهو قبض المرأة . والطيلسان : من لباس المعجم ، لونه أسود للمهابة . والجرد الخلق ، يقال ثوب جرد . والمجدى : اسم فاعل من أجدى عليه بمعنى أعطاه عطاء كثيراً ، من الجداء والجدوى بفتح الجيم فهما ، وهو المطر الذى لا يعرف

أقصاه ، وقيل المطر العام . وربُّ كل شيء : مالكة ومستحقته . ومعدُّ : أبو العرب وهو معدُّ بن عدنان . وقوله (ممن دعا) بيان لقوله (سوى معد) . وقوله (من أصيد الخ) بيان لمن دعا ، أي هو سيد من دعا لنفسه من ملك وسوقة . والأصيد : الملك . وقوله (أنت الهمام) التفات من الغيبة إلى الخطاب . والمُهام : الملك العظيم الهمة والسيد الشجاع . والقُرم بالفتح : السيد ، وأصله الفعل المُكْرَم لا يُركب ولا يُرْحَل . والجِد بالكسر ضد الهزل ، تقول جدَّ يجِدُّ بالكسر . وقوله (بَلَفَتْها) بالبناء للفاعل ، وروى « بَلَفَتْها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، وروى أيضاً « طَوَّقَتْها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، والطوق : حَلَى العنق ^(١) وكل ما استدار بشيء ، وتطوقه : لبسه . وضمير بلفتها للخلافة الموهودة ذهاناً . وجتمع اسم فاعل حال من ضمير المخاطب ، ولا تضر الإضافة لأنها لفظية . وظهر بهذا أن بيت الشاهد على غير وجهه ، ويحتمل أن يكون من أرجوزة أخرى ، والله أعلم . وانهل بمعنى سال إن كان الصَوْبَ بالباء الموحدة ، وبمعنى ارتفع ، إن كان الصوت بالمشناة الفوقية . . يريد إنك لما قتت بأمر الخلافة انفتح أبواب الخير .

وفي الأغاني أن أبا نخيلة قال : قرأتها حتى أتيت إلى آخرها وهمت أن أسأله فيها ، ثم ذكرت أن الناس نصحوني على أن لا أسأله شيئاً فإنه يحرم من يسأله ، فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال : الغلام السعدي أشعر من الشيخ أبي النجم العجلي . وخرجت فلما كان بعد أيام أتتني جائزته . . ولما أفضت الخلافة إلى السفاح نقل هذه الأرجوزة الدالية إليه ، فهي إلى الآن في ديوانه منصوبة إلى السفاح ^(٢) .

(١) في النسختين : « على العنق » ، صوابه من اللسان والقاموس .

(٢) القصة على هذا الوجه مقتضية اقتضاباً . وهي على تفصيل واضح في الأغاني

وأبو نخلية بضم النون وفتح الخاء المعجمة ، اسم الشاعر لا كنيته . ترجمة أبي نخلية
 كذا في الأغاني . وقال ابن قتيبة : اسمه يعمر ، وكنى أبا نخلية لأن أمه ولدته
 ٨٠ إلى جنب نخله . ويكنى أبا الجنيد وأبا العرماس ، وهو من بني حِجَّان بن كعب^(١)
 ابن سعد ، بكسر المهملة وتشديد الميم . وكان عاقاً لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ،
 فخرج إلى الشام فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ،
 مطعوناً عليه . وكان الأغلب على شعره الرجز ، وله قصيدٌ ليس بالكثير .
 ومن شعره :

وإنَّ بقوم سودوك لحاجةٌ إلى سيد لو يظفرون بسيد^(٢)

ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن إليه ،
 وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستأجروهم له فأغنوه . وكان بعد ذلك
 قليل الوفاء : انقطع إلى بني العباس ، ولقّب نفسه بشاعر بني هاشم ، فمدح
 الخلفاء من بني العباس وهجا بني أمية . وكان طامعاً ، فحمله طمعه على أن قال
 في المنصور أرجوزة يُغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد
 المهدي ، فوصله أبو جعفر بألفي درهم ، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى ، ففعل
 فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولًى له فأدركه في طريق خراسان ،
 فذبحه وسلخ وجهه^(٣) .

* * *

(١) ط فقط : « حمار بن كعب » ، صوابه في السـ والشراء لابن قتيبة ٥٨٣ .
 وانظر الاشتقاق ١٥٤ والأغاني ١٨ : ١٣٩ — ١٥٢ .

(٢) في الشراء : « لغافة » .

(٣) في الأغاني : « وسلخ جلده » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون :

٢١ (جَذَبَ الصَّرَارِيْنَ بِالْكُورِ)

على أن (الصَّرَارَى) جمع (صُرَاء) وهو جمع صارٍ بمعنى الملاح ، وهو السَّفَّان الذى يُجْرَى السفينة . والصارى بالصاد والراء المهملتين على وزن القاضى معتل اللام بالياء ، وجمعه على صَوَارٍ قياسٌ مطّرد لأنه جمع فاعل ، اسماً لا وصفاً ، بخلاف جمعه على صُرَاء ؛ إذ جمع (فاعل) المعتل اللام على (فُعَال) نادر ، نحو جان وجُنَاء ، وغازٍ وغَزَاء ، وقارٍ وقُرَاء ، ولما شابهَ صُرَاء وزن المفرد نحو زُنَار وكُلَّاب جاز جمعه على فعاويل نحو صَرَارَى ، كما تقول زناوير وكلايب ، ثم جُمع الصَرَارَى جمع تصحيح فقبل الصَّرَارِيُونَ . هذا تقرير كلام الشارح .

وقال أبو على الفارسيّ فى الإيضاح الشعرى : « الأشبه أن يكون صُرَاء مفرداً جمعه صَرَارَى ، ألا ترى أن فُعَالاً جمعاً كشُهَاد ولم نعلمه جاء مكسراً كما جاء تكسير فِعَال نحو جمال وجائل . وعلى هذا يكون الصُّرَاء كالصارى . » وكلا هذين القولين خلاف المنقول والمسموع .

أما الأوّل فقد تقل الثقات — كابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق ، والجواليقى ، وابن السّيد فى شرح شواهد أدب الكاتب ، وصاحب الصحاح والعياب والقاموس — أن الصَرَارَى مفرد مثل الصارى ، وأن جمعه الصَّرَارِيُونَ ، وأنشدوا له هذا البيت ، وأن جمع الصارى الصُّرَاء كقوله :

* إشراف مُرْدَى على صُرَائِهِ *

فيكون (الصَّرَارَى) من مادة الثلاث المضعف ، و (الصارى) من مادة الثلاثى المعتل . إلا أن صاحب القاموس أساء حيث أورد الصَرَارَى فى المعتل

أيضاً جمّاً للصارى ، مع أن فاعلاً لا يجمع على فاعيل ، وإنما الذى يجمع عليه (فعّال) بالضم والتشديد كما مر ، أو (فعّال) بالفتح والتشديد نحو : جَبَّار وجباير .

وزنة فعّال غير موجودة فى أوزان المفردات من أبنية سيبويه وغيرها ، فيكون فى الأصل منسوباً إلى (صرارة) وهو اسم نهر ، والذى لم يجمع ، والذى لم يتزوج ؛ أو إلى (صرار) بدون هاء وهو كسحاب وكتاب : اسم ٨١ وادٍ بالحجاز .

وأما الثانى فقد قال الفرزدق :

ترى الصّرارى والأمواجَ تضربه لو يستطيع إلى برّية عبّرا^(١)
وقال خليفة بن حَمَل الطُّهَوّى^(٢) أيضاً :

ترى الصرارى فى غبراء مظلمة تعلوه طوراً ويعلو فوقها نيراً^(٣)

فقد رجع الضمير إليه فى البيت الأول مفرداً ثلاث مرات ، وفى البيت الثانى رجع إليه مفرداً مرتين .

وقال القطامى ، فى وصف غواصٍ دُرّةٍ شبه حبيته بها ، من قصيدة :

حتى إذا السُّفنُ كانت فوق معنلج ألقى المعاوزَ عنه ثُمّت انكثما

(١) ديوان الفرزدق ٢٨٨ برواية : « والأمواج تطلبه » .

(٢) فى اللسان : « خلف بن جميل » ، تحريف . وخليفة بن حمل أشعار فى نوادر أبى زيد ١٤٣ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٣) ط : « فوّه » صوابه فى نوادر أبى زيد ١٤٦ . وتير ، بكسر ففتح : جمع تارة ، كما فى اللسان . وأنشد :

* يقوم تارات ويمشى نيرا *

وصواب رواية البيت : « عوم الصرارى » لأن قبله فى النوادر :

شبهت قلنهم فى الآل إذ عسفوا حزم الشريف تبارى فوقه زمرا

في ذى جُلُول يقضى الموتَ صاحبه إِذَا الصَّرَارِيُّ من أهواله ارتسما^(١)
فلو كان جمعاً كما زعموا لقال : ارتسموا . قال شارح ديوانه أبو سعيد
السكري : « والصَّرَارِيُّ الملاح ، والصَّرَاء الملاحون ، والواحد صار » .
وأورد الحريري في درة الفواص البيت الثاني وزعم أنه يصف فلكا .
والمعتلج : اسم فاعل من اعتلجت الأمواج : التطمت واضطربت .
والمعاوز بالفتح : جمع معوز بالكسر ، وهو الثوب الخلق الذي لا يتبدل ؛
لأنه لباس المعوزين . والمعاوز مفعول ألقى ، وقاعله ضمير الفواص في بيت قبله .
وانكتم معطوف على ألقى ، وضميره كضميره ، وقوله في ذى جُلُول متعلق
بانكتم ، أى توارى في ماء كثير عظيم . والجُلُول : جمع جُلّ ، وهو معظم
الشيء ، وقيل الجلول جمع جَلّ بفتح الجيم ، بمعنى الشراع ، يعنى ماء فيه سفن
لها شُرْع . والارتسام بالسین المهملّة : التكبير والتعوّذ والدعاء . يقول :
إن الملاح دعا وعوذ حين شاهد عظم الأهوال بتلاطم الأمواج .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من أرجوزة للعجاج يصف فيها سفينة . وقوله :

(لَأَيًّا يَنَائِيهَا مِنَ الْجُثُورِ جَذْبُ الصَّرَارِيِّينَ بِالْكُرُورِ
إِذْ نَفَعَتْ فِي جَلِّهَا الْمَسْجُورُ^(٢) حَدَوَاءَ جَاوَتْ مِنْ حِيَالِ الطُّورِ)

اللاى بفتح اللام وسكون الهززة : البطء والشدة ، وهو منصوب على
نزع الخافض أى بلائى . وينائيا : يباعدها من النأى ، وروى « يثانها »
بالمثلثة والنون من ثناء ، إذا عطفه : والجثور . مصدر جار ، إذا عدل عن

(١) في ط : « إذ الصراري » ، صوابه في س وديوان القطامي ٧٠ واللسان (صرر ،
جلل ، رسم) .

(٢) ط : « لفتح » باللام ، واثبت ما في س . قال الأصمى : ما كان من الرياح
لفح فهو حر ، وما كان نفح فهو برد .

القصد ، وهو مصدر مماعى جاء على فعول بالضم ، لكن همز عينه على مقتضى القاعدة . ولم أر من نبه على هذا المصدر غير ابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق وابن السيد البطلانى فى شرح شواهد أدب الكتائب ، وكلاهما نبها عليه فى هذا البيت ، وكذلك الجوالقى فى شرح أدب الكتائب أيضاً . والكروور : الحبال ، واحدها كرف بالفتح ، قال أبو حنيفة فى كتاب النبات : قال أبو خيرة ^(١) : الكر الغليظ من الحبال . وقال الطوسى : هو جبل يكون من جلود وغيرها . وأنشد هذا البيت . وجنب فاعل يثائبها . يقول : إذا عدلت هذه السفينة وجارت عن القصد لم يصرفها الملاحون عن ذلك الأبعد بطاء ومشقة . ونفّحت ^(٢) بالحاء المهملة : هبت . وأجلّ بفتح الجيم : الشراع ، كما تقدم . والمسجور بالسين المهملة والجيم : الذى شدّ بالحبال . قال فى العباب : اللؤلؤ المسجور : المنظوم المسترسل ، قاله أبو عبيد . وأنشد للمخبل السعدى :

٨٢

وإذا ألمّ خيالها طرفت عيني فاء شتونها سجم
كاللؤلؤ المسجور أغفل فى سلك النظام فخانه النظم ^(٣)

والحدواء فاعل نفّحت ^(٤) بالحاء والدال المهملتين ، وهى الريح تحدو السحاب ، أى تسوقها ، وهى ريح الشمال . والطور : جبل ، والريح التى تهب من قبله هى الشمال . وحيال الطور : ناحيته وإزاؤه ، وهى بكسر الحاء المهملة ، وبالمشاة التحتية ، يقال قعد حiale أى بإزائه . وروى : « من بلاد الطور » ^(٥) .

(١) ط : « أبو حيرة » صوابه فى ص . وأبو خيرة : أحد رواة الأعراب . ترجم له ابن التديم فى الفهرست ٦٨ . واسمه نهشل بن زيد .

(٢) ط : « لفحت » باللام ، وأثبت ما فى ص . وانظر ما سبق فى الحواشى .

(٣) ط : « أهقل » ، صوابه فى ص والمفضليات ١١٣ .

(٤) ط : « لفحت »

(٥) وروى أيضاً : « من جبال الطور » ، كما فى الاقتضاب ١٧٦ .

والمعجاج اسمه عبد الله وكنيته أبو الشعثاء، وتقدم نسبه في ترجمة ولده
رؤبة في الشاهد الخامس^(١) ، وكان يقال له عبد الله الطويل ، ولقب
بالمعجاج لقوله :

* حَتَّى يَمِجَّ عِنْدَهَا مِنْ عَجَجَا *

وهو أول من رفع الرجز وجعل له أوائل وشبهه بالقصيد .

* * *

وأُشِدَّ بَعْدَهُ لِلْكَيْتِ ، وهو الشاهد الثاني والعشرون :

٢٢ * وَلَمْ يَسْتَرِثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالًا عَشَارًا *

على أن (عُشَار) المعدول عن عشرة قد جاء في قول الكبيت .

والمسألة مفصلة في الشرح .

قال الحريري في درة الفوَّاص : « روى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا
البناء منسقا إلى عُشَار ، وأُشِدَّ عليه ما عَزَى إلى أنه مصنوع^(٢) منه :

قُلْ لِعَمْرٍو يَا ابْنَ هَنْدٍ	لَوْ رَأَيْتَ الْيَوْمَ شَنْنَا
رَأَيْتُ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ	كُلُّ مَا كُنْتَ تَمْنَى
إِذْ أَتَيْنَا فَيَلَقَوْا شَمَّ	بَاءَ مِنْ هَنَا وَهَنَا
وَأَتَتْ دَوَسْرُ وَالْمَلَا	جَاءَ سِيرًا مَطْمَنَا
وَمَشَى الْقَوْمُ إِلَى الْقَوِ	مَ أَحَادَ وَأُتْنَى ^(٣)
وَتُلَاثًا	وَرُبَاعًا وَخَمَاسًا فَاطْعَنَا

(١) ص ٨٩ .

(٢) ط : « مصوغ » . وفي درة الفوَّاص ٤٠ « موضوع » ، صوابه في س .

(٣) ط : « أحادي » ، وصححت بحذف الباء في ش . وفي ط : « ومثنى » .

وُسْدَاسًا وُسْبَاعًا وَثَمَانًا فَاجْتَدَدْنَا
وَنُسَاعًا وَعَشَارًا فَأَصْبَنَا وَأَصْبَنَا
لَا نَرَى إِلَّا كَيْثًا قَاتِلًا مِنْهُمْ وَمَنَا

ودلائل الوضع في هذه الأبيات ظاهرة . وكان خلف الأحمر منهما بالوضع . وشن : قبيلة . والفيلق : الجيش ، وأنه باعتبار الكتيبة . وهنا بالفتح اسم إشارة لل قريب . ودوسر : كتيبة للنعمان بن المنذر . والملحاء : كتيبة أيضا لآل المنذر .

وترجمة الكميت قد مضت في الشاهد السادس عشر^(١)

قال ابن السيد في شرح شواهد أدب الكاتب : « ومعنى يستريثوك يجدونك رائثا ، أى يطيئا ، من الريث وهو البطء . ورميت : زدت ، يقال رمى على الحسين وأرمى ، أى زاد . يقول : لما نشأت نشء الرجال أسرع في بلوغ الغاية التى يطلبها طلاب المعالى ، ولم يقنعك ذلك حتى زدت عليهم بمشر خصال ، فقت السابقين^(٢) وأياست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين » . انتهى .

ووقع في رواية ابن جنى في الخصائص (علوت) موضع رميت . وروى أبو جعفر النحاس :

حتى أتيت فوق الرجال خلا عشارا

وروى الحريرى في الدرة : (نصلا) بدل خصالا ، والأول هو الصحيح .

وهذا البيت من قصيدة للكميت ، يمدح بها أبان بن الوليد بن ٨٣ عبد الملك بن مروان وقبله :

(١) انظر ما سبق في ص ١٤٤ .

(٢) كذا بالتلفظ بعد الفاء في النسختين والاقتضاب ٤٦٧ .

(رَجُوكَ وَلَمْ يَبْلُغِ الْعُمَرَ مِنْكَ ^(١) عَشْرًا وَلَا نَبَتْ فُيْكَ اتْفَارًا
لَأَدْنَى خَسًا أَوْ زَكَ مِنْ سِنِيكَ إِلَى أَرْبَعِ فَبَقُوكَ ^(٢)) (انتظارًا)

وبعده بيت الشاهد . يقول : تبينوا فيك السُّودد لسنة أو سنتين من
من مولدك فرجوا أن تكون سعيداً أميراً مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر
سنين . وقوله (وَلَا نَبَتْ فُيْكَ اتْفَارًا) أى اثفرت ولم تنبت أسنانك بعد .
في الصحاح : « وإذا سقطت رواضع الصبي قيل : ثُفِرَ فهو مثفور ، فإذا نبتت
قيل : ائفرت ، وأصله ائفرت فقلبت الثاء تاء ثم أدغمت ، وإن شئت قلت ائفرت
بجمل الحرف الأصلي هو الظاهر » . وقوله (لَأَدْنَى خَسًا أَوْ زَكَ) الخسا بفتح
الخاء المعجمة : الفرد ، والزَّكَ بفتح الزاى المعجمة : الزوج ، وخسا وزكا ينون
ولا ينون ، والمعنى أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا
وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للناس
مادلم على ما رجوه منك وتفرسوك عند كمال سنك وقوله فبقوك أى انتظروك
يقال بقوت الشيء إذا انتظرته ، ومنه يقال للمؤدبين بقاة لأنهم ينتظرون
أوقات الصلاة . وانتظاراً منصوب بقوله بقوك لأنه فى معنى انتظروك انتظاراً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون ، وهو من أبيات سيبويه ^(٣) :

٢٣ * إِلَّا عُلَالَةً أَوْ بُدَا هَةَ سَابِحَ نَهْدِ الْجُزَارَةِ *

على أن المضاف يحذف مع دلالة ما أضيف إليه تابع ذلك المضاف عليه .

(١) ط : « العمر سنك » ، وأثبت ما فى سـ

(٢) ط : « فبقون » ، صوابه من سـ .

(٣) فى كتابه ١ : ٩١ ، ٢٩٥ .

ذكر الشارح المحقق في باب الإضافة أن هذا مذهب المبرد، وأيده بما ذكره هناك على مذهب سيبويه، وهو أن علالة مضاف إلى المجرور الظاهر، وبداهه في الأصل مضاف إلى ضميره، والتقدير: إلاّ علالة سابع أو بداهته، ثم حذف الضمير وجعل بداهة بين المتضايين، إلى آخر ما ذكره. وسيأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى.

وهذا البيت من قصيدة للأعشى يخاطب بها شيبان بن شهاب، منها: صاحب الشاهد

(وهناك يكذب ظنكم أن لا اجتماع ولا زياره
ولا براءة للبري ولا عطاء ولا خفاره
إلاّ علالة أو بداهة سابع نهج الجزاره

إلى أن قال:

ولا تقاتل بالعصى ولا تُرامى بالحجاره (

يقول: إذا غزوناكم علمتم أن ظنكم بأننا لا نفزوكم كذب، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخليل والسلاح غازين لكم، ومن كان بريثا منكم لم تنفعه براءته، لأنّ الحرب إذا عظمت لحق شرها البريء كما يلحق المسيء، يريد إننا ننال منكم من المسيء والبريء بما تكرهون، ولا نقبل منكم عطاء ولا نعطيكم خفارة تفتدون بهما منا.

والخفارة بالضم والكسر: الذمة، قال في المصباح: «خَفَرَ بالعهد من باب ضرب وفي لغة من باب قتل، إذا وفي به. وخفرت الرجل: حميته وأجرته من طالبه، والاسم الخفارة بضم الخاء وكسر ها». وقوله (إلاّ علالة) استثناء منقطع من قوله (لا اجتماع^(١)) أي لكن نزوركم بالخليل. والعلالة بضم العين

(١) في النسختين: «لا اجتمع»، تحريف. والآيات في ديوان الأعشى ١١٤.

المهمله: بقية جرى الفرس وبقية كل شيء أيضا ، وهو من التملل بمعنى التلهي .
 والبداهة بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، وأو للضراب . ووقع في رواية
 ابن جني في سر الصناعة والخصائص تقديم (بداهة) فأو على هذا لأحد الشينين .
 والساج : الفرس الذي يدحُو الأرض بيديه في العدو ، ويروى بدله (القارح)
 وهو من الخيل : الذي بلغ أقصى أسنانه ، يقال قرَح ذو الحافر يقرَح بفتحهما
 قُرُوحا : انتهت أسنانه ، وذلك عند إكمال خمس سنين . والنهد بفتح النون :
 المرتفع . والجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان ، وهذا في الأصل فيما
 يذبح ، وسميت بذلك لأن الجزار يأخذها في مقابلة ذبحها ، كما يقال أخذ العامل
 عُمالته بالضم ، فبقى هذا الاسم عليها . يريد أن في عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً ،
 فإنه يستحب في عنق الخيل الطول واللين . وقد فرق سليمان بن ربيعة بين
 العناق والمجن بالأعناق ، فدعا بطست من ماء فوضعت بالأرض ، ثم قدمت
 الخيل إليها واحداً واحداً ، فما ثنى سنبكه وهو مقدم الحافر ثم شرب هَجَنه ،
 وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا ، وذلك لأن في أعناق المجن قِصَرا ،
 فهي لا تنال الماء على تلك الحالة حتى تتنى سنابكها — ويستحب أيضا أن
 يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلاً فيوصف حينئذ بطول القوائم .
 قال الشاعر :

شَرَحَبٌ سَلَهَبٌ كَانَ رَمَاحاً حَمَلَنَهُ وَفِي السَّراةِ دَمُوجُ

والشرح ب والسلهب ، كلاهما على وزن جعفر ، بمعنى الطويل . والسراة
 بفتح المهمله : أعلى الظهر . والدموج : دخول بعض الشيء في بعضه من شدته
 واكتنازه ، وأما الساقان فيستحب قصرهما . وقال الشاعر :

له متن عَبر وساقا ظليم (١)

(١) كتب المبنى : « المصراع ذكره القالي ونقله البكري ولم يثبت عليه شيئا » .

المير : الحمار الوحشي . والظليم : ذكر النعام ، كذا في أدب الكاتب لابن قتيبة ، وبه يعلم سقوط قول الشنتمري : « النهدي : الفليظ ، والجزارة : الرأس والقوائم ويستحب غلظهما مع قلة لحمهما » . وأوهى منه قول الجوهري وتبعه صاحب العباب ونقله المعين : « إذا قالوا فرس نهد أو عبل الجزارة فإنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبهما ، ولا يدخل الرأس في هذا ، لأنَّ عظم الرأس هجنة في الخيل » . وخبط المطرزي في شرح المفصل خبط عشواء فقال : « يعني كنا في سفر أو حرب انقطع فيها جميع الأفراس عن السير ، ولم يبق لها جري إلا علالة أو بداهة فرس ساج » . هذا كلامه ، وكأنه لم يقف على ما قبله من الأبيات . « وقوله ولا تقا تل بالعصى الخ) يصف قومه بأنهم أصحاب حروب يقاتلون على الخيل ، لا أصحاب إبل يرعونها فيقاتل بعضهم بعضا بالعصى والحجارة .

(والأعشى) كنيته أبو بصير ، واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن نرجة الأعشى شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل . وكان أبوه قيس يدعى قنيل الجوع : وذلك أنه كان في جبل فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الفارقات فيه جوعاً . وكان الأعشى من فحول شعراء الجاهلية ومن قدم على سائرهم ، سلك في شعره كل مسلك ، وقال في أكثر أغاريض العرب ، وليس ممن تقدم من الفحول أكثر شعراً منه . وسئل ابن أبي حفصة : من أشعر العرب ؟ قال : ٨٥ شيخا وائل : الأعشى في الجاهلية والأخطل في الإسلام . وسئل يونس النحوي : من أشعر الناس ؟ قال : لا أسمى إلى رجل بعينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس إذا ركب ، والناقة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وهو أول من سأل بشعره . وكانوا يسمونه صنّاجة العرب لجودة شعره .
 وكان أبو عمرو بن العلاء يفخّم منه ويمعّظ محله ويقول : شاعر مجيد ، كثير
 الأعاريف والافتنان . وإذا سئل عنه وعن لييد قال : لييد رجل صالح
 والأعشى رجل شاعر .

وروى المفضل بسنده عن الشعبي : قال عبد الملك بن مروان لمؤدّب
 أولاده : أدّبهم برواية شعر الأعشى ، فإنه — قاتله الله — ما كان أعذب
 بحره وأصلب صخره !

قال المفضل : من زعم أن أحداً أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر .
 وكان الأعشى يفد على الملوك لاسيما ملوك فارس ، ولذلك كثرت الألفاظ
 الفارسية في شعره ، قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء^(١) : « وكان الأعشى
 جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام في آخر عمره ، ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في
 صلح الحديبية ، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذي يريد ، فقال :
 أردت محمداً . قال : إنه يحرم عليك الحر والزنى والتمار . قال : أما الزنى فقد
 تركنى ولم أتركه ، وأما الحر فقد قضيت منها وطراً ، وأما التمار فلعلّي أصيب
 منه عوضاً . قال : فهل لك إلى خير من هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه
 (هدية) فترجع عامك هذا ، وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظفر بعد ذلك أتيته ،
 وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً . فقال : لا أبالي ! فأخذه
 أبو سفيان إلى منزله وجمع عليه أصحابه وقال : يا معشر قريش ، هذا أعشى
 قيس ، ولئن وصل إلى محمد ليضربن^(٢) عليكم العرب قاطبة . فجمعوا له مائة
 ناقة حمراء ، فانصرف فلما صار بناحية النجاة ألقاه بغيره فقتله . انتهى .

(١) الشعراء ، ٢١٢ .

(٢) التضريب : الإغراء .

وقال شارح ديوانه محمد بن حبيب : وكان الأعشى فيما روى رجل^(١) عند ظهور النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى مكة ، وكان قد سمع قراءة الكتب ، فنزل عند حُتَيْبَة بن ربيعة ، فسمع به أبو جهل فأتاه في فنية من قريش ، وأهدى له هدية ثم سأله : ما جاء بك ؟ قال : جئت إلى محمد ، إني كنت سمعت مبعثه في الكتب لأنظر ماذا يقول ، وماذا يدعو إليه ، فقال أبو جهل : إنه يحرّم الزنى . فقال : لقد كبرت ومالي في الزنى حاجة . قال : فإنه يحرّم عليك الحر . قال : فما أحل ؟ ١١ فجلوا يحدثونه بأسوأ ما يقدرّون عليه . فقالوا : أنشدنا ما قلت فيه . فأنشد :

ألم تفتنّض عيناك ليلة أرمداً وعادك ما عاد السليم المسهداً
وهي قصيدة جيّدة عدتها أربعة وعشرون بيتاً ، فلما أنشدهم قالوا : هذا رجل لا يمدح أحداً إلا رفعه ، ولا يهجو أحداً إلا وضعه . فن لنا يصرفه عن هذا الوجه ؟ فقال أبو جهل للأعشى : أما أنت فلو أنشدته هذه لم يقبلها . فلم يزالوا به ، لشقاوته ، حتى صدّوه وخرج من فورتته حتى وصل البجامة^(٢) فكش بها قليلاً ثم مات .

وروى ابن دأب وغيره أن الأعشى خرج يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال شعراً ، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلته فقتلته ، فلما أنشد شعره الذي يقول فيه :

وآليتُ لا أُرثي لها من كلالَةٍ ولا من حَفٍّ حَتَّى تُلاقى محمداً
مَتَى ما تُناخِي عند باب ابن هاشمٍ تَراجِي وتلقَى من فواضله ندى

(١) هذه الكلمة ساقطة من طائفة في س .

(٢) الوجه : وصل إلى البجامة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كاد ننجو ولأنا » .

ونزد هذه القصيدة إن شاء الله مشروحة في شواهد مغنى اللبيب ، فإنه استشهد بغالب أبياتها ، ولم يقع منها شيء في هذه الشواهد^(١) .

وللأعشى أخبار آخر تأتي متفرقة في شرح شواهد من شعره .

والأعشى في اللغة : الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ، والمرأة عشواء ، وعشى الرجل بالكسر عشا بالقصر إذا ضعف بصره ، وكان هذا الأعشى عمى في أواخر عمره . وعدة من هو أعشى من الشعراء سبعة عشر شاعراً ، ذكرهم الآمدي في المؤلف والمختلف .

* * *

وأنشد بمده ، وهو الشاهد الرابع والمشرون :

٢٤ (حَلَّائِلَ أَسْوَدِينَ وَأَحْمَرِينَا)

وأوله :

(فَمَا وَجَدْتُ بَنَاتُ بَنِي نِزَارِ)

على أن جمع أسود وأحمر جمع تصحيح شاذ ، كما يحىء في باب الجمع . وقال في باب الجمع : فكل صفة لا تلحقها التاء فمكانها من قبيل الأسماء ، فلذا لم يُجمع هذا الجمع « أَفْعَلُ فَعْلَاءُ وَفَعْلَانُ فَعْلَى » . وأجاز ابن كيسان أحمر ونسكرانون ، واستدل بهذا البيت ، وهو عند غيره شاذ . ١ هـ .

وبناتُ فاعل وجدت ، وحلائل مفعوله ، ونِزار بكسر النون : هو والد مُضَرِّ بن نزار بن معد بن عدنان . والحلائل : جمع حليل بالخاء المهملة ، وهو

(١) يبنى شواهد شرح الرضى على الكافية .

الزوج . والحليلة : الزوجة ؛ سُمِّيَا بذلك لأنَّ كلاً منهما يحملُ للآخر ولا يحرُم ،
أو لأنَّ كلاهما يحملُ من صاحبه محلاً لا يحمله غيره . وأسودين صفة حلائل .

وهذا البيت من قصيدة لحكيم الأعور^(١) ابن عَيَّاش الكلبي^(٢) ، من صاحب الشاهد
شعراء الشام ، هجا بها مضر ورمى فيها امرأة الكيت بن زيد بأهل الحبس^(٣) ،
لما فرَّ منه بتياب امرأته .

وسبب حبس الكيت على وجه الاختصار ، أنَّ حكيمًا الأعور هذا كان
ولمَّا بهجاء مُضَرَ ، فكانت شعراء مضر تهجوه وتهجيه ، وكان الكيت يقول :
هو والله أشعر منكم ! قالوا : فأجب الرجل ! قال : إنَّ خالد بن عبدالله القسريَّ
محسنٌ إلى فلا أقدر أن أردَّ عليه . قالوا : فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك
وبنات خالك من الهجاء ! فأنشدوه ذلك ، فحَيَّ الكيت لعشيرته فقال المذهبة
التي أولها :

أَلَا حَيَّيتِ عَنَّا يَا مَدِينَا

وأحسن فيها ، وهي زُهاء ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيًّا من أحياء اليمن
إلا هجَّام . ومنها :

وَلَا أَعْنَى بِذَلِكَ أَسْفَلِيكُمْ وَلَكِنْ أُرِيدُ بِهِ الذُّوِينَا

وتقدم شرحه ، وهو الشاهد السادس عشر ؛ وعرض الكيت فيها
بأخذ الفُرس والحبشة وغيرهما لساء اليمن بقوله :

لَنَا قَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ تَشِيرُ إِلَيْهِ أَيْدَى الْمُهْتَدِينَا

(١) الميمى : « حكيم » ، مضر فيها أرى .

(٢) ترجم له ياقوت في معجمه ١٠ : ٢٤٧ وورد ذكره في الحيوان ٢ : ٦ .

(٣) الحبس ، يعنى السجن موضع الحبس .

وما ضربت بناتِ بنو نزار هوائجُ من فحول الأعجمينا
وما حملوا الحيرَ على عِناقِ مطهمةٍ فيلفوا مُنغلينا

٨٧ والهوائجُ : جمع هائج ، وهو الفحل الذي يشتهي الضراب . وبلغ خالدًا القسري خبر هذه القصيدة فقال : والله لأقتلنه . ثم اشترى ثلاثين جارية في نهاية الحسن فرواهن القصائد الهاشميات للكُميت ، ودسهن مع نخاس إلى هشام ابن عبد الملك فاشتراهن ، فأنشدنه يوماً القصائد المذكورة فكتب إلى خالد ، وكان يومئذ عامله بالعراق : أن ابعث إلى برأس الكُميت . فأخذه خالد وحبسه ، فوجه الكُميت إلى امرأته ، ولبس ثيابها وتركها في موضعه وهرب من الحبس ، فلما علم خالدُ أراد أن ينكل بالمرأة ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا : ماسبيك على امرأةٍ لنا خدعتنا فخافهم وخلي سبيلها ، ثم إن الكُميت اتصل بمسلة بن هشام ، فشفع فيه عند والده فشقه .

وقيل : إن سبب هجاء الكُميت أهل اليمن أن حكماً الأعور هذا ، كان يهجو على بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، وبني هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بني أمية ، فانتدب له الكُميت رحمه الله تعالى ، فنهجه وسبه وأجابه ، ولج الهجاء بينهما ، وكان الكُميت يخاف أن يفصح بشعره عن على رضى الله عنه ، لما وقع بينه وبين هشام ، وكان يُظهر أن هجاءه إياه للعصبية التي بين عدنان جد مضر وبين قحطان أبي اليمن .

وقال المستهل بن الكُميت يوماً لوالده ، لما افتخر في قصيدة بأمية موحدة ببني أمية هاجباً بها قحطان : كيف فخرت ببني أمية وأنت تشهد عليها بالكفر ، فهلا فخرت بعلي وبني هاشم الذين تتولاهم ؟ فقال : يا بني ، أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية ، وهم أعداء على رضى الله عنه ، فلو ذكرت

علياً لترك ذكركى وأقبل على هجائه ، فأكون قد عرّضتُ علياً له ولا أجد له ناصراً من بنى أمية ، ففخرت عليه بنى أمية وقلت : إن تقضها على قتلوه ، وإن أمسك عن ذكركم ثنيته عن الذى هو عليه . فكان كما قال ، أمسك الأعمور الكلبيُّ عن جوابه فغلب عليه ، وأختم الكلبي .

وقال الأعمور الكلبي يوماً :

ماسرّنى أن أمّى من بنى أسد وأنّ ربّى نجاتى من النارِ
وأنتهم زوجونى من بناتهم وأنّ لى كلّ يوم ألف دينارِ
فأجابه السكيت :

يا كلبُ مالك أمّ من بنى أسد معروفةٌ فاحترق يا كلبُ بالنارِ
فأجابه الكلبيّ :

لن يبرح القوم هذا الحى من أسدٍ حتى يُفرّق بين السبت والأحدِ

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون :

٢٥ (قد صرّت البكرة يوماً أجمعا)

على أن الكوفيين جوّزوا تأكيد النكرة المحدودة . وقد أورده الشارح فى باب التوكيد أيضاً ، ويأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى .

وهذا البيت مجهول لا يعرف قائله ، حتى قال جماعة من البصريين : إنه مصنوع .

والبكرة بفتح الموحدة ومكون الكاف ، إن كانت البكرة التى يستقى عليها الماء من البئر . فصرّت بمعنى صوتت ، من صرّ الباب يصير صريراً

أى صوت ، فيكون المعنى : ما قطع استقاء الماء من البئر يوماً كاملاً ؛ وإن كانت الفتية من الإبل مؤنث البكر وهو الفتى منها — قال أبو عبيدة : ٨٨ البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الإنسان . والبكرة بمنزلة الفئاة ، والقلوص بمنزلة الجارية والبعير بمنزلة الإنسان ، والجل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة — فصُرَّتْ بالبناء للمفعول ، يقال صُرَّتْ الناقة : شددت عليها الصرار ، وهو خيطٌ يشدُّ فوق الخلف والتودية لئلا يرضعها ولدها . والفتى بفتح الفاء وكسر المثناة وتشديد الياء ، هو من الدواب : خلاف المسنن ، وهو كالشباب من الناس ؛ والأنثى فتية ؛ والفتى بالقصر : الشاب ، والأنثى فتاة . والخلف بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام : هو لدوات الخلف كاللدى للإنسان . والتودية ، بفتح المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر الدال وتخفيف المثناة التحتية ، هي خشبة تشدُّ على خلف الناقة إذا صُرَّت ، وجمعها توادير كساجد .

قال العيني ، بعد أن شرحه على الوجه الأول : صدره :

(إِنَّا إِذَا خُطَّافْنَا تَقَعَّقَا)

وفيه نظر من وجهين : الأول أن بيت الشاهد بيت من الرجز ، وليس مصراعاً من بيت حتى يكون ما ذكره صدره .

والثاني : أنه غير مرتبط ببيت الشاهد فإن بيت الشاهد لا يصح أن يكون خبراً لقوله (إِنَّا) ولا جواباً (لِإِذَا) ، اللهم إلا أن قدر الرابط ، أى صرت البكرة فيه ، وتكون حينئذ الجملة الشرطية خبراً لِإِنَّا . فافهم . والخطاف بالضم والتشديد : حديدة معرّجة تكون في جانبي البكرة فيها المحور ، وكل حديدة معطوفة خطاف . والققعقة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت ، والتقعقع مطاوعه .

وأشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون ، وهو من شواهد
المفصل^(١) :

٣٦ (أثنائي وعيدُ الحوص من آل جعفر

فيا عبد عمرو لو نبيت الأحوصا)

على أن الأحوص بالنظر إلى الوصفية جمع على (الحوص) ، وبالنظر
إلى نقله إلى الاسمية بالغلبة جمع على الأحوص .

وهذا البيت أورده الزخشرى فى المفصل على أن الأحوص يجمع
على هذين الجمعين : أحدهما فُعل ، ولا يجمع على هذا إلا أفعل صفة ، وشرطه
أن يكون مؤنثه على فعلاء كما هو مبين فى جمع التكسير ، والثانى أفاعل ،
ولا يجمع على هذا إلا أفعل اسماً أو أفعل التفضيل .

والبيت من قصيدة لأعشى قيس ، نُقِرَ فيها عامر بن الطفيل ، قاتله الله صاحب الشاهد
تعالى ، ابن مالك بن جعفر ، على ابن عمه علقمة الصحابى ، رضى الله عنه ،
ابن عُلانة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر
ابن صعصعة الكلابى العامرى . قال فى الاستيعاب : وكان سيّداً فى قومه
حليماً عاقلاً ، ولم يكن فيه ذاك الكرم .

و (الوعيد) : التهديد والتخويف . وأراد بالحوص والأحوص : أولاد
الأحوص بن جعفر ، وهم عوف بن الأحوص ، وعمرو بن الأحوص ، وشرح
ابن الأحوص . والأحوص اسمه ربيعة ، ممّى أحوص لضيق كان فى عينه .
قال فى الصحاح : والحوص أى بمهملتين : ضيق فى مؤخر العين ، والرجل
أحوص ، ويقال بل هو الضيق فى إحدى العينين ، والمرأة حوصاء . وهب وعمر :

(١) ابن بيش : ٦٢ ، ٦٣ . وهو فى ديوان الأعشى ١٠٩ .

قال ابن السيرافي في شرحه لشواهد إصلاح المنطق : هو عبد بن عمرو ابن الأحوص ؛ وقال في الصحاح : عبد عمرو وهو ابن شريح بن الأحوص . وجواب (لو) محذوف أى لو نهيهم لكان خيراً لهم ، ويجوز أن تكون للتمنى على سبيل التهم ، وإنما وجه الخطاب إليه لأنه كان رئيسهم حينئذ . وإنما قال الأعشى هذا الكلام لأن علقمة بن علاثة كان أوعده بالقتل ، ويدل عليه قوله بعد هذا بأبيات :

(فإن تتعدنى أتعدك بمثلها وسوف أزيد الباقيات القوارصا)

والقوارص : الكلمات المؤذية ، يريد إلى أزيدك على الإيعاد بقصائد الهجو . ولولا أنها في صحابي لأوردت منها أبياتا .

وكان سبب تهديد علقمة بالقتل للأعشى : هو أن علقمة بن علاثة كان نافر ابن عمه عامر بن الطفيل — وكان علقمة كريماً رئيساً ، وكان عامر عاهراً سفيهاً — وساقا إبلاجة لينخر لها المنفر^(١) ، فهاب حكام العرب أن يحكموا بينهما بشيء ؛ وأتوا هرم بن قطبة بن سنان فقال : أتبا كركبتي البعير تقعان معا وتنهضان معا^(٢) ؛ قالا : فأيتنا اليمى ؟ قال : كلا كما يمين . وأقاما سنة لا يجسر أحد أن يحكم بينهما بشيء ، إلى أن جاء الأعشى علقمة مستجيراً به ، فقال : أجيرك من الأسود والاحمر . قال : ومن الموت ؟ قال : لا . فأتى عامرا فقال له مثل ذلك ، فقال : ومن الموت ؟ قال : نعم . قال : وكيف ؟ قال إن مت في جوارى وديتك . فقال علقمة : لو علمت أن ذلك مراده لمان على . ثم إن الأعشى ركب ناقته ووقف في نادي القوم وأنشده قصيدة نقر فيها عامرا على علقمة ، منها :

(١) نفره على صاحبه تنفيرا : قضى له عليه بالعلبة .

(٢) في النسختين : « يقعان مما وينهضان معا » . والركبة مؤنثة .

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر

ومنها :

ولست بالأكثر منهم حمى وإنما العزة للسكر

وهما شاهدان من شواهد هذا الكتاب ، وسيأتى شرحهما إن شاء الله تعالى في محلها . وبعد أن أنشد القصيدة نادى الناس : نُفّر عامرٌ على علقمة ؛ ورووا الشعر وأمضوا حكم الأعشى . ودعواهم أنهما حكماؤه باطلة كما يعلمه الناس ، وكان رأى هرِمٍ خلاف ذلك . فلما سمع علقمة بهذا هدّده بالقتل ، فقال الأعشى هذه القصيدة الصادية .

ومعنى المنافرة ، كما في الصحاح : المحاكاة في الحسب ، يقال نافره فنفره ينفره بالضم لا غير ، أى غلبه . والمنفور : المغلوب . والنافر : الغالب . ونفره عليه تنغيراً أى قضى عليه بالغلبة ، وكذلك أنفره . والحسب هو من الحسبان وهو ما يعدّه الإنسان من مفاخر آباءه ، ويقال حسبه : دينه . ويقال ماله . وقال ابن السكيت : الحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، والمجد لا يكون إلا بالآباء .

وترجمة الأعشى مرت في الشاهد الثالث والعشرين^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون :

٢٧ (يا بى الظلّامة منه الثّوغلُ الزّفرُ)

وأوله : (أخو رغائب يعطيها ويسألها)

على أن الزفر بمعنى السيد ؛ قال الشارح المحقق في فعل ، بضم الفاء إذا كان علماً : « يشترط لمنع صرفه جمع شرطين : ثبوت فاعل وعدم فعل

قبل العملية . أما عمر وزفر علمين فكان الواجب صرفهما ، لأنه لما جاء لهما فاعل قبل العملية جاء فُعل أيضا نحو عمر جمع عمرة . والزُفر : السيد . قال الأعشى . وأنشد الشعر ، ثم قال : « لكنهما لما سمعا غير منصرفين حكما بأنهما علمان غير منقولين عن فُعل الجنس ، بل هما معدولان عن فاعل » انتهى . يفهم منه أنه لم يسمع صرف زفر في العملية لكن يجوز صرفه باعتبار كونه معدولا من الزافر^(١) ، كما صرح به ابن جني ، ناقلا عن أبي علي ، في كتابه المبهج^(٢) وهو شرح أسماء شعراء الحماسة ، وعبارته : « زفر معدول عن زافر ، ولذلك لم يصرف لاجتماع التعريف والعدل فيه ، ويدل على أنه معدول أنك لا تجده في الأجناس كما نجد نحو صُرد ونُفر ، وأما قوله :

يأبى الظلّامة منه النوفل الزُفر

فقال أبو علي : إنك لو سميت بهذا صرفته كما تصرفه إذا سمّيته صردا وجُرّدا وحُطّا ولبدا . وقال في موضع آخر من هذا الكتاب^(٣) : « الزفر الناهض بحمله ، وليس زفر هذا الاسم منقولا من هذا الوصف ، ولو كان كذلك لوجب صرفه ، ألا تعلم أن فُعلّا المعدول عن فاعل لا يجوز دخول اللام عليه ، وذلك نحو زحل وقم . وقد قال :

يأبى الظلّامة منه النوفل الزفر

فدخول اللام عليه يعرفك أن زفر الذي ليس مصروفا ليس بهذا لداخلية اللام ، ولو سمّيت رجلا بزفر هذا بعد خلعتك اللام عنه لوجب صرفه ، لأنه حينئذ كصرد ونُفر^(٤) . وهذا واضح ، وهو رأى أبي علي وتفسيره . انتهى .

(١) في النسختين : « الزفر » . (٢) المبهج لابن جني ص ٢٠ .

(٣) المبهج لابن جني ص ٤٩ .

(٤) في المبهج : « لأنه حينئذ كان يكون كصرد ونُفر وجعل » .

والأخ هنا بمعنى الملابس والملازم للشيء ، فإنَّ العرب استعملت الأخ على أربعة أوجه : أحدها هذا كقولهم : أخو الحرب ، والثاني : المجانس والمشابه كقولهم : هذا النوب أخو هذا ، والثالث : الصديق ، والرابع : أخو النسب وهو قسمان : نسب قرابة وهو المشهور ، ونسب قبيلة وقوم ، كقولهم : يا أخاتيم يا أخا فزارة ، لمن هو منهم ، وبه فسر قوله تعالى : « يا أختَ هَرُونَ » .
والرغائب : جمع رَغِيبَةٍ وهي العطايا الكثيرة ، كذا في الصحاح ، وفي شرح شواهد الغريب المصنَّف لابن السيرافي : والرغائب الأشياء التي يرغب فيها . يريد يعطى ما يرغب الرجال في ادِّخاره ويحرصون على التمسك به لنفسته . وأخو خبر مبتدأ محذوف ، أي هو أخو رغائب ، وجمله يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملابس في قوله : أخو رغائب . ويسألها بالبناء للمجهول : من السؤال ، ويروى موضعه و (يَسْلُبُها) بالبناء للمعلوم من السلب . والظَّالمة بالضم ، ومثله الظلمية والمظلمة بكسر اللام وضمتها ، وهو ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك .
والنَّوْفِل : البحر ، والكثير المطاء ، وقال ثعلب : النوفل العزيز الذي ينفل عنه الضيم أي يدفعه . والزُّفْر : الكثير الناصر والأهل والعدَّة . وقال في الصحاح : هو السيّد ، لأنه يزدر أي يتحمل بالأموال في الحِمالات من دين ودية مطيقاً لها ، وأنشد هذا البيت ثم قال : وإنما يريد بهينه ^(١) ، كقولك لئن لقيتَ فلانا ليلقينك منه الأسد . ومحصل كلامهم أن (من) تجريدية ، والتجريد — كما في الكشف — هو تجريد المعنى المراد عما قام به ، تصويراً له بصورة المستقل مع إثبات ملاسمة بينه وبين القائم به بأداة أو سياق .

وهذا البيت من قصيدة عدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً لأعشى باهلة ، رنى صاحب الشاهد

(١) انظر الصحاح (زفر) . وعبارته تخالف ما هنا . وانظر ترجمة الصحاح في كشف الظنون .

بها المنتشر بن وهب الباهلي ، قال الأمدى فى المؤلف والمختلف^(١) : « أعشى باهلة يكنى أبا قُحْفان ، جاهلي ، واسمه عامر بن الحارث ، أحد بنى عامر بن عوف ابن وائل بن معن ؛ ومعن أبو باهلة ، وباهلة امرأة من همدان . وهو الشاعر المشهور صاحب القصيدة المراثية فى أخيه لأمته : المنتشر » انتهى .

نوجة المنتشر والمنتشر هو كما قال أبو عبيدة : ابن وهب بن سلمة بن كُرَاثَة^(٢) بن هلال بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وكان المنتشر رئيساً فارساً . وكان رئيس الأبناء^(٣) يوم أرمام ، وهو أحد يومى مُضَر فى اليمن ، كان يوماً عظيماً قتل فيه مَرَّة بن عاهان ، وصلاة بن العنبر ، والجموح ، ومعارك .

وقال الأصمى : المنتشر هو ابن هُبيرة بن وهب بن عوف بن حارث بن ورقة بن مالك .

قال السيد المرتضى فى أماليه المسماة (غرر الفوائد ودرر القلائد)^(٤) : « وهذه القصيدة من المراثى المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة » قال : « وقد رُويت أنها للدعجاء أخت المنتشر ، وقيل للبللى أخته » قال : « ومن هنا اشتبه الأمر على عبد الملك بن مروان فظن أنها للبللى الأخيلية » .

وينبغى أن نورد هذه القصيدة مشروحة لأمر : منها أنها فادرة قلماً توجد ، ومنها أنها جيدة فى بابها ، ومنها أن كثيراً من أبياتها شواهد فى كتب العلماء .

(١) المؤلف والمختلف ص ١٤ . والنص هنا أوفى مما هناك .

(٢) من الكراث ، كسحاب ، وهى ضرب من الثبات جبلى يستمشون بلبنه . وانظر اللسان (كرت) .

(٣) الأبناء : م أبناء عسكر الفرس الذين أعانوا سيف بن ذى يزن على الحبشة . وفى ط : « الأبناء » صوابه فى س . (٤) أمالى المرتضى ٢ : ٢٤ .

ونورد أولاً خبر المنتشر ، حتى يظهر بناء القصيدة عليه . وكان من حديثه على مارواه أبو المباس أحمد بن يحيى ثعلب في روايته ديوان الأعشى قال : « خرج المنتشر بن وهب الباهلي يريد حجاً ذى الخلصة ، ومعه غلّة من قومه ، والأقصر بن جابر أخو بني فزّاص — وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له — فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب ، وطريقه عليهم — وكان من حجّ ذا الخلصة أهدى له هدياً يتحرّم به ممن لقيه — فلم يكن مع المنتشر هدىً ، فسار حتى إذا كان بهضب النّباع انكسر له بعض غلته الذين كانوا معه فصعدوا في شعب من النّباع ، فقالوا في غار فيه ؛ وكان الأقصر يتكهن ، وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب ، فقال الأقصر : النّجاء يا منتشر فقد أثبت ، فقال : لا أبرح حتى أبرّد^(١) . ففضى الأقصر وأقام المنتشر وأناه غلته بسلاحه ، وأراد قتالهم فأمنوه ؛ وكان قد أسر رجلاً من بنى الحارث بن كعب يقال له هند بن أسماء ابن زنباع ، فسأله أن يفدى نفسه فأبطأ عليه فقطع أئمة ، ثم أبطأ فقطع منه أخرى ، وقد آمنه القوم ووضع سلاحه ، فقال : أتؤمنون مقطّماً ؟ وإلهى لأؤمنه ؛ ثم قتله ، وقتل غلته . انتهى .

وذو الخلصة ، بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة : الكعبة اليمانية التي كانت باليمن ، أنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله فخر بها . وقيل هو بيت كان فيه صنم لدوس وخشم وبجيلة وغيرهم . كذا في النهاية لابن الأثير . وفي الصحاح : هو بيت نخشم كأن يدعى الكعبة اليمانية ، وكان فيه صنم يدعى الخلصة فهدم . وفي شرح البخاري لابن حجر : « ذو الخلصة بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة . وحكى ابن دُرَيْد فتح

(١) يقال يبرد يبرد برداً : مات .

أوله وإسكان ثانيه . وحكى ابن هشام ضمها ، وقيل بفتح أوله وضم ثانيه ،
والأول أشهر . والخلصة : نبات له حبٌ أحمر كخرز العقيق ، وذو الخلصة :
اسم البيت الذى كان فيه الصنم ، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة
وحكى المبرد أن موضع ذى الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لها العبلات^(١)
من أرض خثعم ، ووم من قال إنه كان فى بلاد فارس . انتهى .

٩٢٠ ورأيت فى كتاب الأصنام لابن الكلبي : أن ذا الخلصة « كان مروءةً
بيضاء منقوشة عليها كهنة التاج ، وكانت بتالة بين مكة واليمن مسيرة
سبع ليال من مكة ، وكان سدنتها بنو أمامة من باهلة بن أعصر ، وكانت تعظمها
وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة^(٢) ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ،
وفىها يقول خدّاش بن زهير العامري لعنث بن وحشى^(٣) فى عهد كان
بينهم فغدر بهم :

وذكرته بالله بنى وبينه وما بيننا من هذه لو تذكراً
وبالمروءة البيضاء يوم تبالة ومحبة النعمان حيث تنصراً

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ، ووفنت
عليه وفودها ، قدم عليه جرير بن عبد الله مسلماً : فقال له : يا جرير
ألا تكفينى ذا الخلصة ؟ فقال : بلى ! فوجه إليه ، فخرج حتى أتى أحس
من بجيلة فسار بهم إليه . فقاتلته خثعم وباهلة دونه ، فقتل من سدنته من باهلة

(١) فى معجم البلدان (البلاء) : « والبلاء وقيل العبلات : بلاد الخثعم كان بها
ذو الخلصة ، بيت وصنم لهم . وفى ط : « العبلات » ، صوابه بالباء الموحدة كما فى س .
(٢) ط : « بوادى الصراة » ، وأثبت ما فى س والأصنام ٣٥ .
(٣) ط : « لعبة بن وحشى » ، صوابه فى س مع أثر تصحيح ، ومن
الأصنام وإقوت .

يومئذ مائة رجل ، وأكثَرُ القتلِ في خِثْمٍ وقتل مائتين من بني قُحافة بن عامر ابن خثم ، فظفر بهم وهزمهم ، وهدم بنيان ذى الخُلصة ، وأضرَمَ فيه النار فاحترق . وذو الخُلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة . وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخُلصة ، يعبدونه كما كانوا يعبدونه ^(١) » . انتهى .

والقصيدة هذه :

(إني أتتني لسانٌ لا أُسرَّ بها من علو لا عجبٌ منها ولا سخرٌ)

هذا البيت أورده الشارح المحقق ، في الظروف ، على أن علو روى بضم الواو وكسرها وفتحها .

واستشهد به صاحب الكشف على أن اللسان في قوله تعالى : « وجعلنا لهم لسان صدق علياً ^(٢) » أطلق على ما يوجد بها من العطية . واللسان هنا بمعنى الرسالة ، وأراد بها نعي المنتشر ، ولهذا أنث له الفعل ، فإنه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على السن ، وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على السنة . روى ثعلب :

إني أتيت بشيء لا أُسرَّ به من علو لا عجب فيه ولا سخرٌ

وروى أبو زيد في نوادره :

إني أتاني شيء لا أُسرُّ به من علٍ لا عجب فيه ولا سخر

قال : ويروى من علو وسخر بضمين . قال في الصحاح : « وعلو مثلث الواو ، أي أتاني خبر من أعلى نجد » . وقال أبو عبيدة : أراد العالية . وقال ثعلب

(١) انظر الحديث رقم ٩١٩ من الألف المختارة من صحيح البخاري .

(٢) الآية ٥٠ من سورة مريم .

أى من أعلى البلاد . ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ، ومن علا ، ومن أعلى ، ومن مَعَال . وقوله (لا عجب) الخ ، أى لا أعجب منها ، وإن كانت عظيمة ، لأن مصائب الدنيا كثيرة ؛ (ولا سخر) : بالموت ، وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية ، وهو بفتححتين وبضميتين : مصدر سخر منه كفرح وسخرا بضميتين ومسخرًا : استهزأ به .

(فَظَلْتُ مَكْتَنِبًا حَرَّانَ أُنْدُبِهِ وَكُنْتُ أَحْذَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ)

وروى : وكنت ذا حذر .

٩٢

(فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثٍ مُعْتَمِرٌ)

في الصحاح : « جاشت نفسه أى غشت ، ويقال دارت للغثيان . فان أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت ، بالهمز » . وروى بدل جمعهم أى الذين شهدوا مقتله : (فَلَهُمْ) بفتح الفاء وتشديد اللام ، يقال جاء فلّ القوم أى منهزموم ، يستوى فيه الواحد والجمع ، وربما قالوا : فلول وفلال . وتثليث بالمثلثة . اسم موضع ^(١) . ومعتمر صفة راكب بمعنى زائر ، ويقال من عمرة الحج .

(يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ دُونَنَا مَضْرُ)

فاعل يأتى ضمير الراكب . ويلوى : مضارع لوى بمعنى توقف وعرج ، أى يمر هذا الراكب على الناس ولم يعزج على أحد حتى أتاني ؛ لأنى كنت صديقه . ودون بمعنى قدام .

(إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثٍ تَنْدُبُهُ مِنْهُ السَّحَابُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالْغَيْرُ)

أى فقلت لهذا الراكب : إن الذى جئت الخ ، يقال ندب الميت من باب

(١) موضع بالحجاز قرب مكة ، كما في معجم البلدان .

نصر : بكى عليه وعدّد محاسنه . وجملة « منه السماح » الخ خبر إن . والنهى :
خلاف الأمر . والغير ، بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية : اسم من غيرت
الشيء فنغير ، أقامه مقام الأمر .

(ينعى امرأ لا تُغيب الحى جفنته إذا الكواكب أخطأ نوءها المطر)

النعى : خبر الموت ، يقال نعاه ينعاه . قال الأصمعى : كانت العرب
إذا مات ميت له قدرٌ ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول : نعاء
فلاناً . أى انه وأظهر خبر وفاته ، وهى مبنية على الكسر . ولا يغيب : هو
من قولهم فلان لا يُغيبنا عطاؤه ، أى لا يأتينا يوماً دون يوم ، بل يأتينا كل يوم .
والجفنة : القصعة . وأخطأه كخطأه : تجاوزه . والنوء : سقوط نجم من المنازل
فى المغرب مع الفجر وطلوع رقبته من المشرق يقابله من ساعته فى كل ليلة
إلى ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة . وكانت العرب تضيف
الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها . يريد أن جفاته لا تنقطع
فى القحط والشدة :

(وراحت الشول مغبراً منا كبها شعنا تغير منها النى والوبر)

معطوف على مدخول (إذا) . فى القاموس : « الشائلة من الإبل :
ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ، والجمع شول على غير
قياس » . وفى النهاية : الشول مصدر شال لبن الناقة أى ارتفع ، وتسمى الناقة
الشول أى ذات شول ، لأنه لم يبق فى ضرعها إلا شول من لبن أى بقية ،
ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها^(١) . وروى (مباءتها) أى مراحها ، بدل
منا كبها . و (مغبراً) يعنى من الرياح والعجاج . والنى بفتح النون : الشحم ،

(١) فى النقل من النهاية بعض التصرف .

ومصدر نوت الناقة تنوى نواية ونياً إذا سمنت ، يريد أن الجذب وقلة المرمى خشن لحما وغيره .

(وألجا الكلب مبيض الصقيع به وألجا الحى من تنفاحه الحجر)

معطوف أيضا على مدخول إذا . وألجا : اضطرب ، ويروى : (أوجر) يقال أوجرته أى ألجأته إلى أن دخل جعره . والصقيع : الجليد . وتنفاحه : ضربه ، وهو مصدر نفحت الريح ، إذا هبت باردة ، والضمير للصقيع ، والباء فى به بمعنى على ، والضمير للكلب . والحجر بضم الحاء وفتح الجيم : جمع حجرة بالضم : الغرفة ، وحظيرة الإبل من شجر . يقول : هو فى مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام .

(عليه أولُ زادِ القوم قد علموا ثم المطى إذا ما أرملوا جزُرُ)

يعنى أنه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا ، وإذا فنى الزاد نحر لهم . وأرمل الرجل : نفد زاده . والمطى : جمع مطية ، وهى الناقة . والجزر بضمين : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحر ، وروى بفتحين : جمع جَزرة ، وهى الناقة والشاة تذبح .

(قد تكظم البزلُ منه حين تبصره حتى تقطع فى أعناقها الجِرُرُ)

ويروى :

* وتفزع الشول منه حين يفجوها *

يقال : كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوما ، إذا أمسك عن الجرة . وقيل : الكظم : أن لا تيجر لشدة الفزع إذا رأت السيف : والبزل : جمع بازل ، وهو الداخل فى السنة التاسعة . والجِرر : جمع جرة بكسر الجيم فيها ، وهى ما يخرج البعير للاجترار . يقول : تعودت الإبل أنه يعقر منها ، فإذا

رأته كظلمت على جرتها فزعا منه . وَتَقَطَّعَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بِأَنْ^(١)
 (أخو رغائب يعطيها ويسألها يَأْبَى الظَّلَامَةُ منه النوفلُ الزُّفْرُ
 لم تر أرضاً ولم تسمع بها كنها إِلَّا بها من نوادي وقعه أثر)
 نوادي كل شيء بالنون : أوائله وما ندر منه ، واحدهُ نادية ، ومنه قولهم :
 لا ينداك متى سوء أبداً ، أى لا يندر إليك . والوقع : النزول .
 (وليس فيه إذا استنظرته عجلٌ وليس فيه إذا ياسرته عسرُ
 وإن يُصَبِّكَ عدوٌّ في مناوأة يومًا فقد كنت تستعلى وتنتصر)
 وىروى : « فقد كان يستعلى وينتصر » . المناوأة : المعادة ، يقال ناوأت
 الرجل مناوأة . وقيل هى المحاربة ، ناوأته أى حاربته . قال الشاعر :
 إذا أنت ناوأت القرون فلم تنؤ بقرنين عزَّتكَ القرونُ الكواملُ^(٢)
 (من ليس فى خيره مَنْ يُكَدِّرُهُ على الصديق ولا فى صفوه كدر
 أخو شروب ومكساب إذا عديموا وفى المخافة منه الجدُّ والحذر)
 الشروب : جمع شرب وهو جمع شارب ، كصحب جمع صاحب . وىروى
 (أخو حروب) . والمكساب : مبالغة كاسب . والعُدم : الفقر ، وفعله
 من باب فرح .
 (مِرْدَى حروبٍ ونورٌ يستضاء به كما أضاء سوادَ الظلمة القمر)
 المردى بكسر الميم ، قال فى الصحاح « هو حجر يُرمى به ، ومنه قيل
 للشجاع : إنه لمردى حروب » . ومعناه أنه يقذف فى الحروب ويرجم
 فيها . وروى :

(١) وحذفت إحدى التاءين فى أول الفعل تخفيفاً .

(٢) عزتك : غلبتك . وفى ط : « عزتك » صوابه فى سه .

* كما أضاء سواد الطخية القمر *

الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة : الظلمة . والطخياء بالمد : الليلة المظلمة . يريد أنه كامل شجاعةً وعقلاً ، فشجاعته كونه يرمى في الحروب ، وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به ، وهما وصفان متضادان غالباً . ٩٥

(مُهْفَهفٌ أَهْضَمُ الْكَشْحِينَ مَنْخَرَقٌ عَنْهُ الْقَبِيصُ لَسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ)

المهفف : الخميص البطن الدقيق الخصر . والأهضم : المنضمّ الجنين . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ؛ وهذا مدحٌ عند العرب ، فإِثْنًا تَمْدَحُ الْمَزَالَ وَالضَّرَّ وَتَذَمُّ السَّمْنَ . وفي العباب : ورجل منخرق السربال ، إذا طال سفره فشقت ثيابه . ولسير الليل متعلق بما بعده ، وهذا يدلّ على الجلادة وتحمل الشدائد .

(طَاوَى الْمَصِيرَ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْجَرِدٌ بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ)

الطوى : الجوع ، وفعله من باب فرح ؛ وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً إذا تعمدّ الجوع . والمصير : المعى الرقيق ، وجمعه مُصْرَان ، كـرغيف ورغفان ، وجمع هذا مصارين ، أراد طاوى البطن . والعزاء بفتح العين المهمة وتشديد الزاى المعجمة : الشدة والجهد . وقال في الصحاح : هي السنة الشديدة . والمنجرد : المتشمر . وقوله « لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ » أى يُرْعَى .

(لَا يُصْعَبُ الْأَمْرُ إِلَّا لَرِثَ يَرْكَبُهُ وَكُلَّ أَمْرٍ سَوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتَمُرُ)
أصعب الأمر : وجده صعباً . وكلّ : مفعول مقدم ليأتمر ، أى يفعل كل خير ولا يدنو من الفاحشة^(١) .

(لا يَهْتِكُ السِّرَّ عَنْ أَنْثَى يُطَالِمَهَا ولا يُشَدُّ إِلَى جَارَاتِهِ النَّظْرُ)
 (لا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ ولا يَمُضُّ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ)
 لا يَتَأَرَى : لا يتجسس ويتلصص ، يقال تَأَرَى بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ فِيهِ ، أَيْ
 لَا يَلْبِثُ لِإِدْرَاكِ طَعَامِ الْقَدْرِ . وَجَلَّةٌ يَرْقُبُهُ حَالٌ مِنَ الْمُسْتَعْرِ فِي يَتَأَرَى ، يَمْدَحُهُ
 بِأَنْ هِمَّتْهُ لَيْسَتْ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ، وَإِنَّمَا هِمَّتْهُ فِي طَلَبِ الْمَعَالَى ، فَلَيْسَ يَرْقُبُ
 نَضِجَ مَا فِي الْقَدْرِ إِذَا هَمَّ بِأَمْرِهِ شَرَفٌ ، بَلْ يَتْرَكُهَا وَيَمُضِي . وَالشُّرُوفُ :
 طَرَفُ الضِّلَعِ . وَالصَّفَرُ : دَوِّيَّةٌ مِثْلُ الْحَيَّةِ تَكُونُ فِي الْبَطْنِ تَعْتَرِي مَنْ بِهِ
 شِدَّةُ الْجُوعِ ، قَالَ فِي النِّهَايَةِ ، فِي حَدِيثٍ « لَا عَدُوَّ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ » :
 إِنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّ فِي الْبَطْنِ حَيَّةٌ يُقَالُ لَهَا الصَّفَرُ تَصِيبُ الْإِلْسَانِ إِذَا
 جَاعَ وَتَوَذَّيْهِ ، [وَأَنَّهَا تَعْدِي ^(١)] ، فَأَبْطَلَ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ . وَقِيلَ أَرَادَ بِهِ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّسِيءَ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : وَهُوَ تَأْخِيرُ الْمُحْرَمِ
 إِلَى صَفَرٍ وَيَجْعَلُونَ صَفَرَ هُوَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ، فَأَبْطَلَهُ . انْتَهَى . وَلَمْ يَرِدِ الشَّاهِرُ أَنَّ
 فِي جَوْفِهِ صَفْرًا لَا يَمُضُّ عَلَى شِرَاسِيْفِهِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ لَا صَفَرَ فِي جَوْفِهِ
 فَيَمُضُّ ^(٢) . يَصِفُهُ بِشِدَّةِ الْخَلْقِ وَصَحَّةِ الْبَنِيَّةِ .

(لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصْبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَنِرُ)
 لَا يَغْمِزُ السَّاقَ : لَا يَجَسُّهَا ^(٣) يَصِفُ جَلْدَهُ وَتَحْمِلُهُ لِلْمَشَاقِ . وَالْأَيْنُ :
 الْإِعْيَاءُ . وَالْوَصْبُ : الْوَجَعُ وَالْإِقْتِفَارُ بِتَقْدِيمِ الْقَافِ عَلَى الْفَاءِ : اتِّبَاعُ الْأَثَارِ .
 فِي الصَّحَاحِ : وَقَفَرَتْ أَثَرُهُ أَقْفَرَهُ بِالضَّمِّ ، أَيْ قَفَوْتُهُ ، وَاقْتَنَرَتْ مِثْلَهُ . وَأَنْشَدَ هَذَا

(١) التَّكَلُّفُ مِنَ النِّهَايَةِ .

(٢) وَمِثْلُهُ فِي هَذَا قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ .

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ *

أَيُّ لَيْسَ بِهَا ضَبَابٌ تَنْجَحِرُ . وَانْظُرِ الْخَزَانَةَ ٤ : ٢٧٣ .

(٣) ط : « لَا يَجِيْبُهَا » ، صَوَابُهُ فِي س .

٦٩ البيت . ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد^(١) (يُقْتَفَر) بالبناء للمجهول ، ومعناه أنه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق .

(لا يَأْمَنُ النَّاسُ مُسَاءً وَمُصَبِّحَهُ فِي كُلِّ فَيْجٍ وَإِنْ لَمْ يَنْزُرْ يُنْتَظَرُ)

أى لا يأمنه الناس هلى كلّ حال سواء كان غزياً أم لا ، فإن كان غزياً يخافون أن يغير عليهم ، وإن لم يكن غزياً فإنهم فى قلق أيضاً ، لأنهم يترقبون غزوه وينتظرونه .

(تَكْفِيهِ حُرَّةٌ فَلِذَا نِ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى نُشْرَبَهُ الْفُمر)

الحُرَّة بضم الحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة : قطعة من اللحم قطعت طولاً . والفِلْذَان : جمع فَلَذ . بكسر الفاء فهما : القطعة من الكبد والحم . وأَلَمَّ بها : أصابها ، يعنى أكلها . والفُمر بضم الفين المعجمة وفتح الميم : قدح صغير لا يروى .

(لا تَأْمَنُ الْبَازِلُ الْكُومَاءَ عَدُوَّتَهُ وَلَا الْأَمُونُ إِذَا مَا اخْرَوَطَ السَّفَرُ)

البازل : البعير الذى فطر نابؤه بدخوله فى السنة التاسعة ، ويقال للناقة بازل أيضاً يستوى فيه الذكر والأنثى . والكوماء بالفتح : الناقة العظيمة السنّام . والعُدوة : التعدى ، فإنه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل ، أو شابة كالأمون ، وهى الناقة الموثقة المخلوق يؤمن عثاها وضعفها . واخروط : امتدّ وطال .

(كَأَنَّهُ بَعْدَ صَدَقِ الْقَوْمِ أَنْفَسَهُم بِالْأَسِّ تَلْعَمُ مِنْ قَدَامِهِ الْبُتْرُ)

لمع : أضاء . والبُشْر بضمين : جمع بشير ، يقول : إذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدّامه بشيرٌ يبشّره

(١) نوادر أبي زيد ص ٧٦ ، وهى إحدى روايتين فيه .

بالظفر والنجاح ، فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان . قال السيد المرتضى في أماليه ^(١) : « قال المبرد لا نعلم بيتا في يمن النقية وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت » .

(لا يُعجل القومَ أن تغلى مراجلهم ويدلج الليلَ حتى يفسحَ البصرُ)

يريد أنه رابط الجأش عند الفزع ، لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الأطباء . وقوله : حتى يفسح البصر ، أى يجد متسعاً من الصباح ، وقيل معناه ليس هو شرهاً يتفجّل بما يؤكل . والمرجل : القدور ، جمع مرجل .

(عشنا به حبة حيا ، ففارقنا كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر)

وروى : * عشنا بذلك دهرآ ثم ودّعنا *

والنصلان هما : السنان وهي الحديدة العليا من الرمح ، والزُجّ ، وهي الحديدة السفلى ، ويقال لها الزُجّان أيضاً . وهذا مثل ، أى كل شيء يهلك ويذهب .

(فإن جَزِئنا فقد هَدَّتْ مُصَابَتُنَا وإن صبرنا فإنّا مَعشَرٌ صُبر)

المصابة بضم الميم بمعنى المصيبة ، يقال : جبر الله مصابته ، وهو فاعل والمفعول محذوف أى قوّانا . والصُّبر بضمين : جمع صبور ، مبالغة صابر .

(أصبتَ في حَرَمٍ منا أخا ثقة هندَ بنَ أسماءَ لا يهني لك الظفرُ)

خاطبَ قاتل المنتشر هندَ بنَ أسماءَ ، وأراد بالحرم ذا الخلصة ، ثم دعا عليه . والتهنئة : خلاف التعزية .

(لو لم تخنه نُفيلٌ وهي خائنة لصبحَ القومَ ورِداً ماله صدرُ)

صَبَّحَهُ : سقاه الصبوح ، وهو الشرب بالغداة ، أراد أنه كان يقتلهم .
 (وأقبل الخليل من تثليث مُصْفِيَةٍ وضمَّ أعْيُنَهَا رَغْوَانُ أَوْ حَضْرُ)
 أقبل الخليل : جعلها مقبلة . ومصفية : مائلة نحوكم . ورغوان وحضر :
 موضعان . أي كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام
 في منزل إلا فيهما .
 (إذا سلكت سبيلاً أنت سالكة فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر^(١))

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون :

(شمس بن مالك) ٢٨

وهو قطعة من بيت وهو :

(إني لَمَهْدٍ من ثنائى وقاصدُ به لابن عم الصديق شمس بن مالك)

على أنه مصروف مع أنه معدول عن شمس بالفتح . وعليه اقتصر في باب
 العلم . وإنما صرف لكونه لم يلزم الضم فإنه سمع فيه الفتح أيضاً ، فلما لم يلزم
 الضم لم يُعتبر عدله ، ولو لزم الضم لصرف أيضاً لأنه يكون حينئذ منقولاً من
 جمع شمس ، لا معدولاً من شمس بالفتح .

وقد تبع الشارح المحقق في رواية الضم والفتح شراح الحماسة ، منهم ابن
 جني في إعرابها فإنه قال : « أما من روى شمس بفتح الشين فأمره واضح كما
 يستي بيدر ونحوه ، ومن رواه شمس بضم الشين فيحتمل أن يكون جمع شمس ،
 مُسَمًّى به ، من قول الأخطل :

(١) في الأصمعيات ٩٢ : « إما سلكت سبيلاً كنت سالكها » . وفي جهرة
 أشعار العرب ١٣٧ : « فإن سلكت سبيلاً كنت سالكها » .

شُمسُ العداوة حتى يُستقاد لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا^(١)
ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام، نحو: مَمدِكِرِب
وَهَلَل ومَوْهَبٍ، ومَوْظب، ومَكْوَزَة، وغير ذلك مما غيّر في حال نظائره
لأجل العملية الحادثة فيه؛ وليس في كلام العرب شمس إلا هذا
الموضع^(٢) ٥١.

وفيه نظر؛ فإنَّ شمساً في هذا البيت مضموم الشين لا غير، وإنَّ المضموم
غير المفتوح، كما فصله الحسن العسكري في كتاب التصحيف. فإنه قال بعد
ما أورد هذا البيت: «شُمس مضموم الشين: بطن من الأزد من مالك بن
فهم. وكل ماجاء في أنساب البين فهو شُمس بالضم، وكل ماجاء في قريش فهو
شُمس بالفتح» انتهى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبيات عشرة لتأبط شراً، أثبتها أبو تمام في أول الحماسة،
قال ابن جني: «ضمير به عندي راجع إلى موصوف محذوف، أي ثناء من
ثنائي. وراجع عند الأخفش إلى نفس ثنائي، ومن عنده زائدة، وسيبويه
لا يرى زيادتها في الواجب» انتهى. فعلى الأول يكون ما أهدى مجذوفاً، وعلى
الثاني مذكوراً، واللام في قوله: (لابن عم) متعلقة بقاصد عند البصريين،
يقال قصده بكذا وقصدت له به، قال في العباب: كلُّ ما نسب إلى الإصلاح
والخير أضيف إلى الصديق ف قيل رجل صدق، وصديقُ صدقٍ.
وتأبط شراً تقدمت ترجمته في الشاهد الخامس عشر^(٣).

(١) ديوان الأخطل ١٠٤ واللسان (شمس).

(٢) في القاموس: «الضلال بن هلال ممنوعاً — كجعفر وقتفد وجندب:
الذي لا يعرف. وكجعفر: موضع قرب سيف كاظمة». وفيه: «وموْظب كتعمد:
موضع قرب مكة». وقال الميداني: «هَلَل أعجمي في الأصل، فلذا منع من الصرف».

(٣) انظر ما سبق في ص

ترجمة الحسن
المسكري

٩٨

وأما (مصنف كتاب التصنيف) فهو أبو أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد بن إسماعيل العسكري ، ولد يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ومات يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . قال أبو طاهر السلفي : إن أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم ، والتبحر في فنون الفهوم ، ومن المشهورين بمجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن سجلته : كتاب صناعة الشعر . كتاب الحكم والأمثال . كتاب التصنيف . كتاب راحة الأرواح . كتاب الزواجر والمواعظ . كتاب تصحيح الوجوه والنظائر .

وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبهان^(١) وغيرها من شيوخ : منهم أبو القاسم البغوي ، وابن أبي داود السجستاني ، وأكثر عنهم ، وبالغ في الكتابة ، وبقي حتى علا به السن واشتهر في الآفاق بالرواية والإتقان ، وانتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء والتدريس بقطر خوزستان^(٢) ورحل الأجلاء إليه للأخذ عنه والقراءة عليه . نقلته مختصرا من معجم الأدباء^(٣) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون :

٢٩ (وَهُمْ قُرَيْشُ الْأَكْرَمُونَ إِذَا انْتَمَوْا

طَابُوا فُرُوعًا فِي الْعُلَا وَعُرُوقًا)

على أن (الأب) ربما جعل مؤولا بالقبيلة فنع الصرف ، كما منع قريش الصرف لتأويله بالقبيلة . والأكرمون صفة قريش .

(١) أصبهان بفتح الهززة ، وقد تكسر ، ومن كسرهما السمانى وأبو عبيد البكرى .

انظر معجم البلدان . وفي القاموس : « وقد تبدل بأوها فاء » .

(٢) ط : « خورستان » ، صوابه بالزاي ، كما في ٤٨ .

(٣) معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ - ٢٦٧ .

ومثله لعدى بن زيد بن الرقاع العاملى^(١) يمدح الوليد بن عبد الملك :
 غلب الساميح الوليدُ سَمَاحَةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وسَادَهَا
 والمساميح : جمع سَمَحَ على خلاف القياس . وقوله إذا انتموا : يقال انتمى
 إلى أبيه : انتسب ، ونمته إلى أبيه كَمَا : نسبته

في العباب : قال ابن دريد : كثر الكلام في قريش ، فقال قوم : سُميت اشتقاق قريش
 قريش بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عِبرم فكانوا يقولون :
 قدِمَت عِبر قريش وخرجت عِبر قريش ، وقال قوم : سُميت قريشا لأن
 قُصِيَا قَرَشَهَا أى جمعها ، فلذلك سُمي قصيُ مجتمعا . قال الفضل بن العباس بن
 عتبة بن أبي لهب :

أبونا قُصِيَّ كَانَ يُدْعَى مَجْمَعًا به جمع الله القبائلَ من فهر

وقال الليث : قريش قبيلة ، أبوهم النضر بن كِنَانَةَ بن خُزَيْمَةَ بن مدركة
 ابن الياس بن مضر ، فكلٌّ من كان من ولد النضر فهو قرشيٌّ دونَ ولد كِنَانَةَ
 ومن فوقه . وقال صاحب العباب : « وينقض هذين القولين قولُ ابن السكبيِّ ،
 لأنه المرجوع إليه في هذا الشأن ، وهو أن قريشا اسمه فهر بن مالك بن النضر .
 وفي تسميته قريشا سبعة أقوال : أحدها سموا قريشا لتجمعهم إلى الحرم .
 ثانيها : أنهم كانوا ينقرشون البياعات فيشترونها . ثالثها : أنه جاء النضر بن
 كِنَانَةَ في ثوبٍ له ، يعنى اجتمع في ثوبه فقالوا : قد تقرش في ثوبه .
 رابعها : قالوا : جاء إلى قومه فقالوا : كأنه جل قريش أى شديد .
 خامسها : قول ابن عباس لما سأله عمرو بن العاص : بم سميت قريش ؟ قال :

(١) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع ، وينسب أحيانا فيقال عدى
 ابن الرقاع نسبة إلى جده الأعلى . انظر الشعر والشعراء ٦٠٠ .

بداية في البحر تسمى قريشا لاتدع دابة إلا أكلتها ، فدواب البحر كلها تخافها ، قال المشرج^(١) بن عمرو الحميري :

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا^(٢)

سادسها : قال عبد الملك بن مروان : سمعت أن قصيا كان يقال له القريشي ، لم يسم قريشي قبله . سابعها : أنهم كانوا يقتشون الحاج عن خلتهم فيسدونها . ٩٩

ويعلم من هذه الأقوال أن كون قريش أبا إنما هو على القول الثالث والرابع والسادس .

وأشدد بعده :

(جَذَبَ الصَّرَارِيْنَ بِالْكُرُورِ)

على أن جمع التكسير لا يمتنع جمعه جمع سلامة ؛ فإن الصراري جمع صراء . وهو جمع تكسير ، وقد جمع على الصراريين جمع سلامة . وتقدم ما فيه مشروحا في الشاهد الحادي والعشرين فراجع^(٣)

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون : وهو من شواهد س^(٤) :

٣٠ (وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يُزِيدَ رَأْيَهُمْ)

خَضَعَ الرِّقَابَ تَوَاكُسَى الْأَبْصَارِ)

(١) ط : « المشرخ » ، صوابه في س . وانظر التاموس (شرج) .
(٢) ورد البيت في النسختين على هيئة المنثور . وانظر اللسان (قرش ٢٢٦) .
(٣) انظر ما مضى في ص
(٤) سيويه ٢ : ٢٠٧ .

على أن جمع التكسير نحو نواكس لا يمتنع جمعه جمع سلامة كنواكسين ، كما ذكره أبو علي في (الحجة) .

أقول : ذكره أبو علي في (إعراب الشعر) أيضاً . واعلم أن الكلام على هذه الكلمة من ثلاثة وجوه :

(أحدها) : أن نواكس جمع ناكس وهو المطأطىء رأسه ، وفاعلٌ إذا كان اسماً نحو كاهل ، أو صفة مؤنث سواء كان ممن يعقل نحو حائض أو ممن لا يعقل نحو نافقة حاسر : إذا أعيت ، أو صفة مذكر غير عاقل نحو صاهل — يجمع قياساً على فواعل ، تقول : كواهلٌ وحوائض وحواسر وصواهل . أما إذا كان صفة لمذكر عاقل لا يجمع على فواعل ، وقد شذت ألفاظ خمسة : وهي ناكس ونواكس ، وفارس وفوارس نحو :

* لولا فوارس من نعم وأسرهم *

وهالك وهالك قالوا : « هالك في الموالك » ، وغائب وغوايب ، وشاهد وشواهد ، قال عتبة بن الحارث لجزء بن سعد :

أحامي عن ديار بني أبيكم ومنلى في غوايبكم قليل

فقال له جزء : نعم ، وفي شواهدنا ! فجمع (عتبة) غائباً على غوايب ، وجمع (جزء) شاهداً على شواهد . وقد وجهت بتوجيهات :

أما الأول فقد حمله سيبويه على اعتبار التأنيث في الرجال ، قال : لأنك تقول هي الرجال كما تقول هي الجمال . فشبهه بالجمال . ومنه أخذ أبو الوليد فقال في شرح كامل المبرد : هذا مخرج على غير الضرورة ، وهو أن تريد بالرجال جماعات الرجال ، فكأنه جماعات نواكس وواحدة جماعة ناكسة ، فيكون مقبلاً جارياً على بابهِ كقائلة وقوائل . ووجه ابن الصائغ على أنه صفة للأبصار

من جهة المعنى ، لأن الأصل قبل النقل نواكس أبصارهم ، والجمع في هذا قبل النقل سائغ لأنه غير عاقل ، فلما نقل تركوا الأمر على ما كان عليه لأن المعنى لم ينتقل .

وأما الثاني فقالوا : إنه من الصفات التي استعملت استعمال الأسماء فقرب بذلك منها ، ولأنه لا لبس فيه ، لما ذكر سيويه من أن الفارس في كلامهم لا يقع إلا للرجال .

وأما الثالث فوجهه أنه جرى عندهم مجرى المثل ، ومن شأن الأمثال أن لا تغير عن أصلها .

وأما الرابع والخامس فوجهها يعلم مما وجه به الشلوبين هوالك ونواكس ، فإنه يجري في جميع ما جاء من هذا ؛ وهو قوله : قد عُرف بقولهم أولا ١٠٠ « هالك » أنه إنما يريد المذكر ، وكذلك بقوله « وإذا الرجال رأوا يزيد » قال : فصار ذلك مما تقدم ذكره من قولهم فارس في الفوارس وإن لم يكن مثله في الجملة ، لأن المعنى الذي يتضمنه نواكس يصلح للمذكر والمؤنث ، والمعنى الذي يتضمنه الفوارس لا يصلح إلا للمذكر . هذا قوله ، وهو جارٍ في الآخرين ، لأنه إنما يريد فيمن غاب (من رجالكم) ، ولم يرد أن مثله في (ناسهم) قليل ، فحين أنه يريد المذكر من جهة قصده فصار كالفوارس .

قال الشاطبي في شرح الألفية : « وطريقة المبرد في جميع ما جاء شاذاً من هذا النوع : أن فواعل هو الأصل في الجميع ، وإنما منع منه خوف اللبس ، فإذا اضطروا راجعوا الأصل كما يراجعونه في سائر الضرورات وكذلك حيث أمنوا الإلباس » اهـ . قال المبرد في الكامل^(١) ، بعد ما أورد بيت الشاهد :

(١) الكامل ٢٦٢ برواية : « فإذا الرجال » .

« وفي هذا البيت شيء يستطرفة النحويون ، وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فواعل لثلاث يلتبس بالثلاث ، لا يقولون ضارب وضارب ، لأنهم قالوا ضاربة وضارب . ولم يأت هذا إلا في حرفين : أحدهما « فارس » لأن هذا مما لا يستعمل في النساء فأمّنوا الالتباس . ويقولون في المثل : « هو هالك في الهواك » فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال ، لأنه مثل ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال : « نوا كسى الأبصار » ولا يكون مثل هذا أبداً إلا ضرورة » ١ .

وفيه أنه كان ينبغي أن يقيد النعت بمن يعقل ولكنته أطلق لشهرته ، وفيه أيضاً أن السموع خمسة لا ثلاثة كما تقدم (١) .

ثم رأيت في شرح أدب الكاتب للجواليقي زيادة على هذه الخمسة ، وهي : حارس وحوارس ، وحاجب وحواجب من الحجابة ، تقلبها عن ابن الأعرابي ، ثم قال : ومن ذلك ما جاء في المثل « مع الخواطيء سهم صائب » . وقولهم : « أما وحواج بيت الله ودواجه » جمع حاج وداج ، والداج : الأعوان والمكأرون . وحكى المفضل رافد وروافد ، وأنشد :

* إذا قل في الحى الجميع الروافد *

فالجميع إحدى عشرة كلمة .

(الوجه الثانى) أن المشهور في رواية هذه الكلمة (نوا كس) بدون جمعها جمع سلامة ، وبه استشهد صاحب الجمل وقال : كان القياس أن يجمع نوا كس على أنكس أو نكس ، وكأنه حمله على تأنيث الجمع . وقد رواها جماعة جمعها بجمع السلامة ؛ قال ابن السيد في شرح كامل المبرد : وهذا أطرف

(١) انظر ليس في كلام العرب ص ٧٥ .

وأعرب من جمع فاكس على نواكس فإنه غريب جدًا ، لأن التحليل يرى أن هذا البناء نهاية الجمع . وقال في شرح أبيات الجمل : ولما كان الجمع الذي ثلثه ألف وبعده حرفان أو ثلاثة لا يتبهاً تكسيه لأنه نهاية التكسير وأريد جمعه لم يكن ذلك إلا بأن يجمع جمع سلامة ، لأنه لا يغير الاسم عن لفظه . قال الجازي في شرح الشافية ، بعد ما قال ابن الحاجب « وقد يجمع الجمع » : أى جمع تكسير وجمع تصحيح بالألف والتاء . وأفاد بقده أنه لا يطرد قياساً لكنه كثير في جمع القلة ، قليل في جمع الكثرة إلا بالألف والتاء .

(الوجه الثالث) أنه يتراءى في ظاهر الأمر تدافع بين هذا الوزن من جمع التكسير وبين جمع التصحيح ، فإن الأول موضوع للكثرة والثاني للقلة . وقد سأل ابن جني في إعراب الحماسة عن هذا فقال « فإن قلت : فقد قالوا :

* فهنّ يملكن حدائداتها^(١) *

وقالوا : * قد جرت الطير أيامينا^(٢) *

وقالوا : صواجات يوسف ، ومواليات العرب ، وقال الفرزق :

* خضع الرقاب نواكسى الأبصار *

فيمر رواه بالياء في هذا على قولك اجتماع الضدين وهو دلالة المثال على الكثرة مع جمعه بالواو والنون والألف والتاء ، وكل واحد منهما على ما قدمت موضوع للقلة . وأجاب عنه بقوله « قيل : لا يكون مفيد القلة في القلة كأن لا يوجد البتة ، ألا ترى أن نفس نواكس وصواحب يفيد بنفسه مفرد الكثرة . أفتراه إذا جمع جمع القلة يصيره ذلك أن يكون أقلّ

(١) للأحر ، في الخصائص ٣ : ٢٣٦ واللسان (حدد ١١٦) .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٣٦ واللسان (يمن ٣٥١) والمعنى ٢ : ٤٢٥ . ط : « أيامينا » صوابه في - والمراجع المتقدمة .

من أن لا يجمع أصلاً ؟ قد كفاه موضوعه للكثرة من احتياجه إلى تثنية فضلاً عن جمع قلة ، أو تجاوز به إلى مثال كثرة ؛ كما أن المضر المجرور وإن ضعف عن عطف المظهر عليه بغير إعادة حرف جرّ معه ، فإنّه لا يضعف عن توكيده كمررت به نفسه ، وذلك أنه لا يبلغ به الضعف أن يكون أقلّ من لا شيء . وأنت لو قلت مررت بنفسه لكان قولاً جائزاً . فأعرف هذا النحو . انتهى كلامه .

وهذه عبارة قلقة يتعسر فهم المراد منها فينبغي شرحها .

فقوله : « ففى هذا على قولك اجتماع الضدين الخ » أقول : لا يخفى عليك أن هذا ليس على ظاهره ، بل إنّما هو فى الحقيقة اعتراضٌ بالترديد بين المحذورين ، ذكر أحدهما لظهوره وترك الآخر اعتماداً على فهم من له حظٌّ من قانون المناظرة ؛ وإلاّ فلا يتمّ التقريبُ أصلاً كما لا يخفى . وتقريره أن هذا الجمع جمع القلة يلزم أحد المحذورين : إما اجتماع الضدين على تقدير أن يكون القلة والكثرة موجودتين معاً ، أو كون مفيد القلة كان لا يوجد على تقدير إعدام القلة ولم يتعرض لكون مفيد الكثرة كان لا يوجد لأنه لا خفاء فى امتناعه ، ضرورة بقاء الكثرة على حالها بعد أن جمع جمع القلة . وقوله : « قيل لا يكون مفيد القلة فى القلة كأنّ لا يوجد البتة الخ » ظاهره جواب باختيار الشقّ الثانى ، لكن يحصل منه الجواب باختيار الشقّ الأول أيضاً . وتقريره : إنّنا لا نسلم لزوم كون مفيد القلة كان لا يوجد على تقدير إعدام القلة ، بل إنّما يلزم ذلك أن لو كانت القلة منتفية بجميع أنواعها وذلك ممنوع ، لأن وضع لفظ التكسير للكثرة يقتضى انتفاء القلة المباشنة لها لا القلة الجامعة معها ، ولا يلزم من انتفاء الأول انتفاء الثانى حتى يكون مفيد القلة كأنّ لا يوجد . ولا نسلم أيضاً لزوم اجتماع الضدين على تقدير وجودهما معاً ، بل إنّما يلزم ذلك

أن لو كانت القلة الباقية بعد أن جمع جمع القلة هي القلة المباشرة للكثرة المذكورة ؛ وذلك أيضاً ممنوع ، بل مقتضاه اجتماع الكثرة مع القلة الجامعة معها ، ضرورة أن لفظ القلة يفيد تقليل أفراد مدخولها لا غير ، وهما ليسا بضدين حتى يلزم من وجودهما معاً اجتماع الضدين . وقوله « ألا ترى الخ » مع قوله « أفترأه الخ » تنوير لعدم كون مفيد القلة كان لا يوجد . وتقريره : أنك تعرف قطعاً أن نفس صواحب وأمثالها يفيد الكثرة بنفسه مفرداً ، وتعرف أيضاً أن جمعه جمع القلة لا يصيره إلى أقل من أن لا يجمع ذلك الجمع أى لا يغيره إلى حكم المفرد حتى يكون جمع القلة في المفردات المباشرة لتلك الكثرة . كيف لا ! ولو كان كذلك يلزم انتفاء الكثرة ، مع أن وضعه^(١) كاف في ذلك من غير احتياج إلى تثنية أو جمع قلة أو جمع كثرة . فظهر لك أن ذلك الجمع لإفادة أمر آخر زائد عليه ، وهو تعليل تلك الكثرة فقط ؛ فلما كانت القلة الجامعة مع تلك الكثرة باقية على حالها لم يكن مفيد القلة كان لا يوجد البتة . وقوله : « كما أن المضر المجرور الخ » تنظير لعدم تغيير جمع القلة مع الكثرة ، وتقريره : أن امتناع اجتماع الضدين نظير ضعف عطف المظهر على المضر بغير إعادة الجار ، وجمع القلة فيما نحن فيه نظير تأكيد المضر بغير إعادة الجار ، فكما أن ضعف العطف المذكور لكونه كالعطف على بعض حروف الكلمة لا ينافي جواز التأكيـد بغير إعادة الجار ، لأنه كنفسه بناء على تغاير المادتين - كذلك امتناع اجتماع الضدين لا ينافي جواز جمع التكسير جمع القلة لتغاير المادتين ؛ وكما أن التأكيـد لا يجمل المضر أقل من أن لا يؤكـد بل يفيد أمراً زائداً عليه وهو التأكيـد ، كذلك الجمع فيما نحن فيه لا يجمل

(١) ط : « وصفه » ، صوابه في س .

لفظ التفسير أقل من أن لا يجمع ، بل يفيد أمراً زائداً عليه ، وهو تقليل الكثرة الحاصلة من المجامعة معه .

والحاصل : أن ماهو لازم ليس بمحذور ، وما هو محذور ليس بلازم ؛ هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقام .

وقوله (خضع الرقاب) حال من مفعول رأيتهم ، والرؤية بصرية في الموضعين ، ولا تضر الإضافة فإنها لفظية ، وكذلك نوا كسى الأبصار ، لأن المعنى خضعا رقابهم نوا كسى أبصارهم . وخضع بضمين : جمع خضوع مبالغة خاضع من الخضوع وهو التطامن والتواضع ، يقال خضع لغيره يخضع بفتحهما خضوعاً : ذل واستكان ، وهو قريب من الخشوع ، إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت والخضوع في الأعناق ، ولهذا أضافه إلى الرقاب . ويحتمل أن يكون خضع بضمة فسكون جمع أخضع ، وهو الذي في عنقه تطامن من خلقه ؛ وهذا أبلغ من الأول : أى ترى أعناقهم إذا رأوه كأنها خلقت متطامنة من شدة تذللهم ؛ و (فُل) قياس في جمع أفعل وفعلاء صفة غير تفضيل ، نحو أحر وحمراء وجمعها حمر .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها آل المهلب ، وخص من بينهم صاحب الشاهد ابنه يزيد ، أولها :

(فلأمدحنّ بنى المهلب مدحاً	غراء ظاهرة على الأشعار ^(١)
مثل النجوم أمامها قرّ لها	يجلو الدجى ويضيء ليل السارى
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى	وخلاتقاً كنتدقّ الأنهار
أما البنون فإنهم لم يورثوا	كثرائه لبنيه يوم فجار)

إلى أن قال :

(أما يزيدُ فإِنَّه تَأبَى له نفسٌ موْطَنةٌ على المقدار
ورَّادةُ شُعْبٍ النِّيَّةِ بالقنا فتُدِرَّ كلَّ مُعَانِدٍ نَعَارِ
وإذا النفوسُ جشَّان طامن جأشها ثقةٌ به لِحْماةِ الأَدْبَارِ
ملكٌ عليه مهابةُ الملكِ التَّقَى قمرُ التمام به وشمسُ نهار
وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتهم البيت)

١٠٣

إلى أن قال :

(مازالَ مذَعَقَت يداهُ إزارَه وسما فأدرك خِسةَ الأشبارِ
يُدنِي خوافِقَ من خوافِقِ لُثْقَى في كلِّ مُعْتَبِطِ الغبارِ مُنَارِ)

قوله : (تَأبَى له نفس) مفعول تَأبَى محذوف : أى القعود عن الحروب ونحوه ، وقوله : (موْطَنة على المقدار) أى تقول نفسه عند اقتحام المهالك : لا يصيبني إلَّا ما قَدَّرَ الله ؛ والمقدار بمعنى القَدَر . وورَّادة : مبالغةٌ واردة ، صفة نفس . وشُعْب : مفعول ورَّادة ، بمعنى فروع النية وأنواعها ، مستعار من الشُعْب التى هى أغصان الشجرة ، جمع شعبة . والقنا : جمع قناة وهى الرمح . وتُدِر : فاعله ضمير القنا ، من أدَّرت الريح السحاب واستدَّرت أى استجلبته^(١) . وكل : مفعوله . والمعاند : العرق الذى يسيل ولا يرقأ ، ويقال له عاند أيضاً ، وفعله من باب نصر . والنعار : بالعين المهملة من نَعَرَ العرق ينعر بالفتح فيهما ، أى طار منه الدم ، فهو عرق نَعَار ونعور . وجشَّان : يقال جشَّات نفسه ، إذا ارتفعت من حزن أو فزع . والجأش بالهمز : جأش القلب ، وهو رُواعه إذا اضطرب عند الفزع ، يقال فلان رابط الجأش أى يربط نفسه عن الفرار

(١) ط : « استجلبته » بالهمز ، صوابه فى ص .

لشجاعته . وطأمن : مقلوب طمأن بالهمز فيهما بمعنى سكن . وثقة فاعله . والتقى : فعل ماض . وقر التمام فاعله ، يقال قرُ تمام بفتح التاء وكسرهما إذا تم ليلة البدر ، وأما ليل التمام فكسور لا غير ، وهو أطول ليلة في السنة . وقوله : (مازال مذ عقدت يده . . إلى آخره) هذا البيت استشهد به النحاة في عدة مواضع ، منهم ابن هشام أورده في المعنى شاهداً لإيلاء الجملة الفعلية لمذ ، كما يليها الجملة الاسمية . وأورده أيضاً في شرح الألفية لقوله (خمسة الأشبار) حيث جرد المضاف من أداة التعريف ، وهو حجة على الكوفيين في جوازهم^(١) الجمع بين تعريف المضاف باللام والإضافة إلى المعرفة ، مستدلين بقول عرب غير فصحاء : « الثلاثة الأبواب » ، والمسحوع تجريد الأول من أداة التعريف ، كما قال ذو الرمة أيضاً :

وهل يرجع التسليم أو يكشفُ العمى ثلاثُ الأثافي والديارُ البلاغُ
وسما : ارتفع وشبَّ ، من السمو وهو العلو ؛ وأدرك بمعنى بلغ ووصل ، وفاعلها ضمير يزيد . وقوله : خمسة الأشبار ، أراد طول خمسة أشبار بشبر الرجال وهي ثلثا قامة الرجل ، وينسب إليها فيقال : غلامٌ خماسي . قال ابن دريد : غلام خماسي قد أيفع . في الصحاح والعباب : وغلام رباعي وخماسي أي طوله أربعة أشبار وخمسة أشبار ، ولا يقال سداسي ولا سباعي ، لأنه إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة أشبار صار رجلاً . والغلام إذا بلغ خمسة أشبار عندهم تخيلوا فيه الخير والشر ، ولهذا قال بعض العرب : آيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهنته قتلته . هذا ما عندي ، وأما الناس فقد اختلفوا في تفسيره على أقوال :

(أحدها) قال ابن السيد في شرح شواهد الجمل : « ومعنى فأدرك خمسة الأشبار : ارتفع وتجاوزَ حدَّ الصبا ، لأن الفلاسفة زعموا أن المولود إذا ولد

(١) كذا في النسختين ، والوجه « لمازتهم » أو « نجويزم » .

لتمام مدة الحمل ولم تغبّه آفة في الرحم فإنه يكون في قدّه ثمانية أشبار من شبر نفسه ، وتكون سُرّته بمنزلة المركز له ، فيكون منها إلى نهاية شقه الأعلى أربعة ١٠٤ أشبار بشبره ، ومنها إلى نهاية شقه الأسفل أربعة أشبار ، ومنها إلى أطراف أصابعه من يده معاً أربعة أشبار ، حتى أنه لو رقد على صلبه وفتح ذراعيه ووضع ضابط في سرتّه وأدير لكان شبه الدائرة . قالوا : فإزاد على هذا أو نقص فلاّفة عرضت له في الرحم ، فإنك تجد من نصفه الأعلى أطول من نصفه الأسفل ومن نصفه الأسفل أطول من نصفه الأعلى ، ومن يدها قصيرتان ، ومن يده الواحدة أقصر من الثانية . فإذا تجاوز الصبي أربعة أشبار فقد أخذ في الترقى غاية الكمال . اهـ . وقوله أولاً « ارتفع وتجاوز حدّ الصبا » شرح به المعنى المراد ولا حاجة بعده إلى نقل كلام الفلاسفة ، لأنه خارج عن المقام ، بل مفسد لأنه رتب بعده قوله « فإذا تجاوز الصبي أربعة أشبار فقد أخذ في الترقى إلى غاية الكمال » وهذا غير متصور ، لأن الطفل الذي تجاوز أربعة أشبار بشبر نفسه لا يحسن عقد إزاره فضلاً عن الأخذ في الترقى إلى غاية الكمال ، وإنما المعنى تجاوز خمسة أشبار بشبر الرجال ، وهي ثلثا قامة الرجل كما ذكرنا .

(ثانيها) أنه أراد بخمسة الأشبار السيف ، قال ابن هشام اللخمي في شرح شواهد الجمل : هذا هو الصحيح لأنه منتهى طول السيف ، في الأكثر ، كما أن منتهى طول القوس ثلاث أذرع وإصبع . قال الراجز :

أرمى عليها وهي فرعٌ أجمعُ وهي ثلاثُ أذرعٍ وإصبعٌ^(١)

وإنما زاد إصبعاً لاختلاف أذرع الناس في الطول والقصر . وربما زادوا شبراً كما قال آخر :

(١) لجيد الأرقط في المبني ٤ : ٥٠٤ والخصائص ٢ : ٣٠٧ وشرح الجواليقي لأدب الكاتب ٣٠٣ .

• وهى ثلاث أذرع وشبر •

وكما أن منتهى طول القناة أحد عشر ذراعاً^(١). قال عُتْبَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ^(٢) :
وَأَمَرَ خَطِيْبًا كَانَ كَهْوَبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدَأْمَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ
وَقَالَ الْبَحْتَرَى أَيْضًا :

كَالرَّحِ أَذْرَعَهُ عَشْرٌ وَوَاحِدَةٌ فَلَيْسَ يُزْرَى بِهِ طَوْلٌ وَلَا قِصْرٌ
(ثالثها) أنه أراد عصا الخطبة . وهذا غير مناسب لما قبله ولما بعده .

(ورابعها) أنه أراد الخيزُرَانَةَ التى كان الخلفاء يحبسونها بأيديهم . وهذا
أيضاً غير مناسب كالذى قبله . على أن (يزيد) ليس خليفة ولا من نسل الخلفاء
وأراد هذا القائل الخلفاء الأمويين .

(خامسها) أنه أراد خلال المجد الحسة : العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة
والوفاء . وكانت عندهم معروفة بهذا العدد ؛ كذا نقلوه . ولا يخفى أنه لو كان
المراد هذا لبقى^(٣) ذكر الأشبار لغواً .

(سادسها) أنه أراد بخمسة الأشبار القبر لأن البيت من مريئة ، وهذا
باطل لا أصل له ، فإنه من قصيدة فى مدح يزيد بن المهلب ، وكان حياً .

واسم زال ضمير يزيد ، وخبرها البيت الذى بعده ، وهو (يدنى خوافق الخ)
وأراد بالخوافق الرايات وهو جمع خافقة ، يقال خفقت الراية بالفتح تخفق
بالكسر والضم خَفَقًا وَخَفَقَانًا ، إذا تحركت واضطربت . ومعبط الغبار
بالعين والطاء المهملتين ، هو الموضع الذى لم يُقَاتَلْ عليه ولم يُثَرَّ فيه غبار قبل
١٠٥

(١) الذراع أنفى وقد تذكر ، كما هنا . وانظر اللسان (ذرع) .

(٢) كذا والمشهور عتبية بن مرداس . انظر جهرة ابن حزم ٢١٣ . وقال ابن قتبية

فى الشراء ٣٢٩ : « هو عتبية ويقال : عتبة بن مرداس » .

(٣) ط : « لبقيت » ، صوابه فى س .

ما أثاره هذا الممدوح ، يقال أعبطت الأرض ، إذا حفرت منها موضعاً لم يحفر فيها قبل ذلك . والمثار : المهيج والحرك . وروى بدله :

(يُدنى كُتائب من كُتائب تلتقى في ظلّ معترك العجاج مُثار)

والكتائب : جمع كتيبة وهو الجيش . والمعترك : موضع الاعتراك وهو المحاربة ، وأراد بظله الغبار النائر في المعركة ، فإنه إذا اشتد لا يرى معه ضوء فيصير كالظل الكثيف . ومذ : اسم ، فقيل : إنها ظرف مضاف إلى الجملة ، وقيل : إلى زمن مضاف إلى الجملة ، وقيل : مبتدأ فيجب تقدير زمان للجملة يكون هو الخبر . والإزار : معروف ، وقيل : كنى بعقد الإزار عن شدة لما يحتوي عليه من كساهى المجد . وهذا يناسب تفسيره خمسة الأشبار بخلال المجد الخمسة . وخمسة الأشبار مفعول أدرك بتقدير مضاف كما تقدم . وقال الأعمى ، على ما نقله اللخمي : « فاعل سما مضر لدلالة المعنى عليه ، والتقدير : وسما جسمه أو طوله . وفاعل أدرك مضر أيضاً عائداً على الجسم الذي دل عليه المعنى . ومعنى أدرك : انتهى . والأفعال يُحمل بعضها على بعض إذا اشتركت في المعنى ، والتقدير : انتهى طوله أو جسمه خمسة أشبار ، ويكون انتصاب خمسة أشبار على أنه مفعول على إسقاط حرف الجر ، أي انتهى إلى خمسة أشبار » اهـ .

أقول : هذا كله تصفٌ لا ضرورةً تدعو إليه ، ومثل هذا قول ابن يسعون في شرح شواهد الإيضاح : « ويجوز نصبه نصب الظروف بقوله سما ، أي قعلاً مقدار خمسة الأشبار » اهـ فإنه تصفٌ أيضاً ، لأنه يكون المدرك غير معلوم ما هو ، وبقي قوله أدرك غير مفيد شيئاً . ومن فسر الخمسة بالسيف والعصا والخيزرانة ، فهو على حذف مضاف ، أي فأدرك أخذ خمسة الأشبار للقتال به أو للجنس باليد أو للخطبة . وقال ابن يسعون ، بعد جعل الخمسة مفعولاً

لأدرك على تقدير معناها السيف أو خلال الجهد الحسنة ، ما نصه : « ويجوز نصب خمسة نعتاً لإزاره ، أو بدلاً منه ، أو عطف بيان » . ١٠٥ فتأمل .

وأما يزيد فهو ابن المهلب بن أبي صُفرة ، أحدُ شجعان العرب وكرمائهم . وشهرته في الشجاعة والكرم غنية عن الوصف . كان في دولة الأمويين والياً على خراسان ، وافتتح جرجان ودهستان وطبرستان . وبعد الحجاج صار أميراً العراقيين . وأجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب كما لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة . وولد يزيد سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وتوفي مقتولاً يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة . وقد ترجمه ابن خلكان وترجم والده بما لا مزيد عليه . وستأتي ترجمة والده في (رُبَّ) من حروف الجر في شرح قوله :

* فلقد يكون أخاً ديم وذباح *

والفرزدق هو أبو فراس ، واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ترجمة الفرزدق ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ١٠٦ ابن زيد مناة بن تميم البصري . وحمّام بصيغة المبالغة من الهمة . . وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ، بعد أن قال : اسمه همام^(١) : وكان للفرزدق إخوة ، منهم : هُميم بن غالب وبه سُمي الفرزدق ، والأخطل وكان أسنَّ منه^(٢) ، وأخت يقال لها جَعْنِ كانت امرأة صدق ، ، وكان جرير في مهاجته للفرزدق يذكرها بسوء . قال البربوعي : وكذب عليها جرير وكان يقول : أستغفر الله فيما قلت لجعْن . قال : وكانت إحدى الصالحات .

(١) الشعر والشعراء ٤٤٣

(٢) كذا في النسختين . وفي الأغاني ١٩ : ٢ : « وكان للفرزدق أخ يقال له هُميم ويلقب بالأخطل » .

و (الفرزدق) قال صاحب العباب : قال الميث : الفرزدق : الرغيف الذي يسقط في التنور ؛ ويقولون أيضاً الفرزدقة . قال : وقال بعضهم : هو فئات الخبز . وقال غيره : الفرزدق القطعة من المعجن وأصلها بالفارسية براذده . وقال ابن فارس : هذه كلمة منحوتة من كلمتين ، من فرز ومن دق لأنه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة ، فهي من الإفراز والدقيق اه فلقلب بأحد هذه المعاني . ويشهد للأول ما روى أنه كان أصابه جُدرى وبقي أثره في وجهه . ويروى أن رجلاً قال له : يا أبا فراس ، كأن وجهك أحرأح مجموعة ! فقال : تأمل هل ترى فيها حرأمك ؟ والأحرأح : جمع حر بالكسر وحذف لام الفعل ، هو فرج المرأة — وأخذ الفرزدق هذا الجواب من كلام أبي الأسود الدَّيْلِي ، فإنه كما في الأغاني^(١) قال : « كان طريق أبي الأسود إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به ، فمر به أبو الأسود يوماً فلما رآه قال لقومه : كأن وجه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ! فضحك القوم وأعرض عنه أبو الأسود . ثم مر بهم ، فقال لهم : كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح ! فأقبل عليه أبو الأسود فقال : هل تعرف فتحة أبيك فيهن ؟ فأخذه وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود فاعتنروا إليه ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك » .

ويحتمل أنه لُقِبَ بالمعنى الثالث ، وبه صرح ابن قتيبة في أدب الكاتب فقال : « والفرزدق قطع المعجن ، واحداً فرزدقة ، ومنه سمي الرجل ، وهو لقب له لأنه كان جهم الوجه » . ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثاني بأن شبه غضون وجهه بفئات الخبز . وقال ابن السيد في شرح شواهد الجمل ، وتبعه فيها ابن هشام اللخمي وابن خلف وغيرهما : قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء :

« إنما سُمِّيَ الفرزدق لغلظه وقصره ، شبهً بالفتينة التي تشرها النساء وهو الفرزدقة » ١٥ .

أقول : لم أر الفرزدقة بهذا المعنى في اللغة ، ولا الفتينة بمعنى ما ذكره . على أن ابن قتيبة لم يذكر في الطبقات شيئاً في تلقيبه بالفرزدق . ثم رأيت في الأغاني في ترجمته ^(١) أن الفرزدق الرغيف الضخم الذي يحففه النساء للفتوت . وروى أن الجهم بن سويد بن سويد بن المنذر الجرمي قال له : ما وجدت أمك اسماً لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها ! — قال : والعرب تسمي خبز الفتوت الفرزدق — فقال له الفرزدق : أحقُّ الناس بأن لا يتكلم في هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ، واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب .

وروى بسنده عن أبي عمرو بن العلاء قال : أخبرت عن هشام العتري أنه قال : جمعت والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من أنت ؟ قال : أما تعرفني ؟ قلت : لا . قال : فأنا أبو فراس ؟ قلت : ومن أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : أو ما تعرف الفرزدق ؟ ! ١٠٧ قلت : أعرف الفرزدق أنه شيء تتخذه النساء عندنا بالمدينة تتسمن به ، وهو الفتوت . فضحك وقال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نساءكم .

وقال السيد المرتضى في أماليه : « والفرزدق لقب ، وإنما لقب به للجهامة وجهه وغلظه ، لأن الفرزدقة هي القطعة الضخمة من المعجين ، وقيل إنها الخبزة الغليظة التي يتخذ منها النساء الفتوت » .

وفي الأغاني بسنده إلى محمد بن وهيب الشاعر قال : « جلستُ بالبصرة إلى جنب عطار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشتريت من العطار خلوفاً ،

فقلت له: تجدها اشترته لابنتها، وما ابنتها إلا خنفساء. فالتفتت إلى متزاحكة وقالت: لا والله! إلا مائةٌ جيداء^(١)، إن قامت ففناة، وإن قعدت فخصاء، وإن مشت فقطاة؛ أسفلها كتيب، وأعلىها قضيب؛ لا كفتياتكم اللواتي تسمنوهن بالفتوت. ثم انصرفت وهي تقول:

إن الفتوت للفتاة مضرطه يكرُ بها في البطن حتى تثلِطه^(٢)
فلا أعلمني ذكرُها إلا أضحكني ذِكْرها.

وبالجملة هو وجريز والأخطل النصراني في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين. واختلف العلماء بالشعر فيه وفي جريز في المفاضلة. وكان يونس يفضل الفرزدق ويقول: لولا الفرزدق لذهب شعر العرب. وقال ابن شبرمة: الفرزدق أشعر الناس. وقال أبو عمرو بن العلاء: لم أرَ بدويًا أقام في الحضر إلا فسد لسانه، غير رؤية والفرزدق.

وفي العمدة لابن رشيق: «كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر شعراء الجاهلية وأشعر شعراء وقته. فقال: أشعر الجاهلية امرؤ القيس، وأضرِبُهم مثلاً طرفة. وأما شعراء الوقت فالفرزدق أنخرم، وجريز أهجام، والأخطل أوصفهم».

وقد طبّق المفصّل الأصبهاني في قوله حين سئل عنهما^(٣): من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدة أسرهِ فليقدّم الفرزدق^(٤)، ومن كان يميل

(١) في الأغاني ١٧ : ١٤٥ : «خبنداء».

(٢) في الأغاني : «يكرُ بها بالليل».

(٣) الواقع أن أبا الفرج الأصبهاني لم يسأل عنهما، وإنما هو يروي آراء غيره. الأغاني ١٩ : ٤٨.

(٤) في الأغاني : «فيقدم الفرزدق»، وكذا في الموضع التالي: «فيقدم جريزا».

إلى أشعار المطبوعين والكلام السمع الجزل فليقدم جريراً . قال أبو عبيدة :
وكان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهير .

وكان صمصمة جد الفرزدق ، كما قال ابن قتيبة في الطبقات : عظيم
القدر في الجاهلية ؛ وكان اشترى ثلاثين موءودة ثم أسلم وصار صحابياً .
وأم صمصمة قُفيرة — بتقديم القاف على الفاء وبالتصغير — نبت مسكين
الدارمي ، وكانت أمها أمة وهبها كسرى لزرارة ، فوهبها زرارة لهند بنت
يثرب ، فوثب أخو زوجها ، وهو مسكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم ،
على الأمة فأحبها فولدت له قُفيرة ، فكان جرير يعثر الفرزدق بها . وكان
لصمصمة قيون — والقين الحداد — منهم جبير ، ووقبان ، وديسم ، فلذلك
جمل جرير مجاشعاً قيوناً . وكان جرير ينسب غالب بن صمصمة إلى جبير فقال :
وجدنا جبيراً أبا غالب بعيد القرابة من معبد

يعنى معبد بن زرارة . وكان يميهم بالخزيرة ، وذلك أن ركباً من مجاشع
مرؤا بشهاب التغلبي فسألم أن ينزلوا ، فحمل إليهم خزيرة ، فجمعوا يأكلون
وهي تسيل على لحامهم وهم على رواحلهم . و (الخزيرة) بفتح الخاء وكسر الزاي ١٠٨
المعجنين وبالراء المهملة : قطع اللحم صفراً توضع في القدر بماء كثير ، فإذا
نضج دُرّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة . ويقال خزير أيضاً
بدون تاء تأنيث .

وأما غالب أبو الفرزدق فإنه كان يكنى أبا الأخطل . واستجير بقبيره
بكاطمة ، فاحتلها عنه الفرزدق ^(١) .

وفي نهج البلاغة : وقال علي رضي الله عنه لغالب بن صمصمة أبي الفرزدق ،

(١) المبنى : « أي احتل الجمالة » . والجمالة كسحابية : الدبة يحملها قوم عن قوم .

في كلام دار بينهما : ما فعلت إبلك الكثيرة ؟ قال : ذعذعتها الحقوق
يا أمير المؤمنين . فقال رضى الله عنه : ذاك أحد سبيلها ! قوله ذعذعتها
بذالين معجمتين وعينين مهملتين بمعنى فرقها . يقال ذعذعته فتذعذع ؛
وذعذعة السر : إذاعته .

قال شارح نهج البلاغة ابن أبي الحديد : « دخل غالب بن صعصعة بن ناجية
ابن عقال المجاشعي على أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، أيام خلافته - وغالب
شيخ كبير ، ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ - فقال له على رضى الله عنه :
من الشيخ ؟ قال : أنا غالب بن صعصعة . قال : ذو الإبل الكثيرة ؟ قال : نعم .
قال : ما فعلت إبلك ؟ قال : ذعذعتها الحقوق وأذهبتها الحلالات والنوائب ،
قال : ذاك أحد سبيلها ، من هذا الغلام معك ؟ قال : هذا ابني . قال :
ما اسمه ؟ قال : همام ، وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ،
ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً . فقال : أقرئه القرآن فهو خير له . فكان
الفرزدق بعد يروي هذا الحديث ويقول : مازالت كلمته في نفسي . حتى قيد
نفسه بقيد وآلى ألا يفكّه حتى يحفظ القرآن . فما فكّه حتى حفظه » اهـ .

وقد روى عنه ، عليه السلام ، أحاديث وعن غيره من الصحابة .
وعاش حتى قارب المائة ، ومات بعملة الديبلة^(١) ، رحمه الله تعالى .

قال النويري في تاريخه : مات الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وله إحدى
وتسعون سنة ، ومات فيها جرير أيضاً .

وقال السيد المرتضى ، قدس الله سره ، في أماليه^(٢) . « الفرزدق مع

(١) الديبلة ، كجبهة : داء يجتمع في الجوف ، أو خراج يظهر فيه فيقتل صاحبه .

(٢) الأمالي ١ : ٦٢ .

تقدّمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذروة العليا^(١) ، والغاية القصوى ، شريف الآباء كريم البيت ؛ له ولآبائه ما أثر لا تُدفع ، ومفاخر لا تُجحد .. وكان ماثلاً إلى بني هاشم ، ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق ، وراجع طريقة الدين . على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً من الدين جملةً ، ولا مهملاً لأمره أصلاً .. روى أنه تعلّق بأستار الكعبة ، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف ، وقال^(٢) :

ألم ترني عاهدتُ ربّي وإني لبينَ رِتاَجٍ قائمٌ ومَقامٌ^(٣)
على حَلْفَةٍ لأشتمُ الدهرَ مسلماً ولا خارجاً من فيّ زورُ كلام
أطعنك يا إبليسُ تسعينَ حِجَّةً فلما انقضى عمرى وتمّ نمامي
فرِعتُ إلى ربّي وأيقنتُ أنني مُلاقٍ لأيامِ الخنوفِ حِمامي

* * *

وأُشدّ بعده وهو الشاهد الحادي والثلاثون :

٣١ (وشقَّ له من اسمه لُجِجَه فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ)

على أنه يمكن لمح الوصف مع العلمية ، أي يمكن أن يلاحظ بعد العلمية الوصف الذي كان قبلها وبملاحظته يوضع علماً ، فإن (محمداً) وضع علماً لنبينا صلى الله عليه وسلم بملاحظة معناه ، فإن معناه في اللغة ، كما قال صاحب

(١) ط : « العلياء » بالهمزة ، وإنما العلياء بفتح العين مهموزة أو غير مهموزة بمعنى المكان العالي ، أو القلة المالية . وأما العلياء بضم العين كما أثبت من سـ فهي مؤنث الأعلى .

(٢) من قصيدة له يخاطب فيها إبليس ويهجو ، ويعلن توبته عن هجو الناس . انظر ديوانه ٧٦٩ — ٧٧١ .

(٣) ويروى : « قائماً ومقام » . انظر سيبويه ١ : ١٧٣ والكامل ٦٩ وابن بعيش ٢ : ٥٩ / ٦ : ٥٠ .

المعرب وغيره : الذي كثرت خصاله المحمودة ؛ كما قال الأعشى في مدح النعمان بن المنذر :

إليك أبيتَ اللعنَ كانَ كَلالها إلى الماجد الفرع الجواد الحمد

وبعد أن صار علما يجوز أن يلحظ معناه اللغوي كما لحظه حسان في هذا البيت .

آيات الشاهد وهو أول آيات ثمانية مدح بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم . والصواب في روايته (شَقَّ له من اسمه) بدون واو ، فإنها للعطف ولم يتقدم شيء يعطف عليه ؛ لكن يبقى الشعر مخروما — والخرم جائز عندهم ، وهو باطلاء المعجمة والراء المهملة ، عبارة عن حذف أول الوند المجموع في أول البيت ، وذلك نحو فعلون ومفاعيلن ومفاعلتن — كما أن ضمير (له) راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومفعوله محذوف أي شق له اسما من اسمه ، واسم الله تعالى المشقوق منه : محمود ، بمعنى أن الحمد لا يكون إلا له ، ولا يقع إلا عليه ، فأراد تبارك وتعالى أن يشرك نبيه في اسم من هذا الوصف تعظيم له ، صلى الله عليه وسلم ، فسماه محمدا ، كما سيأتي بيانه . وقوله (من اسمه) بهزة الوصل ، وصممت بعضهم يقرؤه بهزة القطع ، وهو لحن . وقوله ليحمله روى بدله (كي يحمله) .

(نبيُّ أتانَا بعد يأسٍ وفرة من الرسل والأوثان في الأرض تبعُدُ^(١))
فأسمى سراجاً مستنيراً وهاديا يلوح كما لاح الصَّقيْل المهند
وأندرنا ناراً وبشَّرَ جَنَّةَ وعلمنا الإسلامَ فاللهُ نحمد
وأنتَ إلهُ العرشِ ربِّي وخالقي بذلك ما عُمِرْتُ في الناس أشهد
تعاليتَ ربَّ الناس عن قولٍ من دعا سواك إلهاً ، أنتَ أعلى وأمجَد

لَكَ اَخْلَقَ وَالنَّعْمَاءَ وَالْأَمْرَ كُلَّهُ فَأَيَّاكَ نَسْتَهْدِي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ
لَأَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ كُلُّهُ مُوَحَّدٌ جَنَّاتٍ مِنْ الْفَرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ

كذا فى ديوانه من رواية أبى سعيد السكرى . ورأيت (فى المواهب اللدنية) قال مؤلفه ^(١) : ثم إن فى اسمه « محمد » خصائص ، منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت :

(أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مِنْ نَوْرِ يُلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمُّ الْإِلَهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْحُسْنِ الْمَوْذَنُ أَشْهَدُ
وَشَقُّ لَهُ . اسْمُهُ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ)

وعلى هذه الرواية قالوا للعطف ، وقاعل شق ضمير الإله ، والضمير فى له راجع للنبي . ثم قال صاحب المواهب : وأخرج البخارى فى تاريخه الصغير من طريق على بن زيد قال : كان أبو طالب يقول :

وشق له من اسمه ليُجِلَّهُ * ... البيت

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفى ألف عام ، كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبى نعيم فى مناجاة موسى . وروى ابن عساکر عن كعب الأحبار قال : إن الله أنزل على آدم عصيا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أى بنى ، أنت خليفتى من بعدى ، فخذها بعبارة التقوى والعروة الوثقى ، وكلماء كرت الله فاذا كرت إلى جنبه اسم محمد ، فأتى رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ، ثم إنى طفت السموات فلم أرى فى السموات موصفا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه ؛ وإن

١١٠

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى المصرى المتوفى سنة ٩٢٣ .

ربى أسكننى الجنة فلم أرفى الجنة قصرًا ولا غرفة إلا اسمُ محمد مكتوبا عليها ؛
ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحر الحور العين ، وعلى قصب آجام الجنة ،
وعلى ورق شجرة طوبى ، وعلى ورق سِدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحُجُب ،
وبين أعين الملائكة ، فأكثرُ ذكره فإن الملائكة تذكره فى كل ساعاتها .
ولما سماه جده عبدالمطلب بمحمد قيل له : كيف سميت به باسم ليس لأحد من آبائك
وقومك ؟ فقال : لأننى أرجو أن يحمد أهل الأرض كلهم ؛ وذلك لرؤيا كان
رآها عبدالمطلب كما ذكر حديثها على الفَيروانى العابر (فى كتاب البستان) قال :
كان عبدالمطلب قد رأى فى المنام كأنَّ سلسلة من فضة خرجت من ظهره ،
لها طرفٌ فى السماء وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنها
شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلّقون
بها ؛ فقصها فعُبرَتْ له بمولود يكون من صلبه ، يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ،
ويحمده أهلُ السماء والأرض ، فلذلك سماه محمدا ، مع ما حدثته به أمه أمانة حين قيل
لها : إنك قد حملتِ بسيد هذه الأمة ، فاذا وضعتِ فسميه محمدا .

قال السهيلي : محمد منقول من صفة فى معنى محمود ، ولكن فيه معنى
المبالغة والتكرار ، لأن الحمد الذى حمد مرة بعد مرة ، كما أن المكرّم من
أكرم مرة بعد مرة ، وكذلك المدح ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ،
والله سبحانه سَمِه به قبل أن يسمى به . علم من أعلام نبوته عليه السلام ،
إذ كان اسمه صادقا عليه ، فهو صلى الله عليه وسلم محمود فى الدنيا بما هدى
إليه ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة . فقد تكرر
معنى الحمد .

ومحمود أيضاً من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، قال صاحب المواهب : اعلم
أن من أسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود ، لأنه تعالى حمد نفسه وحمده عباده ؛

وقد سمي الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود . وكذا وقع اسمه في زبور داود .
وقال الشامي في سيرته : « ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم الحمود ، وهو
المستحق لأن يحمده لكثرة خصاله الحميدة . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :
فأصبح محمودا إلى الله راجعا يبيكه حقّ المرسلات ويحمد
وهو من أسمائه تعالى . قال حسان أيضا :

وشق له من اسمه ليجله البيت ٥١ .

وعليه فهو اسم مشترك بين الله وبين نبيه ، ولم أر من صرح به
غير الشامي .

وأما أحمد فهو اسمه عليه الصلاة والسلام الذى سمي به على لسان عيسى
وموسى . قال السهيلي : هو منقول من الصفة التى معناها التفضيل ، فعنى أحمد :
أحمد الحمادين لربه ، وكذلك هو فى المعنى لأنه يفتح عليه فى المقام الحمود
محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد بهاربه ، ولذلك يعقد له لواء الحمد .

١١١

وقال السخاوى فى سفر السعادة : أحمد هو مأخوذ من الحمد كما أخذ من
الحرمة أحمر ومن الصفرة أصفر ، وأحمد أبلغ من محمد ، كما أن أحمر وأصفر أبلغ
من محمر ومصفر ، لأنه فى أحمر وأصفر ألزم ، وليس أحمد بمنقول من الفعل
المضارع ، ولا هو أفعل فنقول كأكرم ، ومن هذا « الله أكبر » .

و (حسان) هو أبو الوليد بن ثابت بن المنذر الأنصارى من بنى النجار : ترجمة حسان
وأمه الفريمة بنت خنس^(١) من بنى الخزرج . والفريمة بالفاء والعين المهملة
مصغر فرعة بالتحريك وهى القملة الكبيرة .

(١) كذا فى النسخين . وفى الاغانى ٤ : ٢ : « ابنة خالد بن قيس بن لؤذان بن عبد ود
ابن نطبة بن الخزرج » .

قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء^(١): «وهو جاهل إسلامي متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً لأنه كان يرى بالبين لعلّة أصابته . وكانت له ناصيةٌ يُسدّها بين عينيه . وكان يضرب بلسانه رَوثة أنفه^(٢) من طوله ، ويقول : والله لو وضعت على شعري لحلقته ، أو على صخري لفلقته . وعاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة ، فهو من المخضرمين ، ومات في زمن معاوية وكف بصره في آخر عمره .»

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون :

٣٢ (قَتِي فارسي في سراويل راح)
وصدره : * أتى دُونها ذَبُّ الرِّيَاد كأنه *

على أن (سراويل) غير منصرف عند الأكثرين كما هنا :

وهذا البيت من قصيدة تميم بن أُبَيٍّ بن مُقْبِل^(٣) يصف الثور الوحشي .
وضمير دونها لأنثاء ، ودُون بمعنى قدام . وروى : (يمشى بها ذَبُّ الرِّيَاد)
وروى أيضاً (يرودُ بها) . والذَبُّ بفتح القال المعجمة وتشديد الموحدة ، قال في الصحاح : هو الثور الوحشي ، ويقال له ذَبُّ الرِّيَاد لأنه يرود : أي يذهب ويحیی ولا يثبت في موضع . قال النابغة الذبياني يصف ناقته :

كأَنَّما الرَّحْلُ منها فوقَ ذِي جُدَدٍ ذَبُّ الرِّيَاد إلى الأشباح نَظَّارِ

صاحب
الشاهد

(١) الشعراء ٣٦٤ .

(٢) رَوثة الأنف : طرفه من مقدمه .

(٣) في ديوانه ٤١ والجمهرة ١ : ٢٧ والمقاييس ٢ : ٣٤٩ وأمال القالي ٢ : ١٦٤ .

واللسان (ذب ، رود ، رول) .

وزاد في العباب فقال : ورجل ذب الرياد : إذا كان زوّاراً للنساء . قال
عبدٌ من عبيد بجيلة :

قد كنت فتّاح أبواب مغلقة ذب الرياد إذا ماخولس النظرُ

وقال القائلُ في أماليه^(١) : « يقال : فلان ذبّ إذا كان لا يستقر

في موضع ، ومنه قيل للثور الوحشي : ذبّ الرّياد » . وأشد بيت الشاهد .

وقد خالف أبو هلال العسكري في ديوان المعاني^(٢) فزعم أن ذبّ الرياد

اسم للوعل . ونسب البيت إلى الراعي فقال : وقد أحسن الراعي في وصف

الوعل ؛ ثم قال « وذبّ الرياد » علم على الوعل . والصواب ما قدمناه فيهما .

شبه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشي من الشعر بالسراويل ، وهو من لباس

الفرس ، ولهذا شبهه بقتي فارسي ، وشبه قرنه بالرح ولهذا قال « راح »

أي ذو رح ؛ فقوله « قتي » خبر كان ، و « فارسي » صفة قتي ؛

و « في سراويل » حال من ضمير فارسي ، إذ هو بمعنى منسوب إلى الفرس ،

أو صفة لفارسي ، وراح صفة ثانية لقتي . و (السراويل) يذكر ويؤنث

كما في العباب ، وجرّ بالفتحة لأنه غير منصرف ، قال الشارح المحقق :

« واختلف في تعليله فعند من وتبعه أبو علي أنه اسم أعجمي مفرد أعرب

كما أعرب الأجرّ ، ولكنه أشبه من كلامهم مالا ينصرف قطعاً نحو قناديل ،

فعل على ما شابهه فنع الصرف » .

أقول : الذي رأيته في تذكرة أبي علي مخالفةٌ من فإنه يعد أن تقل كلام

ن قال : « سراويل وإن كان واحداً فهو على مثال الجمع الذي لا يكون

واحد على مثاله ، فأنت ما لم تسم به فهو منصرف كأجرّ ، الذي ليس

في الواحد ولا غيره على مثاله ، فإذا سُميت به صار مثل شراحيل ٥١ . وكان
أبا على فهم من قول س : أنه أعجى كما أعرب الأجر ، أنه يريد يصرف كما
يصرف الأجر ؛ وليس كذلك ، بل مراده أنه مقرب لا مبنى كما أن الأجر
مقرب ، بدليل قول س بعده : إلا أن سراويل أشبه من كلامهم مالا ينصرف
في نسكرة ولا معرفة .

ترجمة أبي هلال العسكري
وأبو هلال العسكري هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى
ابن مهران اللغوي العسكري . وكان تلميذ أبي أحمد الحسن بن عبد الله
العسكري ، وافق اسمه اسم شيخه واسم أبيه اسم أبيه ، وهو عسكري أيضاً ،
فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري . وقد ترجمنا
(أبا أحمد العسكري) في الشاهد الثامن والعشرين (١) .

قال أبو طاهر السلفي « سألت الرئيس أبا المظفر الأبيوردی بهمدان عنه
فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفة معاً ، قال : كان يبرز (٢) احترازاً من الطمع
والدناوة والتبذل ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر ؛ وله كتاب في اللغة سماه
التلخيص ، وهو كتاب مفيد ؛ وكتاب صناعات النظم والنثر ، وهو أيضاً كتاب
مفيد جداً » . قال ياقوت في معجم الأدباء : « وذكر غيره (٣) أن أبا هلال كان
ابن أخت أبي أحمد . وله من الكتب بعد ما ذكره السلفي : كتاب جمهرة
الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب أعلام المعاني ، في معاني الشعر . كتاب
شرح الحماسة . كتاب الأوائل . كتاب الفرق بين المعاني . كتاب نوادر

(١) انظر ما سبق في ص ٢٠٢ .

(٢) قال الميمني : « في معجم الأدباء يبرز ، وفي بنية الوعاة : يتبرز . والغالب
على الظن أن معناه يبيع الثياب ، وهي البرز » .

(٣) أي غير أبي طاهر السلفي .

الواحد والجمع . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتاب التبصرة ، وهو كتاب مفيد . كتاب الدرهم والدينار . كتاب العمدة . كتاب فضل الغنى على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة . كتاب المحاسن في تفسير القرآن ، خمس مجلدات . وكتاب ديوان شعره .

قال ياقوت : « وأما وفاته فلم يبلغنى فيها شيء ، غير أنى وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . »

هذا ما ذكره ياقوت . وله عندى كتاب الفروق فى اللغة . وكتاب ديوان المعانى^(١) ؛ وهما دالآن على غزارة علمه . ومن شعره :

إذا كان مالى مال من يلقط العجم وحالى فيكم حال من حاك أو حخم
فأين انتفاعى بالأصالة والحجبا وما ربححت كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس يبصر حالى ولا يلعن القرطاس والخبر والقلم
وله أيضاً :

جلوسى فى سوقٍ أبيع وأشتري دليلٌ على أن الأنام قُرودُ
ولا خير فى قوم يذلّ كرامهم ويمظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوم عني رثاثة كُسوتى هجاء قبيحاً ما عليه مزيد

وأما (تميم) صاحب الشاهد فهو ابن أبى بن مُقبل ، وأبى بالتصنيف وتشديد الياء ، ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وكان يبكى أهل الجاهلية . وبلغ مائة وعشرين سنة . وكان بهاجى النجاشى الشاعر ؛

١١٣
ترجمة
ابن مقبل

فهجاه النجاشي فاستمدى عليه عمر رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هجاني . فقال عمر : يا نجاشي ما قلت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قلت ما لا أرى فيه عليه بأساً . وأنشده :

إذا الله جازى أهل لؤم بذلة^(١) فجازى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : إن كان مظلوماً استجيب له ، وإن لم يكن مظلوماً لم يُستجب له .

قالوا : وقد قال أيضاً :

قبيلة لا يفديرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل^(٢)

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ! قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلاّ عشية إذا صدر الورادُ عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقلّ للزحام^(٣) ! قالوا : فإنه قال :

تغاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : يكفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا : فإنه قال :

وما سئى العجلان إلاّ لقولهم^(٤)

خذ القعب واحلب أيها العبدُ واعجل

(١) هذا ما في سـ مع أثر لإصلاح . وفي ط : « بذمة » . وفي المدة ١ : ٢٧ وزهر الآداب ٢٠ : « ورقة » وفي البيان ٤ : ٣٧ : « ودقة » .

(٢) قبيلة : مصدر قبيلة ، مبالغة في هجائهم . وفي ط : « قبيلته » صوابه في سـ والبيان والمدة وزهر الآداب .

(٣) في المدة : « ذلك أقلّ للسكك » ، يعني الزحام .

(٤) في النسختين : « لقوله » ، صوابه من المدة .

فقال عمر : كلُّنا عبد ، وخير القوم خادمهم ! قال تميم : فسله يا أمير المؤمنين عن قوله :

أولئك إخوان اللعين وأسوة الـ هجين ورهط اللواهن المنذلي
فقال عمر : أما هذا فلا أعذركَ عليه ! فحبسه ، وقيل جلده .

قال صاحب زهر الآداب ^(١) : كان بنو العجلان يفتخرون بهذا الاسم ، إذ كان عبد الله بن كعب جدُّهم إنما سُمِّيَ العجلان لتعجيله القرى للضيَّفان : وذلك أن حيًّا من طيء نزلوا به فبعث إليهم بقرامٍ عبدًا له ، وقال له اعجل عليهم . ففعل العبد فأعتقه لمجَلته ؛ فقال القوم : ما ينبغي أن يسمَّى إلاَّ العجلان . فسَمَّى بذلك فكان شرفًا لهم ؛ حتَّى قال النجاشي هذا الشعر فصار الرجل إذا سئل عن نسبه قال : كَمَيْ . ويرغب عن العجلان .

قال : وزعمت الرواة أن بني العجلان استعدوا على النجاشي . وذكر هذه الحكاية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون :

٣٣ (عَلَيْهِ مِنَ اللَّؤْمِ سِرْوَالٌ فَلَيْسَ يَرِقُ لِمُسْتَمْطِفٍ)

على أن السراويل عند المبرد عربي^٢ ، وهو جمع سروالة ، والسروالة قطعة خرقه .

أقول : هذا البيت قيل مصنوع ، وقيل قائله مجهول ، والذي أثبتته قال : إنَّ سِرْوَالَةً وَاحِدَةً السَّرَاوِيلُ ، وكيف تكون سروالة بمعنى قطعة خرقه ،

مع الحكم بأنها واحدة السراويل ، هذا لا يكون ! وقال السيرافي : سرالة لغة في السراويل ، إذ ليس مراد الشاعر عليه من اللؤم قطعةً من جزء السراويل .
وسرالة ، في البيت : مبتدأ مؤخر وعليه خبر مقدم . وقوله : من اللؤم ،
كان في الأصل صفة لسرالة ، فلما قدم عليه صار حالاً منه ، هذا هو المقرر .
وقال العيني^(١) : ومن اللؤم صفة لسرالة فيكون محلها الرفع . وهذا خطأ .
واللؤم بالهمز : شح النفس ودناءة الآباء .

١١٤

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون :

٣٤ (جاء الشتاء وقيصى أخلاق شرادم يعجب منه التواق)

على أن (شرادم) لفظة جمع بالاتفاق^(٢) .

أقول : نسب أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات هذا البيت إلى بعض الأعراب ، وقال : الأخلاق والأرمام والأرماث لا تكون إلا في الخلقان ، وقال : إنما نعت الواحد بالجمع لكثرة فيه : كما قالوا برمة أعشار إذا انكسرت ، أريد أن كسرها كثير .

وفي العباب : وقد خلق الثوب بالضم خلوقة ، أى بلى ، وثوب أخلاق : إذا كانت الخلوقة فيه كله ، كما قالوا برمة أعشار وأرض سبابس .

وفي الزاهر لابن الأنباري : وقال الفراء : من العرب من يقول قيص أخلاق وجبة أخلاق ، فيصف الواحد بالجمع ، لأن الخلوقة في الثوب تتسع فيسمى كل موضع منها خلقاً ثم يجمع على هذا المعنى ، ومن قال جبة خلق قالوا

(١) العيني ٤ : ٣٥٤ . وانظر ابن عيينة ١ : ٦٤ ومع المعجم ١ : ٢٥ .

(٢) انظر اللسان (شرادم) .

في التنبيه : جُبَّتَانِ خَلْقَانِ ، وفي الجمع : جباب أخلاق .

والشراذم بالشين والذال المعجمتين : جمع شرذمة بكسر الأول والثالث^(١) ، قال في الصحاح : «الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء ، وثوب شراذم أى قطع» . والتوآق بفتح التاء المثناة الفوقية وتشديد الواو : اسم ابن الشاعر ، قاله الفراء وغيره . وأصله مبالغة تائق ، من تآقت نفسه إلى الشيء بمعنى اشتاقت ، قال الشاعر :

* المرء تَوَاقٍ إِلَى مَالِمٍ يَنْلُ^(٢) *

وقال صاحب العباب : وروى النواقي بالنون ؛ وقال في (نوق) : والنواقي من الرجال الذي يَرُودُ الأمور ويصلحها . وعلى هذا فيجوز أن يراد به أيضا الرفاء ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون ، وهو من شواهد س^(٣) :

٣٥ (ولو كان عبد الله مولى هجوئه ولكنَّ عبد الله مولى مواليا)

على أن بعض العرب يجرُّ نحو (جَوَارٍ) بالفتحة فيقول : مررت بجواري كما قال الفرزدق «مولى موالى» بإضافة موالى إلى مولى والألف للإطلاق ، وجمهور العرب يقول : مررت بجواري ، ومولى موالٍ ، بحذف الياء والتنوين ، في الجر والرفع ، وأما في النصب عندها فلا تحذف الياء بل تظهر الفتحة

(١) في النسختين : « والثاني » تحريف .

(٢) في البيان ٣ : ١٩٤ : « والمرء » . وقيل :

* من طاش دهرًا فسبأته الأجل *

وبعده : * الموت يتلوه ويليه الأمل *

(٣) سيبويه ٢ : ٥٨ ، ٥٩ .

عليها ، فهو رأيت جوارى . والمراد بجوار : ما كان جمعا على هذا الوزن معتل اللام .

وهذا خلاف ما قاله س ، قال الأعمش في شرح أبياته : «الشاهد في إجرائه موالى على الأصل ضرورة^(١)» ، وكان الوجه موالٍ كجوار ونحوه من الجمع المنقوص ، فاضطر إلى الإتمام والإجراء على الأصل كراحة للزحاف ، اه . وكذا قال صاحب الصحاح قال : « وإتما قال مواليا لأنه رده إلى أصله للضرورة ، وإنما لم ينون لأنه جعله بمنزلة غير المعتل الذى لا ينصرف » .

وصاحب اللباب وغيره جعله قولاً للنحويين لالفة لبعض العرب ، وقال : ونحو جوارٍ حكمه حكم قاضٍ رفماً وجراً على الأعراف ، وحكم ضوارب نصبا ، وقيل نصباً وجرا . وبهذا سقط اعتراض ابن أبى إسحاق على الفرزدق في قوله : ولو كان عبد الله مولى هجوته البيت

١١٥

والمولى : الخليف ، هو الذى يقال له مولى الموالاة ، والخليف : المعاهد ، يقال منه تحالفا ، إذا تعاهدا وتعاقدا على أن يكون أمرهما واحداً فى النصرة والحماية ، وبينهما حلف وحلفه بالكسر فهما أى عهد . والرجل إذا كان ذليلاً يوالى قبيلة وينضم إليهم ليعتز بهم ، وإذا والى مولى كان أذلّ ذليل ، وكذلك القبيلة توالى . وأراد بالمولى الحضرميين ، وكانوا موالى بنى عبد شمس ابن عبد مناف ، يقول : لو كان عبد الله ذليلاً لهجوته ، ولكنه أذلّ من الدليل لأنه حليف الحضرميين ، وهم حلفاء بنى عبد شمس . وهذا مبالغة فى الهجو .

والحضرى : منسوب إلى حضر موت ، وحضر موت : بلد وقبيلة .

والصواب فى رواية البيت :

(١) بقية النقل إنما هو من استنباط البغدادى . وانظر التنتبرى .

* لو كان عبد الله مولى هجوته *

بحذف الواو وجعل البيت مخروما ؛ فإنه بيت واحد ولم يتقدمه شيء حتى تكون الواو عاطفة .

ابن أبي
إسحاق

وعبد الله هذا هو عبد الله بن أبي إسحاق الزياتي الحضرمي . قال الواحدى في كتاب الإغراب ، في علم الإعراب : « كان عبد الله من تلامذة عنبسة بن معدان ^(١) ، وهو ^(٢) من تلامذة أبي الأسود الدؤلى وأضع النحو . وليس في أصحاب عنبسة مثل عبد الله ، واسمه ميمون الأقرن ، وهو الذى كان يرد على الفرزدق قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مُسَحَّتًا أو مُجْلَفًا
فهجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته البيت

وكان يقال : عبد الله أعلم أهل البصرة وأعقلهم . وفرّع النحو وقاسه . وكان أبو عمرو بن العلاء قد أخذ عنه النحو . ومن أصحاب عبد الله الذين أخذوا عنه النحو عيسى بن عمر الشففى ، ويونس بن حبيب ، وأبو الخطاب الأخفش ، اهـ . وقال أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج المعروف بالتاريخى ، في تاريخ النحاة : وتوفى عبد الله هذا سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه بلال بن أبي بردة .

(١) ط : « سعدان » صوابه في س مع أثر تصحيح . وانظر لترجمة عنبسة لإنباء الرواة ٢ : ٣٨١ وما به من مراجع .

(٢) أى عنبسة . وفي تزه الألباء : « وعن أبي عبيدة أنه قال : اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلى يتعلمون منه العربية فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهرى . واختلف الناس إلى عنبسة فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن » .

واعلم أنهم قد ذكروا في سبب هجو الفرزدق لعبد الله أن عبد الله لحنه في قوله « إلا مسحتنا أو مجلف » فإنه عطف المرفوع على المنصوب كما نقله الواحدى وغيره . وسيأتى إن شاء الله شرح هذا البيت مستوفى في باب العطف ، فلما بلغ الفرزدق تلحين عبد الله إياه هجاه بهذا البيت ، فلما بلغ هجو الفرزدق لعبد الله^(١) قال : قولوا للفرزدق لحت في هذا البيت أيضا ، حيث حرّكت موالى في الخفض .

هكذا رَوَوْا هذه الحكاية ؛ والذي رأيته في تاريخ النحاة للتاريخى ، المذكور آنفا ، قال حدثني ابن الفهم عن محمد بن سلام قال : أخبرنا يونس أن ابن أبي إسحاق قال للفرزدق ، في مدحه يزيد بن عبد الملك بن مروان :
مستقبلين شمال الشام تضرِبُنَا على زواحف تَزْجِي نُحْهَا رِير
فقال له ابن أبي إسحاق : أسأت ! موضعها رفع ، وإن رفعت أقوى !
وألح الناسُ على الفرزدق في ذلك فقلّبتها فقال :

١١٦

* على زواحف نزجها محاسير *

ثم ترك الرواة هذا ورجعوا إلى القول الأول . قال يونس : وهذا جيد .
فلما أكثر ابن أبي إسحاق على الفرزدق هجاه فقال :

لو كان عبد الله مولى هجوته ... البيت

وقد حكى مثل حكاية التاريخى أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، قال : « وقد حكى أبو أحمد عبدالعزيز ابن يحيى الجلودى في إسناد ذكره ، في أخبار الفرزدق : أن عبد الله بن أبي إسحاق النحوى قال : إن الفرزدق لحن في قوله :

* على زواحف تزجى نَحْطاً رير *

وَأَنَّ ذَلِكَ بَلَغَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ : أَمَا وَجَدَ هَذَا الْمُنْتَفِخُ الْخَصِيَيْنِ لِبَيْتِي
مُخْرَجًا فِي الْعَرَبِيَّةِ ؟ أَمَا إِنِّي لَوْ أَشَاءُ لَقُلْتُ :

* على زواحف نَزَجِيهَا مُحَاسِير *

وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَقُولُهُ ! نَمَّ قَالَ :

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجُوتِهِ الْبَيْتِ

فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ : عُنْدَهُ شَرٌّ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَالْخَفْضُ فِي رِيرٍ جَيِّدٍ
وَتَقْدِيرُهُ عَلَى زَوَاحِفَ رِيرٍ نَحْطاً تَزْجِي « اه كلامه .

وهذا البيت مركب من بيتين وهما :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنْدِيفِ الْقَطَنِ مَنُشُورٍ
عَلَى عَمَامِنَا يُلْقَى وَأَرْحَلُنَا عَلَى زَوَاحِفَ نَزْجِيهَا مُحَاسِيرٍ

والشمال هي الريح المعروفة وهي مفعولة . وجملة تضرِبُنَا : حال منها .
والحاصِبُ بمهملتين : الريح التي تثير الحصباء . والزواحف : جمع زاحفة بالزاي
المعجمة والحاء المهملة ، وهي الإبل التي أُعِيَتْ فَجَرَتْ فَرَّاسِنَهَا ، يقال زحف
البعير إذا أَعْيَا فَجَرَّ فَرَسَتَهُ أَيْ خَفَّه . ونزجِيها : نسوقها ، والإزجاء : السوق .
ومحاسير : جمع محسور ، من حسرت البعير حسراً إذا أتعبتهُ فهو حَسِيرٌ أَيْضاً ،
ويقال أحسرتهُ بِالْأَلْفِ أَيْضاً ، ويكون لازماً أَيْضاً ؛ يقال حَسَرَ الْبَعِيرُ يَحْسُرُ
حَسُورًا ، إذا أَعْيَا . والرَّيرُ ، على ما في الرواية الأخرى ، هو باهمال الراءين ؛
قال الفراء : نَحْطُ رِيرٍ بفتح الراء وكسرهما ، ورار أَيْضاً : أَيْ فَاسِدَ ذَائِبٍ
من الهزال .

ومن الأمثال : « أسمح من نخة الرير » قال الزمخشري في أمثاله :
الرير والزار : المخ الذي قد ذاب في العظم حتى كأنه ماء ؛ وسماحه :
ذوبه وجريانه .

وترجمة الفرزدق ذكرت في الشاهد الثلاثين^(١) .

تمتة

قد تكلم ابن جنِّي ، في شرح تصريف أبي عثمان المازني المسمى
بالتصريف الملوكي^(٢) ، بتفصيل جيد في الكلام على تنوين (جوارٍ) أحبيت
أن أذكره هنا قال :

« فأما جوارٍ وغَواش ونحوهما ، فللسائل أن يقول : لم صرف هذا الوزن ،
وبعد ألفه حرفان^(٣) ؟ وقد قال أبو إسحاق الزجاج في هذا ما أذكره لك :
وهو أنه ذهب إلى أن التنوين إنما دخل في هذا الوزن لأنه عوض من ذهاب
حركة الياء ، فلما جاء التنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة التقي ساكنان
فحذفت الياء فقبل هؤلاء جوارٍ كما قيل هذا قاض ومررت بقاض ؛ يريد أن
أصله هؤلاء جوارى ، ثم أسكنت الياء استئقلاً للضمة عليها فبقيت جوارى ،
ثم عوض من الحركة التنوين فالتقي ساكنان فوجب حذف الياء ، ألا ترى أن
الحركة لما ثبتت في موضع النصب في قولك رأيت جوارى لم يؤثر بالتنوين ؟
لأنه إنما كان يجيء عوضاً من الحركة ، فإذا كانت الحركة ثابتة لم يلزم أن
يعوض منها شيء . وأنكر أبو علي هذا القول على أبي إسحاق وقال : ليس

(١) انظر ما سبق في ص ٢١٧ .

(٢) المنصف ٢ : ٧٠ — ٧٥ مع بعض التصرف من البغدادي .

(٣) بمدّه في المنصف : « الراء والياء والشين والياء » .

التنوين عوضاً من حركة الياء ، وقال : لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعوّض التنوين من حركة الياء في يرمى ، ألا ترى أن أصله يرمى بوزن يضرب ؟ فكما لم نرم عوّضوا من حركة هذه الياء ، كذلك لا يجوز أن يكون التنوين في جوارٍ عوضاً من ذهاب حركة الياء . فإن انتصر منتصرٌ لأبي إسحاق فقال : إلزام أبي على إياه لا يلزمه ، لأن له أن يقول إن « جوارٍ » ونحوه اسم والتنوين بابه الأسماء ، و « يرمى » فعل والتنوين لا مدخل له فيه ، فلذلك لم يلزم أن يعوّض من حركته . قيل له : ومثال « مفاعل » أيضاً لا يدخله التنوين ^(١) ! فإن قال : مفاعل اسم والاسم مما يصح فيه التنوين . قيل له : لو كان الأمر كذلك لوجب أن يعوّض من حركة الألف في « حبلى » ونحوها تنويناً . فإن قال : لو عوض لدخل التنوين مالا ينصرف على وجه من الوجوه ! قيل : وكذلك مثال مفاعل لا ينصرف معرفة ولا نكرة . فإن قال : مفاعل قد ينصرف في بعض المواضع في ضرورة الشعر ، وحبلى وبأبها لم يصرف قط لضرورة . قيل : إنما لم يصرفوا حبلى للضرورة ، لأن التنوين كان يذهب الألف من اللفظ فيحصل على ساكن هو التنوين ، وقد كانت الألف قبله ساكنة فلا يزدادون أكثر مما كان قبل الصرف ، فتركوا الصرف في نحو حبلى لذلك . ألا ترى أنهم يصرفون نحو « حمراء » فيقولون مرتت بحمراء للضرورة ؟ لأنهم قد ازدادوا حرفاً يقوم به وزن البيت ، وهمزة حمراء كألف سكرى وحبلى . والقول في هذا ما ذهب إليه الخليل وسيبويه : من أن الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين ، فلما حذفت الياء صار في التقدير جوارٍ بوزن جناح ، فلما نقص عن وزن فواعل دخله التنوين كما يدخل جناحاً ؛ فدل على أن التنوين إنما دخله لما نقص عن وزن ضوارب ، ولذا إذا تم الوزن في النصب وظهرت الياء امتنع التنوين أن يدخل ،

(١) بعده في النصف : « جرى مجرى الفعل » .

لأنه قد تمّ في وزن ضوارب ، فالتنوين على هذا معاقبٌ للياء لا للحركة ، إذ لو كان معاقباً للحركة لوجب أن يدخل في « يرمى » لأنّ الحركة قد حذفت من الياء في موضع الرفع .

وشيء آخر يدلّ عندي على أن التنوين ليس بدلاً من الحركة ، وذلك أن الياء في جوار قد عاقبت الحركة في الرفع والجر ، في الغالب ، وإذا كان كذلك فقد صارت الياء لمعاقبها الحركة تجري مجراها . فكما لا يجوز أن يعوض من الحركة وهي ثابتة ، كذلك لا يجوز أن يعوض منها وفي الكلمة ما هو معاقبٌ لها وجارٍ مجراها . وقد دلّلت في هذا الكتاب على أن الحركة قد تعاقب الحرف وتقوم مقامه في كثير من كلام العرب .

فإن قال قائل : فلم ذهب الخليل وسيبويه إلى أن الياء قد حذفت حذفاً حتّى أنه لما نقص وزن الكلمة عن بناء فواعل دخلها التنوين ؟ قيل : لأنّ الياء قد حذفت في مواضع لا تبلغ أن تكون في الثقل ، مثل هذا كقوله تعالى : « الكبير المتعال ^(١) » ، و « يومَ يَدْعُ الدّاع ^(٢) » ، و « يومَ التّناد ^(٣) » وقال الشاعر :

* وأخو القوانٍ متى يشبّ يصرّ منه ^(٤) *

وقال آخر : * دوامى الأيدٍ يحنّطن السّريحا ^(٥) *

(١) الآية ٩ من سورة الرعد . (٢) الآية ٦ من سورة النمر .

(٣) الآية ٣٢ من سورة غافر .

(٤) للأعشى . ومجزه في ديوانه ٩٨ :

* ويكن أعداء بييد وداد *

وانظر سيبويه ١ : ١٠ .

(٥) لمضر بن ربي الففصى . انظر سيبويه ١ : ٩ وأما ابن الشجرى

٢ : ٧٢ . صدره :

* فطرت بمنصلى في يملات *

فاكتفى في جميع هذا بالكسرة من الياء ، وهو كثير جداً ، فلما كان
الاكتفاء بالكسرة جائزاً مستحسنًا في هذه الأسماء الآحاد ، والآحاد أخفُّ
من المجموع ، كان باب « جوارٍ » جديرًا بأن يلزم الحذف لثقله . ألا ترى أنه
جمعٌ وهو مع ذلك الجمعُ الأكبرُ الذي تنتهى إليه المجموع ، فلما اجتمع فيه
ذلك وكانوا قد حذفوا الياء مما هو أخفُّ منه ألزموه الحذف البتة حتى لم يجر
غيره . وقد حذفت الياء من الفعل أيضاً في موضع الرفع حذفاً كالطرْد كقول
تعالى : « مَا كُنَّا نَبْغُ ^(١) » ، « وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ^(٢) » وهو كثير . فهذا بذلك
على أطراد حذف الياء .

فإن قال قائل : الفعل أثقل من الاسم ، فكيف ألزم بابُ جوارٍ الحذف
ولم يلزمه الفعل ؟ قيل له : لم يلزم في الفعل ، لأن الياء قد تحذف للجزم حذفاً
مطرداً ، فلو ألزموها الحذف في موضع الرفع أيضاً لالتبس الرفع بالجزم ؛
وأجازوا الحذف في بعض المواضع استخفافاً .

فإن قيل : هلاً فصلت بين الرفع والجر أيضاً في جوارٍ كما فصلت بين
الرفع والجزم ؟ قيل له : الضمة والكسرة وإن اختلفتا في الصورة فقد اتفقتا
في أن كل واحدةٍ منهما حركة ، وأنها كلتيهما مستثقلتان في الياء ، فكذلك
لم يفصلا بينهما في باب جوارٍ ، واعتمدا على ما يصحب الكلام من أوله
إلى آخره ^(٣) ، وليس كذلك في الرفع والجزم ، لأنهما لم يتفقا في حال كما اتفقت
الضمة والكسرة . فافهم .

* * *

(١) الآية ٢٤ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٤ من سورة الفجر .

(٣) في المنتصف : « او آخره » .

وأشد بعمه ، وهو الشاهد السادس والثلاثون ، وهو من شواهد س^(١) :

٣٦ (سماء الاله فوق سبع سمائيا)

وصدره : (له مارأت عين البصير وفوقه)

أشد لما تقدم في البيت قبله .

قال أبو جعفر النحاس في شرح شواهد س ، تقلا عن الأخفش ، ومثله ابن جني في شرح تصريف المازني واللفظ له قال : « قد خرج هذا الشاعر عما عليه الاستعمال من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جمع (سما) على فمائل فشيها بشمال وشمائل ، والجمع المعروف فيها إنما هو (سُئى) على فُعول ، ونظيره عَنَاق وعُنُوق . ألا ترى أن سما مؤنثة كما أن عَنَاقاً كذلك ؟

والثاني : أنه أقر الهزمة العارضة في الجمع مع أن اللام معتلة ، وهذا غير معروف ، ألا ترى أن ما تعرض الهزمة في جمعه ولائمه واو أو ياء أو همزة فالهزمة العارضة فيه مغيرة مبدلة نحو خطيئة وخطايا ، ومطية ومطايا ، ولم يقولوا : خطائي ولا مطائي ١ .

والثالث : أنه أجرى الياء في (سمائي) مجرى الباء في ضوارب ، ففتحها في موضع الجر ، والمعروف عندهم أن تقول : هؤلاء جوارٍ ومررت بجوارٍ ، فتحذف الياء وتدخل التنوين . وللنحويين في ذلك احتجاج لما يذهبون إليه من أن أصل مطايا مطائي ، ألا ترى أن الشاعر لما اضطر جاء به على أصله فقال (سمائيا) كما أنه لما اضطر إلى إظهار أصل (ضن) . قال :

(١) سيويه ٢ : ٥٩ . وانظر الخصائص ١ : ٢١١ ، ٣٣٣ ، ٢ : ٣٤٨ والسان (سما ١٢٢) .

• أنى أجود لأقوام وإن صَنِنُوا^(١) •

وكما قال الآخر :

• صَدَدْتُ فَأَطَوْتُ الصَّدُودَ^(٢) •

يريد (أطلت) . فهذه الأشياء الشاذة فيها حجج في أن يقولوا : إن أصل هذا كذا .

وكذلك ما حكى عنهم من أنهم يقولون : غفر الله له خطائته — بوزن خطاعه^(٣) — فيه دلالة على أن أصل رزايارزائي بوزن رزاع^(٤) . ألا ترى أن رزيثة كخطيئة ١ فلا بد لم في جميع ما يدعونه من قياس يرجعون إليه ، أو مسموع يحملون ما غير عليه . انتهى .

وهذا كله من الأصول لابن السيرافي ، إلا أن ابن جني بسط ما أجله ابن السراج ..

صاحب
الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأمية بن أبي الصلت ، مطلعها :

(ألا كلُّ شيء هالكٌ غيرَ ربِّنا ولله ميراثُ الذي كان قانياً

ولى : له من دون كل ولاية إذا شاء لم يُمسوا جميعاً مواليا

وإن يك شيء خالداً ومعمراً تأمل تجد من فوقه الله باقياً

له ما رأت عين البصير وفوقه سماه الإله فوق سبع سمائيا)

(١) لقعن بن أم صاحب . انظر نوادر أبي زيد ٤٤ وسيبويه ١ : ١١ . وصدده :

• مهلا أعاذل قد جربت من خلقى •

(٢) للرار الفقمي ، أو عمر بن أبي ربيعة . الخزائن ٤ : ٣٢٥ . بولاق . وهو بنهامة :

صددت فأطوت الصدود وقلنا وصال على طول الصدود يدوم

(٣) كذا في سـ مع أثر تصحيح ، وهو المألوف في التنظير . وفي ط : « خطاعه » تحريف .

(٤) كذا في سـ . وفي ط : « رزافع » .

وهذه قصيدة عظيمة تشتمل على توحيد الله وقصص بعض الأنبياء
كنوح ، ويوسف ، وموسى ، وداود ، وسليمان عليهم السلام^(١) .
ويعجبني منها قوله :

(ألا لن يفوت المرء رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا
يُعالى وتذكره من الله رحمة ويضحي ثنائه في البرية زاكيا)
وقوله في آخرها :

(وأنت الذي من فضل سبب ونعمة بعثت إلى موسى رسولا مُناديا
فقال : أعنى يابن أُمى فأنى كثير به يارب صل لي جناحيا
وقلت لهارون : اذهب فتظاهرا على المرء فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له : آأنت سويت هذه بلا وتدير حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له : آأنت رفعت هذه بلا عَمَدٍ أرفق إذا بك بانيا
وقولا له : آأنت سويت وسطها منيرا إذا ماجئه الليل ساريا
وقولا له : مَنْ أخرج الشمس بكرة فأصبح مامست من الأرض ضاحيا
وقولا له : مَنْ أَنْبَتَ الحَبَّ في الثرى فأصبح منه البقل يهتز رابيا
فأصبح منه حبه في رموسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا)

وقوله : « ولى له من دون كل ولاية الخ » هو خبر مبتدأ محذوف ،
أى ربنا ولى ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل ، من ولىه إذا قام به ، وكل من ولى أمر
أحد فهو وليه ؛ والضمير في له راجع لقوله « الذي كان فانيا » . والولاية ،
قال أبو عمرو : هى بالكسر فى العمل ، وبالفتح فى الدين . وقوله : « إذا شاء الخ »
يقول : إذا شاء أماتهم وفرقهم . والموالى : الورثة ، جمع مولى ، قال تعالى

(١) عليهم السلام ، ساقطة من ط .

« ولكل جملنا موالى » ، أى ورتة . وقوله « له ما رأت عين البصير الخ » له : خبر مقدم وضميره لرَبنا ، وما موصولة مبتدأ مؤخر ، وتقديم الخبر للحصر ، أى الذى رآته العينُ ملكٌ لرَبنا ليس لأحدٍ شئ منه ^(١) ؛ وضمير فوقه عائدا لما الموصولة . وسماه الإله أراد به العرش ، مبتدأ وخبره الظرف قبله . وقوله « فوق سبع سمائيا » حال من الضمير المستتر فى (فوقه) . ومن رفع سماء الإله بالظرف قبله كان « فوق سبع سمائيا » حالا من سماء الإله . كذا فى إيضاح الشعر لأبى على .

قال ابن جنى فى الخصائص ^(٢) : « وكان أبو على ينشدنا : فوق ست سمائيا » .

وكذا رأيت أنا قد أثبتته فى الإيضاح ، وكذلك رأيت أنا أيضا فى ديوان (أمية) ، فىكون المراد بسماء الإله : السماء السابعة .

أمية بن أبى الصلت

١٢٠

(وأمية) هو أمية بن أبى الصلت ، واسمه : عبدالله بن أبى ربيعة بن عوف الثقفى . قال الأصمى : ذهب أمية فى شعره بعامّة ذكر الآخرة ، وعنزة بعامّة ذكر الحرب . وقد صدّقه النّبى صلى الله عليه وسلم فى بعض شعره . وفى صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال : « رَدِفت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ ؟ قلت : نعم . قال : هيه ! فأنشدته بيتا ، فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتا ، فقال : هيه ، حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : « كعاد لَيْسلم » ، وفى رواية : « لَيْسلم فى شعره » . وفى رواية : « آمن شعره وكفر قلبه » .

وفى الإصابة عن ابن عباس « أن النّبى صلى الله عليه وسلم أنشد قول أمية :

(١) ش : « منها » .

(٢) الخصائص ١ : ٢١١ .

رَجُلٌ وَثُورٌ نَحْتُ رِجْلِ بَيْمِنِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخَرَى وَلَيْثٌ مُرْصِدٌ^(١)
فقال : صدق ، وهذه صفة حَمَلَةِ العرش .

وفي شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال : إن حَمَلَةَ العرش ثمانية : رجل ،
وثور ، و نَسْر ، وأسَد ، هذه أربعة وأربعة أخرى ؛ فأما اليوم فهم أربعة ،
فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَتَدُوا بِأَرْبَعَةٍ أُخْرَى فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَبَحْمِلُ
عَرْشِ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » . كذلك بلغني ، والله أعلم ويقال :
إن الذي في صورة رَجُلٍ هُوَ الَّذِي يَشْفَعُ لِبَنِي آدَمَ فِي أَرْزَاقِهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِي
فِي صُورَةِ نَسْرٍ فَهُوَ الَّذِي يَشْفَعُ لِلطَّيْرِ فِي أَرْزَاقِهِمْ . وبلغني أيضاً أن لكل
مَلَكٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ وَجُوهٍ : وَجْهَ رَجُلٍ ، وَجْهَ ثُورٍ ، وَجْهَ أَسَدٍ ، وَجْهَ
نَسْرٍ . اهـ

وفي الأغاني^(٢) بسنده لما أُنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ سَانَا وَمُصْبِحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَحْنَا رَبِّي وَمَسَانَا
رَبُّ الْحَنِيفَةِ لَمْ تَنْفَدْ خَزَائِنَهَا^(٣) مَمْلُوءَةً طَبَقَ الْأَفَاقِ أَشْطَانَا
أَلَا نَبِيٌّ لَنَا مِنَّا فَيُخْبِرُنَا مَا بَعْدُ غَايَتَنَا مِنْ رَأْسِ مَجْرَانَا^(٤)
بَيْنَا يَرْبُّبْنَا أَبَاؤُنَا هَلَكُوا وَبَيْنَمَا تَقْتَنِي الْأَوْلَادُ أَبْلَانَا^(٥)
وَقَدْ عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا أَنْ سَوْفَ تَلْحَقُ أَخْرَانَا بِأَوْلَانَا

(١) في الإصابة ١ : ١٣٣ :

زحل وثور نحت رجل بيمينه والنسر للآخرى وليث برصد
، وبمده : « فقال : صدق هكذا صفة حَمَلَةِ العرش » .

(٢) الأغاني ٣ : ١٨٣ .

(٣) ٧ : « لم تفتت خواتمها » ، وأثبت ما في ط والأغاني .

(٤) الأغاني : « عيانا » .

(٥) الأغاني : « أفتانا » .

وقد عجبتُ وما بالموتِ من عجبٍ ما بال أحيائنا يسكون موتانا !
إلى أن قال :

ياربُّ لا تَجْمَلْنِي كَافِرًا أَبَدًا وَأَجْمَلْ سَرِيرَةَ قَلْبِي الدَّهْرَ إِيْمَانًا
وَأَخْلِطْ بِهِ ^(١) بَنِيَّ وَأَخْلِطْ بِهِ بَشْرِي وَاللَّحْمَ وَالْدَّمَ مَا عُمُرْتُ إِنْسَانًا
إِنِّي أَعُوذُ بِمَنْ حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ وَالرَّافِعُونَ لِدِينِ اللَّهِ أَرْكَانًا
مُسْلِمِينَ إِلَيْهِ عِنْدَ حُجَّتِهِمْ لَمْ يَبْتَغُوا بِثَوَابِ اللَّهِ أَثْمَانًا
فقال صلى الله عليه وسلم : « آمن شعره وكفر قلبه » .

وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ^(٢) : وكان أمية يُخبر أن نبياً يخرج ،
قد أظَلَّ زمانه ، وكان يؤمَل أن يكون ذلك النبي ؛ فلما بلغه خروج النبي
صلى الله عليه وسلم كفر به حسداً . ولما أشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره
قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » . وأتى بالفاظ كثيرة ^(٣) لا تعرفها العرب ، وكان
يأخذها من الكتب . منها قوله :

بَايَةً قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدِّيكِ الْغَرَابُ

وزعم أن الديك كان نديماً للغراب ، فرهنه على الحجر وغدر به وتركه عند
الخمار ، فجعله الخمار حارساً .

ومنها قوله :

• قَرَّ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُعَمِّدُ •

وزعم أهل الكتاب أن (الساهور) غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف .

(١) - : « نبي » .

(٢) الشعراء ٣٢٩ .

(٣) - : « بالالفاظ كثيرة » .

وقوله في الشمس :

ليست بطالعة لهم في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد
وكان يسئ السلوات صاقورة وحاقورة . وعلماؤنا لا يرون شعره حجة
على الكتاب .

ولما حضرته الوفاة قال :

كلُّ عيش وإن تطاول يوماً صائرٌ مرةً إلى أن يزولا
ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي في رهوس الجبال أرفعُ الوهولا
قال شارح ديوانه في شرح بيت الشمس : قال أبو عمرو : قال أبو بكر
الهندلي : قلت لعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما : أرايت ما بلغنا من
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأمية بن أبي الصلت : « آمن شعره وكفر
قلبه » ؟ فقال : هو حق ، وما أنكرتم من ذلك ؟ قال : قلنا : أنكرنا قوله :
والشمسُ تصبحُ كلَّ آخر ليلةٍ حمراءُ يُصبحُ لونها ينورُ
ليست بطالعة لهم في رسلها (البيت)

فما شأن الشمس تجلد ؟ قال : والذي نفسى بيده ما طلعت الشمس قط
حتى ينحسها سبعون ألف ملك يقال لها : اطلعى ا فتقول : لا أطلع على قوم
يعبدونى من دون الله . فيأتها ملكان حتى تستقل لضياء العباد ، فيأتها
شيطان يريد أن يصدّها عن الطلوع ، فتطلع على قرنيه فيحرقه الله تحنّها .
وما غربت قط إلا خرت لله ساجدة ، فيأتها شيطان يريد أن يصدّها عن
سجودها فتغرب على قرنيه فيحرقه الله تحنّها . فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
« تطلع بين قرني شيطان ، وتغرب بين قرني شيطان »^(١) .

(١) الخبر برواية أخرى في الأغاني ٣ ١٨٤ .

وفي الأغاني^(١) عن الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : كان أمية في الجاهلية نظر الكتب وقرأها ، ولبس المسوح تعبدًا ، وكان ذكر إبراهيم^(٢) وإسماعيل والحنيفية ، وحرّم الحمر ، وتجنّب الأوثان ، وصام ، واتمسّ الدين طمعًا في النبوة ؛ لأنه كان قد قرأ في الكتب أن نبيًا يبعث في الحجاز من العرب وكان يرجو أن يكون هو ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حسده . وكان يحرّض قريشًا بعد وقعة بدر ويرى من قتل فيها ، فمن ذلك قصيدته الحاثية التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن روايتها^(٣) التي يقول فيها :

ماذا يبذر والعقّة قتل من مرازية ججاجح

لأن رءوس من قتل بها عتبة وشيبة : ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وهما ابنا خاله ، لأن أمه رقية بنت عبد شمس .

وفي الإصابة : ذكر صاحب المرأة^(٤) في ترجمته عن ابن هشام قال : كان أمية آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدرًا قيل له : إلى أين يا أبا عثمان ؟ فقال : أريد أن أتبع محمدًا . فقيل له : هل تدري ما في هذا القلب ؟ قال : لا . قال : فيه شيبة وربيعة^(٥) وفلان وفلان . فجدع أنف ناقته وشقّ ثوبه وبكى ، وذهب إلى الطائف فمات بها . ذكر ذلك في حوادث السنة الثامنة . والمعروف أنه مات

(١) الأغاني ٣ : ١٨٠ .

(٢) ط والأغاني : « وكان ممن ذكر إبراهيم » .

(٣) لكن روي في السيرة ٥٣١ والمقدّم ٣ : ٣٠٠ .

(٤) امرأة الزمان ؟ لسبط ابن الجوزي .

(٥) في الإصابة ١ : ١٣٣ : « فيه شيبة وعتبة ابنا خالك » .

في التاسعة . ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً ، وصح أنه عاش حتى رثى أهل بدر ، وقيل إنه الذي نزل فيه قوله تعالى : « الذي آتينا آياتنا فانسَخ منها »^(١) . وقيل : إنه مات سنة تسع من الهجرة في الطائف كافراً قبل أن يُسلم الثقيون .

ورأيت في ديوانه قصيدة مدح بها النبي صل الله عليه وسلم أولها :
لَكَ الحمدُ والمنُّ ربُّ العبا دِ أَنْتَ المليكُ وَأَنْتَ الحكمُ
إلى أن قال :

وَدِينُ دِينَ رَبِّكَ حَتَّى التَّقَى	وَاجْتَنِبْهُ الْهَوَى وَالضَّجَمُ
عَمْدُ أَرْسَلَهُ بِالْهَدَى	فَعَاشَ غَنِيًّا وَلَمْ يَهْتَضِمْ
عَطَاهُ مِنْ اللَّهِ أُعْطِيَهُ ^(٢)	وَحَصَّ بِهِ اللَّهُ أَهْلَ الْحَرَمِ
وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ خَيْرُهُمْ	وَفِي بَيْتِهِمْ ذِي النَّدَى وَالْكُرَمِ
يَعِيبُونَ مَا قَالُوا لَمَّا دَعَا	وَقَدْ فَرَّجَ اللَّهُ إِحْدَى الْبَهَمِ
بِهِ وَهُوَ يَدْعُو بِصَدَقِ الْحَدِيدِ	شَرَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَبْلِ زَيْغِ الْقَدَمِ
أَطِيعُوا الرِّسُولَ عِبَادَ الْإِلَهِ	تَنْجُونَ مِنْ شَرِّ يَوْمِ الْمِ
تَنْجُونَ مِنْ ظِلْمَاتِ الْعَذَابِ	وَمِنْ حَرِّ نَارٍ عَلَى مَنْ ظَلَمَ
دَعَانَا النَّبِيُّ بِهِ خَاتَمِ	فَن لَمْ يُجِبْهُ أَسْرُ النَّدَمِ
نَبِيُّ هُدًى صَادِقُ طَيْبِ	رَحِيمٌ رَعُوفٌ بِوَصْلِ الرَّحِمِ
بِهِ خَتَمَ اللَّهُ مَنْ قَبْلَهُ	وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ نَبِي خَتَمِ
يَمُوتُ كَمَا مَاتَ مَنْ قَدْ مَضَى	يُرَدُّ إِلَى اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ
مَعَ الْأَنْبِيَا فِي جَنَّاتِ الْخُلُودِ	هُمْ أَهْلُهَا غَيْرِ جِلِّ الْقَسَمِ

(١) الآية ١٧٥ من سورة الأعراف .

(٢) ط : « اعطيته » .

وقدس فينا بحب الصلاة جميعاً وعلم خط القلم
كتاباً من الله تقرا به فن يعتديه^(١) فقد مأثم
مازائدة ، وأنم فعل ماض .

« تمة »

تبعث من اسمه أمية فوجدتهم خمسة : أحدم هذا ، والثاني : أمية بن كعب
المحاربي ، والثالث : أمية بن خلف الخزاعي . والرابع : أمية بن أبي عائذ
الهنلي . والخامس : أمية بن الأسكر الكناني . ولم يذكر واحداً منهم الأمدى
في كتابه (المؤلف والمختلف) مع أن هذا من شرط كتابه .

ونترجم إن شاء الله من هؤلاء من يأتي له شعر في هذه الشواهد ،
بمعون الله تعالى وحسن توفيقه .

* * *

وأنشد بعده : (يفوقان مرداس في جمع)
تقدم الكلام عليه مستوفى في الشاهد السابع عشر^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون :

٣٧ (كم دُونَ مِيةَ من خَرَقَ ومن عَلم)
كأنه لامعٌ عُريانٌ مَسلوبٌ)

(١) - : « فن يعتديه » .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٤٧ .

على أن عريان جاء في ضرورة الشعر ممنوع الصرف ، تشبيهاً بباب سكران .
 قد تقدم في الشاهد السابع عشر^(١) أن الكوفيين يميزون ترك الصرف
 للضرورة^(٢) في الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدهم :
 * والسيف عريان أحمر^(٣) *

وتقدم . و (كم) هنا للتكثير . و (دون) بمعنى قدام . و (مية) اسم
 محبوبة ذى الرمة ولقبها الخرقاء كما تقدم بيانه في الشاهد الثامن . وفي أكثر
 نسخ هذا الشرح (بيشة) بدل مية ، وهو موضع بالين وهو مأسدة . وفي كتاب
 النبات للدينورى : بيشة : واد عظيم من أودية نجد . وهو تحريف من
 الكتّاب . و (الخرق) بفتح المعجمة وسكون الراء المهملة وبالقف ، هو الأرض
 الواسعة التى تتخرق فيها الرياح . و (العلم) : الجبل ، والمنار الذى يهتدى به
 فى الطرق . وجملة كأنه صفة للعلم والرابط ضمير كأنه . شبهه برجل عريان
 سلب ثوبه فهو يشير إلى القوم . و (اللامع) من لمع الرجل بيده إذا أشل ،
 والموصوف محذوف أى رجل لامع . وهذا البيت من أبيات عشرة لذى الرمة .
 وقبل هذا البيت :

(هيهات خرقاء إلا أن يقرّ بها ذو العرش والشعثانات الهراجيب)

يستبعد الوصول إليها لبعدها بينهما ، إلا أن يقرّ بها الله إليه والجمال .
 والشعثانة : الناقة الخفيفة الطويلة . والهراجيب : جمع هرجاب ، وهى الناقة
 الطويلة الضخمة .

ثم بعد أن وصف الناقة فى أبيات ثلاثة قال :

(١) ص ١٤٧ .

(٢) كلمة « ترك » ساقطة من نسخة .

(٣) انظر ص ١٤٨ فى الشاهد ١٧ والإنصاف ٤٩٧ .

كم دون مية من خرق ومن علم . . . (البيت)

وبعده :

(ومن مَلْمَعَة غبراء مظلمة تراها بالشعاف النُذر معصوبُ)

هذا معطوف على قوله من خرق ومن علم . والملمعة : اسم فاعل ، وهي الفلاة التي يلعب فيها السراب ؛ ويقال لها اللَّمَاعَة أيضاً . قال ابن أحر :

كم دون ليلي من تنوفية^(١) لماعة يُنذر فيها النذر

والسراب يقال له يلعب ، ويشبه به الكذوب . والشعاف : رموس

الجبال . والمعصوب : الملفوف عليه كالمضاية . وبعده وهو آخر الأبيات :

(كأن حرباءها في كل هاجرة فوشية من رجال الهند مصلوب)

الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . والحرباء : دويبة تستقبل الشمس

على أغصان الشجر وتدور معها كيف دارت ، ويتلون ألوانا بمرّ الشمس يخضر كأنه شيخ هندي مصلوب على عود .

وترجمة ذى الرمة تقدمت في الشاهد الثامن^(٢) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون ، وهو من شواهدس^(٣) :

٣٨ (أنا ابنُ جَلا وظَلَّاعُ الشَّنايا متى أضمر العِمامةَ تعرفوني)

على أن (جلا) غير منصرف عند عيسى بن عمر ، لأنه منقول من الفعل ،

ولم يشترط غلبة الوزن بالفعل . وأجاب عنه الشارح المحقق تبعاً لغيره بوجهين :

(١) ش : « تنوفة » ، صوابه في ط واللسان (لمع ، تنف) .

(٢) ص ١٠٦

(٣) كتاب سيبويه ٢ : ٧ . وانظر أيضاً الميني ٤ : ٣٥٦ وابن يمين ١ : ٦١ ،

٣ : ٥٩ ، ٦٢ ، ومع الهوامع ١ : ٣ والأصمعيات ص ١٦ .

الأول وهو جواب س : أن التَّمَّ إنما هو الفعل مع ضميره المستتر ، فهو
 ١٢٤ جملة محكية وليس العلم هو الفعل بدون ضميره . ويردُّ عليه أن جلا ليس اسماً
 لأبي الشاعر ولا لقباً له كما يعلم من ترجمته الآتية ، وإنما ابنُ جلا في اللغة
 المنكشف الأمر ، كما قاله المبرد في الكامل^(١) .

وقال القتالي في أماليه^(٢) : يقال هو ابن جلا ، أي المنكشف المشهور
 الأمر ، وأنشد الأصمعي :

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا . . الخ

قال : وابن أجلى مثله . وأنشد للعجاج :

لاقوا به الحجاج والإصحارا به ابن أجلى وافق الإسفارا^(٣)

قال : ولم أسمع بابن أجلى إلّا في بيت العجاج . وقوله لاقوا به ، أي بذلك
 المكان . وقوله : والإصحارا ، أي وجدوا به ابن أجلى ، كما تقول لقيت به
 الأسد أي كأتى لقيت بلفظي . وقوله وافق الإسفارا ، أي واضعاً مثل الصبح .
 وقال ابن الأثير في المرصع : ابن جلا ، وابن أجلى ، هو الرجل المعروف المشهور
 والأمر الواضح المكشوف . وزعم بعضهم أن ابن جلا اسم رجل كان فاتكاً
 صاحب غارات مشهوراً بذلك . وأنشد هذا البيت .

وقوله بعد هذا : « وهو في الأصل فعل ماض سمي به ، وإنما لم يصرف
 لأنه أراد به الحكاية » فاسدٌ ؛ لأنه ركب من القولين قولاً . وقال البأوي
 في كتاب (ألف باء) : ابن جلا وابن أجلى هما بمعنى التجلّي والأمر المنكشف ،
 وهو أول النهار . وقال صاحب القاموس : وابن جلا الواضح الأمر كابن أجلى .

(١) الكامل ١٢٨ ، ٢١٠ .

(٢) أمالي القتالي ١ : ٢٤٦ .

(٣) ديوان العجاج ٢٣ .

وقال ابن الأنبارى والقسالى فى المقصور والمدود لها : وقولهم أنا ابن جلا :
أنا ابن البارز الأمر ، أنا ابن من لا ينكر .

فهذا كله يدل على عدم اختصاصه بأحد ، بل يجوز لكل أحد أن يقول
للممدوح : أنا ابن جلا ، كما قال اللعين المنقرى يهجو رؤية بن المعجاج :

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى يا رؤبَ والحية الصماء والجبلُ
أبا لأراجيز يا ابن اللؤم توعدننى وفى الأراجيز خلت اللؤم والغسلُ
وهذا البيت ينشده النحويون :

* وفى الأراجيز خلت اللؤم والخور *

والصواب ما ذكرناه . فإن القصيدة لامية ، إلا أن يكون من قصيدة
أخرى رائية . وقال الآخر (١) :

* أنا القلاخ بن جناب بن جلا *

قال العسكري فى التصحيف : جناب جد القلاخ . انتسب إليه . وابن جلا
ليس بجدي ، إنما أراد أنا ابن الأمر المكشوف ، مثل قول سحيم :
* أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * . . . انتهى

الثانى وهو جواب الزمخشري فى المفصل : أن جلا ليس بعلم ، وإنما هو
فعل ماض مع ضميره صفة لموصوف محذوف . وبهذا الوجه أورده الشارح
فى باب النعت وفى باب أفعال المدح والدم أيضاً ، وضعفه فى الأبواب الثلاثة
بأن الجملة إذا كانت صفة لمحذوف فشرط موصوفها أن يكون بعضاً من متقدم
محذور بمن أو فى كما بين .

(١) هو القلاخ . وانظر التصحيف للعسكري ٣٨٨ .

ويبقى وجه ثالث ذكره ابن الحاجب في أماليه وهو أن يكون جلا اسماً لا فعلاً ، وأن يكون بتقدير ذى ، أى أنا ابنُ ذى جلا ، والجلا هو انحصار الشعر عن مقدّم الرأس .

أقول : فى القاموس وغيره : الجلا بالقصر : انحصار مقدّم الرأس من الشعر أو نصف الرأس ، أو هو دون الصلح ، جَلَى كَرَضَى جَلًا . انتهى . وفى المقصور والمدود لابن الانبارى والثقالى : الجلا انحصار الشعر من مقدم الرأس من جانبي الجبهة ، مقصور يكتب بالألف لأنه يقال : رجل أجلى وامرأة جلواء . وعلى هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ذى ، فإنه يقال فلان ابن كذا بمعنى أنه ملازم له كما يقال أخو حروب . والصلح ونحوه أحد مخايل الشجاعة وأماراتها ، وقيل من دلائل الكرم ، لأن العرب تقول : الذى ولد أصلع يكون كريماً بحسب الغالب . والمراد من وضع العمامة إزالتها عن الرأس ، إما لأن الذى يعرفه إنما رآه مكشوف الرأس فى الحروب لكثرة مباشرته إليها فإذا رأى العمامة جهله ، وإما لأن الذى يعرفه إنما رآه لابسا آلات الحرب وعلى رأسه البيضة لكثرة حروبه فينتحى عمامته ويلبس البيضة .

وهذا محصل كلام ابن الحاجب فى أماليه ، وعبارته : قوله متى أضع العمامة تعرفونى الخ إما أن يريد كثرة مباشرته الحروب فلا يراه إلا أكثر إلا بغير عمامة فقال : متى أضع العمامة يعرفونى الذى ما رآنى إلا غير متعمم ، أو يريد أننى بكثرة مباشرتى الحروب ولباسى بيضة الحرب فتى أضع العمامة وألبس آلة الحرب يعرفونى . يعنى إذا حاربت عُرِفْتُ بأقدامى وشجاعتى . انتهى .

والوجه هو الأول ، وقد لحظه ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فأخذه وضمنه ببعض تفسير فى الرشيد عمر الغوى وكان به داء الثعلب ، وهو من نواذر ما قيل فى أقرع ، وقال :

عجبت لعشر غلطوا وعضواً من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الشايبا متى يضع العمامة يعرفوه
وقال أبو العباس أحمد اللخمي المالكي وتوفي في سنة ٦٠٣ ثلاث وستائة :
بُسْرُ بالعيد أقوامٌ لهم سعة من الثراء وأما المفترّون فلا
هل سرّي وثيابي فيه قومٌ سبّا أوراقي وعلى رأسي به ابن جلا
يعني يقوم سبا قوله تعالى : « مَرْقَنَاهُمْ كُلٌّ مِمَّزَقٌ » ، وابن جلا ما له عمامة .
وقال ثعلب في أماليه ^(١) في الكلام على هذا البيت : والعمامة تلبس
في الحروب وتوضع في السلم . وهذا خلاف الواقع وضد معنى البيت .

وقال الكرمانى شارح شواهد الموشح (شرح الكافية الحاجبية
للخبيري) : قوله متى أضع العمامة يحتمل معنيين بحسب اختلاف التقديرين :
الأول أن يقدر « على » ، فيكون التقدير متى أضع العمامة على رأسي تعرفوني
أني أهل للسيادة والإمارة .

والثاني أن يقدر « عن » ، أي متى أضع العمامة عن رأسي تعرفوا شجاعتي
بواسطة صلح رأسي ، لأنه أحد مخايل الشجاعة .

هذا كلامه . ولم يتعرض لمعنى وضع العمامة العيني ولا السيوطي ولا صاحب
المعاهد في شروح شواهدهم ^(٢) . وطلاع مبالغة طالع يقال : طلعت الجبل طلوعاً
أي علوه ، يتمدّى بنفسه . وطلعت فيه : رقيته .

قال ثعلب في أماليه : من رفع طلاع الشايبا [جعله مدحاً لابن ، ومن خفضه

(١) مجالس نعلب ٢١٢ . ولفظه : « تلبس في الحرب » .

(٢) شرح شواهد المفتي ١٥٧ ، ٢٥٤ ومعاهد التنصيص ١ : ١٤ .

جعله مدحاً جلاً . يبنى أنه روى فيه الخفض والرفع ، والجيد عندى الرفع .
والثنايا^(١)] : جمع ثنية .

قال المبرد فى الكامل : هى الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل ، وإنما
أراد أنه جلدٌ يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها . قال دُرَيْد بن الصَّمَّة يعنى
عبد الله أخاه :

كَيْشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ السَّوَاهِطِ طَلَّاعٌ أَنْجَدِ
والنجد : ما ارتفع من الأرض .

١٢٦

وقال ابن قتيبة فى أبيات المعاني^(٢) : قوله طلاع الثنايا أى يطلع على الثنايا ،
وهى ما علا من الأرض وغلظ . ومثله قولهم : طلاع أنجد .

وقال العيني : والثنايا : جمع ثنية ، وهى السن المشهورة . وهذا غير
لائق به .

وهذا البيت مطلع قصيدة لُسَيم بن وَثِيل الرِّياحى ، وليس هو للمرجى
كما توهمه التفتازانى فى المطول . وبعده :

(وَإِنْ مَكَانَنَا مِنْ حَيْرَى مَكَانُ اللَّيْثِ مِنْ وَسْطِ الْعَرِينِ
وَلَمَّا لَنْ يَعُودَ إِلَى قَرْيِ غَدَاةِ الْغَيْبِ إِلَّا فِي قَرْبِ
بَذَى لِبَدٍ يَصُدُّ الرِّكْبُ عَنْهُ وَلَا تُؤْتَى قَرْيَتُهُ لَحِينِ^(٣)
عَذَرْتُ الْبُزْلَ إِذْ هِيَ خَاطَرْتَنِي فَمَا بَالِي وَبَالُ ابْنِي لَبُونِ
وَمَاذَا يَبْتَغِي الشَّعْرَاءُ مَتَى وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ

(١) ما بين المتقين من ~ وسقط من ط .

(٢) المعاني الكبير ٥٣٠ .

(٣) فى الأسميات ١٩ وكذا فى ~ مع أثر لإصلاح : « فريته » .

أخو خمسينَ مجتمعٌ أشدِّي ونَجَدَتْنِي مُداوِرةُ الشُّنُونِ
 فَإِنَّ غُلَاتِي وَجِرَاءَ حَوْلِي لَذُو شِقِّ عَلَى الضَّرْعِ الظُّنُونِ
 كَرِيمِ الْخَالِ مِنْ سَلَفِي رِيَّاحِ كَنْصَلِ السَّيْفِ وَضَاحِ الْجَبِينِ
 مَتَى أَحْلَلْ إِلَى قَطْنِ وَزَيْدِ وَسَلَمَى تَكْثَرِ الْأَصْوَاتِ دُونِي ^(١)
 وَهَمَامِ مَتَى أَحْلَلْ إِلَيْهِ مَحَلُّ اللَّيْثِ فِي عَيْصِ أَمِينِ
 أَلْفَ الْجَانِبِينَ بِهِ أَسْوَدُ مَنْطَقَةُ بِأَصْلَابِ الْجَفُونِ
 وَإِنْ قَنَاتِنَا مَشْطٌ شَطَّاهَا شَدِيدُ مَدُّهَا عُقَقَ الْقَرِينِ)

روى صاحب المعاهد وغيره ، أنَّ السبب في هذه الأبيات : أن رجلاً أتى
 الأبيرد الرياحي وابنَ عمه الأخوص ^(٢) ، وهما من ردْف الملوك من بني رياح ،
 يطلب منهما هِنَاءً لِإِبِلِهِ ، أَيْ قَطْرَانًا . فقالا له : إذا أنت أبلغت سحيم بنَ
 وثيل الرياحيَّ هذا الشَّعْرَ أعطيناك . فقال : قُولَا . فقالا : اذهب وقل له :

فإِنَّ بُدَاهَتِي وَجِرَاءَ حَوْلِي لَذُو شِقِّ عَلَى الْحِطَمِ الْحَرُونِ
 فَلَمَّا أَنَاهُ وَأَنشَدَهُ الشَّعْرَ أَخَذَ عَصَاهُ ^(٣) وَانْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُقْبِلُ فِيهِ
 وَيَدْبِرُ وَيَهْمُهُمُ بِالشَّعْرِ ، ثُمَّ قَالَ : اذهب وقل لهما . وأنشد هذه الأبيات . قال :
 فَأَتِيَاهُ وَاعْتَذِرَا لَهُ ، فَقَالَ : إِنَّ أَحَدَكَا لَيَرَى أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا حَتَّى يَقْبَلَ شَعْرَهُ
 بِشَعْرِنَا ، وَحَسْبَهُ بِحَسْبِنَا وَيَسْتَطِيفُ بِنَا اسْتَطَافَةَ الْبَعِيرِ الْأَرَبِّ ؟! انتهى .

وفي العمدة لابن رشيقي : أنَّ الأخوص والأبيرد ابني المَعْدَرِ ، وهما شاعران
 مُنْثَقَنَانِ . وقال عبد الكريم : الأبيرد ابن أخى الأخوص . انتهى .

(١) هذا البيت والبيتان بعده لم يرويا في الأصمعيات .

(٢) ط : « الأخوص » بالحاء المهملة ، صوابه في س .

(٣) ط : « حصاة » ، صوابه في س .

والرُدْف بضمين : جمع رِدْف بكسر فسكون^(١) . والرُدْف هو الذى يجلس على يمين الملك ، فإذا شرب الملك شرب الرُدْف قبل الناس ، وإذا غزا الملك قدم الرُدْف فى موضعه وكان خليفته على الناس حتى ينصرف ، وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الرُدْف ربع الغنيمة .

والبُداهة بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، والجراء بكسر الجيم : مصدر جراه مجارة وجراء ، أى جرى معه . والحول : العام . والشق بالكسرة : المشقة . والحِطْم بفتح الحاء وكسر الطاء المهملتين : الفرس الهرم . قال ١٢٧ فى الصحاح : الحِطْم المتكسر فى نفسه ، ويقال للفرس إذا تهدم لطول عمره : حطم . ويقال : حطمت الدابة بالكسر إذا أسنت ، وحطمت السن بالفتح حطما . والحرون : الفرس الذى لا يقاد ، وإذا اشتد به الجرى وقف .

وهذا البيت تعريضٌ لسحيم بأنه لا يبلغ غايتها لكبره وعجزه . والأزب بالزاي المعجمة ، والزَبب هو طول الشعر ، ويقال بغير أزب ، ولا يكاد يكون الأزب إلا نفورا^(٢) لأنه ينبت على حاجبيه شعرات ، فإذا ضربته الريح نفر . وقول سحيم (وإن مكأنا من حمير) يأتى فى نسبه أن حميرا أحد أجداده . و (الليث) : الأسد . و (القرين) بفتح المهملة : الأجمة ، والغابة وفيها يكون مأوى الأسد . يريد أنه فى محبوبه النسب إلى حمير لا فى أطرافه . و (القرن) بكسر القاف : الكف فى الشجاعة ، وقيل عام . و (الفب) بالكسر : ورود الإبل الماء فى اليوم الثانى ، وغداة الفب : اليوم الذى يسوقون إبلهم فيه . و (القرين) : المقارن والمصاحب . وفى معنى مع . وقوله

(١) كذا . ومنه جمعهم لرُدْف أيضا على رداى . والقياس أن يكون جمع رديف .

(٢) ومنه قولهم فى المثل : « كل أزب نفور » . انظر القساق (زب) وأمثلة

الميداني ٢ : ٧١ . وقائله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد ، وكان أزب جباناً

(بنى لبد) ، بدل من قوله فى قرين . وفاعل يصدّ ضمير ذى لبد . وضمير عنه وقرينته ^(١) للقرن . وذو اللبد هو الأسد ، بكسر اللام وفتح الباء : جمع لبدة كثير جمع قرية ، واللبدة هى الشعر المتلبّد بين كتنى الأسد . والقرينة : النفس ، يقول : إن قرنى لا يقدر أن يقابلنى من خوفه إلاّ مع رفيق ، كالأسد يقدر أن يدفع ركبا عنه ، حتّى تسلم نفسه متى لحين من الأحيان .

وقوله : (عذرت البزل) هو جمع بازل ، وهو البعير المسن . (وخاطرتنى) : راهنتنى ، من اخطّرت بالتحريك وهو الشيء الذى يُتراهن عليه ، وقد أخطر المال : جملة خطراً بين المتراهنين . وخاطره على كذا : راهنه . وابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة . يقول : إذا راهنتى الشيوخ على شيء عذرتهم لأنهم أقرانى ، وأما الشبان فلا مناسبة بينى وبينهم . وأراد بابنى لبون الأبيرد وابن عمه ، فأنهما طلبا مجاراته فى الشعر .

وقوله : (وماذا يبتنى الشعراء منى الخ) ، رواه الجوهري « وماذا يدّرى الشعراء » . قال : ادّراه : افعله ، بمعنى ختله ، من درى الصيد إذا ختله . واستشهد النحاة بهذا البيت على كسر نون الجمع .

وقوله (أخو خمسين) أى أنا أخو خمسين سنة . واجتماع الأشدّ عبارة عن كمال القوى فى البدن والعقل . وقال صاحب العباب : والرجل المجنّيع الذى بلغ أشده واستوت لحينه ، ولا يقال ذلك للنساء ، وأنشد هذا البيت لسحيم . وفيه نظر . وقوله : ونجذّنى بالذال المعجمة ، أى هذبنى . قال فى الصحاح : « ورجل منجذّ أى مجرّب أحكمته الأمور » . وهو من الناجذ وهو آخر الأضراس ، ويسمى ضرس الحلم بكسر الحاء ، لأنه ينبت بعد البلوغ

(١) ط : « فريته » ، صوابه فى س .

وكمال العقل. والمداورة: مفاعلة من دار يدور، بمعنى المعالجة والمزاولة والشئون: الأمور، والأحوال، جمع شأن.

وقوله: (فَإِنَّ عُلالَتِي الْح) العلالة بضم العين المهملة: بقية جرى الفرس. والضَّرْع، بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة: الضعيف. وفي القاموس وضَرُع ككرم: ضعف، فهو ضَرَعٌ محركة، من قوم ضَرَعٌ محركة أيضاً، ومهر ضَرَعٌ محركة: لم يقو على العدو. والظَنُونُ بالمعجمة كصبور: الرجل الضعيف والقليل الحيلة. وهذا تعريضٌ بأنَّ فيهما ضعفاً لا يقدران على مجاراته وإن كان شيئاً.

وقوله: (كَرِيمُ الْخَالِ) أى أنا كريم الخال. ورياح بكسر الراء المهملة وبالثناة التحتية، هو ابن يربوع وأبو قبيلة سُحيم. وأحلل: أنزل. وقطن وزيدما خاله. وسلى خالته. وكثرة أصواتهم للترحيب والتهنئة. وهمام هو عمه. والعيص بكسر العين وبالصاد المهملتين: الشجر الكثير الملتف. ويثنَّ بهذين البيتين سلفيه من رياح. والآلف: الموضع الملتف الكثير الأهل. والمنطقة: المخرَّمة بالمنطقة، وهى الحزام. يقال: انتطق الرجل وتنطق: شدَّ وسطه بالمنطقة ككنسة، وهى ما يُنتطق به. والجفون: جمع جَفْنٍ بالفتح، وهو قراب السيف. وأراد بالجفون السيوف، وبالأصلا سيورها.

وقوله: (وَإِنْ قَنَاتَنَا مَشِطَ الْح) مشط بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وإعجام الظاء: هو الذى يدخل فى اليد من الشوك إذا مَسَّ. يقال مشط من باب فرح: مَسَّ الشوك أو الجذع فدخل فى يده منه شيء، والشَطْي بفتح الشين والظاء المعجمتين، بمعنى الشظية وهى الفلقة والقطعة من الشيء. والشديد من الشدة. ومدُّها فاعل شديد. و (عُنُقَ الْقَرِينِ) منصوب بمدِّها. والقرين: القرن المقاوم. والبيت على طريق التشبيه. يقول: من تعرَّض لنا بسوء ناله

مكروه يتأذى به ، كالذى يمسُّ جلده قناة مَشِظَة فيدخل في جلده من شظاها
وهي مع ذلك صلبة ، من قَرَن بها مدَّت عنقه إليها ولم تنثن إليه . كذا في شرح
أبيات الإصلاح لابن السيرافي .

و (سُحِّيم) : مصغر أسحم ، تصغير ترخيم من السُّحْمَة بالضم ، وهي السواد . ترجمة سحيم
ابن (وُثَيْل) بفتح الواو وكسر التاء المثلثة ، وهو في اللغة كما في القاموس :
الليف ، والرشاء الضعيف ، والحبل من القَنْب ، والضعيف . وفي الإصابة
لابن حجر — وتبعه السيوطي في شواهد المغني — أنه بالتصغير ، وهو غير
منقول . (ابن أُعَيْفَر) : مصغر أعفر بالعين المهملة والفاء ، وهو الرمل الأحمر
والأبيض وليس بالشديد البياض . وأُعَيْفَر (ابنُ أبي عمرو بن إهاب بكسر
الهمزة ابن حَمَيْرِ) بلفظ النسبة إلى حَمِير ، وهو أبو قبيلة من اليمن ،
وهو حَمِير بن سبأ بن يَشْجَب بن يَعْرُب بن قحطان . قال ابن الكلبي في جمهرة
الأنساب : حميري بن رياح يقال فيه حَمَرَى أيضاً أى بفتح الحاء وتشديد الميم .

وزعم الدماميني في الحاشية الهندية أن الياء في حميرى زائدة^(١) ، أو للنسبة
بتقدير من نسب حميرى . وهذا من عدم اطلاعه على نسب الشاعر . وتقدم
في شرح أول بيت من الشواهد^(٢) أن حميرياً أحد آباء ذى الخرق الطُّهَوِى
أيضاً . وحميرى بن رياح ، وتقدم ضبطه .

ورياح ابنُ يربوع . ويربوع اثنان : أحدهما يربوع أبو حى من تميم ،
وهو يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة
ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . والثانى أبو بطن من مُرَّة ،

(١) أى كما في قولهم : «أحمري» و «أصفرى» و «دواري» ، للأحمر والأصفر ،
يريدون الياء للبالغة . انظر شرح الشافية للرضي في أول باب المنسوب .

وهو يربوع بن غوط بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث
ابن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

وسُحيم بن وثيل يتصل نسبه بربوع بن حنظلة ، كما قال ابن الكلبي
في الجهرة . فمن بني حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة سُحيم بن وثيل بن
عمرو بن جوين بن أهيب بن حميرى الشاعر ، القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا . . . (البيت)

وهو الذى نافر غالباً أبا الفرزدق فى الإسلام . انتهى

وليس فى آباء سُحيم من اسمه جلا . وسُحيم شاعر معروف فى الجاهلية
والإسلام ، عده الجُمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام^(١) وقال : سُحيم
ابن وثيل شاعر خنذيد شريف ، مشهور الذكر فى الجاهلية والإسلام ، جيد
الموضع فى قومه . ١٢٩

وقال ابن دريد : عاش سُحيم فى الجاهلية أربعين سنة وفى الإسلام ستين
سنة ، فهو من الشعراء المخضرمين ، وله أخبار مع زياد ابن أبيه ، وهو الذى
افتخر مع غالب بن صعصعة والد الفرزدق فى نحر الإبل ، فبلغ علياً رضى الله
فأفتى بحرمة ما نحره سُحيم .

وستأتى إن شاء الله تعالى هذه القصة مشروحة فى باب الاشتغال فى قول جرير :

تعدُّون عقرَ النِّيبِ أفضلَ مجدِّكم بنى ضوطرى لولا الكيِّ المقنعا

من اسمه سُحيم وله سَيِّان من الشعراء : أحدهما سُحيم بن الأعراف ، وهو من بنى الهجيم ،
وكان فى الدولة الأموية ، ولم يذكر ابن قتيبة فى طبقات الشعراء غير هذا^(٢)

(١) الحق أنه جملة فى الطبقة الثالثة . ابن سلام ٤٨٥ ، ٤٨٩ .

(٢) الحق أن ابن قتيبة ذكر أيضاً سُحيم بن وثيل الربامى فى ١٢٦ كما ذكر أيضاً
عبد بنى المحاسر فى ٣٦٩ . ولعل هذا الخلاف راجع إلى نقص فى النسخ .

وأورد طرفاً من شعره . والثاني سُحيم عبد بن الحسحاس ، وكان عبدا حبشياً ، وهو صاحب القصيدة التي أولها :

عُمَيْرَةٌ ودَّعَ إنْ تَجَهَّزْتَ غادياً كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً
وهو من شواهد معنى اليبب ، وسنذكر إن شاء الله ترجمته بتوفيق الله تعالى في الشاهد الرابع^(١) والتسمين .

ولم يذكر الأمدى في كتابه المؤلف والمختلف واحداً من هؤلاء الثلاثة ، مع أنه من شرط كتابه .

وقد حصل اللبس للعيني في باب المرب والمبني من اتفاق أسماء هؤلاء ، فزعم أن الأول هو الثالث فقال : سحيم بن وثيل الرياحي كان عبدا حبشياً ، وكان عبد بن الحسحاس . هذا فيما قاله الجوهري . انتهى . مع أن الجوهري لم يذكر لفظ سحيم في صحاحه .

وأغرب من هذا كله أنه أورد أبياتاً قبل بيت « أنا ابن جلا » ، وأكثرها من قصيدة المثقّب العبدى التي أولها :

أفاطمَ قبلَ بَيْنِكَ متّعني ومنعك ما سألتُ كأن تَبِينِي

وفيه بيتٌ لطي بن بدّال ، من بني سليم وهو :

فلو أنا على حجرٍ دُبحنا جَرى الدّميّان بالخبر اليقينِ

وهذا ثالث أبيات ثلاثة يأتي شرحها إن شاء الله في باب المثني ، وفيها ثلاثة أبيات لسُحيم بن وثيل من الأبيات التي شرحناها ، وهي قوله : أنا ابن جلا البيت . والثاني : وماذا يتغنى الشعراء متى . . البيت ، والثالث : أخو خمسين مجتمعت أشدّي . . البيت . فما أورده مجموع من شعر شعراء ثلاثة . وقال في باب

(١) في النسختين : « الثاني والتسمين » ، والتصحيح للأستاذ الميبي .

مالا ينصرف عند شرح بيت « أنا ابن جلا » : قائله سحيم بن وثيل الرياحي ،
وقيل المثقب العبدى ، وقيل أبو زبيد ، وقيل إنه من قصيدة سحيم التي أولها :
* أفاطم قبل بينك متعيني *

« تنمة »

المخضرم بالخاء والضاد المعجمتين على صيغة اسم المفعول ، ونقل السيوطي
في شرح تقريب النودى عن بعض أهل اللغة كسر الراء أيضا . قال صاحب
القاموس : هو الماضى نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام ، وقيل :
من أدركهما . وهذان القولان يعنى الشاعر وغيره . وقيل : الشاعر ^(١) الذى
أدركهما ، وهذا هو المشهور . وعليه اقتصر صاحب الصحاح . ثم توسع حتى
أطلق على من أدرك دولتين ، كرؤبة بن المجاج وحماد مجرد ، فإنهما أدركا
دولة بنى أمية ودولة بنى العباس .

وقال السيوطي فى شرح التقريب : المخضرم فى اصطلاح أهل الحديث ١٣٠
هو الذى أدرك الجاهلية وزمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره . وفى اصطلاح
أهل اللغة هو الذى عاش نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام ، سواء
أدرك الصحبة أم لا ، فبين الاصطلاحين عمومٌ وخصوص من وجه ، فحكيم
ابن حزام مخضرم باصطلاح اللغة لا الحديث ، وبشر بن عمرو مخضرم باصطلاح
الحديث لا اللغة . انتهى .

وفى تعريفه اصطلاح اللغة نظر وتأمل .

ثم قال : والمراد بإدراك الجاهلية ما قبل البعثة ، كما قال النودى فى شرح
مسلم . قال العراقى : وفيه نظر ، والظاهر إدراك قومه أو غيرهم على الكفر

(١) من « وغيره » إلى هنا ساقط من ط .

قبل فتح مكة ، فإنَّ العرب بعده بادروا إلى الإسلام وزال أمر الجاهلية ، وخطب صلى الله عليه وسلم في الفتح بإبطال أمرها . وقد ذكر مسلم في المحضرين بشير ابن عمرو ، وإنما ولد بعد الهجرة .

قال ابن رشيقي في العمدة^(١) : قال أبو الحسن الأخفش : ماء خِضْرَم كزبرج ، إذا تنهى في الكثرة والسَّعة ، فنه مئى الرجل الذى شهد الجاهلية والإسلام : مخضرمًا ، كأنه استوفى الأمرين . قال : ويقال أذن مخضرمه ، إذا كانت مقطوعةً ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام . وحكى ابن قتيبة عن عبدالرحمن عن عمه^(٢) قال : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها ، فسمي كلُّ من أدرك الجاهلية والإسلام مخضرمًا . وزعم أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) . وهذا عندي خطأ ، لأنَّ النابغة الجعدي ولبيدا قد وقع عليهما هذا الاسم . وحكى على بن الحسن كراع : يقال شاعر مخضرم بجاء غير معجمة مأخوذ من الحضرمه ، وهى الخلط ، لأنه خلط الجاهلية والإسلام^(٤) .

وحكى ابن خلكان مع الحاء المهملة كسر الراء أيضا .

واعلم أنَّ الشعراء أربع طبقات : الأولى جاهلي قديم ، الثانية المخضرم ، الثالثة إسلامي ، الرابعة مُحَدَّث . وهم أربعة أقسام : شاعر خنْذِبْذ بانْحاء والنون والذالين المعجمات على وزن إبريق ، وهو الذى يجمع إلى جيد شعره رواية الجيد من شعر غيره . وشاعر مُفْلِق وهو الذى لارواية له إلا أنه مجوّد

(١) العمدة : ١ : ٧٢ .

(٢) عمه هو الأصمعي .

(٣) بعده في العمدة : « وقد أدركه كبيرا ولم يسلم » .

(٤) في العمدة : « بالإسلام » .

كان الخنذ في شعره ، والمفلق معناه الذى يأتى فى شعره بالفلق بالكسر وهو العجب ، وقيل هو اسم الداهية . وشاعر فقط وهو الذى فوق الردىء بدرجة . وشعور وهو لاشئ . وقيل : بل هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعور .

وسمى الشاعر شاعراً لأنه يشعر لما لا يشعر له غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليدٌ معنى واختراعه ، واستطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف به غيره من المعانى ، أو نقص مما أطاله سواء من الألفاظ ، وصرف معنى إلى وجه من وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لاحقيقة .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون :

٣٩ (نُبِثْتُ أحوالى بنى يزيدُ ظلماً علينا لمُ فديدُ)^(١)

على أن (يزيد) علم محكى لكونه سُمى بالفعل مع ضميره المستتر ، من قولك : المال يزيدُ ، ولو كان من قولك يزيد المال لوجب منعه من الصرف ، وكان هنا مجروراً بالفتحة . و (نُبِثْتُ) : مجهول نبأً بالتشديد ، من النبأ وهو الخبر . وقال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علمٌ أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأً حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقه أن يتعرى عن الكذب كالتواتر ، وخبر الله ، وخبر الرسول . ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا أخبرته به ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنبأته كذا ، كقولك علمته كذا .

(١) البنى ١ : ٣٨٨ / ٤ : ٣٧٠ وابن يعيش ١ : ٢٨ ومجالس ثعلب ٢١٢ واللسان فدد .

قال السمين : أنبأ ونبأ ، وأخبر وخبر ، متى تضمنت معنى أعلم تعدت
لثلاثة مفاعيل ، وهو نهاية التعدي . وأما أعلمته بكذا فلتضمنه معنى الإحاطة .
قيل ونبأته أبلغ من أنبأته ، ولذلك قال تعالى : « مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي »
العليمُ الخبير^(١) ، ولم يقل أنبأني لأنه من قبل الله تعالى .

والمفعول الأول هنا ضمير المتكلم في نُبئت ، والثاني أخوالى ، والثالث
جملة لم فديد . وأصل المفعولين الأخيرين المبتدأ والخبر . والفديد : الصّوت ،
وهو مصدر ، فديّ فديّاً بالكسر ، أى أن أصواتهم تعلو علينا ولا يقرّوننا
في الخطاب . ورجل فديّاد بالشدّيد : شديد الصوت . وفي الحديث : « إن
الجفاء والقسوة في الفديّادين » ، وهم الذين تعلوا أصواتهم في حروثهم ومواشيهم .
و (بنى يزيد) هم تجار كانوا بمكة حرسها الله تعالى — وإليهم تنسب
« البرود اليزيدية » كما يأتي آنفاً — نعت لأخوالى ، أو بيان له ،
أو بدل منه .

وقال ابن الحاجب في الإيضاح : لا يحسن أن يكون بدلاً ، لأنّ البديل
هو المقصود بالذّكر ، ولو جعلته بدلاً لاحتاج إلى موصوف مقدّر ، وهم الأخوال
أو ما يقوم مقامهم . ولا حاجة إلى هذا التقدير مع الاستغناء عنه ، فيتعين أن
يكون صفة . وقد يجوز البديل على قبحه . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّه على تقدير كونه بدلاً لاحتاج إلى موصوف مقدّر ،
فإنّه مذكور ، وهو أخوالى . وليس معنى الإبدال أن يكون المبدل منه لغوّاً
ساقطاً عن الاعتبار ، كيف وقد يمود الضمير عليه في نحو قطع زيد إصبعه ،
فلو كان في حكم الساقط بالكلية لجهل مرجع الضمير ، ولم يقل أحدٌ إنّه
راجع إلى زيد مقدّر مع وجوده ، وإنّما المقصود بالذّكر في بدل الكل المبدل
منه والبديل جميعاً ، كما حقّقه الشارح المحقق . ويُرْيدُه أنّهم جعلوا الجنّ بدلاً

(١) الآية ٣ من سورة التحريم .

من شركاء في قوله تعالى : « وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْجِنَّ » . فلو لا اعتبارهما ما كان معنى لقولنا وجعلوا الله الجن .

وقد تبع ابن الحاجب الزمخشري في هذا ، فإنه منع في كشفه أن يكون « أن اعبدوا الله » بدلاً من ضمير به من قوله تعالى : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله » ظناً منه أن المبدل منه في قوة الساقط ، فتبقى الصلة بلا عائد . ووجه صاحب المعنى بأن العائد موجود حساً فلا مانع . وقد نقض ابن الحاجب ما عده قبيحاً هنا بقوله في أماليه : والأحسن أن يكون « بنى يزيد » بدلاً من أخوالى ، لأنّ البديل إنما يكون بالأسماء الموضوعة للذوات ، بخلاف ابن فإنه موضوع لذات باعتبار معنى هو المقصود وهو النبوة .

قال الشارح المحقق : الأغلب في البديل أن يكون جامداً ، بحيث لو حذف الأول لاستقلّ الثانى ولم يحتاج إلى متبوع قبله في المعنى . انتهى .

ولا يجوز أن يكون (بنى يزيد) المفعول الثالث ، لأنه لم يرد الإخبار عن أخواله بأنهم بنو يزيد ، ولأنّ قوله (لهم فديد) يبقى غير مرتبط بما قبله . وقوله (ظملاً) عندي أنه تمييز محوّل عن المفعول ، أى نبئت ظم أخوالى . وقال ابن الحاجب في الإيضاح ، واختاره ابن هشام في شواهد : وقد أجز أن يكون ظالماً مفعولاً ثالثاً ، يعنى ظالمين ، أو ذوى ظلم ، ويكون ما بعده كالنفسير له . ولا يخفى ما فى هذا . وقال في أماليه : لا يجوز أن يكون حالا ، أى بالتأويل المذكور ، من أخوالى ، لأنّ المبتدأ لا يتقيد ، ولا من ضمير (لهم) لأنها لا تتقدم على عاملها المعنوى . وفيه أنه حال من المفعول لا من المبتدأ ، لأنه انفسخ حكمه . وقوله « لأنّ المبتدأ لا يتقيد » فيه مسامحة ، لأنّ الحال إنما هى قيد فى عاملها لا فى صاحبها ، ولما كان العامل فى المبتدأ الابتداء ، وهو ليس معنى فعلياً ليصح تقييده ، امتنع بحىء الحال منه لذلك . ومن جوزه

كسيبويه لم يلتزم اتحاد العامل فيهما ، فجوز أن يكون العامل في المبتدأ الابتداء وفي الحال منه الانتساب . واعتُرض بأن الانتساب عاملٌ ضعيف لا يتحقق إلا بتقدم الطرفين عليه . وأجيب بأن قوة طلب المبتدأ لغيره جعلته في حكم المتقدم . ولا يجوز أيضا أن يكون مفعولاً لأجله كما اختاره العيني ، سواء كان علة لُنُبئت لأنه لم ينبأ لأجل ظلمهم ، أو للاستقرار لأنه تقدم على عامله المعنوي ، أو للفديد لأنه يلزم تقديم معمول المصدر عليه . وقيل تمييزٌ من (لهم فديد) أي يصيحون ظلماً لاعدلا . وفيه أن التمييز لا يتقدم على عامله . وقيل هو مفعول مطلق عامله من لفظه : مذوقاً . وقال العيني : ويجوز أن يكون حالاً بتقدير جملة ، أي في حال كونهم يظلمون علينا ظلماً ، فحذفت الجملة التي وقعت حالاً وأقيم المصدر مقامها . ولا يخفى أن هذه الوجوه كلها ظاهرة فيها النصف . وقوله (علينا) إما متعلق بظلمنا^(١) أو بقوله (لهم^(٢)) ، ولا حاجة حينئذ إلى تضمين الفديد معنى الجور ، خلافاً للعيني لأنه يتعدى بعل . وقوله لم خبر مقدم لقوله فديد ، وهو بإشباع ضمة الميم ، وإسكانها خطأ ، لأنه يؤدي إلى جعل كل مصراع من بحر ؛ وذلك لا يجوز كما بينه الدماميني في الحاشية الهندية .

واعلم أن الرواية (يزيد) بالمشناة التحتية ، ورواه ابن يمش بالمشناة الفوقية . قال ابن الحاجب في الإيضاح : ومن رَواه بالفوقية فقد تنطع وتبجح بأنه قد علم أن في العرب «تزيد» بالتاء الفوقية ، وإليه تنسب البرود التزديدية . وهو مردود من وجهين : أحدهما أن الرواية هنا بالتحتيّة . والثاني أن تزيد بالفوقية في كلامهم مفرد لا جملة . قال :

(١) كلمة « بظلمنا » موضعها بياض في س . وإنبائها من ط .

(٢) ط : « لهم فديد »

يَعْتَرْنَ فِي حَدِّ الظُّلُمَاتِ كَأَنَّمَا كُسِبَتْ بِرُودَ بَنِي تَزِيدَ الْأَذْرُعُ^(١)
فَاسْتَمَلَّه كَالْجَلَّةِ خَطَا . اَنْتَهَى .

وفيا قاله أمران : الأول قوله وإليه تنسب البرود التزيدية وإيراده البيت ،
أعني « كسبت برود بنى تزييد الأذرع » مأخوذ من الصحاح ، فإنه قال فيه :
وتزييد أى بالمتناة الفوقية وهو تزييد بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاة ،
وإليه تنسب البرود التزيدية . قال علقمة : .

رَدَّ الْقِيَانُ جِهَالَ الْحَيِّ فَاحْتَمَلُوا فَكَلَّهَا بِالتَّزِيدِيَّاتِ مَعْكُومٍ
وهى برود فيها خطوطُ حُمْرٍ يَشْبَهُ بِهَا طَرَائِقُ الدَّمِ ، قال أبو ذؤيب :
يَعْتَرْنَ فِي حَدِّ الظُّلُمَاتِ كَأَنَّمَا كُسِبَتْ بِرُودَ بَنِي تَزِيدَ الْأَذْرُعُ^(١)
اَنْتَهَى . وفيه أمور :

من اسمه تزييد الأول أنه قصر في تعديد من اسمه تزييد ، وهم على ما ذكره العسكري
في التصحيف ثلاثة : أحدم تزييد قضاة ، وهو ما ذكره . والثاني تزييد الأنصار
وهو تزييد بن جُشم بن أَخْلَزَج بن حارثة ، منهم صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم معاذ بن جبل رضى الله عنه . والثالث تزييد تنوخ ، كانت الترك
أغارت عليهم فأقننهم ، فقال عمرو بن مالك التزيدى :

وَلَيْلَتَا بَايِدَ لَمْ نَسْمَا كَلِيلَتَا بَيْسَافَارِقِينَا

الثاني قوله تزييد بن حُلوان بالضم ، وتبعه صاحب العباب والقاسموس
وغيرهما ، صوابه تزييد بن حَيْدان ، نبه عليه العسكري في التصحيف فيما تلحن
فيه اختاصة^(٢) .

(١) الفضليات ٤٢٦ والهاذليين ١ : ١٠ .

(٢) التصحيف ١٠٥ . وفي الاشتقاق ٥٣٧ أن تزييد بن عمران ابن الحاف .

الثالث قوله وإليه تنسب البرود الزيدية ، صوابه الموادج الزيدية ، كما قال العسكري . قال : والبرود الزيدية إنما هو بالمشاة التحتية منسوبة إلى بني يزيد بالتحنية ، وبني يزيد تجار كانوا بمكة حرسها الله ، وهي برود حر .

وأما قول أبي ذؤيب « كسيت برود بني يزيد الأذرع » فليس إلا يزيد بالياء فتحها تقطنان ، ومن قال في هذا البيت بني يزيد بالياء فقد أخطأ . وقد ادعى الجهمي النسابة على الأصمعي أنه صحف يزيد بالياء منقوطة فوقها ، ولا أدرى أصدق الجهمي أم كذب ، لأن الأصمعي ينكر في تفسير أشعار هذيل من يقول يزيد بياء منقوطة فوقها ^(١) . انتهى كلام العسكري .

ورأيت في شرح أشعار هذيل للعسكري في نسخة بخط أبي بكر القناوي ^(٢) ، وقد قرأها ابن فارس على ابن العميد وعليها خطهما ، قال في تفسير هذا البيت : العامة تقول بني يزيد ، أي بنقطتين من فوق ، ولم أسمعا هكذا . ورأيت في شرحها أيضاً للإمام المرزوقي في هذا البيت : روى الأصمعي بني يزيد أي بالتحنية وقال : هم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عمرو بني يزيد أي بالفوقية ، وقال : هو يزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . واحتج ببيت علقمة :

* فكلها بالزدييات معكوم *

والغلبة : حد السهم والسيوف . ومعنى البيت أن الحر تعثر والسهم فيها ، وأذرعها مما سالت من الدماء عليها كأنها كسيت بروداً حمراً ، شبه طرائق الدم بطرائق البرود . انتهى .

(١) ط : « فيها » صوابه في ، والنس منقول عن التصحيف بتصريف .

(٢) كذا ورد هنا ، وفي ٢ : ٤٦٠ — ٤٦٣ : « القناري » ، وهو الصواب ، وهو

أحمد بن محمد بن حاصم القناري . انظر مقدمة شرح أشعار الهذليين للعسكري ص ١٤ .

وفي العباب للصاغاني : قال ابن حبيب : يزيد بالمشاة فوق هو يزيد بن حلوان ، إلى آخر ما ذكره صاحب الصحاح . وقال غير ابن حبيب : يزيد بالمشاة من تحت ، وهم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عبيدة : برود أبي يزيد ، وقال : كان يبيع العصب بمكة ، وهو ضرب من البرود . وصاحب القاموس قد أخل باختصاره ، حيث لم يقيد بالفوقية أو بالتحنية فإنه قال : يزيد بن حلوان أبو قبيلة ، ومنه البرود التزيدية ، وبها خطوط حمر . فلا يعلم هو بالناء أم بالياء .

رأيت في معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري في الكلام على جزيرة العرب ، عند ما ذكر تفرق كلة العرب ووقوع الحروب بينهم وتشتتهم ، أن يزيد تنوخ هي يزيد قضاة . قال : وخرجت فرقة من بني حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاة ورئيسهم عمرو بن مالك التزیدی ، فزلوا عبقر من أرض الجزيرة ، ففسج نساؤهم الصوف وعملوا منه الزرابي ، فهي التي يقال لها « العبقرية » ، وعملوا البرود وهي التي يقال لها « التزيدية » ، وأغارت عليهم الترك فأصابهم وسبب منهم . فذلك قول عمرو بن مالك بن زهير :

١٣٤ ألا لله ليل لم نسمه على ذات الحصاب مجنبينا

وليلتنا بآمد لم نسمها كليتنا بمبارقينا

وأقبل الحارث بن قراد البهراني^(١) ومضت بهراه حتى لحقت بالترك فهزموهم واستنقذوا ما بأيديهم من بني يزيد . انتهى .

الأمر الثاني في كلام ابن الحاجب أن قوله يزيد بالفوقية في كلامهم مفرد

(١) نسبة إلى قبيلة بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاة . ط : « البهراني » صوابه في س ، كما يقال في المنسوب إلى صنعاء صنعاني .

لا جملة الخ : أقول : لا مانع من استعماله مفرداً وجملة ، باعتبار نقله مع الضمير وبدونه ، كما استعمل يزيد بالوجهين مع الاعتبارين في قوله :

* ليبيك يزيد ضارعٌ لخصومة *

فإنهم قالوا روى ليبيك بالبناء للفاعل ويزيد مفعوله وهو منصوب بالفتحة وضارع فاعله ، وروى بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل ، وأى فرق بينهما ؟ تأمل .

« تنمة »

هذا البيت في غالب كتب النحو ، ولم أظفر بقائله ، ولم يعزّه أحد لقائله غير العيني ، فإنه قال : هو لرؤبة بن العجاج . وقد تصفحت ديوانه فلم أجده فيه . والله أعلم .

باب الفاعل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون :

٤٠ (جزى ربُّه عنى عدى بن حاتم

جزاء الكلابِ العاويات وقد فعل^(١))

على أن الأخفش وابن جني قد أجازا اتصال ضمير المفعول به بالفاعل مع تقدّم الفاعل ، لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به كافتضائه للفاعل .

أقول : ومن ذهب مذهبهما أبو عبد الله الطّوال من الكوفيين ، وابن مالك في التسهيل وشرحه ، وأطال في الردّ عليه الشاطبي في شرح الألفية ونصّر الإمام عبد القاهر الجرجاني مذهب الأخفش في المسائل المشكّلة .

(١) العيني ٢ : ٤٨٧ وابن يعيش ١ : ٧٦ ومع الهوامع ١ : ٦٦ وأمالى ابن الشجري

١٠٢ : ١ والخصائص ١ : ٢٩٤ .

قال الفَنَارِيُّ في حاشية المطول : وذهب بعضهم إلى عدم إخلال الإضمار قبل الذكر بالفصاحة ، مستنداً بأن عبد القاهر قدوة في فنّ البلاغة ، وهو المرجع فيها ، وكلامه حجةٌ مطلقاً . وقد بين ابنُ جني مذهبه في الخصائص فقال : وأجمعوا على أن ليس بجائز ضربَ غلامه زيداً لتقدم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى ، وقالوا في قول النابغة :

جزى ربُّه عني عدى بن حاتم

إن الهاء عائدة على عدى خلافاً على الجماعة . فإن قيل : الفاعل رتبته التقديم ، والمفعول رتبته التأخر ، فقد وقع كلُّ منهما الموقَّع الذي هو أولى به ، فليس لك أن تعتقد في الفاعل إذا وقع مؤخراً أن موضعه التقديم . فإذا وقع مقدماً فقد أخذ مأخذه ، وإذا كان كذلك فقد وقع المضمر قبل مظهره لفظاً ومعنى ، وهذا مالا يجوزُه القياس . قيل : الأمر وإن كان ظاهره ما تقوله فإن هنا طريقاً آخر يسوِّغك غيره ، وذلك أن المفعول قد شاع واطُرد كثرة تقدمه على الفاعل ، حتى دعا ذاك أبا عليٍّ إلى أن قال إن تقديم المفعول على الفاعل قسمٌ قائم برأسه كما أن تقديم الفاعل قسمٌ أيضاً قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً ^(١) ، فلما كثُر وشاع تقديم المفعول صار كأن الموضع له ، حتى إنه إذا أخر موضعه التقديم ، فعلى ذلك كأنه قال : جزى عدى بن حاتم ربه ، ثم قدم الفاعل على أنه قد قدره مقدماً عليه مفعوله ، فجاز لذلك . ولا تستنكر هذا الذي صورته لك ، فإنه مما تقبله هذه اللغة ، ألا ترى أن سيبويه أجاز في جر الوجه من قولك هذا الحسن الوجه أن يكون من موضعين : أحدهما بإضافة الحسن إليه ، والآخر

(١) ساق ابن جني بعد هذا شواهد من القرآن ومن أشعار العرب . والنص منقول من الخصائص بتصريف في جميع نواحيه .

١٣٥ تشبيهه له بالضارب الرجل ، مع أنا نعلم أن الجبر في الرجل إنما جاءه من تشبيههم إياه بالحسن الوجه ، لكن لما اطرده الجبر في الضارب الرجل صار كأنه أصل في بابيه ، حتى دعا ذاك سبويه إلى أن عاد فشبه الحسن الوجه به ، وهذا يدلُّك على تمكن الفروع عندهم ، حتى أن الأصول التي أعطت فروعها حكماً قد حارت^(١) فاستعارت من فروعها ذلك الحكم ، فكذلك تصيير تقديم المفعول لما استمرّ وكثر كأنه هو الأصل وتأخير الفاعل كأنه أيضاً هو الأصل . ويؤكد أن الهاء في ربه لمدى بن حاتم من جهة المعنى ، عادة للعرب في الدعاء ، لا تكاد تقول جزى ربُّ زيد عمراً وإنما يقال جزاك ربك خيراً أو شراً ، وذلك أوفق لأنه إذا كان مجازيه ربه كان أقدر على جزائه وإيلائه ، ولذلك جرى العرف بذلك فاعرفه . انتهى .

وملخص كلامه أن المفعول في هذه الصورة متقدم في الرتبة ، لكن تأخر لضرورة الشعر ، فالضمير المتصل بالفاعل عائد على متقدم حكماً . وهذا غير قول الشارح المحقق « لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به » . على أن حفيد السعد قال في حاشية المطول : فيه أن ذلك لا يدفع الاضمار قبل الذكر . نعم لو كان اقتضاء المفعول أشدّ تم الكلام . انتهى .

وتبع التفتازاني في المطول الشارح فيما ذكرناه وأورد بيت الشاهد وقوله :

لما عصي أصحابه مصعباً أدى إليه الكيل صاعاً بصاع^(٢)

نم قال : ورد بأن الضمير المصدر المدلول عليه بالفعل أي ربّ الجزاء وأصحاب المصبيان ، كقوله تعالى : « اعدوا له أقرب للثقوى » أي العدل . وأما قوله :

(١) وكذا في الخصائص ، أي رجعت . حار محور : رجع .

(٢) هو الشاهد ٤١ من شواهد الخزائن .

جَزَىٰ بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانِ عَنْ كَبِيرٍ وَحُسْنُ فَعْلٍ كَمَا يَجْزِي سَيْنَمَارُ
وقوله :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلُومَنَّ قَوْمَهُ زَهيراً عَلَى مَا جَرَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فشاذ لا يقاس عليه . انتهى .

قال الفناري : ويمكن أن يقال الضمير في ربه راجع إلى المنكلم على طريقة
الانفئات عند السكاكي ، على قول امرئ القيس :
• تطاولَ ليلك بالإمعد •

انتهى . ولا يخفى بطلانه لسماجته ، فإن الانفئات إنما وقع من المنكلم
إلى خطاب النفس لا إلى الغيبة . فتأمل .

والجزء : المكافأة . و (عن) هنا لبديل كقوله تعالى : « وَاتَّقُوا يَوْمًا
لَا تُجْزَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا » . وقوله (جزء الكلاب) مصدر تشبيهي ،
أي جزء كجزء الكلاب العاويات ، وهو الضرب والإهانة . قيل : هذا ليس
بشيء ، وإنما المراد الكلاب التي تنداعى للسفاد . يقال عاوت الكلبة
الكلاب فهي معاوية ، أي دهنهم للسفاد . ولا يكاد يستعمل العواء للكلاب
إلا عند السفاد ، والمستعمل في غير ذلك النباح ، وإنما العواء للسياح . وقيل
إنه يعني بالعاويات المسعورة ، ومن شأنها إذا أريد برؤها أن يؤخذ سفود فيدخل
في أذنها . والشعر بضمة وبضمتين ، والسعار بضم أوله : الجنون . والسعير
ككتف : الجنون . وروى : « الكلاب العاويات » ، جمع العادي من العَدُو .
دعا عليه بأحد هذه المعاني ثم حققها عليه فقال : « وقد فعل » أي استجاب الله
مادهوت عليه وحققه . ومثله للمتنبي :

١٣٦

وهذا دعا لو سكتُ كفيته لأنني سألت الله فيك وقد فعلُ

وجلة وقد فعل حل من ربّه .

وهذا البيت لأبي الأسود الدّؤلي يهجو به هدي بن حاتم الطائي . وزعم صاحب الشاهد ابن جني وغيره أنه للنايفة الدبياني . وهو وإن عاصر هدياً لكن الذي روى له إنما هو :

جَزَى الله عِيساً عِيسَ آلِ بَنِيضٍ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وليس فيه ما نحن فيه ، وسيأتي الكلام عليه . وقال العيني : قيل إن قائله لم يُعلم ، حتى قال ابن كيسان : أحسبه مولداً مصنوعاً . قال : والضمير لغير هدي ، فكأنه وصف رجلاً أحسن إليه ثم قال : جزاء ربه خيراً وجَزَى عني هدي بن حاتم شراً ، فحينئذ لاشدود في البيت . ولا يخفى ركاكته .

أما أبو الأسود الدّؤلي فاسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ^{ترجمة} ابن حُلَيْس ^(١) بن نَفَاة بن هدي بن الدّؤل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ابن خزيمه بن مدركة بن الياص بن مضر بن نزار . وهم إخوة قريش ، لأن قریشاً تختلف في الموضع الذي اختلفت فيه مع بني أبيها . والنسابون يقولون : إن من لم يلد فهد بن مالك بن النضر فليس قرشياً .

وهو واضح علم النحو بتعليم عليّ رضي الله عنه ، وكان من وجوه شيعته واستعمله على البصرة بعد ابن عباس . وقبل هذا كان استعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما . وتوفي فيما ذكره المدائني في الطاعون الجارف في سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة ، وقيل مات قبل ذلك .

قال الجاحظ ^(٢) : أبو الأسود الدّؤلي معدود في طبقات من الناس ، وهو

(١) هـ : « حُلَيْس » ، وعند ابن خلكان في ترجمته : « جلس بكسر الحاء المهمة وسكون اللام وبمد هاء سين مهمة . وهكذا ذكره الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب الإيناس ، وهو ما يحرف كثيرا . فقد وجدت فيه اختلافاً . وهذا هو الأصح »

(٢) في غير الجوهان والبيان والتبيين .

فيها كلها مقدمٌ ومأثور عنه الفضلُ في جميعها ، كان معدوداً في التابعين والعقهاء والمحدثين ، والشعراء ، والأشراف والفرسان والأمراء ، والديهة ، والنحويين ، والحاضرين الجواب ، والشيعية ، والبغلاء ، والصِّلح الأشراف ، والبغلاء الأشراف . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان أبو الأسود كاتباً لابن عباسٍ على البصرة ، وهو الذي يقول :

وإذا طلبتَ من الخلائق حاجةً فادعُ الإلهَ وأحسنِ الأعمالِ
فليعطينكَ ما أَرَادَ بقدره وهو اللطيفُ إذا أَرَادَ فعلاً
إنَّ العبادَ وشأنهم وأُمُورهم بيدَ الإلهِ يقلبُ الأحوالِ
فدعِ العبادَ ولا تكن بطلابهم لهجاً تَضَعُضُ للعبادِ سؤالا
وفي الأغاني بسنده إلى ابن عيَّاش^(١) قال : خطب أبو الأسود امرأةً من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسرَّ أمرها إلى صديقٍ له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدث به ابن عم له كان يخطبها ، وكان لها مالٌ عند أهلها ، فثنى ابن عمها الخاطبُ لها إلى أهلها الذين مالها في أيديهم فأخبرهم خبر أبي الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذي في أيديهم ، ففعلوا ذلك وضارَّوها حتى تزوجت ابن عمها ، فقال أبو الأسود في ذلك :

لعمري لقد أفسيتُ يوماً فخانني إلى بعض من لم يخش سراً ممنعا
فمزقه مِزق العمى وهو غافلٌ وفادى بما أخفيت منه فأسمعا^(٢)
فقلتُ ولم أفحشُ لعمَّا لك عانراً وقد يعثرُ الساعي إذا كلن مسرعاً^(٣)
ولستُ بجازيكِ الملامةَ إنني أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعاً

(١) ط : « ابن عباس » ، صوابه في سـ والأغاني ١١ : ١٠٤ .

(٢) العمى : مقصور الماء ، وهو السحاب .

(٣) الأغاني : « لملك عانر » ، وهو تحريف ناجم عن سوء السمع . انظر تحقيق

النصوص من تأليفي ص ٦٢ .

ولكن كُلم أنه عهدُ بيننا
حديثُ أضغناه كلانا، فلن أرى
وكنت إذا ضيقتَ مِرْك لم نجد
وقال فيه أيضا :

أمنتُ امرأً في السرِّ لم يكُ حازماً
أذاعَ به في الناس حقَّ كأنه
وكنت متى لم ترعَ مِرْك تفتشِرُ
فما كلُّ ذي لبٍّ بمؤتيكَ نصحه
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد
ولكنه في النصح غير مريبٍ
بعلياء نأرُ أوقدت بشقوب
قوارعه من مُخطيء ومصيب
وما كلُّ مؤتٍ نصحه بليب
فحقُّ له من طاعة بنصيب

وفي الأغاني أيضاً بسنده عن عوادة^(١)، قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فينحدث إليها، وكانت [برزة^(٢)] جميلة، فقالت له : يا أبا الأسود هل لك أن تزوجك ، فأتى صناعُ الكفِّ حسنة التدبير ، قاعةً بليصور ، قال : نعم . فجمعت أهلها وتزوجته ، فوجد عندها خلاف ما قدره ، وأسرعت في ماله ، ومدت يدها إلى خيانتته^(٣) ، وأفشت سره ، ففدا على من كان حضر تزويجه إياها فألم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم :

أريتَ امرأً كنتُ لم أبله
فقال اتخذي صديقاً خليلاً^(٤)
فخالته ثم أكرمته
فلم أستفد من لدنه فتيلة^(٥)
والفيتة حين جربته
كذوب الحديث سروقاً بخيلاً

(١) الأغاني ١١ : ١٠٧ .

(٢) التلمذة من الأغاني . والبرزة ، بالفتح : التي تبرز للرجال وتحدتهم .

(٣) وكذا في الأغاني . وفي س : « خيانتته » .

(٤) الأغاني : « أنا في فقال اتخذي » .

(٥) س فقط : « من لدنه » .

فذكرته ، ثم عاتبته عتاباً رفيقاً وقولاً جميلاً
فألفيته غير مستعيب ولا ذا كراهة لله إلا قليلاً
ألت حقيقاً بتوديعه وإتباع ذلك صرماً طويلاً
فقالوا له : بلى والله يا أبا الأسود ! فقال : تلك حاجتكم ، وقد
طلقتها [لكم ^(١)] ، وأنا لأحب أن أستر ما أنكرته من أمرها .
فانصرفت معهم .

وفيه أيضاً بسنده إلى ابن عيَّاش ^(٢) قال : كان المنذر بن الجارود
العبدى صديقاً لأبي الأسود ، يعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كلُّ منهما
يفشى صاحبه ، وكانت لأبي الأسود مَقْطَعَةٌ من برود يكثر لبسها فقال له
المنذر : لقد أدمنت لبس هذه المَقْطَعَةِ ! فقال أبو الأسود : ربّ مملول
لا يستطيع فراقه ! فلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى له ثياباً ، فقال
أبو الأسود بمدحه ^(٣) :

كساك ولم تستكبه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل ويأصِرُ
وإن أحق الناس ، إن كنت حامداً بحمدك من أعطاك والعرضُ وافر
وروى الحريري في درة الفواص ^(٤) ، عن عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر قال :

اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم ، وابن الأعرابي ، فتجاريا الحديث ^(٥)
إلى أن حكى أبو نصر : أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثيابٌ

(١) التكملة من الأغاني .

(٢) ط : « ابن عباس » صوابه في سـ والأغاني ١١ : ١١٧ .

(٣) انظر الخبر والخلاف فيه في سبط اللائ ١٦٦ : ١٦٧ .

(٤) درة الفواص ٧١ .

(٥) في الدرة : « فتجاذبا »

رثة ، فكساه ثياباً جُدُداً من غير أن عرّض له بسؤال ، فخرج وهو يقول ...
 وأنشد اليتيمين ثم قال : وأنشد أبو نصر : « وياصر » يريد به : ويمطف ؛
 فقال له ابن الأعرابي : بل هو « وناصر » بالتون ؛ فقال له أبو نصر : دعني
 يا هذا وياصرى ، وعليك بناصر ك ! .

وفي الأغاني أيضاً بسنده إلى أبي عبيدة قال : « كان أبو حرب بن أبي
 الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة ، ولا ينتجع أرضاً ولا يطلب الرزق في تجارة
 ولا غيرها ؛ فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لي رزق
 فسيأتيني ! فقال له أبوه :

وما طلبُ المعيشة بالتمنى ولكن ألقى دَولك في الدلاء
 تنجىء بملثها يوماً ، ويوماً تنجىء بحمأة وقليل ماء^(١)

وفيه أيضاً بسنده إلى عبد الملك بن عمير^(٢) قال : كان ابن عباس ،
 رضى الله عنهما ، يكرم أبا الأسود لما كان عاملاً بالبصرة لعل ، رضى الله عنه ،
 ويقضى حوائجه ، فلما ولي ابنُ عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجه ، لما كان
 يعلمه من هواه في على ، رضى الله عنه ، فقال فيه أبو الأسود :

ذكرتُ ابنَ عباسٍ بباب ابن عامر وما مرّ من عيشي دَكرتُ وما فضلُ
 أميرين كانا صاحبيّ كلاماً فكلاً جزاء الله عني بما فعل
 فإن كان شراً كان شراً جزاؤه وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل

وفيه أيضاً بسنده إلى العنبيّ قال : كان لأبي الأسود جارٌّ في ظهر داره ،
 له بابٌ إلى قبيلة أخرى ، وكان بين داره ودار أبي الأسود بابٌ مفتوح يخرج

(١) كذا في ط وأصل سه ، وغيرها الشنقيطى إلى « تجنك » في الموضعين ، مساوقة
 لما في الأغاني ١١ : ١١٧ .
 (٢) الأغاني ١١ : ١١١ .

منه كلُّ واحد إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابنَ عمِّ أبي الأسود دنيًّا^(١)، وكان شرمًا سبيُّ الخلق، فأراد سدَّ ذلك الباب، فقال له قومه : لا تفعل فتضرَّ بأبي الأسود وهو شيخٌ ، وليس عليك في هذا الباب ضررٌ ولا مؤنة فأبى إلاَّ سدَّه ، ثم ندم على ذلك لأنه أضرب به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي يسلكها منه بعدَّ عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود ففنع منه وقال فيه :

بليتُ بصاحب إن أدنُ شبرا يزدني في مباعدة خراعا
وإن أمدد له في الوصل ذرعى يزدني فوق قيس الدرع باعا
أبت نفسي له إلاَّ اتباعًا وتأبى نفسه إلاَّ امتناعا
كلانا جاهدٌ : أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه أيضًا :

أعصيتَ أمرَ ذوى النهى وأطعتَ أمرَ ذوى الجاهل
أخطأتَ حين صرمتنى والمرء يعجز لا محال
والعبد يُقرع بالمصا والحرُّ تكفيه المقال
وقد أطلتُنا في إيرادِ شعره ، لكننا أطينا^(٢) : فإن حكَّه شفاء الصدور ،

ودرر قلائد النحور .

١٣٩

وأما عدى بن حاتم فنسبته : عدى بن حاتم الطائى بن عبد الله بن سعد عدى بن حاتم
ابن حشرج بن امرئ القيس بن عدى بن [أخزم بن أبي أخزم ، واسمه
هزيمة^(٣) بن] ربيعة بن جَرول بن ثعل بن عمرو بن النوث بن طيٍّ ، بن أدد

(١) ط والأغاني : « دنية » .

(٢) ط : « أطيننا » ، صوابه في ٧٠ .

(٣) التكملة من ط ، وليست في ٧٠ .

ابن زيد بن كهلان ؛ إلا أنهم يختلفون في بعض الأسماء إلى طيء . وكنية
عدى : أبو طريف . قال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين : « عاش
عدى مائة وثمانين سنة » . اهـ

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان من سنة سبع . وقال الواقدي :
من سنة عشر . وخبره في قدومه خبرٌ عجيبٌ وحديث صحيح . ثم قدم على
أبي بكر رضى الله عنه بصدقات قومه في حين الردّة ، ومنع قومه وطائفة منهم
من الردّة بثبوتهم على الإسلام وحسن رأيه ؛ وكان سرّياً شريفاً في قومه ،
خطيباً حاضر الجواب ، فاضلاً كريماً . روى عنه أنه قال : ما دخل وقت صلاة
قطّ إلا وأنا أشتاق إليها . وروى عنه أنه قال : ما دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم قطّ إلا وسّع لى أو تمجّك ، ودخلت عليه يوماً في بيته وقد امتلأ
من أصحابه ، فوسّع لى حتى جلست إلى جنبه .

وفي حديث الشعبي ، أن عدى بن حاتم قال لعمر بن الخطاب رضى الله
عنه إذ قدم عليه : « ما أظنك تعرفنى ؟ فقال : وكيف لأعرفك ، وأول صدقة
بيّضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة طيء . أعرفك آمنت
إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ووَفّيت إذ غدروا » .

ثم نزل عدى الكوفة وسكنها ؛ وشهد مع على رضى الله عنه الجمل ،
وفقت عينه يومئذ ، ثم شهد مع على رضى الله عنه صفين والنهرَوان ، ومات
بالكوفة وهو ابن مائة وعشرين في سنة سبع وستين . كذا في الاستيعاب
لابن عبد البر .

وأما شعر النابغة الذبياني فهو ^(١) :

جَزَى الله عَبْساً عَبْسَ آلِ بَغِيضٍ جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ

(١) المعنى ٢ : ٤٨٧ والفاخر ٢٣٠ والمدة ١ : ٩٤ والتفائض ٩٩ .

بما اتَّهَكُوا مِنْ رَبِّ عَدْنَانَ جَهْرَةً وهوفٌ يَنَاجِبُهُمْ وَذَلِكَ جَلُّ
فَأَصْبَحَتْهُمْ وَاللَّهُ يَفْعَلُ ذَاكُمْ يُعَزِّزُكُمْ مَوْلَى مَوَالِكُمْ شَكْلُ
وَرَوَى : يَبُوكُ النِّسَاءَ الْمَرْضَعَاتِ بَنُو شَكْلٍ
إِذَا شَاءَ مِنْهُمْ نَاشِيٌ ، دَرَبَتْ لَهُ لَطِيفَةٌ طَى الْكَشْحَ رَابِيَةَ الْكَفْلِ

قال المفضل بن سلمة ، فى الفاخر : روى هذا الشعر للنايفة الذيباني ،
وقيل إنه لعبدالله بن مُمَارِقَ بضم المَاءِ وآخره قاف ، وهو أحد بنى عبدالله
ابن غطفان . وليس فى هذا الشعر شاهدٌ لما نحن فيه . والسبب فيه : أن بنى عبس
لحقت ببني ضَبَّةَ بعد يوم الفُروق ، ثم وقع بينهما دمٌ ففارتهم عبس فمَرَّتْ
تريد الشام ، وبلغ بنى عامر ارتفاعهم فحافوا انقطاعهم من قيس بن زهير
رئيس بنى عبس ، فخرجت وفود بنى عامر إليهم فدعيتهم إلى أن يرجعوا
ويحالفوهم ، فقال قيس بن زهير : حالفوا قومًا فى صَيَابَةِ بنى عامر ليس لهم عدد
فيبفوا عليكم بعددكم ، وإن احتجتم أن يقوموا بنصرتكم قامت بنو عامر .
فحالفوا معاوية بن شَكْلٍ بن كعب بن عامر بن صعصعة ، فمكثوا فيهم إلى
أن قال الشاعر هذه الأبيات يعيرُ بنى عبس ، فلما بلغت قيسًا قال : ماله قاتله
الله أفسد علينا حلفنا ! فخرجوا عنهم .

ويبوك : مضارع باك المرأة بمعنى جامعها ، بالباء الموحدة وآخره كاف .
ودَرَبَتْ بالذال والراء المهملتين وبالباء الموحدة والحاء المعجمة ، يقال دربت
الحمامة لذكرها : طاوخته للسَّفَادِ . والصَّيَابَةُ بضم الصاد المهملة وتشديد المثناة
التحتية : الخالص ، والصميم ، والأصل ، والخيار من كلِّ شيء ، والسيد .
وصَيَابَةُ القوم : لبابهم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون :

٤١ (لَمَّا عَصَى أَصْحَابُهُ مُصْعَبًا أَدَّى إِلَيْهِ الْكَيْلَ صَاعًا بِصَاعٍ)

لَمَّا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ .

قال حفيد السعد في حاشية المطول : أفرد ضمير (إليه) مع أنه راجع إلى الأصحاب ، قصداً إلى كل واحد منهم .

وقال الفنارى : قيل الضمير في (أدى) راجع إلى شخص مذكور فيما سبق ، وفي (إليه) راجع إلى مصعب . وقيل : الضمير في أدّى راجع إلى مصعب وفي إليه راجع إلى أصحابه ، قصداً إلى كل واحد منهم ، أو قول لمشابهة لفظ (أفعال) للمفرد ، ولهذا يجيء في كثير من المواضع وصف المفرد به ، نحو : ثوبٌ أسمال ونطفة أمشاج ، ونظيره قوله تعالى : « وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ » ، فإن الضمير في بطونه راجع للأنعام . ٥١ .

وهذا الكلام برّمته من (شرح اللبّ) في باب المفعول المطلق .

وقوله (أدى إليه الكيل) الخ ، قال الميداني في جمع الأمثال : « جزاء كيل الصاع بالصاع » أى كافاً إحسانه بمثله وإساءته بمثلها .

وقوله (صاعاً) قال الحفيد : هو في موضع الحال مثل بايعته يداً بيد ، وهو في الأصل جملة ، أى صاع منه بصاع ، كذا كتب قدس سرّه بخطه في الحاشية . ٥١ .

وقال الفنارى : وقوله صاعاً بصاع حال من ضمير أدّى ، والأصل مقابلاً صاعاً بصاع ، ثم طُرِحَ مقابلاً وأقيم صاعاً مقامه ، ثم الحال ليست هى صاعاً وحده ، بل هو مع قوله بصاع ، لأن معنى المنوب عنه يحصل بالجموع ، كذا ذكره صاحب الإقليد في « كلمته فاه إلى في » . ٥١ .

ومرجع الضميرين على ما تقدم ناشئ عن عدم الاطلاع عليه .

والبيت من قصيدة للسفاح بن بَكْرِ بن مَعْدَان اليربوعي ، رثى بها يحيى
ابن شَدَاد بن ثعلبة بن بشر ، أحد بني ثعلبة بن يربوع^(١) . وقال أبو عبيدة :
هي لرجل من بني قُرَيْع ، رثى بها يحيى بن ميسرة صاحب مُصْعَب بن الزبير ،
وكان وقى له حتى قتل معه .

صاحب
الشاهد

وهذه أبيات من مطلعها :

(صَلَّى عَلَى يَحْيَى وَأَشْيَاعَهُ رَبِّ رَحِمٌ وَشَفِيعٌ مُطَاعٌ) أَيْات
لَمَّا عَصَى أَصْحَابُهُ مُصْعَباً أَدَّى إِلَيْهِ الْكِيلَ صَاعاً بِصَاعٍ الشَّاهِدُ
يَاسِيداً مَا أَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ مَوْطَأَ الْبَيْتِ رَحِيبِ الذَّرَاعِ
تقلته من الفضليات وشرحها لابن الأنباري . فالضمير في (أدَّى)
راجع إلى يحيى ، وضمير (إليه) راجع إلى مصعب . ورؤى البيت
أيضاً كذا :

(لَمَّا جَلَا اخْلَآنَ عَنْ مُصْعَبٍ أَدَّى إِلَيْهِ الْقِرْضَ صَاعاً بِصَاعٍ)
فلا شاهد في البيت على هذه الرواية^(٢) ، وهي رواية المفضل الضبي
في الفضليات .

وجلا بالجيم بمعنى تفرق ، من الجلاء بالفتح والمد ، وهو الخروج من الوطن ؛
يقال : قد جَلَّوْا عن أوطانهم وجلوتهم أنا — لازمٌ ومتعديٌ — ويقال أيضاً
أَجَلَّوْا عن البلد وأجليتهم أنا ، كلاهما بالالف . واخلَّان : جمع خليل .

(١) اليميني : « في مقطعات مرث عن ابن الأعرابي ١١٦ : أبو السفاح التلبي ،
أحد ولد بني عميرة بن طارق بن حصبة ، برثى يحيى بن مبشر اليربوعي » . وفي الموفقيات
للزبير بن بكار أيضاً أنه أبو السفاح ، وهو بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعي .
(٢) اليميني : « ورواية الموفقيات : لما جفا المصعب خلانه . فلا شاهد أيضاً » .

وقوله « يا سيداً ما أنت من سيد » إلخ ، يأتي إن شاء الله تعالى في الشاهد الخامس والثلاثين بعد الأربعمائة .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون :

٤٢ (أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلُومَنَّ قَوْمُهُ
زُهَيْرًا عَلَى مَا جَرَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ)
لِمَا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ .

قال الفنارى : إنما يجوز ما هنا رجوع الضمير إلى المصدر الملول عليه وهو اللوم ، أو إلى الشاعر على سنن الالتفات ، لأن مقصود الشاعر قوم زهير ، فإن التدقيق السليم يفهم من هذا البيت تحريض أقربائه على لومه ولومهم على ترك لومه ، ولعل قوم زهير غير قوم الشاعر . والله أعلم . ١٠١ .

وقوله (على ما جرَّ) في القاموس : الجريرة : الذنب والجناية ، جرَّ على نفسه وغيره جريرة يجر بالضم والفتح جرًّا . وقال حفيد السعد : قوله على ما جرَّ أى على العار التى جرَّه ومدَّه من كلِّ جانب وناحية ، بسبب الظلم والمداوة . لكنه قدس سره قد كتب فى الحاشية : يقال جرَّ عليهم جريرة ، أى جنى جناية . وقال الفنارى : وقد يروى بالهاء المهملة والزاي المعجمة ، من الحزِّ وهو القطع . ١٠١ وهذا لا وجه له هنا ، والرواية إنما هى الأولى كما يأتى ، وبعبده :

(بِكُنْفِي زُهَيْرٍ مُصَبَّةُ الْعَرَجِ مِنْهُمْ وَمَنْ يَبِيعُ فِي الرَّكْبَيْنِ نَحْمَ وَغَالِبِ)
والبيتان من شعر أبى جُنْدَب بن مُرَّة الْفَرْدِي . قال السَّكْرِي فى شرح
أشعار هذيل : زهير من بنى لِيَحْيَانَ . وجَرَّ : جنى ، أى جر على نفسه جرائر .

من كل جانب . وروى (قومَه زهيرٌ) اهـ يعنى بنصب قومه ورفع زهير ،
وعليه لا شاهد فيه . وقوله (بكفى زهير الخ) عصبه مبتدأ والظرف قبله
خبره . (ومن بيع) معطوف على المبتدأ . والمُصبة : الجماعة . والعرج ، بفتح
العين المهملة وسكون الراء بعدها جيم : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، بها قتل
قوم زهير وسُبي نساؤهم وفرار بهم . وضمير (منهم) لقوم زهير ، والظرف حال
من عصبه بتقدير مضاف له وللمعطوف ، أى قُتل العصبه في العرج وسُبي من
بيع في الرّكبين ، حال كونهم من قوم زهير ، بسبب جناية كفى زهير .
ولم وغالب بدل من الركبين . ولم : حتى من اليمين . وغالب : قبيلة من قريش .
ويقدر (منهم) أيضاً بعد قوله : ومن بيع .

وسبب هذا الشعر ما رواه السكري قال : مرض أبو جندب ، وكان له
جارٌّ من خزاعة اسمه خاطم^(١) ، فقتله زهيرٌ اللّحيانى وقتلوا امرأته ، فلما برأ
أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتّى قدم مكة ، فاستلم الركن وكشف عن
استه وطاف ، فعرف الناس أنه يريد شراً ، فقال :

سبب
الشعر

إني امرؤ أبكى على جاريّة أبكى على الكعبى والكعبيّة
ولو هلكت بكياً عليّة كانا مكان الثوب من حقويّة

يقال عذت بمحقويك . يريد : كانا في موضع المعاذ ، أى كانا منى بمكان
من أجرت . فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته ، خرج في الخُلماء
من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بنى لحيان ، فخرجوا معه حتى صبح بهم بنى
لحيان في العرج ، فقتل فيهم وسبي من نساؤهم وفرار بهم ، وباعهم فاشترتهم
هاتان القبيلتان ، فقال أبو جندب في ذلك :

(١) كذا في اللسختين . وفي شرح أشعار الهذليين ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٨١٠ .

« خاطم » بالحاء المهملة . واسمه خاطم بن هاجر .

* أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ يَلُومَنَّ قَوْمَهُ * . . . (البينتين)

والقرنُدى نسبة إلى قرنَد بكسر القاف ، على لفظ الحيوان المعروف ، وهو بطن من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . ولحيان بكسر اللام وسكون المهملة بعدها مشاة تحتية : بطن من هذيل أيضاً . وأبو جندب شاعر جاهلي .

« تنمة »

ثبيب الذي في المطول وهو قوله : جزى بنوه الخ

رواه الأصبهاني في الأغاني في ترجمة عدى بن زيد كذا :

جَزَى بنوه أَبُو الغِيلَانِ مِنْ كَبَرٍ وَحُسْنُ فَعْلٍ كَمَا يَجْزِي سَنَارٌ^(١)

وذكر فيه جزاء سنار ؛ قال : « وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة ، وهو الذي ساح على وجهه فلم يُعرف له خبر ؛ والشقيقة — أمه — بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيان . وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي . فذكر ابن الكلبي أنه كان سببُ بناءه الخورنق : أن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مرءٍ صحيح من الأدواء والأسقام ، فدَلَّ على ظهر الحيرة ؛ فدفع ابنه بهرام جُور ابن يزدجرد ، إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عامله على أرض العرب ، وأمره بأن يبني الخورنق مسكناً له ولابنه ، وينزله إياه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب ؛ وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له سَنَار ، فلما فرغ من بناءه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفوني أجرني

(١) الذي في الأغاني ٢ : ٣٦ في ترجمة عدى :

جَزَى بنوه أَبُو غِيلَانٍ عَنْ كَبَرٍ وَحُسْنُ فَعْلٍ كَمَا يَجْزِي سَنَارٌ

وتصنعون بي ما أستحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حينما دارت اقلوا :
ولأنك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنيه ؟ ثم أمر به فطرح من رأس الجوسق .
وفي بعض الروايات أنه قال : إني لأعرف في هذا القصر موضع عيب
إذا هدم تداعى القصر . فقال : أما والله لا تدلّ عليه أحداً أبداً ! ثم رمى به
من أعلى القصر^(١) فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة ، منها قول أبي
الطعمان القيني :

جزاء سنّار جزّوها ، وربّها وباللات والعزّى ، جزاء المكفّر^(٢)
ومنها قول سليط بن سعد :

جزى بنوه أبا الفيّلان من كبر وحسن فعل كما يجزى سنّار

وقال عبدالعزّى بن امرئ القيس الكلبي ، وكان أهدى إلى الحارث
ابن مارية الغساني أفراساً ووفد إليه فأعجب به واختصّه ، وكان للملك ابن
مسترضع في بني عبد ودّ - من كلب - فنهشته حيّة فظن الملك أنهم اغتالوه؛
فقال لعبدالعزّى : جئني بهؤلاء القوم ! فقال : هم قوم أحرار ليس لي عليهم
فضل في نسب ولا فعل ؟ فقال : لتأتيني بهم أو لأفعلن وأفعلن ! فقال له :
رجونا من جنابك^(٣) أمراً حال دونه عقابك ، ودعا ابنه شراحيل وعبدالحرث
فكتب معهما إلى قومه :

جزائي جزاء الله شرّ جزائه جزاء سنّار وما كان ذا ذنب

(١) جاء في القاموس (سنّار) : أو غلام لأحيحة بن أطمه ، فلما فرغ منه قال :
لقد أحكته . قال : إني لأعرف حجراً لو نزع لتقوض من عند آخره . فسأله عن الحجر
فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم غر مبتا .

(٢) المكفر ، كمعظم : المحسن المجعود لإحسانه .

(٣) الاغانى : « من جنابك » .

سوى رصة البنيان عشرين حجة يعلّ عليه بالقراميد والسكب^(١)
وهي أبيات . قال : فقتله النعمان . ٥١ .

* * *

وأشد بعده وهو الشاهد الثالث والأربعون :

٤٣ (كأن لم يمت حتى سواك ولم تقم
على أحد إلا عليك النوائح)

على أنه إذا وقع مرفوع بعد المستثنى في الشعر أضروا له عاملا من جنس
الأول ، أى قامت النوائح . والمسألة مفصلة في الشرح .

وهذا البيت من أبيات مذكورة في الحماسة لأشجع السلمي^(٢) وهي :

(مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه ماح
وما كنت أدرى ما فواضل كفه على الناس حتى غيبت الصفايح
فأصبح في لحد من الأرض ميتا وكانت به حيا تضيق الصحايح
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تنقض فحسبك متى ما تجنّ الجوايح
وما أنا من رزء وإن جلّ جازع ولا لسرور بعد موتك فأرح^(٣)
لئن حسنت فيك المرائى وذكروها لقد حسنت من قبل فيك المدايح)

كأن لم يمت حتى سواك . . البيت .

والصفايح : أحجار عراض يسقف بها القبر . والصحايح : جمع صحصح ،
وهي الأرض المستوية الواسعة . وتفيض : تنقص ، يقال غاض الماء وغضته .

(١) كذا . ويروى : « يعل » . وانظر الحيوان ١ : ٢٣ والأغاني ٢ : ١٤٥ .

(٢) الحماسة بشرح المزدوق ٨٥٦ — ٨٦٠ . وانظر أمالي القالي ٢ : ١١٨ وزهر

الأدب ٧٩٤ والعقد ٣ : ٢٨٧ .

(٣) ويروى : « ولا بسرور » .

وقوله (كأن لم يمّت) كأن مخففة واسمها ضمير شأن . يقول : أفرط
الحزن عليك حتى كأن الموت لم يُعهد قبل موتك ، وكأن النباحة لم تقم على
من سواك .

أشجع
السلي

وأشجع هو ابنُ عمرو السليّ ، ويكنى أبا الوليد ، من ولد الشريد بن
مطروود السليّ ، تزوّج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها إلى بلدها فولدت
له هناك أشجع ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلبت
ميراث أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت بها . وربّي أشجع ونشأ بالبصرة
فكان من لا يعرفه يدفع نسبه ، ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعُدّ في الفحول ،
وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس عيلان شاعر ، فلما نجم
أشجع افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها ،
فتزل على بني سليم ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة ، فوصله الرشيد
فأثرى وحسنت حاله . ولما ولّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى خراسان ، جلس
لتهنئة الناس ، وأنشده الشعراء ، ودخل في آخرهم أشجع ، فقال : لتأذن في إنشاد
شعر قضيتُ به حقّ سودّك وكلاك ، وخففتُ به ثقل أياديك عندي . فقال :
هات يا أبا الوليد ، فأنشده (١) :

أتصبر يا قلب أم تجزعُ فإن الديار غداً بَلَقُعُ
غداً يتفرّق أهل الهوى ويكثرُ بالكِ ومسترجِعُ
إلى أن بلغ قوله :

ودوية بين أقطارها مقاطع أرضين لا تقطعُ
تجاوزُها فوق عَيرانة من الريح في سيرها أسرعُ
إلى جعفر نزعت رغبةً وأى قى نحوه تنزعُ

(١) الميمى : « هذه المينة طويلة بديعة ، سردها الحفاظ ابن عساكر في ترجمة الأشجع
٦١ : ٤ . وانظر معاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والأوراق للصولي (قم أخبار الشعراء)

فأدونه لأمري مطمع ولا لأمري خيره متنع
ولا يرفعُ الناسُ ماحطه ولا يضعون التي يرفع
يريد الملوكُ مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكنَّ معروفه أوسع
يلوذ الملوكُ بآرائه إذا نالها الحدث الأفظع
بديته مثلُ تدبيره متى رُمته فهو مستجمع
وكم قاتل ، إذ رأى تروى وما في فضول الغنى أصنع
غداً في ظلالِ ندَى جعفر يجرّ ثياب الغنى أشجع
فقل لخراسان تحيا فقد أتاها ابن يحيى القى الأروع

١٤٤

فأقبل عليه جعفر يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

قال الصوليّ في الورقات : قال لي يوما عبدا لله بن المعتز : من أين أخذ
أشجع قوله :

وليس بأوسعهم في الغنى (البيت)

فقلت : من قول موسى شهوات لعبدا لله بن جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه :

ولم يك أوسع الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا
فقال : أصبت ، هكذا هو ! اهـ

ورأيت في الحامسة في باب الأضياف ، وقال أبو ريداد الأعرابي الكلابي :

له نَارٌ تشبّ على يَفْعاع إذا النيرانُ ألبستِ القنعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا (البيت)

ولمّا لقّب (موسى) بشهوات ، لأنَّ عبدا لله بن جعفر كان يشتهى عليه شهوات

الشهوات فيشترها له موسى ويترج عليه . وهو مولى لبنى سهم ؛ وأصله من أذربيجان . كذا في كتاب الشعراء لابن قتيبة .

وقال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي ^(١) : موسى شهوات هو موسى ابن يسار مولى قريش ، ويقال مولى بنى سهم ، ويقال مولى بنى تميم ؛ كان يجلب إلى المدينة القند ^(٢) والسكر من أذربيجان ، فقالت امرأة : ما يزال موسى يجلب إلينا الشهوات ، فغلب عليه . وقال ابن شبة : كان موسى سئولا ملحقا ، فإذا رأى مع أحد شيئا يعجبه : من ثوب أو متاع أو دابة ، تباكي ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشهى هذا ، فسمى موسى شهوات . وقال ابن الكلبي : سمى بذلك لقوله في يزيد بن معاوية :

لست منا وليس خالك منا يا مُضِيعَ الصلاة بالشهوات

يقال (موسى شهوات) على الصفة ، وعلى الإضافة وهو أصح ، ويكنى أبا محمد ، وهو أخو إسماعيل بن يسار . ٨١ .

وبيت موسى شهوات نسبة السعد في المطول ، وصاحب المعاهد في شواهد التلخيص ، إلى أبي زياد الأعرجي الكلابي كما في الحماسة . قال الصولي : بعد أن تصرف جعفر بالأمر والنهي والتولية والعزل ، بدا للرشد عزله ، فعزله عن خراسان ، فاعتم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فقال :

أَمَسْتَ خُرَّاسَانَ تُعَزِّي بِمَا أَخْطَأَهَا مِنْ جَعْفَرِ الْمُرْتَجِي
كَانَ الرَّشِيدُ الْمُعْتَلَى أَمْرَهُ وَلَّى عَلَى مَشْرِقِهَا الْأَبْلَجَا
نَمْ أَرَاهُ رَأْيُهُ أَنَّهُ أَمْسَى إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَحْوَجَا

(١) سمط اللآلى ٨٠٧ .

(٢) القند ، بالفتح : عمل قصب السكر إذا جد ، مغرب .

كم فرّق الدهرُ بأسيابه من محصن أهلاً وكم زوجاً
وكم به الرحمن من كربة في مدة تقصّر قد فرجاً

فقال له جعفر: قت والله بالعذر لأمير المؤمنين، وأصبحت الحق، وخففت ١٤٥
على العزل! فأمر له بألف دينار أخرى.

ولمّا دخل أشجع على الرشيد بالرقّة كان قد فرغ من قصره الأبيض،
فأنشده:

قصرٌ عليه نحيّة وسلام فيه لأعلام الهدى أعلام
نشرت عليه الأرض كسوتها التي نسجَ الربيعُ وزخرفَ الأوهامُ
إلى أن قال:

وعلى عدوك يا ابنَ عمّ محمد رصدان: ضوه الصبح والإظلامُ
فاذا تنبه رُعبه، وإذا غفا سلّت عليه سيوفك الأحلام

قال الثّوّلِيّ في الورقات، بسنده إلى أشجع: إن الرشيد قال لي: من أين
أخذت قولك (وعلى عدوك.. البيتين)؟ فقلت: لا أكذب والله! من
قول النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فقال صه! هو عندي من كلام الأخطل لعبد الملك بن مروان — وقد قال
له: أنا مجيرك من الجحاف — فقال: من يجيرني منه إذا نمت؟

وترجمة أشجع مطولة في الورقات للثّوّلِيّ، وفي الأغاني للأصبهاني.
وأشجع ليس ممن يستشهد بكلامه، فكان ينبغي تأخيرُه عن البيت الذي بعده.

وأشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون :

٤٤ (لا أشتهى يا قوم إلا كارها باب الأمير ولا دفاع الحاجب)

على أن (باب الأمير) منصوب بلا أشتهى مقدراً . والمساءلة مفصلة في الشرح أيضاً .

قال أمين الدين الطبرسي ، في شرح الحماسة : هنا (كارها) حال ؛ يقول : لا أعلق شهوتي بورود باب الأمير ومدافعة الحاجب إلا على كره ؛ يصف ميله إلى البدو وأهله وإلفه إليهم .

وقال السيد في حاشيته على المطول : قصر فيه الشاعر نفسه في زمان اشتهاه باب الأمير على صفة الكراهة له ؛ فهو من قصر الموصوف على الصفة . ويمكن أن يقال : قصر فيه اشتهاه باب الأمير عليه موصوفاً بالكراهية له لا يتعمدها إليه موصوفاً بصفة الإرادة له ، فهو من قصر الصفة على الموصوف . ولك أن تقول قصر اشتهاه الباب على أنه مجتميع مع كراهيته له دون إرادته إياه ؛ فيكون أيضاً من قصر الموصوف على الصفة . ثم اشتهاه الشيء إن لم يكن مستلزماً لإرادته لم ينافي كراهته ، فجاز أن يكون الشيء مشتئى مكروهاً كاللذات المحرمة عند الزهاد ، كما جاز أن يكون الشيء مراداً منفوراً عنه ، كشرب الأدوية المرة عند المرضى . فإن قيل : الاشتهاه يستلزم الإرادة ، فالجمع بينه وبين الكراهية باختلاف الجهة ، فيشتئى الدخول على الأمير لما فيه من التقرب ، ويكرهه لما فيه من المذلة ودفاع الحاجب ، فبالحقيقة المشتئى هو التقرب ، والمكروه تلك المذلة . ١ .

وبهذا يُعرف سقوط قول بعض شراح الحماسة هنا ، فإنه قال : ليس قوله (كارها) حالاً من أشتهى ، لأنه لا يكون كارهاً للشيء مشتئياً له في حال ،

من أجل أن الشهوة منافية للكرهه ، ولكنه حال من فعل مقدر ، والمعنى : ١٤٦
لا أشتهى باب الأمير ولا آتيه إلا كارها ، أو ولكن آتيه كارها . اهـ .

وهذا البيت أول أبيات ثلاثة مذكرة في الحماسة ، لموسى بن جابر ^{صاحب} ^{الشاهد}
الحنفي ^(١) ، والبيتان بعده :

(ومن الرجال أسنة مذروبة ومزندون شهودهم كالفائب
منهم أسود لا ترام وبعضهم مما قمشت وضمّ جبل الحاطب)

يشبه الرجل ، في مضائه وصرامته ، وفي دقته إذا هزل ، بالسيف والسنان .
ومذروبة : محدّدة ، وكذلك مذروبة ، وكل شيء حدّده فقد ذرّبه . يقول :
من الرجال رجال كالأسنة المطرورة مضاء ونفاذا في الأمور . والمزند وكذلك
الزند : الضيق ، وقولهم : فلان زند متين ، أي زند شديد الضيق متين شديد
بخیل . أي إن نالهم خطب ضاقوا عنه ولم يتنجسوا فيه لرشد . وكان من حقه
أن يقول : « ومنهم مزندون » ، لكنه اكتفى بالأول كقوله تعالى : « منها
قامّ وحصيد » . قال المرزوقي : سمعت أبا علي الفارسي يقول : كل صفتين
تتنافيان فلا يصح اجتماعهما لموصوف واحد ، فلا بدّ من إضمار (من) معهما
إذا فصل جملة بهما ، متى لم يجيء ظاهرا ؛ فإن أمكن اجتماع صفتين لموصوف
واحد استغنى عن إضمار (من) كقولك : صاحبك منهما ظريف وكريم .
وقوله « شهودهم » إلى آخره يروى بدله « حضورهم » ، يريد أنه لا غناء عندهم
فحضورهم كفييتهم ، كقول الشاعر :

شهدت جسيات العلى وهو غائب ولو كان أيضاً شاهداً كان غائبا

قل الطبرسي : يجوز أن يريد بالشهود جمع شاهد وهو الحاضر ، وأراد

بالغائب الكثيرة فتكون جنساً ، وإن كان الشهود مصدراً فالغائب يجوز أن يكون جنساً كالأول ، أى شهودهم كغيبية الغائب بحذف المضاف ؛ ويجوز أن يكون مصدراً كالباطل . وقوله « منهم ليوث » الخ . يقول : من الرجال رجال كالأسود في العزة والمنعة ، لا يُطلب انتضامهم ولا يُطمع فيهم ، ومنهم متفاوتون كقمماش البيت — وهو ردىء متاعه يُجمع من ههنا وههنا . وقوله : « وضّم حبل الحاطب » هو كقول الآخر :

* وكلهم يجمعهم بيتُ الأدم^(١) *

قال الأصمى : بيت الأدم يجمع الجيد والردىء ، ففيه من كل جلد رقعة ؛ وكذلك الحاطب يجمع في حبله الرطب واليابس ، والجزل والشخت ، وربما احتطب ليلاً فضم في حبله أقمى وهو لا يدري . ونحوه قول العامة في الشيء المتفاوت والقوم المختلطين : « هم خرق البرنس » . استأنف بهذا البيت تلك القسمة على وجه آخر ، فهو من باب البيان : وهو أن يحمل الشاعر معنى ويفسره بما يليه .

وصاحب هذه الأبيات موسى بن جابر الحنفي ، أحد شعراء بني حنيفة الكثيرين ، يقال له ابن الفريعة وهي أمه ، كما أن حسان بن ثابت رضى الله عنه يقال له ابن الفريعة ، وقدم في ترجمته^(٢) . ويقال كان نصرانياً ، وهو القائل :

وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ يَسْلَدَ سَوَى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ وَالْفَزْرِ
بِرَائِهِ أَمَا الْمَدْوُ فَحَوَّلْنَا مُطِيفٌ بَنَا فِي مِثْلِ دَائِرَةِ الْمَهْرِ
فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْمَشِيرَةُ كُلُّهَا أَقْنَا وَخَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

(١) صدره كما في ثمار القلوب ١٩٣ وكتابات الجرجاني ١١٧ والمقد ٣ : ٩٩ :

* الناس أخيف وشئى في الشيم *

(٢) س ٢٢٧ من هذا الجزء .

كذا في المؤلف والمختلف للآمدى .

وسوى صفة بلدة بمعنى متوسطة . والفِزْر : لقبٌ لسعد بن زيد مناة .
والمعنى : وجدنا أبا حُل ببلدة متوسطة لديار قيس بن عيلان وسعد بن زيد
مناة . يريد : حلّ بين مضر ونأى عن ربيعة ، لأن قيسا والفزرة من مضر .
وقوله « فلما نأت » الخ ، يقول : لما خذلتنا عشرتُنا وهم ربيعة ، اكتفينا
بأنفسنا فأقنا بدار الحفاظ والصبر ، واتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر ، وهنا
مثلٌ ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعددٍ وعدتهم ، وبلائهم وصبرهم ،
واستغنائهم عن القاعدين .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه^(١) :

٤٥ (لِيُبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِمَصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تَطِيحُ الطَّوَامِحُ)

على أن الفعل المسند إلى (ضارعٌ) حذف جوازاً ، أى (يبيكه) ضارع ؛
وهذا على رواية لِيُبِكَ بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل . وأما على روايته
بالبناء للفاعل ففاعله ضارع ويزيد مفعوله ولا حذف ولا شاهد . وهذه الرواية
هى الثابتة عند المسكرى ، وعدّ الرواية الأولى غلطاً ، فإنه قال فى كتاب
التصحيف . فيها غلط فيه النحويون^(٢) : وما قلبوه وخالفهم الرواة ، قول
الشاعر « لِيُبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ » . البيت . وقد رواه خالد والأصمى وغيرهما
بالبناء للفاعل من البكاء ونصب يزيد .

ومثله فى كتاب فعلت وأفعلت لأبى حاتم السجستاني ، قال : أشد

(١) سيبويه ١ : ١٤٥ ، ١٨٣ . وانظر المبنى ٢ : ٤٥٤ وابن يمين ١ : ٨٠ .

والهمع ١ : ١٦٠ والخصائص ٢ : ٤٢٤ ، ٣٥٣ والشراء ٤٧ والتصحيف للمسكوى ٢٠٨ .

(٢) سبق ابن قتيبة فى الشراء المسكوى فى هذا النقد ، كما نبه المبنى .

الأصمى « لَيْبِكَ يَزِيدَ ضَارِعٌ » أى بالبناء للفاعل ، ولم يعرف لَيْبِكَ يَزِيدَ أى بالبناء للمفعول ، وقال : هذا من عمل النحويين .

وزعم بعضهم أنه لاحذف في البيت على الرواية الأولى أيضاً ، لجواز أن يكون يزيد منادى وضارع نائب الفاعل ، قال ابن هشام في شرح الشواهد : والتوجيه الأول أولى لأنه قد روى لَيْبِكَ يَزِيدَ بفتح ياء يبك وكسر كافه ونصب يزيد ، فلما ظهر ضارعٌ فاعلاً في هذه الرواية استحق أن يقدر فاعلاً في الأخرى ليستويا . وتوهم الدماميني في الحاشية الهندية ، وتبعه الفنارى في حاشية المطول ، أن القائل ببناء يزيد يزعم أنه منادى في الروایتين ، واستشكله بأنه لم يثبت رفع يزيد في رواية البناء للفاعل . وليس كما توهم ، فإن الذى خرج على النداء إنما هو على رواية لَيْبِكَ بالبناء للمفعول كما نقل ابن هشام ، والرواية الأولى أبلغ بتكرار الإسناد إجمالاً ثم تفصيلاً ، كما بينه السعد في المطول

وقال ابن خلف : لما قال لَيْبِكَ يَزِيدَ عمّ المأمورين بالتفجع على هذا الميث والبكاء عليه من كثرة الفناء ، ثم خص هذين الصنفين من جملة الباكين عليه لشدة احتياجهما إليه ، ثم قال نقلاً عن بعضهم : إن الإيهام على المخاطب في مثل هذا النحو الذى يقصد به العموم ، تمظيمٌ للمقصود ومدح عميم .

و (يزيد) على رواية البناء للفاعل غير منصرف للعلمية ووزن الفعل لأنه منقول من الفعل دون ضميره المستتر ، وعلى الرواية الأخرى يحتمل أن يكون كالأول وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون منقولاً من الفعل مع فاعله المستتر ويكون حينئذ جملة محكية .

واعلم أن هذا البيت لوقوعه في المتن شرحه الشارح المحقق ، ونحن نذكر

ما يتعلق به . فقوله الضارع : الدليل ، من قولهم ضَرَعَ ضَرَاعَةً ، فعله من الباب الثالث ، وورد في لغة أيضاً من باب تمب ، ويقال أيضاً ضَرُعَ ضَرَعاً ١٤٨ كَشَرُفَ شَرَفًا بمعنى ضَعُفٌ ، فهو ضَرَعَ أيضاً تسميةً بالمصدر ، كذا في المصباح . وقوله : (الخصومة) متعلق بضارع وإن لم يعتمد على شيء الخ . أقول : ظاهره أنه لم يعتمد على شيء مما ذكر من شروط عمل اسم الفاعل النصب ، وفيه أنه معتمد على موصوف مقدر . قال ابن مالك في الخلاصة :

وقد يكون نعتٌ محذوفٌ عُرِفَ فيستحقُّ العملَ الذي وُصفَ
ويحتمل أن يكون معناه أنه متعلق بضارع وإن فرض أنه لم يعتمد على
شيء ، لأنه يكفيه راحة الفعل ، وكيف لا يتعلق به مع اعتياده على موصوف
مقدر ، لكنه بعيد عن السياق .

قال الفناري في حاشية المطول : « فإن قلت : بل قد اعتمد على الموصوف
المقدر ، أي شخص ضارع ، فعل تقدير اشتراط الاعتماد في تعلق الجار به
لا محذوراً أيضاً ! قلت : إن كفى في عمله الاعتماد على موصوف مقدر لا يتصور
الإلغاء ، لعدم الاعتماد حينئذ ، لتصريح الشارح — يعني السعد — في شرح
الكشاف ، بأن ذكر الموصوف مع اسم الفاعل ملتزم لفظاً أو تقديرًا تعيننا
لذات التي قام بها المعنى . وهو مخالف لتصريحهم ، اللهم إلا أن يقال : الاعتماد
على موصوف مقدر إنما يكفي لعمله إذا قوى مقتضى لتقديره ، كما في ياطالما
جبلاً ، وإبارا كجاً فرساً ، لانضمام اقتضاء حرف النداء إلى اقتضاء نفس
اسم الفاعل ؛ لكن تأتَّى اعتبار مثل هذا المقتضى في كل موضع محل نظر » اهـ .
وهذا كلام جيد .

وقوله « لأجل الخصومة » أشار إلى أن اللام في الخصومة لام التعليل ؛
ويحتمل أن يكون بمعنى عند أيضاً . وقوله « فإن يزيد كان ملجأ للأذلاء »

والضعفاء « الأولى ملجأ للأذلاء والفقراء ، فإن المختبِط : بمعنى السائل كما فسرهُ الشارح به . وقوله « وتعليقه بيبك ليس بقوى في المعنى ^(١) » قال الفنارى : لأن مطلق الخصومة ليس سبباً للبكاء ، بل هى بوصف المغلوبية . وقوله « والمختبِط الذى يأتىك للمعروف من غير وسيلة » وقع فى بعض النسخ : « الذى يأتى بالليل للمعروف » . والظاهر أن قيد الليل تحريف من النسخ ، وكون الاختباط الإتيان للمعروف من غير وسيلة هو قول أبى عبيدة ، فإنه قال : المختبِط : الرجل يسألك من غير معرفة كانت بينكما ، ولا يد سلفت منه إليك ، وعليه فيكون الاختباط متعدياً لمفعول واحد كما مثل الشارح المحقق بقوله « يقال اختبطني فلان » . وقال ابن خلف : الاختباط بمعنى السؤال والطلب ، فهو بمنزلة الافتضاء ، تقول اختبطني معروف فخبطته أى أنعمت عليه ، ومثله اقتضيت مالا أى ^(٢) سألته إياه . وحكى بعضهم اختبط فلان فلاناً ورقاً ، إذا أصاب منه خيراً . فملى تفسير أبى عبيدة فى البيت حذف مفعول واحد ، أى ومختبِط ورقاً أو رزقاً أو نحو ذلك . ويجوز أن يكون هذا المفعول ضمير يزيد أى ومختبِط إياه . وعلى التفسير الثانى فيه حذف مفعولين أى ومختبِط الناس أموالهم . ومثله إذا سألت فاسأل الله ، أى إذا سألت أحداً معروفه فاسأل الله معروفه .

وروى : (ومستمنح) بدل ومختبِط ، أى من استمنحه أى طلب منحه وهى العطية والرِّفْد ، والأصل فى المنحة هى الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن ؛ ثم كثر استعماله حتى أطلق على كلِّ عطاء . ومنحته من باب نفع وضرب ، إذا أعطيته . ١٤٩

(١) انظر شرح الرضى ١ : ٦٨ .

(٢) فى النسختين « أن »

وصف الشاعر يزيداً بالنصر والكرم للذليل وطالب المعروف^(١) ،
 فيقصده الضارع للخصومة ، ويلتجئ إليه المختبط إذا أصابته شدة السنين .
 وقوله « وأصله من خبطت الشجرة الخ » الخبط بسكون الباء : إسقاط الورق
 من الشجر بالعصا لعلف الإبل . والخبط بفتحين هو الورق الساقط . والمخبط
 بكسر الميم هي العصا التي يخبط بها ، والفعل من باب ضرب . وقال ابن مالك :
 الأصل فيه أن الساري والسائر لا بد من أن يخبط الأرض ، ثم اختصر الكلام
 فقيل للآتي طالباً للجدوى : مخبط . وخبطت الرجل إذا أنعمت عليه من
 غير معرفة ، وخبطته إذا سألته أيضاً ؛ فهو ضد .

وقوله « وهو إما على حذف الزوائد الخ » أشار إلى أن الطوائف جمع على
 غير قياس ، لأن فعله رباعي ، يقال أطاحت الطوائف وطوحت ، فقياس الجمع
 أن يكون المطيعات والمطاوحي ، فإن تكسير مُفَعِل مفاعل بحذف إحدى
 العينين وإبقاء الميم ، وتخرج الجمع على حذف الزوائد هو لأبي على الفارسي ،
 وتخرجه على النسب هو لأبي عمرو الشيباني ، فإن تقديره عنده مما تطيعه
 الحادئات ذوات الطوائف .

وقال ابن خلف عن الأصمعي أن العرب تقول : طاح الشيء في نفسه
 وطاحه غيره ، بمعنى طوَّحه وأبعده ، فعلى هذا يكون الطوائف جمع طائفة من
 المنعدي قياساً ، ولا شنوداً .

ولم أر هذا النقل في الكتب المدونة في اللغة ولا في غيرها .

وقوله « يقال طاح يطوح الخ » طاح بمعنى هلك ، وكل شيء ذهب وقى

(١) هذا هو الوجه . وفي النسختين : « وطلب المروف » .

فقد طاح : وقوله « وطاح يطيح وهو واوى الخ » فيكون أصلهما طوح يطوح بكسر الواو فيهما^(١) فأعلا .

وجعله صاحب العباب ممّا عينه جاء معتلا بالواو تارة وبالياء أخرى ولم يعتبر أن الواو صارت ياء بالأعلال . وسبقه ابن جنى فى إعراب الحامسة فأنّه قال : ومن قال طاح يطيح فكان عنده كباع يبيع ، فقياسه أن يقول المطايح ، فيصح الياء لأنّها عين مُفعل .

وقوله « مما تطيح متعلق بمخبط الخ » هذا هو الظاهر المتبادر إليه ، وقال ابن خلف : وقوله مما تطيح ، موضعه رفع على النعت لمخبط ، أوله ولضارع جميعا ، أى كائن أو كائنان ، فتكون (ما) للجنس . ويؤيد هذا التأويل رواية من روى (ممن تطيح) أى من الذى تطيحه الطوائح فحذف العائد ، وروى أبو على (قد طوّحته الطوائح) وهذا يؤيد كون هذه الجملة نعنا لمخبط لرجوع الضمير إليه مفردا . وقوله « أى يسأل من أجل » أشار إلى أن (من) تعليلية . وقال ابن الحاجب فى إيضاحه وأما اليه : ومن للابتداء أو بمعنى السببية . فالأول على أن ابتداء الاختباط من الإطاحة أو سبب الاختباط الإطاحة . فإن قلت : ما الفرق بينهما ؟ قلت : فيه خلاف ، قال أبو حيان : كأن التعليل والسبب عندهم شىء واحد ، قال السيوطى : هذا هو الحق . وفى شرح جمع الجوامع للمحلّى ما يصرّح به ، لأنه قال المعبر عنه هنا بالسبب هو المعبر عنه فى القياس بالعلة ١ وخالفهم ابن السبكي فى الأشباه والنظائر فقال : إن الفرق بينهما ثابت لغة ونحواً وشرعاً : قال اللغويون :

(١) وكذا فى اللسان : ر قال سيويه فى طاح يطيح : إنه فعل يفعل ، لأن فعل يفعل لا يكون فى بنات الواو ، كراهية الالتباس بينات الياء ، كما أن فعل يفعل لا يكون فى بنات الياء ، كراهية الالتباس بينات الواو أيضا .

السبب كلُّ شيء يتوصل به إلى غيره ومن ثمَّ سَمَّوا الجبل سبباً ، وذكروا أنَّ العلة : المرض وكلمات يدور معناها على أنَّ العلة أمر يكون عنه أمر آخر . وذكر النحاة أنَّ اللام للتعليل ولم يقولوا للسببية . وقال أكثرهم : الباء للسببية ولم يقولوا للتعليل ، وذكر ابن مالك السببية والتعليل . وهذا تصريح بأنَّهما غيران . وقال أهل الشرع : السبب : ما يحصل الشيء عنده لابه ، والعلة : ما يحصل به . وأنشد ابن السَّمْعَانِي على ذلك :

ألم تر أنَّ الشيء للشيء علةٌ تكون به ، كالنار تُقدِّح بالزَّندِ

والمعلول يتأثر عن علته بلا واسطةٍ بينهما ولا شرطٍ يتوقف الحكم على وجوده ، والسبب إنما يُفْضَى إلى الحكم بواسطة أو وسائط^(١) ولذلك يترأخى الحكم عنه حتى توجد الشرائط وتتنقَّى الموانع . وأما العلة فلا يترأخى الحكم عنها ، إذ لا شرط لها ، بل متى وجدت أوجبت معلولها بالاتفاق . . إلى آخر ما فصله .

وقوله : « إذهبُ الوقائع ماله ، أشار إلى أنَّ مفعول تطيح محذوف وهو ماله . وقوله : « أئى بيبك لأجل إهلاك المنايا يزيد » ، أشار إلى أنَّ مفعول تطيح على هذا التقدير هو يزيد ، وأراد بالمنايا أسباب الموت ، إطلاقاً لاسم المسبَّب على السبب ، وإلَّا فالشخص الواحد لانهلكه إلّا منية واحدة . وقوله : « ويجوز أن تكون ما بمعنى التى » ، زاد بعضهم : ويجوز أن تكون نكرة موصوفة .

وهذا البيت من أبيات لتهشَل بن حَرَّى — على ما فى شرح أبيات صاحب الشاهد الكتاب لابن خلف — فى مرثية يزيد ، وهى :

(١) ط : « وسائط » .

أبيات الشاهد (لعمري لئن أمسى يزيد بن نهشل حشا جَدَثَ نَسْفِي عليه الروائح
 لقد كان مَن ييسط الكف بالندى إذا ضنَّ بالخير الأَكْفُ الشعائح
 فَبَعْدَكَ أبدى ذو الضغينة ضغنة وسدَّ لي الطرفَ الميُونُ الكواشح
 ذَكَرْتُ الذي مات الندى عند موته بماقيه إِذْ صالحُ العيش طالع^(١)
 إِذَا أَرَقُّ أَقْنَى من الليل ماضى تَمَطَّى به ثَنِيٌّ من الليل راجح
 ليك يزيد ضارع البيت
 سقى جَدَثًا أَمْسَى بِدُومَةٍ نَاقِيا من الدُّلُو والجوزاء غادٍ ورائحُ

الحشا : ما في البطن . والجَدَث بالجم والناء المثناة : القبر . ونسفى : مضارع سفت الريح التراب : ذرته ، ويقال أسفته أيضاً فالمفعول محذوف .
 والروائح : أى الأيام الروائح ، من راح اليوم يروح روحاً من باب قال ، وفى لغة من باب خاف ، إذا اشتدت ريحه فهو رائح^(٢) . وأما كونه جمع ريح لم أقف على من نبه عليه ، مع أن ريحاً لم تجمع على هذا الوزن . وضمن ، يقال ضمن بالشئ يضمن من باب تعب ، ضمناً وضناً بالكسر وضنانه بالفتح : بخل فهو ضنين ، ومن باب ضرب لغة . والشحائح : جمع شحيح ، من الشح وهو البخل ، وفعله من باب قتل ، وفى لغة من بابى ضرب وتعب . أراد : أنه إن فقد بالعدم فهو حى بذكره بالكرم . وما أحسن قول أبى نصر الميكالى :

بأنى العلى والمجد والإحسان والفضل والمعروف أكرمُ بأنى
 الجودُ رأى مسدّد وموفّق والبذلُ فعل مؤيد ومُعان

(١) بماقيه ، كذا جاء فى سه ، وهو ما يقتضيه تفسير البغدادي فيها بعد . لكن صواب الرواية : « بماقيه » كما فى ط . والماقبة : الآخرة . ونحوه فى الأصمعيات ١٠٦ لدريد بن الصمة :

أرث جديد الحبل من أم معبد بماقيه وأخلت كل موعد
 (٢) ط : « راح » .

والبرُّ أكرم ما وعته حَقِيبة والشكر أفضل ما حوته يدان ١٥١
وإذا الكريم مضى وولى عمره كفل الثناء له بعمر ثان^(١)
ولأجل هذا البيت الأخير أشدت هذه الأبيات .

وعاء يمينه : حفظه وجمعه . والحقيبة : أصله المعجز ، ثم معي ما يحمل من
القماش على الفرس خلف حقيقته مجازاً ، لأنه محمول على المعجز .

وقوله (فبمدك أبدى النخ) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب . والضمينة
والضمن بالكسر : اسم من ضمن صدره ضمناً من باب تعب بمعنى حقد .
وسد : أغلق . والطرف : مصدر طرف البصر طرفاً من باب ضرب : تحرك
ونظر ، وهو مفعول مقدم . والعيون : فاعل مؤخر . والكواشح : جمع كاشحة
مؤث الكاشح ، وهو مضمر العداوة ، وكشَح له بالعداوة : عاداه ككاشحه ،
وإنما نسبة إلى العيون ، لأن العداوة أول ما تظهر من العين ، أى صرت بعدك
ذليلاً لا أقدر أن أرفع بصرى إلى أحد . وفى نسخة (وسدد لى) من التشديد
وهو التقويم ، أى صوّبت نحوى عيون الأعداء نظراً ، وهذه أحسن . وقوله
(ذكرت الندى) النخ ، ضمير موته راجع للذى ، وهو العائد ، والباء متعلقة
بمات . والعاقب : الذى يخلف من كان قبله فى الخير ، وضمير « عاقبه »^(٢) ،
راجع للندى ، يقول : مات الندى مع من يخلفه عند موت يزيد . ويصح أن
يعود الضمير ليزيد . وإذ : متعلقة بذكرت . والصالح من الصلاح ، والطلّاح
من الطلاح وهو ضدّ الصلاح . والأرق : السهر . وتمطى : امتدّ وطال .

(١) المبنى : « وتقدم أبو الطيب المتنّى أبا نصر الميكاى بقوله :
كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور
وتقدمها آخرون » .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى من ٣١٠ .

وضمير (به) راجع إلى ما مضى . والثنى بكسر المثلثة وسكون النون ، يقال ثنى من الليل أى ساعة ، وقيل وقت . وراجع أى زائد ثقيل ، من رجح الميزان رجوحاً : مال . و (إذا) عاملها تغطى . يشكو بهذا البيت طول الليل . وقوله (أسمى بدومة ثاويًا) دومة بفتح الدال والميم : اسم موضع بين الشام والموصل ، وهو من منازل جذيمة الأبرش ، كان وقع فيه الطاعون ، ذكره الأخطل في شعره ، كذا في المعجم لأبي عبيد البكري . و (غاد) : فاعل سقى ، واحده غادية وهى السحابة تنشأ غدوة . والرائح : مطر العشى وهو آخر النهار . وقوله (من الدلو) كان فى الأصل صفة لما بعده ، فلما قدم صار حالاً ؛ وإثماً خص السحاب بكونه من الدلو والجوزاء لكثرة مائه ؛ فإن الدلو وسط فصل الشتاء ، فإن الشمس تحل فيه بالجدى والدلو والحوت ، والجوزاء آخر فصل الربيع ، والشمس تحل فيه بالحلل والثور والجوزاء .

نهل بن حري (نهل بن حرّى) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين بلفظ المنسوب إلى الحرّ أو إلى الحرّة ، وهو ابن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة [ابن مالك^(١)] بن زيد مناة بن تميم . وكان اسم ضمرة جد نهشل شقّة بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف . ودخل على النعمان فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا شقّة بن ضمرة . قال النعمان : « تسمع بالمعديّ لا أن تراه » فقال : أبيت اللعن ، إنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه ، إن نطق نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجنان ! قال : أنت ضمرة بن ضمرة ؛ يريد أنك كأييك . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة^(٢) .

وكان نهشل شاعراً حسن الشعر ، وهو القائل :

(١) التكملة من تصحيحات أحمد نيمور ، ومن زيادات الشنيطى فى هامش نسخته

(٢) الشعراء ٦١٩ .

ويوم كان المصطلين بجره وإن لم تكن نارٌ وقوفٌ على حجر
صبرنا له حتى يبوخ^(١) وإنما تفرج أيام الكريهة بالصبر ١٥٢
قال العسكري في التصحيح^(٢) : وابنه حرّى بن نهشل بن حرّى شاعر
أيضا ، وله يقول الفرزدق :

أحرّى قد فانتك أخت مجاشع فُصيلة فأنكح بعدها أو تأيم

ونهشل بن حرّى من المخضرمين ، نقل ابن حجر في الإصابة عن المَرْزُبَانِي :
أنه شريف مشهور مخضرم ، بقي إلى أيام معاوية ، وكان مع علي في حروبه ،
وقُتل أخوه مالك بصفيّين وهو يومئذ رئيس بني حنظلة ، وكانت رأيهم معه ؛
ورثاه نهشل بمراث كثيرة . . قال : وأبوه شاعر شريف مشهور مذکور ،
وجده ضمرة سيد ضخم الشرف ، وكان من خير بيوت بني دارم .

(تمة)

نسب النحاس هذه الأبيات في شرح أبيات الكتاب ، وتبعه ابن هشام ، صاحب الشاهد
للبيد الصحابي ؛ وحكى الزمخشري أنها لمزرد أخى الشماخ ، وقال ابن السيرافي :
هى للحارث بن ضرار النهشلى يرثى يزيد بن نهشل ؛ وقال اللبلى : إنها لضرار
النهشلى ، وذكر البعلث أنها للحارث بن نُهَيْك النهشلى ، وقيل هى للمهلل .

والصواب : أنها لنهشل بن حرّى كما فى شرح أبيات الكتاب لابن
خلف ، وكذا فى شرح أبيات الإيضاح . والله أعلم .

* * *

(١) ط : « بيوخ » ، صوابه من - مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « الكرى » صوابه ، فى - مع أثر تصحيح . وانظر التصحيح ٣٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون ، وهو من شواهد
سيبويه (١) .

٤٦ (لا تَجْزِعِي إِنْ مُنِيسٌ أَهْلَكَتُهُ)

وتمامه : (وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعي)

على أن الكوفيين أضربوا فعلاً رافعاً (لمنفس) ، أى إن هلك منفس
أو أهلك منفس . وأورده في باب الاشتغال أيضاً كذا . وأما البصريون
فقد روه :

* لا تَجْزِعِي إِنْ مُنِيسَا أَهْلَكَتُهُ *

وكذا أورده سيبويه بنصب منفس على أنه منصوب بفعل مضمر تقديره
إن أهلكتُ منفساً أهلكته ، فأهلكته المذكور مفسر للمحذوف .

وهذه الجملة من باب الاشتغال لا تدخل في الجملة التفسيرية التي لا محل
لها من الإعراب وإن حصل بها تفسير . قال أبو علي في البغداديات : الفعل
المحذوف والفعل المذكور في نحو قوله : لا تَجْزِعِي إِنْ مُنِيسَا أَهْلَكَتُهُ ،
محذومان في التقدير ، وإن انجزام الثاني ليس على البدلية إذ لم يثبت حذف
المبدل منه ، بل على تكرير (إن) أى إن أهلكت منفساً إن أهلكته ،
وساغ إضمار إن وإن لم يجر إضمار لام الأمر إلا ضرورة ، لاتساعهم فيها ،
بدليل إيلائهم إياها الاسم ، ولأن تقدمها مقوّ للدلالة عليها .

وقوله (وإذا هلكت) الواو عطفت هذه الجملة الشرطية على الشرطية
التي قبلها ، ولم أر في جميع الطرق من روى بالفاء بدل الواو إلاّ العيني ،

(١) سيبويه ١ : ٦٧ . وانظر أيضاً العيني ٢ : ٣٥٠ وابن الشجري ١ : ٢٢٣/٢ : ٣٤٦ وشواهد المفتى للسيوطي ١٦١ ، ٢٨١ وابن يمين ١ : ٢٢٢/٢ : ٨٣ .

فإنه قال : الفاء عاطفة . والمعنى لا يقتضى الفاء فإنها تدل على الترتيب والتعقيب والسببية ، والثلاثة منتفية سواء كان الترتيب معنوياً كما فى قام زيد فعمرو ؛ أو ذكربا وهو عطف مفصل على مجمل نحو : « ونادى نوحُ ربَّهُ فقال رَبُّ » . وقوله (فعند ذلك فاجزعى) أورده الشارح فى الفاء العاطفة ، على أن إحدى الفاءين زائدة ، ولم يعبأ أينهما زائدة . قال أبو على فى المسائل القصيرة : الفاء الأولى زائدة والثانية فاء الجزاء ؛ ثم قال : اجعل الزائدة أيهما شئت . وعين القاضى فى تفسيره الفاء الأولى ، فإنه أورد البيت نظيراً لقوله تعالى : « فبذلك فليفرحوا » ، فقال : الفاء فى « فبذلك » زائدة ، مثلها الفاء ^(١) ١٥٢ الداخلة على (عند) فى البيت ، وتقديم عند للتخفيف كتقديم ذلك . وسيبويه لا يثبت زيادة الفاء ، وحكم زيادتها هنا للضرورة . ومن تبعه وجه ما أوهم الزيادة ، فوجهها صاحب اللباب بأنها إنما كررت هنا لبعد العهد بالفاء الأولى كما كرر العامل فى قوله :

لقد علم الحى البياض أننى إذا قلتُ أما بعد أنى خطيبها

أعيد « أنى » لبعد العهد بأننى ، وأجاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقاً ، وحكى « زيد فوجد » . وقيد بعضهم بكون الخبر أمراً أو نهياً نحو :

• وقائلة خولان فانكح فتاتهم •

• أنتَ فانظر لآى ذاك تصير •

وقوله :

وأوله المانعون بأن التقدير : هذا زيد فوجد ، وهذه خولان ، وبأن الأصل انظر فانظر ، ثم حذف انظر فبرز ضميره . والجزع : قيل هو الحزن ، وقيل أخص منه فإنه حزن يمنع الإنسان ويصرفه عما هو بصدده ويقطعه عنه .

(١) كلمة « الفاء » من سه فقط .

وأصله القطع ، يقال جزعت الحبلَ : قطعته لنصفه . ويقال أيضاً : جزعنا الوادى ، أى قطعناه عرضاً ؛ وقيل هو قطعه مطلقاً . فالجزع بالفتح المصدر ، والجزع بالكسر منقطع الوادى ، وقيل هو الفرع . ومنه قوله تعالى : « أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا » . والفرع أخص من الخوف ، وهو انقباض يعترى الإنسان ونفاره من كل شيء مخيف ؛ وهو من جنس الجزع . (والنفس) قال فى القاموس : شيء نفيس ومنفوس ومُنْفَس بالضم يُتَنَافَس فيه ويرغب ، ونُفْس ككرم نفاسة ونفاساً بالكسر ونَفَساً بالتحريك ، والنفيس : المال الكثير ، ونفس به كفرح : ضنٌ ، وعليه بخير : حسد ، وعليه الشيء نفاسة : لم يره له أهلاً . انتهى . وفى عمدة الحفاظ : وأصل المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالأفاضل فى غير إدخال ضرر على غيره ، وشيء نفيس منفوس به أى مضمون^(١) . و (الإهلاك) لشيء : إيقاع الهلاك به . والهلاك على أربعة أوجه : أحدها وهو المراد هنا افتقاد الشيء عنك وهو موجود عند غيرك ، ومنه : « هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ » . والثانى : هلاك الشيء باستحالة وفساد ، كقوله تعالى : « وَيَهْلِكُ الْحَرثُ وَالنَّسْلُ » . والثالث : الموت فهو : « إِنْ أَمْرُوهُ هَلَكَ » . والرابع : الشيء من العالم وعدمه رأساً ، وذلك هو المسى فناء كقوله تعالى : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » . وقد يطلق الهلاك على العذاب والخوف والفقر ونحوها ، لأنها أسبابه يقول : لا نجزع من إنفاق النفائس ما دمتُ حياً ، فإنى أحصل أمثالها وأخلفها عليك ، ولكن اجزعى إذا متَ فإنك لا تجد من خلفاً منى .

صاحب الشاهد وهذا البيت آخر قصيدة للنمر بن تولب ، يصف نفسه فيها بالكرم

ويعاتب زوجته على لومها فيه ، وكان أضافه قوم في الجاهلية فمقر لم أربع قلائص واشترى لم رزقاً خمر ، فلامنه على ذلك ، فقال هذه القصيدة وهي :

(قالت لتعذلي من الليل اسمع سفةً تبينتك الملامة فاهجى) آيات الشاهد

قوله (اسمع) مقول قولها ، وقوله (سفة الخ) هو خبر مقدم وتبينك مبتدأ مؤخر . والملامة مفعول تبينك وهو مضاف لفاعلها . وروى سفةً بالنصب فيكون كان مقدرة . وعلى الوجهين الجملة مقولة لقول محذوف ، أى فقلت لها . يقول : لامت من الليل عجلةً عن الصبح ، وكان ذلك منها سفةً ، ومثله ١٥٤ قول الشاعر^(١) :

هبتْ تلومُ وبئست ساعةً اللاحى هلا انتظرتِ بهذا اليوم إصباحى
والسفة : خفة العقل ، والأصل فيه خفة النسج في الثوب . يقال ثوب سفيه أى خفيف النسج . والسفة أيضاً : خفة البدن ، ومنه زمام سفيه : أى كثير الاضطراب . واستعمل في خفة النفس كتنقصان العقل في الأمور الدنيوية والأخروية . قال تعالى : « فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا » ، أى ضعيف العقل باعتبار خفته ، ولذلك قبل بارزانة فقيـل : رزين العقل . والتبيـث : أراد به التبيـث لأنه مصدر بيـت الأمر ، أى دبره ليلاً . والمجوع : النوم بالليل .
(لا تجزى لغيري وأمر غدي له أتعجلين الشر ما لم تمنى)

يقول : إننا الآن بخير فلم تعجلين الشر ما لم تمنى من الخير . وقوله وأمر غدي له ، أى أن أمر غداً أو رزق غداً موكول إلى غدا ، فلا ينبغي له التحزن منذ اليوم . وقوله أتعجلين استفهام توبيخى ، وتعجلين بفتح التاء ، وأصله بناءين . وأراد بالشر الفقر أو الجزع ، وما مصدرية ظرفية .

(١) هو عبيد بن الأبرس . ديوانه ٧٥ ومختارات ابن الشجرى ١٠٠ .

(قامت تُبْكِي أَنْ سَبَأْتُ لَفْنِيَّةَ زِقًا وَخَابِيَّةَ بَعْدَ مُقْطَعٍ)

تُبْكِي بضم التاء وكسر الكاف المشددة، يقال بَكَأَ عليه تَبْكِيَةً أى هيجبه للبكاء ففعله مخنوف . وروى تبا كي أى تقبا كي . وسبأ الحمر مهموز الآخر كجمل سَبَبًا وسبأ واستبأها أيضاً ، بمعنى اشتراها للشرب لالتجارة . والزُق بالكسر : جلد يخرز ولا ينتف صوفه ، يكون للشراب وغيره ، والزُق بالضم : الحمر نفسها . والخابية : الجرة العظيمة ، ويقال الحُبِّ والزير . وأصلها الممز لكى تركوه . والعود بفتح المهملة : المسنن من الإبل . وللمقطع بزنة اسم المفعول : البعير الذى أقطع عن الضراب ، والبعير قلم من المزال . يخبر أنها لامتة فيها لا خطر له .

(وقريت فى مِقْرَى قَلَائِصَ أَرْبَعًا وَقريتَ بَعْدَ قِرَى قَلَائِصَ أَرْبَعٍ)
قريت الضيف قرى بالكسر والقصر ، وقراء بالفتح والمد ، أى أضفته . والمقرى بالفتح : موضع القرى ، وبالكسر وكذلك اليقراءة القصعة التى يقرى فيها . وقلائص مفعول قريت ، وهى جمع قلوص وهى الناقة الشابة ، ولهذا حنف التاء من المدد . وقوله بعد قرى قلائص أربع ، كل لفظ مضاف لما بعده إلى الآخر . يقول : قريت فى موضع قلائص أربعاً ولم يمتنع ذلك أن قريت بعدهن .

(أَتَبْكِيًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هَيْنٍ سَفَهُُ بَكَاهِ الْعَيْنِ مَا لَمْ تَدْمَعْ)

يقول : سَفَهُُ بكأؤك من كلِّ شَيْءٍ لا يهزئك ولا تدمع عينك منه ، فلو كنتَ حزينة كان أعذر لك عندى .

(فَإِذَا أَنَا فِي إِخْوَتِي فَدَعِيهِمْ يَتَمَلَّلُوا فِي الْمَيْشِ أَوْ يَلْهَوْا مَعِي)

تَمَلَّلَ بالأمر : تشاغل به . والميش : الحياة المختصة بالحيوان ، وهو أخص

من الحياة ، لأن الحياة تقال في الحيوان وفي المَلَك وفي الباري تعالى . واللهو :
الشغل عن مهمات الأمور بما تميل إليه النفس ، والواد في يلها ضمير الجماعة ، ١٥٥
ولام الفعل محذوفة مثل الرجال يعفون .

(لا تَطْرُدِيهِمْ عَنْ فَرَاشِي إِنَّهُ لَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ سَيَخْلُو مَضْجِي)

الفراش : البيت ، كذا قال محمد بن حبيب في شرحه . وهي هنا لفظة
قبيلة . وأن مخففة من الثقيلة .

(هَلَّا سَأَلْتُ بِمَعَادِيَاءَ وَبَيْنَهُ وَآخِلٌ وَآخِرٌ أَلَى لَمْ تُنْمَعْ)

قال شارح الديوان محمد بن حبيب : بمعاديا يريد عن عادياء . يقول : لم يبق
عادياء ، وكذلك أنا أقل بقاء . وهو عادياء أبو السموءل الأزدي الفسافي . وقال
آخرون : يريد عاداً . وكل شيء قديم عند العرب عادي . وقوله (وآخِلٌ وَآخِرٌ
أَلَى لَمْ تُنْمَعْ) يعني الخبير والشر ، كما يقال ما فلان بخل ولا بخمر ، أى ليس عنده
خير ولا شر . واذهب فما أنت بخل ولا خمر . قال أبو عبيد في الأمثال : أراد
أنه كان لا ييخل بشيء مما كان عنده .

(وَفَنَاتِهِمْ حَنْزٍ عَشِيَّةً أَبْصَرْتُ مِنْ بُعْدٍ مَرَأًى فِي الْفَضَاءِ وَمَسْمَعٍ)

قالت أرى رجلاً يقلب نعلَه أَصْلاً وَجَوْءَ آمَنْ لَمْ يَفْزَعْ)

قوله (وفناتهم) مجرور ، وعنز عطف بيان عليه ، وهو بفتح العين المهملة
وسكون النون وآخره زاي معجمة اسم زرقاء اليمامة ، وكانت من جدیس بنت
ملكهم ، وكانت تغذي بالملخ . وفي القاموس : وعنز امرأة من طَسَمٍ سُبَيْتٍ
فحملوها في هودج ، وألطفوها بالقول والفعل ، فقالت : « هذا شرٌ يومى »
حين صرت أكرم للُسَّاء . ونصب شرٌ على معنى ركبت في شر يومها ^(١) .

(١) في القاموس (عز) .

ثم قال : وزرقاء اليمامة امرأة من جَدِيس كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام^(١) . انتهى . فتأمل . قال الشاعر :

شَرَّ يَوْمِهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا رَكِبَتْ عِزٌّ بِمُحْدَجٍ جَمَلَا

وكانت رأت رجلا من طلائع تُبْعِ قدام الجيش يقلب نعلًا من مسيرة ثلاثة أيام ولم يفرغ لهم أحد ولم يعلم بمجيئهم . و (الأصل) : أصيل، وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب . وقوله (وجو) يريد أهل جو ، وجو : اسم بلد ، وهي اليمامة التي تضاف إليها زرقاء اليمامة . وقوله : (وفاتهم) قال ابن حبيب : نسب عِزًّا إلى بيت عادياء وليست منهم ، وإنما كان شيئًا في أول الدهر فنسبه إلى بعضهم ، كما قال زهير : « كأحر عاد » وإنما كان في نمرد ، كما قال آخر :

* مثل النصارى قتلوا المسيحا *

(فكانَّ صالح أهل جو غُدوة صُبِحُوا بِذِيْفَانِ السُّمَامِ الْمُنْتَمِعِ)

يريد الجميع ، لأنه إذا هلك الوجوه والصالحون منهم فالذين دونهم أخرى أن يهلكوا . وقد صُبِحُوا بالبناء للمفعول من الصُّبُوح ، وهو شرب النداء ، تقول : صَبَحْتُه صَبْحًا من باب ضربته . والذِيْفَانِ بفتح الذال وكسرها وبالمنناة التحنية وتهمز فيهما : السم القاتل ، والسمام بالكسر : جمع سم . والمنْتَمِعُ : كل ما ينفع بالماء ونحوه .

(كانوا كأنتم من رأيت فأصبحوا يلوون زَادَ الرَّاكِبِ الْمُنْتَمِعِ)

أى كانوا بنعمة وخِصْب ثم أصبحوا يعسر عليهم أن يزودوا راكبا ، لأنهم لا يقدرّون على ذلك . والمنعة : الزاد يقول : ماله منعة ولا بَتَات . يقول

(١) في القاموس (زرق) .

المسافر مَتْنِي وَبَتْنِي^(١) وزوَدْنِي ، كل ذلك بمعنى واحد .

(كانت مقدّمة الخميس وخلفها رَقَصُ الرِّكَّابِ إلى الصُّبْحِ بِتَبَعٍ)

الرقص بفتحَين : الخلب ، وهو نوع من السَّير ، وأرقص الرجل بعيره : أى حمّله على الخلب . ويروى : « رقص الركاب » . والركاب : الإبل ، واجده راحلة . وضمير كانت راجع إلى نظرة عنز^(٢) المرأة المذكورة المفهومة من السياق . وخلف تلك النظرة إبل تَبَعَ تسير إلى الصُّبْحِ حتّى لحقهم . وتَبَعَ : أبو حسان بن تَبَع ، الذى غزا جديس فقتلهم واستباحَ البجامة .

(لا تَجْزَعِى إِنْ مِنْفِسٌ أَهْلَسَكَته البيت)

وهذا آخر القصيدة .

ترجمة النمر
بن توب

والنمر بن توب صحابى يعدّ من المخضرمين ، ونسبه مذكور فى الاستيعاب وغيره . وهو عُكْلِيٌّ منسوب إلى عُكْلٍ بضم المهملة وسكون الكاف ، وهى أمة كان تزوّجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، فولدت له ثلاثة بنين ، ثم مات فحضنتهم عُكْلٌ فنسبوا إليها .

والنمر شاعر جواد ، واسع العطاء كثير القرى ، وهَّابٌ لَمَّالٌ ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكَيْسَ^(٤) لجودة شعره وكثرة أمثاله . ويشبه شعره بشعر حاتم الطائي . وقال أبو عبيدة : كان النمر شاعر الرُّبَّابِ فى الجاهلية ، ولم يمدح أحداً ولا هجاً . ووفد على النبی صلى الله عليه وسلم مسلماً وهو كبير .

(١) كتب محب الدين الخطيب : « ويقال إلى اليوم فى طرابلس الغرب : بتت المروس ، أى جهزها » .

(٢) ط : « عين » ، صوابه فى س .

(٣) ط : « الكبش » ، صوابه فى س والشعراء ٢٦٨ والأغاني ١٩ : ١٥٩

(٤) المصربن ٦٣ .

قال أبو حاتم السجستاني في كتاب الممرين : عاش النمر بن تولب مائتي سنة ، وخرف وألقى على لسانه : انمحروا للضيف ، أعطوا السائل ، اصبحوا الراكب ^(١) . أي اسقوه الصبح .

قال ابن قتيبة في ترجمته من كتاب الشعراء : وألقى بعض البطالين على لسانه : نيكوا الراكب ، فكان يقولها . ومن شعره :

لا تنفضين على امرئ في ماله وعلى كرائم صلب مالك فاقضب
وإذا تصبك خصامة فارجُ النقي وإلى الذي يعطى الرغائب فارغب

باب التنازع

أشد فيه ، وهو الشاهد السابع والأربعون :

٤٧ (فكننت كالساعي إلى متعبٍ مؤثلاً من سبيل الراعد ^(٢))

على أن الكسائي وقع في أشنع مما قرأ منه من حذف الفاعل مضمرأ ، لتلايلزم الإضمار قبل الذكر في نحو : ضرباني وضربت الزيد بن ، مع أن الإضمار قبل الذكر قد ورد ، وحذف الفاعل في غير المسائل المحصورة لم يرد .

و (الساعي) من سعى الرجل في مشيه وسعى إلى الصلاة : ذهب إليها على أي وجه كان . وأصل السعي التصرف في كل عمل ، ومنه قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » . و (المتعب) بفتح الميم وسكون التثنية وفتح الميم المهمة قال في الصحاح : هو واحد تعب الحياض . وانتعب الماء : جرى في المتعب ؛ وثبت الماء في الخوض بالتخفيف : تجرأ . والْتَعَبَ

(١) ط : « أصبحوا » بالهمز ، تحريف .

(٢) هو من شواهد شرح الشافعية أيضاً . انظر شرحها للبغدادى ص ١١١

بالتحريك : مسيل الماء في الوادى . و (الموائل) اسم فاعل من وائل منه
 على وزن فاعل أى طلب النجاة وهرب . والموئل : الملجأ ، وقد وأل يئل
 ١٥٧ وألا وؤء ولا على فعول ، أى لجأ . و (السَّيْلُ) بالسين المهملة والباء الموحدة
 المفتوحين ، هو المطر . و (الراعد) : سحب ذورعد ، ويقال رعدت السماء
 رعداً من باب قتل ، وورعداً : لاح منها الرعد . كذا في المصباح . يقول :
 أنا في التجأى إليه كالهارب من السحاب ، ملتجئاً إلى الميزاب . ومثله
 قول الشاعر :

المستجيرُ بعمرو عند كربته كاللستجير من الرمضاء بالنار

صاحب الشاهد

والييت لسعيد بن حسان^(١) . وقبله :

(فررتُ من معن وإفلاسه إلى اليزيدى أبى واقد)

ومعن هو معن بن زائدة ، الأمير الجواد ، المضروب مثلاً في الجود والكرم .
 وإنما قال (وإفلاسه) لأن الإفلاس لازم للكرام في أكثر الأيام
 و (اليزيدى) هو أحد أولاد يزيد بن عبد الملك .

وقد أورد العنبي هذين البيتين في تاريخ عيين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين
 تمثيلاً ، ونسبهما إلى سعيد بن حسان ، وقتلها منه ، لأنى لم أرهما إلا فيه ،
 ونقلت شرح بيته الأول من شرح التاريخ المذكور لأبى عبد الله محمود بن عمر
 النيسابورى الشهير بالنجاشى .

(١) في هامش أصل الطبعة الاولى : « سعيد بن حسان لم يدرك معن بن زائدة .
 وقد نفي الشارح فيها سبأنى لإدراك الفرزدق لمعن وسعيد ، وسعيد قبل الفرزدق » .

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون :

٤٨ (لا تَحْلُنَا عَلَى غَرَائِكَ إِنَّا طَالَمَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ ^(١))

على أن بعضهم جوز في السعة حذف أحد مفعولى باب علمت للقرينة ، مستدلاً بهذا البيت ، أى لا تَحْلُنَا أَذْلَاءً ، الأولى هالكين أو جازعين .
والقرينة البيت الذى بعده ، وهو :

(فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءِ تَمِيمٌ يَنَّا جُدُودٌ وَعِزَّةٌ قَمَسَاءُ)

أى فبقينا على بغض الأعداء لنا ، ولم يضرنا بغضهم . والشناة بالفتح والمد : البغض . وتنميناً : ترفعنا ، يقال نَمَاهُ كَذَا أى رفعه . والقمساء : الثابتة . والجدود : جمع جَدَّ بالفتح ، وهو الحظَّ والبخت . وخال بخال بمعنى ظن وحسب . وعلى بمعنى مع . والغراء بالفتح والقصر اسم بمعنى الإغراء . ويقال أغريته به إغراء فأغرى به بالبناء للمفعول . وقد روى « على غرائك » أيضاً بالمد ، وهو مضاف لفاعله ، والمفعول محذوف أى الملك . وقال أبو زيد فى نواتره ^(٢) : يقال أغريت فلاناً بصاحبه إغراء ، وأسدت بينهما إبسداً ، إذا حملت كل واحد منهما على صاحبه حتى غرّى به أى لُزق به غرّى شديداً ، مقصور . غُرِيت أنا بفلان فأنا أغرى به غرّى ، إذا أولمت به من غير تحمّل . وأشدد هذا البيت وإنّا بالكسر ، لأنه استئناف بيانى . وطالما أى كثيراً ، وهو فعل مكفوف عن الفاعل لاتصاله بما الكافّة ، وروى أيضاً : « قبل ما قد وشى » بضم اللام أى قبلك ، وما زائدة . ووشى به عند السلطان وشياً : سعى به . وقبل هذا البيت :

(١) ط : « غرائك » ، وهى رواية الأنبارى فى السبع الطوال ٤٥٤ . وأنت

ما فى سه وهو ما يقتضيه تفسير البغدادى .

(٢) نواتر أبى زيد ١٩٨ .

(أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لَدَاكَ بَقَاءُ)

والمَرْقُشُ : المزين ، أراد الذي يزين القول بالباطل . يقول يَا أَيُّهَا النَّاطِقُ
عِنْدَ الْمَلِكِ الَّذِي يَبْلُغُهُ عَنَّا مَا يُرِيْبُهُ فِي مَحَبَّتِنَا إِيَّاهُ ، وَدَخُولِنَا تَحْتَ طَاعَتِهِ ،
هَلْ لِهَذَا التَّبْلِيغِ بَقَاءُ ، وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ يَبْحَثُ عَنْهُ فَيَعْلَمُ
ذَلِكَ مِنَ الْكَذِيبِ .

وعمرُو هو عمرو بن المنذر الأكبر بن ماء السماء ، ويقال له أيضاً عمرو بن ١٥٨
هند ، ويلقب بالمرقش لأنه حرق بني نعيم في النار ، وقيل بل حرق نخل عمرو بن هند
الجمامة . وهو من ملوك الحيرة .

وهذه الأبيات من المعلقة المشهورة لابن حلزة ، وهو الحارث بن حلزة
من بني يشكر بن بكر بن وائل ، وهو بكسر إزاء المهلة وكسر اللام المشددة
وهو في اللغة كما قال الصاغاني : اسم دُوَيْبَّةٌ ، واسم البومة ، والذكرُ بدون
هاء . ويقال امرأة حلزة للقصيدة والبخيلة . والحلز : السَّيُّ الخلق ، انتهى .
وقال قطرب : حُكِيَ لَنَا أَنَّ الْحِلْزَةَ ضَرَبَ مِنَ النَّبَاتِ ، وَلَمْ نَسْمَعْ فِيهِ غَيْرَ
ذَلِكَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : أَجُودُ الشُّعْرَاءِ قَصِيدَةً وَاحِدَةً جَيِّدَةً طَوِيلَةً ثَلَاثَةٌ
نَفَرٌ : عَمْرٍو بْنُ كُلْثُومٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ ، وَطَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ . وَزَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ
أَنَّ الْحَارِثَ قَالَ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ وَهُوَ ابْنُ مَائَةٍ وَخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَكَانَ مِنْ
حَدِيثِهِ أَنَّ عَمْرٍو بْنَ هِنْدَ لَمَّا مَلَكَ الْحِيرَةَ وَكَانَ جَبَّاراً ، جَمَعَ بَكراً وَتَغْلِبَ فَأَصْلَحَ
بَيْنَهُمْ ، وَأَخَذَ مِنَ الْحَيِّينَ رَهْناً مِنْ كُلِّ حَيٍّ مَائَةَ غَلَامٍ ، لِيَكْفَى بَعْضُهُمْ عَنْ
بَعْضٍ ، وَكَانَ أُولَئِكَ الرُّهْنُ يَسِيرُونَ وَيَغْزُونَ مَعَ الْمَلِكِ ، فَأَصَابَتْهُمْ سَمُومٌ
فِي بَعْضٍ مَسِيرِهِمْ فَهَلَكَ عَامَةُ التَّغْلِبِيِّينَ وَسَلَمَ الْبَكْرِيُّونَ ، فَقَالَتْ تَغْلِبُ لِبَكْرِ بْنِ
وَائِلَ : أَعْطُونَا دِيَارَ أَبْنَانِنَا فَإِنَّ ذَلِكَ لَأَزِمٌ لَكُمْ . فَأَبَتْ بَكْرٌ ، فَاجْتَمَعَتْ

الحارث
ابن حلزة

تغلب إلى عمرو بن كلثوم ، فقال عمرو بن كلثوم لتغلب : بمن ترون بكرًا
تَمَصِّبُ أمرها اليوم ؟ قالوا : بمن عسى ، إلّا برجل من بني ثعلبة ؟ قال عمرو :
أرى الأمر والله سينجلي عن أحمر أصلع أصم من بني يشكر . فجاءت بكر
بالنعمان بن هرم ، أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر ، وجاءت تغلب بعمرو بن
كلثوم ، فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصم
جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وقد يفخرون عليك . فقال النعمان :
وعلى من أظلت السماء يفخرون . قال عمرو بن كلثوم : والله إني لولطمتك
لطة ما أخذوا بها . قال : والله أن لو فعلت ما أفلت بها قيس أبرأبيك !
فغضب عمرو بن هند ، وكان يؤثر بني تغلب على بكر ، وجرى بينهما كلام ،
فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى هم بالنعمان ، فقام الحارث بن حلة
وارتجل هذه القصيدة ، وتوَكَّأ على قوسه فزعموا أنه انتظم (بها) كَفَّهُ (١)
وهو لا يشعر من الغضب .

وقال ابن السَّيِّد في شرح أدب السَّكَّاب (٢) . كان منكئاً على عنزة
فارتزت في جسده وهو لا يشعر . والعنزة بفتح العين المهملة والنون : رح
صغير فيه زج ، أي حديدة . وكان عمرو بن هند شريراً لا ينظر إلى أحد به
سوء ، وكان ابن حلة إنما ينشده من وراء حجاب لبرص كان به ، فلما
أشده هذه القصيدة أدناه حتى جلس إليه .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : وكان ينشده من وراء سبعة ستور
فأمر برفع الستور عنه استحساناً لها .

(١) ط : « أنه اقتطم كفه » ، سوايه في س .

(٢) الاقتضاب ص ٣٨٧ .

وأُشِدَّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون ، وهو من شواهد سيويه ^(١) :

٤٩ (ولو أنَّ ما أَسَى لأدنى معيشة كَفَانِي ولم أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ المَالِ
ولكنَّما أَسَى لِهَجْدٍ مُؤَثِّلٍ وقد يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثِّلَ أَمْثَالِي)

على أنه ليس من التنازع . وقد بينه الشارح المحقق ، وأصله من إيضاح
ابن الحاجب .

وقد تكلم عليه ابنُ هشام أيضاً في معنى اللبيب ، في (لو) وفي الأشياء
التي نحتاج إلى رابط من الباب الرابع ، بتحقيق لا مزيد عليه .

١٥٩ بقي أن ابن خلف نقل في شرح أبيات الكتاب عن أبي عبد الله الحسن
ابن موسى الدينوري أنه قال : والذي يقوى في نفسي وما سبقني إليه أحد
أن قوله ولم أطلب ، معناه ولم أَسعَ ، وهو غير متمدٍّ فلذلك لم يحفل به
ولا أعمل الأول . ولا أدري كيف خفي على الأفاضل من أصحابنا ذلك حتى
جعلوا البيت شاهداً لجواز إعمال الأول . انتهى .

وهذا ليس بشيء ؛ فإن الطلب معناه الفحص عن وجود الشيء ، عيناً
كان ذلك الشيء أو معنى . والسعي : السير السريع دون العدو ، ويستعمل
للجهد في الأمر ، وهذا غير معنى الطلب وقد يكون لازماً له ، واستعماله
في اللازم لا قرينة له ، مع أن الأول متمدٌ والثاني لازم ، ولم أطلب ^(٢) مسند
إلى ضمير المتكلم فكيف يرفع . و (ما) في أن ما مصدرية لا موصولة ،
لاحتياجها إلى العائد المقدر ، أي أسى له .

(١) سيويه ١ : ٤١ . وانظر المعنى ٣ : ٤٥ وابن يعيش ١ : ٧٨ ، ٨٩ والمجمع

٢ : ١١٠ والسيوطي ٢١٩ ، ٢٩٧ والإنصاف ٨٤ وديوان امرئ القيس ٣٩ .

(٢) في النسختين : « ولم أَسع » ، تحريف .

قال ابن خلف : المجد : الشرف ، وأصله الكثرة فكانّ معناه كثرة الأفعال الجيلة التي توجب لصاحبها الشرف ، وهو الارتفاع . انتهى .

ومثله في عمدة الحفاظ قال : وأصل المجد من تجددت الإبل : حصلت في مرعى كثير واسع ، وقد أجمدها الراعى : جعلها في ذلك . وتقول العرب : « في كل شجر ناره » ، واستمجد المرخ والعفار ، ، ويروى بصيغة الماضي ، والمرخ فاعله ، بمعنى استكثر النار ، وفي القاموس « المجد نيل الشرف والكرم ، أو لا يكون إلا بالأباء وكرم الآباء خاصة » . والمؤثّل ، قال ابن الأنباري في شرح المفضليات : هو المجموع ، ومنه قول امرئ القيس . وقال ابن السكيت : المؤثّل : المستمرّ الثبت ؛ يقال قد تأثّل فلان بأرض كذا وكذا ، أى ثبت فيها . وقال أبو عبيدة : مجد مؤثّل : قديم له أصل ، والتأثّل : انخاد أصل مال . والأثلة بسكون المثلثة : الأصل . قال الأعشى :

• أَلَسْتُ مُنْتَهِيًّا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتْنَا ^(١) •

وهذان البيتان من قصيدة لامرئ القيس مطلعها :

(أَلَا عَمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُلُ الْبَالِي)

قصيدة الشاهد

وقد شرحنا في الشاهد الثالث من أولها إلى قوله :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رَهْبَانٍ تَشَبُّ لَقَعَالٍ

عشرين بيتاً ^(٢) وقد أخذ هذين البيتين وبسط معناهما خفاف بن غُضَيْن البرجعي ، كما رأيت في مختار أشعار القبائل لأبي تمام ، وفي المؤلف والمختلف للامدى :

(١) حيزه : • ولست ضاثرها ما أظت الإبل •

(٢) انظر ما مضى في ص ٦٠ — ٦٩ .

ولو أن ما أسمى لنفسى وحدها لزيد يسير أو ثياب على جلدى
لأنت على نفسى وبلغ حاجتى من المال مال دون بعض الذى عندى
ولكنما أسمى لمجد مؤثّل وكان أبى فال المسكّارم عن جدّى
و (خفاف) بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء الأولى . و (غضين)
بضم الغين وفتح الصاد المعجمتين . وأنت بضم الهزّة، فهى ماض، من الأون
وهو الدّعة والرفق والمشى الهين . وبعد هذين البيتين وهو آخر القصيدة :
(وما المرء مادامت حشاشته نفسه بمدرّك أطراف الخطوب ولا آلى)
أى ولا بمقتصر ، من ألا يألُو بمعنى قَصُر . وقبلهما بيتان ، وحكايتهما
بين سيف الدولة والمتنبى مشهورة^(١) ، وهما :

(كَأَنّى لم أركب جواداً للذة ولم أبتطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل نخليل كرى كرة بعد إجمال)
أخذهما عبدُ بنوثة الجاهلى وأودعهما فى قصيدة قالها بعد أن أسر فى يوم
الكلاب الثانى ، ولم يرد عليه ما ورد على امرئ القيس ، وهما :

كَأَنّى لم أركب جواداً ولم أقل نخليل كرى نفسى عن رجاليا^(٢)
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لأيسار صِدقٍ عظموا ضوء ناريا
والأيسار : جمع ياسر ، وهو الجازر ، والذى يلى قسمة جزور الميسر .

ونسب (امرئ القيس) على ما فى المؤتلف والمختلف^(٣) : امرؤ القيس

(١) انظر المواهب اللّتيبة ١ : ١٠٧ . وهى فى شرح الواحدى لديوان الطيب ،
ونقلها عنه العكبرى فى شرح قوله :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كانك فى جنن الردى وهو نائم

(٢) انظر المفضليات ١٥٨ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص ٩ .

ابن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل الثُّرَار بن عمرو بن معاوية
ابن ثور بن مُرتِع بن معاوية بن نور الأكبر — وهو كِنْدَة — بن عُفَيْر
ابن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أدَد ، الشاعر المقدم .

ونسبه لابن الأنباري في شرح المعلقات : امرؤ القيس بن حجر بن
الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كِنْدَة
ابن ثور بن مُرتِع بن عُفَيْر بن الحارث بن مُرّة بن عديّ بن أدَد بن عمرو
ابن مَهْمَيْسَع بن عَرِيب بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب
ابن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالح بن أرغشد بن سام بن نوح
عليه السلام .

و (مُرتِع) بسكون الراء وكسر التاء^(١) ، ذكره ابن ماكولا هو وابن
الكلي^(٢) وقال : سمّي بذلك لأنه كان يقال له أَرْتَعِنَا فيقول : أَرْتَعِمْ
أَرْض كذا . والتشديد ذكره أيضاً لغة ، انتهى . وقال الصّاغاني في النكلة :
إن مُرْتَمًا اسمه عمرو ، وذكر بقية نسبه ، وهو أدَد بن يشجب بن عَرِيب بن
زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن خلف : ويكنى امرؤ القيس أبا زيد ، وأبا وهب ، وأبا الحارث .
وذكر بعض اللغويين أن اسمه حُنْدُج ؛ وامرؤ القيس لقب له لقب به لجماله ،
وذلك لأن الناس « قيسوا » إليه في زمانه فكان أفضلهم . والحُنْدُج بضم
الحاء المهملة والدال وسكون النون وآخره جيم ، وهو في اللغة : الرَّملة الطيبة ،

(١) ضبط عند ابن الأنباري بضم الميم وفتح الراء وتشديد التاء المكسورة لأنه
قال : « وإنما سمى مرتما لأنه كان من أتائه من قومه رتمه ، أي جعل له مرتما لما شبهته » .
السبع الطوال ٤ .

(٢) ط : « ابن ماكولا وابن الكلي » ، وكذا في المؤلف للأمدى ٩ .

وقيل : كُتِبَ من الرَّمْل أصغر من النقا . ويقال لامرئ القيس (ذو القروح)
أيضاً لقوله :

* وَبَدَلْتُ قَرْحاً دَائِماً بَعْدَ صَحَّةٍ ^(١) *

ويقال له (الملك الضَّلِيل) . وحُجِرَ في الموضعين بضم الحاء المهملة وسكون
الجيم ، والمُرَار بضم الميم وتخفيف الراء بن المهملتين : شَجَرٌ من أفضل العُشب
وأضخيه ، إذا أَكَلْتَهُ الإبل قَلَصَتْ مشافرها فَبَدَتْ أَسْنَانُهَا ، ولذلك قيل
لجَدِّ امرئ القيس آكل المُرَار ، لكثَرِ كان به .

وهذه أحواله على وجه الإجمال . قال ابن قتيبة في ترجمته : « ولما ملك
حُجِرَ على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ
سَرَوَاتِهِمْ فقتلهم بالعِصَى — فسموا عبيد العصا — وأسَر منهم طائفة فيهم
عبيد بن الأبرص ، فقام بين يدي الملك وأنشده أبياتاً يرققه بها ، منها :

أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردَّهم إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا على مسيرة
يوم من تهامة تكهَّن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدى فقال : يا عبادى ؛ قالوا :
لَبَّيْكَ رَبَّنَا ؛ فسَجَّع لهم على قتل حجر وحرَّضهم عليه ؛ فركبت بنو أسد كل ^{١٦١}
صعب وذلَّول ، فمَّا أَشْرَقَ لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائمًا
فدَبَّحُوهُ ، وشَدُّوا على هجائنه فاستاقوها . وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما
صنع فى الشعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقًا ، فطلبها زمانًا فلم يصل إليها ،
وكان يطلب منها موعدًا ؛ حتى كان منها يوم الغدير بدارة جُلُجُلٍ
ما كان ، فقال :

(١) عجزه فى دبوانه ١٠٧ :

* فَبَالَكَ من نَمَى تحولن أبوسا *

* قفانك من ذكرى حبيب ومنزل *

فلما بلغ ذلك حُجراً دعا مولاً له يقال له ربيعة فقال له : اقتل امرأ القيس
واثنتي بعينيه ، فذبح جَوْذراً فأناه بعينيه ؛ فنسم حجر على ذلك ؛ فقال : أبيتَ
اللعن ، إني لم أقتله . قال : فاثنتي به : فانطلق ، فإذا هو قد قال شعراً في رأس
جبل ، وهو قوله :

فلا تُسَلِّمَنِي ياربِيعُ لهذه وكنتُ أُراني قبلَهَا بك واثقا
فردّه إلى أبيه قتهاه عن قول الشعر ؛ ثم إنه قال :

* الأعم صباحاً أيها الطللُ البالي *

فبلغ ذلك أباه فطرده . كذا قال ابن قتيبة .

وفيه أن امرأ القيس قال هذه القصيدة في طريق الشام عند مسيره
إلى قيصر بعد قتل أبيه ؛ ولعله شعر آخر .

ثم قال ابن قتيبة : فبلغه مقتل أبيه وهو بدّ مون ، فقال :

تطاول الليلُ علينا دمُونُ دمُونُ إِنّا معشرَ يمانُونِ
وإننا لأهلنا محبُونُ^(١)

ثم قال « ضيعني صغيراً ، وحمّلتني دمه كبيراً ؛ لا يصحو اليوم ولا سُكر
غداً ، اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ » . ثم آلى : لا يأكل لحماً ولا يشرب خمرًا حتى
ينار بأبيه . فلما كان الليل لاح له برق فقال :

أرقتُ لبرقٍ بَلِيلِ أَهْلٍ يضيءُ سَناءَ بأعلى جبل^(٢)
بقتل بني أسدٍ ربّهم ألا كلّ شيءٍ سواه جَلَلٌ

(١) ط : « لأهلها » ، صوابه في س والشراء . هـ .

(٢) في الشراء : « الجبل » .

ثم استجاش بكر بن وائل فسار إليهم وقد لجئوا إلى كنانة فأوقع بهم ،
ونجت بنو كاهل من بني أسد ، فقال :

يَالْهَفَ نَفْسِي إِذْ خَطَّيْنِ كَاهِلَا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَّاحِلَا
تَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلَا

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم ، فيأبى عليه ذلك الشعراء .
قال عبيد :

يَا إِذَا الْخَوْفُ نَا بَقْتُ لِي أَبِيهِ إِذْ لَالًا وَحِينَا
أَزَعَمْتَ أَنْكَ قَدْ قَتَلْتَ مَتَّ سَرَاتِنَا كَذِبًا وَمِينَا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر حتى خرج إلى قيصر . . ونظرت
إليه ابنة قيصر فمشتقه فكان يأتيا وتأتيه ، وفطن الطّاح بن قيس الأسدي
لها — وكان حُجْر قتل أباه — فوشى به إلى الملك . فخرج امرؤ القيس
متسرّعا ، فبعث قيصر في طلبه سهولا ، فأدركه دون أُنْقَرَة بيوم ، ومعه حلة
مسمومة ، فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتفتّر جسده . وكان يحمله جابر بن
حُتَّى التغلبي . فذلك قوله :

فَأَمَّا تَرِينِي فِي رِحَالَةِ جَابِرٍ عَلَى حَرَجٍ كَالْقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِي
فِيَارُبُّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وَعَانٍ فَكَكَتُ الْفُلَّ مِنْهُ فَنَدَانِي
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانُهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَانٍ

١٦٢

وقال حين حضرته الوفاة :

وَطَمَنِي مُسْخَنَفِرَةٌ وَجَفَنِي مُنْعَجِرَةٌ
تَبَقَى غَدَاً بِأَنْقَرَةٍ

قال ابن السكبي : هذا آخر شيء تكلم به ثم مات . وجابر بن حنّ بضم المهملة وفتح النون والياء المشددة . والرّحالة بالكسر : قيل السرج ، وقيل السّرج من جلودٍ لاخشب فيه يتخذ للركض الشديد . والحرّج : الضيق . والقربُفتح القاف : مركبٌ للرجال كالهودج . والمُسحفر : الواسع . والمُنْعَجِر : السائل المنسكب .

ثم قال ابن قتيبة : قال أبو عبد الله الجعفي ^(١) : كان امرؤ القيس ممن يتعمّر في شعره ، وذلك قوله :

* فثلكِ حبلِي قد طرقتُ ومُرّضِ ^(٢) *

وقال :

* سموتُ إليها بعد ما ظم أهلها ^(٣) *

وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء : من استيقافه صحبه في الديار ، ودقة التشبيه ^(٤) ، وقرب المأخذ . ويستجاد من تشبيهه قوله :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَانِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ

ومما عيب عليه قوله :

إِذَا مَا الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوَشَّاحِ الْمَفْصَلِ

قالوا : الثريّا لا تعرّض لها ، وإنما أراه أراد الجوزاء فذكر الثريّا

(١) ابن سلام ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) تمامه : * فألهينا عن ذي نعامٍ محول *

(٣) عجزه : * مو حباب الماء حالا على حال *

(٤) ط : « ورقة النسيب » .

على الغلط ، كما قال الآخر^(١) : « كأحر عاد » وإنما هو كأحر نمود ، وهو عاقر الناقة .

وأقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء ، إذ أقبل راكب على بعير ، وأنشد بعضُ القوم :

ولما رأته أن الشريعةَ همها وأن البياضَ من فرائصها دامي
تيممت العين التي عند ضارجٍ بغيء عليها الظلّ عِرمضها طامي

فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس ؛ فقال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عنديكم — وأشار إليه — فشوا على الركب فإذا ماء غَدَقٌ ، وإذا عليه العِرمِضُ والظَلُّ بغيء عليه ، فشربوا وحلوا ، ولولا ذلك لهلكوا . انتهى كلام ابن قتيبة .

(تتمة)

ذكر الأمدى في المؤلف والمختلف عشرة من الشعراء من اسمهم امرؤ القيس واحدٌ منهم صحابي ، وهو امرؤ القيس بن عابس الكندي^(٢) . وزاد صاحب القاموس على ما قال الأمدى اثنين وهما صحابيَّان : أحدهما امرؤ القيس بن الأصْبَغ الكَلْبِي ، وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطَّحَّاح

(١) هو زهير في مملته . والبيت بتمامه :

فتنتج لکم غلمان أشأم کلهم كأحر عاد ثم نرضع فتفطم

وقد نقل التبریزی في شرح الملقات عن المبرد أن هذا ليس بغلط ، لأن نمود يقال لها عاد الأخيرة ، ويقال لقوم هود : عاد الأولى .

(٢) في النسختين : «عابس» ، صوابه في المؤلف ٩ والإصابة ١ : ٦٤ والقاموس

(قيس) والشعراء ٣١٠ ، ٦٣ .

مفعول ما لم يسم فاعله

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحسنون :

(نُبِّئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي) ٥٠ ١٦٣

على أن (أعلم) وأخوانها ، مما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، إذا بنيت للمفعول لا ينوب عن الفاعل إلا المفعول الأول كما في هذا البيت ، فإن ضمير المتكلم كان في الأصل مفعولاً أولاً ، والتقدير نبأني فلان ، فلما بنى فعله للمفعول تاب عن الفاعل . وقد بينه الشارح المحقق . و (عمراً) هو المفعول الثاني ، و (غير) المفعول الثالث ، وأصلهما المبتدأ والخبر .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(والكُفْرُ نَجْبَةٌ لِنَفْسِ الْمَنِيْمِ)

وهذا البيت من معلقة عنترة بن شدّاد العبسي . والكفر هنا : الجحد ، يقال : كفر النعمة وبالنعمة ، إذا جحدّها . ومحبّة بفتح الميم ، من النجث ، يقال : نجث الشيء نجثاً من باب قرب : خلاف طاب ، والاسم النجثانة ، ومفعلة صيغة سبب الفعل والحامل عليه والداعي إليه ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « الولد نجبنة مبخله » أي سبب يجعل والدّه جباناً : لم يشهد الحروب ليربيه ، ويجعله بخيلاً : يجمع المال ويتركه لولده من بعده . ومثله كثير في العربية . ولم يتكلم علماء التصريف على هذه الصيغة ، قال الخطيب التبريزي في شرح المعلقة « يقال طعاماً مطييةً للنفس ومحبّة لها ، وشراب مبولة » انتهى . يقول : من أنعمت عليه نعمة فلم ينشرها ولم يشكرها فإن ذلك سبب لتغير نفس المنعم من الإناعام على كلّ أحد . وليس المعنى : يتغير نفس المنعم على ذلك الجاحد ، كما قال شراح المعلقة ، فإنه تقصير .

وهذا المصراع من باب إرسال المثل . ولما كان هذا البيت قائماً في نفسه لم نصف إليه شيئاً من هذه القصيدة .

وترجمة عنتره قد تقدمت مع أبيات من هذه المعلقة في الشاهد الثاني عشر^(١)

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون^(٢) :

٥١ (وَلَوْ وُلِدْتُ قُفَيْرَةَ جَرَوْهُ كَلْبٍ لَسُبُّ بِذَلِكَ الْجَرُّ وَالْكِلَابَا)

على أن الكوفيين وبعض المتأخرين أجازوا نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصريح .

قال ابن جني في الخصائص : « هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لا يُعْتَدَ به أصلاً ، بل لا يُثَبَّتْ إِلَّا مُحَرَّرًا شاذًّا » .

و « بعض المتأخرين » هو على بن سليمان الأخفش تلميذ المبرّد .

و (قُفَيْرَة) بتقديم القاف على الفاء وبالراء المهملة مصغراً . اسم أم الفرزدق . وروى (فُكَيْهَة) أيضاً على وزنه ، وهو تحريف . و (الجرّ) مثلث الجيم : ولد السباع ، ومنها الكلب .

ذم الشاعر قُفَيْرَة بأنها لو ولدت جرّواً لَسُبَّتْ جميعُ الكلاب بسبب

(١) ص ١١٨ .

(٢) انظر ابن يمين ص ٧ : ٧٥ والخصائص ١ : ٣٩٧ والمجم ١ : ١٦٢ وابن الشجري ٢ : ٢١٥ . ولم يرد البيت في ديوانه ولا في النقايش .

ذلك الجرو ، لسوء خلقه وخلقه . وقال القالى^(١) فى شرح الباب^(٢) « وقيل : الكلاب ليست مفعولة ، بل مفعول ولدت . وجرو نصب على النداء ، أو على الهم . وقيل الكلاب نصب على الهم ، وجُمع لأن قفيرة وجروا وكلبا ثلاثة » . انتهى .

وهذا التخرج نقله ابن الحاجب فى أماليه عن أبى جعفر النحاس فى كتابه الكافى فى النحو عن أبى إسحاق الزجاج وقال : « معنى قوله لَسُبَّ : لحصل السبِّ بسبب ذلك الجرو » . وهذا مستقيم .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لجريز يهجو بها الفرزدق ، مطلعها :

١٦٤ (أَقْلَى اللّوَمِ عَاذَلَّ وَالْعِنَابَا وَقَوْلَى إِنِ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا)

وتقدم شرحه مع ترجمة جريز فى الشاهد الرابع^(٣) .

وقبل البيت الشاهد :

(وَهَلْ أُمٌّ تَكُونُ أَشَدَّ رَعِيًّا وَصَرًّا مِنْ قَفِيرَةٍ وَاحْتِلَابَا)

وقد تقضى هذه القصيدة عليه الفرزدق بقصيدته ، وكلتاها مسطورة فى النقائض .

* * *

(١) فى النسختين : « القالى » ، وإنما هذا بالفاء ، وهو محمد بن سعيد السراقى . ذكره السيوطى فى البنية ٤٦ وقال : « المعروف بالقالى ، بالفاء ، صاحب شرح الباب ولم أقف له على ترجمة » . ومن هذا الشرح نسخة كتبت سنة ٧٧٥ بمجدرأباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند ، كما ذكر المبنى .

(٢) الباب فى النحو لتاج الدين محمد بن أحمد بن السيف ، المعروف بالفاضل الاسفرايينى ، كما فى كشف الظنون .

(٣) ص ٦٩ — ٧٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون ، وهو من شواهد س^(١) :

٥٢ (أمرتك الخير)

وهو قطعة من بيت وهو :

(أمرتك الخير فاقفل ماأمرت به فقد تركتك ذامال وذالنسب)

على أن الجزولى منع نيابة المنصوب بسقوط الجار ، مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار ، وأصله أمرتك بالخير ؛ لأن أمر يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد ، وهو الكاف هنا ، وبحرف الجر إلى آخر ، فالخير منصوب بنزع الباء بدليل (ماأمرت به) . قال الأعلم : « وسوغ الحذف والنصب : أن الخير اسم فعل يَحْسُنُ أَنْ وما عملت فيه في موضعه ، و (أَنْ) يحذف معها حرف الجر كثيرا ، تقول أمرتك أَنْ تفعل ، تريد : بأن تفعل ، فإذا وقع موقع أَنْ اسم فعل شَبَّهَ بها فحسن الحذف . فإن قلت أمرتك بزيد لم يجرُ أَنْ تقول أمرتك زيدا . انتهى .

ونقل ابن هشام اللخمي هذا الكلام في شرح أبيات الجمل ، إلا أنه قال : « الخير مصدر » . وهذا ليس بجيد . قال المرزوقي في شرح الفصيح ، عند قول الشاعر :

ومن يلقى خيرا يَحْمَدُ الناسُ أمره ومن يغور لا يَعدَمُ على الغنى لأما

« يجوز أن يكون جعل (الخير) كناية عن كل ما يحمَد من إصابة الحق وتعاطى العدل واتباع الرشد ، ويكون (ومن يغور) على الضد منه ، ويجوز أن يكون الخير كناية عن الغنى خاصة ، والغنى كناية عن الفقر . وقد علم أن

(١) سيويه ١ : ١٧ . وانظر ابن الشجري ١ : ٢/٣٦٥ : ٢٤٠ وابن بيش

٢ : ٤٤ / ٨ : ٥٠ والمهم ٢ : ٧٢ والبيوطي ٢٤٧ .

الفنى محمود والفقر مذموم ، والعرب تسمى كل مرتضى عندهم خيراً وحقاً ، وصواباً وحسناً ، وكل مذموم عندهم شراً وخطأً ، وسبئاً وجهلاً وغياً . انتهى .
وقد أورد القاضى هذا البيت عند قوله تعالى : « فافعلوا ما تؤمرون » على أنه بتقدير تؤمرون به كما فى البيت . ولا يخفى ركازة قول شارح شواهد الموصلى : « إن الأمر لا يستعمل إلاّ بالباء ، وقد شاع حذفه فى هذا الفعل ، وكثر استعماله أمرته كذا ، حتى لحقت بالأفعال المنتمية إلى مفعولين » . هذا كلامه .

روى أبو على الهجرى فى نوادره^(١) : (أمرتك الرشد) بدل الخير ، وهو الصلاح وإصابة الصواب ، وفعله من بابى تعب وقتل . و (أمرت) بالبناء للمفعول ، وضمير (به) لما الموصولة أو الموصوفة . والفاء الأولى جواب شرط مقدر ، أى إن تمتل فافعل . وقال اللخمي : جواب لما فى الجملة من معنى الأمر ، والفاء الثانية جواب الأمر . وقال أيضاً « ذا : حال من الكاف فى تركتك ، والعامل فيه ترك ، وهو بمعنى صاحب ، وهو عند ابن درستويه مفعول ثان لترك لأنها تتمدى إلى مفعولين والثانى هو الأول . وهذا وهم لأن تركت فى معنى خلّيت ، وخلّيت لا يجيى معها إلا الحال ، فكذلك لا يجيى مع تركت إلا الحال » . انتهى .

١٦٥ والصواب أن ترك يتضمن معنى جعل فيتمدى تعديته ، وهذا مستفيض لا يخفى على مثله .

وقال ابن خلف : « وتركتك : إن كان بمعنى صيرتك كان ذا مال مفعولاً

(١) لم يذكر البقداى هذه النوادر فى مراجعه ، ولم يذكرها إلا فى هذا الباب وباب المفعول فيه . ومن نوادر الهجرى نسخة فى دار الكتب باسم « التعليقات والنوادر » رقم ٢٤٢ لغة . واسم الهجرى هارون بن زكريا .

ثانياً ، كما تقول : تركت زيداً فقيه البلد : إذا كنت أنت الذى فقهته وعلمته ، ومنه قوله سبحانه : « تَرَ كُتَابَهَا آيَةً »^(١) أى جعلناها وصيّرها . وإن كانت بمعنى خلقتك كان ذا مال حالاً ، كما تقول : تركت زيداً وهو فقيه البلد . انتهى .

و (ا قد) للتحقيق ، وقال اللخمي : يجوز أن تكون للتوقع أيضاً . و (المال) قال اللخمي : في شرح فصيح ثعلب : هو عند العرب الإبل والبقر والغنم ، ولا يقال للذهب والفضة مال ، وإنما يقال لها : ناض ، وأقله ما يجب فيه الزكاة ، وما نقص عن ذلك فليس بمال . وحكى أبو عمر صاحب الياقوتة : المال : الصامت والناطق ، فالصامت : الدنانير والدرام والجواهر ، والناطق : البعير والبقرة والشاة ، قال : ومنه قولهم : ماله صامت ولا ناطق . ومنهم من أوقع المال على جميع ما يملكه الإنسان . وهو الصحيح . انتهى . ويشهد للقول الأخير قوله تعالى : « وَلَا تَوْنُوا السُّنْهَاءَ أَمْوَالِكُمْ » وهذا لا يخص شيئاً دون شيء . و (النسب) بالشين المعجمة ، قيل : بمعنى جميع ما يملك بمعنى المال ، وقيل : المال الأصل الثابت بمعنى العقار كالذور والضئاع ، مأخوذ من نسب الشيء : إذا ثبت في موضع لزومه . فعلى الأول يكون من عطف المترادفين للتوكيد ، وعلى الثانى يكون من عطف الخاص على العام . وإن فسّر المال بغير القول الأخير كان من عطف المتقابلين . وقال الأعمى : « قد قيل : إن النسب هنا جميع المال ، فيكون عطفه على الأول مبالغة وتوكيداً ، وسوغ ذلك اختلاف اللفظين » . وهذا كلامه فتأمل ! وهذه رواية سيبويه وخدمة كتابه^(٢) ، ورواه الهجرى في نوادره : (ذا نسب) بالسين المهملة . قال اللخمي وأبو الوليد

(١) من الآية ١٥ في سورة القمر .

(٢) ط : « خدمة كلامه » .

الْوَقْشَى - فيما كتبه على كامل المبرد : هذا هو الصحيح ، لأنه لامنى لإعادة ذكر المال ، وإنما يقول : تركتك غنياً حسيباً . يخاطب ابنه . وقد نسب السيوطى فى شرح أبيات المبنى هذا الكلام لابن السيد البطلاني - فيما كتبه على الكامل . وهذا لا أصل له ، فإنه لم يكتب عليه هنا شيئاً ، وإنما كتب ما يقارب هذا فى أبيات الجمل .

صاحب الشاهد وقد ورد هذا البيت فى شعرين : أحدهما فى شعر أعشى طرود ، والثانى فى شعرٍ اختلف فى قائله . أما الأول فقد نقله الأمدى فى المؤلف والمختلف وأبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب ، وهو :

(يادارَ أسماءَ بين السَّفحِ فالرَّحْبِ أقوتُ وعنى عليها ذاهبُ الحُفْبِ ^(١))
 فما تبينُ منها غيرَ منتضدٍ وراسياتٍ ثلاثٍ حولَ منتصبٍ
 وعرصةُ الدارِ تسنُّ الرياحُ بها نحنُ فيها حنينُ الولِّهِ السُّلْبِ
 دارُ لأسماءَ ، إذ قلبى بها كلفُ وإذا أقربُ منها غيرَ مقربٍ
 إنَّ الحبيبَ الذى أُمِيتُ أهجرُهُ من غيرِ مَقِيلَةٍ منى ولا غضبٍ
 أصدُّ عنه ارتقاباً أنْ أُلْمَ به ومَنْ يخفُّ قالةُ الواشينَ يرتقبُ
 إني حويت على الأقوامِ مَكْرُمَةً قديماً ، وحذرنى ما يتقون أبى
 وقال لى ، قول ذى علمٍ ونجربةٍ بسالفاتِ أمورِ الدهرِ والحُفْبِ :
 أمرتك الرشد فافعل ما أمرت به . . (البيت) . انتهى

١٦٦

وقال اللخمي : من قال إن البيت لأعشى طرود قال بعده :

(لا تبخلنَّ بمالِ عنِ مذاهبه فى غيرِ زلةٍ إسرائفٍ ولا تَقَبِ)
 فإنَّ وُرائه لن يحمِّدوكَ به إذا أجْنوكَ بين اللَّبَنِ والخشبِ

(١) الحقب ، بضمتين وبكسر ففتح .

وقد أورد المهجرى أيضاً في نوادره هذين البيتين بعد البيت الشاهد،
وأما الثانى فهو هذا :

« فقال لى ، قول ذى رأى ومقدرة مجرب عاقل نزيه عن الريب :
قد نلت مجداً ، فحاذر أن تدسه : أب كريم وجد غير مؤشب
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب
واترك خلائق قوم لا خلاق لهم واعمد لأخلاق أهل الفضل والأدب
وإن دُعيت لغدر أو أمرت به فاهرب بنفسك عنه أبدأ الحرب »^(١)

وهذا الشعر قد نسب إلى عمرو بن معد يكرب ، ولعباس بن مرداس ،
ولزرة بن السائب ، وخُفاف بن نديبة .

قال اللخمي : من نسب البيت لأحد الثلاثة الأول قال قبله :

فقال لى قول ذى رأى ومقدرة . . (البيت)
ونسب قوله : فترك خلائق قوم لا خلاق لهم
وقوله : قد نلت مجداً فحاذر أن تدسه

البيتين ، إلى أعشى طرود لا غير ، وقال : هما بعد البيت الشاهد . وقد
نسب البيت ، في كتاب سيبويه ، لعمرو بن معد يكرب . والله أعلم .

وأعشى (طرود) قال الأمدى في المؤلف والمختلف : « لم يذكر اسمه أعمى
ولا عُرف نسبه إلى القبيل . وبنو طرود ، من ^(٢) فهم بن عمرو بن قيس
ابن حيلان ، وهم حلفاء بنى سليم ثم فى بنى خُفاف . انتهى .
وتقل الصاغاني فى العباب هذا الكلام ولم يزد عليه .

(١) كذا فى ط . وفى س مع أثر لإصلاح : « أبدأ الحرب » .

(٢) ط : « منهم » مواهب فى المؤلف ١٧ وفى س مع أثر لإصلاح .

وقال أبو الوليد القشيري نقلًا عن نواذر الهجري ، والرخي نقلًا عن أبي مروان عبد الملك بن ميراج : إن أعشى طرود اسمه إياس بن موسى ، بكسر الهمزة بعدها مثناة تحتية ؛ ولم يزيدا على هذا .

قال المرزباني : حضر هوزة بن الحارث ، المعروف بابن حملة ^(١) ، في أيام عمر ، المعطاء فدعا قبله إياس بن موسى هذا ، فقال هوزة ^(٢) :

لقد دار هذا الأمرُ في غير أهله فأبصرُ ، أمينُ الله ، كيف تدوُّ
أيدعي 'جُشيم' والثويدُ أماننا ويدعي إياس قبلنا وطرود ^(٣) ا
فإن كان هذا في الكتاب فهم إذن ملوكُ سوى حرب ونحن عبيد ^(٤)

انتهى . وفهم من هذا أن أعشى طرود إسلامي ، لكن لم يعلم ما هو : صحابي أم تابعي ^(٥) ؟ والله أعلم .

وقوله : يادار أسماء بين السفح الخ ، قال ياقوت في معجم البلدان « السفح بلفظ سفح الجبل ، وهو أسفله حيث يسفح فيه الماء . وهو موضع كانت به وقعة بين بكر بن وائل وتميم » . ولم يذكر أبو عبيد ^(٦) هذه الكلمة في المعجم . والرحب بضم الراء وفتح الحاء المهملتين : موضع ، ولم يذكرها أبو عبيد ولا ياقوت . وأقوت : خلت من الأنيس ، كأنه ذهب قوتها . وعنى عليها ، ١٦٧ بالتشديد كمعناها : أي طمسها ونحاً علاماتها . والحقب بضمين : الدهر ، وبكسر ففتح : جمع حُقب ، وهي السنة ؛ أي طمسها الدهرُ الذاهب ، والسنون الماضية . وتبين : ظهر . والمنتضد : الحجارة المصفوفة بعضها فوق بعض .

(١) كذا في النسختين ، وفي الإصابة ٩٠١٢ نقلًا عن المرزباني : « بابن الحملة » .

(٢) في الإصابة : « أيدعي خشم والفريد » .

(٣) في الإصابة : « ملوك بنو حر » .

(٤) الميسني : « ذكره الطبري وابن شاهين في الصحابة » .

(٥) أبو عبيد البكري . وفي ط : « أبو عبيدة » صوابه في س مع أثر تصحيح .

وأراد بقوله : راسيات ثلاث : حجارة القدر الثلاثة ؛ وهو معطوف على منتزعة ، وكذلك عرصة . واستنتت الرياح : هبت عليها من هنا ومن هنا . والولة : جمع الواله : المرأة التي فقدت ولدها . والسلب بضمتين : اللابسة الثياب السود . وتمحن : من الحنين بمعنى الأنين . وقوله : وإذا أقرب منها . الخ . أى أمتى نفسى منها ما لا يكون . والمقلية بتخفيف الياء : مصدر بمعنى القلى ، وهو البغض والكراهية . والارتقاب : الانتظار . وأن ألم : أى لأن أنزل وأحل به . والتنب : بمشاة فوقية فنين معجبة ، قال اللخى : هو جمع تنبة وهى السقطة ، وما يعاب به ابنه . والتنب أيضاً : الهلاك ؛ وقال فى الصحاح : « تنب بالكسر تنباً : هلك » . ونزّه بفتح النون وسكون الزاى : البعيد ؛ سكن الزاى ، وهى مكسورة للضرورة . والمؤثب : المختلط يقال : أثبت القوم ، إذا خلطت بعضهم ببعض .

المبتدأ والخبر

أشدد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون^(١) :

٥٣ (غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقَضِ بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ)

أورده مثالا لإجراء (غير) قائم الزيدان ، مجرى (ما) قائم الزيدان ، لكونه بمعناه .

وتخرج البيت على هذا أحد أقوال ثلاثة هو أحسنها ؛ وإليه ذهب ملك النحاة الحسن بن أبى نزار^(٢) ، وابن الشجرى أيضا فى أماليه .

(١) انظر المبنى ١ : ٥١٣ واهم ١ : ٩٤ وابن الشجرى ١ : ٣٢ .

(٢) كذا فى النسختين ، وهو أبو نزار الحسن بن أبى الحسن صافى بن عبادة بن نزار ، صاحب المسائل الشعر المتعبدات إلى الحشر . ولد سنة ٤٨٩ وتولى سنة ٥٦٨ . معجم الأدباء ٨ : ١٢٢ وإنباء الرواة ١ : ٣٠٥ والبيئة ٢٢٠ .

و (مأسوف) اسم مفعول من الأسف وهو أشد الحزن ، وبب فعله فرح .
و (على زمن) متعلق به على أنه نائب الفاعل . وجملة ينقضى صفة زمن .
و (بالم) حال من ضميره ، أى مشوباً بالم .

فلما كانت (غير) للمخالفة في الوصف وجرت لذلك مجرى حرف النفي ،
وأضيفت إلى اسم المفعول المسند إلى الجار والمجرور — والمتضايقان بمنزلة الاسم
الواحد — سدّ ذلك مسدّ الجملة ؛ كأنه قيل : ما يؤسف على زمن هذه صفته .
قال أبو حيان في تذكرته : ولم أر لهذا البيت نظيراً في الإعراب إلاّ بيتاً
في قصيدة المتنبي يمدح بها بدر بن عمار الطبرستاني يقول فيها :

ليس بالمتكر أن برزت سبقاً غير مدفوع عن السبق العرابُ

فالعراب مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتداً فقد أخطأ لأنه يصير التقدير :
العراب غير مدفوع عن السبق ؛ والعراب جمعٌ فلا أقلّ من أن يقول غير
مدفوعة ، لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكره وتأنيثه بتقدمه وتأخير .

والقول (الثاني) لابن جني ، وتبعه ابن الحاجب ، وهو : أن (غير)
خبر مقدم ، والأصل : زمن ينقضى بالم والحزن غير مأسوف عليه ، ثم قدمت
عليه وما بعدها ، ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بمل على غير
مذكور ، فأثى بالاسم الظاهر مكانه وحذف الموصوف ، بدون شرطه المعروف ،
ضرورة .

و (الثالث) وهو لابن الخشاب : أن غير خبر لأننا محذوف ، ومأسوف :
مصدر كالمسور والميسور أريد به اسم الفاعل ؛ والتقدير : أنا غير آسف
على زمن هذه صفته .

ساحب الشاهد وهذا البيت لأبي نواس ، وهو ليس بمن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده

الشارح مثالا للسألة ، ولهذا لم يقل كقوله . وبمده بيت ثان وهو :
(إِنَّمَا يَرْجُو الْحَيَاةَ فَقَى عَاشَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَيِّ)

و (أبو نواس) هو أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح
الحكمي ، بفتح الحاء والكاف ، نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة ، وهي قبيلة
كبيرة منها الجراح بن عبد الله الحكمي أمير خراسان ، وكان جد أبي نواس
من مواليه . وإنما قيل له : أبو نواس ، لذواتين كانتا له تنوسان على عاتقه .

والذؤابة بهزة بعد الدال المضمومة : الضفيرة من الشعر إذا كانت غير
ملوئية ، فإن كانت ملوئية فهي عقيصة ، والذؤابة أيضاً : طرف العمامة . وناس
ينوس ، إذا تدلى وتحرك . والعائق : ما بين المنكب والعنق ، وهو موضع الرداء .

وقيل : إن خلفا الأحمر كان له ولاء في اليمن ، وكان أميل الناس
إلى أبي نواس فقال له يوما : أنت من اليمن فتسكن باسم ملك من ملوكهم
الأذواء ! فاختار ذا نواس فكناه أبا نواس ، بحذف صدره ، وغلبت عليه .
ومولده بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل ست وثلاثين ومائة .

ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، وقيل سنة ست وقيل سنة ثمان .
ونشأ بالبصرة ثم خرج إلى الكوفة . وقيل بل ولد بالأهواز ، وقيل بكورة
من كور خوزستان سنة إحدى وأربعين ومائة . ونقل منها وعمره سنتان
إلى البصرة . وأمه أهوازية اسمها جُلبيان . وكان [أبوه] من أهل دمشق من
جند مروان الحمار ، انتقل إلى الأهواز للرباط فتزوجها .

وقدم أبو نواس ببغداد مع والبة بن الجباب الشاعر ، وبه تخرج . وعرض
القرآن على يعقوب الحضرمي . وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة ،
ومدح الخلفاء والوزراء . وكان في الشعر من الطبقة الأولى من المولدين .

قال أبو عبيدة : أبو نواس للحدثين مثل امرئ القيس المتقدمين ،
وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في الكل ؛ وما زال العلماء والأشراف يروون
شعره ويتفكّهون به ، ويفضّلونه على أشعار القدماء .

وقال أبو عمرو الشيباني : لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقدار — يعني
الخمور — لاحتججنا به ؛ لأنه كلن محكم القول لا يخطئ .

وديان شعره مختلف لاختلف جامعيه ، فإنه اعتنى بجمعه جماعة : منهم
أبو بكر الصولي ، وهو صغير . ومنهم علي بن حمزة الأصبّهاني ، وهو كبير
جداً . وكلاهما عندي ، والله الحمد على نعمه . ومنهم إبراهيم بن أحمد الطبري
المعروف بتوزون^(١) ولم أره إلى الآن .

وأشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون^(٢) :

٥٤ (على مثلها من أزعج وملاعب تَذالُ مَصُوناتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ)

على أنه لما أشد المصراع الأول عارضه شخص فقال : لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين . فأنحزل منه وترك الإنشاد ، لأن تقديم الخبر في مثله يوم
الدعاء باللعنة . وسمى ابن أبي الإصبع هذا النوع في تحرير التعبير التوليد
١٦٩ وقال : التوليد على ضربين : من الألفاظ ، ومن المعاني : فالتى من الألفاظ
هو أن يزوج المتكلم كلمة من لفظه إلى كلمة من غيره فيتولد بينهما كلام

(١) ط : « بتوزون » بالراء المهملة ، صوابه في سواين خلكان وبغية الوعاة وكشف
الظنون . قالوا إنه أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وربع فيه ، وإنه كان صحيح النقل جيد
الخط وال ضبط ، ولم يصنف شيئاً غير جمه شعر أبي نواس . وكان يسكن بغداد ، وتولى
سنة ٣٥٥ . وجعله البغدادي في التاريخ ٦ : ١٧ « بتوزون » .

(٢) ديوان أبي تمام م ٤٠ ومحرر التعبير ٤٩٥ .

يناقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية ، وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل
المؤتلفة ، ومثاله ما حكى أن مُصْعَب بن الزبير وَصَمَّ خَيْلَهُ بِلَفْظَةِ «عُدَّة»
فلما قتل وصارت إلى العراق رآها الْحَجَّاجُ فَوَسَمَ بَعْدَ لَفْظَةِ «عُدَّة» لَفْظَةَ
«الْفِرَارِ»^(١) فتولّد بين اللفظتين غَيْرُ ما أَرَادَهُ مُصْعَبُ . ومن توليد الألفاظ
توليدُ المعنى من تزويج الجمل المفيدة ، ومن لطيف التوليد قول بعض المعجم :

كَأَنَّ عِذَارَهُ فِي الْخِدَّةِ لَامٌ وَمَبْسَمُهُ الشَّهَى الطَّمْ صَادٌ
وُطْرَةَ شَعْرِهِ لَيْلٌ بِهِمٌ فَلَا عَجَبٌ إِذَا سُرِقَ الرَّقَادُ
فإنّ هذا الشاعر ولّد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الغم بالصاد لفظة
«لص» ، وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر «سرقعة النوم» ، فجعل
في هذا البيت توليدا وإدماجا . وهذا من أغرب ما سمعتُ .

ومثاله ما حكى أن أبا تمام أنشد أبا ذُلف :

* على مثلها من أربع وملاعب *

فقال بعض من أراد نُكْتَةً^(٢) : «لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» ،
فولّد من الكلامين كلاماً يناقِ غرض أبي تمام من وجيهين : أحدهما خروج
الكلام عن التشييب إلى الهجاء بسبب ما انضمَّ إليه من الدعاء . والثاني خروج
الكلام عن أن يكون بيتاً من شعر إلى أن صار قطعة من نثر . ومن هذا
الضرب قول الشاعر :

(١) - «الفرار» بالتين المعجمة وتشديد الراء ، تحريف صوابه في ط
وتحريك التحجير .

(٢) كتب إزاءها في - : «نكايته» وفي ط ، - : «نكته» ، وأثبت
ما في تحجير التحجير .

أَلَوْمُ زِيَادًا فِي رَكَازِ عَقْلِهِ وَفِي قَوْلِهِ «أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ»^(١)
 وَهَلْ يُحَسِّنُ التَّهْذِيبُ مِنْكَ خِلَاقًا أَرْقَى مِنَ الْمَاءِ الزُّلَالِ وَأَطْيَبُ
 تَكَلَّمَ وَالنُّعْمَانُ شَمْسُ سَمَائِهِ وَكَلَّ مَلِكٌ عِنْدَ نُعْمَانَ كَوَكَبُ
 «وَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاهُ شَخْصَكَ مَرَّةً لَأَبْصَرَ مِنْهُ شَمْسَهُ وَهِيَ غَيْهَبُ»

فإن هذا الشاعر زوّج مدح ممدوحه بتهديب الأخلاق إلى قول النابغة :
 «أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ» ، فتولّد بين الكلامين ما ينافي غرض النابغة ، حيث
 أخرج الشاعر كلامه مُخْرَجَ المنكير على النابغة ذلك الاستفهام ؛ وأوضح
 مناقضته للنابغة ببيته الثاني وهو قوله : «وَهَلْ يُحَسِّنُ التَّهْذِيبُ .. الْبَيْتَ» .
 وزوّج قوله في عجز البيت الثالث : «وَكَلَّ مَلِكٌ عِنْدَ نُعْمَانَ كَوَكَبُ» إلى
 قول النابغة : «تَكَلَّمَ وَالنُّعْمَانُ شَمْسُ سَمَائِهِ .. الْبَيْتَ» فتولّد بين الكلامين قوله :
 «وَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاهُ شَخْصَكَ مَرَّةً لَأَبْصَرَ مِنْهُ شَمْسَهُ وَهِيَ غَيْهَبُ»

وأما الضرب (الثاني) وهو ما تولّد من المعاني ، كقول القطامي :
 قَدْ يُدْرِكُ الْمُنَاتَى بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ
 فَقَالَ مَنْ بَعْدَهُ^(٢) :

عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ إِنْ التَّخَلُّقُ يَأْتِي دُونَهُ ائْتِلُفُ

- (١) زياد ، هو النابغة الذبياني ، واسمه زياد بن معاوية . وهو إشارة إلى قوله :
 وَلَسْتُ بِمُسْتَقْبَى أَخَا لَا تَعْلَهُ هَلِي شَعْتُ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبِ
 (٢) وكذا في تحرير التعبير ٤٩٦ ولا بأس به ، وصححت في ٥٥ : «يعني النابغة» .
 (٣) اليميني : «هو سالم بن وابصة الأسدي . الكامل ٩ وشرح شواهد المفتي
 ١٤٣ . ولكنه لم يكن بمد القطامي بمعنى من المعاني . فقد ذكره الطبري في الصحابة
 وخولف ، غير أنه لا شك في أنه في الطبقة الأولى من التابعين ، مدح عبد الملك .
 الإصابة . والقطامي كان ابن أخت الأخطل ، فهما معاصران .

فمضى صدر هذا البيت معنى بيت القطامي بكأله ؛ ومعنى عجز البيت مولد بينهما ، وهو قوله :

• إن النخلق يأتى دونه الخلق •

والقطامي أخذ مناه من عدي بن زيد العبادي حيث قال .
 قد يدرك المبطل من حظه والخير قد يسبق جهد الحريص
 وعدي نظر إلى قول جمانة الجعفي :
 ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر في استعجاله ما يبادر
 ومن التوليد توليد بديع من بديع ، كقول أبي تمام :
 لها منظر قيد النواظر ، لم يزل يروح ويفدو في خفارته الحب^(١)
 فإنه ولد قوله « قيد النواظر » من قول امرئ القيس : « قيد الأوابد »
 لأن هذه اللفظة التي هي « قيد » انتقلت بإضافتها من الطرد إلى النسب ،
 فكان النسب تولد من الطرد . وتناول اللفظ المفرد لا يعد سرقة .
 وإنما سقنا هذا الفصل برؤيته لغرابته ، وقلما يوجد في موضع آخر .

وقول أبي تمام (على مثلها من أربع) ضمير مثلها مفسر بالتمييز المجرور
 بمن ؛ والأكثر أن يكون التمييز مفسراً لضمير نم وبئس ورب . قال ابن هشام
 في المغني : والزحشرى يفسر الضمير بالتمييز في غير بابي نم ورب ، وذلك
 أنه قال في : « فسواهن سبع سموات » : الضمير في فسواهن ضمير مبهم ،
 وسبع سموات تفسيره ، كقولهم ربة رجلاً ؛ ولولا تشبيهه بربة رجلاً لحل
 على البدل . و (الأربع) جمع ربيع بالفتح ، وهو محلة القوم ومنزلهم

(١) في تحرير التحرير : « له » تحريف . وانظر ديوانه ٣٠ . وقوله :
 كواعب أتراب لفناء أصبحت وليس لها في الحسن شكل ولا نوب

و (الملاعب) : جمع مَلْعَب وهو موضع اللعب . و (تُدال) : مبنى للمجهول ، مضارع أذاله بمعنى أهانه ، وهو متعدى ذال الشئ ذيلاً : هان . والنايت في نسخ ديوانه وشروحه (أذيلت) . و (المصونات) : من الصون وهو خلاف الابتذال . و (السواكب) : المنصبة ، فإن سكب يأتي لازماً ، يقال سكب الماء سكباً وسكوباً انصب ؛ ويأتي متعدياً ، يقال سكب زيد الماء . قال الإمام أبو بكر بن يحيى الصولي في شرحه : قد أنكر بعضهم « مصونات الدموع السواكب » وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مصون ! وإنما أراد أبو تمام : أذيلت مصونات الدموع التي هي الآن سواكب . ثم قوله : أذيلت بمعنى صُبت صباً سائلاً حتى يصير لها ذيل ، ليس بجيد ، فإن معنى البيت أهينت الدموع الفزيرة بسكبها على مثل هذه المنازل ؛ نخلوها من الجباب .

وهذا البيت مطلع قصيدة مدح بها أبا دُلف القاسم بن عيسى العجلي ، وبعده :

(أقول لقرحانٍ من البين لم يجد
أعني أفرق شمل دمي فإني
رئيس الهوى بين الحشا والترائب
أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب)
إلى أن قال :

(إذا العيسُ لاقَتْني أبادُلفُ فقد
هناك تلقى الجود حيث تقطعت
تقطع ما بيني وبين النوايب
تمامه والمجد مرخي الذوايب
تسكاد عطاياه يُجنُّ جنونها
إذا لم يعوِّذها بنعمة طالب^(١))

قال الإمام المرزوقي في شرح ديوانه : « القرحان » أصله : الذي لم يصبه

(١) في النسختين : « بنعمة طالب » ، صوابه في الديوان ٤١ .

الْجَدْرَى ، واستعاره هنا لمن لم يمتحن بالنوى ، ولم يدخل في إيسار الهوى . ١٧١
قال في الصحاح : « رَسُّ الْحَمَى وَرَسِيْسُهَا : أَوَّلُ مَسْئَةٍ » . وقوله : أَعْنَى
أَفَرَّقَ .. البيت ، قال الصولى : أى لا أرى شملهم مجتمعاً بالرجوع إليها ،
يقول : قد اجتمع دمعى ؛ لأننى لم أبك حتى رأيت منازلهم ، فأَعْنَى بوقفه ثُمَّ (١)
مَعى ، حتى أَبْكِيَهُمْ فَأَسْتَرِيح . وقوله : إذا العيس لاقت بى .. البيت ، يقول :
إذا أقدستنى الإبلُ إليه انقطعت الأسباب بينى وبين النواشب ، أى لم يبق
لها سبيل على . وقوله : هنالك تلقى الجود .. البيت ، قال الصولى : يقال :
تَقَطَّعَتْ نَمَائِمُ فُلَانٍ فِي بَنَى فُلَانٍ : إذا تَرَبَّى ونشأ فيهم ؛ وأراد : أن المجد
كالآمن فيهم أن يتحول إلى غيرهم ، فيكون قد أحاط به الشرف من كل
جانب . ويزوى (وافى الذوائب) . وقوله : (تكاد عطاياه) .. البيت ، قال
الإمام المروزقى : يقول : قد تعودَ هذا الرجل تفريقَ ماله بالصلات ، وتبديده
بالعطيات ، حتى تقرب عطاياه — لو أمسك يوماً — من أن يجنَّ إن لم يعلق
عليها عودَها من نَمِّ الطَّالِبِ والزَّوَارِ (٢) . وقوله : يجنَّ جنونها ، إنما يريد :
يجنَّ صحنها ، أى يصير بدلَ صحنها جنون ؛ لكنه ممهاها بما يؤول إليه ،
كما يقال خرجت خوارجه ؛ وكذلك عطاياه أى أمواله التى تصير عطاياه ،
فسماه بما يؤول إليه .

وقال الصولى : مما أنكر أبو العباس بن المعتز من ردى طباقه قوله :
تكاد عطاياه .. البيت ؛ وفيه استعارة فقال : ولم يجنَّ جنون عطاياه انتظاراً
للطلب ، بل يبدأ بالعطاء ويستريح . وفيه قبحٌ « لم يعوِّذها بنعمة طالب » :

(١) كلمة « ثم » ساقطة من ط .

(٢) فى النسختين : « من نَمِّ الطالِب والزوار » .

يعطيهما لغير طالب . وفي هذا^(١) الاعتراض نظر ، فإن مراده : أنه أغنى الناس فلم يبق طالب إلا نادراً ، فإذا أبطأ طالب المعروف جُنت عطاياه شوقاً إليه . فتأمل .

ومنها ، وهو مما يستجد :

(يرى أقبح الأشياء أوبة آملٍ كنهه يدُ المأمول حلة خائبِ
وأحسن من نور يفتح الندى بياض العطايا في سواد المطالب
إذا أُلجّت يوماً لجيمٌ وحوها بنو الحصن نجل المحصنات النعائب
فإن المنايا والصوارم والقنا أقاربهم في الروع دون الأقارب
جحافل لا يتركن ذا جبرية سلباً ولا يجرئن من لم يُحارب
يمدون من أيدي عواصٍ عواصم وصول بأسياف قواضٍ قواضبِ)

ولجيم بالتصغير : أبو عجل جد أبي ذئف . والحصن هو ثعلبة بن عكابة ؛
وبنو الحصن أعمامه .

(إذا افتخرت يوماً تيمم بقوسها فخاراً على ما وطدت من مناقبِ
فأنتم بذى قارٍ أملت سيوفكم عروش الذين استروهنوا قوس حاجبِ)
قال الإمام المروزقي : يعنى بالقوس قوس حاجب بن زُرارة ، رهنها عند
كسرى . وكان السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان دعا على
مُضر وقال : « اللهم اشد وطأتك على مُضر ، وابث عليهم سنين كسنى
يوسف » . فتوالت الجدوبة عليهم سبع سنين . فلما رأى حاجبُ الجهد على
قومه جمع بنى زُرارة^(٢) . وقال : إني أزمعت على أتى آتِي الملك — يعنى

(١) ط : « هذه » ، صوابه في س .

(٢) ط : « فزاره » ، صوابه في س مع أثر تصحيح .

كسرى — فأطلب أن يأذنَ لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يبحوا .
 فقالوا : رُشدت فافعل ! غير أننا نخاف عليك بكر بن وائل . فقال : ما منهم
 وجهٌ إلا ولى عنده يد ، إلا ابن الطويلة التيمى ، وسأداويه ^(١) . ثم ارتحل ،
 فلم يزل ينتقل في الإنحاف والبر من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ^{١٧٢}
 ابنُ الطويلة ، فنزله ليلاً ، فلما أضاء الفجر دعا بنطع ، ثم أمر فُصِبَ عليه التمر ،
 ثم نادى : حَيَّ عَلَى النَّدَاءِ ! فنظر ابن الطويلة فإذا هو بحاجب ؛ فقال لأهل
 المجلس : أجيئوه . وأهدى إليه جُزْراً ، ثم ارتحل ، فلما بلغ كسرى شكاً إليه
 الجهد في أموالهم وأنفسهم ، وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حدِّ بلاده .
 فقال : أأنتم مشرَّ العرب عُذْر ^(٢) ، فإذا أذنتُ لهم عاثوا في الرعية وأغاروا .
 قال حاجب : إني ضامنٌ للملك أن لا يفعلوا . قال : فن لي بأن تقي أنت ؟
 قال : أرهنتك قوسى ! فلما جاء بها ضحك من حوله ، فقال الملك : ما كان
 ليُسَلِّها ، اقْبِضوها منه . . . ثم جاءت مضراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد
 موت حاجب فدعا لهم ، فخرج أصحابه إلى بلادهم ، وارتحل عطارد بن حاجب
 إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال : ما أنت بالذى وضعتها . قال : أجل
 إنه هلك وأنا ابنه وفى للملك . قال : ردُّوا عليه . وكساه حُلَّةً . فلما وفد
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها ؛ فباعها من يهودى بأربعة
 آلاف درهم . فصار ذلك فخراً ومنقبةً لحاجب وعشيرته . فيقول أبو تمام :
 إذا اقتخرت تميم بذلك ، فأنتم قتلتم الذين كسبهم هذا المجد مما ارتهنوه
 وهدمتهم عزَّهم . وإنما يعنى وقعة ذى قار حين قتلت بنو شيبان العجم

(١) في النقاض ٤٦٢ : « وسأداويه » .

(٢) في الإصابة ٤ : ٢٤٥ : « أهل عُذْر » .

ونكّلوا فيهم^(١) وكان رئيسهم سيّار بن خنظلة العجلي . وأبو دلف عجلي ،
فلذلك خاطبه بهذا « اهـ .

وقد لمّح بعضهم إلى قوس (حاجب) بقوله في مليح قلندري^(٢)
قد حلق حاجبه ، فقال :

حبيبي ، بحق الله قل لي ما الذي دعاك إلى هذا ؟ فقال مجاوي :
وعدتُ بوصلي العاشقين تمطفاً فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبي^(٣)
ولما أنشد أبو تمام أبا دلف هذه القصيدة استحسناها وأعطاه خمسين ألف
درهم وقال : والله ، إنها لدون شعرك . ثم قال له : والله ما مثلُ هذا القول
في الحسن إلّا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسي . فقال : وأيّ ذلك أراد
الأمير ؟ قال : الرائية التي أولها :

كندا فليجلّ الخطب وليفدح الأمرُ وليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عُذرُ
وددت والله أنها لك في ! قال : بل أفدى الأمير بنفسى وأكون المقدم
قبله . فقال : إنه لم يمت من رثى بهذا الشعر .

أبو تمام الطائي (أبو تمام) الطائي هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج
ابن يحيى بن مروان بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن عمرو
ابن الغوث^(٤) بن طي .

(١) ط : « ونكّلوا فيهم » .

(٢) القلندرية : طائفة من الصوفية كانوا يخلقون لحام وحواجيم وشواربهم
ويتبرّون زى الأعاجم والمجوس .

انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٠ وتاريخ ابن كثير ١٤ : ٢٧٤ . ويسمهم ابن بطوطة
« الفرندرية » .

(٣) ط : « بوصل الماشقين » .

(٤) ط : « بنوث » ، صوابه في سه واضحا .

وُلِدَ في «جاسم» بالجيم والسين المهملة ، وهي قرية من قرى الجيدور
بفتح الجيم وسكون المثناة النحتية ، وهو إقليم من دمشق ، في آخر خلافة
الرشيد سنة تسعين ومائة ، وقيل غير ذلك . ونشأ بمصر واشتغل إلى أن صار
أوحد عصره . كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع
والقصائد . وله (كتاب الحماسة) الذي دل على غزارة علمه وكال فضله وإتقان
معرفته ، بحسن اختياره . وهو في جمعه للحماسة أشعر منه في شعره . وله كتاب
(مختار أشعار القبائل) ، وهو دون الحماسة ، وكلاهما عندي .

ومات سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين ؛ وقيل غير هذا .

وكان شعره غير مرتب ؛ فرتبه الصوليّ على الحروف ، ثم رتبه على
ابن حمزة الأصفهاني^(١) على أنواع الشعر . وترجمته طويلة تركها لشهرتها . ١٧٣

وأشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون ، وهو من شواهد س^(٢) :

٥٥ * ولقد أمرتُ على اللّيمِ يَسْتَبِي فمضيتُ نمتَ قلتُ لا يَمْنِي *
على أن التعريف غير مقصود قصده ؛ فإنّ تعريف (آل) الجنسية لفظي
لا يفيد التعيين وإن كان في اللفظ معرفة .

وقد أورد الشارح هذا البيت في الحال ، والإضافة ، والنعت ،
والموصوف ، والمعرف بآل أيضاً . وجملة (يستبي) وصف اللّيم في المعنى ،
وحال منه باعتبار اللفظ ؛ والأوّل أظهر للمقصود ، وهو التمدح بالوقار

(١) الميني : « غلط ، صوابه أن علي بن حمزة بصرى . وحمزة بن الحسن
أصفهاني » .

(٢) سيبويه ١ : ٤١٦ . وانظر الميني ٤ : ٥٨ والمص ١ : ٢/٩ : ١٤٠ وابن
الشرى ٢ : ٢٠٣ والخصائص ٣ : ٣٣٠ ، ٣٣٢ .

والتَحَمُّلُ^(١) ، لأن المعنى : أمرٌ على اللّثيم الذى عادته سبى . ولا شك أنه لم يرد كل لثيم ، ولا لثيماً معيناً . والواو للقسمة ، و (لقد أمر) جوابه ، والمقسم به محذوف ، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية — كما فى الخصائص لابن جنى — أو للاستمرار التجددى . و (مضيت) معطوف على أمرٌ ، بمعنى أمضى ؛ وعبر به للدلالة على تحقق إعراضه عنه . وقوله : (كُنت) هى ثمّ العاطفة ؛ وإذا كانت مع التاء اختصت بمطف الجمل . وقوله (لا يعنينى) أى لا يهمنى أو بمعنى لا يقصدنى . وروى بدل هذا المصراع : « وأعف ثم أقول ما يعنينى » يقال : عَفَّ عن الشيء من باب ضرب ، عَفَّةً وعَفافاً : امتنع .

صاحب الشاهد وهذا البيت أول بيتين لرجل من بنى سُلُول . ثانيهما :

(غَضْبَانٌ مَمْتَنًّا عَلَى إِهَابِهِ إِنِّى وَحَقُّكَ سُخْطُهُ يُرْضِينِى)

وغضبانٌ بالنصب : حال من اللّثيم ، أو بالرفع : خبر مبتدأ محذوف . وممتنّاً : حال سببية من ضمير غضبان . وإهابه : فاعل ممتنّاً ؛ وهو فى الأصل الجلد الذى لم يُدْبَغْ ، وقد استعير هنا لجلد الإنسان . والسُّخْطُ بالضم : اسم مصدر ، والمصدر بفتحيتين بمعنى الغضب ؛ والفعل من باب تعب .

وروى الأصمى بيتين فى هذا المعنى ، وهما :

لَا يَفْضُبُ الْحُرُّ عَلَى سِفْلَةٍ وَالْحُرُّ لَا يُفْضِبه النَّدْلُ
إِذَا لَثِمْتُ سَبْنَى جَهْدَهُ أَقُولُ زِدْنِى قَلَى الْفَضْلِ

وأنشد سيبويه البيت الشاهد ، على أن (أمرٌ) قد وضع موضع مررت ؛ وجاز أمرٌ فى معنى مررت ، لأنه لم يرد ماضياً منقطعاً ، وإنما أراد أن هذا

(١) كذا فى النسختين بالماء المهملة .

أمره ودأبه ، فجعله كالفعل الدائم . وقيل : معنى (ولقد أمر) : ربما أمر ،
فالفعل على هذا في موضعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون ، وهو من شواهد س^(١) :

٥٦ * قد أصبحت أم الخير تدعى على ذنباً كله لم أصنع *

على أن الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر يجوز حذفه قياساً عند
الفرّاء إذا كان منصوباً مفعولاً به . والمبتدأ : لفظ كل . نقل الصفار أنه
مذهب الكسائي أيضاً . وقد نقل ابن مالك في التسهيل الإجماع على جواز
ذلك ؛ وزاد على (كل) ما أشبهها في العموم والافتقار : من موصول وغيره ،
نحو : أيهم يأتني أعطى ، ونحو : رجل يدعو إلى الخير أجيب ، أى أعطيه
وأجيبه . وقال شراح كلامه : لم تر هذا الإجماع ، بل منعه البصريون .
وأما نقله في شبه (كل) فقد قال أبو حيان : لا أعلم له سلفاً في ذلك .

أقول : الصحيح جوازه بقلة ، لوروده في المتواتر ، قرأ ابن عامر في سورة
الحديد فقط : « وكل وعد الله الحسنى » ، وأما في سورة النساء فقد قرأ مثل
الجماعة بالنصب .

وقال ابن جني في المحتسب : « لحذف هذا الضمير وجه من القياس ،
وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة ؛ وهو إلى الحال أقرب ؛ لأنها
ضرب من الخبر ؛ وهو في الصفة أمثل بشبه الصفة بالصلة . وفي حذفه من لم أصنع
ما يقوم مقامه ويخلفه ، لأنه يعاقبه ولا يجتمع معه ، وهو حرف الإطلاق

(١) سيويه ١ : ٤٤ ، ٦٤ ، ٦٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٦/٣٠ : ٩٠ . والهمع
١ : ٩٧ وابن التجرى ١ : ٨ ، ٩٣ ، ٣٢٦ والخصائص ١ : ٢/٢٩٢ : ٦١ .

أعنى الياء فى أصنعى ؛ فلما حضر ما يعاقب الماء صارت لذلك كأنها حاضرة « ١٠ » .

ومفهوم قول الفراء أن المبتدأ ، إذا لم يكن كلاً يمنع حذف العائد .
والصحيح فيه أيضاً الجواز بقلة فى الكلام والشعر ، أما الأول فقد قرأ يحيى وإبراهيم والسلمى فى الشواذ : « أُنْهَكُمُ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ » بالمشناة التحتية .
وأما الثانى فكثير ، منه قول الشاعر :

* فخالِدُ بِحَمْدُ ساداتنا *

أى بحمده ساداتنا .

واعلم أن الشارح المحقق أورد هذا الشاهد فى باب الاشتغال أيضاً وقال :
« يروى برفع كل ونصبه » . وكذلك رواها سيبويه . وقد أنكر عليه المبرد
رواية الرفع وقال : الذى رواه الجرمى وغيره من الرواة النصب فقط ، ومنع
هذه المسألة نظماً ونثراً .

قال ابن ولاد : س أيضاً رواه بالنصب ، وقال : إن النصب أكثر
وأعرف ، فأعنى هذا عن الاحتجاج عليه بقول الجرمى ، ألا ترى قوله
إن الرفع ضعيف وهو بمنزلة فى غير الشعر لأن النصب لا يكسر ، ولا يخل
به ترك إضمار الماء ، كأنه قال كله غير مصنوع . وقد روى أهل الكوفة
والبصرة هذه الشواهد رفعاً كما رواها س . ١٠ .

وظاهر كلام س أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه فسحة . وتقدم الكلام
عليها فى أول شاهد من هذه الشواهد ^(١) .

وزعم تقي الدين السبكي فى رسالة (كل) وفى تفسيره : أن رواية النصب

(١) انظر ما مضى فى ص ٣١ — ٣٤ .

تساوى رواية الرفع فى المعنى ؛ وذلك أنه قال : « لا فرق بين الرفع والنصب فى قول س : إن المعنى : كله غير مصنوع . وهذا يقتضى أن النصب أيضاً يفيد العموم ، وأنه لم يصنع شيئاً منه ، لما تقرر من دلالة العموم . وقد تأملت ذلك فوجدت قول س أصح من قول البيانين ، وأن المعنى حضره وغاب عنهم ؛ لأنه ابتداء فى اللفظ بكل ومعناها كل فرد ، فكان عاملها المتأخر فى معنى الخبر ، لأن السامع إذا سمع المفعول تشوّف إلى عامله كما يتشوّف سامع المبتدأ إلى الخبر ، وبه يتم الكلام ؛ فكان كله لم أصنع مرفوعاً ومنصوباً سواء فى المعنى ، وإن اختلفا فى الإعراب . ويبعد كل البعد أن يحمل كلام سيبويه على أن كله لم أصنع بالرفع والنصب معناه عدم صنع المجموع فيكون قد صنع بعضه ؛ لأن معنى الحديث على خلافه فى قوله : كل ذلك لم يكن . إلى آخر ما ذكره .

وقل الدمامينى بعض هذا الكلام فى الحاشية الهندية وقال : وكان ابن هشام لم يقف على كلام س فنقل تساوى المعنى فى الرفع والنصب عن الشلوين وابن مالك ؛ ولو وقف على كلام سيبويه لم ينقل عنهما .

وقد نقل الشيخ بهاء الدين كلام سيبويه فى عروس الأفراح وبينه ، تابعا لوالده السبكي .

ورواية الرفع عند علماء البيان هى الجيدة ؛ فإنها تفيد عموم السلب ، ورواية النصب ساقطة عن الاعتبار بل لا تصح ، فإنها تفيد سلب العموم ، وهو خلاف المقصود . وما ذكره السبكي لم يرجوا عليه ؛ وهو مفصل فى التلخيص وشروحه .

ورأيت للفاضل اليمنى على هذا البيت كلاماً أحببت إبراده ، وهو قوله :

« معنى هذا البيت أن هذه المرأة أصبحت تدعى على ذنباً ، وهو الشيب والصلع والمعجز وغير ذلك من موجبات الشيخوخة . ولم يقل ذنباً بل قال ذنباً ، لأن المراد كبير السن المشتل على كل عيب ، ولم أصنع شيئاً من ذلك الذنب . ولم ينصب كله ، لأنه لو نصبه مع تقدمه على ناصبه لأفاد تخصيص النفي بالكل ويعود دليلاً على أنه فعل بعض ذلك الذنب ؛ ومراده تنزيه نفسه عن كل جزء منه ، فلذلك رفعه إيذاناً منه بأنه لم يصنع شيئاً منه قط ، بل كله بجميع أجزائه غير مصنوع » .

ثم قال : « ولقائل أن يقول : لما كان الضمير في كله عائداً إلى ذنباً وهو نسكرة ، والنسكرة لواحد غير معين ، لا بد أن يكون المضر هو ذلك الذنب الذي ليس بمعين فقط لإعادة الضمير به ، فلا يكون نفيه نفيّاً لجميع الذنوب ، فلا يلزم ما ذكره من تنزيه نفسه من جملة الذنوب . لا يقال إن الضمير لما كان عبارة عن النسكرة المذكورة ، ودخول النفي عليها يقتضى العموم ، فدخول النفي عليه أيضاً يقتضى ذلك ؛ لأننا نقول : إن الفرق ظاهر بين قولنا : لم أصنع ذنباً ، وبين قولنا : لم أصنع ذلك الذنب المذكور الذي ليس بمعين ، في اقتضاء الأول العموم دون الثاني » اهـ .

وقوله : « ولقائل أن يقول إلخ » فيه أنه قال أولاً : إن ذنب الشيخوخة يستلزم ثبوته جميع الذنوب . وحينئذ نفي جميع الذنوب . وقوله : « والنسكرة لواحد غير معين » فيه أنه حمل الذنب سابقاً على كبير السن المشتل على كل عيب . فالمراد به معين ، وأفاد أن كلاً حينئذ لاستغراق أجزاء هذا الذنب المعين . فإن رفع كل أفاد استغراق جميع أجزاء ذلك الذنب ، وإن نصب كل أفاد سلب العموم لجميع الأجزاء واقتضى ثبوت بعض الأجزاء . فهذا البحث غير وارد . فتأمل .

وبهذا يسقط قوله بعد هذا : « ثم تقول : فتكون القضية حينئذ شخصية ؛
والتقدير : كل ذلك الذنب غير مصنوع لى . وإنما يكون ذلك إذا كان هنالك
ذنب ذو أجزاء يمكن الاتصاف ببعضه دون بعض . وعلى هذا إما أن يكون
المراد بالكل الكل المجموعى وهو الغالب الظاهر من دخوله فى الشخصيات ،
فلا تفاوت فى تقدم السلب عليه وتقديمه على السلب فى عدم اقتضاء شمول
النفى جميع الأجزاء ؛ أو يكون المراد كل واحد من الأجزاء كما يستعمل
فى الكلّى باعتبار الجزئيات فقد يظهر الفرق بينهما ؛ فإنك إن رفعت كلاً
لزم عموم النفى لجميع الأجزاء وإن نصبتها لا يلزم ، مع أن الاستعمال على هذا
الوجه فى الشخصى قليل ، فإنه لا يلزم صدق ما ذكره من تبرئة نفسه
من جملة أجزاء ذلك الذنب الواحد ، اهـ .

وقال ابن خلف : قوله (كلاً لم أصنع) يحتمل أمرين : أحدهما أنه أراد
أنه لم يصنع جميعها ولا شيئاً منها ، والوجه الآخر : أنه صنع بعضها ولم يصنع
جميعها ، كما تقول لمن يدعى عليك أشياء لم تفعل جميعها : ما فعلتُ جميع
ما ذكرتُ ، بل فعلتُ بعضها . اهـ

أقول : احتماله لوجهين غير صحيح ؛ فإن كلاً منهما مدلول رواية يُعلم
وجهها مما تقدم . وقوله : أراد بقوله ذنباً ذنباً لكنه استعمل الواحد
فى موضع الجمع ؛ ليس كذلك ، كما علم من كلام الفاضل البنى .

وهذا البيت مطلع أرجوزة لأبى النجم المعلى . وبعده :

(مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَصْلَحِ مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزَعًا عَنْ قُنْزَعِ
جَذْبُ اللَّيَالِي : أَبْطَى أَوْ أَسْرَعَى قَرَنًا أَشْيَبِيهِ وَقَرَنًا فَاتَزَعَى
أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ : اطْلُعِي حَتَّى إِذَا وَارَاكِ أَفُقُ فَارْجَعِي)

حتى بدا بعد السخام الأفرع يمشى كمشى الأهدام المكنع
 يا ابنة عما ، لا تلوى واحجى لا يخرق اللوم حجاب مسمى
 ألم يكن يبيض إن لم يصلح إن لم يصبنى قبل ذاك مضرعى
 أفساه ما ألقى إداداً فاربعى وقوم عاد قبلهم وتبع
 لا تسميني منك لوماً واسمى أيهات أيهات فلا تطلعى
 هي المقادير ، فلولى أودعى لا تطمى فى فرقى لا تطمى^(١)
 ولا ترؤعينى^(٢) لا نروعى واستشعري اليأس ولا تفجعى
 فذاك خير لك من أن تهزعى فتحبسى وتشتى وتوجعى

وأم الخيلار هي زوجة أبي النجم . وقوله : من أن رأت الخ ، من تعليلية ؛
 وزعم القونوى فى شرح تلخيص المفتاح أنها بيانية ، ثم قال : « فإن قلت :
 كيف يبين الذنب برؤية أم الخيلار ، فإن الرؤية قائمة بها والذنب قائم به ؟
 قلت : أراد المرئى وأطلق عليه الرؤية للملاسة » . انتهى . والأصلع : هو الذى
 لم يكن شعر على رأسه ؛ وصلىح الرأس صلماً من باب تعب ؛ والأصلع يحدث
 للشايب إذا طعنوا فى السن ، قال ابن سينا : « ولا يحدث الصلع للنساء
 لكثرة رطوبتهن ، ولا للخصيان لقرب أمزجتهن من أمزجة النساء » . والتميز ؛
 المنزل ، وفصل شيء من شيء ، والتشديد للكثرة ، فإنه يقال مازة مبرزاً ؛
 ويكون فى المشتبهات . وضمير عنه للرأس . والقترع : كقنفذ ، والقترعة بضم
 الزاى وفتحها ؛ وهى الشعر حوآلى الرأس ، وأصلصلة من الشعر تترك على
 رأس الصبي ، أو هى ما ارتفع من الشعر وطال . وأما نهى النبي صلى الله عليه
 وسلم عن القنازع فهى أن يؤخذ الشعر ويترك منه مواضع ، كذا فى القاموس

(١) ط : « لا تطمى فى فرقى » ، والتصحيح للشنيطى فى نسخته .

(٢) ط : « ولا ترؤعين » ، صوابه فى .

وجعل النون أصلية . وعن بمعنى بعد . وجذب الليالى : فاعل مبرز ، قال في الصحاح : جذبَ الشهر : مضى عاقته . وقوله : أبطلنى أو أسرعى : حال من الليالى على تقدير القول أو كون الأمر بمعنى الخبر ، وصحَّت من المضاف إليه لأن المضاف عامل فيهما ، وقيل : صفة الليالى . ويجوز أن يكون منقطعاً ، أى اصنعى أيتها الليالى فلا أبالى بعد هذا . وقال القونوى : « وقد يجوز أن يكون استثناءً ، أمراً لأم الخيار ، على معنى أن حالى ما قررت لك فمعد ذلك أبطلنى أو أسرعى في قبول العذر فيه ، فلا يحصى لى عن ذلك . وهذا بديع » . انتهى .

وهذه غفلة عما بعده وهو : قرناً أشببه الخ ، فإنه خطاب لليالى . والقرن بفتح القاف : النخلة من الشعر ، ونصبه من باب الاشتغال ، والقرن الثانى مفعول لما بعده . وأشبيبه فعل أمر والياء ضمير الليالى ، يقال : أشاب الحزن رأسه وبرأسه بمعنى شتبه . وقوله : وانزعى : من التزع بفتحيتين وهو انحصار الشعر عن جانبي الجبهة^(١) من الرأس ، وهو أنزع ، وذلك الموضع التزعرة محرّكة . وقوله : أفناه ، قيل الضمير لجذب ، وقيل لشعر رأسه ، وقيل لأبى النجم ، وهو المناسب لما بعده . وقيل الله : أمره ، وهو فاعل أفناه ، وهذا يدل على أن الشاعر لا يريد أن المميز هو جذب الليالى الذى هو ظاهر كلامه ، بل يريد أن المميز قول الله وأمره . وقوله : حتى بدا ، فاعله المستتر ضمير أبى النجم . والسُخام بضم السين وإخلاء المعجمة : اللين ، يقال ثوب سُخام : إذا كان لين المس مثل الخرز . وریش سُخام : أى لين رقيق . والأفرع بالفاء ، هو التام الشعر ، قال في الصحاح^(٢) : ولا يقال للرجل إذا كا

(١) ط : « الجهة » ، صوابه في س .

(٢) عن ابن دريد .

عظيم اللحية أو الجمة أفرع وإنما يقال رجل أفرع بضد الأصل . والأهدأ مهوز كجعفر : الأحذب . والتكفف : التقبض ، كنع كفرح : يبس وتشنج ، وشيخ كنع ككفف : شنج . وكنع كنع كنوعا : انقبض وانضم . يقول : يمشى أبو النجم بعد الشباب كما يمشى الأحذب المتقبض الكز من الكبير . وقوله : يا ابنة عما الخ ، استشهد به شراح الألفية على أن أصله : يا ابنة عمتي ، فأبدلت الياء ألفاً . وقاعل يبيض ضمير الرأس . وإياد بالكسر : حتى من معد . وقوله : فاربعى ، في الصحاح « ربع الرجل يربع بفتحهما : إذا وقف ونجس ، ومنه قولهم اربع على نفسك ، أى ارفق بنفسك وكف » . وأيهات أيهات . لغة في هيهات . وتطلعي بفتح التاء وتشديد اللام وأصله تتطلعي بناءين : من التطلع للشيء . وقوله : واستشعري ، يقال : استشعري خوفاً ، أى أضمره . واليأس : ضد الرجاء .

وترجمة أبي النجم تقدمت في الشاهد السابع^(١)

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون ، وهو من شواهد س^(٢) :

٥٧ * ثلاث كلهن قتلت عمداً فأخزى الله رابعة تمود *

لما تقدم في البيت قبله : وهو أنه حذف عائد المبتدأ الذي هو (كلهن) من جملة الخبر حذفاً قياسياً عند الفراء . قال الأعمش : « استشهد به س على رفع كل مع حذف الضمير من الفعل ، وجعله مثل زيد ضربت ؛ ولو نصب وقال^(٣) : كله لم أصنع ، وكلهن قتلت ، لأجراه على ما ينبغي ولم يحتاج

(١) ص ١٠٣ .

(٢) سيويه ١ : ٤٤ . وانظر أمالي ابن الشجري ١ : ٣٢٦ .

(٣) ط : « وقبل » ، صوابه في س .

إلى الرفع مع حذف الضمير . والقول عندى : أن الرفع هنا أقوى من زيد ضربت ، لأن (كَلَّا) لا يحسن حملها على الفعل ؛ لأن أصلها أن تأتي تابعة للاسم مؤكدة ، كقولك : ضربت القوم كلهم ، أو مبتدأة بعد كلام نحو : القوم كلهم ذاهب . فإن قلت : ضربت كل القوم ، وبنيتها على الفعل خرجت عن الأصل . فينبغي أن يكون الرفع أقوى من النصب وتكون الضرورة حذف الهاء لا رفع كل^(١) انتهى .

وتبعه في هذا ابن الحاجب في شرح المفصل ونقله عنه السعد في المطول . ونقل ابن الأنباري في الإنصاف^(٢) أن هذا البيت مما استدل به الكوفيون على جواز تأكيده النكرة ، قال : « ولا حجة لهم فيه ، لأنه محمول على أنه بدل لا تأكيد . ويجوز أن يكون أيضاً ثلاث مبتدأ ، وكلهن مبتدأ ثان ، وقتلت خبر كلهن ، وهما جميعاً خبر ثلاث » انتهى .

وقال أبو جعفر النحاس : « ولا يُنشد ثلاثاً بنصبه بقتلت ؛ لأن قوله : كلهن قتلت ، جملة في موضع نعت لثلاث . ومن رفع قدره : لى ثلاث ، ويكون كلهن قتلت نعماً . وإنما لم يجز أن يروى ثلاثاً لثلاث ينقدم النعت على المنعوت » انتهى .

أقول : من رفع وجعل الجملة بعده نعماً قدر لى ونحوه خبراً للمبتدأ . ١٧٨ وقوله « وإنما لم يجز أن يروى ثلاثاً . الخ » مراده : أنه إذا نصب ثلاث بقتلت كان ثلاثاً منعوتاً بجملة (كلهن قتلت) ، فيكون قتلت من أجزاء

(١) لم يذكر الشنمري هذا الكلام عند هذا الشاهد ، وإنما ذكر مثله عند تفسير الشاهد السابق .

(٢) لم أجد هذا الشاهد في كتاب الإنصاف ، على كثرة التتقيب فيه ، فلعل نسخة البغدادى آتمة من النسخ المطبوعة .

النعت لثلاثاً ، لأنه بعض الجملة المنعوت بها ، ومع كونه من أجزاء النعت هو عامل في المنعوت المتقدم ؛ فيكون المنعوت متأخراً في الرتبة ، فيلزم تقديم النعت على المنعوت من حيث الرتبة . وهذا كلامٌ مخالف للقواعد لا ينبغي تسطيره من مثله .

وقتل ابن خلف عن أبي علي : أن ثلاث مبتدأ ، وكلهن قنلت خبر ، كأنه في تقدير : زيد أخاه ضربته . وفيه نظر ؛ فإن الشاهد ليس من باب الاشتغال لعدم الضمير . فتأمل .

واعلم أن الضمير المحذوف من الشاهد تقديره (قتلها) لأن كلاً المضافة إلى المعرفة يكون عائداً مفرداً ، قال تعالى : « وَكُلُّهُمْ آتِيهِ » ، وفي الحديث : « كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ » ، وقال الشاعر ^(١) :

وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شُبْعاً لَبِطْنَهُ وَشُبْعُ الْقَتَى لَوْمْ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ
وقال آخر ^(٢) :

وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ فَعِيلٍ كَأَنَّ عَلِيَّاً لِلْحُبَشَانِ دَيْنَا

قال أبو حيان : ولا يكاد يوجد في لسان العرب كلهم يقومون ، ولا كلهن قائمات ؛ وإن كان موجوداً في تمثيل كثير من النحاة . قال الشبكي ، في رسالة كل : « وقد طلبته فلم أجده . وجوز ابن مالك وغيره أن يحمل على المعنى فيجمع ، وجعلوا منه : أنتم كلكم بينكم درهم ، قالوا : يجوز كلكم بينه درهم على اللفظ ، وبينكم على المعنى ، وإن جعل كلكم توكيداً جوز بعضهم أيضاً ^(٣) أن يقول بينه ، والمشهور بينكم » انتهى .

(١) هو جتر بن الخيرة ، كما في الحاشية ٢٦٥ بفتح المرزوي .

(٢) هو نقيش بن حبيب ، كما في السيرة ٣٦ والروض الأتف ١ : ٤٦ .

(٣) كلمة أيضاً ساقطة من ط .

وقدّر الضمير هنا بعضهم (قتلتهن) ، وكأنه بناء على مذهب ابن مالك . وقدره ابن خلف تقلا عن بعضهم : (قتلته) أو (قتلهم) . ولا أعرف وجهه .

وقوله : (فأخزى الله) هذه جملة دعائية ، يقال : خزى الرجل خزياً ، من باب علم : ذلّ وهان ؛ وأخزاه الله : أذلّه وأهانّه . و (تعود) من العود وهو الرجوع ، قال صاحب المصباح : « عاد إلى كذا وعادله أيضاً عوداً وعودة : صار إليه » ، فالصلة هنا محذوفة أى تعود إلى . قال ابن خلف : « يجوز أن يريد بالثلاث ثلاث نسوة تزوجهنّ ، ويجوز أن يريد ثلاث نسوة هوّيتهنّ فقتلتهنّ هواه ؛ أو معنى غير ذلك مما يحتمله المعنى ؛ وجعل مجيء الرابعة عوداً — وإن لم تكن جاءت قبل — لأنه جعل فعل صواحبا الماضيات كأنه فعلها » . انتهى .

وقال شارح أبيات الموشح^(١) : ويروى : (تقود) من القود ، وهو القصاص .

الكتاب لسيبويه

وهذا البيت — وإن كان من شواهدس — لا يُعرف ما قبله ولا ما بعده ولا قائله ، فإن سيبويه إذا استشهد بيت لم يذكر ناظمه . وأما الأبيات المنسوبة في كتابه إلى قائلها فالنسبة حادثة بعده ، اعتنى بنسبتها أبو عمر الجرمي . قال الجرمي : « نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً ، فأما ألف فعرفتُ أسماء قائلها فأثبتها ؛ وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائلها » . وإنما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعض الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لا يعرف قائله ، لأنه قدّم المهد به ؛ وفي كتابه

(١) الموشح الخميمي ، وهو شرح له على كافية ابن الحاجب .

شيء مما يروى لشاعرين ؛ فاعتمد على شيوخه ونسب الإلشاد إليهم ، فيقول :
 أنشدنا ، يعنى الخليل ، ويقول : أنشدنا يونس ؛ وكذلك يفعل فيها بحكيه
 عن أبي الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وربما قال : « أنشدنى أعرابى فصيح » .
 وزعم بعض الذين ينظرون في الشعر أن في كتابه أبياتاً لا تعرف ، فيقال له :
 لسا ننكر أن تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك ^(١) وقد خرج كتاب
 سيبويه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة ، ونظر فيه
 وفنّس ؛ فما طعن أحد من المتقدمين [عليه ^(٢)] ولا ادّعى أنه أتى بشعر منكر . ١٧٩
 وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبه لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها
 ولا ردّوا حرفاً منها ^(٣) .

قال أبو إسحاق : إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم
 الناس باللغة . قال أبو جعفر النحاس : وحدثنا على بن سليمان قال : حدثنا
 محمد بن يزيد : أن المفتشين من أهل العربية ومن له المعرفة باللغة تتبّعوا على
 سيبويه الأمثلة ، فلم يجدوه ترك من كلام العرب إلا ثلاثة أمثلة : منها الهنديع
 وهى بقلة ، والذرّداقِس وهو عظم في القفا ، وشمّنصير وهو اسم أرض .

وقد فسّر الأصمى حروفاً من اللغة التي في كتابه ، وفسر الجرمي الأبنية ،
 وفسرها أبو حاتم وأحمد بن يحيى . وكل واحد منهم يقول ما عنده فيما يعلمه ،
 ويقف عما لا علم له به ، ولا يطمئن على ما لا يعرفه ، ويعترف لسيبويه في اللغة
 بالثقة وأنه علم ما لم يعلموا ، وروى ما لم يرووا .

(١) المأثرة التالية ، سبقت لبغدادى في مقدمته من ١٦ — ١٧ .

(٢) نسخة ليست في النسخين .

(٣) ٧٠ : « ولا رووا حرفاً منها » ، صوابه في ط وما سبق في ص ١٧ .

قال أبو جعفر^(١) : لم يزل أهل العربية يفضلون كتاب سيبويه ، حتى لقد قال محمد بن يزيد : لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ، وذلك : أن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها ، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره . وقال أبو جعفر : سمعت أبا بكر بن شقير يقول : حدثني أبو جعفر الطبري قال : سمعت الجرمي يقول هذا ١ وأوماً بيديه إلى أذنيه ؛ وذلك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث ، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث إذ كان كتاب سيبويه يُتعلّم منه النظر والتفتيش^(٢) . قال أبو جعفر : وقد حكى بعض النحويين أن الكسائي قرأ على الأخفش كتاب سيبويه ودفع إليه مائتي دينار . وحكى أحمد بن جعفر^(٣) : أن كتاب سيبويه وجد بمضه تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها . وكان المبرد يقول — إذا أراد مُريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه — : هل ركب البحر؟ تعظيماً لما فيه ، واستصعاباً للأفاظه ومعانيه . وقال المازني : من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي مما أقدم عليه . وقال أيضاً : ما أخلو في كل زمن من أعجوبة في كتاب سيبويه ، ولهذا سُمّاه الناس قرآن النحو . وقال ابن كيسان : نظرنا في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقّه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح ، لأنه كتاب ألف في زمان كان أهله يألّفون مثل هذه الألفاظ ، فاختصر على مذاهبهم

(١) أبو جعفر هذا هو أحمد بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بابن النحاس النحوي المصري . انظر كتاب سيبويه ١ : ٤ بتحقيق .

(٢) وأما أبو جعفر هذا فهو محمد بن رستم الطبري . يروى عن المازني والسجستاني والجرمي . له ذكر في مجالس العلماء للزجاجي ٦٣ ، ٦٥ ، ٣٥٣ وأما الزجاجي ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٢٨ .

(٣) في النسختين : « التفتيش » ، صوابه من كتاب سيبويه ص ٦ بتحقيق .

(٣) انظر حواشي سيبويه ١ : ٦ بتحقيق .

قال أبو جعفر : ورأيت عليّ بن سليمان يذهب إلى غير ما قال ابن كيسان ، قال : عمل سيبويه كتابه على لغة العرب وخطبها وبلاغتها ؛ فجعل فيه بيتاً مشروحاً ، وجعل فيه مشتبهاً ، ليكون لمن استنبط ونظرَ فضلٌ . وعلى هذا خاطبهم الله عز وجل بالقرآن .

قال أبو جعفر : وهذا الذي قاله عليّ بن سليمان حسن ، لأن بهذا يشرف قدر العالم وتفضل منزلته ، إذ كان يُنال العلم بالفكرة واستنباط المعرفة ؛ ولو كان كله بيتاً لاستوى في علمه جميع من سمعه ، فيبطل التفاضل ؛ ولكن يستخرج منه الشيء بالتدبر ، ولذلك لا يمل ، لأنه يزداد في تدبره علماً وفهماً .

وقال محمد بن يزيد المبرد : قال يونس — وقد ذكر عنده سيبويه — : أظن هذا الغلام يكتب على الخليل . فقيل له : قد روى عنك أشياء فانظر فيها . فنظر وقال : صدق في جميع ما قال هو قولى .

ومات سيبويه قبل جماعة قد كان أخذ عنهم كيونس وغيره . وقد كان يونس مات في سنة ثلاث وثمانين ومائة . وذكر أبو زيد النحوى اللغوى كالفخر بذلك بعد موت سيبويه قال : كل ما قال سيبويه « وأخبرنى الثقة ^(١) » فأنا أخبرته به .

ومات أبو زيد بعد موت سيبويه بنيف وثلاثين سنة .

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والחסون ، وهو من شواهد سيبويه ^(٢) :

(١) ط : « وأخبر عن الثقة » ، صوابه في س .

(٢) سيبويه ١ : ٤٤٠ . وانظر المبنى ١ : ٤٥٠ . وابن الشجرى ١ : ٩٣ ، ٣٢٦ .

٥٨ (فَثَوْبٌ لَسِيْتُ وَثَوْبٌ أُجِرْتُ)

أولّه : (فَأَقْبَلْتُ زَحْفًا عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ)

على أن حذف الضمير المنصوب بالفعل من الخبر سماه ، أى فتوبٌ
نسيته وثوبٌ أُجره .

قال ابن عقيل فى شرح الألفية : وجاز الابتداء بثوب وهو نكرة لأنه
قصد به التنويع .

قال الأعمى : ويجوز عندى أن يكون لسيْتُ وثوبٌ أُجرٌ من نعت الثوبين ،
فيمتنع أن يعمل فيه ، لأنَّ النعت لا يعمل فى المنعوت ؛ فيكون التقدير
فتوبايَ ثوبٌ منسى وثوبٌ مجرور .

وقال ابن هشام فى معنى اللبيب : « وما ذكروا من المسوغات : أن تكون
النكرة لتفصيل ، نحو : فتوبٌ لسيْتُ وثوبٌ أُجر . وفيه نظر ، لاحتمال
لسيْتُ وأجرٌ للوصفية والخبر محذوف ؛ أى فن أثوابيَ ثوبٌ نسيته ، ومنها
ثوبٌ أُجره . ويحتمل أنهما خبران وثمَّ صفتان مقدَّرتان ، أى فتوبٌ لى لسيته
وثوبٌ لى أُجره . وإنما لى ثوبه لشغل قلبه ، كما قال :

* لعوبٌ تنسني إذا قتُ سِرْبالي ^(١) * .

وإنما جرَّ الآخر ليعنى الأثر على القافة ؛ ولهذا زحف على الركبتين ،
انتهى .

والقافة : جمع قائف ، وهو من يعرف الآثار ؛ يقال : قفا أثره ، أى تبعه .

وروى : (فَلَمَّا دَنَوْتَ لَسَدَيْتُهَا فَثَوْبٌ لَسِيْتُ .. الخ)

(١) لامرى النيس فى ديوانه ٣٠ . وصدرة :

* ومثلك بيضاء الموارض طفلة * .

قال ابن الأنباري في شرح الفضليات^(١) : يقال تسديته : إذا تخطيت إليه ، وقيل علوته . وأنشد هذا البيت . وروى :

* فتوباً لبيت وثوباً أجرٌ *

وعليه فهو مفعول لما بعده .

قصيدة الشاهد وهو من قصيدة لامرئ القيس ، حدثها اثنان وأربعون بيتاً . ومطلعها :

(لا وأبيك ابنة العامر ي لا يدعى القوم أنى أفر)

وسأبني شرحه إن شاء الله تعالى في حروف الزيادة في آخر الكتاب .

وأثبت هذه القصيدة له أبو عمرو الشيباني والمفضل وغيرهما . وزعم الأصمعي في روايته عن أبي عمرو بن القلاء أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جشم ، وأولها عنده :

(أحار بن عمرو كافي خمر ويعود على الرء ما يأمير)

وهو استشهد ابن أم قاسم^(٢) في شرح الألفية لتتوين الغالي حيث لحق الروي المقيّد ، رواه : (ما يأمرون) بضم الراء . والهمزة للداء ، وحار مرخم حارث . قال في الصحاح : والخمار : بقية السكر ، تقول منه رجل خمر بفتح فكسر ، أي في عقب خمار . ويقال : هو الذي خامره الداء ، أي خالطه . وهذا عليه : جاز . والانتثار : الامتثال ، أي ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشدٌ فربما كان هلاكه فيه . والواو عطف جملة فعلية على جملة اسمية على قولين من

١٨١

(١) هذا تسميح منه ، وذلك أباه بكر محمد بن القاسم ، ابن الأنباري ، هو راوي الفضليات عن أبيه . وأما الشرح نفسه فهو لأبيه القاسم بن بشار الأنباري .

(٢) ط : « ابن قاسم » ، صوابه في س مع آخر تصحيح ، واسمه الحسن بن قاسم . نولى سنة ٧٤٩ . البنية ٢٢٩ .

ثلاثة أقوال : الجواز مطلقا ، والمنع مطلقا ، والجواز مع الواو فقط . وليست للاستئناف ، ولا للتعليل ، ولا زائدة ، كما زعمها العيني .

وبعد بيت الشاهد :

(ولم يَرْنَا كَالْيُ كَاشِحٍ ولم يُفْشَ مِنَّا لَدَى الْبَيْتِ سِرًّا
وقد رابى قولها يا هنا .، وَيَحْكُ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرٍّ)

والكالى بالهمز : الحارس والرقيب . والكاشح ، المبيض . ورابى : أوقفنى فى الرؤية . وهناه : كلمة يُكْنَى بِهَا عن المنكرات^(١) ، كما يكنى بفلان عن الأعلام ؛ فعنى يا هناه يا رجل ؛ ولا يستعمل إلا فى النداء عند الجفاء والغلظة . وقوله : أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرٍّ ، أى كنت متهما فلما صرت إلينا أَلْحَقْتَ نُهْمًا بعد نُهْمَةٍ . وهذه الضمائر المؤنثة راجعة إلى (هِرٍّ) بكسر الهاء وتشديد الراء ؛ وكنيتها أم الخويرث ، وهى التى كان يشبب بها فى أشعاره ، وكانت زوجة والده ، فلذلك كان طرده وهم بقتله من أجلها .

وفى هذه القصيدة بيتٌ فى وصف فرسه ، يأتى شرحه إن شاء الله فى أفعال القلوب .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد [التاسع و] الأربعين^(٢) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون ، وهو من شواهد س^(٣) :

٥٩ (لَعَمْرُكَ مَا مَعْنُ بَتَارِكٍ حَقُّهُ

ولا منسى مَعْنُ ولا متيسرُ)

(١) ط : « المنكرات » ، صوابه فى س .

(٢) ص ٣٢٩ من هذا الجزء .

(٣) سيوه ١ : ٣١ . وانظر مع الهوامع ١ : ١٢٨ ودبوان الفرزدق ٣٨٤

على أن وضع الظاهر مقام الضمير إن لم يكن في معرض التفتيح فعند
من يجوز في الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول كهذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو للفرزدق أول بيتين ثانيهما :

(أَتَطْلُبُ يَا عَوْرَانُ فَضْلَ نَبِيذِهِمْ وَعِنْدَكَ يَا عَوْرَانُ زِقُّ مُوَكَّرٌ)

واللام لام الابتداء . و (العَمْرُ) : الحياة . والمعنى أنه أقسم بحياة مخاطبه
لمزنته عليه . والعمر فتحاً وضماً واحد ، غير أنه متى اتصل بلام الابتداء
مقسماً به وجب فتح عينه ، وإلا جاز الأمران . وهو مبتدأ خبره محذوف
تقديره : قسمي ، وسيأتي الكلام عليه ، إن شاء الله ، في المفعول المطلق .
وجملة (ما معنٌ ، الخ) جواب القسم ، وما نافية تيمية^(١) زيدت الباء
في خبرها . ومعن قال أبو علي القالي في ذيل أماليه^(٢) : قال أبو عجم : هو رجل
كان كلاً بالبادية : يبيع بالكالي ، أي بالنسيئة ، وكان يضرب به المثل
في شدة التقاضي . قال سيار بن هبيرة يماكب خالداً وزباداً أخويه :

يُؤدُّنِي هَذَا وَيَمْنَعُ فَضْلَهُ وَهَذَا كَمَنْ أَوْ أَشَدُّ تَقَاضِيَا

يؤدُّنِي : يحرمني ، مضارع أذنه بنشديد الدال المعجمة . قال في المصباح :
« وكلاً الدين يكلاً مهموز بفتح نين كلوه : تأخر ، فهو كالي بالهمز ؛ ويجوز
تخفيفه فيصير كالقاضي . وقال الأصمعي : هو مثل القاضي ولا يجوز همزه .
وهي عن بيع الكالي بالكالي ، أي بيع النسيئة بالنسيئة . قال أبو عبيد :
صورته أن يسلّم الرجل الدراهم في طعام إلى أجل فإذا حل الأجل يقول الذي
عليه الطعام : ليس عندي طعام ولكن يعني إياه إلى أجل ؛ فهذه نسبة

(١) وذلك لأن الفرزدق تيمى .

(٢) الأمالي ٣ : ٧٢ - ٧٤

انقلبت إلى لسيئة ، فلو قبض الطعام ثم باعه منه أو من غيره لم يكن كالنكاح بكالي^١ . ويُعدّى بالهمزة والتضعيف انتهى .

وقال شراح أبيات الكتاب : عني بالبيت ممن بن زائدة الشيباني ، وهو أحد أجواد العرب ومحماتهم . فوصفه ظلماً بسوء الاقتضاء وأخذ الغريم على حسرة ، وأنه لا ينسئه بدينه . انتهى .

وهذا غير صحيح ، فإن ممن بن زائدة متأخر عن الفرزدق ، فإنه قد توفى الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وتوفى ممن بن زائدة في سنة ثمان وخمسين ومائة .

وقوله : (ولا منسى^٢) هو اسم فاعل من أنسأت الشيء : أخرته ، ويقال أيضاً أنسأته ، قتلته وأفعلت بمعنى ، فالمفعول محذوف أي حقه . قال الشارح : « الرواية بجر منسى^٣ » ، وإذا رفعته فهو خبر مقدم على المبتدأ . أقول : الجر يكون بالمعطف على مسخول الباء الزائدة ، وممن فاعله أقيم مقام الضمير ، فيكون من تنمة الجملة الأولى . وإذا رفع كان من جملة أخرى . وبالرفع أنشده سيبويه . قال الأعم : استشهد به سيبويه على أن تكرير الاسم مظهراً من جملتين أحسن من تكريره في جملة واحدة ، فلو حل البيت على أن التكرير من جملة واحدة لقال : ولا منسى^٤ ممن عطف على قوله : بتارك حقه ، ولكنه كرّره مظهراً ، ولما أمكنه أن يجعل الكلام جملتين استأنف الكلام فرفع الخبر . وقال ، أعلم^(١) أن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرير ذكره في جملة واحدة كان الاختيار أن يذكر ضميره ، لأن ذلك أخف وأنى للشبهة واللبس ، كقولك : زيد ضربته ، ولو أعدت لفظه بعينه في موضع

(١) - : « وقال الأعم » ، صوابه ما أثبت من ط . والكلام التالي ليس للأعم ، بل هو للسراي في شرحه لكتاب سيبويه . انظر السراي ١ : ١٧٢ مخطوطة دار الكتب .

كنائنه لجاز ولم يكن ونجة الكلام^(١) كقولك : زيد ضربت زيداً — على معنى زيد ضربته — وإذا أعدت ذكره في غير تلك الجملة جاز إعادة ظاهره وحسن كقولك : مررت بزيدٍ وزيدٌ رجل صالح ؛ قال تعالى : « وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ نُوْمِيْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَهْلُمْ حَيْثُ يَجْمَعُ رِسَالَتَهُ^(٢) » ، فأعاد الظاهر لأن قوله « الله أعلم » ابتداء وخبر ، وقد مرّت الجملة الأولى . فإذا قلت : ما زيد ذاهباً ولا محسن زيد ، جاز الرفع والنصب ؛ فإذا نصبت قللت : ولا محسنًا زيد جعلت زيداً هذا الظاهر بمنزلة كنيائنه ، فكأنك قلت : ما زيد ذاهباً ولا محسنًا ، كما تقول ولا محسنًا أبوه ، فتعطف محسنًا على ذاهباً وترفع زيداً بفعله وهو محسن ، فإذا رفعت جعلت زيداً كالأجنبي ورفعته بالابتداء وجعلت محسنًا خبراً مقدّماً . واختار سيبويه الرفع لأن العرب لا تميد لفظ الظاهر إلا أن تكون الجملة الأولى غير الجملة الثانية^(٣) وتكون الثانية مستأنفة كما قلنا في : « رسلُ الله الله أعلم » . فإذا رفعته فهو مطابق لما ذكرناه وخرج عن باب العيب ، لأنك جعلته جملة مستأنفة . واستشهد سيبويه لجواز النصب وجعل الظاهر بمنزلة المصير^(٤) بقوله :

• لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شيءَ^(٥) •

-
- (١) في النسختين : « وجه للكلام » ، صوابه من السرياق .
 (٢) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام . وفي السرياق : « رسالته » ، وهي القراءة الثالبة ، وقراءة الأفراد هي قراءة ابن كثير وحفص ، ووافقه ابن عيصم . إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ وتفسير أبي حيان ٤ : ٢١٧ .
 (٣) س : « خبر الجملة الثانية » ، صوابه في ط وشرح السرياق . وكلمة « الأولى » من السرياق ، ساقطة من النسختين .
 (٤) السرياق : « بقول سودة بن عدي » .
 (٥) انظر الشاهد التالي .

[فأعاد الإظهار ، وذلك أن قوله لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيء ، الموت الأول هو المفعول الأول لأرى ، ويسبق الموت شيء ^(١)] في موضع المفعول الثاني وهما في جملة واحدة ؛ وكان ينبغي أن يقول يسبقه شيء فيضمه .
واستشهد لاختيار الرفع فيما اختاره فيه بقول الفرزدق :

لمعرك ما معنٌ بتارك حقه . . (البيت)

ومعن الثاني هو الأول ، فهو بمنزلة قوله ما زيد ذاهباً ولا محسنٌ زيد .
وللمعترض أن يقول : الفرزدق تسمى وهو يرفع خبر ما على كل حال مكنياً
كان أو ظاهراً ، ألا ترى أن الفرزدق من لفته أن يقول : ما معن تارك حقه
١٨٣ ولا منسى هو . فالظاهر والمكنى على لفته سواء ، انتهى .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الستون ، وهو من شواهد س ^(٢) :

٦٠ (لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء)

تمامه : (نقص الموتُ ذا الغنى والفقير)

لما تقدم في البيت قبله ، أى لا أرى الموت يسبقه شيء أى لا يفوته .
وأشده ثانياً في الإخبار بالنفي وجعله من قبيل « الحاقة ما الحاقة » مما إظهاره
يفيد التنفخيم ، فحالف كلامه هنا . وتبع الشارح هنا س .

وخالفه المبرّد في هذا وفرقَ بينه وبين ما ذكر ، لأن الموت جلس .
ولمّا كره زيد قام زيد ، لثلاث يوم أن الثاني خلاف الأول ، وهذا لا يتوهم

(١) التكلفة من السراى ، وبدونها لا يستقيم الكلام .

(٢) سيوبه ١ : ٣٠ . وانظر الخزانة ٢ : ٤/٥٣٤ : ٥٥٢ وابن الشجرى

١ : ٣٤٣ ، ٢٨٨ والخصائص ٣ : ٤٣ وشواهد المغنى ٢٩٦ .

في الأجناس ، قال تعالى : « إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » . وكذا إذا اقترن بالاسم الثاني حرف الاستفهام بمعنى التعظيم والتعجب كان الباب الإظهار ، كقوله تعالى : « الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ » و « الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ » . والإظهار جائز كما قال تعالى : « فَأَمَّهُ هَوِيَّةٌ » . وما أذراك ما هيئة .

وكذلك لم يرتضه شراح أبياته . قال الأعم — وتبعه ابن خلف ، ومثله لأبي جعفر النحاس — : استشهد بهذا البيت سيويه على إعادة الظاهر موضع المضمر ، وفيه قبح إذا كان تكريره في جملة واحدة ، لأنه يستغنى بعضها عن بعض ، فلا يكاد يجوز إلا في ضرورة ، كقولك : زيد ضربت زيدا ، فإن كان إعادته في جملتين حسن ، كقولك : زيد شتمته وزيد أهنته ، لأنه قد يمكن أن تسكت عن الجملة الأولى ثم تسأنف الأخرى بعد ذكر رجل غير زيد . فلو قيل زيد ضربته وهو أهنته ، لجاز أن يتوهم الضمير لغير زيد ، فإذا أعيد مظهراً زال التوهم . ومع إعادته مضمراً^(١) في الجملة الواحدة ، كقولك : زيد ضربته ، لا يتوهم الضمير لغيره ؛ لأنك لا تقول^(٢) : زيد ضربت عمراً . والإظهار في مثل هذا أحسن منه في هذا ونحوه ، لأن الموت اسم جنس ، فإذا أعيد مظهراً لم يتوهم أنه اسم لشيء آخر . فلذلك كان الإظهار في هذا أمثل ، لأنه أشكل .

وقوله : (نَقْصُ الْمَوْتِ : . الخ) يريد : نقص عيش ذي الغنى والفقير . يعني أن خوف الغنى من الموت ينقص عليه الالتذاذ بالغنى والسرور به ، وخوف الفقير من الموت ينقص عليه السعى في التماس الغنى لأنه لا يعلم أنه

(١) — : « مظهراً » ، صوابه في ط .

(٢) — : « لأنك تقول » ، صوابه في ط .

— إذا وصل إليه الفنى — هل يبقى حتى ينتفع به ، أو يقتطعه الموت
عن الانتفاع ؟

وهذا البيت من قصيدة لعدى بن زيد ، وقيل لابنه سودة بن عدى . صاحب الشاهد
والصحيح الأول . وأولها :

(طال ليلى أراقبُ التنويرا	أرقبُ الليلَ بالصباح بصيرا	قصيدة الشاهد
شَطَّ وصلُ الذى تريدن منى	وصغيرُ الأمورِ ينجى الكبيراً	
إنَّ للدهرِ صولةً ، فاجترنْها	لا تبينَنَّ قد أمنتَ الدهورا	
قد ييات القى مصيحاً فيردى	ولقد بات آمناً مسرورا	
« لا أرى الموت يسبقُ الموت شئ »	نقص الموتُ ذا الفنى والفقيرا	
للنساء مع الفدو رواحُ	كلُّ يوم ترى لهنَّ عقيرا	
كم ترى اليوم من مصيح تمني	وغدا حشو ربطة مقبورا	
أينَ أينَ الفرار مما سيأتى	لا أرى طائراً نجا أن يطيرا	١٨٤
فامشِ قصداً إذا مشيتَ وأبصر	إنَّ للقصد منهجاً وجسورا	
إن فى القصد لابن آدم خيراً	وسبيلا على الضعيف يسيرا	

و (عدى بن زيد) بن حماد بن زيد بن أيوب ، من بنى امرئ القيس هدى بن زيد
ابن زيد مائة بن تميم .

قال صاحب الأغاني^(١) : « وكان أيوب هذا أول من سمى من العرب
أيوب . وكان هدى شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ،
وكنكك أبوه وأمه وأهله . وليس ممن يعدّ فى الفحول . [و^(٢)] هو قروى

(١) الأغاني ٢ : ١٧ .

(٢) الشكلة من الأغاني . وكذلك سائر الشكلات فى هذا النسخ .

قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها . وكان الأصمى وأبو عبيدة يقولان :
عدى بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم : يُعارضها ولا يجرى معها
بجراها . وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت . ومثلها من الإسلاميين :
الكيت ، والطيرمّاح .

وكان سبب نزول آل عدى الحيرة أن جدّه أيوب كان منزله الحجابة ،
فأصاب دماً في قومه ؛ فهرب إلى أوس بن قلام : أحد بني الحارث بن كعب
بالحيرة ، وكان بينهما نسب من قبل النساء ، فأكرمه وابتاع له موضع دار [هـ]
بثلاثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين
من الإبل برعاتها ^(١) ، وفرساً ، وقينة . واتصل بملوك الحيرة وعرفوا حقّه
وحق ابنه « زيد » بن أيوب ، فلم يكن منهم ملك يملك إلا ولّد أيوب منه
جوائز [وحلّان] . ثم إن زيدا نكح امرأة من آل قلام فولدت له « حمّاداً » .
فخرج زيد بن أيوب يوماً للصيد ، فلقه رجل من بني امرئ القيس الذين
كان لهم النار فأغتنال زيدا وهرب ، ومكث حمّاد في أخواله حتى أيفع وعلمته
أمة الكتابة ؛ فكان أوّل من كتب من بني أيوب ، فخرج من أكتب
الناس حتى صار كاتب النعمان الأكبر ؛ فلبث كاتباً له حتى ولّد له ولد فسماه
« زيدا » باسم أبيه . وكان لحّاد صديق من دهاقين الفرس اسمه فرّوخ ^(٢)
ماهان . فلما حضرت الوفاة حمّاداً أوصى بابنه زيد إلى الدهقان — وكان من
المرّازبة — فأخذّه إليه .. وكان زيد قد حنق الكتابة [والعربية] ، وعلمّه
الدهقان الفارسيّة . وكان ليبيّاً ، فأشار الدهقان إلى كسرى أن يجعله
على البريد في حوائجه ، فولّاه وبقي زماناً . ثم إن النعمان هلك ، فاختلف أهل

(١) ط : « برعاًما » ، وأثبت ما في سـ والأغاني .

(٢) الميمني : « الأكثر في الكتابة فرخ بلا واو ، ومنه المبارك » .

الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يعقِد كسرى الأمر لرجل منهم^(١) ؛ فأشار
المرزبان عليهم يزيد بن حماد ، فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر
ابن ماء السماء . ونكح زيد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له « عدياً » .
وولد للمرزبان ابن وسماء شاهان مرّد . فلما أبلغ عديّ أرسله المرزبان مع ابنه
إلى كُتّاب الفارسية ، وتعلّم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم
الناس وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعرَ وتعلّم الرميّ بالنشاب [فخرج من
الأساورة الرثامة] ، وتعلّم لعب المعجم على الخيل بالصّوالجة وغيرها . ثم إنَّ
المرزبان لما اجتمع بكسرى قال له : إن عندى غلاماً من العرب هو أفصحُ
الناس وأكثبهم بالعربية والفارسية ، والملك يحتاج إلى مثله . فأحضر المرزبان
عديّ بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن — وكانت الفرس تتبرّك
بالجميل الوجه — فرغب فيه ؛ فكان عديّ أوّل من كتب بالعربية في ديوان
كسرى . فرغب أهلُ الحيرة إلى عديّ ورهبوه . ولم يزل بالمداثن في ديوان
كسرى معظماً . وأبوه زيد كان حياً ، إلا أن صيته قد دخل بذكر ابنه عديّ .
ثم لما هلك المنذر اجتهد عديّ عند كسرى حتى ملك النعمان بن المنذر الحيرة .
ثم بعد مدة افتروا على عديّ وقالوا للنعمان : إنَّ عديّاً يزعم أنك عامله
على الحيرة . فاغتاز منه النعمان وأرسل إلى عديّ بأنه مشتاق إليه يستزيه^(٢) .
فلما أتى إليه حبسه ، وبقي في الحبس إلى أن جاء رسول كسرى ليُخرجه^(٣) ؛
فخاف النعمان من خلاصه فمعه حتى مات ؛ وندم النعمان على قتله ، وعرف أنّه
غلب على رأيه . ثم إنه خرج يوماً إلى الصيد فلقى ابناً لعديّ يقال له زيد ؛

(١) الأغانى : « لرجل ينصبه » .

(٢) ط : « يستزيه » .

(٣) انظر قصة هذا الرسول في الأغانى ٢ : ٢٦ — ٢٧ .

فلما رآه عرف شبهه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عدى . فكلمه فإذا هو غلامٌ ظريف ، ففرح به فرحاً شديداً ، فقرّبه واعتذر إليه من أمر أبيه ، ثم كتب إلى كسرى يرييه ويشفع له مكان أبيه . فولاه كسرى . وكان يلى الكتابة عنده إلى ملوك العرب وفي خواصّ أمور الملك . وكانت لملوك المعجم صفة النساء مكتوبة عندهم ، وكانوا يبعثون في تلك الأرضين تلك الصفة ؛ فإذا وجدتُ حملت إلى الملك ؛ غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب . فلما كتب كسرى في طلب تلك الصفة قال له زيد بن عدى : أنا عارف بآل المنذر وعند عبدك النعمان — بين بناته وأخواته وبنات عمه — أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ، فابعثني مع ثقة من رجالك يفهم العربية حتى أبلغ ما تنجبه . فبعث معه رجلاً فطناً وخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجل ويلطفه حتى بلغ الخيرة ؛ فلما دخل على النعمان قال له : إن كسرى قد احتاج إلى نساء لنفسه ولولده ، وأراد كرامتك بصهره فبعث إليك . فقال النعمان لزيد — والرسول يسمع — : أما في مَها السّواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد ، بالفارسية : ما لها ؟ فقال له ، بالفارسية : كاوان ، أى البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك أن يكرمك ، ولو علم أن هذا يشقُّ عليك لم يكتب إليك به . فأنزلها عنده يومين ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملك ليس عندى . وقال لزيد : اعذرني عنده . فلما رجع إلى كسرى قال زيد للرسول : اصدق الملك عما سمعت ، فإننى سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه ؛ فلما دخلا على كسرى قال زيد : هذا كتابه . فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنتُ خبرتني به ؟ قال : قد كنتُ خبرتكَ ببخلهم بنسائهم على غيرهم ، وأن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُرى على الشبع والرياش ، وإيثارهم السّوم

على طيب أرضك ، حتى إنهم ليسمونها السُّجن ، فسل هذا الرسول الذي كان
معي عما قال ، فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال . فقال للرسول : وما قال
النعمان ؟ فقال له الرسول : إنه قال : أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه ،
حتى يطلب ما عندنا ؟ فمرف الغضب في وجهه . وسكت كسرى أشهراً
— وسمع النعمان غضبه — ثم كتب إليه كسرى : أن أقبل ، فإن لي حاجة
بك . فخافه النعمان وحمل سلاحه وما قدر عليه ولجأ إلى قبائل العرب فلم يُجره
أحد ، وقالوا : لا طاقة لنا بكسرى . . حتى نزل بذى قار في بني شيبان سرّاً ،
فلقى هاني بن قبيصة ، فأجاره وقال : لزمي ذِمّتك ، وإني مانعك مما أُنعم
منه نفسي وأهلي ، وإنّ ذلك مهلكي ومهلكك . وعندي رأيٌ لست أشير به
لأدفعك عما تريد من مجاورتي ؛ ولكنه الصواب . فقال : هاته ! قال :
إنّ كلّ أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه ، إلا أن يكون بعد الملك سوقة ؛
والموت نازلٌ بكلّ أحد ؛ ولأنّ تموت كريماً خير من أن تنجرع الدلّ أو تبق
سوقة بعد الملك . . امض إلى صاحبك واحمل إليه^(١) هدايا ومالا ، وألقِ
نفسك بين يديه ، فإما أن يصفع عنك فعدت ملكاً عزيزاً ، وإما أن يصيبك
فلوتٌ خير من أن تتلعب بك صمالكُ العرب ويتخطّك ذئابها . . قال :
فكيف بحرّمي وأهلي ؟ قال : هنّ في ذمتي ، لا يخلص إليهن حتى يخلص
إلى بناتي . فقال : هذا — وأبيك — الرأي ! ثم اختار خيلاً وحللاً من عصب
البن ، وجواهر وطرفاً كانت عنده ، ووجه بها إلى كسرى ، وكتب إليه
يعتذر ويعلمه أنه صائرٌ إليه . فقبلها كسرى وأمره بالقدوم . فعاد إليه الرسول

(١) كذا في النسختين ، وفي الأغاني ٢ : ٢٧ : « ثم كتب إلى كسرى : إن هدايا كان
ممن أعين به الملك في نصحه ولبه ... الخ . فلعل صوابه « يزكيه » .
(٢) ط : « وكان يلى المكتبة عند آل ملوك العرب » صوابه في س .

وأخبره بذلك وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءاً . فضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عدى فقال له : انج نعيم ، إن استطعت النجاء ! فقال له النعمان : أفعلتها يا زيد ! أما والله لئن عشت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربى قط ! فقال له زيد : قد — والله — أخيت لك آخية لا يقطعها المهر الأرن^(١) فلما بلغ كسرى أنه بالسباب بعث إليه ، فقيده وسجنه ؛ فلم يزل في السجن حتى هلك . وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات . وذلك قبيل الإسلام بمدة ، وغضبت له العرب حينئذ ، فكان قتله سبب وقعة ذي قار .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسنون^(٢) :

٦١ (إذا المرو لم يَفْشَ الكَرِيهَةُ أَوْشَكَتْ
حِبَالُ الْمُؤَيِّنِ بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَا)

على أن الاسم إن أعيد ثانيا ولم يكن بلفظ الأول لم يجوز عند سيبويه ، ويجوز عند الأخفش سواء كان في شعر أم في غيره ، كهذا البيت .

قال ابن جني في إعراب الحماسة ، عند قول أبي الشَّناش :

إذا المرو لم يَسْرَحْ سَوَاماً ولم يَرْحْ سَوَاماً ولم تَعْطَفْ عليه أَقَارِبُهُ
فَلَمُوتِ خَيْرٌ لِّفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ فَقِيْرًا وَمِنْ مَوَلَى تَدِبُّ عَقَارِبُهُ

كان يجب أن يقول : فلاموت خير له ؛ فعدل عن المظهر والمضمر جميعاً إلى لفظ آخر ، كقوله :

(١) ط : « عليه » ، صوابه في س .

(٢) الأرن : النشيط . والآخية : عود كحلقة تشد فيها الدابة .

(٣) أنظر البنى ٢ : ١٣٢ والخصائص ٣ : ٥٣ والمجم ١ : ١٨٠ والنوادر ١٥٣

والفضليات ٣٢ .

إذا المرء لم يفش الكريمة . . (البيت)

وسبب ذلك أن هذا المظهر المخالف للفظ المظهر قبله ، قد أشبهه عندهم المضر ، من حيث كان مخالفاً للفظ المظهر قبله خلاف المضر له .

وقال ابن رشيق فى العمدة : « قوله (بالفتى) حشو ؛ وكان الواجب أن يقول (به) لأن ذكر المرء قد تقدم ؛ إلا أن يريد بالفتى معنى الزُراية والأطنوزة ^(١) ، فإنه محتمل ، اهـ وهذا تخيل دقيق .

و (الفُشيان) : الإتيان ، يقال غَشِيته من باب تمع : أتيته . و (الكريمة) الحرب ؛ وقيل : شدتها ، وقيل : النازلة . وهذا هو المراد هنا . و (أوشكت) : قاربت ودنت و (الجبال) : جمع حَبَل بمعنى السَّبَب ، استعير لكل شئ يتوصل به إلى أمر من الأمور . و (الهوينى) : الرفق والراحة ؛ اوعده ابن دريد فى الجهرة فى الكلمات التى وردت مصفرة لا غير ، قال : والهوينى السكون والخفض . قال السمين ، فى عمدة الحفاظ : يقال : فلان يمشى الهوينى وهو مصفر الهوينى ، والهوينى تأنيث الأهون كالفضل تأنيث الأفضل . و (بالفتى) الباء للمصاحبة فيكون حالا ، أو بمعنى عن فيتعلق بما بعدها ، وجاز لأنه ظرف ، ومثله قوله تعالى : « وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ » . قال السمين : فى الباء أربعة أوجه : أحدها للحال أى تقطعت موصولة بهم الأسباب . ١٨٧ الثانى للتعدي أى قطعتهم الأسباب كقولهم : تفرقت بهم الطرق أى فرقهم . الثالث للسببية أى تقطعت بسبب كفرهم الأسباب التى كانوا يرجون بها النجاة . الرابع بمعنى عن ، أى تقطعت عنهم الأسباب الموصلات بينهم ، وهى مجاز ؛

(١) يعنى الطز والسخرية . وهذه الكلمة لم ترد فى المعاجم المتداولة .

(٢) العمدة ٢ : ٥٦ .

والسبب في الأصل الجبل ، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء ، عيناً كان أو معنى . و (تَقَطَّعا) أصله تنقطع بناءً ، وفاعله ضمير جبال .

وهذا البيت آخر أبيات للكلعبة العريني ، وهي :

أبيات الشاهد (فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا يَا حَزِيمُ بْنُ طَارِقٍ قَدِ تَرَكْتُ مَا خَلْفَ ظَهْرِكَ بَلَقَمَا
وَنَادَى مَنَادِي الْحَيِّ : أَنْ قَدْ أُتِينُمْ وَقَدْ شَرِبْتُ مَاءَ الْمَزَادَةِ أَجْمَعَا
وَقُلْتُ لِكَأْسٍ : أَلْجِيهَا فَإِنَّمَا نَزَلْنَا الْكُثِيبَ مِنْ زَرُودَ لَنْفَرَعَا
فَأَدْرَكَ إِيقَاءَ الْعَرَادَةِ ظِلْعُهَا وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إَصْبَعَا
أَمَرْتَكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ الْإِلْوَى وَلَا أَمْرًا لِلْمَعْصَى إِلَّا مُضْبِعَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْشَ الْكَرِيمَةَ الْبَيْت)

وسبب هذه الأبيات أن « الكلعبة » كان نازلاً بزُرد — وهي أرض بني مالك بن حنظلة ، وهو من بني يربوع — فأغارَت بنو تغلب على بني مالك ، وكان رئيسهم حزيمة بن طارق ، فاستاق إبلهم ، فأتى الصريحُ إلى بني يربوع فركبوا في إثره فهزموه واستنقذوا ما كان أخذه .

فقوله : إِنْ تَنْجُ مِنْهَا ، الضمير راجع إلى فرس الكلعبة . وحَزِيمُ بفتح الحاء المهملة وكسر الزاي المعجمة : مرثم حزيمة . وهذا البيت يشهد بانفلاته ، وشعر جرير يشهد بأسره ، وهو :

• قَدْ نَا حَزِيمَةٌ قَدْ عَلِمَتْ عَنُودَ •

ولا مانع منه ؛ بأن أدركه غيرُ الكلعبة وأسرَه لما ظَلَمَتْ فرسه .

قيل : ولما أسرَ اختصم فيه اثنان : أحدهما أنيف بن جبلة الضبيّ ، وهو أحد بني عبد مناة بن سعد بن ضبة ، وكان أنيف يومئذ نازلاً في بني يربوع وليس معه من قومه أحد . وثانيهما : أسيد بن حنّاء السليطيّ . فاختصما

إلى الحارث بن قراد فحكم : أن جزّ ناصيته لأنيف ، وأنّ لأسيده عنده مائة من الإبل . فرضيا بذلك .

والحارث بن قراد من بنى حمير بن رباح بن يربوع . وأمه من بنى عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة .

وقوله : (فقد تركت الخ) ، العرب كثيراً ما تذكر أن الخليل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يقول : إن تنج يا حزيمة من فرسى لم تثلّت إلّا بنفسك ؛ وقد استبيح مالك وما كنت حويته وغنمته ، فلم تدع لك هذه الفرس شيئاً .

وقوله : (ونادى منادى الحى . الخ) كأن الكلبة يعتذر من انفلات حزيمة ، يقول : أتى الصريح وقد شربت فرسى ملء الحوض ماء . وخيل العرب إذا علمت أنه يُقار عليها — وكانت عطاشاً — فنما ما يشرب بمض الشرب ولا يروى ، وبعضها لا يشرب البتة لما قد جرّبت من الشدة التى تلقى إذا شربت الماء وحُورب عليها . وفاعل شربت ضمير الفرس . وجملة قد شربت حال ، أى أنتم فى هذه الحال .

وقوله : (وقلت لكأس . البيت) كأس بنت الكلبة ، وقيل جاريته ؛ ١٨٨ والعرب لا تتق فى خيلها إلّا بأولادها ونسائها . وقوله : لنفزا ، أى لنغيث ؛ يقول : ما نزلنا فى هذا الموضع إلّا لنغيث من استغاث بنا . والفرع من الأضداد ، بمعنى الاغاثة والاستغاثة .

وقوله : (فأدرك إبقاء العرادة . . الخ) العرادة بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الكلبة ، كانت أنثى . والإبقاء : ما تبقى الفرس من العدو ، إذ من عناق الخليل ما لا تعطى ما عندها من العدو بل تبقى منه شيئاً

إلى وقت الحاجة ؛ يقال : فرس مبقية : إذا كانت تأتي بجري عند انقطاع جريها ، وقت الحاجة^(١) . يريد أنها شربت الماء فقطعتها عن إبقائها ففاته حزيمة . وروى (أنقاء العرادة) بفتح الهزة وبالنون : جمع نقو بالكسر ، وهو كل عظم ذى نخ ، يعنى ظلمها وصل إلى عظامها . وروى أيضاً : (إرقال العرادة) بكسر الهزة وبالقاف ، وهو السَّير السريع ، وهو مفعول ، والظلم فاعل . قال ابن الأنباري : الظلوع في الإبل بمنزلة الغمز أى العرج اليسير ، يقال ظلمَ يظلم بفتحهما ظلمًا وظلوعًا ؛ ولا يكون الظلوع في الحافر إلا استعارة . يقول : فأتني حزيمة وما بيني وبينه إلا قدر إصبع .

وأورد الشارح هذا البيت في باب الإضافة على أن فيه حذف ثلاثة مضافات ، أى جعلتني ذا مقدار مسافة إصبع . والأولى تقدير مضافين ، أى ذا مسافة إصبع ، كما قدر ابن هشام في معنى اللبيب ؛ فإن المسافة معناها البعد ، والمقدار لا حاجة إليه . والمسافة وزنها مفعلة ، أى محل السوف وهو الشم وكان الدليل إذا سلك الطرق القديمة المهجورة أخذ تراها فشمه ليعلم أعلى قصد هو أم على جور ؟ وإنما يقصد بشم التراب رائحة الأبول والأبعار ، فيعلم بذلك أنه مسلك .

وكذلك أورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : « فكان قاب قوسين » قال : فيه حذف مضافين ، كما في هذا البيت . لكن تقديره مقدار مسافة إصبع يحتاج إلى تأويل لصحة الحل .

وقوله : (أمرتكم أمرى . . الخ) اللوى بالقصر هو لوى الرمل ، أى

(١) عبارة أبي زيد في التوارد : « هي التي يظن أنه لا جرى معها ، فإذا طلب منها وجد عندها » . وفي القاموس : « هي التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الحبل » . وفي الأساس : « هي الحبل التي لا يخرج من عندها من الجري ، فمن أخرى ألا يلين » . والغرب : التبع .

منقطعه حيث ينقطع وينفص إلى الجدد، ومنعرجه : حيث انتنى منه وانمطف .
ولمّا قال بمنعرج القوى ليعلم أين كان أمره أيام ، كما قال الآخر^(١) :

ولقد أمرتُ أخاك عمراً أمره فابى وضيّعه بذات المجرّم^(٢)

وهذا البيت من شواهد سيبويه . أورده الشارح أيضاً فى باب الاستثناء ،
على أن نصب المستثنى فى مثله قليل . وقال الخليل : مضياً : حال ، وجاز
تنكير ذى الحال لكونه عامّاً كأنه قال : للمضى أمره مضياً . وبهذا يسقط
قول الأعمى حيث قال « الشاهد فيه نصب مضياً على الحال من الأمر ؛
وهو حال من نكرة . وفيه ضعف لأن أصل الحال أن تكون للمعرفة » ا هـ .

أقول : إن جمل حالاً من الضمير المستقرّ فى قوله « للمضى » فإنّه خبر
لا النافية ، فلا يرد عليه ما ذكر .

وقال النحاس « ويجوز أن يكون حالاً للمضمر ، التقدير إلّا أمراً فى حال
تضييعه ، فهو حال من نكرة » .

أقول : هذا التقدير من باب الاستثناء ، ومضياً وصف للمضمر
لا حال منه .

وقال الأعمى « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير إلّا أمراً مضياً .
وفيه قبح لوضع الصفة موضع الموصوف » .

أقول : لا قبح ، فإن الموصوف كثيراً ما يحدّف لقرينة .

وقال ابن الأنبارى : « الاستثناء منقطع » . أقول : التفريغ لا يكون ١٨٩

(١) هو عمرو بن الأسود ، كما فى الأصمبيات ٧٩ ، ونسب البيت فى معجم البلدان
٦ : ١٢٣ إلى بشر بن سلوة .

(٢) وروى : « لأمرة » و « أمرا » ، و « وضيها » .

في المنقطع . ثم قال : « ولو رفع في غير هذا الموضع لجاز بجملة خبراً إلا » .
أقول : يجب حينئذ أن يقال ولا أمراً للمعصية بالتنوين ، إلا على مذهب
البغداديين .

وقد أورد أبو زيد في نواتره^(١) هذه الأبيات على غير هذا الترتيب ،
وروى أولها :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى . . (البيت)

ترجمة الكلجة و (الكلجبة) لقب الشاعر ، وهو بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها
حاء مهملة فباء موحدة . ومعناه في اللغة صوت النار ولهبها ، كذا في العباب .
وزاد في القاموس : « وكلجبة بالسيف : ضربه » . و (العريبي) نسبة إلى عرين
بفتح العين وكسر الراء المهملتين ، والباء في فَعِيل تثبت في النسب ؛ وهو جده
القريب^(٢) . ويقال له : (البربوعي) أيضاً نسبة إلى جده البعيد . وقولهم :
الكلجة عُرُنِي نسبة إلى عُرَيْنِه كجُهْنِي نسبة إلى جُهَيْنَة ، فحريف ؛ فإن
عُرَيْنَة بالتصغير بطن من بجيلة ، وليس من نسبه .

قال الأمدى في المؤلف والمختلف : « الكلجة البربوعي اسمه هُبيرة
ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن ربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة
ابن تميم ، أحد فرسان بني تميم وساداتها ، وشاعر ؛ وهو القائل :

فقلتُ لكأس أُلجِها . . (البيت)

وكذا قال أبو زيد في نواتره : اسمه هُبيرة بن عبد مناف ، عمّ واقد
ابن [عبد الله بن^(٣)] عبد مناف .

(١) نواتر أبي زيد ١٥٣ — ١٥٤ .

(٢) انظر الاشتقاق ٢٢٦ بتحقيقنا .

(٣) التكلة من سه والنوادر .

ومثله قال ابن الأنباري : الكلجة : اسمه هبيرة بن عبد مناف .
وقال الضاغاني في العباب : قال أبو عبيد : كلجة : اسمه عبد الله بن كلجة ،
ويقال هبيرة بن كلجة ، فارس العرادة ، ويقال اسمه حُرير . وأثبت من ذلك
أن اسمه هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف . . إلى آخر نسبه . وقال صاحب
القاموس : الكلجة شاعر عُرني ، ولقب هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف
ابن عرين العرني فارس العرادة . اهـ فتأمل ما فيه !

والظاهر أن حُريراً ابنه ، وهو بضم الحاء المهملة وفتح الراء الأولى ،
كما يفهم من قوله :

لَمَلَّ حُريراً أَخْطَأَهُ مَنِيَّةٌ ستأتيك بالعلم العَشِيَّةُ أَوْغَدُ^(١)
تقول له إحدى بَلَى شِمَاةٌ : مَنِ الْخَنْظَلُ الْفَارِسُ الْمُتَقَدُّ !

فإنه كان أراد بعض ملوك الشام ، فسار حتى [إذا ^(٢)] صار في موضع
يقال له قَرْن ظَبْي رَجَع ، وقال :

رَدَدْتُ ظَمَائِي مِنْ قَرْنِ ظَبْيٍ وَهْنٍ عَلَى شِمَائِلِهِمْ زُورُ

فجاور في بَلَى بن عمرو بن الحاف^(٣) بن قضاة ، فأغار عليهم بنو جشم
ابن بكر من بني تغلب ؛ فقاتل مع بَلَى هو وابنه ، وقد أخذ بنو جشم أموالهم ،
حتى رَدَّها ؛ وجرح ابنه فمات من جراحته .

ومن شعر الكلجة يخاطب جاريته كَأَسَا ؛ رواه أبو زيد في نوادره^(٤) :

(١) ط : « ستأتيك » صوابه في س . وفي النوادر ١٠٥ : « سيأتيك » .

(٢) التكلة من شرح المفصليات ٢٤ .

(٣) وكذا في الجهرة ٤٤١ .

(٤) النوادر ١٠٤ .

يا كأس ويك أنى غالى خلقى على الساحة صعلوكاً وذا مال
تخبرى بين راعٍ حافظٍ برَم عبدِ الرِشاء عليك الدهرَ عمال^(١)
وبين أروَع مشمولٍ خلائقُه مستغرقِ المال للذات مكسال
فأى ذينك إن نابتك نائمة والقوم ليسوا وإن سؤوا بأمثال^(٢)

قال أبو حاتم : فأى بالرفع . قال أبو على : أضمر (اختارى) لأن ذكره
قد جرى ، فهو منصوب .

وقال أخوه بردّ عليه :

ألم تك قد جربت ما الفقرُ والفنى وما يعط الضليل إلا الأليكا^(٣) ١٩٠
عقوقاً وإفساداً لكلّ معيشة فكيف ترى أمست أضاعة مالكا

قال أبو حاتم : إضاعة بالنصب . وقال أبو على : ترى المتعدية
لمفعولين ، ألهاها .

« تمة »

قد أخذ البيتَ الشاهدَ شبيبُ بن البرصاء ، وغيرَ قافيته وقال :

دعائى حُصينٌ للفرارِ فساءنى مواطنٌ أن يُبنى على فاشئما
قلْتُ لحِصنٍ : نَجْ نفسك ، إنما يزود الفتى عن حوضه أن يهدّما
تأخرتُ أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياةً مثل أن أتقدّما
سيكفنيك أطرافُ الأسنّة فارسُ إذا ربيع نادى بالجواد وألجمما
إذا المرء لم يَفش الكربة أو شكت حبالُ الهوينى بالفتى أن تجذّما

(١) ط : « حافظ بدم » ، صوابه فى س والنوادر .

(٢) فى النوادر : « فأى ذك » .

(٣) النوادر ١٥٤ .

في القاموس : وجذمه بالجيم والذال المعجمة فأنجذم ونجذم : قطعه .

ومثله كثير بين الشعراء . وسيأتي إن شاء الله تعالى له نظائر كثيرة .

شبيب بن
البرصاء

والبرصاء هي أم شبيب . وأبوه اسمه يزيد . وتنتهي لسبته إلى قيس بن
حيلان . وهو ابن خالة عقيل بن علفة . وكل منهما كان شريفا سيدا في قومه .
وكانا من شعراء الدولة الأموية . وترجمتهما طويلة في الأغاني ، قال صاحبها :
« كان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذه الأبيات لشبيب بن البرصاء ، في بذل
النفس عند اللقاء ، ويعجب منه ^(١) » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون ^(٢) :

٦٢ (فَإِنْ فَوَادَىٰ عِنْدَكَ الدَّهْرَ أَجْمَعُ)

صدره : (فَإِنْ يَكُ جُفَتَانِي بِأَرْضٍ سِوَاكُمْ)

على أن الضمير انتقل من متعلق الظرف إلى الظرف وهو (عندك) .
ووجه الدلالة أنه ليس قبل (أجمع) ما يصح أن يحمل عليه ، إلا اسم إن
والضمير الذي في الظرف والدهر ، فاسم إن والدهر منصوبان ، فبقى حمله
على المضمر في عندك . قال ابن هشام : « هذا هو المختار ، بدليلين : أحدهما
امتناع تقديم الحال في نحو : زيد في الدار جالسا ، ولو كان العامل الفعل
لم يمتنع . ولقوله :

* فَإِنْ فَوَادَىٰ عِنْدَكَ الدَّهْرَ أَجْمَعُ *

(١) الأغاني ١١ : ٩٤ . وترجمته شبيب فيها ١١ : ٨٩ — ٩٤ . وترجمة عقيل بن

علفة فيها ١١ : ٨١ — ٨٩ .

(٢) المني ١ : ٥٢٥ والمجم ١ : ٩٩ وابن الشجري ١ : ٥٠ ، ٣٣٠ وشرح

شواهد المفني للسيوطي ٢٨٦ ومخط الآلي ٥٠٠ .

فأكّد الضمير المستتر في الظرف ، والضمير لا يستتر إلا في عامله ؛ ولا يصح أن يكون توكيداً لضمير محذوف مع الاستقرار ، لأن التوكيد والحذف متنافيان ؛ ولا لاسم إن على محله من الرفع بالابتداء ، لأن الطالب للمحلّ قد زال .

وقوله (بأرض سواكم) قال أبو عبيد البكري في شرح نوادر أبي علي القالي : « يروى بأرض سواكم على الإضافة ، وهذا بين ؛ ويروى بأرض سواكم يريد بأرض سوي أَرْضكم لحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه » اهـ . وقوله (عندك) بكسر الكاف ، فإنه خطابٌ لامرأة . فإن قلت : فكيف قال (سواكم) ؟ قلت : قد تخاطب المرأة بخطاب جماعة الذكور مبالغة في سترها ، ومنه قوله تعالى : « فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا » .

أبيات الشاهد وهذا البيت من قصيدة لجليل بن مَعْمَرٍ يتغزل فيها بمحبوبته بُيُوتُهُ . وما قبله :

١٩١ (أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِيمَنْ قَتَلْتَهُ) فَأَمْسَى إِلَيْكُمْ خَاشِعاً يَنْضَرَعُ ^(١) .
وبعده :

(إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو وَأَجْتَرِي عَلَى هَجْرَهَا ظَلَمْتُ لَهَا النَّفْسُ تُشْفَعُ)
أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي قَتْلِ عَاشِقٍ لَهُ كَبْدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطُّعُ
غَرِيبٍ مَشُوقٍ مُوَلِّعٍ بَادٍ كَارِكٍ وَكُلُّ غَرِيبٍ الدَّارِ بِالشَّوْقِ مُوَلِّعُ
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ مَوْجَعًا وَكُنْتُ لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَخَشَعُ
فِيَارَبِّ ، حَبِيبِي إِلَيْهَا وَأَعْطَى السُّودَّةَ مِنْهَا ، أَنْتَ تَعْطَى وَتَمْنَعُ)

ورأيت في تذكرة أبي حيان أن البيت لكثير عزة^(١) ، وقال : بعده :
(إذا قلت هذا حين أسلو ذكرتها فظلت لها نفسى تتوق وتترع
والصواب ما قدمناه .

جميل بن معمر
الغزوى

و (جميل) هو جميل بن عبد الله بن معمر ، كذا قال ابن الكلبي
وفى اسم أبيه فمن فوقه خلاف ذكره الأمدى فى المؤلف والمختلف^(٢) .
وصاحبه بئينة . وهما من عذرة . ويكنى أبا عمرو . وهو أحد عشاق العرب
المشهورين . وكانت بئينة تكنى أم عبد الملك ؛ ولها يقول جميل :

يا أم عبد الملك اصبرينى وبئنى صرمك أو صلينى

ويقال أيضاً : إنه جميل بن معمر بن عبد الله . والجمال والعشق فى عذرة
كثير . وعشق جميل بئينة وهو غلام صغير ، فلما كبر خطبها فرد عنها ،
فقال فيها الشعر ؛ وكان يأتيها وتأتيه — ومنزلها^(٣) وادى القرى — فجمع له
قومها جمعاً ليأخذوه ، فحذرته بئينة ، فاستخفى وقال :

ولو أن ألفاً دون بئنة كلهم غيارى وكل مزيعون على قتلى
لحاوئها ، إماً نهاراً مجاهراً وإما سري ليل ، ولو قطعوا رجلى

وهجا قومها فاستعدوا عليه مروان بن الحكم — وهو على المدينة من
قبل معاوية — فنذر ليقطن لسانه . فلحق بجذام فقال :

أفانى عن مروان بالغيث : أنه مُقيدُ دمي أو قاطع من لسانيا
ففى العيس منجاة وفى الأرض منهب إذا نحن رقعنا لمن المثنيا

(١) انظر ديوان كثير ١ : ٢٣ وديوان جميل ١١٨ .

(٢) المؤلف والمختلف ٧٢ .

(٣) ط : « ومنزلها » ، صوابه فى — .

فأقام هناك إلى أن نُحْزِلَ مروان ، ثم انصرف إلى بلده . ومن شعره فيها :
 عَلِقْتُ الهوى منها وليدًا فلم يزل إلى اليوم ينسج حبها وَيَزِيدُ
 وَأَفْنَيْتُ عُمرى بانتظار نوالها فباد بذاك الدهرُ وهو جديدُ
 فلا أنا مردودٌ بما جنتُ طالبًا ولا حبها فيما يبيدُ يَبِيدُ
 ويستجد له قوله :

خِلِيّ فيما عِشْتما هل رأيتما قَتِيلًا بَكَى من حبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
 وقالت بثينة ، ولا يُعرف لها شعرٌ غيره :

وإنَّ سُلُوِيَّ عن جميل لَسَاعَةٌ من الدهر ما حانت ولا حان حينها
 سواء علينا يا جميل بن مَعْمَرٍ إذا مِتَّ بأساء الحياة ولينها
 ١٩٢ وترجمة جميل في الأغاني طويلة جدًا ، وما ذكرناه ملخص من طبقات
 الشعراء لابن قتيبة .

من اسمه جميل وذكر الأمدى في المؤلف والمختلف ثلاثةً من اسمه جميل : أحدهم هذا .
 والثاني : جميل بن المعلّى الفزاري وهو شاعرٌ فارس ، ومن شعره :

فلا وأبيك ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
 والثالث جميل بن سيده أن الأسدى .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون ^(١) :

(١) الخصائص ٢ : ٣٨٦ والمجم ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وابن
 الشجري ١ : ١٨٠ وشرح شواهد المفتي ٢٦٣ وأمالى الزجاجي ٨١ ونحوه التعبير ١٤٠ .
 وسيكرر هذا الشاهد في الرقم ١١٤ ، فهو سهو من البغدادى .

٦٣ (الا يأنخله من ذات عرقى عليك ورحمة الله السلام) لما تقدم في البيت قبله ، بدليل العطف عليه . فإن قوله (ورحمة الله) عطف على الضمير المستكن في (عليك) الراجع إلى (السلام) ، لأنه في التقدير : السلام حصل عليك ، فحذف حصل ونقل ضميره إلى عليك واستتر فيه . ولو كان الفعل محذوفاً مع الضمير لزم العطف بدون المعطوف عليه .

وبهذا البيت سقط قول ابن خروف بأن الظرف إنما يتحمل الضمير إذا تأخر عن المبتدأ . قال ابن هشام في المغنى : « قول ابن خروف مخالف لإطلاقهم ولقول ابن جنى في هذا البيت : إن الأولى حملُه على العطف على ضمير الظرف لا على تقديم المعطوف على المعطوف عليه . وقد اعترض بأنه تخلص من ضرورة بأخرى ، وهو العطف مع عدم الفصل ، ولم يعترض بعدم الضمير . وجوابه : أن عدم الفصل أسهل لوروده في النثر ، كررت برجلي سواء والعدم ، حتى قيل : إنه قياس » ١٥ .

وإنما نسب الأولوية إلى ابن جنى لأنه ذهب — تبعاً لغيره — في حرف الواو من المغنى إلى أنه من باب تقدم المعطوف على المعطوف عليه ، وأنه من خصائص الواو .

وما زعمه الدماميني في الاختصاص : بأن السعد قال في شرح المفاتيح إن تقديم المعطوف جائز بشرط الضرورة ، وعدم التقديم على العامل ، وكون العاطف أحد حروف خمسة : الواو ، والفاء ، وثم ، وأو ، ولا ، صرح به المحققون . وقال ابن السّيد في شرح أبيات الجمل : مذهب الأخفش أنه أراد : عليك السلام ورحمة الله ، فقدم المعطوف ضرورة ؛ لأن السلام عنده فاعل عليك . ولا يلزم هذا سببويه لأن السلام عنده مبتدأ ، وعليك خبره ، ورحمة الله معطوف على الضمير المستتر .

وأُشْدُّ ثَمَلِبَ فِي أَمَالِيهِ^(١) هَذَا الْبَيْتَ هَكَذَا :

(أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ بَرُّودَ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ)

شَاعَكُمْ : تَبِعَكُمْ ، وَعَلَيْهِ لَا شَاهِدَ فِيهِ . وَأُشْدُّ صَاحِبُ الْجَلِّ فِي بَابِ
النِّدَاءِ . قَالَ الْخَمِيَّ : وَنَخْلَةٌ : مَنَادَى مُنْكَرٌ وَهُوَ الشَّاهِدُ . وَحَكِيَ الْأَعْلَمُ :
أَنْ كُلَّ نَكْرَةٍ تَوَثَّتْ فَلَا تَكُونُ إِلَّا مَنْصُوبَةً وَإِنْ كَانَتْ مَقْصُودَةً مَعْيِنَةً .
وَنَخْلَةٌ عِنْدَهُ مَنَادَى مَقْصُودٌ وَلَكِنْ لَمَّا نَوَّهَهَا نَصَبَهَا . قَالَ : وَذَاتُ عِرْقٍ : مَوْضِعٌ
بِالْحِجَازِ . وَسَلَّمَ عَلَى النَّخْلَةِ لِأَنَّهُ مَمְهُدٌ أَحْبَابُهُ وَمَلْعَبُهُ مَعَ أَتْرَابِهِ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقِيمُ
الْمَنَازِلَ مَقَامَ سُكَّانِهَا فَتُسَلَّمُ عَلَيْهَا وَتُكْتَرُ مِنَ الْخَنِينِ إِلَيْهَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَمَثَلِ الْأَحْبَابِ ، لَوْ يَعْلَمُ الْعَالَا ذُلُّ ، عِنْدِي مَنَازِلُ الْأَحْبَابِ

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَفَى عَنْ مَحَبَّتِهِ بِالنَّخْلَةِ لثَلَا يَشْهَرُهَا ، وَخَوْفًا مِنْ أَهْلِهَا
وَأَقَارِبِهَا . وَعَلَى هَذَا الْآخِرِ اقْتَصَرَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ فِي تَحْوِيلِ التَّجْوِيدِ فِي بَابِ
الْكُنْيَةِ ، قَالَ : وَمِنْ نَحْوَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ كُنْيَتُهُمْ عَنْ حَرَارِ النِّسَاءِ
بِالْبَيْضِ ؛ وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ بِذَلِكَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « كَانَتْ بَيْضُ
مَكْنُونُ » ، وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

وَبَيْضَةُ خَدَرٍ لَا يُرَامُ خِيبَاؤُهَا تَمَتَّتْ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلٍ^(٢)

وَمِنْ مَلِيحِ الْكُنْيَةِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ
سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَيَبْرُونِي هَنَّا مِنْ ذَاكَ تَكْرَهُهُ الْكِرَامُ
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسْ إِذَا هُوَ لَمْ يَخَالِطْهُ الْحَرَامُ

(١) جَالَسَ ثَمَلِبَ ٢٣٩ .

(٢) ط: «وَبَيْضَةُ خَلْدٍ... تَمَتَّتْ مِنْ لَهْوٍ» ، صَوَابُهُ فِي «و» . وَالْبَيْتُ مَعْرُوفٌ فِي مَلَكْتِهِ .

فإن هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة ، وبالهناة عن الرفث . فأما الهناة
فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة
فمن ظريف^(١) الكناية وغيرها « اهـ » .

وقال شراح أبيات الجمل وغيرهم : بيت الشاهد لا يعرف قائله ، وقيل
هو للأحوص . والله أعلم .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون ، وهو من شواهد س^(٢) :

٦٤ (أحمًا بنى أبناء سلى بن جندل
تهدّدكم إيلى وسطّ المجالس)

على أن (تهدّدكم) فاعل الظرف أعنى قوله (أحمًا) لاعتداده على الاستفهام ؛
والتقدير : أفى حقّ تهدّدكم إيلى ؟ كما قال الآخر :

* أفى الحقّ أتى مُغرّم بك هائم^(٣) *

وجاز وقوعه ظرفًا وهو مصدر فى الأصل لما بين الفعل والزمان من
المضارعة ، وكأنه على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه ، كما قالوا : أتيتك
خُفوقَ النجم ، أى وقت خفوق النجم ، فكان تقديره : أفى وقت حق .

وقال ابن الشجرى فى أماليه : قالوا أحمًا إنك ذاهب ، وأكبرَ ظنى
أنك مقيم ؛ يريدون : فى حق ، وفى أكبر ظنى .

(١) فى تحرير التعبير : « طريف » ، بالمهمله .

(٢) سيبويه ١ : ٤٦٨ .

(٣) لماثذ بن المنذر ، كما فى العيني ٣ : ٨١ وشرح شواهد المفنى ٦٣ . وعجزه :

* وأنتك لا خلل هواك ولا خر *

ولك في أن مذهبان : فذهب سيبويه والأخفش والكوفيين رفعُ أن بالظرف ؛ وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيبويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله : غداً الرحيلُ ، وأحقاً أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفي حق أنك ذاهب [والحق أنك ذاهب ^(١)] . والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع اسم الحدث بالابتداء ويخبر عنه بالظرف المتقدم . حكى ذلك عنه سيبويه في قوله : وزعم الخليل أن التهديد ها هنا بمنزلة الرحيل بعد غد وأن أن بمنزلة ا هـ . وقال ابن هشام في معنى اللبيب : أن وصلتها مبتدأ والظرف خبره ؛ وقال المبرد : حقاً : مصدر لحق محذوفاً ، وأن وصلتها فاعل ا هـ .

وقد استشكل النحاس قول الخليل أن التهديد هنا بمنزلة الرحيل بعد غد . الخ ، فقال : وهذا مشكل ، وسألت عنه أبا الحسن فقال : لأنك تقول أحقاً أن تهديدوا ، وكذا أحقاً أنك منطلق ، قال : فحقاً عنده ظرف كأنه قال : أفي حق انطلائك ؛ قال : وحقيقته أزمَنَ حق أنك منطلق ^(٢) ؟ مثل « واسأل القرية » . ١٩٤

قال محمد بن يزيد : لم يُجْزِ الخليل كسر إن هنا ، لأنه يكون التقدير : إنك ذاهبٌ حقاً ، ثم تقدم ؛ ومحال أن يعمل ما بعد إن فيما قبلها . ولو كان العامل فيها جاز فيه التقديم والتأخير نحو حقاً ضربت زيداً ؛ ولا يجوز حقاً زيد في الدار ، فلذلك اضطر إلى تقدير (في) . وإن قلت : أحقاً أنك ذاهب ، جاز لأن العامل معنى ا هـ ^(٣) . قال النحاس : ومممت أبا الحسن يقول :

(١) التكلفة من هـ .

(٢) ط : « وحقيقته أن من حق أنك منطلق » ، صوابه في هـ .

(٣) هـ : « وإن شئت قلت أحق أنك ذاهب جاز لأن العامل معنى أما » .

نظرت في (أحقا) فلم أجد يصح فيه إلا قولُ سيبويه : على حذف في ١٠١ .
 أراد بهذا الردَّ على الجرمي فإنه قال في هذا البيت ونحوه : هو على التقديم
 والتأخير ، ولا يكون على ما قاله سيبويه : من أنه ظرف ؛ لأن الظرف لم يجرى
 مصدراً في غير هذا . وهذا الذي قاله قبيح من جهة أن ما ينتصب لدلالة الجملة
 عليه متقدم . قال أبو علي في التذكرة هذا ليس بالحسن ، علي أن سيبويه
 قال : غير ذى شك أنه خارج . وقولهم : غير ذى شك ، فيه دلالة على جواز
 نصب حقاً على الظرف ؛ ألا ترى أنه إنما أجاز تقديمه حيث كان غير ذى شك
 بمنزلة حقاً وفي معناه ؛ فلو لا أن حقاً في معنى الظرف عندهم لم يستعملوا تقديم
 ما كان في معناه ، إذ العامل إذا كان معنى لم يتقدم عليه معموله ؛ فلو لا أن
 حقاً بمنزلة الظرف لما تقدم على العامل فيه وهو معنى . ويؤكد ذلك أيضاً
 قولهم : أ كبرَ ظنى أنك منطلق ، فإجراؤهم إياه مجرى الظرف يدل على أن
 حقاً أيضاً قد أجرى مجرى الظرف ، إذ كانا متقاربى المعنى . وقد أجرى
 الجرمي هذه الأبيات التي أنشدها سيبويه على أنها محمولة على المصدر ،
 وأن ما بعد المصدر محمول على الفعل أو على المصدر ، فإما أن يعمل فيه المصدر
 وإما أن يعمل فيه الفعل العامل في المصدر . وهذا الذى أجاز غير ممتنع
 وهو ظاهر . وقد كنت سألت أبا بكر عنه فقلت : ما تنكر أن يكون محمولا
 على الفعل ؟ فأجاز ذلك ولم يمنع منه « ١٠١ » .

و (بنى) منادى مضاف لما بعده . و (سلمى) بفتح السين . و (ووى
 و عيذك) بدل تهديكم . (وسط) بسكون السين : ظرف بمعنى بين .

وهذا البيت للأسود بن يعفر ، أول أبيات أربعة . وهذا ما بعده : صاحب الشاهد

(فهلاً جعلتم نحوه من عيذك على رهط قمقاع ورهط ابن حابس) أبيات الشاهد

مُمْ مَنَعُوا مِنْكُمْ تُرَاثَ أَيْبِكُمْ فَصَارَ الثَّرَاثُ لِلْكَرَامِ الْأَكَايِسِ
وَمُمْ أَوْرَدُوكم صَفَّةَ الْبَحْرِ طَامِيَا وَمُمْ تَرْكُوكم بَيْنَ خَازٍ وَنَاكِسٍ

نَحْوُهُ : أَى مِثْلُهُ ، أَى مِثْل مَا هَدَدْتُمُونِى بِهِ . وَالْأَكَايِسُ : جَمْعُ أَكَيْسٍ ،
مِنَ الْكِيَاَسَةِ وَهِيَ الْغُرَافَةُ . وَالصَّفَّةُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ : جَانِبُ الْبَحْرِ وَالنَّهْرِ
وَالْبَثْرِ . وَطَامِيَاً : مِّنْ طَامٍ الْمَاءُ يَطْمُو طُطْمَوًا وَيَطْعَى طُطْيَاً فَهُوَ طَامٍ : إِذَا ارْتَفَعَ
وَمَلَأَ النَّهْرُ ، وَهُوَ بِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ . وَخَازٍ : مِّنْ خَزَمٍ بِالْكَسْرِ يَخْزِي خِزْيَاً ؛
إِذَا ذَلَّ وَهَانَ . وَالنَّاكِسُ : الْمَطَاطِيُّ رَأْسُهُ .

سبب الأبيات

وَالسَّبَبُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَمَا فِي الْأَغَانِي ^(١) : أَنَّ أَبَا جُبَلٍ أَخَا بَنِي عَمْرٍو
ابْنَ حَنْظَلَةَ مِنَ الْبَرَاكِجِمْ ، جَمَعَ مِنْ شَذَازٍ أَسَدٍ وَتَيْمٍ وَغَيْرِهِمْ ، فَغَزَوْا بَنِي الْحَارِثِ
ابْنَ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَتَنَذَرُوا بِهِمْ وَقَاتَلُوهم قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى فَضَّوْا جَمْعَهُمْ ؛
فَلَحِقَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي الْحَارِثِ ابْنَ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ جَمَاعَةً مِّنْ بَنِي نَهْشَلٍ فِيهِمْ
جَرَّاحُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ ، وَحُرَيْرُ بْنُ شَمْرٍو بْنِ هِزَّانٍ ^(٢) ، وَزُهَيْرُ بْنُ جَنْدَلٍ ،
وَرَافِعُ بْنُ صُهَيْبٍ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ جَنْدَلٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ابْنَا حُرَيْرٍ ^(٣) ، بَنِي سَلَمَى
ابْنَ جَنْدَلٍ ؛ فَقَالَ لِمُ الْحَارِثِيِّ : هَلَمْ إِلَى يَاطَلْقَاءَ فَقَدْ أَعْجَبْنِي قِتَالُكُمْ ، وَأَنَا خَيْرٌ
لَّكُمْ مِنَ الْعَطَشِ . قَالُوا : نَعَمْ . فَتَزَلَّ لِيَجْزَى نَوَاصِيَهُمْ ، فَنَظَرَ جَرَّاحُ بْنُ الْأَسْوَدِ
إِلَى فَرَسِهِ ^(٤) فَإِذَا هُوَ أَجْوَدُ فَرَسٍ فِي الْأَرْضِ — يُقَالُ لَهَا الْعَصَاءُ — فَوَثَبَ
فَرَكْبَهَا وَنَجَا عَلَيْهَا . فَقَالَ الْحَارِثِيُّ لِلَّذِينَ بَقُوا مَعَهُ : أَتَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ،
نَحْنُ لَكَ عَلَيْهِ خُفْرَاءُ . فَلَمَّا أَتَى جَرَّاحُ أَبَاهُ أَمَرَهُ فَهَرَبَ بِهَا فِي بَنِي سَعْدٍ فَابْتَنَّتْهَا

(١) الْأَغَانِي ١١ : ٢٣١ — ١٣٢ .

(٢) ٤ : « مَزَال » .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « ابْنَا حُرَيْرٍ » .

(٤) الْأَغَانِي : « إِلَى فَرَسٍ مِّنْ خَيْلِهِمْ » ، أَى مِّنْ خَيْلِ رَهْطِ الْحَارِثِيِّ .

ثلاثة أبطن — وكان يقال لها المصاء — فلما رجع النفر النهشليون إلى قومهم قالوا : إنا خفراء فارس المصاء ، فوالله لناخذتها . فأوعده ، وقال حرير ورافع : نحن الخفيران لها — وكان بنو جرول حلفاء بني سلمي بن جندل ، على بني حارثة بن جندل — فأعان على ذلك التيهان بن بلج بن جرول بن نهشل . فقال الأسود بن يعفر بهجوه :

أفاني ولم أخش الذي ابتعنا به خفيرا بني سلمي حرير ورافع
مُ خيبتوني كل يوم غنيمة وأهلكهم لو أن ذلك نافع
وسيائي إن شاء الله تعالى شرح هذا مع بقية الأبيات في آخر الكتاب في حروف الشرط .

قال : فلما رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردّها أحلفهم عليها ، فحلفوا أنهم خفراء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمهارها ، فردّوا الفرس إلى صاحبها ، ثم أظهر الأمهار بعد ذلك فأوعده فيها أن يأخذوها . فقال الأسود :

أحقا بني أبناء سلمي بن جندل^(١) . الأبيات الأربعة

و (الأسود) هو ابن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم الأسود بن يعفر ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

قل السيوطي^(٢) : وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثانية مع خدّاش ابن زهير والمخبل السعدي والنمر بن تولب^(٣) . وكنيته أبو الجراح . وكان ممن

(١) ط : « أحقا بني أسماء سلمي بن جندل » ، صوابه في ص .

(٢) شواهد المفني للسيوطي ١٨٨ ، ٥٢ .

(٣) هذا خلط ، فإن ابن سلام وضع الأسود مع خدّاش والمخبل في الطبقة الخامسة .

ابن سلام ١١٩ . وأما النمر بن تولب فهو عنده في الطبقة الثامنة ص ١٢٣ .

يهجو قومه . وترجمه الأمدى فى المؤلف والمختلف فيمن لقب بالأعشى ،
فقال : ومنهم أعشى بن نهشل وهو الأسود بن يعفر بن الأسود بن حارثة
ابن جندل بن نهشل بن دارم ، الشاعر المشهور ١٥١ .

وفى الصحاح « الأسود بن يعفر الشاعر إذا قلته بفتح الياء لم تصرفه لأنه
مثل يقتل . وقال يونس : سمعت رؤبة يقول أسود بن يعفر بضم الياء — أى
وبضم الفاء أيضاً — وهذا ينصرف لأنه قد زال عنه شبه الفعل » ١٥١ .

وهو شاعر مقدّم فصيح من شعراء الجاهلية . ليس بمكثر . وله القصيدة
المشهورة التى أولها :

نام الخلى وما أحس رقادى والمم محضر لدى وسادى
وفىها أبيات شواهد فى المعنى لابن هشام تشرح هناك إن شاء الله تعالى ،
وهى من مختار أشعار العرب ، وحكها مأثورة .
وكان يتادم النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد إذا
ذهب إلى موضع .

وابنه (الجراح) وأخوه حطائط شاعران . ومن شعر حطائط ، يقول لأمه
وقد عاتبته على جوده :

أرى ما ترين أو بخيلا محلدا أرى جواداً مات هزلاً لعلى
فربى أكن للمال رباً ولا يكن لى المال رباً تحمدى غيبة غدا
فربى يكن مالى لعرضى وقاية بى المال عرضى قبل أن تبددا^(١)

* * *

(١) ط : « لى المال » ، صوابه فى س .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون ، وهو من شواهد س^(١) :

٦٥ (أَكَلٌ عَامٌ نَمٌّ تَحْوُونَهُ)

على أنه بتقدير (حِوَايَةُ نَمٍّ) ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، فإن قوله (أَكَلٌ عَامٌ) منصوب على الظرف في موضع خبر لقوله (نَمٌّ) فوجب تقدير مضاف . وقدره الشارح المحقق (حِوَايَةُ) بدليل تحوونه ؛ وهو مصدر خويت الشيء أحويه : إذا ضمته واستوليت عليه وملكته . وقدره ابن الأنظم في شرح الخلاصة (إِحْرَازُ نَمٍّ) . وقدره ابن هشام (نَهَبُ نَمٍّ) . وقدره ابن خلف (أَخَذَ نَمٍّ) أو تحصيل نَمٍّ . وقال النحاس : كان المبرد يذهب إلى أن المعنى : أَكَلٌ عَامٌ حدوث نَمٍّ ، فيكون كلٌ منصوباً بالحدوث كما تقول : الليلة الهلالُ . قال أبو الحسن ردّاً عليه : لبس النَمُّ شيئاً يحدث لم يكن ، كيوم الجمعة وما أشبهه ، ولكن العامل في كل الاستقراء والخبر محذوف كأنه قال : نَمٌّ تَحْوُونَهُ لَكُمْ أَمْ .

أقول : المبرد قدر هذا المضاف لصحة الإخبار ، لأنه عامل في الظرف . وكيف يكون العامل في كل الاستقراء مع كون الخبر محذوفاً مقدراً بلكم ! فتأمل .

وقدر صاحب اللب المحذوف مثل المبرد ، قال شارحه : «يحمل أن يكون مراده أن المضاف هنا محذوف ، أي حدوث نَمٍّ حصل في كل عام ، أو حصل في كل عام حدوث نَمٍّ ؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، فيكون المبتدأ أو العامل في التقدير حدثاً غير مستمر . وأن يكون مراده أن

(١) سيبويه ١ : ٦٥ . وانظر المبنى ١ : ٥٢٨ والإنصاف ٦٢ والمخصص ١٧ : ١٩

لنعم في نفسه تَجِدَدًا وُحْدُوًّا في كُلِّ عام كما أن في نفس الهلال تَجِدَدًا وُحْدُوًّا
في كَا شهر « ١٥١ » .

وفهم من كلامه شيئان :

الأول الردّ على أبي الحسن في قوله : « ليس النعم شيئاً يحدث » . والثاني :
أنَّ نَمَا لا يَتَمَيَّن أن يكون مبتدأ ، بل يجوز أيضاً أن يكون فاعل الظرف ،
ومثله قال ابن هشام في شرح الشواهد : « الأحسن أن يكون نَمُّ فاعلاً بالظرف
لاعتداده فلا مبتدأ ولا خبر ، ومع هذا فلا بد من التقدير أيضاً ، لأنه لأجل
المعنى لا لأجل المبتدأ ؛ إذ الذي يحكم له ^(١) بالاستقرار هو الأفعال
لا القوات » ١٥١ .

وأورد س هذا البيت على أن جملة نحوونه صفة لنعم . واستشهد به أيضاً
صاحب الكشاف على تذكير الأنعام في قوله تعالى : « وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ
لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ » ، لأنه مذكّر ، كما ذكر الشاعر الضمير
المنصوب في نحوونه الراجع إلى النعم ، لأن (النَّمَّ) اسم مفرد بمعنى الجمع ،
قال الفراء : هو مفرد لا يؤنث ، يقال هذا نَمٌّ وارد . وقال المروئي : والنعم
يذكر ويؤنث وكذلك الأنعام تذكر وتؤنث ؛ ولهذا قال : مما في بطونه ،
وفي موضع آخر : مما في بطونها . قال الراغب في موضع : النعم مختص بالإبل .
قال : وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة . ثم قال : لكن الأنعام
يقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون فيها إبل . وقال في قوله
تعالى « مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ » : إن الأنعام هاهنا عام في الإبل وغيرها .

١٩٧

(١) في ط : « عليه » .

وَرُويَ أَيْضاً : (في كلِّ عامٍ) بِالْجَارِ بَدَلَ الْهَمْزَةِ ، وَالْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ
الْإِنْكَارِ . وَبَعْدَهُ :

(يُلْقِيْهِ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَ أَرْبَابُهُ نَوَكِيْ فَلَاحِيْمُونَ)
(وَلَا يُبْلِقُونَ طَعَامًا دُونَهُ أَنْتُمْ الْأَبْنَاءُ نَحْسِبُونَهُ)
(أُنْهَاتَ أُنْهَاتٍ لِّمَا تَرْجُونَ)

يقول : يحملون الفُحولة على النوق ، فإذا حملت أغرتم أنتم عليها
فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندهم . يقال : ألحق الفحل الناقة : إذا أحبلها .
واللقاح كسحاب : ماء الفحل . وتنتجونه ، بناء الخطاب ، يقال : نتج الناقة
أهلها أي استولدها ، وأنتجت الفرس بالهمزة : حان نجاتها . قال صاحب
المصباح : « النتاج بالكسر اسم يشمل وضع البهائم من الفم وغيرها .
وإذا ولي الإنسان ناقة أو شاة ماخضاً حتى تضع قيل : نتجها نتجاً من باب
ضرب ، فالإنسان كالقابلة لأنه يتلقى الولد ويصلح من شأنه ، فهو ناتج ،
والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة . والأصل في الفعل أن يتعدى إلى مفعولين
فيقال نتجها ولداً ، لأنه بمعنى ولدها ولداً . وبنى الفعل للمفعول فيحذف الفاعل
ويقام المفعول الأول مقامه . ويقال : نتجت الناقة ولداً إذا وضعت . ويجوز
حذف المفعول الثاني اقتصاراً لفهم المعنى ، فيقال : نتجت الشاة . ويجوز إقامة
المفعول الثاني مقام الفاعل وحذف المفعول الأول لفهم المعنى فيقال : نتج الولد
ونُتجت السخلة أي ولدت^(١) . وقد يقال : نتجت الناقة ولداً ، بالبناء للفاعل
على معنى ولدت أو حملت . قال السرقسطي : نتج الرجل الحامل : وضعت
عنده ، ونُتجت هي أيضاً : حملت ، لغة قليلة . وأنتجت الفرس وذو الحافر
بالألف : استبان حملها فهي نتوج » اهـ .

(١) بعده في المصباح : « كما يقال أعطى درم » .

وهذا التفصيل لا يوجد في غير هذا الكتاب ، ولهذا نقل برّته .
 ونوکی بفتح النون : جمع أنوك ، وهو الآحق الضعيف التدبير والعمل ؛
 والاسم النوك بالضم والفتح ، نوك كفرح نواة ونوكا محرّكة واستنوك ،
 وهو أنوك ومستنوك ، والجمع نوکی كسكری ونوك كهوج ، وامرأة نوكاء من
 نوك أيضاً . وأنوكه : صادفه أنوك . وقوله : فلا يحمونه ، أى لا يمنعون من
 أراد الإغارة عليه . والأبناء : كلّ بنى سعد بن زيد^(١) ، إلّا بنى كعب بن
 سعد^(٢) . وتحسبونه بالخطاب أيضاً . وأيهات : لفة في هبّات . وقوله :
 لما ترجونه ، بالخطاب أيضاً ، أى رجوا أن يدوم لهم هذا الفعل في الناس فنمنّاهم
 منه وحمينا ما ينبغي أن نحميه .

وهذه الأبيات قيلت في يوم الكلاب الثاني ، فإن للعرب فيه يومين
 عظيمين . وهو بضم الكاف وتخفيف اللام ، وهو ماء لبني تميم بين
 الكوفة والبصرة .

وكان من حديث هذا اليوم على ما في شرح المناقضات وفي الأغاني^(٣) :
 أنه لما أوقع كسرى بنى تميم — وذلك أنهم كانوا أغاروا على لطيّمتة فلعجّوا
 إلى الكلاب ، وذلك في القيظ ، وقد أمنوا أن تقطع عليهم تلك الصحارى ،
 فدلّ عليهم بنو الحارث بن عبد المّدان فقتلت المقاتلة وبقي الذراريّ
 والأموال — بلغ ذلك مذحجاً فشئى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتسموا بنى تميم ،
 ثم بعثوا الرسل في قبائل اللّين وأحلافها من قضاة ، فقالت مذحج للأمور

أيوم الكلاب
الثاني

١٩٨

(١) ط : « كل بنى سعد وبنى زيد » ، صوابه في ص مع أثر تصحيح ، وجهرة
 ابن حزم ٢١٥ .

(٢) وكذا عمرو بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، قال ابن حزم : « فإنها
 يدعون البطون » .

(٣) النقاظ ١٠٧٢ والأغاني ١٥ : ٧٠ .

الحارثي الكاهن : ما ترى ؟ فأشار بالكفّ عن غزوم . وزعموا أنه اجتمع من مدحج ولقّها اثنا عشر ألفاً — فكان رئيس مدحج عبدُ يغوث بن وقّاص^(١) ، ورئيس ممدان رجلٌ يقال له لبشرح^(٢) ، ورئيس كندة البراء ابن قيس بن الحارث الملك — فأقبلوا إلى بني تميم فبلغ ذلك سعداً والرّباب ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكرم بن صيفي فاستشاروه . فقال : « أقلّوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، تثبتوا فإن أحرز الفريقين الرّكين ، وربما عجلة تهبّ ريئاً ، وبرزوا للحرب ، وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل » . فلما انصرفوا من عند أكرم تهيّئوا للغزو ، واستعدّوا للحرب . وأقبل أهل اليمن في بني الحارث من أشرافهم : يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحرّم ، ويزيد بن اليكسّم^(٣) بن المأمور ، ويزيد بن هوبر ، حتى إذا كانوا بتيمن — وهي ما بين نجران إلى بلاد بني تميم — نزلوا قريباً من الكلاب ، ورجل من بني زيد بن رباح بن يربوع يقال له مشمت بن زبناح في إبل له وهو عند خال له من بني سعد ، ومعه رجل من بني سعد^(٤) يقال له زهير بن بو ، فلما أبصرهم المشمت قال لزهير : دونك الإبل . وتنحى عن طريقهم^(٥) حتى أتى الحى فأنذرهم ، فأعدّوا للقوم وصبحوهم ، فأغاروا على النعم فأطردوه ، وجعل رجلٌ من أهل اليمن يقول :

(١) في الأغاني : « عبد يغوث بن صلاة ، وكذا في معجم البلدان (كلاب) . ومنشؤه اختصار النسب ، فهو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاة بن المقل . وانظر سائر نسبه في الأغاني والمفضليات .

(٢) كذا في س مع أثر تصحيح . وفي ط : « مشرح » وفي الأغاني : « مسرح » .

(٣) كذا في س وضمها . وفي ط : « الطيسم » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من الأغاني .

(٥) الأغاني : « وتنح عن طريقهم » .

في كل عام نم نثابة على الكلاب غيباً أربابة

فأجابه غلام من بني سعد كان في النعم على فرس له ، فقال :

عما قليل يلحقن أربابه

وروى : عما قليل سترى أربابه

صلب القناة حازما شبابة على جساد ضمر غيابه

وأقبل بنو سعد والرباب — ورئيس الرباب النعمان بن جساس ، بكسر الجيم وتخفيف السين ، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم . وأجمع العلماء على أن قيس بن عاصم كان الرئيس يومئذ — فقال رجل من بني ضبة^(١) حين دنا من القوم — وقال شراح أبيات سيبويه : هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثي — :

في كل عام نم تحوونه . . . الأبيات

وتقدمت سعد والرباب فالتقوا في أوائل الناس فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النعم من قبل وجوهه فجعلوا يصرفونه بأرماحهم^(٢) ، واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يومهم ، حتى إذا كان آخر النهار قُتل النعمان بن جساس ، وظن أهل اليمن أن بني نعيم ليسوا بكثير ، حتى قُتل النعمان فلم يزدحم ذلك إلا جراءة ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل . فلما أصبحوا غدوا على القتال^(٣) . فنادى قيس بن عاصم : يا آل مُقاعص — وهو الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن نعيم — فسمع الصوت وعلة بن عبد الله بن الجرهمي

(١) الأغاني : « فقال صبي » ، صوابه « ضبي » .

(٢) ط : « من قبل وجوهها فجعلوا يصرفونها بأرماحهم » .

(٣) في المقد : ٣٢٧ والأغاني ١٥ : ٧١ زيادة طريقة ، وهي : « فنادى قيس

ابن عاصم يال سعد ، ونادى عبيد ينفث يال سعد : قيس يدع سعد بن زيد مناة بن نعيم ، وعبيد ينفث يدع سعد المشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب . فنادى عبيد ينفث :

يال كعب . قيس يدع كعب بن سعد ، وعبيد ينفث يدع كعب بن مالك .

وكان صاحب اللواء يومئذ فطرحة ، وكان أول من انهزم منهم ، وحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم وجعل رجل منهم يقول :

يا قوم لا يُفْلِتْكُمْ اليزيداني : يزيد حَزَنٌ ويزيد الرِّيانُ
مُحْرَمٌ أعنى به والديانُ

(مُحْرَمٌ) هو ابن شُرَيْح بن المحرَّم بن حَزَن بن زياد بن الحارث بن مالك ابن ربيعة بن كعب بن الحارث . وهو صاحب المحرَّم ببغداد^(١) . ١٩٩

وجعل قيس بنادي : يالَ تميم ، لا تقتلوا إلا فارساً فإنَّ الرجالَ لكم ! وجعل يأخذ الأسرى فا زالوا في آثار القوم يقتلون ويأسرون حتى أسروا عبد يغوث بن وقاص . وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في باب المنادى عند شرح قوله :

فيارا كَبًّا إِمَّا عَرَضْتَ فبِلْعَنُ نَدَامَايَ مِنْ نَجْزَانِ أَنْ لَا تَلْقَا
وأما وَعْلَةٌ فَإِنَّهُ لَحَقَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي نَهْدٍ يُقَالُ لَهُ سَلِيطُ بْنُ قَتَبٍ^(٢) فَقَالَ لَهُ
وَعْلَةٌ : « أَرَدْتَنِي خَلْفَكَ ! فَإِنِّي أَخْوَفُ الْقَتْلَ » . فَأَبَى أَنْ يُرَدِّفَهُ ، فَطَرَحَهُ عَنْ
قَرَبَوْسِهِ وَرَكِبَ عَلَيْهَا^(٣) . وَأَدْرَكَتْ بَنُو سَعْدِ النَّهْدِيِّ فَقَتَلُوهُ ، فَقَالَ وَعْلَةٌ
لَمَّا أَتَى أَهْلَهُ :

لَمَّا سَمِعْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِسًا تَطْلَعُ مِنِّي ثَغْرَةَ النَّحْرِ جَائِرُ^(٤)
يعنى القلب .

(١) انظر معجم البلدان (المحرم) وفي هذا خلاف .

(٢) هذا ما في النفاضة . وفي ط : « قتب » . وس : « قشب » .

(٣) س : « فَأَبَى أَنْ يُرَدِّفَهُ فَتَجَا يَحْضُرُ » .

(٤) ط : « حائر » وفي المقد : « ناجر » ، محرفتان عما في س . وفي الأغاني : « حلت بأن اليوم أغبر فاجر » . والجائر : حر يؤذى الجوف عند الجوع .

نَجوتُ نَجاءَ ليس فيه وَتيرةٌ كَأَنِّي عُقابٌ دُونَ تَيْمَنَ كاسِرٍ^(١)
وقد قلتُ لِلنَّهْدِيِّ هل أنت مُردِفِي وكيف ردافُ القَلِّ أَثْمُكَ عابِرٍ^(٢)

من العبرة ، يقول : عَبَرْتُ^(٣) أَثْمُكَ ، كيف تُردِفُنِي وإِنَّكَ قَلٌّ مُنْهَزِمٌ ؟
أَناشدُهُ وَالرَّحْمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وقد كان في نَهْدٍ وَجَرَمَ نَدَابِرُ^(٤)
أَي تَقاطَعُ وَتَباغُضُ .

فَن يَك بَرَجو فِي تَنِيمِهِ هَوادَّةٌ فليس لَجَرَمٍ فِي تَنِيمِهِ أَواصِرُ
أَي قَرابات .

فَدَيْ لَكُمَا رَجُلِي أُمِّي وَخَالَتِي غَدَاةَ الْكُلَّابِ إِذْ تُجِزُّ الدَّوَابِرُ^(٥)
وذلك أَنَّ قَيْسَ بْنَ عاصِمٍ لما أَكْثَرَ قَوْمُهُ الْقَتْلَ فِي الْيَمَنِ أَمَرَهُمْ بِالْكَفِّ
عَنِ الْقَتْلِ وَأَنْ يَجْزُوا عِرَاقِيهِمْ .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالسُّتُونَ^(٦) :

(إِلَّا جَبْرِئِيلُ أَمَامُهَا) ٦٦

-
- (١) المقَد : «عند تَباء» ، والأغَان : «دُون تَباء»
(٢) عابِر ، أَي ناكِل ، كما في الاشتقاق ٤٩٦ عند إنشاد هذا البيت وفي ط :
«عابِر» ، صوابه في سـ والاشتقاق واللسان (عبر) .
(٣) ط : «من العثرة يقول عثرْتُ» ، صوابه في سـ .
(٤) رواية المقَد :

يَذْكُرُنِي بِالْأَل بَيْنِي وَبَيْنَهُ وقد كان في جَرَمٍ وَنَهْدِ نَدَابِرٍ

(٥) ط : «رجلي» بالهمزة ، صوابه في سـ والمفضليات ١٦٥ وشرح المفضليات ٣٢
س ١٦ .

(٦) انظر الأزمنة والأمكنة للرزوقي ١ : ٣٠٩ .

وهو قطعة من بيت وهو :

(شَهِدْنَا فَمَا نَلْقَى لَنَا مِنْ كَتِيبَةٍ يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا جَبْرِئُلُ أَمَامُهَا)

على أَنَّ الظرف الواقع خبراً إذا كان معرفة يجوز رفعه بمرجوحية ،
والراجح نصبه ؛ وهذا لا يختص بالشعر خلافاً للجزم والكوفيّين .

و (جبرئيل) مبتدأ . و (أَمَامُهَا) بالرفع : خبره ، والجملة صفة للكتيبة .

وقد أورد هذا البيت ابن هشام في مشرح بانث سعاد عند قوله :

* غَلْبَاءُ وَجَنَاءُ عُلُكُومٌ مَذْكُورَةٌ ^(١) *

وروى (نصرنا ^(٢)) بدل شهدنا . ثم قال : « قوافي هذا الشعر مرفوعة ،
ولما استشهدت على جواز رفع الأمام ، لأنَّ بعض المعصيّين وهم فيه فزهم
أنه لا يتصرف ^(٣) » ا هـ .

وقوله (يَدَ الدَّهْرِ) بمعنى مدى الدهر ، ظرف متعلق بقوله نلقى . و (من)
زائدة . و (كَتِيبَةٍ) مفعول لنلقى . و (لَنَا) كان في الأصل صفة لكتيبة
فلما قدم صار حالاً منه . والكتيبة : طائفة من الجيش مجتمعة ، من الكَتَبَ
وهو الجمع . ونلقى بالنون وبالقاف الفوقية من اللَّقِيَ ، يقال : لَقِيتَهُ أَلْقَاهُ مِنْ
بَابِ تَعَبٍ لُقِيًّا ، والأصل على فُعُول ، وكل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد
لقيه . و (شهدنا) من شهدت المجلس مثلاً : إذا حضرته ، فالمفعول محذوف ،
أى شهدنا غزوات النبي صلى الله عليه وسلم فما لقينا كتيبة . وعبر بالمستقبل
لحكاية الحال الماضية .

(١) مجزوءة ، كما في حواشي ديوان كعب ١٠ .

* في دفعها سنة . فدامها مبل *

(٢) ط : « نصرنا » .

(٣) ط « يتصرف » ، صوابه في هـ .

وهذا البيت لم أر من ذكره ابتداء إلا أبا إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج في تفسيره ، أورده عند قوله تعالى : « قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ » قال : « جبريل : في اسمه لغات قد قرئ ببعضها ، ومنها ما لم يقرأ به ؛ فأجود اللغات جَبْرِئِيل بفتح الجيم والمهمز ، لأن الذي يُرَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب الصور : « جَبْرِئِيل عن يمينه وميكائيل عن يساره » . هذا الذي ضبطه أصحاب الحديث . ويقال جَبْرِيل بفتح الجيم وكسرهما ؛ ويقال جَبْرِئِيل بحذف الياء وإثبات الهمزة ؛ ويقال جُبرين بالنون ، وهذا لا يجوز في القرآن لأنه خلاف المصحف قال الشاعر :

شهدنا فما نلقى لنا من كتيبة . . (البيت)

وهذا على لفظ ما في الحديث وما عليه كثير من القراء ، وقد جاء في الشعر جبريل ، قال الشاعر :

وجبريل رسول الله فينا^(١) وروح القدس ليس له كفاء اه
ولم يبين قائل البيتين . وقد بينهما الصاغاني في الباب قال : « وجبريل اسم يقال : هو جبر أضيف إلى إيل ، وجبر هو العبد وإيل هو الله تعالى وفيه لغات : جَبْرِئِيل كجبر عيل ، وجَبْرِئِيل بغير همز .. وأنشد الأخفش لكعب بن مالك الأنصاري :

شهدنا فما نلقى من كتيبة . . (البيت)

ويقال جَبْرِيل كحز قيل وأنشد لحسان بن ثابت .

وجبريل رسول الله فينا . . (البيت)

ثم ذكر بقية اللغات .

ونسبة ابن هشام في شرح بانت سعاد ، وابن عادل في تفسيره هذا البيت إلى حسان غير صحيحة ، لأنه غير موجود في ديوانه .

و (كعب بن مالك) هو أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كعب بن مالك كانوا يردون الأذى عنه . وكان مجوداً مطبوعاً قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر ، وعُرف به ، ثم أسلم وشهد العقبة — ولم يشهد بدرأ — والمشاهد كلها حاشاً تبوك فإنه تخلف عنها . وقد قيل إنه شهد بدرأ . وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض ^(١) » الآية . والثاني والثالث : هلال بن أمية ، ومرارة ابن الربيع ^(٢) ، تخلفوا عن غزوة تبوك ، فتاب الله عليهم وعذرهم وغفر لهم ، ونزل القرآن المنلو في شأنهم .

وتوفي كعب بن مالك في مدة معاوية سنة خمسين ، وقبل سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة .

وليس كعب يوم أحد لأمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت صفراء ، وليس النبي صلى الله عليه وسلم لأمة ؛ فجرح كعب أحد عشر جرحاً . ولما قال كعب :

جاءت سخيئة كي ثغالب ربها فليُغلبن مُغالبُ الغلاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

وله أشعار حسان جداً في المغازي وغيرها ؛ كذا في الاستيعاب .

(١) الآية ١١٨ من سورة التوبة .

(٢) في تفسير الألوسي : « ويقال فيه ابن ربيعة » .

وأورد له ابن هشام في سيرته مما قاله يوم بدر^(١) :

٢٠١ أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ فِي نَأْيِ دَارِهَا وَأَخْبِرُ شَيْءَ الْأُمُورِ عَلَيْهَا
بَأَنَّ قَدْ رَمَتْنَا عَنْ قَيْسٍ عِدَاوَةٍ مَعْدُ مَعَا جُهْلُمَا وَحَلِيمَا
لَأَنَا عَبْدُنَا اللَّهُ لَمْ نَزِجْ خَيْرَهُ رَجُلُ الْجِنَانِ إِذْ أَلَامَا زَهِيمَا
نَبِيُّ لَهُ فِي قَوْمِهِ لِرِثْ عَزَقٍ وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ هَذَبَتْهَا أُرُومَا
فَسَارُوا وَسَرْنَا فَالْتَقَيْنَا كَأَنَّمَا أُسُودَ لِقَاءُ لَا يَرْحَى كَلِيمَا
ضَرِينَا حَتَّى هَوَى فِي مَكْرَنَا لَمْنَحْرُ سَوْءٍ مِنْ لَوْىَ عَظِيمَا
فَوَلُّوا وَدُسْنَامُ بَيْضِ صَوَارِمٍ سَوَاءٍ عَلَيْنَا حِلْفُهَا وَصَبِيمَا
٥٨. وفي نسخة (نَفِيَّةٌ^(٢)). وسخينة : لقب قريش ، قال في الصحاح :
وَالسَّخِينَةُ^(٣) : طَعَامٌ يَتَّخَذُ مِنَ الدَّقِيقِ دُونَ الْعَصِيدَةِ فِي الرِّقَّةِ وَفَوْقَ الْحَسَاءِ .
وإنَّما يَأْكُلُونَ السَّخِينَةَ فِي شِدَّةِ الدَّهْرِ وَغَلَاءِ السَّعْرِ وَعَجْفِ الْمَالِ ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ
تَعْبُرُ بِهَا « ٥٨ .

* * *

وأشد بدمه ، وهو الشاهد السابع والستون ، وهو من شواهد من^(٤) :

٦٧ (فَوَرَدَنَ وَالْعَيُوقُ مَقْعَدَ رَابِيٍّ أَلَا
ضَرْبَاهُ خَلْفَ النَّجْمِ لَا يَتَنَلَّعُ)

على أن (مقعد) ظرف منصوب وقع خبراً عن اسم عين ، وهو العيوق .

(١) السيرة ٥٢٧ .

(٢) أى بدل « سخينة » ، والنفينة : طعام أغلظ من السخينة .

(٣) كذا في ٥٥ والصحاح . وفي ط : « وسخينة » .

(٤) سيبويه ١ : ٢٠٥ . وانظر ابن يبيش ١ : ٤١ والميسر والقديح ١٣٣

والأزمعة والأمكنة ١ : ٢٠٧/٢٠٩ والمفضليات ٤٢٤ والهذليين ١ : ٦ .

واستشهد به س على نصب المقعد على الطرفية مع اختصاصه به ، تشبيهاً له بالمكان ؛ لأن مقعد الراي مكان من الأماكن المخصوصة ؛ وجاز عمل الفعل في مثله ولم يميز في « الدار » ونحوه ، لأنهم أرادوا به التشبيه والمثل ، فكأنهم قالوا : والعيوق من الثريا مكان قعود الراي من الضرباء ، فخذفوا اختصاراً وجعلوا المقعد ظرفاً لذلك ؛ ولا تقع الدار ونحوها هذا الموقع ، فلذلك اختلف حكمها . كذا قال الأعلام .

وقال الإمام المرزوقي : « ومَقْعَد — وإن كان مختصاً في الأمكنة — جائز أن يكون ظرفاً ؛ لانتقاله عن بابه إلى معنى القرب ، كما أن مقعد الإزار ومقعد القابلة منقولان إليه وجعلاً ظرفين ، وكما أن مناط الثريا ومزجر الكلب نقلاً إلى معنى البعد والإهانة وجعلاً ظرفين » .

وقال السيرافي : « اعلم أن هذا الباب ينقسم قسمين : أحدهما يراد به تعيين المنزلة من بعد أو قرب ، والآخر يراد به تقدير القرب والبعد . فأما ما كان من ذلك يراد به تعيين الموضع وذكر المحل من قرب أو بعد فإنه يجوز فيه النصب على الظرف والرفع على خبر الأول تشبيهاً ؛ والأكثر فيه النصب . ويدلّك على ذلك أنه تدخل الباء عليه فتقول : هو منى بمنزلة ، كأنه قال : هو منى استقر بمنزلة — والباء وفي بمعنى واحد — و : هو منى بمزجر الكلب : إذا أردت هو مهان مباعد . فإذا نصبت فالناصب استقر ، وإذا رفعت فقلت : هو منى مقعد القابلة جعلته بمنزلة قولك : هو قريب كمقعد القابلة ، فإن قلت : هو منى مناط الثريا فكأنك قلت : هو بعيد . وجاز أن تكون هذه الأشياء ظرفاً ، لأنهم قد اتسموا فيها هو من الأماكن أخص من هذه فجعلوه ظرفاً ونصبوه — كقولهم : ذهبت الشام ، ودخلت البيت — تشبيهاً بالأماكن المحيطة كخلف وقدام . قال سيبويه : إنما يجوز هذا فيما تستعمله

العرب ظرقاً من هذه الأماكن ، ولا يجوز القياس عليها . اهـ
وهذا البيت من قصيدة مشهورة لأبي ذؤيب الهذلي برئ بها أولاده ،
عدتها اثنان وستون بيتاً ، مطلعها :

قصيدة الشاهد (أَمِنَ النُّونَ وَرَبِّهَا تَنَوَّجُ وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِّنْ يَّجْزَعُ)

ومنها :

(أودى بنى وأعقبوني غصةً بعد الرقاد وعبرة لا تُقلعُ
فغيرتُ بعدمُ بعيشٍ ناصبٍ وإخالُ أنى لاحقٌ مستبَعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافعَ عنهم فإذا المنية أقبلتُ لا تُدفعُ
وإذا المنية أنشبتُ أظفارها ألفتِ كلَّ تيمة لا تنفعُ
ومجلدى للشامتين أُرهمُ أنى لربِّ الدهر لا أتضعُ
والنفسُ راغبةٌ إذا رغبها وإذا تُردُّ إلى قليل تقنعُ
والدهرُ لا يبقِ على حديثانه جَوْنُ السَّراةِ له جدائدُ أُرَبُّعُ)

على بمعنى مع . والحديثان بمعنى الحادثة . والسراة بفتح السين : أعلى
الظهر ، وسراة كل شيء : أعلاه . والجون بفتح الجيم : الأسود المائل إلى
الحمرة ؛ وأراد يهجون السراة الحار الوحشى . والجدائد : الأئمن التى لألبان أهما
ولمحمدا جدود بفتح الجيم .

أخذ يسلى نفسه ويقول : إن أصبتُ بنى فتكدر بموتهم عيشى فإن
الدهر لا يسلم على نوائبه غيرُ أسود الظهر له أن أربع قد خفت ألبانها . والمعنى :
أن الوحش فى تباعدها عن كثير من الآفات التى يقارها الإنسان ، وفى انصرافها
بطبعها وحدها عن جُلِّ مَراصد الدهر ، وعلى نفاها الشديد وحذارها

الكثير ويُعد مراتعها من الصياد - ليست تتخلص بجهدا من حوادث الدهر ، بل لابد من هلاكها .

وبعد هذا البيت وصفها بطيب العيش في عشرين بيتاً ، إلى أن قال (١) :

فوردن والعيوق مقعد ... (البيت)

و (العيوق) : كوكب أحمر يطلع حبال الثريا وفوق الجوزاء .
و (المقعد) بفتح الميم : مكان القعود ، ويأتى مصدراً أيضاً . (والرابي) مهموز الآخر : اسم فاعل من ربأهم ، من باب منع ، بمعنى علا وارتفع ورفع وأشرف ، كارتبأ . و (رابي الضرباء) هو الذى يقعد خلف ضارب قداح الميسر ، يرتبى لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ، ويعتمدون على قوله فيه ، وهو مأخوذ من ربيثة القوم وهو طليعتهم . والضرباء : جمع ضريب ، ككريم وكرماء ، وهو الذى يضرب بالقداح وهو الموكل بها ، ويقال له الضارب أيضاً .
و (النجم) : الثريا . ويروى (فوق النظم) يعنى نظم الجوزاء (٢) . و (يتنلع) يتقدم ويرتفع ، مأخوذ من التلعة . فقوله : والعيوق مقعد ، جملة اسمية حال من نون وردن ، يقول : وردت الأمن الماء والعيوق من النجم مقعد رابي الضرباء من الضرباء ، أى خلفه لا يتقدم . وهذا إنما يكون فى صميم الحرّ هند الإسحار . وإنما قال : خلف النجم لأنك فى الصيف ترى المجرة عند الإسحار كأنها ملوثة (٣) فترى العيوق متخلفاً عن الثريا . وهذا الوقت

(١) هذا يوم أن قيل قول أبى ذؤيب « فوردن » عشرين بيتاً يصف بها ذلك ، وليس كذلك فإن قبله عشرة وبعده تسعة فيكون جميعها عشرين خصت بصفة ما ذكره .
فى العبارة تساع .

(٢) النظم : ثلاثة كواكب من الجوزاء .

(٣) جلت فى س : « كأنها مستوى » .

القي أشار إليه هو وقت ورود الوحش الماء ، ولذلك يكمن الصيادون فيه عند المزارع ونواحيها .

ومقعد وخلف : منصوبان على الظرف ، وقع الأول خبراً لقوله : والعيوق ، والثاني بدلاً منه ؛ كأنه أراد : والعيوق من خلف النجم مقعد رابى الضرباء من الضرباء ؛ فحنف من خلف ، لأن البدل وهو قوله : خلف النجم ، يدل عليه ، كما حنف من الضرباء لأن جملة الكلام يدل عليه . ويجوز أن يكون خلف النجم في موضع الحال ، كأنه قال : والعيوق من النجم قريب متخلفاً عنه . ويجوز المكس فيكون خلف النجم خبر المبتدأ ، ومقعد حالاً ، والعامل فيه الظرف ، كأنه قال : والعيوق مستقر خلف النجم قريباً . وجملة لا يتنلع ، إما خبر بعد خبر وإما حال بعد حال . قال أبو سعيد الضرير : إنما اشترط التنلع لأن العيوق مادام متقدماً على الثريا في الزمان بقية من الأبارد — والأبارد : برد أطراف النهار — فإذا استوى العيوق معها فقد بقي من الأبارد شيء قليل ، فإذا استأخر عنها استحكم الحر .

ثم ذكر أبو ذؤيب ، فيما بعد هذا من أبيات ، أن الصياد كن لمن فأهلكها جميعاً .

و (أبو ذؤيب) اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل ، أخو بني مازن بن معاوية بن نعيم بن سعد بن هذيل ابن مدركة بن إلياس بن مضر . ومحرث بتشديد الراء المكسورة . وزبيد تصغير الزبد وهو العطية ، وقيل براء مهلة .

وكان هلك لأبي ذؤيب بنون خمسة في عام واحد ، أصابهم الطاعون وكانوا هاجروا إلى مصر^(١) . وهلك هو في زمن عثمان رضي الله عنه

(١) للمبني : « ولي التيجان أنهم كانوا قتلوا بذات الهجال ، وكانوا عشرة . في خبر طويل . »

في طريق مصر ، ودفنهُ ابن الزبير . وقال أبو عمرو الشيباني : مات في طريق إفريقية .

وهو شاعر فحل مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو أشعر هذيل من غير مدافعة . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه بليلة ، أدركه وهو مسجى ، وصلى عليه وشهد دفنه صلى الله عليه وسلم .

وحكى عن نفسه قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، وأوجس أهل الحى خيفة واستشعرت حرباً^(١) ، فبت بليلة طويلة حتى إذا كان وقت السحر هتف الهاتف يقول :

خطبُ أجلُّ أناخ بالإسلام بين النخيل ومقعدِ الآطام^(٢)
قبض النبيُّ محمدٌ فعيوننا تَدْرِى الدُموعَ عليه بالتسجام
فوثبتُ من نومي فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلّا سعد التابج ،
فتفألت به ذبحاً يقع في الإسلام ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم
قد قبض .

وسياتى له أخبار في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون ، وهو من شواهد س^(٣) :

(١) كذا في النسختين . وفي الإصابة ٧ : ٦٤ : « حوبا » ، وفي الروض الأنف ٢ : ٢٧٧ : « حزنا » .

(٢) الإصابة : « ومقل الآكام » . والنخيل ، بهيئة التصغير : عين قرب المدينة ، كما في معجم البلدان .

(٣) ميبوه ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ واللسان (درج ٩٢) .

٦٨ (مُمٌ دَرَجَ السُّيُولِ)

هو قطعة من بيت وهو :

(أَنْصَبُ لِّلْمَنِيَّةِ يَعْتَرِيهِمْ رَجَالِي أُمُ مُمٌ دَرَجَ السُّيُولِ)

على أَنَّ دَرَجًا ظرف منصوب وقع خبراً لقوله : هم .

وتقسم الكلام على نظيره قبله .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لإبراهيم بن هرمة يبكي به قومه لكثرة من فقد منهم .

٢٠٤

و (النَّصْبُ) بالضم : الشيء المنسوب ، والشر والبلاء أيضا ؛ ومنه قوله تعالى : « مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ » . و (دَرَجَ) السُّيُولِ : الموضع الذى يمر به السيل فينزل من موضع إلى موضع حتى يستقر . والدَّرَجُ بفتحين : الطريق ، ورجع أدراجه [و^(١)] يُكْسَرُ ، أى فى الطريق الذى جاء منه .

يقول : قومي كانوا غرضا للمنية فأهلكتهم أم كانوا فى ممر السيل فاجترفهم ؟ فرجالى مبتدأ ونُصْبٌ خبره ؛ وجلة يعترىهم بالياء التحتية : صفة لنُصْبٍ ، وبالناء الفوقية : حال من المنية ، أى تنزل بهم .

وإبراهيم ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن هرمة — بفتح الهاء وسكون الراء المهمله — ابن على بن سلمة بن عامر بن هرمة .

إبراهيم
بن هرمة

قال ابن قتيبة فى الطبقات : « هو من الخُلُج ، من قبس هيلان ؛ ويقال : لَمَنهم من قریش » .

(١) نكته ضرورية . والمراد كسر الهزة ، كما فى اللسان فقيه : « ويقال رجع فلان على خلفه ولأدراجه بكسر الألف » .

وفي الأغاني^(١) : أن نسبه ينتهي إلى قيس بن الحارث . وقيس هم الخُلُج وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر ؛ فلما استُخلف عمرُ أئوه ليفرض لهم فأنكر نسبهم ، فلما تولّى عثمان أئجتهم في بني الحارث ابن فهر وجعل لهم ديوانا فسؤوا الخُلُج ؟ لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ؛ وقيل لأنهم نزلوا بالمدينة خلف بطحان^(٢) ، يدفع عليهم إذا جاء السيل ثلاثة خُلُج : جمع خُلُج .

وابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، قال ابن قتيبة : « حدثني عبد الرحمن عن عمه الأصمعي أنه قال : ساقَةُ الشعراء : ابن ميادة ، وابنُ هرمة ، ورؤبة ، وحكم الخضرى ، حى من محارب ، وقد رأيتهم أجمعين » . وكان من مخضرمى الدولتين ، مدح الوليد بن يزيد ، ثم أبا جعفر المنصور . وكان منقطعا إلى الطالبين . وكان مولده سنة سبعين ، ووفاته في خلافة الرشيد بعد الحسين ومائة تقريباً . وله في آل البيت أشعار لطيفة منها قوله :

ومها ألامُ على جِهم فاني أحبّ بنى فاطمة
بنى بنتٍ من جاء بالحكما ت والدينِ والسنةِ القائمةِ

قال ابن قتيبة : « وكان ابنُ هرمة مولماً بالشراب ، وأخذه صاحب شرطة

(٢) الأغاني ٤ : ١٠١ .

(٣) هذا ضبط اللغويين ، ويضبطه المحدثون بضم الباء . ولكل منهما شاهد . ففي اللغة الأولى قول ابن مقبل :

عفا بطحان من سليمى فيترب فلقى الرجال من منى فالحصب

وفي اللغة الثانية قوله :

سقىا لسلع ولساحاتها والعيش في أكتاف بطحان

أنشدما ياقوت في معجم البلدان ، وذكر أن بطحان أحد أودية المدينة الثلاثة : المتبق ، وبطحان ، وقتاة .

زياد على المدينة فجعله في الحمر ، وهو زياد بن عبيد الله الحارثي ، وكان والياً عليها في ولاية أبي العباس . فلما ولي المنصور شخص إليه فامتدحه فاستحسن شعره وقال : سل حاجتك . قال : تكتب إلى عامل المدينة لايحديني في الحمر . قال : هذا حد من حدود الله ، وما كنت لأعطله . قال : فاحتل لي فيه يا أمير المؤمنين . فكتب إلى عامله : من أذاك بأبن هرمة سكران فاجلده مائة جلدة واجلده ابن هرمة ثمانين . فكان الناس يمرُّون به وهو سكران ، فيقولون : من يشتري ثمانين بمائة . وترجمته في الأغاني طويلاً^(١) .

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون^(٢) :

٦٩ (فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا)

على أن أصله « قبل هذا » ، غذف المضاف إليه ولم ينو لفظه ولا معناه ولهذا نكّر فنون . وتمتته :

(أَغْصُ بِنُقْطَةِ الْمَاءِ الْحَمِيمِ)

وهذا آخر أبيات خمسة ليزيد بن العَصَّاقِ وهي :

أبيات الشاهد

(أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ أَبَا حُرَيْثٍ وَعَاقِبَةُ الْمَلَامَةِ لِلْمَلِيمِ
فَكَيْفَ تَرَى مُعَاقِبِي وَسْعِي^(٣) بِأَذْوَادِ الْقُصِيَّةِ وَالْبَقْصِمِ
وَمَا بَرِحْتُ قَلُوصِي كُلَّ يَوْمٍ تَكَرَّرَ عَلَى الْمُخَالِفِ وَالْمَقِيمِ
فَنَمْتُ اللَّيْلَ إِذْ أَوْقَمْتُ فِيكُمْ قِبَائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمِ
وَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَغْصُ بِنُقْطَةِ الْمَاءِ الْحَمِيمِ)

٢٠٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) انظر المبنى ٣ : ٣٤٥ وابن يمين ٤ : ٨٨ .

(٣) ٣ : « ونسي » .

أبو حريث : كنية^(١) الربيع بن زياد العبسي . والمليم : من ألام الرجل
إذا أتى بما يلام عليه . والمعاقبة : المناوبة ، من العقبة بالضم وهي التوبة .
والذود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر ، لا واحد لها من لفظها ،
والكثير أذواد . والقصيبة : على لفظ مصغر القصبة . والقصيم بفتح القاف
وكسر الصاد : موضعان . والمخالف : من اختلف ، وهم المقيمون في الحيا لما
تذهب الرجال للغزو^(٢) . وقوله : وساغ .. إلى آخره ، معطوف على قوله
فنت . وروى (فساغ) بالفاء ، وهو خطأ . والحميم : الماء الحار ، وليس بمراد
وإنما أورده للقافية ؛ هو من الأضداد يطلق على الماء البارد أيضاً . وساغ من
باب قال : إذا سهل مدخله في الحلق ؛ وأسفته : جعلته سائماً ، ويتعدى بنفسه
في لغة ، ومن هنا قيل : ساغ فعل الشيء وسوغته : إذا أبجته . والشراب :
ما يشرب من المائعات . وأغص : مضارع غصبت بالطعام غصصاً من باب
تعب ، ومن باب قتل لغة ؛ والفصة : ما غص به الإنسان من طعام أو غيظ
على التشبيه . ويتعدى بالهزمة ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه
مخصوص بالماء ، يقال : شرق بالماء وبريقه : إذا لم يبلهما . والشجي بالقصر
يكون في العظم ، يقال شجي بالعظم من باب فرح ، إذا وقف في حلقه .
والجرض بإعجام الطرفين ، يكون من الهم والحزن ؛ يقال جرض بريقه ، وهو أن
يبتلع ريقه على تم وحزن بالجهد ، وهو من باب فرح ، والاسم الجرض
بفتحتين . وما أحسن قول بعضهم :

ذلّ السؤال شجي في الحلق معترض من دونه شرق من بعده جرض

والسبب في هذه الأبيات هو ما حكاه أبو عبيدة قال : كانت بلاد

سبب الأبيات

(١) ط : « كنيته » ، صوابه في س مع لائر لإصلاح .

(٢) كذا في اللسختين ، وهو سهو ، صوابه « حين تذهب الرجال للغزو » .

بني غطفان مخضبة ، فرعت بنو عامر بن صعصعة ناحية منها ، فأغار الربيع
ابن زياد العبسي على يزيد بن الصعق وكان في كرش الناس — أى في
جماعتهم — فلم يستطعه الربيع ، فاستفاء سروح بن جعفر والوحيد ابني كلاب
(واستفاء من الفء وهى الغنيمة ، أى ردّها معه ، والمعنى فاستاق سروحهم ،
والسرح : الإبل التى ترعى) ، فقال فى ذلك الربيع :

فاذْ أَخْطَأْتُ قَوْمَكَ يَا زَيْدًا^(١) فَأَنْعَى جَعْفَرًا لَكَ وَالْوَحِيدَا

فحرم على نفسه يزيد بن الصعق الطيب والنساء حتى يغير عليه ، فجمع
قبائل شتى ثم أغار فاستاق نعماً لهم ، وأصاب عصفائر النعمان بن المنذر — وهى
إبل معروفة يقال لها المصافير — فقال يزيد فى ذلك هذه الأبيات . وقال لبيد
ابن ربيعة أيضاً برّد على الربيع بن زياد حين ذكر جعفرًا والوحيد :

لَسْتُ بِغَافِرٍ لِبْنِي بَغِيضٍ سَفَاهَتَهُمْ وَلَا خَطَلَ اللِّسَانِ
سَأَخْذُ مِنْ سَرَائِهِمْ بِمَرْضَى وَلَيْسُوا بِالْوَفَاءِ وَلَا الْمَدَانِي
فَإِنَّ بَقِيَّةَ الْأَحْسَابِ مِنَّا وَأَصْحَابَ الْحِمَالَةِ وَالطُّعْمَانِ
جَرَائِمُ مَنْعَمٍ بِيَاضَ نَجْدٍ وَأَنْتَ تَعَدُّ فِي الزَّمْعِ الدَّوَانِي
وَأَجَابَهُ السَّابِقَةُ الدَّبِيائِي وَقَالَ :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي لَبِيدًا أَبَا الدَّرْدَاءِ جَحْفَلَةَ الْأَمَانِ
فَقَدْ أَزْجَى^(٢) مَطِيَّتَهُ إِلَيْنَا بِمَنْطِقِ جَاهِلٍ خَطَلَ اللِّسَانِ^(٣)

وقول لبيد : خطل اللسان ، يريد طول اللسان . وسمى الأخطل لطول

(١) س : « أَخْطَأَكَ قَوْمَكَ » .

(٢) ط : « أَرْخَى » ، صوابه فى س .

(٣) البيتان مما لم يرو فى ديوانه .

لسانه . ويقال شاة خطلاه ، إذا كانت طويلة الأذنين . والسراة : الأشراف .
 وقوله : وليسوا بالوفاء . الخ ، أى سأنتقم من أشرافهم بسبب عرضي وإن
 لم يوفوا بمرضى ولا يدانوه . والحمالة بالفتح : تحمل الدية . والجرومة : التراب .
 المجنم تجمع الريح في أصول الشجر فيتلبّد حتى يصير كأنه خلقة . والزعم :
 جمع زمة بالتحريك ، وهى هنة زائدة فى قوائم الشاة .
 وقول النابغة : جحظة الأتان ، بدل من قوله ليبدأ ، وهو بتقديم الجيم
 على المهملة . والأتان : الحمار ، وهى كلمة ذم . وأزجى ^(١) : ساق .

(تنمة)

المشهور فى رواية هذا البيت :

فساغ لى الشرابُ وكنت قبلاً أ كاد أخصّ بالماء الحميم
 قال الميى : « قاله عبدالله بن يعرب بن معاوية بن عبادة بن البكاء
 ابن عامر ، وكان له ثأر فأدركه فأنشده » . انتهى . ورواه الثعالبي والزخشرى :
 * أ كاد أخصّ بالماء الفرات *

ولعله من شعر آخر ، وكذلك مارواه أبو حيان فى تذكرته عن الكسائى :

* أ كاد أخصّ بالماء المعين *

لكنه رواه عنه (وكنت قبل) بالرفع والتنوين . ثم قال : قال الفراء :
 هذا التنوين نظير تنوين المنادى المفرد إذا لحقه التنوين فى ضرورة
 الشعر ، كما قال :

(١) ط : « ارخى » ، صوابه فى س .

قَدِّمُوا ؛ إِذْ قِيلَ قَيْسٌ قَدِّمُوا وارفعوا المجدَ بأطرافِ الأسفل^(١)
 أراد : يا قيسُ ، فنوّنه ضرورة ؛ والأجودُ النصب كما قال الآخر :
 فطِرْ خالداً إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ طَيْرَةً ولا تَقَعَنَّ إِلَّا وَقَلْبُكَ طَائِرٌ^(٢)
 قال أبو حيان : « وهذا الذي اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد
 في الضرورة هو مذهب أبي عمرو وأصحابه ؛ والمذهب الأول — وهو رفعه
 منونا — مذهب الخليل وسيبويه وأصحابهما . ومذهبُ أبي عمرو أقيس » اهـ .
 ووجه كونه أقيس أنَّ المنادى مفعول ، والقياس إذا تَوَنَّى في الضرورة
 أن يرجع إلى أصله وهو النصب ، فَإِنَّ الضرائرَ تُرْجَعُ الأشياءُ إلى أصولها .
 وأما رفع قبل مع التنوين فوجهه : أَنَّ أصله كان مبنياً على ضمة لحذف المضاف
 إليه وإرادة معناه ، فنوّن ضرورة كتنوين العلم المنادى .

يُؤَيِّدُ بِنِ الصَّقِ (يزيد) هو يزيد بن عمرو بن خويلد بن نَقيِل بن عمرو بن كلاب
 الكلابي . وخويلد يقال له (الصَّعِق) قال أبو عمرو وابن الكلبي : ابن الصَّعِقِ
 إِنَّمَا سَمِيَ الصَّعِقَ لِأَنَّهُ عَمِلَ طَعَاماً لِقَوْمِهِ بَعْكَازٍ ، فَنَجَّاهُ رِيحٌ بِغُبَارِ فَسَبَّاهَا ٢٠٧
 وَلَعْنَاهَا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ . وقال ابن دريد : الصَّعِقُ : أَنْ يَسْمَعَ
 الْإِنْسَانُ الْهَدَّةَ الشَّدِيدَةَ فَيَصْقُقُ لِنَدَاكَ وَيَذْهَبُ عَقْلُهُ . وَالصَّعِقُ الْكَلَابِيُّ أَحَدُ
 فِرْسَانِهِمْ ، سَمِيَ الصَّعِقَ لِأَنَّ بَنِي تَمِيمٍ ضَرَبُوهُ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ فَأَمَّتْهُ^(٣) فَكَانَ
 إِذَا سَمِعَ الصَّوْتَ الشَّدِيدَ صَقِقَ فَذْهَبَ عَقْلُهُ^(٤) . والله أعلم .

* * *

(١) للبيد في ديوانه ١٩٢ برواية : « واحفظوا المجد » .

(٢) في ط : « ولا تقعن » .

(٣) ط : « فأدمته » . أمه أما : أصاب أم رأسه .

(٤) انظر الاشتقاق ٢٩٧ .

وأنشد بعده وهو الشاهد السبعون، وهو من شواهد س^(١) :

٧٠ (تَرَعُّ مَارَعَتْ حَتَّى إِذَا أَدَّ كَرْتُ

فَانْمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ)

على أن اسم المعنى يصح وقوعه خبراً عن اسم العين إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هي .. هذا من قبيل زيد عدل .

وفيه ثلاثة توجيهات : أحدها : كونه مجازاً عقلياً بحمله على الظاهر ، وهو جعلُ المعنى نفسَ العينِ مبالغة . والثاني : أنَّ المصدر في تأويل اسم الفاعل في نحوه وتأويل اسم المفعول في نحوه زيد خَلَقَ أى مخلوق . والثالث : أنه على تقدير مضاف محذوف أى ذات إقبال .

وهذا البيت للخنساء . قال سيويه : « جعلتها الإقبال والإدبار مجازاً صاحب الشاهد على سعة الكلام ، كقولك : هارك صائم وليك قائم » .

وأستشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى : « وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آتَى » على أن الإسناد مجازي ، بدعوى أن المتقى هو عين البر ، يجعل المؤمن كأنه تجسد من البر . وكان الزجاج يأبى غير هذا .

قال عبد القاهر : [لم] ترد^(٢) بالإقبال والإدبار غير معناها حتى يكون المجاز في الكلمة ، وإنما المجاز في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ، كأنها تجسدت من الإقبال والإدبار . وليس أيضاً على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه — وإن كانوا يذكرونه منه — إذ لو قلنا : أريد إنما هي ذات

(١) سيويه ١ : ١٦٩ . وانظر ابن يعيش ١ : ١١٤ وابن الشجرى ١ : ٧١ والخصائص ٢ : ٣/٢٠٣ و١٨٩ والنصف ١ : ١٩٧ ودلائل الإعجاز ٢١٢ .

(٢) ط : « زيد » س : « ترد » بدون لم فيها . وصوابه من دلائل الإعجاز . والنم مقتبس بتصرف .

إقبال وإدبار أفسدنا الشعر على أنفسنا ، وخرجنا إلى شيء مفسول^(١) ، وكلام عاتق مرذول ، لاساغ له عند من هو صحيح الذوق والمعرفة ، نسبة للمعاني .
ومعنى تقدير المضاف فيه : أنه لو كان الكلام قد جرى به على ظاهره ولم تقصد لمبالغة لكل حقه أن يجاء بلفظ الذات ، لأنه مراد « ا هـ » .

وروى الأخفش في شرح ديوان الخنساء عن ابن الأعرابي أنه روى (فإنما هو) أراد : فإنما فعلها .

آيات الشاهد وهذا البيت من قصيدة لها ترى بها أخاها صخرًا تيف على ثلاثين بيتًا في رواية الأخفش ؛ وقبله :

(فسا عجولٌ على بؤٍ تطيف به قد ساعدتها على التحنان أظارٌ)

وبعده :

(لآتسن الدهر في أرضٍ وإن رمت وإتما هي تحنانٌ وتسجارٌ^(٢))
يومًا بأوجد منى يوم فارقي صخرٌ ، ولدهر إحلاهِ وإمرار)
العجول : الشكول ، أراد به الناقة . وروى : (ماأم سقب) وهو الذكر من ولد الناقة ؛ ولا يقال للأُنثى سقبة ، ولكن : حائل . والبؤ : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلد أمه ، يحشى تبنًا وهي لا تراه ، ويدنى منها فتشمه وترأه فتدبر عليه اللبن . وساعدتها : وافقها . والتحنان : الحنين . والأظار : جمع ظئر ، وهي التي تعطف على ولد غيرها .

٢٠٨ يقال (رمت) الإبل إذا رعت ، وأرتعتها : تركتها ترعى . وروى (ترتع ماغفلت) . و (اذكرت) أى تذكرت ولدها ، وأصله اذكرت .

(١) ط : « مفسول » ، ووجهه في سه ودلائل الإجاز .

(٢) ط : « ونجسار » ، صوابه في سه .

وزعم ابن خلف عن بعضهم : أنه في وصف بقرة أخذ ولدها . وقولها : لا تسمن الدهر الخ ، يقال حنّت الناقة ، إذا طرّبت في إثر ولدها ، فإذا مدّت الحنين وطرّبت قيل سَجَرَت بالجيم . وقولها : بأوجدَ مني ، أى بأشدّ مني وجدا . وللدهر إحلاء وإمرار ، أى سرور وحزن ، يقال ما أحلى ولا أمرٌ ، أى ما أتى بحلوة ولا مرّة .

ومن هذه القصيدة :

من أبيات
القصيدة

(وإنَّ صخرًا لمولانا وسيدنا وإنَّ صخرًا إذا نشئوا لنَحَارَ
وإنَّ صخرًا لتأتمَّ الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نار)

قيل إذا اجتمع المولى والسيد قدم المولى كما هنا . وروى :

* وإنَّ صخرًا لحامينا وسيدنا *

وإنما قالت : إذا نشئوا لنَحَارَ ، لأن النحر في الشتاء ، لأن الإطعام فيه أشدُّ مؤنة . وقولها : لتأتمَّ الهداة به ، أى تجعله الأدلاء إماما . والعلم : الجبل ، وكلُّ مُشْرِفٍ ، شبيه بالجبل ، وفي رأسه نارٌ أشدُّ للدلالة والهداية ، وأشهر في الشرف . وهذا (إيغال) وهو ختم البيت بما يفيد نكته يتم المعنى بدونها فإن قولها : كأنه علم ، يتم المعنى به ، وهو التشبيه بما هو معروف بالهداية ، فإنها جعلت أخاها جبلا مشهورا يتوجّه إليه ولا يخفى أمره على قاصي ودان ، ثم لما أرادت المبالغة لم تقنع بذلك وأردفته بقولها : في رأسه نار ، فجعلته بعد أن كان علما يشار إليه ، مملّما بعلامة يعرفه كل من يراه .

و (الخنساء) هى بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عُصَيَّة الخنساء ابن خُفّاف بن امرئ القيس بن بهثة^(١) بن سليم .

(١) ط : « بهثة » ، صوابه لى مع أثر تصحيح .

واسمها تُمَاضِر ، بضم التاء المثناة فوق وكسر الضاد المعجمة . قال ابن خلف : قد قالوا للبياض تماضر ، وأكثر ما يكون للنساء ، ومنه قيل اشتقت المضيرة لبياضها . والخنساء : مؤنث الأخنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة . ويقال لها خُنَاس أيضا ، بضم الخاء غير منصرف للعدل والتأنيث .

وهي صحابية ، رضى الله عنها ، قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سُليم وأسلمت معهم . وهي أم العباس بن مرداس ، وهي أم إخوته الثلاثة ، وكلهم شاعر . ولم تلد الخنساء إلا شاعراً ، ومن ولدها أبو شجرة السُّلَمي^(١) . وقال الكلبي : أم ولد مرداس جميعاً إلا العباس ، فإنها ليست أمه . ولم يذكر من أمه . وذكر صاحب الأغاني أن الخنساء أمه .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه شعرها ويستنشد بها ويقول : هيه يا خُنَاسُ ، ويومئ بيده صلى الله عليه وسلم .

ولما قدم عدى بن حاتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحادثه فقال : يا رسول الله ، إن فينا أشعر الناس وأسخر الناس وأفرس الناس ، قال : منهم . قال : أمّا أشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر ، وأمّا أسخر الناس فحاتم بن سعد — يعني أباه — وأمّا أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس كما قلت يا عدى ، أمّا أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو ، وأمّا أسخر الناس فمحمد — يعني نفسه صلى الله عليه وسلم — وأمّا أفرس الناس فعلى بن أبي طالب » .

واتفق أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها .

وقيل لجرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا لولا الخنساء . قيل : بم فضلتك ؟ ٢٠٩
قال : بقولها :

إِنَّ الزَّمانَ وَمَا يَفْنَى لَهُ عَجْبٌ أُبْقِيَ لَنَا ذَنْبًا وَاسْتَوَصَلَ الرَّاسُ
إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

وكانت في أوائل أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ،
ثم أخوها صخر ، فأكثر من الشعر وأجادت ، وكان أحبهما إليها لأنه كان
حليما جوادا محبوبا في العشيرة ، شريفا في قومه . وكان أبوها يأخذ بيدي
ابنيه صخر ومعاوية ويقول : أنا أبو خيرى مضر . فتعترف له العرب بذلك .
وما زالت ترى صخرًا وتبكيه حتى عمت ، وكانت تقول بعد إسلامها :
كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا اليوم أبكى له من النار .

ودخلت على عائشة رضى الله عنهما وعليها صدر من شعر^(١) فقالت لها :
ما هذا ؟ فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ألبس صدرا عليه !
قالت : إن له حديثا . قالت : وما هو ؟ قالت : زوجنى أبى سيّداً من سادات
قوى متلافاً معطاءً ، فأنفد ماله وقال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى
صخر . فأتيناه فقاسمنا ماله وأعطانا خير النصفين ، فأقبل زوجى يعطى ويهب
ويحمّل ، حتى أنفده ، ثم قال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر .
فأتيناه وقاسمنا ماله وأعطانا خير النصفين ، إلى الثالثة ، فقالت له امرأته :
أما ترضى أن تقاسمهم مالك حتى تعطيهـم خير النصفين ؟ . فقال :

وَاللّٰهُ لَا أَمْنَحُهَا شِرَارَهَا وَلَوْ هَلَكْتُ قَدَحْتُ خَارَهَا
* وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارِهَا *

(١) الصدر ، ككتاب : ثوب رأسه كالقنمة وأسفله ينفى الصدر . والمقنعة : ماتنعم
به المرأة رأسها .

فذلك الذى دعانى إلى لبس الصدر .

وكان من حديث قتله : أنه جمع جمعاً وأغار على بنى أسد بن خزيمة ؛ فطغنه ابن ربيعة بن ثور الأسدى فأدخل فى جوفه حلقاً من الدرع فاندمل عليه فأضناه وطال مرضه وملّه أهله ، فكانوا إذا سألوا امرأته سليبي عنه قالت : لا هو حى فئرجى ولا هو ميت فيننى^(١) — وصخر يسمع كلامها فيشق ذلك عليه — وإذا سألوا أمّه قالت : أصبح صالحاً بنعمة الله . فلما أفاق بعض الإفاقة عمّد إلى امرأته فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت . وقيل : بل قال : ناولونى سيفى لأنظر كيف قوتى — وأراد قتلها — وناولوه فلم يطق السيف ، ففى ذلك يقول :

أرى أمّ صخر ما تملّ عيادتى	وملّت سُليبي مضجعى ومكائى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة	عليك ومن يفتّر بالحدّ ثانٍ
أمّ بأمر الحزم لو أستطيعه	وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى ، لقد نبّهت من كان نائماً	وأسمعت من كانت له أذنان
ولموت خير من حياة كأنها	معرّس يعسوب برأس سنان
وأى أمرىء ساوى بأمّ حليّة	فلا عاش إلّا فى شقاء وهوان

وقيل : إن التى قالت ذلك بُديلة الأسديّة ، كان قد سبهاها من أسد

وأتخذها لنفسه . وأنشدوا مكان البيت الأول :

ألا تلكم عرمى بُديلة أوجست فراقى وملّت مضجعى ومكائى
قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اللبد^(٣)

(١) ط : « فيلى » .

(٢) ط : « أوحشت » ، صوابه فى — .

(٣) هذا الصواب من نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٧ . وفى النسختين « مثل اللبد » .

وفى الأغاني ١٣ : ١٣١ : « مثل الكبد » .

في موضع الطعنة واسترخت ؛ قالوا له : لو قطعناها رجونا أن تبرأ ، قال : شأنكم ، الموت أهونُ عليّ مما أنا فيه . قطعها ، فيئس من نفسه ومات .
وروى أن امرأته هذه كانت ذات كفّل وأوراك ، وكانت قد ملّته ، وكان يكرها ويقدمها على أهله ؛ فرّ بها رجلٌ وهي قائمة فقال لها : أبيع هذا الكفّل ؟ فقالت : عما قليل — وصخر يسمع — فقال : لئن استطعت لأقدّمك أُمّى . ثم قال لها : ناوليني السيف أنظر هل تُقلّهُ يدي ! فدفعته إليه فإذا هو لا يقّله . فعندما أنشد الأبيات المذكورة .

ذكر ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري وقد ترجمناه نحن أيضاً في الشاهد الثامن والعشرين^(١) — أن الصاحب ابن عباد كان يودّ الاجتماع به ويكاتبه ويستميل قلبه ، فيعتلّ عليه بالشيخوخة والكبر ، فلما يئس منه احتال في جذب السلطان إلى ذلك الصوّب وكتب إليه حين قرب من عسكر مُكرّم^(٢) كتاباً يتضمن علوماً نظماً ونثراً ، ومنه قوله :

ولما أيتّم أن تزوروا وقُلتُم : ضَعُفْنَا فَمَا تَقْوَى عَلَى الْوَحْدَانِ
أَتَيْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ أَرْضٍ نَزُورُكُمْ عَلَى مَتَزِلِّ بَكْرٍ لَنَا وَعَوَانِ
نُسَائِلُكُمْ هَلْ مِنْ قَرْيٍ لَنُزِيلُكُمْ بِلَاءَ جَفُونٍ لَا بِلَاءَ جِفَانِ ؟
فلما قرأ أبو أحمد الكتاب أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب : عن النثر
نثراً ، وعن النظم نظماً ، وهو :

أروم نهوضاً ثم يثنى عزيمتي تعوُّصُ أَعْضَائِي مِنَ الرَّجْفَانِ^(٣)

(١) انظر ما سبق في ص ٢٠٢ .

(٢) عسكر مكرم : بلد مشهور من نواحي خوزستان .

(٣) ط : « تعوُّصُ أَعْضَائِي » ، صوابه في ص مع أثر تصحيح . وفي معجم الأدباء .

٨ : ٢٥٣ : « تعوُّصُ أَعْضَائِي » .

فَضَنْتُ بَيْتَ ابْنِ الشَّرِيدِ كَأَنَّمَا تَعَمَّدَ تَشْيِيبِي بِهِ وَعَنَانِي :
 « أَمَّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعَهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ »
 فلما بلغت الصَّاحِبَ اسْتَحْسَنَهَا وَوَقَعَتْ مِنْهُ مَوْعِظَةً عَظِيمَةً ، وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتُ
 أَنَّ هَذَا الْمَصْرَاعَ يَقَعُ فِي هَذِهِ الْقَافِيَةِ لَمْ أَتَعَرَّضْ لَهَا .

وبقية الحكاية هناك مسطورة .

وفي الاستيعاب : أَنَّ الْخُنُسَاءَ حَضَرَتْ حَرْبَ الْقَادِسِيَّةِ وَمَعَهَا بَنُوهَا :
 أَرْبَعَةُ رِجَالٍ : فَقَالَتْ لَهُمْ : يَا بَنِيَّ أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ ، وَهَاجِرْتُمْ مَخْتَارِينَ ؛ وَوَاللَّهِ
 الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّكُمْ لِبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ ، كَمَا أَنْكُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ، مَاخُذْتُ
 أَبَاكُمْ ، وَلَا فَضَحْتُ خَالَكُمْ ، وَلَا هَجَنْتُ حَسْبَكُمْ ، وَلَا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ ^(١) . وَقَدْ
 تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ . وَاعْلَمُوا
 أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ ، خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . فَإِذَا
 أَصْبَحْتُمْ غَدًا فَاغْدُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِينَ ، وَبِاللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ
 مُسْتَنْصِرِينَ . فَلَمَّا أَضَاءَ لَهُمُ الصَّبْحُ بَاكِرُوا مَرَاكِزَهُمْ فَتَقَدَّمُوا وَاحِدًا بَعْدَ
 وَاحِدٍ ، يَنْشُدُونَ الْأَرَاغِيزَ ؛ فَقَاتَلُوا حَتَّى اسْتَشْهَدُوا جَمِيعًا . فَلَمَّا بَلَغَهَا الْخَبَرَ
 قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرٍّ
 رَحِمَهُ . فَكَانَ عَمْرُ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ يَعْطِيهَا أَرْزَاقَ أَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةِ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ
 ٢١١ مِنْهُمْ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، حَتَّى قَبِضَ وَمَاتَتِ الْخُنُسَاءُ

(١) فِي بَعْضِ نَسَخِ الْإِسْتِيعَابِ ١٨٢٨ : « وَلَا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون^(١) .

٧١ (أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِى شِعْرِى)

على أن عدم مغايرة الخبر للمبتدأ إنما هو للدلالة على الشهرة ، أى شعرى الآن هو شعرى المشهور المعروف بنفسه لاشئ آخر .

استشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى : «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»^(٢) ، على أن المراد السابقون مَنْ عَرَفَتْ حَالَهُمْ وَبَلَّغَكَ وَصْفَهُمْ ، كما فى شعرى شعرى ، أى شعرى ما بلغك وصفه وسمعت ببراعته وفصاحته . وصح إيقاع أبى النجم خبراً لتضمنه نوع وصفية ، واشتهاره بالكمال ، والمعنى : أنا ذلك المعروف الموصوف بالكمال ، وشعرى هو الموصوف بالفصاحة .

وهذا البيت من أرجوزة لأبى النجم العجلي ، وبعبده :

(اللَّهُ دَرَى مَا أَجَنُّ صَدْرِى مِنْ كَلِمَاتٍ بَاقِيَاتِ الْحَرْفِ)

من أرجوزة
الشاهد

تنائم عيني وفؤادى يسرى مع العفارىت بأرضٍ قفر)

الدَّرُّ فى الأصل اللبن ، يقال فى المدح لله دَرَّه أى عمله . وقد شرحه الشارح فى باب التمييز بما لا مزيد عليه . وقوله ما أجَنُّ صدرى ، هو صيغة تعجب من الجنون ، قال فى الصحاح : وقوله ما أجَنَّهُ — فى المجنون — شاذ لا يقاس عليه . و (من كلمات) متعلق به ، ومن ابتدائية أو تعليلية .

وأبو النجم تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع^(٣)

* * *

(١) ابن يعيش ١ : ٩/٩٨ و ٨٣ وابن النجوى ١ : ٢٤٤ والخصائص ٣ : ٣٣٧

والهمع ١ : ٢/٦٠ : ٥٩ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الواقعة .

(٣) ص ٩

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون ^(١) :

٧٢ (رَقَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعَ

فَقُلْتُ - وَأَنْكَرْتُ الْوَجْهَ - : مُمُّ مُمُّ)

لما تقدم في البيت قبله ، أي هم الذين يطردونني ويطلبون دمي .

صاحب الشاهد وهذا البيت لأبي خراش الهذلي ، مطلع قصيدة ، وهي ستة عشر بيتاً ، ذكر فيها تغلته من أعدائه حين صادفهم في الطريق كامينين له ، وسرعة عدوه حتى نجا منهم .

روى السكري في شرح أشعار الهذليين عن الأخفش قال : « خرج أبو خراش وأم خراش يريدان بعض أهلها ، فرأى بخزاعة ، فلما رأتهما خزاعة قالوا : هذا أبو خراش وامراته فلا تهبجوها حتى يدنوا منا ^(٢) . فقال أبو خراش لأم خراش : فإن سألوك فقولي : تخلف كأنه يقضى حاجة ، وهو مارث بكم . ففضت حتى إذا علم أبو خراش أنها قد جاوزت الثنية وأمنهم جاء يمشى رؤيداً حتى مر في وسطهم ، فسلم فردوا عليه السلام ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : لإخوتك وبنو عمك فتباعد منهم ، فهتوا به فعدا وعدوا على إثره ، فأعجزهم وجعلوا ينظرون إليه ويرمونه ، ونجا منهم » اهـ .

وفي الأغاني بسنده : « أن أبا خراش الهذلي خرج من أهله هذيل ^(٣) ، يريد مكة ، فقال لزوجته أم خراش : ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة ، وإن بنى الدليل يطلبونني يترات ، فأياك أن تذكريني ؟ فخرج بها وكن لحاجته ،

(١) الخصائص ١ : ٢٤٧/٣ : ٣٣٧ والهذليين ٢ : ١٤٤ وشرح السكري ١٢١٧ .

(٢) ط : « يدنو منها » ، صوابه في س مع أثر تصحيح .

(٣) في الأغاني ٢١ : ٣٨ : « من أرض هذيل » ، وفي ط : « من أهل هذيل »

صواب هذه من س .

وخرجت إلى السوق لتشتري عطراً وما تحتاجه النساء^(١) فمرّ بها فتیان من بنى الدّیل فقال أحدهما لصاحبه : أمّ خراش وربّ الكعبة ؟ فسألها عليها فقالت : ٢١٢ بأبي أنّا من أنّا ١ ؟ فقالا : رجلان من أهلک هذیل . قالت : فإن أباخراش معی فلا تذکراه لأحد ، ونحن رائحون العشیة . فجمع الرجلان جماعة وكنوا فی طریقہ ، فلما نظر إليهم قال لها : قتلتنی . قالت : ماذا کرّک وربّ الكعبة إلّا لفتّین من هذیل . فقال : والله ما هما من هذیل ولكنهما من بنى الدّیل ، وقد جلسا لی وجما جماعة من قومهما ، فإذا جزت علیهم فأتهم لن یمرضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم ، فاركضی بعبیرک وضعی علیہ العصا . فكانت علی قعودٍ یسابق الريح . فلما دنا منهم وقد تلتّموا ووضعوا أنمرا علی طریقہ علی کساء فوقف قليلاً كأنه یصلح شیئاً — وجازتهم أم خراش ووضعت العصا علی قعودها — وتواثبوا إلیه ، فوثب یمدو ، وسبقهم ولم یلحقوه . وقال أبو خراش فی ذلك هذه القصيدة « ١٥ .

و (رفونی) قال المفضل بن سلمة فی الفاخر ، والمرزوق فی شرح الفصیح : رفوت الرجل : إذا سکنته — وأنشد هذا البيت — ثم قال : ویقال رافیت فلاناً أى وافقته . قال الشاعر :

ولما أن رأیتُ أبارؤیم یُرافینی ویکره أن یلاما

وأما رفات الثوب إذا أصلحت خرقة أرفؤه رفناً فبالهمز، ومنه : بالرّفاء والبنین ، إذا دعی للمتزوج .

وفی المقصور والمدود للقالی : الرفاء بالمدّ : الاتفاق والالتئام ، ومنه قولهم : بالرّفاء والبنین — ونهى رسول الله صلی الله علیه وسلم أن یقال :

(١) الأقاني : « أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن » .

بالرَّفَاء والبنين^(١) . وقال أبو عبيد قال الأصمى : الرِّفاء يكون على معنيين :
يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، قال : ومنه أخذ رفء الثوب ، لأنه يُرفَأُ
فيضمُّ بعضه إلى بعض ويلأم ، ويكون الرِّفاء من الهدوء والسكون ، قال :

رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِد . . (البيت)

وحدثني أبو بكر بن دريد قال : قال الأصمى في بيت أبي خراش :
أرَادَ رَفَوْنِي بِالْهَمْز . والدليل على صحة ما روى أبو بكر قول الأصمى في كتاب
الهمز : ويقال رفأت الرجل ، إذا سكنته حتى يسكن . وكذلك : المرافاة
مهموز ، والدليل على ذلك قول أبي زيد في كتاب الهمز : رفأت الثوب أدرفؤه
رفئاً ، ورفأت المملك ترفئة^(٢) إذا دعوت له ، ورافأتى الرجل في البيع
مرافاةً اه فجعله مهموزاً لا غير .

وكذلك قال المسكوى في كتاب التصحيف : « أخبرنا ابن أبي سعيد
أخبرني طابع^(٣) سمعت قنعب بن مُحَرِّز^(٤) يسأل الأصمى عن قول الشاعر :
رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِد . . البيت ، فقال قنعب : رَفَوْنِي بِالْقَاف ، فقال
الأصمى : ما معنى رَفَوْنِي ؟ قال : رَفَوهُ بِالْكَلام . قال يَصْحَف وَيُفْسِر
التصحيف : إنما هو رَفَوْنِي بِالْفَاء ، وأصله رَفَوْنِي مِنْ رَفَاتٍ ، فأزال الهمزة
الشاعر » اه .

و (خويلد) : اسم الشاعر . و (لا تُرْع) نَهَى بِالْبِنَاء لِلْمَفْعُول ،

(١) في اللسان (رفا) : « وإنما نهى عنه كراهية ؛ لأنه كان من عادتهم ، ولهذا
سن فيه غيره » .

(٢) نط : « ترقؤه » ، صوابه في سه والنوادر ١٩٣ .

(٣) في التصحيف ٣٧ : « طابع » .

(٤) في النسختين : « محرر » ، وأثبت ما في التصحيف .

أى لا يحصل لك رَوْع وخوف . وجملة أنكرتُ حال من ضمير قلت ، بتقدير
قد وجملة ثم م مقول القول ^(١) .

أبو خراش

و (أبو خراش) قال ابن قتيبة فى الطبقات : « هو خويلد بن مرة ، أحد
بنى قرد بن عمرو بن معاوية بن نعيم بن سعد بن هذيل . أحد فرسان العرب
وفتاكهم . أسلم وهو شيخ كبير وحسن إسلامه » .

وفى تاريخ الذهبى ما يدل على أن إسلامه كان يوم حنين .

وذكره ابن حجر فى القسم الثالث من الإصابة ، وهم المخضرمون الذين
لم يرد فى خبرٍ قط أنهم اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم . ٢١٣

وفى الأغانى ^(٢) عن الأصمى قال : « دخل أبو خراش مكة فى الجاهلية
— وكان ممن يعدو على رجله فيسبق الخيل — فرأى الوليد بن المغيرة له
فرسان يريد أن يوسلها [فى الحلبة ^(٣)] فقال : ما تجعل لى إن سبقتهما عدوا ؟
قال : إن فعلتَ فهما لك .. فسبقهما » . وقال الكلبي والأصمى : « مر على
أبى خراش نفر من اليمن حجاجاً فترلوا عليه فقال : ما أمسى عندى ماء ،
ولكن هذه برمة وشاة وقربة ، فردوا الماء فإنه غير بعيد ، ثم اطبخوا الشاة
وذروا البرمة والقربة عند الماء نأخذهما . فامتنعوا وقالوا : لا نبرح . فأخذ
أبو خراش القربة وسعى نحو الماء تحت الليل فاستقى ، ثم أقبل فنهشته حية

(١) ط « مفعول القول » .

(٢) المبنى « هذا النقل عن الأغانى يوجد فى ٢١ ، ٣٩ . وهذا دليل على أن الجزء
الحادى والعشرين منه الذى كان طبع أولاً بليد مجموع عن عدة نسخ من الأغانى
من زياداتها على طبعة بولاق ، وإنما نهينا على ذلك لأن دار الكتب المصرية أنكرت
هذا الجزء (انظر مقدمتها على الجزء الأول من طبعتها) ، وفى حفظى أنى وجدت
فى اللآلى أيضاً نقلاً عن الأغانى وجدته فى هذا الجزء » .

(٣) التكمة من الأغانى .

فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء ولم يعلمهم بما أصابه . فباتوا يأكلون ؛ فلما أصبحوا وجدوه في الموت ؛ فأقاموا حتى دفنوه . فبلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه خبره فقال : والله لولا أن تكون سنة لأمرت أن لا يُضاف يَمَآئِ بعدها ثم كتب إلى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا به فيغترمهم دينه ..

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون ^(١) :

٧٣ (بُنُونَا بَنُو أَبْنَانَا ، وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْإِبَاعِدِ)

على أن المبتدأ والخبر إذا تساويا تعريفاً ونخصيصاً يجوز تأخير المبتدأ إذا كان هناك قرينة معنوية على تعيين المبتدأ ، فإنه قدم الخبر هنا على المبتدأ لوجود القرينة من حيث المعنى ، فإنك عرفت أن الخبر هو محط الفائدة ، فما يكون فيه التشبيه الذى تذكر الجملة لأجله فهو الخبر ، وهو قوله بنونا ، إذ المعنى : أن بنى أبنائنا مثل بنينا ، لا أن بنينا مثل بنى أبنائنا .

قال ابن هشام فى شرح شواهد ابن الناظم : « وقد يقال : إن البيت لا تقديم فيه ولا تأخير ، وإنه جاء على عكس التشبيه كقول ذى الرمة :

* ورملي كأوراق العذارى قطعتة ^(٢) *

فكان ينبغى للشارح — يعنى ابن الناظم — أن يستدل بما أنشده والده فى شرح التسهيل من قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

قبيلة الأم الأحياء أكرمها وأغدرُ الناس بالجيران وأفها

(١) ابن يعيش ١ : ٩٩ / ٩ : ١٣٢ والآنصاف ٦٦ والمص ١٠٢ ، ١ وشرح شواهد المص ٢٨٧ .

(٢) مجزه كما فى حواشى ص والديوان ٣١٨ .

* وقد جللته المظلمات الحنادس *

إذ المراد : الإخبار عن أكرمها بأنه ألام الأحياء ، وعن وافيهما بأنه أغدر الناس ؛ لا العكس . انتهى المراد منه .

وقد منع الكوفيون تأخير المبتدأ ، قال ابن الأنبارى فى الإنصاف ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه ، مفرداً كان أو جملة ؛ فالأول نحو ، قائم زيد ، والثانى نحو : أبوه قائم زيد . وأجازه البصريون لجيشه فى كلام العرب نظماً ونثراً ، ومن النظم قوله : « بنونا بنو أبنائنا .. البيت » . وأطال الكلام فيه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته فى كتب النحاة وغيرهم ؛ قال العيني : « وهذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيون على دخول أبناء الأبناء فى الميراث ، وأنّ الانتساب إلى الآباء ، والفقهاء كذلك فى الوصية ، وأهل المعانى والبيان فى التشبيه . ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله » ا هـ .

ورأيت فى شرح الكرماني فى شواهد شرح الكافية للخيصى أنه قال :

هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق بن غالب ، ثم ترجمه . والله أعلم
بحقيقة الحال .

وأشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون ، قول أبي تمام (١) :

٧٤ (لُعبُ الأفاعي القاتلاتِ لُعبهُ

وأرئى الجنى اشتارتهُ أيدٍ عواسلُ)

لما تقدم فى البيت قبله . أى لعبه مثل لعب الأفاعي .

أبيات الشاهد وهذا البيت أحد أبيات عشرة في وصف القلم ، من قصيدة لأبي تمام ، مدح بها محمد بن عبد الملك الزيات .

وأبيات القلم هي ، هذه ، وهي أحسن وأخف من جميع ما قيل في القلم ^(١) :

(لك القلم الأعلى الذي بشبّأته) يُنال من الأمر الكلي والمفاصل له انخلوات اللاء لولا نجيها لما احتفلت للملك تلك المحافل

لعاب الأفاعي القتلات لعابه البيت له ريقة ظلّ ، ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل وأعجم ، إن ناطقته وهو راجل عليه شعاب الفكر وهي حوافل لنجواه تقويض الخيام الجحافل

إذا ما امتطى الحس اللطاف وأفرغت أطاعته أطراف الرماح وقوّضت إذا استغزر الذهن الخلى وأقبلت وقد رفته الخنصران وسدّدت رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف ضني ، وسميماً خطبه وهو ناحل

الشبا بفتح الشين والقصر : حدّ كلّ شيء . وقوله : ينال من الأمر ، روى أيضاً « يصاب من الأمر » . والسكلى : جمع ك्लीة وكَلْوَة ، جاء بالياء والواو . والمفاصل : جمع مفصل ، وهو ملتقى كلّ عظمين ، أراد أن القلم يطبق المفصل ويصادف المحزّ ، وبه يُنال مقاصد الأمور ، فإنه ينال بالأقلام ، ما يعجز عنه مجالدة الحسام .

وقوله : له انخلوات الخ ، يعني أن أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السرّ يُخلى لهم الملوك المجالس للمشورة ، وبهم يحصل نظام الملك . والنجى :

(١) الحيوان ١ : ٦٧ وأمالى المرتضى ١ : ٥٣٦ .

المسار^(١) والتناجى . المسارة ؛ وأراد به المشير ، فإن المشورة تكون سرّاً غالباً . والاحتفال : حسن القيام بالأمور . والمحافل : جمع محفل كـ مجلس ومقعد ، وهو المجتمع .

واللّعب : ما يسيل من الفم . والقاتلات : صفة كاشفة للأفاعى ، ذكرها نهويلا . والأرئى ، بفتح الهمزة ومكون الراء : ما لزق من العسل فى جوف الخلية . والجنى بفتح الجيم والقصر : العسل ، والإضافة للتخصيص ؛ فإن الأرى يأتى أيضاً بمعنى ما لزق بأسفل القدر من الطيبخ ، وإن جعلت الأرى بمعنى العسل والجنى بمعنى كل ما يجنى : من ثمرة ونحوها ، يلزم إضافة الموصوف إلى الصفة . واشتارته : استخرجه ، يقال شار فلان العسل شورا وشيلرا وشيارة : إذا استخرجه ، وكذلك أشاره واشتاره . وأيد جمع يد . والعواسل : جمع عاسلة أى مستخرجة العسل ، والعاسل : مشتار العسل من موضعه . والمصراع الأوّل بالنسبة إلى الأعداء والثانى بالنسبة إلى الأولياء ، يعنى أن لعب قلمه بالنسبة إلى الأعداء سمّ قاتل ، وبالنسبة إلى الأولياء شفاء عاجل . فقولہ : لعبه ، مبتدأ مؤخر ولعب الأفاعى خبر مقدم ، وأرى معطوف على الخبر ، وجاز هذا مع تعرف الطرفين لأن المعنى دالّ عليه ، فإن اللعب القاتل إنما هو لعب الأفاعى ، فلعب القلم مشبه به فى التأثير . وعلم من هذا أنه ليس من التشبيه المقلوب^(٢) فإن لعب القلم قد شبه بشيئين وهما^(٣) السمّ والعسل باعتبارين . وإن جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل ، والخبر فى المعطوف محذوف . وفيه تكلف .

(١) ط : « المسار » بالفك ، والوجه فى سه مع أثر تصحيح .

(٢) انظر مامضى من كلام ابن هشام قريبا .

(٣) فى النسختين : « وهو » .

وقوله : « له ريقة طلّ » ريقة مبتدأ ، وطلّ وصفه ، والظرف قبله خبره ،
والطلّ : المطر الضعيف ، والوابل وكذا الوابل : المطر الشديد الضخم القطر .
إنّ ما يجري من القلم حقير تافه في ظاهر الأمر ، ولكن له أثر خير عمّ
للمشارك وللغارب .

وأراد بالحنس اللطاف الأصابع الحنس . والشعاب : جمع شعب بكسرهما :
الطريق في الجبل . والحوافل : جمع حافلة ؛ يقال حفل اللبن وغيره حفلاً وحفولاً :
اجتمع ، واحتفل الوادي : امتلأ وسال .

وقوله : أطاعته أطراف الخ ، هو جواب (إذا) . وروى : « أطاعته
أطراف التنا وتقوّضت » ، يقال تقوّضت الصفوف : إذا انتقضت ، وأصله
من تقويض البناء وهو تقضه من غير هدم . والنجوى : السر . وتقويض
أى كتقويض الخيام . والجحافل : فاعل قوّضت ، وهو جمع جحفل بتقديم الجيم
على المهملة كجعفر : الجيش .

واستغزر الدهن : وجده غزيراً . وفاعله ضمير القلم . والخلّى : الخالي .
وروى بدله (الذكي) أى المتوقد . وإنما تكون أعالى القلم أسافل
حين الكتابة .

ورفدته : أعانته . ورأيت : جواب إذا . وشأنه : فاعل جليلاً . وجملة
« وهو مرهف » حال ، وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوه إذا
رقت شفرته ، ويقال أيضاً رهفته رهفاً ، فهو رهيف ومرهوف . وضئ
تميز ، وهو مصدر ضئى من باب تعب ، إذا مرض مرضاً ملازماً . وسميناً
معطوف على جليلاً . وناحل : من نحّل الجسم ينحّل بفتحهما نحولاً : سقم ،
ومن باب تعب لغة .

وأبو تمام الطائي مضت ترجمته في الشاهد الرابع والخمسين^(١) ولم يورد
الشارح المحقق بينه هنا شاهداً ، وإنما أوردته نظيراً لما قبله .

وأما (ابن الزيات) الذي مدحه أبو تمام بهذه القصيدة فهو أبو جعفر محمد ^{الوزير} ابن الزيات
ابن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ، كان جدّه أبان من قرية يقال لها
الدُّسْكِرَة يَجْلِبُ الزيت . وكان محمدٌ من أهل الأدب فاضلاً عالماً بالنحو واللغة .
ولما قديم المازني بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يحضرون بين يديه
في علم النحو ، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم المازني : ابعثوا إلى
هذا الفتى الكاتب — يعني محمد بن عبد الملك — فاسألوه واعرفوا جوابه .
وكان يصوّب جوابه ، فعلاً شأنه بذلك .

وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وكان أحمد بن عمار البصريّ
وزير المعتصم ، فورد على المعتصم كتابٌ من بعض الأعمال فقرأه الوزير عليه
فإذا في الكتاب ذكر « الكَلأ » ، فقال له المعتصم : ما الكَلأ ؟ فقال :
لا أعلم . فقال المعتصم : خليفة أمي ووزير عامي ؟ ثم قال : أبصروا من بالباب
من الكتاب . فوجدوا محمد بن عبد الملك ، فقال له : ما الكَلأ ؟ فقال :
هو العُشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الخلا ، وإذا يابس فهو الحشيش
— وشرع في تقسيم أنواع النبات — فعلم المعتصم فضله ، فاستوزره وحكّمه
وبسط يده .

١٦

ومدحه أبو تمام بقصائد . ومدحه البحتري بقصيدته الدالية وأحسن
في وصف خطّه وبلاغته^(٢) .

(١) انظر ص ٣٥٦ . وفي الأصل « الثاني والخمسين » خطأ .

(٢) وذلك في أحد عشر بيتاً من قصيدته التي مطلعها :

بعض هذا الشاب والتقييد ليس ذم الوفاء بالحمود

وكان ابن الزيات هجا القاضي ابن أبي دؤاد الإيدى بتسعين بيتاً ، فعل
القاضي فيه بيتين وقال :

أحسن من تسعين بيتاً سدى جمعك مضاهن في بيت
ما أحوج الملك إلى مطرة تفيل عنه وضر الزيت^(١)
وقيل : هما لعل بن الجهم .

وبعد المنصم وزر لابنه الواثق هارون ، فقال ابن الزيات :

قد قلتُ إذ غَيَّبوه وانصرفوا من خير قبرٍ لخير مدفون
لن يجبرَ الله أمةً فقئت مثلكَ إلا بمثل « هارون »

وبعد الواثق وزر للمتوكل . وكان ابن الزيات يدخل عليه المتوكل أيام
المنصم والواثق ، فكان ينجمه ويحقره ويستهزئ به ، فحقد عليه المتوكل ،
وبعد أربعين يوماً من ولايته قبض عليه واستصفى أمواله .

وكان ابن الزيات قد اتخذ تنوراً من حديد ، وأطراف مساميره المحدودة
إلى داخله ، وهي قائمة مثل رموس المسأل ، وكان يمدب فيه أيام وزارته
فكيفما انقلب المذب أو تحرك من برارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه ،
وإذا قال له أحد ارحني أيها الوزير ، فيقول له : الرحة خور في الطبيعة ! فلما

(١) في الأغاني ٢٠ : ٥١ :

أحسن من خمسين بيتاً سدى جمعك لإيمان في بيت
ما أحوج الناس إلى مطرة تذهب عنهم وضر الزيت

والقصة في ابن خلكان ١ : ٢٥ : تخالف هذه ، فإنه قال : وهجا بعض الشعراء الوزير
ابن الزيات بقصيدة عدد أبياتها سبعون بيتاً ، فبلغ خبرها القاضي أحمد — بنى
ابن أبي دؤاد — فقال :

أحسن من سبعين بيتاً هجا . . . الخ كرواية البغدادى

اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنّور ، وقَيّده بخمسة عشر رطلا من الحديد .
فقال له : يا أمير المؤمنين ارحمني . فقال له : الرحمة خور في الطبيعة ١١
كما كان يقول للناس . وكان ذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . وكانت
مدة تعذيبه في التنّور أربعين يوما إلى أن مات فيه . ووجد مكتوبا بالفحم
في جانب التنّور :

مَنْ لَهُ عَهْدٌ بِنَوْمٍ يرشد الصبَّ إِلَيْهِ
رَحِمَ اللَّهُ رَحِيماً دَلَّ عَيْنِي عَلَيْهِ
سَهَرْتُ عَيْنِي وَنَامْتُ عَيْنٌ مِنْ هُنْتُ عَلَيْهِ

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون (١) :

٧٥ (إلى الملك القرم وابن الهمام

وليث الكتيبة في المزدحم)

على أنه يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر كما يجوز عطف بعض
الأوصاف على بعضها كما هنا . قال ابن الهمام : وليث الكتيبة وصفان للملك ،
وقد عطفنا على الصفة الأولى ، وهي القرم .

واستشهد به الفراء في معاني القرآن وصاحب الكشف أيضاً لهذا الأمر .

وبعد بيت أورده ابن الأنباري في الإنصاف وهو :

(وذا الرأي حين تَنَمَّ الأمورُ بذات الصَّليل وذات اللُّجَم)

وقال : « نصب ذا الرأي على المدح » . والقرم بفتح القاف : السيد .

(١) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٣٣١ ، ٣٣٤ بولاق والإنصاف ٤٦٩ .

والهُمام : الملك العظيم الهمة ، والسيد الشجاع السخى . والكتيبة : الجيش ،
وقيل جماعة الخيل إذا [أ] غلوت ، من المائة إلى الألف . والمزدهم :
عمل الازدهام ، يقال ازدهم القوم وتزاحوا أى تضايقوا ؛ وأراد به الحركة .
والغم فى الأصل : ستر كل شئ ، ومنه الغمام لأنه يستر الضوء والشمس ، ومنه
أىضا الغم الذى يغم القلب أى يستره ويفشيه . وقوله : بذات الصليل ، متعلق
بالرأى ، وهو البيضة . يقال : صلّ البيض يصلّ صليلا : مُع له طنين عند
القراع . وذات العجم : الخيل ؛ وهو جمع لجام . أراد أنه يدمم بالسلاح والرجال .

٢١٧

* * *

وأُشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون ^(١) :

٧٦ (فأما القتالُ لاقْتالَ لديكم)

على أن حذف الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الواقع بعد (أما) ضرورة ،
فإن القتال مبتدأ وجلة لاقْتالَ لديكم خبره ، والرابط العموم الذى فى اسم لا .
قاله ابن إياز فى شرح الفصول . ومثله بيت الكتاب لابن ميادة :

ألا ليت شرى هل إلى أم مَعْتَرٍ سبيلُ فأما الصبرُ عنها فلا صبرا ^(٢)

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : هو بمنزلة قولهم نعم الرجل زيد ، وذلك
أن الصبر عنها بعض الصبر لا جميعه ؛ وقوله : فلا صبر نقي للجنس أجمع
فدخل الصبر عنها وهو البعض ، فى جملة ما نقي من الجنس ، كما أن زيدا بعض
الرجال . فأما البيت الآخر :

فأما الصدورُ لا صدورَ لجعفر ^(٣) . ولكن أعجازاً شديداً ضريرها

(١) المبنى ١ : ٤/٥٧٧ : ٤٧٤ وابن بيش ٧ : ١٣٤/٩ : ١٢ والنصف ٣ : ١١٨

والمع ٢ : ٦٧ .

(٢) فى النسختين : « فلا صبر » ، صوابه من سيويه ١ : ١٩٣ . والصواب

أيضا « إلى أم جعفر » ، وهى صاحبه .

(٣) ط : « فأما الصدود لا صدور » ، صوابه فى س .

فالثاني هو الأول سواء ، وكذلك قول الآخر :

فأما القتال لا قتال لديكم (البيت)

فالثاني هو الأول ، وكلاهما جنس . انتهى .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(ولكن سيراً في عراض المواكب ^(١))

(لكن) اسمها محذوف ، و (سيراً) مفعول مطلق عامله محذوف وهو خبر
لكن ، أي ولكنكم تسيرون سيراً . ويجوز أن يكون سيراً اسم لكن والخبر
محذوفاً أي ولكن لكم سيراً . و (في عراض) متعلق بتسيرون المحذوف ،
وهو جمع عُرض بضم العين وسكون الراء وآخره ضاد معجمة ، بمعنى الناحية .
و (المواكب) : الجماعة ركباناً أو مشاة ، وقيل ركاب الإبل للزينة ، من وَكَبَ
يَكِبُ وَكُوباً : مشى في دَرَجَان . وقبل هذا البيت بيت ، وهو :

فَضَحْتُمْ قَرِيشاً بِالْفِرَارِ وَأَنْتُمْ قَمُدُونَ سُودَانُ عِظَامُ الْمَنَاكِبِ

و (القمُد) بضم القاف والميم وتشديد الدال : الطويل ، وقيل الطويل
المنق الضخمة ، من القمَد بفتحين وهو الطول ، وقيل ضخامة العنق في طول .
والوصف أقمد وقمُد ، والأنثى قماء وقمُدَة وقُدانية . والسودان أراد به
الأشراف ، جمع سُود وهو جمع أسود ، أفعل تفضيل من السيادة .

والبيتان للحارث بن خالد المخزومي ، كذا قال ابن خلف . وقال صاحب صاحب الشاهد
الأغاني : هما مهاجبا بهما قديماً بنى أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس اه .

والحارث هو ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو الحارث المخزومي
ابن مخزوم .

(١) ط : « المراكب » صوابه في سـ والمراجع المتقدمة .

قال الزُّبَيْر بن بكار في أنساب قريش : كان الحارث شاعراً كثيراً الشعر ،
وهو الذي يقول :

من كان يسأل عَنَّا أين منزلنا فالأقحواة منا منزل قنْ
إذ نلبسُ العيشَ غَضًّا لا يكتدره خوفُ الوشاة ولا ينبو بنا الزَّمنْ

٢١٨ والأقحواة : ماء بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام ^(١) وكان يزيد استعمله
على مكة وابنُ الزبير يومئذ بها ، فتمعه ابن الزبير ، فلم يزل في داره معتزلاً
لابن الزبير حتى ولى عبد الملك بن مروان فولاه مكة ثم عزله ، قدم عليه
دمشق فلم ير له عنده ما يحب ، فانصرف عنه وقال :

عطفتُ عليك النفسَ حتى كأنما بكفِّيك يؤسى أو لديك نعيمها
فما بيَ إن أقصيتني من ضراعة ولا افتقرت نفسي إلى مَنْ يضيئها ^(٢)
انتهى . ومن شعره :

أظلوهمُ إنْ مُصَابكم رجلاً أهدى السلامَ نحيباً ظلم ^(٣)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون ، وهو من شواهد س ^(٤) :

(١) انظر (أقحواة) في معجم البلدان ، ففيه إلى هذين البيتين بيتان آخران .
وهناك خبر طريف .

(٢) ط : « يضيئها » ، صوابه في ص مع أثر تصحيح .

(٣) ص : « أظلم » ، وما روايتان . انظر المعنى ٣ : ٥٠٢ . والجمع ٢ : ٩٤
وابن الشجري ١ : ١٠٧ . ورجال ثعلب ٢٧٠ والاشتقاق ٩٩ ، ١٥١ .

(٤) سيويه ١ : ٧٠ . وانظر الخزانة أيضاً ٣ : ٤٢١ ، ٤٢٢ . وابن عيش
١ : ٨ / ١٠٠ ، ٩٥ . والجمع ١ : ١١٠ وشرح شواهد المفني ١٥٩ ، ٢٩٥ .

٧٧ ﴿ وَقَالَتِ خَوْلَانُ فَاكِحٌ فَنَاتَهُمْ ﴾

عجزه : (وَأَكْرَمَةُ الْحَيِّينَ خِلْوٌ كَمَا هِيَ)

على أن الفاء في فانكح زائدة عند الأخفش . وخولان مبتدأ ، وانكح خبره . وعند سيبويه غير زائدة ، والأصل : هذه خولان فانكح فئاتهم .

قال ابن خلف : قال أبو علي : من جعل الفاء زائدة أجاز في خولان الرفع والنصب . كقولك : زيداً فاضربه . فإن قلت زيدا فاضرب جاز عند الجميع . قال تعالى : « وَتَيَّا بَكَ فَطَهَّرَ » .

وقتل أبو جعفر النحاس عن المبرد أنه قال : لو قلت هذا زيداً فاضربه ، جاز أن تجعل زيدا عطفاً بيان أو بدلا ، فلورفعت خولان بالابتداء لم يجوز من أجل الفاء ، وإنما جاز مع هذا لأن فيها معنى التنبيه والإشارة . وقال أبو الحسن : ويجوز النصب على النعم . انتهى .

والظاهر أن يقول : ويجوز النصب على المدح كما قال غيره . فإن المرغَّب لا يندم .

وعلى قول س : فالفاء إما لعطف الإنشاء على الخبر وهو جائز فيها له محل من الإعراب ، وإما لربط جواب شرط محذوف ، أى إذا كان كذلك فانكح . قال سيبويه : قد يحسن ويستقيم أن تقول عبداً لله فاضربه ، إذا كان الخبر مبنياً على مبتدأ مظهر أو مضمّر ، نحو هذا زيد فاضربه والملال والله فانظر إليه . وقال السيرافي : الجمل كلها يجوز أن تكون أجوبتها بالفاء نحو زيد أبوك فقم إليه ، فإن كونه أباه سببٌ وعلة للقيام إليه ، وكذلك الفاء في فانكح يدل على أن وجود هذه القبيلة علة لأن يُتزوج منهم ويتقرب إليهم ، لحسن نسائها وشرفها . وفيه إشارة إلى ترتب الحكم على الوصف .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : « رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وما يَبْنِيْهُمَا فَاعْبُدْهُ » ، قال إنَّ رَبَّ خَيْرَ مَبْتَدَأٍ ، أى هو رب السماوات كما فى خولان بالرفع ، أى هؤلاء خولان . وخولان : حىّ باليمن . وروى : « فانكح فئاتها » لأنّه أراد القبيلة . وجملة ^(١) « خولان فانكح فئاتهم » فى محل نصب على أنّها مقول القول ، وإِنَّمَا عمل فيها النصب وهو قائمة لاعتماده على الموصوف المقدر ، أى رب امرأة قائمة . وبه يدفع ما يردُّ عليه من أنّ مجرور ربّ غير موصوف بشئ مع أنّ وصفه واجب ، فإن المجرور هو الوصف ، والموصوف محذوف . أو تقول : الصفة محذوفة ، أى رب قائمة قالت لى . لكن يردُّ عليه أنّ ما بعد ربّ يلزمه المضى ، والوصف هنا مستقبل بدليل إعماله . ويدفع أيضاً بأنّه أراد حكاية الحال الماضية ، بدليل أنّ المعنى : قد قيل لى ذلك ٢١٩ فيما مضى ، وليس المراد أنّه يقال لى هنا فيما يستقبل . أو أنّه ماض وعمل على مذهب الكسائى . قال ابن هشام فى المغنى : وُسِّمَ أعرابىٌ يقول بعد اقتضاء رمضان : « رَبُّ صَائِعِهِ لَنْ يَصُومَهُ ، وَيَلْبِسُ قَائِمَهُ لَنْ يَقُومَهُ » : وهو مما تَمَسَّكَ به الكسائى على إعمال اسم الفاعل المجرد بمعنى الماضى . وربّ هنا فنكثير ، وهى حرف جر لا يتعلّق بشئ . والفعل المدّى محذوف ، أى رب قائمة هذا القول أدركتها ورأيتها ، فمجرور ربّ جاء فى محل رفع على الابتداء ، أو فى محل نصب على المفعولية على شريطة التفسير . وإن قدّرت أدركت فمحلّه نصب لآخر . وقوله « وَأَكْرَمَةُ الْحَيَيْنِ خِلْوُ » الأكرم : فعل الكرم ، مصدر بمعنى اسم المفعول أى ومُكْرَمَةُ الْحَيَيْنِ . وأراد بالحيين حىّ أيّها وحىّ أمّها . والخِلْو بكسر الخاء المعجمة : التى لازوج لها . وهذه الجملة الظاهر أنّها فى محل نصب على الحال ، والمعنى : ربّ قائمة قالت لى هؤلاء خولان فانكح فئاتها . فقلت : كيف أنكحها وأكرمومة الحيين خالية عن الزوج ؟ قيل :

ويجوز أن الجملة من تمام قول القائلة . ولا يخفى أنه لو كان كذلك لكان الوجه أن يقال فأكرومة الحيين ، بالفاء . فتأمل . وقوله « كما هيا » صفة لخلو ، وفيه فعل محذوف أى كما كانت خلوا ، فلما حذفت كان برز الضمير ، وما مصدرية فى الجميع ، ويجوز أيضا أن يكون هى مبتدأ وخبره محذوف وما موصولة ، أى كالحالة التى هى عليها فيما عهدته . والكاف بمعنى على ، ويحتمل أن مازائدة فيكون ضمير الرفع قد استعير فى موضع الضمير المجرور . والمعنى أنها خلوا الآن كهى فيما مضى ، والكاف للتشبيه . ويحتمل أيضا أنها كافة وهى مبتدأ خبره محذوف ، أى هى عليه . وقد جَوَّزُوا هذه الوجوه إلا المصدرية فى قولهم : كن كما أنت ، نقلها ابن هشام فى المغنى فى الكاف وزاد عليها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الحسين التى لم يعرف لها ناظم . والله أعلم .

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون ، وهو من شواهد جمل الزجلجى ^(١) :

٧٨ (إِنْ مَنْ يَدْخُلُ الْكَتَبَةَ يَوْمًا يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَغِيَاءً)

على أن اسم (إِنْ) ضمير شأن ، والجملة الشرطية بعدها خبرها ؛ وإنما لم يجعل (مَنْ) اسما لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر فى جملته فلا يعمل فيه ما قبله ^(٢) .

(١) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٤/٤٦٣ ، ١٢ ، ٣٨٠ وابن يعيش ٣ : ١١٥ والمهم ١٣٦ : ١ وابن الشجرى ١ : ٢٩٥ .

(٢) عبارة الرضى ١ : ٩٢ : « وأما كلمات الشرط الجازمة ، الثابتة الأقدام فى الشرطية ، فلا يدخلها شيء من نواسخ الابتداء إلا فى الضرورة ، فيضم مع ذلك بعدها ضمير الشأن حتى لا يخرج كلمات الشرط فى التقدير عن التصدر فى جملتها ، وذلك نحو قوله : إِنْ مَنْ يَدْخُلُ . الخ . » . فعبارة الرضى أعم وأوضح .

صاحب الشاهد قال ابن السيد في شرح أبيات الجمل : « هذا البيت للأخطل وكان نصرانياً ، فلذلك ذكر الكنيسة » .

وقال ابن هشام اللخمي في شرحها : « لم أجده في دايون الأخطل » .
(أقول) : قد قنشت ديوان الأخطل من رواية الشكري^(١) فلم أظفر به فيه ، ولعله ثابت في رواية أخرى . ونسبه السيوطي في شواهد المغني إلى الأخطل وقال : وبهذه :

(مالت النفس بعدها إذ رأتها فهي ريج وصار جسمي هباء
ليت كانت كنيسة الروم إذ ذا لك علينا قطيفة وخباء)
(الكنيسة) هنا : متعبد النصارى ، وأصله متعبد اليهود ، معرب كُنِشت بالفارسية^(٢) . و (الجآذر) : جمع جُودَر ، وهو ولد البقرة بضم الدال المعجمة ؛ وحكى الكوفيون فتحها أيضاً ، وسردوا ألقاظاً كثيرة على فُعَلَل بضم الأول وفتح الثالث ، منها جُودَر وبرُقَع وطُحَلَب وجُحَدَب ٢٢٠ وضُدَع ، والبصريون لا يعرفون فيها إلا ضم الثالث . و (الطباء) : الغزلان ، الواحد ظبية . يقول : مَنْ يدخل الكنيسة يَلقَ فيها أشباه الجآذر من أولاد النصارى ، وأشباه الطباء من نسائهم . فكنى عن الصبيان بالجآذر ، وعن النساء بالطباء .

وقال اللخمي : ويحتمل أن يريد الصور التي يصورونها فيها ، لأن كنائس الروم قل أن تخلو من الصور شبيهة بالجآذر والغزلان . قال عمر ابن أبي ربيعة :

(١) المبنى : « رواية الشكري هي المطبوعة عن نسخة بطرسبرج » .
(٢) هذا الضبط من معجم استينجاس ١٠٥٥ ، وممنه في الفارسية « معبد النار » : A fire - temple . وانظر كلام الخفاجي في شفاء الغليل (كنيسة) .

دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ صَوَّرَهَا بِجَانِبِ الْخُرَابِ
 ويعنى بالدمية الصورة . والهباء : الغبار الرقيق . والقטיפفة : كساء ذو خمل .
 و (الأخطل) هذا هو الشَّغْبِيّ الشاعر المشهور ، من الأَرَامِ ، واسمه غِيَاثُ ^{ترجمة} الأَخْطَلِ
 ابن غوث ^(١) بن العَلْتِ بن طارقة . وأنهى نسبه الأمدى في المؤلف
 والمختلف إلى تغلب .

قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « وسمى الأخطل من الخطل ، وهو
 استرخاء الأذنين ^(٢) ومنه قيل لكلاب الصيد ^(٣) خُطْلٌ » . قال شارحه ابن
 السيد : « لا أعلم أحداً ذكر أن الأخطل كان طويل الأذنين مسترخيهما ،
 والمعروف أنه لقب الأخطل لبذاءته وسلاطة لسانه ، وذلك أن ابني جعيل ^(٤)
 احتكما إليه مع أمهما فقال :

لعمرك إنني وابني جُعيل وأمهما لإِسْتَارٌ لثِيمٌ

فقيل : إنه لأخطل ! فلزمه هذا القب — والإستار معرب جهار ، وهو
 أربعة من العدد بالفارسية ^(٥) .

وقال بعض الرواة ، وحكى نحو ذلك أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

(١) ط : « من غوث » ، صوابه في س و تيسور . قال الميمني : ورأيت في المخطوطات
 هذا التصحيف — أي تصحيف بن يمن وبالعكس — كثيرا جدا .
 (٢) أراد ابن قتيبة أن كلامه كان مسترخيا كذلك ، وذلك لتعرضه لفساف
 الأمور . وقال ابن دريد في الاشتقاق ٣٣٨ : « وإنما سمي الأخطل لسفه واضطراب
 شعره . هكذا قال الأصمعي . والخطل : الالتواء في الكلام ، يقال رخ خطل ، إذا كان
 شديدا لا هتزاز ، وشاة خطلاء : طويلة الأذنين » . ومثله في الجهرة له ٢ : ٢٣١ .
 وفي اللسان : « وقيل إنما سمي بذلك لطول لسانه » . وصرح الميمني ١ : ٤٢٥ بطول أذنيه
 اغترارا بلفظ ابن قتيبة .

(٣) ط : « كلاب الصيد » صوابه ، في س وأدب الكاتب والاختصاب ١٢٤ .

(٤) ما كتب وعيرة ، ذكرهما ابن قتيبة في الشراء ٦٣١ .

إنَّ السبب في تلقيبه بالأخطل أن كعب بن جُحَيل كان شاعر تغلب في وقته ، وكان لا يَلمَ برهط منهم إلَّا أكرموه وأعطوه ، فنزل على رهط الأخطل فأكرموه ، وجسوا له غنماً وحظروا عليها خطيرة ؛ فجاء الأخطل فأخرجها من الخطيرة وفرقها ، فخرج كعبٌ وشمه ، واستعان بقومٍ من تغلب فجمعوها له وردوها إلى الخطيرة ، فارتقب الأخطل غفلته ففرقها ثانية ، فغضب كعب وقال : كفوا عني هذا الغلام وإلا هجوتكم ! فقال له الأخطل : إن هجوتنا هجوناك — وكان الأخطل يومئذ يقرزم . والقرزمة ^(١) : أن يقول الشعر في أول أمره قبل أن يستحكم طبعه وتقوى قريحته — فقال كعب : ومن يهجونى ؟ قال : أنا ! فقال كعب :

* ويل لهذا الوجه غبّ الحمة ^(٢) *

فقال الأخطل :

* فذاك كعبُ بن جُحَيل أمة *

فقال كعب : إن غلامكم هذا لأخطل . ولجّ الهجاء بينهما فقال الأخطل :

سميتَ كعباً بِشَرِّ العِظامِ وكان أبوك يسى الجمل
وأنت مكانك من وائل مكانُ القُراد من آست الجمل

ففزع كعب وقال : والله لقد هجوتُ نفسى بهذين البيتين ، وعلمتُ أن سَأهَجى بهما . وقيل : بل قال : هجوتُ نفسى بالبيت الأول من هذين البيتين .

(١) في النسختين : « يفرزم ، والفرزمة » ، والتصحيح للعلامة أحمد نيمور . وفي التماموس : « القزمام ، بالكسر : الشاعر الدون . وهو يقرزم شعره » ومثله في اللسان وجاء في الاقتضاب ١٢٤ : « يفرزم » ، وهو تصحيف كذلك . وانظر ما سيأتى في ص ٣٥١ من صفحات الأصل .

(٢) الاقتضاب : « الحمة » .

وقيل إن الأخطل اسمه غويث ، ويكنى أبا مالك ، ويلقب دَوْبِلًا أيضاً ،
والدَّوبِل : الحمار القصير الذنب ؛ ويقال : إن جريرا هو الذي لقّبه بذلك بقوله :

بكى دَوْبِل لا يرقئ الله دمه ألا إنما يبكي من الدلّ دَوْبِل^(١)

ومات على نصرانيته ، وكان مقدّماً عند خلفاء بني أمية ، لمدحه لهم ٢٢١
واقطاعه إليهم . ومدح معاوية وابنه يزيد ؛ وهجا الأنصار رضى الله عنهم
بسببه ، فلغنه الله وأخزاه وخذله . وعُمر عمراً طويلاً إلى أن ذهب إلى النار
وبُشّ القرار .

قال ابن رشيقي في العمدة^(٢) : « ومن الفحول المتأخرين الأخطل . .
وبلغت به الحال في الشعر إلى أن فادم عبد الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير
ابن عطية الشاعر وهو مسلم تقيّ ، أمره بذلك عبد الملك بسبب شعرٍ خايره فيه
بين يديه . وطوّل لسانه حتى قال مجاهراً لعنة الله عليه — لا يستتر في الطعن
على الدين والاستخفاف بالمسلمين — :

ولست بصائمٍ رمضان طوعاً	ولست بآكلٍ لحم الأضاحي
ولست بزاجرٍ عَفَساً بُكوراً	إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست منادياً أبداً بليل	كنل العير : حتى على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً	وأسجدُ عند منبج الصباح

وقد ردّ على جرير أقبح ردّ ، وتناول من أعراض المسلمين وقبائل
العرب وأشرافهم مالا ينبجو من مثله علوى فضلاً عن نصرانيّ .

وعدّ الأمدى في المؤتلف والمختلف^(٣) : من لقّب الأخطل أربعة : أحدهم من لقّبه
الأخطل

(١) الاقتضاب ١٢٥ : « لا أرقأ الله دمه » . وانظر اللسان (دبل ٢٥٠) .

(٢) العمدة ١ : ٢١ .

(٣) المؤتلف والمختلف ٢١ .

هذا . والثاني الأخطل الضبى ، كان شاعراً وادعى النبوة ، وكان يقول :
لمضر صدر النبوة ولنا عجزها . فأخذه ابن هبيرة في دولة الأمويين فقال :
ألست القائل :

لنا طر هذا الأمر قسمة عادل ممي جعل الله الرسالة ثربا
أى راتبة دأمة في واحد . قال : وأنا القائل :

ومن عجب الأيام أنك حاكم على وأنى في يدك أسير
قال : أنشدني شعرك ، قال : أغربُ وملك فأمر به فضربت عنقه .
والثالث الأخطل المجاشعي وهو الأخطل بن غالب أخو الفرزدق ، وكان
شاعراً ، وإنما كسفه الفرزدق فذهب شعره . والرابع الأخطل بن حماد بن
الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب .

وأشد بعده : (ولو أن ما أسمى لأدنى معيشة)

تقدم شرحه في الشاهد التاسع والأربعين ^(١) .

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون ^(٢) :

٧٩ (قالت أمانة لما جئت زائرها هلا رميت ببعض الأمه السود
لأدر درك إني قد رميتهم لولا حديد ولا عذري لحدود)
على أنه ربما دخلت (لولا) على الفعلية كما هنا ، أى لولا الحد وهو

(١) انظر ما سبق في ص ٣٢٧ .

(٢) انظر ابن بيش ١ : ٩٥ والإنصاف ٧٣ وابن الشجرى ٢ : ٢١١ واللسان
(عذر ٢١٩) .

الحرمان . وهذا البيت يردّ منهب الفراء القائل بأن ما بعد لولا مرفوع بها ، فلو كانت عاملة للرفع لذكر بعدها هنا مرفوع ، فوجب كونها غير عاملة لعدم مرفوع .

وهذا الذي نسه الشارح المحقق إلى الفراء نسبة ابن الأنباري في الإنصاف وابن الشجري في أماليه إلى الكوفيين . وذهب ابن الأنباري إلى صحة مذهبه وقال : الصحيح ما ذهب إليه الكوفيون من أن (لولا) نائمة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم ، فإن التقدير في لولا زيد لأكرمك : لو لم يمتني زيد من إكرامك لأكرمك ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) على (لو) فصارا بمنزلة حرف واحد . وأجاب عن البيت بأن لولا هنا هي (لو) الامتناعية و (لا) معها بمعنى (لم) ، لأن لا مع الماضي بمنزلة لم مع المستقبل ، فكأنه قال : قد رميتهم لو لم أجد ، وهذا كقوله تعالى : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » ، أي لم يقتحمها اهـ .

وقال يوسف بن السيرافي في شرح شواهد الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام : لولا لا يقع بعدها إلا الأسماء ، وتكون مبتدأة وت حذف أخبارها وجوبا ، وتقع بعدها أن المفتوحة المشددة ، وهي واسمها وخبرها في تقدير اسم واحد . فلما اضطرّ الشاعر حذف أن واسمها ، أي لولا أني حذفت ، يقول : لولا أني حذفت لقتلت القوم . وهذا قبيح لأنه يجري مجرى حذف الموصول وإبقاء الصلة . ويجوز أن يكون شبه لولا بـ « فاولاها الفعل ، أو شبه أن الشديدة بأن الخفيفة ، فإن الخفيفة قد تحذف كقوله :

* ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغي ^(١) *

(١) لطرفة . وعجزة :

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فلما استجازوا حذفها حذفوا الثقيلة ، لأنهما حرفا مصدر .
 وهذا الشعر للجُموح ، أحد بني ظَفَر من سُلَيم بن منصور . وبعدهما بيتان
 صاحب الشاهد
 آخران وهما :

(إذ نم كرِجل الدَّبي لا دَرْدَرُهُمْ يغزُون كلَّ طُوالِ المشى ممدودِ
 فما تركت أبا بشرٍ وصاحبَه حتَّى أحاط صريحُ الموت بالجلیدِ)
 وروى هذه الأبيات الأربعة أبو تمام في كتابه مختار أشعار القبائل
 لراشد بن عبدالله السُّلَمي^(١) ، ونسبها ابن السيرافي وابن الشجري للجُموح
 كما ذكرنا .

وقال ابن السيرافي : كان من خبر الجُموح الظَفَرى أنه بيت بني لحِيان
 وبني سَهْم بن هذيل ، بوادي يقال له ذات البَشام ، وكان الجُموح قد جمع جمعا
 من بني سُلَيم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبي بشر ، فتحالف الجُموح
 وأبو بشر على الموت ، وكان في كنانة الجُموح تَبَلُ مُعلَمة بسواد ، حَلَف
 ليرمين بها جُمع قبل رجعتَه في عَدُوّه . فقتل أبو بشر وهزم أصحابه وأصابتهُم
 بنو لحِيان تلك الليلة ، وأعجز الجُموح . فقالت له امرأته وهي تلومه : هَلَّارميتُ
 تلك النَّبل التي كنت آليت لترمين بها !

وأما : زوجته . وروى : (لما جئتُ طارِقا) . وروى : (هَلَّارميتُ
 بباقي الأسهم السود) .

قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات : وتتخذ السهام من القنا ،
 وقلما يرغب فيها أهل البوادي ، لأنها يخفاف وإن كان مداها أبعد ؛ وقداح
 أهل البوادي غلاظ يُقال عِراض الحدائد فهي قوية ، إذا نُسبت في الصَّيد

(١) صحابي كان يدهى غويا فسماه صلى الله عليه وسلم راشد بن عبدالله .
 الإصابة والاستبابة .

فعضها لم تنكسر وكانت جراحاتها واسعة ، لأنهم أصحابُ صيد وحروب .
وسهام القنا سود الألوان ، وإياها عنى الشاعر بقوله :

* هَلَا رَمِيتَ بِبَعْضِ الْأَسْهَمِ السُّودِ * اهـ

وقوله (لادرّ درك) أى قفلت لها : لا كان فيك خير ولا أتيت
بغير ، يدعو عليها ؛ والكلف مكسورة . و (حُدِّتُ) بالبناء للمفعول
حرمت ومنعت ، قال ابن الأنبارى فى شرح الفضليات : يقال حُدِّتْ حَدًّا :
إذا منعت . وقد حُدَّ الرجلُ عن الرزق إذا مُنِعَ منه ، وهو محدود . وأنشد هذا
البيت . يقول : قد رميتُ واجتهدتُ فى قتالهم ولكنى حرمت النصر عليهم ،
ولا يقبل عذر المحروم . وروى (لادرّ كسبك) . وروى أبو تمام : (لله درك)
فيكون دعاء لها . و (العُذْرَى) بضم العين والقصر : اسم بمعنى المنة ، قال ٢٢٣
فى الصحاح : « عذرتُه فيما صنع أعذره عُذْرًا وَعُذْرًا ، والاسم المَعْذِرَةُ
وَالْعُذْرَى » . وأنشد هذا البيت . والرجل بكسر الراء وسكون الجيم : القطعة
العظيمة من الجراد . والدَّبِّي بفتح الدال وبالموحدة وبالقصر : أصفر الجراد .
والطُّوال كغراب : الطويل .

* * *

وأنشد بدمه ، وهو الشاهد الثمانون ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٨٠ (وما لَيْلُ الْمَطْيِ بِنَائِمِ)

أصله :

(.لقد لَمُنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ بِالسُّرَى وَنَحْتِ ، وما لَيْلُ الْمَطْيِ بِنَائِمِ)

(١) سيبويه ١ : ٨٠ وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٦ ، ٣٠١ والإيضاف ٢٤٣

ودبوان جرير ٥٥٣ والنقائض ٧٥٣ .

على أن الزمان يسند إليه كثيراً ما يقع فيه ، فإن النوم يقع في الليل ، وقد أسند إليه مجازاً عقلياً ، كقول رؤبة :

* فنام ليلى ونجلى متى *

فإن قلت : إن الشاعر قد نفى النوم عن الليل ، فكيف ذلك مع قول الشارح بأن النوم قد أسند إلى الليل ؟ قلت : النفي فرع الإثبات .

وقد أورده سيبويه على أن وصف القليل بأنه غير قائم على طريق الانساع ، والليل لا ينام ولا يوصف بأنه غير قائم ؛ لأنه ليس من الحيوان ، وكان حقه ينام فيه . وأراد : وما ليل أصحاب المطى ، فحذف . وأراد بأصحاب المطى من يركب ويسافر ، فلا ينبغي أن ينام من أول الليل إلى آخره .

و (أم غيلان) قال ابن خلف : هي بنت جرير . يقول : لمشتنا في تركنا النوم واشتغالنا بالسرى . و (المطى) : جمع مطبة ، وهي الراحلة التي يُمتطى ظهرها أى يركب . و (السرى) : سير القيل .

أبيات الشاهد وهذا البيت من قصيدة لجرير يرثى بها على الفرزدق . مطلعها :

ولا في حبيب وصله غير دأمر	(لاخير في مستعجلات الملالوم
بتوضيح ^(١) رسم المنزل المتقادم	تركت الصبا من رهبة أن يهيجني
تهيج صدوع القلب بين الحيازيم	وقال صحابي : ماله ؟ قلت : حاجة
وجوهاً عناقاً لوحت بالسمايم	تقول لنا سلمى : من القوم أن رأت
(البيت البيت)	لقد لمتنا يا أم غيلان بالشرى

والملالوم : جمع ملامة . والمستعجلات بكسر الجيم . والحيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر . وقوله : من القوم ، بالاستفهام . وأن رأت ، بفتح همزة

أن . ولُوِّحَتْ ، بالبناء للمفعول : مبالغة لاحه السفرُ أى غيره . والسماح : جمع
سحوم ، وهى الريح الحارّة ، مؤنثة . وقوله (لقد لمّتنا .. الخ) أى قلتِ لنا^(١) .
وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع^(٢) .

* * *

اسم ما ولا المشبهين بليس

أشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه^(٣) :

٨١ (مَنْ صَدَّ عَنْ نيرانها فأنّا ابنُ قيسٍ لا بَراحُ)

على أن (لا) تعمل عمل ليس شذوذا .

وأشده سيبويه أيضاً على إجراء (لا) مجرى ليس فى بعض اللغات .

فبراح اسمها والخبر محذوف أى لى . قال ابن خلف : ويجوز رفع براح^{٢٢٤}
بالابتداء ، على أن الأحسن حينئذ تكرير (لا) كقوله تعالى : « لا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . وقال المبرد ، كما نقله النحاس : لا أرى بأساً أن
تقول لارجلٌ فى الدار فى غير ضرورة ، وكذا لازيد فى الدار ، فى جواب
هل زيد فى الدار ؟

وقوله (فأنّا ابن قيس) ، أى أنا المشهور فى النجدة كما سمعت . وأضاف
نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به . وجملة (لا براح لى) حال مؤكدة لقوله :

(١) ط : « قلت لها » ، صوابه فى س .

(٢) فى ص ٧٥ .

(٣) سيبويه ١ : ٢٨ ، ٣٥٤ . وانظر ابن يعيش ١ : ١٠٨ والإنصاف ٣٦٧

ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ ، ٢٧٢ ، ٢/٢٢٣ : ٢٢٤ وشرح شواهد المفتى ٢٠٨ .

أنا ابن قيس ، كأنه قال : أنا ابن قيس ثابتاً في الحرب . وإتيان الحال بعد أنا ابن فلان كثير ، كقوله :

• أنا ابنُ دارَةٍ مشهوراً بها نسي ^(١) •

وقيل : الجملة في محل رفع خبر بعد خبر . وقيل تقرير للجملة التي قبلها . ويجوز نصب ابن قيس على الاختصاص فيتعين جملة لابراح لي كونها خبراً لأنما وهو آخر وأمدح . قال الإمام المروزقي في قوله :

• إنا بني نهشل لا ندعى لأبٍ ^(٢) •

« الفرق بين أن تنصب بني نهشل على الاختصاص وبين أن ترقع على الخبرية ، هو أنه لو جعله خبراً لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم ؛ وإذا نصب أمين من ذلك . فقال مفتخراً : أنا أذكُر مَنْ لا يخفى شأنه ، لأنه يفعل كذا وكذا » اهـ .

و (البراح) بفتح الموحدة : مصدر يبرح الشيء براحا من باب تمب : إذا زال من مكانه .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة مذكورة في الحماسة هي خمسة عشر بيتاً لسعد ابن مالك ، وأولها :

(يا بؤسَ للحرب التي وضعت أراهِطَ فاستراحوا)

(١) لسالم بن داراة . وعجزه كما سيأتي في ١ : ٥٥٣ بولاق :

* وهل بذلك يا للناس من عار *

(٢) انشامة بن حزن . وعجزه كما في الحماسة ١٠٢ بشرح المروزقي :

* عنه ولا هو بالأباء يثرينا *

وهو من أبيات مُعنى الليب ، أو رده على أن الأصل : يا بؤسَ الحرب ، فأقحمت اللام بين المتضايين تقوية للاختصاص ؛ ثم قال : « وهل أنجرار ما بعدها بها أو بالمضاف ؟ قولان : أرجحهما الأول ، لأن الجارَ أقرب ولأنه لا يعلّق » .

وفى أمالى ابن الشجرى : قال المبرد : من قال يا بؤساً لزيد جعل النداء بمعنى الدعاء على المذكور ؛ ومثله : يا بؤس للحرب . . البيت ، كأنه دعاء على الحرب ، وأراد يا بؤس الحرب فزاد اللام . ويجوز عندى أن يكون من قبيل الشبيه بالمضاف نحو : لا مانع لما أعطيت ؛ ولم أرَ من جوزه فيه . ويجوز أن يكون المنادى محذوفاً وبؤس منصوباً على الذم واللام مقحمة ، أو حذف التنوين للضرورة ، أى يا قوم أذمّ شدة الحرب .

ومعنى وضعت أراشط : حطتهم وأسقطتهم ، فلم يكن لهم ذكر شرف فى هذه الحرب ، فاستراحوا من مكابذتها كالنساء ؛ وفيه حذف مضاف أى وضعت ذكر أراشط ، وهو جمع أرشط جمع رَشط : وهو النفر من ثلاثة إلى عشرة ، وقد جاء أرشط مستعملاً ، قال رؤبة :

* وهو الذليلُ نفرًا فى أرشطه *

وزعم أكثر النحويين أن أراشط جمع رَشط على خلاف القياس . وروى برفع أراشط فالفعول محذوف ، أى وضعتها أراشط ؛ والأول أنسب ، فإن هذا الشعر قاله (سعد) فى حرب البسوس حين هاجت الحرب بين بكر وتغلب لقتل كليب ، واعتزل الحارث بن عباد وقال : هذا أمر لاناقة لى فيه ولا جمل^(١) ! فعرّض سعد فى هذا الشعر بقعود الحارث بن عباد عن الحرب ،

(١) ط : « لا ناقتى فيها ولا جلى » ؛ وأثبت ما فى س مع أثر تصحيح .

كما يأتي بيانه . وزعم الدماميني في الحاشية الهندية : أن الوضع هنا معناه الإهلاك ؛ وذلك لعدم وقوفه على منشأ هذا الشعر .

وبعد هذا البيت :

أبيات الشاهد

٢٢٥

(والحربُ لا يبقى لجأٌ حِمْيَرُ التَّخِيلُ والمِرَاحُ

إلا الفتي الصِّبَارُ في النَّجْدَاتِ والفرسُ الوَقَاحُ .)

وهما من أبيات سيبويه ، أوردهما على أن الفتي وما بعده بدلٌ من التخييل والمراح على الاتساع والمجاز . ولذلك أوردهما الشارح أيضا في باب المستثنى ، وذلك أنه استثناء منقطع كقولك : ما فيها أحد إلا حمارٌ ، فرفع على لغة بني تميم . ولا يخفى أن هذا البديل ليس بدل بعض كما هو شأنه ، ولهذا قال سيبويه : على الاتساع والمجاز .

ثم أقول : هذا بناء على الظاهر ، وإن اعتبر حذفُ مضاف أي ذو التخييل فلا استثناء متصل ، ويختار فيه الإبدال .

والجاءم بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحر ، من جحمت النار فهي جاحمة : إذا اضطربت ، ومنه الجحيم . والتخييل : التكبر ، من الخيلاء . يقول : إنها تزيل نخوة المنخوة ، وذلك أن أولى الفناء^(١) ينسكرون عن الخيلاء ، ويختال المتشبع فإذا جرب فلم يحمد اقتضح وسقط . والمراح بكسر الميم : النشاط ، أي إنها تكيف حدة البطر النشيط . وهذا تعريض بالحارث بن عباد بأنه صاحب خيلاء ومراح . والصِّبَار : مبالغة صابر . والنجدة : الشدة والبأس في الحرب . والوقاح بفتح الواو : الفرس الذي حافرهُ صلب شديد ؛ ومنه الوقاحة .

وقال بعدها بأبيات :

(يَبْسُ الْخِلَافُ بَعْدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَاللَّقَاحُ
مِنْ صَدِّ عَنْ نِيرَانِهَا الْبَيْتِ
الْمَوْتُ غَايَتُنَا فَلَا قَصْرٌ وَلَا عَنْهُ جِهَانُ
وَكَأَنَّمَا وَرَدَ الْمَنِيَّةُ عِنْدَنَا مَاءٌ وَزَاجُ)

وهذا آخر القصيدة . أى إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة فبئس الخلفاء هم منا : لا يحملون حرباً ، ولا يأبؤون ضيماً . وكانت حنيفة تلقب : اللقاح ، لأنهم لم يدينوا الملك ، يقال حتى لقاح بفتح اللام ، إذا لم يكن فى طاعة ملك . وقال بعض شراح الحماسة : إنه بكسر اللام ، جمع لقحة ، أى إذا خلفنا من لادفاعة به من الرجال والأموال فبئس الخلفاء بعدنا — جعل أولاد يشكر كاللقاح ، وهى الإبل التى بها لبن ، فى احتياجها إلى من يذب عنها — وهذا ليس بالوجه ، وإنما مراده ذمّ الحيين لقعودهما عن بكر فى حربهم . والقصر يسكون الصاد : الحبس . والجحاح بكسر الجيم : مصدر ججج إذا انفلت وهرب يريد : لا يمكن حبس نفس عن الموت ، ولا مهرب عنه . والورد^(١) : الورد ، وهو دخول الماء ، وقيل حضوره وإن لم تدخله .

وهذه القصيدة قالها (سعد) يمرض بالحارث بن عباد لقعوده عن الحرب ، وذلك : أن جساساً البكرى لما قتل كليباً التغلبى هاجت الحرب بين بكر وتغلب ابنى وائل . وهى حرب البسوس . واعتزلها الحارث بن عباد عن هذه الحرب فعرض به سعد كما قلنا .

قال أبو رياش فى شرح الحماسة : كان الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس

(١) ط : « والورد » ، صوابه فى س .

ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفُرساتها المدودين . وكان اعتزل حرب ابني وائل
وتنحى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ؛ وحل وتر قوسه ونزع سنان رجه ،
ولم يزل معتزلاً حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بجبير بن عمرو
ابن عباد في أثر إبل له نددت يطلبها ، فعرض له مهليل في جماعة يطلبون غيرة
٢٢٦ بكر بن وائل ؛ فقال لمهليل امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم ،
وكان من أشرف بني تغلب وكان على مقدمة منهم زماناً طويلاً : لا تفعل !
فوالله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش لا يسأل عن خاله : من هو ؟ وإياك أن
تحقر البغي فإن عاقبته وخيمة ؛ وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه . فأبى
مهليل إلا قتله ، فطمع بالرحم وقتله وقال : « بؤ بشع نمل كليب » !
— يقال : أبأت فلانا بفلان فباء به : إذا قتلته به ، ولا يكاد يستعمل هذا
إلا والثاني كفه للأول — فبلغ فعل مهليل هم بجبير وكان من أحلم أهل
زمانه وأشدّهم بأساً ، فقال الحارث : نيم القليل قليل أصلح بين ابني وائل !
فقليل له : إنما قتل بشع نمل كليب . فلم يقبل ذلك ، وأرسل الحارث إلى
مهليل : إن كنت قتلت بجيرا بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم
فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهليل : إنما قتلته بشع نمل كليب !
فغضب الحارث ودعا بفرسه — وكانت تسمى النعامة — فجزّ ناصيتها وهلب
ذنبها^(١) ، وهو أول من فعل ذلك بالغيل ، وقال :

قرباً مربط النعامة منى لقيت حرب وائل عن جبال
لا بجير أغنى قتيلاً^(٢) ولا ره ط كليب نزاجروا عن ضلال

(١) يقال قد هلب ذنبه ، أى استأصله جزاً .

(٢) المبنى : « وكذا في كتاب بكر ٦١ حيث القصيدة في مائة بيت ، ولكن أرى

الصواب : قتيلاً » .

لم أكن من جُناتها ، عليمَ اللهُ وإني لجرها اليوم صالي^(١)
 قريبا مَرِبطُ النعامة مَنِيَّ إِن قَتَلَ الغلام بالشِّعْغ غَالِي

ولقعت : حملت . والحِيَال : أن يضرب الفعل الناقاة فلا تحمل . وهذا
 مثلُ ضربه ؛ لأن الناقاة إذا حالت وضربها الفعل كان أسرع للقاحها ، وإنما
 يعظم أمر الحرب لما تولد منها من الأمور التي لم تكن تمحسب .

ثم ارتحل الحارث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم
 يومئذ الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، فقال الحارث
 ابن عباد له : إن القوم مستقلون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليك ، فقاتلهم
 بالنساء ؛ قال له الحارث بن همام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلّد كل امرأة
 إداوة من ماء ، وأعطها هراوة ؛ واجعل جمعن من ورائكم فإن ذلكم يزيدكم
 اجتهدا ؛ وعلّموا بعلامات يعرفنها : فإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته
 بعلامته فسقته من الماء ونعشته ، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة
 فقتلته وأنت عليه . فأطاعوه ؛ وحلقت بنو بكر يومئذ رهوسها استقبالا
 للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نساءهم ؛ واقتتل الفرسان قتالا
 شديدا ، وانهزمت بنو تغلب ولحقت بالظعن بقيّة يومها وليلتها ، واتبعهم
 سرعانُ بكر بن وائل^(٢) ، وتخلّف الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن
 مالك (القائل) :

يا بؤسَ للحرب التي وضعت أراھطَ فاستراحوا) :

(١) المبيق : « الصواب : بجبرها . وفي كتاب بكر : بجرها » .

(٢) سرعان الناس محرّكة : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، ويسكن . ومن الخيل :
 أوائلها ، وقد يسكن .

أثراني ممن وضعته ؟ قال : لا ، ولكن لا تخبأ لعطر بعد عروس .
ومعناه : إن لم تنصر قومك الآن فلن تدخر نصرك ؟ !

سعد بن مالك و (سعد) هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة
ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل . قال الأمدى في المؤلف والمختلف :
كان سعد هذا أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية . وكان
شاعرا . وله أشعار جياذ في كتاب بني قيس بن ثعلبة .
قال : وشاعر آخر اسمه سعد بن مالك بن الأقيصر العريبي أحد بني
قريع بن سلامان بن مفرج . وكان فارساً شاعراً .

آخر الجزء الأول

والحمد لله وحده

الفهارس

فهارس الجزء الأول

١ - فهرس التقديم

صفحة

٤	البغدادى : مولده ونشأته
٥	رحلته الأولى إلى دمشق
٦	رحلته إلى مصر وشيوخه بها
٨	مكتبة الشهاب الحفاحى
٨	رحلته الأولى إلى بلاد الروم
٨	عودته إلى مصر
٩	رحلته الثانية إلى بلاد الروم
١٠	شعر البغدادى
١٠	خط البغدادى
١٢	خاتمة حياته
١٣	مكتبة البغدادى
١٩	خزانة الأدب
٢١	تاريخ تأليفه للخزانة
٢٣	مخطوطات الخزانة
٢٣	مخطوطة الشنقيطى

٢- فهرس التراجم

الصفحة	الصفحة
٢٠٢ الحسن السكري	٤٢ ذو الحرق الطهوى
٢٠٣ اشتقاق قریش	٤٢ (من اسمه ذو الحرق)
٢١٧ الفرزدق ✓	٤٤ الأسود الغندجاني
٢٢٧ حسان بن ثابت	٥٣ عامر بن جوين الطائي
٢٣٠ أبو هلال السكري	٥٤ أبو حنيفة الدينوري
٢٣١ ابن مقبل	٧٥ جبر ✓
٢٣٧ هبة الله بن أبي إسحاق	٧٧ (من اسمه جبر)
٢٤٧ أمية بن أبي الصلت	٨٩ رؤبة
٢٥٣ (من اسمه أمية)	٩٢ (من اسمه رؤبة)
٢٦٥ سحيم بن وثيل	٩٨ المرجى
٢٦٦ (من اسمه سحيم)	١٠٣ أبو النجم
٢٧٤ (من اسمه يزيد)	١٠٦ ذو الرمة
٢٨١ أبو الأسود الدئلي	١١٣ يزيد بن الحكم
٢٨٦ عدى بن حاتم	١١٦ هبى بن همر
٢٩٦ أشجع السلمي ✓	١٢٨ هنترة ✓
٢٩٧ موسى شهوات	١٣٧ تابط شرا ✓
٣١٢ نهشل بن حري	١٤٣ (من اسمه الكعبت)
٣٢١ النمر بن تولب	١٤٤ الكعبت بن زيد
٣٢٥ الحارث بن حزة	١٥٢ العباس بن مرداس
٣٣٠ امرؤ القيس بن حجر	١٦٥ ابن ميادة
٣٣٥ (من اسمه امرؤ القيس)	١٦٥ أبو نخيلة
٣٤٣ أعشى طرود	١٧٥ الأعشى
٣٤٧ أبو نواس	١٧٩ حكيم الأعور الكلي
٣٥٦ أبو تمام الطائي	١٨٨ المنتشر بن وهب

الصفحة	
٤٢٤	إبراهيم بن هرمة
٤٣٠	يزيد بن الصق
٤٣٣	اختساء
٤٤٣	أبو خراش الهذلي
٤٤٩	ابن الزيات
٤٥٣	الحارث بن خالد المخزومي
✓ ٤٥٩	الأخطل
٤٧٤	سعد بن مالك

الصفحة	
٣٨١	عدي بن زيد
٣٩٢	الكلجة العريني
٣٩٥	شبيب بن البرصاء
٣٩٧	جميل بن معمر المنذري
٣٩٨	(من اسمه جميل)
٤٠٥	الأسود بن يعفر
٤١٧	كعب بن مالك
٤٢٢	أبو ذؤيب الهذلي

٣ - فهرس الشواهد

(خواص الاسم)

الشاهد	ص
١ يقول الحنى وأبيض العجم ناطقا	٣١ إلى ربنا صوت الحمار اليجدع
٢ ولا أرض أبقل لإبقالها	٤٥
٣ تنورتها من أذرعت وأهلها	٥٦ ييثرب أدنى دارها نظر عال

(أقسام التوئين)

٤ أقلى القوم عاذل والعتابن	٦٩ وقولى إن أصبت لقد أصابن
٥ وقا تم الأعماق خاوى المحترقن	٧٨
٦ ياما أمليح غزلانا شدد لنا	٩٣ من هؤلاءككن الضال والسر

(العرب والمبنى)

٧ نكتبان فى الطريق لام الف	٩٩
٨ نداعين باسم الشيب فى متلم	١٠٤ جوانبه من بصرة وسلام
٩ إذا اجتمعوا على ألف وواو	١١٠ ولاء هاج بينهم جسال
١٠ ألا ايهدا الزاجرى أحضر الوهى	١١٩ وأن أشهدا لذات هل أنت مغلدى
١١ وأننى حوثما يثنى الهوى بصرى	١٢١ من حوثماسلكوا أدنونا نظور
١٢ يلباع من ذفرى غضوب جسة	١٢٢ زليفة مثل الفئيق المكدم
١٣ فى كلت رجلها سلامى زائده	١٢٩ كلتاما قد قرنت بواحدة
١٤ كلت كفيه نوالى دائما	١٣٣ بحبوش من عقاب ونعم
١٥ كلانا إذا ما نال شيئا أفاته	١٣٤ ومن يحترث حرثى وحرثك بهزل
١٦ فلا أعنى بذلك أسفليكم	١٣٩ ولكنى أريد به الدويشا
١٧ وما كات حصن ولا حابس	١٤٧ يفوقان مرداس فى مجمع
١٨ أرقنى اليملة برق بالنهم	١٥٤ ياك برقا من يشقه لايلم
١٩ يحسدو ثمانى مولما بلفاقها	١٥٧ حتى همن بزيفة الإرتاج

الشاهد	ص
٢٠	بلغتها واجتمعت أشدى
٢١	جذب الصرايين بالكروور
٢٢	ولم يستريشوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا
٢٣	إلا علالة أو بدا همة سابع نهد الجزاره
٢٤	فما وجدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحرينا
٢٥	قد صرت البكرة يوما أجما
٢٦	أتانى وعبد المحوس من آل جعفر
٢٧	أخو رغائب يسطها ويسألها
٢٨	لنى لمهد من ثنائى وقاصد
٢٩	وم قريش الأكرمون إذا انتموا
٣٠	وإذا الرجال رأوا يزيد رأيهم
٣١	وشق له من اسمه ليجله
٣٢	أتى دونها ذب الرياد كأنه
٣٣	عليه من اللؤم سروالة
٣٤	جاء الشتاء وقيصى أخلاق
٣٥	ولو كان عبد الله مولى هيمونه
٣٦	له ما رأت عين البصير وفوقه
٣٧	كم دون مية من خرق ومن علم
٣٨	أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
٣٩	نبئت أخوالى بنى يزيد
١٦١	
١٦٦	
١٧٠	
١٧٢	
١٧٨	
١٨١	
١٨٣	فيا عبد عمرو لو نهيت الأحوصا
١٨٥	بأبى الظلامة منه النوفل الزفر
٢٠٠	به لابن عم الصدق شمس بن مالك
٢٠٢	طابوا فروعا فى الملا وعروقا
٢٠٤	خضع الرقاب نوا كس الأبصار
٢٢٣	فذو العرش محمود وهذا محمد
٢٢٨	فتى فارسي فى سراويل راح
٢٣٣	فليس يرق لمستعطف
٢٣٤	شراذم يعجب منى التواق
٢٣٥	ولكن عبد الله مولى مواليا
٢٤٤	سواء الإله فوق سبع سمائيا
٢٥٣	كأنه لامع عريان مملوب
٢٥٥	مضى أضع الهامة تعرفونى
٢٧٠	ظلمنا علينا لهم فديد

(الفاعل)

٤٠	جزى ربه عنى عدى بن حاتم	جزاء الكلاب الماويات وقد فعل	٢٧٧
٤١	لما عصى أصحابه مصعبا	أدى إليه السكيل صاعا بصاع	٢٨٩
٤٢	ألا ليت شعرى هل يلو من قومه	زهيرا على ماجرى من كل جانب	٢٩١
٤٣	كأن لم يمت حتى سواك ولم تقم	على أحد إلا عليك التوائم	٢٩٥
٤٤	لا أشتى يا قوم إلا كارها	باب الأمير ولا دفاع الحاجب	٣٠٠
٤٥	ليبك يزيد ضارع لخصومة	ومختبط مما تطيح الطوائم	٣٠٣
٤٦	لا تمزعى إن منفس أهلكت	وإذا هلك فتند ذلك فاجزعى	٣١٤

(التنازع)

٤٧	فكنت كالساعي إلى منصب	موائلا من سبل الزاعد	٣٢٢
٤٨	لا نخلنا على غراتك إنا	طلما قد وثى بنا الأعداء	٣٢٤
٤٩	ولو أن ما أسمى لأدنى معيشة	كفاني ولم أطلب قليل من المال	٣٢٧

(مفعول ما لم يسم فاعله)

٥٠	نبئت عمرا غير شاكر نعمتي	والكفر مخبئة لنفس المنعم	٣٣٦
٥١	ونو ولدت قفيرة جرو كلب	لسب بذلك الجرو الكلابا	٣٣٧
٥٢	أمرتك الخير فافعل ما أمرت به	فقد تركتك ذا مال وذا نسب	٣٣٩

(الابتداء والجر)

٥٣	غير مأسوف على زمن	يتقضى بالهم والحزن	٣٤٥
٥٤	على مثلها من أربع وملاعب	تذال مصونات الدموع السواكب	٣٤٨
٥٥	ولقد أمر على اللثم يسبني	فضيت ثم قتلت لا يمتني	٣٥٧
٥٦	قد أصبحت أم الحيار تدعى	على ذنبا كله لم أصنم	٣٥٩
٥٧	ثلاث كلهن قتلت عمدا	فأخزى الله رابسة تعود	٣٦٦
٥٨	فأقبلت زحفا على الركبتين	فتوب نيت وثوب أجر	٣٧٣
٥٩	لمعرك ما معن بتارك حقه	ولا ملنى ممن ولا متير	٣٧٥
٦٠	لا أرى الموت يسبق الموت شيء	نفس الموت ذا النى والفقيرا	٣٧٩
٦١	إذا المرء لم يقش الكربة أو شكت	حبال الهوى بالفتى أن تقطعا	٣٨٦
٦٢	فإن يك جثمانى بأرض سواكم	فإن فؤادى عندك الدهر أجمع	٣٩٥
٦٣	ألا يا نخله من ذات عرق	عليك ورحمة الله للسلام	٣٩٩
٦٤	أحقا بنى أسماء سلمى بن جندل	تهدكم إياى وسط المجالس	٤٠١
٦٥	أكل عام نعم تحوونه		٤٠٧
٦٦	شهدنا فالتقى لنا من كتية	يد الدهر إلا جبرئيل أمامها	٤١٥
٦٧	فوردن واليبوق مقعد رابى	ضرباء خلف النجم لا يتلع	٤١٨
٦٨	أنصب للنية تمترهم	رجالى أم م درج السيول	٤٢٤
٦٩	فساغ لى الشراب وكنت قبلا	أغص بنقطة الماء الحميم	٤٢٩
٧٠	ترنع ما رمت حتى إذا ادكرت	فإنما هى لإقبال وإدبار	٤٣١
٧١	أنا أبو النجم وشمى شمى		٤٣٩

س	الشاهد
٤٤٠	٧٢ رفوني وقالوا ياخويلد لانزع
٤٤٤	٧٣ بنونا بنو آبائنا وبناتنا
٤٤٥	٧٤ لعب الافاعي الثقاتل لعبه
٤٥١	٧٥ إلى الملك القرم وابن الهمام
٤٥٢	٧٦ فأما القتال لا قتال لديكم
٤٥٥	٧٧ وقائلة خولان فانكح فتاتهم
٤٥٧	٧٨ إن من يدخل الكنيسة يوما
٤٦٢	٧٩ لادر دوك إلى قد رميتهم
٤٦٥	٨٠ لقد لتنا يا أم هبلان في السرى
	فقلت وأنكرت الوجوه : م م
	بنوهم أبناء الرجال الأباعد
	وأرى الجن اشتارته أيد عواسل
	وليت الكتيبة في المزدحم
	ولكن سيرا في عراض المواكب
	وأكرومة الحيين خلوكا هيا
	يلق فيها جاذرا وطلباء
	لولا حدثت ولا تحذرى لحدود
	ونمت وما ليل الملى بنائم

(اسم ما ولا المشبهين بليس)

٨١ من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح ٤٦٧

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٩/٤٧٢٨

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٧٧٨ ٤

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الأول

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

مولده ونسأه :

ولد عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادى (١) فى مدينة بغداد سنة ١٠٣٠ . وكانت بغداد فى هذا العهد موضع نزاع وتطاحن بين الدولة الصفوية التى يرأسها الشاه عباس الصفوى (٢) ، الذى عرف بقسوته وفظاظته وجبروته ، وبين الدولة العثمانية التى كان لجنودها من الشراسة والمرامة ما كان مخافة للناس وفزعاً ، بل كان وزراء الدولة العثمانية ممن يهابون سطوة هؤلاء الجنود .

فى تلك الفترة كان القتال مستمرا ، ورحى الحرب دائرة من حول هذه العاصمة العربية الحادثة . وما زال القتال يشتد ويلغ أوجه حتى سقطت بغداد فريسة فى أيدي جيوش السلطان العثمانى مراد الرابع . وكانت بغداد كالكرة يتقاذفها كل من الصفويين والعثمانيين .

وفى تلك الظروف الحرجة لم يفت عبد القادر أن يشتغل بالعلم واللغات ،

(١) عثر على هذه النسبة الكاملة فى ختام نسخة البغدادى بقلمه من كتاب فرحة الأديب للودع بنار الكتب .

(٢) حكم إيران من سنة ١٥٨٨ إلى سنة ١٦١٩ م وكان عمره عند توليه الحكم سبع عشرة سنة . وبلغ من قسوته أن قتل ولده البكر صلى ميرزا . تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكمان ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

وأن يفيد من لغة الفرس والترك إلى جانب إفاذته من العربية ، فشق لنفسه بذلك ميدانا فسيحا ، أمكنه فيه أن يشدو من آداب تلك اللغات جميعا^(١) .

رحلة الأولى إلى دمشق :

وفي تلك الفترة نظر عبد القادر في مغادرة وطنه ، واللجوء إلى بلد آمن بعيد عن تلك القلاقل السياسية ، فكان أن ترحل إلى دمشق في نحو سنة ١٠٤٨ واتصل بنقيب أشرافها الطالبين محمد بن كمال الدين الحسيني شيخ آل حمزة^(٢) ، فلقى من عطفه وإكرامه ما أنساه قسوة الغربة ، وخصص له منزلا في المسجد المقابل لداره في الحى المعروف بزقاق النقيب^(٣) .

وكان محمد بن كمال الدين أول أستاذ له في دمشق ، ثم جلس في حلقة الإمام محمد بن يحيى الفرضي^(٤) فدرس عليه دراسة واسعة في علوم العربية .

(١) يقول المحي في خلاصة الأثر ٢ : ٤٥١ : « وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة ، مع التثبت في النقل وزيادة الفضل ، والانتقاد الحسن ، ومناسبة لإيراد كل شيء منها في موضعه ، مع اللطافة وقوة للمذاكرة وحسن للنادمة وحفظ اللغة الفارسية والتركية ، وإتقانها كل الإتيان ، ومعرفة الأشعار الحسنة منها ، وأخبار الفرس . خرج من بغداد وهو متقن لهذه ألفاظ الثلاث » .

(٢) محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني اللتيمي ، الحنفي المذهب . ولد بدمشق سنة ١٠٢٤ وتوفي سنة ١٠٨٥ . وكان نقيب الشام ، فقهيا محدثا نحويًا شاعرا ، وكان ممن يكثر السفر إلى بلاد الروم ، ثم رجع إلى الشام وأقام بها وولى النيابة الكبرى . ولما توفي والده ولى مكانه في النقابة وانعقدت عليه صدارة الشام . وله حاشية على شرح الألفية لابن الناطم وتحريرات على الهداية . وانتفع بعلومه خلق كثير . خلاصة الأثر ٤ : ١٢٤ - ١٣١ .

(٣) حي معروف بدمشق إلى الآن ، كان فيه منزل الأمير عبد القادر الجرائري وبنيه وأحفاده ، وفيه منازل آل حمزة إلى الآن . وبه كان ينزل الشيخ طاهر الجرائري قبل مجيئه إلى مصر ، كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

(٤) هو نجم الدين محمد بن يحيى الفرضي ، قال المحي : « كان اعظم شيخ أدركناه واستفدنا منه . . . ولم أر مثله في تفهيم الطلبة والحرس على تهذيب قرائمهم » . وكان عالما بالعربية والفرائض والخساب . ومن تلاميذه الشيخ خليل الأحمصاني ، وعز الدين خنيفة الحمصي . توفي سنة ١٠٩٠ . خلاصة الأثر ٤ : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

رحلة إلى مصر وسببها :

وكانت الرحلة التالية إلى مصر سنة ١٠٥٠ وكان البغدادي إذ ذاك في العشرين من عمره ، وهي سن الوعي الكامل والنشاط العلمي ، فقد صلت به بأكثر شيخ له ، وهو شهاب الدين الخفاجي (١) صاحب ریحانة الألباء وشفاء الغليل ، كما جلس إلى آخرين من علماء الجامع الأزهر وفتاحه ، منهم الشيخ يَس الحصى (٢) ، والنور الشبراملسي (٣) ، وسرى الدين الدروري (٤) ، والبرهان إبراهيم الماموني (٥) .

(١) هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي . ترجم لنفسه في ریحانة الألباء ، بأنه قرأ على خاله أبي بكر الشنواني علوم العربية ، وعلى جماعة من العلماء ثم ارتحل إلى القسطنطينية ، وولى القضاء ببلاد الروم ، ثم في مصر ، ثم عاد إلى بلاد الروم فرمى على دمشق . وكانت وفاته سنة ١٠٦٩ . قال المحي : والخفاجي نسبة إلى أبيه خفاجي ، ولا أدري مناه . وأصل والده من سرياقوس : قرية من قرى الخانقاه . ریحانة الألباء طبع ١٣٠٦ وخلاصة الأثر ١ : ٣٣١ - ٣٤٣ وجورجى زيدان ٣ : ٣٠٨ .

(٢) هو يس بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن عليم الحصى الشافعي القاهري المعروف بالعلبي . ولد بمصر ، ثم رحل إلى الشام ونشأ بها وقرأ وتصدر في الأزهر لإقراء العلوم . وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٦١ . وهو صاحب الحاشية المشهورة على شرح التوضيح للمسي بالتصريح للشيخ خالد . خلاصة الأثر ٤ : ٤٩١ .

(٣) هو أبو الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي ، من أهل القاهرة ، وكان من فقهاء الشافعية ، وله حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني ، وأخرى على السمائل ، وغيرها . ولد سنة ٩٩٧ وتوفي سنة ١٠٨٧ . قال في خلاصة الأثر : « والشبراملسي بشين معجمة فوحدة فراء فألف مقصورة ، على وزن سكرى ، كما في القاموس ، مضافة إلى ملس بفتح الميم وكسر اللام المشددة وبالسين للمهلة ، أو مركبة تركيب مزج ، وهي قرية بمصر » . خلاصة الأثر ٣ : ١٧٤ - ١٧٧ .

(٤) ويقال سري الدين دورى ، كما في عقد الجواهر والدور نسخة رامبور .
(٥) كذا في خلاصة الأثر ٢ : ٣٥٢ في ترجمة البغدادي . لكن في خلاصة الأثر

في ترجمته هو : الشيخ إبراهيم بن محمد بن عيسى المصري الشافعي الملقب برهان الدين الميموني . وهو الصواب ، وقال : « كان آية ظاهرة في علوم التفسير والعربية ، أعجوبة باهرة في العلوم العقلية والتقليدية ... وأبلغ ما كان مشهوراً فيه علم المعاني والبيان حتى قل من يناظره فيها » . وله حاشية على المواهب اللدنية ، وأخرى على تفسير البيضاوي ، وبعض تعليقات على شرح التلخيص للمولى عصام الدين ، المسمى بالأطول . ولد سنة ٩٩١ وتوفي سنة ١٠٧٩ ودفن بقرية المجاورين . قال المحي : « والميموني نسبة للميمون من الصعيد » . خلاصة الأثر ١ : ٤٥ - ٤٦ .

وكان أستاذه البارزان هما : الشهاب الحفاجي ، والشيخ يس الحصى .
وهو لا يذكر واحداً منهما في الحزاة إلا بلفظ « شيخنا » . وقد أجازته
الحفاجي بمؤلفاته^(١) .

وقد حفظ البغدادي في صدر شبابه مقامات الحريري ، وطائفة من دواوين
العرب على اختلاف طبقاتهم^(٢) ، فاكسب بذلك حذاً في قد النصوص ومقارناتها ،
وكان أستاذه الحفاجي مع غزارة علمه واتساع أفقه في الاطلاع بقدره قدره
ويشهد له بالفضل ، كما أن البغدادي كان يحفظ لأستاذه حقه ، ويتنزه الفرصة
للإشادة بفضله . ومن ذلك ما روى الحبي في خلاصة الأثر عن مصطفى بن فتح الله
قال^(٣) قلت له — يعني للبغدادي — لما رأيت من سعة حفظه واستحضاره :
ما أظن هذا المصر سمح برجل مثلك ! فقال لي : جميع ما حفظته قطرة من غدير
الشهاب ، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه ! .

ومع ذلك إن الرجل كان محققاً حر الفكر ، معتزاً بعلمه ، لا ينزل به إلى درك
الخنوع لأستاذه ، فهو يمترض عليه في أدب العالم حين وجده يعزو بيت عمرو
ابن معد يكرب إلى المفضليات إذ يقول^(٤) : « والعجب من شيخنا الحفاجي أنه
نسب إليه في حاشية البيضاوي وقال : هو من قصيدة مسطورة له في المفضليات ،
مع أنه غير موجود في شعره في المفضليات لا من قليله ولا من كثيره » .

وينقل عنه كذلك نصاً في الشاهد ٧١٩ نقله أستاذه عن الرضى فيعقب عليه
بقوله^(٥) : « وهذا مخالف لصريح كلام الرضى » . كما تسجل الحزاة اعتراضه
على شيخه الحفاجي في مواضع أخرى^(٦) .

وأحب أن أذكر أيضاً أن البغدادي ذكر شيخه يس الحصى صاحب الحاشية

(١) انظر صورة الإجازة في ربحانة الألباء للحفاجي ٣٦٨

(٢) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥١ .

(٣) الحزاة ٤ : ٥٦ .

(٤) الحزاة ٤ : ١٧ .

(٥) انظر منها ٣ : ٦٠٣ .

(٦) الحزاة ٣ : ٤١٠ ، ٤٣٢ .

عل التصريح في موضعين من الخزانة^(١) ، ولم يذكره فيها إلا ليعترض عليه ويحقق كلامه ، فقد كان التحقيق ونصرة الحق هو رائده الأول ، بنض النظر عن اعترافه التوالى بأستاذية شيخه الإمامين .

مكتبة الشهاب النجاشي

وقد كان لمكتبة الشهاب فضل عظيم على صاحب الخزانة في أتماء حياة للشهاب بمقتضى ملازمته له ، وبعد وفاته سنة ١٠٦٩ لأن البغدادي تملك أكثر كتبه ، كما ذكره المحي^(٢) .

فمن ذلك ما نرى أن ثبت مكتبة البغدادي بما يقف أمامه الناظر وقفة العجب والذهشة ، لما حواه من نواذر التصنيف ومجائب التأليف .

رحلته الأولى إلى بلاد الروم

نظرت مصر بإقامة البغدادي فيها طالبا وشيخا ومؤلفا من سنة ١٠٥٠ إلى ١٨ من ذي القعدة سنة ١٠٧٧ أي من سن العشرين إلى سن السابعة والأربعين . ثم عن له أن يغادرها إلى القسطنطينية عاصمة آل عثمان ، وكان إذ ذاك قد وصل من تأليفه خزانة الأدب إلى الشاهد ٦٦٩ كما ذكر في خاتمة الخزانة . ويبدو أنه لم تطب له الإقامة في تلك الرحلة ، فسرعان ما عاد إلى مصر في اليوم السابع من ربيع الأول سنة ١٠٧٨ أي إنه قضى في تلك الرحلة نحو خمسة أشهر .

عودته إلى مصر

وبعد ما رجع إلى مصر عقد سببه بوالها من قبل الدولة العثمانية إذ ذاك ، وهو إبراهيم باشا كنتخذا وذلك في سنة ١٠٧٨ فاتخذها الوالي نديما له وصميرا ، وأحله محلا مرموقا ، واستمرت الصلة بينهما موثقة الأسباب في مصر نحو سبع سنوات ، إلى السنة التي عزل فيها هذا الوالي بوال آخر هو حسين باشا .

(١) الخزانة ٣ : ٤١٠ ، ٤٣٢ .

(٢) في خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ : « ولما مات الشهاب تملك أكثر كتبه ، وجمع كتب كثيرة غيرها . وأخبرني عنه بعض من لقبته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة » .

رحلة الثانية إلى بلاد الروم

ويدو أن البغدادى كان محتفظا بولائه لإبراهيم ، أو أن إبراهيم كان مصرا على استنصاحه ، فرحلا معا إلى بلاد الروم في سنة ١٠٨٥^(١) وكان سفرهما بطريق بلاد الشام ، فتنسّى للبغدادى أن يدخل الشام مرة ثانية بعد انقضاء ٣٧ عاما بعد دخوله الأول .

وفي هذه الرحلة الثانية قدر له أن يتصل برجل خطير من رجال الدولة العثمانية وهو الوزير احمد باشا بن محمد كوبريلى^(٢) . وكان هذا الرجل في أول أمره من رجال العلم والتعليم ، ثم تقلب في المناصب المدنية إلى أن ولى الوزارة العظمى وهو لا يزال على عرق من محبة العلم والعلماء ، فلما لمس الفضل في البغدادى أدناه وقربه ، وأحله محل الكرامة والتقدير ، وجعله في خواصه . وألف البغدادى حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام ، وجعلها برسمه ، كما سيأتى .
وفي أثناء ذلك عرف فضله السلطان العثمانى محمد بن السلطان إبراهيم^(٣) .

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٣ .

(٢) قال المحي : « ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله ، صعبا شديدا في أمور الشرع ، سهلا في أمور الدنيا ... وملك من نفائس الكتب ومجائب التآخير ما لا يدخل تحت الحصر ولا يضبط بالإحصاء » . تولى ولاية روم إلى فظهرت كفايته ، ثم انتقل إلى حكومة الشام سنة ١٠٧١ ثم ولى الصدارة العظمى بعد وفاة والده سنة ١٠٧٢ وكان السلطان حينئذ بأدرنة ، ثم انتقل إلى القسطنطينية في سنة ١٠٨٧ فرحل معه إليها ثم أدركه المرض مقدار سنة أشهر فتوفى في تلك السنة وكانت ولادته سنة ١٠٤٥ . قال المحي : « وكان قبل وفاته وقف كتبه ووضعها في خزانة بالترتبة المذكورة - بمعنى ترتيبه بالقسطنطينية - ورتب لها أربعة حفاظ ، وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد في مكان . وأخبرني بعض من أثق به أنها خنت بأربعين ألف قرش » . يقول المحي : هنا في الوقت الذى يذكر فيه أنه حصل قحط في الشام وبلغت حرارة الحنطة في الثمن إلى ثمانين قرشا . خلاصة الأثر ١ : ٣٥٢ - ٣٥٦ . وكوبريلى : نسبة إلى كوبرى : مدينة قرب أماسية ، كما ذكر بروكلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية ٣ : ١٤٦ . والمحى بجمله « الكوبرى » على فرار النسبة العربية ، لا التركية التى تلتحق اللام والياء بالنسب . وقد ترجم المحى لأبيه في الخلاصة ٤ : ٣٠٩ - ٣١٢ .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن أحمد خان ، تولى السلطنة بعد قتل أبيه سنة ١٠٥٨ وأقام في السلطنة ٤١ عاما ثم خلع سنة ١٠٩٩ . تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشراوى ١٦١ طبع الأزهرية سنة ١٣١١ .

فقال تقديره أيضا . وجعل البغدادي كتابه « خزنة الأدب » باسم هذا السلطان كما ذكر في مقدمة الخزانة التي بدأ تأليفها سنة ١٠٧٣ وأتمها سنة ١٠٧٨ .
ويذكرون أنه كان مقبلا طوال تلك المدة في مدينة « أدرنة » من بلاد الروم . وقد زاره فيها « الهجي » صاحب خلاصة الأثر ، الذي كان لوالده صلة وثيقة بالبغدادي . يقول الهجي : « فرحب بي وأقبل عليّ ، وكان إذ ذاك في غاية من إقبال الكبراء عليه » .

شعر البغدادي

يقول الهجي^(١) : وكان مع تبعه في الآداب ومعرفة الشعر لم يتفق له نظم ، حتى طلبت من بعض المختصين به شيئا من شعره لأثبتته في ترجمته ، فذكر لي فيما زعم أنه لم يتفوه بشيء منه ترفعا عنه . ثم رأيت الشبلي^(٢) ذكر له في ترجمته هذه الأبيات في هجاء طبيب يهودي يعرف بابن جميع :

يا بن جميع أصبحت تمتحن النح و ودعواك فيه منحولة
أملك ما بالها فقد ذهبت مرفوعة الساق وهي مفعولة
فاعليها الأير وهو منتصب مسائل قد أتنك مجهولة
والعين عطل وعين عصصها بنقطة الحصين مشكولة
وهو كما ترى شعر ماجن متكلف ، وعلى طريقة النحويين .

خط البغدادي

للبيدادي قطعة من شرحه على شواهد شرح النحفة الوردية بخطه ، وهي مسوودة سياقي الكلام عليها .

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٣ .

(٢) هو جمال الدين محمد بن أبي بكر الشبلي ، صاحب « عقد الجواهر والدرر » ، في أعيان القرن الحادي عشر . ومن هذا الكتاب نسخة في خزنة رامبور عدد صفحاتها ٤٨٠ ذكر فيها وفيات هذا القرن . وله كتاب آخر في التراجم ، عنوانه « للشرع الروي » ، في مناقب السادة بني علوي ، منه نسخ في خزانة مكتبة الخزانة العامة في رامبور .

ومن خط البغدادى أيضا نسخة من فرحة الأديب ، لأبى محمد الأعرابى كتبها لنفسه ، وهى مودعة بدار الكتب المصرية برقم (٢٨ مجاميع م) جاء فى خاتمتها : « تم هذا الكتاب بحون الله على يد الفقير إلى رحمة ربه النفور عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادى . كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده . وكان بدء الكتابة فى يوم . الأحد ، وآخرها فى ضحوة يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة ثمان وسبعين بعد الألف من الهجرة . وكان تاريخ الأصل الذى كتبت منه يوم الأحد تاسع وعشرين شعبان سنة اثنين (كذا) وتسعين وخمسة . هكذا رأيته مؤرخا . وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وكتب البغدادى إلى جوار هذا الكلام : « فيكون مدة كتابته تسعة أيام مع أشغال عاتقة . والحمد لله عليه » .

وهذه النسخة فى ٥٨ ورقة صغيرة . وقد نقلت منها نسخة دار الكتب ذات الرقم ٤٤٢١ أدب بقلم محمود فهمى بن محمد بن أحمد بن زين الصياد المرسفى سنة ١٣٤١ .

وذكر الأستاذ عبد العزيز الميمنى أن نسخة مجمع الأمثال للبغدادى المحفوظة بخرانة بانكى بور فى الهند عليها خط للبغدادى هذا نصه : « من نعم الله على عبده الفقير إليه عبد القادر بن عمر البغدادى » .

وكذا على كتاب المعمرين للسجستانى الذى طبع فى ليدن من هذا الأصل . وكذا كتاب الوصايا للسجستانى . وكذلك فى أوربا جزء من كتابه شرح شواهد شرح الشافية بخطه .

ومجد القارى فى معجم الأدباء لياقوت ٢ : ٩٧ طبع دار المأمون فى ترجمة الحصرى صاحب زهر الآداب مانصه : « وله عندي كتاب الجواهر والملح والنوادر . كتبه عبد القادر البغدادى » .

وكذا فى طبعة مرجليوث قبله . ولا ريب أن هذا من كلام البغدادى تعليق منه على النسخة ، لا من كلام ياقوت . فأقحمه الناسخ فى صلب الكتاب ، ولم ينتبه له مرجليوث ولا القائمون على طبعة دار المأمون .

خاتمة حياته :

ولم يزل البغدادي في أدرنة مقبياً ، حاقداً سببه بالوزير الكويريلي ، إلى أن أدركته علة شديدة أعجزت نطس الأطباء . يقول المحبي (١) : « ولم يبق طبيب إلا باشر معالجته » . وفي أثناء ذلك ذهب إلى معرة مصرين (٢) . ثم عاد إلى بلاد الروم مرة ثالثة ، فابتلى برمد في عينيه حتى أوشك أن يكف ، وذلك في سنة ١٠٨٧ كما ذكر هو في خاتمة كتابه شرح آيات مغنى اللبيب لابن هشام الذى سبأنى الكلام عليه ، واقطع بذلك نحو شهر عن التأليف ، ثم برأ بعد ذلك ، وسافر إلى القسطنطينية في سنة ١٠٩١ ثم سافر من طريق البحر إلى مصر ولم تطل إقامته بها حتى توفى في أحد الريعين من سنة ١٠٩٣ .

(١) خلاصة الآثار ٢ : ٤٥٣ .

(٢) بلدة وكورة بنواحي حلب ، بينهما نحو خمسة فراسخ ، كما في معجم البلدان .
وفي الأصل : « معرة مصر » ، تحريف .

مكتبة البغدادى

كانت السمة الغالبة على تأليفه هو شرح شواهد العربية فى إسهاب وعناية وتحقيق مع ترجمة قائلها . وهذا الضرب من التأليف كانت له جذور عميقة تمتد إلى أبى الفرج الأصبهاني مؤلف الأغاني ، إذ جعل أبيات الأغاني وسيلة وسلياً إلى ترجمة الشعراء والأدباء فى الجاهلية والإسلام ومن كان على صلة بهم وبأخبارهم . وهذا ثبت أسماء مؤلفاته :

١ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . (وسأفرد لها ذكراً) .

٢ — شرح شواهد الشافية للرضى والجاريردى . بدأ تأليفه فى يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٧٩ وأتمه فى يوم الجمعة ليلة الثالثة عشرة من صفر الخير سنة ١٠٨٠ أى فى أقل من سنة . قال فى مقدمته : « وبعد فلما فرغت بتوفيق الله من شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة الرضى الاسترابادى رحمه الله وتجاوز عنه ، رأيت أن ألحق به شرح أبيات شواهد الشافية له أيضاً ، وهى مائة وتسعون بيتاً ، لكونهما ككتاب واحد مثنياً وشرحاً ، فكذلك ينبغى أن يكون شرح أبياتهما . وأشار إلى بعض الأفاضل بأن أضف إليها أبيات شرح المحقق العلامة أحمد بن الحسن الجاريردى التى انفرد بها ، لميس الحاجة إليها لكثرة تداولها تدريساً ومراجعة حتى يعم النفع ، وهى اثنان وخمسون بيتاً ، فأجيت به إلى ذلك .

ونهجه فيه مماثل لنهجه فى الخزانة ، مع انتفاعه بالإحالة إلى ما سبق تفصيل له فى الخزانة ، ومع التزامه بالنص على ما فى تلك الشواهد من أبيات سيويه ، والنص على ما انفرد به الجاريردى .

وقد ألحق البغدادى به فهرساً على حروف الهجاء لمن ترجم لهم فيه ممن يترجوا فى الخزانة ، فإنه اكتفى فى هؤلاء بالتنبيه على مواضعهم فى الخزانة .

والثانية منها منقولة من الأولى. والأولى وهى الشنقبطية تاريخها سنة ١٢٩٨ ذكر فى خاتمها أنها منقولة من خط المؤلف. وهى فى ٢٨٠ ورقة. أما تاريخ الثانية المنقولة من الأولى فهو سنة ١٣٤١ .

وعدد من ترجم لهم فى هذا الشرح أربعة وثلاثون كما أحصاهم بقلمه .

ومن هذا الكتاب نسختان بدار الكتب المصرية برقم ٤٠٤٠ مجاميع ، ٢٨٥٠ صرف . وتوجد قطعة منه بخط البغدادى فى مكتبات أوربا طبعت صفحة منها بالتصوير الشمسى ، وألحقت بآخر مجموعة ديوان أبى محجن وزهير وغيرهما كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، ملحقاً بشرح شافية ابن الحاجب بمطبعة حجازى سنة ١٣٥٦ .

٣ — شرح مقصورة ابن دريد . ألفه فى شبينته ، ولعله أول تصانيفه . ذكره فى أثناء الكلام على الشاهد ١٧٨ وقال (١) : « عدتها مائتان وتسعة وثلاثون بيتاً ، لها شروح لأمضى كثرة . وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبى على محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي . وقد شرحها أنا شرحاً موجزاً مع إيضاح واف ، وتبيين شاف ، فى أيام الشيبية ، نفع الله به . »

٤ — شرح آيات مغنى اللبيب لابن هشام ، كما كتب على النسخة ، ويعرف أيضاً بشرح شواهد المغنى . ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية برقم ٢٠٢٠ نحو . وهذه النسخة فى مجلدين الأول منهما فى ١٠٦١ صفحة والثانى فى ١٠٨٧ تم نسخها فى ٢٠ من رجب سنة ١٣٢٠ وقت إقامة الشنقيطى بالقسطنطينية ، بخط أحمد بن حسونة القفصى السوسى . وفى صدر كل من المجلدين فهرس لما فيه من الشواهد حسب ورودها فى الكتاب . وتشمل على ٩٤٦ شاهداً .

وقال البغدادى فى خاتمته : « وهذا آخر الآيات التى ختم المصنف بها كتابه . وقد من الله علينا فى أن وفقنا لشرح آياته من الأول إلى الآخر ، بعد أن يكاد

(١) الخزائن ١ : ٤٩٠ .

يذهب البصر برمد شديد ، فإني لما وصلت إلى الإنشاء الثالث والأربعين بعد
 الستائة حدث لي شقيقة رمدت بها عيني اليمنى ، وانطبقت معها اليسرى ، وذلك
 في اليوم الرابع من ذى الحجة ختام سنة سبع وثمانين وألف (١٠٨٧) فرمدت
 عيني بترلة حادة مدة ثلاثين يوماً ، ففترت النازلة فانفتحت عيناى بعض الانفتاح
 وهى تحب التغميض ، فزاللت موجمة ونورها ينقص إلى أن كدت لا أبصر
 شيئاً حتى أنعم الله على بابصارها ، فرجعت في تكميل شرح الآيات في غرة
 ربيع الأول من شهر سنة إحدى وتسعين بعد الألف (١٠٩١) وقه الحمد على
 هاتين التعمتين . وتم شرحها في وقت مصر من يوم الجمعة السادس من شهر
 رجب من السنة المذكورة ، ولكننا استمجلنا في أواخر هذا الشرح لتصميم العزم إلى
 القسطنطينية لأمر عرض ، قمم قبل السفر بخمسة أيام . وكان ابتداء الشروع
 في الشرح الساعة السابعة من الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك من
 السادسة والثمانين بعد الألف من الهجرة (١٠٨٦) .

فأتت ترى كيف كان البغدادى يسجل بدء أعماله العلمية وختامها بهذه الدقة
 التاريخية . وهو ما يجدر بكل عالم مؤلف أن يصنمه .

٥ — حاشية على شرح بانث سعاد لابن هشام . ومنه ثلاث نسخ : واحدة
 في راجبور بالهند كتبت سنة ١١١٢ ، والثانية في مكتبة أبيصوفيا ، والثالثة
 في الحزاة التيمورية برقم (٧٤٦ شعر) . وهذه في مجلدين في نحو ١٣٠٠ صفحة
 نسخت سنة ١٣٣٣ أو هي من أنفس ما كتب البغدادى ، شرح فيها شواهد هذا
 الشرح وما فيه من أمثال أو أمثلة أو نحو ذلك . وشواهد زهاء ٤٠٠ بيت تولاها
 بالشرح والتحقيق والنسبة ، وترجمة قائلها من الشعراء ، بل تجاوز ذلك إلى
 إضافة تراجم بعض من أجرى ذكرهم ابن هشام من علماء وفقهاء وقراء
 ونحاة وغيرهم .

وذكر البغدادى في أولها أنه ألف هذه الحاشية لما قرأ هنا الشرح بمصر
 سنة ١٠٨١ وجعلها برسم الوزير الأعظم بن الوزير الأعظم : أحمد بن محمد ،
 وزير السلطان محمد بن إبراهيم العثماني . يعنى أحمد الكوبريلى (١) .

(١) سبقت ترجمته في ص ٨ .

ويقول أيضا : « ولما قدمت في هذه الوفادة — يعنى وفادته على الوزير المذكور — دمشق الشام في سابع ذى القعدة من سنة ١٠٨٤ سمع بهذه الحاشية السيد الشهم . . . السيد محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسيني (١) نقيب السادة الطالبية بدمشق المحمية ، استمارها منى ، فبعد أن تأملها دقق نظره فيها ، قرأها بهذه القصيدة » .

ونص القصيدة في مقدمة تلك الحاشية .

وذكر البغدادي في خاتمتها أنه آتمها في ضحوة ويوم الاثنين ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٠٨٢ .

وفي صدر هذه النسخة التيمورية سبع فهارس بخط أحمد تيمور باشا :

١ — آيات المتن

٢ — المسائل المتعلقة بالعربية .

٣ — لغات القبائل .

٤ — ما يتعلق بالأدب والشعر والعروض .

٥ — مطالب متنوعة .

٦ — أسماء المترجمين في الكتاب .

٧ — شواهد الشرح .

٦ — شرح شواهد شرح النخبة الوردية في النحو ، لابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ .

والنخبة مقدمة في النحو اختصر فيها ابن الوردى « السمحة البدرية » لأبي حيان المتوفى سنة ٤٧٥ . والنخبة منظومة أولها :

فك شكري أبدا وحدي مصليا على النبي العربي
وقد شرحها ابن الوردى نفسه أيضا .

ومن شرح شواهد هذا الشرح مسودة بخط البغدادي في ٣٧ ورقة الورقة

(١) انظر ما سبق في ص ٤ .

الأخيرة منها تعد ملحقة بالورقة الثالثة ، كما أشار إلى ذلك البغدادى . وهذه النسخة غير كاملة إذ فيها نقص فى آخرها بأوراق قليلة وهى برقم (١١١٣ نحو) . ومنه نسخة أخرى كاملة برقم (١١٤٣ نحو) كتبت سنة ١١٣٤ . ونسخة ثالثة بمكتبة تيمور برقم (٢٧٣ نحو تيمور) فى ٣٠٠ صفحة بخط محمود حمدى النساخ سنة ١٣٢٨ . وفى مقدمة التيمورية أربعة فهارس فنية بخط تيمور باشا تتضمن ما يأتى .

- ١ — بعض مطالب الكتاب .
- ٢ — الأحاديث والآثار المستشهد بها فى الكتاب .
- ٣ — الأمثال المستشهد بها فى الكتاب .
- ٤ — الشواهد الشعرية .

وقد أهدى البغدادى هذا الكتاب إلى الوزير مصطفى بن أحمد بن محمد الكوبرلى .

وكتب البغدادى فى آخر النسخة ما نصه :

« وتم فى ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من شهر رجب الفرد من شهر سنة سبع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية . . . وكان الابتداء فى شرحها فى اليوم السادس من الشهر المذكور . ومن الله بالتسهيل فى جميع الأمور » . وهذا يدركاً قياسياً — كما يقولون — فى سرعة التأليف : أن يؤلف كتاب مثل هذا فى نحو ٢٣ يوماً مع الإجادة والإتقان .

٧ — لفت شاهنامه (١) . شرح فيه باللغة التركية غريب الألفاظ الفارسية الواقعة فى كتاب شاهنامه . وذكر فيه أنه ألفه سنة ١٠٦٧ وكان إذ ذاك فى مصر .

(١) الشاهنامه : ملحمة فارسية فى نحو ٦٠ ألف بيت من الشعر الفارسي من بحر المتقارب على نظام المتنوى ، نظمها أبو القاسم الفردوسى المولود فى حدود ٣٣٠ والمتوفى سنة ٤١١ أو ٤١٦ . سرد فيها تاريخ الفرس منذ بدء الخليقة حتى نهاية الدولة السامانية . وتناول فى أولها التاريخ الأسطورى القديم للفرس المتمثل فى الدولة البيشنادية والكبائية . انظر تاريخ الأدب الفارسي للدكتور رضا زاده ، ترجمة الدكتور هنداوى ص ٤٩ - ٦١ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الروسي «كارل زالمان» (١٨٤٩-١٩١٦) في بطرسبرج سنة ١٨٩٥ معتمداً على مخطوطة مكتوبة بإدارة سنة ١٠٨٢ هـ في زمن حياة البغدادي .

٨ - شرح التحفة الشاهدية ، وهي منسوبة إلى مؤلفها الشاهدي (١) . وهي منظومة باللغة التركية التي تتخللها بعض الألفاظ الفارسية ، على عدة محاور عروضية عربية مختلفة في فن التصوف . وقد قام البغدادي بتفسير ألفاظها ومعانيها ، ووجدت له نقداً في استعمال الشاهدي لبعض الكلمات الفارسية ينم عن علم واسع . ومن هذا الكتاب نسخة بالمكتبة التيمورية برقم (٥ لغات) أولها : « هذه كلمات عربية إمامنا شيخنا وأستاذنا لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ، جمال أهل الأدب ، ترجمان المعجم والعرب ، مولاي عبد القادر اقصي البغدادي — أطال الله بقاءه — على التحفة الشاهدية ، حل به مشكلاتها ، وأزال مضلاتها . جعله الله خالصاً لوجه الكريم ، وللغور بجنت النعيم » .

ومما يجدر ذكره أن الحبي عماد «شرح الشاهدي الجامع بين الفارسي والتركي» (٢)

٩ - رسالة في معنى التليذ . وهي بحث لغوي فيما يتعلق بهذه الكلمة ومادتها وتأصيلها . وقد قمت بنشر هذه الرسالة مرتين : إحداها في مجلة المقتطف (عدد مارس سنة ١٩٤٥) . والآخرى في المجلد الأول من نواذر المخطوطات (٣) مع دراسة فنية لها عن أصول ثلاثة محفوظات بدار الكتب بالأرقام : ٦ مجاميع ٣ ، ١٨١ مجاميع ١٢٢ ، مجاميع ١٣٢٢ كما أخبرني الأستاذ محب الدين الخطيب .

(١) الشاهدي أديب تركي من بلدة « مغل » واسمه إبراهيم دده ، وكان من المولوية . وله منظومة أخرى هي « كلشن توحيد » على غرار المتنوي لجلال الدين الرومي . كما أن له شرحاً على كلستان السعدي . توفي سنة ٩٢٧ هـ .

وإلى الشعراء أيضاً شاعر لإراني من أهل قم يعرف بالشاهدي توفي سنة ٩٢٥ هـ . وشاعر لإراني آخر من أهل نيسابور . ورابع هندي ، هو مير عبد الواحد البجراوي . (٢) انظر خلاصة الآثار ٢ : ٤٥٣ .

(٣) نواذر المخطوطات ١ : ٢١٧ - ٢٢٥ .

ولم أهنأ إلى موضع هذه النسخة التيمورية ، ويبدو أنها في ضاعيف بعض
مبایع مكتبته . ومنه كذلك نسخة في بطرسبرج برقم ٤٦ كما ذكر بروكلمان .
١٠ — كتاب في التراجم بدون عنوان في مكتبة عائش افندی (١) ١ : ٦٢٢ .

خزانة الأدب

وهو الكتاب الذى خلّد اسم البغدادى ، ويعدّ أعلى موسوعة فى علوم عربية وآدابها . شحّته بالنصوص النادرة ، وحفظ لنا به بقايا من كتب قد فقدت أو اندثرت ، مع عناية حازمة بالنقد والتحقيق لكل ما يورده من ذلك .

هذا إلى سرده لكثير من أمثال العرب وبيان معانيها ومضاربها وأصولها ، وحسنه للغات القبائل ولهجاتها ، وحرصه على إبراد قصائد الآيات التى تعرّض لها ، مع شرح الكثير منها شرحاً محققاً ، مستطرداً فى ذلك إلى أخبار العرب وذكر أيامها فى الجاهلية والإسلام ، إلى العناية الكاملة بالمقصد الأول لشرح الشواهد ، وهو تحقيق المسائل النحوية واستيعاب دراستها ، مع الاعتماد على أمهات النحو ومطولاته ، ومراجع شروح الشواهد ، فى علاج علمى نقدي .

والخزانة شرح لشواهد الرضى على الكافية ، التى بلغت ٩٥٧ شاهداً من شواهد العربية . وفيها يقول المولى محمد المحيى (١) :

« وألّف المؤلفات الفارقة ، منها شرح شواهد شرح الكافية للرضى الأستراباذى فى ثمانى مجلدات ، جمع فيه علوم الأدب واللغة بأسرها إلاّ القليل ، ملكته بالروم واتفتت به ، ونقلت منه فى مجاميع لى نفائس أبحاث يميز وجودها فى غيره . »

وقد ساق فى مقدمة الخزانة نبئاً للكتب التى اعتمد عليها فى الشرح والتحقيق ، مصنفاً لها ، فمنها ما هو فى علم النحو ، وما هو فى شروح الشواهد ، ومنها ما هو فى تفسير آيات المعانى المشكلة ، وما يرجع إلى دفاتر أشعار العرب من الدواوين والمجاميع ، وما يرجع إلى فن الأدب ، وما يرجع إلى كتب السبر وكتب الصحابة وأنساب العرب ، وما يرجع إلى طبقات الشراء وغيرهم ،

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ .

وما يرجع إلى كتب اللغة ، وما يتعلق بأغلاط اللغويين ، وكتب الأمثال ،
وكتب الأماكن والبلاد .

وهي نحو ٩٤٥ عنوانا إذا ضمت إلى تلك العناوانات شروحها والكتب
المؤلفة في تلخيصها أو تفهيمها جاوزت أربعة آلاف كتاب ، كثير منها قد
فقد أوضاع .

وذكر في المقدمة أيضا أنه أهدى (الخزانة) إلى السلطان محمد خان بن إبراهيم
خان العماني (١) . ثم تكلم على ثلاثة أمور :

الأمر الأول : في الكلام الذي يصح الاستشهاد به في اللغة والنحو والصرف .

الأمر الثاني : ذكر المواد التي اعتمد عليها في كتابه ، وهي المراجع المختلفة
التي سبقت الإشارة إليها .

الأمر الثالث : يتعلق بترجمة شارح الكافية الإمام الرضى .

والكافية هذه أحد كتابين لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ أحدهما في النحو ،
وهو « الكافية » ، والآخر في الصرف ، وهو « الشافية » . وقد شرح الرضى
كلا من الكتابين شرحا مسبها ناقدا محققا ، وكلاهما مطبوع . وبعد هذان
الكتابان — أعنى الكافية والشافية — النبع الذي استقى منه ابن مالك سرّ
تسميته لمنظومته الكافية الشافية التي جمع فيها بين علمي النحو والصرف ، وكانت
هي الأصل الذي اختزل منه الخلاصة المسماة بالألفية . وكأنّ ابن مالك أراد
أن يبين فضله على ابن الحاجب (٢) إذ جمع في منظومته بين علمين ، على حين
اقتصار مجهود ابن الحاجب على أفراد كل منهما بكتاب موجز . كما أراد من ناحية
أخرى أن يستعلن فضله على ابن معط في منافسته له في تأليفه الألفية .

وشواهد شرح الرضى للكافية بلغت (٩٥٧) شاهداً ، قد يكرّر الواحد

(١) تقدمت ترجمته في ص ٨ من هذا التقديم .

(٢) مما يجدر ذكره أن ابن مالك كان يستعين بابن الحاجب إذ يقول فيه : « إنه أخذ
نحوه من صاحب الفصل ، وصاحب الفصل نحوى صغير » . انظر ترجمة ابن مالك
في بنية الوعاة .

منها في مواضع مختلفة من الشرح ، فاذا تكرر الشاهد نبه البغدادى على ذلك ، ولم يدخله في نطاق العدد .

تاريخ تأليف الحزاة :

يتضح من الفصل الذى تكلمت فيه على مكتبة البغدادى أنه كان حريصا على إثبات تواريخ تأليف كتبه فى بدنها وختامها . وقد صنع ذلك أيضا فى الحزاة . قال فى ختامها :

« وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى غرة شعبان . من سنة ثلاث وسبعين وألف (١٠٧٣) واتهاؤه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين (٧٩) . فتكون مدة التأليف ست سنين ، مع ما تخلل فى أثنائها من المطة بالرحلة ؛ فإنى لما وصلت إلى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستائة (٦٦٩) سافرت إلى قسطنطينية فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين (٧٧) ولم يتفق لى أن أنشر شيئا إلى أن دخلت مصر المحروسة فى السابع من ربيع الأول من العام القابل ، ثم شرعت فى ربيع الآخر . وقد يسر الله التمام وحسن الختام . »

الطباعات السابقة :

طبعت الحزاة للمرة الأولى فى مطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ أى منذ أكثر من ٨٥ عاما فى أربعة مجلدات ، وعلى جوانبها كتاب المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية المعروف بالشواهد الكبرى (١)

(١) جمعا من شروح ابن الناظم ، وابن أم قاسم ، وابن هشام ، وابن عتيل . وعدد الآيات المنتشهد بها ١١٩٤ ، وفرغ منها المبنى فى شوال سنة ٨٠٦ . انظر كشف الظنون فى الكلام على ألفية ابن مالك . وقد أخطأ صاحب الكشف وتبمه فى ذلك صانعو فهرس دار الكتب المصرية ، إذ أقحم « شواهد شروح التوضيح لابن هشام » فى أول الشواهد ، فإن المبنى لم يتعرض لها ولم يرض إليها . واقتصر تعرضه ورمزه لما ذكرت على النظام التالى لشرح الألفية :

ظ = ابن الناظم ق = ابن أم قاسم
ه = ابن هشام ع = ابن عتيل

ومنه خمس مخطوطات بدار الكتب ، بعضها بخط المؤلف المبنى . وقد اختصره فى كتاب آخر سماه « فرائد القلائد » ، فى مختصر شرح الشواهد ، وهو المعروف بالشواهد الصغرى . لبع فى مصر بالمطبعة الكاستلية سنة ١٢٩٧ .

اليمينى (١). ثم طبعت منها أربعة أجزاء تمثل ثلثها فقط ، أى الجزء الأول و ٢٨٤ صفحة من الجزء الثانى من طبعة بولاق . وذلك فى المطبعة السلفية من سنة ١٣٤٧ — ١٣٥١ بتحقيقى ومقابلتى لطبعة بولاق على مخطوطة الشنقيطى، ومع إضافة تعليقات وتحقيقات للأستاذ عبدالمعز الميمنى الراجكوتى ، والعلامة احمد تيمور باشا ، بإشراف الأستاذ محب الدين الخطيب أطال الله بقاءه . وكنت إذ ذاك طالبا بتجهيز دار العلوم ، فلم أفرغ من دراستى بدار العلوم سنة ١٣٥١ حتى فرغت من تحقيق هذه الأجزاء الأربعة فى أربع سنوات . ولعل هذا ما حدا بالأستاذ محب الدين الخطيب أن يقتصر على التنويه بامى فى أثناء تقديمه للحزنة فى ص ٥ . ولم تم هذه الطبعة لظروف خاصة .

وفى أثناء ذلك ظهرت طبعة نادرة كالسابقة بعناية الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد فى جزأين اثنتين استوعبا المجلد الأول من طبعة بولاق . وذلك فى سنة ١٣٤٧ .

هذه الطبعة :

أما هذه الطبعة الرابعة ، التى أسأل الله العون فى إتمامها فقد دفنى إلى البدء فيها ندرة نسخ الحزنة ، وعدم وجود طبعة كاملة محققة على النهج العلمى الحديث . وإنى لأمل من فضل الله أن يسعفى الوقت والجهد لإتمام هذا العمل الضخم ، وآمل كذلك أن أتمكن من إضافة الفهارس الفنية التى تكشف خبايا هذا الكنز الدفين إن شاء الله .

(١) هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحلبي الميمنى ، نسبة إلى عينتاب بيلاد الشام . ولى الحسبة بالقاهرة بعد نقي الدين القرىزى سنة ٨٠١ ثم ولى قضاء الحنفية بها وتدرىس الحديث بالمؤيدية والفتنه بالمحمودية . ومن آثاره : عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى . ولد سنة ٧٦٢ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٥ . التبر المسبوك للسخاوى ٢٧٥ وبنية الوعاة ٣٨٦ وتاريخ ابن لياس ٢ : ٣٣ .

مخطوطات الخزائن :

إن الأصل الذي أخذت منه طبعة بولاق لا يزال مجهولاً (١) ، ولم أهدأ بعد إلى مخطوط غير مخطوط الشنقيطي المودع بدار الكتب المصرية برقم (١ - نحو) وقطعة أخرى هي الجزء الثالث من نسخة أخرى ، أوله « باب شواهد الموصول » ، ونهايته « شواهد المصدر » . كتبت هذه القطعة سنة ١٠٨٠ وهى مودعة بدار الكتب برقم (١٣ - نحو) وسأستعين بهذه القطعة فى حينها إن شاء الله .

مخطوطة الشنقيطي :

أما مخطوطة الشنقيطي فهى مخطوطة كاملة كتبت بخط بين خط النسخ والفارسى ، غير مراعى فيه تجويد أو دقة فى نظام . وبعض كلمات هذه النسخة مضبوط ، والشواهد فيها مميزة بالمداد الأحمر ، وفى نهايتها ما نصه :

« وكان الفراغ منه فى يوم الأحد المبارك التاسع عشر من شهر ربيع الأول الأنور ، من شهر سنة ١٢٩٢ على يد كاتبه أفقر الورى وأحوجهم إلى مولاه على بن محمد بن مصطفى الشهير بابن رجب وبابن الترجمان ، الجزائرى المنشأ المدينى الدار . كتبه لأخيه فى الله وصديقه ، العلامة الفاضل الورع العامل ، سيد أدباء أهل زمانه الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى المجاور بالمدينة المنورة ... » :

وهذه النسخة فى مجلدين كبيرين أولهما فى ٣٣٩ ورقة والثانى فى ٣٢٦ ورقة . وفى صدر كل من المجلدين فهرس للشواهد مرتبة قوافيها على حروف الهجاء ، ثم فهرس آخر للقوافى على النمط المتقدم مع إضافة سبب الاستشهاد وصاحب الشاهد ، وذلك على أساس الأبواب التى وردت فيها الشواهد .

وفى صدر المجلد الأول كذلك ترجمة للبغدادى منقولة من خلاصة الأثر .

(١) من البداهى أنه غير نسخة الشنقيطي ، للتخالف الشديد بينهما . وجاء فى ١ : ٤٦٠ من طبعة بولاق فى الهامش ما صورته : « بهامش الأصل : وفيه أيضا عيب لم يذكره الشارح ، وهو عيب الردف » . ولا نجد هذا الكلام فى النسخة الشنقيطية .

وكتب الشنقيطى على صدر المجلد الثانى : « ملك بفضل ربه وكرمه محمد محمود
ابن التلاميذ التركى مم وقفه على عصيته وقفا مؤبدا ، فمن بدله فإثمه عليه .
وكتبه محمد محمود بالمدينة المنورة عام ١٢٨٨ » .

فيبدو من هذا أن الشنقيطى لشدة حرصه أثبت هذا التاريخ المبكر قبل
أن يتم نسخ الكتاب جميعه بنحو سنة .
ومهما يكن فإن كتابة هذه النسخة استغرقت أربع سنوات على الأقل ،
من سنة ١٢٨٨ إلى سنة ١٢٩٢ .

وفى هامش الشنقيطية بعض إصلاحات من الكاتب ، كتداركه لسهو
أو خطأ ، أو كقوله : « كذا بخط المؤلف » . كما أن بها بعض تحقيقات بخط
الشنقيطى ذاهبة فى الندرة ، وبعض إصلاحات قلمية له سأنبه عليها فى مواضعها .
ويبدو كذلك أن تلك النسخة منقولة عن نسخة البغدادى ، فإنك كثيرا
ما ترى بالهامش عبارة « كذا بخط المؤلف » . وكذلك الشنقيطى قد اطلع
على نسخة البغدادى فقد كتب فى هامش آخر صفحة منها : « هكذا وجدته
بخطه رحمه الله تعالى » . يعنى البغدادى .

وقد عثيت بمقابلة طبعة بولاق على هذه النسخة ذا كرا للفوارق التى بينهما ،
جامعا للصواب من أثنائهما ومن مراجع التحقيق المختلفة ، وحرصت كما حرصت
فى طبعة السلفية أن أثبت على جوانب الصفحات الأرقام الدالة على صفحات
طبعة بولاق للانتفاع بها فى الإشارات الواقعة فى بحوث العلماء والمستشرقين
وللاحالة على المواضع المقبلة التى يحتاج إلى الإشارة إليها فى التعليقات .

ومن الله التيسير والعون ما

مصر الجديدة فى { ٨ من ربيع الأول ١٣٨٧
عبد السلام محمد هارون } ١٥ من يونية ١٩٦٧

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشيخ

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثانى

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

المنصوبات

أنشد في :

المفعول المطلق

وهو الشاهد الثاني والثمانون ، وهو من شواهدس^(١) :

٨٢ ﴿ هَذَا سُرَاقَةٌ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرِّشَاءِ إِنْ يَلْقَاهَا ذَيْبٌ ﴾

على أن الضمير في (يدرسه) راجع إلى مضمون يدرس ، أى يدرس
الدرس ، فيكون راجعاً للمصدر للدلول عليه بالفعل ؛ وإنما لم يجز عوده للقرآن
لأنه يلزم تعدى العامل إلى الضمير وظاهره معاً .

واستشهد به أبو حيان في شرح التسهيل على أن ضمير المصدر قد يجيء
مراداً به التأكيذ ، وأن ذلك لا يختص بالمصدر الظاهر على الصحيح .

وأورده سيبويه على أن تقديره عنده : والمرء عند الرشأ ذئبٌ إن يلقها .

وتقديره عند اللبرد : إن يلقها فهو ذئب .

وهذا من أبيات سيبويه الحسين التي لم يقف على قائلها أحد . قال الأعمى :
« هجا هذا الشاعر رجلاً من القراء نسب إليه الرياء وقبول الرشأ والحرص
عليها » وكذلك أورده ابن السراج في الأصول .

(١) سيبويه ١ : ٤٣٧ . وانظر أيضاً الخزانة ٢ : ٣ / ٢٨٣ : ٥٧٢ ،

٤ / ٦٤٩ : ١٧٠ والهمع ٢ : ٣٣ وشرح شواهد المغنى ٢٠٠ وابن السجري

١ : ٣٣٩ .

وزعم الدماميني في الحاشية الهندية : أن هذا البيت من المدح لا من الهجاء ،
وظنَّ أن (سُرَاقَة) هو سُرَاقَة بن جُعْثِم الصحابي - مع أنه في البيت غير
معلوم مَنْ هو - وحرف فيه تحريفات ثلاثة :

الأول أن الرُّشَا بضم الراء والقصر : جمع رشوة ؛ فقال : هو بكسر الراء
مع اللدَّة : الحبل ، وقصره للضرورة وأثَّه على معنى الآلة . وكلامه هذا على حدِّ :
« زَنَاهُ وَحْدَهُ (١) » .

والثاني : أن قوله يَلْقَاهَا بفتح الياء من اللَّقَى ، وهو ضبطه بضم الياء
من الإلقاء .

والثالث : أن قوله ذيب بكسر الذال وبالمهزة للمبدلة ياء وهو الحيوان
المعروف ؛ وهو صحفه ذنباً بفتح الذال والنون ، وقال : قوله عند الرشا متعلق
بذنب لما فيه من معنى التأخر ، والمعنى : إن يُلقَى لسان الرشا فهو متأخر
عند إلقائها ، يريد أن سُرَاقَة درس القرآن فتقدَّم والراء متأخر عند اشتغاله
بما لا يهم كمن امتن نفسه في السقي وإلقاء الأرشية في الآبار .
هذا كلامه ؛ وتبعه فيه الشُّمِّي (٢) . فاعتبروا يا أُولَى الأبصار !

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون ، وهو من شواهد (٣) س :

(١) أي اتهمه بالزنى ثم أقام عليه الحد .
(٢) في هامش أصل الطبعة الأولى : « لم يتابعه الشمي فيما رأيت ،
وانما ذكر عبارته ثم ذكر بعدها الصواب » .
(٣) سيبويه ١ : ٩ . وسيعاد في ٢ : ٣٣٩ / ٣ : ٤٤٣ . وانظر
الهمع ١ : ٦١ وابن الشجري ٢ : ٢٠٨ والخصائص ١ : ٨٩ والانصاف ٦٨٠
وشرح شواهد الشافعية ٢٩٠ .

٨٣

﴿ دَارُ لَسْعَدَى إِذْهِ مِنْ هَوَا كَا ﴾

على أن المصدر بمعنى اسم المفعول أى من مَهْوِيَّكَ .

وبهذا المعنى أورده أيضاً في باب المصدر ، فإن الهوى بالقصر مصدر هويته من باب تعب : إذا أحببته وعلقت به .

وأنشده أيضاً في باب الضمير على أن الياء قد تحذف ضرورة من (هى) إذ أصله إِذْهِ مِنْ هَوَا كَا . ولهذا الوجه أورده سيبويه ؛ قال الأعلم : سكن الياء أولاً ضرورةً ثم حذفها ضرورة أخرى بعد الإسكان تشبيهاً لها بعد سكنها بالياء اللاحقة في ضمير الغائب إذا سكن ما قبله ، والواو اللاحقة له في هذه الحال نحو عليه ولديه ، ومنه وعنه (١) .

٢٢٨

ومثله للنحاس قال : « والذي أحفظه عن ابن كيسان : أن هذا على مذهب من قال : هى جالسة . بإسكان الياء . وهذا قول حسن » اهـ .

وهذه الياء من سنخ الكلمة (٢) ، وحذفها أقبح من حذف الياء في قوله :

* سأجعل عينيه لنفسه مقنعا (٣) *

لأن الياء التي تتبع الهاء في (نفسه) ليست من بنية الضمير . قال للبرّد : حذف الياء من قوله : لنفسه ، لأنها زائدة زيدت خلفاء الهاء ، وكذلك الواو ، وأنتك تحف بغير ياء ولا واو ؛ فلما اضطررّ حذفهما في الوصل كما يحدثان في الوقف ؛ ودلّ عليهما ما بقي من حركة كل واحد منهما .

(١) ط : « وعليه » ، صوابه فى ش .

(٢) السنخ : الأصل . وفى ط « نسيج الكلمة » ، صوابه فى ش .

(٣) صدره كما فى سيبويه ١ : ٢٩٧ والانصاف ٥١٧ :

* فان يك غنا أو سميننا قاننى *

وقال أبو الحسن الأخفش : حَذَفَ الياء لأن الاسم إنما هو الهاء ، فردّه إلى أصله ، وحرف اللين اللاحق لها زائد .

وقوله (دار لسعدى) خبر لمبتدأ محذوف أى هذه ؛ وقدّره ابن خلف : فى دار ، أو هو دار . و (إذ) عامله الظرف قبله . قال الأعمى : وصف داراً خلت من سعدى : هذه المرأة ، وبعد عهدها بها فتغيّرت بعدها ؛ وذَكَرَ أنها كانت لها داراً ومستقراً إذ كانت مقيمة بها ، فكان يهواها بإقامتها فيها .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المحسين التى لم يعلم قائلها ولا يعرف له ضمية ، ورأيت فى حاشية الباب أن ما قبله :

(هل تعرفُ الدارَ على تبراكا)

بكسر التاء المثناة ، وهو موضع . قال أبو عبيد^(١) فى معجم ما استعجم : « تبراك بكسر التاء : موضع فى ديار بنى فقعس » .

* * *

وأُشْدَ بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون^(٢) :

٨٤ ﴿ إذا الداعى للثوبُ قالَ يالاً ﴾

وصدّره (فخيرُ نحنُ عندَ البأسِ مِنْكُمْ)

على أن (اللام) خلطت ؛ (يا) أراد أنه خلطت لام الاستغاثة الجارة بيا حرف النداء وجعلتنا كالكلمة الواحدة ، وحكىنا كما نحكى الأصوات ، وصار المجموع شعاراً للاستغاثة .

(١) ط : « أبو عبيدة » ، صوابه فى ش مع اثر تصحيح .

(٢) أنظر العينى ١ : ٥٢٠ والهمع ١ : ١٨١ والخصائص ١ : ٢٧٦/٢ :

٣/٣٧٥ : ٢٢٨ وشرح شواهد المغنى ٢٠٣ ، ٢٨٦ ونوادر أبى زيد ٢١ .

قال أبو زيد في نواتره : أراد يا لبني فلان ، يريد حكاية الصارخ
للبستغيث . وهذا مذهب أبي علي أيضاً وأتباعه ، والأصل عندهم يا لبني فلان
أو يا لفلان ، فحذف ما بعد لام الاستغاثة كما يقال : « ألا تا » فيقال « ألا فا »
يريدون : ألا تفعلوا وألا فافعلوا . وهذا أحد مذاهب ثلاثة فيه .

ثانيها : أن المنادي والمنيّ بلا محذوفان ، أي يا قوم لا تغدوا . ذكره
ابن مالك في شرح التسهيل وابن هشام في اللغني .

ثالثها : أنه بقية يا آل فلان ؛ وهو مذهب الكوفيين ، قالوا في يا يزيد :
أصله يا آل زيد فحذفت همزة أل للتخفيف وإحدى الألفين لالتقاء الساكنين ،
واستدلوا بهذا البيت وقالوا : لو كانت اللام جارة لما جاز الاقتصار عليها .
قال الشارح المحقق : وهو ضعيف ؛ لأنه يقال ذلك فيما لا آل له ؛ نحو : يا لله
ويا للدوامي ، ونحوهما .

وأجاب ابن جني في الخصائص عن دليلهم بقوله : « فإن قلت : كيف
جاز تعليق حرف الجر ؟ قلت : لما خلط بيا (١) صار كالجزء منها ؛ ولذلك شبه
أبو علي ألفه التي قبل اللام بألف باب ودار ، فحكم عليها بالانقلاب . وحسن
الحال أيضاً شيء آخر : وهو تشبُّث (٢) اللام الجارة بألف الإطلاق ، فصارت
كأنها معارفة للمجرور ؛ ألا ترى أنك لو أظهرت ذلك المضاف إليه وقلت :
يا لبني فلان ، لم يميز إلحاق الألف هنا ، [وجرت ألف الإطلاق] (٣) في منابها
عما كان ينبغي أن يكون بمكانها ، مجرى ألف الإطلاق ، في منابها عن (٤) تاء
التأنيث في نحو قوله :

(١) ش : « بلا » صوابه في ط والخصائص ٢ : ٣٧٥ .
(٢) في النسختين : « تثبت » ، والوجه من الخصائص
(٣) التكملة من الخصائص .
(٤) ش : « على » ، صوابه في ط والخصائص .

ولاعبَ بالعشيِّ بنى بنيه كِفْعَلِ الْمَرْءِ يَحْتَرِشُ الْعِطَايَا^(١)

وكذلك نابت واو الإطلاق في قوله :

* وما كلُّ من وافى منىَّ أنا عارفٌ *

فيمن رفع كلاً عن الضمير الذى يراد في عارف . وكما ناب^(٢) التنوين في نحو يومئذ^(٣) .

وقال في موضع آخر من الخصائص : « وسألنى أبو عليّ عن ألفٍ (يا) من قوله يالا ، في هذا البيت فقال : أمقلبة هي ؟ قلت لا ، لأنها في حرف فقال : بل هي منقلبة . فاستدلته على ذلك ، فاعتصم بأنها قد خلطت باللام بعدها ووقف عليها^(٤) فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت يال بمنزلة قال ، والألف في موضع العين ، وهي مجهولة فينبغي أن يحكم بالانقلاب عن الواو . وهذا أجل ما قاله^(٥) ، والله هو ، وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه ١ وأشدّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه^(٦) ١ وكأنه إنما كان مخلوقاً له ١ وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحةً عليه ، ساقطةً منه كلفه ، لا يعتاقه عنه ولد ، ولا يعارضه فيه متجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة^(٧) ١ — وقد حطّ

(١) ط : « القطايا » صوابه في ش والخصائص ٢ : ٣٧٦ .

(٢) في النسختين : « ناسب » ، صوابه من الخصائص .

(٣) في الخصائص : « في نحو حينئذ ويومئذ عن المضاف اليه اذ » .

(٤) ط : « ووقعت عليها » ، صوابه في ش والخصائص ١ : ٢٧٦ .

(٥) في الخصائص : « هذا أجل ما قاله » .

(٦) ط فقط : « ايناسه » .

(٧) بأخرة ، أى أخيراً . وفي ط : « ولا يخدم به النساء الا بأخرة » ،

صوابه في ش . والرئيس يعنى به عضد الدولة بن بويه ، وقد صنف

له الايضاح ، والتكملة .

من أثقاله^(١) ، وألقى عصا ترحاله — : ثم إني لا أقول إلا حقاً ، إني لأعجب من نفسى فى وقتى هذا كيف تطوَّع لى بمسألة ، أم كيف تطمح بى إلى انتزاع علة مع ما الحال عليه من عُلقى الوقت وأشجانه ، وتذاؤبه^(٢) وتخلج أشطانه ؛ ولولا مساورة الفكر واكتداده^(٣) لكنت عن هذا الشأن بمعزل ، وبأمرٍ سواء على شغل ، ا هـ .

والله درّه ! فكأنما رمى عن قوسى ، وتكلم عن نفسى . والله للمشكور فى كل حال ، وهو غنى بعلمه عن السؤال .

وقوله : (خبيرٌ نحن عند البأس منكم) قد تكلم الناس على إعرابه قديماً وحديثاً لا سيما أبو على الفارسى ، فإنه تكلم عليه فى أكثر كتبه . قال فى التذكرة القصرية : « سألت عن هذا البيت ابن الخياط والمعمرى فلم يجيبا إلا بعد مدة ؛ قالوا : لا يخلو من أن يكون نحن ارتفع بخيرٌ أو بالابتداء ويكون خيرٌ الخبر ، أو يكون تأكيداً للضمير الذى فى خيرٍ والمبتدأ محذوف أى نحن خير ؛ لا جائز أن يرتفع بخير لأنّ خيراً لا يرفع المظهر البتة ، ولا مبتدأ للزوم الفصل بالأجنبي بين أفعلاً وبين من ، وهو غير جائز ، فثبت أن نحن تأكيد للضمير فى خير » .

وقد أجمل كلامه هنا ، وفصله فى المسائل المشككة ، المعروفة بالبغداديات . وبعد أن منع كون نحن مبتدأ وخير خبراً قال : « عندى فيه قولان : أحدهما أن يكون قوله خير خبر مبتدأ محذوف تقديره : نحن خير عند البأس منكم ،

(١) ط : « وقال وقد حط من أثقاله » ، وكلمة « وقال » مقحمة لم

ترد فى ش ولا الحصائص .

(٢) التذاؤب : الاضطراب . وفى النسختين : « وتداويه » صوابه

فى الحصائص .

(٣) ط : « واكتداده » ، صوابه فى ش والحصائص .

فنحن على هذا في البيت ليس بمبتدأ ، لكنه تأكيد لما في خير من ضمير
المبتدأ المحذوف ؛ وحسنُ هذا التأكيد لأنه حذف المبتدأ من اللفظ ولم يقع
الفصل بشيء أجنبي بل بما هو منه ، وقد وقع الفصل بالفاعل بين الصلة
وموصولها في نحو قولهم : ما من أيام أحبَّ إلى الله فيها الصومُ منه في عشر
ذى الحجة وكان ذلك حسناً سائماً . فإذا ساء كان التأكيد أسوأ ، لأنه قد
يحسن حيث لا يحسن غيره من الأسماء .

وقال في الإيضاح الشعري في هذا الوجه — بعد أن قال : ونحن الظاهرُ
تأكيد للضمير الذي في خير على المعنى : « كان ينبغي أن يكون على لفظ الغيبة ،
ولكن جاء به على الأصل نحو نحن فعلنا ؛ ويدلُّك على أنه كان ينبغي أن يجيء
على لفظ الغيبة : أن أبا عثمان قال — في الإخبار عن الضمير الذي في منطلق
من قوله : أنت منطلق — إذا أخبرت عن الضمير الذي في منطلق من
قولك أنت منطلق لم يجز ، لأنك تجعل مكانه ضميراً يرجع إلى الذي ولا يرجع
إلى المخاطب ، فيصير المخاطب مبتدأ ليس في خبره ما يرجع إليه . فهذا — من
قوله — يدلُّ على أن الضمير وإن كان للمخاطب في أنت منطلق فهو على لفظ
الغيبة ؛ ولولا ذلك لم يصلح أن يرجع إلى الذي . على أن هذا من كلامهم مثلُ
أنتم تذهبون ؛ واسم الفاعل أشبهٌ بالمضارع منه بالماضي ، فلذلك جملة مثله ولم
يجعله مثلَ الماضي في أنتم فعلتم ، ا هـ .

٢٣٠

ثم قال في البندايات : « القول الثاني : أن يجعل خير صفة مقدّمة ، يقدّر
ارتفاع نحنُ به ، كما يجيز أبو الحسن في : قائم الزيدان ، أن ارتفاع الزيدان
بقائم . فلا يقع على هذا أيضاً فصلُ شيء يكره ولا يجوز ، لأن نحن على هذا
مرتفع بخير . إلا أن ذا قبيح ، لأن خيراً وبابه لا يعمل عمل الفعل إذا جرى

على موصوفه ، وإعماله في الظاهر مبتدأ غير جارٍ على شيء أقبح وأشدّ امتناعاً . والوجه الأول حسن سائغ .

قال في الإيضاح « فإذا جاز ذلك فيما ذكرناه — أى الوجه الأول — لم يكن فيما حمل أبو الحسن عليه البيت من الظاهر دلالة على إجازة نحو : الخليفة أحب إليه يحيى من جعفر حتى يقول : الخليفة يحيى أحب إليه من جعفر ، أو أحب إليه من جعفر يحيى ، على ما أجازته سيبويه في : ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد ، فلا يفصل بينهما بما هو أجنبي منهما » اهـ .

ثم قال في البغداديات : « فإن قال قائل : أيجوز أن يكون فخير خبراً مقدماً لما بعده وهو نحن ، ويكون منكم غير صلة ولكنها ظرف كقوله :

* ولست بالأكثر منهم حصّى * (١)

وتقديره : ولست بالأكثر فيهم ، لا على حدّ : هو أفضل من زيد ، ألا ترى أن الألف واللام تعاقب من هنا ؟ فالجواب : أنه بعيد ؛ وليس المعنى عليه ، إنما يريد : نحن خير منكم ، وأن الفزع إلينا والاستغاثة بنا ؛ نسدّ ما لا تسدّون ونمنع من الثغور ما لا تمنعون . ألا ترى أن ما بعد هذا البيت :

(ولم تقِرَّ العواتق من غيور بغيرته وخَلَيْنَ الحجالا)

وقوله : (عند البأس) العامل فيه خير ، ولا يجوز أن يكون متعلقاً بالمبتدأ المحذوف على أن يكون التقدير : فنحن خير عند البأس منكم ، يريد : نحن

(١) للأعشى في ديوانه ١٠٦ وعجزه :

* وانما العزة للكانثر *

عند البأس خير منكم ، لأنك إن نزلته هذا التنزيل فصلت بين الصلة والموصول بما هو أجنبي^١ منهما ومتعلق^٢ بغيرها ، وإذا قدرت اتصاله بخير لم يكن فصل كما لم يكن فصل بينهما من قولك : أحب^٣ إلى الله عز وجل فيها الصوم^٤ .

و (البأس) بالوحدة لا بالنون ، وهو الشدة والقوة . و (الداعي) من دعوت زيدا : إذا ناديته وطلبت إقباله . و (المثوب) اسم فاعل من ثوب ، قال أبو زيد : « هو الذي يدعو الناس يستنصرهم » ، والأصل فيه : أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعزى ويلوح بثوبه رافعاً صوته ، ليُرَى فيثاق .

ووثق منه وبه : اطمأن إليه وقوى قلبه . وجملة لم تثق معطوفة على مدخول إذا ، وكذلك جملة خَلَيْنَ الحجالا . والعواتق : جمع عاتق ، وهي التي خرجت عن خدمة أبيها وعن أن يملكها الزوج . والغيور من غار الرجل على حريمه يغار من باب تعب ، غيرة بالفتح ، فهو غيورٌ وغيرانٌ ، وهي غيور أيضاً وغيرى . وخلين ؛ متعدى خلا المنزل من أهله يخلو خلواً وخلأ فهو خالٍ . وصحفه بعضهم بالحاء المهملة وبالبناء للمجهول على أنه من التحلية وهو التزيين والحجال بكسر الحاء المهملة : جمع حَجَلَة بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار ، كذا في النهاية . وزاد في القاموس أنه للعروس . وأخطأ بعضهم حيث قال : هو جمع حِجْل بمعنى اخلخلال ؛ وهذا لا يناسب المقام ، مع أنه لا يجمع على حجال وإنما يجمع على حُجول وأحجال . يريد أنهم في يوم فزع أو غارة لا يثقفن بأن يحمين الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم .

وهذان البيتان نسبهما أبو زيد في نواتره لزهير بن مسعود الضبيّ .

* * *

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون ، وهو من أبيات س (١) .

٨٥ * عَمَرْتُكَ اللَّهُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ لَنَا هل كنتِ جَارَتَنَا أَيُّمَ ذِي سَلَمٍ *
على أن قولهم (عَمَرَكُ اللَّهُ) له فعل كما في هذا البيت وعَمَرْتُكِ بتشديد
الميم وضم التاء وكسر الكاف .

وكذلك استدلَّ به سيبويه على أنَّ عَمَرَكُ وضع بدلاً من اللفظ بالفعل ،
فلزمه النصب بذكر الفعل مجرداً في البيت .

قال الأَعلَم - وتبعه ابن خُلف - : معنى عَمَرْتُكَ اللَّهُ ذَكَرْتُكَ اللَّهُ
وأصله من عمارة الموضع ، فكأنَّه جعل تذكيره عمارةً لقلبه ، فعَمَرَكُ اللَّهُ مصدر
عند سيبويه ، وتُقدِّره أنَّ معنى عَمَرَكُ عَمَرْتُكَ اللَّهُ : أى سألتُ اللَّهَ عَمَرَكُ؛ وإذا
وضح أن عَمَرَكُ بمعنى عَمَرْتُكَ وجب أن يكون مصدراً . وقد ثبت أنهم يقولون :
عَمَرَكُ اللَّهُ وعَمَرْتُكَ اللَّهُ بمعنى ، فيكون اسمُ اللَّهِ منصوباً بعَمَرَكُ على قول ، وبالفعل
المقدر على قول . وفيه معنى السؤال . وقيل منصوب بفعل مقدر أى سألتُ
اللَّهَ عَمَرَكُ أى بقاءك .

والفرق بينه وبين قول سيبويه وإن كان بمعنى سألتُ اللَّهَ تعالى بقاءك :
أن عَمَرَكُ على مذهب سيبويه بمعنى عَمَرْتُكَ الملتزم حذفه وهو الناصب له ، واسم
اللَّهِ المفعول الثاني ؛ وعلى القول الآخر أن عَمَرَكُ واسمُ اللَّهِ مفعولان لسألتُ
للمقدر .

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ . وانظر أمالي ابن الشجري ١ : ٣٤٩ والهمع

وروى الشارح عن الأخفش إجازة رفع الجلالة على أنه فاعل . ونسبه أبو حيّان في الارتشاف إلى ابن الأعرابي . وروى عن الأخفش : أن أصله عنده بتعميرك الله ، حذف زوائد المصدر والفعل والباء فانتصب ما كان مجروراً بها . ويدلّ لما قاله الأخفش وأنه ليس منصوباً على إضمار فعلٍ إدخالُ باء الجرّ عليه ، قال :

* بعمرك هل رأيتَ لها سميّاً *

قال أبو حيّان : والذي يكون بعد نشدتك الله وعمرتك الله أحدُ ستة أشياء : استفهام ، وأمر ، ونهى ، وأن ، وإلا ، ولما بمعنى إلاّ كقوله :

* عمرك الله إلاّ ما ذكرتَ لنا *

وإذا كان إلاّ أو ما في معناها فالفعل قبلها في صورة الموجب وهو منفيّ في المعنى ، والمعنى ما أسألك إلاّ كذا ، فالتبث لفظاً منفيّ معنى ليتأتى التفرغ .

قال الدماميني في شرح التسهيل : فإن قلت : تأويل الفعل بالمصدر بدون سابقٍ ليس قياساً فيلزم الشذوذ ، كنسمع بالمعديّ أى سماعتك ، وادعاء الشذوذ هنا غير متأتٍ لاطراد مثل هذا التركيب وفصاحته ! قلتُ : لا نسلم أن التأويل بدون حرف مصدر شاذّ مطلقاً ، وإنما يكون شاذّاً إذا لم يطرّد في بابٍ ، أما إذا اطرّد في باب واستمرّ فيه فإنه لا يكون شاذّاً ، كالجملّة التي يضاف إليها اسم الزمان مثلاً نحو : جئتكَ حين ركبَ الأمير ، أى حين ركوبه .

وضبط أبو عليّ الفارسي كما قل ابن خلف عنه أن (ألا) في هذا البيت بفتح الهمزة ، فيكون أصله هلاً . نقل صاحب التلخيص عن الكسائي :

أَنْ هَلًا وَأَلًا بقلب الماء همزة ولولا ولوما للتنديم في الماضي ، وللتحضيض في المستقبل ؛ فالأول نحو : هلا أكرمت زيدا — على معنى ليتك أكرمته ، قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام ؛ والثاني نحو : هلا تقوم — على معنى ليتك تقوم ، قصداً إلى حثه على القيام . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه .

و (ما) زائدة . وهذه الجملة جواب عمرك الله . وهو قسم سؤالي . وجملة (هل كنت جارتنا . الخ) في موضع المفعول لذكرت معلق عنه بالاستفهام ، والأصل هلاً ذكرت لنا جواب هذا السؤال ؛ وجملة (عمرك الله) إلى آخر البيت في محل نصب على أنها مقولة لقوله في البيت السابق ، وهو :

(إذ كنت أنكر من سلمى فقلت لها لما التقينا وما بالعهد من قديم)
و (ذو سلم) : موضع عند جبل قريب من المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

والبيتان من قصيدة للأحوص الأنصاري . وأنشد سيبويه بيتاً آخر مثل هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة وهو (١) :

« عمرك الله الجليل فإني ألوي عليك لو أن لبك يهتدى »
ألوي عليك : أعطف عليك . وقوله : لو أن لبك يهتدى ، أي لو أن قلبك يقبل النصيحة ؛ عبر عنه باللب لأنه محل . وجواب القسم السؤال في بيت بعده وهو :

« هل لأمي من صاحب صاحبه من حاسر أو دارع أو مرتدي »

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ ابن الشجري ١ : ٣٤٩ والمنصف ٣ : ١٣٢

واعلم أن (عمرتك الله) في البيتين بتشديد الميم ؛ كما يدل عليه كلام سيبويه المنقول في كلام الشارح ، وهو قوله : « والأصل عند سيبويه : عمرتك الله تعميراً الخ (١) » . ومثله في العباب للصاغاني : وقولهم عمرتك الله أى سألت الله تعميرك . وأنشد البيت الأول ، ثم قال : وقال جل ذكره : ﴿ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾ (٢) . ويجوز عندى أن يكون قولهم عمرتك الله مصدرًا لفعل ثلاثي ، وهو : فلان يعمره من باب نصر ، أى يعبده بالصلاة والصوم ونحوهما ، وفلان عمار أى كثير الصلاة والصوم ؛ فيكون منصوبًا على نزع الباء التسمية ومضافًا إلى فاعله ، أى بعبادتك الله . ولم أر من شرحه على هذا الوجه .

الأحوص
ابن محمد

و (الأحوص) من الحوص بمهملتين ، وهو ضيق في مؤخر العين ، وقيل : في أحد العينين . وهو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم ابن ثابت ، يسمى « حجيّ الدبر » (٣) ، أى محيها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في بعث قتلته للمشركون وأرادوا أن يصلبوه ويمثلوا به فحتمه الدبر (٤) — وهى النحل — فلم يقدرُوا عليه .

والأحوص مقدّم عند أهل الحجاز وأكثر الرواة ، لولا أفعاله الدينية ؛ لأنه أسمحهم طبعًا ، وأسلسهم كلامًا ، وأصحهم معنى ؛ ولشعره رونق وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لأحد . وهو محسنٌ في الغزل والفخر والمدح . وكان يشبّب بنساء أشراف المدينة ، ويُشيع ذلك في الناس ؛ فنهى فلم ينته .

(١) الرضى ١ : ١٠٧

(٢) من الآية ٣٧ فى سورة فاطر .

(٣) أى كان عاصم بن ثابت ، كما فى الاصابة ٤ : ٢ والسيرة ٦٣٩ ،

(٤) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزناير . ط : « الدبرة ،

صوابه فى ش .

فُسْكِ إلى عامل سليمان بن عبد الملك ، وسُئِلَ الكتابة فيه إليه ، ففعل
 ٢٣٣ فكتب سليمان يأمره أن يضر به مائة ، ويقبضه على البُلْس للناس ، ثم يسيره
 إلى دَهْلَك (١) ، ففعل به ذلك . والبُلْس بضمين : جمع بلاس بكسر الموحدة (٢) ،
 وهي غرائر كبار من مُسُوح يجعل فيها التبن يشهر عليها من يُنْكَل به ،
 وينادى عليه . ومن دعائهم « أُرَانِيكَ اللهُ عَلَى الْبُلْس » وكان الأحوص يقول ،
 وهو يطاق به :

مَا مِنْ مَصِيبَةٍ نَسَكِبَ أُنَى بِهَا إِلَّا تُعْظِمُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
 إِنِّي إِذَا خِفَ اللَّثَامُ رَأَيْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تُخْفِي بِكُلِّ مَكَانٍ
 إِنِّي عَلَى مَا قَدِ تَرَوْنَ مُحَسَّدٌ أَنَى عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَانِ
 أَصَبَحْتُ لِلْأَنْصَارِ فِيمَا نَابَهُمْ خَلْفًا وَفِي الشُّعْرَاءِ مِنْ حَسَانٍ
 وَأَقَامَ الْأَحْوَصُ مَنِيًّا بِدَهْلَكِ إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَكَتَبَ
 إِلَيْهِ الْأَحْوَصُ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُدُومِ ، وَسَأَلَهُ الْأَنْصَارُ أَيْضًا أَنْ يُقَدِّمَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
 فَقَالَ لَهُمْ : مِنَ الْقَائِلِ :

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتَ حَتَّى لَا أَكَادُ أُجِيبُ
 قَالُوا : الْأَحْوَصُ . قَالَ : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :
 أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بِأَيَاتِكُمْ مَا دَرْتُ حَيْثُ أَدُورُ

(١) دهلک : جزيرة بين بلاد اليمن والحبشة ، ضيقة حرجة حارة ،
 كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . وعينها الأستاذ أمين واصف
 في الفهرست بأنها تجاء مصوع الآن .

(٢) كتب الميمنى : « أظن البلاس معرب بلاس بالفارسية بمعنى الحصير .
 ثم وجدته والحمد لله فى خروم معرب الجواليقى التى سدها ولیم سبيتا فى
 المجلة الألمانية ٣٣ : ٢٠٨ - ٢٢٤ ولفظه : من كلام فارس للمسح بلاس
 وجمعه بلس هكذا تقول العرب ٠٠ الخ » .

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

سَبَقَ لَهَا فِي مَضَرِّ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ حُبٌّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَمَهَا يَفِرُّ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ (١)

قالوا : الأحوص . قال : لا جَرَمَ ما رددته ما كان لى سلطان !

قال أبو عبيدة : كان سبب نفي الأحوص أن شهدوا شهيداً عليه أنه قال :

لا أبالي أئى الثلاثة أكون ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً (٢) . وكان مشهوراً بالأبنة وانضاف إلى ذلك أنه دخل يوماً على سُكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ، فأذن المؤذن فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فخرت سُكينة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأحوص :

فَخَرْتُ وَانْتَمْتُ فَقُلْتُ : ذَرِينِي لَيْسَ جَهْلٌ أَتَيْتُهُ بِيَدَيْهِ
فَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتَ لَحْمَهُ الدَّبِيرُ قَتِيلًا لِلْحَيَانِ يَوْمَ رَجِيعِ (٣)
غَسَلْتُ خَالِي الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ مَيْتًا ، طَوَّبَنِي لَهُ مِنْ صَرِيعِ
وكان وفد الأحوص على الوليد بن عبد الملك ممتدحاً له فأنزله منزلاً وأمر

(١) ط : « وأتبعه » ، تحريف ، فانه ثانياً بيتين فى الأغاني ٤ :
٤٨ أولهما :

كَأَنَّ لَبْنِي صَبِيرَ غَادِيَةٍ أَوْ دَمِيَّةَ زَيْنَتْ بِهَا الْبَيْعِ

(٢) فى الأغاني ٤ : ٤٣ عن أبى عبيدة « شهدوا عليه أنه قال :
إذا أخذت صريرى » دراهمى ، لم أبال أئى الثلاث لقيت » .

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط والأغاني : « قَتِيلِ
الْحَيَانِ » . وفى الأغاني أيضاً : « يوم الرجيع » . والرجيع : ماء لهذيل
بناحية الحجاز .

بمطبخة تمال عليه^(١) . وكان قد نزل على الوليدِ شعيبُ بن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ وكان الأحوص يرأود وُصفاءَ للوليد خبّازين^(٢) ، يريدن أن يفعلوا به الفاحشة ؛ وكان شعيب قد غضب على مولاه ونحاه ، فلما خاف الأحوص أن يقتضخ برأوده الغلمان اندس لمولى شعيب بذلك فقال : ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أن شعيباً يرأودك عن نفسك . ففعل المولى ، فالتفت الوليد إلى شعيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه نبأ يا أمير المؤمنين ، فاشدد به يدك يصدُفك . فشدد عليه فقال : أمرني الأحوص بذلك . فقال قبيمُ الخبازين : إن الأحوص يرأود غلمانك عن أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى ابن حزم وإلى المدينة وأمره أن يجلبه مائة ، ويصب على رأسه زيتاً ، [ويقيمه على البُلس]^(٣) ففعل به كما ذكرنا .

٢٣٤

ولم يزل الأحوص يدهلك حتى مات عمر بن عبد العزيز وتولى يزيد بن عبد الملك . فبينما يزيد وجارية ذات يوم تغنيه بعض شعر الأحوص فقال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا أدري ! فأرسل إلى ابن شهاب الزهريّ وسأله ؛ فأخبره أن قائله الأحوص . قال : وما فعل ؟ قال : طال حبسه يدهلك . فأمر بتخلية سبيله ووهب له أربعمائة دينار .

وعن ابن الأعرابي : أن الأحوص كانت له جارية تسمى « بشرة » وكانت تحبه ويحبها . فقدم بها دمشق ، فخنزته الموت وبكت^(٤) فقال الأحوص :

(١) ش : « بمطبخه تمال عليه » . وفي الأغاني : « بمطبخه أن يمال

عليه » .

(٢) انظر حواشي الحيوان ٥ : ٤٥٧

(٣) تكلمة من الأغاني ٤ : ٤٤ كما يقتضيه السياق

(٤) في الأغاني : « فخنزته الموت وبكت » .

ما لجديد الموت يا بشر لذة وكلُّ جديد تستلذ طرائفه
ثم مات ، فجزعت عليه جزعاً شديداً ، ولم تزل تبكي عليه وتندبه حتى
شبهت شهقةً وماتت . ودُفنت إلى جنبه .

(تنمة)

لم يذكر الأمدى في المؤلف والمختلف من اسمه (أحوص) غير هذا .
وذكر (الأحوص) بانحاء المعجمة وقال : هو زيد^(١) بن عمرو بن قيس
اليربوعي التميمي ، وهو شاعر فارس . وأورد له شعراً جيداً يفتخر به .

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون (٢) :

٨٦ (قَعِيدِكَ أَنْ لَا تَسْمِعَنِي مَلَامَةً وَلَا تَنْكِي قُرْحَ الْفَوَادِ فَيَسْجَعاً)
على أن (قعيدك الله) وعمرك الله « أكثر ما يستعملان في القسم السؤالى
فيكون جوابهما ما فيه الطلب كالأمر والنهي . وأن هنا زائدة » .
قال أبو حيان في الارتشاف : ويجيء بعد — قَعْدَ وقعيدك الاستفهام
وأن . ولم يقيدها بكونها زائدة أو مصدرية أو غيرها . ومثال الاستفهام ، قال
الأزهري : قالت قُرْبِيبة الأعرابية :

قَعِيدِكَ عَمَرَ اللَّهِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ أَلَمْ تَعْلَمِينَا نَعْمَ مَاوَى الْمُحْصَبِ
ولم أسمع بيتاً جُمع فيه بين العمر والقعيد إلا هذا . انتهى .

(١) ط : « يزيد » صوابه فى ش والمؤتلف ٤٩
(٢) انظر أيضاً الخزانة ٢ : ٢١٤ وجمع الهوامع ٢ : ٤٥ والمنصف
١ : ٢٠٦ والفضليات ٢٦٩ .

وبقى على أبي حيان أن يقول : و « اللام » . روى أبو عبيد قعيدك لتفعلن ، و « لا النافية » كما يأتي في كلام الجوهري .

قال ابن الحاجب في الإيضاح : وقعدك الله عند سيويه مثل عمرك الله يجعله بمعنى فعل مقدّر معناه : سأله أن يكون حفيظك ؛ وإن لم يُتكلّم به . كأنه قيل حفظتك الله ، من قوله تعالى : « عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشمالِ قعيدٌ » (١) أى حافظ . ووضح ذلك في عمرك الله لاستعمال فعله . وإذا تحقق أن معنى قعدك الله معنى الفعل المقدّر المذكور ، وضح أيضاً [أن] قعيدك الله بمعناه وفيه أيضاً معنى السؤال ، كعمرك الله .

وقال ابن خلف : يريد سيويه بقوله : « قعدك الله يجرى هذا المجرى ، أن فعل المصادر قد يترك ويكون بمنزلة ما استعمل الفعل فيه ، فقعدك بمنزلة قولك : وصفك الله بالثبات وأنه لا يزول (٢) . يريد سألتك بوصفك الله بالثبات ثم حذف الفعل والباء . ولا يستعمل فيه الفعل ولا الباء ؛ وهو مصدر لا يتصرف ، أى لا يستعمل في غير هذا الموضع من الكلام ، ولا يستعمل إلا مضافاً . انتهى

وقال أبو اسحاق إبراهيم النجيري (٣) في كتاب أيمان العرب : معنى قعدك الله وقعيدك الله : أخصب الله بلادك حتى تكون مقبلاً فيها قاعداً غير منتجع . وقال الجوهري « وقولهم : قعيدك لا آتيك ، وقعيدك الله لا آتيك وقعدك الله وقعدك الله بالفتح والكسر : يمين للعرب . وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمّر ، والمعنى : بصاحبك الذى هو صاحب كل

(١) الآية ١٧ فى سورة « ق »

(٢) ط : « وان لاتزول » ، صوابه فى ش

(٣) ط : « البحرى » ، صوابه فى ش . وقد طبع كتابه فى المطبعة

السلفية سنة ١٣٤٣ بتحقيق محب الدين الخطيب

نجوى ؛ كما يقال : نشدتك الله . زاد عليه صاحب العباب : وقال أبو عبيد :
عليها مضر تقول : قعيدك لتفعلن كذا ، يعني أنهم يحلفونه بأبيه ، قال :
القعيد : الأب .

وأنكر صاحب القاموس كونهما للقسم فقال : « قعيدك الله وقعيدك
بالكسر استعطاق لا قسم » ، بدليل أنه لم يجىء جواب القسم . وهذا
مخالف للجمهور ؛ فإن قوله (لا تسميني) جواب لقوله (قعيدك) ، وكذا :
لا آتيك ، فيما نقله الجوهري . قال صاحب البسيط : ويدل على القسم قولهم :
قعدك الله لأفعلن . وروى فقمك^(١) بفتح القاف وكسر ها . والمفعول الثاني
مخوف أى قعدك^(٢) الله . والكاف مكسورة لأنه خطاب مع امرأة كما يأتى
بيانه . وجملة (لا تنكئ) لا محل لها من الإعراب ، كجملة للمطوف عليها ؛
يقال نكأت القرحة ، بالهمز : إذا قشرتها ؛ ونكيت فى العدو بلا همز .
والقرح كالجرح وزناً ومعنى . وقوله (فيجما) منصوب بأن مضمرة بعد الفاء ،
فى جواب النهى الثانى . قال ابن الأنبارى : أهل الحجاز يقولون : وجع يوجع
ووجل يوجل ، يُقرون الواو على حالها إذا سكنت وافتتح ما قبلها ، وهى أجود
اللغات ؛ وبعض قيس يقول : وجل ياجل ووجع ياجع ؛ وبنو تميم تقول :
وجع ييجع ، وهى شر اللغات ؛ لأن الكسر من الياء والياء يقوم مقام
كسرتين ، فكهوا أن يكسروا لثقل الكسر فيها . وقال الفراء : إنما كسر
ليتفق اللفظ فيها واللفظ بأخواتها ؛ وذلك أن بعض العرب يقول : أنا إيجل
وأنت تيجل ونحن نيجل ؛ فلو قالوا هو يوجل كانت الياء قد خالفت أخواتها .
وهذا البيت من قصيدة مشهورة مشروحة فى المفضليات وغيرها ، لمتنم

(١) ط : « قعدك » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « قعيدك » .

ابن نُؤيرة الصحابي رضى الله عنه ، يرثى بها أخاه مالك بن نُؤيرة . وقبل هذا البيت ثمانية أبيات متصلة به وهي :

قصيدة
الشاهد

(تقول ابنة العمرى مالكَ بعدما أراك حديثاً ناعمَ البال أفرعاً)

ابنة العمرى : زوجته . والحديث : القريب . والأفرع : الكثير شعر الرأس — تقول له : مالك اليوم متغيراً بعد أن كنت منذ قريب ناعمَ البال أفرع .

(فقلتُ لها : طولُ الأسى ، إذ سألتنى ولوعة حزن تترك الوجه أسفماً)

الأسى : الحزن . والتاء من سألتنى مكسورة . والألوعة : الحرقه . والسفمة بالضم : سواد يضرب إلى الحمرة .

(وفقدُ بنى أمِّ تداعوا فلم أكنْ خِلافهمُ أن أستكين وأضرعاً)

فقدُ : معطوف على طول الأسى . وتداعوا : تفرقوا ودعاً بعضهم بعضاً . وخِلافهم : بعدهم وخلفهم . يقول : لست وإن أصابنى حزنٌ بمُسكينٍ ولا خاضع فيشمت به الأعداء .

٢٣٦ (ولكنتنى أمضى على ذاك مقدماً إذا بعضُ من يلقى الحروب تككما^(١))

التككمُ : التأخر عن الحروب من الجبن والتهيب .

(وغيرنى ماغال قيساً ومالكاً وعمرأً وجزماً بالمشقر الماعاً)

غال : أهلك . وقيس وعمرؤ : رجلان من بنى يربوع ، وجزء هو ابن سعد الرياحي ، وهؤلاء قتلهم الأسود بن النذر يوم المشقر . ويعنى بمالك أخاه . و « بالمشقر » بالثين للمعجمة والقاف على زنة اسم للفعول : قصر

(١) ط : « من يلق » صوابه فى ش والمفضليات

بالبُحْرَيْنِ ، وقيل : مدينة هَجَرَ . وقوله : أَلْمَعَا ، أى أُلْمِعَ بِهِمُ الْمَوْتَ ، ومعناه ذهب بِهِمُ ، وقال السَّكَاوِيُّ : أَرَادَ مَعَاً فزَادَ أَل .

(وما غَالَ نَدَمَانِيْ يَزِيدَ ، وَلِيَتْنِيْ تَعْلِيْهُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ أَجْمَا)
النَّدَمَانُ بِالْفَتْحِ هُوَ النَّدِيمُ ، وَكَانَ يَزِيدُ ابْنَ عَمِّهِ وَنَدِيْعِهِ .

(وإِنِّيْ وَإِنْ هَازَلْتَنِيْ قَدْ أَصَابَنِيْ مِنْ الْبَثِّ مَا يُبْكِي الْحَزِيْنَ الْمَفْجَعَا)
يقول : نَزَلَ بِيْ مَا يَغْلِبُ الصَّبْرَ وَالتَّجَلُّدَ حَتَّى يَحْمِلُ صَاحِبُهُ عَلَى الْبُكَاءِ ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَتَجَلَّدُ .

(وَلَسْتُ إِذَا مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ نَكْبَةً وَرُزْءًا بَرْوَارِ الْقَرَائِبِ أَخْضَعَا)
يقول : إِذَا أَصَابَتْنِيْ مُصِيبَةٌ لَمْ آتْ قَرَائِبِيْ خَاضِعًا لَهَا حَاجَةً مِّنِيْ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنِّيْ أَصْبِرُ وَأَعِيفُ مَعَ الْفَقْرِ .

وبعده : قَعِيدُكَ أَنْ لَا تَسْمَعَنِيْ مَلَامَةً . . الْبَيْت

مَتَمُّ بْنُ نُورِيَّةٍ وَ (مَتَمُّ) هُوَ ابْنُ نُورِيَّةَ بْنِ بَجْرَةَ «بِالْجِيمِ» ابْنُ شَدَّادِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ
ابْنُ يَرْبُوعَ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ مَيْمٍ .

وَكَانَ مَتَمُّ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَأَخُوهُ مَالِكُ يَقَالُ لَهُ «فَارَسُ ذِي الْحِمَارِ» بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَذُو الْحِمَارِ فَرَسُهُ .

قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ فِي شَرْحِ كَامِلِ الْمَبْرَدِ : قَوْلُهُمْ فَتَّى وَلَا كِمَالِكَ ! هُوَ مَالِكُ ابْنِ نُورِيَّةَ سَيِّدُ بَنِي يَرْبُوعَ قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ .

وَرَأَيْتُ رِسَالَةَ لِأَبِي رِيَاشٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ الْقَيْسِيُّ تَتَضَمَّنُ قِصَّةَ قَتْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِمَالِكِ بْنِ نُورِيَّةَ ؛ قَالَ :

كَانَ مَالِكُ بْنُ نُورِيَّةَ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصَدَّقَ ،

وكان عَرِيفَ ثعلبة بن يربوع ؛ فقبض النبي صلى الله عليه وسلم وإبل الصدقة برَحْرَحان ، وهو ماء دَوَيْن بطن نخل ، فجمع مالكُ جمعاً نحواً من ثلاثين فأغار عليها فاقطع منها ثلاثمائة ؛ فلما قدم بلادَ بني تميم لأمه الأقرع بن حابس ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ؛ وضرار بن القعقاع بن معبد ابن زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ وبلغ مالكا أنهما يمشيان به في بني تميم ، فقال مالك - يعتبهما ويدعو على ما بقي من إبل الصدقة - :

أَرَانِي اللَّهُ بِالنَّعَمِ الْمُنْدَى بِرُقَّة رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي
أَنْ قَرَّتْ عَيُونٌ فَاسْتُفْنِيتْ غَنَائِمٌ قَدْ يَجُودُ بِهَا بَنَانِي
حَوَيْتُ جَمِيعَهَا بِالسَّيْفِ صَلْتًا وَلَمْ تُرْعَدْ يَدَايَ وَلَا جَنَانِي
تَمْشَى يَا ابْنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبَكَ الْأَقْرَعَ تَلْحِيَانِي ١١
أَلَمْ أَكُ نَارَ رَابِئَةٍ تَلْظَى فَتَنْتَقِيَا أَذَى وَتَرْهَبَانِي ١٢
فَقُلْ لَابِنِ الْمَذَبِّ يَنْضُ طَرْفًا عَلَى قَطْعِ الْمَذَّةِ وَالْمَوَانِ

وعَوْذَةُ : أم ضرار بن القعقاع وهي مُعَاذَةُ بنت ضرار بن عمرو الضبيّ .
وَالْمَذَبَّةُ : أم الأقرع بن حابس .

٢٣٧ فلما قام أبو بكر وبلغه قول مالك بعث إليه خالد بن الوليد ، وأمره
أن لا يأتي الناس إلا عند صلاة الغداة ؛ فمن سمع فيهم مؤذناً كف عنهم ،
ومن لم يسمع فيهم مؤذناً استحلتهم ؛ وعزم عليه ليقتلن مالكا إن أخذه .
فأقبل خالد بن الوليد حتى هبط جَوَّ البعوضة ، وبه بنو يربوع ، فبات

(١) ط : « رائبة » ش : « رأيته » ، صوابه ما أثبت . وفي الحيوان
٤ : ٤٧٤ « ونار أخرى وهي النار التي كانوا إذا أرادوا حرباً وتوقعوا جيشاً
عظيماً ، وأرادوا الاجتماع ، أوقدوا ليللاً على جبلهم نار ليبليغ الخبر
أصحابهم » . وقد سماها الثعالبي في ثمار القلوب ٤٦١ « نار الانذار » .

عندهم ولا يخافونه ، فرّ على بنى رياح فوجد شيخاً منهم يقال له مسعود ابن وضام ، يقول :

وَحَجَّةٌ أَتَبَعْتُهَا بِحَجَّةٍ وَهَدِيَّةٌ أَهْدَيْتُهَا لِلْأَبْطَحِ
فمضى عن رياح حتى مرّ بينى غُدانة وبينى ثعلبة فلم يسمع فيهم مؤذناً فحمل عليهم ، فثار الناس ولا يدرون ما بينهم ، فلما رأوا الفُرسانَ والجيش قالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن المسلمون . قال مالك : ونحن للمسلمون ! فلم ينته للمسلمون لذلك ووضعوا فيهم السيف وقتلت غُدانة أشدَّ القتل وقتلت ثعلبة ، وأُعجل مالك عن لبس السلاح ، وإن أمرأته ليلي بنت سنان بن ربيعة بن حنظلة قامت دونه عريانة ودخل القُبّة وقامت دونه ، ولبس مالك أَدَاتَه ثم خرج فنادى : يا آل عبيد . فلم يجبه أحد غير بنى بهان (١) فأنهم صدّقوا معه يومئذ وطلّعوا من جَوِّ البعوضة وبلغوا ذات اللذاق — وهى أكمة بينها وبين الجَرِّ ميلانٍ أو قدرُ ميل ونصف — ففرّعوا من القوم ، غير مالك وغير بقية من ولد حبش بن عبيد بن ثعلبة ، وكان عدّة من أصيب مع مالك خمسة وأربعين رجلاً من بنى بهان . ثم إن خالد بن الوليد قال : يا ابن نويرة هلم إلى الإسلام قال مالك : وتعطيني ماذا ؟ قال : ذِمّة الله وذِمّة رسوله ، وذِمّة أبى بكر ، وذِمّة خالد بن الوليد فأقبل مالك وأعطاه يديه ، وعلى خالد تلك العَرْمَة من أبى بكر . قال : يا مالك ، إني قاتلك . قال : لا تقتلنى ، قال : لا أستطيع غير ذلك ؛ قال : فأت مالا تستطيع إلا إياه . قدّمه إلى الناس قهيبوا قتله ، وقال المهاجرون : أقتل رجلاً مسلماً ؟ ! غير ضرار بن الأزور الأسدى (٢) من بنى كُوز ، فإنه قام قتله . فقال متمم ابن نويرة يذكر غدره بمالك :

(١) من قبائلهم . وفى القاموس : « وبهان كقطام : امرأة . »

(٢) وكذا فى الكامل ٧٦١ والاصابة ٧٦٩ والأغاني ١٤ : ٦٦ .

وفى شرح الفضليات ٥٢٦ . ضرار بن الأسود الأزدي ، .

نعم القَتِيلُ إذا الرِّيحُ تحدَّتْ فوق الكَيْفِ قَتِيلَكَ: ابنُ الأَوزَرِ (١)
أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتْلُهُ ؟ ! لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرْ
وَلَنَعِمَ حَشْوُ الدَّرْعِ يَوْمَ لِقَائِهِ وَلَنَعِمَ مَأْوَى الطَّارِقِ الْمَتَوَرِّ
لَا يَلْبَسُ الْفَحْشَاءُ تَحْتَ ثِيَابِهِ صَعْبٌ مَقَادَتُهُ عَفِيفُ الْمِزْرِ

فلما فرغ خالد منهم أقبل المنهال بن عصمة الرياحي في ناس من بني رياح
يدفنون قتلى بني ثعلبة وبني غداة ، ومع المنهال بردان من يَمَنَةٍ . فكانوا
إذا مروا على رجل يعرفونه قالوا : كَفَنُ هَذَا يَامْنَهَالُ فِيهِمَا ؛ فيقول : لا ،
حتى أ كفن فيهما الجُفُولَ مَالِكًا (وهو الكثير الشعر ، وكان يلقَّبُ
بذلك لكثرة شعره) وذلك في يومٍ شديد الريح فجعلوا لا يقدرُونَ على ذلك .
ثم رفعت الريحُ شعرَه مِنْ أَقْصَى الْقَوْمِ فَمَرَفَهُ فَجَاءَهُ فَكَفَنَهُ . فذلك قول مَتَمِّ
في أول القصيدة :

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِنَايِنِ مَالِكٍ وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَمَا
لَقَدْ كَفَنَ الْمِنَهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرَ مِبطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
أَلَمْ يَأْتِ أَخْبَارُ الْحُلِّ سَرَاتِنَا فَيَغْضَبُ مِنْهَا كُلُّ مَنْ كَانَ مَوْجَعَا
الْحُلِّ : رجل من بني ثعلبة ، مرَّ بِمَالِكٍ مَقْتُولًا فَنَعَاهُ كَأَنَّهُ شَامِتٌ ، فَذَمَّهُ
مَتَمِّ وَأَخَذَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ لَيْلَى بِنْتَ مَنَّانِ امْرَأَةَ مَالِكٍ ، وَابْنَهَا جَرَادُ بْنُ
مَالِكٍ ، فَأَقْدَمَهُمَا لِلدِّينَةِ ، وَدَخَلَهَا وَقَدْ غَرَزَ سَهْمَيْنِ فِي عِمَامَتِهِ ، فَكَانَ عَمْرُ
غَضَبٍ حِينَ رَأَى السَّهْمَيْنِ فَتَمَامَ فَآتَى عَلِيًّا فَقَالَ : إِنَّ فِي حَقِّ اللَّهِ أَنْ يَقَادَ هَذَا
بِمَالِكٍ ؛ قَتَلَ رَجُلًا مُسْلِمًا ثُمَّ نَزَا عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا يَنْزُو الْحَارُ . ثُمَّ قَامَا فَاتِيَا طَلْحَةَ ،
فَتَنَابَعَا عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَيْفُ سَلَاةٍ لَا أكونَ أَوَّلَ مَنْ أَعْمَدَهُ ،
أَكِلُ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ .

فلما قام عُمر بالأمر وفد عليه متمم فاستعداه على خالد . فقال : لا أرد شيئاً صنعه أبو بكر . فقال متمم : قد كنت تزعم أن لو كنت مكان أبي بكر أقدرته به ! فقال عمر : لو كنت ذلك اليوم بمكانى اليوم لفعلت ، ولكنى لا أرد شيئاً أمضاه أبو بكر ، ورد عليه ليلى وابنها جرادا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون (١) :

٨٧ * أيها المنكحُ الثريا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهُ كَيْفَ يلتقيان !
 هى شامية إذا ما استقلتُ وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانى *
 على أن (عمر ك الله) يستعمل فى القسم السؤالى ، ويكون جوابه ما فيه الطلب ، وهو هنا جملة (كيف يلتقيان) فإن الاستفهام طلب الفهم ، وهو هنا تعجيبى * . خلافاً للجوهري فى هذا فإنه زعم أن (عمر ك الله) هنا فى غير القسم .
 وهذان البيتان من قصيدة لعمر بن أبى ربيعة .
 و (المنكح) : اسم فاعل من أنكحه أى زوجه . و (استقلَّ) ارتفع .
 و (الثريا) هى بنت [على بن (٢)] عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر الثريا
 وهم العَبَلات .

وكانت الثريا وأختها عائشة اعتقنا الغريض المغنى ، واسمه عبد الملك ، ويكنى أبا يزيد ، كذا قال المبرد فى الكامل . قال ابن السِّد فى شرحه :
 والعَبَلات هم بنو أمية الأصغر بن عبد شمس - وبنو عبد شمس : أمية ،
 [وعبد أمية (٣)] ، ونو قل أبناء عبد شمس - نسبوا إلى أمهم عبلة بنت

(١) انظر ابن يعيش ٩ : ٩١ وابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والوفيات ١ : ٣٧٨ وملحقات ديوان عمر ٤٩٥ وجمهرة ابن جزم ٧٦ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) التكملة من ط وجمهرة ابن جزم ٧٤ .

عبيد بن جادل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهي من البراجم .

ورأيت في كتب اللهو لابن جردابة ^(١) أن كنيته أبو زيد ، وقال : هو من مولدى البربر يضرب العود ، أخذ الغناء عن ابن سريج ثم حسده فطرده ، وكان جميلا ، وربته الثريا وعلمته النوح بالمرانى على من قتله يزيد ابن معاوية يوم الحرة .

وقيل إن الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر .

وذكر الزبير بن بكار أنها الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلى ^(٢) الذى قتله داود بن علي ، كذا في الغرر والدرر للشريف ^(٣) .

وأما « سهيل » فهو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى . وكنيته سهيل أبو الأبيض . وأمه بنت يزيد بن سلامة ذى فائش الحميرى . تزوج الثريا ونقلها إلى مصر . فقال عمر بن أبى ربيعة يضرب لها المثل بالكوكبين . فكان يشبب بها ، وقال فيها أشعارا . وكانت تصيف فى الطائف ، فكان عمر يغدو بفرسه كل غداة فيسائل الذين يحملون الفاكهة عن أخبارها ، فسأل بعضهم يوما ، فقال : لا أعلم خبرا غير أنى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا على امرأة من قريش اسمها اسم نجم ذهب أعنى اسمه . قال عمر : الثريا ؟ قال : نعم . ٢٣٩ وكان قد بلغه أنها عليلة ، فركض فرسه من أقرب الطريق حتى انتهى إليها

(١) لم يرد ذكره الا فى هذا الموضع .

(٢) النسبة الى العبلات عبلى بالفتح ، وبالتخريك عن ابن ماكولا : كما فى القاموس .

(٣) اعالى المرتضى ١ : ٣٤٦ - ٣٤٧ .

وهي تُشرف من كُتَيْبَةٍ ؛ فوجدتها سليمةً ومعها أختها ، فأخبرها الخبر فضحكت
وقالت : أنا والله امرتهم لأخبر ما عندك !

ولما تزوج عمر هجرته الثريا وغضبت عليه فقال :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي : أُنحِبُ القَتولَ أختَ الرِّبابِ^(١)
قلتُ : وجدى بها كوجدك بالما ، إذا ما مُنعتَ بردَ الشرابِ
منَ رسولى إلى الثريا فإني ضِقتُ ذرعا بهجرها والكتابِ
ثم تزوجها سهيل المذكور وحملها إلى مصر ، وكان عمر غائبا ، فلما
بلغه قال :

(أيها الطارقُ الذى قد عنانى بعد ما نام سامرُ الرُّكبانِ
زارَ من نازحٍ بغيرِ دليلٍ يتخطى إلى حتى أُناتى^(٢))
إلى أن قال : أيها المنكحُ الثريا سهيلا .. اليتيمين

وزعم بعضهم أن سهيلا هو ابن عبد العزيز بن مروان . والصحيح الأول .
ثم سار إلى المدينة وكتب إليها :

كُتِبَتْ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي كِتَابٌ مَوْلهُ كَيْدِ
كُتَيْبٍ وَاكْفِ الْعَيْنِينَ بِالْحَسْرَاتِ مُنْفَرِدٍ^(٣)
يُؤَرِّقُهُ لَهَيْبُ الشَوْقِ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْكَبَدِ
فِيْمَسْكُ قَلْبِهِ يَدٌ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ يَدٌ^(٤)
فلما قرأته بكت بكاء شديداً ثم تمثلت :

(١) ط : « أُنحِبُ البتول » .

(٢) ط : « راد من نازح » صوابه فى ش

(٣) ط : « بالحسرة » صوابه فى ش والديوان والأغاني ١ : ٩٠

(٤) فى النسختين : « ويمسح عينه » ، صوابه من الديوان والأغاني

بنفسى مَنْ لا يستقلّ بنفسه ومنْ هو، إن لم يرحم الله، ضائع
وكتبْتُ إليه تقول :

أتانى كتابٌ لم ير الناسُ مثله أُبينَ بكافورٍ ومِسكِ وعنبرٍ^(١)
فقرطاسه قُوْهيّةٌ ورِباطه بعِدَمِ الياقوتِ صافٍ وجوهرٍ^(٢)
وفى صدره : مَنى إليك تحيةٌ لقد طال تَهَيُّمى بكم وتذكرى
وعنوانه : مِنْ مستهامٍ فؤاده إلى هائمٍ صَبٍّ من الحزن مُسرِعٍ

روى أن الثريا وعدته ليلة أن تزوره ؛ فجاءت في الوقت الذى وعدته
فيه ، فصادت أخاه الحارث بن ربيعة قد طرقة وأقام عنده ووجه به في حاجة
ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه ، فلم يشعر إلا وقد ألفت نفسها عليه قبله !
فاتّبه وجل يقول : اغربنى عني فلست بالفاسق ، أخزا كما الله ! فانصرفت .
ورجع عمر فأخبره الحارث بذلك ، فأغتمَّ على ما قامه منها وقال : والله لا تمسك
النار أبدا وقد ألفت نفسها عليك ! فقال : عليك وعليها لعنة الله .

وحكم له^(٣) بين « الثريا » و « سهيل » تورية لطيفة ؛ فإن الثريا يحتمل
للرأة المذكورة وهو للمعنى البعيد للورى عنه وهو للراد ، ويحتمل ثريا السماء
وهو للمعنى القريب المورى به . وسهيل يحتمل الرجل للذكور وهو للمعنى البعيد
للورى عنه وهو للراد ، ويحتمل النجم المعروف بسهيل . فتمكن للشاعر أن
ورى بالنجيين عن الشخصين ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد .
وهذه أحسن تورية وقعت في شعر المتقدمين .

(١) الأغاني ١ : ٩١ : « أمد بكافور »

(٢) فى النسختين : « خاف وجوهر » ، صوابه من الأغاني ثم قال
أبو الفرج : « وهذا الخبر عندي مصنوع ، وشعره مضعف يدل على ذلك ،
ولكننى ذكرته كما وقع الى »

(٣) كذا . ولعل معناه اتفق له تورية محكمة لطيفة .

وفي شرح بديعة العُميان لابن حابر : لا يقال إن التورية في الثريا مرشحة بقوله شامية ، إذ ليست من لوازم المورى به ، ولا مبيّنة ، إذ ليست من لوازم المورى ، إذ المرأة شامية الدار والنجم أيضاً شامى فاشتركا في ذلك ، ولا يكون الترشيح والتبيين إلاً بلازم خاصي . وكذلك التورية في سميل ؛ لا يقال إنها مرشحة ولا مبيّنة بيمان ، إذ هو صفة مشتركة بينهما ، لأن سميلاً الذي هو رجل يمان كسميل الذي هو النجم . وسبب هذين : أن سميلاً المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد في الخلق : كانت الثريا مشهورة في زمانها بالحسن والجمال ، وكان سميل قبيح المنظر ، وهذا مراده بقوله : عمرك الله كيف يلتقيان ، أى كيف يلتقيان مع تفاوت ما بينهما في الحسن والقبح ، انتهى .

عمر بن أبي ربيعة و (عمر) هو عمر بن عبد الله - ممّاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان في الجاهلية يسمى بحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة - ابن أبي ربيعة ،
واسمه حذيفة ، وكان يلقب بذي الرمحين ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر
ابن مخزوم^(١) المخزومي .

ويكنى عمرُ أبا الخطاب . وأبو جهل بن هشام بن المغيرة [ابن^(٢)]
عمّ أبيه . وأم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هاشم بن المغيرة^(٣) بنت عمّ أبيه .
وإخوته عبد الله وعبد الرحمن والحارث بنو عبد الله .

(١) في النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو تحريف يقع في كثير من الكتب والمخطوطات . وإنما هو « عمر » ، كما في جمهرة ابن حزم ١٤١ - ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٩٩ ، ١٠١ .
(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « بنت هشام بن المغيرة » وكذا في المعارف ٧٨ صوابه في ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وابن أبي الحديد ٤ : ٢٩٦

وكان عبد الرحمن أخوه تزوج أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق بعد طلعه وولدت له . وأعقب الحارث . ولا عقب لعمر ، وكانت أمه نصرانية ، وهي أم إخوته .

ولم يكن في قريش أشعر من عمر . وهو كثير الغزل والنوادر والمجون يقال : من أراد رقة الغزل فعليه بشعر عمر بن أبي ربيعة .

ولد ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وهي الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسَمِيَ باسمه .

قال ابن قتيبة : « كان عمر فاسقاً يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن . فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك . ثم غزا في البحر فأحرقت السفينة التي كان فيها [فاحترق^(١)] هو ومن كان معه . »

وفي الأغاني بسنده أنه نظر في الطواف امرأة شريفة ، فكلَّمها فلم تجبه ، فقال :

الريحُ تسحبُ أذيالاً وتشرُّها .. ياليتني كنتُ ممن تسحب الريحُ
في أبيات . فلما بلغتْها جزعت جزعاً شديداً . فقيل لها : اذكريه لزوجك واشكيه . قالت : والله ما أشكوه إلا لله ، اللهم إن كان نوء باسماً ظالماً فاجعله طعاماً للريح . فعدا يوماً على فرس فهبت ريح ، فنزل فاستتر بشجرة فمصفت الريح فخدشه غصن منها ، فمات من ذلك .

وكان ذلك سنة ثلاث وتسعين ، وقد قارب السبعين أو جاوزها . وقيل عاش ثمانين سنة . وترجمته في الأغاني طويلة .

* * *

(١) التكملة من ش والشعراء ٥٣٦

وأنشد بعده : ﴿ فَأَيْنَمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ ﴾
تقدم شرحه في الشاهد السبعين^(١) في باب المبتدأ^(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه^(٣) :

٢٤١

٨٨ (عَجَبْتُ لَتِلْكَ قَضِيَّةً ، وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجبُ)

على أنهم يرفعون بعض المصادر المنصوبة بعد حذف عاملها لزيادة المبالغة في الدوام . بين الشارح وجه رفعه على الخبرية .

وكذلك أوردته سيبويه بأنه على إضمار مبتدأ أى أمرى عجب . وقال الأعمى وتبعه ابن خلف : يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء وإن كان نكرة لوقوعه موقع المنصوب ؛ ويتضمن من الوقوع موقع الفعل ما يتضمن للمنصوب فيستغنى عن الخبر ، لأنه كالفعل والفاعل ، فكأنه قال : أعجب لتلك القضية . أو خبره لتلك . وهذا هو المجهود في المصادر المنصوبة : إذا رُفعت جعلت مبتدأ وجعل متعلقها خبراً مثل الحمد لله والسلام عليك لتكون في معنى الأصل ، أعنى الجملة الفعلية لا تزيد عليها إلا بالدلالة على الثبات ، وقد يجعل غير متعلقها خبراً كقوله تعالى : « فصبرٌ جميل » أى أحسن من غيره . وقضية منصوب على التمييز للنوع الذى أشار إليه بتلك ؛ ويجوز أن يكون منصوباً على الحال ، قال أبو علي : كأنه قال : اعجبوا لتلك الفعلة

(١) فى النسختين : « الثامن والستين » ، وهو سهو .

(٢) أنظر ص ٤٢١ من الجزء الأول

(٣) وهو من شواهد سيبويه ، ساقط من ش . وانظر سيبويه

١ : ١٦١ وابن يعيش ١ : ١١٤ والهمع ١ : ١٩١ والعيني ٢ : ٣٤٠

قضية . وقضية هنا بمعنى مقضية . وروى : (عجباً) بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجب .

واعلم أن الشارح المحقق حقق هنا أن المصدر المنسوب بعد حذف عامله يفيد الدوام ، وإذا رفع وجعل خبراً أفاد زيادة وهي المبالغة في الدوام . وهذا مناقضٌ لكلامه في باب المبتدأ في « سلام عليك » من أن النصب بعد حذف الفعل يدلّ على الحدوث ، فعدل إلى الرفع للدلالة على الدوام !

قال الدماميني في شرح التسهيل : « الحق ما قاله الرضى في باب المفعول المطلق ، بخلاف ما قاله في المبتدأ فإنه غير مرضى » .

أقول : لو عكس القضية لكان أظهر ، فإنه مع النصب الصريح كيف يفيد الدوام ، مع أن الجملة فعلية ، والتزام الحذف لا ينفيه ، كما في الظرفية الواقعة خبراً إذا قدر المتعلق فعلاً مع أن الجملة اسمية ، ومع هذا فلم يجملوا للدوام الثبوتى ! فإن ادعى أن العامل مضارع أو اسم فاعل ، وأن كلاهما محمول على الاستمرار التجددى لا الدوامى ، وردّ عليه أن هذا يحصل مع الذكر ، فتخصيص الحذف به مما لا داعية إليه ، مع أن هذا ليس مراداً له ، بل مراده حصول الاستمرار الثبوتى مع النصب .

وكلام الشارح هنا مخالف لكلام علماء المعانى ، قال السيد في شرح المفتاح : إن الاسم ككالم مثلاً يدلّ على ثبوت العلم لمن حكم به عليه ، وليس فيه تعرض لاقترانه بزمانٍ وحدوثه فيه ولا لدوامه . نعم لما كان اسم الفاعل جارياً على الفعل جاز أن يُقصد به الحدوث بمعونة القرائن كما في ضائق ، ويجوز أن يقصد به الدوام أيضاً في مقام المدح والمبالغة ، وكذا حكم اسم المفعول ، وأما الصفة المشبهة فلا يقصد بها إلا مجرد الثبوت وضعاً ، أو الدوام

باقتضاء المقام . والجملة الاسمية إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد بها الدوام والاستمرار الثبوتى بمعونة القرائن ؛ وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجددياً ، وهذه الإفادة أيضاً بمعونة القرائن كما فى : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » (١) لكن هذا الاستمرار التجددى مستفاد من المضارع فى الحقيقة ، وفائدة الجملة الاسمية ها هنا تقوى الحكم ، فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام ، فإنّ قولك : زيد قام ، يفيد تجدد القيام ، اهـ .

٢٤٢

فقول الشارح هنا « إنما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصر أو التكرير وصفُ الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له ، ووضع الفعل على الحدوث والتجدد الخ » مشكك ؛ لأنه هنا جملة اسمية خبرها فعل مضارع أو اسم فاعل دالٌّ على الحدوث لعمله ، فهى للاستمرار التجددى لا الدوامى ؛ وحينئذ لا فرق بين ذكر العامل وحذفه ؛ لأن التقدير : ما زيد إلا يسير سيراً ، وزيد يسير سيراً ، فكيف جمل الغرض من هذا الحصر أو التكرير وصفُ الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له مع أن الجملة اسمية خبرها مضارع ؟

فإن أجيب : بأن الجملة إنما أفادت مع الحصر أو التكرير الدوام الثبوتى للزوم حذف العامل ، وردّ عليه الجملة الاسمية التى خبرها ظرفية إذا قدر المتعلق فيها فعلاً ، فإنها لا تفيد الدوام الثبوتى مع لزوم حذف العامل .

فإن أجيب : بأن الدالّ على الدوام الثبوتى إنما هو الحصر أو التكرير لا الجملة الإسمية التى قدر خبرها فعلاً ، كما يدل عليه قوله بعد ذلك « لم يكن

(١) الآية ١٥ من سورة البقرة .

فيه معنى الحصر المفيد للدوام ، ، ورد عليه أن كلامهم مطلق لم يقيد بهذا القيد .

وقول الشارح : « وإن كان يستعمل المضارع في بعض المواضع للدوام » لا يخلو عن بحث ، فإن ظاهره أن الدوام الذي يفيد المضارع ثبوتى لا تجددى ، إلا أن يقال : مراده مطلق الدوام ، وإن كان مختلفاً ، وهذا لا يناسب أول كلامه . وقوله : « وذلك لمشايبته لاسم الفاعل » إن حمل اسم الفاعل على العامل فدوامه تجددى لا ثبوتى ، وإن حمل على غير العامل فهو يفيد الاستمرار الدوامى لا التجددى بالقرينة ، والحمل عليه لا يناسب ، لأن المضارع لا يفيد ذلك بل يفيد الاستمرار التجددى . وقوله « فلما كان المراد التنصيص على الدوام وال لزوم لم يستعمل العامل أصلاً » ، يريد أنه قد علم أن الدال للدوام عنده هو الحصر أو التكرير ، فالتزم حذف ما دلالة تنافى ذلك وهو العامل ، لأنه : إما فعل وهو موضوع للتجدد ، واستعماله فى الدوام إذا كان مضارعاً ليس وضعياً بل بالقرائن ، فنظرنا إلى أصل الوضع والتزمنا حذفه — وفيه أن المحذوف كالثابت ، كما يدل عليه كلامهم فى متعلق الظرف الواقع خبراً إذا قدر بالفعل . وقوله « أو اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل » أى للتجدد فلا يفيد الاستمرار وضعاً وإن استعمل فيه بمعونة القرائن ؛ وفيه أيضاً أن المحذوف كالثابت ، وعمله إنما ينافى حمله على الاستمرار الثبوتى إذا كان عاملاً فى المفعول ، أما عمله فى الظرف أو فى المفعول المطلق كما هنا فلا ينافى إفادته للدوام الثبوتى ، وأما إذا عمل فى المفعول به فإنه يفيد الاستمرار التجددى .

آيات الشاهد

وبيت الشاهد من آيات سبعة أولها :

(يا جُنْدَبَ أَخْبِرْنِي وَلَسْتَ بِمُخْبِرِي وَأَخُوكَ نَاصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ

هل في القضية أن إذا استغنيتُم وأمتُم فانا البعيدُ الأجنبُ
 وإذا الشدائدُ بالشدائدِ مرّةً أشجكمُ فانا الحبُّ الأقربُ
 وإذا تكونُ كريمةً أدعى لها وإذا يحاسُ الحيسُ يدعى جُندُبُ
 ولجندبٍ سهلُ البلادِ وعذبها ولى الملاحُ وخبتنُ المجذبُ
 عجبٌ لتلك قضية وإقامتي البيت
 هذا وجدَّكم الصقارُ بعينه لا أمَّ لي إن كان ذاك ولا أبُ ا)

وهذا الشعر لضمرة [بن ضمرة] (١) بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم شاعر جاهلي . ويقال : إن ضمرة كان اسمه شقة فسماه النعمان ضمرة بن ضمرة . وكان يبرّ أمه ويخدمها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخا له يقال له « جُنْدُب » ، فقال هذا الشعر . هكذا رواه ابن هشام [اللخمي] في شرح أبيات الجمل . ورواه بعضهم : (يا ضمرُ أخبرني) وقال : إن قائله ضمرة . وهو خطأ . ونسبه أبو ريش لمّام بن مرّة أخى جساس بن مرّة قاتل كليب . وزعم ابن الأعرابي : أنه قيل قبل الإسلام بخمسمائة سنة . وفي شرح أبيات سيديويه : أنه لبعض مذبح ؛ وقال السيرافي : لزراقة الباهلي (٢) . وقال الآمدي في المؤلف والمختلف : هو لهسيّ بن أحر ، من بني الحارث بن مرّة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمه ، جاهلي . وأنشدوا له : (يا ضمرُ أخبرني) — وهُنيّ : مصغر هنّ ، وأصله هُنيو فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء لسبقها بالسكون .

ورواه أبو محمد الأعرابي عن أبي الندى : أنه لعمر بن الغوث بن طيء ، وأنشدوا له : (يا طيُّ أخبرني ولست بكاذب)

(١) الزيادة عن : ش .

(٢) في النسختين : « لزراقة » بالقاف ، والتصحيح للميمنى .

قال : أكتبنا^(١) أبو الندى قال : « بينا طيء جالس ذات يوم مع ولده بالجبلين : أجا وسلمى إذ أقبل رجل من بقايا جديس ممتد الخلق كاد يسد الأفق طولاً ويفرعهم باعاً ، وإذا هو الأسود بن عفّار^(٢) الجديسى ، وكان نجبا من حسان تبع يوم اليمامة^(٣) فلحق بالجبلين ، فقال لطيء : من أدخلكم بلادى وأورثكم عن آبائى ؟ أخرجوا عنها ، وإلا أضربوا^(٤) بيننا وبينكم وقتاً تقتل فيه ، فأينا غلب استحق البلد ، فاتعدا لوقت ، فقال طيء لجندب ابن خارقة بن سعد بن فطرة بن طيء - وأمه جديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير وبها يعرفونهم جديلة [طيء^(٥)] وكان طيء لها مؤثرا - فقال لجندب : قاتل عن مكرمك . فقالت أمه الله^(٦) لتتركن بنيك وتعرضن ابني للقتل ! فقال طيء : ويحك ، إنما خصصته بذلك . فأبت . فقال طيء لمرو بن الغوث ابن طيء : عليك يا عمرو الرجل فقاتله . قال عمرو : لا أفعل . وقال هذه الأبيات ، وهو أول من قال الشعر فى طيء بعد طيء فقال طيء : يا بني إنما أكرم دار فى العرب . فقال عمرو : لن أفعل إلا على شرط أن لا يكون لبنى جديلة فى الجبلين نصيب . فقال له طيء : لك شرطك . فأقبل الأسود بن عفّار^(٧)

(١) ش : « أنبأنا » مع أثر تصحيح ظاهر .

(٢) ط : « غفار » بالغين المعجمة ، صوابه فى ش ونوادير المخطوطات

١١٨ : ٢

(٣) الذى فى ياقوت : « وكان نجبا من حسان تبع اليمامة » .
والقصة وردت بمعجمه فى رسم (أجا)

(٤) كذا . والوجه « فاضربوا »

(٥) التكملة من ياقوت . وفى العرب جديلة آخر أبو قبيلة ، وهو جديلة بن أسد بن ربيعة . تلك امرأة وهذا رجل

(٦) أى والله . وهذه هى الهمة الناثبة عن واو القسم ، كما فى حديث : الله الذى لا اله غيره ، وكقول الحجاج فى الحسن البصرى :

« الله ليقومن عبد من العبيد فيقولن كذا وكذا » . انظر الأساليب الانشائية لعبد السلام هارون ص ١٤٧ والهمع ٢ : ٣٩ . وفى ياقوت : « والله » .

(٧) كذا فى ش . وفى ط : « غفار » .

ومعه قوسٌ من حديد ونُشَاب من حديد ، فقال : يا عمرو إن شئتَ صارعتك ، وإن شئتَ ناضلتك . وإلاّ سأيفتك . فقال عمرو : الصراع أحبُّ إلىّ فأكسر قوسك لأكسرها أيضا ونصطرع . وكانت مع عمرو بن الغوث قوسٌ موصولة بزرافين^(١) إذا شاء شدّها وإذا شاء خلّعها ؛ فأهوى بها عمرو فانفتحت الزرافينُ ، واعترض الأسودُ بقوسه ونشابه فكسرها فلما رأى عمرو ذلك أخذ قوسه فركبها وأوترها وناداه : يا أسود ، استعن بقوسك فارمى أحبُّ إلىّ . فقال الأسود : خدعتنى . فقال عمرو : « الحرب خدعة » ، فصارت مثلا . فرماه عمرو ففلق قلبه ، وخلص الجبلان لطبيّء ، فنزلها بنو الغوث^(٢) ، ونزلت جديلة السهل منها^(٣) . هـ .

٢٤٤

وروى (أمن السوية) أى من العدل . والأجنب بالجم والنون : الغريب ، والبعيد ؛ وروى (الأخيب) أى الخائب وأشجّكم : أحرثكم ، من الشجى وهو الحزن ، وفعله من باب تعب ، وأشجاء : أحرّنه . والحيس بفتح المهملة كَبَنٍ وأقيط وسمن وتمر ، يصنع منه طعام . والملاح بكسر الميم : جمع مَلِيح ، يقال قَلِيب مَلِيح أى ماؤه ملح . واتَّخَبت بفتح المعجمة وسكون الموحدة : المَطْمَن من الأرض فيه رمل . والمجذب اسم فاعل من الجذب بفتح الجيم وسكون المهملة : تقيض الخصب بكسر المعجمة . وقوله :

(هذا وجدّكم الصغارُ بعينه . . . البيت)

(١) جمع زرافين ، بكسر الزاى وضمها ، وهى الحلقة . وفى الحديث : « كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها سترت ، وإذا أرسلت مست الأرض » .

(٢) فى النسختين : « فنزلها » والوجه ما أثبت من ياقوت

(٣) فى النسختين : « منها » ، والتصحيح من ياقوت . وقد نقد ياقوت القصة فى أربعة أمور ، فانظره فى رسم (أجا) .

هو من شواهد س وغيره . والشاهد فيه رفع الاسم الثاني مع فتح الأول . وذلك إما على إلغاء الثانية ورفع تاليها بالعطف على محل الأولى مع اسمها ، وعلى هذا نخبرها واحد ؛ وإما على تقدير لا الثانية معتداً بها عاملة عمل ليس ، فيكون لكلٍّ من الأولى والثانية خبر يخصها ، لأن خبر الأولى مرفوع وخبر الثانية منصوب .

وهذا مبتدأ ، وخبره الصَّغَارُ بفتح الصاد بمعنى الذلّ . وقوله : وجدكم ، جملة قسمية معترضة بين المبتدأ والخبر . قال اللخمي : وأجد هُنا : أبو الأب ، والجد أيضاً : البخت والسعد والعظمة . ويروى : (هذا لعمركم) . وقوله : بعينه ، تأكيد للصَّغَار ، وزيدت الباء كما يقال جاء زيد بعينه ؛ وقيل : حال مؤكدة أى هذا الصغارُ حقاً . وقال اللخمي : وبعينه حالٌ من الصَّغَارِ والعاملُ فيه ما في (ها) من معنى التنبيه ، أو ما في (ذا) من معنى الإشارة . وذلك : فاعلُ كان إذ هي تامة ؛ ويجوز أن تكون ناقصة وخبرها محذوف ؛ أى إن كان ذاك مرضياً ، ولا بد على الوجه الأول من حذف مضاف ، أى إن كان رضاء ذاك ، ليصحّ المعنى ، لأنه إنما اشترط أنه لا يرضى بذلك الخسف الذي يُطلب منه ؛ وجملة الشرط معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وسدّ ما قبل الشرط مسدّ الجواب ، أى إن كان ذلك انتفيت من أمي وأبي . والمشار إليه باسم الإشارة في الموضعين الفعل الذي فعلوه به .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون ، وهو من أبيات س (١) :

٨٩ (فيها ازدهافُ أيّما ازدهافِ)

(١) سيبويه ١ : ١٨٢ . وانظر اللسان (زهف) وديوان رؤبة

على أنه نصب (أيما) على المصدر أو الحال ، مع أنه لم يذكر صاحب الاسم ولا الموصوف ؛ وهو في غاية الضعف ، والوجه الإتيان في مثله ، وهو رفعه صفة لازدهاف ، لكنّه حمله على المعنى ، لأنه إذا قال فيها ازدهاف فكأنه قال : تزدهف أيما ازدهاف .

قال سيديويه : « فإن قلت : له صوتُ أيما صوت ، أو مثل صوت الحمار ، أوله صوتٌ صوتاً حسناً جاز ؛ زعم ذلك الخليل . ويقوى ذلك أن يونس وعيسى زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصبا » اهـ .

وزعم الجرمي أن نصبه على إضمار تزدهف ، قال : ولا يجوز نصبه بازدهاف ، لأن المصدر لا يعمل في المصدر .

وهذا البيت من أرجوزة طويلة تزيد على ثمانين بيتاً لرؤبة بن المعجاج ، يعاتب بها أباه ، منها :

أرجوزة
الشاهد

(إنك لم تُنصف أبَا الجَحَافِ وكان يَرْضَى منك بالإِنصافِ
وهو عليك واسع العِطَافِ غاديك بالنفع وأنت جافِ
عنه ، ولا يخفى الذى تجافى كيف تلومهُ على الإِلطافِ
وأنت لو مُلكتَ بالإِتلافِ شُبتَ له شوباً من الذُّعَافِ
وهو لأعدائك ذو قِرافِ لا تُعَجِّلَنِي الحَتَفَ ذا الإِتلافِ
والدهر إنَّ الدهر ذو ازْدلافِ بالمرء ذو عطفٍ وذو انصرافِ)
إلى أن قال :

٢٤٥

(وإن تشكيت من الإسْخافِ لم أرَ عطفاً من أبٍ عَطَافِ
فليت حظي من جَدَاك الضافِ والنفع أن تتركنى كفافِ
ليست قُوى حبلٍ بالضِعَافِ ولا تَوَقَّى على الإِشرافِ)

أَقْحَمْنِي فِي النَّفْنَفِ النَّفْنَفِ فِي مِثْلِ مَهْوٍ هَوَّةٌ الْوَصَافِ
قَوْلُكَ أَقْوَالًا مَعَ التَّحْلَافِ فِيهِ ازْدَهَافُ أَيَّمَا ازْدَهَافِ
وَاللَّهُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْأَضْعَافِ

أَبُو الْجَحَّافِ بَشَحَ الْجِيمِ وَتَشْدِيدُ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : كُنْيَةُ رُؤْبَةِ . وَالْعِطَافِ
بِكسر العين : الرِّدَاءُ ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْعُطْفِ وَهُوَ الْمِيلُ وَالْحُبَّةُ . وَغَادِيكَ : مِنْ
الْعُدُوَّةِ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ ؛ يُقَالُ غَدَا عَلَيْهِ غَدَوًا وَغَدُوًّا بِالضَّمِّ :
إِذَا بَكَرَ ؛ وَغَادَاهُ : بَاكَرَهُ . وَالْجَفْوُ : الِارْتِفَاعُ ، وَالتَّبَاعُدُ ، وَتَقْيِضُ الْوَصْلِ .
وَالِإِلَاطَافِ بِكسر الهمزة : الْبَرُّ ، يُقَالُ أَلْطَفَهُ بِكَذَا أَيْ بَرَّهُ . وَمُلِّكَتِ بِالْبِنَاءِ
لِلْمَفْعُولِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ . وَالشُّوبُ : الْخُلُطُ . وَالتَّذَاعُافُ بضم الذال المعجمة :
السَّمُّ ، وَقِيلَ سَمُّ سَاعَةٍ . وَالْقِرَافُ ، بِكسر القاف : الْمَقَارِبَةُ . وَضَمِيرُ هُوَ لِلِإِتْلَافِ
أَيْ إِتْلَافِي مَقْرَبٌ لِلْإِعْدَاءِ إِلَيْكَ . وَالِازْدِلَافُ : الْإِقْتِرَابُ ، فِي الْحَدِيثِ
« ازْدَلِفُوا إِلَى اللَّهِ بِرَكْعَتَيْنِ » أَيْ تَقَرَّبُوا ، وَأَصْلُ الزُّلْفَةِ الْمُنْزَلَةُ وَالْحُظُوتَةُ .
وَقَوْلُهُ بِالْمَرْءِ ، مُتَعَلِّقٌ بِالِازْدِلَافِ وَالْعُطْفِ : الْإِقْبَالُ . وَالِانْصِرَافُ : الْإِدْبَارُ .
وَالِإِسْخَافُ بِكسر الهمزة وَبَعْدَ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ حَاءٌ مَعْجَمَةٌ : رِقَّةٌ الْعَيْشِ . وَسَخْفَةٌ
الْجُوعُ بِالْفَتْحِ : رِقَّتُهُ وَهَزَالُهُ وَالْعُطْفُ : الشَّقَقَةُ وَالْعُطَافُ مِبَالِغَةٌ عَاطِفٌ ،
وَالْجَدَى بِشَحِ الْجِيمِ وَالتَّقْصَرُ : الْجَدْوَى ، وَهِيَ الْعَطِيَّةُ وَالضَّافِي بِالْمَعْجَمَةِ : الْكَثِيرُ ،
مِنْ ضَفَا الْمَالُ : إِذَا كَثُرَ ؛ أَوْ بِمَعْنَى السَّابِغِ ، يُقَالُ ثَوْبٌ ضَافٌ مِنْ ضَفَا الشَّيْءُ
يُضْفُو ضَفْوًا . وَقَوْلُهُ : وَالنَّفْعُ ، بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى جَدَاكَ ، وَرَوَى بِدَلِهِ (وَالْفَضْلُ) .
وَقَوْلُهُ : أَنْ تَتَرَكَّنِي كِفَافٌ ، خَبَرِيَّتٌ وَأُورِدَ ابْنُ هِشَامٍ فِي الْمَغْنَى عَلَى أَنَّ فَعَالَ
بِنَاؤُهُ عَلَى الْكُسْرِ مَشْهُورٌ فِي الْمَعَارِفِ كَحَدَامٍ لَشَبَّهَ بِتَزَالٍ ، وَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِ
الْمَعَارِفِ وَمِنْهُ هَذَا ، وَالْأَصْلُ كَافًا فَهُوَ حَالٌ أَوْ تَرَكَ كِفَافٌ فَمَصْدَرًا هـ . وَقَوْلُ
الصَّاعَانِي فِي الْعِبَابِ : كِفَافٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ دَعْنِي كِفَافٌ أَيْ كُفِّ

عنى وأكفُ عنك ، أى تنجو رأساً برأساً هـ ، وعليه فهو اسم فعل قد جاء على بابهِ . والقوى : جمع قوّة ، وهى إحدى طاقات الجبل . والضعاف : جمع ضعيف . والتوفى : التخوف ، وأصله جعل النفس فى وقاية مما يُخاف . والوقاية : فرط الصيانة ، وقيل حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره . والإشراف بكسر الهمزة : النفقة ، كذا فى العباب ، أى أتى جلد غير عاجز عن الاكتساب لولا أنى ملازم على خدمتك وحالف على تعظيمك . وأقحنى : أدخلنى ، يقال قحَمَ فلان بنفسه فى كذا : إذا دخل فيه من روية ، وفاعله هو « قولك » الآتى . والنفنف بنونين كجعفر : المهوى بين جبلين ، وصتَعُ الجبل الذى كأنه جدارٌ مبنىّ مستوٍ والنفناف بمعناه ، جعل وصفاً له بمعنى الصعب والشديد . وقوله فى مثل مهوى الخ ، بدل من قوله فى النفنف . والمهوى ومثله المهواة بمعنى المسقط : اسم مكان من هوى بالفتح يهوى بالكسر هوياً بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء ، ويقال لما بين الجبلين ونحوه أيضاً مهوى ، والهواة بضم بضم الهاء وتشديد الواو : الوهدة العميقة . و« الوصاف » بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة : رجل من سادات العرب اسمه مالك بن عامر بن كعب بن سعد ابن ضبيعة بن عجل بن لجيم ، سُمى الوصافَ لحديث له (١) ، قال أبو محمد الأعرابي : هوّة الوصاف فى شعر روية . دَحَلُ بالحزن لبني الوصاف من بني عجل ، وهوّة الوصاف مثلٌ فى العرب يستعملونه فى الدعاء على الإنسان ، يقال كبّه الله فى هوّة ابن الوصاف : وقولك : فاعل أقحنى . وأقوالا : جمع قول بمعنى القول . والتخلاف بفتح التاء : مصدر بمعنى الحلف ، يقول : إن أقوالك الكاذبة للمؤكدة بالآيمان الباطلة غرتنى حتى أوقعتنى فى الشدائد والمهلك . وقوله : فيه ، أى فى قولك ، أو فى التخلاف ، وروى (فيها) أى فى الأقوال .

٢٤٦

(١) انظر تعليل تسميته بذلك فى الاشتقاق ٣٤٥

في العباب : وازدهفه : استخفه ، وفيه ازدهاف أى استعجال وتقمم ، زاد في القاموس : « وتزید فی الكلام » ، يريد أن كلامه يستخف العقول . وأى هذه الدالة على معنى الكمال ، وإذا وقعت بعد النكرة كانت صفة لها ، وبعد المعرفة كانت حالاً منها ؛ لكنها نُصبت هنا على المصدرية ، ويجوز رفعها على الوصفية ، وما زائدة . والله مبتدأ والظرف خبره . والأضعاف : أعضاء الجسد جمع ضعف بالكسر . أى إن الله عالم بما في الضمائر ولا يخفى عليه ما تضره لى .

والسبب في عتاب رؤية أباه : مارواه الأصمى قال : قال رؤية : خرجت مع أبى نريد (١) سليمان بن عبد الملك ، فلما سرنا بعض الطريق (٢) قال لى . أبوك راجز (٣) وأنت مفحم . قلت . أفأقول ؟ قال : نعم . فقلت أرجوزة (٤) . فلما سمعها قال لى . اسكت فض الله فاك . فلما وصلنا إلى سليمان أنشدته أرجوزتى ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما خرجنا من عنده قلت له : أتسكتنى وتنشده أرجوزتى ؟ فقال : اسكت ويلك ! فإني أرجز الناس . فالتست منه أن يعطيني نصيباً مما أخذه بشعرى ، فأبى فتنابدته (٥) فقال .

لطالما أجرى أبو الجحاف ليهنة بعيدة الأطراف
يأتى على الأهلين والآلاف سرهفته ماشئت من سرهاف
حتى إذا ما أض ذا أعراف كالكون المشدود بالإكاف

(١) فى النسختين : « يريد » . وفى شرح شواهد المغنى ٣٢٣ : « أريد » .

(٢) عند السيوطى : « فلما صرنا ببعض الطريق »

(٣) بعده فى السيوطى : « وجدك راجز » .

(٤) هى أرجوزة :

كم قد حسرنا من غلاة عنس
كما فى السيوطى .

(٥) ط : « فتنابدته » ، صوابه فى ش والسيوطى

قال : الذى عندك لى صرافٍ مِن غير ما كسب ولا احترافٍ
فأجبتة بهذه الأرجوزة .

وفى كتاب (مناقب الشبان وتقديهم على ذوى الأسنان (١)) كان رؤبة
يرعى إبل أبيه حتى بلغ ، وهو لا يقرض الشعر ، فتزوج أبوه امرأة تسمى
عقرب ، فعادت رؤبة ، وكانت تقسم إبله على أولادها الصغار ، فقال رؤبة :
ما هم بأحقّ مني لها ! إني لأقاتل عنها السنين وأنتجع [بها (٢)] الغيث .
فقال عقرب للمعجاج أسمعُ هذا وأنت حي ؟ فكيف بنا بعدك ؟ فخرج
فزيّره وصاح به وقال له : اتبع إبلك ، ثم قال :

٢٤٧

لطالما أجرى أبو الجحّاف في فرقة طويلة التجاف
لما رآني أُرِعتُ أطرافي استعجلَ الدهر وفيه كافي
يخترم الإلف مع الألف

في أبيات . فأنشده رؤبة يجيبه :

إنك لم تنصف أبا الجحّاف وكان يرضى منك بالإنصاف
وهو عليك دائم التعطف

هكذا روى هذين الوجهين السيوطي في شرح شواهد المغني .

وقوله « لطالما أجرى أبو الجحّاف » أجرى : أرسل جرياً بفتح الجيم

(١) لم يرد في غير هذا الموضع من الحزنة ، وذكره السيوطي
مرة أخرى في شرح شواهد المغني ٢٧٢ ولم يذكر مؤلفه كذلك وقال :
« وهو كتاب ذكر مؤلفه في خطبته انه ألفه للخليفة جعفر المقتدر ، لانه
تولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر سنا
منه » . وقد ولى المقتدر الخلافة سنة ٢٩٥ وخلع سنة ٢٩٦ ثم عاد الى
الخلافة وظل بها الى أن خلع ثانية سنة ٣١٧ . فالكتاب قديم كما رايت ،
وهو مجهول مؤلفه .

(٢) التكملة من شرح شواهد المغني للسيوطي ٣٢٤ . وقد نقل
البغدادي منه هذا النص وسابقه كما سيصرح بذلك

وتشديد الياء - وهو الرسول ، والأجير ، والوكيل - ومفعوله محذوف أى أجرانى ، يقول طالما استخدمنى فى صفه . والهيئة : التهيؤ ، يقال هاء للأمر يهاء ويهىء : إذا أخذ له هيئة كهيئة له ، وهىأة تهيئة : أصلحه . والالآف بضم الهمزة وتشديد اللام : جمع آلف كمال جمع عامل والسرهفة : نعمة الغذاء بفتح النون ، يقال سرهفت الصبي وسرعفته : إذا أحسنتَ غذاءه ، والسرهاد بالكسر . وروى : سر عافته ماشئت من سر عاف .

وأض بمعنى صار . والأعراف : جمع عُرف الفرس . والكودن : الفرس المحجين ، والبرذون ، والبغل . والإكاف : البرذعة . وهذه صفات ذم له ، يريد أنه حتى صار رجلاً ذا لحية وصراف : اسم فعل أمر بمعنى اصرف وقوله فى الوجه الثانى :

استعجلَ الدهرَ وفيه كفى

كقول الآخر :

* تعينُ علىَّ الدهرَ والدهرُ مُكْتَفٍ *

وقول كسرى : « إذا أدبر الدهرُ عن قوم كفى عدوهم (١) » .
وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس أول الكتاب (٢) .

* * *

وأثد بعده ، وهو الشاهد التسعون ، وهو من شواهد سيبويه (٣) :

(١) هذه المقارنة لصاحب كتاب « مناقب الشبان » ولم يعزها اليه

البغدادى .

(٢) انظر ص ٨٩ من الجزء الاول فى أقسام التنوين .

(٣) سيبويه ١ : ١٩٠ . وانظر أيضا الخزانة ٤ : ١٥ وابن يعيش

١ : ١١٦ والأغانى ١٨ : ١٩٥ ، ١٩٦ والعقد ٤ : ٣٦٣

٩٠ (إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي قَسماً إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لِأَمِيلَ)

على أن (قَسماً) تأكيد للحاصل من الكلام السابق بسبب إن واللام ،
يعنى أن قَسماً تأكيد لما فى قوله : وإِنِّي مَعَ الصُّدُودِ لِأَمِيلَ إِلَيْكَ : من معنى
القسم ، لما فيه من التحقيق والتأكيد من إن ولام التأكيد ، فلما كان
فى الجملة منهما تحقيقٌ والقسمُ أيضاً تحقيقٌ صار كأنه قال : أقسم قسماً .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنه جعل قسماً تأكيداً لقوله : وإِنِّي إِلَيْكَ
لَأَمِيلَ ، وقوله وإِنِّي إِلَيْكَ لِأَمِيلُ جوابُ قسم ، فجعل قسماً تأكيداً لما هو
قسم . وروى أبو الحسن : (أصبحت أمنحك) كأنه قال : أصبحت أمنحك
الصدود ووالله إِنِّي إِلَيْكَ لِأَمِيلَ . وهم يحذفون اليين وهم يريدونها ويقون
جوابها هـ .

وفيه نظر من وجهين : الأول أن الجملة ليست جواب قسم محذوف .
والثانى : أن المؤكِّد لا يحذف .

وجعل ابن السراج فى الأصول التوكيد من جهة الاعتراض فقال :
« قوله قَسماً اعتراض ، وجملة هذا الذى يحىء معترضاً إنما يكون تأكيداً
لشئ أو لدفعه ، لأنه بمنزلة الصفة فى الفائدة يوضح عن الشئ ويؤكد » .

٢٤٨

وقال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « انتصاب قسم ، لا يخلو أن يكون
بما تقدم من قوله إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ ، أو من جملة إِنِّي إِلَيْكَ لِأَمِيلَ .
ولا يجوز الأول من حيث كان فى ذلك الحكم ، لجواز الفصل بين اسم إن
وخبرها بعمول جملة أخرى أجنبي عنها ؛ فثبت بذلك أنه من الجملة الثانية
وأنه منصوب بفعل محذوف دل عليه قوله : وإِنِّي إِلَيْكَ لِأَمِيلَ ، أى أقسم

قبلاً ، وأضر هذا الفعل ، وإنما سبق الجزء الأول من الجملة الثانية وهو اسم إن ؛ وهذا واضح « ١٥ » .

وهذا البيت من قصيدة للأخوص الأنصارى ، يمدح بها عمر بن قصيدة الشاهد عبد العزيز الأموى . وأولها :

(يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ حَذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ موَكَّلُ
إني لأمنحك الصدودَ وإننى البيت
ولقد نزلتَ من الفؤاد بمنزلي ما كان غيرك والأمانة يَنزِلُ
ولقد شكوتُ إليك بعضَ صَبَابِي ولَمَّا كُنتُ من الصبابة أطولُ (١)
هل عشنا بك في زمانك راجعُ فلقد تَفَحَّشَ بعدك المتعلِّلُ
فصدتُ عنك وما صدتُ لِبَغِيضَةٍ أخشى مَقالةَ كاشحٍ لا يَفْعُلُ (٢)
ولو أن ما عالجتُ لَينَ فؤادِهِ فقسنا استلينَ به لَانَ الجندِلُ
ولئن صدتُ لأنتِ ، لولا رِقْبِي أشهى من اللأى أزورُ وأدخلُ
وتجنَّبِي بيتَ الحبيبِ أحبه أَرْضَى البغيضَ به حديثُ مُعْضِلُ

وقال فى آخرها يخاطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

(وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الحديثِ يقول ما لا يفْعُلُ
وأرى للمدينة حين كنت أميرها أمينَ البرى بها ونام الأعزلُ)
وهذا آخر القصيدة .

(١) فى النسختين : « ولقد كُنت » ، والتصحيح للاستاذ الميمنى ، ولم يرد البيت فى قصيدته بالأغاني ١٨ : ١٩٦
(٢) فى الأغاني : « لا يعقل » .

وعاتكة هي بنت يزيد بن معاوية^(١) وكانت ممن يشبب بها من النساء .
 وقوله : أتعزل ، بالعين المهملة أى أتجنبه وأكون عنه بمعزل . وقوله : وبه
 الفؤاد موكل من وكلته بأمر كذا : فوضته إليه . وقوله : إني لأمنحك
 الصدود . . إلخ ، يريد أنه يظهر هجر هذا البيت ومن فيه وهو محب لهم
 خوفا من أعدائه . والواو فى قوله : والأمانة ، واو القسم . وتفحش : من
 فحش الشيء فحشا مثل قبح قبحاً وزناً ومعنى . والمتعلل اسم مفعول من تعلل
 بالشيء : إذا تلهى به ، وعلة بالشيء إذا ألماه به كما يعمل الصبي بشيء من
 الطعام عن اللبن ، يقال فلان يعمل نفسه بتعلة . وجملة قوله : أخشى مقالة
 كاشح ، استئناف بياني . ويفعل من باب نصر ينصر .

وقوله : ولو أن ما عالجت . . إلخ ، ضمير فؤاده عائد للكاشح - وهذا
 البيت من أبيات مغنى اللبيب^(٢) - وهو بنقل فتحة الألف إلى واو لو ، وما :
 موصولة اسم أن ، وعالجت صلة والعائد محذوف أى به ، وجملة استلن بالبناء
 للمفعول خبر لأن ، والجنل نائب الفاعل ، ولان جواب لو وفاعله ضمير
 الجنل ، وقسا : عطف على الصلة بالفاء وهو خال عن الربط لأن ضميره عائد
 إلى الفؤاد ، ولما كان فى الفاء معنى السببية اكفى من المجلتين بضمير واحد
 وهو المجرور المحذوف ، وحذفت به الأولى من الصلة اكتفاء به الثانية ،
 وهو محل الشاهد فى المغنى .

٢٤٩

(١) وفى الأغاني أنها عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .
 وفى الوفيات فى ترجمة الربيع بن يونس أنها عاتكة بنت عبد الله بن يزيد
 ابن معاوية بن أبى سفيان الأموى . وكذا فى الأغاني ١٨ : ١٩٨ وفيه
 أيضا أن عاتكة التى ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن
 معاوية ، وإنما هو رجل كان ينزل قرى بين الأشراف ، كنى عنها بعاتكة .
 (٢) انظر شرح شواهد المغنى ٢٨١

وقوله لولا رِقبتي ، هو بكسر الراء اسم من المراقبة بمعنى الخوف .

والبيت الأول قد عرّض به بعض المديّنين لأبي جعفر المنصور ، قال المديّني (١) : لما حجّ المنصور قال للربيع : أبغني قتي من أهل المدينة أديباً ظريفاً عالماً بقديم ديارها ورسوم آثارها ، فقد بعد عهدي بديار قومي وأريد الوقوف عليها . فالتبس له الربيع قتي أعلم الناس بالمدينة ، وأفهمهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار ، فمجب به المنصور ، وكان يساير أحسن مسaire ، ومحاضره أزين محاضرة ، ولا يتدنه بخطاب ، إلا على وجه الجواب ، فإذا سأله أتى بأوضح دلالة ، وأفصح مقالة . فاعجب به المنصور غاية الإعجاب وقال للربيع : ادفع إليه عشرة آلاف درهم - وكان القتي مملقاً مضطراً - فتشاغل الربيع عن القضاء ، واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء ، وقيل قال له الربيع : لا بد من معاودته وإن أحببت دفعتُ إليك سلفاً من عندي حتى أعاوده فيما أمر لك . فأبقى ذلك حتى إذا كان في بعض الليالي قال عند منصرفه مبتدئاً : وهذه الدارُ يا أمير المؤمنين دارُ عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

* يا بيت عاتكة الذي أتعرّول *

ثم سكت فأنكر المنصور هذا من حاله ، وفكّر في أمره فعرض الشعر على نفسه فإذا فيه :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مدقّ الحديث يقول . لا يفعلُ

فقال للربيع : أدفعت للرجل ما أمرنا له به ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . قال : فليدفع إليه مضاعفاً .

(١) انظر الأغاني ١٨ : ٢٠٠ وجمع الجواهر ٧٠ والسمط ٢٥٩

وهذا أحسن إفهام من الفتى وأحسن فهمٍ من المنصور . ولم يسمع في التعريض بألف منه .

ولقول الأحوص سببٌ ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمار بن ياسر^(١) قال : خرجتُ أنا والأحوص بن محمد ، مع عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى الحج ؛ فلما كنا بقُدَيْد^(٢) قلنا لعبد الله ابن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دُبَاكِيل الخزاعي فأنشدنا من رقيق شعره فأرسل إليه . فأنشدنا قصيدة له يقول فيها :

(يا ليتَ خنساء الذى أتجنبُ	ذهبَ الزمانُ وجهًا لا يذهبُ)
أصبحتُ أمتحكُ الصدود وإننى	قسماً إليك مع الصدود لأجنبُ
مالى أحنّ إلى جمالك قرّبتُ ^(٣)	وأصدّعتُ وأنت مَنى أقربُ
لله درك ! هل لديك معولٌ	لمنمّ أم هل لودّك مطلب !
فلقد رأيتك قبل ذاك وإننى	لموكل بهواك لو يُسجّبُ ^(٤)
إذنحن فى الزمن الرخى ^(٥) وأنتم	متجاوزون كلامكم لا يرقبُ ^(٦)
تبكى الحمامة شجوهاً فيهيجنى	ويروح عازبُ همى المتأوّبُ ^(٧)
وتهبُّ سارية الرياح من أرضكم	فأرى البلاد بها تطلُّ وتجنّبُ ^(٨)

(١) انظر جمع الجواهر للحصرى ٧١ - ٧٢ والأغانى ١٨ : ١٩٥ .

(٢) قديد ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة

(٣) ط : « قرّبه » ، صوابه فى ش والأغانى وجمع الجواهر .

(٤) فى النسختين : « لو متجنب » ، وأثبت ما فى جمع الجواهر وفى الأغانى : « أو يتقرب » .

(٥) فى الأغانى : « الزمن الرخاء » . وفى الجمع « الرخى »

(٦) فى النسختين : « متجاوزون » صوابه فى الأغانى وجمع الجواهر . وفى الأغانى : « طلائكم لا يرقب » وفى جمع الجواهر : « كلاهما » .

(٧) أى فيهيجنى بكاءها ، وفى الأغانى والجمع : « فتهيجنى »

(٨) فى النسختين : « يطل » صوابه فى الجمع والأغانى وتجنّب :

تصيبها الجنوب ، وهى رياح معها مطر كما فى الأزمنة ٢ : ٨٣ . وفى

النسختين « يجنب » تحريف . وفى الأغانى والجمع : « وتخصب » .

وأرى السمية باسمكم فيزيديني شوقاً إليك سميكَ المتغرب
 وأرى الصديق يودُّكم فأودُّه إن كان ينسب منك أو يتنسب^(١)
 وأخالق الواشين فيك تجملاً وهم على ذووضغائن دؤب^(٢)
 ثم اتخذتهم على وليجة حتى غضبت ومثل ذلك يقضب

٢٥٠

فلما كان من قابل حجّ أبو بكر بن عبد العزيز ؛ فلما مرّ بالمدينة دخل
 عليه الأحوص بن محمد فاستصحبه ، ففعل . فلما خرج الأحوص قال له بعض
 من عنده : ما تريد بنفسك ؟ تقدّم الشام بالأحوص وفيها من ينفسك
 من بنى أبيك ، وهو من السّفة على ما علمت ؛ فلما رجع أبو بكر من الحجّ
 دخل عليه الأحوص متنعّزاً ما وعده من الصّحبة . فدعا له بمائة دينار
 وأثواب ، وقال : يا خال إني نظرت فيما ضمنت لك من الصّحابة ، فكرهت
 أن أهجم بك على أمير المؤمنين . فقال الأحوص : لا حاجة لي بعطيتك ،
 ولكني سبعت عندك^(٣) . ثم خرج فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى الأحوص
 وهو أمير المدينة ؛ فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساء ثياباً ، ثم قال :
 يا خال هب لي عرض أخى^(٤) . قال : هو لك . ثم خرج الأحوص وهو يقول
 في عروض قصيدة سليمان المذكورة ، يمدح عمر بن عبد العزيز :

يا بيت عائكة الذي أتمزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

(١) وكذا في جمع الجواهر . وفي الأغاني : « أولا ينسب » .

(٢) في الأغاني وجمع الجواهر : « وأحالف الواشين »

(٣) سبّحه : انتقصه وعابه . وفي ط : « سبعت » صوابه في ش .

وفي جمع الجواهر : « سبعت عندك » وضبطت فيه بضم السين . وفي
 الأغاني : « لا ولكن قد سبقت عندك » .

(٤) وكذا في جمع الجواهر . وفي الأغاني ١٨ : ١٩٦ : « يا أخى

هب لي عرض أبي بكر » .

حتى انتهى إلى قوله :

فسموتَ عن أخلاقهم فتركهم -لنداك ، إنَّ الحازمَ المتوكلُ
ووعدتني في حاجتي فصدقتني ووفيت إذ كذبوا الحديثَ وبدلوا
ولقد بدأت أريد ودَّ معاشر وعدوا مواعداً أخلفت إذ حُصلوا
حتى إذا رجع اليقينُ مطامعي يأساً ، وأخلفني الذين أوْملُ
زايلتُ ماصنعوا إليك برحلة عَجَلِي ، وعندك منهم المتحولُ^(١)
وأراك تفعلُ ما تقولُ ، وبعضهم مذيق الحديث يقول مالا يفعل

فقال له عمر بن عبد العزيز : ما أراك أعفيتني مما استغفيتك !

والأحوص^(٢) وإنَّ أغار على قصيدة سليمان ، فقد أربى عليه
في الإحسان ، وكان كما قال ابن المرزبان وقد أنشد لابن المعتز قصيدته
في مناقضة ابن طَباطِبا العَلَوِي التي أولها :

دَعُوا الأسدَ تَكُنْ غَابِئَهَا وَلَا تَدْخُلُوا بَيْنَ أُنْيَاهَا
وقال : أخذه من قول بعض العباسيين المتقدمين :

دعوا الأسدَ تَكُنْ أَغْيَالَهَا وَلَا تَقْرَبُوهَا وَأَشْبَالَهَا
ولكنه أخذه ساجاً ، وردّه علجاً . وغلّ قطيفة ، وردّ دريماجا .

والمذيق بكسر الذال المعجمة : من يخلط بكلامه كذباً ، من مذقت اللبن
والشراب من باب قتل : إذا مزجته وخلطته .

عائكة بنت يزيد و (عائكة بنت يزيد) المذكورة هي زوجة عبد الملك بن مروان ، وكان

(١) الأغاني : « عنهم متحول » . وفي الجمع : « عنهم المتحول » ،

(٢) هذا الكلام التالي من جمع الجواهر أيضاً ولم يرد في الأغاني .

وأورده المصري أيضاً في زهر الآداب ٧٧٩

شديد المحبة لها ، فغاضبته فى بعض الأمور وسدت الباب الذى بينها وبينه ، فسأه ذلك وتعاضله وشكاه إلى من يأنس به من خاصته ؛ فقال له عمر بن بلال الأسدى : إن أنا أرضيتها لك حتى ترضى فما الثواب ؟ قال : حُكْمُكَ . فأتى إلى بابها وقد مَرَّق ثوبه وسودّه ، فاستأذن عليها وقال : الأمر الذى أتيتُ فيه (١) عظيم ؛ فأدخل لوقته فرمى بنفسه وبكى . فقالت : مالك يا عم ؟ قال : لى ولدان هما من المبرّة والإحسان إلىّ فى غاية ، وقد عدا أحدهما على أخيه فقتله وفجئنى به ، فاحتسبته وقلت : يبقى لى ولد أتسلى به ؛ فأخذته أمير المؤمنين وقال : لا بد من القود ، وإلا فالناس يجترئون على القتل ! وهو قاتله إلا أن يغينى الله بك ، ففتحت الباب ودخلت على عبد الملك وأكبت على البساط تقبله وتقول : يا أمير المؤمنين ، قد تعلم فضل عمر بن بلال ، وقد عزمت على قتل ابنه فشغفنى فيه . قال عبد الملك : ما كنت بالذى أفعل : فأقبلت فى الضراعة والخضوع حتى وعدّها العفو عنه — وصلح ما بينهما ووفى لعمر بما وعده به .

كلُّ هذا من (كتاب الجواهر فى الملح والنوادر) تأليف أبى إسحاق إبراهيم بن على المعروف بالحصرى صاحب زهر الآداب .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين (٢)

* * *

وأُشَدُّ بعده — وهو الشاهد الحادى والتسعون — قول أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم (٣) :

(١) فى جمع الجواهر : « الذى جئت فيه »

(٢) أنظر ما سبق فى ص ١٥ وما بعدها من هذا الجزء .

(٣) ديوانه ورقة ٤ نسخة الشنقيطى .

٩١ (إِذْنٌ لَا تَبْعَنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنْ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ)

على أَنَّ المصدر المؤكد لغيره يكون في الحقيقة مؤكداً لنفسه ، لأنه إمام مع صريح القول كقوله تعالى : (ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ) ، أو ما هو في معنى القول كما في هذا البيت ، فإن قوله (جِدًّا) مصدر مؤكد لما يحتمل غيره ، فإنَّ قوله (اتبعناه) يحتمل أن يكون قاله على سبيل الجِدِّ وهو المفهوم من اللفظ ، وأن يكون قاله على طريق الهزل وهو احتمال عقلي . فأكد المعنى الأول بما هو في معنى القول ، لأنه أراد به : قولاً جِدًّا ، والقرينة عليه ما بعده ، فإنَّ قول التهازل يقابل قول الجِدِّ ، فكان الأولى أن يقول : قول جِدًّا بالإضافة ليناسب ما بعده ، فيكون لما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه .

و (غير) بالنصب صفة لقوله جِدًّا ، ولا تضر بالإضافة إلى المعرفة فإنها متمكنة في الإيهام لا تتعرَّف . وزعم ابن السراج أن غيراً إذا وقعت بين ضدين كما هنا اكتسبت التعريف من الإضافة . ويردّه قوله تعالى (نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ) وإن زعم أنها في مثل هذا بدل ، يردّه أن غيراً وضعت للوصف ، والبدل بالوصف ضعيف . و (التهازل) بمعنى الهزل ، فإنَّ تفاعل قد يأتي بمعنى فعل ، كنوانيت بمعنى ونيت ، لكنه أبلغ من المجرد . وقوله : (إِذْنٌ لَا تَبْعَنَاهُ) جواب قسم في بيت قبله وهو :

(فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِءَ بِسُبَّةٍ تَجِرُ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْقَبَائِلِ)

والضمير المنصوب في اتبعناه راجع للنبي صلى الله عليه وسلم . وروى (لَكُنَّا اتبعناه) . والسُّبَّة بضم السين ، يقال صار عليه هذا الأمر سُبَّة

أى عاراً يُسب به . وتُجرّ : بفتح الجيم [مضارعُ جرّ^(١)] ، من جرّ عليهم جريرة أى جنى عليهم جناية . وفى بمعنى بين .

٢٥٢

والبيتان من قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت لأبى طالب عاذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودّد فيها إلى اشراف قومه ، وأخبر قريشاً أنه غير مُسلمٍ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدٍ أبداً حتى يهلك دونه ؛ ومدّحه فيها أيضاً . وقالها فى الشَّعب لما اعتزل مع بنى هاشم وبنى عبد المطلب^(٢) قريشاً .

وسبب دخوله الشَّعب : أن كفار قريش اتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا . فقالوا لقومه : خذوا مِنّا ديةً مضاعفةً ، ويقتله رجل من غير قريش ، وتريحونا وتريحون أنفسكم ! فأبى بنو هاشم من ذلك ، وظاهرهم بنو عبد المطلب . فاجتمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشَّعب . فلما دخلوا الشعب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكانت متجراً لقريش ؛ وكان يثنى على النجاشى بأنه لا يُظلم عنده أحد . فانطلق عامة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ، ودخل بنو هاشم وبنى عبد المطلب الشَّعب مؤمنهم وكافهم : فالؤمن ديناً ، والكافر حمية . فلما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومه ، أجمعوا على أن لا يبايعوه ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرِّفق^(٣) ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا

(١) التكملة من ط

(٢) فى حواشى ش بخط ناسخها : « قوله بنو عبد المطلب كذا فى جميع النسخ التى وقفنا عليها ، والصواب بنو المطلب بدون عبد ، لأن بنى عبد المطلب من بنى هاشم وأما بنو المطلب فليسوا من بنى هاشم لأن المطلب أخو هاشم »

(٣) الرِّفق ، بالكسر ، والمرفق كمنبر ومجلس ومقعد : ما يستعان به .

طعاماً ولا إداماً إلاّ بادروا إليه واشتروه ، ولا ينا كحوم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رافة حتّى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفةً وعلّقوها في الكعبة ، وتمادّوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين . فاشتدّ البلاء على بنى هاشم ومن معهم ، فأجمعوا على تقض ماتماهدوا عليه من الغدرو البراءة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب : يا عمّ ، إنّ ربّي قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش فليحسّها ، إلاّ ما كان اسماء الله فأبقتّه . قال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ! ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابةً فليحس ما فيها فإن كان كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نسلمه حتى نموت ، وإن كان يقول باطلاً دفعناه إليكم . فقالوا : قد رضينا . ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : هذا سحر ابن أخيك ! وزادهم ذلك بغياً وعدواناً . فقال أبو طالب : يا معشر قريش ، علام نحصر ونحبس ؟ وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة ! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال : اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحلّ ما يحرم عليه منّا . ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال ابن كثير ^(١) : هى قصيدة بليغة جداً ، لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه ، وهى أخل من المعلقة السبع وأبلغ فى تأدية المعنى .

وقد أحبت أن أوردها هنا منتخبة مشروحةً بشرح يوفى المعنى ، محبة فى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى هذه ^(٢) :

(١) البداية والنهاية ٣ : ٥٧ .

(٢) القصيدة فى أول ديوانه نسخة الشنقيطى والسيرة ١٧٢ والروض الأنف ١ : ١٧٣ وابن كثير فى البداية والنهاية ٣ : ٥٣ . وفيها يقول ابن سلام فى الطبقات ٢٠٤ : « وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، وأبرع ما قال قصيدته التى مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى =

(خَلِيلِيَّ مَا أَذْنِي لِأَوَّلِ عَاذِلٍ بِصَفْوَاءٍ فِي حَقِّ وَلَا عِنْدَ بَاطِلٍ)

بصفواء : خبر ما النافية وهى حجازية ولذا زيدت الباء . والصَّفْوُ : الميل .
وأصغيت إلى فلان : إذا ملت بسمعك نحوه . ولأَوَّلِ عاذل : متعلق بصفواء
وفى حق متعلق بعاذل ، أى لا أمل بأذنى لأَوَّلِ عاذل فى الحق ، وإنما قيد
العاذل بالأَوَّلِ لأنه إذا لم يقبل عند العاذل الأَوَّلِ فَمِنْ باب أولى أن لا يقبل
عند العاذل الثانى ، فإنَّ النفس إذا كانت خالية الذهن فى الغالب أن يستقر
فيها أول ما يرد عليها .

(خَلِيلِيَّ إِنْ الرَّأْيَ لَيْسَ بِشِرْكَةٍ وَلَا نَهْنَهٍ عِنْدَ الْأُمُورِ الْبَلَابِلِ)

أراد أنَّ الرأى الجيد يكون بمشاركة العقلاء ، فإن لم يتشاركوا : بأن كانوا
متباغضين لم يُنتج شيئا - والرأى ما لم يتخمر فى العقول كان فطيرا . والنهنة
بنونين وهاءين كجعفر : المضى ، والنيرُ الشفاف الذى يظهر الأشياء على جليتها ؟
وأصله الثوب الرقيق النسج ، ومن شأنه أن لا يمنع النظر إلى ما وراءه ، وهو
معطوف على شركة . والبلابل إما جمع بلبلة بفتح الباءين ، أو جمع بلبال
بفتحهما ، وهما بمعنى الهم ووساوس الصدر ، كزلازل جمع زلزلة وزلازل
بالفتح ، وهو إما على حذف مضاف أى ذات البلابل ، أو إنها بدل
من الأمور .

(وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَاوُدَّ عَنْدهُمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ)

= وَأَيُّضُ يُسْتَسْقَى الْعَامُ بِوَجْهِهِ رَيْبُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرْمِلِ
وقد زيد فيها وطولت . رأيت فى كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا ، منذ
أكثر من مائة سنة ! وقد علمت أن قد زاد الناس فيها فلا أدري أين منتهاها .
وسألنى الأصمعى عنها فقلت : صحيحة جيدة . قال : أتدري أين منتهاها ؟
قلت : لا أدري .

ونص ابن سلام محرف غير معقول ، أن يصاحب من ألف كتابا منذ
أكثر من مائة سنة ، ولعل صوابه « وهى أكثر من مائة بيت » .

أراد بالقوم كفارَ قريش . والعرا : جمع عُروة ، وهي معروفة ، وأراد بها هنا ما يُمسك به من العهود مجازاً مرسلًا . والوسائل : جمع وسيلة وهي ما يتقرب به .

(وقد صارحونا بالعداوة والأذى ' وقد طأوعوا أمر العدو المزايل)
 صارحونا : كشفونا بالعداوة صريحًا - والصراحة وإن كانت لازمة لكنها لما قللت إلى باب المفاعلة تعدت . والمزايل : اسم فاعل من زايله مزايلة وزيالًا : فارقه وباينه - وإنما يكون العدو مفارقًا إذا صرح بالعداوة فلا تمكن العشرة . ومن قال : المزايل : المعالج ، وظنه من المزاولة لم يصب .
 (وقد حالفوا قومًا علينا أظنه ' يمضون غيظًا خلفنا بالأنامل)

حالفوا قومًا : مثل صارحونا في أنه كان لازماً وتعدى إلى المفعول بنقله إلى باب المفاعلة . والتحالف : التعاهد والتعاقد على أن يكون الأمر واحدًا في النصرة والحماية ، وبينهما حلف أى عهد ، والحليف : المعاهد . وعلينا متعلق بحالفوا . والأظنه جمع ظنين ، وهو الرجل المتهم ، والظنة بالكسر . التهمة ، والجمع الظنن - يقال منه أظنه وأظنه : بالطاء والظاء إذا اتهمه . قال الشاطبي في شرح الألفية : « أفعلة قياس في كل اسم مذكر رباعي فيه مدة ثلاثة ، فهذه أربعة أوصاف معتبرة ، فإن كان صفة لم يجمع قياساً على أفعلة ، فإن جاء عليه فمحفوظ لا يقاس عليه ، قالوا في شحيج . أشحجة ، وفي ظنين : أظنه . قال تعالى : (أشحجة عليكم) وقال أبو طالب . . » (وأنشد هذا البيت) .

(صبرت لهم نفسى بسمرء سمحة وأبيض عصب من ثراث المقاول)
 الصبر : الحبس . والسمرء : القناة . والسمحة : اللدنة اللينة التي تسمح بالهز والانعطاف . والأبيض : السيف . والعصب : القاطع . والمقاول : جمع

٢٥٤

مَقُولُ بِكسر الميم : الرئيس ، وهو دون الملك ؛ كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ عَنْ ابْنِ
الْأَنْبَارِيِّ . وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ : أَرَادَ بِالْمَقَاوِلِ آبَاءَهُ ، شَبَّهَهُمْ
بِالْمُلُوكِ وَلَمْ يَكُنْ نَوَامِلُوكًا وَلَا كَانَ فِيهِمْ مَلِكٌ ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ
قَالَ لَهُ هِرَقْلٌ : هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ فَقَالَ : لَا . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا
السَّيْفُ مِنْ هِبَاتِ الْمُلُوكِ لِأَبِيهِ ؛ فَقَدْ وَهَبَ ابْنُ ذِي يَزَنَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ هِبَاتٍ
جَزِيلَةً حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ مَعَ قَرِيشٍ يَهْنُتُونَهُ بِظَفَرِهِ بِالْحَبَشَةِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْلَدِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَامَيْنِ .

(وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ)
الْوَصَائِلُ : ثِيَابٌ مَخْطُوطَةٌ يَمَانِيَةٌ كَانَ الْبَيْتُ يَكْسِي بِهَا .

(قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ لَدَى حَيْثُ يَقْضَى حِلْفُهُ كُلُّ نَافِلٍ (١))
الْرِتَاجُ : الْبَابُ الْعَظِيمُ ، وَهُوَ مَفْعُولٌ مُسْتَقْبَلِينَ . وَالنَّافِلُ : فَاعِلٌ مِنَ النَّافِلَةِ
وَهُوَ التَّطَوُّعُ .

(أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ عَلَيْنَا بِسَوْءٍ أَوْ مُلْحٍ بِبَاطِلٍ)
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْمَى لَنَا بِمَعِيَّةٍ وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نَحَاوِلِ ()
مُلْحٌ : اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْحِّ عَلَى الشَّيْءِ : إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُوَاطِبًا . وَالْمَعِيَّةُ :
الْعَيْبُ وَالنَّقِيصَةُ . وَنَحَاوِلُ : نَزِيدُ .

(وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لَبْرٍ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ)
ثَوْرٌ : مَعْطُوفٌ عَلَى رَبِّ النَّاسِ . وَهُوَ وَثْبِيرٌ وَحِرَاءٌ ، جِبَالٌ بِمَكَّةَ .
وَالْبَرُّ : خِلَافُ الْإِثْمِ . وَهُوَ رَوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ ، وَرَوَى ابْنُ هِشَامٍ :

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : «خَلْفَهُ» ، صَوَابُهُ فِي الدِّيَوَانِ وَالسِّيَرَةِ

(ليرقى) (١) وهو خطأ ، لأن الراقى لا يرقى . وإنما هو لبرّ أى فى طلب برّ . أقسم بطالب البرّ بصعوده فى حراء للتعبّد فيه وبالنزول منه .

(وبالبيتِ حقّ البيت من بطن مكّة وبالله ، إنّ الله ليس بغافل وبالبحر الأسود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل)

قال السهيلي : « وقوله بالبحر الأسود فيه زحاف يسمى الكفّ ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، وهو بعد الواو من الأسود . والأصائل : جمع أصيلة ، والأصل : جمع أصيل ، وذلك لأنّ فعائل جمع فعيلة . والأصيلة : لغة معروفة فى الأصيل » انتهى . وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب .

(وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبةً على قدميه حافياً غير ناعلٍ)
موطىء إبراهيم عليه السلام : هو موضع قدمه حين غسلت كَنَتَهُ رأسه وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليفسل — وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع ما تركه بمكّة ، فخاف لها أنه لا ينزل عن دابّته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة ألقى الله فيها أثر قدمه آية . قال تعالى : (فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ) . أى منها مقام إبراهيم . ومن جعل مقام إبراهيم بدلاً من آيات قال : المقام ، جمع مقامة . وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

(وأشواطٍ بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة وتماثل)
هو جمع تماثل ، وأصله تماثل ، فحذف الياء .

(١) يعنى : « وراق ليرقى فى » بدل « وراق لبر فى » . وانظر السيرة ١٧٣ .

٢٥٥

(وَمَنْ حَتَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ ، وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ ، وَمِنْ كُلِّ رَاجِلٍ)
 فهل بعد هذا من معاذٍ لمأذٍ وهل من مُعِيدٍ يَتَّقِي اللَّهَ عَادِلٍ (
 المعاذ بالفتح : اسم مكان من عاذ فلان بكذا ، إذا لجأ إليه واعتصم به .
 والمعيد : اسم فاعل من أعاده بالله أى عصمه به . وعادل : صفة معيد ، بمعنى
 غير جائر .

(يُطَاعُ بِنَا الْعِدَا ، وَوُدُّوا لَوْ أَنَّا تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تَرْكٍ وَكَابُلٍ)
 العدا بضم العين وكسرها : اسم جمع للعدو ضد الصديق ، وروى (الأعدا)
 وهو جمع عدو . وتُسَدُّ بنا أى علينا . والترك وكابل بضم الباء : صنفان من
 المعجم .

(كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ تَرَكْتُمْ مَكَّةَ وَنَظَعْنَ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَابِلٍ)
 أى والله لا ترك مكة ولا نظعن منها ، لكن أمركم فى هموم ووساوس
 صدر . وروى : (فى تلالل) بالمشناة الفوقية ، جمع تَلْتَلَةٌ ، وهو الاضطراب
 والحركة .

(كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَظَاعَنْ دُونَهُ وَنَاضِلٍ)
 الواو للقسم ، ونُبْزَى جواب القسم على تقدير لا النافية ، فإنها يجوز
 حذفها فى الجواب كقوله تعالى : « تَاللَّهِ تَفْتَتَوُ » أى لا تفتؤ . ونُبْزَى بالبناء
 للمفعول ، أى نُغْلَبُ ونُقَهَرُ عليه ، يقال أُبْزَى فلان بفلان إذا غلبه وقهره ،
 كذا فى الصحاح . فهو بالباء والزاي المنقوطة . ومُحَمَّدًا منصوب بنزع الباء .
 ولَمَّا : نافية جازمة ، والجملة المنفية حال من نائب فاعل نُبْزَى . والظعن يكون
 بالرحم ، والنضال يكون بالسهم .

(وَنُسَلِمُهُ حَتَّى نَصْرُعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أُنْبَائِنَا وَالْحَلَالِ)

ونسلمه بالرفع معطوف على نُزِيْ ، أى لا نسلمه ، من أسلمه بمعنى سلمه
لفلان ، أو من أسلمه بمعنى خذله . ونصرّع ونُدْهَلْ بالبناء للمفعول . والحلائل :
جمع حليلة وهى الزوجة .

قال ابن هشام فى السيرة : قال عُبيدة بن الحارث بن المطلب (١) لما
أصيب فى قطع رجله يوم بدر : أَمَا وَاللّٰهِ لَوْ أَدْرَكَ أَبَا طَالِبٍ هَذَا الْيَوْمَ لَعَلِمْتُ أَنِّى
أَحَقُّ بِمَا قَالَ مِنْهُ حَيْثُ يَقُولُ :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُزِيْ مُحَمَّدًا البيت وما بعده

وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل)
وينهض بفتح الياء وهو منصوب معطوفا على نصرّع ، والنهوض
فى الحديد عبارة عن لبسه واستعماله فى الحرب . والزوايا : جمع راوية ، وهو
البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه . وذات الصلاصل هى المزايدة التى
ينقل فيها الماء ، وتسميها العامة الراوية ، والصلاصل : جمع صلصلة بضم الصادين
وهى بقتية الماء فى الإداوة . يريد : أن الرجال — منقلين بالحديد — كالجمال
التي تحمل المياه مثقلة ، شبه ققعة الحديد بصلصلة الماء فى المزايدات .

(وَحَتَّى نَرَى ذَا الضَّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ مِنْ الطَّلَعِ فَعِلَ الْأَنْكَبُ الْمُحَامِلِ)
نرى بالنون من رؤية العين . والضغن بالكسر الحقد . وجملة يركب
حال من مفعول نرى ، يقال للقتيل . رَكِبَ رَدْعَهُ : إِذْ خَرَّ لَوْجُهُ عَلَى دَمِهِ .
وَالرَّدْعُ بفتح الراء وسكون الدال : اللَّطْخُ وَالْأَثَرُ مِنَ الدَّمِ وَالزَّعْفَرَانِ . وَمِنْ

٢٥٦

(١) ط : « ابن الحارث بن عبد المطلب » ، صوابه فى ش . وانظر
السيرة ٥٢٦ - ٥٢٧ . وقد ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق ٨٣ بأنه تصغير
عبدة ، أى هو يضم العين

الظعن متعلق بتركب . والأنكب : المائل إلى جهة ، وأراد كفعل الأنكب ،
 فى الصحاح : « والتَّكَبُّ أى بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى مناكبها فتظلم منه
 وتمشى منحرفة ، يقال نكب البعير بالكسر ينكب نكباً فهو أنكبٌ .
 وهو من صفة المتناول الجائر . والمتحامل بالمهمله : الجائر والظالم .

(وإنّا لعمرُ الله إنَّ جدَّ ما أرى لتلتبسَنَ أسيافنا بالأماثلِ)

عمر الله مبتدأ والخبر محذوف أى قسى ، وجمله لتلتبسَنَ جواب
 القسم ، والجملة القسمية خبر إن . وقوله إنَّ جدَّ إن شرطية ، وجدَّ بمعنى لجَّ
 ودام وعظم ، وما مؤصلة ، وأرى من رؤية البصر ، والمفعول محذوف وهو
 العائد ، وجواب الشرط محذوف وجوباً لسدَّ جواب القسم محله . والالتباس :
 الاختلاط والملابسة ، والنون الخفيفة للتوكيد ، وأسيافنا فاعل تلتبس .
 والأماثل : الأشراف ، جمع أمثل . والمعنى إنَّ دام هذا العناد الذى أراه تنلُ
 سيوفنا أشرافكم .

(بكفى قى مثل الشهاب سميدع - أخى ثقة حامي الحقيقة باسلِ)

بكفى : تنبيه كفى ، والباء متعلقة بقوله تلتبس — وقد حقق الله
 ما تفرسه أبو طالب يوم بدر . وقوله : مثل الشهاب ، يريد أنه شجاع
 لا يقاومه أحدٌ فى الحرب ، كأنه شعله نار يحرق من يقرب منه . والسميدع
 بفتح السين ، وضئها خطأ ، وفتح الدال المهملة وإعجامها لا أصل له ، خلافاً
 لصاحب القاموس ، ومعناه السيد الموطأ الأكناف .

قال المبرد فى أول الكامل^(١) : « معنى موطأ الأكناف : أن ناحيته

(١) الكامل ص ٣ ليسبك .

يتمكن فيها صاحبها^(١) غير مؤذٍ ولا ناب به موضعه . والتوطئة : التذليل والتمهيد ، يقال دابة وطىء افقى ، وهو الذى لا يجرُّ راكبه فى مسيره ؛ وفراش وطىء ، إذا كان وثيراً لا يؤذى جنب النائم عليه .

قال أبو العباس : حدثني العباس بن الفرّج الرياشي قال : حدثني الأصمعي قال : قيل لأعرابي ، وهو المنتجع بن نهبان : ما السّيدع ؟ فقال : السّيد الموطأ الأكناف . وتأويل الأكناف : الجوانب ، يقال فى المثل : فلان فى كنف فلان كما يقال فلان فى ظل فلان وفى ذرّاً فلان^(٢) وفى حيز فلان . انتهى .

والثقة : مصدر وثقت به أثق بكسرهما : إذا ائتمنته . والأخ يستعمل بمعنى الملازم والمداوم . والحقيقة : ما يحقُّ على الرجل أن يحميه . والبازل : الشجيع الشديد الذى يمتنع أن يأخذه أحدٌ فى الحرب ؛ والمصدر البسالة ، وفعله بسل بالضم . وأراد بصاحب هذه الصفات الفاضلة محمداً صلى الله عليه وسلم . (وما ترك قوم لا أباً لك سيّداً يحوط الذّمار غير ذرّب مؤا كل)

ما استفهامية تعجبية مبتدأ عندسيويوه وترك خبر المبتدأ ، وعندالأخفش بالعكس . وقوله : لا أبالك ، يستعمل كناية عن اللدح والذم ، ووجه الأوّل : أن يراد نفي نظير المدوح بنفى أبيه ، ووجه الثانى : أن يراد أنه مجهول النسب ، والمعنيان محتلمان هنا . والسّيد من السيادة وهو المجد والشرف . وحاطه يحوطه حوطاً . رعاه وفى الصحاح : « وقولهم فلان حامى الذّمار ، أى إذا ذمّر وغضب حمى ، وفلان أمنع ذماراً من فلان . ويقال الذّمار : ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه ، لأنهم قالوا : حامى الذّمار كما قالوا حامى الحقيقة .

(١) فى النسختين : « صاحبه » ، والصواب من الكامل .

(٢) بين هذا وتاليه فى الكامل : « وفى ناحية فلان » .

وسمى ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له ، ومثبت حقيقة لأنه يحقّ على أهلها الدفع عنها . وظلّ يتذمر على فلان : إذا تنكّر له وأوعده . والذّرب بفتح الذال المعجمة وكسر الراء ، لكنّه سكّنه هنا ، وهو الفاحش البدنىّ اللسان . والمواكل : اسم فاعل من واكلت فلاناً مواكلة : إذا اتّكلت عليه واتكل هو عليك ، ورجل وّكل بفتحين ، وو كلة كهزة ، وتكّلة ، أى عاجز يكلّ أمره إلى غيره ويتكل عليه .

(وأبيضٌ يُستسقى النّامُ بوجهه رِمالَ التّيامى عصمةً للأراملِ)

أبيض : معطوف على سيّد المنسوب بالمصدر قبله ، وهو من عطف الصفات التى موصوفها واحد ؛ هكذا أعربه الزركشى فى نكته على البخارىّ المسمى بالتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ، وقال : لا يجوز غير هذا . وتبعه ابن حجر فى فتح البارى ؛ وكذلك الدمامينى فى تعليق المصابيح على الجامع الصحيح ، وفى حاشيته على معنى اللبيب أيضاً . وزعم ابن هشام فى المغنى : أن أبيض مجرور بربّ مقدرة وأنها للتقليل . والصواب الأوّل ؛ فإنّ المعنى ليس على التنكير ، بل للموصوف بهذا الوصف واحدٌ معلوم . والأبيض هنا بمعنى الكريم . قال السمين فى عمدة الحفاظ : عبّر عن الكرم بالبياض ، فيقال : له عندى يدبيضاء أى معروف ؛ وأورد هذا البيت . والبياض أشرف الألوان ، وهو أصلها إذ هو قابل لجميعها ، وقد كنى به عن الشّور والشر ، وبالسّواد عن النّم . ولما كان البياض أفضل الألوان قالوا : البياض أفضل ، والسواد أهول ، والحمة أجمل ، والصفرة أشكل .

ويستسقى بالبناء للمفعول ؛ والجملة صفة أبيض . والتّمال : العمد والملمجأ والمطعم والمغنى والكافى . والعصمة : ما يعتصم به ويتمسك ، قال الزركشى : يجوز فيهما النصب والرفع . والأرامل جمع أرملة وهى التى لا زوج لها ،

لافتقارها إلى من ينفق عليها ؛ وأصله من أرملَ الرجل : إذا نفد زاده وافتقر ، فهو مرمل ، وجاء أرملٌ على غير قياس . قال الأزهرى : لا يقال للمرأة أرملة إلا إذا كانت فقيرة ، فإن كانت موسرة فليست بأرملة ؛ والجمع أرامل ، حتى قيل رجل أرمل إذا لم يكن له زوج . قال ابن الأنبارى : وهو قليل ؛ لأنه لا يذهب ^(١) بتقد امرأته ، لأنها لم تكن قيّمة عليه . وقال ابن السكيت : الأرامل : المساكين ، رجلاً كانوا أو نساء .

قال السهيلي في الروض الأنف ^(٢) : « فإن قيل : كيف قال أبو طالب : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ، ولم يره قطّ استسقى به ، إنما كانت استسقاءته عليه الصلاة والسلام بالمدينة في سفر وحضر ، وفيها شوهده ما كان من سرعة إجابة الله له ؟ فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطلب مادله على ما قال » انتهى .

ورده بعضهم ^(٣) بأن قضية الاستسقاء متكررة ؛ إذ واقعة أبي طالب كان الاستسقاء به عند الكعبة ، وواقعة عبد المطلب كان أولها أنهم أمروا باستلام الركن ثم بصمودهم جبل أبي قبيس ليدعوا عبد المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم ؛ فسقوا به .

قال ابن هشام في السيرة : « حدثني من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله

(١) ش : « لأنه يذهب » ، صوابه في ط واللسان (رمل ٣١٧) حيث نقل نص ابن الأنبارى . وفيه : « لأن الرجل لا يذهب زاده بموت امرأته إذا لم تكن قيّمة عليه » .

(٢) الروض ١ : ١٧٩

(٣) هو ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣ . أنظر شرحه للهمزية بعد فراغه من تفسير قول البوصيرى :

وإذا حلت الهداية قلباً .. نشطت في العبادة الأعضاء

٢٥٨

صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى ، فمالبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الفرق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا ولا علينا ! فانجأ السحابُ عن المدينة فصار حوالينا كالإكليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره . فقال له بعض أصحابه (وهو على رضى الله عنه) : كأنك أردت يا رسول الله قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه . . البيت

قال أجل ! انتهى .

وبتصديق النبي صلى الله عليه وسلم كونَ هذا البيت لأبى طالب — وعليه اتفق أهل السير — سقط ما أورده الدميرى في شرح المنهاج في باب الاستسقاء عن الطبرانى وابن سعد : أن عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا ، ولذلك يقول عبد المطلب فيه يمدحه .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه . . البيت

قال ابن حجر الهيتمى في شرح الهمزية : « وسبب غلط الدميرى في نسبة هذا البيت لعبد المطلب : أن رقيقة (براء مضمومة وقافين) بنت أبى صيفى بن هاشم ^(١) ، وهى التى سمعت الهاتف فى النوم أوفى اليقظة — لما تابعت على قریش سنون أهلكتهم — يصرخ : يا معشر قریش ، إن هذا النبى المبعوث قد أظلتكم أيامه ، فخيلاً بالحقيا وانلصب . ثم أمرهم بأن يستسقوا به ، وذكر كيفية يطول ذكرها . فلما ذكرت الرواية فى القصة أنشأت تمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرها :

(١) فى النسختين : « هشام » تحريف ، صوابه فى شرح الهمزية

وجمهرة ابن حزم ١٤ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٣٩ .

مبارك الأمر يُستسقى الغمامُ به مافي الأنام له عِدل ولا خطر^(١)
 فإنَّ الدَّميرى لما رأى هذا البيت فى رواية قصة عبد المطلب التى رواها
 الطبرانى - وهو يشبه بيتَ أبى طالب إذ فى كلِّ استسقاء الغمام به - توهمَ
 أن بيت أبى طالب لعبد المطلب . وإنما هو لُرُقِيقَة المذكورة . والحكم عليه بأنه
 عين البيت المنسوب لأبى طالب ليس كذلك ، بل شتان ما بينهما . فتأمل
 هذا المحل فإنه مهم . وقد اغترَّ بكلام الدميرى من لاخبرة له بالسير انتهى .
 (يلوذ به الهلاكُ من آل هاشم فهم عنده فى رجة وفواضل)
 يلوذ صفة أخرى لموصوف سيد . والهلاك : الفقراء والصعاليك الذين
 يَتَتَابُونَ الناس طلباً لمعرفتهم من سوء الحال ، وهو جمع هالك ، قال جميل :
 أبيتُ مع الهلاك ضيفاً لأهلها وأهل قريب موسعون ذوو فضل
 وقال زياد بن حمى :

ترى الأرامى والهالك تتبعه يستن منه عليهم وإيل رذم
 (جَزَى الله عنا عبدَ شمس ونوفلاً عقوبةً شرِّ عاجلاً غير آجل)
 نوفل هو ابن خويلد بن أَسَد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن العدوية ،
 وكان من شياطين قريش ، قتله على بن أبى طالب يوم بدر .

(١) قبله ، كما فى سيرة ابن سيد الناس :

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر
 فجاد بالماء جونى له سبل دان فعاشت به الأنعام والشجر
 منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر
 وكان عبد المطلب قد خرج للاستسقاء ومعه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو غلام .

(بميزان قسط لا يخس شعيرة^(١) له شاهد من نفسه غير عائل)
بميزان متعلق بمجزى الله . والقسط بالكسر : العدل . وخس يخس من
باب ضرب : إذا نقص وخف وزنه فلم يعادل ما يقابله . وله أى للميزان ،
شاهد أى لسان من نفسه^(٢) ، أى من نفس القسط ، غير عائل صفة شاهد
أى غير مائل ، يقال عال الميزان يعول : إذا مال ؛ كذا فى العباب وأنشد
هذا البيت كذا :

٢٥٩

بميزان صدق لا يغفل شعيرة له شاهد البيت^(٣)
(ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي فى الخطوب اوائل)
الصميم : الخالص من كل شيء . والذؤابة : الجماعة العالية ، وأصله الخصلة
من شعر الرأس .

(وكلّ صديق وابن أخت نعمة لعمرى ، وجدنا غيبة غير طائل)
الغيب بالكسر : العاقبة . ويقال هذا الأمر لا طائل فيه ، إذا لم يكن فيه
غناء ومزية ، مأخوذ من الطول بمعنى الفضل .

(سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة براء إلينا من معة خاذل)
قال السهيلي : « يقال قوم براء بالضم وبراء بالفتح وبراء بالكسر :
فأما براء بالكسر فجمع برىء مثل كريم وكرام ، وأما براء فصدر مثل سلام ،
والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ، ويقال رجل براء ورجل براء ، وإذا
كسرتها أو ضمنت لم يجز إلا فى الجمع ، وأما براء بضم الباء فالأصل فيه براء

(١) فى الديوان : « لا يغيض شعيرة » . وفى حواشيه : أنها فى
رواية « يحص » وفى الروض الأنف ١ : ١٧٨ : « يخس شعيرة ، أى
ينقص . والمحسيس : الناقص من كل شيء . ويروى فى غير السيرة :
« يحص بالصاد المهملة ، من حص الشعر ، إذا أذهبه » .

(٢) ط : « أى ميزان من نفسه » ، صوابه فى ش
(٣) يغفل ، من الغلول ، وهو الاختلاس . وفى ط : « يقل » محرف .

مثل كرماء واستنقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فُعَلَاء فلما حذفوا التي هي لام الفعل صار وزنه فُعَاء وانصرف لأنه أشبه فعلا . والمَعَقَّة بفتح الميم : مصدر بمعنى العقوق .

(ونعم ابنُ أختِ القوم غير مكذَّب زهيرٌ حساماً مفرداً من حائل) قال ابن هشام في السيرة : « زهير هو ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ^(١) ، وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب » انتهى .

زهير هو المخصوص بالمدح مبتدأ ، وجمله نعم ابن أخت القوم هو الخبر ، وغير مكذَّب بالنصب حال من فاعل نعم وهو ابن . ومكذَّب : على صيغة اسم المفعول ، يقال كذَّبته بالتشديد : إذا نسبته إلى الكذب ووجدته كاذباً ، أى هو صادق في مودته لم يُلَفْ كاذباً فيها . والحسام : السيف القاطع ، وهو منصوب على المدح بفعل محذوف أى يشبه الحسام المسلول في اللضاء . ورواه العيني في شرح شواهد الألفية : (حسامٌ مفردٌ) برفعهما وقال : «حسام صفة زهير، وقوله مفرد من حائل صفة للحسام» وهذا على تقدير صحة الرواية خبطُ عشواء ؛ فإن زهيراً علماً وحساماً نكرة ! والمفرد : المجرد . والحائل : جمع حِالة وهي علاقة السيف ، مثل المحمل بكسر الميم ، هذا قول الخليل ، وقال الأصمى : حائل السيف لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها محمل كذا في العباب .

وهذا البيت استشهد به شراح الألفية على أن فاعل « نِعَم » مظهر مضاف إلى ما أضيف إلى المَعَرَف باللام .

(أشَمُّ ، من الشُّمِّ البهليل يَنْتَشِي إلى حسبٍ في حومة المجد فاضل)

(١) في النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص ٢٧٢ طبعة أولى .

الشم : ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه ، وهذا مما يُمدح به ، وهو أشم من قوم شمّ والبهايل : جمع بهلول بالضم ، قال الصاغاني : والبهلول من الرجال : الضحاك ، وقال ابن عبيد : هو الحيّ الكريم . وينتسب : ينتسب . وفاضل بالضاد المعجمة صفة حَسَب .

(لَعمرى ، لقد كُلفتُ وجداً بأحمدٍ وإخوته دأبَ المحبِّ المواسلِ)

٢٦٠

كُلفتُ بالبناء للمفعول والتشديد : مبالغه كُلفتُ به كلفنا من باب تعب : إذا أحببته وأولعت به ؛ ووجداً أى كلفَ وجد ، يقال وجدت به وجداً : إذا حزنت عليه . وبأحمد متعلق بكُلفتُ ؛ وهو اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم — ويجوز أن يكون من كلفته الأمر فتكلفته ، مثل حملته فتحمله وزنا ومعنى مع مشقة ، فوجداً مفعوله الثانى ؛ وبدون التضعيف متعدّ لواحد ، يقال كُلفتُ الأمرَ من باب تعب : حملته على مشقة . وأراد بإخوته أولاده جعفرًا وعقيلًا وعليًّا رضى الله عنهم ؛ فإن أبا طالب كان عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والعمّ أب فأولاده إخوة النبي صلى الله عليه وسلم . ودأب مصدر منصوب بفعله المحذوف أى ودأبت دأب المحبّ ، يقال فلان دأب فى عمله : إذا جدّ وتعب .

(فلا زالَ فى الدنيا جَمالاً لأهلها وزيناً لمن ولّاه دَبَّ المشاكرِ)

الدَّبّ : الدفع ؛ والمشاكل : جمع مُشكلة .

(فمن مثله فى الناس ! أى مؤمِّل إذا قاسه الحكماء عند التفاضل !)

« أى » هى الدالة على الكمال ، خبر مبتدأ محذوف أى هو ؛ والمؤمِّل الذى يُرجى لكل خير : والتفاضل بالضاد المعجمة ، وهو التغالب بالفضل .

(حلِيمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ يُوالى إلهاً ليس عنه بغافل)

أى هو حليم . والطَّيِّش : التزق والخفّة : ويوالى إلها أى يتخذها ولياً ، وهو فاعيل بمعنى فاعل . من وليه : إذا قام به . ومنه : (الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) .

(فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِينًا حَقَّهُ غَيْرِ نَاصِلٍ)
الحقّ : خلاف الباطل ، وهو مصدر حقّ الشيء من باب ضرب وقتل :
إذا وجب وثبت . والناصل : الزائل المضطرب ، يقال فصل السهم : إذا خرج منه النصل ؛ ونصل الشعر ينصل نصولاً : زال عنه الخضاب .

(فَوَاللَّهِ ، لَوْلَا أَنْ أَحْيَى بُسْبِيَّةً تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْقِبَائِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرِ قَوْلِ التَّهَازُلِ)
تقدّم شرحهما أولاً^(١)

(لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مَكْذَبَ لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ)
فى النهاية : « يقال عُنيَتْ بِحَاجَتِكَ أُعْنِيْ بِهَا فَأَنَا بِهَا مَعْنَى ، وَعُنِيَتْ بِهَا فَأَنَا عَانٍ ، وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ ، أَى اِهْتَمَمْتُ بِهَا وَاشْتَغَلْتُ » انتهى . وهو من باب تعب .

(فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فِي أَرْوَمَةٍ يَقْصُرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمَتَاوَلِ)
تنوين أحمد للضرورة . والأرومة بفتح الهززة وضم الراء المهملّة : الأصل .
والسورة بالضم : المنزلة ، وبفتح السين السطوة والاعتداء . والمتناول من الطول بالفتح ، وهو الفضل ، وهذا بالنسبة إلى المنزلة ؛ أو من تناول عليه : إذا قهره وغلبه ، وهذا بالنسبة إلى السطوة .

(١) انظر ما سبق فى ص ٥٦ من هذا الجزء

(حَدِثْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتِهِ وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذِّرَا وَالْكَلَاكِلِ)

٢٦١

حَدَّثَ عَلَيْهِ كَفَرَحَ وَتَحَدَّبَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِمَعْنَى تَعَطَّفَ عَلَيْهِ ، وَحَقِيقَتُهُ جَعَلَ
نَفْسَهُ كَالْأَحَدِ بِالْإِنْخَاءِ أَمَامَهُ لِيَتَلَقَّى عَنْهُ مَا يُؤْذِيهِ . وَدُونَهُ أَمَامَهُ . وَالذِّرَا
بِالضَّمِّ : أَعَالَى الشَّيْءِ ، جَمْعُ ذُرْوَةٍ بِكَسْرِ الذَّالِ وَضَمِّهَا . وَالْكَلَاكِلِ : جَمْعُ
كَلَكَلٍ كَجَعْفَرٍ ، بِمَعْنَى الصَّدْرِ .

(تَنْبِيْهِ)

رواية هذه القصيدة كما سطرت نقلتها من سيرة الشامي^(١) ، ورواها
ابن هشام في السيرة أزيد من ثمانين بيتا^(٢) ، ومطلعها عنده :
ولما رأيت القوم لاودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
ولم يذكر البيتين الأولين مطلع القصيدة في رواية الشامي ، ولا تعرض
لها السهيلي بشيء .

أبو طالب

و (أبو طالب) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وناصره . ولد قبل النبي
صلى الله عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة . ولما مات عبد المطلب وصى بالنبي
صلى الله عليه وسلم إليه ، فكفّله وأحسن تربيته ؛ وسافر به إلى الشام وهو
شاب ؛ ولما بعث صلى الله عليه وسلم قام بنصرته وذب عنه من عاداه ،
ومدحه عدة مدائح .

واسمه عبد مناف على المشهور ، واشتهر بكنيته ؛ وقيل : اسمه عمران ،

(١) هو محمد بن علي بن يوسف الشافعي الشامي المتوفى سنة

٦٠٠ . انظر كشف الظنون ٢ : ٣٩

(٢) وفي رواية أبي هفان لديوانه ١٠٩ بيتا .

وقيل : شَيْبَة . قال الواقدي : وتوفي أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة .

واختلف في إسلامه ، قال ابن حجر : رأيتُ لعلّ بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب ، وزعم أنه كان مسلماً ومات على الإسلام ، وأن الحشوية تزعم أنه مات كافراً ، واستبدل لدعواه بما لا دلالة فيه . انتهى .

ومن شعره قوله :

ودعوتني وزعمت أنك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ قبلُ أمينا
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمد من خير أديان البرية دينا
ومن شعره الذي قاله وهو في الشعب :

ألا أبلغا عني على ذاتِ بيننا لؤياً وخُصّاماً من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسىٰ خطّ في أوّل الكتب
وأنَّ عليه في العباد مودّةً وخيرَ فيمن خصّه الله بالحب^(١)
وهي قصيدة جيّدة على هذا الأسلوب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والتسعون^(٢) :

(١) كذا في النسختين . وفي السيرة والروض الأنف ١ : ٢٢١ :
« ولا خير ممن خصه الله بالحب » . وقد أفاض السهيلي في تخريج البيت على هذه الرواية

(٢) ابن يعيش ١ : ١١٦ والأغانى ١٤ : ٤٠ ، ٤١ والحماسة ٨٧٥
بشرح المرزوقي ، ومعجم البلدان (زاوند) ومعجم ما استعجم (خزاقي)
وشرح الشريشي للمقامات ٢ : ١٨٧ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٧٢
وفتوح البلدان للبلاذري ٤٥٤

٩٢

﴿ أَجِدَّ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَا كَمَا ﴾

على أن (جِدَّ كَمَا) ليس مصدراً مؤكّداً لقوله : (لا تقضيان) بل هو إمّا منصوب بنزع الخافض ، وإمّا حال ، وإمّا مصدر حذف عامله وجوبا .

أما كونه ليس مؤكّداً لمضمون الجملة بعده فاشيئين : الأول : أن قوله أَجِدَّ كَمَا لو جعل مؤكّداً لمضمون ما بعده لكان مؤكّداً لمضمون المفرد وهو الفعل فقط ، لا لمضمون الجملة ، كما بيّنه الشارح . والثاني : أنه إنمّا يكون المصدر مؤكّداً لغيره إذا أكّد معني القول الذي هو مضمون الجملة ، ولا يجوز أن يقدّر أَجِدَّ كَمَا أقول لا تقضيان ، لفساد للمعنى ؛ لأن القول من المتكلم ، وعدم القضاء من المخاطب .

٢٦٢

وأما كونه منصوباً بنزع الخافض فلاّنه في معني 'حقاً' ، وهو على تقدير في ، وجدك وحقاً متقاربان معني ، فالأ نسب تقاربهما في الإعراب أيضا .
وأما كونه حالاً فمعناه : لا تقضيان كرا كما جلاّين ، فعامل الحال الفعل الذي بعدها ، وصاحبها ضمير التثنية .

وأما الثالث فهو مؤكّد لنفسه ؛ لأنه أكّد مضمون المفرد لا مضمون الجملة ، لأنه أكّد الفعل بدون الفاعل ، والفعل يدلّ وحده على الحدث والزمان . هذا محصل كلامه . والحالية لا تطرّد في كل موضع ، ولهذا ذهب الإمام المرزوقي في شرح فصيح ثعلب ، إلى أن انتصاب أَجِدَّ كَمَا إمّا بنزع الخافض وإمّا بفعله المحذوف .

والفهم من كلام ابن جني على هذا البيت في إعراب الحماسة : أن أَجِدَّ كَمَا منصوب بفعله المحذوف . لكنّ جملة لا تقضيان حالاً غير جيّد ، لأنها مقيدة وجِدَّ كما قيدت لها ، والمقيد هو أصل الكلام . ثم جوابه عن إيراد

على جملة الجملة حالا أنها مصدرّة بعلم الاستقبال ، بأن الشاعر أراد امتداد الحال فلما لاحظ حال الاستمرار والاستقبال أتى بلا ، غير صحيح ؛ فإن لا ليست للاستقبال على الصحيح ، والمضارع المنقُى بها يقع حالا نحو : (ما لكم لا ترجون لله وقارا) . وقد تعسف أيضاً في نحو « أجِدَّكَ لا تفعل » بأنه على إرادة استمرار حكاية الحال الممتدة فيما مضى .

قال أبو حيان في الارشاف : ولا تفعل عند أبي على حال أو على إضمار أن تخذف أن وارفع الفعل .

واعلم أن صنيع الشارح المحقق ، فيه رد لمن جعل — كابن الحاجب — أجِدَّكَ لا تفعل كذا ، من قبيل المصدر المؤكّد لغيره ، قال ابن الحاجب في الإيضاح : « أصله لا تفعل كذا جدياً ، لأن الذي ينبغى الفعل عنه يجوز أن يكون بجدّ منه ويجوز أن يكون من غير جدّ فإذا قال : جِدّاً فقد ذكر أحد المحتملين ؛ ثم أدخلوا همزة الاستفهام إيذاناً بأن الأمر ينبغى أن يكون كذلك ، على سبيل التقرير ؛ فقدّم المصدر من أجل همزة الاستفهام فصار : أجِدَّكَ لا تفعل ، ثم لما كان معناه تقرير أن يكون الأمر على وفق ما أخبر صار في معنى تأكيد كلام المتكلم ، فيتكلّم به من يقصد إلى التأكيد وإن كان ما تقدم هو الأصل الجارى على قياس لفهم . ويجوز أن يكون معنى أجِدَّكَ في مثله : أتفعله جدياً منك ، على سبيل الإنكار لفعله جدياً ، ثم نهاه عنه أو أخبر عنه بأنه لا يفعل ، فيكون أجِدَّكَ تأكيداً لجملة مقدرة دلّ سياق الكلام عليها . وما يدلّ على أنهم يقولون أفعله جدياً قول أبي طالب :

إذن لاتبعناه على كل حالة . . البيت »

هذا كلامه . وقوله « ثم نهاه عنه » يفهم منه أن أجِدَّكَ يقع بعدها النهى ،

وكذا قول بعضهم ، أَجْدَكَ هل تفعل كذا ، يفهم منه أن الاستفهام يقع بعده .
وقد قال الشارح المحقق : إن أَجْدَكَ لا يستعمل إلا مع النفي . ولم أر هذا
التقييد لغيره ، وظاهره : سواء كان النافي لا أو ما أو لن ؛ كقوله :

أَجْدَكَ لَنْ تَرَى بِشُعْلِبَاتٍ وَلَا بَيْدَانَ نَاجِيَةً ذَمُولاً^(١)
أو لم ، كقول الأعشى :

أَجْدَكَ لَمْ تَقْتَمِضْ لَيْلَةً فَتَرَقَدَهَا مَعَ رُقَادِهَا

٢٦٣

فإن قلت : قد وقع بعدها الاستفهام في هذا البيت الذي أورده ثعلب
في فصيحه وهو :

أَجْدَكَ مَا لَعْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّ جَفُونَهَا فِيهَا كِلَامُ

قلت : النفي الذي يقع بعد أَجْدَكَ موجود وهو قوله لَا تَنَامُ ؛ والاستفهام
الثاني سؤال عن علة عدم نوم عينه ، ومثله قول كعب بن مالك الصحابي
رضي الله عنه في غزوة الطائف :

أَجِدُّهُمْ أَلَيْسَ لَمْ نَصِيحُ مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ لَنَا عَرِيفاً^(٢)

يُخْبِرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَعْنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالْبُحْتِ الطَّرُوفَا^(٣)

وفي الارتشاف : ولا يستعمل أَجْدَكَ إلا مضافاً ، وغالباً بعده لا أو لم
أو لن . وفي النهاية لابن الخباز قال الأعشى :

(١) للمرار بن سعيد الفقي كما يفهم من اللسان (نشخ ٣٣٩) .
وأشدة ثعلب في مجالسه ١٥٩ وياقوت في (ثعلبات) بدون نسبة .
ويعليبات وبيدان : موضعان .

(٢) ش : « من الا ٠٠٠ » ، وتكملة « الأقوام » من ط والسيرة ٨٧٠
وفيها أيضاً : « بنا عريفا » .

(٣) في السيرة : « والنجب الطرؤفا »

* أَجَدَّكَ وَدَّعْتَ الدُّمَى' وَالْوَلَانْدَا' (١) *

وَدَّعْتَ مَوْجِبٌ ، وَجَاءَ مَعَ لَا كَثِيرًا . ١ هـ

وقد ذكر صاحب الصحاح وغيره : أن أَجَدَّكَ يجوز في جيمه الكسر والفتح ، لكن الكسر هو الفصحح ، ولهذا قال ثعلب في فصيحه : وما أُنَاكَ أَجَدَّكَ فمكسور وما أُنَاكَ وَجَدَّكَ مفتوح (٢) . وهو من الجِدِّ ضد الهزل ، وأصله من الجِدِّ في الأمر بمعنى الاجتهاد فيه ، لأنَّ الهازل لا يبذل الاجتهاد في شيء . وأغرب صاحب القاموس حيث جعله من جَادَهُ بمعنى حاققه ، ثم قال « وَأَجَدَّكَ لَا تَفْعَلْ ، لَا يُقَالُ إِلَّا مُضَافًا ، وَإِذَا كَسَرَ اسْتَحْلَفَهُ بِحَقِيقَتِهِ ، وَإِذَا فَتَحَ اسْتَحْلَفَهُ بِبُخْتِهِ » انتهى . وهذا شيء انفرد به ، وكأنه جنح لما ذهب إليه الثلويين حيث زعم أن فيه معنى القسم ، ولذلك قدَّم .

وهذا المصراع من شعر لُقْسَ بْنَ سَاعِدَةَ . وهو :

(خَلِيلِيْ هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتَمَا « أَجَدَّكُمْ لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا »
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بِسَمْعَانِ مَفْرَدًا وَمَالِي فِيهِ مِنْ خَلِيلٍ سِوَاكَمَا
مَقِيمٌ عَلَى قَبْرِيْكَمَا لَسْتُ بَارِحًا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يَجِيبُ صَدَاكَمَا
أَبْكِيْكَمَا طَوَلَ الْحَيَاةِ ، وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَيَّ ذِي لَوْعَةٍ أَنْ يَبْكََاكَمَا
كَأَنَّكُمْ ، وَالْمَوْتَ أَقْرَبُ غَائِبٌ (٣) بَرُوحِي فِي قَبْرِيْكَمَا قَدْ أَتَاكَمَا

(١) ط : « والولاند » ، صوابه في ش والديوان ٤٨ . وعجزه :

وَأَصْبَحْتَ بَعْدَ الْجُورِ فِيْهِنَّ قَاصِدًا *

(٢) نص الجوهرى : « قَالَ ثَعْلَبُ : مَا أُنَاكَ فِي الشَّعْرِ مِنْ قَوْلِكَ

أَجَدَّكَ فَهُوَ بِالْكَسْرِ ، فَذَا أُنَاكَ بِالْوَاوِ وَجَدَّكَ فَهُوَ مَفْتُوحٌ ،

(٣) في الأغاني وشرح المقامات : « أَقْرَبُ غَايَةً » .

أَمِنْ طُولِ نَوْمٍ لَا تَجِيْبَانِ دَاعِيَا كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعُقَارَ سَقَا كَمَا !

فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَايَةً لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَا كَمَا !

في سيرة ابن سيّد الناس بسنده إلى ابن عباس في حديث الجارود ابن عبد الله لما قدم مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة ، والحديث طويل ، إلى أن قال ابن عباس : وقام رجل أشدق أجش الصوت فقال : لقد رأيت من قس عجبا : خرجت أطلب بعيراً لي حتى إذا غمس الليل وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بي هاتف يقول :

يَا أَيُّهَا الرَّاقِدُ فِي اللَّيْلِ الْأَحْمَ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا فِي الْحَرَمِ

مِنْ هَاشِمٍ أَهْلُ الْوَقَارِ وَالْكَرَمِ يَجْلُو دُجَنَاتِ اللَّيَالِي وَالْبَهَمِ

قال : فأدرت طرفي فما رأيت [له ^(١)] شخصا ، فأنشأت أقول :

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ فِي دُجَى الظُّلَمِ ^(٢) أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ طَيْفِ أَلَمِ

بَيْنَ هَذَاكَ اللَّهُ ، فِي لَحْنِ السَّكِيمِ مَنْ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ تَقْتَمِ

فإذا أنا بنخنة وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحبور ؛ صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمغفر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقر ، والطرف الأحور ؛ صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فذاك محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر . ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث

(١) التكملة من مخطوطة عيون الأثر لابن سيّد الناس رقم ١٧٦

تاريخ بدار الكتب وفي المطبوعة من عيون الأثر كما هنا .

(٢) الذي في سيرة ابن سيّد الناس : « داجي الظلم »

(٦) خزانة الأدب ج ٢

وَلَمْ يُخَلِّنا سُدَى مِنْ بَعْدِ عَيْسَى وَكَثُرَتْ
أَرْسَلْ فِينَا أَحْمَدًا خَيْرَ نَبِيِّ قَدْ بُعِثَ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا حَجَّ لَهُ رَكْبٌ وَحَثَّ

قال : ولاح الصباحُ فإذا أنا بالفنيق ، يشقشق إلى النوق ؛ فملكت
خطامه وعلوت سنامه ؛ حتى إذا لُفب فتزلتُ في روضة خِصرة ؛ فإذا أنا بقُسَّ
ابن ساعدة في ظل شجرة ، وبيده قضيبٌ من أراكٍ ينكتُ به الأرض
وهو يقول :

يَا نَاعَى الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتُ فِي جَدَثٍ عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَرْزُمٍ خِرَقُ
دَعْمُهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ فَهُمْ إِذَا اتَّبَعُوا مِنْ نَوْمِهِمْ فَرَقُوا
حَتَّى يَعُودُوا لِحَالٍ غَيْرِ حَالِهِمْ^(١) خَلَقًا جَدِيدًا كَمَا مِنْ قَبْلِهِ خُلِقُوا
مِنْهُمْ عِرَاءٌ ، وَمِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ : مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْمُنْهَجُ الْخَلْقُ

قال : فدنوتُ منه فسَلَّمْتُ عليه فردَّ عليَّ السلام ؛ وإذا [أنا^(٢)] بعين
خرارة في أرض خوارة ؛ ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين يلوزان به ؛
وإذا بأحدهما قد سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء . ففصر به
بالقضيب الذي في يده وقال : ارجعْ نِكِلْتِكَ أَمْك ! حَتَّى يَشْرَبَ الَّذِي وَرَدَ
قَبْلَكَ ؛ فَرَجَعَ ثُمَّ وَرَدَ بَعْدَهُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ قَالَ : هَذَانِ قَبْرَا
أَخَوَيْنِ كَانَا لِي ، يَعْبُدَانِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعِيَ فِي هَذَا الْمَكَانِ لَا يَشْرِكَانِ بِاللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا ، فَأَدْرَكَهُمَا الْمَوْتُ فَقَبَرْتَهُمَا ، وَهَذَا أَنَا بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا حَتَّى أَلْحَقَ
بِهِمَا ! ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِمَا وَجَعَلَ يَقُولُ :

(١) فَيُعْيُونَ الْآثَرُ : « بِحَالٍ غَيْرِ حَالِهِمْ »

(٢) مِنْ عِيُونَ الْآثَرِ .

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتَمَا أَجِدْكَ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا

... الأبيات السابقة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله قَسَا إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَبْعَثَهُ اللَّهُ أُمَّةً وَحْدَهُ . انتهى .

الأمة : الشخص المنفرد بدين ، أى يُبْعَثُ واحداً يقوم مقام جماعة .
والأَجَشُّ : الغليظ الصوت . وَعَسَمَسَ الليل : أدبر ؛ ويأتى بمعنى أقبل ،
فهو ضد . والأَحْمُ : الأسود . والدُّجْنَةُ بضمتين وتشديد النون : الظلمة ،
وكذلك البُهْمَةُ وجمعها بِهِم . ولحن القول ، قال الأزهرى : هو كالعنوان
والعلامة تشير بها فيفطن المخاطب لفرضك . والنجيب : الكريم من الإبل .
والحاجب الأقر : أراد أنه مفروق ما بين الحاجبين فيكون أبلج نيراً .
والفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذى لا يُركب ولا يُهان لكرامته .
ويشقشق : يهدر بشقيقته . ولَغَبَ : تعب . والعين الخمرارة : الغزيرة النَّبْعُ ،
من الخمر وهو صوت الماء . والأرض الخلوارة : اللينة السهلة ، من خاربخور :
إذا ضعف .

٢٦٥

وَهُبَا : أمر مسند إلى ضمير الخليلين ، من الهبَّ ، يقال هبَّ من نومه
من باب قتل : إذا استيقظ . وطالما : قال التبريزى فى شرح الحماسة : إن
جُعِلَتْ ما مصدرية كُتِبَتْ منفصلة ، وإن جعلت كافة فتصلة . والرقود :
النوم فى ليل أو نهار ، وخصّه بعضهم بنوم الليل ؛ والأوّل هو الحق ،
ويشهد له المطابقة فى قوله تعالى : (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) قال
المفسرون : إذا رأيتهم حسبتهم أيقاظاً لأن أعينهم مفتحة وهم نيام . وتقضيان :
من قضيت وطرى : إذا بلغتته ونيلته . والكرى : النوم ؛ قالوا : أوّل النوم
النُعاس ، والوسن ثقل النعاس ، ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس للعين ،

ثم الكرى والغص وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ، ثم المهجود والمهجوع ، وهو النوم الغريق .

وسحمان بفتح السين . موضع . وبارحاً بالموحدة والمهملة : فاعل من برح الشيء يبرح من باب تعب براحاً : إذا زال من مكانه . وطوال الليالي بفتح الطاء بمعنى الطول بضمها ، وهو منصوب على الظرفية ؛ يقال : لا أكله طوال الدهر وطول الدهر ؛ وهما بمعنى ؛ يريد إننى مقيم أبداً . وأوبعنى إلى ، أو بمعنى إلا ، ويجيب منصوب بأن بعدها . والصدى هنا بمعنى ما يبقى من الميت فى قبره ، ومنه قول النمر بن تولب الصحابي رضى الله عنه :

أعاذل ، إن يصبح صدأى بقفرة بعيداً نأنى صاحبي وقريبي
ترى أن ما أبقيت لم أكرهه وأن الذى أفنقت كان نصيبي

وله معانٍ أخر : أحدها ذكر البوم ؛ ثانيها : حشوة الرأس ، يقال لذلك الهامة والصدى ، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية : أن الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يدرك به النار ، أنه يخرج من رأسه طائر كالبلومة وهى الهامة والذكر الصدى — فيصيح على قبره : اسقونى اسقونى ! فإن قُتل قاتله كف ذلك الطائر . قال :

يا عمرو إن لا تدع شتى ومنقصبى أضربك حتى تقول الهامة أسقونى^(١)

ثالثها : ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمسح من الأرض أو بقرب جبل . رابعها : بمعنى العطش ، مصدر صدى يصدى — والصدأ بالهمزة : صدأ الحديد وما أشبهه ، كذا فى الكامل للبرد .

(١) لذى الاصبع العدواني فى المفضليات ١٦٠ . ويروى : « حيث

تقول الهامة »

وأبكيكما ، قال الأصمى : بكيت الرجل وبكيت بالتشديد ، كلاهما إذا بكيت عليه . وما اسم استفهام مبتدأ ، والذي خبره ، أو بالعكس ؛ والمعنى : أى شيء الذى يردّ البكاء على ذى اللوعة ؟ وهى الحرقه . وروى (ذى عولة) وهى رفع الصوت بالبكاء بمعنى العويل . أن بكاكما : بفتح الهمزة مصدرية ومؤوّلا فاعل يردّ ؛ وروى بكسر الهمزة ، فهى شرطية والجواب مدلول عليه بأبكيكما ، وفاعل يردّ ضمير مفهوم من أبكيكما وهو البكاء ، ويجوز أن يكون دلّ عليه قوله أن بكاكما . وقوله كأنكما الخ . كأنّ هنا للتقريب ، وجلة قد أنا كما خبر كأنّ ، وفاعل أنى ضمير الموت ، والظرفان متعلقان به ، وجلة والموت أقرب غائب ، اعتراضية . والعقار بالضم : الحمر .

٢٦٦

والفِدَى بكسر الفاء وفتحها وبالقصر : مصدر فداء من الأسر يفديه : إذا استنقذه بمال ، واسم ذلك المال الفدية وهو عِوَضُ الأسير ؛ وأما الفداء بالكسر والمدّ فمصدر فاديته مفاداة وفداء : أخذت فديته وأطلقتة ؛ وقال المبرد : المفاداة : أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً ، والفدى : أن تشتريه ، وقيل هما واحد .

(تنبيه)

أورد أبو تمام فى الحماسة هذه الأبيات على غير هذا النمط وقال :
ذكروا ان رجلين من بنى أسد خرجا إلى أصهبان ، فأخيا بها دهقاناً
فى موضع يقال له راوند ، فمات أحدهما وبقى الآخر والدهقان ينادمان قبره
ويشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً ؛ فمات الدهقان فسكر الأسد
ينادم قبريهما ويشرب قدحاً ويصب على قبريهما قدحين ، ويترنم بهذا الشعر :

خَلِيلِيْ هَبَا طَالَمَا قَدْ رَقْدْتَمَا الْبَيْتِ
 أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِيْ بِرَاوَنْدٍ كُلَّهَا وَلَا بِخُزَّاقٍ مِنْ صَدِيقٍ سِوَا كَمَا ؟
 أَصَبُّ عَلَى قَبْرِيكَا مِنْ مُدَامَةٍ فَلَا تَنَالَاهَا تَرَوْا جُنَا كَمَا
 أَقِيمْ عَلَى قَبْرِيكَا الْبَيْتِ
 وَأَبْكِيكَا حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا الَّذِي الْبَيْتِ
 جَرَى النُّوْمُ بَيْنَ الْجُلْدِ وَاللَّحْمِ مِنْكُمْ كَأَنَّكُمْ سَاقِي عُقَارٍ سَقَا كَمَا

وروى الأصهباني في الأغاني بسنده إلى يعقوب بن السكيت ، أن هذا الشعر لميسى بن قدامة الأسدى ، قديم قاشان وله نديمان ، فإنا فكان يجلس عند قبريهما وهما براوند بموضع يقال له خُزَّاق ، فيشرب ويصب على القبرين حتى يقضى وطره ثم ينصرف ، وينشد وهو يشرب - وروى ما رواه أبو تمام^(١) ، وزاد عليه .

«تَحْمَلُ مِنْ بَيْغِ الْقُفُولِ وَغَادِرُوا»^(٢) أَخَالَكُمْ أَشْجَاهُ مَا قَدْ شَجَاكُمْ
 وَأَيُّ أَخٍ يَجْفُو أَخًا بَعْدَ مَوْتِهِ فَلَسْتُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِ جِفَاكُمْ
 أَنَادِيكُمْ كَيْمَا تَجِيْبَا وَتَنْطِقَا وَلَيْسَ مُجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكُمْ
 قَضَيْتُ بِأَنِّي لَا مَحَالَةَ هَالِكٌ وَأَنْتِ سَيَعْرُونِ الَّذِي قَدْ عَرَاكُمْ

وروى الأصهباني أيضاً بسنده إلى عبد الله بن صالح البجلي^(٣) أنه قال :

(١) فيه نظر ، فإن هناك تخالفاً في الرواية وعدد الأبيات . انظر الأغاني ١٤ : ٤١

(٢) ط : « العقول » ، صوابه في ش . وفي الأغاني : « من يهوى العقول » .

(٣) وكذا في ش . وفي الأغاني عن البلاذري : « عبد الله بن صالح ابن مسلم العجلي » . ونحوه في فتوح البلدان للبلاذري ٤٥٤

بلغني أن ثلاثة نفرٍ من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج إلى الديلم ، وكانوا يتنادمون ولا يخالطون غيرهم ، وإنهم لَعَلَّيْ ذلك إذ مات أحدهم ، فدفنه صاحبه ، فكانا يشربان عند قبره فإذا بلغه الكأسُ هراقها^(١) على قبره وبكى . ثم إنَّ الثاني مات فدفنه الباقي إلى جنب صاحبه ؛ وكان يجلس عند قبريهما فيشرب ويصبُّ كأسين عليهما ويبكى ويقول ثم ذكر الأبيات التي تقدم ذكرها ، وقال مكان (براوند) : (بقزوين^(٢)) . قال : وقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء .

قال الأصمهاني : وذكر العتبي عن أبيه أن الشعر للحزين بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة ؛ وكان أحدُ نديميه من بني أسد ، والآخرُ من بني حنيفة فلما مات أحدهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول :

لا تُصَرِّدْ هامةً من كأسِها وأسقِ الحمرَ وإن كان قبرُ
كان حُرّاً ، فهو فيمن هو كلُّ عودٍ ذي شُوب ينكسرُ

٢٦٧

ثم مات الآخر فكان يشرب على قبريهما ويقول :

خليلى هباً طالما قدر قدتما . . الأبيات

وأما أبو عبيد في معجم ما استعجم ، وياقوت في معجم البلدان ، فقد نسبوا هذه الأبيات للأسدَيَّ وذكرها حكايته كأبي تمام ؛ ثم قال ياقوت : وقال بعضهم : إن هذا الشعر لقس بن ساعدة في خليلين له كانا وماتا . وقال آخرون

(١) ط : « هرق » ش « هرقا » ، صوابهما في الأغاني وفتوح

البلدان

(٢) في النسختين : « وقال : خزاك مكان براوند بقزوين » صوابه من الأغاني ومن صنيع البلاذري

هذا الشعر لنصر بن غالب يرثى به أوس بن خالد [وأنسا^(١)] ، وزاد في الأبيات وتقص ؛ وهذه روايته بعد البيت الأول :

أَجِدُّكَ كَمَا مَا تَرِثِيَانِ لِمَوَجِّعٍ حَزِينٍ عَلَى قَبْرِيكَمَا قَدْ رَثَا كَمَا
جَرَى النُّومُ بَيْنَ الْعِظْمِ وَالْجِلْدِ مِنْكُمْ الْبَيْتِ
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَاوَنْدٍ كُلُّهَا الْبَيْتِ
أَصْبُ عَلَى قَبْرِيكَمَا مِنْ مُدَامَةٍ فَلَا تَذَوَّقَاهَا ثُرُوءُ نَرَا كَمَا
أَلَمْ تَرْحَمَانِي أَنِّي صَرْتُ مَفْرَدًا وَأَتَى مُشْتَاقٌ إِلَيَّ أَنْ أَرَا كَمَا
فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَسْمَعَانِ فَمَا الَّذِي خَلِيلِي ، عَنْ سَمْعِ الدَّعَاءِ نَهَا كَمَا
أَقِيمْ عَلَى قَبْرِيكَمَا لَسْتُ بِارْحَا الْبَيْتِ
وَأَبْكِيكَمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي الْبَيْتِ

قال ياقوت « راوند : بليدة قرب قاشان وأصفهان ، قال حمزة : أصلها رهاوند ، ومنها الخير المضاعف . قال بعضهم : وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن بيوراسف^(٢) الضحاك » . انتهى .

وخزاق بضم الخاء وبالزاي^(٣) المعجمتين وآخره قاف : موضع في سواد أصفهان . كذا في المعجم لأبي عبيد ، وأنشد هذا البيت . ورأيت في هامشه بخط من يوثق به : خزاق اسم قرية من قرى راوند من أعمال أصفهان . والجننا بضم الجيم وبالثاء المثناة : جمع جنوة مثناة الجيم ، وهي الحجارة المجموعة ،

(١) التكملة من ياقوت

(٢) ط : « هراسف » ش : « شراسف » ، قال الميمني : « والصواب

كما في معجم البلدان : « بيوراسف ، وأصله بالفارسية بيورز أسب »

(٣) في النسختين : « والزاي » ، والتصحيح لاحمد تيمور .

والجسد . والدهقان معرّب دِهْجَان^(١) ومعناه رئيس القرية ؛ وفي القاموس :
الدهقان بالكسر والضم زعيم فلاّحي العجم ، ورئيس الإقليم ، معرّب .
وقوله « ألم تعلموا مالي .. الخ » ما : نافية ، قال ابن جني في إعراب الحماسة :
« استعمالها بعد العلم وهي مقتضية لمفعولها لما دخلها من معنى القسم ، فكأنه
قال : والله مالي براوند من صديق غير كما وجاز استعمال العلم في موضع القسم
من حيث كانا مثبتيّن مؤكّدين » انتهى .

وقس (قس بن ساعدة) إيادي بكسر الهمزة ، وإياد : حتى من معدّ بن عدنان .
قال الذهبيّ : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان في الصحابة .
وكذلك قال ابن حجر في الإصابة : ذكره أبو علي بن السكن وابن شاهين
وعبدان المروزيّ وأبو موسى في الصحابة ، وصرح ابن السكن بأنه مات
قبل البعثة .

وفي سيرة ابن سيّد الناس^(٢) بسنده إلى ابن عباس قال : قدم الجارود
ابن عبد الله ، وكان سيّدا في قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
والذي بعثك بالحقّ لقد وجدتُ صفّك في الإنجيل ، ولقد بشر بك
ابنُ البتول ؛ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنتَ محمد رسول الله . قال : فأمن
الجارود وآمن من قومه كلُّ سيّد . فسرّ النبي صلى الله عليه وسلم بهم ،
وقال : يا جارود ، هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسّا ؟ قالوا :
كلّنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين [يدي^(٣)] القوم كنت أقفو أثره ،

(١) أصله بالفارسية « دِهْكَان » بالكاف الفارسية كما في معجم

استبجناس ٥٤٩

(٢) سيرة ابن سيّد الناس ١ : ٦٩

(٣) التكملة من سيرة ابن سيّد الناس

كان من أسباط العرب^(١) فصيحاً ، عمر سبعمائة سنة ، أدرك من الحواريين
سمعان ، فهو أول من تأله من العرب - أى تعبد - كأني أنظر إليه يقسم
بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ؛
ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه اذكارٌ وليالٍ خلاهنَّ نهارُ
في أبيات آخرها :

والذي قد ذكرتُ دلّ على الله نفوساً لها هدىً واعتبار
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا جارود ، فلست أنساه
بسوق عكاظ على جبل أورق ، وهو ينكم بكلام ما أظن أني أحفظه . فقال
أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، فإني أحفظه : كنت حاضراً ذلك اليوم
بسوق عكاظ فقال في خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، فإذا وعيتم فانتفعوا ،
إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . . إلى آخر
ما أورده من الوعظ . انتهى .

والذي في كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني : عاش قس بن ساعدة
ثلاثمائة وثمانين سنة وقد أدرك نبينا صلى الله عليه وسلم ، وسمع النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ
على عصا ، وأول من قال أما بعد . وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب
[من فلان^(٢)] إلى فلان ابن فلان .

وقال المرزباني : « ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة » .

(١) جمع سبط ، وهو الحسن القد .

(٢) التكملة من ش والمعمرين ٦٩ .

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين^(١) قساً وقومه وقال : إن له وقومه فضيلة ليست لأحد من العرب ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته . . وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز عنه الأماني ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفق الله ذلك لقسّ لا حتاجه للتوحيد ؛ ولإظهاره الإخلاص ، وإيمانه بالبعث ومن ثمّ كان قسّ خطيب العرب قاطبة .

وفي نسبه خلاف . قيل : قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر^(٢) (وقيل : حذافة بن زهر) بن إياد بن نزار . وقيل : هو قس بن ساعدة بن عمرو ابن عدى بن مالك بن ايدعان بن النمر بن وائلة بن الطشان^(٣) بن عوذ بن مناة ابن يقدّم بن أفصى بن دُعَمَى بن إياد . وقيل : هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر ابن عدى بن مالك والله أعلم^(٤) .

* * *

وأنشد بعده :

(أَحَقَّابِي أَبْنَاءُ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلٍ تَهْدُدُكُمْ إِيَّايَ وَنُطْقُ الْمَجَالِسِ)

(١) هذا النقل تبع فيه البغدادى ما ذكره ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة (قس) حرفا بحرف . وهو متصرف فيه كثيرا . انظر البيان ٥٢ : ١

(٢) هذا النسب من المعمرين . وفى الإصابة : « بن جذامة بن زفر » .

(٣) وهذا النسب من الأغاني ، وفيها : « وائلة بن الطشان بن زيد مناة بن تهم » . الخ

(٤) فى الاشتقاق ١٦٩ : « وإياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد ، فألت عليهم الفرس فى الغارة فدخلوا الروم فتنصروا وجهل الناس أنسابهم » .

على أن (حقاً) ظرف منصوب بتقدير (فى)

وتقدم شرحه فى الشاهد الرابع والستين من باب المبتدأ (١).

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه (٢):

٩٣ (دعوتُ لِمَا نابى مِسُورًا فَلَبِّيْ ؛ فَلَبِّيْ يَدَى مِسُورِ)

على أن (لَبِيكَ) منيَّ عند سيبويه لا مفرد كدَى قلبت ألفها ياء
لَمَّا أُضيفت إلى المضمر ، خلافاً ليونس ، بدليل بقاء يائها مضافة إلى الظاهر
كما فى هذا البيت .

أما الأوّل فقد قال أبو حيان فى الارتشاف : ذهب الخليل وسيبويه
والجمهور إلى أن لَبِيكَ تنية لبّ . وحكى سيبويه عن بعض العرب لبّ على أنه
مفرد لَبِيكَ غير أنه مبنيّ على الكسر كأَمَس ، وعلّق لقلة تمكّنه ، ونصبه
نصب المصدر كأنه قال : إجابةً . وزعم ابن مالك أنه اسم فعل . وهو فاسد
لإضافته ؛ ويضاف إلى الظاهر تقول : لَبِيّ زيد ، وإلى ضمير الغائب قالوا :
لَبِيّه . ودعوى الشذوذ فيهما باطلة . انتهى .

٣٦٩

وهذا مخالف لما قاله ابن هشام فى المغنى : أن شرط مجرور لَبِيّ وسعدى
وحنانيّ (٣) ضمير الخطاب ، وشذّ :

(١) أنظر ما مضى ص ٤٠١ من الجزء الأول .

(٢) سيبويه ١٠ : ٧٦ . وأنظر العينى ٣ : ٣٨١ وابن السجرى

١ : ١١٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٠٧ واللسان (لب ٢٢٧)

(٣) ش مع أثر تصحيح : « وحنانا » ، وليس بشىء .

دعوني فيآلبي إذا هدرت لهم شقاشق أقوام فأسكتها بدري^(١)
لعدم الإضافة^(٢)، ونحو :

* لقلت لبيّه لمن يدعوني *

لإضافته إلى ضمير الغيبة ، كما شذّ إضافته إلى الظاهر في قوله :

* فليّ فليّ يدى مسور *

وأما (الثاني) فهو اسم مفرد مقصور عند يونس . قال ابن جني في سرّ الصناعة : « أصله عنده لبب ووزنه فعلل ، ولا يجوز أن تحمله على فعل لقلة فعل في الكلام وكثرة فعلل ، فقلبت الباء التي هي اللام الثانية من لبب ياء هرباً من التضعيف ، فصار ليّ ، ثم أبدل الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لبّاء ثم إنها لما وصلت بالكاف في لبّيك وبالهاء في لبيّه قلبت الألف ياء ، كما قلبت في على ولدى إذا وصلت بالضمير ، ووجه الشبه بينهما : أنه اسم ليس له تصرف غير من الأسماء ، لأنه لا يكون إلّا منصوباً

(١) جعلت في ش مع أثر تصحيح « هدرى » ، وهما روايتان .
ومن عجب أن الشنقيطي في نسخه من شرح شواهد المعنى للبغدادى ٢ : ٨٨١ نسخة دار الكتب رقم ٢ نحو ش يصححها أيضاً بهذا الرسم مع أن البغدادى يقول في تفسيرها هناك : « وبدري : مبادري ومسارعتي لأدفع عنهم » .

(٢) أقول : فيه نظر ، فإن الذى يفهم من سياق كلام ابن هشام أنّ ذلك شاذ لإضافته إلى ضمير المتكلم ، كما أن البيت الآتى شاذ لإضافته إلى ضمير الغيبة ، وهما خلاف ضمير الخطاب . وقد صرح الأمير وكذا الدسوقي في حاشيتيهما على المعنى بأنه مضاف إلى ياء المتكلم . وقال الدسوقي : الذال ساكنة ، ووقعت في النسخ « اذا » بفتح الذال . فيصدر البيت عندهما هكذا :

* دعوني فيآلبي إذ هدرت لهم *

ولا يكون إلا مضافاً ، كما أنَّ إليك وعليك ولديك لا تكون إلا منصوبة
المواضع ملازمة للإضافة ؛ فقلبوا ألفه ياء فقالوا : لَبَّيك (١) كما قالوا : عليك .
ونظير هذا كلا وكلتا في قلب ألفهما ياء متى اتصلت بضمير وكانت في موضع
نصب أو جر ، ولم يقلبوا الألف في موضع الرفع ياء لأنَّهما بعداً برفعهما
عن شبه عليك ولديك ، إذ كان لا حظَّ لمن في الرفع . واحتجَّ سيبويه
على يونس فقال : لو كانت ياء إليك بمنزلة ياء عليك ولديك لوجب متى أضفتها
إلى المظهر أن تقرأها ألفاً ، فلبَّي في هذا البيت بالياء مع إضافته إلى المظهر دلالة
على أنه اسم مثني .

وأجاب ابن جني في المحتسب : بأن من العرب من يبدل ألف المقصور
في الوقف ياء فيقول : هذه عصي ورأيت حُبُلِي ؛ ومنهم من يبدلها واواً فيه
أيضاً فيقول : هذه عصو وحُبَلُو ، وفي الوصل أيضاً نحو هذه حُبُلُو يا قتي ،
ومنه قراءة الحسن : (يَوْمَ يَدْعُو كُلُّ أُنَاسٍ) بضم الياء وفتح العين .
وعلى هذا التخريج يستقط قول سيبويه عن يونس . قال أبو علي : يمكن يونس
أن يقول : إنه أجرى الوصل بُجْرَى الوقف ، فكما يقول في الوقف : عصي وقِي ،
كذلك قال : فلبَّي ، ثم وصل على ذلك . هذا ما قاله أبو علي . وعليه يقال :
كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه ؟ وجوابه أن ذلك
قد جاء ، أنشد أبو زيد :

* ضَخْمٌ نِجَارِي طَيِّبٌ عُصْرِي *

أراد عنصرى ، فنقل الراء لنية الوقف ثم أطلق ياء الإضافة من بعد .

(١) في النسختين : « إليك » ، صوابه من سر الصناعة مخطوطة

وإذا جاز هذا التوهم مع أن المضاف إليه مضمر ، والمضمر المجزور لا يجوز
تصور انفصاله ، فجوازه مع المظهر أولى ، من حيث كان المظهر أقوى
من المضمر . ومثله قوله :

* ياليتها قد خرجت من فمه *

أراد : من فيه ، ثم نوى الوقف على الميم فنقلها على حد قولهم في الوقف :
هذا خالد وهو يحمل ، ثم أضاف على ذلك . ويروى : من فم بضم الميم أيضا ،
وفيه أكثر من هذا . انتهى .

٢٧٠

فوزن لبيك عندهما (١) فمليك ، وعند يونس فَعَلَّكَ .

واعلم أن الشارح جوز أن يكون أصل لبيك إمّا « إلباين » [حذف (٢)]
منه [الزوائد وإمّا من لب بالمكان بمعنى أقام ، فلا حذف . وينبغي أن يكون
المأخوذ منه هذا ، فإنه لا تكلف فيه ، وفعله ووصفه ثابت ، أما الفعل فقد
روى الفضل بن سلمة في الفاخر : أنه يقال : لب بالمكان : إذا أقام فيه .
وأشد قول الراجز :

* لب بأرض ماخطأها الغنم (٣) *

وأما الوصف فقد قال صاحب الصحاح : ورجل لب أى لازم
للأمر ، وأشد :

* لباً بأعجاز المطى لاحقا *

(١) يعنى الخليل وسيبويه .

(٢) هاتان من ط ، وقد سقطتا من ش دون تبويض .

(٣) الشطر فى اللسان (لب ٢٢٧ س ٥) والفاخر ٤ بدون نسبة

ورجل لبيب مثل لبّ قال :

فقلت لها فيئى إليك فإنني حرام وإنى بعد ذاك لبيب^(١)

وقيل : هو بمعنى مُكَبِّ بالحج ، من التلبية و : حرام بمعنى مُحَرَّم ، و : بعد ذاك أى مع ذاك . وقيل : إنه مأخوذ من قولهم : دارى تلبُّ دارك أى تقابلها ؛ فيكون معناه : اتجأى إليك وإقبالى عليك . حكاهما المفضل فى الفاخر ، وأسند أولهما إلى الخليل عن أبى عبيد . وقيل : معناه إخلاص لك ، من قولهم : حسبُّ لباب .

واختلف فى « كاف » لبّيك ، فقال أبو حيان فى الارتشاف : وهى فى لبّيك وسعديك وخنانيك الواقع موقع الذى هو خبر ، فى موضع المفعول ؛ وفى دواليك وهذاذك وخنانيك إذا وقعت موقع الطلب ، فى موضع الفاعل . وذهب الأعم إلى أن السكاف حرف خطاب فلا موضع لها من الإعراب . وحذفت النون لشبه الإضافة . ويجوز استعمال لبّيك وحده ، وأما سعديك فلا يستعمل إلا تابعا للبيك . انتهى .

وقوله فى البيت (فلبي) هو فعل ماض ، من التلبية ، وفاعله الضمير العائد إلى (مسور) قال الشارح المحقق « وأما قولهم : لبي يلبّي فهو مشتق من لبّيك ، لأن معنى لبي : قال لبّيك ، كما أن معنى سبّح وسلم وبسل : قال سبحان الله ، وسلام عليك ، وبسم الله » .

وهذا مأخوذ من سر الصناعة لابن جني فإنه قال : « فأما حقيقة لبّيت عند أهل الصنعة فليس أصلُ يائه باء ، وإنما الياء فى لبّيت هى الياء فى قولهم :

(١) للمضرب بن كعب ، أو المخبل السعدى . اللسان (لب ٢٢٦)
وأما القالى ٢ : ١٧١ وشروح سقط الزند ١١٤٣

لبيك وسعديك ، اشتقوا من الصّوت فعلا مجمعا من حروفه ؛ كما قالوا من سبحان الله : سبّحت ، أى قلت سبحان الله ؛ ومن لا إله إلا الله : هلّلت ، ومن لا حول ولا قوّة إلا بالله : [حوّلّت و^(١)] حولّقت ؛ ومن بسم الله : بسملت ؛ ومن هلم - وهو مركب من ها ولم عندنا وهل وأمّ عند البغداديين - فقالوا : هلمّمت . وكتب إلى أبو عليّ في شيء سأله عنه قال : قال بعضهم : سألتك حاجة فلا ليّت لي ، أى قلت لي : لا ، وسألتك حاجة فلو ليّت لي ، أى قلت لي : لولا ، وقالوا : بأبأ الصبيّ أباه أى قال له بابا . وكذلك اشتقوا أيضا لبيّت من لفظ لبيك فجاءوا في لبيّت بالياء التى للتننية .

ثم قال ابن جنى : « وقول من قال : إن لبيّت بالحج إنما هو من قولنا ألّب بالمكان ، إلى قول يونس أقرب منه إلى قول سيبويه . ألا ترى أن الياء في لبيّك عند يونس^(٢) إنما هي بدل من الألف المبدلة من الياء المبدلة من الباء الثالثة في لبّ . انتهى .

وعندى أن التلبية من مادّة معتلة غير مادّة المضاعف ؛ ونظائره كثيرة مثل صرّ وصرّى ؛ فإن لبّي غير منحصر معناه في قال لبيّك ، بل يأتي بمعنى أقام ، ولازم مثل ألّب بالمكان ، قال طُفيل الغنوى ، أنشده المفضل في الفاخر :

رددن حصينا من عدى ورهطه وتيم تلبي في العروج وتحلب^(٣)
أى تلازمها وقيم بها .

(١) التكملة من سر الصناعة

(٢) ط : « عند سيبويه » ، وأثبت ما فى ش

(٣) الفاخر ص ٤ . والعروج : جمع عرج بالفتح ، للقطيع من

وقوله (لما نابني) اللام للتعليل . وأستشهد به صاحب الكشف
على أن اللام في قوله تعالى : (يَدْعُوكُمْ لِيَغْفَرَ لَكُمْ^(١)) تعليلية كما في هذا
البيت . و (مِسُورَ) بكسر الميم : اسم رجل . والفاء الأولى عطفت جملة لبي
على جملة دعوت ؛ والثانية سببية ومدخولها جملة دعائية ؛ يقول : دعوتُ
مِسُوراً لدفع ما نابني فأجابني ، أجلب الله دعاه !

قال الشاطبي في شرح الألفية : روى في بعض الأحاديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا دعا أحدكم أخاه فقال لبيك فلا تقولنَّ
لبي يديك ، وليقل أجابك الله بما تحب » . وهذا يشعر بأن عادة العرب
إذا دعت فأجبت بلبيك أن تقول : لبي يديك ؛ فهي عليه الصلاة والسلام
عن هذا القول وعوض منه كلاماً حسناً .

وقال الأعمى : « يقول : دعوت مِسُوراً لدفع نائبة نابتنى فأجابني بالعباءة
فيها وكفاني مؤنتها . وكأنه سأله في دية . وإنما لبي يديه لأنها الدافعتان إليه
ما سأله منه ؛ فخصهما بالتلبية لذلك » .

وهذا البيت من الأبيات الحسنة التي لا يُعرف لها قائل . وقريب منه
هذا البيت وهو :

دعوت قتي أجلب قتي دعاه بلبيبه أشم شمرذلي^(٢)

وأشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون ، وهو من أبيات س^(٣) :

(١) الآية ١٠ من سورة ابراهيم .

(٢) ط : « شمرذلي » صوابه قتي ش والحماصة ١٨١٧ بشرح

المرزوقي . والشمرذلي : الطويل .

(٣) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العيني ٣ : ٤٠١ والخصائص ٣ :

٤٥ والهمسج ١ : ١٨٩ والخصائص ١٣ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١١٩

ومجالس ثعلب ١٥٧ .

٩٤ (إِذَا شُقَّ بُرْدُ شُقٍّ بِالْبُرْدِ مِثْلُهُ دَوَالِيكَ حَتَّى كَلْنَا غَيْرُ لَابِسٍ^(١))

على أن (دواليك) منصوب بعامل محذوف .

قال : يقال دواليك أى تداول الأمر^(٢) دَوَالَيْنِ ؛ ظاهره أن دواليك بدل من فعل الأمر . وليس كذلك كما يعلم مما سيأتى .

اعلم أن دوالين مثنى دوال ؛ والدوال بالكسر : مصدر داوت الشيء مداولة ودوالاً ، وبالفتح : اسم مصدر . ورؤى بالوجهين ما أنشده أبو زيد في نواتره^(٣) لضباب بن سبيع بن عوف الحنظلي :

جَزَوْنِي بِمَا رَبَّيْتَهُمْ وَحَمَلْتَهُمْ كَذَلِكَ مَا أَنْ الْخَطُوبَ دَوَالُ

والتداول : حصول الشيء في يد هذا تارة وفي يد ذاك أخرى ؛ والاسم الدولة بفتح الدال وضمتها ، ومنهم من يقول : الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب ؛ ودالت الأيام مثل دارت وزناً ومعنى . و (دواليك) معناه مداولة بعد مداولة ؛ وثني لأنه فعل اثنين . قال الشاطبي : ولا تجوز إضافته إلى الظاهر ، لا تقول : دوالى زيد . وقال الأعمش : الكاف للخطاب ولذلك لم يتعرف بها ما قبلها .

وأنشد سيبويه هذا البيت على أن دواليك مصدر وضع موضع الحال .

(١) أغفل هذا الشاهد في طبعة شرح الرضى للكافية سنة ١٢٧٥ . انظر ١ : ١١٤ س ٦ وتختلف الرواية في قافيته ، فيروى أيضاً : « ليس للبرد لابس » كما عند سيبويه وغيره فيكون رويه مرفوعاً .

(٢) ط : « تدول » مع تشديد الواو ، وفي ش : « تدول » من غير شد ، وأثبت ما فى شرح الرضى ١ : ١١٤

(٣) النوادر ص ١١٥

ودلّ قوله : إذا شقّ برد ، على الفعل الذى نصّب دوايك ، أى نشقهما
متداولين ، بإظهار فعل له ولها يعمل فى دوايك . وروى :
(إذا شقّ برد شقّ بالبرد برقع)

يعنى أنه يشقّ برقعها وهى تشقّ برده . ومعناه : أن العرب يزعمون
أن المتحابين إذا شقّ كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد^(١) .
وقال أبو عبيدة : كان من شأن العرب إذا تجالسوا مع الفتيات للتغزل
أن يتعابثوا بشقّ الثياب لشدة المعالجة عن إبداء المحاسن . وقيل : إنما يفعلون
ذلك ليدكر كل واحد منهما صاحبه به . وقال العيني : كانت عادة العرب
فى الجاهلية أن يلبس كل واحد من الزوجين برد الآخر ، ثم يتداولان على
تخريقه حتى لا يبقى فيه لبس ، طلباً لتأكيد المودة . وقال الجوهري : يزعم
النساء إذا شقّ أحد الزوجين عند البضاع شيئاً من ثوب صاحبه دام الود
بينهما ، وإلا تهاجرا .

٢٧٢

و (شقّ) فى الموضعين بالبناء للفعول ، وبردٌ ومثله : نائباً الفاعل ،
والباء للمقابلة . والبرد : الثوب من أى شئ كان ، وقال أبو حاتم : لا يقال
له برد حتى يكون فيه وشى ، فإن كان من صوف فهو بردة . وحتى ابتدائية
وكلنا مبتدأ ، وغير لا بس خبره . وروى العيني : (لبس للبرد لا بس) كصاحب
الصباح . وهو غير صحيح ، فإن القوافى مجرورة . وأثبت صاحب الصحاح
(هذاذك) موضع (دوايك)^(٢) والصواب ما ذكرنا . وأنشده سيبويه أيضاً
كصاحب الصباح ، فيكون فيه إقواء .

(١) انظر لشق الثياب ما ورد فى صبح الأعشى ١ : ٤٠٧ ونهاية
الآرب ٣ : ١٢٦ وابن أبى الحديد ٤ : ٤٤١ .
(٢) وذلك فى مادة (هذذ) . ورواه أخرى فى (دول) برواية
سيبويه .

وهذا البيت من قصيدة لسُحَيمَ بنِ الحُصَاحِ . وأولها :
 (كَأَنَّ الصَّبِيرِيَّاتِ يَوْمَ لَقِينَا ظِلَاءَ حَنْتَ أَعْنَاقَهَا لِلْمَكَانِسِ أَيْبَاتُ الشَّاهِدِ
 وَهُنَّ بَنَاتُ الْقَوْمِ إِنْ يَشْعُرُوا بِنَا
 يَكُنُّ فِي ثِيَابِ الْقَوْمِ إِحْدَى الدَّهَارِسِ)^(١)

وقبل البيت الشاهد :

(فكم قد شققنا من رداء منيرٍ على طفلةٍ ممكورة غير عانس)
 قال ابن السيد : أراد بالصبريات نساء بنى صبيرة بن يربوع^(٢) . وحنت :
 أمالت . والمكانس : جمع مكنس بمعنى الكناس ، وهو موضع الظباء
 في الشجر يكتن فيه ويستتر ، وكنس الظبي يكنس بالكسر . والدَّهَارِسُ
 بفتح الدال : الدواهي ، جمع دَهْرَسٍ كجفَر ، والدَّهَارِسُ جمع الجمع . والرداء
 المنير : الذي له نير بالكسر ، وهو علم الثوب . وجارية طفلة بفتح الطاء
 أى ناعمة . والمناسب لقوله غير عانس أن يكون طفلة بكسر الطاء . والممكورة :
 المطوية اخلق من النساء ، يقال : امرأة ممكورة الساقين أى جدلاء مفتولة .
 وقال ابن السيد : الممكورة : الطويلة اخلق . والمانس بالنون ، في الصحاح :
 « عَنَسَتِ الْجَارِيَةُ تَعْنُسُ عَنُوسًا وَعِنَاسًا فَهِيَ عَانَسٌ ، وَذَلِكَ إِذَا طَالَ مَكْنَاهَا
 فِي مَنَازِلِ أَهْلِهَا »^(٣) بعد إحدا كها حتى خرجت من عداد الأبكار ، وهذا
 ما لم تزوج فإن تزوجت مرة فلا يقال عَنَسَتْ . يقول : إِذَا شَقَّ هَؤُلَاءِ

(١) ط : « ثبات » ، صوابه في ش . وفي الديوان ١٥ والمعنى :
 « يكن في بنات القوم » وفي أمالي الزجاجي ١٣١ :
 « يكن بنات القوم »

(٢) في النسختين : « صبيرة » ، صوابه في الاشتقاق ٢٢١ وجمهرة
 أنساب العرب ٢٢٤ والمعنى :

(٣) في الصحاح : « منزل أهلها »

النساء اللاتي يلعبن معي بُردى شققت أنا أيضا أرديتهن وبراقهن حتى نَمُرَى
جميعا . ومثل هذا قول رجل من بني أسد :
كَأَنَّ ثِيَابِي نَازَعَتْ شَوْكَ عُرْفُطٍ

تَرَى الثَّوْبَ لَمْ يَخْلُقْ وَقَدْ شُقَّ جَانِبُهُ

ترجمة سحيم

و (سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ) من المخضرمين : قد أدرك الجاهلية
والإسلام . ولا يعرف له صُحْبَةٌ . وكان أَسْوَدَ شَدِيدَ السَّوَادِ . وبنو الحسحاس ،
قال ابن هشام في السيرة : هم من بني أسد بن خزيمه ؛ والحسحاس بمهمات
هو ابن نفثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه
ابن مدركة بن إلياس . ومن شعر سحيم :

إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَفَنَسَى حُرَّةً كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَيْضُ الْخُلُقِ
وله القصيدة المشهورة التي مطلعها (وهو من شواهد معنى اللبيب) :

٢٧٣

عُمَيْرَةٌ وَدُّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلرَّءِ نَاهِيَا
قال المبرِّد في الكامل : « وكان عبد بني الحسحاس يرتضخ لُكْنَةً
حَبَشِيَّةً ، فلما أنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا المطلع قال له عمر :
لو كنت قد دمت الإسلام على الشيب لأجزتك . فقال سُحَيْمُ : ما سَعَرْتَ —
يريد ما سَعَرْتَ » .

وفي الأغاني للأصبهاني من طريق أبي عبيدة قال : كان سحيم أسود
أعجيباً أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تمثل النبي صلى الله عليه وسلم
من شعره ^(١) روى المَرْدُبَانِيُّ في ترجمته ، والديلميّ في المجالسة ، من طريق

(١) النص في الأغاني ٢٠ : ٢ : « ويقال انه تمثل بكلمات من شعره

غير موزونة » . لكن البغدادى تابع ابن حجر في الاصابة .

على بن زيد عن الحسن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ؛ فقال له أبو بكر رضى الله عنه إنما
 قال الشاعر :

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا *

فأعادها النبي صلى الله عليه وسلم كالأول فقال أبو بكر : أشهد إنك
 لرسول الله ، (وما علمناه الشعرَ وما ينبتنى له) . وقال عمر بن شبة : قدم
 سُحيم بعد ذلك على عمر بن الخطاب فأنشده هذه القصيدة ، فقال له عمر :
 لو قدمت الإسلام لأجزتك .

وقتل سُحيم في خلافة عثمان : قال ابن حجر في الإصابة : يُقال : إن سبب
 قتله أن امرأة من بنى الحساس أسرها بمض اليهود واستخصها لنفسه وجعلها
 في حصن له ، فبلغ ذلك سحيمًا فأخذته الغيرة فما زال يتحيل له حتى تسور على
 اليهودي حصنه فقتله ، وخلص المرأة فأوصلها إلى قومها ؛ فلقينته يومًا فقالت
 له : يا سُحيم ، والله لو ددت أني قدرت على مكافأتك على تخليصى من اليهودي
 فقال لها : والله إنك لقادرة على ذلك - عرض لها بنفسها - فاستحييت
 وذهبت ، ثم لقينته مرة أخرى فعرض لها بذلك فأطاعته ؛ فهورها وطفق
 يتغزل فيها ، ففطنوا له فقتلوه خشية العار .

وقال ابن حبيب : أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سُحيم
 عبد بنى الحساس :

الحمد لله حمدا لا انقطاع له فليس إحسانه عنا بمقطوع
 فقال : أحسنَ وصق ، وإن الله يشكر مثل هذا ، ولئن سدد وقارب
 إنه لمن أهل الجنة . انتهى .

وقال اللخمي في شرح شواهد الجمل : « اسم عبد بنى الحسحاس سحيم ، وقيل اسمه حية ، ومولاه جندل بن معبد من بنى الحسحاس . وكان سحيم حبشياً أعجمي اللسان ، ينشد الشعر ثم يقول : أَهْشَنْدُ^(١) والله ، يريد أحسنت والله وكان عبد الله بن أبي ربيعة قد اشتراه وكتب إليه عثمان بن عفان رضى الله عنه : إني قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان : لا حاجة لي به فاردده ، فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شبع أن يشبب بنسائهم وإن جاع أن يهجوهم . فردّه عبد الله ، فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان ، رضى الله تعالى عنه : شبب بينته عميرة وأخس وشهرها . فخرقه بالنار . فن ذلك قوله فيها :

أَلِكْنِي إِلَيْهَا عَمَرَكَ اللَّهُ يَاقَتِي بَايَةَ مَا جِئْتُ إِلَيْهَا تَهَادِيَا
وَبَنَّا ، وَسَادَانَا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحَقِفَ تَهَادَاهُ الرِّيحُ تَهَادِيَا
وَهَبَتْ شِمَالٌ آخَرَ اللَّيْلِ قُرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بُرْدُهَا وَرِدَائِيَا
تَوَسَّدَنِي كَفًّا وَتَنَنِي بِمِعْصَمٍ عَلَى وَتَحْوَى رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا^(٢)
فَازَالَ بَرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبَرْدُ بِأَلْيَا

٢٧٤

انتهى . أَلِكْنِي إِلَيْهَا : معناه أبلغ رسالتى إليها . والألوك : الرسالة .
وعَلَجَانَةٍ : شجرة معروفة . وَالْحَقِفَ : ما تراكم من الرمل . والقُرَّة بالضم :
البرد . وَأَنْهَجَ : أخلق .

وذكر محمد بن حبيب في كتاب من قتل من الشعراء^(٣) : أن سحيم كان

(١) هذا ما فى ش واضحاً . وفى ط : « أهسنت » .

(٢) وكذا فى ديوانه ٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٦٠ . وفى السمت ٧٢١ : « وتحنو رجلها » .

(٣) انظره فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢٧٢

صاحب تفرّل ، فاتهمه مولاه بابتنه ، فجلس له في مكانٍ إذا رعى سحيم قال فيه (١) . فلما اضطجع تنفّس الصعداء ثم قال :

يا ذِكرَةَ مالِكٍ في الحاضر تذكّرها وأنت في السادر
من كلِّ بيضاء لها كعنبٌ مثل سنام الربيع المائر (٢)
فقال له سيّده — وظهر من موضعه الذي كان كمن فيه — : مالِك ؟
فلجلج في منطقته . فلما رجع وهمّ على قتله خرجت إليه صاحبتة فخدّته
وأخبرته بما يراذُ به ، فقام ينفّض بُرده ويمفّي أثره . فلما انطلق به ليُقتل
ضحكت امرأة كان بينه وبينها شيء (٣) فقال :

إن تضحكي مني فيأربّ ليلة تركتك فيها كالعقباء المفرج
فلما قدّم ليقتل قال :

شدّوا وثاقَ العبد لا يغلبكمُ إن الحياة من المات قريب (٤)
فلقد تحدّر من جبين فتاتكم عرقٌ على ظهر الفراش وطيب (٥)
فقتل . انتهى .

(تمة)

قال ابن السيد في شرح شواهد الجمل ، وتبعه ابن خلف : إن سحيماً مصغر
أسحم وهو الأسود تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون مصغر سحم وهو ضرب

(١) من القيلولة ، وهو نوم القائلة .

(٢) ط : « لها كفل » ، صوابه في ش ونوادر المخطوطات . والربيع :

الفصيل ينتج في الربيع . والمائر : المضطرب من كثرة شحمه .

(٣) في نوادر المخطوطات : « كان بينه وبينها هوى شماته »

(٤) في نوادر المخطوطات : « لا يفلتكم » ، وهو الوجه .

(٥) في النوادر وفوات الوفيات ١ : ٢١٣ : « رطيب »

من النبات ؛ والأول أجود ؛ لأنه كان عبداً أسود . وأما الحسحاس فالأشبه أن يكون اسماً مرتجلاً مشتقاً من قولهم : حسحتُ الشَّواءَ : إذا أزلتَ عنه الجِرَ والرماد ، وقد يمكن أن يكون منقولاً ؛ لأنهم قالوا : ذو الحسحاس ، لموضع بعينه انتهى . قال في الصحاح : والحسحاس : الرجل الجواد ؛ قال الرازي :

* حَبَّةُ الْأَبْرَامِ لِلْحَسْحَاسِ *

فهو قطعاً منقول منه . وقوله : من حسحت الشَّواءَ .. الخ قال في الصحاح « وحسست اللحم وحسسته بمعنى : إذا جعلته على الجِر . . وحسست النار : إذا رددتها بالمصاعلي خبزة الملة أو الشَّواء من نواحيه لينضج . ومن كلامهم : قالت الخبزة : « لولا الحس ما باليت بالدس » . فكلامه لا يوافق شيئاً من هذا ، فتأمل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون وهو من أبيات سيبويه (١) :

٩٥ (ضرباً هذا ذيك وطعناً ونخساً)

على أن (هذا ذيك) بمعنى أسرع إسرعين ، أي ضرباً يقال فيه هذا ذيك . أراد أن هذا ذيك بمعنى أسرع ، وأنه بدلٌ من فعل الأمر . ولا يخفى أنه بدل من هذا ، وهو في جميع تصرفاته معناه السرعة في القطع لا السرعة مطلقاً ، بل حكم الحيائي في نواته أن هذا : القطع نفسه . وأنشد هذا البيت . وكذلك صاحب القاموس ، قال : هذا ذيك : قطعاً بعد قطع .

(١) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ٣ : ٣٩٩ وابن يعيش ١ : ١١٩ والهمع ١ : ١٨٩ ومجالس ثعلب ١٥٧ وأمالى الزجاجى ١٣٢ واللسان (هذا ٥٤) والمخصص ٦ : ٨٨ ، ١٣/١٠٣ : ٢٣٣ وديوان العجاج ٥٤

وهذا ذيك ليس بدلاً من فعل الأمر حتى يُحتاج إلى تقدير القول ليصح وقوعه وصفاً لما قبله ، بل معناه ضرباً يهْدُ هذا بعد هذا ، أى قطعاً سريعاً بعد قطع سريع ، فهو صفة بدون إضمار القول ؛ والأنسب يَهْدُ به هذا ، بالخطاب ليظهر كونه مضافاً لفاعله .

وجوز شراح أبيات سيبويه وأبيات الجمل أن يكون بدلاً من قوله ضرباً ، وأن يكون حالاً منه على ضعف .

وقال ابن هشام اللخمي : وقيل : إن هذا ذيك منصوب بإضمار فعل من لفظه ، وذلك الفعل في موضع نصب على الصفة للضرب ، وذلك الضرب منصوب بإضمار فعل من لفظه ؛ كأنه قال : تضربهم ضرباً يهْدُ اللحم هذا بعد هذا ، أو تطعنهم طعناً وخضاً يردُّ دماءهم في أجوافهم . وقال ابن السيد : معنى ضرباً هذا ذيك : ضرباً يَهْدُك هذا بعد هذا . وهذا عكس المعنى المراد ، كأنه ظن أن المصدر مضاف لمفعوله ؛ وليس كذلك .

وهذا البيت من أرجوزة للعجاج مدح بها الحجاج بن يوسف الثقفي ، عامله الله بما يستحقه ، وذكر فيها ابن الأشعث وأصحابه . وقيله :

(تجزيمهم بالظن فرضاً فرضاً وتارة يلقون قرضاً قرضاً
حتى تقضى الأجل المنقضى ضرباً هذا ذيك وطعناً وخضاً
يمضى إلى عاصي العروق النخضاً)

أرجوزة الشاهد

وفيهما يقول :

(جاهوا مُحِلِّينَ فلا قُوا أَحْمِضاً طَائِعِينَ لا يزجر بعضُ بعضاً)

قوله : تجزيمهم ، الخطاب للحجاج ، والضمير للنصوب لابن الأشعث

وأصحابه ؛ متعمد لمفعولين^(١) ، يقال : جَزَاهُ اللهُ خيراً . والظن يكون بالرفع ، وفعله من باب قتل . والفرض بالفاء : الحز في الشيء ؛ والثاني تأكيد للأول . والقرض بالظاف : القَطْع . وتُقَضَّى بالبناء للفاعل والخطاب أيضا ، يقال قَضَى حاجته بالتشديد كقَضَى بالتخفيف : أى أتمها . والمنقَض : الساقط ، يقال اقْضَ الجدار أى سقط ، واقْضَ الطائر : هوى في طيرانه . أى يجازيهم إلى أن يتم أجلهم المنقَض عليهم اقْتِضاضَ الطير على صيده .

وقوله : (ضرباً هذاذك) ، ضرباً إما منصوب بفعل محذوف أى تضربهم ضرباً والجملة حال من فاعل تُقَضَّى ؛ ويجوز أن يكون منصوباً بترفع الخافض أى بضرب . و (الوَخْض) بفتح الواو وسكون الخاء للمعجمة : مصدر وخضه بمعنى طعنه من غير أن ينفذ من جوفه . يريد : إنك تضرب أعناقهم وتطنن في أجوافهم . ويُمَضَى من الإمضاء ، يقال أمضيت الأمر : إذا أفنذته ؛ ومفعوله النحض ، وهو بفتح النون وسكون الهملة ، وهو اللحم . وعصى العروق أى العروق العاصية . فى الصحاح : العاصى : العِرق الذى لا يَرَقاً . وَحُجِّلَيْن : اسم فاعل من أخل إذا طلب الخُلَّة بضم الخاء ، وهى من النبات ما هو حلو . والخَض بفتح للهملة وسكون الميم : ما ملح وأمر من النبات كالأثل والطرفاء .

وترجمة المعجّاج قد قدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين^(٢) .

* * *

(١) ش : « والجزاء الا أنه متعمد لمفعولين » .

(٢) كذا . والصواب أنها فى الشاهد الخامس مع ترجمة ابنه

روبة . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول .

وأُتشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون^(١) :

٩٦ (جاءوا بمدني هل رأيت الذئب قط)

٢٧٦

على أن قولهم : (هل رأيت . . الخ) وقعت صفة مدني بتقدير القول ،
يعنى أن الجملة التي تقع صفة شرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها في المعنى كالخبر
عن الموصوف ؛ فجملة هل رأيت . . الخ ظاهرها أنها وقعت صفة لمدني مع أنها
استفهامية ، والاستفهام قسم من الإنشاء . فأجاب بأن التحقيق أنها معمولة
للصفة المحذوفة ، أى بمدني مقول فيه : هل رأيت ، أو يقول فيه من رآه هذا
القول ونحوه .

وهذا البيت قد كرّر الشارح إنشاده في هذا الكتاب ؛ فقد أوردته
في النمت ، وفي الموصول مرتين ، وفي أفعال القلوب ، وفي الحروف المشبهة
بالفعل . ورواه الدينوري في النبات ، وابن قتيبة في أبيات المعاني ، والزجاجي
وابن الشجري في أماليهما :

* جاءوا بضريح هل رأيت الذئب قط *

وقال الدينوري : نزل هذا الشاعر بقوم فقرّوه ضياعاً ، وهو اللابن
الذي قد أكره عليه من الماء .

وقال ابن جني في المحتسب : د قوله هل رأيت الخ : جملة استفهامية إلا أنها
في موضع وصف الضريح حملاً على معناها دون لفظها ؛ لأن الصفة ضرب

(١) العيني ٤ : ٦١ والانصاف ١١٥ والهمع ٢ : ١١٧ وشرح شواهد

المغني للسيوطي ٢١٤ والمعاني الكبير ٢٠٤ ، ٣٩٩ والكامل ١٨ هـ وأمال

الزجاجي ٢٣٧ وابن الشجري ٢ : ١٤٩

من الخبز ، فكأنه قال : بضيق يشبه لون الذئب : والضيق هو اللبن المخلوط بالماء ، فهو يضرب إلى الخضرة والطلسة « انتهى .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا (١)) ، على أن لا تصيب صفة لفتنه على إرادة القول كهذا البيت . و (المذق) : اللبن المزوج بالماء ، وهو يشبه لون الذئب لأن فيه غبرة وكدورة ، وأصله مصدر مذقت اللبن : إذا مزجته بالماء . و (قط) استعملت هنا مع الاستفهام مع أنها لا تستعمل إلا مع الماضي المنفي ، لأن الاستفهام أخو النفي في أكثر الأحكام . لكن قال ابن مالك : قد ترد قط في الإثبات . واستشهد له بما وقع في حديث البخاري في قوله : « قصرنا الصلاة في السفر مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما كنا قط » . وأما قوله : جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ، فلا شاهد فيه ، لأن الاستفهام أخو النفي . وهذا مما خفي على كثير من النحاة . انتهى .

وتبعه الكرماني عليه في شرح هذا الحديث .

قال المبرّد في السكامل : « العرب تختصر التشبيه ، وربما أوأمت به إيماء ، قال أحد الرُجّاز :

(بتنا بحسّانٍ ومِعْزَاهُ يَطُّ (٢) مازلتُ أَسْعَى بينهم وألتبطُ
حتّى إذا كاد الظالمُ يَخْتَلِطُ جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط)

يقول : في لون الذئب . واللبن إذا اختلط بالماء ضرب إلى الغبرة « انتهى .

(١) الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

(٢) كذا في النسختين : « يَطُّ » وهي صحيحة على القول بأن ألف

« معزى » للحاق . وفي اللسان : « وقال الفراء : المعزى مؤنثة ، وبعضهم ذكرها » . والرواية الغالبة : « تَطُّ » .

وبقنا : ماضٍ من المبيت ؛ في الصباح : بات بموضع كذا أى صار به سواء كان فى ليل أو نهار ، وبات يفعل كذا : إذا فعله ليلاً ، ولا يقال بمعنى نام . وحسّان : اسم رجل ، ينصرف إن أخذ من الحسن ، ولا ينصرف إن كان من الحسن بالتشديد . والمعزى من الغنم خلاف الضأن ، وهو اسم جنس ، وكذلك المعز ، والواحد معز ، والأنثى معزة وهى المعز . قال سيبويه : « ألف معزى للإلحاق بدرهم لا للتأنيث ، فهو منونٌ مصروفٌ بدليل تصغيره على مُعِيزٍ ، فلو كانت للتأنيث لم يقلبوها ياء كما لم يقلبوها فى حبيلٍ » ، وهو مضاف إلى ضمير حسّان . ويثبط : مضارع أظ أى صوّت جوفه من الجوع ، والمصدر الأظيط ، كذا فى الصحاح ، ويأتى بمعنى تصويت الرجل والإبل من ثقل أحمالها ؛ وعليه اقتصر المعنى ، ولا مناسبة له هنا . ورؤى بعده بيتان زيادة فى بعض الروايات وهما :

٢٧٧

* يلس أذنه وحيناً يمتخط ^(١) * .

يقال : امتخط وتمخط أى استنثر ، وربما قالوا : امتخط ما فى يده : نزع واختلسه ، كذا فى الصحاح .

* فى تَكْنِي منه كثيرٍ وأقِط * .

متعلق بقوله يمتخط . والسُّنن بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والأقِط : قال الأزهرى : اللبن المخيض يُطبخ ثم يترك حتى يَمُصْل ؛ وهذا يدل على خُسْته ودنسه .

(مازلت أَسْعَى بينهم والتبِط)

(١) فى شرح شواهد المعنى : « تلحس أذنيه وحيناً تمتخط » .

أعاد الضمير من بينهم إلى حسان باعتبار حيّه وقبيلته ؛ وأسعى بينهم
 أى أتردد إليهم ؛ وألتبط : أعدو ، يقال التبط البعير : إذا عدا وضرب
 بقوائمه الأرض ؛ وتلبط : اضطجع وتمرغ . وروى بدله : و (أخبط)
 أى أسأل معروفهم من غير وسيلة ؛ وهذا يدل على كمال شحهم حيث كان
 ضعيفاً عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعرفهم .

(حتى إذا كاد الظلام يختلط)

غاية لقوله أسعى وألتبط . وكاد : قرب . وروى :

* حتى إذا جنّ الظلام واختلط *

يريد ستر الظلام كل شيء . وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف ؛
 وبالغ في أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعد سعى ومضى جانب من الليل ،
 ثم لم يأتوا إلا بلبنٍ أكثره ماء .

وهذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله . وقيل : قائله العجاج
 والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

٩٧ (قالت : حنان ، ما أتى بك ههنا

أذو نسبٍ أم أنت بالحي عارفُ)

(١) سيبويه ١ : ١٧١ وعجزه في ١ : ١٧٥ . وانظر العيني ١ :

٣٥٩ وابن يعيش ١ : ١١٨ والهمع ١ : ١٨٩

على أن (لبيك ودواليك) ونحوهما ، مصادر لم تستعمل إلا للتكرير ، بخلاف (حنانك) فإنه يستعمل حنان : يريد أن حنانك لا يلزم أن يكون للتكرير ، بل قد يكون له وقد لا يكون ، بل قد استعمل مفرداً كما في هذا البيت . ويزاد عليه (دواليك) أيضاً فإنه لا يلزم ، وقد استعمل مفردة كما تقدم قريباً^(١) .

و (الحنان) الرحمة ، وهو مصدر حنَّ يحنُّ بالكسر حناناً وتحنُّ عليه : ترحمٌ ؛ والعرب تقول : حنانك ياربِّ ، وحنانك بمعنى واحد أى رُحمتك ، كذا في الصحاح . وقال ابن هشام في شرح الشواهد تبعاً للفارسي في التذكرة القصريّة : والأصل أحنُّ عليك تحنُّناً ، ثم حُذف الفعل وزائد المصدر فصار حناناً . انتهى : وهذا تكلف مع وجود حنَّ يحنُّ .

وأنشده سيبويه على أن حناناً خبر مبتدأ محذوف ، أى شأني حنان . والأصل أحنَّ حناناً فحذف الفعل ورفع المصدر على الخبرية لتفيد الجملة الاسمية الدوام : و (ما) استفهامية مبتدأ ، وجملة (أتى بك) خبره : ثم سألتُه عن علّة بحبّه : هل هو نسب بينه وبين قومها ، أو لمعرفة بينه وبينهم ؟ والمعنى : لأى شيء جئت إلى هنا ؛ ألك قرابة جئت إليهم ، أم لك معرفة بالحق ؟ والصواب (تقول) موضع (فقلت) .

وهذا البيت من جملة أبيات اللندرن بن درهم الكلبي ، ذكرها أبو محمد الأعرابي في فرحة الأديب ، وياقوت في معجم البلدان عن أبي الندى ، وهى :
(سقى روضة المثرى عناً وأهلها رُكّامُ سرى من آخر الليل رادفَ
أمن حبٍّ أمّ الأشيمين وذكرها فؤادك معمود له أو مقارف^(٢))

(١) انظر الشاهد ٩٤ ص ٩٩ من هذا الجزء

(٢) فى معجم البلدان (روضة المثرى) : « وجبها ، مكان » وذكرها ، ولعل صواب هذه : « وجبها » .

نَمِيْنُهَا حَتَّى نَمِيْتُ أَنْ أَرَى مِنْ الْوَجْدِ كَلْبًا لِلْوَكِيْعَيْنِ آلفٌ (١)
 أَقُولُ وَمَالِي حَاجَةٌ فِي تَرَدَدِي سَوَاهَا بِأَهْلِ الرُّوضِ هَلْ أَنْتَ عَاطِفٌ (٢)
 وَأَحْدَثُ عَهْدٍ مِنْ أُمِيَّةِ نَظَرَةٍ عَلَى جَانِبِ الْعِلْيَاءِ إِذْ أَنَا وَاقِفٌ (٣)
 قَوْلُ : حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ
 قُلْتُ لَهَا : ذُو حَاجَةٍ وَمُسْلِمٌ فَضْمٌ عَلَيْنَا الْمَازِقُ الْمُتَضَافُ (٤)
 قَالَ يَاقُوتُ : رَوْضَةُ الْمَثَرِيِّ بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَيُرْوَى بِالْمَثْنَاءِ . وَأَرَادَ بِالْوَكِيْعَيْنِ :
 الْوَكِيْعَ بْنَ الطُّفَيْلِ الْكَلْبِيَّ وَابْنَهُ . انْتَهَى .

والظاهر أن المَثَرِيَّ اسم رجل أضيفت الروضة إليه لكونه كان صاحبها ؛
 وهو اسم مفعول من قولهم : ثرى الله القومَ أى كثروهم ، فالأصل مَثْرُؤٌ
 قلبت الواو ياءً وأدغمت عملاً بالقاعدة . وأهلها : معطوف على روضة . وركامُ :
 فاعل مَتَى ، وهو يضم الراء السحاب المتراكم بعضها على بعض . والرافد
 نعت ، ومعناه الراكب خلف الشيء ؛ يريد : سحائب مترادفة بعضها
 خلف بعض . وجملة سرى . الخ نعت لركام وصف بها قبل الوصف بالمفرد
 وقوله أمن حب ، الهمة للاستفهام . والأشيمين : مثني أشيم ، وهو الذى به
 شامة . والمعمود : السقيم ، يقال عمدته المرض أى فدحه ، ورجل معمود
 وعميد أى هداه العشق . ولّه : أى للحب والمقارب : المقارب ،

(١) فى معجم البلدان بعده : « وكيع بن أبى طفيل الكلبى وابنه »
 وهذا تفسير للوكيعين ، على سبيل التغليب .

(٢) فى النسختين : « بأهل الارض » ، صوابه فى معجم البلدان
 وفرحة الأديب ، مخطوطة دار الكتب رقم ٤٤٢١ وهى بخط البغدادى
 وفى المعجم : « حاجة هى تردنى » ، وكذلك هى فى إحدى روايتى فرحة
 الأديب .

(٣) البيت محرف تحريفا شديدا فى معجم البلدان .

(٤) فى فرحة الأديب ومعجم البلدان : « فقلت أنا ذو حاجة ومسلم
 فضم » .

يقال : قارفه أى قاربه . وآلف : اسم فاعل من أَلِفَ يَأْلِفُ أَلْفَةً ، مبتدأ ،
للوَكِيمين خبره ، والجملة صفة كلب . وقوله هل أنت عاطف مقول أقول ،
وهو خطاب لصاحبه يطلب منه العطف فى الذهاب إلى حيثما معه . وأحدث عهد
أى أقرب ما أعهد وأحفظه ، وهو مبتدأ ونظرة خبره . والعلياء بفتح العين :
موضع ، وكل مكان عال مشرف . والمسلم ، من التسليم بمعنى التحية . وصمَّ
بالبناء للمفعول أى سَدَّ علينا ، من الصَّم وهو انسداد الأذن ، وصمَّ القارورة
أى سَدَّها وأَصَمَّها : جعل لها صمًا بالكسر وهو ما يسدُّ به فيها . والمأزق بالهمز
كجلس : المضيق ، من أَزَقَ بالزاي المعجمة والقاف كفرح وضرب أَرْقا
وأَرْقا^(١) : ضاق . والمتضايِف : المجتمع الذى أُضيف بعضه على بعض .

ومن نسب البيت الشاهد للمنذر بن درهم الكلبي ، ابنُ خلف والزخشرى
فى شرح أبيات سيبويه وفى الكشف ، استشهد به على أن حنانا فى قوله تعالى
(وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا^(٢)) بمعنى الرحمة . وذَكَرَ معه البيت الذى قبله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون :

٩٨ (أَرْضًا وَذُؤْبَانُ الْخُطُوبُ تَمْوُشُنِي^(٣))

على أن (رِضًا) مصدر حذف فعله وجوباً للتويخ ، والأصل : أَرْضِي
رضاً فالهمزة للإنسكار التويخي ، وهو يقتضى أن ما بعدها واقع وفاعله ماوم ،
والواو واو الحال . و (الذُؤْبَان) : جمع ذئب جمع كثرة ؛ و (الخطوب)

(١) فى النسختين : « وأزوقا » ، صوابه من القاموس .

(٢) الآية ١٣ من سورة مريم .

(٣) لم أجد له مرجعاً .

جمع خُطِبَ بالفتح ، وهو الأمر الشديد ينزل على الإنسان ؛ والإضافة من قبيل
لجئ المَاء ، أى المصائب التى كالذئاب . و (تنوشنى) مضارع ناشه نَوْشاً ،
أى تناله وتصيبه . وجملة تنوشنى خبر المبتدأ الذى هو ذؤبان . والجملة الاسمية
حال من فاعل الفعل المحذوف .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه (١) .

٢٧٩

٩٩ (فَاها لِفَيْكَ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(قُلْتُ لَهُ : فَاها لِفَيْكَ ، فَاِهَا قُلُوصُ امْرِئٍ قَارِيكَ مَا أَنْتَ حَازِرُهُ)

على أن (فَاها لِفَيْكَ) وضع موضع المصدر ، والأصل فوها لفيك ؛ فلما
صارت الجملة بمعنى المصدر أى أصابته داهية ، أعرب الجزء الأول بإعراب
المصدر فصار فَاها لِفَيْكَ . وقيل فَاها منصوب بفعل محذوف أى جعل الله
فا الداهية إلى فيك . ولهذا الوجه أنشده سيبويه . قال الأعلم : « الشاهد فيه
وله فَاها لِفَيْكَ أى فم الداهية ، ونصبه على إضمار فعل ، والتقدير : ألحق
الله فَاها لِفَيْكَ وجعل فَاها لِفَيْكَ . ووضع موضع دهاك الله فلذلك لزم النصب
لأنه بدل من اللفظ بالفعل فجرى فى النصب مجرى المصدر . وخصّ الفم فى هذا
دون سائر الأعضاء ، لأن أكثر المتألف يكون منه بما يؤكل أو يشرب
من السموم . ويقال : معناه فم الخلية لفيك ، فعناه على هذا خبيك الله » .

(١) سيبويه ١ : ١٥٩ . وانظر نوادر أبى زيد ١٨٩ ، ١٩٠ وابن

يعيش ١ : ١٢٢ والقالى ١ : ٢٣٦ والسمط ٥٣٩

ومثله لأبي زيد في نوادره ، قال : « وإذا أراد الرجل أن يدعو على رجل قال : فاها لفيك [أى لك الخيبة (١)] » . قال الأخفش فيما كتبه على نوادره : « والذي أختره ما فسرّه الأصمعي وأبو عبيدة فإنها قالا : معني قولم فاها لفيك : ألصق الله فاهاً لفيك ، يعنون الداهية والهلكة » .

والأول تقدير سيبويه ، وكلاهما صحيح .

وقوله : (فقلت له) أى لهوأس ، وهو الأسد . وقوله (فإنها) أى راحلتي و (القلوص) : الناقة الشابة . وعني بامرئٍ نفسه . وقوله (قاريك . . الخ) أى يجعل موضع قراك وما يقوم لك مقام القرى ما أنت حاذره من الموت ، أى ليس لك قرى عندى غير القتل ، مثل قوله تعالى : (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

وقيل : يفسر فاها لفيك : أن الشاعر لما غشى الأسد ضربه ضربة واحدة فعضّ التراب فقال له : فاها لفيك يعنى فم الأرض .

قال سيبويه : والدليل على أنه يريد بقوله فاها فم الداهية قولُ عامر ابن جُوَيْن الطائي :

وداهية من دَوَاهِي المَنُونِ يحسبها الناسُ لاَ قَا لها
دفعت سَنَا بَرَقها إِذْ بَسَتْ (٢) وكنت على الجهد حَمَالِها

ومعنى لا قَا لها : لا مدخل إلى معاناتها (٣) والتداوى منها ، أى هي داهية مشكلة والمنون : الموت . وقا : منصوب بلا ، واللام مقحمة والخبر محذوف

(١) التكملة من النوادر ١٨٩ . وبدونها لا يتضح معنى المثلية

(٢) ط : « رفعت » ، صوابه في ش

(٣) ط : « معاياتها » ، صوابه في ش

أى فى الدنيا أو فىا يعلمه الناس . والسنا هو الضوء ، يريد : أنه دفع شرها
والتهاب نارها حين أقبلت ، وكان هو حمال ثقلها .

آيات الشاعر

والبيت الشاهد من آيات أولها :

(نَحْسَبَ هَوَاسٌ وَأَيَقَنَ أَنفَى بها مفتدٍ من واحدٍ لا أغامرُه
ظَلَلْنَا مَعًا جَارِينَ نَجْهَرُ الشَّأْيَ يسائرني ، من خنله ، وأسأثره)
قللت له فاما لفيك البيت

نَحْسَبَ بمعنى حَسِبَ بالتخفيف ، وقيل : هو بمعنى تَحَسَّسَ ، يقال : فلان
يتَحَسَّسُ الأخبار أى يتَجَسَّسُ ، وقيل : تَحْسَبُ فى معنى حَسِبْتَهُ فتَحْسَبُ
مثل كَفَيْتَهُ فَا كَتَفَى ؛ قال النحاس : معنى نَحْسَبُ ا كَتَفَى . وكذلك قال
الأخفش فيما كتبه على نواذر أبى زيد عن المبرد أنه قال : معنى تَحْسَبُ
ا كَتَفَى ، من قولك حَسَبْتُكَ ، كقوله تعالى : (عَطَاءٌ حِسَابًا) أى كافيًا .
وتقول العرب : مَا أَحْسَبَكَ فهو لى مُحْسَبٌ ، أى ما كفاك فهو لى كافٍ .
والهواس : الأسد . سُمِّيَ هَوَاسًا لأنه يَهْوِسُ الفريسة أى يدُقُّها ، والهوس :
اللق الخفى ؛ وقيل : الهواس : الذى يَطَأُ وَطْئًا خَفِيًّا حَتَّى لَا يَشْرَبُهُ .

٢٨٠

قال السيرافى : معناه : أنه عَرَضَ الأسدُ لِنَاقَةِ هذا الشاعر ؛ فحَكِي
عن الأسد أنه توهم أنني أدع الناقة وأفتدى بها من لقاء الأسد ولا أغامرُه
ولا أقاتله ولا أريد معه عَمَرَاتِ الحرب . والرواية : (نَحْسَبُ هَوَاسٌ وَأَقْبَلُ) ،
وروى أيضا (من صاحب لا أغاورُه) أى أغور عليه ويغور على . وروى :
(لا أناظره) . والثأى بالثلاثة والهمز على وزن التثنية : انخرم والفتق . والخلل :
المكر والهداع .

وهذه الأبيات ، قال الجرمي : هي لأبي سِدْرَةَ الأعْرَابِيَّ . وقال أبو زيد في نواذره : إنها لرجل من بني الهُجيم . وهما شيء واحد ، قال أبو محمد الأعْرَابِي في فُرحة الأديب : « أبو سِدْرَة هو سحيم بن الأعرف من بني الهُجيم ابن عمرو بن تميم . وله مقطعات مليحة ^(١) منها قوله (في حَسَّان بن سعيد عامل الحجاج على البحرين) :

إلى حَسَّانٍ مِنْ أَكْتافِ نَجْدٍ رَحَلْنَا الْعَيْسَ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا
نَعْدُ قَرَابَةً وَنَعْدُ صِهْرًا وَيَسْعُدُ بِالْقَرَابَةِ مَنْ رَعَاهَا ^(٢)
فَمَا جُنَّاكَ مِنْ عُدْمٍ وَلَكِنْ يَهْشَى إِلَى الْإِمَارَةِ مَنْ رَجَاهَا
وَأَيًّا مَا أَتَيْتَ فَإِنَّ نَفْسِي تَعْدُ صِلَاحَ نَفْسِكَ مِنْ غِنَاهَا ،

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء . وفيه وفي قبيلته يقول جرير :

وبنو الهُجيم قبيلة مذمومة صَفَرُ الْحَيِّ مُتَشَابَهُ الْأَلْوَانِ ^(٣)
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرِبَةٍ بُعْثَانُ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُعْثَانُ
يريد : أنهم يوقدون البعر فتصفر لحامهم بدخانه .

وهو شاعر إسلامي من معاصري جرير والفرزدق .

(١) في فُرحة الأديب : « وله مقطعات مليحة في كتاب بني الهجيم ، »

(٢) ورد بعده في النسختين :

وَأَيَّا مَا فَعَلْتَ فَإِنَّ نَفْسِي تَعْدُ صِلَاحَ نَفْسِكَ مِنْ غِنَاهَا
وهو تكرار للبيت الرابع مع شيء من التغير ، وأثبت ما في فُرحة الأديب والشعراء ٦٢٥

(٣) في الشعراء : « حصى الحى ، . والأحص : المنجرد الشعر

المفعول به

أنشد فيه وهو الشاهد الموفى المائة ، وهو من أبيات سيبويه^(١) :

١٠٠ (فَوَاعِدِيهِ سَرَحْتِي مَالِكٍ أَوْ الرِّبَا يَنْهَمَا أَسْهَلَا)

على أن (أسهل) مفعول لفعل محذوف ، وهو صفة وموصوفه محذوف أيضا ، أى قولى : اثنت مكانا أسهل .

هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة . ويفهم من تقدير الشارح : أن عشيقته أرسلت إليه امرأة تعين له موضع الملاقاة ، وأمرتها أن تواعده أحد هذين الموضعين . وكذلك قال ابن خلف : المعنى أنها قالت لأمتها : واعدية الليلة أن يقصد السرحتين ويلتمس مكانا سهلاً يقرب من ذلك الموضع ، لأنها إذا علوا الربا عُرِف مكانهما وشنع أمرهما . لكن المفهوم من كلام الأعلام : أنه هو الذى أرسل إليها امرأة ، فإنه قال : نصب أسهل بإضمار فعل دل عليه ما قبله ، لأنه لما قال فواعديه سرحتى مالك أو الربا بينهما ، علم أنه مزعج لها داع إلى إتيان أحدهما . فكأنه قال : اثنتي أسهل الأمرين عليك .

٢٨١

وكذلك قل النحاس عن المبرد أن التقدير : وأثنتي أسهل المواضع ؛ لأنه لما قال : فواعديه ، أزعمها ، فكأنه قال : اقصدى به أسهل المواضع . والصواب الأول كما يعلم من البيت الذى بعده - ويأتى قريبا - وقدّر المحذوف بعضهم من لفظ المذكور ، أى واعدية مكانا أسهل . والمعنى قريب .

(١) سيبويه ١ : ١٤٣ . وانظر ابن السجري ١ : ٣٤٤ وديوان

عمر بن أبى ربيعة ٣٤١

و (أسهل) : أفضل تفضيل من السهولة ضد الحزونة ؛ وقد سهل بالضم .
وتقدير الشارح كابن خلف أسهل من باب حذف المفضل عليه أى أسهل
منها ، أصوب من تقدير غيره المضاف إليه أى أسهل الأمرين أو أسهل
المواضع . قال ابن خلف : ويجوز أسهل أن يُعني ' به سهلاً كما يقال : رجل
أوجلّ وأوجل ، وأحقّ وأحق ، إن أراد أنه يكون وصفاً من السهولة ؛ فجىء
أفضل بمعنى فِعلٍ وصفاً بابّه السماع ولم يسمع ؛ وإن أراد أنه من السهل تقيض
الجليل فلم يُسمع إلاً مكان سهل وأرض سهلة . ثم قال : « وقد قيل إنه يجوز
أن يكون أسهل اسماً لموضع بعينه » .

أقول : قد قُتشت كتب اللغة وكتب أسماء الأما كن كعجم ما استعجم ،
ومعجم البلدان ، فلم أجده ذكراً فيها .

والمواعدة : مفاعلة من الطرفين ؛ ووعد يتعدى بنفسه إلى واحد ،
وإلى ثان بالباء ، وقد تحذف فينصب بنزع الخافض ؛ والفعل إذا كان متعدياً
إلى واحد فينقله إلى باب المفاعلة يتعدى إلى اثنين ، فالضمير في واعديه مفعول
أول و (سرحتي مالك) المفعول الثاني بتقدير مضاف ، أى مكان سرحتي
مالك . وليس سرحتي مالك اسم مكان بل هما شجرتان لمالك . والسَّرحة :
واحد السرح ، وهو كل شجر عظيم لا شوك له . والرُّبَا : جمع ربوة بتثنية
الراء ، وهو المكان المرتفع عما حوله ؛ وكانت الربا بين السرحتين .

وروى الأصبهاني في الأغاني^(١) البيت هكذا :

« سَلَى عَدِيهِ سَرْحَتِي مَالِكْ أَوْ الرُّبَا دُونَهَا مَنَزَلَا »

فعلية فلا شاهد فيه ، ومنزلاً إما بدل من الرُّبَا أو حال منه ، وسلمى منادى .
وبعد هذا البيت :

(إن جاء فليأتِ على بغلةٍ إِنِّي أَخَافُ الْمُهْرَ أَنْ يَصْهَلَا)

وترجمة عمر بن أبي ربيعة قدمت في الشاهد السابع والثمانين (١) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائة :

١٠١ (كَلَّا طَرَفَى قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ)

على أن (القصد) فى الأمر خلاف القصور والإفراط ، فإنه يقال : قصد فى الأمر قصدا : توسط ، وطلب الأشد ولم يجاوز الحد . فالقصد فى الأمور له طرفان : أحدهما : القصر والتقصير ، وهما بمعنى التوائى فيه حتى يضيع ويفوت ؛ وكذلك الفرط والتفريط ، فإنه يقال : فرط فى الأمر فرطاً من باب نصر ، وفرط تفريطاً ؛ وأما القصور فهو مصدر قصرت عن الشيء من باب قعد : إذا عجزت عنه ، وليس هذا من التفريط فى شيء . والطرف الآخر : الإفراط وهو مصدر أفرط فى الأمر : إذا أسرف وجاوز فيه الحد . فكان ينبئ للشارح أن يقول : خلاف القصر أو التقصير والإفراط ، أو يقول : خلاف الفرط أو التفريط والإفراط . والذميم بالمعجمة : المذموم .

٢٨٢

وهذا المصراع عجز بيت ، وقبلة :

أبيات الشاهد (عليك بأوساط الأمور فإنها طريقٌ إلى نهج الصواب قويمٌ)

(١) أنظر ما مضى فى ص ٣٢ من هذا الجزء

ولا تكُ فيها مفرطاً أو مفرطاً كلا طرفى قصدِ الأمور ذميمٌ

وهذا نظم للحديث ، وهو : « الجاهلُ إمّا مُفَرِّطٌ أو مُفَرِّطٌ » .

ولا أعلمُ قائلَ هذين البيتين ولا رأيتهما إلّا فى كتاب العباب فى شرح أبيات الآداب (وكتاب الآداب : تأليف ابن سناء الملك بن شمس الخلافة ، وهو من كتب الأدب ، وقد اشتمل على أبيات ومصاريح كثيرة لغالب الشعراء للتقدمين والمتأخرين تنيف على ألقى بيت . وقد نسب كل بيت ومصرع فيه إلى قائله ، مع تنمة الشعر حسنُ بن صالح العدوى النجنى ، وسقى تأليفه : العباب فى شرح أبيات الآداب) وكان المصراع الشاهدُ فى الأصل ، وكلّه بالمصاريح الثلاثة صاحب العباب . وقد ضمّنه أيضاً الإمام الخطابى فى تنفة له وهى :

فساغ ولا تستوفِ حقك كلّهُ وأبقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ
ولا تنلُ فى شىء من الأمور واقتصدْ « كلا طرفى قصدِ الأمور ذميمٌ »

و(الخطابى) هو الإمام أبو سليمان حمّد^(١) بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، ترجمة الخطابى من ولد زيد بن الخطّاب أخى عمر بن الخطّاب ، صاحبُ كتاب معالم السنن وشرح البخارى وغير ذلك . وكان صديق أبى منصور الثعالبي ، وأورده فى كتاب يتيمة الدهر وأنشد له تفتّاحيّة . وولد فى سنة تسع عشرة وثلثمائة ومات فى مدينة بُست فى رباط على شاطئ هِنْد مَمْد^(٢) يوم السبت السادس

(١) فى النسختين : « أحمد » . قال اليمنى : « وقد كثر هذا الغلط عند كل من ترجم له كالسمعانى ٢٠٣ واليتيمة ٤ : ٢٣١ . والصواب فى اسمه حمد بسكون الميم . راجع معجم الأدباء . وكان فى ذلك العصر من اسمه حمد . وترى فى أبى العلاء وما إليه ص ١٦٢ ترجمة ابن فورجه ، وهو محمد بن حمد » .

(٢) ط : « هيرمند » ، صوابه فى ش مع اثر تصحيح ، ومن معجم البلدان والقاموس . وهندمند نهر تقع عليه مدينة بُست .

عشر من ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وأنشد له تعالى
في اليتيمة :

وما غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريبٌ بين بُست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي
وأنشد له أيضاً^(١) :

وليس اغترابي في سجستان أننى عَدِمْتُ بها الإخوان والدار والأهلا^(٢)
ولكنني مالى بها مشاكل ، وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا
وأنشد أيضاً :

شرُّ السباع العوادي دونه وَزَرُ ، والناسُ شرُّهم مادونه وَزَرُ
كم معشر سلّموا لم يؤذهم سَبْعُ وما نرى بشراً لم يُؤذِهِ بشرُ
وأنشد أيضاً :

مادمتَ حياً فدارِ الناسَ كلَّهمُ فإنما أنت في دارِ المداواة
من يدري داري : ومن لم يدري سوفَ يرى
عما قليل نديماً للتدابات

وللتعالي فيه :

أبا سليمان ، سِرْ في الأرض أو فاقِم فأنت عندي دنا مثواك أو شطنا
ما أنتَ غيري فأخشى أن يفارقتي قرّبتَ روحك بل روحي فأنتَ أنا

(١) هذا سهو من البغدادي ، فان الذي في اليتيمة : « وقد أخذ

هذا المعنى عمر بن أبي عمر السجزي فقال « . وأنشد البيهقي التالين

(٢) في النسختين « غربت » ، صوابه من اليتيمة .

قال السُّلَمِيُّ: أنشدني أبو منصور الثعالبي بنيسابور للخطابي^(١)، بقوله

في الثعالبي :

قلبي رهينٌ بنيسابورَ عند أخٍ ما مثله حين تُستَقْرَى البلادُ أخُ
له صحائفُ أخلاقٍ مهذبةٍ : منها التقى والنهى والحلم تنتسخ^(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد المائة ، وهو من شواهد س^(٣) :

١٠٢ (جَارِيٌّ ، لَا تَسْتَنْكَرِي عَذِيرِي)

(سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي)

على أن (العذير) هنا بمعنى الحال التي يُحاولها المرءُ يُعذّر عليها ، وقد بين
بقوله : سِيرِي وَإِشْفَاقِي ، الحال التي ينبغي أن يُعذّر فيها ولا يَلَامَ عليها .

ومثله لابن الشجريّ في أماليه فإنه قال : « العذير : الأمر الذي يحاوله
الإنسان فيُعذّر فيه . أي لا تستنكري ما أحاوله معذوراً فيه . وقد فسّره
بالييت الثاني » اهـ ، وعليه فعذيري مفعول تستنكري ، وسيري : عطف
بيان له أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أي هو سيري . . الخ . ويجوز أن
يكون عذيري مبتدأ خبره سيري الخ - كما قال ابن الحاجب في الإيضاح -
وعلى هذا فمفعول تستنكري محذوف .

(١) الحق أن البيتين التاليين لأبي الفتح البستي يقولهما في الثعالبي،
كما في اليتيمة ٤ : ٢١٩ في ترجمة أبي الفتح . والذي أحدث هذا
الخلط أن كلا من أبي الفتح والخطابي بستي .

(٢) اليتيمة : منها الحجا والعلى والظرف تنتسخ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٢٥ ، ٣٣٠ والعيني ٤ : ٢٧٧ وابن الشجري

٢ : ٨٨ وابن يعيش ٢ : ١٦ ، ٢٠ واللسان (شقر أو عذر ٢٢٢)

وديون العجاج ٢٦

قال الزجاج : العذير : الحال . وذلك أنَّ العَجَّاج كان يصلح حِلْسًا لجملة ، فأنكرته وهزئت منه ؛ فقال لها هذا . قال علي بن سليمان الأخفش : العذير : الصَّوْت . كأنه كان يِرْجُزُ في عمله بحِلْسِه فأنكرت عليه ذلك ، أي لا تستنكري صوتي ورفعة بالحديث ، لأنِّي قد كبرت . والحِلْسُ للبعير ، وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، وهو بكسر المهملة وسكون اللام .

وأنشد سيديويه البيت الأول على أنَّ (جاري) منادى مرخم . قال الأعلم : الشاهد فيه حذف حرف النداء ضرورة من قوله جاري ، وهو اسم منكور قبل النداء لا يتعرَّف إلا بحرف النداء ^(١) . وإنما يطرد الحذف في المعارف . وردَّ المبرِّدُ على سيديويه جعله الجارية نكرة ، وهو يشير إلى جارية بعينها فقد صارت معرفة بالإشارة . ولم يذهب سيديويه إلى ما تأولَه المبرِّدُ عليه : من أنه نكرة بعد النداء ؛ وإنما أراد أنه اسم شائع في الجنس قبل النداء وهو نكرة وكيف يتأول عليه الغلط في مثل هذا ، وسيديويه قد فرق بين ما كان مقصودا بالنداء من أسماء الأجناس وبين ما لم يقصد قصده ؛ وهذا من التعسف الشديد والاعتراض القبيح ، اهـ .

وقوله (سيري) هو مصدر سار يسير ، يكون بالليل وبالنهاري ؛ ويستعمل لازماً ومتعدياً ، يقال سار البعير وسيرته ^(٢) ويفهم من كلام أبي عبيد القاسم بن سلام في أمثاله ومن كلام الأعلم ، أنه فعل أمر وصرح به غيره فإيهما قالاً : ومعنى الشعر : ياجارية سيري ولا تستنكري عذيري وإشفاقي . ويردُّه الرواية الأخرى وهي (سعيي وإشفاقي) كما نقلها الصاغاني وغيره . و (الإشفاقي) :

(١) في النسختين : « لا يتعرف الا عرف النداء » ، صوابه من الشنتمري .

(٢) في النسختين : « وسيرته » ، والوجه ما أثبت . وفي اللسان : « وسار دابته سيراً وسيرة ومساراً ومسيراً » .

مصدر أشعقت عليه : إذا حنوت وعطفت عليه ، وأشعقت من كذا : حذرت منه . وقوله (على بعيرى) متعلق بأحد المصدرين على التنازع . .

وهذان البيتان ^(١) من رجز للعجاج وبعده :

(وكثرة الحديث عن شُقُورى)

(مع آجلا ولائح القتير)

٢٨٤

في الصحاح : « الشُّقُور الحاجة ، وعن الأصمى بفتح الشين ، قال أبو عبيد : الأول أصح لأن الشُّقُور بالضم بمعنى الأمور اللاصقة بالقلب المهمة له ، الواحدة شُقْر » ١٠ . وفي أمثال أبي عبيد أفضيت إليه بُشُقُورى ^(٢) أى أخبرته بأمرى وأطلعته على ما أسره من غيره : وقال الزُّبَيْدَى فى لحن العامة : الشُّقُور : مذهب الرجل وباطن أمره . وآجلا بفتح الجيم والقصر : انحسار الشعر من مقدم الرأس يكون خِلقةً ويكون من كبر . والقتير ، بفتح القاف : الشَّيب .

قال أبو عبيدة : معناه : لاتستنكرى حالى من الهرم بإجارية ، ولا كثرة ما أحدثت به من الأسرار . وذلك من أحوال الشيوخ المسان وتهاثر الهرمى . وترجمة العجاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد المائة ^(٤) :

(١) يعنى الشطرين ، وكثيرا ما يطلق البيت على الشطر من مشطور الرجز والسريع والمنسرح .

(٢) ط : « أنصيت اليه » ، صوابه فى ش .

(٣) الصواب أنه الشاهد الخامس . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول

(٤) أيضا الحزاة ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٣٩ وديوان ذى الرمة

١٠٣ (وإن تعتذر بالخل من ذى ضروعها
إلى الضيف، يخرج في عراقيبها نصلى)
على أنه حذف مفعول (يخرج) لتضمنه معنى يؤثر بالجرح.

وكذلك جعله ابن هشام في معنى اللبيب من باب التضمين، قال: فإنه
ضمن معنى يعث أو يفيد، فإن القيث لازم يتعدى يفي، يقال عث الذئب
في الغنم أى أفسد، وكذلك الإفساد؛ قال الله تعالى: (لا تفسدوا
في الأرض (١)).

وأنشده صاحب الكشف عند قوله تعالى: (لأرئيتن لهم (٢) على أن
أرئيتن متعدياً نزل منزلة اللازم لإرادة الحقيقة. قال الطيبي: أى يعث الجرح
في عراقيبها نصلى، جعل لازماً ثم عدى كما يعدى اللازم مبالغة.

وهذا البيت من أواخر قصيدة لذي الرمة عدة أبياتها ستة وثلاثون بيتاً،
أبيات الشاهد
شبيب فيها بحى ووصف فيها القفار وناقته. إلى أن قال:

(أعاذلُ عُجوجي من لسانك عن عدلى فاكلُ من بهوى رشادى على شكلى
فما لام يوماً من أخٍ، وهو صادق، إخاى ولا اعتلت على ضيفها إنبلى
إذا كان فيها الرسل لم تأتِ دونه فصالى، ولو كانت عجاكفاً، ولا أهلى
وإن تعتذر بالخل من ذى ضروعها البيت)

وبعد أربعة أبيات وهى آخر القصيدة.

فقوله: أعاذل، الهزلة للنداء وعاذل منادى مرثم عاذلة. قال الأصمعى

(١) الآية ١١ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٣٩ من سورة الحجر .

في شرح ديوانه : « عوجى من لسانك » أى كُنْى ، ولفظ عوجى على الحقيقة اعطنى . والشكل : الضرب ؛ يقول ما كل من يهوى ذلك منى على طريقتى وعلى مذهبي .

وقوله : فالام يوماً من أخ ، من زائدة وأخ فاعل لام ؛ والإخاء بكسر الهزة : الأخوة . قال الأصمى : اعتلت ، أطلق اللفظ على الإبل ، والمعنى على أصحابها ؛ يقول : لم أبخل فأعترت إلى الضيف .

وقوله : إذا كان فيها الرّسل ، ضمير فيها للإبل ، وضمير دونه للرّسل ؛ قال الأصمى : الرّسل : اللبن حلوه وحامضه ، وخاثره ورقيقه ؛ يقول : لا أسقى فصالى وأدع ضيفى ، ولو كانت عجافاً مهازيل . يقال : عجف الدابة وأعجفه صاحبه ، وعجفت نفسى عن كذا : إذا صرفتها . وقوله : وإن تعتر بالحل ، قال الأصمى : اعتذارها للضيف : أن لا يزي فيها محتلباً من شدة الجذب والزمان ، فإذا كانت كذلك عقرتها . اهـ

و (المحل) : انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلا ، وهو مصدر محِل البلد من باب تعب . والمراد بذى ضرعها : اللبن ، كما يقال ذو بطونها ، والمراد : الولد . قال الطيّب : « المعنى إن اعتذرت بقلة اللبن ، بسبب القحط ، إلى الضيف أعقرها لتكون هى عوض اللبن » اهـ . والعقر : ضرب البعير بالسيف على قوائمه ، لا يطلق العقر فى غير القوائم ؛ وربما قيل عقره : إذا نحره . و (العراقيب) : جمع عُرقوب ، فى الصحاح : « عُرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، قال الأصمى : كل ذى أربع عُرقوباه فى رجله وركبته فى يديه . وعُرِقت الدابة قطعت عُرقوبها . والعرقوب من الإنسان : العصب الغليظ الموتر فوق العقب » . و (النصل) : حديدة السيف والسكين ، والنصل كقنفذ : نفسه .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت فى الشاهد الثامن (١).

* * *

النادى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه (٢) :

١٠٤ (يا بُؤْسَ للجَهلِ ضَرَّاراً لِأَقْوَامِ)

على أن المبرد أجاز أن ينصب عاملُ النادى 'الحال' ، نحو : يا زَيْدُ قائماً ، إذا ناديته فى حال قيامه . قال : ومنه يا بُؤْسَ للجَهلِ . . الخ . والظاهر أن عامله بؤْسَ الذى هو بمعنى الشدة ، وهو مضاف إلى صاحب الحال ، أعنى الجَهلِ تقديراً لزيادة اللام .

أقول : مَنْ جعل عامل الحال النداء جعل الحال من المضاف ؛ وفيه مناسبة جيّدة ، فإنّ الجَهلَ ضارٌّ وبؤْسُهُ ضَرَّارٌ ، وَمَنْ جعل ضَرَّاراً حالاً من المضاف إليه جعل العامل المضاف . ومَنْ جعله من المضاف إليه الأَعلَمُ ، قال : « ونصب ضَرَّاراً على الحال من الجَهلِ » . وإنما كان يرد هذا الاستظهار على المبرد لو جعل ضَرَّاراً حالاً من المضاف إليه .

وقد أجاز ابن جنى فى قوله « بُقْرِى » من قول الحملى :

* أَلْهَى بُقْرِى سَحْبِلٍ حِينَ أَجْلَبْتُ (٣) *

(١) انظر ما سبق فى الجزء الأول ص ١٠٦

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٦ . وانظر ابن الشجرى ٢ : ٨٠ ، ٨٣ والانصاف ٣٣٠ وابن يعيش ٣ : ٥/٦٨ : ١٠٤ والهمع ١ : ٧٣ وديوان النابغة ٧١

(٣) لجعفر بن عتبة الحارثى فى الحماسة ٤٤ بشرح المرزوقى . وعجزه :

* علينا الولايا والعدو المباسل *

الوجهين ، قال : « يجوز أن تجعل بقرى حالا من لهن^(١) ؛ وأن يكون من الألف في لهن^(٢) ، وذلك أنها ياء ضمير المتكلم فأبدلت ألفاً تخفيفاً فيكون معنى هذا : تلهفت وأنا بقرى أى كائنات هناك ، كما أن معنى الأول لو أثنته : يالهنفى كائنة في ذلك الموضع . فيكون بقرى في هذا الأخير حالا من المنادى المضاف كقوله :

* يا يؤس للجهل ضرّاراً لأقوام *

أى يا يؤس للجهل ، أى أدعوه ضرّاراً . وإذا جعلته حالا من الياء المنقلبة ألفاً كان العامل نفس اللف ، كقولك يا قيامى ضاحكاً ؛ تدعو القيام ، أى هذا من أوقاتك « اهـ .

وقد قرّر ابن الأنبارى مذهب المبرد في الإنصاف فقال : « حكى ابن السراج عن المبرد أنه قال : قلت للمازنى : ما أنكرت من الحال للدعوى ؟ قال : لم أنكر منه شيئاً ، إلا أن العرب لم تدع على شريطة ، فإنهم لا يقولون يا زيد راكباً ، أى ندعوك في هذه الحالة ونمسك عن دعائك ماشياً ، لأنه^(٢) إذا قال يا زيد فقد وقع الدعاء على كل حال . قلت : فإن احتاج إليه راكباً ولم يحتاج إليه في غير هذه الحالة ؟ فقال : ألسن تقول يا زيد دعاء حقاً ؟ فقلت : بلى ! فقال : علام تحمل المصدر ؟ قلت : لأن قولى يا زيد كقولى أدعوزيداً ، فكأننى قلت : أدعوا دعاء حقاً . فقال : لا أرى بأساً بأن تقول على هذا يا زيد راكباً فالزم القياس . قال المبرد : ووجدت أنا تصديقاً لهذا قول النابغة :

(١) ش : « أن تجعل الياء حالا من لهنفى » صوابه فى ط .

(٢) ط : ونمسك عن دعائك ماشيننا الا أنه ، ش : « ماشيا

الا أنه » . صوابه من الانصاف .

يا بُؤس للجهل ضراراً لأقوام . اهـ

وقال اللخميّ في شرح أبيات الجمل : و (يا بُؤس) منادى مضاف معناه التعجب ، أى ما أبأس الجهل وما أضرّه للناس ؟ و (ضراراً) حال من الجهل أو نصب على القطع على مذهب الكوفيين ، ونظيره عندهم : (والهدى معكوفاً^(١)) واللام في لأقوام زائدة ؛ قال المبرد : هذه اللام تزداد في المفعول على معنى زيادتها في الإضافة ، يقولون : هذا ضاربٌ زيداً ، وهذا ضاربٌ لزيد ، لأنها لا تغير معنى الإضافة .

وأورد سيبويه هذا المصراع لكون اللام مقحمة بين المتضافين وتقدم الكلام عليها في الشاهد التاسع والسبعين^(٢) .

وهو عجز وصدرة :

(قالت بنو عامرٍ خالُوا بنى أسدٍ)

خالُوا : تاركوا ، يقال خالَى يُخالَى مَخَالَةً ومَخَالَةً ، كما يقال تارك يتارك ، ويقال للمرأة المطلقة « خلية » من هذا ، وخليت النبت : إذا قطعت .

وهذا البيت مطلع أبيات عدتها ثلاثة عشر بيتاً للناطقة الديباني ، قالها لزُرعة بن عمرو العامري : حين بعث بنو عامرٍ إلى حصن بن حذيفة بن بدر وإلى عُيينة بن حصن الديبانيين : أن اقطعوا ما بينكم وبين بنى أسد من الحلف ، وألحقوهم بكنانة بن خزيمه بنى عمهم ونحالفكم ، فنحن بنو أيبكم .

(١) الآية ٢٥ من سورة الفتح .

(٢) صوابه « فى الشاهد الحادى والثمانين . وانظر ص ٤٧٣ من

فلما هم عينة بذلك قالت لهم بنو ذبيان : أخرجوا من فيكم من الخلفاء وتخرج من فينا ! فأبوا من ذلك .

فحكى النابغة قول بني عامر . يقول : إن الجمل يضرّ الأقوام ويدعوهم إلى سفاهة الأحلام ؛ أي إن بني عامر جهال ، يأمرونا بترك هؤلاء الذين قد أحسنوا عنا الدفاع ، وكثر بهم الانتفاع .

وبعد هذا البيت :

(يأبى البلاء فلا نبغى بهم بدلاً ولا نريد خلاء بعد إحكام أبيات الشاهد
فصالحونا جميعاً إن بدا لكم ولا تقولوا : لنا أمثالها عام
إنى لأخشى عليكم أن يكون لكم من أجل بغضائهم يوم كآيام
تبدو كواكبهُ والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام)

وعام : منادى مرتحم عامر . وقافية البيت الخامس مرفوعة وما عداها مجرور ، وهو عيب يسمى إقواء . روى المرزبانى فى الموشح (١) بسنده عن محمد بن سلام قال : « لم يقو أحد من الطبقة الأولى ولا من أشباههم إلا النابغة فى بيتين : قوله :

أمن آل مية رائح أو مُغتدى عجلان ذا زادٍ وغير مزودٍ
زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود

وقوله :

سقط النصف ولم ترُد إسقاطه فتناولته واتقنتا باليد
بمخضبٍ رخصٍ كأنّ بنانه عمن ، يكاد من اللطافة يُعقد

- العنم : نبت أحمر يُصبغ به - فقدم المدينة فِعِيبَ ذلك عليه فلم يَأْبَهُ له ،
حتى أسمعوه إِيَّاهُ في غناء - وأهل القرى ألطفُ نظراً من أهل البدو ، وكانوا
يكتبون جوارِيهم عند أهل الكتاب - فليل للجارية : إذا صرتِ إلى قوله :
يعقد ، والأسود ، فرتلى . فلما قالت : الغدافُ الأسودُ ويعقدُ وباليدِ ، علم
فاتتبه ولم يُعَدِّ فيه . وقال : قدمتُ الحجازَ وفي شعري ضِيعَةٌ ، ورحلت عنها
وأنا أشعر الناس . وفي رواية أخرى أنه أصلح الأول بقوله : وبذاك تنعابُ
الغدافُ الأسودُ ، اهـ .

ويزاد عليه ما ذكرناه هنا فيكون قد أقوى في ثلاثة مواضع .

وقوله : يَأْبَى البلاءُ فما نبغى الخ ، يقول : يَأْبَى علينا أن نخالِهم^(١) ما بَلَوْنَا
من نصْحهم ، ولا نريد خِلاءَ أى متاركةً ، بهم : ببني أسد ، بعد إحكام
الأمر بينهم .

وقوله : تبدو كواكبهُ والشمس طالعة الخ ، رأيت في ديوانه المصراع
الثاني كذا :

* نوراً بنور وإظلاماً بإظلام *

قال شارحه : روى الأصمعيّ :

* لا النورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامٌ^(٢) *

يقول : هو يوم شديد تظلم الشمس من شدته فتبدو كواكبهُ . وقوله :
لا النور نور : لا كنوره نورٌ إن ظُفِرَ ولا كظلمته إن ظُفِرَ به . وقوله : نوراً
بنور كأنه قال : نور مع نور ، يريد بريق البيض والسيوف ، ونور الشمس

(١) ط : « نخالفهم » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « لا نور نور ولا اظلام اظلام » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

إذا أصاب البَيض صار نوراً مع نور . وقال ابن نصر : قوله : لا النور نور ، يريدُ أن نور هذا اليوم ليس من نور الشمس ، إنما هو من نور السلاح وبريقه ؛ ولا إظلام هذا اليوم من ظلمة الليل ، إنما ظلمته من كثرة الغبار . وقال : أراد بقوله : تبدو كواكبه ، شبهَ يريقِ البَيض وما ظهر من السلاح بالكواكب . وعلى هذا فلا إقواء .

و (النابعة) اسمه زياد بن معاوية . وينتهي نسبه إلى سعد بن ذبيان النابغة الديباني ابن بَقِيض ، وكنيته أبو أمامة وأبو عقرب ، بابنتين كانتاه .

وهو أحد شعراء الجاهلية وأحد فحولهم ، عدّه الجحجى في الطبقة الأولى بعد امرئ القيس . وسمّى النابغة لقوله :

* فقد نبغت لنا منهم شئون *

وقيل : لأنّه لم يقل الشعر حتّى صار رجلاً . وقيل : هو مشتق من نبغت الحمامة : إذا تغتت . وحكى ابن ولّاد أنه يقال : نبغ الماء ونبغ بالشعر . فكأنّه أراد أن له مادّة من الشعر لا تنقطع كادّة الماء النابغ . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : ونبغ بالشعر بعد ما احتنك ، وهلك قبل أن يُهتر^(١) . وهو أحد الأشراف الذين تمحّض الشعر منهم^(٢) ؛ وهو أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلم بيتاً . كأنّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلف . قال الأصمى : سألت بشاراً عن شعر الناس ، فقال : أجمع أهل البصرة على امرئ القيس وطرفة ، وأهل الكوفة على بشر بن أبي خازم والأعشى ، وأهل الحجاز

(١) احتنك : أحكمته التجارب لتقدم سنه . وأهتر : ذهب عقله .

أراد أن مدة قوله الشعر كانت قصيرة .

(٢) هذه العبارة لم ترد في الشعر والشعراء .

على النابغة وزهير ، وأهل الشام على جرير والفرزدق والأخطل . ومات النابغة في الجاهلية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث .
والآيات الدالية من قصيدة وصف بها المتجردة امرأة النعمان بن المنذر ، وكان النابغة من خواصه وندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجردة يوماً وغشيها أمرٌ سقط نصيفها^(١) واستترت يدها وذراعاها . وذكر في هذه القصيدة أموراً عجيبية منها في صفة فرجها . ثم أنشدها النابغة مرةً بن سعيد القريني فأنشدها مرةً النعمان ، فامتلاً غضباً وأوعد النابغة وتهدده . فهرب منه إلى ملوك غسان بالشام .

وقيل : إن الذي من أجله هرب النابغة : انه كان هو والمنخل اليشكري نديمين للنعمان ، وكان النعمان دميماً قبيح المنظر ، وكان المنخل من أجل العرب ، وكان يرمى بالمتجردة ، وتكلمت العرب أن ابني النعمان منها كانا منه . فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صف المتجردة في شعرك . فقال تلك القصيدة ، ووصفها فيها ووصف بطنها وفرجها وأردافها . فلحقت المنخل من ذلك غيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جرّب ! فوقر ذلك في نفس النعمان . فبلغ النابغة فخافه فهرب إلى ملوك غسان ، ونزل بعمرو ابن الحارث الأصغر فمدحه ومدح أخاه ؛ ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه إلى أن استعطف النعمان بن المنذر فعاد إليه .

ومما قاله في ملوك غسان ما أنشده ابن قتيبة في كتاب الشعراء عن الشعبي أنه قال : دخلت على عبد الملك ، وعنده رجل لا أعرفه ، فالتفت إليه عبد الملك فقال : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ! فأظلم ما بيني وبينه ، فقلت :

(١) كذا في النسختين ، بدون عائد على الموصوف .

من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتعجب عبد الملك من عَجَلَتِي فقال : هذا الأخطل !
قلت : أشعر منه الذى يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّامِّ
للحارثِ الأكبر والحارث الأصغر والأعرج خير الأنام
ثم لهند ولهند ، وقد يَنْجِعُ فى الرِّوَضَاتِ ماءُ الغمامِ
سِتَّةُ آبَاءٍ هُمْ مَا هُمْ ^(١) هُمْ خَيْرٌ مَنْ يَشْرَبُ صَفْوَ المِدامِ

فقال الأخطل : صدق يا أمير المؤمنين ، النابغة أشعر منى . فقال لى
عبد الملك : ما تقول فى النابغة ؟ قلت : قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء
غير مرة ، خرج وبياحه وقد غَطَّفَان ، فقال : أى شعرائكم الذى يقول :
حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبةً وليس وراء الله للمرء مطلبُ ؟
قالوا : النابغة . قال : فأى شعرائكم الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع ؟
قالوا : النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم !

وله القصائد « الاعتذاريات » المشهورة إلى النعمان بن المنذر ، لم يقل
أحد مثلها . منها قوله :

تُبَيِّتُ أَنْ أَبَا قَبُوسَ أُوْعِدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ

(١) ط : « ستة آبائهم ماهم » وأثبت ما فى ش . قال الميمنى :
« وكذا فى مقدمة جمهرة الأشعار : ستة ، ولكنى أرى الصواب : خمسة ،
كما فى ديوانه نسخة شيفر وملحق أشعار الستة والأغاني ٩ : ١٦٢ .
وأرى أن تقرأ :

* خسة آبائهم ماهم *

ولو نونت خمسة اختل الوزن . وفى الشعراء ١٠٩ : « ستة
آبائهم ماهم » .

وتمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان .
ومما يُمثِّل به من شعره :
فلو كُنِّيَ اليمينُ بفتك خَوْنَا لأفردتُ اليمينُ من الشمالِ
أخذه المنقَّبُ العبدىَّ فقال :
« فلو أنى تخالفتى شمالى خلافتك ما وصلتُ بها يمينى »
وقوله :

فحملتني ذنبَ امرئٍ وتركته كذى العُرْيكوى غيره وهو راتع^(١)
أخذه الكيت فقال :
« ولا أكوى الصالحَ براتعاتٍ بين العُرْ قبل ما كُوينا »

(تتمة)

٢٨٩

من اسم النابغة

ذكر الأمدى فى المؤلف والمختلف من يقال له النابغة ثمانية : أولهم هذا
والثانى : النابغة الجعدىّ الصحابى . والثالث : نابغة بنى الديان الحارثىّ .
والرابع : النابغة الشيبانى . والخامس : النابغة الغنوىّ . والسادس : النابغة
العدوانىّ . والسابع « النابغة الذبياني » أيضا وهو نابغة بنى قتال بن يربوع .
والثامن : النابغة التغلبىّ ، واسمه الحارث^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائة^(٣) :

(١) ط : « فحملتنا » وأثبت ما فى ش . والرواية : « لحملتني »
وفى شرح الوزير أبى بكر : « لكلفتني » .

(٢) فى المؤلف ١٩٣ : « واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بنى زيد
ابن عمرو بن غنم بن تغلب » .

(٣) العينى ٤ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١٢٧ ، ١٣٠ وأمالى ابن
الشجرى ٢ : ٧٩ ونوادر أبى زيد ١٦٣ والانصاف ٣٢٥ ، ٦٨٢ والهمع
١ : ١٧٤

١٠٥ (يا أَبَجْرَ بْنَ أَبَجْرٍ يَا أَتْنَا أَنْتَ الَّذِي طَلَّقْتَ عَامَ جُعْنَا)
على أن المضر لو وقع منادى جاز نظراً إلى المظهر^(١)، فإن المظهر
بصورة الرفع، والضمير ضمير رفع.

قال ابن الأنباري في مسائل الخلاف تقلا عن البصريين « بأن^(٢) المفرد
المعرفة إنما بنى لأنه أشبه كاف الخطاب، وكاف الخطاب مبتية، فكذلك
ما أشبهها ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه: الخطاب، والتعريف، والإفراد.
ومنهم من قال: إنما بنى لأنه وقع موقع اسم الخطاب، لأن الأصل في قولك
يا زيد: أن تقول: يا إياك، أو يا أنت، لأن المنادى لما كان مخاطباً كان
ينبغي أن يستغنى عن اسمه ويؤتى باسم الخطاب، فيقال: يا إياك أو يا أنت،
كما قال:

(يا مَرْءِيا ابن واقع يا أَتْنَا)

فلما وقع الاسم المنادى موقع اسم الخطاب وجب أن يكون مبتياً كما أن
اسم الخطاب مبتى.

وظاهر كلام الشارح المحقق أن نداء الضمير مطرد، وأنه لا فرق بين
نداء الضمير المرفوع والضمير المنصوب.

قال ابن الحاجب في الإيضاح: نداء المضر شاذ. وقد قيل إنه على
تقدير: يا هذا أنت، ويا هذا إياك أعنى.

(١) نص الرضى ١: ١٢٠: « وان وقع المضر منادى جاز: يا أنت
(يريد أن يأتى ضمير رفع) نظرا الى المظهر، قال: يا أبجر... »
الخ. ثم قال: « وجاز: يا إياك (يريد أن يأتى ضمير نصب) نظرا الى
كونه مفعولا. فتأمل عبارة البغدادي وما سيأتى من كلامه.

(٢) كذا في النسختين. وفي الانصاف: « وأما البصريون فاحتجوا
بأن قالوا: إنما قلنا انه مبتى وان كان يجب في الأصل أن يكون معربا
لأنه أشبه كاف الخطاب. »

وقال أبو حيان في تذكرته : « وأما يا أننا فشاذاً ، لأن الموضع موضع نصب وأنت ضمير رفع ، فحقه أن لا يجوز كما لا يجوز في إياك ؛ لكن بعض العرب قد جعل بعض الضمائر نائباً عن غيره ، كقولهم : رأيته أنت ، بمعنى رأيته إياك ؛ فناب ضمير الرفع عن ضمير النصب ، وكذلك قالوا : يا أننا ، والأصل يا إياك . وقد يقال : إن « يا » في يا أنت حرف تنبيه ، وأنت مبتدأ وأنت الثانية تأكيد لفظي ، والخبر هو الموصول ؛ وهذا أولى من ادعاء نداء المضمر بصورة المرفوع وجعله شاذاً . وقال ابن عصفور : ولا ينادى المضمر إلا نادراً ، والأسماء كلها تنادى إلا المضمرات ؛ أما ضمير الغيبة وضمير المتكلم فهما مناقضان لحرف النداء ، لأن حرف النداء يقتضى الخطاب ؛ ولم يجمع بين حرف النداء والضمير المخاطب لأن أحدهما يغنى عن الآخر ، فلم يجمع بينهما إلا في الشعر مثل قوله :

يا أقرع بن حابس يا أننا أنت الذى . . . الخ

فمنهم من جعل بالتنبيه ، وجعل أنت مبتدأ ، وأنت الثانى إما تأكيداً أو مبتدأً أو فصلاً أو بدلاً . ودل كلامه على أن العرب لاتنادى ضمير المتكلم فلا تقول : يا أنا ، ولا ضمير الغائب فلا تقول : يا إياه ولا يا هو ، فكلام جهلة الصوفية في نداء الله تعالى : يا هو ، ليس جارياً على كلام العرب ، ا هـ كلام أبي حيان .

وهذان البيتان من أرجوزة لسالم بن دارة ، وقد حرّف البيت الأول على أوجه كما رأيت . وصوابه :

(يا مرّ يا ابن واقع يا أننا)

ورواه العيني كرواية الشارح ، وزعم أن قائله الأحوص . وهو وهم ، إنما

قوله تتر لا نظم : وهو أنه لما وفد مع أبيه على معاوية خطب ، فوثب أبوه ليخطب فكفّه وقال : يا إياك قد كفيته .

ومنشأ الوهم : أن النحويين قد ذكروا هذا البيت عقب قول الأحوص مع قولهم (وكقوله) ، فظن أن الضمير للأحوص .

وقد صحفه أبو عبد الله بن الأعرابي أيضا في نوادره ، ورواه :

* يا قُرْ يا ابنَ واقع يا أنتا *

نبه على تصحيحه أبو محمد الأسود الأعرابي فيما كتبه على نوادره وسماه « ضالة الأديب » فقال : صحف أبو عبد الله في اسم من قيل فيه هذا الرجز فقال : ياقر ، وإنما هو يامر ، وهو مرة بن واقع أحد بني عبد مناف بن قزارة . وقوله : (أنت الذي طلقت) ، كان القياس طلق ، ليعود إلى الموصول ضمير الغائب . قال ابن جني : هذا كلام العرب الفصيح ؛ وقد جاء أيضا الحمل على المعنى دون اللفظ كهذا البيت .

وكان من قصة سالم بن داردة ومرة بن واقع الفزاري : أن قرفة^(١) أحد بني عبد مناف نثّل حسيّا بزُهمان ، فاستعان بسالم وبمرة - واسم الحسي معلق - فرجز سالم وهو يخرج عن مرة المسناة^(٢) :

أنزلى قِرْفَةَ في معلقٍ أترك حبلِي مرة وأرتقى
عن مرة بن واقع واستقى^(٣)

(١) ط : « قرفة » ، صوابه في ش وانظر الأغاني ٢١ : ٥١ وقولهم في المثل : « أمتع من أم قرفة » .

(٢) ط : « المياه » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، يقال سنا الدلو ونحوها : جرها من البئر وانتزعها .

(٣) الأبيات في معجم البلدان (معلق) محرفة تحريفا شديدا .

ثم قال :

ولا يزال قائلٌ : أين ابنٌ دُلوكة عن حدِّ الضُّروس واللبِّين^(١)
فغضبُ مَرَّةٍ من ذلك ؛ وكان عند مَرَّةٍ امرأةٌ من بني بدر بن عمرو ،
فأَسَنَتْ مَرَّةً فطَلَّقَهَا (وأهل البادية أَفْعَلُ شَيْءٌ لذلك) ، فلما أَحْيَا أَرَادَ رَجْعَهَا
فأَبَتْ ؛ وكان مَرَّةٌ يحسب أن له عليها رجعة ، وأنه إِنَّمَا فَاكَهَا ، فاحتملت
إلى أهلها ، ثم لَمَّا مَرَّةٌ حجَّ في أَرْكَوب من بني فزارة حجاج ، وخرج سالم
في أَرْكَوب من بني عبد الله بن غطفان حجاج ، فاصطحبوا ، فنزل مَرَّةٌ يسوق
بالقوم فقال يرنجز :

لو أن بنت الأكرم البدرى رأت شحوبى ورأت بدرى
وهنَّ خوصٌ شَبَّهَ القسَى يَلْفُهَا لَفَّ حَصَى الآتي^(٢)
أَرَوَعُ سَقَاءٍ عَلَى الطوى

ثم نزل سالمٌ يسوقُ بالقوم ، وقد كانا تضاغنا ، فرجز :

(يا مراً يا ابنَ واقع يا أنثى أنت الذى طَلَّقْتَ عَامُ جُمْنَا
فَضَمَّهَا البدرى إِذْ طَلَّقْنَا حتى إِذَا اصْطَبَحْتَ وَاعْتَبَقْنَا
أَصْبَحْتَ مَرْتَدًّا لَمَّا تَرَكْنَا أَرَدْتَ أَنْ تُرْجِعَهَا ، كَذَبْنَا
أُودَى بنو بدرٍ بِهَا ، وَأَنْتَا^(٣) تُقْسِمُ وَسَطَ القوم : ما فارقنا

(١) الرجز منسوب في اللسان (خرس ٤٢٥) الى ابن ميادة
برواية : « أما يزال » . وكذا رواه في (لبن ٢٥٩) لكن بنسبته الى
سالم بن دارة ، ثم قال : « وقيل لابن ميادة » . وهو في اصلاح المنطق
١٩٠ بدون نسبة برواية اللسان .

(٢) ط : « يلفهما لفى » ، صوابه في ش :

(٣) من الأول ، وهو البطء ، كما في التبريزي ١ : ٣٦٧ عند

انشاد الرجز .

قد أحسن الله وقد أسأنا فأدُّ رزقها الذى أكلنا

انتهى ما أورده الأسود الأعرابى .

٢٩١

وقوله : نثَل حِسْيا بزُهْمان ، يقال نثَلت البئر نثْلاً وانتثلتها : إذا استخرجت ترابها ، وهو النثيلة بالنون والثاء المثلثة . والحسَى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين : ما تَنْشَفُ الأرضُ من الرمل^(١) فإذا صار إلى صلابة أمسكته ، فتحفر عنه الرمل فتستخرجه ؛ وجمعه الأحساء . وزُهْمان بضم الزاء المعجمة^(٢) وسكون الهاء : وادٍ لبني فزارة متصل بالرقم - بفتح الراء والقاف - وهو موضع بالحجاز قريب من وادى القرى ، كانت فيه وقعة لفظقان على عامر . كذا فى معجم ما استمعجى لأبى عبيد البكرى .

وقوله : أبْنُ أبْنٍ ، هو فعل أمر من الإبانة وهو الإبعاد . والضُّروس ، قال فى الصحاح : بضم الضاد : الحجارة التى طويت بها البئر . وأنشد هذا الشعر ؛ وبئر مضروسة وضريس أى مطوية بالحجارة .

وقوله : فأَسْنَتَ مَرَّةً ، أى أصابه السنة ، وهى القحط والجذب . وقوله : فلما أحيَا ، فى الصحاح : قال أبو عمرو : أحيَا القوم : إذا حسنت حال مواشيهم . فإن أردت أنفسهم قلت : حيُوا . ثم قال : وأحيَا القوم أى صاروا فى الحيا ، وهو الخصب ، والحيا مقصور : المطر والخصب اه . وهو بالخاء المهملة وبمدها ياء آخر الحروف . وقوله فاكْهَى أى مازحها ، والمفاكهة : المازحة . وقوله : البدرى ، منسوب إلى بنى بدر بن عمرو . ولو للتعنى لأجواب لها . والشُّحوب : مصدر شَحَبَ جسمه بالفتح يشحُب بالضم : إذا تغيَّر . وقوله :

(١) ط : « ما تَنْشَفُهُ » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان .
والمراد ما تشربه الأرض الرملية من الماء .
(٢) ضبطه ياقوت بالضم وبالفتح أيضاً .

بذريّ أى إلى المفرقة ؛ ويقال تفرقت إبله شذر بذر ، بفتح الشين والباء وكسرهما وما بعدها مفتوح : إذا تفرقت فى كل وجه . وقوله : وهنٌ خوصٌ : أى غائرات العيون ، جمع أخوص وخوصاء ، والفعل خوص بالكسر أى غارت عينه . ويلقها : يضمها ويجمعها . والآتى بفتح الهمزة وكسر المشنة الفوقية ، قال فى الصحاح « وأتيت للماء تأتية وتأتيا أى سهلت سبيله ليخرج إلى موضع ؛ والآتى : الجلول يؤتية الرجل إلى أرضه ، وهو فاعل ؛ يقال : جاءنا سيل أتى وأتاوى : إذا جاءك ولم يصبك مطره . » وقوله أروع ، هو فاعل يلقها ؛ ومعناه : السيد الذى يروعك بجماله وجلاله . وسقاء : مبالغة ساق . والطوى : البئر المطوية ، أى المبنية بالحجارة .

وقوله : أصبحت مرتدّا . أى راجعا ، والارتداد : الرجوع . وأودى بها : ذهب بها : وقوله : فادّ رزقها ، أى أعط صداقها الذى تغلبت عليه وأكلته .

سالم بن دارة (سالم بن دارة) هو سالم بن مسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب ابن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان .

ودارة : لقب أمه ، واسمها سقاء^(١) ، كانت أختة : أصابها زيد الخليل من بعض غطفان وهى حبلى (وهى من بنى أسد) فوهبها زيد الخليل لزهير ابن أبى سلمى . فربما نسب سالم بن دارة إلى زيد الخليل . كذا فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم تأليف أحمد بن أبى سهل بن عاصم الحلوانى ، ومن خطّه قلت .

وقال التبريزى فى شرح الحامسة : ودارة هو يربوع ، وإنما سُمي دارة

(١) كذا بالقاف فى النسختين .

لأن رجلاً من بني الصارد بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، يقال له : كعب ، قتل ابن عم ليربوع بن كعب يقال له : درص ، قتل يربوع كعباً بابن عمه وأخذ ابنة كعب ، ثم أرسلها فأنت قومها فنمت أباه كعباً ، فقالوا : من قتله ؟ قالت : غلام كان وجهه دائرة القمر ، من بني جشم بن عوف بن بهثة . فسئى بذلك ونسب إليه سالم . ١٠٥ .

ومثله في الأغاني . والصحيح الأول ، ويدل له قول سالم :

أنا ابنُ دائرة معروفاً بها نسي وهل بدارة ، يا للناس ، من عار !
وسالم : شاعر مخضرم : قد أدرك الجاهلية والإسلام . وكان رجلاً هجاء وبسبه قتل .

٢٩٢

قال التبريزي قطلا عن أبي رياش . وكان الذي هاج قتله : أنه كان مرة بن واقع من وجوه بني فزارة ، وكانت عنده امرأة من أشراف بني فزارة ، ففنا كهنه امرأته ذات ليلة فطلقها البتة واحتملت إلى أهلها - ومرة يظن أنه قادر على ردّها إذا شاء - حتى أتى لذلك عامٌ وهما كذلك . ثم خطبها حمل بن القليب الفزاري ، ورجل آخر من بني فزارة يقال له علي ، وخطبها ابن دائرة . فبلغ ذلك مرة ، فأراد أن يراجعها فأبت عليه واختارت علياً . فركب مرة بن واقع إلى معاوية - وقيل إلى عثمان - فقال : إن الأعراب أهل جفاء ، وإني قد قلت كلمة بيني وبين امرأتى لم أرد ما تبليغ ، فتزوجت رجلاً ، وإنما أتيتك مباحراً قبل أن يني بها ، فامنع لي امرأتى . فقال معاوية : لقد ذكرت امرأة صغيرة في أمر عظيم^(١) لا سبيل لك عليها .

(١) أغفل البغدادى جملة يكون الكلام بها واضحاً ، وهي كما في

١ : ٣٦٧ : « أمر الله عظيم ، وامراتك أمرها صغير » .

ففرّق بينهما معاوية ، وهو يومئذ على الشام عاملاً لعثمان ، فقال سالم في ذلك قبل أن يقدم مرة عند معاوية والقوم ينتظرونه :

يا ليت مرة يأتها فيجعلها خيراً البناء ويجزى منها الجازى

فجاء مرة وقد ابتنى بها على : فغضب على سالم وجعل يشتمه حتى قال : أيها العبد من محوالة ، ما أنت وذاكر نساينا ؟ ! (ومحوالة بنو عبد الله بن غطفان ، وكان يقال لهم بنو عبد العزى ، فوفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من أنتم ؟ فقالوا : نحن بنو عبد العزى فقال صلى الله عليه وسلم : بل أنتم بنو عبد الله ! فسّمّتهم العرب محوالة) فقال سالم بن دارة : مهلاً يامرة ، فإنى لم أفل تأييداً (كأنه أراد لم آت بأبدة) وما بى بأس ، ولا ذنب لى ؛ وإنما مزحت . فأبى مرة إلا شتمه . فقال سالم ، وقد غضب :

* يامرّ يا ابن واقع يا أتنا *

أوقع « يا » على المنادى المحذوف كأنه قال : يامرة أنت . وقد ادعى قوم أن أنت يجوز نداؤها . ولا ينبغي أن يعدل عن الوجه الأول . . . ثم ذكر الأبيات السابقة وقال :

ثم تواعدا أن يلتقيا ، وعظم في صدور بنى فزارة قول سالم ، فأغضوا على ذلك . ثم توافقا^(١) ابن واقع وسالم على رهان ، وفيهم يومئذ ابن بيشة^(٢) . أحد بنى عبد مناف بن عقيل ؛ فقال سالم لجميع بنى فزارة : إني أحمد الله كهدهم وبعدكم ، واستعهدكم من مرة . فقال مرة : والله لا أزال أهجوكم مابل ريقى لسانى . وجاءت بنو فزارة بامرأة من بنى غراب ترجز يقال لها : غاضرة . فلما رآها سالم نهق كما ينهق الحمار ثم قال :

(١) وكذا فى التبريزى ١ : ٣٦٨ . وفى ش : « توافق » .

(٢) وكذا فى التبريزى . وجعلها الشنقيطى فى نسخه : « بشينة » .

قد سبّني بنو الغراب الأحمر^(١) جُبْنًا وجهلاً ، وتمنّوا منكراً
كلُّ عَجُوزٍ منهم ومُعْصِرٍ غاضراً ، أدّى رِشْوَتي لا تغدو
وأبشري بعزبٍ مصدرٍ شرابِ ألبان الخلايا ، مقفرٍ
يحمل عَرْدًا كالوظيف الأعرجِ وفيثَةً متى ترَبَّها تشفري^(٢)
حراء كالنورج فوق الأندر تَقَلِّبُ أحياناً حاليقَ الحرِّ
مَعْقِدٍ مشعرٍ مسيرٍ^(٣) كأنما أحسن جيش المنذرِ
إن تمنى قَعُوكِ أَمْنَعِ محوري لقعو أخرى كعُتبٍ مدورٍ
(النورج : شئء يَدُقُّ به أهل الشام حَبَّهم) : فلما قالها سالم أَلْهاها الاستماعُ
الرَدُّ عليه ؛ ثم لوى دِرْعها فكشَفَ عنها ، فحجز الناس بينها وافترقوا ،
ولا بن دارة الظفر . وعمّ بنى فزارة بالهجاء لما أعانت عليه بنو غراب^(٤) ،
وقال يهجو مرّة بن واقع الفزاري^(٥) :

حَدِّدْ بَا بَدِّدْ بَا مِنْكَ الْآنَ اسْتَمْعُوا أَنْشِدْكُمْ يَا وَلِدَانُ
إِنَّ بَنِي فَزَارَةَ بَنَ ذِيانٍ قَدْ طَرَقَتْ نَاقَتُهُمْ يَا نَسَانُ
مُشِيًّا أَعْجِبْ بِمَخْلَقِ الرَّحْمَنِ^(٦) غَلِبْتُمُ النَّاسَ بِأَكْلِ الْجُرْدَانِ
كُلَّ مِثْلٍ كَالْعَمُودِ جَوْفَانُ وَسَرَقَ الْجَارِ وَنِيكَ الْبُعْرَانُ

(١) التبريزي : « يقول الغريبان تكون بقعا وسودا وأنتم بنو غراب
أحمر ، ينسبهم الى الأعاجم ، لأن الحمرة فيهم أكثر » .

(٢) في حواشي ش بخط ناسخها : « شفرت المرأة تشفر اذا قربت
شهوتها » . وعند التبريزي : « تسفري » .

(٣) ش : « مقعر مسعر مسير » .

(٤) ط : « بنو غراب » ، صوابه في ش والتبريزي .

(٥) ط : « المرني » ، صوابه في ش .

(٦) التبريزي : « المشيا : المقبح الوجه » . ط : « مشيا » ، صوابه

في ش .

(حديدبا : كلمة جاء بها في معنى التعجب مما هو فيه . وأصلها لعبة يلعب بها الصبيان - ويختلف في لفظها ، فبعضهم يقول حديدبا بباءين ، وبعضهم يقول : حندنبا ، ومنهم من يقول حديدبا - يقول : اجتمعوا يا صبية لتلعبوا هذه اللعبة . وإنما غرضه أن يعجب الناس مما هو فيه ، ويعلمهم أنه في أمر كلعب الصبيان) .

وقال قصيدةً طويلة في هجوم ، منها :
 بلغ فزارة أتى لن أسألها حتى ينك زميل أم دينار
 (هي أم زميل وكانت تكنى أم دينار) خلف زميل بن أبيير ، أحد بني عبد الله بن عبد مناف : أن لا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتي امرأة حتى يقتله . فالتقى زميل وابن دارة منحدر إلى الكوفة ، وزميل يريد البادية : فقال له سالم : لأبالك؟ ألم يأن لك أن تحلّ يمينك^(١)؟ فقال له زميل : إنّي أعتذر إليك ، والله ما في القوم حديدة إلا أن يكون غخيطة . فافترقا . وسار سالم حتى قدم على أخيه بالكوفة فمكث غير بعيد ، ثم لحق بقومه بالبادية ، ثم ورد المدينة ، ثم خرج منها فلقى زميلاً عشاء ، وزميل داخل المدينة ، فكلّمه وناداه وقال . . ألا تحلّ يمينك؟ ثم انطلق واتبعه زميل وغشيّه بالسيف ، فدفع الراحلة ، وأدركه زميل فضربه فأصاب مؤخرة الرجل وحذا عضده ذباب السيف حذيةً أوضحت ، ورجع إلى المدينة يتداوى بها . فزعوا أن بسرة بنت عيينة بن أساء - ويقال إنها بنت منظور بن زبّان ، وكانت تحت عثمان بن عفان - دسّت إلى الطبيب سمّاً في دوائه فمات ، وقال قبل موته :

أبلغ أبا سالم عني مغفلة فلا تكونن أدنى القوم للعار
 لا تأخذن مائة منهم مجلّة ، واضرب بسيفك منظور بن سيّار

(١) ط : « يميني » صوابه في ش . والذي حلف هو زميل .

وقال الناس لما قُتل : قد محَّوا عن أنفسهم . وفي ذلك يقول الكيث
ابن معروف :

فلا تُكثروا فيها الضَّجَّاج فإنه محال سيف ما قال ابنُ دارة أجمعا
انتهى ما أورده التبريزي .

وقال محمد بن حبيب ، في كتاب المغتالين من الأشراف في الجاهلية
والإسلام^(١) : إن سالم بن دارة هجازميل بن أبيير ، وهو ابن أمّ دينار ،
فقال في قصيدة له طويلة :

ألى ابن دارة جهداً لا يصالحكم حتى ينك زميل أمّ دينار

٢٩٤

وحكى الحكاية كما ذكرت . إلى أن قال : ثم إن زميلا قدم المدينة
فقضى حوائجه ، حتى إذا صدر عن الشقرة^(٢) سمع رجلا يتغنى بشعر ، فعرف
زميل صوت سالم ، فأقبل إليه فضربه ضربتين وعقر بعيره . فحمل سالم إلى
عثمان بن عفان ، فدفعه إلى طبيب نصراني ، حتى إذا برأ والتأمت كلومته
دخل النصراني ، وإذا سالم يشامع امرأته^(٣) فاحتقنها عليه^(٤) فقال له النصراني :
إنى لأرى عظما ناتئا ، فهل لك أن أجعل عليه دواء حتى يسقط ؟ قال : نعم ،
فافعل . فسمه فمات . ويقال : إن أمّ البنين بنت عيينة بن حصن الفزاري ،
وكانت عند عثمان بن عفان ، جعلت للطبيب جُعلاً حتى سمه فمات . ا هـ .

(١) نشرته محققا في نوادر المخطوطات ٢ : ١٠١ - ٢٧٨ . وهذا
النص في ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) الشقرة ، بالضم : قرية على طريق المدينة . معجم ما استعجم
٧٤٩ .

(٣) في النسختين : « وإذا سالم مع امرأته » ، صوابه في كتاب ابن
حبيب . شامعها : لاعبها وضاحكها .

(٤) في كتاب ابن حبيب : « فاحتقنها عليه » .

وافتحز زميل بقتله وقال :

أنا زميل قاتل ابن داره وغاسل الخنزرة عن فزاره^(١)

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائة ، وهو من شواهد س^(٢) :

١٠٦ (سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرُ عَلَيْهَا وليس عليك يا مَطَرُ السَّلامُ)

على أنه إذا اضطرَّ إلى تنوين المنادى المضموم اقتصر على القدر المضطرَّ إليه من التنوين . والقدر المضطرَّ إليه هو النون الساكنة ؛ فألحقت وأبقيت حركة ما قبلها على حالها ، إذ لا ضرورة إلى تغييرها ، فإنها تندفع بزيادة النون . وهذا مذهب سيبويه والخليل والمازني . قال النحاس والأخفش المجاشعي في المعالجة : وحجتهم أنه بمنزلة مرفوع ما لا ينصرف ، فلحقه التنوين على لفظه .

واختار الزجاجي في أماليه هذا المذهب ؛ لكنه ردَّ الحجة فقال : الاسم العلم المنادى المفرد مبنى على الضم ، لمضارعتة عند الخليل وأصحابه للأصوات ، وعند غيره لوقوعه موقع الضمير ، فإذا لحقه [التنوين^(٣)] في ضرورة الشعر فالعلة التي من أجلها بُنِيَ قائمةً بعده فيه ؛ فينوّن على لفظه ، لأننا قد رأينا من المبنيات ما هو منوّن نحو إليه وغاي وما أشبه ذلك . وليس بمنزلة ما لا ينصرف لأن ما لا ينصرف أصله الصرف ، وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة [شعري^(٤)] ولا غيره إلا « أفعل منك » فإذا

(١) ط : « أبا زميل » ، صوابه في ش والتبريزي ١ : ٣٧٢ . ولزميل

ترجمة في الإصابة ٢٩٧٣

(٢) سيبويه ١ : ٣١٣ . والعيني ١ : ١٠٨ / ٤ : ٢١١ والانصاف

٣١١ وابن السجري ١ : ٣٤١ ومجالس ثعلب ٩٢ ، ٢٣٩ ، ٥٤٢ ، والهمع ٢ :

٨٠ . وأمالي الزجاجي ٨١ وشرح شواهد المغني ١٦٠ والأغاني ١٤ : ٦١ ، ٦٢ .

(٣) التكملة من أمالي الزجاجي

نُونٍ فَإِنَّمَا يَرُدُّ إِلَى أَصْلِهِ ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منصوباً منوّناً قط في غير ضرورة شعر . فهذا بيّن واضح . اهـ

وتبعه اللخميّ في أبيات الجمل ، ونقل هذا الكلام بعينه .

قال النحاس : وحكى سيبويه عن عيسى بن عمر (يا مطراً) بالنصب ؛ وكذلك رواه الأخفش في المعاية وقال : نصب مطراً لأنه نكرة . وهذا ليس بشيء . قال المبرد : أما أبو عمرو وعيسى ويونس والجرميّ فيختارون النصب ، وحجّتهم أنهم ردّوه إلى الأصل ؛ لأنّ أصل النداء النصب كما ترده الإضافة إلى النصب ، قال : وهو عندي أحسن لردّه التّوين إلى أصله كما في النكرة .

وهذا البيت من قصيدة للأحوص الأنصاري ، وبمده :

(فلا غفرَ الإلهُ لمنكحها ذنوبهم وإن صلّوا وصاموا أبيات الشاهد
 كأنّ المالكين نكاحَ سلميٍّ غداة نكاحها مطرٌ ، نيامٌ
 فلو لم ينكحوا إلّا كفيئاً لكان كفيئها الملكُ المهامُ ٢٩٥
 فإن يكن النكاحُ أحلَّ شيء فإن نكاحها مطراً حرامٌ
 فطلّقها فلست لها بكفء وإلّا يعلُ مفركك الحسامُ !)

في الأغاني بسنده إلى محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاد الأنصاري قال :

فَقيمَ الأحوصَ البَصرةَ ؛ فخطب إلى رجل من بني تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هات لي شاهداً يشهد أنك ابن حمي الدبر وأزواجك . فجاءه بمن شهد له على ذلك . فزوَّجه إياها ، وشرطت عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها . فخرج بها إلى المدينة ، وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعدِلْ بي إلى أختي . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ،

وكانت من أحسن الناس ، وكان زوجها في إبله فقالت زوجة الأحوص له : أقم حتى يأتي . فلما أمسوا راح مع إبله ورعاه (١) وراحت غنمه فراح من ذلك شيء كثير (٢) ، وكان يسمى مطراً . فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه ؛ وكان شيخاً دميماً ، فقالت له زوجته : قم إلى سلفك فسلم عليه . فقال الأحوص وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه :

سلام الله يا مطر عليها الأبيات

وأشار إلى مطر بإصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجز بينهم . انتهى

وقال الزجاجي في أماليه الوسطى ، وتبعه اللخمي : كان الأحوص يهوى أخت امرأته ويكتم ذلك وينسب فيها ولا يفصح ؛ فتزوجها مطر فغلبه الأمر وقال هذا الشعر (٣) . وبعضهم لما لم يقف على منشأ الشعر قال : مطر اسم رجل وكان دميماً أقبح الناس ، وكانت امرأته من أجل النساء وأحسنهن وكانت تريد فراقه ولا يرضى مطر بذلك فأناشد الأحوص هذه القصيدة يصف فيها أحوالها . هذا كلامه .

قوله : غداة نكاحها الخ ، الغداة : الضحوة ، وأراد مطلق الوقت . ونكاحها : مصدر مضاف لمفعوله ؛ ومطر : فاعل المصدر ، وهو هنا بمعنى التزوج والعقد في الموضعين ؛ ونيام : خبر كأن ، وروى بدله :

(١) في النسختين : « راجع إبله ورعاه » ، صوابه من الأغاني .
والتصحيح هنا جد قريب .

(٢) الأغاني : « فراح من ذلك أمر كثير » .

(٣) في الأمالي : « فبلغه الأمر وقال هذا الشعر » والكلام بعد هذا ليس في الأمالي

* غداة يَعْرَهُمْ مطرٌ نيام *

مضارعُ عَرَّهم من باب قتل عُرَّة بالضم ، وهو الفضيحة والقذر والجرب^(١) ، يقال: فلان عُرَّة كما يقال قذر للبالغة .

وقوله : فلو لم ينكحوا .. الخ هو مضارع أنكحت الرجل المرأة ؛ فهو متعدّد لمفعولين بالهمزة ، والمفعول الأول ضمير سلمي محذوف ؛ والكفى على وزن فاعيل بمعنى الكفء والمائل ، ويقال الكفوء أيضاً على وزن فَعُول .

وقوله : أحلّ شيء ، هو منصوب خبر يكن ، وهو أفعل تفضيل من الحلال ضدّ الحرام ؛ وروى الزجاجي (أحلّ شيئاً) ، بنصب شيء ، فيكون أحلّ فعلاً ماضياً ؛ وقوله : فإن نكاحها مطراً ، يروى برفع مطر ونصبه وجرة : فالرفع على أنه فاعل المصدر وهو نكاحها فيكون مضافاً إلى مفعوله ، والنصب على أنه مفعول المصدر فيكون مضافاً إلى فاعله ، والجـر على أنه مضاف إليه ووقع الفصل بين المتضايقين بضمير الفاعل أو المفعول . وقد أورد ابن هشام هذا البيت في شرح الألفية شاهداً لهذا .

وقوله : وإلّا يعلّ مفرّقك .. الخ أى وإن لم تطلقها . وهذا البيت شاهد للنُّحاة في أطراد حذف الشرط في مثله . والمفرق بفتح الميم وكسر الراء : الموضع الذي ينفرق فيه الشعر من الرأس ، وأراد به هنا الرأس . وترجمة الأحوص تقدمت في الشاهد الخامس والثمانين^(٢) .

* * *

(١) ط : « والجرب » ، صوابه في ش

(٢) انظر ص ١٦ من هذا الجزء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد المائة: (١) .

١٠٧ (يا لَكْهول وللشبان العجيب)

على أن لَام المستغاث إن عطفت بغير يا كبرت ، فلام للشبان مكسورة ،
والقياس فتحها ؛ وجاز الكسر لعدم اللبس . وهذا عجز وصدرة :

(يَيْسِكُ ناءٌ بعيدُ الدارِ مقترَبُ)

يقال بكيته : بمعنى بكيت عليه . والنائي : أراد به بعيد النسب . وبعيدُ
الدار وصف ناءٍ ، ولا تضرُّ الإضافة إلى المعرفة لانتها في نية الانفصال لأن الدار
فاعلة في المعنى .

يقول: يبيكي عليك الغريب ، ويسرّ بموتك القريب ، وهو أحد الأعاجيب .
والكهول : جمع كهل . والشبان : جمع شاب ؛ قال ابن حبيب . زمان
الغلومية سبع عشرة سنة ، منذ يولد إلى أن يستكملها ، ثم زمان الشبايية سبع
عشرة سنة إلى أن يستكمل أربعاً وثلاثين ؛ ثم هو كهل سبع عشرة سنة إلى أن
يستكمل إحدى وخمسين سنة ؛ ثم هو شيخ إلى أن يموت .
وهذا البيت من شواهد جمل الزجاجي وغيره . ولم ينسبه أحد إلى قائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه (٢) :

١٠٨ (يا لعطافنا ويا لرياح)

على أن اللام في المعطوف فتحت كلام المعطوف عليه ، لإعادة يا . وبعده :

(١) العينى ٤ : ٢٥٧ والهمع ١ : ١٨٠ والأشمونى ٣ : ١٦٥

(٢) سيبويه ١ : ٣١٩ . وانظر العينى ٤ : ٢٦٨ وابن يعيش ١ : ١٢٨ .

١٣١ والهمع ١ : ١٨٠ والأشمونى ٣ : ١٦٥

(وَأَبِي الْحَشْرَجِ الْفَتَى النَّفَّاحَ)

فَأَبِي الْحَشْرَجِ مَعُطُوفٌ عَلَى يَافِعَاطِنَا . وَعُطَّافٌ وَرِيَّاحٌ وَأَبُو الْحَشْرَجِ :
أَعْلَامُ رِجَالٍ . وَالنَّفَّاحُ : الْكَثِيرُ النَّفْحِ أَى الْعُطِيَّةِ : وَقَبْلَهُ :

يَا لَقَوْمِي ، مَنْ لِلْعُلَا وَالْمَسَاعِي يَا لَقَوْمِي ، مَنْ لِلنَّدَى وَالسَّمَاحِ

الْمَسَاعَى : جَمْعُ مَسَاعَةٍ فِي الْكُرْمِ وَالْجُودِ .

رَنَى هَذَا الشَّاعِرُ رِجَالًا مِنْ قَوْمِهِ وَقَالَ : لَمْ يَبْقَ لِلْعُلَا وَالْمَسَاعَى مَنْ يَقُومُ
بِهَا بَعْدَهُمْ .

وهذا من الشواهد الحسنة التي لم يُعرف لها قائل .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ بَعْدَ الْمِائَةِ :

١٠٩ (فِيَا اللَّهَ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ)

عَلَى أَنَّ الْمُسْتَغَاثَ لَهُ قَدْ يَجْرُ بِمَنْ كَمَا يَجْرُ بِاللَّامِ .

قَالَ الدِّمَاقِيُّ فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ : وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَنَا الْمُسْتَغَاثَ مِنْ أَجْلِهِ
أَعْمٌ مِنْ أَنْ يَرَادَ الْمُسْتَنْصَرُ لَهُ وَالْمُسْتَنْصَرُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ كُلٌّ مِنْهُمَا وَقَعَتِ الْاسْتِغَاثَةُ
بِهِ لِأَجْلِهِ أَى بِسَبَبِهِ ؛ فَإِذَا كَانَ الْمُسْتَغَاثُ مِنْ أَجْلِهِ مِنَ النَّوْعِ الْأَوَّلِ لَا يَجُوزُ جَرُّهُ
بِمِنْ أَلْبَتَةَ بَلْ يَجْرُ بِاللَّامِ ؛ وَإِذَا كَانَ مِنَ النَّوْعِ الثَّانِي جَازَ الْوُجْهَانِ ، فَإِنْ جَرَّ
بِمِنْ وَجِبَ تَعْلِيلُهَا بِفَعْلِ التَّخْلِيصِ أَوْ الْإِنْصَافِ ، وَإِنْ جَرَّ بِاللَّامِ فَهِيَ لِلتَّعْلِيلِ ،
وَتَعْلُقُ بِالْفَعْلِ أَوْ الْأِسْمِ . ١٠٩ هـ

وهذا المصراع من شعر لعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ الْجُعْفِيِّ ، رَنَى بِهِ الْحُسَيْنَ بْنَ
عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَأَوَّلُهُ :

أبيات الشاهد

(يا لك حسرة ، مادمت حياً تردّد بين حلقى والترّاق
 حسيناً، حين يطلبُ بذلَ نصرى^(١) على أهل العداوة والشتاق
 ولو أنّي أواسيه بنفسى لنلت كرامةً يومَ التلاق
 مع ابن المصطفى ، نفسى فِداه ! فيا لله من ألم الفراق
 غداةً يقولُ لى بالقصر قولاً : أتركنا وتزعم بانطلاق
 فلو فلق التلهفُ قلبَ حى لهم اليومَ قلبى بانفلاق !
 فقد فاز الألى نصروا حسيناً وخاب الآخرون أولو النفاق)

٢٩٧

قوله : يا لك حسرة ، هذا مخروم ؛ والخرم : إسقاط أول الوتد . لك
 بكسر الكاف : ضمير مفسر لقوله حسرة . وتردّد : مضارع محذوف من أوله
 التاء . وحسيناً منصوب باذكر محذوفاً .

وقوله : * فبالله من ألم الفراق *

روى بدله : * فولى ثم ودّع بالفراق *

وعليه فلا شاهد فيه .

قال أبو سعيد السكّرى فى كتاب اللصوص بسنده إلى أبى مخنف لوط
 ابن يحيى بن سعيد الأزدي^(٢) قال :

كان من حديث عبيد الله بن الحرّ : أنّه كان شهد القادسية مع خاليه :
 زهير ومرثد : أبى قيس بن مشجعة . وكان شجاعاً لا يعطى الأمراء طاعة ؛
 ثم صار مع معاوية فكان يكرمه ، وكان ينتاب عبيد الله أصحاب له ، فبلغ
 ذلك معاوية فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال : يا ابن الحرّ ، ماهذه

(١) فى مقتل أبى مخنف لوط ص ٢٩ : « نصر مثلى » .

(٢) أبو مخنف لوط بن يحيى أخبارى تالف لا يوثق به ، قال ابن
 عدى : شيعى محترق ، روى عن جابر الجعفى ومجالد ، وروى عنه المدائنى
 وعبد الرحمن بن مفراء . مات قبل السبعين ومائة . لسان الميزان ٤ : ٤٩٢
 والفهرست ١٣٦

الجماعة التي بلغني أنها ببابك؟ قال: أولئك يطائى، أقيهم وأتقى بهم، إن نابَ جور أمير. فقال معاوية: لعلك يا ابن الحر قد تطلعت نفسك نحو بلادك، ونحو علي بن أبي طالب! قال عبيد الله: إن زعمت أن نفسي تطلع إلى بلادى وإلى عليّ إني لجدير بذاك، وإنه لقبيح بى الإقامة معك وتركى بلادى. فأما ما ذكرت من عليّ فإنك تعلم أنك على الباطل. فقال له عمرو بن العاص: كذبت يا ابن الحر وأئمت! فقال عبيد الله: بل أنت أكذب منى!! ثم خرج عبيد الله مفضباً وارتحل إلى الكوفة في خمسين فارساً، وسار يومه ذلك، حتى إذا أمسى بلغ مسالح معاوية فُنع من السير، فشدّ عليهم وقتل منهم نفرأ وهرب الباقون؛ وأخذ دوابهم وما احتاج إليه؛ ومضى لا يمر بقرية من قرى الشام إلا أغار عليها، حتى قدم الكوفة - وكانت له امرأة بالكوفة وكان أخذها أهلها فزوجهها من عكرمة فولدت له جارية^(١) - فقدم عبيد الله فخاصهم إلى علي بن أبي طالب؛ فقال له: يا ابن الحر، أنت المالى علينا عدونا. فقال ابن الحر: أما إن ذلك لو كان لكان أثرى معي بيتنا، وما كان ذلك ممّا يُخاف من عدلك. وقاضى الرجل إلى عليّ فقصى له بالمرأة. فأقام عبيد الله معها منقبضاً عن كل أمر فى يدى عليّ، حتى قُتل عليّ رضى الله عنه، وحتى ولى عبيد الله بن زياد وهلك معاوية وولى يزيد، وكان من أمر الحسين ما كان.

قال أبو مخنف: لما أقبل الحسين بن عليّ - رضوان الله عليهما - فأتى قصر بنى مقاتل، فلما قتل عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل بن أبي طالب وتحدث أهل الكوفة: أن الحسين يريد الكوفة؛ خرج عبيد الله بن الحر منها متعرجاً من دم الحسين ومن معه من أهل بيته، حتى نزل قصر بنى مقاتل، ومعه خيل مضرة ومعه ناس من أصحابه. فلما قدم الحسين رضى الله

(١) كذا فى ش . وفى المطبوعة (حارته)

تعالى عنه قصرَ بنى مقاتل ونزل ، رأى فسطاطاً مضروباً فقال : لمن هذا
الفسطاط ؟ قيل : لعبيد الله بن الحرّ الجعفيّ — ومع الحسين يومئذ الحجاج
ابن مسروق ، وزيد بن معقل الجعفيّان . فبعث إليه الحسين الحجاج بن
مسروق ؛ فلما أتاه قال له : يا ابن الحرّ ، أجب الحسين بن عليّ . فقال له ابن
الحرّ : أبلغ الحسين : أنه إنما دعاني إلى الخروج من الكوفة حين بلغني أنك
تريدها ، فرارُ من دمك ودماء أهل بيتك ، ولئلا أعينَ عليك ؛ وقلتُ إن
قاتلته كان عليّ كبيراً وعند الله عظيماً ، وإن قاتلتُ معه ولم أقتل بين يديه
كنت قد ضيّعت قتله ؛ وأنا رجل أحى أنفاً من أن أمكن عدوئى فيقتلنى
ضبيعة ، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ولا شيعة يُقاتل بهم . فأبلغ الحجاجُ الحسينَ
قولَ عبيد الله فعظم عليه ، فدعا بنعليه ثم أقبل يمشى حتى دخل على عبيد الله بن
الحرّ الفسطاط ، فأوسع له عن صدر مجلسه وقام إليه حتى أجلسه . فلما جلس
(قال يزيد بن مرة : لحدثني عبيد الله بن الحرّ قال : دخل عليّ الحسين رضى
الله عنه وحيته كأنها جناح غراب ١ وما رأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ
للعين من الحسين ١ ولا رقت على أحد قط رقتى عليه حين رأيته يمشى
والصبيان حوله) فقال له الحسين : ما يمنك يا ابن الحرّ أن تخرج معي ؟ قال
ابن الحرّ : لو كنتُ كائناً من أحد الفريقين لكنتُ معك ، ثم كنت من
أشدّ أصحابك على عدوك ؛ فأنا أحبُّ أن تعفينى من الخروج معك ، ولكن
هذه خيل لى معدّة وأدلاء من أصحابى ، وهذه فرسى « المحلّة »^(١) ، فأركبها ،
فوالله ما طلبتُ عليها شيئاً قط إلا أدركته ، ولا طلبنى أحد إلا قتته ١
فأركبها حتى تلحق بأمّانك ، وأنا لك بالعيلات حتى أؤدبهم إليك أو أموت
وأصحابى عن آخرهم ، وأنا كما تعلم إذا دخلت في أمر لم يضمنى فيه أحد . قال
الحسين : أفهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر ؟ قال : نعم والله الذى لا فوقه

(١) فى القاموس (حلق) : « وكمعظمة » : فرس عبيد الله بن الحر .

شيء ! فقال له الحسين : إني سأنصح لك كما نصحت لي ، إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقوعتنا فافعل ؛ فوالله لا يسمع داعيتنا أحد لا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم ! ثم خرج الحسين من عنده ، وعليه جبة خبز وكساء وقلنسوة موردة (قال : ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت : أسواؤا ما أرى أم خضاب ؟ قال : يا ابن الحرّ عجّل على الشيب . فعرفت أنه خضاب) وخرج عبيد الله بن الحرّ حتى أتى منزله على شاطئ الفرات فنزله . وخرج الحسين رضى الله عنه فأصيب بكرّ بلاء ومن معه ، وأقبل ابن الحرّ بعد ذلك فمرّ بهم ، فلما وقف عليهم بكى . ثم أقبل حتى دخل الكوفة ، فدخل على عبيد الله بن زياد بعد ثلاثة ، وكان أشرف الناس يدخلون عليه ويتقدّمهم — فلما رأى ابن الحرّ قال له : أين كنت ! قال : كنت مريضا . قال : مريض القلب أم مريض الجسد (١) ؟ قال : أمّا قلبي فلم يمرض قطّ ، وأمّا جسدي فقد منّ الله تعالى عليّ بالعافية . قال : قد أبطلت ! ولكنك كنت مع عدونا . قال : لو كنت مع عدوك لم يخف مكاني . قال : أمّا معنا فلم تكن ! قال : لقد كان ذاك . ثم استغفل ابن زياد والناس عنده فأنسل منه ثم خرج فقتل المدائن ، وقال : لئن استطعت أن لا أرى له وجها لأفعلن ؛ ورنى الحسين وأصحابه الذين قتلوا معه بالشعر المتقدّم (٢) ، ويقول :

يقول أمير غادر حق غادر : ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة

(١) في الطبري ٦ : ٢٧٠ عن أبي مخنف : « مريض القلب أو مريض البدن » .

(٢) ذكر الميمنى أن الشعر المتقدم ليس في الرثاء ، وإنما أنشده على قعوده عن نصرته الحسين بعد أن سار إلى كربلاء وفارقه . وقال : « غير أن الأبيات الميمية ليست له البتة ، وإنما هي للحر بن يزيد الرياحي ، كما هو عند أبي مخنف ٤٥ . فلا أدري هل هذا الوهم من أبي سعيد ، أو من نساج كتابه ، أو من البغدادي » . هذا ما ذكره ، لكن الطبري يعزو الشعر التالي الميمى إلى عبيد الله بن الحر . انظر ٦ : ٢٧٠ - ٢٧١ .

ونفسى على خذلانه واعتزاله
فواندى أن لا أكون نصرته ١
ولائى ، لائى لم أكن من حمانه ،
سقى الله أرواح الذين تآزروا
وقفت على أجدائهم وبجائهم
لعمرى لقد كانوا مصاليت فى الوغى
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم
فإن يقتلوا فكل نفس زكية ،
وما إن رأى الزامون أصبر منهم
أقتلهم ظلماً وترجو وداًنا
لعمرى لقد راغتمونا بقتلهم
أثم مراراً أن أسير بحفل
فكفوا ١ وإلا ذرتكم فى كتاب
ثم إن ابن الحر لم يزل يشغب بابن زياد وبمصعب بن الزبير .
وجرت بينه وبين مصعب محاربات عديدة . ثم سار إلى عبد الملك بن مروان

(١) لم يروه الطبرى

(٢) أبو مخنف : « لا تؤاسيه نادمه »

(٣) الطبرى : « ينفض » أبو مخنف : « ينفث » ط : « ومحالهم صوابه فى ش وعند أبى مخنف : « على أجسادهم وقبورهم »

(٤) ط : « ضيامة » صوابه بالباء كما فى ش ، ولعلها جمع ضيبارم ، وهو الشديد الخلق من الأسد . وعند أبى مخنف : « ليونا ضراغمة » ، وفى الطبرى : « حماة خضارمه » .

(٥) أبو مخنف : « قشاعمه » .

(٦) الطبرى : « فكل نفس تقية »

(٧) الطبرى : « أفضل منهم »

(٨) الطبرى : « ولا ذرتكم » ، وما هنا صوابه

وقال له : إنما أُنيتك لتوجه معي جنداً لقتال مصعب بن الزبير . فأكرمه
عبد الملك وأعطاه أموالاً وقال له : سرّ فأبى أقطع البعوث وأمدك بمائة ألف .
فسار ابن الحرّ حتى نزل بجانب الأنبار ؛ واستأذنه أصحابه في دخول الكوفة .
وبلغ ذلك عبيد الله بن العباس السلمي فاعتنم الفرصة فسأل الحارث بن عبد الله ،
وكان خليفة مصعب على الكوفة ، وأخبره بتفرق أصحابه عنه . فبعثه في مائة
فارس من قيس ، واستمد خمسمائة فارس منهم أيضاً وسار حتى لقوه ، وهو
في عشرة من أصحابه . فأشاروا عليه بالذهاب فأبى ؛ وقاتلهم حتى فشت
في أصحابه الجراحات فأذن لهم في الذهاب ؛ وقاتلهم على الجسر فقتل منهم
رجالا كثيرة ، حتى انتهى إلى المعبر فدخله . فقالوا : لنبطي : هذا الرجل
بقيّة أمير المؤمنين ، فإن فاتكم قتلناكم . فوثب إليه نبطي قويّ فقبض على
عضدّي ابن الحرّ ، وجراحاته تشعب ، وضربه الآخرون بالمجاديف . فلما رأى
ابن الحرّ أن المعبر قد قرب إلى القيسية قبض على الذي قبض عليه ، فعالجه
حتى سقط في الماء لا يفارقه ؛ حتى غرقا جميعا (وسمع شيخ يُنادي وينتف
لحيته ويقول : يا بختيار ؟ يا بختيار ؟ فقليل له : مالك يا شيخ ؟ قال : كان ابني
بختيار يقتل الأسد ، وكان يُخرج هذا المعبر من الماء فيقره ثم يعيده وحده ،
حتى ابتلى بهذا الشيطان الذي دخل السفينة فلم يملكه من أمره شيئاً حتى قذف
به في الماء فغرقا جميعا ! فعملوا يسكنونه وهو يقول : ما كان ليُفرق أبني
ألا شيطان !) فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك جزع عليه جزعاً شديداً وندم
على بعثه إياه ، وتغنى أن يكون بعث معه الجيوش .

وقد فصلّ السكريّ وقائمه وحروبه ، وجمع أشعاره في كتاب اللصوص^(١)

بما لا مزيد عليه .

(١) الميمنى : « هو الذي طبع منه المستشرق رايت الانكليزي بليدن
في مجموعة جرزة الحاطب ديوان طهمان الكلابي اللص من غير أن يشمر
بذلك . فانظر رسوم أمكنته في معجم البلدان تجزم بما قلنا » .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائة وهو من شواهد س^(١) :

١١٠ (يَا بَكْرُ أَنْشِرُوا إِلَى كَلْبِيَّ يَا بَكْرُ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ)

على أن هذه اللام داخلة على المنادى المهدّد^(٢) .

وهذا المعنى هو الجيد ، ومأخذه من هذا البيت واضحٌ لاختفاء به ، ولا معنى للاستغاثه فيه كما حققه الشارح .

وفيه مخالفة لسبويه في جعلها للاستغاثه .

وحملها النحاس على الاستهزاء فقال : إنما يدعوهم ليهزأ بهم ، ألا تراه قال :
أَنْشِرُوا إِلَى كَلْبِيَّ .

وقال الأعمى : والمستغاث من أجله في البيت هو المستغاث به ، والمعنى :
يَا بَكْرُ أَدْعُوكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ مُطَالِبًا لَكُمْ فِي إِنْشَارِ كَلْبٍ وَإِحْيَائِهِ ، وهذا منه
استطالة ووعيد ، وكانوا قد قتلوا كلبيا أخاه في أمر البسوس^٥ .

وكأنَّ الشارحَ انتزع ما قاله من هنا . والله أعلم .

أبيات الشاهد وهذا البيت لمهلل : أَخِي كَلْبٍ ، أول أبيات ثلاثة^(٣) قالها بعد أن أخذ
بنار أخيه كلب ، ثانيها :

(١) سبويه ١ : ٣١٨ . والخصائص ٣ : ٢٢٩ والمقد ٥ : ٤٧٨

(٢) بعده في الرضى ١ : ١٢١ : « نحو يا يزيد لاقتلتك » .

(٣) الميمنى : « الأبيات في حديث البسوس ٥٢ ثمانية مصحفة ،
ماكما بعد تصحيحها وتصحيح ما في الخزانة بقدر الطاقة :

يَا بَكْرُ أَنْشِرُوا إِلَى كَلْبِيَّ يَا بَكْرُ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ
يَا بَكْرُ أَظْفَعُوا نَمَّ حُلُوا صَرَّحَ الشَّرُّ وَبَاحَ السَّرَارُ =

(تلك شيبانُ تقول لبكرٍ : صرّح الشرّ وباح الشرار^(١))

وبنو عجلٍ تقول لقيس ولتمّ الله : سيروا . فساروا)

وقوله (أنشروا) بفتح الهزّة وكسر الشين ، يقال أنشر الله الميت : إذا أحياه ؛ ويتعدّى بدون الهزّة أيضاً ؛ فإنّ نشر من باب قعد جاء لازماً نحو : نشر الموتى : أى حيّوا ، ومتعدّياً نحو نشرهم الله .

وصرّح الشيء بالضمّ صراحةً وصُروحةً : خلّص من تعلّقات غيره .
وباح الشيء يبيح من باب قال : ظهر . والشرار : ما تطاير من النار ،
الواحدة شرارة .

== سهفت شيبانُ لما التقينا إنّ عود التغلبي نضار
يا كليبَ الخير لستُ براضي دون روح تراح منه الليار
أو أغادر قتلى تقرأ بعني ويؤدّي ما عنده للمستمار
اسألوا جهرة لإباداً ولحماً والحليّفين حين سرنا وساروا
إذ دلفناهم وبكراً جميعاً فأسرنا سرّاتهم حين ساروا
وقتلنا قيس بن عيلان حتى أمعنوا في الفرار حيث الفرار

والأبيات كما ترى من وزنين مختلفين ، الأولى من الرمل ، والآخرة من الخفيف ، فضلاً عن الأغلاط . وهي أكثر في الأصل مما بقي منها هنا .
وأرى بعض الأشعار لا سيما الطوال منها مفتعلة ، وإن رواها ابن اسحاق والكلبي .

(١) الميمنى : دهن على وهن ، والصواب : السرار ، أى ظهر السر .
نعم لو كان : باخ الشرار ، بالحاء والشين بمعنى خمدت النار لكسان شيبان .

ترجمة المهمل

و (مهمل) قال الأمدى : اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث^(١) بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب^(٢) وهو الشاعر المشهور . ويقال اسمه عدى . اهـ .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : مهمل بن ربيعة هو عدى بن ربيعة . وسمي مهملًا لأنه همل الشعر أى أرقه ؛ ويقال : إنه أول من قصّد القصيد ، قال الفرزدق :

• ومهملُ الشعراء ذاك الأولُ •

وهو خال امرئ القيس بن حجر صاحب المعلّقة . انتهى .
والصحيح هذا . ويدلّ له أنه ذكر اسمه في شعره فقال :

(١) وكذا في سبط اللآلئ ١١١ ثم قال : « وقيل : اسمه عدى ، والشاهد لذلك قوله :

ضربت صدرها إلى وقالت

يا عديا لقد وقتك الأواقي

ومن قال : ان اسمه امرؤ القيس يروى هذا البيت :

ضربت صدرها إلى وقالت يا امرأ القيس حان وقت الفراق

أو يقول : ان هذا إنما هو أخوه . قال الميمنى : « والبيت من قصيدة في

خبر البسوس ص ١١٤ في خمسة عشر بيتا والأغاني ٤ : ١٤٧ وعند

العيني ٤ : ٢١١ . وهذا لفظه : « ضربت صدرها الى وقالت يا عديا . . .

البيت . أقول قائله هو مهمل ، واسمه امرؤ القيس . الخ . فكانه

يرى أن عديا هو أخو امرئ القيس مهمل . ولكن في خبر البسوس ٢٩ :

« كان لكليب أربعة أخوة : عدى وهو مهمل ، والسجاد الشاعر ، وامرؤ

القيس ، وعبد الله ، بنو ربيعة » . قلت : وفي جمهرة ابن حزم ٣٠٥ :

« ومن بنى الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب : كليب ، ومهمل ،

وعدى ، وسلمة ، بنو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم » .

(٢) في النسختين : « غانم بن تغلب » ، ضوابه في الجمهرة ٣٠٣

والأغاني ٤ : ١٤٨

ضربت صدرها إلى وقالت : يا عدى لقد وقتك الأواقي !

ولم يقل أحدٌ قبله عشرة أبيات . وقال الغزل وعنى بالنسيب في شعره .
ويقال نُحِّي مهلهلا بقوله :

* هلهلتُ أثار مالكا أو صنيلا ^(١) *

قال ابن سلام : زعمت العرب أنه كان يتكثر ويدعى في قوله بأكثر
من فعله . وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم للمهلل ، والمرقشان ، وسعد
ابن مالك ^(٢) .

و (للمهلل) : أخو كليب الذي هاج بمقتله « حرب البسوس » ، وهي
حرب بكر وتغلب ابني وائل . وكان من خبرها ما حكاه ابن عبد ربه في العقد
الفريد والأصبهاني في الأغاني . وقد تداخل كلام كل منهما في كلام الآخر .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : ما اجتمعت معدٌ كلها
إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر ، وربيعة ، وكليب . فالأول ^(٣)
عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث . وهو قائد معد يوم

(١) ط : « صنيلا » بالضاد المعجمة ، صوابه في ش واللسان (هلل)
والمزهر ٢ : ٤٣٤ . وفي القاموس (صنبيل) : « وكخندف : علم رجل من
تغلب » . واهلهلت : قاربت . وصدره :

لما توغل في الكراع هجينهم

(٢) النص في ابن سلام ٣٣ - ٣٤ مع بعض خلاف . وبعده في
ابن سلام : « وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميثة ، والحارث بن حلزة ،
والمتملس ، والأعشى ، والمسيب بن علس » . ط : « سعيد بن مالك »
صوابه في ش وابن سلام .

(٣) في النسختين : « فهو » ، وما أثبتته من العقد ٥ : ٢١٣

البيداء^(١) حين تمذجحت مذجج وسارت إلى تهامة وهى أول وقعة كانت بين تهامة واليمن^(٢).

والثانى : ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن كعب وهو قائد معد يوم السلان^(٣) ، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .
والثالث : كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه « أعزُّ من كليب وائل » وقاد معداً كلها [يوم خزاز^(٤)] ففضَّ جوع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معدٌ كلها وجعلوا له قسماً للملك وتاجه ، وتحتيته وطاعته ، فغبر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه ، حتى بلغ من بغيه أنه كان يحصى مواقع السحاب فلا يرى حياه ، وكان يحصى من للرعى مدى صوت كلب فيختص به ، ويشاركهم فى غيره ، ويحير على الدهر فلا تخفر ذمته ، ويقول : وحش أرض كذا فى جوارى فلا يُهاج ، ولا يورد مع إبله أحد ، ولا توقد نار مع ناره ، حتى قالت العرب : « أعزُّ من كليب وائل » .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دار واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوج [جليلة^(٥)] بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جساس بن مرة ، وكانت لجساس خالة تسمى « البسوس بنت منقذ التميمية » ، جاورت ابن أختها

(١) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، وهى الى مكة

أقرب . معجم البلدان .

(٢) فى النسختين : « وهى أول وقعة كانت بين تهامة واليمن » ،

صوابه فى العقد

(٣) فى النسختين : « الميلان » صوابه من العقد . وانظر معجم

البلدان .

(٤) التكملة من العقد . وهو جبل بطخفة بين البصرة الى مكة .

(٥) التكملة من العقد

جسّاساً ، وكان لها ناقة يقال لها . سرّاب ، ولها^(١) تقول العرب : « أشأم من سرّاب » ، و « أشأم من البسوس » ، فرّ إبل كليب بسرّاب وهي معقولة يفناء البسوس ؛ فلما رأت سرّاب الإبل خلخلت عقالها^(٢) وتبعّت إبل كليب فاختلطت بها ، حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معه قوس وكنانة ؛ فلما رآها أنكرها فرماها بسهم في ضرعها ، فنفرت سرّاب وولّت حتى بركت بفناء صاحبها ، وضرعها يشخب دمًا ولبناً ، فبرزت البسوس صارخة ، يدها على رأسها ، تصيح : واؤلاه ؟ وأنشأت تقول :

لعمري ، لو أصبحت في دار منقذ لما ضيم سعدٌ وهو جارٌ لأبياتي^(٣)
ولكنني أصبحت في دار غريبة متى يعدُّ فيها الذئب يعدُّ على شاتي
فيا سعد لا تُفرّر بنفسك وارتحلْ فإنك في قوم عن الجار أموات

فلما سمع جسّاسُ صوتها سكتها وقال : والله ليقتلنّ غداً جملٌ عظيمٌ
أعظمُ عقراً من ناقتك . فبلغ كليباً فظن أنه أراد قتل (عليان) ، وهو فحل
كريم له ، فقال : هيهات ، « دون عليان خَرطُ القناد » ثم انتجع الحى فمروا
على نهر يقال له « شبيث »^(٤) فقهام كليب عنه ، ثم على آخر يقال له « الأحص »
فقهام عنه ، حتى نزلوا على الذنائب^(٥) فرجسّاس بكليب وهو على غدِير

(١) في النسختين وكذا في العقد : « ولها » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في العقد : « نازعت عقالها حتى قطعتة » .

(٣) في حرب البسوس ص ٣٥ : « في آل منقر » . وبعد هذه
الآيات الثلاثة فيها أربعة أخرى .

(٤) ط : « شبيب » صوابه في ش والآغاني ٤ : ١٠٤ . وانظر

معجم البلدان (الأحص ، وشبيث) وفي رسم الأحص : « فمروا على

نهي يقال له شبيث » . ونحوه في الآغاني .

(٥) ط : « السائب » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح والآغاني

الذئائب منفردا فقال : أطردت أهلنا^(١) عن المياه حتى كنت تقتلهم عطشاً ؟ فقال كليب : ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون . فقال جساس : هذا كفعلك بناقة خالتي قال : أوقد ذكرتها ، [أما إني^(٢)] لو وجدتها في غير إبل مرة لاستحلت تلك الإبل . فمطف عليه جساس فطعنه فأذراه^(٣) ووجد الموت فقال : يا جساس أسقني ؟ فقال : هيهات ، تجاوزت شبيئاً والأحص ؟

وروى أن البسوس لما صرخت وأحمت جساساً ركب فرساً له ، وتبعه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان ، ومعه رمحه ، حتى دخلا على كليب الحمي ، فضربه جساس فقصم صلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قطنه ، فوقع كليب ينفص برجله . فلما فرغ من قتله جاء إلى أهله وأخبرهم بأنه قتل كليباً ثم هرب . وكان همام بن مرة أخا جساس ، وكان ينادم المهلهل أخا كليب ، وكان قد صادقه وواخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئاً . فجاءت أمة إليه فأسرت إليه قتل جساس كليباً ، فقال له مهلهل : ما قالت لك ؟ فلم يخبره . فدكره العهد ، فقال : أخبرت أن أخي قتل أخاك . فقال : أست أخيك أضيّق من ذلك ، فسكت ، وأقبلا على شراهما ، فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف ، فلم تلبث الحر أن صرعت مهلهلاً ، فأنسل همام فأتى قومه بني شيبان وقد قوضوا الخيام وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النهى .

٣٠٢

(١) ط : د ابلنا ، ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، ومعجم البلدان (الأحص) والأغانى ٤ : ١٤٠ .
(٢) التكملة من معجم البلدان والأغانى .
(٣) أذراه : القاه . وهكذا وردت في النسختين .

ولما ظهر قتل كليب وأفاق مهلهل اجتمعت إليه وجوه قومه ؛ فاستعدّ
لحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، وحرّم القمار والشراب ، وأرسل
إلى بنى شيبان وهو فى نادى قومه . فقالت الرسل : إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم
كليبًا بناب من الإبل ؛ فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمه ، وإنّا كرهنا العجلة
عليكم دون الإعذار إليكم ؛ ونحن نعرض عليكم إحدى خلال أربع ، لكم فيها
مخرج ولنا مقنع . فقال مرة : ما هى ؟ قالوا : نحبى لنا كليبًا ؛ أو تدفع إلينا جسدًا
قاتله قتلته به ؛ أو همامًا فإنه كفاء له ؛ أو تمكّنتنا من نفسك فإن فيك وفاء
من دمه . فقال : أما إحيائي كليبًا فهذا ما لا يكون ؛ وأما جسد فإنه غلام
طعن طعنةً على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوت عليه ؛
وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومه ، فلن
يسلموه إلى فأدفعه إليكم ليقتل بجزيرة غيره ؛ وأما أنا فهل هو إلا أن تجول
الخليل جولة فأكون أوّل قتيل فيها^(١) فما أتعجل من الموت ؛ ولكن لكم
عندى إحدى خصلتين : أما إحداها فهؤلاء بنى الباقون فعلّقوا فى عنق من
شتم نسعة وانطلقوا به إلى رجالكم فاذبحوه ذبح الخروف^(٢) وإلا فألف^٣
ناقة سوداء المقل^(٣) ، أقوم^(٤) لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل . ففضب
القوم وقالوا : لقد أسأت فى الجواب وسئنا اللين من دم كليب . ووقعت
الحرب بينهم ، ولحقت زوجة كليب بأبيها وقومها . ودعت تغلب النمر بن
قاسط فانضمت إليها^(٥) وصاروا يدًا معهم على بكر ، ولحقت بهم غفيلة بن

(١) فى العقد ٥ : ٢١٦ : « بينها » .

(٢) فى العقد : « ذبح الجزور » .

(٣) فى النسختين : « المقلة » ، صوابه فى ش .

(٤) العقد : « أقيم » . وفى الأغاني : « وإن شئتم فلكم ألف ناقة

تضمنها لكم بكر بن وائل » .

(٥) العقد : « فانضمت الى بنى كليب » .

قاسط^(١)، واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرها جماعة بني شيبان ومساعدتهم على قتال إخوانهم ، وأعظموا قتلَ جساس كليباً بناب من الإبل ، فظعننت لُجيم عنهم وكنت يشكر عن نصرتهم ، واقبض الحارث بن عباد في أهل بيته (وهو أبو بجير^(٢)) ومارس النعامة .

قال أبو المنذر : أخبرني خراش : أن أول وقعة على ماء كانت بنو شيبان نازلة عليه^(٣) ، ورئيس تغلب المهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مرة ، فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة في شيبان ؛ واستحرق القتلُ فيهم ، إلا أنه لم يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرة .

يوم الذنائب

ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تغلب وقتلت بكرٌ مقتلَ عظيمة ، وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان (وهو جد الحوفزان ، وهو جد معن بن زائدة . والحوفزان هو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل) قتله عتاب بن قيس بن زهير بن جشم ؛ وقتل الحارث بن مرة بن ذهل بن شيبان ، قتله كعب بن زهير بن جشم وقتل من بني ذهل بن ثعلبة عمرو بن مندوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ؛ وقتل من بني تيم الله جميل بن مالك بن تيم الله ، وعبدالله بن مالك بن تيم الله وقتل من بني قيس بن ثعلبة [سعد بن ضبيعة بن قيس ، وتيم ابن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الخرفين^(٤)] ، وكان شيخاً كبيراً . فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب .

٣٠٣

(١) غفيلة بن قاسط بن هنب كما في جمهرة ابن حزم ٣٠٠ ومختلف القبائل ١٣ ونهاية الأرب ٢ : ٣٣٠ والقاموس (غفل) وفي النسختين : « عقيلة » تحريف .

(٢) وفي رواية أنه ابن أخيه ، كما سيأتي في ص ١٧٢

(٣) هو « النهي » كما في العقد ٥ : ٢١٨

(٤) التكملة من العقد .

يوم وارادات ثم التقوا بواردات ، وعلى الناس رؤساؤهم الذين سميّا ؛ فظفرت بنو تغلب واستحَرَ القتل في بنى بكر ، فيومئذ قتل شَعْنَم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر ابن ذهل بن ثعلبة ، وسيار بن حارث بن سيار ، وفيه قُتل همام بن مرة أخو جساس ، فربه مهلهل مقتولا فقال له : والله ما قُتل بعد كليب قتيل أعزُّ على فقدائك ؟ وقتله ناشرة ، وكان همام ربّاه وكفّله ، كما كان ربّي حذيفة ابن بدر قرواشا فقتله يوم الهبأة .

يوم عنيزة ثم التقوا بعنيزة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة ، كل ذلك [كانت (١)] الدائرة فيها لبني تغلب على بنى بكر . وقال مهلهل يصف الأيام وينماها على بكر ، في قصيدة طويلة أولها : أَلَيْتَنَا بَذَى حُسْمٍ أَنْبَرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرَى وقال مهلهل لما أسرف في القتل : أَكثَرْتُ قَتْلِي بَنَى بَكْرٍ بِرِيْهِمْ حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَمْ أَحْدُ أَلَيْتُ بِاللّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ حَتَّى أَبْهَرَجَ بَكَرًا أَنَا وَجَدُوا (قال أبو حاتم : أبهرج : أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية ويقال : للبهرج من الدراهم من هذا) . وقال أيضا : يَا لَبَكْرٍ أَنْشُرُوا لِي كَلِيْبًا . . الأبيات الثلاثة وله أشعار كثيرة في رثاء أخيه كليب .

ثم إن المهلهل أسرف في القتل ، ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقع ، وكانت أكثر بكر قدمت عن نصرة بنى شيبان لقتلهم كليباً ، وكان الحارث

بجير

ابن عباد قد اعتزل تلك الحروب وقال : « لا ناقة لي في هذا ولا جمل »
 فذهبت مثلاً . فاجتمع قبائل بكر إليه فقالت : قد فنى قومك ! فأرسل بجيراً
 ابن أخيه إلى مهلهل وقال له : قل له : إني قد اعتزلت قومي لأنهم ظلموك ،
 وخليتكم وإياهم . وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك . فأتى بجير إليه فقتله
 مهلهل (كما تقدم شرحه عند الكلام على قوله :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ

وهو الشاهد التاسع والسبعون^(١) فبعد ذلك نهض الحارث للحرب فقاتل
 تغلب حتى هرب المهلهل ، وتفرقت قبائل تغلب وكان أول يوم شهده الحارث
 ابن عباد يوم قِصَّة (وهو يوم تحلاق اللِّم) وفيه أسر الحارث بن عباد
 مهلهلاً وهو لا يعرفه (واسمه عدى بن ربيعة) فقال له : دُلَّنِي عَلَى عَدَى
 وَأُخَلِّي عَنْكَ فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ الْعَهْدُ بِذَلِكَ إِنْ دَلَلْتُكَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ :
 فَأَنَا عَدَى ! فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَتَرَكَهُ . وَقَالَ فِيهِ :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدَى وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أُمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان ، قتلها جحدر بن ضبيعة^(٢) .

ثم إن مهلهلاً فارق قومه ولم يزل مقياً في أخواله بني يشكر ضجراً من
 الحرب وأرسل الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي وهو جد امرئ القيس
 ابن حجر في الصُّلْح بينهم والتَّمْلِيك عليهم ؛ وقد كانوا قالوا : إِنْ سَفَهَانَا
 غَلَبُوا عَلَيْنَا وَأَكَلَ الْقَوَىٰ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَارَأَىٰ أَنْ تَمْلِكَ عَلَيْنَا مَلَكًا نَعْطِيهِ
 الْبَعِيرَ وَالشَّاةَ فَيَأْخُذَ مِنَ الْقَوَىٰ وَيَرُدَّ الظَّالِمَ ، وَلَا يَكُونَ مِنْ بَعْضِ قِبَائِلِنَا فَيَأْبَاهُ

٣٠٤

(١) صوابه « الحادي والثمانون » . انظر ص ٤٦٧ من الجزء الأول .

(٢) في النسختين « حجر بن ضبيعة » صوابه من الأغاني والعقد .

الآخرون فلا تنقطع الحروب فأصلح بينهم وشغلهم بحرب اللخمين من بنى غسان ملوك الشام ، وبقى مهلهل وحيداً عند أخواله إلى أن مات . قيل : وُجد ميتاً بين رجلَيْ جمل هاج عليه . وقيل بل مات أسيراً ، وذلك أنه لما نزل اليمى نزل في بنى جَنْب (وَجَنْب من مَدْحَج) فخطبوا إليه ابنته فقال لهم : إني طريدٌ بينكم فتى أنكحتمكم ؟ قالوا : اقتسروه . فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه في صَدَاقِها أَدَمًا فقال :

أنكحها فقدُها الأراقمَ في جَنْب وكان الحِباء من أدم
في أبيات .. ثم انحدر فلقية عوف بن مالك ، أبو أسماء صاحبة المرقش
الأكبر ، فأُسره فمات في أسره .

قال السكريّ في أشعار تغلب : أسر مهلهل عوف بن مالك أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وإن شَبَانًا من شَبَانِ بنى قيس بن ثعلبة أُنُوا عوف بن مالك ، أحد بنى قيس فقالوا : أرسل معنا مهلهلاً ، فأرسله معهم ، فشرب فلما رجع جعل يتغنى بهجاء بكر بن وائل ، فسمعه عوف بن مالك فغائظه فقال : لا جرم إن الله على نذراً إن شرب عندى قطرة ماء ولا خمر حتى يُورَدَ الحَضِيرُ^(١) (بمعجمتين مصغراً ، وهو بعير لعوف لا يرد الماء إلا سِيعاً^(٢)) فقال له أناسٌ من قومه : بش ما حلفت ! فبعثوا الخيولَ في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، ومات مهلهل عطشاً . وقيل بل قتل^(٣) . وكان السبب في قتله : أنه أَسْنٌ وخرفٍ ، وكان له عبدان يخدمانه فملاه ، وخرج بهما إلى سفر ، فينما هو في بعض

(١) ش : « حتى يؤوب الحَضِير » .

(٢) السبع بالكسر : ظمء من أظماء الابل ، وهو أن ترد الماء في

اليوم السابع لشربها الأول .

(٣) انظر كتاب البسوس ١١٦ والعمدة ١ : ٢١١

الفلوات عزما على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قَتَبِ رَحْلِهِ ،
وقيل أوصاهما :

مَنْ مَبْلَغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلِلًا اللَّهُ دَرُّ كَمَا وَدَرُّ أَيْبِكَ
ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا : مات : وأنشدهم قوله . فقال بعض ولده
قيل هي ابنته - إن مهللا لا يقول مثل هذا الشعر ! وإنما أراد :
مَنْ مَبْلَغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلِلًا أَمْسَى قَتِيلًا فِي الْفَلَاةِ مَجْدُلًا
لِلَّهِ دَرُّ كَمَا وَدَرَّ أَيْبِكَ لَا يَبْرَحُ الْعَبْدَانِ حَتَّى يُقْتَلَا
فَضَرَبُوا الْعَبْدَيْنِ حَتَّى أَقْرَأَ بِقَتْلِهِ (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائة ، وهو من
شواهد سيبويه (٢) :

١١١ (أيا شاعراً لاشاعر اليوم مثله جريرٌ ولكنْ في كليب تواضعُ)
على أنَّ المنادى من قبيل الشيبه بالمضاف إذا كان موصوفاً بجملة ؛
فإن جملة (لاشاعر اليوم مثله) من اسم لا وخبرها وهو مثله ، صفة
للمنادى ، والوصف متقدم على النداء . وبه يسقط ما ذهب إليه سيبويه من
أن الوصف بعد النداء ؛ وتكلف حتى جعل المنادى في مثله محذوفاً ، وجعل
شاعراً منصوباً بفعل محذوف .

٣٠٥

قال الأعلام : الشاهد فيه على مذهب الخليل وسيبويه نصب شاعراً بإظهار

(١) انظر خبراً مماثلاً لهذا فى طبقات الشافعية للسبكي ١ :

٢٧٩ - ٢٨٠

(٢) سيبويه ١ : ٣٢٨ والكامل ٦٥٩ والشعراء ٤٧٧ وأمالى القالى ٢ :

١٤٢ والمؤتلف ١٤٥

فعل على معنى الاختصاص والتعجب ؛ والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء
أو يا قوم ، عليكم شاعراً أو حسبكم به شاعراً .

وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعراً ؛ وإنما امتنع عنده
أن يكون منادى لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعرٍ بالحضرة وهو إنما قصد
شاعراً بعينه وهو جرير ؛ وكان ينبغي أن يبينه على الضم على ما يجرى عليه
المخصوص بالنداء . وقال أحمد بن يحيى : يا شاعراً نصب بالنداء ، وفيه معنى
التعجب ؛ والعرب تنادى بالمدح والذم وتنصب بالنداء : فيقولون :
يارجلًا لم أر مثله ، وكذا ، يا طيبك من ليلة ؟ وكذا يا شاعراً . ١ هـ
ومثله قول التبريزى أيضاً عند قول الحماسى ^(١) :

أيا طعنةً ماشيخ كبيرٍ يغني بالي

المنادى محذوف .

وشاعراً ليس بمنادى لأنه مقصود إلى واحدٍ بعينه ؛ والمحذوف يجوز
أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته :
يا هذا حسبك به شاعراً ، على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ؛ ويشبه
هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلاً زيد . ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة
التفسير وبه في موضع اسم مرفوع لا بد منه . ويجوز أن تكون الهاء للشاعر
الذى جرى ذكره ثم وكده بقوله جرير ، أى هو جرير . وتقديرُ الخليل
ويونس يا قائل الشعر : على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال
يا شعراء عليكم شاعراً لا شاعر اليوم مثله : أى حسبكم به شاعراً ، فهذا
ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر

(١) هو الفند الزمانى . الحماسة ٥٣٧ بشرح المزدوقى .

المذكور ، وينتصب شاعراً على الحال ولا شاعر اليوم في موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر في حال . ما هو شاعرٌ لا شاعرٌ مثله ا هـ .

وهذا البيت من قصيدة للصّلتان العبدىّ عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً أوردها المبرد في كتاب الاعتنان ، والقالي في أماليه ، وابن قتيبة في كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتاً (والاعتنان معناه المعارضة والمناظرة في الخصومة ، يقال عنّ له : إذا جادّ له وعارضه . وللعين بكسر الميم وفتح العين : المعارض : ومضمون كتاب الاعتنان : بيان الأسباب التي اقتضت التهاجى بين جرير والفرزدق) فادّعى أنّهما حكاهما بينهما فقصى بشرف الفرزدق على جرير وبني مجاشع على بنى كليب ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما . وكليب رهط جرير ومجاشع رهط الفرزدق . والقصيدة هذه :

قصيدة الشاهد	<p>(أنا الصّلتان والذي قد علمت متى ما يحكم فهو بالحكم صادع^(١)) أنتى تميم حين هابت قضاها وإنى لبالفصل المبين قاطع^(٢) كما أفتد الأعشى قضية عامر وما تميم من قضائي رواجع ولم يرجع الأعشى قضية جعفر وليس للحكمي آخر الدهر راجع سأقضى قضاء بينهم غير جائر فهل أنت للحكم المبين سامع قضاء امرئ لا يتقى الشتم منهم وليس له في الحمد منهم منافع^(٣) قضاء امرئ لا يرتقى في حكومة إذا مال بالقاضي الرشا والمطامع</p>
--------------	--

٣٠٦

(١) في الشعراء والأمالي : « أنا الصلتاني ،

(٢) ش : « بالفصل المبين لقاطع »

(٣) في الأمالي والشعراء « في المدح » .

فَإِنْ كُنَّا حَكَمَانِي فَاصْنَا وَلَا تَجْزَعَا وَلِيرْضَ بِالْحُكْمِ قَانِعِ
فَإِنْ تَجْزَعَا أَوْ تَرْضِيَا لَا أَقْلِكَمَا ، وَلِلْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ رَاضٍ وَجَازِعِ
فَأَقْسِمُ ، لَا آلُو عَنِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ فَإِنْ أَنَا لَمْ أُعْدِلْ قُلْتُ أَنْتَ ضَالِعِ
فَإِنْ يَكُ بَجْرُ الْخَنَظَلِيِّينَ وَاحِدًا فَمَا يَسْتَوِي حَيْثَانُهُ وَالضَّفَادِعُ !
وَمَا يَسْتَوِي صَدْرُ الْقَنَاطَةِ وَزُجْجُهَا وَمَا يَسْتَوِي شَمُّ الذَّرَا وَالْأَجَارِعُ !
وَلَيْسَ الذَّنَابِيُّ كَالْقَدَامِيِّ وَرَيْشِهِ وَمَا تَسْتَوِي فِي الْكَفِّ مَنَّا الْأَصَابِعُ
أَلَا إِنَّمَا تَحْطَى كُليبٌ بِشَعْرَهَا وَبِالْمَجْدِ تَحْطَى دَارِمٌ وَالْأَقَارِعُ
وَمِنْهُمْ رَعُوسٌ يَهْتَدِي بِصُدُورِهَا وَالْأَذْنَابُ قِدَمًا لِلرَّعُوسِ تَوَابِعِ
أَرَى الْخَطَطَى بَدَأَ الْفِرْزْدَقَ شَعْرُهُ وَلَكِنْ خَيْرًا مِنْ كُليبٍ مُجَاشِعِ
« يَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمِ مِثْلُهُ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كُليبٍ تَوَاضِعُ »
جَرِيرٌ أَشَدُّ الشَّاعِرِينَ شَكِيمَةً وَلَكِنْ عَلَنَتِ الْبَاذِخَاتُ الْفَوَارِعُ (١)
وَيَرْفَعُ مِنْ شَعْرِ الْفِرْزْدَقِ أَنَّهُ لَهُ بَاذِخٌ لَدَى الْخَلِيسَةِ رَافِعُ
وَقَدْ يُحَمَّدُ السَّيْفُ الدَّدَانُ بِمَجْفَنِهِ وَتَلْقَاهُ رَثًا غِنْدُهُ وَهُوَ قَاطِعُ
يَنَاشِدُنِي النَّصْرَ الْفِرْزْدَقُ بَعْدَمَا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ مِنْ جَرِيرٍ صَوَاقِعُ
فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي وَنَصْرِكَ كَالَّذِي يُنَبِّتُ أَنْفًا كَشَمَّتِهِ الْجَوَادِعُ
وَقَالَتْ كُليبٌ : قَدْ شَرُّنَا عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ لَهَا : سُدَّتْ عَلَيْكَ الْمَطَامِعُ (٢)

قال المبرِّد : قال أبو عبيدة : فأما الفرزدق فرضى حين شرفه عليه وقومه

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى ش والامال والشعراء

(٢) ط : « شدت » صوابه فى ش والامال والشعراء . وفى الامالى
والشعراء : « المطالع » باللام .

على قومه وقال : إنما الشعر مروة من لا مروة له ، وهو أخس حظ الشريف ؛ وأما جرير فغضب من المنزلة التي أنزله إياها فقال يهجو (وهو أحد بني هجرس) :

أقول ولم أملك سوابق عبرة : متى كان حُكْمُ في بيوت الهجارس ؟
فلو كنت من رهط المعلي وطارق قضيت قضاء واضحا غير لابس
قال : والمعلي أبو الجارود أو جده ؛ وطارق : ابن النعمان من بني الحارث
ابن جذيمة ؛ وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان . وقال جرير أيضا :

أقول لعيني قد تحدر ماؤها متى كان حكم الله في كرب النخل^(١)
فلم يجبه الصلتان فسقط . ١٥ .

أقول : قد أجابه الصلتان بقوله :

تعيرنا بالنخل والنخل ما لنا وودَّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل
وأى نبي كان من غير قرية^١ وهل كان حكم الله إلا مع الرسل
وقيل : هما لخليد عيين . أحد بني عبد الله بن دارم ، وكان ينزل في قرية
بالبحرين يقال لها عيين ؛ كذا في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري^(٢)
وقوله « أنا الصلتان والذي » ، روى ابن قتيبة :

٢٠٧

* أنا الصلتاني الذي قد علمتم *

بالنسبة إلى الصلتان ، ومعناه في اللغة : النشيط الحديد من الخيل ، والحمار
الشديد .

(١) في الشعراء والسمط ٧٦٦ : « أقول ولم أملك سوابق عبرة
وفي المؤلف : « أقول وعيني » .

(٢) السمط ٧٦٦ والروض الأنف ٢ : ١٣٥

وقوله « كما أنفذ الأعشى قضية عامر » ، أشار إلى ما حكم به أعشى قيس بين عامر بن الطفيل لعنة الله عليه ، وبين ابن عمه علقمة بن علاثة الصحابى رضى الله عنه ، وغلب الأعشى عامراً على علقمة بالباطل وزعم أنهما حكماهما ؛ وهو كذب ، وقد تقدم بيانه فى الشاهد السادس والعشرين (١) .
والرواجع : جمع راجعة من رجعة بمعنى رده ، وأراد بتميم القبيلة .

وقوله : فاصننا : أمر من صنت من باب دخل : إذا سكت وروى المبرد « فأنصنا » من أنصت بمعنى سكت واستمع الحديث فالياء من حكمتانى مفتوحة على الرواية الأولى ، ساكنة على الرواية الثانية .

وقوله : لا أقنكما : من الإقالة وهى رفع العقد ؛ فإنه عُقد له فى الحكم عليهما كما زعم ؛ وهو مجزوم فى جواب الشرط .

وقوله : فأقسم لا آلو : أى لا أقصر ، من الآلو وهو التقصير وروى للمبرد « لا ألوى » بمعنى لا أعرض ولا أحميد . وقوله : قتل أنت ضالع : هو من ضلع من باب نفع : مال عن الحق ، يقال ضلعتك مع فلان أى مثلك وروى للمبرد « ظالم » بالطاء المشالة ، من ظلم البعير والرجل من باب نفع أيضاً : إذا غمز فى مشيه ، وهو شبيه بالعرج .

و « الحنظليين » بالثنية ، لأن كليب بن يربوع بن حنظلة قوم جرير ، ومالك بن حنظلة قوم الفرزدق . والزج بضم الزاى المعجمة : الحديدة التى فى أسفل الرحم ، وصدر القنائة من السنان إلى ثلثها . وشم الذرا : أى جبال شم الذرا ، يقال جبل أشم أى طويل ، والذرا : جمع ذروة وهو أعلى الشيء . والأجارع : جمع أجراع ، وهو رملة مستوية لا تنبت شيئاً ؛ ومثوته الجرعاء .

وروى ابن قتيبة وللمبرد : « والأكارع » جمع أكرع جمع كراع ، وهو في الغنم والبقر ، بمنزلة الوظيف في الفرس والبعير ، وهو مُسَدَّقُ الساق . فالمراد : بالذرا : جمع ذُرْوَة ، بمعنى أعلى السنام .

وقوله : « وليس الذَّنَابِي كَالْقَدَامِي » الذَّنَابِي بضم الذال والقصر : ذنب الطائر وهو أكثر من الذنب ؛ والقَدَامِي بضم القاف والقصر : إحدى قوادم الطائر ، وهي مقادير ريشه ، وهي عشرٌ في كلِّ جناح ، ويقال قادمة أيضاً وجمعها قَوَادِم .

وتحظى : من الخطوة بالظاء المعجمة بمعنى الصَّلَف والافتخار . و « دارم » هو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . واسم دارم « بحر » وذلك أن أباهُ أناه قوم في سحالة أَى في طلب دِيَّة ، فقال له : يا بحرُ آتَنِي بخريطة ، وكان فيها مال ، فجاء يحملها وهو يدرم تحتها من ثقلها ، فسُمِّي دارما ، يقال درم فلان : إذا قارب الخطأ . و « الأقرع » أراد به الأقرعين ، وهما الأقرع بن حابس وأخوه مرثد التميميان .

وقوله : أرى اخلطَقِي ، بفتح الخاء المعجمة والطاء والفاء والقصر : اسم والد جرير ؛ سَمَاءُ بِاسْمِ أَبِيهِ . وبذَه : غلبه . وشعرُه : فاعله . والتواضع : الانحطاط من الذل ، والوضيع : الدنى من الناس . والشكيمة : الشدة ، يقال فلان ذو شكيمة : إذا كان لا ينقاد ، وفلان شديد الشكيمة : إذا كان شديد النفس أَيْبَا .

الباذخات : أى المراتب العاليات ، يقال شرف باذخ أى عال ، وكذلك الفوارع : يقال فرَّعت قومي : أى علوتهم بالشرف أو بالجمال :

وقوله « ويرفع من شعر الفرزدق . . الخ » ، يقال : رفعت من خسيسته :

إذا فعلتَ به فعلاً تكونُ فيه رفعتُهُ . يريد أن الفرزدق له شرف باذخ ،
ولكن شعره ذنىء . فالقول يرتفع برفعة القائل . وروى المبرد :

٣٠٨

* ينوء ببَيْتٍ للخبيسة رافع *

أى ينهض ويقوم بالبيت الردىء من الشعر فيرفعه .

والسيف الدَّدَان : الذى لا يقطع . وهذا المصراع ناظرٌ لقوله :

* جريز أشدَّ الشاعرين شِكِمَةً *

والرثُ : البالى . والجفن : قراب السيف ، وهو الغمد أيضاً . وهذا
للمصراع ناظرٌ إلى قوله :

ويرفع من شعر الفرزدق أنه . . البيت

والصواقيع : جمع صاقعة لغة فى الصاعقة . وقوله « كَشَمْتُهُ الجِوَادِع » قال
القالى فى أماليه : « كَشَمْتُ أَنفَهُ . إذا قطعه » . والجِوَادِع : جمع جادعة وهى التى
تقطع الأنف . وروى المبرد : « هَشَمْتُهُ الجِوَادِع » .

و (الصَّلْتَان) اسمه قُتَم (بضم القاف وفتح للملثة) ابن خَبِيَّة (بفتح
الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية ؛ وأصلها الهمز) وهو أحد
بنى محارب بن عمرو بن وديعة [بن لُكَيْز بن أَفْصَى ^(١)] بن عَبْدِ الْقَيْس ،
وينسب إليه فيقال (العبدى) .

قال الآمدى فى المؤلف : هو شاعر مشهور خبيث . وشاعران آخران
يقال لهما : الصَّلْتَان :

أحدهما الصلتان الضَّبِّي — قال الآمدى — ولستُ أعرفه فى شعراء بنى

ضَبَّةً وَأَظَنَّهُ مُتَأَخَّرًا . قَالَ أَبُو عَمْرٍو بُنْدَارٌ ^(١) فِي كِتَابِ مَعَانِي الشُّعْرَاءِ ^(٢) قَالَ
أَبُو زَيْدٍ — أَحْسِبُهُ أَنْشَدَنِيهِ — فِي صِفَةِ نَاقَتِهِ .

كَأَنَّ يَدَيَّ عَنَسَى إِذَا هِيَ هَجَرَتْ هِرَاوَةً حُبِّي تَنْفُضُ الْفَضْنَ اللَّدْنَا ^(٣)
حُبِّي : أَمْرَاتِهِ .

وَالثَّانِي : الصَّلْتَانُ الْفَهْمِيُّ ، قَالَ الْأَمْدِيُّ : لَسْتُ أَعْرِفُهُ فِي شُعْرَائِهِمْ
وَأَظَنَّهُ مُتَأَخَّرًا . أَنْشَدَ لَهُ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّيِّينِ ^(٤) :

الْعَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا وَالْخَمْرَ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةَ

وَذَكَرَهُ ابْنُ الْمَعْتِزِ فِي سَرِقَاتِ الشُّعْرَاءِ ، وَحَكَاهُ أَيْضًا عَنِ الْجَاهِظِ .

وَمِنْ مَشْهُورِ شَعْرِ الصَّلْتَانِ الْعَبْدِيِّ مَا أَنْشَدَهُ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي كِتَابِ
الشُّعْرَاءِ ^(٥) قَوْلُهُ :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبَرَ يَرَكُرُ الْغَدَاةَ وَمَرُّ الْعَشَى
إِذَا هَرَمَتْ لَيْلَةٌ يَوْمَهَا أَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَنِي
نُزُوحٌ وَتَنَدُّوْهُ لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَا تَنْفُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرَّةِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا يَبْقَى

(١) بُنْدَارُ بْنُ لُرَّةَ الْكَرْمِيِّ كَمَا ذَكَرَ الْمِمْنِيُّ انْبَاءَ الرِّوَاةِ ١ : ٢٥٧
وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٧ : ١٢٨ . وَيَصْحَفُ بِابْنِ لُرَّةَ ، وَابْنُ لُرَّةَ . وَالْكَرْخِيُّ .
وَفِي الْمُؤْتَلَفِ : « بُنْدَارُ بْنُ لُرَّةَ الْكَرْخِيُّ » .

(٢) فِي الْمُؤْتَلَفِ : « مَعَانِي الشُّعْرَاءِ » .
(٣) ش : « هِرَاوَةُ عَيْسَى » ط : « هِرَاوَةُ حَتَّى » ، صَوَابُهُمَا فِي
الْمُؤْتَلَفِ .

(٤) الْبَيَانُ ٣ : ٣٧ . وَفِيهِ أَنَّ اسْمَ الشَّاعِرِ « الْفَلْتَانُ الْفَهْمِيُّ »

(٥) الشُّعْرَاءُ ٤٧٨ . وَانْظُرِ الْحَمَاسَةَ ١٢٠٩ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِيِّ وَمَعَاهِدِ
التَّنْصِيسِ ١ : ٢٧ وَالسُّمُطَ ٧٦٦ وَالْحَيَوَانَ ٣ : ٤٧٧ وَذَكَرَ الْجَاهِظُ أَنَّ هَذِهِ
الْأَبْيَاتُ لِلصَّلْتَانِ السَّعْدِيِّ ، وَهُوَ غَيْرُ الْعَبْدِيِّ ، فَهُوَ صِلْتَانُ رَابِعٍ .

إذا قلتَ يوماً لمن قد ترى : أروني السرى ، أروك الغني
 ألم ترَ لقمانَ أوصى بنيه وأوصيتُ عمرًا ونم الوصي
 بُني ، بداخبُ نجوى الرجالِ فكنْ عند سركَ خبِّ النجى^(١)
 وسركَ ما كان عند امرئٍ وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفي
 وزاد عليه أبو تمام في الحماسة :
 كما الصمتُ أدنى لبعض الرِشادِ فبعضُ التكلمِ أدنى لى^(٢)
 ودع النفس اتباع الهوى فما للفتى كل ما يشتهى^(٣)
 ومطلع هذه الأبيات من شواهد تلخيص للفنّان للقزويني .

* * *

وأشد بমে . وهو الشاهد الثاني عشر بعد المائة ، وهو من شواهد
 سيبويه^(٤) :

١١٢ (أعبدًا حلّ في شُعبي غريبًا ألوّمًا لا أبالكَ واغترابًا)^(٥)
 على أن (جملة حلّ) صفة للنّادى قبل النداء ، وهو من قبيل الشبيه

٣٠٩

- (١) قال المرزوقي : « فالحب المكر بكسر الحاء ، والحب بفتحها : المكر .
 والنجوى مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق السّتر
 والكتمان فيقول : اذا ناجيت صاحبًا لك فكن خبا فيما تودعه من سرك ، فان
 نجوى الرجال اذا بدأ خبها ومكر أربابها فيها عادت وبلاّ وفضيحة » . ش :
 « بنى اذا خب نجوى » ط : « بنى بدا خب نجوى » ، صوابهما من الحماسة .
 (٢) هذا البيت من رواية التبريزي فقط .
 (٣) وهذا البيت لم يرد في الحماسة ، وليس له مرجع . وفي ط :
 ودع التقى . . . فما للتقى ، وأثبت ما في ش
 (٤) سيبويه ١ : ١٧٠ ، ١٧٣ . وانظر العينى ٣ : ٤٩ / ٤ : ٢١٥ .
 ٥٠٦ ومعجم البلدان (شعبي) وديوان جرير ٦٢
 (٥) ضبط في ش : « أعبد » ، بالرفع ، وهو خطأ .

بالمضاف وعند سيبويه ما تقدم ذكره قبل هذا .

قال ابن خلف — تبعاً للنحاس — : « وقوله أعيداً ، أجاز من أن يكون منادى منكوراً ، وأن يكون منصوباً على الحال كأنه قال : أتفخر في حال عبودية ولا يليق الفخر بالعبودية » ١٠١ هـ .

وعلى هذا فالهمزة للاستفهام ، [وعيداً^(١)] جملة حلّ وغريباً أحوال من ضمير تفخر ، وعلى الأول فجملة حلّ صفة للنادى ، وغريباً حال من ضمير حلّ ، وقيل صفة أخرى للنادى :

وقد نقل ابن السّيد في شرح أبيات الجمل الوجهين : النداء والاستفهام عن سيبويه .

وأنشد سيبويه هذا البيت على أن لؤماً واغتراباً منصوبان بفعل محذوف على طريق الإنكار التوبيخي ؛ كأنه قال : أتلوم لؤماً وتغترب اغتراباً ، ويجوز أن يكون التقدير : أتجمع لؤماً واغتراباً فتنصبها بفعل واحد مضمّر . وهذا أحسن لأن المنكر إنما هو جمع اللؤم والغربة ؛
(و (اللؤم) بالهمز : ضدّ الكرم ، وهو فعل الأمور الخسيسة الدنيئة ، وفعله من باب كرم .

وقوله (لا أبالك) جملة معترضة ، وهذا يكون للمدح : بأن يراد نفي نظير المدوح بنفي أبيه ، ويكون للذم : بأن يراد أنه مجهول النسب وهذا هو المراد هنا . وقال السيوطي في شرح شواهد^(٢) المغنى . « هي كلمة تستعمل عند

(١) التكملة من ش ، وهي تدل على السهو الذي نهبت عليه في الحاشية السابقة .

(٢) انظر شرح شواهد المغنى للسيوطي ٢٩٠ . وليس الكلام فيه خاصاً بهذا الشاهد ، بل لقول جرير :

يا تيم تيم عدى لا أبالك لا يلقينكم فى سورة عمر

الغلظة في الخطاب ، وأصله أن ينسب المخاطب إلى غير أبٍ معلوم ، شتاً له واحتقاراً ، ثم كثر في الاستعمال حتى صار يقال في كل خطاب يُغلظ فيه على المخاطب . وحكى أبو الحسن^(١) [ابن] الأخضر : كان العرب تستحسن لا أبالك ، وتستقبح لا أمَّ لك ، لأنَّ الأمَّ مشقة حنينة^(٢) ٥١٤ .

وقال العيني : وقد يذكر في معرض التعجب دفماً للعين ، كقولهم : لله درك ! وقد يستعمل بمعنى جدِّ في أمرك وشمر ، لأن من له أب يتَّكل عليه في بعض شأنه .

قال اللخمي في شرح أبيات الجمل : اللام في لك مقحمة والكاف في محل خفض بها ، لأنه لو كان الخفض بالإضافة أدَّى إلى تعليق حرف الجرِّ ، فالجرُّ باللام وإن كانت مقحمة كالجرِّ بالباء وهي زائدة ؛ وإنما أقحمت مراعاة لعمل لا ؛ لأنها لا تعمل إلا في النكرات ، وثبتت الألف مراعاة للإضافة ؛ فاجتمع في هذه المسألة شيان متضادان : اتصال وانفصال : ثبات الألف دليل على الاتصال من جهة الإضافة في المعنى ، وثبات اللام دليل على الانفصال في اللفظ مراعاة لعمل لا . فهذه مسألة قد روعيت لفظاً ومعنى . وخبر « لا » التبرئة محذوف ، أي لا أبالك بالخرقة .

(١) في النسختين : « أبو الحسن الأخفش » ، صوابه من شرح شواهد المعنى للسيوطي ، ومما سيأتي من نقل البغدادي عنها في الشاهد ١٣٢ ص ٣٦٠ بولاق . وأبو الحسن بن الأخضر ، هو علي بن عبد الرحمن بن مهدي الاشبيلي ، تلميذ الأعلام وأستاذ القاضي عياض . توفي بأشبيلية سنة ٥١٤ . انظر بغية الوعاة .

(٢) في النسختين : « وتستقبح لا أم لك أي مشقة حنينة » والصواب من السيوطي ، ومما سيأتي في الشاهد ١٣٢

و (شُعْبِي) بضم الشين والقصر والألف للتأنيث . قال السكري في أشعار تغلب : هي جبال منيعة متدانية بين أيسر الشمال وبين مغيب الشمس من ضَرْبَةٍ ، على قريب من ثمانية أميال . وقيل جبل أسود وله شعاب فيها أو شال تحبس الماء من سنة إلى سنة . وفي معجم ما استعجم للبكري : « قال يعقوب : شعبي : جبال متشعبة ، ولذلك قيل شعبي » ، وقال عماره : هي هضبة بحمي ضرية . ومن أصحاب شعبي العباس بن يزيد الكندي ، وكان هناك نازلاً في غير قومه ، قال جرير يعنى العباس :

أعبدًا حلّ في شعبي غريبًا . . . البيت « انتهى .

ومثله لابن السيد في شرح أبيات الجمل .

قال أبو محمد الأعرابي في فرحة الأديب : وإنما عير جرير العباس بن يزيد بحلّوله في شعبي ، لأنه كان حليفًا لبني فزارة ، وشعبي من بلادهم ، وهو كندى والحليف عندهم عار .

قال : وكان السبب في قول جرير هذا الشعر : أنه لما هجا الراعي النخيري

٣١٠

بقوله من قصيدة :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

عارضه العباس بن يزيد الكندي ، وكان مقبلاً بشعبي ، فقال :

ألا رَغِمَتْ أنوف بني تميم فُساء التمر إن كانوا غضابا

لقد غضبت على بنو تميم فما نكأت بغضبتها ذُبابا

لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فقال جرير بهجوه :

إذا جهل الشقي ولم يقدرْ لبعض الأمر أو شك أن يُصابا

سَنَطْلَعُ مِنْ ذُرَا شُعْبِي قَوَافٍ عَلَى الْكَنْدِيِّ تَلْتَهَبُ التَّهَابَا
أَعْبَدَا حَلَّ فِي شُعْبِي غَرِيبًا الْبَيْت
فَمَا تَخْفَى هُضْبِيَّةُ حِينَ تَمْشِي وَلَا إِطْعَامُ سَحْلَتِهَا الْكَلَابَا^(١)
تُخْرَقُ بِالْمَشَاقِصِ حَالِبِيهَا وَقَدْ حَلَّتْ مَشِيمَتَا الشَّيَابَا^(٢)

انتهى . ومثله في الأغاني حكاية عن جرير مع الحجاج بن يوسف الثقفي
قال : هجاني العباس بن يزيد الكندي بقوله :

أَلَا رَغِمَتْ أَنْوَفُ بَنِي تَمِيمٍ الْآيَاتِ

فتركته خمس سنين لا أهجوهُ ، ثم قدمت الكوفة فأثيت مجلس كيندة ،
فطلبت إليهم أن يكفوه عني [فقالوا : مانكفُ^(٣)] وإنه لشاعر ، وأوعدونني
به فكنت قليلاً ثم بشوا إليّ راكباً فأخبروني بمثالبه وجواره في طيء حيث
جاور غيفاراً^(٤) وأحبل أخته هضبية^(٥) . فقلت :

إِذَا جَهِلَ الشَّقِيُّ وَلَمْ يَقْدِرْ الْبَيْت

(١) هضبية : أخت العباس بن يزيد الكندي .

(٢) الخطاب فيه للعباس ، وكانت هضبية فجرت ، فقتل العباس ولدها
فرمى به وقتلها هي أيضاً فرمى بها كما سيأتي وكما في شرح الديوان .
وفي الديوان : « يقطع بالمعابل » . وفي الأغاني ٧ : ٤٣ :
« وقد بليت مشيمتها الترابا » .

(٣) التكملة من الأغاني .

(٤) في الأغاني « عتابا » . وفي ديوان جرير ٦٣ :

أَعْنَابَا تَجَاوَرُ حِينَ أَجَنْتُ نَخِيلَ أَجَا وَأَعْنَزَهُ الرِّبَابَا
وعناب هذا . رجل من بني نبهان بن عمرو بن الفوث بن طيء ،

وهو أبو حريث بن عناب

انظر المؤلف ١٦١ وشرح الحماسة للمرزوقي ٢٥٥ .

(٥) كذا . والصواب : « وحبل أخته هضبية » ، لأن الذي أحبلها
فيما يبدو هم بنو عناب ، قال جرير بعد البيت السالف :
أَصَابُوا الْجَارَ لَيْلَةَ غَابَ عَنْهُمْ

فَبَنَسَ الْقَوْمَ إِذْ شَهِدُوا وَغَابَا

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبِيْ غَرِيْبًا البيت
فَانْخَنِيْ هُضْبِيَّةٍ حَيْثُ تَمْشِيْ (١) البيت
تَحْرُقُ بِالشَّاقِصِ حَالِيْهَا البيت
قَدْ حَمَلَتْ ثَمَانِيَّةً وَأَوْفَتْ بِتَاسِعِهَا وَتَحْسِبُهَا كَهَابًا

انتهى . أراد بَسَخْلَهَا : ولدها الذى ولدته لَزْنِيَّةٍ وَرَمَتْهُ لِلْكَلاَبِ
فَأَكَلَتْهُ . والمشاقص : جمع مَشَقَص ، وهو النَّصْلُ المَرِيضُ يَكُونُ فِي السَّهْمِ .
والحالبان : عِرْقَانِ مَكْتَنَفَانِ بِالسَّرَّةِ . وَمَشَيْتُمَا : ما يَخْرُجُ بَعْدَ الْوَلَدِ يعنى
أَنَّهُمَا لَمَّا حَبَلَتْ (٢) شَقَّتْ حَالِيْهَا بِمَشَقَصٍ لَتَرْمِي الْوَلَدَ (٣) . وَالْكَعَابُ بِالْفَتْحِ ،
وَهِيَ الْكَاعِبُ ، وَهِيَ الْجَارِيَّةُ الَّتِي تَهْدُ نَدِيْهَا .

وقال اللخمي : هَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيْدَةِ لُجْرِيْرِ يَهْجُو بِهَا الْبَيْعِثَ ، وَاسْمُهُ
خِدَاشُ بْنُ بَشْرِ الْمَجَاشِي . ثُمَّ أَنْشَدَ هَذِهِ الْآيَاتِ . وَقَالَ : أَرَادَ بِالْعَبْدِ الْبَيْعِثَ .
وقال العيني : هُوَ مِنْ قَصِيْدَةِ لُجْرِيْرِ يَهْجُو بِهَا خَالِدُ بْنُ يَزِيْدَ الْكَنْدِيُّ (٤)
وَأَوَّلُهَا :

أَخَالِدُ ، عَادَ وَعَدَكُمْ خِلَابًا وَمَنِيْتَ الْمَوَاعِدَ وَالْكِذَابَا
أَخَالِدُ ، كَانَ أَهْلَكَ لِي صَدِيقًا فَقَدْ أَمْسَا بِحُبِّكُمْ حِرَابَا (٥)

(١) فِي الْأَغَانِي ٧ : ٤٣ : « حِينَ تَمْشِي » .

(٢) ط : « حَلَبَتْ » ، صَوَابُهُ فِي ش .

(٣) الْوَجْهَ : « شَقَقْتُ » بِالْحَطَابِ لِعِبَاسٍ ، لِأَنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ تَخَلَّصَا

مِنْ عَارِهَا هُوَ أَخُوهُمَا الْعِبَاسُ .

(٤) الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا وَهَمٌ مِنَ الْعَيْنِيِّ ، فَإِنَّ خَالِدَ هُنَا

مَرْخَمُ خَالِدَةَ لَامْرَأَةٍ يَشْبَبُ بِهَا ، عَلَى عَادَةِ الشَّعْرَاءِ فِي الْفَزْلِ ، وَمَطْلَعُ
قَصِيدَتِهِ غَزَلٌ وَفِي الدِّيَوَانِ ٦٠ بَعْدَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْآيَاتِ التَّالِيَةِ :

أَلَمْ تَتَّبِعْنِي كُلْفِي وَوَجَدِي غَدَاةً يَرُدُّ أَهْلَكُمْ الرِّكَابَا

(٥) ط فَقَطْ : « بِحِكْمِكُمْ » بِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ ، وَاتَّبَعْتُ مَا فِي شِ وَالْعَيْنِيُّ ،

وَفِي الدِّيَوَانِ : « لِحِكْمِكُمْ » . وَالْحِرَابُ : الْمُحَارَبَةُ ، أَوْ جَمْعُ حَرْبَةٍ .

٣١١

بنفسى مَنْ أزور فلا أراه وَيَضْرِبُ دُونَهُ الْخِدْمُ الْحِجَابَا
 أَخْلَدَ ، لو سَأَلْتَ عَلِمْتَ أَنِي لَقِيتُ بِحَبْكَ الْعَجَبُ الْعُجَابَا
 سَتَطْلُعُ مِنْ ذُرَا شُعْبِي قَوَافِ الْبَيْت
 أَعْبَدَا حَلَّ فِي شُعْبِي غَرِيبَا الْبَيْت
 وَيَوْمَا فِي فِزَارَةِ مُسْتَجِيرَا وَيَوْمَا نَاشِدَا حِلْفَا كِلَابَا
 إِذَا جَهْلُ اللَّسِيمِ وَلَمْ يَقْدُرْ الْبَيْت . ا هـ
 والظاهر أن هذه الآيات ليست منتظمة في نسق واحد . والله أعلم .

(فائدة)

قد جاء على (فَعَلَى) تسع كلمات : إحداها : ' شُعْبِي ' ؛ وقد شرحت .
 وثانيها : ' أَدَمَى ' بالدال والميم ، وهو موضع ، وقيل حجارة حمر في أرض قُشَيْرَ .
 ثالثها : ' أُرْبَى ' بالراء للمهملة والموحدة ، وهى الداهية . رابعها : ' أُرْنَى ' بالراء
 والنون : ' حَبْ ' يجمل في اللبن فيسَخْنَهُ (١) . خامسها : ' حُلْكَى ' بالخاء للمهملة
 واللام والكاف لضرب من العظام ، وقيل دابة تغوص في الرمل . سادسها :
 ' جُنْفَى ' بالجيم والنون والفاء ، وهو اسم موضع . سابعها : ' حُنْفَى ' بالخاء للمهملة
 والنون والفاء ، وهو اسم جبل . ثامنها : ' جُعْيَى ' بالجيم والعين والموحدة للعظام
 من الثقل . تاسعها : ' جُعْدَى ' بالجيم والميم والدال وهو اسم موضع .
 وترجمة جرير قد تقدمت في أوائل الكتاب في الشاهد الرابع (٢) .

* * *

(١) ط : « يسخنه » صوابه فى ش . وانظر اللسان والقاموس
 (أرن) .

(٢) أنظر ما مضى فى الجزء الأول ص ٧٥

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائة ، وهو من شواهد
سيبويه (١) :

١١٣ (أَدَارًا بِحَزْوَى هِجَتِ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَفَّقُ)
على أن المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف ؛ والجار والمجرور صفته
قبل النداء .

ولهذا أنشده سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيه نصبُ داراً لأنه منادى
منكور في اللفظ لاتصاله بالمجرور بعده ، ووقوعه موقع صفته ؛ كأنه قال :
أَدَارًا مُسْتَقَرَّةً بِحَزْوَى ؛ فجرى لفظه على التنكير وإن كان مقصودا بالنداء
معرفةً في التحصيل . ونظيره مما ينتصب ، وهو معرفة ، لأن ما بعده من صلته ،
فضارع المضاف (٢) قَوْلُهُمْ : يَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ ؛ وكذلك ما قل إلى النداء
موصوفاً بما توصف به النكرة جرى عليه لفظ المنادى المنكور ، وإن كان
في المعنى معرفة اهـ .

و (حَزْوَى) بضم المهملة وسكون الزاى المعجمة ، قال البكري في معجم
ما استمعج : هو موضع في ديار بني تميم ، وقال الأحول : حَزْوَى وَخَفَانُ :
موضعان قريبان من السَّوَادِ وَالْخَوَرِ (٣) من الكوفة .

(وهِجَتِ) جواب النداء ، ويقال له : المقصود بالنداء . وقال ابن السَّيِّدِ:
« جَلَّةٌ هِجَتِ صِفَةً ثَانِيَةً لِلْمَنَادَى ، أَوْ خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيْ أَنْتَ هِجَتِ » .

(١) سيبويه ١ : ٣١١ وانظر العينى ٤ : ٢٣٦ ، ٥٧٩ وديوان ذى
الرمة ٣٨٩ .

(٢) فى النسختين : « مضارع المضاف » ، صوابه من الشنتمرى ١ :
٣١١ .

(٣) فى النسختين : « والخوارق » ، صوابه من معجم ما استمعج .

وفيه نظر . وهاج هنا متمدّ ، يقال هجت الشيء وهيجته : إذا أثرت ، ويأتي لازماً ، يقال هاج الشيء : إذا ثار . و (عِبْرَةٌ) مفعوله بفتح العين بمعنى الدفعة و (للعين) كان في الأصل صفة لعبرة ، فلما قدّم صار حالا منها . والعبرة تكون جارية ومتحيرة وساكنة وقاطرة . و (ماء الهوى) هو الدمع ، وأضافه إلى الهوى أى العشق ، لأنه هو الباعث لجريانه . و (يرفض) بالفاء والضاد : يسيل بمضه في إثّر بعض ؛ وكل متناثر مرفض . و (يترقق) : يبقى في العين متحيراً يجيء ويذهب ؛ ورقراق السراب من ذلك . وحكى بعضهم أن يترقق هنا بمعنى يترقق .

وهذا البيت مطلع قصيدة طويلة لذي الرُّمّة ، عدة أبياتها سبعة وخمسون بيتاً ، كلها غزل وتشبيب بى . وقد أخذه من « زهير بن جنّاب » ، وهو شاعر جاهلي من قصيدة فيها :

وذي دارسلى قد عرفت رسومها فعجت إليها والدموع ترقرق
وكادت تبين القول لما سألتها وتخبّرني ، لو كانت الدار تنطق
فيادار سلى هجت للعين عبّرة فاء الهوى يرفض أو يتدفق
و « أو » في البيتين بمعنى الواو . وقد أخذ منه بيتاً آخر وهو :

وقفنا فسلمنا فكادت بمُسرّف ، لعرفان صوتي ، دمنة الدار تنطق

و « مُسرّف » بضم الميم وسكون السين وكسر الراء المهملة (١) اسم موضع .

ومن قصيدة ذي الرُّمّة :

(١) هكذا نص البغدادى ، وصوابه « مشرف » بالشين المعجمة ، وبذلك صححها الشنقيطى فى نسخته . وانظر معجم البلدان .

(وإنسانٌ عيني يحسِرُ الماءَ تارةً فيبدو، وتاراتٍ يَجَمُّ فيغرقُ)

وهو من شواهد معنى اللبيب . وحسر الماء من باب ضرب : نَضَبَ
عن موضعه وغار . ويَجَمُّ بضم الجيم وكسر ها : مضارع جَمَّ الماءُ جُوماً أى
كثُرَ وارتفع . ويغرقُ ، بفتح الراء : مضارع غَرِقَ بكسر ها . وفى أفراد
تارةً أولاً وجمعها ثانياً إشارةً إلى أن غلبة البكاء عليه هى غالب أحواله .

وجملة يحسِرُ الماءَ وقعت خبراً عن قوله إنسان عيني ، وهى خالية عن رابط
محدوف ، أى يحسر الماء عنه ؛ وقيل : هو ألٌ فى الماء ، لنياتها عن الضمير
والأصل ماؤه ؛ وقيل هو على تقدير أداة الشرط ، وقدره شارح ديوان ذى
الرمّة محمد بن حبيب : (إذا) ، وقدره غيره : (إن) ، وهو الصحيح لأنها
أمّ الباب ، فلما حذفت ارتفع الفعل ، والجملة الشرطية إذا وقعت خبراً لم
يُشترط كون الروابط فى الشرط بل فى أيّهما من الشرط والجزاء وُجد كفى .
وقال ابن هشام فى المغنى ، تبعاً لأبى حيان : الفاء السببية نزلت الجملتين منزلةً
جملةً واحدةً فاكتفى منهما بضمير واحد ، فالتبر مجموعهما .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائة^(١) :

١١٤ (ألا يا نخلةً من ذاتِ عِرْقِي عليكِ ورحمةُ الله السلامُ)

على أن الجار والمجرور صفة لنخلة قبل النداء ، والننادى من قبيل الشبيه
بالمضاف . وقوله (عليك ورحمة الله السلام) مذهب أبى الحسن الأخفش :

(١) انظر الهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وشرح شواهد
المغنى ٢٦٣ وابن الشجرى ١ : ١٨٠ والخصائص ٢ : ٣٨٦ ومجالس نعلب
٢٣٩ وأمالى الزجاجى ٨١ وتحرير التحبير ١٤٥ . وهو تكرار للشاهد
٦٣ .

أنه أراد عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورة ؛ لأن السّلام عنده مرفوع بالاستقرار المقدّر في الظرف . ولا يلزم هذا على مذهب سيبويه ، لأن السّلام عنده مرفوع بالابتداء ، وعليك خبر مقدّم ، ورحمة الله معطوف على الضمير المرفوع في عليك . غير أنه من عطف ظاهر على مضمّر من غير تأكيد ، وذلك جائز في الشعر ؛ وقد أجازوه قوم في سعة الكلام ، كذا في شرح أبيات الجمل لابن السيّد واللّخمي .

وروى ثعلب في أماليه المصراع الثاني هكذا :

* بَرُودَ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ *

شاعكم : تبعكم . انتهى . و (ذات عرق) : موضع بالحجاز ، وفي المرصع لابن الأثير : ذات عرق : ميقات أهل العراق للأحرام بالحج .

وهذا البيت أوّل أبيات ثلاثة نُسبت للأحوص ، أوردها الدّميري وابن أبي الإصبع في تحرير التعبير . والبيتان الآخران هما :

٣١٣

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَخَبَّرُونِي هَذَا مِنْ ذَلِكَ تَكْرَهُهُ الْكَرَامُ
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسْ إِذَا هُوَ لَمْ يَخَالِطْهُ الْحَرَامُ

قال ابن أبي الإصبع : « ومن مליح الكناية : النخلة ، فإن هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة ، وبالهناة عن الرّفث ؛ فأما الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف الكناية وغريبها » انتهى .

وأصل ذلك : أن عمر بن الخطاب كان نهى الشعراء عن ذكر النساء في أشعارهم ، لما في ذلك من الفضيحة ؛ وكان الشعراء يكتنون عن النساء بالشجر وغيره ، ولذلك قال حميد بن ثور الهلالي :

وهل أنا إن علّت نفسي بـسرحة من السرح مسدودٌ على طريق
أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاء تروق
وعلم بهذا سقوط قول اللخى : سلم على النخلة لأنها معهد أجابه ،
أو ملعبه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازل لمقام سكاتها ، فتسلم عليها وتكثر
من الحنين إليها ؛ قال الشاعر :

هو سيمى

ديوانه ٨٤ ص ٤٢

وكنل الأجاب ، لو يعلم العا ذل عندى منازل الأجاب
ويحتمل أن يكون كفى عن محبوبته بالنخلة لثلا يشهرها ، وخوفاً من
أهلها وقرابتها . انتهى .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الثامن والثمانين^(١)

وأشده بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد المائة ، وهو من
شواهد س^(٢) :

١١٥ (فيا راكباً، إما عرضت قبلن : ندماى من نجران أن لا تلاقيا)

على أن للنادى هنا عند الكسائي والفراء إمّا معرفة بالقصد ، وإمّا أصله
يارجل راكباً ؛ لأنها لا يميزان نداء النكرة مفردة ، بل بوجيان الصفة .
والصحيح جواز نداء النكرة غير المقصودة .

وأشده سيبويه لما قلنا . قال الأعم : الشاهد فيه نصب راكب ، لأنه

(١) صوابه الشاهد ٨٥ . وانظر أيضاً الشاهد ٩٠

(٢) سيبويه ١ : ٣١٢ . وانظر العينى ٣ : ٤٢ / ٤ : ٤٠٦ وابن

يعيش ١ : ١٢٧ - ١٢٩ والخصائص ٢ : ٤٤٨ وأمالى القالى ٣ : ١٣٢

والمفضليات ١٥٦ والأغانى ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المعنى ٢٣١

منادى منكور ، إذ لم يقصد به قصد راكب بعينه ، إنما التمس راكباً من الركبان يُبلغ قومه خبره وتحتيته ، ولو أراد راكباً بعينه لبناء على الضم ولم يَجْزْ له تنوينه ونصبه . انتهى .

وأغرب أبو عبيدة حيث قال : أراد ياراكباه للندبة ، فحذف الماء كقوله تعالى : (يا أسفاً على يوسف) ، مع أن الثقات رَوَوْهُ بالنصب والتنوين ، إلا الأصمى فإنه كان ينشده بلا تنوين . كذا نقله ابن الأنباري في شرح المفضليات .

وهذا البيت من قصيدة عدتها عشرون بيتاً لعبد يغوث الحارثي البجلي . قالها بعد أن أسر في يوم الكلاب الثاني : كُلاب تيم واليمن ^(١) وقتل أسيراً ^(٢) .

ولمالك بن الرئب قصيدة على هذا الوزن والروي ، فيها بيت يشبه البيت الشاهد ، وهو :

« فيا صاحبي إماً عرضتَ فبلننُ بني مازن والرئب أن لا تلاقياً »
وهذا غير ذلك قطعاً . فتقول شراح أبيات سيبويه في البيت الشاهد : إنه لعبد يغوث ، ويروي لمالك بن الرئب ، غير جيد .

و (٣) بن جهم ، أحد بني الحارث بن سعد من بني أسد وهو :

أياراكباً إماً عرضتَ فبلننُ بني عمنّا من عبد شمس وهاشم

(١) ش : « تميم واليمن » ، صوابه في ط . وانظر (كلاب) في معجم البلدان وما سيأتي في ٣١٦ بولاق .
(٢) ش : « أسر » ، وبعدها بياض ، مع إسقاط كلمة « وقتل » قبلها .

(٣) بياض في الأصل بمقدار ست كلمات .

أمن عمل الجُرَّافِ أَسْ وظلَّهِ وعُدَّوَانِهِ أَعْتَبْتُمُونَا بِرَاسِمٍ^(١)
 عَرَضْتُ هُنَا بِمَعْنَى تَعَرَّضْتُ وَالْجُرَّافُ : اسْمُ رَجُلٍ ، وَرَاسِمٌ كَذَلِكَ :
 وَكَانَ الْجُرَّافُ وَلِيَّ صَدَقَاتِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَظَلَمَهُمْ ، فَشَكُوا فَعُزِّلَ وَوُلِيَ رَاسِمٌ
 مَكَانَهُ ، فَظَلَمَ أَكْثَرَ مِنَ الْجُرَّافِ . وَالْإِعْتَابُ : الْإِرْضَاءُ^(٢) ، وَإِزَالَةُ الشَّكْوَى ،
 وَرَوَى : (أَعْتَبْتُمُونَا) : مِنْ الْإِعْنَاتِ ، وَهُوَ الْإِقْيَاعُ فِي الْعَتَّةِ وَالْمَشَقَّةِ .
 وَ (قَصِيدَةُ عَبْدِ يَغُوثِ) مَسْطُورَةٌ فِي الْمُنْفَضِيَّاتِ ، وَفِي ذِيلِ أَمَالِي
 الْقَالِي^(٣) .

وَقَدْ شَرَحْنَا يَوْمَ الْكَلَابِ الثَّانِي فِي الشَّاهِدِ الْخَامِسِ وَالسِّتِينَ^(٤) .
 وَكَانَ الَّذِي أَسْرَعَ عَبْدَ يَغُوثَ قَتَّى مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَهْوَجُ ، فَقَالَتْ أُمُّهُ :
 مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ عَبْدُ يَغُوثَ : أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ ، فَضَحِكَتْ وَقَالَتْ : قَبَحَكَ اللَّهُ مِنْ
 سَيِّدِ قَوْمٍ ، حِينَ أَسْرَكَ هَذَا الْأَهْوَجَ . (وَإِلَى هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ :
 وَتَضَحَكُ مَنَى شَيْخَةً عَبْشِيَّةً . . الْبَيْتِ)

فَقَالَ : أَيُّهَا الْحَرَّةُ ، هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟ قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : أَعْطَى
 ابْنَكَ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَيَنْطَلِقُ بَنِي إِلَى « الْأَهْمِ » ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْتَزِعَنِي
 سَعْدُ الرَّبَابِ مِنْهُ فَضَمَّنَ لَهَا مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ فَوَجَّهُوا
 بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَبَضَهَا الْعَبْشِيُّ وَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى الْأَهْمِ ، فَقَالَ عَبْدُ يَغُوثَ :

(١) أَنَشِدَهُ سَبْيُوِيَه ١ : ٢٨٨ مَعَ بَيْتٍ تَالٍ لَهُ وَهُوَ :
 أَمِيرِي عَدَاءُ إِنْ حَسَبْنَا عَلَيْهِمَا بِهِائِمَ مَالِ أَوْدِيَا بِالْبِهَائِمِ
 وَكَذَا أَنَشِدَا فِي اللِّسَانِ (جَرَفَ) .
 (٢) ط : « الْإِرْخَاءُ » ، صَوَابُهُ فِي شَيْءٍ مَعَ أَثَرِ تَصْحِيحٍ .
 (٣) وَكَذَا فِي الْبَيَانِ ٢ : ٤/٢٩٧ : ٤٥ وَالنَّقَائِصُ ١٥٢ وَالْأَغَانِي
 ١٥ : ٧٢ وَشَرَحَ سَوَاهِدَ الْمَفْنَى لِلْسَبْيُوِي ٢٣٦ .
 (٤) الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ص ٤١٠ .

أَنَّهُمْ ، يَخِيرُ الْبَرِيَّةَ وَالْدَّاءَ وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا الْمَسَاعِيَا
تَدَارِكُ أُسِيرًا عَانِيًا فِي حَبَالِكُمْ وَلَا تَشْفَقُنِي التِّيمُ أَلْقِ الدَّوَاهِيَا
فَمَشَتْ سَعْدَ وَالرَّبَابَ إِلَى الْأَهَمِّ فِيهِ ، فَقَالَتْ الرَّبَابُ : يَا بَنِي سَعْدَ ،
قُتِلَ فَارَسُنَا (وَهُوَ النِّعْمَانُ بْنُ جَسَّاسٍ) وَلَمْ يَقْتُلْ لَكُمْ فَارَسَ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ ،
فَأَخَذَهُ عَصْمَةُ بْنُ أَبِي الرَّبِيعِ فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ يَغُوثَ : يَا بَنِي
تِيمَ ، اقْتُلُونِي قِتْلَةً كَرِيمَةً ، فَقَالَ عَصْمَةُ : وَمَا تِلْكَ الْقِتْلَةُ ؟ قَالَ : اسْقُونِي الْحَمْرَ ،
وَدَعُونِي أَنْوَحَ عَلَى نَفْسِي ، فَجَاءَهُ عَصْمَةُ بِالشَّرَابِ فَسَقَاهُ ، ثُمَّ قَطَعَ عِرْقَهُ
الْأَكْثَلَ وَتَرَكَهُ يَتَزَفُّ وَمُضَى ، وَجَمَلَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ فَقَالَا لِعَبْدِ يَغُوثَ : جَمَعْتَ
أَهْلَ الْيَمَنِ ثُمَّ جِئْتَ لِتَصْطَلَمَنَا ، كَيْفَ رَأَيْتَ صُنْعَ اللَّهِ بِكَ ، فَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ .

قصيدة
الشاهد

(أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللُّومَ مَا بَيَا ، فَمَا لَكُمَا فِي اللُّومِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا)
فَالْخَطَابُ لِاثْنَيْنِ حَقِيقَةٍ . وَاللُّومُ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ ، وَمَا فَاعِلٌ مُؤَخَّرٌ . أَيْ
كَفَى اللُّومَ مَا أَنَا فِيهِ ، فَلَا تَحْتَاجُونَ إِلَى لُومِي مَعَ مَا تَرُونَ مِنْ إِسَارِي وَجَهْدِي .
(أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ ، وَمَا لُومِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا)
شِمَالُ بِالْكَسْرِ بِمَعْنَى الْخَلْقِ ، وَيُرْوَى (أَخَا) .

وهذا البيت من أبيات شرح الشافعية للشارح ، نقل فيه عن أبي الخطاب :
أَنْ شِمَالًا يَأْتِي مُفْرَدًا وَجَمَاعًا ، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ جَمْعٌ ، أَيْ مِنْ شِمَالِي .
(فَيَارَا كَبًّا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّتْنِ نَدَامَايَ مِنْ نَجْمَانِ أَنْ لَا تَلْقَا)
الرَّا كَبُ : رَا كَبُ الْإِبِلُ ، وَلَا تَسْتِ الْعَرَبُ رَا كَبًّا عَلَى الْإِطْلَاقِ
إِلَّا رَا كَبَ الْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ وَالْجَمْعُ رُكْبَانُ ، وَالرُّكْبُ : اسْمٌ لِلْجَمْعِ عِنْدَ
سَيِّبُونِهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِهِ جَمْعُ رَا كَبُ كَسَائِرِ وَنَجْرُ . وَيُقَالُ لِمَا بَرَّ الْمَاءُ فِي زَوْرَقٍ
وَنَحْوِهِ رَا كَبُ ، وَيَجْمَعُ عَلَى رُكَّابٍ بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ ، وَلَا يُقَالُ رُكَّابٌ
إِلَّا لِرُكَّابِ الْبَحْرِ ، وَلَمْ يَقُولُوا فِيهِ رُكَبُ .

و (إمّا) مركبة من إن الشرطية وما الزيدة ، وعرضت : قال فى الصحاح « عرضَ الرجلُ : إذا آتى العُروض ، وهى مكة والمدينة وما حولهما » ، وأنشد هذا البيت . وقال شراح أبيات سيبويه والجل : عرضت بمعنى تعرّضت وظهرت . وقيل معناه بلغت العِرض وهى جبال نجد ، تعرف بذلك .
والندامى : جمع ندمان بالفتح بمعنى نديم ، وهو المُشارب ، وإنما قيل له ندمان من الندامة لأنه إذا سكر تكلم بما يندم عليه ؛ وقيل : الندامة مقلوبة من المدامة ، وذلك إدمان الشراب ؛ ويكون الندمان والنديم أيضاً المُجالس والمُصاحب على غير الشراب . ونجّران ، بفتح النون وسكون الجيم ، قال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : « مدينة بالحجاز من رِشق اليمن ، سمّيت بنجّران بن زيد بن يشجب بن يعرب ، وهو أول من نزلها . وأطيب البلاد نجّران من الحجاز ، وصنّاء من اليمن ، ودِمشق من الشام ، والرّى من خراسان » انتهى .

وبهذا عُرِف حُسْنُ تفسير الصحاح لعرّضت .

وأن مخففة من الثقيلة ؛ لأن التبليغ فيه معنى العلم ، واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة من اسم لا التبرئة وخبرها المحذوف أى لنا خبرها ، وجملة أن لا تلاقيا فى موضع المفعول الثانى للتبليغ ، وجوز اللخى أن تكون تفسيرية . وقوله « من نجّران » حال من ندامى ، لا وصف له ، خلافاً للخي .

(أبا كُرب والأَيّهَمَيْنِ كَلَيْهَما وقيساً بأعلى حَضَرَمَوْتَ الْيَمَانِيا)

هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فدكرم عند موته وحنّ إليهم ؛ وهو بدل من ندامى . وأبو كُرب والأَيّهَمَانِ من اليمن ، وقيس هو ابن معد يكرب ، أبو الاشعث بن قيس الكندى ؛ قال صاحب الأغاني ، وكذا اللخى :

يروى أن قيساً هذا لما بلغه هذا البيت قال: لبنيك ، وإن كنت قد أخرتني ،
(جَزَى اللهُ قَوْمِي بِالْكُلابِ مَلَامَةً صَرِيحَهُمُ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا)
الصريح : الخالص والمحض . والمواليا : الحلفاء للمنضمين إليهم ، والكُلاب
بضم الكاف : اسم موضع الوقعة .

(ولو شئتُ نَجَتْنِي من الخيلِ نَهْدَةً تَرَى خَلْفَهَا الحُوءُ الجيادُ تواليا)
النهدة : المرتفعة ، وكل ما ارتفع يقال له نهد . والحوء من الخيل : التي
تضرب إلى خضرة ، والحوة . الخضرة ؛ قال الأصمعي : وإنما خص الحوء
لأنه يقال : إنما أصبر الخيل وأخفها عظاماً^(١) إذا عرقت لكثرة الجري .
وتواليا : جمع تالية أى تابعة ، أى إن فرسى خلفها تسبق الحوفى تتلو فرسى .
(ولكننى أحمى ذِمَارَ أَيْيَكُمُ وكان الرِّمَاحُ يُخَنِّطُنَ الحُمَامِيَا)
الذِمَار : ما يجب على الرجل حفظه : مِنْ مِنْعِهِ جَاراً أو طلبه ثاراً .
وقوله : وكان الرماح الخ ، قال القالي : هذا مثل .

(أقول ، وقد شدوا لساني بنسعة : أَمَشَرَ تَبِيهِمُ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا^(٢))
النسعة بكسر النون : سَيْر منسوج . وفيه قولان : الأول أن هذا مثل ،
وذهب إليه شراح أبيات الشعراء والقالي في أماليه ، وحكاه ابن الأنباري
في شرح المفصليات وقال : لأن اللسان لا يُشَدُّ بنسعة ، وإنما أراد : افعلوا
بني خيراً لينطلق لساني بشركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود ، لا أقتر
على مدحك . والثاني أنهم شدوه بنسعة حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ في البيان

(١) شرح شواهد شرح الشافعية للبغدادى ١٣٥ - ١٣٨

وكذا في أمالي القالي ٣ : ١٣٣ ، وهو كناية عن خفة الحركة

(٢) ويروى : « اطلقوا لى لساني » .

والتيين^(١) ، والأصفهاني في الأغاني ، وحكاة أيضاً ابن الأنباري : بأنهم ربطوه بنسمة مخافة أن يهجوهم ، وكانوا مسموعه ينشد شعراً ، فقال : أطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي وأنوح على نفسي ؛ فقالوا : إنك شاعر ، ونحذر أن تهجونا . فهاهنا أن لا يهجوهم ، فاطلقوا له عن لسانه . قال الجاحظ : وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكره في الأعقاب^(٢) ، ويسب به الأحياء والأموات ، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق ، وربما شدوا لسانه بنسمة ؛ كما صنعوا ببعد يثوث بن وقاص الحارثي ، حين أسرته تيم يوم الكلاب .

(أعشرتيم قد ملكتم فأسجحوا فإن أخاكم لم يكن من يوائيا)
أسجحوا ، بتقديم الجيم على الحاء للمهمله ، بمعنى سهلوا ويسروا . والبواء : السواء ، أي لم يكن أخوكم^(٣) نظيراً لي فأكون بواء له .
(فإن تقتلوني تقتلوا بي سيّداً وإن تطلقوني تحربوني بماليا)
وتحربوني : تسلبوني وتغلبوني .
(أحقاً عباد الله أن لست سامعاً نشيد الرّعاء للمعزبين المتاليا)

الرّعاء : جمع راع . والمعزب : المتنحّي بإياله ، وهو اسم فاعل من أعزب بالعين المهمله والزاي للمعجمة . والمتالي : التي تُتبع بعضها وبقي بعض ، جمع مُتَلِيّة وهو اسم فاعل .

(١) انظر البيان ٤ : ٤٥

(٢) ط : « ذكرهم في الأعقاب » . صوابه في ش . والنزى في

البيان : « أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب » .

(٣) في النسختين : « أخواكم » تحريف . وفي الإمالي : « ان أخاكم

لم يكن نظيراً لي »

(وتَضَحَّكْتُ مَنِي شَيْخَةً عَبْشِمِيَّةً كَأَن لَّمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا)

هذا البيت من أبيات معنى اللبيب^(١)، قال القالي في ذيل الأمل: «قال الأخفش: رواية أهل الكوفة (كأن لم ترى) بالألف؛ وهذا عندنا خطأ، والصواب ترى بحذف النون علامة للجزم». وقال ابن السيد: قوله: كأن لم ترى، رجوع من الإخبار إلى الخطاب؛ ويروى على الإخبار: وفي إثبات الألف وجهان: أحدهما أن يكون ضرورة، والثاني أن يكون على لغة من قال راء. مقلوب رأى، فجزم فصار ترأ ثم خفف الهمزة فقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها، وهذه لغة مشهورة وكان مخففة، واسمها مضر فيها، تقديره على الوجه الأول: كأنك لم ترى وعلى الوجه الثاني كأنها لم ترأ.

(وظَلَّ نِسَاءَ الْحَيِّ حَوْلِي رُكْدًا يُرَاوِدُنَّ مَنِي مَا تَرِيدُ نَسَائِيَا)

(وقد عَلِمْتُ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَنفِي أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُوًّا عَلَى وَعَادِيَا)

هذا من شواهد س، وأورده الشارح في شرح الشافية^(٢)، وقد وقع في روايتهما «معدياً عليه وعادياً» فقال: هذا شاذ والقياس معدوًّا عليه، لأنه من العدوان، لكنه بناء على عُدِّي عليه.

(وقد كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمُعِيلَ الـ حَطِيٍّ وَأَمْضَى حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا)

(وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الْكِرَامِ مَطِيَّتِي وَأَصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رَدَائِيَا)

الشرب: جمع شارب، كصخب جمع صاحب. وأصدع: أشق. والقينة: الأمة مَقْنِيَّةٌ كانت كما هنا أم لا.

(وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَلِيلُ شَمَّصَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَا بَنَانِيَا)

(١) شرح شواهد المغني ٢٣١ في الكلام على شواهد (لم).

(٢) سيبويه ٢: ٨٣٢ وشرح شواهد الشافية ٤٠٠.

ويروى . « شَمْسُهَا » ، بالسّين ، وهى أجود . ويروى : « نَفَرُهَا » .
واللبيق : فعيل من اللّباقة .

(وعادية سَوَمَ الجرادِ وزَعَتْهَا بَكَى وقد أَنَحَوْا إلى العواليا)
العادية : القوم يعدّون ، من العدو وهو الركض وسَوَمَ الجرادُ أى كَسَمَهُ ،
وهو انتشاره . وزَعَتْهَا : كَفَفَتْهَا ، والوازع : الكفّ والممانع . وَأَنَحَوْا الرماح :
أمالوها وقصدوا بها ، من النَحْو وهو القصد . والعالية من الرمح : أعلاه ،
ويقال مادون السّنان بندراع .

(كأنى لم أركب جواداً ولم أقلّ نخليل كرى نفقى عن رجاليا
ولم أسبأ الزّق الروى ولم أقلّ لأيسار صديق أعظموا ضوء ناريا)
نَفَى : وسّى ، وروى « قَاتِلَى » ، والسبأ ، بالكسر والمد : اشتراء الخمر
للشرب لا للبيع . والأيسار : الذين يضربون القداح ، جمع ياسر ، وفعله من باب
ضرب وهذان البيتان مأخوذان من قول امرئ القيس :
كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزّق الروى ولم أقلّ نخليل كرى كرة بعد إجمال
ولم يرّد على عبد يغوث ما ورد على امرئ القيس .

و (عبد يغوث) هو ابن الحارث بن وقاص الحارثى القحطاني .

عبد يغوث
الحارثى

كان شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيّد قومه من بني الحارث
ابن كعب ، وهو الذى كان قائدهم يوم الكلاب الثانى فأسرته يَمّ وقتلته ،
كما ذكرنا . وهو من أهل بيت شعر معرق فى الجاهلية والإسلام ، منهم
الّجلاج الحارثى ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث وأخوه مُشهر فارس

شاعر ، وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فَيْفَ الريح . ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُبَيْة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ، وكان شاعراً صلوكاً أُخِذَ فى دم نجس بالمدينة ثم قتل صبراً (وستأتى ترجمته فى باب إن المشددة فى أواخر الكتاب) .

قال الجاحظ فى البيان والتبيين^(١) : ليس فى الأرض أعجب من طرفة ابن العبد وعبد يغوث ، فإن قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية .

* * *

وأما قصيدة مالك بن الرِّيبِ فهى ثمانية وخمسون بيتاً ، وهى هذه^(٢) :

ألا ليت شعرى هل أبيتَ ليلةً بجنب الغضى أَرْجِي القلاصَ النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الرِّيبَ عَرْضَهُ وليتَ الغضى مَأْشَى الرِّيبِ لياليا
لقد كان فى أهل الغضى لودنا الغضى مَزَارُ وَلَكِنَّ الغضى ليس دانيا
ألم ترى بمت الضلالة بالمهدى وأصبحتُ فى جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت فى أرض الأعادى بعيد ما أَرَانِي عن أرض الأعادى قاصيا
دعانى الهوى من أهل أودٍ وصحبتى بذى الطَّبْسَيْنِ فالتفتُ ورائيا
أجبتُ الهوى لما دعانى بزفرةٍ تقنعتُ منها ، أن الأَمَ ، ردائيا
أقول وقد حالت قُرَى الكُرْدِ دوننا : جزى الله عمراً خيراً ما كان جازيا
إن الله يرجئنى من الغزو لا أرى وإن قلّ مالى طالباً ما ورائيا
قول ابنتى ، لما رأت طول رحلتى : سِفاركَ هذا تاركى لا أباليا

٣١٨

(١) البيان والتبيين ٢ : ٢٦٨

(٢) انظر الامالى ٣ : ١٣٥ والعقد ٣ : ٢٤٥ والعينى ٣ : ١٦٥ والسيوطى ٢١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٤٣ ومعجم البلدان عند ذكر أسماء المواضع التى وردت فيها

لعمري ، لئن غالت خراسانُ هامتي
 فإن أنج من بابي خراسان لا أعد
 فله دري ، يوم أترك طائعا
 ودرُ الظباء السانحاتِ عشيةً
 ودرُ كبيرَي اللذينِ كلاهما
 ودرُ الرجالِ الشاهدينِ تفتكي
 ودرُ الهوى من حيث يدعو صحابه
 تذكرت من يبكي على فلم أجد
 وأشقرَ محبوبك^(٢) يجرُ لجامه
 ولكن بأكناف السمنية نسوة
 صريعٌ على أيدي الرجال بقفرة
 ولما تراءت عند مرو منيتي
 أقول لأصحابي : ارفعوني فإنه
 فيأصاحبني رحلي ، دنا الموت فأنزلا
 أقبا على اليوم أو بعض ليلة
 وقوما ، إذا ما استل رُوحى ، فهبنا
 وخطا بأطراف الأستة مضجعي

لقد كنتُ عن بابي خراسان نائبا
 إليها ، وإن متينوني الأمانيا
 بنى بأعلى الرقتين ، وماليا
 يخبرن ، أنى هالك ، من وراثيا
 على شفيق ناصح لو نهانيا
 بأمرى ألا يقصروا من وثاقيا
 ودر لجاجاتي ودر انتهاء^(١)
 سوى السيف والرح الرديني با كيا
 إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
 عزيز عليهن العشية مايبا
 يسوون لحدي حيث حم قضائيا
 وخل بها جسي وحانت وفاتيا
 يقر بعيني أن سهيل بدا ليا
 براية ، إني مقيم لياليا
 ولا تعجلاني ، قد تبين شانيا
 لي السيدر والأكفان عند فنائيا
 وردا على عيني فضل ردايا

(١) الأمالى : « يدعو صحابتي » .

(٢) الأمالى : « محبوبكا » ، وكلاهما جائز في العربية : أن تعطف

على لفظ المجرور بسوى ، أو على معناه . وفي الجمهرة : « وأشقر ختديد »

ولا تحسدانى ، بارك الله فيكما ، من الأرض ذات العَرَض أن تُوسعاليا
خُذانى فجزّأتى يُرْدى إلَيْكما فقد كان قبلَ اليوم صعباً قِياديا
وقد كنتُ عَطافاً إذا انْخِلُ أذبرتُ سريماً إلى الهَيْجَا^(١) إلى مَنْ دَعَانيا
وقد كنتُ صَبَّاراً على القِرْنِ فى الوغى

وعن شتى ابنِ أَلَمَّ والجَارِ وانيا
فطوراً ترانى فى ظِلَالٍ^(٢) ونَعْمَةٍ ويوماً ترانى والعِتَاقُ رِكابيا
ويوماً ترانى فى رَحَى مستديرة تخرقُ أطرافُ الرِّمَاحِ ثِيابيا
وقوماً على بئر السَّيْنَةِ^(٣) أَسْمَا بها الغرُّ والبِيضُ والحسانُ الروانِيا :
بأنَّكما خَلَفُمانى بَقْفَرَةٍ تَهيلُ على الرِّيحِ فيها السَّوافِيا
ولا تَنْسِيا عَهْدى خَليلى بعدما تَقْطَعُ أوصالى وتَبلى عِظامِيا
ولنْ يَعدَمَ الوالِدُ بَشاً يَصِيبُهُم ولنْ يَعدَمَ الميراثُ مَنى الموالِيا
يقولون : لا تَبْعُدْ ، وهم يَدْفِئُونى ، وأينَ مكانُ البعدِ إلّا مَكانِيا :
غداة غديرٍ يالْهُفَ نَفْسى على غديرٍ إذا أَدْجَلوا عَنى وأصبحتُ ثاويِيا
وأصبحَ مالى مِنْ طَرِيفٍ وتالَدَ لغيرى ، وكانَ المَالُ بالأَمْسِ مالِيا
فِياليتَ شِعْرى هل تَغَيَّرَتِ الرِّحَى رَحى المَثَلِ^(٤) أو أَمْسَتْ بَفَلَجٍ كاهِيا

(١) فى الامالى : « لدى الهيجا » ، وهو أوفق .

(٢) الامالى : « فى طلال » . وفى الجمهرة : « فى ظلال ومجمع »

(٣) ط : « السنينة » ، صوابه فى ش والامالى . وفى الجمهرة :

« بئر الشبيك »

(٤) المثل بضم الميم كما نبه عليه البغدادي فيما يأتى ، وكما فى

القاموس . وضبطت فى الامالى بكسرها كما فى ياقوت (رضى المثل) ولم

يصرح بنص فى ضبطها ، وكذا ضبطت فى اللسان (مثل) بالكسر .

إِذَا الْحَيَّ حَلَّوْهَا جَمِيعًا ، وَأَنْزَلُوا بِهَا بَقْرَاحٌ الْعُيُونِ سَوَاجِيَا^(١)
وَعَيْنٍ وَقَدْ كَانَ الظَّلَامُ يُجْنِيهَا يَسْفَنَ الْخُرَاضَى مَرَّةً وَالْأَقَاحِيَا^(٢)
وَهَلْ أَتَرَكَ الْعَيْسَ الْعَبَالَى بِالضَحَى بَرُكْبَانِيَا تَعْلُو لِلتَّانِ الدِّيَافِيَا^(٣)
إِذَا عَصَبُ الرُّكْبَانِ بَيْنَ عُذِيرَةٍ وَبَوْلَانٍ عَاجُوا لِلْبِقِيَاتِ النُّوَاجِيَا^(٤)
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوًا بَنَمِيكَ^(٥) يَا كِيَا
إِذَا مِتُّ فَاغْتَادِي الْقُبُورَ فَسَلِّ عَلَى الرَّمْسِ ، أُسْقِيتِ السَّحَابَ الْفَوَادِيَا
عَلَى جَدَثٍ قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ تَرَابًا كَسَحَقِ اللَّوْنَبَانِيِّ هَايِيَا
رَهِينَةُ أَحْجَارٍ وَتَرْبٍ تَضَمَّنَتْ قَرَارَاتُهَا مَنَى الْعِظَامَ الْبَوَالِيَا
فِيَا صَاحِبِي ، إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي بَنَى مَازَنَ وَالرَّيْبَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(٦)
وَعَطَّلُ قُلُوصِي فِي الرُّكَّابِ فَأَيُّهَا سَتَقْلِقُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا^(٧)

- (١) الأملَى : « إذا الحى » . وفى الجمهرة : « إذا القوم » .
(٢) وعين ، كذا فى التسخين . وفى الأملَى وياقوت والجمهرة ،
« وعين » ، من الرعى . وفى الأملَى وياقوت : « كاد الظلام » . يسفن ،
من السوف ، وهو التسم . وفى الجمهرة : « نورها والأقاحيا »
(٣) فى الأملَى : « العيس العوالى » . والديافيا ، لم يفسرها
البغدادي . وفى الأملَى : « الفيافيا » وياقوت : « القواقيا » ، وفى
الجمهرة :
وهل ترك العيس المراقيل بالضحي تعاليها تعلو المتنون القيساقا
(٤) الجمهرة : « المنقيات المهاريا » . وفى شرحها : « المنقيات :
السمان . والمهارى : جمع مهريه » .
(٥) ياقوت فى (بولان) والأملَى : « نعيمك » .
(٦) الأملَى : « فيا صاحبيا » ، والجمهرة : « فياراكبا » ، و « بنى
مالك » .

(٧) الأملَى : « وعر قلوصى » . وفى الأغاني ١١ : ١٤٢ : « ستبرد
أكبادا » ، ونسبه الى جعفر بن علبة الحارثي ثم قال : « وهذا البيت بعينه
يروى لمالك بن الربيع فى قصيدته المشهورة التى يرنى بها نفسه » .
وقد روى فى الجمهرة برواية الأغاني .

وَأَبْصَرْتُ نَارَ الْمَازِنِيَّاتِ مَوْهِنًا بَعْلِيَاءُ يُثْنِي 'دُونَهَا' الطَّرْفُ وَأَنِيا (١)
يَعُودِي أَلْتَجُوجُ أَضَاءَ وَقُودُهَا مَهًا فِي ظِلَالِ السِّدْرِ حُورًا جَوَارِيَا (٢)
بَعِيدُ غَرِيبُ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْرَةٍ يَدِ الدَّهْرِ ، مَعْرُوفًا بِأَنْ لَا تَدَانِيَا
أَقْلَبُ طَرْفِي حَوْلَ رَحْلِي فَلَا أَرَى يَهْ مِنْ عَيُونِ الْمُؤَسَّاتِ مُرَاعِيَا
وَبِالرَّمْلِ مَتَا نِسْوَةٍ لَوْ شَهِدْتَنِي بَكِينٍ وَفَدَيْنِ الطَّيِّبِ لِلدَّوَايَا
وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ عِنْدِي وَأَهْلِي ذَمِيًّا ، وَلَا وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا (٣)
فَمَنْهَنَ أُمِّي وَابْتَنَاهَا وَخَالَتِي وَبَاكِئَةً أُخْرَى تَهَيَّجَ الْبَوَاكِ يَا (٤)

وهذا تفسير ما فيها على الإجمال :

الغضى : شجر ينبت في الرمل ، ولا يكون غضى إلا في رمل . وأزجى : أسوق ، يقال أزجاء لإزجاء ، وزجاء تزجية . والنواجى : السراع . وقوله : فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه : أى لئنه طال عليهم الاسترواح إليه والشوق . والركاب : الإبل ، جمع راحلة من غير لفظه . وقوله . وليت الغضى ماشى الركاب أى ليت الغضى طاولهم . وقوله : لقد كان في أهل الغضى .. الخ . يعنى بعث ما كنت فيه من الفتك في الضلالة ، بأن صرت في جيش سعيد بن

(١) البيت ساقط من الجمهرة . وفى الأماي : « رانيا » ، وهو

الصواب

(٢) وكذا لم يرو هذا في الجمهرة . ط : « يعود » مفردا ، وأثبت ما فى ش . وفى ط : « حواريا » ، وش : « جواريا » صوابه من الأماي (٣) الجمهرة : « ولا بالرمل ودعت » . وهذا البيت فى الجمهرة مؤخر عن تاليه هنا

(٤) وكذا فى الجمهرة وياقوت . وفى الأماي : « أمى وابتناى » وقد ذكر ياقوت هذه القصيدة فى مواضع شتى من معجمه ، ومبدؤها (خراسان) وهو ينسب فى كل موضع على الذى يليه حتى أتمها فى (بولان) . وفى الأغاني ١٩ : ١٦٩ : « قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة عشر بيتا ، والباقي منحول ولده الناس عليه » .

عُمان بن غفان . وقوله : دعاني الهوى .. الخ ، أود بضم الهمزة قال البكري : موضع ببلاد مازن .. وأنشد هذا البيت ؛ وقال : الطَّبَّاسَانِ : كُورَتَانِ بخراسان . يقول : دعاني هواي وتشوق من ذلك الموضع ، وأصحابي بالموضع الآخر .

٣٢٠

وقوله : أجبته الهوى .. الخ ، يقول : لما ذكرت ذلك الموضع استعبرت فاستحييت فتنعت بردائي ، لكي لا يرى ذلك مني .. قال الشاعر :

فكائن نرى في القوم من متنع على عبرة كانت بها العين تسفح

وقوله : لا أباليا ، قال القالي : روى « أبا » بالنون وبغير تنوين .

وقوله : لئن غالت خراسان هامت ، يريد . أهلكته هامت . وقوله : فله دري ، تعجب من نفسه كيف تغرب عن ولده وماله . قال ابن أحر :

بان الشباب وأفني ضعفه العمر لله دري ، فأى العيش أنتظر !

تعجب من نفسه ، أى عيش ينتظر . ويريد بالسناجات : الظباء صنعت له فطير منها . ووراء بمعنى قدام . وقوله : تفشكي ، يروى تفشكي بالنون ؛ يقال فنك في الشيء : إذا تهادى فيه ، قال الشاعر (١) :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فككت في فساد بعد إصلاح

وقوله : تذكرت من يبكي علي .. الخ ، يقول : كنت أستمع السيف والرح فهما لي خليلان ، وأنا هنا غريب فليس أحد يبكي علي غيرها .

والمحبوك : الفرس القوي . وقوله : ولكن بأكناف السينة ، بلفظ مصغر السمنة ؛ وهو موضع قريب من أود للذكور . ومرو : مدينة بخراسان .

(١) نسب في اللسان (فنك) الى عبيد بن الأبرص . والحق أنه لأوس بن حجر مطلع قصيدة في ديوانه ١٣ . وكثيرا ماتلتبس نسبة أبيات قصيدتيهما الى بيتين .

وقوله : وخلّ بها جسي : أى اختل واضطرب . وقوله : يقرّ بعيني أن سهيل بدا ليا ، يريد أن سهيلاً لا يرى بناحية خراسان ، فيقول : ارفعوني لعلى أراه فتقرّ عيني ؛ لأنه يرى فى بلده .

وقوله : خطاً : أى احفر بالرمح . وقوله : فى رحيّ مستديرة ، الرحيّ : موضع الحرب ، ومستديرة : حيث يستدير القوم للقتال . وقوله : البيض الحسان الروانبا : أى النواظر ، جمع رانية ، والرّثنو : النظر الدائم . والغرّ : البيض . والوالون : جمع وال . والموالى : بنو الم والأقربون . والبث : أشد الحزن . وقوله : رحيّ المثل ، هو بضم الميم وسكون للثلاثة : موضع بفلج يقال له : رحيّ المثل ؛ وفلج : موضع فى بلاد بنى مازن وهو فى طريق البصرة إلى مكة . وقوله : حلّوها : نزّلوا بها . وأراد بالبقر النساء ، ويروى : « جمّ القرون » ، أى ليست لها قرون ، شبهها بالبقر . وسواجى : سواكن . والعين : بقر الوحش ، والأعين : ثوره . وانلزامى ، بالقصر خيرى البرّ ، زهره أطيّب الأزهار نفحة . والأفايحى : جمع أقحاء ، وهو جمع . والعيس : الإبل التى تضرب إلى البياض . والعبالى : جمع عبلى^(١) وهى الضحمة . والميتان : جمع متن ، وهو ما صلب من الأرض . وعُنيزة : قارة سوداء فى وادى بطن فلج . والمبيقات : التى تُبقى سيرها . والنواجى : التى تنجو سيرها أى تسرع . والمرّنبانى : كساء من خزّ ، ويقال : مطرّف من وبرّ الإبل . وهابياً : من هبا هبوا^(٢) .

وقوله : رهينة أحجار . الخ ؛ أى فى القبر على التراب والحجارة . والقرارة : بطن الوادى حيث يستقرّ الماء ؛ وصيّره مثلاً للقبر وبطنه . وقوله :

(١) كذا . ولعل صوابها « عبلاء » مؤنث الأعبيل

(٢) ش : « هبا يهبو » .

يدَ الدهر ، يقال : يدَ الدهر ، ومدى الدهر ، وأبدَ الدهر ؛ وكلُّه واحد .

و (مالك بن الرِّيب) بفتح الراء وسكون المثناة التحتية ؛ هو من ملازن
تميم ، وكان لصاً يقطع الطريق مع شِظاظ الضبِّي الذي يُضرب به للمثل فيقال :
« أَلصُّ مِنْ شِظَاط » .

مالك
ابن الريب

قال القالي في ذيل أماليه^(١) . « قال أبو عُبَيْدة : لما وَلَّى معاويةُ سَعِيدَ
ابن عُثْمَانَ بن عَفَّانَ خراسانَ ، سارَ فيمن معه فأخذ طريقَ فارس ؛ فلقبه بها
مالك بن الرِّيب بن حَوط بن قُرط بن حِسل بن ربيعة بن كابية^(٢) بن حُرْقوص
ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم — وأمه شهلة بنت سَنِيح بن الحُرِّ
ابن ربيعة بن كابية^(٣) بن حُرْقوص بن مازن — قال : وكان مالك بن الرِّيب ،
فيما ذُكِرَ ، من أَجْمَلِ الْعَرَبِ جمالاً وأَينهم بيانا . فلما رآه سعيد^(٤) أعجبه
(وقال أبو الحسن المدائني : بل كان مرَّ به سعيد بن عثمان بالبادية وهو منحدر
من المدينة يريد البصرة حين ولَّاه معاويةُ خراسانَ) ومالكُ في نَفَرٍ من
أصحابه . فقال له : ويحك يا مالك ؟ ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من
السَّداء^(٥) وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير ! المعجز عن مكافأة
الإخوان . قال : فإنَّ أغنيئكَ واستصحبئكَ ، أتكفَّ عما تفعلُ وتتبعني ؟
قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! أكفَّ كفاً ما كفَّ أحدٌ أحسنَ منه .
فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كلِّ شهر ، وكان معه حتى قتل

٣٢١

(١) ط : « قاله القالي في ذيل أماليه » فيكون الكلام مرتبطاً بسابقه ،
وليس كذلك ، فان شِظاظاً لم يرد له في الأمالي ولا في ذيلها ذكر . وانما
المذكور هو الخبر التالي . انظر الأمالي ٣ : ١٣٥ . والكلام المتقدم
لابن قتيبة في الشعراء ٣١٢ .

(٢) في النسختين : « كابية » صوابه بتقديم الباء ، كما في الأمالي
والاشتقاق ٢٠٤ ومختلف القبائل ٣٦ .

(٣) ط : « سعد » ، صوابه في ش والأمالي .

(٤) العداء ، بالفتح : تجاوز الحد في الظلم .

بخراسان . قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك فقال يذكر مرضه وغربته .
وقال بعضهم ، بل مات في غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رَمَق وقال
آخرون : بل مات في خان ، فرثته الجن^(١) لما رأت من غربته ووحدته ،
ووضعت الجن الصحيفة التي فيها القصيدة تحت رأسه . والله أعلم أي ذلك
[كان^(٢)] ٥١٤ .

قال ابن قتيبة : ومن شعره يهجو الحجاج^(٣) :

فإن تنصفوا يا آل مروان تقرب إليكم وإلا فأذونا ببعاد
فإن لنا عنكم مزاحا ونزحة^(٤) يعيس إلى ريح الفلاة صوادي
فإذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف - كما كان - عبداً من عبيد إباد
زمان هو العبد المقر بذلة يراوح صيدان القرى ويقادى^(٥)
وليس له عقب . ومما سبق إليه فأخذ عنه قوله :

العبد يُقرعُ بالعصا والحرّ يكفيه الوعيد^(٦)

(١) في الأمل : « الجن » .

(٢) التكملة من ش والامل .

(٣) الشعراء ٣١٤ والكامل ٢٩٠ مع النسبة لمالك ، وفي الحماسة ٦٧٦ بشرح المرزوقي مع نسبتها الى الفرزدق . ومعجم البلدان بزيادة ونقص في (حفير زياد) ونسبها الى البرج بن خنزير التميمي ، وقال : « وكان الحجاج قد ألزمه البعث الى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه الى الشام » .

(٤) الشعراء : « ومزحلا » وفي الحماسة : « مزاحا ومذهبا »

(٥) يقال ان الحجاج كان في صدر حياته معلما .

(٦) البيان ٣ : ٣٧

وقال آخر^(١) :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحِرَّ تكفيه المَلَامَةُ^(١)

وقال آخر^(٢) :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحِرَّ تكفيه الإِشَارَةُ

* * *

توابغ المنادى

أُنشد فيه ، وهو الشاهد السادس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س^(٣) :

١١٦ (ياذا المخوفنا بمقتل شيخه حُجْرٍ تَمْنِي صاحبِ الأحلامِ)

على أن (المخوفنا) نعت لاسم الإشارة الواقع المبني على ضمة ؛ وهو مضاف إلى ضمير المتكلم مع الغير إضافةً لفظيةً . قال ابن الشجري : « هذا سهو ، فإن الضمير في المخوفنا منصوب لا مجرور » . ويأتي بيانه في الشاهد السابع عشر^(٤) .

و (أل) موصولة بمعنى الذي . و (بمقتل) متعلق بالمخوف ، وهو مصدر

(١) هو يزيد بن مفرغ . البيان ٣ : ٣٧ وأمالى الزجاجي ٤٣ والأغاني ١٧ : ٥٤ .

(٢) هو الصلتان الفهمي . الحيوان ٥ : ٦٢ والبيان ٣ : ٣٧ .
(٣) سيبويه ١ : ٣٠٧ وأمالى ابن الشجري ٢ : ٣٢٠ وديوان عبيد بن الأبرص ٢٠ .

(٤) صوابه « العشرين » أي بعد المائة ، وبذلك صححها الشنقيطي في هامش نسخته ، كما نبه عليه أحمد تيمور .

٣٢٢

مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف . أى يامن يخوننا بسبب قتلنا شيخه ؛
وأراد بشيخه : أباه . و (حَجَر) . بدل من شيخه أو عطف بيان له ، وهو
بضم الحاء وسكون الجيم : اسم والد امرئ القيس . وقوله (تَمَنَّى صَاحِبِ الْأَحْلَامِ)
منسوب على أنه مصدرٌ عامله محذوف ، أى تَمَنَيْتَ تَمَنَّى صَاحِبِ الْأَحْلَامِ ،
فإنك لا تقدير على الانتقام . والأحلام : جمع حُلُم بضمين ، وهو الرؤيا .

وهذا البيت لعبيد بن الأبرص الأسدي ، يخاطب به امرأ القيس
صاحب المعلقة المشهورة . وبعده :

لَا تَبْكِينَا سَفَهًا وَلَا سَادَاتِنَا وَاجْعَلْ بَكَاءَكَ لِابْنِ أُمِّ قَطَامٍ
وسبب قول عبيد هذا الشعر : أن قوم عبيد بن أسد قتلوا أبا امرئ
القيس حجرًا ، وهو ابن أم قطام (كما تقدم بيانه في الشاهد التاسع
والأربعين ^(١)) فتوعدهم امرؤ القيس بقوله :

وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلًا حَتَّى أُيِّدَ مَالِكَا وَكَاهِلَا !
(وما حيَّان من بني أسد) . فقال له عبيد ذلك ؛ وجعل وعيده
كاذبًا وما تمنَّاه فيهم غير واقع ، كأضغاث أحلام ، وقال عبيد أيضا :

يَا إِذَا الْمَخُوفُنَا بَقِيَ لِي أَيْهَ إِذْلَالًا وَحِينَا
أَزْعَمْتَ أَنْتَ قَدْ قَتَلْتَ سَرَائِنَا كَذِبًا وَمِينَا
هَلَّا عَلَى حَجَرِ بْنِ أُمِّ قَطَامٍ تَبْكِي لَاعِلِينَا
إِنَّا إِذَا عَضَّ الثَّقَا فِ بَرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوِينَا
نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وَبِهِ ضُ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنِنَا

هَلَا سَأَلْتَ جُمُوعَ كَذِبَةٍ يَوْمَ وَلَوْ : أَيْنَ أَيْنَا
 أَيَّامَ نَضْرَبُ هَامِهِمْ بِيَوَاتِرٍ حَتَّى أَنْحِنَا
 وَجُمُوعَ غَسَّانِ الْمَلُوكِ أَتَيْنَهُمْ وَقَدْ انْطَوَيْنَا^(١)
 نَحْنُ الْآلِيُّ ، فَاجْمَعْ جُمُوعَكَ نَمَّ وَجْهَهُمْ إِلَيْنَا
 وَاعْلَمْ بَأَنَّ جِيَادَنَا آلَيْنَ لَا يَقْضِيْنَ دِينَا
 وَلَقَدْ أَبْجَلْنَا مَا حَمَدَتْ ، وَلَا مُبِيحَ لِمَا حَمَيْنَا

وهذا نصف القصيدة .

وقوله : إِذْ لَأَلَّا ، مفعول ثانٍ للتخويف ، وهو مصدر أَذْلَهُ اللهُ ، متعدٍّ
 ذلَّ الرجلُ : إذا ضعف وهان . والحَيْنُ بالفتح : الهلاك ، مصدر حَانَ . والسَّرَاةُ ؛
 بفتح السين : الأشراف ، جمع سَرَى ، وأصله سَرُوءٌ على وزن فَعُولٍ من
 السَّرَوِ ، وهو كَرَمٌ في مروءة . والمَيْنُ : مرادف للكذب . والثَّقَافُ ، بكسر
 المثناة : ما يسوتى به الرماح . والصَّعْدَةُ بالفتح ، قال في الصحاح : « هي
 القناة المستوية تنبت كذلك ، لا تحتاج إلى تثقيف » ، وقيل : الرمح القصير ،
 ولوى الرجل رأسه وألوى برأسه : أماله وأعرض . والحقيقة ما يحقُّ على
 الرجل أن يحميه كالأهل والولد والجار .

وقال في الصحاح : « هذا الشيء بينَ بينَ أى بينَ الجيد والردى » .
 ثم أشد هذا البيت وقال : « أى يتساقط ضعيفاً غير مُعْتَدٍ به . وألف بينَ

(١) أتَيْنَهُمْ ، يعنى الحيل وان لم يجر لها ذكر . انطوين : ضمرن .
 وفى النسختين : « أتيتهم » صوابه فى ديوان عبيد ٢٨ والأغاني ١٩ :
 ٨٥ ومختارات ابن الشجرى ٩٠ وفى حواشى المختارات : « يعنى الحيل
 انطوين من الضمرة » . وبعده فى الأغاني والمختارات :

لحقنا أياطلهن قد عالجن أسفارنا وأينا

٣٢٣

الثاني إشباع وبُديًا لتضمّنها لواو العطف^(١) . والبواتر : جمع باتر ، وهو السيف القاطع ، وكأنه لحظ في السيف معنى الحديد أو آلة القطع فجمعه هذا الجمع ، يدلُّك عليه « انجحين » بضميم الإناث العائد إلى البواتر ، وأنه غلب عليه الاسمية .

والألى بمعنى الذين اسم موصول ، وحذفت الصلة لادعاء شهرتها ؛ أى نحن الذين عُرفوا بالشجاعة . والجياد : جمع جَوَاد ، وصفٌ من جاد الفرس : أى صار رائما ، بوجود جُودة بالضم فهو جَوَاد ؛ للذكر والأنثى . وآلين : أى حلفن ، من الألية بمعنى اليمين .

(وعبيد) هو ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن الأبرص بن عوف عبيد بن الأبرص ابن جُشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة ابن دُودان بن أسد بن خزيمه بن مدرّكة بن إلياس بن مضر ، الأسديّ الشاعر ، من فحول شعراء الجاهلية . جعله ابن سلام الجُمَحِيّ في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طرفة وعَلَقمة بن عبدة .

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : عاش عبيدٌ هذا أكثرَ من ثلثمائة سنة .

وقال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين : « عاش عبيد مائتي سنة وعشرين سنة . ويقال بل ثلثمائة سنة ، وقال في ذلك :

وَلَتَاتَيْنِ بَعْدَى قُرُونٍ جَمَّةٌ ترعى مخارم أيكّة ولدودا^(٢)
فالشمس طالعة ، وليلٌ كاسف ، والنجمُ يجري أنحسًا وسُعودا

(١) في الصحاح : « وهما اسمان جعلتا اسمًا واحدًا وبنيًا على الفتح ، » .

(٢) ط : « محارم » صوابه بالخاء المعجمة كما في ش والمعمرين

حتى يقال لمن تعرقَ دهره : ياذا الزماتة، هل رأيتَ عبداً
 مائتيَ زمانٍ كاملٍ ونَصِيَّةً^(١) عشرين عِشْتُ ممعراً محمداً
 أدركتُ أولَ مُلْكٍ نصرٍ ناشئاً وبنساء شَدَّادٍ وكان أَيْداً
 وطلبتُ ذا القَرَنَيْنِ حتَّى فاتني رَكْضاً، وكدتُ بأن أرى داوُداً
 ما تبتغي من بعد هذا عِيشَةً إِلَّا الخلودَ ! ولن تنالَ خُلوداً
 وليغنينَ هذا وذاك كلاهما إِلَّا الإلهَ ووجهه المعبوداً
 وقال أيضاً :

فِينتُ وأفناني الزمان وأصبحتُ لِداني بنو نَعشٍ وزهرُ الفراقِدِ ، ا هـ
 ومن شعره :

تذَكَّرْتُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْبَاعِ وَالنَّدَى وَأَهْلَ عِتَاقِ الْخَيْلِ وَالْخَمْرِ وَالطِّيبِ
 فأصبحَ مِنِّي كُلُّ ذَلِكَ قَدْ خَلَا وَأَيُّ فِتَى فِي النَّاسِ لَيْسَ بِمَكْدُوبٍ !
 ترى المرءَ يَصْبُو للحياة وطيبها وفي طولِ عِيشِ المرءِ يَرْجُ بتعذيب
 ومضمون البيت الأخير مما تداوله الناس قديماً وحديثاً ، قال بعض شعراء
 الجاهلية :

كانت قناتي لا تليّن لغانمٍ فآلاتها الإِصْبَاحُ والإِمْسَاءُ^(٢)

(١) النصية : البقية . قال كعب بن مالك :

ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرنا وأربع
 ط : « وبضعة » ش والمعمرين : « ونصيته » والوجه ما أثبت
 مطابقاً للديوان ٨٢ .

(٢) هو عمرو بن قميئة كما في زهر الآداب ٢٢٣ وليس في ديوانه
 والبيت مع قرينه التالي بدون نسبة في الكامل ١٢٥ وعيون الأخبار ٢ :
 ٣٢٢ والعقد ٣ : ٥٨

وقال النير بن توبل الصحابي رضى الله عنه :

يودّ الفتى طولَ السلامة والبقا فكيف ترى طولَ السلامة يفعل^(١)

وتبعه حميد بن ثور الهلالي ، الصحابي أيضاً ، رضى الله عنه :

أرى بصرى قد رابى بعد صحّة وحسبك داء أن تصح وتسلما^(٢)

وقال آخر :

ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحبني ، فإذا السلامة داء^(٣)

وفي معناه قول الخيمي من المتأخرين :

إذا كان موت المرء إفتاءً عمره ففي موته من يوم يولد يُشرع

وأحسن من هذا كله قوله عليه السلام : « كفى بالسلامة داء » ، فإنه أبلغ وأوجز وألس وأرشق مما ذكر .

قال محمد بن حبيب ، في كتاب من قتل من الشعراء^(٤) : ومنهم عبيد ابن الأبرص الأسدي ، وكان المنذر بن امرئ القيس اللخمي بن ماء السماء (وهو الذي يسمى ذا القرنين ، وهو جدّ النعمان بن المنذر) له يوم يؤس ويوم نعيم ،

(١) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ والمعمرين ٦٣ والأغاني

١٥٩ : ١٩ .

(٢) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ وزهر الآداب ٢٢٣ والعقد

٣ : ٥٧ وديوان حميد ٧ .

(٣) هذا البيت قرين البيت الهمزي السابق ، كما في الكامل وعيون

الأخبار وزهر الآداب .

(٤) أسماء القتالين في نوادر المخطوطات ٢ : ٢١١ . والنص هنا

أضفى مما في أسماء القتالين .

وكان يقتل أول من رأى في يوم يؤسه ؛ فخرج للنذر في يوم يؤسه فلقى عبيداً ابن الأبرص فقال له : هلاً كان المذبح غيرك يا عبيد ! فقال « أتنتك بمجانٍ رجلاه ! » وأرسله مثلاً ؛ فقال له : أنشدنا يا عبيد ؛ فقال : « حال الجريض دون القريض ؛ وبلغ الحزام الطبيين » وأرسلهما مثلاً ؛ فقال له أنشدنى ؛ فقال : « المنايا على الحوايا ! » وأرسله مثلاً ؛ فقال لبعض القوم : أنشد الملك ، هبكتك أمك ! فقال : « وما قول قاتل مقتول ؟ وأرسله مثلاً ؛ وقال آخر : ما أشد جزعك بالموت ! فقال « لا يرحلن رحلك من ليس ملك ! » وأرسله مثلاً ؛ فقال الملك : قد أملتني فأرحني قبل أن أمر بك ! فقال عبيد : « من عزبزه » ، وأرسله مثلاً ؛ فقال الملك : أنشدنا قولك :

* أقفر من أهله مملحوب *

فأنشده :

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد

(وأنشد هذا البيت صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد^(١) » على أن هذه الكلمة قد صارت مثلاً في الهلاك ، من غير نظر إلى مفرداتها ؛ وهو في الأصل كناية ، لأن الهالك لم يبق له إيداء ولا إعادة ، كما يقال : لا يأكل ولا يشرب ، أى مات) . فقال له الملك : ويحك يا عبيد ! أنشدنى قبل أن أذبحك ! فقال عبيد : والله إن مت ما ضررتنى ! فقال له : لا بد من الموت ، فاختر : إن شئت من الأكحل ، وإن شئت من الأجل ، وإن شئت من الوريد : فقال عبيد :

(١) الآية ٤٩ من سورة سبأ .

ثلاثُ خِصَالٍ كَسَحَابَاتِ عَادَ ، وَاَرْدُهَا شَرُّ وِرَّادٍ^(١) وَحَادِيهَا شَرُّ حَادَ ،
وَمَعَادُهَا شَرُّ مَعَادَ ، وَلَا خَيْرَ فِيهَا لِمُرْتَادَ ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدًّا قَاتِلِي فَاسْقِنِي الْحَمْرَ ،
حَتَّى إِذَا ذَهَلَتْ مِنْهَا ذَوَاهِلِي ، وَمَاتَتْ لَهَا مَفَاصِلِي فَشَانَكَ وَمَا تَرِيدَ . ففعل به
ما أَرَادَ ، فلما طابت نفسه ودعا به ليقْتله أنشأ يقول :

وَخَيْرَنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ خِصَالًا أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدِ بَرَقَ
كَمَا خَيْرْتُ عَادًا مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَابَ مَا فِيهَا لَدَى خَيْرَةٍ أَنْقَ^(٢)
سَحَابَ رِيحٍ لَمْ تَوَكَّلْ بِبِلْدَةٍ فَتَرَكَهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ

* * *

وأنشد بعده لرؤبة ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائة ، وهو من
شواهد س^(٣) :

٣٢٥

١١٧ (إِنِّي وَأَسْطَارٌ سَطْرُنَ سَطْرًا لِقَاتِلُ : يَانَصْرُ نَصْرُ نَصْرًا)
على أن التوكيد اللفظي في النداء حكمه في الأغلب حكم الأول ، وقد
يجوز إعرابه رفعاً ونصباً ، فنصر الثاني رفع إبتاعاً للفظ الأول ، والثالث
نصب إبتاعاً للمحل الأول .

(١) في النسختين : « وارد » ، صوابه « وِرَّاد » ، كما يقتضيه

السجع ، مطابقاً لما في الأغاني ١٩ : ٨٧ ومعجم البلدان (الغريان) .
وفي سبط اللآلئ ٨٤٥ :

خيرتني بين سحابات عاد أردت من ذلك شر المراد
والشطر الأول من هذا الذي يوهم أنه شعر ، في طراز المجالس ١٢٠ .

(٢) هذا ما في ط والأغاني ١٩ : ٨٧ . وفي ش : « لدَى الموت قد

برق » ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٠٤ والعيني ٤ : ١١٦ وابن يعيش ٢ : ٣/٣ :

٧٢ والخصائص ١ : ٣٤٠ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢٧٤ وهمج

الهوامع ١ : ٢٤٧/٢ : ١٢١ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٤ .

وضَعَفَ الشارح المحقق البدلَ والبيانَ في مثله وقال : « لأنهما يفيدان مالا يفيدُه الأولُ من غير معنى التأكيد ، والثانى فيما نحن فيه لا يفيدُ إلا التأكيد » .
ومَنَعَ أبو حيان كونه من التأكيد اللفظيَّ أو البدل ، وحَصَرَه في البيان فقال : « لا يجوز أن يكون نصر الثانى توكيداً لفظياً . قيل : لتنوينه والأول ليس كذلك ؛ وردَّ بأن هذا القدر من الاختلاف مغتفرٌ في التأكيد اللفظيَّ .
وقيل : للاختلاف في التعريف : فإِذا نصرُ عُرِفَ بالإقبال عليه لا بالعلمية ، والثانى معرفٌ بالعلمية ، فكما لا يجوز جملُ الثانى في : جاء الغلامُ غلامُ زيد ، تأكيذاً لفظياً لاختلافهما في التعريف ، فكذلك هذا . ولا يجوز أن يكون بدلاً لأنه منوّن ، ولا نعتاً لأنه علم » ١٥ .

وفيه نظر . فإن اتحاد جهة التعريف في التأكيد غير مسلمة ، بل يكفى اختلافها .

ثم قال أبو حيان : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ مضمّر ، ولا نصبه على إضمار فعل ؛ لأن هذا النوع من القطع إنما تكلمت به العرب إذا قصدتَ البيانَ أو المدحَ أو الذمَّ أو الترحمَ ، ونصر لا يفهم منه شيء من ذلك » ١٥ .

وفيه أنه يصحَّ نصبه على المدح بدليل ما بعده ، وهو :

(بَلِّغْكَ اللَّهُ ؛ فَبَلِّغْ نصرًا نصرَ بنِ سَيَّارٍ يُرِينِي وَفَرًا)

فإنه روى أن نصرًا في البيت الأول ، وهو صاحبُ نصرِ بنِ سَيَّار ، منعه من الدخول إلى نصر بن سَيَّار وهو أمير خُرَّاسان في الدولة الأموية ، فنلطفَ به وأقسمَ له بأنه يدعو له ، وطلب منه المعونة .

وقول خضر الموصلى ، شارح شواهد التفسيرين : بأنه يجوز نصبه

على الذم ، لأن الحاجب منعه من الدخول إلى الأمير ، غفلة عن البيت الثاني .
وروى نصبه أيضاً : إما لما ذكرنا ، وإما للإتباع على محل الأول ،
وإما لأنه مصدر بدل من فعل الأمر أى انصرنى — وقال بدر الدين فى شرح
الخلاصة : يجوز كونه مصدراً دعائياً كسقياً ورعياً — فيكون نصر الثالث
تأكيداً على الوجوه الثلاثة .

وروى الجرمى عن أبى عبيدة أن النصر : العطية ، يريد : يا نصر عطية
عطية . ويردّه رواية الرفع . وزعم أبو عبيدة أيضاً : أن نصراً الثانى هو
حاجب نصر بن سيار ، والأول هو ابن سيار ، فنصبه على الإغراء ،
أى يا نصر عليك نصراً . ويردّه شيثان : رواية الرفع ، والدعاء ، وفيه أيضاً
غفلة عن البيت الثانى .

وروى فى (نصر) الثانى أيضاً ضمّه بلا تنوين كالأول ، على أنه توكيد
لفظي له تبعه فى البناء . وروى صاحب اللباب فيه وجهاً رابعاً : وهو جرّه مع
نصب الأول ، قال شارحه الفالى^(١) : « فيكون المضاف إليه على هذا جنساً ،
كما تقول : طلحة الخير ، وحاتم الجود . والتشكيك للتفخيم » .

وملخص ما ذكرنا : أن نصراً الأول روى فيه وجهان : ضمّه ونصبه ؛
والثانى روى فيه أربعة أوجه : ضمّه ورفعه ونصبه وجرّه ؛ والثالث روى فيه
وجه واحد وهو النصب .

(١) الفالى ، بالقائه : نسبة إلى فالة ، بلدة قريبة من أيدج من بلاد
خوزستان وهو محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى ، قال
السيوطى فى البقية : « صاحب شرح اللباب ، لم أعثر له على ترجمة »
وسمى فى اقليد الخزانة « اسماعيل الفالى » قال الميمنى : « منه نسخة
كتبت سنة ٧٧٥ هـ بحيدر آباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند » .

واعلم أن الصاغانيّ قال في العباب ، وتبعه صاحب القاموس : أن اسم الحاجب إنما هو « نصر » بالضاد المعجمة ، وأن الثلاثة في البيت الأول بالإعجام ، وإهمال الصاد تصحيف ؛ وأما نصر في البيت الثاني فهو بالإهمال لا غير . وكذا قال ابن يسعون : رأيت في عرض كتاب أبي إسحاق الزجاج بخطّ يده وهو أصله الذي قرأ فيه على أبي العباس : نصر الذي هو الحاجب بالضاد معجمة .

وأنشده سيديوه بنصب نصر الثاني ؛ قال الأعلم : الشاهد فيه نصبه نصرّاً نصرّاً ، حملاً على موضع الأول ، ولو رفع حملاً على لفظ الأول لجاز .

قال النحاس : وقد خُلف في هذا : فقال الأصمعيّ : النصر : المعونة ؛ فهو على هذا منصوب على المصدر كأنه قال : عوناً عوناً .

وقوله : (لقائل) خبر إن . وجملة القسم أعني قوله : (وأسطار .. الخ) اعتراض بين اسم إن وخبرها ، والواو للقسم ، أي وحق أسطار المصحف ، وهو جمع سطر جمع قلة كأسطر ، وفي الكثرة : سطار وسُطور ، ويجمع أسطار على أساطير .

واستشهد صاحب الكشف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾^(١) على أن أساطير جمع أسطار بفتح الهمزة جمع سطر .. وجملة (سطرُن) بالبناء للمفعول صفة لأسطار . و (سطرّاً) مفعول مطلق . وقوله (يا نصر) إلى قوله (بلفك الله) مقول القول . وبلغ بالتشديد متعد إلى مفعولين ثانيهما محذوف أي مرادك ؛ وثلاثيته متعد إلى واحد ، يقال

(١) من الآية ٢٥ من الأنعام و ٣١ من الأنفال .

بلغت المنزل : إذا وصلته . وبلغ : فعل أمر ومنفولة الأول محذوف :
 أى أرجوزتى ومديحى ونحوها . و (نصر) الثانى عطف بيان للأول .
 و (يثبنى) مجزوم فى جواب بلغ ، يقال : أثابه الله أى جزاه وأعطاه .
 و (الوفى) المال الكثير .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس^(١) . والعجب من الصاغاني حيث
 ردّ على سيبويه فى أن هذا الشاهد ليس لرؤبة ولم يبين قائله .

وأما (نصر بن سيار) فقد كان أمير خراسان فى الدولة الأموية ؛ وكان
 أول من ولّاه هشام بن عبد الملك . وكانت إقامته فى مرو ، إلى أن جاء
 أبو مسلم الخراسانى إلى مرو وأرسل إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله وسنة
 رسوله و « الرضا » من آل محمد صلى الله عليه وسلم . فلما رأى نصر ما مع
 أبى مسلم من البجائية والربيعة والمجمل ، وأنه لا طاقة له بهم ، أظهر قبول ما أتاه
 به وأنه يأتية ويبياعه ، واستمهلهم ؛ ثم هرب نصر إلى سرخس ، واجتمع عليه
 ثلاثة آلاف رجل ، ثم سار نصر فنزل جوار الرى وكتب ابن هبيرة
 يستمده ، وهو بواسط ، وقال له : أمدنى بعشرة آلاف قبل أن تمدنى بمائة
 ألف ثم لا تغنى شيئا . فحبس ابن هبيرة رأسه وتباطأ ، فأرسل نصر إلى مروان
 ابن محمد يُعلمه ما فعل ابن هبيرة . فكتب مروان إلى ابن هبيرة يأمره أن
 يمدّه . فجهز ابن هبيرة جيشا كثيفا أمر عليهم « ابن عطف » إلى نصر .
 ولما قدّم نصر إلى الرى أقام بها يومين ثم مرض ، فحمل إلى ساوة فمات بها
 لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وعمره
 خمس وثمانون سنة .

وهذه نسبته من الجمهرة : نصر بن سيار بن رافع بن حرّى (بفتح الحاء وكسر الراء المشددة المهملتين) ابن ربيعة بن عامر بن هلال بن عوف بن جندع بن ليث ؛ وينتهى نسبه إلى مدركة بن إلياس بن مضر .

* * *

وأُشِدَّ بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد المائة (١) :

١١٨ (علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم
بأبيض ماضى الشفرتين يمان)

٣٢٧

على أن العلم إذا وقع فيه اشتراك لفظى جاز إضافته للتعين .

والعلمية قد ذهبت بالإضافة كما يأتى بيانه بعد هذا .

وأورده ابن عقيل فى شرح الألفية على أن (٢) الإضافة من قبيل إضافة الموصوف إلى القائم مقام الوصف ، أى علا زيد صاحبنا رأس زيد صاحبكم ، فحذف الصفتان وجعل الموصوف خلفا عنهما فى الإضافة .

و (النقا) بالقصر : الكتيب من الرمل ؛ والتعريف للعهد . وأراد باليوم الوقعة والحرب التى كانت عند النقا ، وهذا معنى قولهم : « أيام العرب » . و (الأبيض) السيف ، والماضى : النافذ بالقطع . و (الشفرة) بفتح الشين : حدة السيف ؛ وثناه باعتبار وجهيه .

ورواه المبرّد فى الكامل بتغيير بعض ألفاظه مع بيت آخر وأورده فى أول الثلث الثالث منه فى باب هذه ترجمته : « باب يجمع فيه طرائف من

(١) سيأتى أيضا فى ٢ : ٣/١٦١ : ٢٥٢ . وانظر العينى ٣ : ٣٧١ وابن يعيش ١ : ٤٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والكامل ٥٢٤ وزهر الآداب .

(٢) ط : « من أن » ، صوابه فى ش .

حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار » ثم قال :
 « وقال رجل من طيء — وكان رجل منهم يقال له زيد ، من ولد عروة بن
 زيد الخليل ، قتل رجلا من بني أسد يقال له زيد ، ثم أُقيدَ به بعدُ — :
 علازيدنا يوم الحى رأسَ زيدكم بأبيض مشحوذ الغرار يمان
 فإن تقتلوا زيدا بزيدا فإنما أقادكم السلطان بعد زمان . ١٥
 ومثله في أواخر زهر الآداب للحضريّ قال : « قال (١) رجل من طيء
 — وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخليل قتل رجلا [اسمه
 زيد (٢)] فأقاد منه (٣) السلطان — فقال يفتخر على الأسديين . . » وأنشد
 البيهقي كرواية المبرّد . . ولم أر من رواه : « يوم النقا (٤) » وظهر بهذا أنه
 شعر إسلامي . فإن زيد الخليل من الصحابة رضى الله عنهم .

والمشحوذ : مفعول من شحذت السيف أشحذه شحذاً من باب منع
 أى حدته ؛ والمشحذة بالكسر : المسن ، والتشحيد : جعل الشيء حاداً .
 والغرار بكسر الغين المعجمة ، قال في الصحاح « والغراران . شقراً السيف ؛
 وكل شيء له حد فحدّه غراره » . وقوله : أقادكم السلطان ، أى مككم من
 قتله قوداً (٥) ويقال أقاد السلطان القاتل بالقتيل : قتله به قوداً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائة (٦) :

- (١) ط : « كان » ، صوابه فى ش وزهر الآداب
 (٢) التكملة من زهر الآداب
 (٣) ط : « عنه » صوابه فى ش وزهر الآداب
 (٤) سيأتى قريباً ابن جني روى : « يوم النقا » ، فى الشاهد
 التالى . وكذا فى روايات الكامل وابن يعيش .
 (٥) ط : « أى كفكم عن قتله قوداً » ، وهو عكس المعنى المراد ،
 صوابه فى ش مع أثر تصحيح فى « مككم » فقط .
 (٦) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ٢٥٢ والمعنى ١ : ٢١٨ ، ٥٠٩ وابن
 بهيقي ١ : ٤٤ والانصاف ١٩٨ وشرح شواهد الشافعية للبغدادى ١٢
 (١٥) خزانة الأدب ج ٢

١١٩ (رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مَبَارَكًا

شَدِيدًا بِأَحْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ)

على أن العلم إذا وقع فيه اشتراك اتفاق جاز تعريفه باللام . يعنى :
ويزول تعريف العلمية بأن ينكر ثم يعرف باللام .

قال ابن جني في سر الصناعة — ومن خطه قلت — : واعلم أن
قولك : جاءني الزيدان ، ليس تنبيه زيد هذا العلم المعروف ؛ وذلك أن المعرفة
لا يصح تنبيهها فلا تصح إلا في النكرات ؛ فلم تكن زيدا حتى سلبته تعريفه
فجرى مجرى رجل وفرس ، وحينئذ لم يستنكر دخول لام المعرفة . وقد جاء
في الشعر منه ، قال ابن ميادة : (وجدنا الوليد بن يزيد) يريد : يزيد .
ومما يؤكد جواز خلع التعريف قوله :

* علازيدنا يوم النقا رأس زيدكم *

فإضافة الإسم تدل على أنه قد كان خلع عنه ما كان فيه من تعريفه ، وكساه
التعريف بإضافته إياه إلى الضمير ، فجرى في تعريفه مجرى أخيك وصاحبك ؛
وليس بمنزلة زيد ، إذا أردت العلم ، وعلى هذا : لو سألت عن زيد عمرو
في قول من قال : رأيت زيدا عمرو ، لما جازت الحكاية ولكن بالرفع
لا غيراه ملخصاً .

٢٢٨

و (اللام) في الوليد للمح الأصل ؛ قال بعضهم : نكتة إدخالها في يزيد
الإنابة للوليد . واستشهد به ابن هشام في شرح الألفية على أن ما لا ينصرف
إذا دخلته أل ، ولو كانت زائدة ، صرف كما في يزيد . فجعلها زائدة لا معرفة .
و (رأيت) هنا علمية . و (مباركا) هو المفعول الثاني . و (شديداً) من
تعدد المفعول الثاني ، لأن جزأى باب علم أصلهما المبتدأ والخبر ، والخبر قد

يتعدد . . وإن كانت بَصْرِيَّةً فبَارَكاً حال من مفعولها — وشديداً تعدد من تعدد الحال أو من ضمير مباركا ، فهي حال متداخلة ؛ والوجه الأول ، ويؤيده : أنه روى : (وَجَدْتُ) بدل رأيت . و (الوليد) هو ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي . وشديداً صفة مشبهة يعمل عمل فعله : و (كاهله) فاعله . وزعم السيوطي أن فعلاً أعمل لاعتداده على ذى خبر ، وفيه الفصل بينه وبين مرفوعه بالجاء والمجرور . انتهى فتأمل . و (الأحناء) : جمع حنو بالكسر ، وهو الجانب والجهة ، وقيل : هو هنا بمعنى السرج والقتب ؛ كفي به عن أمور الخلافة الشاقة . و (الكاهل) ما بين الكتفين . ورؤى (بأعباء الخلافة) جمع عبء ، وهو كالحمل لفظاً ومعنى . وقال العيني : شبهه بالحمل المحمل ، وشبه الخلافة بالقتب : وأراد كأنه يحمل شدائد أمور الخلافة .

وهذا البيت من قصيدة لامية ، لابن ميادة يمدح بها الوليد المذكور ، أبيات الشاهد وليس هو أول القصيدة كما زعم العيني ؛ بل هو أول المديح ؛ وقبله :

(هَمَّتْ بِقَوْلٍ صَادِقٍ أَنْ أَقُولَهُ . وَإِنِّي عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ لِقَائِهِ)

وبعده :

(أَضَاءَ سِرَاجُ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ غَدَاةً تَنَاجَى بِالنَّجَاحِ قَوَائِلُهُ)

وهذا كقول الشاعر :

فِي الْمَهْدِ يَنْطِقُ عَنْ سَمَاعَةِ جَدِّهِ أَرُّ السَّيَادَةِ سَاطِعَ الْبُرْهَانِ

وأول القصيدة :

(أَلَا تَسْأَلُ الرَّبْعَ الَّذِي لَيْسَ نَاطِقًا وَإِنِّي عَلَى أَنْ لَا يُبَيِّنَ لَسَائِلُهُ)

أى إني مع عدم إباته لسائله .

وترجمة ابن ميادة تقدّمت في الشاهد التاسع عشر^(١).

الوليد بن يزيد (الوليد بن يزيد) بويح سنة خمسٍ وعشرين ومائة بعد موت عمّه هشام ابن عبد الملك . وقُتل الوليد في سنة ستٍ وعشرين ، لأنه رمى بالكُفر وغشيان أمّهات أولاد أبيه . وكان منهما في اللهو وشرب الخمر وتجماع الغناء . ومما اشتهر عنه : أنه استفتح المصحف الكريم فخرج له قوله تعالى : (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٌ^(٢)) ، فألقاه ونصبه غرضاً ورماه بالسّهام ، وقال :

نَهَدْتُني بِجَبَّارٍ عَنِيدٍ فها أنا ذاك جبارٌ عَنِيدٍ
إِذَا مَا جِئْتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ يَا رَبُّ مَرْقَنِي الْوَلِيدِ

فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قُتل^(٣) كذا في تاريخ الثویری وغيره . وقُطع رأسُ الوليد ونصب على رُحِمٍ وطيفَ به دِمَشْقَ ، ثم دُفع إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فلما نظر إليه سليمان قال : بُعْدًا لَهُ ! أشهد أنه كان شرّوباً للخمر ماجناً فاسقاً ؛ ولقد أرادني على نفسي — وكان سليمان هذا ممن سعى في خله — وكان عمرُ الوليد حينئذ اثنتين وأربعين سنة ، وقيل ثمانى وثلاثين ، وقيل غير هذا . وكانت مدة « سلطنته » سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

٣٢٩

* * *

(١) الجزء الأول ص ١٦٠ وما بعدها .

(٢) الآية ١٥ من سورة ابراهيم .

(٣) انظر أمالي المرتضى ١ : ١٣٠ حيث أورد القصة والشعر .

وأيضاً رسالة الغفران ٣٧٨ - ٣٨٠ وترجمته في الأغاني ٦ : ٩٨ حيث أوردنا طرفاً من شعره الحبث

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد المائة ، وهو من شواهد س (١) :

١٢٠ (يَا صَاحِرْ يَا ذَا الضَامِرِ الْعَنَسِ)

على أن (الضامر العنس) و (المخوفنا) تركيبان إضافيان قد وقعا صفتين للمنادى الذى هو اسم إشارة ، وصفة المنادى إذا كانت مضافةً وجب نصبها فكيف رُفِعَتْ إتبعا للمنادى المفرد ؟

وهذا إشكاله ظاهر .. ونقل الشارح لحله جوابين ، من الإيضاح لابن الحاجب :

أحدهما : أن أل فى الضامر وفى المخوفنا موصولة ، وهو الواقع صفة : أى الذى ضَمَرْتُ عَنَسُهُ والذى خَوَّفْنَا ، والإعراب فى الحقيقة للموصول ، لكن لما كان على صورة الحرف نُقِلَ إعرابه إلى صلته عارِيةً .

ثانيهما : أن الضامر العنس والمخوفنا صفتان لصفة اسم الإشارة ، أى إذا الرجل الضامر العنس وإذا الرجل المخوفنا ؛ وإنما قُدِّرَ هذا : لأن صفة اسم الإشارة لا تكون إلا مفردة ، وإعراب الرجل رَفَعٌ ، فيجب رفع وصفه بالتبعية له ..

وهذا محصل كلامه ؛ ويفهم من هذين الجوابين : أنه لم يُجْزَ نصبه ، وهو مخالف لما نقله القالى (٢) فى شرح اللباب قال : « جَوَزُوا فى نحو :

(١) سيبويه ١ : ٣٠٦ . وانظر مجالس نعلب ٣٣٣ ، ٥١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢ ، ٣٢٢ والخصائص ٣ : ٣٠٢ ومجالس العلماء ١١١ والأغانى ١٥ : ١٣

(٢) فى النسختين : « القالى » ، وقد تبهت على صوابه فى حواشى ص ٢٢١ وسيتكرر هذا الخطأ فى الأصل ، فاكتفيت بتكرار التنبيه عليه هنا .

* يا صاح يا ذا الضامر المنس *

نصَّبَ الضامر ورفقه ، كما لو قلت : يا ذا الضامر ، رفماً ونصباً . وكون الوصف في الخوفنا مضافاً إلى الضمير كإضافة الضامر إلى المنس وقع مثله للسيرافي ، قال ابن الشجري في أماليه : الثاني صحيح لأن الضامر غير متعد والاسم الذي بعده فيه أل . وكون الخوف مثله سهو ، لأنه متعد وليس بعده اسم فيه أل ، وأنت لا تقول الخوف زيد ؛ فالضمير في الخوفنا منصوب لا مجرور . اهـ

وهذه المسألة غير متفق عليها فإن الرماني ، والمبرد في أحد قوليه ، والزحشرى قد ذهبوا لما قاله السيرافي . كما قله الشارح المحقق في باب الإضافة ؛ فلا ينبغي الحكم بالسهو على مثل الإمام السيرافي .
وأشد سيوئه هنا المصراع يرفع الضامر على أن ذا اسم إشارة .. وأورد عليه أنه لا يستقيم ، لأن ما بعده :

(والرَّحْلُ والأَقْتَابُ والْحِلْسُ)

فإن الثلاثة معطوفة على المنس ، وهي لا توصف بالضرورة^(١) . فالصواب إنشاده بالجر على أن « ذا » بمعنى صاحب كما أنشده الكوفيون .
قال أبو جعفر النحلّس : أنشده من وشبهه بقولك : يا ذا الحسن الوجه .
قال أبو إسحاق : وهذا غلط عند جميع النحويين : وذلك أن الرواية بالجر ، يدلّك أن بعده :

(والرَّحْلُ والأَقْتَابُ والْحِلْسُ)

(١) وهي ، أي الرحل والأقتاب والحلس

وبه يتبين أن ذا معنى صاحب ؛ وكأنه لم يبلغه ما بعده . قال أبو جعفر :
سمعت أبا الحسن الأخفش يقول : بلغني أن رجلاً صاح بسيبويه من منزله وقال :
كيف تنشُد هذا البيت ؟ فأنشده إياه مرفوعاً ؛ فقال الرجل : وإن بعده :
والرحل والأقتاب والجلس ! فتركه سيبويه وصعد إلى منزله . فقال له : أين لي
علامٌ عطِف ؟ فقال سيبويه : فلم صعدتُ الغرفة ! إني فررت من ذلك . اهـ .
وكذا حكى ثعلبُ هذه الحكاية في أماليه في موضعين (١) وقال :
« الصواب جرّ الضامر » . وكذا حكى أبو عليّ في المسائل البصرية وابن جنيّ
في الخصائص . وقد صحّحوا كلام سيبويه بأوجه :

أحدها : قال السيرافي : هذا من باب :

* عَلَقْنَهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا (٢) *

وقوله :

يَا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحًا (٣)

على أن يجعل الثاني على ما يليق به ، ولا يخرج عن مقصد الأول :
فيكون معنى الضامر : المتغير ، والرحل محمول عليه ، كأنه قال : للتغير العنَسُ
والرحل . اهـ . وتبعه على هذا شراح أبيات الكتاب ، وأبو عليّ الفارسيّ
في المسائل القصصية ، بالقاف .

ثانيها : قال أبو عليّ في إيضاح الشعر — وتبعه ابن جنيّ في الخصائص — :

(١) الحق أنه في الموضع الأول فقط ص ٣٣٣

(٢) سيأتي الكلام عليه في ص ٤٩٩ بولاق .

(٣) نسب لعبد الله بن الزبير في الكامل ١٨٩ .

القول في جرّ الرجل : أنه معطوف على مادلّ عليه ما تقدّم ؛ لأن قوله :
ياذا الضامر العنس ، يدلّ على أنه صاحب ضامر ، فحمل الرجل على مادلّ عليه
هذا الكلام من صاحب .

ثالثها : قال بعض النحويّين : إن أصله وإصاحب الرجل ، فحذف صاحب
لدلالة قوله : يا صاح ، عليه وبقى الجرّ على حاله . قال أبو على : يرِدُّ عليه أن
كونه صاحباً للمنادى لا يدلّ على أنه صاحب رجل كما يدلّ قوله : ياذا الضامر
الغنس ، على أن له غنساً .

رابعها : قال ابن الحاجب في الإيضاح : إن سيبويه استدلّ بانشاد هذا
للمصراع بافتراده على مارواه الثقات ممن لم يعلم تتمته اهـ . وهذا مُصادِمٌ
لما قلّه ثعلبٌ والنحاس وغيرهما من تلك الحكاية .

و (صاح) : مرثم صاحب . و (الضامر) من ضمّر الحيوان وغيره
من باب قعد : دقّ وقلّ له . و (الغنس) بفتح العين وسكون النون : الناقة
الصلبة الشديدة . و (الرجل) قال في المصباح : « كل شيء يعدّ للرجل من
وعاء للمناع ومرّكب للبعير وحلّس ورّسن . وجمعه أرّحل ورجال » .
و (الأقتاب) : جمع قتبّ بالتحريك ، قال في الصحاح : هو رّحل صغير
على قنر السّنام . وروى ابن السّجّريّ في أُماليه بدله : (والأقناد) وقال :
هو جمع قنّد وهو خشب الرّجل . و (الحلّس) بكسر المهملة : كساء يجعل على
ظهر البعير تحت رّحله والجمع أحلاس .

وهذا البيت نسبة بعضُ شُراح أبيات الكتاب ، والزمخشريّ في مفصله ،
لخزّز بن لؤذان السدوسيّ . قال الأصبهانيّ في الأغاني في ترجمة علكية بنت
المهديّ العباسيّ : « خَزَزَ : شاعرٌ يقال إنه قبلَ امرئ القيس » .

وخز، بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي الأولى، وهو في الأصل ذكر الأرنب. ولؤذان، بفتح اللام وسكون الواو بعدها ذال معجمة.

ونسبه الأصهباني في الأغاني لخالد بن المهاجر، وزاد بعده بيتا ورواه هكذا:

(يا صاح إذا الضامر العنُس والرحل ذى الأنساع والجلس
تسرى النهار ولست تاركه^(١) وتجد سيرا كلما تسمى)

فعلى هذا فالرحل هنا بمعنى برذعة البعير، والأنساع: جمع نسعة بكسر النون^(٢). قال في الصحاح: «وهي التي تُنسَج عريضا للتصدير». والسير يكون بالنهار وبالليل؛ ويكون لازما كما هنا ومتعديا، يقال سرت البعير؛ وهو منصوب على الظرفية، وكذا النهار. وتجد. من الجد في الأمر بمعنى الاجتهاد فيه، يقال جد يجد من باب ضرب وقتل، والاسم الجد بالكسر. وتسمى: مضارع أمسى الرجل: إذا دخل في المساء، والمساء: خلاف الصباح، قال ابن القوطية: هو ما بين الظهر إلى المغرب.

وروى صاحب الأغاني أيضا^(٣):

أما النهار فلا تقصره دركا يزيدك كلما تسمى

وروى أيضا^(٤):

(١) كذا في النسختين، ولا يكون السرى بالنهار، إنما يكون بالليل، فالصواب رواية أبي الفرج ١٥ : ١٣ : «سير النهار فلست تاركه».

(٢) الحق أنه جمع نسع، بطرح التاء. أما النسعة فواحدة النسع بالكسر.

(٣) الأغاني ٩ : ٤٩ - ٥٠.

الأغاني ٩ : ٦٣.

أَمَّا النَّهَارُ فَأَنْتَ تَقْطَعُهُ رَتَكَا ، وَتَصْبِحُ مِثْلَ مَا تُعْمَى
وَالدَّرَكُ بِالتَّحْرِيكِ : التَّيْبَعَةُ ، يُقَالُ مَا لِحَقَّكَ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى خِلَاصِهِ ،
قَالَ رُؤْبَةُ :

* مَا بَعَدْنَا مِنْ طَلَبٍ وَلَا دَرَكٍ *

وَتَسْكُنُ رَاوَهُ أَيْضًا . وَالرَّتَكُ بَفَتْحِ الرَّاءِ ، وَالتَّاءِ تَفْتَحُ وَتَسْكُنُ : ضَرْبٌ
مِنْ سِيرِ الْإِبِلِ فِيهِ اهْتِزَازٌ وَمُقَارَبَةٌ لَخَطْوِ رِفْلَانِ ، يُقَالُ رَتَكَ يَرْتَكُ
كَضَرْبٍ يَضْرِبُ .

خالد بن المهاجر (خالد) قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ : هُوَ ابْنُ الْمُهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ^(١) . وَكَانَ الْمُهَاجِرُ وَالِدُ خَالِدٍ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصِفَيْنَ ،
وَكَانَ خَالِدٌ عَلَى رَأْيِ أَبِيهِ هَاشِمِيًّا لِلذَّهَبِ ، وَدَخَلَ مَعَ بَنِي هَاشِمٍ الشَّعْبَ ، فَاضْطَفَنَ
ذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَيْهِ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ زَقًّا خَمْرٍ وَصَبَّ بَعْضُهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَشَنَعَ عَلَيْهِ
بِأَنَّهُ وَجَدَهُ ثِمْلًا مِنَ الْخَمْرِ فَضْرِبَهُ الْحَدَّ . وَكَانَ عَمُّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ
الْوَلِيدِ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي صِفَيْنَ ، وَلِهَذَا كَانَ خَالِدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ أَسْوَأَ النَّاسِ رَأْيًا
فِي عَمِّهِ . ثُمَّ إِنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ الْعَهْدَ لِيَزِيدَ قَالَ لِأَهْلِ الشَّامِ : إِنِّي
قَدْ كَبِرْتُ سِنِي ، وَرَقَّ جِلْدِي وَدَقَّ عَظْمِي ، وَاقْتَرَبَ أَجْلِي ، وَأُرِيدُ أَنْ اسْتَخْلَفَ
عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ تَرَوْنَ ؟ فَقَالُوا : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ . فَسَكَتَ وَأَضْمَرَهَا ، وَدَسَّ
إِلَى ابْنِ أَثَالِ الطَّيِّبِ ، فَسَقَاهُ سَمًّا فَمَاتَ ، وَبَلَغَ ابْنُ أَخِيهِ خَالِدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ
خَبْرُهُ ، وَهُوَ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : أَتَدْعُ ابْنَ أَثَالِ يُفْنِي^(٢) أَوْصَالَ

(١) ط في النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو خطأ يكثر وروده ،

والصواب « عمر بن مخزوم » . انظر الجمهرة ١٤٢ ونسب قريش ٤٩٩

(٢) في النسختين : « أبقي » وفي طبقات الأطباء ١١٧٠ ١١٨ .

و نقي ، صوابهما من الأغاني ١٥ : ١٣

عَمَّكَ بالشام وأنت بمكة مسبلٌ إزارك . تجرهُ وتخطِرُ فيه متخايلاً ؟ ! فحسبَ
 خالد ، ودعا مولًى له يدعى 'نافعاً' ، فأعلمه الخبر وقال له . لابد من قتل ابن
 أثال ! فخرجا حتى قديما دمشق ، وكان ابن أثال يُسمى عند معاوية ، فجاس
 له في مسجد دمشق إلى أسطوآنة ، وجاس غلامه إلى أخرى . . فلما حاذاه
 وثب إليه خالد فقتله ، وثار إليه من كان معه ، فحملا عليهم فنفرتوا حتى دخل
 خالد ونافع رُقَاقاً ضيقاً ففاتا القوم . وبلغ معاوية الخبر فقال . هذا خالد بن
 المهاجر ! اقلبوا الرُقَاق الذي دخل فيه . . فأتى به . فقال له معاوية : لا جزاك
 الله من زائرٍ خيراً ! قتلتَ طيبي ! فقال خالد : قتلتُ المأمورَ ، وبقي الأمر
 فقال : عليك لعنة الله ! والله لو كان تشهدَ مرةً واحدة لقتلتك به ! أَمَعَكَ
 نافع ؟ قال . لا . قال : بلى ، والله ما اجترأتُ إلا به . ثم أمر بطلبه فأتى به
 فضربه مائة سوط ، وحبس خالداً ، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني
 عشر ألف درهم^(١) . وقال خالد في الحبس :

إِذَا مَاطَى قَارَبْتُ (٢) مَشَى الْمُقْبِدُ فِي الْحَصَارِ
 فَبِمَا أُمَشَى فِي الْأَبَا طَحٍ يَقْنِي أَرَى إِزَارِي
 دَعَا ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى نَاراً تُشَبُّ بَنَى مَرَارِ (٣)
 مَا إِنْ تُشَبُّ لِقِرَّةٍ لِلْمُصْطَلِينَ وَلَا قُتَارِ (٤)

٣٣٢

(١) بعده في الأغاني : « أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم ،
 واخذ ستة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي
 عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي كان يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبت
 الذي يدخل بيت المال » .

(٢) في الأصل : « أما خطاي فقاربت » ، والوجه ما أثبت من
 الأغاني . « وجواب » ان « في البيت بعده : « فبما أمشى » .
 (٣) ط والأغاني : « بنى مزار » ، وأثبت ما في ش وطبقات
 الأطباء .

(٤) الأغاني : « بالمصطلين » .

ما بالُ ليلك ليس يَنْقُصُ طولَه طولُ النهارِ
لتقاصر الأزمات أم غَرَضُ الأسيرِ من الإِسارِ (١)
ولما بلغت معاويةَ هذه الأبياتُ رَقَّ له وأطلقه . فرجع إلى مكة ؛ ولما
لَقِيَ عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ قال : أَمَّا ابنُ أُنالٍ فقد قتلته ، وذلك ابنُ جُرْمُوزٍ
يُغْنِي (٢) أوصالَ الزُّبَيْرِ بالبصرة فاقته إن كنت ثائرا (٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائة ، وهو من
شواهد س (٤) :

١٢١ (جاريةٌ مِن قَيْسٍ ابنِ ثَعْلَبَةَ)

على أن تنوين (قيس) شاذٌ ، لأن « ابن » وقع بين علمين مستجمع
الشروط ، فكان القياس حذفَ تنوين قيس ، إلا أنه ثَوْنُهُ لضرورة الشعر .
قال ابن جني في سِرِّ الصناعة : « من ثَوْنُهُ لِمُثْبِتِ الألفِ في ابن خطأ » .
وقال ابن الحاجب في الإيضاح : « وزعم قوم أن ابن ثعلبة بدلٌ ،
وقصده أن يخرج عن الشذوذ ؛ وهو بعيد ، لأن المعنى على الوصف ، وأيضا :
فإن خرج عن الشذوذ باعتبار التنوين لم يخرج باعتبار استعمال ابن بدلا ، اهـ »

(١) غرض : مل . وفى الأغاني :

أتقاصر الأيام أم عرض الأسير من الإِسار

(٢) فى النسختين : « أبقي » ، صوابه من الأغاني

(٣) تمام الخبر فى الأغاني : « فشكاه عروة الى بكر بن عبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام ، فأقسم عليه أن يمسه عنه ، ففعل » .

(٤) سيبويه ٢ : ١٤٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٨٢ والخصائص

٢ : ٤٩١ والهمع ١ : ١٧٦ وابن يعيش ٢ : ٦ .

ومن أولئك القوم ابنُ جنيّ ، قال في سرّ الصناعة : إلى هذا رأيتُ
جميعَ أصحابنا يذهبون . والذي أرى أنّ الشاعر لم يُرد أن يُجرى ابنًا وصفاً
على ما قبله ؛ ولو أراد لحذفَ التنوين ؛ ولكن أراد أن يُجرى ابنًا بدلاً
تما قبله ، وحينئذ لم يُجعل معه كالشيء الواحد ، فوجب أن يُنوى انفصال ابنٍ
مما قبله ، ووجب أن يُبتدأ ، فاحتاج إذاً إلى الألف لئلا يلزم الابتداء بالساكن .
وعلى ذلك تقول : كلمت زيدا ابن بكر ، كأنك قلت : كلمت ابن بكر ، فكأنك
قلت : كلمت زيدا كلمت ابن بكر ؛ لأن ذلك شرط البذل ، إذ المبدل في التقدير
من جملة ثانية .

وهذا البيت مطلع أرجوزة للأغلب العجليّ . وبمعه :

(كريمةٌ أخوالها والعصبةُ قبّاء ذاتُ سُرةٍ مقعّبةٌ
كانّها حقّةٌ ميسكٍ مذهبهُ ممكورهُ الأعلى ردّاح الجبّةِ
كانّها حلّيةٌ سيفٍ مذهبهُ أهوى لها شيخٌ شديدُ العصبةِ
خاطى البضيعَ أيره كالخشبِ فضربتْ بالودّ فوق الأرنبةِ
ثم انتنتْ به فويقَ الرقبِ فأعلنتْ بصوتها : أن يا أبةِ)
(كلُّ فتاةٍ بأبيها معجبةٌ)

وأراد بجارية : امرأةً من العرب اسمها كلبة ، كان بينهما مهاجاة ؛ ومن
قولها فيه :

ناك أبو كلبة أمّ الأغلبِ فهي على جردانه توثّب
توثّب الكلب يحسُّ الأرنب

و (جارية) خبر مبتدأ محذوف أي هذه جارية . و (من قيس) صفة
لها . و قيس بن ثعلبة : قبيلة .

وهذا البيت من شواهد مفتى اليبب أيضا ، ولم يورده السيوطي في شرحها .
والقَبَاء : الضامرة البطن ، مؤنّت الأقب . من القَبَب وهو دقة الخصر .
والمَقْعَبَة : السُرّة التي دخلت في البطن وعلا ما حولها حتى صار كالقعب ، وهو
القدح المقعر من الخشب . وضمير كأنها للسرة . وللمكورة : اللطوية الخلق .
وأراد بالأعلى : البطن والخصر . والرّداح بفتح الراء : المرأة الثقيلة الأوراك .
والحَجَبَة بفتح الحاء المهملة والجيم : رأس الورك . وضمير كأنها للجارية . وحلية
السيف : زينته . ومذهبة صفة حلية ؛ وروى الزمخشري في مستقصى الأمثال :
(كأنها خلة سيف مذهب)

٣٣٣

بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام ، قال في الصحاح : « الخلة بالكسر :
واحدة خلك السيوف ، وهي بطائن كانت تغشى بها أجنان السيوف منقوشة
بالذهب وغيره » . وأهوى بالشئ : إذا أوما إليه ، وأهوى إلى الشئ بيده :
مدّها ليأخذه إذا كان عن قرب ، فإن كان عن بعد قيل : هوى إليه ،
بلا ألف . والخطا بمجمتين : المكتنز والمتداخل . والبضيع : اللحم .
والأير : آلة الرجل ؛ وروى الزمخشري في المستقصى (عرّده كالخشب) ،
والعرّد بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشئ الصلب ، وأراد به الأير .
والودّ : الوتد . والأرنبة : طرف الأنف . وأن مفسرة ؛ وروى الزمخشري :
(وصراحت منه وقالت يا أبة)

وقوله : كل فتاة . الخ ، هو من إرسال للمثل ، وليس من كلامها ؛ قال
الزمخشري : هو مثل يضرب في إعجاب الرجل برهطه وإن كان غير أهل
لذلك (١) .

(١) المثل للعجماء بنت علقمة السعدية ، كما في الميداني ٢ : ٧٢
والفاخر ٢٥٣ .

و (الأغلبُ العجلى) قال الآمدى في المؤتلف والمختلف : هو الأغلب الأهلِبُ العجلى ابن عمرو^(١) بن عُبَيْدَة (بالتصغير) ابن حارثة بن دُلَف بن جُثَم بن قَيْس ابن سَعْد بن عَجَل بن لُجَيْم (بالتصغير) بن الصَّعْب بن عَلِيّ بن بكر بن وائل . وهو أَرْجَز الرُّجَاز . وأَرْضَنَهُمْ كلاماً وأَصَحَّهُمْ معاني . وهو القائل :

الْحِلْمُ بَعْدَ الْجَهْلِ قَدْ يَنْبُؤُ^(٢) وَفِي الزَّمَانِ عَجْبٌ عَجِيبٌ
وَعِبْرَةٌ ، لو يَنْفَعُ التَّجْرِبُ وَاللَّبُّ لَا يَشْقَى بِهِ اللَّيْبُ
وَالْمَرْءُ مُحْصَى سَعْيُهُ مَرْقُوبٌ يَهْرَمُ أَوْ تَعْنَاقُهُ شُعُوبٌ

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : كان الأغلبُ جاهلياً إسلامياً ، وقُتِلَ بِهَاؤُنْد . وهو أوّل من أطال الرجز ، وكان الرجلُ قبله يقول البيت والبيتين إذا فَاخَرَ أو شَاتَم . وقد ذكره المعاجز بقوله :

إِنِّي أَنَا الْأَغْلَبُ أَضْحَى قَدْ نُثِرُ . . . ١٠٠ هـ

وعده ابن الأثير في « أسد الغابة » من الصحابة .

قال ابن حجر في الإصابة : « قال ابن قتيبة : أدرك الإسلام فأسلم وهاجر ، ثم كان ممن سار إلى العراق مع سعد ، فنزل الكوفة واستشهد في وقعة نهاوند . وقد استدركه ابن الأثير . قلت : ليس في قوله : وهاجر ، ما يدلّ على أنه هاجر إلى النبي ﷺ : فيحتمل أنه أراد : هاجر إلى المدينة بعد موته ﷺ . ولهذا لم يذكره أحد من الصحابة^(٣) . »

(١) وكذا في المؤتلف ٢٢ . وفي الإصابة وأسد الغابة والشعراء ٥٩٥ والسمط ٨٠١ والأغاني ١٨ : ١٦٤ : « الأغلب بن جثم بن عمرو . »

(٢) في المؤتلف : « قد ينبؤ » ، بالنون

(٣) أى من جملة الصحابة . وفي الإصابة : « من الصحابة » .

وقد قال المرزباني في معجبه : هو مخضرم ، ا هـ . ولم يذكر ابن قتيبة هجرته كما نقلنا ، ولعله نقله من كتاب آخر . والله أعلم .

وقال أبو عبيد البكري في شرح نواجر القالي : الأغلب العجلي آخر من عمر في الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فحسن إسلامه ، وهاجر ، واستشهد في وقعة نهاوند .

الأغلبة

قال الأمدى : من يُقال له (الأغلب) من الشعراء ثلاثة : أحدهم هذا .
والثاني : الأغلب الكلبي ؟ ولم أجده في أشعار كلب شعراً ، وأظن شعره درس فلم يدرك .

٣٣٤

والثالث : الأغلب بن نباتة الأزدي ثم الدؤسي ، أنشد له بُندار شعراً في معاني الشعر ، ولم أر له ذكراً في أشعار الأزدي ، وأظنه إسلامياً متأخراً ا هـ .

* * *

وأناشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد المائة ^(١) :

١٢٢ (طَلَبَ الْمُعَقَّبَ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ)

على أن فاعل المصدر - وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه - محله الرفع فالمعقب فاعل المصدر ، وقد جَرَّ بإضافته إليه ، ومحله الرفع بدليل رفع وصفه وهو المظلوم .

وهذا عجز ، وصدره :

(حَتَّى تَهْجَرَ فِي الرِّوَا حِ وَهَاجَهَا)

(١) العيني ٣ : ٣١٥ والانصاف ٣٣٢ ، ٣٣١ وابن يعيش ٢ : ٢٤ ، ٦/٤٦ : ٦٦ والهمع ٢ : ١٤٥ وديوان لبني ١٢٨ .

وهو من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحلبي . وصف به مع أبيات حمراء ،
وأثانه ، شبه به ناقته . وقبله :

(لَوْلَا تُسَلِّكَ اللَّبَانَةَ حُرَّةً حَرَجٌ كَأَحْنَاءِ الْغَيْطِ عَقِيمٌ) قصيدة الشاهد

لولا هنا تحضيضية . والتسلية : إزالة الألم ؛ وضمنه معنى النسيان . واللبانة :
الحاجة . والحرج ، بفتح الحاء والراء المهملتين والثالث جيم : الناقة الضامرة .
والغيط ، بفتح الغين المعجمة : الرجل ؛ وهو للنساء يشد عليه المودج .
وأحناؤه : عيذانه ، في الصحاح : « الجنو بالكسر : واحد أحناء السرج
والقتب . وجنو كل شيء أيضا : اعوججه » . والعقيم : التي لا تلد ؛ يريد :
أنها قوية صلبة لم يعيبها ما يوهنها من فقد أولادها وغير ذلك .

(حَرْفٌ أَضَرَّ بِهَا السِّفَارُ ، كَأَنَّمَا بَعْدَ الْكِلَالِ مُسَدَّمٌ مَحْجُومٌ)

الحرف : الناقة الشديدة . وأضر ، بالضاد المعجمة ، بمعنى لصق ودنا
دنوا شديداً ؛ يقال أضر بفلان كذا : أى لصق به ودنا منه . والسفار : فاعل
أضر ؛ وهو مصدر سافر يسافر مسافرة وسفاراً . والكيلال : مصدر كل من
المشي : إذا أعيا . والمسدّم : اسم مفعول ، يقال غل مسدّم . إذا جعل على فمه
الكمام بالكسر ، وهو شيء يجعل في فم البعير ، يقال كمت البعير :
إذا شددت به فمه في هياجه ، فهو مكوم . والسدّم ، بكسر الدال : الفعل
المأخوذ المشتبه بالضراب . والمحجوم : من حجمت البعير أحجمته : إذا جعلت
على فمه حجاباً ، وذلك إذا هاج للضراب ؛ والحجام بتقديم المهملة المكسورة
على الجيم : شيء يجعل في مقدم أنف البعير كي لا يعصّ عند هيجانه .

(أَوْ مَسْحَلٌ شَنَجَ عِضَادَةً مَمْنَحَجٍ بِسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومٌ)

للسحل ، بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين : الحمار الوحشي ؛

وصف ناقته بأبلغ ما يمكن من النشاط والقوة على السير ؛ وذلك أنه شبهها بعد أن كَلَّتْ وأُعيت بالفحل الهاثج أو بالحمار الوحش ، وهما ما هما في القوة والجلد ؛ فما ظنك بهذه الناقة قبل الإعياء ١٢ وَشَنَجَ بفتح المعجمة وسكون النون من الشنج ، وهو في الأصل التقبض ؛ وأراد به هنا المللزم . والعِضادة بالكسر : الجنب . والسَمَّحج ، بفتح السين وسكون الميم وآخره جيم قبلها مهملة : الأتان الطويلة على الأرض . والسَّراة ، بفتح المهملة : الظهر . والتدب ، بفتح النون والدال أثر الجرح . والكَلُوم : الجراحات ، جمع كلم بالفتح (وهذا البيت من شواهد سيبويه ^(١) : أوردته على أن عضادة ، منصوب بشنج نصب المفعول به) يقول : إنه ملازم لأتانه ، ولشدته وصلابته قد لازمها وقبض الناحية التي بينها وبينه ، ولم يحجزه عن ذلك رَحْمُها وعضها ، اللذان بظهره منها ندب وكُوم . ثم أخذ يصفه مع أتاناه : بأنهما كانا في خصب زمانا ، حتى إذا هاج النبات ونضب الماء أسرع معها إلى كُلِّ نَجْدٍ ، يريدان أطيب السكلا وأهنا المرعى . . . إلى أن قال :

٣٣٥

(يُوفى وَيَرْتَقِبُ النِّجَادَ كَأَنَّهُ ذُو لَابِيَةٍ كُلِّ الْمَرَامِ يَرُومُ
حَتَّى تَهْجُرَ فِي الرِّوَاكِ وَهَاجَهَا « طَلَبَ الْمُعْتَبِرُ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ »
قَرَبًا يَشُجُّ بِهَا الْحُزُونَ عَشِيَّةً ^(٢) رَيْدُ كَمِقْلَاءِ الْوَلِيدِ شَتِيمُ)

يُوفى : يشرف ؛ وفاعله ضمير مسحل . والنجداد : جمع نجد ، وهو المرتفع من الأرض ؛ أى يشرف على الأماكن المرتفعة كالقريب ، وهو الرجل الذى

(١) سيبويه ١ : ٥٨ وابن يعيش ٦ : ٧٢ . ولم يرد فى شواهد

الرضى .

(٢) ط : « د يشج به » ، صوابه فى ش والديوان .

يكون رَيْثَةُ القوم يرتفع على مكان عالٍ ^(١) متجسّساً . والإِربة ، بالكسر : الحاجة . وكلٌّ : مفعول مقدم ليروم .

والتهجّر : السير في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند اشتداد الحر . وحتى بمعنى إلى . والرواح : اسمٌ للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو تقيض الغدوّ لا الصباح ، خلافاً للجوهري . وهاجها : أزعجها . وطلبَ : مصدرٌ تشبيهيّ أى هاج هذا المسحل أثناء طلب الماء طلباً حثيثاً كطلب المعقب ؛ وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقّه مرةً بعد مرة . واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ^(٢) على أن المعقب : المقتضى الذى يطلب الدّين من الغريم ؛ يقال عقبَ فى الأمر : إذا تردّد فى طلبه مجدداً .

والقَرَب ، محرّكة : سير الليل لورد الغد ، وهو منصوب يشجّ : أى يقطع ، يقال شجّبت المفازة : إذا قطعتها ، والباء بمعنى مع . والحزون : جمع حزن بالفتح ، وهو ما غلظ من الأرض . ورَبَدَ : أى هو ربد بفتح الراء وكسر الموحدة وبالنال المعجمة ، وهو السريع الخفيف القوائم فى المشى . والمِقْلَاء ، بالكسر والمدد كفعال ، والقُلَّة بالضم والتخفيف : هما عودان يلعب بهما الصبيان ، والأوّل يضرب به والثانى ينصب ليضرب ؛ يقال قلوّت القُلَّة بالمِقْلَاء أقلو قَلَوّاً . أى أنه يسوقها كما أن المِقْلَاء يسوق القُلَّة . والشّتم : الكريه الوجه يُشتم لعنفه وغلظته ؛ وهو صفة رَبدَ .

وقوله : (طلبَ المعقب حقّه) يجوز أن يكون حقّه مفعول المصدر ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط

(٢) الآية ٤١ من سورة الرعد .

وهو الطلب ، ويكون مفعولُ المعقَّب محذوفاً ؛ وأن يكونَ مفعولُ المعقَّب ، لآته بمعنى الطالب والمقتضي ، ويكونَ مفعولُ المصدر محذوفاً : على التنازع . وإلى هذا جنح الفارسيّ وقال : فلو قدّم المظلوم على حقّه لم يجز ، لأنك لاتصف الموصول ، وهو آل هنا ، حتّى يتمّ بصليته ، وصلته لم تتمّ بعد ، لأن حقّه من صلة المعقَّب ومن تمامه .

وتوجيه هذا الشاهد على ما ذكره الشارح المحقق هو المشهور والمتداول بين الناس ، وهو ليعقوب بن السيكت . وقال أبو حيان فى تذكرته : أنشده الفراء وهشام . (وهاجه) بتذكير الضمير ، على أنه عائد على الحمار ؛ وقال : الطلب عندهما فى هذه الرواية مرفوع . وفى البيت تخارج آخر .

(ثانياً) لأبى حاتم السجستانيّ قال : المظلوم جارٍ على الضمير الذى فى المعقَّب : يريد أنه بدلُ كلِّ من الضمير لتساويهما فى المعنى . وقال العينيّ : « هو بدل اشتغال من الضمير » . وفيه أن بدل الاشتغال لا بدّ له من ضمير .

(ثالثاً) لأبى على الفارسيّ فى للسائل البصريّة والقصريّة : وهو أن يكون المظلوم فاعلُ المصدر ويكونَ المصدرُ مضافاً لمفعوله ؛ والمعقَّب حينئذٍ معناه الماثل ، يقال عقبني حتى أى مطلني . وعلى هذا فحقّه مفعول المعقَّب لا غير ، وحينئذ لا يجوز تقديم المظلوم عليه لما تقدّم . وكأنه قال : طلب المظلوم الماثلَ حقّه ، فتكون الهاء راجعة إلى المظلوم على نحو : ضرب غلامه زيد ، لأنها متصلة بالمفعول ؛ أى طلب للمدين الماثلَ حقّه أى حقّ المدين فإن الحقّ له لا للمستدين . وقد يجوز أن تكون راجعة للمستدين ، يريد حقّه أى الذى يجب عليه الخروج منه ، وكذلك قوله تعالى (وَلْيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ

دِينَهُمْ^(١)) فَأَصَافَ الدِّينَ إِلَيْهِمْ لِمَا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِمُ الْاِخْتِذُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مُتَدِينِينَ بِهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ^(٢)) أَيْ الْعَمَلَ الَّذِي أَمَرُوا بِهِ وَنَدَبُوا إِلَيْهِ وَشَرَعَ لَهُمْ . . . قَالَ : وَعَلَى هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى الْمُعْتَبِّ بِأَمْرِهِ ، وَأَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى أَلْ ، عَلَى قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ أَلْ عَلَى قَوْلِ أَبِي عُمَانَ . . . وَنَسَبَ أَبُو حَيَّانَ فِي تَذَكُّرَتِهِ قَوْلَ الْفَارَسِيِّ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ قَدَمَاءِ اللُّغَوِيِّينَ ، وَقَالَ : تَلْخِيصُهُ : وَهَاجَ الْحَمَارُ الْأَتَانُ هَيْجَانًا مِثْلَ طَلَبِ الْمُعْتَبِّ حَقَّهُ . وَقَالُوا : مَوْضِعُ الْمُعْتَبِّ نَصَبٌ بِالطَّلَبِ ، وَنَاصَبُ الْحَقِّ الْمُعْتَبُّ ، وَفَاعِلُ الطَّلَبِ لِلْمَظْلُومِ . وَتَفْسِيرُ يَمُتُّبُ حَقَّهُ يَطْلُبُهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ٥١ . وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ هَذَا تَخْلِيْطٌ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ .

(رَابِعُهَا) لَا بَيْنَ جَوِّ فِي الْمُحْتَسِبِ : أَنْ الْمَظْلُومُ فَاعِلٌ حَقَّهُ . قَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ فِي تَوْجِيهِ قِرَاءَةِ ابْنِ سِيرِينَ : (وَإِنْ عَقَبْتُمْ فَمَقْبُوءًا^(٣)) . أَيْ إِنْ تَتَّبَعْتُمْ فَتَتَّبَعُوا بِقَدْرِ الْحَقِّ الَّذِي لَكُمْ ، وَلَا تَزِيدُوا عَلَيْهِ ، قَالَ لَبِيدُ :

حَتَّى تَهْجَرَ فِي الرِّوَاكِ وَهَاجَهُ طَلَبَ الْمُعْتَبِّ إلخ
أَيُّ هَاجَهُ طَلَبًا مِثْلَ طَلَبِ الْمُعْتَبِّ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ ، أَيْ عَازَهُ^(٤) وَمَنْعَهُ الْمَظْلُومُ ، فَحَقَّهُ عَلَى هَذَا فَعَلَ حَقَّهُ بِحَقِّهِ أَيْ لَوَاهُ حَقَّهُ . وَيَجُوزُ طَلَبُ الْمُعْتَبِّ حَقَّهُ ، فَتَنْصِبُ حَقَّهُ بِنَفْسِ الطَّلَبِ مَعَ نَصَبِ طَلَبِ ، كَمَا تَنْصِبُهُ مَعَ رَفْعِهِ ، وَالْمَظْلُومُ صِفَةُ الْمُعْتَبِّ عَلَى مَعْنَاهُ دُونَ لَفْظِهِ ، أَيْ أَنْ طَلَبَ الْمُعْتَبِّ الْمَظْلُومَ حَقَّهُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ جَمِيعًا .

(١) الْآيَةُ ١٣٧ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

(٢) الْآيَةُ ١٠٨ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

(٣) الْآيَةُ ١٢٦ مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ .

(٤) عَازَهُ مَعَاذَةٌ : غَالِبُهُ . ط : « عَازَهُ » صَوَابُهُ فِي ش .

هذا كلامه . وعليه فينظر : ما فاعل حقّه مع نصب طلب ؟ وأما مع رفعه فهو فاعل حاجه . وينظر أيضاً : ما موضع جملة حقّه المظلوم من الاعراب . على أن حقّه بمعنى لواه حقّه لم أجده فى كتب اللغة . وقوله : « كما تنصبه » أى تنصب الحقّ . وقوله : « مع رفعه » أى مع رفع الطلب . وقوله « فى الموضعين جميعاً » أى فى نصب الطلب ورفع . وبالجمله كلامه هنا خلاف كلام الناس ، وفيه تعقيد لا يظهر معه المراد . فليتأمل .

وقال ابن برّى فى شرح أبيات الإيضاح لأبى على . قوله : وحاجه ، أى أثاره يعنى العير ، والفاعل التهجّر أو الطلب ، والتقدير : حاجه مثل طلب المعقب فحذف المضاف ؛ ويروى « حاجها » أى حاج العير الأتان ، وطلب منصوب على المصدر بما دلّ عليه المعنى ، أى طلب الماء كطلب المعقب ؛ وإن شئت جعلته مفعولاً من أجله ، أى حاجها للطلب ، وحقّه مفعول بالمصدر ، والمعقب فاعل أضيف إليه المصدر ، وهو الذى يتبع عقب الإنسان فى طلب حقّ أو نحوه ، والمظلوم نعت للمعقب على الموضع . وقال يعقوب : المعقب : الماثل ، عقبى حقّ أى مطلقى . فعلى هذا يكون المعقب مفعولاً والمظلوم فاعلاً . وقيل : المظلوم بدل من الضمير فى المعقب اه كلامه .

٣٣٧

ولبيد بن ربيعة (لبيد) هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة الصحابى رضى الله عنه . قديم على النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب ، فأسلم وحسن إسلامه . وكان لبيد وعلقمة ابن علاتة العامريان من المؤلفة قلوبهم ؛ وهو معدود فى فحول الشعراء المجودين ، كذا فى الاستيعاب .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كنيته أبو عقيل . وكان من شعراء

الجاهلية وفُرسانهم . وكان الحارث الغسانی ، وهو الأعرج ، وجّه إلى المنذر ابن ماء السماء مائة فارسٍ وأمره عليهم ؛ فساروا إلى عسكر المنذر وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه في طاعته ، فلما تمكّنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبید ؛ فأتى ملك غسان فأخبره ، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزمهم — فهو يوم حليمة . وحليمة : بنت ملك غسان ؛ وكانت طيبت هؤلاء الغنيان وألبسهم الأكفان . ولما أسلم مع قومه رجوع قومه إلى بلادهم ، وقبم هو الكوفة ؛ فأقام بها إلى أن مات ؛ فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب . ويقال : إن وفاته كانت في أول مدّة معاوية رضى الله عنه ومات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انتهى .

وقال في الاستيعاب : قد قيل : إنه مات بالكوفة أيام الوليد بن عُقبة في خلافة عثمان وهو أصح . فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً فنحرت عنه .

ثم قال ابن قتيبة : ولم يقل شعراً في الإسلام إلا بيتاً واحداً ، قال أبو اليقظان وهو قوله :

الحمدُ لله ، إذ لم يأتني أجلى حَتَّى كَسَانِي مِنَ الْإِسْلَامِ سِرّاً

وقال غيره : بل هو قوله :

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ كَنْفُسِهِ وَلِئَمْ يَصْلِحَهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ

وكتب عمر بن الخطاب إلى عامله للمغيرة بن شعبة بالكوفة : أن استنشد من عندك من شعراء مضرك ما قالوه في الإسلام . فأرسل إلى الأغلب العجلي أن أنشدني ، فقال :

لَقَدْ طَلَبْتَ هَيْئاً مَوْجُوداً أَرْجَزاً تَرِيدُ أَمْ قَصِيداً

ثم أرسل إلى لبيد : أن أنشدنى ؛ فقال : إن شئت ما عُفِيَ عنه (يعنى الجاهلية) قال : لا ، ما قلت فى الإسلام . فانطلق إلى بيته فكتب سورة البقرة فى صحيفة ثم أتى بها فقال : أبدلنى الله هذه فى الإسلام مكان الشعر . فكتب بذلك المغيرة إلى عمر ، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة ، وزادها فى عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة . فكتب الأغلب إلى عمر : يا أمير المؤمنين تنقص عطائى أن أطعك ! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ لبيداً على ألفين والخمسمائة فلما كان زمن معاوية رضى الله عنه وأراد أن يجعل عطايا الناس ألفين قال له : هذان الفودان فما هذه العلاوة ^(١) ! فقال له لبيد : أموت ويبقى لك الفودان والعلامة ، وإنما أنا هامة اليوم أو غد ! فرق له وترك عطاءه على حاله . فمات بعد ذلك يسيروا ولم يقبضها .

وفى الاستيعاب : ذكر للبرد وغيره : أن لبيداً كان شريفاً فى الجاهلية والإسلام ؛ وكان نذر أن لا تنب الصبا إلا نحر وأطم ؛ وأن الصبا هبت يوماً ، وهو بالكوفة مقتر مملق ، فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبى معيط — وكان أميراً عليها لعثمان — فخطب الناس فقال : إنكم قد عرقتم نذر أبى عقيل ، وما وكّدت على نفسه ؛ فأعينوا أخاكم . ثم نزل ، فبعث إليه بمائة ناقة وبعث الناس إليه ، ففضى نذره — وفى خبر غير البرد : فاجتمعت عنده ألف راحلة — وكتب إليه الوليد :

أرى الجزار يشحد شفرتيه إذا هبت رياح أبى عقيل
أغرّ الوجه أبيض عامرئ طول الباع كالسيف الصقيل

(١) فى الشعراء ٢٣٣ : « فما بال العلامة ؟ » وبعده : « يعنى بالفودين الألفين ، وبالعلامة الخمسمائة ، وأراد أن يحطه إياها ، وأصل الفود : العدل من أعدل البعير . أما العلامة فما يكون بين العدلين من خشبته ونحوها . »

وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بِحُلْفَتَيْهِ^(١) عَلَى الْعِلَآتِ وَالْمَالِ الْقَلِيلِ
بِنَحْرِ الْكُومِ إِذْ سُحِبَتْ عَلَيْهِ ذِيُولُ صَبَاً نَجَاجُوبُ بِالْأَصِيلِ
فَقَالَ لَبِيدُ لَابْنَتِهِ^(٢) : أَجِيبِي ، فَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَعْيَا بِجَوَابِ شَاعِرٍ
فَأَنشَأْتُ قَوْلَ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَكِيدَا
أَشْمُ الْأَنْفِ أَصِيدَ عَبْشِييَا أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَبِيدَا
بِأَمْثَالِ الْهَضَابِ ، كَأَنَّ رَكْبَا عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعُودَا
أَبَا وَهَبٍ ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحْرُنَا وَأَطْعَمْنَا التَّرِيدَا^(٣)
فُعْدُ ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادُ وَظَنِّي بِابْنٍ أَرُوى أَن يَعُودَا^(٤)
فَقَالَ لَهَا لَبِيدُ : قَدْ أَحْسَنْتِ لَوْلَا أَنَّكَ اسْتَزِدْتِي . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا اسْتَزِدْتِهِ
إِلَّا لِأَنَّهُ مَلِكٌ ، وَلَوْ كَانَ سُوقَةً لَمْ أَفْعَلْ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : رَحِمَ اللَّهُ لَبِيدًا حَيْثُ يَقُولُ :
ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَيَقِيتُ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يُرَجَّى خَيْرُهُمْ وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبْ
قُلْتُ : فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ زَمَانُنَا ! انْتَهَى .. وَاتَّخَلَفَ بِسُكُونِ اللَّامِ :

(١) كَذَا فِي الاسْتِيعَابِ ١٣٣٦ وَالشَّعْرَاءُ . وَفِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ :
« بِمَا عَلَيْهِ » وَفِي الْكَامِلِ ٤٦٦ : « بِمَا لَدَيْهِ »

(٢) فِي الاسْتِيعَابِ : « فَلَمَّا أَتَاهُ الشَّعْرُ وَكَانَ قَدْ تَرَكَ قَوْلَ الشَّعْرِ
قَالَ لِابْنَتِهِ » .

(٣) ط : « الْوَلِيدَا » صَوَابُهُ فِي شِ وَالْمَرَاJعِ السَّابِقَةِ وَفِي الْكَامِلِ .

(٤) الْكَامِلِ ٤٦٧ : « فَمِدَانُ الْكَرِيمِ لَهُ مَعَاد » وَالْاسْتِيعَابُ وَالشَّعْرَاءُ .

« يَا ابْنَتِي أَرُوى » لَكِنْ فِي الشَّعْرَاءِ « أَنْ تَعُودَا » ، وَاتَّيَتْ مَا فِي شِ
وَالْكَامِلِ . وَأَرُوى أُمَ الْوَلِيدِ ، وَهِيَ أَرُوى بِنْتَ كَرِينِ

النسل الطالح ؛ وفتح اللام : النسل الصالح . والشغب : تحريك الشرِّ والفتنة^(١) .
ثم قال ابن قتيبة : و (مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ) عُمُ لَبِيد . وهو عامر بن مالك .
ومثي مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ بقول أوس بن حجر :

ولاعِبَ أطرافَ الْأَسِنَّةِ عامرُ فراحَ له حفظُ السكينةِ أجمعُ
وكان مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ أخذَ أربعينَ مِرْبَاعاً في الجاهلية .

و (أُرْبَدَ بن قيس) الذي أتى رسول الله ﷺ غادراً مع عامر بن الطفيل
هو أخو لبيد لأمه ؛ فدعا الله عليهما ، فمات عامر بالطاعون ونزلت صاعقة
على أُرْبَدَ فأحرقتة . ويقال : فيه نزلت : (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ)^(٢) . وركناه لبيد بأشعار كثيرة . انتهى

وروى أبو حاتم السجستاني في كتاب للمعمرين^(٣) ، بسنده إلى الشعبي
قال : أرسل إلى عبدُ الملك بن مروان ، وهو شاكٍ ، فدخلتُ عليه فقلت :
كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت كما قال ابن قميئة الشاعر :

كأنِّي وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً خلعتُ بها عني عِذارَ الجامي
رمتني بناتُ الدهر من حيثُ لا أرى فكيفَ بمن يرمى وليس برامٍ
فلو أنها نبَلٌ ، إذاً لا هَيْبَتُها ولكنني أرمى بغيرِ سهامٍ
إذا ما رأني الناسُ قالوا : ألم تكن جليداً شديدَ البطش غيرَ كهامٍ
فَنيتُ ولم يفنَ من الدهر ليلة ولم يُغنِ ما أفنيت سلكَ نظامٍ^(٤)

٣٣٩

(١) ط : « والشغب ، بالتحريك : تهيج الشر ، وفي ش :
والشغب تحريك الفتنة » ، وقد جمعت الصواب منهما . وفي اللسان :
« الشغب ، بسكون الغين : تهيج الشر والفتنة »

(٢) الآية ١٣ من سورة الرعد

(٣) المعمرين ٦١ ، ٨٩

(٤) وكذا في المعمرين ٦١ لكن في المعمرين ٨٩ : « فافني وما أفني »

على الراحتين مرّةً ، وعلى العصا أنوه ثلاثاً بدهن قيلمى

فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنك كما قال لبيد بن ربيعة :

نَفْسِي تَشْكِي إِلَى الْمَوْتِ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا

فإن تزايدى ثلاثاً تُحدثنى أملاً وفى الثلاثِ وفاةً للثمانينا

فعاش والله حتى بلغ تسعين حجةً ، فقال :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَمْتُ بِهَا عَنْ مَنَكِي رَدَائِي

فعاش حتى بلغ عشرين ومائة سنة ، فقال فى ذلك :

أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ وَفِي تَكَامُلِ عَشْرِ بَعْدَهَا عُمُرُ

فعاش والله حتى بلغ عشرين سنةً ومائة ، فقال فى ذلك :

وَعَنَيْتُ سَبْتًا بَعْدَ مَجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ الْجُوجُ خُلُودٌ^(١)

فعاش والله حتى بلغ أربعين ومائة سنة ، فقال فى ذلك :

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ : كَيْفَ لِبَيْدٍ ؟

فقال عبدُ الملك : والله ما بى بأس ، أقعدُ حدثني ما بينك وبين الليل .

فقدتُ فحدثتُه حتى أمسيتُ ، ثم طارقتُه فمات فى ليلته .

* * *

من الدهر ، ، وكذا فى الديوان ٢٣ : « وأفنى وما أفنى » . ط : « ولم

يفن ما أفنيت » صوابه فى ش والمعمرين والديوان . وسلك النظام :

الحيوط ينظم بها الدر ونحوه .

(١) ط : « وعنيت ستاً » ، وهو تحريف ظاهر . والسبت ، كفلس :

الدهر

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد
سيبويه ^(١) :

١٢٣ (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عِدْنَانَ وَالِدًا وَدُونَ مَعَدٍّ ، فَلْتَزَعْكَ الْعَوَازِلُ ^(٢))
على أن (دون) بالنصب معطوف على محل الجار والمجرور ، أعني (من
دون) . وكذلك أوردته سيبويه قال : وكأَنَّهُ قال : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ دُونَ عِدْنَانَ
وَالِدًا وَدُونَ مَعَدٍّ .

قال ابن هشام فى المغنى : شرط العطف على المحل إمكان ظهور ذلك المحل
فى النصيح نحو : ليس زيد بقاتم ولا قاعداً ، فإنه يجوز أن تسقط الباء وتنصب ،
ولا يختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائداً كما مثل ، بدليل :

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عِدْنَانَ وَالِدًا البيت
وهذا البيت من قصيدة أزيْد من خمسين بيتاً للبيد بن ربيعة الصبحاني ،
رضى الله عنه ، رثى بها النعمان بن المنذر ملك الحيرة . . وأولها :

(أَلَا تَسْأَلَانِ لِلرَّءِ مَاذَا يُجَاهِلُ أَنَحَبُّ فَيَقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ
جَبَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ فِي سَبِيلِهِ وَيَقْنِي إِذَا مَا أَخْطَأَهُ الْجَبَائِلُ
إِذَا لِلرَّءِ أَسْرَى لَيْلَةً خَالَ أَنَّهُ قَضَى عَمَلًا ، وَلِلرَّءِ مَاعَاشٌ عَامِلُ
فَقُولَا لَهُ ، إِنْ كَانَ يُقْسِمُ أَمْرَهُ : أَلَمَّا يَعْظُكَ الدَّهْرُ ، أَمْكَ هَابِلُ
فَتَعْلَمُ أَنَّ لَا أَنْتَ مُدْرِكُ مَاضِي وَلَا أَنْتَ مِمَّا تَحْذَرُ النَّفْسُ وَائِلُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فَاتَّسِبْ لِمَلِكٍ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

قصيدة الشاهد

(١) الخزانة أيضا ٣ : ٦٦٩ والإنصاف ٢٠٨ وشرح شواهد المغنى

للسيوطى ٢٩٣ وديوان لبيد ٢٥٥ .

(٢) ش : « إذا لم تجد » ، صوابه فى ط والمراجع السابقة

«فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ بَاقِيًا وَدُونَ مَعْدَةٍ فَلْتَزَعْكَ الْعَوَاضِلُ»
 أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ بَلَى كُلِّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللَّهِ وَاسْلُ
 الْأَكْلُ شَيْءٌ مَا خَلَا اللَّهُ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
 وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوسِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعِيَهُ إِذَا كُشِفَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخِصَالُ

٣٤٠

قوله : أَلَا تَسْأَلَانِ لِلرَّءِ . . الْبَيْتِ ، يَأْتِي شَرْحُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
 فِي (مَاذَا) (١) . وقوله : حِبَائِلُهُ مَبْنُوثة . . الْبَيْتِ ، الْحِبَائِلُ : جَمْعُ حَيْلَةٍ
 وَهِيَ الشَّرَكُ ، وَالضَّمِيرُ لِلْمَوْتِ ؛ وَأَرَادَ بِحِبَائِلِهِ : الْأَحْدَاثَ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
 الْمَوْتِ وَمَبْنُوثةٌ : مَنْصُوبَةٌ عَلَى طَرَفِهِ . وَالْهَاءُ فِي سَبِيلِهِ عَائِدَةٌ عَلَى الرَّءِ .
 وَيُقْنِي : يَهْرَمُ .

وَسَرَى وَأَسْرَى بِمَعْنَى . يَقُولُ : إِذَا سَهَرَ لِلرَّءِ لَيْلَةً فِي عَمَلٍ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ
 فَرَّغَ مِنْهُ ، وَهُوَ مَا عَاشَ يَعْزُضُ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَبَدًا مَا دَامَ حَيًّا لَا يَنْقَطِعُ
 عَمَلُهُ وَلَا حَوَائِجُهُ . وَقَوْلُهُ : فَقَوْلَا لَهُ إِنْ كَانَ . . إلخ ، أَقْسَمَ بِمَعْنَى قَدَرٍ ؛ يَعْنِي :
 قَوْلَا لَهُ ؛ إِنْ كَانَ يَدْبِرُ أَمْرَهُ وَيَنْظُرُ فِيهِ : أَلَمْ يَعْظُكْ مَنْ مَضَى قَبْلَكَ فِي سَالَفِ
 الدَّهْرِ ، هَلْ رَأَيْتَهُ بَقِيَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِ فَقَالَ : أُمُّكَ هَابِلُ ! يُقَالُ هَبِلْتُهُ
 أَيُّ تَشَكَّلْتُهُ .

وقوله : فَتَعْلَمُ ، بِالنَّصْبِ جَوَابٌ لِمَا . وَأَنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ . وَوَائِلُ :
 مِنْ وَأَلَّتِ النَّفْسُ بِمَعْنَى نَجَتْ ، وَالْمَوَائِلُ : لِلنَّحْيِ .

وقوله : فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ . . إلخ ، يَقُولُ : إِنْ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ عَنْ هَذِهِ
 الْأَخْبَارِ ، بَلْ كَذَبَتْكَ ، فَاتَّسِبَ : أَيُّ قُلُوبِ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، فَانْكَرَ

لا ترى أحداً بقي ؛ لعلك تهديك هذه القرون وترشيدك . ورؤى : فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب .

قال أبو عليّ في إيضاح الشعر : « أنت مرتفع بفعل في معنى هذا الظاهر ، أى فإن لم تنتفع . ولو حُلّ أنت على هذا الفعل الظاهر ، الذى هو ينفعك ، لوجب أن يكون موضعَ أنت إِيَّاكَ ، لأن الكاف الذى سببه مفعولة منصوبة . » وهذا أولى من تقدير ابن قاسم في شرح الألفية : أن أصله فإن ضلّت لم ينفعك . وزاد الفارسيّ على الوجه الثانى : أن فيه إنابة الضمير للمرفوع عن المنصوب . والقرون : جمع قَرن ، وهو أهل زمان واحد .

وقوله (فإن لم تجد . . إلخ) تَزَعَكْ : تكفك ، قال أبو الحسن الطوسىّ في شرح ديوان لبيد : وزعه يزعه ، بالفتح ، ويزعه ، بالكسر ، وزعا ووزوعا : إذا كفّه . وعدنان جدّه الأعلى ، لأن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . يقول : لم يبق لك أبٌ حىّ إلى عدنان ، فكفّ عن الطمع في الحياة . . ومعنى البيتين : أن غاية الإنسان الموت ، فينبغى له أن يتعظ : بأن ينسب نفسه إلى عدنان ؛ فإن لم يجد من بينه وبينه من الآباء باقيا ، فليعلم أنه يصير إلى مصيرهم ، فينبغى له أن ينزع عما هو عليه . و (العواذل) هنا حوادث الدهر وزواجره ، وإسناد المذلل إليها مجاز . وقال الطوسىّ : العواذل : النساء .

وقوله : أرى الناس . . إلخ ، الواسل : الطالب الذى يطلب ، من قولك . أنت وسيلتى إلى فلان . واستشهد به صاحب الكشف على أن الوسيلة في قوله تعالى : (وابتغوا إليه الوسيلة ^(١)) ما يتوسل به إلى الله تعالى ، من فعل الخيرات واجتناب المعاصى . والواسل : هو الراغب إلى الله ؛ بمعنى ذو

وسيلة أو هو كتمانٍ ولا ينـ . ورؤى (لُبّ) وهو العقل ، بدل (رأى) .
والمعنى : أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها ،
فالعاقلة اللبيب من يتوسل إلى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح .

٣٤١

وقوله : ألا كل شيء .. إلخ ، قد وقع في بعض الروايات هذا البيت
أول القصيدة في صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال . أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وفي رواية لها : « أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد .. إلخ » .
وقد روى أيضاً بألفاظ مختلفة ، منها . « إن أصدق كلمة .. » ومنها .
« إن أصدق بيت قاله الشاعر .. » ومنها . « أصدق بيت قالته الشعراء .. »
وكلها في الصحيح ومنها . « أشعر كلمة قالتها العرب .. » .

قال ابن مالك في شرح التسهيل : وكلها من وصف المعاني بما يوصف به
الأعيان ، كقولهم . شِعْرُ شاعر ، ويصاغ منه أفعل باعتبار ذلك المعنى فيقال :
شعرك أشعر من شِعْره .

وروى ابن إسحاق في مغازيه . أن عثمان بن مظعون رضى الله عنه مر
بمجلس من قريش في صدر الإسلام ، ولبيد بن ربيعة رضى الله عنه ينشدهم :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فقال عثمان رضى الله عنه : صدقت . فقال لبيد :

* وكل نعيم لا محالة زائل *

فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول أبداً ! فقال لبيد : يا معشر
قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل :

ان هذا سفيه من سفهائنا قد فارق ديننا ، فلا نجدن في نفسك من قوله . فردّ عليه عثمان ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخصرها^(١) ، فقال الوليد ابن المغيرة لعثمان : إن كانت عينك لغنية عما أصابها ، لم رددت جوارى ! فقال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة لمثل ما أصاب آختها في الله ، لا حاجة لي في جوارك ! .

وروى أحمد بن حنبل في زوائد الزهد^(٢) : أن لبيداً قديم على أبي بكر الصديق رضى الله عنه فقال :

* ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل *

فقال : صدقت . قال :

* وكلّ نعيم لا محالة زائل *

فقال : كذبت ، عند الله نعيم لا يزول ! فلما ولى قال أبو بكر رضى الله عنه ربّما قال الشاعر الكلمة من الحكمة !

وأخرج السلفى في المشيخة البغدادية من طريق هاشم ، عن يعلى عن ابن جرّاد ، قال : أنشد لبيد النبي ﷺ قوله :

* ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل *

فقال له : صدقت ! فقال :

(١) فى النسختين . « فخصرها » مع تشديد الضاد فى ش . وفى شرح شواهد المغنى ٥٦ : « فخصرها » ، وقد جمعت بين الرسمين ، يقال خضر النخل يخضره خضرا : قطعه . واختضر الجارية ، اذا اقتضها قبل بلوغها .

(٢) كذا . وانما الزوائد لولده عبد الله بن أحمد . وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل . انظر كشف الظنون ٢ : ٢٧٩ .

* وكلّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ *

فقال له : كذبت ، نعيمُ الآخرة لا يزول !

وأجاب العنبيُّ عن ذلك من وجهين : الأوّل : أن لبيداً إنما قال ذلك قبل أن يسلم ، فيمكن أن يكون في اعتقاده في ذلك الوقت أن الجنة لا وجود لها ، أو كان يعتقد وجودها ولكن لا يعتقد دوامها ، كما ذهبت إليه طائفة من أهل الأهواء والضلال . والثاني : أنه يمكن أن يكون أراد به ماسوى الجنة من نعيم الدنيا لأنه كان في صدد ذم الدنيا وبيان سرعة زوالها . وأما تكذيب عثمان إياه فلكونه حمل الكلام على العموم . انتهى .

وقال ابن حجر في شرح البخارى ، في باب الشعر : التعبير بوصف كلِّ شئٍ بالبطلان تندرج فيه العبادات والطاعات ، وهى حقٌّ لا محالة ؛ وأجيب : بأن المراد ماعدا الله وما عدا صفاته الذاتية والفعلية من رحمة وعذاب ؛ أو المراد بالبطلان الفناء لا الفساد ، وكلُّ شئٍ سوى الله تعالى جائزٌ عليه الفناء لذاته ، حتى الجنة والنار ، وإنما يبقيان ببقاء الله تعالى لها وخلق الدوام لأهلها . والحقُّ على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال لذاته . انتهى .

ومثله للسيوطى ، في البدور السافرة ، عند ذكر قوله تعالى : (كلُّ شئٍ هالكٌ إلا وجهه) (١) . أى قابل للهلاك ؛ وكلّ محدث قابل لذلك وإن لم يهلك ، بخلاف القديم الأزلى . ويؤيد ذلك أن العرش لم يردّ خبر أنه يهلك . فلنكن الجنة مثله . وقال في موضع آخر من ذلك الكتاب وفي بحر الكلام : قال أهل السنة : سبعة لا تفنى : العرش والكرسی والألواح والقلم والجنة والنار بأهلها والأرواح . وقال صاحب المفهم شرح مسلم ، وكذا البيهقي وغيره من

(١) الآية ٨٨ من سورة القصص

المحدثين : إن هذه السبعة يقع لها هلاك نسبي^١ ، وهو غشيان يمنع الإحساس ، وفناء ما من الأوقات . قلت : والظاهر وقوع ذلك ، على تقدير صحته ، بين النفتخين ، عند قوله عز وجل : (لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ^(١)) فلا يجيبه أحد كما وردت به الروايات . انتهى

والباطل هنا الذاهب الزائل ، ومعناه الهالك الفاني : أى القابل للهلاك والفناء . وقال بعضهم : الباطل فى الأصل ضد الحق ، والمراد به هنا الهالك . وقال العيني : « الباطل : ضد الحق ؛ وفى عرف المتكلمين : الباطل ، الخارج عن الانتفاع ؛ والفاسد يقرب منه ، والصحيح : ضده ومقابلة . وفى عرف الشرع : الباطل من الأعيان : ما فات معناه المقصود المخلوق له من كل وجه ، بحيث لم يبق إلا صورته ، ولهذا يذكر فى مقابلة الحق الذى هو عبارة عن الكائن الثابت ؛ وفى الشرع يراد به ما هو المفهوم منه لغة ، وهو ما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة ، إما لانعدام محليّة التصرف كبيع اللينة والدم ، أو لانعدام أهلية للتصرف كبيع المجنون والصبي الذى لا يعقل . فإن قلت : ما معناه هنا ؟ قلت : للمعنى كل شئ سوى الله تعالى زائل فائت مضحك ليس له دوام . انتهى

والمحالة بفتح الليم : الحيلة ، قال الجوهرى : قولهم لا محالة أى لا بد . وقوله : وكل أناس سوف تدخل بينهم . . الخ يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (ماذا ^(٢)) .

وقوله : وكل امرئ يوم . . الخ ، سعيه : عمله . والخصائل : الحسنات والسيئات التى بقيت له عند الله تعالى ؛ وهو بالخاء والصاد المهملتين .

(١) الآية ١٦ من سورة غافر

(٢) وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة .

ثم شرع بعد هذا في تقلّب الدهر بأهله ، وبدأ بذكر النعمان وما كان فيه من سعة الملك ونعيم الدنيا ، ثم ذكر ملوك الشام آل غسان وما فعل الدهر بهم فبادوا كأن لم يكونوا ، فقال :

(لَيْسَ لَكَ عَلَى النُّعْمَانِ شَرْبٌ وَقَيْنَةٌ وَخُحْبِطَاتٌ كَالسَّعَالَى أَرَامِلُ)

الشرب : جمع شارب ، يريد أصحابه الذين كان يشاربهم . والقينة : الخادم (١) . والمخبطات الفرق السائلات المعروف . والسعالى : الفيلان ، شبه السائلات بها ، فى سوء حالهن وقبحهن . والأراميل : المحاويج الجياع من أرملة القوم : إذا نفذ زادهم وجاعوا . وقال فى آخر القصيدة :

(فَأَمْسَى كَأَحْلَامِ النَّيَامِ نَيْمُهُمْ وَأَيَّ نَعِيمٍ خِلْتَهُ لَا يَزَايِلُ)

فظهر بهذا أن هذه القصيدة ليست فى مدح النعمان كما زعم من تكلم على هذه الأبيات ، بل هى بالثناء أشبه ، لأسباب أوائل القصيدة فإنها تناسب ما قلنا . والله أعلم .

وترجمة ليبد تقدمت فى البيت الذى قبل هذا البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والمشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

(١) الخادم يقال للمذكر والمؤنث أيضا .

(٢) سيبويه ١ : ٣٤ . وانظر أيضا الخزانة ٢ : ١٤٣ والانصاف

٣٣٢ وابن يعيش ٢ : ١٠٩/٤ : ٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٤

والشعر ٤٥ وتصحيف المسكوى ٢٠٧ والقالى ١ : ٣٦ والسمط ١٤٨ -

٣٤٣

١٢٤

(فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدَا)

على أن قوله (الحديدا) معطوف على محلّ الجارّ والمجرور وهو قوله :
(بالجبال) ، وهو خبر ليس والباء زائدة . وكذلك أورده سيبويه . وهو
عجزٌ وصدره :

(مُعَاوِيَ ، إِنَّا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ)

و (معاوى) منادى مرثم معاوية بن أبي سفيان . و (أسجح) يقطع
الهمزة وتقديم الجيم على المهملّة ؛ ومعناه ارفق وسهل . وخذ أسجح أى طويل
سهل .

وقد ردّ المبرد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب ؛ وتبعه جماعة منهم
العسكري صاحب التصحيف قال : ومما غلط فيه النحويّون من الشعر ورووه
موافقاً لما أرادوه ، ما روى عن سيبويه عندما احتجّ به في نسق الاسم
المنصوب على المخفوض . وقد غلط على الشاعر ، لأنّ هذه القصيدة مشهورة ،
وهي مخفوضة كلّها . وهذا البيت أولها . وبمده :

أبيات الشاهد (فَهَبْنَا أُمَّةً ذَهَبَتْ ضِيَاعًا يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدِ
أَكَلَمَ أَرْضَنَا فَنَجَرَدَتْ مُوَاهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَاصِدِ
أَتَطْمَعُ فِي الْخُلُودِ إِذَا هَلَكْنَا وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ مِنْ خُلُودِ
ذُرُوحُونَ الْخِلَافَةِ ، وَاسْتَقِيمُوا ، وَتَأْمِرَ الْأَرَاذِلَ وَالْعَبِيدِ
وَأَعْطُونَا السُّوَيَّةَ لَا تَزْرِكُمْ جُنُودٌ مَرْدَقَاتُ بِالْجُنُودِ)

صاحب الشاهد وهذا الشعر لعقبة بن هبيرة الأسدي ؛ شاعر جاهلي إسلامي . وقد
على معاوية بن أبي سفيان فدفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات ، فدعاه معاوية

فقال له : ما جرأك علي ؟ قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك إذ كذبوك !
فقال : ما أظنك إلا صادقاً ، ففضي حوائجهم .

ويروى أن أبا بردة بن أبي موسى الأشعري جاء إلى معاوية فقال له :
يا أمير المؤمنين ، إن عقيبة أخا بني أسد هجاني ؟ فقال : وما قال لك ؟ قال :
قال لي :

* فما أنا من أحداث أملك بالضحي ^(١) *

فقال له معاوية : ليس من أحداثها ! قال : وقال لي :

* ولا من يزكّيها بظهر منيب *

فقال معاوية : لكن الله ورسوله والمهاجرين والأنصار يزكونها ؛ وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال لي :

* وأنت امرؤ في الأشعرين مقابل *

فقال : صدق . قال : وقال لي :

* وفي البيت والبطحاء حق غريب *

فقال : صدق ، ليس لك في البيت ولا في البطحاء حق ؛ قال : يا أمير المؤمنين
فندعه على هذا ؟ قال : ما قال لي أشد مما قال لك . . . وقرأ له الأبيات ؛
فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تصنع به ؟ قال : تعال ندع الله عليه .

و (عقيبة) بالقاف يحتمل أن يكون مصغر عقيبة (كظلمة) وهي بقيّة

(١) في النسختين : « حرات » وكذا « حرائها » في الشرح التالي .
وقد كتب الشنقيطي الحرف (د) فوق كل من « حرات » و « حرائها » في
الشرح بعده ، إشارة إلى صوابها

المروق ونحو ذلك تردّ في القدر المستعارة ؛ أو مصغّر العقبة بمعنى النوبة ، يقال تمتَّ عُقْبَتِكَ . وهما يتماقبان أى يتناوبان .

وقوله : فجرّدتموها ، أى قشّرتموها كما يُجرّد اللحم من العظم وقوله : فهل من قائم ، يعنى : القرى التى أهلكت ، منها قائم قد بقيت حيطانه ، ومنها حصيد قد أحمى أثره^(١) وأخلّون ، بفتح الخاء وسكون الواو : مصدر كالخليفة . والتأخير : تفعليل من الإمارة . والسوية : المساواة . والنهضة .

ولم أرَ لعقبة هذا ذكرآ فى كتب الصحابة ، ولم يذكره ابن حجر أيضاً فى الإصابة من المخضمين . والظاهر أنه من المخضمين .

٣٤٤

وأجلب الزغشرى ، تبعاً لما قاله ابن الأنبارى فى الانصاف ، بأن هذا البيت روى مع أبيات منصوبة ومع أبيات مجرورة ، فن رواه بالجرّ روى معه الأبيات المتقدمة ، ومن رواه بالنصب روى معه :

(أديروها بنى حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا)

يقول : ضموا الخلافة والولاية إليكم ، ولا ترموا بها أقصى للراى : أى لا تطرحوا النظر فى أمرنا وتتركونا مع الولاة الذين من قبلكم يجوزون علينا ..

وهذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى . قالوا : وليس يُنكر أن يكون بيتٌ من شعرين معاً^(٢) ، لأن الشعراء قد يستعير بعضهم من كلام بعض ، وربما أخذ البيت بعينه ولم يُغيّره كقول الفرزدق :

(١) الحق أن القائم والحصيد ، انما هو صفة للزروع . ولكنه تبع فى ذلك السيوطى فى شرح الشواهد ٢٩٥ . وقال السيوطى : « كقوله تعالى : منها قائم وحصيد » . لكن شتان ما بين معنى البيت ومعنى الآية .

(٢) فى النسختين : « بيتا » ، وان كان الشنقيطى قد صححها .

تري الناس ما سِرنا يسِرُونَ خَلَفْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
فَإِنْ هَذَا الْبَيْتَ لَجَمِيلٌ بِنَ عَبْدِ اللَّهِ ^(١) ، اَنْتَحَلَهُ الْفَرَزْدَقُ .
وأورد ابن خلف نظيرَ هذا في شرح أبيات الكتاب ما يزيد على مائة
بيت . ومثلُ ما نحن فيه قولُ الأَخْنَسِ بن شهاب اليشكريّ :
إِذَا قُصِرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَضَارِبُ
والقصيدة مرفوعة القوافي ، وأخذها قيس بن الخطيم ، وجعله في قصيدة
مجرورة القوافي ، وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى في الظروف .
وزعم السيرافي : أن شعر عُقَيْبَةَ الْأَسَدِيِّ يجوز في إنشاد قوافيه الجُرِّ
والنصب . قال اللخميّ في شرح أبيات الجمل : وهذا وهم لأن فيها ما يجوز فيه
الوجهان عند البصريين ، ومنها ما لا يجوز فيه عندهم إلا وجهٌ واحد ؛
ولا يجوز أن يُنشد بعضُ القصيدة منصوباً وبعضها مرفوعاً على طريق الإقواء ،
لأن الإقواء في الغالب إنما يكون بين المرفوع والمجرور لما بينهما من المناسبة ؛
فأما ما يصحّ فيه الوجهان فالبيت الأول والثالث والخامس ، والنصب فيه عطفٌ
على نحو اختلافه ، ويجوز أن يكون معطوفاً على تأمير الأراذل ، على حذف
مضاف ؛ فأما البيتان الباقيان فلا يصحّ فيهما النصب على مذهب البصريين ،
ويجوز على مذهب الكوفيّين ، لأنهم يجيزون ترك صرف ما ينصرف ^(٢)
في الشعر ضرورة ١٥٠ . ولا يخفى أن الكوفيّين إنما يجيزون ترك صرف
المنصرف إذا كان علماً ، يكتفون بشرط العلة كما هو المشهور ، وقد مرنا في أول
باب مالا ينصرف ما ينفي عن إعادته هنا ^(٣) .

(١) لم أجده في ديوانه ، ولم يسجله في الزيادات جامعته .

(٢) في النسختين : « مالا ينصرف » ، والوجه ما أثبت .

(٣) أنظر الجزء الأول ص ٣١ وما بعدها .

وقيل : إنه من شعر آخر لعبد الله بن الزبير وهو :

رمى' الحَدَثَانُ نِسوةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُمُودًا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدًا
فَإِنَّكَ لَوْ سَمِعْتَ بَكَاءَ هَنْدٍ وَرَمَلَةً إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا
سَمِعْتَ بَكَاءَ بَاكِيَةِ حَزِينٍ أَبَانَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْقَبِيدَا
مَعَاوَى ، إِنَّا بَشَرٌ فَاسْجَحْ الْيَتِ

ولا يخفى أن هذا البيت أجنى من هذه الأبيات ، ويدل عليه : أن أبا تمام أنشد هذه الأبيات لمن ذكرنا ، في بلب المرائي من الحماسة ^(١) ، بدون البيت الأخير ولم يذكره أحد من شراحه .

والحدَثَانُ بالتحريك : الحادثة ، ونائبة الدهر . والمقدار : ما قدره الله تعالى . وفيه قلب أى رعى تقديرُ الله نِسوةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقدَارِ . والسُّود : تغير الوجه من الحزن .

و (ابن الزبير) هو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بَجْرَة (بفتح الموحدة والجيم) وينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة . والزبيرُ بفتح الزاى وكسر الموحدة .

عبد الله
ابن الزبير

وعبد الله شاعرٌ كوفى للنشأ والمنزل . وهو من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصب لهم ؛ فلما غلب مُصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً ، فنّ عليه ووصله وأحسن إليه ؛ فمدحه وأكثّر من مدحه وانقطع إليه

٣٤٥

(١) انظر الحماسة ٩٤١ بشرح المرزوقي . وقد نسبت الأبيات في زهر الآداب ٤٠٥ الى ابن الزبير أيضا . وفي عيون الأخبار ٣ : ٦٧ الى فضالة بن شريك . وفي القالي ٣ : ١١٥ الى الكميت بن معروف .

فلم يزل معه حتى قُتِلَ وعُمي بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان .
وكان الحجاج أرسله في بعثٍ إلى الرّى فأت بها . وكان أحد الهجّاتين ^(١) ،
يخافُ الناس شرّه وله حكايات مسطورة في الأغاني .

ومن شعره يمدح عمرو بن عثمان بن عفان — وكان رآه عمرو في ثياب
رثة فاقترض ثمانية آلاف درهم باثني عشر ألفاً وأرسلها إليه مع رزمة ثياب ^(٢)
فقال (وهو من أبيات تلخيص المفتاح) :

سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيّتي أيادي لم تُمنن وإن هي جَلَّتْ ^(٣)
فتى غيرَ محبوب الغني عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زَلَّتْ
رأى خلتي من حيث يُخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّتْ
ومدح أسماء بن خارجة الغزاري بقصيدة منها :

تراه إذا ما جثته مهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله ^(٤)
ولو لم يكن في كفه غيرُ روحه لجاد بها ، فليتيق الله سائله ^(٥)
فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه ، ففضب وقال بهجوه :

بنتُ لكم هندٌ بتلذيع بظُرِها دكاكين من جصٍ عليها المجالسُ
فوالله لولا رهزُ هندٍ يبظرها لُعد أبوها في اللثامِ العوايسُ

فبلغ ذلك أسماء فركب إليه واعتذر إليه من ضيق يده وأرضاه ، وجعل
له على نفسه وظيفة في كل سنة . فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله . وكان أسماء

(١) ط : « واحد الهجّاتين » ، صوابه في ش والـأغاني ١٣ : ٣١

(٢) كذا . وانظر الأغاني ١٣ : ٣٣ .

(٣) انظر تحقيق نسبة هذا الشعر في حواشي السمط ١٦٦ ورسائل
الجاحظ ١ : ٣٨ بتحقيق عبد السلام هارون

(٤) هذا البيت ليس له ، إنما هو لزهير في ديوانه ١٤٢

(٥) ينسب هذا البيت إلى أبي تمام في ديوانه ٢٣٢

يقول لبنيه : والله ما رأيت قطُ جصاً في بناءٍ إلّا ذكرتُ بظر أمكم
هندي فخبجلت^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة (٢) :

١٢٥ ﴿ يَسْمَعُ لَاهُ الْكِبَارُ ﴾

على أنه قيل إنما جاز يا الله للزوم اللام للكلمة ، فلا يقال لاهٌ إلّا نادراً
كما في هذا الشعر .

وإنما عبر بقيل ، لأن أبا عليّ الفارسي قال : « أل عوض من الهزمة ،
إذ أصله إله ، ويدل على ذلك : استعجازتهم لقطع الهزمة في القسم والنداء ؛
فلو كانت غير عوض لم تثبت كما لم تثبت في غير هذا الاسم . ولا يجوز
أن يكون للزوم الحرف ، لأن ذلك يُوجب أن تُقطع همزة الذي والى .
ولا يجوز أيضاً أن يكون لأنها همزة مفتوحة وإن كانت موصولة ، كما لم يجوز
في إيم الله وإيمن الله . ولا يجوز أيضاً أن يكون ذلك لكثرة الاستعمال ،
لأن ذلك يوجب أن تقطع الهزمة أيضاً في غير هذا مما يكثر استعمالهم له .
فعلنا أن ذلك لمعني اختصت به ، ليس في غيرها . ولا شيء أولى بذلك المعنى ،
من أن يكون للعوض من الحرف المحذوف ، الذي هو الفاء . ٥١ .

٣٤٦

وكون لفظ الجلالة أصله (لاه) هو أحد قولي سيبويه فيه . واختاره
المبرد ، قال : أصله لاه على فعل مثل ضرب^(٣) ، ثم دخلت أل عليه تعظيماً لله

(١) انظر الأغاني ١٣ : ٣٣

(٢) انظر أمالي ابن الشجري ٢ : ١٥ وتصحيح العسكري ٣١٠
واللسان (أله ٣٦٢) وديوان الأعشى ١٩٥

(٣) وقال ابن الشجري : « أصله ليه ، فعل مثل جبل ، فصارت
ياؤه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، .

عز وجل وإيادته له عن كل مخلوق ، فهو اسم وإن كان فيه معنى فعل . وأصل لاه : لوّه أوليه . قال : « ولو كان كما ذكر سيبيويه : أن أصله إلاه ، لكان قد حذف فاء الفعل وعينه ، لأنه يحذف همزة إله وهي فاء الفعل ثم تذهب العين إذا دخل الألف واللام ؛ ولم نر شيئا يحذف فاؤه وعينه .

قال السخاوي في سفر السعادة : « وليس كما قال ، فإن عينه باقية لم تحذف » .

والعجب من السخاوي حيث نقل عن المبرد بأن قول ابن عباس : الله هو الله ذو الألوهية يألمه الخلق ، وقرأ ابن عباس : ﴿ وَيَذَرَكْ وَإِلَهَتَكَ ﴾^(١) أى عبادتك ، لأنهم كانوا يعبدون فرعون . يؤيد القول بكون أصله (لاه) ولم يتعقبه بشيء مع أنه إنما يؤيد من قال : إن أصله إله . فتأمل .

وقال ابن الشجري في أماليه : « والذي ذهب إليه س : من أن أصل هذا الاسم إله ، قول يونس والأخفش والكسائي والفرّاء وقطرب . وقال بعد وفاة لهؤلاء : وجائز أن يكون أصله لاه وأصل لاه ليه على وزن فعل ثم أدخل عليه أل . واستدل بقول بعض العرب : لهي أبوك ، يريدون لاه أبوك . قال : فتقديره على هذا القول فعل ، والوزن وزن باب ودار . وأنشد . لاهه الكبار ، وقوله : لاه ابن عمك . البيت . اه كلام سيبيويه . وأقول : لاه على هذا تام ، على وزن جبّل ، ومن قال لهي أبوك فهو مقلوب من لاه ، قدمت لاهه التي هي الهاء على عينه التي هي الياء فوزنه فلّع ، وكان أصله بعد تقديم لاهه على عينه للهي ، فحذفوا لام الجر ثم لام التعريف ،

وضمّنوه معنى لام التعريف فبنوه ؛ كما ضمّنوا معناها أمس فوجب بناؤه .
وحرّكوا الياء لسكون الهاء قبلها وكانت فتحة لخفّتها . ا ه كلام
ابن الشجرى .

أقول : البيتان اللذان أوردتهما ليدسّا في كتاب س ، وليس في الشعر دليل
على أن الله أصله لاه ، لجواز أن يكون لاه مخفّف إله حذفت الهمزة للضرورة
الشعر ، بدليل الجمع على آلهة دون ألوهة أو ألوهة .

وقال خضر الموصلى : استشهد به على أن أصل الله لاه ، لأن الضرورة
تردّ الأشياء إلى أصولها . وفيه نظر ، لجواز أن يكون لاه لفظاً مستقلاً برأسه
بمعنى إله ا ه . قال أبو علي ، في تقض المأثور : فإن قيل : قد قال الشاعر :
« لاهه الكُبار » لقد أخرج الألف واللام من الاسم وأضافه . قيل : إن
الشاعر لما رأى الألف واللام فيه على حدّ ما يكون في الصفات التي تغلب ،
ورأى أن هذه الصفات إذا غلبت صارت كالأعلام ، فلا تحتاج إلى حرف
التعريف فيها ، كما لم يُحتجّ إليها في الأعلام . أخرجه على ذلك كما قال الآخر :
* ونابغة الجعديّ بالرمل بينه ^(١) *

حيث غلب الوصف فصار يعرف به كما يعرف بالعلم ؛ فكذلك الاسم .
ومع هذا فكأنه ردّ الاسم ، للضرورة ، إلى الأصل المرفوض الاستعمال .
وهذا لا يجوز استعماله سائفاً مطرداً .

والأزهريّ أورد هذا الشعر على غير هذه الرواية ، قال في التهذيب :
وقد كثر اللهم في الكلام حتى خففت ميمها في بعض اللغات ؛ وأنشدني بعضهم :

(١) عجزه كما في اللسان (نبخ ٣٣٦) وسيبويه ٢ : ٢٤

عليه صفيح من تراب موضع *

وفي أمالي ابن الشجرى : « منضد » : وحكى الشنتمري قافية :
« وحيدل » .

(كَحْلَفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا اللَّهُمُّ الْكِبَارُ)

وإنشاد العامة : يسميها لأهه الكبار . اهـ

وأورده جماعة من النحويين ، منهم المرادى فى شرح الألفية :

(يسميها لاهم الكبار)

على أن فيه شذوذين : أحدهما استعماله فى غير النداء لأنه فاعل يسميها ،
والثانى تخفيف ميمه ؛ وأصلها التشديد .

وقال العسكرى فى كتاب التصحيف : روى الأصمعى (يسميها الواحد
الكبار) ، ورواية غيره (لاهه) اهـ .

قال أبو على ، فى تقص المأذور : وأما قول من قال لاهم الكبار ،
فأقول فيه : أنه بنى من الاسم والصوت اسماً ، كما بنى التهليل من هَلَل ،
وبأبى من أبى ، ثم صار اسماً كما صارت هذه الأشياء اسماً ، وأصله الصوت اهـ .
والكبار وصفه . قال ابن عقيل فى شرح التسهيل : ومذهب سيبويه
والخليل أن اللهم فى النداء لا يوصف ، لكونه مع الميم كالصوت . وأما
« لاهم الكبار » فقليل فيه : لما كان غير منادى وُصِف ؛ وقيل رفع على القطع .

و (أبو رياح) : رجل من بنى ضبيعة . وهو حصن ^(١) بن عمرو بن بدر .
وكان قتل رجلاً من بنى سعد بن ثعلبة فسأله أن يحلف أو يعطى الدية ،
فحلف ثم قتل بعد حلفه . فضربه العرب مثلاً لما لا يبنى من الحلف ؛
قاله ابن دُرَيْد فى شرح ديوان الأعشى . وهو بمنىة تحتية ، لا بموحدة كما زعم
شراح الشواهد .

(١) فى شرح ثعلب لديوان الأعشى : « حصين » .

قال المسكوى في كتاب التصحيف : « زعم بعض المصحفين : أن الإنسان إذا صحف في مثل هذا لم يكن ملوماً . ولبس كما قال ؛ وهل العيب واللوم إلا على تصحيف الأسماء ؛ وليس يُعرف في أسماء العرب في الجاهلية رياح بياء تحتها نقطة واحدة إلا في أسماء عبيدها ، إلا في اسم رجلين : أحدهما رياح ابن المغترف بغين معجمة ، وآخر ^(١) . وأما قول الأعشى : كحلقة من أبي رياح ، فهو بياء تحتها قطعتان ؛ من بنى تيم بن ضبيعة » اهـ .

و (الكُبار) بضم الكاف وتخفيف الموحدة : صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم ، وهو صفة (لاه) . و (الحلقة) بالفتح : المرة من الحلف بمعنى القسم . وقوله : (من أبي رياح) صفة حلقة : أى كحلقة صادرة منه . وروى بدل بسمها : (يشدها) ، والضمير للحلقة ، والجملة صفة ثانية لحلقة . وقوله :

(أقسمتُ حلقةً جهاراً : إن نحن ما عندنا عرارُ)

وحلقةً : جمع حالف . وإن : مخففة من الثقيلة . وعرار بكسر المهملة : اسم رجل .

والبيتان من قصيدة للأعشى ميمون ذكر فيها من أهلكه الدهر من الجبابرة . ومطلعا :

(ألم تروا إرمًا وعادًا أفنأهم الليل والنهار !
وقبلهم غالت المنايا طمًا فلم ينجها الحذارُ
وحلّ بالحي من جديس يوم من الشرّ مُسْطَارُ

(١) كذا . ولم يعينه . انظر التصحيف ٣١١

وأهلُ جَوْ أُنْتُ عَلَيْهِمْ فَأُفْسِدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا
فَصَبَّحَتْهُمْ مِنَ الدَّوَاهِي جَائِحَةٌ عُقْبُهَا الدَّمَارُ^(١)
ومرّ دهرٌ على وَبَارٍ فهلكَتْ جِهرَةً وَبَارٍ

٣٤٨

الرؤية علميّة ؛ وجملّة أُنْأَمِ هو المفعول الثاني ؛ لا أنّها بَصَرِيّة ؛ خلافاً
للعينيّ . وروى « أودى بها الليل والنهار » ، وهو بمعنى أُنْأَمِ . وإرم بكسر
الهمزة ، قال البكريّ ، في معجم ما استعجم : هو أبو عَوْص ، بالصاد وفتح
العين ، وعاد : ابن عَوْص ؛ وإرم هو ابن سام بن نوح عليه السلام ؛ قال
الهمدانيّ : نزل جَيرونُ بن سعد بن عادٍ دمشق ، وبني مدينتها ، فسمّيت باسمه
جَيرون . . قال : وهي إرمُ ذاتُ العِباد ، يقال : إن بها أربعمائة ألف عمود من
حجارة . . قال : وإرم ذاتُ العِباد المعروفة بتيه أَيْبَن ، وبجانب هذا التيه منهل
أهل عدن ، وبيته أَيْبَن مسكن إرم بن سام بن نوح ؛ فلذلك يقال : إن إرم
ذاتُ العِباد فيه .

واختلف أهل التأويل في معنى إرم فقال بعضهم : إرم : بلدة ؛ وقيل :
إنها دِمَشق ؛ وقيل هي الإسكندريّة ؛ وقال مجاهد رحمه الله : إرم : أمة ، وقال
غيره : من عاد . ومعنى ذاتُ العِباد على هذا ذاتُ الطول .

وطسم وجديس : قبيلتان من عاد كانوا في الدهر الأوّل فاقترضوا . .
وبيان اقتراضهم ، كما قال محمد بن حبيب في كتاب المغتالين^(٢) : أن ملك

(١) ط : « نائحة » وكذا في ش لكن دون اعجام ، صوابه من الديوان

طَسَمَ - عَمَلِيقُ بْنُ لَأُوذَ^(١) بن لَأَرَمَ بن سَارِمَ^(٢) بن نوح - تَمَدَّى فِي الظُّلَمِ
وَالْتَجَبَّرَ . وَأَتَتْهُ يَوْمًا امْرَأَةٌ مِنْ جَدِيسَ اسْمُهَا هُزَيْلَةُ ، وَكَانَ زَوْجُهَا طَلَّقَهَا وَأَرَادَ
أَخْذَ وَلَدِهَا مِنْهَا ، فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنِّي حَمَلْتُهُ تِسْعًا ، وَوَضَعْتُهُ دَفْعًا ، وَأَرْضَعْتُهُ
شَفْعًا ، حَتَّى إِذَا تَمَّتْ أَوْصَالُهُ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ كَرَّهَا ، وَأَنْ يَتْرَكَنِي مِنْ بَعْدِهِ
وَرَهًا ، فَقَالَ لَزَوْجِهَا : مَا حَبَبْتُكَ ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ الْمَهْرَ
كَمَلًا^(٣) ، وَلَمْ أَصِْبْ مِنْهَا طَائِلًا ، إِلَّا وَلِيدًا خَامِلًا ، فَاغْلُ مَا كُنْتَ فَاغْلًا .
فَأَمَرَ بِالْعِلَامِ أَنْ يَنْزِعَ مِنْهَا جَمِيعًا وَيُجَمِّلَ فِي غِلْمَانِهِ ، وَقَالَ لِهُزَيْلَةَ : أَفِيهِ وَلَدًا ،
وَلَا تَنْكُحِي أَحَدًا ، أَوْ اجْزِيهِ صَفْدًا ، فَقَالَتْ هُزَيْلَةُ : أُمَّا النِّكَاحُ فَإِنَّمَا
يَكُونُ بِالْمَهْرِ ، وَأُمَّا السَّفَاحُ فَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَهْرِ ، وَمَا لِي فِيهِمَا مِنْ أَمْرٍ ؟ فَلَمَّا سَمِعَ
عَمَلِيقُ كَلَامَهَا أَمَرَ أَنْ تَبَاعَ مَعَ زَوْجِهَا ، فَيُعْطَى زَوْجُهَا خُمْسَ ثَمَنِهَا ، وَتُعْطَى
هُزَيْلَةُ عَشْرَ ثَمَنِ زَوْجِهَا ، وَيُسْتَرْقَا . فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَتَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِنَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأَقْنَدَ حَكْمًا فِي هُزَيْلَةَ ظَالِمًا
لِعَمْرَى ، لَقَدْ حُكِمْتَ لَا مَتَوَرِّعًا وَلَا كُنْتَ فِيمَا يُبْرَمُ الْحُكْمُ عَلَامًا^(٤)
فَلَمَّا سَمِعَ عَمَلِيقُ كَلَامَهَا أَمَرَ أَنْ لَا تَزُوجَ بِكَرْمٍ مِنْ جَدِيسَ قَهْدِي إِلَى
زَوْجِهَا إِلَّا يَفْتَرِعَهَا^(٥) . هُوَ قَبْلَ زَوْجِهَا ، فَلَقُوا مِنْ ذَلِكَ جَهْدًا وَذَلَالًا . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى

(١) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « لَوْز » وَفِي أَصْلِ نَوَادِرِ الْمَخْطُوطَاتِ وَابْنِ الْأَثِيرِ
١ : ٢٠٣ : « لَوْذ » ، صَوَابُهُمَا مَا أَثْبَتَ مِنَ الْأَغَانِي ١٠ : ٤٥ : وَالِاشْتِقَاقُ ٨٣
وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١ : ٢٩٢ فَهُوَ الْمَطَابِقُ لِلتَّرْجُمَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَانْ كَانَ أَصْلُهُ فِي
الْعِبْرِيَّةِ « لَوْد » بِضَمِّ اللَّامِ وَآخِرُهُ دَالٌ مَهْمَلَةٌ . انْظُرِ التَّكْوِينَ ١٠ : ٢٢ .
(٢) الصَّوَابُ أَنْ لَأُوذَ أَخُو أَرَمَ لَا ابْنَهُ ، كَمَا فِي سَفَرِ التَّكْوِينَ .
(٣) الَّذِي فِي الْأَغَانِي عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ١٠ : ٤٦ : « إِنِّي
قَدْ أُعْطِيتُهَا الْمَهْرَ كَمَلًا » .
(٤) وَكَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ : « فِيمَا يُبْرَمُ الْحُكْمُ » .
(٥) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ . وَفِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ : « الْإِيوَتِي بِهَا عَمَلِيقُ
فَيَفْتَرِعُهَا » .

هذا أربعين سنة حتى زُوجت الشمس عميرة بنت غفار الجديسية^(١) أخت
الأسود (الذي وقع إلى جبل طي وسكنوا الجبلين بعده^(٢)) فلما أرادوا
أن يهدوها إلى زوجها ، انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله ، ومعها القينات
يغنين ويملن :

ابدى بعِليقٍ ، وقومى واركي ! وبادري الصبحَ لأمرٍ مُعجِبٍ^(٣)
فسوفَ تلقينَ الذى لم تطلبي ! وما ليكر عنه من مهرَبٍ !
فلما أدخلت عليه افترعها ، وخلي سبيلها . فخرجت إلى قومها في دماها
شاقةً درعها عن قبلها ودبرها ! وهى تقول :

٣٤٩

لا أحدٌ أذلَّ من جدسٍ أهكذا يفعل بالعروس !
يرضى بهذا ، يالقوى . حرًا ! أهدى وقد أعطى وسيق المهر^(٤)
لأخذهُ الموتَ كذا لنفسه^(٥) خيرٌ من أن يفعل ذا بعِسه
وقالت تحرّض قومها :

أبصلحُ ما يؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكم عددُ النملِ؟^(٦)
وتصبح تمشى في الدماء صبيحة شمسة زفت في النساء إلى البعل^(٧)

(١) فى كتاب ابن حبيب : « عفيرة بنت غفار » . وفى الأغاني : « عفيرة بنت عباد » .

(٢) فى الأغاني ٤٦: ١٠ : « الذى دفع الى جبل طي » فقتله طي وسكنوا الجبلين من بعده » .

(٣) فى كتاب ابن حبيب : « بامر معجب » وكذا فى المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ٢١٤

(٤) فى محاسن الجاحظ : « من بعد ما أهدي وسيق المهر

(٥) فى المحاسن : « لأن يلاقى المرء موت نفسه »

(٦) المحاسن : « وأنتم رجال كثرة عدد الرمل

(٧) فى كتاب ابن حبيب : « عشية زفت » . وفى الأغاني :

وتصبح تمشى فى الرءاء عفيرة عفيرة زفت فى النساء الى بعل

(١٨) خزنة الأدب ج ٢

فإن أنتم لم تفضّبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تقيب عن الكحل^(١)
ودونكم طيب العروس ، فإتما
خلفتكم لأثواب العروس وللنسل^(٢)
فلو أننا كنّا رجالاً وأنتم نساء ، لكنّا لا نقيم على الذل^(٣)
فبعداً وسحقاً للذى ليس دافعاً ويختال : يمشى بيننا مشية الفحل^(٤)
فوتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ودنوا لنار الحرب بالحطب الجزل^(٥)
فلما سمع قولها أخوها الأسود — وكان سيّداً مطوعاً — قال لقومه :
يا معشر جديس ، إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم في داركم إلا بما كان من
ملك صاحبهم علينا [وعليهم^(٦)] وأنتم أذلّ من النيب ، فأطيعوني يكن
لكم عزّ الدهر ، وذهابُ ذلّ العمر . فقالوا : نطيعك ، ولكن القوم أكثر
ميناً وأقوى . قال : فإني أصنعُ للملك طعاماً ثم أدعوهم إليه ، فإذا جاءوا
يرفلون في حلّهم مشيناً إليهم بالسيوف فقتلناهم ، وأنا أنفرد بمليق ، وينفرد
كل واحد منكم بجليسه ، فأتخذ الأسود طعاماً كثيراً ، وأمر لقوم فآخروا
سيوفهم ودفنوها في الرمل ، ودعا القوم فجاءوا ، حتّى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا
أيديهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ، فشدّ الأسود على

(١) كذا (ش) وفي ط : « من الحل » ، وفي كتاب ابن حبيب : « من الكحل » ، وفي الأغاني : « لا تعاب من الكحل » .

(٢) وكذا في كتاب ابن حبيب ، وفي الأغاني : « وللنسل » .

(٣) في الأغاني : « وأنتم نساء » .

(٤) ط : « ليس رافعا » ، صوابه للشنقيطي في نسخته والأغاني

(٥) وابن حبيب والأغاني : « ودبوا » ، بالباء .

(٦) التكملة من ابن حبيب والأغاني .

عَمَلِيْق ، وَكُلُّ رَجُلٍ عَلَى جَلِيْسِهِ . فَلَمَّا فَرَقُوا مِنْ قَتْلِ الْأَشْرَافِ شَدُّوا عَلَى السِّفْلَةِ فَأَقْتَنَوْهُمْ ، وَنَجَا بَعْضُ طَسَمٍ ، فَاسْتَفَاثَ بِحَسَانِ بْنِ تَبَعٍ ، فَفَزَا حَسَانٌ جَدِيْماً فَقَتَلَهَا وَأَخْرَبَ دِيَارَهُمْ وَتَفَانَى الْحَيَانُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَجَوَّ بَفَتْحِ الْجَيْمِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ ، وَهِيَ مَنَازِلُ طَسَمٍ وَجَدِيْسٍ ، وَكَانَ هَذَا الْأَسْمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى سَمَّاهَا الْحَمِيرَى لَمَّا قَتَلَ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَسَمَّى الْبِجَامَةَ بِأَسْمِهَا وَقَالَ الْمَلِكُ الْحَمِيرَى :

وَقُلْنَا وَسَمَّوْهَا الْبِجَامَةَ بِأَسْمِهَا وَسَرْنَا وَقُلْنَا لَا نَزِيدُ إِقَامَةَ

وَالْعُقْبُ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الْقَافِ : الْعَاقِبَةُ . وَالْدِمَارُ : الْهَلَاكُ . وَقَوْلُهُ : وَمَرَّ دَهْرٌ عَلَى وَبَارٍ . . الخ ، هَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ النُّحَوِيِّينَ (١) ، وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ سَبْيُوَيْهَ : عَلَى أَنْ وَبَارَ رَفَعَ ، وَالْمَطْرَدُ فِيهَا كَانَ آخِرُهُ رَاءٍ مِنْ وَزْنٍ فَعَالٍ أَنْ يَبْنَى عَلَى الْكَسْرِ فِي لُغَةِ الْحِجَازِ . وَأُورِدَهُ شُرَاحُ الْأَلْفِيَّةِ شَاهِداً عَلَى وَرُودِ وَبَارٍ عَلَى اللَّفْتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا الْبِنَاءُ عَلَى الْكَسْرِ ، وَالثَّانِيَةُ إِعْرَابُهَا إِعْرَابَ مَا لَا يَنْصَرَفُ . وَزَعَمَ أَبُو حَتَّى أَنْ هُوَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وَبَارُ الثَّانِي ضَلْأً مَاضِياً مُسْتَدَماً إِلَى الْوَاوِ . قَالَ الْأَعْلَمُ : « وَبَارُ : اسْمُ أُمَّةٍ قَدِيمَةٍ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَابِيَّةِ هَلَكَتْ وَانْقَطَعَتْ كَهَلَاكِ عَادٍ وَنَمُودٍ » .

وَقَالَ الْبَكْرِيُّ فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ : « قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَبَارٌ بِالْذَهْنَاءِ ، بِلَادُهَا إِبِلٌ حَوْشِيَّةٌ ، وَبِهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ لَا يَأْبِرُهُ أَحَدٌ وَلَا يُجِدُّهُ ؛ وَزَعَمَ أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ ، فَإِذَا تِلْكَ الْإِبِلُ تَرْدُ عَيْنًا وَتَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ ، فَرَكِبَ فَخَلَّأَ مِنْهَا وَوَجَّهَ قِبَلَ أَهْلِهَا ، فَاتَّبَعَتْهُ تِلْكَ الْإِبِلُ الْحَوْشِيَّةُ فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ : وَبَارُ كَانَتْ مَحَلَّةً عَادَ ، وَهِيَ بَيْنَ الْيَمَنِ وَرَمَالِ يَبْرِينَ ؛

(١) انظر ابن يعيش ٤ : ٦٤ والعيني ٤ : ٣٥٨ والهمع ١ : ٢٦ وأمال

فلما أهلك الله عاداً وورث محلّهم الجن ، فلا يتقارّبها أحدٌ من الناس ^(١) ؛ وهى الأرض التى ذكرها الله تعالى فى قوله : (وَأَتَقُوا الذى أَمَدَّكُمْ بما تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بأنعامٍ وَبَنِينَ ، وَجَنّاتٍ وَعُيُونٍ ^(٢)) . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : كان من شأن دُعَيْمِيس الرمل العبدى ، الذى يضرب به المثل فيقال : أهدى من دُعَيْمِيس الرمل ^(٣) ، إنه لم يك أحدٌ دخل أرض وبار غيره ، فوقف بالموسم بعد انصرافه من وبار ، وجعل يُنشد :

مَنْ يُعْطِنِي نَسْماً وَتَسْمِينَ نَجَّةً هِجَاناً وَأُذْماً أَهْدِي لَوَبَارٍ ^(٤)

فلم ينجبه أحدٌ من أهل الموسم إلّا رجل من مَهْرَة ^(٥) ، فإنه أعطاه ماسأل ؛ وتحمّل معه فى جماعة من قومه بأهلهم وأموالهم ؛ فلما توسّطوا الرمل طمست الجن بصر دُعَيْمِيس ، واعتزته الصَّرْفَة فهلك هو ومن معه جميعاً . وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين ^(٦) .

* * *

وأشُد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائة ^(٧) :

(١) يقال ما يتقار فى مكانه ، أى ما يستقر .

(٢) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الشعراء .

(٣) الميدانى ٢ : ٣٣٠ والعسكري ٢١٢ وثمار القلوب ٨١ والأزمنة والأمكنة ٢١٥/٢

(٤) وكذا فى معجم ما استعجم ١٣٦٦ . وجعلها الشنقيطى » وتسمين

لقحة « . وفى ط : « أهدما ، صوابه فى ش والمعجم .

(٥) قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون . هكذا يرويه عامة الناس .

والصحيح مهرة بالتحريك . وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه « . وانظر بقية كلامه

(٦) الجزء الأول ص ١٧٥ .

(٧) الحماسة ٣٧٨ بشرح المروزقى

١٢٦ (مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَظْبِيَّةٍ وَلَا ذُمِيَّةٍ وَلَا عَقِيلَةً رَبِّ رَبِّ)
على أن (أل) في (الله) بدل من همزة إله ، فلا يجمع بينهما إلا قليلا :
كما في هذا البيت .

وهذا البيت من أبيات عشرة للبعيث بن حريث ، أوردها أبو تمام
في الحماسة . وأولها :

(خَيْالٌ لَأَتَمَّ السَّلْسِيلِ ، وَدُونُهَا مَسِيرَةٌ شَهْرٌ لِلْبَرِيدِ الْمَذْبُوبِ أبيات الشاهد
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً ، فَرَدَّ بِتَاهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبٍ
مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَظْبِيَّةٍ البيت
ولسكنها زادتُ على الحُسْنِ كُلَّهُ كَلَاماً ، وَمِنْ طِيبٍ عَلَى كُلِّ طِيبٍ)

خيال : مبتدأ خبره مخوف ؛ أى خيالها أتانى ويبنى وبينها مسيرة شهر
للبريد السريع ، والخيال يذكر ويؤنث ، ونكره لأنه رآه على هيئات مختلفة ،
فاعتقد أنه عدة خيالات قصد إلى واحد منها . وأم السلسيل : امرأة ، ولو كان
في شعر مولد لجاز أن يعنى بالسلسيل الريق ، على وجه التشبيه . والبريد :
الدابة المركوبة ، معرب دُم بُرَيْدَه (١) ، أى مخنوقة الذنب ، فإن الرسل
كانت تركب البغال المخنوقة الذنب ، ويطلق على الرسول أيضا ، لركوبه إياها .
والمذنب : اسم فاعل ، من ذنب في سيره ، أى جد وأسرع ، بنال معجبة
والباء الأولى مشددة . وروى (المذنب) من دأب يدأب بالهمزة : إذا جد
وتعب . وهاتان الروايتان للآمدى فى المؤلف والمختلف . وروى شراح
الحماسة : (المذنب) قال التبريزى : هو الذى لا يستقر ، وقال الطبرسى :
المذنب والمذنب ، الأصل فهما يرجع إلى الطرد والاستعجال ، والمسرع
المستعجل يتذنب أى يضطرب .

(١) معجم استينجاس ٥٣٥ ، ومعناه المبتور المقطوع .

وقوله : قلت له - ورؤى « لها » - أى للخيال فيهما . وأهلا منصوب
 بفعل مضمر ، أى أتيت أهلا لا غرباء . والتأهيل : مصدر أهله : إذا قلت
 له أهلا . وقوله « معاذ الإله » منصوب على المصدر أى أعوذ بالله مآذاً .
 وكأنه أفي وتبرأ من أن تكون هذه المرأة في الحسن بحيث تشبه بالظبية ،
 أو الصورة المنقوشة ، أو بكريمة من بقر الوحش . والدثمية بالضم : الصورة من
 العاج ونحوه ؛ قال أبو العلاء : سميت دمية لأنها كانت أولاً تصور بالحرمة ،
 فكأنها أخذت من الدم . والعطف من قبيل : « أبى الله أن أحمو بأمر
 ولا أبى » ، لما اشتمل المتقدم على معنى النفي ، كأنه قال : لا أشبهها بظبية
 ولا دمية ؛ ثم دبالله من تشبيه خليلته بأحد هذه الثلاثة كما يشبه الشعراء بها .
 وعقيلة كل شيء : أكرمه . والربرب : القطيع من بقر الوحش .

وقوله : ولكنها زادت .. الخ ، بين به لم أنكر تشبيهها بغيرها .
 وكالاً : تميز ، أى يزيد حسنها على كل حسن كالاً ؛ لأنه لا حسن إلا وفيه
 قص ، سوى حسنها ؛ وكذلك كل طيب يتخلله حطيطة إلا طيبها^(١) . وقوله :
 من طيب قال التبريزي : أى وزادت من طيبها على كل طيب طيباً . وقال
 الطبرسي : ولما كان كالاً تمييزاً ، دخله معنى من ، فحسن أن يقول : ومن
 طيب . ورأيت في بعض شروح الحماسة : أراد : زادت بحسنها كالاً على كل
 حسن ؛ فعذف اللام به ، لأنك لا تقول للحسن : هو أكل من الحسن ،
 لاختلاف الجنس ، لأن الحسن عرض والحسن جسم .

و (البعث) قال الأمدى : « هو البعث بن حريث بن جابر بن سري

البعث

(١) الحطيطة : النقص ، وأصله ما يحط من جملة الحساب فينقص منه
 المعجم الوسيط .

ابن مسلمة بن عُبيد بن ثعلبة^(١) بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة
ابن لجيم . . شاعر محسن . وهو القائل :
خيالٌ لأم السلسيل ودونها . . البيت
وهي أبيات جياذ مخنارة . ١ هـ

و (البعيث) بفتح الموحدة وكسر العين المهملة ، قال ابن جني : « هو اسم
مرتجل للمثلية ؛ ويمكن أن يكون صفة منقولة فيكون فعيل في معنى مفعول » .
وقال أبو رياش : « ابن حُرَيْث هذا ، ليس بصاحب القبة بصفين » . وحُرَيْث
بالتصغير وسُرى وعُبيد كذلك . والدؤل ، بضم الدال وسكون الواو . ولجيم ،
قال أبو العلاء : يجوز أن يكون تصغير ترخيم للجيم أو للجام ، أو تصغير لجيم ،
بضم ففتح ، واللجيم : دويبة يُتشاءم بها ، وتوصف بالعطاس ، قال الرازي :
أغدو فلا أحاذرُ الشكيسا ولا أخافُ اللجيمَ العطوساً^(٢)

وذكر الأمدى شاعرَيْن آخرين يقال لهما (البعيث) أحدهما المجاشعي ؛
واسمه خدّاش ، وهذا شاعر مشهور دخل بين جرير وعتّان السليطيّ وأعان
عتّان ، فنسبَ المعجاء بينه وبين جرير والفرزدق وسقط البعيث . والثاني :
البعيث التغلبيّ ، بمنّاة فمعجمة ، وهو بعيث بن رزام ، وكان يهاجى زُرعة
ابن عبد الرحمن . وقال القطامي :

إن رِزَاماً غرّها قرزاًمها^(٣) قُلفٌ على أزيابها كِمامها

(١) التبريزي في شرح الحماسة « بن سلمة بن عبد بن ثعلبة » .
(٢) ط واللسان (لجم) : « العاطوسا » مع نسبته في اللسان الى
رؤبة برواية « ولا أحب » بدل « ولا أخاف » .
(٣) في النسختين : « فرزامها » صوابه في المؤلف ٥٧ ومما سبق في
١ : ٢٢٠ بولاق والقاموس (قرزم)

الفرزّام : الشاعر الدُّون ، يقال هو يُقرّزم الشعر^(١) . وإنما يعنى بَعِيث بنى رِزام . ومنه يُعلم أنّ بَعِيث بنى رِزام إسلامي .

* * *

وأُشَد بَعْدَهُ ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائة^(٢) :

١٢٧ (إِنَّ الْمَنَايَا يَطْلَعْنَ عَلَى الْأُنَاسِ الْآمِنِيَا)

على أن اجتماع أَل والمهزة في (الأناس) لا يكون إلا في الشعر ، والقياس الناس ، فإنَّ أصله أناس ، فحذفت المهزة وعوّض عنها أَل ، إلا أنها ليست لازمة ، إذ يقال في السَّعة ناس .

أقول : هذا يدلّ على أن أَل في البيت ليست عوضاً من المهزة ، إذ لو كانت عوضاً لم يجرّ أن يقال ناس : من غير همزة ولا أَل ، إذ لا يجوز الخلوّ عن العوض والمعوّض عنه . وما ذكره - من كونه عوضاً من المهزة - هو مذهب سيبويه ، وتبعه الزَّخَشَرِيُّ والقَاضِي^(٣) وغيرُهما .

٣٥٢

وذهب أبو عليّ الفارسيّ في الأغفال (وهو كتاب ذكر فيه ما أغفله شيخه أبو إسحاق الزجاج) . أن أَل ليست عوضاً من همزة أناس .

وقد عزا إليه السيّد في حاشية الكشف خلافَ هذا فقال : « وتوهم أبو عليّ في الأغفال أن اللام في الناس أيضاً عوض ، إذ لا يجتمعان في الأناس إلا ضرورة . ورُدَّ بكثرة استعمال ناس منكراً دونَ إله ، وبامتناعِ الناس دونَ يا الله » . انتهى .

(١) في النسختين : « الفرزّام ٠٠٠ » ، و « يقرّزم الشعر » صوابه في المؤلف وما سبق

(٢) انظر أيضاً أمالي ابن الشجري ١ : ١٢٤/٢ : ١٢٤ والخصائص ٣ : ١٥١ وابن يعيش ٥/٩ : ١٢١ وشرح شواهد الشافعية ٢٩٦ ومجالس العلماء ٧٠

(٣) يعنى القاضي البيضاوى صاحب التفسير

فقد انعكس النقل عليه من هذا الكتاب مع أنه قد ردّ عليه ابن خالويه فيما كتبه على الأغفال ، وتعبه أبو علي فيما كتبه ثانياً (وهو ردّ على ابن خالويه ، وسمّاه تقض الماذور) ، وبسط الكلام فيه كل البسط . وأنا أورده مختصراً لتقف على حقيقة الحال . وهذه عبارته :

« ثم ذكر هذراً ليس من حكمه أن تتشاغل به ، وإن كان جميع ما هذر به غير خارج من هذا الحكم . . ثم حكى قولنا وهو : فإن قال قائل : أو ليس قد حذفت الهمزة من الناس كما حذفت من هذا الاسم حذفاً ؟ فهل تقول : إنها عوض منها كما أن اللام عوض من الهمزة المحذوفة في اسم الله . . إلى آخر الفصل فقال المعترض : أما ادعائه أن أَل ليست عوضاً من الهمزة في أناس كما كانت في هذا الاسم فليس على ما ذكر . . فلم يزد على الإنكار والادعاء ؛ لتركنا طريقة سيبويه وحمل كلامه المطلق على المقيّد المخصوص ؛ وتظنّي المعترض أن الهمزة سقطت منهما على حدّ واحد ، وأن أَل في الناس عوض من حذف الهمزة كما كان ذلك في اسم الله ، تظنّ على عكس ما الأمر عليه : وذلك أن قول سيبويه : « ومثل ذلك أناس ، فإذا أدخلت الألف واللام عليه قلت الناس » ليس يدلّ قوله : ومثل [ذلك] أناس ، أن التماثل بينهما يقع على جميع ما الاسمان عليه ؛ إنما يدلّ على أن المماثلة تقع على شيء واحد . ألا ترى أن مثلاً إذا أضيف إلى معرفة جاز أن يوصف به النكرة ؟ لأن ما يتشابهان به كثير ، وإنما يتشابهان في شيء من أشياء . ومن ثمّ كان نكرة ، وكان هذا الأغلب . ولو كان التشابه يقع بينهما في كلّ ما يمكن أن يتشابه به لكان مخصوصاً غير مبهم ، ومحصوراً غير شائع . وفي أن الأمر بخلاف هذا ، دلالة على أن الظاهر [من] كلام سيبويه ليس على ما قدره هذا المعترض ، يدلّ على ذلك ما ذهب إليه أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ فَجَزَأْهُ ﴾

مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ^(١) فقال قائلون : جَزَاءُ مِثْلُ مَا قَتَلَ فِي الْقِيَمَةِ ،
وقال قائلون : جزاء مثله في الصورة ، ولم يذهب أحد — فيما علمناه — إلى أن
المعنى جزاء مِثْلُ مَا قَتَلَ فِي الْقِيَمَةِ والصورة جميعاً . فكذلك قول سيبويه :
« ومثل ذلك أناس » ، إنما يريد مثله في حذف الفاء في ظاهر الأمر لو لم تدلَّ
دلالة على أن قولهم الناس ، ليس كاسم الله : في كون الألف واللام عوضاً من
الهمزة المحذوفة . فكيف وقد قامت الأدلة على أن قولهم الناس : قد فارق
ما عليه هذا الاسم في باب العوض — على ما سنذكره إن شاء الله — وإذا
كان الأمر في إضافة مِثْلُ مَا قَتَلْنَا ، تبين أن هذا المعترض لم يعرف قول
سيبويه . وليس في لفظ سيبويه شيء يدل على أن الهمزة في أناس مثل الهمزة
في الاسم الآخر : في أنه عوض منها شيء كما عوض هناك . ويبين ذلك :
أنه حيث أراد أن يرى النظائر في العوض أفرَد ذكر الاسم فقال : وهي في إله
بمنزلة شيء غير منفصل من الكلمة ، كما كانت الميم في اللهم غير منفصلة ،
وكما كانت التاء في الجحاجة والألف في يمان وأختبها بدلا من الباء . فأما
الدلالة على أن حرف التعريف ليس بعوض ، فهي أن الألف واللام تسخل مع
الهمزة في نحو ما أنشده أبو عثمان عن أبي عمرو :

٣٥٣

إِنَّ الْمَنَاسِيَا يَطْلَعْنَ عَلَى الْإِنْسَانِ الْآمِنِيَا

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ وَأَنَاسَ فِي الْمَعْنَى وَاحِدٌ ، إِلَّا فِيمَا أَحْدَثَ حَرْفُ التَّعْرِيفِ مِنْ
التَّعْرِيفِ . وقد جاء في كلامهم ناسٌ وَأَنَاسٌ . فمن يقول أناس يقول الأناس ،
ومن يقول ناس يقول الناس . وأنشد محمد بن يزيد :

وَنَاسٌ مِنْ سَرَاةِ بَنِي سُلَيْمٍ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ

ومما يغلَّب أن هذه الهمزة لا يلزم أن يكون منها عوض ، أن من يردَّ الأصول المحذوفة في التحقير ومن لا يردَّ ، اتفقوا عندنا جميعا على أن حَقُّوا أناساً : نُويسا . فدلَّ ترك ردِّ الأصل في التحقير من يردَّ ، على أن هذا الحذف ^(١) قد صار عندهم كالحذف اللازم في أكثر الأمر ، نحو : حاشَ لله ، ونحو لا أذِر . وما كان من الحذف عندهم هكذا ، يبعد أن يعوّض منه ، وقد كان أولى من التعويض ردُّ ما هو منه إليه ، فلما لم يقولوا أنيس عند سيبويه ، في تحقير ناس ، ولا عند يونس وأبي عثمان ، كان أن لا يعوّض منه أولى .

ومما يبيِّن حسن الحذف منه وسهولته : أنه جمع ، والجوع قد تخفَّف بما لا يخفَّف الأحاد به ، ألا ترى أنهم قالوا : عِصِّي وَدُلِّي ، فأنجموا على القلب في هذا النحو ، وكذلك نحو بيض ، فكما خففوا هذا النحو من الجمع ، كذلك قولهم أناس — بالحذف — منه . . . ويدلُّ على أنه جمع : أنهم قالوا في الإضافة إلى أناس : إنساني ، كما قالوا في الإضافة إلى الجميع ^(٢) : جمعي . فملت أن أناساً في جمع إنسان ، كتوأم في جمع توأم ، وبراء في جمع برى ، ورُخَال وظُؤار وثُناء ، ونحو ذلك . فكما أجروه مجرى الجمع في هذا ، كذلك أجروه مجراه في الحذف منه ، كما خففوا ما ذكرنا بالقلب فيه .

ومما يغلَّب أن قولنا الناس على الخداء الذي ذكرنا من التخفيف بالحذف ، أن ما في التنزيل من هذا النحو عليه ، نحو : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ^(٣)) ونحو : (أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ)

(١) ط : « الحرف » صوابه في ش

(٢) ش : « إلى الجميع » ، تحريف

(٣) الآية ١٧٣ من سورة آل عمران

فهذا إنما أَدغم لام المعنى فى النون على حدّ ما أَدغم فى : الفشر ، والنشر ،
والنعمان ؛ لا على حدّ تقدير الهمزة فيه وتخفيفها . ألا ترى أنّه لو كان على تقدير
أناس لم يدغم ؛ لأن الحرفين ليسا مثلين كما كانا مثلين فى الاسم الآخر ،
إنما هما متقاربان ، والأكثر فى المتقاربين إذا تحرك الأول منهما فالأقرب
أن لا يدغم الأول فى الثانى كما يدغم المثلان . وذلك : أن مباينة الحرفين
فى المخرج إذا انضم إليها الحركة قويا على منع الإدغام ، فامتنع كما يمتنع لحجز
الحرف بينهما ؛ وليس كذلك المثلان إذا حجزت بينهما الحركة ، لأن الحركة
أقلّ وأيسر فى الصوت من الحرف ، فلم يبلغ من قوّتها أن تحجز بين المثلين ؛
ويمنع الإدغام كما يمنع منه فى أكثر الأمر إذا انضم إلى الحركة الاختلاف
فى مخرجى الحرف .

٣٥٤

وأما قول صاحب المأثور : والدليل على صحّة ذلك ، وأن هذا هو الذى
ذهب إليه سيبويه وإن كان عنده عوضاً فى هذا الموضع أيضاً : أنّه تماطى
الفرق بينهما . . فتماطيه الفرق بينهما لا يدلّ أن كان تماطى على اتفاقهما
عنده ، وليس لنسخه كلام سيبويه فى جملة الهذّر فائدة ، ولا معنى لاحتجاج
من احتجّ بشيء لا يعرفه ولا يفهمه ، وإنما وكّده فى غالب رأينا بتسويد
الورق وإفساده .

وأما تفسير للمعرض لقولنا أنّهما لو كانتا هنا عوضاً كما^(١) هما فى هذا
الاسم لفعل بهما ما فعل بالهمزة فى اسم الله . فإنّ عني^(٢) أنّهما كانتا تزمان
ثم كانت الألف تنقطع فى النداء ، فليس على ما قدر ، ولكن المراد به :

(١) فى النسختين : « عما » ، والوجه ما أثبت

(٢) ش : « فانى أعنى به » .

أن الألف واللام في اليمين لو كانا على حدٍ واحد ، لكان الناس إذا سقط منه حرف التعريف — لا يدلّ على ما كان يدلّ عليه والحرف لاحق به ، كما أنه في اسم الله إذا خرج منه لا يدلّ على ما يدلّ عليه وهو فيه .

وأما قوله حاكياً لكلامنا : فأما استدلاله على أنهما في الناس غير عوض بقول الشاعر : « على الأناص الآمنينا » وأنه لو كان عوضاً لم يكن ليجتمع مع المعوّض منه ، فهذا يلزمه بعينه فيما ذهب إليه في اسم الله . وذلك أنه يقال له : ألسنتَ تقول الإله ، فتدخل الألف واللام على إله ولا تحذف الهمزة مع دخولها . . إلى آخر المندر . أقول : ليس الأمر كما تظنّاه هذا العامّي المريض ، ليأذكر سعيد عن قتادة في قوله تعالى : (هل تعلم له سمياً^(١)) : لا سمى لله ولا عدل له ، كلُّ خلقه مقرّ له ومعترف له أنه خالقه . ثم يقرأ : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله^(٢)) فالاسم الذي لا سمى للقديم سبحانه وتعالى فيه ، لا يخلو من أن يكون الله أو الرحمن ، فلا يجوز أن يكون الرحمن ، لأنه وإن كان اسماً من أسماء الله فقد تُسمّى به ، وقد قالوا لمسيحة : رحمان ، وقالوا أيضاً فيه : رحمان اليمامة ، وذكر بعض الرواة : أنهم لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن قالت قريش : أتدرون ما الرحمن ؟ هو كاهن اليمامة ! فهذا يدلّ على أنهم كانوا لا يحطّرون التسمية به . فإذا كان قد سمى به ، ثبت أن الاسم الذي لا سمى له فيه هو « الله » وهذا الاسم إنما يكون بهذا الوصف إذا لزمه الألف واللام ، فأما إذا أخرجنا منه وألحق الهمزة فقليل : إله والإله ، فليس على حدّ قولهم « الله » في الاستعمال

(١) الآية ٦٥ من سورة مريم

(٢) الآية ٨٧ من سورة الزخرف

ولاقى المعنى ، ألا ترى أنه إذا قال إله صار مشتركا غير مخصوص وجاز فيه الجمع !
وأما فى المعنى : فإنه يعمل عملَ الفعل كقوله تعالى : (وهو الذى فى السماء (١)
إله) الطرف يتعلق بما فى إله من معنى الفعل ، وإذا دخلته الألف واللام لم
يعمل هذا الحد لخروجه عن حد المصادر . فإن قلت : (وهو الله فى السموات
وفى الأرض يعلم سرركم وجهركم) (٢) فإن الطرف لا يتعلق بالاسم على
حد ما يتعلق بإله إلا على حد ما أذكره لك : وهو أن الاسم لما عرف منه
معنى التدبير للأشياء والحفظ لها وتصورها (٣) فى نحو : (إن الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا) (٤) صار إذا ذكر كأنه قد ذكر المدير
والحافظ المثبت ، فيجوز أن يتعلق الطرف بهذا المعنى الذى دل عليه الاسم
بعد أن صار مخصوصاً ، وفى أحكام الأسماء الأعلام التى لا معنى فعل فيها ، فهذا
يتعلق الطرف . وعلى هذا تقول : هو حاتم جواداً ، وزهير شاعراً ، فتعلق
الحال بما دخل فى هذه الأسماء من معنى الفعل ، لاشتهارها بهذه المعانى ،
ولولا ذلك لم يميز . فإذا كان كذلك ، علمت أن هذا الاسم إذا أخرجت منه
الألف واللام فقلت إله لم يكن على حد قولنا الله ، وليس كذلك الناس والأناس ،
لأن المعنى فى كلا الحالين فيه واحد ، ألا ترى أنه اسم العين لا مناسبة بينه وبين
الفعل ! وهذا الذى عناء سيبويه عندنا بقوله : وذلك أنه من قيل أنه اسم
يلزمه الألف واللام لا يفارقانه ، فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف
واللام اللتين من نفس الحرف . وليس فى الناس والأناس كذلك ، ألا ترى
أنك إذا أخرجتهما من الاسم دل على أن الأعيان التى يدل عليها حسبما يدل

٣٥٥

(١) الآية ٨٤ من سورة الزخرف

(٢) الآية ٣ من سورة الأنعام

(٣) كذا فى النسختين .

(٤) الآية ٤١ من سورة فاطر

عليها وهما فيه ، وليس في اسم الله كذلك ، فإذا كان الأمر فيه على ما ذكرناه ،
وضَحَ الفصلُ بين الاسمين إذا أخرج منهما الألف واللام . مما وصفنا لم يكن
إخراج الألف واللام من اسم الله سبحانه كإخراجه من الناس حذو القنطرة
بالقنطرة . انتهى كلام أبي علي . وقد حذفنا منه مقدار ما أثبتنا ، وسبقنا هذا
الكلام بطوله لكثرة فوائده .

واعلم أنهم اختلفوا في (ناس) فقال الجمهور : أصله أناس ، فقليل : جمع
إنسان ، وقيل : اسم جمع له . وقال الكسائي : هو اسم تام وعينه واو ، من
ناس ينوس إذا تحرك . وعلى هذا فإطلاقه على الجن واضح ، قال في القاموس :
« والناس يكون من الإنس والجن » ، إلا أن قوله أصله أناس ، مع جعله من
مادة (نوس) غير صحيح ، وصرح به جماعة من أهل اللغة ، فإن العرب تقول :
ناس من الجن ، وفي الحديث « جاء قوم فوقفوا . قليل : من أنتم ؟ قالوا :
ناس من الجن » ولذا جَوَزَ بعضهم في قوله تعالى : (من الجنة والناس) أن
يكون بياناً للناس . وقيل : أصله (نسي) من النسيان ، فقدمت اللام على العين
وقلبتم ألفا ، فصار ناساً .

وهذا البيت من أبيات لذي جَدَنَ الحميري الملك ؛ كما في كتاب المعمرين صاحب الشاهد
لأبي حاتم السجستاني (١) ، قال : عاش ثلثمائة سنة ، وقال في ذلك :
لكل جنبٍ اجتنِي مُضْطَجَعٌ (٢) والموتُ لا يَنْفَعُ منه الجَرْعُ
اليومُ تُجْزَوْنَ بأعمالكم كلُّ امرئٍ بِمُحْصَدِ مَا زَرَعَ (٣)

(١) المعمرين ٣٣ - ٣٤ . والأبيات ٢٦ بيتا في الجمهرة ١٣٧ - ١٣٨

(٢) في النسختين : « مضجع » صوابه من المعمرين وجمهرة أشعار العرب ١٣٧ . وقد طبعت نسخة ليدن من المعمرين - وهي أصل طبعة مصر - من نسخة البغدادى

(٣) في النسختين : « مما يزرع » صوابه من المعمرين والجمهرة . وفي الجمهرة : « ما قد زرع » .

لو كان شيء مفليئاً حتفَه أَفَلتَ منه في الجبال الصَّدَعِ
وقال أيضاً :

(يا اجتنى مهلاً ذرينا أفي سفاء تعذِّلينا^(١))
يا اجتنى تستعنيننا فلا وربك تُعتنيننا
يومٌ يغيّرُ ذا النعيمِ وتارةً يشقى الحزينا
إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا
فيدعنهم شتى ، وقد كانوا جميعاً وافرنا)

آيات الشاهد

فقوله : اجتنى ، اسم امرأة ، منقول من الفعل الماضي من اجتنى الثمرة ،
وهو منادى بحرف النداء المحذوف . ومُفليئنا : اسم فاعل من أفلته : إذا أطلقه .
والصَّدَعِ بفتح الصاد والدال : الورع . والسَّفاء ، بكسر السين المهملة : مصدر
سافاه مسافة وسفاء : إذا سافه . واستعنب : طلب الإعتاب ، والإعتاب :
مصدر أعتبه : إذا أزال عتابه وشكواه ، فلهزمة للسلب . وعتب عليه من باب
ضرب وقتل : إذا لامه في تسخط . والعتاب : مصدر عاتبه . وقوله : تُعتنيننا
هو جواب القسم^(٢) بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : (تَاللّٰهِ تَفْتَنُوْا تَذَكَّرُوْا)
يُوسُفُ^(٣) وهذا بالبناء للمجهول . وقوله : يومٌ ، أى للدهر يومٌ يغيّرُ صاحبَ
النعيم نعيمه . ويشقى بالفاء . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت . ويطلعن :
يُشْرِقْنَ ويقربن . والآمنين : جمع آمن بمعنى مطمئن ، يقال آمن البلد : إذا

٣٥٦

(١) السفاء ، كسحاب : الطيش والخفة ، ومثلها « السفاء »

(٢) ط : « تعتنيننا مصدر هو جواب القسم ، ، وكلمة « مصدر ،
مقحمة ، خط عليها الاستقيطى فى نسخته

(٣) الآية ٨٥ من سورة يوسف

اطمأن . وقوله : فيدعهم ، روى بدله : (فيذرهم) . وشئني : متفرقين ، وهو جمع شئيت . ووافرين : جمع وافر ، من وفر الشيء من باب وعد وفوراً : تمّ وكل .

وزعم بعضهم ، فيما كتبه على تفسير البيضاوى : أن بيت الشاهد من قصيدة لعبيد بن الأبرص ، قال : وأولها كما في الحماسة البصرية :

نحنُ الألى فاجعُ جو عكّ ثمّ وجههم إلينا

وفيه نظر من وجهين (١) : الأول أن هذا البيت لم يذكره صاحب الحماسة في تلك القصيدة ، والثاني : أن أوّل القصيدة إنما هو :

يا إذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحيناً

والبيت الذى أورده من أواخرها كما تقدم .

وذو جَدَن ، بفتح الجيم والدال : اسم مرتجل ، وهو من أذواء اليمن (٢) . والأذواء بعضهم ملوك وبعضهم أقيال ، والقيل دون الملك ، قال في الصحاح : « والقيل : ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم ، والمرأة قيلة . وأصله قيل بالتشديد ، كأنه الذى له قول ، أى ينفذ قوله ، والجمع أقوال وأقيال أيضاً ، ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشدداً . والمقول بالكسر : القيل أيضاً بلغة أهل اليمن ، والجمع المقاول » .

(١) الميمنى : « بل من ثلاثة أوجه . والثالث : اختلاف القافية ما بين الآميننا والينا » .

(٢) ذكر الميمنى أن أذواء اليمن مستقصاة في المجلة الألمانية Z. D. M. G. ٢٩ : ٦٢٠ . قلت : ونظر أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٠ - ١٧٢ والاشتقاق ٥٢٥ - ٥٣٣

ومن الأذواء الأوائل (أبرهة ذو المنار) ، والمنار مَفْعَلٌ من النور (١) .
وابنه (عمر وذو الأذعار) بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة ، زعموا أنه حمل
معه إلى اليمن نَسْناً فذعر الناس منه . وصحفه ابن الشجرى في أماليه بالذال
المهملة فقال : والأذعار جمع دَعِرٍ - أى بفتح فكسر - وهو القود الكثير
الدخان (٢) . وأُنِكر عليه في بغداد فأصرَّ عليه . . وبعد ذى الأذعار بدهر
(ذو معاهر) واسمه حَسَّان . ومعاهر من العَهر وهو الفجور . وبعده (ذورعين
الأكبر) واسمه يَرِيم - ورعين : اسم حصن كان له ؛ وهو في الأصل تصغير
رَعْن ، وهو أنف الجبل . ويريم : من قولك رام من مكانه ، أى برح وافصل
منه . و (ذورعين الأصغر) واسمه عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللامين .
وبعده بدهر (ذو شَنَاتِر) واسمه ينوف ؛ من ناف الشيء ينوف : إذا طال
وارتفع . والشَنَاتِر بفتح الشين المعجمة والنون : الأصابع في لغة اليمن . ومنهم
(ذو القرنين) واسمه الصُّعْب . (وذو غَيَّان) وهو من الغَيْم الذى هو العطش
وحراة الجوف ؛ بالغين المعجمة . و (ذو أَصْبَح) بفتح الهمزة ، وإليه نسبت
السيّات الأصبَحِيَّة . و (ذو سَحَر) بفتح الميمتين و (ذو شَعْبَان) . .
و (ذو فائش) واسمه سلامة : وفائش : من الفَيَّاش وهو المفاخرة و (ذو حَمَام)
والْحَمَام بضم المهمل : حُمَّى الإبل (٣) .

٣٥٧

(١) أما أبرهة فاسم حبشى ، كما ذكر ابن دريد فى الاشتقاق
٥٣٢ . وقال : « وذو المنار : أول من بنى الأميال على الطرق فسمى ذا
المنار » .

(٢) فى أمالى ابن الشجرى بعده : « وقيل هو الأذعار بالذال المعجمة ،
جمع دَعِرٍ » .

(٣) كذا فى الأصل والأمالى . وفى القاموس (حمم) : « وكفراب :
حمى جميع الدواب » .

و (ذو تُرْخَم) بضم المثناة وَاغَاء المعجمة ، وفتحها وسكون الراء^(١) :
من قولهم : ما أدرى أى تُرْخَم هو : أى أى الناس . وتُرْخَم قبيلة باليمن أيضاً .
و (ذو يَحْصِب) من قولهم حَصَبه يَحْصِبُه : إذا رماه بالحصباء ، وهى
الحصى الصغار .

و (ذو عَسِيم) بفتح العين وكسر السين المهملتين ، من العَسَم بفتحتين
وهو يُبْس فى المرفق ، أو من العَسَم بالسكون وهو الطمع ..
و (ذو قُثَاث) بضم القاف وتخفيف المثلثتين من قولهم قَثَّ يَقْثُ :
إذا جمع ..

و (ذو حُوال) بالضم واسمه عامر . وحُوال من المحاولة وهى الطلب .
و (ذو مِهْدَم) وهو مِفْعَل بالكسر ، من هدمت البيت .
[وذو الجَنَاح^(٢)] واسمه شمر .. و (ذو أَنَس) والأنس بفتحتين :
الجماعة من الناس .

و (ذو سُجِيم) وهو تصغير أسحم وهو الشديد السواد .
و (ذو الكِبَاس) بضم الكاف وآخره مهيّلة ، وهو الرجل العظيم الرأس .
و (ذو حُفَار) بالضم من قولك حَفَر البئر .
و (ذو نُواس) ، واسمه زُرْعَة^(٣) . ونُواس بالضم من النَّوَس ،

(١) تُرْخَم ، كجندب وجندب ، ومثل طحلب وطحلب وعنصر وعنصر ،
كما فى القاموس

(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى ١٧١ ، ساقطة من النسختين

(٣) زُرْعَة ، بضم الزاى وفى ط : « ذُرْعَة » صوابه فى ش وأملى ابن
الشجرى والروض الأنف ١ : ٢٩

وهو تذبذب الشيء وشدة حركته . وسمي بذلك لضعفيتين كانتا تنومان على عاتقه^(١) ، وكان غلاماً حسناً من أبناء الملوك ، أراحه على نفسه ذو الشنتر ، فوجاهه بخنجر كان قد أعدّه له قتلته ، ورضيته حيرٌ لنفسها لما أراحها صاحب الأخدود من ذى الشنتر . وذو نواس هو صاحب الأخدود الذى ذكره الله عز وجل ، وكان يهودياً فخذ الأخدود لقوم من أهل نجران تنصروا على يد رجل من قبل آل جفنة دعاهم إلى اليهودية فأبوا فخرقهم ، ثم ظهرت الحبشة على اليمن فغاربوا ذا نواس أشدّ حرب ، فلما أيقن بالهلاك اعترض [البحر^(٢)] بفرسه فكان آخر العهد به .

ومنهم (ذو الكلاع الأكبر) و (ذو الكلاع الأصغر) وأدرك الأصغر الإسلام ، كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم مع جرير بن عبد الله البجلي فأسلم ، وأعتق يوم أسلم أربعة آلاف عبد ، وهاجر بقومه في أيام أبي بكر رضى الله عنه إلى المدينة . ثم سكنوا حصص .

واشتقاق الكلاع ، بضم الكاف وفتحها ، من الكلّع بالتحريك ، وهو شقاقٌ ووَسَخ يكون في القدم ، يقال منه كلّعت رجله .

ومنهم (ذو عَشْكلان) بفتح العين وسكون المثناة ، وهو اسم مرتجل . و (ذو ثعلبان) بالضم وهو ذكر الثعلب .

و (ذو زهران) ، و (ذو مكارب) أى ذو مفاصل شداد ، جمع مُكْرَب مكرم .

و (ذو منأخ) بالضم وكان نزل ببعلبك .

(١) ما بعده الى « وذو نواس » لم يرد فى أمالى ابن الشجرى

(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى .

و (ذو ظَلِيم) واسمه حَوْشَب ، وهو العظيم البطن . والظَلِيم : ذكرُ
النعام . وشهد ذو ظَلِيمَ صَفِينَ مع معاوية رضى الله عنه .
ومنه (ذو يَزَن) ملك اليمين بعد ذى نُوَاس فهزمته الحبشة ، واقتحم البحر
فهلك . وَيَزَن : اسم مرتجل ، وهو غير منصرف ، لأن أصله يَزَان على وزن
يسأل ؛ فحذفوا همزته فصار وزنه يَقْل ؛ ومنهم من ردّ عينه في النسب فقال
رحم يَزَانِي : وقيل إن أصله من وزن يَزِن ، فحذفت الواو ثم أبدلت الكسرة
فتحة . واسم ذى يَزَن : عامر بن أسلم بن زيد بن غوث الحميرى والله أعلم .

* * *

وأشد بعده وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة ، وهو من أبيات
سيبويه^(١) :

١٢٨ (مِنْ أَجْلِكَ يَا الَّتِي تَيَسَّرَ قَلْبِي وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ بِالْوَصْلِ عَنِّي)

٣٥٨

على أنه شاذ : لأن في لام (التي) اللزوم فقط وليس فيها العوضية أيضاً .

قال بعض شراح المفصل : ولو قلت : تقديره : من أجلك يا حبيبتى التي
تيسر قلبي ، لم يبق إشكال ؛ لأن (التي) لم تكن منادى على هذا التقدير . انتهى

وروى (فديتك يا التي الخ) . ومعنى تيسر : ذلت واستعبدت ؛ ومنه
تيم اللات أى عبد اللات . وروى : (وأنت بخيلة بالود عني) ، أى على
(من أجلك) يقرأ بنقل فتحة ألف أجلك إلى نون من . وقوله :
من أجلك علة معلولها محذوف ، أى من أجلك قاسيت ما قاسيت ؛ أو خبر

(١) سيبويه ١ : ٣١٠ . وانظر الانصاف ٢٠٩ وابن يعيش ٢ : ٨

مبتدأ محذوف ، أى من أجلك مقاساتى . وكان القياس أن يقول تيممت ببناء التأنيث على الغيبة ، لكن جاء على نحو قوله :

* أنا الذى تَمَتَّنِي أُمِّي حَيْدَرُهُ (١) *

والقياس تَمَتَّتُهُ . وجملة أنت بخيلة [حال (٢)] عاملها تيممت .
وهذا من الآيات المحسنة التى لم يعرف لها قائل ولا ضميعة .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة (٣) :

١٢٩ (فِى الْغُلَامَانِ اللَّذَانِ فَرَّآ إِيَّاهُ كَمَا أَنَّ تَكْسِبَانَا شَرًّا)

على أنه أشد مما قبله : إذ ليس فى آل التى فى الغلامين لزوم ولا عوض .

وخرجه ابن الأنبارى فى الإنصاف على حذف المنادى وإقامة صفته مقامه قال : « التقدير فيه وفى الذى قبله ، فيا أيها الغلامان ، وبإحبيبتى التى ؛ وهذا قليل بابؤه الشعر » . وإيّاكما : تحذير . وأن تَكْسِبَانَا : أى من أن تَكْسِبَانَا ؛ وماضيه كَسَبَ يتعدى إلى مفعولين ، يقال : « كسبتُ زيداً ملاً وعلماً أى أنلته » .

قال ثعلب : كلهم يقول : كَسَبَكَ فلانٌ خيراً ، إلا ابن الأعرابي فإنه يقول : « أ كسبك بالألف » كذا فى المصباح .

وهذا البيت شائع فى كتب النحو ، ولم يُعرف له قائل ولا ضميعة .

* * *

(١) من شواهد الحزانة ٢ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ بولاق وأمالى ابن الشجرى
٢ : ١٥٢ والهمع ١ : ٨٦ مع نسبته الى على بن أبى طالب .
(٢) التكملة من ش .

(٣) العينى ٣ : ٢١٥ وابن يعيش ٢ : ٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ :
١٨٢ والإنصاف ٣٣٦ والهمع ١ : ١٧٤ والأشمونى ٣ : ١٤٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائة ^(١) :

١٣٠ * إني إذا ما حدثُ أَلَمًا أقولُ : يا أَلَهْمَّ يا أَلَهْمَّ *

على أن اجتماع يا والميم المشددة شاذ .

والحدث محركة : ما يحدث من أمور الدهر . وروى أبو زيد في نوادره :

(إني إذا ما لمُ أَلَمًا)

هو بفتحيتين مقارفة الذنب ^(٢) ، وقيل هو الصغائر . وألَم الشيء : قرب .

وأقول : خبرُ إنَّ ، وإذا : ظرف له .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المتداولة في كتب العربية ، ولا يعرف

قائله ولا بقيته . وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي . قال : وقبلة :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًا

وهذا خطأ ، فإن هذا البيت الذي زعم أنه قبله ، بيت مفرد لا قرين له ،

وليس هو لأبي خراش ، وإنما هو لأمية بن أبي الصلت ، قاله عند موته ،

وقد أخذه أبو خراش وضّته إلى بيت آخر وكان يقولها ، وهو يسمى بين الصفا

والمروة ، وهما :

لَا مُمَّ هَذَا خَامِسٌ إِنْ تَمَّا أُنَمَّ اللَّهُ وَقَدْ أُنَمَّا

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا الخ

وقد تمثل به النبي ﷺ وصار من جملة الأحاديث ؛ وأورده السيوطي

(١) العيني ٤ : ٢١٦ ونوادر أبي زيد ١٦٥ والانصاف ٣٤١ وابن

يعيش ٢ : ١٦٠ والهمع ١ : ١٧٨ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢١٣

واللسان (أله ٣٦٢) والمنخصص ١ : ١٣٧١

(٢) ط : « مقاربة الذنب » صوابه في ش

فى جامعہ الصغیر ، ورواہ عن الترمذی فی تفسیرہ ، وعن الحاکم فی الإیمان والتوبۃ عن ابن عباس رضی اللہ عنہما .

قال المناوی فی شرحہ الکبیر : یجوز إنشاد الشعر للنبي : ﷺ وإنما المحرم إنشاؤه . ومعناه إن تغفر ذنوب عبادك فقد غفرت ذنوباً كثيرة ؛ فإن جميع عبادك خطاهون . وقوله : لا ألما أى لم یلم بمصیة .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائة ، وهو من آیات جل الزجاجی^(١) :

١٣١ (وما عليك أن تقولى^(٢) سُكَّلاً سَبَّحْتَ أو صَلَّيْتَ : يا اللهم مَا) (أرَدَدُ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسْلِمًا)

على أن (ما) تزداد قليلاً بعد (يا اللهم) .

هذا الرجز أيضاً مما لا يُعرف قائله . وزاد بعد هذا الكوفيون :
(مِنْ حَيْثُما وَكَيْفَما وَأَيْنَما فَإِنَّا مِنْ خَيْرِهِ لَنْ نُعْذَمَا)

فقوله (وما عليك . . الخ) ما استفهامية ، والمعنى على الأمر . والتسبيح : تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه . و (صَلَّيْتَ) بمعنى دعوت ، أو الصلاة الشرعية . وروى بدله : (هَلَّات) ، أى قلت : لا إله إلا الله ؛ كما أن سبحت : قلت سبحان الله . و (الشيخ) هنا : الأب أو الزوج . و (مُسْلِمًا) : اسم مفعول من السلامة . وقوله : من حيثُما ، أى من حيثما يوجد . الخ . وقوله : فَإِنَّا من خيره ، الخير هنا : الرزق والنفع . ولن نُعْذَمَا بالبناء للمفعول .

(١) الانصاف ٣٤٢ والهمع ٢ : ١٥٧ واللسان (اله ٣٦٢)

(٢) ط : د تقول ، صوابه فى ش والمراجع السالفة

أمرَ بُنَيْتَهُ أو زوجته بالدعاء له ، إذا سافرَ وغاب ، في أوقات الدعوات
وفي مظانَّ القَبُول : كما فعلتْ بنتُ الأعشى ميمون^(١) :

تقولُ بنتي وقد قُرِيتُ مُرْتَحَلًا ياربُّ جَنبِ أبي الأوصابِ والوجعِ
عليكِ مثلُ الذي صَلَّيتِ فاغْتَمِضِي نومًا فإنَّ لجنبِ المرءِ مُضْطَجَعًا
وقال أيضًا :

تقول ابنتي حين جدَّ الرحيلُ أَرانا سواءَ ومنَّ قد يَتِمُّ
أَبانا ، فَلارِمَتْ مِن عِنْدِنا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذا لم تَرِم
ويا أَبَتا ، لا تَزُلْ عِنْدَنا فَإِنَّا نَخافُ بأن نُخْترَمَ
أَرانا إِذا أَضْمَرْتَكَ البَلا دُ نَجْجِي ' وَيُقَطِّعُ مِنَّا الرَحِمَ

فَقوله : قُرِيتُ ، بالبناء للمفعول^(٢) ، والمرتحلُ : الجمل الذي وضع عليه
الرحل ؛ وهذا كناية عن الرحيل . والأوصاب : جمع وصَب ، وهو المرض .
وصَلَّيتِ : دعوت . وَيَتِمُّ يَتِمُّ من باب تعب وقرب : إِذا صار يتيمًا . ورام
يريم بمعنى يرح يبرح . ولا تَزُلْ من زال يزول ، والأفعال الثلاثة بعده
بالبناء للمفعول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٣) :

(١) ط : « أعشى ميمون » ، صوابه في ش . يعني بنته التي قال
فيها هذا الشعر .

(٢) كذا في النسختين ، وقد غيرها بكلمة « للفاعل »

(٣) سيبويه ١ : ٢٦ ، ٣١٤ . وانظر الخزانة ٢ : ٤/١١٦ : ٢٧٣
بولاقي ابن يعيش ٢ : ١٠ ، ١٠٥ / ٣ : ٢١ والعيني ٤ : ٢٤٠ والخصائص
١ : ٣٤٥ وابن السجري ٢ : ٨٣ وشرح شواهد المغني ٢٨٩ وديوان جرير

١٣٢ (يا تيمَ تيمَ عَدِيَّ لا أَبالَكمْ

لا يُلْقِيَنَّكُمْ في سَوَاءٍ عُمَرُ)

٣٦٠

على أن (تيماً) الأول يجوز فيه الضم والنصب ؛ وفي الثاني النصب لا غير ؛ ويثنيه الشارح المحقق .

قال اللخمي في شرح أبيات الجمل : وأضاف تيماً إلى عدى للتخصيص . واحترز به عن تيم مرة في قريش ، وهم بنو الأدرم ؛ وعن تيم غالب بن فهر ، في قريش أيضاً ؛ وعن تيم قيس بن ثعلبة ؛ وعن تيم شيبان ؛ وعن تيم ضبة . وعدى المذكور هو أخو تيم ، فإنهما ابنا عبد مناة بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر .

ومعنى (لا أَبالَكمْ) ، الغلظة في الخطاب ، وأصله أن يُنسب المخاطب إلى غير أب معلوم شتماً له واحتقاراً ، ثم كثرت في الاستعمال حتى جعلت في كل خطاب يُغلظ فيه على المخاطب . وحكى أبو الحسن بن الأخصر : أن العرب كانت تستحسن لا أَبالَكمْ ، وتستقبح لا أمَّ لك ؛ لأن الأم مشقة خبيثة ، والأب جائرٌ مالك^(١) . وتقدم الكلام عليه مفصلاً في الشاهد الثاني عشر بعد المائة^(٢) .

وقوله : (لا يُلْقِيَنَّكُمْ) بالقاف من الإلقاء وهو الرمي ؛ قال ابن سيده : من رواه بالقاء فقد صحف وحرف . وروى : (لا يوقِعَنَّكُمْ) ، والنهي واقع في اللفظ على عمر ، وهو في المعنى واقعٌ عليهم . و (السوء) بالفتح : الفعلة

(١) وكذا في شرح شواهد المعنى حيث ورد هذا النص ، وقد جعلها الشنقيطي : « حائز مالك » .

(٢) انظر ص ١٨٣ من هذا الجزء .

القيحة ، أى لا يوقعتكم عمر فى بليّة ومكروه لأجل تعرّضه لى ، أى امنعوه من هجائى حتى تأمنوا أن أقيمكم فى بليّة ، فإنكم قادرون على كفّه ؛ فإذا تركتم نهيّه فكأنكم رضيتم بهجوه إياى .

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها عمر بن لُجأ التميمى (ولجأ بفتح اللام والجيم وآخره همزة) ومنها :

(تعرّضتَ تيمّ لى عمداً لأهجوها (١)) كما تعرّضَ لِأَسْتِ الخارِى الحُجْرُ
أنتَ ابنُ بَرْزَة ، منسوبٌ إلى لجأ عند العُصارة والعيدان تُعْتَصِرُ
خَلَّ الطريقَ لمن يبنى للنار به وابرز ببرزة حيثُ اضطرّك القدرُ
أحينَ صرْتُ سِهاماً يابى لجأ وخاطرتُ بى عَنْ أحسابها مُصْرُ
وهى قصيدة طويلة أخشَ فيها . فلما توعّدهم فيها أتوه به مؤثفاً وحكموه فيه ، فأعرض عن هجوم .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء (٢) : لما بلغ ذلك تبا أتوا عمر وقالوا : عرضتنا لجرير ، وسألوه الكفّ ، فأبى وقال : أكفّ بعد ذكره أمى ؟
وبَرْزَة هى أم عمر بن لجأ . يقال فلان عصارة فلان أى ولده . وهو سَبّ .
وقوله : خَلَّ الطريق .. الخ ، هذا من أبيات سيبويه ، أورده على أن فيه إظهارَ الفعل قبل الطريق والتصریح به ؛ ولو أضمره لكان حسناً ، على ما بيّنه (٣) .

(١) ط : « تعرّض التيم » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .
وهذا من تصحيف السمع بفعل الادغام .

(٢) الشعراء ٦٦٣

(٣) انظر سيبويه والأعلم ١ : ١٢٨

يقول : خلّ طريقَ المعالي والشرف والمفاخرة ، واتركه لمن يفعل أفعالاً مشهورة كأنّها الأعلام التي تنصب على الطريق وتبني من حجارة إيهتدى بها ؛ وعبره بأنه يقول : ابرز بها عن الناس وصير إلى موضع يمكنك أن تكون فيه لما قضى عليك . وقيل : معناه : دغ سبيل الرشاد لطالبيه ، وأبرز إلى سبيل النجى إذا اضطرّك قضاء الله وقدره ؛ يعرض بأن أمه كانت فاجرة .

والسّام بالكسر : جمع سمّ وهو الشيء القاتل . وخاطره على كذا أى راهنه ، من الخطر ، وهو السبق ، بتحريكهما ، وهو الشيء الذى يُتْراهن عليه . ورؤى بدله : (وحاضرت) ، بالحاء المهملة والضاد المعجمة ، يقال حاضرت عند السلطان ، وهو كالمغالبة والمكابرة .

وأجابه عمر بن لجأ بقصيدة منها :

٣٦١

لقد كذبت ، وشر القول كذبه (١) ما خاطرت بك عن أحسابها مُضَرُّ
بل أنت نزوة خوار على أمّة لن يسبق الحلّبات اللؤم والخور
ما قلت من هذه إني سأقتضها يا ابن الأتان ، بمثل تنقض المرر
والنزوة : مصدر نزا الذّكر على الأنثى ؛ وهذا يقال فى الحافر والظلف
والسباع . والخوار : من اتلّور ، وهو ضعف القلب والعقل . والحلّبات
بالحاء المهملة .

وكان سبب التهاجى بين جرير وعمر بن لجأ ، هو ما حكاه المبرّد
فى (كتاب الاعتيان) عن أبى عبيدة (٢) : أن الحجاج بن يوسف الثقفى

(١) ط : « وسوء القول » ، صوابه فى ش وابن سلام ٣٦٥

والنقائض ٤٨٨

(٢) انظر أيضا النقائض ٤٨٧

سأل جريراً عن سبب التهاجي بينه وبين شعراء عصره ؛ فبين له جرير سبب كل واحد . إلى أن قال الحجاج : ثم من ؟ قال : ثم النسيء عمر بن لجأ . قال : وما لك وله ؟ قال : حسدني فعاب علي بيتاً كنت قلته ، فخرقه :

لَقَوْمِي أَنَحِيَّ لِلْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ وَأَضْرَبُ لِلْجَبَّارِ وَالنَّقْعِ سَاطِعُ
وَأَوْثُقُ عِنْدَ الْمَرْهَفَاتِ عَشِيَّةً لَحَاقًا إِذَا مَا جَرَّدَ السِّيفَ لَامِعُ
فقال لي : إنما قلت :

* وَأَوْثُقُ عِنْدَ الْمَرْهَفَاتِ عَشِيَّةً *

فصيرت نساءك قد أُرِدْفَن غدوة ولحقتن عشيّة وقد فضحن ؛ ولم أقله كما حكى . قال الحجاج : فما قلت له ؟ قال : قلت له أحذرهُ وأحذر قومه :

يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيَّ لَا أَبَالَكُمْ . . . البيت

قال : فنقض علي بأشد مما قلت له فقال :

لقد كذبت وشر القول أكذبهُ . . . البيت

قال أبو عبيدة : وأما كِرْدِينُ الْمِسْعَى (١) فأخبرني قال : كان بدء الشر بين ابن لجأ وجرير : أن لقمان الخزاعي قديم على صدقات الرباب ، ففضرت وجه الرباب وفيهم عمر بن لجأ ، فأنشده :

تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ لَزْوَلَةٍ كَاتِلِبِلْ وَمَا حِثُّ تَلْقَى بِالْكَتِيبِ وَلَا السَّهْلُ
تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضَى الْأَخْلَاءَ بِالْبَخْلِ

(١) هو مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع ، الملقب

حتى فرغ منها . فقال له لقمان : مازلنا نسمع بالشام أن هذه لجريز !
 فقال عمر بن لجا : إني لأكذبُ شيخَ في الأرض إن ادَّعيت شعر جريز .
 ثم أنشدته على رهوس الناس وجماعات الرُّباب ١١ فأبلغ لقمان جريزاً مقالة
 عُمر ، قال : فزعم عُمر أنك سرقها منه ! فقال جريز : وأنا أحتاج إلى أن
 أسرق شعر عمر وهو القائل في إبله ووصفها حتى جعلها كالجلال ثم جعلَ فخلها
 كالظرب (وهو الجبل الصغير في الغلظ من الأرض) فقال :

* كالظرب الأسود من ورائها *

ثم قال : * جرَّ العروسِ الثني من رداها *

والله ما شعره من نمط واحد ، وإنه لمختلف العيون ! فأبلغ لقمان عُمرَ
 قول جريز وما عاب من قوله ؛ فقال عمر : أيعيبُ جريز قولي :

* جرَّ العروسِ الثني من رداها *

وإنما أردت لينه ولم أَرِدْ أثره ؛ وقد قال هو أقبح من هذا ، حين يقول :

* وأوثقُ عند المردفات عشيّة *

فلحقهن بعد ما نُكِحْنَ وفُضِحْنَ ! فقال جريز : حرَّفَ قولي ، إنما قلت
 « عند المردفات عشيّة » . فوقع الشرُّ بينهما . انتهى

وترجمة جريز تقدمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد
 من (٢) :

(١) انظر الجزء الأول ص ٧٥

(٢) سيبويه ١ - ٣١٥ والعيني ٤ : ٢٢١ وابن يعيش ٢ : ١٠ والهمع
 ٢ : ١٢٢ وشرح شواهد المغني ٢٧٩ والمنصف ٣ : ١٦ والسيرة ٧٩٤
 والروض الأنف ٧ : ٢٥٨

١٣٣ * يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبْلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَانْزِلْ *

لما ذكر في البيت قبله . وهو ظاهر .

و (الْيَعْمَلَاتُ) . بفتح الياء والميم : الإبل القويّة على العمل .
و (الذُّبْلُ) : جمع ذابل ، أى ضامرة من طول السفر . وأضاف زيداً إليها
لحسن قيامه عليها ومعرفته بمحدثاتها . وقوله (تطاول الليل عليك .. الخ)
رُوى : (هُدَيْتَ) بدل عليك ، وهو المناسب . أى انزل عن راحتك واحدُ
الإبل ، فإن الليل قد طال ، وحدث للإبل الكلال ؛ فنشطها بالخداء ، وأزل
عنها الإعياء .

وهذا البيت لعبد الله بن رَوَاحَةَ الصَّحَابِيِّ رضى الله عنه ، لا لبعض ولد صاحب الشاهد
جرير ، خلافاً لشرّاح أبيات سيبويه . وهو بيتان لا ثالث لهما ، قالهما في غزوة
مُؤْتَةَ (وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام) وكانت في جمادى الأولى من سنة
ثمان من الهجرة .

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب^(١) : « ذكر ابن إسحاق عن عبد الله
ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : كان زيد بن أرقم يتيماً في حجر
عبد الله بن رَوَاحَةَ ، فخرج به معه إلى مُؤْتَةَ يحمله على حَقِيبة رَحْلِهِ ، فسمعه
زيد بن أرقم من الليل وهو يتمثل أبياتَه التى يقول فيها :

إِذَا أَدْرَيْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِجَاءِ
فَشَأْنُكَ فَانْعَمَى وَخَلَكَ ذِمٌّ وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِ وَرَائِي
وَجَاءَ الْمُؤْمِنُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُنْتَهَى النَّوَاءِ

فبكى زيد بن أرقم ؛ فحققه عبدُ الله بن رَوَاحَةَ بالدَّرَّةِ وقال : ما عليك

يَا لُكَمَّ أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ وَتَرْجَعَ بَيْنَ شُعْبَتَيْ الرَّحْلِ ١٩ . . . ولزيد ابن أرقم يقول عبد الله بن رَوَاحَةَ :

يازيد زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبْلُ تطاولَ الليلُ - هُدَيْتَ - فانزل
وقيل : بل قال ذلك في غزوة مؤتة لزيد بن حارثة « انتهى .

وهذا الثاني بعيد فإنه يُسْتَبَعَدُ أَنْ يُقَالَ لِأَمِيرِ الْجَيْشِ : انزل عن راحلتك واحدُ الإبل ؛ فإن زيد بن حارثة كان أمير الجيش في غزوة مؤتة كما سيأتي . ومؤتة بضم الميم والهمز . وقوله : إِذَا أَدْبَيْتَنِي ، خطاب لراحلته . وقوله : الْحِصَاءُ ، بكسر الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ، قال المبرد في الكامل : « هو جمع حِصَى (بكسر فسكون) وهو موضع رملٍ تحته صلابة ، فإذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فنعتَه الصلابة أن يفيض ومنع الرملُ السائمَ أن ينشفه ^(١) » فإذا بُحِثَ ذلك الرمل أصيب الماء . ويقال حصى وأحساء وحِصَاءُ . وقوله : وَخَلَاكَ ذَمٌّ أَى تَجَاوَزَكَ الذَّمُّ ، دعاء لها . وقوله : وَلَا أَرْجِعْ ، مجزوم بالدعاء ؛ ومعناه اللهم لا أرجع « انتهى .

وقوله مُنْتَهَى الثَّوَاءِ هو اسم فاعل منصوب على الحال .

و (عبد الله بن رَوَاحَةَ) أنصاري خَزَرَجِيٌّ . وهو أحد النقباء . شهد العَقَبَةَ ، وَبَدْرًا ، وَأُحُدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَالْحُدَيْبِيَّةَ ، وَغُرَّةَ الْقَضَاءِ ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا إِلَّا الْفَتْحَ ، ومات بعده ، لأنه قُتِلَ يومَ مؤتة شهيداً . وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة ، وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله ﷺ . وفيه وفي صاحبيه حسان وكعب بن مالك نزلت : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ^(٢)) الآية .

عبد الله
ابن رواحة

٣٦٣

(١) السائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة ليلاً أو نهراً . وفي النسختين : « ومنع الرمل السماء أن ينشفه » صوابه من الكامل ٧٦
(٢) الآية ٢٢٧ من الشعراء

وسبب غزوة مؤتة : أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمير الأزدي بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم ، وقيل إلى ملك بصرى ، فعرض له شُرَحْبِيل ابن عمرو الغساني ، فأوثقه رباطاً ، وضرب عنقه صبراً (ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره) فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر ، فبعث بعثه ﷺ إلى مؤتة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيدُ فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب فبعد الله بن رواحة . فتجهز ثلاثة آلاف رجل ، ثم مضوا حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل والعرب في مشارف من قرى البلقاء ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة (وكان الروم مائة ألف . وانضم إليهم من لحم وجذام والقين وبهراء^(١) وبلى مائة ألف أخرى) ثم التقوا فاقتتلوا . فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى قُتل شهيداً ، فأخذها جعفر ثم قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل ، فأخذ الراية خالد بن الوليد ودافع الناس ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس إلى رسول الله ﷺ

وأما (زيد بن أرقم) فهو أنصاري خزرجي من بني الحارث بن الخزرج . زيد بن أرقم وزيد بن أرقم هو الذي رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أبي ، ابن سلول^(٢) قوله : «لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلّ» ، فأكذبه عبد الله بن أبي وحلف ، فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم ، فبشره أبو بكر بتصديق الله إياه . وجاء إلى النبي ﷺ ، فأخذ بأذن زيد وقال : « وَفَتْ أُنْذَكَ يَا غَلَامَ » . وشهد مع علي وقعة صفين ، وهو معدود في خاصة أصحابه .

(١) في النسختين : « والقيس » صوابه في ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس ٢ : ١٥٣ . وفي ط : « وبهراء » صوابه في ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس .

(٢) سلول : جدة عبد الله ، نسب إليها . جمهرة ابن حزم ٣٥٥ . لكن في الاشتقاق ٤٥٩ أن سلول أمه .

(٣٠) خزانة الأدب ج ٢

ونزل الكوفة وسكنها وابتنى بها داراً ، وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وستين .
 و (أما زيد بن حارثة) فهو مولى رسول الله ﷺ ، كان أصحابه سبأ
 فى الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، فوهبته خديجة
 لرسول الله ﷺ ، فبناه رسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة ، وهو ابن ثمان
 سنين . ثم إن ناساً من كلب حجوا فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه ، فقال لهم :
 أبلغوا أهلى هذه الآيات ، فإننى أعلم أنهم قد جزعوا على ، فقال :

أَحِنِّ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا فَإِنِّي قَعِيدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ (١)
 فَكُفُّوا مَنِ الْوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَاكُمْ وَلَا تَعْمِلُوا فِي الْأَرْضِ نَصَّ الْأَبَاعِرِ
 فَإِنِّي ، بِحَمْدِ اللَّهِ ، فِي خَيْرِ أَسْرَةٍ كَرَامٍ مَعَدَّةٌ كَبِيرًا بَعْدَ كَبِيرِ

فانطلق الكلبيون فاعلموا أباه فقال : ابنى وربُّ الكعبة ! ووصفوا له
 موضعه وعند مَنْ هو . فخرج حارثه وكعب أخوه (٢) لِفِدَائِهِ وَقَدِمَا مَكَّةَ ،
 فدخلوا على النبي ﷺ فى المسجد فقالا : يا ابنَ عبدِ المطلب ، يا ابنَ هاشم ،
 يا ابنَ سيدِ قومه ، أنتم أهلُ حرمِ الله وجيرانه ، تُفَكِّونَ الْعَانِيَّ وَتُطْلِقُونَ
 الْأَسِيرَ ، جَنَّاكَ فى ابْنِنَا عَبْدِكَ ، فامْنُنْ عَلَيْنَا ، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فى فِدَائِهِ . قال :
 مَنْ هو ؟ قال . زيد بن حارثة . فقال ﷺ . أَدْعُوهُ فَأَخِيرَهُ ، فَإِنْ اخْتَارَكُمْ
 فَهُوَ لَكُمْ ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارُنِي عَلَى مَنْ اخْتَارَنِي أَحَدًا .
 قال . قد زدتنا على النَّصْفِ وَأَحْسَنَتْ . فدعاه فقال . هل تعرف هؤلاء ؟ قال :
 نعم ، هذا أبى وهذا عمى ! قال : فأنا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ صَحْبَتِي لَكَ ،
 فَاخْتَرَنِي أَوْ اخْتَرْتُمَا . قال زيد : ما أنا بِالَّذِي اخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا ، أَنْتَ مِنِّي

٣٦٤

(١) ط : « نأبيا » ، صوابه فى ش والاستيعاب والروض الأنف ١ :
 ١٦٤ . وفى الروض أيضا : « بَأْنِي قَعِيدُ الْبَيْتِ »
 (٢) فى الاستيعاب : « حارثة وكعب ابنا شراحيل » .

مكان الأب والعم ! فقالا : ويحك يا زيد ، أنتختار العبودية على الحرية ؟ قال : نعم ، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً ! فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال : يا من حَضَرَ ، اشهدوا أنَّ زيدا ابني يرثني وأرثه . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما ، فانصرفا . ودُعِيَ زيد بن محمد ، حتى جاء الله بالإسلام فنزلت . (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ^(١)) ، فدُعِيَ يومئذٍ زيد بن حارثة ، وكان يقال له زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ وشهد بدرًا وزوجه مولاته أم أيمن ، فولدت له أسامة . وقيل زيد بمؤنة سنة ثمان من الهجرة ، وهو كان الأمير على تلك الغزوة . روى عنه ﷺ أنه قال : « أحبُّ الناس إلىَّ مَنْ أنعمَ الله عليه وأنعمتُ عليه » . يعني زيد بن حارثة . أنعمَ الله عليه بالإسلام ، وأنعمَ عليه ﷺ بالعنق .

وتلخصت التراجم من الاستيعاب ، والغزوة من سيرة ابن سيّد الناس .
واعلم أنَّي رأيتُ في نوادر ابن الأعرابي أرجوزة عدتها اثنان وعشرون بيتاً مطلعها :

* يا زيدُ زيدَ العَمَلاتِ الذُّبَلِ *

قال : « أنشدني بُكَيْرُ بن عبيد الرُّبَيْيِّ . ولا أعلم مَنْ هو : أهو سابق على عبد الله بن رَوَاحَة أم لاحق له ؟ » . والظاهر أنه بعده ، فإنَّ الرجز في الجاهلية كان لا يتجاوز الأبيات الثلاثة والأربعة ، وإنما قصده وأطاله الأغلب العجلى كما تقدم بيانه في ترجمته ^(٢) . والله أعلم

* * *

(١) الآية ٥ من الأحزاب

(٢) انظر ص ٢٣٩ من هذا الجزء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة ^(١) :

١٣٤ (فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْقِي لِإِبْنِي وَلَا لِلِإِذَا بِهِمْ أَيْدًا دَوَاهِ)

على أن اللام الثانية فى قوله (لِلِإِذَا) مؤكدة للام الأولى .

ويأتى إن شاء الله تعالى ما يتعلق به فى باب التوكيد ، وفى الباء والكاف أيضاً من حروف الجر ^(٢) .

وهذا البيت من قصيدة لمسلم بن معبد الوالى . قال أبو محمد الأسود الأعرابى فى ضالة الأديب : كان السبب فى هذه القصيدة : أن مسلماً كان غائباً فكتب إليه للمصدق (أى لعامل الزكاة) وكان رقيق وهو عمارة ابن عبيد الوالى عريقاً ، فظن مسلماً أن رقيقاً أغراه (وكان مسلم ابن أخت رقيق وابن عمه) ، فقال :

قصيدة الشاهد (بكت إلى ، وحق لها البكاء ، وفرقها المظالم والعداء
إذا ذكرت عرافة آل بشر وعيشاً ما لأوله انشاء
ودهراً قد مضى ورجال صدق سعوا ، قد كان بعدهم الشقاء
إذا ذكرت العريف لها اقشعرت ومس جلودها منه ازواء
فظلت وهى ضامرة تفادى من الجرات جاهدتها البلاء ^(٣)
وكدن بنى الربا يدعون باسمى ولا أرض لدى ولا سماء

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٨٢ ومعانى الفراء ١ : ٦٨ وابن يعين
٧ : ٨ / ١٨ : ٩ / ٤٣ : ١٥ والهمع ٢ : ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٥٨ وشرح شواهد
المفتى ١٧٢

(٢) الحزانة ٢ : ٤ / ٣٥٢ : ٤٧٣ بولاق

(٣) الضامرة : التى تمسك جرتها فى فيها . وبغير ضامز : لا يرغو .
ط : « ضامره » ، صوابه فى ش

تؤمِّل رَجْعَةً مِنِّي ، وفيها كتابٌ مثل ما لَزِقَ الغِراءُ
عَذَرْتُ النَّاسَ غَيْرَكَ فِي أُمُورٍ خَلَوَتْ بِهَا فَمَا نَفَعَ انْخِلَاءُ
فَلَيْسَ عَلَى مَلَامَتِنَاكَ لَوْمٌ وَلَيْسَ عَلَى الذِّى نَلْقَى بَقَاءُ
أَلَمْ أُنْ رَأَيْتَ النَّاسَ آبَتْ كَلَابُهُمْ عَلَى لَهَا عَوَاءُ
ثَنَيْتَ رِكَابَ رَحْلِكَ مَعَ عَدُوِّ لِمَحْتَمَلٍ ، وَقَدْ بَرَحَ انْخِلَاءُ^(١)
وَلَا تَحَيْتَ الرِّجَالَ بِذَاتِ بِنِي وَبَيْنِكَ ، حِينَ أَمَكَّنَكَ اللُّغَاءُ
وَأَيَّ أَخٍ لَسَلَمَكَ بَعْدَ حَرْبِي إِذَا قَوْمُ الْعَدُوِّ دُعُوا فِجَاءُ
فَقَامَ الشَّرُّ مِنْكَ وَقَتَ مِنْهُ عَلَى رِجْلٍ وَشَالَ بِكَ الْجَزَاءُ
هَنَّاكَ لَا يَقُومُ مَقَامَ مِثْلِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّنُونُ وَلَا النِّسَاءُ
وَقَدْ عَيَّرْتَنِي وَجَفَوْتَ عَنِّي فَمَا أَنَا وَبَبَ غَيْرِكَ وَالْجَفَاءُ
وَقَدْ يَغْنِي الْحَبِيبُ وَلَا تُرَاخِي مَوَدَّتَهُ الْمَغَانِمُ وَالْجِبَاءُ^(٢)
وَيُوصَلُ ذُو الْقَرَابَةِ وَهُوَ نَاءُ وَيَبْقَى الدِّينُ مَا بَقِيَ الْحَيَاءُ
جَزَى اللَّهُ الصَّحَابَةَ عَنْكَ شَرًّا وَكُلُّ صَحَابَةٍ لَهُمْ جَزَاءُ
يَفْعَلُهُمْ ، فَإِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا : كَمَا مِثْلُ الْخِذَاءِ
وَأَيَّاهُمْ جَزَى عَنِّي ، وَأَدَّى إِلَى كُلِّ بِمَا بَلَغَ الْأَذَاءُ^(٣)
وَقَدْ أَنْصَفْتُهُمُ وَالنِّصْفُ يَرْضَى بِهِ الْإِسْلَامُ وَالرِّحْمُ الْبَوَاءُ
لَدَتْهُمْ النِّصِيحَةَ كُلَّ لَدٍّ فَجُؤَا النَّصْحَ ثُمَّ ثَمُّوا فَقَاءُوا

(١) ش : « رِكَابَ رَحْلِكَ » .

(٢) ط : « وَلَا تُرَاخِي » .

(٣) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « الْأَذَاءُ » .

وكنْتُ لهم كداء البطن يُوذى وراءَ صحَّيْهِ مرضُ عِياء
 جَوَيْنَ من العداوة ، قد وَرَّاهُم نَشِيشُ الغِيظِ والمرض الضَّنَاءُ
 إِذَا مَوَّلَى رَهْبْتُ اللهَ فِيهِ وأَرْحَامًا لها قَبْلِي رِعَاءُ
 رَأَى ما قد فعلْتُ به مَوَالٍ فقد غَيَّرْتُ صُورَهُمْ ودَاعُوا
 فكيفَ بهم ! فَإِنْ أَحْسَنْتُ قَالُوا أَسَأْتُ ، وَإِنْ غَفَرْتُ لَهُمْ أَسَاءُوا
 فلا وأَيْكَ لا يُلْفَى لِمَا بِي ولا لِمَا بِهِمْ أَبَدًا شِفَاهُ

وبقي من القصيدة اثنا عشر بيتاً وَصَفَ إِبْلَهَ فيها .

قوله : المظالم والعداء ، هو جمع مَظْلَمَةٍ بكسر اللام وهو ما أخذه الظالم ،
 وكذلك الظُّلَامَةُ والظلمية . والعداء بالفتح : الظلم وتجاوز الحد ، وهو مصدر
 عدا عليه . وقوله : إِذَا ذَكَرْتُ ، ظرف لقوله بكت إبلى ؛ وفاعل ذَكَرْتُ
 ضمير الإبل . واشتاء : انكشاف ؛ يقال ثناه : إِذَا كَفَّهِ . وقوله : ورجال
 صدق سَمَوَا ، بالنصب معطوف على عِرافَةٍ ؛ وسعوا أى تعاطوا أَخَذَ الزَّكَاةَ ؛
 والساعى : من ولى شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال ذلك فى ولاة الصَّدَاقَةِ .
 والانزواء : التَّقَبُّضُ . وتغادى من كذا : إِذَا تَحَامَاهُ وانزوى عنه . وقوله :
 عذرتُ الناسَ غيرك ، خطاب لرُقَيْعِ ابن عمِّه ؛ وخلوتَ بها بالخطاب أى سَخَرْتَ
 بها ، يقال خلوتَ به : إِذَا سَخَرْتَ مِنْهُ . وقوله : ملامتناك ، أى لومتنا إياك .
 وقوله : أَلَمَّا ، الهزئة استفهام توبيخى ؛ ولَمَّا بمعنى حين ، متعلقة بقوله ثنيتُ .
 وآبت : رجعت . وبرح : زال . ولاخيتُ ، بالخاء المعجمة : مالات وساعدت .
 وَالظَّنُونُ بالفتح : الرجل السيء الظن ، وهو فاعل يقوم . وويبَ بمعنى ويل .
 وقوله : يَفْنَى الحَيْبُ ، أى يصير غنياً ولا تراخى ^(١) المغانمُ والعطاء مودَّتَه .

والصَّحَابَة : الأصحاب . والحذاء بالكسر : النعل ؛ واحتذى : انتحل ؛ أراد : كما صنَّع مثل الحذاء مطابقاً له . وأنصفت الرجل إنصافاً : عاملته بالعدل ؛ والاسم النصف بالتحريك ؛ والنَّصْف بفتح فسكون^(١) . والبواء ، بفتح الموحدة والمد : السَّواء . وقوله لدَّثُمُهم النصيحة ، اللدود بالفتح : ما يُصَبُّ من الأدوية في أحد شقي الفم ؛ ولدثته لدًا : صببت في فيه صبا . ونجَّه : رماه . وثنوا : عطفوا ومالوا . وقوله : وقاءوا ، بالقاف من القاء ؛ وصحفه العيني تجريفاً فاحشاً فقال : « قوله : وقاءوا ، خبر مبتدأ محذوف ، أى وهم فاءوا ؛ والجملة حالية » اه وهذا مما لا يُقضى منه العجب . وقوله : وكنت لهم كداء البطن . . الخ ، داء البطن : الإسهال ؛ ويؤذى من الأذية ، والواو مسهلة من همزة ، والجملة حال من الداء ؛ وراء بمعنى خلف وبعد ؛ وضير صحيحه لداء البطن ؛ والمرض العياء بالفتح هو المرض الذى تعيا عنه الأطباء ؛ والجملة الاسمية حال أيضا من البطن . يريد أن ما أضمره من بغض قاتلهم لا محالة ، لأننى كنت عندهم بمنزلة داء البطن المؤذى ، نشأ من أهونه ما عجز عنه الأطباء كالزَّحِير والسِّل . وقوله : جوين من العداوة الخ ، هذا بيان لما قبله ؛ وجوين منصوب بفعل محذوف أى أراهم جوين ، وهو جمع جَوٍ : صفة مشبهة من الجوى كعم من العمى ، جمع على طريقة جمع المذكر السالم ، والجوى : الحرقعة وشدة الوجد من عَشَقٍ أو حزن ؛ ووراهم ، من ورى القبيح جوفه ورىا : إذا أكله ؛ ونشيش : فاعل ووراهم ، والنشيش : صوت الماء ونحوه إذا غلى على النار . والضئاء بالفتح والمد : اسم مصدر ضئى ضئى من باب تعب : مرض مرضاً ملازماً حتى أشرف على الموت . كذا فى المصباح . وقوله : إذا موغى رهبت

(١) وكذا بكسر فسكون ، وضم فسكون . وفى القاموس : « وبالكسر

ويثلت : النصعة » .

الله فيه [الخ . المولى هنا ابن العم ، ورهبتُ الله فيه ^(١)] أى خفت الله فى جانبه . وقوله : قَبْلِي ، بفتح القاف وسكون الموحدة . والرَّعاء : جمع راع من الرعاية ، وهى تفقد الشيء وتحفظه . وقوله : رأى ما قد فعلت به . . الخ ، ما : موصولة أو نكرة موصوفة مفعول أول لراى ، والمفعول الثانى محنوف أى سواً ونحوه ؛ ومَوَالٍ : فاعل رأى ، وهو جمع مولى ؛ وغيرتُ : من الغمر بالكسر ، وهو الحقُّ والغُلُّ ، يقال غمِرَ صدره علىَّ بالكسر ، يَغْمَرُ بالفتح ، غَمَرًا بسكون الميم وفتحها مع فتح الأول فيهما . وداعوا أى مرضوا ، وهو فعل ماض من الداء ، يقال داء الرجل يداء داء إذا أصابه المرض . وقوله : فكيف بهم ، أى فكيف أصنع بهم .

وقوله : (فلا وأبيك .. الخ) ، جملة لا يلقى جواب القسم ، أى لا يوجد شفائه لما بى من الكدر ولا لما بهم : من داء الحسد ؛ واللام الثانية مؤكدة للأولى . وروى صاحب منتهى الطلب من أشعار العرب ^(٢) .

فلا والله لا يلقى لما بى وما بهم من البلوى ^(٣) .. الخ
وعليه فلا شاهد فيه .

و (مسلم) شاعر إسلامى فى الدولة الأموية . وهو ابن مَعْبَد بن طَوَّاف (بتشديد الواو) ابن وَحَّوح (بجاءين مهملتين) ابن عُوَيْر (مصغر عامر) الوالى (نسبة إلى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن فُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة)

مسلم الوالى

(١) التكملة من ش

(٢) ط : « منتهى أشعار العرب » ش : « منتهى الارب من أشعار العرب » ، والوجه ما أثبت . وانظر مقدمة الخزانة

(٣) فى النسختين : « وشأنهم من البلوى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات س^(١) :

١٣٥ (وصالياتٍ ككَمَا يُؤْتَفَيْنِ)

على أنه يمكن أن تكون (الكاف) الثانية مؤكدة للأولى ؛ قياساً على اللامين في البيت الذي قبله ، فلا يكون في البيت دليل على اسمية الكاف الثانية .

وهو من قصيدة لخطام المجاشعي^(٢) . وهي من بحر السريع ؛ وربما حسب من لا يحسن العروض أنه من الرجز كما توهمه بعضهم ؛ لأن الرجز لا يكون فيه معولات فيرد إلى فعولات . ومثله :

* قد عرّضت أروى بقولٍ إفنَاد^(٣) *

وهو مستفعلن مستفعلن فعولات . وأولها :

(حَيٌّ ديارَ الحَيِّ بينَ السَّهْبَيْنِ)^(٤) وطلّحةِ الدَّومِ وقد تعفَيْنِ
(لم يَبْقَ منَ آيٍ بها يُحَلِّينِ)^(٥) غَيْرَ حُطَامٍ وَرَمَادٍ كَسَفَيْنِ
(وغيرَ نَوْيٍ وَحِجَّاجِيٍّ نَوَيْنِ) وَغَيْرَ وَدٍّ جاذِلٍ أَوْ وَدَيْنِ
(وصالياتٍ ككَمَا يُؤْتَفَيْنِ)

(١) سيبويه ١ : ١٣ ، ٢/٢٠٣ : ٣٣١ . وانظر ما سيأتي في ٢ : ٣٥٣ و ٤ : ٢٧٣ بلاق وشرح شواهد الشافعية ٥٩ والعيني ٤ : ٩٥٢ وابن يعيش ٨ : ٤٢ ومجالس ثعلب ٤٨ وشرح شواهد المغني ١٧٢ والخصائص ٣٦٨ : ٢

(٢) وفي شرح شواهد الشافعية : « ونسبه الصقل شارح أبيات الايضاح للفارسي ، والجوهري في الصحاح الى هميان بن قحافة » .
(٣) ط : « ابعاد » ، صوابه في ش واللسان (فند ٣٣٥) وفسره بقوله : « انما أراد : بقول ذي افناد »

(٤) ط : « دار الحى » ، ولا يستقيم به الوزن ، وصوابه في ش واضح

(٥) في النسختين : « تحلين » ، والوجه ما أثبت من شرح شواهد الشافعية .

ومنها :

(وَمَهْمَهِينَ قَذْفَيْنِ مَرَّتَيْنِ ظَهَرَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ)
(جُبَّتْهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْنَيْنِ عَلَى مَطَارِ الْقَلْبِ سَامَى الْعَيْنَيْنِ)

فقوله : حى ، فعلٌ أمرٍ من التحية . والحي : القبيلة . والسَّهْبَان : موضع ، وكذا طلحة الدَّوم ؛ ولم يذكرهما البكرى فى معجم ما استعجم^(١) . والنون فى تعفين : ضمير ديار الحى ، وتعفى بمعنى عفا اللازم ، يقال عفا المنزل يعفو عَفْوًا وَعُفْوًا وَعَفَاءً بالفتح والمد : درس . ويتعدى أيضاً ؛ فإنه يقال عَفَتْه الريح . والآى : جمع آية بمعنى العلامة . وضمير تحلين لديار الحى ، والتحلية : الوصف ، يقال حلّيت الرجل تحلية : إذا وصفته . يقول : لم يبق من علامات حلولهم فى ديارهم تحليها وتصفها^(٢) غير ما ذكر . ومن زائدة . وآى : فاعل لم يبق . وغير منصوب على الاستثناء . وجملة يُحلّين^(٣) صفة لآى . وبها متعلق به . والخطام بضم المهملة : ما تكسّر من الخطب ، والمراد به : دقّ الشجر الذى قطعوه فظللوا به الخيام . ورَمَاد مضاف إلى كنفين ، أى رماد من جانبي الموضع ؛ ولو روى بالتنوين لم يكن خطأ . فكَنَف بفتح الكاف وسكون النون : الناحية والجانب ، وأصله بفتح النون ، وقيل هو هنا بكسر الكاف وسكون النون ، بمعنى وعاء يجعل الراعى فيه أدواته . والنؤى بضم النون وسكون الهمزة : حفيرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر ، ويؤخذ تراها ويحمل حاجزاً للبيت ؛ فجعل ذلك الحاجز كحجاج العين ، وهو بكسر المهملة وفتحها وبعدها جيان : العظم الذى ينبت عليه الحاجب . والجاذل ، بالميم والذال المعجمة : المنتصب ، جذل جذولا : انتصب وثبت . والودّ : الود .

(١) وكذا لم يذكرهما ياقوت .

(٢) ط : « ووصفها » ، صوابه فى ش وشرح شواهد الشافية

(٣) فى النسختين : « تحلين » ، صوابه من شرح شواهد الشافية

و (صاليات) : أراد بها الأثافي ، لأنها صليت بالنار أى أحرقت حتى اسودّت ، وهى معطوفة على حُطام ، أى وغير أثافي صاليات ؛ وليست الواو واوْرُب ، خلافاً لابن يسعون ؛ بدليل أنه روى بدلها (وغير سُفْعٍ) : جمع أسْفَع ، أراد بها الأثافي أيضاً ، لأنها قد سفّعتها أى سودّتها وغيّرت لونها . وروى أيضاً : (ومائلات) أى منتضبات . و (الأثافي) : جمع أُثْفِيّة وهى الأحجار التى ينصب عليها القدير . و « ما » فى قوله : (ككما) قال الفارسى فى التذكرة القصصيّة ، « يجوز أن تكون مصدرية ، كأنه قال : مثل الإثفاء ، ويجوز أن تكون موصولة بمنزلة الذى كقوله :

* فإن الذى حانت بفلج دماؤهم ^(١) * « ا هـ

والكاف الأولى جارة والثانية مؤكّدة لها ، كما قال الشارح . وهذا مأخوذ من الكشف ، قال فى تفسير قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ^(٢) : لك أن تزعم أن كلمة التشبيه كرّرت للتأكيد كما كرّرها من قال :

* وصالياتٍ ككما يؤثفين *

وإذا كان من باب التوكيد جاز أن يكون الكافان اسميّين أو حرفيّين فلا يكون دليل على اسميّة الثانية فقط .

وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب ^(٣) : « أجرى الكاف الجارة مجرى مثل ، فأدخل عليها كافاً ثانية ؛ فكأنه قال : كمثل ما يؤثفين . وما ، مع الفعل ، بتقدير المصدر كأنه قال : كمثل إثفائها أى إنها على حالها حين أُنْفِيت . والكافان لا يتعلقان بشيء ، فإن الأولى زائدة والثانية قد

(١) أى الذين . والبيت لاشهب بن رميلة سيأتى فى ٢ : ٥٠٧ بولاق وعجزة :

* هم القوم كل القوم يا أم خالد *

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى

(٣) الاقتصاب ٤٣٠

أجريت مجرى' الأسماء لدخول الجارّ عليها ؛ ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلّقة بمحذوف صفة لمصدر مقدّر محمول على معنى الصاليات ، لأنها نابت مناب مثنويات ؛ فكأنه قال : ومثنويات إثناء مثل إثناءها حين نصّيت' للقدر . ولا بدّ من هذا التقدير ليصحّ اللفظ والمعنى . وأما قوله : يؤثّفين ، فقد اختلف النحويون في وزنه : فقال قوم : وزنه يُؤفَعَلْنَ ، والهمزة زائدة فكان يجب أن يقول يُثَفِّين ، لكنه جاء على الأصل ضرورة كما قال الآخر :

* فإنه أهلٌ لأن يُؤكّرَما^(١) *

وعلى هذا فأنثية أفعولة . فأصلها أثفوية ؛ قلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الفاء لتبقى الياء على حالها ، واستدلوا على زيادة الهمزة بقول العرب : ثفّيت القدر إذا جعلتها على الأنثى . وقال قوم : وزنه يُفَعَّلَيْن ، فالهمزة أصل ، ووزن أنثية على هذا فعلية ، واستدلوا بقول النابغة :

لا تقدّني برُكن لا كفاء له وإن تأثّفت الأعداء بالرّفد

فقوله تأثّفت وزنه تفعّلت ، لا يصح فيه غيره ؛ ولو كان من ثفّيت القدر لقال تشفّاك^(٢) . ومعناه صار أعدائي حولك كالأنثى تظافراً^(٣) .

قال ابن جني في شرح تصريف المازني : « ويفعلن أولى من يؤفعلن ، لأنه لا ضرورة فيه » .

وقوله : ومهمين قدّفين . . الخ هذا البيت من شواهد النحاة ، أنشده الزّجاج^(٤) في باب ماجاء من المثنى بلفظ الجمع . وسيأتي إن شاء الله تعالى

(١) لأبي حيان الفقي ، العينى ٤ : ٥٧٨ ، ٩٥٣ وشرح شواهد الشافعية ٥٨

(٢) الى هنا ينتهى نقل البغدادي عن الاقتضاب ٤٣٠

(٣) التظافر : التضافر .

(٤) ش : « الزجاجي » .

في الشاهد الثالث والسبعين بعد الخمسة في باب المثني . والمهمه : القفر الخوف ، قال ابن السيد في شرح شواهد الجمل : واشتقاقه من قولك مهمته بالرجل : إذا زجرته فقلت له : مه مه . أراد : أن سالكه يخفي صوته وحركته من خوفه ، فإن رفع صاحبه صوته قال له : مه مه . ونظير هذا ما ذكره اللغويون في قول أبي ذؤيب (١) :

* على أطرقاً باليات الحيام *

فإنهم ذكروا : أن أطرقاً موضع ، وأنه سمي بذلك لأن ثلاثة أنفس مروا به ، فتكلم أحدهم مع صاحبه ، فقال لها الثالث . أطرقاً .

والقذف ، بفتح القاف والذال المعجمة : البعيد من الأرض . والمرت ، بفتح الميم وسكون المهملة : الأرض التي لا ماء بها ولا نبات . والظهر : ما ارتفع من الأرض ، شبهه بظهر رأس : في ارتفاعه وتعريه من النبات ، كما قال الأعشى :

وفلاة كأنها ظهرُ رُسي ليس إلا الرجيع فيها علاقُ

وقوله : جبيتها بالنعت . الخ ، أي نعتنا مرة واحدة فلم أحتج إلى أن نعتنا مرة ثانية ، وصف نفسه بالحديق والمهارة : وهذا يشبه ما أنشده الفارسي في التذكرة :

ومهمه أعور إحدى العينين بصير الآخري وأصم الأذنين
قطعه بالسنت لا بالسنتين

قوله : أعور الخ ، قال أبو علي : كانت في هذا الموضع بثران فعورت

(١) ط : « أبي ذئب » صوابه في ش . والبيت بتمامه في الهذليين

إحداها وبقيت الأخرى ، فلذلك قال : أعور إحدى العينين . وقوله : وأصم الأذنين ، يعنى . أنه ليس به جبَلٌ فيسمع صوت الصدى منه . وقوله : بالسَّمت . الخ ، أى قيل لى مرة واحدة فاكتفيت . وواو « ومهمين » واورُبَّ وجوابها جُبَّتَهما .

خطام المجاشعى (خِطَامُ المجاشعى) بكسر الخاء المعجمة ، ومعناه الزمام . قال الأمدى فى المؤلف والمختلف : هو خِطَامُ الرِّيحِ المجاشعى الراجز ، وهو خِطَامُ بن نصر ابن عياض بن يربوع ، من بنى الأبيض بن مجاشع بن دارم . وهو القائل :
* وماتلاتٍ ككما يُؤثفين * اهـ

وذكر الصاغانى فى العباب : أن اسمه بشر (بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة) .

وقال الأمدى : ومنهم من يقال له : « خِطَامُ الكلب » واسمه بُجَيْر (بضم الموحدة وفتح الجيم) ابن رزام^(١) ، ذكره ابن الأعرابى ولم ينسبه ، وأنشد له :

والله ما أشبهنى عصامُ لا خلقُ منه ولا قوامُ
نمتُ وعرقُ الخال لا ينام^(٢)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه^(٣) :

(١) ط : « دارم » ، صوابه فى ش والمؤتلف ١١٢
(٢) السمط ٧٩٥ والكامل ٧٩ وطراز المجالس ١٤٨
(٣) سيبويه ١ : ٩٢ . وانظر العينى ٤ : ٤٥١ وابن يعيش ٣ : ٢١
والخصائص ٢ : ٤٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٧٠

١٣٦ (بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجْهَةِ الْأَسَدِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(يَا مَنْ رَأَى عَارِضًا أُسْرُ بِهِ)

على أَنَّ المضاف إليه مخدوف ، بقرينة المضاف إليه الثاني ، أى بين ذِرَاعَى الأسد وجهته .

تقدّم الكلام على مثل هذا فى الشاهد الثالث والعشرين^(١) وَمَنْ : منادى وقيل : مخدوف المنادى ، أى يا قوم ، وَمَنْ استفهامية . والرؤية بصرية . والعارض . السحاب الذى يعترض الأفق . وجملته . أُسْرُ بِهِ ، صفةٌ لعارض . والذراعان والجهة : من منازل القمر الثمانية والعشرين ، فالذراعان أربعة كواكب ، كل كوكبين منها ذراع .

قال أبو إسحاق الزجاج فى (كتاب الأنواء) . ذراع الأسد المقبوضة^(٢) ، وهما كوكبان نيّران بينهما كواكبٌ صغار يقال لها «الأظفار» كأنها فى مواضع مخالب الأسد ، فذلك قيل لها الأظفار . وإِنَّمَا قيل لها الذراع المقبوضة لأنها ليست على سَمْتِ الذراع الأخرى ، وهى مقبوضة عنها ، ونوءها يكون لليلتين تمضيان من كانون الثانى ، يَسْقُطُ الذراع فى المغرب غُدُوَّة وتطلُع البلدة والنسر الطائر فى المشرق غُدُوَّة . وفيه يجمد الماء ويشد البرد . والجهة : أربعة كواكب فيها عِوَج ، أحدها بَرَّاق وهو اليماني منها ، وإِنَّمَا سَمِّيتِ الجهة لأنها كجهة الأسد . ونوءها يكون لعشرِ تَمَضَى من شُبَّاط ، تسقط الجهة فى المغرب غُدُوَّة ، ويطلع سَعْدُ السُعُود من المشرق غُدُوَّة . وفيه تقع الجرة الثالثة ويتحرك أول

(١) الجزء الأول ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) فى الأزمنة ١ : ١٨٩ ، ٣١٧ أنهما ذراعان : مقبوضة ومبسوطة

العُشب ، ويصوت الطير ويورق الشجر ، ويكون مطرٌ جود . ويسى نوء الأسد ، لأنه يتصلّ بهما كواكب في جبهة الأسد . . . وخَصَّ هاتين المنزلتين لأنَّ السحاب الذى ينشأ بنوء من منازل الأسد يكون مطره غزيراً ، فلذلك يُسرُّبه . والنوء : غيبوبة الكوكب في المغرب غدوة وطلوع رقبه في المشرق غدوة ، وسى النوء لأنه ناء أى نهض للغيوب . قال الزجاج : والذى أختار مذهبُ الخليل : وهو أن النوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النجم ، فاسم مطر الكوكب الساقط النوء اه .

وكانت العرب تزعم أنه يحدث عند نوء كل منزلٍ مطرٌ أو ريح ، أو حرٌّ أو برد ، وهذا الذى روى في الحديث . أن النبي ﷺ قال . « ثلاثٌ من أمر الجاهليّة : الطعن في الأنساب ، والفياحة ، والاستسقاء بالأنواء » ، وهو أن تضيف المطرَ إلى الكوكب الذى ينوء .

قال الأعمى : « وصف عارضٍ سحابٍ اعترض بين نوء الذراع ونوء الجبهة ، وهما من أنواء الأسد ، وأنواءه أحمدُ الأنواء . وذكر الذراعين ، والنوء إنما هو للذراع المقبوضة منهما ^(١) لا اشتراكهما في أعضاء الأسد ^(٢) . ونظير هذا قوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) يريد من البحرين الملح والعذب ، وإِنَّمَا يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح ، لا منهما . وهذا البيت للفرزدق . وتقدمت ترجمته في الشاهد الثلاثين ^(٣) .

* * *

(١) ما هنا يصحح ما فى الشنتمرى ١ : ٩٢

(٢) ط : « أعصاب الأسد » صوابه فى ش والشنتمرى

(٣) الخزانة ١ : ص ٢١٧

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد
س (١) .

١٣٧ (كَلِّينِي لِهَمْ يَا أُمِيَّةَ نَاصِب)

هذا صدر ؛ وعجزه قد أُشَدَّه في باب النعت (٢) .

(وَلِيلِ أَقَاسِيهِ بَطَىءِ الْكَوَاكِبِ)

على أن (أُمِيَّةَ) جاء بفتح التاء ؛ والقياسُ ضمُّها .

واختلفوا في التوجيه . فقال الجمهور . إنه مرخمٌ ، والأصل يا أُمِيمٌ ؛
ثم أدخلت الهاء غيرَ معتدٍّ بها ، وفتحت لأنها وقعت موقع ما يستحقّ الفتح
وهو ما قبل هاء التأنيث .

ولأبي على الفارسيّ فيه قولان : أحدهما أن الهاء زائدة ، وفتحت إتياعاً
لحركة الميم . والثاني أنها أدخلت بين الميم وفتحها ، فالفتحة التي في أولها هي
فتحة الميم ثم فتحت الميم إتياعاً لحركة الهاء .. وقيل : جاء هذا على أصل
المنادى ولم ينوّنْ لأنه غير منصرف . وقيل : هو مبنيّ على الفتح ؛ لأنّ منهم
من يبني المنادى المفرد على الفتح ، لأنها حركة تشابه حركة إعرابه ، فهو نظير :
لا رجلَ في الدار .

وقوله (كَلِّينِي) أمرٌ من وَكَلَّتْ الأمرُ إليه وَكَلًّا من باب وعد ،
وَوُكِّلَ : إذا فَوَّضْتَهُ إليه واكْتَفَيْتَ به . و (أُمِيَّةَ) تصغيرُ ترخيمِ أُمَامَةِ ،
وهي بنته . و (نَاصِب) بمعنى مُنْصَب : من النَّصَب وهو التعب ، فجاء به

(١) سيبويه ١ : ٣١٥ ، ٢/٣٤٦ : ٩٠ والعيني ٤ : ٣٠٣ وابن

يعيش ٢ : ١٢ : ١٠٧ وابن الشجري ٢ : ٨٣ والهمع ١ : ١٨٥

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٦ بولاق .

على طرح الزائد وحمله سيؤويه على النسب ، أى ذى نصب ، كما يقال طريق خائف أى ذو خوف . و (أقاسيه) : أكابده . يقول : دعيت لهذا المم المتعب ومقاساة الليل البطيء الكواكب بالسهر ؛ ولا تزيدني لوماً وعدلاً ؛ وجعل بطاء الكواكب دليلاً على طول الليل كأنها لا تغرب فينقضى الليل . وما أحسن قول بعضهم ^(١) :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شئت فإن لم تجيء طال وإن جاءت فليلي قصير

٣٧١

وهذا البيت مطلع قصيدة للناطقة الذبياني ، مدح بها عمرو بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر (بفتح وكسر) ؛ ويقال شمر بكسر فسكون) حين هرب إلى الشام لما بلغه سعى مرة بن ربيعة بن قزيع به إلى النعمان بن المنذر ، وخافه . وهذا عن أبي عبيدة . وقال غيره : هو ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر . وبعده :

(تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضي وليس الذي يرعى النجوم بأيب
وصدري أراحَ الليلُ عازبَ همِّه تضاعفَ فيه الحزنُ من كل جانب

أبيات الشاهد

(١) هو ابن بسام ، كما فى نهاية الأرب ١ : ١٣٥ وحامسة ابن الشجرى ٢١٤ وثمار الأزهار لابن منظور ٢٣ وزهر الآداب ٧٤٩ وديوان المعاني ١ : ٣٤٨ والمختار من شعر بشار ٢٠ . وذكروا أنه أخذه من على ابن الخليل حيث يقول :

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تزول
ليلي إذا شئت قصير إذا جادت فان ضنت فليل طويل
أو : ليلي كما شئت قصير إذا جادت وان زارت فليلي قصير
وفى السمط ٣١٠ وشرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٥٣ نسب بيتا
الحزانة الى بشار .

على لعمرِو نعمةً ، بعد نعمةٍ لوالده ليست بذات عقارب)
ومنها :

(ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بمن قُول من قِراع الكتاب)
وسياتى شرحه إن شاء الله تعالى في (المستنقى) .

قوله : وصدر ، معطوف على قوله « لهم » في أوّل البيت . وأراح ،
بمهلّتين : متعدّي راحت الإبل بالعشي على أهلها : أى رجعت من المرعى
إليهم . والعازب ، بالعين المهملة والزاي المعجمة : الغائب ، من عزّب الشيء
عزّوباً من باب قعد : بعد ، وعزّب من بابي قتل وضرب : غاب وخفى .
وقوله : لوالده ، أى لوالد عمرو ، صفة لنعمة ، أى بعد نعمة كائنة لوالده وقوله :
ليست . . الخ ، الجملة صفة إما لنعمة المرفوعة أو لنعمة المجرورة ، أى نعمة غير
مشوبة بنعمة كنعمة النعمان بن المنذر . (وعمرو) هذا هو الغسانی من
ملوك الشام .

قال ابن رَشِيق في العمدة^(١) : « أوّل من ولي الشام من غسان الحارث
ابن عمرو محرق^(٢) . سمّي بذلك لأنه أوّل من حرّق العرب في ديارها ،
وهو الحارث الأكبر ، يكنى أبا شمر . . ثم ابنه الحارث بن أبي شمر ، وهو
الحارث الأعرج ؛ وأمه مارية ذات القرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب
ابن الحارث بن معاوية الكندي ؛ وأختها هند الهند امرأة حُجر آكل
العرار الكندي . وإلى الحارث الأعرج زحف المنذر الأكبر فانهزم جيشه

(١) العمدة ٢ : ١٧٨

(٢) في النسختين : « عمرو ومحرق » ، صوابه في العمدة . وجعلها
السنقيطى بقلمه : « بن عمرو وهو محرق »

وقُتل هو . . . ثم الحارث الأصغر بن^(١) الحارث الأعرج بن الحارث . . . ومن ولد الأعرج عمرو بن الحارث ، وكان يقال له أبو شمر الأصغر . وله يقول نابغة بنى ذبيان :

على لعمري نعمة ، بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب
(والنعمان بن الحارث) هو أخو الحارث الأصغر . وله يقول النابغة :
هذا غلامٌ حسنٌ وجهه مستقبلُ الخير سريعُ التمام^(٢)

والنعمان ثلاثة بنين : عمرو ، وحجر ، والنعمان .

ومن ولد الأعرج أيضاً : المنذر ، والأبهم أبو جبلة . وجبلة آخر ملوك غسان ، وكان طوله اثني عشر شهرا وهو الذي تنصّر في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(٣) .

« وكان أصل هؤلاء من اليمن ؛ وكانوا من غسان ، وقيل من قضاة . وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك . ثم من بعده ابنه مالك . ثم من بعده مالك ابنه عمرو . . . إلى خروج مزيقيا — وهو عمرو بن عامر — من اليمن في قومه من الأزدي . وُسِّيَ مزيقيا لأنه كان يمزق كل يوم حُلَّةً ، لا يعود إلى لبسها ، ثم يهبها . وُسِّيَ عامرُ ماء السماء لأنه كان يُجْجِي^(٤) في الحُلّ فينوب عن الغيث بالعطاء . ومزيقيا : ابن حارثة الغطريف بن ثعلبة البهلول بن امرئ »

٣٧٢

(١) في النسختين : « ثم الحارث الأعرج » ، صوابه في العسدة .

(٢) انظر ما مضى في الشاهد ١٠٤ وكذا جمهرة القرشي ٢٦ والأغانى

٩ : ١٦١

(٣) المنقول التالي متقدم في الترتيب عند ابن رشيق على هذا

المنقول

(٤) ط : « يجتنى » . وأثبت ما في ش . وفي العمدة : « يجي »

وفي بلوغ الأرب ٢ : ١٧٣ : يحتبى » .

القيس البطريق بن مازن قاتل الجوع ابن الأزد^(١) . لما خرج مزيقيا من اليمن كان معه رجل اسمه جذع بن سنان فنزلوا بلاد عك ، فقتل جذع ملك بلاد عك ، وافترت الأزد ، والملك فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله فحارب جرهم فأجلام عن مكة واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث . وجاء قصي بن كلاب ، فجمع ممدّاً — وبذلك سمي مجعماً — واستعان ملك الروم فأعانه ، وحارب الأزد فغلبهم واستولى على مكة . فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتحلت ، وانخرعت خراعة لولاية البيت — وبذلك سُميت — فصار بعض الأزد إلى السواد فملكوا عليهم مالك بن فهم أباً جذيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب — فهم الأوس والخزرج — وصار قوم إلى عُمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، وأتاه عامل الملك في خُرج وجب عليه ، فدفع إليه سيفه رهناً ، فقال له الرومي : أدخِله في حِرِّ أمك ! فغضب جذع وقنعه به فقبل : «خذ من جذع ما أعطاك ، وصارت مثلاً . ثم استولوا على الشام ، كما تقدم ذكره . والله أعلم .

(تمة)

روى المرزباني في الموشح^(٢) عن الصوليّ بسنده : أن الوليد بن عبد الملك تشاجر مع أخيه مسلمة في شعر امرئ القيس والناطقة الذيباني في وصف طول الليل أيهما أجود ، فرضيا بالشعبي فأحضر ، فأنشده الوليد :

كليني لهم يا أميمة ناصب . . الأبيات الثلاثة

وأنشده مسلمة قول امرئ القيس :

(١) كذا . وانظر العمدة وبلوغ الأرب .

(٢) الموشح ٣١

وليل كُوج البحر، أَرْخَى سُدُوْلَهُ عَلَى بَأَنَوَاعِ الْمُحُومِ، لِيَتَنَلِيَ
السُّدُولُ: السُّتُور. وَيَتَنَلِي: [يَنْظُرُ^(١)] مَا عِنْدِي مِنْ صَبْرٍ أَوْ جَزَعٍ
فَقُلْتُ لَهُ، لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍّ
تَمَطَّى: اْمْتَدَّ. وَصُلْبُهُ: وَسْطُهُ. وَأَرْدَفَ: أَتْبَعَ. وَأَعْجَازُهُ: مَا خِيره. وَنَاءَ:
نَهَضَ. وَالْكُلُّ: الصَّدْرُ.

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلَا ائْجَلِي بِصُحْبٍ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
أَيُّ: مَا الْإِصْبَاحُ بِخَيْرٍ لِي مِنْكَ. [وَالْيَاءُ فِي ائْجَلِي أَثْبَتَهَا فِي الْجَزْمِ
عَلَى لُغَةِ طَيِّهِ^(١)].

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ، بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلُ، شُدَّتْ بَيْنَهُمَا
الْمُغَارُ: الْحُبْلُ الْمَحْكَمُ الْقَتْلُ. وَيَذُبُّ: جَبَلَ.
كَأَنَّ الثَّرْيَا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صُمٍّ جَنْدَلٍ
فِي مَصَامِيهَا: فِي مَقَامِهَا. وَالْأَمْرَاسُ: الْحَبَالُ. وَالْجَنْدَلُ: الْحَجَارَةُ.
وَالصَّمُّ: الصَّلَابُ.

قَالَ: فَضَرَبَ الْوَلِيدُ بَرَجْلَهُ طَرْبَا ۖ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: بَانَتِ الْقَضِيَّةُ ۖ
قَالَ الصَّوْلِيُّ: فَأَمَّا قَوْلُ النَّابِغَةِ:

* وَصَدْرِ أَرَاحِ اللَّيْلِ عَازِبَ هُمَةٍ *

فَإِنَّهُ جَعَلَ صَدْرَهُ مَأْلَفًا لِلْمُحُومِ، وَجَعَلَهَا كَالْتَّعَمِ الْعَازِبَةِ بِالنَّهَارِ عَنْهُ،
الرَّاحِمَةِ مَعَ اللَّيْلِ إِلَيْهِ، كَمَا تُرِيحُ الرُّعَاةُ السَّائِمَةَ بِاللَّيْلِ إِلَى مَكَانِهَا^(٢). وَهُوَ أَوَّلُ
مَنْ وَصَفَ أَنَّ الْمُحُومَ مَتَزَايِدَةٌ بِاللَّيْلِ، وَتَبِعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ الْمُجَنُّونُ:

(١) التَّكْمِلَةُ مِنَ الْمَوْشَعِ .
(٢) الْمَوْشَعُ : « إِلَى أَمَاكُنْهَا » .

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا^(١) كما ضَمَّ أَرْزَارُ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ
وهذا من المقلوب ، أراد : كما ضَمَّ أَرْزَارُ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقَ — ومثلُ هذا
كثير — فجعل المجنون ما يأتية في ليله ، مما عَزَبَ عنه في نهاره ، كالأطفال
الناشئة . وقال ابن الدُّمَيْنَةِ :

أَظَلُّ نَهَارِي فِيكُمْ مُتَعَلِّلًا وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ^(٢)
(وَيُرَوَّى صَدْرُهُ : أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى^(٣))

فالشعراء على هذا متفقون ، ولم يشذَّ عنه منهم إلا أخذقهم بالشعر وهو
امرؤ القيس : فَإِنَّهُ يَحْذَقُهُ وَحُسْنُ طَبْعِهِ وَجُودَةٌ قَرِيحَتِهِ ، كَرِهَ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ
الْهَمَّ فِي حُبِّهِ يَخْفَ عَنْهُ فِي نَهَارِهِ ، وَيَزِيدُ فِي لَيْلِهِ ؛ فَجَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ سَوَاءً عَلَيْهِ
فِي قَلْقِهِ وَهَمِّهِ وَجَزَعِهِ وَغَمِّهِ ؛ فَقَالَ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ . . الْبَيْتُ

وقد أحسن في هذا المعنى الذي ذهب إليه ، وإن كانت العادة غيره ،
والصورة لا توجبه . وقد صبَّ الله على امرئ القيس بعده شاعراً أَرَاهُ اسْتِحَالَةً
معناه في المعقول ، وأن الصورة تدفعه ، والقياس لا يوجبه والعادة غيرُ جارية
به ؛ حتى لو كان الرادُّ عليه من حُذَاقِ المتكلمين ، ما بلغ في كثير نثره ،
ما أتى به في قليل نظمه ؛ وهو الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمِ الطَّائِي : فَإِنَّهُ ابْتَدَأَ
قَصِيدَةً فَقَالَ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ، أَلَا أَصْبَحُ بِبَيْمٍ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَرْوَحِ^(٤)
فَأَتَى بِلَفْظِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَمَعْنَاهُ ؛ ثُمَّ عَطَفَ مُحْتَجاً مُسْتَدْرِكاً فَقَالَ :

(١) في الموشح : « أطفال حبكم »

(٢) ط : « بالهم والليل جامع » . وانظر ديوانه ٨٨ .

(٣) هذا الكلام للبغدادى ، وما بعده للمرزبانى

(٤) بيم : أرض من كرمان . وفي النسختين : « بيم » صوابه في
الديوان ٦٨ ومعجم البلدان والأغاني ١٠ : ١٤٨ والآلئ ٢٢٠ وديوان
المعاني ١ : ٢٤٦ وفي زهر الآداب ٧٤٨ : « بيبوم » تحريف .

بلي ، إنَّ للعَيْنين في الصُّبحِ راحةً لطرَّحهما طرفيهما كلَّ مطرَح
فأحسنَ في قوله وأَجمل ، وأنَّى بحقَّ لا يُدفع ، وبَيَّن عن الفَرَق بين ليله
ونهاره . وإنَّما أجمع الشعراء على ذلك ، من تضاعف بلائهم بالليل وشدة
كلِّفهم ، لقلة المساعِد وفقد الحبيب ، وتقييد اللَّحظ عن أقصى مرامي النظر ^(١) ،
الذي لا بدَّ أن يؤدي إلى القلب بتأمله شيئاً يخفُّ عنه ^(٢) ، أو يغلب عليه
فينسى ما سواه . وأيات امرئ القيس في وصف الليل ، اشتمل الإحسان
عليها ، ولاح الخنق فيها ، وبأن الطبع بها ، فما فيها معابٍ إلا من جهة واحدة
عند الخذاق بنقد الشعر ، وهو قوله : (فقلت له لما تخطى . . البيت) لم يشرح
(فقلت له) إلا في بيت بعده . وهذا عيب ؛ لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت
منه إلى بيت آخر . وقد تبع الناس امرأ القيس وصدَّقوا قوله ، وجعلوا نهارهم
كليلهم ، فقال البحرى في غضب الفتح عليه :

والبستني سُخطَ امرئُ بتُ موهِنا أرى سُخطَه ليلاً مع الليل مظليها
وكأنه من قول أبي عيينة في التذكُّر لوطنه :

طال من ذكره بجرَّجان ليلى ، ونهارى على كالليل داجي ،
وترجمة النابغة الذبياني قد تقدمت في الشاهد الرابع بعد المائة ^(٣) .

الترخيم

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائة ، وهو من
شواهد س ^(٤) :

(١) في النسختين : « مرام النظر » ، صوابه من الموشح ٣٣ .

(٢) في النسختين : « يخف عنه » ، ووجهه من الموشح .

(٣) أنظر ص ١٣٥ من هذا الجزء .

(٤) سيبويه ١ : ٣٤٣ والعيني ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٢٠ .

وابن الشجري ١ : ١٢٦/٢ : ٨٨ والانصاف ٤٣٧ وديوان زهير ٢١٤

١٣٨ (خَذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرِمَ وَاذْكُرُوا أَوَاصِرَنَا، وَالرَّحِمُ بِالْغَيْبِ تُذَكِّرُ)

على أن الكوفيَّين أجازوا ترخيم المضاف ، ويقع الحذف في آخر الاسم الثاني ، كما في البيت وفي أبيات ، أخر كثيرة ، والأصل : يا آل عكرمة . وقالوا : المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشيء الواحد ، فجاز ترخيمه كالمفرد . ومنع البصريُّون هذا الترخيم وقالوا : لاحتجة في هذا البيت وأمثاله ، لأنه محمول على الضرورة . والترخيم ضرورة جاز في غير النداء أيضا كقوله :

أودى ابن جُلهم عبّاد بصيرمته إنَّ ابنَ جُلهم أمسى حيّة الوادي^(١)
أراد جُلهمته .

وهذا البيت من أبيات تسعة لزهير بن أبي سُلي . قالها لبني سُليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . وهي هذه :

قصيدة الشاهد

(رَأَيْتُ بُنَى آلِ امْرِئِ الْقَيْسِ أَصْفَقُوا عَلَيْنَا ، وَقَالُوا : إِنَّا نَحْنُ أَكْثَرُ
سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَأَفْنَاءُ عَامِرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ ، وَالنُّصُورُ ، وَأَعْصُرُ)
بنو آل امْرِئِ الْقَيْسِ : هُوَازن وسُلَيْم بالتصغير . وقوله : أَصْفَقُوا عَلَيْنَا ،
أى اجتمعوا ، يقال أَصْفَقَ الْقَوْمُ عَلَى كَذَا : إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ . وقوله : سُلَيْمُ
ابن مَنْصُورٍ ، أى منهم سُلَيْم . وَأَفْنَاءُ عَامِرٍ : قِبَائِلُهَا . وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ ، من
هُوَازن ، وهم الذين كان النبي ﷺ مسترضعا فيهم . وَالنُّصُورُ : بنو نصر ،
وهم من هُوَازن أيضا ، سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِاسْمِ أَبِيهِ ثُمَّ جُمِعَ . وَأَعْصُرُ
أَبُو غَفَى وَبَاهِلَةُ . وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ وَلَدِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ عِيلَانَ
ابن مضر .

(١) أنظر الشاهد ١٤١ فيما سيأتى . ط : « بصدمته » تحريف

(خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا أواصرنا والرحم بالغيب تذكر
 خذوا حظكم من ودنا، إن قربنا إذا ضررنا الحرب نار تسعر)
 (الحظ) النصيب. يقول: صونوا حظكم من صلة القرابة، ولا تفسدوا
 ما بيننا وبينكم، فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم. و(آل عكرمة)
 هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ورخم عكرمة ضرورة.
 و(الأواصر): جمع آصرة، وهي ما عطفك على رجل. من رحم أو قرابة
 أو صهر أو معروف. والرحم: موضع تكونين الولد — وتخفف بسكون الحاء مع
 فتح الراء، ومع كسرهما أ يضاً في لغة بني كلاب — ثم سميت القرابة والوصلة من
 جهة الولاء رحماً، فالرحم خلاف الأجنبي، وهو مؤنث في المعنيين. والرحم
 التي بين قوم زهير وبينهم: أن مزينه من ولد أذ بن طابخة بن الياس بن مضر،
 وهؤلاء من ولد قيس بن عيلان بن مضر.

وقوله: إذا ضررنا الحرب، أي عضتنا بأضراسها، وهذا مثل
 للشدة. يقول: إذا اشتدت الحرب فالقرب منا مكروه، وجانبنا شديد.
 وضرب النار مثلاً لذلك. ومعني تسعر — وأصله تتسر — تنقد

(وإننا وإياكم إلى ما نسومكم لثلاث، أو أتم إلى الصلح أفقر)

يقول: نحن وأتم مثلاً في الاحتياج إلى الصلح وترك الغزو، بل أتم
 إلى ذلك أحوج وأشد افتقاراً إليه. ومعني نسومكم: نفرض عليكم وندعوكم،
 يقال سمته الخسف، أي طلبت منه غير الحق وحملته على الذل والهوان.

(إذا ما ممحماً صارخاً ممعجت بنا إلى صوته ورق المراكل ضرر)

الصارخ هنا المستغيث. وممعجت بنا، أي مرت مرّاً سريعاً في سهولة.
 وقوله: ورق المراكل ضرر، هو جمع أ ورق وهو الأسود في غبرة، والمراكل

كجعفر : موضعُ عقبِ الفارس من جنبِ الفرس . أى قد نَحَتَّ الشَّعْرُ
وتساقط عن مَرَاكلها فاسودَّ موضعه ، لكثرة الركوب في الحرب .

٣٧٥

(وإن شُلَّ رِيْعَانُ الجميعِ خِيفَةً تقول جهاراً: ويلكم لا تُنفَرُوا^(١) !
على رِسْلِكُمْ ، إنا سنُعْدى وراءكم فتَنعِمُكم أَرماحُنَا أو سَنُعْذِرُ
وإِلَّا ، فإنا بالشَّرْبَةِ فاللوى نُعْقِرُ أُمّت الرِّباعِ ونَيِّسِرُ)

يقول : إن أحسنَ القومِ بالعدوِّ فطردوا أوائلَ إبلهم وصرفوها عن
المرعى ، أمرناهم بأن لا يفعلوا ، وقلنا لهم مجاهرة : ويلكم ! لا تنفروا
ولا تطردوها ، فنحن نمنعها من العدوِّ وقاتل دونها .

وشُلَّ بالبناء للفعول : طُرِدَ^(٢) . ورِيْعَانُ كلُّ شيءٍ : أوله . وقوله :
على رِسْلِكُمْ ، بالكسر ، أى على مهلكم ورفقكم ؛ والمعنى : أمهلوا قليلاً .
وقوله : سنُعْدى وراءكم ، أى سنعدى الخيلَ وراءكم ؛ يقال عدا الفرسُ وأعداه
فارسه . وقوله : سَنُعْذِرُ ، أى سنأتى بالعذر في الذبِّ عنكم ؛ يقال أعذر
الرجل في الأمر : إذا اجتهد وبلغ العذر . وقوله : وإِلَّا فإِنا . . الخ ، يقول :
وإن لم يكن قتال فإنا بالشَّرْبَةِ ، أى بمنازلها التي تعلمون ، نحن فيها آمنون ،
نضرب بقِداحِ الميسر وننحر النوقَ السَّكرِيمةَ .

والرِّباعُ : جمع رُبْع ، وهو ما نُتِج في الربيع . وقِداحِ الميسر تعدَّةٌ عندهم
من المكارم ، يتفاخرون بلبها في القحط . ويقال فيها لا يعقل : أَمٌّ وأُمّات ،
وفما يعقل : أُمّهات ؛ وربما استعمل كلَّ واحد منهما مكانَ صاحبه . ونَيِّسِرُ :
تقاصر : وفعله من باب وعد .

(١) ش : « يُشَلَّ » في المتن والشرح بعده ، تحريف فقد فسره
البغدادي بأنه بمعنى طرد . والشَّل : الطرد . وما أثبتته أيضاً هو رواية
الديوان ٢١٦ .

(٢) ش : « يطرد »

ورُوى :

* وإن شدَّ رُعيان الجميع مخافة *

و شدَّ بمعنى فرَّ . ورُعيان : جمع راع . ووراءكم : أمامكم . وسنمُرُ رُوى بالمشناة الفوقية ، والضمير للرماح . والشَّرْبَةُ بفتح الشين والراء وتشديد الموحدة : موضع ببلاد غطفان . وكذلك اللُّوى .

و (زهير) هو زهير بن أبي سُلمى . واسم أبي سُلمى ربيعة بن رباح للزنى من مزينة بن أدد بن طابخة بن الياس بن مضر ؛ وكانت محلَّتهم في بلاد غطفان . فيظنُّ الناس أنه من غطفان ، أعنى زهيراً ، وهو غلط . كذا في الاستيعاب لابن عبد البر . وكأن هذا ردُّ لما قاله ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(١) فإنه قال : « زهير هو ابن ربيعة بن قُوط . والناس ينسبونه إلى مزينة ؛ وإنما نسبهُ إلى غطفان » ١٥ .

وسُلمى بضم السين قال في الصحاح : « ليس في العرب سُلمى بالضم غيره » ورياح بكسر الراء وبعدها مشناة تخنية .

زهير أحد الشعراء الثلاثة الفحول ، المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني . قال ابن قتيبة^(٢) : « يقال : إله لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير . وكان زهير راوية أوس بن حجر . وعن عكرمة بن جرير قال : قلت لأبي : من أشعرُ الناس ؟ قال : أجاهلية أم إسلامية ؟ قلت : جاهلية . قال : زهير .

(١) الشعراء ٨٦ .

(٢) الشعراء ٨٦ ، ٨٧ .

قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد نعت الملوك ، ويصيب صفة الحر . قلت له : فأنت ؟ قال : أنا نحرت الشعر نحرًا .

وقال ثعلب ، وهو ممن قدّم زهيرًا : كان أحسنهم شعرًا ، وأبعدهم من سُخْف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدّهم مبالغة في اللدح ، وأكثرهم أمثالًا في شعره . وقال ابن الأعرابي : زهير في الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعرًا ، وخاله شاعرًا ، وأخته سُلَى شاعرة ، وأخته الخنساء شاعرة ، وابناه كعب ويحيى شاعرين ، وابنُ ابنه المضرب بن كعب ^(١) شاعرًا ، وهو الذي يقول :

إتني لأحيي نفسي وهي صابرة ^(٢) عن مُصْعَب ولقد بانّت لي الطرق
رُعوى عليه كما أرعى على هَرَم ^(٣) جدّي زهيرٌ وفينا ذلك الخلق
مدحُ الملوك وسعى في مسرّتهم ثم الغني ، ويد المدوح تنطلق
وكعب هو ناظم :

* بانّت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ *

وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى في أفعال القلوب ^(٤) .

قال ابن قتيبة : وكان زهيرٌ يتأله ويتعفّف في شعره ، ويدلُّ [شعره ^(٥)] على إيمانه بالبعث ، وذلك قوله :

يؤخّرُ فيودعَ في كتابٍ فيُدخَرُ ليومِ الحسابِ أو يُعجَلُ فينقم

(١) انظر سبب تنقيبه بالمضرب في الشعراء ٩٢

(٢) الأغاني ٩ : ١٥١ : « وهي صادية » .

(٣) الأغاني : « رعوا عليه » .

(٤) في الشاهد ٧١٤ .

(٥) التكملة من ش وابن قتيبة ٨٨ .

وشبه هير امرأة بثلاثة أوصاف في بيت واحد فقال :

تنازعها المهاشبهاً ودُرّاً إلّ بحور وشاكت فيها الغباء^(١)
ففسرته قال :

فأما ما فوق العقد منها فمن أدماء مرّتها الخلاء
وأما المقلتان فمن مہاة وللدُرّ الملاحة والصفاء
وقال بعض الرواة : لو أن زهيراً نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي
موسى الأشعري^(٢) ما زاد على ما قال :

فإنّ الحقّ مقطعه ثلاث : يمينٌ أو نِفار ، أو جلاء
يعنى يميناً ، أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء وهو بيان
وبرهان يجلو به الحقّ وتضح الدعوى .
وديان شعر زهير كبير ، وعليه شرحان ، وهما عندي والحمد لله والمثّة ،
أحدهما بخط مهمل الشهير الخطاط صاحب الخطّ المنسوب .
وغالب شعره مدحٌ في هِرم بن سنان أحد الأجواد المشهورين ، ومن
شعره فيه قوله :

صحا القلبُ عن سلى وقد كاد لا يسلو

قال صاحب الأغاني^(٣) . هذه القصيدة أوّل قصيدة مدح بها زهير هِرمّاً ، ثم
تتابع بعده . وكان هِرم حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ،

(١) ط والشعراء : « تنازعت المها » ، وفي ط : « وشابهت » .

(٢) انظرها في البيان ٢ : ٤٨ .

(٣) الأغاني ٩ : ١٤٦ .

ولا يسلّم عليه إلا أعطاه : عبداً أو وليدةً أو فرساً . فاستحيا زهير منه ، فكان زهير إذا رآه في ملاء قال . أنعموا صباحاً غير هَرم ، وخيركم استثنيتُ . . وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هَرم : أنشدني بعض مدح زهير أباك ؛ فأنشده فقال عمر : إن^(١) كان ليحسن فيكم المدح . قال : ونحن والله [إن^(٢)] كفا لنُحسِن له العطية . قال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم . وفي رواية عمر بن شبة : قال عمر لابن زهير : ما فعلتِ الحُللُ التي كساها هَرمُ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحُللَ التي كساها أبوك هَرمًا لم يُبْلِها الدهر !

ويستجاد قوله في هَرم :

قد جعلَ المبتغون الخير في هَرم والسائلون ، إلى أبوابه طرُفا
من يلقَ يوماً على عِلّاته هَرمًا يلقَ السباحة فيه والندى خُلُفا
وروى أن زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر ، وينقحها ويهذبها في سنة ، وكانت تسمى قصائده (حَوَليّات زهير) . وقد أشار إلى هذا البهاء زهير في قوله من قصيدة :

هذا زُهيرُك لا زُهير مُزينة وافاك لا هَرمًا على عِلّاته
دَعهُ وحَوَليّاته ثم استمع لزُهير عَصِرَكَ حُسْن لِيلِيّاته
وكان رأى زهير في منامه في أواخر عمره : أن آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسيها بيده ، ثم تركه فهو إلى الأرض . فلما احتضر قصَّ رؤياه على ولده كعب ثم قال : إني لا أشك أنه كائنٌ من خبر السماء بعدي ؛ فإن كان

(١) في النسختين : « انه » ، والوجه من الأغاني .

(٢) التكملة من الأغاني

فتمسكوا به وسارعوا إليه . ثم توفى قبل المبعث بسنة . فلما بعث ﷺ ، خرج إليه ولده كعب بقصيدته (بانت سعاد) وأسلم ؛ كما يأتي بيانها في أفعال القلوب إن شاء الله تعالى .

وروى أيضاً : أن زهيراً رأى في منامه أن سبياً تدلى من السماء إلى الأرض وكان الناس يمسكونه^(١) ، وكلما أراد أن يمسكه تقلص عنه . فأوَّله بنبي آخر الزمان ، فإنه واسطة بين الله وبين الناس ، وأن مدته لا تصل إلى زمن مبعثه ؛ وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة^(٢) :

١٣٩ (أبا عرؤ لا تبعد ، فكل ابن حرّة

سيدعوه داعي موتة فيجيب)

لما تقدم في البيت قبله : فإن (أبا عرؤ) منادى بحرف النداء المحذوف ؛ وأبا منادى مضاف لما بعده ، وعرو : مرخم عروة : والكلام عليه كما تقدم في البيت قبله

قال ابن الشجري في أماليه : « وما يدل على مذهب سيبويه — ولم يكن فيه ما تأوَّله أبو العباس المبرّد في بيت زهير ، فزعم أنه أراد : يا آل عكرم ، بالجر والتنوين — قول الشاعر :

أبا عرؤ لا تبعد . . . البيت

(١) ط : « كان الناس يمسكونه » ، صوابه من ش

(٢) أنظر أيضاً العيني ٤ : ٢٨٧ وأمالي ابن الشجري ١ : ١٢٩

والانصاف ٣٤٨ وابن يعيش ٢ : ٢٠

ألا ترى أنه لا يمكنُ أبا العباس أن يقول : إن عروة قبيلة ؛ كما قال ذلك في عكرمة ! ولا يمكنه أن يقول : أراد أبا عرو ، بالجر والتنوين . فمنه من ذلك أن عروة لا ينصرف للتأنيث في التعريف ^(١) ، انتهى

وروى ابنُ الشجريّ هذا البيتَ كرواية الشارح المحقق ؛ وأنشده ابنُ الأنباريّ في مسائل اختلاف ، وكذا ابن هشام في شرح الألفية :

* سَيَدْعُوهُ دَاعِي مَيْتَةٍ *

بكسر الميم . والميئة : الحالة التي يموت عليها الإنسان . وزاد ابن السكيت (في كتاب المذكر والمؤث) رواية : (ستدعوه) بمشناة فوقية لا تحتيّة على أن قوله (داعي) اكتسب التأنيث من إضافته إلى المؤنث . وكذلك أورده الفراء عند تفسير قوله تعالى : (إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) . قال : فإن قلت : إن المِثْقَالَ ذكر ، فكيف قال تَكُ ؟ قلت : لأن المِثْقَالَ أضيف إلى الحبة ، وفيها المعنى ؛ كأنه قال : إن تَكُ حَبَّة . ثم أنشد البيت فقال : أَثْتُ فَعَلَ الدَّاعِي ، وهو ذَكَرٌ ، لأنه ذهب إلى الموتة .

وقوله : (لا تبعد) أى لا تهلك ، وهو دعاء خرج بلفظ النهي ، كما يخرج الدعاء بلفظ الأمر وإن كان ليس بأمر ، نحو : اللهم اغفر لنا . يقال بعد الرجلُ يبعد بعداً من باب فرح ، إذا هلك ؛ وإذا أردت ضدّ القرب قلت : بعد يبعد بضم العين فيهما ، والمصدرُ على وزن ضده وهو القرب ؛ وربما استعمالوا هذا في معنى الهلاك لتداخل معنيهما . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ أُجيب بأن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ،

(١) ش : « لا ينصرف في التعريف . »

(٢) الآية ١٦ من سورة لقمان .

ولهم في ذلك غرضان : أحدهما أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ،
 وكأنهم لا يصدّقون بموته . وقد بين هذا المعنى النابغة الذبياني بقوله :
 يقولون « حصن » ثم تأتي نفوسهم وكيف بحصن والجلال جُئوخ ؟
 ولم تَلْفِظ الموتى القبور ، ولم تَزَلْ نجوم السماء ، والأديم صحيح
 أراد : أنهم يقولون : مات حصن ؛ ثم يستمظنون أن ينطقوا بذلك ،
 ويقولون : كيف يجوز أن يموت ، والجلال لم تنسف ، والنجوم لم تنكدر ،
 والقبور لم تُخرج موتاها ، وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث .
 وهكذا تستعمله العرب فيمن هلك فساء هلاكه وشقّ على من يفقده .
 قال الفرّار السّلي :

ما كان ينفعني مقالُ نسائم ، وقتلتُ دون رجالهم : لا تبعدي^(١)

ومثله قول مالك بن الرّيب من قصيدة تقدّمت^(٢) :

يقولون : لا تبعّد ، وهم يدفنونني وأين مكانُ البعد إلا مكانا ١

والغرض الثاني : أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يُنسى ؛
 لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته ؛ كما قال الشاعر :

فأثّروا علينا ، لا أبا لأبيكم ١ بأفعالنا ، إن الثناء هو الخلد^(٣)

وقال آخر :

فإن تك أفتته الليالي فأوشكتُ فإن له ذكراً سيُفنى الليالي

(١) في الحماسة ١٩٢ بشرح المرزوقي : « خلف رجالهم » .

(٢) انظر ص ٢٠٥ من هذا الجزء

(٣) البيت للحادرة الذبياني في البيان ٣ : ٣٢٠ والحيوان ٣ : ٤٧٥

ويروى « بأحسابنا » و « بأحساننا » .

وقال المتنبي ، وأحسن :

ذِكْرُ الفتي عمره الثاني ، وحاجته ما قاتته ، وفضول العيش أشغال^(١)
وقد بين الفرار السليّ ومالك بن الرب ما في هذا من المحال في البيتين
المدكورين .

وقوله : (فكلّ ابن حُرّة) الفاء للتعليل . يقول : لا أنسى الله ذكره
بالتناء الجليل في الدنيا ، فإن الإنسان لا بدّ له من الموت ، فإن ذِكْرَ الجليل
فكأنه لم يمّت . وذِكْرُ الحُرّة وأراد المرأة ؛ أو تقول : أبناء الحرائر إذا كان
لا بدّ لهم من الموت ، فوث أبناء الإمام من باب أولى . . . والسين في قوله :
(استدعوه) للتأكيد لا للتسويق . وقوله . (فيجيب) معطوف على استدعوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

١٤٠ (دِيَارُ مِيَّةٍ إِذْ نَحْنُ تُسَاعِفُنَا وَلَا يَرَىٰ مِثْلَهَا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ)
على أن الترخيم في غير النداء ضرورة ، إذ (مِيَّة) مرخم مية وهو
غير منادى .

وأنشد سيبويه هذا البيت في كتابه في موضعين : أحدهما هذا ؛ قال :
وأما قول ذي الرُّمّة :

(١) كذا « قاتة » بالقاف في النسختين ، ويؤيده ما قال العكبري :
« قال ابن القطاع : صحف الرواة هذا البيت فرووه : فاته ، بالفاء ،
والصواب بالقاف » .

(٢) سيبويه ١ : ١٤١ ، ٣٣٣ . وانظر نوادر أبي زيد ٣٢ وأمالى
ابن الشجري ٢ : ٩٠ والهمع ١ : ١٦٨ وديوان ذي الرمة ٣ .

ديار مية إذ مي^١ تساعفنا . . البيت

فزعهم يونس أنه كان يسميها مرة ميا ومرة مية . انتهى . وكذا في الصحاح قال : « مية اسم امرأة ، ومي أيضاً » . وعلى هذا فيكون ما في البيت على أحد الوجهين ، فلا ترخيم ولا ضرورة ، فيكون مي^٢ مصروقاً كما يصرف دعد ، لأنه ثلاثي ساكن الوسط .

قال ابن الشجري في أماليه : « ومنع المبرد من الترخيم في غير النداء على لغة من قال يا حار بالكسر » ، إلى أن قال : وكذلك يقولون في قول ذي الرمة :

٣٧٩

ديار مية إذ مي^١ تساعفنا^(١) . . . البيت

أنه كان مرة يسميها ميا ومرة يسميها مية . قال : ويجوز أن يكون أجراه في غير النداء على يا حار بالضم ، ثم صرفه لما احتاج إلى صرفه . قال : وهذا الوجه عندي ، لأن الرواة كلهم ينشدون :

فيا مي^٢ ما يدريك أين^(٢) منّاخنا . . البيت انتهى

والموضع الثاني من كتاب سيبويه أورده على أن ديار مية منصوب بإضمار فعل كائنه قال : أذكر ديار مية ، ولا يذكر هذا العامل لكثرتنه في كلامهم ، ولما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك . ونص كتابه : « وما التزم فيه الإضمار قول الشعراء : ديار فلاة ، قال :

ديار مية إذ مي^١ تساعفنا . . البيت

(١) في النسختين « يا دار مية » وإن كان الشنقيطي حورها إلى « ديار » ، وصوابه من أمالي ابن الشجري .

(٢) البيت لذى الرمة في ديوانه ١٧٢ . وعجزه فيه وفي الإمالي : « معرقة الألهى يمانية سجرا »

كأنه قال: «أذكر»^(١). ولكنه حذف لكثرة الاستعمال ، ثم قال : «ومن العرب من يرفع الديار ، كأنه يقول تلك ديار فلاتة » . انتهى ويجوز أن يكون مجروراً على أنه بدلٌ من دارٍ في بيت قبله بثلاثة أبيات ، وهو :

(لا ، بل هو الشوقُ من دارٍ تخونها مرّاً سحابٌ ومرّاً بارحٌ ترِبٌ »^(٢))

وهما من قصيدة طويلة جداً في النسيب بيمّة ووصفها ، وهي أحسن شعره ، حتى قال جرير : ما أحببت أن يُنسب إليّ من شعر ذى الرمة إلا هذه القصيدة ، فإن شيطانها كان فيها ناصحاً^(٣) ولو خرّس بعدها لكان أشعر الناس .

وروى الأصمعيّ في شرح ديوانه عن أبي جهمّة العدويّ قال : ممّمت ذا الرمة يقول : من شعري ما ساعدني فيه القول ، ومنه ما أجهت فيه نفسي ، ومنه ما جُننت فيه جنوناً . فأما الذي جُننت فيه فقولي :

* ما بال عينك منها الماء ينسكب^(٤) *

وأما ما طأوغني فيه القول ، فقولي :

* خليلي عوجاً من صدور الرواحِل^(٥) *

وأما ما أجهت فيه نفسي فقولي :

* أأن ترثمت من خرقاء منزلة * اهـ

(١) الشنتمري : « أذكر ديار مية وأغنيها » .

(٢) ط : « مر السحاب ومر بارح ترِب » ، صوابه في ش والديوان واللسان (خون)

(٣) ط : « ناضحا » ، صوابه في ش

(٤) ط : « عينك » ، صوابه في ش والديوان

(٥) في النسختين : « عن صدور » ، وصححها الشنقيطي في نسخته

أبيات الشاهد ومن أول القصيدة إلى بيت الشاهد عشرة أبيات لا بأس بإيرادها وهي هذه :

(ما بالُ عَيْنِكَ منها للماءِ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ من كُلِّ مَفْرِئَةٍ سَرَبٌ)

السُّكْبُ : جمع سُكْبَةٍ ، وهي الرُّقعة تكون في أصل عِرْقَةٍ المَزَادَةِ . وللمَفْرِئَةِ : للقطوعة المَحْرُوزَةِ ؛ يقال فريت الأديم : إذا شققته وخرزته ، وأفرته : إذا شققته . ففري بلا ألف : شقُّ معه إصلاح ، وأفري مع ألف : شقٌّ في فساد . وسَرَبٌ ، رواه أبو عمرو بكسر الراء ، بمعنى السائل ، ورواه الأصمعي وابن الأعرابي بفتحها ؛ قال : السرب للماء نفسه الذي يُصَبُّ في المَزَادَةِ الجديدة لكي تبتل مواضع الخرز والشبور ؛ سَرَبٌ قَرَبَتِكَ : أي صَبَّ فيها الماء حتى تستحكم مواضع الخرز .

(وَفَرَاءٌ غَرْفِيَّةٌ أَثْنَى خَوَارِزُهَا مُشْلِشٌ ضَمِيعَةٌ بَيْنَهَا الْكُتَبُ)

وفراء أي ضخمة ، صفة مَفْرِئَةٍ ، أي مزادة وفراء . وغرفية : منسوبة إلى الغُرف وهو دِباغٌ بالبحرين ، وقيل : شجر يدبغ به ؛ وقال أبو عمرو : هو الأرضي مع التمر والملح ، يدبغ به . وأثنى : أفسد ، ومفعوله محنوف أي الخرز ؛ يقال أَثْنَيْتُ الخرز : إذا خرمته . والخوارز فاعل أَثْنَى ، وهو جمع خارزة ، وهي التي تَحِيطُ المَزَادَةَ المشلش : تمت سَرَبٌ وهو الماء الذي يتصل تقاطره ولا ينقطع . والكُتَبُ ، بالثناة الفوقية : الخُرَزُ ، جمع كُتْبَةٍ ؛ وكل شيء ضمته فقد كتبتة .

٣٨٠

(أَسْنَحَدَثَ الرُّكْبُ عَنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبْرًا أَمْ رَاجِعَ الْقَلْبُ مِنْ أَطْرَابِهِ طَرْبًا ^(١))

(١) ويروى : « أم عاود القلب » ، وانظر الديوان ص ١ .

الرَّكْبُ : أصحاب الإبل ، جمع راكب كصاحب جمع صاحب . والأشباع :
الأصحاب . وأستحدثت بفتح الهمزة : استفهام . يقول : بكأؤك وحزنك أظهير
حدث ، أم راجع قلبك طرب ؟ والطرب : استخفاف القلب في فرح كان
أو حزن .

وهذا البيت من شواهد شرح الشافية للشارح المحقق ^(١) :

(مِنْ دِمْنَةٍ نَسَفَتْ عَنْهَا الصَّبَا سُفْعًا كَمَا تُنْشَرُ بَعْدَ الطَّيَّةِ الْكُتُبُ
سَيْلًا مِنَ الدَّعْصِ أَغَشَتْهُ مَعَالِمُهَا ^(٢) نَكَبَاهُ تَسَحَّبُ أَعْلَاهُ فَيَنْسَحِبُ)

كأنه قال : راجع القلب طرب من دمنة ، أى من أجل دمنة . ورؤى :
(أم دمنة) كأنه قال : أم دمنة هاجت حزنك ! والدُّمْنَةُ : آثار الناس
وما لظنوا وسودوا . والسُّفْعُ : قال الأصمعي : هى طرائق الرمل ، سود وحر .
ونصب سُفْعًا بنسفت وأتبع السيل سُفْعًا ؛ وذلك السفع سيل من الدعص .
يريد رملا سال من دعص ، جعله كالنمت للسيل ، فكأنه قال : كشفت الصبا
عن الدمنة سفعا ، وردَّ سَيْلًا على السفع . يقول : فظهرت الأرض كما تنشر الكتب
بعد أن كانت مطوية . وقال ابن الأعرابي : السُّفْعُ جمع سُفْعَةٍ ، وهو سواد
تدخله حمرة ، تكون فى الأثافي . ونصب سُفْعًا على الحال ، ونصب سَيْلًا
بنسفت : وخفض أبو عمرو سُفْعَ ، اتبعه الدُّمْنَةُ . والطَّيَّةُ بالكسر : الحالة التى
يكون عليها الانسان ، والمفتوح منه فعلة واحدة وقوله : سَيْلًا من الدعص الخ ،
يقول : سَيْلًا أغشته إياها النكباء . والدَّعْصُ : رمل منفرد متلبّد ليس بعظيم .
والنَّكَبَاءُ : كل ريح انحرفت بين ريحين . وقوله : أَعْلَاهُ ، يعنى أعلى هذا

(١) أنظر شرح شواهد الشافية ١٨٩ هـ

(٢) ويروى : « معارفها » .

السيل الذى سال من الدَّعْص ؛ وليس سيلَ مطر ، إنما هو رملُ انْهال إلى هذه الدمنة فغشى آثارها ، والنكباء التى أغشت العالم سيلاً من الدعص فغطته فجاءت بعده فنسفته . وتسحبه : تجره وتذهب به ، وينسحب أى فينجبر هو أيضاً .

(لا بَلْ هو الشَّقُّ من دارٍ تَخُونَهَا مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بَارِحٌ تَرِبٌ ^(١))
يقول : ليس هذا الحزن من أثر دمنة ، ولا من خبر الركب ، إنما هو شوقٌ هَبَّج الحزن ، من أجل دارٍ ذكرت من كان يحملها . وتخونها : تمهدها وتنقصها ، يقال : فلان تَخُونُهُ الحى ، أى تمهده . والبارح : الريح الشديدة الهبوب فى الصيف . والترب : التى تأتى بالتراب .

(يَبْدُو لِعَيْنَيْكَ مِنْهَا وَهَى مُزْمِنَةٌ نَوَى وَمُسْتَوَقَدٌ بِالٍ وَمُحْتَطَبٌ)

يبدو : يظهر . ومزمنة : التى آتى عليها زمان . والنوى : حاجز يحفر حول البناء ليرد السيل . والمستوقد : موضع الوقود . والبالى : الدارس . والمحطَب : موضع الخطب .

(إِلَى لَوَائِحَ مِنْ أَطْلَالٍ أُخْوِيَّةٍ كَأَنَّهَا خِلَلٌ مَوْشِيَّةٌ قُشْبٌ)

أى مع لوائح . يقول : يبدو لك هذا مع ذاك . واللوائح : ملاح لك من الأطلال . والأخوية : جماعة بيوت الحى ، الواحد حواء . والخليل : أغمد السيف ، جمع خلة بالكسر . والقشْب تكون الجُدُد والأخلاق . شبه آثار الدار بأغمد السيوف الموشاة المخلفة . والقشْب هنا الجُدُد ^(٢) . وموشية : موشاة

(بِجَانِبِ الزُّرْقِ لَمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا دَوَارِجُ الثُّورِ وَالْأَمْطَارُ وَالْحَقَبُ)

(١) المر : المرة ، أو هو جمع للمرة ، كما فى اللسان .

(٢) كذا ، والوجه أن تكون الاخلاق لا الجدد .

يقول : هذا النوى مع هذه الأطلال ، بهذا المكان . والزرق ، بضم
الزاي وسكون المهملة : أنقاء بأسفل الدهناء لبنى تميم . والدوارج : الرياح التى
تدرج : تذهب وتجيء . والمور بالضم : التراب الدقيق . والأمطار بالرفع .
والحقب ، بكسر ففتح : السنون ، الواحد حقة . لم تطلس : لم تمح . ويقال
دوارج الرياح : أذياها وماخيرها .

(ديار مية إذ مى تساعفنا . . . البيت)

تساعفنا : تدانينا وتواتينا . وعجم بالضم : لغة فى المعجم بفتحين ،
وهو فاعل يرى البصرية . ثم أخذ بعد هذا فى وصفها .
وترجة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن ^(١) .

وأشده بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائة ^(٢) :

١٤١ (لله ما فعل الصوارم والقنا فى عمرو حابٍ وَضَبَّةَ الأغنام)

لما تقدم فى البيت قبله ، فإن قوله : (حاب) مرخم حابس فى غير النداء ،
وهو ضرورة ، وهو فى المضاف إليه أبعد . وأبقى كسرة الباء من حابس بعد
الترخيم على حالها . وأصله (عمرو بن حابس) فحذف ابنا وأضاف عمراً
إلى حابس .

وقال ابن سيده صاحب المحكم (فى شرح ديوان المتنبي) : أراد عمرو
حابس فرخم المضاف إليه اضطراراً كقوله - أشده سيويه :

أودى ابن جُلهم عبداً بصيرته إن ابن جُلهم أمسى حية الوادى

(١) انظر ص ١٠٦ من الجزء الأول

(٢) ديوان المتنبي بشرح العكبرى ٢ : ٢٨٥

قال : أراد ابنَ جلهمة^(١) . والعرب يسوون الرجل جلهمة والمرأة جلهمة^(٢) .
كل هذا حكاة سيبيويه .

وهذا البيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبي . قالها في صباه ، عند ما اجتاز
برأس عين في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقد أوقع سيف الدولة بعمرو
ابن حابس من بني أسد ، وبني ضبة ، ورياح من بني تميم ؛ ولم ينشده إياها .
فلما لقيه دخلت في جملة المديح . ومطلع القصيدة :

(ذِكْرُ الصِّبَا وَمَوَاتِنُ الْأَرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي)
إلى أن قال في مدح سيف الدولة :

(وَإِذَا امْتَحَنْتَ تَكْشِفَتْ عِزَّمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِيَّ النُّقْضِ وَالْإِبْرَامِ)
وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ نَيْلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالْأُنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ
مَهْلًا ، أَلَا اللَّهُ مَا صَنَعَ الْقَنَاءَ فِي عَمْرِو حَلَبٍ وَضَبَةِ الْأَغْنَامِ)

جعل هؤلاء أغناما ، لأنهم كانوا جاهلين حين عصوه ؛ حتى فعل بهم
ما فعل . وهو بالنون لا بالمشناة الفوقية ، إذ هو غير مناسب ، إذ الأغتم :
الأعجم الذي لا يفصح شيئا ، والجمع الغتم . وزعم ابن سيده في شرحه : أن
هذا هو المراد هنا ، قال : والأغتم : جمع أغتم ، كسر أفعل على أفعال ، وهو
قليل ، ونظيره أعزل وأعزال بإهمال الأول ، وهو الذي لا سلاح معه ،
وأغرل وأغزال بإهمال الثاني ، وهو الذي لم يختن .

٣٨٢

وبعده :

(لَمَّا تَحَكَّمَتِ الْأَسِنَّةُ فِيهِمْ جَارَتْ ، وَهَنْ يَجُرْنَ فِي الْأَحْكَامِ)

(١) الذي في كتاب سيبيويه ١ : ٣٤٤ : « أراد أمه جلهمة »
(٢) في النسختين : « جلهمة » ، صوابه من سيبيويه ومما نقله عنه
ابن منظور في اللسان (جلهمة) . والبيت للأسود بن يعفر .

المتنبى

فتركهم خلل البيوت كأنما غَضِبَتْ رعوَسهم على الأجسام (أى غزوَتهم فى عُقر دارهم حتى^(١) تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رعوَس وهذه ترجمة المتنبى قلتها من كتاب (إيضاح المشكل لشعر المتنبى ، من تصانيف أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني) وهذا الإيضاح قاصر^(٢) على شرح ابن جني لديوان المتنبى ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو ممن عاصر ابن جني ؛ وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه . قال : « وقد بدأت بذكر المتنبى ومنشئه ومغتربه ، وما دلَّ عليه شعره من معتقده إلى مختم أمره ، ومقدمه على الملك — نصر الله وجهه — بشيراز وانصرافه عنه . إلى أن وقعت مقتله بين دِيرْقَنَة^(٣) والنعمانية واقتسام عقائله وصفاياه . . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبى كان بالكوفة فى محلة تعرف بكيندة ، بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رَوَّاء ونَسَّاج . واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولفة وإعراباً ؛ فنشأ فى خير حاضرة . وقال الشعر صبياً . ثم وقع إلى خير بادية بادية وما بلاد قبة حصل فى بيوت العرب^(٤) ، فادَّعى الفضول الذى نُبِزَ به ، فبنى خبره إلى أمير بعض أطرافها — فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسِمَ به ، فى كلمته التى يقول فيها :

فمالكَ تقبلُ زورَ الكلامِ وقدرُ الشهادةِ قدرُ الشهودِ
وفى جُودِ كَمَلِكْ ما جُدْتُ لى بنفسى ولو كنتُ أشقى مُمودِ

(١) ط : « التى » ، صوابه فى ش

(٢) الوجه « مقصور » .

(٣) المعروف « ديرقنى » بضم القاف وتشديد النون مع القصر كما

فى ياقوت .

(٤) كذا فى ط . وفى ش : « وما بلاد قنة . ولعله الى خير بادية ،

بادية اللاذقية . وحصل فى بيوت العرب » . أنظر الصبح المتنبى ١ : ٢٥

وقد هجاه شعراء وقته فقال الضبي :

الزَّمْ مَقَالَ الشَّعْرِ تَحْطَ بِقُرْبَةٍ وعن النبوة، لا أبالك، فانتزح
تَرْبَحْ دَمًا قَدْ كُنْتَ تَوْجِبُ سَفْكَه إن الممتع بالحياة لمن ربح
فأجابه المتنبي^(١) :

أمرى إلى فإن سمحتُ بهجةٍ كرمْتُ على فإن مثلي من سمح
وهجاه غيره^(٢) فقال :

أطلتَ يا أيها الشقي دَمَكُ بالهذيان الذي ملأتَ فَمَكُ
أقسمتُ لو أقسمَ الأميرُ على قتلكَ قبلَ العشاءِ ما ظلمكُ
فأجابه المتنبي :

همك في أمرٍ تَقْلُبُ في عين دواةٍ من صلبه قلمك^(٣)
وهمتي في انتضاء ذى شُطْبَ أقدُّ يوماً بحده أدَمَكُ
فاخسَ كُلياً واقعدْ على ذنب وأطلِ بما بين ألتيك فَمَكُ

وهو في الجملة خبيث الاعتقاد . وكان في صفه وقع إلى واحد يكنى
أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهوَّسه وأضله كما ضلَّ . وأما ما يدلُّ عليه
شعره فتلَوْن . وقوله :

هَوْنٌ على بصري ما شقَّ مَنْظَرُهُ فإنَّما يَقْطَاط العَيْنِ كالْحُلُمِ^(٤)

٣٨

- (١) أنظر زيادات شعر المتنبي للميمنى ص ١٥ .
(٢) قال الميمنى : « ليس هو غير الضبي كما زعم ، بل هو هو .
راجع زيادات شعره ٣٦ على اختلاف في تسمية الضبي والضب » .
(٣) قبله في الزيادات ٣٦ :

أيها أذاك الحمام فاخترمك غير سفيه عليك من شتمك
(٤) ديوان المتنبي ٢ : ٣٨٥ . منظره ، بالرفع ، يعني ما صعبت
رؤيته ، من المكارة ونحوها . وروى بالنصب أيضا ، فالمراد شق البصر
وفتحه ، باقتضائه النظر إليه .

مذهب السوفسطائية . وقوله :

تَمَتَّعَ مِنْ سِهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمَلْ كَرِّ تَحْتِ الرَّجَامِ
فَإِنَّ لثَاثَ الْحَالِينَ مَعْنَى سَوَى مَعْنَى اتِّبَاعِكَ وَالْمَنَامِ

مذهب التناسخ . وقوله :

نَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا يَدُّ مِنْ شُرَيْرِهِ
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهٍ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ

مذهب الفضائية . وقوله في أبي الفضل بن العميد :

فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ قَدْ بَانَ هَدْيُهُ فِهَذَا ، وَإِلَّا فَالْهَدْيُ ذَا فَا الْمَهْدِيُّ^(١)
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَاتَّخَلَفُوا فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ : تَخَلَّدُ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرُكُ جِسْمُ الْمَرْءِ فِي الْعُطَبِ

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ؛ ويتشعب بعضها إلى قول الحشيشية .
والإنسان إذا خلع رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ ، وَأَسْلَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى
حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَجَدَ فِي الضَّلَالَاتِ مَجَالاً . وَاسْمَا ، وَفِي الْبِدْعِ وَالْجَهَالَاتِ
مَنَادِيحَ وَفُسْحَا .

ثم جئنا إلى حديثه وانتجاعه ، ومفارقة الكوفة أصلاً ، وتطوافه
في أطراف الشام ، واستقراه بلاد العرب ومقاساته للضرر وسوء الحال ،
وزارة كسبه ، وحقارة ما يوصل به ؛ حتى أنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي

(١) في الديوان : « من بان هديه » .

ببغداد — وكان لقي المتنبي دفعات في حال عسره ويسره — : أن المتنبي قد مدح بدون العشرة والخسة من الدراهم . وأنشد في قوله مصداقاً لحكايته :
انصرُ بجودك ألفاظاً تركتُ بها ، في الشرق والغرب ، من عاداك مكبوتاً
فقد نظرتك حتى حان مرّ محلّ وذو الوداع ، فكن أهلاً لما شينا
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبي يقول : أول شعر
قلته وابتضت أيامي بعده ، قولي :

أيالامي ، إن كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم^(١)
فاني أعطيتُ بها بدمشق مائة دينار . . ثم اتصل بأبي العشار فأقام
ما أقام ، ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشترط أنه لا ينشد إلا قاعداً وعلى
الوحدة ؛ فاستحلوه وأجابوه إليه . فلما سمع سيف الدولة شعره حكم له بالفضل ،
وعد ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير ،
وبقي ما تداوله الناس . . وأخبرني الحلبي ، أنه قيل للتنبي : معنى بيتك هذا
أخذته من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جادة ، وربما وقع حافر
على حافر !

وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، ويستصحبهما في أسفاره وبجدهما ،
فلما قُتل توزعت دفاتره ؛ فوقع ديوان البحري إلى بعض من درس علي ،
وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه .

وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

(١) كذا ، وصوابه « أنا لائمي » ، أي أنا مثل لائمي ، كما فسر

بذلك الواحدى والمكبرى وابن جني .

٣٨٤

إذا لم تنظُرْ بى ضيعةً أو ولايةٍ فجودك يكسونى وشغلك يسلبُ
يلتمس ولاية صيداء . فأجابه : لستُ أجسرُ على توليتك صيداء ،
لأنك على ما أنت عليه : تحدث نفسك بما تحدث ؛ فإن وليتك صيداء ،
فمن يطبقك ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبى : قولك لكافور :
فارم بى حيثما أردتُ فأتى أسدُ القلبِ آدِمى الرِواءِ
وفؤادى من الملوكة ، وإن كان لسانى يُرى من الشعراء
ليس قولٌ ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضاد ! فأجاب المتنبى إلى
أن قال : هذه القلوب ، كما سمعتُ أحدها يقول :
يقرُّ بعبئى أن أرى قصدة القنا وصرعى رجالٍ فى وعى أنا حاضرهُ
وأحدها يقول :

يقرُّ بعبئى أن أرى من مكائها ذُرّاً عقيدات الأجرع المتقاوِد^(١)
ثم أقام المتنبى عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : فى إسناء الجائزة ،
ورفع المترلة . ودخل مع سيف الدولة بلادَ الروم ؛ وتأصل حالاً^(٢) فى جنبته
بعد أن كان حويلة . وكان سيف الدولة يستحب الاستكثار من شعره والمتنبى
يستقله ؛ وكان ملقى من هذه الحال ، يشكوها أبداً ، وبها فارقه حيث أنشده :
وما انتفاع أخى الدنيا بناظرِهِ إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظلم
وأخرها :

(١) البيت من ابيات ثلاثة لنبهان بن عكى العيشمى ، كما فى الكامل

٣١ نسبها القالى فى أماليه ١ : ٦٣ الى أعرابى .

(٢) كذا فى ط . وفى ش : « وتأصل حالاً » .

بأي لفظ يقول الشعر زِعْنَفَةٌ يجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَمٌ^(١)

وقال في أخرى :

إذا شاء أن يهزأ بلحية أحق أراه غُبَارِي ثم قال له ألحق^(٢) !

فلما انتهت مدته عند سيف الدولة استأذنه في المسير إلى إقطاعه^(٣) فأذن له ، وامتدَّ باسطاً عنانه إلى دمشق ؛ إلى أن قصد مصر فلم يكافور ، فأنزله وأقام ما أقام . إلا أن أول شعره فيه دليل على ندمه لفراق سيف الدولة ، وهو :

كنفي بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنسايا أن يكن أمانيا

حتى انتهى إلى قوله :

قواعد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

وأخبرني بعض المؤلدين ببغداد ، وخاله أبو الفتح يتوزر لسيف الدولة : أن سيف الدولة رسم لي التوقيع^(٤) إلى ديوان البر^(٥) بإخراج الحال فيما وصل به المتنبّي ؛ فخرجت بخمسة وثلاثين ألف دينار في مدة أربع سنين .

ثم لما أنشد الثانية كافوراً خرجت موجهة يشناق سيف الدولة . وأولها :

فراق ، ومن فارت غير مذمم وأم ، ومن يمت خير ميمم^(٦)

وأقام على كره بمصر إلى أن ورد فأتك غلام الإخشيد من الغيوم

(١) في ديوانه بشرح العكبري : « تقول الشعر » ، و « تجوز عندك » .

(٢) ويروى : « أن يلهو » .

(٣) كان هذا الإقطاع يسمى صفا ، كما في معجم البلدان (صف) ورسالة الغفران ٣٥٤ . وفي ش : « إلى الطاعة » ، تحريف .

(٤) ط : « وسم إلى التوقيع » .

(٥) ش : « ديوان أكبر » .

(٦) ط : « غير ميمم » .

٣٨٥

— وهى ويثنة ، فنبت به واجتواها — وقادوا بين يديه فى مدخله إلى مصر
أربعة آلاف جنيبية منعلة بالذهب ، فسماه أهل مصر بقاتك المجنون . فلقبه
المتنبى فى الميدان على رقبته من كافور فقال :

لا خيلَ عندك تُهدِيها ولا مالُ فليُسعدِ النطقُ إن لم يُسعدِ الحالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ، ما تبلغ قيمته عشرين
ألف دينار . ثم مضى فاتك لسييله ، فرثاه المتنبى وذم كافورا :

أيموتُ مثلُ أبى شجاعٍ فاتكُ ويعيشُ حاسدُهُ الخصىُّ الأوكعُ^(١)

فاحتال بعمه فى التخلص من كافور ، فأنهز الفرصة فى العيد — وكان
رسم السلطان أن يُستقبل العيدُ بيوم ، وتُعَدُّ فيه الخلعُ والخلائنات وأنواعُ
المبار ، لرابطة جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرق ، وثانى اليوم
يذكر له من قبل ومن رد واستزاد — فاهتبل المتنبى غفلة كافور ، ودفن
رماحه برا ، وصار ليلته وحمل بقاله وجماله وهو لا يألو سيرا وسرى هذه
الليلة ، مسافة أيام^(٢) ، حتى وقع فى تيه بنى إسرائيل ، إلى أن جازه على
الحلل^(٣) والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن . ونزل الكوفة
وقال يقصّ حاله .

ألا ، كلُّ ماشيةٍ الخيزلُ فدا كلُّ ماشيةٍ الهيدبُ

وفيهما يقول :

ضربتُ بها التيةَ ضربَ القما ر : إِمّا لهذا ، وإِمّا لهذا

(١) مفهوم العبارة أنه قطع فى اليوم والليلّة مسيرة أيام والذى

فى ش : « هذه الثلاثة أيام ، أى أيام رسم كافور المشار إليها .

(٢) جمع حلة ، بالكسر ، وهى جماعة بيوت الناس ، أو مائة بيت .

وفى ط : « على الحال ، صوابه فى ش

ثم مدح بالكوفة دبير بن يشكرو^(١)، وأنشده في الميدان؛ فحمله على
فرس بمركب ذهب.

وكان السبب في قصده أبا الفضل بن العميد، على ما أخبرني أبو علي
ابن شبيب القاشاني — وكان أحد تلامذتي، ودرس علي بقاشان سنة ثلثمائة
وسبعين، وتوزر للأصبهيد بالجليل، وأبو عبد القاسم توزر لوشمكير بمجران —
عن العلوي العباسي نديم أبي الفضل بن العميد (الذي يقول فيه :

أبلغ رسالاتي الشريف، وقل له : قدك اتشد أربيت في الغلواء^(٢))
أن المعروف المظوق الشاشي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته
في كافور :

* أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلِبُ *

وجعل مكان أبا للسك أبا الفضل؛ وسار إلى خراسان وحمل القصيدة،
أعنى قصيدة المتنبي إلى أبي الفضل وزعم أنه رسوله. فوصله أبو الفضل بالني
درهم؛ واتصل هذا الخبر بالمتنبي ببغداد؛ فقال: رجل يعطى لحامل شعري هذا،
فما تكون صلته لي؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الرى خرجتين إلى
أرجان، يجبي بها أربع عشرة مرة ألف ألف درهم فمضى حديثه إلى المتنبي

(١) كذا في ط . وفي شرح مع تصحيح للشنقيطي : « دبسم بن
شادكويه » . وضبط في ديوان المتنبي بشرح الواحدى ٣٢٥ بمباى وأوربا
٧٢٨ : « دَلَّيْرَ بْنَ لَشَكْرَوَزَّ » كما ذكر المبنى . لكن ورد في ديوانه بشرح
العكبرى ٢ : ٢٠٧ :

فأنت غيباً لو شريت منينى
والبيت من قصيدته التي مطلعها :
كدهواك كل يدعى صحة العقل

ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

(٢) اقتبسه من قول أبي تمام في ديوانه .
قدك اتشد أربيت في الغلواء . كم تعذلون وأنتم سبجرائي

بحصوله بأرجان، فلما حصلَ للمتنبّي بغداد نزلَ رِبْضُ حميد ، فركبَ إلى المهلبى ، فأذنله فدخلَ وجلسَ إلى جنبه ، وصاعدُ خليفَتُهُ دونه ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني . فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرفتُ مكانها جُراما وملكوها وبَدَرَ قَلَمُها^(١)

وقال المتنبّي : هو جُرابا ، وهذه أمكنة قتلها علما ، وإنما الخطأ وقع من النقلة ! فانكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه في كتابه جراما بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة^(٢) وتفرق المجلس عن هذه الجملة . ثم عاوده اليوم الثاني وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل ، وإنما صدّه ما سمعه من تماديه في السُخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ، وكان المتنبّي مرَّ النفس صعبَ الشكيمة حادًّا مجدًّا ، فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابنَ الحجاج حتى علّق لجامَ دابّته في صينية الكرخ^(٣) ، وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومنَ يَلْزمُ أهلَ العلمِ توقيرُهُ
فصبرَ عليه المتنبّي ما كنّا ما كنّا ، إلى أن نُجزّها ، ثم خلى عنانَ دابّته ،

(١) لكثير عزة عند سيبويه ٢ : ٧ وابن يعيش ١ : ٦١ والمنصف ٢ : ٣/١٥٠ والسيرة ٦٥

(٢) الذى فى سيبويه « جرابا » بالباء . قال اليمنى : « اتفق الرواة على أنها جراب بالباء . قال السهيلي ١ : ١٠١ : يحتمل أن يكون بمعنى جريب ، نعو كيار وكبير . والجريب : الوادى . ومثله فى معجم ياقوت من غير حوالة عليه . والجراب ذكرها البكرى أيضا . ولم أجد الجرام فى شيء من المعاجم مما يحضرنى » .

(٣) كتب اليمنى : « يمكن أن تكون الصينية ، محلة بكر فى بغداد نسبت اليه ، فرقا بينها وبين الصينية : بليدة تحت واسط ، التى ذكرها ياقوت » . وقد وردت فى النسختين : « صينية » بالباء الموحدة بعد النون

وانصرف المتنبي إلى منزله وقد تيقن استقرار أبي الفضل بن العميد بأرجان وانتظاره له فاستعدَّ للمسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جني عن علي بن حمزة البصري^(١) قال : كنت مع المتنبي لما ورد أرجان ؛ فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون بي ، وقصدت رب هذه للدرة ، فما يكون منه ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيولة ، وهو مضطجع في دسسته - فنار من مضجعه واستنبتته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ؛ فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بمجمع كثير . فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدسست قياماً مستويّاً ، وطُرح له كرسي عليه مخدّة ديباج ؛ وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب . ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأنّ غلاماً له احمل سيفاً وشدّ عنه . وأخرج من كمّه عُقيب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

* بادِ هواك صبرت أو لم تصبرا *

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيفٍ غشاؤه فضّة ، وقال : هذا عوض عن السيف المأخوذ ؛ وأفرد له داراً نزلاً . فلما استراح من تعب السفر كان يغشى أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أزورك إلّ كباباً إلّا لشهوة النظر إليك ؛ ويؤاكلة . وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان

(١) ترجم له ياقوت في معجمه ١٣ : ٢٠٨ كما ترجم في البغية

٢٢٧ قال ياقوت : « ولما ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل » .

وقال السيوطي : توفي سنة ٣٧٥ .

اللغة الذى جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه . فأظلمهم النيروز ، فأرسل أبو الفضل بعضَ ندمائه إلى المتنبي : كان يبلىنى شعرك بالشام والمغرب ، وما سمعتهُ دونه ! فلم يُجِرْ جواباً ، إلى أن حضره النيروز وأنشدَ مهنشاً ومعتدراً فقال :

هل تُعذرى إلى الهام أبى الفضل ل قبولٌ ، سواد عيني مداؤهُ
ما كفانى تقصيرُ ما قلتُ فيه عن علاه حتّى ثناه انتقادهُ
إنني أصيد البراة ، ولك نَّ أجلاً النجوم لا أستاذهُ
ما تعوتت أن أرى كآبى الفضل ل وهذا الذى أتاه اعتياده^(١)

٣٨٧

فأخبرنى البديهيّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قرود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون . وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجود زمانٍ الديلم .

وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادّةً نفقةً يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أأقلامُ بكفك أم رماحُ وعزمُ ذاك ، أم أجلى مُتاحُ

فقال أبو المطرف : أعطوه ألف دينار .

وكذلك أبو الفضل البليعيّ وزير بُخارى ، أعطى المطرانى الشاعر على قصيدته التى أولها :

* لا شربَ إلاّ بسير الناي والعُودِ *

(١) فى الأصل : « كآبى الفتح » ، صوابه من الديوان وما يقتضيه المقام .

خمسة عشر ألف دينار .

وكذلك خلف صاحب سجستان ، أعطى أبا بكر الحنبل خمسة آلاف دينار على كلمة فيه .

وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ؛ وكان يأتيه علوى من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جارياً على التأيد ؛ فاتاه وهو في بعض الثغور ، فقال للخازن : أطلق له مائى الخزانة ؛ فبلغ أربعين ألف دينار . فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار ، لإشفاقاً من خلل يقع على عسكره في الحرب .

وأخبرنى بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب ، فأنشده في طريقه :

أنتَ علىَّ وهذه حلبُ قد فنى الزادُ وانتهى الطلبُ
فأطلق له ألف دينار .

وتعرض سائل لأبى على بن الياس وهو في موكبه ، فأمر له بخمسمائة دينار فجاءه الخازن بالدواة والبيض . فوقع بألئى دينار . فلما أبصره الخازن راجعه فيها . فقال أبو على : الكلام ربح ، والخط شهادة ، ولا يجوز أن يشهد على بدون هذا .

ثم إن أبا الطيب المنبجى لما ودّع أبا الفضل بن العميد ، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه ، فمرّقه ابن العميد ، فقال المنبجى : مالى ولديلم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به . فأجاب بأنى ملئى من هؤلاء للوك : أقصد الواحد بعد الواحد ، وأملككم شيئاً يبقى ببقاء الثيرين ، ويعطونى عرّضاً ثانياً ؛ ولى ضجرات واختيارات ؛

فيموقونى عن مرادى ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه ١ فكتب
ابنُ العميد عضدَ الدولة بهذا الحديث . فورد الجواب بأنه مملَّك مُرادَه فى المقام
والظعن . فسار المتنبي من أَرْجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز ،
استقبله عضد الدولة بأبى عمر الصبَّاغ أخى أبى محمد الأبهري صاحب كتاب
حدائق الآداب . فلما تلاقيا وتسائرا ، استنشدَه . فقال للتنبى : الناس
يتناشدون فاسمعه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس العالى . فبدأ
بقصيدته التى فارق مصر بها :

ألا كلُّ ماشيةٍ الخيزَلَى فِدَى كلِّ ماشيةٍ الهَيْدَى
ثم دخل البلدَ فَأَنزَلَ داراً مفروشة ؛ ورجع أبو عمر الصَّبَّاغ إلى عضد
الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتاً من كلمته وهى :

فلما أَنَحْنَا رَكُوزَنَا الرِّمَا حَ حَوْلَ مَكَلِمِنَا وَالْعُلَا
وَبِتْنَا قَبْلَ أَسْيَافِنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنَّى الْفَتَى
وَأَنَّى وَفَيْتُ وَأَنَّى أَبَيْتُ وَأَنَّى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا

٣٨٨

فقال عضد الدولة : هُوَذَا ^(١) ، يَهْدِدُنَا لِلتَّنْبِي ١

ثم لما نفَضَ غِبَارَ السَّفَرِ واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ، فلما توسَّط
الدار انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقبل الأرض واستوى قائماً وقال :
شَكَرْتُ مَطِيَّةَ حَمَلَتْنِي إِلَيْكَ ، وَأَمَلًّا وَقَفَ بِي عَلَيْكَ . ثم سأله عضد الدولة
عن مسيره من مصر ، وعن على بن حمدان ؛ فذكره وانصرف وما أنشده
فبعد أيام حضر السَّمَطُ وقام بيده دَرَج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشده :

(١) ش : « هونا » ، وأثبت ما فى ط

* مَفَانِي الشَّعْبِ طَبِيبًا فِي الْمَفَانِي ^(١) *

فلما أنشدناها وفرغوا من السباط ، حمل إليه عضد الدولة من أنواع الطَّيِّب في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب بالمجروح وكان اشترى له بخمسين ألف شاة ، وبدره دراهمها عدلية ، ورداء حشوه ديباج رومي مفصل ، وعمامة قومت بخمسمائة دينار ، ونصلاً هندياً مرصع النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل حدث يحدث قصيدة ؛ إلى أن حدث يوم نثر الورد ، فدخل عليه والملك على السرير في قبة يحسّر البصر في ملاحظتها والأترار ينثرون الورد ، فنزل المتنبي بين يديه وقال : ما خدمت عيني قلبي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما أنك صيرت ثره ديمًا
كأنما مانح الهواء به بحر حوى مثل مائه عنما ^(٢)

فحمل على فرس بمركب ، وألبس خيلة ملكية ، وبدره بين يديه محمله . وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ للنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ؛ فقال : كنت حاضره ؛ وقام ابنه يلتمس أجره الفسأل ، فأحد المتنبي إليه النظر بتحديق فقال : ما للصملوك والفسأل ! يحتاج الصملوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ، ويتعل فرسه ، ويسبل ثيابه ! ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفائتين بن أبي الفضل — وكان من أجواد

(١) ط : « مَفَانِي الشَّيْب » ، صوابه في ش والديوان . والبيت مطلع قصيدة يذكر فيها شعب بوان . وعجزه كما في الديوان ٢ : ٤٤٣

* بمنزلة الربيع من الزمان *

(٢) ط : « مانح الهواء » ، صوابه في ش والديوان ٢ : ٣٨٦

زمانٍ الديلم ، فرّق في يوم واحد بشمّيز قرميسين ، ألفين وخمسة قطع
إبريسم — ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوّفه إلى نظره^(١)
فأجابه المتنبي^(٢) :

يَكْتُبُ الْأَنَامُ كِتَابٌ وَرَدَّ فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدٍ
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَاظَهُ خَلَقْنَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْحَسَدَ
فَقُلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِرِينَ كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدِ^(٣)

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الأبيات سورةً يدرسها ، ويحكم
للمتنبي بالفضل على أهل زمانه . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي :

لَوَارِدُ شِعْرِ كَذَوْبِ الْبَرَدِ أَنَا نَا بِهِ خَاطِرٌ قَدْ جَعَدُ
فَأَقْبَلَ بِمَضْفِهِ بَعْضُنَا وَهُمْ السَّانِيرُ أَكَلُ الْغُدُ
وَقَالُوا : جَوَادٌ يَفُوقُ الْجِيَادَ وَيَسْبِقُ مِنْ عَفْوِهِ لِلْمَقْتَصِدِ
وَلَوْ وَلِيَ النِّقْدَ أَمْثَالُهُ لَفُظْتُ خَفَافِيشُنَا تَنْتَقِدُ

فاستخفّ أبو الفتح به وجره برجله . ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان ،
والأمير أبو سالم ديسم بن شادكويه^(٤) على الإمرة ، فاتّصل به وحظي عنده
على غاية الإكرام .

(١) ش : « الى تطرفه » .

(٢) ومثله عند البديعي ١ : ١٩٦ لكن عند العكبري ١ : ٢٧٣ انه

اجاب بها ابن العميد

(٣) عند العكبري : « وقد فرس الناطقين » .

(٤) ط : « شادكويه » .

وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيد شعره بالعرب^(١) . فأخبر المتنبي به فقال : الشعر على قدر البقاع .

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابر حواشيه وقوف ، فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس مولانا سوى أحد الطائيين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لتاب عنهما . فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره ، ارتحل وسار بمرأه وظهوره وأثقاله وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز .

وأخبرنا أبو الحسن السوسى ، في دار الوقف بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى ، وورد علينا المتنبي ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبل مسها في الطريق ، وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة^(٢) ، فحضرته أنا وقلت : قد أقت للشيخ زُلاً . فقال المتنبي : إن كان تم فآتيه^(٣) . ثم جاءه فأتك الأسدى بجمع وقال : قدم الشيخ في هذه الديار وشرفها بشعره ، والطريق بينه وبين دبرقنة خشن قد احتوشته الصعالكه ، وبنو أسد يسرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة ويبر كل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أبق الله يدي هذا الأدم وذباب الجراز الذى أنا متقلده ، فإنى لا أفكر في مخلوق أقام فأتك ونفض ثوبه وجمع من رتوت الأعراب الذين يشربون دماء الحبيج حسواً ، سبعين رجلاً ورصد له ، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان في صحبته ، وحمل فأتك على المتنبي وطعنه في يساره ،

(١) ش : « بالغرب »

(٢) ش : « مطارد منشورة » صوابه فى ط .

(٣) ط : « فهاته » ، ش : « فآته » .

ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت ، إلا أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقتل
خلفه الفرس أحدهم وجزّ رأسه ؛ وصبوا أمواله يتقاسمون بها بطرطورة .
وقال بعض من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسية ، وإنما كان سيف
الدولة سلمه إلى النخاسين والروّاض بحلب ، فاستجروا على الركض والخضر ؛
فأما استعمال السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من
(الغريب المصنف) سوى حرف واحد هو في (كتاب الجهرة) وهو قوله :
* يطوى المجلحة العُقد^(١) *

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونعت
الخليل والحرب من خصائصه ؛ وما كان يراد طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل
الساقت الردي كما يقبل النادر اليدع . وفي متن شعره وفي ، وفي ألفاظه تعقيد
وتعويض ، كما كلامه مع بعض اختصار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد المائة ، وهو من
شواهد س^(٢) :

١٤٢ (أَلَا أَضَحَّتْ جِبَالُكُمْ رِمَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسَعَةٌ أُمَامًا)

على أن ترخيم غير المنادى في الضرورة جائز ، سواء كان على تقدير

(١) الذي في ديوانه ١ : ٢٣٣ :

وامضى كما يمضى السنن لطيتى أرى كما تطوى المجلحة العُقد

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٣ ونوادر أبي زيد ٣١ والعيني ٤ : ٢٨٢ ،

٣٠٢ وابن السجري ١ : ٢/١٢٦ : ٧٩ ، ٩١ والانصاف ٣٥٣ وديوان

جرير ٥٠٢

الاستقلال — وهو لفنة من لا ينتظر — أو على تية المحنوف — وهو لفنة من ينتظر ، كما في هذا البيت .

فإنَّ (أماما) أصله أمانة ؛ فلما حذف الهاء أبقى الميم على حالها ، والالف للإطلاق ؛ فلو كان على تقدير الاستقلال يجعل ما قبل الآخر في حكم الآخر ، لضمَّ الميم رفعا ، لأنه اسمٌ (أضحى) . و (شاسعة) أى بعيدة خبرها .

٣٩٠

قال الأعلام الشنتمرى : « وكان المبرد يردّ هذا ، ويزعم أنّ الرواية فيه :

* وما عهدي كهديك يا أماما^(١) *

وأن نحارة بن عقيل بن بلال بن جرير أنشده هكذا . وسيبويه أوثق من أن ينهم فيما رواه » انتهى .

وقال أبو الحسن الأخفش في شرح نوادر أبي زيد الأنصاري : « العرب في الترخيم على لفتين : فمنهم من يقول إذا رنم حارثا ونحوه : يا حار بكسر الراء وهو الأكثر ؛ فالتاء على هذه اللغة في النية ، فمن فعل هذا لم يجز مثله في غير النداء إلا في الضرورة ؛ وأنشد سيبويه لجرير :

ألا أضحت حبالكم رِماما . . البيت

فأجراه في غير النداء لِمَا اضطرَّ ، كما أجراه في النداء ؛ وهذا من أقبح الضرورات . . وأنشد [نا] المبرد هذا البيت عن عُماره :

* وما عهدي كهديك يا أماما^(٢) *

على غير ضرورة . وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسان :

(١) الذي في شرح الأعلام : « وما عهد كهديك يا أماما » . وان

كانت رواية سيبويه تطابق رواية الرضى .

(٢) الذي في النوادر : « وما عهد كهديك »

* من يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرُها *

فحذف الفاء لما اضطرَّ .

وأخبرنا المبرد عن المازني عن الأصمعي : أنه أنشدم :

* من يفعل الخيرَ فالرحمنُ يشكرُه *

قال : فسألته عن الرواية الأولى ، فذكر أن النحويين صنعوها . ولهذا نظائر ليس هذا موضع شرحها .

ومنهم من يقول يا حارُّ بضم الراء ، فلا يمتدُّ بما حذف ويجريه مجرى زيد ؛ فحكم هذا في غير النداء كحكمه في النداء ؛ وعلى هذا أجرى قول ذى الرمة :

* ديار مية إذ « مي » تساعفنا^(١) *

وهذا كثير . وكلُّ ما جاءك ، مما حذف ، ففسد على ما ذكرت لك « اهـ » وفيه نظر فتأمل .

و (الرمام) قال الأعم : جمع رميم ، وهو الخلق البالي ؛ يريد : أن حبال الوصل بينه وبين أمانة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما . والصواب ما قاله النحاس : أن الرمام جمع رمة بالضم وهي القطعة البالية من الجبل .

وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير بن الخطمي ؛ وبعده :

(يشقُّ بها المساقلَ موجداتٌ . وكلُّ عرندسي ينفى اللغاما)

والمساقل : جمع عسقلة أو عسقول ، وهو السراب واضطرابه . يريد سيرها في الغلات راجعةً إلى محضرها ، بعد انقضاء زمن الاتساع . ووم الميني فقال : « المساقل : ضربٌ من الكأمة » . وروى النحاس عن أبي

(١) ط : « يادارمية » ، صوابه في ش . وانظر النوادر ٣٢ .

الحسن الأخفش (يشقّ بها الأماعر) قال : يشقّ : يعلو ، وضيمر بها لأمامة .
والأماعر : جمع أَمْعَزَ ومَعْرَء ، بالعين المهملة والزاي المعجمة ، وهو الموضع
الصلب يخلطه طين وحصى صفار ؛ قال زهير :

يَشجُّ بها الأماعر وهي تهوى هوىَّ الدلوِّ أسلمها الرِشا
والموجدة ، بضم الميم وفتح الجيم : الناقة القوية المحكّمة ، قال في الصحاح :
« ناقة أجْدُ بضمّتين : إذا كانت قوية مؤثّقة الخلق ؛ ولا يقال للبعير أجْدُ
وآجدها الله ، فهي موجدة القرى أى مؤثّقة الظهر ؛ وبناء موجد ؛ والحمد لله
الذى آجَدَنى بعد ضعف ، أى قوّانى » . والعرندس ، كسفرجل : الجمل
الشديد . واللغام ، بضم اللام وبعدها غين معجمة : ما يطرحه البعير من
الزبد لنشاطه .

وترجمة جرير تقدمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(كِلينى لهم يا أُميمة ناصب و ليل أُناسيه بطيء الكواكب)

٣٩١

تقدم شرحه قبل هذا بأربعة شواهد^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة ، وهو من

شواهدس^(٣) .

(١) انظر ص ٧٥ من الجزء الأول

(٢) انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء

(٣) سيبويه ١ : ٣٣١ . وانظر الخزانة ٤ : ٦٤ والعيني ٤ : ٢٩٥

وابن عيش ٧ : ٩١ والهمع ١ : ١١٩ ، ١٨٥ وشرح شواهد المغنى ٢٨٧

وديون القطامي ٣٧

١٤٣ (قِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَّاعًا وَلَا يَكُ مَوْقِفُ مَنْكِ الْوَدَاعَا) على أنه مرخمٌ (ضُبَّاعَة) فحذفت الهاء للترخيم؛ وألف الترخيم تغنى عنها. قال الأعمى وغيره: الوقف عليها عوضاً من الهاء؛ لأنهم إنما رنخوا ما فيه الهاء، ثم لما وقفوا عليه ردوا الهاء للوقف، فلما لم يمكنهم ردُّ الهاء ههنا، جعل الألف عوضاً منها على ما بيَّنه سيبويه.

قال الدماميني في شرح التسهيل: «قد يقال: لا نسلم أن هذه الألف عوض عن التاء المحذوفة، بل هي ألف الاطلاق. وهذه المسألة لا يستدل عليها بالشعر، فإن ثبت في النثر مثل ذلك تمت الدعوى، وإلا فلا».

قوله (ولا يك موقف.. الخ) يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة، كأنه قال: لا نجعل هذا للموقف آخر وداعى منك. والوجه الآخر أن يكون على الدعاء، كأنه قال: لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع. كذا في شرح أبيات الجبل للخمى. ففيه حذف مضاف من الوداع، وقدره بعضهم: موقف وداع، وهذا أحسن. وروى أبو الحسن الأخفش، وهو سعيد ابن مسعدة المجاشعي (في كتاب المعايه):

* ولا يك موقفاً منك الوداعا *

وقال: «نصب موقفاً لأنه أراد: قفى موقفاً، ولا يكن الوداعا. هذا إنشاد بعضهم فيما ذكروا؛ ورفع بعضهم موقفاً؛ وهو أيها» اهـ. وعليه فاسم يك ضمير المصدر المفهوم من قفى، كأنه قال: ولا يكن موقفك موقفاً الوداع. وقوله: «رفع بعضهم موقفاً.. الخ» هو للشهور في الرواية، لكن فيه الإخبار بالمرقة عن النكرة. وسيأتى الكلام عليه، إن شاء الله تعالى، في باب الأفعال الناقصة.

و (ضَبَاعَة) بنت زُفَر بن الحارث الآتي ذكره .

قال اللخمي : وفيه عطف المعرب على المبنى ، لأنه عطف ولا يك ، وهو معرب ، على قفى وهو مبنى ، وإنما سوَّغ ذلك وجودُ العامل وهي لا ، كقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ^(١)) ولو قلت : اقصدتني وأكرمتك ، بالجزم على اللفظ ، لم يميز على مذهب البصريين ؛ لأن اقصدتني فعل مبنى لا جازم له ، فلا يعطف على لفظه ؛ كما لا يجوز : هذه حذام وأختها — بالجر على لفظ حذام — فإن قلت : اقصدتني فلا حدثك ، فأدخلت لام الأمر ، جازت المسألة كما تقدم في الآية .. أقول : هذا ما يتعجب منه ؛ فإن العطف فيه إنما هو من عطف جملة على جملة ، لا من عطف معرب على مبنى ؛ ولا حاجة إلى التطويل من غير طائل .. قال : وفيه حذف النون من يكن تخفيفاً ، وسوَّغ ذلك كثرة الاستعمال ، أو للجزم على مذهب أبي علي .

قصيدة الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة للقطامي ، مدح بها زُفَر بن الحارث الكلبي . وكان بنو أسد أحاطوا به في نواحي الجزيرة وأسروه يوم الخابور وأرادوا قتله ، فحال زُفَر بينه وبينهم ، وحماه ومنعه ، وحمله وكساه ، وأعطاه مائة ناقة . فدحه بهذه القصيدة وغيرها ، وحضَّ قيساً وتغلب على السلم . وبعد هذا البيت :

(قفى فأدى أسيرك، إن قومي وقومك لا أرى لهم اجنباء
وكيف تجامع مع ما استحلَّ من الحرم الكبار وما أضاعا
ألم يحزنك أن جبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا

٣٩٢

يُطِيعُونَ الْعَوَاةَ ، وَكَانَ شَرًّا لِمُؤْتَمِرِ الْعَوَاةِ أَنْ يُطَاعَا
أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنَّ ابْنِي نَزَارٍ أَسَالَا مِنْ دِمَائِهَا التِّلَاعَا
إِلَى أَنْ قَالَ :

(أُمُورٌ لَوْ تَلَاظَمَ حَلِيمٌ إِذَا لَنَهَى وَهَبَّ مَا اسْتَطَاعَا
وَلَكِنَّ الْأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّى بَلَى وَتَعَيْنًا غَلَبَ الصَّنَاعَا^(١)
وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِماعَا
وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّباعَا
كَذَاكَ ، وَمَا رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا إِلَى مَا ضَرَّ غُلُوبَهُمْ سِراعَا
تَرَامُ يَفْمِزُونَ مَنْ اسْتَرْكَوَا وَبِجَنَابِهِ مَنْ صَدَقَ الْمِصَاعَا)

وقوله : قفى فادى أسيرك ، خطاب لضباعة بنت زُفر ، لأنه كان عند والدها أسيراً . وللفائدة : أخذ الغدية من الأسير وإطلاقه . والحبال : المواصلات والعهود التي كانت بين قيس وتغلب . وتباينت : تفرقت . روى أن ضباعة لما سمعت قوله أَلَمْ يَحْزُنْكَ إلخ قالت : « بلى والله لقد حزننى » . وأحزنى وحزنى لغتان . والمؤتمر : الذى يرى العواية رأيا ، ويأمر بها نفسه . يقول هو : شرُّ للغاوى أَنْ يُطَاعَ فى غِيَّةٍ . وابننا نزار . ربيعة ومضر . والتَّلعة : مسيل من الارتفاع إلى بطن الوادى . وتلافاها : تداركها . وهبَّ بالقتل ، بموحدتين ، أى أمر به . وتفَرَّى : تشقق . [وتعين^(٢)] السَّقاء والمزادة : إذا رقت منهما مواضع وتهيأت للخرق . والصَّنَاع ، بالفتح : الحاذقة بعمل اليدين . وقوله :

(١) ط : « وتعيبا » ، صوابه فى ش والديوان ٣٦٠ .

(٢) هذه التكملة من ش

ومعصية الشفيق . . الخ ، يقول : إذا عصيت الشفيق عليك ، الحريص على رشدك ، تبينت في عواقب أمرك الزلل ، فزادك ذلك حرصاً على أن تقبل نصحه . وقوله : وخير الأمر ما استقبلت ، أى خير الأمر ما قد تدبرت أوله فعرفت إلآم تنول عاقبته ، وشره ما ترك النظر في أوله ، وتنبعت أواخره بالنظر . واستشهد به الزمخشري عند قوله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ^(١)) ، على أن تقبل بمعنى استقبل ، كتمجّله وتمجّاده بمعنى استعجله واستقصاه ، من استقبل الأمر : إذا أخذه بأوائله ، كما في البيت . وقوله : كذاك وما رأيت الناس . . الخ ، ودوى :

* إلى ما ضرَّ جاهلهم سِراعا *

أى يسارع الجاهل إلى ما يضره . وقوله : ترام يغمزون . . الخ ، استركوا : استضعفوا ؛ والركيك : الضعيف . والمِصاع ، بالكسر : المجالدة بالسيف . يقول : يستضعفون الضعيف فيطعنون فيه . والغمز هنا : الإشارة بالعين والرأس .

و (القطامي) اسمه عُمر بن شَيْمِ التغلبيّ : تغلب بن وائل . وعُمير مصغر عمرو ؛ وكذلك شَيْم مصغر أشيم ، وهو الذى به شامة . ويقال شَيْم بكسر الشين أيضاً ؛ وضبطه عيسى بن إبراهيم شارح أبيات الجمل : سُيْم ، بسين مهمل مضمومة . وله لقبان أحدهما القطامي ، منقول من الصقر ، لأن الصقر يقال له قَطَامِيّ ، بفتح القاف وضمها ؛ وهو مشتق من القطم بالتحريك ، وهو شهوة اللحم وشهوة النكاح ؛ يقال فحل قَطِمٌ : إذا هاج للضرب .

ترجمة القطامي

٣٩٣

وهو لقبٌ غلب عليه ، لقوله :

يَصُكُّهُنَّ جَانِباً جَانِباً صَكَّ الْقَطَامِيُّ الْقَطَا قُورَابِ

واللقب الآخر « صريع الغواني » . قال النطّاح : أوّل من سُمّي صريع الغواني ، القطاميُّ بقوله :

صريع غوانٍ راقهنَّ ورُقنَه لَدُنْ شَبٍّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَّوَابِ

أى صرعه جبهن حتى لا حراك به . والغواني : الشواب . وقال أبو عبيدة : ذوات الأزواج غنّين بأزواجهن .

وصريع الغواني لقب « مسلم بن الوليد » أيضاً ، لقبه هارون الرشيد ، بقوله :

هل العيش إلّا أن تروحَ مع الصِّبَا

وتغدو صريعَ الكأسِ والأعينِ النُّجْلِ

والقطامي كان نصرانياً فأسلم . وهو ابن أخت الأخطل النصراني المشهور .

وعده الجعفي في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام . قال بعض علماء الشعر : أحسنُ الناس ابتداءً في الجاهليّة ، امرؤ القيس ، حيث يقول :

ألا عِمَّ صباحاً أيّها الطللُ البالي وهل يعمّنُ مَنْ كان في العَصْرِ الخالي

وفي الإسلام ، القطامي ، حيث يقول :

* إِنَّا مُحْيِيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ *

ومن المولدين ، بشر ، حيث يقول :

أبى طللٌ بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب مُتِيماً

وذكر الأمدى في الموتلف والمختلف من يقال له القطامي ثلاثة : أولهم

هذا ؛ والثاني : القطامي الضبّعي ، ضبيعة بن ربيعة بن نزار : أحد ولد القطاميون

كان الساهري^(١) و صاحب شراب ؛ ومن شعره :

أفرُّ إذا أصبحتُ من كلِّ عاذِلٍ فأمسى وقد هانتُ على العواذِلِ

وكان أبوه من أصحاب خالد القسري . والثالث القطامي الكلابي ، واسمه الحصين^(٢) ؛ وهو أبو الشرفي بن القطامي . شاعر محسن ؛ وهو القائل لما بلغه خبر يزيد بن المهلب :

لعلَّ عيني أن ترى يزيداً يقودُ جيشاً جحفاً رشيداً
ترى ذوى التاج له سُجوداً^(٣)

زفر بن الحارث وأما (زفر بن الحارث) فهو أبو الهذيل زفر بن الحارث بن عبد عمرو ابن مُعَاذ^(٤) بن يزيد بن عمرو بن الصَّعْتِ بن خُلَيْد بن نُفَيْل بن عمرو بن كلاب الكلابي .

كان كبير قيس في زمانه ، وفي الطبقة الأولى من التابعين ، من أهل الجزيرة . وكان من الأمراء . سمع عائشة ومعاوية . وشهد وقعة صفين مع معاوية أميراً على أهل قنسرين ؛ وشهد وقعة مرج راهط مع الضحَّاك بن قيس ، فلما قُتل الضحَّاك هرب إلى قرقيسا^(٥) ، ولم يزل متحصناً فيها حتى مات في خلافة عبد الملك بن مروان ، في بضع وسبعين .

(١) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٣١٦ وقال : « ومنهم الساهري ، وقد باد نسله . والساهري منسوب الى الساهرة ، وهي أرض بيضاء . »
وفي المؤلف ١٦٦ أنه الساهري بن وهب بن جلي بن أحمس .
(٢) في المؤلف : « الحصين بن حمال بن حبيب ، أحد بني عبدود ابن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف . »

(٣) بين هذا الشطر وسابقه في المؤلف :

تسمع للأرض به وثيلاً لا برما هذا ولا حسوداً

(٤) في المؤلف ١٢٩ : « زفر بن الحارث بن معاف » . معان تصحيف

(٥) قرقيسا ، بالكسر ويقصر : بلد على الفرات ، كما في القاموس

وقال : سمي بقرقيسا بن طهمورث . وجعله ياقوت : « قرقيسيا » بياء نانية وبفتح القاف الأولى مع المد ، ثم قال : « ويقال بياء واحدة » .

وكان الضحّاك بن قيس ومعه النّعمان بن بشير الأنصاريّ يدعو في الشام لعبد الله بن الزّبير ، ومروان بن الحكم مع بني أميّة يدعو لنفسه ؛ فالتقى الفريقان في مرّج راهط ، وكان مع الضحّاك ستون ألف فارس ، ومع مروان ثلاثة عشر ألفاً . فقال عُبيد الله بن زياد لمروان : إن فرسان قيس مع الضحّاك ، فلا تنال منه إلّا بكيد ؛ فأرسل مروان إلى الضحّاك ، يسأله المواءمة حتّى ينظر في المبايعة لابن الزّبير ، فأجابه الضحّاك ، ووضع أصحابه سلاحهم ؛ فقال ابن زياد : دونك ؛ فشدّ مروان على الضحّاك ، فقتل الضحّاك والنّعمان ورجال قيس . ولما هرب زفر ، جاءته خيل مروان فقاتها وتحصّن ، وقال في ذلك :

أرِيتني سلاحى لا أبالكِ ، إننى أرى الحربَ لا تزدادُ إلّا تَمادياً (١)
أتأتى عن مروان بالغيبِ أنه مُقيدٌ دُمى أو قاطعٌ من لسانيا
وفى العيس منجاةٌ وفي الأرضِ مهربٌ إذا نحن رفّعنا هُزْبَ المِثانِيا (٢)
فلا تحسبوني ، ان تغيبتُ غافلاً ولا تفرحوا ، إن جئتكم ، يلقائيا
فقد يَنبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى له ورقٌ من تحته الشرُّ باديا
ويَمضى ولا يَبقى على الأرضِ دِمْنَةٌ وتبقى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيا ؟ (٣)
ويذهبُ يومٌ واحدٌ إن أسأته بصالِحِ أيامى وحُسنِ بِلانِيا

* * *

وأُشيد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة (٤) :

(١) الأبيات في الطبرى ٧ : ٤١ - ٤٢ في حوادث سنة ٦٥
(٢) سبق هذا البيت والذي قبله في ١ : ١٩١ بولاق منسوبين الى جميل . ط : « لهن المبانيا » ، صوابه فى ش والمرجعين السابقين
(٣) هذا البيت والذي قبله ركب صدر أولهما على عجز الثاني فصارا بيتا واحدا عند الطبرى هكذا :

فقد يَنبتُ المرعى على دهن الثرى وتبقى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيا
(٤) انظر المخصص ١٥ : ١٢٢ واللسان (طرق ٨٨ كرا ٨٤) وأمثال الميداني ١ : ٣٩٥ والكامل ٢٦١

(أطرق كرا) ١٤٤

وهو صدر بيت وهو :

(أطرق كرا أطرق كرا إن النعام في القرى)

على أن (الكرا) ذكّر الكروان وليس مرخاً منه .

وهذا بيت من الرجز ؛ وهو مثل . وقد اختلف في قدره ، وفي معنى

الكرا والكروان ، وفي معنى البيت :

أما (الأول) فقد أورده ابن الأنباري ، وابن ولاد ، وأبو علي القالي ، والجوهري في الصحاح ، والصاغاني في العباب ؛ كما ذكرنا ؛ وأورده المبرّد في الكامل ، والزخشرى في مستقى الأمثال ، والشارح أيضاً في آخر بحث الترخيم هكذا : « أطرق كرا إن النعام في القرى » بناء على أنه نثر لا نظم ، وصوابه أطرق كرا مرتين ، كما نبّه عليه ابن السّيد البطليوسي فيما كتبه على الكامل . وزاد الشارح هناك ^(١) ، « ما إن أرى هنا كرا » ولم أر هذه الزيادة لغيره .

وأما (الثاني) : فالمشهور أن الكروان طائر طويل العنق والرجلين ، أغبر ، له صوت حسن ، وهو أكبر من الحمامة . وقال أبو حاتم في كتاب الطير : الكروان القَبَج ^(٢) أي الحجل . وقيل : هو الحباري . وقال الزخشرى : هو ذكر الحباري . وقيل : هو الكركي . والكرا يكتب بالآلف . قال المبرّد : وهو مرخم الكروان وتبعه من جاء بعده . قال القالي :

(١) الرضي ١ : ١٤٦

(٢) ط : « الصيغ » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . وهو معرب

« كبك » الفارسية .

الكرّا : الكرّوان . وهو عند أهل النظر والتحقيق من أهل العربية ترخيم
كروان . وإتما أراد الراجز : أطرق يا كروان ، فرخم .

وما قاله الشارح من أن الكرّا ذكر الكرّوان ذكره صاحب القاموس
أيضاً ؛ ونسبه ابن عقيل في شرح التسهيل إلى المبرّد . والظاهر من كلام
ابن الأنباري وابن ولّاد الترادف ؛ فإنهما قالّا : الكرّا : الكرّوان . لا أنّه
مرخمّ منه . وكذلك قال الأعلم في شرح ديوان طرفة : إن الكرّوان طائريقال
له الكرّا أيضاً ، ومنه المثل أطرق كرا . الخ . وكذلك قال في أمثاله أبو فيد
مؤرّج بن عمرو السدوسي : « إن كرا اسم ، وكروان اسم ، فإنهم قالوا :
هو مثل مضبّر وضبارم ، وعيطاء وعيطموس ، وأهوج وهيجموس .
وهو أشبه الأمرين ، لأنهم جمعوه فقالوا : كرا وكروان مثل فتى وفتيان ،
قال طرفة :

لنا يوم والكرّوان يوم تطيرُ البائسات ولا تطيرُ^(١)

فجعله جماعة الكرّا ، ألا ترى [أنّه^(٢)] قال : البائسات ؟ وكذلك
تنشده العرب ولم ترم رتخوأنم جمعوا على الترخيم . وجمعوه على الكرّوان
بالكسر ولم يقولوا : الكرّاوين والكرّوانات . انتهى

وعلى هذا يسقط منه شذوذان : الترخيم ، وتغييره ويبقى شذوذ واحد ،
وهو حذف حرف النداء [مع اسم الجنس . ويدلّ على الترادف وعلى أنّه
ذَكَرَهُ ورودُ الكرّافي غير النداء^(٣)] .

أنشد ابن ولّاد والزخشرى للفرزدق قوله :

(١) هذا البيت هو الشاهد ١٥٢ .

(٢) تكملة يقتضيها الكلام .

(٣) هذه التكملة من ش

أَلَا لَآنَ لَمَّا عَضَّ نَابِي بِمَسْحَلِي وَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الْكَرَّامِ أَحَارِبُهُ
وقال آخر :

إِذَا رَأَى كُلُّ بَكْرَى بَكِيْ أَطْرَقَ فِي الْبَيْتِ كِإِطْرَاقِ الْكَرَّا
وأما معناه فقد قال ابن الأنباري والقالی : معنى البيت : أغض فإن
الأعزاء في القرى ، والكروان طائر ذليل يقول : ما دام عزيزٌ موجوداً ،
فياك أيها الذليل أن تنطق . ضربه مثلاً .

وقال الشارح المحقق في آخر بحث النداء : « هو رُقية يصيدون بها الكرا
فيسكن ويُطرق حتى يصاد » . وهو في هذا تابع للزخشرى فإنه قال : « يقال
للكروان ذلك إذا أريد اصطياده . أي تطأطأواخفَضَ عنقك للصيْد ، فإنَّ
أكبر منك وأطول أعناقاً ، وهي النعام ، قد صيدت وحملت من الدَّوِّ إلى
القرى . يضرب لمن تكبر وقد تواضع من هو أشرف منه . ومثله لصاحب
القاموس ، فإنه قال : « وأطرق كرا ، يضرب لمن يخدع بكلام . يُلَطِّفُ له ويراد
به الغائلة » .

وقال ابن الحاجب في الإيضاح : وأطرق كرا مثل لمن يتكلم ويحضرت
أولى منه بذلك : كأنَّ أصله خطابٌ للكروان بالإطراق لوجود النعام ؛ ولذلك
يقال إنَّ تمامه :

... أَطْرَقَ كَرَّا إِنَّ النِّعَامَ فِي الْقُرَى

ويقال إنَّ الكروان يخاف من النعام .

ومثله في العباب للصاغاني فإنه قال : وأطرق : أرخى عينه ينظر إلى الأرض ؛
وفي المثل : أطرق كرا . . البيت . يضرب للمعجب بنفسه ، والذي ليس عنده
غناء ويتكلم ، فيقال : اسكت وتوق انتشاراً ما تلفظ به ؛ كراهية ما يتعقبه .

وقولهم : إن النعام في القرى أي تأتيك فتدوسك بمناسمها . ويقال أيضاً :
أطرق كرا يجلب لك^(١) يضرب للأحق في تمنيه الباطل فيصدق .
وقال الأعم الشنمري في شرح الأشعار الستة : يضرب للرجل يظن أنك
محتاج إليه ، فتقول له : اسكن فقد أمكنني من هو أنبل منك وأرفع .
والنعام إنما يكون في القفار ، فإذا كان بالقرى فقد أمكن . انتهى

(تنمة)

كرّاون يجمع على كراوين كورشان يجمع على ورّاشين ، وقالوا يجمع أيضاً
على غير قياس على كروان بكسر الكاف وسكون الراء كما يجمع ورشان على
ورشان ، وهو جمع بحذف الزوائد . كأنهم جمعوا كرا مثل أخيه وإخوان .

٣٩٦

قال ابن جني في الخصائص : وذلك أنك لما حذفت ألفه وتونه بقي معك
كروء ، فقلبت واوه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها طرّفاً ، فصارت كرا ،
ثم كثرت كرا على كروان كشبت وشبان ، وخرب وخربان . وعليه قولهم
في المثل : أطرق كرا ، إنما هو عندنا ترخيم كروان على قولهم يا حار ،
بالضم . قالوا : والألف في كروان إنما هي بدل من الألف المبذلة من
واو كروان . انتهى

وزعم الرياشي أن الكروان والكروان للواحد ، وكذلك ورشان
وورشان . ويردّه قول ذى الرمة :

من آل أبي موسى ، ترى الناس حوله كأنهم الكروان أبصرن بازيا

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المائة ، وهو
من شواهدس (٢) :

(١) الذي في الميداني : « يجلب » بالحاء المهملة

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ وابن الشجري ٢ : ٨١

١٤٥ (قَالُوا تَعَالَى يَا بُنَىٰ بْنِ مُخَرَّمٍ قُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي حَلِيفُ صَدَاءِ^(١))
على أَنَّ المَرخَمَ يجوز وصفه إِلَّا عند الفراء وابن السراج ، أراد الشاعر :
يا يزيد بن مخرم .

وعند سيبويه حذف الدال للترخيم ، والياء لالتقاء الساكنين . وقال
الفراء : كلاهما حذف للترخيم . فإن مذهبه حذف الساكن مع الآخر في الترخيم ،
فيقول فيمن اسمه قِمَطْرِيَا قِم ، كذا في الإيضاح لابن الحاجب .

قال الشاطبي في شرح الألفية : شرط المؤنث بالتاء المَرخَمُ أن لا يكون
موصوفاً ، لأن الترخيم حذف آخر الاسم للعلم به ، والصفة بيان للموصوف لعدم
العلم به ، فهما متدافعان . ولذلك قال سيبويه في قوله :

* إِنَّكَ يَا مُعَاوِ ، يَا ابْنَ الْأَفْضَلِ (٢) *

إنه ترخيم بعد ترخيم . وقد نصّ على هذا الرماني ، وتبعه ابن خروف ،
وقال في البيت : لا يصلح فيه النعت ، لأنه منادى مرثم ، فهو في نهاية
التعريف ، فنعته بعيد . فعلى هذا يكون قول يزيد بن مخرم - وأندسيبويه - :
قُلْتُم تَعَالَى يَا بُنَىٰ بْنِ مُخَرَّمٍ . . البيت

شاذاً . ويجرى مجرى النعت على هذا التقدير التوابع كلها : من العطف
البياني والتوكيد ، إِلَّا البَدَلُ ففيه بحث ، وإلا العطف النسقي فإن كل واحد
منهما ، أعني من المعطوف والمعطوف عليه ، مستقلّ بالعامل من جهة المعنى .
وفيه نظر أيضاً . انتهى

(١) وكذا عند ابن السجري . وفي سيبويه : « مُخَرَّم »

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٤ والخصائص ٣ : ٢١٦ والهمع ١ : ١٨٤
وديوان العجاج ٤٨ . ورواية الديوان :

* إِنَّكَ يَا يُزِيدُ يَا ابْنَ الْأَفْضَلِ *

ثم قال : وهذا الشرط منازع فيه . وأجاب الشلّوبين بأنه قد يتوجه العلم المشترط في الترخيم على الاسم ، وعدم العلم على المسعى ، فلا يتدافعان . وأما بيت سيبويه فلعله إغرابٌ من سيبويه ، إذ كان الوجه الآخر لا غرابة فيه ؛ أو لعله اختيار منه لذلك الوجه ؛ لأنه موضع مدح ، فتكرير النداء فيه أغخم من الإتيان به وصفاً . هذا ما قال ؛ ويقويه أن سيبويه أنشد :

* فقلتم تعال يا يزي بن مخرم *

على أنه ليس من الشاذ ، بل على أنه من الجائز باطلاق ، وهو مع ترخيم الهاء أجود ، ومثله قول امرئ القيس :

* أحرار بن عمر وكأني خير *

وهذا الشاهد دالّ على جواز ترخيم الموصوف من باب الأولى ، لأنه من الموصوف بابن ؛ وتقرّر في الكلام صيرورة ابن مع الموصوف في حكم المركب ، بدليل حذف التنوين . فإن كان هذا يجوز ترخيمه ، فمن باب أولى جواز ترخيم نحو : يا طلحة الفاضل ، يا حارث الفاضل ؛ فتقول : يا طلح الفاضل ويا حار الفاضل . وكذلك المعطوف والمؤكد والمبدل منه . انتهى

و (مخرم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشددة^(١) .

و (يزيد بن المخرم) من أشرف بني الحارث من أهل اليمن . والمخرم هو ابن شريح بن المخرم بن حزن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب ابن الحارث .

وكان يزيد بن المخرم ممن جاء مع عبد يغوث الحارثي في يوم الكلاب

(١) أنظر ما سبق في ص ٣٧٨ حاشية : ١ من هذا الجزء .

الثاني (وقد مضى شرحه في الشاهد الخامس والستين^(١)) ، وقتل يزيد ابن المحرم في ذلك اليوم مع يزيد بن عبد المدان ويزيد بن الهوبر^(٢) . وأسير عبد يغوث (كما تليهم شرحه) . ولما وقعت الهزيمة عليهم ، جعل رجل من بني تميم يقول :

يَا قَوْمَ لَا يُغْلِبْكُمْ الْيَزِيدَانُ يَزِيدُ حَزَنُ وَيَزِيدُ الدِّيَانُ

ويروى : مَحْرُماً أَعْنَى بِهِ وَالِدَيَّانِ^(٣)

وصدأ بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وبالمدة : حَى مِنْ الْيَمِينِ ، مِنْهُمْ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصَّدَّائِيُّ الصَّحَابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والخليف : المحالف والمعاهد . وروى البيت هكذا :

(قَلْتُمْ نَعَالَ يَا يَزِيدُ بْنُ مَحْرَمٍ قَلْتُمْ لَكُمْ : إِنِّي حَلِيفُ صُدَاءِ)

وهو من أبيات ليزيد بن المحرم المذكور آنفا .

* * *

وأنشد بعده : كَلْبَنِي لَهْمُ يَا أُمِيمة نَاصِبُ^(٤)

وتقدم شرحه قبل هذا بثانية شواهد^(٥)

* * *

(١) الجزء الأول ص ٤١٠/٤١١ وما بعدها

(٢) ش : « ويزيد هو ابن الهوبر » ، صوابه في ط

(٣) انظر رواية الرجز فيما سبق ، وكذا في الأغاني ١٥ : ٧٠

(٤) ط : « يا أمية » ، صوابه في ش

(٥) ص ٣٢١ من هذا الجزء .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهدس^(١) :

١٤٦ (عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبَوَانِ) على أن سيبويه استشهد به في ترخيم أسحار^(٢) في أَنَّكَ نَحَرَكَ بِأَقْرَبِ الحركات إليه ، وكذا تقول : انْطَلَقَ إِلَيْهِ ، في الأمر ؛ تَسْكُنُ اللام فتبقى ساكنة والقاف ساكنة ، فتحرك القاف بأقرب الحركات إليها وهي حركة الطاء . قال أبو جعفر النحاس : « فإن قيل : فقد جئت بحركة موضع حركة ، فما الفائدة في ذلك ؟ فالجواب : أن الحركة المحذوفة كسرة » انتهى . أى فالفتحة أخف منها . فأصل (يَلِدْهُ) بكسر اللام وسكون الدال للجزم ، فسكن المكسور تخفيفاً ، فخرَّكت الدال دفماً لالتقاء الساكنين بحركة ، وهي أقرب الحركات إليها ، وهي الفتحة ؛ لأن الساكن غير حاجز حصين^(٣) . قال المبرد في الكامل : كل مكسور أو مضموم ، إذا لم يكن من حركات الإعراب ، يجوز فيه التسين . وأُشَدَّ هذا البيت وقال : لا يجوز ذلك في المفتوح خلقة الفتحة . انتهى

ووقع هذا البيت في رواية سيبويه :

(أَلَا رَبُّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ)

وكذا أورده ابن هشام في معنى الليب شاهداً على أن رب تأتي بقلّة لإنشاء

(١) سيبويه ١ : ٣٤١ و ٢ : ٢٥٨ . وانظر العيني ٣٠ : ٣٥٤ والخصائص ٢ : ٣٣٣ وابن يعيش ٤ : ٩/٤٨ ، ١٢٣ ، ١٢٦ والهمع ١ : ٢/٥٤ وشرح شواهد المغني ١٣٦

(٢) ط : « استحار » ، صوابه في ش وسيبويه وشرح الرضى ١ : ١٤٠ . وفي القاموس . الإِسْخَارَةُ ، والإِسْخَارُ ، ويفتح والسَّخَارُ : بقلّة تسمّى المال

(٣) الوجه « حاجز غير حصين » .

التقليل ، كهذا البيت ، وفي الأكثر أنها لا إنشاء التكثر . وكذا أوردته غيره .
ولا تلتفت إلى قول ابن هشام اللخمي مع رواية سيبويه : « الصواب عجبت
لمولود » . لأن الروایتين صحيحتان ثابتتان .

ونسبه شرّاح أبيات سيبويه لرجل من أزد السّراة . وبعده :

(وذى شامة سوداء في حُجْروجه مَحْلَدَةٌ لا تنقضى لأوانٍ
ويكْمَلُ في خمسٍ وتسعٍ شبابه ويَهْرَمُ في سبعٍ معا وثمانٍ)

وعلى هذه الرواية لا وصف لمجرور ربّ ، لأنه لا يلزم وصفه عند سيبويه
ومن تبعه . فجملة (وليس له أب) حال من مولود ؛ والعامل محذوف ، وهو
جواب ربّ ، تقديره : يُوجَد ونحوه . والتزم المبرّد وتابعوه وصف مجرورها ؛
فتكون الجملة صفة له ، والواو هي الواو التي سمّاها الزمخشريّ واو اللصوق ،
أى لصوق الصفة بالموصوف ، وجعل من ذلك قوله تعالى : (وما أَهْلَكُنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَمَّا كَذَبَ مَعْلُومٌ ^(١)) . و (ذى ولد) معطوف على (مولود) .
وأراد بالأوّل عيسى بن مريم ، وبالثاني آدمّ أبابشر عليهما السلام ، قال أبو علي
الفارسيّ : إن عمراً الجنبيّ سأل امرأة القيس عن مُراد الشاعر ، فأجابه بهذا
الجواب — وجنب بفتح الجيم وسكون النون : قبيلة في اليمن ؛ وعمرُو هذا
منسوب إليها — وقيل : أراد بذى الولد البيضة ، وقيل : أراد به القوس
وولدها السهم لم يلدّه أبوان ، لأنه لا تتخذ القوسُ إلّا من شجرة واحدة
مخصوصة . وهذان القولان من الخرافات ؛ فإن البيضة متولّدة من أنثى وذكر ،
والقوس لا تتّصف بالولادة حقيقة ؛ وإن أراد بها التولد وهو حصول شيء
من شيء فليست مما ينسب إليه الوالدان .

٣٩٨

وأراد بذى شامة: القمر، فإنه ذو شامة، وهي المسحة التي فيه، يقال: إنهما من أثر جناح جبريل عليه السلام لما مسح به والشامة: علامة مخالفة لسائر البدن؛ والخال هي النكته السوداء فيه. وأراد بكمال شبابه في خمس وتسع، صيرورته بداراً في الليلة الرابعة عشرة، لأنه حينئذ في غاية اليهاء والضياء، كما أن الشاب في غاية قوته وحسن منظره في عنفوان شبابه. وأراد بهرمه ذهاب نوره وتقصان ذاته في الليلة التاسعة والعشرين، فإن السبعة والثمانية، وهي خمسة عشر، إذا انضمت مع الخمسة والتسعة، المتقدمة، وهي أربعة عشر، صارت تسعة وعشرين. وهذا الضم استفيد من قوله: معاً. وروى: (مضت) بدلاً معاً. وروى بعضهم: (وذى شامة غراء) أى بيضاء، وهذا غير مناسب. وحرّ الشيء: خالسه؛ وحرّ الوجه: ما بدا من الوجنة، أو ما أقبل عليك منه، أو أعتق موضع فيه. ومخلدة بالخاء المعجمة والدال، أى باقية؛ وهو بالجر صفة لشامة، وبالنصب حال منها للمسوغ. وروى بعضهم: (مجللة) اسم فاعل من التجليل، يحجم ولا مين وهو التغطية. وهذا أيضاً غير مناسب. وفسرها بعضهم بذات العز والجلال. وروى أيضاً: (مجلحة) بتقديم الجيم على الخاء المهملة؛ وفسره بنكسة وهذا كله من ضيق العطن: لا الرواية لها أصل، ولا هذا التفسير ثابت في اللغة. واللام في قوله: لأوان، بمعنى في، كقوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١))، وقولهم: مضى لسبيله؛ أو بمعنى عند، كقولهم: كتبتك لحس خلون؛ أو بمعنى، بعد كقوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ^(٢)). قال البيضاوي، في قوله تعالى: (لَا يُجَلِّئُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ^(٣)): لا يظهر أمرها في وقتها. والمعنى:

(١) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الاسراء.

(٣) الآية ١٨٧ من سورة الاعراف.

أن الخفاء بها استمرّ على غيره إلى وقت وقوعها . واللام للتأقيت كاللام في قوله تعالى : (لَوْلَاكَ الشَّمْسُ) . وقال العيني : « هي للوقت . ولا يقال : هذا إضافة الشيء إلى نفسه ؛ لأنّ المعنى لوقتٍ وُقت ، لأن التغاير في اللفظ كافٍ في دفع ذلك » . انتهى . فتأمل . وروى : (لا تنجلي لزمان) . وذَكَرَ العدد في الجميع ، لأنه باعتبار الليالي . وجملة يَكْمُل ، من الفعل وضميره المستتر ، معطوف على جملة لا تنقضى . ولا يضرّ تخالفهما نفيّاً وإثباتاً .

و (أزد السّراة) : حى من اليمين . والأزد اسمه دِرْزَه^(١) ، بكسر الدال وسكون الراء المهملتين وبالهمز . والأسد لغة في الأزد ؛ بل قيل : السين أفصح من الزاي^(٢) . والأزد : ابنُ الفوث بن نَبْت بن مالك بن أَدَد بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يعرُب بن قَحْطَان . . والفوث بفتح الفين المعجمة والتاء المثناة^(٣) ونَبْت : بفتح النون وسكون الموحدة وبالتاء المثناة . وأَدَد : بضم الهمة وفتح الدال الأولى . وسبأ : بفتح السين المهملة وفتح الموحدة والهمزة^(٤) . ويشجب : بفتح المثناة التحتيّة وسكون الشين المعجمة وضم الجيم وبالباء الموحدة . ويعرب بفتح المثناة التحتيّة وسكون العين المهملة وضم الراء المهملة وبالباء الموحدة . كذا في جامع الأصول لابن الأثير ، وغيره من كتب الأنساب .

(والسّراة) بفتح السين المهملة هو أعظم جبال العرب . روى أبو عبيد

(١) في نهاية الأرب ٢ : ٣١١ : « وأما الأزد بن الفوث ، واسمه دراء مثل رداء ، وقيل : درء مثل درع ٠٠ » . وهذا نص نادر

(٢) انظر الصحاح (أزد) والاشتقاق ٤٣٥

(٣) أى وبالتاء ، للمثناة .

(٤) أى وبالهزة . معجم البكرى ٩ :

البكرى في معجم ما استمع بسنده إلى سعيد بن المسيب : أنه قال : لما خلق الله عز وجل الأرض ، مادت بأهلها ؛ فضرى بهذا الجبل يعنى السراة فاطمأنت . قال أبو عبيد : وطول السراة : ما بين ذات عرق إلى حد نجران الين . وبيت المقدس في غربى طولها . وعرضها ما بين البحر إلى الشرف . فصار ما خلف هذا الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين ^(١) وعك وكنانة ^(٢) إلى ذات عرق والجحفة ، وما والاها وصاقها وغار من أرضها الغور : غور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كله . وغور الشام لا يدخل في ذلك . وصار ما دون ذلك في شرقيه من الصحارى إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ؛ ونجد يجمع ذلك كله . وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز . وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية قيد [والجبلين إلى المدينة ومن بلاد منحج تثليث . وما دونها إلى ناحية قيد ^(٣)] فذلك كله حجاز . وصارت بلاد النمامة والبحرين وما والاها ^(٤) : القروض ، وفيها نجد وغور ، لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها ، والقروض يجمع ذلك كله . وصار ما خلف تثليث وما قاربها ، إلى صنعاء وما والاها من البلاد ، إلى حضرموت والشحر وعُمان ، وما بينها اليمن ؛ وفيها التهامم والنجد ؛ واليمن يجمع ذلك كله . وذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز . وقيل لأهل ذات عرق : أمثُمون أنتم أم منجدون ؟ قالوا لا مَثُمون ولا منجدون . انتهى كلام أبي عبيد .

وقال ابن مكرم في لسان العرب : « السراة جبل بناحية الطائف . قال

(١) فى النسختين ، وكذا أصل معجم البكرى ٩ : « الى اسياف الحرمين بلاد الاشعريين ، صوابه فى معجم ياقوت .

(٢) فى النسختين : « عك وكنانة » ، صوابه من معجم البكرى ٩ .

(٣) التكملة من معجم البكرى .

(٤) فى معجم البكرى : « وما والاها » .

ابن السكيت : الطود : الجبل المشرف على عرقة ينقاد إلى صنعاء يقال لها السراة فأوله سراة ثقيف ، ثم سراة فهم وعدوان ثم الأزد . انتهى

قال ابن عبد البر في مقدمة الاستيعاب ^(١) : الأزد جرثومة من جرائم قحطان وافترقت فيما ذكر أبو عبيدة ^(٢) وغيره من علماء النسب على نحو سبع وعشرين قبيلة . . . ثم ذكرها . . . ويقال لبعض منهم : أزد السراة ، وهو من أقام منهم عند جبل السراة . ولبعض آخر : أزد عُمان ، بضم العين المهملة وتخفيف الميم ، وهو بلد على شاطئ البحر ، بين البصرة وعدن ، أضيفوا إليه لسكنائهم فيه . ولبعض آخر : أزد غسان بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ، وهو اسم ماء بين زبيد وريمع — وهما واديان للأشعرين — فمن شرب منه منهم سُمي أزد غسان — وهم أربع قبائل — ومن لم يشرب منه لا يقال له ذلك ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعَشَرٌ نُحِبُّ الْأَزْدَ نِسْبَتُنَا ، وَالْمَاءَ غَسَّانُ ^(٣)

ومنهم من يقال له أزد شنوة — على وزن فعولة — وهو اسم أبيهم ، سُمي به لَسَنَانٌ وقع بينهم . واسمه الحارث — وقيل : عبد الله — بن كعب ابن مالك بن نصر ^(٤) بن الأزد . قال في الصحاح « أزد أبوحى من اليمن . يقال أزد شنوة وأزد عُمان وأزد السراة . قال النجاشي :

وَكُنْتُ كَذَى رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الْخُدَّائِ

(١) كذا . ولم أجد للأزد ذكرا في مقدمة الاستيعاب . وانظر تاج

العروس (أزد)

(٢) في ط : « ابن عبدة » . صوابه في ش وتاج العروس

(٣) ديوان حسان ٤١٣ والسيرة ٦ .

(٤) ط : « النصر » ، صوابه في ش وجمهرة ابن حزم ٢٧٦ ونهاية

الأرب ٢ : ٣١٢

فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنْوَةَ وَأَمَّا الَّتِي شَلَّتْ^(١) فَأَزْدُ عُمانِ

ورأيت في (لللحقات) التي ألقها صاحب المختصر، الذي اختصره من جمهرة الأنساب لابن السكبي، بعد أن نقل كلام الصحاح ما نصه: «لم أجد في الجمهرة. لابن دريد لذلك ذكراً؛ بل رأيت في المعجالة في النسب أن شنوة اسمه الحارث وقيل عبد الله. فقله: إنه الحارث، أقرب إلى الصواب. فالحارث هو الذي ولد هذه البطون والقبائل، من دوس ونصر وغامد وماسخة وغيرهم. وأهل عُمان الآن يقولون: إنهم شنوة؛ وهم من دوس ثم من مالك ابن فهم بن غنم بن دوس. وهذا الذي ظهر من صحة ذلك، يبطل تقسيم الشاعر في هذا البيت، وقوله إن أزد عُمان غير أزد شنوة، وقول الجوهري: يقال أزد شنوة وأزد عُمان وأزد السراة، إن أراد به التقسيم على ثلاث قبائل ففاسد، وذلك: أن أزد السراة أيضاً من أزد شنوة فيهم من يذكر؛ وهم ثُمالة، تحلّ بلباً بالسراة اسمه قوسى؛ ودوس، منهم مُنْهَب بن دوس بالسراة. والأقرب أن يقال: إن هذا كقولهم غسان والأنصار وخزاعة؛ وكلهم غسان؛ وإِنَّمَا تَجَدَّدُ لِلْأَنْصَارِ وَخَزَاعَةَ هَذَانِ الْوَصْفَانِ، فبقيت تسمية غسان للشاميين. ١٥

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ^(٢):

(يَا مَرْحَبًا بِحِمَارٍ نَاجِيَةٍ)

١٤٧

(١) ش: «خلت»، تحريف، صوابه في ط ونوادير أبي زيد ١٠

وحماسة ابن الشجري ٣٣

(٢) الحصائص ٢: ٣٥٨ والمنصف ٣: ١٤٢ وابن يعيش ٩:

٤٦، ٤٧ والهمع ٢: ١٥٧

على أن هاء السكت الواقعة بعد الألف ، يضمها بعض العرب ويفتحها في حالة الوصل ، في الشعر .

قال ابن جني في باب الحكم يقف بين الحكمين من الخصائص : « ومن ذلك بيت الكتاب :

* له زجلٌ كأنه صوتٌ حادٌ^(١) *

فحذف الواو من كأنه ، لا على حد الوقف ، ولا على حد الوصل ؛ أما الوقف فيقتضى بالسكون : كأنه ، وأما الوصل فيقتضى بالمطل ويمكن الواو : كأنه^(٢) فقله إذن : كأنه ، منزلة بين الوصل والوقف . وكذلك أيضا قوله :

يا مرجاهَ بحمارٍ ناجيةٍ إذا أتى قربته للسانية

فتبأت الهاء في مرجاه ليس على حد الوقف ولا على حد الوصل ، أما الوقف فيؤذن بأنها ساكنة ، وأما الوصل فيؤذن بحذفها أصلا ، فتبأتها في الوصل متحركة منزلة بين المتزلتين « اهـ

وقوله : (يا مرجاه) المنادى محذوف ؛ ومرجبا مصدر منصوب بعامل محذوف ، أي صادف رجبا وسعة . حذف تنوينه لنية الوقف ، ثم بعد أن وصل به هاء السكت عن له الوصل فوصل . و (الحمار) مذكر ؛ والأنثى أتان ؛ وحجارة بالهاء نادر ؛ وهو مضاف إلى ناجية . و (ناجية) بالنون والجيم : اسم

(١) في النسختين : « صوت حمار » صوابه من سيبويه ١ : ١١ والخصائص ١ : ٢/١٢٧ ، ١٧ ، ٣٥٨ والانصاف ٥١٦ . وديوان الشماخ . ٣٦

(٢) في النسختين : « كأنه » ، والأوفق في الرسم ما أثبت عن الخصائص .

شخص ؛ وبنو ناجية قوم من العرب ؛ وناجية : ماء لبنى أمد ، وموضع
 ٤٠١ بالبصرة ؛ والناجية : الناقة السريعة ، وليست بمرادٍ هنا . والباء متعلّقة بقوله
 مرحبا . والسانية : الدلو العظيمة وأداتها ، والناقة التي يُسقى عليها ، أى يستقى
 عليها من البئر . وفي المثل : « سَبَرُ السَّوَانِي سَفَرٌ لَا يَنْقَطِعُ » . يقال : سَنَتِ
 الناقة تسنو سنوة وسناية : إذا سقت الأرض ؛ والسَّحَابَةُ تسنو الأرض والقومُ
 يسنون لأنفسهم : إذا استقوا ، والأرض مَسْنُوَةٌ ومَسْنِيَّةٌ بالواو والياء . وأراد
 بتقريب الحمار للسانية : أن يُسقى عليه من البئر بالدلو العظيمة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة ، وهو
 من شواهد س^(١) :

١٤٨ (فِى لَجَّةٍ أَمْسَكَ فَلَانًا عَنْ قُلٍّ)

على أن (فلًا) مما يختصّ بالنداء ، وقد استعمله الشاعر فى الضرورة
 غير منادى .

قال صاحب اللباب : ووزنه فَعْلٌ تقديرًا ، والذاهب منه الواو ، فيكون
 أصله فُلُو كُفْسَقْ فذهبت الواو تخفيفًا . وذلك لأنَّ الاسمَ المتكسر لا يكون
 على حرفين ، فلا بدَّ من تقدير حرف ثالث ، وحرفُ العِلَّةِ أولى لكثرة
 دوره ، والواو أولى لأنَّ بناتِ الواو أكثر .

(١) سيبويه ١ : ٢/٢٣٣ : ١٢٢ والعيني ٤ : ٢٢٨ وابن الشجرى

٢ : ١٠١ وشرح شواهد المغنى ١٥٤ والسمط ٢٥٧ واللسان (لجج ١٧٩

فلن ٢٠٢)

أرجوزة الشاهد وهذا البيت من أرجوزة طويلة لأبي النجم العجلي^(١) ، وصف فيها أشياء كثيرة . أولها :

(الحمد لله العليُّ الأجلُّ الواسع الفضلِ الوهُوبِ المجزلِ
أعطى فلم يَبْخَلْ ولم يُبْخَلْ كَوْمَ الذُّرَى من حَوْلِ الخَوَلِ
تَبَقَّلَتْ من أولِ التَّبَقُّلِ بين رِمَاحِي مالِكٍ وَهَشَلِ
يدفعُ عنها العزُّ جِلَّ الجَلِّ)

إلى أن قال :

(وقد جَعَلْنَا في وَصِيهِ الأَحْبَلِ جَوَرَ خُفَافٍ قَلْبُهُ ، مُثْقَلِ
أَخْرَمَ ، لا قُوَّةَ ولا حَزَنَ بَلِ مَوْتِي الأَعْلَى أَمِينِ الأسفلِ
أَقْبَ من تَحْتِ عَرِيضٍ من عَلى معاوِدِ كَرَّةٍ أَدِيرُ أَقْبِلِ)

إلى أن قال :

(وصَدَرَتْ بَعْدَ أَصِيلِ الموصلِ تَمَشَّى من الرِدَّةِ مَشَى الحُفْلِ
مَشَى الروايا بِالْمَزَادِ الأَثْقَلِ)

إلى أن قال :

(تَشِيرُ أَيْدِيهَا نَحْجَاجِ القَسْطَلِ إِذْ عَصَبَتْ بِالْعَطَنِ لِلْمَرْبَلِ
تَدَافَعُ الثَّيْبِ ولم تَقْتَلِ في لَجَّةٍ أَمْسِكْ فَلَانًا عن قُلِ)

(١) نشرها بهجة الأثرى في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤٧٢ - ٤٧٩ سنة ١٩٢٨ في ١٩١ شطرا وسمها أم الرجز، ثم نشرها الميمنى في الطرائف الأدبية ٥٥ - ٧١ في ١٩١ شطرا زاد بعدها شطرين من جمهرة ابن دريد واعترض على تسميتها أم الرجز مع أنها في نص الأغاني ٩ : ٧٤ « فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أم الرجز » ، فرؤبة هو الذي سماها بذلك .

ومنها في صفة الراعي :

(تَغْلِي لَهُ الرِّيحُ وَلَمَّا يَفْتَلِدْ رِمَّةَ قَفْرِ كَشَعاعِ السُّنْبُلِ
يَأْتِي لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمَلٍ وَبُدَّتْ وَالدهِرُ ذُو تَبَدُّلٍ
هَيْفًا دَبُورًا ، بالصَّبَا وَالشَّمَالَ)

وهي طويلة جدًا .

قال الأصمعي في الأغاني^(١) : ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك
في الشعراء ؛ فقال لهم هشام : صفوا لي إبلًا فقطروها وأوردوها وأصدروها ،
حتى كأني أنظر إليها . فأنشدوه . . وأنشد أبو النجم هذه الأرجوزة
بديهة^(٢) .

وكان أسرع الناس بديهة : قال الأصمعي : أخبرني عبي قال أخبرني
ابن بنت أبي النجم قال : قال جدِّي أبو النجم : نظمت هذه الأرجوزة في قدر
ما يمشي الإنسان من مسجد الأشياخ إلى مسجد حاتم الجزار ومقدار ما بينهما
غُلوة سهم^(٣) (أي مقدار رمية) .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(٤) : « أنشد أبو النجم هذه الأرجوزة
هشام بن عبد الملك — وهي أجود أرجوزة للعرب — وهشام يصفق بيديه^(٥)
استحسانًا لها ؛ حتى إذا بلغ قوله في صفة الشمس :

(١) الأغاني ٩ : ٧٥

(٢) انظر الأغاني . ولم يكمل البغدادي هنا خبر أبي النجم مع
هشام كما ساقه أبو الفرج ، لكنه سيئمه بعد شرحه

* صفوا قد كادت ولما تفعل *

(٣) في الأغاني ٩ : ٧٦ : « غلوة أو نحوها »

(٤) الشعراء ٥٨٦

(٥) في النسختين : « بيده » ، والوجه من الشعراء ، ويد وحدها
لاتصفق .

(حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ جَلَاهاَ الْمَجْتَلَىٰ بَيْنَ سَمَاطَىٰ شَفَقٍ مُّرْعَبِلٍ
صَفْوَاءَ ، قَدْ كَادَتْ وَلَّىا تَفْعَلُ فَبَى عَلَى الْأَفْقِ كَمَيْنِ الْأَحْوَالِ)
أمر بوجء رقبته وإخراجه^(١) . وكان هشام أحول ، ا هـ

وقوله : الحمد لله العلىّ الأجلل ، أوردته علماء البلاغة على أن الأجلل ،
بكّ الإِدْغَام ، مما يخلُ بالفصاحة^(٢) ؛ والنصيح الأجلل ، وهو القياس . وأوردته
ابن هشام أيضاً في آخر (الأَوْضَح) على أن فكّ الإِدْغَام فيه للضرورة ، مع أن
الإِدْغَام واجب في مثله . ورواه سيبويه : « الحمد لله الوهوب المجزل » ،
وأشده على أن حذف الياء المتصلة بحرف الروى جائز على ضعف ؛ تشبيهاً
لها في الحذف بياء الوصل الزائدة للترنم ، كما في قوله المجزل ونحوه . . . وكان
هذه الرواية مركبة من ييتين . والمجزل : من أجزل له في العطاء : إذا أوسعته .
والبخل عند العرب : منع السائل مما يفضل عنده ، وفعله من باب تعب وقرب .
وبخله بالتشديد : إذا نسبه إلى البخل ، وأما أبخله بالهمز فعناه وجده بخيلاً .
وكوّم الذرى : مفعول أعطى ، وهو جمع كوام بالفتح والمد ، وهى الناقة
المظيمة السنام . وذرى الشيء بالضم أعاليه ، جمع ذروة بالكسر والضم أيضاً ،
وهى أعلى السنام أيضاً . والخلول بفتحيتين : العطية . والخلول ، اسم فاعل :
المعطى . فى الباب : الخلول : العطية ، وقوله تعالى : (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ^(٣))
أى أعطبناكم وملكناكم . وأشده هذا البيت . وقوله : تبقلت . . الخ ،
البقل : كل نبات اخضرت له الأرض . وتبقلت الناقة مثلاً وابتقلت : رعت

(١) يقال وجاء باليد وبالسكين وجئنا : ضربه .

(٢) انظر معاهد التنصيص ١ : ٧

(٣) الآية ٩٤ من سورة الأنعام

البقل . ومالك ، هو ابن ضبيعة بن قيس من هوازن . ونهشل ، هو أبو دارم
قبيلة من ربيعة .

قال الأصفهاني في الأغاني : « وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين أعنى
بنى مالك ونهشل ^(١) : أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروباً
في بلادهم ، فتجافى جميعهم الرعى فيما بين فلج والصمان ، مخافة الشر ، حتى
عفا كلؤه وطال . فذكر : أن بنى عجل جاءت لعزها ^(٢) إلى ذلك الموضع
فرعته ، ولم تخف رماح هذين الحيين . ففخر به أبو النجم » اهـ .

وفلج ، بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . والصمان ، بفتح الصاد
المهملة وتشديد الميم ، قال البكري في معجم ما استمعج : فلج : موضع في بلاد
مازن ، وهو في طريق البصرة إلى مكة ، وفيه منازل للحاج . وقال الزجاج :
فلج بين الرحيل إلى الحجاز ، وهو ما بهلم . وقال أبو عبيدة : لما قتل عمران
ابن خنيس ^(٣) السعدي ، رجلين من بنى نهشل بن دارم ، اتهاماً بأخيه للمقتول
في بغاء إبله ، نشأت بين بنى سعد بن مالك وبين بنى نهشل حرب تحامى الناس
من أجلها ما بين فلج والصمان ، وهو على وزن فعلان : جبل يخرج من
البصرة على طريق المنسكير ، لمن أراد مكة .

وقال ابن الأعرابي في نوادره : « كان رجل من عذرة دعا رؤبة
ابن العجاج فأطعمه وسقاه ، فأنشده فخره على ربيعة ؛ فساء ذلك العنزي »

(١) الذي في الأغاني ٩ : ٧٤ : « قال أبو عمرو : وكان سبب ذكر
هاتين القبيلتين - يعنى بنى مالك . الخ ، . فالكلام ليس للأصفهاني ،
وانما هو لأبي عمرو الشيباني .

(٢) الأغاني : « لغزوها » . وما هنا أشبه بالقصة وبالرجز :
« يدفع عنها العز جهل الجهل » .

(٣) ط : « خشيش » ش : « خشيس » ، صوابهما من معجم البكري
(فلج) .

فقال لفلان سيراً : اركب فرسي وجنني بأبي النجم . فجاء به وعليه جبة خز وبته^(١) ، في غير سراويل . فدخل وأكل وشرب . ثم قال العتري :
أُنشدنا يا أبا النجم — ورؤبة لا يعرفه — فأتحنى في قوله :

* الحمد لله الوهوب المجرل *

يُنشدُها ، حتَّى بلغ :

تبَقَّلت من أول التبقّل بين رماحي مالك ونهشل

فقال له رؤبة : إنَّ نهشلاً من مالك ، يرحمك الله ! فقال : يا ابن أخي ،
الكرمُ أشباهُ الكرم ، إنَّه ليس مالك بن حنظلة ، إنَّه مالك بن ضبيعة !
فخرني رؤبة وحبي من غلبة أبي النجم له . . ثم أنشد أبو النجم فخره على تميم ؛
فاعتم رؤبة وقال لصاحب البيت : لا يحبك قلبي أبداً ! اه
واستشهد صاحب الكشف بقوله :

* بين رماحي مالك ونهشل *

عند قوله تعالى (اثنتي عشرة أسباطاً^(٢)) على جمع الأسباط ، مع أنَّ
مميز ما عدا العشرة لا يكون إلا مفرداً . لأنَّ المراد بالأسباط القبيلة ؛ ولو قيل :
سبطاً ، لأوَّهم أنَّ المجموع قبيلة واحدة ؛ فوضع أسباطاً موضع قبيلة ، كما وضع
أبو النجم رماحاً ، وهو جمع ، موضع جماعتين من الرماح ، وثنى على تأويل :
رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة . فالمراد : لكل فرد من أفراد هذه التثنية
جماعة ، كما أنَّ لكل فرد من أفراد هذا الجمع ، وهو أسباط ، قبيلة .. وفاعل
تبَقَّلت ، ضمير كُوم الذرى زعم بعض شراح شواهد التفسير : أنَّ هذا البيت

(١) البت : كساء غليظ من وبر أو صوف .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

في وصف رَمَكَة مرتاضة اعتادت ممارسة الحروب ، حتى تحسب أرضَ الحرب روضةً تنبَلُ فيها . ولا يخفى أن هذا كلامٌ من لم يقف على سياق هذا البيت ولا سباقه . مع أن هذا الزاعم أورد غالب الأرجوزة ولم يتفهم المعنى .

وقوله : يدفع عنها العز . . الخ ، العز : فاعل يدفع ، وهو بمعنى القوة والمنعة ؛ وجعل الجهل : مفعولُهُ ، أى سفاهة السفهاء ؛ وضمير عنها راجع إلى كوم الذرى وقوله : وقد جعلنا في وِضين .. الخ ، هذا في وصف بعير السانية ؛ والوِضين : نِسْعٌ عريض كالحرّام يُعمل من آدم ، قال الجوهري : « الوِضين للهودج بمنزلة البطان للقتب ، والتصدير للرجل ، والحرّام للسرّج ؛ وهما كالنسع إلا أنهما من السيور إذا نسج بعضه على بعض .. »^(١) تقول : وضنتُ النسع أضينهُ وضنا : إذا نسجته . والأحبل : جمع حبل . والجوز ، بفتح الجيم وآخره زاي معجبة . مفعول جعلنا ؛ وجوز كلُّ شيء : وسطه . وأخفاف بضم الخاء للمعجبة وتخفيف الفامين ، بمعنى خفيف ؛ وهو منونٌ ؛ وقلبه فاعل خفاف ، وهو صفة لموصوف محذوف أى بعير خفاف . والمنقل : الثقيل ، صفة ثانية . يريد : شدّدنا الوِضين في وسط بعير خفيف القلب ذكى من ثقل بدنه وضخامته . والأحرّم : خلاف الأهضم ؛ وهو أن يكون موضع حرّامه عظيماً ؛ وهو صفة ثالثة . والقوق ، بضم القاف الأولى : الفاحش الطول ؛ وهو صفة رابعة . والحرّنبَل ، بفتح الحاء المهملة والزاي للمعجبة وسكون النون وفتح الموحدة : القصير . وقوله : موثّق الأعلى . . الخ ، بالجرّ صفة خامسة ، وأراد بالأعلى ظهره ، وبالأسفل بطنه^(٢) ؛ وأمين بمعنى مأمون ، صفة سادسة . وقوله : أقب . الخ

(١) انظر الصحاح (وِضن) .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى ش ، كتب ازاهه فيها فى الهامش

« قوائمه » .

مجرور بالفتحة ، صفة سابعة ؛ وعريض صفة ثامنة ؛ والقَبَب : الضمُّ ؛
يعنى أن خصره ضامر — واخضر تحت المتن — وأن متنه عريض . وتحت
مبنى على الضم^(١) .

ومن علي ، يكتب بالياء ؛ وليست الكسرة في اللام كسرة إعراب
ألا ترى أنه معرفة وليس بنكرة . ألا ترى أن معناه وكويته فوق نواظره
أو النواظر منه ! فهو إذن معرفة ، لأنه يريد به شيئاً مخصوصاً ، فهو إذن
كقول أوس :

فَلَاكُ بِاللَّيْطِ الَّذِي نَحْتَ قَشْرَهُ كِفْرِقٍ بِيضُ كَنَّهُ الْقِيضُ مِنْ عَلٍ
أى من أعلاه ، وقال الشنفرى :

إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرُهَا ، ثُمَّ إِنَّهَا تَنُوبُ فَنَأْنِي مِنْ نُحَيْتٍ وَمِنْ عَلٍ
وإنما تُعَرَّبُ عَلٌ إِذَا كَانَتْ نَكْرَةً ، كقولهم في النكرة : من فوق ومن
علي ، إذا لم تردْ أمراً معلوماً . فقوله : فوق النواظر من علي ، علي منه ، كشج
وعم ووزنه فعل ، والياء فيه لام الفعل ، والكسرة في اللام قبلها ككسرة
الضاد من قاض . فاعرف ذلك . وفيه عشر لغات : أتيته من علي ومن علي
ومن علي ومن علا ومن علو ومن علو ومن علو ومن علو ومن علو ومن
معالي . ومثله سواء قول العجلي :

(١) النص التالي من كلام ابن جني ، وقد سقط من النسختين
التنبيه على ذلك في أوله ، وإن كانت نهاية النص تشعر بأنه لابن جني .
وقد فحصت الحصاص ، وكذا سر الصناعة ، وكلاهما لابن جني فلم أعثر
على هذا النص ، وأخيراً وجدته في إعراب الحماسة لابن جني عند قول
ربيع بن مرقوم الضبي :

أوجيته عنى فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من علي
انظر كتاب التنبيه الورقة ١٥ من نسخة دار الكتب المصرية ٤٤
أدب .

* أَقْبَ من تَحْتُ عَرِيضٍ من عَلِي * *

أراد من أعلاه . ألا تراه قرنه بالمعرفة المبنية وهي تحت ا فعلى إذن معرفة ، فهو كشج ، وكسرة لامة ككسرة زاي غاز ، والكلمة مبنية على الضم ، وفي الياء تقدير ضمة البناء . فبيت ربيعة وبيت العجلي هذان جميعاً سواء ، ولكن بيت امرئ القيس الذي هو قوله :

* كجلمود صخر حَطَّه السيلُ من عَلِ * *

عل فيه فكرة ؛ ألا ترى أنه لا يريد من أعلى شيء مخصوص ا قال كسرة إذن في لام عل كسرة إعراب ، ككسرة دال يد و [ميم ^(١)] دم ا ه كلام ابن جني مختصراً .

وقد قرّر ابن هشام أيضاً في المغني : أن على ، متى أريد به المعرفة كان مبنياً على الضم تشبيهاً بالغايات كما في قوله :

* أَرْمَضُ من تَحْتُ وَأَضْحَى مِنْ عُلْ ^(٢) * *

والهاء للسكت ؛ قال : إذ المراد فوقية معينة لا فوقية مطلقة . والمغني : أنه تصيبه الرمضاء من تحته وحرّ الشمس من فوقه . ومثله قول الآخر يصف فرساً :

* أَقْبَ من تَحْتُ عَرِيضٍ من عَلِ * ا ه *

وقد أشار بقوله : « ومثله يصف فرساً » إلى أن ضمة البناء في عل إماماً ملفوظة كما في قوله : وأضحى من علّه ، وإما مقدرة كما في قول أبي الحم :

(١) التكملة من كتاب اعراب الحماسة المسمى بالتنبيه .

(٢) الرجز لأبي ثروان . انظر شرح شواهد المغني ١٥٣ وابن

يعيش ٤ : ٨٧ والهمع ٢ : ٢١٠ . وقبله :

* يارب يوم لي لا اظلله * *

« عريض من عل » فلا يردُّ الاعتراضُ عليه بأنه أنشده بالبناء على الضم ،
والقوافي كلها مجرورة . لكن يبقى عليه أن البيت في وصف بعير السانية ،
لا في وصف فرس . فتأمل وأنصف .

قوله : معاوِدَ كَرَّةً . الخ ، معاوِد : اسم مفعول ، وهو بالجر صفة تاسعة ؛
أى يعاد عليه مراراً قولُ أقبلُ على البئر إذا تفرَّغت الدلو ، أدبر عنها إذا
امتلاَّت . وكَرَّةُ بالرفع نائب فاعل معاوِد وهو مضاف لما بعده . وقوله : تمشى
من الردة ، في الصحاح : « والرُّدَّة بالكسر : امتلاء الضرع من اللبن قبل
النَّساج ، عن الأصمعي . وأنشد لأبي النجم تمشى من الردة . . البيت » ا هـ ،
ويجوز أن تكون مصدر قولك رده يرده ردّاً ورِدَّةً ، والرُدَّة الاسم من
الارتداد . وقال ابن السيرافي في (شرح أبيات إصلاح المنطق) : يصف إبلاً
قد أكثر من شرب الماء فأثقلها الرى والرُدَّة تراد في أجوافها ، يقال أرَدَّت
فهي مُرَدَّة . إذا انتفخت من الماء ، أو انتفخ ضرعها من غير لبن . يقول :
تمشى من كثرة شرب الماء كمشى النقي أثقلها كثرة ما في ضرعها . والحافل :
التي اجتمع في ضرعها اللبن ا هـ . ومشى : مصدر منصوب ، أى مشياً كمشى
الحفَل ، وهو جمع حافل ، من حفَل اللبن في الضرع : إذا اجتمع . والروايا :
جمع راوية ، من روى البعير الماء : سحله ، فهو راوية ، الماء فيه للبالغة ، ثم
أطلقت الراوية على كل دابة يُستقى الماء عليها . والمزاد : جمع مَرَادَة ، وهي
الراوية التي تعمل من جلود . وقوله : تنير أيديها . الخ ، الضمير إلى كَوْمِ
الذرى . والقسطل ، بالقاف : الغبار ، والعجاج : ما ارتفع منه . وعصبت
بالعين والصاد المهملتين ، قال في الصحاح : « وعصبت الإبلُ بالماء : إذا دارتُ
به . قال الفراء : عصبت الإبل وعصبت بالكسر : إذا اجتمعت .
والعطن ، بفتحين : مبرك الإبل عند الماء لتشرب عللاً بعد نهل ، فإذا

استوفت رُدَّتْ إلى المرعى . وللمغربل : المنخول ، أى أن تراب العطن كَأَنَّهُ منخول ، لكثرة ما انسحق منه ، لشدة الحركة . وقوله : تدافع الشيب ، مصدرٌ تشبيهي ، وعامله محذوف ، وهو معطوف على عصبت ، أى اجتمعت وتدافعت تدافعا كتدافع الشيوخ ، والشيب بالكسر جمع أشيب ، وهو الشيخ . وقوله : ولم يَقْتُلْ أصله تَقَتَّلَ ، فأسكن التاء الأولى للإدغام ، وحرك القاف لالتقاء الساكنين بالكسر ، فصار تَقَتَّلَ ثم أتبع أول الحرف ثانيه فصار تَقَتَّلَ بثلاث كسرات . واللَّجَّة ، بفتح اللام وتشديد الجيم : اختلاط الأصوات في الحرب ، في الصحاح : « وسَمِعْتُ لَجَّةَ النَّاسِ بِالْفَتْحِ ، أَيْ أَصْوَاتِهِمْ وَضَجَّتِهِمْ » . وأنشدَ هذا البيت . وفي متعلقة بتدافع . وقوله : أَمْسِكْ فلانا . الخ هو على إضمار القول ، أى فى لَجَّةٍ يُقَالُ فيها : أَمْسِكْ .. الخ . قال اللخمي في شرح أبيات الجمل ، تبعاً لابن السيد : شبه تزامحها ومدافعة بعضها بعضاً بقومٍ شيوخٍ فى لَجَّةٍ وَشَرٍّ ، يدفع بعضهم بعضاً ، فيقال . أَمْسِكْ فلاناً عن فلان أى احجز بينهم . وخَصَّ الشيوخَ لأنَّ الشبابَ فيهم التسرعُ إلى القتال . فلذلك قال : تدافع الشيب .. الخ . أى هى فى تزامح ولا تقاتل ، كالشيوخ . وقد غفل عن هذا المعنى الأعلَمُ الشنتمرى في شرح أبيات س فقال : « إن معناه خذ هذا بدم هذا وأيسر (١) هذا بهذا » هذا كلامه ! وكأنه لم ينظر إلى ما قبله من الأبيات . وأعجبُ منه قولُ ابن السيد (٢) ، فيما كتبه على هذا الكتاب ، فى شرح بيت الشاهد : إن معناه : قد كثر أصوات الرعاة يقول بعضهم لبعض : أَمْسِكِ البعيرَ الفلانيَّ عن البعيرِ الفلانيِّ لئلا يضره .

(١) الذى فى الأعلَم ١ : ٣٣٤ : « وأسر » فعل أسر من الأسر ، وهو الصواب

(٢) الميمنى : « هو ابن السيد مشددا ، الشريف الجرجاني . وله كآبيه حاشية على شرح الرضى . ويأتى قريباً فى الشاهد ١٥٢ » .

هذا كلامه ! مع أنه سطر ما قبله من الأبيات وشرحها من شرح اللباب للقالى .
 وقوله : تَفَلَّى له الريحُ . . الخ ، الفَلَّى : مصدر فَلَيت رأسه من باب رمى .
 إذا نَقِيتَه من القمل ؛ وافلَّى هو : إذا قَناه ؛ وَيَفْتَلِ : مجزوم بلمّا محذوف
 الياء من آخره يريد : أن الريح تهبّ على رأسه فتفرّق شعره كأنها تَفْلِيه وهو
 لم يَفْتَلِ شعره لشَعْنه وقلة تمهّده نفسه . واللّمة ، بكسر اللام : الشعر الذى يُلَمّ
 بالمنكَب أى يقرب منه ؛ وهو مفعول تَفَلَّى على التنازع . والقَفْر ، بفتح القاف
 وسكون الفاء ، وأصله بالكسر : وصفٌ من قَفِرَ زيدٌ ، من باب فرح : إذا قلَّ
 لحمه . وشَعاع السُنْبُل بفتح الشين المعجمة : سَفَاة ؛ وقد أشعّ الزرع : أخرج
 شعاعه ؛ وأسنى الزرع : إذا خَشُن أطراف سنبله . والسُنْبُل هنا سنبلُ الحنطة
 والشمير ونحوهما شبه شعره المنتفش بشوكِ سنبل الزرع . وقوله : يأتى لها . .
 الخ ، فاعل يأتى ضميرُ الراعى ؛ وضميرُ لها ، لكوم الذرى ؛ قال صاحب
 الصحاح : « أى يمرض لها من ناحية اليمن وناحية الشمال . وذهب إلى معنى
 أيمن الإبل وأشتملها لجمع لذلك » اهـ .

٤٠٦

وأورده سيبويه على أن الشاعر لما جرّ أيمناً وأشمالاً يمن ، أخرجهما عن
 الظرفية . وزعم الأعمى الشنتمرى أن هذا البيت فى وصف ظالم ونعامة ، قال :
 « يعنى : كلما أسرعُ إلى أدحيها وهو مَبِيضُها »^(١) عرض لها يميناً وشمالاً
 مرعجاً لها ، وهذا كما ترى لا أصل له . وقوله : وبدلت والدهرُ ذو تبدل . .
 الخ ، نائب الفاعل ضمير الريح ؛ والمَهِيف بفتح المهاء مثل الهُوف بضمها :
 ريح حارّة تأتي من اليمن ، وهى التَّكْبَاء التى تجري بين الجنوب والدُّبُور من
 تحت مجرى سهيل . والصَّبَا : ريح ؛ ومهبها المستوى أن تهبّ من موضع مطلع

(١) ط : « الى ادحتيها وهو بيضتها » ش : « الى ادحيها وهو
 بيضها » ، صوابه من الأعمى ١ : ١١٢

الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدُّبُور : الريح التي تقابل الصَّبَا . والشَّمَالُ بسكون الميم وفتح الهمزة بعدها : الريح التي تقابل الجنوب . فكان الواجب أن يقابل الشَّمَالُ بالجنوب . لكنَّه لضرورة النظم أقام الهَيْفَ مقام الجنوب لقربها من الجنوب . وفيه لفٌّ ونشر غير مرتب ؛ أى بدلت الريح فجاءت الدُّبُور بدل الصَّبَا وجاءت الهَيْف ، أى الجنوب ، بدل الشَّمَال . ففيه دخول الباء على المتروك ، وهو المشهور وُسمِعَ خلافه أيضاً . وأورده ابن هشام في المغنى على أن جملة : والدهر ذو تبدل ، معترضة بين الفعل ومنعوله ، للتأكيـد والتسديد .

وقوله : بين سحاطي شفقٌ مرعبل ، السُّمَاط بالكسر : الصف والجانب ، والسماطان من الناس والنخل : الجانبان ، يقال مشى بين السماطين وأنشد القصيدة بين السماطين . والمرعبل . المقطَّع . وروى بدله (مهول) . وصغواء بالفتن المعجمة ، من صغمت النجوم ، إذا مالت للغروب . وقوله : قد كادت ، أى قاربته الشمس أن تغيب ولم تغب بالفعل .

روى صاحبُ الأغاني^(١) : أن أبا النجم لما بلغ ذكر الشمس فقال : وهى على الافق كعين . . وأراد أن يقول : الأحول ، فذكر حول هشام فلم يتم البيت وأرنج عليه . فقال هشام : أجز : فقال : كعين الأحول . فأمر هشام بإخراجه من الرصافة^(٢) (ويقال لها رُصافة هشام^(٣)) ، وهى مدينة فى غربى

(١) الأغاني ٩ : ٧٥

(٢) فى الأغاني : « فأمر هشام بوجه عنقه وأخرجه من الرصافة »
 (٣) فى الأصلين : « رصافة الشام » ولكن الشنقيطى غيرها بقلمه
 برسم (رصافة هشام) . والرصافة : علم مشترك بين أماكن شتى ، ذكر منها ياقوت رصافة أبى العباس بالأنبار ، ورصافة البصرة ، وبغداد ، والحجاز ، والشام ، وقرطبة ، والكوفة ، ونيسابور ، وواسط . والمعروف أن رصافة الشام أقدمهن . وما بين القوسين من الكلام هنا من تعليق البغدادي ، ولم يذكر فى الأغاني . وجاء فى معجم البكرى ٦٥٤ : « الرصافة بضم أوله : رصافة هشام بن عبد الملك بالشام »

الرقّة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف البريّة ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها في الصيف ، وكانت قبلُ من بناء الملوك الغسانيين (ثم قال لصاحب شرطته : إياك وأن أرى هذا ! فكلّم وجوه الناس صاحب الشرطّة أن يقرّه . ففعل . فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوى بالليل إلى المساجد . . قال أبو النجم : ولم يكن في الرصافة أحدٌ يُضيف إلّا سليمُ بنُ كيسان الكلبّي ، وعمر بن بسطام الثعلبي^(١) فكنت أتعدّي عند سليم ، وأتعثّى عند عمرو ، وآتني المسجد فأبيت فيه . فاغتم هشامُ ليلةً ، وأراد محدثاً يحدثه ، فقال لخادم له : أبغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروى الشعر . فخرج الحاجب^(٢) إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فصرّبه برجله وقال له : قم أحبّ أمير المؤمنين . فقال : أنا أعرابيٌّ غريب . قال : إياك أبغي فهل تروى الشعر^(٣) ؟ قال : نعم ، وأقوله^(٤) . فأقبل به حتى أدخله القصرَ وأغلق الباب — فأيقن بالشرّ — ثم مضى فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبين أهله ستر رقيق ، والشمع بين يديه [يزهر^(٥)] . قال : فلما دخلت قال لي : أبو النجم ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، طريدك . قال : اجلس . فسألني وقال : أين كنت تأوى ؟ فأخبرته الخبر . قال : ومالك من الولد والمال ؟ قلتُ : أمّا المال فلا مال لي ، وأمّا الولد فلي ثلاث بنات وبنتي يقال له شيمان^(٦)) (بفتح الشين وتشديد الياء المثناة التحتية) قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قلت : نعم ، زوجت اثنتين وبقيت واحدة فنجز

٤٠٧

(١) في الأغاني ٩ : ٧٥ : « الثعلبي » .

(٢) في الأغاني : « الخادم »

(٣) في النسختين : « أبغني قال تروى الشعر » . وما أثبتته من

الأغاني ٩ : ٧٦ أصبح وأولى

(٤) ط : « وأقول » صوابه من ش والأغاني

(٥) يزهر : يتلألا . وهذه التكملة من الأغاني .

(٦) كذا . وفي الأغاني : « شيمان »

في أبياتنا، كأنها نعمة ! قال : وما وصيت به الأولى ؟ — وكانت تسمى
برّة — قال :

أوصيت من برّة قلباً حرّاً بالكلب خيراً ، والحقّ شرّاً
لا تسألي ضرباً لها ، وجراً حتى ترى حلّو الحياة مرّاً
وإن كنتك ذهباً ودراً والحقّ عميم بشر طراً
فضحك هشام وقال : فما قلت في الأخرى ؟ قال : قلت :

سُيّ الحماة وابهي عليها وإن دنت فارلني إليها^(١)
وأوجعي بالفهر ركبتيها ومرفقيها ، واضربي جنبها
وقعدى كفيك في صدغيها لا تخبري الدهر بذاك ابنها^(٢)

فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه . وقال : ويحك !
ما هذه وصية يعقوب لولده ! قال : ولا أنا كييعقوب يا أمير المؤمنين ! قال :
فما قلت في الثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتي فإني ذاهبُ أوصيك أن يحمّدك الأقاربُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساعبُ^(٣) ويرجع المسكينُ وهو خائبُ
ولا تني أظفارك السّلاهبُ هنّ في وجه الحماة كاتبُ^(٤)
والزوج ، إن الزوج بشّ الصاحبُ

قال : فأى شيء قلت في تأخير تزويجها ؟ قال : قلت :

(١) كذا . وفي الأغاني : « فازدلفي » ، وكلاهما صحيح

(٢) بدله في الأغاني :

وظاهري النذر لها عليها لا تخبر الدهر به ابنتيها

(٣) ط : « الساعب » ، صوابه في ش والأغاني

(٤) الأغاني « منهن » موضع « لهن »

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أُخْتِ شَيَّانٍ يَتِيمَةٍ وَوَالِدَهَا حَيَّانَ
الْجِدِّ مِنْهَا عَطْلٌ وَالْأَذَانُ وَلَيْسَ لِلرَّجُلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانٌ^(١)
وَقِصَّةٌ^(٢) قَدْ شَيَّطَهَا النَّيْرَانُ تِلْكَ الَّتِي يَضْحَكُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ^(٣)
فَضْحَكَ هَشَامٌ وَضَحِكَ النَّسَاءُ لَضَحْكِهِ ؛ وَقَالَ لِلْخَصِيِّ : كَمْ بَقِيَ مِنْ نَفَقَتِكَ ؟
قَالَ : ثَلَاثَةُ دِينَارٍ . قَالَ أَعْطِهِ إِيَّاهَا يَجْعَلُهَا فِي رَجُلِي ظَلَامَةً مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ^(٤) .
وَتَقَدَّمَتْ تَرْجَمَةُ أَبِي النِّجْمِ فِي الشَّاهِدِ السَّابِعِ مِنْ أَوَائِلِ الْكِتَابِ^(٥) .

٤٠٨

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ^(٦) :
١٤٩ (أَطَوَّفُ مَا أَطَوَّفُ نِمَّ آوَى إِلَى يَتِّ قَعِيدَتُهُ لَكَاعٍ)
عَلَى أَنْ (لَكَاعٍ) مِمَّا يَخْتَصُّ بِالنِّدَاءِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِ النِّدَاءِ ضَرْوَرَةً .
قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ : يُقَالُ فِي النِّدَاءِ لِلتَّيْمِ يَالْكَمَّ ، وَلِلْأُنْثَى يَالْكَاعِ ؛
لَأَنَّهُ مَوْضِعُ مَعْرِفَةٍ . فَإِنْ لَمْ تَرُدَّ أَنْ تَعْدِلَهُ عَنْ جِهَتِهِ^(٧) قُلْتَ لِلرَّجُلِ : يَا أَلْكَمَّ ،
وَلِلْأُنْثَى يَالْكَعَاءُ . وَهَذَا مَوْضِعٌ لَا تَقَعُ فِيهِ النِّكْرَةُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ :

(١) جَعَلَهَا الشَّنْقِيطِيُّ : « وَلَيْسَ فِي الرَّجُلَيْنِ » . وَفِي الْأَغَانِي :
« وَلَيْسَ فِي السَّاقَيْنِ » .

(٢) ط : « وَقِصَّةٌ » ، صَوَابُهَا فِي ش . وَالشُّطْرُ سَاقِطٌ مِنَ
الْأَغَانِي

(٣) الْأَغَانِي : « يَفْزَعُ مِنْهَا » .

(٤) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « الْخَيْطَانُ » وَقَدْ تَصَحَّحَ عَلَى الْحِكَايَةِ ، لَكِنْ فِي
الْأَغَانِي وَتَصْحِيحِ الشَّنْقِيطِيِّ : « الْخَيْطَيْنِ » .

(٥) الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ص ١٠٣

(٦) الْعَيْنِيُّ ١ : ٤٧٣/٤ : ٢٢٩ وَابْنُ الشَّجَرِيِّ ٢ : ١٠٧ وَابْنُ
يَعِيشَ ٤ : ٥٧ وَالْكَامِلُ ١٤٧ وَالْهَمْعُ ١ : ٨٢ ، ١٧٨ وَدِيَوَانُ الْحَطِيشَةِ
١٢٠

(٧) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « جِهَةٌ » ، صَوَابُهُ فِي الْكَامِلِ

«لأتقوم الساعةُ حتَّى يلى أمورَ الناسِ لُكْعُ ابنِ لُكْعٍ». فهذا كناية عن اللثيم ابن اللثيم. وهذا بمنزلة عمر ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة. ولكاع مبني على الكسر. وقد اضطر الخطيئة فذكر لكاع في غير النداء، فقال يهجو امرأته :

أطوفُ ما أطوفُ . ثم آوى . . البيت

وقعيدة البيت : ربة البيت وصاحبه . وإنما قيل : قعيدة ، لعودها وملازمها .

قال المدائني في كتاب (النساء الفوارك) إن امرأة الخطيئة نشزت عليه وسألته الفرقة ، فقال :

أجولُ ما أجولُ ثم آوى . . البيت

قال المرزوقي في (شرح فصيح ثعلب) : هذا البناء يراد به المبالغة . ومعنى لكاع : المتناهية في اللؤم . والفعل منه لَكَعْتُ لَكَمَا وَلَكَاعَةٌ ، وهي لكعاء وملكعانة . والأصل في اللُكْع : الوسخ . و«ما» مع ما بعدها في تأويل المصدر الذي يراد به الزمان ؛ والتقدير : أطوف مدة تطويفي .

وأورد ابن عقيل في شرح الألفية^(١) هذا البيت شاهداً على وصل ما المصدرية بالمضارع المثبت ؛ وهو قليل ؛ والكثير وصلها بالمضارع المنقّى أو الماضي .

ومعنى البيت : أطوفُ نهاري كله في طلب الرزق ؛ فإذا أويتُ عند الليل فإتما آوى إلى بيتٍ قيمته القاعدة فيه لثيمة .

والمصراع الأول مأخوذ من قول قيس بن زهير بن جذيمة :

(١) عند الكلام على الموصول ١ : ١٢٥

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ نَمِ آوَى إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُودٍ

جار أبي دود وأبو دود هو أبو دود الإيادي الشاعر المشهور . وجاره : كعب بن مامة الإيادي الجواد المشهور . وقيل بل هو الحارث بن همام بن مرة ، وكان أَسْرَ أبا دودٍ وناساً من قومه ، فأطلقهم وأكرم أبا دود وأجاره — فمدحه أبو دود — وأعطاه وحلف أن لا يذهب له شيء إلا أخلفه له .

ويقال : إن ولدَ أبي دود لعب مع صبيان في غدير فغمسوه فمات ؛ فقال الحارث : لا يبقى صبي في الحى إلا غُرِّق ، فودى ابنه بديات كثيرة و (آوى) : مضارع آوى إلى منزله من باب ضرب أويًا : إذا أقام به وانضمَّ ولجأ إليه . ومعنى (أطوف) : أكثر الطواف أى الدَّوران . ومثله أجول ، وزناً ومعنى .

٤٠٩

وهذا بيت مفردٌ هجا به امرأته كما ذكرنا .

و (الخطيئة) اسمه : جرؤل بن أوس [بن مالك ^(١)] بن جُؤيَّة بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قُطيعة (بالتصغير) ابن عُبس بن بغيض بن ريث ابن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكنيته أبو مليكة (بالتصغير) . واختلف في تلقيبه بالخطيئة (بضمّ الحاء وفتح الطاء المهملتين وسكون المثناة التحتيّة وبعدها همزة) ف قيل : لقب بذلك لقصره وقربه من الأرض ؛ في الصحاح : « والخطيئة : الرجل القصير ؛ قال ثعلب : وسمي الخطيئة لدمايته » . وقيل : لأنه ضرط بين قوم ، ف قيل له : ما هذا ؟ فقال خطيئة ؛ يقال خطأ : إذا ضرط . وقيل : لأنه كان محطوء الرجل ؛ والرجل المحطوءة : التي لا أخص لها .

الخطيئة

(١) التكملة من الأغاني ٢ : ٤١ والاصابة (الخطيئة) رقم ١٩٨٧

وهو أحد فحول الشعراء، متصرف في فنون الشعر : من المديح، والهجاء، والفخر، والنسيب. وكان سفيفاً شريراً. ينتسب إلى القبائل، وكان إذا غضب على قبيلة^(١) انتفى إلى أخرى. قال ابن السكبي: كان الخطيئة مغموز النسب، وكان من أولاد الزنى الذين شرفوا. قال: وكان أوس بن مالك العبسي تزوج بنت رباح^(٢) بن عوف الشيبانية، وكانت لها أمة يقال لها الصراء^(٣)، فأعلقها أوس. وكان لبنت رباح أخ يقال له الأقم، فلما ولدت الصراء جاءت به شبيهاً بالأقم. فقالت مولاتها: من أين لك هذا الصبي؟ قالت: من أخيك — وهابت أن تقول: من زوجك — ثم مات الأقم وترك ابنين من حرة^(٤) وتزوج الصراء رجل من عبس، فولدت له ابنين، فكانا أخوي الخطيئة من أمة. وأعتقت بنت رباح الخطيئة وربته فكان كأنه أحدهم^(٥)، ثم اعترفت أمة بأنه من أوس. وترك الأقم نخيلاً باليمامة؛ فأقن الخطيئة أخويه من أوس فقال لهم: أفردوا لي من مالكم قطعة. فقالا: لا، ولكن أقم معنا نواسك^(٦). فهجاها. وسأل أمة: من أبوه؟ فخلطت عليه، فغضب عليها وهجاها، ولحق بإخوته. من بنى الأقم ونزل عليهم في القرية وقال يمدحهم:

إِنَّ الْقَرْيَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقَرْيَةِ مِنْ بَنِي ذُهَلِ^(٧)

(١) في النسختين: « قبيلته »، صوابه من الإصابة

(٢) في الأغاني: « رباح » بالياء المثناة، وكذا في الموضعين التاليين

(٣) في الأغاني: « وكان لها أمة يقال لها الصراء »، وقد تكررت « الصراء » في الأغاني بهذا الرسم

(٤) الأغاني: « ثم مات أوس وترك ابنين من الحرة ».

(٥) ط: « فكان أحدهم »، الأغاني: « فكان كأنه أحدهم ».

(٦) ط: « نواسيك »، وكلاهما صحيح.

(٧) كذا في النسختين. وفي الأغاني والديوان ٩٠: « ان اليمامة »

الضامنون لِمَالِ جَارِهِمْ حَتَّى يَتَمَّ نَوَاحِضُ الْبَقْلِ (١)
 قَوْمٌ إِذَا اتَّسَبُوا فَفَرَّعُهُمْ فَرَعِي وَأَثْبَتُ أَصْلِهِمْ أَصْلِي
 وسألمهم ميراثه من الألقم، فأعطوه نُحَيْلات، فلم تقنمه. فسألمهم ميراثه
 كاملاً (٢) فلم يعطوه شيئاً. فغضب عليهم وهجأهم ثم عاد إلى بني عَبْس واتسب
 إلى أوس بن مالك.

قال ابن قتيبة: «وكان الخطيئة راوية زهير. وكان جاهلياً إسلامياً.
 ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لأنني لم أجد له ذكراً فيمن
 وفد عليه من وفود العرب؛ غير أنني وجدته في خلافة أبي بكر رضي الله
 عنه يقول:

أَطْعَمَنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ حَاضِرًا فَيَا لَهْفَتِي، مَا بَالُ دِينِ أَبِي بَكْرٍ
 أُيُورِثُهَا بِكَرًّا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ فَنَلَّكَ، وَبَيْتِ اللَّهِ، قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
 وقال ابن حجر في الإصابة: كان أسلم في عهد النبي ﷺ ثم ارتد ثم أسر،
 وعاد إلى الإسلام.

وروى [ابن أخي (٣)] الأصمعي عن عمه قال: كان الخطيئة جشعاً سئولاً
 ملحقاً بدني النفس كثير الشرّ بخيلاً، قبيح للنظر رثّ الهيئة، مغموز النسب
 فاسد الدين؛ وما تشاء أن تقول في شعر شاعر عيباً إلا وجدته، وقلماً تجد
 ذلك في شعره.

٤١٠

(١) ط: «المال جارهم» صوابه في ش والديوان. وفي الأغاني:
 «مال غيرهم».

(٢) ط: «كملاً». والكمل: الكامل، لا يثنى ولا يجمع.

(٣) التكملة من الأغاني. وهو عبد الرحمن بن عبد الله، ابن أخي
 الأصمعي. البغية ٢٩٩.

وقال أبو عبيدة : التمس الحطيئة ذات يوم إنساناً يهجوهُ ، فلم يجده ،
وضاق ذلك عليه ، فجعل يقول :

أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّمَا بسوء ، فما أدري ، لمن أنا قائله
وجعل يهدرُ بهذا البيتِ في أشدِّاقه ، ولا يرى إنساناً ، إذ اطلع في حوض
فرأى وجهه فقال :

أرى لى وجهاً شوّه الله وجهه ففُتِّحَ مِن وجهٍ وقُبِّحَ حاملُه^(١)
وكان الكلب بن كئيس تزوّج الصراء أمّ الحطيئة ، فهجاء وهجا أمّه فقال:
ولقد رأيتُكِ في النساءِ فسؤتي وأبا بَنِيكَ فسأني في المجلس
في أبيات^(٢) .

وقال يهجو أمّه :

جَزَاكَ اللهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ ولَقَاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَ
فقد ملكت أمرَ بَنِيكَ حتى تَرَكْتَهُمْ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينَ
لسانُكَ مِبْرَدٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَدَرَكٌ دَرُّ جَاذِيَةِ دَهْنٍ^(٣)
وقال يهجوها أيضاً :

تَنَحَّى فَاجْلِسِي مَنِي بَعِيداً أَرَاكَ اللهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَا
أَغْرِبَالاً إِذَا اسْتُودِعْتَ سِرّاً وَكَأَنُونَا عَلَى التَّحْدِيثِينَا
حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةً سَوْءَ وَمَوْتُكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَا

(١) في الأغاني والشعراء : « شوّه الله خلقه » .

(٢) انظر الأغاني ٢ : ٤٣ حيث الأبيات وقصتها

(٣) في النسختين : « درجارية » صوابه في الأغاني ٢ : ١٦٣ دار
الكتب ، واللسان (دهن) . والمجازية : الناقة جذبت لبنها من ضرعها
فذهب صاعدا . والدهين : البكينة القليلة اللبن .

وقال في هجاء أبيه وعمه وخاله :

لَحَاكَ اللَّهُ نَمَّ لَحَاكَ حَقًّا أَبَا، وَلَحَاكَ مِنْ عَمِّ وَخَالٍ
فَنِعَمَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْخَازِي^(١) وَيُسِّنُ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمَعَالَى
جَمَعْتَ اللَّوْثَ؛ لَا حَيَّاكَ رَبِّي ! وَأَبْوَابُ^(٢) السَّفَاهَةِ وَالضَّلَالِ

قال ابن قتيبة : ودخل الخطيئة على عُتَيْبَةَ بْنِ النَّهَّاسِ الْعِجْلِيِّ ، فسأله فقال :
ما أنا في عمل فأعطيك من غدده^(٣) وما في مالي فضلٌ عن قومي . فلما خرج ،
قال له رجل من قومه : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا الخطيئة ! فأمر برؤءه ؛
فلما رجع قال : إنك لم تسلم تسليمَ الإسلام ، ولا استأنست استئناسَ الجارِ ،
ولا رَحِبْتَ ترحيب ابن العم . قال : هو ذلك . قال : اجلس ، فلك عندنا
ما نحب . فجلس فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

وَمَنْ يَجْمَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّمَّ يُشْتَمُ
قال : ثم من ؟ قال : أنا ؟ فقال عتيبة لغلّامه : اذهب به إلى السوق ،
فلا يُشِيرَنَّ إلى شيء إلا اشتريته له . فانطلق به الغلام ، فجعل يعرض عليه
الحَبْرَةَ واليَمْنَةَ وبياض مصر ، وهو يشير إلى الكرايس والأكسية الغلاظ .
فاشترى له بمائتي درهم ، وأوفر راحلته بُرًّا وتمرًا ؛ فقال له الغلام : هل من
حاجة غير هذا ؟ قال : لا ، حسبي ؟ قال : إنه قد أمرني أن لا أجعل لك علة

(١) في النسختين : « علي المخازي » صوابه من الشعراء . ومنه ومن
الآغانى نقل البغدادى جميع الأهاجى المتقدمة .

(٢) عند ابن قتيبة : « وأسباب » .

(٣) وكذا في الشعراء ٢٨٣ . وفي القاموس : « الغدة : القطعة من
المال ج غدائد » . وفي شرح ديوان الخطيئة ٩٠ « ما أنا في عدد فأعطيك
من عدده » وكذا في الآغانى : « من عدده »

فيما تريد . قال : حسبك لا حاجة بي أن يكون لهذا يدٌ على قومي أكثر من هذه . . ثم ذهب فقال :

سُئِلْتَ فلم تَبَخُلْ ولم تُعْطِ طَائِلًا فَيَسِيَانِ لَا دَمٌ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا الْجُودَ مِنْكَ سَجِيَّةً فَتُعْطَى، وَقَدْ يُعْدى عَلَى النَّائِلِ الْوُجْدُ

وأتى الخطيئة كعب بن زهير ، فقال له : قد علمت روايتي لكم واتقاعى إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تبدأ فيه بنفسك ، ثم تنفي بي ، فإن الناس لأشعاركم أروى . فقال كعب :

فمن للقوافي ، شأنها من يحوِّكها إذا ما توى كعبٌ وفورَ جرؤلٍ ؟
قول ولا نعيًا بشيءٍ تقوله ^(١) ومن قائلها من يسىء ويعمل
نُقْفُها حتى تلينَ متونها فيقصُر عنها كلُّ ما يُشْمَلُ

وفي الأغاني عن جماعة : أن الخطيئة لما حضرته الوفاة ، اجتمع إليه قومه فقالوا : أوص ، يا أبا مليكة . قال : ويلٌ للشعر من راوية السوء ! قالوا : أوص يرحمك الله ! قال : من الذي يقول :

إذا نبضَ الرامون عنها ترنمتُ ترنمُ نكلى أوجعَها الجنائزُ
قالوا : الشماخ . قال : أبلغوا غطفان أنه أشعرُ العرب ؟ قالوا : ويحك ، أهذه وصية ؟ أوص بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل ضابى ^(٢) أنه شاعر ، حيث يقول :

لِسَكَلٍ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرُ أَتْنِي وَجَدْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيدٍ !

(١) في النسختين : « ولا نعي » ، والتصحيح للشنقيطي في نسخته
ومن الأغاني ٢ : ٤٤

(٢) هو ضابى بن الحارث كما في أمثال الميداني ٢ : ١٥٥

قالوا : أوص ، ويحك ، بغير ذا . قال : أبلغوا أهل امرئ القيس^(١)
أنه أشعر العرب ، حيث يقول :

فِيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ
بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلُ شُدَّتْ يَدْبُلُ
قالوا : اتق الله ، ودع عنك هذا ! قال : أبلغوا الأنصار أن صاحبهم^(٢)
أشعر العرب ، حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهْرُ كَلَابُهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ لِلْقَبِيلِ
قالوا : إن هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه . فقال :
الشَّعْرُ صَبْبٌ وَطَوِيلٌ سُلْمَةٌ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْخَضِيضِ قَدَمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِيهُ فَيُعْجِبُهُ

قالوا : هذا مثل الذي أنت فيه^(٣) . فقال :
قَدْ كُنْتُ أَحْيَا نَاقًا شَدِيدًا لِلْعَتَمَةِ
وَكُنْتُ ذَا غَرْبٍ عَلَى خُصْمِ الدِّ^(٤)
فَوَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَانَتْ تَرُدُّ

قالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، والله ، ولكن أجزع على
اللدبح الجيد يُمدح به من ليس له أهلاً . قالوا : فمن أشعر الناس ؟ فأوماً بيده
إلى فيه ، وقال : هذا اللسان إذا طمع في خير . واستعبر باكياً . قالوا له :
قل : لا إله إلا الله . فقال :

(١) في النسختين : « أبلغوا امرأ القيس » ، صوابه من الأغاني

(٢) يعني حسان بن ثابت .

(٣) في الأغاني : « الذي كنت فيه » .

(٤) الأغاني : « الخصم الد » .

قَالَتْ : وَفِيهَا حَيَّةٌ وَذُعْرٌ عَوَّذَ بَرِّئِي مِنْكُمْ وَحَجْرٌ^(١)

فقيل له : ما تقول في عبيدك ؟ فقال : هم عبيدُ قِنٍّ ما عاقبَ الليلُ النهارَ .
قالوا : فأوصِ الفقراءَ بشئ . قال : أوصيهم بالإلحاح في المسألة ، فإنها تجارةٌ
لن تَبُورَ ، واستُ المسئولُ أَصْبَقُ ! قالوا : فما تقول في مالك ؟ قال : للأثني
من ولدي مثلاً حظُّ الذكر^(٢) . قالوا : ليس هكذا قضى الله . قال : لكنِّي
هكذا قضيتُ . قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالهم ، وَنِكَحُوا أمهاتهم .
قالوا : فهل شئٌ تَهْدِيه فيه غير هذا ؟ قال : نعم ، تحملوني على أتانٍ ، وتتركوني
راكبها حتى أموتَ ، فإنَّ الكريمَ لا يموت على فراشه ، والأتانُ مركبٌ لم
يَمُتْ عليه كريمٌ قطَّ . فحملوه على أتانٍ وجعلوا يذهبون به ويحيثون عليها ،
حتى مات .

وفي الإصابة لابن حجر : أنه عاش إلى زمن معاوية رضى الله عنه .

* * *

الاختصاص

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحسنون بعد المائة ، وهو من شواهد^(٣) :

١٥٠ (يَنَا ، تَيْمًا ، يُكْشَفُ الضَّبَابُ)^(٤)

على أن المنصوب على الاختصاص ربما كان علماً .

أقول : تيم ، هو تميم بن مُرٍّ بن أَدِّ بن طابخة بن إلياس بن مضر . وهذا
ليس مرادَ الشاعر ؛ وإنما مراده القبيلة . و (الضَّبَابُ) جمع ضَبَابَةٍ ، وهو

(١) حجر ، بالضم ، أى رفع . كما فى اللسان (حجر ٢٣٩) عند
انشاد هذا الرجز .

(٢) كذا فى ط والأغانى . وفى ش : « مثل حظ الذكر »

(٣) سيبويه ١ : ٢٥٥ ، ٣٢٧ وانظر العينى ٤ : ٣٠٢ وابن يعيش

٤ : ٣٠٢ وملحقات ديوان روضة ١٦٩

(٤) قبله فى الديوان :

* راحت وراح كعصا السيساب *

ندى كالغبار يفضي الأرض بالقدوات ؛ وأضَبَّ يومنا بالهمزة : إذا صار ذا ضباب . ف ضرب الضَّبَابَ مثلاً لقمة الأمر وشدته ، أى بنا تُكشَفُ الشدائدُ في الحروب وغيرها .

وأنشده س على أنَّ تيماً منصوباً بإضمار فعل ، على معنى الاختصاص والفخر .
(بنا) متعلق بقوله : (يكشف) . وقدّم للحصر .

وهذا البيت من أرجوزة لرؤبة بن المعجاج وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الخامس من أوائل هذا الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائة (٢) :

١٥١ (إِنَّا بَنَى ضَبَّةً ، لَا نَفِرُ)

على أنَّ بَنَى ضَبَّةً منصوب على الاختصاص ، تقديره : أخصّ بنى ضَبَّةَ الجملة معترضة بين اسم إنَّ وخبرها ، وهو جملة لا نفِرُ ، حمى بها لبيان الافتخار .

(ضَبَّة) هو ابن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . وأبناء ضَبَّة ثلاثة : سعد ، وسعيد (بالتصغير) ، وباسل وهو أبو الديلم .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : خرج باسل بن ضَبَّة مغاضباً لأبيه ، فوقع بأرض الديلم ، فتزوج امرأة من العجم ، فولدت له دَيْلَمًا . فهو أبو الديلم .

* * *

(١) ص ٨٩ من الجزء الأول

(٢) لم أجده فى غير الخزانة

وأُشيد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد المائة (١) :

١٥٢ (لنا يومٌ وللكروانِ يومٌ تطيرُ البائِساتِ ولا نطيرُ)
على أنَّ (البائِساتِ) منصوب على الترحم .

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد ، هجا بها عمرو بن المنذر بن صاحب الشاهد
امرى القيس ، وأخاه قابوس بن المنذر — وأمهما بنت الحارث بن عمرو
الكندى آكل المزار — وهذه أبيات ثمانية منها :

(فليتَ لنا مكانَ الملكِ عمرو رغوئاً حولَ قُبْنِنا تَحْوُرُ أبيات الشاهد
من الزَّمِراتِ أسبَلَ قَادِمَاهَا ، وضربها مَرَكَّةً دَرُورُ
يُشارِكنا لَنَا رَحْلانِ فيها وتعلوها الكِباش وما تنورُ
لعمرك ، إِنَّ قابوسَ بنَ هَندٍ ليخلطُ مَلَكُهُ نَوَكُ كَثِيرُ
قسستَ الدهرَ في زمنٍ رَخِي كذاك الحُكْمُ يَقْصِدُ أوْ يَجُورُ
لنا يومٌ وللكروانِ يومٌ البيت
فأما يَوْمُهُنَّ فيومٌ سوءٌ تَطَارِدُهُنَّ بِالْحَدَبِ الصَّقُورُ
وأما يَوْمُنَا فنظَلَّ رَكْبًا وَقُوفًا ما نَحْلُ ولا نَسِيرُ)

٤١٣

وكان السبب في هذه القصيدة — على ما حكى الفضل بن سلمة في كتابه
(الفاخر) — أن عمرو بن المنذر ، كان يرشح أخاه قابوس بن المنذر لملك بعده ،
فقدّم عليه الناس وطرفة ، فجعلها في صحابة قابوس ، وأمرها بلزومه . .
وكان قابوس شاباً يعجبه اللهو ، وكان يركب يوماً في الصيد فيركض يتصيد
وهما معه يركضان ، حتى يرجعا عشيّة وقد تعبوا ، فيسكون قابوس من الغد

في الشراب ، فيقفان بباب سُرادقه إلى العشي . فكان قابوس يوماً على الشراب ؛ فوقفا ببابه النهار كله ، ولم يصلا إليه ؛ فضجر طرفة فقال هذه القصيدة .

وقال يعقوب بن السكيت ، والأعلم الشنتمري (في شرحهما لديوان طرفة) : إن عمرو بن هند المذكور ، كان شيريراً ؛ وكان له يوم بؤس ويوم نعمة ؛ فيوم يركبُ في صيده يقتل [أوّل ^(١)] مَنْ يَلْقَى ، ويوم يقف الناسُ ببابه ، فإن انتهى حديث رجل أُذن له ، فكان هذا دهره كله . فهجاه طرفة وذكر ذلك بقوله : فليت لنا مكان . . الخ ، للملك ، بفتح الميم وسكون اللام وأصلها الكسر : وصفٌ من ملك على الناس أمرهم : إذا تولى السلطنة . ولنا : خبر ليت مقدّم ، ورغوثاً : اسمها مؤخر ؛ ومكان الملك : ظرف ، وكان في الأصل صفة لرغوث فلما قدم صار حالاً . والرغوث ، بفتح الراء وضم الغين للمعجمة وآخره ثاء مثلثة : النعجة المرضع ؛ يقال رغث الغلام أمه : إذا رضعها . وتخور : تصوّت ؛ وأصل الخوار للبقر . فجعله طرفة للنعجة .

وقوله : من الزّيرات . . الخ ، بفتح الزاي المعجمة وكسر الميم أي القليلات الصّوف ؛ وخصّها لأنّها أغزر ألباناً ؛ يقال رجل زمر المروءة : إذا كان قليلها . والقادمان : الخلفان ؛ وأصل القادمين للناقة ، لأنّ لها أربعة أخلاف : قادمين ، وآخرين ؛ فاستعار القادمين للشاة . وأسبل : طال وكمل والضرة ، بفتح الضاد المعجمة . لحم الضرع . والمركنة : التي لها أركان ، أي جوانب وأصل ؛ وقيل : هي المجتمعة . والدّرور ، بفتح الدال : الكثيرة الدّر .

وقوله : يشاركنا . . الخ ؛ الرّخل ، بفتح الراء وكسر الخاء المعجمة : الأنثى من أولاد الضأن . ولنا : حال من رخلان ؛ وكان قبل التقديم صفة ،

(١) التكملة من ديوان طرفة

أى يشاركنا فى لبنا رخلان لنا . وتَنور ، بالنون : تنفِر ، والنَوَار : النُّور .
يصف غزارة دَرَّها وكثرة أولادها ، وأنها قد ألفت الذكورَ فما تنفَر منها .
وقوله : نوك كثير ، النوك بالنون : الحماقة ، وكثير : يروى بالمثلثة
وبالموحدة . وكان قابوسُ يحمقُ ويُرَنُّ فى نفسه .

وقوله : قسمتَ الدهر . . الخ ، هو بالخطاب ، على طريقة الالتفات :
إمّا من قابوسَ على قول للفضل بن سلمة ، وإما من عمرو على القول الآخر ،
يخاطبه ويذكر ما كان من يوم صيده ويوم وقوف الناس ببابه . وقد بيّنه
فى الأبيات التى بعده . والرخى : السهل اللين . وكذلك الحكم ، جملة اسمية
على حذف مضاف ، أى ذو الحكم . أرسلها مثلا . وقوله : يقصد . . الخ ،
بيان لجهة التشبيه . ويقصد : من قصد فى الأمر قصداً ، من باب ضرب :
إذا توسّط وطلب الأسد ولم يجاوز الحدّ . وقوله : لنا يوم . . الخ ، مبتدأ وخبر
وروى فى أكثر الروايات :

* لنا يوماً ولليكرّوان يوماً *

بنصب يوماً فى الموضعين على أنّه بدل كلّ من الدهر . والليكرّوان
بكسر السكاف وسكون الراء ، قال الأعمى^(١) : « هو جمع كروان ، وهو طائر ،
ونظيره شَقْدَان وشِقْدَان ، وورْشان وورْشان ، وحمار فلتان والجمع فِلْتَان .
وقد يكون كِرْوان جمع كَرَأ مثل قَتى وفَتَيان وخرَب وخرَبان » انتهى .

ولم يذكر فى أمثاله أبو فيد مؤرّج بن عمرو السدوسى إلا الوجه الثانى
كما تقدّم فى الشاهد الرابع والأربعين بعد المائة^(٢) ؛ قال : قالوا : كَرَأ وكِرْوان
مثل قَتى وفَتَيان . وأنشد هذا البيت .

(١) أى فى شرح ديوان طرفة

(٢) أنظر ص ٣٧٤ من هذا الجزء

وزعم ابن السيّد ، فيما كتبه على هذا الكتاب^(١) : أنَّ الكروان هنا مفرد بفتح الكاف والراء ، وأنّ التأنيث باعتبار قصد الأفراد من الجنس . انتهى .

والبائسات ، منصوب على الترحم كما يقال : مررت به المسكين . وفاعل تطير ، ضمير الكروان . وروى بالرفع أيضاً ، قال ابن السكيت : وهو الأكثر وقال الأعمى : والرفع على القطع ، وقد يكون على البدل من للمضر في تطير . وهو جمع بائسة ، من البؤس بالضم وسكون المهمزة ، وهو الضر ، يقال : بئس ، بالكسر : إذا نزل به الضر ، فهو بائس : وقوله : لا تطير ، بنون للتكلم مع الغير .

وقوله : فأما يومهن . . الخ السوء بفتح السين ؛ قال الأزهري في تهذيبه : « وتقول في النكرة : هذا رجل سوء ، وإذا عرفت قلت : هذا الرجل السوء ، ولم تُضِف . وتقول : هذا عمل سوء ، ولا تقل عمل السوء ، لأن السوء يكون نعتاً للرجل ، ولا يكون السوء نعتاً للعمل ، لأن الفعل من الرجال ؛ وليس الفعل من السوء . كما تقول : قول صديق وقول الصديق ورجل صديق ، ولا تقول رجل الصديق لأن الرجل ليس من الصديق » انتهى . وروى بدله (نحسي) وهو بمعناه . والحدب بفتح للمهملتين : ما ارتفع من الأرض وغلظ . يقول : يوم الكروان يوم نحسي ، لمطاردة الصقور لمن . وقوله : ما نحل ولا نسير ، أي نحن قيام على باب ، ننتظر الإذن ، فلا هو يأذن فنحلّ عنده ، ولا هو يأمرنا بالرجوع ففسير عنه . ونحلّ مضارع حلّ يحلّ حلولاً ؛ من باب قعد : إذا نزل .

(١) ش : « وزعم السيّد » .

طرفة

و (طرفة) ، هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. الشاعر المشهور .
وطرفة بالتحريك ، في الأصل : واحد الطرفاء وهو الأثل (١) ، قال في القاموس : الطرفة محركة : واحدة الطرفاء ، وبها لقب طرفة بن العبد ، واسمه عمرو ، ولقب بيت قاله (٢) .

وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس . ومرتبته ثاني مرتبة ؛ ولهذا نُقِيَ بمَلَقته . وقال الشعر صغيراً . قال ابن قتيبة : هو أجود الشعراء قصيدة . وله بعد للمعلقة شعرٌ حسن . وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد إلا القليل . وقُتِل وهو ابن ست وعشرين سنة .

وكان السبب في قتله : أنه وفد مع خاله للتلُّس على عمرو بن هند ، فأكرمها وبقياً عنده مدة (قال المفضل بن سلمة) : وكان لطرفة ابنُ عمٍّ عند عمرو ابن هند واسمه عبدُ عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك ابن ضبيعة — وكان طرفة عدواً لابن عمه عبد عمرو — وكان مميّناً بادئاً ، فدخل على عمرو بن هند الحثام ، فلما تجرّد قال عمرو بن هند : لقد كان ابن عمك طرفة رآك حين ما قال — وكان طرفة هجاء عبد عمرو ، فقال فيه من جملة أبيات :

ولا خَيْرَ فيه ، غير أن له غَيٍّ وأنَّ له كَشْحاً ، إذا قام ، أهْضاً

(١) في القاموس : « الطرفاء : شجر ، وهي أربعة أصناف ، منها الأثل ، الواحدة طرفاة وطرفة محركة » .

(٢) هو كما في القاموس والمزهر ٢ : ٤٤١ :

لا تُعْجِلْ بالبكاء اليوم مطرَفاً ولا أميريكاً بالدار إذ وقفا

فلما أنشد الأبيات لعبد عمرو قال له عبد عمرو : ما قال لك شرٌّ مما قال لي ؛ ثم أنشده :

فليت لنا مكانَ الملكِ عمرو . . (الأبيات المتقدمة)

فصدقه عمرو بن هند وقال له : ما أصدقتك عليم — مخافة أن تدركه الرحمُ وينذره — فكتب غير كثير ، ثم دعا للتلمس وطرفة ، وقال : لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما ، وسراً كما أن تنصرا ؟ قلنا : نعم ! فكتب لهما إلى عامله على هجر أن يقتلها . وأخبرهما أنه قد كتب لهما بجباء ، وأعطى كل واحد منهما شيئاً فخرجا — وكان للتلمس قد أسن — فقرأ بنهر الحيرة على غلمانٍ يلعبون ؛ فقال للتلمس : هل لك أن تنظر في كتابينا ، فإن كان فيهما خيرٌ مضيناه ، وإن كان شراً ألقيناهما ؟ فأبى عليه طرفة . فأعطى للتلمس كتابه بعض الغلمان ؛ فقرأه عليه ، فإذا فيه سوء . فألقى كتابه في الماء ، وقال لطرفة : أطمئني وألقِ كتابك ! فأبى طرفة ومضى بكتابيه إلى العامل ، فقتله . ومضى للتلمس حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام اه .

وروى يعقوبُ بن السكيت (في شرح ديوانه) القصة بأبسط من هذا ، قال : إن طرفة لما هجا عمرو بن هند بالأبيات المتقدمة ، لم يسمعها عمرو ابن هند . حتى خرج يوماً إلى الصيد فأمعن في الطلب ، فانتقطع في نفرٍ من أصحابه ؛ حتى أصاب طريدته فتزل ، وقال لأصحابه : اجمعوا حطباً — وفيهم ابن عم طرفة — فقال لهم : أوقدوا . فأوقدوا ناراً وشوى . فبينما عمرو يأكل من شوائه وعبدُ عمرو يُقدم إليه ، إذ نظر إلى خصر قيصه منخرقاً ، فأبصر كشحه ، وكان من أحسن أهل زمانه حينما — وقد كان بينه وبين طرفة أمرٌ وقع بينهما منه شرٌ ، فهجاه طرفة بأبيات — فقال له عمرو بن هند — وكان

سمع تلك الآيات — : يا عبد عمرو ، لقد أبصر طرقةً حُسنَ كَشْحِكَ ،
ثم تمثّل فقال :

ولا خير فيه غيرَ أنْ له غني وأنْ له كَشْحًا ، إذا قامَ ، أهضما

فغضب عبدُ عمرو مما قاله وأنف ، فقال : لقد قال للملك أقبحَ من هذا ؛
قال عمرو . وما الذي قال ؟ فندِمَ عبدُ عمرو ، وأبى أن يُسمعه . فقال . أسمعنيهِ ،
وطرقةً آمنَ . فأسمعه القصيدة التي هجَاهُهَا (وشرحنا منها ثمانية أبيات قدّمت)
فسكت عمرو بن هند على ما وقر في نفسه ، وكره أن يعجّل عليه ، لمكان
قومه ؛ فأضرب عنه — وبلغ ذلك طرقةً — وطلب غِرَّتَه والاستمكان منه ؛
حتى أمن طرقة ولم يخفّه على نفسه ، فظنَّ أنه قد رضى عنه . وقد كان المتلّس —
وهو جرير بن عبد المسيح — هجا عمرو بن هند . وكان قد غضب عليه ؛
فقدم المتلّسُ وطرقةً على عمرو بن هند ، يتعرّضان لفضله . فكتب لهما إلى عامله
على البحرين وهجر . وكان عامله فيهما فيما يزعمون ربيعةُ بنُ الحارث العبدى ،
وهو الذي كتب إليه في شأن طرقة والمتلّس — وقال لهما : انطلقا إليه فاقبضا
جوائزكما . فخرجا . فزعموا أنّهما لما هبطا النجف قال المتلّس : يا طرقة ،
إنّك غلامٌ غرٌّ حديثُ السنِّ ، والملكُ من قد عرّفتَ حِقْدَه وغَدْرَه ، وكلانا
قد هجَاه ؛ فلست آمنّا أن يكون قد أمرَ فينا بشرٌّ ؛ فلمْ ننظرْ في كتابينا ،
فإن يكن أمرٌ لنا بتخيرِ مضيئنا فيه ، وإن يكن قد أمرَ فينا بغير ذلك لم نهلك
أنفسنا ؛ فأبى طرقة أن يفكّ خاتمَ الملك ، وحرص^(١) المتلّس على طرقة فأبى .
وعدل المتلّس إلى غلام من غلمان الحيرة عبادي فأعطاه الصحيفة ، فقرأها ،
فلم يصل إلى ما أمر به في المتلّس حتّى جاء غلامٌ بعده فأشرف في الصحيفة

لا يدري لمن هي (١) فقرأها فقال : بُكِّتَ المتلصَّ أُوهُهُ ! فانزع المتلصَّ الصحيفة من يد الغلام ، واكتفى بذلك من قوله ، وأتبع طرفه فلم يدركه ، وألقى الصحيفة في نهر الحيرة ، ثم خرج هارباً .

وقد كان المتلصَّ فيما يقال قال لطرفة حين قرأ كتابه : تعلم ، أن في صحيفتك كَيْلٌ الذي في صحيفتي ! فقال طرفه : إن كان اجترأ عليك فما كان ليَجترأُ عليّ ، ولا ليغرّني ، ولا ليقدّم عليّ ! فلما غلبه سار المتلصَّ إلى الشام ، وسار طرفه حتّى قدّم على عامل البحرين وهو بهجر . فدفع إليه كتاب عمرو بن هند ، فقرأه فقال : هل تعلم ما أمرتُ به فيك ؟ قال : نعم ، أمرتُ أن تَجيزني وتحسنَ إليّ . فقال لطرفة : إن بيني وبينك لخثولة أنا لها راعٍ ، فأهربُ من ليلتك هذه ، فأني قد أمرتُ بقتلك ؛ فأخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس ! فقال له طرفه : اشتدّت عليك جائزتي وأحببتُ أن أهربُ وأجملَ لعمرو بن هند على سيلا ، كأنّي أذنبت ذنباً ! والله لا أفعلُ ذلك أبداً ! فلما أصبح أمرَ بحبسه . وجاءت بكرُ بن وائل فقالت : قدّم طرفه ! فدعا به صاحبُ البحرين ، فقرأ عليهم كتابَ الملك ، ثم أمر بطرفة وحُبس ، وتكرّم عن قتله ، وكتب إلى عمرو بن هند : أن ابعثَ إلى عمّلك (٢) ، فأني غير قاتل الرجل . فبعث إليه رجلاً من بني تغلب ، يقال له عبد هند ابن جرذ (٣) ، واستعمله على البحرين وكان رجلاً شجاعاً ؛ وأمره بقتل طرفه

(١) ط : « من هو » صوابه في ش . وفي الأغاني : « لا يدري ممن هي »

وانظر القصة هناك مروية عن ابن السكيت

(٢) كناية عن استقالته . وانظر شرح القصائد السبع ١٢٧

(٣) في نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٤ وشرح القصائد السبع الطوال

١٢٧ : « عبد هند بن جرذ » . وفي إحدى نسخ القصائد السبع : « بن حُرذ »

ط : « عبد بن هند » تحريف ، صوابه في ش وشرح القصائد السبع

وقتل ربيعة بن الحارث العبدى فقدمها عبدهند، فقرأ عهدَه على أهل البحرين،
ولبت أيتاماً. واجتمعت بكر بن وائل فهت به، وكان طرفة يحضّضهم.
وانتدب له رجلٌ من عبد القيس ثم من الحوائر يقال له «أبوريشة» فقتله.
فقبره اليوم معروف بهجر.

وزعموا أن الحوائر ودّته إلى أبيه وقومه (١).

وقالت أخت طرفة تهجو عبد عمرو، لما كان من إنشاء الشعر الملك:
ألا ثكلتك أمك عبد عمرو أيا لخربات آخيت الملوكا
م دحوك للوركين دحاً ولو سألو لأعطيت البروكا
ورثت طرفة أخته بقولها (٢):

عدّنا له ستاً وعشرين حجةً فلما توفّاها استوى سيّدًا صخنا
فجئنا به لما رجونا إياه على خير حال: لا وليداً ولا قحنا
أ. ومثله في (كتاب الشراء لابن قتيبة) قال: وكان طرفة في حسب
من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم. وكانت أخته عند عبد
عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبد عمرو سيّد أهل زمانه، فشكت أخت
طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير إن له غني البيت
وإن نساء الحى يعكفن حوله يقلن عسب من سرارة ملههما
(وأهضم: منقبض. وسرارة بالفتح: خيار. وملهم، بالفتح: موضع

(١) وكذا في شرح القصائد السبع والأغاني ٢١: ١٣٢ وفي ط فقط:
«ردته إلى أبيه وقومه»، تحريف

(٢) ش: «ورثت طرفة بقولها».

كثير النخل) فخرج عمرو بن هند يتصيد، ومعه عبد عمرو، فأصاب حماراً فقمره، فقال لعبد عمرو: انزل إليه! فنزل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال: لقد أبصرَكَ طرفةً حين قال:

ولاعيبَ فيه غير أن له غني البيت

٤١٧

وقال في آخرها: ويقال: إن الذي قتله المعلّى بن حنشل^(١) العبدى والذي تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلى^(٢) حتى من طسم وجد يس. ثم قال: وكان أبو طرفة مات، وطرفة صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله، فقال:

ما تَنْظُرُونَ بِمَالِ وَرْدَةَ فَيْكُمْ صَفَرُ الْبَنُونِ وَرَهْطُ وَرْدَةَ غَيْبُ^(٣)
 قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظُلَّ لَهُ الدَّمَاءُ تَصْصِبُ
 وَالظُّلَمُ فَرَّقَ بَيْنَ حَيٍّ وَائِلٍ بَكَرُ تَسَاقِيهَا الْمَنَايَا تَغْلِبُ
 وَالصَّدُوقُ يَأْلَفُهُ الْكَرِيمُ الْمُرْتَجَى وَالْكَذِبُ يَأْلَفُهُ الدَّائِي الْأَخِيْبُ
 ويقال: إن أول شعر قاله طرفة، أنه خرج مع عمه في سقر، فنصب فخاً فلما أراد الرحيل قال:

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَاكَ الْجَوُ فَيُضَى وَأَصْفَرِي
 وَتُقْرَى إِنْ شِئْتَ أَنْ تُنْقَرَى قَدْ رُفِعَ الْفَتْخُ، فَاذَا تَحْدَرَى
 لَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تُصَادَى فَاصْبِرِي ١٠ هـ

(١) ط: «خش»، صوابه في ش والشعراء ١٣٨

(٢) وردت هذه الكلمة مهملة الاعجام في النسختين، واعجامها من

الشعراء ١٣٨

(٣) ط: «صفر البنون»، صوابه في ش والشعراء. ووردة أم

طرفة كما في الشعراء

وعمر بن هند المذكور هو من ملوك الحيرة . كان عاتياً جبّاراً ، ويسى محرّفاً أيضاً ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل : بل حرّق نخل اليمامة . والنعمان ابن المنذر صاحب النابغة أخو عمرو بن هند^(١) . وسيأتى إن شاء الله تعالى ، نسبة عمرو بن المنذر في نسبة أخيه النعمان بن المنذر^(٢) في الشاهد الثالث بعد هذا .

(تمة)

ذكر الآمدى في المؤلف والمختلف من اسمه طرفة من الشعراء أربعة ، من اسمه طرفة أولهم هذا .

و (الثاني) طرفة بن ألاءة بن نَضَلَة بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم .

و (الثالث) طرفة الجذميّ أحد بنى جذيمة العبسي^(٣) . و (الرابع) طرفة أخو بني عامر بن ربيعة .



(١) صاحب النابغة هذا هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس بن عدى . وأما عمرو فهو عمرو بن هند نسب الى أمه ، واسمعه عمرو بن المنذر بن امرئ القيس . انظر العمدة ٢ : ١٧٩ فعمرو بن هند عمه لا أخوه . وسيأتى ذلك في الشاهد ١٥٥ نقلا عن العمدة . فيبدو أنّ صواب العبارة « ابن أخى عمرو بن هند »

(٢) كذا . والوجه « فى ترجمة ابن أخيه النعمان بن المنذر » حسب ما يفهم من نص العمدة الذى اعتمد عليه البغدادى

(٣) فى المؤلف ١٤٦ : أحد بنى جذيمة بن رواحة بن قطيعة بن عبس بن بغيض . وفى القاموس : « طرفة الحزيمى من بنى خزيمة بن رواحة » تحريف . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٥١

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والحسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

١٥٣ (وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عُطِّلَ وَشُعْنًا مَرَاضِعَ مِثْلَ السَّعَالِي)

على أن قوله : (شُعْنًا) منصوبٌ على الترحم كالذي قبله .

قال سيبويه : وشُعْنًا منصوبٌ بإضمار فعل . قال الأعمى : « لأنه لما قال : نِسْوَةٍ عُطِّلَ ، عُلِمَ أَنَّهُنَّ شُعْنٌ . فكأنه قال : وأذكرهنَّ شُعْنًا . إلا أنه فعل لا يظهر ، لأن ما قبله دلَّ عليه فأغنى عن ذكره » .

وقال ابن خلف : الشاهد أنه نصب شُعْنًا ، كأنه حيث قال : إلى نِسْوَةٍ عُطِّلَ ، صرن عنده بمنَّ عُلِمَ أَنَّهُنَّ شُعْنٌ ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لمن وتشويهاً . قال الخليل : كأنه قال : أذكرهنَّ شُعْنًا ، إلا أن هذا فعل لا يستعمل إظهاره ، لأن ما قبله قد دلَّ عليه فأغنى عن ذكره ، على ما يجري الباب عليه في المدح والذم (٢) .

٤١٨

وأنشده سيبويه في موضع آخر (٣) أيضاً قبل هذا يجرَّ شُعْنٌ عَطْفًا على عُطِّلَ . وقال (٤) : « وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونس أن ذلك أكثر ، كقولك مررت بزيد أخيك وصاحبك » . ثم قال (٥) : « ولو قال : فشُعْنٌ ، بالفاء لفتح » .

(١) سيبويه ١ : ١٩٩ ، ٢٥٠ وانظر العيني ٤ : ٦٣ وابن يعيش

١٨ : ٢ والهدليين ٢ : ١٨٤ ومعاني الفراء ١ : ١٠٨

(٢) انظر سيبويه ١ : ٢٥٠ وقارن ما نقل هنا عن الخليل بما هو مسطور هناك

(٣) يعني ١ : ١٩٩ وفي ط : « في مواضع آخر » ، صوابه في ش

(٤) يعني في ص ٢٥٠ لا ص ١٩٩ .

(٥) أي في ص ١٩٩ لا ص ٢٥٠ .

قال النحاس : ومعنى قوله : لَتُبْح : لا يجوز . لأنَّ عطلاً وشعثاً صفتان ثابتتان معاً في الموصوف ، فعطفت إحداهما على الأخرى بالواو ، لأن معناها الاجتماع ؛ ولوعطفت بالنساء لم يجوز لأنه لم يرد أن الشعث حصل لمن بعد العطل .

وأورد هذا البيت صاحبُ الكشف عند قوله تعالى : (وَأُولُوا الْعِلْمِ قائماً بالقسط^(١)) على أن المنتصب على المدح كما يجيء معرفة بجيء نكرة ، كما في شعناً فإنه منصوبٌ على الترحم .

وأورده أيضاً ابنُ النانم وابنُ هشام في شرح الألفية ، على أن قوله : شعناً ، منصوب بفعل مضمر على الاختصاص ، ليبين أن هذا الضرب من النساء أسوأ حالاً من الضرب الأول الذي هو العطلُ منهن . ومثل هذا يسمى نصباً على الترحم .

قال ابن الحاجب (في أماليه) : لا يجوز أن يكون شعناً منصوباً مفعولاً معه ، لأن شرطه التشريك مع المرفوع في نسبة الفعل . وقد توهم من لا عبرة به جواز : سرت والجبل ؛ وهو غير جائز ، إذ الجبل لا يسير ؛ ولو سلم جوازه فلا بد من تأويله ، وهو أن يجعل كأن كل جزء من الجبل سائر ، لأنه إذا سار من موضع [من^(٢)] نواحي الجبل فذاك مفارق له .

والبيت مطلق الروي ، فهو بكسر اللام من السعال ، كما أنشده سيبويه . قال النحاس : هكذا أخذناه عن أبي إسحاق ، وأبي الحسن ، وهو الصواب . وأنشد هذا البيت العروضيون ، منهم الأخفش سعيد : « مثل السعال » بإسكان اللام . ولا يجوز إلا ذلك على ما رووه ؛ لأنهم جعلوه من المتقارب من الضرب الثاني من العروض الأولى .

(١) الآية ١٨ من آل عمران

(٢) التكملة من أمالي ابن الحاجب مخطوطة دار الكتب رقم ٢٦ نحو

وقوله : (ويأوى . الخ) فاعل يأوى ، ضميرُ الصياد : أى يأتى مأواه
ومنزله إلى نسوة . وعُطِّلَ : جمع عاطل ، قال فى الصحاح : « والعطل بالتحريك :
مصدر عطلت المرأة : إذا خلا جيدها من القلائد ، فهى عُطِّلَ بالضم وعاطل
ومعطل . وقد يُستعمل العطل فى الخلو من الشيء ، وإن كان أصله فى الحلى ،
يقال عطل الرجل من المال والأدب فهو عُطِّلَ ، بضمة وبضمّتين » . وهذا
هو المراد هنا ؛ لأن المعنى : أن هذا الصياد يغيب عن نسائه للصيد ، ثم يأتى
اليهن فيجدهن فى أسوأ الحال .

و (الشعث) جمع شعناء ، من شعث الشعر شعناً فهو شعث ، من باب
تعب : تغير وتلبّد لقلّة تعهده بالدهن ؛ ورجل أشعث وامرأة شعناء .
و (المراضيع) : جمع مريضاع ، بالكسر وهى التى تُرضع كثيراً .

و (السعالى) بفتح السين ، قال أبو على القالى ، فى كتاب المقصور
والممدود : السعلّى ، بالكسر وبالقصر : ذَكَرَ الغيلان ، والأنثى سِعِلَة :
وقال الأصمعى : يقال : السُعَلَة : ساحرة الجن . حدثنا أبو بكر بن دريد
قال : ذكر أبو عبيدة ، وأحسب الأصمعى قد ذكره أيضاً ، قال لقيت
السُعَلَة حسّان بن ثابت فى بعض طرقات المدينة — وهو غلام ، قبل أن
يقول الشعر — فبركت على صدره ، وقالت : أنت الذى يرجو قومك أن
تكون شاعرهم ؟ قال : نعم ؟ قالت : فأنشدنى ثلاثة أبيات على روى واحد ،
والآ قتلتك ؟ فقال :

إذا ما ترعرعَ فينا الفلامُ فما إن يُقال له : مَنْ هُوَ ؟

إذا لم يسد قبلَ شدِّ الإزارِ فذلك فينا الذى لا هُوَ ؟

ولى صاحبٌ من بنى الشيصبانِ فحيناً أقولُ وحيناً هُوَ ؟

فخلت سبيله . ٥١ .

والشَّيْصَان ، بفتح الشين المعجمة وبعدها ياء مثناة تحتية وبعدها صاد مهيّلة مفتوحة وبعدها باء موحدة ، قال ابن دريد في الجهرة : هو ابن جثي من الجن . . وأنشد هذا البيت .

وروى أبو سعيد السكريّ هذا البيت في أشعار هذيل كذا :

له نسوةٌ عاطلاتُ الصّدو رِعُوجٌ مراضِعُ مثلُ السَّعَالِي^(١)

وقال : عُوج : مهازيل مثل الغيلان في سوء الحال ؛ هو جمع عَوَجاء .

قال في الصحاح : « والعوجاء : الضامرة من الإبل » . وعلى هذه الرواية فلا شاهد في البيت .

وهذا البيت لأمية بن أبي عائد الهذليّ من قصيدة طويلة عدتها ستة وسبعون بيتاً^(٢) ، على رواية أبي سعيد السكريّ (في أشعار الهذليين) وهذا مطلعها :

(إِلا يا لَقَوْمٍ لِطِيفِ الْخِيَالِ يُوَرِّقُ مِنْ نَازِحٍ ذِي دَلَالِ^(٣))

الطَّيْفُ هُنا مصدر طاف الخيال يَطِيفُ طَيْفًا . ويُوَرِّقُ : يسهّد . وقوله : من نازح ، أي من حبيب بعيد .

وهذا من أبيات سيبويه ؛ أورده شاهداً على فتح اللام الأولى وكسر

(١) ط : « مراضع » صوابه من الهذليين وتصحيح الشنقيطي في

نسخته

(٢) الحق أن عدتها ٨٣ بيتاً كما في شرح أشعار الهذليين للسكري

٤٩٤ - ٥١٤ بتحقيق عبد الستار فراج

(٣) بالقوم ، بكسر الميم ، وكما قال الصبان في حاشيته ٣ : ١٦٦ :

« بحذف ياء المتكلم والدلالة بالكسر عليها »

الثانية فرقا بين المستغاث به والمستغاث من أجله . قال سيبويه^(١) : معناه :
مَنْ لطيف الخيال من نازح ذى دلال يؤرّقنى . وذكر النازح لأنه أراد
الشخص . والدلال : الدلالة بحسنٍ ومحبةٍ ونحوها .

(أجاز إلينا على بعده ، مهاوى خرقٍ مهَابٍ مهَالٍ)

أجاز الخيال : أى قطع إلينا على بعده . مهاوى : مواضع يهوى ويسقط
فيها وهو مفعول أجاز . والخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح .
ومهَابٍ ، بالفتح : موضع هَيْبَةٍ^(٢) . ومهَالٍ : موضع هَوَلٍ .

(صحارٍ تفَوَّلُ جِنَّأُهَا وأحداب طَوْدٍ رفيع الجبال)

صحارٍ : جمع صحراء . وتفَوَّلُ : تتلون كالغول . والجَنَان بالكسر : جمع
جانٍ ، وهو أبو الجن . وأحداب : منصوب بالعطف على مهاوى ، وهو جمع
حدَب بالتحريك ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(خيالٌ لجمدة قد هاج لى نُكَّاسًا من الحب بعد اندِمَالٍ)

أى ذلك الخيال خيالٌ جمدة . يقال : عرض لى نُكَّس ونُكَّس بضمهما .
واندمل : أفاق بعض الإفاقة .

(تسَدَّى مع النوم نِمَّالها دُنُو الضُّباب بطلٍ زُلَالٍ)

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٣١٩ ولعل الكلام : « قال شراح أبيات
سيبويه » . ورواية البيت فى سيبويه والأعلم :

ألا يالقوم لطيف الخيال أرق من نازح ذى دلال
ففيه الحرم فى أول الشطر الثانى كقول امرئ القيس :

* وابن جريح كان فى حمص أنكرا *

أو تكون لام « الخيال » فى أول الشطر الثانى فتكون العروض
محذوفة .

(٢) ط : « هبة » ، صوابه فى ش .

أى غَشِينَا خِيَالَهَا كَمَا تَغْشَى الضَّبَابُ الْأَرْضَ . الأصمى : الضَّبَابُ :
الغيم . وَالطَّلَّ : الندى . وَالزَّلَال : الصافي .

(فَبَاتَتْ تَسْأَلُنَا فِي الْمَنَامِ وَأَحْبَبَ إِلَيَّ بِذَلِكَ السُّؤَالَ ^(١))
(تَتَنَّى النِّجْيَةَ بَعْدَ السَّلَامِ ثُمَّ تَفْدَى بَعْمٌ وَخَالٍ)
(فَقَدْ هَاجَنِي ذِكْرُ أُمِّ الصَّبِيِّ مِنْ بَعْدِ سَقَمٍ طَوِيلٍ لِلْمِطَالِ)
أى للطاولة .

(وَمَرَّ لِلنُّونِ بِأَمْرِ يَغْوُ لُ مِنْ رُزْءِ نَفْسٍ وَمِنْ نَقْصِ مَالٍ)
مَرٌّ بِالْجُرْ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ مِنْ بَعْدِ سَقَمٍ .
(إِلَى اللَّهِ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَرَى مِنْ النَّائِبَاتِ بَعَافٍ وَعَالٍ)
أى تَأْخُذُ بِالْعَفْوِ وَالسَّهْوَةِ أَوْ تَقْهَرُ ^(٢) فَتَعْلُو وَتَعْظُمُ ؛ يُقَالُ عَالَهُ الْأَمْرُ :
إِذَا تَفَاقَمَ بِهِ ، شَكَا إِلَى اللَّهِ مَا أَصَابَهُ مِنْ دَهْرِهِ .

(وَإِظْلَالَ هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي يُقَلِّبُ بِالنَّاسِ حَالًا لِحَالٍ ^(٣))
مَعْطُوفٌ عَلَى الَّذِي وَهُوَ مُصَدَّرٌ أَطْلَّ عَلَى الشَّيْءِ بِمَعْنَى أَشْرَفَ عَلَيْهِ .
(وَجَهْدَ بَلَاءٍ إِذَا مَا أَتَى تَطَاوُلُ أَيَّامُهُ وَاللِّبَالِ)
عَطَفَ عَلَى الَّذِي أَيْضًا .

(فَلِلَّ الْهُمُومِ بَعِيرَانِ مُوَاشِكَةِ الرَّجْعِ بَعْدَ التَّنْقَالِ ^(٤))
أى سَرِيعُ رَجْعٍ يَدْبِهَا . وَالْمُنَاقَلَةُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ .

(١) ويروى : « فباتت تسألنا »

(٢) ط : « أى تقهر » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

(٣) ويروى : « تقلب بالناس »

(٤) ط : « انتقال » ، وهى رواية صحيحة أيضا ، لكن التفسير

بعده يقتضى ما اثبت من ش

ثم أخذ في وصف ناقته . . إلى أن شبهها بحمار الوحش ، ووصفه بشيء كثير إلى أن ذكر أنه أورد أثنته الماء . . فقال :

(فلما وردنَ صدرنَ النقيلاً أوبىَ مراعى غوىً مُغالى)

النقيـل : المناقلة في السير ؛ وأصله إذا وقع في حجارة ناقل ، وهو أن ينقل قوائمه يضعها بين كل حجرين . والمُغالى : المرامي الذي يغالى في الرمي غيره ، ينظران أيهما (١) أبعد سهمًا . يقول : آبت كأوب السهام . وأوبها إذا نزع النازع في القوس ، فإذا أرسل السهم فقد آب من حيث نزع .

(فأسلكها مَرَصَدًا حافظًا به ابنُ الدُّجى لاصقًا كالطُّحَالِ)

أى فأسلكها الفحل ، وهو حمار الوحش ، مَرَصَدًا ، أى مكانا يرصد به الرامى الوحش . وقوله : به ، أى بالمرصد . وابن الدُّجى : الصياد ، وهو جمع دُجْية ، وهى بيت الصائد ، تكون حَفِيرَةً يستتر فيها لئلا يراه الوحش . وقوله : لاصقًا . . الخ ، يقول : قد لصق الصياد بأرض حَفِيرته ليخفى عن الصيد كما لصق الطُّحَالُ بالجنب .

(مُقِينًا مُمِيدًا لَأكلِ القَنَيصِ ذَا فَاقَةٍ مَلْحَمًا لِلْعِيَالِ)

المُقِين : المقنن ، من أقات على الشيء بمعنى اقتدر عليه . والمعيد : الذى قد اعتاد صيد القنيص . والمَلْحِم : اسم فاعل من ألحَم (٢) : إذا أطمع اللحم .

(ويأوى إلى نسوةٍ عُطَل . . البيت)

(١) فى النسختين : « الذى يغالى فى الرمى أيهم » . وتكملة العبارة وتصحيحها من السكرى ٥٠٧ والترقيم هناك موهم فصححه كما هنا . وفى السكرى : « أبعد غلوا » .

(٢) ط : « لحم » صوابه فى ش

فاعله ضمير ابن الدجى وهو الصياد .

(تَرَا حُ يَدَاهُ بِمَحْشُورَةٍ ^(١) خَوَاطِي الْقِدَاحِ عِجَافِ النَّصَالِ)
 في الصحاح : « راحت يده بكذا : خَفَّتْ لَهُ » . والمحشورة : نَبْلٌ قد
 ألطف قُدُّهَا ، وهو أسرع لها وأبعد . وخواطى القداح : جمع خاطية ، أى متينة
 مكتنزة . والقداح : جمع قِدَحٍ بالكسر ، وهو عود السهم . وعجاف النصال :
 أى قد أُرهِفَتْ حتى دَقَّتْ ^(٢) .

ثم وصف قوسه ونباله وصدق رمية . . إلى أن قال :

٤٢١ (فَعَمَّا قَلِيلٍ سَقَاها مَعًا بِمُزْعِفٍ ذَيْفَانٍ قِشْبِ ثُمَالٍ)
 المزْعِفُ ^(٣) : الموت السريع . والذيفان : السم . والقِشْبُ ، بالكسر :
 أن يُخْلَطَ بشيء لِيَقْتُلَ . وثُمَالٌ ، بالضم : مُنْقَعٌ . شبه السهام به .
 (سَوَى الْعِلْجِ أَخْطَاهُ رَائِغًا بِتَجَرَاءِ ذَاتِ غِرَارٍ مُسَالٍ)
 يقول : سَقَاها بِمُزْعِفٍ ^(٤) سَوَى الْعِلْجِ ، أَخْطَاهُ فلم يصبه . وَالْعِلْجُ ،
 بالكسر : الحمار الغليظ . وَتَجَرَاءُ : صقيلة عريضة . وغرارها : حَدُّهَا .
 وَمُسَالٌ : ممطول ، ومنه خد أسيل وأسال ^(٥) .

(فَجَبَالَ عَلَيْهِنَّ فِي نَفْرِهِ لِيَفْتَنَّهُنَّ لَزُولِ الزَّوَالِ)

(١) فى النسختين : « تروح » ، صوابه مما يقتضيه التفسير التالى ،
 من شرح الهذليين .

(٢) ط : « رقت » ، بالراء . وفى شرح السكرى : « وعجاف : مرهفة
 رقاق » .

(٣) حورها الشنقيطى هنا وفى متن البيت الى « المذعف » بالذال ،
 وكلاهما صحيح وان كانت رواية السكرى بالزاي

(٤) جعلها الشنقيطى : « بمذعف » .

(٥) كذا فى النسختين ، ولم أجده

جال عليهن : أقبلَ واعتمد عليهن في نفره حتى نفر . ليفتنهنَّ :
أى ليشتنقَ بهن^(١) ، أى ليزول بهن عن الرامى^(٢) .

(فلما رآهنَّ بالجلهتين يكبُون في مُطَحَرَاتِ الإِلَالِ)
الجلهية : ما استقبلت من الوادى . يكبُون في مُطَحَرَاتِ ، يعنى سهامها .
والمطحر : الملق . والإلال بالكسر : جمع ألة ، بالفتح والتشديد ،
وهى الحربة .

(رمى بالجراميز عُرْضَ الوَجِينِ وأرمدَ في الجرى بعدَ انتحالِ^(٣))
رمى : أى الحمار ، يقال : رمى بالجراميز أى بنفسه . والوجين : ما اعترض
لك من غلظ . وأرمدَ : أسرع في العدو بعد أن كان انتحل انتحالة فجال .
نمَّ وَصَفَ الحمارَ بشدة عدوه حينما نفر من الصياد ورأى أنه مصرعة .
إلى أن قال :

(أُشِبَّهَ راحلتى ما ترى جَوَادًا ، يُسْمَعُ فِيهَا مَقَالَى
وَأُنْجُو بِهَا عَنْ دِيَارِ الْهَوَا نِ غَيْرَ اتِّحَالِ الدَّلِيلِ لِلْوَالَى)
بها : أى براحتى . والوالى : الذى يقول أنا مولاك . يقول : ليس كما
ينتحل الدليل للوالى . أى لا أقول ذلك ولا أفعله أى انتحالا .

(وَأَطْلَبُ الْحُبَّ بَعْدَ السُّلُوءِ حَتَّى يَقَالَ : امْرُؤٌ غَيْرُ سَالٍ)

(١) فى النسختين : « ليشتنق بهن » ، صوابه فى شرح السكرى
واللسان « فتن » وفيه : « افتن الحمار بآفته واشتنق بها : إذا اخذ فى
طردها وسوقها يمينا وشمالا ، وعلى استقامة وعلى غير استقامة ، فهو يفتن
فى طردها أفانين الطرد » .

(٢) ط : « عن الرى » ، صوابه فى ش والسكرى .

(٣) ط : « بالجراميز » و « أرمد » ، صوابه فى ش والسكرى

اشتبهى أن يعاود الحبَّ والهوى ، بعد ما رأى الناس أنه قد أقْلَع
(أسلى المسمومَ بأمنالها وأطوى البلادَ وأقضى الكوالى)
أى وأقضى ما تأخر على من الحقوق . يقال دَيْنٌ كالىٌ : إذا تأخر .
أى أقضى الدين بوفاءةٍ على هذه الراحلة ، إلى ملك ؛ أو أضرب
في الأرض لمكسب

(وأجعلُ فقرَها عُدَّةً إذا خِفتُ بَيُوتَ أمرٍ عُضالِ)
وهذا آخر القصيدة (١) يقال : بعير ذو فُقْرة : إذا كان قوياً على الركوب .
وبَيُوت : هو أمرٌ جاء بَيَاتاً . وعُضال : شديد . يقول : أجعلُها عُدَّةً ، إذا نزل
بى أمرٌ معضل هربت عليها .

أمية
ابن أبي عائد

و (أمية) هذا ، هو أمية بن أبي عائد . (بالذال للمعجمة) العُمري .
أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (٢) . . شاعر إسلامي
مخضرم ، على ما في الإصابة عن المرزباني .

وفي الأغاني : أنه من شعراء الدولة الأموية وأحد مدأحهم . له في عبد الملك
ابن مروان وعبد العزيز قصائد (٣) . وقد وفد إلى عبد العزيز بن مروان بمصر ،
وأشد قصيدته التي أولها (٤) :

٤٢٢

(١) آخرها في رواية الأصمعي فقط . والا فان بعدها بيتين آخرين ،
من رواية الجمعى كما في شرح السكرى ٥١٤

(٢) في النسختين : « تميم بن سعد بن هذيل » ، صوابه من الأغاني
٢٠ : ١١٥ وجمهرة ابن حزم ١٩٧ والمعارف ٣٠ قال ابن قتيبة : « والعدد
في سعد بن هذيل ، تميم بن سعد ، وحريث بن سعد ، ومنعة بن سعد ،
وخزاعة بن سعد ، وجهامة بن سعد ، وغنم بن سعد » .
(٣) في الأغاني : « قصائد مشهورة » .

(٤) الأبيات في الأغاني ٢٠ : ١١٥ - ١١٦ أحد عشر بيتاً .
والثالث هنا ليس فيها ، وإنما هو في شرح السكرى لأشعار الهذليين
حيث أخذ المصنف الأبيات .

أَلَا إِنَّ قَلْبِي مَعَ الظَّاعِنِينَ حَزِينٌ ، فَنَ ذَا يُعْزِي الْحَزِينَا
 وَسَارِ بِمِدْحَةِ عَبْدِ الْعَزِيدِ بَرِّ رُكْبَانُ مَكَّةَ وَلِلْمُجْدُونَا
 وَقَدْ ذَهَبُوا كُلُّ أَوْبٍ بِهَا فَكُلُّ أَنَاسٍ بِهَا مُعْجَبُونَا
 حَبْرَةٌ ، مِنْ صَحِيحِ الْكَلَامِ لَيْسَتْ كَمَا لَفَّقَ الْمُحَدِّثُونَا
 وَطَالَ مُقَامُهُ بِمِصْرَ عِنْدَهُ وَكَانَ يَأْنِسُ بِهِ ، وَوَصَلَهُ بِصَلَاتِ سَنِيَّةٍ ؛
 فَتَشَوَّقُ إِلَى الْبَادِيَةِ وَإِلَى أَهْلِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ وَوَصَلَهُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ (١) :

١٥٤ (لَا إِلَهَ جَرَمًا كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ
 وَجُوَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَارَتْ)

عَلَى أَنْ قَوْلَهُ : (وَجُوَ كِلَابٍ) مَنْصُوبٌ عَلَى الذَّمِّ .

وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ لَعْمُرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِِبُ . وَهِيَ :

(وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا ، كَانَتْهَا جَدَّ أَوَّلُ زُرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَتْ
 فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَوَدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ
 عَلَامٌ تَقُولُ الرَّحَى يَنْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الْخَيْلُ كَوَّتْ
 لَا إِلَهَ جَرَمًا كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ وَجُوَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَارَتْ
 فَلَمْ تُغْنِ جَرَمُ نَهْدَهَا أَنْ تَلَاقِيَا (٢) وَلَكِنْ جَرَمًا فِي الْإِلْقَاءِ ابْدَعَرَتْ

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ١٦٠ والحيوان ١ : ٣١٨ والسمط

(٢) وكذا في الحماسة ١٦١ برواية : « اذ تلاقيا » . وروى :
 « أن تلاقيا » .

ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةٌ^(١) أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرِّمٍ ، وَفَرَّتِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي انْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ ، وَلَكِنَّ الرَّمَاكِ أَجَرَتْ
هَذَا الْمَقْدَارَ أَوْرَدَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي الْحَمَاسَةِ . وَفِي دِيْوَانِهِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا .

وقصة هذه الأبيات^(٢) : هو ما حكاه المفضل الطبرسي في شرح الحماسة :
أَنَّ جَرِّمًا وَنَهْدًا ، وَهَما قَبِيلَتَانِ مِنْ قِضَاعَةَ ، كَانَتَا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ؛
فَقَتَلَتْ جَرِّمٌ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ بَنِي الْحَارِثِ ؛ فَارْتَحَلَتْ عَنْهُمْ وَتَحَوَّلَتْ فِي بَنِي
زُبَيْدٍ . فَخَرَجَتْ بَنُو الْحَارِثِ يَطْلُبُونَ بَدْمَ أَخِيهِمْ ، فَالْتَقَوْا ؛ فَغَبَّ عَنْهُمْ جَرِّمًا
لِنَهْدٍ ، وَتَغَبَّأَ هُوَ وَقَوْمُهُ لِبَنِي الْحَارِثِ . فَفَرَّتْ جَرِّمٌ ، وَاعْتَلَّتْ بِأَنَّهَا كَرِهَتْ
دِمَاءَ نَهْدٍ ؛ فَهَزَمَتْ يَوْمَئِذٍ بَنُو زُبَيْدٍ . فَقَالَ عَمْرُو هَذِهِ الْأَبْيَاتُ يَلُومُهَا . ثُمَّ غَزَاهُمْ
بَعْدُ ، فَانْتَصَفَ مِنْهُمْ .

فَقَوْلُهُ : زُورًا ، هُوَ جَمْعُ أَزُورَ ، وَهُوَ الْمَوْجُ الزُّورُ ، بِالْفَتْحِ ، أَيْ الصَّدْرُ .
يَقُولُ : لَمَّا رَأَيْتُ الْفُرْسَانَ مُنْحَرِفِينَ لِلطَّمَنِ ، وَقَدْ خَلَّوْا أَعْنَةَ دَوَابِّهِمْ وَأَرْسَلُوها
عَلَيْنَا ، كَأَنَّهَا أَنْهَارُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ مِيَاهُهَا فَاسْبَطَرَتْ ، أَيْ امْتَدَّتْ . وَالتَّشْبِيهُ
وَقَعَ عَلَى جَرَى الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ ، لَا عَلَى الْأَنْهَارِ ؛ فَكَأَنَّهُ شَبَّهَ امْتِدَادَ الْخَيْلِ
فِي انْحِرَافِهَا عِنْدَ الطَّمَنِ ، بِامْتِدَادِ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ وَهُوَ يَطْرُدُ مَلْتَوِيًا وَمُضْطَرِبًا .
وَهَذَا تَشْبِيهُ بِدِعٍ .

وَقَوْلُهُ : فَجَاشَتْ .. الْخَ ، جَاشَتْ : ارْتَفَعَتْ مِنْ فِزَعٍ . وَهَذَا لَيْسَ لِكَوْنِهِ
جَبَانًا ، بَلْ هَذَا بَيَانُ حَالِ النَّفْسِ . وَنَفْسُ الْجَبَانِ وَالشُّجَاعِ سَوَاءٌ فِيمَا يَدْكُهُمَا
عِنْدَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى ، ثُمَّ يَخْتَلِفَانِ : فَالْجَبَانُ يَرْكَبُ نَفَرَتَهُ ، وَالشُّجَاعُ يَدْفَعُهَا

(١) ط : « دَرِيَّةٌ » ، وَهِيَ مَعَ صَحَّتِهَا لَا تَلَاثِمُ تَفْسِيرَ الْبِقْدَادِيِّ التَّالِي .
وَفِي شَرْحِ الْمَرْزُوقِيِّ : « ذَكَرَ أَبُو زَيْدٍ أَنَّهَا تُسَمَّى دَرِيَّةَ الصَّيْدِ بِالْهَمْزِ » .
(٢) الْقِصَّةُ بِتَفْصِيلٍ وَاضِحٍ فِي مَعْجَمِ الْبَكْرِى ٤١ - ٤٢

٤٢٣

فِيثُبْتُ . قَالَ أَبُو عبيدة : قَالَ عبدُ الملِكِ بنُ مروانَ : وَجَدْتُ فُرْسَانَ العربِ
سِتَّةَ نَفَرٍ : ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ جِزَعُوا مِنَ الْمَوْتِ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، ثُمَّ صَبَرُوا ؛ وَثَلَاثَةٌ لَمْ
يَجْزِعُوا : قَالَ عمرو :

فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ الْبَيْتِ
وَقَالَ ابْنُ الْإِطْنَابَةِ :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ : مَكَانَكَ ؛ مُحَمَّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
وَقَالَ عَنُتْرَةَ :

إِذْ يَتَّقُونَ بِي الْأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ عَنْهَا ، وَلَكِنِّي تَضَاقِقَ مُقَدِّمِي^(١)
فَأَخْبِرْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ أَنَّهُمْ هَابُوا ثُمَّ أَقْدَمُوا^(٢) . وَقَالَ عاصِرُ بْنُ الطَّفِيلِ :
أَقُولُ لِنَفْسِي مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا أَقِلِّي لِلْمِرَاحِ أَنِّي غَيْرُ مَدْبِرٍ^(٣)
وَقَالَ قيسُ بنُ الخطيم :

وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِأَقْدَامِ نَفْسِي مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا^(٤)
وَقَالَ العباسُ بنُ مرداس :

أَشْدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا
فَأَخْبِرْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ لَمْ يَجْزِعُوا .

(١) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « إِنْ يَتَّقُونَ » ، وَحَوْرَهَا الشَّنْقِيطِيُّ إِلَى الصَّوَابِ :
« إِذْ يَتَّقُونَ »

(٢) ط : « قَدَّمُوا » ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ ، إِذْ تَأْتِي قَدَمٌ بِمَعْنَى تَقْدِمِ ،
وَمِنْهُ قَوْلُ لَبِيدَ :

قَدَّمُوا إِذْ قِيلَ قَيْسُ قَدَّمُوا وَارْفَعُوا الْمَجْدَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ
(٣) ط : « أَقِلِّي الْمِرَاحِمَ » ، صَوَابُهُ فِي شِئْنِ مَعَ اثْرِ تَصْحِيحِ وَالْمُفَضَّلِيَّاتِ
٣٦٢ وَدِيوانُ طَفِيلٍ ١٢٠ . وَيُرْوَى « الْمِرَاءُ » كَمَا فِي حِمَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ
٧ . « وَالشُّكُوكُ » كَمَا فِي السَّمَطِ ٣٤٤

(٤) دِيوانُ قَيْسٍ ١٠ . وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَغْنَى ١٨٦

الفاء زائدة، وجاشت : جواب لما عند الكوفيين والأخفش . وعند البصريين للعطف، والجواب مخدوف يقدر بعد قوله : فاستقرت ، أى طاعت أو أبلت . والقرينة عليه قوله : علام تقول الرمح . . البيت ، كذا قال شراح الحماسة وهذا تعسف نشأ من أبي تمام ، فإنه حذف بيت الجواب اختصاراً كعادته . لكن كان على الشارح مراجعة الأصل . والجواب هو البيت الثالث المخدوف ، وهو :

(هتفتُ فجأتُ من زُبَيْدٍ عصابةُ إذا طردت فاءت قريباً فكرتُ)
و « فاءت بمعنى رجعت » . وأوّل مرّة : ظرف . وقوله : علام تقول الرمح . . الخ ، أورده ابن هشام في المغنى ، على أن (على) فيه تعليلية . وأورده في شرح الألفية أيضاً شاهداً على إعمال (تقول) عمل ظن . وما استفهامية ، ولهذا حذف ألفها . وأثقله الشيء : أجهده . والعائق : ما بين للنسك والعنق وهو موضع الرداء .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : يروى الرمح بالنصب والرفع : فأما الرفع فعلى ظاهر الأمر ، وأما النصب فعلى استعمال القول بمعنى الظن ، وذلك مع استفهام المخاطب ، كقوله :

* أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ ^(١) *

وعلى قوله :

* فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا ^(٢) *

(١) تمامه كما في مخطوطة اعراب الحماسة ٤٤ أدب بدار الكتب :

لعمري أيبك أم متجاهلينا

وسياتي في ٤ : ٢٣ بولاق . وانظر العيني ٢ : ٤٢٩

(٢) صدره كما في العيني ٢ : ٤٣٤ وديوان عمر ٣٩٤ :

أما الرحيل فدون بعد غد

وروى لنا أبو علي بيت الخطيئة :

إذا قلتُ أني آيبُ أهلَ بلدةٍ حطّطتُ بها عنه الوَلِيَّةَ بالهَجَرِ
بفتح الهمزة من أني قال : ومعناها إذا قدّرتُ وظننتُ أني آيب .

فإن قيل : فليس هنا استفهام ، فكيف جاز استعمال القول استعمال الظن ؟
قيل : لم يميز هذا للاستفهام وحده ، بل لأنّ الموضع من مواضع الظنّ . ولو كان
للاستفهام مجرد من تقاضى الموضع له وتلقيه إياه فيه ، لجاز أيضا أقول زيدا
منطلقا ، وأقول زيد عمرًا جالسًا^(١) . ولما لم يميز ذلك — لأنه لا يكاد يستفهمه
عن ظنّ غيره — علمت به أن جوازه إنما هو لأنّ الموضع مقتضى له .
وإذا كان الأمر كذلك ، جاز أيضا : « إذا قلتُ أني آيبُ » بفتح همزة أني ،
من حيث كان الموضع متقاضيًا للظنّ . وهذه رواية غريبة لطيفة . ولو كسرت
هنا همزة إن ، لكان كالرفع في قولك : أتقول زيدٌ منطلق ، إذا حكيت
ولم تعمل .

وأما (إذا) و (إذا) في البيت ، ففهما نظر : وذلك أن كل واحدة
منهما محتاجة إلى ناصب هو جوابها ، وكل واحدة منهما جوابها محذوف يدل
عليه ما قبلها . وشرح ذلك أن تقول : إنَّ إذا الأولى جوابها محذوف ، حتّى
كأنه قال : إذا أنا لم أظنّ وجب طرحي الرمحَ عن عاتقي . فدلّ قوله :
« علامَ تقولُ الرمحَ يثقلُ عاتقي » على ما أراده من وجوب طرح الرمح
إذا لم يظن به ، كقولك : أنت ظالم إن فعلت ، أى إن فعلتَ ظلمتَ وذلك
« أنت ظالم » على ظلمت . وهذا بابٌ واضح . . وإذا الأولى وما ناب عن

(١) ط : « لجاز أيضا أقول زيدا منطلقا ويقول « دون همزة
الاستفهام وفي ش مثله لكن بزيادة همزة الاستفهام » وأيقول « واعتمدت
في تصحيح العبارة واكمالها على مخطوطة ابن جنى ليتسق الكلام ويصلح .

جوابها في موضع جواب إذا الثانية ، أى نائب عنه ودالّ عليه وتلخيصه : أنه كأنّه قال : إذا الخليل كرت وجب إلثائي الرمح مع تركي الطعن به . ومثله من التركيب : أزورك إذا أكرمتني ، إذا لم يمنعني من ذلك مانع^(١) . فاعرف صحة الغرض في هذا الموضع ، فإنّه طريق ضيق ، وكلُّ مُجتاز^(٢) فيه قليل التأمل لمحصل حديثه ، فإنما يأنس بظاهر اللفظ ، ولا يوليه طرفاً من البحث . انتهى باختصار .

والتبريزي جعل إذا الأولى ظرفاً لقوله : يُثقل ، وإذا الثانية ظرفاً لقوله : لم أظن ، بضم العين ، لأنه يقال طعنه بالرمح من باب قتل .

وقوله : (لما الله جرّما . الخ) أصل اللحو نزع قشر العود . يدعو عليهم بالهلاك : أى قشرهم الله غداة كل يوم . والذّرور في الشمس ، بالذال المعجمة : أصله الانتشار والتفريق ، ويقال ذرت الشمس : طلعت . و (شارق) : الشمس . و (كلّا) : منصوب على الظرف . ووجه : منصوب على الذم والشم ، ويجوز أن يكون بدلاً من جرّما . و (هارشت) ، في الصحاح : « المهراش : المهارشة بالكلاب ، وهو تحريش بعضها على بعض » . وقوله : (فازبأرت) أى انتفشت حتى ظهر أصول شعرها ، وتجمعت للوثب . وهذه الحالة أشنع حالات الكلاب . وهذا تحقير^(٣) للشبهة ، وتصوير لقباحة منظره . شبه وجوههم بوجوه الكلاب في هذه الحالة .

(١) في النسختين : « إذا أكرمتني ، أى إذا لم يمنعني » . وكلمة « أى » تحيل المقصود وتفسده ، واعتمدت في حذفها على مخطوطة اعراب الحماسة لابن جنى

(٢) في النسختين : « وكل محتار » . صوابه من ابن جنى

(٣) في النسختين : « تحقيق » .

وقوله : فلم تُفْنِ جَرْمٌ . . الخ أى لم تقاوم جَرْمَ نَهْدًا بل فُوتَ منها .
وقال الطبرسى : لم تن أى لم تكف جَرْمَ نَهْدًا ، ولكنها فُوتَ ؛ قال الشاعر :

* وَأَغْنَى نَفْسَكَ عَنَّا أَيُّهَا الرَّجُلُ *

وابذعرت : ففرت : وقال الإمام المروزقى (١) : والمعنى : لم تنصر جرم نهداً وقت الالتقاء ؛ ولكن جرماً انهمزت وهامت على وجهها فضت ، واصطلت نهداً بنار الحرب ، ومست حاجتها إلى من ينصرها ويذب عنها الأعداء . وأضاف نهدها إلى ضمير جرم ، لأن اعتمادهم كان عليها ، واعتقادهم الاكتفاء بها .

وهذا غفلة عن سبب الأبيات . وإضافة نهد إلى ضمير جَرْمَ للملابسة ، فإن جرماً أعدت لمقاتلة نهد ، كما أن زبيداً أعدت لمقاتلة بنى الحارث .

وقوله : ظَلَّتْ كَأَنَّى . . الخ أى بقيتُ نهاري منتصباً فى وجوه الأعداء ، والظَّنُّ يأتى من جوانبي ، أذبُ عن جَرْمٍ وقد هربت . فالدرية هى الحلقة التى يُتَعَلَّمُ عليها الطعن ؛ وأما الدرة بالهمز ، فهى الدابة التى يستتر بها من الصيد ؛ يقال : درأها نحو الصيد وإلى الصيد وللصيد : إذا سقَّها ، من الدرة وهو الدفع . وجملة كَأَنَّى خبر ظلت . وجملة أقاتل حال ؛ ويجوز العكس . قال يوسف بن السيرافى (فى شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقول : صرت لكثرة الطعن فى ، ودخول الرماح فى جسدى ؛ كالحلقة التى يُتَعَلَّمُ عليها الطعن . وحكايته : أن جرماً كانت مع زبيد ، ونهداً مع بنى الحارث بن كعب ؛ فالتقوا ، فانهزمت جرم وبنو زبيد وكاد عمرو يؤخذ ، وقاتل يومئذ قتالا شديداً .

٤٢٥

(١) شرح الحماسة ١٦١ . وفى الاقتباس من نص المروزقى تقديم وتأخير .

وقوله : فلو أن قومي ، يقول : لو صبروا وطمعوا برماحهم أعداءهم ،
لأمكنني مدحهم ، ولكن فرارهم صيرني كالمشقوق اللسان ؛ لأنني إن مدحتهم
بما لم يفعلوا كذبت وردّ عليّ . يقال أجرت لسان الفصيل : إذا شقت
لسانه لثلا برضع أمه .

قال أبو القاسم الزجاجيّ (في أماليه الوسطى) أخبرنا ابن شقير قال :
حضرت المبرد وقد سأله رجل عن معنى قول الشاعر :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم ..

البيت

فقال : هذا كقول الآخر :

وقافية قيلت فلم أستطع لها دفاعاً إذا لم تضربوا بالمنابر
فادفع عن حق بحق ، ولم يكن ليدفع عنكم قاله الحق باطلاً

قال أبو القاسم : معنى هذا : أن الفصيل إذا لهج بالرضاع جعلوا في أفه
خلالة محدّدة ، فإذا جاء برضع أمه نخسها تلك الخلالة ، فنمته من الرضاع ؛
فإن كف .. وإلا أجرّوه . والإجرا : أن يشق لسان الفصيل أو يقطع
طرفه ، فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة . فقال قائل البيت الأوّل : إن قومي
لم يقاتلوا ، فأنا مجرّ عن مدحهم ، لأنني ممنوع ؛ كأن رماحهم حين قصروا
عن القتال بها أجرتني عن مدحهم ، كما يجرّ الفصيل . عن الرضاع . ففسره
أبو العباس باليتين اللذين مضيا . وللإجرا موضع آخر ، وهو أن يطن
الفرس الفارس فيمكن الرمح فيه ، ثم يتركه منهزماً يجرّ الرمح ، فذلك قاتل
لا محالة . ومنه قول الشاعر (١) .

وآخرَ منهمُ أجزرتُ رُحى وفي البَجَلَى مِعْبَلَةٌ وقِعَ^(١)
وقول الآخر^(٢).

وتَقَى بأفضل مالنا أحسابنا ونَجِرُ في المِجَا الرماحَ وندعى ا ه
قوله . وندعى أى تنتسب في الحرب كما ينتسب الشجاع في الحرب فيقول:
أنا فلانُ ابنُ فلان .

و (عمرو) هو الصحابيُّ ابنُ معدٍ كَرَب بن عبد الله بن عمرو
ابن عُصَم بن عمرو بن زُبَيْد الأصغر - وهو منبؤه - بن ربيعة بن سَكَمَة بن
مازن بن ربيعة بن منبؤه بن زُبَيْد الأكبر بن الحارث بن صَعْب بن سعد
المشيرة بن مَدَحِج بن أَدَد بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ^(٣) .

عمرو بن
معدٍ كَرَب

ومعدى اشتقاق مثل اشتقاق مَعْدَان ؛ ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من
العُدْوَان ، فقلبت الواو ياء لما بنى على مَفْعَل أو يكون بنى على مفعول ، فقلبت
الواو ياء ، ثم خففت الياء لطول الاسم ، لأنه جعل مع كَرَب كالاسم الواحد .
و (كرب) يجوز أن يكون من الكَرَب الذى هو أشدُّ الغَمِّ ، أو من
كرب فى معنى قارب ، أو من أكرَبْتُ الدلو : إذا شدَّتها بالكرب ، وهو
الحبل الذى يُشدُّ على العِراقى ، قال ابن جنى : فسره ثعلب : أنه عِداة الكَرَبُ ،
أى تجاوزه وانصرف عنه .

(١) البجلى ، بسكون الجيم لافتتحها ، نسبة الى بجلة ، من بنى
سليم . وأخطأ الأصمعى فرواه بفتح الجيم منسوباً الى بجيلة . وانظر
اللسان (بجل ، عبل ، وقع) والاشتقاق ٥١٦
(٢) هو الحادثة الذيباني . المفضليات ٤٥ . قال الميمنى : « وقد
وقفت على نسخة ديوانه ملوكية بخط ياقوت الخطاط ، وقابلت طبعة ليدن
عليها ، وأخذت فى تصحيحها لغرض الطبع ، الا أن حادثة عظيمة أصبت
بها حالت دون ذلك ، » .

(٣) الميمنى : « فى نسب عمرو بن معدٍ كَرَب خلاف وارتباك .
راجع السمعاني ٢٧١ والأغانى ١٤ : ٢٤ والإصابة ٥٩٧٠ والاستيعاب . »

و (عُصْم) بضم العين وسكون الصاد المهملتين . و (زُبَيْد) مصغر زُبْدَة
 ٤٢٦ أَوْ زَبْد ؛ وَالزَّبْد . العطاء ، يقال : زَبَدَ زَبْدًا : إِذَا أَعْطَاه . وقال شارح
 ديوانه : وسمي زُبَيْدًا ، لأنه قال : من يَزْبُدُنِي نصره ، أى يرفِدُنِي . وَالزَّبْدُ
 فى كلام العرب : الرِفْد والمعوثة . اهـ وكذا رأيت فى جمهرة الانساب . إنما سُمِّيَ
 زُبَيْدًا ، لأنه قال : من يَزْبُدُنِي نصره ، لما كثر عموته وبنو عمّة فأجابوه
 كلهم . فسُئِلُوا كلُّهم زُبَيْدًا ما بين زَبِيد الأصغر إلى منبّه بن صعب ، وهو زَبِيد
 الأكبر . وأخوه زَبِيد الأصغر كلهم يدعى زُبَيْدًا اهـ :

وكنية عمرو أبو ثور . وهو الفارس المشهور ، صاحبُ الغارات والوقائع
 فى الجاهلية والإسلام . قال فى الاستيعاب : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم
 فى سنة تسع . وقال الواقدي : فى سنة عشر ، فى وفد زُبَيْد فأسلم اهـ . وأقام مُدَّةً
 فى المدينة ، ثم رجع إلى قومه وأقام فيهم سامعاً^(١) مطيعاً ، وعليهم فِرْوَة بن
 مُسَيْك ، فلما تَوَفَّى النبي صلى الله عليه وسلم ارتدَّ .

قال النووى (فى تهذيب الأسماء واللغات) : ارتدَّ مع الأسود العنسى ،
 فسار إليه خالد بن سميد فقاتله ، فضربه خالد على عاتقه فأنهزم ، وأخذ خالدُ
 سيفه . فلما رأى عمرو الأمداد من أبى بكر ، رضى الله عنه ، أسلم ؛ ودخل على
 للمهاجر بن أبى أمية بغير أمان ، فأوثقه وبَعَث به إلى أبى بكر ، فقال له أبوبكر :
 أما تستحى كل يوم مهزوماً أو مأسوراً ؟ لو عززت هذا الدين لرفعتك الله ؟ قال :
 لا جرم ، لأقبلن^(٢) . ولا أعود . فأطلقه وعاد إلى قومه . ثم عاد إلى المدينة ،
 فبعثه أبو بكر رضى الله عنه إلى الشام ، فشهد اليرموك . اهـ .

وله فى يوم اليرموك بلاه حسن ؛ وقد ذهبت فيه إحدى عينيه . ثم بعثه

(١) فى الإصابة : « مسلماً »

(٢) ش : « لاقتلن » وفى التهذيب للنووى : « لا قبلن » .

عمر رضى الله عنه إلى العراق ؛ وله في القادسية أيضاً بلاء حسن ، وهو الذى ضرب خَطْمَ الفيل بالسيف ، فانهزمت الأعاجم ، وكان سببَ الفتح . ومات في سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

وفى كيفية موته خلاف . قيل : مات عطشاً يوم القادسية ، وقيل : قُتِلَ فيه ، وقيل : بل مات فى وقعة نهاوند بعد الفتح ، وقيل : غير ذلك . وعمره يومئذ مائة وعشرون ، وقيل : مائة وخمسون . ولم يذكره السجستاني فى للمعمرين .

روى أَنَّ رجلاً رآه وهو على فرسه ، فقال : لَأَنْظُرُ مَا بَقِيَ مِنْ قُوَّةِ أَبِي ثُورٍ . فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ سَاقَيْهِ وَجَنِبِ الْفَرَسِ ، فَفَظَنَ لَهَا عَمْرُو ، فَضَمَّ رِجْلَهُ وَحَرَّكَ الْفَرَسَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَمْدُو مَعَ الْفَرَسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْزِعَ يَدَهُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنْهُ صَاحِبُهُ ، قَالَ لَهُ . يَا ابْنَ أَخِي : مَا لَكَ ؟ قَالَ : يَدِي تَحْتَ سَاقِكَ ؟ فَخَلَّى عَنْهُ . وَقَالَ لَهُ : إِنَّ فِي عَمَلِكَ بَقِيَّةً .

وَأَنشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ ^(١) .

١٥٥ (أَفَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجَوْهَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَنْ تَجَادِعُ) لِمَا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ ، أَعْنَى أَنْ نَصَبَ (وَجَوْهَ) عَلَى الشِّتْمِ .

قَالَ النَّحَّاسُ : وَيَجُوزُ رَفْعُهُ عَلَى إِضْمَارٍ مُبْتَدَأٍ ، أَوْ عَلَى أَنْ تَجْعَلَهُ بَدَلًا مِنْ أَفَارِعِ عَوْفٍ : تَبْدِيلُ النُّكْرَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، مِثْلُ : (لَتَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبِيَّةٌ ^(٢)) وَقَتْلُ ابْنِ السَّيِّدِ الْبَطْلَيْوْسِيِّ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ ؛ فِي آيَاتِ الْمَعَانِي ؛ أَنَّهُ

(١) سَيَبَوِيهِ ١ : ٢٥٢ وابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان النابغة ٥٣

(٢) الْآيَةُ ١٥ ، ١٦ مِنْ سُورَةِ الْعَلَقِ

قال : لو شئت رفعت ما نصبته على الابتداء وتُضير في نفسك شيئاً لو أظهرته
لم يكن ما بعده إلا رفعاً ؛ كأنك قلت : لم وجوه قروذ ٥١

وهذا البيت للناطقة الذيباني ، من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، صاحب الشاهد
مما وشت به بنو قريع . وقبله :

(لعمري ، وما عمرى على بهين لقد نطقت بطلاً على الأقارع)
٤٢٧ واستشهد به ابن هشام في المغني^(١) على أن جملة « وما عمرى على بهين »
مترضة بين القسم وجوابه .. العمر بفتح العين ، هو العمر بضمها ، لكن
خص استعمال المفتوح في القسم . أي ما قسى بعمرى هين على ، حتي يتهم
متهم بآتي أحلف به كاذباً . والبطل ، بالضم ، هو الباطل ؛ ونصب على المصدر ،
أي نطقت نطقاً باطلاً .

وقوله : (أقارع عوف) بدل من الأقارع . و (لا أحاول) لا أريد .
والمجادعة ، بالجيم والdal المهملة ، هو أن يقول كل من شخصين : جد عاك !
أي قطع الله أنفك . وهي كلمة سب ، من الجدع وهو قطع الأذن والأنف .
يقول : هم سفهاء يطلبون من يشتمهم . و (الأقارع) هم بنو قريع بن عوف
ابن كعب بن زيد مناة بن تميم ، الذين كانوا سعوا به إلى النعمان حتى تغير له .
وسمّاهم أقارع ، لأن قريماً أباهم سمي بهذا الاسم . وهو تصنيف أقرع ، ولهذا
جمعه على الأصل . والعرب إذا نسبت الأبناء إلى الآباء فريماً سمّتهم باسم
الأب ، كما قالوا : المهالبة والمسامعة في بني المهلب وبني مسمع^(٢) . وزعم

(١) انظر شرح شواهد المغني ٢٧٦ وسيبويه ١ : ٢٥٢

(٢) المهالبة : بنو المهلب بن أبي صفرة . وذكر ابن حزم أن له
ثلثمائة ولد . الجمهرة ٣٦٧ - ٣٧٠ . وأما المسامعة فهم بنو مسمع بن
شيبان بن شهاب . الاشتقاق ٣٥٥ - ٣٥٦

الدمايني (في الحاشية الهندية) أن الأقارع جمع أقرع . ثم قل من الصحاح أن
الأقرعين : الأقرعُ بن حابس وأخوه مرثد . وهذا ، كما ترى ،
لا مناسبة له هنا .

والسبب في غضب النعمان على النابغة ، هو ما حكاه شارح ديوانه
وغيره ، عن أبي عمرو وابن الأعرابي ، أنهما قالا : كان النابغةُ ممن يجالس
النعمان ويسمر عنده ورجلٌ آخر من بني يشكر يقال له : المنخلُ ، وكان جميلاً
يُتهم بالمتجرّدة امرأة النعمان . وكان النعمان قصيراً دميماً ، قبيحَ الوجه أبرش .
وكانت المتجرّدة ولدت للنعمان غلامين . وكان الناس يزعمون أنهما ابنا للمنخل .
وكان النابغة رجلاً حليماً عفيفاً ، وله منزلة يُحسد عليها . فقال له النعمان يوماً
— وعنده المتجرّدة والمنخل ^(١) — صِفْها يا نابغة ، في شرك . فقال قصيدته
الدالية التي أولها :

* أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٌ أَوْ مُفْتَدَى *

— وستأتى إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب — فوصف النابغة فيها
بطنها وروادفها وفرجها ولذة مجامعتها . فلما سمع المنخلُ هذه القصيدة لحقته
غيرة . فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من قد جرّب !
فوقّر ذلك في نفس النعمان . ثم أتى النعمان بعد ذلك رهطاً من بني سعد بن زيد
مناة بن تميم ، وهم بنو قريع ، فبلغوه أن النابغة يصف المتجرّدة ويذكر فيها ،
وأن ذلك قد شاع بين الناس . فتغيّر النعمان عليه . وكان للنعمان بوابٌ يقال
له عصام بن شهبر الجرمي . فأتى النابغة ، فقال له عصام : إن النعمان واقعٌ
بك فانطلق . فهرب النابغة إلى غسان ملوك الشام ، وهم آل جفنة ، ومكث

(١) في ش : « والنابغة » ، والأوفى ما في ط

عندهم ، ومدحهم بقصائد (كما تقدم في الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة^(١)) .

٤٢٨

وكان سبب وقوع بني قريع في النابغة عند النعمان : هو ما حكاه أبو عبيد والأصمعيّ قالا : كان لمرّة بن ربيعة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، سيفٌ جيّد . فحسده النابغة فدلّ على السيف النعمان بن المنذر ؛ فأخذه من مرّة ، فحقد مرّة ، على النابغة وأرصد له بشرّ ، حتّى تمكن منه ، فوقع فيه عند النعمان ؛ فبعد أن هرب النابغة ومكث عند آل جفنة أرسل إلى النعمان قصائد يعتذرُ إليه بها ، ويحلف له : أنه ما فرط منه ذنب . واشتدّ ذلك على النعمان ، وعرف أنّ الذي بلغه كذب . فبعث النعمان إلى النابغة : « أنك لم تعتذر من سخطي إن كانت بلغتك ، ولكننا تغيّرنا لك من شيء مما كنّا لك عليه ؛ ولقد كان في قومك ممّن تمنع وتحصن ، فتركته ؛ ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جدّي ؛ وبينى وبينهم ما قد علمت » . وكان النعمان وأبوه وجدّه قد أكرموا النابغة وشرّفوه وأعطوه مالا عظيما ، حتّى كان لا يأكل ولا يشرب إلا في أواني الذهب والفضة . ثم بلغ النابغة أنّ النعمان ثقيل ، من مرض أصابه حتّى أشفق عليه منه ، فأتاه النابغة ، فرضى عنه النعمان ، ووهب له مائة بعير من عصافيره وهي إبل كانت للنعمان تسقى بها .

والنابغة قد تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني بعد المائة^(٢) .

والنعمان هذا ، آخر ملوك الحيرة . ثم ولى بعده إلياس بن قبيصة الطائي ثمانية

(١) صوابه « السابع والثلاثين بعد المائة » . انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء . وأما الخامس والثلاثون فليس فيه ذكر للنابغة

(٢) الصواب أنه الشاهد ١٠٤ انظر ص ١٣٥ من هذا الجزء

أشهر ، واضطرب ملك فارس ، وضعفوا — وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم — وأتى الله عز وجل بالإسلام فغزا أهله النبي ﷺ (١) .

وأول من ملك الحيرة مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد . ملك العرب بالعراق عشرين سنة . والحيرة هي أرض في العراق ، بلدة قريبة من الكوفة . قال الهمداني في جزيرة العرب (٢) : سار تبع أبو كرب في غزواته الثانية . فلما أتى موضع الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، على أثقاله . وتخلّف معه من ثقل من أصحابه ، في نحو اثني عشر ألفاً . وقال : تحيّرنا هذا الموضع (٣) فسُمي الموضع الحيرة (وهو من قولهم : تحيّر الماء . إذا اجتمع وزاد) (٤) ، وتحيّر المكان بالماء : إذا امتلأ (٥) . فمالك أول ملوك الحيرة وأبوم . وكانوا يملكون ما بين الحيرة والأنبار وريثاً ونواحيها ، وعين التمر وأطراف البراري : النُمير والقطّطاة وخفّية (٦) . وكان مكان الحيرة [من (٧)] أطيب البلاد ، وأرقه هواء ، وأخفه ماء ، وأعذاه رُبّة (٨) ، وأصفاه جواً ، قد تعالى عن عمق الأرياف ، واتّضع عن حُرّوة

(١) الذي في العدة ٢ : ١٧٩ : « بالنبي »

(٢) الحق أن النقل التالي إنما هو للهمداني في كتاب آخر غير صفة جزيرة العرب . والنص في معجم البكري ٤٧٩ مسبوفاً بجملة « قال الهمداني » ، دون تقييد بكتاب خاص . فلعل البغدادي توهم أنه من صفة جزيرة العرب حين وجد هذا النص فيه

(٣) وكذا في معجم ما استعجم ، مع أن تحير الماء فعل لازم

(٤) ش : « ودار »

(٥) هذا التفسير من زيادات البغدادي ، وليس في معجم البكري

(٦) كذا في ط ومعجم ما استعجم وجعلها الشنقيطي بقلبه « وخفّية »

وبوضع حاء معجمة تحت الحرف الأول توكيداً للضبط ، ولم أجده في كتاب مما لدي

(٧) التكملة من معجم البكري

(٨) يقال غذا البلد : طاب هواؤه . والعذاة : الأرض الطيبة . ط :

« وأعذبه تربه » ، صوابه في ش ومعجم البكري . وفي بعض مخطوطات البكري : « وأعدله » تحريف كذلك .

الفاط، واتصل بالمزارع والجنآن والمتاجر العظام، لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر، من الهند والصين وغيرها ١ هـ

قال ابن رشيقي في العمدة (١) : وملك بعد مالك بن فهم ابنه جديمة ابن مالك، وهو الأبرش والوضاح، وكان ملكه ستين سنة. ثم عمرو بن عدى ابن نصر بن ربيعة اللخمي — وعمرو هذا هو ابن أخت جديمة الأبرش وفيه قيل : « شب عمرو عن الطوق » ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدى، ويقال : بل الحارث بن عمرو، وأنه هو الذي كان يدعى محرقة. ثم النعمان بن امرؤ القيس، وهو النعمان الأكبر، الذي بنى الخورنق. ثم المنذر بن امرؤ القيس وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء، أخو النعمان الأكبر (٢). ثم المنذر ابن المنذر وهو الأصغر. ثم أخوه عمرو بن المنذر، وهو عمرو بن هند، وسمي محرقة أيضاً، لأنه حرق بني تميم، وقيل بل حرق نخل البجامة. ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة وهو آخر ملوك ظلم كما ذكرنا (٣).

واعلم أن هذه القصيدة غالب أبياتها شواهد في كتب العربية، وهي قصيدة الشاهد خمسة وثلاثون بيتاً. فلا بأس بإيرادها مختصرة تنميلاً للفائدة. وهي على هذا الترتيب :

(عَفَاذُوحْسَى مِنْ فَرَتْنِي الْفَوَارِعُ فُجْنِبَا أَرِيكَ فَالتَّلَاعُ الدَّوَاغِعُ) ٤٢٩

عفا : درس وأحى. وذو حسى : بلد في بلاد بني مرة، وهو بضم الحاء

(١) العمدة ٢ : ١٧٩

(٢) في النسختين : « أبو النعمان الأكبر » ، وإنما هو أخوه ، كما في العمدة . وأبوهما هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدى .

(٣) انظر ما سبق في ص ١٣٥ من هذا الجزء وما بعدها

والسين^(١) المهملتين والقصر . وقرّني : أي من منازل قرّني ، وهو بفتح الفاء وسكون الراء وبمدها تاء مفتوحة يليها نون ، قال في الصحاح : « هو مقصور وهو اسم امرأة . والعرب تسمي الأمة قرّني^(٢) » . والفوارع : جمع فارة ، قال في الصحاح : « وفارة الجبل : أعلاه . وتلاع فوارع : مشرفات المسایل » . وأريك بفتح الهززة وكسر الراء ، قال البكري في معجم ما استمعتم : « هو موضع في ديار غنى بن يعمر » . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : « وقال أبو عبيدة : أريك في بلاد ذبيان قال : وما أريكان : أريك الأسود ، وأريك الأبيض . والأريك : الجبل الصغير . وقال الأخفش : إنما سُمي أريكا ، لأنه جبل كثير الأراك » . والتلاع بالكسر : مجارى الماء إلى الأودية ، وهى مسایل عظام . والدوافع : تدفع الماء إلى الميث ، والميث يدفع إلى الوادى الأعظم . كذا في الشرح .

(فجتمَعَ الأشراج ، عَفَى رُسُومَهَا مَصَافٍ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَايُ)

قال أبو عبيدة : مجتمَعَ الأشراج : مسایل في الأرض تصب إلى الأودية ؛ والواحد شَرْج ، بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وآخره جيم . والرسوم : الآثار . وعَفَى : دَرَسَ ومَحَا^(٣) . والمصايف : جمع مصيف . ومرابع : جمع مربع^(٤) .

(١) كذا . يعنى « وبالسين » لا بضم السين ، وهذا مألوف من تعبير

البغدادى .

(٢) ط : « تسمى المرأة قرّني » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان

(قرّني) .

(٣) درس ، يلزم ويتعدى كما هنا . قال :

درسته الريح ما بين صبا وجنوب درجت حيناً وأصل

(٤) ط : « والمصايف ، جمع صيف ، ومرابع : جمع ربيع » والوجه

من ش

(تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَقْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ، وَذَا الْعَامُ سَابِعُ) .
أراد آيات الدار . واللام بمعنى بَعْدَ أى بعد ستة أعوام . وتوهمت :
تفرست .

وهذا البيت من شواهد أبيات سيديوه (١) ، أنشده على أن العامُ صفةُ ذا ،
وسابعُ خبر اسم الإشارة . وأورده ابن هشام أيضاً في شرح الألفية ، على أن
سابعاً استعمل مفرداً ليفيد الاتصاف بمعناه مجزئاً ؛ وهذا بخلاف ما يستعمله
الشخص مع أصله ليفيد أن الموصوف به بعض العدد المعين ، نحو : سابعُ سبعة ،
وثامنُ ثمانية ، ونحوها .

(رَمَادُ كَكُحْلِ الْعَيْنِ مَا إِنْ تُبَيَّنْهُ وَنَوَى كِحِذْمِ الْخَوْضِ أَلَمْ تُخَاشِعْ)
أى من الآيات رماد ونوى . استأنف وفسر بعض الآيات . زعموا :
أن الرماد يبقى ألف سنة . وروى : (لَا يَأُتِيهِ) اللأى ، بفتح اللام وسكون
الهمزة : البطء ؛ ونصب على نزع الخافض : أى أستيئنه بعد بطء . والنوى ؛
بضم النون وسكون الهمزة . حفيرة تحفر حول الخباء ويجعلُ ترابها حاجزاً
لئلا يدخله المطر . والجندم ، بكسر الجيم وسكون الدال المعجمة : الأصل
والباقي . وخاشع : لاطىء بالأرض ، قد اطمأن وذهب شخوصه .

(كَأَنَّ بَجَرَ الرَامَسَاتِ ذُوْهَا عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَقْتَهُ الصَّوَانِعُ)
هذا البيت أورده الشارح المحقق (في شرح الشافية) في باب المنسوب (٢) ،
على أن فيه حذف مضاف : أى كأن أثر بجر الرامسات . وبجر مصدر ميميّ

(١) سيديوه ١ : ٢٦٠

(٢) أنظر شرح شواهد الشافية للبغدادى ١٠٦ وابن يعيش ٦ :

لا اسم مكان، فإن أسماء المكان والزمان والآلة لا ترفع فضلاً عن أن تنصب .
 وذيوها : قد انتصب بمجرر ، فـجَرَّ مصدر مضاف لفاعله ، وذيوها مفعوله ،
 وإنما كان بتقدير مضاف ، وهو أثر مجرر أو مكان مجرر ؛ لأنه إن كان مصدراً
 فلا يصح الإخبار بقوله قضيم ؛ وإن كان اسم مكان فلا يصح نصبه المفعول .
 والرامسات : الرياح الشديدة الهبوب ، من الرمس وهو الدفن . وذيوها :
 ماخيرها : وذلك أن أوائلها تسمى بشدة ثم تسكن . ورؤى بمجرر (ذيوها)
 على أنه بدل من الرامسات ، وعليه فالمجرر اسم مكان ، ولا حذف . والقضيم :
 حصير منسوج ، خيوطه سيور . كذا في القاموس وكذا قال شارح ديوانه :
 « شبه آثار هذه الرامسات في هذا الرسم ، بحصير من جريد أو آدم ^(١) »
 ترمله الصوانع ، أى عمله وتخززه . ومثله لدى الرمة :

* ريح لها من هباب الصيف نعيم ^(٢) *

أى نعمة كالوشى . وقال المعجاج :

* سحابة الأولى دروج الأذيال *

ولا يناسبه قول الجار بردى (في شرح الشافية) : إن القضيم جلد أبيض
 يكتب فيه ؛ فإن الصوانع جمع صانعة ، والمعهود في نساء العرب النسج
 وما أشبهه ، لا الكتابة . والمعنى يقتضيه أيضاً ؛ فإن الرمل الذى تمر عليه
 الريح يشبه نسج الحصير . والصنع : إجادة الفعل وليس كل صنع فعلاً ؛
 ولا يجوز نسبته إلى الحيوانات غير آدميين ، ولا إلى الجمادات ، وإن كان

(١) فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ص ٥٠ : « ومن روى
 عليه حصير ، فهو حصير يعمل من جريد وأدم »

(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان ٥٧٧ واللسان (نيم) :

* فيفا عليه نذيل الريح نعيم *

وصدره فى الديوان :

* والركب تملو بهم صهب يمانية *

الفعل ينسب إليهما . ولا يقال صَنَعَ بفتحين ؛ إلا للرجل الحاذق المجيد ؛ ولا صَنَاع ، بالفتح ، إلا لامرأة تتقن ما تعمله ضدَّ الخرقاء . وفي القاموس : « رجل صنع اليدين بالكسر والتحريك ، وصنيع اليدين وصنَاعهما : حاذقٌ في الصنعة . وامرأة صَنَاع اليدين كسحاب : حاذقة ماهرة بعمل اليدين وجمعهما صُنُوعٌ كَكُتُبٍ ^(١) » . وقوله : نَمَّقَتْهُ : أى حَسَّنَتْهُ . قال الشارح : كل ما أُلْزِقَ بعضه إلى بعض وأُقيم سطورُهُ ، من نخل أو كتاب ، فهو مُنَمَّقٌ .

(على ظَهَرٍ مَبْنِئَةٍ جَدِيدٍ سَيُورُهَا يَطُوفُ بِهَا وَسَطَ اللَّطِيْمَةِ بَائِعٌ)

قال أبو عبيدة : المَبْنِئَةُ ، بكسر الميم وسكون الباء الموحدة : نِطْعٌ . يقول : هذا الحَصِيرُ على هذا النِطْعِ ، يطوف به بائع في الموسم . قال الأصمعي : كان من يبيع مَتَاعاً يَفْرُشُ نِطْعاً ، ويضع عليه متاعه ، والنِطْعُ يَسْمَى مَبْنِئَةً . فيقول : نشر هذا التاجرُ حَصِيرًا على نِطْعٍ . وإِنَّمَا سَمَّيْتُ مَبْنِئَةً ، لأنها كانت تَتَّخَذُ قَبَائِبًا ، والقُبَّةُ والبناء سواء ؛ والأنطاع تَبْنَى عليها القباب . والنِطْعُ ، بكسر فسكون وفتحين وكتنب : بِسَاطٌ من الأديم . واللطيمة ، قال أبو عمرو : سوقٌ فيها بَزٌّ وطيب . وقال أبو عبيدة : اللطيمة : العِيرُ التي تحمل دِقَّ المتاع وأفضله وتحمل إلى الأسواق والمواسم ؛ ولا تسمى لَطيمة إلا وفيها طيب . وقوله : جديد سيورها ، أراد الأديم ؛ وأنشد :

* وَقَدَّتْ من أديمهم سَيُورِي *

(فأسبلَ مَنِيَّ عَبرَةٍ فرددتها على النَّحْرِ : منها مُسْتَهْلٌ ودَامِعٌ ^(٢))
مُسْتَهْلٌ : سائل منصبٌّ له وقع ؛ ومنه استهلت السماء بالمطر : إذا دام مطرها . ودامع : قاطر .

(١) الذى فى القاموس : « وحكى : رجال ونسوة صنع بضمين » .
(٢) فى النسختين : « وهامع » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

(على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت: أَلَمْ تَصَحِّ، وَالشَّيْبُ وَازِعٌ!)

يأتى شرحه إن شاء الله تعالى في باب الظروف^(١)

(وقد حالَ همٌّ دونَ ذلكَ داخلٌ دخولَ الشَّغافِ تَبَتَّغِيهِ الأصابعُ)

أى دون هذا الذى أشبَّ به^(٢) وأبكى عليه هو الصبا. وروى: (وقد جالَ همٌّ). وروى أيضا:

٤٣١

ولكنَّ همًّا دونَ ذلكَ داخلٌ مكانَ الشَّغافِ

أى غلاف القلب . وقال الأصمى : الشَّغافُ : داءٌ يدخل تحت الشراسيف فى البطن فى الشق الأيمن ، إذا التقى هو والطحال مات صاحبه . يقول : هذا الهم الذى هو لى هو موضع الشَّغاف الذى يكون فيه القلب . ثم رجع إلى الشَّغاف فقال : تَبَتَّغِيهِ الأصابعُ : أى تلتئمسه أصابعُ المتطبِّبين ، ينظرون أنزلَ من ذلكَ الموضع أم لا ، وإِذَا ينزل عند البرء : قال ابن السِّدِّ (فى شرح أبيات أدب الكاتب)^(٣) : « هذا قول الأصمى وأبى عبيدة . وقيل معناه : تلتئمسه ، هل انحدر نحو الطحال فيتوقَّع على صاحبه الموت ، أم لم ينحدر فترجى له السلامة » وقال أبو على البغدادى : يعنى أصابعُ الأطباء يلمسوننى ، هل وصل إلى القلب أم لا ؟ لأنه إذا اتصل بالقلب تليف صاحبه . وإِذَا أراد النابغة : أنه من موجدة النعمان عليه ، بين رجاء ويأس ، كهذا العليل الذى يخشى عليه الهلاك ، ولا يأسَ مع ذلك من برئه . وهذان التأويلان أشبهُ بفرض النابغة من التأويل الأول .

(وَعِيدُ أبى قابوسَ فى غيرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ)

(١) وهو الشاهد ٤٩٩ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣٩٦ .

(٢) ط : « أشيب » ، صوابه فى ش .

(٣) الاقتضاب ٣٤٢ .

أبو قابوس . كنية النعمان بن المنذر . قال الأصمعي : أي جاءني وعيده في غير قدر الوعيد . أي لم أكن بلغت ما يفضب علي فيه . وراكس : واد . والضواجع : جمع ضاحجة ، وهو منحني الوادي .

(فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُ صَيْلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أُنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ)

المساورة : المواثبة ، والأفنى لا تلدغ إلا وثباً . وصييلة : هي الحية الدقيقة القليلة اللحم . والعرب تقول : سلط الله عليه أفعى حارية . تحرى : أي ترجع من غلظ إلى دقة ، ويقل دما ويشتد سمها . قال :

داهية قد صغرت من الكِبَرِ جاء بها الطوفان أيام زَحَر^(١)

وقوله : ناعم : أي ثابت ، يقال : تقع ينقع تقوعاً : إذا ثبت . والرُقْشُ من الحيات : المنقطة بسواد . وهي من شرارها ، فلذا خصها بالذكر . وقال شارح ديوان الخطيئة في شرح هذا البيت من شعره :

كأني ساورتني ذاتُ سمٍ نَقَعَ ما يلائمها رُقاها

النقع : للنقوع المجموع ، وذلك : أن الحية تجمع سمها من أول الشهر إلى النصف منه ، فإن أصابت شيئاً لفظته فيه ، وإن جاء النصف ولم تصب شيئاً تنهشه لفظته من فيها بالأرض ، ثم استأنفت تجمع إلى رأس الشهر ، ثم تفعل كفعالها الأول فهذا دأبها الدهر كله . وهذا البيت من أبيات سيبويه^(٢) ، أورده على أن ناقماً رفع على أنه خبر عن السم ، ويجوز في غير الشعر ناقماً على الحالية . وقوله : في أنيابها ، هو الخبر . وأورده المراءى في شرح الألفية ، وكذلك ابن هشام في المغني^(٣) ، على أن بعضهم قال : ناعم صفة للسم — وهو

(١) الرجز لحلف الأحمر ، أو النابغة . انظر الحيوان ٤ : ١١٩ .

(٢) سيبويه ١ : ٢٦١

(٣) شرح شواهد المغني للسيوطي ٣٠٥ . وانظر جمع الهوامع

٢ : ١١٧ والدرر اللوامع ٢ : ١٤٨

ابن الطراوة — فإنه قال : يجوز وصف المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصاً لا يوصف به إلا ذلك الموصوف . وهذا لا يبيزه أحد من البصريين إلا الأخفش . ولا حجة في هذا البيت قال ابن هشام^(١) : إنه خبر للسم . والظرف متعلق به ، أو خبر ثان .

(يُسَهِّدُ فِي لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا حَلَّى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاغُ)

ليل التمام بكسر التاء : أطول ليلة في السنة . والسليم : اللديغ . قال الزجاجي في أمالي الصغرى^(٢) : سمى العرب الملسوع سليماً تفاؤلاً ، كما سموا المهلكة مغارة ، من قولهم فوز الرجل : إذا مات ؛ كأنهما لفظتان لمعنى . وكان ينشد قول الشاعر :

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلَى إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَلِيمٌ بَانَ عَنْهُ أَقْرَبُوهَ وَأُسْلَمَ الْمَدَاوِي وَالْحَمِيمُ

ولو كان على ما ذهب إليه في السليم ، ل قيل لكل من به علة صعبة : سليم ؛ مثل المبرسم والمجنون والمفلوج ؛ بل كان يلزم أن يقال للبيت : سليم أ .

وفيه أن للنقول عنه أنه هو وابن الأعرابي قالا : إن بني أسد تقول : إنما سمى السليم سليماً لأنه أسلم لما به . على أن العلة لا يجب أطرادها : فتأمل . وقوله : حلّى النساء الخ ؛ كان المدوغم يُجعل الحلى في يديه والجلال حتى لا ينام فيدب السم فيه .

(١) في النسختين : « قال هشام » . وإنما هو ابن هشام في المغنى ، في النوع الثاني من الجهة السادسة من الجهات التي يدخل منها الاعتراض على العرب .

(٢) انظر ملحقات أمالي الزجاجي بتحقيق عبد السلام هارون ص ٢٢٠ وما في حواشيها من تعليق على هذا النص .

(تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمْعِهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا تَرَاجِعُ)

وروى أيضاً : (نَازَرَهَا الْخَاوُونَ) وهو جمع خَاوٍ ، وهو الذى يمسك الحيات . أى أنذر بعضهم بعضاً بأنها لا تحيب راقياً . وروى : (من سوء سمعها) يعنى أنها حية صماء ^(١) وقوله : تَطْلُقُهُ : تخفّ عنه مرّة وتشتدّ عليه مرّة . قال اللبرّد فى الكامل ^(٢) — عندما أنشد هذه الأبيات الأربعة ، من قوله : وعيد أبى قابوس ، إلى هذا البيت — ومن التشبيه الصحيح هذه الأبيات ، وهذه صفة الخائف للمهوم ؛ ومثل ذلك قول الآخر :

تَبَيَّنْتُ الْمَهْمُومُ الطَّارِقَاتُ يَمْدُنَنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَوْصَابُ رَأْسَ الْمَطْلُوقِ ^(٣)

والمطلّق هو الذى ذكره النابغة فى قوله : تطلّقه طورا . . الخ . وذلك أن للنهوش إذا ألحّ الوجعُ به تارة وأمسك عنه تارة ، فقد قارب أن يؤمس من برئه ^(٤) . وإنما ذكر خوفه من النعمان وما يعتريه من لوعة فى إثر فترة . والخائف لا ينام إلا غرارا ، فلذلك شبهه بالملدوغ المسهّد . اهـ

(أَتَانِي أُبَيْتَ اللَّعْنِ أَنَّكَ لَمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قُلْتَ : سَوْفَ أَنَالُهُ وَذَلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعٌ)

قال ابن الأنبارى فى شرح المفضّليات : « قوله : أُبَيْتَ اللَّعْنِ : أى أُبَيْتَ أَنْ تَأْتِي مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ مَا تَلْعَنُ عَلَيْهِ . وَكَانَتْ هَذِهِ تَحِيَّةً تَلْمُ وَجُدَامَ ، وَكَانَتْ مَنَازِلَ الْخَيْرَةِ وَمَا يَلِيهَا . وَتَحِيَّةٌ لِمُلُوكِ غَسَّانَ : يَا خَيْرَ الْفَتَيَانِ ، وَكَانَتْ

(١) ورواه ابن الأعرابي : « من سوء سمعها » بكسر السين ، والسمع

الدهسك . انظر شرح الوزير أبى بكر .

(٢) الكامل ٥٠٧ .

(٣) أنشده فى اللسان (طلق)

(٤) ط : « يؤيس من برئه » ، وكلاهما صحيح . وإيس : لغة فى

يئس .

منازلم الشام . وحكى ثعلب عن الفراء أن المشيخة كانوا يُضَيِّفُونَهُ عَلَى الْغَلَطِ ،
لأنه إذا أضافه خرجَ ذمًّا ، فيقول : أَيْتَ اللَّعْنِ ؛ كَأَنَّهُمْ شَبَّهُوهُ بِالْإِضَافَةِ عَلَى
الْغَلَطِ . وقال : أراد بيت اللعن أى يا من هو بيت اللعن . والقول هو
الأوَّل ، اهـ . وتستك : تنسد ولا تسمع . ورائع : مفزع وخوف . وقوله :
مقالة أن قد قلت ، تفسير لأنك^(١) رواه الأصمعي برفع مقالة على أنه بدل من :
أَنَّكَ لَمَتْنِي . وروى بفتح التاء أيضاً . قال الأخفش في كتاب المعايمة : إنه نصب
ملامة^(٢) على : أنك لمتني . ، فجاء به من بعد ماتم الاسم ، وهو من الصَّلَةِ ، وهذا
ردىء . اهـ . وقال ابن هشام في المغنى : ويحكى أن ابن الأخضر^(٣) سئل
بحضرة ابن الأبرش عن وجه النصب^(٤) في قول النابغة : مقالة أن قد قلت
وأنشد البيتين . فقال :

٤٣٣

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى^(٥)

ف قيل له : الجواب ؟ فقال ابن الأبرش : قد أجاب . يريد أنه لما أضيف
إلى المبني اكتسب منه البناء ، فهو مفتوح لا منصوب ، ومحلّه الرفع بدلاً

(١) ط : « للآتى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هذا بناء على رواية : « ملامة أن قد قلت » . وكان أولى به أن
يتقدم بالتنبيه على ذلك فى فعل فى شرحه لشواهد المغنى (مخطوطة دار
الكتب ٢ نحو ش) . وقد فسر قول الأخفش : أن ملامة نصبت على أنك لمتني ،
بقوله : (يريد أن ملامة مفعول مطلق عامله لمتني)

(٣) هو على بن عبد الرحمن بن مهدى ، ابن الأخضر الاشبيلى المتوفى
سنة ٥١٤ كما فى بغية الوعاة .

(٤) قال البغدادي فى شرحه لشواهد المغنى (المخطوطة سالفة
الذكر ج ٢ : ٨٢٢) : « كذا فى النسخ ، وصوابه : عن وجه الفتح »
والبغدادي ألف شرح شواهد المغنى بعد تأليفه للخرانة

(٥) عجز بيت لطرفة هو ختام معلقته فى بعض الروايات . وصدره
إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

من : أنك لمتني ؛ وقد روى بالرفع . وهذا الجواب عندي غير جيد ؛ لعدم إبهام المضاف . ولو صحَّ لصحَّ البناء في نحو : غلامك وفرسه ، ونحو هذا ، مما لا قائل به .

ثم قال : وإنما هو منصوب على إسقاط الباء ، أو بإضمار أعني ، أو على المصدرية . وفي البيت إشكالٌ ، لو سأل السائل عنه كان أولى ، وهو إضافة « مقالة » إلى أن قد قلت ، فإنه في التقدير مقالة قولك ، ولا يضاف الشيء إلى نفسه . وجوابه : أن الأصل مقالة فحذف التنوين للضرورة ، لا للإضافة ؛ وأن وصلتْها بدلٌ من مقالة ، أو من أنك لمتني ، أو خبرٌ لمحذوف . وقد يكون الشاعر إنما قال : مقالة أن ، بإثبات التنوين ونقل حركة الهمزة ، فأنشده الناس بتحقيقها ، فاضطروا إلى حذف التنوين ١ ٥ .

ولا يخفى أن هذا كله تعسفٌ ، وإنما هو من إضافة الأعم إلى الأخص ، لأن (مقالة) أعمُّ من (قولك) . وهي من الإضافة البيانية كشجر الأراك . أي مقالة هي هذا القول .

(أَتَوَعَّدُ عَبْدًا لَمْ يَخْنُكَ أَمَانَةٌ وَتَرَكَّ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ضَالِمٌ)

قال أبو عبيدة : ظالم : جائر متحامل . وضلَّع أي جار . وروى : (ظالم) أي مذنب ؛ أخذ من ظلَّع البعير وهو أن يقي^(١) ويعرج .

(حَمَلَتْ عَلَى ذَنْبِهِ وَتَرَكْتَهُ كَذِيَّ الْعُرْيُكُوى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ)

هذا البيت من شواهد أدب الكتائب لابن قتيبة^(٢) . قال الأصمعي : العرَّ بالفتح : الجرب نفسه . وأنشد :

(١) يقال وقى يقي ، أي ظلع وعرج ، وفرس واقية للتي بها ظلع . انظر اللسان (وقى ٢٨٥) . وفي النسختين : « يتقى » . تحريف .
(٢) أدب الكتائب ٢٤٠ والاقتضاب ٣٧١ .

* كَالْعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا نَمَّ يَنْتَشِرُ *

والْعُرُّ بِالضَّمِّ : قَرَحٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فِي مَشَافِرِهَا وَأَطْرَافِهَا شَبِيهٌ بِالْقَرَعِ ،
وَرَبَّمَا تَفَرَّقَ فِي مَشَافِرِهَا مِثْلَ الْقُوبَاءِ ، يَسِيلُ مِنْهُ مَاءٌ أَصْفَرٌ .

قال ابن السَّيِّدِ (في شرحه لأدب الكاتب) : في معناه خمسة أقوال :

أحدها : أن هذا أمرٌ كان يفعله جُهَالُ الْأَعْرَابِ ؛ كَانُوا إِذَا وَقَعَ الْعُرُّ
فِي إِبِلٍ أَحَدِهِمْ اعْتَرَضُوا بِعِمْرٍ صَحِيحًا مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ فَكُفُّوا مِشْقَرَهُ وَعَضْدَهُ
وَنَحْدَهُ ، يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ذَهَبَ الْعُرُّ مِنْ إِبِلِهِمْ . كما كانوا يعلّقون
على أنفسهم كُؤُوبَ الْأَرَانِبِ خَشِيبَةَ الْعَطَبِ ، وَيَقْتَتُونَ عَيْنَ فُحْلِ الْإِبِلِ لِثَلَاثِ
تَصِيبِهَا الْعَيْنِ . وهذا قول الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي عَمْرٍو وَأَكْثَرِ اللَّغَوِيِّينَ .

ثانيها : قال يونس : سألت رُوَيْبَةَ بْنَ الْمُعْجَاجِ عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : هَذَا
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

* كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتْ الْبَقَرُ *

شئٌ ، كَانَ قَدِيمًا ، ثُمَّ تَرَكَ النَّاسُ . وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ الرَّاجِزِ :

وَكَانَ شُكْرُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمَنَنِ^(١) كَيَّ الصَّحِيحَاتِ وَفَقْدِ الْأَعْيُنِ

ثالثها : قيل : إِنَّمَا كَانُوا يَكُونُ الصَّحِيحُ لَثَلًا يَتَعَلَّقُ بِهِ الدَّاءُ ، لَا لِيَبْرَأَ
السَّقِيمُ ؛ حَكَى ذَلِكَ ابْنُ دُرَيْدٍ .

رابعها : قال أبو عبيدة : هذا [أمرٌ^(٢)] لم يكن ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ لَاحِقِيَّةٍ .

٤٣٤

(١) ط : « كَانَ شُكْرٌ » ش : « كَانَ شُكْرٌ » والتصحيح للعلامة

الألوسي في بلوغ الأرب ٢ : ٣٠٦ فيما نقله من الخزانة .

(٢) التكملة من الاقتضاب .

أى أخذت البرىء، وتركته المذنب، فكنت كمن كوى البعير الصحيح، وترك السقيم؛ لو كان هذا مما يكون. قال: ونحو من هذا قولهم: « يشرب عجلانٌ ويسكر ميسرة ». ولم يكونا شخصين موجودين.

خامسها: قيل: أصل هذا: أن الفصيل كان إذا أصابه العرُّ لفساد في لبن أمه عمدوا إلى أمه فسكوها، فنبأ: ويبرأ فصيلها ببرئها، لأن ذلك الداء إنما كان سرى إليه في لبنها. وهذا أغرب الأقوال وأقربها إلى الحقيقة.

ومن روى كذى العرّ بفتح العين، فقد غلط. لأن العرّ الجرب؛ ولم يكونوا يكونون من الجرب، وإنما [كانوا ^(١)] يكونون من القروح التي تخرج في مشافر الإبل وقوائمها خاصة. وقوله: كذى العرّ، حال من مفعول تركته؛ أو تقديره: تركاً أكثر كذى العر ^(٢)، وجملة « يكوى غيره » تفسيرية، وجملة « وهو راتع » حال من غير. وهذا ضربه مثلاً لنفسه. يقول: أنا برىء، وغيرى سقيم؛ فحملتني ذنب السقيم، وتركته. وقد قال الكميت: ولا أكوى الصّحاح براتعات بهنّ العرّ قبل ما كوينّا

قال ابن أبي الإصبع (في التحبير ^(٣)) أنشد ابن شرف القيروانيّ ابن رَشِيق:

غيرى جنى، وأنا المعاقبُ فيكم فكأننى سبابة المتندّم

وقال له: هل سمعتَ هذا المعنى؟ فقال: سمعته، وأخذته أنت وأفسدته! فقال: بمن؟ فقال: من النابغة الذبيانيّ حيث يقول:

(١) التكملة من الاقتضاب.

(٢) يعنى أنه مفعول مطلق.

(٣) يعنى تحرير التحبير. انظر التحرير ص ٥٠٩.

وكلفتنى ذنبَ امرئٍ وتركته كذى العرُّ يكوى غيره وهوراتُ
[فهذا المعنى الذى أخذته . و^(١)] أمّا إفساده فلائك قلت فى صدر بيتك :
إنك عوقبت بجنابة غيرك ، ولم يعاقب صاحبُ الجنابة ؛ ثم قلت فى عجز
بيتك : إن صاحبَ الجنابة قد شريكك فى العقوبة . فتناقض معناك : وذلك
أنك شبّهت نفسك بسبابة المتندم ؛ وسبابة المتندم أولُ شيء يألم فى المتندّم
ثم يشرّكها المتندّم فى الألم ؛ فإنه متى تألم عضوٌ من الحيوان تألم كله ؛ لأنّ
المدرّك من كل مدرّك حقيقة ؛ وحقيقته — على المذهب الصحيح — هى جملة
المشاهدة منه والمكوى من الإيل يألم وما به عرٌّ ، وصاحب العرّ لا يألم جملة .
فن هنا أخذت المعنى وأفسدته انتهى .

وهذا تدقيق فلسفى لا مدخل له فى الشعر .

(وذلك أمرٌ لم أكن لأقوله ولو كُبلت فى ساعدى الجوامع)
كُبلت : جُعت من الكبل وهو القيد . والجوامع : الأغلال ؛ جمع جامعة .
(أذاك بقولٍ لهله النسج كاذباً ولم يأت بالحق الذى هو ناصع^(٢))
يقال : ثوب لهله النسج وهلمهل النسج : إذا كان رقيقاً ، وكذلك
هلهال . ولهذا سمى الشاعرُ المشهور المهلهل^(٣) ، لأنه أول من أرق الشعر .
وقيل : سمى بيتاً قاله . وناصع : بينٌ واضح .

(لعمري ، وما عمرى على بهين البيت)

(أقارع عوفٍ لأحاول غيرها^(٤) البيت)

(١) التكملة من النسخة الخطية لتحريير التحرير المحفوظة بدار الكتب

برقم ٤٦٥ بلاغة .

(٢) انظر المعاني الكبير لابن قتيبة ٨٢٧

(٣) انظر ص ١٦٤ من هذا الجزء .

(٤) ط : « أقارع عوفا » صوابه فى ش والديوان

تقدم شرحهما .

(أتاكَ امرؤٌ مُستَعِلٌ لى بَغْضَةٍ له من عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شافعُ)
 فان كنتَ لَإِذَا الضَّغْنِ عَنِ مَنَكَلَا ولا حَلِيفَى عَلَى البراءة نافع
 ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقوله وأنت بأمرٍ لا محالة واقِعٌ
 حلفتُ فلم أتركْ لِنَفْسِكَ رِيبةً وهل يَأْتِنُ ذُو إِمَةٍ وهو طائعُ
 الضَّغْنِ بالكسر : الحقد . والإِمَّة ، بالكسر : الدين ، بالكسر ،
 والقصد والاستقامة . يقول : هل يَأْتِنُ مَنْ كان على طريقةٍ حسنةٍ وهو طائع .
 (بمصطَحَبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ ^(١) يَزُرْنَ أُلْالًا ، سِيرُهُنَّ تَدَافِعُ)
 الباء متعلِّقة بحلفت . وأراد بالمصطَحَبَاتِ الإبل التي يحجَّ عليها من
 لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ . وَلَصَافٍ ، بفتح اللام وكسر الفاء كعذام ، ويجوز أن يكون
 كسحابٍ ، وهو جبل في بلاد بني يربوع . وَثَبْرَةٍ في بلاد بني مالك . وأُلْال ،
 بضم الهَمْزَةِ ^(٢) ولامين : جبل صغير عن يمين الإمام بعرفة ^(٣) . وقوله :
 سِيرُهُنَّ تَدَافِعُ : أى من الإعياء : أى يتحاملن تحاملاً ، من الجهد والتعب .
 (تَحَامُّ تُبَارَى الشَّمْسِ خَوْصاً عِيَوْثَا لَهْنٌ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعِ)

قال الشارح : تَحَامُّ بِالْفَتْح ؛ طير يشبه الشَّمَاثَى سريع الطيران ، شبه الإبل
 بها . تَبَارَى الشَّمْسِ ، يعنى فى ارتفاعها . ويروى : (تَبَارَى الرِّيحِ) أى تعارضها
 لُسْرَعَتِهَا . وَأَخْلَوْص ، بالخاء المعجمة : جمع خَوْصَاء : أى غائرة عيَوثُهَا ذَاهِبَةٌ
 فى الرُّأْسِ من الجهد . والرَّذَايَا : المَعِيسَاتِ ، أرذاهن السفر فلم تنبعث ، فتركت

(١) فى النسختين : « وبثره » فى متن البيت وشرحه ، والصواب ما
 أثبت من الديوان ومعجم ياقوت (ثَبْرَةٍ ، أُلْال)

(٢) فى ياقوت أنه بفتح الهَمْزَةِ ، يوزن حمام . ثم قال : « وقد روى
 الال ، يوزن بلال » .

(٣) فى ياقوت : « قال ابن دريد : جبل رمل بعرفات عليه يقوم
 الإمام

وأخذ عنها راحلها . وقد أُرذيت الشيء : طرحته ؛ يقال جل رَذَى وناقة رَذِيَّة .
وكذلك المعْيِيَّة والطَّلِيح والطَّلَح والرجيع . وودائع : قد استودعت الطريق .

(عليهنَّ شُعْتُ عامدون ليرَّهمُ فهنَّ كآرامِ الصَّريمِ خواضعُ)

ويروى : (فهنَّ كأطراف الخفي) وهو جمع حَنِيَّة ، وهي القوس التي
جُنِيت . يقول : قد ضَمَرْتُ الإِبِلُ ودَقَّت من السير . وخواضع : خواضع .
والآرام : جمع رِيم . والصَّريم : ما انفرد من الرمل :

(إلى خير دينٍ نسكُه قد علمته وميزانه في سورة المجدِ ماتيْعُ)

إلى : متعلِّقة بقوله : عامدون . وميزانه : سننه وشرائعه . والسورة ،
بالضم . المنزلة . وماتع : مرتفع ؛ يقال : متعَّ النهار : إذا علا .

(فإِنَّكَ كاللَّيلِ ، الذي هو مُدْرِكِي وإنَّ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ)

المنتأى على وزن مَفْتَعَل ، من النَّأَى وهو البُعد ؛ يقال : انتأى القومُ :
أى تباعدوا .

قال أبو عليّ (في إيضاح الشعر) : يحتمل أن تكون إن نافية ، كأنك
قلت : ما خلتُ أنَّ المنتأى عَنْكَ واسع ، لأنك كالليل المدركي أينما كنتُ .
ويجوز أن تكون إن للجزاء ، كأنه قال : إن خلتُ أنَّ المنتأى عَنْكَ واسع ،
أدركتني ولم أفتك ، كما يدركني الليل . والأوّل أشبه اهـ .

وقد اعترض الأصمعيّ على النابغة في هذا البيت فقال : تشبيهه الإدراك
بالليل ، يساويه إدراك النهار ؛ فلم خصّه دونهُ ؛ وإنما كان سبيله أن يأتي بما
ليس له قسم ، حتى يأتي بمعنى ينفرد به ؛ (أقول) : إنما قال : كالليل ، ولم يقل :

كالصَّبْح مثلاً ، لأنه وصفه في حال سُخْطه ، فشَبَّهه بالليل وهو لِه . فهي كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة . كذا في تهذيب الطبع ^(١) .

وهذا البيت من شواهد تلخيص المفتاح ، أورده شاهداً لمساواة اللفظ للمعنى .

وما أحسن قول ابن هانيء الأندلسي في هذا المعنى :

أَيْنَ الْمَفْرَأِ ! وَلَا مَفْرَأَ لِهَارِبٍ وَلَكَ الْبَسِيطَانِ : التَّرى وَالْمَاءُ
(خطاطيفُ حُجْنٍ فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا لِإِيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ)

الخطاطيف : جمع خُطَاف ، وهي الحديدة التي تخرج بها الدلاء وغيرها من البئر . وَحُجْنٌ : موجة ، جمع أَحْجَنَ وَحَجَنَاء . يقول : أنا في قبضتك تقدر عليّ متى شئت ، لا أستطيع الهرب منك . وهو مَثَلٌ . ونوازع : جواذب يقال : نزع من البئر دلوّاً أو دلوين . وبئر نزوع : إذا كان يُسْتَقَى منها باليد (سَيَبُلُغُ عَذراً أَوْ نَجَاحاً مِنْ أَمْرِي إِلَى رَبِّهِ رَبُّ الْبَرِيَّةِ رَاكِعٌ)

راكع : فاعل سيبُلُغُ ، وهو بمعنى الخاضع والذليل ، يعني به نفسه .

(وَأَنْتَ رَبِيعٌ يُنْعَشُ النَّاسَ سَيَبُهُ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعٌ)

أى أنت بمنزلة الربيع . ينعش : يرفع ويَجْبِرُ . وسَيْبُهُ : عطاؤه . أى أنت

سَيَبٌ وعطاء لوليّك ، وسيفٌ لأعدائك

(وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مَصْرَدٍ بِزَوْرَاءَ فِي أَكْثَافِهَا الْمِسْكُ كَارِعُ)

غير مَصْرَدٌ : أى غير ممنوع ولا مقطوع . يقال : صرّد عليّ الشراب : إذا

(١) ذكر المستشرق كرنكو أنه في نوادر اللغة ، لأبى محمد قاسم بن

محمد الأصفهاني ، كما ذكر الميمنى في الاقليد ٣٧ قال الميمنى : « والذي

في ياقوت في ترجمة ابن طباطبا صاحب عيار الشعر أن تهذيب الطبع له

٦ : ٢٨٤ مرجليوث . وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم

طباطبا . »

سقاء دون الرى ؛ وهو التصريد . والزوراء : إناء مستطيل . من فضة . وقال صاحب الصحاح : هو القدح . وكارع : أى أن المسك على شفاء ذلك الإناء وقال الأصمعيّ : الزوراء : دار بالحيرة ، وحدثني من رآها وزعم أن أبا جعفر هدّمها .

(أبى الله : إلّا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع) وهذا آخر القصيدة ، أى ما يريد الله إلّا عدل النعمان بن المنذر ، وإلا وفاءه ، فلا يدعه أن يجور ولا أن يغير ، فلا النكر يعرفه النعمان ، ولا الجميل يضع عنه .

نم الجزء الثانى

والحمد لله وحده

(١)
فهرس التراجم

الصفحة

١٦	الأحوص بن محمد
٢٤	متم ومالك ابنا نورة
٢٨	الثريا (صاحبة عمر بن أبي ربيعة)
٢٩	سهيل (زوج الثريا)
٣٢	عمر بن أبي ربيعة
٥٤	عاتكة بنت يزيد
٧٥	أبو طالب (عم النبي صلى الله عليه وسلم)
٨٩	قس بن ساعدة الأيادي
١٠٢	سعيد بن الجهم
١٢٣	الخطابي : أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب
١٣٥	النايفة القتيبي
١٣٨	من اسمه (النايفة)
١٤٤	سالم بن دارة
١٦٤	المهمل بن ربيعة التظلي
١٧٢	يحيى
١٨١	السلطان العبدى ، وذكر من يقال له السلطان
٢٠٢	عبد يغوث بن وقاص الحارثي
٢١٠	مالك بن الزيد
٢١٥	عبيد بن الأبرص
٢٢٣	نصر بن سيار « أمير خراسان »
٢٢٨	الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
٢٣٤	خالد بن المهاجر
٢٣٩	الأهلب المجلي
٢٤٠	من يقال له (الأهلب) من الشعراء
٢٤٦	ليبد بن ربيعة
٢٦٤	عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي) الأسدي
٢٦٩	أبو رياح
٢٧٨	البسيط بن حريث
٢٧٩	من يقال له البسيط
٣٠٤	عبد الله بن ربيعة
٣٠٥	زيد بن أرقم
٣١٢	مسلم بن معبد الوالي
٣١٨	خطام المجاشعي

الصفحة

٣٣٢	زهير بن أبي سلى
٣٤٧	أبو الطيب المتنبي
٣٧٠	القطامي التغلبي
٣٧١	من يقال له « القطامي »
٣٧٢	زُقر بن الحارث
٣٧٩	يزيد بن الحرّم
٣٩٠	أبو النجم وهشام بن عبد الملك
٤٠٦	جار أبي داود الإيادي الشاعر المشهور
٤٠٦	الخطيئة
٤١٩	طرفة بن العبد
٤٢٥	من اسمه طرفة
٤٢٥	أمية بن أبي عائد الهنلي
٤٤٤	عمرو بن معد يكرب

(ب)

فهرس الشواهد

(المفعول المطلق)

الناهد	الصفحة
٨٢ هذا سُراقَةُ للقرآن يدرُسُهُ	والمرء عند الرُشائِنَ يَلْقَها ذِيبُ ٣
٨٣ دارٌ لُسْعَدَى إِذْهِ مِنْ هَواكا	٥
٨٤ فخيرٌ نحنُ عند البأسِ مِنْكُمْ	إذا الداعي للشوبُ قالَ يالآ ٦
٨٥ عَمَرَكِ اللهُ إِلَّا ما ذَكَرَتِ لَنَا	هل كُنْتَ جارتنا أيامَ ذِي سَلَمَ ١٣
٨٦ قَعِيدِكَ أَنْ لا تُسَمِعِنِي مَلَامَةً	ولا تُنَكِّئِي قُرُوحَ الفَوادِ فَيَسْجَمُ ٢٠
٨٧ أَيُّها المُنْكَحُ الثَرَيَا سُهَيْلا	عَمَرَكِ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيانِ ٢٨
٨٨ عَجِبُ لِنِلكَ قِضِيَّةً ، وإقامتي	فيكم على تلكَ القِضِيَّةِ عَجِبُ ٣٤
٨٩ فيها ازْدِهَافُ أَيُّها ازْدِهَافِ	٤١
٩٠ إني لَأَمْنُكَ الصُّدودُ وإني	قسماً إِلَيْكَ مع الصُّدودِ لأَمِيلُ ٤٨
٩١ إِذْنٌ لا تَبْعَناءُ على كُلِّ حالَةٍ	من الذَّهْرِ جِداً غيرَ قولِ التَّهالُلِ ٥٦
٩٢ أَجِدُكُمْ لا تَقْضِيانِ كَرًّا كُما	٧٧
٩٣ دَعوتُ لِيا نَابِي مِسوراً	فأَيُّ ؛ فَلْيَبِي يَدَي مِسورِ ٩٢
٩٤ إِذا شُقَّ بَرْدُ شُقِّ بالبرِدِ مثله	دَوَالِيكَ حَتَّى كُلُّنا غيرُ لابسِ ٩٩
٩٥ ضَرْباً هَذاذِيكَ وَطَمَناً وَخُضاً	١٠٦
٩٦ جَماوا بِمَذْقِ هَلْ رَأَيْتِ الذَّنْبَ قَطَّ	١٠٩
٩٧ فَقالتُ: حَنانُ ما أَنِي بِكَ هَهِنا	أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عارفُ ١١٢
٩٨ أَرْضاً وَذُؤْبَانُ الخُطوبِ تَتَوَشَّئِي	١١٥
٩٩ قَلَّتْ لَه: فَهاها لِفَيْكَ ما نَها	قُلُوصُ امرئٍ قارِيكَ ما أَنْتَ حاذِرُهُ ١١٦

(المفعول به)

الصفحة

الشاهد

- ١٠٠ فَوَاعِدِهِ سَرَحْتِي مَالِكٍ أَوْ الرُّبَا بَيْنَهُمَا أَسْهَلَا ١٢٠
 ١٠١ كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ ١٢٢
 ١٠٢ جَارِي، لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي : سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي ١٢٥
 ١٠٣ وَإِنْ تَعْتَذِرِ بِالْحُلِّ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا إِلَى الضَّيْفِ، يَجْرَحُ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي ١٢٨

(المتنادى)

- ١٠٤ يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَارًا لِأَقْوَامٍ ١٣٠
 ١٠٥ يَا أَبَجَرَ بْنَ أَبَجَرَ يَا أَتْنَا أَنْتَ الَّذِي طَلَقْتَ عَامَ جُبْنَا ١٣٩
 ١٠٦ سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرُ عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ ١٥٠
 ١٠٧ يَا لَلْكَهُولِ وَلِلشَّبَانِ لِلْعَجَبِ ١٥٤
 ١٠٨ يَا لِعَطَافِنَا وَيَا لِرِيَّاحٍ ١٥٤
 ١٠٩ يَا لَلْفِرَاقِ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ ١٥٥
 ١١٠ يَا لَبَكْرٍ أَنْثِرُوا لِي كَلْبِيًّا يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ ١٦٢
 ١١١ أَيَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمَ مِثْلُهُ جَرِيرٌ، وَلَكِنْ فِي كَلْبٍ تَوَاضَعُ ١٧٤
 ١١٢ أَعْبَدَا حُلَّ فِي شُعْبِي غَرِيبًا أَلُومًا لَا أَبَالِكَ وَاعْتِرَابًا ١٨٣
 ١١٣ أَدَارًا بِحُزْوِي حِجَّتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَاهِ الْهَوَى بَرَفَضُ أَوْ يَتَرَفَقُ ١٩٠

- ١١٤ أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقِي عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ ١٩٢
١١٥ يَا رَاكِبًا، إِمَاعَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَنْ لَا تَلْقَا ١٩٤

(توابع المنادى)

- ١١٦ يَا إِذَا الْخَوْفُنَا بِمَقْتَلِ شَيْخِي حَجِرَ تَمَنِّيَ صَاحِبِ الْأَحْلَامِ ٢١٢
١١٧ إِنِّي وَأَسْطَارُ سُطُونِ سَطْرًا لِقَائِي : يَا نَصْرُ نَصْرُ نَصْرًا ٢١٩
١١٨ عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ النِّقَارِ أَسْ زَيْدُكُمْ بِأَبْيَضَ مَاضِي الشُّفْرَتَيْنِ يَمَانِ ٢٢٤
١١٩ رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مَبَارَكًا شَدِيدًا بِأَخْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلَهُ ٢٢٦
١٢٠ يَا صَاحِرَ يَازَا الضَّامِرُ الْعَنَسُ ٢٢٩
١٢١ جَارِيَةٌ مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ٢٣٦
١٢٢ طَلَبَ الْمُقَبِّ حَقَّهُ لِلظُّلُومِ ٢٤٠
١٢٣ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِدًا وَدُونَ مَعَدٍّ، فَلْتَزَعِكِ الْعَوَازِلُ ٢٥٢
١٢٤ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ ٢٦٠
١٢٥ يَسْمُهَا لِأُمِّهِ الْكُبَارُ ٢٦٦
١٢٦ مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَطَبِئَةٍ وَلَا دُمِيَّةٍ وَلَا عَقِيلَةٍ رَبِّ رَبِّ ٢٧٧
١٢٧ إِنَّ الْمَنَايَا يَطْلِفْنَ عَلَى الْأَنْسِ الْأَمْنِيَا ٢٨٠
١٢٨ مِنْ أَجْلِكَ يَا الَّتِي تَيَمَّمْتُ قَلْبِي وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ بِالْوَصْلِ عَقِي ٢٩٣
١٢٩ يَا الْفُلَامَانَ الْأَذْنَافَ فَرَا إِنَّا كَمَا أَنْ تَكْسِيَانَا شَرًّا ٢٩٤
١٣٠ إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثْتُ أَلَمًا أَقُولُ : يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَا ٢٩٥

١٣١ وما عليك أن تقول كل ما سبحت أو صليت: يا اللهم ما ٢٩٦
أردد علينا شيخنا مسلماً

١٣٢ يا تيم تيم عدي لا أبا لكم لا يلقينكم في سوءة عمر ٢٩٨
١٣٣ يا زيد زيد البغلات الذبل تطاول الليل عليك فانزل ٣٠٣
١٣٤ فلا والله لا يلقي ليا بي ولا ليا بهم أبداً دواء ٣٠٨
١٣٥ وصاليات ككما يؤفنين ٣١٣
١٣٦ يا من رأى عارضاً أسر به بين ذراعي وجبة الأسد ٣١٩
١٣٧ كليني لهم يا أمية ناصب ٣٢١

(الترخيم)

١٣٨ خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا أو اصبرنا، والرحم الغيب تذكروا ٣٢٩
١٣٩ أباعرو ولا تبعد، فكل ابن حرة سيدعوه داعي موثة فيجيب ٣٣٦
١٤٠ ديارمية إذ تمى تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب ٣٣٩
١٤١ لله ما فعل الصوارم والقنا في عمرو حاب وضبة الأغنام ٣٤٥
١٤٢ ألا أضحت جبالكم رماماً وأضحت منك شاسعة أماماً ٣٦٣
١٤٣ فني قبل التفريق يا ضباعاً ولا يك موقف منك الوداها ٣٦٧
١٤٤ أطرق كرا أطرق كرا إن النعام في القرى ٣٧٤
١٤٥ فقالوا تمال يا برى بن مخرم قلت لهم : إني حليف صداء ٣٧٨
١٤٦ عجبت لمولود وليس له أب وذى قلبي لم يلد أبو أن ٣٨١

(ما يختص بالنداء)

- ١٤٧ يا مَرْحَبَا بِجَمَارِ نَاجِيَةٍ ٣٨٧
 ١٤٨ فِي لَجَّةِ أَمْسِكَ فَلَانًا عَنْ قُلِّ ٣٨٩
 ١٤٩ أَطُوفُ مَا أَطُوفُ نَمِ آوَى إِلَى يَتِّ قَعِيدَتُهُ لَكَاعِ ٤٠٤

(الاختصاص)

- ١٥٠ بِنَا ، تَمِيَا يُكْشَفُ الضَّبَابُ ٤١٣
 ١٥١ إِنَّا بَنِي ضَبَّةَ ، لَا نَفِرُ ٤١٤
 ١٥٢ لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ الْبَائِسَاتِ وَلَا نَطِيرُ ٤١٥
 ١٥٣ وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ غُطَّلٍ وَشُعْنًا مَرَاضِعَ مِثْلَ السَّمَالِ ٤٢٦
 ١٥٤ لَهَا اللَّهُ جَرْمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ وَجْوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَارَ بَارَتْ ٤٣٦
 ١٥٥ أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجْوهَ قُرُودٍ تَبْتَنِي مَنْ تَجَادِعُ ٤٤٦

خزانة الأديب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثالث

الناشر مكتبة النخاس بالقامرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

باب الاشتغال

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائة^(١) :

١٥٦ (فكلأ أراهم أصبَحُوا يَعْقِلُونَهُ صَحِيحَاتِ مَالِ طَالَمَاتٍ بِمَخْرَمٍ)
على أنه مما اشتغل الفعلُ فيه بنفس الضمير . إذ التقدير : يعقلون (كُلاً)

هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى . وضمير الجمع في المواضع الثلاثة عائدٌ إلى الحَيِّ ، وهم قبيلة بني ذبيان . وقوله : (فكلأ) أى فكلَّ واحد من المقتولين المذكورين قبل هذا البيت . وروى الأعمى : (يعقلونهم) بإرجاع الضمير إلى كلِّ مجموعاً ، باعتبار المعنى ، نحو قوله تعالى : (كلُّ في فلكٍ يَسْبَحُونُ)^(٢) . ويعقلونه أى يُؤَدُّونَ عَقْلَهُ ، أى دِيْنَهُ . يقال عَقَلْتُ القَتِيلَ ، من باب ضَرَبَ : أَدَيْتُ دِيْنَهُ ؛ قال الأصمعيُّ : تُمَيِّتُ الدِّيَةَ عَقْلاً تسميةً بالمصدر ، لأن الإبل كانت تعقلُ ببناء ولى القَتِيلِ ، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدِّيَةِ ، إبلاً كانت أو قدأً . وعَقَلْتُ عنه : غَرِمْتُ عنه ما لزمه من دية وجناية . وهذا هو الفرق بين عقْلته وعَقَلْتُ عنه : ومن الفرق بينهما أيضاً ، عَقَلْتُ له دم فلان : إذا تركت القَوْدَ للدِّيَةِ . وعن الأصمعيِّ : كَلَّمْتُ القَاضِيَ أبا يوسف ، بحضرة الرُّشيد ، في ذلك ، فلم يفرق بين عقْلته وعَقَلْتُ عنه حتى فهَّمته . كذا في المصباح .

وتفسير الأعمى (في شرحه للديوان) يعقلونه ، بقوله : يغرَمون دِيْنَهُ ؛

(١) البيت من معلقة زهير .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الأنبياء :

غير جيد . والمعنى : أرى حتى ذبيان أصبحوا يعقلون كل واحدٍ من المقتولين من بنى عبس . فالرؤية واقعة على ضمير الحتى ، والعقل واقع على ضمير كل ؛ فلا يصح قول أبى جعفر النحوى وقول الخطيب التبريزى ، فى شرحهما لهذه المعلقة : إن كلاً منصوب بإضمار فعلٍ يفسره ما بعده ، كأنه قال : فأرى كلاً . ويجوز الرفع على أن لا يضر ، لكن النصب أجود ، لتعطف فعلاً على فعل ؛ لأن قبله « ولا شاركت فى الحرب » ا هـ . ووجه الرفع حينئذ : أن يكون كل مبتدأ ، وجمله يعقلونه الخبر ، وما بينهما اعتراض .

وقوله : (صحيحات مال) أى ليست بعدة ولا مطل . يقال : مال صحيح : إذا لم تدخله علة فى عدة ومطل^(١) ا هـ . والمال عند العرب : الإبل ، وعند الفقهاء : ما يتمول : أى ما يعد مالا فى العرف . وقوله : (طالعات بمخرم) هو يفتح للميم وسكون الخاء المعجمة^(٢) ، وهو التسمية فى الجبل ، والطريق . يعنى : أن إبل الدية تعلق فى أطراف الجبل عند سوقها إلى أولياء المقتولين . يشير إلى وفائهم . وروى أبو جعفر والخطيب للصراع الثانى :

* عُلاَلَةُ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَنَّمٌ *

والعلالة بضم المهملة ههنا : الزيادة . وبناء فعالة ، للشيء اليسير نحو القلامة . والمصنَّم بضم الميم وفتح الصاد المهملة وتشديد المشنة الفوقية : التام والكامل .

وروى صعُوداء فى شرحه لديوان زهير :

* صَحِيحَاتُ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَنَّمٌ *

(١) كذا فى النسخين ، ولم يبين أول النص ، فامل فى الكلام سقطا .
(٢) أى ، وبكر الراء ، لا كما يوهه قوله ، فإن تركه لتقيدها يشعر بأنها مفتوحة ، وليس كذلك .

وقال : مصمّم : مكملّ ؛ يقال مال صمّم : تامّ كثير ، ويقال أعطيته ألفاً مصمّمة : أى كاملة .

والبيت المذكور . على رواية الأعلّم ، ملفّق من بيتين . وهذه روايته :
فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونهم علالة ألف بعد ألف مصمّم
تساق إلى قومٍ لقوم غرامة صحاح مال ، طالعات بمخرم
وقال : وقوله « تساق إلى قوم » أى يدفع إبل الدية قوم إلى قوم
ليبلغوها هؤلاء .

وينبغي أن نورد ما قبل هذا البيت ، حتّى يتّضح معناه ، وكذلك السبب سبب الشعر
الذى قيلت هذه القصيدة لأجله ، فنقول : قال الشراح : إن زهيراً مدح بهذه
القصيدة الحارث بن عوف وهرم بن سنان المرّيين ، وذكر سعيهما بالصلح
بين عتب وذيّان ، وتحملهما الحمالة . وكان ورد بن حابس العبسيّ قتل هرم
ابن ضمضم المرّيّ ، فى حرب عبس وذيّان قبل الصلح ، وهى حرب داحس ؛
ثم اصططح الناس ولم يدخل حصين بن ضمضم أخو هرم بن ضمضم فى الصلح ،
وحلف : لا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس ، أو رجلاً من بنى عبس
ثم من بنى غالب ؛ ولم يُطلع على ذلك أحداً . وقد حمل الحمالة الحارث بن عوف
ابن أبى حارثة ، وهرم بن سنان بن أبى حارثة . فأقبل رجل من بنى عبس
ثم من بنى غالب حتى نزل بحصين بن ضمضم ؛ فقال : مَنْ أنت أيها الرجل ؟
فقال : عبسيّ . فقال : من أى عبس ؟ فلم يزل ينتسب حتّى انتسب إلى غالب .
فقتله حصين فبلغ ذلك الحارث بن عوف وهرم بن سنان ، فاشتدّ عليهما ؛
وبلغ بنى عبس ، فركبوا نحو الحارث . فلما بلغ الحارث ركوب بنى عبس
وما قد اشتدّ عليهم من قتل صاحبهم — وإنما أرادت بنو عبس أن يقتلوا

الحارث — بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنه . وقال للرسول : قل لهم : آلبن أحب إليكم أم أنفسكم ؟ فأقبل الرسول ، حتى قال ما قال ؛ فقال لهم الربيع بن زياد : إن أهلكم قد أرسل إليكم : آلإبل أحب إليكم أم ابنه تقتلونه ؟ فقالوا . فآخذ الإبل ونصالح قومنا ويتم الصلح . فقال زهير في ذلك هذه القصيدة .

أبيات الشاهد

وبعد أن تغزّل بخمسة عشر بيتاً قال :

(سَعَى سَاعِيَا غِيظَ بْنَ مَرْثَةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِ)

الساعيان : الحارث بن عوف وهرم بن سنان ، وقيل : خارجة بن سنان ؛ وهو أخو هرم بن سنان ؛ وهما ابنا عمّ للحارث بن عوف ، لأنهما ابنا سنان ابن أبي حارثة والحارث هو ابن عوف بن أبي حارثة ، و [ابن أبي حارثة ^(١)] هو ابن مَرْثَةَ بن نُشَيْبَةَ بن مَرْثَةَ بن غِيظَ [بن مَرْثَةَ ^(٢)] بن عوف بن سعد ابن ذبيان .

ومعنى سَعَى : أى عمِلَ [عَمَلًا ^(٣)] حسناً حين شِئَا للصلح وتحملاً للديات . وتبَزَّلَ ، أى تشقّق . يقول : كان بينهم صلح ، فتشقّق بالدم الذى كان بينهم ، فسعى في إحكام العهد بعد ما تشقّق بسفك الدماء .

(فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِى طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنُوهُ ، مِنْ قَرِيشٍ وَجُرُومِ)
أراد بالبيت الكعبة المعظمة . وجُرُومُ : أمة قديمة ، كانت أرباب البيت قبل قريش . وبَنُوهُ بفتح النون ، من البناء ، وضمتها خطأ .

(يَمِينًا لَنَعِمَ السَّيْدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ)

(٢) التكملة من ش .

(١) التكملة من ش .

(٣) التكملة من ش .

يميناً : مصدر مؤكّد لقوله أقسمت ؛ وجلة لنعم السيدان . . الخ ،
جواب القسم .

وهذا البيت أورده الشارح المحقق (في باب أفعال المدح^(١)) على أن
المخصوص بالمدح إذا تأخر عن نعم ، يجوز دخول نواسخ المبتدأ عليه ، فإن
ضمير التثنية في « وجدتما » هو المخصوص بالمدح ، وقد دخل عليه الناسخ
وهو وجد . وعلى متعلّقة به . والسّحيل ، بفتح السين وكسر الحاء المهملتين :
المسحول ، أى الذى لم يُحكّم قتله . والمبرم : مفعول من أبرم الفاتل الحبل :
إذا أعاد عليه الفتل ثانياً بعد أوّل ؛ فالأوّل سحيل والثانى مبرم . وقيل :
السحيل : ما قُتل من خيط واحد ؛ والمبرم : ما قتل من خيطين . وأراد
بالسحيل الأمر السهل الضعيف والمبرم الشديد القوى .

(تداركنما عبساً وذُبيانَ بعدما قفانوا ودقوا بينهم عطر منشم)

عَبَسَ وذُبيانَ : أخوان ؛ وهما ابنا بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد
ابن قيس بن عيلان بن مضر . أى تداركنهما بالصلح ، بعد ما قفانوا بالحرب .
« ومنشم » المشهور بفتح الميم وسكون النون وكسر الشين المعجمة^(٢) زعموا
أنها امرأة عطارة من خزاعة ، تحالف قومٌ فأدخلوا أيديهم فى عطرها على أن
يقاتلوا حتّى يموتوا . فضرَبَ زهير بها المثل . أى صار هؤلاء فى شدّة الأمر
بمنزلة أولئك . وقيل : كانوا إذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم ،
فنشاءموا بها . وزعم بعضهم : أنّها امرأة من بنى غُدانة ، وهى صاحبة

(١) هو الشاهد ٧٦١ من الخزانة .

(٢) ويقال بفتحها أيضاً . وانظر قول هشام الكلبي فى التفرقة بينها فى اللسان
(نعم ٥٦) حيث جعل التى بكسر الشين منشم بنت الوجيه ، من حير . والتى بفتحها امرأة
من العرب كانت تنتجع العرب تبيهم عطرها .

« يسار الكواعب^(١) » وكانت امرأة مولاه ، وكان يسار من أقبح الناس ؛ وكان النساء يضحكن من قبحه ؛ فضحكت منه منشم يوماً ، فظن أنها خضعت إليه ، فراودها عن نفسها ؛ فقالت له : مكانك ؟ فإن الحرائر طيبا . فأتت بموسى فأشتمته طيباً ، ثم أنحت على أصل أنفه^(٢) فاستوعبته قطعاً ، فخرج هارباً ودمه يسيل . فضرب المثل في الشر بطيب منشم . وقيل غير ذلك .

(وقد قلنا إن ندرِك السلم واسماً بـمالٍ ومعروفٍ من القول ، نسلم)

السلم : الصلح ، يذكر ويؤنث ، وهنا مذكر ، لقوله : واسما : أى يمكننا . وقال الأعمى : أى كاملاً مكينا . وقوله : نسلم ، أى من أمر الحرب . وروى بضم النون ، أى نوقع السلم بين القوم والصلح .

(فأصبحتما منها على خير موطنٍ بعيدين فيها من عقوق ومأثم)

أى أصبحتما من الحرب على خير منزلة . ومن للبدل . وبعيدين ، خبر بعد خبر . والعقوق : قطيعة الرحم . وللمأثم : الإثم .

(عظيمين في عليا معدً وغيرها ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم)

عليا معدً : مؤنث أعلى ؛ أى فى عليا منزلة هذه القبيلة . وروى بدل وغيرها « هديشاً » وهو دعاء ، أى دامت هدايتكما إلى طريق الفلاح . ومعنى يستبح كنزاً ، يُصَبِّحُ مجداً مباحاً . والكثرة كناية عن الكثرة . يقول : من فعل فعلكما فقد أبيع له المجد ، واستحق أن يعظم عند الناس . روى يعظم بالفتح أى يعبر عظمياً ، وبالضم مع كسر الظاء أى يأت بأمرٍ عظيم ، ومع فتح الظاء أى يعظمه الناس . وعظيمين خبر ثالث .

(١) انظر خبره فى النقائض ٨١٦ ، ١٠٩٢ والفاخر ٩٩ والروض الأنف ١ : ٢/١٦ :

٨٢ وثمار القلوب ٨٢ ونهاية الأرب ٣ : ٣٦ فى مثل « صبرا على مجامر الكرام » .

(٢) فى معظم المراجع أنها قطعت مذاكيره لا أنفه .

(فأصبح يُحْدَى فيهم من تلادكم مغانمُ شَيْءٍ من إفالِ المزنَمِ)
يُحْدَى : يساق ، من الحداء . وروى «يجرى» . والتلاد بالكسر :
ما ولد عندهم أصله ، وهو المال القديم ، ثم كثر استعمالهم إياه ، حتى قيل للملك
الرجل كله : تلاد . وشي : متفرقة . والإفال ، بالكسر : جمع أفيل وأفيلة ،
وهو الفصيل ؛ وإنما خص الإفال ؛ لأنهم كانوا يغرمون في الدية صفار الإبل .
والمزنَم : فحل معروف ، نسب الإفال إليه . والتزنيَم : سمة يوسم بها البعير :
وهو أن يُشق طرف أذنه ويقتل ، فيتعلق منه كالزئمة . وروى « من إفال
مزنَم » و « من يتاج مزنَم » .

(تُعْنَى الكلامُ بالمئين فأصبحتُ ينجمُها من ليس فيها بمجرم)
أى تُمَحَى الجراحات بالمئين من الإبل ؛ وإنما يعنى أن الدماء تسقط
بالديات . وقوله : ينجمُها ، أى تُجْعَل نجوماً على غارمها . ولم يُجرَم فيها أى
لم يأت بمجرم ، من قتل نجب عليه الدية ، ولكنه تحمّلها كرمًا وصلة للرحم .
(ينجمُها قومٌ لقوم غرامةً ولم يهريقوا بينهم ملء محجم)
يعنى أن هذين الساعيين حملا دماء من قتل ، وغرم فيها قومٌ من رهطهما ؛
على أنهم لم يصبوا دم أحدهم ملء محجم . أى أنهم أعطوا فيها ولم يقتلوا .
ويهريقوا : أصله يريقوا ، وزيدت الهاء المفتوحة .

(فمن مبلغ الألف عني رسالةٌ وذبيان : هل أقسمتُ كلَّ مُقسم ؟
فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم)

٤٤٠

الألف : أسد وغطفان وطى . ومعنى هل أقسمتُ الخ ، أى هل حلقتُم
كلَّ الحلف لتفعلن ما لا ينبغي ؟ وهذا البيت أورده ابن هشام فى المغنى
(فى بحث هل) . وقوله : فلا تكتمن الله . الخ ، أى لا تضمروا خلاف

ما تظهرونه ، فإن الله يعلم السرَّ ، فلا تكتُموا ما في أنفسكم من الصلح وتقولوا : لا حاجة لنا إليه . وقيل معنى قوله : هل أقسمتم ، هل حلقتم على إبرام حبل الصلح فتخرجوا من الحنث ، فلا تخفوا الله ما تضمرّون من الغدر وتقض العهد . ويُكتم : بالبناء للمفعول ، بخلاف يعلم ، فإنه للفاعل .

(يُؤخَّرُ فيوضعُ في كتابٍ فيدَّخَرُ ليومِ الحسابِ أو يُعَجَّلُ فينْقِمُ) جميع الأفعال بالبناء للمفعول ، ما عدا الأخير ؛ يقال نَقِمَ منه من باب ضرب ، بمعنى عاقبه وانتقم منه . ويؤخَّرُ : بدل من يعلم ، وقيل : جزم في جواب النهي ، وهو الصواب .

(وما الحربُ إلّا ما علمتمُ وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجّم) يقول : ما الحرب إلّا ما جربتم وذقتم ؛ فإياكم أن تعودوا إلى مثلها . وقوله : وما هو عنها ، أى ما العلم عن الحرب بالحديث ، أى ما الخبر عنها بحديث يُرْجَمُ فيه بالظن . فقوله « هو » كناية عن العلم . لأنّه لما قال إلّا ما علمتم ، دلّ على العلم . كذا قال الخطيب وأبو جعفر النحوى . وقال صعوداء في شرحه : هو ضمير ما ، وكأنّه قال : وما الذى علمتم . وقال الزوزنى : « هو ضمير القول لا العلم ، لأن العلم لا يكون قولاً ، أى وما هذا الذى أقول بحديث مرجّم ، أى هذا ما شهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون » وقال الأعمش : هو كناية عن العلم ، يريد : وما علمتم بالحرب . وعن : بدل من الباء ، أى ما هو بالحديث الذى يرمى به بالظنون ويُسَكَّ .

وأورد الشارح المحقق هذا البيت (في باب المصدر (١)) على أن ضمير المصدر يعمل في الجار والمجرور ؛ وقال : أى ما حديثي عنها . فجعله ضمير

الحديث . والمرجّم : الذى يرجم بالظنون ؛ والترجم : الظن . والمعنى : أنه يحضّم على قبول الصلح ، ويخوّفهم من الحرب :

(متى تبعثوها تبعثوها ذميّةً وتضرى^(١) إذا ضرّيتموها فتضرم)

أى إن لم تقبلوا الصلح ، وهجّتم الحرب ، لم تحمدوا أمرها . والبث : الإثارة . وذميّة : أى تدمون عاقبتها . وروى : (ذميّة) بالمهمله : أى حقيرة ؛ وهذا باعتبار المبدأ : وضرى بالشئ ، من باب تعب ، ضراوة : اعتاده واجترأ عليه ؛ ويُعدّى بالمهزّة والتضعيف ؛ قال صعوداء فى شرحه : من العرب من يهزضرى ، فيقول : قد ضرّى به : فمن هذه اللغة تقول : « وتضرا إذا ضراّتموها » وضرمّت النار ، من باب تعب ، أيضاً : التهبت .

(فتعرككم عرك الرحى بنفالهـا وتلقح كشافاً ، ثم تحمّل فتدثّم^(٢))

معطوف على جواب الشرط ، ويقرأ بضم الميم للوزن — قال صعوداء : وإن رفعته مستأنفاً كان صواباً . (أقول) : يمنعه ما بعده من الأفعال السبعة ، فإنها مجزومة — أى تطحنكم وتهلككم^(٣) : وأصل العرك : ذلك الشئ : والثفال : بكسر المثناة : جلدة تكون تحت الرحى إذا أدبرت يقع عليها الدقيق : والباء للمعية نحو قوله تعالى : (تَنبُتُ بِالذَّهْنِ^(٤)) : أى ومعها الدهن : وجاء فلان بالسيف : أى ومعها السيف : والمعنى : عرك الرحى طاحنة ؛

٤٤١

(١) وفى رواية التبريزى والوزنى وابن الأنبارى : (وتضرى) بالجرم عطا على ما قبله .

(٢) ط : (فتتأم) ، صوابه فى ش . والرحى يائية واوية يقال رحوان ورحيان ، والباء أعلى .

(٣) ط : (تطحنكم وتهلككم) باختلاف الضميرين ، صوابه فى ش .

(٤) الآية ٢٠ من « المؤمنون » .

لأنَّ الرَحَى لا تطحن إلَّا وتحت مجرى الدقيق ثفال : فمرك : مصدر مضاف إلى فاعله ، والمفعول محذوف أى الحب .

قال صعوداء : فطع بهذا أمرَ الحرب ، وأخبر بأشدَّ أوقاتها . قال : والكِشاف ، فى لغة كنانة وهذيل وخزاعة : الإبل التى لم تحمل عامين : وتيمم وقيس وأسد وربيعة يقولون : الكِشاف التى إذا نُتِجَتْ ضَرَبَهَا الفحلُ بعد أيام فلَقِجَتْ ، وبعضهم يقول : هى التى يُحْمَلُ عليها فى الدم : وأبو مضر يردّ هذا كله ، ويزعم أنَّ الفحل لا يدنو من الناقة ما دامت فى دَمِها ، وأنشد :
* طَبَّ بعسُّ البول غير ظلام *

قال : فهو لا يدنو منها حاملاً ، فكيف يدنو إليها فى دمها ! وقال : الكِشاف عندنا : أن يحمل على الناقة عامين متوالين وذلك مُضَرٌّ بها ، وهو أردأ النتاج : وإلى هذا ذهب زهير أى إنَّ الحرب تتوالى عليكم فينالكم منها هذا الضرر : ورؤى : « ثم تحمل فتتم^(١) » والإتآم : أن تضع اثنين : وليس فى الإبل إتآم ، إنما الإتآم فى الغنم خاصة ، وإنما يريد بذلك تفضيع الحرب وتحذيرهم إياها . جعل آفة الحرب إِيامَ بمنزلة طحن الرَحَى الحبَّ ، وجعل صنوف الشر تتولد من تلك الحروب ، بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات .

قال أبو جعفر والخطيب : شبه الحرب بالناقة ، لأنه جعل ما يُحْلَب^(٢) منها من الدماء بمنزلة ما يُحْلَب من الناقة من اللبن ، كما قال :

إنَّ المهالب لا يزال لهم فتى بيمرى قوادم كُلِّ حربٍ لا رِقح

(١) ط : (فتتم) ، صوابه فى ش .

(٢) ط (يحلب) بالميم ، صوابه فى ش والتبريزى ١٥٥ .

وقيل : إنما شبه الحرب بالناقة إذا حملت ثم أرضعت^(١) لأن هذه الحروب تطول ، وهي أشبه بالمعنى : وقوله^(٢) تَدْمٍ : أى تأتى بتوأمين ، الذكر توأم والأنثى توأمة .

(فَتَنْجِ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشَامَ كُلَّهُمْ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تَرْضِعُ فَتَنْطِمِ)

معطوف على قوله فَتَنْجِ . نَتَجَتِ الناقةُ ولدًا ، بالبناء للمفعول : إذا وضعت . وأشام : قال أبو جعفر والخطيب : فيه قولان : أحدهما أنه مصدر ؛ كأنه قال : غلمان شؤم ؛ والآخر : أنه صفة لموصوف ، أى غلمان امرئ أشام أى مشثوم . وقال الأعم : أشام هنا صفة للمصدر على معنى المبالغة ، والمعنى : غلمان شؤم أشام ، كما يقال : شغل شاغل : وكلهم : مبتدأ ؛ وكأحمر عاد : خبره . . وقال صعوداء : وإن شئت رفعت كُلاً بأشام ، كما تقول مررت برجال كريم أبوم . . وفيه أن كُلاً إذا أضيفت للضمير لا تقع معمولة لعامل لفظي .

ويريد بأحمر عاد : عاقر الناقة ؛ واسمُه قدار بن سالف ؛ وأحمر لقبه . قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عاقر الناقة ليس من عاد ، وإنما هو من نمود . وقال المبرد : لا غلط ، لأن نمود يقال لها عاد الآخرة ، ويقال لقوم هود عاد الأولى ؛ والدليل على هذا قوله تعالى : (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى^(٣)) . وقال صعوداء والأعم : لا غلط ، لكنه جعل عاداً مكان نمود اتساعاً ومجازاً ، إذ قد عُرِفَ المعنيُّ ، مع تفاوت^(٤) ما بين عاد ونمود في الزَّمن والأخلاق .

والإرضاع والفطم معروفان ، أى لا تنزع إلا عن حولين . وإنما أراد

(١) التبرزي : ثم « أرضعت ثم فطمت » .

(٢) في النسختين : « وقولهم » .

(٣) الآية ٥٠ من سورة النجم .

(٤) ط : (تقارب) ، وأثبت ما في ش .

طول شدتها، وأنها لا تنقطع إلا عن تمام؛ لأن المرأة إذا أرضعت ثم فطمت فقد تمت.

٤٤٢

(فَتَغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قَرْيَ بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمٍ)

معطوف على قوله (فتغلم) : أى فتغلم لكم هذه الحرب من الديارات بدماء قتلاكم ما لا تغل قري بالعراق وهى تغل القفيز والدرهم . وهذا تهكم بهم واستهزاء : يقال : أغلت الضيعة بالآلف . صارت ذات غلة^(١) : والغلة : كل شيء من ريع الأرض ، أو من أجزائها ، ونحو ذلك :

(لَعَمْرِي ، لَنِعَمَ الْحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمْ ، بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ ، حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمٍ)

جرّ : من الجريرة : وهى الجناية : وفاعله حصين : والجملة صفة لموصوف محذوف هو المخصوص بالمدح ، أى لنعم الحي حتى جرّ عليهم .. الخ .. وعمري مبتدأ خبره محذوف أى قسى . وجملة لنعم الحي الخ جواب القسم . ولا يؤاتيه : لا يوافقهم ، روى : (لا يؤاتيه) والملااة : المعاونة . وحصين ابن ضمضم هو ابن عمّ النابغة الذبياني ، لأن النابغة هو ابن معاوية بن ضباب ابن جابر بن يربوع بن غيظ [ابن مرة^(٢)] بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وحصين هو ابن ضمضم بن ضباب ، إلى آخر النسب . وجناته : أنه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبس ، أبى حصين بن ضمضم أن يدخل فى الصلح ، واستتر منهم ، ثم عدا على رجل من بنى عبس فقتله كما تقدم بيانه^(٣) . وإنما مدح حتى ذبيان ، لتحملهم الديارات ، إصلاحاً لذات البين :

(وَكَانَ طَوًى كَشَعًا عَلَى مُسْتَكْنَةٍ فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَجَمَّعْ)

(١) ط : (ذا غلة) ، صوابه فى ش .

(٢) التكملة من ش والمعارف ٣٨ .

(٣) انظر ما مضى فى ص ه من هذا الجزء وما بعدها .

طوى، بإضمار (قد) عند المبرّد، قال: لأنّ كان فعلٌ ماضٍ اسمُها ضمير حصين، ولا يُخبر عنه إلّا باسم أو بما ضارعه. وخالفه أصحابه في هذا. والكشّح: الجنب، وقيل: الخاصرة؛ يقال طوى 'كشّحه' على فَعَلَةٍ: إذا أضمرها في نفسه. والمستكنّة: المستورة؛ وهي صفة لموصوف، أي غدره مضمرّة، أو نية مستورة، أو حالة مستكنّة؛ لأنّه كان قد أضمر قتل ورد بن حابس القاتل أخاه هرم بن ضبضم أو يقتل رجلاً من بني عبس؛ ولهذا كان أبي من الصلح. وقوله: ولم يتجمجم، أي لم يدعِ التقدّم فيما أضمر ولم يتردّد في إنفاذه؛ يقال جمجم الرجل وتجمجم: إذا لم يبين كلامه: وسيأتي هذا البيت، إن شاء الله، في خبر كان^(١):

(وقال: سأفعل حاجتي ثم أتقى عدوّي بألفٍ من ورأى ملجم)

حاجته: هي إدراك ثاره. وملجم، قال صعّوداء: يروى بكسر الجيم أي ألف فارس مليح فرسه؛ وروى بفتحها أي ألف فرس ملجم. والفرس ممّا يذكر ويؤنث.

(فشدّ ولم تفزع بيوت كثيرةً لدى حيث ألت رحلها أم قشعم)

أورد ابن هشام هذا البيت في المغني^(٢) على أن (حيث) قد تجرّ بغير من، على غير الغالب. وقوله: فشد الح، أي حمل حصين على ذلك الرجل من عبس فقتله. ولم تفزع بيوت كثيرة أي لم يعلم أكثر قومه بفعله. وأراد بالبيوت أحياء وقبائل. يقول: لو علموا بفعله لفزعوا أي لأغاثوا الرجل المقتول ولم يدعوا حصيناً يقتله. وإنما أراد بقوله هذا ألاّ يفسدوا صلحهم

(١) هو الشاهد ٢٤٦.

(٢) انظر شرح شواهد المغني ١٣٢.

بفعله . وروى : (ولم يُفزعُ بيوتُ) بالبناء للمفعول . قال الخطيب : أى لم يُفزعَ أهلُ بيوت ، يقول شدّ على عدوّه وحدّه فقتله ، ولم يفزع العامة بطلب واحد ، أى لم يستعن عليه بأحد ، وإنما قصد الثأر . وقيل : معناه أى لم يعلموا به . وروى : (ولم يُنظرُ بيوتا) أى لم يؤخّر أهل بيتٍ ورد بن حابس في قتله ، لكنه عجل بقتل هذا الرجل . يقال : أنظرته ، بالألف ، أى أخرته . وروى أيضا : (ولم يُنظر) من نظرت الرجل : أى انتظرته . وقوله : لدى حيث الخ ، أى حيث كان شدّة الأمر ، يعنى موضع الحرب ؛ وأمّ قشعم هى الحرب ، ويقال : هى المنية . والمعنى أنّ حصينا شدّ على الرجل العبسى فقتله ، بعد الصلح ، وحين حطّ رحلها الحربُ ووضعت أوزارها ، وسكنت . ويقال : هو دُعاه على حصين : أى عدا على الرجل بعد الصلح ، وخالف الجماعة ، فصيرهُ الله إلى هذه الشدّة ، ويكون معنى أَلقت رحلها ، على هذا ثبتت وتمكّنت . وقيل : أمّ قشعم : كُنية العنكبوت ، وقيل : كنية الضبع . والمعنى : فشدّ على صاحب ثأره بمضيعة من الأرض . . وقال صعوداء في شرحه : وقال قوم : أمّ قشعم : أمّ حصين هذا الذى شدّ : أى فلم يفزع البيوت التى بحضرة بيت أمّه . والرحل : ما يستصحبه المسافر من المتاع والثياب . وسيأتى هذا البيت ، إن شاء الله تعالى ، فى الظروف .

(لدى أسدٍ شاكى السلاحِ مُقاذِفٍ له لِبَدٌ ، أظفارُهُ لم تُقَلَم)
لدى : متعلّقة بقوله أَلقت رحلها . وهذا البيت من أبيات تلخيص المعانى وغيره على أن التجريد والترشيح قد يجتمعان : فإن شاكى السلاح تجريدٌ ، لأنه وصفٌ بما يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع ، وما بعده ترشيح لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه وهو الأسد الحقيقى . قال الأعمى والخطيب : أراد بقوله لدى أسدٍ ، الجيش ، وحملَ لفظ البيت على الأسد . وقال الزوزنى : البيت

كلُّهُ من صفة حصين بن ضمضم . . وهو الصواب . وقوله : شاكى السلاح ، أى سلاحه شائكة حديدة ذو شوكة وأراد شائك فقلبت الياء من عين الفعل إلى لامه ، يجوز حذف الياء فيقال شاكٌ ، ويكون شاك على وزن فعلٍ كما قالوا رجل خافٌ ومالٌ ، وأصله خَوْفٌ ومَوَلٌ فيقال شاك. ومقاذف : مراعى ، يروى باسم الفاعل والمفعول . وروى أيضاً (مقذَف) اسم مفعول ، وهو الغليظ الكثير اللحم . واللبد بكسر اللام : جمع لبدة وهى زبرة الأسد ، والزبرة : شعر متراكبٌ بين كتفى الأسد إذا أسنَّ . والأظفار : السلاح . وتقليمها : نقصها . يقول : سلاحه تامٌ حديد^(١) . قال الأعلم : وأول من كنى بالأظفار عن السلاح أوس بن حجر ، فى قوله :

لعمرك إنا والأحاليف هؤلاء لنى حقة أظفارها لم تقلم

ثم تبعه زهير ، والنابعة فى قوله :

وبنو جذيمة لا محالة أنهم آتوك غير مقلعى الأظفار

أى ليس سلاحهم بناقص . وقال الزوزنى : قوله لم تقلم ، يريد أنه لا يعتريه ضعف ولا يعيبه^(٢) عدم شوكة ، كما أن الأسد لا تقلم برائنه .

(جرىء ، متى يُظلم يُعاقبُ بظلمه سريعا ، وإلاَّ يُبدَ بالظلم يظلم)

جرىء بالجرىء صفة لأسدٍ ، المراد به حصين بن ضمضم ، ويجوز رفعه ونصبه . ومتى يُظلم وإلاَّ يُبدَ ، كلاهما بالبناء للمفعول . ويُعاقبُ ويُظلم ، بالبناء للفاعل . والجرىء : ذو الجراءة والشجاعة . يقول : هو شجاع ، متى ظلم عاقب

(١) ط : (جديد) بالجم ، صوابه فى ش .

(٢) فى شرح الزوزنى : (ولا يعيبه) .

(٢) خزنة الأدب ج ٣

الظالم بظلمه سريعاً ، وإن لم يظلمه أحدٌ ظلم الناس إظهاراً لعزّة نفسه وشدة جراته . وسريعاً حال أو صفة مصدر ، أى يعاقب عقاباً سريعاً . وقوله : وإلاَّ يُبدَ ، الأصل فيه الهمز ، من بدأ يبدأ ، إلا أنه لما اضطرَّ أُبدل من الهمزة ألفاً ثم حذف الألف للجزم ، وهذا من أقبح الضرورات ، ولهذا أورده الشارح المحقق في أوّل شرح الشافية .

وحكى عن سيبويه : أن أبا زيد قال له : من العرب من يقول قرئت في قرأت ، فقال سيبويه : كان يجب أن يقول أقرى ، حتى تكون مثل رميت أرمى . وإنما أنكر سيبويه هذا ، لأنه إنما يجىء فعلت أفعل بفتح العين فيهما إذا كان عين الفعل أو لامه من حروف الحلق ، ولا يكاد يكون هذا فى الألف ، إلا أنهم قد حكوا أبى يابى ، فجاء على فَعَلَ يفعل . قال أبو إسحاق : إنما جاء هذا فى الألف لمضارعتها حروف الحلق ، فشبهت بالهمزة . يعنى فشبهت بقولهم قرأ يقرأ وما أشبهه .

(رَعَوْا مَارَعَوْا مِنْ ظَنَمِهِمْ نَمَّ أَوْرَدُوا غَمَارًا تَسِيلُ بِالرَّمَا حِ وَبِالدِّمِ)

هذا إضرابٌ عن قصّة حصين إلى تقبيح الحرب والحثّ على الصلح .
الظَّم بالكسر وآخره همزة ، أصله العطش ، وهو هنا ما بين الشَّرْبَتَيْنِ .
والغَار : جمع غمر بالغمر ، وهو الماء الكثير . يريد : أقاموا فى غير حرب ، ثم أوردوا خيلهم وأنفسهم الحرب ، أى أدخلوها فى الحرب : أى كانوا فى صلاح من أمورهم ثم صاروا إلى حرب يُستعمل فيها السلاحُ وتسفكُ الدماء . وضربَ الظَّم مثلاً لما كانوا فيه من ترك الحرب ، وضربَ الغمار مثلاً لشدة الحرب .
وروى : (تَفَرَّى بالسلاح وبالدم) وأصله تنفرى بقاءين أى تفتتح وتتكشف .
(فَقَضَوْا مَنَایَا بَيْنَهُمْ نَمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَّارٍ مُسْتَوْبَكٍ مُتَوَخِّمٍ)

الكلأ: العشب . وقضاه : أحكمه ونفذه . وأصدر : ضدَّ أورد .
 واستوبلت الشيء : استنقذته ؛ والوبيل : الوحيم الذي لا يُمرى^(١) . يقول : قتل
 كل واحدٍ من الحيين الآخر؛ فقوله : ققضوا منايا بينهم، أى أنفذوها بما بعثوا
 من الحرب ثم أصدروا إلى الكلأ أى رجعوا إلى أمر استوبلوه . وضرب الكلأ
 مثلاً . والمستوبل : السيء العاقبة . أى صار آخر أمرهم إلى وخامة وفساد .
 (لعمرك ما جرت عليهم رماحهم دم ابن نهيك أو قتيل المثلّم
 ولا شاركوأ في القوم في دم نوفل ولا وهب منهم ولا ابن المحزّم)
 يقول : هؤلاء الذين يعطون دية القتلى لم تجرّ عليهم رماحهم دماء
 المذكورين . وابن نهيك بفتح النون وكسر الهاء . ونوفل ، ووهب (بفتح
 الواو والهاء) ، وابن المحزّم (بالحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة المفتوحة)
 كلهم من عبس . وجرت : جنت . والمعنى : أن رماحهم لم تقتل أحداً من
 هؤلاء الذين يدّونهم ، وإنما يُعطون الديات تبرّعاً ولم يشاركوأ قاتليهم في سفك
 دمائهم . وروى : (ولا شاركت في الحرب) . والضمير للرماح ؛ قصد بهذا أن يبين
 براءة ذمتهم عن سفك دمهم ، ليكون ذلك أبلغ في مدحهم لعقلهم القتلى .

٤٤٥

(فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونه البيت)

أى فكل واحدٍ من هؤلاء المقتولين المذكورين في البيت الذى قبله .
 (لحيّ حلالٍ يعقيمُ الناسَ أمرهم إذا طلعت إحدى الليالى بمعظم)
 (كرام ، فلا ذوا الوتر يدرك وتره لديهم ، ولا الجانى عليهم بمسلم)
 قوله : لحيّ ، هو حال من قوله صحيحات مال ، أو أنه بدلٌ من قوله
 لقوم ، أو خبر لمبتدأ محذوف أى هى لحي حلال أى المال الصحيحات لحي .

(١) فى اللسان : (وقالوا : هثنى الطعام ومرئى ، وهنائى ومرأتى ، على الإنباع ،
 إذا أتبعوها هنائى قالوا : مرأتى ، فإذا أفردوه عن هنائى قالوا : أمرأتى ، ولا يقال أهنائى) .

وأراد بهذا الحى حى الساعيين بالصلح بين عبس وذبيان : قال الأعمى :
الحلال : جمع حلة بالكسر ، وهى مائة بيت . يقول : ليسوا بحلة واحدة ،
ولكنهم حلال كثيرة . وقوله : يعصم الناس أمرهم ، أى يلجئون ، إلى هذا
الحى ويتمسكون به فيعصمهم مما نابههم . وأصل الحلة الموضع الذى يُنزل به ،
فاستعير لجماعة الناس . وقوله : إحدى الليالى ، أراد ليلة من الليالى ، وفى
الكلام معنى التخميم والتعظيم ، كما يقال : أصابته إحدى الدواهي : أى داهية
شديدة . والمعظم : الأمر العظيم : وقوله : فلاذو الوتر ، يقول : هم أعزّة لا ينتصر
منهم صاحب دم ، ولا يدرك وتره فيهم . وقوله بسلام ، أى إذا جنى عليهم
جان منهن شراً إلى غيرهم لم يسلموه لهم ، لعزهم ومنعتهم .

واعلم أن هذه الأبيات التى أوردناها على هذا الترتيب ، هى رواية الأعمى
وقدم بعضهم هذين البيتين وأوردها بعد قوله سابقاً :

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها البيت
والله أعلم .

وأنشد بعده

(قد أصبحت أُمّ الخِيَارِ تدعى على ذنباً كله لم أصغر)
تقدم شرحه فى الشاهد السادس والحسين (١) .

(١) انظر الجزء الأول ص ٣٥٩ واستشهد به الشارح المحقق هنا على أن (لم) ليست
من الحروف المستحقة للصدارة حتى لا يجوز أن يعمل ما بعدها فيها قبلها ، لأن ما بعدها
قد عمل فيها قبلها . وذلك - كما صرح الرضى - لامتزاجها بالفعل بتغييرها منته إلى الماضى
فصارت كالجزء منه . ومثلها فى ذلك (لن) و (لا) بخلاف (ما) و (إن)
النافيتين .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

١٥٧ (أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا)

على أن (حَتَّى) وإن كانت يستأنف بعدها الكلام ، إلا أنها ليست متمحضة للاستئناف ، فلم يكن الرفع بعدها أولى ، فهي كسائر حروف العطف . يعنى أنه يجوز في (نَعْلَهُ) النصب ، والرفع :

أما النصب فن وجهين : أحدهما نصبه بإضمار فعل يفسره (أَلْقَاهَا) كأنه قال : حتى ألقى نعله أَلْقَاهَا ، كما يقال في الواو وغيرها من حروف العطف . ثانيهما : أن يكون نصبه بالعطف على الصحيفة ، وحتى بمعنى الواو ، كأنه قال : ألقى الصحيفة حتى نعله ، يريد ونعله ، كما تقول : أكلت السمكة حتى رأسها ، [بنصب رأسها (٢)] أى ورأسها ، فعلى هذا المذهب (٣) عائدة على النعل أو الصحيفة ، وألقاها تكرر وتوكيد .

فإن قلت : شرط المعطوف بحتى أن يكون إما بعضاً من جمع ، كقديم الحجاج حتى المشاة . أو جزءاً من كل ، نحو : أكلت السمكة حتى رأسها ، أو كجزء ، نحو : أعجبتني الجارية حتى حديثها ؛ فكيف جاز عطف نعله ، مع أنه ليس واحداً مما ذكر ؟ قلت : جاز ، لأن ألقى الصحيفة والزاد ، في معنى ألقى ما يثقله ؛ فالنعل بعض ما يثقل .

(١) سيبويه ١ : ٥٠ . وانظر أيضاً الخزانة ٤ : ١٤٠ والعين ٤ : ١٣٤ وابن يعيش ٨ : ١٩ والهمع ٢ : ٢٤٠ ١٣٦ وشرح شواهد المفني ١٢٧ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٤٦ وبغية الوعاة ٢٩٠ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) كذا . والصواب (ها) .

وأما الرفع فعلى الابتداء ، وجملة ألقاها هو الخبر . فحتى ، على هذا . وعلى الوجه الأول . من وجهى النصب ، حرف ابتداء ، والجملة بعدها مستأنفة .

وزعم ابن خلف : أن حتى هنا عاطفة والجملة بعدها معطوفة على الجملة المتقدمة وهذا شيء قاله ابن السَّيِّد ، نقله عنه ابن هشام فى المغنى ، وردّه بقوله : لأن حتى لا تعطف الجمل ، وذلك لأن شرط معطوفها أن يكون جزءاً مما قبلها أو كجزء ، وهذا لا يتأتى إلا فى المفردات . وقد نازعه الدماميني فى هذا التعليل .

وأشدد سيبويه هذا البيت على أن حتى فيه حرف جر ، وأن مجرورها غاية لما قبله ، كأنه قال : ألقى الصحيفة والزاد وما معه من المتاع حتى انتهى الإلقاء إلى النمل . وعليه فجملة ألقاها للتأكيد ، والضمير يجوز فيه أيضاً أن يعود على النمل وعلى الصحيفة . فقوله : (حتى نقله ألقاها) روى على ثلاثة أوجه .

صاحب الشاهد وهذا البيت لأبى مروان النحوى وبعده :

(ومضى يظنُّ بريدَ عمرو خلفه خوفاً ، وفارق أرضه وقلاها)

وهما فى قصّة « المتلّس » حين فرّ من عمرو بن هند . حكى ذلك الأَخفش عن عيسى بن عمر ، فيما ذكره الفارسيّ .

وكان المتلّس قد هجا عمرو بن هند ، وهجاه أيضاً طرقة ، فكتب لها إلى عامله بالبحرين كتابين ، أوهمها أنه أمر لها بجوائز — وهو قد أمره فيهما بقتلها — فلما وصلا إلى الحيرة ، دفع المتلّس كتابه إلى غلام ليقرأه ؛ فإذا فيه : « أما بعد ، فإذا أتاك المتلّس فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حيّاً » ، فرمى المتلّس كتابه فى نهر الحيرة وهرب إلى الشام — وقد ذكرنا خبرهما

في الشاهد الذي قبل هذا بأربعة شواهد^(١) فصارت صحيفة المتلّس مثلاً فيما ظاهره خير وباطنه شرّ.

والصحيفة : الكتاب . وقوله : ألقى الصحيفة ، أى رماها بنهر الحيرة ، كما أخبر المتلّس عن نفسه بقوله :

قذفتُ بها في النهر من جنبِ كافرٍ كذلك أقنوكِ كلَّ قطِرٍ مضلِّ
وروى أيضاً : (ألقى الحقيبة) وهى خرُج يحمل فيه الرجلُ متاعه .
وروى أيضاً : (ألقى الحشِية) وهى الفراش المحشو^(٢) بالقطن أو الصوف يُنام عليه ، قال عنتره :

* وَحَشَيْتِي سَرَجٌ عَلَى عِبلِ الشَّوَى *

وأوضحه محمد بن هانى الأندلسي بقوله :

قومٌ يبيت على الحشايا غيرُهم ومبيتهم فوق الجيادِ الضمرِ
وزعم ابن السِّدِّ ، وتبعه غيره : أن الحشِية ما يركب عليه الراكبُ .
وأورد بيت عنتره . وهذا غير لائق به . وقال ابن هشام اللخمي : الحشِية :
هى البرذعة المحشوة . والرَّحْل هنا بمعنى الأثاث والمتاع . وقد أنكره الحريري
(فى دُرّة الفواص) بهذا المعنى ، ورد عليه ابن برّى فيما كتبه عليه فقال :
« قال الجوهري : الرحل : منزل الرجل وما يستصحبه من الأثاث ، والرحل
أيضاً : رحل البعير وهو أصغر من القَتَب . فقد ثبت فيه الرحل بمعنى
الأثاث . وقد فسّر بيتُ متمم بن نُويرة على ذلك وهو قوله :

(١) هو الشاهد ١٥٢ ص ٤١٥ وما بعدها من الجزء الثانى .

(٢) ط : (المخبى) صوابه فى ش ، والفعل واوى . وأما الحشِية فأصلها حشِوبة على وزن فعيلة .

كريم الشناخو الشائل ، ماجد ، صبور على الصَّراء مُشترك الرحل (١)
قالوا : أراد بالرحل الأثاث . ومثله قول الآخر :

٤٤٧

ألقى الصحيفة كي يخفّف رحله البيت

قالوا : رحله : أثاثه وفُرشه . والتقدير عندهم : ألقى فُرشه وأثاثه حتى ألقى نعله مع جلة أثاثه . وإنما قدروه بذلك ، ليصح كون ما بعد حتى في هذا الموضع جزءاً مما قبلها . وعليه فسرّ قوله تعالى حكايةً عن يوسف : (قالوا جزأؤهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَأُؤُهُ) (٢) قالوا : رحله : أثاثه ، بدليل : (ثم استخرجها مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ) (٣) انتهى كلام ابن برّيّ .

وقد فسر ابن السِّيد (الرَّحْل) في شرح أبيات الجمل بقوله : « الرحل للناقة كالسرج [للفرس (٤)] » وتبعه عليه ابن هشام اللخمي وابن خلف وغيرهما . وهذا مع كونه غير مناسب ، كان الصواب أن يقول : والرحل للبعر ؛ لا للناقة ؛ قال الأعلام : « كان الواجب ، في الظاهر ، أن يقول : ألقى الزاد كي يخفّف رحله والنعل حتى الصحيفة ؛ فيبدأ بالثقل ثم يتبعه الأخف ، فلم يمكنه الشعر . أو يكون قدّم الصحيفة لأن الزاد والنعل أحقُّ عنده بالإبقاء ، لأنّ الزاد يبلغه الوجه الذي يريده ، والنعل يقوم له مقام الراحة إن عطيت ، فاحتاج إلى المشي ؛ فقد قالوا : كاد المتنعّل أن يكون راكباً » .

(١) كذا في النسختين . والثناء ، كما في اللسان : مانع به الإنسان من مدح أو ذم ، وليس من الضروري تصحيحها بالثنا بتقديم النون .

(٢) الآية ٧٥ من سورة يوسف .

(٣) الآية ٧٦ من سورة يوسف . وقد وقعت محرفة في النسختين ، بل في مطبوعتي السلفية ودار المصور برسم « فاستخرجها من وعاء أخيه » وقد رددتها الآن إلى حقها بحمد الله .

(٤) التكملة من هامش الشنيطية ، وبجانبها كلمة « صح » بخط ناسخها .

والبريد : الرسول ، ومنه قول العرب : « الحمى برّيد الموت » : وعمره هو عمرو بن هند للملك ملك الحيرة . وقد ذكرنا ترجمته قبل هذا الشاهد بيتين^(١)

قال ابن خلف : « أنشد سيبويه هذا البيت لأبي مروان النحوي ، قاله صاحب الشاهد في قصة المتلمس حين فرّ من عمرو بن هند ، حكى ذلك الأخفش عن عيسى ابن عمر فيما ذكره الفارسي . ونسبه الناس إلى المتلمس » انتهى . ونسبه ياقوت الحموي في معجم الأدباء إلى مروان النحوي لأبي مروان ، قال : سمعت بعض النحويين ينسب إليه هذا البيت ، وقال في ترجمته : هو مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة المهلب النحوي ، أحد أصحاب الخليل المتقدمين في النحو ، المبرزين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه^(٢) :

١٥٨ (فلا حَسْبًا فَخَرَّتْ بِهِ كَتِيمٌ وَلَا جَدًّا إِذَا ازْدَحَمَ الْجُدُودُ)
على أنه يجوز النصب في قوله (حَسْبًا) والرفع ؛ لوقوعه بعد حرف النفي .
أما نصبه ، فبفعل مقدّر متعدّ إليه بنفسه ، في معنى الفعل الظاهر ؛
والتقدير : فلا ذكرت حَسْبًا فَخَرَّتْ بِهِ . وَلَا جَدًّا معطوف على قوله حَسْبًا .
وهو بمنزلة قولك : أزيداً مررت به . وإِنَّمَا لم يحذف الضمار الفعل المتعدّي بحرف

(١) الذي في الشاهد الذي قبل هذا بيتين ليس فيه إلا إشارة صغيرة لعمرو بن هند تتعلق بنسبه . لكن انظر الخزانة ج ٢ ص ٤٥٠ : من هذه الطبعة نجد شيئاً عن حياة هذا الرجل .

(٢) سيبويه ١ : ٧٣ . وانظر ابن يمش ١ : ١٠٩ / ٣٦ : ٢ وديوان جرير ١٦٥ .

الجر ، لأن ذلك يؤدّي إلى إضمار حرف الجر ؛ ولا يجوز إضماره ، لأنه مع المجرور كشيء واحد ، وهو عامل ضعيف ، فلا يجوز أن يتصرف فيه بالإضمار والإظهار كما يتصرف في الفعل .

وأما الرفع ، فعلى الابتداء ؛ وجملة فخرت به صفته ، ولتيم هو الخبر . وروى بدل قوله : لتيم (كريم) وهو الثابت . وجداً معطوف على حسباً . قال السيرافي : لما جاز الرفع مع الاستفهام ، وإن كان الاختيارُ النصب ، كان الرفعُ في حروف النفي أقوى ، لأنها لم تبلغ أن تكون في القوة مثل حروف الاستفهام .

و (الحسب) : الكرم وشرف الإنسان في نفسه وأخلاقه . و (الجد) : أبو الأب . يقول : ما ذكرت لتيم حسباً تقتخر به ، لأنك لم نجد لها شيئاً تذكره ، ولا لك جدٌ شريف تعول عليه عند ازدحام الناس للمفاخر عليه ^(١) . وقيل : الجد هنا : الحظ ، أي ليس لتيم حظٌ في علو المرتبة والذكر الجليل .

٤٤٨

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة طويلة (لجرير) هجا بها الفرزدق وتيم الرّباب ، وليست من النقااض ، وهي إحدى القصائد الثلاث التي هي خيرُ شعْره . كذا في منتهى الطلب من أشعار العرب . وزعم الأعلام ، وتبعه ابن خلف وغيره . أن جريراً هجا بها عمر بن لُحْيا ، وهو من تيم عدى .

والرّباب بكسر الراء : جمع رُبّ بضمها ، قال ابن الكلبي في جمهرة الأنساب : « ولد [عبد ^(٢)] مئة بن أد تياً ، ومم الرّباب ، وعدياً ، بطن ، وعوقاً والأشيب ونوراً ، وإنما سموا الرّباب ، لأن تياً ، وعدياً ، ونوراً ،

(١) كذا في النسختين ، والوجه حذف (عليه) من أحد الموضعين .

(٢) التكملة من ش وجمرة ابن حزم ١٩٨ والمعارف ٣٤ .

وعوفاً ، وأشيبَ ، وضَبَّةٌ بنُ أَدَ ، غمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِي الرُّبِّ فَتَحَالَفُوا عَلَى بَنِي تَيْمٍ ، فَسَمُّوا الرِّيَابَ ، فَهَمَّ جَمِيعاً الرِّيَابُ ، وَخُصَّتْ تَيْمٌ أَيْضاً بِالرِّيَابِ : انتهى :
ومن هذه القصيدة :

أبيات
الشاهد

(لَقَدْ أَخْزَى الْفَرْزْدَقُ رَهْطَ لَيْلٍ) وَتَيْمٌ قَدْ أَقَادَهُمْ مُقِيدُ
خَصِيَّتُ مجاشعاً وَجَدَعَتْ تَيْمًا وَعَنْدِي ، فَاعْلَمُوا ، لَمْ مَزِيدُ
أَتِيَاءٌ تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدَاءً ! وَهَلْ تَيْمٌ لَدَى حَسْبٍ نَدِيدُ
أَزِيدُ مَنَةً تَدْعُو^(١) يَا ابْنَ تَيْمٍ ! تَبَيَّنَ أَيْنَ تَاهَ بِكَ الْوَعِيدُ
أَتُوعِدُنَا وَتَمْنَعُ مَا أُرَدُّنَا وَنَأْخُذُ مِنْ وَرَائِكَ^(٢) مَا نُرِيدُ
وَيُقْفَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ^(٣) وَهَمْ شُهُودُ
فَلَا حَسْبُ فُخْرَتْ بِهِ كَرِيمٌ وَلَا جَدٌّ ، إِذَا أَزْدَحَمَ الْجُدُودُ
لَسَامُ الْعَالَمِينَ كِرَامُ تَيْمٍ وَسَيِّدُهُمْ ، وَإِنْ زَعَمُوا ، مَسُودُ
وَأِنَّكَ لَوْ لَقِيتَ عَبِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا ، قُلْتَ : أَيُّهُمَا الْعَبِيدُ
أَرَى لَيْلًا يَخَالِفُهُ نَهَارٌ وَلَوْمُ التَّيْمِ ، مَا اخْتَلَفَا ، جَدِيدُ
بُحْبُثِ الْبَذْرِ يَنْبُتُ بِذَرِ تَيْمٍ^(٤) فَمَا طَابَ النَّبَاتُ ، وَلَا الْخَصِيدُ
تَمْنَى التَّيْمُ أَنْ أَبَاهُ سَعْدُ فَلَا سَعْدُ أَبُوهُ ، وَلَا سَعِيدُ
وَمَا لَكُمْ الْفَوَارِسُ يَا ابْنَ تَيْمٍ ، وَلَا الْمُسْتَأْذَنُونَ ، وَلَا الْوُفُودُ
أَهَانِكَ بِالْمَدِينَةِ ، يَا ابْنَ تَيْمٍ ، أَبُو حَفْصٍ ، وَجَدَعَكَ النِّشِيدُ
وَإِنَّ الْحَاكِمِينَ لَغَيْرُ تَيْمٍ وَفِينَا الْعَزُّ وَالْحَسْبُ التَّلِيدُ

(١) فِي الدِّيْوَانِ : « تُوْعَدُ » .

(٢) ط : « رَوَاتِكَ » ، صَوَابُهُ فِي ش .

(٣) الدِّيْوَانُ : يَسْتَأْمُرُونَ .

(٤) الدِّيْوَانُ : « حَرِثَ تَيْمٌ » .

وإنَّ التَّيْمَ قَدْ خَبَثُوا وَقَلَّوْا فَمَا طَابُوا وَلَا كَثُرَ الْعَدِيدُ
إِذَا تَيْمٌ ثَوَتْ بِصَعِيدِ أَرْضٍ بِكَيْ مِنْ خَبْثٍ رِيحِهِمُ الصَّعِيدُ
أَتِيًّا تَجْعَلُونَ إِلَى تَيْمٍ بَعِيدُ فَضْلُ بَيْنَهُمَا بَعِيدُ
كَسَاكَ اللَّؤْمُ لَوْمُ أَيِّكَ تَيْمٍ ، سَرَايِلًا بِنَائِقُهُنَّ سُودُ

وقوله : أُنِيَّا تَجْعَلُونَ إِلَى نَدَا الْبَيْتِ ، أوردته صاحبُ الكَشَافِ والقَاضِي
عَلَى أَنَّ الْبَيْتَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا ^(١)) . بِمَعْنَى الْمِثْلِ الْمُنَاوِي
أَيُّ الْمَعَادِي وَهُوَ مِنْ نَدَّ نُدُودًا : إِذَا نَفَرَ ، وَنَادَدَتْ الرَّجُلَ : خَالَفَتْهُ ، خُصَّ
بِالْمُخَالَفِ الْمَائِلِ فِي الْذَاتِ كَمَا خُصَّ الْمَسَاوِي لِلْمَائِلِ فِي الْقَدْرِ . قَالَ السَّعْدُ : وَإِلَى ،
كَانَ فِي الْأَصْلِ صِفَةً لِقَوْلِهِ نَدَا ، فَلَمَّا قَدَّمَ صَارَ حَالًا مِنْهُ ، وَإِلَى بِمَعْنَى اللَّامِ . وَقَالَ
السَّيِّدُ : هَذَا لَا يَصِحُّ ، لِأَنَّ نَدَا خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ فِي الْأَصْلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ حَالٌ مِنْ
قَوْلِهِ تَيْمًا . . وَفِيهِ : أَنَّ تَيْمًا فِي الْأَصْلِ مُبْتَدَأٌ ، وَعِنْدَ سَبْيُوِيهِ يَجُوزُ جِيءُ الْحَالِ
مِنَ الْمُبْتَدَأِ ، وَعِنْدَ الْأَخْفَشِ مِنَ الْخَبَرِ . وَالْإِسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ . وَالتَّنْوِينُ
فِي (ذِي حَسَبٍ) لِلتَّحْقِيرِ ، يَعْنِي أَنَّ تَيْمًا لَيْسَ نَدَا لِيَذَى حَسَبٍ حَقِيرٍ ، فَكَيْفَ
يَجْعَلُ نَدَا لِمِثْلِي ! وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّعْظِيمِ ، وَيُرِيدُ بِذِي حَسَبٍ نَفْسَهُ . وَالْفَيْدُ
بِمَعْنَى النِّدَاءِ .

٤٤٩

وترجمة جرير تقدمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْتَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ ، وَهُوَ مِنَ الْحَمَاسَةِ ^(٣) :

(١) الْآيَةُ ٢٢ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٢) الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ص ٧٥

(٣) انْظُرْ أَيْضًا الْخَزَانَةَ ٣ : ١٧٠ . بُولَاقُ وَالْحَمَاسَةُ ١٢٤ . بَشرحِ الْمَرْزُوقِ .

١٥٩ (إِذَا انْخَصِمَ أَبْزَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ)

وقبله :

(فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي ، تَفَاقَدُوا ١)

على أن (إذا الشرطية) يجوز عند الكوفيين وقوع الجملة الاسمية بعدها لكن بشرط كون خبرها فعلاً ، إلا في الشاذ كهذا البيت .

قال ابن جني في إعراب الحماسة : « يروى إذ وإذا جميعاً : فمن رواه إذ ، حكى الحال المتوقعة ، كقول الله سبحانه : (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ)^(١) ومن رواه إذا ، فهو كقولك : أتيتك إذا زيد قائم ، وهذا جائز على رأي أبي الحسن : وذلك أنه يجوز الابتداء بعد إذا الزمانية المشروطة بها . انتهى

و (أَبْزَى) من قولهم : رجل أَبْزَى وامرأة بَزَوَاء ، وهو الذي يَخْرُجُ صدره ويدخل ظهره . وأَبْزَى ههنا مَثَلٌ ، ومعناه الراصد المخاتِل ، لأنَّ المخاتِل ربما اتنى فيخرج عجزه . وقال أبو رياش : أَبْزَى : تحامل على خَصْمِهِ ليظلمه . . فجعل أَبْزَى فعلاً ؛ ولا يمتنع ذلك ، وإنما المعروف أن يقال : بَزَوَتْ الرجل ، ومنه اشتقاق البازي من الطير ، إذا استُعْمِلَ على وزن القاضى . وعليه فالخَصْم مرفوع بفعل يفسره أَبْزَى ، ويُرفَع (مائل الرأس) على أنه بدل من انْخَصِمَ . و (الأنكب) : المائل ، وأصله الذي يشكى مَنَكِبَيْهِ فهو يمشى في شِقٍّ . ومائل الرأس أى مُصْعَر من الكبُر .

وقوله : (تَفَاقَدُوا) دعاء قد اعترض به بين أوّل الكلام وآخره يقول : هَلَّا جعلوني عدّة لرجلٍ مثلى — فَقَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا — وقد جاءهم الخَصْمُ

(١) الآية ٧١ من سورة غافر .

متأخراً العُجْز مائل الرأس منحرفاً . وهذا تصويرٌ لحال المقاتل إذا انتصب
 في وجه مقصوده ؛ وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه . ومثله قول الآخر :
 * جاءوا بمدقٍ هل رأيت الذئبَ قطعاً *

ألا ترى أنه لو صور لون المدق لما قال : هل رأيت الذئب قطعاً .
 والمعنى : ليم أفاتوني أنفسهم ؟ وهلاً ادخروني ليوم الحاجة إذا كان
 الخصم هكذا ؟

أبيات الشاهد وهذا البيت من أبيات خمسة في الحماسة ، لبعض بني فقعس ، أولها :

(رأيت موالى الألى يخذلونى على حدثان الدهر إذ يتقلب)

الموالى هنا : أبناء العم . والألى في معنى الذين ؛ ويخذلونى من صلته .
 يقول : رأيت أبناء عمى هم الذين يقعدون عن نصرتى على تقلب الزمان
 وتصرف الحدثان . وقوله : على حدثان الخ ، حال : أى يخذلونى مقاسياً لما
 يحدث فى أوان تقلبه وتغيره :

(فهلاً أعدوني لمثل ، تفاقدوا ، إذا الخصم أبزى مائل الرأس أنكب
 وهلاً أعدوني لمثل ، تفاقدوا وفى الأرض مبعوث شجاع وعقرب)

كرره تأكيذاً وتفظيماً للأمر . والمعنى : هلاً جعلونى عدةً لرجل مثلى
 فى الناس — فقد بعضهم بعضاً — وقد انتشر أعداء كثيرة وأنواع من الشر
 فظيمة الشجاع : الحية . وكنى به وبالعقرب عن الأعداء والشر . وارتفاع
 شجاع ، يجوز أن يكون على البدل من مبعوث ، ويجوز أن يكون على الابتداء ،
 ومبعوث خبره قدّم عليه .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : يروى مبنوثا ومبنوث : فمن نصب فلا تَه صفة نكرة قُدم عليها فنُصب على الحال منها ؛ ومن رَفَعَ رَفَعَ بالابتداء وجعل شجاعً وعقربٌ بدلًا من مبنوث . فإن قلت : فها قال : وفي الأرض مبنوثون أو مبنوثان ؟ قلت : فيه جوابان : أحدهما أنه لم يردَّ بشجاعٍ وعقربٍ الاثنان الشافيان للواحد ، وإنما أريدَ به الأعداء ، الذين بعضهم شُجاعان وبعضهم عقاربُ ، أي أعداء في خبيتهما ونُكْرهما ؛ فلما لم يرد حقيقة التثنية — وإنما أراد الأعداء — ذهبَ به مذهب الجنس . . . والوجه الآخر : أن يكون أراد : وفي الأرض مبنوثًا شجاع : أي شجاعٌ مبنوث ، فلما قُدمه عليه نصبه حالاً منه ، ثم عطف عقربٌ على الضمير في مبنوثا . وكذلك إذا رفعت تعطفُ عقربٌ على الضمير في مبنوث ، فإذا سلكت هذه الطريق سقطت عنك كلغة الاعتذار من ترك التثنية . انتهى ملخصاً .

(فلا تأخذوا عقلاً من القوم ، إنني أرى العارَ يبقُ والمعاقلُ تذهبُ)
كأنك لم تُسبقْ من الدهر ليلةً إذا أنت أدركت الذي أنت تطلبُ)

لك في المعاول الرفعُ على الاستئناف والنصبُ عطفاً على العار . يقول : لا ترغبوا في قبول الدية ، فإنه عار ، والعارُ يبقُ أثره والأموال تفتي .

والمعاقل : جمع المَعْقِلَة والمعقِلَة ، بضم القاف وكسرهما ، والميم فيهما مفتوحة . والمقل : الدية ، وأصله الإبل كانت تُعَقَلُ بقاءً ولئلا يقتول ، وهو مصدرٌ وُصِفَ به . وحكى الأصمعي : صار دمه مَعْقِلَة على قومه : أي صاروا يدُونَه .

وقوله : كأنك لم تُسبقْ إلخ ، يقول : مَنْ أدرك ماطلبه من النار

فكأنه لم يُصَبْ ولم يُوتَر . وهذا بعثٌ وتحضيض على طلب الدم والزهد في الدية .

و (بنو فقص) : حى من بنى أسد ؛ وفقص اسم مرتجل غير منقول ، وقيل : الفقص : البلادة . قال ابن الكلبي في جمهرة الأنساب : فقص : ابن طريف بن عمرو بن قعين (بالتصغير) ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان ابن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ونسب صاحب الحماسة البصرية هذه الأبيات إلى عمرو بن أسد الفقصي والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تجزعى إن منفسٌ أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى)
تقدم شرحه مستوفى في الشاهد السادس والأربعين (١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢)

١٦٠ (إذا ابنُ أبى موسى بلالاً بلفته فقام بقاسٍ بينَ وصليكَ جازرُ)

على أنه يقدر على مذهب المبرد ، في رواية رفع ابن ، إذا يُبلغ ابنُ أبى موسى ، يُبلغ بالبناء للمفعول ، فيكون (ابنُ) نائب الفاعل لهذا الفعل المحذوف . وبالإلا ينبغي أن يكون بالرفع ، لأنه بدلٌ من ابن أو عطفٌ بيان له ؛

(١) انظر ما سبق في ص ٣١٤ من الجزء الأول .

(٢) في كتابه ١ : ٤٢ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٣٠ : ٩٦ وابن الشجري ١ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٣٨٠ وديوان ذى الرمة ٢٥٣ .

٤٥١

وقد رأيت مرفوعاً في نسختين صحيحتين من إيضاح الشعر لأبي عليّ الفارسيّ
 إحداهما بخطّ أبي الفتح عثمان بن جنيّ . وفي نسخ المغني وغيره نصبُ بلال مع
 رفع ابن . قال الدمامينيّ في شرحه : « وبلالاً منصوب بفعل محذوف آخر
 يفسّره بلفّته ، والتقدير : إذا يُبلغ ابنُ أبي موسى بلفّته بلالاً بلفّته » .
 ولا يخفى ما فيه من التكلف والتقدير المستغنى عنه . وقد روى بنصب ابن
 أيضاً ، قال سيبويه : « والنصب عربيّ كثير ، والرفع أجود » . قال النحاس :
 وغلطه المبرد في الرفع ، لأنّ إذا بمنزلة حروف المجازاة ، فلا يجوز أن يرتفع
 ما بعدها بالابتداء . قال أبو إسحاق الزجاج : الرفع فيه بمعنى إذا يُبلغ ابنُ
 أبي موسى . وكذلك قال أبو عليّ : إن إذا هذه تضاف إلى الأفعال ، وهي ظرف
 من الزمان ، ومعناها على أن تسخل على الأفعال ^(١) ، لأنّ معناها الشرط
 والجزاء ، وقد جُوزى بها في الشعر ؛ فإذا وقع بعدها اسمٌ مرتفع ؛ فليس
 ارتفاعه بالابتداء ، ولكن بأنّه فاعل ^(٢) ، والرافع له يفسّره الفعل الذي بعد
 الاسم ، كأنه قال : إذا يُبلغ ابنُ أبي موسى بلال بلفّته ، وكذلك إذا وليها
 اسمٌ منصوب صار على تقدير : إذا بلغت ابنُ أبي موسى بلالاً بلفّته .

وقال أبو عليّ أيضاً (في إيضاح الشعر) : قال القطاميّ :

إذا التيّاز ذو العضلات ^(٣) قلنا : إليك إليك ، ضاق بها ذراعاً

فاعل ضاق ضمير التيّاز ، وضاق جواب إذا ، والتيّاز يرتفع بفعل مضمّر
 يفسّره قلنا ، التقدير : إذا خوطب التيّاز . وقلنا معناه قلنا له ، وهو مفسّر

(١) ط : « من الأفعال » صوابه في ش .

(٢) للمراد بالفاعل هنا الفاعل أو ما ينوب عنه : وفي النسختين : « بابه فاعل » ،
 والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « الفضلات » ، صوابه في ش والديوان ٤٤ واللسان (تيز ١٧٩) .

(٣) خزانة الأدب ج ٣

خلوطب أو كُلم ونحو ذلك مما يفسره قلنا له ، وهو رافع التياز ، كإنشاد
مَنْ أَنشَدَ :

* إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالًا بَلَّغْتِهِ *

والمعنى : ضاق ذَرعُ التياز بأخذ هذه الناقة ، لأنه لا يضبطها ، من شدتها
ونشاطها ، فكيف مَنْ هو دونه ؟ وَمَنْ أَنشَدَ : « إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالًا »
بالنصب ، نصب التياز أيضاً ، فهو بمنزلة إِذَا زِيدًا مررت به جنتك ، ويقوى
إنشاد مَنْ أَنشَدَ : إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى ، بالرفع ، قولٌ لبيد :

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لِعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَّالُ

ألا ترى أَنَّ أَنْتَ يرتفع بفعلٍ فى معنى هذا الظاهرِ كَانَ لو أظهرته « فَإِنْ لَمْ
تَنْتَفِعْ » ! ولو حُمِلَ أَنْتَ على هذا الفعل الظاهر الذى هو يَنْفَعُكَ ، لوجب أَنْ
يكون موضعَ أَنْتَ إِيَّاكَ ، لأن الكاف الذى هو سببُه هى مفعولة منصوبة ؛
فهذا البيت يقوى إنشاد مَنْ أَنشَدَ : إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى ، بالرفع على إضمار
فعل فى معنى الظاهر نفسه . انتهى .

وقوله (فقام بفأس) هو جواب إِذَا . ودخلت الفاء على الفعل الماضى
لأنه دعاء ، كما تقول : إِنْ أُعْطِيتْنِي فجزاك الله خيراً ؛ ولو كان خبراً لم تدخل
عليه الفاء . والفأسُ معروفة ، وهى مهبوزة ، وروى بدلها : (بَنْصُلُ) بفتح
النون ، والنَّصْلُ : حديدة السِّيفِ والسَّكِّينِ . والوصل بكسر الواو : المفصل
وهو ملتحق كلُّ عظمين ، وهو واحد الأوصال ؛ والمراد بوضليها : المفصلان
الذَّان عند موضع نحرها . و (الجازر) : اسم فاعل من جَزَرَ الناقة : إِذَا
نَحَرَهَا ؛ وهو فاعل قام . و (بلال) هذا هو بلال بن أبى رُردة بن أبى موسى
الأشعرى . والتساء من بلغته مكسورة خطابٌ لناقته . وكذلك الكافُ

في وصليكَ ، دعاه عليها بالنحر والجزر . إذا بلغته إلى ابن أبي موسى .
وقد عيب عليه هذا كما سيأتي .

٤٥٢

وهذا البيت من قصيدة لذي الرُّمَّة غيلان ، مدح بها بلالاً ، مطلعها :
(لَمِيسَةٌ أَطْلَالُ بِحَرْزَى دَوَائِرُ عَقَبَهَا السَّوْأَى بَعْدَنَا وَالْمَوَاطِرُ)
إلى أن قال :

(إلى ابن أبي موسى بلال طوت بنا قِلاصٌ ، أبوهنَّ الجديلُ وداعِرٌ ^(١)
بلاداً بييتُ اليومُ يدعوُ بِنَاتِهِ بها ، ومنَ الأصداءِ والجنِّ سامرُ
تمر ^(٢) برَحْلَى بَكْرَةَ حَمِيرِيَّةٍ ضُنَّاكَ التَّوَالِي عَيْطَلُ الصَّدْرِ ضَامِرُ)
تمر ^(٢) : تمضى . والضَّنَّاكَ بالكسر : المكتنزة الغليظة ؛ وتوالى بها :
مآخبرها . والعَيْطَلُ : الطويلة .

(أقول لها ، إذ شمر السَّيرَ واستوتَ بها اليدُ واستنَّتْ عليها الحرائرُ :
إذا ابن أبي موسى بلالاً بلغته البيت
شمر السَّير : قلص . واستوت بها اليد : أى لا علم بها . واستنَّتْ :
أطردت . والحرائر : جمع حرور ، وهى ريح السَّوم .

بلال بن أبي
بردة

وبلال هو ابن أبي بُرْدَة ابن أبي موسى الأشعري . قال ابن حجر
(فى التهذيب) : هو من الطبقة الخامسة من التابعين ، مات سنة ثيف وعشرين
ومائة وقال (فى تهذيب التهذيب) هو أمير البصرة وقاضياها . روى عن

(١) فى النسختين : « داغر » ، تصحيف . صوابه من الصحاح والقاموس واللسان
وفى القاموس : والإبل الداعرية منسوبة إلى غل منجب أو قبيلة من بني الحارث بن
كعب ، وهو داعر بن الحماس .

(٢) فى النسختين : « تمرى » فى الموضعين ، وصححها الشنيطى مطابقاً بذلك الديوان
٢٥٢ والمخصص ٧ : ٥٨ .

أنس ، فيما قيل ، وعن أبيه وعمه أبي بكر ، روى له الترمذى حديثاً واحداً ، وذكره البخارى فى الأحكام ، وذكره الصغرى فى كتاب الضعفاء . قال خليفة الحنط : ولأه خالد القسرى القضاء سنة تسع ومائة ؛ وحكى عن مالك ابن دينار أنه قال لما ولى بلال القضاء :

* يالك أمة هلكت ضياعاً (١) *

فلم يزل قاضياً حتى قدم يوسف بن عمر ، سنة عشرين ومائة ، فعزله . وروى المبرد : أن أول من أظهر الجور من القضاة فى الحكم بلال ، وكان يقول : إن الرجلين ليختصمان إلى فأجد أحدهما أخف على قلبى فأقضى له ! وروى ابن الأنبارى أنه مات فى حبس يوسف بن عمر ، وأنه قتله دهاؤه وقال للسجّان : أعلم يوسف أنى قد مت ؛ ولك منى ما يغنيك ! فأعلمه فقال يوسف : أحب أن أراه ميتاً ؛ فرجع إليه السجّان فألقى عليه شيئاً فغمه حتى مات ؛ ثم أراه يوسف .

وقال جويرية بن أسماء : لما ولى عمر بن عبد العزيز ، وفد إليه بلال فهتأه ، ثم لزم المسجد يصلى ويقرأ ليله ونهاره ؛ فدرس عمر إليه ثقة له ، فقال له : إن عملت لك ولاية العراق ، ما تعطينى ؟ فضمن له مالا جزيلا ، فأخبر بذلك عمر فنفاه وأخرجه وكتب إلى عامله على الكوفة : إن بلالا غرنا بالله فكندنا نفرت به ، ثم سبكناه فوجدناه كله خبثا .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب (٢) روى

(١) لعقبة بن هبيرة الأسدى ، كافى الخزانة ١ : ٣٤٣ بولاق وفى الدرر اللوامع ١ : ١٣١ .

فهيها أمة ذهبت ضياعاً يزيد أميرها وأبو يزيد

(٢) انظر ما مضى فى ص ١٠٦ من الجزء الأول .

المرزباني في كتاب الموشح^(١) عن أبي بكر الجرجاني عن المبرد عن التوزي أنه قال : أنشد ذو الرمة قصيدته في بلال بن أبي بردة ، فلما بلغ قوله :

إذا ابنُ أبي موسى بلالاً بلغته البيت

قال له عبد الله بن محمد بن وكيع : هلا قلت كما قال سيّدك الفرزدق :

قد استبَطأتُ ناجيةً ذمّولاً وإنّ ألمَّ بي وبها لسامي

أقول لِنَاقِي ، لما تَرامتُ بنا ييدُ مَسرِلةِ القَمامِ :

إلامَ تَلَفَّتَيْنِ وأنتِ نَحْيُ وخيرُ الناسِ كلِّهم أَمامي

مَتى تَرِدِي الرُّصافَةَ تَسْتَرْجِي من التَّصديرِ والدَّبرِ الدَّوامي ؟

٤٥٣

قال الأصمّهاني في الأغاني : « وقد أخذ هذا المعنى من الفرزدق داودُ

ابن سلم في مدحِهِ قُتَمِّ بن العباس أخا عبد الله بن العباس - رضى الله عنهم - فأحسن وقال :

عَتَقْتِ مِنْ حَلِّي وَمِنْ رِحْلَتِي يَا نَاقَ إِنِّ أَدْنَيْتِنِي مِنْ قُتَمِّ^(٢)

إِنَّكَ إِنِّ أَدْنَيْتِ مِنْهُ غَدًا حَالَفَنِي الْيَسْرُ وَزَالَ الْعَدَمُ

فِي كَفِّهِ بِحُورٍ ، وَفِي وَجْهِهِ بَدْرٌ ، وَفِي الْعَرِينِ مِنْهُ شَمٌّ^(٣)

وقال التارخي : لما أنشد مروان بن أبي حفصة يحيى بن خالد :

إذا بَلَّغْتُنَا الْعَيْسُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ أَخَذْنَا بِحَبْلِ الْيَسْرِ وَانْقَطَعَ الْعَسْرُ

قال له يحيى : لا عليك أن لا تقول شيئاً بعد هذا !

(١) الموشح ١٧٤ .

(٢) في النسختين : « ومن رحلي » ، صوابه من الأغاني ٥ : ١٣٣ وفي ط : « إن أدنيتي » ، صوابه في ش . وفي معجم الأدباء ١١ : ٩٧ والكامل ٣٦٩ : « من حل ومن رحلة ياناق إن قربتني » .

(٣) في الأغاني : « في وجهه بدر في كفه بحر » .

أقول : الفرزدقُ قد سلكَ طريقَةَ الأعشى ميموناً في (١) مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله :

فَأَلَيْتُ لَا أُرْمِيْ لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ وَجَيْ حَتَّى تَلَاقِي مُحَمَّدًا
مَتَى مَا تُنَاقِى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تُرَاحِي وَتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى
وَذُو الرِّثْمَةِ مَأْخِذَهُ مِنْ قَوْلِ الشَّمَاخِ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَسْمُو إِلَى الْخِيَرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَهُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلْقَاهَا عَرَابَةُ بِالْبَيْنِ
إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةُ فَاشْرَقَ بِدَمِ الْوَتِينِ

قال المبرد في الكامل : « وقد أحسن كل الإحسان في قوله :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي البيت

يقول : لستُ أحتاجُ أن أرحلَ إلى غيره . وقد عابَ بعض الرواة قوله :
فاشترق بدم الوتين ، وقال : كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها ، فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للأَنْصَارِيَّةِ الْمَأْسُورَةِ بِمَكَّةَ وقد نجت على ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : إِنِّي نَذَرْتُ إِنْ نَجَوْتُ عَلَيْهَا
أَنْ أَتَحَرَّهَا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مَا جَزَيْتَهَا » . وقال
صلى الله عليه وسلم « لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ جُلًّا وَعِزًّا ، وَلَا نَذَرَ لِلْإِنْسَانِ
فِي غَيْرِ مَلِكِهِ » .

ومالم يُعَبِّ في هذا المعنى قولُ عبد الله بن رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيِّ لما أمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر ، على جيش مؤتة :

(١) ط : « أعشى ميمون » صوابه في ش .

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ
فَشَأْنُكَ فَاثْمَعِي وَخَلَاكِ ذِمٌّ وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
قال بعض العلماء ، فيما كتبه على الكامل : هذه المرأة غفارية لا أنصارية .
وقد تبع الشماخ^(١) في إساءته أبو دَهَبٍ الْجَمَحِيُّ أيضاً ، في قوله يمدح
المغيرة بن عبد الله ، وهو مطلعُ أبياتٍ له فيه^(٢) :

يَا نَاقُ سِيرِي وَاشْرَقِي يَدَمَ إِذَا جِئْتِ الْمَغِيرَةَ
سُيُثِينِي أُخْرَى سِوَاكِ ، وَتَلَكَ لِي مِنْهُ يَسِيرَةَ
إِنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ نِعَمَ أَخَوَالِنْدَى وَابْنَ الْعَشِيرَةِ^(٣)

٤٥٤

وتبعه أيضاً ابنُ أبي العاصية السلمي^(٤) ، فإنه لما قدِمَ على مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ
بصنعاء نحرنا قته على بابه ، فبلغ ذلك معنًا فتطير وأمر بادرخاله ، فقال : ما صنعت ؟
قال : نذرتُ أصلحك الله ! قال : وما هو ؟ فأنشده من أبيات :

نَذَرْتُ عَلَى لَيْثٍ لَقَيْتُكَ سَالِمًا أَنْ يَسْتَمِرَّ بِهَا شِفَارُ الْجَاذِرِ

فقال معن : أطمعونا من كَيْدِ هذه المظلومة !

وأول من عابَ على الشماخ عرابةً ممدوحه فإنه قال له : بثما كافأتها به .
وكذا عابَ عليه أحيحة بن الجلاح ، فإن الشماخ لما أنشده البيت قال له
أحيحة : بثس المجازاة جازيتها !

(١) هذا النم من الموشح ٧٠ وإن لم ينس البندادي على ذلك .

(٢) كتب المبيعي : « أبيات القصيدة اثنتا عشرة في ديوانه رواية الزبير ، طبع في المجلة (R. A. C. G.) . وفيه : أخو الندى .

(٣) ط : « أخو الندى » والتصحيح للشنقيطي بقله ، ولم يرد في الموشح .

(٤) في الموشح : وتبهما أيضاً .

وَمَنْ رَدَّ عَلَيْهِ مِنَ الشَّعْرَاءِ أَبُو نُوَّاسٍ : رَوَى الْمَرْزَبَانِيُّ فِي كِتَابِ الْمَوْشِحِ (١)
بِسْنَدِهِ عَنْ أَبِي نُوَّاسٍ ، أَنَّهُ قَالَ : كَانَ قَوْلُ الشَّمَاخِ عِنْدِي عَيْبًا ، فَلَمَّا سَمِعْتُ
قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ تَبِعْتُهُ فَقُلْتُ :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَى بَلْعَنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّحَالِ حَرَامٌ (٢)
قَرَّبْنَا مِنْ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَا فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ
وَقُلْتُ أَيْضًا :

أَقُولُ لِقَاتِي ، إِذْ قَرَّبَنِي : لَقَدْ أَصْبَحْتُ عِنْدِي بِالْبَيْنِ
فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْفَرَبَانِ نُحْلًا وَلَا قُلْتُ أَشْرَقَ بِدَمِ الْوَتِينِ
حَرُمْتُ عَلَى الْأَزْمَةِ وَالْوَلَايَا وَأَعْلَاقِ الرَّحَالِ وَالْوَضِينِ
الْوَلَايَا : جَمْعُ وَلِيَّةٍ وَهِيَ الْبَرْدَعَةُ . وَالْأَعْلَاقُ : مَا عُلِقَ عَلَى الرَّحْلِ مِنْ
الْعِهُونِ وَغَيْرِهِ . وَالْوَضِينِ : حِزَامِ الرَّحْلِ .

قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ فِي تَرْجُمَةِ ذِي الرِّمَّةِ : « أَبُو نُوَّاسٍ هُوَ الَّذِي كَشَفَ هَذَا
الْمَعْنَى وَأَوْضَحَهُ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ — وَلَا أَسْتَحْضِرُ الْآنَ مَنْ هُوَ الْقَائِلُ —
لَمَّا وَقَفَ عَلَى بَيْتِ أَبِي نُوَّاسٍ : هَذَا الْمَعْنَى ، وَاللَّهُ ، الَّذِي كَانَتْ الْعَرَبُ تَحْمُومُ
حَوْلَهُ فَتَخَطُّهُ وَلَا تَصِيبُهُ : فَقَالَ الشَّمَاخُ كَذَا وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ كَذَا ، وَمَا أَبَانَهُ (٣)
إِلَّا أَبُو نُوَّاسٍ بِهَذَا الْبَيْتِ ، وَهُوَ فِي نَهَايَةِ الْحَسَنِ » ١٥ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَشَفَ هَذَا الْمَعْنَى الْأَعْمَشِيُّ ، لَا أَبُو نُوَّاسٍ .

(١) الموشح ٦٩ .

(٢) كذا في ط والموشح بالهاء المهملة ، ولها وجه صالح يؤيده قول أبي نواس
في الأبيات التونبية التالية :

حُرِّمَتْ عَلَى الْأَزْمَةِ وَالْوَلَايَا وَأَعْلَاقِ الرَّحَالِ وَالْوَضِينِ
لَكِنَّ الرِّوَايَةَ الْمَعْرُوفَةَ : « الرِّجَالُ » بِالْجِيمِ ، كَمَا فِي ش .
(٣) ش : « وَمَا أَتَى بِهِ » صَوَابُهُ فِي ط .

ورد أبو تمام أيضاً على الشماخ تابعاً لأبي نواس :

لستُ كشماخ المذمم في سوء مكافاته ومجترمه
أشرفها من دم الوتين ، لقد ضلَّ كريم الأخلاق عن شيعته
ذلك حكمٌ قضى بفيصله أحيحة بن الجلاح في أطيه^(١)

وروى المرزباني أيضاً عن أحمد بن سليمان بن وهب أن محمد بن عليّ القنبري الهمداني^(٢) أنشد عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، قوله من قصيدة :

إلى الوزير عبيد الله مقصدها أعنى ابن يحيى حياة الدين والكرم
إذا رميت برحلى في ذراه فلا نلتُ المنى منه إن لم تشرق بدم
وليس ذاك لجرم منك أعلمه ولا للجهل بما أسديت من نعم
لكنه فعلُ شماخ بناقته لدى عرابة إذ أدته للأطم

٤٥٥

فلما سمع عبيد الله هذا البيت قال : ما معنى هذا ؟ فقال له أبي سليمان^(٣) :
أعزَّ الله الوزير ! إن شماخ بن ضرار مدح عرابة الأوسى بقصيدة ، وقال
فيها يخاطب ناقته :

إذا بلغتني وحملت رحلى البيت

فعاب من فعله هذا أبو نواس فقال :

(١) هذه الأبيات لم ترد في ديوان أبي تمام ، وإنما وردت منسوبة إليه في الموشح ٦٩ ويبدو أنها ليست له ، بدليل قول المرزباني : « ورويت لغيره » .

(٢) في الموشح : « الهمداني » بالذال المعجمة .

(٣) في النسختين : « فقال له ابن سليمان » والوجه ما أثبت مطابقاً لما في الموشح ٧٠ وذلك لأن المتحدث هنا هو أحمد بن سليمان ، فيقتضي سياق الكلام - إن كان هو القائل - أن يقول (قلت) . ولشيء آخر ، وهو أن الذي في الموشح بعد قول عبيد الله الآتي : « هذا على صواب والشماخ على الخطأ » ، هو « فقال له أبي » ، دون ذكر لسليمان . وهذا ممرز لما ذكرت .

أقول لناقتي إذ قربتني البيتين
فقال عبید الله : هذا على صواب ، والشمّاخ على خطأ ؛ فقال له أبي^(١) :
قد أتى مولانا الوزير بالحق ، وكذا قال عرابة الممدوح للشمّاخ لما أنشده هذا
البيت : بشما كافأها به اهـ .

(تمت)

(الأولى) قول الشمّاخ : «تلقّاها عرابة باليمن» قال المبرّد في الكامل^(٢) :
قال أصحاب المعاني : معناه بالقوّة . وقالوا مثل ذلك في قول الله عزّ وجل :
(والسّمّوات مطوّراتٌ بيّمينه)^(٣) اهـ .

قال الحاتميّ : أخذ الشمّاخ هذا من قول بشر بن أبي خازم :
إذا ما للكرّمات رُفِعْنَ يوماً وقصّر مُبْتَغوها عن مداها
وضاقت أذرُعُ المثرين عنها ، سما أوسٌ إليها فاحتواها
ورأيت في الحماسة البصريّة نسبة البيت لجندب بن خارجة الطائيّ
الجاهليّ ، ورواه هكذا :

إذا ماراية رُفِعَتْ لمجدٍ سما أوسٌ إليها فاحتواها
وذكر بيتين قبله ، وهما :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ ليقضَ حاجتي فيمن قضاها
فما وطيء الحصى مثل ابنِ سَعْدَى ولا لبسَ النِعال ولا احتذاها
وروى أبو الفرج صاحب الأغاني^(٤) عن الحسين بن يحيى عن حمّاد بن

(١) هذا ما في الموشح ، وهو الصواب . وفي النسختين : « فقال له ابن سليمان » .

(٢) الكامل ٧٥ ليبيك .

(٣) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

(٤) الأغاني ٨ : ١٠١ .

إسحاق عن أبيه أنه قال : عرابة الذي عناه الشماخ بمدحه ، هو أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أوس بن قيطى بن عمرو بن زيد بن جشم ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج : وإنما قال له الشماخ الأوسى وهو من الخزرج ، نسبة إلى أوس بن قيطى^(١) . قال أبو الفرج : لم يصنع إسحاق شيئاً ! عرابة من الأوس لامن الخزرج ، وإنما وقع عليه الغلط في هذا ، لأن في نسب عرابة الخزرج ، وفي الأوس رجل يقال له : الخزرج ، ليس هو الجد الذي ينتمى إليه الخزرجيون الذي هو أخو الأوس ، هذا الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس .. وردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد ، لصغره مع تسعة نفر : منهم ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأبو سعيد الخدري ، وأسيّد ابن ظهير .. وأبوه أوس من المنافقين الذين شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا ، وهو الذي قال : (إِنَّا بِيُوتِنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ^(٢)) وكان من وجوههم . وقد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد . اهـ

قال المبرد في الكامل^(٣) : قال معاوية لعرابة بن أوس بن قيطى النصراني : بيم سدت قومك ؟ قال : لست بسيّدهم ، ولكنى رجل منهم ! فعزم عليه ، فقال : أعطيت في نائبتهم ، وحلّمت عن سفهم ، وشددت على يدى حليمهم ؛ فمن فعل منهم مثل فعلى فهو مثلى ، ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزنى فهو أفضل منى . وكان سبب ارتفاع عرابة : أنه قديم من سفر ، فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المرّى فتحدّثا ، فقال له عرابة : ما الذى أقدمك المدينة ؟ فقال : قدمت لأمتار بها^(٤) ؛ فلأله عرابة رواجه برّا وتمراً ، واتحفه بغير ذلك ، فقال الشماخ ذلك . اهـ

(١) في الأغاني : « نسبة إلى أبيه أوس بن قيطى » .

(٢) الآية ١٣ من سورة الأحزاب .

(٣) الكامل ص ٧٥ .

(٤) في الكامل : « لأمتار منها » .

(الثانية) تتعلق بشعر الفرزدق .

قال القالى في أماليه^(١) : حدثنا أبو بكر قال : أخبرني أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة قال : خرج جرير والفرزدق إلى هشام بن عبد الملك ، مرتدفين على ناقة ، فنزل جرير يبول ، فجعلت الناقة تتلفت ، فضربها الفرزدق وقال :

علامَ تَلَفَّتِينَ وَأَنْتِ تَحْتِ البيتين

ثم قال : الآن يجيء جرير فأنشده هذين البيتين فيرد علي :

تَلَفْتُ أَنَّهُ تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ ، إلى الكيرين والناس الكهم^(٢)

متى تَرِدِ الرُصَافَةُ تُخْزِي فِيهَا كَخَزِيكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ

فجاء جرير ، والفرزدق يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟ فأنشده البيتين ، فقال جرير :

* تَلَفْتُ أَنَّهُ تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ *

كما قال الفرزدق سواء . قال الفرزدق : والله لقد قلت هذين البيتين ! فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ! هـ

(الثالثة) تتعلق بشعر أبي نواس الأول :

قال ابن خلكان ، في ترجمته : لهذا البيت حكاية جرت لي مع صاحبنا جمال الدين محمود بن عبد الله الإربلي ، الأديب المجيد في صنعة الألحان وغير ذلك ، فإنه جاءني إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة في بعض شهور سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وقعد عندي ساعة — وكان الناس مزدهمين

(١) الأمالي ٢ : ٢٣٥ .

(٢) ط : « الكيرين » ، صوابه في ش وديوان جرير ٥٠٢ هـ والأمالي . وجرير يلهج أبدا بذكر القيون وأدواتهم إذا انتهي هجاء الفرزدق .

لكثرة أشغالهم حينئذ — ثم نهضَ وخرج ، فلم أشعر إلا وقد جاء غلامٌ وفي يده رقعة مكتوبٌ فيها هذه الأبيات ^(١) :

يا أيُّها المولى الذى بوجوده أبدت محاسنها لنا الأيامُ
إني حَبَجْتُ إلى جَنابِكَ حَجَّةَ الأَشْواقِ ، مالا يوجبُ الإسلامَ ^(٢) .
وأنختُ بالحرم الشريفِ مَطْيِئَتِي فتسرَّبتُ واستاقها الأقوامُ
فظَلَلْتُ أنْشِدُ عند نَشْدَانِي لها يَتَأَلَّمَن هُوَ فى القَرِيضِ إِمَامُ :
« وإذا المَطْيُ بنا بَلَفَنَ مُحَمَّدًا فظهورُهُنَّ على الرِّحالِ حرام ^(٣) »

فوقفتُ عليها وقلتُ لغلامِهِ : ما الخبر ؟ فقال : إنه لما قام من عندك وجدَ مِدَاسَهُ ^(٤) قد سُرِقَ فاستحسنْتُ منه هذا التضمينَ — والعربُ يشبِّهون النعلَ بالراحلة ؛ وقد جاء هذا فى شعر المتقدمين والمتأخرين ، واستعمله المتنبيُّ فى مواضع من شعره — ثم جاءنى من بعدُ جمالُ الدين المذكورُ ، وجرى ذكر هذه الأبيات فقلت له : ولكن أنا اسمى أحمد لا محمد ! فقال : علمتُ ذلكَ ولكنَّ أحمدُ ومحمدُ واحد . . وهذا التضمين حسن ، ولو كان الأسمُ أى شئ كان . اهـ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد المائة ، وهو من من شواهدس ^(٥) .

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٦ : « فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده » .

(٢) هذا البيت ساقط من ش .

(٣) ش وابن خلكان : « على الرجال » وانظر ما سبق فى ص ٤٠ من هذا الجزء

(٤) فى المصباح (دوس) : « وأما المداس الذى ينتعله الإنسان . فإن صح مباحه فقياسه كسر الميم لأنه آلة ، وإلا فالكسر أيضاً حملاً على النظائر الغالبة من العربية .

(٥) سيبويه ١ : ٤٥٨ . وانظر أيضاً الخزائنة ٣ : ٦٣٩ وابن يعيش ٩ : ١٠ وابن

الشجرى ٢ : ٣٣٢ والانصاف ٦١٧ .

١٦١ (فَتَىٰ وَاغْلِ يَزْرَهُمْ يُحْيُو ۚ وَتُعْطَفُ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِ)

على أنه فصل اضطراراً بين مَتَى ومجزومه فعل الشرط واغل ، فواغل فاعل فعل محذوف يفسره المذكور : أى متى يزرهم واغل يزرهم . وروى أيضاً (يُنْبِئُهُمْ) وروى أيضاً (يُنْبِئُهُمْ) من ناب ينوب .

والواغل : الرجل الذى يدخل على من يشرب الخمر ولم يُدْعَ ؛ وهو فى الشراب بمنزلة الوارش فى الطعام ، وهو الطفيل ، يقال : وغل بالفتح يغل بالكسر وغلا بالسكون فهو واغل ووجل أيضاً بالسكون ؛ كذا فى كتاب النبات للدينورى . والكأس بالهمز مؤنثة ، قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) — وذَكَرَ أسماء الخمر فقال — : ومنها الكأس ، وهو اسم لها ، ولا يقال للزجاجة كأس إن لم يكن فيها الخمر ثم أورد حجباً على ذلك ، منها قول الله تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ^(١)) وقد ردّ عليه أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى ، فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، فيما كتبه على كتاب النبات ، فقال : « قد أساء فى هذا الشرط الكأس : نفس الخمر كما قال ، والكأس : الزجاجة ، وقول الله تعالى الذى احتجّ به هو حُجَّةٌ عليه ، ومثله قوله تعالى : (بَأْكُوبِ وَأَبَاقِ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ^(٢)) أى ظرف فيه خمر من هذه التى هذه صفتها . وقد قال سبحانه : (وَكَأْسًا دِهَاقًا ^(٣)) والدهاق : الملاءى . ولا يجوز أنه أراد خمرأ ملاءى . وهذا فاسد من القول . والعرب تقول : سقاه كأساً مرّة ، و : جرّعه كأساً من السمّ ، وقال :

* وقد سقى القوم كأسَ النعصَةِ السَّهَرِ ^(٤) *

(١) الآية ٤٥ من الصافات . (٢) الآية ١٨ من الواقعة .

(٣) الآية ٣٤ من النبأ .

(٤) لأبى دهب الجعفى ، كما فى الحماسة بشرح المرزوق ١٣٥٠ . وصدره :

* أقول والركب قد مالت عماثهم *

وأوضح من هذا كله وأبعد من قول أبي حنيفة ، ما أشده أبو زياد
لريسان بن عميرة — من بنى عبد الله بن كلاب — :
وأول كأس من طعام تذوقه ذرا قُضِبَ يجلو نقيًا مقلجًا
فجعل سواها كأسا ، وجعل الكأس من الطعام ، وبعض من^(١) تبعيضًا
يدل على صحة ما قلناه . وقال آخر^(٢) .

من لم يمت عبطةً يمت هرما الموت كأس والمر ذائقها
وقال كراع : الكأس : الزجاجة ، والكأس أيضا : الحر . فبدأ بقولنا . اه
وتعطف بالبناء للمفعول .

وهذا البيت من قصيدة لعدي بن زيد العبادي . وبعده :
صاحب الشاهد
(ويقول الأعداء : أودى عدي^٣ وبنوه قد أيقنوا بعلاق)
وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الستين^(٣) .

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد المائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٤) .

١٦٢ (صَعْدَةُ نَابِتَةٌ فِي حَائِرٍ أَيْنَا الرِّيحُ تَمِيلُهَا تَمَلُّ)
لما تقدم قبله . فتكون الريح فاعلة بفعل محذوف يفسره المذكور : أى
أينما تَمِيلُهَا الرِّيحُ تُمِيلُهَا .

(١) أى بعض الحرف من ، أى أفاد التبويض .
(٢) هو أمية بن أبي الصلت كما في العيني ٢ : ١٨٧ ودبوانه ٤٢ ، وعيون الأخبار ٢ : ٣٧٤ ونسب في الكامل ٤٣ إلى رجل من الخوارج .
(٣) الخزائن ١ : ص ٣٨١
(٤) سيبويه ١ : ٤٥٨ . وانظر أيضا الخزائن ٣ : ٤٦٠ ، ٦٤٢ بولاق ، والعيني ٤ : ٤٣٤ ، ٥٧١ وابن السجري ١ : ٣٣٢ ، ٣٤٧ والانصاف ٦١٨ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لابن جُعليل ، منها هذه الأبيات :

أبيات الشاهد

(وضَجِيعٌ قد تَعَلَّتُ به طَيْبٌ أَرْدَانُهُ غَيْرِ تَقِيلُ
 فِي مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ بَرَمٌ وَفِرَاشٌ مُتَعَالٍ مُتَمَهِّلٌ
 فَإِذَا قَامَتْ إِلَى جَارَاتِهَا لَاحَتِ السَّاقُ بِمُخْلَخَالٍ زَجِلٌ
 وَبِمَتْنَيْنِ إِذَا مَا أَدْبَرَتْ كَالْعِنَانَيْنِ ، وَمُرْتَجَجٍ رَهْلٌ
 صَعْدَةٌ قد سَمَحَتْ فِي حَاطِرِ الْبَيْتِ)

الضَجِيعُ : المضاجع ، مثل التديم بمعنى المنادم والجليلس بمعنى المجالس ،
 من الضجوع وهو وضع الجنب على الأرض ؛ وهو مجرور برَبِّ المِقدرة بعد
 الواو ؛ وجملة « قد تعلت » جواب ربِّ وهو العامل في مجرورها ؛ وقد وقع
 جواب ربِّ قبل وصفه ، والتعلل : التلهى . وطيب : صفة ضجيع ،
 وأردانه : فاعله . والتفل ، بفتح المثناة فوقية وكسر الفاء ، وصفٌ من تفلت
 المرأة تفلًا فهي تَفِلَة ، من باب تعب : تركت الطيب والأدهان . والبرم
 بفتحين : مصدرُ برِم به ، بالكسر : إذا سئمه وضجر منه . وفراش مطوف
 على مكان . ومتمهِّل : اسم فاعل من اتمهل الشيء ، على وزن اقشعر ، أى طال
 واعتدل ؛ وأصل المادة تمهل بمثناة فوقية فيم فهاء فلام . وزجل ، بفتح الزاي
 المعجمة وكسر الجيم : أى مصوَّت : وذلك أنهم كانوا يجعلون في اخلاخيل
 جلاجل . وقوله : وبمتنين ، هو تننية متن ، وهو — كما قال ابن فارس —
 مكتنفا الصلب من العصب واللحم ؛ وهو متعلق بمحذوف ، أى وإذا ما أدبرت
 أدبرت بمتنين كالعينين ومرتجج الخ ، وهو مثني عِنان الفرس ؛ وعِنانا المتن :
 حبلاه ؛ أراد أن خصرها مجدول لطيف ؛ وأراد بالمرتجج الكفل . والرهل ،
 بفتح فكسر : المضطرب .

وقوله (صعدة) أى هى صعدة ؛ والصعدة : القناة التى تنبت مستويةً فلا تحتاج إلى تثقيف^(١) وتعديل ؛ وامرأة صعدة : مستوية القامة ، شبهها بالقناة .
 وأنشده الجوهريّ — فى مادة صعد — ولم ينسبه إلى أحد . وقال العينيّ :
 نسبه الجوهريّ إلى الحسام بن صدّاء الكلبيّ . ولا أدريّ أين ذكره
 و (الحائر) بالخاء المهيّلة ، قال أبو نصر : يقال للمكان المظلم الوسط المرتفع
 الحروف : حائر — وأنشد هذا البيت — وإنما قيل له حائر ، لأنّ الماء يتحير
 فيه فيجىء ويذهب . . قال الأعم : الحائر : القرارة من الأرض يستقرّ فيها
 السيل فيتحرّر ماؤه : أى يستدير ولا يجرى ، وجعلها فى حائر لأنّ ذلك أنعم
 لها وأشدّ لثنيّها^(٢) إذا اختلفت الريح اه . وقال أبو بكر الزبيديّ (فى كتاب
 لحن العائمة) : ويقولون للحظيرة تكون فى الدار حيرا ، ويجمعونه أحيارا .
 والصواب حائر وجمعه حوران وحيران . وبالبصرة حائر الحجاج ، معروف .
 وقال أحمد بن يحيى ثعلب : الحائر هو الذى تسمّيه العائمة حيراً وهو الخائط اه .
 وروى بدل نابتة : (قد سمكت^(٣)) أى طالت وارتفعت .

ابن جميل (ابن جُعيل) صاحب هذا الشعر ، بضم الجيم مصغرّ جعل . واسمه
 كعب بن جُعيل بن قُمير ، مصغرّ قر ، ابن عَجْرة بن ثعلبة بن عوف بن مالك
 ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل . وهو شاعر مشهور إسلاميّ
 كان فى زمن معاوية . وفيه يقول عتبة بن الوغل^(٤) التغلبيّ :

(١) ط : « تثقيف » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا عند الأعم (سيويه ١ : ٤٥٨) . وفى ط : « وأسد لنبها » ٢ وفى ش
 « وأشد لنبها » .

(٣) ط « سمت » صوابه فى ش .

(٤) هكذا ضبطه البغداديّ بقله فى نسخه من فرحة الأديب التى سبقت الإشارة
 إليها فى التقديم .

سَمَّيْتُ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمَّى الْجُعَلِ
وَإِنَّ مَكَانَكَ مِنْ وَائِلٍ مَكَانَ الْقُرَادِ مِنْ آسَتِ الْجُعَلِ^(١)

هكذا ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف ؛ ونسب إليه الشعر الذي منه
بيت الشاهد .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(٢) : « وكعب بن جُعيل هو الذي قال له
يزيد بن معاوية : اهيجُ الأنصار ؛ فذله على الأخطل . ولكعب هذا أخٌ يقال
له عُيمِر بن جُعيل بالتصغير ، وهو شاعر أيضاً ، وهو القائل يهجو قومه :
كسا الله حَيِّيَّ تغلبَ ابنةً وائِلٍ مِنْ اللُّؤْمِ أخفاراً بطيئاً نصو لها !
ثم ندم فقال :

نَدِمْتُ عَلَى شَتَى الْعَشِيرَةِ بَعْدَ مَا مَضَتْ وَاسْتَبْتَبْتُ لِلرَّوَاةِ مَذَاهِبُهُ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعًا لَمَّا مَضَى كَمَا لَا يَرُدُّ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ حَالُهُ »

وفي الشعراء شاعر آخر يقال له ابن جُعيل بالتصغير ؛ واسمه شبيب التغلبي
وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى في خبر ما ولا^(٣) وفيهم أيضاً من يقال له
« ابن جُعَل » مكبراً ، وهو تغلبي أيضاً كاللذين قبله ، واسمه عميرة
— بفتح العين — ابن جُعَل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن خبيب بن عمرو
ابن غنم بن تغلب بن وائل ، شاعر جاهلي ؛ وهو القائل :

فَمَنْ مَبْلَغُ عَتِيٍّ إِيسَى بْنِ جَنْدَلٍ أَخَا طَارِقٍ ، وَالْقَوْلُ ذُو نَفْيَانٍ
فَلَا تَوَعَّدَتْنِي بِالسَّلاحِ ، فَإِنَّمَا جَمَعْتُ سِلَاحِي رَهْبَةً الْحَدَثَانِ !

(١) هذا البيت نسبته الأعمى في شرح أبيات سيويه إلى الأخطل .

(٢) الشعراء ٦٣١ — ٦٣٢ .

(٣) في الشاهد ٢٨٣ .

جعت ردينياً كأنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانٍ
كَذَا فِي الْمُؤْتَلَفِ أَيْضاً لِلْأَمْدِيِّ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّالِثُ وَالسُّتُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
شَوَاهِدِ (١) .

١٦٣ (أَلَا رَجُلًا جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا يَدُلُّ عَلَى مُحَصَّلَةٍ تُبَيِّنُ)

عَلَى أَنَّ (أَلَا) عِنْدَ الْخَلِيلِ قَدْ تَكُونُ لِلتَّحْضِيضِ ، كَمَا فِي هَذَا الْبَيْتِ ،
أَيُّ أَلَا تُرُونِي رَجُلًا — هُوَ بَضْمُ النَّاءِ مِنَ الْإِرَاءَةِ ، لَا بَفَتْحِهَا مِنَ الرُّوْيَةِ .

قَالَ سَيَبَوِيهَ : وَسَأَلْتُ الْخَلِيلَ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ ، فَزَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى التَّمْيِ ،
وَلَكِنْ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ الرَّجُلِ : فَهَلَّا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ؟ كَأَنَّهُ قَالَ : أَلَا تُرُونِي رَجُلًا
جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا !

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي الْمَعْنَى « وَمِنْ مَعَانِي أَلَا الْعَرْضُ وَالتَّحْضِيضُ ، وَمَعْنَاهَا
طَلَبُ الشَّيْءِ ؛ وَلَكِنَّ الْعَرْضَ طَلَبٌ بَلِيْنٌ ، وَالتَّحْضِيضُ طَلَبٌ بِحَثٍّ ؛
وَيُتَخَصَّصُ أَلَا هَذِهِ بِالْفِعْلِيَّةِ ، وَمِنْهُ عِنْدَ الْخَلِيلِ هَذَا الْبَيْتُ ، وَالتَّقْدِيرُ عِنْدَهُ :
أَلَا تُرُونِي رَجُلًا هَذِهِ صِفَتُهُ ! فَحُذِفَ الْفِعْلُ مَدْلُولًا عَلَيْهِ بِالْمَعْنَى . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ :
أَنَّهُ مُحْذُوفٌ عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ ، أَيُّ أَلَا جَزَى اللَّهُ رَجُلًا جَزَاهُ خَيْرًا . وَأَلَا
عَلَى هَذَا لِلتَّنْبِيهِ . وَقَالَ يُونُسُ : أَلَا لِلتَّمْنَى ، وَنَوْنُ الْأَسْمِ لِلضَّرُورَةِ . . وَقَوْلُ
الْخَلِيلِ أَوَّلِيْ ، لِأَنَّهُ لَا ضَرُورَةَ فِي إِضْهَارِ الْفِعْلِ بِخِلَافِ التَّنْوِينِ . وَإِضْهَارُ الْخَلِيلِ

(١) سَيَبَوِيهَ ١ : ٣٥٩ . وَانْظُرِ الْخُزَّانَةَ ٢ : ١١٢ ، ٤ / ١٥٦ : ٤٧٧ بُولَاقِ
وَالْمَعْنَى ٢ : ٣٦٦ / ٣ : ٣٥٢ . وَابْنُ يَمِيْنٍ ٢ : ١٠١ ، ١٠٢ وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَعْنَى
٧٧ ، ٢١٩ وَنَوَادِرَ أَبِي زَيْدٍ ٥٦ .

أولى من إضمار غيره ، لأنه لم يُرَدَّ أن يدعو لرجل على هذه الصفة ، وإنما قصد طلبه . وأما قول ابن الحاجب في تضعيف هذا القول : « إنَّ « يدلُّ » صفةٌ لرجل فيلزم الفصل بينهما بالجملة المفسرة وهي أجنبية ، فردود بقوله تعالى (إنَّ أَمْرُؤُ هَآلِكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ^(١)) ثم الفصل بالجملة لازم وإن لم تقدّر مفسرة إذ لا تكون صفة ^(٢) لأنها إنشائية اه كلام المغنى .

وقدّر العامل غير الخليل ألا أجد رجلا . وقدّره بعضهم ألا هاتِ رجلا . وروى أيضاً (ألا رجل) بالرفع والجراً ، فالرفع اختاره الجوهري على أنه فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ، أى ألا يدلّ رجل . وقيل : رجل مبتدأ تخصص بالاستفهام والنفي ، وجملة يدلّ خبره . والجراً على تقدير ألا دلالة رجل ، فحذف المضاف وبقى المضاف إليه على حاله . وقال الصاغاني في العباب : الجر على معنى أماً من رجل . وهما ضعيفان . وجملة جزاه الله خيراً دعائية لا محل لها .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة طويلة لعروة بن قعّاس المرادي . وهذا مطلعها وأبيات منها :

أبيات الشاهد (ألا يا بَيْتُ بالعلواء بَيْتُ ولولا حبُّ أَهْلِكَ ما أَتَيْتُ
ألا يا بَيْت أَهْلِكَ أَوْعِدُونِي كَأَنِّي كُلُّ ذَنْبِهِمْ جَنَيْتُ
ألا بَكَرَ العواذل فاستَمَيْتُ وهل من راشدٍ لي أن غَوَيْتُ ^(٣)) ٤٦٠

(١) الآية ١٧٦ من النساء .

(٢) في النسختين : « إذ لا تكون مفسرة » وهو خطأ ظاهر ، فإن الجملة الانشائية يصح التفسير بها ، وصوابه من معنى اليب (مبحث ألا) .

(٣) في النسختين : « إما غويت » والتصحيح للشنقيطي في نسخته ومما سيأتي في الشرح .

إذا ما فاتني لحمٌ غريضٌ ضربتُ ذراعَ بكري فاشتويت
وكنت متى أرى رِقاً مريضاً يُصاحُ على جنازته بكيتُ
أُمسِي في سَراةِ بني عُطيفٍ إذا ما سامني ضيمٌ أبيتُ
أرجلُ لَتي وأجرُ ذيلي وتحملُ برزني أفقٌ كيتُ
وبيتٍ ليس من شعرٍ وصوفٍ على ظهرِ المطيَّةِ قد بنيتُ
ألا رجلاً جزاه الله خيراً يدلُّ على محصلةِ تيميتُ
ترجلُ لمتي وتقمُ بيتي وأعطيتها الإتاوةَ إن رضيتُ

والبيت الأول من شواهد سيبويه ، نسبة إلى عمرو بن قعاس ، وأورده في باب النداء . قال الأعم : الشاهد فيه رفع البيت ، لأنه قصده بعينه ولم يصفه بالمجرور بعده فينصبه ، لأنه أراد : لي بالعلياء بيتٌ ولكني أو ترك عليه لمحبتي في أهلك .

وقوله : كأنني كلُّ ذنبهم أبيتُ ، قال المازني : معناه : كأنني جنيت كلَّ ذنبٍ أتاه إليهم آت . وقوله : فاستميت : أي علوت عن سماعِ عدلهم ، وهو افتعلت من السمو ، أي أنا أعلُ من أن ألام على شيء ؛ وهل من راشد لي إن غويت . واللحم الغريض : الطرى . والبكر بالفتح . والرق بكسر الراء المهملة . يصف نفسه بالعقة ورقة القلب . وأمسي بالتشديد : لغة في أمسي بالتخفيف . وغطيف بالتصغير جدّه الأعلى . والبرزة ، قال في المصباح : يقال في السلاح برزة بالكسر مع الهاء ، وبرز بالفتح مع حذفها . وروى بدله : (وتحملُ شكتي) بكسر الشين وهي السلاح أيضاً . وأفق بضمتين : الفرس الرائع ، لأنثى والذكر ؛ كذا في العباب . وأنشد هذا البيت . والكُميت من

الخليل : بين الأسود والأحمر ، وقال أبو عبيد : ويفرق بينه وبين الأشقر بالعرف والذنب : فإن كانا أحمرين فهو أشقر ، وإن كانا أسودين فهو الكيت وقوله : وبنت ليس من شعر الخ ، يريد : إنني جعلت ظهراً المطية بدلاً من البيت . وهذا أبلغ من قول محمد بن هانيء الأندلسي :

قومٌ يبيتُ على الحشايا غيرُهم ومبيتهم فوقَ الجياد الضمر

والحشايا : جمع حشية ، وهي الفراش .

وقوله : (يدلّ على محصلة تبيت) المحصلة بكسر الصاد قال الجوهري وابن فارس^(١) — وتبعهما صاحب العباب والقاموس وغيرهما — هي المرأة التي تحصل تراب المدين . وأنشدوا هذا البيت . قال ابن فارس : وأصل التحصيل استخراج الذهب من حجر المدين ، وفاعله المحصل . وهذا ، كما ترى ركيك ، والظاهر ما قاله الأزهرى في التهذيب ، فإنه أنشد هذا البيت وما بعده وقال : هما لأعرابي أراد أن يتزوج امرأة بمثعة . فصاده مفتوحة . وأنشد الأخفش هذا البيت (في كتاب المعاية) وقال : قوله محصلة موضع يجمع الناس أى يحصلهم . وتبيت فعل ناقص مضارع بات ، اسمها ضمير المحصلة ، وجملة ترجل لمتى في محل نصب خبرها . وفيه العيب المسمى بالتضمين وهو توقف البيت على بيت آخر^(٢) وخرجه بعضهم على أنه بضم أوله من أبات ، أى تجعل لى بيتاً أى امرأة بنكاح ، وعليه فلا تضمين ، لكنني لم أجده أبكأت بهذا المعنى في كتب اللغة . وزعم الأعلام أنه فعل تام فقال : « طلبها للميت إما

٤٦١

(١) ط : « وابن قابوس » صوابه في ش وشرح شواهد المغنى للبندادى ١ : ٣٧١ مخطوطة دار الكتب .

(٢) في هامش أصل المطبوعة كما ذكر مصححها : « وفيه أيضاً عيب لم يذكره الشارح ، وهو عيب الردف »

للتَّحْصِيلِ أَوْ الْفَاحِشَةِ . وروى بعضهم : (تَبَيْثُ) بالمثلثة وقال : العرب تقول : بُنْتُ بالشيء بوثاً وبِئْتُهُ بَيْثاً : إذا استخرجته . أراد امرأة تعينه على استخراج الذهب من تراب المدن . وهذا غفلة عما قبله وما بعده .

والترجيل : التسريح وإصلاح الشعر ، واللِّمَّةُ بالكسر : الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن . وقمَّ البيت قمًّا — من باب قتل — : كنسه . والإتاوة قال في المصباح : وأتوته آتوه إتاوة بالكسر : رشوته .

و (عمرو بن قِعَاس) بكسر القاف بعدها عين ، قال الصاغاني في العباب : عمرو بن قعاس ويقال ابن قنعاس أيضاً : أى بزيادة نون بينهما .

وهذه نسبه من جهمرة ابن الكلبي : عمرو بن قِعَاس بن عبد يَعُوثَ بن مخدش بن عَصَر — بالنحريك — ابن غَنَم — بفتح فسكون — ابن مالك ابن عوف بن منبه بن غُطَيْف بن عبد الله بن ناجية بن مالك بن مراد ؛ المرادى المَذْحِجِي . ومن ولد [عمرو ^(١)] ابن قِعَاس هَانِئ بن عُرْوَة بن نِمْران ابن عمرو بن قِعَاس ، قتله عبيد الله بن زياد مع مُسلم بن عَقِيل بن أَبِي طَالِب وصلبهما هـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائة ^(٢) :

١٦٤ (تَعُدُّونَ عَقَرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَيْيُ الْمُقْنَعَا)

(١) التكملة من ش وتحتها كلمة « صح » .

(٢) انظر أيضاً الخزائن ٤ : ٤٩٨ والكامل ١٥٨ والعين ٤ : ٤٧٥ وابن السجري

١ : ٢٧٩ ، ٤ : ٢٣٤ ، ٢ : ٢١٠ وابن يمين ٢ : ٣٨ ، ١٠٢ / ٨ : ١٤٤ ، ١٤٥

والخصائص ٢ : ٤٥٠ وشرح شواهد المفني ٢٧٩ وديوان جرير ٣٣٨ .

على أن الفعل قد حُذف بعد (لولا) بدون مفسّر : أى لولا تعدّون
قال المبرّد في الكامل : لولا ، هذه ، لا يليها إلّا الفعل لأنّها للأمر
والتحضيض مظهر أو مضمراً كما قال :

تعدّون عَقْرَ النِّيب البيت

أى هلاً تعدّون الكميّ المقنعا .

ومثله قدر ابنُ الشجرى في أماليه وقال : أراد لولا تعدّون الكميّ ،
أى ليس فيكم كميّ فتعدّوه .

وكذلك قدره أبو عليّ (في إيضاح الشعر ، في باب الحروف التي يحذف
بعدها الفعل وغيره) وقال : فالناصب للكميّ هو الفعل المرادُ بعد لولا ، وتقديره :
لولا تلقون الكميّ ، أو تبارزون ، أو نحو ذلك ؛ إلا أن الفعل حُذف بعدها
لدلالتها عليه .

فكل هؤلاء كالشارح جعل لولا تحضيضية وقدّر المضارع لأنها مختصة به .
وخالفهم ابن هشام في المعنى ، فجعلها للتوبيخ والتنديم وتخصّص بالماضي ، وقال :
« الفعل مضمّر ، أى لولا عدّتم . وقول النحويّين : لولا تعدّون ، مردودٌ ،
إذ لم يُرد أن يحضّهم على أن يعدّوا في المستقبل ، بل المرادُ توبيخهم على ترك
عدّه في الماضي . وإنما قال تعدّون على حكاية الحال ، فإن كان مراد النحويين
مثل ذلك فحسن » اهـ .

و (تعدّون) اختلف في تعديته إلى مفعولين : قال ابن هشام في شرح
الشواهد : « اختلف في تعدّي عدّ بمعنى اعتقد إلى مفعولين ، فمنه قوم
وزعموا في قوله :

لا أَعْدُّ الإِقْتَارَ عُدْمًا ، ولكنْ فَقَدْ مَنْ قَدْ رُزِيَتْهُ الإِعْدَامُ^(١)
 أَنْ عُدْمًا حَالٌ . وليس المعنى عليه . وأثبتته آخرون مستدلين بقوله :
 فلا تعدد المولى شريكك في الغني ولكننا المولى شريكك في العدم^(٢)

وقوله : تعدون عقر النيب . . الخ ٥١

وجه الاستدلال في البيت الأول أن قوله شريكك . وفي البيت الثاني
 أن قوله أفضل مجدم ، معرفتان لا يجوز نصبهما على الحالية ، لأنها واجبة
 التنكير .

٤٦٢

وقوله : (الكمي المتعنا) منصوب على أنه المفعول الأول لتعدون
 المحذوف بتقدير مضاف ، والمفعول الثاني محذوف : أي لولا تعدون عقر
 الكمي أفضل مجدم . ولا يجوز أن يكون من العدم بمعنى الحساب ، قال اللخمي
 في شرح أبيات الجمل « وأما عدد ، من العدد وهو إحصاء الشيء ، فيتعدى
 لمفعولين أحدهما بحرف الجر . وقد يحذف — تقول : عدتلك المال ، وعددت
 لك المال » ٥١ . فهو متعد باللام ؛ وتقدير (من) لا يستقيم . وقدّر بعضهم
 من حروف الجر من ، وقال : هلا تعدون ذلك من أفضل مجدم . نقله ابن
 المستوفى في شرح أبيات المفصل . وفيه نظر . وذكر أيضا وجوهاً آخر :
 (منها) أن أفضل مجدم بدل من عقر النيب . وفيه أن هذا ليس بدل اشتغال
 ولا بدل بعض لعدم الضمير ، ولا بدل كل لأنه غيره ، ولا بدل غلط لأنه
 لم يقع في الشعر . و (منها) أنه منصوب على المصدر بتقدير مضاف أي تعدون
 عقر النيب عددًا أفضل مجدم . و (منها) أنه نعت أو عطف بيان .

(١) لأبي دواد الإيادي في العيني ٢ : ٣٩١ .

(٢) للذهبي بن بشير في العيني ٢ : ٣٧٧ .

و (العقر) . مصدر عَقَرَ الناقة بالسيف من باب ضرب : إذا ضرب قوائمها به . قال في المصباح : لا يطلق العقر في غير القوائم ، وربما قيل : عقر البعير : إذا نحره . و (النَّيب) : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة . و (المجد) : العز والشرف . و (بنو ضو طرى) : منادى ، قال ابن الأثير في المرصع : بنو ضو طرى - ويقال فيه : أبو ضو طرى : هو ذمّ وسب . وأنشد هذا البيت وقال : وضو طرى هو الرجل الضخم اللثيم الذى لا غناء عنده ، وكذلك الضو طر والضيطر . ومثله فى سفر السعادة ؛ وزاد ضيطاراً ، وقال : وجمع ضيطار ضياطرة . وقال حمزة بن الحسين : العرب تقول : يا ابن ضو طر ، أى يا ابن الأمة . وقال اللخمي : الضو طر : المرأة الحمقاء . و (الكمي) : الشجاع المتكئ في سلاحه ، لأنه كمي نفسه أى سترها بالدرع والبيضة ؛ كذا في الصحاح . و (المقنع) بصيغة اسم المفعول الذى على رأسه البيضة والمقنر . حاصل المعنى : أنكم تعدون عقر الإبل المسنة التى لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها أفضل بجدكم ، هلا تعدون قتل الشجمان أفضل بجدكم ؟ وهذا تعريضٌ بمحببتهم وضمفهم عن مقارعة الشجمان ومنازلة الأقران .

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق .

صاحب الشاهد

و (قضية عقر الإبل) مشهورة في التواريخ ، محصلها أنه أصاب أهل الكوفة جماعة ، فخرج أكثر الناس إلى البوادي — وكان غالب أبو الفرزدق رئيس قومه — فاجتمعوا في أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة ، فعقر غالب لأهله ناقةً صنع منها طعاماً وأهدى إلى قوم من تميم جفاناً ، وأهدى إلى سحيم جفنةً فكفأها وضرب الذى أتى بها ، وقال : أنا مفتقر إلى طعام غالب ؟ ١ ونحر سحيم لأهله ناقة ؟ فلما كان من الغد نحر غالب لأهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين ؛ وفي اليوم الثالث نحر غالب ثلاثاً فنحر

قضية
عقر الإبل

سحيم ثلاثاً ؛ فلما كان اليوم الرابع نحر غالب مائة ناقة ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعقر شيئاً ؛ ولما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عارَ الدهر ، هلاً نحرنا مثل ما نحر غالب ، وكنتا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ١٩ فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونحر نحو ثلاثمائة ناقة . وكان في خلافة علي بن أبي طالب رضى الله عنه فنع الناس من أكلها وقال : إنها مما أهل لغير الله به ولم يكن الغرض منه إلا المفاخرة والمباهاة فجمعت لحومها على كُناسة الكوفة ، فأكلها الكلاب والعقبان والرخم .

وقد أورد القالى هذه الحكاية في ذيل أماليه^(١) بأبسط مما ذكرناه ، وأورد ما قيل فيها من الأشعار وما مدح به غالب وهجى به سحيم .

❖ تمة ❖

بيت الشاهد نسبه ابنُ الشجرى في أماليه للأشهب بن رُميلة . وكذا غيره . والصحيح أنه من قصيدة جرير لا خلاف بين الرواة أنها له . وهى جواب عن قصيدة تقدمت للفرزدق على قافيتها . وكان الفرزدق تزوج حذراء الشيبانية ، وكان أبوها نصرانياً وهى من ولد إسظام بن قيس ، وماتت قبل أن يصل إليها الفرزدق وقد ساق إليها المهر ، فترك المهر لأهلها وانصرف . وكان جرير عاب عليه فى تزويجها ، فقال الفرزدق فى ذلك من قصيدة :

يقولون زُرْ حذراء ، والتربُ دونها ، وكيف بشئ وصله قد تقطعا
يقول ابنُ خنَيرٍ : بكيت ، ولم تكن على امرأة عيني إخالُ لتدعما

وأهون رزءٍ لامرئٍ غيرٍ عاجزٍ رزيةٌ مُرتجٍ الروادف أفوعا
ومامات عند ابنِ المراغة مثلها ولا تبعته ظاعناً حيث دعدعا
فأجابه جرير بقصيدة طويلة منها :

(وحسراء لو لم يُنجها اللهُ برزت إلى شرٍّ ذى حرثٍ دَمالاً ومزرعاً^(١))
وقد كان رجساً طهرت من جماعه وآب إلى شرِّ المضاجع مضجعاً)
ثم قال :

(تعدّون عقر النيب أفضلَ سعيكم ، بنى ضوطرى ، هلا الكى المقنعا
وقد علم الأقوامُ أنّ سيوفنا عجمن حديدَ البَيْضِ حتى تصدعا
ألا ربُّ جبارٍ عليه مهابةٌ سقيناه كأسَ الموت حتى تضلعا)

والقصيدتان مسطورتان أيضاً في منتهى الطلب من أشعار العرب .

وترجمة جرير تقدمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب^(٢) . وتقدمت
ترجمة سُحيم بن وثيل أيضاً في الشاهد الثامن والثلاثين^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائة^(٤) :

١٦٥ (ونبتتُ ليليُ أرسلتُ بشفاعتي إلى ، فهلا نفسُ ليليُ شفيها)
على أن الجملة الاسمية قد وقعت فيه بعد أداة التحضيض شذوذا .

(١) الدمال ، كسحاب : السهاد . ط : « ومن رعا » صوابه في ش مع أثر تصحيح ،
ومن ديوان جرير ٣٣٦ .

(٢) الجزء الأول ص ٧٥

(٣) الجزء الأول ص ٢٦٥

(٤) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ٤/٥٩٧ : ٤٩٨ ، ٥٢٤ بولاق والعينى ٣ : ٤/٤١٦ :

٤٥٧ ، ٤٧٨ والحامسة ١٢٢٠ بشرح المرزوقي وشرح شواهد المغنى ٧٩ .

هذا البيت أورده أبو تمام في أول باب النسيب من الحماسة ، مع بيت ثان وهو :

(أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فِتْبَنَى بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا)

قال ابن جني في إعراب الحماسة : « هَلَا مِنْ حُرُوفِ التَّحْضِيضِ ، وَبَابِهِ الْفَعْلُ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ اسْتَعْمَلَ الْجُمْلَةَ الْمُرَكَّبَةَ مِنَ الْمَبْتَدِئِ وَالْخَبَرِ فِي مَوْضِعِ الْمُرَكَّبَةِ مِنَ الْفَعْلِ وَالْفَاعِلِ ؛ وَهَذَا فِي نَحْوِ هَذَا الْمَوْضِعِ عَزِيزٌ جَدًّا ، وَكَذَا قَالَ شَرَّاحُ الْحَمَاسَةِ . وَخَرَّجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي الْمَغْنَى عَلَى إِضْمَارِ كَانَ الشَّأْنِيَّةِ ؛ أَيْ فَهَلَّا كَانَ هُوَ أَيْ الشَّأْنُ . ثُمَّ قَالَ : وَقِيلَ : التَّقْدِيرُ فَهَلَّا شَفَعَتْ نَفْسُ لَيْلَى لِأَنَّ الْإِضْمَارَ مِنْ جِنْسِ الْمَذْكُورِ أَقْيَسَ . وَشَفِيعُهَا عَلَى هَذَا خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ أَيْ هِيَ شَفِيعُهَا . وَنَسَبَ أَبُو حَيَّانَ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ طَاهِرٍ ، وَنَسَبَ الْوَجْهَ الثَّانِيَ إِلَى الْبَصْرِيِّينَ .

وَنُبِيٌّ يَتَعَدَّى لثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ ، الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ التَّاءُ وَهِيَ نَائِبُ الْفَاعِلِ ، وَلَيْلَى الْمَفْعُولُ الثَّانِي ، وَجُمْلَةُ أُرْسَلْتُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّالِثِ . وَقَوْلُهُ : بِشَفَاعَةِ أَيْ بِذِي شَفَاعَةٍ ؛ فَالْمُضَافُ مَحْذُوفٌ أَيْ شَفِيعًا . يَقُولُ : حُجِّرْتُ أَنْ لَيْلَى أُرْسَلْتُ إِلَى ذَا شَفَاعَةٍ ؛ تَطَلَّبُ بِهِ جَاهًا عِنْدِي ، هَلَّا جَعَلْتَ نَفْسَهَا شَفِيعَةً .

وقوله : أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى الْحُ ، الْاسْتِفْهَامُ إِنْكَارٌ وَتَقْرِيعٌ . أَنْكَرَ مِنْهَا اسْتِعَاثَتَهَا عَلَيْهِ بِالْغَيْرِ . وَقَوْلُهُ : فِتْبَنَى ، مَنْصُوبٌ فِي جَوَابِ الْاسْتِفْهَامِ ، لَكِنَّهُ سَكَنَهُ ضَرُورَةٌ . وَأَمَّ مُتَّصِلَةٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيْ هَذَيْنِ تَوَهَّمْتُ ، طَلَبَ إِنْسَانٌ أَكْرَمَ عَلَى مِنْهَا أَمْ أَتَاهُمَا لَطَاعَتِي لَهَا ؟ ! وَخَبَرُ أَكْرَمَ عَلَى مَحْذُوفٌ ، وَالتَّقْدِيرُ أَكْرَمَ مِنْ لَيْلَى مَوْجُودًا فِي الدُّنْيَا . وَقَدْ أورد ابن هشام هذا البيت في الباب الخامس من المغني ، شاهداً على اشتراط الصفة لما وطئ به من خبر

أو صفةٍ أو حال . وفي أمالي ابن السجري : في البيت إعادة ضمير من أطيحها ضمير متكلم وفاقاً لكنت ، ولم يعد ضمير غائب وفاقاً لامراً ، على حد (بل أنتم قوم تجهلون ^(١)) .

والبيتان نسبهما ابن جني في إعراب الحماسة للصيغة بن عبد الله القشيري قال أبو رياش في شرح الحماسة : « وكان من خبر هذين البيتين ، أن الصيغة بن عبد الله كان يهوى ابنة عمه ، نسى رياءً ، فخطبها إلى عمه فزوجه على خمسين من الإبل ، فجاؤا إلى أبيه فسأله فساق عنه تسعاً وأربعين ، فقال : أكملها ! فقال : هو عمك وما يناظرك في ناقة ! فجاؤا إلى عمه بها ، فقال : والله لا أقبلها إلا أكملها . فليج عمه ولج أبوه ، فقال : والله ما رأيت ألام منكما ، وأنا ألام منكما إن أقت معكما ! فرحل إلى الشام فلقى الخليفة فكلّمه ، فأعجب به وفرض له ، وألحقه بالفرسان . فكان يتشوق إلى نجد ، وقال هذا الشعر : ١٥ .

والصيغة ، كما في جمهرة الأنساب ، هو الصيغة بن عبد الله بن الحارث الصحة القشيري ابن قرة بن هبيرة . كان شريفاً ، شاعراً ، ناسكاً عابداً — وقرة بن هبيرة وفد على رسول الله ﷺ ، فأكرمه وكساه واستعمله على صدقات قومه — وينتهي نسبه إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر .

(تمة)

نسب العتيبي البيت الشاهد إلى قيس بن الملوّح . قال : ويقال : قائله ابن الدُمينة .

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

ونسبه ابن حَلَّكَانَ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ — عَلَى مَا اسْتَقَرَّ تَصْحِيحُهُ
فِي آخِرِ نَسْخَةٍ مِنْهَا — لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الصَّوْلِيِّ ؛ وَأَنَّ أَبَا تَمَّامٍ أَوْرَدَهُ فِي بَابِ
النَّسَبِ مِنَ الْحَمَاسَةِ . وَذَكَرَ أَنَّ وَفَاةَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الصَّوْلِيِّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ
وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَوَفَاةَ أَبِي تَمَّامٍ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَاللَّهُ
تَعَالَى أَعْلَمُ .

* * *

باب التحذير

أُنْشِدَ فِيهِ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالسُّتُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
شَوَاهِدِ (١) .

٤٦٥ ١٦٦ (فَأَيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبٌ)
عَلَى أَنْ حَذَفَ الرَّوَاوُ شَاذَ .

قَالَ س : « أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ إِيَّاكَ زَيْدًا ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ
تَقُولَ : رَأْسُكَ الْجِدَارَ . وَكَذَلِكَ : إِيَّاكَ أَنْ تَفْعَلَ ، إِذَا أَرَدْتَ : إِيَّاكَ وَالْفِعْلَ .
فَإِذَا قُلْتَ : إِيَّاكَ أَنْ تَفْعَلَ ، تَرِيدُ : إِيَّاكَ أَعْظَ خُفَافَةً أَنْ تَفْعَلَ ، أَوْ مِنْ أَجْلِ
أَنْ تَفْعَلَ ؛ جَازَ » .

يَعْنِي أَنَّ [أَنْ (٢)] تَقَعُ بَعْدَ إِيَّاكَ عَلَى وَجْهَيْنِ :

(١) فِي كِتَابِهِ ١ : ١٤١ . وَانْظُرِ الْمَبْنِيَّ ٤ : ١١٣ . ٣٠٨ . وَابْنُ يَمِيشَ ٢ : ٢٥ .
وَالْخَصَائِصُ ٣ : ١٠٢ . وَمَعْجَمُ الْمَرْزُبَانِي ٣١٠ .
(٢) التَّكْمِلَةُ مِنْ شَرْحِ بَحْثِ الشَّنْقِطِيِّ .

أحدهما أن تجعل أن تفعل مصدرًا هو مفعول به ، كما تقول : إياك وزيدًا ،
وأصله أن تقول : إياك وأن تفعل ؛ كما قلت : إياك وزيدًا ؛ ولكنهم حذفوا
الواو لطول الكلام . ويقدر أيضًا إياك من أن تفعل إذا حذرتَه الفعل .

والوجه الآخر : أن تجعل أن تفعل مفعولاً له ؛ وهذا لا يحتاج إلى حرفٍ
عطف ؛ ويجوز أن يقع المصدر موقعه .

فإذا وقع أن والفعل بمنزلة المفعول ، ثم أوقعت المصدر موقعه ، لم يك
بدٌ من إدخال الواو عليه كما تدخل على غيره من المفعولات .

ثم قال سيبويه : « إلا أنهم زعموا أن ابن أبي إسحاق أجاز هذا البيت » ،
وهو قوله : فإياك إياك المراء .. الخ

والشاهد فيه أنه أتى بالمراء وهو مفعول به ، بنير حرف عطف . وعند
سيبويه أن نصب المراء بإضمار فعل ، لأنه لم يعطف على إياك . وابن أبي إسحاق
ينصبه ويجعله كأن والفعل ، وينصبه بالفعل الذي نصب إياك ، وسيبويه يقدر
فيه : اتقى المراء ، كما يقدر فعلاً آخر ينصب إياك . وقال المازني : لما كرر
إياك مرتين ، كان أحدهما عوضاً عن الواو . وعند المبرد : المراء بتقدير أن
تمارى ، كما تقول : إياك أن تمارى : أى مخافة أن تمارى .

وهذا البيت نسبته أبو بكر محمد التارنخي في طبقات النحاة — وكذلك
ابن برّي في حواشيه على دُرّة الغَوَاص الحريّة ، وكذلك تلميذه ابن خلف
في شرح شواهد سيبويه — للفضل بن عبد الرحمن القرشي ، يقوله لابنه (١)
القاسم بن الفضل . قال ابن برّي : وقبل هذا البيت :

صاحب الشاهد

(مَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو الْأَبَاعِدُ نَفْعَهُ إِذَا هُوَ لَمْ تَصْلُحْ عَلَيْهِ الْأَقَارِبُ) والأبعاد : فاعل يرجو . يريد : كيف يرجو الأجانبُ نفعَ رجل أقربه محرومون منه .

و (المراء) : مصدر ماريته أماريه ممرارة ومراء : أى جادلته . ويقال ماريته أيضاً : إذا طعنت فى قوله ، تزييفاً للقول ، وتصغيراً للقاتل . ولا يكون المراء إلا اعتراضاً ، بخلاف الجدال : فإنه يكون ابتداءً ، واعتراضاً . والجدال^(١) مصدر جادل : إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب . كذا فى المصباح .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد المائة ، وهو من شواهد س^(٢) .

١٦٧ (أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَاهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَغِيرِ سِلَاحٍ) على أن (أخاك) منصوب على الإغراء ؛ وهو مكرر . يريد : أزم أخاك . غير أن هذا مما لا يحسن فيه إظهار الفعل عند التكرير ، ويحسن إذا لم يكرر لأنهم إذا كررُوا وجعلوا أحدَ الاسمين كالفعل ، والاسم الآخر كالفعل ؛ وكأنهم جعلوا أخاك الأول بمنزلة أزم ، فلم يحسن أن تدخل الزم على ما قد جعل بمنزلة أزم .

وجملة (إِنْ مَنْ لَا أَخَاهُ الخ) استئناف بياني . وأكد لأنه جواب عن السبب الخاص . ومن : نكرة موصوفة بالجملة بعدها ، وقيل : موصولة .

(١) ط : « والجدل » صوابه فى ش .

(٢) سبويه ١ : ١٢٩ ونسبه الأعلام إلى إبراهيم بن مَرْثمة القرشي ، وإن كان البغدادى قد نسب إلى مسكين الدارمى . وانظر المبنى ٤ : ٣٠٥ والخصائص ٢ : ٤٨٠ والهمع ١ : ١٧٠ / ٢ : ١٢٥ .

ولا : نافية للجنس ، وأخا : اسمها ، واللام مقحمة بين المتضايين ، نحو قولهم :
« يا يؤس للحرب » والخبر محذوف أى موجود ونحوه .

قال ابن هشام فى المغنى : « ومن ذلك قولهم : لا أبأزيد ، ولا أخاله ،
ولا غلامى له ؛ على قول سيبويه : إن اسم لا مضاف لما بعد اللام . وأما على
قول من جعل اللام وما بعدها صفة ، وجعل الاسم مشبها بالمضاف لأن
الصفة من تمام الموصوف ، وعلى قول من جعلها خبرا ، وجعل أبأ وأخا على
لغة من قال : إن أبأها وأبأ أبأها ، وجعل حذف النون على وجه الشنوذ ؛
فاللام للاختصاص ، وهى متعلقة باستقرار محذوف . ١ هـ

وقوله : (كساع إلى الهيجا الخ) خبر إن يقول : استكثر من الإخوان ،
فهم عدة نستظهر بها على الزمان ؛ كما قال النبى ﷺ : « المرء كثير بأخيه » .
وجعل من لا أخاله يستظهر به ، كمن قاتل عدوه ولا سلاح معه . وقد صدق
فإن من قطع أخاه وصرمه ، كان بمنزلة من قاتل بغير سلاح .

وقد أورد هذا البيت أبو عبيد القاسم بن سلام فى أمثاله وقال : « هو
مثل فى استغائة الرجل بأهل الثقة » .

و (الهيجا) : الحرب ؛ تمد وتقصر . قال ابن خلف : وهى فعلاء أو فعلى
فمن قصرها فىكون المحذوف منها ألف المد دون ألف التأنيث . وإنما كان
حذف ألف المد أولى من حذف ألف التأنيث لوجهين : أحدهما أن ألف
التأنيث لمعنى ، وألف المد لغير معنى ؛ فكان حذف ما ليس لمعنى ، أولى
مما جاء لمعنى . والثانى : أن جميع ما قصر ، مما همزته للتأنيث ، لا ينصرف
بعد القصر ؛ ولو كان المحذوف منه همزة التأنيث لانصرف الاسم ، لزوال
علامة التأنيث ، كما صرفت قريقر وحبيبر مضغرى قرقرى وحبارى ، لزوال
علامة التأنيث منه . ألا ترى قوله :

يَارُبَّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا

قصره ولم يصرفه ؟ والقصر فيها ضرورة ، وقيل : هو لغة . ولو كان
المخنوف منه ألف التانيث لقال : يَارُبَّ هَيْجَا هو خير ، وكان ينون هيجاً
فيدكرها ويقول : هو خير ، ولا يقول : هي خير . ا هـ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبيات لمسكين الدارمي . وبعده :

أبيات الشاهد

(وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه) وهل ينهض البازي بغير جناح
وما طالب الحاجات إلا معذباً وما نال شيئاً طالب لنجاح
لما الله من باع الصديق بغيره ، وما كل يبيع بعته برباح
كفسد أدناه ومصلح غيره ولم ياتر ، في ذاك غير صلاح ؟
في الأغاني وغيره : أن مسكيناً الدارمي لما قدم على معاوية أنشده :

إليك ، أمير المؤمنين ، رحلتها تثير القطا ليلاً وهن هجود
على الطائر الميمون والجد صاعد^(١) لكل أناس طائر وجدود
إذا المنبر الغربي خلى مكانه^(٢) فإب أمير المؤمنين يزيد

وسأله أن يفرض له ، فأبى عليه — وكان لا يفرض إلا لليمن — فخرج

من عنده وهو يقول :

أخاك أخاك إن من لا أخا له الأبيات

ولم يزل معاوية كذلك حتى كثرت اليمين وعزت قحطان وضعت عدنان
فبلغ معاوية أن رجلاً من اليمين قال : هممت أن لأحل حبوتي حتى أخرج
كل نزارى بالشام . ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس . فقدم

٤٦٧

(١) في اللسخين : « ساعد » . صوابه من الشراء ٥٢٩ والأغاني ١٨ : ٧٢ .

(٢) ط : « حل مكانه » ، صوابه في ش والشراء ، وفي الأغاني . « خلا ربه » .

لذلك على معاوية عطارْدُ بن حَاجِب ، فقال له : ما فعل الفتي الدارمي الصبيحُ
الوجه الفصيحُ اللسان — يعني مسكيننا — فقال : صالحٌ يا أميرَ المؤمنين ؛
قال : أعلمه أني قد فرضت له ، فله شَرَفُ العطاء^(١) وهو في بلاده ، فإن شاء
[أن^(٢)] يقيمَ بها أو عندنا فليفعل ، فإن عطاءه سيأتيه ، وبشره بأنني
قد فرضتُ لأربعة آلافٍ من قومه . فكان معاوية يُغزى اليمنَ في البحر
وتيمّا في البرّ ، فقال النجاشي ، وهو شاعر النين^(٣) :

ألا أيّها الناس الذين تَجَمَّعُوا بَعَكَا ، أناسُ أنتم أم أباعر
أيتركُ قيساً^(٤) آمنين بدارهم ونزكُ ظهير البحر والبحرُ زَاخر
فوالله ، ما أدري ؛ وإني لسائلٌ أهدانُ تحي ضيمها أم يُحَايِرُ^(٥)
أم الشرفُ الأعلى من أولادِ حَئِر بنو مالك أن تستمرَّ المرائرُ^(٦)
أأوصي أبوم ينيهم أن تَواصَلُوا وأوصي أبوك ينيكم أن تَدَابِرُوا^(٧)

فرجع القومُ جميعاً عن وجههم ، فبلغ ذلك معاوية ، فسكنَ منهم ، وقال :
أنا أغزيكم في البحر لأنّه أرفقُ من الخيل وأقلُّ مؤونة ؛ وأنا أعاقبكم في البرّ
والبحر^(٧) . ففعل ذلك .

(١) في الأغاني ١٨ : ٧٠ : « قد فرضت له في شرف العطاء » .

(٢) التكلفة من الأغاني .

(٣) في الأغاني : « فقال شاعر اليمن » . وبعد إنشاد الأبيات : « قال ويقال
إن النجاشي قال هذه الأبيات » .

(٤) الأغاني : « أترك قيس » .

(٥) يحابر بن مالك بن أدد ، أبو مراد . ثم سميت القبيلة باسمه .

(٦) الأغاني : « إذ تستمر » .

(٧) المعاقبة هنا بمعنى المناوبة .

مسكين
الدارمي

و (مسكين الدارمي) اسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو
ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم .

قال الكلبي : كلُّ عدس في العرب بضم العين وفتح الدال ، إلاَّ عدس
ابن زيد هذا ، فإنه مضموم الدال . هكذا في جهرة النسب .

ومسكين الدارمي شاعر شجاع من أهل العراق ، ولقب المسكين لقوله :
أنا مسكين لمن أنكرني ولن يعرفني جدٌ نطيق^(١)
ولقوله :

وسميت مسكيناً ، وكانت لحاجة وإني لمسكين إلى الله راغب^(٢)
وهذه القصيدة من أحسن شعره :

اتقِ الأحمقَ أن تصحبه إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقت منه جانباً حركته الريح وهناً فانحرق
أو كصدع في زجاج فاحشٍ هل ترى صدع زجاج يتفق !
وإذا جالسته في مجلس أفسد المجلس منه بالخرق
وإذا نهته كي يروعى زاد جهلاً وتمادى في الخرق

(١) الأغاني ١٨ : ٦٨ .

(٢) ورد في هامش النسختين مانصه : « كذا هذا البيت في أكثر الدواوين
والتواريخ ، وأنشدنيه شيخنا الإمام ابن الشاذلي غير مرة :

وسميت مسكيناً وما بي حاجة وإني لمسكين إلى الله راغباً .

وقال لي : هكذا الرواية فيه والله أعلم . ابن الطيب » .

قلت : والذي في الشعراء ٥٢٩ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٣ والأغاني ١٨ : ٦٨ :
« وكانت لحاجة » بجمعين .

٤٦٨

وَإِذَا الْفَاحِشُ لَاقَى فَاحِشًا فَمِنْهُمْ مَنْ وَافَقَ الشَّنَّ الطَّبَقَ
 إِنَّمَا الْفُحْشُ وَمَنْ يَعْتَادُهُ كَغُرَابِ السَّوءِ مَا شَاءَ نَفَقَ
 أَوْ رِحَارِ السَّوءِ إِنْ أَشْبَعَتْهُ رَمَحَ النَّاسَ وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ
 أَوْ غُلَامِ السَّوءِ إِنْ جَوَّعَتْهُ سَرَقَ الْجَارَ وَإِنْ يَشْبَعُ فَسَقَ
 أَوْ كَغَيْرِي رَفَعَتْ مِنْ ذَيْلِهَا نَمِ أُرْخَتُهُ ضَرَاطًا ^(١) فَاتَمَزَقَ
 أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى ^(٢) هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسِ خَلْقٍ
 أَنَا مُسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلَنْ يَعْرِفَنِي جَدُّ نَطَقٍ
 لَا أَبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي ، إِنِّي لَوْ أَبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي لَنَفَقَ
 وَمَنْ شَعَرَهُ يَرْنِي ابْنَ مُحِبَّةٍ ^(٣) :

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ جِهَارًا حِينَ وَدَعْنَا زِيَادَ
 وَرَدَّ عَلَيْهِ الْفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ :

أَمْسِكِينَ ، أَبْكَى اللَّهُ عَيْنَكَ ، إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا إِذْ تَحَدَّرَا
 بَكَيْتَ امْرَأً مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ كَافِرًا كَكَسْرِي عَلَى عِدَائِهِ ^(٤) أَوْ كَقَيْصِرَا
 أَقُولُ لَهُمْ ، لَمَّا أَتَانِي نَعِيَّةٌ : بِهِ لَا بَظْطِي بِالصَّرِيعةِ أَعْفَرَا
 قَالَ الزُّمَخْشَرِيُّ فِي أَمْثَالِهِ : « بِهِ لَا بَظْطِي ، مِثْلُ : أَيْ جَعَلَ اللَّهُ مَا أَصَابَهُ

(١) كَذَا . والصواب : « ضَرَار » كما في الشَّعْرَاءِ ٥٣٠ .

(٢) فِي الشَّعْرَاءِ : « عَمَّنْ قَدْ مَضَى » .

(٣) يَمْنَى زِيَادُ ابْنِ أَبِيهِ . وَصِيَّةُ أُمِّهِ .

(٤) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « عَلَى أَعْدَائِهِ » وَالتَّصْحِيحُ لِلشُّتَيْبِيِّ فِي نَسَخَتِهِ مُطَابِقًا لِذَلِكَ

مَالِي السَّانِ (عَدَدٌ) وَالْأَعْيَانُ ١٨ : ٦٨ . وَفِي مَجْمَعِ يَاقُوتَ : « عَلَى عِلَاتِهِ » تَحْرِيفٌ .
 وَالْعِدَانُ : الزَّمَانُ وَالْمَهْدُ .

لازماً مؤثراً فيه ، ولا كان مثلَ الظبي في سلامته منه . يُضْرَبُ في الشِّمَاتَةِ .
وأنشد هذا البيت .

ثم رأيت المِبدانيَّ قال : « الأعر : الأبيض . أى لِنِزَلُ به الحادثة
لا بظلي . يُضْرَبُ عند الشِّمَاتَةِ . قال جريرُ حين نعى إليه زيادُ ابنُ أبيه . . »
وأنشد هذا البيت ، وقال : ومثله .

* به لا بكلِّ نابجٍ في السِّبَاسِ *

ومن شعر مسكين :

إِصْحَبِ الْأَخْيَارَ وَارْغَبْ فِيهِمْ رَبُّ مَنْ صَحِبْتَهُ مِثْلَ الْجُرْبِ
وَاصْدُقِ النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتَهُمْ وَدَعِ الْكِذْبَ لِمَنْ شَاءَ كَذَبُ
رَبِّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ عِرْضُهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولُ الْحَسَبِ
ومن شعره الجليلِ مما أثبتته السيد المرتضى علم الهدى في أماليه
الدرر والغرر :

إِنْ أَدَعَ مِسْكِينًا فَمَا قَصَرَتْ قَدْرِي بِيوتُ الْحَيِّ وَالْجَدْرِ
مَا مَسَّ رَحْلِي الْعَنْكَبُوتُ وَلَا جَدَايَاهُ مِنْ وَضْعِهِ غُبْرُ^(١)
لَا آخِذُ الصَّبِيَّانَ أَلْتَمَهُمُ وَالْأَمْرُ قَدْ يُعْزَى بِهِ الْأَمْرُ
وَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ تَرَكْتُ ، وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ سِتْرُ
وُخْصَامٍ قَاوَمْتُ فِي كِبْدٍ مِثْلَ الدَّهَانِ فَكَانَ لِي الْعَنُورُ
مَا عَلَيَّ^(٢) قَوْمِي بَنُو عَدُسٍ وَهُمْ الْمُلُوكُ وَخَالِي الْبِشْرُ

(١) ط : « رجلى » ، صوابه في ش وأمالى المرتضى .

(٢) المرتضى : « ما عابني » .

عمى زُرارة غير متحل وأبى الذى حدثته عمرو
 فى المجد غُرُتْنا مبيَّنة للناظرين كأنها البدرُ
 لا يرهَبُ الجيرانُ غدرتنا حتى يوارى ذكرنا القبرُ
 لَسنا كأقوامٍ إذا كَلَّحت إحدى السنينَ فجَارُهُم تمر
 مولاهُم لحمٌ على وَصَمٍ تتنابُه العقبانُ والنسر
 نارى ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليه قبلى مُنزَلُ القدر
 ماضراً جارى أنْ أَجاورَه^(١) أن لا يكونَ ليته سترُ
 أعشى إذا ما جارنى خرجتُ حتى يوارى جارنى الخلدُ^(٢)
 وَيَصمُّ عما كان بينهما مسمى، وما بى غيره وَقرُ^(٣)

٤٦٩

قوله : فاقصرت قدرى الخ ، أى سُرت . يريد : أنها بارزة لا يحجبها
 السَّواتر والحيطان . وقوله : ما مسَّ رَحلى العنكبوت الخ ، هذه كناية مليحة
 عن مواصلة السير وهجر الوطن ؛ لأنَّ العنكبوتَ إنما ينسج^(٤) على مالا تناله
 الأيدي ولا يكثر استعماله . والجديات : جمع جدية بالسكون ، وهى باطن دقة
 الرجل . وقوله : لا آخذُ الصَّينان الخ ، يقول : لا أقبلُ الصبي وأنا أريدُ
 التعرُّضَ لأمِّه . ومثله لغيره :

ولا ألقى لى الودعات سوطى ألاعبه وريته أريد

(١) المرتضى : « إذ أجاوره » .

(٢) المرتضى : « أعشى إذا ما جارنى » .

(٣) التفسير التالى من أمالى المرتضى بنصه ، وإن لم ينص البغدادى عليه .

(٤) المرتضى : « تنسج » وفى اللسان : « الفراء : والعنكبوت أنثى ، وقد يذكرها
 بعض العرب . وأنشد قوله :

على مظاهم منهم بيوت كأن العنكبوت قد ابتناها »

وأنشد ابن الأعرابي في مثله :

إذا رأيت صبيَّ القوم يكتمه ضخمُ المناكب لا عمٌ ولا خالُ
فاحفظ صبيك منه أن يدنسَه ولا يفرّثك يوماً قلةُ المال

وقوله : قاومت في كبَد الخ ، الكبَد : المَزَلَّة التي لا تثبت فيها الأرجل .
والدِّيهان : الأديم الأحمر . وقوله : فكان لي العنبر ، إنما يكون العنبر إذا كان
نَمَّ ظُلم ؛ فيقول : إنما أنا قوم وأخصم مظلوماً متعدى عليه ؛ وإذا كان كذلك ،
فيجب الاعتذار على الظالم ويكون العنبر لي ، كقوله :

فإن كان سحرًا فاعذريني على الهوى وإن كان داءً غيره فلك العنبرُ
وقوله : فجارهم تمر ، أى يُستحلى العنبر به كما يُستحلى التمر . وقوله :
نارى ونار الجار واحدة الخ ، يقال : إنه كانت له امرأة تماضه^(١) ؛ فلما قال
ذلك قالت له : أجل ، إنما ناره ونارك واحدة لأنه أوقد ولم توقد ، والقدر
تُنزل إليه قبلك ، لأنه طَبِخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه . . وقوله : أن لا يكون
ليته ستر ، يقال : إنها قالت له : أجل ، إن كان له ستر هتكته !

وقوله : أعشى إذا ما جارتى خرجت ، استشهد به في التفسير عند قراءة
(وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ^(٢)) بفتح الشين ، ولأجله أوردت هذه
القصيدة ، فإن شُراح شواهد التفسير اختلفوا في هذا البيت : فبعضهم نسبه
إلى حاتم الطائي ، وبعضهم نسبه إلى غيره . قال صاحب الكشف : ومن
يعش بضم الشين وفتحها ؛ والفرق بينهما : أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل :

(١) ماضه ماضة ومضاضاً : لاهاء ولاجه . وفي أمالي المرتضى :

« تماظه » ، بالطاء ، وما بمعنى .

(٢) الآية ٣٦ من الزخرف . وقراءة « يعش » بفتح الشين هي قراءة يحيى بن سلام
والحسن البصري ، كما في تفسير أبي حيان ٨ : ١٥ — ١٦ .

عِشَى ، وإذا نظر نظر العُشَى ولا آفة به قيل : عِشَا . ونظيره عَرَج لمن به الآفة ، وعَرَج لمن مشى مشية المُرْجَان من غير عَرَج ، قال الخطيئة :
 * متى تَأْتِيَتْ تَعْشُوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ^(١) * .

أى تنظر إليها نظر العُشَى ؛ لما يُضْعَفُ بَصْرُكَ مِنْ عِظَمِ الْوَقُودِ ، واتساع الضَّوْءِ . وهو بَيِّنٌ فى قول حاتم :

أَعْشَوْا إِذَا مَا جَارَتِى بَرَزْتُ حَتَّى يُوَارِىَ جَارَتِى الْخِذْرُ
 وَقرئُ « يَعْشُوْا » ^(٢) . ومعنى القراءة بالفتح : وَمَنْ يَعْمَ عَنْ ذِكْرِ
 الرَّحْمَنِ ، وَهُوَ الْقُرْآنُ . وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ بِالضَّمِّ فَمَعْنَاهَا : وَمَنْ يَتَعَامَلُ عَنْ ذِكْرِهِ ،
 أَيْ يَعْرِفُ أَنَّهُ الْحَقُّ وَهُوَ يَتَجَاهَلُ وَيَتَغَابَى . اهـ مختصراً .

٤٧٠

* * *

باب المفعول فيه

أُشْدَ فِيهِ ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد المائة ، وهو من شواهد س ^(٣) .

١٦٨ (فَلَا يَفِيْنِيْكُمْ قَنًا وَعُوَارِضًا وَلَا قِبْلَانَ اٰخِلِيْلَ لَا بَةَ ضَرْغَدِ)
 على أن (قَنًا وَعُوَارِضًا) منصوبان على إسقاط حرف الجر ضرورة ،
 لأنهما مكانان مختصان ، لا ينتصبان انتصاب الظرف . وهما بمنزلة ذهب
 الشام فى الشذوذ .

(١) تمامه كما فى الديوان ٢٥ :

* تَجْدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقَدِ *

(٢) هى قراءة زيد بن على ، كما فى تفسير أبى حيان ٨ : ١٦ .

(٣) فى كتابه ١ : ٨٢ ، ١٠٩ بولاق . وانظر ديوان عامر بن الطفيل ١٤٤ وأمال
 ابن الشجرى ٢٤٨ .

أَوْ عَدَّ أَعْدَاءَهُ بِتَتَبِعَهُمْ ، وَالْإِيقَاعَ بِهِمْ حَيْثُ حَلُّوْا فِي الْمَوَاضِعِ الْمُنِيْعَةِ .
وَمَعْنَى لَا بُغْيَيْنَكُمْ : لَا أَطْلُبُكُمْ . وَالْبُغْيُ لَهُ مَعْنَيَانِ : أَحَدُهُمَا الطَّلَبُ ، يُقَالُ :
بَغَيْتَ الضَّالَّةَ . فَهُوَ مُتَعَدٍّ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ . وَالْآخَرُ الظُّلْمُ وَالتَّعَدُّى ؛ يَتَعَدَّى
بِعَمَلٍ ، يُقَالُ : بَغَى فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ . فَهُوَ فِعْلٌ لَازِمٌ .

و (قَنَّا) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِىُّ فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْمَجَ : هُوَ يَفْتَحُ الْقَافَ
وَبَعْدَهُ نُونٌ ، وَهُوَ اسْمٌ مَقْصُورٌ يَكْتُبُ بِالْأَلْفِ ، لِأَنَّهُ يُقَالُ فِي تَنْثِيثِهِ : قَنَوَانٍ ؛
هُوَ جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي ذُبْيَانَ ، قَالَ النَّابِغَةُ (١) :

فِيمَا تُحْكِرِي نَسِجِي فَأُنِّي مِنْ الصَّهْبِ السَّبَالِ بَنِي ضِبَابِ
فَإِنَّ مَنَازِلِي وَبِلَادَ قَوْمِي جُنُوبُ قَنَّا هَنَالِكِ كَالْهَضَابِ (٢)
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : قَنَّا بِلَادِي بَنِي مُرَّةٍ ؛ وَقَالَ الشَّمَاخُ :
تَرَجَّعَ مِنْ جَنْبِي قَنَّا فَمَوَارِضُ نِتَاجِ الثَّرْيَا نَوْمَهَا غَيْرُ مُخْدَجِ (٣)
وَيَنْبَنُكَ أَنْ قَنَّا جَبَلَانِ ، قَوْلُ الطَّرِمَّاحِ :

نَحَافَ يَشْكُرُ وَاللَّوْمُ قَدِمًا كَمَا جَبَلَا قَنَّا مُتَحَالِفَانِ
وَلَكُونَهُ اسْمُ جَبَلَيْنِ يَتْنِي فَيُقَالُ : قَنَوَيْنَ ، قَالَ الشَّمَاخُ :
كَأَنَّهَا وَقَدْ بَدَأَ عَوَارِضُ وَاللَّيْلُ بَيْنَ قَنَوَيْنَ رَابِضُ
بِحَكْمَةِ الْوَادِي قَطَا نَوَاهِضُ

وَبِمَا ذَكَرْنَا لَا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ الْقَوَاطِيَّةِ ، كَمَا قَالَهُ أَبُو حَيَّانَ

(١) الْبَيْهَانُ لَيْسَا فِي دِيْوَانِهِ . وَانْظُرْ مَعْجَمَ مَا اسْتَعْمَجَ ١٠٩٦ .

(٢) فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْمَجَ : « هَنَالِكُ فَالْهَضَابُ » .

(٣) ش : « قَنَاجُ الثَّرْيَا » صَوَابُهُ فِي ط وَالْدِيْوَانِ ١٣ وَرَوَايَتُهُ فِيهِ :

تَرَجَّعَ مِنْ حَوْضِ قَنَانَا وَثَادَقَا نِتَاجَ الثَّرْيَا حَمَلَهَا غَيْرُ مُخْدَجِ
نِتَاجِ الثَّرْيَا مَا يَنْبَنِي مَطَرُهَا . وَحَمَلَهَا : مَاؤُهَا . غَيْرُ مُخْدَجِ : غَيْرُ نَاقِصٍ .

في تذكّره : لا أعرف قنّا في الأمكنة ، وإنما هو قنّا بالموحدة ، وليس قنّا
المدينة ولا قنّا بطريق مكة ، هذان يذكران ويؤثّنان ، وذلك يذكر لا غيره
ومن ذكره قصره وصرفه ، ومن أثّته مدّه ولم يصرفه اهـ

وأقول : لم يذكر أحدٌ ممن أُلّف في المقصور والمدود ، أن قنّا يمدّ .

وروى ابن الأنباري في المفضليات :

* فلا بُعِثَكم المَلَأَ وعَوَارِضا *

والمَلَأَ بالفتح : من أرض كلب . وأُبْعِثَكم من النّعي ، بالنون ، أي
لأذكرنّ مما بكم وقبيح أفعالكم . يقال : فلان بُعِثَ على فلان ذنوبه : أي
يذكرها ويصِفُها . وروى الحرّمازي : « فلا بُعِثَكم المَلَأَ » من البُعْثِ ، وهو
الطلب . ولم يقع في رواية ابن الأنباري : قنّا ، بدل المَلَأَ .

٤٧١

و (عَوَارِض) بضم العين المهملة وكسر الراء وبعدها ضاد معجمة : جبل
لبنى أسد ، وقال أبو رياش : هو جبل في بلاد طيٍّ ، وعليه قبر حاتم . وهذا
هو الصحيح . كذا في معجم ما استعجم . و (اللابة) : الحرة بالفتح ، وهي
أرض ذات حجارة [سَوْدٍ ^(١)] . و (ضَرْغَد) بفتح الضاد والغين وسكون
الراء ؛ قال أبو عبيد البكري : هي أرض لهذيل وبني غاضرة وبني عامر
ابن صعصعة ، وقيل هي حرة بأرض غطفان من العالية ، وقال الخليل : ضَرْغَد :
اسم جبل ، ويقال : موضع ماء ونخل اهـ . وقال أبو محمد الأعرابي : ضَرْغَد من
مياه بني مُرّة .

وقوله : ولا تُبْلَنَ الخليل ، هكذا رواه سيبويه . وفيه قولان :

(١) قيد للحجارة ، وبدونه لا يتحقق معنى الحرة ، ولعلها سقطت من النسخ .

(أحدهما) لأبي على الفارسي ، وهو أنه فعل لازم يتعدى بحرف الجر ، والأصل لأقبلن بالخليل إلى لابة ضرغد . كذا حكاه عنه أبو البقاء في شرح الإيضاح للفارسي ، وابن خلف في شرح أبيات سيبويه ، والسخاوي في سفر السعادة^(١) قال : لأن أقبل فعل غير متعد كقوله تعالى : (فأقبل بعضهم على بعض)^(٢) وتقول : أقبلت بوجهي عليه ؛ فأجاز هنا حذف حرفي جر في فعل واحد . وهذا تعسف ، مع أنه منع حذف على ، من قولهم : كررت على مسمعى ، وهو حرف واحد .

والقول (الثاني) للعبدري شارح الإيضاح ، وهو أن أقبل هنا متعد بمعنى جعل مقابلاً ، وليس ضد أدبر . والمعنى : لأجعلن الخليل تقابل ؛ فهو متعد إلى مفعولين . وهذا هو المعروف في اللغة ، فإن قبل بدون همزة يتعدى إلى مفعول واحد بمعنى استقبل ، وأقبل بالهمز يتعدى إلى مفعولين قال أبو زيد في نواتره : قبلكت الماشية الوادي تقبله قبولا ؛ إذا استقبلته ، وأقبلتها إياه . وقال صاحب الصحاح : وأقبلته الشيء : أي جعلته يلي قبائله ؛ وأقبلت الإبل أفواه الوادي . وحكى السخاوي في سفر السعادة عن شيخه الإمام الشاطبي : أقبلته الرمح : إذا جعلته قبله . وقال أبو حيان في تذكرة : ما نقله أبو زيد نقله المهجري أيضاً في نواتره ، وفي الحديث : أن حكيم بن حزام كان يشتري العير من الطعام والإدام ثم يُقبلها الشعب . وأنشد الشيباني :

أكلفها هواجرَ حامياتٍ وأقبلُ وجهها الرمحَ القبولاً ١٥

وروى غير سيبويه ، منهم ابن الأنباري في شرح المفضليات :

(١) منه نسخة في دار الكتب المصرية بخط البغدادي (برقم ٧٨ مجاميع ٢) كتبها سنة ١٠٧٤ . ومها كتاب فرحة الأديب للأسد الفندجاني بخط البغدادي أيضاً .
(٢) الآية ٥٠ من الصافات ، و ٣٠ من القلم .

* ولأهبطن الخيل لابة ضرغد *

قال : وروى أيضاً : « ولأوردن الخيل » .

وهذا البيت من قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً لعامر بن الطفيل العامري .
قال أبو محمد الأعرابي : قالها عامر يوم الرقم ، يوم هزمتهم بنو مرة ففرَّ عامر ،
واشتق أخوه الحكم بن الطفيل . وفي ذلك اليوم قتل عُقبة بن أنيس الأشجعيّ
مائة وخسين رجلاً من بني عامر ، أدخلهم شِعْب الرِّقْم فذببهم . فسئى عُقبة
ذلك اليوم مذبحاً . والمحاطب بشعر عامر بنو مرة وفزارة . وقنا وعوارض :
جبلان من بلاد بني فزارة . . وأولها :

صاحب
الشاهد

٤٧٢

(ولتألن أسماء وهي حفيّة نُصَحَاءها: أطردت أم لم أطرد)

قال ابن الأنباري : أسماء بنت قدامة بن سكين الفزاري ، قال أبو محمد
الأعرابي : كان يهواها عامرٌ ويشبب بها في شعره ، وكان قد فجر بها . انتهى .
ونصحاء : جمع نصيح . وروى شارح ديوانه : (فُصَحَاءها) بالفاء ، قال :
هو جمع فصيح . وطردت ، بالبناء للمفعول والتَّكْلُم .

قصيدة
الشاهد

(قالوا لها : فلقد طردنا خيله قَلَح الكلاب . وكنت غير مُطَرَّد)
قَلَح منصوبٌ على الذم ؛ والقَلَح : صفرة تعلو الأسنان ، شبه عامر
بني فزارة بها . وجملة وكنت إلى آخره حال .

(لا ضير ، قد عركت بمرّة برّكها وتركنا أشجع مثل خشب الفرقد)
هذا البيت لم يروه الفضل في المفضليات ولا شراحها . قال شارح
الديوان ^(١) : يقال للصّدر : برّك بالفتح ، وبركة بالكسر . وأشجع قبيلة .
والفرقد : شجر .

(١) ذكر المبيني أنه الأنباري .

(فَلأَبغينَكم قنًا وعوارِضا البيت)

هذا التفاتٌ من الغيبة إلى التكلم . خاطبَ بنى فزارة .

(بالخيل تعثرُ في القَصِيدِ كأنَّها حَدًا تَتَابَعُ في الطريق الأَقْصَدِ)

القَصِيد : كَسَرَ القنا ، جمع قَصيدة . والحِدَا كعنب : جمع حِدَاة كعنبه ،
وهى طائرٌ معروف . وبالخيل : متعلق بأقْبِلَن في البيت قبله . وجملة تعثرُ حالٌ
من الخيل .

(في ناشئ من عامرٍ ومجربٍ ماضٍ إذا سقط العنانُ من اليدي)

لم يروِ هذا البيت أيضاً صاحب المفضليات ^(١) . قال شارح الديوان :
الناشئُ الحدث حين نشأ . وقوله : سقط العنان ، أى لشدة الجهد .

(ولأَثَارَنَ بمالكٍ وبمالكٍ وأخى المروَرةَ الذى لم يُسَدِّ)

معطوف على قوله : فَلأَبغينَكم . يقول : لأدركَنَّ بثأر مالك ومالك ،
أى لأقتلَنَّ بهما . والمروَرة بالفتح : موضعٌ بظهر الكوفة ؛ وقال البكرى
في المعجم : هو جبلٌ لأشجع . وقوله لم يسد : أى لم يُدفن ولكن ترك
للسباع تأكله .

(وقتيلُ مُرَّةٍ أَثَارَنَ فَإِنَّهُ فَرِغَ وَإِنْ أَخَاهُمُ لم يُقْصَدِ)

قتيل يروى بالحركات الثلاث : بالجر عطفاً على ما قبله أو الواو للقسام ،
وبالرفع على المبتدأ والخبر أَثَارَن ، وبالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف يدل
عليه أَثَارَن . وليس مفعول أَثَارَن المذكور ، لأنَّ الفعل المؤكَّد لا يتقدَّم معموله
عليه . ومُرَّة : قبيلة . وَأَثَارَن ، توكيده يأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى

(١) ط : « لصاحب المفضليات » ، صوابه في ش . وذكر الميمني أن البيت لم يرد
في ديوانه ، وإنما هو عند السيوطى ٣١٦ عن شرح أبيات الإيضاح .

في أدوات القسم ^(١) و فرغ روى بكسر الفاء والغين المعجمة بمعنى الهدر ؛ وروى بفتحها مع العين المهملة . أراد أنه رأس عالٍ في الشرف . ولم يُقصد : لم يقتل ؛ يقال : أقصدت الرجل : إذا قتلته . يقول : قتيلُ بني مُرَّة صار دمه هدرًا ، فلا بد من أخذ ثأره منهم ، فإنَّ أخا بني مرة لم يُقتل إلى الآن ؛ فلا بد من قتلهم وأخذ الثأر منهم .

٤٧٣

وبقية الآيات لا حاجة لنا بها .

و (عامر بن الطفيل) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري . وهو ابن عمِّ ليبيدٍ الصحابي . وكنية عامر في الحرب أبو عقيل ، وفي السلم أبو علي . وكانت أصيبت إحدى عينيه في بعض الحروب .

عامر ابن
الطفيل

قال ابن الأنباري في شرح المفضليات : كان عامرٌ من أشهر فرسان العرب ، بأساً ونجدة ، وأبعدِها اسماً ؛ حتَّى بلغ أن قيصرَ كان إذا قدِم عليه قادمٌ من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فإن ذكر نسباً عظُم عنده ؛ حتَّى وفد عليه علقمة بن عُلاثة فاتسب له . فقال : ابنُ عمِّ عامرِ ابن الطفيل ؟ فنضب علقمة ، وكان ذلك ممَّا أوغر صدره وهيجه إلى أن دعاه إلى المنافرة . وكان عمرو بن معد يكرب — وهو فارسُ اليمن — يقول : ما أبالي أيَّ ظعينةٍ لقيتُ على ماءٍ من أمواه معدَّة ، ما لم يلقني دونها عبداها أو حرًّاها ؛ ويعني بالحرِّين : عامر بن الطفيل ، وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب اليربوعي ؛ وعني بالعبدِين : عنترَةُ العبسيُّ والسُّلَيْكُ بن السُّلَكَة . قال الأثرم : ويقال : كانت المنافرة أن علقمة بن عُلاثة شرب الخمر ، فضربه عمرُ الحدَّ ، فلحق بالروم فارتدَّ ؛ فلما دخل على ملك الروم قال : انتسب .

(١) في الشاهد الثاني عشر بعد الثمانمائة .

فانتسب له علقمة . فقال : أنت ابنُ عمِّ عامرِ بنِ الطفيل ؟ فقال : ألا أراني لأعرفُها هنا إلا بعامر ؟ فغضب فرجع فأسلم (وتقدم بيان المنافرة في الشاهد السادس والعشرين^(١)) .

ولما قدمت وفودُ العرب على رسول الله ﷺ في سنة تسعٍ من الهجرة ، قدم وفدُ بني عامر ، فيهم عامرُ بنُ الطفيل ، وأربدُ بنُ قيس أخو لبيد الصحابيِّ لأمه — وكانا رئيسي القوم ومن شياطينهم — فقدم عامر بن الطفيل عدوَّ الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدَرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إنَّ الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنهي حتى تتبع العرب عقبِي^(٢) فأنا أتبع عَقِبَ هذا القتيِّ من قريش ثم قال لأربدَ : إذا قدِمنا على الرجل فإني شاغلٌ عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعلهُ بالسيف ، فلما قدِما على رسول الله ﷺ وجعل يكلمه وينتظر من أربدَ ما كان أمره به ، فجعل أربدُ لا يُحِير شيئاً ، فلما رأى عامرُ ما يصنعُ أربدُ قال له عامر : أتجعلُ لي نصفَ نِمارِ المدينة ، وتجعلني وليَّ الأمر من بعدك وأسلم^(٣) ؟ فأبى عليه صلى الله عليه وسلم ، فانصرف عامرُ وقال : أمَّا والله لأملأَنَّها عليك خيلاً ورجالاً . فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني عامرَ بنَ الطفيل . فلما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربدَ : ويلك يا أربدُ : أين ما كنتُ أمرتُك به ، والله ما كان على ظُهر الأرض رجلٌ أخوفُ عندي عليَّ منك ، وآيمُ الله لا أخافُك بعدَ اليوم أبداً . قال : لا أبالك ، لا تعجلُ عليَّ ، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دَخَلتُ بيني وبين الرجل حتى

(١) في الجزء الأول من الخزانة ص ١٨٣ وما بعدها

(٢) ط : « عن تتبع العرب عقبِي » ، صوابه في ش والنبرة ٩٣٩ .

(٣) ط : « وتجعلني وليَّ الأرض بعدك فأسلم » ، صوابه في ش .

٤٧٤

ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟^(١) وخرجوا^(٢) راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطفيل الطّاعونَ في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأةٍ من بني سلول فجعل يقول : « يا بني عامر ! أغدّة كغدّة البكر في بيت امرأةٍ من بني سلول^(٣) » ! ثم خرج أصحابه حين واروه التراب ، حتى قدموا أرض بني عامر ، فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لاشئ ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيءٍ لودِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِالْقَبْلِ حَتَّى أَقْتَلَهُ . فخرج بعد مقاله بيوم أو يومين ، معه جملٌ له يبيعه ، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقةٍ فأحرقتهما .

وروى ابنُ الأنباري في شرح الفضليّات : لما مات عامرُ نصبت بنو عامر أنصاباً^(٤) ، ميلاً في ميلٍ حتى على قبره ، لا تُنشر فيه راعيةٌ ، ولا يرعى ، ولا يسلكه راکبٌ ولا ماشٍ ، وكان جبّار بن سلمى بن عامر بن مالك غائباً ، فلما قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبتها حتى على قبر عامر . فقال : ضيقتم على أبي عليٍّ ، إنَّ أبا عليٍّ بآنٍ من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجملُ ، وكان لا يضلُّ حتى يضلَّ النجم ، وكان لا يبحنُّ حتى يبحنَّ السيل ! ولعامرٍ وقائعٌ في مدحٍ وختمٍ وغطفانٍ وسائر العرب .

* * *

(١) في السيرة ٩٤٠ : « وخرجوا » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال أغدّة كغدّة الإبل وموتا في بيت سلولية » .

قال الميمني : وهو مثل عند الميداني ٢ : ٣ والعسكري ٢٦ وثمار القلوب ٣٨٢ والنويري ٣ : ٤٢ والآل ٧١ .

(٣) الأنصاب : جمع نصب ، بضمين ، وهي كل ماعبد من دون الله . ط « نصاباً » صوابه في ش وابن الأنباري ٧٠٥ .

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد المائة ، وهو من شواهدس^(١) :

١٦٩ (لَدَنْ يَهْرُ الكَفِّ يَعْلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَمَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ)
على أن حذفَ حرف الجرِّ من (الطريق) شاذٌّ . والأصلُ : كما عسل
في الطريق الثعلبُ .

قال ابن هشام في المغني : « وقول ابن الطَّرَاوَةِ : إِنَّهُ ظَرْفٌ ، مردودٌ
بأنه غير مبهم . وقوله : إِنَّهُ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يَقْبَلُ الاسْتِطْرَاقَ فَهُوَ مَبْهَمٌ
لِصِلَاحِيَّتِهِ لِكُلِّ مَوْضِعٍ ، مُنَازَعٌ فِيهِ ، بَلْ هُوَ اسْمٌ لِمَا هُوَ مُسْتَطَرَّقٌ . انتهى
وقال الأَعْلَمُ : استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق ، وهو
اسمٌ خاصٌّ للموضع المستطرق ، بغير واسطةٍ حرفٍ جرٍّ تشبيهاً بالمكان ،
لأن الطريق مكان . وهو نحو قول العرب : ذَهَبْتُ الشَّامَ . إِلَّا أَنَّ الطَّرِيقَ
أَقْرَبُ إِلَى الْإِبْهَامِ مِنَ الشَّامِ ، لِأَنَّ الطَّرِيقَ تَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ يُسَارُّ فِيهِ ،
وَلَيْسَ الشَّامُ كَذَلِكَ .

وهذا البيتُ من قصيدة طويلة عدتها اثنان وخمسون بيتاً ، لساعدة صاحب الشاهد
ابن جُوَيْة الهذلي . وقبل بيت الشاهد هذه الأبيات :

(فَتَعَاوَرُوا ضَبْرًا ، وَأُشْرِعَ يَدْنَهُمْ أَسْلَاتُ مَا صَاغَ الْقِيُونُ وَرَكَّبُوا أَيْبَاتِ الشَّاهِدِ
مِنْ كُلِّ أَسْحَمٍ ذَابِلٍ ، لَا ضَرَّةَ قِصَرٍ ، وَلَا رَأْشُ الْكُؤُوبِ مُثْلَبُ
خَرَقٍ مِنْ انْخَطَطَى أَغْضُ حُدَّةٍ مِثْلِ الشَّهَابِ رَفَعَتْهُ يَتْلَهَبُ
مِمَّا يُتَرَّصُ فِي الثَّقَافِ يَزِينُهُ أَخَذِي كَخَافِيَةِ الْعِقَابِ مُخَرَّبُ

(١) في كتابه ١ : ١٦ ، ١٠٩ . وانظر الخصائص ٣ : ٣١٩ وابن السجري
١ : ٤٢ / ٢ : ٢٤٨ وشرح شواهد المغني ٥ ، ٢٩٩ والأشعوني ٢ : ٩١ ، ٩٧
والصريح ١ : ٣١٢ وديوان الهذليين ١ : ١٩٠ وشرح أشعار الهذليين ١١٢٠ .

لدى بهز الكف يعسل مَنَّهُ البيت)

التعاور: التداول باللعن وغيره. والضبر بفتح المعجمة وسكون الموحدة: مصدر ضَبَر: إذا وثب؛ والضَبَر: الجماعة أيضا. وروى موضعه: (ضرباً). وأشرعت الرمح: أى أملت. والأسلات: الرماح. والقيون: جمع قين، وهو الحداد. وأراد: بما صاغ القيون الأسنة. وقوله: من كل أسم: أى أسود. وروى بدله: (أسم). وكذلك روى: (أطلى) وهو بمعناه. وأراد به الرمح. وذابل: قد جفّ وفيه لين. يقول: ليس به قصر فيضرة ولا ضعف فيشد. فى الصحاح: «ورمح راشر أى خوار. وناقاة راشة: ضعيفة». وهو من مادة الریش. وهو خبر مبتدأ محذوف: أى ولا هو راشر الكعوب. ومُعَلَّب: خبرٌ بعد خبر. والمعلَّب: اسم مفعول من علَّبت الشيء: إذا شدَّته وخزَّمته بعُلباء البعير؛ والعلباء بالكسر والمد: عصب العنق. وقوله: خرق من الخطى، هو بكسر الخاء وسكون الراء وبالجر: صفة لأسم ذابل. قال السكري فى شرح أشعار هذيل: «يعنى بالخرق الرمح؛ ضربة مثلاً. يقول: هو فى الرماح مثل الخرق فى الفتیان. والخرق: الذى فيصرف فى الأمور ويتخرق فيها. وأغض حده: يعنى ألطف ورُقَّ حدُّ السنان. والشهاب: النيراج، شبه السنان به، عن غير أبى نصر. وقال الأخفش: خرق: ماضٍ. وروى بعضهم.

٤٧٥

* خرق من الخطى ألزم هذماً *

والخرق، أى بفتح فكسر: الطويل. والهذم: الحديد القاطع انتهى. وقوله: مثل الشهاب بالجر: صفة أخرى. وقوله: مما يترص الخ، يعنى هذا الرمح مما يترص أى يحكم، فى الصحاح: أترصته وترصته: أى أحكمته

وقوّته ، فهو مُتَرَّصٌ وَتَرِيصٌ . وهو بالتاء المثناة والراء والصاد المهملتين .
والثَّقَافُ بالكسر : الخشبة التي يَقُومُ بها الرمح . وقوله : أَخَذَى : أى سَنَّ
أَخَذَى ، وهو بانحاء والذال المعجمتين ، وهو صفة . قال السكري : أَخَذَى :
منتصب مثل الأخَذَى^(١) من الكلاب وهو المنتصب الأذن . وشبهه بخافية
العقاب في الدقة ، والخافية : مادون الريشات العُشْر من مقدّم الجناح ، وهي
ريشة بيضاء . ومُخَرَّبٌ ، بانحاء المعجمة . يقول : كأنه غضبانٌ من الحرص
أن يقع في الدم . يقال : خربته بالتشديد فخرّب كفرح . أى أغضبه فغضب .
وقوله (لَدَنَ بهزّ الكف الح) بجر لدن صفة أخرى لأسحم ذابل ، ويجوز
رفعه على أنّه خبر لمبتدأ محذوف أى هو لدن ، واللّدن : اللّين الناعم .
ويعسل : يشتد اهتزازة . وعسل الثعلب والذئب في عدّوه : إذا اشتدّ
اضطرابه ، بفتح السين في الماضي وكسرها في المستقبل ، والمصدرُ عَسَلًا
وعَسَلَانًا بتحريكهما . والباء في قوله : بهزّ ، بمعنى عند متعلقة بلَدَن . قال
ابن خلف ، في شرح أبيات سيبويه : والأحسن أن يكون ظرفًا ليعسل : أى
يعسل متنه عند هزّه : فإن قيل : إن (فيه) ظرفٌ قد عمل فيه يعسلُ ،
فكيف يعمل في ظرفٍ آخر ؟ فالجواب : أنّهما ظرفان مختلفان : لأنّ فيه
ظرفٌ مكان وبهزّ ظرفٌ زمان . . والهرزّ مصدر مضاف إلى الفاعل ، والمفعولُ
محذوفٌ : أى بهزّ الكفّ إياه . وقال أبو عليّ ، في إيضاح الشعر : التقدير
في قوله يعسل متنه ، يعسل هو ، يريد أنّه لا كَرَازة فيه إذا هزّزته ولا جُسُو .
ومثل ذلك قول الآخر^(٢) :

(١) ط : « مثل الأخذة » صوابه في ش . ولم أجِد هذا المرح للسكري
في أشعار الهذليين .

(٢) هو نعيم بن مقبل ، كما في ديوانه ٣٢٨ والأمالى ١ : ٢٢٩ والحيوان ٥ : ٢٩
والموشح ١٥ .

أو كاهن زائرٍ رُدِّيْنِيْ تَعَاوَرَهْ أَيْدِي التِّجَارِ فزادُوا مَتْنَه لِنَا
ومثل ذِكْرُ اللَّتْنِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَالْمَرَادُ الْجُمْهُورُ^(١) ، قَوْلُ الْآخِرِ :
* يَغْنِيْ قَرَأَ عَارِيَةً أَقْرَأُوهُ *

أَلَا تَرَى أَنْ الْمَعْنَى يَغْنِيْ هَذِهِ الْفَلَاةُ ، وَلَا يَرِيدُ تَخْصِيصَ مَكَانٍ مِنْهَا دُونَ
مَكَانٍ . قَالَ ابْنُ خَلْفٍ : وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ ثَعْلَبَ الرَّحْمِ ، وَهُوَ طَرَفُهُ الدَّاخِلُ
فِي جُلْبَةِ السِّنَانِ : أَيْ يَضْطَرِبُ وَسَطُهُ كَمَا يَضْطَرِبُ طَرَفُهُ ، لَا عِتْدَالَهُ وَاسْتَوَائِهِ .
وَنَبَّهَ بِالْأَبْعَدِ عَلَى الْأَقْرَبِ ، لِأَنَّهُ إِذَا اهْتَزَّ وَسَطُهُ ، فَاطْرَافُهُ أُولَى . انْتَهَى .
وَلَا يَخْفَى أَنْ ذِكْرَ الطَّرِيقِ عَلَى هَذَا يَكُونُ لِنَوَاءٍ . وَالْهَاءُ مِنْ (فِيهِ) ضَمِيرُ
الْمَزْ ، كَمَا قَالَ أَبُو عَلِيٍّ وَابْنُ الشَّجَرِيِّ . وَأَعَادَهُ ابْنُ خَلْفٍ عَلَى لَدُنْ . وَجُمْلَةٌ
(يَعْسِلُ مَتْنُهُ) مَفْسَّرَةٌ لِقَوْلِهِ : لَدُنْ . وَمَا ذَكَرَ هُوَ رَوَايَةً مِنْ . وَرَوَاهُ السَّكْرِيُّ
فِي أَشْعَارِ هُذَيْلٍ كَذَا :

٤٧٦

(لَدُنْ بِهِزَ الْكَفِّ يَعْسِلُ نَفْصُهُ)

وَاللَّدُّ بِالْفَتْحِ : اللَّذِيذُ . يَقُولُ : هَذَا الرَّحْمُ إِذَا هُزَّ بِالْكَفِّ فَهُوَ لَذِيذٌ
أَيْ تَلْتَذُّهُ الْكَفُّ . وَالِاتِّدَادُ فِي التَّحْقِيقِ لِصَاحِبِ الْكَفِّ . وَقَالَ السَّكْرِيُّ :
يَضْطَرِبُ نَفْصُهُ كَمَا يَضْطَرِبُ الثَّعْلَبُ فِي الطَّرِيقِ إِذَا عَدَا ، وَالنَّصْلُ : السِّنَانُ .
وَرَوَايَةُ سَيَبَوِيهِ هِيَ الْجَيِّدَةُ .

سَاعِدَةُ بْنُ جُوَيْيَةَ (كَمَا قَالَ الْأَمْدِيُّ فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ^(٢)) سَاعِدَةُ بْنُ
جُوَيْيَةَ . أَخُو^(٣) بَنِي كَعْبٍ بْنِ كَاهِلٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُذَيْلٍ بْنِ
مَدْرَكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ . شَاعِرٌ مُحْسِنٌ جَاهِلِيٌّ . وَشَعْرُهُ مَحْشُوٌّ بِالْغَرِيبِ وَالْمَعَانِي
الْقَامِضَةِ ، وَلَيْسَ فِيهِ مِنَ الْمُلْحِ مَا يَصْلُحُ لِلْمَذَاكِرَةِ . انْتَهَى

(١) الْجُمْهُورُ : وَاحِدُ الْجَمَاهِيرِ ، وَهِيَ الْجَمَاعَاتُ .

(٢) الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ ٨٣ . (٣) شَرَحَ : « إِحْدَى » ، صَوَابُهُ فِي ط .

وهو شاعرٌ مخضرمٌ : أدرك الجاهليّة والإسلام ، وأسلم ، وليست له
 محبة . كذا قال ابن حجر في الإصابة . فقول الأمدى : « جاهلي » ليس
 كما ينبغي .

وجؤيّة بضم الجيم بعدها همزة مفتوحة وبعد الهمزة ياء مشددة . هذا هو
 المشهور . وهو مصغر ، وفي مكثرو خمسة أقوال بينها ابنُ خلف في أوائل
 شرح أبيات سيبويه . ومقابل المشهور أنه (ساعدة بن جؤين) . والله أعلم .
 وذكر الأمدى أن ابن جؤيّة شاعر آخر ، اسمه عائذ بن جؤيّة
 النضري^(١) اليربوعي .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد المائة ، وهو من شواهد س^(٢) :

١٧٠ (عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَا يَسُودُ مِنْ يَسُودُ)

على أن الشاعر جرّ (ذى صباح) على لغة خثعم . وهو ظرف لا يتمكّن ،
 والظروف التي لا تتمكّن لا تُجرّ ولا تُرفع . ولا يجوز مثلُ هذا إلّا في لغة
 هؤلاء القوم ، أو في ضرورة .

قال سيبويه : وذو صباح بمنزلة ذات مرّة ، تقول : سيرَ عليه ذا صباح .
 خبرنا بذلك يونس . إلا أنه قد جاء في لغة خثعم مفارقاً لِذاتِ مرّة وَلِذاتِ

(١) في النسختين : « النضري » بالضاد المعجمة ، والصواب ما أثبت ، لأن نسيبه
 ينتمي إلى يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، كما
 في المؤلف : وانظر جهرة ابن حزم ٢٦٩ .

(٢) في كتابه ١ : ١١٦ وانظر ابن الشجري ١ : ١٨٦ وابن عيش ٣ : ١٢
 والهمع ١ : ١٩٧

ليلة^(١) . وأما الجيدة العربية فإن تكون بمنزلتها (يريد بمنزلتها : ظرفاً)
قال رجل من خثعم : عزمت على إقامة . . البيت . فهو على هذه اللغة يجوز
فيه الرفع . انتهى .

وقال أبو البقاء في شوح الإيضاح : قيل : هو بمنزلة ذات مرة ، إلا أنه
أخرجه عن الظرف بالإضافة إليه ، وقيل : ذو زائدة : أى على إقامة صباح .
وجعل ابن جني ، في الخصائص ، إضافة ذى إلى صباح من إضافة المسمى
إلى الاسم ، نحو : كان عندنا ذات مرة ، أى الدفعة المسماة مرة ، والوقت
للمسمى صباحاً . وأشد هذا البيت .

قال أبو علي الفارسي (في التذكرة) : هذا البيت قاله الشاعر ولم يقل بيتاً
غيره . وكان استعان هو وقومه بملك على أعدائهم ، فقال : إن أردتم أغنتكم ،
على أن يكون النهب لى ! فقالوا : لا نريد ذلك ! فقاتلوا أعداءهم بأنفسهم ،
فاستظفروا عليهم أعدائهم ؛ فلما رأى استظهارهم عليهم أعانهم راضياً
بأن لا يكون له النهب . فقال هذا الشاعر هذا البيت فقط يمدحه . فاللام متعلقة
بـيُسود ، كأنه قال : يَسُودَ لأمرٍ من يَسود : أى يعقله وفصله يَسُود ، ليس
للأشياء ، بل لأمر فيه . انتهى .

وفيه : أنه ليس بيتاً مفرداً ، وإنما هو من أبيات . وليست القصيدة كما
ذكرها : قال أبو محمد الأعرابي في فرحة الأديب : هذا البيت لأنس بن مدركة
الخنس . وذلك : أنه غزا هو ورئيس آخر من قومه بعض قبائل العرب
متساندين ، فلما قربا من انقوم أمسيا فباتا حيث جنّ عليهم الليل ، فقام صاحبه

٤٧٧

(١) في النسختين : في لغة خثعم « ذات مرة وذات ليلة » وتصحيحه وإكماله من

فانصرف ولم يَغْم ، وأقام أنس حتى أصبح ، فشنّ عليهم الخيل فأصاب وغنم ، وغنم أصحابه ^(١) . فهذا معنى قوله : عزمتُ على إقامة ذى صباح . وهو آخر الأبيات . قال أبو الندى : وكان أنسُ مجاوراً لبني الحارث بن كعب ، فوجد أصحابه منهم جفاءً وغيلةً فأرادوا أن يفارقوهم ، فقال لهم : أقيموا إلى الصباح ؛ فلما ظفر بنو الحارث ببني عامر ، يوم فيف الريح ^(٢) ، قال عند ذلك ما قال . وأول الأبيات :

(دعوتُ بني قحافة فاستجابوا فقلتُ : ردُّوا فقد طابَ الورودُ
دعوتُ إلى المِصاعِ ^(٣) فجاوبوني بورِدٍ ما يُنهنُّهُ المذيدُ ^(٤)
كانَ غمَّامةً برقتُ عليهم من الأضيافِ ترجسُها الرعودُ ^(٥)
عزمتُ على إقامة ذى صباح البيت) انتهى
ولا ينبغي أن هذه الأبيات أجنبية لا يظهر ارتباطها بالبيت الأخير .

والمِصاع : مصدر ماصع أى قاتل . والمصع : الضرب بالسيف . وقوله :
(على إقامة ذى صباح) لا يبعد أن يكون على تقدير : على إقامة ليل ذى
صباح . و (ما) زائدة للتوكيد . يقول : عزمت على الإقامة إلى وقت

- (١) هكذا ضبطت « غم أصحابه » بخط البغدادى ، فى فرحة الأديب .
(٢) المبنى : راجع لخير يوم فيف الريح التفائض ٤٦٩ والمقد ٣ : ٤٥٩ والميداني ٢ : ٣٣١ ، ٢٦٦ ، ٣٥٨ ، والعمدة ٢ : ١٦٧ ونهاية الفلقشندى ٣٦٦ .
(٣) فى النسختين : « إلى الصباح » ، صوابه من فرحة الأديب مخطوطة البغدادى بدار الكتب ، كما أن التفسير يقتضى ذلك .
(٤) المذيد : الذى يعين على الطرد والدفع ، يقال أذاده : أعانه على الذود . ش :
« المريد » ط : « المديد » صوابه من فرحة الأديب .
(٥) ترجسها ، من الرجس ، بالفتح ، وهو الصوت الشديد من الرعد . ط :
« ترجبها » صوابه فى ش وفرحة الأديب . وفى فرحة الأديب : « من الأضياف »
بالضاد المعجمة .

الصَّبَاحَ ، لَأَتَى قَدْ وَجَدْتُ الرَّأْيَ وَالْحَزْمَ قَدْ أَوْجَبَا ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ : (لِأَمْرِ مَا يُسُودُ مَنْ يُسُودُ) ، يَرِيدُ : أَنَّ الَّذِي يُسُودُهُ قَوْمُهُ لَا يُسُودُونَهُ إِلَّا لَشَيْءٍ مِنَ الْخِصَالِ الْجَمِيلَةِ وَالْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ رَأَاهَا قَوْمُهُ فِيهِ فَسُودُوهُ لِأَجْلِهَا .

وَأُنْشِدُ صَاحِبَ الْكَشَافِ هَذَا الْبَيْتَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، فِي جَوَابِ السَّائِلِ : لِمَ كَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مَعَ قِصَرِهَا عِدْلَ الْقُرْآنِ ؟

قَالَ الْجَاهِظُ فِي كِتَابِ (شُرَائِعِ الْمَرْوَةِ) : وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسُودُ عَلَى أَشْيَاءَ : أَمَّا مُضَرٌّ فَتُسُودُ ذَا رَأْيِهَا ، وَأَمَّا رِبِيعَةٌ فَتُسُودُ عَلَى الطُّعْمِ وَالنَّهْلِ ، وَأَمَّا الْيَمَنُ فَتُسُودُ عَلَى النَّسَبِ . وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُسُودُونَ إِلَّا مَنْ تَكَامَلَتْ فِيهِ سِتُّ خِصَالٍ : السَّخَاءُ ، وَالنَّجْدَةُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالْحِلْمُ ، وَالتَّوَاضُّعُ ، وَالْبَيَانُ ؛ وَصَارَ فِي الْإِسْلَامِ سَبْعًا . وَقِيلَ لَقِيْسِ بْنِ عَاصِمٍ : بِمِ سُدَّتْ قَوْمَكَ ؟ قَالَ : بِبَذْلِ النَّدَى ، وَكَفِّ الْأَذَى ، وَنُفْثَةِ الْمَوْلَى ، وَتَعْجِيلِ الْقِرَى . وَقَدْ يُسُودُ الرَّجُلُ بِالْعَقْلِ وَالْعِفَّةِ وَالْأَدَبِ وَالْعِلْمِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : السُّودُودُ اصْطِنَاعُ الْعَشِيرَةِ ، وَاحْتِمَالُ الْجَرِيرَةِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ عَيُوبَ جَمِيعِ السَّادَةِ ، وَمَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْخِلَالِ الْمَذْمُومَةِ ؛ إِلَى أَنْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا يَمْنَعُ مِنَ السُّودُودِ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي سَيِّدٍ : وَجَدْنَا الْخِدَانَةَ تَمْنَعُ السُّودُودَ ، وَسَادَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَمَا طَرَّ شَارِبُهُ ، وَدَخَلَ دَارَ النَّدْوَةِ وَمَا اسْتَوَتْ لَحِيَّتُهُ . وَوَجَدْنَا الْبُخْلَ يَمْنَعُ السُّودُودَ ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَاهِرًا ، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ بَخِيلًا عَاهِرًا ^(١) وَكَانَ سَيِّدًا . وَالظُّلْمُ يَمْنَعُ مِنَ السُّودُودِ ، وَكَانَ كُذَيْلُ بْنُ وَائِلٍ ظَالِمًا ، وَكَانَ سَيِّدَ رِبِيعَةٍ ، وَكَانَ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرٍ ظَالِمًا ، وَكَانَ سَيِّدَ غُطَفَانَ . وَالتَّحْقُّقُ يَمْنَعُ السُّودُودَ ، وَكَانَ عُمَيْيَةُ بْنُ حِصْنٍ أَحْمَقَ وَكَانَ سَيِّدًا . وَقِلَّةُ الْعَدَدِ تَمْنَعُ السُّودُودَ ، وَكَانَ السَّيْلُ

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ «لَا قَاهِرًا» وَالتَّحْقِيقُ فِي نَسَخَتِهِ جَمَلَهَا «فَاجِرًا» ، وَلَعَلَّ الْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ .

ابن معبد سيِّداً ولم يكن بالبصرة من عشيرته رجُلان . والفقر يمنع السُّودد ،
وكان عُتْبَةُ بن ربيعة مملِقا ، وكان سيِّداً .

٤٧٨

وناظم هذا البيت أنسُ بن مُدْرِكٍ الخثعميُّ ، كما ذكرنا . وهو جاهليٌّ .
وصحَّفه ابنُ خَلْفٍ في شرح أبيات سيبويه ، بأوسِ بن مُدْرِكٍ ، وقال : أوس
من الأسماء المنقولة إلى العلية . والأوسُ هنا الذئب ، وإن أمكن أن يكون
من العلية .

وكشفتُ عن اسمِهِ في الجهرة لابن الكلبي فوجده قال في جمهرة خثعم
ابن أنمار ، ما نصه : « أنسُ بن مُدْرِكٍ ^(١) بن كُعَيْب — بالتصغير — بن عمرو
ابن سعد بن عوف بن العتيك بن حارثة بن سعد بن عامر ^(٢) بن تيم الله
ابن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عِفْرِيس بن حُلَفٍ ^(٣) بن أفتل وهو خثعم .
وهو أبو سفيان الشاعر . وقد رأس » انتهى .

وتقل ابنُ خَلْفٍ عن الجاحظ : أن هذا البيتَ لِإِيَّاس بن مُدْرِكَةَ الحنفيِّ .
وهذا غيرُ مناسبٍ ، فإنهم تقلوا أن قائلَ هذا البيتِ خثعميٌّ لا حنفيٌّ .
وخثعمُ أبو قبيلةٍ من النين ، وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث
ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائة :

(١) ويقال ابن مُدْرِكَةَ كما في الأغاني ٧ : ٩/١٦١ : ١٦ : والعين ٤ : ٣٩٩ .

(٢) ط : « تامر » صوابه في ش والمعبرين للسجستاني .

(٣) كذا ضبطه ابن حزم في الجهرة ٣٩٠ بالحاء غير منقوطة مضبوطة ولام ساكنة ،
ثم قال : وفي الناس يقول حلف بالحاء مفتوحة غير منقوطة ولام مكسورة . وفي النسختين
« خلف » بالحاء المعجمة . وضبطه في القاموس (حلف) بفتح الحاء وسكون اللام .

١٧١ (صَلَاةُ وَرُسٍ وَسَطُهَا قَدْ تَفَلَّقَا^(١))

على أن (وسط) ساكنة السين ، قد تتصرف وتخرج عن الظرفية كما في هذا البيت .

وصدره : (أَتَنَّهُ بِمَجْلُومٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ)

فوسطها مرفوع على أنه مبتدأ ، وجملة قد تَفَلَّقَ خبره .

كذا أورده أبو علي الفارسي في الإيضاح الشعري ، وابن جني في الخصائص وأوردا له نظائر .

قال ثعلب في الفصيح : جَلَسَ وَسَطَ الْقَوْمِ ، بسكون السين ، وجلس وَسَطَ الدَّارِ واحتجهم وَسَطَ رَأْسِهِ ، بفتح السين^(٢) . قال شارحه الإمام المَرْزُوقِي : النَحْوِيُّونَ يَفْصِلُونَ بَيْنَهُمَا وَيَقُولُونَ : وَسَطٌ ، بسكون السين ، اسمُ الشَّيْءِ الَّذِي يَنْفَكُ عَنِ الْمَحِيطِ بِهِ جَوَانِبُهُ ، تقول : وَسَطَ رَأْسِهِ دُهْنٌ ، لِأَنَّ الدُّهْنَ يَنْفَكُ عَنِ الرَّأْسِ وَوَسَطَ رَأْسُهُ صُلْبٌ لِأَنَّ الصُّلْبَ لَا يَنْفَكُ عَنِ الرَّأْسِ . وَرَبَّمَا قَالُوا : إِذَا كَانَ آخِرُ الْكَلَامِ هُوَ الْأَوَّلُ فَاجْعَلْهُ وَسَطًا بِالتَّحْرِيكِ ، وَإِذَا كَانَ آخِرُ الْكَلَامِ غَيْرَ الْأَوَّلِ فَاجْعَلْهُ وَسَطًا بِالنَّسْكِينِ . وَحَكِيَ الْأَخْفَشُ : أَنَّ وَسَطًا قَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ اسْمًا وَفَارَقَ الظَّرْفِيَّةَ ، وَأَنْشَدَ يَتِيمًا إِخْرُدَ « وَسَطُهَا قَدْ تَفَلَّقَا » وَسَطُهَا مَبْتَدَأٌ مَرْفُوعٌ . وَيُقَالُ وَسَطَتِ الْأَمْرَ أَسِطُهُ وَسَطًا بِالسَّكُونِ . وَأَبُو الْعَبَّاسِ

(١) ديوان الفرزدق ٥٩٦ وابن الشعري ٢ : ٢٥٨ والخصائص ٢ : ٣٦٩ والمجم ١ : ٢٠١ ونوادير أبي زيد ١٦٣ .

(٢) المبتنى : نظم هذا الفرق يوسف بن محمد العنيلي من رجال الدرر الكامنة . فقال (البنية ٤٢٤ والتاج) :

فرق ما بين قولهم وَسَطَ الشَّيْءِ ووسط تحريكاً أو تسكيناً
موضع صالح لبين فسكن وليني حرّك تراه مبينا
كجلسنا وسط الجماعة إذ هم وسط الدار كلهم جالسينا

ثعلبٌ راعى' ، فيما اختاره هنا ، أن وسطاً إذا كان بعض ما أضيف إليه يُحرَكُ السينُ منه ؛ وإذا كان غير ما أضيف إليه يسكنُ سينه ؛ ألا ترى أن وسطَ الدار بعضها ، وأن وسطَ القوم غيرهم ؛ فأما تفسيرهم لوسطَ يمين ، فسينُ لشيئين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعداً ، تقول : بين زيد وعمرو بين ، لتباينهما ؛ وإن كررت بينَ للتأكيد جاز . ووسطَ لشيئين يتصل أحدهما بالآخر ، تقول : وسطَ الحصارِ قلم ، ولا تقول : بين الحصارِ قلم ؛ إلا أنه يُستعار فيوضعُ بدلاً منه . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمي في شرح الفصيح : وسطُ الشيء ووسطه : ما بين طرفيه ، فإذا سكنتَ السين كان ظرفاً ، وإذا فتحتهَا كان اسماً ؛ فإنما يكونُ اسماً إذا أردتَ به الوسطَ كله ، ويكونُ ظرفاً إذا لم تُرد به الوسطَ كله وذلك إذا حسنتَ فيه في ، تقول : قعدتُ وسطَ الدار ، فوسط الدار ساكن الوسط — وهو السين — لأنه ظرف ولأنك لا تأخذ بقعودك وسطَ الدار كله ، وإنما تريد قعدت في وسط الدار ، فلما أسقطت في ، انتصبَ على الظرف .
 ٤٧٩ فإن قلت : ملأتُ وسطَ الدار قحاً ، فتحتَ السين لأنه مفعول به ، لأن ملأت لا يقع إلا على الوسط كله ، فقمحٌ نصب على التمييز ، لأن التقدير ملأتُ وسطَ الدار من قح . وكذلك تقول : حفرتُ وسطَ الدار بئراً ، وبفيت وسطَ الدار مجلساً ؛ فوسطَ مفعول به ، وبئراً ومجلساً منصوبان على الحال . قال أبو علي في التذكرة : « فإن قلت : إنه في حال ما يُحفر ليس ببئر ؛ فإن ذلك تجوز ؛ ألا ترى قوله تعالى (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ^(١)) فالبئر أقرب من هذا ؛ ألا ترى أن هذا في حال العَصْرِ ليس بنخر حتى يشتد !

وبعض الآبار في العمق أقل من بعض ، ولا يخرج ذلك عن أن يكون بئراً . ويجوز أن يحمل حُفرت على معنى جعلت ؛ فتنصبه على أنه مفعول ، فإن هذا مذهبُ البصريين . وأكثرُ اللغويين يجعلون الوسط والوسط بمعنى واحد ، وهو مذهبُ أبي العباس ، وتمثله يدلُّ على ذلك ؛ لأنه قال : وجلس وسط الناس ، يعني بينهم ؛ بين ساكنة — على أن وسطاً ظرف ، ولذلك قدَّره بالظرف — ثم قال : وجلس وسطَ الدار واحتجم وسطَ رأسه بتحريك السين . وهذا لا يجوز عند البصريين ، لأنه إذا فتح السين كان اسماً وإذا كان اسماً لم ينصبه إلا الفعلُ المتعدى . فقولُه : جلس وسطَ الدار واحتجم وسطَ رأسه ، بفتح السين ، لا يجوز لمَّا قدَّمنا . فإن سكنت السين كان ظرفاً وكان العامل فيه جلس . فاعلم ذلك ، انتهى .

وهذا يخالف لما قاله الامامُ المرزوقي ، فتأمل !

وروى أبو الحسن علي بن محمد المدايني في كتاب النساء الناشزات — كما سيأتي (١) — (نصفها قد تعلقاً (٢)) . وعليه لاشاهد فيه .

والمجولم بالجيم واللام : اسم مفعول من جمعت الشيء جَلَمًا ، من باب ضرب : قطَعته ، فهو مجلوم ، وجمَلت الصوف والشعر : قطَعته بالجلَمين ؛ وهذا هو المراد هنا : قال صاحب المصباح : « الجلم بفتحيتين : المقرض ، والجلَمَان بلفظ التثنية مثله ، كما يقال فيه : المقرض والمقرضَان والقلم والقلمَان . ويجوز أن يُجعل الجَلَمَان والقلمَان اسماً واحداً على فعْلَان ، كالسُرطان والدَّيْرَان ، وتُجمل لنون حرف إعراب . ويجوز أن يَبْقيا على بائهما في إعراب المثني ، فيقال : شَرَيْتَ الجَلَمين والقَلَمين » انتهى .

(١) في الصفحة التالية ؟

(٢) كذا في النسختين ، ورواية المدايني الآتية للبيت : « قد تعلقا » .

وهذه رواية أبى زيد وغيره . ورواه أبو حاتم : (أنه بمخلوق) من خلق رأسه بالموسى ، مثلاً ، من باب ضرب .
والجبين : ناحية الجبهة من مُحَاذَاة النَّزْعَةِ إِلَى الصَّدْعِ ، وهما جبينان : عن يمين الجبهة وشمالها ، قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما . فتكون الجبهة بين جبنتين . وجمعه جُبْنٌ بضمين وأجبنَة مثل أسلحة ، كذا فى المصباح .
و (الصَّلَاةِ) بفتح الصاد : الحجر الأملس الذى يُسْحَقُ عليه شئ ، ويقال : صَلَاةٌ أيضاً بالهمزة . ورؤى هنا بهما . قال فى الصحاح : « والصَّلَاةِ : الفِهرُ : أى حجرٌ ملء الكف ؛ وإنما قال امرؤ القيس :
* مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلَاةٍ حَنَظَلُ (١) *

فأضافه إليه ، لأنه يفلق به إذا يبس . و (الوَرْسُ) بفتح الواو وسكون الراء : نبتٌ أَصْفَرُ يَزْرَعُ باليمن وَيُصْبَغُ به ، وقيل : صِنْفٌ مِنَ الْكُرْكُمِ ، وقيل : يشبهه . وقوله : (قد تفلقا) يقال : فُلِقَتْهُ فَلَقًا من باب ضرب : شَقَقْتُهُ فَانْفَلَقَ ، وفُلِقَتْهُ بالتشديد : مِبَالَعَةٌ ، ومنه خَوْخٌ مُفْلَقٌ ، اسم مفعول ، وكذلك الشمس (٢) ونحوه : إذا تفلق عن نواه وتنجف ، فإن لم يتجفف فهو فُلُوقٌ ، بضم الفاء واللام مع تشديدها . وتفلق الشئ : تشقق ، كذا فى المصباح .

٤٨٠

وهذا البيت من أبيات ثمانية للفرزدق ، رواها أبو الحسن على بن محمد المدائنى ، فى كتاب النساء الناشرات ، قال : زوّج جريرُ بنُ الحطيّطُ بنتَه

(١) صدره عند ابن الأنبارى والتبريزى : « كأن سراته لدى البيت قائما » .
وعند الروزنى : « كأن على اللبتين منه إذا انتعى » وعند ابن الأنبارى فى رواية :
« كأن على الكتفين منه » . فعلى الرواية الأولى يكون « مداك » وما بعده مرفوعين ، وعلى الثانية يكون النصب .

(٢) فى النسختين : « الشمس » ، صوابه ما أثبت .

عُصيدة بن عُصيدة ابن أخى امرأته^(١) وكان منقوص العضد ، فخلعها منه ،
أى طلقها بفدية فقال الفرزدق :

ما كانَ ذنبُ التى أقبلتَ تَعْتَلِها حَتَّى اقْتَحَمَتْ بِها أُسْكُفَّةَ البابِ
كِلامها حينَ جدَّ الجرىُ بينهما قد ألقيا وكِلا أنفيسهما رآبِ
يا ابنَ المِراغة ، جهلاً حينَ تجعلُها دونَ القلوصِ ودونَ البِكرِ والنابِ
وقال الفرزدق أيضاً :

لئن أُمَّ غِيلانَ استحلَّ حرامها حمارُ الغضا من ثقل ما كانَ رَنَقاً^(٢)
لما نالَ راقٍ مِثلها من كِابة^(٣) علفناه ممَّن سارَ غرباً وشرقا
حبتهُ بمخلوقٍ كانَ جَبِينَهُ (صَلَايةُ ورْسٍ نِصفُها قد تفلَّقا)
إذا برَكَتْ لابنِ الشَّعُورِ ونُوخَتُ^(٤) على رُكبتِها للبروكِ وألحقا
فما منَ دِرْاكٍ فاعلمنَّ لِناسِمٍ^(٥) وإن صكَّ عينيه الجمارَ وصقفا
وكيفَ ارتِدادى أُمَّ غِيلانَ بعدما جرى الماءُ فى أرحامِها وترقرقا

(١) فى الديوان ٣٣ : « وقال فى أم غيلان بنت جرير ، وكان جرير زوجها الأبلق الأسيدى » . والأبلق : لقب لعصيدة . وقد ضبط فى النقائض ٨٤٣ « عصيدة » بالتصغير وبالصاد للهيلة ، وفى طبقات ابن سلام ٣٢٣ « عصيدة » بالتكبير وبالصاد للهيلة أيضاً . وابنة جرير هذه هى زيب ، كما فى النقائض ٨٤٣ وكتبتها أم غيلان كما فى الشعر . وامرأة جرير هذه هى أمامة كما فى طبقات ابن سلام . وفى ش : « بنته عصيدة من عصيدة » مع أثر تصحيح فى « من » . والصواب ما فى ط .

(٢) ط : « حمار القضا » صوابه فى ش والديوان ٥٩٦ والنقائض ٨٤١ . وفى الديوان والنقائض : « من ثقل ما كان ريقا » يريد : ثقل عليه بريقه حين راقها . لكن شرح البغدادى فيها بعد يقتضى الإبقاء على ما ورد فى النسختين .

(٣) كذا . والصواب كما فى الديوان والنقائض : « لما نال راقٍ مثلاً من لعابه » .

(٤) ط : « إذا برَكَتْ الابن » صوابه فى ش والديوان والنقائض .

(٥) فى النسختين : « نغادم » صوابه فى الديوان والنقائض .

سَتَعْلَمَ مَنْ يَخْرَى وَيَفْضَحُ قَوْمَهُ إِذَا أَلْصَقَتْ عِنْدَ السِّفَادِ وَالْأَصْقَا
أَبْيَلِقُ ، رَقَابَهُ ، أُسَيْدَ رَهْطِهِ إِذَا هُوَ رَجُلِيٌّ أُمَّ غَيْلَانٍ فَرَقَا
فَأَجَابَهُ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ :

هَلَّا طَلَبْتَ بَعْقَرِ جَعِينٍ مَنِقَرًا وَبَجَرَهَا وَتَرَكْتَ ذَكَرَ الْأَبْلَقِ (١)
سَبْعُونَ وَالْوَصْفَاءَ مَهْرُ بَنَاتِنَا إِذْ مَهْرُ جَعِينٍ مِثْلُ حَرَرِ الْبُنْدُقِ (٢)
كَمْ قَدْ أَثِيرَ عَلَيْكُمْ مِنْ غَزِيَةٍ لَيْسَ الْفَرْزُ دَقُّ بَعْدَهَا بِفَرْزِ دَقِّ
انتهى ما أورده المدائني .

وقوله : أَقْبَلْتَ تَعْتَلَهَا ، يقال : عَتَلْتُ الرَّجُلَ أَعْتَلْتُهُ مِنْ بَابِيْ نَصْرٍ وَضَرْبٍ :
إِذَا جَذَبْتَهُ جَذْبًا عَنيفًا . وَضَمِيرُ الْمُؤَنَّثِ لِعُصِيدَةِ بِنْتِ جَرِيرٍ (٣) .
وروى أبو زيد في نواحيه :

* مَا بَالُ لَوْ مَكَمَّا إِذْ جِئْتَ تَعْتَلَهَا (٤) *

خطاباً لجرير وزوجته ، من اللوم وهو التعنيف . وروى المبرّد في الاعتنان :
« مَا بَالُ لَوْ مَكَمَّا » بضمير المؤنث فيكون ضمير بنته عُصيدة (٥) . وقوله :
حتى اقتحمت بها الخ ، أى إلى أن أدخلتها عتبة بابك .

(١) يجرها : مصدر ميمي من الجر بمعنى السحب . وفي ديوان جرير ٤٠٦ :
« ويجرها » .

(٢) سبعون ، أى سبعون ناقة . والحزور : الحدس والتخمين . وفي الديوان
والنقائض ٨٤٥ : « مثل حر البندق » .

(٣) كذا . والصواب لأم غيلان بنت جرير .

(٤) انتهى في النواذر ٦٢ : « مَا بَالُ لَوْ مَكَمَّا وَجِئْتَ تَعْتَلَهَا » . وأصل النوادر
الطبعة صحيحة جدا ، وهو بخط صاحب اللسان (والنسخة الآن محفوظة في الخزانة
التيمورية برقم ٣٧٠ لغة فيجتمل أن يكون البغدادي سها فنسب إحدى الروايتين إلى غير
موضعها من النوادر والاعتنان كما سيأتى .
(٥) كذا . وانظر ما سبق من التنبيه .

وقوله : كلاهما حين^(١) جد الجرى الخ ، ضمير التثنية لابنة جرير عَصيدة وزوجها . وزعم العيني وغيره أن الضمير للفرسين . وزاد شارح شواهد المغنى أن فيه التفاتاً ، والأصل كلاكما . وردّ عليه شارح المغنى الحلبي ، بأنه ياباه قولُ الشارحين أن البيتَ في وصف فرسين تجارياً . وهذا لا أصل له ، وكأنهم فهموه من ظاهر البيت ، وسببه أنهم لم يقفوا على منشأ الشعر . وقوله : جد الجرى أى اشتدّ العدو . وقوله : قد أقلعا ، يقال : أقلّع عن الأمر إقلاعاً : إذا تركه ؛ والصلة هنا محذوفة ، أى أقلعا عن الجرى . وقوله : رابى ، من الربو وهو النفس العالى المتتابع ، يقال : ربا يربو : إذا أخذه الربو . والبهر بضم الباء وهو تتابع النفس . وهذا تمثيل وتشبيه ؛ يقول : إن بنتَ جرير وزوجها قد افتردتا حين حصّلت الألفة بينهما ، ولم يمضيا على حالهما ، فهما كفرسين جدّاً في الجرى ووقفاً قبل الوصول إلى الغاية .

٤٨١

وهذا البيتُ من شواهد مغنى اللبيب وغيره من كتب النحو ، وأوردَ شاهداً على أن (كلاً) يجوز مراعاة لفظها فيعود الضمير إليها مفرداً ، ومراعاة معناها فيعود الضمير عليها مثني ؛ وقد اجتمعا في هذا البيت .

وقوله : يا ابن المِراغة الخ ، المِراغة : الأتان . [والفردق يقول لجرير يا ابن المِراغة تعبيراً له بأن عشيرته بنى كليب أصحاب حمير . وقال الغورى : لأنّ أمه ولدتَه في مراغة الإبل . وقال ابن عبّاد : المِراغة الأتان^(٢)] لا تمنع الفحولة ؛ وبذلك هجا الفردقُ جريراً . وقال بعضهم : المِراغة أم جرير لقبها به الأخطل . يريد أنها كانت مِراغةً للرجال ، كذا في العباب للصاغاني .

(١) ط : « حتى » ، صوابه في ش .

(٢) هذه التكلفة من ش ، وقد سقطت من ط .

وقوله : جهلاً حين تجعلها الخ ، يريد أنك جهلت فى تزويجك إياها لغير أهل الإبل .

وقوله : لئن أم غيلان الخ ، أم غيلان هى بنت جرير ، وأراد بحمار الغضا زوجها ، وهو فاعل استحل ، وحرامها مفعوله . يقول : إن استحلت بضعتها ما كان حراما عليه قبل العقد . ورتق بالراء المهملة والنون بمعنى أقام ، فى العباب : ورتق القوم بالمكان : إذا أقاموا به ، ورتق الطائر : إذا خفق بجناحيه ورפרف فوق الشيء ولم يطير . أراد من كثرة إقامته مع الإلحاح .

وقوله : لما نال راق الخ ، هذا جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف ، وراق ، بالتنوين ، اسم فاعل من رقيت السطح والجبل : علوته ^(١) يتعدى بنفسه . ومثلها مفعوله . وكهاية ، بكسر الكاف : مصدر كعبت الجارية تكعب كعوباً وكهاية إذا بدا ثديها ، فهى كاعب وكعاب بالفتح ، وفيه مضاف محذوف : أى من ذات كهاية . وقوله : علمناه ، الجملة صفة راق .

وقوله : حبته بمحلق ، أى خصصته بإعطاء فرج محلق . ورؤى « دأته بمحلق » . وهذا البيت فى صفة الفرج .

وقوله : إذا بركت لابن الشفور الخ ، هذه كلمة سب ، والشفور ، فى الأصل : الناقة التى تشفر بقوائمها إذا أخذت لتركب أو تحلب . وقوله : ونوخت ، بالنون والخاء المعجمة بالبناء للمفعول ، يقال : تنوخت الجمل الناقة :

(١) الظاهر أنه من الرقيا ، فى النقائض ٨٤١ أن جريرا أصابه حمرة فتورم ، وكان رجل من بنى أسيد بن عمرو بن نعيم يقال له الأبلق يرق من الحمرة ويداوى ، فأتى ابن الخطي فقال له : ما نجعل لى إن داويتك حتى تبرأ ؟ قال جرير : أجل لك إن أبرأتى من وجعى هذا حكك . فداواه ورقاه حتى برى فقال له جرير : احتكم . فاحتكم عليه الأبلق أن يزوجه أم غيلان بنت جرير فزوجه إياها .

أناخها لیسفدها . والبروك : مصدر برك بركاً أى استنخ ، قال جرير ^(١) :

وقد دَمِيتُ مَوَاقِعُ رُكْبَتَيْهَا من التبراك ليس من الصلاة

وقوله : الحقاً ، من ألحق الشيء بالشيء أى أوصله به ، معطوف على برکت .

وقوله : فما من دراك الخ ، أى لا يقدر أن يلحقها قادمٌ عليها ،
أى لا يتفرقاً منه لشدة شبقها . وقوله : وإن صك الخ ، إن وصلياً وصكه :
ضربه ، والمار فاعله . والتصفیق : الرد والصرف .

وقوله : أيلق رقاً ، مصغر أبلق وهو اسم زوج بنت جرير ؛ ورقاء
مبالغة راق صفة لأيلق . وأسيّد مفعوله مضاف لما بعده . قال المبرد فى الاعتنان
كان جرير زوج بنته الأبلق الأسيدى ، أسيّد بن ^(٢) عمرو بن تميم فلم يحمده .
وذکر هجاء جرير إياه ورهطه .

وقوله : هلاً طلبت بعقر الخ ، العقر بالضم : دية فرج المرأة إذا غُصبت
على نفسها . وجعین بكسر الجيم والمثلثة : اسم أخت الفرزدق . ومنقر بكسر
الميم وفتح القاف . أراد أولاد الأشد المنقرى ، وكان عمران بن مرة المنقرى
أسر جعین أخت الفرزدق يوم السیدان ، وفيه يقول جرير :

غَمَزَ ابْنُ مُرَّةٍ يَا فَرْزَدَقُ كَيْنَهَا غَمَزَ الطَّيِّبُ نَفَاغِ الْمَعْدُورِ

خَزَى الْفَرْزَدَقُ بَعْدَ وَقْعَةِ سَبْعَةٍ ^(٣) كَالْحَصْنِ مِنْ وَلَدِ الْأَشَدِّ ذُكُورِ ^(٤)

(١) ديوانه ٨٦ .

(٢) فى النسختين : « بن عمرو » . وانظر الاشتقاق ٢٠١ ، ٢٠٦ ، والجمهرة ٢١٠

(٣) فى النسختين : « تسعة » وإن كان الشنيطى حورها إلى « سبعة » مطابقة

لما فى ديوان جرير .

(٤) لأشد هو سنان بن خالد المنقرى ، كما فى الاشتقاق ٢٠١ .

وقال أيضاً^(١) :

على حفر السَّيِّدانِ لَأَقَيْتَ خِزْيَةً ويومَ الرِّحالمِ يُنْقِ نوبَكَ غاسِلُهُ^(٢)

وقد نوَّختُها مِنْقرُّ قد علمتم لمَعْتَلِجِ الدَّأْيَاتِ شُعْرِي كَلَّا كَلُهُ^(٣)

يَفْرُجُ عِمرانُ بنُ مُرَّةٍ كَيْنَها وَيَنْزُو نُزْواءُ العَيْرِ أَعْلَقَ حائلُهُ^(٤)

والغمز : شبه الطعن والدفع . والكَيْنُ : لحم الفرج . والتغافع : أودام تحدث في الخلق . والمعنور : الذي أصابته العُدرة ، وهو وجع الخلق . يريد أن أخته نكحها ، حين أُسِرَتْ ، سبعةً من ولد الأشد المنقرى . ويقال : علقت الأنثى من الذكر وأعلقت : إذا حملت . والحائل : التي يضربها الفحل فلا تحمل . وهذا افتراء من جرير على جعثن ، فإنها كانت من النساء الصالحات ، وقد اعترف جرير بقذفه إياها وندم عليه ، وكان يستغفر الله مما قذفها به ، كما مر .

والأبلق . زوج بنت جرير . وقوله : سبعون وأوصفاء ، هو جمع وصيف . يريد أن مهر بناتنا سبعون من الإبل مع الأوصفاء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد المائة :

١٧٢ (أَلَا قَالَتِ اتَّخَذَسَاهُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا : أَرَأَيْكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَوْ رَعَا^(٥))

(١) ديوان جرير ٤٨٤ والنقائض ٦٨٢ .

(٢) ط : « ولم الدحا » ، صوابه في شن والديوان والنقائض .

(٣) في الديوان والنقائض : « الدأيين » . والدأيات : جمع دأية ، وهي فقار

الكامل . وفي الديوان والنقائض : « بمعتلج » .

(٤) في الديوان والنقائض : « حابله » بالباء .

(٥) الحماسة ٣٢١ بشرح للرزوقي وللفضليات ٢٦٨ .

على أنَّ صفة الزمان القائمة مقامَ الموصوفِ يلزمها الظرفية عند سيبويه ،
كما في هذا البيت . أى زماناً حديثاً :

وهذا البيت أولُ أبياتٍ ثلاثٍ مذكورة في الحماسة ، ثانيها :

فقلتُ لها : لا تنكريني فقلّا يسودُ الفتيّ حتّى يشيبَ ويصلعا
وللقارحُ اليعسوبُ خيرٌ عُلالةً من الجذعِ المرخيّ وأبعدُ مترعاً)
الرواية في الحماسة وشروحا :

* ألا قالتِ العماء لما لقيتها *

والعماء امرأة . و (الحديث) هنا : تقيض القديم ، وهو هنا ظرف .
يقول : قالت لي هذه المرأة لما التقيتُ معها : أعلمك عن قريبٍ ناعمٍ الحال
أفرع ، أى تأنّ شعر الرأس ، لم يتسلط صلحٌ ، ولا حدث انحسارُ شعر ،
فكيف تغيّرت ، مع قرب الأمد ، والرؤية بعصرية ، وناعم البال مفعوله ،
وأفرعاً صفته . وناعم : من نعم الشيء بالضم : أى صار ناعماً ليناً ، وكذلك
نعم ينعم مثل حدير يحذر ، وفيه لغة ثالثة مركبة بينهما : نعم ينعم ، بكسر
الأول وضمّ الثانى ، ولغة رابعة نعم ينعم بكسر عينيها ، وهو شاذٌ ،
كذا في الصحاح .

و (البال) : القلب ، وخطر ببالى : أى بقلبي ؛ وهو رختى البال أى
واسع الحال ، وهذا هو المراد . قال ابن الأنبارى في شرح الفضليات :
« والأفرع بالغاء والراء والعين المهملتين ، هو الكثيرُ شعر الرأس ؛ يقال :
رجل أفرع وامرأة فرعاء ، وقد فرع من باب فرح . وضدُّ الأفرع الأزعر ؛
والمرأة زعراء » انتهى . وقال صاحب الصحاح : « الفرع بفتحين : مصدر
الأفرع وهو التأمُّ الشعر ؛ وقال ابن دريد : امرأة فرعاء : كثيرة الشعر ، قال :

ولا يقال للرجل إذا كان عظيم اللحية أو الجثة أفرع ، وإنما يقال أفرع لضدّ
الاصْلَحَ انتهى .

وهذا المصراع الثاني قد وقع في قصيدة متمم بن نويرة التي رثى بها أخاه
مالك بن نويرة ، وهو :

٤٨٣ تقول ابنة العَمْرِىُّ مالك بعدما أراك حديثاً ناعم البالِ أفرعاً
وقوله : فقلت لها الخ ، يقول : قلت لها : لا تستنكرى ما رأيت من
شحوب لوني وانحسار شعر رأسى ، فما ينال القتي السيادة حتى يستبدل بشيبته
شيباً ، وبوفور شعر رأسه صلحاً . وقوله : وللقارح اليعسوب الخ ، القارح من الخيل
بعثرة البازل من الإبل ، وهو الذى تمت واستحكمت قوته . والقروح :
انتهاء السن ، واليعسوب : الفرس الكبير الجرى ، والجذع : ماله سنتان .
والعلالة بالضم : بقية الجرى ، ويريد به هنا الجرى . والمرخى : الذى يُرْخَى
في سيره قليلاً قليلاً ، لا يكلف أكثر من ذلك . ويروى : (المرخى)
بكسر الخاء ، والإرخاء : لين في العدو . ويروى بفتح الخاء وهو المرسل
المهمل . والمترع النزوع إلى الغاية . وانتصاب مترعاً وعلالة على التمييز ، وهذا
مثل ضربه في تفضيل نفسه ، مع شيخوخته وقد أدبه الدهر ، على الأحداث
الذين لم يجربوا الأمور فيقول : للفرس المتناهى في القوة والسن ، الذى يجرى
جربة المساء ، سهولةً وفناذاً ، خير بقاء وأبعد غاية من ابن سنتين ^(١) وهو
مهمل لم يؤدّب بإسراج ولا إجمال .

وهذا الشعر لم يذكره قائله أحد من شراح الحماسة .

(١) ط : « سنتين » ، صوابه في ش ، وهو تفسير الجذع .

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون ، بعد المائة :

١٧٣ (بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ)

عجزه :

(لِأَعْلَى مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا ^(١))

على أن (الدَّجَاجَ) منصوبٌ على الظرف بتقدير مضافين ، أى وقت صياح الدجاج ، إذا كانت باكرت بمعنى بكرت ، لا غلبت بالبكور .
أقول : باكرت متعدٍّ بنفسه إلى مفعول واحد ، قال فى المصباح : « وباكرت بمعنى بكرت إليه » . و (حاجتها) : مفعول باكرت ^(٢) . وبكرت بالتخفيف ، من باب قعد ، فعلٌ لازم يتعدى إلى ، يقال : بكرت إلى الشيء . بمعنى بادر إليه أى وقت كان . وقال أبو زيد فى كتاب المصادر : بكرت بكوراً وغداً غدواً ، هذان من أول النهار . فإذا نُقِلَ إلى فاعلٍ للمغالبة ، تعدى إلى مفعول واحد . ومعنى (المغالبة) أن يغلب ^(٣) الفاعلُ المفعولَ فى معنى المصدر . فضميرُ المتكلم — الذى هو التاء — فاعل ، وقد غلبَ الدجاجُ — وهو المفعول — فى البكور فغلبه فيه . فيكون حاجتها منصوباً بنزع الخافض ، وهو إلى ، لأنَّ أصلَ باكرت يتعدى به كما ذكرنا . فإذا كان باكر من باب المغالبة ، كان للتكثير فى البكور إلى الحاجة ، نحو ضاعفت الشيء ، بمعنى كثرت أضعافه ، فيكون قوله : حاجتها ، مفعوله ، ويكون الدجاج منصوباً على الظرف بتقدير مصدر مضاف ، والتقدير صياح الدجاج ؛ وهذا المصدر نائب عن اسم الزمن الواقع ظرفاً ، أى وقت صياحه . وقد ذكر ابنُ قتيبة هذا البيت

(١) البيت من معلقة لبئذ . وانظر المعاني الكبير ٤٠٣ .

(٢) ط : « بكرت » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « يغلب » ، صوابه فى ش .

في أبيات المعاني، وحمله على المغالبة مع تقديره المضاف، فقال: «أى بادرت بحاجتي إلى شربها أصوات الديكة، لأشرب منها مرةً بعد مرة: وهو العَلَل» انتهى ومعنى بادرت سبقت: وكذا قال شراح المعلقات:

وهذا البيت من معلقة لبدير بن ربيعة المشهورة وقبلة:

(أَغْلَى السِّبَاءِ بَكْلٌ أَذْ كُنْ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٌ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا

بَصْبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ بِمُوتَرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا

بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ الْبَيْتِ)

٤٨٤

قوله: أغلى، بضم الهمة، أى أشتري غالياً. والسبأ، بالكسر والمد: اشتراء الحمر، ولا يستعمل في غيرها، يقال: سبأت الحمر بالهمز أسبؤها بالضم سبئاً، بسكون الباء، ومسبأ: إذا اشتريتها لتشربها: قال ابن هرمة:

كَأَسَا بِفِيهَا صِهْبَاءَ مَعْرَقَةٍ^(١) يَغْلُو بِأَيْدِي التِّجَارِ مَسْبُؤَهَا

أى إنهما من جودتها يغلو اشتراؤها، واستبأتهما مثله، والاسم السبأ على فعال بكسر الفاء، ومنه سميت الحمر سبئية على وزن فعيلة، وخارها سبأ على فعال بالتشديد. وأما إذا اشتريتها لتحملها إلى بلد آخر، قلت سبيت الحمر، بلا همز، كذا فى الصحاح. والباء بمعنى مع. والأدكن: الزق الأغبر. والعاتق، قيل: هى الخالصة — يقال لكل ما خلص: عاتق — وقيل: التى عتقت، وقيل: التى لم تفتح. فهو من صفة الحمر، وهو الصحيح،

(١) ط: «مفرقة» ش: «مفرقة» صوابها ما أثبت. والمفرقة: التى تمزج

قليلاً، كأنه جعل فيها عرق من الماء. ومثله قول البرج بن مسهر:

رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمَعْرَقَةٍ مَلَامَةٍ مِنْ يَلُومِ

وانظر شرح شواهد المفنى ٣٧٩. وقبل البيت كما فى الانسان (سبأ):

خود تعاطيك بعد رقدتها إذا يلاق العيون مهدوها

لأنه يقال : اشترى زقاً خمر ، وإنما اشترى الخمر : فماتق مضاف إليه . وقيل : العاتق من صفات الزق ، فهو وصف لأدكن . والجوثة بفتح الجيم : الخابية . وقُدِّحَتْ بالبناء للمفعول بمعنى غُرِفَتْ ، والمقدحة بالكسر : المِفرقة ؛ وقيل : قُدِّحَتْ : مُزِجَتْ ؛ وقيل : معناه بُرِّزَتْ ، يقال : بُرِّزَتِ الشَّيْءُ بُرْزَلاً ، بالموحدة وازى المعجمة إذا ثَبَّتَهُ واستخرجت ما فيه . وفُضَّ : كُسِرَ ؛ وخَنَامُها : طِينُها . وفيه تقديم وتأخير ، أى فُضَّ خَنَامُها وقُدِّحَتْ ؛ لأنه مالم يُكسَّرَ خَنَامُها لا يمكن اغترافُ ما فيها . يقول : أَشْتَرَى الخمرَ غَالِيَةَ السَّعْرِ : باشتراء كلِّ زَقٍّ أدكن أو خابية سوداء قد فُضَّ خَنَامُها وأَغْرُفَ منها . ونَحْرِيرُ المَعْنَى : أَشْتَرَى الخمرَ لِنُدْمَاءٍ عِنْدَ غَلَاءِ السَّعْرِ . وَأَشْتَرَى كُلَّ زَقٍّ مَقْيَرٍ أَوْ خَابِيَةٍ مَقْيَرَةٍ . وإنما قُبِّرَ لثلاً يَرشَحَا بما فيها .

وقوله : بِصَبُوحٍ صَافِيَةِ الخ ، الصَّبُوح : شُرْبُ الغَدَاة ، ويريد بالصافية الخمر ، والكويئة ، بفتح انكاف وكسر الزاء المهملة : المغنّية بالعود ، والكِرَان بكسر الكاف ، هو العود : والموتر : العود الذى له أوتار . وتَأْتَالَهُ بفتح اللام الجارة : من قولك تَأْتَيْتَ لَهُ ؛ كَأَنَّهَا تَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَى مَهَلٍ وَتَرْشُلُ . ويروى : (تَأْتَالَهُ) بِفَعْمٍ اللام : من قولك أَلْتُ الأَمْرَ : إِذَا أَصْلَحْتَهُ ، كَذَا فِي شُرُوحِ الْمُعْتَلَقَاتِ ^(١) . وروى : (وَصَبُوحٌ صَافِيَةٌ) : بِوَاوٍ رُبَّ ، والمعنى : كَمْ صَبُوحٍ مِنْ خَمْرٍ صَافِيَةٍ ، اسْتَمْتَعْتُ بِاصْطِلَاحِهَا ، وَجَذِبَ عَوَادَةَ عَوْدًا مَوْتَرًا يُعَالِجُهُ ^(٢) إِيَّاهُمُ الْعَوَادَةُ ، اسْتَمْتَعْتُ بِالْإِصْفَاءِ إِلَى غِنَائِهَا .

وقوله : (بَاكَرَتْ حَاجَتَهَا) الخ : بَاكَرَتْ مُتَمَلِّقُ قَوْلِهِ : بِصَبُوحٍ صَافِيَةٍ ، عَلَى رَوَايَةِ الْبَاءِ ، وَهُوَ جَوَابُ وَارِبٍ عَلَى رَوَايَةِ الْوَاوِ . وَرَوَى : (بَادَرَتْ)

(١) انظر أيضا رسالة الغفران ١٠٨

(٢) في النسختين : « معالجة » تحريف .

موضعَ بَا كَرْت . وضمير حاجتها راجعٌ إلى العافية المراد منها الحمر، ومعناه : حاجتي في الحمر، فأضاف الحاجةَ إلى ضمير الحمر اتساعاً وجعله الشارحُ المحقق — فيما يأتي قريباً — من باب إضافة المصدر إلى ظرفه وقال : إلا أنه كاللضاف إلى المفعول به المنصوب بنزع الخافض، أي حاجتي إليها وهو في الحقيقة بمعنى اللام^(١). وروى في ديوانه : (بَا كَرْتُ لَذَّتْهَا الدَّجَاجُ) وهو جمع دِجَاجَة ، بفتح الدال وكسرهما ، يطلق على الذكر والأنثى، والماء للواحد من الجنس، والمراد هنا الذبوك . والمعنى : بَا كَرْتُ بِشُرْبِهَا صِيَا ح الدِيكَة . و (السُّحُورَة) بالضم : أوَّلُ السَّحَرِ . وقوله : (لَأُعَلِّ) متعلقٌ بِبَا كَرْتُ وبالبناء للمفعول ، من العَلَّلَ وهو الشرب الثاني ؛ وقد يقال للثالث والرابع : عَلَّلَ من قولهم : تعلَّتَ به : أي انتفعت به مرَّةً بعد مرَّةٍ ؛ والنهل محرَّكة : الشُّرْبُ الأوَّل . أي تعاطيت شُرْبَهَا قَبْلَ صَدْحِ الدِيك ، لَأَسْقِيْ مِنْهَا مرَّةً بعد أخرى ؛ أي حينَ اسْتَيْقَظَ نِيَامُ السَّحَرِ . وَهَبَّ من نومه : اسْتَيْقَظَ . وِنِيَامَ : جمع نائم . ومثله للنابعة الجعدى :

سَبَقْتُ صِيَا حَ قَرَارِيحِهَا وصوتَ نَوَاقِيسَ لم تُضْرَبِ
قال الأصمعيّ : الفَرَارِيحُ : الدِيكَة . وقال جريرٌ مثله :

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالدَّيْرَيْنِ أَرْقِي صوتُ الدَّجَاجِ وَضَرْبُ النَوَاقِيسِ^(٢)
وترجمة لبيد بن ربيعة تقدّمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة^(٣)

* * *

(١) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٤ . وموضع الاستشهاد بهذا الشطر مرة ثانية يكون بعد الشاهد الثاني لهذا ، ولكن البغدادى أهمل ذكره كما ستري مكتفياً بإشارته هنا إليه .

(٢) هما دبر فطرس ودبر بولس ، بظاهر دمشق .

(٣) انظر الخزانة ٢ : ص ٢٤٦

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المائة ^(١) :

١٧٤ (يَسَارِقُ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ)

على أنه قد يُتوسّع في الظروف المتصرفّة ، فيضاف إليها المصدر والصفة المشتقة منه ، فإنّ الليلَ ظرفٌ متصرفٌ ، وقد أُضيف إليه سارق وهو وصف . وقد وقع هذا في كتاب سيبويه . وأورده الفراء أيضاً في تفسيره ، عند قوله تعالى (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ^(٢)) وقال : « أضاف سارق إلى الليلة ونصب أهل . وكان بعض النحويّين ينصب الليلة ويخفض أهل ، فيقول : يا سارق الليلة أهل الدار » هذا كلامه .

قال ابن خروف في شرح الكتاب : « أهل الدار منصوب بإسقاط الجار ، ومفعوله الأول محذوف والمعنى : يا سارق الليلة لأهل الدار متاعاً ، فسارق متعدّ لثلاثة ، أحدها الليلة على السعة ، والثاني بعد إسقاط حرف الجر ، والثالث مفعول حقيق . وجميع الأفعال متعدّياً ولازمها يتعدّى إلى الأزمنة والأمكنة » انتهى .

وفيه نظر ، فإن أهل اللغة قلوا : أن سرق يتعدّى بنفسه إلى مفعولين ، قال صاحب المصباح وغيره : سرقه مالاً يسرقه من باب ضرب ، وسرق منه مالاً ، يتعدّى إلى الأول بنفسه وبالحرف على الزيادة انتهى .

فجعل من في المثال الثاني زائدة . فالصواب أن الليلة هو المفعول الأول ، وأهل الدار بدلٌ منها ، فيقتضى أن يكون منصوباً بسارق آخر ، لان البدل

(١) وهو أيضاً من شواهد سيبويه ١ : ٨٩ ، ٩٩ . وقال ابن الشجري في أماليه ٢ :

٢٥٠ : « ومثل هذا في الشعر جائز ، قال :

* يا سارق الليلة أهل الدار * » .

وانظر ابن يعيش ٢ : ٤٥ ، ٤٦

(٢) الآية ٤٧ من سورة إبراهيم .

على نية تكرار العامل، والمفعول الثاني حُذف لإرادة التعميم أى متاعاً ونحوه.

قال السيد فى شرح الكشف: « وأهل الدار منصوب بسارق لاعتباره على حرف النداء، كقولك: يا ضارباً زيداً، ويا طالماً جبلاً. وتحقيقه: أن النداء يناسب الذات، فاتفق تقدير الموصوف، أى يا شخصاً ضارباً، انتهى. ولم يُجر للمفعول الثانى ذِكراً، وكأنه لوضوح تركه.

وقول الفَنَارَى فى حاشية المطول: الظاهر أن انتصاب أهل الدار بمقدّر، أى احذر أهل الدار، خلافُ المعنى المقصود. قال السيد: والاتساع فى الظرف أن لا يُقدّر معه (فى) توسعاً، فينصب نصب المفعول به، كقوله: ويوماً شهدناه، أو يضاف إليه على وتيرته كـ (مالك يوم الدين) وسارق الليلة حيث جعل اليومَ مملوكاً والليلةَ مسروقةً وأما (مكرُ الليل والنهار^(١)) فإن جعلاً مكوراً بهما — كما يقتضيه سياق كلامه فى المفصل — كان مثلاً لما نحن فيه: من إجراء الظرف مجرى المفعول به، وإن جعلاً ما كَرِين^(٢) كانا مشبهين به فى إعطاء الظرف حكم غيره. والإضافة فى الكلِّ بمعنى اللام. ولم يقيّد المصنف — يعنى الزمخشريّ — الإضافة بمعنى فى، وإن كانت رافعة مثوثة الاتساع وما يتبعه من الإشكال، إما لأن إجراء الظرف مجرى المفعول به قد تحقق فى الضمائر بلا خلاف، وصورة الإضافة لما احتملت وجهين كانت محمولة على ما تحقق، فلا إضافة عندم بمعنى فى. وإما لأن الاتساع يستلزم فخامةً فى المعنى، فكان عند أرباب البيان بالاعتبار أولى. ومن أثبتها من النحاة فلنظره فى تصحيح العبارة على ظاهرها. انتهى كلامه.

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ.

(٢) ح: « مؤكنين »، صوابه من ش.

وقوله : « وما يتبعه من الإشكال » هو وصف المعرفة بالنكرة ، لأنّ الإضافة على الاتساع لفظيّة ، فيشكل كونه صفةً للاسم الكريم ؛ فلو كانت الإضافة بمعنى « في » لكانت معنويّة وصحّ الوصفُ به ، لحصول التعريف للمضاف ، بناءً على أنّ الإضافة اللفظيّة لا تكون على تقدير حرف .

واعلم أنّ صاحب الكشف قال في (مالك يوم الدين) : معنى الإضافة على الظرفيّة — بعد أن قال : إنّ يوم الدين أضيف إليه مالك على الاتساع — فظاهره التنافي بينهما ، لأنّ الإضافة على الاتساع لفظيّة ، وكون المعنى على الظرفيّة يقتضى أنّ الإضافة معنويّة . فدفعه السيّد بقوله : يعنى أنّ الظرف — وإن قُطِع في الصورة عن تقدير في ، وأوقع مَوْقِع المفعول به — إلا أنّ المعنى المقصود الذي سيق الكلام لأجله ، على الظرفيّة ؛ لأنّ كونه مالكا ليوم الدين كناية عن كونه مالكا فيه للأمر كلّ ، فإنّ تملك الزمان كتملك المكان يستلزم تملك جميع ما فيه . انتهى .

وإضافة الوصف إلى الظرف المذكور ، من قبيل المجاز اللغويّ عند السيّد ، ومن باب المجاز الحكميّ عند التفتازانيّ .

وردّه السيّد بقوله : « ومن قال : الإضافة في مالك يوم الدين مجازٌ حكميّ ، ثمّ زعم أنّ المفعول به محذوف عالمٌ يشهد لعمومه الحذف بلا قرينة ؛ وردّ عليه أنّ مثل هذا المحذوف مقدّرٌ في حكم الملفوظ ، فلا مجازٌ حكميّاً كما في « واسأل القرية ^(١) » ، إذ كان الأهل مقدّراً » . انتهى .

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد س^(١) :

١٧٥ (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا)

هو قطعة من بيت ، وهو :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَةً^(٢) رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
على أَنَّ الأصل استغفر الله من ذنب ؛ فحذف مِنْ لِأَنَّ استغفر يتعدى إلى المفعول الثاني بمن .

ومعناه طلب المغفرة أى الستر على ذنوبه . وأراد بالذنب جميع ذنوبه ؛ فَإِنَّ النِّسْكَرَةَ قَدْ تَعَمُّ فِي الْإِثْبَاتِ . ويدلّ عليه قوله : « لَسْتُ مُحْصِيَةً » أى أنا لا أُحْصِي عِدَدَ ذُنُوبِي الَّتِي أَذْنَبْتُهَا ، وأنا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جَمِيعِهَا . و (رَبِّ الْعِبَادِ) صفة للاسم الكريم . قال الأعظم : والوجه هنا : القصد والمراد ، وهو بمعنى التوجه ، أى إليه التوجه فى الدعاء والطلب والمسألة ، والعبادة والعمل له . يريد : هو المستحق للطاعة .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الحُسَيْنِ الَّتِي لَا يُعْرِفُ قَائِلُهَا .

* * *

٤٨٧ وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد المفصل^(٣) :

(١) فى كتابه ١ : ١٧ . وانظر الخصائص ٣ : ٢٤٧ وابن عيش ٧ : ٨/٦٣ : ٥١ والمبني ٣ : ٢٢٦ والمجم ٢ : ٨٢ والأثموني ٢ : ١٩٤ والتصريح ١ : ٣٩٤ .
(٢) فى النسختين : « أَحْصِيَةً » وإن كان الشنيطى حورها فى نسخته إلى « مُحْصِيَةً » ، وهو الصواب ، كما فى المراجع وما سيأتى فى الشرح .
(٣) ابن عيش ٣ : ٨ . وانظر المبني ٣ : ٣٥٩ .

(كوكبُ الخرقاءِ) ١٧٦

وهو قطعة من بيت ، وهو :

إذا كوكبُ الخرقاءِ لاحَ بسُحرةٍ سهيلٌ ، أذاعتْ غزْلَهَا في القرائبِ
على أن الشيء قد يضاف إلى الشيء لأدنى ملابسة .

بيانه : أن الخرقاء هي المرأة التي لا تحسن عملاً ، والأخرق : الرجل الذي لا يحسن صنعةً وعملاً — يقال : خرُق بالشيء من باب قرب : إذا لم يعرف عمله . وذلك إما من تنعم وترقه ، أو من عدم استعداد [و] قابلية . ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرمة ؛ فإنه أول ما رآها أراد أن يستطعم كلامها ، فقدم إليها دلوّاً فقال : اخرُزِها لى ؛ فقالت : إني خرقاء . أى لا أحسن العمل ! وليس الخرقاء هنا المرأة الحمقاء ، كما توهم — فأضاف الكوكب إلى الخرقاء ، بملابسةٍ أنها لما فرطت في غزلها في الصيف ولم تستعِدَّ للشتاء استغزَكت قرائبها عند طلوع سهيلٍ سحرّاً — وهو زمان مجيء البرد — فبسبب هذه الملابسة سُمي سهيلُ كوكبِ الخرقاء .

والإضافة لأدنى ملابسة ، من قبيل المجاز اللغوي عند السيد ، ومن المجاز العقلي عند التفتازاني . قال السيد في شرح المفتاح في بيان الإضافة لأدنى ملابسة : « الهيئة التركيبية في الإضافة اللامية موضوعة للاختصاص الكامل ، المصحح لأن يُخبر عن المضاف بأنه للمضاف إليه . فإذا استُعْمِلَتْ في أدنى ملابسة ، كانت مجازاً لغوياً ، لا حُكْمِيّاً ، كما توهم . لأن المجاز في الحكم إنما يكون بصرف النسبة عن محلّها الأصلي إلى محلٍّ آخر ، لأجل ملابسة بين المحلّين . . وظاهرُ أنّه لم يقصدْ صرفَ نسبةِ الكوكب ، عن شيء ، إلى الخرقاء بواسطة ملابسةٍ بينهما ، بل نسبَ الكوكب إليها لظهور جدّها في تهينة ملابس

الشتاء : بتفريقها قُطْنَهَا في قرائبها ليُغْزَلَ لها في زمان طلوعه ، الذي هو ابتداء
البرد ؛ فجُعِلَتْ هذه الملابس بمنزلة الاختصاص الكامل . وفيه لطف .
انتهى كلامه .

وبه يسقط أيضاً كلام السيد^(١) عيسى الصفوى في جعله هذه الإضافة
حقيقية وليست من المجاز في شيء ، فإنه قال في مناقشته : فإن ذلك مما لم يفهم
من كلامهم ، والأصل الحقيقة . مع أنهم صرحوا بأن اللام معناه الحقيقي مطلق
الاختصاص بمعنى المناسبة التامة وزيادة الخصوصية . فلا مجاز في قولنا
كوكب الخرقاء . انتهى .

و (كوكب الخرقاء) : فاعلٌ بفعل محذوف يفسره لاح . و (سهيلٌ)
بالرفع : عطف بيان لكوكب الخرقاء . وجملة (أذاعت) جواب إذا . وأذاعت
أى فرقت ؛ وفاعله ضمير المضاف إليه ، أعنى الخرقاء . ورؤى : (أشاعت
غزَلَهَا) أى فرقت ؛ متعدى شاع اللبن في الماء : إذا تفرق وامتزج به .
قال الأصمعيّ : إذا طلع سهيل عند غروب الشمس أوّل الليل ، كان وقت
تمام السنة ؛ وفي الشتاء يطلع من أوّل الليل ؛ وفي آخر الصيف قبيل الشتاء
من آخر الليل .

وقد أنشد ابن السكيت هذا البيت في أبيات المعاني ؛ وأورد بعده :

(وقالت : سماء البيت فوقك مُنْهِجٌ ولَمَّا تُيسَّرُ أجلاً للركائب)

وقال : تقول لزوجها — إذا لاح سهيل — : سماء البيت فوقك مُنْهِجٌ ،
أى مخلق ، ولَمَّا تُيسَّرُ لركائبنا أجلاً ؛ فكيف تنجع على هذه الحالة ؟ انتهى .
فجملة قالت معطوفٌ على أذاعت .

(١) ط : « أيضاً ما للسيد » ، صوابه في ش .

قال ابن الأنباري: البيت عند العرب إنما هو من صوف أو شعر؛
 فإذا كان من شجر فهو خيمة. والسماء: السقف، مذكر، وكل عال مظل
 سماء. والمنهيج: اسم فاعل من أنهج الثوب: إذا أخذ في البلي. وتيسر:
 تسهل وتيسر، مجزوم بلمّا. وأجبل: جمع جبل وهو الرّسن ونحوه.
 والركائب: جمع ركاب؛ والركاب بالكسر: الإبل التي يسار عليها، الواحدة
 راحلة؛ وليس له واحد من لفظه.

* * *

باب المفعول له

أنشد فيه، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائة، وهو من شواهد
 سيبويه^(١):

١٧٧ (يَرْكَبُ كُلُّ عَاقِرٍ جُهْوَرٍ خَافَةً وَزَعَلَ الْهَبْوَرِ)

(وَالْهَوْلَ مِنْ تَهْوَلِ الْهَبْوَرِ)

على أن (زَعَلَ الْهَبْوَرِ) و (الْهَوْلَ) مفعول لأجله. وفيه ردٌّ على الجرمي
 في زعمه أن المسمى مفعولاً لأجله هو حال. فيلزم تنكيره.

وبيان الرد: أن الأول معرف بالاضافة، وهي إضافة معنوية؛ والثاني
 معرف بآل، فلا يكونان حالين، فتعين أن يكون كل منهما مفعولاً لأجله.

وقال ابن برّي، في شرح أبيات الإيضاح: وانتصاب مخافة، وزعل
 والهلول، المعطوفين عليه، على المفعول له. وأصله اللام، فلما سقط الخافض
 تمدّى إليه الفعل. والرياشي زعم أنه لا يكون إلا نكرة كالحال والتمييز.
 وسيبويه يجيز الأمرين. انتهى.

(١) في كتابه ١ : ١٨٥ . وانظر ديوان العجاج ٢٨ وابن عيش ٢ : ٥٤ .

وهذا من أرجوزة للعجاج . شبه بعيره في السرعة بالثور الوحشي الموصوف
 بهذا الوصف . فقوله (يركب) فاعله ضمير الثور الوحشي الذي خاف من
 الصياد فذهب على وجه مُسرِعاً ، يصعد تلال الرمل ، ويعتسف المشاق .
 و (العاقر) : العظيم من الرمل الذي لا يُنبت شيئاً ، شبه بالعاقر التي لا تلد
 قال أبو عبيدة : العاقر من الرمل : العظيم . وقال غيره : المشرف الطويل .
 وهذا التفسير كله واحد ؛ لأن المشرف الطويل والرمل العظيم لا يُنبت ،
 لعدم التراب والرطوبة التي يكسبها المطنن السهل من الرمل . و (الجمهور)
 بالضم : الرملة المشرقة على ما حولها ، وهي المجتمع ، وهو صفة لعاقر .
 وإنما خصه ، لأن بقر الوحش إذا دهمها القانص اعتصمت بركوب الرمل ،
 فلا تقدر الكلاب عليها . وقوله (مخافة) ، مفعول لأجله . قال صاحب
 اللباب : للمفعول له علة الإقدام على الفعل ، يكون سبباً غائياً كقوله :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره^(١)

وسبباً باعثاً ليس غاية يقصد قصدها ، نحو قوله — وأشد شعراً
 المعجاج — فأنطوف ، والزعل ، والهول ، كل منها سبب باعث على ركوب
 الجمهور ، لا سبب غائي . و (زعل) معطوف على مخافة ، وهو بالزاي المعجمة
 والعين للهملزة بمعنى النشاط ، مصدر زعل من باب فرح ، والوصف زعل
 بالكسر . قال ذو الرمة يصف ثوراً :

ولى يهذ انهماماً وسطها زِعلاً جذلان قد أفرخت عن روعه الكُرب^(٢)
 وقال طرفة بن العبد :

(١) انظر الشاهد ١٧٩ فيما سياتي .

(٢) يهذ : يقطع الغلاة . وفي ديوانه ٢٧ : « يهز انهماماً » وفي شرحه : « أي يمر
 مرا سريعاً » . ط : « يهر » ، وأثبت ما في س .

* وِبِلَادٍ زَعَلٍ ظِلْمَاتُهَا ^(١) *

و (المحبور) : اسم مفعول من حَبَرَ في الشيء إذا سَرَّني ؛ من باب قتل .
 فزَعَلَ مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، فليس مفعولاً لأجله لاختلاف الفاعل ،
 وإنما هو مصدرٌ تشبيهي . أي زَعَلًا كَزَعَلَ المحبور ، فالمحذوف هو المفعول له .
 وقوله : و (الهول) معطوف على مخافة ؛ وهو مصدرٌ هَالَهُ يهولُهُ هولًا : إذا
 أفزعهُ . قال الشارح : فالهول معناه الإفزع لا الفزع ، والثور ليس بمفزع بل
 هو فِزَع . فالفاعلان مختلفان . وقد جَوَّزَهُ بعضُ النحويين ، وهو الذي يَقْوَى
 في ظني وإن كان الأغلبُ هو الأول ^(٢) أ هـ .

٤٨٩

وقد فسَّره شراح أبيات الكتاب بالفزع ، وهو المشهور . وعليه
 فالفاعل متحد .

وقتل أبو البقاء في شرح الإيضاح الفارسي عن بعضهم أنه معطوفٌ على
 كلِّ عاقر ، أي يركب كل عاقرٍ ، ويركب الهول ؛ فيكون مصدرًا بمعنى
 اسم المفعول .

و (التهول) تفعلٌ منه ؛ وهو أن يعظم الشيء في نفسك حتى يهولك
 أمرُهُ . و (الهبور) جمع هَبْر بفتح فسكون ، وهو ما اصطأن من الأرض
 وما حوله مرتفع . وروى شارح اللب :

* والهول من تهوّر الهبور *

وقال : الهول : الخوف . والتهوّر : الانهدام . أي ولخافته من تهوّر

(١) مجزؤه كما في ديوان طرفة ٦٦ :

* كالنحاس الجرب في اليوم الحذر *

(٢) انظر شرح الرضي ١ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

الأمكنة للمطمئنة . وقد استدلَّ صاحبُ اللبِّ لتعريف المفعول له بزعل المحبور فقط ، من هذا الشعر . قَالَ شارحه : وإِنَّمَا لم يذكر آخر البيت — ليكون شاهداً أيضاً للمفعول له المعرف باللام ، وهو الهول ، كما ذكر المعرف بالإضافة . لأنه ذكر في شرح أبيات الكتاب أَنَّ الهول عطفٌ على كلٍّ ، وعلى هذا يكون مفعولاً به لا مفعولاً له ؛ فلا يكون الإتيانُ به نصّاً في الاستشهاد . ١٥

قال ابن خلف : زعل المحبور عطف على مخافة ، والهول معطوف على كلٍّ ثم قال : والأصل للمخافة ، ولزعل المحبور ، وللهول ، أى لأجل هذه الأشياء يركبُ كلُّ كتيب . هذا كلامه .

وترجمة العجاج تقدمت في الشاهد الحادى والعشرين^(١)

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائة ، قول ابن دريد :
 ١٧٨ (والشيخ إن قَوْمَهُ مِنْ زَيْغِهِ لَمْ يَقُمْ التَّثْقِيفُ مِنْهُ مَا التَّوَى)
 على أنه يجوز أن يقال ضربته تقويماً فاستقام ، إذ قد يطلق أنه حصل التأثير^(٢) .

والتقويم : التعديل ، يقال : قَوْمْتُهُ تَقْوِيماً فَتَقَوَّمَ ، بمعنى عدلته فتعدل ، ومثله أقامه أى عدله . و (الزيغ) الميل ، يقال زاغت الشمسُ زَيْغاً وَأَزَاغَهُ إِزَاغَةً أى أماله . و (التثقيف) تعديل المَوْجِّ . و (منه) متعلقٌ بيقم . و (ما) موصولة أو موصوفة ، ويجوز أن تكون مصدرية . و (التوى) تعوّج ؛ وفاعله ضمير ما على الأول ، وضمير الشيخ على الثانى . وجملة الشرط والجزاء فى محلّ رفع خبر المبتدأ الذى هو الشيخ .

صاحب الشاهد وهذا البيت من مقصورة ابن دُرَيْد للشهورة . وقبل هذا البيت :

بعض المقصورة (والناس كالنبت : فنه رائقُ غَضُّ نَضِيرُ عُوْدُهُ مُرُّ الْجَنِيِّ
ومنه ما تفتحُ العينُ فإن ذُقْتَ جَنَاهُ اساعَ عَذَابًا فِي اللَّهِما
يَقُومُ الشارخُ مِنْ زَيْفَانِهِ^(١) فَيَسْتَوِي مَا اِنعاج مِنْهُ وانحني
والشيخ إن قَوْمَتَهُ مِنْ زَيْفِهِ البيت
كذلك الغصنُ : يسيرُ عطْفُهُ لَدَنًا ، شديدُ عَمْرُهُ إِذَا عَسَا
مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظِلْمَهُ وَعَزَّ فِيهِمْ جَانِبَاهُ واحنَى
وهم لمن لَانَ لَهُمْ جَانِبُهُ أَظْلَمُ مِنْ حَيَاتِ أَنْبَاثِ السَّفَى
والناسُ كُلًّا إِنْ فَحَصْتَ عَنْهُمْ جَمِيعَ أَقْطَارِ الْبِلَادِ وَالْقُرَى^(٢)
عبيدُ ذِي الْمَالِ ، وَإِنْ لَمْ يَطْعَمُوا مِنْ غَمْرِهِ فِي جُرْعَةٍ تَشْنِي الصَّدَى
وهم لمن أَمْلَقَ أَعْدَاءَهُ وَإِنْ شَارَكَهُمْ فِيهَا أَفَادَ وَحَوَى

٤٩٠

وتفتحهُ العينُ . تَفُوتُهُ وتزدرِيهِ . وَاللَّهُ بِالْفَتْحِ : جمع لَمَاة ، وهي ما بين
منقَطعِ أَصْلِ اللسانِ إِلَى منقَطعِ القلبِ مِنْ أَعْلَى الْفَمِ . والشارخُ : الشابُّ .
والزيفانُ : المدول عن الحق ؛ وانعاج . انمطف . و « ما » فيه الوجهان .
وقوله : كذلك الغصنُ ، الإِشارة راجعة إلى قَويمِ الشارخِ والشيخ . وَاللَدَنُ :
اللَّيْنُ ، والطَّرِيُّ . والغَمْرُ : العصر باليد والهزُّ . وعَسَا : صلب واشتدَّ . وقوله :
أَظْلَمُ مِنْ حَيَاتِ الْحِ ، الْأَنْبَاثُ : جمع نَبْثِ بنونِ فمَوْحدة فمثْلثة ؛ فِي الْقَامُوسِ :
النَّبْثُ كَفَلَسَ : النَبْشُ ، وقيل : الترابُ المُستخرج من البئر . وَالسَّفَى ،
بسينٍ مَهْمَلَةٍ مفتوحة وفاء : التراب ؛ وهذا من قولهم فِي المثل : « أَظْلَمُ مِنْ

(١) الأصل في ياء الزيفان ، هو الفتح ، وأُسكنه للضرورة .

(٢) المبيني : « هذا البيت لا يشبه سائر المقصورة ولا يوجد في طبعة الجواب ١١٢ ولا في غيرها »

حَيَّةٌ^(١) ، لَأَنَّهُ لَا تَحْفَرُ جُحْرًا ، وَإِنَّمَا تَأْتِي إِلَى جُحْرٍ قَدْ احْتَفَرَهُ غَيْرُهَا فَتَدْخُلُ فِيهِ وَتَغْلِبُ عَلَيْهِ ؛ فَكُلُّ بَيْتٍ قَصِدَتْ إِلَيْهِ هَرْبَ أَهْلِهِ مِنْهُ وَخَلَّوْهُ لَهَا .

وهذه القصيدة طويلة ، عدتها مائتان وتسعة وثلاثون بيتاً ، لها شروح لا تُحصى كثرة . وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبي علي محمد ابن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي . وقد شرحها أنا شرحاً موجزاً مع إيضاح وافي ، وتبيين شافي ، في أيام الشبيبة . نفع الله به .

ومدح ابن دريد بهذه المقصورة الشاة وأخاه أبا العباس إسماعيل ابني ميكال يقال : إنها اشتملت على نحو الثلث من المقصور . وفيها كل مثلي سائر ، وخبر نادر ؛ مع سلاسة ألفاظ ، ورشاقة أسلوب ، وانسجام معان يأخذ بمجامع القلوب .

وهذه نبذة من نسبه وأحواله . وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد^(٢) وينتهي نسبه إلى الأزد بن القوث ، ومنه إلى قحطان ، وهو أبو قبائل اليمن . ولد بالبصرة في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بها ، وتعلم فيها ؛ ثم ارتحل منها مع عمه عند ظهور الزنج ، وسكن عُمان ، وأقام اثنتي عشرة سنة ؛ ثم عاد إلى البصرة ، وسكن بها زماناً ؛ ثم خرج إلى نواحي فارس ، وصحب ابني ميكال — وكانا يومئذ على عمالة فارس — وعمل لها كتاب الجهرة ، وقلداه ديوان فارس ، فكانت الكتب لا تُكتب إلا عن رأيه^(٣) ، ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . وكان سخياً [متلاقاً^(٤)] لا يُمسك درهما .

(١) انظر الحيوان ١ : ٤/٢٢٠ : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٠٠/٦ : ٤٠١ .

(٢) دريد : مصنف أدود تصغير ترخيم . والدرد ، محركة : ذهاب الأسنان .

(٣) س : « وكانت لا تصدر كتب فارس إلا عن رأيه » .

(٤) التكلفة من س .

ومدحهما بهذه القصيدة المقصورة ، فوصلاه عشرة آلاف درهم^(١) . ثم انتقل من فارس إلى بغداد ، ودخلها سنة ثمان وثلثمائة ، بعد عزل أبي ميكال وانتقالها إلى خراسان . ولما دخل بغداد أنزله علي بن محمد في جواره وأفضل عليه ، وعرف الخليفة المقتدر العباسي مكانه من العلم ، فأجرى عليه في كل شهر خمسين ديناراً ، ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته . وتوفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد .

٤٩١

وكان مواظباً على شرب الخمر ، قال أبو منصور الأزهري : دخلت عليه فرأيت سكران فلم أعد له إليه^(٢) . وقال ابن شاهين : كنا ندخل عليه فنستحجي مما نرى عنده من العيدان والشراب المصق . وعرض له في رأس التسعين من عمره فالج وسقى الترياق فبرئ وصح ورجع إلى أفضل أحواله . ثم عاوده الفالج بعد عام ، لغذاء ضار تناوله ، فكان يحرك يديه حركة ضعيفة ، وبطل من محزمه إلى قدميه ، فكان إذا دخل عليه داخل ضج وتآلم لدخوله . قال تلميذه أبو علي القالي : كنت أقول في نفسي : إن الله عز وجل عاقبه لقوله في هذه المقصورة ، يخاطب الدهر :

مارست من لوهوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ماشكا
وكان يصيح من الداخل عليه صياح من ينخس بالمسال — والداخل
بعيد — وكان مع هذه الحال ثابت الذهن كامل العقل . وعاش مع الفالج عامين .
وكنت أسأله عن أشياء في اللغة فيرد بأسرع من النفس ، بالصواب . وقال لي مرة — وقد سأله عن بيت — لئن طِفِعتُ شحمتاً عيني لم تجد من يشفيك من العلم . وكان ينشد كثيراً :

(١) الصواب (بعشرة آلاف درهم) .

(٢) كذا في النسختين . وفي معجم الأدباء ١٨ : ١٣١ : « فلم أعد إليه » .

فَوَاحِزْنِي أَنْ لِحَايَةَ لَذِيذَةٍ وَلَا عَمَلٌ يَرْضَى بِهِ اللَّهُ صَالِحٌ !
وأشهر مشايخه : أبو حاتم السَّجِسْتَانِيّ ، والرياشي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، والأشنانديّ . وسمع الأخبار من عمّه الحسين بن دُرَيْد ، ومن غيره . وله من التّأليف : الجهرة في اللغة ، وكتاب السَّرْجِ واللّجام ، وكتاب الأنواء وكتاب المجتبي ^(١) . وهذه الكتب عندى والحمد لله والمنّة .. وله كتاب الاشتقاق ، وكتاب الخليل الكبير ، والصغير ، وكتاب الملاحن ^(٢) وكتاب زوَار العرب ^(٣) ، وكتاب الوشاح ^(٤) ، وغير ذلك .
وكان واسع الرواية لم يُرَ أحفظ منه ؛ وكانوا يقرءون عليه دواوين العرب فيسابق إلى إتمامها ، من حفظه . وله شعر رائق . قال بعض المتقدّمين : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء .
قال المسعوديّ في مَروِج الذهب : كان ابن دريد يبغدادَ ممّن برع في زماننا في الشعر . وانتهى في اللغة ؛ وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدّمين . وشعره أكثر من أن يُحصى .

* * *

- (١) في النسختين : « المجتبي » ، تحريف ، وقد طبع الكتاب في حيدرآباد ١٣٤٢ بناية المستشرق الفاضل كرنكو . وقال ابن دريد في أوله : « سميناه كتاب المجتبي لاجتماعنا فيه طرائف الآثار ، كما تجتبي أطياب الثمار » .
(٢) طبع في مصر سنة ١٣٤٧ بتحقيق إبراهيم بن طغيث الجزائري سنة ١٣٤٧ وطبع كذلك في مصر سنة ١٣٢٣ وقبل ذلك في لندن سنة ١٨٥٩ وجوتا سنة ١٨٨٢ م . وفي النسختين : « الملاحم » ، تحريف .
(٣) وكذا عند ابن خلكان . وعند ابن النديم والقفطي : « رواة العرب » . وهذا كله تحريف ، صوابه « رواد العرب » . وقد طبع هذا الكتاب في مجموعة « جرزة الحاطب وحمزة الطالب » في لندن سنة ١٨٥٩ م باسم « السحاب والغيث ، وأخبار الزواد وما جدوا من السكّاء » .
(٤) منه ورقتان في (الميكروفيلم) رقم ١٨٩٥ في مجموعة من مكتبة الاسكوريال .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد
سبويه^(١) :

١٧٩ (وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارُهُ

وَأَعْرِضُ عَنْ شَمِّ اللَّيْثِ تَكْرُمًا^(٢))

على أنه يَرُدُّ على مَنْ اشْتَرَطَ التَّنْكِيرَ في المفعول له هذا البيتُ وبيتُ
المَجَّاجِ السَّابِقُ . فَإِنَّ قَوْلَهُ : (ادِّخَارُهُ) مفعول له ، وهو معرفة .

قال الأَعْلَمُ : « نصب الادِّخَارَ والتَّكْرُمَ على المفعول له ؛ ولا يجوز مثلُ
هذا حتَّى يكون المصدرُ من معنى الفعل المذكور قبله ، فيضارع المصدرُ المؤكَّد
لفعله ، كقولك : قصدتك ابتغاء الخير . فإن كان المصدرُ لغير الأول لم يَجُزْ
حذفُ حرفِ الجرِّ ، لأنَّه لا يشبه المصدرُ المؤكَّد لفعله ، كقولك : قصدتُك
لرغبةٍ زِيدٍ في ذلك ، لأنَّ الراغب غير القاصد » انتهى .

لكن المبرِّد أخرجهما من هذا الباب وجعلهما من باب المفعول المطلق ،
قال في الكامل : « قوله : ادِّخَارُهُ ، أى ادِّخَرَهُ ادِّخَارًا . وأضافه إليه كما تقول :
ادِّخُلْ آلَهُ . وكذلك تَكْرُمًا ، إِنَّمَا أَرَادَ التَّكْرُمَ فَأَخْرَجَهُ مُخْرَجَ اتَّكْرَمَ
تَكْرُمًا » انتهى .

٤٩٢

و (أَغْفِرُ) : أَسْتُرُ ؛ يقال : غَفَرَ اللهُ لى ، أى سَتَرَ عَنِّي العقوبة فلم
يعاقبني . و (الْعَوْرَاءُ) بالفتح : الكلمة القبيحة ؛ ومنه العورة للسوءة

(١) في كتابه ١ : ١٨٤ . وانظر ديوان حاتم ١٠٨ والكامل ١٦٥ ونوادير
أبي زيد ١١٠ وابن يمين ٢ : ٥٤ والعين ٣ : ٧٥ والأشمونى ٢ : ١٨٩ والتصريح
٣٩٢ : ١ .

(٢) ويروى : « وأصْفَحَ عَنْ شَمِّ اللَّيْثِ » و « وأصْفَحَ عَنْ ذَاتِ اللَّيْثِ » كما فى نوادر
أبي زيد ١١٠ .

وكلُّ ما يُستَحَى منه . و (الادّخار) افتعال من الذُّخْر . وروى أبو زيد في نواتره :

* وأغفرُ عوراءَ الكريمِ اصطناعه *

وهو افتعال أيضاً من الصَّنْع ، وهو الفعل الجليل . و (الإعراض) عن الشيء : الصّفح عنه . يقول : إذا بلغتني كلمةٌ قبيحةٌ عن رجلٍ كريمٍ قالما في ، غفرتها له لأجل كرمه وحسبه ، وأبقيتُ على صداقته وادّخرته ليومٍ أحتاجُ إليه فيه — لأنّ الكريم إذا فرّط منه قبيحٌ ندِمَ على ما فعل ، ومنعه كرمه أن يعود إلى مثله — وأعرض عن ذمّ اللّيم ، إكراماً لنفسى عنه ؛ وما أحسن قولَ طرفة بن العبد (١) :

وعوراء جأوت من أخٍ فرددتها بِسَالِمَةِ الْعَيْنِينَ طالبةٌ عُذْراً !

وهذا من إحكام صَنعة الشعر ومقابلة الألقاب بما يُشاكلها ويتّسم معانيها : وذلك أنه لما كان الكلامُ القبيحُ يشبه بالأعورِ العينَ ؛ نُكِيَّ ضدهُ سالمَ العينين .

وقد أورد صاحبُ الكشّاف هذا البيتَ في التفسير ، عند قوله تعالى (حَنَرَ الْمَوْتَ) على أنه مفعول له ، مرفقاً بالإضافة ، كما في ادّخاره .

وهو من قصيدة طويلةٍ لحاتمِ الطائي ، تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق . وهي مسطورة في الحماسة البصريّة وغيرها . وهي هذه :

(وعاذلتين هبتا بعد هجعةٍ تلومانِ متلاقاً مُفيداً مُلوّماً

(١) لم يرد هذا البيت في ديوانه . ونسب في ذيل الأما ٦٢ إلى حاتم طي ، وليس في ديوانه أيضاً . وانظر الحيوان ٦ : ٤٠ .

تولمان ، لما غور النجم ، ضلة ، قتي لا يرى الإنفاق في الحمد مغرماً (١)
 فقلت ، وقد طال العتابُ عليهما وأوعدتماني أن تبينا وتصرما : (٢)
 ألا لا تولمانى على ما تقدما كفى بصروف الدهر للمرء مُحسباً
 فإني كما لا ما مضى تدركانه ، ولست على ما فاتني متندماً
 فنفسك أكرمها ، فإنك إن تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرماً (٣)
 أهن للذي تهوى التلاد ، فإنه إذا مت كان المال نهياً مقسماً
 ولا تشقين فيه فيسعد وارث به ، حين تفتى أغبر الجوف مظلماً (٤)
 يقسه غنماً ويشرى كرامه وقدصرت في خط من الأرض أعظماً (٥)
 قليلاً به ما يحمدك وارث إذا نال مما كنت تجمع مغنماً (٦)
 تحلم عن الأدنين واستبق ودم ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً
 وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر وذى أود قومت ففقوما
 وأغفر عوراء الكريم آذخاره (٧) البيت
 ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً ولا أشتم ابن العم إن كان مفحماً
 ولا زادني عنه غناى تباعداً وإن كان ذا قص من المال مضراً (٨)

(١) النوادر : « لما غور النسر » .

(٢) الديوان : « ولو عذرائى » .

(٣) الديوان : « فلن تنى » بالقاء .

(٤) الديوان : « تحشى » ، والنوادر : « تحشى » .

(٥) النوادر : « يبيمه هنما » .

(٦) الديوان « قليل .. إذا ساق » . وفي النوادر : « تجمع مقسماً » .

(٧) فى الديوان والنوادر « اسطناعه » .

(٨) ط : « منأى » صوابه فى س والديوان . ط : « مضراً » صوابه من س :

والمصرم : القليل المال .

وليل بهمٍ قد تسربتُ هوله
 إذا الليلُ بالنكسِ الدقءِ تَجَهَّمَا^(١)
 ولن يَكْسِبَ الصُّلوكُ حِداً ولا غني
 إذا هو لم يركبْ من الأمرِ مُعْظَمَا
 لحا الله صُلوكا مناهُ وهمهُ
 من العيش أن يلقى كبوساً ومَغْنَمَا
 يَنَامُ الضَّعْفَى، حتَّى إذا نومه استوى
 تنبَّه مَثْلُوجَ الفؤادِ مورِّمًا^(٢)
 مقيماً مع المثيرين ليس بيارح
 إذا نال جدوى من طعامٍ ومَجْهِمًا
 ولله صُلوْكُ يساورُ همهُ
 ويعضى على الأحداث والدهرِ مُقَدِّمًا
 فتي طَلِبَاتٍ لا يرى الخُفصَ تَرَحُّه
 ولا شَبْعَةً إن نالها عدٌ مَغْنَمًا
 يرى الخُفصَ تعذيباً، وإن يلقى شَبْعَةً
 يَبْتَ قلبه، من قِلَّةِ الهمِّ مُبْهِمًا^(٣)
 إذا ما رأى يوماً مكارمَ أَعْرَضَتْ
 تيممَ كِبْرَاهُنَ مُنَمَّتَ صَمًا
 وَيَغْشَى إذا ما كان يومٌ كَرِيهَةٌ
 صدورَ العوالى، فهو مختضبٌ دَمًا
 يرى رُحْمَهُ، ونَبْلَهُ، ومَجْنَهُ
 وذا شُطْبَ عَضْبِ الضَّرْبِيَّةِ مَخْذَمًا
 وأحناءَ سَرَجٍ قَاتِرٍ، ولجامه،
 عَنَادَ قَتِي هَيْجَا، وطرفاً مسوِّمًا^(٤)
 فذلك إن يَهْلِكَ فُحْشِي ثَنَاؤُهُ
 وإن عاشَ لم يَقْعُدْ ضَعِيفًا مَذْمُومًا

قوله : هَبْنَا ، أى استيقظنا . وغَوَّرَ النجمُ : أى غابت النريا . وقوله :
 ضَلَّةٌ ، هو قيدٌ فى اللوم ، لآمه ضَلَّةٌ : إذا لم يوفقَ للرِشَادِ فى لومه . والمَغْرَمُ بالفتح
 الغرامة . وأغبر الجوف : القبر ، ومثله : خَطٌّ من الأرض . وقوله : حتى
 تَحَلَّمًا ، أى تتحلَّم أى تتكَلَّفَ الحِلْمَ . وهذا البيت من شواهد مُعْنَى اللَّيْبِ .

(١) الديوان والنوادر : « بالنكس الضعيف » .

(٢) الديوان : « ليله استوى » . والمورم : الضخم من الرجال .

(٣) فى النسختين : « ولم يلقى شعبة » صوابه من الديوان والنوادر .

(٤) ط : « سرح قاتر » صوابه فى - والديوان ، وسيُفسرُها البغدادي .

وقوله : فَلَمْ يَضُرْ ، من ضار يضير ضد نفع . والأود بفتحين : الاعوجاج .
والنكس ، بكسر النون : الردى ؛ وأصله السهم الذى كُسِرَ فوقه . ونجهم :
كلح وجهه . ولحأ الله : قبح الله . والصعلوك بالضم : الفقير . ومناوج الفؤاد :
البليد الذى ليست فيه حرارة من الهمة . والمعجم ، بفتح الميم وكسر المثناة :
مكان الجثوم ، وهو برؤك الطائر . وقوله : ولله صعلوك ، تعجب ومدح ،
يقال عند استغراب الشيء واستعظامه ؛ أى هو صنعه الله ومختاره ، إذ له
القدرة على خلق مثله . ويساور : يواثب . وهمه ، أى عزمه ، مفعول . وقوله :
ويمض على الأحداث ، أى لا يشغله الدهر وحوادثه فى حالة إقدامه على
ما يريد . وقوله : قَيَّ طَلِبَاتٍ ، إشارة إلى علو همته . والخمض بالفتح :
الجوع . والترحة : ضد الفرحة . والشبعة : المرة من الشبع . ونمت : حرف
يعطف الجمل . ورحمه ، وما عطف عليه : مفعول أول ليرى ؛ وعناد هو
المفعول الثانى . وذا شطب ، هو السيف ، جمع شطبة : وهى الطريقة فى مثنى
السيف . والمجن بالكسر : الترس والدرة . والعضب : القاطع . والضريبة :
موضع الضرب . والمخدَم بكسر أوله وبالمعجمتين : السيف القاطع ؛ وبإعجام
الثانى فقط ، من اتخذ وهو القطع السريع . والأحناء : جمع حنو بالكسر ،
يطلق على ما فيه اعوجاج من القتب والسرّج وغيرها . والقار ، بالقاف
وبالمثناة الفوقية : الواقى والحافظ ، لا يعقر ظهر الفرس . وعناد ، بالفتح :
العدة . وطرفا : معطوف على رحمه الذى هو أول مفعولى يرى ؛ وهو الكريم
من الخيل . والمسوم المعلم تشهيراً لعتقه ولكرمه ، من السومة وهى العلامة ،
أو المسبب فى المرعى ولا يركب إلا فى الحروب . وقوله : فذلك إن يهلك الخ ،
الحسنى : مصدر كالْبُشرى ؛ وقيل : اسم للإحسان .

٤٩٤

والمعنى : لله فقير^(١) يواثبُ هِمَّتَه وَيَمْضِي مُقَدِّمًا عَلَى الدَّهْرِ ، وَالْحَالُ أَنَّهُ قَتِي طَلَبَاتٍ يَتَجَدَّدُ طَلْبُهُ كُلَّ سَاعَةٍ ، وَالِدَّهْرُ يُسَعْفُهُ بِمَطْلُوبِهِ لِجَدِّهِ وَرَشْدِهِ ، وَلَا يَرَى الْجُوعَ شَدَّةً وَلَا الشَّيْعَ غَنِيمَةً ، لَعَلَّوْهُ هِمَّتَهُ . فَإِنْ يَهْلِكْ فَلَهُ ثَنَاءٌ حَسَنٌ ، وَإِنْ يَعْشُ يَعِشْ مُمَدَّحًا مَعْرُزًا .

واستشهد صاحب الكشف بهذه الآيات ، من قوله : صَلَوكُ يُسَاوِرُ هَمَّهُ ، إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ السَّبْعَةِ^(٢) عِنْدَ قَوْلِهِ : (أَوْلَئِكَ عَلَيَّ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ)^(٣) عَلَى أَنَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ ، وَهُوَ أَوْلَئِكَ ، مُؤْذِنٌ بِأَنَّ الْمَذْكُورِينَ قَبْلَهُ أَهْلٌ لَا كِتَابَ مَا بَعْدَهُ لِلْخِصَالِ الَّتِي عُذَّتْ لَهُمْ . فَإِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ الْمُتَّقِينَ بِقَوْلِهِ : (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)^(٤) ثُمَّ عَدَّدَ لَهُمْ خِصَالًا مِنْ كَوْنِهِمْ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ، وَيُوقِنُونَ بِالْآخِرَةِ . ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

فَذَلِكَ إِنْ يَهْلِكْ نُحْسِنِي ثَنَاءُهُ الْبَيْت

حاتم الطائي

و (حاتم) هُوَ حَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الْحَشْرَجِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ابْنِ عَدِيٍّ بْنِ أَخْزَمِ الطَّائِي^(٥) الْجَوَادِ الْمَشْهُورِ ، وَأَحَدُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَيَكْنَى أَبَا عَدِيٍّ ، وَأَبَا سَفَاتَةَ ، بَفَتْحِ السِّينِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ . وَابْنُهُ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ .

(١) فِي اللَّسْعَتَيْنِ : « سَرِ فَقِيرٌ » ، وَحُورُهَا الشَّعْطُ يُطَيُّ إِلَى مَا أَثْبَتَ .

(٢) لَمْ يَسْتَشْهِدِ الرَّخْشَرَى بِالْفَافِ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهَا سَبْعَةٌ . وَنَمْسُ كَلَامِهِ : « كَمَا قَالَ حَاتِمٌ : وَفَتْحُ صَلَوكَ . ثُمَّ عَدَّدَ لَهُ خِصَالًا فَاضِلَةً . ثُمَّ عَقَّبَ تَمْدِيدُهَا بِقَوْلِهِ : فَذَلِكَ إِنْ يَهْلِكْ .. إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ » .

(٣) الْآيَةُ ٥ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٤) الْآيَةُ ٢ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٥) ط : « أَخْزَمٌ » ، صَوَابُهُ فِي « هـ » . وَهُوَ أَخْزَمُ بْنُ أَبِي أَخْزَمٍ الَّذِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِقَالِهِ « شَنْشَنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمٍ » . الْاِسْتِثْقَاءُ ٣٩١ .

وقد مضت ترجمته في الشاهد الثامن والحسين^(١) .

أخرج أحمد في مُسنده ، عن ابنه عدي قال : قلتُ يا رسولَ الله :
إنَّ أبِي كانَ يَصِلُ الرِّحْمَ وَيَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا ، قالَ : إنَّ أباكَ أرادَ أمراً فادرِّكه ،
يعني الذُّكْرَ .

وكانت سَفَانَةُ بنتُهُ أُتِيَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :
يا محمد ، هَلَكَ الوالدُ ، وَغَابَ الوافِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ، وَلَا تَشِمْتَ
بِأَحْيَاءِ الْعَرَبِ ! فَإِنَّ أَبِي سَيِّدُ قَوْمِهِ : كَانَ يَفْكُ الْعَانِي ، وَيَحْمِي الذَّمَّارَ ،
وَيَفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَيُغْنِي السَّلَامَ ، وَلَمْ يَطْلُبْ إِلَيْهِ
طَالِبٌ قَطُّ حَاجَةً فَرَدَّه ! أَنَا ابْنَةُ حَاتِمٍ طَيِّ ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَا جَارِيَةُ ، هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ ! لَوْ كَانَ أَبُوكَ إِسْلَامِيًّا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ! خَلَوْا
عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يَجِبُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ! »

قال ابنُ الأَعرابي : كان حاتمٌ من شعراء الجاهلية ، وكان جواداً يُشبه
جوده شعره ، ويصدقُ قوله فعله ؛ وكان حيثما نزلَ عُرِفَ مَنزِلُهُ ؛ وكان
مظفراً : إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ ، وَإِذَا غَنِمَ أَثْنَبَ ، وَإِذَا ضَرَبَ بِالْقَدَاحِ فَازَ ، وَإِذَا
سَابَقَ سَبَقَ ، وَإِذَا أَسَرَ أَطْلَقَ ؛ وكان أقسمَ بالله : لَا يَقْتُلُ وَاحِدَةً مِنْهُ ، وكان
إِذَا أَهْلَ رَجَبٍ تَحَرَّى كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ واجتمعوا
عليه . وكان أولَ ما ظهرَ من جوده ، أَنَّ أَبَاهُ خَلَّفَهُ فِي إِبِلِهِ - وَهُوَ غَلَامٌ - فَرَّ
بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّعْرَاءِ ، فِيهِمْ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ وَبِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ ، وَالنَّابِغَةُ
الذُّيَّانِي ، يَرِيدُونَ الثُّغَمَانَ بْنَ الْمُنْدَرِ ، فَقَالُوا لَهُ : هَلْ مِنْ قَرَى ؟ (وَلَمْ يَعْرِفْهُمْ)
فَقَالَ : أَتَسْأَلُونِي الْقِرَى وَقَدْ رَأَيْتُمُ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ؟ أَنْزِلُوا ! فَتَزَلُّوا ، فَتَحْرُ

(١) كذا . وصوابه في الشاهد الأربعين . انظر الجزء الأول ص ٢٨٦ .

لكل واحد منهم ، وسألمهم عن أسماهم ؛ فأخبروه ؛ ففرّق فيهم الإبل والغنم ،
وجاء أبوه ، فقال : ما فعلت ؟ قال : طوّقتُ جَدَّ الدهر ، تطويق الحمامة ،
وعرّفه القضية . فقال أبوه : إذاً لا أسأكنك بعدها أبداً ، ولا أوويك !
فقال حاتم : إذاً لا أبالي !

وأخبار كرم حاتم كثيرة وشهيرة .

ونذكر قضية قِراه بعد موته ^(١) :

روى 'مُحَرِّز مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : مرَّ نَفَرٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بِقَبْرِ حَاتِمٍ ،
فَنَزَلُوا قَرِيباً مِنْهُ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْخَيْبَرِيِّ ، وَجَعَلَ يَرْكُضُ بِرَجْلِهِ
قَبْرَهُ ، وَيَقُولُ : اقْرَأْنَا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَيْلَكَ ! مَا يَدْعُوكَ أَنْ تَعْرِضَ لِرَجُلٍ
قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : إِنْ صَيَّغْتُ زَعْمَ أَنَّهُ مَا نَزَلَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا قَرَأَهُ . ثُمَّ أَجْنَمَهُمُ
الَلِيلُ ، فَنَامُوا . فَقَامَ أَبُو الْخَيْبَرِيِّ فَرِزَعًا ، وَهُوَ يَقُولُ . وَارِاحِلَتَاهُ ! فَقَالُوا لَهُ :
مَالِكٌ ؟ قَالَ : أَتَانِي حَاتِمٌ فِي النَّوْمِ وَعَقَرَ نَاقَتِي بِالسَّيْفِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ ثُمَّ
أُنْشِدَنِي شِعْرًا حَفَظْتُهُ ، يَقُولُ فِيهِ :

أَبَا الْخَيْبَرِيِّ وَأَنْتَ امْرُؤٌ ظَلُمَ الْعَشِيرَةَ شَتَامُهَا
أَتَيْتَ بِصَحْبِكَ تَبْنِي الْقَرَى لَدَى حُفْرَةٍ قَدْ صَدَّتْ هَامُهَا ^(٢)
أَتْبَعْنِي لِي الدَّمُّ عِنْدَ الْمَيِّتِ وَحَوْلَكَ طِيٌّ وَأَنْعَامُهَا
فَإِنَّا سَنُشِيعُ أَضْيَافَنَا وَنَأْتِي الْمَطَى فَنَعْتَابُهَا
فَقَامُوا وَإِذَا نَاقَةُ الرَّجُلِ تَكُوسُ عَقِيرًا ؛ فَاتَّحَرَوْهَا وَبَاتُوا يَا كَلُونَ ،

(١) انظر المستجاد رقم ٣٧ والمحاسن المنسوب للجاحظ ٦٣ والبيهقي ١ : ١٤٦
والقالى ٢ : ١٥٥ والإصابة (ترجمة أبي الخيبرى) .

(٢) ويروى : « صبحت هاما » ، وفي معنى « صدت هاما » ، قول ذى الإصبع :
يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْعَقِي أَضْرِبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْتَقُونِي

(٩) خزانة الأدب ج ٢

وَقَالُوا قَرَانَا حَاتِمٌ حَيًّا وَمَيِّتًا ۖ وَآرَدُوا صَاحِبَهُمْ وَانْطَلَقُوا سَاطِرِينَ ، وَإِذَا
 بِرَجُلٍ رَاكِبٍ بِمِيرٍ وَيَقُودُ آخِرَ قَدْحَتِهِمْ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّكُمْ أَبُو الْخَيْرِ ؟
 قَالَ الرَّجُلُ : أَنَا . قَالَ : فَخُذْ هَذَا الْبَعِيرَ ، أَنَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، جَاءَنِي حَاتِمٌ
 فِي النَّوْمِ وَزَعَمَ أَنَّهُ قَرَأَ كُمْ بِنَاقَتِكَ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَهْلِكَ ۖ فَشَأْنُكَ وَالْبَعِيرُ ۖ
 وَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ وَانْصَرَفَ . وَإِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ أَشَارَ ابْنُ دَارَةَ الْفُطَيْيَانِيُّ فِي قَوْلِهِ
 بِمَدْحِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ :

أَبُوكَ أَبُو سَفَاةٍ الْخَيْرُ لَمْ يَزَلْ لَدُنْ شَبَّحَتْنِي مَاتَ فِي الْخَيْرِ رَاغِبًا
 بِهِ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ فِي الشَّعْرِ مَيِّتًا وَكَانَ لَهُ إِذَا ذَاكَ حَيًّا مُصَاحِبًا^(١)
 قَرَى قَبْرَهُ الْأَضْيَافَ إِذْ نَزَلُوا بِهِ وَلَمْ يَقْرِ قَبْرَ قَبْلَهُ الدَّهْرَ رَاكِبًا^(٢)

* * *

باب المفعول معه

أُنْشِدَ فِيهِ وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّمَانُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ :

١٨٠ (جَمَعْتَ ، وَفُحْشًا ، غِيْبَةً وَنَمِيمَةً

ثَلَاثَ خِلَالٍ لَسْتُ عَنْهَا بِمَرْعُوى^(٣))

عَلَى أَنَّ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ جَنِّيٍّ أَجَازَ تَقْدِيمَ الْمَفْعُولِ مَعَهُ عَلَى الْمَعْمُولِ الْمُصَاحِبِ ،
 مَتَمَسِّكًا بِهَذَا الْبَيْتِ ، وَالْأَصْلُ جَمَعْتَ غِيْبَةً وَفُحْشًا . وَالْأَوَّلَى لِلنَّعْ ، رَعَايَةَ
 لِأَصْلِ الْوَاوِ . وَالشَّعْرُ ضَرُورَةٌ .

(أَقُولُ) : أَجَازَهُ^(٤) ابْنُ جَنِّيٍّ فِي الْخِصَائِصِ قَالَ : وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ لِلْمَفْعُولِ

(١) فِي دِيْوَانِ حَاتِمٍ ١١٢ : « فِي الْجُودِ مَيِّتًا » وَ « إِذَا كَانَ حَيًّا » .

(٢) الدِّيْوَانُ : « قَطْرًا كَبَا » .

(٣) الْخِصَائِصُ ٢ : ٣٨٣ وَالْقَالِي ١ : ٦٨ وَالْبَيْتِيُّ ٣ : ٨٦ وَالْمُهَمِّجُ ١ : ٢٢٠

وَالْأَمْثُونِيُّ ٢ : ١٣٧ وَالتَّصْرِيعُ ١ : ٣٤٤ / ٢ : ١٣٧ .

(٤) ط : « ذَكَرَهُ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ش .

معه على الفعل ، من حيث كانت صورة هذه الواو صورة العاطفة ، ألا تراك
لا تستعملها إلا في الموضع الذي لو شئت لاستعملت العاطفة فيه ؛ فلما ساوقت (١)
حرف العطف قبح : والطلياسة جاء البرد ، كما قبح : وزيد قام عمرو ؛ لكنه
يجوز جاء والطلياسة البرد كما تقول : ضربت وزيداً عمراً ؛ قال :

جمعت وفحشاً غيبة ونميمة البيت . انتهى

وقال ابن الشجري في أماليه : ولا يجوز تقديم التابع على المتبوع للضرورة
إلا في العطف (٢) دون الصفة والتوكيد والبدل . ثم قال : وإنما جاز
في الضرورة تقديم المعطوف ، لأن المعطوف غير المعطوف عليه ، والصفة
هي الموصوف ، وكذلك المؤكّد عبارة عن المؤكّد ، والبدل إما أن يكون هو
المبدل أو بعضه ، أو شيئاً ملتبساً به . ومثله :

ألا يا نخلّة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام . . . ٤٩٦

فجعل من باب تقديم المعطوف ، لا من باب تقديم المفعول معه ، لأنه هو
الأصل . لكن في تنظيره نظر ، فإنّ قوله ورحمة الله ، معطوف عند سيبويه
على الضمير المستكن في الظرف أعني قوله عليك كما تقدم بيانه (٣) . وقوله
خلالاً (٤) ، بدل من قوله غيبة ونميمة وفحشاً ، جمع خلة بالفتح كالخصلة لفظاً
ومعنى . وارعوى عن التبيح : رجع عنه .

وهذا البيت من قصيدة جيّدة في بابها ، ليزيد بن الحكم بن أبي العاص

(١) ط : « سوفت » ص : « سوفت » صوابهما من الخصائص .

(٢) ط : « لا ل العطف » ، صوابه في ص وأمالى ابن الشجري ١ : ١٧٩ .

(٣) الخزانة ١ : ص ٣٩٩ : ٢ ص ١٩٢

(٤) هذا التفتاح عن روايته لبيت إلى رواية الفارسي في المسائل البصرية ، وهي كما

سيأتي : « خلالا ثلاثا » . وقد جعلها الشنيطي : « ثلاث خلال » .

صاحب الشاهد الثَّقَفِيُّ . قال الأصبهاني في الأغاني^(١) : عاتب في هذه القصيدة ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص ، وله قصائد أخر يعاتب فيها أخاه عبد ربّه ابن الحكم .

وأورد هذه القصيدة القالي في أماليه^(٢) والأصبهاني في أغانيه ، وابن الشجري في أماليه مختصرة . وفي رواية كل واحد منهم ما ليس في رواية الآخر .

وأوردها أبو علي الفارسي بتمامها في المسائل البصرية وهذه روايته — لكنه قال : قالها لأخيه من أبيه وأمه عبد ربّه بن الحكم . وليس كذلك كما يظهر منها :

(تُكَاثِرُنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ	وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي
لِسَانُكَ لِي أَرَى وَغَيْبُكَ عَلَقَمٌ	وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مَلْتَوِي ^(٣)
تُفَاوِضُ مَنْ أَطْوَى طَوَى الْكَشْحِ دُونَهُ	وَمِنْ دُونِ مَنْ صَافِيَتُهُ أَنْتَ مَنْطَوِي
تُصَافِحُ مَنْ لَا قِيَتَ لِي ذَا عِدَاوَةٍ	صِفَاحًا وَعَنِي بَيْنَ عَيْنِكَ مَتَزَوِي ^(٤)
أَرَاكَ إِذَا اسْتَفْنَيْتَ عَنَّا هَجْرَتَنَا	وَأَنْتَ إِلَيْنَا عِنْدَ فَقْرِكَ مُنْصَوِي
إِلَيْكَ انْتَوَى نُصْحِي وَمَالِي كَلَامَا	وَلَسْتُ إِلَى نُصْحِي وَمَالِي بِمُنْعَوِي
أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهَوَ أَمْرًا هَوَيْتَهُ	وَلَسْتُ لِمَا أَهَوَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْهَوِي

(١) الأغاني ١١ : ١٠٠ . وقال أبو الزعراء : إن بعض أبياتها لطرفة . فقال الأصبهاني : « ما اظن أبا الزعراء صدق فيها حكاها » .

(٢) الأمالي ١ : ٦٨ .

(٣) في النسختين : « وعينك علقم » ، وقد يتجه ، لكنه يمارس كلام الفارسي نفسه في هذا البيت كما سيأتي ، ولا يتفق مع رواية القالي وإن كان يوافق ما في الأغاني .

(٤) وكذا في الأغاني ، ورواية القالي : « وعني بين » .

أراك اجنويتَ الخيرَ مِنِّي وأجنوى
فليتَ كفافاً كانَ خيرُكَ كلَّهُ
لعلَّكَ أنْ تنأى بأرضِكَ رِيتَهُ
تبدِّلَ خليلاً بِي ، كشكِلِكَ شكُّهُ ،
فلمْ يُغَوِّنِي رَبِّي فكيفَ اصطَحَابُنَا
عدوكَ يخشى صَوْلَتِي إنْ لقيتهُ
وكمْ موطنٍ لولايَ طِحتَ كما هوَى
نَدَاكَ عن المولى ونصركَ عاتمٌ
نودُّ له ، لو نالَهُ نابُ حِيَةٍ
إذا ما بنى المجدَ ابنُ عمِّكَ ، لم تُعِنْ
كَأَنَّكَ إنْ قيلَ ابنُ عمِّكَ غانمٌ
تَمَلَّاتَ من غيظٍ علىَّ ، فلمْ يزلْ
فما بَرَحَتْ نفسُ حُسدٍ حُشِنَتْهَا
وقالَ النِطَاسِيُّونَ : إِنَّكَ مُشَعَّرٌ

أَذَاكَ فَكُلُّ مُجْتَوٍ قُرْبَ مَجْتَوِي^(١)
وشرُّكَ عَنِّي ، ما ارتَوَى الماءُ مَرْتَوِي
وإِلَّا فَإِنِّي غيرُ أرضِكَ مُتَوِي
فإِنِّي خليلاً صلحاً بك مقنوي
ورأسُكَ في الأغوى من الغيِّ منقوي
وأنتَ عدوى ليس ذاكَ بمستوى
بأجرامِهِ من قُلةِ النيقِ مُنْهَوِي
وأنتَ له بالظلمِ والغِبرِ مَجْنَوِي
رَيْبُ صَفَاةٍ بينَ لُيْنَيْنِ مُنْحَوِي
وقلتَ : أَلَا بِلَيْتَ بُنْيَانُهُ خَوِي^(٢)
شَجٍّ أَوْ عَمِيدٍ أَوْ أَخُو مَغْلَةٍ لَوِي^(٣)
بِكَ الغِيظُ حَتَّى كَدَتْ فِي الغِيظِ تَنْشَوِي
تَذِيْبُكَ حَتَّى قِيلَ : هَلْ أَنْتَ مَكْنَوِي^(٤)
سُلَالاً أَلَا بِلَيْتَ أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوِي^(٥)

(١) رواية أبي الفرج :

أراك اجنويتَ الخيرَ مِنِّي وأجنوى
فيحسن صدر الكلام ويفسل آخره ، وهو محرف ما هو هنا وفي الأمالي .

(٢) القالي والأصبهاني : « أَلَا يَلَيْتَ » .

(٣) الأغاني :

كانتَ إنْ نالَ ابنُ عمِّكَ مَغْنَا
شَجٍّ أَوْ عَمِيدٍ أَوْ أَخُو هَلَةٍ لَوِي
(٤) الأمالي : « حَسِبْتُهَا تَذِيْبُكَ » ، والأغاني : « حَسِبْتُهَا بِذَنْبِكَ » .

(٥) الأمالي : « ذَوِي » .

فديتَ امرأً لم يدوَ للنأي عهدُهُ وعهدُكَ من قبلِ التناي هو الدَوِي
 « جمتَ وخشاً غيبةً ونميمةً : خِلالاً ثلاثاً لستَ عنها برعوى »
 أخشاً وخبياً واختناءً على الندى كأنَّكَ أفعى كُديَّةٌ فرٌ ، مُحجَّوِي
 فيدحو بك الداحي إلى كلِّ سوءٍ فيأشِرُ مَنْ يدحو بأطيشٍ مُدحَوِي^(١)
 أتجمَعُ تسألُ الأخلاءَ ما لهم ، ومالكٌ من دون الأخلاءَ تخنوي !
 بدأَ منك غشٌ طالما قد كنتَه كما كنتَ داءَ ابنها أمُّ مدَّوِي

قوله : تكاشرنى الخ ، يقال : كاشَرَ الرجلُ الرجلَ : إذا كَشَرَ كل واحد منهما لصاحبه ، وهو أن يبدى له أسنانه عند التبسم ، وكرها بضم الكاف وفتحها : مصدرٌ وُضِعَ في موضع الحال ؛ والدَوِي : وصفٌ من الدَوِي بالفتح والقصر : المرض ، دَوِي يدَوِي كفرح يفرح ؛ ودَوِي صدره أيضاً أى ضغن .

وقوله : لسانك لى أرى الخ ، الأرى : العسل ؛ والعَلَمُ : الحنظل ؛ وحذف أداة التشبيه للمبالغة . قال أبو علي في الإيضاح الشعرى : اللسان هنا إما بمعنى الجارحة ، أو بمعنى الكلام : فإن جعلته من هذا أمكن أن يكون لى متعلقاً به ، كقولك : كلامك لى جميل ؛ وإن جعلته بمعنى الجارحة احتمل أن تريد المضاف فتحذفه ، فإذا حذفته احتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قبيل صلى المسجد ، أى أهله ؛ والآخر أن تحذف المضاف فتجعل اللسان كالكلام ، كما قالوا اجتمعت النيامة : أى أهل النيامة ، فعلومهم كأنهم النيامة ؛ فإذا جعلته كذلك أمكن أن يتعلّق به لى ، كما يتعلّق بالوجه الأول . ويجوز أن يكون لى ،

(١) الأغاني :

ويدعو بك الداحي إلى كل سوء فيأشِر من يدعو إلى شر من دهي

وقوله : أَرَى ، اظْهَر ، مثل : حلَّوْ حامض . ويجوز فيه أن يجعله خبراً لقوله لسانك ، وتريد به الجارحة ، لأنك تقول : فلان لطيف اللسان ، تريد به الكلام وتلقى الناس بالجميل ، فيحتمل ضمير المبتدأ ، وتجعل أَرَى بدلاً من الضمير في لى . ويجوز أن يكون لى حالاً ، كأنه أراد : لسانك أَرَى لى فيكون صفةً فلما تقدم صار حالاً . . فإن قلت : إن أَرَى معناه مثل أَرَى ، فالعامل معنى فعل لم يجوز تقدم الحال عليه ! فأقول : لك أن تضمر فعلاً يدل عليه هذا الظاهر ، فيُنصَب الحالُ عنه ؛ كأنه قال : لسانك يُستَحلى ثابِتاً لى . أو لأنها كالظرف ، فعمل فيها المعنى . وأن تجعل اللسان حدثاً أشبه للتشاكل ^(١) لأنه عَطِفَ عليه ، وهو النيب ١ هـ .

وقوله : تَفَاوَضَ مِنْ أَطْوَى الْخ ، فافوضه : إذا أظهر له أمره ؛ وأطوى ضدَّ أنشَر ^(٢) ، والأطوى : الجوع ، وهو مصدر طَوَى يَطْوَى من باب فرح ، وهو مفعولُ أطوى : أى تظهر أمرك لمن أخفى عنه جوعى ، أى تنبسط في الكلام عند عدو ولا تظهره على شيء من أمورى ، وتنقبض عن أصدقائى ولا تظهرهم على شيء من أمرك زكايَةً فى .

وقوله : وَعَنَى بَيْنَ عَيْنِكَ مَتَزَوَى ، بينُ مرفوع بالابتداء لأنه اسم لا ظرف ؛ ومتزوى خبره ؛ وعنى متعلق به ، يقال : انزوت الجلدة فى النار : أى اجتمعت وتنقبضت ، و : زوى ما بين عينيه أى قبضها .

وقوله : وَأَنْتَ إِلَيْنَا عِنْدَ فَرَكٍ مَنُضَوَى ، انضوى إليه . لجأ وانضم إليه وقوله : إِلَيْكَ ائْعَوَى نُصْحَى وَمَالَى ، ائعوى بمعنى انعطف وهو مطاوع ^(٣) عويته أى عطفته ؛

(١) فى النسختين : « التشاكل » .

(٢) فى النسختين : « النشر » ، وحورها الشقيطى إلى « أنشر » .

(٣) ط : « بمعنى عطف ، وهو مضارع » ، صوابه فى س .

وقوله : أراك إذا لم أهوَ أَمراً ، هوَى الشيء ، يهواه هوَى من باب فرح :
إذا أحبه ؛ وهوى بالفتح يهوى بالكسر هوياً ، وكذلك انهوى : إذا سقط
إلى أسفل ، وقد جاء^(١) في قوله :

وكم موطن لولاي طلحت كما هوى البيت

وقوله : أراك اجتويت الخير ، اجتواه بالجمع أى كرهه . وقوله : فليت
كفافاً كان خيرك الخ ، يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى لیت من أخوات
الحروف المشبهة فى أواخر الكتاب^(٢) . وقوله لعلك أن تنأى الخ ، أى
أرجو أن تنأى من أرضك أى تبعد عنها ، من النأى وهو البعد ، وإلا : أى
وإن لم تنأ ، فأنتى عازمٌ على الرحيل عنها^(٣) . يقال : نويت رتبة وكذلك
انتويت ، أى عزمت .

وقوله : بك مقتوى ، قال فى الصحاح : « القَتْوُ : الخدمة . وقتوت
أقتو قَتَوًا ومَقَتِي : أى خدمت . يقال للخادم مَقْتَوِيٌّ — بفتح الميم وتشديد
الياء — كأنه منسوب إلى المَقَتِي وهو مصدر . . . ويجوز تخفيف ياء النسبة » .
قال أبو على فى الإيضاح الشعرى : نصب خليلاً بفعلي مضمراً يدلّ عليه
مَقْتَوِيٌّ . أى أقتو [ى] خليلاً . ويأتى شرح هذه الكلمة مفصلة فى الشاهد
الثالث والحسين من بعد الحماسة .

وقوله : وكم موطن الخ ، طاح الرجل يطوح ويطيح : إذا هلك .
والأجرام : جمع جِرم بالكسر ، وهو الجسم ، كأنه جعل أعضائه أجراماً
توسعاً ، أى سقط بجسمه وثقله . وليس مضاه هاهنا الذنوب كما فسر ابن

(١) فى النسختين : « جاء » .

(٢) فى الشاهد الرابع والثمانين بعد الثمانمائة .

(٣) ط : « من الرحيل عنها » ، صوابه فى س .

الشجرى به ، فإنه غير مناسب . والنيق بكسر النون : أرفع الجبل . وقُلته : ما استدق من رأسه . وسيأتي ، إن شاء الله تعالى ، شرح هذا البيت في باب الضمائر^(١) .

وقوله : نذاك عن المولى ، الندى : الجود . والمولى : ابنُ العمِّ . وعن متعلقة بعاتم ، أى بطيء ؛ يقال : عتم من باب ضرب : إذا أبطأ وقصر . ونصرُك : معطوفٌ على نذاك ؛ وخبره محذوف والغير . بكسر الغين للمعجمة : الحقد والغل ؛ يقال : غير صدره على من باب فرح . ومختوى بالخاء المعجمة : الجائر المستقط^(٢) .

وقوله : تودله لونا بة ناب حية ، الحية معروفة ، تكون للذكر والأنثى ، قالوا : فلان حية ذكر ، والتاء للواحد من الجنس ، كبطة ودجاجة ، وهنا بمعنى الذكر بدليل الوصف للريب ، من رب فلان ولده بمعنى رباه ، فَعِيل بمعنى مفعول . والصفاء : الصخرة الملساء . واللهب ، بكسر اللام ، ومثله اللصب ، قال أبو علي في المسائل البصرية : هو الشق في الجبل . والمنحوى ، بالنون والحاء المهملة : المجتمع .

وقوله : ليت بُنيانه خوى ، يقال : خوى المنزل من باب رضى يرضى ورمى يرمى ، لغتان : أى سقط ؛ قال تعالى : ﴿ فَبِئْسَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾^(٣) أى ساقطة على سقوفها .

وقوله : شج أو عميد الخ ، هو خبر كائن ، والشجى : الحزين المهموم . والعميد : الذى قد عمده المرض ، أى هدّه حتى احتاج إلى أن يُعمد : أى

(١) في الشاهد ٣٩٥ .

(٢) كذا في ط ، وهو الصواب . وفي س : المقسط .

(٣) الآية ٤٥ من سورة الحج .

يُسْقَدُ^(١) فهو فعيل بمعنى مفعول . والمَفْلَةٌ بفتح الميم وسكون الفين المعجمة ، قال أبو عليّ : عَلَّةٌ تكون في الجوف . واللوى : الذى فى جوفه وجع ، تقول : لَوَى لَوَى كَفَرَحَ فَرَحًا .

وقوله : فما برحت نفسٌ حَسُودٌ الخ ، النفس تَذَكَّر وتؤنث ، ولهذا وصفها بالْمَذَكَّر وأنث لها الفعل والضمير . وَحْشِيَّتُهَا بالبناء للمفعول والخطاب ، من الحشْو ، يقال : حَشَوْتُ الوَسَادَةَ وَغَيْرَهَا حَشْوًا . وروى (حسبتها) بضمير المتكلم من الحساب وهو الظن . والنطاسيئون : العلماء بالطب ، الواحد نطاسي . ومُشْعَرٌ : اسم مفعول : أى ملبسٌ شِعَارًا ، بالكسر ، وهو ما ولى الجسد من الثياب . والسَّالِك بالضم : مرض السل . والجوى : من الجوى وهو داء قلب^(٢) ، وفعله من باب فرح .

٤٩٩

وقوله : لم يدو للنأى عهده ، تقدم تفسير دَوَى . وقوله : أَخْشَا وَخَبًا الخ الخلب بكسر الخاء المعجمة : مصدر خَبَيْتَ يَارْجُلُ تَخَبُّ خَبًا ، من باب علم : إذا خَدَعَ ومَكَر . والاختناء بالحاء المعجمة وبعد المثناة الفوقية نون قال أبو عليّ القالى فى أماليه : هو التقبُّص . والندى : الجود . والكُدْيَةُ بالضم : الأرض الصُّلْبَة . وأراد بالأنفى الأفعوان وهو ذكر الحيات ، ولهذا أرجع الضمير إليه مذكراً . وَخَجَوَى بتقديم المهملة على الجيم ، قال أبو عليّ القالى فى أماليه قلا عن ابن دريد : المحجوى المنطوى .

وقوله : فيدحو بك الداحى الخ ، الدحو : الرمي ، يقال : أدحه أى أرميه ، ويقال للفرس : مرَّ يدحو دَحَوًّا ، وذلك إذا رمى يديه رمياً لا يرفع سُنْبُكَه عن الأرض كثيراً . والسَّوْدَةُ بالفتح : القبح والعيب . وأطيش من الطيش

(١) فى النسختين : « أى يشتد » .

(٢) جعلها التنقيطى : « داء قلبى » .

وهو الخلفة . ومُدْحَوَى أى مرمى ، بناء من ادْحَوَاه لغة فى دحاه أى رماه
 وقوله : « كما كُنت داء ابنها أمُّ مَدْوَى » قال الأصمعى فى كتاب
 الصفات ، وابنُ دريد فى الجهرة ، وأبو على القالى فى أماليه ، وابنُ الأثير
 فى المرصع واللفظ له : أمُّ مَدْوَى يُضْرَبُ بها المثل لمن يورث بالشئ عن غيره
 وَيَكْنَى به عنه . وأصله أن امرأة من العرب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت
 أمها إلى أمِّ الغلام تنظرُ إليه . فدخل الغلام فقال لأمه : أدْوَى ! بتشديد
 الدال على أفعل . فقالت له : اللجام معلق بعمود البيت فى السَّرج فى جانبه .
 فأظهرت أن ابنها أراد أداة^(١) الفرس للركوب فَكُتِمَتْ بذلك زَلَّةُ ابنها
 عن الخطابة . وإنما أراد ابنها بقوله أدْوَى ، أَكَلَ الدَّوَايَةَ بضم الدال ،
 وهى القشرة التى تعلو اللبن والمرق ، تقول منه : دَوَّى اللبن بتشديد الواو ،
 وقد أدْوَيْت على وزن افتعلت فأنا مَدَّوٍ بتشديد الدال فيهما ، أى أكلت
 الدَّوَايَةَ . وأنشد هذا البيت .

وترجمة يزيد بن الحكم تقدمت فى الشاهد التاسع فى أوائل الكتاب^(٢)

* * *

وأنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد المائة :

(١٨١) عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٣))

على أن التقدير : وسقيتها ماء . وقال ابن هشام فى معنى اللبيب : وقيل

(١) فى النسختين : « أداة » وجعلها التنقيطى « أداة » .

(٢) الخزائن ١ : ص ١١٣

(٣) الخصائص ٢ : ٤٣١ وابن الشجرى ٢ : ٣٢ وابن بيش ٢ : ٨ والمعنى ٣ :

١٨١ : ٤/١٠١ والمص ٢ : ١٣ وشرح شواهد المعنى ٣١٤ وأمالي المرتضى ٢ : ٢٩٠

والأشمونى ٢ : ١٤٠ والتصريح ١ : ٢٤٦ .

لا حذف ، بل ضمن علفتها معنى أنلتها وأعطيتها . وألزموا صحة نحو علفتها ماء بارداً وتبناً ، فالزموه محتجين بقول طرفة :

* لها شنبٌ ترعى به الماء والشجر^(١) *

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله^(٢)) على تضمين أفيضوا معنى ألقوا ، ليصح انصبابه على الشراب والطعام معاً ، أو على تقديرٍ بعد أو^(٣) أى أو ألقوا مما رزقكم الله ، كهذا البيت في الوجين .

وأورد له العلامة الشيرازي والفاضل البيني صدرأ ، وجعل المذكور عجزاً هكذا :

(لما حططت الرجل عنها واردا علفتها تبناً وماء بارداً)

وجعله غيرهما صدرأ وأورد عجزاً كذا :

(حتى شنت همالةً عيناها)

ولا يعرف قائله . ورأيت في حاشية نسخة صحيحة من الصحاح أنه لذي الرمة ففتشت ديوانه فلم أجده فيه .

وشنت بمعنى أقامت شتاء ، في القاموس : شتا بالبلد أقام به شتاء كشتي وتشى ، وفاعله ضمير مستتر عائد إلى ما عاد إليه ضمير علفتها . وهمالة حال من الضمير المستتر ، وهو من هملت العين : إذا صببت دمعها . وعيناها فاعله .

(١) الشب : حدة الأنياب . ط : « سب » وقد صححها الشنيطى بما أثبت مطابقاً ما في الديوان ٤ وانظر البني ٤ : ١٨١ وشرح شواهد المفني ٣١٤ .

(٢) الآية ٥٠ من سورة الأعراف .

(٣) أى على تقدير عامل بعد « أو » أى أو ألقوا .

وزعم العيني أن شئت بمعنى بدت — ولم أر هذا المعنى في اللغة — وأن عيناها فاعله وهما لة تمييز . وهذا خلاف الظاهر . فتأمل .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد المائة ؛ وهو من شواهد سيبويه^(١) :

١٨٢ (وما النَجْدِيُّ والمتَنَوِّرُ)

وهو قطعة من بيت لجليل بن معمر وهو :

(وأنتَ امرؤٌ من أهلِ نجدٍ ، وأهلنا تَهَامٌ ، وما النَجْدِيُّ والمتَنَوِّرُ ١)

على أن الرفع في مثله أولى من النصب على المفعول معه .

قال المبرِّد في الكامل : قولهم : ما أنت وزيد ، الرفعُ فيه الوجه ، لأنه عطَفَ اسماً ظاهراً على اسمٍ مضمَرٍ منفصلٍ وأجراه مجراه ، وليس ههنا فعل فيحمل على المفعول ، فكأنه قال : ما أنت وما زيد ، وهذا تقديره في العربية ومعناه ، لست منه في شيء ، وهذا الشعر كما أَصِفَ لك يُنشَد :

وأنتَ امرؤٌ من أهلِ نجدٍ ، وأهلنا تَهَامٌ ، فما النَجْدِيُّ والمتَنَوِّرُ ١
وكذلك قوله :

تَكَلَّفَنِي سَوِيْقُ الْكَرْمِ جَرْمٌ وَمَا ذَاكَ السَّوِيْقُ^(٢) ١

فإن كان الأوَّل مضمراً متصلاً ، كان النصبُ ، لثلاثي يحمل ظاهر الكلام على مضمَر^(٣) ؛ تقول : مالك وزيداً ، فأثماً تنهأ عن ملاسته ، إذ لم يجزْ وزيد

(١) في كتابه ١ : ١٥١ وديوان جيل ٩١ والعيني ٤ : ٤٠٨ وشرح شواهد المغني ١٧٠ والكامل ١٨٨ .

(٢) نسب في حواشي سيبويه والكامل إلى زياد الأعجم .

(٣) في الكامل : « لثلاثي يحمل ظاهر على مضمَر » .

وأضرت ؛ لأن حروف الاستفهام للأفعال ، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمار ، نحو قولك : ما زلتُ وعبدَ الله حتى فعل ، لأنه ليس يريد ما زلتُ وما زال عبدُ الله ، ولكنه أراد : ما زلت بعبد الله ، فكان المفعول مخفوضاً بالباء فلما زال ما يخفضه وصل الفعلُ إليه فنصبه ، كما قال تعالى (وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا^(١)) . فالواو في معنى مع ، وليست بخافضة ، فكان ما بعدها على الموضع ؛ فعلى هذا يُنشَد هذا الشعر :

فما لك والتلددَ حَوْلَ نجدٍ وقد غصَّتْ تِهَامَةُ بالرجالِ^(٢)

ولو قلت : ما شأنك وزيداً ، لاختير النصب ، لأن زيداً لا يلتبس بالشأن ، لأن المعطوف على الشيء في مثل حاله . ولو قلت : ما شأنك وشأن زيد ، لرفعه ، لأن الشأن يعطف على الشأن . وهذه الآية تفسر على وجهين من الإعراب : أحدهما هذا وهو الأجود ، وهو قوله تعالى (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ^(٣) وَشُرَكَاءَكُمْ^(٤)) فالعنى — والله أعلم — مع شركائكم ؛ لأنك تقول : جَمَعْتُ قَوْمِي وَأَجَمْتُ أَمْرِي^(٥) ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه لأن المعنى يرجع إلى شيء واحد فيكون كقوله^(٥) :

يأليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورُمحاً

وقال الآخر :

* شراب ألبان وسمنٍ وأقط *

(١) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) نسب في حواشي الكامل إلى مسكين الدارمي .

(٣) الآية ٧١ من سورة يونس .

(٤) في اللسختين : « وجعت أَمْرِي » ، والمعروف أن الجمع مشترك بين الذوات والمعاني ، وأن الإجماع مختص بالمعاني فلا يكون في الذوات .

(٥) هو عبد الله بن الزبير ، كما في حواشي الكامل .

انتهى كلام المبرد، ولجودته سُقناه برمته .

- ٥٠١ وقوله : (وما النجديُّ والمتغور) ما مبتدأ والنجدي خبره . والمعنى :
 أنَّ أهلى يرتابون بك إذا وجدوك عندهم ، لأنك غريبٌ بعيدُ الدار منهم ،
 فينكرون كونك بينهم ؛ فيجب أن تتجنبَ وتعرض . تحذره بنى عنها كما
 يأتي بيانه في الأبيات . . و (تَهَام) بفتح التاء منسوب إلى التَّهَمَ بفتحين ،
 بمعنى التَّهَمَاة بكسر التاء ، وقد بينا هذا مشروحاً في الشاهد الثامن عشر من
 أوائل الكتاب ^(١) . وَتَهَامَ خبرٌ عن قوله (وأهلنا) وإعرا به كقاض . ولم يقل
 تَهَامُونَ ، لأنه نظر إلى لفظ أهل وهو مفرد ؛ ويجوز نظراً إلى المعنى تَهَامُونَ .
 وقال ابن خلف : إنما قال تَهَامَ ، لأنه اكتفى بالواحد عن الجمع ، كقوله :

* كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ ^(٢) *

هذا كلامه فتأمله .

و (نجد) قال في الصحاح : هو من بلاد العرب ، وهو خلاف الغور ،
 والغورُ هو تهامة ؛ وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد ؛
 وهو مذكر ، وتقول : أنجدنا أى أخذنا في بلاد نجد . وفي المثل : « أنجد مَنْ
 رأى حَصْنًا » ، وذلك إذا علا من الغور . وَحَصْنٌ محرَّكة : جبل . و (المتغور)
 اسم فاعلٍ من تغور فلان : إذا انتسب إلى الغور . وغار وغور أيضاً بالتشديد :
 إذا أتى الغور ؛ قال في المصباح : « والغور المطمئن من الأرض . والغور قيل
 يطلق على تهامة وما يلي النين ، وقال الأصمعي : ما بين ذات عرق والبحر

(١) الخزانة ١ : ص ١٥٤ وما بعدها

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في الهذليين ١ : ١٠٤ . وصدره :

* بات الحلى وبات الليل مشتجرا *

غورٌ وتهامة ، قهامة أولها مدارج ذات عرق من رِقبل نجد إلى مرحلتين وراء مكة ، وما وراء ذلك إلى البحر فهو الغور .

والبيت من قصيدة . وقبله :

أبيات الشاهد

(وآخر عهد لي بها يوم ودّعت
عَشِيَّةً قَالَتْ : لَا يَضِيعَنَّ سِرُّنَا
وَأَعْرِضْ إِذَا لَاقَيْتَ عَيْنًا تَخَافُهَا
فَإِنَّكَ إِن عَرَضْتَ بِي فِي مَقَالَةٍ
وَيَنْشُرُ سِرًّا فِي الصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ
وَمَا زِلْتَ فِي إِعْمَالِ طَرْفِكَ نَحْوَنَا
لَأَهْلِي ، حَتَّى لَأَمْنِي كُلُّ نَاصِحٍ
وَقَطَعَنِي فِيكَ الصَّدِيقُ مَلَامَةً
وَمَا قُلْتُ هَذَا ، فَاعْلَمَنَّ تَجَنُّبًا
وَلَكِنِّي - أَهْلِي فِدَاؤُكَ ! أَتَقَى
وَأُخْشَى بَنِي عَمِّي عَلَيْكَ ، وَإِنَّمَا
« وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَأَهْلُنَا
وَطَرْفُكَ إِمَّا جِئْنَا فَاخْظَنَهُ

وَلَا حَظَّ لَهَا خَدٌّ مَلِيحٌ وَتَحْجِرُ
إِذَا غَبَتْ عَنَّا ، وَارَعَهُ حِينَ تُدِيرُ
وَمَا ظَهَرَ بِيغْضٍ ، إِنْ ذَلِكَ أَسْتُرُ
يَزِدُّ فِي الَّذِي قَدْ قُلْتَ وَاشْ مَكْتُرُ
يَعَزُّ عَلَيْنَا نَشْرُهُ حِينَ يَنْشُرُ
إِذَا جِئْتَ^(١) حَتَّى كَادَ حَبْكُ يَظْهَرُ
شَفِيقٌ لَهُ قُرْبَى لَدَى وَأَبْصُرُ^(٢)
وَإِنِّي لَأَعْصِي نَهْيَهُمْ حِينَ أُزْجَرُ^(٣)
لِصَرَمٍ ، وَلَا هَذَا بِنَا عَنكَ يَقْصُرُ^(٤)
عَلَيْكَ عَيُونَ الْكَاشِحِينَ وَأُحْذِرُ
يَخَافُ وَيَتَّقِي عِرْضَهُ الْمَتَفَكِّرُ
تَهَامٍ وَمَا النُّجْدَى وَالْمَنْغُورُ !
فَزَيِّغُ الْهَوَى بِأَدْرِ لِمَنْ يَتَبَصَّرُ

(١) بدله في ط : « بعينك » .

(٢) ط : « له فرى لدى وأبصر » صوابه في س والديوان . وفي الديوان : « لدينا »

(٣) سقطت الكلمتان الأوليان من س ، كما سقطت الأولى وحرفت الثانية إلى « قيد »

في ط ، وإكمالاً وتصحيحاً من الديوان ومراجعته .

(٤) في النسختين : « تجنباً » صوابه من الديوان ومراجعته . وفي النسختين :

« ولا هذا بساعة يقصر » ، صوابه من الديوان ومراجعته .

وقد حَدَّثُوا أَنَا التَّقِينَا عَلَى هَوَىٰ فَكَلَّمَهُمْ مِنْ غُلَّةِ الْفَيْظِ مُوقَرٌّ^(١)
 قُلْتُ لَهَا: يَا بَنَنَ أَوْصِيَتْ حَافِظًا وَكُلَّ أَمْرِي لَمْ يَرَعَهُ اللَّهُ مُعَوَّرُ
 سَامَنْحَ طَرَفِي حِينَ أَلْقَاكَ غَيْرَ كَمْ لَكَيْمَا يَرَوْنَ أَنَّ الْهَوَىٰ حَيْثُ أَنْظَرُ
 وَأَكْنَى بِأَسْمَاءِ سَوَالِكٍ ، وَأَتَقَى زِيَارَتَكُمْ ، وَالْحُبُّ لَا يَتَغَيَّرُ
 فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا وَاجِدًا بِحَبِيبِهِ ، إِذَا خَافَ ، يَبْدَى بُغْضَهُ حِينَ يَظْهَرُ^(٢)
 وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ اسْتِشْهَادٌ ، وَلِهَذَا ذَكَرْنَاهَا

و ترجمة جميل بن مَعْمَرٍ العَدْرِي تقدمت في الشاهد الثاني والستين^(٣).

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّلَاثُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ ، قَوْلَ الرَّاعِي .
 وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س^(٤):

١٨٣ (أَزْمَانٌ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةُ كَالَّذِي مَنَعَ الرِّحَالَ أَنْ تَمِيلَ مَمِيلًا)

عَلَى أَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرٍ : أَزْمَانٌ كَانَ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةُ . فَالْجَمَاعَةُ مَفْعُولٌ مَعَهُ عَلَى
 تَقْدِيرِ إِضَارِ الْفَعْلِ .

قَالَ سَيَبَوِيه : زَعَمُوا أَنَّ الرَّاعِي كَانَ يَنْشُدُ هَذَا الْبَيْتَ نَصَبًا . وَقَالَ : كَأَنَّهُ
 قَالَ : أَزْمَانٌ كَانَ قَوْمِي مَعَ الْجَمَاعَةِ . وَحَذَفَ كَانَ لِأَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهَا كَثِيرًا
 فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَلَا لَبْسَ فِيهِ وَلَا تَغْيِيرَ مَعْنَى^(٤) .

(١) في الديوان : « من حمله الفيظ » .

(٢) الخزانة ١ : ص ٣٩٧

(٣) في كتابه ١ : ١٥٤ . وانظر العيني ٢ : ٩٥ / ٣ : ٩٩ والمهجم ١ : ١٢٢ /

١٥٦ : ٢ وشرح شواهد المتن ٢٥١ / والأشعري ٢ : ١٣٨ والتصريح ١ : ١٩٥
 وجهرة القرشي ١٧٦ .

(٤) إلى هنا كلام سيبيويه مع تصرف في اللفظ .

ومثله قوله تعالى (وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلْبَانٍ ^(١))
أراد ما كانت تتلو .

قال ابن عصفور : وإنما حمل على إضمار كان — ولم يحمل على تقدير
حذف مضاف إلى قومي ، فيكون التقدير : أزمان كون قومي والجماعة —
لأن المصدر المقدّر بأن والفعل من قبيل الموصولات ، وحذف الموصول وإبقاء
شيء من صلته لا يجوز . فإن قلت : ما الدليل على أن قومي من قوله : أزمان
قومي ، محمول على فعل مضمر ؟ قلت : لأنه ليس من قبيل المصادر ؛ وأسماء
الزمان لا يضاف شيء منها إلا إلى مصدر أو جملة تكون في معناه ، نحو : هذا
يومٌ قدومٌ زيد ؛ وقولهم : يوم الجمل ، ويوم حليمة ، فهو على حذف مضاف ،
أي يوم حرب الجمل ونحوه .

قال الأعمى : « وصف ما كان من استواء الزمان واستقامة الأمور ،
قبل قتل عثمان وشمول الفتنة . وأراد التزام قومه الجماعة وتركهم الخروج
على السلطان . والمعنى : أزمان قومي والتزامهم الجماعة وتمسكهم بها كالذي
تمسك بالرحالة ومنعها من أن تميل وتسقط . والرحالة (بالكسر) : الرجل ،
وهي أيضاً السرج . ضربها مثلاً ، ٥١ .

وهذا البيت من قصيدة طويلة عدتها تسعة وثمانون بيتاً ، للراعي . مدح
بها عبد الملك بن مروان ، وشكا فيها من السعاة ؛ وهم الذين يأخذون الزكاة
من قبيل السلطان . وهي قصيدة جيدة ، كان يقول : من لم يرو لي من أولادي
هذه القصيدة وقصيدتي التي أولها :

بأن الأحياء بالعهد الذي عهدوا

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

— وهي في هذا المعنى أيضاً — فقد عَقَّي :

وقبل بيت الشاهد :

(أَوَّلَى أَمْرٍ اللهُ إِنَّا مَعَشَرُ حُخْفَاهُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
عَرُبٌ نَرَى اللهُ فِي أَمْوَالِنَا حَقَّ الزَّكَاةِ مُنْزَلًا تَنْزِيلًا
قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ، لَمَّا يَمْنَعُوا مَا عُونَتُهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا
فَادْفَعْ مَظَالِمَ عَيْلَتِ أُنْسَاءِنَا ، وَأَقْبِذْ شِلُونَا الْمَأْكُولَا
فَنَرَى عَطِيَّةَ ذَاكَ — إِن أُعْطِينَتْ — مِنْ رَبِّنَا فَضْلًا وَمِنْكَ جَزِيلًا
أَنْتِ الْخَلِيفَةُ حِلْمُهُ وَفَعَالُهُ وَإِذَا أَرَدْتَ لَظْلَامَ تَنْكِيلَا
وَأَبُوكَ ضَارِبَ بِالْمَدِينَةِ ، وَحَدَّهِ قَوْمًا هُمْ جَطَوْا الْجَمِيعَ شُكُولَا
قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحَرَّمًا وَدَعَا فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ مَخْذُولَا
فَنَصَدَعْتُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ عَصَامُ حَقَّقًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُمْ مَسْلُولَا
حَتَّى إِذَا اسْتَمَرْتُ عَجَاجَةً فِتْنَةٍ عَمِيَاءَ ، كَانَ كِتَابُهَا مَفْعُولًا ^(١)
وَزَنْتُ أُمِيَّةَ أَمْرَهَا فَدَعْتُ لَهُ مِنْ لَمْ يَكُنْ غُمْرًا وَلَا مَجْهُولَا
مَرَّوَانَ أَحْزَمَهَا إِذَا نَزَلَتْ بِهِ حَذَبَ الْأُمُورِ وَخَيْرَهَا مَسْئُولَا ^(٢)
أَزْمَانَ رَفَعَ بِالْمَدِينَةِ ذَيْلَهُ وَلَقَدْ رَأَى زَرْعًا بِهَا وَنَخِيلَا ^(٣)
وَدِيَارَ مُلْكٍ خَرَّبَتْهَا فِتْنَةٌ وَمُشِيدًا فِيهِ الْحَمَامُ ظَلِيلَا
إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ بَرَّةٍ لَا أَكْذِبُ الْيَوْمَ الْخَلِيفَةَ قِيلَا :

٥٠٣

(١) ط : « قرت » ، صوابه في س . وفي الجهرة : « نزلت عماية فتنة » .

(٢) في الجهرة : « حدث الأمور » وبعده في التفسير : « حدث الأمور : حوادثها »

(٣) الجهرة : « ولقد يرى » .

ما زُرْتُ آلَ أَبِي خُبَيْبٍ وَافِدًا يوماً أريدُ لِبَيْعَتِي تَبْدِيلًا
 مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ لَا مِنْ حِيلَتِي إِنِّي أَعُدُّ نَهْ عَلَى فُضُولًا
 «أَزْمَانٌ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةُ كَالَّذِي لَزِمَ الرَّحَالَةَ أَنْ تَمِيلَ ذَمِيلًا»
 إِلَى أَنْ قَالَ :

(إِنَّ السَّعَاةَ عَصَوَكَ حِينَ بَعَثْتَهُمْ وَأَتَوْا دَوَاهِيَّ، لَوْ عَلِمْتَ، وَغُولًا^(١))
 إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَمْدُلُوا لَمْ يَفْعَلُوا مِمَّا أَمَرْتُ فَتِيلًا
 أَخَذُوا الْمَخَاضَ مِنَ الْفَصِيلِ غُلْبَةً ظَلَمًا وَيُكْتَبُ لِلْأَمِيرِ : أَفِيلًا
 أَخَذُوا الْعَرِيفَ قَطَطُوا حَيْرُومَهُ بِالْأَصْبَحِيَّةِ ، قَائِمًا مَقُولًا
 أَخَذُوا حَمُولَتَهُ فَأَصْبَحَ قَاعِدًا مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الدِّيارِ حَوِيلًا
 يَدْعُو أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدُونَهُ خَرَقٌ تَجْرُ بِهِ الرِّيحُ ذُبُولًا^(٢))

قوله : قوم على الإسلام لما يمنعون ما عونهم ، أورده الزمخشري في تفسيره عند قوله تعالى (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ^(٣)) على أن الماعون الزكاة . والتهليل هو قول لا إله إلا الله ؛ أراد كلمة التوحيد . وقوله عَيَّلْتُ أبناءنا ، التعميل : سوء الغداء ؛ وعيّل الرجلُ فرسه : إذا سيّبه في المفازة . والإقاذ : التخليص . والشُّلُو ، بالكسر : العضو . والشُّكُول جمع شكل بفتح أوّله وكسره : الشُّبّه والمثُل ؛ أى جعلوا الناس متخالفين بعد أن كانوا متّحدين . وقوله : قتلوا ابن عفّان الخ ، يقال : أحرّم الرجل إذا دخل في حرمة لا تُهَنك . قال العسكري (في باب ما وهم فيه علماء الكوفيّين ، من كتاب التصحيح^(٣)) :

(١) ط : « وأتوا دواعي » ، صوابه في س والجمهرة .

(٢) الآية ٧ من سورة الماعون .

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيح ص ١٢١ . وانظر أيضا ص ١٢٧ .

أخبرنا أبو علي الكوكبي حدثني محمد بن سويد حدثني محمد بن هبيرة قال :
قال الأصمعي للكسائي — وهما عند الرشيد — : ما معنى قول الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً البيت

فقال الكسائي . كان محرماً بالحج . قال الأصمعي : فقله :

قتلوا كسري بليلٍ محرماً فتولّى لم يُمتنع بكفن^(١)

هل كان محرماً بالحج ؟ قال الرشيد للكسائي : يا علي إذا جاء الشعر
فإياك والأصمعي قال الأصمعي محرّم أى لم يأت ما تستحل به عقوبته ؛
ومن ثم قيل مسلم محرّم : أى لم يحل من نفسه شيئاً يوجب القتل . وقوله :
قتلوا كسري محرماً ، يعنى حرمة العهد الذى كان له فى أعناق أصحابه اه .

٥٠٤

وقوله : حُذِبُ الأمور ، جمع أٌحْدَبٌ وحْدَباء ، أراد الأمور المشكّلة .
وقوله : مازرت آل أبي خبيب الخ ، أبو خبيب هو عبد الله بن الزبير ،
وكان ادعى الخلافة يومئذٍ فى الحجاز . وقوله : إني أعدّ له على فضولا ،
هو جمع فَضْل بمعنى الإحسان والإنعام ، وهو العامل النصب على الظرفية
فى (أزمان) ويجوز رفعه على الابتداء والخبر محذوف ، أى من الفضول أزمان
قومى الخ . قال صاحب كتاب التنبيه على ما أشكل من كتاب سيبويه :
ويجوز رفع أزمان على أنه خبر مبتدأ محذوف ، دون إظهار كان ، والواو
واو مع أيضاً ، فتكون إضافة أزمان إلى الجملة الإسمية على هذا . ثم قال :
والأوّل ، أى النصب على الظرفية ، أحسن وأكثر اه .

والسُّعاة : جمع ساع ، وهو كلّ من ولى شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال

(١) البيت لمدى بن زيد ، كما فى شرح ما يقع فيه التصحيف ١٢٧ . وانظر ملحقات

ديوان مدى ١٧٨ .

ذلك في وِلَاةِ الصَّدَقَةِ أَى الزَّكَاةِ . وقوله : أَخَذُوا الْمَخَاضَ مِنَ الْفَصِيلِ الْحِ ،
 الْمَخَاضُ : النُّوقُ الْحَوَامِلُ ، وَاحِدُهَا خَلِيفَةٌ^(١) . وَالْفَصِيلُ : ابْنُهَا . وَالْغُلْبَةُ ،
 بَضْمُ الْغَيْنِ وَاللَّامِ وَتَشْدِيدُ الْمُوَحَّدَةِ ، هِيَ الْغُلْبَةُ بِالْتَحْرِيكِ وَالتَّخْفِيفِ .
 وَهُوَ وَظَلَمًا مُصْدَرَانِ وَقَعَا حَالَيْنِ مِنْ فَاعِلٍ أَخَذُوا . وَيَجُوزُ نَصْبُ الثَّانِي بِالْأَوَّلِ
 عَلَى أَنَّهُ مُصْدَرٌ مَعْنَوِيٌّ . وَالْأَفِيلُ ، كَكَرِيمٍ ، مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ : مَا أَتَى عَلَيْهِ
 سَبْعَةُ أَشْهُرٍ ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِيَكْتَبُ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ ، أَى يَكْتُبُ السَّاعِي .
 وَعَلَى رَوَايَةِ الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ ، مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ ،
 أَى وَيَكْتُبُ أَخَذْنَا مِنْ فُلَانٍ أَفِيلًا . وَأُورِدَ ابْنُ هِشَامٍ هَذَا الْبَيْتَ فِي الْمَعْنَى
 عَلَى أَنَّ مِنْ فِيهِ لِلْبَدَلِ : أَى نَأْخُذُ الْمَخَاضَ بَدَلَ الْفَصِيلِ . قَالَ ابْنُ يَسْعَوْنَ :
 وَيَجُوزُ أَنْ لَا تَكُونَ بَدَلِيَّةً ، بَلْ مُتَعَلِّقَةٌ بِأَخَذُوا أَى انْتَزَعُوهُ مِنْ أُمِّهِ . وَرُؤْيُ
 بَدَلِهِ (مِنْ الْعِشَارِ) فَهِيَ بَيَانِيَّةٌ : أَى كَائِنَةٌ مِنَ الْعِشَارِ . وَقَوْلُهُ : أَخَذُوا
 الْعَرِيفَ ، هُوَ رَئِيسُ الْقَوْمِ وَمُسْكَلُهُمْ . وَالْأَصْبَحِيَّةُ هِيَ السَّيَاطُ مَنْسُوبَةٌ
 إِلَى ذِي أَصْبَحَ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ ، فَإِنَّهُ الَّذِي اخْتَرَعَهَا . وَالْخَرْقُ بِالْفَتْحِ : الْفَلَاةُ .
 وَ (الرَّاعِي) اسْمُهُ عُبَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ (بِتَضْمِينِهَا) ابْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَنْدَلٍ
 ابْنِ قَطْنٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نُمَيْرٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْمَةَ .
 وَكُنْيَةُ الرَّاعِي : أَبُو جَنْدَلٍ . وَلُقِّبَ الرَّاعِي لِكثْرَةِ وَصْفِهِ الْإِبِلَ وَالرِّعَاءَ
 فِي شَعْرِهِ . وَقِيلَ : لُقِّبَ بِهِ بِبَيْتِ قَالَهُ^(٢) .

الراعي

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : اسْمُهُ حُصَيْنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ . وَكَانَ يُقَالُ لِأَبِيهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 الرَّئِيسُ . وَوَلَدَهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ فِي الْبَادِيَةِ سَادَةُ أَشْرَافِ .

(١) وَمِثْلُهُ الرِّكَابُ بِمَعْنَى الْمَطَى ، وَاحِدُهَا رَاحِلَةٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِ الْجَمْعِ ، وَكَذَا وَاحِدَةُ
 الْإِبِلِ نَاقَةٌ .

(٢) هُوَ كَمَا فِي الْأَمَالِيِّ ٢ : ١٤٠ وَالْمُزْهَرِ ٢ : ٤٤٢ عَنْ الْقَالِي .

وهو شاعر فحل مشهور، من شعراء الإسلام، مقدّم. ذكره الجُمحى في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين. وكانَ يقدّم الفرزدقَ على جرير، فاستكفّه جرير فأبى، فهجاه بقصيدته البائية التي مطلعها:

* أَقْلَى اللّوْمِ عَاذِلَ وَالْعِنَابَا *

ففضحه بها. وتقدّم بيانه في ترجمة جرير في أوائل الكتاب^(١).

وفي المؤلفات والمختلف للآمدي: مَنْ لَقِبَهُ الرَّاعِي مِنَ الشُّعْرَاءِ اثْنَانِ : أحدهما هذا، والثاني اسمه خليفة بن بشير بن عمير بن الأحوص من بني عدي بن جناب. وقيل غير ذلك^(٢).

* * *

باب الحال

٥٠٥

أشد فيه، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائة^(٣):

١٨٤ (يَقُولُ ، وَقَدْ تَرَ الْوُظَيْفُ وَسَاقُهَا

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيِّدِ ١٩)

على أنه يخرج عن تعريف الحال الحال التي هي جملة بعد عامل ليس معه فو حال.

(١) الخزائن ١ : ص ٦٩ وما بعدها

(٢) انظر المؤلف ١٢٢ في النقل تصرف كبير.

(٣) البيت من معلقة طرفة. وانظر المنصف لابن جني ١ : ٢٦٩.

بيانه : أن جملة (وقد تَرَّ الوظيف) حال ، وعاملها يقول ، ولا صاحب لها ؛ وأما فاعل يقول — وهو الضمير المستتر فليس صاحبَ الحال ، لأنها لم تبين هيئته ، إذ ليست من صفاته . وهذا إنما يرد على تعريف المصنّف الحال فإنه اعتبر فيه تبينَ الهيئة ولا يرد على تعريف الشارح ؛ فإنه لم يعتبر في الحدّ تبين الهيئة . وقد أوّل الناسُ تعريفَ المصنّف على وجوه ، منهم السيّدُ ركن الدين في شرحه الكبير على الكافية ؛ وابنُ هشام في شرح التسهيل ومعنى اللبيب ، وكذا الدماميني وغيره .

(وترّ) بالمشناة الفوقية والراء المهملّة ، قال ابن دُرَيْد : تَرَّ العظمُ يَتَرُّ تَرّاً إذا قطعه ؛ وكذلك كلّ عضوٍ انقطع بضربة واحدة فقد تَرَّ تَرّاً ، ويُشَدُّ بالوجهين قولُ طرفة . وأنشد هذا البيت في الجمهرة . يريد أن تَرَّ ، ورد لازماً ومتعدّياً . وروى برفع (الوظيف) على أنه فاعل تَرَّ اللازم ، بمعنى انقطع وفسّره يعقوب بن السكيت في شرح ديوان طرفة ، وتبعه الأعلام في شرحه ، بقوله : طنّ وندر . وروى بنصب (الوظيف) على أنه مفعول تَرَّ المتعدّي ، بمعنى قطع ، وفاعله ضمير المضب في بيت قبله . وقوله : (وساقها) معطوف عليه بالوجهين ؛ وضمير المؤنث راجع إلى الكهّاء في بيت قبله ، وهي الناقة الضخمة . والوظيف ما بين الرُسْغ^(١) وفي اليد : ما بين الرسغ والذراع . وقوله : (أَلَسْتَ تَرَى الخ) مَقُولُ الْقَوْل . والخطاب في الثلاثة لطرفة ، والاستفهام للتوبيخ . والرؤية يجوز أن تكون بَصَرِيَّة ، فأن مع ما بعدها في تأويل مفرد منصوب على أنه مفعول الرؤية ؛ وأن تكون عِلْمِيَّة ، فأنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ واسمها ضمير شأن جملة قد أثبت خبرها ، وهي مع معمولها سادة مسدّ المفعولين

(١) كذا في النسختين . ولعله : « والوظيف في الرجل ما بين الرسغ والساق » .
وانظر اللسان (وظف) .

لِلرُّؤْيَا . (والمؤيد) : على وزن اسم الفاعل ، قال الأعلم : هو الداهية ؛ وأصلها من الأيد وهو القوة ؛ كأنها داهية ذات شِدَّة وقوَّة . ورواه الخطيب التبريزي في شرح المعلقات ، بزنة اسم المفعول أيضاً وقال : أى جثت بأمرٍ شديد يشدُّد فيه : من عقرت هذه الناقة . وليس المؤيد ^(١) من الوأد ، كما توهمه السيّد في حواشي هذا الكتاب ، فإنه قال : وأدّه أى دفنّه حيّاً ، والمؤيد : الداهية . قال ابنُ جنيّ في المنصف ^(٢) ، وهو شرح تصريف المازنيّ : الفعل المعتلّ العين إذا صحَّ ما قبلَ عينه نقلت حركة عينه ^(٣) إلى الساكن قبلها ، نحو أقام واستقام . فأما ما اعتلّت فاؤه ، فإنك لا تنقل إليها حركة العين ، وذلك قولك في أفعلت ، نحو آيمت وآولت ، من آمَ وآلَ . لأنّه لما اعتلّت الفاء وهى همزة فقلبت ألفاً صحّت العين ، وعلى ذلك قول الشاعر :

* كَرَأْسُ الْفَدَنِ الْمُؤَيَّدِ ^(٤) *

فهذا مُفَعَّل بزنة اسم المفعول ، من الأيد وهو القوة ؛ ولم يقل المؤاد — أى همزة ممدودة بعد الميم المضمومة — وقال طريقة : « أن قد أتيت بمؤيد » ، وهى الداهية وهى بزنة اسم الفاعل من الأيد أيضاً ، ولم يقل المُئيد — أى بيم مضمومة فهى مكسورة بعدها منثناة تحتية — وقالوا : أيدته فى أفعلته من الأيد ، وأيدته ففعلته . وأيدته قليلة مكروهة ، لأنك إن صحّحت فهو ثَقِيل ، وإن أعلت جمعت بين إعلالين . فعُدِلَ عن أفعلته إلى فعلته فى غالب الأمر .

(١) كذا فى السختين . ولعلها « المؤيد » .

(٢) طبع فى مصر سنة ١٣٧٣ بتحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين .

(٣) ط : « نقلت حركته » ، صوابه فى س . وانظر المنصف .

(٤) البيت المقتب العبدى ، كما فى السط ١١٣ . وهو بنهامة :

يُنِي تَجَالِيدِي وَأَقْتَادَهَا نَأِي كَرَأْسِ الْفَدَنِ الْمُؤَيَّدِ

وهذا البيت من مملقة طرفة بن العبد المشهورة . وهذا ما قبله :

(وَبَرَكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ خَفَافِي نَوَادِيهَا أَمْشَى بِمَضْبٍ مَجْرَدٍ
فَكَرَّتْ كَهَاءُ ذَاتٍ خَيْفٍ جُلَالَةٍ عَقِيلُهُ شَيْخٌ كَالْوَيْلِ يَلْتَنَدُ
يَقُولُ وَقَدْ تَرُّ الوَظِيفُ وَسَاقِهَا البيت
وَقَالَ أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدٌ ^(١)
فَقَالُوا ^(٢) : ذَرُوهُ ، إِنَّمَا نَفَعْنَا لَهُ وَإِنْ لَا تَرُدُّوْا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزِدُّوْ
فَظْلُ الْإِمَاءِ يَمْتَلِئْنَ حَوَارِهَا وَتَسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمَسْرَهْدِ)
قوله : وَبَرَكَ ، بفتح الموحدة ، مجرورٌ بواوِ رَبٍّ ؛ قَالَ أَبُو عبيدة :
البرك يقع على جميع ما يبرك من الجمال والنوق على الماء وبالفلاة من حرّ الشمس
أو الشَّيْخِ ، الواحد برك وبركة . وقيل : البرك : جماعة إبل الحَيِّ ، وقيل لها
برك لاجتماع مباركها . وَبَرَكَ البعيرُ : إِذَا أَلْقَى صَدْرَهُ عَلَى الْأَرْضِ . والهجود :
النيام ، جمع هاجد وهاجدة ؛ ومصدره الهجود أيضاً بمعنى النوم كالقعود
والجلوس . وخفافي : فاعلُ أَثَارَتْ ، وهو مصدرٌ مضاف إلى للفعل ، والفاعلُ
مخدوف أي مخافتها إِيَّايَ . ونواديها : مفعولُ أَثَارَتْ ، أي أوائلها وما سبق
منها ؛ وهو بالنون ، يقال : لَا يَتَذَاكُ مَنَى أَمْرٌ تُكْرَهُهُ ، أي لَا يَسْبِقُ إِلَيْكَ
مَنَى وَإِنَّمَا خَصَّ النَوَادِي لِأَنَّهَا أَبْعَدُ مِنْهُ عِنْدَ فِرَارِهَا . فيقول : لَا يَفْلَتُ مِنْ
عَقْرِي مَا قُرْبَ وَلَا مَا شَدَّ فَنَدَّ . وقال ابن السكيت : النوادي الثقال أيضاً
من الإبل ، الواحدة نادية . وجملة أَمْشَى ، حالٌ من الياء في مخافتي . والعَضْبُ :

(١) س : « فيه » .

(٢) وبروي : « فقال » و « وقال » . وصوب التبرزي رواية « وقالوا » ،
وقال : « من روى فقال فرواينه بعبدة ، لأنه يحتاج إلى تدوير فاعل » .

السيف القاطع . والمجرّد : المسلول من غنمه . يقول : رُبَّ إبلي كثيرة بركة .
قد أثارَت نواديَ هذا البرك عن مباركها مخاقبها إيايَ في حال مشي إليها بسيفٍ
مسلولٍ قاطع . يريد أنه أراد أن ينحر لأضيافه بعيراً فنفرت منه لتموذها
ذلك منه .

وقوله : فرت كهة الح ، الكهة بفتح الكاف ، قال ابن السكيت :
هي الناقة الضخمة . وهذا هو للناسب ، لا ما قاله شراح المعلقات : من أنها
الناقة المسينة الضخمة . والخيف بفتح الخاء المعجمة ، قال ابن السكيت : هو جلد
الضرع وقالوا : هو جلد الضرع الأعلى الذي يسمى الجراب . يقال : ناقة خيفاء ،
إذا كان ضرعها كبيراً . وجلالة بالرفع : صفة كهة ؛ وهي بضم الجيم بمعنى
الجليلة والعظيمة . وعقيلة شيخ : صفة ثالثة ، أي خير ماله ؛ والعقيلة : الكريمة .
وهذا الشيخ قال ابن السكيت : هو بعض بني عم طرفة ، كان طرفه عقر له ناقة .
وقال الزوزني : أراد بالشيخ أباه ، يريد أنه نحر كرائم مال أبيه
لندمائه . وقيل : بل أراد غيره ممن يُعير على ماله . وقوله : كالويل ، صفة
شيخ . قال ابن السكيت : الويل العصا . وقال الزوزني : [الويل : العصا
الضخمة ^(١)] في الصحاح : الويل : الحرمة . فعلى هذا شبهة عظيمة في اليبوسة
بالخطب ، والشيخ بأنه حزمة من الخطب . واليلندد : السيء الخلق الشديد
الخصومة ؛ صفة ثانية للشيخ . وقوله : يقول وقد ترّ الوظيف الح ، أي قال
الشيخ في حال عقرى هذه الناقة الكريمة النجبة . ومثلها لا يُعقر للأضياف -
وقوله : وقال ألا ^(٢) ماذا ترون الح ، فاعل قال ضميرُ الشيخ صاحب الناقة ؛
وذا اسم موصول ؛ وما استفهام منصوب بترون ؛ والباء متعلقة بمحذوف .

(١) التكمة من الزوزني .

(٢) في ط : « إلى » في هذا التفسير ، وفي النص السابق في البيت ، تحريف .

أى قال الشيخ، مستشيراً أصحابه : ما الذى ترون أن فعل بطرقة شارب
الجر يبنى علينا بعقر كرائم أموالنا؟ وقوله : فقالوا ذروه الخ ، أى ذروا
طرقة فإن نفعها للشيخ ، فإن طريقة يُخلف عليه ويزيده ؛ وإن لم تردوا
قاصى إبلكم يعقر منها أيضاً . وقيل : معناه : إن لم تردوا قاصى البرك
وتردوه إلى أوله زاد فى نفعه وذهب . والقاصى : اسم فاعل من قصى يقصو
قُصوا : إذا بعد . وقوله : فظل الإمام الخ ، يمثلان بكسر اللام : أى يشوين
فى التلة وهى الرماد الحار . والإماء : الخدم . والخوار بضم المهملة : ولد
الناقة . والسديف : قطع السنام . والمسرهد : المرىء الحسن الغذاء ، وقيل
السمين . أى فظل الإمام يشوين الولد الذى خرج من بطنها تحت الجمر
والرماد الحار ، وتسعى الخلم علينا بقطع سنامها للقطع يريد أنهم أكلوا
أطايها وأباحوا غيرها للخدم . وذكر الخوار يدل على أنها كانت حبلية -
وهى من أنفس الإبل عندهم .

وترجمة طريقة بن العبد تقدمت فى الشاهد الثانى والحسين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائة :

١٨٥ (وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكلا)
لما تقدم قبله . وقد بيناه .

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة ^(٢) . وقوله : (وقد
أغتدى) أى أخرج غدوة للصيد . و(الوكنات) الواو مضمومة ، والكاف

(١) الخزانة ٢ : ص ٤١٩

(٢) انظره أيضاً الخصائص ٢ : ٢٢٠ وابن يعش ٢ : ٢/٩٦ : ٩/٥١ : ٩٠ :
وشرح شواهد المغنى ٢٩٢ .

يجوز ضمها وفتحها وسكونها ، جمع وَكْنَة بضم فسكون . قال ابن جني في المحتسب : « ومن ذلك قراءة عبد الكريم الجزري : (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ^(١)) بكسر الكاف ، من قولهم وَكَنَ الطائر يَكُنُ وَكُونًا : إذا استقرَّ في وَكْنَتِه ، وهي مقره ليلاً ، وهي أيضاً عُشّه الذي يَبْيِضُ فيه . وكأنهم منقلوب الكَوْنُ ، لأنَّ الكَوْنَ الاستقرار » ١٥٧ .

والقاف لغة في الكاف ، يقال وَقْنَة وَوَقْنَات . ورؤى (في وَكْرَاتِهَا) بضمتين جمع وَكْر بضمة فسكون ، وهو جمع وَكْر بفتح فسكون ، والوكر : مأوى الطائر في العُشِّ . و (الطَّيْر) : جمع طائر كصَحْب جمع صاحب . وهذا المصراع قد استعمله امرؤ القيس في قصيدته اللامية ، قال :

وقد أغتدى والطيرُ في وَكْنَاتِهَا لَفَيْثٍ من الوثمي رائدُهُ خالي
وفي الضادية ^(٢) أيضاً ، وتماه :

* بمنجردٍ عَبلَ اليدين قَبِيض *

وفي البائية أيضاً ^(٣) ، وتماه :

* وماء الندى يَجْرَى على كُلِّ مِذْنَب *

وهذا البيت قد وقع في قصيدة لعلقمة الفحل أيضاً . وجملة : « والطير في وَكْنَاتِهَا » حالٌّ من ضمير المتكلم ، أي أغدو إلى الصيد ملابساً لهذه الحالة . و (المنجرد) من الخليل ، قيل : الماضي في السير ، وقيل : القليل الشعر القصير . ومنجرد متعلّق بقوله أغتدى . و (الأوابد) : الوحوش ، جمع أبده .

(١) الآية ١٦ من سورة لقان .

(٢) ط : « الصادية » صوابه في ش . وانظر ديوانه ٧٥ .

(٣) انظر ديوانه ٤٦ .

يريد أن هذا الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد . قال أبو علي في التذكرة : قيد الأوابد ، صفة ، وهو مصدر كأنه قال : يقيد الأوابد ، ثم استعمل المصدر : يحذف الزيادة ، فوصف به . وقال التبريزي : تقدير قيد الأوابد ، ذى تقييد الأوابد . قال الباقلاني في إعجاز القرآن ^(١) : قوله قيد الأوابد — عندكم — من البديع ومن الاستعارة ، ويروونه من الألفاظ الشريفة ؛ وعني بذلك أنه إذا أرسل هذا الفرس على الصيد ، صار قيدا لها ، وكانت بحال المقيّد من جهة سرعة عدوه . وقد اقتدى به الناس وأتبعه الشعراء ، فقليل قيد التواظر ، وقيد الألفاظ ، وقيد الكلام ، وقيد الحديث ، وقيد الرهان ، قال ابن ينفّر :

بمقلص عند جبير . شدّه قيد الأوابد والرهان جواد
وقال أبو تمام :

لما منظرٌ قيدُ الأوابد لم يزل يروح ويقدو في خفاته الحب
وقال آخر :

ألفاظه قيدُ عيون الورى فليس طرفٌ يتعداه
وقال آخر :

* قيد الحسن عليه الحدقا ^(٢) *

و (الميكال) قال ابن دريد : هو الفرس العظيم الجرم .

وبعد هذا البيت بيت هو من شواهد معنى اللبيب ، وهو :

(مكرٌّ مفترٌّ مقبلٌ مُدبرٌ ممّا كجلمود صخر حطه السيل من عل)

(١) إعجاز القرآن ١٠٧ .

(٢) ط : « الحدقان » صوابه في إعجاز القرآن ، ومن ش مع أثر نحو للنود .

مِكْرٌ ومِفْرٌ بكسر الميم فيهما وجراً : أى فرس صالح للكرّ والفِرّ .
والكرّ : العطف ، يقال : كَرَّ فرسه على عدوه . أى عطفه عليه . ومِفْعَل
يتضمن مبالغةً ، كقولهم : فلان مِسْعَرُ حَرْبٍ ، وفلان مِقْوَلٌ ومِصْقَعٌ . وإنما
جملوه متضمناً مبالغةً ، لأنّ مِفْعَلًا يكون من أسماء الأدوات ، فكأنه أداة
للكرّ والفِرّ ، وآلةٌ لتُسْعِرَ الحربَ أى تُلهبها ، وآلةُ الكلام . ومُقبِل
ومُدبر ، بضمّ ميميهما : اسماء فاعل من الإقبال والإدبار . والجملود ، بالضم :
الصخر العظيم الصلبُ . والخطّ : إلقاء الشيء من علو إلى أسفل . وعلى ،
بمعنى عالٍ أى من مكان عال .

وفى هذا البيت (الاتساع) قال ابن أبى الإصبع ، فى تحرير التعبير ^(١) :
الاتساع أن يأتى الشاعرُ بيتَ يتسع فيه التأويل ، على قدر قوى الناظر فيه ،
ويحسب ما تحتمل ألفاظه ، كقوله فى صفة فرس :

مِكْرٌ مِفْرٌ مقبل مدبر معاً البيت

لأنّ الحجر يطلب جهة السفّل لكونها مركزه ، إذ كلُّ شيء يطلب
مركزه بطبعه ؛ فالحجر يُسرّع انحطاطه إلى السفّل من العلو ، من غير واسطة
فكيف إذا أعانته قوة دُفَاع السيل من علٍ ؛ فهو ، حالّ تدحرجه ، يرى
وجهه فى الآن الذى يرى فيه ظهره ، بسرعةٍ تقلّبه ، وبالعكس . ولهذا قال :
مقبل مدبر معاً ، يعنى يكون إدباره وإقباله مجتمعين فى المِعيّة ، لا يُعقَل الفرقُ
بينهما . وحاصلُ الكلام وصفُ الفرس بِلين الرأس وسُرعة الانحراف — فى صدر
البيت — وشدة العدوّ — فى عجزه . وقيل : إنّه جمع وصَفَى الفرسِ بِمُحْسَنِ
الخلق وشدة العدوّ ، ولكونه قال فى صدر البيت إنّه حسن الصورة كامل

النضبة في حالتى إقباله وإدباره ، وكره وفره ؛ ثم شبهه بمجلود صخر حطه السيل من العلو بشدة العدو ؛ فهو في الحالة التى ترى فيها لبيبة ترى فيها كفله ؛ وبالعكس . هذا ، ولم تخطر هذه المعانى بخاطر الشاعر في وقت العمل ، وإنما الكلام إذا كان قويا من مثل هذا الفعل ، احتمال لقوته وجوها من التأويل ، بحسب ما تحتل ألفاظه ، وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه . ومثله أيضا ^(١) :

إذا قامتا تَضَوَّعَ المسكُ منها نَسِيمَ الصَّبَا جاءت بَرِيًّا القَرْفَل

فإن هذا البيت اتسع النقاد في تأويله : فمن قائل : تَضَوَّعَ المسك منها بنسيم الصبا ^(٢) ، ومن قائل : تَضَوَّعَ نسيم الصبا منها ، ومن قائل : تَضَوَّعَ المسك منها تَضَوَّعَ نسيم الصبا — وهذا هو الوجه — ومن قائل : تَضَوَّعَ المسك منها — بفتح الميم ، يعنى الجلد — بنسيم الصبا .

وقال ابنُ المستوفى في شرح أبيات المفصل : حدثني الإمام أبو حامد سليمان ، قال : كنا في خوارزم ، وقد جرى النظر في بيت امرئ القيس :

إذا قامتا تَضَوَّعَ المسكُ منها البيت

فقالوا : كيف شبه تَضَوَّعَ المسك بنسيم الصبا ، والمشبّه ينبغي أن يكون مثل المشبّه به ، والمسك أطيب رائحة ، وطال القول في ذلك فلم يحققوه ، وكان سألنى عنه ، فأجبت لوقتي أنه شبه حركة المسك منها عند القيام بحركة نسيم الصبا ، لأنه يقال تَضَوَّعَ الفرخ أى تحرك ، ومنه تَضَوَّعَ المسك تحرك وانتشرت رائحته : وذلك أن المرأة توصف بالبطء عند القيام ، فحركة المسك تكون إذا ضعيفة مثل حركة النسيم ، وانتشاره كانتشاره ؛ فالتشبيه صحيح .

(١) الكلام على البيت التالى متقدم في تحرير التعبير على الكلام في البيت السابق .

(٢) تحرير التعبير : « نسيم الصبا » ، وما هنا صوابه .

والنسيم : الريح الطيبة ، ونسيم الريح أولها حين تُقبل بلين . ولقائل أن يقول : إن نسيم الصبا — وهى الريح الطيبة إذا جاءت برياً القرفل ، وهى أيضاً ريح طيبة ، قاربت ريح المسك . وبعد أن جرى ذلك بمدة طويلة وقع إلى كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، فى شرح القصائد السبعيات ، فوجدته ذكر عند هذا البيت قولاً حسناً ، وهو قوله : ومعنى تضووع أخذ كذا وكذا . وهو تفعل من ضاع يضووع ، يقال للفرخ إذا سمع صوت أمه فتحرك : قد ضاعته أمه تضووعه ضووعاً^(١) . فلا حاجة مع قوله أخذ كذا وكذا إلى تمحل لذلك ؛ ويكون التقدير : تضووع المسك منهما تضووع نسيم الصبا ، أى أخذ كذا وكذا كما أخذ النسيم كذا وكذا . ١٠ .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين^(٢) .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائة^(٣) :

١٨٦ (كَأَنَّ حَوَامِيَه مُدْبِرًا خُضِبْنَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُخَضَّبِ)

على أن (مدبراً) حال من المضاف إليه ، وهو الماء فى حواميه .

وهذا البيت من قصيدة فى وصف فرس ، للنايفة الجعدي . وقبله :

(كَأَنَّ تَمَائِيلَ أَرْسَاغِهِ رِقَابُ وَغُولٍ عَلَى مَشْرَبِ)
كَأَنَّ حَوَامِيَه مُدْبِرًا (البيت)

وبعده :

(١) فى شرح القصائد السبع ٢٩ : « ضاعه صوت أمه يضووعه ضووعاً » .

(٢) الخزانة ١ : من ٣٢٩ وما بعدها .

(٣) ديوان النايفة الجعدي من ٢٠ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ .

(١١) خزانة الأدب ج ٣

(حِجَارَةٌ غَيْلٍ بِرُضْرَاةٍ كُسَيْنٍ طِلَاءٍ مِنَ الطُّحْلِبِ)

التمثيل : جمع تمثال بالكسر ، وهى الصورة . والأرساغ : جمع رُسْغ بالضم ، وهو ، من الدواب : الموضع المستقيم بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل ، ومن الإنسان : مفصل ما بين الكف والساعد والقدم إلى الساق^(١) والوعول : جمع وَعَل ، قال ابن فارس : هو ذكر الأروى وهو الشاة الجبلية . وكذلك قال فى البارع ، وزاد : والأثني وَعِلَةٌ بكسر العين ، وتسكن فيهما . والمشرَب بالفتح موضع الشرب . وهذا البيت من التشبيه البديع الذى لم يسبق إليه : شبه أرساغه فى غلظها ، وانحنائها ، وعدم الانقصاب فيها ، برقاب وعول قد مدتها لشرب الماء^(٢) . وهذا البيت من شواهد أدب الكاتب^(٣) قال : « وَيُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ الْأَرْسَاغُ غِلَاطًا يَابَسَةً » . وأشد هذا البيت .

وقوله : (كَأَنَّ حَوَامِيَهُ .. الخ) الحوامى : جمع حامية بالحاء المهملة ، وهى ما فوق الحافر ، وقيل : هى ما عن يمين الحافر وشماله ، ولكل حافر حاميَّتان ، قال ابن قتيبة : هما عن يمين السنبك وشماله . والسنبك بالضم : طرف مقدم الحافر . و (تَخَضَّب) بدل من (تَكُنَّ) بدل اشتغال ، لاشتغال الخضاب على الكون . وهو من قبيل بدل الفعل من الفعل ، ولهذا ظهر الجزم . وكسر للقافية .

والحجارة : جمع حَجَر وهى الصخرة . والغَيْلُ ، بفتح الغين المعجمة : الماء الجارى على وجه الأرض . والرُّضْرَاة : الأرض الصلبة ، قال ابن السكيت

(١) هنا التفسير من المصباح اللئير .

(٢) قوله « وهذا البيت » ألخ اقتبسه البغدادى من ابن السيد فى الاقتضاب ٣٣٧ .

(٣) أدب الكاتب ص ٩٩ ط : التجارية ١٩٦٣ .

في أبيات المعاني : ورضاضة : أرضٌ مرصوفةٌ بحجارةٍ بالضاد المعجمة والمهملة قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ^(١) : ويستحب أن تكون الحوافر صلاباً غير نَقْدَةٍ — والنقد ، بالتحريك : أن تراها متقشرة — وتكون سوداً أو خضراً لا يبيض منها شيء ؛ لأنّ البياض فيها رقةٌ ^أ . شبه حوافره بحجارة مقيمة في ماء قليل . وذلك أصلبُ لها ، يقال للصخرة التي بعضها في الماء وبعضها خارج : أتان الضحل — والضحل : الماء القليل — وذلك النهايةُ في صلابتها . وإياها عني المتنبي بقوله :

أنا صخرةُ الوادي إذا ما زوَّجحتُ وإذا نطقتُ فإني الجوزاءُ ^(٢)

وإذا كانت جوانبُ الحوافر صلاباً على الوصف الذي ذكر ، وكانت سوداً أو خضراً ، فقد أديها أصلبُ وأشدُّ سواداً وخضرةً . وكثيرين ، بالبناء للمفعول من الكسوة . والتون ضمير الحجارة . والجملة حالٌ من ضمير الظرف ، أعنى قوله برضاضة . والطلاء بالكسر : كلُّ ما يطلى به ؛ وهو المفعول الثاني لكسا . يقال طليته به : أى لطحته به . والطحلب ، بضم اللام وفتحها مع ضم الطاء ، وتكسر أيضاً مع كسر الطاء ، وهو خضرة تلو الماء المزمين . وقد طحلب للماء فهو مطحلب بكسر اللام وفتحها .

قال ابن الشجري في المجلس الثالث من أماليه عند قول المسيّب بن عامر في مدح عمارة بن زياد العبسي :

كسيفِ الفرند العَضْبِ أخْلِصَ صقله تراوحهُ أيدي الرجال قيساما ^(٣)

(١) أدب الكاتب ص ١٠٠ ط : التجارة ١٩٦٣ . وفي لفظه بعض اختلاف

(٢) في ديوان المتنبي ١ : ١٢ : « فإني الجوزاء » .

(٣) في اللسختين : « كيف الفرند » و « ترى وجه أيدي » صوابها من أمالي

ابن الشجري ١ : ١٧ .

إنَّ قوله قِيَامًا ، نصب على الحال من الرجال . والحالُ من المضاف إليه قليلة ، ومن ذلك قولُ الجُنْدِيِّ :

* كَأَنَّ حَوَامِيَه مَدِيرًا *

نصب مديراً على الحال من الهاء . . . وأنشدوا في الحال من المضاف إليه قولَ تَابُطَ شَرًّا :

سَلَبْتُ سِلَاحِي بَائِسًا وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَاشِرَ سَالِبٍ
ولستُ أرى أَنَّ بَائِسًا حال من الباء في سِلَاحِي ، ولكنه عندى حالٌ من مفعول سَلَبْتُ المحذوف ، والتقدير : سَلَبْتَنِي بَائِسًا سِلَاحِي^(١) . ومثله قوله تعالى : (ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا^(٢)) وقوله تعالى : (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا^(٣)) أَي خَلَقْتُهُ ، وَبَعَثَهُ . وَإِنَّمَا وَجِبَ الْعُدُولُ إِلَى مَا قُلْنَا ، لِعِزَّةِ حَالِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ . فَإِذَا وَجِبَتْ مَدَوْحَةٌ وَجِبَ تَرْكُهَا . وَسَلَبَ يَنْعَدِي إِلَى مَفْعُولَيْنِ يَجُوزُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى أَحَدِهِمَا ، كَقَوْلِكَ : سَلَبْتُ زَيْدًا ثَوْبًا ؛ وَقَالُوا : سَلَبَ زَيْدٌ ثَوْبَهُ ، بِالرَّفْعِ عَلَى بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ ، وَثَوْبَهُ ، بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ ثَانٍ ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ (وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذِّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ^(٤)) فَيَجُوزُ عَلَى هَذَا أَنْ نَجْعَلَ بَائِسًا مَفْعُولًا ثَانِيًا بِتَقْدِيرِ حَذْفِ الْمَوْصُوفِ ، أَي سَلَبْتُ سِلَاحِي رَجُلًا بَائِسًا ، كَمَا تَقُولُ : لِنَعَامِلِينَ مَنِّي رَجُلًا مُنْصِفًا . وَمِمَّا جَاءَتْ الْحَالُ فِيهِ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ بَلْ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا^(٥)) قِيلَ : إِنَّ حَنِيفًا حَالٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ؛ وَأَوْجَهُ مِنْ ذَلِكَ ، عِنْدِي ، أَنْ تَجْعَلَهُ حَالًا مِنَ الْمِثْلَةِ

(١) بعده في الأمالي : « وجاء بالحال من المحذوف لأنه مقدر عنده منوى » .

(٢) الآية ١١ من سورة الدثر .

(٣) الآية ٤١ من سورة الفرقان .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الحج .

(٥) الآية ١٣٥ من سورة البقرة .

وإن خالفها بالتذكير ، لأنَّ الملة في معنى الدين ، ألا ترى أنَّها قد أبدلت من الدين في قوله تعالى : (دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ^(١)) فإذا جعلتَ حنيفاً حالاً من الملة ، فالناصب له هو الناصب للملة ، وتقديره : بل تتبَّع ملة إبراهيم حنيفاً . وإِنَّمَا أضمر تتبَّع لأنَّ ما حكاه الله عنهم من قولهم : (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ^(٢)) معناه اتَّبِعُوا اليهوديةَ أو النصرانية ؛ فقال لنبيه ﷺ : قلْ بَلْ تَتَّبِعُ مِْلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا . . وإِنَّمَا ضُفِّع مجيء الحال من المضاف إليه ، لأنَّ العامل في الحال ينبغي أن يكون هو العامل في ذى الحال . اه كلامه .

وقال أيضاً ، في المجلس الرابع والعشرين ^(٣) : وأما قوله مُدْبِرًا ، فحالٌ من الهاء ، والعامل على رأى أبى على ما تقدَّره في المضاف إليه من معنى الجار . يعنى أنَّ التقدير كَانَ حَوَامِيَّ ثَابِتَةً لَهُ مَدْبِرًا ، أو كائنة له . قال : ولا يجوز تقدُّيمُ هذه الحالِ ، لأنَّ العامل فيها معنى لا فعلٌ محض . قال : ولا يجوز أن يكون العاملُ ما في كَانَ مِنْ معنى الفعل ، لأنَّه إذا عمل في حالٍ لم يعمل في أخرى . يعنى أنَّ كَانَ قد عمل في موضع خُضِبْنَ النَّصَبَ على الحال ، فلا يعمل في قوله مدبراً . وهذا القول يدلُّ على أَنَّهُ يُجِيزُ أَنْ يَنْصَبَ حَالٌ للمضاف إليه العاملُ في المضاف . وإذا كان هذا جائزاً عنده ، فإنَّ جعلَ خُضِبْنَ خبرَ كَانَ فاعمالاً إذاً في مدبراً ما في كَانَ من معنى الفعل . وهذا إِنَّمَا يجوز إذا كان للمضاف ملتبساً بالمضاف إليه : كاللباس الحوامي بما هي له ؛ ولا يجوز في ضربت غلامَ هندٍ جالسةً ، أن تنصب جالسة بضربت ، لأنَّ الغلام غير ملتبس بهند كاللباس الحوامي بصاحبها . ولا يجوز عندى أن تنصب جالسة

(١) الآية ١٦١ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٣٥ من سورة البقرة .

(٣) أمالي ابن الشجري ١ : ١٥٧ .

بما قدّره من معنى اللام^(١) في المضاف إليه ، فكأنك قلت : ضربت غلاماً كأنّاه لهنديّ جالسةً ، لأنّ ذلك يوجب أن يكون الغلامُ لهنديّ في حال جلوسها خاصةً ، وهذا مستحيل . وكذلك قوله : كأنّ حواميّةً مُدبراً ، إن قدّرت فيه : حواميّ ثابتةً له مُدبراً ، وجب أن يكون الحواميّ له في حال إدباره دون حال إقباله . وهذا يوضح لك فساد إعمالك في هذه الحال معنى الجارّ للقدر في المضاف إليه . ولا يجوز إذن ضربت غلاماً هند جالسةً لذلك ، ولعدم التباس المضاف بالمضاف إليه . ونظير ما ذكرناه : من جواز مجيء الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف ملتبساً به ، قوله تعالى (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ^(٢)) أخبر بخاضعين عن المضاف إليه ؛ ولو أخبر عن المضاف لقال خاضعةً أو خضماً أو خواضع . وإنّا حسن ذلك ، لأنّ خضوع أصحاب الأعناق بخضوع أعناقهم . وقد قيل فيه غيرُ هذا ، وذلك ما جاء في التفسير من أنّ المراد بأعناقهم كبراؤهم . وقال أهل اللغة : أعناقهم : جماعتهم ، كقولك : جاءني عُقُق من الناس : أي جماعة . فالتعبير في هذين القولين عن الأعناق . وقوله : خَضِبْنِ^(٣) ، عند أبي عليّ في موضع نصب بأنّه حال من الحواميّ ، ولم يجعله خبر كأنّ لأنّه جعل خبرها قوله حجارةٌ غَئِيلٌ ، ولم يُجْزَ أن يكونا خبرين لكانّ : على حدّ قولهم هذا حلوةٌ حامضٌ ، أي قد جمع الطعنين ؛ قال : لأنّك لا تَجِدُ فيها أخبروا عنه بخبرين أن يكون أحدهما مفرداً والآخر جملة : لا تقول زيدٌ خرجَ عاقلٌ . والقول عندي : أن يكون موضعُ خَضِبْنِ رفعاً بأنّه خبر كأنّ ، وقوله حجارةٌ غَئِيلٌ خبر مبتدأٌ محذوفٌ ، أي هي حجارةٌ غَئِيلٌ ، وأداة التشبيه محذوفةٌ ، كما قال^(٤) :

(١) س : « الكلام » صوابه في ط وأمالى ابن السجري .

(٢) الآية ٤ من سورة الشعراء .

(٣) هذا الكلام في الأمالى متقدم على الكلام السابق ، أي في ١ : ١٥٦ .

(٤) هو النابتة ديوانه ٦٤ واللسان (كرر ٤٥٢ كعدن ٢٣٧ أضاً ٤٠) .

* فمن إضاء صافيات الغلائل ^(١) *

أى مثل إضاء، والإضاء: النُفُوران، واحدها أضاءة ^(٢) فَعَلَة جُمِعَتْ على فِعَال، كَرَقَبَة وَرِقَاب: شَبَّة الدروع في صَفائها بالنُفُوران.

و (النابة الجعدى) كنيته أبو ليلي، وهو كما في الاستيعاب: قيس النابة الجعدى ابن عبد الله. وقيل: حيان ^(٣) بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عُدَس ابن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقيل: اسمه حيان بن قيس بن عبد الله بن وَخُوح بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدَة. وإنما قيل له النابة، لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام مدّة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فيه فقال: فسئى النابة. وهو أسن من النابة الذياني، لأن الذياني كان مع النعمان بن المنذر، وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر ابن محرق، وقد أدرك النابة الجعدى المنذر بن محرق ونادمه. ذكر عمر ابن شبة أنه عمّ مائة وعثمانين سنة، وأنه أشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

لبست أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أنلى أناساً
ثلاثة أهليين أفنيتهم وكان الإله هو المستأسأ

فقال له عمر: كم لبنت مع كل أهل؟ قال: ستين سنة.

وقال ابن قتيبة ^(٤): عمر الجعدى مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان.

(١) صدره: * علي بن بكديون وأبطن كرمه *

(٢) ط: « أضاءة » صوابه في سه وأمالى ابن الشعري.

(٣) في الإصابة والاستيعاب ٤: ١٥١٤: « حيان » وفي إحدى نسخ الاستيعاب:

« حيان » وفي الأغاني ٤: ١٢٧: « حسان ».

(٤) في الشعر والشراء ٢٤٨ — ٢٤٩.

ولا يدفع هذا مامراً ، فإنه أفنى ثلاثة قرون في مائة وثمانين سنة ، ثم عمر
إلى زمن ابن الزبير وبعده .

والبيتان من قصيدة سينية . والمستأس : المستعاض ، مُستَعْل من الأوس ،
والأوس : العطية عوضاً . وبعدها :

وَعِشْتُ بِعَيْشَيْنِ ، إِنَّ الْمَنُو ن تَلَقَى الْمَعِيشَ فِيهَا خَسَا
فَإِنِّي أَصَادِفُ غِرَاتِهَا وَحِينَ أَصَادِفُ مِنْهَا شِمَا
شَهْدَتُهُمْ لَا أَرْجَى الْحَيَا ةَ حَتَّى تَسَاقُوا بِسِرِّ كَثَا^(١)
وهو جمع كأس .

٥١٣

قال السجستاني في كتاب للممرين^(٢) : وقال حين وفّت له مائة واثنتا
عشرة سنة :

مَضَتْ مِائَةٌ لِمَامٍ وُلِدَتْ فِيهِ وَعِشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ
فَأَبْقَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنِّي كَمَا أَبْقَى مِنَ السِّيفِ الْيَمَانِي
تَفَلَّلَ وَهُوَ مَأْتُورٌ جُرَاز إِذَا جُمِعَتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ^(٣)
أَلَا زَعَمْتُ بَنُو كَعْبٍ بَأَنِّي - أَلَا كَذَبُوا كَبِيرُ السَّنِّ قَائِي^(٤)
فَمَنْ يَحْرُسُ عَلَى كِبَرِي فَأَنِّي مِنَ الْفَتَيَانِ أَزْمَانِ الْخُنَانِ
الْخُنَانُ : مَرَضٌ أَصَابَ النَّاسَ فِي أَنْوْفِهِمْ وَخُلُوقِهِمْ ، وَرَبَّمَا أَخَذَ النَّعَمَ ،
وَرَبَّمَا قَتَلَ هـ . وَهُوَ بَضْمُ الْخَلَاءِ الْمَعْجِمَةِ وَبَعْدَهَا نُونٌ مَخْفُفَةٌ ، فِي الْقَامُوسِ :

(١) السر : الرماح . وروى : « بسم » كما في حواشي الشعراء .

(٢) الممرين ٦٥ .

(٣) ط : « وهو عاتور » صوابه في الممرين وسه مع أثر نصحيح وأمالى المرتضى

٢٦٤ : ١ .

(٤) في الإصابة : « بنو أسد بأنى أبو ولد » .

والتُخنان ، كخراب : زكّام الإبل ؛ وزمن التُخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء وماتت الإبل منه^(١) .

ووفد الجعدى على النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً ، وأنشده ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أوّل ما أنشده قوله في قصيدته الرائية^(٢) :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهَدَى وَيَسْلُو كِتَابًا كَالْجُرَّةِ نَيْرًا
وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أَحْسُ وَمَنْ مَعِيَ سُهَيْلًا ، إِذَا مَا لَاحِ ثُمْتُ غَوْرًا^(٣)
أَقِمْ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفِعْلِهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْخَوْفَةَ أَحْذَرًا
إِلَى أَنْ قَالَ :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَعُوذُ خَيْلَنَا ، إِذَا مَا التَّقِينَا ، أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفِرَا
وَنُسْكِرَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطُّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرًا^(٤)
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صَحَاحًا ، وَلَا مُسْتَنْكَرًا أَنْ تُعَقِّرَا
بَلَقْنَا السَّيْلَ مَجْدُنَا وَسَنَاوْنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا^(٥)
وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَرَادٍ :

عَلَوْنَا عَلَى طُرِّ الْعِبَادِ تَكْرُمًا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(١) فِي الْأَثْنَانِ ٤ : ١٢٨ : « سئل محمد بن حبيب عن أيام التُخنان : ما هي ؟ فقال : وقمة لهم ، فقال قائل منهم وقد لقوا عدوم : خنوم بالراح ! فسمى ذلك العام بالتُخنان » .
(٢) هي في ديوانه ٧٠ - ٧٦ وجمهرة القرشي ١٤٥ - ١٤٨ وهي أولى المشبوبات .
ورويت أيضا في الاستيعاب ٤ : ١٥١٥ - ١٥١٦ واللائق ٢٤٧ ، ٧٧٢ وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٧ .

(٣) فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى : « ثُمَّ تَفَرُّوا » .

(٤) فِي الْإِصَابَةِ وَالْأَمَالِي : « نَحْسِبُ » بِالْتَّوْنِ .

(٥) الْأَثْنَانِ وَالْإِصَابَةُ : « مَجْدُنَا وَجَدودُنَا » وَفِي الْجُمُحَةِ :

« بَلَقْنَا السَّيْلَ مَجْدًا وَجُودًا وَسُودَدًا » .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى ! فقال : إلى الجنة !
فقال : نعم إن شاء الله !

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادٍ تحمى صفوه أن يكدرها
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك ! فكان من
أحسن الناس ثمرأ ؛ وكان إذا سقطت له ثنية نبتت ، وكان فوه كالبرد^(١)
للمهمل يتلأأ ويبرق .

وهذه القصيدة طويلة : نحو مائتي بيت ؛ وأنشد جميعها للنبي صلى الله
عليه وسلم وأولها :

خَلِيلِي غَضًا سَاعَةً وَتَهَجَّرًا^(٢) ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
وهي من أحسن ما قيل من الشعر في الفخر بالشجاعة ، سباطة ، ونقاوة ،
وحلاوة . ومنها :

تَذَكَّرْتُ وَالذَّكْرَى تَهِيجٌ عَلَى الْفَتَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمُحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْدَرِ بْنِ مُحَرَّقٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مَقْفِرًا^(٣)
تَقَضَّى زَمَانُ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَلَمْ يَنْقُضِ الشَّوْقُ الَّذِي كَانَ أَكْثَرَا
وإِنِّي لَأَسْتَشْفِي بِرُؤْيَا جَارِهَا إِذَا مَا لِقَاؤُهَا عَلَى تَعْدَرَا
وَأَلْقَى عَلَى جِيرَانِهَا مَسْحَةَ الْهَوَى وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا لِي قَبِيلًا وَمَعْشَرَا

(١) س : « كالبرد » .

(٢) وروى : « هوجا ساعة » .

(٣) ط : « عبد المنذر » ، صوابه في س وسائر المراجع .

تَرَدَّيْتُ ثَوْبَ الذَّلِّ يَوْمَ لَقَيْتُهَا وَكَانَ رِدَائِي نَجْوَةً وَتَجْبِرًا^(١)
 حَسْبُنَا زَمَانًا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٍ لَيْلَى إِذْ نَفَزُوا جُدَامًا وَحَمِيرًا^(٢)
 إِلَى أَنْ لَقِينَا الْحَيَّ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا دَارِعِينَ وَحُسْرًا
 فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ : بَعْضُهُ بَعْضٌ ، أَثَبَّ عِيدَانَهُ أَنْ تَكْسُرَا
 سَقِينَاهُمْ كَأَسَا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّا كُنَّا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبِرًا

قال عمر بن شبة : كان النابغة الجعدي شاعراً مقدماً ، إلا أنه كان إذا
 هاجى غلب ، وقد هاجى أوس بن مخرّاء ، ولبى الأخيلية ، وكعب
 ابن جعيل ، فغلبوه — وهو أشعر منهم — مراراً . ليس فيهم من يقرب منه .
 وكان قد خرج مع علي رضي الله عنه إلى صفين ، فكتب معاوية إلى مروان ،
 فأخذ أهل النابغة وماله ، فدخل النابغة على معاوية ، وعنده مروان وعبيد الله
 ابن مروان^(٣) ، فأنشده :

مَنْ رَاكَ يَأْتِي ابْنَ هَنْدٍ بِحَاجِي عَلَى النَّأْيِ وَالْأَنْبَاءِ تَنْسَى وَتُجَلِّبُ
 وَيُخْبِرُ عَنِّي مَا أَقُولُ ابْنَ عَامِرٍ وَنِعَمَ الْفَقَى يَاوَى إِلَيْهِ لِلْعَصَبِ
 فَإِنْ تَأْخَذُوا أَهْلِي وَمَالِي يَظُنُّ فَإِنِّي لِأَحْرَارِ الرِّجَالِ بِمَجْرَبٍ^(٤)
 صَبُورٌ عَلَى مَا يَسْكُرُهُ الْمَرْءُ كُلُّهُ سِوَى الظُّلَمِ ، إِنِّي إِنْ ظَلِمْتُ سَأَغْضِبُ

(١) ط : « نجوة وتجبيرا » صوابه في سـ والديوان .

(٢) البيت وما بعده إلى آخر الأبيات في ديوانه ، ولم يذكر في جهرة القرشي .
 ورواها أبو تمام في الحماسة ١٥٥ — ١٥٦ بشرح المزدوق منسوبة إلى زفر
 ابن الحارث الكلابي .

(٣) في النسختين : « وعبيد الله بن مروان » وجعلها الشنقيطي في نسخته « وعبيد الله »

ابن عامر ، مطابقا ما في الأغاني ٤ : ١٣٨ .

(٤) الأغاني : « فاني لأحراب الرجال » .

فالتفت معاوية إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن لا تردّ عليه شيئاً ! فقال : ما أهون عليك أن يقطع على عرضي ثم ترويه العرب ! أما والله إن كنت لمعن يرويه ! أردد عليه كل شيء أخذته . . ثم أقحمته سنة ، فدخل على ابن الزبير في المسجد الحرام يستجديه — ومدحه بأبيات — فأعطاه من بيت المال قلائص سبعة ، وفرساً رجيلًا : وأقر له الركاب برّاً وتمراً وثياباً .

وفي تاريخ الإسلام للذهبي : أن النابغة قال هذه الأبيات (١) :

المرو بهوى أن يعيش ، وطول عمرٍ قد يضره
وتتابع الأيام حتى ما يرى شيئاً يسره
تبقى بشاشته ويبقى بعد حلّ العيش مره

ثم دخل بيته فلم يخرج منه حتى مات .

وفي الاستيعاب : كان النابغة يذكر في الجاهلية دين إبراهيم والخنيقية ، ويصوم ، ويستغفر — فيما ذكروا — وقال في الجاهلية كلمته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلاماً (٢)

وفيه ضروب من دلائل التوحيد ، والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار ، وصفة بعض ذلك : على نحو شعر أمية بن أبي الصلت . وقد قيل إن هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت ، ولكنه قد صححه يونس بن حبيب ، وحماد

٥١٥

(١) وكذا في حاسة البعثرى ١٣٦ ومجموعة المعاني ١٢٥ وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٦ .
ونسب إلى النابغة الديباني في الشعراء ١١١ ومقدمة جهرة القرشي ٢٨ .
(٢) انظر قصيدة البيت في الشعراء ٢٥٣ والديوان ١٣٢ والخزانة ٤ : ٤ .

الراوية؛ ومحمد بن سلام ، وعلى بن سليمان الأخفش ، للناطقة الجمدي .

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائة^(١) :

١٨٧ (عَوْذٌ وَبُهْثَةٌ حَاشِدُونَ ، عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ)

على أنه قد جاء فيه الحال من المضاف إليه : كالبيت الذي قبله . أعنى قوله مضاعفاً حال من الحديد .

قال أبو علي في المسائل الشيرازيات : قد جاء الحال من المضاف إليه في نحو ما أشده أبو زيد .

عَوْذٌ وَبُهْثَةٌ حَاشِدُونَ ، عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ

انتهى كلامه . قال ابن الشجري ، في المجلس السادس والسبعين ، في أماليه : الوجه في هذا البيت فيما أراه ، أن مضاعفاً حالاً من الحلق لا من الحديد ، لأمرين : أحدهما أنه إذا أمكن مجيء الحال من المضاف كان أولى من مجيئها من المضاف إليه ، ولا مانع في البيت من كون مضاعفاً حالاً من الحلق ، لأننا نقول : حلقٌ محكمٌ ومحكمة . والآخر أن وصف الحلق بالمضاعف أشبه ، كما قال المتنبي :

أَقْبَلْتَ تَيْسِمُ وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ يَخْبُبْنَ بِالْحَلَقِ الْمُضَاعَفِ وَالْقَنَا

ويجوز أن يجعل مضاعفاً حالاً من المضمر في يتلهب ، ويتلهب في موضع الحال من الحلق ؛ فكأنه قال : عليهم حلقُ الحديدِ يتلهبُ مضاعفاً .

(١) انظر أمالي ابن الشجري ١ : ٢/١٦٧ : ٣٢٧ والمجم ١ : ٢٤٠ ونوادر

أبي زيد ١١٣ .

وقال في المجلس الخامس والعشرين مثل هذا ، ثم قال : ويتوجه ضعف ما قاله من جهة أخرى : وذلك أنه لا عامل له في هذه الحال ، إذا كانت من الحديد ، إلا ما قدره في الكلام من معنى الفعل بالإضافة . وذلك قوله : ألا ترى أنه لا تخلو بالإضافة من أن تكون بمعنى اللام أو من . وأقول : إن مضاعفاً في الحقيقة إنما هو حال من الذكر المستكن في عليهم ، إن رفعت الحلق بالابتداء ؛ فإن رفعته بالظرف على قول الأخفش والكوفيين فالحال منه ، لأن الظرف حينئذ يخلو من ذكره .

و (عوذ) بفتح اللهملة وآخره ذال معجمة ، هو عوذ بن غالب بن قتيعة — بالتصغير — ابن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان . و (بُهْثَة) بضم للموحدة ، وهو بُهْثَة بن عبد الله بن غطفان . فبُهْثَة ابن عم بغيض . وغطفان هو ابن سعد بن قيس عيلان بن مضر ، كذا في جمهرة الأنساب لابن الكلبي .

و (حلق الحديد) قال صاحب العباب : الحلقة بالتسكين : الدرع ، والجمع الحلق بفتحين على غير قياس ، وقال الأصمى : حلق بالكسر مثل بدرة وبدر ، وقصة وقصع . وفي المصباح . الحلقة : السلاح كله . ثم أورد الجمع مثل ما أورده صاحب العباب ، وقال : وحكى يونس عن أبي عمرو بن العلاء أن الحلقة بالفتح لغة في السكون ؛ وعلى هذا فالجمع يحذف الهاء قياساً مثل قصبة وقصب . وجمع ابن السراج بينهما وقال : فقالوا حلق ثم خففوا الواحد حين الحقوه الزيادة ، وغير المعنى . قال : وهذا لفظ سيوي . وأما حلقة الباب ، فقد قال صاحب العباب والمصباح : هي بالسكون أيضاً ، تكون من حديد وغيره ؛ وحلقة القوم كذلك ، وهم الذين يجتمعون مستديرين . وقال صاحب العباب : قال الفراء في نوادره : الحلقة بكسر اللام لغة بلحارث بن كعب ، في الحلقة بالسكون والحلقة بالفتح قال ابن السكيت : سمعت أبا عمرو الشيباني

يقول : ليس في كلام العرب حَلَقَةٌ بالتحريك ، إلا في قولهم : هؤلاء حَلَقَةٌ ،
للذين يخلقون الشعر جمع حالق ١٥ .

فقول الشاعر : حلق الحديد ، المراد من الحلق الدروع ، سواء كسرت
الحاء أو فتحت . وإضافتها إلى الحديد كقولهم : خاتمُ فضة ، وثوبُ خَزْ .
فالمضاعف لا يكون حالاً إلا من ضمير الحلق للمستقر في الجار والمجرور
الواقعين خبراً ، أو من الحلق على مذهب سيبويه : من تجوز به مجيء الحال
من المبتدأ ، أو من ضمير يتلَبَّب . ولا يصح أن يكون حالاً من الحديد إذ
لا معنى له . فتأمل . وأيضاً الدرع للمضاعفة هي للنسوجة حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ ،
قيل : ويجوز أن يراد بالمضاعفة درع فوق أخرى . و (يتلَبَّب) : يشتعل ،
استعير للمعانى . و (الحشد) يكون لازماً ومتعدّياً ، يقال حشد القوم ، من
باب قتل وضرب : إذا اجتمعوا . وحشدتهم : أى جمعهم .

وهذا البيت من أبيات يزيد الفوارس ، أوردها أبو محمد الأعرابي
في كتاب ضالة الأديب . وهى :

(دَلَّهْتُ أَنْ لَمْ تَسْأَلِ أَىْ أَمْرِ)	بَلَوَى النِّعْمَةَ إِذْ رَجَاكَ غَيْبٌ
إِذْ جَاءَ يَوْمٌ ضَوْوَهُ كظَلَامِهِ	بَادَى الْكَوَاكِبِ مُقْمَطِرٌ أَشْهَبُ
عَوْدٌ وَبُهْتَةٌ حَاشِدُونَ عَلَيْهِمْ	حَلَقُ الْحَدِيدِ مَضَاعِفًا يَتَلَبَّبُ
وَلَوْ تَكَبَّهْمُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُمْ	أَثَلٌ جَافَتْ أَصُولُهُ أَوْ أَنَابُ
لَدَغْدُودَةٍ حَتَّى أَغَاثَ شَرِيدُهُمْ	جَوْ الْعِشَارَةِ فَالْعَيُونُ فَرُتِبُ
فَتَرَكْتُ زُرًّا فِي الْغُبَارِ كَأَنَّهُ	بَشَقِيَّتِي قَدَمِيَّةٌ مُتَلَبَّبُ

قال أبو محمد الأعرابي : كان سبب هذه الأبيات ، أنه أغار زُرٌّ بن ثعلبة
أحدُ بنى عَوْدٍ بن غالب بن قطيمة بن عَبَسَ ، فى بنى عَبَسَ وعبدِ الله بن غطفان ؛

فأصابوا نهماً لبني بكر بن سعد بن ضبة ، فطردوها . فأتاهم الصريح ، ورئيسهم يومئذ زيد الفوارس ، حتى أدركوهم بالنقيعة تحت الليل ؛ فقتلوا زراً ، والجند^(١) بن تيجان^(٢) من بني مخزوم ، وابن أزنم من بني عبد الله بن غطفان . فقال زيد الفوارس هذه الآيات في ذلك ا هـ .

قوله : دلّيت بالبناء للمفعول وخطاب المؤنثة ، من التدليه^(٣) وهو ذهاب العقل من هم وعشق ونحوه . دعاه عليها أن لم تسأل عنه^(٤) أى فارس كان هناك ؛ وأى امرئ أخبر مبتدأ محذوف ، أى أنا ؛ ويجوز نصبه على أنه خبر كان المحذوفة مع اسمها ، أى أى امرئ كنت ، وبها يتعلّق الظرفان . وإذ الثانية بدل من إذ الأولى . والنقيعة ، بالنون : موضع بين بلاد بني سليط وضبة . والوى : ما التوى من الرمل . ويوم مُقطّر : مشدّد ، اقطر أى اشتدّ . وأشهب : من الشبهة ، وهو بياض يصدّعه سواد . وقوله : ولّوا تكبّهم الخ ، ولّوا : أدبروا ، وجملة تكبّهم حال من الواو ، كبّه : قلبه وصرّعه . والرماح : جمع رمح وجأفت الشجرة ، بعد الجيم همزة : أى قلعتها . والآثاب بالمثلثة كجعفر : شجر ، الواحدة أثابة . والشريد : الطريد المهزوم ، وهو مفعول . وجوّ العشارة فاعله ، وهو موضع ، وكذلك العيون . وزنقب بالزاي والنون والقاف . وقوله : بشقيقتي قُدّمية ، هو مثني شقيقة ؛ والشقيقة كل ما انشقّ نصفين وكلّ منهما شقيقة ؛ أى كأنه ملفوف بشقّي ثوب قُدّمية . وقُدّم بضم القاف وفتح الدال : حى بالين ، وموضع تُصنّع فيه ثيابٌ حُرّ . ومتلبّب ،

٥١٧

(١) ط : « والجند » .

(٢) كذا . والمعروف « تيجان » بإلحاء المهلة .

(٣) فى النسختين : « من التدلّة » وصحها الشنيطي بما أثبت .

(٤) ط : « تسأل عنه » صوابه من هـ .

من تَلَبَّبَ بثوبه : إذا التَفَّ به وتشمَّر . ولَبَّبته تَلْيِيْباً إذا جمعت ثيابه عند
نحره في الخصومة ثم جرَّرتَه .

وزيدُ الفوارسِ هو ابنُ حُصَيْنٍ بنِ ضِرَارٍ الضُّبِّيِّ وهو جاهليٌّ . وذكره زيد الفوارس
الأمديُّ في المؤتلف والمختلف ، ولم يرفعْ نسبةً ، ولا ذكر له شيئاً من شعره .
وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبي : زيد الفوارس بن حُصَيْن بنِ ضِرَار بن
عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بَجَالَةَ بن ذُهَل بن مالك بن بكر بن سعد
ابن ضَبَّة بن أَد بن طابخة بن إلياس بن مَضَرَ بن نزار بن معد بن عدنان .
وضرار بن عمرو وكان يقال له : « الرَّدِيم » لأنه كان إذا وقف في الحرب رَدَمَ
ناحيته — أي سدَّها — وطالت رياسته ، وشهد يومَ القُرْنَتَيْن ، ومعه ثمانية
عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيدُ الفوارسِ كان فارسهم . ولهذا قيل له :
زيدُ الفوارس .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائة^(١) :

١٨٨ (وإنَّا سوفَ تَدْرِكُنَا المنيا مُقدَّرَةٌ لنا ، ومقدَّرينا)

على أنه يجوزُ عطفُ أحدِ حَالِي الفاعل والمفعول على الآخر ، كما في هذا
البيت : فإنَّ (مقدَّرَة) حالٌ من الفاعل ، وهو (المنيا) ، و (مقدَّرينا)
حالٌ من المفعول ، أعني ضميرَ المتكلم مع الغير . أي تدرِكنا المنيا في حال
كوننا مقدَّرين لأوقاتها وكونها مقدَّرَة لنا .

و (المنيا) : جمع منية وهي الموت ، وسمي منيةً لأنه مقدَّر ، من مَنَى له
أي قدر ، قال أبو قِلَابَةَ الهذلي :

(١) لم أجد من استشهد به غيره .

فلا تقولن لشيء سوف أفعله حتى تلاقى ما يئني لك الماني^(١)
أى ما يقدر لك القادر .

وهذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي . وهذا مطلعها :
(ألا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تَبْقَى حُورَ الْأَنْدَرِينَا
مَشْغُوعَةً كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
تَجَوَّرُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ ، إِذَا مَا ذَاقَهَا ، حَتَّى يَلِينَا ؟
تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيجَ ، إِذَا أُمِرْتُ عَلَيْهِ ، لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا ؟
صَدَدَتِ الْكَأْسُ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو ، وَكَانَ الْكَأْسُ تَجَرَّاهَا الْيَمِينَا ؟
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ ، أُمَّ عَمْرٍو ، بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا !
وإنَّا سوفَ تدركنا المنايا البيت)

ألا : حرفٌ يفتتح به الكلام ، ومعناه التنبيه . وهُبِّي : معناه قومي من نومك ، يقال : هبَّ من نومه يهْبُ هبًّا ، إذا انتبه وقام من موضعه . والصَّحْنُ : القدح الواسع الضخم . وقوله : فاصبحينا ، أى اسقينا الصُّبُوح وهو شُرب الغداة يقال : صَبَحَهُ بِالْخَفِيفِ صَبْحًا بِالْفَتْح . وَالْأَنْدَرِينَ : قرية بالشام كثيرة الحر ، وقيل : هو أندر ، ثم جمعه بما حوَّالیه ، وقيل : هو أندرون . وفيه لغتان ، منهم من يُعربه إعراب جمع المذكر السالم ، ومنهم من يُيزمه الياء ويجعل الإعراب على النون ، وقال الزجاج : يجوز مع هذا لزوم الواو أيضاً .

٥١٨

وقوله : مشععة كأنَّ الخ ، المشععة : الرقيقة من العصر أو من المزاج ،

(١) وكذا في اللسان (مى) . وروى في شرح أشعار الهذليين ٧١٢ وديوان الهذليين ٣ : ٣٩ : « ما يئني لك الماني » ، ووردت نسبته أيضاً إلى سويد بن عامر المصطلق في اللسان .

يقال: شَعَشِعَ كَأْسَكَ: أى صَبَّ فيها ماءً، منصوبٌ على أنه مفعول اصْبَحِينَا، أى اسْقِينَا ممزوجةً، وقيل: حالٌ من خورٍ، وقيل بدل منها. والخَصُّ، بضمّ المهملة: الورس وهو نبت أصفر يكون باليمن، وقيل هو الزعفران. وقوله: سخينا قال أبو عمرو الشيباني: كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء ثم يمزجونها به فهو على هذا حالٌ من الماء. وقيل: هو صفةٌ موصوفٍ محذوف، أى فاصبِحينا شَرَابًا سخينًا. وفيه نظر. وقيل: سَخِينَا فِعْلٌ: أى جَدَدْنَا، يقال سَخِيَ يَسْخَى، من باب تعب، والفاعل سَخٍ، وفيه لفتان آخران: إحداهما سَخَا يَسْخُو فهو ساخٍ من باب علا، والثانية سَخُو يَسْخُو مثل قرب يقرب سَخَاوةً فهو سَخِيٌّ. ويروى: (سَخِينًا) بالشين المعجمة، أى إذا خالطها الماء مملوءةً به، والشَّحْنُ: المَلءُ، والفعل من باب نفع، والشَّحِينَ بمعنى المشحون.

وقوله: تجور بذى اللبانة الخ، من الجور وهو العدول. واللَّبَانَةُ: الحاجة يَمْدَحُ الخمر ويقول: تَعْدِلُ بصاحب الحاجة عن حاجته وهواه إذا ذاقها حتى يَلِين. أى هى تُنسى الهموم والحوائج أصحابها، فإذا شربوها لَانُوا ونَسُوا أحزانهم وحوائجهم.

وقوله: ترى اللّجَز الخ، اللّجَز يفتح اللام وكسر المهملة وآخره زاي معجمة: الضيق البخل، وقيل: هو السيء الخلق اللثيم. وقوله: إذا أُمِرَّت عليه، أى أُدِيرت الكأسُ عليه. والمعنى: أن الخمر إذا كثر دَوْرانُها عليه أهان ماله وجاد به.

وقوله: صددتِ الكأسَ عَنَّا الخ، أى صرفتِ الكأسَ عَنَّا إلى غيرنا. وهذا البيت من شواهد سيبويه^(١) على أن قوله اليمين نصب على الظرف.

(١) فى كتابه ١: ١١٣، ٢٠١٠.

وفيه أربعة أوجه : أحدها أن يكون مجراها بدلاً من الكأس وهو مصدر لا مكان واليمين ظرف خبر كان . الثاني : أن اليمين خبر كان ، لا ظرف ، لكن على حذف مضاف أى تجرى اليمين . الثالث : مجراها مبتدأ ، واليمين ظرف خبره ، والجملة خبر كان : الرابع : أن يجعل المجرى مكاناً بدلاً من الكأس ، واليمين خبر كان ، لا ظرف . وأم عمرو ، منادى . قال ابن خلف : هي أم الشاعر ، وكان هو جالساً مع أبيه وأبي أمه ، وكانت تسقى أباه وزوجها وتعرض عنه استصغاراً له ؛ فقال لها : إذا سقيت إنساناً كأساً اجعلي الكأس بعده للذى على يمينه حتى ينتضى الدور ، ولا ينبغي أن تحقرينى ، فلست بشراً الثلاثة ! يعنى نفسه وأباه وأباه . وهذا بعيد .

قال شراح المعلقات : وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو ابن أخت جذية الأبرش^(١) : وذلك أنه لما وجده مائك وعقيل^(٢) فى البرية ، وكانا يشربان ، وأم عمرو هذه تصد عن الكأس ، فلما قال هذا الشعر سقياه وحملاه إلى خاله جذية . وله خبر طويل مشهور .

وقوله : (وإنا سوف تدركنا) الخ ، معنى هذا البيت فى اتصاله بما قبله ، أنه لما قال لها هي بصحنك ، حنّها على ذلك . وللمعنى : فاصبحينا من قبل حضور الأجل ، فإن الموت مقدر لنا ونحن مقدرون له .

وهذه القصيدة أنشدّها عمرو بن كلثوم ، فى حضرة الملك عمرو بن هند — وهو ابن المنذر — وهند أمه ، ارتجالاً ، يذكر فيها أيام بنى تغلب

(١) انظر رسالة الفران ١٨١ — ١٨٢ والعمدة ٢ : ٢١٧ .

(٢) هما نديما جذية اللذان ضرب المثل بهما فى امتداد الصعبة وطول المتابعة . ولم وجداً عمراً بالبرية وكان قد استهوته الجن فيها زعموا . رداه إلى جذية ، فأثابهما فى ذلك بصحبته ، فزماه أربعين عاماً حتى ضرب الدهر بينهما . انظر ثمار القلوب ١٤٣

ويفتخر بهم . وأنشد أيضاً عند الملك يومئذ ، الحارث بن حِزَّة قصيدته التي أولها :

* آذنتنا بينها أسماء *

وتقدّمت حكايتها^(١) . قال معاوية بن أبي سفيان : قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حِزَّة ، من مفاخر العرب ، كانتا معلّقتين بالكعبة دهرًا .

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(٢) : قصيدة عمرو بن كلثوم من جيّد شعر العرب ، وإحدى السبع . ولشغف تغلب بها قال بعض الشعراء :

ألهى بنى تغلب عن كلِّ مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم^(٣)
يفاخرون بها مذ كان أولهم يال للرجال لشعر غير مسنوم^(٤)

وكان سبب هذه القصيدة ما رواه أبو عمرو الشيباني ، قال : كانت بنو تغلب بن وائل من أشدّ الناس في الجاهلية . وقالوا : لو أبطل الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس . ويقال : جاء ناسٌ من بنى تغلب إلى بكر بن وائل يستسقونهم ، فطردتهم بكرٌ ، للحقد الذي كان بينهم ، فرجعوا ، فمات منهم سبعون رجلاً عطشاً . ثم إن بنى تغلب اجتمعوا لحرب بكر بن وائل ، واستعدّت لهم بكر ، حتّى إذا التقوا كرهوا الحرب ، وخافوا أن تعود الحرب بينهم

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٢٥ وما بعدها

(٢) الشعر والشعراء ١٨٨ .

(٣) - فقط : « نكرمة » .

(٤) الشعر للوج التفلي ، وهو قيس بن زمام بن سلة بن قيس بن النعمان ، وهو ابن أخت القطامي . لتؤتلف ١٨٧ ومعمم الرزباني ٧٨ . وقصيدته بكاملها في ديوان عمرو بن كلثوم ص ٢١ ، وفي الأغاني ٩ : ١٧٦ أن الشعر لبعض شعراء بكر بن وائل وانظر البيان ٤ : ٤١ .

كما كانت ؛ فداء بعضهم بعضاً إلى الصلح ، فتحاكموا إلى الملك عمرو بن هند ، فقال عمرو : ما كنت لأحكم بينكما حتى تأتوني بسبعين رجلاً من أشراف بكر بن وائل ، فأجعلهم في وثاقٍ عندي ، فإن كان الحق لبني تغلب دفعتم إليهم ، وإن لم يكن لهم حقٌ خلّيتُ سبيلهم . ففعلوا ، وتواعدوا ليومٍ بعينه يجتمعون فيه . فجاءت تغلبُ في ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم ، حتى جلس إلى الملك . وقال الحارث بن حِزْزة لقومه ، وهو رئيس بكر بن وائل : إني قد قلت قصيدةً فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه ؛ فرواها ناساً منهم ، فلما قاموا بين يديه لم يرضهم ، فحين علم أنه لا يقوم بها أحداً مقامه قال لهم : والله إني لأكره أن آتيَ للملك فيكلمني من وراء سبعة سُتور ، وينضح أثرى بالماء إذا انصرفتُ عنه — وذلك لبرص كان به — غير أنني لا أرى أحداً يقوم بها مقامى ، وأنا محتمل ذلك لكم . فانطلق حتى أتى الملك ؛ فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال للملك : أهذا يُنَاطِفينى وهو لا يُطِيق صدرَ راحلته ؟ فأجابه الملك حتى أخفه . وأنشد الحارثُ قصيدته :

* آذنتنا بينها أسماء *

وهو من وراء سبعة سُتور — وهند تسمع — فلما سمعتها قالت : تالله ما رأيتُ كالليوم قطُ رجلاً يقول مثلَ هذا القولِ يُكَلِّم من وراء سبعة سُتور ؛ فقال للملك : ارفعوا ستراً ودنا . فما زالت تقول ويرُفَعُ سِتْرُ فستر ، حتى صار مع الملك على مجلسه ، ثم أطعمه في جفنته ، وأمر أن لا ينضح أثره بالماء ، وجزءُ نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بكر ، ودفعها إلى الحارث ، وأمره أن لا ينشد قصيدته إلا متوضئاً . فلم تزل تلك النواصي في بني يشكر

بعد الحارث وهو [من ^(١)] ثعلبة بن غنم من بنى مالك بن ثعلبة . وأنشد قصيدته عمرو بن كلثوم . هكذا نقل الخطيب التبريزي عن أبي عمرو الشيباني . وهذا مخالف لما نقلناه عنه عند ذكر معلقة الحارث بن حلزة ^(٢) والله أعلم .

عمرو
ابن كلثوم

وعمره صاحب هذه المعلقة هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد ابن زهير بن جشم بن بكر بن حبيّ بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل . قال أبو عبيد البكري ، في شرح نوادر القالي ^(٣) ، عمرو بن كلثوم شاعر فارس جاهلي ، وهو أحد فتاك العرب ، وهو الذي فتك بعمرو بن هند . وكنيته أبو الأسود . وأخوه مرة هو الذي قتل المنذر بن النعمان . وأمه أسماء بنت مهلهل بن ربيعة . ولما تزوج مهلهل هنداً بنت عنبية ^(٤) ، ولدت له جارية ، فقال لأمتها : اقتلها وغيبها ! فلما نام هتف به هاتف يقول :

كَمْ مِنْ فَتَى مُؤْمَلٌ وَسَيِّدٍ شَمْرَدَكْ

وَعَدِدْ لَا يُجْهَلُ فِي بَطْنِ بَنْتِ مَهْلَلْ

فاستيقظ ، فقال : أين بنتي ؟ فقالت : قتلتها . فقال : لا ، وإله ربيعة ! وكان أوّل من حلف بها . ثم ربّاهَا وسَمّاها أسماء ، وقيل ليلي . وتزوجها كلثوم بن مالك . فلما حلت بعمرو أتاها آت في المنام فقال :

يَا لَكَ ، لَيْلَى ، مِنْ وَلَدٍ يُقَدِّمُ إِقْدَامَ الْأَسَدِ

(١) ط : « وهو ثعلبة » ، والتكلمة من ش وشرح التبريزي للقصائد العشر . على أن الذي من ثعلبة بن غنم ليس الحارث ، بل هو النعمان بن هرم زعيم بكر في ذلك اليوم . انظر مقدمة التبريزي على كل من معلقة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة .

(٢) الخزائن ١ : ص ٣٢٥

(٣) سبط اللائ ٦٣٥ .

(٤) في السبط : « هند بنت نعيم بن عتبة » .

مِنْ جُشْمٍ فِيهِ الْعَدَدُ أَقُولُ قَوْلًا لَا فَنَدٌ^(١)

فلما ولدت عمرًا أتانا ذلك الآتي فقال :

أَنَا زَعِيمٌ لَكَ ، أُمُّ عَمْرٍو بِمَاجِدِ الْجَدِّ كَرِيمِ النَّجْرِ^(٢)

أَشْجَعُ مِنْ ذِي لَبْتَرٍ هَزْبَرٍ وَقَاصِ أَقْرَانِ شَدِيدِ الْأَسْرِ

يَسُودُهُمْ فِي خَمْسَةِ وَعَشْرٍ

وكان كما قال ، سادهم وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سنة . ومات وهو ابن مائة

وخمسين سنة اه .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(٣) : عمرو بن كلثوم جاهلي قديم ،

وهو قاتلُ عمرو بن هند للملك . . وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات

يومٍ : هل تعلمون أحدًا من العرب تأنف أمه من خدمة أُمِّي ؟ قالوا : لا نعلمها ،

إلا ليلي أُمُّ عمرو بن كلثوم ! قال : ولم ذلك ؟ قالوا : لأنَّ أباهما مهلهلُ بن ربيعة ،

وعمَّها كليبُ وائلُ أعزُّ العرب ، وبعلمها كلثومُ بن مالك فارسُ العرب ،

وابنُها عمرو بن كلثوم سيّد من هو منه ! فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن

كلثوم يستزيه^(٤) ويسأله أن يزير أمه أمه . فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة

في جماعةٍ من بني تغلب ، وأقبلت ليلي في ظعنٍ من بني تغلب ، وأمر^(٥)

عمرو بن هند برؤاقه فضرب ما بين الحيرة والغرات ، وأرسل إلى وجوه أهل

مملكته ، فحضرُوا . ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ، ودخلت ليلي بنت مهلهل

(١) الفند : الكذب . في النسختين : « لا فند » وصحها الشنيطي في نسخته ،

مطابقا ما في السبط .

(٢) النجر : الأوص والأرومة . ط : « النحر » صوابه في ش والسبط .

(٣) الشعراء ١٨٥ — ١٨٨ .

(٤) ط : « ليستزيه » وأثبت ما في ش والشعراء .

(٥) ط : « وأمر » صوابه في ش والشعراء .

على هندٍ قُبَّتْهَا — وهند أم عمرو بن هند عمّة امرئ القيس الشاعر ، وليلى بنت مهلهل هى بنت أختى فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس — فدعا عمرو ابن هند بمائدة فنصبها ثم دعا بالطُرف . فقالت هند : يا ليلي ، ناوِلينى ذلك الطبق ! فقالت : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها ! فأعادت عليها . فلما ألحّت صاحت ليلي : واذّلاه ! يا لتغلب ! فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم ، فنار الدم في وجهه ، فقام إلى سيفٍ لعمرو بن هند معلق بالرواق — وليس هناك سيفٌ غيره — فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله ، ونادى فى بنى تغلب فاتهبوا جميعاً ما فى الرواق ، واستاقوا نجايبه ، وساروا نحو الجزيرة . . . وابنه عتّاب بن عمرو بن كلثوم قاتِلُ بشر بن عمرو بن عُدس . وأخوه مرّة ابن كلثوم قاتِلُ المنذر بن النعمان بن المنذر . ولذلك قال الأخطل :

٥٢١

أبني كليبٍ ، إن عمى اللذا قَتَلَا الملوكَ وفَكَّكَ الأغلالا
والله أعلم .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائة ^(١) :

١٨٩ (كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ سَفُودٌ شَرِبَ نَسْوَهُ عِنْدَ مُفْتَادٍ)
على أن (خارجاً) حالٌ من الفاعل المعنوى وهو الهاء . لأنّ اللغى يشبه خارجاً . وقد بيّنه الشارح المحقق .

وعامل الحال ما فى كَأَن من معنى الفعل ؛ قال أبو على الفارسيّ فى الإيضاح الشعرى — وقد أوردَ هذا البيت فى باب الحروف التى تتضمن معنى الفعل — :

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٧٥ وآمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٦ / ٢ : ٢٧٧
وديوان التائفة ٢٠ .

العامل في خارجاً ما في كَأَنَّ من معنى الفعل . فإن قلت : لم لا يكون العاملُ ما في الكلام من معنى التشبيه ، دون ما ذكرتَ مما في كَأَنَّ من معنى الفعل ؟ فالقول أن معنى التشبيه لا يمتنع انتصابُ الحال عنه ، نحو : زيد كهـمـرو مقبلاً ؛ إلا أن إعمالَ ذلك في البيت لا يستقيم ، لتقدم الحال ، وهى لا تتقدم على ما يعمل فيها من المعانى .

والهاء في (كَأَنَّهُ) عائدة على المِدرى المراد به قَرْنُ الثور . والضمير في (صفحته) راجعُ إلى ضَمْران وهو اسم كلب . و (السَّفود) خبر كَأَنَّ ، بفتح السين وتشديد الفاء المضمومة ، وهى الحديدية التى يُشوى بها الكباب . و (الشَّرْب) بالفتح : جمع شارب . ونسوه أى تركوه حتى نَضِجَ ما فيه . شبه قَرْنُ الثور النافذ في السكـب بسَفودٍ فيه شواء . والمفتَاد ، بفتح الهمزة قبل الدال : المشتوى ^(١) والمطبخ ؛ وهو محلُّ الفتَاد بسكون الهمزة ، وهو الطبخ والنضج ، سواء كان في قدر أو شواء ^(٢) . والمفتيد ، بكسر الهمزة : اسمُ فاعل ، وهو الذى يعمل العلة ؟ والفئيد ، على فعيل : كلُّ نارٍ يُشوى عليها .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة للناطقة الذبياني ، يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه فيها مما بلغه عنه . وقد بيّنا سببَ اعتذاره في ترجمته في الشاهد الرابع بعد المائة ^(٣) .

وهذه القصيدة أضافها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوى ^(٤)

(١) ط : « المستوى » صوابه في ش وشرح التبريزي للقصائد ،

(٢) ط : « قدراً أو إشواء » . والقدر بالفتح مصدر قدر بمعنى طبخ . والإشواء :

مصدر أشوى بمعنى شوى كما في المصباح

(٣) الخزائن ٢ : ص ١٣٠ وما بعدها

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى النحوى ، المعروف بابن النحاس ،

المتوفى سنة ٣٣٨ . وشرحه للمعلقات السبع منه نسخ بدار الكتب المصرية .

إلى المعلقات السبع ، لجودتها . وقد أورد الشارحُ المحققُ في شرحه عدةَ أبيات منها . وقبل هذا البيت :

(كَأَنَّ رَحْلِي ، وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بَنَّا
 مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشَى أَكْرَعُهُ
 سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَةٌ
 فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ
 فَبَيْتُهُنَّ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ
 فَهَابَ ضُرَّانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوْزَعُهُ
 شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمَدْرَى فَأَنْفَذَهَا
 كَأَنَّهُ ، خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ
 فَظَلَّ يَجْعُمُ أَعْلَى الرُّوقِ مُتَقَبِّضًا
 لِمَا رَأَى وَاشَقَّ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ
 قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ : إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا
 فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعْمَانَ ، إِنْ لَهُ
 بَذَى الْجَلِيلِ ، عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَحْدٍ^(١)
 طَاوَى الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الْعَسِيقِ الْفَرْدِ
 تُرْجَى الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ
 طَوَّعَ الشَّوَامَتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدِ
 صُنْعُ الْكُعُوبِ بَرِيثَاتٍ مِنَ الْحَرْدِ
 طَعَنَ الْمُعَارِكِ عِنْدَ الْمُجَحَّرِ النَّجْدِ
 شَكَّ الْمَبِيطِ إِذْ يَشْنِي مِنَ الْعَصْدِ
 سَقُودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَادِ
 فِي حَالِكِ الْوَلَوْنِ صَدَقٍ غَيْرِ ذِي أَوْدِ
 وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلَا قَوْدِ
 وَإِنْ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدْ
 فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ

٥٢٢

الرحل : الناقة . وزال النهار : أى انتصف ؛ وهو من الزوال . وينا :
 الباء بمعنى على . والجليل ، بضم الجيم^(٢) : الثَّام ، وهو موضع ، أى بموضع فيه
 هذا النبت . وهذا النبتُ لا تأكله الدواب . والمستأنس : الناظر بعينه .

(١) الجليل ضبطها البغدادى بالضم ، كما أثبت . والمعروف فتح الجيم ، كما فى اللسان .
 قال : « واد لبني تميم يبت الجليل وهو الثمام » . وفى معجم البلدان حيث ضبطه
 بالفتح أيضا : وذو الجليل : واد قرب مكة . وأنشد عجز البيت .
 (٢) انظر التعليق السابق ، ولم أجد من ضبطه بالضم ، فلملها معرفة عن الجليل
 « بفتح الجيم » .

ورُوى : (مستوحس) وهو الذى قد أوجس فى نفسه الفزع ، فهو ينظر .
والوَاحِد ، بفتحين : الوحيد المنفرد ، وهو صاحبها : وعلى بمعنى مع . وجملة
وقد زال النهار الخ ، حال . وهذه الأمور مما يوجب الإسراع ؛ فإنَّ المسافر
فى فلاةٍ يجدُّ فى السير بعد الزوال ليصل إلى منزلٍ يجد فيه رفيقاً وعلفاً لدابته .

وقوله : من وحش ، شبه ناقته بشور وحشيٍّ موصوفٍ بهذه الصفات
الآتية . وخصَّ وحشَ وَجْرةٍ لآلتها فلاةً بين مرَّان وذات عِرْق ، ستون
ميلاً ؛ والوحش يكثر فيها ، ويقال إنها قليلة الشرب فيها^(١) . والمَوْشَى ،
بفتح الميم : اسمٌ مفعول من وشيت الثوب أشبه وشياً وشيةً : أى لوَّنته ألواناً
مختلفة . وأراد به الثورَ ائوحشى ، فإنه أبيضٌ ، وفى أكارعه أى قوائمه نَقَطٌ
سود ، وفى وجهه سُفْعَةٌ . ومَوْشَى بالجرِّ صفة وحش ، وأكارعه فاعله . وطاوى
المصير أى ضامره ؛ والمصير الميمى ، وجمعه مُصْران ، وجمع مُصْران مَصْرانين .
وقوله : كسيف الصَّيْقَل ، أى يلمع . والفرد ، بكسر الراء وفتحها وسكونها :
الثور المنفرد عن أنثاه ، وكذلك الفارد والفريد .

وقوله : سَرَتْ عليه الخ ، السارية : السحابة التى تأتى ليلاً . ومعنى سرتُ
عليه الخ ، أى مُطِرَ بَنُو الْجُوزاء . وتزجى ، مصدره الإزجاء بالزأى والجيم ،
وهو السَّوق . والشَّمال فاعله ، وهى ريحٌ معروفة . وجامدُ البرد : مفعوله :
أى ما صلب من البرد .

وقوله : قارتاع من صَوْت الخ ، أى فزع الثور وخاف . والكَلَّاب ،
بالفتح : الصَّيَّاد صاحب الكلاب . وله : أى للكَلَّاب . والفاء فى قوله :
فبات ، عاطفة . وطُوعُ مرفوعٌ ببات . والمعنى عند الأصمعى : فبات للكَلَّاب

(١) انظر شرح التبريزى . وفى شرح الوزير أبى بكر زيادة توضيح .

ما أطاع شوامته ، من الخوف والصرد . وعند أبي عبيدة : فبات له ما يسر الشوامت . وروى (طوع) بالنصب ، فرفوع بات ضمير الكلاب ، وله أى لأجل الثور ، والشوامت : القوائم ^(١) ، جمع شامنة . أى فبات قائماً بين خوف وصرد — وهو مصدر صرد من باب فرح : إذا وجد البرد .

وقوله : فبهنّ عليه الخ ، بث : فرق ، وفاعله ضمير الكلاب ؛ وضمير المؤنث المجموع للكلاب المفهومة من الكلاب ؛ وضمير عليه للثور ؛ وكذلك ضمير به . وأراد بصنع الكعوب قوائم الكلاب ؛ والصنع : الضوامر الخفية ، الواحدة صنعاء . والكعوب : جمع كعب ، وهو المفعل من العظام . قال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني : يعنى بصنع الكعوب أن قوائمه لازقة محددة الأطراف ملس ليست بهزيلات ^(٢) . وأصل الصنع دقة الشيء ولطافته ^(٣) . وبريئات حال من الكعوب . والحد ، بفتح المهملة : أراد به العيب ، وأصله استرخاء عصب في يد البعير من شدة العقال ، وربما كان خلقة ؛ وإذا كان به نقض يديه وضرب بهما الأرض ضرباً شديداً .

٥٢٣

وقوله : فهاب ضمران ، هو بضم الضاد المعجمة : اسم كلب . منه أى من الثور . وروى الأصمعي وأبو عبيدة (فكان ضمران منه) . ويوزعه : يغريه . في الصحاح : أوزعته بالشيء فأوزع به ، فهو موزع به ، أى مغري به . أى كان الكلب من الثور حيث أمره الكلاب أن يكون . وطمع

(١) انوزير أبو بكر : من نصب أراد بالشوامت القوائم . ومثله للتبريزي . وليس ما يمنع أن يراد بالشوامت من يشمت من الأعداء .

(٢) جعلها الشنيطى « بهزيلات » .

(٣) إلى هنا عبارة أبي الفرج في الأغاني ٩ : ١٦٧ وفيها بدل « بهزيلات » « وهلات » ، وبدل « دقة » « رقة » وليس فيها كلمة « ملس » وانظر شرح الوزير .

المُعَارِك ، بالنصب ، أراد : يطعنُ طعنًا مثلَ طعنِ المُعَارِك . وروى (ضَرَبَ المُعَارِك) وهو مثله . والمُعَارِك : اسم فاعل بمعنى المقاتل . والمُجَحَّر : اسمُ مفعول من أَجَحَرته ، بتقديم الجيم على المهملة ، أى أَلْجَأته إلى أن يدخلُ جُحْرَه فأنْجَحِر . و (النَّجْد) يروى بفتح النون وضم الجيم ، بمعنى الشجاع ، من النَّجْدَة وهى الشجاعة ، يقال نَجِد الرجل بالضم ، فهو وصف للمُعَارِك . وروى (النَّجْد) بفتح النون وكسر الجيم ، وهو إما بمعنى الشجاع ، فإن أوصف من النَّجْدَة جاء بضم الجيم وكسرهما ، وإما وصفٌ من نَجِد الرجل من باب فرح أى عرق من عمل أو كَرَب وشدة ، واسم العَرَق النَّجْد بفتحتين ، ومنه قوله فى هذه القصيدة : « بعد الأين والنَّجْد » . وقد نُجِد يُنْجَد بالبناء للمفعول نَجِدًا بفتحتين ، أى كَرَب ، فهو منجود ونجيد أى مكروب . وعلى هذا فهو وصف المجَحَّر . وروى أيضاً (النَّجْد) بفتحتين ، فهو على حذف مضاف ، أى ذى النَّجْد . وروى أبو عبيدة : (حيثُ يوزعه طَعْنُ) بالرفع ، وقال : رفعُ ضمران بكانَ وجعل الخبر فى منه ، أى كانَ السَّكَبُ من الثور كأنه قطعة منه ، فى قُرْبِهِ . وارتفع الطعنُ بيوزِعه . وقال : سمعتُ يونس ابنَ حبيبٍ يحيب بهذا الجواب فى هذا البيت .

وقوله : شكَّ الفريضة الحُ ، فاعل شكَّ ضميرُ الثور . والفريضة : اللَّحمة بين الجَنْب والسَكْتَف ، التى لا تزال تُرْعَد من الدابة ؛ وهى مَقْتَل . وأراد بالمِذْرَى قرنَ الثور : أى شكَّ الثورُ بقرنه فريضةَ السَّكَب . وشكَّ منصوبٌ على المصدر التشبيهى ، أى شكًا مثلَ شكِّ المِيطَر وهو البِيطار . ويشئى : يُداوى ليحصلَ الشفاء . والعَصْد ، بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى أعضائها^(١) فَيُبْط^(٢) تقول منه : عَصِدَ البعيرُ من باب فرح .

(١) ط : « أعضائها » ، صوابه فى ش والتبريرى والأغنى والوزير .

(٢) بط الجرح يبطه بطا : شقه . والمبطة : المضع .

وقوله : (كَأَنَّهُ خَارِجًا إلخ) أى كَانَ الْقَرْنُ فى حال خُرُوجِهِ سَفُودًا .
ومثله قول أبى ذؤيب الهذلى :

فكَأَنَّ سَفُودَيْنِ لَمَّا يَقْتَرَا عَجَلَا لَهُ بِشَوَاءِ شَرِبٍ يَنْزَعُ

أى فكأن سفودين لم يقترا بشواء شرب ، يُنْزَعُ ؛ أى هما جديدان (١) .
شبه قرنیه بالسفودين . وقوله : عَجَلَا لَهُ ، أى للثور بالطن الواقع بالكلاب
وقوله : فظل يعجمُ إلخ ، عجمة يعجمه : إذا مضغه . والرَّوْقُ بالفتح : القرن .
والحالك : الشديد السواد . والصدق بالفتح ، هو الصُّلب بالضم . والأود ،
بفتحين : العوج ، أى ظل الكلب يَمْضَغُ أعلى القرن لما خرج من جنبه ،
فى حاله ، يعنى القرن فى شدة سواده . أى تقبض واجتمع فى القرن لما يجدُّ
من الوجع ؛ كما تقول : صلى فى ثيابه . قال ابن قتيبة فى أبيات المعاني (٢)
— وقد شرح أبياتاً خمسة إلى هنا — : من عادة الشعراء إذا كان الشعر مديحاً
وقال : كَأَنَّ نَاقِي بَقَرَةً أَوْ ثَوْرًا أَنْ تَكُونَ الْكَلَابُ هِىَ الْمَقْتُولَةُ . فإذا كان
الشعر موعظةً ومرثيةً أَنْ تَكُونَ الْكَلَابُ هِىَ الَّتِى تَقْتُلُ الثَّوْرَ وَالْبَقَرَةَ :
لبس على أن ذلك حكاية قصّة بعينها .

وقوله : لَمَّا رَأَى وَاشَقَّ إِقْمَاصَ إلخ ، واشق : انهم كلب . والإقماص :
الموت السريع ، يقال رماه فأقمصه : إذا قتله ؛ وأصله من الإقماص بالضم وهو
داء يأخذ الغنم فتموت سريعاً . والعقل : إعطاء الدية . يقول : قَتَلَ صَاحِبُهُ
فَلَمْ يَعْقِلْ بِهِ وَلَمْ يُقَدِّ بِهِ (٣) .

(١) فى النسختين : « حديدان » تصحيف . وفى شرح المفصليات للأنبارى ٨٧٤ :
« لَمَّا يَقْتَرَا » : جديدان لم يستملا : أو « لَمَّا يَقْتَرَا » يريد ، هما حاران .
(٢) المعانى الكبير ٢٢٤ .

(٣) ش : « ولم يفديه » ط : « ولم يفده » صوابهما من شرح الوزير
أبى بكر ٢١ .

وقوله : قالت له النفس الخ ، هذا تمثيل ، أى حدثته نفسه بهذا ،
أى باليأس منه . والمولى : الناصر والصاحب ، وهو هنا الكلب . لم يسلم من
الموت ولم يهْدِ النور . وقيل : للمولى صاحب الكلاب ، لم يسلم من الضرر
لأن كلبه قتل . وقوله : فتلك تبغنى النعمان الخ ، أى تلك الناقة التى تشبه
هنا النور تبغى النعمان . وقوله : فى الأدنى الخ ، البعد بفتحين قيل : إنه
مصدر ، ويستوى فيه لفظ الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقيل : إنه جمع
باعدي مثل خادم وخدم ، وعلى هذا اقتصر صاحب الصحاح وأنشد البيت ،
أى فى القريب والبعيد . وروى ابن الأعرابي (وفى البعد) بضمين ،
وهو جمع بعيد . وروى أبو زيد (وفى البعد) بضم ففتح ، وهو جمع بعدى
مثل دنى جمع دنيا ، وسفل جمع سُفلى .

وقد لخصت شرح هذه الأبيات ، مع إيضاح وزيادات ، من شرح ديوان
الناطقة ومن شرح القصيدة للخطيب التبريزي ومن أبيات المعاني لابن قتيبة .
ولله الحمد .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد المائة ، وهو من شواهد س^(١) :
١٩٠ (فأرسلها العراك ولم يذُذها ولم يُشْفِقْ على نَفْسِ الدِّخَالِ)
على أن المصدر المعرف باللام قد يقع حالاً كما فى البيت : فإن العراك
مصدر عارك يعارك معاركةً وعِراكاً ، يقال أوردَ إليه العراك : إذا أوردها
جميعاً الماء ، كما فى قولهم : اعترك القوم : أى ازدحموا فى المعركة .

(١) فى كتابه ١ : ١٨٧ . وانظر ديوان ليلى ٨٦ وأمالى ابن السجى ٢ : ٢٦٤
وابن بيش ٢ : ٦٢ / ٤ : ٥٥ والإنصاف ٨٢٢ والعينى ٣ : ٢١٩ والمجم ١ : ٢٣٩
والتصريح ١ : ٣٧٣ .

وفيه مذاهب : الأولُ مذهب سيبويه : أنه مصدر وقع حالاً . الثاني مذهبُ أبي عليّ الفارسيّ . ويتنهما الشارح المحقق . الثالث مذهب ابنِ الطَّرَاوَةِ ، وهو أن العِراكَ نعتُ مصدرٍ محذوف ، وليس بحال ، أي فأرسلها الإرسالَ العِراكَ .

وزعم ثعلبُ أن الرواية : (وأوردَها العِراكَ) وأن العِراكَ مفعولُ ثانٍ لأوردَها . وأما قولهم : أرسلها العِراكَ ، فهو عند الكوفيّين مضمّن أرسلها معنى أوردَها ، فهو مفعول ثانٍ لأوردَها . و (الإرسال) : بمعنى التخلية والإطلاق ، وفاعله ضميرُ الحمار ، وضميرُ المؤنث لأنّته وهي جمع أُنثاة ^(١) . و (الذّود) : الطرد . و (لم يشفق) أي الحمار ، من أشفق عليه : إذا رحمه . و (النّغص) بفتح النون والغين المعجمة وإهمال الصاد : مصدر ، في الصحاح : نغصَ الرجلُ بالكسر ينغصّ نغصاً : إذا لم يتمّ مُرادُه ؛ وكذلك البعير : إذا لم يتمّ شربه . وأنشد هذا البيت . ورؤى (نغص) بالضاد المعجمة أيضاً ؛ لكونه بسكون الغين ، وهو التحرك وإمالة الرأس نحو الشيء ؛ يريد أنّها تُميل أعناقها إلى الماء بشدة وتعب . قال السيرافي : يريد أن بعضها يزحم بعضاً ، حتّى لا يقدر أن يتحرك لشدة الازدحام ؛ فهو واقف مزحوم ، لا يقدر أن يشرب ، ولا يتمكن من الحركة . و (الدّخال) بكسر الدال : أن يدخلَ بعيرٌ قد شرب مرةً في الإبل التي لم تشرب حتّى يشربَ معها ، إذا كان كريماً أو شديد العطش أو ضعيفاً . وقال الأعمش : الدّخال : أن يدخلَ القوى بين ضعيفين أو الضعيف بين قويّين فيتنغصّ عليه شربه .

وهذا البيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصبحانيّ ، وصف به حِمْرَ وحش

(١) في القاموس أن الأُنثاة قليلة ، والأكثر الأُنثان بدون هاء . وكلمة « جمع » ساقطة من ش .

تعدو إلى الماء . يقول : أورد العير أنه الماء دفعة واحدة ، مزدحمة ، ولم يشفق على بعضها أن يتنفس عند الشرب ، ولم يذذها لأنه يخاف الصياد . بخلاف الرعاء الذين يدبرون أمر الإبل ، فإنهم إذا أوردوا الإبل جملوها قطعاً قطعاً ، حتى تروى . وقبله :

٥٢٥

(رَفَعْنَ سُرَادِقًا فِي يَوْمٍ رِيحٍ يُصَفِّقُ بَيْنَ مَيْلٍ وَاعْتِدَالٍ)
أراد بالشراذق الغبار . ويصفق : يردد ، تارة مائلاً وتارة مستوياً .
والنون ضمير الأنثى . ورأيت في ديوانه : (فأوردوها العيراك) . وفاعله ضمير العير . وهذه القصيدة مطلعها :

أبيات
الشاهد

(أَلَمْ تَلِمِّيْ عَلَى الدِّمَنِ الْخَوَالِي لَسَكِي بِالْمَذَانِبِ فَالْقُفَالِ)
وترجمة لبيد تقدمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والتسعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(٢) :

١٩١ (جَاءُوا قَضَهُمْ بِقَضِيضِهِمْ)

هذا مأخوذ من بيت أوردته سيبويه .

(أَتَتْنِي سَلِيمٌ قَضًى بِقَضِيضِهَا تَمَسَّحُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالَهَا)
أنشده على أن قضهم مصدر وقع حالاً . وبينه الشارح المحقق بما لا مزيد عليه . وقال الأعمش : معنى قضها بقضيضها : منقضا آخرهم على أولهم ؛ وأصل

(١) الخزانة ٢ : ص ٢٤٦ .

(٢) في كتابه ١ : ١٨٨ . وانظر ابن عيش ٢ : ٦٣ والأغاني ٨ : ١٠٠ .
وديوان الشماخ ٢٠ .

القضّ الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الاقتضاض ، كقولهم : عقاب كاسرة ، أى منقضة انتهى . والكسر : الوقوع على الشيء بسرعة .
وهذا البيت للشماخ . وبعده :

(يقولون لى يا ، احلف ولست بمخالف ، أخادعهم عنها لكيا أنالها
ففرجت غم النفس عنى بمخلة كما قدت الشقراء عنها جلالها
فقوله : أتنى سليم ، بالتصغير ، ورؤى بدله (تيم) وهما قبيلتان .
والسبب جمع سبلة وهى مقدم الحية . أراد أنهم يمسحون لحام وهم يتهددونه
ويتوعدونه . وقال الأعمى : يمسحون لحام ناهباً للكلام . والبقيع : موضع
بمدينة الرسول ﷺ .

وقوله : يقولون لى يا احلف ، أى يا رجل احلف ؛ أو يا للتنبيه . وقوله :
أخادعهم عنها ، أى عن الخلعة التى طالبونى أن أحلف بها ، فأقول لهم
لا أحلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، حتى يلحوا فى استحلافى ؛ فإذا
استحلفونى انقطعت الخصومة بيننا . وقوله : لكيا أنالها ، أى أنال الخلعة
والثمين . ومثله قول بعضهم :

سألونى اليمين فارتعت منها ليغروا بذلك الانخداع
نم أرسلتها كمنحدر السيل تعالى من المكان اليفاع

ومثله لابن الرومى :

وإنى لذو حلف كاذب إذا ما اضطررت وفى الحال ضيق
وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق^(١)

(١) طراز المجالس ١٢٩ وشرح المقامات للشربى ١ : ٩٩ ومحاضرات الراغب

وقد بمعنى شقّ وقطع طويلاً . يريد : كشفت هذا الغمّ عني بالبين الكاذبة
كما كشفت الشقراء ظهورها بشقّ جُلّها عنه .

وسبب هذه الآيات ، على ما روى محمد بن سلام^(١) ، قال : كانت عند
الشّامخ امرأة من بني سليم ، فنازعته وادّعت عليه طلاقاً ، فحضر معها قومها
فأعانوها . فاخصموا إلى كثير^(٢) بن الصّلت — وكان عثمان بن عفّان
رضي الله عنه قد أقعده للنظر بين الناس — فرأى كثير أن لم عليه يميناً ،
فالتوى الشّامخ باليمين يجرّضهم عليها ، ثمّ حلف . وقال هذه الآيات .

٥٢٦

وعن القاسم بن معن^(٣) قال : كان للشّامخ امرأة من بني سليم ، فأساء إليها
وضربها وكسر يدها ، ثمّ لما دخل المدينة في بعض حوائجها ، تعلّقت به
بنو سليم يطلبون بظلامه صاحبته ، فأنكر ، فقالوا له : احلف ! فجعل يغلظ
أمرّ اليمين وشدّها عليه ، ليرضوا بها منه ، حتّى رَضُوا . فحلف ، وقال :

(ألا أصبحت عِرسى من البيت جاحداً بخبر بلاء ، أيّ أمرٍ بدا لها
على خيرة كانت ، أم العرسُ جامحٌ ، فكيف وقد سقنا إلى الحى ما لها
سترجع غضبي نِزرة الخطّ عندنا كما قطعتُ عِناً بليلٍ وصالحاً
أتقنى سليم قضاها بتضيضها الآيات الثلاثة)

وقيل : سببها أنّه هجا قوماً فاستحلفوه ، فحلف وتخلّص منهم .

والشّامخ اسمه معقل بن ضرار النطعاني . وهو مخضرم : أدرك الجاهلية
والإسلام . وله صُحبة . وجعله الجُمحيّ في الطبقة الثالثة^(٤) من شعراء الإسلام ،

ترجمة الشامخ

(١) طبقات ابن سلام ١١٢ .

(٢) ط : « بشر » صوابه في ش وابن سلام والأغاني ٨ : ٩٩ نقلًا عن

ابن سلام .

(٣) الخبر عن الأغاني ٨ : ١٠٠ .

(٤) في اللّسّين « الثانية » صوابه من الطبقات . وانظر الطبقات ص ١٠٣ .

وَقَرَنَهُ بِالنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ وَلَبِيدٍ وَأَبَى ذُؤَيْبِ الْهَذَلِيِّ . وَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ شَدِيدَ مُتُونِ الشَّعْرِ ، وَأَشَدَّ كَلَامًا مِنْ لَبِيدٍ^(١) ، وَفِيهِ كَرَاذَةٌ ، وَلَبِيدٌ أَسْهَلُ مِنْهُ مَنْطِقًا^(٢) .

وَقَالَ الْخَطِيبَةُ فِي وَصِيَّتِهِ : أَيْلَعُوا الشَّيْخَ أَنَّهُ أَشْعَرُ غُطْفَانٍ . وَهُوَ أَوْصَفَ النَّاسَ لِلْحَمِيرِ ، يَرَوِي أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَشْدَّ شَيْئًا مِنْ شَعْرِهِ فِي وَصْفِ الْحَمِيرِ فَقَالَ : مَا أَوْصَفَهُ لَهَا ! إِنِّي لِأَحْسَبُ أَنَّ أَحَدَ أَبْوَاهِ كَانَ حَمَارًا ! وَكَانَ الشَّيْخُ يَهْجُو قَوْمَهُ وَضَيْفَهُ وَيَمْنُّ عَلَيْهِمْ بِقِرَاءِهِ . وَهُوَ أَوْصَفَ النَّاسَ لِلْقَوْسِ ، وَأَرْجَزُ النَّاسِ عَلَى الْبَدِيَةِ ، وَشَهِدَ الشَّيْخُ وَقْعَةَ الْقَادِسِيَّةِ . قَالَ لِلرِّزْبَانِيِّ : وَتَوَفَّى فِي غَزْوَةِ مُوْقَانَ فِي زَمَنِ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ ، فِي كِتَابِ الشُّعْرَاءِ^(٣) : أُمُّ الشَّيْخِ مِنْ وَلَدِ الْخُرَشْبِ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرَشْبِ أُمُّ رَيْعِ بْنِ زِيَادٍ وَإِخْوَتُهُ الْعَبْسِيُّونَ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ : الْكَلَمَةُ^(٤) .

* * *

وَأَنشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّانِي وَالتَّسْعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ ، قَوْلَ الْمُتَنَبِّيِّ^(٥) :

١٩٢ (وَقَبَّلْتَنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِفَمٍ)

وَصَدْرُهُ :

قَبَّلْتُهَا وَدُمُوعِي مَزْجُ أَدْمِعِهَا

(١) كَذَا فِي الْأَغْنَى عَنْ ابْنِ سَلَامٍ . وَالَّذِي فِي الطَّبَقَاتِ : « أَشَدُّ أَسْرَ كَلَامٍ مِنْ لَبِيدٍ » .

(٢) انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ سَلَامٍ .

(٣) الشُّعْرَاءُ ٢٧٥ .

(٤) انْظُرِ الْكَامِلَ ١٣٠ وَجَهْرَةُ ابْنِ حَزَمٍ ٢٥٠ .

(٥) دِيْوَانُ الْمُتَنَبِّيِّ ٢ : ٣٠٢ .

على أن قونه : (فماً) حالٌ ، وصاحبُ الحال ضميرُ قبَلتني المستتر ،
أى جاعلةٌ فاما على في .

وهذا البيت من قصيدة قالها في صباه ، مطلعها :

أبيات الشاهد

(ضيفُ ألمٍ برأسى غير محتشمٍ والسيفُ أحسنُ فعلاً منه بالثَمِ
إِبعِدْ ، بعِدَتْ بياضاً لا بياضَ له لأنْتَ أسودُ في عيني مِنَ الظلمِ
بحبٍّ قاتلتى والشيب تغذيتى : هواى طفلاً ، وشبى بالغِ الحُلمِ
فما أمرُ برسمٍ لا أسائلُه ولا بذاتِ خمارٍ لا تُريقُ دَمي
تنفستُ عن وفاءٍ غير مُنصَدعٍ ، يومَ الرحيلِ ، وشَمبٍ غيرِ ملتَمِ
قبلتها وذموى مزجُ أدمعها وقبَلتني ، على خوفٍ ، فمألفمِ
فدقتُ ماءَ حياةٍ من مُقبِلها لو صابَ ثُرباً لا حيا سألَ الأَمَمِ)

٥٢٧

قوله : ضيفُ ألمٍ برأسى الخ ، عني بالضيف الشيب . والمحتشم : المنقبض
المستحى . يريد . أن الشيبَ ظهر في رأسه دفعة من غير أن يظهر في تراخٍ .
وهذا معنى قوله : غير محتشم . ثم فضلَ فعلَ السيف بالشعر ، على فعل
الشيب به ، لأنَّ الشيب أقبحُ ألوان الشعر . وهذا مأخوذ من قول البُحرى :

وددتُ بياضَ السيف يومَ لِقينى ^(١) مكانَ بياضِ الشيبِ منه بمفرقى

وقوله : إبعِدْ بعِدَتْ بياضاً الخ ، دعاء على الشيب . ويعد بعيد من باب
فرح : إذا هلكَ وذُلَّ . والبياض الأول : الشيب ، والثاني : الرُوق والحسن .
وأسودُ ، هنا : واحدُ السُود . والظلم : الليالى الثلاثُ في آخر الشهر . يقول

(١) فى النسختين : « لقيتني » بالثاء ، وإنما هو ضمير الغواني فى بيت

قبل هذا وهو :

أجذك ما وصل الغواني بقطع ولا القلب من رق الغواني بمعق

لَبِيَّاضُ شَيْبِهِ : أَنْتَ عِنْدِي وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ الظُّلَمِ . كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ فِيهِ :
 لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أبيضُ ناصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسودُ أَسْفَعُ
 وَقِيلَ : أَسودُ أَفْعَلُ تَفْضِيلٌ جَاءَ عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ . وَهَذَا مِنْ آيَاتِ
 مَغْنَى اللَّيْبِ .

وَقَوْلُهُ : بِحُبٍّ قَاتَلْتِ الْخَ ، عَنِي بِقَاتِلَتِهِ حَبِيبَتُهُ . يَعْنِي أَنَّ جَبَّاهُ يَقْتُلُهُ . وَالْبَاءُ
 مِنْ صَلَةِ التَّغْذِيَةِ . يَقُولُ : تَغْذَيْتِ بِهِدِينَ : الْحُبُّ وَالشَّيْبُ . ثُمَّ فُسِّرَ ذَلِكَ بِمَا
 بَعْدَهُ . يَقُولُ : هُوَيْتُ وَأَنَا طِفْلٌ وَشَبْتُ حِينَ احْتَلَمْتُ لِشِدَّةِ مَا قَاسَيْتُ مِنْ
 الْهُوَى : فَصَارَ غِذَائِي . فَقَوْلُهُ : هَوَايَ مُبْتَدَأٌ ، وَطِفْلاً حَالٌ سَدَّ مَسَدَ الْخَبَرِ ؛
 وَمِثْلُهُ مَا بَعْدَهُ . وَقَدْ فَصَّلَ بِهَذَا مَا أَجْمَلَهُ أَوَّلًا ، لِأَنَّهُ بَيْنَ وَقْتِ الْعِشْقِ
 وَوَقْتِ الشَّيْبِ .

وَقَوْلُهُ : فَمَا أَمْرٌ بِرَسْمِ الْخَ ، الرِّسْمُ مِنْ أَثَرِ الدَّارِ : مَا كَانَ مَلَاصِقًا بِالْأَرْضِ .
 وَالطَّلَلُ : مَا كَانَ شَاخِصًا . يَقُولُ : كُلُّ رَسْمٍ يُذَكِّرُنِي رَسْمَ دَارِهَا ،
 فَاسْأَلُهُ تَسْلِيًا ؛ وَكُلُّ ذَاتِ خِيَارٍ تُذَكِّرُنِيهَا ، فَتَرِيقُ دُمِي ؛ وَقَوْلُهُ : تَنْفَسْتُ
 عَنْ وَفَاءِ الْخَ ؛ يَقُولُ : تَنْفَسْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ تَحْشُرًا عَلَى يَوْمِ فِرَاقٍ ، عَنْ وَفَاءٍ ،
 يَعْنِي عَمَّا فِي قَلْبِهَا مِنْ وَفَاءٍ صَحِيحٍ غَيْرِ مَنْشَقٍّ . وَيُرِيدُ بِالشَّعْبِ الْفِرَاقَ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ :
 شَعْبَتُهُ : إِذَا فَرَّقْتَهُ . وَالْمَعْنَى : وَعَنْ حُزْنِ شَعْبٍ . فَخَذَفَ الْمُضَافُ . وَقَوْلُهُ :
 قَبَّلْتُهَا وَدُمُوعِي الْخَ ، أَيِ بَكَيْنَا جَمِيعًا حَتَّى امْتَزَجَتْ دُمُوعِي بِدُمُوعِهَا ، فِي حَالِ
 التَّقْبِيلِ . وَالْمَزْجُ : الْمِزَاجُ ، مُصَدَّرٌ مِمَّا بِهِ الْفَاعِلُ . يَقُولُ : دُمُوعِي مَا زَجَّتْ
 دُمُوعِهَا . وَنَصَبَ فَمَّا عَلَى الْحَالِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْإِرْتِشَافِ : قَالَ الْفَرَّاءُ : أَكْثَرَ كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَتُهُ فَاهُ
 إِلَى فِيٍّ بِالنَّصْبِ ، وَالرَّفْعُ صَحِيحٌ وَفِيهَا أَشْبَهُ هَذَا ، نَحْوُ : حَازِيَتَهُ رَكْبَتَهُ

إلى ركبتي ؛ والأكثر فيه بالرفع . وإذا كان نكرة فالنصب المؤثر المختار ،
نحو : كلمته فمّا لَمْ ، وحاذيته رُكبة لِرُكبة . ورفعه وهو نكرة جازِ
على ضعف ، إذا جعلت اللام خبراً لَمْ ؛ وإن وضعت الواو موضع الصفة ،
فقلت : كلمته فوه وفي . وحاذيته رُكبته وركبتي ، فالواو تعمل ما تعمل
إلى ، والنصب معها سائغٌ على إعمال المضمر اه كلام الفراء . قال أبو حيّان :
ويعنى بقوله : « والنصب معها » أى مع الواو فى الثانى . « سائغٌ على إعمال
المضمر » يعنى جاعلاً ؛ أى جاعلاً فاه ، وجاعلاً رُكبته . ويُقتصر فى هذا
على مَوْرِد السماع . ولو قدّمتَ حرف الجرّ قلت : كلمنى عبدُ الله إلى فى فوه ،
لم يجوزْ النَّصْبُ بإجماع من الكوفيين ، وتقتضيه قاعدة قول سيبويه فى أنّه
لا يجوز : إلى فى ، تبين (١) ، كلّك بعد سَقياً لك ؛ وتقديم لك على
سَقياً لا يجوز ، فينبغى أن لا يجوز هذا . فلو قدّمتَ فاه إلى فى على كلمته ،
قلت : فاه إلى فى كلمتُ زيدا ، فأجازه سيبويه وأكثر البصريّين ؛ واتفق
الكوفيّون على منعه ، وتبعهم بعض البصريّين . فلو قلت : فوه إلى فى كلمنى
عبد الله ، لم يجوز ذلك عند أحدٍ من الكوفيّين ، ولا أحفظ نصّاً عن
البصريّين ، والقياس يقتضى الجواز . اه

٥٢٨

وقوله : فدقتُ ماءَ حياة الخ ، جعل ريقها ماء الحياة ، على معنى أن
العاشق إذا ذاقه حيّ به . ومعنى لو صاب تُرباً لو نزل على ترابٍ : من قولم :
صاب المطر يصبوب صوباً ، بمعنى أصاب . يقول : لو وقع ريقها على الأرض
لأحيا الموتى من الأمم المتقدمة . وأوّلُ هذا المعنى للأعشى :
لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها عاشَ ، ولم يُنقل إلى قابرٍ

(١) ش « قاعدة قول سيبويه فى أن إلى فى تبين » وما أثبتته من طه هو الموافق
لما فى الارتشاف مخطوطة دار الكتب ٧٢٨ نحو ص ٧٥٦ .

فنقل أبو الطيّب الإحياء إلى ريقها .

وما شرحتُ به هذه الأبيات فهو من شرح الإمام الواحدى ، تلخصته منه باختصار : وترجمة المتنبي تقدمت في البيت الحادى والأربعين بعد المائة^(١) .

* * *

وأنشده بعده :

(وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبِئُنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْزِينِي ^(٢))
على أن اللام في اللّيم زائدة . قد تقدم الكلام على هذا البيت في الشاهد الخامس والخمسين^(٣) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائة^(٤) :

١٩٣ (فَمَا بَالُنَا أُمْسِ أَسَدَ الْعَرِينِ وَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ شَاءَ النَّجَفَ)
على أن أَسَدَ العرين ، وشاء النجف ، حالان ، إمّا على تقدير مثل ، وإمّا على تأويلهما بوصف ، أى شجماً وضِعافاً . وهذا ظاهر .
وهذا البيت آخر أبيات أربعة لأحد أصحاب علي بن أبي طالب رضى الله عنهما أبيات الشاهد عنه ، وهى :

(أَيْمَنُنَا الْقَوْمُ مَاءَ الْفَرَاتِ وَفِينَا السِّیُوفُ وَفِينَا الْحَجَفُ)

(١) الخزانة ٢ : ص ٣٤٧

(٢) الخصائص ٣ : ٣٣٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٣ والعينى ٤ : ٥٨ والمجم

١ : ٩ / ٢ : ١٤٠ وشرح شواهد المتن ١٠٧ والأشعوى ١ : ١٨٠ / ٣ : ٦٠ ، ٦٣

والصریح ٢ : ١١١ .

(٣) الخزانة ١ : ص ٣٥٧

(٤) وقعة صفین ١٦٥ .

وفينا على ، له صولة إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن الذين ، غداة الزبير وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالناس أمد العرين (الح)

ومنشؤها على ما ذكر في كتاب الفتوح وكتاب الروضة للحجوري : أن
علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، لما نزل بصيفين — وصيفين مدينة عتيقة
من بناء الأعاجم ، على شاطئ الفرات ، بالقرب من قنسرين — فسبقه معاوية
إلى الفرات ، ومنع علياً وأصحابه من الماء ، فأرسل على رضى الله عنه إلى معاوية ،
الأشعث بن قيس ، وصمصمة بن صوحان ، وقال : اذهبا إلى معاوية وقولا له :
خيلك حالت بيننا وبين الماء ، ونحن نكره قتالكم قبل الإغدار ! فأبلغاه
الرسالة ، وجرى بينهم [كلام^(١)] : فقال الأشعث : إنك إن تمنعنا الماء
ترميننا مالا تريد ، فخل عن الماء قبل أن تغلب عليه ! وقال ابن صوحان :
إننا لا نموت عطشاً وسيوفنا على عواتقنا ! فاستشار معاوية أصحابه ، فقال له
الوليد بن عتبة — وهو أخو عثمان من أمه — : امنعهم كما منعوه عثمان ! فقال
عمرو بن العاص : ما أظن علياً يظلم وفي يده أمانة الخيل وهو ينظر إلى الفرات ،
فخل عنه وعن الماء . وقال ابن أبي سرح : أمنعهم الماء منعهم الله إياه ! فقال
ابن صوحان : إنما منعه الله الفجرة مثلك ومثل هذا الفاسق : الوليد . وبقي
أصحاب علي يومهم وليتهم عطاشاً . فسمع على رضى الله عنه صييا ينشد :

أيمنعنا القوم ماء الفرات . . . (الآيات الأربعة)

ورجع الأشعث فقال : أيمنعنا القوم وأنت فينا ! خل عنى وعنهم غداً !
قال علي : ذلك إليك . فنادى مناد له : من كان يريد الماء والموت فيبعده

(١) التكملة من هامش ش .

الصَّبْحُ ! فأصبح عَلَى بابِ مِصْرَهِ^(١) أَرْبَعَةَ عَشَرَ ألفاً ، وسار القَوْمُ وكلُّ
 يَرْحِزُ بِرَجْزِهِ ، ثُمَّ قالَ الْأَشْعَثُ : تَقَدَّمُوا ! فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الْمَاءِ قالَ لِأَصْحَابِ
 مَعَاوِيَةَ : خَلُّوا عَنِ الْمَاءِ وَإِلَّا وَرَدَّناهُ ! فقالَ أَبُو الْأَعْمُورِ السُّلَمِيُّ : لا وَاللَّهِ ،
 حَتَّى تَأْخُذَنَا السِّيفُ وَإِيَّاكُمْ ! فقالَ الْأَشْعَثُ لِلْأَشْتَرِ : أَقْجِمِ الْخَيْلَ !
 فَأَقْجَمَهَا حَتَّى نَعَمْتَ سَنَابِكُها فِي الْماءِ ، وَأَخَذَ القَوْمَ السِّيفُ فَوَلَّوْا
 عَنِ الْماءِ اهـ .

فقوله : وفينا السيوف وفينا الحَجَف ، هو جمع حَجَفَةٍ بفتح الحاء المهملة
 والجيم ، يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشبٌ ولا عِقبٌ : حَجَفَةٌ
 ودَرَقَةٌ ؛ كذا في المِباب . وقال ابنُ دُرَيْدٍ في الجُمهرة : هي جلودٌ من جلود
 الإبل يُطَارِقُ بعضها على بعض ويُجْعَلُ منها التَّرْسَةُ . وقوله : ونحن الذين غداة
 الزُّبَيْرِ ، يُشِيرُ به إلى وقعة الجمل . والغِمارُ : جمع عَمْرَةٍ بالفتح ، وهي الشَّدة .
 وقوله : أَسَدَ العَرِينِ ، هو بفتح العين المهملة . في الصحاح : العَرِينُ والعَرِينَةُ :
 مأوى الأسد الذي يألفه ؛ يقال : لَيْثٌ عَرِينَةٌ وليثٌ غَابَةٌ . وأصل العَرِينِ
 جماعة الشَّجَرِ . وقوله : شاء النَّجَفَ ، الشَّاءُ : جمع شاةٍ ، في الصحاح : الشاةُ من
 الغنم تذكَّر وتؤنث ، والجمع شِياهٌ بالهاء في أدنى العدد ، تقول : ثلاث شِياه ،
 إلى العشرة ؛ فإذا تجاوزت فبالهاء ، فإذا كثرت قيل هذه شِياهٌ كثيرة . وجمع
 الشاء شِوًى . والنَّجَفُ ، بفتح النون والجيم ، قال ابنُ الأَعرابي : هو الحُلْبُ
 الجيِّدُ حتى ينفِضَ الضَّرْعُ^(٢) ؛ يقال : انتَجَفَتُ الغنمُ : إذا استخرجتْ أَقصى
 ما في الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ ، وانتَجَفَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ : إذا استفرغته ؛ وانتجاف

(١) المضرب : القسطاط العظيم ، وضبطه صاحب القاموس كئيب . قال الزبيدي :
 وضبطه شيخنا كمجلس .

(٢) ش « ينقص الفرع » تصحيف .

الشيء : استخراجُه ، وكذلك استنجافُه . والنَّجَفَ والنَّجْفَةَ أيضاً : مكان لا يعلوه الماء مستطيل متقاد ، والجمع نَجَاف . وقال ابن الأعرابي : النَّجْفَةُ المسنَّةُ ؛ والنَّجَفُ : التَّلُّ . وقال الأزهري : النَّجْفَةُ التي هي بظاهر الكوفة هي المسنَّةُ تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرَها ؛ وفيه مرقدٌ على ابن أبي طالب رضى الله عنه . قال إسحق بن إبراهيم الموصلي يمدح النجف (١) :
ما إن أرى الناس في سهل وفي جبلٍ أصنى هواء ولا أعذى من النجف (٢)

والبال هنا بمعنى الشأن والحال ؛ وهو العامل في أمس وفي الحال ، لكونه بمعنى الفعل . قال التفتازاني — عندما قال الزمخشري في سورة آل عمران : ما باله وهو آمن — قوله : وهو آمن حالُ عامله ما في بال من معنى الفعل ؛ ولم نجد في الاستعمال هذه الحال بالواو ، قال :

ما بال عينك منها للء ينسكب (٣) انتهى

واعلم أن مجيء الحال بعد ما بال أكثرى ، وقد يأتي بدونها ، كقوله تعالى (فَأَبالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٤)) . وقد وردت الحال بعده على وجوه : منها مفردة كيفت الشاهد ، كقوله (٥) :

٥٣٠

(١) في معجم البلدان (النجف) : « يمدح الوائق ويذكر النجف » .
(٢) وكذا في ياقوت ، والوجه (رأى) ، وفي الأغاني ٥ : ٨٨ : « لم ينزل الناس » وأعذى ، من قولهم عذا البلد يمدو : طاب هواؤه . والعذاة : الأرض الطيبة البعيدة عن الماء والوخم . وفي النسختين والأغاني : « أعذى » صوابه في ش .
(٣) هو أول بيت في ديوان ذي الرمة . وعجزه :
* كأنه من كل مفرية سرب *

(٤) الآية ١٠١ من سورة طه .
(٥) زاد الشنيطي في هامش نسخته : « ومنها ما جمع » بعد كلمة « الشاهد » ، وهو سهو ، فإن « مملقات » حال مفردة أيضا كما هو في اصطلاح النحاة ، لأنها ليست بمجمله ولا شبهها .

فما بالُ النجومِ معلقَاتٍ بِقَلْبِ الصَّبِّ لَيْسَ لَهَا بِرَاحُ
ومنها ماضيةٌ مقرونةٌ بقَد ، كقول العامري :

ما بالُ قَلْبِكَ يَا مَجْنُونُ قَدْ هَلِيعَا من حُبٍّ من لا ترى في نَيْلِهِ طَمَعَا
وبالواو معها ، كقوله :

ما بالُ جَهْلِكَ بعدَ الحِلْمِ والِدِينِ وقد علاكَ مَشِيبُ حِينٍ لَاحِينٍ^(١)
وبدون قَد ، كقوله أيضاً :

فما بالُ قَلْبِي هَذِهِ الشُّوقُ وَالْهَوَى وهذا قَيْصُ من جَوَى الحَزْنِ بِالْيَا^(٢)
ومضارعيةٌ مثبتةٌ ، كقول أبي النخعي :

ما بالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تَدْنُسَهُ وَنُوبُ دُنْيَاكَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
وبالواو ، كقوله :

فما بالُ من أَسْعَى لِأَجْبُرٍ عَظْمَةٍ حِفَافًا ، وَيَنْوِي من سَفَاهَةٍ كَسْرِي^(٣)
ومنفيةٌ ، كما أنشده ابن الأعرابي :

* وقائلةٌ ما بالله لا يزورها *

ومنها اسميةٌ غير مقترنة بواو ، كقول ذي الرُّمَّة :

ما بالُ عَيْنِكَ مِنْهَا لِلْمَاءِ يَنْسَكِبُ

* * *

(١) البيت لجرير في ديوانه ٥٨٦ وسينويه ١ : ٣٥٨ .

(٢) ط : « قَدَّه الشُّوقُ » وأثبت ما في ش .

(٣) البيت لابن الذئب التقي ، كما في مجالس نعلب ١٧٣ وشرح شواهد الغني ٢٦٤
وأما في القال ٢ : ١٧٢ . ونسب إلى الأجرد التقي في الشعراء ، ولعامر الجرمي
في حاسة الخامسة ١٠٤ ولعكاشة بن عبد الله ليل التقي في حاسة ابن السجري ٧٠ .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائة ، وهو من شواهد س^(١) :

١٩٤ (وَمَا حَلَّ سَعْدِيُّ غَرِيبًا بَبِلْدَةٍ)

على أنه يجوز تكثيرُ صاحبِ الحال إذا سبقه نفي : فَإِنَّ (غريباً) حالٌ من (سَعْدِيُّ) وهو نكرة . وجاز لأنه قد تخصص بالنفي . وببلدة متعلق بقوله حلَّ أي نزل وأقام .

وهذا صدر ، وعجزه :

(فَيُنْسَبُ ، إِلَّا الزُّبْرَقَانُ لَهُ أَبٌ^(٢))

قال أبو علي الفارسي في التذكرة القصصية : قيل : نصب الشاعر غريباً على الحال في قوله فينسبَ كأنه قال : وما حلَّ سعدى ببِلْدَةٍ فينسب إلى الغربة . وهذا لا يجوز : أعني نصبَ غريباً يُنسَبُ ؛ لتقدمه عليه ؛ لأنَّ تقديم الصلة على الموصول لا يجوز ، والفرارُ مما يجوز إلى ما لا يجوز مرفوض . ولكنه حالٌ من النكرة . فاعلم ذلك اهـ .

وروى أيضاً (وما حلَّ سَعْدِيُّ غَرِيبٌ) بالرفع ، فعلى هذا هو وصفٌ لسعدى . استشهد به سيبويه على نصب (يُنْسَبُ) بعد الفاء على الجواب مع دخول إلا بعده للإيجاب ، لأنها عرضت بعد اتصال الجواب بالنفي ، ونصبه على ما يجب له . . ويجوز الرفع أيضاً .

(١) في كتابه ١ : ١٢٠ .

(٢) ضبطت « الزُّبْرَقَان » بالرفع في كتاب سيبويه ، ويرى البغدادى هنا نصبها .

وأورده الشارح المحقق في نواصب الفعل المضارع أيضاً على أن النفي راجع إلى يُنسَب ، أى يحل ولا ينسب ؛ قال : « ولولا أن ما بعد الفاء منى ، لما جاز الاستثناء ، إذ المفترغ لا يكون في الواجب » ، إذ التقدير ما نسب ذلك السعدى إلى أحدٍ إلا إلى الزبرقان . فالزبرقان منصوب بنزع الخافض وهو إلى ، وجملة له أب حال من الزبرقان أى فى حال كون الزبرقان أباً لذلك السعدى . والزبرقان سيد قومه وأشهرهم ، فإذا تغرب رجل من بنى سعد ، وهم رهط الزبرقان ، فسئل عن نسبه ينتسب إليه لشرفه وشهرته .

٥٣١

والزبرقان من الصحابة ، وهو حصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف الزبرقان بن بدر ابن بهدلة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه — وكان أحد ساداتهم — فأسلموا . وذلك فى سنة تسع . فولاه صدقات قومه . وأقره أبو بكر وعمر على ذلك . وإنما سُمى الزبرقان لحسنه ؛ شبه بالقمر ، لأن القمر يقال له الزبرقان . قال الأصمى : الزبرقان : القمر ؛ والزبرقان : الرجل الخفيف اللحية . وقد قيل : إن اسم الزبرقان القمر ابن بدر^(١) . والأكثر على أنه الحصين بن بدر . وقيل : بل سُمى الزبرقان لأنه لبس عمامة مزينة بالزعفران . والله أعلم اهـ .

وهذا البيت من قصيدة للعين المنقرى . واسمه منازل بن زمعه . وكنيته العين المنقرى أبو أكيدر ، مصغر أكدر ، من بنى منقر ، بكسر الميم وفتح القاف ، وهو

(١) لعل ذلك لقول الشاعر فيه ، وقد يكون تغييراً لفرورة الشعر :

سيدركنا بنو القمر بن بدر سراج الليل للشمس احضان
انظر الاستيعاب ٥٦١ .

مِنْقَر بن عُبَيْد ، بالتصغير ، ابنُ مِقَاعِس وهو الحارث بن عمرو بن كعب
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

واللّعين شاعرٌ إسلاميٌّ في الدولة الأموية . قال ابن قُتَيْبَةَ في كتاب
الشعراء (١) ، وللمبرّد في الاعتنان واللفظ له ، قال راوياً عن أبي عبيدة :
اعترض لَمِينُ بنِي مِنْقَر (٢) لجرير والفرزدق فقال :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بنِي كَلِيبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بنِي عِقَالِ
بَأَنَّ السَّكْلَبَ مَرْتَعَهُ وَخَيْمُ وَأَنَّ الْقَيْنَ يَعْمَلُ فِي سِفَالِ
فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدُهُمَا ، فقال :

فَمَا بَقِيًّا عَلَى تَرْكُنَايَ وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ
فَدُونُكُمْ أَنْظَرَا : أَهَجَوْتُ أَمْ لَا فَذُوقَا فِي الْمَوَاطِنِ مِنْ نِبَالِ
وَمَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قَيْنٍ لَتَيْمٍ خَالَهُ ، لِلزُّؤْمِ تَالِي
وَيَتْرُكُ جَدَّهُ الْخَطْلَى جَرِيرُ وَيَنْدُبُ حَاجِبًا وَبَنِي عِقَالِ
فَلَمْ يَلْتَفِتَا إِلَيْهِ فَسَطَا هـ .

قوله : فَمَا بَقِيًّا عَلَى الخ ، البُقْيَا بالضم : الرحمة والشفقة . وَصَرَدَ السَّهْمُ
من باب فَرَح ، من الأضداد ؛ إِذَا نَفَذَ وَإِذَا نَكَلَ . فيكون المعنى على النفوذ
إِنَّكُمْ خِفْتُمَا نَفْوَ سَهَامِي فَيَكُنْ أَيُّ هَجَائِي . وعلى معنى النُكُولِ أَيُّ خِفْتُمَا
أَنْ لَا تَنْفُذَ سَهَامُكُمْ فِي فَعَجَزْتُمَا عَنِّي .

وقد تمثل بهذا البيت هارون الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى البرمكي .
قال ابن قُتَيْبَةَ : وكان اللعين هجاءً للأضياف ، قال :

(١) الشعراء ٤٧٤ .

(٢) ط « ابن منقر » صوابه في ش .

وأبيض الضيف، ما بي جُلّ ما كَيْلَه إِلَّا تَنْفُجُهُ عِنْدِي إِذَا قَمَدَا
 مازال يَنْفُجُ كَيْتَفِيهِ وَحَبِوَتَهُ حَتَّى أَقُولُ : لَمَلَّ الضيفَ قَدَوْلَدَا^(١)
 ووجه تلقيب اللعين بهذا على ما رواه صاحب زهر الآداب ، قال : سمعته
 عمر بن الخطاب يُنشد شعراً ، والناس يُصلّون ، فقال : من هذا اللعين ؟ !
 فَعَلِقَ به هذا الاسم .

وأُشَدُّ بِمَدِّهِ ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائة :

١٩٥ (لَمِيَّةٌ مَوْحِشًا طَلَلُ قَدِيمٌ)^(٢)

على أنهم استشهدوا به لتقدم الحال على صاحبها المنكر . وفيه ما بينه
 الشارح المحقق . قال ابن الحاجب في أماليه على أبيات المفصل : يجوز أن
 يكون مَوْحِشًا حالاً من الضمير في لَمِيَّة ؛ فجعل الحال من المعرفة أولى من
 جعلها من النكرة متقدمة عليها ، لأن هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ،
 فكان أولى .

ومن استشهد بهذا البيت ، على ما ذكره الشارح ، ابن جني في شرح
 الحامسة عند قوله :

وَهَلَّا أَعْدُونِي لِمَثَلِي ، فَنَاقَدُوا ؛ وَفِي الْأَرْضِ مَبْنُوثًا شَجَاعٌ وَعَقْرُبٌ^(٣)
 قال : من نصب مَبْنُوثًا فَلأنَّه وصفُ نكرةٍ قدَّم عليها ، فنُصِبَ
 على الحال منها ، كقوله :

لَمَزَّةٌ مَوْحِشًا طَلَلُ قَدِيمٌ

(١) في الحامسة ١٨٥٦ بشرح المرزوقي . « مازال ينفج جنبيه »

(٢) ابن عيسى ٢ : ٦٢ ، ٦٤ والتصريح ١ : ٣٧٥ .

(٣) هذا هو الشاهد ١٥٩ وقد سبق في هذا الجزء ص ٢٩

ومنهم صاحب الكشف ، أوردته عند قوله تعالى (وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا^(١)) على أن فجاجاً كان وصفاً لقوله سُبُلًا ؛ فلما تقدم صار حالاً منه .

ومنهم الخليصي في شرحه للكافية الحاجية ، قال : قدّم الحال وهو موحشاً ، على ذى الحال وهو طلل ؛ لئلا يلتبس بالصفة . قال شارح شواهد الكرماني : هذا لا يصلح لمطلوبه من وجوه : الأول أنه محتمل غير منصوص ، إذ لا نسلم أنه حال من طلل ، لجواز كونه حالاً من ضمير الظرف ، فلا يكون ذو الحال نكرة . الثاني : أنه لو تأخر عن ذى الحال لا يلتبس بالصفة ، لأنّ ذا الحال مرفوعٌ والحال منصوب . الثالث : أنه لا يجوز أن يكون حالاً من طلل ، لأنه مبتدأ ، والحال لا تكون إلا من الفاعل أو المفعول أو مافي قوتها هـ . وفي كلّ من الأخيرين نظر ظاهر .

وقد تكلم السخاوي على هذا البيت في سفر السعادة^(٢) بما يشبه كلام الشارح ، إلا أن فيه زيادةً تتعلق بمذهب الأخفش . وهذا ملخصه : قال النحاة : انتصب موحشاً على الحال من طلل ، والعامل الجار والمجرور . وهذا كلام فيه نظر ، لأنّ الجار والمجرور إما أن يقال فيه ما قال سيبويه أو ما قال الأخفش — وبين مذهب سيبويه وما يرد عليه من اختلاف العامل في الحال وفيها^(٣) — ثم قال : وإن قلنا بقول الأخفش فارتفع طلل على أنه فاعل والرافع له الجار والمجرور ؛ ولا مزية^(٤) على قول الأخفش أن العامل في الحال

(١) الآية ٣١ من سورة الأنبياء .

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) كتبها البغدادي بخطه سنة ١٠٧٤ .

(٣) أي صاحبها . وغيرها الشنيطي بقله إلى « ربحا » .

(٤) ش : ولا مزية « صوابه في طه . والمزية : الشك .

هو العامل في ذبيها^(١) . فإذا كان العامل غير متصرف لم تتقدم الحال عليه ولا على صاحب الحال ؛ ألا ترى أنه لا يجوز هذا قائماً زيد . ولا قائماً هذا زيد . والذي ينبغي أن يقال : العامل في الحال الجار والمجرور ، وصاحب الحال الضمير الذي في الجار والمجرور اه .

وبعد هذا :

(عَفَاهُ كُلُّ أَسْحَمَ مُسْتَدِيمُ)

والطلل : ما شخص من آثار الدار . والموحش : من أوحش للنزل : إذا ذهب عنه الناس وصار ذا وحشة ، وهي اتخلوة والمم ، كذا في الصحاح . وعفاه بمعنى درسه وغيره . وعفا يأتي متعدياً ، يقال عفّت الريح المنزل ، ويأتي لازماً ، يقال عفا للنزل : إذا اندرس وتغير . والأسحم هو الأسود ؛ والمراد هنا السحاب ، لأنه إذا كان ذا ماء يرى أسوداً لامتلأه . والمستديم : صفة كل ، وهو السحاب المطر مطراً الديمة ؛ والديمة : مطرة أقلها ثلث النهار أو ثلث الليل .

وهذا البيت ، من روى أوله (لعزة موحشاً الخ) قال . هو لكثير عزة ، منهم أبو علي في التذكرة القصرية . ومن رواه (لمية موحشاً) قال : إنه لدى الرمة ، فإن عزة اسم محبوبية كثير ، ومية اسم محبوبية ذى الرمة . والشاهد المشهور في هذا المعنى هو :

لَمِيَّةٌ مَوْحِشًا طَلَلُ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ

وقد قيل : إنه لكثير عزة . والخِلل بالكسر : جمع خلة ، قال

(١) انظر ما سبق في الحواشي .

الجهري : الخلة بالكسر : واحدة خلل السيف ، وهي بطائن يفتش بها
أجنان السيوف منقوشة بالذهب وغيره .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائة (١) :

١٩٦ (لَيْنٌ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ ، حَرَّانَ صَادِيًّا إِلَى حَيِّبًا إِنَّهَا لَحَيِّبُ)

على أن الحال تقدمت على صاحبها المجرور بالحرف : فإن قوله : (حرَّانَ
صاديًّا) حالان ، إمّا مترادفتان أو متداخلتان ، تقدمنا على صاحبهما ، وهو
الياء المجرور بالآلى . وإلى بمعنى عند متعلقة بقوله حبيبًا وهو خبر كان .

قال ابن جني في إعراب الحماسة : « وقد يجوز في هذا ، عندى ، وجه
آخر لطيف المعنى ، وهو أن يكون حرَّانَ صاديًّا حالاً من الماء ، أى كان برد
الماء في حال حرّته وصداه حبيباً إلى ، وصف الماء بذلك مبالغة في الوصف
وجاء بذلك شاعرنا قتال :

* وَجِبْتُ هَجِيرًا يَتْرَكَ الْمَاءَ صَادِيًّا (٢) *

وإذا صدى فحسبك به عطشاً ، فإن أمكن هذا ، كان حملُه عليه جائزاً
حسناً ورأيت أبا على يستسهل تقديم حال المجرور — في نحو هذا — عليه ،
ويقول : هو قريب من حال المنسوب « هـ » .

أقول : أراد بشاعره أى بشاعر عصره ، أبا الطيب المتنبى . الوجه

(١) الشراء ٦٠٥ والكامل ٣٧٩ والبيان ٣ : ١٥٦ والأشعري ٢ : ١٧٧

وديوان كثير ٢ : ١٩٢ وديوان عروة بن حزام الورقة .

(٢) صدوه في ديوان المتنبى ٢ : ٤٦٨ :

* لقيت المروزي والشناخبي دونه *

الذى أبداه تخيلٌ صحيحٌ ، فإنَّ الإنسانَ يحبُّ أن يكون الماء بارداً في حال كونه حاراً . ولكنَّ الوجهَ الأوَّلَ أحسنُ وأبلغُ ، فإنَّ الماءَ الباردَ أحبُّ إلى الإنسان عند عطشه وحرارته من كلِّ شيء . وهذا المعنى هو المتداول الشائع ، قال المبرد في الكامل : هو معنى صحيحٌ ، وقد اعتوره الحكماء وكلهم أجاد فيه .

ومثل بيت الشاهد قولُ عمر بن أبي ربيعة :

قلتُ وَجَدِي بها كَوَجَدِكَ بالما إِذَا مَا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ !

فإنَّ قوله : إِذَا مَا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ ، يفيد ما أفاده قوله : إلى حرٍّ أن صادياً ، فإنَّه يريد عنه وقت الحاجة إليه ، وبذلك صحَّ المعنى . ومثله قول القطامي :

فَهِنْ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلِي يُصِيبُنْ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي

ينبذن : يرمين به ويتكلَّمن . والغلَّةُ ، بالضم : حرارة العطش .

ويروى عن علي رضي الله عنه ، أن سائلاً سأله فقال : كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء الباردِ على الظمِّ ! !

والقول فيه كثير . وتعليقُ كونها حبيبةً إليه على كون الماء حبيباً إليه في تلك الحالة ، من باب التعليق على المحقق . وقد تصفَّ بعضهم في جبل البرد مصدراً ناصباً لحرٍّ أن وصادياً على المفعولية بتقدير الموصوف — أى جوقاً حرٍّ أن — وأن المراد جوفُ نفسه . وذلك هرباً من وقوع الحال في مثل هذه

الصورة . حتى إن بعضهم مع عدم التأويل يقول : لا حجة فيه ، لأن الشعر محل الضرورة .

وقوله : (لئن كان) اللام هي اللام المؤذنة ، وهي الداخلة على أداة شرط ، للإيدان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها ، لا على الشرط . وتسقى الموطئة أيضاً ، لأنها وطأت الجواب للقسم أي مهتته له ، سواء كان القسم غير مذكور كقوله تعالى : (لئن أخرجوا لا يخرجون^(١)) أم كان مذكوراً قبلها ، كما هنا ، فإن قبل هذا البيت قوله :

(حلفتُ بربِّ الراكمينَ لربِّهمْ خُشوعاً ، وفوقَ الراكمينَ رقيبُ)
فجملة إنها لحبيب ، جواب القسم المذكور وهو حلفت . وقد أخطأ من قال : إن هذه الجملة جواب الشرط . مع أن هذا القائل تقل ضابطة اللام الموطئة عن معنى اللبيب . وضمير إنها لعفراء بنت عم عروة بن جزام . والبيتان له من قصيدة أولها :

(وإني لتعروني لذكرائك روعةٌ لها بين جلدى والعظام ديبُ
وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبته حتى ما أكاد أجيبُ
وأضرفُ عن رأي الذي كنتُ أرثيُ وأنسى الذي أعددتُ حين تغيبُ
ويضمر قلبي عُذرها ، ويعينها عليه ، فإلى في الفؤاد نصيب^(٢)
وقد علمتُ نفسي مكانَ شفائها قريباً ، وهل مالا يُنالُ قريبُ
حلفتُ بربِّ الراكمينَ لربِّهمْ البيتين
وقلتُ لعرافِ اليمامة : داوِني ! فإنَّك إن أبرأتني لطيبُ

(١) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٢) في الديوان والشعر والأغاني ٢٠ : ١٥٦ : « ويظهر قلبي » ويعينها عليه ، أي يعينها على نفسه . وفي المراجع : « ويعينها على » .

فَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ وَلَا طَيْفٍ جِنَّةٍ وَلَكِنْ عَمِي الْحَمِيرُ كُذُوبُ
 عَشِيَّةٌ لَا عَفْراءَ دَانَ مَزَارُهَا فَتَرْجَى ، وَلَا عَفْراءَ مِنْكَ قَرِيبُ
 فَلَسْتُ بِرَأْيِ الشَّمْسِ إِلَّا ذَكَرْتُهَا وَلَا الْبَدْرِ إِلَّا قُلْتُ سَوْفَ تَتُوبُ
 عَشِيَّةٌ لَا خَلْفِي مَفْرُ ، وَلَا الْهَوَى قَرِيبُ ، وَلَا وَجْدِي كَوْجِدَ غَرِيبِ
 فَوَاكِدًا أُمَسْتُ رُفَاتًا كَأَنَّمَا يُلَذُّعُهَا بِالْكَفِّ كَفُّ طَيْبِ
 وَفِي الْيَتَيْنِ الْأَخِيرِينَ إِقْوَاء .

وعُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ هُوَ مِنْ عُدْرَةَ ، أَحَدُ عُشَاقِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ بِذَلِكَ ،
 إِسْلَامِيٌّ : كَانَ فِي مَدَةِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

عُرْوَةُ
 ابْنُ حِزَامٍ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبُزْجِيُّ — فِي رِوَايَتِهِ دِيوَانَ عُرْوَةَ بْنِ
 حِزَامٍ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ثَعْلَبٍ عَنْ لُقَيْطِ بْنِ بُكَيْرٍ الْمَحَارِبِيِّ (١) —
 قَالَ : كَانَ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ وَابْنَةِ عَمِّهِ عَفْراءَ ابْنَةِ مَالِكٍ ، الْمَذْرُوبَيْنِ ،
 أَنَّهُمَا نَشَأَا جَمِيعًا ، فَتَعَلَّقَها عِلَاقَةُ الصَّبِيِّ ؛ وَكَانَ قَدِيمًا فِي حَجَرِ عَمِّهِ ، وَبَلَغَ
 فَكَانَ يَسْأَلُهُ أَنْ يَزُوجَهُ إِيَّاهَا ، فَيَسْؤُفُهُ ؛ حَتَّى خَرَجَ فِي عَيْرٍ لِأَهْلِهِ إِلَى الشَّامِ ،
 فَقَدِمَ عَلَى أَبِي عَفْراءَ ابْنِ عَمِّهِ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْبَلْقَاءِ ، وَكَانَ حَاجِبًا ، فَخَطَبَهَا ،
 فَزُوجَهُ إِيَّاهَا ، فَحَمَلَهَا . وَأَقْبَلَ عُرْوَةَ فِي عَيْرِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَنِيُوكَ نَظَرَ
 إِلَى رُفْقَةٍ مُقْبِلَةٍ مِنْ قَبْلِ الْمَدِينَةِ ، فِيهَا امْرَأَةٌ عَلَى جَمَلٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ
 لَكُنَّهَا شَمَائِلُ عَفْراءَ ! فَقَالُوا : وَيْحَكَ ، مَا نَزَالَ تَذْكُرُ عَفْراءَ ، مَا نَخْلُ بِذِكْرِهَا
 فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ! فَلَمْ يُرْغْ إِلَّا بِعَمْرِقَتِهَا ؛ فَوَقَفَ مَتَحِيرًا لَا يَرُدُّ جَوَابًا .
 حَتَّى إِذَا فَقَّدهَا قَالَ :

(١) ط : « بن بكر المجادى » ش : « بن بكر المجارى » ، صوابه ما أثبت .
 ولقيط بن بكير ترجم له في الفهرست ١٣٨ ومعجم الأدباء ١٧ : ٣٦ كان عالما صدوقا من
 رواة الكوفة توفي سنة ١٩٠ في خلافة الرشيد .

وإني لتعروني لذكرالكِ روعة الأبيات المتقدمة

ثم أخذه مرض السِّلّ حتّى لم يُبقَ منه شيئاً . فقال قوم : هو مسحور ؛
وقال قوم : به جِنَّة . وكان باليمامة طيبٌ يقال له « سالم » فصار إليه ومعه أهله ؛
فجعل يَسْقِيهِ الدواء فلا ينفعه ؛ فخرجوا به إلى طيبٍ بِحُجْرٍ ، فلم ينتفع
بعلاجه ، فقال :

٥٣٥

جَعَلْتُ لِعُرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعُرَافِ حَجَرٍ ، إِنْ هَا شَفِيَانِي
فَمَا تَرَكََا مِنْ حِيلَةٍ يَعْطَانِيهَا وَلَا سَلَوَةٍ ، إِلَّا بِهَا سَقِيَانِي
فَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ ! وَاللَّهِ مَا لَنَا بِمَا حُمِلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ

قال النعمان بن بشير : بعثني معاوية مصدقاً على بنى عُذرة ، فصدّقهم ثم
أقبلتُ راجعاً ؛ فإذا أنا ببيتٍ مُفَرِّدٍ^(١) ليس قرّبه أحد ، وإذا رجلٌ بفنائه لم
يَبْقَ منه إِلَّا عَظْمٌ وَجِلْدٌ ، فلما سمعَ وَجَسِي تَرَنَّمُ بقوله :

وعينان : ما أوفيتُ نَشْرَآ فَنَنْظُرَا بِمَا أَقْبِيهَا إِلَّا هُمَا تِكْفَانِ
كَأَنَّ قِطَاعَةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَيْدِي ، مِنْ شِدَّةِ الْخَلْقَانِ
قال : وإذا أخواته^(٢) حوله أمثال الدُّمَى فنظروا في وجوههن ، ثم قال :

مَنْ كَانَ مِنْ أَخَوَاتِي بَاكِياً أَبَدَاً فَالْيَوْمَ إِنْ أَرَانِي الْيَوْمَ مَقْبُوضَا
يُسَيِّغُنِيهِ ، فَإِنِّي غَيْرُ سَامِعٍ إِذَا عَلَوَتْ رِقَابُ النَّاسِ مَمْرُوضَا

(١) في الشعر والشراء ٦٠٨ حيث نقل من البغدادى : « بيت حريد » وهو الفريد
الوحيد المنزل .

(٢) في النسختين : « إخوته » ، وإنما من أخواته الإبنات . وفي الديوان : « وإذا
وافته أمثال الدى حوله : أخواته وأمه وخالت » ، وفي الشراء : « وإذا أمثال
الغائبيل حوله : « أخواته وأمه وخالت » .

قال : فبرزن ، والله ، يضر بن وجوههم ، وينتفن شعورهم . فلم أبرح
 حتى قضى . فبيأت من أمره ودفنته . كذا قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء .
 وحكى هذه الرواية راوى شعره ، عن عروة بن الزبير ، ثم قال : ومثـ
 ركب بوادى القرى ، فسألوا عن الميت ، فقيل : عروة بن حزام — وكانوا
 يبردون البلقاء — فقال بعضهم لبعض : والله لثأتين عفراء بما يسودها .
 فساروا حتى مروا بمنزلها ، وكان ليلاً ، فصاح صائح منهم — وهى
 تسمع — فقال :

ألا أيها البيت المغفل أهله إليكم نعينا عروة بن حزام

فنهت عفراء الصوت ونادت بهم :

ألا أيها الركب الخيول، ويحكم ! أحقاً نعيم عروة بن حزام^(١)

فقال بعضهم :

نعم ، قد دفناه بأرض نطية مقباً بها فى سبب وإكلام^(٢)

فأجابته وقالت :

فإن كان حقاً ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيم بدر كل تمام^(٣)

نعيم قتي يسقى الغمام بوجهه إذا هى أمست غير ذات غمام

فلا قنع الفتيان بعدك لذة ولا ما لقوا من صحة وسلام

(١) الخيول : المهرعون ، من الحب . ط : « المجنون » صوابه فى ش والديوان

والأفاق ٢٠ : ١٥٥

(٢) النطية : البمبة : وفى النسختين : « بطيئة » ولا وجه له ، والصواب من

ديوان عروة الورقة ٧ . ويروى أيضاً « بمبة » كما فى شرح الديوان .

(٣) فى الديوان : « كل ظلام » .

وَيَنْتَ الْحَبَالَى لَا يُرْجَيْنُ غَائِبًا وَلَا فَرَحاتٍ بَعْدَهُ بَغْلَامٌ
 ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ الرَّجُلِ مَا قَدْ
 بَلَغَكَ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا عَلَى الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مَاتَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ
 أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأُخْرِجَ إِلَى قَبْرِهِ ! فَأَذِنَ لَهَا ؛ فَخَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ تَتَدَبَّه
 وَتَبْكِي عَلَيْهِ ، حَتَّى مَاتَتْ .

قَالَ : وَبَلَغَنِي أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ قَالَ : لَوْ عَلِمْتُ بِمَا جَلَعْتُ بَيْنَهُمَا .

(تَنْبِيْه)

نسب المبرد في الكامل بيتَ الشاهد إلى قيس بن ذريح ، وذكر
 ما قبله كذا :

حَلَفْتُ لَهَا بِالْمُشْعَرَيْنِ وَزَمْزِمَ ، وَذُو الْعَرْشِ فَوْقَ الْمُتَقَسِّمِينَ رَقِيبُ
 لَنْ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ حَرَّانَ صَادِيَا الْبَيْت

ونسبه الصفي إلى كثير عزة ، وقال : هو من قصيدة أولها :

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أَمَّ عَمْرٍو وَبَغَضْتُ إِلَى نِسَاءٍ مَا لَهْنُ ذُنُوبُ
 حَلَفْتُ لَهَا بِالْمَأْزَمِينَ وَزَمْزَمَ وَاللَّهِ فَوْقَ الْحَالِفِينَ رَقِيبُ
 لَنْ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ حَرَّانَ صَادِيَا الْبَيْت

والصحيح ما قدّمناه . والبيتان من شعر غيره دُخِلَ . والله أعلم .

* * *

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائة ^(١) :

(١) انظر الحماسة ١١٤٨ بشرح المزدوقي وعبود الأخبار ١ : ٢٤٧ والأشعري ٢ : ١٧٨ .

١٩٧ (إذا المرء أَعْيَنَهُ المُرْوَةُ ناشئاً فَمَطَّلِبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ)
لِمَا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ .

قال ابن جني في إعراب الحماسة : كهلاً حالٌ من الهاء في عليه ، تقديره :
فمطلبها عليه كهلاً شديد . ثم قال : فإن قلت : فهلاً جعلتَ كهلاً حالاً من
الضمير في المطلب ! قيل : للمصدر الخبر لا يضر فيه الفاعل ، بل يحذف
معه حذفاً . انتهى

وهذا البيت أحد أبيات أربعة مذكورة في الحماسة ، وهي :

(مَنِّي مَا يَرَى النَّاسُ الْغَنَى ، وَجَارُهُ فَقِيرٌ ، يَقُولُوا : عاجزٌ وجليدٌ
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتي ولكن أحاطي قسُمتُ وجُودُ
إذا المرء أَعْيَنَهُ المُرْوَةُ ناشئاً البيت
وكائنُ رأينا من غَفَى مذمَمٌ وصُلوِكُ قومٍ ماتَ وهو حميدٌ)

جملة وجاره فقير : من المبتدأ والخبر ، حالٌ من الغنى . ويقولوا جواب
الشرط . وقوله : عاجز وجليد ، خبر مبتدأ محذوف ، أى هذان عاجز وجليد ؛
والجملة مقول القول : والجليد : من الجلادة وهي الصلابة ، أراد القوة على السعي
وتحصيل المال . وقوله : ولكن أحاطي ، قال الأعم : جمع حَظَّ على غير قياس ،
ويقال : هو جمع أحَظَّ ، وأحَظَّ جمع حَظَّ وأصله أحَظَظ فابدل من إحدى
الظاءين ياء كراهة التضعيف . ويجوز عندي أن يكون أحَظَّ جمعَ خطوة ،
وهي بمعنى الحَظَّ ، وفعلها حَظَّيت أحَظَّي ؛ فلا شذوذ . انتهى . والحَظَّ :
النصيب . والجُودود : جمع جَدَّ بفتح الجيم وهو البَخْت . أى أن الغنى والفقر
مما قدره الله ، فهي حُظوظ وجُودود خلقوا لها على ما علم الله من مصالح عباده .
وقوله : (أَعْيَنَهُ) أى أُنْعِمَنِي ؛ متعدي عِي بالامر إذا عَجَز عنه ،

من باب تعب و (المروءة) : آدابُ نَفْسَانِيَّةٍ تحملُ مراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاقِ وجَمِيلِ العادات . يقال : مُرؤُ الإنسان ، فهو مَرِيٌّ — مثل قُرْبٍ فهو قريب — أى ذو مروءة . قال الجوهري : وقد تُشَدَّدُ فيقال مُرُوَّةٌ . ورؤى : (أَعْيَتْهُ السِّيَادَةُ) . و (نَاشَتْ) مَهْمُوزُ اللام ، فى الصحاح : الناشء : الحدث الذى جاوز حدَّ الصغر ؛ والجارية ناشية ؛ أيضاً . وهو حالٌ من مفعول أَعْيَتْهُ . و (المَطْلَبُ) مصدرٌ بمعنى الطلب . و (الكهل) : الرجل الذى جاوز الثلاثين ووُخِطَ الشَّيْبُ ، وقيل : مَنْ بَلَغَ الأربعين ؛ والمرأة كهلة .

وكائنٌ بمعنى كم لتكثير ، ومذممٌ أى غير محمود كثيراً ، والتشديد للمبالغة من الذمِّ وهو خلاف المدح والصلوك ، بالضم : الفقير . أى كم من غنيٍّ ساعدته الدنيا ثم أصبح مذموماً لبخله ودنائه ، وكم من فقير تجمل وأفق مانال فحمدته الناس .

صاحب الشاهد وهذه الأبيات لرجلي من بنى قُرَيْع (بالتصغير) وهو قُرَيْع بن عَوْف ابن كعب بن زيدٍ مَنَاءَ بن نعيم^(١) ؛ كذا فى حماسة أبى تمام وحماسة الأحم . وعينه ابنُ جُنِّي فى إعراب الحماسة فقال : هو المفلوط بن بدل القرينى^(٢) . وفى حاشية صحاح الجوهري (فى مادة حظ) هى المفلوط السعدى ، وتروى لسويد بن خَذَّاق العبدي^(٣) وكذا قال ابن برِّى فى أماليه على الصحاح والله أعلم .

(١) كذا فى النسختين . والصواب « بن كعب بن سعد بن زيد مَنَاءَ بن نعيم » كما فى جهرة ابن حزم ٢١٩ — ٢٢٠ والاشتقاق ٢٣٩ ، ٢٥٤ .

(٢) هو قرينى ثم سعدى ، وإن كان صنيع البغدادى يوم أنها شخصان ، فهم بنو قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَنَاءَ بن نعيم . انظر جهرة ابن حزم والاشتقاق .

(٣) من قولهم غنق الطائر وخرق ، إذا رمى بذرقه . وفى النسختين : « خذاق » صوابه بلقاء المعجمة كما فى الاشتقاق ٣٣١

و (المعلوط) اسم مفعول من علطه بسهم علطاً : إذا أصابه به .
وهو بالعين والطاء للمهملتين .

ثم رأيتُ في كتاب العباب ، في شرح أبيات الأدب تأليف حسن
ابن صالح المدوّى المنيّ ، قال : البيتُ الشاهد للمخبل السعدى ، من أبيات
مشهورة متداولة في أفواه الناس ، أولها :

(ألا يا لقومى للرؤسوم تبیدُ وعهدك بمنّ حبلهنّ جدید^(١)
وللدار بعد الحى يبکک رحمتها وما الدار إلا دمنة وصعيدُ
لقد زاد نفسى باین ورد کرامة على رجال فى الرجال عبیدُ
یسوقون أموالاً وما سعادوا بها وهم عند مشنق القیام قومودُ
ولا سواد المال اللثیم ولا دنا لذلک ولكنّ الکريم يسودُ
وکلن رأینا من غنى مذممٌ وصُلوک قوم مات وهو حید
ولیس الغنى والفقرم حيلة الفقى ولكنّ أحاط قسمت وجودُ
وما یکسب المال الفقى بجلاده لديه ، ولكنّ خائب وسعيدُ
إذا للمرء أعیته المروءة ناشتاً البيت

وترجمة المخبل السعدى تأتى فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الأربعائة .

• • •

وأشده بعده :

(فما بالنا أمس أسد العربین وما بالنا اليوم شاء النجف)

وتقدم شرحه قريباً^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائة :

١٩٨ (بَدَتْ قَرَأَ وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ غُنْبَرًا وَرَنْتَ غَزَالًا^(٢))

على أن قرأ وما بعده ، من المنصوبات أحوالاً مؤولةً بالمشتق ؛ أى بَدَتْ مضيتة كالقمر ، ومالت متئبة كخوط باني ، وفاحت طيبة الفشر كالعنبر ، ورنت مليحة المنظر كالغزال .

٥٣٨

قال الواحدى : هذه أسماء وضعت موضع الحال . والمعنى : بَدَتْ مشبهة قرأ في حسنها ، ومالت مشبهة غصن باني في تنديها ، وفاحت مشبهة عنبراً في طيب رائحتها ، ورنت مشبهة غزالاً في سواد مقلتها . وهذا يسى التدييح في الشعر ، ومثله :

لاحت هلالاً ، وفاحت عنبراً وشَدَتْ

مِسْكَاً ، وماست قضيباً ، واثنت غصناً

ومثله :

سَفَرْنَ بُدُورًا ، وانتَقَيْنَ أَهْلَةً ، وَمِنْ غُصُونًا ، والتَقَيْنَ جَاذِرًا^(٣)

انتهى . فقله : (بَدَتْ) يقال بدا يبدو وبدؤا . أى ظهر ظهوراً بيئاً . و (ائخوط) بضم الخاء المعجمة : الفصن الناعم لِسَنَةً^(٤) . وقيل : كل قضيب .

(١) انظر ماسبق في هذا الجزء ص ٢٠١

(٢) ديوان المتني ٢ : ١٦٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٤ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٤ .

(٤) جعلها الشنيطى : « بنته » .

و (فاحت) . من فاح المسك قَوْحًا وَفَيْحًا : انتشرت رائحته خاص في الطيب . و (رَنَا) : من الرنوّ كدُنُوّ ، وهو إدامة النظر بسكون الطرف كالرَّنا ، وهو مع شغل قلب وبصرٍ وغلبة هوى ؛ والرَّنا : ما يُرْنى إليه لحسنه . كذا في القاموس . وضير بدت راجعٌ إلى حبيبته ، في قوله قبلَ هذا :

(بِجِسْنِي مَنْ بَرَّتُهُ ، فلو أصارتْ وشاحي ثَقْبَ لَوْلُوَةٍ لَجَلَا)
أى أفدى بجسني الحبيبة التي نحلته وبرّته ، حتى لو جعلت قِلادتي ثَقْبَ دُرَّةٍ لَجَلَّ جِسنِي فيه ، لدقته .

وهذا البيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبي ، مدح بها بدر بن عمار بن صاحب الشاهد إسماعيل الأسدى .

وترجمة المتنبي تقدمت في البيت الحادى والأربعين بعد المائة (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائة :

١٩٩ (كدأبك من أمّ الحويرث قبلهما وجاريتها أمّ الرباب بملسر) (٢)
على أن الدأب يعبر به عن كل حدث لازم : كالحسن والجمال . أو غير لازم : كالضرب والقتل ؛ ولهذا يتعلق به الجار والمجرور ، والظرف ، والحال .
فقوله : (كدأبك) بمعنى كتمتُك . فكفني ولم يصرح .
أقول : جعل الدأب هنا كنايةً عن التمتع لوجه له ، كما يعلم قريباً .

(١) الخزانة ٢ : ص ٣٤٧

(٢) من معلقة امرئ القيس . وانظر المنصف لابن جى ١ : ١٥٠ .

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة ومطلعها :

(قِفَانَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَيِّبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللُّوِيْ بَيْنِ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ
فَتَوْضِحْ ظَلْمَ الرَّاقَةِ ، لَمْ يَمُفْ رَحْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ
وَقَوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطْبِئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا لَهْلِكَ أُمِّي ، وَتَحْمَلِ
وَلِنْ شِفَائِي عَبْرَةً مُهْرَاقَةً فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
كَدَائِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارِئِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَأْسَلٍ)

والبيتان الأولان يأتي شرحهما ، إن شاء الله عز وجل ، في أواخر الكتاب ، في الفاء العاطفة (١) .

وقوفاً بها صحبي الخ ، متعلق بقوله : قفانبك ، فكأنه قال : قفا وقوف صحبي بها على مطبئهم ، أو قفا حال وقوف صحبي . وقوله بها متأخر في المعنى (٢) ، يريد قفانبك في حال وقف أصحابي مطبئهم على . وقوله : ولِنْ شِفَائِي عَبْرَةً الخ ، العبْرَة : الدُّمْعَة . والمُهْرَاقَة : المصبوبة ؛ وأصلها مُرَاقَة من الإِراقَة ؛ والماء زائده . ومعوّل : موضع عَوِيل أي بكاء ، أو بمعنى موضع ينال فيه حاجة : يقال عوّلت على فلان أي اعتمدت عليه .

٥٣٩

قال الباقلاني (في معجز القرآن (٣)) عند الكلام على معاييب هذه القصيدة : هذا البيت مختل من جهة أنه جمل الدع في اعتقاده شافياً كافياً ، فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى عند الرسوم ! ولو أراد أن يحسن

(١) انظر الشاهد الحادي والخمسين بعد التثنية .

(٢) انظر لهذه العبارة وما قبلها إعجاز القرآن ٢٤٧ .

(٣) اسمه المعروف إعجاز القرآن . انظر منه ص ٢٤٧ .

الكلام لوجِب أن يدل^(١) على أن الدمع لا يشفيه لشدة مابه من الحزن ، ثم يسائل هل عند الرّبع من حيلة أخرى^(٢) وفي هذا مع قوله سابقاً لم يعف رسمها تناقض الكلامان وليس في هذا اقتصار^(٣) ؛ لأن معنى عفا ودرس واحد فإذا قال « لم يعف رسمها » ثم قال « قد عفا » فهو تناقض لا محالة ، واعتذار أبي عبيدة أقرب لوصح ، ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك على ما قاله زهير ، فهو إلى الخلل أقرب . انتهى .

وقوله : كدأبك من أمّ الح ، قال أبو جعفر النحاس في شرحه ، وتبعه الخطيب التبريزي : الكاف تتعلق بقوله قفا نيك ، كأنه قال : قفا نيك كدأبك في البكاء ، فهي في موضع مصدر . والمعنى بكاء مثل عادتك . ويجوز أن تتعلق بقوله : وإن شئناى عبرة ، والتقدير : كعادتك في أن تُشغى من أمّ الحويرث . والباء في قوله : بمأسل ، متعلقة بدأبك ؛ كأنه قال : كعادتك بمأسل . وهو جبل . وزاد الخطيب : « وأمّ الحويرث هي هرة^(٤) أمّ الحارث ابن حصين بن ضَمَضَم الكلبى ، وأمّ الزّباب من كلب أيضاً . يقول : لقيت

(١) وكذا في إعجاز القرآن ، وإن كان في بعض أصوله هناك « يدخل » .
(٢ - ٣) ما بين هذين الرّقين هنا على جانب من التعريف لا يستطاع مجالته ، وأنقل هنا ما يقابله من إعجاز القرآن ٢٤٥ - ٢٤٦ : « ثم في هذه الكلمة خلل آخر ، لأنه عقب البيت بأن قال :

* فهل عند رسم دارس من معول *

فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه ، كما قال زهير :

قف بالديور التي لم يصفها القدم ثم وغيرها الأرواح والدم
وقل غيره : أراد بالبيت الأول أنه لم ينطس أنرم كله ، وبالثانى أنه ذهب بمضه ، حتى لا يتناقض الكلامان . وليس في هذا انتصار .

ثم إن الرواية الصحيحة في بيت زهير هي : « بلى وغيرها » . انظر ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنميم ١ : ٢٢٧ وأمال المرتضى ٢ : ١٩٤ وشرح القصائد السبع ٢٦ وسمط اللآلى ٩٤٤ .

(٤) في النسختين : « هرة » ، وأصحبها الشنيطى فأزال الناء بقله ، كما شرح التبريزي للمعقات ، وشرح القصائد السبع الطوال ٢٩ وسمط اللآلى .

مِنْ وَقُوفِكَ عَلَى هَذِهِ الدِّيارِ وَتَذَكُّرِكَ أَهْلِهَا كَمَا لَقِيتَ مِنْ أُمِّ الحَوِيرِثِ وَجَارَتِهَا . وَقِيلَ : الْمَعْنَى : كَأَنَّكَ أَصَابَكَ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ كَمَا أَصَابَكَ مِنَ هَاتَيْنِ الْمَرْأَتَيْنِ ، أَنْتَهَى .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ فِي شَرْحِ أُمَالِي الْقَالِي (١) : أُمُّ الحَوِيرِثِ الَّتِي كَانَ يَشْتَبُّ بِهَا فِي أَشْعَارِهِ ، هِيَ أُخْتُ الْحَارِثِ [حُصَيْنَ (٢)] ابْنِ ضَمْضَمٍ ، مِنْ كَلْبٍ ، وَهِيَ امْرَأَةٌ حُجْرِيَّةٌ أَبِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، فَلِذَلِكَ كَانَ أَبُوهُ طَرَدَهُ وَنَفَاهُ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ أَنْتَهَى . وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ .

وَقَالَ الزُّوزَنِيُّ : يَقُولُ عَادَتُكَ فِي حُبِّ هَذِهِ كَهَادَتِكَ فِي تَيْنِكَ ، أَيْ قَلَّةِ حَظِّكَ مِنْ وَصَالِ هَذِهِ كَعَمَانَاتِكَ الْوَجْدَ بِهِمَا . وَقَوْلُهُ : قَبْلَهَا ، أَيْ قَبْلَ هَذِهِ الَّتِي شَغِفَتْ بِهَا الْآنَ . وَالذَّأْبُ : الْعَادَةُ ؛ وَأَصْلُهَا (٣) مُتَابَعَةُ الْعَمَلِ وَالْجِدَّةِ فِي السَّيِّئِ أَنْتَهَى كَلَامُهُ .

فَجَعَلَ الزُّوزَنِيُّ قَوْلَهُ كَدَأْبِكَ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ مُخَدَّوْفٍ . وَهَذَا أَقْرَبُ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ . فَعُلِمَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّ الدَّأْبَ كُنْيَاةٌ إِمَّا عَنْ الْبُكَاءِ ، وَإِمَّا عَنْ الْمَعَانَاةِ وَالْمَشَقَّةِ . وَالتَّمَتُّعُ لَا مَسَاسَ لَهُ هَاهُنَا ، فَتَأَمَّلْ .

وَتَرْجُمَةُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ التَّاسِعِ وَالْأَرْبَعِينَ (٤) .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ وَهُوَ الشَّاهِدُ الْمَوْفِيُّ الْمَائِتَيْنِ (٥) :

(١) سَمَطُ اللَّائِي ٩٤٤ .

(٢) التَّسْكِلَةُ مِنْ سَمَطِ اللَّائِي .

(٣) عِنْدَ الزُّوزَنِيِّ : « أَصْلُهَا » بِإِفْرَادِ الضَّمِيرِ .

(٤) الْحِزَانَةُ ١ : مَر ٣٢٩ .

(٥) مَطْلَعَةُ عَنْتَرَةٍ . وَانْظُرِ الْخَصَائِصَ ٢ : ٢١٦ وَالْبَيْتَ ٢ : ٤١٤ وَالْمَجْمَعُ ١ : ١٥٢ .

وَالْتَصْرِيحُ ١ : ٢٦٠ .

٢٠٠ (وَلَقَدْ نَزَلَتْ - فَلَا تَقْطُئْ غَيْرَهُ -

مِثْنِي بِمَنْزِلَةِ الْحَبِّ الْمَكْرَمِ)

على أن معناه نزلت قريبةً مِنِّي قرب الحبِّ المكرم . وإنما عدتُ مِنِّي ،
لكون معنى بمنزلة فلان : قريباً قُرْبَهُ أو بعيداً بَعْدَهُ .

وهذا البيت من معلقة عنترَةَ العبسى . قال أبو جعفر النحاس في شرحه ،
— وتبعه الخطيب التبريزى — الباء في قوله : (بمنزلة) متعلقة بمصدر
مخذوف ، لأنه لما قال : (نَزَلَتْ) دلٌّ على النزول . وقوله : بمنزلة ،
في موضع نصب ، أى ولقد نزلت مِنِّي منزلةً مثل منزلة الحبِّ . وقال الزوزنى :
يقول : ولقد نزلت من قلبي منزلةً من يُحِبُّ ويكرِّم .

٥٤٠

والناء في (نَزَلَتْ) مكسورة ، لأنه خطابٌ مع محبوبته عَبلَة ، المذكورة
في بيت قبل هذا (١) وقوله : (فَلَا تَقْطُئْ غَيْرَهُ) ، مفعول ظُنُّ الثَّانِي مخذوفٌ
اختصاراً لا اقتصاراً ، أى فَلَا تَقْطُئْ غَيْرَهُ ، واقعاً أو حقاً ؛ أى غيرَ نزولِكَ
مِنِّي منزلة الحبِّ . وبه استشهد شُرَّاحُ الألفيَّة وغيرُهم بهذا البيت .
و (الحبِّ) : اسم مفعولٍ جاء على أَحَبَّ وأُحِبَّت وهو على الأصل ،
والكثيرُ في كلام العرب محبوب (٢) . قال الكسائى : محبوب من حَبِيت ؛
وكأنها لغة قد ماتت . أى تُرُكْتُ . وقال الأصمى : نَحِبَّ بفتح الناء ،
ولا أعرفه في غير الناء ، ولا أعرف حَبِيت . وحكى أبو زيد أنه يقال حَبِيت
أَحِبَّ وَأَنْتَ نَحِبَّ ونَحْنُ نَحِبَّ . و (المكرم) : اسم مفعول أيضاً ؛ والواو

(١) القينة هنا مطلقة ، وإلا فإن « عبلَة » قد ذكرت قبله بثلاثة أبيات في قوله :

ونحل عبلَة بالجواء وأملنا بالحنن فالصمان فالتنتم

(٢) أى أن الأكثر في اسم المفعول مجيئه من الثلاثى « محبوب » ، كما أن الأكثر

في اسم الفاعل مجيئه من المزيد « محِب » .

في (ولقد) عاطفة . وجملة (لقد نزلت) الخ جوابُ قسمٍ محذوف، أى ووالله لقد نزلت ، كقوله تعالى : « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ (١) » . وقوله : « فلا تظنني غيره » جملة معترضة بين المجرور ومنعلقه ، فإنّ مني متعلق بنزلت . ولقد خبط هنا خبطاً فاحشاً شارحُ شواهد الألفية ، في قوله : الواو للقسم وجواب القسم قوله : فلا تظنني غيره ، ثم قال : قوله فلا تظنني نهى معترضٌ بين الجارّ والمجرور ومنعلقه ، والباء في بمنزلة بمعنى في ، أى نزلت مني في منزلة الشيء المحبوب المكرم . هذا كلامه ؛ ولا يقع في مثله أصغر الطلبة .

وترجمة عنتره تقدمت في الشاهد الثاني عشر من أوائل الكتاب (٢)

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائتين :

٢٠١ (خَرَجْتُ مَعَ الْبَاذِرِيِّ عَلَى سَوَادُ (٣))

هذا عجز ، وصدره :

(إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلَدَةٍ أَوْ نَكِرْتُنْهَا)

على أن الجملة الاسمية الحالية إذا لم يكن مبتدؤها ضمير صاحب الحال ، فإنّ كان الضمير فيها صدر به الجملة فلا يحكم بضعفه مجرداً عن الواو ، كجملة على سواد ، فإنّها حال من البناء في خرجت .

في المصباح : « أنكرته إنكاراً : خلافُ عرفته ؛ ونكرته مثل تعبت كذلك ، غير أنّه لا يتصرف » . أى إذا لم يعرف قدرى أهل بلدة

(١) الآية ١٥٢ من آل عمران .

(٢) الخزائن ١ : ص ١٢٨

(٣) ديوان بشار ٣ : ٤٩ والأغاني ٣ : ٤٩ ومعاهد التصميم ١ : ٩٧ .

أولم أعرفهم خرجتُ منهم مبتكراً مصاحباً للبازى ، الذى هو أبكر الطيور ، فى حال اشتهاى على شئ من سواد الليل . و (البازى) على وزن القاضى ، فى الأصل : صفةٌ من يزأ يزؤ : إذا غلب . ويعرب إعرابَ المنقوص . والجمع بُزاة .

وهذا البيتُ من أبياتِ لبشارِ بن بُرد ، مدح بها خالدُ البرمكى ، وكان قد وفد عليه وهو بفارس ، فأنشده :

(أخالدُ ، لم أهبط إليك بذمةٍ سوى أننى عافٍ وأنتَ جوادُ^(١)
أخالدُ ، إن الأجرَ والحمدَ حاجتى فأيهما تأتى فأنتَ عِصادُ
فإن تعطينى أفرغ عليك مدائى وإن تأب لم تضرب على سِدادُ^(٢)
ركابى على حرفٍ ، وقلبي مشيع ، وما لى بأرضٍ الباخلين بلادُ
إذا أنكرتني بلدةٌ أو نكرتها خرجتُ مع البازى ، على سوادُ^(٣))

يقال : هبط من موضع إلى موضع : إذا انتقل إليه ، والمهبوط : الخدور كرسول فيهما . والذمة هنا العهد والحُرمة . والعافى : من عَفُوته : إذا أتبته طالباً لمعرفته ، وجمعه العُناة ، وهم طُلَّابُ المعروف . وهذا مثلُ قولِ دِعْبِلٍ لما وفد على عبدِ الله بن طاهر :

جئتُكَ مستشفعاً بلا سببٍ إليك ، إلاَّ لحرمةِ الأدبِ
فاقصِ ذِمائى ، فإننى رجلٌ غيرُ ملجٍ عليك فى الطلبِ
فبعث إليه عبدُ الله بعشرةِ آلافِ درهم ، ويهذين البيتين :

(١) فى الديوان : « لم أخبط إليك بذمة » وفى الأغاني : « لم أخبط إليك بذمة » .
(٢) وكذا فى الأغاني . وفى الديوان : « لا يضرب عليك سداد » .
(٣) فى الديوان : « نهضت » بدل « خرجت » .

أعجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرٍّ نَا وَلَوْ اِنْتَظَرْتَ كَثِيرَهُ لَمْ تَقْلِلْ
فَخُذِ الْقَلِيلَ ، وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسَلْ وَنَكُونُ نَحْنُ كَأَنَّا لَمْ نَفْعَلْ

وقد تداول هذين البيتين كثير من الكرماء ؛ فيظن الناس أنهما
لمن تداولهما .

والحرف : الناقة القوية . والمشيع ، على وزن المفعول : الشجاع ، كأن له
شيعة ، أى أتباعاً وأنصاراً .

روى الأصبهاني^(١) (فى الأغاني) أن بشاراً لما أنشد هذه الأبيات دعا خالد
بأربعة أكياس ، فوضع واحداً عن يمينه ، وآخر عن شماله ، وآخر بين يديه ،
وآخر من ورائه ؛ وقال : يا أبا معاذ ، هل استقل العاذ ؟ ففس الأكياس ثم
قال : استقل والله أيها الأمير !

و (بشار بن برد) أصله من طخارستان^(١) من سبي المهلب بن أبي
صفرة — وهى ناحية كبيرة مشتملة على بلدان على نهر جيحون مما وراء
النهر — وكنيته أبو معاذ ، ولقبه المرعث — وهو الذى فى أذنه رِعاث ،
وهو جمع رُعثة ، وهى القرطة — لقب به لأنها كانت فى صفره معلقة
فى أذنه^(٢) . وهو عُقيل بالولاء ، نسبةً إلى عُقيل بن كعب (بالتصغير)
وهى قبيلة . وقيل : لأنه ولد على الرق أيضاً وأعتقه امرأة عُقيلية . وولد
أَكْمَهُ جاحظاً الحذتين قد تغشاهما لحم أحمر . وكان ضخماً عظيم الخلق والوجه
مجذراً . وهو فى أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين . وقد نشأ بالبصرة ،
ثم قديم بغداد ومدح المهدي بن المنصور العباسي ، ورُمى عنده بالزندقة : روى

بشار
ابن برد

(١) ضبط فى الغاموس وابن خلكان بضم الطاء ، وفى معجم البلدان بفتحها .

(٢) انظر لتلقيبه بالمرعث قولين آخرين فى الأغاني ٣ : ٢٢ عن محمد بن سلام .

أنه كان يفضل النار على الأرض ، ويصوب رأى إبليس فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ، ونُسب إليه قوله :

الأرض مظلمة ، والنار مُشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النار^(١)

فأمر المهدي بضربه ، فضرب سبعين سوطاً ، فمات من ذلك ، وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة . ومن شعره :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقةٌ والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا : بمن لا ترى تهذى اقللت لهم : الأذن كالعين تُوفى القلب ما كانا^(٢)
ومن هجائه للمهدي قوله :

خليفةٌ يزنى بعماته يَلْعَبُ بالدُّبُوقِ والصَّوْجَانِ
أبدلنا الله به غيرهُ ودسَّ موسى فى حرِّ الخيزُرَانِ
وبينه وبين حماد عَجْرَدُ أَهَاجٍ فاحشةٌ ، ومن هجوه فيه :

نِعَمَ القَيِّ ، لو كان يعبُدُ ربَّه ويقيمُ وقتَ صَلَاتِهِ ، حمادُ
وابيضُّ من شرب المدامةِ وجهه وبياضه يومَ الحسابِ سوادُ^(٣)

٥٤٢

وقُتِلَ حمادُ عَجْرَدُ على الزندقة أيضاً فى سنة ست وستين ومائة^(٤) . ودُفِنَ
بشارٌ على حماد عَجْرَدُ فى قبر واحدٍ^(٥) ، فكتب أبو هشام الباهلى على قبرها :

(١) انظر البيان ١٦ : ١ . وقد رد عليه صفوان الأنصارى فى البيان ١ : ٢٧ .

(٢) ش : « توفى القلب » ، أى تؤتبه وتعطيه .

(٣) لعله تابع صاحب الوفيات فى إيراد هذا البيت بعد سابقه ، والحق أن بينهما ثالثاً ، كما فى الحيوان ٤ : ٤٤٥ والأغاني ٥ : ١٦٢ مع نسبة الشعر فى الأغاني إلى أبى الغول :

هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسها الحداد

(٤) ش : « ست وثمانين ومائة » . وفى الوفيات ١ : ٨٩ : « سنة سبع وقيل

ثمان وستين ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة » .

(٥) فى الأغاني ٣ : ٩٧ وابن خلكان (فى ترجمة حماد عجرد) أنها قبران .

قد تبع الأعمى قفا عَجَرْدٍ فَأَصْبَحَا جَارَيْنِ فِي دَارٍ
صَارَا جَمِيعًا فِي يَدَي «مَالِك» فِي النَّارِ . وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ
قَالَتْ جَمِيعُ الْأَرْضِ : لَا مَرْحَبًا بِقُرْبِ حَمَادٍ وَبِشَارِ
وَتَرْجَمَتْهُ فِي الْأَغَانِي طَوِيلَةً .

وَأَمَّا (خَالِد) فَهُوَ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ الْبَرْمَكِيُّ^(١) . وَكَانَ بَرْمَكُ مِنْ مَجُوسَ
بَلْخَ وَكَانَ يَخْدُمُ «النُّوْبَهَارِ»^(٢) ، وَهُوَ مَعْبَدٌ لِلْمَجُوسِ بِمَدِينَةِ بَلْخَ تُوْقِدَ فِيهِ
النَّيْرَانِ . وَكَانَ بَرْمَكُ عَظِيمَ الْمَقْدَارِ ، وَسَادَ ابْنُهُ خَالِدٌ وَوَزَرَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ
عَبْدِ اللَّهِ السَّفَاحِ الْعَبَّاسِيِّ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَزَرَ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ . وَلَمْ يَزَلْ وَزِيرًا
إِلَى أَنْ تَوَفَّى السَّفَاحُ ؛ ثُمَّ وَزَرَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ ، إِلَى أَنْ تَوَفَّى فِي سَنَةِ
ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ . وَكَانَتْ وَلادَتُهُ فِي سَنَةِ تَسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ .

و (يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ) هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ وَالْفَضْلُ ، قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغُ
خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِهِ : فِي جُودِهِ ، وَرَأْيِهِ ، وَرِيَاسَتِهِ ، وَعِلْمِهِ ، وَجَمِيعِ
خِلَالِهِ ؛ لَا يَحْيَى ، فِي رَأْيِهِ وَوُفُورِ عَقْلِهِ ؛ وَلَا الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى ، فِي جُودِهِ وَنِزَاهَتِهِ ؛
وَلَا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ، فِي كِتَابَتِهِ وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ ؛ وَلَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، فِي سَرُودِهِ
وَبُعْدِ هِمَّتِهِ ؛ وَلَا مُوسَى بْنُ يَحْيَى ، فِي شَجَاعَتِهِ وَرِيَاسَتِهِ .

يَحْيَى
الْبَرْمَكِيُّ

* * *

(١) لِيَاقُوتُ فِي رِسْمِ (نُوبَهَارِ) بَحْثٌ مَتَمٌّ فِي اسْتِثْقَاكِ كَلِمَةِ «بَرْمَكٍ» إِذْ قَالَ :
«كَانُوا يَسْمَوْنَ السَّادِنَ الْأَكْبَرَ بَرْمَكَ ، لِتَشْبِيهِهِمُ الْبَيْتَ بِمَكَّةَ ، يَسْمَوْنَ سَادَنَهُ ابْنَ مَكَّةَ
فَكَانَ كُلُّ مَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ السَّدَانَةَ بِرْمَكًا» .

(٢) مَعْنَاهُ الرَّبِيعُ الْجَدِيدُ ، وَتَوُو بِالضَّمِّ بِمَعْنَى الْجَدِيدِ ط : «النُّوْبَهَارُ» ش :
«النُّوْرُ بَهَادٌ» ، صَوَاهِبُهُمَا مَا أُثْبِتَ . وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

أَوْحَشَ النَّوْبَهَارُ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرٍ وَلَقَدْ كَانَ بِالْبَرَامِكِ يَصْرُ

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد المائتين :

٢٠٢ (نَصَفَ النَّهَارُ الْمَاءَ غَامِرُهُ)

هذا صدرٌ وعجزه : (وَرَفِيقُهُ بِالْقَيْبِ مَا يَدْرِي ^(١))

على أن ضمير صاحب الحال إذا كان في آخر الجملة الحالية ، فلا شك في ضعفه وقلته ^(٢) : فَإِنَّ الْمَاءَ مَبْتَدَأٌ ، وَغَامِرُهُ خَبَرُهُ ، والجملة حالٌ من ضمير نَصَفَ المائتين إلى الفائض ، والضمير الذي ربط جملة الحال بصاحبها ، في آخرها . وهذا على رواية نصب (النهار) على أنه مفعول به — قال صاحب المصباح ^(٣) : نَصَفْتُ الشَّيْءَ نَصْفًا ، من باب قتل : بلغت نصفه — وأما على رواية رفعه فالجملة حالٌ منه ؛ ولا رابط ، فتقدَّر الواو . وعليها كلام صاحب المغني ، قال : وقد تخلو الجملة الحالية من الواو والضمير ، فيقدَّر الضمير في نحو : مررت بالبرق فنبز بدرهم ؛ أو الواو ، كقوله يَصِفُ غَائِصًا لَطْلُبَ اللُّؤْلُؤِ اتَّصَفَ النَّهَارُ وَهُوَ غَائِصٌ وَصَاحِبُهُ لَا يَدْرِي مَا حَالُهُ :

نَصَفَ النَّهَارُ الْمَاءَ غَامِرُهُ . . . البيت . انتهى

فنَصَفَ على هذا أيضاً من باب قتل ، قال صاحب المصباح ^(٣) : إن بلغ الشيء نصف نفسه ، ففيه لغات : نصف ينُصِف من باب قتل يقتل ، وأنصف بالالف ، وتنصّف ؛ وانتصف النهار : بلغت الشمس وسط السماء ، وهو وقت الزوال .

(١) ابن يعيش ٢ : ٦٥ وأما ابن الشجري ٢ : ١٩٠ والمج ١ : ٢٤٦ وشرح شواهد الغني ٢٩٧ والأشعري ٢ : ١٩٢ .

(٢) ط : « فلا شك في ضعفه وقوته » ، وهو من عجيب التعريف . صوابه في ش وشرح الرضي للكافية ١ : ١٩٤ .

(٣) ط : « المفتاح » صوابه في ش . والنص في المصباح المنير .

وقد أثبت هاتين الروايتين العسكري في كتاب التصحيف^(١) ، والسيد الجرجاني في شرح المفاتيح . أمّا العسكري فهذا كلامه : قال الرياشي : « الذي يروى نصف النهار ، بالرفع ، يريد معنى الواو أى انتصف النهار والماء غامره وهو تحت الماء ، يعنى الغواص ، وشريكه بالغيب ، أى بحيث يغيب عنه ولا يدرى ما حاله ؛ وإنما يغوص بحبل معه طرفه وطرفه الآخر مع صاحبه . قال الرياشي : الحال إذا لم يرجع إلى الأول منهاشى ؛ فهو قبيح في العربية . قال : وإذا صيرته ظرفاً فهو جيد في العربية . وقال المازني : الجيد نصب^(٢) النهار على الظرف » انتهى . وكونُ النصبِ على الظرف ، تجوزُ ؛ والصواب على المفعولية .

٥٤٣

وأما السيد فقد قال : « النهار منصوب ، من نصفت الشيء : بلغت نصفه . والمراد طول مكثه تحت الماء . وفي الصحاح برفع النهار ، من نصف الشيء : بمعنى انتصف . فالجمله الحالية حينئذ خالية عن الضمير أيضاً ، فاحتاج إلى أن قدّر الواو محذوفة ، أى والماء غامره أى ساتره » انتهى فعلم من هذا أن من قال بوجود الضمير في هذه الجملة ، جعل صاحب الحال ضمير الغواص المستتر في نصف الناصب للنهار . وأن من قال بعدم الضمير ، جعل الجملة حالاً من النهار المرفوع بنصف وقدّر الواو للربط ، وأمّا الضمير الموجود فغير رابط ، لأنه ليس عائداً على صاحب الحال ، وهو النهار ، بل هو عائداً على الغواص .

والعجب من كلام ابن الشجري في أماليه ، فإنه جعل الجملة حالاً من النهار المرفوع ، وقال : « الرابط الضمير » وهذا لا يصح فإن الضمير ليس للنهار .

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتعريف ص ٢٨٥ .

(٢) ط : « نصف » صوابه في ٣٠ .

وهذه عبارته : ولو حذفت الضمير من جملة الحالِ المبتدأ به واكتفيت بالواو ،
جاز ، نحو : جاء زيد وعمرو حاضر . ولو حذفت الواو اكتفاءً بالضمير
فقلت : خرج أخوك يده على وجهه ، جاز ، كقوله :

نصف النهار الماء غامره انتهى

وأنجبُ منه قول ابن السِّيد في شرح شواهد أدب الكاتب ، في جعله
الجملة حالاً ، وصاحبَ الحال غيرَ مذكور في هذا البيت ، بل هو في بيتٍ
قبلَ هذا بأبيات . وهذا كلامه : « جملة الماء غامره حالٌ وكذلك الجملة التي
بعدها . وكان ينبغي أن يقول : والماء غامره ، فيأتى بواو الحال ؛ ولكنه
اكتفى بالضمير منها . ولو لم يكن في الجملتين عائِدٌ إلى صاحب الحال لم يجرِ
حذف الواو . وأما صاحب هاتين الحالين فليس بمذكور في البيت ، ولكنه
مذكور في البيت الذي قبله ، وهو :

« كجُمَاةِ الْبَحْرِىَّ جَاءَ بِهَا غَوَاصُهَا مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ » انتهى

وأغربُ من هذين القولين صنيعُ ابن جني في سرِّ الصناعة ، فإنه حكم
على هذه الجملة بأنه لا رابط معها . ثم نقض كلامه بجعل الضمير رابطاً للحال
بصاحبها المحذوف . وهذا ما سطره : إذا وقعت الجملة الاسمية بعد واو الحال
كنت في تضمينها ضميرَ صاحبِ الحال وتركِ تضمينها إيَّاه مخيراً ؛ فالأوّل
نحو جاء زيد وتحتة فرس ، والثانى جاء زيد وعمرو يقرأ . فأما إذا لم يكن
واو فلا بدَّ من الضمير ، نحو أقبل محمد على رأسه قلنسوة . وإذا فقدت جملةُ
الحال هاتين الحاليتين ، انقطعت مما قبلها ، ولم يكن هناك ما يربط الآخر
بالأوّل ؛ وعلى هذا قولُ الشاعر :

نصفَ النهارُ الماءُ غامره البيت

يصف غائصاً غاص في الماء من أول النهار وهذه حاله . فلهما من غامرُه
ربطت الجملة بما قبلها حتى جرت حالاً على ما فيها ، فكأنك قلت : انتصف
النهارُ على الغائص غامراً له الماء ؛ كما أنك إذا قلت : جاء زيد ووجهه حسن ،
فكأنك قلت : جاء زيد حسناً وجهه . هذا كلامه فتأمله .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون ، مدح بها قيس بن معد يكرب
السيكدي . وقد أجاد في التغزل بمحبوبته في أولها ، إلى أن شبهها بالدرّة ،
ثم وصف تلك الدرّة كيف استخرجت من البحر فقال :

٥٤٤

(كجمانة البحريّ جاء بها غوّاصها من لُجّة البحر^(١)
صلبُ الفؤادِ رئيسَ أربعةٍ متخالفي الألوانِ والتنجيرِ
فتنازعوا حتى إذا اجتمعوا ألقوا إليه مقاليدَ الأمرِ
وعَلَتْ بهم سجعاه خادِمةٌ تهوى بهم في لُجّة البحر^(٢)
حتى إذا ما ساء ظنهم ومضى بهم شهرٌ إلى شهرٍ
ألقي مراسيه بهلكة^(٣) ثبَتَ مراسيها فاستجوى
فانصبَّ أسقفُ رأسه ليدُ نزعَتْ رباعيناه للصبرِ
أشقى يمجُّ الزيتَ ملتصقُ ظمآنٌ ملتهبٌ من الفقرِ
قَلَّتْ أباه ؛ فقال : أتبعه أو أستفيدَ رغبةَ الدهرِ
نصفَ النهارِ الماءَ غامرُه ، وشريكه بالغيبِ ما يدرى

(١) قابل الأستاذ الميمني هذه الأبيات على نسخة رامبور من ديوان الأعشى ، فأثبت مقابله هنا .

(٢) في نسخة رامبور من ديوان الأعشى : « سجعاه حارسه » بدون نقط في الكلمة الأخيرة .

(٣) رامبور : « بهلكة » :

فَأَصَابَ مُنَيْتَهُ ، فُجَاءَ بِهَا صَدَفِيَّةٌ كَمُضِيَّةِ الْجُرْ
يُعْطَى بِهَا نَمْنًا وَيَنْعَمُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهُ : أَلَا تَشْرَى ؟ (١)
وترى الصَّوَارِي يَسْجُدُونَ لَهَا وَيَضُفُّهَا بِيَدَيْهِ لِلتَّجْرِ (٢)
فَلْتَلِكُ (٣) شَيْئُهُ الْمَالَكِيَّةِ إِذْ طَلَعَتْ بِهِجَتِهَا مِنَ الْخَلْدِ (٤)

الْجُمَاةُ ، بضم الجيم : حَبَّةٌ تَعْمَلُ مِنْ فِضَّةٍ كَالدَّرَةِ ، وَجَمْعُهَا جُحَانٌ .
أَيُّ هِيَ كَجُمَاةِ الْبَحْرَى . وَصَلْبُ الْفَوَادِ ، بِالضَّمِّ : أَيُّ قَوَى الْفَوَادِ
وَشَدِيدُهُ ، هُوَ صِفَةُ لَفَوَاصٍ . وَرئيسُ أَرْبَعَةٍ بِالنَّصَبِ حَالٌ مِنْهُ ، وَقَوْلُهُ :
مُتَخَالِفِي الْأَلْوَانِ : صِفَةُ أَرْبَعَةٍ ، وَالْإِضَافَةُ لَفِظِيَّةٌ . وَالنَّجْرُ ، بفتح النون وسكون
الجيم : الْأَصْلُ . أَيُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ أَصْلُهُمْ مُخْتَلَفٌ ، وَكَذَلِكَ أَوَانُهُمْ
مُخْتَلَفَةٌ . وَالسَّجْحَاءُ ، بِتقديم الجيم على الحاء المهملة : [الطويلة (٤)] الظَّهْرُ ؛
وَأَرَادَ بِهَا السَّفِينَةَ . وَالْمَرَاسِي : جَمْعُ مِرْسَاةٍ بِالْكَسْرِ ، وَهِيَ آلَةٌ تُرْسَى بِهَا
السَّفِينَةُ . وَقَوْلُهُ : فَانْصَبْ أَسْقَفُ الْخِ . أَيُّ رَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ وَغَاصَ لِإِخْرَاجِ
الدَّرِّ . وَالْأَسْقَفُ ، بفتح الألف والقاف ، مِنَ السَّقْفِ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَهُوَ طَوْلٌ فِي
الْأَنْحَاءِ . وَلَيْدٌ ، بِكسر الباء أَيُّ مُتَلَبِّدٍ . وَأُشْقَى فِعْلٌ مَاضٍ ، يُقَالُ أَشْقَى عَلَى الشَّيْءِ :
أَيُّ أَشْرَفَ عَلَيْهِ . وَيَمِجُّ : يَقْدَفُ مِنْ فِيهِ ، كَمَا هُوَ عَادَةُ الْغَائِصِ . وَفَاعِلُهُمَا
ضَمِيرُ أَسْقَفٍ . وَمُلْتَمَسٌ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْوَصْفَيْنِ نَعُوتٌ لِأَسْقَفٍ . وَقَوْلُهُ :
قَتَلْتُ أَبَاهُ الْخِ ، أَيُّ أَنَّ أَبَاهُ هَلَكَ فِي حُبِّ هَذِهِ الدَّرَةِ أَوْ فِي تَحْصِيلِهَا ، فَقَالَ

(١) تَشْرَى هُنَا بِمَعْنَى تَبِيعَ كَمَا سَبَّأَنِي ، وَكَافَى قَوْلَ يَزِيدُ بْنُ مَفْرُغٍ :

وَشَرِيتُ بَرْدًا لِبَيْتِي مِنْ بَعْدِ بَرْدِ كَنْتِ هَامَهُ

(٢) ط : « لِلتَّحْرِ » صَوَابُهُ مِنْ شِ وَالْتَفْسِيرُ التَّالِي .

(٣) ط : « قَتَلِكُ » ، صَوَابُهُ مِنْ شِ .

(٤) التَّكْمِلَةُ مِنَ الْقَامُوسِ .

هذا الغائص : أتبع أُنْبَى في الهلاك أو أستفيد مالا كثيرا . والرغبة : العطاء الكثير . وقوله : نصف النهار . الخ روى (وريفقه) بدل (وشريكه) . ومُنِيَّتُهُ ، هي ما يتمناه . وصدقية : حال من الضمير المجرور بالباء . ويعطى ، بالبناء للمفعول . ويمنعها أى ويمنع الدرة من البيع . وقوله : ألا تشرى : أى ألا تبيعها . والصواري : جمع صارٍ ، وهو الملاح والبحرى . وروى (الشواري) بدله ، وهو جمع شارٍ بمعنى المشتري . وسجودهم لها ، لعزتها ونفاسها . والتعجر : مصدر تعجرَ تعجراً ونجارة من باب نصر .

٥٤٥

ومن أبيات المدح :

(أنتَ الرئيسُ ، إذا همُ نزلوا وتواجهوا كالأسدِ والنمرِ
أو فارسُ اليعحومِ يتبعهم كالطليقِ يتبعُ ليلةَ البهرِ
ولأنتَ أشجعُ من أسامةَ إذ يقعُ الصُراخُ ولُجَّ في الذعرِ^(١)
ولأنتَ أجودُ بالعطاءِ من الرِّ يانٍ لما ضنَّ بالقطرِ^(٢)
ولأنتَ أحيا من مخبأةٍ عنداء تقطنُ جانبَ الكسْرِ
ولأنتَ أبينُ ، حين تنطقُ من لقمانَ لما عى بالأمرِ^(٣)
لو كنتَ من شيءٍ سوى بشري كنتَ للنورِ ليلةَ البدرِ^(٤)
فارسُ اليعحومِ هو ملك العرب النعمانُ بن المنذر . واليعحوم : اسم فرسه

(١) رامبور : « دعيت نزال ولج » .

(٢) ط : « فى القطر » صوابه فى ش والديوان .

(٣) ط : « ولأنتَ أحكم » ، وأثبت ما فى ش والديوان . وفى الديوان أيضا :

« عى بالمكر » وفى شرح شواهد المعنى : « ولأنتَ أنطق ... بالفكر » .

(٤) ينسب هذا البيت أيضا إلى زهير . ديوانه ٩٥ وبشرح الأعلام ٦٤ . والشعراء ٨٨ ونسبه ابن قتيبة فى الشعراء ١٣٠ إلى المسيب بن علس .

والطَّلَق ، بالفتح ، الليلة التي لا حَرَّ فيها ولا برد . وَلَيْلَةُ الْبَهَرِ : ليلة البدر ، حين يبهَرُ النجومُ أى يغلبها بنوره .

قيس بن
معد يكرب

وَقَيْسُ بْنُ مَعْدٍ يَكْرَبُ الْكِندِيَّ ، مات في الجاهليَّة ، يقال له الأشجُّ لآنه شَجَّ في بعض أيامهم . وله عدَّة أولادٍ ، أكبرُهم حُجَيَّة ، وبه كنى زماناً ثم كنى بولده « الأشعث » واسمه معد يكرب ، وسُمِّي الأشعثَ لآنه كان أبداً أشعثَ الرأسِ ؛ وقد أسلم وولده « النعمان بن الأشعث » وقد بُشِّرَ به وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله لَجَنَّةٌ من ثريدٍ أُطعمُها قومي ، أحبُّ إلىَّ منه ! وهلك صغيراً . وللأشعث عدَّة أولادٍ أيضاً ، منهم « قيس بن الأشعث » وأخذ قطيفةَ الحسين رضى الله عنه يوم قُتِلَ ، فكان يقال له : قيس قطيفة .

ولقيس بن معد يكرب بنتُ اسمها « قَتِيلَة » تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفى قبل أن تصل إليه . وابنه « سيف بن قيس » وقد على النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن يؤذَّنَ لهم ؛ فأذَّنَ حتى مات . كذا في جمهرة الأنساب لابن الكلبي .

وأعشى ميمون صاحب الشعر ، تقدَّمت ترجمته في الشاهد الثالث والعشرين (١) ، وقد نقلتُ شعره هذا من ديوانه (٢) . وقد رواها له أبو عبيدة ،

(١) الخزائن ١ : ص ١٧٥

(٢) ط : « وقال قد نقلت » صوابه في ش . الميمنى : القصيدة وجدتها في نسخة ديوان الأعشى ببلد رامبور (الهند) غير منقوطة في ٥٢ بيتاً وليست في طبعة الديوان لأنها رواية نعلب ، إلا أن مصححها الأستاذ رودلف هير ، ألحقها فيها جمعه من شعر المسيب ٣٥١ ولكنها مخرومة مبتورة عنده . وكان العاجز قد قام بجمع بعض الفوائد على طبعته بعد عثوره على نسخة رامبور الرديئة ، ونطبع في المجلد الثاني المشتمل على الترجمة الألمانية بالعربية ، كما قد كتب به الأستاذ المشار إليه .

وابن دُرَيْد ، وغيرهما . وأما الأصمعيّ فقد أثبتّها للمسيّب بن عَلس الجماعى ، وهو خال الأعشى ميمون المذكور ، وهو أحد الشعراء الثلاثة للقيلين الذين فضّلوا فى الجاهليّة .

قال أحمد بن أبى طاهر : كان الأعشى راوية المسيّب بن عَلس — والمسيّب خاله — وكان يطرُد شعره^(١) ويأخذ منه . كذا فى الموشح للرزبانيّ .

والمسيّب : اسم فاعل^(٢) لُقِبَ به لأنه كان يرعى إبل أبيه فسيّبها ، فقال له أبوه : أحقُّ أسمائك المسيّب . فغلب عليه . وقال ابن دُرَيْد فى كتاب الاشتقاق : إن اسمه زهير ، وإنه لُقِبَ بالمسيّب لقوله :

فإن سرّكم ألاّ تتوب لقاحكم غزاراً ، فقولوا للمسيّب يلحق^(٣)

وهو جاهليّ ولم يدرك الإسلام . ونسبه فى الجمهرة كذا : المسيّب ابن عَلس بن مالك بن عمرو بن قُامة بن زيد بن ثعلبة بن عدى بن مالك ابن جُشم بن بلال بن جُماعة بن جُلجُل بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار ابن مُضر — وعَلس بفتح العين واللام ، منقول من اسم القُرَاد^(٤) . وقُامة بضمّ القاف ، وجُماعة بضمّ الجيم ، وروى ابن السكيت جُماعة بالخاء المعجمة

٥٤٦

(١) ط : « يطرى » صوابه فى ش والموشح . والطرّد : السرقة والاختصاب وسارق الشعر لا يطرى من سرق منه .

(٢) الصواب أنه كعظم ، كما فى القاموس . وفى شرح الأنبارى المفضليات ٩٢ : « إنما لقب زهير بن عَلس بالمسيّب حين أُوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر ابن ضبيعة : قد سيناك والقوم » .

(٣) فى النسختين : « بالحق » ، صوابه من الاشتقاق ٣١٦ . فيحتمل أن يكون صواب ما هنا « بالحق » بحذف النادى .

(٤) قبل إن « عَلس » اسم أمه ، فلا يصرف .

المضمومة . وُجِّلَى بضم الجيم وفتح اللام وتشديد المثناة التحتية . وأحس
أفعل من الحماسة . وُضِيعَة بالتصغير .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث بعد المائتين :

٢٠٣ (فَأَلْحَقَهُ بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَلْ^(١))
على أن قوله : (ودونه جواهرها) جملة حالية ، لا الظرف وحده حالٌ
والمرفوع بعده فاعله ، خلافاً لمن زعمه في نحو : جاءني عليه جُبَّةٌ وشي ، لأنه
لو كان من الحال المفردة لامتنعت الواو ، فإنها لا تكون مع الحال المفردة ؛
فلما ذكرت في بعض المواضع ، عُرف أن الجملة حالٌ لا الظرف وحده . .
وصاحبُ الحال الهاء في قوله : (فَأَلْحَقَهُ) وهي ضمير المفعول . وفاعلُ الحقّه
ضميرٌ مستتر راجعٌ إلى الغلام في يتي قبله . والهاء ضمير الكمية .
أى فألحقَ الغلامُ الكميةَ بالهاديات ، ويجوز العكس ؛ فيكون فاعلُ ألحقَ
ضميرُ الكمية والهاء ضميرُ الغلام أى فألحقَ الكميةَ الغلامُ بالهاديات .
وأراد بالهاديات أوائلَ الوحش ومتقدّماتها — يقال : أقبلتْ هَوَادِي الخيلِ :
إذا تقدّمت أوائلُها — جمع هادية ، والهادى : أوّلُ كلِّ شيء . وضمير
(دونه) يعود على ما عاد عليه الهاء . و (جواهرها) : أى متأخراتها —
والهاء ضميرُ الهاديات — وهو جمع جاحرة ، بتقديم الجيم على الهاء المهملة ،
يقال جَحَرَ فلانُ أى تأخّر . وجواهرها مبتدأ ودونه الخبر تقدم عليه ، والجملة
حالٌ كما تقدّم أى ودونَ مكانه ، أو ودونَ غايته التي وصل إليها ، أو دون
بمعنى عند ؛ وقيل : دُونَ هنا بمعنى أقرب . وردّه الزوزنى بأنه إنما يكون

(١) الشاهد من معلقة امرئ القيس .

دون بمعنى أقرب منه إذ أتى باحتمين ، نحو هذا دون ذلك^(١) . و (الصِّرة) بفتح الصاد وتشديد الراء المهملتين ، يجوز أن يكون هنا إما بمعنى الضجة والصيحة ، وإما بمعنى الجماعة ، وإما بمعنى الشدة من كرب أو غيره ؛ وقيل الصِّرة هنا الغبار فقله : في صِرة ، في بعض الوجوه حال من الهاديات ، وفي بعضها حال من جوارحها ، كذا قال الزوزنى^(٢) . ويجوز أن يتعلق الجار في جوارحها . وجملة (لم تَزَلْ) صفة صِرة ؛ وأصله تَزَلَّ ، بناءً ، أى لم تنفرق . وصف بهذا البيت شدة عدو فرسه ، يقول : إن هذا الفرس لما لحق أوائل الوحش ، بقيت أواخرها لم تنفرق ؛ فهي خالصة له . وهذا البيت من جملة أبيات في وصف الفرس ، من معلقة امرئ القيس المشهورة ، والأبيات هذه :

(وقد أَعْتَدِي والطيرُ في وَكُنَايَاها	بمجرد قيد الأوابد هيسكل	أبيات الشاهد
مِكْرٍ مَفْرٍ مُقْبِلٍ مُذِيرٍ مَعًا	كجلود صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلٍ	
كَيْتَ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ	كما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالتَّسْوَلِ	
عَلَى الدَّبْلِ جَيْاشُ كَانَ اهْتِزَامَهُ	إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ ، غَلِيَّ مِرْجَلِ	
يَزِلُّ الْغَلَامُ الْخَلْفُ عَنْ صَهَوَاتِهِ	وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنيفِ الْمُنْقَلِ	٥٤٧
دَرِيرٌ كَخَذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ	تَتَابُعُ كَفْنِهِ بِخَيْطِ مُوَصِّلِ	
لَهُ أَبْطَلَا ظَنِّي ، وَسَاقًا نَعَامَةٍ ،	وإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيبُ تَنْقَلِ	

(١) المعجب أن الزوزنى في شرحه للبيت لم يعارض أن تكون دون بمعنى أقرب بل هو لم يثبت غير هذا المعنى قال : «فهي دونه ، أى أقرب منه . فلعله من سهر البغدادى ، ولم يتعرض التبريزى لهذه الكلمة .»

(٢) لم أجد هذا الكلام أيضاً عند الزوزنى ، وانظر الحاشية السابقة . ولعلهما عن شارح آخر غير الزوزنى ، كما أنه غير التبريزى وابن الأنبارى .

مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَا
ضَلِيعٌ ، إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ
كَأَنَّ سَرَاتَهُ لَدَى الْبَيْتِ قَائِمًا
كَأَنَّ دِمَاءَ الْمَهِادِيَاتِ بَنَحَرِهِ
فَمَنْ لَنَا مِيرَبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ
فَأَدْبَرْنَ كَالْجَزَعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ
« فَأَلْحَقَهُ بِالْمَهِادِيَاتِ وَدُونَهُ
فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ
فَظَلَّ طُهَاءَ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مَنْضَجٍ
فَرُحْنَا يَكَاذُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ وَجِلَامُهُ
أُتْرُنَ غِبَارًا بِالْكَدِيدِ الْمُرْتَكِلِ
بِضَافٍ فُوقِ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلَ
مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلَاةٍ حَنْظَلٍ ^(١)
عُصَارَةُ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مُرْجَلٍ
عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُنْذِلٍ
بِجِيدٍ مُعِمٍّ فِي الشَّيْبَةِ مُخَوِّلٍ
جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَلِ ،
دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَغْسِلِ
صَفِيفَ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مَعْجَلٍ
مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ
وَبَاتَ بَعْنَى قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ

قوله : وقد اغتدى الخ ، تقدم شرحه قريباً ^(٢) . وقوله : مِكْرٌ مِفْرٌ الخ ،
بكسر أولهما وفتح ثانيهما ، وهما بالجر صفتان لقوله منجرد ، وكذلك مُقْبِلٌ
ومُدِيرٌ ، صفتان له ، لكنهما اسماء فاعل بضم أولهما . قال صاحب القاموس :
كُرٌّ عليه : عَطَفَ ، وعنه : رَجَعَ ، فهو كَرَّارٌ ومِكْرٌ بكسر الميم . وقال

(١) هذا البيت لم يرد في ش وورد في ط بلفظ :

كَأَنَّ عَلَى الْكَتِفَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَعَى مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلَاةٍ حَنْظَلٍ
وهي غير الرواية التي اعتمدها المؤلف بالشرح فيها سياقي . وأظن أن البيت كان ساقطاً
من نسخة المؤلف سهواً ، فأثبتته ناسخ أصل المطبوعة الأولى أو طابعتها وفق
الرواية المشهورة .

(٢) انظر ص ١٥٦ وما بعدها من هذا الجزء

الرَّوْزَنِيّ: مِفْعَلٌ يَتَضَمَّنُ مِبَالَغَةً، كَقَوْلِهِمْ: فَلَانٌ مُسْعَرٌ حَرْبٍ. وَإِنَّمَا جُمِلُوهُ
مَتَضَمِّنًا مِبَالَغَةً لِأَنَّهُ مِفْعَلًا يَكُونُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَدْوَاتِ كَأَنَّهُ أَدَاةٌ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ
وَأَلَّةٌ لَتَسْعَرِ الْحَرْبِ. وَالْجُلُودُ، بِالضَّمِّ: الصَّخْرَةُ الْمَلْسَاءُ. وَعَلٍ بِمَعْنَى فَوْقَ؛
وَاسْتَشْهَدَ بِهِ سَيِّبُوهُ وَصَاحِبُ مَعْنَى اللَّيِّبِ عَلَى أَنَّهُ بِمَعْنَاهُ، وَأَنَّ الْجُرَّ بِمَنْ
لِأَنَّهُ قَدَرَهُ نَكْرَةً غَيْرَ مُضَافٍ إِلَى شَيْءٍ فِي النِّيَّةِ.

قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ فِي بَابِ الْإِتْسَاعِ، مِنَ الْعَمْدَةِ «إِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ يَتَنَّا يَتَسَعُ
فِيهِ التَّأْوِيلُ، فَيَأْتِي كُلُّ وَاحِدٍ بِمَعْنَى، وَإِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ لِاحْتِمَالِ اللَّفْظِ وَقُوَّتِهِ
وِاتْسَاعِ الْمَعْنَى، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:

مِكْرٍ مَفْرٍ مُقْبِلٍ مَدْبِرٍ مَعًا الْبَيْتُ

فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ، وَبِحُسْنِ مُقْبَلًا وَمَدْبِرًا. ثُمَّ قَالَ:
مَعًا، أَيْ جَمِيعَ ذَلِكَ فِيهِ. وَشَبَّهَ فِي سُرْعَتِهِ وَشِدَّةِ جَرِيهِ بِجُلُودِ حَطَّةِ السَّبِيلِ
مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ — وَإِذَا انْحَطَّ مِنْ عَلٍ كَانَ شَدِيدَ السُّرْعَةِ؛ فَكَيْفَ إِذَا أَعَاتَهُ
قُوَّةُ السَّبِيلِ مِنْ وَرَائِهِ؟ — وَذَهَبَ قَوْمٌ، مِنْهُمْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، إِلَى أَنَّ مَعْنَى
قَوْلِهِ: كَجُلُودِ صَخَرِ الْحِجِّ، إِنَّمَا هُوَ الصَّلَابَةُ؛ لِأَنَّ الصَّخْرَ عِنْدَهُمْ كُلَّمَا كَانَ
أَظْهَرَ لِلشَّمْسِ وَالرِّيحِ كَانَ أَصْلَبَ. وَقَالَ بَعْضُ مَنْ فَسَّرَهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ: إِنَّمَا
أَرَادَ الْإِفْرَاطَ: فَزَعَمَ أَنَّهُ يَرَى مُقْبَلًا وَمَدْبِرًا فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الْكَرِّ وَالْفَرِّ،
لِشِدَّةِ سُرْعَتِهِ؛ وَاعْتَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ فَاحْتَجَّ بِمَا يُوجَدُ عَيْنَانًا، فَشَبَّهَ بِالْجُلُودِ
الْمُنْحَدِرِ مِنْ قُنَّةِ الْجَبَلِ: فَإِنَّكَ تَرَى ظَهْرَهُ فِي النَّصْبَةِ، عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَرَى فِيهَا
بَطْنَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ إِلَيْكَ. وَلَمَّا هَذَا مَا مَرَّ قَطُّ بِبَالِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، وَلَا خَطَرَ
فِي وَجْهِهِ، أَنْتَهَى.

وَحَاصِلُ هَذَا وَصْفُهُ بِلَيْنِ الرَّأْسِ، وَسُرْعَةِ الْإِنْحِرَافِ، فِي صَدْرِ الْبَيْتِ،

وشدة العدو في عجزه . وقيل : إنه جمع وصفي الفرس بحسن الخلق وشدة العدو ، لكونه قال في صدر البيت : إنه حسن الصورة كامل النصفة في حالتي إقباله وإدباره وكره وفرة ، ثم شبهه في عجز البيت بجلود صخر حطه السيل من العلو ، لشدّة العدو ، فهو في الحالة التي ترى فيها لبيته ترى فيها كقله . وبالعكس .

وقوله : كمت يزلّ اللبد الخ ، الكمت : الذي عرفه وذنبه أسودان ؛ وهو مجرورُ صفةٍ منجرد . والحال : مقعد الفارس من ظهر الفرس . والمثنى : ما اتصل بالظهر من المعجز . والصّفواء : الصخرة المساء التي لا يثبت فيها شيء . والمتنزل ، اسم فاعل : الطائر الذي ينزل على الصخرة ؛ وقيل : هو السيل ، لأنه ينزل الأشياء ؛ وقيل : هو المطر . والباء للتعديّة . يقول : هذا الكمت يزلّ لينده عن حال منته ، لا يملأ ظهره ^(١) واكتناز لحمه — وهما يُحمدان من الفرس — كما يزلّ الحجر الأملس النازل عليه ، فلا يثبت عليه شيء .

وقوله : على الذبل جياش الخ ، الذبل : الضمور . والجياش : الفرس الذي يجيش [في ^(٢)] عدوه ، كما تجيش القدر في غليانها . واهتزاه : صوته . وجنيه : غليه . والمرجل ، بكسر الميم : كل قدر من حديد ، أو حجر ، أو نحاس ، أو خزف أو غيره . يقول : تغلي حرارة نشاطه على ذبول خلقه وضمر بطنه ، وكأنّ تكسر صهيله في صدره غليان قدر . جعله ذكي القلب نشيطا في العدو مع ضمّره ثم شبه تكسر صهيله في صدره بغليان القدر ^(٣) .

(١) في النسخين « لاغلاس ظهره » ، وأصلها الشنقبطي بما أثبتته .

(٢) التكملة من ش والزوزنى .

(٣) انظر هذا الكلام عند الزوزنى .

وروى (على العقب جياش) . والعقب ، بفتح فسكون : جرى بعد جرى ؛ وقيل : معناه إذا حركته بعقبك جاش ولم تحتج إلى السوط ، فإذا كان آخر عدوه على هذه الحالة ، فما ظنك بأوله ١٩ وجياش بالجر صفة منجرد .

وقوله : يزل الغلام الخيف الح ، يزل : يزلق . والخيف بكسر المعجمة : الخفيف ؛ وسمع أبو عبيدة فتحها . والصهوة : موضع اللبد ، وهو مقعد الفارس . وجمعها بما حوّلها ^(١) . ويولى ، بالضم : أى يذهبها ويبعدها . والعنيف : من ليس له رفق . والمتقل : الثقيل . قال بعضهم : إذا كان راكب الفرس خفيفاً رمى به ؛ وإن كان ثقيلاً رمى بنيابه . والجيد أن المعنى بأثواب العنيف نفسه ، لأنه غير حافق بركوبه . وقيل : معناه أنه إذا ركب العنيف لم يتالك أن يصلح ثيابه ، وإذا ركب الغلام الخيف زلّ عنه لسرعته ونشاطه ، وإتما يصلح له من يدايه .

وقوله : دربر كخزروف الوليد الح ، دربر : مستدرّ في العدو . ويصف سرعة جريه : وأخزروف ، بالضم : الفرارة ^(٢) التى يلعب بها الصبيان يُسمع لها صوت . وأمره : أحكم قتله . يقول : هو يدّر الجرى أى يديمه ويواصله . ويسرع فيه إسراع خزروف الصبي إذا أحكم قتل خيطه وتنابت كفاه .

(١) هذا الكلام للتبريزي ، وقال الزوزنى : « وإنما عبر بصهوانه ولا يكون له إلا صهوة واحدة لأنه لا لبس فيه ، فجرى الجمع والتوحيد مجرى واحداً عند الاتساع ؛ لأن إضافتها إلى ضمير الواحد تزيل اللبس ، كما يقال رجل عظيم المناكب وغليظ المشافر ، ولا يكون له إلا منكبان وشفتان » .

(٢) كذا في النسختين . والصواب « الحرارة » بالخاء كما هو عند التبريزي في الشرح ، والمخشري في الأساس (خر) واللسان (خزف) . وانظر القاموس (خزف ، خر) والخزروف لا يفر ، وإنما هو يدور ويصوت ، فيترجم بأنه « الدوارة » كما في شرح البطليني ، وبأنه « الحرارة » .

في فتله وإدارته بخيطٍ اقطعَ ثم وُصل . وذلك أشدَّ لدورانهِ لانتلاسه^(١) .

وقوله : أَيْطَلَا ظُيَّ الح ، الأَيْطَل : المحاصرة : وإِذَا شَبَّهَ بِأَيْطَلِ الظُّيِّ لَأَنَّهُ طَاوٍ . وقال : ساقا نعامه ، والنعامه قصيرة الساقين صُلْبَتُهُمَا ، وهى غليظة ظَمِيَاءُ لَيْسَتْ بِرَهْلَةٍ . ويستحبُّ من الفرسِ قِصَرَ الساق ، لَأَنَّهُ أَشَدُّ لَرْمِيهَا لَوْظِيفُهَا . وَيُسْتَحَبُّ مِنْهُ مَعَ قِصَرِ السَّاقِ طَوْلُ وَظِيفِ الرَّجْلِ وطولُ الذراع ، لَأَنَّهُ أَشَدُّ لِدُخْوِهِ أَى لَرْمِيهِ بِهَا . والإِرْخَاءُ : جرى ليس بالشديد . وفرسٌ مِرْخَاءٌ . وليس دابةٌ أَحْسَنَ إِرْخَاءَ من الذئب . والسَّيْرَحَان : الذئب . والتقريب : أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً . والتنفل بضمَّ التاء الأولى وفتحها مع الفاء : ولد الثعلب ، وهو أحسن الدوابِّ تقريبا .

٥٤٩

وقوله : مِصَحَّ إِذَا مَا السَّابِحَاتِ الح ، المِصَحَّ ، بكسر الميم : الفرس الذى كأنه يصبُّ الجرى صَبًّا . والسَّابِحَات : اللواتى عَدُوهُنَّ سِبَاحَةً . والسباحة فى الجرى : أن تدحُوْا بِأَيْدِيهَا دَحْوًا : أَى تَبْسُطُهَا . وَالْوَنَا ، بفتح الواو والنون ، يمدُّ ويقصر : الفتور . والكديد ، بفتح الكاف : الموضع الغليظ . والمَرَكَل ، اسم مفعول : الذى يَرَكَلُ بالأرجل . يقول : إِنْ أَخْلِيلَ السَّرِيْمَةَ إِذَا فَتَرْتُ فَأَثَارَتِ الْغُبَارَ بِأَرْجُلِهَا مِنَ التَّعَبِ ، جرى هذا الفرسُ جَرِيًّا سَهْلًا كَمَا يَسُحُّ السَّحَابُ الْمَطَرَ . وعلى تتعلَّقُ بِأَثَرِنَّ ، وكذلك الباء .

وقوله : ضَلِيعَ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ الح ، الضليع : العظيم الأضلاع المنتفخُ الْجَنْبَيْنِ^(٢) ضَلْعٌ يَضْلَعُ ضَلَاةً . والاستدبار : النظر إلى دُبُرِ الشئ . والفَرَجُ ، هنا : ما بين الرَّجْلَيْنِ . والضافي : السابغ . والأعزل : المائل الذئب . ويكره

(١) فى النسختين : « لاغلاسه » صوابه من الزوزنى ، وفيه : « لاغلاسه ومرونه على ذلك » وانظر الحاشية (١) ص ٢٤٥ من هذا الجزء
(٢) ط « الجبين » ، صوابه فى ش .

من الفرس أن يكون أعزل ذنبه إلى جانب ، وأن يكون قصير الذنب ، وأن يكون طويلاً يظاً عليه . ويستحب أن يكون سابغاً قصير العسيب .

وقوله : كأن سراته لدى البيت الح ، السراة بالفتح : الظهر . والمداك ، بالفتح : الحجر الذى يُسحق به ؛ والمدوك بالكسر : الحجر الذى يُسحق عليه ؛ من الدوك وهو السحق والطحن . والصلاة بالفتح : الحجر الأملس الذى يُسحق عليه شئ . يقول : إذا كان قائماً عند البيت غير مُسرج رأيت ظهره أملس ، فكأنه مداك عروس : فى صفائها وانملاصها . وإنما قيد المداك بالعروس ، لأنه قريب العهد بالطيب . وقيد الصلاة بالحنظل ، لأن حب الحنظل يخرج دهنه فيبرق على الصلاة . ورواه العسكرى فى التصحيف^(١) (صراية) ، قال : ومما يروى على وجهين «مداك عروس أو صراية حنظل» : رواية الأصمى «صراية» بالصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء ققطان ، وهى الحنظلة الخضراء ؛ وقيل : هى التى اصفرّت ، لأنها إذا اصفرّت برقت ، وهى قبل أن تصفر مغبرة . قال : ومثله :

إذا أعرضت قلت دُبابة من الخضر مغموسة فى الغدر^(٢)

أى من بريقها ، كأنها قرعة . قال الشاعر :

كأن مفارق الهامات منهم صرايات تهادها الجوارى
ورواه أبو عبيدة «صراية» بكسر الصاد ، وقال : هو الماء الذى ينقع فيه الحنظل — ويقال صرى يصرى صرياً وصراية — وهو أخضر صاف . ورواه بعضهم «صراية حنظل» بياء تحتها نقطة واحدة . فمن قال هذا أراد اللوسة والصفاء . يقال : اصراًب الشئ أى املاص . انتهى .

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٢٣ .

(٢) البيت لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٦ .

وقوله : كَانَ دَمَاءُ الْمَادِيَاتِ بَنَحْرِهِ الْخ ، الهاديات : المتقدّمات والأوائل .
 ويريد بعصارة الحنَاء ما بقي من الأثر . والمرجَل ، بالجيم : المسرَّح ،
 والترجيل : التسريح . يقول : إِنَّهُ يَلْحَقُ أَوَّلَ الْوَحْشِ — فَإِذَا لَحِقَ أَوَّلُهَا عَلِمَ
 أَنَّهُ قَدْ أَحْرَزَ آخِرَهَا — وَإِذَا لَحِقَهَا طَعَنَهَا فَتَصِيبُ دِمَاؤُهَا نَحْرَهُ . وقوله : فَعَنَّا
 لِنَسِيرِبَ الْخ ، عَنَّا : عَرَضَ وَظَهَرَ . وَالسَّرْبُ ، بالكسر : القطيع من البقر ،
 وَالطِّبَاءُ ، والنساء . وَالتَّعَاجُ : جمع نَعْجَةٍ ، وهى الأنثى من بقر الوحش ،
 وَمِنَ الضَّانِ . « وَدَوَّارٌ » بِالْفَتْح : صَنَمٌ كَانُوا يَدُورُونَ حَوْلَهُ أَصَابِعُ ، كَمَا يُطَافُ
 بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ . وَالثَّلَاءُ ، بضم الميم : جمع مُلَاءَةٍ ، وهى المِلْحَقَةُ . وَالْمَذِيلُ :
 السَّابِغُ ، وقيل : معناه له هذب ، وقيل : إنَّ معناه له ذيل أسود . وهو أشبه
 بِالْمَعْنَى ، لِأَنَّهُ يَصِفُ بَقَرَ الْوَحْشِ ، وهى بِيضُ الظُّهُورِ سَوْدُ الْقَوَائِمِ . يقول :
 إِنَّ هَذَا الْفَطْيَعَ مِنَ الْبَقَرِ يُلَوِّذُ بِنَعْضِهِ وَيَدُورُ كَمَا تَدُورُ الْعَذَارَى حَوْلَ دَوَّارٍ .
 وهو نَسَكٌ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَدُورُونَ حَوْلَهُ . وَقَالَ الْعُسْكُرِيُّ فِي التَّصْحِيفِ :
 « يَرَوَى دَوَّارٌ ، بِدَالٍ مَضْمُومَةٍ وَدَوَّارٌ ، بِدَالٍ مُفْتُوحَةٍ وَوَاوٍ مُخَفَّفَةٍ . وَهُوَ
 نُسَكٌ كَانَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُدَارُ حَوْلَهُ . وَدَوَّارٌ — فِي غَيْرِ هَذَا ، بِفَتْحَةٍ
 الدَّالِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ — سَجَنٌ فِي الْبَيَامَةِ . وَدَوَّارٌ ، مَضْمُومٍ الدَّالِ مُثْقَلِ الْوَاوِ :
 مَوْضِعٌ » انْتَهَى .

وقال الزَّوْزَنِيُّ : وَالْمَذِيلُ : الَّذِي أُطِيلَ ذَيْلُهُ وَأُرْخِيَ . يَقُولُ : تَعَرَّضَ
 لَنَا قَطِيعٌ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ كَانَ إِنْثَاهُ عَذَارَى يَطْفُنُ حَوْلَ حَجَرٍ مَنْصُوبٍ
 يُطَافُ حَوْلَهُ ، فِي مُلَاءٍ طَوِيلَةِ الذَّيْلِ . شَبَّهَ الْبَقَرَ فِي بَيَاضِ أَلْوَانِهَا بِالْعَذَارَى ،
 لِأَنَّهُنَّ مَصُونَاتٌ بِالْخُدُورِ لَا يَغْيَرُ أَلْوَانَهُنَّ [حَرُّ الشَّمْسِ] وَغَيْرُهُ ^(١) وَشَبَّهَ

(١) ط : « لَا يَغْيَرُ أَلْوَانَهُنَّ غَيْرَةً » وَفِي ش : « لَا يَغْيَرُ أَلْوَانَهُنَّ وَغَيْرَهُ » وَتَصْحِيفُهُ
 مِنَ الزَّوْزَنِيِّ ، وَفِيهِ : « لَا يَغْيَرُ أَلْوَانَهُنَّ حَرُّ الشَّمْسِ وَغَيْرَهُ » .

طول أذناها وسبوغ شعرها بالملاء المذيل . وشبه حُسن مشيها بحسن تبختر العذارى في مشيها .

وقوله : فأدبرن كالجَزْعِ المفصَّل الح ، الجَزْع ، بالفتح : الخِرَز ، وقال أبو عُبيدة بالكسر ، وهو الخِرَز الذى فيه سوادٌ وبياض . وبجيد : أى في جيد ، وهو العنق ومعنى مُعْمٌ مَخُولٌ له أَعْمَامٌ وأُخْوَالٌ ، وهم في عَشيرة [واحدة ^(١)] كأنه قال : كريم الأبوين . وإذا كان كذلك كان خِرَزُه أَصْفَى وَأَحْسَنَ . يصف أن هذه البقر من الوحش تفرقت كالجَزْعِ ، أى كأنها قِلَادَةٌ فيها خِرَزٌ قد فُصِّلَ بينه بالخِرَزِ ، وجُعِلَتِ القِلَادَةُ في عُنُقِ صبيٍّ كريمٍ الأَعْمَامِ والأُخْوَالِ . شبه بقر الوحش بالخِرَزِ اليماني ، لأنه يسودُّ طرفاه وسائرُه أبيض ، وكذلك بقر الوحش يسودُّ أَكْرَءُهَا وخُدودها ، وسائرُها أبيض . شرط كونه جيداً مُعْمٌ مَخُولٌ ، لأن جواهر قِلَادَةٍ مثل هذا الصبيِّ أعظمُ من جواهر قِلَادَةٍ غيره . وشرط كونه مفصَّلاً لتفرقهنَّ عند رؤيته .

وقوله : فآلقه بالهاديات ، تقدّم شرحه ^(٢) . وقوله : فعادى عداءً بين نورٍ ونعجة الخ ، عادى : والى بين اثنين في طَلَقٍ ، ولم يعرق أى أدرك صيده قبل أن يعرق . وقوله : فيغسل ، أى لم يعرق فيصير كأنه قد غُسل بالماء . ودِراكاً بمعنى مداركة ، في موضع الحال . ولم يرد نورا ونعجة فقط ، وإنما أراد الكثير ؛ والدليل عليه قوله دِراكاً ، ولو أرادها فقط لاستغنى عنه بمادى . وفيه مبالغةٌ لا تخفى .

وقوله : فَظَلَّ طُهاةُ اللَّحْمِ الخ ، هو جمع طاهٍ ، وهو الطَّبَاح . والصَّيف : الذى قد صُفِّفَ مُرَقَّقا على الجِرْ ، وهو شواء الأعراب . والقدير : ما طبخ

(١) التكملة من التبريزى .

(٢) فى ص ٢٤١ من هذا الجزء وهو بيت الشاهد .

في قِدر . ووصف بمَعَجَل ، لأنهم كانوا يستحسنون تعجيل ما كان من الصيد ويستطرفونه . يقول : ظلَّ المُنْضِجُونَ اللَّحْمَ وهم صِنْفَان : صِنْفٌ يُنْضِجُونَ شِواءً مَصْفُوقًا على الحجارة في النار والجمر ، وصِنْفٌ يَطْبِخُونَ اللَّحْمَ في القِدر . يقول : كَثُرَ الصِّيدُ فَأَخْصَبَ الْقَوْمُ فَطَبَخُوا وَاشْتَوَوْا . ومن للتفصيل والتفسير (١) ، فهو من بين عالم أو زاهد ؛ يريد أنهم لا يعدون الصنفين . وصَيفٌ منصوبٌ بمنضج ، وهو اسم فاعل . وقدير : مجرور بتقدير مضافٍ معطوف على مُنْضِجٍ ، والتقدير : أو طابخٍ قدير ؛ أولا تقديرَ لَكِنَّهُ معطوفٌ على صَيفٍ ، وَخُفِضَ على الجوار أو على توهم أن الصَيفَ مجرورٌ بالإضافة ، وعند البغداديين هو معطوف على صَيفٍ من قبيل العطف على المحل ، ولا يشترطون أن يكون المحل بحق الأصل . كذا في معنى اللبيب .

وقوله : ورُحْنَا يكاد الطرف الخ ، يقول : إذا نظرتَ العينُ إلى هذا الفرس أطالت النظر إلى ما يُنْظَرُ منه ، لحسنه ، فلا تكاد العين تستوفي النظرَ إلى جميعه . ويحتمل أن يكون معناه : أنه إذا نظرتَ إلى هذا الفرس لم تَدِمَ النظرَ إليه لثلاثِ أصابٍ بالعين ، لحسنه . وقوله : متى ما تَرَقَّ الخ ، أى متى نظرتَ إلى أعلاه نظرتَ إلى أسفله ، لكماله ، ليستتمَّ النظرُ إلى جميع جسده . وأصلهما تَرَقَّ وَتَنَسَّهَلَ بتأوين ، وَجَزَّ ما على أن الأول فعلُ الشرط والثاني جوابه . وما زائدة ، ورؤى :

(ورُحْنَا وراحِ الطَّرْفُ يَنْفُضُ رَأْسَهُ)

والطَّرْفُ ، بالكسر : الكريم الطَّرْفَيْن . وينفض رأسه ، من المرح والنشاط .

(١) إنما يستقيم هذا على رواية : « من بين منضج » ، لكن الرواية التي أوردتها البغدادى من قبل « ما بين منضج » .

وقوله : فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ ، فِي بَاتِ ضَمِيرُ السَّكَيْتِ ؛ وَجَلَّةٌ عَلَيْهِ سَرَجُهُ خَيْرٌ بَاتَ ، وَبَاتَ الثَّانِي مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَوَّلِ ، وَبَعِيْنِي خَبْرُهُ ، أَيْ بِمَحِثِ أَرَاهُ ، وَقَائِمًا حَالًا ، وَغَيْرَ مَرْسَلٍ أَيْ غَيْرَ مَهْمَلٍ . وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ لَمَّا جِئَ بِهِ مِنَ الصَّيْدِ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُ سَرَجُهُ وَهُوَ عَرِيقٌ ، وَلَمْ يَقْلَعْ لَجَامَهُ فَيَعْتَلِفُ ^(١) عَلَى التَّعَبِ فَيُؤْذِيهِ ذَلِكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ الْحُجَّ ، أَنَّهُمْ مَسَافِرُونَ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ الْغَدُوَّ فَكَانَ مُعَدًّا لِلنَّكَاحِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وترجمة امرئ القيس تقدمت في الشاهد التاسع والأربعين ^(٢) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ :

٢٠٤ (وَإِنْ أَمْرًا أَسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ

مِنْ الْأَرْضِ مَوْمَاةٌ وَبَيْدَاءٌ سَمْتَلَقُ ^(٣))

لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ : فَإِنَّ جَلَّةَ قَوْلِهِ : (وَدُونَهُ مِنَ الْأَرْضِ مَوْمَاةٌ) مِنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ، حَالٌ لَا الظَّرْفَ وَحْدَهُ ، كَمَا يَتَنَاه . وَصَاحِبُ الْحَالِ الْفَاعِلُ الْمُسْتَرِ فِي قَوْلِهِ أَسْرَى الْعَائِدُ إِلَى امْرَأَةٍ . وَأَسْرَى بِمَعْنَى سَرَى ، قَالَ فِي الصَّحَاحِ : « وَسَرَيْتُ سُرًى وَمَسَرَيْتُ وَأَسَرَيْتُ ، بِمَعْنَى : إِذَا سَرَيْتَ لَيْلًا . وَبِالْأَلِفِ لَفَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَجَاءَ الْقُرْآنُ بِهِمَا جَمِيعًا . وَالْكَافُ مِنْ إِلَيْكَ مَكْسُورَةٌ ، لِأَنَّهُ خُطَابٌ مَعَ نَاقَتِهِ . وَ (دُونَ) هُنَا بِمَعْنَى أَمَامَ وَقَدَّمَ . وَ (الْمَوْمَاةُ) بِالْفَتْحِ : الْأَرْضُ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا ؛ وَفِي الْقَامُوسِ : الْمَوْمَاءُ وَالْمَوْمَاةُ : الْفَلَاةُ ؛ وَاجْمَعُ

(١) فِي الْقِسْمَيْنِ : « فَيَعْتَلِفُ » صَوَابُهُ مِنَ التَّبْرِيزِ .

(٢) الْخُرَازَنِيُّ : ١ ص ٣٢٩

(٣) ابْنُ الشَّجَرِيِّ ١ : ٣١٧ وَالْإِنْصَافُ ٥٨ وَدِيَوَانُ الْأَعْيُنِ ١٤٩ .

الموامي . وأشار إلى أنها فَوْعَلَةٌ : لأنه ذكرها في المعتل الآخر بالواو .
و (البَيِّدَاء) : القفر ، فعلاء من باد يبيد : إذا هلك . (والسَّمْلَق) الأرض
المستوية . وبَيِّدَاء معطوف على مومة وسمَلَق صفته ، وجملة أُسْرَى إِلَيْكَ صفة
امرئ . وخبر إنَّ (لمحقوقة) في بيت بعده ، وهو :

(لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَى أَنَّ لِلْعَانِ مَوْفَقٌ)

وقد أنشد المحقق الشارح هذين البيتين في باب الضمير^(١) على أن
الكوفيين استدلوا بهذا على أنه يجوز ترك التأكيـد بالمنفصل ، في الصفة
الجارية على غير من هي له ، عند أمن اللبس ؛ والأصل لمحقوقة أنت . وهذه
مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين يأتي الكلام فيها إن شاء الله تعالى
في باب الضمير .

ومطلع هذه القصيدة :

(أَرِقْتُ وَمَا هَذَا السَّهَادُ الْمَوْرُقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ)

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(٢) : سمع كسرى أنوشيروان يوماً الأعشى
يتغنى بهذا البيت ، فقال : ما يقول هذا العربي ؟ قالوا : يتغنى بالعربية . قال :
فسرّوا قوله . قالوا : زعم أنه سهر من غير مرض ولا عشق . قال : فهذا
إذاً ليس .

وبعد هذا المطلع بأبيات في وصف الحرة ، وهو من أبيات
الكشاف والقاضي :

(تُرَبِّكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَنْمَطِقُ)

(١) انظر الشاهد السابع والمائتين بعد الثلاثمائة .

(٢) الشعراء والشعراء ٢١٤ .

وهذا وصفٌ بديعٌ في صفاء الحمرة . والتمتق : التذوق . قال ابن قتيبة
في كتاب الشعراء : أراد أنها من صفاتها ترك القذاة عاليةً عليها ، والقذى
في أسفلها فأخذه الأخطل فقال :

ولقد تبأ كرنى على لذاتها صهباء عالية القذى خرطومُ
ا هـ ، وسيأتى إن شاء الله عز وجل ، بعضُ هذه القصيدة في باب الضمير
وبعضها في عوضُ من باب الظروف ^(١) .

وترجمة الأعشى تقدمت في الشاهد الثالث والعشرين ^(٢) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائتين ^(٣) :

٢٥٥ (كما انتفض المصفورُ بالله القطرُ)

هذا عجز ، وصدره :

(وإني لتعروني لذكراك هزة)

على أن الأخفش والكوفيَّين استدكوا بهذا على أنه لم يجب (قد) مع
الماضي المثبت الواقع حالاً ؛ فإن جملة (بالله القطرُ) من الفعل والفاعل ، حالٌ
من المصفور وليس معها قد ، لا ظاهرة ولا مقدرة .

وهذه المسألة أيضاً خلافة : ذهب الكوفيون إلى أن الماضي المثبت

(١) في الشاهد السابع والثمانين بعد الثمانيئة ، ثم الشاهد الحادى والعشرين
بعد الخمائة .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٣) ابن عيش ٢ : ٧٦ وشرح شواهد للنبي ٦٢ والميني ٣ : ٦٧ ، ٢٧٨ والقالي
١ : ١٤٩ والأغانى ٢١ : ٩٧ والانصاف ٢٥٣ والمع ١ : ١٩٤ والأشمونى ٢ : ١٢٤ ،
٢١٥ والتصريح ١ : ٣٣٦ / ١١ : ٢ وشرح السكرى للذهبي ٩٥٧ .

بدون قد ، يقع حالاً بدليل قوله تعالى (أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ^(١))
فَحَصِرَتْ حالٌ بدليل قراءة الحسن البصريّ ويعقوب والمفضل عن عاصم ^(٢) :
(أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) وقول أبي صخر المذليّ :
* كما انتفض العصفور بقله القطر *

وقال البصريّون : لا يجوز وقوعه حالاً بدون قد ، لوجهين : أحدهما أنه
لا يدلّ على الحال ^(٣) ، والثاني أنه إنما يصلح أن يوضع موضع الحال ما يصلح
أن يقال فيه الآن ^(٤) ، نحو : مرّت يزيد يضرب ، وهذا لا يصلح في الماضي ؛
ولهذا لم يجوز ما زال زيد قام ، وليس زيد قام ، لأنّ ما زال وليس يطلبان الحال
وقام ماضٍ ، ولا يلزم على كلامنا إذا كان مع الماضي قد ، لأنّ قد تقرب للماضي
من الحال . وأما الآية والبيت ، فقد فيها مقدّرة ؛ وقال بعضهم : حَصِرَتْ
صفة لقوم المجرور في أوّل الآية ، وهو : (إلّا الذين يصلّون إلى قويم)
وما بينهما اعتراض ، ويؤيده أنه قرئ بأسقاط أو . وعلى ذلك يكون جَاؤُكُمْ
صفة لقوم ويكون حَصِرَتْ صفة ثانية . وقيل : صفة لموصوف محذوف
أى قوماً حَصِرَتْ صدورهم . قال صاحب اللباب : وهذا مذهب سيبويه ؛
وهو ضعيف ، لأنّه إذا قدر الموصوف يكون حالاً موطئة ، وصفة الموطئة
في حكم الحال في إيجاب تصدرها بقد ، وهو يمنع حذف قد ، لا سيما والموصوف
محذوف ، فإنّ الصفة تكون في صورة الحال ، فالإتيان بقد يكون أولى .

(١) الآية ٩٠ من سورة النساء .

(٢) وكذا حفص عن عاصم فيها ذكر المهدوي . وحكى عن الحسن « حصرات »
بالجم ، كما قرئ « حاصرات » . وقرئ « حصرة » بالرفع على أنه خبر مقدم ، فهي
جثة اسمية في موضع الحال . تفسير أبي حيان ٣ : ٤١٧ .

(٣) ط : « يدل على الحال » صوابه في ش . ولى الإنصاف : « أحدهما أن الفعل
للاضى لا يدل على الحال ، فيلغى ألا يقوم مقامه » .

(٤) في الإنصاف : « الآن أو الساعة » .

وقال المبرد : جملة حَصِرَتْ ، إنشائيةٌ معناها الدعاء عليهم ، فهي مستأنفة .
ورُدَّ بأنَّ الدعاء عليهم يضيق قلوبهم عن قتال قومهم لا يتَّجه . وقيل : حَصِرَتْ
بدل اشتغال من جاؤكم لأنَّ المجيء مشتملٌ على الحصر . وفيه بُعدٌ ، لأنَّ
الحصرَ من صفة الجائين ، لا من صفة المجيء .

وقد بسط ابنُ الأنباريُّ الكلامَ على هذه المسألة ، في كتاب الإينصاف
في مسائل الخلاف .

٥٥٣

واستشهد ابنُ هشام بهذا البيت في شرح الألفية على أنَّ المفعولَ له يُجر
باللَّام إذا فقد بعض شروطه ، فإنَّ قوله هنا لذكراك ، مفعولٌ له جَرٌّ باللَّام ،
لأنَّ فاعله غيرُ فاعلِ الفعلِ الممثلِ : وهو قوله لتعروني ؛ فإنَّ فاعله هَزَّةٌ ،
وفاعلُ ذكراكِ المتكلمُ ، فإنَّه مصدرٌ مضافٌ لمفعوله وفاعله محذوفٌ ، أى
لذكرى إيتاك .

و (الهزة) بفتح الهاء : الحركة^(١) ، يقال هَزَزْتُ الشئَ : إذا حرَّكته ؛
وأراد بها الرُّعدة . وروى بدلها (رعدة) . وروى القالي في أماليه
(فترة^(٢)) . وسئل ابنُ الحاجب : هل تصحُّ رواية القالي ؟ فأجاب : يستقيم
ذلك على معنيين : أحدهما أن يكون معنى لتعروني لتُرعِدني ، أى تجعل عندي
العرُواء ، وهى الرُّعدة ، كقولهم : عرَى فلان^(٣) : إذا أصابه ذلك ، لأنَّ
الفتور الذى هو السكونُ عن الإجلال والهيبة ، يحصلُ عنه الرُّعدة
غالبًا عادةً ، فيصحُّ نسبةُ الإرعاد إليه ؛ فيكون كما انتفض منصوبًا انتصابَ

(١) وبالكسر : النشاط والارتياح .

(٢) لم أجِد هذه الرواية عند القالي ، وإنما الرواية عنده هى « هزة » . فيحتمل
أن تكون رواية نسخة من الأمالى ، لأن كثيرا مما أشار البكرى في التنبيه إلى أن
القالي أخطأ فيه ورد في الأمالى المطبوعة مُصححاً أو مُغيراً .

(٣) كذا في ش . وفى ط : « عرا فلان » .

قولك : أخرجه كخروج زيد ، إما على معنى كإخراج زيد^(١) ، وإما لنضمته معنى خرج غالباً ، فكأنه قيل خرج ، فصَحَّ لذلك مثل خروج زيد ، وحسن ذلك تنبيهاً على حصول اللطاع الذي هو المقصود في مثل ذلك ، فيكون أبلغ في الاختصار على اللطاع ، إذ قد يحصل اللطاع دونَه مثل أخرجه فلا يخرج . والثاني : أن يكون معنى لتعروني لتأتيني وتأخذني فترة ، أى سكون ، للسروير الحاصل من الذكرى ؛ وعبر بها عن النشاط لأنها تستلزمه غالباً ، نسيئةً للسبب باسم السبب ، كأنه قال : ليأخذني نشاطٌ كنشاطِ المصفور . فيكون كما انتفض ، إما منصوباً نصبَ له صوتُ صوتِ حمار — وله وجهان : أحدهما أن يكون التقدير يصوتُ صوتَ حمار ، وإن لم يجزِ إظهاره استغناء عنه بما تقدم . والثاني أن يكون منصوباً بما تضمنته الجملة من معنى يصوتُ — وإما مرفوعاً صفةً لفترة ، أى نشاطٌ مثلُ نشاطِ المصفور . . وهذه الأوجه الثلاثة المذكورة في الوجه الثاني ، في إعراب كما انتفض ، تجري على تقدير رواية رعدة وهزة . وروى الرماني عن السكري عن الأصمعي :

إذا ذُكرت برتاح قلبي لذكريها . كما انتفض المصفور بالله القطرُ

وهذا ظاهره

و (انتفض) بمعنى تحرك ، يقال : نفضت الثوب والشجر : إذا حرّكته ليسقط ما فيه . وبالله يبله بلاً : إذا نداه بالماء ونحوه . و (القطر) : المطر .

وفي شرح بديعية العُبيان لابن جابر : أن هذا البيت فيه من البديع صنعة (الاحتمالك) وهو أن يُحذف من الأول ما أثبتَ نظيره في الثاني ، ويُحذفَ

(١) في اللسختين : « كإخراج خروج زيد » والوجه ما أثبت .

من الثاني ما أثبت نظيره في الأول ؛ فإنّ التقدير فيه . وإني لتعروني لذكراك
هزة وانتفاضة كهزة العصفور وانتفاضته . فحذف من الأول الانتفاض لدلالة
الثاني عليه ، وحذف من الثاني الهزة لدلالة الأول عليه اهـ .

وهذا البيت من قصيدة لأبي صخر الهذلي . أورد بعضها أبو تمام في باب
النسيب من الحماسة ، وكذلك الأصمهاني بعضها في الأغاني ورواها تماماً أبو علي
القيلي في أماليه ، عن ابن الأنباري وابن دُرَيْد . وهي هذه :

(لَيْلَى بَذَاتِ الْجَبِشِ دَارُ عِرْقَتِهَا وَأُخْرَى بَذَاتِ الْبَيْنِ آيَاتُهَا سَطَرُ
كَأْتُهُمَا مِلَّانٍ لَمْ يَتَغَيَّرَا وَقَدْ مَرَّ لِلدَّارَيْنِ مِنْ عَهْدِنَا عَصْرُ^(١)
وَقَفْتُ بِرَبْعَيْهَا^(٢) فَمَيَّ جَوَابُهَا قُلْتُ - وَعَيْنِي دَمْعُهَا سَرَبٌ نَهْرُ :
أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمَخْبُونُ ، هَلْ لَكُمْ بَسَاكِنِ أَجْرَاعِ الْحَيِّ بَعْدَنَا خَيْرُ^(٣)
فَقَالُوا : طَوِينَا ذَاكَ لَيْلًا ، وَإِنْ يَكُنْ بِهِ بَعْضُ مَنْ تَهْوَى فَمَا شَعَرَ السَّفَرُ
أُمًّا ، وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ
لَقَدْ كُنْتُ أَتَيْتُهَا ، وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا بَنَاتًا لِأُخْرَى الدَّهْرِ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهِتَ لَا عُرْفُ لِي وَلَا نُكْرُ
وَأَنْسَى الَّذِي قَدْ كُنْتُ فِيهِ هَجْرَتُهَا كَمَا قَدْ تَنْسَى لُبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ
وَمَا تَرَكْتُ لِي مِنْ شَنْدَى أَهْتَدِي بِهِ وَلَا ضَلَعٌ إِلَّا وَفِي عَظْمِهَا كَسْرُ^(٤)
وَقَدْ تَرَكْتَنِي أَغْبِطُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى قَرِينَيْنِ مِنْهَا لَمْ يَفْزَعْهُمَا نَفَرُ^(٥)
وَيَمْتَنِعُنِي مِنْ بَعْضِ إِنْكَارِ ظُلْمِهَا إِذَا ظَلَمْتُ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ لِي عَذْرُ

٥٥٤

(١) الأمالي : « من بعدنا » .

(٢) الأمالي : « برميها » .

(٣) الأمالي : « بأجراع » .

(٤) الأمالي : « شدى » و « في عظمها وقر » .

(٥) الأمالي : « أليفين منها لا يروهما القدر » .

مَخَافَةٌ أَتَى قَدْ عَلِمْتُ لَنْ بَدَأَ
وَأَتَى لَا أُدْرَى إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً
تَكَادُ يَدَى تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا
وَأِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرِكِ فَتَرَةً
تَمَيَّتُ مِنْ حُبِّي عَلَيْكَ أَنَا
عَلَى دَائِمٍ لَا يَمُوتُ الْفَلَكَ مَوْجَهُ
فَتَقْضَى هُمُومَ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رِقِيَّةٍ
عَجِيتُ لِسَعَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فِيَا حَبِّ لَيْلِي، قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى
وَيَا حَبِّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ
فَلَيْسَ عَشِيَّاتِ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ
هَجْرَتِكَ حَتَّى قِيلَ : مَا يَعْرِفُ الْهَوَى ،
صَدَقْتُ ! أَنَا الصَّبُّ الْمَصَابُ ، الَّذِي بِهِ
فِيَا حَبِّدَا الْأَحْيَاءَ مَا دُمْتَ حَيَّةً
فَقُولِهِ : مِلَّانَ ، أَصْلُهُ مِنَ الْآنِ^(١) . وَقُولِهِ : أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ

(١) ط : « بها الهجر » .

(٢) الأماي : « النضر » .

(٣) انظر لكلمة « فترة » ما سبق في حواشي (٢) ص ٢٥٦ من هذا الجزء .

(٤) ط : « ويندو من نخشى نيمته » ، صوابه من الأغاني وتصحيح الشنيطي بقله .

(٥) كذا في النسخين ، والمعروف : « فليست » .

(٦) في الجمع للسيوطي عند الكلام على الآن : قال الفراء : وذهب بعضهم إلى أنه مغرب وفتحته إعراب على الظرفية ، واستدل له بهذا البيت . قال السيوطي : والاختار عندى التول بإعرابه ، فهو منصوب على الظرفية ، وإن دخلته (من) جر .

الح ، هو من أبيات الكشف ومعنى اللبيب ، أنشده في أمّا . وقوله : فما هو
إلا أن أراها فجاءة الح ، هو من أبيات سيبويه ^(١) ، ويأتى شرحه إن شاء الله
عز وجل في نواصب الفعل ^(٢) . وقوله : وما تركت لى من شذى ، هو بفتح
الشين والذال المعجمتين ، بمعنى الشدة وبقية القوة . والضلع ، بكسر الضاد
وفتح اللام . وقوله : تمنيت من حبي علية أننا على رمث ، هو بفتح الراء
والميم وبالثاء للثثة ، قال القالى : أعواد يُصمّ بعضها إلى بعض كالطوف ^(٣) ،
يركب عليها فى البحر . وقوله : ما أبرم السلم النضر ، يقال أبرم السلم :
إذا خرجت برّمته وهى ثمرته . قال فى الصحاح : « البرم محرّكة : نمر العضاء ،
الواحدة برّمة ؛ وبرّمة كل العضاء صفراء إلا العرُوف فإن برّمته بيضاء ؛
وبرّمة السلم أطيب البرم ريحا » .

٥٥٥

حكى الأصبهاني فى الأغاني عن أبى إسحاق إبراهيم اللوصلى قال : دخلتُ
على الهادى فقال : غننى صوتاً ، ولك حُكْمُكَ ! فغنّيته :

ولمّا لتعرونى لذكرالكِ هزّةً كما انتفض المصنورُ بلّله القطرُ

فقال : أحسنت والله ! وضرب بيده إلى جيب ذراعته ^(٤) فشقّ منها
ذراعاً ، ثم قال : زدنى ! فغنّيته :

هجرْتُك حتى قيل : لا يعرف الهوى وزرْتُك حتى قيل : ليس له صبر

فقال : أحسنت . ثم ضرب بيده إلى ذراعته فشقّ منها ذراعاً آخر ،
ثم قال : زدنى ! فغنّيته :

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٠ .

(٢) انظر الشاهد السبعين بعد المائة من الخزانة ، وسيبويه .

(٣) طي ، « كالطوق » ، صوابه فى ش .

(٤) الذراعة ، كرمانة : حجة مشقوقة المقدم .

فيا حبَّها زِدْنِي جَوِّي كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَحْبَابِ مَوْعِدُكَ الْحُشْرُ
 فقال : أَحْسَنْتَ ! وشقَّ ياقِي دُرَاعَتَهُ مِنْ شِدَّةِ الطَّرَبِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ
 إِلَى وَقَالَ : تَمَنَّيْ وَاحْتَكِمِ ؟ فَقُلْتُ : أَتَمَنَّيْ عَيْنَ مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ . قَالَ : فَرَأَيْتُهُ
 قَدْ دَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ ، فَخَلَّيْهُمَا جَزْرَتَيْنِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا ابْنَ اللَّغْنَاءِ ، أَتُرِيدُ أَنْ
 تَشْهَرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ ، وَتَجْعَلَنِي سَمَرًا وَحَدِيثًا ، يَقُولُ النَّاسُ أَطْرَبَهُ فَوْهَبَهُ
 عَيْنَ مَرْوَانَ . أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا بَادِرَةُ جِهْلِكَ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَى صَحَّةِ عَقْلِكَ ، لَأَلْحَقْتُكَ
 بِمَنْ غَبَرَ مِنْ أَهْلِكَ . وَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الْأَفْعُوَانِ ، فَخَلَّتْ مُلْكُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 يَنْتَظِرُ أَمْرَهُ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَطَلَبَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ ذَكْوَانَ وَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ خُذْ
 بِيَدِ هَذَا الْجَاهِلِ وَأَدْخِلْهُ بَيْتَ الْمَالِ ، فَإِنْ أَخَذَ جَمِيعَ مَا فِيهِ فَدَعِهِ وَإِيَّاهُ ؟
 قَالَ : فَدَخَلْتُ وَأَخَذْتُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

و (أَبُو صَخْرَ الْهَنْدَلِيّ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمٍ ^(١) السَّهْمِيُّ الْهَنْدَلِيُّ شَاعِرٌ
 إِسْلَامِيٌّ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . كَانَ مَتَعَصِبًا لِابْنِ مَرْوَانَ مَوَالِيًّا لَهُمْ ، وَلَهُ
 فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَدَامُحٌ كَثِيرَةٌ . وَلَمَّا ظَهَرَ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي الْحِجَازِ وَغَلَبَ عَلَيْهَا ، بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَتَشَاغَلَ
 بَنُو أُمَيَّةَ فِي الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ فِي مَرْجٍ رَاهِطٍ وَغَيْرِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو صَخْرَ الْهَنْدَلِيُّ
 فِي هُنْدَلٍ ، لِيَقْبِضُوا عَطَاءَهُمْ ، وَكَانَ عَارِفًا بِهَوَاهُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ ، فَغَنِمَهُ عَطَاءَهُ ؛
 فَقَالَ : تَمَنَّيْتُ حَقًّا لِي وَأَنَا أَمْرُؤُ مُسْلِمٌ مَا أَحْدَثْتُ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا وَلَا أَخْرَجْتُ
 مِنْ طَاعَةِ يَدَايَ ، قَالَ : عَلَيْكَ بَنِي أُمَيَّةَ ، اطْلُبْ مِنْهُمْ عَطَاءَكَ ! قَالَ : إِذَا أُجِدُّمُ
 سَبْطَةً أَكْفُهُمْ ، مَخْمَةً أَنْفُسَهُمْ ، بَدَلًا لَأَمْوَالِهِمْ ، وَهَابِينَ لِمُجْتَدِيهِمْ ، كَرِيمَةً

(١) فِي السَّخْتِينِ : « سَلَمٌ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْأَغَاثِ ٢١ : ٩٤ عَنْ السَّكْرِيِّ وَحَوَاشِي
 اللَّائِي ٣٩٩ ، وَفِي شَرْحِ السَّكْرِيِّ لِلْهَنْدَلِيِّينَ ٩١٥ : « بَنِي سَلَمَةٍ » وَكَذَا فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ
 اللَّفْنِيِّ ٦٢ . وَعِنْدَ الْعَيْنِيِّ ١ : ١٦٢ « مُسْلِمٌ » .

أعراقهم ، شريفةً أصولهم ، زاكية فروعهم ، قريباً من رسول الله ﷺ نسبهم وسببهم^(١) ؛ لهم السودد في الجاهلية^(٢) والملك في الإسلام ، لا كمن لا يعدُّ في غيرها ولا تغيرها ، ولا حكم أبأؤه في تغيرها وقطيرها ، ليس من أحلافها للطيبين ؛ ولا من ساداتها للمطمين ؛ ولا من هاشمها للمتخين^(٣) ، ولا عبد شمسها المسودين^(٤) وكيف تقاس الأروس بالأذنان^(٥) وأين النصل من الجفن ، وأين السنان من الزجج والذنان من القدامى^(٦) وكيف يفضل الشيخ على الجواد ، والسوقة على الملوكة ، والجائع بخلاً على اللطيم فضلاً^(٧) ؟ فغضب ابن الزبير حتى ارتفعت فرائصه ، وعرق جبينه ، واهتز من قرنه إلى قدمه وانتفع لونه ؛ ثم قال له : يا ابن البوالة على عقبها ، يا جلف يا جاهل ، أما والله لولا الحرمات الثلاث : حرمة الإسلام ، وحرمة الشهر الحرام ، وحرمة الحرم ؛ لأخذت الذي فيه عيناك ! ثم أمر به إلى سجن عارم^(٨) ، فحبس فيه مدة ، ثم استوهبته هذيل ومن له في قريش خثولة ، فأطلقه بعد سنة ، وأقسم أن لا يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً . فلما كان عام الجماعة^(٩) وولى عبد الملك

٥٥٦

(١) بين هذا الكلام وتاليه في الأغاني ٢١ : ٩٤ : « ليسوا إذا نسبوا بأذنان ولا وشائط ولا أنباع ، ولا م في قريش كقفعة القاع » .

(٢) في النسختين : « لهم سودد في الجاهلية » ، والأوفق ما أثبت من الأغاني .

(٣) ط : « هاشمها » ، صوابه في ش والأغاني . وقبل هذه الفقرة في الأغاني :

« ولا من جوداتها الوهايين »

(٤) الأغاني : « وكيف تتائل » ، صوابها « تتابل » .

(٥) في القاموس : « سجن عارم حبس فيه عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية » وقال ياقوت في (عارم) : « ثم كان بعد ذلك سجنًا للحجاج ، ولا أعرف موضعه ، وأظنه بالطائف » .

(٦) في النسختين : « الحجاج » ، وصحها الشنقيطي بما أثبت . وعام الجماعة هو العام الذي أجمع الناس فيه على عبد الملك بن مروان ، وهو سنة ٧٣ انظر الطبري في حوادث سنة ٨٦ وهذا هو عام الجماعة الثاني ، لأنه سبق عام جماعة قبله وكان ذلك سنة ٤١ حين أجمعت كلمة الأمة الإسلامية على معاوية بعد تنازل الحسن بن علي .

ابن مروان وحجّ ، لقيه أبو صخر ، فقرّبه وأدناه وقال له : إنه لم يخفَ على خبرك مع الملحد^(١) ، ولا ضاعَ لدى هواك ولا مواليتك . فقال : إذا شقَى اللهُ منه نفسى ، ورأيتُه قَتيلَ سيفك وصريعَ أوليائك ، مصلوباً مهتوكَ السِّترِ ، مفرّقَ الجُفجُفِ ، فما أبالى ما فاتنى من الدنيا ! ثم استأذنه فى مدح ، فأَنشده قصيدةً ، وأمر له عبدُ الملك بما فاتهُ من العطاء ، ومِثْلِهِ من ماله ، وحمله وكساه . كذا فى الأغاني .

* * *

وَأَنشد بعده :

(يقولُ ، وقد ترّ الوظيفُ وساقفها : أَلستَ تَرى أَن قد أَتيتَ بمؤيدِ)
تقدّم شرحه فى الشاهد الرابع والثمانين بعد المائة^(٢) .

* * *

وَأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه^(٣) :

٢٠٦ (أفى السِّلَمِ أَعْيَاراً ، جَفَاءَ وَغِلْظَةً

وفى الحربِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ العَوَارِكِ)

على أَنَّ (أَعْيَاراً) و (أَشْبَاهَ النِّسَاءِ) منصوبان على الحال عند السيرافى ومن تبعه ، وعلى المصدر عند سيبويه .

قال السَّهْلِيّ فى الرُّوضِ الأَنْفِ : هذا البيتُ لَهْنَدِ بنتِ عَتَبَةَ^(٤) ، قاله

(١) مع الملحد ، ساقطة من الأغاني .

(٢) الخزائن : ص ١٥١ من هذا الجزء .

(٣) فى كتابه ١ : ١٧٢ . وانظر السيرة ٤٦٨ والروض الأنف ٢ : ٨٢ - ٨٣ والعين ٣ : ١٤٢ .

(٤) لم ينسب السَّهْلِيّ ، وإنما فرسه ، والنسبة فى أصل السيرة .

لَقَلَّ قَرِيشٍ حِينَ رَجَعُوا مِنْ بَدْرَ . يقال : عَرَكْتَ لِلرَّأَةِ : إِذَا حَاضَتْ .
 وَنَصَبَ أَعْيَارًا عَلَى الْحَالِ ؛ وَالْعَامِلُ فِيهِ مُحْتَزَلٌ ، لِأَنَّهُ أَقَامَ الْأَعْيَارَ مُقَامَ اسْمِهِ
 مُشْتَقًّا ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : فِي السَّلْمِ بُلْدَاءُ جُفَاءَ مِثْلِ الْأَعْيَارِ . وَنَصَبَ جَفَاءً وَغِلْظَةً
 نَصَبَ لِلصَّدْرِ لِلْوَضُوعِ مَوْضِعَ الْحَالِ ، كَمَا تَقُولُ : زَيْدُ الْأَسَدِ شِدَّةٌ ، أَيْ يُمَاطِلُهُ
 مِمَّا تِلْهُ شَدِيدَةً ؛ فَالشَّدَّةُ صِفَةُ لِلْمَاطِلَةِ ، كَمَا أَنَّ لِلشَّافَةِ صِفَةَ لِلْمَكَالَةِ إِذَا قُلْتَ :
 كَلَّمْتُهُ مُشَافَةً ، فَهَذِهِ حَالٌ مِنَ الْمَصْدَرِ فِي الْحَقِيقَةِ . وَتَعَلَّقَ حَرْفُ الْجَرِّ مِنْ قَوْلِهَا
 أَفَى السَّلْمِ ، بِمَا أَدَّتْهُ الْأَعْيَارُ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ ، فَكَأَنَّهُمَا قَالَتْ : أَفَى السَّلْمِ تَتَبَلَّدُونَ .
 وَهَذَا الْفِعْلُ الْمُحْتَزَلُ النَّاصِبُ لِلْأَعْيَارِ ، وَلَا يَجُوزُ إِظْهَارُهُ هـ . وَزَعَمَ الْعَيْنِيُّ
 أَنَّ قَوْلَهُ : جَفَاءً ، مَنْصُوبٌ عَلَى التَّعْلِيلِ ، أَيْ لِأَجْلِ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ . وَلَا يَخْفَى
 سَقُوطُهُ . وَالْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ التَّوْبِيخِيِّ . وَ (السَّلْمِ) بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِهَا :
 الصَّلْحُ ، يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ . وَ (الْأَعْيَارِ) : جَمْعُ عَيْرٍ بِالْفَتْحِ : الْحِمَارُ أَهْلِيًّا كَانَ
 أَمْ وَحْشِيًّا ؛ وَهُوَ مِثْلُ فِي الْبَلَادَةِ وَالْجَهْلِ . وَ (الْجَفَاءِ) قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ : وَجَاءَ
 الثَّوبُ يَجْفُو : إِذَا غُلِظَ ، فَهُوَ جَافٍ ، وَمِنْهُ جَفَاءَ الْبَدْوِ ، وَهُوَ غِلِظَتُهُمْ
 وَفَطَاطَتُهُمْ . وَالْغِلْظَةُ بِالْكَسْرِ : الشَّدَّةُ وَضِدُّ اللَّيْنِ وَالسَّلَاسَةِ . وَرَوَى (أَمْثَالُ)
 يَدُلُّ قَوْلُهُ أَشْبَاهَ . وَ (الْعَوَارِكِ) : جَمْعُ عَارِكٍ ، وَهِيَ الْحَائِضُ ، مِنْ عَرَكْتَ
 الْمَرْأَةَ تَعْرُكُ ، كَنَصَرَ يَنْصُرُ ، عَرَوْكَ أَيْ حَاضَتْ . وَبَحَّتْهُمْ وَقَالَتْ لَهُمْ : اتَّجِفُونَ
 النَّاسَ وَتُغْلِظُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْمِ ، فَإِذَا أَقْبَلْتَ الْحَرْبُ لِنِسْمِ وَضَعْتُمْ ، كَالنِّسَاءِ
 الْخُلَيْضِ ١٩ حَرَضْتَ الْمُشْرِكِينَ بِهَذَا الْبَيْتِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَالْقَلَّ بِفَتْحِ الْفَاءِ :
 الْقَوْمُ لِلنَّهْزِ مَوْنِ .

هند بنت
عنتبة

وهند بنت عنتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشية العبسية ،
 والدة معاوية بن أبي سفيان ، أخبرها قبل الإسلام مشهورة . وشهدت أحداً
 وفعلت ما فعلت بحمزة ، ثم كانت تؤلب وتحرّض على المسلمين ، إلى أن جاء

الله بالفتح ، فأسلم زوجها ، ثم أسلمت هي يومَ الفتح . كذا في الإصابة لابن حجر .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد السابع بعد المائتين ^(١) ، وهو من شواهد س ^(٢) :
 ٢٠٧ (أنا ابنُ دَارَةٍ مشهوراً بها نَسِي وَهَلْ يَدَارَةُ يَاللَّاسِ مِنْ عَارِ)
 على أن قوله (مشهوراً) حالٌ مؤكِّدة لمضمون الخبر . ومضمونه هنا الفخر ورؤى : (أنا ابن دارة معروفًا بها نسي) . وقوله : نَسِي ، نائبُ الفاعل لقوله مشهوراً . والباء من بها متعلقة به لأنائبُ الفاعل ، كما وهم المعنى . وهذه الحال سببية . و (هل) للاستفهام الإنكارى . و (من) زائدة ، و (عار) مبتدأ منع من رفعه حركةُ حرف الجرِّ الزائد . و (بدارة) خبره . و (ياللاس) اعتراضٌ بين المبتدأ والخبر . ويا للنداء لا للتنبيه ؛ وللناس منادى ، لا أن المنادى محذوفٌ تقديره : قومي ^(٣) . واللام للاستغاثة ، وهي تدخل على المنادى إذا استغِيث نحو : يا لله ، لأنها لتعجب المجرَّد خلافاً للعيني في الثلاثة . و (دارة) اسمُ أمِّ الشاعر ، وهو سالم بن دارة ^(٤) ، قال ابن قتيبة :

(١) الحق أن هذا الشاهد هو (الثامن) بعد المائتين ، وأن قبله شاهداً قد سقط ، ليس يدرى سبب سقوطه بدليل أن الشاهد التالي رقه هو (التاسع بعد المائتين) . والشاهد المفقود هو كما في شرح الرضى ١ : ١٩٦ وسيبويه ١ : ١٧٢ :

أَفِي الْوَلَانِمِ أَوْلَادًا لَوَاحِدَةٍ وَفِي الْعِيَادَةِ أَوْلَادًا لِعَلَّاتٍ

وفي نسخة ش عولجت أرقام الشواهد بعد هذا بأن جعل الشاهد التالي لهذا هو الثامن بعد المائتين . ثم سلسلت أرقام الشواهد إلى آخر الكتاب .

(٣) ط : « إلا أن المنادى محذوف . . . الخ » ، وهو تناقض ظاهر ، صوابه من ش ، وبذلك له أيضاً قول البغدادي قريباً : خلافاً للعيني في الثلاثة .

(٤) في النسختين : « سالم بن أبي دارة » بإقحام « أبي » ، صوابه في الشراء

٣٦٢ والأغاني ٢١ : ٤٩ والمؤتلف ١١٦ ونوادر المخطوطات ١ : ص ٩٢ .

وهي من بني أسد ، وسميت بذلك لأنها شبهت بدارة القمر ، من جلالها .
وقال الخلواني في كتاب أسماء الشعراء للنسوين إلى أمهاتهم : د دارة لقب
أمه ، واسمها سيفاء ، كانت أختة أصابها زيد الخليل من بعض غطفان من
بني أسد ، وهي حبل ، فوهبها زيد الخليل لزهير بن أبي سلمى . فربما نسب
سالم بن دارة إلى زيد الخليل ، هـ . وقال أبو رياش في شرح الحماسة ،
والأصبهاني في الأغاني : دارة لقب جدّه ، واسمّه يربوع . وعلى هذا قد روى :
(أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي)

وروى أيضاً : (معروفاً له نسبي)

وهذا البيت من قصيدة طويلة لسالم بن دارة^(١) ، هجا بها زميل بن أبيير
أحد بني عبد الله بن [عبد] مناف الفزاري^(٢) منها :

(بلغ فزارة إني لن أسالها حتى ينك زميل أم دينار
لا تأمن فزارياً خلوت به بعد الذي امتلأ أير العير في النار
وإن خلوت به في الأرض وحدكما فاحفظ قلوصك واكتبها بأسنار
إني أخاف عليها أن يبيتها عارى الجواعر يغشاها بقسبار
أنا ابن دارة معروفاً له نسبي وهل بدارة يا للناس من عار
جرثومة نبتت في العرّ واعتدلت تبغى الجرائم من عرفه وإنكار
من جندم قيس ، وأخوالى بنو أسد من أكرم الناس زندي فيهم وارى
وأم دينار هي أم زميل . وقوله : بعد الذي امتلأ أير العير الخ : العير ،

(١) انظر لها الروض الأنف ٢ : ٢٨٨ وشرح الحماسة للتبريزي ١ : ٢٠٥ والإصابة

٣ : ١٦٢ .

(٢) التكملة من الخزانة ٢ : ١٢٧ سلفية ، وجهرة ابن حزم ١٧٦

والاشتقاق ١٠٦ .

بالفتح : الحمار . وامتَلَّ أَيْرَ المير أى شوى أير الحمار فى المَلَّة ، وهى الرَّمَاد الحارَّ . وبنو فزارة يُرْمُون بأكل أير الحمار مشويا . وسيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا مستوفى فى باب للثنى . والقَلُوص : انناقة الشابة . واكْتَبَهَا : من كَتَبَ الناقَةَ يكتبها بضمّ التاء وكسرهما : خَمَّ حَياءها أو خَزَمَهَا بِسَيْرٍ أو حَلَقَةٍ حديد لثلاث يُنَزَى عليها . والأسيار : جمع سَيْر من الجلد . وعارى الجواهر : أى بارز الامت والفقحة . والقُسْبَار ، بضمّ القاف : الذِّكْر الطويل العظيم . وجُرْثومة الشيء ، بالضمّ : أصله . وتَبَنَى : من البَنَى ، يقال بَنَى عليه بَنِيًّا : إذا علا عليه واستطال ؛ فأصله تَبَنَى على الجرائيم . والعُرْف ، بالضمّ : المعروف . والجِلْدَم ، بالكسر والفتح : الأصل . وورَى الزَّند : كرمى : خرج ناره ؛ ويقال : « ورت بك زنادى » يقال هذا فى التمدّح والافتخار . وتقدّم سببُ هجومه لبني فزارة وسببُ هذه القصيدة ، مع ترجمته ، فى الشاهد الخامس بعد المائة ^(١) .

٥٥٨

* * *

باب التمييز

أُنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد المائتين ^(٢) :

٢٠٩ (وَسِتُّوكَ قَدْ كَرَبَتْ تَكْمُلُ)

على أن العدد الذى فى آخره النون يُضَاف إلى صاحبه أكثر من إضافته إلى المميز . أى قُرْب أن يكْمُل ستون سنة من عُمرِكَ .

(١) الحزاة ٢ : ص ١٣٩ وما بعدها

(٢) انظر المص ١ : ٢٥٤ والأغانى ١٨ : ١٩٣ .

وهذا المصراع من قصيدة للكثير بن زيد ، مدح بها عبد الرحمن
ابن عنبسة بن سعيد بن العاص بن أمية . وأولها :

(أَأَبْكَاكَ بِالْعُوفِ الْمَنْزِلُ وما أنتَ وَالطَّلُلُ الْمَحْوِلُ
وما أنتَ ، وَيَكُ ، وَرِسْمُ الدِّيارِ وَسْتُوكَ قَدْ كَرَبْتُ تَكْمُلُ)

قال الأصمهباني في الأغاني : « كان بين بني أسد وبين طيء حرب ،
فاصطلحوا وبقى لطيء دُم رَجَلين ، فاحتمل ذلك رجلٌ من بني أسد ، فمات
قبل أن يوفيه^(١) . فاحتمله الكثير ، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عنبسة ،
فدحه الكثير بهذه القصيدة ؛ وأعانه الحكم بن الصلت الثقفي ، فدحه
بقصيدته التي أولها :

[رأيت الغواني وحشا ففورا]

وأعانه زياد بن المغفل الأسدي فدحه بقصيدته التي أولها^(٢) :

* هل للشباب الذي قد فات من طلب *

ثم جلس الكثير ، وقد خرج العطاء . فأقبل الرجلُ يُعطى الكثيرَ
المائتين والثلاثمائة وأكثرَ وأقلَّ ؛ وكانت دية الأعرابي ألفَ بعير ، ودية
الحصري عشرة آلاف درهم ؛ وكانت قيمة الجمل عشرة دراهم ، فأدى
الكثيرُ عشرين ألفاً عن قيمة ألني بعير « ١٥

فقوله : أَأَبْكَاكُ ، يخاطب نفسه ويقررها مستفهماً . والعُوفُ ، بضم العين
والراء المهملتين : موضع . والمنزل : فاعلُ أبْكَاكُ ؛ قال الزمخشري في كتاب

(١) في الأغاني : « قيل أن يؤديه » .

(٢) التكة من الأغاني .

الأمكنة والمياه : عُرْفَةُ الْأَمْلَح ، وعُرْفَةُ رَقْد ، وعُرْفَةُ أَعْيَار^(١) : مواضع
تَسَى الْعُرْف^(٢) . وَأَنْشَدَ بَيْتَ الْكَيْت . وفي المحكم لابن سيده : الْعُرْفُ
بضمتين موضع ، وقيل جبل . وأنشد البيت أيضا . وكذا ضبطه أبو عبيد
البكرى في معجم ما استعجم ، وقال : هو ماء لبني أسد . وأنشد البيت ،
وقال : ويخفف بسكون الراء ، قال عباس بن مرداس :
خُفَايَةَ بَطْنِ الْعَمِيقِ مَصِيفُهَا وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِيَةِ وَجَرَّةَ الْعُرْفَا
فَدَلَّ قَوْلُ عَبَّاسٍ أَنَّ الْعُرْفَ بَوَادِي بَنِي خُفَافٍ هـ .

وقوله : وما أنتَ إلخ ، استفهامٌ توبيخيٌّ يُنكر بكاؤه ، وهو شيخٌ ،
على الأطلال . والطلل : الشاخص من آثار الدار ، وشخصُ كلِّ شيء .
والمحول : اسم فاعلٍ من أحولَ الشيء : إذا مرَّ عليه حَوْلٌ ، وهي السنة .
وَوَيْلُكَ : كلمة تفجع ، وأصله ويلك . و (سْتَوَيْتَ) مبتدأ ، وما بعده خبره ،
والجمله حالية . و (كَرَبَ) بفتح الراء كُرُوبًا : دنا . وكرَبَ من أخوات كاد
تعمل عملها ، واسمها ضمير الستين . وجمله (تَكْمُلُ) في موضع نصبٍ خبرها .
وترجمة الكيت بن زيد تقدّمت في الشاهد السادس عشر^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائتين :

٢١٠ (فَيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نُجُومُهُ بِكُلِّ مَغَارٍ الْقَتْلِ شَدَّتْ بِيَذْبُلِ^(٤))

(١) في اللسختين : « أعيال » صوابه في كتاب الزخمرى ٧١ ومعجم البلدان .

(٢) العرف : جمع عُرْفَة ، وهي كل من تنقاد ينبت الشجر ، ذكر منها ياقوت
ثلاث عشرة عُرْفَة وانظر القاموس (عرف) .

(٣) الخزانة ١ : ص ١٤٤

(٤) الشاهد من معلقة امرئ القيس . وانظر المعنى ٤ : ٢٦٩ والجمع ٢ : ٢٢

وشرح شواهد المعنى ١٩٥ والأشعرى ٢ : ٢١٧ .

على أن قوله : (من ليل) تمييزٌ عن المفرد الذي هو الضمير المبهم في قوله (يالك) .

وفيه أن الضمير غير مبهم ، لتقدم مرجعه في البيت قبله ، وهو قوله « ألا أيها الليل الطويل » كما يأتي ، فالتمييز فيه عن النسبة لا عن المفرد ، ومن بيان الجنس . وقال المرادى في شرح الألفية : من زائدة في الكلام الموجب ، ولهذا يُعطَف على موضع مجرورها بالنصب ، كقول الخطيئة :

يَا حُسْنَهُ مِنْ قَوَائِمٍ مَا وَمُنْتَقِبًا^(١)

وصحَّح هذا أبو حيان في الارتشاف . و (يا) : حرف نداء ؛ واللام للتعجب تدخل على المنادى إذا تعجب منه . ولأجل هذا أورد ابن هشام هذا البيت في المغني ؛ قال في شرح بانت سعاد : الأصل يا إياك أيا أنت ، ثم لما دخلت لام الجر انقلب الضمير المنفصل ، المنصوب أو المرفوع ، ضميراً متصلاً مخفوضاً . وأورده المرادى في شرح الألفية على أن اللام فيه للاستغاثة ، استغاث به منه لطوله ، كأنه قال : يا ليل ما أطولك ! قال ابن هشام : وإذا قيل يا لزيد بفتح اللام فهو مستغاث ، فإن كسرت فهو مستغاث لأجله ، والمستغاث مخدوف ، فإن قيل يالك احتمل الوجهين . والباء في قوله : (بكل) متعلقة بشدّت . و (المغار) بضم الميم : اسم مفعول بمعنى المحكم ، من أغرت الحبل إغارةً : إذا أحكمت قتله . و (يذبل) : اسم جبيل ، لا ينصرف للعلية ووزن الفعل ، وصرفه للضرورة . يقول : إن نجوم الليل لا تفارق محالها ، فكأنها مربوطة بكل حبل محكم القتل في هذا الجبل . وإنما استطال الليل لمقاساة الأحران فيه .

(١) ط : « ومنتقيا » والقصيدة بائية ، وهي مفتوح ديوان الخطيئة . وصدره :

* طافت أمانة بالركبان آونة *

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة . وفيها خمسة أبيات صاحب الشاهد
في وصف الليل ، وهي :

(وليلٍ كموج البحر أرخى سُدولَه على بأنواعِ الهموم ليبتلى أبيات الشاهد
فقلتُ له لما تَمَطَّى بِصُلبِه وأردفَ أعجازاً وناءً بكلكلٍ
ألا أيّما الليلُ الطويلُ ، ألا انجلي بُصبح ، وما الإصباحُ منكُ بأمثلٍ
فيالكُ من ليلٍ كأنَّ نجومَه البيت
كأنَّ الثريا عُلقت في مَصابِها بأمراسٍ كَتَنانٍ إلى صُمٍّ جَنَدَلٍ)

فقوله : وليل ، الواو واو ربّ السُدول : السُتور ، جمع سُدل ؛ وسدل
نوبه : إذا أرخاه . يقول : رَبُّ لَيْلٍ يُحَاكِي أَمْوَاجَ الْبَحْرِ فِي تَوْحُشِهِ وَهَوَلِهِ ،
وقد أرخى على ستور ظلامه مع أنواع الحزن ليختبرني : أَأَصْبِرُ أَمْ أَجْزَعُ ؟
وهذا ، بعد أن تغزّل ، تمدّح بالصبر والجلد . وقوله : فقلت له لما تَمَطَّى الح ،
تَمَطَّى : امتدّ . وناء : نهض . والكلكل : الصدر . والأعجاز : الأواخر ، جمع عَجْز ؛
وهو من استعمال الجمع موضع الواحد . وقد استشهد ابن مالك بهذا البيت
على أن الواو لا تدلّ على الترتيب ، لأنّ البعير ينهض بكلكله ، والأصل :
فقلت له لما ناء بكلكله وتمطّى بصلبه وأردف أعجازه .

وقوله : ألا أيّما الليلُ الطويلُ الح ، انجلي : أمرٌ بمعنى انكشف ؛ والباء
إشباع . والإصباح : الصُّباح . والأمثل : الأفضل . وأورد هذا البيت
في تلخيص المفتاح على أن صيغة الأمر فيه للتثني ، ومعناه تمّ زوال ظلام الليل
بضياء الصُّبح ؛ ثم قال : وليس الصُّباح بأفضل منك عندي ، لاستوائهما
في مقاسة الهموم ، أو لأنّ نهاره يظلم في عينه لتوارد الهموم . فليس الغرض
طلب الانجلاء من الليل لأنّه لا يقدر عليه ، لكنّه يتمناه تخلصاً مما يعرض له

فيه ، ولا استطالة تلك الليلة كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقعه . فلهذا حمل على التمني دون الترجى ^(١) .

قال الإمام الباقلاني ، في إعجاز القرآن ^(٢) : « وما يعدونه من محاسن هذه القصيدة هذه الآيات الثلاثة ، وكان بعضهم يعارضها بقول النابغة :

كَلَيْفَ لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ
وَصَدِيرُ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبٌ هُمٌّ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمَنْفُضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَتَلَوُ النُّجُومَ بَأَيِّبِ

وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء ، فقدّمت آيات امرئ القيس واستحسن استعارتها ، وقد جعل لليل صدراً يشغل تنحيه ، ويبطئ تقضيته ؛ وجعل له أردافاً كثيرة . وجعل له صلباً يمتد ويتناول . ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة . ورأوا أنّ الألفاظ جميلة . واعلم أنّ هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذي يقال إنه متناه عجيب . وفيه إمام بالتكلف ، ودخول في التعمّل ، انتهى .

وقوله : كأن الثريا علقت الخ ، للصام بفتح الليم : موضع الوقوف . والأمراس : الحبال ، جمع مرس محرّكة . والجندك : الحجارة . يقول : كأن الثريا مشدودةٌ بحبالٍ إلى حجارة ، فليست تمضي .

قال العسكري في التصحيف ^(٣) : وما خالف فيه ابن الأعرابي الأصمعي في المعنى لا في اللفظ ، قوله :

كأن الثريا علقت البيت

(١) هذا من كلام البيهقي أيضاً في معاهد التنصيص ١ : ٩٠ .

(٢) إعجاز القرآن ٢٧٥ — ٢٧٦ .

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٢٢ .

قالها فى مَصَامِهَا عند الأصمىّ ترجع إلى الثرىّا . ومعنى مَصَامِهَا : تَوْضُعُهَا ومَقَامُهَا . وهو يصف الليلَ وأنَّ نجومَه لا تَسِيرُ ، من طوله ، فكأنَّ لها أُوَاخِيَّ فى الأرض تحبسها . هذا مذهب الأصمىّ . ورأيتُ هذا البيتَ فى نوادر ابن الأعرابىّ وفسّره بتفسيرٍ عجيب ، فقال ورواه :

(كَأَنَّ نَجُومًا عُلِّقَتْ فى مَصَامِهِ)

ثم فسّر وقال : شبه ما بين الخوافر وجُفَانِه ، بالأمراس ، وصمَّ جَنَدِل ، يعنى جفانَه . فأخذ هذا البيتَ وصيّره فى وصف الفرس ، وحمله على أنه بعد : (وقد أغتدى والظيرُ فى وكناتها بمنجرد قيدِ الأوابد هيكلاً) ! اهـ وترجمة امرئ القيس قد تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائتين ^(٢) :

٢١١ (وَيَلْمُهَا رَوْحَةً وَالرَّيْحُ مُعْصِفَةٌ
وَالغَيْثُ مُرْتَجِزٌ وَاللَّيْلُ مُقْتَرِبٌ)

لما تقدّم قبله ، أعنى كون التمييز يكون عن المفرد إذا كان الضمير مبهمًا لا يعرف المقصود منه ؛ فإنَّ الضمير فى (وَيَلْمُهَا) لم يتقدّم له مرجعٌ ، فهو مبهمٌ ، ففسّره بقوله : (رَوْحَةً) فهو تمييز عن المفرد ، أى وَيَلْمُ هذه الروحة فى حال عصف الريح . فجملة والريح معصفة حال . و (مُعْصِفَةٌ) : شديدة ، يقال : أعصفت الريحُ وعصفت ، لغتان ؛ والغَيْثُ هنا : الغيم . ومُرْتَجِزٌ : مصوّتٌ ، يريد صوت الرعد والمطر . و (مقترب) : قد قرب .

(١) الخزانة ١ : ص ٢٢٩

(٢) ديوان ذى الرمة ٣٣ .

آيات الشاهد

٥٦١

وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلةٍ جداً لذي الرُّمَّةِ . وهذا البيتُ من
أواخرها . شبه بعيره بالنعام في شدة العدو ، ثم وصف النعام بما يقتضى شدة
إسراعه فقال :

(حَتَّى إِذَا الْهَيْقُ أَمْسَى شَامَ أَفْرُخَهُ وَهَنْ لَا مُؤِيسُ نَائِيًّا وَلَا كَشَبُ
يَرْقَدُ فِي ظِلِّ عَرَّاصٍ وَيَطْرُدُهُ خَفِيفُ نَافِجَةٍ عُنْوَانُهَا حَصَبُ
تَبْرَى لَهُ صَعْلَةٌ خَرَجَاهُ خَاضِعَةٌ فَاتْلُوقُ دُونَ بَنَاتِ الْبَيْضِ مُنْتَهَبٌ ^(١)
كَأَنَّهَا دَلُوبُ بَيْتَرٍ جَدَّ مَاتَحُهَا حَتَّى إِذَا مَا رَأَاهَا خَاتَهَا الْكَرْبُ
وَيُلْمُهَا رُوحَةٌ
لَا يَذْخَرَانِ مِنَ الْإِيغَالِ بَاقِيَةٌ حَتَّى تَكَادَ تَقْرَى عَنْهَا الْأَهْبُ)

الهيق ، بالفتح : ذكر النعام . وشام : نظر إلى ناحية فراخه . وأفرخ :
جمع فرخ . وهن : أى الأفرخ . والنأي : البعد . والكشب ، بفتح الكاف
والمثلثة القرب . يقول : موضعهن ليس منه بالبعيد الذى يؤيسه من أن يطلبتهن
أى يحمله على اليأس ، ولا بالقرب فيقتُر ^(٢) . وقوله : يرقد ، أى يعدو الهيق
عدواً شديداً . والعراص ، بمهلات : غيم كثير البرق . والخفيف ، بإهمال
الأول : صوت الريح . والنافجة : الريح الشديدة الباردة . وعنوانها : أوائلها .
وحصب ، بفتح فكسر : فيه ترابٌ وحصباء ، وهذا مما يوجب الإسراع
إلى اللأوى . وقوله : تبرى له صعلة الخ ، تبرى : تعرض لهذا الهيق . صعلة :
نعامة دقيقة العنق وصغيرة الرأس . خرجاه : مؤنث الأخرج ، وهو ما فيه
سواد وبياض . خاضعة : فيها طعانة . واتلوق ، بالفتح : الأرض البعيدة ،

(١) ط : « متب » صوابه فى ش والديوان ٢٢ .

(٢) ط : « فيقتير » ، صوابه فى ش .

تنخرق فيها الرياح . وبنات البيض : الفراخ ، لأنها تخرج من البيضة . يقول :
 الهيق والصعلة يعدوان عدواً شديداً كأنهما ينتهبان الأرض انتهاباً ، كأنهما
 يأكلانها ، من شدة العدو ، فهما يركضان إلى فراخهما خائفين البرد والمطر
 وغيرهما . وقوله : كأنها دلو الخ ، أى كأن هذه الصعلة دلو انقطع جبلها
 بعد أن وصلت إلى قم البئر فضت تهوى ، شبهها بهذه الدلو التي هوت
 إلى أسفل . وجد : اجتهد . والمناخ ، بالمشنة الفوقية : المستقى من البئر بالدلو .
 والكرب : العقد^(١) الذى على عراقي الدلو ، والعراقي : العودان اللذان
 فى وسط الدلو . والمراد بخائها الكرب ، انقطع .

وقوله : (ويلمها روحة ، الخ) أى ويل أم هذه الروحة . وإنما لم يجر
 أن يعود الضمير على صعلة ، كما عاد عليها ضمير كأنها فى البيت المتقدم ، لأنه
 قد فُسر بروحة ، والتفسير يجب أن يكون عين المفسر ، والروحة غير الصعلة ،
 فلا يفسرها . ولو قال : ويلمها رائحة ، لكان مرجع الضمير معلوماً : من صعلة ،
 وكان من تمييز النسبة لا المفرد . و (الروحة) مصدر راح يزوح رواحا^(٢)
 وروحة : تقيض غدا يغدو غدواً . والرواح أيضاً : اسم للوقت من زوال
 الشمس إلى الليل .

وقوله : لا يذخران : أى لا يُبقيان ، يعنى الهيق والصعلة . والإيغال :
 الجدُّ فى العدو . والباقية : البقية . وتفري : تشق . والأهب ، بضمّتين :
 جمع إهاب ، أراد جلودهما . وهذا غاية فى شدة العدو .

واعلم أن قولهم : ويلمة وويلمها ، قال ابن الشجرى : يروى بكسر اللام

(١) كذا فى النسختين ، وقد فر فى المعجم بأنه الجبل . وانظر ما سياتى
 فى الشاهد ٢١٤ .

(٢) ط : « راحة » صوابه فى ش .

وضمها ، والأصل ويلٌ لأمّ ، فحذف التنوين ، فالتقى مثلاًن : لامٌ ويلٌ ولام الخفض ، فأسكنت الأولى وأدغمت في الثانية فصار ويلٌ أمّ مُشدداً واللام مكسورة ، فحُفّت — بعد حذف الهزمة — بحذف إحدى اللامين . فأبو على ومن أخذ أخذهم نصّوا على أن المحذوف اللام المدغمة ، فأقرّوا لام الخفض على كسرتها ؛ وآخرون نصّوا على أن المحذوفة لام الخفض ، وحرّكوا اللام الباقية بالضمّة التي كانت لها في الأصل . انتهى .

قال أبو على في الإيضاح الشعريّ : حذف الهزمة من أمّ في هذا الموضع لازم ، على غير قياس ، كقوله :

* يا با المغيبة والدنيا مفعبة ^(١) *

نم سُئل لم لا يجوز أن يكون الأصل وي لأمّ ، فتكون اللام جارةً وويّ للتعجب ؟ فأجاب بأنّ الذي يدلّ على أنّ الأصل ويلٌ لأمّ ، والهزمة من أمّ محذوفة قول الشاعر ^(٢) :

لامٌ الأرضِ ويلٌ ما أجنّتْ غداةً أضربَ بالحسنِ السبيل

وقال ابن السّيد ، في شرح شواهد أدب الكاتب : ويله بكسر اللام وضمها : فالضمّ أجاز فيه ابن جنيّ وجهين : أحدهما أنّه حذف الهزمة واللام وألقى ضمة الهزمة على لام الجرّ ، كما روى عنهم (الحمد لله) بضمّ لام الجرّ . وثانيهما : أن يكون حذف الهزمة ولام الجرّ ، وتكون اللام المسموعة ^(٣)

(١) ويروى : « أبا المغيبة » كما في المقدّم ٣ : ٥٩ ، ٢٤١ . والبيت لخارثة بن بدر الغداني ، كما في المقدّم . وعجزه :

* ولأن من غرت الدنيا لمقرور *

(٢) هو عبدالله بن عتبة الضبيّ ، كما في الحاشية ١٠٢١ بشرح للرزوق واللسان (ضرر ، حسن) . واقطر أمالي ابن الشجريّ ٢ : ٥٥ .

(٣) وكذا في الاقتضاب ٣٦٤ وجعلها الشنيطي في نسخته « اللام المضمومة » .

هى لَامٌ وِيلٌ . وأما كسر اللام ففيها ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون أراد وِيلَ أمّه ، بنصب وِيلٍ وإضافته إلى الأمّ ، ثم حذفَ الهمزة لكثرة الاستعمال ، وكسرَ لام وِيلٍ إبتاعاً لكسرة الميم . والثانى : أن يكون أراد وِيلَ لأمّه ، برفع وِيلٍ على الابتداء ولأمّه خبره ، وحذفَ لامَ وِيلٍ وهمزة أمّ ، كما قالوا أَيْشِرُ لك ، يريدون أىّ شيء . فاللام المسموعة على هذا لَامُ الجِرّ . والثالث : أن يكون الأصل وَى لأمّه ، فيكون على هذا قد حذفَ همزة أمّ لا غير ، وهذا عندى أحسن هذه الأوجه ، لأنه أقلّ للحذف والتغيير . وأجاز ابنُ جنيّ أن تكون اللامُ المسموعة هى لام وِيلٍ ، على أن يكون حذفَ همزة أمّ ولَامُ الجِرّ وكسرَ لام وِيلٍ إبتاعاً لكسرة الميم . وهذا بعيد جداً . هذا إعلالها . وأما معناها فهو مدحٌ خرج بلفظ الذمّ : والعربُ تستعمل لفظَ الذمّ فى المدح ، يقال : أخزاه الله ما أشعره ! ولعنه الله ما أجرأه ! وكذلك يستعملون لفظَ المدح فى الذمّ ، يقال للأحقق : يا عاقل ، وللجاهل : يا عالم : ومعنى هذا يا أيها العاقلُ عندَ نفسه أو عند من يظنه عاقلاً : وأما قولهم : أخزاه الله ما أشعره ! ونحو ذلك من المدح الذى يُخرجونه بلفظ الذمّ فلمهم فى ذلك غرضان : أحدهما : أن الإنسان إذا رأى الشئ فأنشأ عليه ونطق باستحسانه ، فربما أصابه بالعين وأضرّ به ، فيمدحون عن مدحه إلى ذمه لئلا يؤذوه . والثانى : أنهم يريدون أنه قد بلغ غاية الفضل وحصل فى حدٍّ من يذمّ ويُسبّ ، لأنّ الفاضل يكثر حساده والمعادون له ، والناقص لا يلتفت إليه : ولذلك كانوا يرفعون أنفسهم عن مهاجاة الخسيس ومجاوبة السفیه (١) :

(١) إلى هنا ينتهى كلام ابن السيد ، وهو فى الاقتضاب ٣٦٤ — ٣٦٥ . وقد تصرف فیه البغدادى بالتقديم والتأخير .

وفي القاموس : رجل وَيْلُهُ ، بكسر اللام وضمها ، داهٍ : ويقال للمستجاد : وَيْلُهُ ، أى ويلٌ لأمةٍ ، كقولهم : لا أَبَ لك ، فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد ثم لحقته الهاء مبالغةً كداهية : انتهى :

وهذا استعمال ثانٍ ، جعل المركب في حكم الكلمة الواحدة : وليست الهاء في آخره ضميراً ، بل هى هاء تأنيث للمبالغة ، فلا تعريف : ولهذا يقع وصفاً للنكرة ، قال أبو زيد في كتاب مسائية : يقال هو رجلٌ وَيْلُهُ :

٥٦٣

وروى ابنُ جني في سرُّ الصناعة عن أبي عليٍّ عن الأصمعي أنه يقال : رجلٌ وَيْلُهُ . قال : وهو من قولهم :

وَيْلٌ سَعْدٍ سَعْدًا (١)

والاشتقاق من الأصوات بابٌ يطول استقصاؤه ؛ وعلى هذا يجوز دخول لام التعريف عليه ؛ قال الرياشي : الويلُّ (٢) من الرجال : الداهية الشديد الذى لا يطاق . ولا يُلْتَفَتُ إلى قول أبي الحسن الأخفش — فيما كتبه على كتاب مسائية — : « من كلام العرب السائر أن يقولوا للرجل الداهية : إِنَّهُ لَوَيْلُهُ صَمَحًا ، والصمَحُ : الشديد ، هذا هو المعروف ؛ والذى حكاه أبو زيد غير ممتنع ، جعله اسماً واحداً . [فأعربه (٣)] فأما حكاية الرياشي : في إدخال الألف واللام على اسمٍ مُضاف ، فلا أعلم له وجهاً ، انتهى .

(١) لكبيشة بنت رافع في السيرة ٦٩٩ تندب به سعد بن معاذ حين استشهد يوم الخندق . قال ابن اسحاق : « يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائمة تكذب إلا نائمة سعد بن معاذ » .

(٢) في النسختين : « الويلة » بالناء ، صوابه من كتاب مسائية لأبي زيد ٢٤٤ ومن النقد التالى لأبي الحسن الأخفش .

(٣) التكملة من كتاب مسائية الملحق بشوادر أبي زيد .

أقول : الذي رواه عن العرب من قولهم إنه لو يُلَّهُ صَمَحَحًا ، غير الذي قاله أبو زيد كما بيناه : فإنه جُعِلَ الكلمتان (١) في حكم كلمة واحدة ، فلا إضافة فيه ، والماء للمبالغة ، والكلمة حينئذ نكرة ، فيدخل عليها لام التعريف . فتأمل .

وترجمة ذى الرُّمَّة تقدمت في الشاهد الثامن في أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر بعد المائتين (٣) :

٢١٢ (وَيْلٌ أَيَّامَ الشَّبَابِ مَعِيشَةً مَعَ الْكَثْرِ يُعْطَاهُ الْقَيُّ الْمُنِيفُ النَّدَى)

على أن قوله : (معيشة) تمييزٌ عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، كما بينه الشارح المحقق .

وقوله : (وِيلٌ أَيَّامَ) الخ ، دعاء في معنى التمجُّب ، أى ما ألدَّ الشباب مع الغنى . وقد بينّا قبل هذا البيت أصلها ومعناها . قال الطبرسي في شرح الحماسة : ويل ، إذا أضيفت بغير لام ، فالوجه فيه النصب ، تقول : ويل زيد ، أى أزم الله زيدا ويلاً . فإذا أضيفت باللام فقليل : ويل لزيد ، فالوجه أن تُرْفَعَ على الابتداء . وجاز ذلك مع أنه نكرة ، لأن معنى الدعاء منه مفهوم ، والمعنى : الويلُ ثابت لزيد . فالأصل في البيت : ويلٌ لأمِّ لذات الشباب . قصد الشاعر إلى مدح الشباب ومحمد لذاته بين لذات المماش . وقد طالع

(١) ش : « جعل الكلمتين » .

(٢) الخزائن ١ : ص ١٠٦ .

(٣) انظر له ديوان علقمة ١٣٥ والبيان ٣ : ٣٤ والحماسة ١٢٠٢ يشرح المرزوق والسمط ٤٢٩ والسان (نجد ، قتل) .

لصاحبه الكثر — وهو كثرة المال — فاجتمع الغنى والشباب له وهو
سخي . انتهى

صاحب الشاهد وهذا البيت أول أبيات أربعة لعلقة بن عبدة . وهي ثابتة في ديوانه .
وقد اقتصر أبو تمام في الحماسة على البيت الأول والثاني ، وهو :
(وقد يعقل القلُ الغنى دُونَ همِّه وقد كان ، لولا القُلُ ، طَلَّاعَ أَنْجِدِ)
ونسبهما لبعض بني أسد . ونسبهما في مختار أشعار القبائل ، لابنه وهو
خالد بن علقمة بن عبدة . ونسبهما بعضهم لابن ابنه ، وهو عبد الرحمن
ابن علي بن علقمة بن عبدة . ونسبهما الأعلام الشنمري في حماسته ، لحفيد
ابن سجار الضبي . وكذا هو في حاشية الصحاح منسوب لحفيد .

و (الكثر) بضم الكاف ومثله القُلُ : المال الكثير والمال القليل ؛
يقال : ماله قل ولا كثر . قال أبو عبيد : سمعت أبا زيد يقول : الكثر ،
والكثير واحد : قال في الصحاح : هما بالضم والكسر . وقوله : مع الكثر ،
في موضع النصب صفة لمعيشة . وجملة يُعطاه الخ ، بالبناء للمفعول : حال من
الكثر ؛ والهاء ضمير الكثر ، وهو المفعول الثاني للعطاء . والغنى نائب
الفاعل ، وهو مفعوله الأول . والمتلف ، بالرفع : صفة للغنى ؛ وكذلك الندى .
وروى : (يُعطاهَا) بضمير المؤنث على أنه عائِد على المعيشة مع قيدها .
و (الغنى) قال في الصحاح : هو السخيُّ الكريم ، يقال : هو قَيُّ بَيْنَ الفتوة ،
وقد تقي وتغايى ؛ والجمع فَيَانُ ، وفِثية ، وفُتُو على فَعول ، وِقِي مثل
عصى . و (المتلف) : المرفق لماله ، يقال رجل متلف لماله ومتلاف بالمبالغة .
و (الندى) : السخي ، قال في الصحاح : وندوت من الجود ، يقال : سَنَّ
وللناس الندى فَنَدَوْا بفتح الدال ، ويقال : فلان ندى الكف : إذا كان
سخياً . وقد روى في ديوانه البيت هكذا :

(ويلٌ لبلذاتِ الشبابِ معيشة) (١) الخ

وروى أيضاً :

(فويلٌ لذاتِ الشبابِ معيشةً)

وقوله : وقد يَعْقِلُ القُلُّ ، من عقله ، من باب ضرب ، إذا منعه . والقُلُّ ، بالضم فاعل ، والفتى مفعول . وروى : (وقد يَقْصُرُ القُلُّ) من قصره : إذا حبسه ، أو من قصرت قيدَ البعير : إذا ضيقته ، من باب دخل يدخل . وروى أيضاً : (وقد يَقْعِدُ القُلُّ) من أقعده : إذا منعه من القيام لحاجته . والهم ، بالفتح : أول العزيمة ، قال ابن فارس : الهم : ما هممت به ، وهممت بالشئ هماً ، من باب قتل : إذا أردته ولم تفعله ، ومثله الهمة بالكسر وبالتاء . وقد يُطْلَقُ على العزم القوي ، كذا في المصباح . ودون بمعنى قبل . وأنجبد : جمع نُجْد ، وهو ما ارتفع من الأرض . قال في الصحاح : ومنه قولهم فلان طَلَّاعٌ أنجبد وطلَّاعُ الشيا : إذا كان سامياً لمعالى الأمور .

ومعنى هذا البيت قد تداوله الشعراء وتصرفوا فيه ، منهم مُسلم بن الوليد ، فقال :

عرَفَ الخُفُوقَ وقَصَّرتْ أُمُوالُهُ عنها وضاقَ بها الغنيُّ الباخلُ (٢)
ومنه قول آخر (٣) :

أرى نفسى تتوق إلى أمورٍ يَقْصُرُ دونَ مِبلَغِهنَّ مالى (٤)

(١) ش : « لذات » مع أثر تغيير .

(٢) ملحقات ديوان مسلم ٣٣٤ عن القيث المسجم ، وليس في صلب ديوانه .

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، كما في عيون الأخبار ١ : ٣٤٠ والجماسة ٤٤٠ بشرح المرزوقى .

(٤) في عيون الأخبار : « خال » .

فلا نَفْسٍ تَطَاوَعَنِي يَبْخُلُ ولا مَالِي يَبْلُغُنِي فَعَالِي
ومنه قول الآخر :

رَزَقْتُ لَبًا وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَةً وما المرُوءة إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ (١)
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً تَقَاعَدَ بِي عَمَّا أَحَاوِلُ مِنْهَا رِقَّةُ الْحَالِ
وقريبٌ منه قول الآخر :

النَّاسُ اثْنَانِ فِي زَمَانِكَ ذَا لَوْ تَبَتَّنِي غَيْرَ ذَيْنِ لَمْ تَجِدِ :
هَذَا بِخَيْلٍ وَعِنْدَهُ سَعَةٌ ، وَذَا جَوَادُ بِغَيْرِ ذَاتِ يَدٍ
وأما البيتان الأخيران من الأبيات الأربعة فهما :

(وقد أَقْطَعَ الْخَرْقَ الْخَوْفَ بِهِ الرَّدَى بَعْنَسٍ كَجَفْنِ الْفَارَسِيِّ الْمَسْرَدِ (٢)
كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا عَلَى الْخَلِّ بَعْدَ مَا وَنِينَ ذِرَاعًا مَائِحًا مُتَجَرِّدِ)
وَالْخَرْقُ ، بِالْفَتْحِ : الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الَّتِي تَنْخَرِقُ فِيهَا الرِّيَّاحُ . وَالرَّدَى
نَائِبٌ فَاعِلُ الْخَوْفِ . وَالْمَنْسُ ، بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ النُّونِ : النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ
الشَّدِيدَةُ . وَالْخَلُّ مَصْدَرُ خَلَّ لَحْمَهُ كَحَلَّ وَخُلُولا : أَيْ قَلَّ وَنَحُفٌ ، كَذَا
فِي الْعَبَابِ . وَقَوْلُهُ : وَنِينَ ، فَعَلَ مَاضٍ مِنَ الْوَنَى بِالْقَصْرِ وَهُوَ الضَّعْفُ وَالْفَتُورُ
وَالْكِلَالُ وَالْإِعْيَاءُ . وَالْمَائِحُ : الَّذِي يَنْزِلُ الْبَثْرَ فَيَمْلَأُ الدَّلْوَ ، وَذَلِكَ إِذَا قَلَّ
مَآؤُهَا ، وَفَعَلَهُ مَائِحٌ يَمِيجُ . وَأَمَّا الْمَائِحُ بِالْمَثْنَةِ الْفَوْقِيَّةِ ، فَهُوَ مُسْتَقَى الدَّلْوِ .
وَالْمُتَجَرِّدُ : الْمُشْمَرُّ ثِيَابَهُ .

٥٦٥

و (عَلَقْمَةُ) شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، وَنَسَبُهُ — كَمَا فِي الْجُمُورَةِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ
عَلَقْمَةُ بْنُ عَبْدِ
وَالْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ لِلْأَمْدِيِّ — عَلَقْمَةُ بْنُ عَبْدِ بْنِ نَاشِرَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ
ابْنِ رِبْعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ أَنْتَهَى . وَعَبْدَةُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْبَاءُ ؛

(١) البيتان في البيان ٣ : ٢٠٦ وعبود الأخبار ١ : ٢٣٩ .

(٢) كذا في الديوان . وفي النسختين : « المفرد » .

وأما عبدة بن الطيب فهو بسكون الباء . كذا في الصحاح . والعبدة محرّكة بمعنى القوة ، والسِّن ، والبقاء ، وصلاة الطَّيِّب ، والأَنفة .

قال صاحب المؤلف والمختلف (١) : علقمة في الشعراء جماعة ليسوا ممن اعتمد ذكره ؛ ولكن أذكرُ علقمةَ الفحل ، وعلقمة الخصى — وهما من ربيعة الجُوع — فأما علقمةُ الفحلُ فهو علقمة بن عبدة . . . إلى آخر نسبه للذكور . ثم قال : وقيل له علقمةُ الفحلُ ، من أجل رجلٍ آخر يقال له علقمة الخصى . وأما علقمة الخصى ، فهو علقمة بن سهل أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ؛ ذكر أبو اليقظان أنه كان يُكنى أبا الوضاح . قال : وكان له إسلامٌ وقدر . وكان سببَ خصائه أنه أُسرَ باليمن ، فهرب فظفرَ به ، فهرب ثانية ، فأخذ وخصى . وكان شاعراً ؛ وهو القائل :

يقولُ رجالٌ من صديقي وصاحبٍ : أراك أبا الوضاح أصبحت ثاويًا
فلا يعدمُ البانوث بيتاً يكنهم ولا يعدمُ الميراثُ مني المواليا
وخفتُ عيونُ الباكيات وأقبلوا إلى مالهم قد بذتُ عنه بماليا
حراساً على ما كنتُ أجمعُ قبلهم ؛ هنيئاً لم تجعني وما كنتُ آلياً ه

وقال غيره : إنما لُقب بالفحل لأنه خَلَفَ على امرأة امرئ القيس لما حكمت له بأنه أشعر منه . وذلك ما حكاه الأصمعي : أن امرأ القيس لما هرب من المنذر بن ماء السماء ، وجاورَ في طيٍّ ، تزوج امرأة منهم يقال لها أم جندب . ثم إنَّ علقمة بن عبدة نزل عنده ضيفاً وتذاكرا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعرُ منك ! وقال علقمة : أنا أشعرُ منك ! واحتكما

إلى امرأته أم جُندبٍ لتحكم بينهما ، فقالت : قُولَا شِعْرًا تصفان فيه الخليلَ
على روى واحد : فقال امرؤ القيس :
خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لَنَقْضِي حَاجَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ
وقال علقمة :

ذَهَبْتَ مِنَ الْمَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَسُّبِ
نَمْ أَنْشَدَاهَا جَمِيعًا . فقالت لامرؤ القيس : علقمة أشعرُ منك ! قال :
وكيف ذلك ؟ قالت : لَأَنْكَ قُلْتَ :

فَلَسَّوْطُ الْمُحِبِّ وَاللسَّاقُ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعٌ أَهْوَجَ مِنْعَبٍ^(١)
فَجَهَدْتَ فَرَسَكَ بِسَوَطِكَ وَمَرَيْتَهُ بِسَاقِكَ ، وقال علقمة :

فَأَدْرَكَنِّي ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَمْرُؤُ كَرُّ الرَّاحِ الْمَتَحَلِّبِ
فَأَدْرَكَ طَرِيدَتَهُ وَهُوَ ثَانٍ مِنْ عِنَانِ فَرَسِهِ ، لَمْ يَقْضِرْهُ بِسَوَطٍ ، وَلَا مَرَّاهُ
بِسَاقٍ ، وَلَا زَجَرَهُ ! قال : مَا هُوَ بِأَشْعَرَ مِنِّي ، وَلَكِنَّكَ لَهُ وَامِقٌ ! فَطَلَّقَهَا ،
فَخَلَّفَ عَلَيْهَا عَلْقَمَةً ، فَسَمَّى بِذَلِكَ ، الْفَحْلَ . وقد أورد ابن حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ
أَبْنَهُ ، فِي الْمَخْضَرِّينَ ، فَيَمِينُ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَرَهُ ، قَالَ :
عَلَى بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ التَّمِيمِيِّ ، وَلَدَ عَلْقَمَةَ : الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ الَّذِي يَعْرِفُ
بَعْلَقَمَةَ الْفَحْلَ ، وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَقْرَانِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ . وَلَعَلَّ هَذَا
وَلَدُ أُمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ . فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ
أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْقَوْمِ ، لِأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَمْ يَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انتهى

(١) وكنا في الديوان ٥١ واللسان (نعب) . لكن في ش ولم يحسن بتغيير :
« أخرج مذهب » وهي رواية اللسان (هذب) .

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّالِثُ عَشَرَ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ :

٢١٣ (لَهُ دَرُّ أَنْوَشِرْوَانَ مِنْ رَجُلٍ مَا كَانَ أَعْرَفَ بِالْدُونِ وَالسِّفَلِ^(١))

على أن قوله (مِنْ رَجُلٍ) تمييزٌ عن النسبة الحاصلة بالإضافة . وقد بيّنه الشارح المحقق رحمه الله تعالى .

و (أَنْوَشِرْوَانَ) هو أشهر ملوك الفُرس وأحسنهم سيرةً وأخباراً . وهو أَنْوَشِرْوَانُ بْنُ قُبَادٍ^(٢) ابن فيروز . وفي أيامه وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وكان ملكاً جليلاً محبباً للرعايا ، فتح الأمصارَ العظيمة في الشرق ، وأطاعته الملوك . وقَتَلَ مَزْدَكَ الزَّنْدِيقَ وأصحابه — وكان يقول ياباحة الفُروج والأموال — فعظم في عيون الناس بقتله . وبنى للبائس المشهورة ، منها الشُور العظيم على جبل الفتح عند باب الأبواب ، ومنها الإيوان العظيم الباقي الذِّكْرُ ؛ وليس هو للبستى بينائه ، بل ابتدأ به سابور ، وَأَنْوَشِرْوَانُ أتمَّهُ وأتقنه ، حتَّى صار من عجائب الدنيا ؛ وانشقَّ لولادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وأخبار أَنْوَشِرْوَانَ مشهورة فلا نُغِيلُ بها .

وقوله : (مَا كَانَ أَعْرَفَ) كان زائدة بين ما وفعل التعجب . و (الدُّون) بمعنى الردىء ، وهو صفة ، ومنه ثوبٌ دُونٌ ؛ وقيل : مقلوب من الدنوّ ؛ والأدنى : الردىء . وفي القاموس أن الدُّون للشریف والخسيس ، ضدّ . و (السِّفَل) بكسر السين وفتح الفاء : جمع سِفْلَةٍ ، بكسر الأوّل وسكون الثانى ، والأصل فتح الأوّل وكسر الثانى نحو كَلِمَةٍ وكَلِمَةٍ . قال صاحب القاموس وسِفْلَةُ النَّاسِ بالكسر ، وكفَرِحَةٍ : أسافلهم وغوغاؤهم ؛ وسِفْلَةُ

(١) لم أجده مرجحاً غير الخزائنة .

(٢) ويقال « قباد » بالقال المعجمة أيضاً . معجم استينجاس ٩٥١ .

البعير ، كفرحة : قوائمه انتهى . والأوّل مستعارٌ من الثاني ؛ وأصل الأوّل كفرحة ، وقد يخفّف بحذف حركة الأوّل وتقل الكسر إليه ، كما يقال في لبننة لبننة ؛ أو أنّ سِفلة جمع سَفيل ، كهلينة جمع على ؛ كذا في الأساس . والفعل سفل ككرم سَفالة ، بالفتح : أى نذل نذالة . وأما السَفلة بالتحريك فهو جمع سافل . وقول مكانس :

واتركُ كلام السفله . والنكبة المبتذلة^(١)

يجوز أن يقرأ بفتحتين وبفتحة فكسرة . قال في المصباح : « سفل سُفولا ، من باب قعد ، وسفل من باب قُرْب ، لغة : صار أسفل من غيره ، فهو سافل . وسفل في خلقه وعمله سَفلا ، من باب قتل ، وسفلا ؛ والاسم السفل بالضم . وتسفل . خلاف جاد ؛ ومنه قيل للأراذل سِفلة ، بفتح فكسر ، وفلان من السِفلة . ويقال أصله سِفلة البهيمة ، وهى قوائمه . ويجوز التخفيف .. والسفل خلاف العلو ، بالضم ، والكسر لغة ؛ وابن قتيبة يمنع الضم . والأسفل خلاف الأعلى » .

* * *

وأُشَد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائتين^(٢) :

٢١٤ (والأكرميين ، إذا ما يُنسبون ، أبا)

٥٦٧

هذا عجْز ؛ وصدوره :

(سِيرى أُمَامُ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى)

(١) ط : « والنكبة » ، صوابه في ش .

(٢) ديوان الخطبة ٦ والمجم ٢ : ٩٧ .

على أنه كان الظاهر أن يقول آباء بالجمع ؛ وإنما وَّحد الأب لأنهم كانوا أبناء أب واحد .

وقوله : (سِيرى) فعل أمر للمؤنثة . و (أُمَام) بضمّ الهمزة : منادى مرثم ؛ أى يا أُمَامَة . و (حَصَى) تمييز للأَكْثَرين ، وكذلك (أبا) تمييز للأَكْرمين . ومعنى الحصى العدَد ؛ وإنما أطلق على العدد لأن العرب أُمَيُّون لا يقرءون ولا يعرفون الحساب ، إنما كانوا يعدون بالحصى فأطلق الحصى على العدَد واشتق منه الفعل ^(١) فقل أحصيت الشئ أى عددته . و (إذا) : ظرف للأَكْرمين . و (يُنْسَبون) بالبناء للمفعول . و (الأَكْرمين) معطوف على اسم إن ، وخبرها (قومٌ) فى البيت الذى بعده ، وهو :

(قومٌ مُمُّ الأنفُ ، والأذنانُ غيرُهمُ ومن يُسَوِّى بأَنفِ الناقةِ الذنبا
قومٌ إذا عَقَدُوا عَقْدًا لجارِمِ شَدُّوا العِناجَ وشَدُّوا فَوْقه الكَرَبَا)

وهذه الأبيات من قصيدةٍ للحطيفة يمدح بها بفيض بن عامر بن لَآئى صاحب الشاهد ابن شماس ^(٢) بن لَآئى بن أنف الناقة ، واسمه جعفر ، بن قُرَيْع (بالتصغير) ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ويهجو الزبيرقان واسمه ، حُصَيْن (بالتصغير) ابن بدر بن امرئ القيس بن خلف [بن بهدلة ^(٣)] ابن عوف بن كعب المذكور نسبته . وإنما لُقِب جعفر بهذا ، لأنَّ آباءه تَمَحَّرَ جَزُورًا ، فقسَّمها بين نساءه ؛ فقالت له أمُّه — وهى الشُمُوس ؛ من بنى وائل ابن سعدٍ هُذَيْم — : انطلقِ إلى أهلك فانظُرْ هل بقى شئٌ من الجزور عنده ؟

(١) فى النسختين : « من الفعل » .

(٢) وكذا فى طبقات ابن سلام ٩٧ لكن فى مقدمة ديوانه ٣ والأغاني ٢ : ٥٠

وجهرة ابن حزم ٢٢٠ : « بفيض بن عامر بن شماس بن لَآئى بن أنف الناقة » .

(٣) التسكئة من الاشتقاق ٢٥٤ والجمهرة ٢١٨ — ٢١٩ والأغاني ٢ : ٥٠ .

فأناته فلم يجد إلا رأسها ؛ فأخذ بأنفها يجره ؛ فقالوا : ما هذا ؟ قال : أنف الناقة . فسئى أنف الناقة . وكان آل شماس في الجاهلية يُعَيِّرون به ويفضون منه . ولما مدحهم الخطيئة بهذا — وإنما مدح منهم بغيض بن عامر — صار غمراً لهم . وأراد بأنف الناقة بغيضاً وأهل بيته . وأراد بالذنب الزيرقان وأهل بيته .

قال ابن رشيق — في باب من رقه الشعر ومن وضعه ، من العدة (١) — : كان بنو أنف الناقة يفرقون من هذا الاسم ، حتى إن الرجل منهم كان يسأل : ممن هو ؟ فيقول : من بنى قريع . فيتجاوز جعفرأ أنف الناقة ويُلغى ذكره فراراً من هذا اللقب . إلى أن قال الخطيئة هذا الشعر ، فصاروا يتناولون بهذا النسب ويمدّون به أصواتهم في جمارة .

وقوله : قوم إذا عقدوا عقداً الخ ، هذا البيت من شواهد أدب الكاتب (٢) عَقَدَ الحبلَ والعهدَ يعقده عقداً . والعنّاج ، بكسر اللهملة والنون والجيم : حبل يُشَدُّ أسفل الدلو العظيمة إذا كانت ثقيلة ثم يُشدُّ إلى العراقي فيكون عوناً لها وللوذم فإذا انقطعت الأوزام فانتقلت أمسكها العنّاج ولم يدعها تسقط في البئر ؛ يقال : عنّجتُ الدلو أعنّجتها عنّجاً ، من باب نصر ؛ والعنّاج اسم ذلك الحبل ؛ يقال قول لا عنّاج له : إذا أرسل على غير روية . وإذا كانت الدلو خفيفة فعنّاجها خيطٌ يُشدُّ في إحدى آذانها إلى العرقوة . والوذم : الشيور التي بين آذان الدلو وأطراف العراقي . والكرب ، بفتح الحين : الحبل الذي يُشدُّ في وسط العراقي ثم يثني ويثُلث ليكون هو الذي يلي الماء ،

(١) العدة ١ : ص ٢٥ ط : الخانجي .

(٢) أدب الكاتب ص ١٤١ سفينة والاقطاب ٣٥١ .

فلا يَعْنِ الحبل الكبير . يقال : أكَرَبْتُ الدلوَ فهي مُكَرَبَةٌ . والعراقى :
الْعُودَانِ الْمُصْلَبَانِ تُشَدُّ إِلَيْهِمَا الْأَوْذَامُ . وأراد الخطيئة أَنَّهُمْ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا
أَحْكَمَهُ وَوَثَّقُوهُ كَمَا أَحْكَمَ الدلوَ إِذَا شُدَّ عَلَيْهَا الْعِنَاجُ وَالْكَرْبُ . وليس هناك
عِنَاجٌ وَلَا كَرْبٌ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَمَثِيلٌ وَمَطْلَعُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

(طَافَتْ أُمَامَةٌ بِالرُّكْبَانِ آوَتُهُ يَا حُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مَّا وَمُنْتَقَبًا)

واستشهد به المرادى فى شرح الألفية على أَنَّ مِنْ فِى التَّمْيِيزِ زَائِدَةٌ ،
ولهذا صَحَّ عَطْفُ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَجْرُورِهَا . أَى يَا حُسْنَهُ قَوَامًا وَمُنْتَقَبًا .
وَأَوْتُهُ : جَمْعُ أَوَانٍ ، كَأَزْمَنَةِ جَمْعِ زَمَانٍ ، وَقَوْلُهُ : يَا حُسْنَهُ ، لَفْظُهُ لَفْظُ النِّدَاءِ ،
وَمَعْنَاهُ التَّعْجِبُ ، فَيَا لِلتَّنْبِيهِ لَا لِلنِّدَاءِ ؛ وَالضَّمِيرُ مَبْهَمٌ قَدْ فُسِّرَ بِالتَّمْيِيزِ . وَالْقَوَامُ ،
بِالْفَتْحِ وَوَحْمٍ مِنْ ضَبْطِهِ بِالْكَسْرِ : الْقَامَةُ ، يَقَالُ : امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْقَوَامِ أَى الْقَامَةِ .
وَمَا : زَائِدَةٌ ؛ وَالْمُنْتَقَبُ ، بِفَتْحِ الْقَافِ : مَوْضِعُ الْقُنَابِ . وَبَعْدَهُ بِأَيَّاتِ :

(إِنَّ أَمْرًا رَهْطُهُ بِالشَّامِ مَمْنَزِلُهُ بِرَمْلٍ يَزِينُ جَلْرًا شَدَّ مَا اغْتَرَبَا)

وأورده ابنُ هشام فى أواخر الباب الخامس من المعنى على أَنَّ أَصْلَهُ :
ومَنْزَلُهُ بِرَمْلٍ يَزِينُ ؛ فَخُذْ حَرْفَ الْعَطْفِ ، وَهُوَ الْوَاوُ ؛ وَبَابُهُ الشَّعْرُ . ثُمَّ
قَالَ : « كَذَا قَالُوا ؛ وَلَكَ أَنَّ تَقُولُ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ صِفَةً ثَانِيَةً لَا مَعْطُوفَةٌ » .
وقوله : امْرَأً عَنِ الْخَطِيئَةِ بِالْمَرْءِ نَفْسَهُ . وَقَوْلُهُ : رَهْطُهُ بِالشَّامِ ، جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ
صِفَةٌ لِاسْمٍ « إِنَّ » ، وَأَرَادَ : بِنَاحِيَةِ الشَّامِ ؛ فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ عَنَسِيَّةٌ وَمَنْزَلُ بَنِي عَنَسٍ
شَرْجٌ وَالْقَصِيمُ الْجِلْوَاءُ (١) وَهِيَ أَسْفَلُ عَدَنَةَ (٢) ؛ وَكَانَ الْخَطِيئَةُ جَاوِرٌ بَيْضُ

(١) فى النسختين . « الجوى » صوابه من ياقوت والقاموس ، وهو فى مطلع مستقرة
عنتره . والجواء بعد ولا يقصر ، كما فى كتاب المقصور والمدود لابن ولاد ٢٦ .

(٢) عدنة : موضع بنجد فى جهة الشمال من الشربة . وفى ش : « عذبة » تحريف .

ابن شماس المذكور ، برمل (يبرين) وهي قرية كثيرة النخل والعيون بالبحرين بحذاء الأحساء ، لبنى عوف بن سعد بن زيد مناة ، ثم لبنى أنف الناقة . وإعرابها بالواو رفعاً ، وبالياء نصباً وجراً ، وربما التزموا الياء وجعلوا الإعراب بالحركات على النون ، ويقال أيضاً رمل أبرين ، ولابن جني فيه كلامٌ جيد نقله ياقوت في معجم البلدان . وقوله : منزله برمل يبرين ، جملة اسمية ثانية ، إمّا معطوفة بالواو المحذوفة ، وإمّا صفة ثانية لاسم إن . وجاراً : حالٌ من المضمر المستقر في قوله : برمل يبرين ، العائد على المنزل . وقوله : شد ما اغتربا ، منصوبٌ على التعجب ، وما مصدرية ، أى ما أشد اغترابه ، والجملة خبر اسم إن . ومثله قول جرير :

فقلت للركب إذ جدّ المسيرُ بنا ما بُعدُ يبرين من باب الفرائس (١)
وباب الفرائس من أبواب الشام . وإنما بسطتُ شرحَ هذا البيت ، لأنه وقع في معنى اللبيب ولم يشرحه أحدٌ من شراحه بشيء .

وسبب مدح الخطيئة بغيضاً وهجر الزبرقان ، هو ما ذكره الأصماني في الأغاني (٢) أن الزبرقان قديم على عمر ، رضى الله عنه ، في سنة مجدي ليؤدى صدقات قومه ، فلقبه الخطيئة بقرقرى ، ومعه ابنه أوس وسواده ، وبناته وامراته ، فقال له الزبرقان — وقد عرفه ، ولم يعرفه الخطيئة — : أين تريد ؟ فقال : العراق ، قد حطمتنا هذه السنة ! قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مؤنة عيالي وأُصفيه مدائحى ! فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يؤسك تمرأ ولبنأ ، ويجاورك أحسن جوار ، قال :

(١) في اللسطين : « لكرب أوجد » ، وأصلها الشنقبى بما أثبت

من الديوان ٣٢٢ .

(٢) الأغاني ٢ : ٥٥٠ .

٥٦٩

هذا وأبيك العيشُ، وما كنت أرجو هذا كله ! عِنْدَ مَنْ؟ (١) قال: عندي .
قال: ومن أنت؟ قال: الزبرقان . فسيره إلى أمه — وهي عمة الفرزدق —
وكتب إليها: أن أحسني إليه وأكثري له من التمر واللبن . وقال آخرون:
بلى سيره إلى زوجته هُنَيْدَة (٢) بنت صَعَصَعَة المجاشعِيَّة ، فأكرمتها وأحسنَتْ
إليه ؛ فبلغ ذلك بغيض بن عامر ، من بني أنف الناقة ، وكان يُنْزِع الزبرقان
الشرف ، وكان الخطيئة دَمِيماً سيء الخلق فهان أمره عليها وقصرت به ؛
فأرسل إليه بغيض وإخوته : أن ائتنا . فأبى وقال : شأن النساء التقصيرُ
والغفلة ، ولست بالذي أحيل على صاحبها ذنبها ؛ وألحوا عليه فقال : إن تركتُ
وَجُنِيتُ نَحَوْتُ إليكم . وأطمعوه ووعدوه وعداً عظيماً ، فذهبوا إلى زوجة
الزبرقان أن الزبرقان يريد أن يتزوج ابنته مُليكة — وكانت جميلةً — فظهر
منها جَفَوَةٌ . وألحوا عليه في الطلب فارتحل إليهم ، فضرىوا له قُبَّة ، وربطوا
بكل طُئْب من أطناها حُلَّة هَجْرِيَّة (٣) وأراحوا عليه [إِبِلَهُمْ (٤)] وأكثروا
عليه التمر واللبن . فلما قديم الزبرقان سأل عنه ، فأخبر بقصته ؛ فنادى في بني
بَهْلَةَ بن عوف وركب فرسه وأخذ رمحاً ، وسار حتى وقف على القُرَيْمِيِّين ،
وقال : ردُّوا عليّ جاري ؛ قالوا ما هو لك بجارٍ ، وقد أطرحتَه وضيعته ؛ وكاد
أن يقع بين الحيين حرب . فاجتمع أهل الحجاب ، وخيروا الخطيئة ، فاختر
بَغِيضاً ؛ وجعل يمدح القُرَيْمِيِّين من غير أن يهجو الزبرقان — وهم يحرضونه

(١) في الأغاني بعد كلمة « كله » : « قال : فقد أصبت . قال : عند من . »

(٢) كذا في الأغاني في غير ما موضع . وفي اللسختين : « عبيدة » . وانظر القد

٢ : ١٩٦ وثمار القلوب ٢٣٦ حيث ذكرا أن هُنَيْدَة هذه زوج الزبرقان بن بدر وعمة
الفرزدق . وكانت تلقب « ذات الحمار » .

(٣) استظهر مصححو الأغاني ٢ : ١٨٢ أنها « حلة هجرية » بالجمع .

(٤) التكة من الأغاني .

على ذلك وهو يابى — حتى أرسل الزبرقان إلى رجلٍ من النير بن قاسط ،
يقال له دثار بن شيبان ، فهجا بغيضاً وفضل الزبرقان ، فقال من جملة أبيات :
وَجَدْنَا بَيْتَ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفٍ تَعَالَى مَحْكُهُ وَدَجَا^(١) الْفَنَاءِ
وَمَا أَضْحَى لَشَّمَسِ بْنِ لَآئٍ قَدِيمٌ فِي الْفَعَالِ وَلَا رَبَّاءِ
سِوَى أَنْ الْحَطِينَةَ قَالَ قَوْلَا هَذَا مِنْ مَقَالَتِهِ جَزَاءِ
ولما سمع الحطينة هذا ، ناضل عن بغيضٍ وهجا الزبرقان ، في عدة قصائد ؛
منها قوله :

والله ما مَعَشَرُ لَامُوا امراً جُبباً من آلِ لَآئٍ بن شماس بأَكْبَسِ
ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ ، لَا أَبَالِكُمْ فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ
لَقَدْ مَرَّيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْجِي وَإِبْسَاسِ
فَمَا لَمَكْتُ .. بَأَنَّ كَانَتْ نَفُوسُكُمْ كَفَارِكُ كَرِهَتْ ثَوْبِي وَإِبْسَاسِ
حَتَّى إِذَا مَا بَدَأَ لِي غَيْبُ أَنْفُسِكُمْ وَلَمْ يَكُنْ يَجْرَاحِي فِيكُمْ آسِي
أَزْمَعْتُ يَا سَأْمِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ^(٢)
مَا كَانَ ذَنْبُ بَغِيضٍ أَنْ رَأَى رَجُلًا ذَا فَاقَةٍ عَاشَ فِي مُسْتَوَعٍ شَاسِ
جَارًا لِقَوْمٍ أَطَالُوا هَوْنَ مَنَزِلِهِ وَغَادَرُوهُ مُقْبِيًا بَيْنَ أَرْمَاسِ
مَلُّوا قِرَاءَهُ وَهَرَّتُهُ كِلَابُهُمْ وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ
دَعِ الْمَتَكَلِّمَ لَا تَرَحَّلْ لُبَغِيَّتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِ
مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيهِ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
مَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ فَلَكَ مَعَاوِلِكُمْ مِنْ آلِ لَآئٍ صَفَاءُ أَصْلُهَا رَاسِ

٥٧٠

(١) دجا : اتسع وامتلا بأهله ، ومنه دجا الإسلام أى انتشر . ط : « دحى الفناء »
ش : « دحى الفناء » وفي الأغاني : « ودحا الفناء » .
(٢) ط : « كالبايس » صوابه في ش والأغاني . والباس : اليأس .

قد ناضلوك فسلوا من كيناتهم مجداً تليداً ونَبلاً غير أنكس
والجُنُب بضم الجيم والنون : الغريب . والبائس هنا الخطيئة ، وهو الذى
لقى بؤساً وشدة من الفقر ، يقال (١) : أصابت الناس سنة شديدة ، وكان
الخطيئة فيمن انحدر مع الناس ، فلم يكن به من القوة أن يكون فى أول الناس .
وقوله : لقد مرَّيكم الخ ، أى طلبت ما عندكم ، وأصله من مرَّيت الناقة ، هو
أن يمسح ضرعها لتدبر . والدرة بالكسر : اللين . والإيساس : صوت تُسكن
به الناقة عند الحلب ، يقول : بس . بس . وقوله : فما ملكت بأن كانت الخ ،
يقول : لم أملك بفضكم فأجعله حياً . والفارك : المرأة للبيضة لزوجها . وقوله :
كرهت ثوبى ، أى كرهت أن تدخل معى فى ثوبى وأن تدخلنى فى ثوبها (٢) .
وقوله : حتى إذا ما بدا لى الخ ، أى بدا لى ما كان غائباً فى أنفسكم من البيضة .
ولم يكن فيكم مصلح لما بى من الفساد وسوء الحال . والآسى : المداوى .
وقوله : أزمعت يأساً الخ ، هو من أبيات معنى اللبيب ، أورده على أن بعضهم
قال من متعلقة بيأساً ، والصواب أن تعلّقها بيئست محدوفة ، لأن المصدر
لا يوصف قبل أن يأتى معموله . والإزماع : تصميم العزم . والمستوعر :
المكان الوعر . والشأس : المكان للارتفاع الغليظ . والهون بالضم : اللذلة .
وغادره : أى تركه كالميت بين أموات القبور . وقوله ما كان ذنبى الخ ،
فلت بالفاء : تلمت ، والفول : التلم . والصفة ، بالفتح : الصخرة الملساء .
أى أردتهم بسوء فلم تعمل فيه معاؤكم . يقول : ما كان ذنبى ! فأتى
مدحت هؤلاء لأنهم أشرف منكم ولهم مجد راس لا تطيقون إزآته . وقوله :
قد ناضلوك الخ ، النكس ، بالكسر : السهم يُقلب فيجمل أسفه أعلاه إذا

(١) فى اللسختين : « يقول » .

(٢) ط : « وأن تدخلنى فى ثوبى » ، سوابه فى ش .

انكسر طرفه . والمناضلة : للمفاخرة . وأراد بالمجد القديم التواصي ؛ وكانت العرب إذا أنعمت على الرجل الشريف المأسور جَزَوْا ناصيته وأطلقوه ، فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها . وقوله : دَعِ المكارم الخ ، أورده الفراء في معاني القرآن في سورة هود ، على أن الكاسى بمعنى المكسو ، كما أن العاصم في قوله تعالى : (لا عاصِمَ الْيَوْمَ ^(١)) بمعنى المعصوم . قال : ولا تنكرن أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى أن قوله (مِنْ ماءٍ دَافِقٍ ^(٢)) بمعنى مدفوق ، و (عيشة راضية ^(٣)) بمعنى مرضية ؛ يستدل على ذلك بأنك تقول : رُضِيتَ هذه المعيشة ، ودَفِقَ الماء ، وكُسى العريان ، بالبناء للمفعول ، ولا تقول ذلك بالبناء للفاعل .

٥٧١

ولما بلغ الزبيران هذا البيت استعدى عليه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فقال : ما أراه هجاءك ، ولكنه مدحك . فقال : سل حسان بن ثابت . فسأله ؛ فقال حسان : هجاء وسلح عليه فخبسه عمر ؛ فقال وهو في الحبس :

ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ . تحمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كلبيهم في قعر مظلمة . فاعف ، عليك سلام الله يا عمر

(ذو مرخ : اسم مكان ^(٤) ؛ وأراد بالأفراخ أطفاله الصغار . وتحمر الحواصل ، يعني لاريش لها) وتكلم فيه عمرو بن العاص ؛ فأخرجه عمر ، فقال : إياك وهجاء الناس ! قال : إذا يموت عيال جوعاً ؛ هذا مكسبي ومنه معاشي !

(١) الآية ٤٣ من سورة هود .

(٢) الآية ٦ من سورة الطارق .

(٣) الآية ٢١ من سورة الحاقة و ٧ من التارعة .

(٤) هو واد بين فدك والوابشية ، كما في معجم البلدان .

وعن زيد بن أسلم^(١) عن أبيه قال : أرسل عمرُ إلى الخطيئة — وأنا عنده ؛ وقد كلمه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن — فأنشده :

ماذا تقول لأفراخِ بنى مرّخ

فبكى عمرُ ثم قال : على بالكرمي ؛ فجلس عليه ، وقال : أشيروا عليّ في الشاعر ، فإنه يقول المجوّ ويشبّ بالنساء وينسب بما ليس فيهم^(٢) ويذمهم ، ما أراني إلّا قاطعاً لسانه ! ثم قال : على بطست ؛ ثم قال : على بالخصف ، على بالسكين ، بل على بالموسى ! فقالوا : لا يعودُ يا أمير المؤمنين ؛ وأشاروا عليه أن قلّ : لا أعود . فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين .

وروى عبد الله بن المبارك : أن عمر رضى الله عنه لما أطلق الخطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة ؛ فاشترى منه أعراس المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم . فقال الخطيئة في ذلك :

وأخنت أطراف الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع
وحينئذ عرض اللئيم فلم يخف مني وأصبح آمناً لا يفزع^(٣)
وقد ترجمنا الخطيئة في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة^(٤) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد المائتين^(٥) :

٢١٥ (فأصدعُ بأمرِكَ ما عليك غضاضةٌ وأبشُرْ بذاك وقرّ مِنْهُ عُيوناً)

(١) زيد بن أسلم المدوي مولى عمر ، روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة وأنس . توفي سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب . ط : يزيد بن أسلم وكذا في الأغاني ٢ : ٥٣ . تحريف .

(٢) في الأغاني : « وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم » .

(٣) في الأغاني ٢ : ٥٤ : « فلم يخف ذمي » .

(٤) الحزاة ٢ : ص ٤٠٦

(٥) شرح شواهد اللغى ٢٣٥ رضا . وليس في ديوان أبي طالب .

على أنه يجوز جمعُ المثنى في التمييز إذا لم يلبس : إذا كان الظاهر أن يقال :
وَقَرَّ مِنْهُ عَيْنَيْنِ أَوْ عَيْنًا . لَكِنَّهُ جَمَعَ لَعْدَمَ اللَّبْسِ ، وَلِأَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ
على رأى .

وهذا البيت أحد أبيات خمسة لأبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم .

٥٧٢

وهي :

(وَاللّٰهُ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ ، مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَأَبْشُرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْهُ عُيُونَا
وَدَعَوْتِي وَرَزَعَتَ أَنْتَكَ نَاصِحٌ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ تَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينًا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسِيَّةٍ لَوْجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مُبِينَا)

قال السيوطي في شرح شواهد المغني : أخرج ابنُ إسحاق ، والبيهقي
في الدلائل ، عن يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن قريشاً أتت
أبا طالب فكلّمته في النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فبعث إليه ؛ فقال له : يا ابن أخي ،
إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا ؛ فأبى عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني
من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، فأكف عن قومك ما يكرهون من
قولك . فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه وأنه خاذله ،
فقال : يا عم ، لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ، ما تركت هذا
الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه ؟ ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبكى ؛ فلما ولى قال له — حين رأى ما بلغ من الأمر برسول الله
صلى الله عليه وسلم — : يا ابن أخي امض على أمرك وافعل ما أحببت ،

فوالله لا أُسَلِّمُكَ شَيْءٌ أَبَدًا . وقال أبو طالب في ذلك هذه الأبيات ^(١) انتهى .
وقد أنشد الزخشرى هذه الأبيات عند قوله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ^(٢)) من سورة الأنعام بناء على القول بأنها نزلت في أبي طالب .
وقوله : والله لن يصلوا إليك الخ ، أنشد هذا البيت ابن هشام في المغنى
على أن القسم قد يلتقى بلى نادراً . ونازعه الدماميني في الحاشية الهندية ،
بأنه يحتمل أن يكون مما حذف فيه الجواب لدلالة ما بعده عليه ، تقديره :
والله إنك لآمن على نفسك ؛ فيكون قوله : لن يصلوا إليك الخ ، جملة مستأنفة
لا جواب القسم . وأوسد ، بالبناء للمفعول : من وسدته الشيء : إذا جعلته
تحت رأسه وسادة . ودفينا : حال من ضمير أوسد بمعنى مدفون . وقوله :
فاصدع بأمرك الخ ، يقال : صدعت بالحق إذا تكلمت به جباراً . وقيل
في قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر ^(٣)) أى شق جماعاتهم بالتوحيد ، وقيل :
افرق بذلك بين الحق والباطل ، وقيل : أظهر ذلك . وهو مأخوذ من قولهم :
صدعت القوم صدعاً فتصدعوا : أى فرقهم فتفرقوا . وأصل الصدع الشق .
وروى (فانفذ بأمرك) . والغضاضة ، قال في الصحاح : يقال ليس عليك
في هذا الأمر غضاضة أى ذلة ومنقصة . وفي المصباح : غض الرجل صوته
وطرفه ، ومن طرفه وصوته غضاً ، من باب قتل : خفض ؛ ومنه يقال غض

٥٧٣

(١) الخبر عند السيوطى ٢٣٥ . وقد عمل البغدادى هنا على أن يقارب فى الألفاظ بين ما كتبه السيوطى ، وما هو عند ابن إسحاق فى السيرة ١٦٨ . وأما الأبيات فقد أغفلها ابن إسحاق ، والثانى عند السيوطى هكذا :

فامض لأمرك ما عليك غضاضة أبشر وقر بذلك منه غيونا

وفى السيوطى فى البيت الثالث « قبل » موضع « ثم » ، وفى الرابع :

« قد عرفت » بدل « لا محالة » وفى الخامس « سبة » مكان « مسبة » .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأنعام .

(٣) الآية ٩٤ من سورة الحجر .

من فلان غَضاً وَغَضاضَةً : إذا تنقَّصه . وقوله : وَأَبْشَرَ بِذَلِكَ ، أى بَعْدَمَ
وُصُولِهِ إِلَيْكَ ، أو بظهور أمرِكَ ، أو بانتفاء الغضاضة عنكَ ، أو بالمجموع ؟
ويكون ذاك إشارةً إلى ما ذُكِر . وأبْشَرَ ، بفتح الشين ، لأنه يقال بَشِرَ بِكَذَا
يَبْشُرُ ، مثل فرح يفرح وزناً ومعنى ، وهو الاستبشار أيضاً ؛ والمصدر البُشُورُ ،
ويتعدى بالحركة فيقال بَشَّرْتَهُ أَبْشُرُهُ ، من باب قتل ، فى لغة تهامة وما والاها ؛
والاسم منه البُشْر بضم الباء ، والتعديّة بالتثنية لُغَةً عامّةً العرب ، كذا
فى المصباح^(١) . وقوله : وَقَرَّ مِنْهُ عَيْونًا : أى مِنْ أَجْلِهِ . قال الطَّيْبِيُّ : « وإنما
جمع العين ، لأن المرادَ عيون المسلمين ، لأنَّ قَرَّةَ عَيْنِهِ عليه الصلاة والسلام
قَرَّةٌ لَأَعْيُنِهِمْ » . وهذا المعنى صحيح ، إلاَّ أنَّ اللفظ لا يساعد . وهو تمييز
محوَّل عن الفاعل . قال ثعلبٌ فى فصيحه : وَقَرَّرْتُ بِهِ عَيْنًا أَقَرُّ بِكسر
العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل ؛ وَقَرَّرْتُ فى المكان أَقَرُّ ، بفتحها
فى الماضى وكسرها فى المستقبل ؛ ومصدر الأوَّل القُرَّ والقُرور بضمَّ أولهما ،
ومصدر الثانى القَرار والقَرَّ بفتحهما . قال شارحه أبو سهل الهَرَوِيُّ : قولهم :
أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ ، معناه لا أبْكَاك اللهُ فنسخنَ بالدمع عَيْنُكَ ؛ فكأنه قال :
سَرَّكَ اللهُ ؛ ويجوز أن يكون صادفتَ ما يرضيك لتَقَرَّ عَيْنُكَ من النظر
إلى غيره . وأما قول بعضهم : معناه برِّد اللهُ دَمْعَهَا ، لأنَّ دَمْعَةَ الشَّرور باردةٌ
ودَمْعَةُ الحزن حارَّةٌ فإنه خطأ ، لأنَّ الدمعَ كُلَّهُ حارٌّ . . . وقوله : ودعوتني ،
أى إلى الإيمان . وزعمت : أى قُلْتُ ؛ فإنَّ الزعمَ أحدُ معانيه القول ؛ ورؤى
بدله . (وعلمتُ) فهو بضمِّ التاء . وثُمَّ بفتح التاء إشارةً إلى مقام القول

(١) اعتمد البغدادي على ما فى المصباح ، والحق أن ذلك غير متعين ، ففى القاموس
« وبشرت به ، كلم وضرب : سررت » . كما يصح أن تكون أمراً من أبشر بإشاراً ،
مطاوع بشره بالتخفيف ، كما فى قوله تعالى : « وأبشروا بالجنة » ، وحذفت همزة
القطع للضرورة ، لتوافق الرواية الثانية فى البيت التى أوردتها فى حواشى
الصفحة السابقة .

والنصح أو الدعوة ؛ وروى بدله : (قَبْلُ) بضم اللام : أى قبلَ هذا . وقوله :
وعرّضت الخ ، من زائدة على رأى من يقول بزيادتها فى الإثبات ،
أو تبعيضية : أى من بعض الأديان الفاضلة . وديننا ، الثانى ، إما تمييز وإما تأكيد
للأول . وقوله : لولا الملامة ، أى لولا ملامة الكفار لى والحدار ، بالكسر :
المحاذرة . وفتحاً : منقاداً . ومبيناً : مظهرآ ، من الإبانة وهى ضد الإخفاء .
وترجمة أبى طالب تقدّمت فى الشاهد الحادى والتسعين^(١)

* * *

وأشده بعده وهو الشاهد ، السادس عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

٢١٦ (ثَلَاثُونَ لِلْهَجْرِ حَوْلًا كَيْلًا)

وهذا عجزٌ وصدره :

(على أننى بعد ما قد مضى)

على أنه فصل بالمجرور ضرورةً بين التمييز وهو (حَوْلًا) وبين المميز
وهو (ثَلَاثُونَ) .

وأشده سيبويه فى باب كم ، مع بيت بعده ، وهو :

(يَذْكُرُنِيكَ حَنِينُ الْعُجُولِ وَنَوْحُ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدَيْلًا)

قال الأعلم فى شرح أبياته : الشاهد فى فصله بين الثلاثين والحول بالمجرور

(١) الخزائن ٢ : ص ٧٥

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس نعلب ٤٩٢ والانصاف ٣٠٨ وابن عيش

٤ : ١٣٠ واللبنى ٤ : ٤٨٩ والمهج ١ : ٢٥٤ وشرح شواهد المفى ٣٠٧ والأنشونى

٤ : ٧١ .

ضرورة . فجعلَ سببَويه هذا قِوَيَةً لما يجوز في كمّ من الفضلِ عوضاً لما مُنعته من التصرف في الكلام بالتقديم والتأخير ، لتضمنها معنى الاستفهام والتصدّر بها لذلك . والثلاثون ونحوها من العدد لا تمتنع من التقديم والتأخير لأنها لم تتضمن معنيً يجب لها به التصدّر ، فعملت في المميز متصلاً بها على ما يجب في التمييز . انتهى

وقوله : على أنّي ، متعلّق بما قبله من الآيات ، لا بقوله يذكر نيك ، كما زعمه شارحُ شواهد المغنى ، فإنّ يذكر نيك خبر أنّي . و (الحول) : العام ، وقال صاحب المصباح : حال حَوَلاً ، من باب قال : إذا مضى ؛ ومنه قيل للعام حَول وإن لم يمض ، لأنّه سيكون حَولاً ، تسميةً بالمصدر ؛ والجمع أحوال . و (الكميل) : الكامل . و (ثلاثون) فاعل مضى . والدّر كَر متعديّ لمفعول واحد ، يقال ذكرته بلساني وقلبي ؛ والاسم ذُكِر بالضمّ والكسر ، نصّ عليه جماعةٌ منهم أبو عبيدة وابن قتيبة ؛ وأنكر الفراء الكسر في القلب وقال : اجعلني على ذُكُرٍ منك بالضمّ لا غير . ويتعدّى إلى مفعولين بالالف والتضعيف كما هنا ، فإنّ الياء مفعول أوّل والكاف مفعول ثان . وحنينُ فاعله . ونوحٌ معطوف عليه . والحنين : ترجيع الناقّة صوتها إثر ولدها ؛ هذا أصله ، ومنه معنى الاشتياق . والمعجول من الإبل : الواله التي فقدت ولدها بذبح أو موت أو هبة ؛ وقيل الناقّة التي ألفت ولدها قبل أن يتمّ شهر أو شهرين . ونوح الحماة : صوتٌ تستقبل به صاحبها ؛ لأنّ أصل النوح المِقالبة^(١) ؛ وجملة تدعو حال من الحماة . والهديل ، قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : العرب تجعله مرّة فرخاً تزعم الأعراب أنّه كان على عهد نوح .

عليه السلام ، فصاده جارحٌ من جوارح الطير ؛ قالوا : فليس من حمامة إلا وهي تبيكي عليه . ومرةً يجعلونه الطائرَ نفسه . ومرةً يجعلونه الصوت انتهى فعلى الأول هو مفعول تدعو بمعنى تبكيه وترثيه ؛ وكذلك على الثاني ، بمعنى تطلبه ليسافدها ، لأنه بمعنى الذِّكْر . قال في العباب : الهديل : الذِّكْر من الحمام ، وقيل الحمام الوحشي كالقَمَارَى والدَّبَّاسَى . وعلى الثالث مفعول مطلق ، وناصبه إما تدعو بمعنى تهْدِل ، وإما فعلٌ مقدرٌ من لفظه ، أى تهْدِل هديلاً . قال في العباب : والهديل : صوت الحمام ، يقال هَدَلَ الحمامُ يَهْدِلُ هديلاً مثل هَدَرَ يَهْدِرُ هديرًا . وقال الجاحظ^(١) : يقال في الحمام الوحشي من القَمَارَى والقَوَائِخِ والدَّبَّاسَى وما أشبه ذلك : هَدَلَ يَهْدِلُ هديلاً ويقال هَدَرَ الحمام يَهْدِرُ . وقال أبو زيد : الجمل يَهْدِرُ ولا يقال باللام^(٢) . ولا يجوز على هذا أن ينتصب هديلاً على الحال من ضمير تدعو ، لأنَّ مجيء المصدر حالاً سماعيٌّ ، ولا ضرورة هنا تدعو إليه .

٥٧٥

ومعنى البيتين : لم أنس عهدك على بعده ، وكلما حنَّتْ تجولُ أو صاحتْ حمامةٌ رَقَّتْ نفسى فذكرتك .

وهما من أبيات سيبويه الحسين التى لم يُعرف لها قائل . وهقل العيني عن الموعب ، أنَّهما للعباس بن مرداس الصحابى والله أعلم — وتقدّمت ترجمة العباس في الشاهد السابع عشر^(٣) — وكذا رأيتُه أنا فى شرح ابن يسعون على شواهد الإيضاح لأبى على الفارسيّ ، منسوباً إلى العباس بن مرداس .

* * *

(١) فى الحيوان ٣ : ٢٤٣ .

(٢) الذى فى الحيوان : « وأما أصحابنا فيقولون : إنَّ الجمل يَهْدِرُ ولا يكون باللام ، والحمام يَهْدِلُ وربما سكن الراء » . وانظر شرح شواهد الغنى .

(٣) الخزائن ١ : ص ١٥٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد س^(١) :

٢١٧ (قَوْلُ ابْنِ حِينَ جَدِّ الرَّحِيْلُ أُرِحْتَ رَبًّا وَأُرِحْتَ جَلًّا)

على أن (رباً) و (جاراً) تميزان . قال ابن السراج في الأصول : وأما الذى ينتصب انتصاب الاسم بعد المقادير ، فقوله : ويحه رجلاً ، والله درّه رجلاً ، وحسبك به رجلاً ؛ قال عباس بن مرداس :

وَمَرْءٌ يَجْمَعُهُمْ إِذَا مَا تَبَدُّوا وَيَعْطَنُهُمْ شَرْزَرًا فَأُبرِحْتَ فارساً (٢)

قال سيبويه : كأنه قال : فكفى بك فارساً ، وإنما يريد كفتت فارساً ؛ ودخلت هذه الباء توكيداً . ومنه قول الأعشى :

فَأُبرِحْتَ رَبًّا وَأُبرِحْتَ جَارًا انتهى

ساحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة للأعشى ، مدح بها قيس بن معد يكرب الكندى وكان الأعشى مدحه بقصيدة دالية ، فقال له قيس : إنك تسرق الشعر ؛ فقال له الأعشى : قُيدنى فى بيتٍ حتى أقول لك شعراً . فخبسه وقَّيده . فقال عند ذلك هذه القصيدة . وزعم ابن قُتيبة أن القائل له إنما هو النعمان بن المنذر وهذا غير صحيح ، بدليل قوله فيها :

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٩ . وانظر ديوان الأعشى ٣٧ ونوادير أبى زيد ٥٥ والتصريح ١ : ٣٩٩ .

(٢) كذا فى ط ، ش ، وحورها الشنيطى إلى « يجمعهم » مطابقاً بذلك ما فى سيبويه والأصميات ٢٠٦ . على أن « يجمعهم » فيه إسكان آخر المضارع المرفوع ، وورد مثله فى قول امرئ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحب إنما من الله ولا واهل

(إلى المرء قيس نُظِيل السُرى' ونُطوى من الأرض تِبهاً قنارا) أبيات الشاهد

ومطلع هذه القصيدة :

(أَأَزْمَعَتْ مِنْ آلِ لَيْلٍ ابْتِكَارًا وَشَطَطًا عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تُزَارَا)

إلى أن قال بعد ثلاثة أبيات^(١) :

(وَشَوْقٍ عُلُوقٍ تَنَامِيئُهُ بَرِّيَاقَةٍ تَسْتَخَفُّ الضُّفَارَا^(٢))

بَقِيَّةُ خَمْسٍ مِنَ الرَّاسِمَا ت بِيضٌ تُشَبِّهُنَّ الصُّوَارَا

دُفِعْنَ إِلَى اثْنَيْنِ عِنْدَ الْخُصُوصِ وَقَدْ حَبَسَا بَيْنَهُنَّ الْإِصَارَا

فَهَذَا يُعَدُّ لَهْنٌ الْخَلَا وَيَنْقُلُ ذَا بَيْنَهُنَّ الْحَضَارَا

فَكَانَتْ بَقِيَّتُهُنَّ الَّتِي تَرُوقُ الْعُيُونُ وَتَقْضَى السِّفَارَا^(٣)

فَأَتَتْ رَوَاحِي وَسِيرُ الْغُدُوِّ مِنْهَا دُؤَابٌ جِدَاءٌ صِفَارَا^(٤)

أَقُولُ لَهَا حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ أُبْرَحْتَ جَدًّا وَأُبْرَحْتَ جَارَا

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ نُظِيلُ السُّرَى' وَنُطَوًى مِنَ الْأَرْضِ تِبهاً قِفَارَا^(٥)

فَلَا تُشَكِّنُ إِلَى السِّفَارِ وَطُولَ الْعَنَاءِ وَاجْعَلِيهِ اصْطَبَارَا

رَوَاحِ الْعَشِيِّ وَسِيرُ الْغُدُوِّ يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى تَلَاقِيَ الْخِيَارَا

تُلَاقِينَ قَيْسًا وَأَشْيَاعَهُ يُسَعِّرُ لِلْحَرْبِ نَارًا قَنَارَا)

قوله : وشوقٍ عُلُوقٍ ، أى ربُّ شوق ، وهو مضاف إلى عُلُوق . والعُلُوق بفتح المهملة : الناقة التى تُعْطَفُ على غير ولدها فلا تَرَاهُ وإنما تُشَمُّ بأنفها

(١) الحق أنه بعد ستة عشر بيتاً من أول القصيدة . انظر الديوان ٣٤ — ٣٧ .

(٢) فى الديوان : « بِجِوَالَةٍ » .

(٣) فى الديوان : « فَكَانَتْ سَرِيْنَهُنَّ » .

(٤) فى الديوان : « ذَوَاتُ حِذَاءٍ » .

(٥) لم يرد هذا البيت فى ديوانه .

وتمنع لبنها . والعلوق أيضاً من النساء : التي لا تحبُّ غير زوجها ، ومن النوق : التي لا تألف الفحل ولا ترأَم الولد . والزَيَافَة : الناقة المسرَّعة ، وقيل المتبخِّرة ، من زاف يزيف زيفاً : إذا تبختر في مشيته . والصُّفار : جمع صَفْرَة وَصْفيره ، بالضاد المعجمة والفاء ، وهي البطان المرعُض ، والبطان بالكسر هو للقتب الحزام الذي يُجعل تحت بطن البعير ، وهو بمنزلة التصدير للرحل : وقوله : بقية خمس ، أى تلك الزيافة بقية نوق خمس . والرامحات ، من الرسيم وهو ضربٌ من سير الإبل السريع ، وقد رسم يرسم رسمياً . وبيض : جمع يضاء أى كريمة . والقصور ، بضم الصاد وكسرها : القطيع من بقر الوحش ؛ والجمع صيران . وقوله : دفنن إلى اثنين الخ ، أى دفع قرينه^(١) تلك النوق الخمس إلى رجلين عند الخصوص ، وهو موضع قُرب الكوفة . والإصار بكسر الهمزة ، قال الصَّنَافِي في العباب : والإصار والأيسر : جبلٌ قصير يشدُّ به في أسفل الخباء إلى وِيد ؛ وكلُّ حبس يُحبس به شئٌ أو يُشدُّ به فهو إصار ، قال الأعشى يصف النوق . . وأنشد هذا البيت . وقوله : فهذا يُعَدُّ : أى يهيء . وأنحلا ، بفتح الخاء المعجمة : الحشيش الرطب . والخضار ، بفتح الملهة وكسرها وبعدها ضاد معجمة : الكرائم من الإبل ، كالمجان واحد وجمعه سواء . وقوله : فكانت أى تلك الزيافة . والسُّفار ، بالكسر : المسافرة والسُّفر ، وهما قطع المسافة . وقوله : فأبقى رَواحِي الخ ، الرواح : مصدر راح يروح ، وهو تقيض غداً يندو غداً . والنُّؤاب : جمع دُؤابة ، بذال مضومة بعدها همزة فوحدة ، وهي الجلدة التي تعلق على آخرة الرجل . والجِداء : جمع جدية ، بالجيم ، وهي شئٌ يحشى تحت دفتي السرج والرجل .

أراد أنها لم يبقَ من ظهرها شيء من كثرة السير . ثم بعد وصفِ ضميرها
ببيتين آخرين قال :

(أقول لها حين جدَّ الرحيلُ البيت)

أى أقول لتلك الزيادة . وجدَّ بمعنى اشتدَّ . وأبرحت بكسر التاء خطاب
للزيادة . قال أبو عبيد في الغريب المصنف : ما أبرح هذا الأمر : ما أعجبه .
وأشدَّ هذا البيت . قال شارح أبياته ابن السيرافي : للمعنى اخترت رباً وهو
الملك ، وجاراً عظيم القدر . وقيل أبرحت [أعجبت ^(١)] قال صاحب الصحاح
وتبعه صاحب العباب : وأبرحه أى أعجبه . وأنشد هذا البيت وقال : أى
أعجبت وبالفت . وأبرحه أيضاً بمعنى أكرمه وعظمه . . وعلى هذا فرباً
مفعول به ، وهو بمعنى المالك والسيد ، ولتراد به نفس الشاعر أو ممدوحه .
وهذا هو الظاهر المتبادر من سوق الكلام . وقال صاحب العباب : ويروى :

(تقول له حينَ حانَ الرحيلُ أبرحتَ . . . الخ)

أى تقول للأعشى الناقة : أبرحتَ بى فى طلب ربك هذا الذى طلبته
وعذبتنى وحسرتنى انتهى . . وعلى هذا فأبرحتَ معناه أصببتنى بالبرح وهو
الشدة والعذاب ، ويكون رباً أصله فى طلب ربك . ولا يخفى هذا التعسف ،
مع أن هذه الرواية غير ثابتة ، وغير منسجمة مع ضمير الغائب . وقال ابن
حيب : يريد : تقول له ناقة : أعظمت وأكرمت ، أى اخترت رباً كريماً
وجاراً عظيم القدر يُبرح بمن طلب شأوه . وروى أيضاً — كما فى الشرح :

(تقول ابنتى حين جدَّ الرحيلُ . . . البيت)

وإتأدوى ، فى كتاب بس وفى نوادر أبى زيد ، المعجزُ مقروناً بالفاء هكذا :

(١) التكملة مما يستفاد من الشرح التال .

(فأبرحت ربا وأبرحت جارا)

وتممه شراح شواهد بما ذكره الشارح^(١). وهذه الرواية لا ارتباط لها بما بعدها، كما هو الظاهر. قال أبو عبيدة، كما في النوادر: أبرحت في معنى صادفت كريماً. وقال غيره: أبرحت بمن أراد اللحاق بك تُبرح به فيلقى دون ذلك شدة. والبرح: العذاب والشدة، ومن ذلك برحت فلان^(٢) انتهى. فارب على الأول المدح، وعلى الثاني الصاحب. وقال النحاس: قال الأصمعي: أبرحت رباً أي أبلغت. وقال الأسعدي: أبرح فلان رجلاً: إذا فضله. وهذا كله على أن رباً مفعول به لا تمييز. وقال الأعمى: قوله: فأبرحت ربا الخ؛ الشاهد فيه نصب رب وجارٍ على التمييز. والمعنى أبرحت من رب ومن جارٍ، أي بلغت غاية الفضل في هذا النوع. وصدر البيت:

(تقول ابنتي حين جد الرحيل أبرحت رباً) الخ

والمعنى على هذا. أبرح ربك وأبرح جارك. ثم جعل الفعل لنير الرب والجار، كما تقول: طبت نفساً: أي طابت نفسك. وهذا أثبت من التفسير الأول؛ وعليه يدل صدر البيت. وأراد بالرب الملك المدح. وكل من ملك شيئاً فهو ربه. انتهى.

٥٧٨

(١) هذا دليل على أن صدر البيت في الكتاب ١ : ٢٩٩ لم يكتبه سيويه وأنه زيادة طرأت بعد زمن تأليفه. والثناء في (فأبرحت) و (أبرحت) مضبوطة في النوادر بالفتح، ولا ضمير في هذا فإنه المناسب لما سبق بعد من التفسير، وضبط كذلك في الكتاب بالفتح، وإنما هذا مجازة لهذا الصدر الزائد بدليل ما سيأتي من شرح الأعمى وقوله: « وهذا أثبت من التفسير الأول » وما سيجيء من قول البغدادي بعده: « والمقدار الذي أووده س هجر... الخ ».

(٢) انظر نوادر أبي زيد ص ٥٥. والنقل هنا يصحح خطأين هناك: الأول « أبرحت ممن »، صوابه « بمن »، والثاني « فلتلق » بالثناء، وصحته « فليلق » بالياء، كما هنا.

وقال الشارح المحقق : أبرحتَ أى جئت بالبرح وصرت ذا برح؛ والبرح : الشدة . فعنى أبرحتَ صرتَ ذا شدة وكمال ، أى بالفت وكلت رباً . فهو نحو كفى زيد رجلاً ، أى أبرحَ جارٌ هو أنت . . . فالربّ على قول الأعمى المدوح ، وعلى قول الشارح نفسُ الشاعر ؛ ومعنى البيت على هذا إنما هو بقطع النظر عما بعده وقبله ؛ وإلا فلا يناسب السياق . والمقدار الذى أورده س ، عجزٌ للصدر الذى هو :

(أقولُ لها حينَ جدَّ الرحيلُ)

والغاء من تصرف النسخ ، فتكون التاء مكسورة ، والمعنى على ما ذكره الأعمى — والله أعلم — وأورد قبله قول العباس بن مرداس السلى :

ومرّةٌ يحميمهم إذا ما تبدّوا ويَطْعُهُمْ شَرّاً فأبرحتَ فارساً^(١)

قال الأعمى : « المعنى فأبرحتَ من فارس ، أى بالفت وتناهيت فى الفروسية — وأصل أبرحتَ من البراح ، وهو المتسع من الأرض المنكشف — أى تبينَ فضلك تبينَ البراح من الأرض^(٢) » .

وترجمة الأعشى ميمون تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين وترجمة قيس أيضاً تقدّمت فى الشاهد الثانى بعد المائتين^(٣) .

* * *

(١) كذا ورد واضحاً فى ش بخط ناسخها ، ولا أثر لقلم التنقيطى فيه أما المطبوعة الأولى فالذى فيها « يحميمهم » . انظر حواشى ٢ : ص ٣٠٢ من هذا الجزء

(٢) كلمة « من الأرض » ساقطة من ش . وفى ط : « أى تبين فضلك وتبين » باقعام واو قبل « تبين » .

(٣) انظر لترجمة الأعشى الخزانة ١ : ص ١٧٥ ولترجمة قيس الخزانة ٣ : ص ٢٣٩

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد المائتين :

٢١٨ (يا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَةٌ ^(١))

على أن (جارة) تميز ، لأن ما الاستفهامية تفيد التفعيم ، أى كملت جارة .

وهذا المصراع عجز ؛ و صدره :

(بَأَنْتَ لَتَحْزَنُنَا عَفَاَرَه)

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدة للأعشى ميمون . . قال الشاطبي في شرح الألفية :
أجاز الفارسي أن تكون جارة في هذا البيت تمييزاً ، لجواز دخول من عليها ،
لأن ما استفهام على معنى التعجب ، فجارة يصح أن يقال فيها : ما أنت من
جارة ؛ كما قال الآخر :

يَا سَيِّدًا مَا أَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ مُوطَّأً لَا كِتَافَ رَحْبِ الذِّرَاعِ ^(٢) انتهى
وروى أوله أبو علي في إيضاح الشعر :

بانت ليطيتها عراره يا جارة ما أنت جارة

والطية ، بالكسر وتشديد الباء التحتية : التية والقصد . وعرارة : امرأة
وقال قبله في قول الشاعر :

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٌ :

الظرف حال ، والعامل ما في قوله ما أنت من معنى المدح والتعظيم ،
كأنه قال : عظمت حالاً في غبراء . وليس في الكلام ما يصح أن يكون عاملاً
في الظرف غير ما ذكرنا ، وإذا صح معنى الفعل - وذلك من حيث ذكرنا -

٥٧٩

(١) ديوان الأعشى ١١١ وابن يعيش ٣ : ٢٢ والأشعري ٣ : ١٧ .

(٢) البيت للسفاح بن بكير في المفضليات ٢٢٢ والمص ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٥١ : ٩٠ .

كان قولُ الأعشى : جارة ، في موضع نصب بما في ما أنت ؛ كما ذكرنا . انتهى .
ولا يصح أن تكون ما نافية كما زعمه العيني ؛ لأنَّ نصب جارة على التمييز
إنما هو من الاستفهام التعجبي . وهذه عبارته : « ما نافية وأنت مبتدأ وجارة
خبره . ويروى : (ما كنتِ جاره) فهذا يؤكد معنى النفي . ويجوز أن
تكون ما استفهامية في موضع الرفع على الابتداء ، وأنت خبره ، وجارة
تكون تمييزا والمعنى عظمت من جارة . انتهى . ولا يخفى أنَّ المعنى ليس
على النفي ؛ وإنما هو على التعجب كما ذكره الجماعة .

و (بانت) : من البين وهو الفراق . وقوله : (لتحزننا) يجوز فتح
التاء وضمتها ، فإنه يقال حزنه يحزنه ، وهي لغة قریش ، وأحزنه
يُحزنه ، وهي لغة تميم ؛ وقد قرئ بهما . وحزن يأتي لازماً أيضاً^(١) ، يقال
حزن الرجل فهو حزن وحزين ، من باب فرح يفرح . و (عفارة) بفتح العين
المهملة : اسم امرأة ؛ وهي فاعلٌ لأحد الفعلين على سبيل التنازع . وقوله :
(يا جارتنا) الخ ، هو التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وجارة الرجل : امرأته
التي تجاوره في المنزل . و (ما) : اسم استفهام مبتدأ عند من وأنت الخبر ؛
وعند الأخفش بالعكس . وقال العيني^(٢) : « عفارة : امرأة يحتمل أن تكون
هي الجارة أو غيرها ، فإن كانت عينا فقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب ،
والجارة هنا زوجته انتهى . . والظاهر أنَّ الجارة هي عفارة وأنها عشيقته فتأمل .
ثم رأيت في شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي لابن برقي قال - وأنشد :

(يا جارتنا ما أنت جاره)

(١) كذا في اللسختين ، وظني أن « أيضا » « مقحمة » .

(٢) لم أجده في شرح الشواهد فلعنه مما سقط من شواهد العيني المطبوعة .

وقبله :

(بانت لتحزننا عَفَارَه)

ويروى :

بانت لَطِيتْهَا عَفَارَه

هو لأعشى بنى قيس ، وألجارة هنا زوجه ، قال ابن دريد : والطَّيَّةُ :
المنزل الذى تنويه . وعَفَارَة : اسم امرأة ويحتمل أن تكون هى الجارة
وغيرها ؛ فإن كانت الجارة فقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب . وقوله يا جارتنا ،
يريد يا جارتى ، فأبدل من الكسرة فتحة فاقبلت الياء ألفاً لتحركها
وافتحاح ما قبلها ؛ ويجوز أن تكون ألف النُذبة ، لما وصلها حذف الهاء ،
كأنه لما فقدها ندبها . وقوله : ما أنت جاره ، ما نافية وأنت مبتدأ أو اسم
ما ، وجارة إما فى موضع نصب خبر لما ، وإما فى موضع رفع خبر لأنت .
ويروى : (ما كنت) فهذا يؤكد معنى النفي ، كما قال تعالى (ما هذا بشراً ^(١))
ويجوز أن تكون ما استفهاماً فى موضع رفع بأنها خبر أنت ، وجارة فى موضع
نصب على التمييز ؛ أى ما أنت من جاره . ويجوز أن تكون حالا ، والعامل
فيها معنى الكلام ، أى كُرمَت جارةً ، أو نبُلتِ جارة . ويجوز أن تكون
ما مبتدأ — وإن كانت نكرة — لما فيها من معنى التفعيم والتعجب ، ولأنها
تقع صدرأً ؛ غير أنه أوقعها على من يعقل ، فكان الوجه ما بدأنا به .

٥٨٠

هذا كلامه برُمته ؛ وتعمُّفه ظاهر .

وقال شارح آخر لأبيات الإيضاح : « جلبه أبو على شاهداً على أن »

جاءةً الموقفَ عليها ، يحتمل أن تكون تمييزاً لإمكان [إدخال^(١)] من عليها . ويحتمل أن تكون حالا . ثم إنه أخذَ جميعَ الكلام الذى قلناه من ابن بَرِّى .

وترجمةُ الأعشى تقدّمت الحوالةُ عليها فى البيت الذى قبل هذا . وبعد

هذا البيت :

(أَرْضُنْكَ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ دَلٍّ تُخَالِطُهُ غَرَارَةٌ
وَسَبْتُكَ حِينَ تَبَسَّمْتَ بَيْنَ الْأَرِيكَةِ وَالسِّتَارَةِ
وَالْفَرَارَةِ ، بفتح المعجمة : الغفلة كالفرّة بالكسر . والأريكة : السرير
المزین ؛ والجمع أرائك .

* * *

باب المستثنى

أشد فيه ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائتين^(٢) :

٢١٩ (وَبَلَدَةٍ لَيْسَ بِهَا طُورِيٌّ وَلَا خَلَا الْجِنُّ بِهَا إِنْسِيٌّ)
على أن تقدّم المستثنى على المنسوب والمنسوب إليه شاذ^(٣) . والأصل :
ولا بها إنسى خلا الجن .

(١) التكملة من هاشم ش وإلى جوارها كلمة « صح » .

(٢) نوادر أبى زيد ٢٢٦ وللتعريف ٣ : ٦٢ والاعتصاف ٢٧٤ والجمع ١ : ٢٢٦ ، ٢٣٢ وديوان المجاج ٦٨ واللسان (طور ، طأى) .

(٣) فى اللّختين : « المستثنى غير المنسوب والمنسوب إليه شاذ » تحريف . وفى الرضى ١ : ٢٠٩ : إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب أن يتأخر عما نسب إلى المستثنى منه ، نحو ما جاء فى إلا زيدا أحد . وإن تقدم على المنسوب — يعنى الحكم — وجب تأخيره عن المستثنى منه ، نحو القوم إلا زيدا ضربت . ولا يجوز عند البصريين تقدمه عليهما فى الاختيار . عليهما أى المنسوب وهو الحكم ، والمنسوب إليه وهو المستثنى منه ، فلا يقال إلا زيدا القوم ضربت .

كَمَلُ الْجُزْءِ
الْأَوَّلُ مِنْ
الْمَطْبُوعَةِ
الْأُولَى
وَيْلِيهِ الثَّانِي
وَأَوَّلُهُ
بَابُ الْمُسْتَثْنَى

قال ابن الأنباري في الأنصاف : ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديم حرف الاستثناء في أول الكلام نحو إلا طعامك ما أكل زيد ، نص عليه الكسائي ، وإليه ذهب الزجاج في بعض المواضع ؛ واستدلوا بهذا البيت ونحوه . ومنعه البصريون ، وأجابوا عن البيت بأن تقديره : وبلدة ليس بها طوري ولا إنسي ما خلا الجن . فحذف إنسياً وأضر المستثنى منه ، وما أظهره تفسير لما أضمره ^(١) . وقيل : تقديره : ولا بها إنسي خلا الجن . فيها مقدره بعد لا ، وتقديم المستثنى ^(٢) فيه للضرورة ، فلا يكون فيه حجة .

صاحب الشاهد وهذان البيتان من أرجوزة للمجّاج . وقوله : (وبلدة) الواو فيه واو ربّ ؛ والبلدة : الأرض ، يقال هذه بلدتنا أي أرضنا . وروى أبو عبيد البكري في شرح نوادر القالي ^(٣) والصاغاني في العباب :

(وخفّقة ليس بها طوري)

بفتح الخاء المعجمة والفاء والقاف ^(٤) ؛ وقال : الخفّقة : المفازة النساء ذات آل . قال أبو عبيد : هذا حجة إنشاده ، لأن قبله :

(وبلدة نياطها نطى)

أي بعيد . وبعده :

(للريح في أقربها هو)

والأقرب : الجوانب . وجملة : (ليس بها طوري) صفة بلدة . وطوري

(١) هذا الجواب ذكره الرضي أيضا في شرحه ١ : ٢٠٩ .

(٢) ش : « الاستثناء » .

(٣) اللآلئ ٥٦٦ وفيه كما في الأمال ١ : ٢٠٥ : « طوي » والطوي كالطوري

وزنا ومعنى .

بمعنى أحد ، لا يكون إلا مع النفي كما هنا ؛ وهو في الأصل منسوب إلى طُور الدار ، قال شارح التواضع الزمخشري : طُور الدار بالضم هو ما يمتد معها من فنيائها وحدودها ، تقول : أنا لا أطور بفلان ولا أطور طورَه : أى لا أدور حوله ولا أدنو منه انتهى . ولا وجه لقول أبي علي القالي في أماليه : إن طُورياً منسوب إلى الطُورة ، وهي في بعض اللغات الطَّيرة — على وزن العنبة — وهو ما يتشاهم به من الفأل الردي . وقد رواه أبو يزيد في نواتره بهذا اللفظ (١) . وكذلك صاحب الصحاح والعياب وغيرهم . ورواه أبو علي القالي في أماليه (طوئي) على وزن طويعي قال : أنشدني أبو بكر بن الأنباري وأبو بكر بن توريد ، للعجاج :

(وبلدة ليس بها طوئي)

وهو بمعنى طُورى . وزاد فيها لغتين أيضا ، قال : يقال ما بها طُووى (٢) على مثال طُوى ، وما بها طوى غير مهموز . وأورد فيها كلمات كثيرة في هذا المعنى تلازم النفي ، كقولهم : ما في الدار أحد ، وما بها عريب ، وما بها ديار . وكأنه ، والله أعلم ، استقصى فيها جميع هذه الألفاظ . وقوله : ولا الخ ، الواو عطفت جملة بها إنسى على جملة بها طورى المنفية بليس ؛ ولا لتأكيد النفي ، إلا أنه فصل بين العاطف والمعطوف بجملة خلا الجن ، لضرورة الشعر . قال ابن السراج في الأصول : وحكى عن الأحمر أنه كان يميز : ما قام صغير ولا خلا أخاك كبير . وإنما قلناه على قوله :

(١) الذى فى النوادر : « طُووى » . وأنشده فى اللسان (حائى) : « طوئى » وقال : س « وما بالدار طوئى مثل طومى ، وطُووى ، أى ما بها أحد » .
(٢) ط : « طوئى » ش : « طوى » والوجه ما أثبت ، كما فى الأمالى .

وبلدةٍ ليس بها طُورٌ ولا خلا الجن ولا إنسي
وليس كما ظنّ ، لأنّ إنسيّ مرتفعٌ بيها على مذهبهم . انتهى .

و (خلا) : أداة استثناء ، ومثلها عدا يكونان فعلين وينصب ما بعدهما على المفعول به ، لأنّ معناها عند سيبويه جاوز ؛ فاعلها ضميرٌ مصدرِ الفعل المتقدم على قولٍ ومنه — في خلا — ما أنشده ابنُ خروف وغيره : (ولا خلا الجن) بالنصب . ويكونان حرفين وينجرُّ ما بعدهما على أنّهما حرفاً جرّاً ، ومنه — في خلا — قول الأعشى :

خَلَا اللهُ مَا أَرْجُو سِوَاكَ ، وَإِنَّمَا أَعُدُّ عِيَالِي شُعْبَةً مِنْ عِيَالِكَ^(١)

وهذا كله ما لم تتصل بهما ما المصدرية . فإن اتصلت بهما فإن المختار النصب ، والجرُّ قليل ، وتكون ما مع ما بعدها في تأويل مصدرٍ منصوبٍ نصبٌ غيرِ وسوى ، عند ابن خروف ، ومصدرٍ في موضع الحال عند السيرافي .
و (إنسي) : واحد الإنس ، بالكسر ، وهو البشر ، يفرق بينه وبين واحده بياء النسبة كروم ورومي . فقوله : خلا الجن استثناء منقطع ، لأنّه من غير جنس المستثنى منه .

وترجمة العجاج تقدّمت في الشاهد الحادى والعشرين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد المائتين ، وهو من شواهدس^(٣) :

(١) هكذا نسبته البغدادى إلى الأعشى ، وليس فى ديوانه . وانظر العين ٣ : ١٣٧ والمج ١ : ٢٢٦ ، ٢٣٢ واللسان (خلا ٢٦٦) .
(٢) الخزانة ١ : ص ١٧٠
(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر ديوان الهذليين ١ : ١١٦ ومعجم البلدان (رهوة) .

٢٢٠ (فإن نَمَسَ في غارِ برهوةِ ثاوياً أنيسكُ أصداء القبورِ نصيحُ)
على أنه جعل الأصداء أنيساً، مجازاً واتساعاً. لأنها تقوم — في استقرارها
بالمكان، وعمارتها له — مقامَ الأناسِ.

وقوى سيبويه بهذا مذهبَ بني تميم في إبدال ما لا يعقل ممن يعقل، إذ
قالوا: ما في الدار أحد إلا حمارٌ، فجلوه بمنزلة ما في الدار أحد إلا فلان.

وهذا البيت من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي رثي بها ابن عمِّ له
قُتل. معلّمها:

أبيات
الشاهد

٤

(لعمرك إني يومَ فارقتُ صاحبي على أن أراه قافلاً لشحيح
وإن دُموعي إثرهُ لكثيرةٌ لو أن الدُموعَ والزَّفيرَ يُريحُ
فوالله لا أنسى ابنَ عمِّ كآته نسيبةً مادامَ الحُمامُ يَنوحُ)
إلى أن قال بعد أبيات ثلاثة:

(فإن نَمَسَ في رَمَسٍ برهوةِ ثاوياً أنيسكُ أصداء القبورِ نصيحُ
على الكُرهِ مَنِي ما أكَفَكَفَ عَبرةً ولكنْ أُخْلِى سَرَبُها فتَصحُ
فألكَ جيرانُ، وما لكَ ناصرُ ولا لَطفُ يَبْكِي عَلَيْكَ نصيحُ^(١))

قوله: (فإن نَمَسَ) يقال أَسَى: إذا دخل في المساء، وهو خلاف
أصبح: إذا دخل في الصباح. قال ابن القوطية: المساء ما بين الظهر
إلى المغرب. و (الرَمَسُ): القبر؛ قال في المصباح: «رَمَسْتُ الميتَ رَمَساً،
من باب قتل: دَفَنْتُهُ. والرَمَسُ: التراب، تسمية بالمصدر ثم سُمِيَ القبر به،
والجمع رموس. وأرَمَسْتُهُ بِالْألف لغة». و (رهوة): مكان، قال ياقوت

(١) نصيح: ذو نصيح، كما في شرح ديوان أبي ذؤيب من ١١٧. ش «فصيح»
سوابه في ط والديوان.

في معجم البلدان : قال أبو عبيد : الرهوة : الجوبة تكون في محلة القوم يسيل إليها ماء المطر . وقال أبو سعيد (١) : الرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله ؛ قال : والرهوة شبه تل يكون في متون الأرض على رموس الجبال ومساقط الطيور والصقور والعقبان . ورهوة طريق بالطائف ، وقيل هو جبل في شعر خفاف بن نذبة ، وقيل عقبة في مكان يعرف . وقال الأصمعي : رهوة في أرض بني جشم ونصر ابني معاوية بن منصور بن عكرمة بن خصفة . و (ثاويًا) خبر قوله (تُمس) وهو متعلق برهوة ، يقال ثوى بالمكان وفيه : إذا أقام . و (أنيسك) مبتدأ ، و (أصداء) خبره ، والجملة حال من ضمير ثاويًا . وجملة تصيح صفة لأصداء ؛ ولا يضر إضافته إلى المعروف باللام ، لأن اللام للجنس ومدخلها قريب من النكرة . والأنيس : الموانس ؛ وفعله أنيست به إنساناً من باب علم ، وفي لغة من باب ضرب ؛ والأنس بالضم اسم منه ؛ واستأنست به وتأنست به : إذا سكن القلب ولم ينفر ، كذا في المصباح : والأصداء : جمع صدئ بالتصير ، وهو ذكر البوم ، وهو يسكن في القبور ، وقال الأعمى : هو طائر يقال له الهامة يزعم الأعراب أنه يخرج من رأس القنيل إذا لم يدرك بثأره فيقول : اسقوني ! اسقوني ! حتى يؤخذ بثأره . وهذا مثل ؛ وإتما يراد به تحريض ولي المقتول على طلب دمه . فجعله جهلة العرب حقيقة . انتهى .

وقوله : على الكره مئي ، متعلق بقوله : أ كفسكف ؛ يقال كفسكت الدمع والرجل : إذا كفتته ومنعته . والعبرة ، بالفتح : الدمعة ؛ وفعله عيرت عينه كفرحت ، والسرب ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين : الطريق ،

(١) في معجم البلدان : « أبو سعيد » ، وبعده : « الرهوة » . وفي مقدمة معجم البلدان أن لأبي سعيد السرافي كتاباً في جزيرة العرب .

يقال خَلَّ له سَرَبُهُ . وقوله : فمالك جيران الخ ، هذه الجملة جواب قوله
فإن تُمس . وجيران : جمع جار . ولَطَفَ بفتح اللام والطاء المهملة ، هو الرقيق
والملاطف . وهذا الكلام منه على طريق التحزن والتحسر .
وقد تقدمت ترجمة أبى ذؤيب فى الشاهد السابع والستين^(١) والله أعلم .

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائتين ، وهو من
شواهد سيبويه^(٢) :

٢٢١ والحربُ لا يَبْقَى لَها حِمَا التَّخِيلُ والمِراحُ^(٣)
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فى النَّجْدَاتِ والفَرَسُ الْوَقَّاحُ

على أن الْفَتَى وما بعده استثناء منقطع ، بدلٌ من قوله : التَّخِيلُ والمِراح .
والجالحم ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحرِّ ؛ من جَحَّتِ
النَّارُ فهِى جاححة : إذا اضْطَرَمَّت^(٤) ؛ ومنه الجحيم . والتَّخِيلُ : التكبرُّ من
الخيلاء . يقول : إِنَّ الحربَ تَزِيلُ نَحْوَةَ المنخُو . وذلك أن أصحاب الغناء
يتكرمون عن الخيلاء ؛ ويختال المتشبع ، فإذا جُرَّبَ فلم يُحْمَدَ افتَضَحَ وسَقَطَ
والمِراح ، بالكسر : النشاط . أى أنها تكفُّ حِدَّةَ البَطْرِ النَشِيطِ^(٥) ،
والصَّبَّار : مبالغة صابر . والتَّجْدَةُ : الشَّدة والبأس . والوَقَّاح ، بالفتح : الفرسُ
الذى حافره صلبٌ شديد ؛ ومنه الوَقَّاحة .

(١) الخزانة ١ : ص ٤٢٢

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٦ . وانظر الجملة ٥٠٢ بشرح المزدوق .

(٣) فى النسختين : « لجالحها إلا التَّخِيل » ، وقد رُجِّعَ الشَّنْقِيطَى على « إلا » .

(٤) ط : « اضْطَرَبَتْ » .

(٥) ط : « النظر » ، صوابه فى ش .

وهذان البيتان قد تقدّم شرحهما مفصلاً في الشاهد الحادى والثمانين ،
في اسم ما ولا المشبهتين بليس^(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد المائتين ، وهو من
شواهد س^(٢) :

٢٢٢ (عَشِيَّةٌ لَا تُغْنِي الرِّيحُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ ، إِلَّا الْمَشْرِقُ الْمَصْنَمُ)
على أن ما بعد إلا ، وهو المشرق ، بدل من الرياح والنبل ،
والاستثناء منقطع .

وأورده صاحب الكشف ، أيضاً ، شاهداً على رفع الاسم الكريم في قوله
تعالى (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ^(٣)) وإنما رفع
على لغة تميم . والحجازيون ينصبونه مطلقاً .

وقد جاء هذا البيت في شعرين ، قافية أحدهما مرفوعة ، وقافية الآخر
منصوبة . والأوّل هو الشائع المستشهد به ، وقد ورد في كتاب سيبويه
مُغفلاً ، ولم ينسبه أكثر شُراح شواهد .

والمنصوب جاء في قصيدة للحُصَيْن بن الحُمام المرئى . أمّا الأوّل فهو
لِضَرَار بن الأَزْوَرد الصَّحَابى من قصيدة قالها في يوم الرِّدّة : قال أبو محمد
الأعرابى (فى فُرحة الأديب) : أَكْتَبْنَا أَبُو النَّدَى : قال ضَرَار بن الأَزْوَرد
وهو فارس المحبّر فى الرِّدّة ، لبني خزيمه — وكان خالد بن الوليد بعثه فى خيل

(١) الخزانة ١ : ص ٤٧٠

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٦ . وانظر المني ٣ : ١٠٩ والألمونى ٢ : ١٤٧ .

(٣) الآية ٦٥ من سورة النمل .

على البعوضة : أرض لبني تميم ، فقتل عليها مالك بن نُؤيرة فارس بن يربوع ،
وبنو تميم تدعى أنه آمنه . فقاتل يومئذ ضرار بن الأزور قتالاً شديداً —
فقال في ذلك ، وبلغه ارتداد قومه من بني أسد :

(بنى أسد قد ساءنى ما صنعتم وليس لقوم حاربوا الله محرم
وأعلم حقا أنكم قد غويتم ، بنى أسد ، فاستأخروا أو تقدّموا
نهيتم أن تنهبوا صدقاتكم وقلت لكم يا آل ثعلبة اعلّموا
عصيتم ذوى أحلامكم وأطعتم ضجماً ؛ وأمر ابن اللقيطة أشام
وقد بعثوا وفداً إلى أهل دومة فقبح من وفدي ومن يتيم^(١)
ولو سألت عنا جنوبُ خُجرت عشيّة سالت عقرباء بها الدم^(٢)
عشيّة لا تغنى الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرق المصم
فان تبغى الكفار غير منيية ، جنوب ، فإني تابع الدين فاعلموا^(٣)
أقاتل ، إذ كان القتال غنيمة والله بالعبد المجاهد أعلم)

ضجيم هو طليحة^(٤) بن خويلد ، وكانت أمه حميرة أحيذة . وابن اللقيطة :
عينة بن حصن . وقوله : يا آل ثعلبة ، أراد ثعلبة الحلاف بن دودان بن أسد^(٥) .

(١) فى معجم البلدان (دومة الجندل) : « وما قد تيمموا » .

(٢) ط ومعجم البلدان : « ونو سلت » : صوابه فى ش وفرحة الأديب بخط
البغدادى ، وهى محفوظة بدار الكتب برقم (٧٨ مجاميع م) الورقتين ٢٧ ، ٢٨ .
وقد تابعت فى ضبط كل هذا النقل ما كتبه هناك بقله . وفى معجم البلدان : « عقرباء
وملهم » . وروى ابن السيرافى : « عقرباء من الدم » على الإقواء ، وردها
عليه أبو محمد .

(٣) البلدان : « غير مليه . . . تابع الدين مسلم » .

(٤) فى النسختين وفرحة الأديب : « ضلعة » ، وإنما هو بالتصغير ، كما فى الإصابة
وجهرة ابن حزم ١٩٦ ، ٤٤٣ ، والاشتقاق ٥٥١ .

(٥) الذى فى الجهرة ١٩٢ أن الحلاف هو الحارث الحلاف بن سعد بن ثعلبة
ابن دودان .

وقال لنا أبو الندى : عقرباء بالبساء : أرض باليامة . قال : وعقر ما بالميم
بالين ، وأنشد لرجلٍ من جُعْفَى^(١) في قتل مالك بن مازن^(٢) أحد بني ربيعة
ابن الحارث :

جَدَعْتُمْ بِأَفَى بِالذَّهَابِ أَنْوَفَنَا فَمِلْنَا بِأَنْفِكُمْ فَأَصْبَحَ أَصْلًا^(٣)
فَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَأَنَا تَرْكَنَاهُ صَرِيحًا بِمَقَرِّ مَا هـ
وقوله عَشِيَّةٌ سالت هو بتقدير مضاف أى ظُفِرَتْ خَبَرَ عَشِيَّةٌ سالت^(٤) .
وعَشِيَّةُ الثانية بدل منها . وجنوب فيما بعد هذا منادى ، وهى امرأة .

و (العَشِيَّةُ) واحدة العَشَى ، قال فى المصباح : العَشَى قِيلَ ما بين الزَّوَالِ
إِلَى الْغُرُوبِ ، ومنه يقال لِلظُّهْرِ وَالْمَصْرِ صَلَاتَا الْعَشَى ؛ وقيل هو آخر النهار ،
وقيل العَشَى من الزَّوَالِ إِلَى الصَّبَاحِ ، وقيل العَشَى والعشاء من صلاة المغرب
إِلَى الْعَتَمَةِ . وجملة (لا تُغْنِي الرَّمَاحُ) الخ فى محل جرٍّ بإضافة عَشِيَّةٍ إِلَيْهَا .
و (مَكَائِهَا) ظرف لقوله لا تُغْنِي ، وهو العامل فيه . قال العيني : الضمير
فى مكانها للحرب ، يدل عليه لفظ الجهاد ، لأنه لا يكون إلا بمكان الحروب .
وأغْنَيْتْ عَنْكَ بِالْأَلِفِ ، مغْنَى فلان : إذا أجزأت عنه وقت مقامه . وحكى
الأزهري : ما أغْنَى فلان شيئاً ، بالين والعين ، أى لم ينفع فى مهمٍّ ولم يكفِ
مُؤْنَةً . وقوله : (ولا النَّبْلُ) بالرفع عطفاً على الرماح . والنَّبْلُ بالفتح : السهام
العربية ، وهى مؤنثة ، ولا واحداً لها من لفظها ، بل الواحد سَهْمٌ . وقوله :

(١) معجم البلدان : « جعفر » تحريف .
(٢) معجم البلدان عن ابن الكلبي فى الجهرة : « أسلم بن مالك بن مازن » .
(٣) جملة كالأفمى فى شدته . والذهاب : غائط من أرض بني الحارث بن كعب ،
كما فى ياقوت . ط : « بأننى مالك بألوفنا » ، صوابه فى ش واضحاً وفى فرحة
الأديب ، ومعجم البلدان (عقروا) ، وهو موضع بالين .
(٤) ط : « خبر عن عشيّة سالت » ، وهو خطأ تنبه له ناشر المطبوعة الأولى .

(إِلَّا الْمَشْرِقِيُّ) بالرفع على لغة تميم بدل من الرَّماح والتَّبَل ، وإن لم يكن من جنسهما ، مجازاً على ما تقدّم قبله . ولا وجه لما نقله ابنُ الأنباريُّ عن بعضهم : من أن نصب المشرقى على المعنى ، قال : كأنه أراد بقوله : لا تُغنى الرماح ، أى لا تستعملها ولا تستعمل إِلَّا المشرقى . وهذا تصف ظاهر . والمشرقى بفتح الميم ، هو السيف المنسوب إلى مشارف ، قال البكرى فى معجم ما استمعج : قال الحربى : والمشارف قُرَى من قرى العرب تدنو من الريف ، واحداها مَشْرَف . وقال (١) فى موضع آخر : وهى مثل حَبِير ودومة الجندل (٢) وذى المروة والرحبة . وقال البكرى ، فى مؤتة أيضا : وكان لقاؤهم — يعنى المسلمين — الروم فى قرية يقال لها مشارف من تخوم البلقاء ، ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة وهو موضع من أرض الشام من عمل البلقاء . فالسيف المشرقى ، إن كان منسوباً إلى الأصول فالنسبة على القياس ، لأنّ الجمع يردّ إلى الواحد فينسب إليه ، وإن كان منسوباً إلى الثانى فالنسبة على خلاف القياس . وبهذا التحقيق يُعرف ما فى قول الصاغى وغيره : والسيوف المشرقية منسوبة إلى مشارف الشّام ، قال أبو عبيدة : هى قُرَى (٣) من أرض العرب تدنو من الريف ، يقال سيف مشرقى ولا يقال مشارفى ، لأنّ الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن . انتهى . وقال صاحب المصباح — بعد أن نقل هذا — وقيل هذا خطأ ، بل هى نسبة إلى موضع من اليمن . وقال ابنُ الأنباريِّ فى شرح

(١) الكلام للبكرى ، والضمر راجع إلى الحربى .

(٢) ط : « دومة والجندل » صوابه فى ش ومعجم البكرى . ودومة الجندل ،

بضم أوله وقتحه ، وقد أنكر ابنُ دُرَيْد الفتح وعده من أغلاط المحدّثين ، كما ذكر ياقوت .

(٣) وفى العمدة ٢ : ١٨٠ قول ثالث إنها منسوبة إلى مشرف : قرية باليمن .

وفى ياقوت قول رابع إنها منسوبة إلى مشرف ، وهو للمشرف بن مالك بن ذعر بن حجر ابن جزيلة بن لحم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب .

المفضليات ، عند الكلام على هذا البيت : والمشرقيُّ منسوبٌ إلى المشرق ،
وهي قرى للعرب تدنو من الريف ، ويقال بل هي منسوبة إلى مَشْرِقيٍّ ،
رجل من ثَقِيف^(١) فالقول الأولُ [هو القول الأول^(٢)] من كلام البكري
ويبدل على الجمعية دخول اللام عليها في كلامهما^(٣) و (المصم) : اسم فاعل
من صَمَّ ، قال صاحب الصحاح : وصَمَّ السيفُ : إذا مضى في العظم وقطعه ،
فإذا أصاب المفصل وقطعه يقال : طَبَّق . قال الشاعر يصف سيفاً :

• يَصُمُّ أحياناً وحيناً يطبَّقُ^(٤) •

ومثله قول ابن الأنباري : والمصمُّ الذي يَبْرِي العظمَ بَرِيّاً ، حتى كأنه
وقع في المفصل من سرعة مَضائه . والمطبَّق الذي يقع على المفصل ، ومنه قول
الكميت يصف رجلاً شَبَّهه بالسيف :

فأراك حينَ نُهَزُّ عند ضريبةٍ في النَّائباتِ مصمّاً كطَبَّقٍ

أى هو يَمْضِي في نفس العظم ويَبْرِيه ، وكأنه إِتَمَّا طَبَّقَ أى وقع على
المفصل . فهذا الرجل حينَ يُهَزُّ لما ينوب من الخطوب ، كهذا السيف في مضائه ،
أى يركب معالى الأمور وشِدَادتها ، ولا يثنيه شيء ، كهذا السيف .
وإتَمَّا كانت الرماح والتبيل لا تُغْنِي ، لأنَّ الحرب إذا كانت بالليل لا تنقُ
إلا السيوف ، لاختلاط القوم ومواجهةٍ — بعضهم بعضاً ، كذا قال العيني .
وهذا من تفسير العشية بالليل . وليس كذلك ، بل هو من شِدَّةِ المحاربة حيث
استقلَّ عملهما فنازَلَ بالسيف : وذلك أنَّ أوَّلَ الحرب المناضلة بالسُّهَام ، فإذا

(١) انظر الحاشية السابقة ، فهذا قول خامس .

(٢) التكملة من ش .

(٣) أى ابن الأنباري والبكري . ط : « كلامها » صوابه فى ش .

(٤) وكذا ورد الشطر فى اللسان (صم ٢٤٠) بدون نسبة .

تقاربوا فالتراشق بالرماح^(١) فإذا التقوا فالمجالدة بالسيوف . فالشاعر يصف شدة المحاربة ، بالتقاء الفريقين ، فلم يفتد حينئذ إلا التضارب بالسيوف .

وأما الثاني ، وهو الشعر المنسوب ، فمطلع القصيدة :

(جَزَى اللهُ أَفْنَاءَ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا بِدَارَةِ مَوْضِعٍ عُقُوقًا وَمَأْمَا
بَنَى عَمَّا الْأَدْنَيْنِ مِنْهُمْ وَرَهْطَنَا فَرَاةً إِذْ رَامَتْ بَنَا الْحَرْبُ مُعْظَمَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلَمَا
صَبْرْنَا ، وَكَانَ الصَّبْرُ مَنَا سَجِيَّةً ، بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمِغْصَمَا
يَفْلُقْنَ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعْقُ وَأَظْلَمَا
فَلَيْتَ أَبَا شَيْبِلٍ رَأَى كَرَّ خَيْلِنَا وَخَيْلِهِمْ بَيْنَ السُّتَارِ فَأَظْلَمَا
نَظَارْدَهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرْدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْقِنُونَ السَّمْهَرَى الْمُقَوَّمَا
عَشِيَّةً لَا تَغْنَى الرِّمَاحُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ ، إِلَّا الْمَشْرِقُ الْمَصْمَا
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَا تَرَى مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيَا مَسُومًا^(٢)

وهذه القصيدة مسطورة في المفضليات ، وعدتها واحد وأربعون بيتا^(٣) .

وأفناء العشيرة : أوباشهم ، يقال هو من أفناء الناس : إذا لم يعلم ممن هو .
ودارة موضوع : اسم مكان ، وكذلك السُّتَارُ وأظلم ، موضعان . وقوله :
نظاردهم الخ ، هذا هو العامل في عشية . وروى :

(١) كتب الشنقيطي في هامش نسخته : « قلت : قوله فبالتراشق بالرماح » خطأ
محض ، والصواب : فالتطاعن بالرماح ، لأنها هي التي يطن بها فقط ، ولأن الرشق
بالسهام وحدها .

(٢) في المفضليات ٦٥ : « حتى أتى الخيل » ، وفي الحماسة « من الصبح حتى
تغرب الشمس » .

(٣) هي اثنتان وأربعون بيتا .

« نَقَاتِلِهِمْ نَسْتَعِذُّ بِالْجُرْدِ كَالْقَنَا وَيَسْتَوْدَعُونَ السُّمَهْرَى الْمُقَوَّمَا »
وروى ابن قتيبة :

« نَحَارِبُهُمْ نَسْتَوْدِعُ الْبَيْضَ هَامَهُمْ وَيَسْتَوْدَعُونَ السُّمَهْرَى الْمُقَوَّمَا ^(١) »

والجُرد : الخيل القصيرة الشعور ؛ وذلك مدحٌ لها . والسُمهرى : القنا .
والمقوّم : المعدل المنقّف . يقول : نحن نَسْتَعِذُّ بِالْجُرْدِ الخيل الجُرد منهم ، وهم
يَسْتَعِذُّونَ الرِّمَاحَ مِنَّا بِأَن نَضَعَنَّهُمْ بِهَا وَتَرْكُهَا فِيهِمْ . وقوله : لدن غدوة الخ ،
ظرف لِنُطَارِدُهُمْ أَيضاً . والخارجى من الخيل : الجواد فى غير نسب تقدّم له ،
كَأَنَّهُ نَبِغٌ بِالْجُودَةِ ؛ وَكَذَلِكَ الْخَارِجِيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . والسوم : المعلم للحرب .
يقول : إِنَّ النَّاسَ انْكَشَفُوا فِي هَذِهِ الْحَرْبِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَهْلُ هَذِهِ الْخَيْلِ
الْأَشْدَاءُ ، الَّذِينَ سَوَّمُوا أَنْفُسَهُمْ وَخَيْلَهُمْ ، شَجَاعَةً وَجَرَاءَةً ؛ لِأَنَّهُ لَا يَثْبِتُ
عِنْدَ انْهَرَامِ النَّاسِ إِلَّا الْأَبْطَالُ .

وفى هذه القصيدة بيتٌ من شواهد سيبويه ، وأورده المرادى فى باب
إعراب الفعل من شرح الألفية :

(وَلَوْلَا رِجَالُ مَنْ رِزَامِ بْنِ مَازِنٍ وَآلِ سُبَيْعٍ أَوْ أَسْوَأَكَ عَلَقًا ^(٢))
لَأَقْسَمْتُ : لَا تَنفَكُ مِنِّي مُحَارِبٌ عَلَى آلَةِ حَدْبَاءَ حَتَّى تَنْدَمَا

أورده شاهداً على نصب أسوءك بإظهار أَن بَعْدَ أَوْ . وَرِزَامٌ هُوَ رِزَامُ
ابن مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ وَوَحْمِ الْعِثْبِيِّ فَرَّغَ أَنَّهُ أَبُو حَتَّى مِنْ
تَيْمٍ ، قَالَ : وَهُوَ رِزَامُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَيْمٍ . . . وَسُبَيْعٌ بِالتَّصْغِيرِ ، هُوَ
سُبَيْعُ بْنُ عَمْرِو بْنِ فُتَيْيَةَ (مَصْغَرٌ فَتَاةً) ابْنُ أُمَةٍ بْنِ بَجَالَةَ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ

(١) فى الشراء ٦٣٠ : وَيَسْتَوْدَعُونَا .

(٢) فى سيبويه ١ : ٤٢٩ : « مِنْ رِزَامِ أُمَةٍ » .

ابن سعد بن ذبيان^(١) . وكان سبيح شريفاً ، وهو صاحب الرُّهْن التي وُضعت على يديه في حرب عَنَس وذبيان ؛ ولما حَضَرَ الموتُ قال لابنه مالك بن سبيح : إنَّ عندي مَكْرُمَةٌ لا تَبِيدُ أبداً إنَّ احتفظتَ بهذه الأُغِيلَةِ . . وعَلِمَ منادى مرخُمُ علقمة ، وهو علقمةُ بن عبيد بن عبد بن فُتَيْة المذكور . . وآل سبيح بالجرُّ عطفاً على مجرورٍ من^(٢) . وأسوءك مؤولٌ بمصدر معطوف على رجال . وروى . (ولولا رجالٌ من رِزامِ أعزَّة) بالرفع صفة رجال^(٣) .

وقوله : لأقسمتُ لا تنفكُ الحُ ، هو جواب لولا . وقوله : لا تنفكُ الحُ ؛ جواب القسم . ومحارب : قبيلة ؛ وهو محارب بن قيس بن عيلان^(٤) . والآلة : الحالة ، والحذاء ، بالحاء المهملَة : الصعبة . والمعنى : لولا أن هؤلاء الرجال أو مساوتك لُحِلَّتْ على أمرٍ عظيمٍ صعب ، لا تطمئنُّ عليه إذا ركبته . وتندم أصله تندم بتاوين ، فحذف إحداها .

وأما (ضرار بن الأزور) فهو مالك بن أوس بن جَذيمة^(٥) بن ربيعة (ضرار ابن الأزور) ابن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزَيْمة الأسدي . الفارس ، الشاعر ، الصحابي . أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنشده :
خَلَمْتُ القِدَاحَ وَعِغْتُ القِيَا نَ وَالْحَرَّ ثَقِيلَةً وَاسْتَهَلَا^(٦)

(١) انظر مختلف القبائل ٢٢ وشرح ما يقع فيه التصحيف للمسكوي ٤٩٣ .

(٢) ضبطت في كتاب سيبويه بالرفع عطفاً على « رجال » .

(٣) وهي رواية سيبويه ، كما تقدم .

(٤) كذا ، وإنما هو محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان . جهرة ابن حزم ٢٥٩ والاشتقاق ٢٩٢ والمعارف ٣٨ .

(٥) في الإصابة ٤٢٦٧ « خزيمة » وفي الاستيعاب ١٢٥٤ « جذيمة » كما هنا .

(٦) في الاستيعاب : « تلمة واتهالا » وفي رواية أخرى فيها : « والخرأشربها والتهالا » وفي هوامش من غير مصدر معروف :

تركز الثبيان وعرف القيان وأدمنت تصلية وابهتالا
وفي الخيل لابن الأعرابي :
جنت القداح وعرف القيا ن والخر تصلية وابهتالا

وَكُرِّىَ الْمُحَبَّرَ فِي غَمْرَةٍ وَجَهْدَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقَتْلَا^(١)
فِيَارَبُّ لَا أُغْبِنَنَّ بَيْعَى قَدْ بَعْتُ أَهْلِي وَمَالِي بِدَالَا^(٢)

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَجِعِ الْبَيْعَ » .

قَالَ الْبَغَوِيُّ : وَلَا أَعْلَمُ لِضَرَّارٍ غَيْرَهَا وَيُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ لَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ بِرُعَاتِهَا ، فَتَرَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ وَحَضَرَ وَقْعَةَ الْيَرْمُوكَ وَفَتَحَ الشَّامَ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بَعَثَهُ فِي سَرِيَّةٍ فَأَغَارَ عَلَى حَيٍّ مِنْ أَسَدٍ ، فَأَخَذُوا امْرَأَةً جَمِيلَةً ، فَسَأَلَ ضَرَّارُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَهْبُوهَا لَهُ ، ففعلوا ، ففوطها ثم ندم ؛ فذكر ذلك لَخَالِدٍ فَكُتِبَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَنْ أَرْضَخَهُ بِالْحِجَارَةِ ! فَجَاءَ الْكِتَابُ وَقَدْ مَاتَ ضَرَّارٌ .. وَقِيلَ : إِنَّهُ مِنْ شَرِّبِ الْخَمْرِ مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ ، فَكُتِبَ فِيهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَرَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : أَنْ أَدْعُهُمْ فَنُاسِلُهُمْ ، فَإِنْ قَالُوا إِنَّهَا حَلَالٌ فَاقْتُلْهُمْ ، وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهَا حَرَامٌ فَاجْلِدْهُمْ ! ففعلوا ، فقالوا : إِنَّهَا حَرَامٌ ، فَجَلِدْهُمْ .

وَضَرَّارُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ مَالِكََ بْنِ نُوَيْرَةَ بِأَمْرِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ — كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ مُفَصَّلًا فِي الشَّاهِدِ السَّادِسِ وَالثَّمَانِينَ^(٣) وَاخْتَلَفَ فِي وَفَاةِ ضَرَّارٍ ، فَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : اسْتَشْهَدَ بِالْيَمَامَةِ : وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ : بِأَجْنَادِينَ . وَقِيلَ : نَزَلَ حَرَّانَ فَمَاتَ بِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا الْخُصَيْنُ بْنُ الْحُلَامِ الْمُرِّيُّ ، فَهُوَ جَاهِلِيٌّ . وَهُوَ بَضْمُ الْحَاءِ وَفَتْحُ الْعَصَادِ

الخصين
ابن الحلام

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « وَكُرِّىَ الْمُحَبَّرَ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِيهِ الْإِسْتِيعَابُ وَالْحِيلُ لِابْنِ الْأَهْرَابِيِّ ٥٦ ، إِذْ أَنَّ الْمُحَبَّرَ هُوَ اسْمُ فَرَسٍ ضَرَّارٌ كَمَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا . وَفِي الْإِسْبَابَةِ وَأَصُولِ الْإِسْتِيعَابِ : « الْمُحَبَّرُ » بِالْجِيمِ ، تَحْرِيفٌ .

(٢) عِنْدَ ابْنِ الْأَهْرَابِيِّ ، وَكَذَا فِي الْإِسْتِيعَابِ : « صَفَقَى » .

(٣) الْحِزَانَةُ ٢ : ص ٢٠ وَمَا بَعْدَهَا

المهملتين . والحلم بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم . وهو فارسُ شاعر . قال ابن قُنيبة في كتاب الشراء^(١) : هو من بني مُرة ، جاهلي ، يُعَدُّ من أوفياء العرب . قال أبو عبيدة : اتفقوا على أن أشعر المُقلِّين ثلاثة : المسيَّب ابن عكس ، والحُصَيْن بن الحُمام ، والمتلمس .

وهذه نسبته ، كما في الجهرة وشرح الفضليَّات : الحُصَيْن بن الحُمام ابن ربيعة بن مُسَّاب (بضم الميم وتخفيف السين) ابن حرام بن وائلة^(٢) ابن سَهْم بن مُرة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان ابن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزَار .

* * *

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س^(٣) :

٢٢٣ (ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيَوْفَهُمْ
يَهْنُ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ)
على أنه عند سيبويه استثناء منقطع جُمْل كالتَّصْل ، لصحة دخول البدل في المبدل منه . ويَبِّتُه الشارح المحقق أحسن بيان .

وقوله : (أن سِيَوْفَهُمْ إلخ) مؤول بمصدرٍ مجرور ، أي غير كون سِيَوْفَهُمْ بها فُلُول إلخ . و (الفُلُول) : جمع فُلٍّ ، بفتح الفاء ، وهو كسرٌ في حَدِّ

(١) الشراء ٦٣٠ .

(٢) ط والأغاني ١٢ : ١١٨ : « وائلة » ، صوابه في ش وابن سلام ١٣١ وشرح للفضليَّات ١٠١ وجهزة ابن حزم ٢٥٤ ، وقد ضبطت مساب في شرح الفضليَّات بفتح الميم .

(٣) في كتابه ١ : ٣٦٧ . وانظر الهمع ١ : ٢٣٢ والكامل ٢٢ : ١٩٦ ، وشرح شواهد اللغوي ١٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ٣١ وديوان النابغة ٦ .

السيف ؛ وسيفُ أفلُ بَيْنَ القَلَلِ ؛ يقال فلَه فأنقلَّ أى كسره فانكسر ؛ وفلَّت الجيش أى هزمتهم . و (القراع) المضاربة ، مصدر قارعه ؛ يقال قرعته بالقرعة (١) : إذا ضربته بها ؛ وقرعت الباب : إذا طرقتة . و (الكتائب) : جمع كتيبة ، وهى الطائفة المجتمعة من الجيش .

وهذا البيت مشهور ، قد تداوله العلماء فى تصانيفهم ، وقد أورده علماء البديع شاهداً لتأكيد المدح بما يشبه الذم ، فإنه نفي العيب عن هؤلاء القوم على جهة الاستغراق ، ثم أثبت لهم عيباً وهو تنل سيوفهم من مضاربة الجيوش . وهذا ليس بعيب ، بل هو غاية المدح ؛ فقد أكد المدح بما يشبه الذم . وأورده صاحب الكشاف أيضاً ، عند قوله تعالى : (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) (٢) . على أن الآية أشبهُ بتأكيد الذم بما يشبه المدح : عكس البيت فإن إطلاق الحجة على قول الذين ظلموا ، ذمٌ فى صورة مدح ، لا أنه مدح فى صورة ذم . وأورده سيبويه فى باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن . قال النحاس : فرّق سيبويه بين هذا الباب وبين الباب الذى قبله ، لأن الذى قبله يجوز فيه الرفع والنصب ، والنصب أجود ؛ وهذا الباب لا يجوز فيه عنده إلا النصب ، لأنه ليس من الأوّل فى شيء . وأجاز المبرد فى جميع ما فى هذا الباب الرفع ، وكذا فى : لا عيب فيهم غير أن سيوفهم انتهى . وعلى قول المبرد فتكون غير بدلاً من الضمير المستقر فى الظرف .

(١) ط : « قارعته بالقرعة » ش : « قرعته بالقرعة » ، وقد جمعت

الصواب منهما .

(٢) الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

وهذا البيت من قصيدة للثأفة الذبياني ، مدح بها عمرو بن الحارث صاحب الشاهد الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر ، ملوك الشام الفسائيين ، وذلك لما هرب من النعمان بن المنذر اللخمي ، من ملوك الحيرة . وليس المدوح بها النعمان بن الحارث — كما وهم شارح شواهد اللغوي — لتصريح للمدوح بها في القصيدة ، كما سيأتي . ومطلع القصيدة :

(كَلْبِي لَمْ يَأْمِيْمَةٌ نَاصِبٍ وَلَيْلَ أَقَاسِيهِ بَطْنُ الْكَوَاكِبِ)
 ١٠ آيات من قصيدة الشاهد

وتقدم شرح هذا البيت وسبب هروبه ^(١) ، في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة مفصلاً ^(٢) . وقال بعد ثلاثة أبيات شرحت هناك :

(حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّ بِصَاحِبِ :
 لئن كَانَ لِلْقَبْرِينِ قَبْرٌ يَجْلِقُ وَقَبْرٍ بِصِيْدَاءِ الَّتِي عِنْدَ حَارِبٍ ^(٣)
 وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِي سَيِّدٍ قَوْمِهِ ، لِيَلْتَمِسْنَ بِالْجَمْعِ أَرْضَ الْمَحَارِبِ)
 البيت الأول من شواهد سيبويه ، أورده بنصب ما بعد إلا على الاستثناء المنقطع ، لأنَّ حُسْنَ الظَّنِّ ليس من العلم . ورفعهُ جائز على البدل من موضع العلم وإقامة الظَّنِّ مقام العلم اتساعاً ومجازاً . وقوله : غير ذي مثنوية ، هو مصدر بمعنى الاستثناء في اليمين ؛ أي حلفت غير مستثنى في يميني ، ثقةً بفعل هذا المدوح ، وحسنَ ظنِّ به .

(١) أنكر بعضهم صحة « الهروب » وصححها بالهرب ، ووجدتها في شعر العفيل بن عامر بن وائلة عند الطبري ٨ : ١٣ .
 متى نهبط المصريين يهرب محمد وليس بمنجي ابن العين هروب
 (٢) الخزانة ٢ : ص ٣٢١ وما بعدها

(٣) كذا في النسختين وكذلك في معجم البلدان (حارب) وهي رواية صحيحة والذي في الديوان : « الذي عند حارب » . وفي شرح الديوان ٣ : « قال أبو عمرو : صيداء : أرض بالشام . وقال الأثرم : حارب : اسم رجل ، وقيل هو موضع » . وقال ياقوت : « هو موضع من أعمال دمشق بجوران قرب مرج الصفر » .

وروى أبو عبيدة :

* وما ذاك إلا حسنُ ظنِّ بصاحبِ *

وعليه فلا شاهد فيه ، والإشارة لليمين . . وجملة المصراع الثاني على الروایتين معترضة بين القسم وجوابه . وقوله : لئن كان للقبرين الخ ، اللام الداخلة على إن موطئة للقسم ، أى وطأت أنَّ الجواب الذى بعد الشرط للقسم ، فجملة قوله الآتى : ليلتمسن بالجمع الخ ، جواب القسم . وجواب الشرط محذوفٌ دلَّ عليه جوابُ القسم ، واسم كان ضميرُ عمرو المدحوح المتقدم فى قوله :

(على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب)

وأراد بالقبرين المقبورين : الحارث الأعرج ، ابن الحارث الأكبر ، وهو الجفني الآتى ذكره : يقول : لئن كان عمرو ابن هذين الرجلين المقبورين فى هذين المكانين ، ليمضين أمره وليتمسن أرض من حاربه . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة ، هى الشام . وصيداء : مدينة بالشام بالساحل . وحارب : موضع ، وقيل اسم رجل . وقوله : ولحلث الجفني الخ ، بفتح الجيم ، وهو جفنة بن عمرو مزريقاء بن عامر بن ماء السماء ؛ وهم الملوك الذين كانوا بالشام . وقوله : ليلتمسن ، هذا جواب القسم مؤكِّد بالنون الخفيفة . وقوله : بالجمع ، أى بمجموع العساكر والجيوش .

وقال بعد ما ذكر :

(لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس ، والأحلام غير عواذب

بجملتهم ذات الإله ، ودينهم قويم ، فما يرجون غير العواقب)

والشيمة : الطيبة . وقوله : والأحلام الخ ، أى لا تعزب عقولهم عنهم كما

تعرّب الماشية عن أهلها ، أى لا تغيّب . وقوله : مجلّتهم ذات الإله ، المجلّة
 بفتح الميم والجيم : الكتاب ، لأنّه يُجَلَّل ويُعْظَم ، وأراد به الإنجيل ، لأنّهم
 كانوا نصارى . قال العسكري (فى كتاب التصحيح ^(١)) : قرأته على ابن
 ثريد : (مجلّتهم) بالجيم ، وقال لى : سمعت أبا حاتم يقول : رواية الأصمعى
 بالجيم ، قال : وهو كتاب النصارى ^(٢) . وكذا كلّ كتابٍ جمع حكمة
 وأمثالاً ، فهو عند العرب مجلّة ، ومن هذا سمى أبو عبيدة ^(٣) كتابه الذى
 جمع فيه أمثال العرب المجلّة ^(٤) . وروى أيضاً : (مجلّتهم) بالحاء المهملّة
 أى منزلتهم بيت المقدس وأرض الشام ومنازل الأنبياء وهى القدس . وروى
 ابن السيكت : (مخافتهم) يريد يخافون أمر الله . وذات الإله : كتابه .
 وقويم : مستقيم . وقوله : فما يرجون الخ ، قال الأصمعى : أى ما يطلبون
 إلّا عواقب أمورهم ، فليس يرجون شيئاً من أمر الدنيا ، وإلّا يرجون
 ما بعد الموت .

وبعد البيت المستشهد به ، أعنى قوله :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم البيت :
 (تُخْضِرْنَ من أزمانٍ يومَ حكمةٍ إلى اليومِ قد جُرِّين كلَّ التجارب)
 وأورده ابن هشام فى المغني على أن (من) تأتى لابتداء الغاية فى الزمان

(١) شرح ما يقع فيه التصحيح ٢٥٧ .

(٢) فى كتاب العسكري : « وهو الكتاب كتاب النصارى » .

(٣) فى اللسختين : « أبى عبيد » ، صوابه من العسكري . وقال الميمنى : المعروف
 أن أمثال أبى عبيد تسمى الأمثال السائرة كما فى الخزانة لى غير ما موضع ، فلعل
 الصواب « أبو عبيدة » لأن لأبى عبيدة أيضاً كتاباً فى الأمثال .

(٤) إلى هنا ينتهى نص العسكري . والذى فى فهرست ٧٩ ، ٨٠ « كتاب
 الأمثال » .

أيضاً ، وهو مذهب الكوفيّين والأخفش والمبرد وابن دُرستويّة ، بدليل : (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ^(١)) . وفى الحديث : « فَمُطِرْنَا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ » . وهذا البيت . وقيل : التقدير : مِنْ مُضَى أَزْمَانٍ ، وَمِنْ تَأْسِيسِ أَوَّلِ يَوْمٍ . وردّه السهيلي بأنّه لو كان هكذا لاحتجج إلى تقدير الزمان ^(٢) ! وتُخَيَّرُنَ وَجَرُّنَ كلاهما بالبناء للمفعول ؛ والنون ضمير السيوف . والتجارب جمع تجربة . وكلّ منصوبٌ على المصدر . وإلى متعلقة بقوله تُخَيَّرُنَ .

ويوم حليمة ^(٣) ، قال العسكريّ في التصحيف ^(٤) : هو يومٌ كان بين ملوك الشام ، من الغسانيين ، وملوك العراق ، قُتل فيه المنذر — إمّا جدّ النعمان أو أبوه — وقيل فى هذا اليوم « ما يوم حليمةٍ بِسَرٍّ » انتهى .

وفى (الدرّة الفاخرة) حمزة الأصهبانيّ ، وهى الأمثال التى جاءت على وزن أفعل التفضيل ، وكذلك فى مستقصى الأمثال للزحشرى ، واللفظُ للأوّل : « أَعَزُّ مِنْ حَلِيمَةٍ ^(٥) » هى بنت الحارث بن أبى شمر الغسانيّ الأعرج ملك عرب الشام ، وفيها سائر المثل ^(٦) فقيل : « ما يوم حليمةٍ بِسَرٍّ » أى خفى . وهذا اليوم هو اليوم الذى قتل فيه المنذر بن المنذر ملكُ عرب العراق ، فسار بعربها إلى الحارث الأعرج الغسانيّ — وهو ابن الحارث الأكبر ، وكان فى عرب الشام — وهو أشهر أيام العرب . وإمّا نُسب هذا اليوم إلى حليمة

(١) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٢) فى حاشية الأمير على المفى : « الظاهر أنه لارد ، وأنه لا مانع من جعل نفس المفى والتأسيس مبدأ ، كما يجعل الدار مبدأ للخروج ولا حاجة لتقدير زمن » . فانظره .

(٣) انظر أمثال الميدانيّ ٢ : ٢٠٢ ، ٣٦٢ ، وثمار القلوب ٢٤٨ .

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ٤٤٤ فى باب ما يشكّل من أيام العرب ووقائعها .

(٥) أمثال العسكريّ ١٨٤ وثمار القلوب ٢٤٨ والكامل ٤٠١ وكتابات الجرجانيّ

١٠٥ ونهاية الأرب ٣ : ٥١ .

(٦) ط : « سائر المثل » ، والتصحيح للشقبيّ فى نسخته .

لأنَّها حضرت المعركة مُحَضَّضَةً لمسكر أبيها؛ فتزعم العربُ أنَّ الغبار ارتفع في يوم حليمة حتى سدَّ عينَ الشمس وظهرت الكواكبُ المتباعدة عن مطلعِ الشمس ، فسار المثلُ بهذا اليوم فقالوا : «لَأُرِيَنَّكَ الكواكبَ ظُهْرًا» . وأخذَه طرَفة فقال :

إِنْ تُنْصِرْهُ فَقَدْ تَمَنَعَهُ وَتُرِيَهُ النَجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ . اهـ

وفي شرح ديوان النابغة : سبب ذلك أنَّ المُلْك كان في الضَّجَاعِم ، فأتى رجلٌ منهم رجلاً من غَسَّانَ يقال له جِدْع ، فسأله الخراج ، فأعطاه ديناراً ؛ فقال : هاتِ آخرَ ، وشدَّد عليه ، فاستأجله فلم يفعلْ ، فلما ضَيَّق عليه دخل جِدْعُ منزله فالتحف على سيفه ثم خرج ، فضرب به الضَّجَعَمِيَّ فقتله . فقال القائل (١) : «خُذْ من جِدْعٍ ما أعطاك» . ووثبت غَسَّانُ ورأسوا عليهم رجلاً ، ثم أوقعوا بالضَّجَاعِم فغلبتهم غَسَّانُ وأخذت الملكَ منهم . . وأما حليمة فهي ابنة الغساني الذي رُئِسَ عليهم ، وكانت من أجمل النساء ، فأعطاها طيباً وأمرها أن تطيبَ من مرَّ بها من جنده ؛ فجعلوا يمرُّون بها وتطيِّبهم ، فمرَّ بها شابٌ فلما طيَّبته تناولها قتيلاً ؛ فصاحت وشكَّت ذلك إلى أبيها ؛ فقال : اسكُتِي فما في القوم أجلدُ منه ، حينَ فعلَ هذا بكِ واجترأ عليكِ ، فإنَّه إمَّا أن يبلى بلاءَ حسناً ، فانتِ امرأته ، وإمَّا أن يُقتلَ ، فذاك أشدُّ عليه مما تريدن به من العقوبة ، فأبلى القتي ، ثم رجع فزوَّجه ابنته حليمة . انتهى

وفي القاموس : وحليمة بنت الحارث بن أبي شمر ، وجه أبوها جيشاً إلى اللندري بن ماء السماء ، فأخرجت لهم مرَّكناً من طيبٍ وطيبتهم منه (٢) —

(١) ط : « القائل » ، صوابه في ش . وانظر القاموس (جِذْع ، حلم) .

(٢) النقل إلى هنا عن القاموس (حلم) ، وسائر القصة إلى كلمة « البغبل » .

من مادة (جِذْع) ، وما بقي لم أهنر على مكانه من القاموس .

والبركن، بكسر الميم : الإجانة التى تُغسل فيها الثياب — وسببه : أن غسان كانت تؤدى كل سنة إلى ملك سليح دينارين من كل رجل، وكان يلى ذلك سبطة بن المنذر السليحي، فجاء سبطة يسأل الدينارين من جذع بن عمرو الفسائي، فدخل جذع منزله فخرج مشتملاً بسيفه ، فضرب به سبطة حتى برد ، وقال : خذ من جذع ما أعطاك . يضرب في اغتنام مايجود به البخيل . وسليح ، كجريح : قبيلة باليمن . وجذع ، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ثم إن جيش الحارث توجه إلى المنذر ، فقالوا : أتينا من عند صاحبنا ، وهو يدين لك ويعطيك حاجتك ؛ فتباشر هو وأصحابه وغفلوا بعض الغفلة ، فحمل ذلك الجيش على المنذر فقتلوه . ف قيل في ذلك اليوم : « ما يوم حليلة يسر » أى بخفي . فصار يضرب لكل أمر مشهور .

وترجمة النابغة تقدمت في الشاهد الرابع بعد المائة (١)

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٢٢٤ (قى كملت أخلاقه ، غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا)
لما تقدم قبله . قال ابن جني في إعراب الحماسة (٣) : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن ، قراءة عليه ، عن أحمد بن يحيى قال : لما أنشدته — يعنى ابن الأعرابي — قول الشاعر :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم البيت

(١) الخزائن ٢ : ص ١٣٥

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٧ . وانظر ديوان النابغة الجعدي ١٧٣ وشرح شواهد

الفنى ٢٠٩ والجمع ١ : ٢٣٤ والحماسة بشرح المرزوقي ٩٦٩ .

(٣) كتاب التنبية على شرح مشكل الحماسة الوردية ١٤٤ مخطوطة أحمد الثالث .

قال : هذا استثناء قَيْسٍ^(١) ، يقولون : غيرَ أن هذا أشرفُ من هذا ،
وهذا أطرفُ من هذا . يكون مدحاً بعد مدح . وأنشد فيه أيضاً :
قَتِي تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

انقضت الحكاية . وهذا الاستثناء على إغرابه^(٢) جارٍ مجرى الاستثناء
المعهود ، ألا ترى أنه إذا قال : قَتِي تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ ، جاز أن يظن أنه
مقصود على هذا وحده ، فإذا قال : عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا ، أزال هذا
الظنَّ ، وصار معناه أَنَّ فِيهِ مَسْرَةً لِأَوْلِيَائِهِ وَمَسَاءَةً لِأَعْدَائِهِ ، وليس مقصوداً
على أحد الأمرين . فهو إخراجُ شيءٍ من شيء ، بخلاف الثاني الأول . وكذلك :
فَتِي كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ . البيت ، لما كان إتلافه للمال عيباً عند كثيرٍ من الناس ،
استثنى هذه الحالة فأخرجها من جملة خلال المدح ، لمخالفتها إيتاها عندهم وعلى
مذهبهم . وليس شيء يُعْقَدُ^(٣) عَلَى أَصْلِهِ فَيُخْرَجُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ^(٤) فِي الظاهر ،
إلا وهو عائد إليه وداخل فيه في الباطن ، مع التأمل^(٥) . انتهى كلامه .

وأورده علماء البديع أيضاً في باب^(٦) تأكيد المدح بما يشبه الذم .

وهذا البيت من أبيات النابتة الجعدي ، رثي بها أخاه . وقد أوردها
أبو تمام في باب المرائي من الحماسة ، وهي من قصيدة . . وقبله :

(أَلَمْ تَعْلَمَي أَنِّي رُزِيتُ مُحَارِباً فَمَالِكٍ مِنْهُ الْيَوْمُ شَيْءٌ وَلَا لِيَا^(٧))

(١) كذا ضبط بالإضافة في كتاب ابن جني .

(٢) في كتاب ابن جني . « على إغرابه » بالعين المهملة .

(٣) ط : « يعقد » صوابه في ش وكتاب ابن جني ، وفيه : « يعقد عقد » .

(٤) ابن جني : « فيخرج عقد شيء منه » .

(٥) ابن جني : « ومع التأمل » .

(٦) في اللسختين : « كتاب » .

(٧) ط : « شيئا » صوابه في ش والديوان ١٧٣ .

وَمِنْ قَبْلِهِ مَا قَدْ رُزْتُ بِوَحْوَحٍ وَكَانَ ابْنُ أُمِّي وَالْخَلِيلَ الْمَصَافِيَا
قَتَّى كَمَلْتُ خَيْرَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
قَتَّى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
يَقُولُ لِمَنْ يَلْعَاهُ فِي بَذْلِ مَالِهِ : أَتُفْقِ أَيَّامِي وَأَتْرُكُ مَالِيَا !
يُدِرُّ الْعُرُوقَ بِالسُّبْحَانِ ، وَيَشْتَرِي مِنْ الْحَمْدِ مَا يَبْقَى ، وَإِنْ كَانَ غَالِيَا

قوله : ألم تعلمي الخ ، يخاطب امرأته . ومحارب ، قال أبو عبيد البكري
في شرح نوادر القالي^(١) : « هو مُحَارِبُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَدَسٍ ، مِنْ أَشْرَافِ
قَوْمِهِ » . وهو تَفْجَعُ وتَوْجَعُ . يقول : قد فُجِعْنَا به فأصبحنا لا نستمع به
ولا ننتفع بمكانه . ثم ذكر أَنَّهُ قد فُجِعَ قَبْلَهُ بِأَخِيهِ وَحْوَحٍ ؛ وهو مأخوذ من
قَوْلِهِمْ وَحْوَحَ الرَّجُلُ : إِذَا رَدَّدَ صَوْتًا فِي صَدْرِهِ ، وَهُوَ نَحْوُ النَّحْنَحَةِ .

وقوله : قَتَّى كَمَلْتُ الخ ، رُويَ أَيْضًا : (فتى كملت فيه المروءة) ؛ ويجوز
أَنْ يَحْمِلَ الْفَتْحُ عَلَى ابْنِهِ وَعَلَى أَخِيهِ . . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي الْمَوْشَحِ^(٢) : أَخْبَرَنِي
الصُّوْلِيُّ عَنْ أَبِي الْعَيْنَاءِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أُنْشِدْتَ الرَّشِيدَ أَيْبَاتِ النَّابِغَةِ
الْجَعْدِيِّ ، مِنْ قَصِيدَتِهِ الطَّوِيلَةِ :

قَتَّى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ الْبَيْت
قَتَّى كَمَلْتُ أَعْرَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ الْبَيْت
أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ مَحْمَدٌ إِذَا لَمْ يَرْحُ الْمَجْدُ أَصْبَحَ غَادِيَا^(٣)
فَقَالَ الرَّشِيدُ : وَيْلَهُ ، لَمْ يَرْوَحْهُ فِي الْمَجْدِ كَمَا أَغْدَاهُ ! إِلَّا قَالَ :

(١) سطر اللآلى ٦٢٧ .

(٢) للموشح ٦٧ .

(٣) في الموشح : « شمردل » .

* إذا راح للمعروف أصبح غاديا *

فقلت : أنت والله يا أمير المؤمنين ، في هذا ، أعلم منه بالشعر .

ومن أبيات الغزل في هذه القصيدة :

بَدَتْ فِعْلٌ وَدَّ ، فَلَمَّا تَبَعْتُهَا تَوَلَّتْ وَبَقْتُ حَاجَتِي فِي فَوَادِيَا

وَحَلَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغِيًا سِوَاهَا ، وَلَا فِي حُبِّهَا مَتْرَاحِيَا

قال شارح أبيات الموشح : قوله فعل ذى ودّ ، إمّا مصدرٌ لبَدَتْ ، لأنّ المصادر وما يشتق منها يعبر عنها بلفظ الفعل ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ^(١)) أو لفعلٍ محذوف ، أى بدت وفعلت فعل ذى ودّ ، أى فاعلةً فِعْلَهُ . وقال العينيّ : هو بتقدير : كفعل ذى ودّ ، والمعنى : فعلت معي فعل ذى حبة .. وقوله : وحلت سواد القلب ، هذا البيت من شواهد النحاة أو ردوه شاهداً على عمل « لا » عمل ليس في المعرفة ، وهو شاذّ . وأجيب عنه بوجهين : أحدهما أنّ الأصل لا أرى باغياً ، فلما حذف الفعل برز الضمير ، فباغياً حال . والثاني : أنّ أنا مبتدأ ، والفعل المقدّر المذكور خبره . وروى (لا أنا مبتغ سواها ^(٢)) وعليه لا شاهد فيه .

* * *

وأشد بعده ؛ وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائتين ^(٣) :

٢٢٥ (فما ترك الصنْعُ الذي قد تركتهُ ولا الغيظُ مني ليسَ جليلاً وأعظماً)

على أنّ ليسَ ، ولا يكون ، وخلاً ، وعداً ، لا يستعملن في الاستثناء

(١) الآية ٤ من سورة المؤمنون .

(٢) في النسخين : « أنا لا مبتغ سواها » تحريف ، صوابه من أمالي ابن

الشجري ١ : ٢٨٢ .

(٣) الأغاني ٤ : ٤٩ .

المفرغ، وقد جاء التفرغ في ليس، كما في البيت، فإن المستثنى منه محذوف،
أى ما ترك الصنع شيئاً إلا جِلداً وأعْظاً. فالمنصوب بعد ليس خبرها، واسمها
قد بينه الشارح. والرواية إتماماً هي.

(فما ترك الصنع الذى قد صنعتَه)

بالخطاب مع عمر بن عبد العزيز، أراد بصنعه تقريب ضده: زيد بن أسلم^(١)،
وما عامل به الأحوص من الجفاء. وقوله (ولا الغيظُ) عطف على الصنع.
ثم ذكر الشارح أن هذه الأفعال لم تستعمل إلا في الاستثناء المتصل..
أقول: قد وردت خلا في الاستثناء المنقطع، كقول العجاج — وهو من
أبياته — كما مرّ شرحه^(٢):

وبلدةٍ ليس بها طُورٌ ولا خلا الجنّ بها إنسى

فإن قوله إنسى هو المستثنى منه، والجن هو المستثنى، وجنس كلّ منهما
مغايرٌ لجنس الآخر.

والبيت من قصيدة للأحوص الأنصارى — وتقدّمت ترجمته في الشاهد
الخامس والثمانين^(٣) —

روى صاحب الأغاني بسنده: أن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة أدنى
زيد بن أسلم^(٤)، وجفا الأحوص؛ فقال له الأحوص:

أَلستَ أبا حفص — هُدَيْتَ — تُخَبِّرِ أُنّى الحقُّ أنْ أَقْصَى وتُدْنِي ابنَ أسلمَا

(١) الخزانة ٣: ص ٢٩٥ من هذا الجزء.

(٢) الخزانة ٣: ص ٣١١ من هذا الجزء.

(٣) الخزانة ٢: ص ١٦.

(٤) فى النسختين: «يزيد بن أسلم»، صوابه فى الأغاني ٤: ٤٩ وقد سبقت
ترجمته فى ٢٩٥ من هذا الجزء.

فقال عمر : ذلك هو الحق... قال الزبير : وأنشدنيها عبدُ الملك ابن الماجشون^(١) :

قصيدة
الشاهد

ألا صلةُ الأرحامِ أقربُ للثقى وأظهرُ في أكنفائه لو تكررَ ما
فما تركَ الصنعُ الذي قد صنعتَه ولا الغيظُ في لبسِ جلدًا وأعظمًا
وكنا ذوى قربي إليك فأصبحتُ قرابتنا نديًا أجده مصرًّا ما^(٢)
وكنت لما أرجوه منك كبارقي لوى قطره من بعد ما كان غيبًا^(٣)
وقد كنت أرجو الناسَ عندي مودةً ليالى كان الظنُّ غيبًا مرجا
أعدك حرزًا إن جنيتُ ظلامه ومالًا ثريًا حين أحيلُ مفرما
تدارك بعتي عاتبًا ذا قرابة طوى الغيظ لم يفتح بسخطه فما^(٤) اه

وهذه القصيدة أرسلها إلى عمر وهو منفي بدهلك ، كان سليمان بن عبد الملك قد فقاه — لما تقدّم في ترجمته — فبقى هناك محبوسًا مدةً سليمان ؛ ثم ولى

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون . والماجشون لقب ليعقوب بن أبي سلمة عم والد عبد الملك ، ومعناه المورد بالفارسية ، لقبته بذلك مسكينة بنت علي بن الحسين ، لأنه كان أبيض تعلوه حمرة . وقد غلب هذا اللقب على هذه الأسرة . تولى سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب ووفيات الأعيان والآلء ٦٤٤ .

(٢) في النسختين : « تدنى أجده » ، وفي الأغاني : « نديا أخذ » ، كلاما تحريف ما أثبتته . وفي اللسان عن الأصمى : « يقال جُدّ ندى أمه بالبناء لنجهول — وذلك إذا دعى عليه بالقطيعة » .
وأنشد :

رويد عليا جدماندى أمهم إلينا ولكن ودم متاين

(٣) الأغاني : « وكنت وما أملت منك » .

(٤) هذا الصواب من الأغاني . وفي النسختين :

تدارك بعيني عاتب ذا قرابة طوى الغب لم يفتح لسخط له فما

وفي ط : « طوى الغب » .

عمر بن عبد العزيز فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه ، فأبى أن يأذن له . وكان فيما كتب إليه :

أيا راكباً إما عرَضْتَ فبلغنْ هُدَيْتَ ، أمير المؤمنين رسائلي
وقل لأبي حَفْص إذا ما لقيته : لقد كنتَ نَفَاعاً قليل الغوائل
فكيف ترى للعيش طيباً ولَذَّةً وخالك أَمْسى موثقاً في الحبائل

* * *

وأُشْدَ بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائتين (١) :

٢٢٦ (وكلُّ أبيُّ باسلٌ غيرَ أنِّي إذا عَرَضْتُ أُولَى الطَّرَائِدِ بَسَلُ)

على أن غيراً تستعمل في الاستثناء المتصل . وقد مرَّ ما فيه آنفاً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة مشهورة للشُّعْفَرِيُّ تَسْمَى لَامِيَّةَ الْعَرَبِ ، مطلعها :

(أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ فَأَنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَا مِثْلُ
قَدِّحْتُمُ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرُ وَشُدَّتْ لَطِيفَاتِ مَطَايَا وَأَرْحَلُ
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقِلَى مَتَعَزِّلُ فِي الْأَرْضِ مَنَآئِلُ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى
لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى أَمْرِي سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ : سَيِّدُ عَمَلَسُ وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ وَعَرْفَاةُ جِبَالُ
عَمِ الْأَهْلِ ، لَا مَسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعُ لَدَيْهِمْ ، وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُحْذَلُ
وَكُلُّ أَبِيُّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنِّي الْبَيْتُ
وَأِنْ مَدَّتْ الْأَيْدَى إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْمَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْمَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةً عَنْ تَفْضِيلِ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ لِلْمُفْضَلِ)

١٥

وهذه القصيدة قد شرحها جماعة ، منهم الخطيب التبريزي ، والزحشرى ، وابن الشجري ، وابن أكرم^(١) . ولم يحضرنى الآن غير الأول والثاني : قال القائل في أماليه^(٢) : إن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى ، التى أولها : « أقيموا بنى أمى صدور مطيكم » ، هى من المقدمات فى الحسن والفصاحة والطول . وكان أقدر الناس على قافية . انتهى . وعدتها ثمانية وستون بيتاً ، وقد استشهد الشارح منها بستة أبيات أخر فى باب الجمع ، وفى الأفعال الناقصة ، وفى رب من حروف الجر ، وفى حروف الشرط^(٣) .

وقوله : أقيموا بنى أمى الخ ، يقال أقام صدر مطيته . إذا جد فى السير ، وكذلك إذا جد فى أى أمر كان . يؤذن قومه بالرحيل ، وأن غفلتهم عنه توجب مفارقتهم . وبنى أمى : منادى ، وأضاف الأبناء إلى الأم لأنها أشد شفقة ، كما قيل فى قوله تعالى حكاية عن هرون : (يا ابن أم^(٤)) . وأسيل ، هنا بمعنى مائل ، ونظيره كثير نحو أكبر وأوحد .

وقوله : فقد حمت الحاجات الخ ، يريد تنبها من رفدتكم ، فهذا وقت الحاجة ، ولا غنى لكم ، فإن الليل كالنهار فى الضوء والآلة حاضرة . وحمت بضم الحاء للمهمل ، يقال حمت الشيء ، بالبناء للمفعول : أى قدروا وهبوا . وأقر الليل : أى أضاء . والطية ، بكسر الطاء للمهمل ، قال صاحب الصحاح : « الطية النية » ، قال الخليل : الطية تكون منزلاً وتكون متناً ، قول : مضى

(١) وكذا شرحها أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، وقد طبع الشرح فى مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ .

(٢) الأمالى ١ : ١٥٦ .

(٣) هذا الإحصاء من أدلة عناية البغدادى بمؤلفاته .

(٤) الآية ٩٤ من سورة طه .

لِطَيْئَةٍ : أى لنبته التى انتواها ؛ وبعدت عنا طَيْئَتَهُ وهو المنزل الذى انتواه ؛
ومضى لَطِئَتِهِ ؛ وَطِئَةً بعيدة : أى شاسعة .

وقوله : وفى الأرض منأى الح ، المنأى : اسم مكان من نأى أى بُعد ؛
وهو متعلّق بقوله عن الأذى . والقلى ، بكسر القاف : البُغض ؛ وإن فتحها
مددت . ومتعزّل ؛ بفتح الزاء : اسم مكان من تعزّله بمعنى اعتزله .

وقوله : ولى دونكم الح ، أورد الشارح هذا البيت فى باب الجمع . ودون
هنا بمعنى غير . والسيد ، بكسر السين : الذئب ؛ والأنثى سيدة ؛ وربما سُمى
به الأسد . والعَمَلْس ، بفتح العين والميم واللام المشدّدة : القوى على السير
السريع . وأراد بالأرقط النّير ، وهو ما فيه سواد يشوبه نَقَطٌ بيض . والزُّهلول
بضم الزاى : الأملس ؛ وفى العباب : يقال للضبيّ عرفاء لكثرة شعر رقبته .
وأشد هذا البيت . وجيال ، على وزن فيعل : اسم للضبيّ معرفة ، وتكون
بدلاً من عرفاء ؛ وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث .

وقوله : هم الأهل الح ، أى ما ذكرته من الوحوش هم الأهل لا غيرهم .
وبين وجه انحصار الأهلية فيهم دون من عدام من الإنس بقوله : لا مستودع
السّر إلى آخره ، أى السّر المستودع عندهم غير ذائع . والجاني : اسم فاعل ^(١)
من جنى عليه جناية : أى أذنب . والباء سببية . وجراً بمعنى جنى ، يقال جرّ
عليهم جريرة أى جنى عليهم جناية . ويُخَذَل ، بالبناء للمفعول ، من خَذَلته
وخذلت عنه ، من باب قتل ، والاسم الخذلان : إذا تركت نصرتة وإعانتة
وتأخّرت عنه .

١٦

(١) ط : « اسم فعل » ، صوابه فى ش .

وقوله : (وكلُّ أبي الخ) أى كل واحدٍ من هذه الوحوش . والأبى : الصعب الممتنع ؛ من أبى يابى فهو أبى وأبى . و (الباسل) : الجريء الشجاع ؛ من بسل بسالة ، مثل ضخم ضخامة ، بمعنى شجع فهو باسل . وقوله : غير أني الخ ، استثناء منقطع . و (عرضت) من عرض له كذا ، من باب ضرب : أى ظهر . و (أولى) : مؤنث الأول . و (الطريدة) : ما طردت من صيد وغيره ، والمراد هنا الفرسان ومطاردة الأقران في الحرب إذا حمل بعضهم على بعض ؛ يقال هم فرسان الطراد . و (أبسلر) : أفعل تفضيل .

وقوله : وإن مدت الأيدي الخ ، وصف عدم شرهه على الطعام وصبره على الجوع . وهذا مدحٌ عند العرب . والزاد : ما يؤكل ؛ وأصله الطعام المتخذ للسفر . والباء في قوله : بأعجلهم ، زائدة دخلت في خبر السكون المنفى . وقد استشهد له شراح الألفية بهذا البيت . وأجشع : أفعل تفضيل من الجشع بفتحين ، وهو أشد الحرص ؛ وفعله من باب فرح . وأعجل ، الأول ، بمعنى عجل بفتح فكسر ، لا أنه أفعل تفضيل كالثاني ، لأن مراده أن ينفي العجلة عن نفسه إذا مد القوم أيديهم إلى الزاد ؛ وليس في نفي زيادة العجلة كبير مدح . والشرط والجواب ، هنا ، كلاهما حكاية حال ماضية ، ولذلك صح وقوع لم في جواب الشرط .

وقوله : وما ذاك إلا بسطة الخ ، الإشارة راجعة إلى عدم مد يده إلى الزاد مستعجلاً ، وقيل راجعة إلى مجموع ما مدح به نفسه . والبسطة : السمة . والتفضل : الإنعام ؛ يقال تفضل عليه وأفضل إفضالاً بمعنى . والأفضل خبر كان تقدم على اسمها وهو المتفضل .

و (الشفقرى) شاعر جاهلي قحطاني من الأزد . وهو كما في الجهرة الشفقرى وغيرها من بني الحارث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهذيل بن الأزد .

وهو بفتح الشين وآخره ألف مقصورة وهو اسمه والأواس بفتح الهمزة (١).
والحجر بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم . والهنء بتثنية الماء وسكون النون
وبعدها همزة . وزعم بعضهم أَنَّ الشَّنْفَرِيَّ لقبه — ومعناه عظيم الشَّعة — وأنَّ
اسمه ثابت بن جابر . وهذا غلط كما غلط العينيُّ في زعمه أَنَّ اسمه عمرو بن
براق (بفتح الباء وتشديد الراء المهملة) بل هما صاحبا في التلصص ، وكان
الثلاثة أعدى العدائين في العرب ، لم تلحقهم الخيل ؛ ولكن جرى المثلُ
بالشَّنْفَرِيَّ فقليل : « أعدى من الشَّنْفَرِيَّ » .

ومن حديثه ما ذكره أبو عمرو الشيبانيُّ — كما نقله ابنُ الأنباريِّ في شرح
المفضليات ، وحمزةُ الأصبهانيُّ في الدرَّة الفاخرة — ؛ قال : أغار تَابَطُ شَرًّا
— وهو ثابت بن جابر — والشَّنْفَرِيَّ الأزديُّ ، وعمرو بنُ بَرَّاق عليَّ بِحيلة
(بفتح الباء وكسر الجيم) . فوجدوا بِحيلةً قد أقصدوا لهم على الماء رصداً ؛
فلما مالوا له في جوف الليل قال لهم تَابَطُ شَرًّا : إِنَّ بالماء رصداً . وإني لأسمعُ
وَجِيبَ قلوبِ القوم — أي اضطرابَ قلوبهم — قالوا : والله ما نسمع شيئاً ،
ولا هو إلا قلبك بِحِجْبٍ ١ فوضع يده على قلبه فقال : والله ما يَحِجُّ وما كان
وَجَاباً ١ قالوا : فلا والله ما لنا بُدٌّ من ورود الماء ١ فخرج الشَّنْفَرِيُّ ، فلما رآه
الرصد عرّفوه ، فتركوه فشرب ثم رجع إلى أصحابه فقال : والله ما بالماء أحدٌ ،
ولقد شربتُ من الحوض ١ فقال : تَابَطُ شَرًّا : بَلَى ، لا يريدونك ولكن
يريدونني . ثم ذهب ابنُ بَرَّاقٍ فشرب ثم رجع ، فلم يعرضوا له ، فقال :
ليس بالماء أحدٌ ١ فقال تَابَطُ شَرًّا : بَلَى ، لا يريدونك ولكن يريدونني ١
ثم قال للشَّنْفَرِيَّ : إذا أنا كَرَعْتُ في الحوض فإنَّ القوم سيشُدُّون عليَّ

(١) ضبط في شرح المفضليات للأنباري ١٩٥ هكذا : « الإواس بن حجر » .

فيأسرونني ، فاذهب كَأَنَّكَ تَهْرُبُ ثم ارجع فكن في أصل ذلك القرن ،
 فإذا سمعتني أقول : خذُوا ، خذُوا فتعال فاطلقتني . وقال لابن بَرَّاق : إني
 سأمرُك إن تستأسيرَ للقوم ، فلا تبعدُ منهم ولا تمكُثُهم من نفسك . ثم أقبلَ
 تأبطُ شرًّا حتَّى ورد الماء ، فلما كرعَ في الحوض شدَّوا عليه فأخذوه وكشفوه
 بوترَ ، وطار الشنفرى فأتى حيثُ أمره ، وانحاز ابن بَرَّاق حيثُ برونه ؛
 فقال تأبطُ شرًّا : يا بَجيلة ، هل لكم في خير ؟ هل لكم أن تياسرونا^(١)
 في الفداء ويستأسيرَ لكم ابنُ بَرَّاق ! فقالوا : نعم ، ويَلَك يا ابنُ بَرَّاق ! إن
 الشنفرى قد طار ، فهو يصطلي نارَ بني فلان ، وقد علمتَ الذي بيننا وبين
 أهلك ، فهل لك أن تستأسيرَ ويُياسرونا^(٢) في الفداء ! فقال : أما والله حتَّى
 أروُز نفسي شوطًا أو شوطين . فجعل يعدو في قِبَلِ الجبلِ ثم يرجع ، حتَّى إذا
 رأوا أنه قد أعبا وطبعوا فيه اتبعوه ، ونادى تأبطُ شرًّا : خذُوا ! خذُوا !
 فذهبوا يسعون في أثره ؛ فجعل يطعمهم ويبعدُ عنهم ؛ ورجع الشنفرى
 إلى تأبطُ شرًّا فقطع وثاقه ، فلما رآه ابنُ بَرَّاق قد قطع عنه انطلق ، وكرَّ
 إلى تأبطُ شرًّا فإذا هو قائم ؛ فقال : أعجبكم يا معشرَ بَجيلة عدو ابن بَرَّاق ،
 أما والله لأعدونَ لكم عدوًّا أنسيكموه ! ثم انطلق هو والشنفرى . انتهى .

السليك
 وخبره

ومن المشهورين في العدو (السليك بن السليكة) وهو تميمي من بني
 سعد . والسليك بالتصغير : فرخ الحجلة^(٣) ، والأثنى سُلُكَة بضم السين
 وفتح اللام ؛ وهى اسمُ أمه ، وكانت سوداء ، وإليها نُسب . وذكر أبو عبيدة

(١) فى النسختين : « أن تياسرونا » .

(٢) فى النسختين : « وكروا » ، صوابه فى شرح المفضليات للأبنبارى ٦ .

(٣) كونه بالتصغير ليس قبيحاً ، بل هو تقرير للصيغة ، فإنه يقال لذكر من فراخ
 القطا أو الحجل سلك ، كعرد ، ويجمع هذا على سلكان بالكسر كعردان ، فالتصغير
 ليس أصلاً .

السُّلَيْكُ فِي الْعَدَّائِينَ ، مع المنتَشِرِ بْنِ وَهْبِ الْبَاهِلِي ، وَأَوْفَى بْنِ مَطَرٍ الْمَازَنِيِّ .
وَالْمَثَلُ لِلْسُّلَيْكِ مِنْ بَيْنِهِمْ ، قَقِيلٌ : أَعْدَى مِنَ السُّلَيْكِ » .

وَمِنْ حَدِيثِهِ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ ، كَمَا قَلَهُ حَمْزَةُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الدَّرَّةِ الْفَاخِرَةِ :
أَنَّ السُّلَيْكَ رَأَاهُ طَلَانُ جَيْشِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، جَاءُوا مُتَجَرِّدِينَ ^(١) لِيُغَيِّرُوا
عَلَى بَنِي نَعِيمٍ ، وَلَا يُعَلِّمُ بِهِمْ ، فَقَالُوا : إِنْ عَلِمَ بَنَا السُّلَيْكِ أَنْذَرَ قَوْمَهُ فَبِعَشُوا
إِلَيْهِ فَارْسَيْنَ عَلَى جَوَادِينَ ، فَلَمَّا هَاجَمَهُ خَرَجَ يَعْذُو كَأَنَّهُ ظَنِّي ، فَطَارَدَاهُ يَوْمًا
أَجْمَعَ ، ثُمَّ قَالَا : إِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَعْيَا فَيَسْقُطُ فَنَأْخُذُهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَا وَجَدَا أَثَرَهُ
قَدْ عَثَرَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، وَقَدْ وَثَبَ وَانْحَطَّت قَوْسُهُ ، فَوَجَدَا قِطْعَةً مِنْهَا قَدْ
ارْتَزَتْ بِالْأَرْضِ ، فَقَالَا : لَمَّا هَذَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَتَرُ ، فَتَبَعَاهُ فَإِذَا
أَثَرُهُ مُتَفَاجِئًا ^(٢) قَدْ بَالَ فِي الْأَرْضِ وَخَذَهَا ، فَقَالَا : مَا لَهُ ! قَاتَلَهُ اللَّهُ ! مَا أَشَدَّ
مَتْنَهُ ^(٣) ! وَاللَّهِ لَا تَتَّبِعُهُ ! فَانْصَرَفَا . وَوَصَلَ السُّلَيْكُ إِلَى قَوْمِهِ فَأَنْذَرَهُمْ ، فَكَذَّبُوهُ
لُبْعَدُ الْغَايَةِ ، وَجَاءَ الْجَيْشُ فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ .

رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ الشَّنْفَرِيِّ . رَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ
فِي شَرْحِ الْمُفَضَّلِيَّاتِ ^(٤) : أَنَّ الشَّنْفَرِيَّ أَسْرَتْهُ بَنُو شَبَابَةَ (وَهُمْ حَيٌّ مِنْ فَهْمِ بْنِ
عَمْرِو بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ) وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ حَتَّى أَسْرَتْ بَنُو
سَلَامَانَ بْنِ مُفْرِجٍ (بِسُكُونِ الْفَاءِ وَآخِرُهُ جِيمٌ) رَجُلًا مِنْ فَهْمٍ ثُمَّ أَحَدَ بَنِي
شَبَابَةَ (بِفَتْحِ الشِّينِ الْمَعْجَمَةِ) ، فَفَدَتْهُ بَنُو شَبَابَةَ بِالشَّنْفَرِيِّ ، فَكَانَ الشَّنْفَرِيُّ
فِي بَنِي سَلَامَانَ (بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ) يَظُنُّ أَنَّهُ أَحَدُهُمْ ، حَتَّى نَازَعَتْهُ ابْنَةُ الرَّجُلِ

١٨

(١) فِي الْأَغَانِي ١٨ : ١٣٦ : « جَازُوا مُتَجَرِّدِينَ » .

(٢) مُتَفَاجِئٌ ، مِنَ الْفَجِيعِ ، وَهُوَ تَبَاعَدُ مَا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ .

(٣) وَكَذَا فِي الْأَغَانِي . وَالتَّنْيُ : الصَّلَابَةُ وَالْقُوَّةُ . وَيُقَالُ أَيْضًا مَتْنٌ فِي الْأَرْضِ ،

إِذَا ذَهَبَ .

(٤) انْظُرْ شَرْحَ الْأَنْبَارِيِّ ١٩٦ .

الذي كان في حجره — وكان قد اتَّخذه ابناً — فقال لها : اغسلي رأسي
 يا أُخْتِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ يَكُونَ أَخَاها فَلَطَمْتُهُ ، فَذَهَبَ مَغاضِباً إِلَى الَّذِي هُوَ فِي
 حِجْرِهِ فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنَا ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ مِنَ الْأَوَّاسِ بْنِ الْحَجَرِ^(١) ؛
 فَقَالَ : أَمَّا أَنِّي سَأَقْتُلُ مِنْكُمْ مِائَةَ رَجُلٍ بِمَا اعْتَبَدْتُمُونِي ! نَهْمُ إِنْ الشَّنْفَرِيُّ لَزِمَ
 دَارَ فَهْمٍ وَكَانَ يُغَيِّرُ عَلَى بَنِي سَلَامَانَ عَلَى رَجُلَيْهِ فَيَمْنُ تَبِعَهُ مِنْ فَهْمٍ ، وَكَانَ
 يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ وَحْدَهُ أَكْثَرَ ، وَمَا زَالَ يَقْتُلُ مِنْهُمْ حَتَّى قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ
 رَجُلًا ، حَتَّى قَعَدَ لَهُ فِي مَكَانٍ أُسَيْدُ بْنُ جَابِرِ السَّلَامَانِيِّ (بِفَتْحِ الْمَعْرَاضِ وَكَسْرِ
 السَّيْنِ) وَمَعَ أُسَيْدِ بْنِ أَخِيهِ وَحَازِمُ الْبُقَعِيِّ^(٢) — وَكَانَ الشَّنْفَرِيُّ قَتَلَ أَخَا
 أُسَيْدِ بْنِ جَابِرٍ — فَمَرَّ عَلَيْهِمُ الشَّنْفَرِيُّ ، فَأَبْصَرَ السَّوَادَ بِاللَّيْلِ فَرَمَاهُ — وَكَانَ
 لَا يَرَى سَوَادًا إِلَّا رَمَاهُ — فَشَكَ ذِرَاعَ ابْنِ أَخِي أُسَيْدٍ إِلَى عَضُدِهِ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ،
 وَكَانَ خَازِمٌ مُنْبَطِحًا بِرُصْدِهِ ، فَقَطَعَ الشَّنْفَرِيُّ بِضَرْبَةِ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ خَازِمٍ ،
 وَضَبَطَهُ خَازِمٌ حَتَّى لَحِقَهُ أُسَيْدُ وَابْنُ أَخِيهِ ، فَأَخَذُوا سِلَاحَ الشَّنْفَرِيِّ وَأَسْرَوْهُ
 وَأَدَّوهُ إِلَى أَهْلِهِمْ ، وَقَالُوا لَهُ : أَنْشِدْنَا فَقَالَ : « إِنَّمَا النَّشِيدُ عَلَى السَّرَّةِ » فَذَهَبَتْ
 مِثْلًا . ثُمَّ ضَرَبُوا يَدَهُ فَقَطَعُوهَا ؛ ثُمَّ قَالُوا لَهُ — حِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ — : أَيْنَ
 تَقْبُرُكَ ؟ فَقَالَ :

لَا تَقْبُرُونِي ! إِنْ قَبْرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؛ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ^(٣)
 إِذَا احْتُمِلَتْ رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ الْمَلْتَقَى ، ثُمَّ سَأَرِي^(٤)

(١) انظر حواشي ص ٣٤٤ من هذا الجزء .

(٢) في ش وشرح المفضليات ١٩ : « حازم » ، وفي الأغاني ٢١ : ٨٨ : « الفهسي »
 صوابه ما هنا وهو ما في شرح المفضليات ١٩٦ فإن الفهبيين كانوا أصحاب الشنفرى .
 وفي الشرح : « البقوم من حوالة بن الهشء بن الأزد » . ولا تكاد نجد « حازم »
 بالهاء المبهمة في أعلام الجاهلية .

(٣) وكذا في الحماسة ٤٨٧ بشرح المرزوقي وفي ذيل الأمالى ٣٦ : « لا تقتلونى إن
 قتلى محرم » .

(٤) في الحماسة وشرح المفضليات : « إذا احتملوا » .

هنا لك لا أرجو حياة تُسرّني سَجِيسَ الليالي مُبَسَّلاً بالجزائر

وكانت حَلْفَةُ الشنْفَرى على مائة قتيل من بنى سلامان ، فبقى عليه منهم رجلٌ إلى أن قُتل . فمَرَّ رجلٌ من بنى سلامانَ بِمَجْمَعَتِهِ ، ففَضَرها بِرِجله فَعَقَرته قَتَمَ به عددُ المائة ١ .. وذَرَعَ حُطُوهُ الشنْفَرى يومَ قُتل ، فوجدَ أَوَّلُ نِزْوَةٍ نَزَّاهَا إحدى وعشرين خُطْوَةً ، والثانية سبعَ عشرة خُطْوَةً ، والثالثة خمسَ عشرة خُطْوَةً ... وكان حَرَامُ بن جابر —أخو أُسَيد بن جابر المذكور— قَتَلَ أَبَا الشنْفَرى ؛ وَلَمَّا قَدِمَ مِثى ، وبها حَرَامُ بن جابر ، فقتل للشنْفَرى : هذا قاتل أبيك ، فشدَّ عليه فقتله ، ثم سبقَ الناسَ على رِجلِهِ وقال :

قَتَلْتُ حَرَامًا مُهْدِيًا بِمَلْبَدٍ بِيَطْنٍ مِثى وَسَطَ الحَجِيجِ المِصْوَتِ
فَرَصَدَ لَهُ أُسَيدُ بن جابر ، فَأَمْسَكَه مع ابن أخيه ^(١) .

وقيل فى سبب قتل الشنْفَرى غير هذا ، وهو مسطورٌ فى شرح
المُفَضَّلِيَّاتِ والأَغَانِي .

* * *

وَأَنشَدَ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائتين ، وهو من
شواهد س ^(٢) :

٢٢٧ (فى لَيْلَةٍ لا تَرَى بِهَا أَحَدًا يَحْكى عَلَيْنَا ، إِلَّا كَوَا كِبْهَا)
على أن قوله (كَوَا كِبْهَا) بالرفع بدلٌ من الضمير فى (يحكى) الرَّاجِعُ إلى

(١) عند الأَنْبَارَى : « ابن أخيه » .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦١ . وانظر أُمَالَى ابنِ الشَّجَرَى ١ : ٧٣ .

وشرح شواهد الغنى ١٤٢ والمهمع ١ : ٢٢٥ والأغاني ١٣ : ١١٥ وملحقات ديوان

عدي بن زيد ١٩٤ .

(أحد) ، مع أن مرجع الضمير ليس معمولاً للابتداء أو أحد نواسخه . وأما (نرى) فهي بصرية ، والمبصر هو أحد وكواكبها ، لا أنها قلبية فتكون من النواسخ ، خلافاً لسيبويه فيها : أى فى اشتراط مرجع الضمير أن يكون معمولاً للابتداء أو ناسخه ، وفى جعله نرى قلبية .

١٩

هذا محصل ما نقله الشارح المحقق عن سيبويه ، وليس فى كلام سيبويه فى هذا المقام واحد منهما ، ولعل ما نقله الشارح ثابت فى موضع آخر من كتابه . وأما عبارته هنا فهي هذه : « وتقول ما مررت بأحد يقول ذاك إلا عبد الله ، وما رأيت أحداً يفعل ذلك إلا زيداً . هذا وجه الكلام . وإن حلته على الإضمار الذى فى الفعل ، فقلت : إلا زيداً — فرفت — فعربى ، قال الشاعر :

فى ليلة لا ترى بها أحداً يحكى علينا إلا كواكبها
وكذلك ما أظن أحداً يقول ذلك إلا زيداً . وإن رفعت فجاز حسن .
وإنما اختير النصب هنا ، لأنهم أرادوا أن يجعلوا المستثنى بمنزلة المبدل منه ، ولا يكون بدلاً إلا من منقضى ، لأن المبدل منه منصوب منقضى ، ومضمرة مرفوع ، فأرادوا أن يجعلوا المستثنى بدلاً من أحد ، لأنه هو المنقضى ، وجعلوا يقول ذلك وصفاً للمنقضى . وقد تكلّموا بالآخر لأن معناه معنى المنقضى إذ كان وصفاً لمنقضى . انتهى كلام سيبويه ^(١) .

وهو صريح فى عدم اشتراط واحد منهما ، يدلك عليه عطف قوله :
وكذلك ما أظن أحداً يقول ذلك إلا زيداً ، على قوله : ما رأيت أحداً يفعل ذلك إلا زيداً ؛ فإنه سوى بين الفعل القلبى والفعل البصرى وغيرها .

(١) نقلا عن أمالى ابن الشجرى . وانظر سيبويه ١ : ٣٦١ .

ومعنى قوله : تكلّموا بالآخر ، أى تكلّموا بالرفع فى المستثنى .

وكذلك فى شرح أبيات سيبويه للنحاس والأعلم : قال النحاس : قال محمد بن يزيد : أبدل الكواكب من المضمر فى يحكى ؛ ولو أبدله من أحد لكان أجود ، لأنّ أحداً منفىً فى اللفظ والمعنى ، والذى فى الفعل بعده منفىً فى المعنى . قال : ومثل ذلك ما علمت أحداً دخل الدار إلا زيداً ؛ وإلا زيد ، النصب على البدل من أحد وعلى أصل الاستثناء ، والرفع على البدل من المضمر . انتهى

قال ابن هشام فى المعنى فى القاعدة التى يعطى الشئ فيها حكم ما أشبهه فى معناه ، من الباب الثامن : قولهم إنّ أحداً لا يقول ذلك ، فأوقع أحد فى الإثبات لأنّه نفس الضمير المستتر فى يقول ، والضمير فى سياق النفي ، فكان أحداً كذلك وقال :

فى ليلةٍ لا نرى بها أحداً البيت

فرفع كواكبها بدلاً من ضمير يحكى ، لأنّه راجع إلى أحد ، وهو واقع فى سياق غير الإيجاب ، فكان الضمير كذلك .

وقال أيضاً ، فى باب الاستثناء ، من الجهة الخامسة فى الباب الخامس : « إن قلت ما رأيت أحداً يقول ذلك إلا زيد ، إنّ رفع زيد فرفعه من وجه وهو كونه بدلاً من ضمير يقول ، ومنه هذا البيت . وإن نصب فنصبه من وجهين على البدلية من أحد ، وعلى الاستثناء . فإن قلت : ما أحد يقول ذلك إلا زيد ، فرفعه من وجهين : كون زيد بدلاً من أحد ، وهو المختار ، وكونه بدلاً من ضميره ؛ ونصبه من جهة وهو على الاستثناء ، وسيأتى بيان هذا فى الشرح قريباً .

وقد قل الدَّمَامِيُّ هُنا ما اعترض به الشارحُ المحقق على سيبويه ولم يزد عليه بشيء . وقال ابنُ الشَّجَرِيِّ في أُماليه : رفع كواكبها على البدل من المضمر في يحكى ، ولولا احتياجه إلى تصحيح القافية كانَ النصبُ فيها أولى من ثلاثة أوجه : إبدالها من الظاهر الذي تناوله النبی على الحقيقة ، والثاني نصبها على أصل باب الاستثناء كقراءة ابن عامر : (ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ^(١)) والثالث أَنَّهُ استثناء من غير الجنس كقولك : ما في الدار أحدٌ إِلَّا الخِيَامَ . وأهلُ الحجاز يجمعون فيه على النصب ، وعلى ذلك أجمع القراء في قوله تعالى : (ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ^(٢)) انتهى

٢٠

وقوله : (يحكى عَلَيْنَا) الحكاية بمعنى الرواية . وعلى بمعنى عَنْ ؛ وقد يقال ضمَّن يحكى معنى يَنْمُ . قالها ابن هشام في الباب الأول من المغنى .

وهذا البيت نسبته الشارح المحقق إلى عدی بن زید ، موافقةً لشرّاح شواهد سيبويه ولم ينسبه سيبويه في كتابه إلى أحد ، وإنما أورده غفلا . وقد تصفّحت ديوان عدی بن زید مرتين فلم أجده فيه ؛ وإنما هذا البيت من أبيات لأحيحة بن الجلاح الأنصارى ، أثبت لها الأصمبهاثي في الأغاني ، وهي :

(يَشْتاقُ قَلْبِي إِلَى مُلْكِكَ لَوْ أُمِسْتُ قَرِيبًا لِمَنْ يُطالِبُهَا ^(٣))

(١) الآية ٦٦ من سورة النساء . وهي قراءة أبي ، وابن أبي إسحاق ، وابن عامر ، وعيسى بن عمر . تفسير أبي حيان ٣ : ٢٨٥ .

(٢) الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفي النسختين : « وما لهم به من علم » بإقحام الواو ، وهو تحريف وددته إلى نصابه . وفي الكتاب العزيز في الآية ٢٨ من سورة الحج : « وما لهم به من علم إن يتبعون إِلَّا الظنَّ » فهذه بالواو في أولها .

(٣) الأغاني ١٣ : ١١٤ ، ١١٥ : « أُمست قريبا من » .

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكة والمليكاتِ إذ زائها ترايها
 ياليتنى ليلةً ، إذا هجعَ السَّنانُ ونامَ الكلابُ ، صاحبها
 في ليلةٍ لا تَرى بها أحداً يحكى علينا ، إلا كواكبها
 لتبكى قينةً ومزهرها وتبكى قهوةً وشاربها
 وتبكى ناقةً إذا رُحلتْ وغابَ في سربخِ مناكبها
 وتبكى عُصبةً إذا اجتمعتْ لم يعلمَ الناسُ ما عواقبها ١)
 وبهذه الأبيات عُرف أن القافية مرفوعة .

وقوله : لو أمسى الخ ، لو للتمنى ؛ واسم أمسى ضمير القلب ؛ ومن موصولة
 بمعنى : التى . ومليكة ، بالتصغير : اسم امرأة . وقوله : ما أحسنَ الجيدَ ، ما
 تعجيبية . واللبّة بفتح اللام : موضع الغلادة من الصدر . والترايب : جمع تريبة
 وهى عظام الصدر مابين الترقوتين إلى الندى . وقال ابن الشجرى : « اللبّة :
 الموضع الذى عليه طرف الغلادة . والترايب واحدها تريبة ، وقيل تريب ،
 وهو الصدر ؛ وإنما جمعها بما حولها ؛ كأنه سمى ما يجاور اللبّة لبّة ، وما يجاور
 التريبة تريبة ؛ كما قالوا : شابت مفارقة . » . وقوله : ياليتنى ليلةً الخ ، صاحبها
 خبر ليت ؛ وليلةً ظرفٌ لصاحبها ؛ وإذا بدلٌ منها بدل اشتغال ، والضمير
 مقدّر أى هجع الناس فيها .

وقوله : (فى ليلةٍ لا تَرى بها . . الخ) فى ليلةٍ بدل من قوله إذا ، وجلة
 لا تَرى بها الخ صفة ليلة ؛ ونرى بالنون ، ويروى بالتاء ؛ وهو قريب . وجلة
 يحكى علينا : صفة أحداً . ورؤى بدله : (يسمّى علينا) من سمى به إلى الوالى :
 إذا وشى به ونمّ عليه .

وقوله لتبكى ، هو أمر الغائب . والقينة ، بالفتح : الأمة ، مغنّية كانت
 كما هنا أو غير مغنّية . والمزهر ، بكسر الليم : الشود الذى يُضرب به ، من
 آلات اللهاى . والقهوة : الحمر . وقوله : إذا رُحلتْ ، بالبناء للفعل ، من

رحلت البعيرَ رَحَلًا ، من باب نفع : إذا شددت عليه رحله ، وهو أصغر من القتب . وقوله : وغابَ في سَرَبِخٍ الخ ، السَّرَبِخُ ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الموحدة وآخره خاء معجمة : الأرض الواسعة . وقوله : ما عواقبها ، ما استفهامية مبتدأ وعواقبها أنظر ، والجملة في موضع مفعول على المعلق عن العمل بالاستفهام . وقال ابنُ الشجرى في أماليه ، مشيراً إلى أن هذا البيت لأحيحة بن الجلاح بقوله : « والبيت الذى أنشده سيبويه شاهداً على جواز الرفع ، من مقطوعة لرجلٍ من الأنصار . وروى أنه لما أدخلت حَبَابَةً على يزيد بن عبد الملك ، دخلت وعليها ثيابٌ مَصْفَرَةٌ ، ويدها دُفٌّ ، وهى تصفقه بيدها وتغنى بهذه الأبيات :

ما أحسنَ الجيدَ من مُلِيكَةِ والسُّلَبَاتِ إذْ زانها ترائبُها
يا ليتني ليلةً ، إذا هجعَ الناسُ ونامَ الكلابُ ، صاحبُها
في ليلَةٍ لا نرى بها أحداً يحكى علينا ، إلا كواكبُها

ثم قال ابنُ الشجرى : « ووقع في أكثر نسخ كتاب سيبويه غير منسوب إلى شاعرٍ مسنًى ، ووجدته في كتاب لغوى منسوباً إلى عدى بن زيد ، وتصفحتُ نسختين من ديوان شعر عدى فلم أجد فيها هذه المقطوعة ، بل وجدتُ له قصيدةً على هذا الوزن وهذه القافية ، أولها :

لم أرَ مثِلَ الأقوامِ في غَبَنِ الأيامِ يَسُونُ ما عواقبُها
يرونَ إخوتَهُمْ ومَصْرَعَهُمْ وكيفَ تَعْتاقُهُمْ مَخالبُها
فما تَرَجَّى النفوسُ مِنْ طَلَبِ الخَيْرِ وَحُبِّ الحَيَاةِ كاذِبُها^(١) »

(١) كذا هنا وفي أمالي ابن الشجرى ، وحاشا البعثرى ١٢٥ وأوله عنده : « ماذا ترحى » ، وهى صحيحة يؤيدها الفرع التالى لابن الشجرى إذ يقول : « إن حب النفوس للحياة قد يستجبل بغضا ، لكنها فى الأغاني ٢ : ٣٧ : « كاربها » قال أبو الفرج : « كاربها هنا : غامها . . . يقال كربة الأمر وكرته . . . إذا غمه » وانظر ديوان عدى ٤٥ .

ثم قال : « قوله : في غِبْنِ الأَيَّامِ ، يدلُّ على أنَّهم قد استعملوا الغِبْنَ المتحرَّكَ الأوسطَ في البيعِ ، والأشهرُ غِبْنَهُ في البيعِ غِبْنًا ، بسكونِ وسطه ؛ والأغلبُ على الغِبْنِ المفتوحِ أَنْ يستعملَ في الرأى ، وفعله غَبِنَ يَغْبِنُ ، مثلُ فرحٍ يفرحُ ، يقالُ غَبِنَ رأْيُهُ ؛ والمعنى : في رأيه . ومفعولُ الغِبْنِ في البيتِ محذوفٌ ، أى في غِبْنِ الأَيَّامِ إِيَّامًا . ومما استعملَ فيه الغِبْنُ المفتوحُ الأوسطُ في البيعِ ، قولُ الأعشى :

لَا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ وَلَا يُبَالِي غَبْنَ الْخُلَاسِرِ

وقوله : ما عواقبها ، ما استفهاميةٌ وينسَوْنَ معلقٌ كما علقَ قبيضُهُ ، وهو يعلمون ؛ والتقدير : ينسَوْنَ أى شَيْءَ عواقبها . ومعنى قوله : وحبُّ الحياة كاذِبُها ، أَنَّ حبَّ النفوسِ للحياة قد يستحيلُ بفضاً ، لما ينكرَّرُ عليها من الشدائدِ والآفاتِ التي يتعنى صاحبُها الموتَ ، كما قال المتنبي :

كَتَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ النَّأْيَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيًا ، اهـ

وبعد أن نسبَ هذه الأبياتَ صاحبُ الأغاني لأحيحة بن الجلاح ، بين منشأها فقال : إِنَّ تَبِعًا الْأَخِيرَ ، وهو أبو كَرْبِ بنِ حَسَّانِ بنِ رَبِيعِ بنِ أَسَدِ الْحَمِيرِيِّ ^(١) ، أَقْبَلَ مِنَ الْبَيْنِ يَرِيدُ الشَّرْقَ كما كانت التبابعة تفعل — فرَّ بالمدينة فخلَّفَ بها ابنَهُ ومضى ، حتَّى قَدِمَ الْعِرَاقَ ، فنزلَ بِالْمَشَقَرِّ ؛ فقتلَ ابنُهُ بالمدينة غيلةً قبلَهُه الخُبَرُ ، فكَرَّ رَاجِعًا حتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، وهو مُجْمَعٌ عَلَى

(١) الأغاني : « وهو أبو كَرْبِ بنِ حَسَّانِ بنِ أَسَدِ الْحَمِيرِيِّ » .

إخراها ، وقطع نخلها ، واستنصل أهلها وسبي الذرية ؛ فنزل بسفح أحد
 فاحتفر بها بئراً — فهي التي يقال لها إلى اليوم : بئر الملك — ثم أرسل
 إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه ، فكان ممن أرسل إليه زيد بن ضبيعة ،
 وابن عمه زيد بن أمية ، وابن عمه زيد بن عبيد وكانوا يسمون الأزياد^(١) ،
 وأحيحة بن الجلاح ؛ فلما جاء رسوله قال الأزياد : إنما أرسل إلينا لئلمكنا
 على أهل يثرب ! فقال أحيحة : والله ما دعاكم لخبر ! — وكان يقال إن مع
 أحيحة تابعا من الجن يعلمه الخبر ، لكثرة صوابه ، لأنه كان لا يظن شيئا
 إلا كان كما يقول — فخرجوا إليه ، وخرج أحيحة ومعه قينة له ، وخباءه ،
 وخمر ، فضرب الخباء وجعل فيه القينة والخمر ، ثم استأذن على تبسع ، فأذن
 له وأجلسه على زريبة تحته ، وتحدث معه وسأله عن أمواله بالمدينة ؛ فجعل يخبره
 عنها ؛ فخرج من عنده فدخل خباءه فشرب الخمر ، وقرض أبيتا وأمر القينة
 أن تغنيها ؛ وجعل تبسع عليه حرسا وكانت قينته تدعى مليكة ، فقال :

يشتاق قلبي إلى مليكة لو أنسى قريبا لمن يطالبها !

الآيات المتقدمة . فلم تزل القينة تغني بذلك يومه وعامة ليلته ؛ فلما نام
 الحرس قال لها : إني ذاهب إلى أهلي فشدي^(٢) عليك الخباء ، فإذا جاء رسول
 للملك فقل : هو نائم ؛ فإذا أبوا إلا أن يوقظوني فقل : قد رجعت إلى أهلي وأرسلني
 إلى الملك برسالة ، فإن ذهبوا بك إليه فقل : يقول لك أحيحة « اغدير
 بقينة أو دغ » ثم انطلق فتحصن في أطيه الضحيان ، فأرسل تبع من جوف
 الليل إلى الأزياد فقتلهم ، وأرسل إلى أحيحة ليقتله فخرجت إليهم القينة ،
 فقالت : هو راقد فانصرفوا وترددوا عليها مرارا ؛ كل ذلك تقول : هو

(١) عديم في الأغاني ١٣ : ١١٥ أربعة ، بتكرير الأوسط فيما أرى .

(٢) في الأغاني : « فسدى » بالسين .

راقد ! ثم عادوا فقالوا : لتَوْقِظْنِهْ أو لنَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ ؟ قالت : فَإِنَّهُ قَدْ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَرْسَلَنِي إِلَى الْمَلِكِ بِرِسَالَةٍ ! فَذَهَبُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ وَأَبْلَغَتْهُ الرِّسَالَةَ ، فَجَرَّدَ لَهُ كَنْبِيَّةً مِنْ خَيْلِهِ ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ فِي طَلْبِهِ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ تَحَصَّنَ فِي أُطْمِهِ ؛ فَخَاصَرُوهُ ثَلَاثًا ، فَكَانَ يُقَاتِلُهُم بِالنَّهَارِ وَيَرْمِيهِم بِالنَّبِيلِ وَالْحِجَارَةِ ، وَيَرْمِي إِلَيْهِمْ فِي اللَّيْلِ بِالنَّتْرِ ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ رَجَعُوا إِلَى تَبْعٍ فَقَالُوا : بِمِثْقَلِنَا إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُنَا بِالنَّهَارِ وَيُضِيفُنَا فِي اللَّيْلِ ! فَتَرَكَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْرِقُوا نَخْلَهُ ، وَشَبَّتْ (١) الْحَرْبُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : أَوْسَهَا وَخَزَرْجَهَا وَيَهُودَهَا ، وَبَيْنَ تَبْعٍ ، وَتَحَصَّنُوا فِي الْأَطَامِ ؛ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ تَبْعٍ حَتَّى جَاءَ بَنِي عَدَى بْنِ النَّجَّارِ وَهُمْ مُتَحَصِّنُونَ فِي أُطْمِهِمْ ، فَدَخَلَ حَدِيقَةً مِنْ حَدَائِقِهِمْ فَرَفَى (٢) بِهَا عَذَقًا مِنْهَا يُمَجِّدُهَا (٣) ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدَى مِنَ الْأَطَمِ ، فَزَلَّ إِلَيْهِ فَضْرِبَهُ بِمِنْجَلٍ حَتَّى قَتَلَهُ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ فِي بئرٍ ؛ فَلَمَّا انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى تَبْعٍ زَادَهُ غَيْظًا وَحَنَقًا ، وَجَرَّدَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ جَرِيدَةً مِنْ خَيْلِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ بَنُو النَّجَّارِ ... فَبَيْنَا يُرِيدُ تَبْعٌ إِيْرَابَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُ خَبْرَانُ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، انْصَرَفْ عَنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ، فَإِنَّهَا مُحْفُوظَةٌ ، وَإِنَّهَا مُهَاجَرُ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، اسْمُهُ أَحْمَدُ ، يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْحَرَمِ . فَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْهَا وَكَفَّ عَنْ أَهْلِهَا . انْتَهَى مَا قَاتَلْتُهُ مِنَ الْأَغَانِي مُخْتَصَرًا .

وَالْأَطَمُ ، قَالَ فِي الصَّحَاحِ : هُوَ مِثْلُ الْأَجْمِ ، يَخْفَفُ وَيَثْقُلُ ، وَالْجَمْعُ أَطَامٌ وَهِيَ حُصُونٌ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَالْوَاحِدَةُ أُطْمَةٌ يَفْتَحُهَا . وَالضَّحْيَانِ ، يَفْتَحُ الضَّادُ الْمَعْجَمَةَ وَسُكُونُ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةَ وَبَعْدَهَا يَاءُ مِثْنَاءَ تَحْتِيَّةٍ : اسْمُ حَصْنٍ لِأُحْيَاةٍ ،

(١) ط : « وَشَبَّتْ » ، سِوَايِهِ فِي شِ وَالْأَغَانِي .

(٢) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « فَرَفَى » ، وَصَحَّحَهَا الشَّنْقِيطِيُّ فِي نَسَخَتِهِ بِمَا يَطَابِقُ الْأَغَانِي .

وَفِي الْأَغَانِي ١٣ : ١١٦ : « فَرَفَى عَذَقًا مِنْهَا بِحَبْرَةٍ » .

(٣) الْمَذْقُ بِالْفَتْحِ : النَخْلَةُ بِحَمْلِهَا . وَبِالْكَسْرِ : كِبَاةُ النَّخْلِ .

وقد بينه صاحبُ الأغاني بعد هذا فقال : وكان لأحيحة أطمان ، أطم في قومه يقال له المستظل ، وهو الذي تحصن فيه حين قاتل ثبماً أبا كرب الجيرى ، وأطمه الضحيان بالعصبة في أرضه التي يقال لها الغابة ، بناءً بحجارة . وكانت الآطام عزّهم ومنعتهم وحصونهم التي يحرزون فيها من عدوهم . انتهى كلامه .

وقد خالف بين كلاميه فقال هناك : تحصن بأطمه الضحيان . وقال في موضع آخر : تحصن في أطمه المستظل .

أحيحة بن الجلاح

و (أحيحة) هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . ويكنى أحيحة أبا عمرو .

و (أحيحة) بضم الهزرة وبالحاءين المهملتين : مصدر الأحيحة ، وهو الغَيْظ وحزارة النعم^(١) . و (الجلاح) بضم الجيم وتخفيف اللام وآخره حاء مهملة وهو في اللغة السيل الجراف . و (الحريش) بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وآخره شين معجمة ، وهو نوع من الحيات أرقط . و (جحجبي) بحاء مهملة ساكنة بين جيمين مفتوحتين وبعد الموحدة ألف مقصورة ، وهذه المادة غير مذكورة في الصحاح ، قال صاحب القاموس : « جحجب العدو » : أهلكه ؛ وفي الشيء : تردّد وجاء وذهب . وجحجب : اسم . وجحجبي : حى من الأنصار انتهى : (٢) و (كلفة) بضم الكاف وسكون اللام .

وكان أحيحة سيّد الأوس في الجاهلية ، وكانت أم عبد المطلب بن هاشم تحتّه . والمنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة ، صحابى شهيد بدرًا وقتل يوم بئر

(١) وفي الاشتقاق ٤١٦ : « واشتقاق جحجبي من المعجبة ، وهو التردد في الشيء . والجيء والذهاب . »

(٢) جاءت « حزازة » بزاءين معجمتين في النسختين .

مَعُونَةٌ ، كَذَا فِي الْجُمُحَةِ . وَعَدَّ عَبْدَانُ فِي الصَّحَابَةِ مُحَمَّدَ بْنَ عَقْبَةَ هَذَا ، لَكُنْهُ نَسَبُهُ إِلَى جَدِّهِ فَقَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ أَحِيحَةَ . وَقَالَ : بَلَفَنِي أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَمِيَ مُحَمَّدًا ، وَأَخْلَنَّهُ أَحَدَ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ سَمُوا مُحَمَّدًا قَبْلَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ . وَأَبُوهُ كَانَ زَوْجَ سَلْمَى أُمِّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : مَنْ يَكُونُ أَبُوهُ زَوْجَ أُمِّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، مَعَ طُولِ عُمُرِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كَيْفَ تَكُونُ لَهُ صُحْبَةٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ هَذَا بَعِيدٌ ، وَلَعَلَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ عُقَيْبَةَ بْنِ أَحِيحَةَ الَّذِي ذَكَرُوا أَبَاهُ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ : وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا لِلْمُنْذِرِ وَلَدًا اسْمُهُ مُحَمَّدٌ . انْتَهَى . وَالصَّوَابُ مَا فِي الْجُمُحَةِ ^(١) ، وَبِهِ يَزُولُ الْإِشْكَالُ .

قَالَ صَاحِبُ الْأَغَانِي ^(٢) : وَكَانَتْ عِنْدَ أَحِيحَةَ سَلْمَى بِنْتُ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ ابْنِ لَبِيدِ بْنِ خِدَاشٍ ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، لَهُ مِنْهَا عَمْرُو ابْنُ أَحِيحَةَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا هَاشِمٌ بَعْدَ أَحِيحَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدِ الْمُطَّلِبَ بْنَ هَاشِمٍ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً شَرِيفَةً لَا تَسِيحُ الرِّجَالُ إِلَّا وَأَمْرُهَا يَبِيدُهَا ، وَإِذَا كَرِهَتْ مِنْ رَجُلٍ شَيْئًا تَرَكْتَهُ . وَكَانَ أَحِيحَةُ كَثِيرَ الْمَالِ شَحِيحًا عَلَيْهِ ، يَبِيعُ بَيْعَ الرِّبَا بِالْمَدِينَةِ ، حَتَّى كَادَ يُحِيطُ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَكَانَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ بْتَرًا ^(٣) كُلُّهَا يُنْضَحُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ لَهُ أَطَّانٌ : أَطَّانٌ فِي قَوْمِهِ يَقَالُ لَهُ الْمُسْتَظَلُّ — وَهُوَ الَّذِي تَحْصُنُ فِيهِ حِينَ قَاتَلَ تَبَعًا لِلْجُمُحِيِّ — وَأَطَمَهُ الضُّحْيَانُ بِالْعَصْبَةِ فِي أَرْضِهِ الَّتِي يَقَالُ لَهَا الْغَابِيَةُ ، بَنَاهُ بِحِجَارَةِ سَوْدٍ وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ لَمَّا بَنَاهُ أَشْرَفَ هُوَ وَغُلَامٌ لَهُ ^(٤) . ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ بَنَيْتُ حِصْنًا حَصِينًا مَا بَنِيَ مِثْلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَمْنَعُ مِنْهُ ^(٥) ،

(١) انظر أيضًا السيرة ٣٢٢ ، ٤٩٤ ، ٦٤٩ .

(٢) الأغاني ١٣ : ١١٩ والأغاني ١٣ : ١١٨ .

(٣) ط : « بعيرا » ، صوابه في ش والأغاني ١٣ : ١١٨ ، ويؤيده تذكير « تسع » .

(٤) في اللسطين : « لما بناه هو وغلام له أشرف » صوابه من الأغاني .

(٥) في الأغاني : « ما بنى مثله رجل من العرب أمتع ولا أكرم » .

ولقد عرفتُ موضعَ حَجَرٍ منه لو نُزِعَ وَقَعَ جميعاً . فقال غلامُه : أنا أعرفه !
قال : فأرنيه يا بُنيّ ! قال : هو هذا ! وصرف إليه رأسه ، فلما رأى أحبيحةً
أنه قد عرفه دفعه من رأس الأُطَم فوق على رأسه فمات . وإنما قتله لثلاث
يعرف ذلك الحجرُ أحدٌ . فلما بناء قال :

بَنَيْتُ بَعْدَ مُسْتَظَلِّ ضاحياً بِنْتَهُ ، بَعْضِيَّةٌ ، مِنْ مَالِيَا
للسر مما يتبع القواضيا أخشى رُكْباً أو رُجَيْلاً غادياً^(١)

٢٤

وسياتي — إن شاء الله تعالى — تَمَّةُ الكلام عليه في شرح شواهد
الشافية^(٢) ، عند شرح قوله : أخشى رُكْباً أو رُجَيْلاً غادياً . فإنه من شواهد
وشواهد الكشف أيضاً . ولم يعرف أحد تَتِمَّةَ ولا أصله ، ممن كتب
على الكشف وغيره .

المحدون
في الجامعة

واعلم أن جملة مَنْ مَنَى بِمُحَمَّدٍ فِي الجاهلية ، ذَكَرَهُمُ ابْنُ حَجَرٍ فِي شرح
البخاري . وهذا كلامه^(٣) :

قال عِيَّاضٌ : حَيَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الاسمَ أَنْ يَسْعَى بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ ؛
وإنما تَمَى بعضُ العربِ مُحَمَّدًا قُرْبَ ميلادِ النبي صلى الله عليه وسلم ، لَمَّا سَمِعُوا
مِنَ الكُهَّانِ والأخبارِ ، أَنَّ نَبِيًّا سَيُحْيِي فِي ذَلِكَ الزمانِ يَسْعَى مُحَمَّدًا ، فَرَجَّوْا
أَنْ يَكُونُوا هُمْ ، فَسَمَّوْا أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ ، وَهَمَّ سَتَهُ لاسابِعَ لَهُمْ . كَذَا قَالَ .
وَقَالَ السَّهَيْلِيُّ فِي الروضِ الأَنْفِ : لَا يَعْرِفُ فِي العربِ مَنْ نَسَى مُحَمَّدًا قَبْلَ
النبي صلى الله عليه وسلم إِلَّا ثَلَاثَةٌ : مُحَمَّدُ بْنُ سَفِيَّانَ بْنِ بَجَاشِعَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْبِيحَةَ

(١) فِي ٥٠ : « وَالسَّرِّ مِمَّا » ، وَفِي الْأَغَانِي : « عَادِيَا » بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ .

(٢) شَرَحَ شَوَاهِدَ الشَّافِيَةِ ١٥٠ .

(٣) فَتَحُ الْبَارِي ٦ : ٣٥٨ — ٣٥٩ .

ابن الجلاح ، ومحمد بن حُرَّان بن ربيعة . وسبق السَّهيليُّ إلى هذا القول أبو عبد الله بن خالويه (في كتاب ليس^(١)) . وهو حُصْرُ مردود . وقد جمعتُ أسماءَ مَنْ تَسَمَّى بذلك في جزءٍ مفردٍ فبلغوا نحوَ العشرين ، لكنَّ مع تكريرٍ في بعضهم ووَهمٍ في بعض ، فتلخَّصَ منه خمسةَ عشرَ نفساً .

وأشهرهم محمد بن عديّ بن ربيعة التيميّ السعديّ . وقد سئل محمد ابن ربيعة — والسائلُ ابنُه — قال له : كيف تَمَّاك أبوك في الجاهليّة محمدًا ؟ قال : سألتُ أبي عما سألتني فقال : خرجتُ رابعَ أربعةٍ من بني تميم أنا أحدُهم ، وسُفيان بن مجاشع ، ويزيد بن عمرو بن ربيعة ، وأَسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ، زيد ابن جفنة الغسانيّ بالشام ، فنزلنا على غدير دِير ، فأشرف علينا الدَّيرانيُّ فقال لنا : إنّه سيبيحُ منكم وشيكًا نبيُّ ، فسارعوا إليه . فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد . فلما انصرفنا ولِدَ لكلٍّ مِنَّا ولدٌ فسماه محمدًا . وقال ابن سعد ، عن عليّ بن محمدٍ عن مسلمة بن محارب عن قتادة بن السَّكن قال : كان في بني تميم محمدُ بن سُفيان بن مجاشع ، قيل لأبيه : إنّه سيكون نبيُّ في العرب اسمه محمد ، فسمي ابنه محمدًا . فهؤلاء الأربعة لبس في السَّيِّاق ما يُشعر بأنَّ فيهم مَنْ له صُحبة ، إلَّا محمد بن عديّ . قال ابن سعدٍ لما ذكره في الصحابة : عداؤه في أهل الكوفة . وذكر عبدان المروزيّ أنّ محمد بن أحيحة ابن الجلاح أوَّلُ مَنْ تَسَمَّى محمدًا في الجاهليّة ؛ وكأنّه تلقى ذلك من قصة تُبْعَر للماحصر المدينة وخرج إليه أحيحة المذكور هو والخبر الذي كان عندهم يثيرُ ، فأخبره الخبر أنّ هذا بلدُ نبيٍّ يبعثُ يستي محمدًا ، فسمي ابنه محمدًا وذكر البلادُ ريُّ منهم محمد بن عُقبة بن أحيحة ، فلا أدري : أهما واحدٌ نُسب مرةً إلى أبيه ومرةً

(١) لم أجد هذا النسب في كتاب ليس .

إلى جدّه، أمّها اثنان . . (أقول : الصواب أنهما واحدٌ نُسِبَ مرّةً إلى أبيه ،
ومرّةً إلى جدّه ، كما تقدّم بيانه ^(١))

ثمّ قال ابن حجر : ومنهم محمد بن براء البكرى ، ذكره [ابن ^(٢)]
حبيب . وضبط البلاذرى أباه فقال : محمد بن برّ (بتشديد الراء ليس بعدها
ألف) بن طريف بن عتوّارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛
ولهذا نسبوه أيضاً العتوّارى . وغفل ابن دحية فعُدّ فيهم محمد بن عتوّارة ،
وهو هو ، نُسِبَ إلى جدّه الأعلى . ومنهم محمد بن اليمدنى الأزديّ ،
ذكره المفجع البصرى في كتاب المنقذ ^(٣) . ومحمد بن خولى الهمدانيّ . ذكره
ابن كُريد ^(٤) . ومنهم محمد بن حرماز بن مالك ، ذكره أبو موسى في الذيل .
ومنهم محمد بن حُمران بن أبي حُمران ، واسمه ربيعة بن مالك الجعفيّ ،
المعروف بالشويعر ، ذكره المرزبانيّ فقال : هو أحد من سُمّي في الجاهلية محمداً ،
وله قصّة مع امرئ القيس ^(٥) . ومنهم محمد بن خزاعيّ بن علقمة بن حرابة ^(٦)
السلميّ ، من بني ذكوان ، ذكره ابن سعد عن عليّ بن محمد عن سلمة بن
الفضل ^(٧) عن محمد بن إسحاق قال : سُمّي محمد بن خزاعيّ طمعاً في النبوة .
وذكر الطبرانيّ أنّ أبرهة الحبشيّ توجّه وأمره أن يغزو بني كنانة فقتلوه ،
وكان ذلك من أسباب قصة الفيل . وذكر محمد بن سعد لأخيه قيس بن خزاعيّ
يذكّره ^(٨) من أبيات يقول فيها :

(١) انظر ما مضى في ص ٣٢٦ سلفيه .

(٢) التكلة من فتح الباري . وانظر حواشي الاشتقاق ٩ .

(٣) فتح الباري : « المقدّم » ، تحريف .

(٤) في الاشتقاق ص ٩ .

(٥) وكذا في الاشتقاق ٨ — ٩ ، ٤٠٨ .

(٦) ص : « حرامة » .

(٧) في النسختين : « سلمة بن الفضل » صوابه من الإصابة في ترجمة محمد . وانظر
تهذيب التهذيب ٤ : ١٥٤ فقد ذكر أنه ليس أثبت في ابن إسحاق من سلمة هذا .

(٨) في النسختين . « فذكره » . وأثبت ما في فتح الباري ٦ : ٣٥٩

فَذَلِكُمْ ذُو النَّجَّاسِ مِنْكُمْ مُحَمَّدٌ وَرَأَيْتُهُ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ تَخْفُقُ

ومنه محمد بن عمر بن مغفل (بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام) وهو والد هُبَيْبٍ (بموحّدين، مصغر) وهو على شرط المذكورين، فإنّ لولده صحبة. ومات هو في الجاهلية. ومنهم محمد بن الحارث بن حديج^(١) ابن حويص، ذكره أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين، وذكر له قصة مع عمر، وقال: إنه أحد من تسمّى محمداً في الجاهلية. ومنهم محمد القيسي، ومحمد الأسدي ذكرهما ابن سعد ولم ينسبهما بأكثر من ذلك. . . فعرف بهذا وجه الردّ على الحصر الذي ذكره القاضي عياض. وعجب من السهيلي، كيف لم يقف على ما قاله القاضي مع كونه قال قبله^(٢) ١٩. وقد تحرّر لنا من أسماهم قدر الذي ذكره القاضي عياض مرتين بل ثلاث مرّات، فإنّه ذكر في السّنة الذين جرّم بهم: محمد بن مسلمة وهو غلط^(٣) فإنّه ولد بعد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، ففضل له خمسة. وقد خلّص لنا خمسة عشر^(٤)، والله أعلم. انتهى ما قاله ابن حجر.

وقال زين الدين العراقي: قلت: عدّه — أعني عياضاً — محمد بن

(١) — وفتح الباري: «خديج» كتب مصحح المطبوعة الأولى: «ضبطه الزرقاني على المواهب بمهملتين فتحية بجم مصغر».

(٢) فتح الباري: «كان قبله».

(٣) الميني: «تصرّعه إلى تغليظ عياض لا وجه له، فإن ولادته بعد النبي صلى الله عليه وسلم، لا تنقّي نسبته بمحمد قبل المبعث، وهو مرادهم بذلك. ولعله نظر إلى قول ابن دريد في الاشتقاق: ومحمد بن مسلمة الأنصاري، سمي في الجاهلية محمداً».

(٤) الميني: «ليس هذا التخلص من عنائه بل هو للحافظ مغلطاي. وهذا لفظه في حاشية الاشتقاق ٦: بلغ أسماء من سمي محمداً خمسة عشر رجلاً ذكرهم في كتابي المسمى بالإشارة ١٠٨. فرجع الحق إلى نصابه والحمد لله. وقد أقر الحافظ نفسه بذلك في الإصابة رقم ٨٤٩٨. والإشارة لعله يريد ما كتبه على كتاب ليس».

مسلمة ، فيه نظر من حيث أنه ولد بعده بعشر سنين ، ولكنه صحيح من حيث أنه لم يكن ظهرت النبوة والله أعلم .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائتين :

٢٢٨ * قَلَمًا عَرَّسَ حَتَّى هَجَّتْهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ^(١) *

على أن أبا علي قال : إن (قَلَمًا) قد نجى . بمعنى إثبات الشيء القليل ، كما في هذا البيت ، والكثير أن تكون للنفي الصرف . وهذا كلام أبي علي في الإيضاح الشعري^(٢) قال : وأما قول لبيد :

* قَلَمًا عَرَّسَ حَتَّى هَجَّتْهُ *

فإن قولهم قَلَمًا ، يستعمل على ضربين : أحدهما أن يكون بمعنى النفي لا يثبت به شيء ، والآخر أن يكون خلافَ كَثُرِ يُثَبِّتُ به شيء قليل . فمن الأول قولهم : قَلَمًا سَرْتُ حَتَّى أَدْخَلَهَا ، فتَنَصَّبَ الفعلُ معه بعد حَتَّى ، كما تنصب في قولك : مَسَرْتُ حَتَّى أَدْخَلَهَا ؛ ومنه : قَلَمًا سَرْتُ فَأَدْخَلَهَا فتَنَصَّبَ معه الفعلُ بعد الفاء كما تفعلُ ذلك بالنفي ، ومنه قَلَّ رَجُلٌ جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ ؛ كما تقول : مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ ؛ فهذا في هذه المواضع بمنزلة النفي . ولو أردت نفيَ كَثُرِ لجاز الرفعُ في الفعل بعد حَتَّى ، كما تقول : سَرْتُ قَلِيلًا حَتَّى أَدْخَلَهَا . ولو أُجْرِيَ هذا الضربُ مجرى الأول — على معنى أن القليل لم يُعَدَّ به لقلته — لكان ذلك قياسًا على كلامهم ؛ ألا تراه قالوا : مَا أَدْرِي أَأَذِّنُ أَوْ أَقَامُ ، فَجُعِلَ

(١) ديوان لبيد ١٨٢ والمعاني الكبير ٧٣ .

(٢) الكلام التالي لم أجده في نسختي دار الكتب من الإيضاح ، والأولى منهما برقم ١١٢٠ نحو وعليها هذه العبارة : من نم الله على عبده الفقير الله ... عبد القادر ابن عمر البغدادي . والثاني برقم ١٠٠٦ نحو ، وهي تزيد على الأولى زيادة كبيرة .

الفعلُ غيرَ مُعْتَدٍّ به ، والبيتُ مما قد ثبت فيه التعريس ولم ينفه البتة ، يدلُّك
على ذلك قولُ ذى الرِّمة :

زَارَ الْخِيَالُ لِمَيِّ هَاجِماً لَعِبَتْ به التَّنَافُ وَالْمَهْرِيَّةُ النَّجْبُ (١)
مُعْرَساً فِي بِيَاهِ الصُّبْحِ وَقَعَتْ وسائرُ السَّيْرِ إِلَّا ذَاكَ مُنْجَذِبُ

٢٦

انتهى . بيانه : أن ذا الرمة أراد بالهاجع المعرَّس نفسه . والهاجع : النائم .
ولعبت به : ترامت به بلدة إلى بلدة . والمهريَّة ، بالفتح : الإبل المنسوبة
إلى مهرة ، وهى حى باليمن . والنَّجْبُ : جمع نجيب : كرام الإبل . والتعريس :
الإقامة فى آخر الليل . ومعرساً : صفة هاجماً . أى زارنى خيالُ مَيِّ وأنا
معرَّس نائم . وجملة فى بياض الصبح وقعته ، صفة لقوله : معرماً . يريد الوقعة
التي ينالها عند الصُّبح ؛ لأنَّ كلَّ مَنْ سار ليلته فذلك وقتُ إراحته ونومه .
ويُروى : (وسائرُ الليل) . ومنجذب : خبر سائر أى ماض . وقوله :
إِلَّا ذَاكَ ، استثناء للتعريس من السَّيْرِ ، وهذا وجه الدليل . ويروى أيضاً :
(فى سوادِ اللَّيْلِ) . والتفسير فى السَّيْرِ واللَّيْلِ والسَّوَادِ سواء . وهذا الشعر
من قصيدة طويلة لذى الرمة مطلعها :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ

وهذه القصيدة أوَّل ديوانه .

واعلم أن أبا عليٍّ قد تكلم هنا على أَقْلٍ وَقَلٍّ وَقَلْبًا ، بكلام جيِّد قد
اختصره الشارح المحقق ، أحببتُ أن أقوله هنا برمته تنبيهاً للفائدة : قال (٢) :

(١) ديوان ذى الرمة ص ٧ .

(٢) وهذا النقل أيضاً لم أجده فى نسختي الإيضاح السالفي الذكر . والظاهر أن لأبى
على إيضاحين : الإيضاح النحوى ، والإيضاح الشعرى .

اعلم أنهم قالوا : أقلُّ رجلٍ يقول ذلك ، وأقلُّ امرأةٍ تقول ذلك ، وأقلُّ امرأتين تقولان ذلك ؛ فحملوا الصفةَ فيها على المضاف إليه أقلُّ لا على أقلِّ . فإن قال قائل : ما موضعُ تقول ذلك وتقولان ذلك ؟ فالتقول فيه : أن موضعه جرتُ على ما عليه استعمالهم ، ولا يجوز أن يكون موضعه رفعاً ، لأنه لو كان رفعاً لكان ينبغي أن يكون محمولاً على أقلِّ ، إما أن يكون وصفاً له أو خبراً . فإن قلتَ : إذا كان أقلُّ مبتدأً فما خبره ؟ فالتقول فيه : أنه لا يخلو من أن يكون مضمراً متروكاً الإظهار والاستعمال ، كما كان خبرُ الاسمِ بعدَ لولا كذلك^(١) . أو يكون قد استغنى عن الخبر بالصفة الجارية على المضافِ أقلُّ إليه ، وصار أقلُّ لا خبر له لما فيه من معنى النفي ، كما أن قلماً في قولهم :

..... قلماً وصالٌ على طول الصدود يدوم^(٢)

غير مسند إلى فاعلٍ ؛ لما فيه من معنى النفي ، فكما صار قلٌّ غير مسندٍ إلى فاعلٍ ، كذلك أقلُّ غير مسندٍ إليه خبرٌ ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما قد جرى مجرى صاحبه ؛ ألا ترى أنهم قالوا قلَّ رجلٌ يقول ذلك إلا زيدٌ ، كما قالوا : ما رجلٌ يقول ذلك إلا زيدٌ ، وقالوا : أقلُّ رجلٍ يقول ذلك إلا زيدٌ ، فأبدلوا زيداً من أقلُّ وأجروه مجرى قلَّ رجلٌ يقول ذلك إلا زيدٌ ؛ ألا ترى أنه لم يُبدل من رجلٍ المجرور بل أُجرى مجرى قلَّ رجلٌ فأمَّا صفة الاسم الذي يضاف إليه أقلُّ ، فإنه يكون فعلاً أو ظرفاً ، لأن الظرف كالفاعل والفاعل ألا ترى أنه في صلة الموصول كالفعل : في استقلال الموصول به^(٣) ؛ وقال

(١) الرضي : « وفيه نظر ، لأنه لا معنى لقولك أقلُّ رجل يقول ذلك إلا زيد موجود كما لا معنى لقولك أقام الزيدان موجود » .

(٢) للرار القمى في سيبويه ١ : ١٢ ، ٤٥٩ ، وأمالى ابن الشجري ٢ : ١٣٩ ، ١٤٤ والإيناف ١٤٤ والمنصف ١ : ١٩١ / ٢ : ٦٩ . وصدده :

* صدت فأطولت الصدود وقلما *

(٣) « : كالفعل في الاستعمال الموصوف به » .

أبو الحسن : لو قلت أقلُّ رجلٌ ذى جُمة ، أو نحو ذلك ، لم يحسن . قال أبو علي : وإِنَّمَا امتنع هذا ، لأنَّ أقلَّ قد أُجرى مجرى حرفِ النفي فلم يظهر له خبر ، كما أنَّ قلَّ جرى مجراه فلم يُسند إلى فاعل . فإذا علمتَ أَنَّهُ قد أُجرى مجرى حرفِ النفي — بما ذكرتُ ، وبأنهم قالوا : قلَّ رجلٌ يقول ذلك إلا زيدا — كان قولهم : أقلُّ رجلٌ يقول ذلك ، أقلَّ فيه بمنزلة حرفِ النفي ؛ وحرفِ النفي ينبغي أن يدخل على كلام تام ، والكلام التامُّ الفعلُ والفاعلُ وما في حكمهما من الظروف ، وليس المبتدأ وخبرُهُ مما يجرى مجرى الفعل والفاعل هنا . ألا ترى أنَّ أبا الحسن يقول : لو قلتَ أقلُّ رجلٌ وجهه حسنٌ ، لم يحسن . فدلَّ ذلك على أنَّهم جعلوا أقلَّ بمنزلة ما ، وما حقُّها أن تنفى فعلَ الحال ، في الأصل ؛ ويؤكد ذلك أَنَّهُ صِفةٌ ، والصفة ينبغي أن تكون مصاحبةً للموصوف ، فكما لا تدخل ما في نفي الفعل إلا على فعل وفاعل ، كذلك ينبغي أن يكون الوصفُ الواقعُ بعد الاسم المضاف إليه أقلُّ فعلاً وفاعلاً ، أو ظرفاً ، لأنَّ الظرف كالفعل . وإذا كانت كذلك ، فلو أوقعت جملة من ابتداء وخبر بعده لم يحسن ، لأنَّ ما في الأصل لا تنفيها ، إِنَّمَا تنفى الفعل ؛ ولو أوقعت صفةً لا معنى للفعل فيها ، نحو ذى جُمة ، وما أشبهها ممَّا لا يشابه الفعل ، لم يجوز . ولو أوقعت الصفة المشابهة للفعل ، نحو ضارب وصالح لم يحسن في القياس أيضاً ، ألا ترى أنَّ هذا موضعُ جملة ، واسم الفاعل لا يسدُّ مسدَّ الجملة ؛ ولذلك لم تستقلَّ الصلة به ، واسم الفاعل في صفة الاسم المجرور برُبِّ أحسن منه في صفة الاسم المضاف إليه أقلُّ . لأنَّ ربَّ وما انجبرَ به من جملة كلام ، ألا ترى أنَّ الفعل الذى يتعلّق به مرادٌ ، وإن كان قد يترك من اللفظ ، كما أنَّ ما يتعلّق به الكاف ، من قولك : الذى كزيد ، كذلك : فإذا كانت كذلك كانت فضلة ، والفضلة لا تمتنع أن توصف بالصفات التى لا تناسب الفعل والتى تناسبه ،

وليس صفة المضاف إليه أقلّ كذلك ، ألا ترى أن أقلّ بمنزلة حرف النفي كما كان قلّ كذلك ، وحكم حرف النفي أن يدخل على جملة . ووجه جواز وصف الاسم المضاف إليه أقلّ بصالح ونحوه هو أن^(١) هذا الضرب قد أجرى مجرى الجمل في غير هذا الموضع ، ألا ترى أن سيبويه قد أجاز حكاية عاقلة لبيبة ونحوها إذا سمى بها ، فجعله في ذلك بمنزلة الجمل ، حيث كان في حكمها ، من حيث كان حديثاً ومحدثاً عنه ؛ وقد جرى هذا النحو مجرى الفعل والفاعل أيضاً في الاسماء المسماة بها الفعل ، فكذلك فيما ذكرنا . والأقيس فيما يُجرى بربّ أن يُوصف بفعل وفاعل ، لأن أصل ربّ وإن كان كما ذكرنا ، فقد صار عندهم بمنزلة النفي ، ألا ترى أنها لا تقع إلا صديراً كما أن النفي كذلك ؛ وأن المفرد بعد قلّ دلّ^(٢) على أكثر من واحد ، وهذا مما يختص به النفي ونحوه ؛ فإذا كان كذلك ، صار ذلك الأمر كالمرفوض ، وصار الحكم لهذا الذي عليه الاستعمال الآن . وقد صار كالنفي بما لزمه بما ذكرنا ، كما صار أقلّ رجلاً بمنزلة ذلك ، فكما أن حكم صيغة المضاف إليه أقلّ أن يكون على ما ذكرنا ، كذلك حكم ما انجبر برّب . ومما يدلّ على أن أقلّ منزل منزلة النفي ، امتناع العوامل الداخلة على المبتدأ من الدخول عليه ، امتناعها من الدخول على ما لزمه حرف النفي . ومما جرى مجرى أقلّ رجلاً ، فيما ذكرنا ، قولهم : خطيئة يوم لا أصيد فيه ؛ ألا ترى أن الكلام محمول على ما أضيف خطيئة إليه ، كما كان محمولاً على ما أضيف أقلّ إليه ، ولم يعد على خطيئة مما بعده ذكر ، كما لم يعد على أقلّ شيء مما بعده . وقياس خطيئة أن تمتنع العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر من الدخول عليها ، كما امتنعت من الدخول على أقلّ ، لالتفافها فيما ذكرت

(١) في النسختين : « وال » . وبذلك في الرضى : « فلا عطائه معنى الفعل » .

(٢) كذا في النسختين ، وفيه الشكيطي بقله هكذا « بعده قد دل » .

وفي المعنى ، ألا ترى أنه يريد ما يوم لا أصيد فيه إلا الخطيئة ^(١) ، فصار
كقولهم أقل من جهة المعنى ومن جهة حمل ما بعدها على ما أضيف إليه من
دونها . والقياس فيها وفي أقل أن يكون ما جرى بعدها من الكلام قد سدَّ
سدَّ الخبر ، وصار معنى أقلُّ امرأتين تقولان ذلك ، ما امرأتان تقولان ذلك ،
وكذلك خطيئة ، فحمل الكلام على المعنى ، فلم يُحتجَّ إلى إظهار خبرٍ كما لم
يُحتجَّ إليه في قولك : أذهب أخواك ، وما أشبهه . انتهى كلام أبي علي ،
وسقناه برمته لنفاسته .

وبيت الشاهد من قصيدة طويلة للبيد بن ربيعة النضجاني ، عدة أبياتها
خسة وثمانون بيتاً ، ولا بد من ذكر أبيات متصلة به ليتضح معناه ، وهي :

صاحب
الشاهد

أبيات
الشاهد

(وَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى) عَاطِفِ التَّمْرِ قِ صَدَقِ الْمُبْتَدَلُ
قَالَ هَجْدُنَا فَقَدْ طَالَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَيَّ الدَّهْرُ غَفَلَ
يَتَقَى الْأَرْضَ بِدَفٍّ شَامِفٍ وَضُلُوعٍ تَحْتَ صَلْبٍ قَدْ نَحَلَ
قَلْبًا عَرَسَ حَتَّى هَجْنَهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ
يَلْمِسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ ، كَالْهَوْدَى الْمُصَلِّ
يَتَمَارَى فِي الَّذِي قَلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَبَّهْلُ
فَوَرَدْنَا قَبْلَ فُرَاطٍ الْقَطَا إِنْ مِنْ وَرْدِي تَغْلِيَسَ التَّهْلُ

قوله : وَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى ، الواو واو رُبٍّ ، والجود : الذي جاده
النُّعَاسُ ^(٢) وألحَّ عليه حتى أخذه فنام ؛ من الجود بالفتح وهو المطر الغزير ،

(١) ص : « الخطأ » . وانظر لقولهم خطيئة يوم لا أصيد فيه سيويه ١ : ونهاية
مادة (خطأ) من اللسان .
(٢) ط : « الناس » صوابه في ص .

يقال أرضٌ مَجُودَةٌ أى مَفِيئَةٌ ، وَجِيذَتِ الأرضُ : إذا مُطِرَتْ جَوْدًا . وقال
أعرابيٌّ : المَجُودُ : الذى قد جاده العَطَشُ أى غلبه ، كذا فى شرح أبى الحسن
الطُّوسى . وهذا لا يناسب قوله : صُبَابَاتِ السَّكْرَى ، فَإِنَّ السَّكْرَى النُّومُ
وَصُبَابَتُهُ بَقِيَّتُهُ . والجَيِّدُ ما ذكره صاحب القاموس : من أَنَّ الجَوَادَ ، كغراب :
النَّعَاسَ ، وجادَهُ الهوى : شاقَهُ وغلَبَهُ ؛ وبهذا يلتئم بما بعده . يريد : أَنَّهُ هَبَّ
من نومه قبل أن يَسْتَكِمَلَ ، فهو نَعْسَانٌ من بَقِيَّةِ النُّومِ . وقوله : عاطفَ الثَّمْرِ ،
صفةٌ بِجُودٍ ، والإضافة لفظية ، يريد عطَفَ عَمْرِقَتَهُ وَثَنَاهَا فنام . والثرقة ،
مثلثة النون : الوِسَادَةُ والطَّنْفَسَةُ فوق الرِّحْلِ ، وهى المرادة هنا ؛ والصفصة
مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس : البِساط . وقوله :
صَدَقَ المَبْتَذَلُ ، بفتح الصاد أى جَدَّ قَوًى لا يَغْيُرُ عند ابتذاله نفسه ولا يسْقُطُ ؛
ولا يجوز أن يقال صَدَقَ المَبْتَذَلُ ، إلَّا إذا امْتَنَ وَوُجِدَ صادق المَهْنَةِ يُوجَدُ
عنده ما يُحِبُّ وَيُرَادُ . وفى القاموس : الصَّدَقُ : الصُّلْبُ المستوى من الرماح
والرِّجَالِ ، والكاملُ من كلِّ شَيْءٍ ؛ وهى صَدَقَةٌ . والمَبْتَذَلُ : مصدرٌ بمعنى
الابتذال ، وهو ضد الصِّيَانَةِ ، يقال سيفٌ صَدَقَ المَبْتَذَلُ أى ماضى الضريبة .
وقوله : قال هَجْدُنَا الخ ، قال هو متعلقٌ رُبُ . والتهجيد من الأضداد : يقال
هَجْدَهُ إذا نَوَّمَهُ ، أى دعنا ننام ، وهو المراد هنا ، وهَجْدَهُ : إذا أَيْقَظَهُ .
والفاء للتعليل . والسُّرَى بالضم : سِرَ عامَّةُ الليل . وقوله : وقدرنا ، أى وقدرنا
على ورود الماء ، وذلك إذا قُرِبُوا منه . وفى القاموس : وبيننا ليلة قاهرةٌ :
هَيْئَةُ السَّيْرِ لا تَعْبَ فيها . وأَخْفَى ، بفتح المعجمة والقصر : الآفة والفساد ؛
أى إنْ غفلَ عَنَّا فسادُ الدهرِ فلمْ يَعْنُفْنَا . وقيل : قدرنا ، أى على التهجيد ؛
وقيل : على السَّيْرِ . وقوله : يتقى الأرض الخ ، أَخْبَرَ عن صاحبه النعسانِ بَأَنَّهُ
يتقى الأرض أى يتجافى عنها . والدَّفَّ ، بفتح الدال : الجنب . ورؤى :

(يتقى الرّيح) . والشاسف ، بتقديم المعجزة على المهلة : اليابس ضمراً وهو الأ ، وقد شَف كَنَصِر وضرب وكرم ، شُوفاً وشسافة ، ويكسر : إذا يبس ونحل جسمه ، كنع وعلم ونصر وكرم ، نُحولاً : ذهب من مرضٍ أو سفر .

وقوله : (قلما عرس الخ) ما للتصلة بقلّ كفاة لها عن طلب الفاعل ، وجاعلة إياها بمنزلة ما النافية في الأغلب ، وهنا لإثبات القلة كما تقدّم ؛ وما تتصل بأفعال ثلاثة فتكفها عن طلب الفاعل ، وهي قلما وطلما وكثراً ؛ وينبغي أن تتصل بالأولين كتابة . و (التعريس) : النزول في آخر الليل للاستراحة والنوم ، ومثله الإعراس . و (هجته) : أيقظته من النوم ؛ وهاج يهيج يحىء لازماً ومتعدّياً ، يقال هاج : إذا ثار ، وهجته : إذا أثرته . وحتى هنا حرف جرّ بمعنى إلا الاستثنائية ، أى ما عرس إلا أيقظته ، أى نام قليلاً ثم أيقظته ؛ وأكثر دُخولها على المضارع ، كقوله :

ليسَ العطاء من الفضولِ سَمَاحَةً حتى تجودَ وما لديك قليل^(١)

وقوله : (بالتبشير) أى بظهورها ؛ والتبشير : أوائل الصبح ، وهو جمع تبشير ، ولا يستعمل إلا جمعاً ؛ قال في القاموس : التبشير البشرى ، وأوائل الصبح وكل شيء ، وطرائق على الأرض من آثار الرياح ، وآثارُ بجنب الدابة من الدبر ، والبواكر من النخل ، وألوان النخل أول ما ترطب . انتهى

ولكونه مشتركاً بين هذه المعاني ، بين المراد بقوله : (من الصبح) و (الأول) صفة التبشير ، وهو بضمّ الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث

(١) البيت للمنعن الكندي . انظر العين ٤ : ٤١٢ وشرح شواهد المفنى ١٢٨ .

الأول، كالكُبر جمع كُبرى. وقد جاء هذا المصراعُ الثاني في شعر النابتة الجعدى، وهو:

وشمولٍ قهوةٍ باكرتها في التبشير من الصبح الأول
والنابتة وإن كان عصرياً كبيد، إلا أنه أسن منه — كما يبتاه في ترجمتها^(١) — وقد عيب هذا البيت على النابتة، قال صاحب تهذيب الطبع: وأما الأبيات المستكرهة الألفاظ، المتفاوتة النسيج، القبيحة العبارة، التي يجب الاحتراز منها كقول^(٢) النابتة الجعدى:

وشمولٍ قهوةٍ باكرتها في التبشير من الصبح الأول
يريد بالتبشير الأول من الصبح. وعابه المرزبانى أيضاً في كتابه الموشح^(٣).

وقوله: يلمس الأحلاس، فاعل يلمس ضمير المجود. واللمس: الطَّلَب، وفعله من بابي قتل وضرب. والأحلاس: جمع حِلْس، بالكسر، وهو كيساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رَحْله. أى يطلبها بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس. وقوله: كاليهودى المصل، قال الطوسى في شرحه: كأنه يهودى يصلى في جانب يسجد على جبينه هذا. كلامه. واليهودى يسجد على شِقِّ وجهه؛ وأصل ذلك أنهم لما نثق الجبل فوقهم، قيل لهم: إِمّا أن تسجدوا وإمّا أن يُلقى عليكم؛ فسجدوا على شِقِّ واحدٍ مخافة أن يسقط عليهم الجبل؛ فصار عندهم سنة إلى اليوم. وقوله: يتارى في الذى قلت له الخ،

(١) هذا سهو من البغدادى، فإنه لما تعرض للمقارنة بين سن النابتين في هذا الجزء من الخزانة ص ١٦٧. وترجمة لبيد تقدمت في ٢: ص ٢٤٦

(٢) الوجه: «فكقول».

(٣) الموشح ص ٦٧.

هذا البيت أورده الشارح في اسم الفعل^(١)، وهناك يشرح إن شاء الله تعالى .
 التمارى في الشيء والامتراء فيه : المجادلة والشك فيه ؛ يقال ما ريت الرجل
 أماريه مرء وفمارة : إذا جادلته ؛ والمرية : الشك . قال الطوسي : يقول :
 قال له الصبح ، والنجاء ، قد أصبحت ، ونحو هذا من الكلام . وحيهل :
 أى أسرع وأعجل : قال انسيد المرتضى في أماليه^(٢) : (غرر الفوائد ، ودُرر
 القلائد) : قد قال الناس في وصف قلة النوم . ومواصلة السرى والإدلاج ،
 وشعث السارين ، فأكثروا ؛ فمن أحسن ما قيل في ذلك قول كبيد . ونشد
 هذه الأبيات الحمسة ، وأورد لها نظائر جيّدة . وقوله : فوردنا قبل فرأط القطا
 الح ، القطا مشهور بالتبكير والسبق إلى الماء : وفرأط القطا : أوائلها ؛
 وهو جمع فارط ، يقال فرطت القوم أفرطهم فرطاً ، من باب نصر : أى سبقتهم
 إلى الماء . وقونه : إن من وردى الح ، أى من عدنى . والتغليس : السير
 بغلّس ، وهو ظلمة آخر الليل ؛ يقال غلّسنا الماء أى وردناه بغلّس . والنهل :
 الشربة الأولى ؛ والعلل الشربة الثانية : قال الطوسي : قال أبو الوليد : أراد
 المنهل ، ولكنّه لم يستقم له البيت .

وترجمة كبيد تقدّمت في الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة^(٣) ومطلع
 هذه القصيدة :

(إِنَّ تَقْوَى رَبُّنَا خَيْرُ نَفْلٍ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّنَى وَالْعَجَلُ^(٤))
 أَحْمَدُ اللَّهِ ، فَلَا نِدَاءَ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ ، مَا شَاءَ فَعَلَ ا

(١) وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمائة .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٥٤٧ .

(٣) الخزائن ٢ : ص ٢٤٦ .

(٤) - : « وعجل » .

من هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ (١)
 قوله : خير نَفْلٍ ، هذه رواية الأصمعيّ ، وروى أبو عبيدة : (خير النَّفْلِ)
 والنفل : الفضل والعطية ؛ كذا قال الطوسي : واستشهد صاحب انكشاف
 بهذا البيت في سورة الأنفال على أَنَّ النَّفْلَ بالتحريك الغنيمة . وأصله الزيادة ،
 ولهذا يقال هذا نَفْلٌ أى فَضْلٌ وزيادة ؛ ومنه النافلة في الصلاة . والزَّيْتُ مصدر
 رِثْتُ أَرِيتُ : إذا أَبْطَأْتُ .

قال السيّد المرتضى في أماليه (١) : ومَنْ قِيلَ إِنَّهُ عَلَى مَذْهَبِ الْجَبْرِ مِنَ
 المشهورين ، لبيدُ بن ربيعة العامريّ واستدلّ بقوله :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرُ نَفْلٍ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَالْعَجَلُ
 مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وإن كان لا طريق إلى نَسَبِ الْجَبْرِ إلى مذهب لبيدٍ إلا هذان البيتان ،
 فليس فيهما دلالة على ذلك . وأمّا قوله : وبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَالْعَجَلُ ، فيحتمل
 أَنْ يريد بعلمه ، كما يُتَأَوَّلُ عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٢) : أى بعلمه . وإن قيل في هذه الآية أنه أراد : بتخليته
 وتمكينه — وإن كان لا شاهد لذلك في اللغة — أمكن مثله في قول لبيد .
 وأمّا قوله : مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى ، فيحتمل أن يكون مصروفاً إلى بعض
 الوجوه التي يُتَأَوَّلُ عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن ، ممّا يليق
 بالعدل ولا يقتضى الإيجاب ، اللهم إلا أن يكون مذهب لبيد في الإيجاب معروفاً
 بغير هذه الآيات ، فلا يُتَأَوَّلُ نه هذا التأويل ، بل يحتمل على مراده ، على
 موافقة المعروف من مذهبه . انتهى كلامه .

* * *

(٢) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

(١) أمالي المرتضى ١ : ٢١ .

وأنشد بعده ؛ وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد اللاتين :

﴿ ٢٢٩ ﴾ وما اغترَّه الشَّيبُ إِلَّا اغترَّاراً (١) *

على أن ما بعدَ إِلَّا مفعول مطلق مؤكِّد للفعل قبله .

٣١

ووجه الشارحُ المحققُ صَحَّةَ التفرُّيعِ في المفعول المطلق المؤكِّد . وقوله :
 إِنَّ ابْنَ يَعِيشَ قَالَ : أصله وما اغترَّه اغترَّاراً إِلَّا الشَّيبُ ، فقدَّم وأخر . فهذا ؛
 القول إنما هو لِابْنِ عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَابْنِ يَعِيشَ مسبوقُ به . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ
 فِي الْمَغْنِيِّ : قَالَ الْفَارِسِيُّ : إِنَّ إِلَّا قَدْ تَوَضَّعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا مِثْلُ : ﴿ إِنَّ نَظْنَ
 إِلَّا ظَنًّا ﴾ (٢) . وقوله :

وما اغترَّه الشَّيبُ إِلَّا اغترَّاراً

لأنَّ الاستثناءَ المَفْرَغَ لا يكونُ في المفعول المطلق التوكيدي ، لعدم الفائدة
 فيه . وأجيب : بأنَّ المصدرَ في الآية والبيت نوعيٌّ على حذف الصفة ، أي
 إِلَّا ظَنًّا ضَعِيفًا ، وَإِلَّا اغترَّارًا ضَعِيفًا . انتهى . وكذا قال الخُفَّافُ الإشبيليُّ في
 شرح الجمل : قال : وهذا عندي أن تكونَ إِلَّا في موضعها ، ويكونَ ممَّا
 حُذِفَ فيه الصفةُ لفهم المعنى ، كأنَّه قال : إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا ضَعِيفًا ، وما اغترَّه
 الشَّيبُ إِلَّا اغترَّارًا بَيْنًا (٣) . وهذا أولى لأنَّه قد ثبت حذفُ الصفة ولم يثبت
 وضْعُ إِلَّا في غير موضعها . . وهذا جوابُ ثانٍ ، لكنَّ جوابَ الشارحِ
 المحقق أدق .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(١) ديوان الأعشى ٣٥ وابن يعيش ٧ : ١٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٤٠ ،

(٢) الآية ٣٢ من سورة الحانية .

(٣) كذا في النسختين ، ولها « هينا » .

(أَحَلَّ لَهُ الشَّيْبُ أَثْقَالَهُ)

وأحلّ: أنزل؛ والإحلال: الإنزال. والأثقال: جمع ثقل بفتحين، وهو متاع المسافر وحشمه.

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون، وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب^(١). وهذا مطلع القصيدة:

(أَأْزَمْتَ مِنْ آلِ لَيْلٍ ابْتِكَارًا وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تَزَارَا

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّلَاثُونَ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ:

٢٣٠ (يُطَالِبُنِي عُمَى ثَمَانِينَ نَاقَةً وَمَالِي يَا عَفْرَاءَ إِلَّا ثَمَانِيَا^(٢))

على أن الفراء يُجِيزُ النصب على الاستثناء المفرغ، نظراً إلى المقدّر؛ استدلالاً بهذا البيت: فإن المستثنى منه محذوف تقديره: ومالي نوق إلا ثمانيا. وردّه الشارح المحقق بما ذكره^(٣).

أقول: هذا البيت من قصيدة نونية طويلة، عدّها ثلاثة وسبعون بيتاً، لعروة بن حزام العُدْرِيّ. والبيت قد تحرّف على من استشهد به، وروايته هكذا:

(يُكَلِّفُنِي عُمَى ثَمَانِينَ بَكْرَةً وَمَالِي يَا عَفْرَاءَ غَيْرُ ثَمَانٍ)

وروى أيضاً:

(يُكَلِّفُنِي عُمَى ثَمَانِينَ نَاقَةً وَمَالِي وَالرَّحْمَنُ غَيْرُ ثَمَانٍ)

(١) الخزانة ١: ص ١٧٥

(٢) ديوان عروة ٤ وأمالى القالي ٣: ١٦٠ برواية: ٦ هجر ثمان.

(٣) شرح الرضى على الكافية ١: ٢١٧.

وعلى هذا فالاستثناء على الطريقة المألوفة .

وهذه القصيدة ثابتة في ديوانه أقل مما ذكرنا ، وعدتها على مافيه ثلاثة وثلاثون بيتاً ، وأوردها بالعدد الأول^(١) القالى في آخر ذيل أماليه وفي أوّل نواذره^(٢) . وقد ترجعنا عروة بن حزام مع عفراء العذريين ، وذكرنا حكايتهما مفصلة في الشاهد السادس والتسعين بعد المائة^(٣) .

والقصيدة غرامية فلا بأس بإيرادها ، لانسجامها ورقبها ، وأخذها بمجامع القلوب . قال القالى في الذيل وفي النواذر : قال أبو بكر : وقصيدة عروة النونية يختلف الناس في أبيات منها ، ويتفقون على بعضها ؛ فأول الأبيات المجمع عليها وما يتلوها ، مما لا يختلف فيه ، أشدني جميعه أبي رحمه الله ، عن أحمد بن عبيد وغيره ، وعبد الله بن خلف الدلال عن أبي عبد الله السدوسي ، وأبو الحسن بن براء عن الزبير بن بكار ؛ وألفاظهم مختلطة بعضها ببعض :

(خَلِيلِي مِنْ عَلِيَا هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ بصنعا عوجا اليوم وانتظرائي
ولا ترهدا في الأجر عندي وأجمل فانكما بي اليوم مبتليان
ألم تعلمنا أن ليس بالمرخ كله أخ وصديق صالح ، فذراني

(١) عدد أبياتها في الأمالي اثنان وثمانون ، لا ثلاثة وسبعون . وسيرد البغدادى هذه القصيدة ثلاثة وسبعين بيتاً ، فلملها كذلك في نسخة من الأمالي . وعدد أبياتها في الديوان ١٢٨ بيتاً .

(٢) الميمى : لا قرار له ، فتارة يسمى الجزء اللاحق بذيل الأمالي : صلة الذيل ، وأخرى : النواذر ، وأخرى غير ذلك . على أن هذه القصيدة ليست في آخر ذيل الأمالي بل هي مطلع صلة الذيل التي سماها هنا (النواذر) غلطاً . وانظر ٣ : ١٥٧ من الطبعة الثانية . والقصيدة أو بعضها في الأغاني ٢٠ : ١٥٤ والميمى ٢ : ٥٥٣ والسيوطى ص ١٤١ وتزيين الأسواق ص ٧٢ .

(٣) في هذا الجزء من الخزائن ص ٢١٥ .

أَفِ كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامَ بِلَادَهَا بَعَيْنَيْنِ إِنْسَانَاهَا غَرَقَانِ
 أَلَا فَاحِشَلَانِي، بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ الرُّوحَاءِ ثُمَّ دَعَانِي
 عَلَى جَسْرَةِ الْأَصْلَابِ نَاجِيَةِ الشَّرَى تُقَطِّعُ عَرَضَ الْبَيْدِ بِالْوَحْدَانِ
 أَلِمَا عَلَى عَفْرَاءٍ ، إِنَّكُمَا غَدَاً لَشَحَطِ النَّوَى وَالْبَيْنِ مُعْتَرِفَانِ^(١)
 فَيَا وَاشِيَّ عَفْرَا ، دَعَانِي وَنَظَرَةً تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ ، ثُمَّ كِلَانِي
 أَغَرَّ كَمَا مَنَى قَيْصٌ لِبَسْتِهِ جَدِيدٌ وَبُرْدَا يَمْنَعُهُ زَهْيَانِي^(٢)
 مَتَى تَرْفَعَا عَنِّي الْقَمِيصَ تَبَيَّنَا بَنِي الضَّرِّ مِنْ عَفْرَاءٍ يَافَتَيَانِ^(٣)
 وَتَعْتَرِفَا لِحْمًا قَلِيلًا وَأَعْظَمًا دَقَاقًا وَقَلْبًا دَائِمًا الْخَطْمَانِ
 عَلَى كَبْدِي مِنْ حُبِّ عَفْرَاءٍ قُرُوحَةٌ وَعَيْنَايَ ، مِنْ وَجْدٍ بِهَا ، تَكَيَّفَانِ
 عَفْرَاءُ أَرْجَى النَّاسِ عِنْدِي مَوَدَّةً وَعَفْرَاءُ عَنِّي الْمَعْرُضُ الْمَتَدَانِي

قال أبو بكر : قال بعض البصريين : ذَكَرَ الْمَعْرُضَ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ : وَعَفْرَاءُ
 عَنِّي الشَّخْصَ الْمَعْرُضَ . وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ : ذَكَرَهُ بِنَاءً عَلَى التَّشْبِيهِ ، أَيْ
 وَعَفْرَاءُ عَنِّي مِثْلَ الْمَعْرُضِ ، كَمَا يَقُولُ الْعَرَبُ : عَبْدُ اللَّهِ الشَّمْسُ مُنِيرَةٌ ، يَرِيدُونَ
 مِثْلُ الشَّمْسِ فِي حَالِ إِتَارَتِهَا .

فِيَا لَيْتَ كُلِّ اثْنَيْنِ بَيْنَهُمَا هَوًى مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ يَلْتَقِيَانِ^(٤)
 فَيَقْضَى حَبِيبٌ مِنْ حَبِيبِ لُبَانَةٍ وَيَرْعَاهُمَا رَبِّي فَلَا يُرِيَانِ
 وَيُرَوَّى : (فَيَسْتُرُهُمَا رَبِّي) عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ يَسْتُرُهُمَا ، فَسَكَنَ الرَّاءُ
 لِكثْرَةِ الْحَرَكَاتِ .

(١) فِي الدِّيْوَانِ وَالْأَغَانِي وَالْأُمَالِ : « بِشَحَطِ » .

(٢) فِي الدِّيْوَانِ : « زَهْوَانِ » ، وَفِي الْأُمَالِ : « زَهْيَانِ » .

(٣) ط : « الضَّدَّ » تَحْرِيفٌ ، وَفِي س : « الدَّاءِ » وَأَنْبَتَ مَافِي الدِّيْوَانِ وَالْأُمَالِ

وَفِي الدِّيْوَانِ أَيْضًا : « حَتَّى تَكْشِفَا عَنِّي الْقَمِيصَ » .

(٤) فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الْمَغْنَى لِلْسيوطي : « يَا تَلْهَانِ » .

وأورثتني غمًا وكرهًا وحسرةً وأورثت عيني دائمَ الهمَلانِ^(١)
فلا زلتَ ذا شوقٍ إلى مَنْ هويته وقلبك مقسومٌ بكلِّ مكانٍ
وإني لأهوى الحشرَ، إذ قيل إنني وعَفَاءَ يَوْمِ الحشرِ مُتَقِيَانِ
ألا يا غُرَابِي، دِمنَةُ الدارِ، بينَّا : أبا لهَجَرٍ مِنْ عَفَاءٍ تَنْتَجِبَانِ
فإن كان حقًّا ما تقولانِ فاذهبَا بلحمي إلى وَكْرِيكُمَا فَكَلَانِي
كِلَانِي أَكَلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ولا تَهْضِمَا جَنِيَّ وَاذْدِرْدَانِي
ولا يعلمَنَّ النَّاسُ مَا كَانَ مِيتَتِي وَلَا يَا كُنَّ الطَّيْرُ مَا تَذَرَانِ^(٢)
ألا لِمَنْ اللهُ الوُشَاةُ وقولهم : فَلَانَةُ أُمِّسْتُ خُلَّةً لِفُلَانِ
إذا ما جَلَسْنَا مَجْلِسًا نَسْتَلِذُهُ تَوَاشَوْا بِنَا، حَتَّى أَمْلَ مَكَانِي
تَكْنَفُنِي الْوَاشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَلَوْ كَانَ وَاشٍ وَاحِدٌ لَكَفَانِي
ولو كان وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ أَحَازِرُهُ مِنْ شَوْمِهِ ، لَا تَأْنِي^(٣)
يَكْلَفُنِي عَمِّي ثَمَانِينَ بَكْرَةً وَمَالِي وَالزَّحْمِ غَيْرُ ثَمَانٍ^(٤)
فِيَا لَيْتَ عَحْيَانَا جَمِيعًا ، وَلَيْتَنَا إِذَا نَحْنُ مُبْتَنَّا صَمْنًا كَفْتَانِ
وَيَا لَيْتَ أَنَا الدَّهْرَ فِي غَيْرِ رِيَّةٍ خَلِيَّانَ نَرَعِي الْقَفْرَ مَوْتِلِفَانِ
فَوَاللهِ مَا حَدَّثْتُ سِرِّكَ صَاحِبًا أَخَا لِي وَلَا فَاهَتْ بِهِ الشَّقَتَانِ
سِوَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ يَوْمًا لِصَاحِبِي ضَحَى وَقَلُّوْصَانَا بِنَا تَحْدَانِ
ضَحِيًّا وَمَسْتَنَّا جَنُوبٌ ضَعِيفَةٌ نَسِمْ لِرِيَاهَا بِنَا خَفَقَانِ^(٥)

(١) ط : « وأورثتني غمًا » ، وأثبت ما في سـ والديوان والامالي .

(٢) الديوان والامالي : « ما كان قصتي » .

(٣) في رواية بالديوان : « ودارى بأعلى حضر موت أتاني » .

(٤) الامالي : « ثمانين ناقة » .

(٥) ط : « ضحينا » صوابه في سـ والديوان والامالي .

تَحَمَّلْتُ زَفَرَاتِ الضَّحَى فَاطَّقْتُهَا وَمَالِي بِزَفَرَاتِ الْعَشِيِّ يَدَانِ
 فَيَا عَمٍّ لَا أُسْقِيتَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ بَلَاءٌ ، فَقَدْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ
 وَمَنْيَتَنِي عَفَاءٌ حَتَّى رَجَوْتُهَا وَشَاعَ الَّذِي مُنِيتُ كُلِّ مَكَانِ
 فَوَاللَّهِ لَوْلَا حُبُّ عَفَاءٍ مَا التَّقَى عَلَى رَوَاقٍ بَيْنَكَ الْخَلْقَانِ
 خَلِيقَانِ هَلْهَلَانِ لَا خَيْرَ فِيهِمَا قَبِيحَانِ يَجْرِي فِيهِمَا الْبِرْقَانِ (١)
 رَوَاقَانِ خَفَقَانِ لَا خَيْرَ فِيهِمَا إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ يَصْطَلِقَانِ (٢)
 وَلَمْ أَتَّبِعِ الْأَطْمَانَ فِي رَوْنَقِ الضَّحَى وَرَحَلِي عَلَى نَهَاضَةِ الْخَلْدِيَانِ
 لِعَفَاءٍ إِذْ فِي الدَّهْرِ وَالنَّاسِ غِرَّةٌ وَإِذْ خَلَقَانَا بِالصَّبَا يَسْرَانِ
 لَأَدْنُوْا مِنْ بِيضَاءِ خَفَاقَةِ الْحَشَا بُنْيَةً ذِي قَاذُورَةٍ شَنَّانِ
 كَأَنَّ وَشَاحِيَهَا إِذَا مَا ارْتَدَّتْهُمَا وَقَامَتْ ، عِنَانًا مُهْرَةً سَلِسَانِ
 يَعْصُ بِأَبْدَانٍ لَهَا مَلْتَقَاهَا وَمَشَاهَا رِخْوَانٌ يَضْطَرِيَانِ (٣)
 وَتَحْتَهُمَا حِقْفَانِ قَدْ ضَرَبَتْهُمَا قِطَارٌ مِنَ الْجُوزَاءِ مُلْتَبِدَانِ (٤)
 أَعْفَاءُ كَمْ مِنْ زَفَرَةٍ قَدْ أَذْقَنِي وَحُزْنِ أَلَجَّ الْعَيْنِ فِي الْهَمَلَانِ (٥)

(١) عجزه في الديوان : « إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ يَصْطَلِقَانِ » ، وما هنا يطابق ما في الأُمالي . وفي البيت إقواء .

(٢) ط : « رَوَاقٌ » ، صوابه في سـ والأُمالي . وفي الأُمالي : « رَوَاقٌ هَفَاقَانِ » ، وفي الديوان :

رَوَاقَانِ تَهْوِي الرِّيحُ فَوْقَ ذُرَاهِمَا وَبِالْبَيْلِ يَرَى فِيهِمَا التَّلْقَانِ

(٣) كذا في النسختين ، والذي في الديوان والأُمالي : « وَمَشَاهَا » وما صحيحان

(٤) ط : « خَفَقَانِ » ، صوابه في سـ والديوان والأُمالي .

(٥) في النسختين : « أَلَجَّ » صوابه في الديوان والأُمالي ، وقال اللحياني في تفسير قوله تعالى : « وَبَعْدَ فِي طِفْلَانِهِمْ يَعْصُونَ » ، أَيْ يُلْجِمُ ، قَالَ ابْنُ سِيدَةَ : فَلَا تُدْرَى أَمِنْ الْعَرَبِ سَمِعَ يُلْجِمُ ، أَمْ هُوَ ، إِدْلَالٌ مِنَ اللَّحْيَانِ وَتَجَاسُرُ .
 قلتُ : البيت شاهد على تمديد أَلَجَّ ، فليس إدلالاً من اللحياني .

وعينان ما أوفيتُ نَشْرًا فتنظرا بأقبيها إلا هما تكفان^(١)
 فهل حاديا عفراء - إن خِفْتُ فوثها على ، إذا ناديتُ - مُرعويان
 ضرُوبان للتألى القَطُوفِ إذا وَثَى مُسِيجان من بقضائنا حَذِران^(٢)
 فما لكما من حاديين ! رُميتما بحمى وطاعونٍ ، ألا تقفان
 وما لكما من حاديين ! كُسيتما سراييل مُغلاةً من القَطِران
 فويلي على عَفراء ويلاً كأنه على الكبدِ والأحشاء حرٌّ سنان^(٣)
 ألا حبذا من حبٍّ عَفراء « ملُتقى نَعَمْ والألا » حيثُ يلتقيان
 قال أبو بكر : أخبرني أبي عن الطوسي قال : أراد بقوله : ملُتقى نَعَمْ
 والألا ، شغبتها ، لأنَّ الكلمتين في الشفتين تلتقيان . ورؤى :

ألا حبذا من حبٍّ عَفراء ملُتقى نَعَام وبرِّكٍ حيثُ يلتقيان^(٤) ،
 وقيل^(٤) : هما موضعان .

لو أنَّ أشدَّ الناس وجداً ومثله من الجنِّ بعدَ الإنس يلتقيان ،
 فيشتكيان الوجدَ ثُمَّتْ أَشْتكى ، لأضعفَ وَجْدِي فوقَ ما يجيدان
 فقد تَرَكْتَنِي ما أَعِىَ لمحدث حديثاً وإنْ نالجيته ونجاني
 وقد تَرَكْتُ عَفراءَ قلبي كأنه جَنَاحُ غُرَابٍ دائمُ الخفقانِ

* * *

(١) ط : « إذا دنا » صوابه في سـ والديوان والامالي ،

(٢) في الديوان والامالي : « حد سنان » .

(٣) ط : « عذراء » صوابه في سـ مع أثر تصحيح ، ومن الديوان والامالي

ومعجم البلدان بوسم (البُرك) .

(٤) في الديوان والامالي : « وقال » ، يعني الطوسي .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائتين :
 ٢٣١ (مَهَا مَهَا وَخُرُوقًا لَا أَنْيسَ بِهَا إِلَّا الصَّوَابُ وَالْأَصْدَاءُ وَالْبُومَا^(١))
 على أنَّ النصب فيه قليل ، كقوله : لا أحدَ فيها إلَّا زيدا .
 وفيه أن البيت من الاستثناء المنقطع ، فإنَّ الصواب وما بعده ليست من
 جنس الأنيس ، بخلاف المثال فإنه استثناء متصل .
 والبيت قد أنشده الفراء للنَّصْب على الاتقطاع ، كما نقله السيد المرتضى
 فى أماليه عند الكلام على قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يموتُ لمؤمنٍ
 ثلاثةٌ من الأولاد^(٢) فتمسُّه النارُ إلَّا نَحْلَةً الْقَسَمِ » قال : الاستثناء منقطع ،
 كأنه قال : [فتمسُّه النار^(٣)] ، لكنَّ نَحْلَةً اليَمِينِ ، أى لكنَّ ورودَ
 النار لا بدَّ منه ؛ فجَرى مجرى قول العرب : سار الناس إلَّا الأتقال^(٤) ،
 وأنشد الفراء :

مَهَا مَهَا وَخُرُوقًا لَا أَنْيسَ بِهَا البيت^(٥)
 وهذا البيت آخر أبيات عدتها أحد عشر بيتاً للأبجد بن يعقوب ؛
 وهى [فى] آخر [المفضليات^(٦)] :

(قد أصبحَ الحبلُ من أسماءِ مصروماً بعد ائتلافٍ وحبٍّ كان مكنوماً
 واستبدلت خلةً منى ، وقد علمت أن لن أبيت بوادى الخسفِ مذموماً

٣٥

(١) المفضليات ٤١٩ وأمالي المرتضى ٢ : ٥٢ .

(٢) كذا فى ط والأمالى . وفى س : « الولد » وفى هامشها : « غ : الأولاد »
 أى فى نسخة .

(٣) التكملة من س والأمالى .

(٤) بعده فى أمالي المرتضى : « وأرتحل العسكر إلَّا أهل الخيام » .

(٥) الذى فى الأمالى : « مَهَا مَهَا وَخُرُوقًا » ، وفى الأمالى وشرح الكافية لرضى
 ١ : ٢٢٠ : « إلَّا الصَّوَابُ » ، وصحلت فى الرضى بجاءت « إلَّا الصَّوَابُ » .

(٦) س ٨٤٦ — ٨٤٩ .

عَفَّ صَلِيبٌ إِذَا مَا جُلْبَةٌ أَزَمَتْ مِنْ خَيْرِ قَوْمِكَ مَوْجُوداً وَمَعْدُوماً
لَمَّا رَأَتْ أَنْ شَيْبَ الرَّأْسِ شَامِلُهُ بَعْدَ الشَّبَابِ ، وَكَانَ الشَيْبُ مُسْتُوماً
صَدَّتْ وَقَالَتْ : أَرَى شَيْباً تَفَرَّعَهُ إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِى يَعْلُو الْجُرَاثِمَا
كَانَ رَيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ صِرْفاً تَخَيَّرَهَا الْحَانُونُ خُرْطُومَا
سُلَاقَةَ الدَّنِّ مَرْفُوعاً نَصَائِبُهُ مَقْلَدَ الْفَعْوِ وَالرَّيْحَانِ مَلْثُومَا
وَقَدْ نَوَى نِصْفَ حَوْلٍ أَشْهُراً جَدّاً بِيَابِ أَفَانٍ يَبْتَارُ السَّلَالِمَا
حَتَّى تَنَاولَهَا صَهْبَاءُ صَافِيَةٌ يَرْشُو التَّجَارَ عَلَيْهَا وَالتَّرَاجِمَا
وَمَحْمَةِ الشَّمْسِ شِمْلَالٍ قَطَعَتْ بِهَا أَرْضاً يَحَارُ بِهَا الْهَادُونُ دَيْمُومَا
مَهَامِهَا وَخُرُوقاً لَا أُنَيْسَ بِهَا الْبَيْتِ)

قوله : قد أصبح الجبل ، هو الوصل . والمصروم : المقطوع . وقوله :
واستبدكت خلة الخ الخلة : الخليل ، وهو فى الأصل مصدرٌ ولهذا يكون للواحد
والجمع والمؤنث . قال الأصمعيّ : الخسف : الدّل ؛ وأصله أن تبيت الدابة
على غير علف ، ثم أطلق على من أقام على ذلّ . وقوله : عَفَّ صَلِيبٌ .
إلى آخره ، الصليب : الجلد على المصائب ، الصبور على النوائب . والجلبية ،
بضم الجيم وبالموحدة . القحط . ورؤى : (إذا ما أزممة أزمّت) والأزممة :
الشدة ؛ وأزمّت : اشتدت ، من باب ضرب ؛ وأصل الأزمم العَضُّ بالأسنان
يقول : أنا صبورٌ على النوائب فى الجذب ، حيث لا يقوم أحدٌ بحقّ ينوبه ،
لشدة الزمان . والموجود : الحى ؛ والمعدوم : الميت . وقوله : وكان الشيبُ
مستوماً ، قال الضّبيّ : مستوم : مملول ، مفعول من سَمِته سامةً ، إذا ملته .
وقوله : أرى شيباً تفرّعه ، قال الضّبيّ : تفرّعه أى صار فى فروعِهِ ، وفروع
كلّ شئ : أعلاه . والجُرْثُومَة ، بالضم : أصل الشجرة تجمع إليها الرياحُ

التراب . يريد : أن الشباب يعلو ويرتفع مالا يقدر عليه الشيوخ ؛ وإنما هذا مثل . وقوله : كَانَ رِيْقَهَا الْح ، اغْتَبَقْتُ مِنَ الْغَبُوقِ وَهُوَ شَرْبُ الْعَشْيِ . وَانْصِرْف : مَا لَمْ يُنَزَّج . وَالْحَانُونَ : جَمْعُ حَانَ بِالْمُهْمَلَةِ ، وَهُوَ الْحَمَارُ . وَانْخَرَطُومَ : أَوَّلُ مَا يَنْزِلُ مِنَ الدَّنِّ ^(١) شَبَّهُ رَائِحَةَ فِيهَا وَطَعْمَ رِيْقِهَا بَعْدَ الْبَكْرِى بِرِيحِ احْمَرِ السَّرَفِ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِنَّمَا خَصَّ الْغَبُوقُ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَوْمِهَا ؛ قَالَ : وَإِنَّمَا خَصَّ الْحَانِينَ لِأَنَّهُمْ أَبْصَرُ بِالْحَمْرِ مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقَوْلُهُ : سَلَاةَ الدَّنِّ الْح قَالَ الضِّيُّ : أَرَادَ بِالْمَرْفُوعِ نَصَائِبُهُ الْإِبْرِيْقُ يُقْلَدُ الرِّيحَانَ . وَنَصَائِبُهُ : قَوَائِمُهُ . وَالْفَعْوُ ، بَفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ : ضَرْبٌ مِنَ النَّبْتِ يَكُونُ طَيِّبًا ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ الْحِنَاءُ ، وَهُوَ الْفَاغِيَّةُ . وَقَالَ أَحْمَدُ : نَصَائِبُهُ مَا انْتَصَبَ عَلَيْهِ الدَّنُّ مِنْ أَسْفَلِهِ ، وَهُوَ شَيْءٌ مُحَدَّدٌ دَقِيقٌ ؛ يُجْعَلُ لَهُ ذَلِكَ لِيُرْفَعَ الدَّنُّ لِلرِّيحِ وَالشَّمْسِ . يَقُولُ : قُلْدَ هَذَا الدَّنُّ الرِّيحَانَ . وَهَذَا مِثْلٌ ؛ يَقُولُ : مِنْ طَيِّبِ رَائِحَتِهِ كَأَنَّهُ قُلْدَ الرِّيحَانَ وَلِلْسُكِّ . وَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْفَعْوُ يَرِيدُ رِيحَ الرِّيحَانَ . وَيُرْوَى (الرِّيحَانَ) نَصْبًا وَخَفْضًا . وَقَوْلُهُ : وَقَدْ نَوَى نِصْفَ حَوْلِ الْح ، بَابُ أَفَّانَ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : مَوْضِعٌ . وَيَبْتَارُ : يَخْتَبِرُ وَيَتَحَنَّنُ . وَالسَّلَالِيمُ : مَا يَتَّصِلُ بِهِ إِلَى حَاجَتِهِ . وَرَوَى (يَبْتَنَاعُ) ^(٢) . وَالْمَعْنَى : يَصُونُهَا فِي مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ . وَأَنْكَرَ أَحْمَدُ مَا قَالَ الضِّيُّ فِي الْإِبْرِيْقِ وَقَالَ : لَمْ يَذْكُرِ الْإِبْرِيْقُ بَعْدَ ، وَإِنَّمَا نَوَى نِصْفَ حَوْلِ لِيَشْتَرَى الْحَمْرَ ، أَيْ فَيُؤْتَى بِطَلْبِهَا ، لَمْ يَشْتَرِهَا بَعْدَ ؛ وَكَيْفَ يَجْعَلُهَا فِي الْأَبَارِيْقِ ؟ وَإِنَّمَا هُوَ يَبْتَارُ : يَصْعَدُ سُلْمًا بَعْدَ سُلْمٍ ، لِأَنَّهَا وُضِعَتْ عَلَى السُّطُوحِ لِبُرُوزِ الشَّمْسِ وَالرَّجَحِ . وَقَوْلُهُ : حَتَّى تَنَاوَلَهَا الْح ، قَالَ الضِّيُّ : الصَّهْبَاءُ مِنْ عِنَبٍ أَيْضَ ، وَالصَّافِيَةِ : الْخَالِصَةِ . وَالتَّيْجَارُ : جَمْعُ تَاجِرٍ ، وَهُمْ تُجَّارُ احْمَرِ . وَالتَّرَاجِمُ : خَدَمٌ

(١) ط : « الدم » صوابه في سـ وشرح الأنباري للمفضليات ٨٤٨ .

(٢) ط : « يبتناع » بالنون ، صوابه في سـ وشرح المفضليات ٨٤٩ .

من خَدَمَ الحَمَّارِينَ ؛ ويقال : يريد التراجمة ، لأنَّ باعةَ الحمرِ عَجَمٌ يحتاجون إلى من يُفهمُ الناسَ كلامَهُمْ . وقوله : وَسَمَّحَةَ الْمَشَى ، الواو واو رب . والسَّمَّحَةُ : السَّهْلَةُ . والدَّيْمُوم : القَفَرُ التي لا ماء فيها ولا عِلْم . والسَّمَلال : السريعة .

وقوله : (مهامها .. الخ) هو بدلٌ من قوله : أرضا ، في البيت السابق . والمهمة : القفر . (والأنيس) : مَنْ يُؤْنَسُ بِهِ وإليه . و (الضوايح) : جمع ضابح ، بالضاد المعجمة وبالموحدة والخاء المهملة ، وهو الثعلب ؛ والضَّبَّاح بالضم : صوته . و (الأصدا) : جمع صدَى ، وهو ذِكر البُوم . و (الخروق) : جمع خرق ، بفتح الخاء المعجمة وآخره قاف ، وهى الفلاة التى تنخرق فيها الرياح .

وترجمة الأسود بن يعفر تقدّمت فى الشاهد الرابع والستين^(١) .

* * *

وأُشْدَ بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه^(٢) :

٢٣٢ (ولا أَمَرَ لِلْمَعْصَى إِلَّا مُضِيعًا)

هذا عجزٌ . وصدره :

(أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ الْيَوَى)

لما تقدّم قبله . وقوله : وقال الخليل : مضِيعًا حالٌ الخ ، بهذا يسقط قولُ

(١) فى الخزانة ١ : ص ٤٠٥

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٢ ، وانظر نوادر أبى زيد ١٥٣ والفضليات ٣٢ وناقض جرير والاختل ٩٤ .

الأعلم حيث قال في شرح شواهد سيبويه : « الشاهد فيه نصب مضارع على الحال من الأمر ، وهو حال من النكرة ، وفيه ضعف لأن أصل الحال أن يكون للمعرفة » انتهى .

وأقول : إن جعلَ حالاً من الضمير المستقر في قوله : للمعصي ، فإنه خبر لا النافية ، فلا يرد عليه ما ذكر .

وقال النحاس : « ويجوز أن يكون حالاً للمضمر ؛ التقدير : إلا أمراً في حال تضييعه ، فهو حال من نكرة » .

أقول : هذا التقدير يقتضي أن يكون مضارعاً صفة لا حالاً .

وقال الأعلم : « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير : إلا أمراً مضارعاً . وفيه قبح ، لوضع الصفة موضع الموصوف » .

أقول : لا قبح ، فإن الموصوف كثيراً ما يُحذف لقرينة .

وقال ابن الأنباري في شرح للفضليات : « الاستثناء منقطع ، ولو رفع في غير هذا الموضع لجاز بجمله خبراً لـ لا » .

أقول : يجب حينئذ أن يقال ولا أمراً للمعصي بالتنوين إلا ؛ هذا مذهب البغداديين .

وهذا البيت من أبيات السكّجبة العرني ، وقد شرحناها وذكرنا مواردها مفصلاً وترجمناه في الشاهد الحادي والستين^(١) .

* * *

وأُتشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائتين :

(١) الخزانة ١ : ص ٣٨٨ وما بعدها وقد وقع البغدادى فيما نبه عليه هناك من أن العرني تحريف وأن الصواب (عربى) وقد صححه الشنقيطى فى نسخته .

٢٣٣ (رَأَيْتُ النَّاسَ مَا حَاشَا قُرَيْشًا فَإِنَّا نَحْنُ أَفْضَلُهُمْ فَعَلَا^(١))
على أن الأَخْشَ رَوَى حَاشَا مَوْصُولَةً بِمَا الْمَصْدَرِيَّةُ .

قال ابن عَقِيل في شرح التسهيل : وسببوه منع من دخول ما على حاشا ،
٢٧ قال : لو قلت أَنُونِي مَا حَاشَا زَيْدًا ، لم يكن كلاما . وأجازه بعضهم على قلة ..
وأخطأ العيني حيث زعم أن ما هنا نافية ، فإن مراد الشاعر تفضيل قومه
على ما عدا قريشاً ، لا تفضيل قومه على قريش أيضاً . وقياسه^(٢) على قول
النبي ﷺ : أَسَامَةُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَا حَاشَا فَاطِمَةَ . في أن ما نافية ، كما قال
صاحب المغني ، يرده أنه صرّح أن ما في البيت مصدرية ، فإنه قال : « وتوهم
ابن مالك أن ما في الحديث ما المصدرية وحاشا الاستثنائية ، فاستدل به على أنه
قد يقال قام القوم ما حاشا زَيْدًا ؛ كما [قال^(٣)] رأيت الناس ما حاشا قريشاً ..
البيت انتهى كلام المغني .

و (رَأَيْتُ) : من الرؤية القلبية ، تطلب مفعولين ، والثاني هنا محذوف
تقديره : دوننا ، أو الجملة الاسمية هي المفعول الثاني والنساء زائدة كما قال
الدمامي . وزعم العيني ، وتبعه السيوطي في شواهد المغني : أن رأيت من
الرأي ، ولهذا اكنني بمفعول واحد . وهذا لا معنى له هنا . فتأمل . وروى
أيضاً : (فَأَمَّا النَّاسُ مَا حَاشَا قُرَيْشًا) فالفاء في المصراع الثاني فاء الجواب .
و (الفَعَالُ) بفتح الفاء قال ابن الشَّجَرِي في أُماليه : هو كُلُّ فَعْلٍ حَسَنٍ :
من حلم ، أو سخاء ، أو إصلاح بين الناس ، أو نحو ذلك . فإن كُثِرَتْ فَاوُهُ
صَلَحَ لَمَّا حَسُنَ مِنَ الْأَفْعَالِ وَمَا لَمْ يَحْسُنْ .

(١) العيني ٣ : ١٣٦ والهمع ١ : ٢٣٣ وشرح شواهد المغني ١٢٧ والاشموني

٢ : ١٢٥ والتصريح ١ : ٣٦٥ .

(٢) الضمير هائد إلى العيني . وانظر العيني ٣ : ١٣٦ والمغني (مبحث حاشا) .

(٣) التثنية من المغني .

وهذا البيت قال العيني ، وتبعه السيوطي : إنه للأخطل من قصيدة .
وقد راجعت ديوانه مرتين ولم أجده فيه ، ورأيت فيه أبياتاً على هذا الوزن
يهجو بها جريراً ويشتخر بقومه فيها ، وليس فيها هذا البيت ، وأول
تلك الأبيات :

لقد جارت يا ابن أبي جرير عذوماً ليس ينظرك المِطالاً^(١)
والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من
شواهد سيبويه^(٢) :

٢٣٤ (سُبْحَانَهُ نَمَّ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ وَقَبَلْنَا سَبْحَ الْجُودِيِّ وَالْجُمْدِ)
على أن سبحان الله فيه بمعنى سبحاناً . يريد : أن سبحان غير علم ،
لجيشه نكرة كما هنا ، ومعرفاً بالإضافة وباللام كما بينه في باب العلم . ويأتي
الكلام عليه إن شاء الله .

وأشده سيبويه على أن تنكيهه وتنوينه ضرورة ، والمعروف فيه أن
يضاف أو يحمل مفرداً معرفة ، كقوله :

سُبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةَ الْفَاخِرِ^(٣)

(١) عذوماً ، من العذم ، وهو العض بالأسنان ، والعذوم : اللوام ، وأصله من العض .
ط : « عذوما » من العزم ، والوجه ما أثبت من سـ والديوان ١٦٣ .

(٢) في كتابه ١ : ١٦٤ . وانظر ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٠ ومعجم البكري
٣٩١ وابن عيمش ١ : ٣٧ ، ٤/١٢٠ ، ٣٦ وأمالى ابن السجري ١ : ٢/٣٤٨ : ٢٥٠ .
والجمع ١ : ١٩٠ .

(٣) للأعشى . انظر الشاهد التالي . وصدره :

* أقول لما جاءني غره *

صاحب
الشاهد

وهذا البيت من أبيات لورقة بن نوفل ، قالها لكفار مكة حين
راهم يعذبون بلالاً على إسلامه ، وهي ^(١) :

(لقد نصحت لأقوام وقلت لهم : أنا النذيرُ فلا يغزركم أحدُ
لا تعبدنَّ إلهاً غيرَ خالقكم فإن دُعيتُم فقولوا : دونه حدُّ ^(٢)
سبحانَ ذي العرشِ لا شيءَ يعادله ربُّ البرية فردُّ واحدٌ صمدٌ
سبحانه ثم سبحاناً نعوذُ به وقبلنا سبَحَ الجودي والجُمدُ ^(٣)
مُسخرٌ كلٌّ من تحت السماء له لا ينبغي أن يناوى ملكه أحدُ
لم تغر عن هُرمي يوماً خزائنه وأخلدَ قد حاولتُ عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ دانَ الشعوبُ له الجنُّ والإنسُ تجري بينها البرُدُ
لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المالُ والولدُ)

قوله : دونه حدُّ ، هو بفتح الحاء والdal المهملتين ، قال صاحب الصحاح :
دونه حدُّ أى منع . وأنشد هذا البيت . وهو من الحدِّ بمعنى المنع ، أى قولوا :
نحن نمنع أنفسنا من عبادةِ إله غير الله . . وقوله : (نعوذ به) أى كلما رأينا
أحدًا يعبد غير الله عذنا برحمته وسبحناه حتى يعصمنا من الضلال . وروى
الرياشي : (نعوذُ له) بالdal المهملة واللام ، أى نعوذه مرة بعد أخرى .
و (الجودي) : جبل بالموصل ، وقيل بالجزيرة ، كذا ورد في التفسير ؛
قال أبو عبيد في المعجم : روى أن السفينة استقلت بهم في اليوم العاشر من

(١) انظر الروض الأنف ١ : ١٢٥ والبداية والنهاية ٢ : ٢٩٨ والأغاني ٣ : ١٥
حيث نسب الشعر إلى ورقة بن نوفل . قال السهيلي : نسب أبو الفرج إلى ورقة . وفيها
أبيات تنسب إلى أمية بن أبي الصلت .

(٢) في الروض والأغاني : « حدُّ » .

(٣) الروض : « سبحاناً يدوم له » ، وفي الأغاني .

رجب ، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء من المحرم . وروى سعيد عن قتادة أن البيت بُني من خمسة أجبل : من طور سيناء ، وطور زيتا ^(١) ، ولبنان ، والجودي ، وحراء . والجعد (بضم الجيم والميم ، وتخفف الميم أيضاً بالسكون) . قال أبو عبيد : هو جبل يلقاه أسنمة ، قال نصيب ^(٢) :

وعن شمائلهم ألقاه أسنمة وعن يمينهم الألقاه والجعد

وقال في أسنمة : بفتح الألف وسكون السين وضم النون [وكسرهما معاً ^(٣)] وقال عمار بن عقيل : هي أسنمة بضم الهمة والنون ، وقال : هي رملة أسفل الدهناء على طريق فلج وأنت مصعد إلى مكة ، وهو نقاً محدّد طويل ، كأنه سنم انتهى . وروى أيضاً : (وقبل سبحة الجودي .. الخ) بضم لام قبل .. وقوله : لا ينبغي أن يناوى الخ ، أى يعادى ، وناواه : عاداه ؛ وأصله الهمز لأنه من النوء وهو الثؤوص . وروى : (أن يساوى) أى لا يعادله . وقوله : ولا سليمان إذ دان الخ ، دان بمعنى ذلّ وأطاع . والشعوب : جمع شعب ، بفتح فسكون ، وهو ما تشعب أى تفرّق من قبائل العرب والعجم ؛ وبينه هنا بقوله : الجن والإنس ؛ وضير بينها للشعوب . والبرد بضمّين . جمع برّيد ، وهو الرسول . وقوله : ويؤدى المال الخ ، يقال أودى الشيء : أى هلك ، فهو مؤدى .

(١) وطور زيتا ، ساقط من ط . وفي ش : « وطور تبناء » صوابه من معجم ما استعجم ٤٠٣ ، وتاريخ مكة للأزرقي ٣٠ . والأزرقي يروى الخبر عن زيد بن نافع عن سعيد عن قتادة . وفي النسختين ، وكذا في معجم البكري : « وروى أبو سعيد عن قتادة » ، وكلمة « أبو » مقحقة . وهو سعيد بن أبي عروبة . قال في التهذيب : « وقال ابن أبي خيثمة : أثبت الناس في قتادة سعيد بن أبي عروبة ، وهشام الدستوائي » .

(٢) في معجم ما استعجم ٣٩١ حيث نقل البغدادى : « النصيب » .

(٣) التكملة من معجم ما استعجم ١٥١ .

ورقة بن نوفل

ورقة بن نوفل يعدّ من الصحابة : وقد ألف أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي ، تأليفاً في إيمان ورقة بالنبي وصحبته له ، رحمه الله ، ولقد أجاد في جمعه ، وشدّد الإنكار على من أنكر صحبته ، وجمع فيه الأخبار التي نقلت عن ورقة ، رضى الله عنه ، بالتصريح بإيمانه بالنبي رحمه الله ، وسروره بنبوته ؛ والأخبار الشاهدة له بأنه في الجنة ، وما نقله العلماء من الأحاديث في حقّه ، وما ذكره في كتبهم المصنّفة في أسماء الصحابة ؛ وسمّى تأليفه : (بذل النصّح والشفقة ، للتعريف بصُحبة السيّد ورقة ، وقال في ترجمته : هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّي بن قصي ؛ يجتمع مع النبي رحمه الله في جدّ جدّه . قال الزبير بن سكرّ : كان ورقة قد كره عبادة الأوثان ، وطلب الدين في الآفاق ، وقرأ الكتب ؛ وكانت خديجة رضى الله عنها تسأله عن أمر النبي رحمه الله ، فيقول لها : ما أراه إلّا نبيّ هذه الأمة الذي بشر به موسى وعيسى . وقال ابن كثير ^(١) : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّي ذكراً لورقة — وكان ابن عمّها ، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس — ما ذكر لها غلامها ، يعني ميسرة ، من أمر الراهب [يعني الذي قال له لما نزل محمد رحمه الله تحت شجرة قريبة من الراهب ^(٢)] في السفرة التي سافرها لخديجة إلى الشام : ما نزل تحت هذه الشجرة إلّا نبيّ وما كان ميسرة يرى منه إذ كان الملكان يطلّانه ؛ فقال ورقة : إنّ كان [هذا ^(٢)] حقاً يا خديجة ، إنّ محمداً نبيّ هذه الأمة ، وقد عرفت أنّه كان لهذه الأمة نبيّ يُدْتَظَر ، هذا زمانه . قال : فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول : حتى متى ! وقال في ذلك :

٣٩

(١) البداية والنهاية ٢ : ٢٩٦ .

(٢) التكملة من ش .

لَجَجْتُ وَكُنْتُ فِي الدَّكْرِ الْجُوجَا لَهْمَ ظَالِمًا بَعَثَ النَّشِيجَا
ووصف من خديجة بعد وصف
بيطن المكتنين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجاً^(١)
بما خبرتنا من قول قسٍ من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيُسود يوماً ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نورٍ يُقيم به البرية أن تموجا^(٢)
فيلقى من يحاربه خساراً ويلقى من يسأله فلوجا^(٣)
فيالتي إذا ما كان ذاكم شهتُ وكنتُ أولهم ولوجا
أرجى بالذي كرهوا جميعاً إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمرُ السفاهة غيرُ كُفرٍ بمن يختارُ من ممك البروجا^(٤)
فان يبتوا وأبق تكن أمورُ يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل قتي سيلقى من الأقدار مُلقة خروجا^(٥)
ومات ورقة في فترة الوحي، رضى الله عنه، قبل نزول الفرائض والأحكام.

(١) في النسخين «المكتنين» صوابه في ش مع أثر إصلاح البداية والنهاية والسيرة
١٢١ والروض الأنف ١ : ١٢٥ قال السهيلي : « ثني مكة وهي واحدة لأن لها بطاحا
وظواهر » . وكانت قريش قبل الإسلام فريقين : أحدهما قريش الظواهر ، وم الذين
يتخرجون أن يبنوا إلى جنب بيت الله بيوتاً فتزلوا في ظواهر مكة ، والآخرين المقيمون
ببطحاء مكة مجاورين البيت ، كان يقال لهم قريش البطاح .

(٢) هذا يوضح معنى النور والضياء ، فالضياء هو المنتشر عن النور ، والنور هو
الأصل . عن السهيلي .

(٣) الفلوج : النصر والغلبة . ط : « من يحاربه » ، صوابه في ش والسيرة
والبداية والنهاية .

(٤) ط : « الشفاعة » صوابه في ش . وفي السيرة والبداية « السفالة » .

(٥) ط : « متلفه » صوابه في ش والسيرة والبداية .

وقال الزبير في كتاب نسب قريش : ورقة بن نوفل لم يعقب وقال رسول الله ﷺ : « لَا تَسْبُوا وَرَقَةَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ فِي ثِيَابٍ بَيْضٍ » . وهو الذي يقول (١) :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْرُوكَ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ بَمَا (٢)
يَجْزِيكَ أَوْ يُنْتِنِي عَلَيْكَ ، وَإِنَّ مَنْ أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى
وَمَرَّ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ يُعَذِّبُ بِرَمْضَاءِ مَكَّةَ فَيَقُولُ :
أَحَدًا ! أَحَدًا ! فَوْقَ عَلَيْهِ قَتَالُ : أَحَدُ أَحَدٍ وَاللَّهِ يَا بِلَالُ ! وَنَهَامَ عَنْهُ فَلَمْ
يَنْتَهُوا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَأَتَّخِذَنَّ قَبْرَهُ حَنَانًا ! وَقَالَ :

* لَقَدْ نَصَحْتُ لَأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ *

... الأبيات التي شرحناها وفيها بيت الشاهد .

وقد نسب هذه الأبيات إلى ورقة السهيلي أيضاً ، وكذا الحافظ أبو الربيع الكلاعي في سيرته . وقال السهيلي : قوله : حنانا ، أى لَأَتَّخِذَنَّ قَبْرَهُ مَسْكَا وَمُتَرَحًا ، والحنان : الرحمة .

وقد وقع بيت الشاهد في كتاب من غير ممزوء إلى واحد ، واختلف شراح شواهد ، فأكثرهم قال : إِنَّهَا لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وقال بعضهم : إِنَّهَا لِزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ . والصواب ما قدّمناه .

(١) البيتان التاليان نسباً أيضاً إلى الفريضي اليهودي وهو السموءل بن عادي . أو ابنه سعية بن غريضي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وزهير بن جناب ، ولعامر المجنون الجرمي الذي يقال له مدرج الريح ، قال أبو الفرج ٣ : ١٣ « والصحيح أنه لفريضي أو لابنه » ونسباً في السمت ٢٠٦ إلى ورقة كما هنا ، وكذلك في حاشية البحترى ٣٩٨ وجعله يهودياً . وفي الشراء ٣٤١ والمقد ١ : ٢٧٩ / ٥ : ٢٧٥ إلى زهير ابن جناب . وفي الآلى ٢٠٦ .

(٢) في الشراء والمقد « عواقب ماجنى » .

وحاصل ما ذكره البقاعي في شأن ورقة بن نوفل : أنه ممن وحد الله في الجاهلية ، فخالف قريشاً وسائر العرب في عبادة الأوثان وسائر أنواع الإشرار ، وعرف بعقله الصحيح أنهم أخطئوا دين أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام ، وحد الله تعالى واجتهد في تطلب الحنيفية دين إبراهيم ليعرف أحب الوجوه إلى الله تعالى في العبادة ، فلم يكنف بما هداه إليه عقله ، بل ضرب في الأرض ليأخذ علمه عن أهل العلم بكتب الله المنزلة من عنده ، الضابطة للأديان ، فأداه سؤاله أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم إلى أن اتبع [الدين ^(١)] الذي أوجبه الله في ذلك الزمان ، وهو الناسخ لشريعة موسى عليه السلام : دين النصرانية ، ولم يتبعهم في التبديل ، بل في التوحيد ، وصار يبحث عن النبي ﷺ الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام ، فلما أخبرته ابنة عمه الصديقة الكبرى خديجة رضوان الله عليها بما رأت وأخبرت به في شأن النبي ﷺ من الخيال : بإظلال النعام ، ونحوها ، ترجى أن يكون هو المبشر به ، وقال في ذلك أشعاراً يتشوق فيها غاية التشوق إلى إنجاز الأمر للموعود ، لينخلص من النصرانية إلى دينه ، لأنه كان قال يزيد بن عمرو بن نفيل — لما قال لهم العلماء : إن أحب الدين إلى الله دين هذا المبشر به — : أنا أستمروا على نصرانيتي إلى أن يأتي هذا النبي ! فلما حقق الله الأمر وأوقع الأرهاصات : بالسلم من الأشجار والأحجار على النبي ﷺ ، وبمناذاة إسماعيل عليه السلام للنبي ﷺ مع الاستئذان منه ، وخاف النبي ﷺ من ذلك فاشتد خوفه ، فنقل ذلك إلى ورقة رضى الله عنه ، اشتد سروره بذلك وثبته ، وشد قلبه وشجعه . فلما بدا له الأمر بفراغ نوبة إسماعيل وأتاه جبريل عليه السلام وفعل ما أمره الله به : من شق صدره

(١) التكملة من ش .

الشَّريف ، وغَسَلَ قلبه وإيداعِهِ الحِكمةَ والرحمةَ وما شاءَ اللهُ ، وتبدَّئَ له جبريلُ وأنزلَ عليه بعضُ القرآنِ وأخبره به ، قَفَّ شَعْرُ ورقةَ وسَبَّحَ اللهُ وقَدَّسه ، وعَظُمَ سروره بذلك ، وشهدَ أَنَّهُ أَنَاهُ الناموسُ الأَكْبَرُ الذي كان يَأْتِي الأنبياءَ قَبْلَهُ عليهم السلامُ ، وشهدَ أَنَّهُ الَّذِي أَنزَلَ عليه كلامُ اللهِ ، وشهدَ أَنَّهُ نَبِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وتَمَنَّى أَنْ يَعِيشَ إِلَى أَنْ يَجَاهِدَ مَعَهُ . هذا ، مع ما لَهُ بالنبيِّ عليه الصلاة والسلامُ وزوجِهِ الصِّدِّيقَةِ خَدِيجَةَ ، من عَظَمَ القُرْبِ ، والانتسابِ الموجِبِ للحُبِّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ !

ومن شعره :

أَتُبَكِّرُ أَمْ أَنْتَ المَشِيَّةُ رَاحُ وفي الصَّدْرِ من إِضْمَارِكَ الحَزْنَ قَادِحُ^(١)
لِفَرْقَةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبُّ فِرَاقِهِم كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِحُ
وَأَخْبَارِ صِدْقِ خَبْرَتِ عَن مُحَمَّدٍ يَجْبُرُهَا عَنْهُ إِذَا غَابَ نَاصِحُ
فَتَاكَ الَّذِي وَجَّهَتْ ، يَا خَيْرَ حُرَّةٍ بَغَوْرٍ وَبِالنَّجْدَيْنِ حَيْثُ الصَّحَاحُ^(٢)
إِلَى سَوَاقِ بُصْرَى فِي الرُّكْبِ الَّتِي غَدَتْ وَهَنْ مِنْ الْأَحْمَالِ قُعُصُ دَوَالِحُ^(٣)
يَجْبُرُنَا عَنْ كُلِّ حَبِيرٍ بَعْلِهِ وَلِلْحَقِّ أَبْوَابٌ لَهْنٌ مَفَاتِحُ^(٤)
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ مُرْسَلُ إِلَى كُلِّ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ
وَوَظَّنِّي بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا كَمَا أُرْسِلُ الْعُبْدَانُ : هُوْدُ وَصَالِحُ

(١) ط : « وفي الصبر » صوابه في ش والروض ١ : ١٢٧ والبداية ٢ : ٢٩٧

وفي ش : « قارح » .

(٢) ط : « وفي التجدين » ، وأثبت ما في ش والروض والبداية . وفي الروض : « فتاك التي وجهت » ، وفي البداية : « أذاك الذي وجهت » .

(٣) في ط : « ذوالج » صوابه في ش مع أثر تصحيح والروض الأتف والبداية . وهو من قولهم دلج بحمله ، إذا مشى به وقد أنقله .

(٤) الروض : « نجبرنا عن كل خير » والبداية « فينجبرنا عن كل خير » .

وموسى وإبراهيم ، حتى يرى له
ويتبعه حياً لئى بن غالب
فإن أبى حتى يدرك الناس أمره
ولأفانى يا خديجة ، فاعلمى ،
ومن شعره أيضاً :

وإن يك حقاً يا خديجة ، فاعلمى
وجبريل يأتيه وميكل فاعلمى ،
يفوز به من فاز فيها بتوىة
فريقان : منهم فرقة فى جنانه
فسبحان من تهوى الرياح بأمره
ومن عرشه فوق السماوات كلها
ومن شعره أيضاً :

يا للرجال وصرف الدهر والقدر
جاءت خديجة تدعوني لأخبرها
جاءت لتسألني عنه لأخبرها
فخبرتني بأمر قد سمعت به
بأن أحمد يأتيه فيخبره
فقلت عل الذى ترجين ينجزه
وما لشيء قضاء الله من غير^(٣)
وما لنا يحنى الغيب من خبر
أمرأ أراه سيأتى الناس من آخر
فيما مضى من قديم الدهر والمضى
جبريل أنك مبعوث إلى البشر
لك الإله فرجى الخبر وانتظري

(١) فى الروض والبداية : « حتى يدرك الناس دهره » .

(٢) أورد بطله فى البداية أبياتاً أربعة زادها الأموى .

(٣) فى الروض ١ : ١٢٥ : « لصرف الدهر » .

وأرسله إلينا كي نسأله عن أمره ، ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أنانا منطقاً عجباً يقف منه أعلى الجلد والشعر :
إني رأيت أمين الله واجهني في صورة أكلت من أعظم الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعري مما يسلم ما حولى من الشجر
قلت : ظني ، وما أدري أصدقني ، أن سوف يُبعث يتلو مُنزل السور (١)
وسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بلا من ولا كدر

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائتين ، وهو من
شواهد سيبويه (٢) :

٢٣٥ (سبحان من علقمة الفاخر)

هذا عجز ، وصدرة : (أقول لما جاءني فخره)

على أن ترك تنوين (سبحان) ليس لأنه غير منصرفٍ للملئية وزيادة
الألف والنون ، بل لأجل بقاءه على صورة المضاف لما غلب استعماله مضافاً
والأصل سبحان الله ، فحذف المضاف إليه للضرورة . وهذا ردُّ على سيبويه
ومن تبعه ، في زعمه أن سبحان علم غير منصرف . ويأتي إن شاء الله تعالى
بقية الكلام عليه في باب العلم .

قال الراغب : « قوله : سبحان من علقمة الفاخر » تقديره : سبحان
علقمة ، على التهكم ، فزاد فيه من ، ردّاً إلى أصله ؛ وقيل : أراد سبحان الله
من أجل علقمة ، فحذف المضاف إليه « ا هـ .

(١) الروض : « تبث تنو » .

(٢) في كتابه ١ : ١٦٣ . وانظر ديوان الأعشى ١٠٦ وابن عيش ١ : ٣٧ ،

١٢٠ وابن السجري ١ : ٣٤٧/٢ : ٢٥٠ ومجالس ثعلب ٢٦١ والخصائص ٢ : ١٩٧ ،

٤٣٥/٣ : ٤٢ والمجمع ١ : ١٩٠ .

٤٢

أقول : الوجه الأول ضعيفٌ لَمَّةً وصناعة : أما الأول فلأن العرب لا يستعملونه إلا مضافاً إلى الله ، ولم يسمع إضافته إلى غيره ؛ وأما صناعة فلأن من لا تزداد في الواجب عند البصريين - وسبحان في البيت للتعجب ، ومن داخلة على المتعجب منه ؛ والأصل فيه أن يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائه ، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه . قال بعضهم : يستلزم التنزيه التعجب من بعد ما نزه عنه من المنزه فكأنه قيل ما بعده منه ، فقد يقصد به التنزيه أصلاً والتعجب تبعاً ، كما في (سبحان الذي أسرى بعبده^(١)) وقد يقصد به التعجب ويجعل تنزيهه تعالى ذريعة له ، فيسبح الله عند رؤية العجيب من صنائه . ثم كثر حتى استعمل عند كل تعجب من شيء^(٢) كما في : (سبحانك هذا بهتان عظيم^(٣)) ١٠٠ هـ .. والمعنى أعجب من علقمة إذ فخر عامر بن الطفيل .

صاحب
الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون ، قبَّحه الله تعالى ! هجاها علقمة ابن عُلاتة الصحابي رضى الله عنه ، ومدح ابن عمه عامراً المذكور ، لعنه الله تعالى ! وغلبه عليه في الفخر .

سبب
القصيدة

وسبب هذه القصيدة أن علقمة بن عُلاتة الصحابي نافر ابن عمه عامر بن الطفيل عدو الله - والمنافرة : المحاكمة في الحسب والشرف - فهاج حكام العرب أن يحكموا بينهما بشيء - كما تقدم في الشاهد السادس والعشرين^(٤) ، ثم أن الأعشى مدح الأسود العنسي فأعطاه خمسمائة مثقال ذهباً^(٥) ، وخمسمائة

(١) الآية ١ من سورة الإسراء .

(٢) ط : « عند كل من يعجب من شيء » ، صوابه في ش .

(٣) الآية ١٦ من سورة النور .

(٤) انظر الخزانة ١ : ص ١٨٣ وما بعدها

(٥) الذي في الأغاني ٨ : ٨٠ : « فقال الأسود : ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضاً . فأعطاه خمسمائة مثقال ذهناً » ، وهو الوجه .

حُللاً وَعَنْبَرًا ، فخرج فلماً مرَّ ببلاد بنى عامر - وهم قوم علقمة وعامر - خافهم على مامعه ، فَأَتَى عِلْقَمَةَ بْنَ عُلَاثَةَ فَقَالَ لَهُ : أَجِرْنِي ! قَالَ : قَدْ أَجَرْتُكَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، قَالَ الْأَعَشَى : وَمِنْ الْمَوْتِ ، قَالَ : لَا . فَأَتَى عَامَرَ بْنَ الطَّفِيلِ فَقَالَ لَهُ : أَجِرْنِي ! قَالَ : قَدْ أَجَرْتُكَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؛ قَالَ الْأَعَشَى : وَمِنْ الْمَوْتِ ؟ قَالَ عَامَرُ : وَمِنْ الْمَوْتِ أَيْضًا ! قَالَ : وَكَيْفَ تُجِيرُنِي مِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : إِنْ مِتُّ فِي جَوَارِي بَعَثْتُ إِلَى أَهْلِكَ الْدَبَّةَ ! قَالَ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ أَجَرْتَنِي ! فَخَرَّضَهُ عَامَرٌ عَلَى تَغْيِيرِهِ عَلَى عِلْقَمَةَ ، فَغَلَبَهُ عَلَيْهِ بِقَصَائِدَ ، فَلَمَّا سَمِعَ عِلْقَمَةُ نَذَرَ لِيَقْتُلَنَّهُ إِنْ ظَفِرَ بِهِ ، فَقَالَ الْأَعَشَى هَذِهِ الْقَصِيدَةُ . ومطلعها :

(شَاكَكَ مِنْ قَتْلَةٍ أَطْلَلُمَا بِالشُّطِّ فَالْجَزَعُ إِلَى حَاجِرٍ ^(١)
 لَوْ أَسَدَتْ مِينًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ
 حَتَّى يَقُولُ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلَّيْتِ النَّاشِرِ
 دُعَهَا ، فَقَدْ أَعْذَرْتَ فِي ذِكْرَهَا ، وَادْكُرْ خَنِيَّ عِلْقَمَةَ الْخَاتِرِ
 أَسْفَهًا تُوَعِدُنِي جَاهِلًا لَسْتُ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْقَادِرِ ^(٢)
 يَخْلَفُ بِاللَّهِ : لَئِنْ جَاءَهُ عَنِّي نَبَأٌ مِنْ سَامِعٍ خَابِرِ ،
 لِيَجْمَلَنِي ضُحْكَةً بَعْدَهَا ، خُدِعْتُ يَا عَلَقْمُ مِنْ نَاذِرِ)
 إِلَى أَنْ قَالَ :

(١) فِي التَّامُوسِ (قَتْل) : « وَسَمُوا قَتْلَةَ كَعْبِيزَةَ » . وَفِي اللَّسَخَتَيْنِ : « قَبِيلَةٌ »
 صَوَابُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ ١٠٤ وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْفَنَى ٣٠٥ وَصَبِيحُ الْأَعْي ١ : ٢٨٨ حَيْثُ
 الْقَصِيدَةُ . وَقَتْلَةُ : فَتْنَةٌ لَأَلِ عَمْرُو بْنِ مَرْثَدَ ، كَانَ الْأَعْيُ قَدْ تَزَوَّجَهَا ، وَأَكْثَرُ مِنْ
 ذِكْرِهَا فِي شِعْرِهِ . . . انْظُرْ دِيَوَانَهُ ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ ، وَهِيَ الَّتِي يَسْبِيهَا حِينَا
 « قَتِيلَةٌ » .

(٢) ط : « فَسَفَهَا » وَأَثْبَتَ مَا فِي ش . وَفِي الدِّيَوَانِ : « أَجْذَعَا تُوَعِدُنِي سَادِرًا » .

(إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارِيْتُما
 مَا جَعَلَ الْجُدَّ الظَّنُّونَ الَّذِي
 مِثْلَ الْفُرَاتِي إِذَا مَا جَرَى
 أَقُولُ ، لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ :
 عَلِمْتُ لَا تَسْفَهُ وَلَا تَجْعَلُنْ
 وَأَوَّلَ الْحُكْمِ عَلَى وَجْهِهِ ،
 حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ
 لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ
 سُدَّتْ بَنِي الْأَحْصَى لَا تَعْدُهُمْ
 قَدْ قَلْتُ شَعْرَى فُضِيَ فَيْكَا
 بُيِّنَ لِلْسَامِعِ وَالنَّاطِلِ
 جُنِبَ صَوْبَ اللَّجْبِ الْمَاطِلِ
 يَقْدِفُ بِالْبُوصَى وَالْمَاهِرِ
 سُبْحَانَ مَنْ عِلْقَمَةُ الْفَاخِرِ
 عَرَضَكَ لِلْوَارِدِ وَالْعَادِرِ
 لَيْسَ قَضَائِي بِالْمَهْوَى الْجَائِرِ^(١)
 أَبْلَجَ مِثْلَ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ
 وَلَا يُبَالِي غَيْبَ الْخَاسِرِ
 وَعَامَرُ سَادَ بَنِي عَامَرِ^(٢)
 فَاعْتَرَفَ الْمَنْفُورُ لِلنَّافِرِ

وهي قصيدة طويلة ، ومنها :

ولستَ بالأكثر منه حصًى وإنما العزّة للكثير^(٣)

وسأني شرحه مع أبيات في باب أفعل التفضيل .

وقد نهى النبي ﷺ عن رواية هذه القصيدة ، ولهذا لم أذكرها كلها .

قال السيوطي في شرح شواهد المغنى : وعلقمة بن علاثة صحابي ، قُوم
 على رسول الله ﷺ وهو شيخ فأسلم وبايع ، وروى حديثاً واحداً . أخرج

(١) في الديوان : « أوّل » .

(٢) في الديوان : « لم تعدم » . وفي الأغاني ١٥ : ٥٥ والسيوطي : « إن تعد

الحوض فلم تعدم » .

(٣) المشهور في الرواية « منهم » . وقال البغدادى في الشاهد ٦١٧ : « والرواية

الصحيحة في هذا البيت — كما رواه أبو زيد في نواتره ، وهي ثابتة في ديوانه ويدل

عليها سياق الأبيات — إنما هي : « منه ، أي من عامر » . وأقول : الثابت في نواتر

أبي زيد ٢٥ : « منهم » مؤيداً بالتفسير . ففي تفسير النواتر : « أراد بأكثر منهم

حصى » . كما أن رواية الديوان هي « منهم » .

ابن منده وابن عساكر من طريق الأعمش عن أبي صالح قال حدثني علقمة ابن علاثة قال : أكلتُ مع رسول الله ﷺ رومساً . واستعمله عمر بن الخطاب على حوران ، فمات بها . وأخرج أبو نعيم والخطيب وابن عساكر عن محمد ابن مسleme قال : كنتُ عند النبي ﷺ وعنده حسان ، فقال : يا حسان أنشدنا من شعر الجاهلية ما عفا الله لنا فيه ، فأنشده حسان قصيدة الأعشى في علقمة ابن علاثة :

علمُ ما أنتَ إلى عامِرِ الناقضِ الأوتارِ والواترِ

فقال النبي ﷺ : يا حسان لا تُنشدني مثلَ هذا بعدَ اليوم ١ ، فقال حسان : يا رسولَ الله ، ما يمنعني من رجلٍ مُشركٍ هو عند قيصرٍ [أن^(١)] أذكرَ هجاءَ له ؟ فقال : « يا حسان إني ذُكرْتُ عند قيصرٍ وعنده أبوسفیان ابنُ حربٍ وعلقمة بن علاثة ، فأما أبوسفیان فلم يترك في ، وأما علقمةُ فحسن القول ، وإنه لا يشكرُ الله من لا يشكر الناس » فقال حسان : يا رسولَ الله ، من نالتك يدهُ وجبَ علينا شكرُهُ ! وقال وكيع ، في الغُرر ، عن الزُّهري : قال : رخص رسول الله ﷺ في الأشعار كلها ، إلا هاتين السكيتين^(٢) : التي قال أُمّيةُ بن أبي الصلتِ في أهل بدر^(٣) .

وإذا ببدرٍ فalcقن قَل من رازية ججاجيح^(٤)

والتي قال الأعشى في علقمة بن علاثة :

(١) التكلفة من ش وشرح شواهد المصنف ٣٠٧

(٢) الميمى : وثلاثة سَمَّى عنها . وهي للأفوه الأزدي . ومنها :

ريشت جُرم نبلا فرمى جرما منهن فوق وغرار

(٣) السيرة ٥٢١ والروض ٢ : ٦٤

(٤) في اللسختين : « في المعتقل » صوابه في السيرة وابن سلام ٢٢١ والإصابة

(٢٦) خزنة الأدب ج ٣

* شاكك من قتلة أطلالها ^(١) *

انتهى مارواه السيوطي

قال شارح ديوان الأعشى مجتهد بن حبيب وكذلك ابن قتيبة في كتاب الشعراء ^(٢) : « إن علقمة بن علاثة لما نذر بدم الأعشى جعل له على كل طريق رصداً ، فاتفق أن الأعشى خرج يريد وجهاً ومعه دليل ، فأخطأ به الطريق فألقاه على ديار بني عامر بن صعصعة ، فأخذه رهط علقمة بن علاثة فاتوه به ، فقال له علقمة : الحمد لله الذي أمكنني منك ! فقال الأعشى :

أَعْلَمْتُ قَدْ صَيَّرْتَنِي الْأُمُورُ إِلَيْكَ وَمَا أَنْتَ لِي مُنْقِصٌ ^(٣)
فَهَبْ لِي ذُنُوبِي فَدَتَكَ النَّفُوسُ وَلَا زِلْتَ تَنَمُو وَلَا تَنْقُصُ

فقال قوم علقمة : يا علقمة اقتله وأرحنا منه والعرب من شر لسانه ! فقال علقمة : إذا تطلبوا بدمه ، ولا يُفْسَلْ عني ما قاله ، ولا يُعرف فضلي عند القسرة ! فأمر به فحُلَّ وثاقه وأُلْقِيَ عليه حلة ، وحمله على ناقه وأحسن عطاءه وقال : انج حيث شئت ^(٤) ؛ وأخرج معه من بني كلاب من يبلغه مأمنه ، فقال الأعشى بعد ذلك :

عَلِمْتُ يَا خَيْرَ بَنِي عَامِرٍ لِلضَّيْفِ وَالصَّاحِبِ وَالزَّائِرِ
وَالضَّاحِكِ السِّنِّ عَلَى هِمَّةٍ وَالْغَافِرِ الْعَثْرَةَ لِلْمَائِرِ ^(٥)

(١) في النسختين : « قيلة » . وانظر ما سبق من تحقيق

(٢) الشعراء ٢١٦

(٣) في الديوان ٣٣ : « وما كان لي منكسر »

(٤) في ط : « حيث منيت » ، صوابه في ش والسيوطي ٣٠٦

(٥) في الشعراء : « على همه »

وترجمة عَلَقَمَةَ بنِ عُلَاثَةَ تقدّمت في الشاهد السادس والعشرين ^(١) ،
 وترجمة عامر بن الطفيل في الشاهد الثامن والستين بعد المائة ^(٢) .
 وقتلة ^(٣) : اسم امرأة . والشَّطَّ : جانب النهر ، وموضع . والخَلْفُ : الفُحْشُ .
 والخاتِر : القادر . وقوله ماجلُ الجُدِّ الخ مانافية ، والجُدُّ بضمّ الجيم : البئر
 القديمة التي لا يُدْرَى أفيها ماء أم لا . والصَّوْبُ : المطر . واللَّجِبُ ، بفتح اللام
 وكسر الجيم : السَّحَابُ والْفُرَاتِيّ ، يعني الفرات المعروف ، أو الماء المعروف .
 والبُوصِيّ ، بضمّ الواو : الموحدة : ضربٌ من السفن . والماهر : السابح ^(٤) . يريد أن
 البئر التي بها ماء ليست كالبحر الذي تجري فيه السفن وغيرُها . وجملة
 (سبحان من علّمة الفاجر) مقول القول . والفاخر ، بانطاء المعجمة . والمنفور :
 المفضول : والنافر : الفاضل .

* * *

وأُتشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائتين :

٢٣٦ (وما أُحاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ ^(٥))

هذا عجزٌ ، وصدْرُهُ : (ولا أرى فاعلاً في الناس يُشْبِهُهُ)

على أن المبرّد استدلّ به على فعلية حاشي ، بتصرفه .

قال ابنُ الأَثيريّ ، في مسائل الخلاف : ذهب الكوفيّون إلى أن حاشا

(١) الخزائن ١ : ص ١٨٣ وما بعدها

(٢) الخزائن ٣ : ص ٨٠ وما بعدها

(٣) انظر حواشي ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(٤) ط : « السائح » ، صوابه في ش وشرح ثعلب بأسفل ديوان الأعشى ١٠٥

(٥) أمال ابن الجبّري ٢ : ٨/٨٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ومجالس ثعلب ٥٠٤ والإنصاف

٢٧٨ والهمع ١ : ٢٣٣ والأثموني ٢ : ١٦٧ وشرح شواهد المغني ١٢٧

في الاستثناء فعل ماض ، وذهب بعضهم إلى أنه استعمل استعمال الأدوات ؛ وذهب البصريون إلى أنه حرف جر ، وذهب أبو العباس المبرد إلى أنه يكون فعلاً ويكون حرفاً . أما الكوفيون فاحتجوا على فعليته بالتصرف كقول النابغة :

* وما أحاشى من الأقوام من أحدٍ *

وبأن لام الخفض تتعلق به ، قال تعالى : (حاشَ لله ^(١)) وحرف الجر إنما يتعلق بالفعل لا بالحرف ؛ وبأن الحذف يلحقه ، فإنهم قالوا في حاشا لله : حاشَ لله . واستدل البصريون على حرفيته بأنه لا يقال ما حاشا زيدا ، كما يقال ما خلا زيدا وما عدا عمرا ، وبأن نون الوقاية لا تلحقه فلا يقال حاشاني ، ولو كان فعلاً لقليل . وأجابوا عن قول الكوفيين بالتصرف ، بأن أحاشى مأخوذ من لفظ حاشى وليس متصرفاً منه ، كما يقال بَسَمَل ، وهَلَل ، وَحَمْدَل ، وَسَبَّحَل ، وَحَوَقَل : إذا قال بسم الله ، ولا إله إلا الله ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ وكذلك يقال لبئ ، إذا قال لبئك . فكما بُنيت هذه الأفعال من هذه الألفاظ وإن كانت لا تتصرف ، فكذلك ههنا . وقولهم : إنَّ لام الجرِّ تتعلق به ، قلنا : لا نسلم ، فإنَّها زائدة لا تتعلق بشيء . وأما قوله تعالى : (حاشَ لله) فليس لهم فيه حجة ، فإن حاشَ فيه ليست للاستثناء وإنما هي للتنزيه . وقولهم : لحقه الحذف ، قلنا : جوابه من وجهين : أحدهما أنَّ الأصل حاشَ لله والألف في حاشا حدثت زيادتها ، والثاني أنَّ الحرف يدخله الحذف كثيراً ، كَرُبَّ وإنَّ ، يلحقهما التخفيف ، وكقولك : سَوَ أفعلُ في سوف أفعل ؛ ويقال فيه سَفَ أفعلُ أيضاً . كلامه مختصراً .

٤٥

وبهذا وبكلام الشارح المحقق يُردُّ على ابن هشام ، في المغني ، قوله أن
أحدًا أوجه حاشا أن تكونَ فعلاً متعمداً متصرفاً ، تقول : حاشيته بمعنى
استثنيته ؛ ودليل تصرفه قوله :

ولا أحاشي من الأقوامِ من أحد

صاحب
الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة للناطقة الذبياني مدح بها النعمان بن المنذر
ملك الحيرة ؛ وقد تقدم شرح أبيات منها في الشاهد التاسع والثمانين بعد
المائة ^(١) . وقوله :

فذلك تبليغي النعمان إنَّ له فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعدِ
ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الأقوام من أحدٍ
إلا سليمان إذ قال الإله له : قُمْ في البرية فاحدُدها عن الفئدِ

وقوله : فذلك تبليغي ، الإشارة إلى الناقة التي وصفها في أبياتٍ شرحت
هناك . وقوله : ولا أحاشي ، أي لا أستثنى أحداً ممن يفعل الخير فأقول حاشا
فلان . ومن زائدة ، وأحد مفعول . . وقونه : إلا سليمان ، هذا استثناء من
قوله : من أحد ، أو بدل من موضع أحد ؛ والمراد به سليمان بن داود عليهما
السلام ؛ وإذ تعليلية . وقوله : إذ قال الإله له الخ ، يريد لكونه نبياً ،
إذ الخطاب إنما يكون مع الأنبياء ؛ وإتما خص بالذكر من الأنبياء سليمان لأنه
كان له الملك مع النبوة . يريد : لا يشبهه أحدٌ ممن أوتي الملك ، إلا سليمان
النبي . وقوله : فاحدُدها ، أي امنع البرية ؛ والحد : المنع ؛ ورجلٌ محدود :
ممنوع ؛ والحداد : السجنان ، لأنه يمنع . والفئد ، بفتح الفاء والنون : خطأ
الرأي والصنيع ، وقال ابن الأعرابي : الفئد : الظلم .

وترجمة النابتة تقدمت في الشاهد الرابع بعد المائة (١).

* * *

وأُشيد بعمده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد س (٢) :

٢٣٧ (لم يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقْتُ)

هذا صدر البيت ، وأُشده بتمامه في باب الظروف ، وتمامه :

(حَمَامَةٌ فِي غُصُونِ ذَاتِ أَوْقَالٍ (٣))

على أن (غير) إذا أُضيفت إلى أن أو أن المشددة ، فلا خلاف في جواز بنائها على الفتح . . فإن قلت : أن حرف ، والحرف لا يضاف إليه ! قلت : قال ابن هشام في حواشي الألفية : إنهم جعلوا ما يُلاقى المضاف من المضاف إليه كأنه المضاف إليه ؛ ونظيره تعليل الزمخشري البناء في يوم في (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ (٤)) بإضافة يوم إلى لا ؛ والحروف مبنية ، مع علمنا بأن أحداً لا يتخيل الإضافة إلى الحرف . وجعل بعضهم المضاف إليه مجموع (أَنْ نَطَقْتُ حَمَامَةٌ) أى جملتها . قال الدماميني في شرح المغنى المزج : سأل بعض الناس كيف أُضيفت غير (٥) لِمَبْنِيٍّ ، مع أن هذا المضاف إليه في تقدير معرب ،

٤٦

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٥

(٢) في كتابه ١ : ٣٦٩ ، وانظر أمالي ابن النجاشي ١ : ٤٦ / ٢ : ٢٦٤ وابن يعيش ٣ : ٨٠ / ٨ : ١٣٥ والإنصاف ٢٨٧ والمجموع ١ : ٢٩١ وشرح شواهد المغنى ١٥٦ والتصريح ١ : ١٥ واللسان (وقل)

(٣) ويروى : « في سحق ذات أو قال » ، كما في اللسان (وقل) وقال : « السحق : ما ضال من الدوم . وأوقاله : ثماره »

(٤) الآية ١٩ من سورة الأنعام

(٥) ط : « غير المبني » ، صوابه في ش

وهو النطق ، فلم تُصَفَ في الحقيقة إلا لمُعَرَّب ، فقلت : المعرَّب إنما هو الاسم الذي يؤوَّل به ، وأما الحرف المصدرى وصلَّته فبني ، ألا تراهم يقولون : المجموع في موضع كذا . . . إلى آخر ما بينه . وظاهره جواز بناء (غير) عند إضافتها إلى أحد هذين اللفظين من المبنيات لا غير . وقد عمم سيبويه وغيره في إضافتها إلى كل مبني ، قال ابن هشام في المعنى ، في (غير) أنه يجوز بناؤها على الفتح إذا أضيفت لمبني كقوله :

لم يمنع الشربَ منها غيرَ أنْ نطقَتْ البيت
وقوله :

لَدْ بَقِيسٍ حِينَ يَا بِيْ غَيْرُهُ تُلْفَهُ بِحَرٍّ مُفِيضًا خَيْرُهُ^(١)

وذلك في البيت الأول أقوى ، لأنه انضم إلى الإيهام والإضافة لمبني تضمن غير معنى إلا ، وقال (في الأمور التي يكتسبها الاسم بالإضافة ، من الباب الرابع) : إن البناء يكون في ثلاثة أبواب : أحدها أن يكون المضاف مبهما كغير ، ومثل ، ودون . الثاني : أن يكون المضاف زمانا مبهما والمضاف إليه إذ ، نحو (وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ ^(٢)) . الثالث : أن يكون المضاف زمانا مبهما والمضاف إليه فعل مبني ، سواء كان البناء أصليا كقوله : على حين عاتبت المشيب ^(٣) .

أو عارضا كقوله : على حين يستصبين^(٤) .

(١) انظر شرح شواهد المعنى ١٥٦ والمعنى ٤ : ١٣٨

(٢) الآية ٦٦ من سورة هود

(٣) من صدر بيت للتأنيف ، هو بتمامه .

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما أصبح والشيب وازع

(٤) قطعة من بيت ، هو بتمامه كما في المعنى ٣ : ٤١٠ وشرح شواهد المعنى ٢٩٨ :

لأجتذبن منهن قنبي تحلما على حين يستصبين كل حليم

وكذلك يجوز البناء إذا كان المضاف إليه فعلاً معرباً أو جملة اسمية على الصحيح اهـ .

وقد بين الشارح المحقق علّة البناء ، في الظروف ، وفي الإضافة .
وقد ذهب الكوفيون إلى جواز بناء (غير) في كل موضع يحسن فيه (إلّا) سواء أضيفت إلى متمكّن أو غير متمكّن . وقد بسط الكلام ابن الأنباري ؛ في مسائل الخلاف ، على مذهبيهم ، وذكر ماردّ به البصريون عليهم منفصلاً ؛ ومن أحبّ الاطلاع عليه فلينظره هناك .

وهذا البيت من قصيدة لأبي قيس بن الأسلت . وقبلة :

(ثمّ ارعويت وقد طال الوقوفُ بنا فيها ، فصرْتُ إلى وَجْناه شِمْلالِ
تعطيك مشياً وإِزْقَالاً ودأْدأةً إذا تَسَرَّبْتَ إلّا كامُ بالآلِ
تَردى إلّا كامُ إذا صرّت جنادُها منها بَصْلِبٍ وقاحِ البطنِ عمّالِ
لم يمنع الشربَ منها غيرَ أنْ نطقتُ البيت)

قوله : ارعويت ، أي رجعت . والوَجْناه : الناقة الشديدة ، وقيل العظيمة
الوَجنتين . والشِمْلال ، بالكسر : الخفيفة السريعة . وضير فيها للدار . يريد :
أنه طال وقوفه على دار حبيبته وليس فيها أحد . والإِرْقَال : مصدر أرقلت
الناقة : إذا أسرع ؛ وكذلك الدأْدأة مصدر دأدت بمعناه ، وهما نوعٌ من
العدوّ . وقوله : إذا تَسَرَّبْتَ إلّا كامُ ، الظرف متعلّق بقوله تعطيك ، يريد :
وقت اشتداد الحرّ في الظهيرة ، لأنّ إلّا كامُ - وهي الجبال - إنما تسربل
بالآل - وهو السراب - عند الظهيرة . والسَّرْبَال : القميص ؛ وتسربل
أي لبس سربالاً ؛ وإلّا كامُ فاعله ، وهو جمع أكامٍ بضمتين ، كأعناق جمع
عنق ، وهو جمع إكامٍ بالكسر ، مثل كُتب جمع كتاب ؛ وإلّا كامُ أيضاً جمع
أكامٍ بفتحيتين ، مثل جبال جمع جبل ، وأكامٍ أيضاً جمع أكمة بفتحات . يقول :

إنَّهَا نَشِيطَةٌ فِي الْعَدُوِّ وَقَتَ الْهَاجِرَةِ . وَقَوْلُهُ تَرْدَى الْإِكْلَامُ الْخُ ، مِنْ رَدَى الْفَرَسُ بِالْفَتْحِ يَرْدَى رَدْيًا وَرَدْيَانًا : إِذَا رَجَمَ الْأَرْضَ رَنْجَمًا ، بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْمَشَى الشَّدِيدِ . وَالْإِكْلَامُ ، بِالْكَسْرِ : جَمْعُ أَكْمَ بَفَتْحَتَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَالْأَكْمَةُ : الْجَبَلُ الصَّغِيرُ . وَإِذَا مَتَّلَقَ بِقَوْلِهِ تَرْدَى . وَصَرَّتْ : صَوَّتَتْ . وَالْجَنَادِبُ : جَمْعُ جُنْدَبٍ ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْجَرَادِ يَصُوتُ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْهَاجِرَةِ . وَقَوْلُهُ بِصُلْبٍ ، أَيْ بِخَفِّ صُلْبٍ شَدِيدٍ . وَالْوَقَاحُ ، بِالْفَتْحِ ، هُوَ الصُّلْبُ ، وَمِنْهُ الْوَقَاحَةُ لِلصَّلَابَةِ الْوَجْهِ . يَرِيدُ : أَنْ خُفِّهَا ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ صُلْبٌ . وَعَمَّالٌ ، بِالْفَتْحِ مِبَالِغَةٌ عَامِلٌ ، وَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى الْعَمَلِ .

وَقَوْلُهُ : (لَمْ يَمْنَعِ الشَّرْبَ مِنْهَا . . الْخُ) ضَمِيرُ مِنْهَا رَاجِعٌ لِلْوَجْنَاءِ ، وَالشَّرْبُ مَفْعُولٌ يَمْنَعُ ، وَغَيْرَ فَاعِلُهُ لِكَتْنِهِ بَنَى عَلَى الْفَتْحِ جَوَازًا لِإِضَافَتِهِ إِلَى مَبْنِيٍّ . وَرَوَى الرِّفْعَ أَيْضًا . وَ(نَطَقْتُ) : صَوَّتْتُ وَصَدَحْتُ ، عُبِّرَ عَنْهُ بِالنُّطْقِ مَجَازًا . وَ(فِي) بِمَعْنَى عَلَى . وَ(ذَاتِ) بِالْجُرْ صِفَةُ لَفْظٍ ، لَا بِالرِّفْعِ صِفَةُ لِحَامَةٍ كَمَا وَهَمَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الْمُفْضَلِ . وَ(الْأَوْقَالُ) : جَمْعُ وَقْتٍ ، بِفَتْحِ أَنْوَاءٍ وَسُكُونِ الْقَافِ ، قَالَ الدِّيْنَوَرِيُّ (فِي كِتَابِ النَّبَاتِ) : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعُ بْنُ بَسَّكَارٍ : الْمُلْقَلُ إِذَا كَانَ رَطْبًا لَمْ يُدْرِكْ فَهُوَ الْبَهْشُ ، فَإِذَا يَبَسَ فَهُوَ الْوَقْلُ ، وَالْدُّومُ : شَجَرُ الْمُلْقَلِ . وَأَنْشَدَ هَذَا ابْنُ بَيْتٍ هـ : وَبِهَذَا التَّفْسِيرُ قَدْ أَصَابَ الْحَزْزُ وَطَبَّقَ الْمُفْضِلُ ، وَبِهِ يَضْمَحِلُّ التَّعْسُفُ الَّذِي ارْتَكَبَهُ شُرَاحُ الشَّوَاهِدِ . قَالَ ابْنُ السَّيْرَانِيِّ (فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ إِصْلَاحِ الْمُنْطَقِ) : يَرِيدُ لَمْ يَمْنَعُهَا أَنْ تَشْرَبَ إِلَّا أَنَّهَا صَوَّتَتْ حَمَامَةً فَفَرَّتْ . يَرِيدُ : أَنَّهَا حَدِيدَةُ النَّفْسِ ، بِخَامِرِهَا فَرَعٌ وَذَعْرٌ ، لِحَدَّةِ نَفْسِهَا . وَذَلِكَ مَحْمُودٌ فِيهَا هـ .

و (أَبُو قَيْسُ بْنُ الْأَسَلْتِ) قَالَ صَاحِبُ الْأَغَانِي : لَمْ يَقَعْ إِلَى اسْمِهِ .

أَبُو قَيْسٍ
ابْنُ الْأَسَلْتِ

والأسلت لقبُ [أبيه^(١)] واسمه عامر بن جُثَم بن وائل بن زيد^(٢) بن قيس ابن عُمارة^(٣) بن مرة بن مالك بن الأوس .. وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية. وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها يوم بُعث ، وجعلته رئيساً عليها فكفى وساد . وأسلم عَقْبَةُ بن أبي قيس^(٤) ، واستشهد يوم القادسية . وكان يزيد بن مِرْدَاس السلمي قتل قيس بن أبي قيس^(٥) في بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت ، حتى تمكن من يزيد بن مِرْدَاس فقتله بقيس — وهو ابن عمه — ولقيس يقول أبوه ، أبو قيس بن الأسلت :

أَقَيْسُ إِنْ هَلَكْتُ وَأَنْتَ حَيٌّ فَلَا تَعْدِمُ مُوَاصِلَةَ الْفَقِيرِ^(٦)

وقال هشام بن الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بُعث إلى أبي قيس بن الأسلت ، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر ، حتى شحب وتغير ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأته^(٧) ، ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت ! فقال في ذلك أبو قيس القصيدة التي أولها:^(٨)

قالت ولم تعصِدْ لِقِيلِ الْخَنَى : مهلاً فقد أبلفت أَسْمَاعِي
اسْتَنْكَرْتُ لَوْ نَأَى لَهُ شَاحِبًا وَالْحَرْبُ غَوْلُ ذَاتِ أَوْجَاعٍ^(٩)

(١) التكلفة من الأغاني ١٥ : ١٥٤

(٢) في النسختين : « يزيد » ، صوابه من الإصابة والأغاني وجمهرة ابن حزم ٣٤٥

(٣) وكذا في الأغاني ، لكن في الإصابة ٩٣٥ من باب النكنى ، والجمهرة : « عامر »

(٤) الجمهرة ٣٤٥

(٥) الجمهرة ٣٤٦

(٦) وكذا في الأغاني ، لكن في الإصابة عن الأغاني : « فلا يعدم فواضلك الفقير »

(٧) في الأغاني : امرأة

(٨) انظر المفضليات ٢٨٤ وجمهرة القرشي ١٢٦

(٩) ويروى : « أنكرته حين تومئته » في المفضليات والجمهرة .

٤٨

مَنْ يَذُقِ الْحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مُرًّا ، وَتَتْرُكُهُ بِجَمْعٍ
 قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي ، فَمَا أَطْعَمَ نَوْمًا ، غَيْرَ تَهْجَاعٍ
 أَسْعَى عَلَى جُلٍّ بَنَى مَالِكٌ كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي^(١)
 لَا نَأْلُمُ الْقَتْلَ ، وَنَجْزِي بِهِ ۖ أَعْدَاءُ كَيْلِ الصَّاعِ بِالصَّاعِ
 ۝ كَلَامُ الْأَغَانِي .

وقال ابن حجر (في الإصابة): أبو قيس بن الأسلت اسمه صَيْفِيّ، وقيل: الحارث،
 وقيل: عبدالله، وقيل: صِرْمَة^(٢) وقيل غير ذلك .. واختلف في إسلامه: فقال
 أبو عبيد القاسم بن سلام في ترجمة ولده عقبة بن أبي قيس: له ولأبيه صحبة. وذكر
 عبد الله بن محمد بن عمارة بن القداح بأسانيد عديدة: كان أبو قيس يحض
 قومه على الإسلام، وذلك بعد أن اجتمع بالنبي ﷺ وسمع كلامه. وكان يتأله في
 الجاهلية ويدعى الحنيفية، وكان يقول: ليس أحدٌ على دين إبراهيم إلا أنا
 وزيد بن عمرو بن نفيل. وكان يذكر صفة النبي ﷺ وأنه يهاجر إلى يثرب.
 وشهد وقعة بعاث، وهو يوم الأوس على الخزرج، وكانت قبل الهجرة بخمس
 سنين. وزعموا أنه لما حضره الموت أرسل إليه النبي ﷺ يقول له: «قل لا إله
 إلا الله أشفع لك بها» فسمع يقول ذلك؛ وقيل: قال: والله لا أسلمُ إلى
 سنة فمات قبل الحول، على رأس عشرة أشهر من الهجرة، بشهرين. وقد
 جاء عن ابن إسحق: أنه هرب إلى مكة فأقام بها مع قريش إلى عام الفتح ۝
 باختصار. وعلى هذا فكان ينبغي لابن حجر ألا يذكره في القسم الأول،
 وهم الذين جزم بصحبتهم.

(١) ط: «جبل بني مالك» صوابه في س والمفضليات والجمهرة والأغانى والشاهد ٤٣٣

(٢) ط: «صِرْمَة»، صوابه من س مع أثر تصحيح ومن الإصابة.

روى صاحب الأغاني بسنده إلى المبرد قال : قال لي صالح بن حسان :
أُنشدني بيتاً خفراً في امرأة خفيرة شريفة ؛ قلنا : قول حاتم :

يُضِي لها البيتُ الظليلَ خصاصه^(١) إذا هي يوماً حاولت أن تبسماً^(٢)

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ؛ قلنا : قول الأعشى :
كَأَن مِشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
فقال : هذه خراجة ولأجة ؛ قلنا : بيت ذى الرمة :

تنوء بأخراها فلايًّا قيامها ونعشى المويبي من قريب فنبهر^(٣)

فقال : ليس هذا مما أردت ؛ إنما وصف هذه بالسمن وثقل البدن ؛
قلنا : ما عندنا شيء . فقال : قول أبي قيس بن الأسلت :

ويكرمها جارائها فيزُرُهَا وتَعْتَلُّ عن إتيانها فتَعْذُرُ
وليس لها أن تستبينَ بجارية ، ولكنَّها منهن تَحْيَا وتُخْفَرُ^(٤)

ثم قال : أنشدوني أحسن بيتٍ وصفت به الثريا ؛ قلنا : بيت ابن
الزبير الأسدي :

وقد لاحَ في الغورِ الثُّريَّا كأنَّما به رايةٌ بيضاء تخفقُ للظعنِ

قال : أريد أحسن من هذا ؛ قلنا : بيت امرئ القيس :

إذا ما الثُّريَّا في السماء تعرَّضتْ تعرَّضَ أُنثَى الوشاحِ المفضلِ

قال : أريد أحسن من هذا ؛ قلنا : بيت ابن الطَّائِريَّة :

(١) الخصاص ، كسحاب : الفرج بين الأصابع ونحوها . ط : « خصاصة » صوابه
في س مع أثر تصحيح ومع الضبط ، ومن الأغاني .

(٢) ط : « فنبهر » ، صوابه من س ودويوان ذى الرمة ٢٢٧ والأغاني ١٥ : ١٥٩ .

(٣) في النسختين : « تستبين » ، صوابه من الأغاني ومما هدد التصحيح ١ : ١٤٢ .

إذا ما الثريا في السماء كأنها جنان وهي من سلكه فتسرعا^(١)

قال : أريد أحسن من هذا ؛ قلنا : ما عندنا شيء ؛ قال : قول أبي قيس
ابن الأسلت :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كمنقود ملاحية حين نورا^(٢)

قال : فحكمه عليهم في هذين اللعنين بالتقدم . انتهى .

وهذا البيت الأخير من أبيات علم المعاني ، ولأجله أوردت هذه الحكاية .

(تنمة)

البيت الشاهد ، كونه لابن الأسلت هو ما ذكره أبو خيفة اللينوري
(في كتاب النبات) ، وهو في معرفة الأشعار أديب غير منازع فيها . وقد
نسبه الزمخشري في الأحاجي إلى السماخ ، وقد راجعت ديوانه فلم أجده فيه .
ونسبه بعض ضراح [شواهد كتاب^(٣)] سيويو له لرجل من كنانة . ونسبه
بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصل تبعاً للزمخشري في شرح أبيات
الكتاب لأبي قيس بن رفاعَةَ الأنصاري .

أقول : لم يوجد في كتب الصحابة من يقال له أبو قيس بن رفاعَةَ ،
وإنما الموجود قيس بن رفاعَةَ^(٤) وهو واحد أو اثنان . قال ابن حجر
(في الإصابة) في القسم الأول : قيس بن رفاعَةَ الواقفي ، من بني واقف

(١) وكذا في الأنثى ومعاهد التنصيص . لكن في إعجاز القرآن ٢٦٥ : وديوان
المعاني ١ : ٣٣٤ وحاشية ابن الشجري ٢١٤ : « فتبددا » .

(٢) معاهد التنصيص ١ : ١٣٨ .

(٣) التكملة من هامش بخط ناسخها وبجانبه « صح » .

(٤) انظر تحقيق هذا في هوامش الحزاة ٣ : ٣٧٨ سفينة .

ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، الأنصارى . ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء وقال : أسلم ، وكان أعور ، وأنشد له :

أنا النذيرُ لكم مِنِّي مجاهرةً كى لا نلام على نهي وإنذار^(١)
مَنْ يَصِلْ نارى بلا ذنبٍ ولا زيرةٍ يَصِلْ بنارى كريمٍ غيرِ غدارٍ
وصاحبُ الموتِ ليس الدهرُ يدركه عندى ، وإني لدرأك لأوتارى

ثم قال ابن حجر : قيس بن رفاعه بن الهيمس^(٢) بن عامر بن عانس بن
غير الأنصارى ذكره المدونى وقال : كان شاعراً ، وأدرك الإسلام فأسلم .
وذكره ابن الأثير فقال : كان من شعراء العرب . قلت : يحتمل أن يكون
الذى قبله . انتهى .

قلت : كيف يكون هو الذى قبله مع اختلاف النسيب ١٤ والظاهر أنها
اثنان . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائتين^(٣) :

٢٣٨ (غَيْرَ أَنِّي قَدْ أُسْتَعِينُ عَلَى الْهَلَاكِ إِذَا خَفَّ بِالْثَوَى النِّجَاءُ)

على أن (غيراً) يجوز أن تكون مبنية على الفتح لإضافتها إلى أن
للمشدة ، ويجوز أن تكون منصوبة لكونها استثناءً منقطعاً .

(١) فى النسختين : « وإنذار » ، والتصحيح لشنقيطى فى نسخته وعن الإصابة ٧١٦٣

(٢) - : « الهيمس » . والذى فى الإصابة ٧١٦٤ : « قيس بن رفاعه بن الممر
ابن عامر بن عائش الأنصارى »

(٣) من معلقة الحارث بن حلزة . وانظر الصفحة التالية

وهذا البيت من قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري ، وهي سابعة
المعلقات السبعة (١) وأولها :

(أَذْنَنَّا بَيْنَهَا أَسْمَاءَ رَبِّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الشَّوَاهِدُ
أَذْنَنَّا بَيْنَهَا ثُمَّ وَلَّتْ لَيْتَ شَعْرِي ! مَنِ يَكُونُ الْفَقَاءُ
بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِرُقَّةَ شَمًّا ، فَادْنِ دِيَارَهَا اخْلُصَاهُ
لَا أَرَى مِنْ عَهْدٍ فِيهَا ، فَأَبْكِي الْيَوْمَ دَهْلًا ، وَمَا يَرُدُّ الْبِكَاءُ !
وَبِعَيْنِكَ أَوْقَدْتُ هِنْدُ النَّارَ أَصِيلًا تُلَوِّي بِهَا الْعَلِيَاءُ
أَوْ قَدَّهَا بَيْنَ الْعَتِيقِ وَشَخْصِي نِي بَعُودٍ ، كَمَا يُلُوحُ الضِّيَاءُ
فَتَنَوَّرَتْ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازِ هِيَاةٍ مِنْكَ الصَّلَاةُ (٢)
« غَيْرَ أَنِّي قَدْ اسْتَعِينُ عَلَى الْهَلْمِ إِذَا خَفَّ بِالْثَوَى النِّجَاءُ »
بِزَفَوِي كَأَنَّهَا هِفْلَةٌ أَمْ رِيَالٍ دَوِيَّةٌ سَقْفَاهُ)

٥٠

قوله : أَذْنَنَّا ، أى أعلمتنا . والبين : الفراق . وأسماء : حبيبته .
والثاوي : للقيم ، يقال ثوى يشوى ثواء وثوابة : إذا أقام ، وروى جماعة
من اللغويين أنوى بمعناه (٣) وأنكرها الأصمعي . ويُملُّ بالبناء للمفعول ، من
الملل وهو الضجر والسأم . وهذا المصراع الثاني من قبيل إرسال المثل .

وقوله بعد عهد لها الخ ، البرقة ، بالضم : رابية فيها حجارةٌ يخلطها

(١) كذا في النسختين ، وهو وجه جائز في العربية . وفي حاشية الصباز على الأشموني
٤ : ٦١ : « فلو قدم وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها ، كما لو حذف
تقول مسائل تسع ورجال تسعة ، وبالعكس . كما نقله الامام النووي على النحاة . فاحفظها
فإنها عزيزة » .

(٢) لم يذكر البغدادى في الشرح إلا هذه اللغة في خزاز ، وهي التي وردت في ط .
لكن في س « خزازي » ، وهي لغة أخرى روى بها البيت .

(٣) وشاهده قول الأعشى :

أنوى وقصر ليلة ليزودا ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

رملٌ وطنين ؛ وسماء : اسمُ أكمة . وأدنى : أقرب . والخلصاء : موضع أيضاً .
يقول : عزمتُ على فراقنا بعد أن لقيتها بفرقةٍ شماء ، والخلصاء هي أقرب
ديارها إلينا .

ثم أوردَ بيتين آخرين فيهما أسمى أما كنَ معطوفة على الخلصاء ، لافائدة
في إيرادها .

وقوله : لا أرى مَنْ عهدتُ الخ ، دلهاً أي باطلاً ، وهو مفعولٌ مطلق ،
وقيل : هو من قولهم دَلَّهني أي حَيَّرني ، فهو تمييز . يقول : لا أرى في هذه
المواضع مَنْ عهدتُ ، وهي أسماء ، فأنا أبكي اليوم بكاءً باطلاً ، أو ذاهبَ
العقل . وما استفهاميةٌ للإنكار ، أي لا يردُّ البكاء شيئاً على صاحبه . يعني :
لما خلتُ هذه المواضعُ منها بكيتُ جزعاً لفراقها ، مع على أنه لافائدةٌ في
البكاء . وروى أيضاً :

لا أرى مَنْ عهدتُ فيها فأبكي . أهلٌ ودِّي وما يُرذُّ البكاء
أي فأنا أبكي أهلَ مودَّتِي ، شوقاً إليهم ، حين نظرتُ إلى منازلهم الخالية ،
وروى أيضاً : (وما يحير البكاء) من أحارهُ بالمهملَةِ أي رجعةً .

وقوله : وبعينيك أوقدتُ الخ ، أي وترى بعينيك أو برأى عينيك ؛
يقال : هو مَنِّي برأى ومسمع : أي حيثُ أراه وأسمعه . والمعنى : أوقدتُ النارَ
تراها لقربها منك . وهندُ ممن كانت تواصله بتلك المنازل . وأصيلاً : ظرف
بمعنى العشي ؛ وروى بدله (أخيراً) أي في آخر عهدكِ بها . يقول : قد رأيتُ
نارها بتلك المنازل ، ثم رأيتها قد نزلت بالعلياء ، فرأيتُ نارها من بعيد .
والعلياء ، بالفتح : ما ارتفع من الأرض ؛ وإنما يريدُ العالية وهي أرضُ الحجاز
وما والاها من بلادِ قيس . ويقال : قد ألوتُ الأرضُ بالنار تلوى بها إلواء :
أي رفعتها ؛ وكذلك الناقة : ألوت : إذا رفعت ذنبها فلوحت به .

وقوله : أوقدتها بين العقيق الخ ، العقيق وشخصان ، قال الأخفش :
شخصان : أكمة لها قرنان ناتئان ، وهما الشعبتان . والعود هو عود البخور .
وأراد بالضياء ضياء الفجر^(١) ، وقيل ضياء السراج .

وقوله : فتنورتُ نارها الخ ، يقال : تنورتُ النار : إذا نظرتُها بالليل لتعلم :
أقربية هي أم بعيدة ؟ أ كثيرة أم قليلة ؟ وخَرَّازٌ ، بفتح الخاء المعجمة والزاءين
للمعجمتين : موضع . وقوله : هيات الخ ، يقول رأيتُ نارها فطِيعْتُ أن تكون
قريبة ، وتأمَلْتُها فإذا هي بعيدة بخَرَّاز ، فلما يئستُ منها قلت : هيات ! أخبر
أنه رآها بالعلياء ، ثم أخبر أنه رآها بين العقيق وشخصين ، ثم بخَرَّاز ، وهو
جبل . والصَّلاء : مصدر صلا النار وصلي بالنار يصلي صِلاء . إذا ناله حرُّها .

وقوله : (غيرَ أني قد استعين . . الخ) بنقل حركة الهزمة إلى دال قد^(٢)
(خَفَ) فلان للمضي ، إذا تحركَ لذلك ؛ يقال خَفَ يَخِفُ خَفَةً . و (الشَّوِي)
مبالغة شوي : أي مقيم . و (النَّجَاء) بفتح النون والجيم : للمضي ؛ يقال منه نَجَا
ينجو نَجَاءً وَنَجْوًا . والباء للتعدي . أي إذا اضطرَّ المقيم للسفر وأقلقه السير
والمضي ، لعِظَمِ الخطبِ وشِدَّةِ الخوف . وبهذا البيت خَرَجَ من صفة النساء
وصار إلى صفة ناقته على طريقة الاستثناء المنقطع من قوله فتنورتُ ، أو من
قوله وما يردُّ البكاء ، أي وما يردُّ عليَّ بكائي بعد أن تباعدت عني فاهتممت
بذلك ، لكُنِّي أَسْتَعِين على هُمِّي بهذه الناقة الآتي وصفها فيما بعد . فغير
للاستثناء المنقطع ، وفتحها إمَّا حركة اعراب ، وإمَّا فتحة بناء ، بنيت
لإضافتها إلى مبني ، فتكون حينئذ في محل نصب .

(١) ط : « الف » ، ولا يكون للفء ضياء ، وإنما للفء ظل يقى من جانب المغرب
إلى جانب المشرق بعد الزوال ، صوابه في سه والتبريزي في شرح المعلقة
(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله بنقل الحركة إلخ لا حاجة إلى ذلك ،
لاستقامة أنوزل بدونه » ،

وقوله : يزفوف كأنها الخ ، الباء متعلقة بأستعين . والزفوف ، بفتح الزاى المعجمة وبفاءين ، أراد به الناقة السريعة ؛ من الزفيف وهو السرعة ، وأكثر ما يستعمل فى النعام . شبه ناقته فى وطائها وسرعتها بنعامة يزف — والزفيف مثل الدفيف — وذلك أن النعامة إذا عدت نشرت جناحيها ورفعت ذنبها ومرت على الأرض أخف من الريح ، وربما ارتفعت من الأرض لخطتها . والزفيف للنعام ، والدفيف للطير ؛ يقال زف النعام يزف زفا وزفينا ، ودف الطير يدف دفا ودفينا . والمقلة ، بكسر الراء وسكون القاف : أثنى النعام ، والمقل ذكره . والرمال ، بكسر الراء المهملة بعدها همزة مفتوحة : جمع رمل ، بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو ولد النعام . والدوية ، بتشديد الواو ، منسوبة إلى الدو وهى الأرض البعيدة الواسعة ؛ وهو صفة أم ، وكذلك سقاء ، من السقف ، بقاء بعد قاف ، وهو طول فى انحناء ، والذكر أسقف . يقول : أستمين على إزالة همى بناقة مسرعة كأنها فى إسراعها نعامة لها أولاد ، طويلة منحنية لا تفارق للمفاوز .

وقد تقدمت ترجمة الحارث بن حنظلة ، مع شرح أبيات من هذه المعلقة ، فى الشاهد الثامن والأربعين^(١) ، فى باب التنازع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد س^(٢) :

٢٣٩ (أَنِخَتْ فَأَلَقَتْ بَلْدَةً فَوْقَ بَلْدَةٍ

قَلِيلَ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بُغَامُهَا)

(١) الخزانة ١ : ص ٣٢٥ وما بعدها .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٠ ، وانظر المص ١ : ٢٢٩ . وشرح شواهد المغنى ٧٨ ، ٢٤٨ .

والاشموني ٢ : ١٥٦ ولسان (بغم) وديوان ذى الرمة ٦٣٨ .

على أن (إلا) صفة للأصوات ، وهي وإن كانت معرفةً بلام الجنس فهي شبيهة بالمنكر . ولما كانت إلا الوصفية في صورة الحرف الاستثنائي نُقِلَ إعرابها الذي تستحقه إلى ما بعدها ؛ فَرَفَعُ (بُعَامُهَا) إتماماً هو بطريق النقل من إلا إليه . والمعنى : أن صوتاً غير بُعَامِ الناقة قليلٌ في تلك البلدة ، وأما بُعَامُهَا فهو كثير .

قال الشارح المحقق : « ويجوز في البيت أن تكون إلا للاستثناء وما بعدها بدلاً من الأصوات ، لأن في قليلٍ معنى النفي » . والمعنى على هذا : ما في تلك البلدة من جنس الأصوات إلا بُعَامُهَا ، بخلاف المعنى الأول ، فإنه يقتضى أن يكون فيها صوتٌ غير البُعَامِ لكنه قليلٌ بالنسبة إلى البُعَامِ . قال : « ومذهب سيبويه جواز وقوع إلا صفةً ، مع صحة الاستثناء » . نسب ابن هشام في المعنى هذا الجواز إلى جماعات من النحويين ، ثم قال : وقد يقال إنه مخالفٌ لمثال سيبويه : لو كان معنار رجلٌ إلا زيدٌ لغلينا ؛ ولقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا ^(١)) قال : فلا يجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ، إذ التقدير حينئذ : لو كان فيهما آلهةٌ ليس فيهم الله لفسدتا ؛ وذلك يقتضى بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهةٌ فيهم الله لم يفسدا ؛ وليس ذلك المراد . ولا من جهة اللفظ ، لأن آلهة جمعٌ منكراً في الإثبات فلا عمومَ له ، فلا يصح الاستثناء منه ، لو قلت قام رجل إلا زيد ، لم يصح اتفاقاً . انتهى .

٥٢

وهذا البيت من قصيدةٍ لذي الرمة وقبله :

صاحب الشاهد

(أَلَا خَيْلْتُ مِىْ وَقَدْ نَامَ صَحْبَتِى فَانْفَرَّ التَّهْوِيمَ إِلَّا سَلَامُهَا
طُرُوقًا وَجَلْبُ الرُّحْلِ مَشْدُودَةٌ بِهِ سَفِينَةٌ بَرٍّ تَحْتَ خَدَى زِمَامُهَا

أبيات الشاهد

«أُنِيختْ فَأَلْقَتْ بِلَدَةٍ فَوْقَ بِلَدَةٍ قَلِيلٍ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بُغَامُهَا،
يَمَانِيَةً فِي وَثْبِهَا عَجْرَفِيَّةٌ إِذَا انْضَمَّ إِطْلَاها وَأَوْدَى سَنَامُهَا)

قوله: «أَلَا خَيْلَتْ مَيُّ الْخِ»، خَيْلَتْ أَي رَأَيْنَا مِنْهَا خَيْالاً^(١) جَاءَ فِي اللَّغَامِ .
وَمَيُّ: اسْمُ مَحْبُوبَتِهِ . وَجَمَلَةٌ قَدْ نَامَ الْخِ حَالِيَةً . وَالتَّهْوِيمُ: مُصَدَّرٌ هُوَ الْمَرْجُلُ:
إِذَا هَزَّ رَأْسَهُ مِنَ النَّعَاسِ . يَقُولُ: نَفَرْنَا نَوْمُنَا حِينَ سَلَّمَ الْخَيْالُ عَلَيْنَا . وَقَوْلُهُ:
طُرُوقًا الْخِ، الطُّرُوقُ مُصَدَّرٌ طَرَقَ: أَي أَتَى لَيْلًا؛ وَهُوَ مِنْ بَابِ قَعَدَ . يَرِيدُ:
خَيْلَتْ طُرُوقًا . وَجُلِبَ الرَّحْلُ، بِكُسْرِ الْجِيمِ وَضَمِّهَا: عِيدَانُهُ وَخَشَبُهُ؛
وَهُوَ مُبْتَدَأٌ، وَمَشْدُودَةٌ خَبْرُهُ، وَسَفِينَةٌ نَائِبٌ فَاعِلُ الْخَبَرِ؛ وَبِهِ أَي بِالْجُلْبِ .
وَأَرَادَ بِسَفِينَةِ الْبَرِّ النَّاقَةَ . وَزَمَامُهَا مُبْتَدَأٌ، وَتَحْتَ خَدَّيْ خَبْرُهُ، وَالْجَمَلَةُ صِفَةُ
سَفِينَةٍ يَرِيدُ: أَنَّهُ كَانَ نَزَلَ عَنْ نَاقَتِهِ آخِرَ اللَّيْلِ وَجَعَلَ زَمَامُهَا تَحْتَ خَدِّهِ وَنَامَ .

وقوله: (أُنِيختْ فَأَلْقَتْ . الْخِ) هُوَ مَجْهُولٌ أَنْخَبَهَا: أَي أَبْرَكَ كُنْهَا .
وَالْبَلَدَةُ الْأُولَى: الصَّدْرُ، وَالثَّانِيَةُ: الْأَرْضُ . أَي أَبْرَكَتْ فَأَلْقَتْ صَدْرَهَا
عَلَى الْأَرْضِ . وَالضَّمِيرُ فِي أُنِيختْ، وَأَلْقَتْ، وَبُغَامُهَا، رَاجِعٌ إِلَى سَفِينَةِ بَرِّ
الْمُرَادِ بِهَا النَّاقَةِ . وَ(قَلِيلٍ) بِالْجُرْ صِفَةٌ سَبَبِيَّةٌ لِلْبَلَدَةِ الثَّانِيَةِ . وَ(الْأَصْوَاتُ):
فَاعِلٌ قَلِيلٌ؛ وَالرَّابِطُ ضَمِيرٌ بِهَا . وَيَجُوزُ رَفْعُ قَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ الْأَصْوَاتِ
وَالْجَمَلَةُ صِفَةٌ . وَ(الْبُغَامُ) بِمَوْحَدَةٍ مَضْمُومَةٍ بَعْدَهَا غَيْنٌ مَعْجَمَةٌ، قَالَ صَاحِبُ
الصَّحَاحِ: بُغَامُ الطَّبْيَةِ: صَوْتُهَا؛ وَكَذَلِكَ بُغَامُ النَّاقَةِ: صَوْتُ لَا تُفْصَحُ بِهِ؛
وَقَدْ بَغِمَتْ تَبْغِمُ بِالْكَسْرِ .

وقوله يَمَانِيَةً فِي وَثْبِهَا الْخِ، بِالتَّخْفِيفِ، أَي هَذِهِ النَّاقَةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْيَمَنِ .

(١) وَفِي شَرْحِ الدِّيَوَانِ ٦٣٨: «خَيْلَتْ: أَرْتَنَا خَيْالَهَا فِي النَّوْمِ» وَفِي ط:

«رَأَيْنَا مِنْهَا خَيْالًا»:

والوثب ، بالمثلثة : مصدر وثب وثباً ووثوباً : إذا طفر . والعجرفية : الجفاء
وركوب الرأس^(١) ، وهو أن يسير سيراً مختلطاً . وإطلاها : خاصرتها ،
مثنى إطل بكسر الهمزة . وأودى : ذهب وهلك . يقول : هي في ضمها
هكذا شديدة ، فكيف تكون قبل الضمر ؟

وترجمة ذى الرمة تقدمت في الشاهد الثامن من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س^(٣) :

٢٤٠ (وكلُّ أخٍ مُفارقةُ أخوهُ لَعَمْرُ أَيْكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ)

على أن (إلا) صفةٌ لكل ، مع صحة جعلها أداة استثناء ، ونصب
الفرقدين على الاستثناء ، كما هو الشرط في وصفيّة إلا .

قال ابن هشام في المغني : والوصف هنا مخصص ، فإن ما بعد إلا مطابق
لما قبلها ، لأن المعنى : كلُّ أخوين غير هذين الكوكبين متفارقان . وليست
إلا استثنائية ، وإلا لقال : إلا الفرقدين ، بالنصب ، لأنه بعد كلام تام
موجب كما هو الظاهر مع كونه لمستغرق وهو كلُّ أخٍ ؛ كما نصب الشاعر
في هذا البيت — وهو من أبيات مذكورة في مختار أشعار القبائل ، لأبي تمام
صاحب الحماسة ، لأسعد الدُّهلي — وهو :

وكلُّ أخٍ مُفارقةُ أخوهُ لشَظ الدارِ إِلَّا ابْنِي شَمامِ

٥٣

(١) في اللسختين : « وركوب للرأس » ، وقد صحبها الشقيطي بما أثبت .

(٢) في الخزانة ١ : ص ١٠٦ وما بعدها

(٣) في كتابه ١ : ٣٧١ وانظر الكامل ٧٦٠ والإنصاف ٢٦٨ وابن يعيش ٢ :
٨٩ والمصنف ١ : ٢٢٩ وشرح شواهد المغني ٧٨ واللائموني ٢ : ١٥٧ وحاسة
البحرئى ٢٣٤ .

قال أبو عبيد القاسم في أمثاله : ابني شمام هنا : جبلان . وهو بفتح الشين المعجمة وكسر الميم كجذام^(١) . وفي المرصع لابن الأثير : ابنا شمام جَبَلان في دار بني تميم فمما يلي دار عمرو بن كلاب ، وقيل : شمام هو جبل . وابناه : رأساه ، وأنشد الخليل :

وإنكما على غير الليالى لأبقى من فروع ابني شمام ٥١

وقال حمزة الأصبَهاني في أمثاله التي جاءت على أفعل : ابنا شمام : هضبتان في أصل جبلٍ يقال له شمام .

وعند ابن الحاجب في البيت الشاهد شذوذٌ من ثلاثة أوجه : أحدها : أنه اشترط في وقوع إلا صفةً تُعذرُ الاستثناء ، وهنا يصحُّ لو نصبه : وثانيها : وصفُ المضاف ، والمشهور وصفُ المضاف إليه . وثالثها : الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر ، وهو قليل . قال صاحب المقتبس : وفي البيت تخرُّجٌ يترأى لى غير بعيد عن الصواب ، وهو أن يُجعل قوله : مفارقة أخوه ، صفةً لكلّ — وساغ ذلك لكونه نكرة ، إذ إضافته لفظيةً ثم يُجعل إلا الفرقدان خبراً للبند الموصوف ؛ ولا يخرج جعلها خبراً عن الوصفية ؛ لأن الخبر أيضاً صفة حقيقية . فتكون إلا في قوله تعالى : (إلا الله لفسدتا^(٢)) صفة نحوية وفي البيت صفة معنوية . وبهذا الوجه يخرج الكلام عن تخلل الخبر بين الصفة والموصوف . وتقدير البيت على ما ذكرت : وكلُّ أخٍ مفارق أخاه مُغايرٌ للفرقدين : أي ليس على صفتهما ، لأنهما لا يفترقان منذ كانا . انتهى . وردّه السيّد عبد الله (في شرح اللب) بقوله : ولا يجوز أن يجعل مفارقة صفة

(١) ط : « كجذام » ، صوابه في سـ

(٢) الآية ٢٢ من الانبياء

وإلا الفرقدان خبراً حتى يتخلص من هذه الفسادات كما قيل ، لفساد المعنى .
 ووجهه أن المراد الحكم على كل أخ بأنه مفارق أخاه في الدنيا سوى
 الفرقدين فإنهما لا يفترقان إلا عند فناء الدنيا ، وليس المعنى على ما ذكره ،
 فإنه يقتضى مفهومه أن كل أخ لا يفارق أخاه مثل الفرقدين في اجتماع الشغل .
 وليس في الدنيا أخوان لا يفترقان . فتأمل .

وفي البيت تخارج آخر : إحداها للكوفيين ، نقله عنهم ابن الأنباري
 في مسائل الخلاف : أن إلّا هنا بمعنى الواو ، وهي تأتي بمعناه كثيراً كقوله
 تعالى : (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا^(١)) أى ولا الذين^(٢)
 ظلموا لا تكون لهم أيضاً حجة ؛ وقوله تعالى : (لا يحب الله الجهر بالسوء من
 القول إلا من ظلم^(٣)) أى ومن ظلم لا يحب أيضاً الجهر بالسوء منه - وكذا
 قال السيد المرتضى في أماليه في أحد أوجه إلّا في قوله تعالى : (خالدين فيها
 مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك^(٤)) : إن إلّا بمعنى الواو - وأورد
 هذا البيت وغيره شاهداً للجيء إلّا بمعنى الواو^(٥) - وأجاب البصريون أن
 إلّا في البيت بمعنى غير ، وفي الآيات للاستثناء المنتقطع . (ثانيها) ما ذهب إليه
 الكسائي . أن أصله إلّا أن يكون الفرقدان ؛ وقد ردّ سيبويه هذا القول كما
 بيّنه الشارح المحقق .

قال أبو علي - في الإيضاح الشعري - : أنشد سيبويه هذا البيت^(٦)

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .

(٢) كذا في ط والإصناف ، لكن جعلها الشنيطي في نسخته : « أى والذين »

(٣) الآية ١٤٨ من النساء

(٤) الآية ١٠٧ من سورة هود

(٥) أمالي المرتضى ٢ : ٨٧ - ٩١ .

(٦) في النسختين : « على البيت » ، والتصحيح للشنيطي في نسخته .

وقال : لا يجوز أن يكون قوله : إلا الفرقدان ، على تقدير إلا أن يكون الفرقدان . وإنما لم يجز هذا لأنك لا تحذف الموصول ، وتدع الصلة ، لأن الصلة تذكر للتخصيص والإيضاح للموصول ، فإذا حذفت الموصول لم يجز حذفه وذكر ك ما يكون إيضاحاً له . ونظير ذلك أجمعون في التوكيد ، لا يجوز أن تذكره وتحذف المؤكد . فإن قلت : لم لا يكون كالصفة والموصوف في جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ، وكذلك تحذف الموصول وتذكر الصلة ؟ قلت : لم يكن في هذا كالوصف إذا كان مفرداً ؛ ألا ترى أن الوصف إذا كان مفرداً كان كاللوصوف في الأفراد ؛ وإذا كان مثله جاز وقوعه مواقع الموصوف ، من حيث كان مفرداً مثله ، مع استقباح لذلك . فأما الصلة فلا تقع مواقع المفرد ، من حيث كانت جملاً ، كما لم يجز أن تبدل الجمل من المفرد ، من حيث كان البدل في تقدير تكرير العامل ، والعامل في المفرد لا يعمل في لفظ الجملة ، فكذلك لا يجوز أن تحذف الموصول وتقيم الصلة مقامه . فإن قلت : هلا جاز حذفها كما جاز حذف الصلوات وإبقاء الموصولة ، كقوله : بعد اللتيا والى^(١) ؟ قلت : إبقاء الموصول وحذف الصلة أشبه من عكس ذلك ، لأن الموصول مفرد وليس كالصلة التي هي جملة ؛ فكذلك جاء في الشعر ولم يمتنع ، كما لا يمتنع أن يذكر المؤكد ولا يذكر التأكيـد . ولو ذكرت أجمعون ونحوه ، ولم تذكر المؤكد لم يجز . انتهى كلام أبي علي ؛ ولكثرة فوائده قلناه برمته .

(ثالثها) : ما نقله بعض شراح أبيات المفصل من فضلاء المعجم ، وهو أن إلا هنا بمعنى حتى ، والمعنى : كل أخ مفارقة أخوه حتى إن الفرقدين ، مع

(١) إشارة إلى قول العجاج في ديوانه ٦ وسيويه ١ : ٢/٣٧٦ : ١٤٠ :

* بعد اللتيا واللتيا والى *

شدة اجتماعهما وكثرة مصاحبتهما ، يفرّق كل واحدٍ منهما عن صاحبه ؛
فما ظنّك بغيرهما ! قال : وعلى هذا تكون إلّا مستعملة استعمالٍ حتّى ، للمناسبة
بين الاستثناء والغاية ؛ ويكون ذلك كقولهم : مات الناسُ حتّى الأنبياء .
هذا كلامه ، وليس المعنى على ما زعمه ، وفيه تصفُّ أيضاً .

(رابعها) : ما ذكره ابنُ الأنباريّ في مسائل الخلاف : أن إلّا هنا
للاستثناء المنقطع ، قال : أراد لكن الفرقدان فإنّهما لا يفترقان ، على زعمهم
في بقاء هذه الأشياء ^(١) . هو غير متبادر منه ، وهو كقول الأعمى في شرح
أبيات الكتاب : « وهذا على مذهب الجاهليّة » ، مع أن قائل هذا البيت
صحابيٌّ كما سيأتي . وسبقهما المبرّد في الكامل ، فإنّه بعد أن نسب البيت
لعمرو بن معد يكرب ، اعتذر عنه فقال : وهذا البيت قاله قبل أن يُسلم .
ثم أورد عقبه بيتَ أبي العتاهيّة ، دليلاً على ما فهمه ، بقوله : وقال إسماعيلُ
ابن القاسم :

ولم أرَ ما يدومُ له اجتماعٌ سيفترقُ اجتماعُ الفرقدينِ

ونحن نقول : محل هذا البيت أنّهما يفترقان عند قيام الساعة .
ولكل وجه . و (الفرقدان) : نجمان قريبان من القطب لا يفارق
أحدهما الآخر .

وبقي في البيت احتمال وجه آخر ، لم أرَ من ذكره ، وهو أن تكون إلّا
للاستثناء ، والفرقدان منصوبٌ بعد تمام الكلام الموجب ، لكنّه بفتحةٍ
مقدرة على الألف ، على لغة من يلزم المثني الألف في الأحوال الثلاثة ،
وهي لغة بني الحارث بن كعب . والله أعلم .

(١) في الإنصاف : « على زعمهم في بقاء هذه الأشياء المتأخرة إلى وقت القضاء »

وقوله : (وكلُّ أخٍ مفارقة أخوه) قال الفالقي^(١) في شرح اللباب :
يحتمل وجوهاً من الإعراب : أحدها أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقة خبره
وأخوه فاعل مفارقة . الثاني : أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقة مبتدأً ثانياً وأخوه
خبره والجملة خبر الأول . الثالث : أن يكون كلُّ مبتدأ وأخوه مبتدأً ثانياً
ومفارقة خبر المقدّم والجملة خبر الأول . الرابع : أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقة
بدلاً منه وأخوه خبر كلٍّ : أى مفارقة كلِّ أخٍ أخوه . الخامس : أن يكون
مفارقة بدلاً من كلٍّ وأخوه مبتدأ وكلُّ أخٍ مفارقة خبر مقدّم انتهى .

٥٥

وقوله : (لَعَمْرُؤُا بَيْك) مبتدأ خبره محذوف تقديره : قسّى .
والجملة معترضة .

وهذا البيت جاء في شعرين لصحابيَّين : أحدهما عمرو بن مَعْدِيكَرِب ،
أنشده الجاحظ في البيان والتبيين له ، وكذا نسبّه إليه المبرّد في الكامل ،
وصاحب جهرة الأشعار ، وغيرهم — وتقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع
والخمين بعد المائة^(٢) .

صاحب
الشاهد

الثاني حَضْرَمِيُّ بن عامر الأسديّ : قال الأمدىّ (في المؤلف والمختلف) :
هو حَضْرَمِيُّ بن عامر بن مُجَمِّع بن مَوْعَلَة بن هشام بن ضُب^(٣) بن كعب
ابن القين بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . وهو شاعرُ فارس سيّد ،
وله في كتابِ بني أسدٍ أشعارٌ وأخبارٌ حَسَنان ، وهو القائل :

حضرى
ابن عامر

أَلَا عَجِبْتَ عُمَيْرَةُ أَمْسٍ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ الذُّؤَابَةِ قَدْ عَلَانِي
تقول : أرى أبى قد شَابَ بعدى وَأَقْصَرَ عَنْ مَطَالِبَةِ الْغَوَانِي^(٤)

(١) فى النسختين : « الفالقي » بالثاقف ، وإتما هو الفالقي بالفاء ، صاحب شرح اللباب

(٢) الخزّانة ٢ : ص ٤٤٤

(٣) وكذا فى المؤلف ٨٤ ، لكن فى الإصابة : « ضبة » .

(٤) فى النسختين : « قد أرى أبى » ، صوابه من المؤلف وشرح شواهد المفنى .

إلى أن قال :

وذى فَنَحْمٍ عَزَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ حِذَارَ الشَّامِتِينَ ، وقد شَجَانِي
قَطَعْتُ قَرِينَتِي عَنْهُ فَأَغْنِي غِنَاهُ فَلَمْ أَرَاهُ وَلَمْ يَرَانِي^(١)
وَكُلُّ قَرِينَةٍ قُرِنْتُ بِأُخْرَى وَلَوْ ضُنَّتْ بِهَا ، سَتَفَرَّقَانِ
وَكُلُّ أُخْرٍ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَمَرُّ أَيْيَكُ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ
وَكُلُّ إِيَّائِي إِيَّاهُ أَنِّي عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارَ الْعَيْنَانِ^(٢) اهـ

والنِّزَابَةُ : الخُصْلَةُ مِنَ الشَّعْرِ . وَالْفَنَحْمُ ، بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة :
التعظم والاستعلاء ؛ ومثله الفُخَيْمَةُ بالتصغير . وعَزَفْتُ ، بالعين المهملة والزاى
والفاء ، أى صرفت . وحِذَارَ مفعولٌ لأجله لقوله عزفت . ووجهة وقد شَجَانِي ،
أى أحزننى ، حَالِيَةً . وقوله : قَطَعْتُ قَرِينَتِي ، هو جواب رُبَّ المَقْدَرَةِ فى قوله :
وذى فَنَحْمٍ . ومعناه كلُّ نفسٍ مقرونةٍ بِأُخْرَى ستفارقها . وضُنَّتْ : بَخَلَّتْ .
وقوله : وَكُلُّ إِيَّائِي ، كلُّ فعلٌ ماضٍ من الكَلَالِ . وَيُرْوَى : (وكان
إِيَّائِي إِيَّاهُ^(٣)) .

وَحَضَرَمِيٌّ بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعد الراء ميم مكسورة
بعدها ياء مشددة . وَجُمِعَ بوزن اسم الفاعل من جَمَعَ تَجْمِيعًا . وَمَوَءَلَةٌ ، بفتح
الميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ، قال فى القاموس : وبنو مَوَءَلَةٍ

(١) شرح شواهد الغنى : « فلن أراه ولن يرانى » ، والرواية هنا على لغة من يرفع
المضارع بعد « لم » كما جاء فى قوله :

لولا فوارس من ذهل وإخوتهم يوم الصايفاء لم يوفون بالجار

(٢) السيوطى : « فكان إِيَّائِي »

(٣) كتب مصحح المطبوعة الأولى ، أى طبعة بولاق : « بياض بالأصل ، وبهامشه
لعل موضع البياض : وخوار العنان : سهل المعطف كثير الجرى ، اهـ . وليس فى سه
أثر البياض .

كَمَسْعَدَةٍ : بطن ، وهو مفعلة اسم مكان من وأل إليه يثل بمعنى لجأ وخلص ؛
 وللموئل : لللجأ . وضبطه ابن حجر في الإصابة مَوَلَّةً بفتحات ، وأورد حمام
 بدل هشام^(١) . وأورد باقي النسب كما ذكرنا ، وقال : ذكره ابن شاهين وغيره
 في الصحابة . وروى أبو يعلى وابن قانع^(٢) ، من طريق محفوظ بن علقمة ،
 عن حضرمي بن عامر الأسدي - وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال :
 « إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الرِّيحَ وَلَا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ » - قال السيوطي^{٥٦}
 في شرح شواهد اللغني : ولم أقف لحضرمي على رواية غير هذا الحديث .

قال ابن حجر : وروى ابن شاهين من طريق المدائني عن جماعة أنهم
 قالوا : وفد بنو أسد بن خزيمه ، وفيهم حضرمي بن عامر وضرار بن الأزور ،
 وسلمة وقتادة وأبو مَكَيْت . فذكر الحديث في قصة إسلامهم وكتب لهم
 رسول الله ﷺ كتاباً . قال : فتعلم حضرمي بن عامر سورة (عَبَسَ وَتَوَلَّى)
 فزاد فيها : «وهو الذي أنتم على الحبلى» فأخرج منها نَسَمَةً تسمى ، فقال له
 النبي ﷺ : « لا تزِدْ فيها » .

وأخرجه من طريق منجيب بن الحارث من طريق ذكر فيها^(٣) أن السورة
 (سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) وروى عمر بن شبة بإسناد صحيح إلى أبي وائل قال :
 « وفد بنو أسد فقال لهم النبي ﷺ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : نحن بنو الزينة أحلاس
 الخليل ! قال : بل أَنْتُمْ بنو الرِشْدَةِ ! فقالوا : لا ندعُ اسمَ أَيْنَا » وذكر
 قصة طويلة .

وقال المرزباني في معجمه : كان حضرمي يكنى أبا كِدَام^(٤) ؛ ولما سأله

(١) السيوطي : « بدل هام » .

(٢) في النسختين : « ابن نافع » ، وأثبت ما في الإصابة وشرح شواهد اللغني .

(٣) في النسختين : « ذكرها فيها » ، وصوابه من الإصابة

(٤) كِدَام ككتاب

عمر بن الخطاب عن شعره في حرب الأعاجم ، أنشده أبياتاً حسنة في ذلك .
وروى أبو عليّ القالي^(١) من طريق ابن الكلبي قال : كان حضرمي^٢
ابن عامر عاشر عشرة من إخوته ، فماتوا فورهم ، فقال فيه ابن عم له يقال
له جزء بن مالك : يا حضرمي ورثت تسعة إخوة فأصبحت ناعماً ! فقال
حضرمي ، من أبيات :

إن كنت قاولتني بها كذباً جزء ، فلاقيت مثلها عجلاً^(٣)

فجلس جزء على شفير بئر هو وإخوته - وهم أيضاً تسعة - فأنخسف بهم
فلم ينبج غير جزء ، فبلغ ذلك حضرمي بن عامر فقال : كلمة وافقت قدراً ،
وأبقت حقدا ! انتهى ما أورده ابن حجر في الإصابة .

وهذا البيت الذي نقله عن أبي عليّ القالي ، هو أحد أبيات ثلاثة أوردها
ابن السيد البطلاني في شرح شواهد أدب الكاتب^(٤) وهي :

يزعم جزء ولم يقل جلاً أني تزوّحت ناعماً جديلاً
إن كنت أزننتني بها كذباً جزء ، فلاقيت مثلها عجلاً
أفرح أن أزرأ الكرام وأن أورث ذوداً شصائصاً نبلاً

و جزء ، بفتح الجيم وسكون الزاي وثالثه همزة ؛ وهو منادى في البيت
الثاني . والجلل هنا بمعنى الحقير^(٥) ويأتي بمعنى العظيم أيضاً ، وهو من الأضداد .

(١) في الأملال ١ : ٩٧ .

(٢) الأملال : « إن كنت أزننتني » .

(٣) في النسختين : « آداب الكاتب » تحريف

(٤) تبع البغدادي في هذا ابن السيد في الاقتضاب ٣٦١ . ولا تعارض بين هذا
التفسير وبين رواية القالي : « ولم يقل سداً » إذا المعنى أنه لم يوفق إلى السداد ،
فأني يزعمه أمراً معطلاً .

وَتَرَوَّحَ بِالْخَاءِ لِلْمَهْلَةِ : صار ذا راحة . وناعم : وصفٌ من النعيم ، وهو الخَفَضُ والدَّعَّةُ واللَّال . وَجَذْلَانِ بِمَعْنَى فَرَحَانِ ، من الْجَذَلِ ، بفتحين ، وهو الفَرَحُ . وَأَزْنَنْتَنِي : أَتَمَّنَنِي ؛ يقال زَنْزَنَتْهُ وَأَزْنَنْتَهُ بِكَذَا : إذا أَتَمَّنَتْهُ بِهِ وَنَسَبَتْهُ إِلَيْهِ . وقوله : أَفْرَحُ ، أراد أَفْرَحُ ، على معنى التقرير^(١) والإنكار ، فترك ذكر الهزرة وهو يريد بها حين فُهِمَ ما أراد ؛ وهذا قبيح ، وإنما يحسن حذفها مع أم .

وقد أورده صاحب الكشاف في تفسيره دليلاً على حذف همزة الاستفهام . والرُّزءُ ، براء مضمومة وزاى ما كنة بعدها همزة ، قال صاحب القاموس : رَزَاهُ مَالَهُ ، كَجَعَلَهُ وَعَمَلَهُ ، رَزَاهُ بِالضَّمِّ : أَصَابَ مِنْهُ شَيْئاً . فالفعل الثانى فى البيت محذوف ، أى أَرَزَاهُ الْكَرَامَ مَالَهُمْ . وأورث بالبناء للفعل . والذَّود من الإبل : دون العشرة ، وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ فى الإناث . والشَّصَائِصُ التى لا ألبان لها ؛ الواحد شَصُوصٌ ، بفتح المعجمة وإهمال الصادين ؛ يقال شَصَّتْ الناقةُ وَأَشَصَّتْ . والنَّبِيلُ ، بفتح النون والموحدة : الصَّغَارُ ؛ قال فى القاموس : والنَّبِيلُ مَحْرَكَةٌ : عِظَامُ الْحِجَارَةِ وَالْمَدَرِ وَصَغَارُهَا .

٥٧

(تمة)

أوردَ الآمِدِيُّ (فى المؤلف والمختلف) اثنين من الشعراء مِمَّنْ اسمه حَضَرَمِيٌّ ، أحدهما هذا الصحابى .

والثانى حَضَرَمِيٌّ بنُ الْفَلَنْدَحِ (بفتح الفاء واللام وسكون النون وفتح الدال وآخره حاء مهملة) قال : هو أخو بنى حَرَامِ بنِ عُوفٍ الْمَشْجَعِيَّ . وبنو مَشْجَعَةَ بنِ تَيْمِ بنِ التمر بن وَبَرَةَ ، أبو كلب بن وَبَرَةَ ؛ شاعرٌ ، وهو القائل :

حَضَرَمِيٌّ بنُ
الْفَلَنْدَحِ

(١) فى النسختين : « التقدير » ، والتصحيح للشنيطى فى نسخته

إِذَا فَتَحْتَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ نَفْعَةً رِيَّاحُ الصَّبَا^(١) يَأْقِلُ طَابَ نَسِيمُهَا
كَأَنَّكَ فِي الْجَلْبَابِ شَمْسٌ نَقِيَّةٌ نَجْوَبٌ^(٢) عَنْهَا يَوْمَ دَجْنِ غُيُومِهَا: انْتَهَى
وَقِيلَ مَرَّحَمَ قِيلَةً^(٣) بِالْقَافِ اسْمُ امْرَأَةٍ ، وَلَا أَعْرِفُ هَلْ هُوَ إِسْلَامِيٌّ أَوْ لَا .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِى وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ :

٢٤١ (وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَانِ دِنًا هُمْ كَمَا دَانُوا^(٤))

عَلَى أَنَّ (سُوى) قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الظَّرْفِيَّةِ إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ،
وَهِيَ هُنَا مَرْفُوعَةٌ بِضَمَّةٍ مُقَدَّرَةٌ عَلَى الْأَلْفِ عَلَى أَنَّهَا بَدَلٌ مِنْ فَاعِلٍ لَمْ يَبْقَ
الْمُخَنُوفِ ، أَيْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ سِوَى الْعُدْوَانِ . وَهَذَا عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ شَاذٌ لَا يَجِىءُ
إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ .

صاحب
الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للفنيد الزماني ، قالها في حرب البسوس^(٥) ؛
أورد قطعة منها أبو تمام في أول الحماسة ، وهي :

أبيات
الشاهد

(صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذَهْلٍ وَقُلْنَا : الْقَوْمُ إِخْوَانُ
عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَنَّ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا
فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَانِ دِنًا هُمْ كَمَا دَانُوا

(١) في المؤلف ٨٥ : « الصبايا قبل » ، وما هنا صوابه .

(٢) المؤلف : « تجرب » ، بالراء ، وما هنا صوابه

(٣) انظر الحاشية ١ : ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(٤) البني ٣ : ١٣٢ والمجم ١ : ٢٠٢ والأشعري ٢ : ١٥٩ والنصر ١ : ٣٦٢

والحماسة ٣٥ بشرح المرزوقي وآمال القالي ١ : ٢٦٠ وشرح شواهد المغني ٣١٩

(٥) كتاب البسوس ٩٣

مَشِينَا مِشِيَةَ اللَّيْثِ ، غَدَاً ، وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
 بضربٍ فيه توهينٌ وتخضيعٌ وإقْرانٌ
 وطعنٌ كَفَمِ الزُّقِّ غَدَاً وَالزُّقُّ مَلَانٌ
 وبعضُ الحلمِ عندَ الجملِ للذَّلَّةِ إِذْ عَانَ ١
 وفي الشرِّ نَجَادَةٌ حَيْثُ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانٌ

الصفح : العفو ، وحقيقته أعرضنا عنهم وأوليناهم صَفْحَةً عُنُقْنَا . ورؤى :
 (عن بنى هِنْدٍ) ، وهى هند بنت مر بن أد أخت تميم . وقوله : عسى الأيام
 الح ، قال المرزوق : لا يجوز أن يكون الذى بمعنى الذين ، لأن الموصول
 والصلة يصير صفة لقوم آخرين كالقوم المذكورين ، بل التقدير : أن يرددن
 دأب القوم كائنًا كالدأب الذى كانوا عليه . وفى هذا الوجه يجوز أن يكون
 الذى للجنس ، كما قال تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به ^(١)) ثم قال :
 (أولئك) . والفصل بين هذا الوجه والوجه الأول أنه أمل فى الوجه الأول
 أنهم إذا عفوا عنهم أدبهم الأيام وردت أحوالهم كأحوالهم فيما مضى : فى
 الاتفاق والتواتر ، وفى الوجه الثانى أمل أن يرجع الأيام أنفسهم ، إذا صفحوا
 عنهم ، كما عهدت : سلامة صدور وكرم عهود ^(٢) انتهى .

ومعنى يرجعن يرددن من باب فعل وفعلته ، يقال رجع فلان رجوعاً
 ومرجعاً ^(٣) ورُجِعَانًا ورجعته رجعاً ، والعائد محذوف : أى كالذى كانوه ،
 وهو خبر كان .

(١) الآية ٣٣ من الزمر

(٢) النقل هنا مقتضب فارجع إلى شرح المرزوق ٣٤ .

(٣) بكسر الجيم كما فى القاموس ، وكذلك مرجعة بكسر ما . ونبه على شذوذها .

وهذا البيت أورده ابن هشام فى المعنى على أن بعضهم استدلّ به على أن المعرفة إذا أُعيدت نكرةً كانت عَيْنًا (١) ، على القاعدة المشهورة .

و (صرّح) بمعنى انكشف ، ويأتى أيضاً متعدّياً بمعنى كشفه . وجملة (وهو عريان) خبر أسمى ؛ وذكرُ العريان مثلُ لظهور الشرّ . وروى (فاضحى وهو عريان) وهذه أحسن ، لأنّ الشئ فى الضحى أشهر . وقوله : (ولم يبق سوى العدوان) معطوفٌ على قوله صرّح . وقوله : (دناهم .. الخ) جوابٌ لما . والعدوان : الظلم الصريح . والدّين : الجزاء . وأورد البيضاوى هذا البيت فى قوله تعالى : (مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ) على أن الدّين الجزاء . والمعنى : لما أصرّوا على البغى وأبوا أن يدعوا الظلم ، ولم يبق إلا أن تقتلهم ونعتدى عليهم كما اعتدوا علينا ، جازيناهم بفعلهم القبيح كما ابتدؤنا به . وإطلاق المجازاة على فعلهم مشاكلةً ، على حدّ قوله تعالى : (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) (٢) .

وقوله : مشينا مشية الخ ، هذا تفصيلٌ لما أجمله فى قوله دناهم ، وتفسيرٌ لكيفية المجازاة . وكرر الليث ولم يأت به مضراً ، تفخيماً وتعظيماً . والمعنى : مشينا إليهم مشية الأسد ابتكر وهو جائع . وكفى عن الجوع بالضرب ، لأنّه يصحبه . وغداً بمعجمة فمهمة ، ولا يجوز بمهملتين لأنّ الليث لا يكون ماشياً عادياً فى حال . فإن قيل : اجعله من العدوان ، قلتُ : الليث لا يمشى فى حال عدوانه وإنما يشدُّ شداً ؛ ويجوز على رواية (شدّنا شدة الليث) على أنّه من العدوان .

(١) الوجه عينها ، أى عين المعرفة .

(٢) الآية ١٩٤ من سورة البقرة

وقوله : بضربٍ فيه توهينٌ الخ ، الباء تتعلق بمشينا . والتوهين :
التضعيف والإقتران : مواصلة لا فتور فيها : ورؤى :

بضربٍ فيه تفجيعٌ وتأيمٌ وإرنانٌ

والتأيم : جعل المرأة أيمًا ، والأيم هي التي قُتِل زوجها أو مات .
والإرنان ، من الرنين والبكاء ، يقال رنَّ وأرنَّ .

وقوله : وطعن كُفَّ الرُّقِّ الخ ، غذا بمجمتين بمعنى سال ، يقال غذا
يقذو غَذَوًا والاسم الغذاء ، أى وطعن فى اتساعه وخروج الدم منه كُفَّ الرُّقِّ
إذا سال بما فيه وهو مملوء . وجملة غذا مع ضميره بتقدير قد ، حالية .

وقوله : وبعض الحلم الخ ، الإذعان : الانقياد ، يقال أذعن لكذا : إذا
اقتاد له ، وأذعن بكذا : إذا أقرَّ به . اعتذرَ فى هذا البيت عن تركهم التحلُّم
مع الأقرباء ، بأنه كان يُغضى إلى الذلِّ .

وقوله : وفى الشرِّ نجاةٌ الخ أراد فى دفع الشرِّ ؛ ويجوز أن يريد وفى عمل
الشرِّ نجاةٌ ، كأنه يريد : وفى الإساءة تخلصٌ إذا لم يخلصك الإحسان .

و (الفند الزماني) اسمه شَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْمَانَ الْحَنْفَى .
فهو منسوبٌ إلى جدِّ أبيه . (وشهل) بالشين ، وليس فى العرب شَهْلٌ بالمعجمة
إلا هو وشهلُ بن أعمار من قبيلة بَجِيلَةَ . و (زيمان) بكسر الزاى وتشديد
الميم ، هو إما فِعْلَانٌ مِنْ زَمَتَ ؛ أو فِعَالٌ مِنَ الزَمَن . و (الفند) بكسر الفاء
وسكون النون : القطعة من الجبل ، وإنما لُقِّبَ به ، لأن بكر بن وائل بعثوا
إلى بنى حَنِيفَةَ (١) - فى حرب البسوس - لينصروهم ، فأمدوهم به وكتبوا
إليهم : قد بعثنا إليكم بثلاثمائة فارس فلما أتى بكرًا وهو مُسِنَّةٌ قالوا : وما

الفند الزماني

يعنى هذا العُشْبَةُ ١ قال : أو ماتروضون أن أكون لكم فنداً تأوون إليه ؟
فلقّب به .. والعُشْبَةُ ، بفتحات العين المهملة والشين المعجمة والتاء الموحدة :
الشيخ الكبير ؛ ويقال العُشْمَةُ بالميم بدل الموحدة ، كذا في إعراب الحماسة
لابن جني .

وفي الأغاني (١) : كان الفند أحدَ فرسان ربيعة المشهورين المعدودين ،
شهد حربَ بكرٍ وتغلبَ وقد قارب المائة سنة ، فأبلى بلاءً حسناً . وإنما لقّبَ
فنداً ، لأن بكر بن وائل بعثوا إلى بني حنيفة يستنصرونهم . وذكر الحكاية
التي ذكرناها ، ثم قال : فوجهوا إليهم بالفند الزماني ، في سبعين رجلاً ،
وكتبوا إليهم : إنا قد بعثنا إليكم ألف رجل ١ .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد المائتين (١) :

٢٤٢ (تَجَانَفُ عَنْ جَوْ الْعِيَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَلَتْ عَنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَا)
على أن خروج (سواء) عن الظرفية شاذٌ خاصٌ بالشعر ، وإذا خرجت
كانت بمعنى غير .

وقد استفتي بعضهم من جملة أسئلة أربعة : هل تكونُ سواء بمعنى غير ؟
فأجابه أبو نزار الملقّب بملك الشعبة ، بأنه قد نصَّ على أنها لاتأني إلا ظرف
مكان ، وأن استعمالها اسماً متصرفاً بوجوه الإعراب بمعنى غير خطأ .

وقتل ابن الشجري في أماليه صورة الاستفتاء الأسئلة الأربعة ، وما أجاب

(١) وهو من شواهد س في كتابه ١ : ١٣ ، ٢٠٣ ولا أدري كيف أهل البغدادى
الإشارة إليه . وانظر أماني ابن الشجري ١ : ٢٣٥ / ٢ : ٤٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،
وابن يمين ٢ : ٤٤ ، ٨٤ ، والإنصاف ٢٩٥ والمجم ١ : ٢٠٢ وديوان الأعشى ٦٥ .

به أبو نزار ، وجواب الإمام أبي منصور الجواليقي^(١) واستجبهل أبو نزار وذمه ، وخطأه تبعاً للجواليقي ، وأجاب هو أيضاً عن الأسئلة وقال في سؤي : وأما سؤي فإن العرب استعملتها استثناء ، وهي في ذلك منصوبة على الظرف ، بدلالة أن النصب يظهر فيها إذا مدت ؛ فإذا قلت أتاني القوم سواءك فكأنك قلت مكانك . واستدل الأخصس على أنها ظرف بوصلمهم الاسم الناقص بها في نحو : أتاني الذي سواك . والكوفيون يرون استعمالها بمعنى غير . وأقول : إدخال الجار عليها في قول الأعشى :

وما قصدت من أهلها لسوائكا

يخرجها عن الظرفية . وإنما استجازت العرب [ذلك^(٢)] فيها تشبيهاً لها بغير ، من حيث استعمالوها استثناء . وعلى تشبيهها بغير قال أبو الطيب :

أرض لها شرفٌ سواها مثلها لو كان مثلك في سواها يوجد

رفع سؤي الأولى بالابتداء وخفض الثانية بفي ، فأخرجها من الظرفية . فمن خطأه فقد خطأ الأعشى في قوله : لسوائكا ؛ ومن خطأ الأعشى في لفته التي جيل عليها - وشعره يستشهد به في كتاب الله تعالى - فقد شهد على نفسه بأنه مدخول العقل ضارب في غمرة الجهل . ومن العجب أن هذا الجاهل يقدم على تخطئة سلف النحويين وخلفهم ، وتخطئة الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين ، ولا يؤثر عنه أنه قرأ مصنفًا في النحو إلا مقدمة من تأليف عبد القاهر الجرجاني ، قيل : إنها لا تبلغ أن تكون في عشر

(١) انظر الأشباه والنظائر للسيوضي ٣ : ٦٦ ، ٦٩

(٢) التكملة من ٣ وأمال ابن الشجري ٢ : ١٢٤ والأشباه والنظائر ٣ : ٦٩

أوراق ١ وقيل : إنه لا يملك من كتب النحو واللغة ما مقداره عشر (١) أوراق ١ وهو مع ذلك يردُّ بفتحته على التحليل وسينويها : إنها لوصمة اتسم بها زماننا هذا لا يبيد عارها (٢) ولا ينقض شأرها. وإنما طلب بتلفيق هذه الأهواس، أن تُسطر فتوى ، فثبت خطؤها فيها مع خطأ غيره فيقال : أجاب أبو نزار بكذا ، وأجاب غيره بكذا ١ وقد أدرك لعمري الله مطلوبه ، وبلغ مقصوده ؛ ولولا إيجاب حق من أوجب حقه والتزم وفاقه ، واحترمت خطابه ، لصنت خطي ولفظي عن مجاورة خطه ولفظه : انتهى كلام ابن الشجري .

وأجاب الجواب بقوله : وأما سوى فلم يختلفوا في أنها تكون بمعنى غير ، تقول : رأيت سواك : أي غيرك . وحكى ذلك أبو عبيد عن أبي عبيدة . وقال الأعشى :

* وما قصدت عن أهلها لسوائكا (٣) *

أي لغيرك ، وهي أيضاً غير ظرف ؛ وتقدير التحليل لها بالظرف في الاستثناء بمعنى مكان وبدل ، لا يخرجها عن أن تكون بمعنى غير . وفيها لغات : إذا فتحت مدّت لا غير ، وإذا ضمت قصّرت لا غير ، وإذا كُسرَت جاز المدة والقصّر أكثر . وما يحمل المتكلم بالقول الهراء إلا فشوُّ الجهل . انتهى .

وقد حكى ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) مذهب البصريين والكوفيين مفصلاً ، فلا بأس بإيراده مجزئاً . قال : ذهب الكوفيون إلى أن

(١) ط : « عشر أوراق » صوابه في سـ والمرجعين السالفين .

(٢) ط : « لا يبيد » ، صوابه في سـ مع أثر تصحيح والمرجعين السابقين .

(٣) ط : « عن » ، صوابه من المراجع المتقدمة ، وبذلك صححت في سـ . وإثباتي

« عن » مع رواية « وما عدلت » .

سواء تكون اسمًا وتكون ظرفًا ، واحتجوا على أنها تكون اسمًا بمنزلة غير
ولا تلزم الظرفية ، أنهم يدخلون عليها حرف الخفض ، قال المرار بن سلامة
المعجلى :

ولا ينطق الفحشاء من كان منهم إذا جلسوا منا ولا من سوائنا
وقال الآخر :

وما قصدت من أهلها لسوائكا

وقال أبو ذؤاد :

وكل من ظن أن الموت مخطئه مجل بسوء الحق مكذوب^(١)
وقال الآخر (٢) :

أكره على الكتيبة لا أبالي أفيها كان حتى أم سواها
وروى عن بعض العرب أنه قال : أتاني سواؤك ؛ فرفع . وذهب
البصريون إلى أنها لا تكون إلا ظرفًا ، واحتجوا بأنها ما استعملت في اختيار
الكلام^(٣) إلا ظرفًا ، قالوا : مررت بالذي سواك . فوقعها صلة يدل على
ظرفيتها ، بخلاف غير . وقولهم : مررت برجل سواك ، أى برجل مكانك ،
أى يغنى غناءك ويسد مسدك . والذي يدل على تغاير سوى وغير ، أن سوى
لا تضاف إلا إلى معرفة ، نحو مررت برجل سواك ، وسوى العاقل ؛ ولو قلت :
سوى عاقل لم يجوز ، ولو قلت غير عاقل ، جز . ويدل على ظرفية سوى ،
أن العامل يتعداها ، قال ليبيد :

وابذل سوام للال ن سواها دهما وجونا

(١) كذا في ط . وفي س : « محل » ، والذي في الإنصاف « محل » .

(٢) هو العباس بن مرداس كما سبق في الخزانة ١ : ص ١٥٢ وما بعدها

(٣) ط : « خيار الكلام » صوابه في س والإنصاف .

فَنَصَّبَ سِوَاهَا عَلَى الظَّرْفِ وَذُهَا بَأَنَّ . . وَأَجَابُوا عَنْ الْآيَاتِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ لِمُضْرَرَّةِ الشَّعْرِ ، وَعِنْدَنَا يَجُوزُ خُرُوجُهَا عَنْ الظَّرْفِيَّةِ فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، وَلَمْ يَقَعْ اخْتِلَافٌ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلُوهَا بِمَنْزِلَةِ غَيْرِ فِي الضَّرُورَةِ ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَاهَا ؛ وَلَيْسَ شَيْءٌ يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ إِلَّا وَيَحَاوِلُونَ لَهُ وَجْهًا . وَأَمَّا رِوَايَةُ : أَنَّنِي سِوَاؤُكَ ، فَرِوَايَةٌ تُفَرِّدُ بِهَا الْفَرَاءَ عَنْ أَبِي تَرْوَانَ ؛ وَهِيَ رِوَايَةٌ شَاذَّةٌ غَرِيبَةٌ ، فَلَا يَكُونُ فِيهَا حُجَّةٌ . انْتَهَى .

صاحب
الشاهد

وَالْبَيْتُ الشَّاهِدُ مِنْ قَصِيدَةِ لِلْأَعَشَى مَيْمُون ، مَدَحَ بِهَا هُوَذَةَ (١) بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ ثَمَالَةَ الْخَنَفِيِّ ، وَمُطْلَعُهَا :

(أَحْيَيْتُكَ تَيًّا أَمْ تُرِكَتَ بِدَائِكَ وَكَانَتْ قَتْلًا لِلرِّجَالِ كَذَلِكَ (٢)
وَأَقْصَرْتَ عَنْ ذِكْرِ الْبَطَالَةِ وَالصُّبَا وَكَانَ سَفِينًا ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ (٣)
وَمَا كَانَ إِلَّا الْخَيْنَ يَوْمَ لِقَائِهَا وَقَطَعَ جَدِيدَ حَبْلُهَا مِنْ جِبَالِكَ
وَقَامَتْ تُرِينِي بَعْدَ مَا نَامَ صَحْبِي بِيَاضَ ثَنَائِيهَا وَأَسْوَدَ حَالِكَ (٤)
نَمَّ وَصَفَ الْفَقْرَ وَالْعَاقَةَ فِي آيَاتٍ . . إِلَى أَنْ قَالَ :

(إِلَى هُوَذَةَ الْوَهَّابِ أَهْدَيْتُ مِدْحَتِي أَرْجَى نَوَالًا فَاضِلًا مِنْ عَطَائِكَ
نَجَانَفُ عَنْ جَوِّ الْبَيَامَةِ نَاقِي وَمَا عَمَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَ
أَلَمْتُ بِأَقْوَامٍ فَعَافَتْ حِيَاظَهُمْ قَلَوَصِي ، وَكَانَ الشَّرْبُ فِيهَا بِمَائِكَ (٥)
فَلَمَّا أَتَتْ أَطْلَامَ جَوْ وَأَهْلَهُ أَنْيَخْتُ فَأَلَقْتُ رَحْلَهَا بِفَنَائِكَ (٦)

(١) وردت « هُوَذَةُ » فِي ط بَالِدَالِ الْمَهْصَلَةِ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِهَا هُنَا ، وَهُوَ تَصْغِيرُ ظَاهِر :

(٢) فِي دِيْوَانِهِ ٦٤ : « أَتَشْفِيكَ تَيًّا » :

(٣) فِي الدِّيْوَانِ : « وَكَانَ سَفِينًا » :

(٤) فِي الدِّيْوَانِ : « الشَّرْبُ مِنْهَا » .

(٥) ط : « فَأَلَقْتُ » ، صَوَابُهُ فِي ٦٥ ، وَفِي الدِّيْوَانِ ٦٦ : « وَأَلَقْتُ » :

سمعتُ برحْبِ الباع والجودِ والندى فألقيتُ دُلوى فاستقتُ برِشائِكا
 وما ذاكَ إلا أن كَفَيْكَ بالندى يَجُودانِ بالإعطاءِ قبلَ سُؤالِكا
 قَيَّ يحملُ الأعباءَ ، لو كان غيرُهُ من النَّاسِ ، لم يَنْهَضْ بها مناسِكا
 وأنتَ الذى عودتَنى أنْ تَرِيشَنِى وأنتَ الذى آوَيْتَنى فى ظلالِكا
 وإلّاكَ فيها نابى بى مُولَعٌ بخيرٍ وإِني مُولَعٌ بشنائِكا
 وجدتُ عليّا بانِياً فورِثتهُ وطلَقاً وشيبانَ الجوادَ ومالِكا
 ولم يَسعَ فى العلياءِ سَعِيكَ ماجدٌ ولا ذوُ إنّا فى الحىِّ مثلُ إنائِكا
 وفى كلِّ عامٍ أنتَ جاشمُ رِحْلَةٍ تُشدُّ لأقصاها عَزيمَ عزائِكا^(١)
 مورِثَةٍ مالاً وفى المجدِ رِفْعَةٍ لما ضاعَ فيها من قُرُوءِ نساِكا
 قوله : أحييتُكَ ، الممزة للاستفهام ، والتحية معروفة . وتيّاً بفتح اللّشاة
 الفوقية وتشديد اللّشاة التّحتية ، الظاهرُ أنّه اسمُ محبوبته^(٢) وقد تغزّل بها
 فى أكثر قصائده ، كقوله :

تذكّرتُ تيّاً وأترابِها وقد أخلّفتُ بعضَ ميعادِها
 وقوله :

عَرَفْتَ اليَومَ من تيّاً مُقاما بِجَوٍّ أو عَرَفْتَ لها خِياما
 وقيل : إنّها اسمُ إشارةٍ بمعنى هذه . وأراد بالأسود الحالكِ شعرَها .
 وقوله : (تَجَانَفُ عَنْ جَوٍّ .. الخ) أصله تتجانف بتاءين من الجنف
 وهو الليل . و (جَوٍّ) بفتح الجيم وتشديد الواو : اسمُ الهيمة فى الجاهلية ،
 حتّى سماها الحميرى لما قتل المرأة التى تُسمّى الهيمة باسمِها ؛ وقال الملك الحميرى :

(١) ط : « عرائِكا » صوابه فى سـ والديوان

(٢) فى شرح نعلب بالديوان ٦٤ : « تيا بالفتح وتيا بالكسر : مثل تلك » :

وَقُلْنَا فَسَمُّوْهَا الْيَمَامَةَ بِاسْمِهَا وَسِرْنَا وَقُلْنَا لَا نَزِيدُ إِقَامَةَ
وَقَالَ الْأَعْشَى فِي مَدْحِ الْخَنْفَى أَيْضًا ، وَهُوَ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ ، وَيَذْمُ الْخَارِثَ
ابْنَ وَعْلَةَ :

وإنَّ امرأً قد زرتُهُ بعد هذه بِجَوِّ نَخِيرٍ مِنْكَ نَفْسًا وَوَالِدًا
كَذَا فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ لِلْبَكْرِىَّ . وَرُوى (عَنْ جُلِّ الْيَمَامَةِ) وَفِي الرَّوَايَتَيْنِ
حَذَفَ مِضَافٌ ، فَلَاوَلَّ عَنْ أَهْلِ جَوِّ الْيَمَامَةِ ، وَالثَّانِي عَنْ جُلِّ أَهْلِ الْيَمَامَةِ :
أَيُّ مُعْظَمِ أَهْلِهَا . يَعْنِي : أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ سِوَاهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ . وَضَمِيرُ (أَهْلِهَا)
لِلْيَمَامَةِ . وَجَعَلَ الْمِيلَ عَنْ غَيْرِ هَوْدَةٍ إِلَى هَوْدَةٍ فَعِلَ النَّاقَةُ ، وَإِنَّمَا هُوَ فَعِلَ
صَاحِبِهَا . وَاللَّامُ فِي (لِسَوَائِكَ) بِمَعْنَى إِلَى غَيْرِكَ .

٦٢ قَالَ صَاحِبُ التَّصْحِيفِ ^(١) : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : لَا يَكُونُ سِوَاهُ وَسِوَى اسْمًا ،
هُوَ صِفَةٌ ، وَقَالَ فِي قَوْلِهِ :

وَمَا قَصَدْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَ :

قَالَ الزَّجَّاجُ : سِوَاهُ زَيْدٌ وَعَمْرُوٌّ فِي مَعْنَى ذَوَا سِوَاهُ ، وَسِوَاهُ عِنْدَهُ مَصْدَرٌ ،
وَإِنَّمَا هُوَ لِمَكَانِ سَوَائِكَ . انْتَهَى .

وَقَالَ ابْنُ وَلاَدٍ (فِي الْمَقْصُورِ ^(٢) وَالْمَمْدُودِ) : سِوَى بِمَعْنَى غَيْرِ مَكْسُورٍ الْأَوَّلِ
مَقْصُورٌ ، يَكْتُبُ بِالْيَاءِ ، وَقَدْ يَفْتَحُ أَوَّلُهُ فِيمَا ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْمَكْسُورِ قَالَ
الْأَعْشَى يَفْتَحُ وَمَدَّ :

* وَمَا قَصَدْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَ *

وَقَوْلُهُ : وَجَدْتُ عَلِيًّا بَانِيًا الْحِ ، عَلَى أَبَوَيْهِ ، وَطَلَّقَ وَشِيَانُ وَمَالِكُ

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٩٨

(٢) المقصور والممدود ٥٤

أعمامه . وقوله : لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نَسَائِكَ ، يعنى الغزوة التى شغلته عن وطء نساءه فى الطُّهْر .

وهذه القصيدة تُشَبِّهُ أشعارَ المحدثين والمولدين فى الرقة والانسجام ؛ ولهذا أوردنا أكثرها .

وترجمة الأعشى ' تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين ^(٢) :

٢٤٣ (خَالِطَ مِنْ سَلَى خِيَاشِيمَ وَفَا)

على أَنَّ أصله (وفَاها) فحذف المضاف إليه .

قال أبو عليّ (فى إيضاح الشعر) : اعلم أَنَّ أبا الحسن الأَخْفَشَ قال فى قول الراجز :

خَالِطَ مِنْ سَلَى خِيَاشِيمَ وَفَا :

إِنَّ التَّقْدِيرَ : وفَاها ، فحذف المضاف إليه . وكذلك قال فى قوله : لَيْسَ غَيْرَ : إِنَّ التَّقْدِيرَ لَيْسَ غَيْرُهُ . وحكى بعضهم أَنَّ من الناس من قد لَحَنَهُ . والتلحين ليس بشيء ؛ لاحتماله ما قال أبو الحسن . وفيه قولٌ آخر : أَنَّهُ جاء على قول مَنْ لم يُبَدِّلْ من التنوين الألف فى النصب ولكن جعل النصب فى عدم إبدال التنوين ألفاً كالجرِّ والرفع ، كما جعلوا النصب فى نحو :

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٢) ديوان المتعجب ٨٣ وابن يمين ٦ : ٨٩ والمبني ١ : ١٥٢ والمجم ١ : ٤٠
ويَس ١ : ١٢٥ والمخصص ١ : ١٣٦ — ١٣٨ / ١٤ / ٩٦ : ٧٨ :

كفى بالنأى من أسماء كاف^(١)

مثل الجر والرفع . وكذلك يجعل النصب مثلها في نحو قوله :

وأخذ من كل حي عصم^(٢)

أى عصماً . وهذه اللغة ، وإن لم يحكها سيبويه ، فقد حكاها أبو الحسن وغيره . ووجهها من القياس ما أعلمتكم . فإذا جاز أن يُقدَّر على هذه اللغة قدَّرنَاهُ عليها ، وكانت الألف في الكلمة ، التى هى بدلٌ من عين الفعل ؛ وجاز ذلك لأنَّه ليس يبقِ الاسم المتكَّنَّ على حرف . ألا ترى أنَّ الألف منقلبةٌ عن العين ، فصار فى ذلك كالأسماء التى لما أُمنَ إلحاقُ التنوين بها جاز أن تبقى على حرفين أحدهما حرفُ لين : كقوله : ذو — التى فى معنى الذى — وذا ، وتا ، ونحو ذلك مما جاء على حرفين أحدهما حرفُ لين ، لما لم يكن مما يلحقه التنوين . فكذلك « خياشيم وفا » لا يمتنع أن يكون على حرفين أحدهما حرفُ لين ، على الوجه الذى ذكرنا . انتهى

وبسط هذا الكلام فى التذكرة القصصية ، وأطال وأطاب فى المسائل العسكرية .

وهذا البيت من أرجوزة للمعجاج ، مطلعها :

(يا صاح ، ما هاج العيون الذُّرَّفاً مِنْ طَلَلٍ أَمْسَى يحاكى المصحفاً

رُسُومُهُ والمذهب المزخرُفاً جَرَّتْ عليه الرِّيحُ حَتَّى قَدَّ عَفَا)

والبيت الأوَّل من شواهد شروح الألفية فى التنوين ، إلى أن قال :

(١) ليشتر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤٢ وعجزه :

« وليس لها إذ طال شاف »

(٢) للأعشى فى ديوانه ٢٩ . وصدده :

« إلى المزم قيس أطيل السرى »

(خَالَطَ مِنْ سَلَى خِيَاشِيمَ وَفَا صَهْبَاهُ خُرُطُومًا عُقَارًا قَرَقَفَا)

٦٣

والخياشيم : جمع خيشوم ، وهو أقصى الأنف . والصهباء : فاعل خالط ،
وهى الخمر ، سُمِّيَتْ به لونها وهو الصُّبْهَة وهى الشُّقْرَة . والخُرطوم : السُّلَافَة ؛
فى الأساس : وشَرِب الخُرطوم : أى السُّلَافَة لِأَنَّهَا أَوَّل مَا يَنْعَصِر . والعُقَار ،
بالضَّم : الخمر ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا عَاقَرَتِ الْعَقْلَ عَلَى قَوْل . يَصِفُ طَيْبٌ
نَكْهَهَا كَأَنَّ فِيهَا خَمْرًا . وَإِنَّمَا جَمَعَ الْخِيَاشِيمَ بِاعْتِبَارِ أَجْزَائِهِ وَإِطْرَافِهِ . وَحَيْثُ
كَانَ الْأَصْلُ فَاها ، فَخُذِفَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خِيَاشِيمَ كَذَلِكَ أَيْضًا ،
أى خِيَاشِيمَهَا وَفَاها .

وترجمة العجّاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل
الكتاب^(١) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ^(٢) :

٢٤٤ (وَلَا سَيْمًا يَوْمًا بِدَارَةِ جُلْجُلٍ)

على أَنَّهُ رَوَى بِنَصَبِ (يَوْمَ) بَعْدَ (لَا سَيْمًا) .

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ مَا قِيلَ فى تَوْجِيهِهِ . وَهَذَا عَجْزٌ ، وَصَدْرُهُ :

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ صَالِحٍ لَكَ مِنْهَا

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٠

(٢) من معلقة امرئ القيس : وانظر ابن يعيش ٢ : ٨٦ وألهمع ١ : ٢٣٤ وشرح
شواهد المفنى ١٤١ ، ٢٤٧ والاشعورنى ٢ : ١٦٧ والتصريح ١ : ١٤٤

وسى بمعنى مثل ، وأصله سِيَوٌ^(١) وقال ابن جنى : سَوَى مِنْ سَوِيته فَنَسَوَى ؛ فلما اجتمع حرفا العلة وسَبَقَ أحدهما بالسكون ، قلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء .

ويجوز في الاسم الذى بعدها الجرُّ والرفعُ مطلقاً ، والنصب أيضاً إذا كان نكرة ؛ وقد روى يهنٌ في قوله : ولا سِيا يوم . والجرُّ أَرَجَحُهَا^(٢) وهو على الإضافة ؛ و (ما) إمّا زائدة ، وإمّا نكرة غير موصوفة ويوم بدلٌ منها . والرفعُ على أَنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة صلةٌ ما إن كانت موصولة ، أو صفتها إن كانت نكرة موصوفة ، تقديره : لا مثل الذى هو يومٌ ، أو لا مثل شيء هو يوم . وسى في الوجهين نكرة ، لأنه بمعنى مثل فلا يتعرّف في الإضافة ، لتوغّله في الإبهام ؛ ولهذا جاز دخول لا التى لتنفى الجنس . وضعفُ الرفعُ بخنفِ العائد المرفوع مع عدم الطول في نحو لا سِيا زيدٌ — وأما في البيت فقد طالت الصلة أو الصفة بالجار والمجرور بعد يوم فإنه صفته — وبإطلاق ما على مَنْ يعقل . كذا قال ابن هشام (في المغني) وفيه : أَنه لا مانع من الإطلاق ، قال تعالى : (والسَّما وما بَنّاها . والأرض وما طَحّاها . ونَفْسٍ وما سَوّاها^(٣)) ولهذا لم يتعرّض له الشارح المحقّق .

وعلى الجرُّ والرفع ففتحة سِى إعرابٌ لأنّه مضاف ، فيكون اسمٌ لا والخبرُ محذوفٌ أى لنا . قال ابن هشام^(٤) : « وعند الأخفش ما خبرٌ إلّا . ويلزمه قطعُ سِى عن الإضافة من غير عوض . قيل : وكون خبر لا معرفة . وجوابه

(١) ط : « سو » ، وصوابه في س .

(٢) في النسختين : « أَرَجَحُهَا » ، والصواب من المغني ١ : ١٢٣

(٣) الآيات ٥ — ٧ من سورة الشمس

(٤) في المغني ٢ : ١١ عند الكلام على (ما)

أنه يُقدَّر ما نكرة موصوفة ، أو يكون قد رجع إلى قول سيبويه في لا رجل قائم : إن ارتفاع الخبر بما كان مرتفعاً به ، لا بلا النافية . وفي الهيئيات^(١) للفارسي : إذا قيل : قاموا لا سيما زيد ، فلا مهمة وسي حال ، أى قاموا غير مماثلين لزيد في القيام . ويردُّه صحة دخول الواو ، وهي لا تدخل على الحال المفردة ، وعدم تكرار لا ، وذلك واجب مع الحال المفردة « انتهى .

وأما من نصب فقد تكلفوا لتوجيهه : فقيل : إنه تمييز ثم قيل : ما نكرة تامة مخفوضة بالإضافة وكأنه قيل : ولا مثل شيء ؛ ثم جرى بالتمييز . ففتحة سى إعراب أيضاً . وقال الفارسي : ما حرف كاف لسى عن الإضافة ، فأشبهت الإضافة في : على التمرة مثلها زبدًا . ففتحها على هذا بناء . وقيل : منصوب بإضمار فعل ، أى أعنى يوماً . وقد بينه الشارح المحقق . وقيل : على الاستثناء . وقيل منصوب على الظرف ويكون صلة لما . كذا في شرح اللب .

٦٤

وأما انتصاب المعرفة نحو : ولا سيما زيداً ، فقد منعه الجمهور ، وقال ابن الدهان : لا أعرف له وجهاً . وقد وجهه الشارح المحقق بأنه تمييز . وقال ابن هشام : « ووجهه بعضهم بأن ما كافة ، وأن لا تنزل منزلة إلا في الاستثناء ورد بأن المستثنى مخرج ، وما بعدها داخل من باب الأولى . وأجيب بأنه مخرج مما أفهمه الكلام السابق من مساواته لما قبلها . وعلى هذا فيكون استثناء متقطعا » انتهى .

وأورد أيضاً على جعلها للاستثناء ، بأنها لو كانت بمعنى إلا لما جاز دخول الواو العاطفة عليه ، كما لا يجوز دخولها على إلا . وأجيب بأن معنى لا سيما ،

(١) مسائل لأبي على الفارسي أملاها في « هيت » بالكسر ، وهي بلدة على الفرات .

خُصُوصاً ؛ فكأنه قال : وخصوصاً هذا اليوم ، أى فأخصُّ هذا اليومَ من سائر الأيام خصوصاً ، لكونه أبلغ في الحظوة منها ؛ فهو في المعنى مقدَّر بفعل ينصبه . وإنما أطلق عليه أنه بمنزلة إلا نظراً إلى المعنى ، لأن الاستثناء أيضاً تخصيص . وإنما أدخل الواو نظراً إلى المعنى أنه مقدَّر بجملة ، أى وأخصُّ هذا اليوم لأنه ليس مثل الأيام الصالحة بل هو أفضل . كذا في شرح الباب . وقد جعلها الشارح واو الاعتراض ، وبين المعنى ، ثم ذكر أن قولهم : ولا سيما ، قد تحذف واؤها وقد تخفف ياؤها ، كقوله .

فِهِ بِالْعُقُودِ وَبِالْإِيمَانِ لَا سِيَّمَا عَقْدُهُ وَفَاءُ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبِ
لكن قال ثعلب : مَنْ استعمله على خلاف ما جاء في قوله : ولا سيما يوم
بدارة جُلجل ، فهو غلطٌ .

(تَمَّة)

في شرح التسهيل : قد يقع بعد ما ظرفٌ نحو : يُعْجِبُنِي الْعَتَكُافُ
لا سيما عند الكعبة ، قال :

يَسْرُ الْكَرِيمِ الْحَمْدُ لَا سِيَّمَا لَدِي شَهَادَةٍ مَنْ فِي خَيْرِهِ يَتَقَلَّبُ
وقد تقع جملة فعلية كقوله :

فَقِ النَّاسِ فِي الْخَيْرِ لَا سِيَّمَا يُنِيلُكَ مِنْ ذِي الْجَلَالِ الرِّضَا^(١)

والغالب وصلها بالاسمية . وقال المرادى : إنه وقع بعدها الجملة الشرطية ؛
فما كافة بناءً على أن الشرطية لا تكون صلة للموصول . وفيه كلامٌ في شروح
الكشاف . وهذا كما حكى الجوهري : فلان يكرمُنِي لا سيما إن زُرته .

(١) - : « ينيلك » . والصواب أن تكون فعلاً كما في ط . وانظر المص ١ : ٢٣٥

ولا يصح جعل ما زائدة ، لأنه يلزم إضافة سي إلى الجملة الشرطية ؛ ولا يضاف إلى الجمل إلا أسماء الزمان .

وقد يقع بعدها جملة مقترنة بالواو فعلية كما وقع في عبارة الكشف :
لا سيما وقد كان كذا ؛ واسمية كما في قول صاحب اللواقف : « لا سيما
والهمم قاصرة » .

وفي شرح التسهيل : أنه تركيب غير عربي ، وكلام الشارح بخالفه .
وفي شرح اللواقف أن قوله : والهمم قاصرة ، مؤول بالظرف نظراً إلى قرب
الحال من ظرف الزمان ، فصح وقوعها صلة لماً . وهذا من قبيل الميل إلى المعنى
والإعراض عن ظاهر اللفظ ، أي لا مثل انتفائه في زمان قصور الهمم . وهذا
لا يرضاه نحوي ؛ كيف والجملة الحالية في محل النصب ، والصلة لا محل لها ؟

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة . وهذه أبيات منها :

أبيات
الشامد

٦٥

(وإن شِفائي عَبرةٌ لو سَفَحْتُها	فهل عَندَ رَسمِ دَارسٍ مَن مَعولٍ
كَدَأبِكَ مِن أُمِّ الحَوِيرِثِ قَبلِها	وَجَارِئِها أُمُّ الرِّبابِ بِأَسَلِ
إِذا قَامَنا تَضَوَّعَ المَسْكُ مِنِها	نَسِيمَ الصَّبَا جِاءَتْ بِرِياً القَرَنُفْلُ
ففاضَتْ دُموعُ العَينِ مِنِّي، صَبابةً ،	عَلى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحَلِّي ^(١)
أَلَا رُبَّ يَومٍ صالِحٍ لَكَ مِنِها	وَلَا سِياً يَوماً بِدارَةِ جُلُجُلِ ^(٢)
وَيَومَ عَقَرْتُ العَذارى مَطِيتي	فيا عَجباً لرحِليها لِلتَحَلِّي
فَظَلَّ العَذارى يَرتَمينَ بِلَحْمِها	وَشَحْمِ كَدَأَبِ الدِّمَقْسِ المَقْتَلِ

(١) ط : « محل » صوابه في -

(٢) - : « يوم »

ويوم دخلتُ الحِدرَ خِدرَ عُنيزةٍ . فقالت : لك الوليات ! إنَّكَ مُرجِلُ
تقولُ ، وقد مالَ الغبيطُ بنا ممَّا : عَقَرْتَ بَعيري يا امرأَ القيسِ فانزِلِ
فقلتُ لها : سيري وأرخي زِمَامَه . ولا تُبعديني مِن جَنَّاك المَعْلَلُ
البيتان الأولان قد تقدّم شرحهما في باب الحال في الشاهد التاسع والتسعين
بعد المائة ^(١) .

وقوله : إذا قامتا الخ ، ضمير المثنى لأنَّ الحويرث وأُمَّ الرِّباب . وتضوع :
فاح متفرّقا . والمِسْك يذُكَّرُ ويؤنثُ ، وكذلك العنبر ، ومن أنثه ذهب به
إلى معنى الريح ، ورواه (تَضَوُّعُ الْمِسْكِ) على أنه فعل مضارع أصله تَتَضَوُّعُ
بتاءين . ونصب نسيم الصِّبَا لأنّه قام مقام نعتٍ لمصدرٍ محذوف ؛ قال ابن هشام
في المغني ، في بيان كيفية التقدير : إنّه إذا استدعى الكلامُ تقديرَ موصوفٍ
وصفةٍ مضافة ، مثلاً ، فلا يقدَّرُ أن ذلك حُذِفَ دَفْعَةً واحدة ، بل على التدريج ،
نحو : تَضَوُّعُ الْمِسْكِ مِنْهَا نَسِيمُ الصِّبَا ، أى تَضَوُّعًا مِثْلَ تَضَوُّعِ نَسِيمِ
الصِّبَا . انتهى .

وأورد صاحبُ تحرير النخبِ هذا البيتَ في باب الاتساع ^(٢) ، وهو أن
يأتى الشاعرُ ببيتٍ يتسع فيه التأويلُ على قدرِ قُوَى الناظر فيه ، وبحسَبِ
ما تحتمله ألفاظه : فإنَّ هذا البيت اتَّسعَ التقادُّ في تأويله : فَمِنْ قَائِلٍ ^(٣) :
تَضَوُّعُ الْمِسْكِ مِنْهَا تَضَوُّعُ نَسِيمِ الصِّبَا — وهذا هو الوجهُ عندى — ومن
قَائِلٍ : تَضَوُّعُ الْمِسْكِ مِنْهَا ، بفتح الميمِ يعنى الجلد ، بنَسِيمِ الصِّبَا . انتهى .

(١) في هذا الجزء ص ٢٢٣ وما بعدها

(٢) تحرير النخب ٤٥٤ وقد تصرف البغدادي في نقله

(٣) في تحرير النخب : « فمن قائل تَضَوُّعُ مِثْلَ الْمِسْكِ مِنْهَا نَسِيمُ الصِّبَا ، ومن قائل
تَضَوُّعُ نَسِيمِ الصِّبَا مِنْهَا ، ومن قائل تَضَوُّعُ الْمِسْكِ مِنْهَا ... إلخ » .

والريّا : الرائحة الطيبة لا غير . وجلة جاءت الح ، بتقدير قد ، حالٌ من الصبا . ونسيم الصبا هبوبها بضعف . قال الدينوري (في كتاب النبات) : القرنفل أجود ما يؤتى به من بلاد الصين ، وقد كثر مجىء الشعر بوصف طيبه . . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : وقالوا : قد أخطأ امرؤ القيس ، فإنه لا يقال تضرع المسك حتى كأنه ريّا القرنفل ، إنما كان ينبغي أن يقول : تضرع القرنفل حتى كأنه ريا المسك . انتهى .

وقد تبعه الإمام الباقلاني (في كتاب إعجاز القرآن ^(١)) قال : وفيه خلل ^(٢) ، لأنه بعد أن شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم القرنفل . وذكر ذلك بعد المسك نقص . وكذلك قوله : إذا قامتا تضرع المسك منهما . ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيباً على كل حال . فأما في حال القيام فقط ، فذلك تقصير . وقوله : نسيم الصبا ، في تقدير المنقطع عن الصراع الأول ^(٣) . انتهى .

والعيان الأخيران ليسا كما زعمه ، فتأمل .

وقوله : ففاضت دموع العين الح ، فاضت : سالت . والعصابة : رقة الشوق ؛ ونصبها على أنها مفعولٌ له . والمحمل ، بكسر الأول : السير الذي يحمل به السيف ، قال شراح المعلقة : ومما يُسأل عنه هنا أن يقال : كيف يُبلّ الدمعُ محمله وإِنما المحمل على عاتقه ؟ فيقال : قد يكون منه على صدره فإذا بكى وجرى عليه الدمعُ ابتلّ — وقال الإمام الباقلاني ^(٤) : « قوله :

٦٦

(١) إعجاز القرآن ٢٤٨ — ٢٤٩

(٢) إعجاز القرآن : « ثم فيه خلل آخر »

(٣) بعده في الإعجاز : « لم يصل به وصل مثله »

(٤) إعجاز القرآن ٢٤٩

مَنِّي ، استعانه ضعيفة ، عند المتأخرين ، في الصنعة ^(١) ؛ وهو حشوٌ غير مكيح ولا بديع . وقوله : على النحر ، حشوٌ آخر لأنّ قوله : بلّ دَمِي محملي ، يُغنى عنه . ثمّ قوله : حتّى بلّ دَمِي الخ ، إعادة ذكر الدَمع حشوٌ آخر ، وكان يكفيه أن يقول : حتّى بلّت محملي . فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كله . ثمّ تقديره أنّه قد أفرط في إفاضة الدمع حتّى بلّ محمّله تفریط منه وتقصير ، ولو كان أبدع لكان يقول : حتّى بلّ دَمِي مغائبهم وعراصهم . ويشبه أن يكون غرضه إقامة الوزن والقافية ، لأنّ الدمع يبعد أن يبلّ المحمل ، وإلّا ما يقطر من الواقف والقاعد ، على الأرض . أو على الذيل . وإنّ بلّه فلقلته وأنه لا يقطر . وأنت تجد في شعر المتأخرين ما هو أحسن ^(٢) من هذا البيت ، انتهى .

وقوله : (ألا ربّ يومٍ صالح . . الخ) ربّ هنا للتكثير ؛ ومنها أى من أمّ الحوirth وأمّ الرباب . ورؤى :

* ألا ربّ يومٍ لك منهنّ صالح *

أى من النساء وفيه الكفّ وهو حذف النون من مفاعيلن . وللمعنى : ألا ربّ يومٍ لك منهن سرورٌ وغبطة بوصول النساء وعيشٍ ناعمٍ معهن . وقوله : ولا سيّما الخ ، أى وليس يومٌ من تلك الأيام مثل يوم دارة جُلجل ، فإنّ هذا اليوم كان أحسن الأيام وأفضلها . يريد التعجب من فضل هذا اليوم . ودارة جُلجل ، بضم الجيمين : اسم غدير ؛ قال البكري (في معجم

(١) ط : « في الصفة » صوابه في س والإعجاز .

(٢) في النسختين : « أحد » صوابه من الإعجاز ، ونصه : « وأنت تجد في شعر

الجزري ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب »

ما استمعج (: قال أبو عبيدة : دارة جُلجلى موضعٌ بديار كِنْدَةَ . وقال أبو الفرج : قال الكلبي : هو عند عين كِنْدَةَ . انتهى .

قال الإمام الباقر (١) : وهذا البيت خالٍ من المحاسن والبديع ، خالٍ من المعنى ؛ وليس له لفظٌ يروق ، ولا معنىٌ يروع ؛ من طباع السوقة ؛ فلا يرعك تهويله باسم موضعٍ غريب .

وقوله : ويومَ عَقَرْتُ الحُ ، يومَ معطوف على يوم في قوله : ولا سيما يوم ، لكتبه بُي على الفتحة لإضافته إلى مبني ؛ أو هو منصوبٌ بتقدير : اذكر . والعقر : الضرب بالسيف على قوائم البعير ؛ وربما قيل عقره : إذا نَحَره . والعذارى : البنات الأَبكار . والرَّحْل : كلُّ شَيْءٍ يُعَدُّ للرحيل : من وعاءٍ للمناع ، ومَرَكَبٍ للبعير ، وحِلْسٍ ورَسَنٍ . والمتحمل : اسمٌ مفعول ، أى المحمول . وأورد ابن هشام هذا البيت (في المفتي) على أن لَامَ للعذارى للتعليل . وقوله : فيا عجبا ، الألف بدل من الياء فإنها تبدل في النداء إليها جوازا . ويقال : كيف يجوز أن يُنادى العجبُ وهو مما لا يجيب ولا يفهم ؟ فالجواب : أن العرب إذا أرادت أن تُعْظِمَ أمرَ الخبر جعلته نداء ؛ قال سيبويه : إذا قلت يا عجبا كأنك قلت : تعال يا عجبُ فإن هذا من إبانك . فهذا أبلغ من قولك تعجبت . والمعنى : انتبهوا للعجب كذا في شروح المعلقة .

وقال الإمام الباقر (٢) : قال بعض الأدباء : قوله يا عجبا ، يعجبهم من سَفَهه في شبابه من نحرة ناقته لهن (٣) . وإنما أراد ألا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعاً عن الأول ، وأراد أن يكون الكلام ملائماً له . وهذا

(١) إعجاز القرآن ٢٥٠

(٢) إعجاز القرآن ٢٥١

(٣) في النسختين : « ناقته أى » صوابه فى إعجاز القرآن

الذى ذكره بعيد ، وهو منقطع عن الأول ؛ وظاهر أنه يتمجّب من تحمّل العذارى رحله . وليس في هذا تمجّب كبير ، ولا في نحر الناقة لمن تمجّب . وإن كان يعنى به أنهم حملن رحله ، وأن بعضهن حملته ، فعبر عن نفسه برحله ؛ فهذا قليلاً^(١) يشبه أن يكون عجبا . لكن الكلام لا يدل عليه . ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب ، ولا معنى بدیع ، أكثر من سفاوته^(٢) ، مع قلة معناه وتقارب أمره ؛ ومشاكلته طبع المتأخرين . ومن أول القصيدة^(٣) لم يمر له بيت رائع ، وكلام رائع .

وقوله : فظل العذارى الخ ، يرتمين : يناول بعضهن بعضا . والمهذب ، بالضم والتشديد ، هو المهذب وهو طرف الثوب الذى لم يتم نسجه . والدّمقس : الحرير الأبيض ويقال له القز^(٤) . قال الإمام الباقلاني : هذا البيت يعدونه حسنا ، ويعدّون التشبيه مكيحاً واقفاً . وفيه شيء . وذلك أنه عرف اللحم ونكر الشحم ، فلا يعلم أنه وصف شحمها ، وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع ، وعجز عن تشبيه القسمة الأولى فترت رسالة ؛ وهذا نقص [في الصنعة^(٥)] وعجز عن إعطاء الكلام حقه . وفيه شيء آخر من جهة المعنى : وهو أنه وصف طعامه لضيوفه بالجودة ؛ وهذا قد يعاب ، وقد يقال : إن العرب تفتخر بذلك ولا تراه عيباً ، وإنما الفرس هم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً . وأما تشبيه الشحم بالدّمقس فتشبيه يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم ،

(١) ط : « قليل » ، وكان في سه الف في نهاية الكلمة فحيت ، والوجه ما أثبت من أصل سه ومن إعجاز القرآن .

(٢) في النسختين : « سلاته » ، وهو عكس المراد ، صوابه في إعجاز القرآن

(٣) في الإعجاز : « وإلى هذا الموضع »

(٤) - : « ويقال هو القز »

(٥) النكته من إعجاز القرآن

فليس بشيء قد سَبَقَ إليه . وإِنَّمَا زَادَ^(١) المَقْلَّ للقافية ، وهذا مفيد .
ومع ذلك فلست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة . وفيه شيء آخر : وهو أَنَّ
تَبَجُّحَهُ بما أَطْعَمَ الأَحْبَابَ مَذْمُومٌ ، وَإِنْ سَوَّغَ التَّبَجُّحَ بما أَطْعَمَ الأَضْيَافَ ؛
إِلَّا أَنَّ يُورَدَ الكلام مُورَدَ المُجَوَّن ، على طرائق أَبِي نَوَاسٍ [في^(٢)]
المزاح والمداعبة .

وقوله : وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخ ، هو معطوفٌ على يوم عقرت . والخِدر ،
بالكسر : المودج هنا . وخدر عنيزة بدلٌ منه . وعنيزة بالتصغير : لقبُ ابنة
عمِّه فاطمة . وفيه ردٌّ على من زعم أَنَّهُ لم يُسْمَعْ تَلْقِيبُ الإِنَاث . وأُشْد ابن هشام
هذا البيت (في بحث النون ، من المغني) على أَنَّ التَّنْوِينَ اللّاحِقَ لَمُعِيزَةُ تَنْوِينُ
الضَّرُورَةِ ، وهو التَّنْوِينُ اللّاحِقُ لما لا ينصرف . وقوله : مُرْجَلِي : اسمُ فاعِلٍ
من أَرَجَلْتُهُ إِذَا صَيَّرْتُهُ رَاجِلًا ؛ وَرَجَلَ الرَّجُلُ يَرْجَلُ ، من باب علم : إِذَا صَارَ
رَاجِلًا . وقوله : لَكَ الْوَيْلَاتُ ، فيه قولان : أحدهما : أَن يكون دعاءٌ منها عليه
إِذْ كَانَتْ تَخَافُ أَن يَمُوتَ بِعَمِيرَها . والثاني : أَن يكون دعاءٌ منها له على الحقيقة ،
كما تقول العرب للرَّجُلِ إِذَا رَمَى فَأَجَادَ : قَاتَلَهُ اللهُ مَا أَرَمَاهُ ! وَحَقِيقَةُ مِثْلِ هَذَا
أَنَّهُ يَجْرَى مَجْرَى الْمَدْحِ وَالنَّشَاءِ . وقال الإمام الباقِلَانِي : دَخَلْتُ الخِدرَ خَدَرَ
عنيزة ، ذَكَرَهُ تَكْرِيرًا^(٣) لِإِظَامَةِ الْوِزْنِ ، لَا فَائِدَةَ فِيهِ [غَيْرُهُ^(٤)] ،
وَلَا مَلَاَحَةَ وَلَا رَوْنَقَ . وقوله : فَقَالَتْ لَكَ الخ ، الكلامُ مُؤَنَّثٌ من كلام
النساء ، نقله من^(٥) جِهَتِهِ إِلَى شَعْرِهِ ؛ وَلَيْسَ فِيهِ غَيْرُ هَذَا . انْتَهَى .

(١) في النسختين : « أَرَادَ » صوابه من الإعجاز

(٢) التكملة من الإعجاز

(٣) في النسختين : « ذَكَرَ تَكْرِيرَهُ » صوابه في الإعجاز ٢٥٣

(٤) التكملة من إعجاز القرآن

(٥) في النسختين : « من » ، وأثبت ما في الإعجاز

وطَعْنُهُ الْأَوَّلُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِبْهَامِ وَالتَّنْفِيسِ ؛ وَهُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَحَاسِنِ الْكَلَامِ .

وَقَوْلُهُ : تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْحُ ، الْغَبِيطُ ، بَفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ : الْمَوْجِدُ يَعْنِيهِ ، وَقِيلَ قَتَبَ الْمَوْجِدُ ، وَقِيلَ مَرَّ كَبُّ مِنْ مَرَّ كَبِ النَّسَاءِ . وَعَقَوْتَ هُنَا بِمَعْنَى جَرَحْتَ ظَهْرَهُ — قَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِلَانِيُّ : كَرَّرَ قَوْلَهُ سَابِقًا بِقَوْلِهِ : تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْحُ ، وَلَا فَائِدَةَ فِيهِ غَيْرُ تَقْدِيرِ الْوِزْنِ ؛ وَإِلَّا فَحِكَايَةُ قَوْلِهَا الْأَوَّلِ كَافٍ . وَهُوَ فِي النِّظْمِ قَبِيحٌ ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ مَرَّةً « قَالَتْ » وَمَرَّةً « تَقُولُ » ، فِي مَعْنَى وَاحِدٍ وَفَضْلٌ خَفِيفٌ . وَفِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي أَيْضًا تَأْنِيثٌ مِنْ كَلَامِهِمْ . انْتَهَى .

٦٨

طَعْنُهُ الْأَوَّلُ غَيْرُ وَارِدٍ ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِطْنَابِ ، بِسَطِّهِ ثَانِيًا لِلتَّسْلُوثِ وَالْإِيضَاحِ . وَقَوْلُهُ ثَانِيًا تَقُولُ ، غَيْرُ مَعْيَبٍ ، لِأَنَّهُ مِنْ حِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ وَقَدْ عُدَّ حَسَنًا .

نَمَّ قَالَ الْبَاقِلَانِيُّ : وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ : عَفَرْتُ بَعِيرِي وَلَمْ يَقُلْ نَاقَتِي ، لِأَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ النَّسَاءَ عَلَى ذَكَورِ الْإِبِلِ لِأَنَّهَا أَقْوَى . وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ الْأَظْهَرَ أَنَّ الْبَعِيرَ اسْمٌ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى . وَاحْتِاجٌ إِلَى ذَكَرِ الْبَعِيرِ لِإِقَامَةِ الْوِزْنِ ^(١) .

وَقَوْلُهُ : قَفَلْتُ لَهَا سِيرَى الْحُ ، جَنَاهَا : مَا اجْتَنَى مِنْهَا مِنَ الْقُبُلِ . وَالْمَعْلَلُ : الْمُنْهَى الَّذِي يَعْطَلُهُ وَيَتَشَقَّى بِهِ . وَرُؤْيُ بَفَتْحِ اللَّامِ ، أَيْ الَّذِي عُكِّلَ بِالطَّيِّبِ أَيْ طَيِّبٌ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، مِنَ الْعَلَلِ بِفَتْحَيْنِ وَهُوَ الشَّرْبُ الثَّانِي . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَّهُ تَهَاوَنَ بِأَمْرِ الْجَمَلِ فِي حَاجَتِهِ ، فَأَمَرَهَا أَنْ تُخْلَى زِمَامَهُ وَلَا تَبَالِيَ بِمَا أَصَابَهُ . قَالَ الْبَاقِلَانِيُّ : هَذَا الْبَيْتُ قَرِيبُ النَّسْجِ ، لَيْسَ لَهُ مَعْنَى بِدِيعٍ وَلَا لَفْظٌ شَرِيفٌ ، كَأَنَّهُ مِنْ عِبَارَاتِ الْمُنْحَطِّينَ فِي الصَّنْعَةِ .

والمراد باليوم في هذه المواضع مطلق الوقت والزمان ، وإلا لجميع هذه الأمور قد صدرت في يوم واحد ، كما يُعرف من خبر (يوم دارة جُلجل) وقد رواه ابن الأنباري في شرح المعلقة قال : كان من حديثه على ما حدث ابن رَأْلان^(١) عن أَبِي شَفَقَل^(٢) ، راوية أَبِي فِرَاس هَمَام بن غالب الفرزدق أنه قال : لم أَرِ أَرَوِي من الفرزدقٍ لأخبار امرئ القيس وأشعاره ! وخرجنا يوماً إلى المِرْبَدِ بِعَقَبِ طَشٍّ قد وَقَعَ^(٣) ، واتصل به خبرُ نَسوةٍ أَشرافٍ قد خَرَجْنَ إلى مُتَنَزَّهٍ لهنَّ ؛ فقال : سِرْ بنا ؛ حتى قَرُبَ من مُجْتَمَعَيْنِ ؛ فخلَفْنِي وصار إليهنَّ ؛ فلما رأينه قلن : قد علمنا أَنَّا لِنِ نفوتك . فلم يزل يومه الأطولَ يحدثنَّ ويغاكِهِنَّ وَيُنشِدُهُنَّ إلى أن ولى النهار ؛ ثم انصرف إلى فقال : سِرْ بنا . فلم أَرِ يوماً قطُّ أشبهَ بيوم دارة جُلجلٍ مِن يومنا هذا ؛ ثم أنشأ يحدث حديث يوم دارة جُلجل : فقال : حدثني الثِّقَّةُ أَن حَيَّ امرئ القيسَ تَحَمَّلُوا — وهو يومئذ شابٌ حديثُ السنِّ ، يهوى ابنةَ عمِّ له ، يقال لها : فاطمة ، ويكنى عنها بِعُنْبِزَة — وتخلَّف النساءُ وفيهنَّ فاطمة ، وارتحل امرؤ القيس لا يرى^(٤) الحَيَّ مُسِيرَه ، إلى أن نَأَى عن الحَيِّ فَأَخْفَى شخصه بقرب غديرٍ يُعرف بدارة جُلجل ، وقال لمن كان معه : سيمرُّ النساءُ بالغدير ، فلا بدَّ أن يتبرَّدن فيه . وأمعن الحَيُّ في المسير وارتحل النساءُ بعدهم ، فمررن على الغدير ، ولا يسرين أَن وراءهنَّ أحداً ، فنزلن وعند الغدير شجرة ،

(١) في النسختين : « ابن والان » صوابه من شرح القصائد السبع ١٣ ، واسمه عبد الله .

(٢) ط : « سفتل » ص : « شفتل » صوابهما ما أثبت ، انظر القاموس ولسان العرب والأغانى ١٩ : ٩ ، ٣٦ . وهذا الرجل وسابقه يرويان عن الفرزدق ، ليس غيرهما كما في الأغانى .

(٣) الطش والطشيش : مطر ضيف فوق الرذاذ

(٤) في النسختين : « لبرى » ، وهو عكس المعنى

فَانْحَنَ إِلَيْهِنَّ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَزَعَنَ ثِيَابَهُنَّ فَدَخَلْنَ الْغَدِيرَ ؛ وَجَاءَ
 امْرُؤُ الْقَيْسِ فَأَخَذَ ثِيَابَهُنَّ وَقَالَ : لَا تَأْخُذْ امْرَأَةٌ مِنْكُنَّ ثِيَابَهَا حَتَّى تَخْرُجَ
 كَمَا هِيَ ! فَنَاشَدْنَهُ اللَّهُ وَطَلَبْنَ إِلَيْهِ ، حَتَّى طَالَ يَوْمُهُنَّ وَخَشِينَ أَنْ يَفُوتَهُنَّ
 الْمَنْزِلُ ، فَجَعَلْنَ يَخْرُجْنَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، حَتَّى بَلَغَ إِلَى فَاطِمَةَ فَرَأَاهَا وَاسْتَمْتَعَ
 بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ؛ ثُمَّ قَلَنَ لَهُ : قَدْ أَتَيْنَا فَاجْلِسْ ! فَجَلَسَ يُنْشِدُهُنَّ وَيُحَدِّثُهُنَّ
 وَيَشْرَبُ مِنْ شَرَابٍ مَعَهُ ؛ فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : أَطْعِمْنَا لَحْمًا . فَقَامَ إِلَى مَطْبِئَتِهِ
 فَفَحَرَهَا وَأَطْعَمَهُنَّ مِنْ لَحْمِهَا ، وَشَرَبَ حَتَّى اتَّشَى . . . حَتَّى إِذَا أَرَادُوا الرُّوْحَ
 قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ : أَدْعُ امْرَأَةَ الْقَيْسِ يَهْلِكَ ! فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : فَكُنْ
 رَحْلُهُ وَاحْمِلْنَهُ مَعَكُمْ وَأَنَا أَحْمِلُهُ مَعِيَ فِي هَوْدَجِي ؛ ففَعَلْنَ ، فَجَمَلَ يُمِيلُ رَأْسَهُ
 إِلَيْهَا فَيَقْبَلُهَا — وَجَمَلَ هَوْدَجُهَا يُعِيلُ بِهَا وَهِيَ تَنَادِي بِهِ وَتَقُولُ : قَدْ عَقَرَتْ
 بَعِيرِي فَانْزِلْ ! — حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنَ الْحَيِّ كُنَّ فِي غَمَضٍ مِنَ الْأَرْضِ .
 وَسَارَ النِّسَاءُ حَتَّى لَحِقْنَ بِرَحْلِهِنَّ . انْتَهَى .

٦٩

وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ (فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ^(١)) نَحْوًا مِنْ هَذَا ، مَعَ بَعْضِ
 مُخَالَفَةٍ . وَنَصَّهُ : قَالَ الْفَرَزْدَقُ : أَصَابَنَا بِالْبَصْرَةِ لَيْلًا مَطَرٌ جَوْدٌ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ
 رَكِبْتُ بَغْلَتِي وَسَرْتُ إِلَى الْمَرْبَدِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَثَارِ دَوَابٍّ ، فَاتَّبَعْتُ الْأَثَرَ
 حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى بَغَالٍ عَلَيْهَا رِحَالٌ مَوْقُوفَةٌ عَلَى غَدِيرٍ ، فَأَسْرَعْتُ إِلَى الْغَدِيرِ
 فَإِذَا فِيهِ نِسَاءٌ مُسْتَقْبِعَاتٌ فِي الْمَاءِ ؛ فَقُلْتُ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ أَشْبَهَ بِيَوْمِ دَارَةِ
 جُلْجُلٍ ؛ وَانْصَرَفْتُ مُسْتَحْيِيًّا ، فَنَادَيْتَنِي : يَا صَاحِبَ الْبَغْلَةِ ، ارْجِعْ نَسْأَلُكَ
 عَنْ شَيْءٍ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِنَّ فَقَعَدْنَ فِي الْمَاءِ إِلَى حُلُوقِهِنَّ ثُمَّ قَلَنَ : بِاللهِ لَمَّا
 أَخْبَرْتَنَا مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ دَارَةِ جُلْجُلٍ ! قُلْتُ : حَدَّثَنِي جَدِّي — وَأَنَا يَوْمَئِذٍ

غلامٌ حافظ — أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمه فاطمة — ويقال لها عنيزة —
 وأنه طلبها زماناً فلم يصل إليها ، حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل :
 وذلك أن الحى تحمّلوا ، فتقدم الرجال و [تخلف ^(١)] الخدم والنقل ؛
 فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع رجال قومه غلوة ، فكمن
 في غامض ^(٢) حتى مرّ به النساء ، وفيهن عنيزة ، فلما وردن الغدير قلن :
 لو نزلنا فاغتسلنا في هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال ؛ فنزلن في الغدير
 ونحن العبيد ، ثم تجردن فوقفن فيه ^(٣) ؛ فأتاهن امرؤ القيس فأخذ ثيابهن
 فجمعها وقعد عليها ، وقال : والله لا أعطى جارية منكن ثوبها — ولو قعدت
 في الغدير يومها — حتى تخرج متجرّدة فتأخذ ثوبها ؛ فأبين ذلك عليه ،
 حتى تعالى النهار ، وخشين أن يقصرن عن المنزل الذى يرذنه ، فخرجن
 جميعاً غير عنيزة فناشدته الله أن يطرح ثوبها ، فأبى ، فخرجت فنظر إليها
 مقبلةً ومُدبرةً ، وأقبلن عليه فقلن له : إنك عدبتنا وحبستنا وأجعتنا . قال :
 فإن نحرّت لكن ^(٤) ناقتي أنا كلن معي ؟ قلن : نعم ؛ فجرد سيفه فعرّقها
 ونحرّها ثم كشطها ، وجمع الخدم حطباً كثيراً فأجّجن ناراً عظيمة ، فحمل
 يقطع أطايبها ويلقى على الجمر ، ويأكلن ويأكلن معهن ، ويشربن من فضلة
 خمر كانت معه ويغنيهن ، وينبذ إلى العبيد من الكباب ؛ فلما أرادوا
 الرحيل قالت إحداهن : أنا أحمل طنفسه ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله
 وأنساعه ^(٥) . فتقسمن متاعه وزاده وبقيت عنيزة لم تحبل شيئاً ، فقال لها :

(١) التكلة من القمد والأغانى ١٩ : ٢٧

(٢) الأغاني : « غابة » محرف ، وفي القمد : « غابة » .

(٣) القمد : « فوقفن فيه »

(٤) ط : « لكم » صوابه فى سه والقمد

(٥) ط : « رأسه وأنساعه » صوابه فى سه والقمد

يا ابنة الكرام ، لا بد أن تحمليني معك فإني لا أطيق المشي ! فحملته على غاربٍ بغيرها ، فكان يجنح إليها فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها ، فإذا امتنت مال هودجها فتقول : عقرت بغيري فانزل . . . وكان الفرزدق أروى الناس لأخبار امرئ القيس وأشعاره ، وذلك أن امرأ القيس رأى من أبيه جفوةً فلحق بعمه شرحبيل بن الحارث ، وكان مسترضعاً في بني دارم [فاقام ^(١)] فيهم . وهم رهط الفرزدق . انتهى .

وقد روى أيضاً خبر هذا اليوم أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، في شرح هذه المعلقة على وجه مجمل .

وترجمة امرئ القيس تقدمت في الشاهد التاسع والأربعين ^(٢) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المائتين ^(٣) :

٢٤٥ (فانت طلاق - والطلاق أليّة - ثلاثاً ومن يخرق أعق وأظلم)

على أن الواو في قوله : (والطلاق أليّة) اعتراضية ، والجملة اعتراض للتعوية والتسديد بين قوله : (فانت طلاق) و : (ثلاثاً ^(٤)) . وقد رده أبو علي كما سيأتي .

و (الأليّة) : اليمين . أراد أن الطلاق يلزم المطلق كما يلزم الوفاء

(١) التكلفة من المقد .

(٢) الخزائن ١ : ص ٣٢٩

(٣) مجالس العلماء للزجاجي ٣٣٨ وابن يمين ١ : ١٢ وشرح شواهد المفني ٦١ والأشباه والنظائر ٣ : ٤٢/٤ : ٢٢٠

(٤) في النسختين : « فانت طلاق ثلاثاً » ، وصوابه ما أثبت

بعضون اليمين . والرواية الصحيحة : (والطلاق عزيمة) ، ووقع فى أكثر النسخ المصراع الأول فقط ، اكتفاء بشهرة الشعر .

وقد نقل السعد كلام الشارح هنا (فى بحث الجملة الحالية من المطول) قال الفنارى فى حاشيته : قوله :

فانتِ طلاقٌ والطلاق ألية (آخره) : بها المرء ينجو من شباك الطوامث
الشباك : الحبائل . والطوامث : الحِيض ؛ من طمّثت المرأة : حاضّت .
وفى وقوع هذه الجملة متوسطة بين أجزاء كلام واحد ، كما هو الظاهر من كلامه ،
نوعُ خفاء ، إذ الظاهر أن قوله : بها المرء الخ ، كلامٌ مستقل . وقبل : آخر
المصراع المذكور :

* ثلاثاً ومن يَحْرَقْ أعقُ وأظلمُ *

لكن الرواية فى هذا البيت (عزيمة) مكان (ألية) . ولعلّ فيه رواية
أخرى لم أطلع عليها . انتهى .

وقال بعضهم : هذا الاعتراض على مذهب الزمخشريّ ، فإنّ الاعتراض
عنده ما يساق لنكتة سوى رفع الإيهام . ويكون لا محلّ لها .

وهذا البيت مبنيّ على مسألة فقهية . وأوّل من تكلم عليه الإمام محمد
ابن الحسن ، أو الكسائيّ ، على اختلاف سيّدك .

ونقل ابن هشام فى المغني الجوابَ وبُحث فيه وزاد ، ثمّ تكلم عليه
السيد معين الدين الإيجيّ فى رسالة أفردها وزاد على ابن هشام فيما استنبطه .
وكلّ منهما لم يرَ ما كتبه عليه أبو عليّ الفارسيّ (فى المسائل القصّرية)
وقد تنبّه لما قاله وردّه ، فينبغي أن نُورد كلام كلٍّ منهم على حدة ، لكنّ
نُقدّمُ ابتداءً ذكرَ السائل والمحجّب أولاً فنقول :

قال أبو علي الفارسي: حدثنا الشيخ أبو الحسن الكرخي عن يحيى ابن الحريش الرقي قال: أرسلني الكسائي إلى محمد بن الحسن، أسأله عن الجواب في هذه الأبيات:

(إن ترفقي يا هند طارقتُ أينُ وإن تخرقي يا هند فالخرقُ أشأمُ
فأنت طلاقٌ، والطلاق عزيمة ثلاثاً؛ ومن يجني أعقاً وأظلم
فيميني بها أن كنت غير رقيقة فما لامرئ بعد الثلاث مقدّم)

قال: فأتيت محمد بن الحسن بالأبيات فقال: إن نصب الثلاث فهي ثلاث تطليقات، وإن رفع الثلاث فهي واحدة، كأنه أراد أن يخبر أن عزيمة الطلاق ثلاث. قال: فرجعت إلى الكسائي فأخبرته بقول محمد، فتعجب من فطنته. انتهى.

وهذا هو المسطور في كتب الحنفية كاللبسوط والزيلعي؛ لكن ذكروا أن رسول الكسائي إلى محمد هو ابن سماعة. ولا مخالفة، لجواز أن يكونا ذهباً معاً برسالة الكسائي، وكل منهما حكى الجواب.

وقال ابن هشام (في المغني): كتب الرشيد ليلة إلى القاضي أبي يوسف يسأله عن قول القائل — وأنشد الآيات^(١) — فقال: ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها؟ قال أبو يوسف: فقلت: هذه مسألة نحوية فقهية، ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي. فأتيت الكسائي وهو في فراشه فسألته، فقال: إن رفع ثلاثاً طَلَّقْتَ واحدةً لأنه قال أنت طلاق، ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث؛ وإن نصبها طَلَّقْتَ ثلاثاً، لأن معناه: أنت طالق ثلاثاً،

(١) إنما أنشد ابن هشام البيتين الأولين غيباً، وأما ثالثهما فقد أنشده بعد تمام القصة، وبعد الكلام على البيت الشاهد

وما بينهما جملة معترضة . فكتبْتُ بذلك إلى الرشيد ، فأرسلَ إلى بجواز فوجهتُ^(١) بها إلى الكسائي . انتهى ملخصاً . هذا كلامه .

وقال السيد معين الدين : قد وجدتُ في كتابٍ من كُتب النحو أن المسألة قد وقعت بين الإمام محمدٍ والكسائيِّ بمحضرة الرشيد ، فقال الكسائي : أنت يا محمدُ تزعمُ أن الماهر في علمٍ يمكنُ أن يستنبط من العلوم ، وأنت ماهرٌ في الفقه فاستنبط من هذا البيت . فقال : في نصب العزيمة ورفع الثلاث طلاقة ، وفي رفعها ونصب الثلاث ثلاث . فقال الكسائي : أصبت ، والقول ما قلت ! انتهى .

و (الرفق) من باب قتل : خلاف (أخرق) والعنف ؛ وخرق خرقاً ، من باب فرح : إذا عِل شيئاً فلم يرفُق فيه ؛ فهو أخرق وهي خرقاء ، والاسم الخرق بالضم . و (أيمن) وصفٌ بمعنى ذى يُمن وبركة ، لا أنه أفضل تفضيل . وكذلك (الأشام) معناه ذو شامة ونحوسة . و (العزيمة) قال الكرماني في شرح البخاري : هي في الأصل عقد القلب على الشيء ، استعمل لكل أمرٍ محتوم . وفي الاصطلاح : ضد الرخصة . وفعله من باب ضرب ، يقال : عزم على الشيء وعزمه عزمًا بمعنى عقد ضميره على فعله . وقال النووي : حقيقة العزم حدوث رأيٍ وخاطرٍ في الذهن لم يكن . والعزم والنية متقاربان يُقام أحدهما مقام الآخر . و (يَجْنى) مضارع جنى على قومه جناية : أذنب ذنباً يؤاخذ به . وروى الجماعة : (ومن يخرق) فقال ابن يعيش : من شرطية . وردَّ عليه الدماميني بأنه يلزمه حذف الفاء والمبتدأ من جملة الجزاء ، والتقدير : فهو أعق وأظلم ؛ وليس هذا بمتعين لجواز أن تكون موصولة ،

(١) هـ : « فتوجهت » صوابه في ط و مجالس العلماء والأشباه والنظائر ٣ : ٤٢

وتسكينُ القاف للتخفيف ، كقراءة أبي عمرو : (وما يُشْعِرُكُمْ ^(١)) .
 بإسكان الراء . و (أعق ^(٢)) خبر من الموصولة ، فلا حذف ولا ضرورة
 ولا قبح . انتهى .

والذي ذكره الجعبري : أن وجه الإسكان فيه طلب التخفيف عند اجتماع
 ثلاث حركات يقال من نوع واحد أو نوعين . ويحرق ليس منهما .
 وأما التسكين في قوله :

فاليومَ أَشْرَبَ غير مُسْتَحْقِب ^(٢)

فقد قيل إنه للضرورة . . وقوله : (أعق) من المُعْقَوِّق وهو ضد البر .
 وقوله : فيبني بها الخ ، هي أمر من البَيْنُونَة وهي الفراق ؛ وضير بها
 للثلاث أي كوني ذات طلاقٍ بائن بهذه التعليلات الثلاث ، لكونك غير
 رفيقة . فإن مفتوحة الهززة مقدَّرٌ قبلها لام العلة . ومُقدَّم : مصدرٌ ميميٌّ :
 أي ليس لأحدٍ تقدمٌ إلى العشرة والألفة بعد إيقاع الثلاث . كذا قال
 الدماميني . وأجاز بعضهم أن يكون مُقدَّم بمعنى مهزَّ مُقدَّم : أي ليس له بعدُ
 الثلاث مهزَّ يُقدِّمه لمطلِّقته ثلاثاً ، إلّا بعد زوج آخر . فيكون اسمٌ مفعول .
 هذا كلامه .

وأما ما بحثه ابن هشام بعد الجواب المذكور فهذا نصه : أقول : إنَّ
 الصواب أن كلاً من الرفع والنصب محتملٌ لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة :
 أمّا الرفع فلأنَّ أَل في الطلاق إمّا لجاز الجنس وإمّا للمهدِّدِ كَرِيٍّ : أي وهذا
 الطلاق المذكور عزيمةٌ ثلاثٌ . فعلى المهدِّية تقع الثلاث ، وعلى الجنسية تقع

(١) من الآية ٩ في سورة الأنعام

(٢) صدر بيت لامرئ القيس : وتماحه :

* إنما من الله ولا واهل *

واحدة . وأما النصب فلأنه محتمل لأن يكون على المفعول المطلق — وحينئذ يقتضى وقوع الثلاث ، إذ المعنى : فأنت طالق ثلاثاً ؛ ثم اعترض بينهما بقوله والطلاق عزيمة — ولأن يكون حالاً من الضمير المستتر فى عزيمة ، وحينئذ لا يلزم وقوع الثلاث ، لأن المعنى : والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثاً ، فأما يقع ما نواه . هذا ما يقتضيه اللفظ مع قطع النظر عما بعده ، فإنه يعين الثلاث . انتهى كلامه .

٧٢

وقال الفنارى^١ (فى حاشية الموطأ) : قد انتصر جدنا شمس الدين الفنارى للكسائى وأبى يوسف حيث قال : ولقائل أن يقول : إنما لم يعتبر الكسائى وأبو يوسف ، حين ارتفاع الثلاث ، كون اللام للمهد ؛ لأن ثلاث وعزيمة لا يصح أن يكونا خبرين عن الطلاق المهدود ، فإن الطلاق رخصة وليس بعزيمة . وكذا حين انتصاب الثلاث ، لا يصح أن يكون ثلاثاً حالاً من ضمير عزيمة ، لما قلنا . فلم يتعين أيضاً — قال — اللهم إلا أن تحمل العزيمة على المعنى القوي . والعرف أمك . وفيه بحث : أما أولاً فلأنه لا دخل فى لزوم المحذور المذكور لجمل اللام للمهد ، إذ منشؤه عدم اجتماع الثلاث والعزيمة ، وهذا الاجتماع لازم على تقدير الحمل على مجاز الجنس ؛ اللهم إلا أن يراد الحمل على الجنس المطلق ، ويجعل الإخبار بالعزيمة والثلاث بالنظر إلى أنواع الطلاق . وأما ثانياً : الأمل^(١) فى مثله هو العرف العام ؛ فالظاهر أن للمعنى : الطلاق الذى ذكرت ليس بلفظ ولا لمب ، بل هو معزوم عليه . نعم الكلام ، على تقدير جعل ثلاثاً حالاً من المستتر فى عزيمة ، محتمل لوقوع الثلاث ، بأن يكون المعنى والطلاق الذى ذكرته إذا كان ثلاثاً . فأملى . انتهى .

(١) كذا فى النسخين بإسقاط فاء الجواب

ونازعه الدماميني في الأخير فقال : الكلام محتملٌ لوفوع الثلاث على تقدير الحال أيضاً ، بأن نجعل آل للعهد الذكري ، كما تقدم له في أحد وجهي الرفع . كأنه قال : والطلاق الذي ذكرتُ معزومٌ عليه حالٌ كونه ثلاثاً . ولا يقدر حينئذ إذا كان ، بل إذ كان .

وأما كلام السيد معين الدين ، فإنه قال : الشعر يحتمل اثني عشر وجهاً ، لأن اللام إما للجنس وإما للعهد ، وعزيمة إما مرفوع وإما منصوب على الحال أو على المفعول المطلق^(١) ، فخرج من ضرب أربعة في ثلاثة : اثنا عشر ؛ لكن أربعة منها تركيبٌ باطل . أما الثمانية فعلى تقدير أن اللام (للجنس) إما أن يكون عزيمة وثلاث مرفوعين ، فيلزمه على ما قال ابن هشام واحدة ؛ والظاهر أنه يلزمه ثلاث إذ ليس الطلاق عنده إلا عزيمة ثلاث ، وطلاقه فرد مما ادّعاء . وإما أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث مرفوعاً ، فيلزمه واحدة ، وهو أحد وجهي الإمام محمد ، وفيه أن ذا الحال مبتدأ . وإما أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث حالاً من المستتر في عزيمة ، يلزمه واحدة ؛ وهو وجه ثان لابن هشام والإمام ؛ لكن في كلام الإمام إيهام ، لأنه يحتمل أن يكون ثلاث مفعولاً مطلقاً ، وحينئذ يلزمه ثلاث . وإما أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث مفعولاً مطلقاً فيلزمه ثلاث ؛ وهو ثالث وجوه ابن هشام . فهذه وجوه أربعة .

وعلى تقدير أن اللام (للعهد) إما أن يكون عزيمة وثلاث مرفوعين ، كأنه قال : أنت طلاقٌ وهذا الطلاق عزيمة ثلاث ، فيلزمه ثلاث ، وهو رابع وجوه ابن هشام . وإما أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث مرفوعاً ، فيلزمه ثلاث .

(١) كذا في النسختين ، وكتب مصحح الطبعة الأولى ما نصه : « ولعل الصواب : وعزيمة إما مرفوع وإما منصوب ، وثلاث إما مرفوع ، أو منصوب على الحال ، أو على المفعول المطلق يدل على ذلك التقسيم الآتي » .

وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث منصوباً حالاً من المستتر ، فنلزمه ثلاث .
وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث مفعولاً مطلقاً ، فيلزمه ثلاث . فهذه أربعة
أخرى فتكون ثمانية .

وأما الأربعة التي فسدت لأجل الإعراب فهي ، بتقدير أن اللام
(للجنس) إمّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث حالاً من المستتر أو مفعولاً
مطلقاً . وبتقدير أن اللام (للعهد) إمّا أن يكون [عزيمة ^(١)] منصوباً وثلاث
حالاً من المستتر أو مفعولاً مطلقاً . وعلى الوجهين وهو أنه حال ، يلزمه واحدة
وعلى الوجهين الآخرين يلزمه ثلاث . هذا كلامه .

٧٣

وقد كتب ابن قاسم العبادي على مواضع من هذه الرسالة ، فكتب عند
قوله « الشعر يحتمل اثني عشر وجهاً » : لا بدّ على سائر التقادير في وقوع
أصل الطلاق ، عند الشافعية ، من النية ، كما هو ظاهر ، لأنّ أنتِ طلاق ^(٢)
من الكنايات عندهم . وكتب عند قوله : « والظاهر أنه يلزمه ثلاث » :
قد يمنع من هذا الظاهر عند الشافعية أنّ أنتِ طلاق كناية عندهم ، وشرط
تأثير الكناية في أصل الوقوع والعِدّة النية . ولا يقوم مقام النية ما اقترن
بالكناية مما يدلّ على الوقوع أو العِدّة من القرائن ؛ ولهذا صرّحوا بعدم
الوقوع بقوله أنتِ بائنٌ بينونةً محرّمةً ولا تحلينّ لي أبداً ، إذا لم ينو .
وحينئذ فالقياس في قول الشاعر : فأنتِ طلاق ، عدم الوقوع رأساً إن لم ينو .
فإن نوى الطلاق الثلاث وقع الثلاث ، وإن نوى أصل الطلاق فقط فالقياسُ
وقوعُ واحدة . وقوله : والطلاق عزيمة ثلاث ، على تقدير رفع عزيمة وثلاث

(١) التكلفة من سه .

(٢) سه : « أنتِ طالق » .

وكون أن في الطلاق للجنس ، لا يصلح لتقييد الطلاق الذي أوقعه بالثلاث ؛ لأنه إن أراد أن جنس الطلاق ليس إلا الثلاث ، فهو غير صحيح ، إذ الجنس موجود في الواحدة والثنتين أيضاً ، وإن أراد أن الجنس قد يكون في الثلاث ، فهذا لا يقتضى تقييد هذا الطلاق الواقع بالثلاث ؛ فليتأمل . وما ذكرناه لا ينافيه قول الروض : فإن قال أنتر بئن ثلاثاً ونوى الطلاق لا الثلاث وقعن أى الثلاث . انتهى ، لأنه قيد البيئونة التى نوى بها الطلاق ، بالثلاث ، وما ذكر لا تقييد فيه ، ولا ارتباط فيه للثلاث بالطلاق الذى أوقعه . فليتأمل .

وكتب عند قوله : « وطلاقه فرداً مما ادّعه » قد يقال : ما ادّعه ليس بصحيح بظاهره إذ جنس الطلاق لا ينحصر في الثلاث ، فلا يلزم أن يكون طلاقه فرداً من جنس الثلاث ؛ نعم إن قصد ذلك بأن قصد طلاقاً من أفراد الثلاث فسلم ، فليتأمل . . . وكتب عند قوله : « وفيه أن ذا الحال مبتدأ » : قد يقال هذا لا يرد ، لأن المراد أن هذا التقدير والحمل^(١) يقتضى هذا الحكم ، وأما أن هذا التقدير ضعيف ففى : آخر لا ينافى ذلك . . . وكتب عند قوله : « وحيتئذ ينزم ثلاث » : هذا ظاهر ، إن أريد المفعول المطلق من طالق لا من الطلاق .

وكتب شيخنا الشهاب الخلفاجي ، عند بيانه للأربعة التى فسدت لأجل الإعراب : وما ادّعه من بطلان الوجوه الأربعة إذا رفع الطلاق ونصب عزيمة وثلاث ، على الحالية أو المفعولية ، غير مسلم ، لأنه يجوز أن يكون خبر مبتدأ مقدّر : أى وهذا الطلاق . وباب التقدير واسع . انتهى .

هذا ما وقفت عليه مما كتب على هذا الشعر . وكلامهم دائر على أن ثلاثاً إمّا مفعول مطلق لطلاق المنكر أو المرف ، وإمّا حال من الضمير المستتر .

ومنع الكلّ أبو عليّ (في المسائل القصريّة) ومنع كونه تمييزاً أيضاً ،
وعين أن يكون ثلاثاً مفعولاً مطلقاً إما لعزيمة أو لطلقت محدوقاً ، وإما ظرف
لعزيمة . وحقّق أنّ مفاد البيت الطلاق الثلاث لا غير | و | هذا كلامه : قوله :

فانت طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاث البيت

٧٤

لا يخلو إذا نصبت ثلاثاً أن يكون متعلقاً بطلاق أو غيره ، فلا يجوز أن
يكون متعلقاً بطلاق ؛ لأنّه إن كان متعلقاً به لم يخلُ من أن يكون طلاقُ
الأوّل أو الثانى ، فلا يجوز أن يكون متعلقاً بطلاق الأوّل ، لأنّ الطلاق مصدرُ
فلا يجوز أن يتعلّق به شيء بعد المطف عليه ، ولا يجوز أن يُنصب ثلاث
بطلاق الثانى ؛ لأنّه قد أخبر عنه للفصل . فإذا بطل الوجهان جميعاً ، ثبت أنّه
متعلّق بغيره : فيجوز أن يكون متعلقاً بعزيمة ، أى أعزم ثلاثاً ؛ ولم يُحتجّ
إلى ذكر الفاعل لأنّ ما تقدّم من قوله : فانت طلاق ، قد دلّ على الفاعل ،
ألا ترى أنّ معناه : أنت ذات طلاق ، أى ذات طلاق ، أى قد طلقنتك .
فلا فصلَ بين أنت ذات طلاق ، وبين قد طلقنتك ، لما أضفت المصدر
إلى الفعل استغنيّت عن إظهار المفعول ، جُزئى ذكره فى الكلام .
فحذفته كما استغنيّت^(١) عن ذكر المفعول فى قوله : (والحافظين فرُوجهم
والحافظات^(٢)) فلم يُحتجّ إلى ذكر الفاعل فى عزيمة إذ كان مصدرّاً كالنذير
والشكير ، وكما لم يُحتجّ إليه فى قوله تعالى : (أو إطعام فى يوم ذى مسغبةٍ .
يتباً^(٣)) لتقدّم ذكره ، فلذلك لم يُحتجّ إلى ذكر الفاعل فى عزيمة فصار كأنّه
قال : أنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاثاً ، أى أعزمه ثلاثاً . فيكون ثلاثاً

(١) لعلها « كما استغنى » .

(٢) الآية ٣٥ من الأحزاب .

(٣) الآيتين ١٤ ، ١٥ من سورة البلد .

المنصوب متعلقا بعزيمة ، أو يكون متعلقه به على جهة الظرف ، كأنه قال : أعزم ثلاث مرات أو ثلاث تطليقات ، فإذا كان كذلك وقع ثلاث تطليقات لتعلق الثلاث بما ذكرناه ، ولا يجوز أن يكون أقل من ذلك لتعلقه بالعزيمة . والأشبه فيمن نصب ثلاثاً أن يكون الطلاق الثاني المعروف باللام يراد به الطلاق المنكور الذي تقدم ذكره ، أي ذلك الطلاق عزمته ، أي عزمت عليه ثلاثاً . فإذا كان كذلك لم يتجه إلا إلى الإيقاع للثلاث ؛ وأما إذا رفع ثلاثاً أمكن أن يكون المراد : الطلاق عزيمة ثلاث ، أي جنس الطلاق ذو عزيمة ثلاث ؛ وأمكن أن يكون طلاق ذو عزيمة ثلاث . فإذا أمكن أن يكون المراد به طلاق خاصة ، وأمكن أن يكون غير طلاقه ولكن جنس الطلاق ، لم نوقع به شيئاً حتى يتيقن ذلك بإقرار من المطلق أنه أراد ذلك ؛ فأما إذا لم يقتصر إلى هذا اللفظ ، الذي يحتمل الطلاق الخاص والطلاق العام ، شئ به يدل به أنه يريد به طلاق خاصة ، لم نوقعه . والأشبه في قولهم : واحدة ، واثنان ، وثلاث ، في الطلاق ، وإصالحهم إياه بهن ، أن يكون مراراً ؛ فينصب على أنه ظرف من الزمان ؛ يقوى ذلك قوله تعالى (الطلاق مرتان ^(١)) والمعنى : الطلاق في مرتين ، إلا أنه اتسع فيه فأقيم مقام الخبر ، كما أقيم ظرف الزمان مقام الفاعل في قولهم : سير عليه طوران ، وسير عليه مرتان وشهران ؛ فكذلك قوله مرتان . وإذا كان كذلك كان قولهم : أنت طالق واحدة ، كأنك قلت أنت طالق مرة ، وأنت طالق ثنتين ، أي مرتين . وكذلك ثلاثاً . فيكون ذلك ظرفاً من الزمان . ويجوز فيمن نصب ثلاثاً في البيت أن لا يحمله على عزيمة ، ولكن يحمله على فعل مضمر ، كأنه لما لم يجز أن يحمله على طلاق الأول ولا على طلاق الثاني ، وكان المعنى والمراد أن يكون الثلاث مجعولة

(١) الآية ٢٢٩ من سورة البقرة .

على الطلاق ، أضمر طَلَّقْتُ . ودلّ عليه ما تقدّم من ذكر الطلاق ؛ فكأنه قال : طَلَّقْتُكَ ثلاثاً . فأما حملُ الثلاث على التفسير في قولهم : أنت طالق ثلاثاً ، فليس ذلك من مواضع التفسير ، ألا ترى أن التفسير جميع ما كان منتصباً منه فقدّره ^(١) انحويون على جواز إدخال من فيه ، وإن منه ما يُردُّ إلى الجمع ومنه ما يُقرّ على الواحد ، كقولهم : عشرون من الدراهم ، والله دَرّه من رجل . ولا يجوز ذلك في هذا ، ألا ترى أنه لا يستقيم : أنت طالق من واحد ، ولا من العدد ، ولا ما أشبه ذلك ؛ فإذا كان كذلك لم يكن تفسيراً . وأيضاً فإن التفسير لا يجوز أن يكون معرّفاً ، والتعريف في هذا غير مُمتنع ، تقول : أنت طالق الثلاث ، وأنت طالق الثنتين أو الطلقتين . فإذا كان كذلك كان ظرفاً ، والظرف يكون تارة معرفة وتارة نكرة .

وقد تقول : أنت طالق من ثلاثٍ ما شئت ، فيكون ما شئت معرفة ، كأنك قلت : الذي شئت ؛ فيكون معرفة . ولو كان تفسيراً لم تقع المعرفة في هذا الموضع .

ولا يجوز أن ينتصب على أنه حال ، لأنه لو كان حالاً لم يجوز أن يقع خبراً للابتداء في قوله : (الطلاقُ مرّتان) كما لا يكون الحال خبراً للمبتدأ . ولو قلت : قتُ خلفك ؛ فنصبت خلفك على تقدير الحال ، أي قتُ ثابتاً فيه ، لم يجوز الإخبار عنه ، لأن الحال لا يكون خبراً مبتدأ .

فإن قلت : يكون قوله : والطلاق عزيمة ، اعتراضاً بين الصلة والموصول ، وتحمل ثلاثاً على الطلاق الأول ^(٢) ؛ قيل : لا يجوز أن تحمله على الاعتراض ،

(١) كذا في ط . وفي س : « فقد » وأمامها بيان يشع ثلاث كلمات : وبهاמש
لعله اتفق ، أي لعله ، فقد اتفق النحويون .

(٢) كذا في ط . وفي س : « وتحمل طلاقاً على الثلاث الأول » .

كما أن قوله : (وأقرضوا الله قرضاً حسناً ^(١)) في قولنا اعتراض ، ألا ترى أن ذلك اعتراض بين الخبر والخبر عنه ، وكذلك قوله تعالى : (قل إن الهدى هدى الله ^(٢)) اعتراض بين المفعول الذى هو (أن يؤتى أحد ^(٣)) . ولا يعترض بين الطلاق وثلاث ، لأنه لا مثل له يشبه به .

هذا كلام أبى على ، وقد حذفنا منه بعض ما يستغنى عنه . وفى منعه الاعتراض رد على الشارح وغيره ، حيث جعلوا الجملة معترضة ، كما تقدم التنبيه عليه .

كمل الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله « باب خبر كان وأخواتها »

﴿ والحمد لله وحده ﴾

(١) الآية ١٨ من سورة الحديد . وفى الآية ٢٠ من المزمل : « وأقرضوا الله قرضاً حسناً » بصيغة الأمر ، وليست مرادة هنا ، بل المراد قوله تعالى فى سورة الحديد : « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم » حيث اعترضت الجملة بين اسم إن وخبرها .

(٢) الآية ٧٣ من آل عمران : « ولا تؤمنوا إلا بما نبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم » . وانظر تفسير أبى حيان ٢ : ٤٩٤ — ٤٩٧ .

(٣) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله اعتراض بين المفعول ، هكذا بالأصل الذى بأيدينا ، ولعله : اعتراض بين الفعل الذى هو تؤمنوا وبين المفعول ... الخ » .

(١٢)

فهرس التراجم

[illegible]

[illegible]

(ب)
فهرس الشواهد

الاشتغال

الشامد

الصفحة

- ١٥٦ فكلأ أراهم أصبحوا يعقلونه صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالَعَاتٍ بِمَخْرَمٍ ٣
 ١٥٧ ألقى الصَّحِيفَةَ كَى يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْمَلَهُ الْقَاهَا ٢١
 ١٥٨ فلاحسباً فخرت به لتيم ولا جدًا إذا ازدحم الجدود ٢٥
 ١٥٩ إِذَا انْخَصَمُ أَبْزَى مَائِلُ الرَّاسِ أَنْكَبُ ٢٩
 ١٦٠ إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالًا بَلَفْتِهِ فَقَامَ بِقَاسٍ بَيْنَ وَصْلِكَ جَارِدُ ٣٢
 ١٦١ فتي واغل يزرم يحيو وتُعْطَفُ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِ ٤٦
 ١٦٢ صَعْدَةُ نَابِئَةٍ فِي حَائِرٍ أَيْنَا الرِّيحُ تَمِيلُهَا تَمَلُ ٤٧
 ١٦٣ أَلَا رَجُلًا جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا يَدُلُّ عَلَى مُحْصَلَةٍ تُبَيِّتُ ٥١
 ١٦٤ تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَيْيُ الْمُقْنَعَا ٥٥
 ١٦٥ وَنَبِئْتُ لَيْلَى أَرْسَلْتُ بِشَفَاعَةٍ إِلَى ، فَهَلَا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا ٦٠

التحذير

- ١٦٦ طَائِيَاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاهُ وَلِلشَّرِّ جَالِبُ ٦٣
 ١٦٧ أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَالَه كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَقِيرِ سِلَاحِ ٦٥

المفعول فيه

- ١٦٨ فَلَا يَفِيضُكُمْ قَنًا وَعَوَارِضًا وَلَا تُقِيلَنَّ الْخَلِيلَ لَابَةً ضَرْغَدِ ٧٤
 ١٦٩ لَدُنِّي يَهْزُ الْكَفَّ بِعَصْلٍ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّغْلُبُ ٨٣
 ١٧٠ عَزَمْتُ عَلَى إِهَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ مِنْ يَسُودُ ٨٧

الصفحة

الشاهد

- ٩٢ ١٧١ صَلَاةٌ وَرُسٌ وَسُطْحًا قَدْ تَفَلَّقَا
- ١٠١ ١٧٢ أَلَا قَالَتِ الْخَنَسَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا : أَرَأَيْكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعًا
- ١٠٤ ١٧٣ بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ
- ١٠٨ ١٧٤ يَا سَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ
- ١١١ ١٧٥ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا
- ١١٢ ١٧٦ كَوَكَبُ الْخُرْقَاءِ

«المفعول له»

- ١١٤ ١٧٧ يَرْكَبُ كُلُّ عَاقِرٍ مُجْمُورٍ خَافَةً وَزَعَلَ الْمُجْبُورِ
- وَأَقُولُ مِنْ تَهْوِيلِ الْمُجْبُورِ
- ١١٧ ١٧٨ وَالشَّيْخُ إِنْ قَوْمَتَهُ مِنْ زَيْغِهِ لَمْ يُقَمِّرِ التَّقْيِفُ مِنْهُ مَا التَّوَى
- ١٢٢ ١٧٩ وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ إِذْخَارَهُ وَأُعْرِضُ عَنْ شَتْمِ اللَّشِيمِ تَكْرُماً

«المفعول معه»

- ١٣٠ ١٨٠ جَمَعْتُ، وَفُحْشًا، غَيْبَةً وَنَمِيمَةً ثَلَاثَ خِلَالٍ لَسْتُ عَنْهَا بِمَرْعُوى
- ١٣٩ ١٨١ عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمِنْهُ بَارِدًا
- ١٤١ ١٨٢ وَمَا النَّجْدِيُّ وَالْمُتَغَوَّرُ
- ١٤٥ ١٨٣ أَرْمَانُ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةُ كَالَّذِي مَنَّ الرِّحَالَةَ أَنْ تَمِيلَ مِمِيلًا

«الحال»

- ١٥١ ١٨٤ يَقُولُ، وَقَدْ تَرَّ الْوُظُفُ وَسَاقَهَا أَلَسْتُ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيِّدٍ؟
- ١٥٦ ١٨٥ وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَايَا بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلًا

- ١٨٦ كَانَ حَوَامِيَه مُدْبِرًا
 ١٨٧ عَوْدُ وَبُهْشَه حَاشِدُونَ، عَلَيْهِمْ
 ١٨٨ وَإِنَّا سَوْفَ تَدْرِكُنَا لِلنَّسَايَا
 ١٨٩ كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ
 ١٩٠ فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاقَ وَلَمْ يَذُذْهَا
 ١٩١ أَتَنَّى سُلَيْمٍ قَضَاهَا بِقَضِيضِهَا
 ١٩٢ وَقَبَّلْتَنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِفَمٍ
 ١٩٣ فَمَا بَالُنَا أَمْسِرَ أَسَدَ الْعَرِينِ
 ١٩٤ وَمَا حَلَّ سَعْدِي غَرِيبًا بِلَدَّةِ
 ١٩٥ لَيْتَ مَوْحِشًا طَلُّ قَدِيمٍ
 ١٩٦ لَيْتَ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ، حَرَّانَ صَادِيًا
 ١٩٧ إِذَا لِلرَّءِ أَعْيَتْهُ الرُّوءَةُ نَاشِئًا
 ١٩٨ بَدَتْ قَرَأَ وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ
 ١٩٩ كَدَأَيْكَ مِنْ أُمِّ الْحَوْرِثِ قَبْلَهَا
 ٢٠٠ وَلَقَدْ نَزَلَتْ - فَلَا تَطْنُقِي غَيْرَهُ -
 ٢٠١ خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادٍ
 ٢٠٢ / نَصَفَ النَّهَارُ الْمَاءَ غَايِرُهُ
 ٢٠٣ فَالْحَقُّ بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ
 ٢٠٤ وَإِنْ أَمْرًا أَسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ
 خُضِبْنَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُخْضَبِ ١٦١
 خَلَقَ الْحَدِيدَ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ ١٧٣
 مُقَدَّرَةٌ لَنَا، وَمُقَدَّرِينَا ١٧٧
 مَفُودُ شَرِبِ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَادٍ ١٨٥
 وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَقْصِ الدِّخَالِ ١٩٢
 تَمَسَّحَ حَوْلَى بِالْبَقِيعِ سِبَالَهَا ١٩٤
 ١٩٧
 وَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ شَاءَ النَّجْفُ ٢٠١
 ٢٠٦
 ٢٠٩
 إِلَى حَبِيبًا إِنَّهَا لِحَبِيبُ ٢١٢
 فَمَطْلَبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ ٢١٩
 وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنْتْ غَزَالَا ٢٢٢
 وَجَارَتْهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَاسَلِ ٢٢٣
 مَتَى بِمَنْزِلَةِ الْحَبِّ الْمَكْرَمِ ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٣٣
 جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلِ ٢٤١
 مِنَ الْأَرْضِ مَوَاعِدُ وَيَبْدَأُ سَلَقُ ٢٥٢

الصفحة

الشاهد

٢٥٤

٢٠٥ كما انتفض العصفور بالله القطر

٢٦٣ وفي الحرب أشباه النساء العوارك

٢٠٦ أفي السلم أعياراً، جفاءً وغِلظةً

٢٦٥ وهل يدارةً يا للناس من عار

٢٠٧ أنا ابن دارة مشهوراً بها نسي

« التمييز »

٢٦٧

٢٠٩ وستوك قد كرتت تكمل

٢٦٩ بكل مغار الفتل شدت يذبلي

٢١٠ فيالك من ليل كان نجومه

٢٧٣ والغيث مرّيجز والليل مقترب

٢١١ ويلها روحة والريح مصفة

٢٧٩ مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الندي

٢١٢ ويل أيام الشباب معيشة

٢٨٥ ما كان أعرفه بالدون والسفل

٢١٣ لله در أنو شروان من رجل

٢٨٦

٢١٤ والأكرمين، إذا ما ينسبون، أبا

٢٩٥ وابشر بذاك وقرمته عيوناً

٢١٥ فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة

٢٩٩

٢١٦ ثلاثون للهجر حولاً كيلاً

٣٠٢ وأبرحت رباً وأبرحت جارا

٢١٧ تقول ابنتي حين جد الرحيل

٣٠٨

٢١٨ يا جارتاً ما أنت جاره

« المستثنى »

٣١١ ولا خلا الجن بها إنسي

٢١٩ وبلدة ليس بها طوري

٣١٥ أنيسك أصداء القبور تصيح

٢٢٠ فإن تمس في غار برهوة ثاوياً

٣١٧ والراح

٢٢١ والحرب لا يبقى لجأ حها التخيّل

إلا الفتى الصبار في التجيدات والفرس الوقاح

- ٢٢٢ عَشِيَّةٌ لَا تُغْنِي الرِّيحُ مَكَانَهَا
 ٢٢٣ وَلَا عَيْبٌ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُفْهِمُ
 ٢٢٤ فَتَى كَلِمَتِ أَخْلَاقِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ
 ٢٢٥ فَمَا تَرَكَ الصَّنْعُ الَّذِي قَدْ تَرَكَتُهُ
 ٢٢٦ وَكُلُّ أَبِي بَاسِلٍ غَيْرَ أَنِّي
 ٢٢٧ فِي لَيْلَةٍ لَا نَرَى بِهَا أَحَدًا
 ٢٢٨ قَلْبًا عَرَسَ حَتَّى هِجَّتْهُ
 ٢٢٩ وَمَا اغْتَرَاهُ الشَّيْبُ إِلَّا اغْتِرَارًا
 ٢٣٠ يُطَالِبُنِي عَمَى نَمَانِينَ نَاقَةً
 ٢٣١ مَهَامِيًا وَخَرُوقًا لَا أُنِيسَ بِهَا
 ٢٣٢ وَلَا أَمْرَ لِمَعْصَى إِلَّا مُضْئِغًا
 ٢٣٣ رَأَيْتُ النَّاسَ مَا حَاشَا قُرَيْشًا
 ٢٣٤ سُبْحَانَهُ نَمَّ سُبْحَانًا نَعُودُ بِهِ
 ٢٣٥ سُبْحَانُ مِنْ عِلْقَمَةِ الْفَاخِرِ
 ٢٣٦ وَمَا أَحَاطَ مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ
 ٢٣٧ لَمْ يَمْنَعْ الشَّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ
 ٢٣٨ غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْمِ
 ٢٣٩ أُنِخْتُ فَالْقَتَ بِلَدَةٍ فَوْقَ بِلَدَةٍ
 ٢٤٠ وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ
 وَلَا النَّبِيلُ، إِلَّا الْمَشْرِقُ الْمَصْمُومُ ٣١٨
 مِنْ قُلُوبٍ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ ٣٢٧
 جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا ٣٣٤
 وَلَا الْغَيْظُ مِنِّي لَيْسَ جَلَدًا وَأَعْظَمًا ٣٣٧
 إِذَا عَرَضْتُ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ ٣٤٠
 يَحْكِي عَلَيْنَا، إِلَّا كَوَا كِبَاهَا ٣٤٨
 بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصَّبْحِ الْأَوَّلِ ٣٦٣
 ٣٧٤
 وَمَالِي يَا عَفْرَاهُ إِلَّا نَمَانِيَا ٣٧٥
 إِلَّا الضَّوَابِجَ وَالْأَصْدَاءَ وَالْبُومَا ٣٨٢
 ٣٨٥
 فَإِنَّا نَحْنُ أَفْضَلُهُمْ فَعَالَا ٣٨٧
 وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجَمْدُ ٣٨٨
 ٣٩٧
 ٤٠٣
 حَامَةٌ فِي غُصُونِ ذَاتِ أَوْقَالٍ ٤٠٦
 مٌ إِذَا خَفَّ بِالنَّوَى النِّجَادُ ٤١٤
 قَلِيلٌ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بِقَامُهَا ٤١٨
 لَعَمْرُ أَيْكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ ٤٢١

المفحة

الشاهد

- ٢٤١ ولم يَبْقَ سِوَى الْمُدَوِّ نِ دِنَامِ كَا دَانُوا ٤٣١
 ٢٤٢ تَجَانَفُ عَنْ جَوْ النِّمَامَةِ نَاقَى وَمَا عَدَلَتْ عَنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَا ٤٣٥
 ٢٤٣ خَالَطَ مِنْ سَلَى خِيَاشِمَ وَفَا ٤٤٢
 ٢٤٤ وَلَا سَبِيًّا يَوْمًا بِدَارَةِ جُلْجُلٍ ٤٤٤
 ٢٤٥ فَانْتَبِ طَلَاقٌ - وَالطَّلَاقُ أَلِيَّةٌ - ثَلَاثًا وَمَنْ يَخْرُقْ أَعْقُ وَأَعْلَمُ ٤٥٩

خزانة الأديب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشيخ

عبد السلام محمد هارون

الجزء الرابع

الناشر مكتبة النخاسى بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

مطبعة المكي
المؤسسة السعودية بيمبر
٦٨ شارع الصابية - القاهرة - ت: ٤٨٩٥٨٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب خبر كان وأخواتها

أشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد اللائتين :

٢٤٦ (وكان طوى كشحاً على مُسْكِنَةٍ)

هذا صدر عجزه : (فلا هو أبداها ولم يتقدم)

على أن خبر (كان) يجوز أن يجيء ماضياً بدون تقدير قد .

وهذا البيت من معلقة زهير بن أبي سُلي ، وقوله :

(لَعمرى لِنِعَمِ الحَيِّ جَرٌّ عَلَيْهِمْ بما لا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْنَمٍ)
(وكان طوى كشحاً البيت)

جرٌّ من الجريرة ، وهي الجنابة . ويؤاتيه : يوافقهم . حُصَيْنُ بْنُ ضَمْنَمٍ هو ابنُ عمِ النابغة الذبياني ، وجنابته أنه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبس ، امتنع حُصَيْنُ بْنُ ضَمْنَمٍ من الصلح واستر منها ، ثم عدا على رجل من بني عبس فقتله . وإنما مدح حتى ذبيان لتحملهم الديات إصلاحاً لذات الدين .

وضمير (كان) و (طوى) لحصين بن ضَمْنَمٍ . و (الكشح) الخاصرة ، يقال : طوى كشحه عن فَعْلَةٍ ، إذا أضرها في نفسه . و (المُسْكِنَةُ) : المستورة ، أي أضر على غيرة مستورة ؛ لأنه كان قد أضر قتل ورَد ابن حابس فإنه كان قتل أخاه هَرَمَ بْنَ ضَمْنَمٍ . وقوله (فلا هو أبداها .. الخ) للمعنى : فلم يظهرها ولم يتقدم فيها قبل مكانها . و يروى (ولم يتججم)

٧٦ بيمين أى لم يَنْهَنهُ عما أراد مما كنتم . وتكون لامع الماضى بمنزلة
لم مع المضارع فى المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾^(١) أى لم يقتحمها .
وقال أمية بن أبى الصلت :

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جُنًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأ^(٢)

أى لم يلم بالذنب . وقوله (وكان طوى) هو عند اللبرّد بإضمار قد ، أى
قد طوى . قال : لأن كان فعل ماض فلا يُخبر [عنه^(٣)] إلاّ باسم أو بما
ضارعه . قال : ولا يجوز كان زيد قام ، لأن زيد قام بفنيك عن كان . وخالفه
أصحابه فقالوا : الماضى قد ضارع الاسم أيضاً فهو يقع خبراً لكان ، كما يقع
الاسم والفعل المستقبل ، وأما قولك كان زيد قام فإِنما جىء بكان لتؤكد
أن الفعل لما مضى .

وقد قدّم فى الشاهد السادس والحسين بعد المائة أول باب الاشتغال^(٤)
شرح هذين البيتين مع أبيات كثيرة من هذه الحلقة ، وذكرنا سبب نظمها
بما لا مزيد عليه إن شاء الله تعالى .

وتقدم أيضاً ترجمة زهير بن أبى سلمى فى الشاهد الثامن والثلاثين
بعد المائة^(٥) .

(١) الآية ١١ من سورة البلد .

(٢) الأغاني ٣ : ١٨٣ وأمالى ابن السجري ١ : ٢/١٤٤ : ٩٤ .

٢٢٨ والانصاف ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٢١٣ واللسان (علم) .

(٣) التكملة من شرح . وفى شرح القصائد للتبريزى ١١٦ : «عنها» .

(٤) الحزانة ٣ : ٣ - ١٨ .

(٥) الحزانة ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٦ .

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين :

٢٤٧ (أُنْصَحَتْ خَلَاءً وَأُضْحِي أَهْلَهَا احْتَمَلُوا

أُخْتِي عَلَيْهَا الَّذِي أُخْتِي عَلَى لُبْدٍ ^(١))

على أن خبر (أضحى) يجوز أن يكون فعلاً ماضياً بدون قد ، فأهلها اسمُ أضحى ، وجلة احتملوا في محل نصب على أنها خبر أضحى ، ولا تقدّر قد كما ذهب إليه ابن مالك ، خلافاً للبرد كما تقدم بيانه ^(٢) .

وهذا البيت من قصيدة للناطقة الذياني مدح بها النعمان بن المنذر واعتذر إليه مما بلغه عنه ، وهي من الاعتذاريّات ، وقد ألحقوها لجودتها بالملكات السبع . وهذا أولها :

يا دارمية بالعلياء فالسند	أقوت وطال عليها سالف الأبد	أبيات الشاهد
وقفت فيها أصيلاً كي أسألمها	عيت جواباً وما بالرّبع من أحد	
إلا أوارى لاياً ما أبينها	والنوى كالحوض بالظلمة الجلد	
ردت عليه أقاصيه ولبيده	ضرب الوليدة بالمسحة في الشاد	
حلّت سيل أني كان يجبه	ورفته إلى السجّين فالنضد	
أُنْصَحَتْ خَلَاءً وَأُضْحِي أَهْلَهَا احْتَمَلُوا	البيت	

قوله : يا دارمية الخ قال الأصهباني في الأغاني ^(٣) : « قال الأصعي : يريد يا أهل دارمية ^(٤) . وقال الفرّاء : نادى الديار ^(٥) لا أهلها ، أسفاً عليها

(١) جمع الهوامع ١ : ١١٤ والأشمونى ١ : ٢٣٠ وديوانه ١٧ .

(٢) في أواخر الشاهد السابق .

(٣) الأغاني ٩ : ١٧٦ .

(٤) ش : « يا دارمية » .

(٥) في الأغاني : « اتما نادى الدار » ، بالافراد . وهو الوجه .

وتشوقاً إليها^(١) . وقال : أقوت ولم يقل أقويت ، لأن من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكنون عنه^(٢) . ٥١

العلياء بالفتح واللد : المكان المرتفع من الأرض . قال ابن السكيت : قال بالعلياء فجاء بالياء لأنه بناها على عَلييت بالكسر . والسند : سند الوادى فى الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يُسند فيه ، أى يصعد . وأقوت : خلت من أهلها . والسالف : الماضى . والأبد : الدهر . ويأتى الكلام على هذا البيت إن شاء الله تعالى بأكثر من هذا فى الفاء من حروف العطف^(٣) .

قوله : « وقفت فيها » الخ ، الأصل ما بعد الظهر إلى الغروب ، وروى أصيلاً مصغراً أصلان ، وهو جمع أصيل ، كزغيف ورغفان ، وقيل هو مفرد كغفران ، وهو الصحيح لأن جمع الكثرة إذا صغر رد إلى مفرده . وروى : وقفت فيها طويلاً ، أى وقوفاً طويلاً . وقوله عيت ، يقال عيت بالامر ، إذا لم تعرف وجهه . وجواباً قيل منصوب على المصدر أى عيت أن تجيب . والرابع : المنزل فى الربيع ، ثم كثر حتى قيل كل منزل ربيع .

وقوله : إلا أوارى ، بالنصب لأنه استثناء منقطع . والثوى معطوف عليه . وروى « إلا أوارى » ، بالرفع على أنه بدل من موضع قوله : من أحد الواقع فاعلاً للظرف ، والأوارى هى الأواخى جمع أرى وأخية بالمد والتشديد فيهما . والآرى : تحيى الدابة ، والآخية قطعة من جبل يُدفن طرفاه فى الأرض وفيه عَصِيَّة أو حجر ، فتظهر منه مثل عروة تُشدُّ إليه الدابة . وقد

(١) الأغاني : « الى أهلها »

(٢) الأغاني : « ويكنفوا عنه » ، وما هنا صوابه .

(٣) فى الشاهد ٨٨٩ .

تسمى الآخية آرياً ؛ وفعلهما آريت الدابة وأخيتها بتشديد الثاني . واللاى ، بفتح اللام وسكون الهزنة : البطء ، يقال فعل كذا بعد لآى ، أى بعد شدّة . ولآى لآياً والتأى ، أى أبطأ إبطاء . والمعنى : بعد بطء تعرّفتها . والنؤى بضم النون وسكون الهزنة : حفيرة حوّل الخباء والبيت يجعل ترابها حاجزاً حولهما لئلاّ يصل إليهما ماء المطر . والمظلومة : الأرض التى قد حُفر فيها فى غير موضع الحفر . والجَلَد ، بفتح الجيم واللام : الأرض الغليظة الصلبة من غير حجارة ، وإِنَّمَا قصدَ الجَلَدَ لأنَّ الحفرَ فيها يصعبُ فيكون ذلك أشبهَ شئاً بالنؤى . قال ابن السكيت : إِنَّمَا قالَ بالمظلومة لأنَّهم مرُّوا فى تربةٍ فحَفَرُوا فيها ، حَوْضاً وليست بموضع حَوْض ، فُجِعِلَ الشئُ فى غير موضعه .

وهذا البيت يأتى الكلام عليه أيضاً إِن شاء الله فى خبر ما ولا^(١) .

وقوله : « رُدَّتْ عليه أقاصيه » الخ ، أقاصيه نائب فاعل رُدَّتْ ، والضمير للنؤى . والأقاصى : الأطراف وما بُعد منه ، أى والأقصى على الأدنى ليرتبع . ولبدّه : سكّنه ، أى سكّنه حفر الوليدة وهى الأمة . والثأد ، بفتح المثناة والمهزة : الموضع الندى التراب ، أى فى موضع الثأد .

وقوله : « خلّت سبيلَ آتى » الخ ، الآتى : السبيل الذى يأتى ، ويقال للنهر الصغير . يقول : لما انسَدَّ سبيلُ السبيلِ سهَّلتُ له طريقاً حتّى جرى ، أى تركت الأمة سبيلَ الماء فى الآتى ، ورفّعه أى قدّمت الحفر إلى موضع السجّنين وأوصلته إليهما . وليس الترفيع هنا من ارتفاع العلوّ ، بل هو من قولهم : ارتفع القوم إلى السلطان . والسجّنان : ستران رقيقان يكونان فى مقدّم البيت : والنّصد ، بفتح النون والضاد المعجمة : مانئِد من متاع البيت .

وقوله : « أَضْحَتْ خَلَاءً » الخ ، أى أضحت الدار . واختلاء بالفتح والمد : المكان الذى لا شئ به . واحتلوا : حملوا جالهم وارتحلوا . قال فى الصحاح : وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة :

* أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ *

ولُبْد : آخر نسور لقمان بن عاد ، وهو منصرف لأنّه ليس بممدول ، وفى المثل « أَعْمَرُ مِنْ لُبْدٍ » . قال الزخشرى : وهو نَسْرُ لقمان العادى ، سمّاه لبداً معتقداً فيه أنه أبديّ فلا يموت ولا يذهب ، ويزعمون أنه حين كبر قال له : انهض لُبْدُ فَأَنْتَ نَسْرُ الأبد . قال فى الصحاح : وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عادٌ فى وفدّها إلى الحرم يستسقى لها ، فلما أهلكوا حُيِّرَ لقمان بين بقاء سبع بقرات بُعِرَ^(١) ، من أَطْبِ عَفْرِ ، فى جَبَلٍ وعِرٍ ، لا يمسّها القطر ؛ أو بقاء سبعة أنسرٍ كما هلك نسر ، خلف بعده نسر ، فاختر النسر ، فكان آخر نسوره يسمّى لبداً ، وقد ذكرته الشعراء ، قال النابغة :

أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَلَوْا ... البيت

ولقمان هو ممن آمن بهودٍ عليه السلام ، وهلك قومُه لكفرهم به — عليه السلام — فأهلكهم الله تعالى بالرَّيحِ « سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً^(٢) » فلم تدعْ منهم أحداً وسَلِمَ هودٌ وَمَنْ آمَنَ معه . وأرسلت عليهم يومَ الأربعاء فلم تدُرِ الأربعاء وعلى الأرض منهم حتى .

وأما لقمان المذكور فى القرآن فهو غيره ، قال صاحب الكشاف : هو لقمان المذكور فى القرآن

(١) فى النسختين : « بقرات » ، بالqاف ، صوابه بالعين كما فى

الصحاح .

(٢) الآية ٧ من سورة الحاقة .

لقمان بن باعوراء ، ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وقيل : كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بُعث قطع الفتوى فقبل له ، فقال : ألا أكتفى إذا كُفيت ؟ وقيل : كان قاضياً في بني إسرائيل . وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً ؛ ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته ، فقص أمره في القرآن لِيَتَمَسَّكُوا بِوَصِيَّتِهِ . وقال عكرمة والشَّعْبِي : كان نبياً . وقيل : خَيْرٌ بين النبوة والحكمة^(١) . وعن ابن المسيب : كان أسود ، من سُودانٍ مِصر ، خياطاً . وعن مجاهد : كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين . وقيل : كان نجاراً ؛ وقيل كان راعياً ؛ وقيل : كان يَحْتَطِبُ لمولاه كلَّ يوم حُرْمَةً^(٢) . ١٥

وهو متأخر عن لقمان المادى ؛ لأن هوداً متقدماً على أيوب وداود ، يقال للمادى « لقمان صاحب النور » .

وأُشْدَ بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد ميبويه^(٣) :

(١) بعده في الكشف : « فاختار الحكمة » .

(٢) في الكشف : « كان راعياً وكان يحتطب لمولاه كل يوم

حُرْمَةً » .

(٣) في كتابه ١ : ١٣١ . وانظر أمالي ابن الشجري ١ : ٢/٣٤١ :

٣٤٧ وابن يعيش ٢ : ٩٦ ، ٨/٩٧ : ١٠١ وشرح شواهد المغنى ٦٨

والعيني ٢ : ٦٦ والهمع ١ : ١٢١ والأشمونى ١ : ٢٤٢

٢٤٨ (قد قيلَ ذلك إن حقاً وإن كذباً)

فما اعتذارك من شيء إذا قيلاً)

على أن (كان) تحذف مع اسمها بعد إن الشرطية ، أى إن كان ذلك حقاً .
 جعله صاحب اللباب من قبيل : « الناسُ يحزبون بأعمالهم : إن خيراً فخير ،
 وإن شراً فشر » في الوجوه الأربعة . قال شارحه القالى ^(١) : يجوز فيه أربعة
 أوجه : رفعهما ، ونصبهما ، ورفع الأول ونصب الثانى ، وبالعكس . وتقدير
 الرفع فيهما : إن وقع حق وإن وقع كذب ، أو إن كان فيه — أى فى القول
 — حق وإن كان فيه كذب . ونصبهما على أنهما خبر كان ، والتقدير : إن كان
 المقول حقاً وإن كان المقول كذباً . وأما رفع أحدهما ونصب الآخر فيظهر من
 بيان نصبهما ورفعهما . وإنما قال : « ومنه ^(٢) » لأن الوجوه الأربعة كانت فى
 الشرط والجزاء وهو إن خيراً فخير ، وفى البيت الوجوه فى الشرطين ، وهما إن
 حقاً وإن كذباً .

وقوله : (قيل ذلك) المشار إليه البرص الذى فى استه .

قصيدة الشاعر

وهذا البيت من قصيدة للنعمان بن المنذر أولها :

(شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شُنْتُ وَلَا تُكْتَرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ الْأَقْوِيلَا
 فَقَدْ رُمِيتَ بِدَاءِ لَسْتِ غَامِلَهُ مَا جَاوَرَ السَّيْلُ أَهْلَ الشَّامِ وَالنَّيْلَا
 فَمَا انْتَفَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا قَطَعْتَ هُوجُ الْمَطَى بِهِ أَكْنَافُ شَمْلِيلَا
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَا
 فَالْحَقُّ بِحَيْثُ رَأَيْتَ الْأَرْضَ وَاسِعَةً وَانْشُرْبَهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرْضًا وَإِنْ طَوْلَا)

٧٩

(١) ش : « القالى » ، صوابه بالقاء .

(٢) منه ، أى من بيان نصبهما ورفعهما . والوجه حذف الواو .

قوله شرّد برحلك أى أبعده وارتحل عني . وقوله فقد رُميت روى بدله :

* فقد ذُكرت به والركبُ حامله *

وضمير به وحامله للبرص المذكور . وقوله شمليلاً قال البكري في (معجم ما استعجم) : هو بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده لام مكسورة على وزن فعليل بلد ، وأشد هذا البيت . ومن المجائب تفسير العيني إياه بالناقة الخفيفة ؛ وكأنه يكتب من غير أن يتصور المعنى .

والسبب في هذه الآيات هو ما رواه أبو الحسن الطوسي في (شرح ديوان سبب الشاهد لبید) والمفضل بن سلمة في (الفاخر) وابن خلف في (شرح أبيات سيويه) — وقد تداخل كلام كل منهم في الآخر — أن وفد بني عامر منهم طفيل بن مالك ، وعامر بن مالك ، أتوا النعمان بن المنذر أول ممالك ، في أسارى من بني عامر يشترونهم منه ، ومعهم ناس من بني جعفر ، ومعهم لبید وهو غلام صغير فخلّفوه في رحالم ودخلوا على الثعمان فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي وكان نديم النعمان قد غلب على حديثه ومجلسه ، فجعل الربيع يهزأ بهم ويسخر منهم لعداوة عطفان وهوازن ، فغاظهم ذلك ، فرجعوا بحال سيئة ، فقال لهم لبید : إنكم تنطلقون بحال حسنة ، ثم ترجعون وقد ذهب ذلك وتغير . قالوا : خالك — وكانت أم لبید عبسية — كلما أقبل علينا بوجه صده عنا بلسان بليغ مطاع . فقال لهم لبید : فما يمنعكم من معارضته ؟ قالوا : لحسن منزلته عند النعمان . قال : فانطلقوا بي معكم . فازمعا أن يذهبوا به ، وحلقوا رأسه وألبسوه حلة وغدا معهم ، فأتوها إلى النعمان وربيعة معه وهما يأكلان طعاماً ، وقيل نمرأ وزُبدآ ، فقال لبید : أبيت اللعن ، إن رأيت أن تأذن لي في الكلام . فأذن له ، فأشد :

مهلاً أَيْتَ اللّٰعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنَّ اسْتَهَ مِنْ بَرَّصٍ مَلْعَمَةٌ
وَأَنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا لِصَبْعِهِ يُدْخِلُهَا حَتَّى يَوَارِيَ أَشْجَمَهُ
كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيْعَهُ

وسياتى شرح هذه الأبيات إن شاء الله تعالى في رُبِّ من حروف الجر^(١).
فرفع النعمان يده وأَقْفَ وقال : كُفَّ ويلك ياربيع ، إني أحسبك
كما ذكر . فقال الربيع : إِنَّ الْعَلَامَ لَكَاذِبٌ . فترك النعمان مؤاكلته وقال :
عُدُّ إِلَى قَوْمِكَ . فضى الربيع لوقته وتجرَّد وأحضَرَ من شاهد بدنه وأنه ليس
فيه سُوءٌ ، ولحق بأهله ، وأرسل إلى النعمان بأبيات ، منها :

لئن رَحَلْتَ رُكْبَانِي لَا إِلَى سَعَةٍ مَا مِثْلُهَا سَعَةٌ عَرْضًا وَلَا طَوْلًا
وَلَوْ جَمَعْتَ بَنِي نَظْمٍ بِأَسْرَتِهَا لَمْ يَعْدِلُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ قَمِيْلَا
— وروى : شويلا^(٢) — فأجابه النعمان :

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ غَنِيَّ حَيْثُ شِئْتُ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ الْأَطْوِيلَا
الآبيات :

والنعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة تقدَّمت ترجمته في الشاهد الخامس
والخسين بعد المائة^(٣) .

الربيع بن زياد وأما الربيع فهو الربيع بن زياد العبسي ، قال الزمخشري (في مستقصى
الأمثال) : « أنجب من بنت الخرشب » هي فاطمة الأنمارية ، ولدت لزياد ٨٠

(١) في الشاهد السادس والتسعين بعد السبعمئة .

(٢) وكذا في الفاخر ١٧٣ . وفي اللسان (سمل) والأغاني

١٤ : ٩٢ : « سمويلا » بالسين المهملة .

(٣) الخزاعة ٢ : ٤٤٩ - ٤٥١

العيسى الكملة : ربيماً الكامل ، ومُحارة الوهاب ، وقيس الحفاظ ، وأنس الفوارس . وقيل لها : أى بنيك أفضل ؟ فقالت : « ربيع ، بل مُحارة ، بل قيس ، بل أنس ، ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل ، والله إنهم لكالخلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها » .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س^(١) :

٢٤٩ (أبا خراشة أما أنتَ ذا نفري فإن قومي لم تأكلهم الضعُ)

على أن أصل (أما أنت) : لأن كنت . كما شرحه الشارح المحقق وبين مخناره ، وسيأتى في الشاهد الذى يليه ذكر من وافقه .

وهذا البيت ونحوه اختلف في تخريجه أهل البلدين ، قال أبو على (في البغداديات) : قال سيبويه : سألته — يعنى الخليل — عن قوله أما أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرفع وهو قول أبي عمرو ، حدثنا به يونس ، يريد أنه رفع أنطلق ولم يجرمه على أنه جزاء . وحكى أبو عمر الجرمي^(٢) عن الأصمعي

(١) فى كتابه ١ : ١٤٨ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٨١ والمنصف ٣ : ١١٦ وابن الشجرى ١ : ٣٤ ، ٢/٣٥٣ : ٣٥٠ والانصاف ٧١ وابن يعيش ٢ : ٨/٩٩ : ١٣٢ وشرح شواهد المغنى ٤٣ ، ٦٥ والمينى ٢ : ٥٥ والهمع ١ : ١٢٢

(٢) فى النسختين : « أبو عمرو » ، وصححه الشنقيطى بقلمه فى نسخته على الصواب المعروف . واسمه صالح بن اسحاق ، أخذ النحو عن الأخفش ويونس ، واللفظ عن الأصمعي وأبى عبيدة . وتوفى سنة ٢٢٥ . بفية الوعاة .

فما أَظَنَّ المجازاة بآما المفتوحة الهمزة وزعم أنه لم يحكى غيره . وهذا الذى حكاه أبو عمر يقويه الذى ذكرنا وهو :

* أبا مُخراشة أما أنتَ ذا نفرٍ *

لأنه ليس فى البيت ما يُحمل عليه أن فيتعلق به ، كما أنها فى قولهم أما أنتَ منطلقاً أنطلق معك متعلق بأنطلق معك .

فإن قلت : يكون متعلقاً بفعل مضر يفسره ما بعده ، فالجواب ما يكون تفسيراً^(١) لا يعطف به على المفسر ، ألا ترى أنك تقول : إن زيدا ضربته ، ولا يجوز ، إن زيدا فضربته ، فإذا لم يجوز كانت الفاء فى فان قومى جواب شرط وأنت مرتفع بفعل مضر .

فإن قلت : قد تزداد الفاء كما حكى أبو الحسن : أخوك فوجد ، فاحملها فى البيت على هذا ليصح إضمار الفعل المفسر ، وفى حمل البيت عليه تقوية لما ذهب إليه سيبويه من أن أما فى البيت إنما هى أن الناصبة ضمت إليها ما ، إلا أن القول بزيادتها ليس من مذهبي اه .

وقال ابن الحاجب فى (أماله) : دخول الفاء هنا فى المعنى كدخولها فى جواب الشرط ، لأن قولك لأن كنتَ منطلقاً انطلقت ، بمعنى قولك إن كنتَ منطلقاً انطلقت ، لأن الأول سبب للثانى فى المعنى ، فلما كان كذلك دخلت دلالة على السببية كما تدخل فى جواب الشرط ، فلهذا المعنى جاءت الفاء بعد الشرط المحقق والتعليل ، وهى لها جميعاً فى المعنى . اه

وقال ابن خلف : قال على بن عبد الرحمن : عندى فيه وجه آخر ، وهو أن تجعل الفاء جواباً لما دل عليه حرف النداء المقدر ، من التنبيه

(١) ش : « فان جواب ما يكون تفسيراً » ، صوابه فى ط

والإيقاظ ، كأنه قال : نَدْبَةٌ وتيقظ . فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْع .
وفيه نظر .

وقال بعض فضلاء العمم (في شرح أبيات المفصل) : الغاء لتعليل
« لم أذل » المقدّر ، والمعنى : لكونك ذا نفر لم أذل ، فَإِنَّ قَوْمِي . كذا
في الإقليد . ويجوز أن أن تكون الغاء جزاء الشرط في قوله أماً أنت ، بناء
على مذهب الكوفيين : من أن أصل أن في هذا إن المكسورة التي للجزء
وأنتها إنما تفتح إذا دخلت عليها ما ، ليليتها الاسم . ويجيزون أماً زيد قائماً أقم
معه بفتح الهمزة اه .

وقال علي بن عبد الرحمن : وفي البيت عندي حذف يقوم من بقيته
الدلالة عليه ، وهو بطرأت أو بقيت أو فخرت ، وبه يتعلّق الجار ، ثم استأنف
فقال : إن قومي الخ .

وقوله (أبا خراشة) بضم الخاء منادى يحذف حرف النداء المقدّر ^(١) .
وأبو خراشة كنية واسمه خُفّاف بن نَدْبَة بضم الخاء وتخفيف الناء .
ونَدْبَة بفتح النون وسكون الدال بعدها موحّدة ، وهي اسم أمّه
اشتهر بها .

وخُفّاف صحابي شهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه لواء خفاف بن ندبة
بنى سليم ، وشهد حنيناً والطائف أيضاً ، وهو ممن ثبت على إسلامه في الردّة ،
وهو أحد فرسان قيس وشعرائها . وكان أسود حالكاً ، وهو أحد أغربة

(١) ط : « يحذف النداء المقدّر » ، وكلاهما صحيح . وكلمة « حرف » ،

في ش كتبت بخط الناسخ تحت كلمة « يحذف » بينها وبين كلمة

« النداء » .

العرب الثلاثة^(١) ، وهو ابن عم الخنساء الصحابية الشاعرة ، وتأتي له ترجمة أبسط مما هنا في محله إن شاء الله تعالى^(٢) .

و (أنت) اسم لكان المحذوفة ، و (ذا نفر) خبرها . وعند ابن جني ما معمولان لما الواقعة عوضاً من الفعل ، ومصلحة لألفظ لتزول مباشرة أن الاسم وهذه عبارته (في الخصائص) : فإن قلت : بم ارتفع وانتصب أنت منطلقاً^(٣) ؟ قيل بما ، لأنها عاقبت الفعل الرفع الناصب فعملت عمله من الرفع والنصب ؛ وهذه طريقة أبي علي وجلة أصحابنا ، من قبل أن الشيء إذا عاقب الشيء ، ولما من الأمر ما كان المحذوف يليه ؛ من ذلك الظرف إذا تعلق بالمحذوف فإنه يتضمن الضمير الذي كان فيه ، ويعمل ما كان يعمل^(٤) : من نصبه الحال والظرف . وعلى ذلك صار قوله « فاه إلى في » من قوله : كلمته فاه إلى في ، ضامناً الذي^(٥) كان في جاعلاً لما عاقبه . اهـ

قال ابن خلف : وعلى هذا يُلغز فيقال : هل تعرف (ما) في كلام العرب رافعةً للاسم وناصبة للخبر ، وليست بالنافية التي يُعملها أهل الحجاز بل هي موجبةٌ لنافية ؟

(١) أغربة العرب في الجاهلية خمسة لا ثلاثة ، وهم : عنتر بن شداد ، والسليك بن السليكة ، وأبو عمرو بن الحباب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبي معيط . كما ذكر البغدادي في الشاهد ٤١١ . ومثله في اللسان (غرب ١٣٨) . فلعل صواب ما هنا « الثلاثة عشر » ، فقد عد صاحب اللسان ثمانية أغربة آخرين من الإسلاميين . فانظروه .

(٢) في الشاهد ٤١١ وهو قول خفاف بن ندبة :

فقلت له والرمح ياطر منته تأمل خفاسا اننى اناذلكا

(٣) وكذا في الخصائص ٢ : ٣٨١ . وفي ش : « أما أنت منطلقاً » .

(٤) أى ما كان يعمل المتعلق المحذوف .

(٥) في الخصائص : « ضامناً للضمير الذى »

وروى أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) وتبعه ابن خزيمة
(في الجمهرة) :

• أبا خراشة أما كنت ذا نفر •

وعليها فلا شاهد في البيت ، وما زائدة . وهذه الرواية تؤيد قول الكوفيين
القائلين إنَّ أن المفتوحة شرطيةٌ يجازى بها .

ومن الغرائب ما نقله صاحب (نفحات الأرج ، في شرح أبيات الحجج)
عن الأصمعيَّ أنَّ العرب تجازى بأنَّ فتقول : ما أنت منطلق أنطلق منك .
وهذا نادر ولا يعتبر ، فإنَّ المجازاة لا تقع إلَّا على الفعل ، وأمَّا الأسماء فإنَّها
لا يصحَّ عليها المجازاة . كذا في (شرح أبيات الموشح) .

و (النفر) قال الفراء : نفرُ الرجل : رهطه ، ويقال لعدة من الرجال من
ثلاثة إلى عشرة ، وهذا هو المشهور . و (الضبُّع) قال حمزة الأصبهاني
(في أمثاله التي على وزن أفعل) عند قوله « أفسد من الضبُّع » : إنها إذا وقعت
في الغنم عاثت^(١) ولم تكتفِ بما يكتفى به الذئب . ومن إفسادها وإسرافها
فيه استعارت العرب اسمها للسنة المجدة فقالوا : أكلتنا الضبُّع . وقال ابن
الأعرابي : ليس يريدون بالضبُّع السنة ، وإنما هو أنَّ الناس إذا أُجذبوا
ضعفوا عن الانتصار وسقطت قواهم فعاثت فيهم الضبُّع والذئب فأكلتهم ،
ومنه قوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر البيت

(١) عاثت : أفسدت .

أى إن قومي ليسوا بضعافٍ تَعِثُ فيهم الضبَاع والذئاب^(١) . وإذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم سلت الغنم ، ومنه قولهم اللهم ذنباً وضبماً ، أى أجمعهما في الغنم ؛ لأن كلا منهما يمنع صاحبه . هـ .

صاحب الشاهد وهذا البيت من أبيات للعباس بن مرداس السُلَمي ، لا للهذلي كما زعم
٨٢ بعض شراح أبيات المفصل . وبعده :

(السلمُ تأخذ منها ما رَضِيتَ به والحربُ يكفيك من أنفسها جِرْعُ)

وهذا البيت استشهد به البيضاوي عند قوله تعالى : ﴿ ادخلوا في السلمِ كَافَّةً ﴾^(٢) على أن السلمَ تؤنث كلحرب . قال صاحب (الصحيح) : السلم الصلح تفتح وتكسر وتذكر وتؤنث . وكذلك استشهد به ابن السكيت (في إصلاح المنطق^(٣)) قال التبريزي (في إيضاح الإصحاح) : الجُرْع : جمع جرْعة ، وهى ملء الغنم . يخبره أن السلم هو فيها وادع^(٤) ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطعته عن لذاته وشغلته بنفسه . هـ .

(١) أما الذئاب فستاكل أحياءهم ، وأما الضبَاع فتصيب موتاهم .
والمراد وقوعهما في القوم متفرقين . أما اجتماعهما فإن معه السلامة
للأقوام ، لاشتغال كل واحد منهما بصاحبه ، ومنه قول الشاعر ، كما في
اللسان (ضبع) .

تفرقت غنمى يوماً فقلت لهما يارب سلط عليها الذئب والضبعا

(٢) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة .

(٣) إصلاح المنطق ٣٥ ، ٣٩٩ .

(٤) ط : « رادع » ، صوابه بالواو من الدعة ، كما فى ش .

وهذا تحريضٌ على الصلح وتثبيط عن الحرب . وأراد بأنفاسها أوائلها ،
ومن في للموضعين ^(١) ابتدائية .

والعباس بن مرداس صحابيٌ أسلم قبل فتح مكة يسير ، وهو ممن حرّم
الحرّ على نفسه في الجاهلية ، وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع عشر من
أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الحسنون بعد المائتين ^(٣) :

٢٥٠ (إِمَّا أَقْتِ وَأَمَّا أَنْتَ مَرْنَحْلًا فَاللَّهُ يَكْلَأُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ)

على أنّه يدل لصحة قول الكوفيين : كَوْنُ أَنْ المفتوحة الهمزة أداة
شرط ، بحجّ الفاء في جوابها مع عطف (أَمَّا أَنْتَ) على (إِمَّا أَقْتِ)
بكسر الهمزة .

قد صوّب ابن هشام أيضاً (في المغني) رأى الكوفيين ، كما صوّب
الشارح المحقق ، واستدلّ لم يعين ما استدلّ به الشارح ، وهذا من توافق
الخطأ ^(٤) كما يقال « قد يقع الخافر موضع الخافر » . وهذه عبارته :

(١) هما « منها » و « من أنفاسها » . ط : « وهى فى الموضعين » ،
صوابه فى ش .

(٢) الخزّانة ١ : ١٥٢ .

(٣) ابن يعيش ٢ : ٩٨ ، ٩٩ وشرح شواهد المغنى ٤٤ .

(٤) كانت حياة ابن هشام ما بين سنتي ٧٠٨ ، ٧٦١ . وقد أكمل
الرضي شرحه للكافية سنة ٦٨٦ أى قبل مولد ابن هشام . ويشير
البغدادي بقوله « توافق الخطأ » الى أن ابن هشام مع تأخره عن الرضى
لم يطلع على كتابه « شرح الكافية » . والعلة فى هذا ان الشرح لم ينقل
من بلاد العجم الى مصر الا بعد أبى حيان وابن هشام . انظر مقدمة
البغدادي فى الجزء الأول من الخزّانة ص ٢٩ .

ويرجع مذهب الكوفيين عندى أمور : أحدها توارد إن للفتوحة
والمكسورة على المحل الواحد والأصل التوافق ، وقرئ بالوجهين فى قوله تعالى :
﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ^(١) ﴾ ، ﴿ وَلَا يَجْزِيَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ ^(٢) ﴾ ،
﴿ أَنْفَضِرْبُ عَنْكُمْ ^(٣) الَّذِ كَرَّ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ^(٤) ﴾ . وروى
بالوجهين قوله :

* أَنْفَضِبْ أَنْ أَذْنًا قُتِيْبَةً حُرَّتَا ^(٤) *

الثانى مجىء الفاء بعدها كثيراً كقوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر البيت

الثالث عطفها على إن للمكسورة فى قوله :

إما أقت وأما أنت مرتحلا البيت

الرواية بكسر إن الأولى وفتح الثانية . فلو كانت للفتوحة مصدرية لزم
عطف المفرد على الجملة . وتعمّف ابنُ الحاجب فى توجيه ذلك فقال : لما كان
معنى قولك إن جئتني أكرمك ، وقولك أكرمك لا تيانك إيتاي واحداً ،
صح عطف التعليل على الشرط فى البيت . وكذلك تقول : إن جئتني وأحسنت

(١) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة . وقرا بكسر الهمزة فى « ان »
حمزة والاعمش ، والباقون بفتحها . تفسير أبى حيان ٢ : ٣٤٩
(٢) الآية ٢ من سورة المائدة . وقرا بكسرة همزة « ان » أبو عمرو .
وابن كثير ، والباقون بفتحها . تفسير أبى حيان ٣ : ٤٢٢
(٣) الآية ٥ من سورة الزخرف . وقد قرأ نافع والأخوان بكسر
الهمزة وقرا الجمهور « أن » بفتحها ، وزيد بن على : « اذ كنتم » . تفسير
أبى حيان ٨ : ٦ .

(٤) للفرزدق فى ديوانه ٨٥٥ . وعجزه :

* جهارا ولم تفضب لقتل ابن حازم *

إلى أكرمك ، ثم يقول : إن جئتني وإحسانك إلى أكرمك ، وتبجل
الجواب لها هـ . وما أظن أن العرب فاهت بذلك يوماً . انتهى كلام ابن هشام .
وكلام ابن الحاجب الذي نقله هو في (الإيضاح شرح للفصل) ، وقد
اختصر كلامه ، وهذه عبارته : وقد روى قوله :

إما أقمتَ وأما أنت مرتحلاً البيت

بكسر الأول وفتح الثاني . أمّا كسر الأول فلائنه شرط فوجب كسره ،
ودخول ما عليه كدخولها في قولك : إما تكرمني أكرمك . وفتح الثاني
واجب لأنه مثل قولك : أما أنت منطلقاً . وقد تقدّم ذكره .

٨٣ وقوله (فانه يكلاً ما تأتى الخ) فجواب الشرط معلل بقوله أمّا أنت
مرتحلاً . وصحّ أن يكون لهما جميعاً من حيث كان الشرط والمعلل في معنى واحد ،
ألا ترى أن قولك إن أتيتني أكرمك بمعنى قولك أكرمك لأجل إتيانك ؟
فاذا ثبت أن الشرطية والتعليل بمعنى واحد صحّ أن تعطف أحدهما على الآخر
وتبجل الجواب لهما جميعاً في المعنى ، فصار مثل قولك : إن أكرمتني وأحسنّت
إلى أكرمك ، إلّا أنه وضع موضع أحسنّت إلى لفظ التعليل ، فصار كأنك
قلت : إن أكرمتني فلاجل إتيانك فأنا أكرمك . وذلك سائغ . هذا كلامه .

وقد ناقش الدماميني كلام ابن هشام في الأدلة الثلاثة بالتعسف
كما لا يخفى على من تأمله . (والكلام) بالفتح والمد : الحفظ ، وما موصولة
والمائد محذوف أى ما تأتبه وما تذرّه . و (تذر) بمعنى ترك ، وقد أماتوا
ماضيه ، ومصدره ، واسم فاعله ، واسم مفعوله كيدع .

وهذا البيت مع استفاضته في كتب النحو لم أظفر بقائله ولا بتمتته

والله أعلم به .

وأُشْدَ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الحادى والחסون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٢٥١ (وَمِنْ عِصَّةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا)

على أن زيادة (ما) للتأكيد بمنزلة اللام ، ولأجلها جاز تأكيد الفعل بالنون . وسيأتى نقل كلام سيبويه فى آخر الشاهد السادس والأربعين بعد التسعمائة ^(٢) فى نون التوكيد .

قال الصاغاني — تبعاً لصاحب الصحاح وغيره — : الشكير : ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، قال :

(إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مِيتَ سُورِقِ ابْنُهُ وَمِنْ عِصَّةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا)
يريد أن الابن يشبه أباه ، فمن رأى هذا ظنَّه هذا فكان الابن مسروق .
وفى فعله يقال : شَكِرَتِ الشَّجَرَةُ تَشْكُرُ شَكْرًا ، من باب فرح ،
أى خرج منها الشَّكِير . وهذا التفسير منقول من (تهذيب الازهرى) .
وأورد الزخشرى المصراع الثانى (فى أمثاله) وقال : والعِصَّةُ بالهاء والتاء
جميعاً . والشكير : الورق . وروى « فى عِصَّةٍ مَا يَنْبِتُ الْعُودُ » ، يضرب
فى مشابهة الرجل أباه أبا .

وكذلك اقتصر ابن هشام (فى حواشى التسهيل) عليه ، لكنه قال : هذا

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٣ . وانظر ابن يعيش ٧ : ١٠٣ / ٩ : ٥ ،
٤٢ وشرح شواهد المغنى ٢٥٨ والتصريح ٢ : ٢٠٥ والأشمونى ٣ : ٢١٧
والحماسة بشرح المروزقى ١٠٩٢

(٢) كذا فى النسختين ، والصواب « بعد آخر الشاهد السابع
والأربعين بعد التسعمائة » حيث كرر هذا الشاهد لمناسبة تأكيد الفعل
المستقبل فى غير الشرط .

مثل لمن أظهر خلاف ما أبطن . والعضة : شجرة ، وشكيرها : شوكةا ، وقيل صفار ورقها . يعنى أن كبار الورق إنما تنبت من صفارها ، أى ما ظهر من الصفار يدل على السكبار . ١٠١ .

وهذا التفسير مبني على قطع النظر عن المصراع الأول .

وقوله (سُرِق ابنه) اختلف في ضبطه ، فالجمهور على أنه بالبناء للمفعول بتقدير سُرِق منه ، وضبطه الخطيب التبريزي بالبناء للفاعل على تقدير سُرِق ابنه صورته وشمائله . وضبطه بعضهم « شَرَفَ ابنه » بالمعجمة والفاء والبناء للمعلوم ، من الشرف وهو المجد ، ولا يخفى ركا كته . و (العضة) : واحدة العِضاء عِضاة وعضة بكسر فسكون ، وعضة يحذف الماء الأصلية كما حذف من الشفة . ١٠١ . وعلى هذا فالعضة بالتاء لا بالماء .

وروى أبو محمد الاعرابي هذا البيت (في كتاب السَّلة والسَّرِقة) على ما تقدم ، وقال : ومثل آخر :

ومن عضة ما يثبت شكيرها قديماً ويقتط الزناد من الزند

ولم يورد شراح أبيات سيبويه هذا المصراع في شواهد .

٨٤

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه^(١) :

(١) في كتابه ١ : ١٣٤ . وانظر ابن الشجري ١ : ٢٢٢ وابن يعيش ٤ : ٨/١٠١ : ٣٥ وشرح شواهد المغني ٢٨٣ والعيني ٢ : ٥١ والتصريح ١ : ١٩٤ والهمع ١ : ١٢٢ والأشمونى ١ : ١٩٤

٢٥٢ (مِنْ لَدْ شَوْلًا فَإِلَى إِتْلَاهَا)

على أن (كان) قد تحذف بعد (لَدْ) كما هنا ، والتقدير : من لَدْ كانت شَوْلًا .

قد ذكر الشارح في الظروف أن لدن بجميع لغاتها معناها أول غاية زمان أو مكان ، وقلما يفارقها من ، فإذا أضيفت إلى الجملة تمحضت للزمان ، لأن ظروف المكان لا يضاف منها إلى الجملة إلا حيث ، ويجوز تصدير الجملة بحرف مصدرى لما لم يتمحض لدن في الأصل للزمان ؛ فنصب هنا شَوْلًا لأنه أراد بِلَدْ الزمان ، ولَدْ إنما يضاف إلى ما بعده من زمان يتصل به أو مكان إذا اقتربت به إلى ، والشَوْل لا يكون زمانًا ولا مكانًا ، فلما لم يميز أن يضاف لَدْ إليها نصبها على أنها خبر لكان المقدرة .

و (الشَوْل) بفتح الشين المعجمة وسكون الواو : اسم جمع شائلة بالناء ، وهى الناقة التى ارتفع لبنها وجفّ ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر وثمانية . واسم كان للمقدرة ضمير النوق فى كلام تقدم قبله ، وأضيفت كان هنا لوقوعها فى مثله كثيرًا ، وحذفت نون لدن لكثرة الاستعمال . وقيل شَوْلًا هنا مصدر شالت الناقة بذنبها ، أى رفعته للضراب ، فهى شائل بغير ناء ، والجمع شَوْل كراكم ورُكَم ، فيكون التقدير : من لدن شالت شولا ، فليس فيه حذف كان مع اسمها بل هو من باب حذف عامل المصدر المؤكّد . والمصادر تستعمل فى معنى الأزمنة ، كجئتكَ صلاة العصر . قال أبو على : الأشبه أن يكون المصدر فى نحو هذا على فعّالان ، فلذلك لم يقوّه سيبويه .

قال ابن هشام (فى شرح شواهد) : وقد يرجح كونه من باب حذف

عامل المصدر المؤكّد ، ورُدُّ^(١) بأنه روى من لدّ شولٍ بالخفض ولا يقال من لدّ
الثبوت فإلى إتلاؤها . ويجاب بأنّ التقدير من لدن شولان شول أو زمان شول
أو كون شول ، فحذف المضاف . والتقدير الأخير أولى ليتّحد المعنى في الروایتين
ولكن يحتاج على هذا التقدير إلى الخبر ، أى موجودة . فإنّ قدّر الكون
مصدر كان التامة لم يحتاج إلى ذلك ، ولكن لا يقع التوفيق بين الروایتين
في التقدير . وقد رجّح الثاني برواية الجرّمى « من لدّ شولاً » بغير تنوين
على أن أصله شولاء بالمد فقصره للضرورة ، ولكن هذه الرواية تقتضى أن
المحدث عنه ناقة واحدة . ومن الغريب أن بعضهم زعم أن انتصاب شولا بعد
لدّ على التمييز أو التشبيه بالمفعول به ، كانتصاب غدوة بعدها في قولهم لدن
غدوة وأنه لا تقدير في هذا البيت . وهذا مردود باتفاقهم على اختصاص هذا
الحكم بغدوة وأنه لم يسمع غدوة مع حذف النون من لدن . ١٥

وتقدير الشارح المحقق كان بدون أن للمصدرية هو الصواب خلافاً لسيبويه
فإنّه قال : التقدير من لدّ أن كانت شولا . قال ابن الدّعان : الحامل له على
هذا التقدير أن لدن لا تضاف عنده إلى الجمل ، ورُدّ هذا الحامل بلزوم أن
يقدر سيبويه أن في قوله :

« لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب »^(٢)

ونحوه ، وهو كثير ، وذلك بعيد .

واختلف في تقدير سيبويه : قال الشاطبي (في شرح الألفية) « فليل هو ٨٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من ش .

(٢) للقطامي في ديوانه ، وهو أول من سمى صريح الغواني لقوله :

صريح غوان راقهني ورقنه لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب

تقديرٌ معنوي لا إعرابي ، لأنَّ شولاً يصير على ذلك التقدير من صلة أنْ ،
 والموصول لا يحذف ويبقى بعض الصلة ، نصٌّ عليه سيبويه في باب الاستثناء
 في قوله « إلا الفرقدان »^(١) ، وإِنَّمَا التقدير : من لدُّ كانت ، أى من لدكونها
 شولاً ، لأن الجملة تقديرٌ بالمصدر إذا أضيف إليها الظرف . هذا مأخذ ابن خروف
 وابن الضائع وابن عصفور ، وهو رأى الناظم . وظاهر السِّراقي وجماعه أنه
 تقديرٌ إعرابيٌّ لأنه قدرها بأنْ كما قدرها سيبويه : من لد أنْ كانت شولاً .
 قال : والمصادر تستعمل في معنى الأزمنة نحو مقدم الحاج ، وخلافة المقتدر ،
 وصلاة المصّر . وهذا رأى الشلّويين وابن أبي غالب ، قال ابن مالك :
 وعندى أن تقدير أنْ مستغنى عنها كما يستغنى عنها بعد مُد . ٥١ . وفي القول
 الثاني نظر ، فإنَّ الإشكال باقٍ بحاله ولم يجيبوا عنه . فتأمل .

وقوله (قالى إنلأثا) بكسر الهمزة هو مصدر أتلت الناقة إذا تلاها
 ولدها أى تبعها فهي مثلية ، والولد تلو ، بكسر فسكون ، والأثني تلو ، والجمع
 أتلاء بالفتح .

وهذا البيت من الرجز المشطّر^(٢) ، وهو من الشواهد الحسنة التي لا يعرف
 قائلها ولا تتمتها . والله أعلم .

(١) قطعة من بيت لعمر بن معد يكرب ، أو حضرمي بن عامر .

انظر الكتاب ١ : ٣٧١ وحماسة البحترى ٢٣٤ والكامل ٧٦٠ والمؤتلف

٨٥ وامالى المرتضى ٢ : ٨٨ . والبيت بتمامه :

وكل أخ مفارقة أخوه لعمر أبيضك إلا الفرقدان

(٢) جعلها الشنقيطي في نسخته « المشطور »

باب المنصوب بلا التي لنفي الجنس

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائتين^(١) :

٢٥٣ * أودى الشباب الذى مجد عواقبه

فيه نلذ ولا لذات للشيب *

على أن جمع المؤنث السالم يبنى على الفتح مع لا ، بدون تنوين ، كذات
فى البيت ، فإنه مبنى مع لا على الفتح ، ورواه شراح الألفية بالفتح والكسر ،
كما يجوز مثله فى الجمع المؤنث السالم المبنى مع لا .

وهذا البيت من قصيدة لسلامة بن جندل السمدى عدتها اثنان وثلاثون صاحب الشاهد
بيتاً ، وهى مسطورة فى المفضليات أولها :

(أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى وذلك شأؤ غير مطلوب
ولى حثناً وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض العاقب أيات الشاهد
أودى الشباب الذى مجد عواقبه . . . البيت
يومان يوم مقامات وأنديه ويوم سير إلى الأعداء تأويب)
قوله أودى أى ذهب واضحل ، وحميداً حال من الشباب أى محموداً .
وكرر أودى للتأكيد ، والمراد به التحسر والتفجع لا الإخبار المجرد . قال ابن
الأنبارى : التعاجيب العجب ، يقال إنه جمع لا واحد له . وروى
« ذو الأعاجيب » جمع أعجوبة ، والمعنى : كان الشباب كثير العجب ، يعجب
الناظرين إليه ويروقه . واسم الإشارة لمصدر أودى . والشأ مهوز الوسط :

(١) انظر شذور الذهب ٨٥ والعينى ٢ : ٣٢٦ والتصريح ١ : ٣٢٨

والهمج ١ : ١٤٦ والاشمونى ٢ : ٨ والمفضليات ١٢٠ وديوان سلامة بن

جندل ٧ .

الطلق . يقال جرى الفرس شأواً أو شأوين أى طلقاً أو طلقين ، ويأتى بمعنى السبق أيضاً ، يقال شأوته أى سبقته . يقول : وذلك الإيداء شأوه سابق قد مضى لا يدرك ولا يطلب . وروى بهل أودى « ولئى » .

وقوله: ولئى حينئذ الخ ، أى ذهب الشباب وأدير حينئذ سريعاً . وجواب
لو محذوف ، أى لطلبته ولكنه لا يدرك . واليعاقب : جمع يعقوب ، وهو
ذكر الحجل . وخصَّ يعقوب لسرعته . قال ابن الأنبارى : وقال عمارة :
اليعاقب يعنى به ذوات العقب من الخيل . والعقب : أن يجيء جرى بعد
جرى . وروى أبو عمرو : « ركضَ اليعاقب » بالنصب . يقول : لو أدرك
طالب الشباب شبابه بركنى ركض اليعاقب لطلبه ، ولكنَّ الشباب إذا
ولئى لم يدرك . ويقال : إن معناه ولئى الشباب حينئذ ركض اليعاقب وهذا
الشئيب يتبعه . وروى « جرى اليعاقب » .

وقوله (أودى الشباب .. الخ) قال ابن الأنبارى : يقول : ذهب
الشباب الذى إذا تمقبت أموره ووجد فى عواقبه الخير إما بغزو أو رحلة
أو وفادة إلى ملك . وعواقبه : أواخره . وقال أحمد : قوله (مجدُّ عواقبه)
أى آخر الشباب محمود مجدد إذا حلَّ الشيب وذُكر الشباب ، فحمد الشباب
لذمه ، والمجد : كرم الفعل وكثرة العطاء . يقال فى مثل : « فى كلِّ شجرة
نارٌ » ، واستمجد المرخ والعفار ، أى كثرت نارهما . وإتما بمجد الرجل
بفعله ، وإتما يمكنه الفعل وهو شاب قوى نشيط . وقوله (فيه نلذ)
بفتح اللام ، أى إتما تكون اللذاة والطيب فى الشباب ، والجملة استئناف
بيان . و « الشيب » بالكسر : جمع أشيب ، وهو الذى ابيضت لحينه ،
يريد ليس فى الشيب ما يُنتفع به ، إتما فيه الهرم والعِلل . وإتما جمع اللذة

لأنه أراد أنواعَ اللذائذ . وروى أيضاً (ذاك الشاب الذي جدد عواقبه) . ولم يرو أحدٌ (إنَّ الشاب) بدل (أودى) فيما رأينا . وزعم ابن هشام في شرح شواهد أن الرواية بائنة ، وأن ابن الناطم حرّفه فرواه (أودى الشاب) قال : ولولا (أن) لبقى قوله (فيه نلذ) غير مرتبط بشيء . وهذا كما ترى صنفٌ في الرواية ونخطئه للمصيب .

وقوله يومان يوم الخ ، قال ابن الأنباري عن الرُّسَمَى : فسر العواقب بقوله يومان وبما بعده في اليتين فقال : يومٌ في المجالس خطيباً ويومٌ سير إلى الأعداء ، والكبير يمجز عن هذا . والمقامة بالفتح : المجلس ، وروى أبو عمرو بالضم بمعنى الإقامة . والأندية : الأفنية . والندى والنادى : المجلس . قال أحمد : أراد به اللهو والتنمُّ . وتأويب : صفة سير ، وهو السرعة في السير والإمعان فيه ، يقال أوب الرجل في سفره تأويماً ، إذا أَمِنَ . وقال أحمد : أوب : وصل الليل بالنهار مع الإمعان .

وفي هذه القصيدة أبيات من شواهد أدب السكاتب وغيره .

و (سلامة) هذا قال يعقوب بن السكيت : هو سلامة بن جندل سلامة بن جندل ابن عبد عمرو بن عبيد بن الحارث بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، قال : وكان من فرسان العرب المعدودين وأشدّ أئهم المذكورين اهـ .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(١) : سلامة بن جندل جاهلي قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين ، وأخوه أحر بن جندل من الشعراء والفرسان ،

(١) الشعراء ٢٢٩ - ٢٣٠ .

وكان عمرو بن كلثوم أغار على حيٍّ من بني سعد^(١) فأصابَ فيهم ، وكان فيمن أصاب الأحرار بن جندل . وكان سلامة أحدَ نُعات الخليل ، وأجود شعره قصيدته التي أولها :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأؤ غير مطلوبٍ
انتهى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين^(٢) :

٢٥٤ لو لم تكن غطفان لا ذُنوبَ لها ٨٧
إذن لَلَّامَ ذَوُو أَحسابِها عمرا

على أن (لا) هنا زائدة مع أنَّ النكرة بعدها مبنية معها على الفتح .
قال ابن عصفور (في المقرب) : أنشد أبو الحسن الأخفش :

لو لم تكن غطفان البيت

والمعنى لها ذنوب إلى . وعمل لا الزائدة شاذ .

وقد تكلم أبو علي الفارسي (في المسائل المنثورة) على هذا البيت بكلام فيه قلاقة وهو قوله : يعترض في هذا البيت معترض فيقول : الكلام إيجاب ، ومعناها أنَّ لغطفان ذنوباً ، فكان الكلام إيجاباً ، ولا لا تدخل على الإيجاب . فوجه ما قاله أنه لم يرد هذا ، وإنما أراد بقوله لا ذنوب لها أنَّ

(١) في الشعراء : « من بني سعد بن زيد مناة » .

(٢) انظر الخصائص ٢ : ٨٧ والهمع ١ : ١٤٧ وديوان الفرزدق ٢٨٣

الكلام الأول قد تمّ وتقضى ، فأتى بالجملة الثانية وهى الجحد ، فجعلها خبراً
للسكرة حيث كانت جملة . ومثل ذلك فى الجحد قد قالت العرب : كان زيد
يقوم أبوه ، فقد جعل يقوم أبوه جملة فى موضع الخبر وإن كان جحداً ، فكذلك
جاز له أن يجعل^(١) النفى فى موضع خبر الإيجاب وإن كان إيجاباً . ولا يلزم
تأويل من تأوّل هذا فقال : إن المعنى ذلك لأنه وجه من القياس ، وهو ما ذكرنا ،
فلا يلزمه التأويل لأن التأويل أيضاً ينسأغ على ذلك فيجعل إيجاباً ، لأن
الإيجاب والنفى جميعاً إخبار ، فلك أن تجعل كل واحد خبراً عن الآخر من
حيث كان ذلك فى الجحد . هذا كلامه .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق هجاً بها عمر بن هبيرة الفزارى أوّلها : صاحب الشاهد

(يا أيها النابجُ العاوى لشقوته إليك أخبرك عما تجهلُ الخبرا
لو لم تكن غطفان البيت)

إلى أن قال :

(جهزْ فإنك مُتَمَارٌ ومنتجعُ إلى فزارةٍ غيراً تحملُ الكمرا أبيات الشاهد
إنّ الفزارى ما يشفيه من قَرَم أطايبُ العيرِ حتّى ينهش الذكرا
إنّ الفزارى لو يعى فيطعمه أيرَ الحمار طيبُ أبرأ البصرا)

النايج والعاوى ، من نيج الكلب وعوى بمعنى صوّت . وإليك اسم فعل
وأصل معناه : ضمّ رحلك وثقلك إليك واذهب عني . وأخبرك جزم
فى جوابه ، ، والخبر مفعول أخبرك ، وعما متعلق بما بعده .

(١) ط : « أن يحصل » ، صوابه فى ش .

وقوله : (لو لم تكن غطفان الخ) لا من حيث للمعنى زائدة ، وأصل الكلام لو لم تكن ذنوبٌ لغطفان ، وجملة لا ذنوب لها خبر السكون .

وغطفان أبو قبيلة ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة ، وصرفه هنا للضرورة . وهو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، وهو الجد الأعلى لفزارة ، لأن فزارة هو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وفزارة اسمه عمرو ، ضربه أخ له ففزره فسئى فزارة .

وأراد بالذنب الإساءة ، أى لو كانت غطفان غير مسيئة إلى للآم أشرافها عمر بن هبيرة فى تعرضه إلى ومنعوه عقى . وعمر عامل من عمال سليمان ابن عبد الملك من بنى أمية . وقوله (إذن للآم الخ) جواب لو الشرطية ، وكثيراً ما يُصدّر جوابها بإذن ، واللام للتأكيد ، واللوم : التعنيف ، وروى أيضاً :

* إلى لآم ذوو أحسابها عمرا *

وذوو فاعل لآم ، جمع ذو بمعنى صاحب . والأحساب : جمع حسب ، وهو ما يُعدُّ من المآثر ؛ وهو مصدر حسب على وزن كرم . قال ابن السكيت : ٨٨ الحسب والكرم يكونان فى الإنسان وإن لم يكن لأباه شرف . ورجل حسب : كريم بنفسه . قال : وأما المجد والشرف فلا يُوصفُ بهما الشخص إلا إذا كان فيه وفى آباءه . وقال الأزهري : الحسب الشرف الثابت له ولآبائه . و (عمر) مفعول لآم والألف للاطلاق .

وقوله : « جهز فإنيك الخ » المتار : اسم فاعل من امتاز الميرة لنفسه بالكسر ، وهى الطعام . ومارم ميراً من باب باع ، إذا أتاها بالميرة . ومنتجع بمعنى : منتفع ، وأصله من انتجع القوم إذا ذهبوا لطلب الكلاء فى موضعه ،

وإلى متعلقة بجهيز، وعبراً مفعول جهز، وهو بكسر الميملة: القافلة، قالوا:
وأصل العير الإبل التي تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة: والكرك بفتح
الكاف والميم: جمع كرك، قال صاحب المصباح: الكرك الحشفة وزناً ومعنى
وربما أطلقت الكرك على جملة الذكر مجازاً.

والقَوْم بفتحين مصدر قرِم اللحم^(١) من باب فرح، إذا اشتدت شهوته
له. ومن التعليل، وأطايب: فاعل يشفيه، جمع أطيب. والعير بفتح الميملة:
الحمار الوحشي. وحتى بمعنى إلا. والنَّهْس: مصدر نهست اللحم من بابي ضرب
ونفع، إذا أخذته بمقدم الأسنان، والمعروف بالسين الميملة، وروى بالمعجمة
أيضاً. وبنو فزارة يرْمون بأكل أير الحمار، وبسرقة الجار، وبنيك الإبل،
كما قال سالم بن دارة:

إن بني فزارة بن ذبيان قد غلبوا الناس بأكل الجردان
وسرق الجار ونيك البُعران

والجردان بضم الجيم: وعاء قضيب الحمار. وسيأتي إن شاء الله شرح هذا
مفصلاً في باب المتن^(٢).

وترجمة الفرزدق قد تقدمت في الشاهد الثلاثين^(٣).

* * *

(١) في اللسان: «يقال قرمت الى اللحم، وحكى بعضهم فيه
قرمته».

(٢) في الشاهد السبعين بعد الخمسمائة. وقد سبقت ترجمة سالم
ابن دارة في ٢: ١٣٨.

(٣) في الجزء الأول من الخزانة ص ٢١٧.

وأشده بعده، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائتين وهو من شواهد^(١) :

٢٥٥ (بَكَتْ جَزَعًا واسترجعتْ ثم آذَنْتْ
رَكَائِبُهَا أَنْ لَا إِلَيْنَا رَجوعُهَا)

على أن «لا» يجوز عدم تكريرها مع المفصول عند المبرد وابن كيسان كما في البيت، وعند غيرهما شاذ.

وقد أشده سيويه ومن تبعه على عدم تكرير لام المعرفة، وهو الوجه.
قال أبو علي (في المسائل المنثورة) : إذا كان بعد لا معرفة ارتفعت المعرفة بالابتداء، وهو قولك : لا أبوك، فيرتفع بالابتداء ويكون خبره مضمرًا وتكون لا جوابًا، كأنه قال : هل أبي، فقال : لا أبوك. فتفي أن يكون أباه. وأما قول الشاعر : بَكَتْ جَزَعًا واسترجعت . البيت ، فرفع رجوعها بالابتداء وأضر الخبر كأنه قال : موجود أو واقع، وجعل إلينا تبيينًا مثل قوله سبحانه ﴿إِنِّي لَسَكَدًا لِّلنَّاصِحِينَ﴾^(٢) ١٠ هـ

وزعم صدر الأفاضل (في التخبير) ، كما قلناه عنه بعض فضلاء المعجم في شرح أبيات المفصل، وبعض آخر في شرح أبيات الموشح، أن لا هنا ليست بالنافية للجنس، إنما هي التي تدخل على الفعل المضارع . و (رجوعها) مرفوع على أنه فاعل فعل مضمر ، تقديره ألا يقع رجوعها . ألا ترى أنه لو لم

(١) في كتابه ١ : ٣٥٥ . وانظر أمالي ابن الشجري ٢ : ٢٥٥ وابن يعيش ٢ : ١١٢ / ٤ : ٦٥ ، ٦٦ والهمع ١ : ١٤٨ والأشمونى ٢ : ١٨ .
(٢) الآية ٢١ من سورة الأعراف .

تضمر فيه الوقوع للزم التناقض ، وهذا لأن الإيدان يقتضى ألا يكون الرجوع فى الحال منحققاً كما يقال : هذه المارضة تؤذن بالاستسقاء ، إذا لم يسكن واقماً ، ولو لم يضمر الفعل فيه لاقتضت لا أن يكون انتفاء الرجوع ٨٩ فى الحال منحققاً . ٥١ .

ولا يخفى أن هذا ليس من المواضع التى يُحذف فيها الفعل ويبقى الفاعل . ويندفع ما عده تناقضاً يجعل خبر رجوعها اسم فاعل من الوقوع . فتأمل .

وقوله (بكت جزّ عا) هو مفعول مطلق نوعى أى بكاء جزع ، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله . وروى : (قضت وطراً واسترجعت) وفى الاسترجاع هنا قولان : أحدهما أنه من الاسترجاع عند المصيبة ^(١) وهو قول ﴿ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ^(٢) ، وثانيهما أنه طلب الرجوع من الرّحيل لكرهه فراق الأحبة .

وقوله ^(٣) : (ثم آذنت الخ) ركائبها فاعل آذنت ، جمع ركوبة ، وهى الرحلة التى تركب . وآذنت بمعنى أشمرت وأعلت . جمل نهيؤ الإبل للركوب عليها كأنه إعلامٌ منها بالفراق . وفى إسناد الإيدان للركائب دون الحبيبة أمرٌ لطيف لا يخفى حسنه . وقال بعضهم : فيه حذف مضاف ، أى أصحاب ركائبها أو وحداتها . وهذا كالثوب المغسول لا طراوة له ولا رونق .

وقوله (أن لا إلينا الخ) أن هنا مقسرة للإيدان ، وهى الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه . وقال شراح أبيات المفصل إنّما هى المخففة من الثقيلة ، قالوا . والأصل بأنه ، والضمير للشأن .

(١) ط : « أنه استرجاع عند المصيبة » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) الآية ١٥٦ من سورة البقرة .

(٣) ط : « وهو قوله » ، صوابه فى ش .

والبيت ظاهره إخبار، ومعناه : تأسف وتحسر . وهو من أبيات سيبويه
الحسين التي لا يعرف قائلها . والله أعلم .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد السادس والحسون بعد المائتين ، وهو من
شواهدس^(١) .

٢٥٦ (وأنت امرؤ منّا خلقت لغيرنا
حياتك لا نفع وموتك فاجع)

على أن « لا » يجوز عدم تكريرها مع المنكر غير للفصول مع إلغائها
عند المبرد وابن كيسان ، وعند غيرها شاذ .

قال الأعمى : وسوّغ الأفراد هنا أن ما بعده يقوم مقام التكرير في المعنى ،
لأن قوله وموتك فاجع دلّ على أن حياته لا تضر . يقول : هو منّا في النسب
إلا أن نفعه لغيرنا ، فحياته لا تنفعنا لعدم مشاركته لنا ، وموته يفجعنا
لأنّه أحدنا اهـ .

وقوله (لا فجع) هو مبتدأ ، وخبره محذوف أى فيها ، والجملة خبر قوله
حياتك . وأكثر الرواية على إسقاط الواو أوّلها على أنه مخروم^(٢) وهو
الصواب ، لأنّه لم يتقدّمه شيء حتى تكون الواو عاطفة .

(١) في كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١١٢ والهمع ١ :
١٢٨ والأشمونى ٢ : ١٨ .

(٢) ط : « مخزوم » بالزاي ، وصححها الشنقيطى في نسخته
بالراء . وفرق بين الحرم والحزم . فالحرم : ذهب أول حرف من وتد
الجزء الأول في البيت ، وأجازوا أن يقع في مبدأ الجزء الثانى منه ، كما
وقع لامرى القيس في رواية السكرى :

وهذا البيت نسبة شراح أبيات الكتاب لرجل من بني سُلُول ، ونسبه صاحب الشاهد
المسكوى (في كتاب التصحيف) والأديب إبراهيم الحصرى (في زهر
الآداب) للضحَّاك بن هَنَام^(١) الرقَّاشى . وزاد الحصرى بعده بيتين وهما :

(وأنت على ما كان منك ابنُ حرَّةٍ أبى لما يرضى به الخضم مانع^(٢))
وفيك خِصالُ صالحاتٍ يَشِينُها لديك جِفاءٌ عنده الوُدُّ ضائع)

قوله : وأنت على ما كان الخ أى أنت مع ما كان منك إلينا من سوء
المعاملة ، ابنُ حرَّةٍ أبى ذوحجَّةٍ ، مانعٌ لما يرضى به الخضم .

قال بعض فضلاء المعجم (فى شرح أبيات المفصل) : المقول فيه هذا
الشعر هو الحصين^(٣) بن المنذر ، وقائله الضحَّاك بن هَنَام . ١٠٠

وضبط المسكوى ابن هَنَام بفتح الهاء والنون المشددة ، وقد وقع
فى بعض كتب الأدب مصحفاً بهَمَام بالميم بدل النون ، وشذَّ ياقوت الحموى
فنسبه (فى مختصر جهرة الأنساب) إلى جَنَف بن مالك بن الحارث بن ثعلبة ،
ويتهى نسبه إلى قُضاعة إحدى قبائل اليمن . ٩٠

== لقد انكرتني بعلمك واهلها وابن جريج كان فى حمص انكرا
وأما الحزم بالمعجمة فهو زيادة فى أول البيت لا يعتد بها فى التقطيع ،
من حرف الى أربعة ، كقوله (وهو من الهزج) :

(اشدد) حيازيمك للموت فان الموت لائقا

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكما

(١) فى زهر الآداب ٦٥٢ : « بن همام » تحريف ، كما سيأتى

(٢) فى زهر الآداب : « وانى لما يرضى به الخضم مانع » وفى نسخة :

« طائع » .

(٣) ط : « الحصين » صوابه بالضاد المعجمة كما فى ش

وضبط العسكري (في كتاب التصحيف^(١)) المتعلق بعلم الحديث الحُضَيْن بن المنذر بقوله : حُضَيْن الحاء مضمومة غيرُ معجمة والضاد معجمة مفتوحة ونون ، هو حُضَيْن بن المنذر أبو ساسان الرَقَّاشي ، من سادات ربيعة ، وكان صاحب راية أمير المؤمنين عليّ يومَ صِفِّين ، وفيه يقول أمير المؤمنين رضي الله عنه :

لمن رايةٌ سوداءُ يخفقُ ظلُّها إذا قيلَ قدُمها حُضَيْنُ تقدّمَا
ثم ولّاهُ إمّطَخَر . وكان يُبَخِّل ، وفيه يقول زياد الأعجم :
يسدُّ حُضَيْنُ بابَه خَشِيَةَ الْغَرَى بِإِمْطَخَر والشاةُ السمين بدرهم
وفيه يقول الضحّاك بن هَنّام :

وأنتَ امرؤٌ منّا خلقتَ لغيرنا حياتك لا نفعٌ وموتك فاجع
وروى الحديث عن عثمان وعليّ ، وعن مجاشع بن مسعود ،
والمهاجر بن قنفذ .

وروى عنه الحسن ، وعبد الله بن الداناج ، وعبد العزيز بن معمر ،
وعليّ بن سويد بن منجوف .

ولا أعرف من يُسمّى حُضَيْنًا بالضاد للمعجمة غيره ، وغير من ينسب
إليه من ولده . ومن أولاده : يحيى بن حُضَيْن ، وساسان بن حُضَيْن ،
وعياض بن حُضَيْن . وفي يحيى يقول الفرزدق :

واصرفِ الكأْسَ عن الفَا تر يحيى بن حُضَيْنِ
اتّهى ما أورده العسكري .

(١) ط : « كتابه التصحيف » ، وأثبت ما في ش .

وأنشد بعده :

(من صدّ عن نيرانها فانا ابنُ قيس لا برّاح^(١))

على أن « لا » هنا بمعنى ليس ، ولهذا لم تكرر . قال الشارح المحقق : قد تقدّم أنه لم يثبت عمل لا عمل ليس . وهذا مخالف لقول أبي عليّ (في للسائل للثورة) إنّ لا في هذا البيت أريد بها ليس والخبر محذوف ، أي لنا ، وكذلك قوله في الجحيم حين لا مُستعرج ، أراد لنا . ١٥

وهذا البيت قد تقدّم الكلام عليه في الشاهد الحادى والثمانين في اسم ما ولا للشبهتين بليس .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد للمائتين وهو من أبيات صيبويه^(٢) :

٢٥٧ (تركتني حين لا مالٍ أعيش به وحين جُنّ زمانُ الناسِ أو كلبا)
على أن عدم تكرر (لا) في مثل هذا شاذ .

وأنشده من على إضافة حين إلى اللال وإلغاء لا وزيادتها في اللفظ^(٣) .
وهذه عبارة من : اعلم أنّ لا قد تكون في بعض المواضع هي وللضاف إليه بمنزلة اسم واحد ، وذلك قولهم : أخذته بلا ذنب ، وغضبت من لا شيء ،
وزهدت بلا عتاد ، وللعنى ذهبت بغير عتاد . وتقول إذا قلت الشيء : ما كان

(١) هو الشاهد الحادى والثمانون . وقد سبق في ١ : ٤٦٧ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٥٧ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ والهمع ١ :

(٣) ط : « وإلغاء لا لازيادتها في اللفظ » ، صوابه في ش .

إلا كلاًئىء ، وإنك ولا شيناً سَوَاه . ومن هذا النحو قول الشاعر :

تركتنى حين لا مال أعيشُ به البيت انتهى

وجوز أبو على الفارسى (فى المسائل للنشورة) الحركات الثلاث فى مال ، قال : الجرُّ على الإضافة ، والرفع على أن تضيف حين إلى الجمل ولا عاملةٌ عملَ ليس ، والنصب يجعله كما كان مبنياً ولا تعمل الإضافة ، كما تقول جئت بخمسة عشر فلا تعمل الباء . انتهى

٩١

و (جُن) بضم الجيم من الجنون يقال أجنّه الله بالآلفُ جُنٌّ بالبناء للمفعول فهو مجنون . و (كَلْبًا) الكلب : مصدر كلب كلباً فهو كلبٌ ، من باب تمب ، وهو داء يشبه الجنون يأخذه فيعقر الناس . ويقال لمن يعقره كلب أيضاً . و كَلَبُ الزمان : شدته : وضرب الجنون والكلب مثلاً لشدّة الزمان . وهذا البيت [من قصيدة ^(١)] لأبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي ، رثى بها ابنه طفيلاً . وهذه أبيات منها :

الشاهد أبيات

(خَلَى طُفَيْلٌ عَلَى الْمَمِّ فَانْشَعَبَا	وهذه ذلك ركنى هذه عجباً
وَابْنِيْ حُمَيَّةٌ لَا أَسَامَا أَبَدَا	فيمن نسيتُ ، وكلُّ كلنلى وصبا
فَامْلِكْ عَزَاءَكَ إِنْ رَزَمَ نُكِبَتْ بِهِ	فلن يردّ بكاه المرء ما ذهباً
وَلَيْسَ يَشْنَى حَزِينًا مِنْ تَذَكُّرِهِ	إلا البكاه إذا ما ناح وانتحبا
فَإِنْ سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا	ولا محالة أن يأتى الذى كُنْتِبا
فَمَا لِفُظُّكَ مِنْ رَى وَلَا شَبَعٍ	ولا ظَلَّتْ بياق العيش مرتعباً ^(٢)

(١) تكملة ليست فى النسختين

(٢) فى الأغانى ١٣ : ١٦١ ، مع كثير من التحريف :

فما لبطنك من رى ولا شبع ولا ظللت بنا فى العيش مرتعباً

طارقتني حين لا مال أعيش به (البيت)

روى الأصهباني بسنده (في الأغاني) أَنَّ أبا الطفيل دُعِيَ إلى مأدبة فغَنَّت فيها قينة هذا الشعر ، فبكى أبو الطفيل حتَّى كاد يموت . وفي رواية أخرى : فجعل ينشج ويقول : هاهُ هاهُ طفيل — ويبكى — حتَّى سقط على وجهه ميتا .

وأراد بانيه حُمَيَّة عبَّاداً وعُبيد الله ابني زياد بن سمية . والوصب : المرض . والعزاء بالمد : الصبر . وقوله فإلفظتُك من رِيّ الح ، أى مارميتك في القبر لأجل أكلك وشربك بخلا .

و (أبو الطفيل) هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن حمير^(١) بن جابر أبو الطفيل ابن حميس بن جُدَيِّ بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار . وغلبت عليه كنيته . ومولده عام أحد ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين سنة ، ومات سنة مائة وهو آخر من مات ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم . وقد روى عنه نحو أربعة أحاديث ، وكان محباً في على رضي الله عنهما ، وكان من أصحابه في مشاهدته وكان ثقةً مأموناً يعترف بفضل الشيخين ، إلا أنه كان يقدم علياً . توفي سنة مائة من الهجرة . ولما قتل على رضي الله عنه انصرف إلى مكة فأقام بها حتَّى مات ، وقيل أقام بالكوفة ومات بها ؛ والأوَّل أصح .

وقد ذكره ابن أبي خيثمة في شعراء الصحابة . وكان فاضلاً عاقلاً ، حاضر

(١) في الأغاني ١٣ : ١٠٩ والاصابة ٦٧٠ من قسم الكنى :

« عمرو » ، وما في النسختين يوافق ما في جمهرة ابن حزم ١٨٣

الجواب فصيحاً . وكان يتشيع في عليّ ويفضله ، وهو شاعر مُحسن ،
وهو القائل :

أيدعونني شيعاً وقد عشتُ حِقْبَةً وَهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ
وما شاب رأسي من سنين تنابعت عليّ ولكن شيبتني الوقائعُ
هذا ما ذكره صاحب الاستيعاب .

٩٢

وقال صاحب الأغاني : كان أبو الطفيل مع أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ؛
وروى عنه . وكان من وجوه شيعته ، وله منه محلٌ خاص يُستغنى بشهرته عن
ذكره ، ثم خرج طالباً بدم الحسين — رضي الله عنه — مع المختار ، وكان معه
حتى قتل المختار . ولما استقام لمعاوية أمره لم يكن شيء أحب إليه من لقاء أبي
الطفيل ، فلم يزل يكتابه ويلطف له حتى أتاه ؛ فلما قدم عليه جعل يكمّله ^(١) ،
ودخل عليه عمرو بن العاص ومعه نفر ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟
هذا فارس صَفِينَ وشاعرُها ، خليلُ أبي الحسن . ثم أنشد من شعره . قالوا :
نعم هو أخش شاعر وألأم جليس ! فقال معاوية : يا أبا الطفيل أتعرفهم ؟
قال : ما أعرفهم بخير ، ولا أبعدهم من شرٍّ ! ثم قال له معاوية : ما بلغ من حبِّك
لعليّ ؟ قال : حبٌّ أم موسى لموسى ! قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء
المعجوز السكلى والشيخ الرقوب ؛ وإلى الله أشكو التقصير ! قال معاوية :
لكن أصحابي هؤلاء لو كانوا سُئِلُوا عني ما قالوا في ما قلت في صاحبك .
قالوا : إذاً والله ما نقول الباطل ؛ فقال لهم معاوية : لا والله ولا الحقّ تقولون !
ولما رجع محمد بن الحنفية من الشام حبسه ابنُ الزبير في سجن عارم ،

(١) في الأغاني ١٣ : ١٥٩ : « جعل يسأله عن أمر الجاهلية »

فخرج إليه جيش من الكوفة ، عليهم أبو الطفيل ، حتى أتوا السجن فكسروه وأخرجوه ؛ وكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب أن يسير نساء كل من خرج لذلك ، فأخرج مصعب مع النساء أم الطفيل امرأة أبي الطفيل ، وابناً له صغيراً يقال له يحيى ؛ فقال في ذلك :

إن يك سيرها مصعب فأتى إلى مصعب مذنب
أقود الكتبية مستلياً كأتى أخو عزة أجرب
على دلاصٍ تخيرتها وفي الكف ذورونق يقضب^(١)
فلو أن يحيى به قوة فيغزو مع القوم أو يركب
ولكن يحيى كفرخ العقا ب في الوكر، مستضعف أزغب

ولما دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير بمكة . قال : أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تُصَبِّكَ من الأيام جائحة لا أبك منك على دنيا ولا دين^(٢)

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفتقه الناس ، وعبيد الله أخوه يُطعم الناس فأبقيا لك . فأحفظه ذلك فأرسل صاحب شرطته عبد الله بن مطيع ، فقال : انطلق إلى ابني عباس فقل لهما : أعمدتما إلى راية رابية قد وضعها الله فنصبتهما ؟ بددا عني جموعكما ومن ضوى إليكما من ضلال أهل العراق ، وإلا فملت وفملت ۱۱ فقال له ابن عباس : قل لابن الزبير :

(١) مقضب : قاطع . وفي الأغاني : « يقضب »

(٢) الرواية المشهورة : « لم أبك » . وانظر الحصون للعسكري ٢١ .

وليس في قصيدة ذي الاصبغ المروية في المفضليات ١٦٠ وأمالى القالى

يقول لك ابن عباس : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، والله ما يأتينا من الناس إلا رجلاً :
طالب فقه ، أو طالب فضل ، فأى هذين نمنع ؟ فقال أبو الطفيل عامر
ابن وائلة :

لَا دَرَّ دَرٌّ إِلَيَّ كَيْفَ تَضَحُّكُنَا ٩٣ كُنَّا نَجِيءُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَيُقْبِسُنَا
وَمِثْلَ مَا تَحْدُثُ الْأَيَّامُ مِنْ غَيْرِ وَلَا يَزَالُ عَبْدُ اللَّهِ مَتَرَعَةً
مِنْهَا خُطُوبٌ أَعْجِبُ وَتُبْكِنَا قَالِبُ الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا بِدَارِهَا
يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ عَنِ الدُّنْيَا تَسْلِينَا ^(١) إِنْ النَّبِيُّ هُوَ النُّورُ الَّذِي كُشِفَتْ
عَلَمًا وَيُكْبِنَا أَجْرًا وَيَهْدِينَا وَرَهْطُهُ عَصَمَةٌ فِي دِينِنَا ، وَلَهُمْ
جِفَانُهُ ، مَطْعَمًا ضَيْفًا وَمَسْكِنَا وَلَسْتَ - فَاعِلُهُ - أَوْلَانَا بِهِمْ رَحِمًا
نَنَالُ مِنْهَا الَّذِي نَبْغِي إِذَا شِينَا فَفِيمَ تَمْنَعُهُمْ مَنَّا وَتَمْنَعُنَا
بِهِ عَمَائَاتُ بَاقِينَا وَمَا ضِينَا ^(٢) لَنْ يُوْثِيَ اللَّهُ مِنْ أُخْرَى بِيَغْضَهُمْ
فَضْلُ عَلَيْنَا وَحَقٌّ وَاجِبُ فِينَا يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَلَا أَوْلَى بِهِ دِينَا ^(٣)
مِنْهُمْ وَتَوْذِيهِمْ فِينَا وَتَوْذِينَا فِي الدِّينِ عِزًّا وَلَا فِي الْأَرْضِ تَمْكِينَا

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّامِنُ وَالْحُمْسُونَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ
شَوَاهِدِ سِ ^(٤) :

(١) ط : « يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ » صوابه في ش والآغاني ١٣ : ١٦١

(٢) ش : « عَمَايَةُ » .

(٣) الآغاني : « أَوْلَى مِنْهُمْ رَحِمًا » .

(٤) في كتابه ١ : ٣٥٨ - وانظر ابن الشجري ١ : ٢٣٩ . وليس

في ديوان المعاج ولا ملحقاته .

٢٥٨ (حَنْتَ قَلُوصِي حِينَ لَا حِينَ مَحَنَ)

على أن الشاعر أضاف حين الأول إلى الجملة ، كما تقول : حين لا رجل
في الدار ، أى حين لا حين حين حاصل .

قال الأعمى : الشاهد فيه نصب حين بلا التبرئة ^(١) [وإضافة حين إلى
الجملة ^(٢)] وخبر لا محذوف والتقدير حين لا حين محن لها ، أى حنت في غير
وقت الحنين . ولو جررت الحين على إلغاء لا جاز . والقولص : الناقة الشابة
بمنزلة الجارية من الأناسي . وحينئذها : صوتها شوقاً إلى أصحابها . وللعنى أنها
حنت إليها على بُعد منها ، ولا سبيل لها إليها . انتهى

وقدّر ابنُ الشجرى الخبر لنا ، بالنون ^(٣) ، والصواب ما قبله .

وجوّز أبو على (في للسائل المنثورة) الحركات الثلاث في حين الثانى :
النصب على إعمال لا عمل إن ، والرفع على إعمالها عمل ليس ، والجرّ على إلغائها
وإضافة حين الأول إلى الثانى .

وقال أبو على (في التذكرة القصرية) لا يقدّر للا هذه في رواية النصب
خبر ، فإنه قال عند الكلام على قولهم : ألا ماء بارد : قال المازنى : يرفع بارد
على أنه خبر ويجوز على قياس قوله ، أن يرتفع لأنه صفة ماء ويضمر الخبر .
ويجوز نصبه على قوله أيضاً على أنه صفة والخبر مضمر ، ويجوز على قياس
سيبويه ومن عدا المازنى ألا ماء بارد بلا تنوين ، إلا أنك لا تضمر لها خبراً

(١) ش : « نصب حين بالتبرئة »

(٢) التكملة من الأعمى .

(٣) الذى فى أمال ابن الشجرى ١ : ٢٣٩ : « لها ، بالهاء

لا بالنون : والدقة تقتضى عزو هذا الخطأ الى النسخة لا الى المؤلف .

لأنها مع معمولها الآن بمنزلة اللفظة الواحدة ، كقولهم : جئت بلا مال وغضبت من لا شيء ، أى بفتحها ، فلا يلزمك إضمار الخبر في هذه المسألة . ومثله قوله :

* حَتَّ قُلُوصِي حِينَ لَا حِينَ مَحْنٌ *

أضاف حين إليها كما تضيفه إلى المفرد . وقد يحتمل هذا عندى أن يكون إضافة إلى جملة والخبر محذوف ، كما يضاف أسماء الزمان إلى الجمل ، وذلك لأنَّ حَتَّ ماض ، فحين بمعنى إذ ، وهى مما يضاف إلى المبتدأ والخبر . فأما قوله حين لا حين فالثانى غير الأول ، لأنَّ الحين يقع على الكبير واليسير من الزمان^(١) ، قال :

* تَطْلُقْهُ حِينًا وَحِينًا تَرَا جَع^(٢) *

ولا زائدة ، ولا تكون غير زائدة لما في ذلك من النقص . وقالوا في قوله تعالى ﴿ تَوَتَّى أَكَلَهَا كُلَّ حِينٍ^(٣) ﴾ : ستة أشهر ، فيكون على هذا حين حين من إضافة البعض إلى الكل نحو : حلقة فضة ، وعيد السنة ، وسبت الأسبوع ، فلا يكون إضافة الشيء إلى نفسه . ومثله قول الفرزدق :

ولولا يومٌ يومٍ ما أردنا جزاءك والقروضُ لها جزاء

فيوم الأول وضح النهار ، والثانى البرهة كالتى في قوله ﴿ وَمَنْ يَوْمَهُمْ يَوْمِئِذٍ دُبُرُهُ^(٤) ﴾ ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ^(٥) ﴾ . وأشد أبو عمرو :

(١) ش : « يقع على الجزء اليسير من الزمان » صوابه فى ط .

(٢) للنابغة فى ديوانه ٥٢ وصدره :

* تناذرهما الراقون من سوء سمعها *

(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأنفال .

(٥) الآية ١٩ من سورة الانفطار .

حَبَّذَا الْعَرَصَاتِ يَوْمًا فِي لَيْالٍ مَقِيرَاتٍ^(١)

فقال يومًا في ليل ، أراد المرة دون العاقب لليل . انتهى .

وهذا البيت من أبيات سيبويه المحسن التي لا يُعرف قائلها ولا تنتم لها .
والله أعلم بحقيقة الحال .

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين ، وهو من
أبيات سيبويه^(٢) :

٢٥٩ (مَا بَالُ جَهْلِكَ بَعْدَ الْحِلْمِ وَالِدِينَ وَقَدْ حَلَكَ مَشِيبُ حِينَ لَاحِينَ)

على أن الأولى أن^(٣) تكون لا فيه زائدة لفظاً ومعنى .

قال سيبويه : إنما أراد حين حين ، ولا بمنزلة ما إذا ألغيت .

قال الأعلم : وإنما أضاف الحين إلى الحين لأنه قدر أحدهما^(٤) بمعنى

التوقيت ، فكأنه قال : حين وقت حدوثه ووجوبه ، هذا تفسير سيبويه .

ويجوز أن يكون المعنى : ما بالُ جهلك بعد الحلم والدين ، حين لا حين جهلي
وصبا ، فتكون لا لغواً في اللفظ دون المعنى . انتهى .

ولم ينتبه ابن الشجري (في أماليه) لمراد سيبويه بعد نقل عبارته ، فهم

(١) فتح عين الكلمة في نحو « العرصات » واجب واسكانه ضرورة
شعرية كما أسكنت من « زفرات » في قول عروة بن حزام (القالي ٣ :

١٦٠) : وحملت زفرات الضحى فأطقتها ومالي بزفرات العشى يدان

(٢) في كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر ابن الشجري ١ : ٢/٢٣٩ : ٢٣٠

والجمع ١ : ١٩٧ وديوان جرير ٥٨٦

(٣) في النسختين : « قد » ، ولا وجه له .

(٤) في الشنتمري : : لأنه قد رأى أحدهما .

أَنَّ لَا زائدة لفظاً فقط فقال : حين الأول مضاف إلى الثاني ؛ وفصلت لا بين الخافض والمخفوض كفصلهما في جئت بلا شيء ، كأنه قال : حين لا حين لمو فيه ولعب ، أو نحو ذلك من الإضمار ، لأنَّ المشيب يمنع من اللهو واللعب . هذا كلامه ، وقد أوردته في معرض الشرح لكلام سيبويه .

وقد طبق المفصل أبو على الفارسي (في الحجة) في الكلام على آخر سورة الفاتحة ، قال : لافيه زائدة ، والتقدير : وقد علاك مشيبٌ حين حين ، وإنما كانت زائدة لأنَّك إن قلت : علاك مشيبٌ حيناً فقد أثبت حيناً علاه فيه المشيب . فلو جعلت لا غير زائدة لوجب أن تكون نافية على حدّها في قولم : جئت بلا مال . فنفيت ما أثبت من حيث كان النفي بلا عامّاً منتظماً لجميع الجنس ، فلمّا لم يستقم حمله على النفي للتدافع العارض في ذلك ، حكمت بزيادتها ، فصار التقدير : حين حين . وهذه الإضافة من باب حلقة فضة ؛ لأنَّ الحين يقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها ، يدلّ على ذلك قوله :

* تطلّقه حيناً وحيناً رُاجع^(١) *

ويقع على الزمان الطويل كقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ^(٢) ﴾ ، وعلى ما هو أقصر من ذلك كقوله تعالى : ﴿ تَوَقَّى أَكْثَرَهَا كُلُّ حِينٍ^(٣) ﴾ ، فصار حين حين كقول الآخر^(٤) :

ولولا يوم يوم ما أردنا جزاءك والقروض لها جزاء

(١) انظر الحاشية الثانية من ص ٤٦ .

(٢) الآية الأولى من سورة الانسان .

(٣) الآية ٢٥ من سورة ابراهيم .

(٤) هو الفرزدق . ديوانه ٩ وسبويه ٢ : ٥٣ .

وليس هذا كقوله :

* حَتَّ قَلَوِصَى حِينَ لَا حِينَ مَحْنٌ *

لأنَّه في قوله لا حين محن ، نافية حيناً مخصوصاً لا يفتنى بنفيه جميع الأحيان ، كما كان يفتنى بالنفي العام جميعها ؛ فلم يلزم أن تكون لا زائدة في هذا البيت كما لزم زيادتها في حين لا حين . فهذا الحرف يدخل في السكرة على وجهين : أحدهما أن يكون زائداً كما مر في بيت جرير ، والآخر أن يكون غير زائد . ٩٥ فإذا لم يكن زائداً كان على ضربين أحدهما : أن تكون لامع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر [و] نحو غضبت من لا شيء فلامع الاسم المنكور في موضع جر بمنزلة خمسة عشر ، ولا يفتنى أن يكون من هذا الباب قوله :

* حَتَّ قَلَوِصَى حِينَ لَا حِينَ مَحْنٌ *

لأن حين هنا منصوب نصباً صحيحاً ، لإضافته ، ولا يجوز بناء المضاف مع لا كما جاز بناء المفرد معها ؛ وإلما حين في البيت مضافة إلى جملة كما أنها في قوله تعالى : ﴿ حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارُ ﴾ (١) ، إلا أن الخبر محذوف وخبر لا يحذف كثيراً . ونظير هذا في حذف الخبر من الجملة المضاف إليها ظرف الزمان قولهم : كان هذا إذ ذاك . (والآخر) أن لا تعمل في اللفظ ويراد بها معنى النفي ، فتكون صورتها صورة الزيادة ومعنى النفي فيه مع هذا صحيح ، كقول النابغة :

(١) الآية ٣٩ من سورة الانبياء .

أُسى ببلدة لاعمٌ ولا خال^(١)

وقال الشَّاح :

إذا ما أدبجت وصفت يداها لها إدلاج ليلة لاهجوع^(٢)

وقال رؤبة :

وقد عرفت حين لا اعتراف^(٣)

وبيت الكتاب^(٤) .

تركنتى حين لا مالٍ أعيش به (البيت)

وهذا الوجه عكس ما جاء فيما أنشده أبو الحسن من قول الشاعر^(٥) :

لوم تكن غطفان لا ذنوبَ لها إلى لامت ذؤو أحاسيها فجرا

ألا ترى أن لا فى للمعنى زائدة وقد عيلت ، وفى قوله : ليلة لاهجوع ، وبابه ، معنى النفي فيه صحيح ولم تعمل . انتهى كلام أبى على .

(١) عجز بيت للنافقة الذبياني من أبيات خمسة يرثى بها أخاه صحارا . وهى فى ديوانه ٩١ بيروت ١٣٤٧ وأربعة منها فى معجم البلدان (أبوى) . وصدره :

* بعد ابن عاتكة الشاوى على أبوى *

وعاتكة هى أم النافقة . وأبوى : موضع أو جبل بالشام

(٢) ديوان الشماخ ٥٨ واللسان (وصف)

(٣) ديوان رؤبة ١٠٠ برواية : « قد اعترفت » . وفى ط : « لقد

عرفت » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) هو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين .

(٥) هو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين .

وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير بن الخطّاف هجاءها الفرزدق ، وبعده
 (للغانيات وصال لستُ قاطمةً على مواعيد من خلف وتلوين^(١))
 إني لأرهبُ تصديقَ الوشاةِ بنا وأن يقول غوى للنوى بيني^(٢)
 ماذا يهيجك من دارٍ تباكرها أرواحُ مخترقِ هُوجِ الأثانين^(٣)
 وجرير قد تقدمت ترجمته في الشاهد الرابع من أول الكتاب^(٤) والخطاب
 لنفسه . وقد التزم الإتيان بالحال بعد ما بال ، فجملة وقد علاك مشيبُ حال
 والظرف الأول متعلق بجهلك والثاني متعلق بقوله شاكاً .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الستون بعد المائتين .

٢٦٠ (في بُرٍّ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرَ^(١))

على أن (لا) فيه زائدة لفظاً ومعنى ، أوّلُ من قال بزيادتها في هذا
 البيت أبو عبيدة ، وتبعه جماعة منهم ابن دريد (في الجمهرة) قال فيها : ومن
 أمثالهم « حورٌ في بحارة » يضرب للرجل الذي لا يعرف وجه أمره ، وأنشد
 هذا البيت وقال : لا هنا لغو . ومنهم أبو منصور الأزهري (في التهذيب)
 إلا أنه قال : حور أصله حُورٌ مهموز ، تخففه الشاعر بحذفِ الهَمْزة .

(١) ط : « وصيل » ش : « وصل » ، وأثبت ما في الديوان

(٢) في الديوان : « أو أن » .

(٣) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٤) ديوان العجاج ١٦ والخصائص ٢ : ٤٧٧ وابن يعيش ٨ : ١٣٦

ومعاني القرآن للفراء ١ : ٨

ومنهم صاحب الصحاح قال فيه : حار بحور حوراً وحُوراً : رجع . يقال حار بعد ما كار ، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ، أى من النقصان بعد الزيادة . وكذلك الحور بالضم ، وفي المثل « حورٌ في محارة » أى نقصان فى نقصان ، ٩٦ يضرب للرجل إذا كان أمره يُدِير . والحور أيضاً : الاسم من قولك طحنت الطاحنة فما أحارت شيئاً أى ماردت شيئاً من الدقيق . والحور أيضاً : الهلكة قال الراجز :

* فى بئر لا حور سرى وما شعر *

ولا زائدة .

ومنهم صاحب العباب ونقل كلام الصحاح برمته وزاد فى المثل قولهم : حور فى محارة ، هذا خلاف ما روى ابن الأعرابي أنه بفتح الحاء ، قال ابن الأعرابي : يقال فلان حور فى محارة هكذا سمعته بفتح الحاء ؛ يضرب مثلاً للشئ الذى لا يصلح أو كان صالحاً ففسد :

ومنهم الزحشرى (فى تفسيره ، وفى مفصله) قال : لا فى سورة القيامة فى قوله تعالى ﴿ لا أقسم ﴾ زائدة كما زيدت فى هذا البيت . ومنهم ابن الشجرى (فى أماليه) قال : ومما زيدت فيه قول العجاج :

* فى بئر لا حور سرى وما شعر *

معناه فى بئر حور أى فى بئر هلاك .

وذهب جماعة إلى أن لا هنا نافية لازائدة ، أو لهم الفراء قال (فى آخر سورة الفاتحة من تفسيره) : إذا كانت غير فى معنى سوى لم يجوز أن تسكر عليها لا ، ألا ترى أنه لا يجوز : عندى سوى عبد الله ولا زيد . وقد قال

بعض من لا يعرف العربية إن معنى غير في الحمد معنى سوى وإن لاصلة
في الكلام ، واحتج بقول الشاعر :

* في بئر لا حور سرى وما شعر *

وهذا غير جائز لأن المعنى وقع على ما يتبين فيه عمله فهو جحد محض ،
وإنما يجوز أن تجعل لاصلة إذا اتصلت بجحد قبلها^(١) وأراد في بئر لا حور ،
فلا هي الصحيحة في الجحد ، لأنه أراد في بئر ماء لا يُخير عليه شيئاً ، كأنك
قلت إلى غير رشد توجه وما درى ، والعرب تقول : طحنت الطاحنة فما أحارت
شيئاً ، أى لم يتبين لها أثر عمل . انتهى

وتبعه ابن الأعرابي في نوادره .

ومنهم ابن جني قال (في الخصائص) قال ابن الأعرابي في قوله :

* في بئر لا حور سرى وما شعر *

أراد حور . أى في بئر لا حور ولا رجوع ، قال : فأسكنت الواو
الأولى وحذفت لسكونها وسكون الثانية بعدها .

ورأيت (في شرح شواهد الموشح والمفصل) قال صدر الأفاضل :
الحور هنا : جمع حائر ، من حار إذا هلك . ونظيره — على ما حكاه الغوري —
قتل : جمع قاتل ، وبزل جمع بازل ، وقرح جمع قارح . ويحتمل أن يكون اسم
جمع حائر ، أى هلك ، وقيل هي بئر سكنها الجن . انتهى

وهذا البيت من أرجوزة طويلة للعجاج ، وهي نحو مائتي بيت مدح بها صاحب الشاهد

(١) بعده في معاني القرآن : « مثل قوله :

ما كان يرضى رسول الله دينهم والطيبان أبو بكر ولا عمر ، »

عمر بن عبيد الله بن مَعمر، وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال أبي
فُديك الحروري فأوقع به وبأصحابه ومظلمها :

أرجوزة الشاهد (قد جبرَ الدينَ الإلهُ فجبرَ وعورَ الرحمنَ من ولى العورَ
فاحمدَ الله الذى أعطى الشَّيرَ موالىَ الحقِّ أن للمولى شكرٌ)
إلى أن قال :

واختارَ فى الدينَ الحرورىَ البطرُ فى بئرٍ لا حورٍ سرى وما شعرَ
بإفكه حتى رأى الصُّبحَ جشَرَ

الجبر : أن تغنى الرجل من فقره ، أو تصلح عظمه من كسر ، يقال جبر
العظمَ جبراً ، وجبر العظمُ بنفسه جُبوراً أى انجبر ، وقد جمعهما العجاج .
وعورَ بفتح المهمله وتشديد الواو ، أى أفسد الله من ولأه الفساد . والشَّيرُ ،
بفتح الشين المعجمة والموحدة : الخير ، ويروى « الخَير » بفتح المهمله
والموحدة ، وهو السرور . وموالى الخَير ، بفتح الميم ، يريد العبيد ، وهو مفعول
ثانٍ لأعطى ؛ وروى موالى بضم الميم ، فيكون من صفة الله ، ونسبه على اللدح .
وللمولى بالفتح : العبد . والحرورى ، أراد به أبا فُديك ، بالتصغير الخارجى .
قال فى الصحاح : وحروراء : اسم قرية بمد ويقصر ^(١) نسبت إليها الحرورية
من الخوارج ، كان أولُ مجتمعهم بها وتحكيمهم منها . وقوله بإفكه الخ الباء
سببية متعلقة بقوله سرى ، والإفك : الكذب ، مأخوذ من أفكته إذا
صرفته . وكلُّ أمرٍ صرف عن وجهه فقد أفك . وجشَرَ الصبح ، بالجيم
والشين للمعجمة يجشُر جشوراً إذا انفلق وأضاء ، وروى :

٩٧

(١) ضبطه ياقوت بفتح الراء الأولى ، وفى القاموس كجولاء ، ومثله
فى اللسان (حرر) حيث ضبط بالقلم بضم الراء الأولى .

* حَتَّى إِذَا الصَّبَحُ جَشَرَ *

وملخص هذه القصة (كما في نهاية الأرب في فنون الأدب ، للتو برى)
 أَنَّ أبا فديك وهو من الخوارج ، واسمه عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة بن
 تغلب ، غلب على البحرين في سنة اثنتين وسبعين من الهجرة ، فبعث خالد
 ابن عبيد الله القسري أمير البصرة أخاه أمية بن عبد الله في جُندٍ كثيف ،
 فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فأتخذها لنفسه ، فكتب خالد إلى عبد الملك
 بذلك ، فأمر عبد الملك عمر بن عبيد الله بن معمر أن يندب الناس مع أهل
 الكوفة والبصرة ويسير إلى قتاله ، فانتدب عشرة آلاف وسار بهم ، وجعل
 أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، وأهل
 البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر — وهو ابن
 أخي عمر — وجعل خيله في القلب ، وساروا حتى انتهوا إلى البحرين فاصطفوا
 للقتال . فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر
 حتى أبعدها إلا المغيرة بن المهلب وفرسان الناس فانهم مالوا إلى صف أهل
 الكوفة بالميمنة ، ثم رجع أهل الميسرة وقاتلوا واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر
 الخوارج ، وحمل أهل الميمنة حتى استباحوا عسكر الخوارج وقتلوا أبا فديك
 وحصرُوا أصحابه ، حتى نزلوا على الحكم ، فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر
 ثمانمائة . ووجدوا جارية أمية بن عبد الله حُبلى من أبي فديك وعادوا إلى
 البصرة ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . اهـ

وبما ذكرنا يطبَّقُ للفِصلِ ويُصابُ الحَزَنُ .

ولمَّا لم يقف شراح الشواهد على ما مرَّ قالوا بالتخمين ورجعوا بالظنون ،
 منهم بعض فضلاء المعجم قال (في شرح أبيات الفصل) وتبعه في شرح شواهد

الموشح : قيل يصف فاسقا أو كافرا . والمعنى على الأوّل أن الفاسق سرى بإفكه وأباطيله في بئر المهلكة من المعاصي وما علم لفرط غفلته إذا صار فيها ، حتى إذا انفلق الصبح وأضاء الحق وانكشف ظلمات الشبه واطلع علم معانيته^(١) لكن لم ينفعه ذلك العلم . وعلى الثاني : أن الكافر سرى بإفكه وبطُلانه في ورطة الهلاك من كفره وما شعر بذلك لإعراضه عن الآخرة ، حتى إذا قامت القيامة علم أنه كان خابطاً في ظلمات الكفر ، ولكنه لا ينجيه من عذاب الله . هذا محمول ما قيل فيه ، ولا يبعد أن يكون هذا وصفاً لرجل جرى خَوَاض في الممالك سالك في مسالك الجن^(٢) . وهذا مما تتمدح به العرب ، وأشعارهم ناطقة بذلك . ومعنى قوله بإفكه ، أنه يكذب نفسه إذا حدثها بشيء ولا يصدقها فيه ، ويقول لها : إن الشيء الذي تطليينه بعيد ، لتزداد جيداً في طلبه ، ولا تتوانى فيه ، ولذلك قال لبيد :

٩٨ اكذب النفس إذا حدثتها إن صدق النفس يروى بالأمل

والمعنى سار ليلاً هذا الرجل ، لجرأته وجلادته ، في مهاوى الهلاك أو في المواضع الخالية التي يسكنها الجن ، حتى أضاء الصبح وما شعر به ذلك^(٣) الذي ألقى بيده في الممالك وهو غافل عن ذلك لعدم مبالاته . وهذا المعنى أشبه بمذهب العرب . هذا كلامه .

وترجمة المعجّاج تقدمت في الشاهد الحادي والمشرين من أوائل الكتاب^(٤) .

(١) ش : ، على معانيه ، .

(٢) جعلها الشنقيطى فى نسخته ، فى مساكن الجن ، .

(٣) ط : ، وما شعر بذلك ، ، واثبت ما فى ش .

(٤) الخزانة ١ : ٨٩ ، ١٧٠ .

وأُشيد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد المائتين ، وهو من
شواهد سيبويه^(١) :

٢٦١ (لا هَيْئَمَ اللَّيْلَةَ لِلْمَطِيِّ)

على أن (لا) النافية للجنس لا تدخل على العلم ، وهذا مؤول إما بتقدير
مضاف وهو مثل ، وإما بتأويل العلم باسم الجنس . وقد بيَّنها الشارح المحقق .
وقد أورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾^(٢) على أنه على تقدير مثل ملء الأرض ، فحذف مثل
كما حذفت من لا هَيْئَمَ اللَّيْلَةَ .

قال الفاضل البني : وقد اعترض هذا بوجهين : أحدهما التزام العرب
تجريد الاسم المستعمل ذلك الاستعمال عن الألف واللام ، ولم يجوزوا قضية
ولا أبا الحسن ، كما جوزوا ولا أبا حسن ، ولو كانت إضافة مثل منوية لم يحتاج
إلى ذلك . والثانى : إخبار العرب عن المستعمل ذلك الاستعمال بمثل ،
كقول الشاعر :

تبكى على زيدٍ ولا زيدَ مثله برى من الحى سليم الجوانح^(٣)

ولو كانت إضافة مثل منوية لكان التقدير : ولا مثل زيد مثله ، وهو
قاسد . انتهى

(أقول) : لا يضر هذا الالتزام فإنه وارد على أحد الجائزين ، فإن أل

(١) فى كتابه ١ : ٣٥٤ . وانظر ابن السجرى ١ : ٢٣٩ وابن
يميش ٢ : ١٠٢ ، ٤/١٠٣ : ١٢٣ والهمع ١ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٠٠٤ .
(٢) الآية ٩١ من سورة آل عمران .
(٣) لم يعرف قائله . وانظر الهمع ١ : ١٤٥ ويس ١ : ٢٣٦ .

للمح الأصل ، والغالب عدم ذكرها ، مع أنها علامة لفظية للتعريف . وتعريف العلمية وإن كان أقوى منها إلا أنه معنوي ، فلو وجدت مع لا لكان القبح ظاهرا .

ثم رأيت (في تذكرة أبي حيّان) ما نصه : قال الفراء من قال قضية ولا أبا حسن لها لا يقول ولا أبا الحسن لها ، بالالف واللام ، لأنها ^(١) تمحّض التعريف في ذا المعنى وتبطل مذهب التنكير . وقال : إنما أجزنا لا عبد الله لك بالنصب ، لأنه حرف مستعمل ، يقال لكلّ أحد عبد الله ، ولا فيجز لا عبد الرحمن ولا عبد الرحيم ، لأن الاستعمال لم يلزم هذين كلزومه الأول . وكان السكّاني يقيس عبد الرحمن وعبد العزيز على عبد الله ، وما لذلك صحة . وأما جعله بتأويل اسم الجنس فقد قال سيديويه : وقالوا قضية ولا أبا حسن لها ، قال الخليل : نجعله نكرة . فقلت : كيف يكون هذا وإنما أرادوا علياً عليه السلام ؟ فقال : لأنه لا يجوز لك أن تعمل لا إلا في نكرة ، فإذا جعلت أبا حسن نكرة حسن لك أن تعمل لا ، وعلم المخاطب أنه قد دخل في هؤلاء المنكورين .

و (هينم) اسم رجل كان حسن الحداة للإبل ، وقيل كان جيد الرعية ، والسياق يدلّ للأول كما يظهر . وكذلك قال بعض شراح أبيات المفصل : المراد هينم بن الأشتر ، وكان مشهوراً بين العرب بحسن الصوت في حداثته للإبل وكان أعرف أهل زمانه بالبيداء والفلوات وسوق الإبل . و (للمطى) خبر لا وهو ظرف مستقرّ عامل في الليلة ، وبعده :

(ولا فتي مثل ابن خيبري)

قال الصاغاني (في الباب) : ذَكَرَ مِثْلَ هَذَا يَمِينُ أَنْ يَكُونَ مَاقْبَلَهُ
يَتَقَدَّرُ لَا مِثْلَ هَيْمٍ ، وَابْنُ خَيْرِي : قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ (فِي جُمُورَةِ نَسَبِ
عُدْرَةِ) : فَمَنْ بَنَى ضَيْبِيسَ جَمِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ خَيْرِي
ابْنَ ضَيْبَانَ اهـ .

وجميل هذا هو صاحب بُيُوتِة المشهور ، وهو المراد بابن خيرى : فيكون
نسب إلى أحد أجداده . ومدحه بالفتوة لأنه كُنَّ شَجِيعًا يَحْمِي أَدْبَارَ الْمُطَى
من الأعداء .

وقال بعضهم : المراد بابن خيرى على رضى الله عنه ، والإضافة للملابسة .
وهذا لا أصل له . وقيل أراد به مَرْحَبًا ، وهو الذى بارزه على رضى الله
عنه يوم خيبر فقتله .

وهذا الشاهد (١) من أبيات سيبويه الحسين التى لم يَمِثَّ قَائِلُهَا . وقد أورد
هذين البيتين أبو عبيد فى الغريب المصنَّف مع أبيات قبلهما ، وهى :
(قَدْ حَشَّاهُ اللَّيْلُ بِعَصْلِيٍّ مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ
أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى عَمْرَسٍ كَالنَّوَسِ الْمَلُوى
لَا هَيْمَ الْبَيْتَ الْمَطَى وَلَا قَتَى مِثْلُ ابْنِ خَيْرِيٍّ)

قال الصاغاني (فى الباب) : العَصْلِيُّ ، بفتح العين وسكون الصاد
المهملتين : الشديد الباقي على المشى والعمل . وَأُنْشِدَ الْآيَاتَ عَنِ الْفَرَاءِ (فى
نَوَادِرِهِ) لِبَعْضِ بَنِي دُبَيْرٍ بضم الدال وفتح الموحدة مصغراً ، وهى قبيلة من بني
أَسَدٍ . وقال شارح (شواهد الغريب) ابنُ السَّيرافى : يُقَالُ حَشَّ النَّارُ يَحْشُهَا
حَشًّا ، إِذَا بَلَغَ فِي إِيقَادِهَا وَإِحْجَانِهَا . وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنَّ الْإِبِلَ قَدْ رُمِيتْ بِرُجُلٍ

(١) ط : « وهذا الثانى » . صوابه فى ش :

عَصَلْبِيَّ يُسْرِعُ سَوَقَهَا وَلَا يَدْعُهَا تَقْتَرُ كَمَا تَحْشُ النَّارُ . وَحَشَّ بِجَاءِ مَهْمَلَةٍ
 وَشَيْنٍ مَعْجَمَةٍ . وَيُرْوَى : « قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ » أَيْ اللَّيْلُ جَعَلَ هَذَا الرَّجُلَ مَلْتَفًا
 بِهَا . وَإِنَّمَا نَسَبَ الْفَعْلَ إِلَى اللَّيْلِ لِأَنَّ اللَّيْلَ حَمَلَهُ عَلَى الْبَيْتِ فِي السَّيْرِ . وَجَعَلَهُ
 مَهَاجِرًا ، وَالْمَهَاجِرَ الَّذِي هَاجَرَ إِلَى الْأَمْصَارِ مِنَ الْبَادِيَةِ فَأَقَامَ بِهَا وَصَارَ مِنْ
 أَهْلِهَا ، لِيَكُونَ سِيرُهُ أَشَدَّ . [وَخَصَّ الْمَهَاجِرَ] لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَصْرِ
 الَّذِي يَقْصِدُهُ ، فَلَهُ بِالْمَصْرِ مَا يَدْعُوهُ إِلَى إِسْرَاعِ السَّيْرِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَصَّ
 الْمَهَاجِرَ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْأُمُورِ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ وَأَبْصَرَ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَالْأُرُوعُ :
 الْحَدِيدُ الْفَوَادِ . وَالِدَوِيُّ : جَمْعُ دَوِيَّةٍ ، يَرِيدُ أَنَّهُ ذُو هِدَايَةٍ وَبَصَرٍ يَقْطَعُ
 الْفُلُوتَ وَالْخُرُوجَ مِنْهَا . وَالْعَمْرَسُ : الشَّدِيدُ ، يَفْتَحُ الْعَيْنَ وَالْمِمْ وَتَشْدِيدُ
 الرَّاءِ وَالسَّيْنِ الْمَهْمَلَاتِ . وَالْمَرْسُ : الْحَبْلُ ، وَاحِدُ الْأَمْرَاسِ . وَالْمَلُوءَى : الْمَقْتُولُ
 أَنْتَهَى كَلَامُهُ .

وَالِدَوِيُّ بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ وَالْيَاءِ قَالَ (فِي الصَّحَاحِ) : الدَّوَّ وَالِدَوِيُّ : الْمَفَازَةُ
 وَكَذَلِكَ الدَّوِيَّةُ ، لِأَنَّهَا مَفَازَةٌ مِثْلُهَا ، فَنَسَبَتْ إِلَيْهَا ؛ كَقَوْلِهِمْ دَهْرٌ دَوَّارٌ
 وَدَوَّارِي . وَعُرِفَ بِهَذَا السِّيَاقِ أَنَّهُ مَدْحٌ لِهَيْمٍ فِي جَوْدَةِ حُدَائِهِ الْمُنْشَطِ لِلْإِبْلِ
 فِي سِيرِهَا ، وَأَنَّهُ لَا يَقْصُومُ أَحَدٌ مَقَامَهُ ، وَلَا يَسُدُّ مَسَدَهُ فِي حُدَائِهَا . وَظَهَرَ
 مِنْهُ أَيْضًا أَنَّ الْمُرَادَ لَا مِثْلَ هَيْمٍ ، لَا تَأْوِيلَهُ بِاسْمِ الْجِنْسِ لِشَهْرَتِهِ فِي صِفَةِ
 الْحَدَاءِ . فَتَأَمَّلْ .

وَزَعِمَ بَعْضُ فَضَلَاءِ الْعَمِّ (فِي شَرْحِ آيَاتِ الْمَفْصَلِ) أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ
 تَأَسَّفَ وَتَحَسَّرَ عَلَيْهِمَا . وَكَأَنَّهُ قَوِّمَ أَنَّهُمَا مَاتَا وَالشَّعْرَ مَرْتِيَّةً فِيهِمَا . أَوْ هَا غَائِبَانِ
 عَنِ الْمَطَى فِي تِلْكَ الْبَيْلَةِ .

تمة

قال أبو حيان (في تذكيرته) : قال الكسائي في قول العرب لا أبا حمزة لك : أبا حمزة نكرة ؛ ولم ينصب حمزة لأنه معرفة . لكنهم قدروا أنه آخر الاسم المنصوب بلا نصب الآخر ، كما تفتح اللام في لا رجل . وقال : سمعت العرب تقول : لا أبا زيد لك ، ولا أبا محمد عندك ، فعلة نصبهم محمداً وزيداً أنهم جملوا أبا محمد وأبا زيد اسماً واحداً ، وأزموا آخره نصباً النكرة . انتهى .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س^(١) :

٢٦٢ (أرى الحاجاتِ عندَ أبي خبيب
تَكِدَنَّ ولا أُمِيَّةٌ في البلادِ)

على أن التقدير إمّا : ولا أمثال أُمِيَّة في البلاد ، وإمّا : ولا أجواد في البلاد ، لأنّ بني أُمِيَّة قد اشتهروا بالجود . فأوّل العلم باسم الجنس لشهرته بصفة الجود .

وهذا البيت من أبيات لعبد الله بن الزبير الأسدي ، قالها في عبد الله صاحب الشاهد ابن الزبير بن العوام وكان شديد البخل ، قال الحصري في (زهر الآداب) قال

(١) في كتابه ١ : ٣٥٥ . وانظر ابن السجري ١ : ٢٢٩ وابن
يعيش ٢ : ١٠٢ وهندوز الذهب ٢١٠ والهمع ١ : ١٤٥ والأشوسني ٢ : ٤
والأغاني ١ : ١٠/٨ : ١٦٣ وزهر الآداب ٤٧٤ .

أبو عبيدة : وفد عبد الله بن الزبير الأسدي على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بيني وبينك رحماً من قبل فلاة الكاهلية وهي عمتنا وقد ولدتمكم^(١) . فقال ابن الزبير : هذا كما وصفت ، وإن فكرت^(٢) في هذا وجدت الناس كلهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أم واحدة . قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ نقتي قد ذهبت . قال : ما كنت ضمنتُ لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم . قال : يا أمير المؤمنين إنَّ ناقي قد قببت ودبرت . قال : أنجِدْ بها يبرِّدُ خفها ، وارقعها بسبتِ واخصفها بهلب ، وسِرْ عليها البرِّدَين تصح . قال : إنما جئتكَ مستحملاً ولم آتَكَ مستوصفاً ، فلمن الله ناقة حملتني إليك قال ابن الزبير : إنَّ ورا كُبتها . فخرج وهو يقول :

أرى الحاجات عند أبي خبيب نكِدْنَ ولا أمية في البلاد
من الأعياص أو من آل حرب أغرُّ كغرة الفرس الجواد
ومالي حين أقطع ذات عرق إلى ابن الكاهلية من معاد^(٣)
وقلت لصحبتي : أدنوا ركابي أطرق بطن مكة في سواد^(٤)
فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير فقال : لو علم أنَّ لي أمّاً أخس^(٥)

(١) في زهر الآداب : « هي اختنا وقد ولدتمك ، وأنا ابن فلاة فقلانة عمتي » .

(٢) ط : « نكرت » ، صوابه في ش وزهر الآداب وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٨٣ .

(٣) زهر الآداب : « من مفاد » ، تحريف .

(٤) في النسختين : « عن سواد » صوابه في زهر الآداب وتاريخ الخلفاء وما يقتضيه الشرح التالي .

(٥) زهر الآداب : « أحسن » وما هنا صوابه . وفي الأغاني ١ : ٨ : « علم أنها شر أمهاتي فميرني بها وهي خير عماته » .

من عمته الكاعلية لنسبى إليها . وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب .
قال الصولي ^(١) : أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزياد فرسا أشهب ^(٢)
كان عنده مكينا ، وبه ضئينا ، فقال :

قالوا جزعت فقلت إن مصيبة [جلت] رزيتها وضاق المذهب ^(٣)
قال أبو بكر الصولي : هكذا ^(٤) أنشدني ابن المعتز على أن إن بمعنى نعم ؛
وأنشد النحويون :

قالوا كبرت فقلت إن ، وربما ذكر الكبير شبابا فتنظرا
انتهى كلام الحصري .

وكذا نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء . وهذه الحكاية عن تاريخ ابن
عساكر من طريق أبي عبيدة .

وقوله : إن ناقتي قد تثبت ، في الصحاح : وثقب البعير بالكسر :
إذا رقت أخافه . ودبر البعير بالكسر وأديره التثب ، إذا جرحه ، وهي
الدبرة بفتح الحاء . وأنجد ، إذا أخذ في بلاد نجد . وهو من بلاد العرب ، وهو
خلاف الغور وتهامة وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . ونجد ١٠١
موصوف بالبرد . والسبت بكسر السين وسكون الموحدة : جلود البقر المدبوغة
بالقرظ تحذى منه النعال السنية . والهلل ، بضم الهاء : شعر الخنزير الذي
يحرز به ، الواحد هلبة ، وكذلك ما غلظ من شعر الذنب وغيره . والبردان :

(١) عن زهر الآداب أيضا ٤٧٥ .

(٢) في زهر الآداب : « أشهب أحم » .

(٣) جلت ، سافطة من النسخين . وإثباتها من زهر الآداب .

(٤) في النسخين : « هذا » . وأثبت ما في زهر الآداب .

المصران ، وكذلك الأبردان وها الغداة والعشي ؛ ويقال ظلّاهما . ومستحجلاً
أى طالباً أن نحملنى على دابة .

وأبو خبيب ، بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الأولى كنية عبد الله
ابن الزبير كنى بأكبر أولاده ؛ قال الثعالبي (فى لطائف المعارف) كان له
ثلاث كُنى : أبو خبيب ، وأبو بكر ، وأبو عبد الرحمن ، وكان إذا هجى
كنى بأبى خبيب .

ونكيدن من نكيد نكداً من باب تعب ، فهو نكيد ، إذا تعسر .
ونكيد العيش نكداً ، إذا اشتد . وأمية : أبو قبيلة من قريش ، وها
أميّتان : الأكبر والأصغر ، ابنا عبد شمس بن عبد مناف أولاد علة ؛
فمن أمية الكبرى أبو سفيان بن حرب ، والعنابس ، والأعياص . وأمية
الصغرى هم ثلاثة إخوة لأنّ اسمها عبلة يقال لهم العبيلات بالتحريك . والأعياص
بإهمال الأوّل والآخر ، هم من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ؛
وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص . وذات عرق ،
بالسكسر : ميقات أهل العراق ، وهو من مكة نحو مرحلتين ؛ ويقال هو من
نجد الحجاز . والصحبة أراد به الأصحاب ، وهو فى الأصل مصدر . وأذّنوا
يفتح الهمزة : أمر مسند لجماعة الذكور ، من الإذناء : وركابى : إبل . وأفارق
مجزوم فى جواب الأمر .

وعبد الله بن الزبير يفتح الزاى وكسر الموحدة ، قد تقدمت ترجمته
فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة^(١) .

(١) كذا فى النسختين ، وصوابه الرابع والعشرين بعد المائة . انظر
الخزانة ٢ : ٢٦٤ .

وروى الأصهباني في الأغاني^(١) هذه الأبيات لعبد الله بن فضالة بن شريك بن سليمان بن خويلد ، وأنهى نسبه إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . قال : وعبد الله بن فضالة هو الوافد على ابن الزبير ، والتائل له : إن نأقني قد نَقِبت . وذكر القصة بعينها ، إلى قوله فقال له ابن الزبير : إن ورا كِبها . فانصرف وهو يقول :

أقول لِفَلَسِي شُدُّوا رِكابي أَجَاوِزُ بطنِ مرٍّ في سِوَادِ
فألى حين أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقِ إلى ابنِ السَّكاهِلِيَةِ من مَعَادِ
سَيُبْعِدُ بَيْنَنَا نَصُّ المَطَايَا وتَمْلِيقُ الأَدَاوِي والمَزَادِ
وَكُلُّ مَعْبَدٍ قد أَعلَنَهُ مناسِمْهُنَّ ، طَلَّاعَ الفِجَادِ
أرى الحَاجَاتِ عِنْدَ أبي خَيْبٍ (البيتين)

ثم قال الأصهباني : وذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبيه فضالة مع ابن الزبير ، وزاد فيها :

شَكَوتُ إليه أَن نَقِبتُ قَلَوِصِي فَرَدَّ جَوَابَ مَشْدُودِ الصَّفَادِ
يُضْنُ^(٢) بِنَاقَةٍ وَيرومُ مُلْكَا مُحَالٌ ذَا كُمْ غَيْرُ السِّدَادِ
وَلَيْتَ إِمَارَةً وَبَخَلْتُ لَمَّا وَلَيْتَ أُمِيَّةً أَبْدَلُوكُم
فَإِنْ وَلَيْتَ أَوْ من آلِ حَرْبٍ أَغْرَى كَغَرَّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ
إِذَا لم أَلْقِهِم بِمَنَى فَنِي بِجَوْرِ لا يَهْشَ لَهُ فَوَادِي^(٣)

١٠٢

(١) الأغاني ١٠ : ١٦٢ .

(٢) ش : « فضن » ، وما في ط يطابق الأغاني ١٠ : ١٦٥ .

(٣) في النسختين : « إذا لم ألقهم عنى » ، والتصحيح للشنقيطي

مطابق ما في الأغاني ١٠ : ١٦٥ .

(٥) خزانة الأدب

سيدنني لهم نص المطايا وتعليقُ الأدَاوى والمزادِ
وظهرُ معبّدٍ قد أعلّته مناسمهنّ طَلّاعَ النّجّادِ

مع أبيات ثلاثة آخر . قال ابن حبيب : فلما وليّ عبدُ الملك بعث إلى فضالة يطلبه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقة تحمل أوقارها برّاً وتمراً . قال : والكاھلية التي ذكرها هي بنت جبيرة من بني كاهل بن أسد ، وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى . هذا ما أورده الأصهباني .

وزعم بعض فضلاء المعجم (في شرح أبيات المفصل) أنّ الكاهلية هي أم عبد الله بن الزبير ، وهذا لا أصل له . وزعم أيضاً أن ابن الزبير صاحب هذه الأبيات اسمه عبد الله بن فضالة ، ونقله عن صدر الأفاضل .

وقوله : أقول لِغَلّتي ، هو بكسر المعجمة : جمع غلام . وبطن مرّة ، بفتح الميم : موضع بقرب مكة شرّفها الله . وقوله : في سواد ، أى في ظلام الليل . ونصّ المطايا : مصدر مضاف إلى مفعوله ، من نصّصت الدابة : استحثتها واستخرجت ما عندها من السير . والأدَاوى بفتح الواو : جمع إداوة بالكسر ، وهي المِطْهرة . والمزاد ، بالفتح : جمع مزادة ، وهي شطر الراوية ، والقياس كسر الميم لأنّها آلة يستقى فيها ، وهي مَفْعَلة من الزاد لأنّه يتزوّد فيها الماء . والطريق المعبّد ، من التعبيد ، وهو التذليل . والمناسم : جمع منّسم كمجلس : طرف خفّ الإبل . وطلّاع حال من ضمير المطايا جمع طالعة . والنّجّاد ، بكسر النون بعدها جيم : جمع نجّد ، ككلب وكلاب ، وهو ما ارتفع من الأرض . والصّقاد بكسر الصاد : ما يوثق به الأسير من قيدٍ وغُلّ ، أى أجنبيّ بجواب عاجز مقيد لا يقدر على شيء . والسّميدع ، بفتح السين : السيّد الذي يسهّل الوصول إليه . وجوّ ، بفتح الجيم وتشديد الواو : اسم موضع .

وَفَضَالَةُ بن شُرَيْكٍ الأَسَدِيُّ بفتح الفاء ، أوردته ابن حجر (في الإصابة) فضالة بن شريك من المخضرمين الذين أدرَكوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم اجتماعهم به .

* * *

وَأُنْشِدْ بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه^(١) :

٢٦٣ (فَلَا أَبَ وَابْنًا مِثْلُ مَرْوَانَ وَابْنِهِ)

هذا صدرٌ وعجزه : (إِذَا هُوَ بِالْمَجْدِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا)

على أنه عطف الابن بالنصب على لفظ اسم لا المبنى ، ويجوز رفع المعطوف باعتبار محل لا واسمها ، فإنهما في محل رفع على الابتداء . وإثما جاز الرفع لأن لا إذا لم تتكرر في المعطوف وجب فتح الأول وجاز في الثاني النصب والرفع .

قال أبو علي (في المسائل البصرية) : مثل يحتمل أن يكون صفة وأن يكون خبراً . فإن جعلته صفةً احتمل أمرين : يجوز أن تنصبه على اللفظ ، لأن اللفظ منصوب فتحمله عليه ، وإن حملته على الموضع هنا كان أقبح منه في غير هذا الموضع ؛ وذلك أنك لما عطفت بالنصب فقد أنبأت أنه منصوب ، فإذا رفعته بعد ذلك كان قبيحاً ، لأنك كأنك حكمت برفعه بعد ما حكمت بنصبه . وهذا عندى أقبح من أن تحمّل الأسماء المبهمة على المعنى ثم ترجع إلى اللفظ ، لأن الاسم كما يعلم منه الأفراد فقد يعلم منه الجمع ، فتكون دلالة على ذا كدلالة على ذا ، ولا يعلم من الرفع النصب ولا من النصب الرفع ؛

(١) في كتابه ١ : ٣٤٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ١٠٦ ، ١١٠ والهمع

٢ : ١٤٣ والعيني ٢ : ٣٥٥ والنصريح ١ : ٢٤٣ .

١٠٣ فلهذا يُستحسن حمل الصفة هنا على اللفظ . فإن قلت : فصفة أىّ الاسبين هو ؟ فإننا لا نقول صفة أحدهما ، ولكن صفتها جميعا ؛ ألا ترى أنه قد أضيف إلى مروان وعطف ابن عليه ، فكأنه قال مثلها ؛ ألا ترى أن العطف بالواو نظير التثنية ؛ فكما أن مثلهم في قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُنَّا بِكُمْ لِإِثْمِكُمْ إِذَا مِثْلُكُمْ ﴾^(١) خبر عن جميع الأسماء حيث كان مضافا إلى ضمير الجمع ، كذلك يكون مثل وصفاً للاسبين جميعا وتضمر الخبر إذا جعلته صفة .

فإن جعلت مثلاً الخبر رفعت لا غير ولم تضمر شيئا ؛ ومثل ذلك :

* ولا كريم من الولدان مصبوح^(٢) *

وقد يستقيم أن تجعله هنا وصفا على الموضع وتضمر ، ولا يتبع من حيث قبح في قوله : فلا أب وابنا . فأما : إذا هو بالمجد ارتدى ، فالعامل في إذا معنى الماثلة ، جعلته خبراً أو وصفا . وإن شئت جعلت العامل في إذا الخبر إذا أضمرت . انتهى كلام أبي على .

وقال ابن هشام (في شرح شواهد) : وروى ابن الأنباري :

* إذا ما ارتدى بالمجد ثم تأزرا *

ورواية سيبويه أولى ، لأن الانزاع قبل الارتداء . والواو لا ترتب فيها بخلاف ثم . والمجد : العز والشرف ؛ ورجل ماجد : كريم شريف . وارتدى : لبس الرداء . وتأزر : لبس الإزار ، والإزار : الثوب الذي يستر النصف

(١) الآية ١٤٠ من سورة النساء .

(٢) لرجل من النبييت بن قاصد ، كما في الأعلام (سيبويه ١ : ٣٥٦) .

وصدوره : * ورد جازرهم حرفا مصرمة *

وانظر ابن السجري ٢ : ٢١٢ وابن يعيش ١ : ١٠٤ ، ١٠٧ والعيني

٢ : ٣٦٨ .

الأسفل ، والرداء : ما يستر النصف الأعلى . قال الأعلم : مدح مروان ابن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان ، وجعلهما لشهرة مجدهما كاللابسين له المرتدين به ، وجعل الخبر عن أحدهما وهو يعنيهما اختصاراً ، لعلم السامع اهـ .

ولقد كذب الشاعر في هذا المدح فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق مروان : « الوزغ بن الوزغ »^(١) .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الحسين التي لا يعرف لها قائل . وقال ابن هشام (في شواهد) : إنه لرجل من عبد مناة بن كنانة ، والله أعلم .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه^(٢) :

٢٦٤ (ألا طعان إلا فرسان عادية إلا تجشؤكم حول التنانير)

على أن (لا) إذا تقدمها همزة الاستفهام تعمل كعملها مجردة منها .

قال سيبويه : واعلم أن لا في الاستفهام تعمل فيما بعدها كما تعمل فيه إذا كانت في الخبر ، فمن ذلك قوله : ألا طعان ... البيت .

وقال ابن هشام (في المغني) : ألا تأتي للتوبيخ والإنكار كقوله :

ألا طعان ألا فرسان البيت

(١) ش : « بن الوزغة » .

(٢) في كتابه ١ : ٣٥٨ . وانظر شرح شواهد المغني ٣٢٢ والهمع

١ : ١٤٧ / ١٣٩ : ٢ / ٤٠٩ والعيني ٢ : ٣٦٢ والأشعموني ١ : ٢٤٠

وديون حسان ٢١٥ .

وللتنفي كقوله :

أَلَا عُمَرُ وَلِيَّ مُسْتَطَاعٍ رَجُوعُهُ فِيرَأَبَ مَا أَثْنَاتُ يَدُ الْغَفَلَاتِ
ولهذا نصب يرأب لأنه جواب تمنى مقرون بالفاء . وللإستفهام عن
التنفي كقوله :

* أَلَا اصْطَبَارَ لِسُلَى أُمَ لَهَا جَلَدٌ ^(١) *

وفي هذا البيت ردٌّ على من أنكر وجودَ هذا القسم وهو الشاويين .
وهذه الأقسام الثلاثة محتصة بالدخول على الجملة الاسمية وتعمل عمل لا التبرئة ،
ولكن تختص انتى للتنفي بأنها لا يخبر لها لفظاً ولا تقديرًا ، وبأنها لا يجوز
مراعاة محلها مع اسمها ، وبأنها لا يجوز إلغاؤها ولو تكررت . أمّا الأوّل
فلأنها بمعنى أتمنى ، وأتمنى لا خبر له ، وأمّا الأخيران فلأنهما بمنزلة ليت .
وهذا كله قول سيبويه ومن وافقه . اه باختصار .

١٠٤

وزعم الزجاجي (في الجمل) أن ألا في هذا البيت للتنفي . وليس كذلك .
لأن البيت من الهجو ، ولو كان تمنياً لما كان ذمًا .

وهذا البيت من أبيات لحسان بن ثابت الصحابي رضي الله عنه ، هجا
بها بني الحارث بن كعب المذحجي ، جعلهم أهل أكل وشرب ، لا أهل
غارة وحرب ، يقول : لا خيل تعدون بها على الأقران ، ولا طعان لكم
في نحر الشجيمان ، إلّا الأكل والجشاء عند التناير ، فليس لكم رغبة
في طلب للمال ، وإنما فعلكم فعل البهائم . كما قال الآخر ^(٢) :

صاحب الشاهد

(١) للمجنون ، كما في شرح شواهد المغنى للسيوطي ١٥/ والعيني
٣٥٨ : ١ وديوانه ٢٢٨ . وعجزه : إذا ألقى الذي لاقاه أمثالي

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان . سيبويه ١ : ٤٧٥ والهمع ٢ : ٣ .

إِنِّي رَأَيْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حُسْبُكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا حُرَّ الثِّيَابِ وَتَشْبَعُوا
فَإِذَا تَذُكِّرْتِ الْمَكَارِمَ مَرَّةً فِي مَجْلَسٍ أَنْتُمْ بِهِ فَتَفْنَعُوا

وزعم اللخميّ (في [شرح^(١)] أبيات الجمل) أَنَّ الاستفهام هنا للتقرير ،
قال : قرَّره على ما علم من أمرهم . فيكون المقرر النفي وما بعده .

و (طعان) : مصدر طاعن بالرمح . و (الفرسان) : جمع فارس . و (عادية)
بالمهمله والنصب : صفة لفرسان ، وقيل حال منه ، والخبر محذوف أى لكم ،
وهو من عدا عليه بمعنى اعتدى ، والمصدر العدوان . والعرب تمدح به
باعتبار ما يلزمه من الشجاعة . وقيل : هو من العدو أى الجرى ، وقيل
هو بالمعجمة من العدو ، وهو التكبر ، لأن العرب تكبر للغارة والحرب . قال
النحاس : وعند أبي الحسن الأول هو الأحسن ، لأن العادية تكون بالفتحة
وغيرها . وروى بالرفع على الروايتين على أنه صفة لفرسان على الموضع ، وقيل
خبر . وقوله : إلاتجشؤكم بالنصب على الاستثناء للنقطع ، قيل : ويجوز رفعه
على البديل من موضع ألا طعان على لفظة تميم . قال النحاس : هذا غلط
والصواب عند أبي الحسن النصب . والتجشؤ : خروج نفس من الفم ينشأ
من امتلاء المعدة ، يقال تجشأ تجشؤاً وتَجَشَّئَ مَهْمُوزاً ، والاسم الجشَاء بضم
الجيم وفتح الشين . قال الأصمعيّ : ويقال الجشَاء على فُعَالٍ ، كأنه من باب
العطاس والسعال . قال اللخميّ : وروى « إلاتجشؤكم » بالحاء المهملة ، مأخوذ
من الجشأ ، وهو الكساء الغليظ الذى يَشْتَمَلُ بِهِ ، فنعناه على هذا : إنسكم
تشبعون وتلتفون فى الأكسية ، وتنامون عند التناير . انتهى . والجشأ على

(١) التكملة للشنقيطى فى نسخته .

وزن مفعّل^(١) والجمع المحاشىء بالهمز على وزن مفاعل . و (التنافير) : جمع
تثور وهو ما يُخَبَّرُ فيه .

والآيات هذه برُمّتها^(٢) :

آيات الشاهد (حار بن كعب ألا أحلام تَزْجُرُكم عَنَّا، وأنتم من الجوف الجماخير
لا عيبَ بالقوم من طول ولا عظم جسمُ البغال وأحلامُ المصافير
كانتهم قَصَبُ جُوفٍ مكسره مثقَّبٌ فيه أرواح الأعاصير
دَعُوا التَخَاوُفَ وَاَمْشُوا مِشْيَةً سُبْحًا إِنَّ الرِّجَالَ أَوَّلُو عَصَبٍ وَتَذَكَّرُوا
لَا يَنْفَعُ الطُّولُ مِنْ نُفُوكَ الْقُلُوبَ، وَلَا يَهْدِي الْإِلَٰهُ سَبِيلَ الْمُعْشَرِ الْبُورِ
إِنِّي سَأَنْصُرُ عِرْضِي مِنْ سَرَاتِكُمْ إِنَّ الْإِحْسَانَ نَسِيٌّ غَيْرُ مَذْكُورٍ
أَلْنِي أَبَاهُ وَأَلْنِي جَدَّهُ حَبِيسًا بِعَزَلٍ عَنْ مَعَالِي الْمَجْدِ وَالْخَيْرِ
أَلَا طِعَانًا أَلَا فَرَسَانِ عَادِيَةً الْيَتِ) ١٠٥

كذا في شرح أبيات الجمل لابن السيد وغيره، من رواية محمد بن حبيب
لديوان حسان .

وقوله : حار بن كعب ، هو مرخم حارث ، وبه استشهد الزجاجي
(في جملته) . والأحلام : العقول ، جمع حِلْمٍ بالكسر . والجوف ، بضم الجيم :
جمع أجوف ، وهو الخالي الجوف . والجماخير : جمع جُمُخُور ، بضم الجيم والخاء
المعجمة بينهما ميم ساكنة ، وهو العظيم الجسم الخوار . وقوله : لا عيب

(١) ش : « مفاعل » وهي صحيحة أيضا في اللغة ، ولكنها لا تستقيم

مع جمعها مفاعل انثائي .

(٢) كتب اليميني : الآيات مع خبرها في تهاجي التجاشي وعبد الرحمن

في الموفقيات (Z. D. M. G. V 54 P. 427-428) والديوان ليدن ص ٤٨ ،

والحواشي (٧٧) وفيها : « ألا الأحلام » .

بالقوم ، روى أيضاً : « لا بأس بالقوم » . يريد أن أجسامهم لا تُعاب ، هي طويلة عظيمة ولكنها كأجسام البغال لا عقول لها . هكذا رواه الناس ؛ ورواه الزمخشري : « جسم الجمل وأحلام الخ » عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَلْ فِي سَمِّ الْخِلَاطِ ^(١) ﴾ على أن الجمل مثلٌ في عظم الجرم ، وهذا مثل قول بعضهم ^(٢) :

وقد عظم البعير بغير لبٍّ فلم يستغن بالعظم البعيرُ
وقال آخر :

فأحلامهم حِلْمُ المصافير دِقَّةٌ وأجسامهم جسمُ الجمائل أو أجفَى
وهذان البيتان أوردتهما سيبويه على رفع الجسم والأحلام على إضمار مبتدأ
لما أراد من تفسير أحوالهم ، دون التقصد إلى الذم . والتقدير أجسامهم أجسام
البغال ، وأحلامهم أحلام المصافير : عِظماً وحقارة . ويجوز أن يريد لا أحلام
لهم ، كما أن العصفور لا حِلْمَ له ؛ ولو قصد به الذم فنصبه بإضمار فعل لجاز .
قال ابن خلف : ذكر سيبويه هذا الشعر بعد أبيات أنشدها وذكر فيها
أسماء قد نصبت على طريق الشتم والتحقير ، ورفع قوله جسم البغال وأحلام
المصافير . وقوله : ولم يرد أن يجعله شتماً ، يريد أنه لم يجعله شتماً من طريق
اللفظ ، إنما هو شتمٌ من طريق المعنى ، وهو أغلظ من كثير من الشتم .
وأفرد الجسم وهو يريد الجمع ضرورة ، كقوله ^(٣) :

* في حَلَقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا *

(١) الآية ٤٠ من سورة الأعراف .

(٢) هو العباس بن مرداس . الحماسة ١١٥٥ بشرح المرزوقي .

(٣) هو المسيب بن زيد مناة الغنوي ، كما ذكره الأعلام ١ : ١٠٧ .

وقوله : كأنهم قصب الخ ، هو جمع قصبَة ، والجوف جمعٌ كما مرّ .
ومكسره مبتدأ جمع مكسر أى محلّ الكسر ، ومتقّب خبره ، والأرواح :
جمع ريح . والتخاجؤ ، بعد المثناة الفوقية خاء معجمة وبعدها جيم بعدها
همزة ، هو مشى فيه تبختر . والمشيّة السُّجّح ، بضمّ السين المهملة والجيم بعدها
حاء مهملة : السَّهْلَة الحسنَة . وأولو عَصَب : أصحاب شدّة خلق ، يقال رجل
معصوب الخلق . والنُّوك ، بضمّ النون : الحماقة . والبُور : جمع بائر ، وهو
المالِك . والحامس بكسر الحاء المهملة ، من بنى الحارث بن كعب . والنسي :
النسيّ الخامل الذّكر . وقوله . حُبسا بالبناء للمفعول ، من الحبس . والمجد :
الشرف . والخير بكسر المعجمة : الكرم .

وسبب هجو حسان بنى الحارث أنّ النجاشي هجا بنى النّجّار من الأنصار
بشعرٍ يقول فيه :

لستم بنى النجار أكفاء مثلنا فابعد بكم عما هنالك أبعد^(١)
فإن شتمتُمْ نافرُتْكم عن أيكمْ إلى من أردتم من تهايم ومُنْجِدٍ

قال السكريّ (في ديوان حسان) : ذكروا أنّ الأنصار اجتمعوا في مجلسٍ
فتذاكروا هجاء النجاشي إياهم فقالوا : مَنْ له ؟ فقال الحارث بن مُعَاذ بن
عفراء : حسان له . فأعظم ذلك القوم فتوجّه نحوه — والقوم كلُّهم مُعْظِمٌ
لذلك — فلما دخل عليه كلمه فقال : أين أنتم عن ابني عبد الرحمن ؟ قال :
إنيّاك أردنا ، قد قاله عبدُ الرحمن فلم يصنع شيئا . فوثب وقال : كن وراء

١٠٦

(١) الميمنى : الأبيات سبعة في الموقفيات ، وفيه : « فلستم » من
غير خرم و « فابعدكم عما هنالك » . وأقول : في ش : « فابعد بكم هنالك » ،
وفي ض : « فابعدكم هنالك » ، فلعل الوجه ما أثبت .

الباب واحفظ ما ألقى . فضربته [زافرة ^(١)] الباب فشجته على حلقه ،
فقال : بسم الله ، ثم قال : اللهم اخلف في رسولك اليوم صلى الله عليه وسلم !
قال الحارث : فعرفت حين قالها ليغلبنه . فدخل وهو يقول :

أبني الحلاس أليس منكم ماجدٌ إن المروءة في الحلاس قليلٌ
يا ويل أمكمُ وويل أبيكمُ وبلاً نردّد فيكمُ وعويلٌ
إلى أن قال :

فاللوم حلّ على الحلاس فما لمْ كهلُ بسودُ ولا قتيُّ بهلولُ
ثم مكث طويلاً في الباب يقول : والله ما بلغت ما أريد . ثم ألقى على :
حار بن كعبٍ ألا أحلام تزجرُكم . . . الأبيات التي تقدمت .

ثم قال للحارث : اكتبها صكوكاً فألقها إلى غلمان الكتّاب ، قال
الحارث : ففعلت ، فامرّ بنا بضع وخمسون [ليلة ^(٢)] حتى طرقت بنو
عبد المدان حسان بالنجاشي موثقاً ، فقال حسان لبنته : نادى بأبيات أظمُ
حسان ليأتيك قومك فيحضروا . فلم يبق أحدٌ إلا جاء ومعه السلاح . فلما
اجتمع الناس وُضع له منبر ونزل وفي يده مخضرة ، فقام عبد الله بن [عبد ^(٣)]
المدان فقال : يا ابن الفريرة ، جئناك بابن أخيك فاحكم فيه برأيك ، فأنى
بالنجاشي فأجلس بين يديه واعتذر القوم ، فقال حسان لابنته : هاني البقية

(١) التكملة من ديوان حسان طبع ليدن ١٩١٠ ص ٧٦ من الشرح .

وزافرة الباب : مقدمه وأنفه . وانظر شرح البرقوقى لديوان حسان

: ٣٥٧

(٢) التكملة من شرح الديوان ص ٧٧

(٣) التكملة من شرح الديوان ٧٧ . والمدان ، كسحاب : صنم لهم .

التي بقيت من جائزة معاوية . فأتته بمائة دينار إلا دينارين ، فقال : دونك هذه يا ابن أخي . وحمله على بغلة لعبد الرحمن ، فقال له ابن الديان ^(١) : كنّا نفتخر على الناس بالعظم والطول فأفسدته علينا . قال : كلاً ، أليس أنا الذى أقول :

وقد كنّا نقول إذا رأينا لذى جِسمٍ يُعدُّ وذى بيان
كأنك أيها المعطى بياناً وجسماً من بنى عبد المدان
انتهى ما أورده السكرى .

وعبد المدان هو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة ابن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة (بضم المهملة وخفة اللام) ابن جلد (بفتح الجيم وسكون اللام) ابن مالك بن أدد .
وبنو الديان ساداتُ بنى الحارث بن كعب . وكان بنو الحارث إحدى بَجَرَات العرب .

وترجمة حسان بن ثابت تقدمت في الشاهد الحادى والثلاثين ^(٢) .

والنجاشى الشاعر والنجاشى اسمه قيس بن عمرو ، من رَهْط الحارث بن كعب ؛ وكان فيما روى ضعيف الدين : ذكر أنه شرب الخمر في رمضان ، وثبتَ عند عليٍّ عليه السلام فجلده مائة سوط ، فلما رآه قد زاد على الثمانين صاح به : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ! فقال عليٌّ رضى الله عنه : لجراءك على الله في رمضان . قال ابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : روى أنه لما حاجى

(١) هو عبد الله بن عبد المدان بن الديان ، كما سيأتى .

(٢) الخزائن ١ : ٢٢٧ .

النجاشيُّ عبدَ الرحمن بنَ حسان أعانه أبوه بالشعر المذكور . ورؤى من طريق أخرى أنه لما مضت مدَّةُ لمهاجاة عبد الرحمن بن حسان للنجاشيِّ علم بذلك أبوه حسان ، فقال له : يا عبد الرحمن ، أرني ما جرى بينك وبين الحارثيِّ . ١٠٧ فأنشده لنفسه وللحارثيِّ ، فقال له : يا عبد الرحمن ؛ إني أراه قد أكلك ، فهل تحبُّ أن أعينك ؟ قال : نعم يا أبت . فقال حسان الأبياتَ المذكورة . ثم ذكر بقية القصة من كِتاف النجاشيِّ وعَفُو حسان عنه . والله أعلم أيُّ ذلك كان .

تتمة

كون البيت الشاهد لحسان هو ما رواه السكري وغيره من جملة الأبيات المذكورة ، إلا ابن السَّيرافي والزَّخَشَرِيُّ ، فإنه رواه في شرح أبيات سيدييه من قصيدة خلدَّاش بن زهير يخاطب بها بعض بني تميم ، من أجل مسابقة كانت بينهم وبين كُرْز بن ربيعة — وهو من رهط خِدَّاش — وأول القصيدة :

أبلغ أبا كَنَفٍ إمّا عرضتَ له والأبحرَينَ ووهاباً وابنَ منظورٍ
ألا طمان^(١) ألا فرسانَ عاديةٍ إلاّ تجشؤُكم حولَ التناويرِ
نم احضُرُونَا إذا ما احمرَّ أعينُنَا في كلِّ يومٍ يزيلُ الهامَ المذكورِ
تلقوا فوارسَ لا ميلًا ولا عزُّلاً ولا هلايجَ روائينَ في الدُّورِ
تلقوا أسيداً وعمراً وابنَ عمِّها ورقاءَ في النفرِ الشُّعْثِ المغاويرِ

(١) في فرحة الأديب الورقة ٥٦ ، ٥٧ من مخطوطة دار الكتب

٧٨ مجاميع ، وهي بخط البغدادي : « ألا جفان » .

من آل كوز غداة الرّوع قد عُرِفُوا . عند القتال إلى ركنٍ ومحبور^(١)
 يجدونَ أقرانهم في كلِّ مُعْتَرَك طعنًا وضربًا كشتيًّا بالناشيرِ
 وهي قصيدة تزيد على عشرين بيتا أوردها أبو محمد الأعرابي (في فرحة
 الأديب) ، وقال : كان من قصّة هذا الشعر أن أوّل ما هاج بين قريش وبين
 بني عامر بن صعصعة أن كُرُزَ بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر
 ابن صعصعة راهنَ أسيداً وعمراً وعبدَ الله بنى العرّة ، من بني تيم بن غالب
 وهم تيم الأدرم ، على فرسٍ لهم يقال له البرق ، والسبقُ ثلاثون ناقة^(٢) .
 وجعلوا المَدَى والمضمار إلى كُرُز ، فجعل المَدَى ما بين السجسج^(٣) إلى ذات
 الفلج ، وحمل كُرُز على فرسه المجالدَ بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر ،
 فجاء سابقاً وهلك البرق ، فأخذ السبقَ وناشدوه في ردّه فأبى ، فلبثوا قريباً
 من سنتين ، ثم ركب بنو العرّة فلقوا أسيد بن مالك ، وعمرو بن مالك ،
 وعثمان بن أسيد من بني عامر بن ربيعة ، بأسفل العقيق ، في إبلٍ لهم فيها بكرة
 يقال لها العنب ، عُشراء ، فطردوا الإبل فاستقبلها عثمان بن أسيد ينفر فيها
 بثوبه^(٤) وبعث أمةً نحو أبيه وعمه مغوّئاً^(٥) فركب أبوه فرساً كبيرة وركب

(١) في فرحة الأديب : « من آل كرز » بالراء قبل الزاي . وفي ط :
 « ومحسور » ، صوابه في ش وفرحة الأديب .

(٢) في الفرحة : « والسبق ثلاثون ، معها مثلها . ليس فيها حذاء
 ولا جداء ولا أباء ولا حنفاء ولا ذات عوار »

(٣) هذا ما في الفرحة بخط البقداي . وفي ط : « السجسج » ،
 وفي ش : « السجيج » .

(٤) ط : « بها بثوبه » ، وأثبت ما في ش .

(٥) في النسختين : « مغويا » ، صوابه في الفرحة . والتفويث :
 الاستفانة .

عمة بنتها فرساً صعبة ، فلما لحق بالتموم قال عمرو بن مالك : أعلمونا من أنتم ؟
قالوا : قريش . قالوا : وأيهم ؟ قالوا : بنو العرقة . قالوا : فهل كان متحدثاً^(١) ؟
قالوا : لا ، إلا يوم البرق . فقال لهم : احبسوا العنب ، احبسوا العنب ،
احبسوا اللقحة : لقحة من لا يندر^(٢) ! فقال لهم عمرو : لا والله لا نرضع منها
قادمًا ولا آخرًا ! قال : إنا لا نرضع الإبل ولكن نخلبها . وحمل عليه فقتله ،
وحمل أسيد بن مالك على أسيد بن العرقة فقتله ، فقال في ذلك :

إني كذاك أضرب السمي ولم يكن يشق بي السمي

فذلك يوم العنب . وقال خدش بن زهير في ذلك :

١٠٨ نكب الكُما لأذقانها إذا كان يوم طويل الذنب
كذاك الزمان وتصريفه وتلك فوارس يوم العنب

ثم وقع بينهم بعد ذلك التفاور والقتال ، فقال في ذلك خدش بن زهير
التصيدة التي منها :

ألا طعان ألا فرسان عادية (البيت)

وخدش بن زهير شاعر جاهلي ، وقيل مخضرم كما يأتي في الشاهد الرابع
والعشرين بعد الخمسين .

(١) في المرحلة . « منا من حدث » .

(٢) جعلها الشنفيطي في نسخته : « يعذر » .

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائتين ^(١) :

٢٦٥ (أَلَا سَبِيلَ إِلَى نَخْرِ فَأَشْرِبَهَا

أُمُّ لَا سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ)

على أَنَّ (أَلَا) فيه للتمنى . ولهذا سُمِّيَتْ قائله هذا البيت للتمنية ،
وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ قِيلَ : « أَصَبْتُ مِنَ الْمَتْنَةِ » ، وَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ أَيْضًا قِيلَ
« أَدْنَفُ مِنَ الْمَتْنَى » كما يجيء شرحه .

قال ابن برّي (في شرح أبيات الإيضاح ، للفارسي) : قبله :

(يَالَيْتَ شِعْرِي عَنْ نَفْسِي أَزَاهِقَهُ مَيِّئٌ وَلَمْ أَقْضِ مَا فِيهَا مِنَ الْحَاجِ)

وأنشده الفارسي على أن خبر ليت محذوف . قال ابن برّي : والبيت
لفريمة بنت همام ، وتعرف بالذلفاء وهي أمُّ الحجاج . انتهى .

وقال حمزة الأصباهاني (في الدرّة الفاخرة) : وأما قولهم أَصَبْتُ مِنَ الْمَتْنَةِ
فإنَّ هَذَا الْمَثَلَ مِنْ أَمْثَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ سَارٍ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ . وَالْمَتْنَةُ : امْرَأَةٌ
مَدَنِيَّةٌ عَشِيقَتْ قَيَّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ نَصْرُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ عَلَاطٍ ، وَكَانَ
أَحْسَنَ أَهْلِ زَمَانِهِ صُورَةً ، فَضَنِّيَتْ مِنْ أَجْلِهِ وَدَنِفَتْ مِنَ الْوَجْدِ بِهِ ، ثُمَّ لُجِبَتْ
بَذِكْرِهِ حَتَّى صَارَ ذِكْرُهُ هَجِيرًا هَا ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَعْنَمَ (فِي الْفَتْوح) : كَانَ
السَّبَبُ فِي ذَلِكَ : أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا الذَّلْفَاءُ هَوِيَتْ نَصْرُ بْنُ
الْحَجَّاجِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ وَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، فزَجَرَهَا وَلَمْ يَوَاقِفَهَا ، فَبَيْنَا عَمَرُ

(١) انظر أيضا ابن يعيش ٧ : ٢٧ وطبقات الشافعية ١ : ٢٨ .

ذات ليلة يَسُّ^(١) في بعض سكك المدينة إذ سمع نشيدَ شرٍّ من دار ، فوقف
يسمع فإذا الذلفاء تقول^(٢) :

ألا سبيلَ إلى خمر فأشربها (البيت)

فلما سمع عمر الشعر أمرَ بالذلفاء فأخرجت من منزلها فحبسها ، فملأت
الذلفاء أنه قد سمعها وهي تُنشد الشعر ، فكأنها أنفت على نفسها أن يعاقبها ،
فككتبت إليه :

قل للإمام الذي تُخشي بوادره (الأبيات الآتية)

فلما نظر عمر في الأبيات أطلقها من الحبس ، وأرسل إلى نصر فخلقُ جُنته
ونفاه إلى البصرة .

قال حمزة الأصهباني : قال النسابون : هذه للتمنية هي الفريعة بنت همام ،
أم الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكانت حين عشقت نصراً فمحت المغيرة بن
شعبة ، واحتجوا في ذلك بحديث رُوِّه ، وهو أن الحجاج حضر مجلس
عبد الملك يوماً ، وعروة بن الزبير يحدثه ويقول : قال أبو بكر كذا ، وسمعت
أبا بكر يقول كذا — يعني أخاه عبد الله بن الزبير — فقال له الحجاج :
عند أمير المؤمنين تُكفي أخاك للناقي ، لا أم لك ! فقال له عروة : يا ابن
التمنية ، ألي تقول لا أم لك ، وأنا ابن إحدى عجائز الجنة : صفية ، وخديجة
وأسماء ، وعائشة !

(١) بدلها في ش : « مطل » .

(٢) اليمنى : « الخبر في المصارع ٤٠٥ ومحاسن الجاحظ ٢٢٠

والبلوى ٢ : ٥١٣ » .

(٦) خزنة الأدب

كذا قال ابن الأثير (في المصنع) : ابن المتنبية هو الحجاج بن يوسف النخعي ، من قول أمه :

الأسبيل إلى خير فاشربها البيت

وقد ذكر خبرها مع نصرة جماعة منهم الجاحظ (في كتاب المحاسن والمساوي ^(١)) ، وأبو القاسم الزجاجي (في أماليه الوسطى) ، وأبو الحسن علي ابن محمد المدائني (في كتاب المغرّبين) ، وحمزة الأصباهاني (في أمثاله) ، والسهيلي (في الروض الأنف) ، وإسماعيل بن هبة الله الموصلي (في كتاب غاية السائل ^(٢)) ، إلى معرفة الأوائل (وقد جمعت بين ما اتفقوا عليه وبين ما انفردوا به . قالوا :

أول من عسّ بالليل في الإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فيينا يصسُّ ليلة سمع امرأة تقول :

ألا سبيل إلى خير فاشربها أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأخلاق ذي كرم سهل المحيّا كريم غير فجفاج ^(٣)

كذا رواها الجاحظ . وروى المدائني البيت الثاني مع بيتين آخرين لرجل من ولد الحجاج بن علاط وهما :

تسميه أعراق صدق حين تنسبه ذى تجددات عن المكروب فراج

(١) هو المعروف بكتاب « المحاسن والأضداد » . وهو غير المحاسن والمساوي للبيهقي .

(٢) في ش : « الوسائل » . ولم يذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) طبقات الشافعية : « غير ملجاج » . وقد روى هذين البيتين وما

بعدهما منسويين إلى تلك المرأة .

سامي النواظر من بهز له كرمٌ تضيء سنّته في الخالك الداجي^(١)

وروى صاحب الأوائل البيت الأول :

إلى فتى ماجد الأعراق مُقتبل تضيء صورته في الخالك الداجي
نعم الفتى في سواد الليل نصرته ليانسي أو للمهوف ومُحتاج
وزاد المدانني :

يا مُنيّة لم أربّ فيها بضائرٍ والناس من صادق فيها ومن داجي^(٢)
ثم قال : وقال قوم : هذا الشعر مصنوع إلا البيت الأول .

فقال عمر : من هذه التمنيّة ؟ فلزمها هذا الاعمى ، واسنبلته نساء المدينة
فضرين به المثل^(٣) وقلن : « أَصَبُّ مِنَ التَّمَنِيَّةِ » .

وقال الزجاجي : لما أنشدت :

ألا سبيل إلى خمر فأشربها البيت

قالت لها امرأة معها : من نصر بن حجاج ؟ قالت : رجلٌ وددتُ ته معي
في ليلة من ليالي الخريف في أطول ليلة من ليالي الشتاء وليس معنا أحد !
فدعا بها عمر فضربها بالدرة ضرباتٍ ، ثم سأل عنها فلم يُخبر عنها إلا بخير ؛

(١) بهز : حمى من بنى سليم بن منصور بن عكرمة ، منهم الحجاج بن
خلاد الصحابي . جمهرة ابن حزم ٢٦٢ .

(٢) في النسختين : « من راج » ، صوابه باندال . كما في الطبقات .
والداجي . من المداجاة . وهي المداراة والمساورة .

(٣) ش : « بها المثل » .

فلما كان من الندى أرسل إلى نصر بن حجاج فأخضره ، وله شعرة^(١) فقال :
 إِنَّهُ لَيُتَمَثَّلُ بِكَ وَيُتَى بِكَ ! وأمر بشعرته فخلقت ، ثم راح إليه بالمشي
 فراه في الحلاق أحسن منه في الشعر ، فقال : لا تُسا كُنِّي في بلدة ، فاختر أي
 البلدان شئت ! فكتب المرأة إلى عمر :

قل للإمام الذي نخشى بواذرهُ . إلى وللخمر أو نصر بن حجاج
 إني عنيت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف قاصر ساجي^(٢)
 لا تجمل الظن حقاً أو تيقنه إن السبيل سبيل الخائف الراجي
 إن الهوى زعمه التقوى فحسبه حتى أقر بالجام وإسراج
 فبعث إليها عمر : لم ييلفنا عنك إلا خير !

وقال حمزة : فلما أصبح عمر أخضر المتنى فلما رآه بهره جماله فقال له :
 أنت تتمتلك الغانيات في خدورهن^(٣) ، لا أم لك ، أما والله لأزيلن عنك
 الجمال ! ثم دعا بحجام فخلق جفته ، ثم تأمله فقال : أنت مخلوقاً أحسن ! فقال :
 وأى ذنب لي في ذلك ؟ فقال : صدقت ، الذنب لي إذا تركتك في دار
 الهجرة^(٤) . ثم أركبه جلاً وسيره إلى البصرة وكتب به إلى مجاشع بن مسعود
 السلمي : يأتي قد سيرت المتنى نصر بن حجاج السلمي إلى البصرة .
 وكما قالوا بالمدينة : أصب من التمنية قالوا بالبصرة : « أدنف من المتنى »

(١) في اللسان : « والشعرة : الواحدة من الشعر . وقد يكنى
 بالشعرة عن الجمع كما يكنى بالشيبة عن الجنس » .

(٢) في النسختين : « بعدهما » . وأثبت ما في الطبقات .

(٣) في أمثال الميدان ١ : ٣٧٩ : « أنت الذي تتمتلك الغانيات

في خدورهن » .

(٤) كذا . وفي فمالم الميداني : « ان تركتك في دار الهجرة » .

وذلك أن نصر بن حجاج لما ورد البصرة أخذ الناس يسألون عنه ويقولون :
أين المتعنى الذى ستره عمر ؟ فغلب هذا الاسم عليه بالبصرة ، كما غلب ذلك
الاسم على عاشقته بالمدينة .

ومن حديث هذا المثل الثانى : أن نصرأ لما نزل البصرة أنزله مجاشع
ابن مسعود منزله ، من أجل قرابته ، وأخذه امرأته سُحَيْلَةَ^(١) — وكانت أجل
امرأة بالبصرة — فَعَلِقَتْهُ وَعَلِقَهَا ، وخفى على كل واحد منهما خبر الآخر ،
للازمة مجاشع لضيفه ، وكان مجاشع أمياً ونصرٌ وشحيلةٌ كاتبين ، فَعِيلَ صبرُ
نصر فكتب على الأرض بحضرة مجاشع : إني أحببتك حباً لو كان فوقك
لأظلك ، أو تحتك لأقلك . فوقعت تحته غير محتشمة : وأنا كذلك . فقال
مجاشع لها : ما الذى كتبت ؟ فقالت : كتب كم تحب ناقتكم . فقال :
وما الذى كتبت ؟ قالت : كتبت وأنا . فقال مجاشع : ما هذا لهذا يطبق !
فقالت : أصدقك ، إنه كتب كم تُفِلُّ أرضكم ؟ فقال مجاشع ما بين كلامه
وجوابك هذا أيضاً قرابة ! ثم كفأ على الكتابة جَفَنَةً ودعا بفلام
من الكتاب فقرأه عليه ، فالتفت إلى نصر فقال : يا ابن عم ما سترك عمر
إلى خير^(٢) ، قم فإن وراءك أوسع لك . فنبض مستعجلاً وعدل إلى منزل
بعض السلمييين^(٣) ، ووقع لجنبه وضى من حب سُحَيْلَةَ ودفع حتى صار
رحمة^(٤) ، وانتشر خبره ف ضرب نساء البصرة به المثل فقلن : « أدنف من

(١) وكذا عند الميدانى . وفى الطبقات أنها كانت تسمى الخضراء .

(٢) فى الميدانى : « من خير » .

(٣) فى النسختين : « المسلمين » ، صوابه من الميدانى .

(٤) الميدانى : « حمة » . والحممة : واحدة الحمم ، وهو الفحم

المتنبي . ثم إن مجاشعاً وقف على خبر علة نصر فدخل عليه عائداً ، فلحقته رقة لما رأى به من الدنف فرجع إلى بيته وقال لشيملة : عزمت عليك لما أخذت خبزاً فلبكته بسمن ثم بادرت به إلى نصر . فبادرت به إليه فلم يكن به نهوض ، فضمته إلى صدرها وجعلت تلقمه بيدها فمادت قواه وبرأ كأن لم تكن به قلبية^(١) ، فقال بعض عواده : قاتل الله الأعشى^(٢) حيث قال :

لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم يُنقل إلى قابر

فلما فارقه عاوده النكس ، ولم يزل يتردد في علته حتى مات منها . كذا قال حمزة وصاحب الأوائيل .

وقال المدائني : إن عمر لما أخرج نصرًا من المدينة إلى البصرة قال نصر : يا أمير المؤمنين أعلمهم أنك إنما أخرجتني لهذا الشعر لا لغيره . وروى عن قتادة أن نصرًا لما أتى البصرة دخل مجاشع بن مسعود عائداً له ، وعنده شيملة بنت جنادة بن أبي أذهر^(٣) فخرى بينهما كلام ولم يفهم منه مجاشع إلا كلمة واحدة من نصر : قال : وأنا . فلما خرج نصر قال لها : ما قال لك ؟ قالت : قال لي : كم لبث ناقتكم هذه فأخبرته ، قال : ما هذا جواب كلامه ! وأرسل إلى نصر فسأله وأعظم عليه ، فقال : قالت لي إنني أحبك حباً شديداً لو كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلك ، فقلت : وأنا . قال : فأنزل لك عنها ؟ قال : أذكرك الله أن يبلغ هذا عمر مع ما فعل بي ! وأما حديث العامة فيقولون : كتبت له في الأرض هذا الكلام ، فقال : وأنا ، فسمعها مجاشع

(١) يقال ما بالليل قلبية ، أي ما به شيء . لا يستعمل إلا في النفي .

اللسان (قلب) .

(٢) بعده في الميداني : « فكانه شهد منهما النجوى حيث قال » .

(٣) ط : « أبي أذهر » .

فلما خرج أكبَّ قَعْبًا على الكتاب ودعا من قرأه له^(١) . انتهى .

وأما الزَّجَّاج فإنه قال بعد ما قرأ خطبهما : ثم التفت إليه فقال : ١١١
يا ابن أخي ، إن يكن الطلاق ثلاثاً فهي طالق ألقأ ! فقال : وهي طالقُ إن
جمعني وإياها بيتٌ أبداً ! ثم ارتحل إلى فارس . وقال في امرأة مجاشع : كانت
امرأته يقال لها خضراء بنى سليم ، وكانت من أجمل النساء ، وهي أول من لبس
الشُّفوف .

وحكى الشَّهيلي (في الروض الأنف) هذه الحكاية على خلاف ما تقدّم
قال : الحجاج بن علاط وهو والد نصر الذي حلق عمرُ رأسه وفناه من المدينة ،
فأتى الشام فنزل على أبي الأعور السلمي ، فهو بَيْتُهُ امرأته وهو بها ، وفطن
أبو الأعور لذلك بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قُبَّة في أقصى الحى فكان
بها ، فاشتدَّ ضناه بالمرأة حتى مات كلفاً بها ، ومضى المضنى ، وضربت به الأمثال .
وذكر الأصبهاني (في كتاب الأمثال له) خبره بطوله . انتهى .

قال المدائني وصاحب الأوائل : وبعد أن أقام نصر بالبصرة حولا كتب
إلى عمر رضى الله عنه :

لعمري لئن سَيرتني أو حرمتني	وما نلتُ ذنباً إن ذا لحرامُ
ومالِي ذنبٌ غير ظنٍّ طَنَنْتُهُ	وفي بعض تصديق الظنون أثمُ
أَنْ غَنَتِ الحوراء ليلاً بِمُخِيَةٍ	وبعضُ أمانِي النساءُ غرامُ
ظَنَنْتُ بِي الظنَّ الذي ليس بعده	بقاؤه ومالِي في النَّدَى كلامُ
وأصبحتُ منفياً على غير رغبة	وقد كان لي بالمسكين مقامُ
ويعنني مما تظنُّ تكريمي	وأباهُ صدقي سالفون كرامُ

(١) ش : « على الكتابة ودعا من قراها له » .

وهاتان الروايتان لا يناسبان تسمية المرأة بالتمنيّة ، وتسميه نصر
بالتمنيّ^(١) . وروى الزجّاجي المصراع هكذا :

(أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج)

ورواه أبو علي الفارسي (في إيضاح الشعر) عن أبي عبيدة :

(أؤلا سبيل إلى نصر بن حجاج)

على أنّ أو بمعنى الواو . قال : تختهما جميعاً ، وجعله مثل أو في قوله^(٢) :

وكان سيّانٍ ألا يُسرحوا غنماً أو يُسرحوه بها واغترت السُّوح^(٣)

وأشربها منصوب بأن مضرة بعد الفاء في جواب التمني .

* * *

وأنشد بعده :

ألا رجلاً جزاه الله خيراً يدلُّ على محصّة تيّتُ

على أن يونس قال : أصه ألا رجل ، فنون للضرورة ، وألا عنده فيه
للتمني . وعند الخليل ليست للتمني وإنم هي للتحضيض ، ورجلا منصوبٌ
بفعل محذوف تقديره : ألا تُروني رجلاً ، بضم تاء تُروني .

وقد تقدم شرح هذا البيت مفصّلاً في الشاهد الثالث والستين بعد

(١) هذا عجب من البغدادى . فان التمني واضح في الشعر بأسلوب

الاستفهام

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين ١ : ١٠٧ . وسيأتي

الشاهد في ٢ . ٣٤٢ وهو الشاهد ٣٥٥ .

(٣) غنما : جعلها الشنقيطي في نسخته : « نعم » .

المائة^(١) . وفي هذا البيت تضمين^(٢) لأن خبر تبّيت في بيت بعده وهو :
 تُرْجُلُ نَتِي وَنُقْمٌ بَيْتِي وَأَعْطِهَا الْإِتَاوَةَ إِنْ رَضِيتُ

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد المائتين ، وهو من
 شواهد س^(٣) :

٢٦٦ (وَيُلْمَهَا فِي هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبُ)

على أن قوله مطلوبُ ، عطف بيان لاسم لا المضاف : فإن الكاف اسمُ
 مضاف لاسم الإشارة في محل نصب بلا على أنه اسمها ؛ وقد تبعه البيان بالرفع
 باعتبار أن لامع اسمها في محل رفع على الابتداء والخبر محذوف أى موجود
 ونحوه . ويجوز أن يكون مطلوب صفة اسم لا ، ولا يضر إضافة الكاف إلى
 اسم الإشارة ، فإنها بمعنى مثل ، وهي لا تتعرّف بالإضافة إلى المعرفة . هذا
 محصل ما قاله الشارح المحقق .

وفيه أنهم قالوا : إن البيان يكون في الجوامد ، والصفة تكون في
 المشتقات ، فكيف لا يكون فرق بين البيان والوصف .

وقد أورد سيبويه هذا البيت من باب الوصف لا غير . قال الأعم :
 الشاهد فيه رفع مطلوب محلا على موضع الكاف ، لأنها في تأويل مثل

(١) الخزانة ٣ : ٥١ .

(٢) وخرجه بعضهم على أن « تبّيت » مضارع أبات ، أى تجعل لى
 بيتا أى زوجة . وعلى هذا التأويل ينتفى التضمين ، وهو توقف البيت على
 بيت آخر .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٥٣ / ٢ : ١٧٢ . وانظر العمدة ١ : ٦٠ وديوان
 امرئ القيس ٢٢٧ .

وموضعها موضع رفع ، وهو بمنزلة لا كزيد رجل . ولو نُصب حملاً على اللفظ
أو على التمييز لجاز . انتهى

وقتل ابن السراج في الأصول عن سيبويه أن اسم لا في مثل هذا محذوف
والكاف حرف ، وهذا كلامه : وتقول لا كزيد رجل ، لأن الآخر هو الأول
ولأن زيدا رجل ، وصار لا كزيد كأنك قلت : لأحد كزيد ثم قلت رجل ،
كما تقول لا مال له قليل ولا كثير على الموضع . وقال امرؤ القيس :

ويتمها في هواء الجو طالبة البيت

كأنه قال : ولا شيء كذا ، ورفع على الموضع ، وإن شئت نصبت على
التفسير كأنه قال : لا أحد كزيد رجلا . قال سيبويه : ونظير لا كزيد
في حذفهم الاسم قولهم : لا عليك ، وإنما يريدون لا بأس عليك ولا شيء
عليك ، ولكنه حذف لكثرة استعمالهم إياه . انتهى

واعلم أنه يجوز أن يكون مطلوب مبتدأ مؤخرًا واسم لا بمعنى ليس والظرف
قبله الخبر . قال النحاس : في شرح أبيات الكتاب ناقلًا عن أبي الحسن
الأخفش : هذا هو الجيد .

وقوله : (ويلها) . الخ ، هذا في صورة الدعاء على الشيء ، والمراد به
النعجب ، والضمير للمؤنث مفسر بالتمييز ، أعني طالبة المراد بها العقاب ، وهو
تمييز عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، وقد أوضحها الشارح المحقق في باب التمييز . ١١٣
ومعنى الكلام : ما أشد طيران هذه العقاب في هواء الجو . وويل إذا أضيفت
فالوجه النصب ، كقولك ويل زيد ، لكنها هنا مضمومة اللام أو مكسورة
والأصل ويل لأمها . قد تقدم شرح جميع هذا مفصلاً في الشاهد الثامن والتاسع

بعد المائتين^(١) .

وهذه رواية النحاة ، وأما الثابت في ديوان امرئ القيس فهو :
 لا كالتى فى هواء الجو طالبة (البيت)
 و (الهواء) : الشيء الخالى ، و (الجو) : ما بين السماء والأرض ، فهو من
 قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها . وأراد بالمطلوب الذئب ، فإنه وصف عقاباً
 تبعته ذئباً لتصيدِهِ ، فتعجب منها فى شدة طلبها ، وتعجب من الذئب أيضاً
 فى سرعته وشدة هربه منها .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لامرئ القيس وهى (٢) :

أبيات الشاهد (الخيرُ ما طلمتُ شمسٌ وما غرَبْتُ ، مُطَلَّبٌ بنواصى انخيل معصوبُ
 قد أشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملنى جرّاءَ معروقةٍ اللَّحْيِ سُرْحُوبِ^(٣)
 كأنها ، حينَ فاضَ الماءُ واختلفتُ ، صقعا لاحت لها بالسُّرْحَةِ الذئب
 فأبصرتُ شخصه من دونِ مَرَقَبَةٍ ودونَ موقعها منه شناخيب
 فأقبلتُ نحوه فى الريحِ كاسرةٍ يحثُّها من هواءِ الجوِّ تصويب
 صَبَّتْ عليه ولم تنصبْ من أمٍّ إنَّ الشَّقَاءَ على الأشْقَيْنِ مصبوب
 كالذَّلْوِ بُنْتُ عُرَاها وهى مُثَقَلَةٌ إذْ خاتَمَها وَدَمٌ منها وتكريب
 لا كالتى فى هواءِ الجوِّ طالبةٌ ولا كهذا الذى فى الأرضِ مطلوب

(١) صوابه الحادى عشر والثانى عشر بعد المائتين . اخزانة ٣ :

٢٧٣ - ٢٨٤

(٢) نسبه الأعلام فى شرح شواهد الجزء الثانى من الكتاب الى النعمان
 ابن بشير ، بعد ما نسبه فى الجزء الأول منه الى امرئ القيس . وفى ديوان
 امرئ القيس ٢٢٥ أن القصيدة يقال انها لابراهيم بن بشير الأنصارى .
 (٣) هذا البيت من شواهد العروض . وصحح ابن يسعون أنه
 لعمران بن ابراهيم الأنصارى . السيوطى ١٦٩ . وفى الارشاد الشافى
 للمنهجورى أنه عمر بن ابراهيم الأنصارى .

كالبرق والريح مرَّ منهما عَجَبٌ مافي اجتهدا عن الإسراع تغيب
فأدر كنهه فنالتة مخالبها فانسلَّ من تحتها والدَّفُّ مثقوبٌ

وقوله : الخير ما طلعت الخ ، الخير مبتدأ ومُطْلَب خبره ، ووزنه مفتعل من الطلب فأبدل وأدغم : وما مضدرية ظرفية . ومعصوب خبر بعد خبر بمعنى مشدود ، والباء متعلقة بما قبلها أو بما بعدها ويضم لأحدهما ، فهو من التجاذب كقوله تعالى : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَقْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(١) . وهذا يشبه الحديث وهو : « الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

وقوله : قد أشهد الفارة الخ ، قد هنا للتكثير ، وأشهد : أحضر . والشَّعْوَاء ، بالعين المهملة : المنفرقة الفاشية . والجرءاء : الفرس القصيرة الشعر . ومعروقة اللحيين ، أى قليلة لحم اللحيين بفتح اللام ، وهما العظان اللذان ينبئت عليهما الأسنان . والسر حوب ، بضم المهملتين : الطويلة الظهر السريعة . وهذان الوصفان مدحٌ في الخيل .

وقوله : كأنها حين فاض ، الضمير للفرس ، أى كأنها حين عرقت فأمتلأت عرقها . واختلفت ، أى استقت ماء ، يريد كأنها استقت ماء من شدة عرقها ، أو معناه ترددت هنا وهنا ؛ فإنَّ الاختلاف يأتى بمعنى التردّد . وصقعاء خبر كأنها ، وهى العقاب بيضاء الرأس ، قال فى الصحاح : والأصقع من الخيل والطير وغيرهما : الذى فى وسط رأسه بياض ، يقال عَقَابٌ صقعاء ، والاسم الصَّقعة انتهى . ولاح : ظهر . والسَّرحة : شجرة . وقيل موضع ، يقول : كانت ١١٤ العقاب واقفة تبصر صيداً ، فلاح لها الذئب .

وقوله : فأبصرت شخصه الخ ، المَرْقبة بالفتح : الموضع العالى الذى

يُرَقَّب فيه العدوّ . وموقع^(١) العقاب الموضع الذى هى واقعة عليه . والشَّخَايِبُ : رهوس الجبال . أى بين موقعها من الذئب وبينه رهوسُ جبالٍ عالية .
وقوله : فأقبلت نحوه الخ ، أى نحو الذئب . وكسر الطائرُ : إذا صفَّ جناحيه . والتصويب : الانصباب .

وقوله : صَبَّت عليه الخ ، الأَمَمُ ، بفتحين : القُرب ، يقال أخذتُ ذلك من أَمَمٍ . والأَشَقَيْنِ : جمع أشقى . وهذا المصراع من إرسال للنمل .

وقوله : كالِدلو بُنَّت عراها الخ ، شبه هُوِيَّ العقاب بسرعة هُوِيَّ الدلو المملأى إذا انقطع حبلها . وَبُنَّتْ : قُطِعَتْ ، من البت . والعُرا : جمع عُروة . والودَمَ ، بفتح الواو والذال المعجمة : السيور التى بين آذان الدلو وأطراف العِراقِ ، وهى العبدان المصلَّبة تشد من أسفل الدلو إلى قدر ذراع أو ذراعين من حبل الدلو مما يلي الدلو ؛ فإن انقطع حبلها تعلقت بالودَم . والتكريب : شدَّ الكَرْب ، بفتحين ، وهو الحبل الذى يشدّ فى وسط العِراقِ ، ثم يُنْفَى ثم بثَلث ليكون هو الذى يلى للماء فلا يَعْقَن الحبل الكبير .

وقوله : (لا كالتى فى هواءِ الجوِّ طالبة الخ) قال ابن رشيق (فى العمدة) : هذا البيت عند دعبيل أشعريّ بيت قاله العرب ، وبه قدّمه على الشعراء .

وقوله : كالبرق والريح الخ ، يقول : إنَّ العقاب والذئب مرَّهما وسرعتهما كالبرق والريح . والتغيب : الفتور والتقصير ، يقال غبَّ فلان فى الحاجة ، إذا لم يبالغ فيها ، وهو من الغَبِّ بالغين المعجمة بعدها موحدة .

وقوله : فأدر كته فنالته الخ ، انسلَّ أى انفلت ، والدَّفّ ، بفتح الدال

(١) ط : « وموضع » ، صوابه فى ش .

وتشديد الفاء : الجنب ، يعنى أفلت الذئبُ من العقاب ونجا ، لكن
ثُبتت جنبه .

وترجمة امرئ القيس قد تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين^(١) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد المائتين ، وهو من
شواهدس^(٢) :

٢٦٧ (لا كالعشية زائراً ومزوراً)

على أن (زائراً) قيل منصوب على تقدير فعل ، أى لا أرى كهشبة اليوم
زائراً . وإنما لم يجعل الكاف اسماً لئلا مضافاً إلى العشية ويكون زائراً عطفاً
بيان للكاف تبعه على اللفظ أو صفة على طرز البيت الذى قبله ، لأن الزائر
غير العشية ، فلما كان الثانى غير الأول لعدم صحة الحل جعلت لا نافية للفعل
للمقدر دون كونها نافية للجنس .

وصاحب هذا القيل هو سيبويه ، وهذا نصه : وأما قول جرير :

* لا كالعشية زائراً ومزوراً *

فلا يكون إلا نصباً ، من قبيل^(٣) أن العشية ليست بالزائر ، وإنما أراد
لا أرى كالعشية زائراً ، كما تقول ما رأيت كاليوم رجلاً ، فكاليوم مثل قولك
فى اليوم لأن الكاف ليست باسم . وفيه معنى التعجب كما قال تالله رجلاً ،

(١) الحزانة ١ : ٣٣٠ .

(٢) سيبويه ١ : ٣٥٣ . وانظر مجالس ثعلب ٣٢١ وابن يعيش

٢ : ١٤٤ وديوان جرير ٢٩٠ .

(٣) فى النسختين : « من قبيل » ، صوابه من سيبويه .

وسبحان الله رجلاً ، إنما أراد تالله ما رأيت رجلاً وسبحان الله ما رأيت رجلاً ؛
ولكنه يترك إظهار الفعل استثناءً ، لأنَّ المخاطب يعلم أن هذا الموضع
إنما يضر فيه هذا الفعل لكثرة استعمالهم إياه . انتهى

قال الأعلم : أصله لا أرى زائراً ومزوراً كزائر العشية ومزورها ، فحذف
اختصاراً للعلم ، كما قالوا : ما رأيت كاليوم رجلاً أى كرجل أراه اليوم .
ولا تَجِزْنَ^(١) في هذا رفع انزائر ، لأنه غير العشية ، وليس بمنزلة لا كزيد
برجل ، لأنَّ زياداً من الرجال . انتهى

وقد نقل أبو العباس ثعلب (في أماليه) قاعدةً لحذف الفعل مع الظرف
الزمانى ، قال : حكى الكسائي نزولنا المنزل الذى البارحة ، والمنزل الذى
آفنا ، والمنزل الذى أمس . فيقولون فى كلِّ وقت شاهدوه من قرب ،
ويحذفون الفعل وحده كأنهم يقولون : نزولنا المنزل الذى نزولنا أمس ، والذى
نزلناه اليوم ؛ اكتبوا بالوقت من الفعل ، إذ^(٢) كان الوقت يدلُّ على الفعل
وهو قريب . ولا يقولون الذى يوم الخميس ، ولا الذى يوم الجمعة . وكذا
يقولون : لا كاليوم رجلاً ، ولا كالعشية رجلاً ، ولا كالساعة رجلاً ،
فيحذفون مع الأوقات التى هم فيها . وأباه الفراء مع العلم . وهو جائز وأنشد :
* لا كالعشية زائراً ومزوراً^(٣) *

وكلِّ ما كان فيه الوقت فجائز أن يكون يحذف الفعل معه ، لأنَّ الوقت
القريب يدلُّ على فعلٍ لقربه . انتهى

(١) الذى فى الأعلم : « ولا يحسن » .

(٢) فى النسختين : « اذا » صوابه من مجالس ثعلب .

(٣) بعده فى المجالس : « لأننى أقول لقيتك العام ولا أقول لقيتك

السنة » .

وقد قدّر أبو عليّ الفارسيّ (في المسائل المنشورة) فمليّن ، قال : نصب زائراً لأنّ الفعل مقدّر ، فكان تقديره : لا أرى زائراً ومزوراً له كرجل أراه العشية . فنصبه على الفعل وحذف ذلك لما في الكلام من الدلالة عليه . ويجوز الرفع هنا ، وهو قبيح لأنّ الزائر ليس هو العشية ، ويجوز رفعه كأنّك أردت كصاحب العشية ، فحذفت صاحباً وجعلت العشية إذا رفعتها دلالة على ما حذف .

هذا وقد اعترض عليهم الشارح المحقق في إخراجهم لا هذه عن الباب مع قولهم إنّ الأصل كزائر العشية بتقدير المضاف ، قال : مع تقديرهم هذا صار الآخر هو [الأصل ^(١)] الأوّل ، كما في قولك : لا كالعشية عشية ، [وعشية ^(٢)] ، فيجوز أن يكون زائراً تابعاً على اللفظ . وهذا حق لا ينبغي العدول عنه . وألّف العشية للعهد الحضورى ، كقوله تعالى : **يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ^(٣) .

و (العشية) قال ابن الأنباريّ : مؤنثة ، وربما ذكرتها العرب على معنى العشيّ . وقال بعضهم : العشية واحدة جمعها ^(٤) عشيّ ، والعشيّ قيل : ما بين الزوال إلى الغروب ، ومنه يقال للظهر والعصر صلاتا العشيّ ؛ وقيل هو آخر النهار ^(٥) ؛ وقيل من الزوال إلى الصباح ؛ وقيل العشيّ والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة . كذا في المنصباح . وأراد بالزائر نفسه ، وبالزور من جهواه .

(١) التكملة من شرح الرضى ١ : ٢٤٣ .

(٢) التكملة من شرح الرضى .

(٣) الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) ط : « جمعها » ، صوابه فى ش .

(٥) ط : « الليل » ، صوابه فى ش .

وهذا المصراع عجز وصدره :

(يا صاحبي دنا الصباحُ فيسيرا^(١))

صاحب الشاهد والبيتُ من قصيدة لجرير بن الخطمي بهجوها الأخطل النصراني مطلعها :

(صَرَمَ الخَلِيطُ تَبَايُنَا وَبُكُورًا وَحِصْبَتَ بَيْنَهُمْ عَلَيْكَ يَسِيرًا)

وفها بيتان من شواهد الكشف (أحدهما) في سورة مريم وهو :

(إِنِّي إِذَا مَضَرُّ عَلَى تَحْدِيثٍ لَا قَيْتَ مَطْلَعُ الْجِبَالِ وَغُورًا^(٢))

على أن اطلع في قوله تعالى : ﴿ اَطْلَعِ الْغَيْبِ^(٣) ﴾ بمعنى ارتقى ، من قولم اطلع الجبل . واطلع الجبل مصدده ومرتقاه . ووعور : جمع وعر وهو المكان الخشن الصعب ، ونصبه إما على أنه مفعول لا قيت واطلع الجبال ظرف ، وإما حال من الجبال على أن المطلع مصدر ، أو حال من المطلع بتقدير تمدده لإضافته إلى متعدد . ورؤى (وُغُورًا) بفتح الواو : بمعنى أنه من الفخر بمكان لا يُنال . و (الثاني) في الملائكة وهو :

(مَشَقَّ الْمَوَاجِرُ فِي الْفِلاصِ مَعَ السَّرَى حَتَّى ذَهَبَ كَلَا كَلَا وَصُدُورًا) ١١٦

أورده عند قوله تعالى ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ^(٤) ﴾ .

والرواية المعروفة :

(١) اشترك معه الراعي في هذا الصدر فقال (الأغاني ٧ : ٤٢) :

يا صاحبي دنا الرواح فسييرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

(٢) تحدثت عليه : تعطفت وحننت حنوا عليه . ووقعت في طبعة

انسلفية « تحدثت » خطأ .

(٣) الآية ٧٨ من سورة مريم .

(٤) الآية ٨ من سورة فاطر .

مَشَقَّ الهَواجِرُ لِمَهْنِ مِنَ السُّرَى حَتَّى ذَهَبَ الْحِ

وكذا أنشده سيبويه ، قال الأعم : الشاهد في نصب كلا كلاً بقوله ذهبن نصبَ التميز ، لا نصبَ التشبيه بالظرف . وعبر [سيبويه^(١)] عما أراد من نصب هذا ونحوه على التميز ، بذكره الحال ، لما بين التميز والحال من للناسبة بوقوعها نكرتين بعد تمام الكلام ، وتبيينها للشيء المقصود من النوع ، تقول ذهب زيد ظهراً وصدراً ، وتغير وجهاً وجسماً ؛ تريد ذهب ظهره وصدرة ، وتغير وجهه وجسمه . فعبر سيبويه عن التميز بالحال . وعلى هذا يُجَرَى سائرُ الأبيات . انتهى

وللمشق : الترقيق والإهزال . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى نصف النهار وقت اشتداد الحر . والسرى : سير الليل . ومن فى الرواية الثانية بمعنى مع . والكلا كل : جمع كل كل كجمر ، وهو الصدر ، وعطف عليه الصدور للتفسير ، أو أنه أراد بالكل كل أعلى الصدر . وصف رواحل أنضاهها دُوب السير فى الهواجر والليل حتى ذهب لحوم صدرها . وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع فى أول الكتاب^(٢) .

* * *

وأُشْدَ بَعْدَهُ : (يَاتِمِ تِمِ عَدَى)

وهو قطعة من بيت هو :

يَاتِمِ تِمِ عَدَى لا أَبَالِكُمْ لا يُلَقِيَنَّكُمْ فى سَوْدَةٍ عُمُرٍ

(١) التكملة من الأعم ١ : ٨١ .

(٢) الحزانة ١ : ٧٥ .

وقد تقدّم شرحه مفصّلاً في الشاهد الثاني والثلاثين بعد المائة^(١)

* * *

وأُشيد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد للمائتين^(٢) :

٣٦٨ (وقد مات شُخَّاحٌ ومات مُزْرَدٌ وأىُّ كَرِيمٍ لا أباك مُخَلَّدٌ)

على أن إضافة أبا إلى الضمير بدون اللام شاذة لا يقاس عليها . قال ابن السراج (في الأصول) : والشاعر قد يُضطرُّ فيحذف اللام ويضيف ، قال الشاعر^(٣) :

أبالموتِ الذى لا بدَّ أنى ملأني لا أباك تخوِّفني
وقال الآخر :

وقد مات شُخَّاحٌ ومات مُزْرَدٌ وأىُّ كَرِيمٍ لا أباك مُخَلَّدٌ

وكذا أنشدما للبرد (في الكامل^(٤)) .

قال أبو على (في التذكرة) قال أبو عثمان : لم يجيء في باب النفي مثل لا أباك مضافاً بغير لام إلا هذا وحده . وأنشد البيهقي .

ولا يخفى أن هذا البيت من قصيدة عينية لمسكين الدارمي ، وليس فيها الضرورة . والمصراع هكذا :

(١) الخزانة ٢ : ٢٩٨ .

(٢) شذور الذهب ٤١٣ والهمع ٢ : ٩٥ وديوان حسان ١٥٠ من قصيدة مكسورة الروى مطلقها :

لقد لعن الرحمن جمعا يقودهم دعى بنى شجع لحرب محمد

(٣) هو أبو حية النميري ، كما سيأتي .

(٤) الكامل ٣١٣ ، ٥٦٣ برواية « يخلد » .

* وأى كريم لا أبا لك يُمنع *

وهى قصيدة أورد فيها شعراء كل منهم نصب قبره إلى بلده ومسقط رأسه وذكر حال الشعراء المتقدمين وأنهم ذهبوا ولم يبق منهم أحد ، يصغر أمر الدنيا ويحقره . وهذه أبيات منها :

ولست بأحيا من رجالٍ رأيتهم لكل امرئ يوما حَمامٌ ومصرعٌ
دعا ضابطاً داعي المنايا فجاءه ولما دعوا باسم ابن دارة أسمعوا^(١) ١١٧
وحصنٌ بصحراء الثوبة بينه ألا إنما الدنيا متاع يُمنع^(٢)
وأوسُ بن مَرءٍ القُرَيْبِيُّ قد ثوى له فوق أبيات الرياحي مَضْجَعُ^(٣)
ونابغة الجعدي بالرمل بينه عليه صفيحٌ من رُخامٍ مَوْضَعُ^(٤)
وما رجعت من حميري عصابة إلى ابن وثيل نفسه حين تُنزع
أرى ابن جميل بالجزيرة بينه وقد ترك الدنيا وما كان يجمع
بنجران أوصال النجاشي أصبحت تلوذ به طيرٌ عُكوفٌ ووُقِعَ
وقد مات شماغٌ ومات مزردٌ وأى عزيز لا أبا لك يُمنع
أولئك قومٌ قد مضوا لسبيلهم كما مات لقمانُ بن عادر وتبع

قوله : ونابغة الجعدي الخ ، هذا البيت من شواهد سيبويه ، وأراد بالرمل رمل بني جندة ، وهى رمال وراء الفلج من طريق البصرة إلى مكة . وابن

(١) فى النسختين : « ضانيا » وصححها الشنقيطى فى نسخته
« ضابطا » . وهو ضابطى بن الحارث البرجسى الذى هجم بقتل عثمان . وابن
عاره هو سالم بن دارة ، وقد سبقت ترجمته فى ٢ : ١٤٤ .

(٢) هو حصن بن حذيفة بن بدر .

(٣) الرياحى ، هو سحيم بن وثيل ، من شعراء الأصمعيات .

(٤) ط : « مرصع » ، صوابه فى ش وسيبويه ٢ : ٣٤ واللسان

وَّثِيلٌ هُوَ سُحَيْمٌ بْنُ وَثِيلَ بْنِ حَمِيرٍ . وَكُتِبَ بِنُ جُعِيلٍ دَفِنَ بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ
لَأَنَّهَا بِلَادُ بَنِي تَغْلِبَ ، وَدَفِنَ النَّجَاشِيَّ بِنَجْرَانَ لِأَنَّهُ مِنَ الْبَنِي بِلَادُ بَنِي الْحَارِثِ
ابْنِ كَعْبٍ .

وقوله : وقد مات شَمَّاخٌ ومات مَزْرَدٌ ، هما أخوان لأبٍ وأُمٍّ ، وصحابيان ،
وشاعران .

وقد تقدّمت ترجمة الشَّمَّاخِ فِي الشَّاهِدِ التَّسْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ (١) ،
واسمه مَعْقِلُ بْنُ ضَرَّارٍ ، والمَزْرَدُ اسمه يَزِيدُ بْنُ ضَرَّارٍ ، وإِنَّمَا سُمِّيَ مَزْرَدًا
بِقَوْلِهِ (٢) :

فَقُلْتُ تَزْرَدُهَا عُبَيْدٌ فَإِنِّي لَدُرْدٍ الْمَوَالِي فِي السَّنِينَ مَزْرَدُ (٣)
ولها أُخْرَى شَقِيقَتُهَا وَهِيَ جَزْءُ بْنُ ضَرَّارٍ ، بَفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الزَّايِ
بَعْدَهَا هَمْزَةٌ . وَمَاتَ الشَّمَّاخُ وَجَزْءٌ مُتَهَاجِرِينَ .

وسبب ذلك عَلَى مَارُودِي الْكَلْبِيِّ أَنَّ الشَّمَّاخَ كَانَ يَهُودِيَّ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ
يُقَالُ لَهَا كَلْبَةٌ بِنْتُ جَوَّالٍ ، وَكَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا وَيَقُولُ فِيهَا الشَّعْرَ ، فَخَطَبَهَا
فَأُجَابَتْ وَهَمَّتْ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ لَهُ فَتَزَوَّجَهَا أَخُوهُ جَزْءٌ ، فَأَلَى
الشَّمَّاخَ أَنْ لَا يَكْلِمَهُ أَبَدًا ، وَهَجَاهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

(١) كَذَا ، وَصَوَابُهُ الْحَادِي وَالتَّسْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ . الْحِزَانَةُ ٣ : ١٩٦ .

(٢) فِي نَوَادِرِ الْمَخْطُوطَاتِ ٢ : ٣٠٩ : « وَهُوَ يَزِيدٌ ، وَإِنَّمَا زُودَهُ قَوْلُ

الْحَادِرَةِ لَهُ » . وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ التَّالِيَّ .

(٣) فِي النُّسخَتَيْنِ : « لَزَرْدٌ » وَصَحَّحَهَا الشَّنْقِيطِيُّ بِمَا أَثْبَتَ .

انْظُرِ الْاِشْتِقَاقَ ١٧٤ وَالْمَوْتَلَفَ ١٩٠ وَشَرْحَ الْأَنْبَارِيِّ لِلْمُفَضَّلِيَّاتِ ١٢٧ .

وَفِي الشُّعْرَاءِ فِي ٢٧٤ : « لَدَرْدُ الشُّيُوخِ » . وَالْدَرْدُ : جَمْعُ أَدْرَدَ ، وَهُوَ
الَّذِي لَيْسَ فِي فَمِهِ سَنٌ .

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نظرةٍ سقيمٍ فؤادٍ حبٌ كَلْبَةٌ شاغلُهُ
فماتا متهاجرين .

وقوله : لا أبالك ، جملة اعتراضية بين أي عزيز وهو موصوف وبين
يُنَمَّع وهو صفة لأي . وكذلك يَخْلُدُ ويَخْلُدُ على تلك الرواية . قال المبرد
(في الكامل) : لا أبالك هي كلمة فيها جفاء وغلظة ، والعرب تستعملها
عند الحث على أخذ الحق والإفراء ، وربما استعملتها الجفأة من الأعراب^(١)
عند المسألة والطلب فيقول القائل للأمير والخليفة : انظر في أمر رعيتك
لا أبالك .

وسمع سليمان بن عبد الملك رجلاً من الأعراب في سنة مجدبة يقول :
ربَّ العبادِ مالنا وما لكا قد كنتَ تسقيننا فما بدا لكا
أنزل علينا الغيث لا أبالك
فأخرجه سليمان أحسنَ مخرج فقال : أشهد أنه لا أباله ولا ولد ولا صاحبة ،
وهو الأحد الصمد .

وقال رجلٌ من بني عامر بن صعصعة أبعدَ من هذه الكلمة لبعض قومه :
أبني عُقيل لا أبأ لأيسكم أبني وأبي بني كلاب أكرمُ اه ١١٨
وقال ابن هشام (في شرح بآنت سعاد) عند قوله :
فقلتُ خلوا سبيلي لا أبالكُم فكل ما قدر الرحمنُ مفعولُ :
اعلم أن قولهم : لا أباله ، كلامٌ يستعمل كناية عن المدح والذم ، ووجه

(١) ط : « استعملتها من الجفأة الأعراب » . وفي ش : « استعملتها

من الجفأة الأعراب » ، صوابه من الكامل .

الأول أن يراد نفي نظير المدوح بنى أبيه ، ووجه الثانى أن يراد أنه مجهول النسب . والمعنيان مُحْتَمَلَانِ هنا ؛ أمّا الثانى فواضح لأنّهم لما لم يُغْنُوا عنه شيئاً أمرهم بتخلية سبيله ذاماً لهم ؛ وأمّا الأول فعلى وجه الاستهزاء . انتهى .

وزاد عليه شارحها البغدادى قال : تقول العرب لا أباك ولا أب لك ، يستعمل فى التفعُّج والتعجب ، ويقال فى المدح والذم ؛ وربما قالوا لا أباك وهو نادر . وأمّا لا أم لك فلا يقال إلّا فى الذمّ وحده ، دلّ على ذلك استقراء كلام العرب

وقال ابن جني (فى الخصائص ^(١)) : إن قلت إنّ الألف فى لا أباك تؤذن بالإضافة والتعريف ، واللام تؤذن بالفصل والتنكير ، فقد جمعت على النية الواحد فى الوقت الواحد معنيين ضدّين ^(٢) قلت : الفرق واضح ؛ فإنّه كلام جرى مجرى المثل ، فإنّك لا تنفى فى الحقيقة أباه وإنما تخرجه مُخْرَج الدعاء عليه ، أى أنت عندى ممن يستحق أن يُدعى عليه بفقد أبيه . كذا فسرّه أبو على ، وكذلك هو لمأمله ؛ ألا ترى أنه قد أنشد توكيداً لما رآه من هذا المعنى فيه قوله :

* وتترك أخرى فردة لا أخا لها *

ولم يقل لا أخت لها ؛ ولكن لما جرى هذا الكلام على أفواههم لا أباك ولا أخاك ، قيل مع المؤنث على حدّ ما يكون عليه مع المذكّر ،

(١) الخصائص ١ : ٣٤٣ .

(٢) بعده فى الخصائص : « وهما التعريف والتنكير . وهذان كما

ترى متدافعان » .

فجری نحواً من قولهم لكلّ أحدٍ : مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، واثنتين واثنتين وجماعة :
الصِّفَ ضِبَعَتِ اللَّبَنُ — على التأنيث ، لأنّه كذا جرى أوّلُه ^(١)
وأما قوله :

أبالموت الذى لا بدّ أنى ملائ لا أبالك تخوِّفنى
فقد قال شارح أبي عليّ الفارسي ^(٢) : هو لأبي حية الثميري قاله أبو عمرو ،
قال : جلبه أبو عليّ شاهداً على حذف هذه اللام ضرورة ، فثبت الألف
في أبا دليل الإضافة والتعريف ، ووجود اللام دليل الفصل والتنكير .
حذف لام الجرّ وهو يريد بها ؛ ولولا أنّها في حكم الثابت في اللفظ لما عملت لا ،
لأنّها لا تعمل إلّا في نكرة . فأما دلالة الألف فيه وحذف النون من نحو
لا يدى بها لك على إرادة الإضافة ، فلأنّ وجود العمل مانعٌ فيها من اللفظ ،
فضعف اقتضاء المعنى مع وجود المانع اللفظي . فإنّ هذا مثلٌ لم يقصد به نفي
الأب وإنما قصّد به الذم . وكذلك لا يدى لك ، إنّما المراد لا طاقة لك بها .
وهو قياس من التحوين على قولهم لا أبالك . وفي الكتاب : لا أبا فاعلم
لك ؛ وفيه دليل على أنّه ليس بمضاف . ويجوز أن تكون الألف لام
الكلمة كما قال :

* إنّ أباها وأبا أباها *

فأما قوله تخوِّفنى ، فإنّه أراد تخوِّفنى فحذف إحدى النونين : فقل
حذف الأولى كما حذف الاعراب ، في قول امرئ القيس :

-
- (١) الى هنا ينتهى كلام الخصائص بدون تنبيه من البغدادي .
وسيستأنف النص بعد قليل .
(٢) الميمنى : . الظاهر شرح شواهد ايضاح أبي عليّ الفارسي .
وشراحها عدة تراهم في اقليد الخزّانة ، .

* فالיום أشرب غير مستحب^(١) *

وقال المبرّد: حذف الثانية، وهو أولى لأنها إنما زيدت مع الباء لتتقى الفعل من الكسرة، والأولى علامة الرفع. انتهى كلامه^(٢).

وإذا كان الأمر كذلك علم أن قولهم لا أبالك إنما فيه تعادى ظاهره، واجتماع صورتي الفصل والوصل والتعريف والتكثير لفظاً لا معنى.... ونحن إنما اعتدنا فساد الأمر وصلاحه على المعنى كأن يكون الشيء الواحد في الوقت الواحد قليلاً كثيراً. هذا لا يدعيه مدّع.

ويؤكد عندك خروجه مخرج المثل كثرته في الشعر، وأنه يقال لمن له أب ولمن ليس له أب. وهو دعاء في المعنى لا محالة، وإن كان في اللفظ خبراً؛ ولو^(٣) كان دعاء مصرحاً وأمرأ معنياً لما جاز أن يقال لمن لا أب له؛ لأنه إذا كان لا أب له لم يجوز أن يدعى عليه بما هو فيه لا محالة؛ فيعلم أنه لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظه، وإنما هي خارجة مخرج المثل، قال عنتره:

فاقفني حياءك لا أبالك واعلمي أني امرؤ ساموت إن لم أقتل

(١) عجزه كما في ديوان امرئ القيس ١٢٢ :

* إنما من الله ولا واغل *

(٢) بعده في ش: « واثني واثنين وجماعة ضيغت اللبن على التأنيث لأنه كذا جرى أوله »، وصواب « واثني » و « أثني »، وهو تكرار لما سبق في نهاية النص السابق المقتبس من الخصائص. والنص التالي، هو تكملة من البغدادى للاقتباس السائل من الخصائص، وموضعه فيها ص ٣٤٣.

(٣) كلمة « ولو » ساقطة من ش ثابتة في ط والخصائص ١ :

وقال :

أَلَتِي الصَّحِيفَةُ لَا أَبَاكَ إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ النَّقْرَسُ^(١)
وقال .

أَبَا مَوْتَ الَّذِي لَا بُدَّ أُنَى مَلَأَنِ لَا أَبَاكَ تَخَوُّفِي
أراد : لا أَبَاكَ فَخَذَفِ اللَّامَ . وقال جرير :

* يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيَّ لَا أَبَا لَكُمْ^(٢) *

وهذا أقوى دليل على كونه مثلاً لا حقيقة . ألا ترى أنه لا يجوز أن يكون
لنسيم كلها أبٌ واحد ، ولكن معناه كلُّكم أهلٌ للدعاء عليه والإغلاظ له .

وقال الخطيئة :

أَقْلَوْا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيْبِكُمْ مِنْ أَلْوَمٍ أَوْسُدُوا لِلْكَانِ الَّذِي سَدُّوا
فإن قلت : فقد أثبت الخطيئة في هذا البيت ما نفيت في البيت قبله ،
فجعل للجماعة أباً واحداً ، وأنت قلت إنه لا يكون لجماعة تيم أبٌ واحد .
قيل : الجواب عنه من وجهين : أحدهما أنه مثل لا يريد حقيقة الأب ، وإنما
غرضه الدعاء مُرسلاً ، ففحش بذكر الأب . والآخر : يجوز أن يريد بأبيكم
الجمع ، أي لا أباً لأبائكم ، يريد الدعاء على آبائهم من حيث ذكرها ، فجاء به
جمعاً مصححاً على قولك أب وأبون ، قال :

(١) البيت للمتلمس ، كما في ديوانه المخطوط ٨ واللسان

(نقرس) .

(٢) عجزه ، كما في الخصائص وديوان جرير ٢٨٥ . وما سبق في

٢ : ٢٩٨ :

فَلَا تَبَيَّنَ أَصَوَاتُنَا بِكَيْنَ وَفَدَيْنَا بِالْأَيْنَا^(١)
انتهى كلامه باختصار .

* * *

وأنشد بعده :

* يَا يَوْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّاراً لَأَقْوَامِ *

هذا عجز وصدرة :

(قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ)

وقد تقدّم شرحه مفصلاً في الشاهد الرابع بعد المائة^(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهدس^(٣) :

٢٦٩ (كَأَنَّ أَصَوَاتَ ، مِنْ إِيغَالِهِنَّ بَنَا ،

أَوَاخِرِ الْمَيْسِ إِنْقَاضُ الْفَرَارِيحِ)

على أنه قد فصل ، لضرورة الشعر ، بالظرف بين المتضايين . والأصل :
كَأَنَّ أَصَوَاتَ أَوَاخِرِ الْمَيْسِ مِنْ إِيغَالِهِنَّ بَنَا إِنْقَاضُ الْفَرَارِيحِ .

(١) البيت لزياد بن واصل . كما سيأتي في الكلام على الشاهد ٣٢٨ ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ١٠١ .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٠ .

(٣) في كتابه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٠٤ والانصاف ٤٣٣ وابن يعيش ١ : ٢/٣٠١ : ٣/١٠٨ : ٤/٧٧ : ١٧٢ وديوان ذي الرمة ٧٦٦ .

في الأصول لابن السراج : وقبيح أن تفصل بين الجار والمجرور فتقول لا أخاهذين اليومين لك^(١) قال سيبويه : هذا^(٢) يجوز في ضرورة الشعر لأن الشاعر إذا اضطر فصل بين المضاف والمضاف إليه . وأنشد هذا البيت .

و (من) للتعليل و (الإيغال) : الإبعاد ، يقال أوغل في الأرض ، إذا أبعدَ فيها ، حكاه ابن دريد قال : وكلّ داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه . وقال الأصمعي في شرح هذا البيت : الإيغال : سرعة الدخول في الشيء ، يقال أوغل في الأمر : إذا دخل فيه بسرعة . والضمير للإيل في بيت قبله . و (الأواخر) : جمع آخر ، بوزن فاعلة ، وهي آخره الرحل ، وهو العود الذي في آخر الرحل الذي يستند إليه الركاب ، ويقال فيه مؤخر الرحل . قال ابن حجر (في فتح الباري) : هو بضم أوله ثم همزة ساكنة ، وأما الخاء فجزم أبو عبيد بكسرها وجوز الفتح ، وأنكر ابن قتيبة الفتح ، وعكس ذلك ابن مكّي فقال : لا يقال مُقَدِّم ومؤخر بالكسر إلّا في العين خاصة ، وأمّا في غيرها فيقال بالفتح فقط . ورواه بعضهم بفتح الميمزة وتشديد الخاء . انتهى . وقال صاحب الصحاح : ومؤخر العين ، مثل مؤمن : الذي يلي الصدغ ، ومُقدِّمُها : الذي يلي الأنف ، ومؤخرة الرحل أيضاً لغة قليلة في آخره الرحل ، وهي التي يستند الركاب إليها . قال يعقوب : ولا تقل مؤخرة انتهى . و (الميس) بفتح الميم : شجر يتخذ منه الرحال

(١) قد يقال لاجار ولا مجرور هنا . فالجواب أن اللام في « لك » لتوكيد اضافة الأخ الى ضمير المخاطب ، فهي زائدة لذلك . فهذا قول . ويصح في مثل هذا التركيب أن تكون اللام أصلية ويكون الظرف في موضع النعت أو الخبر .

(٢) ط : « وهل » ش : « وهو » ، صوابهما في سيبويه ١ :

والأقناب ، وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتم فضة . و (الإقناص) : مصدرُ
أَنْقَضَتِ الدجاجة : إذا صَوَّتَتْ — وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة —
ورُوي بدله : « أصوات الفراريح » جمع فَرَوْجَةٍ ، وهي صفار الدجاج . يريد
أنَّ رحلهم جُدُّدٌ وقد طال سيرهم فبعض الزحل يحكّ بعضاً فتصوَّت مثلَ
أصوات الفراريح ، من شدة السير واضطراب الرحل .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لذي الرُّمّة . ومن أبيات هذه القصيدة قوله :

أبيات الشاهد (ورا كدِ الشَّمْسُ أَجْجَاجٌ نَصَبْتُ لَهُ حَوَاجِبَ الْقَوْمِ بِالْمَهْرِيَّةِ الْعُوجِ
إذا تنازع جالا بَجْهَلٍ قَذَفِ أَطْرَافَ مُطَرِّدٍ بِالْحَرِّ مَنْسُوجِ
تَلَوَّى الشَّيْءَ بِأَحْقِيهَا حَوَاشِيَهُ لَى الْمَلَأَ بِأَبْوَابِ النَّفَارِيحِ)

أى ربَّ يومٍ را كدِ الشَّمْسِ ، أى لا تكاد شمسُه تزول من طوله .
وأراد بالأججاج أن ذلك اليوم له توهج واشتعال كالأججاج بالضم ، وهو اللهب .
وقوله : نصبت له الخ ، أى استقبلته بحواجب القوم . والمهريّة : الإبل
المنسوبة إلى مهرة . والعُوج : التى ضَمَرَتْ فاعوجت .

وقوله : إذا تنازع الخ ، إذا ظرف لقلوله نصبت ، أى رب يوم نصبت له
حواجب القوم إذا تنازع الخ . وأخطأ من جعلها شرطية وجعل جوابها البيت
الذى بعدها .

والجلالان ، بالجم : جانباً بِلَدٍ بَجْهَلٍ . وقَذَفَ — بفتح القاف والذال — :
البعيد . أراد أن الجالين تنازعا أطراف طريق مطرد بالحر ، أى كأنه ماء يجرى
وينذهب يتبع بعضه بعضاً ، يعنى السراب ، فإنه يطرد كالماء ونسجه
من الحر .

وقوله : تلوى الثنايا فعل وفاعل ، وحواشيه مفعول . والثنايا : الطُرق في الجبال . والأحقى جمع حقو ، بفتح فسكون : الوسط ، وأصل الحقو الخصر وموضع شد الإزار ، والباء بمعنى على . والحواشي : الأطراف والنواحي . والضمير راجع إلى المطرد المراد به السراب . ولئى الملاء : كطيها ، وهو مصدر تشبيهى لقوله تلوى . والملاء بالضم والمد : المِلْحَفَة إذا كانت من ١٢١ لِفَقَّة واحدة . والأبواب : جمع باب . والتفاريح (كما فى العباب عن ابن الأعرابي) : فتحات الأصابع ، واحدها تِفراج بالكسر وخروق الدرايزين أيضا . وأنشد هذا البيت وقال : الثنايا الطرق فى الجبال . يقول : الثنايا تلوى حواشى السراب أى بلغ السراب أوساط الثنايا . وحواشيه : أطرافه ، قال شارح الديوان : الثنايا تلوى أى تلف حواشى السراب بأوساطها كما يلوى الملاء بالمصاريع ، وقيل الدرايزين : وما سمعت أن الملاء يلوى بمصاريع الأبواب . انتهى .

وجوابه أن مراد الشاعر أن الستائر توضع وتربط على الدرايزين وأبوابها للتعجّل كما يفعله الأغنياء .

وهذا البيت أورده صاحب (الكشف) عند قوله تعالى : ﴿ يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴾^(١) على تشبيه كل منهما باللباس الذى يُكْوَر ويُلَف على اللابس ، فإن أحدهما لما كان غائبا للآخر أشبه اللباس الملفوف على لابس في ستره إياه واشتماله عليه وتغطيه به ، كما شبه ذو الرمة طي الهضاب حواشى السراب بطي الستائر بالأبواب^(٢) .

(١) الآية ٥ من الزمر .

(٢) فى النسختين : « الستائر بالأبواب » ، وصوابه من مقتضى

التفسير السابق .

وقد أخطأ شارح شواهد التفسيرين في قوله : تلوى الثنايا ، جواب
في البيت الذي قبله . فتأمل .

وترجمة ذى الرمة قد تقدمت في الشاهد الثامن في أوائل الكتاب^(١)

باب خبر ما ولا المشهتين بليس

أنشد فيه ، وهو الشاهد السبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد^(٢)
٢٧٠ (وما إن طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ مَسَايَانَا وَدَوْلُهُ آخِرِينَا
على أن (ما الحجازية) إذا ريد بعدها (إن) لا تعمل عمل ليس ، كما
هذا البيت .

قال الأعمى : إن كافة لما عن العمل ، كما كَفَّتْ ما إن عن العمل . والطب
بالكسر ههنا بمعنى العلة والسبب ، أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإثما كان
ما جرى به القدر من حضور للنية ، وانتقال الحال عنا والدولة .
وقال في الصحاح : تقول ما ذلك يَطْبِي أى دهرى وعادنى . وأنشد ها
البيت للكميت^(٣) . وهذه النسبة غير صحيحة كما يأتى بيانه قريباً .

و (الجبن) : ضد الشجاعة ، وهو مصدر جُبْن جَبْنًا كقرب قربًا ، فهو
جَبَان أى ضعيف القلب . والجبن للمأكول فيه ثلاث لغات ، أجودها سكو

(١) الحزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢/٤٧٥ : ٣٠٥ . وانظر السيرة ٩٥٠ والخصائص

٣ : ١٠٨ والمنصف ٣ : ١٢٨ وشرح شواهد المعنى ٣٠ والهمع ١ : ١٢٣

(٣) الذى فى الصحاح (طبب) : « قال الشاعر » ، بدون تعيين

فلعل النسبة من نسخة خاصة للبغدادى .

الباء والثانية ضمّ الباء للإتباع، والثالثة وهي أقلها التشديد^(١) كذا في الصباح و (المنايا) : جمع منية، وهي الموت ، لأنها مقدرة ، مأخوذة من المناس بوزن العصا وهو القدر ، يقال مُني له أى قُدِّر بالبناء للمفعول فيهما .

روى السيد علم الهدى المرتضى (في أماليه) أن مسلماً الخزازي ثم المصطفي قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطفي^(٢) :

لَا تَأْمَنْنَ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا بِكَفَى كُلِّ إِنْسَانٍ^(٣)
وَأَسْلَكَ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مَخْتَشِعٍ حَتَّى يُبَيِّنَ مَا يَمْنَى لَكَ الْمَانِي^(٤)
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يَفَارِقُهُ وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَانٍ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ بَكْلٌ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ^(٥)
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدركته لأسلم . انتهى .

وأنشد في الصحاح لهذا المعنى قوله :

* حَتَّى تَلَاقَ مَا يَمْنَى لَكَ الْمَانِي *

(١) أى تشديده النون .

(٢) أمالي المرتضى ١ : ٣٦٨ وكذا في العقد ٥ : ٢٧٥ ونسبت في ديوان الهذليين ٣ : ٣٦ - ٣٩ وشرح السكري ٧٠٩ لأبي قلابة الهذلي . وكذلك حماسة البحتري ١٣٢ قال : « ورويت لغيره » .

(٣) وكذا في أمالي المرتضى . وفي الهذليين والسكري : « بجنبى كل انسان » .

(٤) المرتضى والهذليين والسكري : « حتى تبين » .

(٥) في الهذليين وشرح السكري : « ان الرشاد وان الفى فى

قرن » .

(٨) خزانة الأدب

وفى حواشيه : أوّله :

ولا تقولنّ لشيء سوف أفعله حتّى تبينّ ما يمتنى لك الخ
قال : والبيت لأبى قِلابة الهذلى . والله أعلم .

والدولة بالفتح : الغلبة فى الحرب ، وبالضمّ تكون فى المال ، وقيل هما
بمعنى اسمٍ لتقولك تداول القومُ الشيء ، وهو حصوله فى يد هذا تارةً وفى يد
هذا أخرى . ودالت الأيام تدول ، كدارت تدور وزناً ومعنى .

وروى ابن هشام (فى السيرة) بدله : (وطعمة آخرينا) .

وفيه مع ذكر الجبن مالا يخفى .

وأورد ابن قتيبة (فى ترجمة خفاف بن نَدبة من كتاب الشعراء ^(١)) قوله :

فلم يكُ طِبْهُمُ جُبْنٌ ولكن رَمِينامُ بثالثة الأثافي
قال : وهذا مما يُسأل عنه ^(٢) .

أقول : ثالثة الأثافي هى الجبل ، لأنه يحمل حجران إلى جنبه فيكون
الثالث ؛ فيقول : كانوا شجعاناً ليس فيهم جُبْنٌ ولكن رَمِينامُ بداهية عظيمة
مثل الجبل . وقد روى أبو غنيدة البيت هكذا :

فلما أن أبوا إلا علينا رَمِينامُ بثالثة الأثافي

(١) الشعراء ٣٠١ .

(٢) الميمنى : . هذه الأبيات يسميها قدامى العلماء أبيات المعانى .
وقول ابن قتيبة مما يسأل عنه ، لم تكرر فى كتابه الا مرة أخرى واحدة
قبل بيت قاله يحيى بن نوفل فى سالم بن المسيب :

فتى قد كان يعمل اصبعيه بنافذة من البيض القصار

" . معنى الابرة ، يريد أنه كان خياطاً . . انظر الشعراء ٧٢٠ .

وهذا البيت من أبيات لفروة بن مُسيك المرّادى ، رواها أهل السير صاحب الشاهد
كلّبن هشام^(١) والسّكّاعى وغيرهما ، وهى :

(فَإِنْ نَقَلَبْ فَعَلَابُونَ قَدَمًا وَإِنْ نُغَلَبْ فَغَيْرُ مَغْلَبِينَا
وما إن طَبِينَا جُنْبٌ وَلَكِنْ مَنَابِنَا وَطُعْمَةٌ آخِرِينَا
كذلك الدهر دُوكُهُ سِجَالٌ تَكْرُ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينَا
فِينَا مَا نُسَرُّ بِهِ وَنُرْضَى وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سِنِينَا
إِذَا انْقَلَبْتَ بِهِ كَرَّاتٌ دَهْرٍ فَأَلْفَيْتِ الْأَلْبَى غُبَطُوا طَحِينَا
فَمَنْ يَغْطِ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَوْفُونَا
فَلَوْ خَلَدَ لِلْمُلُوكِ إِذَنْ خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَنْ بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكَ سَرَوَاتِ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأَوَّلِينَا)

قوله : فغير مغلبيننا ، المغلب للمغلوب مراراً . والسّجال بالكسر : مصدر
ساجل يساجل بمعنى ناوب ، قال الميدانى (فى أمثاله) : المساجلة أن تصنع
مثل صنيع صاحبك من جرئى أو سقى ، وأصله من السّجل وهى الدلو فيها ماء
قلّ أو كثر . وحقيقة السّجال المغالبة بالسقى بالسجل ، ومنه معنى المباراة
والمفاخرة والمعارضة . وتكرّر : ترجع . والصّروف : الحوادث . والغضارة
بالفتح : الخير والخصب . وألفيت : وجدت . وغبطوا بالبناء للمفعول من
الغبطة اسم من غبطته غبطاً من باب ضرب ، إذا تمنيت مثل ما ناله من غير
أن تريد زواله عنه ، لِمَا أعجبك منه وعظم عندك . ورّيب الدهر : ما يحدث
منه . والخزّون بفتح المعجمة : مبالغة الخائن . وقوله : فأفنى ذلكم . الإشارة
لكرّات الدهر وحوادثه . والسّروات : جمع سرّاة بفتح السين ، وهى مفرد

بمعنى الرئيس والشريف ، وليس جمع سرى كما يأتى بيانه فى موضع آخر .

١٢٣ وفروة بن مسيك صحابى أسلم عام الفتح ، وذلك [أنه] لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودانت له قريش عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه فدخلوا فى دين الله أفواجا ، فقدمت عليه وفود العرب . ومن قدم فروة بن مسيك المرادى ، قدم إلى المدينة وكان رجلا له شرف ، فأنزله سعد ابن عباد عليه ، ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المجلس ، فسلم عليه ثم قال : يا رسول الله ، أنا لئن ورأتى من قومي . قال : أين نزلت يا فروة ؟ قال : على سعد بن عباد . قال : بارك الله على سعد بن عباد . وكان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعلم القرآن وفرائض الإسلام . وكان بين مراد وهمدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد — وكان يقال لذلك اليوم يوم الرذم ^(١) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرذم ؟ قال : يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي لا يسوؤه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيرا . وفى ذلك اليوم قال فروة هذه الآيات . واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاصى على الصدقة ، وكتب فيها كتابا لا يمدوه إلى غيره ، وكان خالد معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . كذا فى سيرة ابن هشام والكلاعى .

وذكر الواقدي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمله أيضا على

(١) الميمنى : « تبع البغدادي فى هذا التصحيف عامة نسخ السيرة والاصابة ، والصواب أنه يوم الرزم ، كما هو عند البكرى وياقوت والبلجرامى . وعند السيوطى ٣١ : يوم الرزم مصحفا . »

صدقات مَنَحَج . وذكر غيرو أنه انتقل إلى الكوفة فسكنها . وأخرج ابن سعد أن رسول الله أجاز فروة بأثنتي عشرة أوقية ، وحمله على بعير نجيب ، وأعطاه حلة من نسج عُمان .

وفروة بفتح الفاء وسكون الراء بعدها واو ، ومُسِيك بضم الميم وفتح السين .
ومُرَاد : قبيلة باليمن .

فإن قلت : كيف اعترف بالانهزام مع ما فيه من العار ؟ قلت : هذا موقوف على سماع قصته فإن أصحاب المعاني لا يقدرُونَ على فهم مثل هذا إلا بقصته^(١) .

وهي كما رواها أبو محمد الأعرابي (في فرحة الأديب) : أنه كان صنم مراد في أعلى وأنعم ، وهما بطنان من مُرَاد ؛ فقالت أشراف [من] مُرَاد : [ما بال] أَلَمِيتَا لا تكون في عَرَانِينِنَا^(٢) ؛ فأرادوا انتزاع الآلهة منهم ، فخرجوا منهم فأتوا بني الحارث فاستجاروا بهم ، وأرسلت مراد إلى بني الحارث أن أخرجوا إخوتنا من داركم وابعثوا إلينا برجلين منكم لنقتلها بصاحبنا — وكانت مراد تطلب بني الحارث بدم ، فلما رأى الحصين بن يزيد بن قنان أن مراداً قد أَلَحَتْ في طلب أصحابهم هَابَهُمْ وعلم أنه لا طاقة له بهم . وكانت مراد إذا قُتِلَ منهم رجل قَتَلُوا به رجلين ، وكانوا لا يأخذون الدية إلاّ مضاعفةً — فسار حصين بن يزيد ، وهو رئيس بني الحارث ، إلى عُمر ذى

(١) مثل هذا الكلام لأبي محمد الأعرابي في فرحة الأديب ٥٤ بخط البغدادي ، فما وضعته من النص الآتي بين معكفين فهو من هذا الكتاب .
(٢) ط : « فقالت أشراف مراد الهنا لا يكون في عرانيينا » ش : « فقالت أشراف مراد الهنا لا يكون في عرانيينا » ، صوابه من فرحة الأديب .

مُرَّانَ ، فسأله أن يركب معه إلى أرحبَ فيصلح بينه وبينهم ، ويسألم الحلفَ على مراد ، لأنه كان بينه وبين أرحب دماء ، فركب معه إليهم فأصلح بينهم وسألمهم أن ينصروه ويحالفوه على مراد ، فقال الحصين : يامعشر أرحب ، إني لست بأسعد بهلاكٍ مرادٍ منكم — وكانت أرحبُ تُساور مراداً قبل ذلك — فخالفته أرحب ، فسار حصين بن يزيد بنى الحارث ، وسارت البادية من همدان وعليهم يزيد بن ثمامة الأرحبي الأصم ، وأقبلت مراد [كأنهم حرّة سوداء يدقون دقيفاً] ، وعليهم الحارث بن ظبيان المثلّم ، وكان يكنى أباقيس الأنعمى ، فاقتتلوا بموضع يقال له الردم^(١) إلى جنب أباء قتالا شديداً ، فتعضمت بنو الحارث وأقبل عليهم الحصين فقال : يا بنى الحارث ، والله لئن لم تضربوا وجوه مرادٍ بالسيوف حتى تخلو لكم العرصة لأترككنم تنفلون في العرب ! ثم أقبل على بادية همدان فقال : يامعشر همدان الصبر الصبر ، لا تقول مراد ! أنا لجأنا إلى عدّد همدان وعزّها فلم يثنوا عنا ! فاقتتل القوم قتالا شديداً فقتل الحصين وصبر الفريقان جميعاً ، قهبيات بنو الحارث للفرار وتعضمت أرحب ، وقد كانوا أحضروا النساء معهم فجعلوهن خلف ظهورهم ، فلما رأت أرحب النساء قد بدت خلاخيلها للفرار عادوا للقتال وقالوا : لا نفر [حتى يفرّ] يفرّ ! وصبروا للقوم ، وصبرت بنو الحارث معهم ، فانهزمت مراد واستنزع القتلُ فيهم ، وصبروا نساء من نسائهم ، فأدرك الإسلامُ وهنَّ في دُور همدان ، وقتل المثلّم رئيس مراد ، وعزيز ، وقيس ، ويزمران ، وسمي ، للرازيون . وقتل في ذلك اليوم الحصين بن يزيد الحارثي . وقال في ذلك يزيد ابن ثمامة الأرحبي :

(١) انظر ما سبق في حواشي ص ١١٦ .

لقد علم الخثى للمصبح أننى بجنب أباء غير نكس مؤاكل
 تركت عزيزاً نجل الطير حوله وغشيت قيساً حدً أبيض قاصل^(١)
 ونمران قد قضيت منه حرازة على حنق يوم التفاف القبائل^(٢)
 عكب شفيت النفس منه وحارث بناقد في صدره ذى عوامل
 وأردت سميّاً في المكر رماحنا وصادف موتاً عاجلاً غير آجل

وبهذه القصيدة^(٣) يعرف معنى قوله :

* فَإِنْ تَهْزَمْ فَهَزَامُونَ قَدَمَا * (البيت)

وذلك أن مراداً لم تدر عليهم دائرة قبل يوم الردم^(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائتين^(٥) :

٢٧١ (بني غداة ما إن أتم دهباً ولا صريفاً ولكن أتم الخزف)

على أنه قد جاءت (إن) بعد (ما) غير كافة . وقد بينه الشارح المحقق .

قال ابن هشام (في شرح شواهد) : النصبر رواية يعقوب بن السكيت ،

والرفع رواية الجمهور على أن إن كافة لما عن العمل . قال : وزعم الكوفيون

(١) كذا في النسختين ، والوجه « قاصل » بالقاف ، وفي اللسان :

« وسيف قاصل ، ومقصل ، وقصال : قطاع » .

(٢) ط : « منهم » والتصحيح للشنقيطى في نسخته .

(٣) كذا في النسختين ، وهي صحيحة ، وقد تكون « القصة » .

(٤) انظر ما سبق من تحقيق الكلمة في حواشى ص ١١٦ .

(٥) شرح شواهد المغنى ٣١ وشذوو الذهب ١٩٤ والتصريح ١ :

١٩٦ والمعنى ٢ : ٩١ والهمع ١ : ٢٣

على رواية النصب أن إن نافية لا كافة. ويلزمهم أن لا يبطل عملها كما لا يبطل عملها إذا تكررت على الصحيح ، بدليل قوله :

لَا يُنْسِكَ الْأَسَى تَأْسِيًّا فَمَا مِمَّنْ حَامٍ أَحَدٌ مَعْتَصِمًا^(١)

ومعنى : هذا البيت : لَا يُنْسِكَ مَا أَصَابَكَ مِنَ الْحُزْنِ عَلَى مَنْ قَدَدَتْهُ أَنْ تَتَأْسَى بِمَنْ سَبَقَكَ مَنْ فَقَدَ أَحِبَّابَهُ ، فليس أحد ممنوعاً من الموت . ومن زعم أن ما إذا تكررت يبطل عملها جعل منقياً ما الأولي محدوفاً ، أى فما ينفعك الحزن ، وهو تكلف .

واستشهد شراح الألفية بهذا البيت — على رواية رفعه — على أن إن فيه كافة . و (بنى غداة) منادى بتقدير يا ، وغداة بضم الغين للمعجمة : حتى من يربوع من بى نيم . و (الصريف) بفتح الصاد والراء المهملتين ، قال ابن السكيت : هو الفضة . وأنشد هذا البيت . و (أنلُزف) بفتح اللام المهملة قال ثعلب (فى أماليه) : هو ما عجل من طين وشوى بالنار حتى يكون فخاراً . وأنشد هذا البيت : ولم أر من نسب هذا البيت لقائله مع كثرة الاستشهاد به فى كتب النحو واللغة . والله أعلم

١٢٥

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد اللاتين ، وهو من شواهد س^(٢) :

(١) العينى ٤ : ١١٠ والهمع ١ : ١٢٤ / ٢ : ١٢٥ والأشمونى ٣ : ٨٣ ويس ٢ : ١٣٠

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر الانصاف ٢٦٩ والعينى ٤ :

٨ / ٤٩٦ : ١٢٩ والهمع ١ : ٢٢٣ ، ٢ / ٢٢٥ : ١٥٨ وديوان النابغة ١٦ .

٢٧٢ (إَلَّا أَوَارَى مَا إِنْ لَا أُيْنِهَا)

على أن الفراء أنشده بالجمع بين ثلاثة أحرف نافية ، والرواية : (لَا يَأْ مَأْيْنِهَا) . هذه الرواية أنشدها الفراء (في تفسيره المسمى بمعاني القرآن في أواخر سورة يونس) عند قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ ^(١) ﴾ . وهذا نص كلامه : في قراءة أَبِي (فَهَلَّا) لِأَنَّ معناها أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا ، ثُمَّ اسْتَنَى قَوْمَ يُونُسَ بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِقْطَاعِ مِمَّا قَبْلَهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَا بَعْدَ إِلَّا فِي الْجَعْدِ يَتَّبِعُ مَا قَبْلَهَا فَنَقُولُ : مَا ظَمَّ أَحَدٌ إِلَّا أَبُوكَ ، وَهَلْ ظَمَّ أَحَدٌ إِلَّا أَبُوكَ ، لِأَنَّ الْأَبَ مِنَ الْأَحَدِ : فَإِذَا قُلْتَ : مَا فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا كَلْبًا وَحَارًا ، نَصَبْتَ لِأَنَّهَا مَنْقُطَةٌ مِمَّا قَبْلَ إِلَّا ^(٢) ، إِذْ لَمْ يَكُنْ ^(٣) مِنْ شَكْلِهِ وَلَا جِنْسِهِ : كَذَلِكَ كَانَ قَوْمُ يُونُسَ مَنْقُطَعِينَ مِنْ قَوْمٍ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . وَلَوْ كَانَ الْإِسْتِثْنَاءُ هَاهُنَا وَقَعَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ لَسَكَانَ رَفْعًا . وَقَدْ يَجُوزُ الرِّفْعُ فِيهَا كَمَا أَنَّ الْمُخْتَلَفَ فِي الْجِنْسِ قَدْ يَتَّبِعُ فِيهِ مَا بَعْدَ إِلَّا مَا قَبْلَ إِلَّا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٤) :

وَبَلَدٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسُ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ
وَالنَّصْبُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ ^(٥) الظَّنِّ ﴾ لِأَنَّ تَتَّبِعُ ^(٦) الظَّنَّ لَا يَنْسَبُ إِلَى الْعِلْمِ . وَأَنْشَدُونَا بَيْتَ النَّابِغَةِ بِالنَّصْبِ :

(١) الآية ٩٨ من سورة يونس . وانظر معاني الفراء ١ : ٤٧٩

(٢) في النسختين : « لَأَنَّهُمْ مَنْقُطَعُونَ مِمَّا قَبْلَ الْا » ، صوابه من

معاني الفراء .

(٣) في النسختين : « لَمْ يَكُونُوا » ، صوابه من معاني الفراء .

(٤) هو جِرَانُ الْعُودِ . ديوانه ٥٢ . وسيأتي الكلام عليه في الشاهد

٨٠٤ .

(٥) الآية ١٥٧ من النساء .

(٦) في المعاني : « لَأَنَّ اتِّبَاعَ » .

..... وما بالربع من أحدٍ
إلا أوارى ما إن لا أبينها^(١)

قال الفراء : جمع في هذا البيت بين ثلاثة أحرفٍ من حروف الجحد : لا ، وإن ، وما . والنصب في هذا النوع المختلف من كلام أهل الحجاز ، والإتياع من كلام تميم . انتهى كلام الفراء .
وأراد اجتماعها على سبيل التوكيد ، لا أن الثاني نافٍ للثاني فيثبت ، والثالث نافٍ للثاني فينفي .

وقد أورد الفراء (في تفسيره) الرواية التي ذكرها الشارح في أواخر سورة النساء عند قوله تعالى ﴿ لا خير في كثير من نجوائهم إلا من أمر بصدقة ﴾^(٢) قال : من في موضع خفضٍ ونصبٍ^(٣) : اختلفوا إلا فيمن أمر بصدقة . والنجوى هنا رجال كما قال تعالى : ﴿ وإذ هم نجوى ﴾^(٤) ومن جمل النجوى فعلاً كما قال تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة ﴾^(٥) فمن حيثئذ في موضع رفع . وأما النصب فإن يجعل النجوى فعلاً فإذا استثنيت الشيء من خلافه كان الوجه النصب ، كما قال الشاعر :

..... وما بالربع من أحدٍ
إلا أوارى لا ياً ما أبينها والنوى كلخوض بالظلومة الجلد

(١) في النسختين : « لا ان ما » ، صوابه من معاني الفراء ومما

سبق .

(٢) الآية ١١٤ من سورة النساء . وانظر معاني الفراء ١ : ٢٨٧ .

(٣) وكذا في معاني الفراء ، مع أنه تعرض للرفع فيما بعد

(٤) الآية ٤٧ من الاسراء .

(٥) الآية ٧ من المجادلة .

وقد تكون في موضع رفع وإن رُدَّت على خلافها ، قال الشاعر :
وبلدةٍ ليس بها أُنيسُ إلاَّ اليعافيرُ وإلاَّ العيسُ ^(١) انتهى
وإنما سقنا كلامه في الموضعين بُرْمَتَه للتبرك ، وليُعلم طرز تفسيره ،
فإنه لقدمه قلما يطلع عليه أحد ^(٢) .

وقد أورده الزجاجي ^(٣) بهذه الرواية أيضاً (في تفسيره المعروف بمعاني
القرآن) في سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ ^{١٢٦}
الْعِجْلِ ﴾ ^(٤) قال : الظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه ، العرب تقول :
« مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَا ظَلَمَ » معناه لم يقع الشبه غير موقعه ؛ ويقال ظلم فلان سقاه
إذا شرب وسقى منه قبل إدراكه ، وأرض مظلومة ، إذا حُفر فيها ولم يكن
حُفر فيها قبل ، وإذا جاء للطير يقربها ويتخطأها . قال النابغة :
إلا الأوارى لا يَأْ ما أئينها والنوى كالخوض بالظلومة الجلود

وأورده الزجاج أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَا كُنْتُنَا عَلَيْهِمْ أَنْ
اقتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دياركم ﴾ ^(٥) . قال : وأما رفع (إلا قليل
منهم) فعلى البديل من الواو ، وللمعنى ما فعله إلا قليل . والنصب جائز في غير
القرآن على معنى ما فعلوه ، أستثنى قليلا منهم . وعلى ما فسرناه في نصب

(١) سبق الكلام عليه قريبا .

(٢) طبع معاني القرآن للفراء بدار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ بتحقيق

الاستاذين أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار .

(٣) الميمنى : « الصواب الزجاج ، والتفسير المذكور له للزجاجي .

وهو على الصواب في سائر المظان . انظر اقليد الحزانة ،

(٤) الآية ٥٤ من البقرة .

(٥) الآية ٦٦ من النساء .

الاستثناء فإن كان في النفي نوعان مختلفان فالاختيار النصب ، والبديل جائز ،
تقول : ما بالدار أحدٌ إلا حِمَاراً . قال النابغة الذبياني :

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلًا أَصَائِلُهَا عَيْتُ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا أَوَارِيَّ لَايًا مَا أَيْبُهَا الخ

فقال : ما بالربع من أحد ، أى ما بالربع أحدٌ إلا أوارى . لأنَّ الأوارى
ليست من الناس . وقد يجوز الرفع على البديل وإن كان من غير جنس الأول
كما قال الشاعر :

وبلدةٍ ليسَ بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ

فجعل اليعافير والعيس بدلاً من الأنيس . وجائز أن يكون جعل أنيسَ
ذلك البلد اليعافير والعيس . انتهى كلامه .

وقد رويَا كلاهما إلا الأوارى معرفاً ومنكراً . قال أبو البقاء (في شرح
الإيضاح) حكى عبدُ القاهر عن شيخه عبد الوارث ابن أخت أبي علي أنه
قال : الجيد أن يروى « إلا الأوارى » بالالف واللام ، ليكون الفتح خالصاً .
وإذا نُكِّرَ جاز أن يكون بدلاً من أحد ، ولكن لم يُكسر لأنه غير
منصرف . انتهى .

وقوله : « وإذا نُكِّرَ جاز أن يكون بدلاً من أحد » هذا الجواز ممنوع
عند البصريين . وقد بينه ابن السِّيد (في شرح أبيات الجمل) قال : ويروى
عن الكسائي أنه أجاز خفض الأوارى على البديل من لفظ أحد . وهذا عند
البصريين خطأ ؛ لأنه يصير التقدير : وما بالربع إلا من أوارى ؛ فتكون
من زائدة في الواجب . ومن لا تزداد إلا في النفي . ولو أنها من التي تدخل
على الموجب والنفي لجاز ذلك كقولك : ما أخذت من أحد إلا زيد درهماً .

وهذا البيت من قصيدة للنايفة الذبياني مدح بها النعمان بن المنذر ، صاحب الشاهد واعتذر إليه مما بلغه عنه . وهذا مطلع القصيدة :

(يا دارميّة بالعلياء فالسّد أقوت وطالَ عليها سالف الأبدِ
وقفتُ فيها أصيلاً أسائلها عيتُ جواباً وما بالربع من أحدٍ^(١)
إلا الأوارى لا يا البيت)
وقد تقدّم شرح أبيات كثيرة منها في عدّة مواضع^(٢) .

وقد أورد سيويوه هذه الأبيات الثلاثة ، قال الأعم : الشاهد في قوله :
إلا الأوارى بالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأنها من غير جنس الأحدين .
والرفع جائز على البديل من الموضع . والتقدير : وما بالربع أحد إلا الأوارى .
على أن يُجمل من جنس الأحدين أنساءً ومجازاً . انتهى . ١٢٧

قال ابن السّيد : الرفع على البديل من موضع من أحد . لأن من زائدة
وأحد مرفوع في المعنى وإن كان مخفوضاً في اللفظ ؛ وليست ببديل من موضع
الجار وحده ، ولا من موضع المجرور وحده ، ولكنها بدل من موضعها معاً .
والبيت الأول يأتي شرحه إن شاء الله في الفاء من حروف العطف^(٣) .

وقوله : وقفت فيها^(٤) البيتين ، وصف أن دارميّة خلت من أهلها ،
فسألها توجعاً وتذكراً لمن حلّ بها فلم تجبه ؛ إذ لا يجيب بها ولا أحد فيها
إلا الأوارى ؛ وهي محابس الخليل ، واحدها آرى ؛ وهو من تأريت

(١) ش : « أصيلاً » ، وهي رواية ولغة في « أصيلاً » بالنون .

(٢) الصواب في موضعين . انظر الشاهد ٢٣٦ وقد سبق في ٣ :

٤٠٣ والشاهد ٢٤٧ وسيأتى في ٤ : ٣ بولاق .

(٣) وهو الشاهد ٨٨٩ .

(٤) ط : « وقفت بها » ، صوابه في ش .

بالمكان : إذا تجسّست به . واللاى : البُطء . والمعنى : تبينتها بعد بُطءٍ
لتغيّرها . والنوى : حاجر حول الخباء يدفع عنه الماء ويبيعه ؛ وهو من نأيت
إذا بعدت . وشبهه في استدارته بالحوض . والمظلومة : أرض حُفر فيها الحوض
لغير إقامة لأنّها في فلاة فُظلمت بذلك ، وإنما أراد أن حفر الحوض لم يُعمّق
فذلك أشبه للنوى ، ولذلك جعلها جَلداً ، وهى الصلبة .

هذا ما قاله الأعلّم إجمالاً ، وأما تفصيلاً ، فقوله : « أصيلانا » منصوب
على الظرف وفيه ثلاثة أقوال : الأوّل أنه مصغر أصيل على غير قياس كأنه
تصغير أصلان ، قاله ابن السيد . الثانى : أنه تصغير أصلان وهو جمع أصيل
كرغفان جمع رغيف . وردّه أن جمع الكثرة لا يصغر إلّا برده إلى المفرد .
الثالث : أنه مصغر أصلان أيضاً ، لكن أصلانا اسم مفرد بمعنى الأصيل مثل
الشكلان والغفران . حكى هذين القولين شارح الديوان واللخى . وروى
أيضاً : « أصيلاً » بإبدال النون لاماً . والأصيل : الوقت بعد العصر إلى
المغرب . وروى أيضاً :

* وقفت فيها أصيلاً كى أسائلها *

وروى أيضاً :

* وقفت فيها طويلاً كى أسائلها *

وهو إمّا بتقدير وقوفاً طويلاً وإمّا بتقدير وقتاً طويلاً . وقوله : أسائلها ،
الجملة حال : إمّا من تاء وقفتُ فهى جارية على من هى له ، وإمّا من ضمير فيها
فتكون لغير من هى له . وإنما جاز الوجهان لأنّ فى أسائلها ضميراً راجعاً
إلى السائل وضميراً راجعاً للمستول ، واستتر الضمير مع جريان الحال على غير
من هى له لأنّ الفعل يستتر فيه ضمير الأجنى وغيره ، لقوّته فى الإضمار . فعلى

الأوّل تقديره مُسائلُها ، وعلى الثاني مُسائلُها أنا ، باظهار الضمير . ولا يجوز أن تكون الجملة حالاً من الضميرين على حدّ لقينته راكبين ، لاختلاف العاملين ، وإلّا في ذلك من التناقض . كذا قال ابن السيد .

وقوله : عَيْتٌ ، استئناف بيانيٌّ ؛ وقيل حال ، بتقدير قد ، من ضمير الدار في أسائلُها . يقال عَيْتَ بالأمر بالكسر : إذا لم تعرف وجهه ، وروى أيضاً : « أَعَيْتَ » بالالف ، أى عَجَزْتَ . وجواباً : إمّا تمييز محمول عن الفاعل أى عى^(١) جوابُها ، ثم أسند الفعل إلى ضمير الدار . وهذا كقوله^(٢) :

* وقتت برسمها فعىّ جوابها^(٣) *

وإمّا منصوب بنزع الخافض أى عَيْتَ بجواب ، ذكرها ابن السيد . وقال اللخميّ : جواباً منصوب على المصدر ، أى عَيْتَ أن تجيب جواباً . وفيه نظر ظاهر .

وقوله : وما بالربع الخ ، قال ابن السيّد . إن شئت جعلتها لا محلّ لها من الإعراب ، وإن شئت كانت حالاً من ضمير عَيْتَ المستتر أو من ضمير أسائلُها ، ويلزم على هذا تقدير ضمير صاحب الحال ، أى وما بالربع منها . وعند الكوفيين أل في الربع مُعاقبة للضمير ، أى وما بربعها . انتهى .

١٢٨

والربع ، بالفتح : حَمَلَةُ القوم ومنزِلهم أينما كان . والمربع ، كجعفر : نزّلهم في الرّبيع خاصّة . ولم يصب اللخميّ في قوله : الربع المنزل في الرّبيع

(١) ط : « عن » والتصحيح للشنقيطي في نسخته .

(٢) هو أبو صخر الهذلي . أمالي القالي ١ : ١٤٨ .

(٣) عجزه :

* فقلت وعينى دمعها سرب هم *

خاصة ، ثم كثر في كلامهم حتى قيل لكل منزل ريع ، وقوله : من أحد ، من زائدة ، وأحد فاعل الظرف . وقوله :

* إلا الأوارى لأبنا ما أبينها *

الأوارى يقال لها الأواخي أيضاً ، وهما جمع آرية وآخية بمد الهمة وتشديد الياء فيهما ، وهي التي تُحبس بها الخيل من وتد وحبل . واللاى ، قال ابن السيد : هو مصدر لم يُستعمل منه فعل إلا بالزيادة ، يقال التأى ولا يقال لأى . والمظلومة فيها أقوال : قيل هى الأرض حُفر فيها ولم يكن بها حفرٌ قبل ذلك ، وقيل هى التى أتاها سيلٌ من أرض أخرى ، وقيل هى أرض مُطرت فى غير وقتها . وشعر النابتة يقتضى الأول . وقال ابن السكيت : إنما قيل بالمظلومة ، لأنهم مرؤوا فى برية فحفروا فيها حوضاً وليس بموضع حفر ، فحفلوا الشئ فى غير موضعه . والجلد ، بفتح الجيم واللام : الأرض الصلبة من غير حجارة ، قال ابن السيد : وخصها بذلك لأنها إذا كانت صلبة تعذر الحفر فيها فلم يعمق الحفر فيها ، فهو أولى لتشبيه النوى به . وفى رواية : الأوارى والنوى ، بالرفع على لغة تميم ، بالإبدال من موضع [من ^(١)] أحد ؛ وذلك على ثلاثة أوجه :

الأول أنه أراد ما ^(٢) بالريع إلا الأوارى ، فذكر من أحد تأكيداً ، وكأنه فى التقدير : ما بالريع شئ أحد ولا غيره إلا الأوارى .

والوجه الثانى : أنه جعل الأوارى من جنس أحد على المجاز ، كما تقول

(١) التكملة من ش .

(٢) سقطت « ما » من المطبوعة .

تَحِيَّتُهُ السَّيْفَ ، وما أنت إلا أكلٌ وشربٌ ؛ فجعل التَّحِيَّةَ السَّيْفَ ، وجعله الأكل والشرب مجازاً .

والوجه الثالث : أنه خلط من يعقل بما لا يعقل ، ثم غلب من يعقل فقال : وما بالربع من أحد ، وهو يريد من يعقل وملا يعقل ، ثم أبدل الأوارى من لفظ اشتمل عليه وعلى غيره .

والقولان الأولان لسببويه ، والثالث للمازني .

وقوله : كالحوض ، قال ابن السيد : يحتمل وجهين : إن جعلت النوى مرفوعاً بالابتداء فالظرف خبره ، وإن جعلته مرفوعاً بالعطف على الأوارى فالظرف حال من النوى — كمن نصب النوى بالعطف على الأوارى — وعامل الحال إذا نُصِبَ النوى معنى الاستثناء ، وإذا رفع فعنى الاستقرار في قوله بالربع . وقوله : بالظلمة ، حال من الحوض والعامل ماقى الكاف من معنى التشبيه^(١) . فَإِنْ قُلْتَ : أَيُّ (مَا) هِيَ فِي قَوْلِهِ لَايَا مَا أَيْنَهَا؟ قُلْتُ : هِيَ كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً^(٢)﴾ قال صاحب الكشف : وما هذه إيهامية ، وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهتته إيهاماً وزادته شياً ومحموماً ، كقولك : أعطني كتاباً ما — تريد أي كتاب كان — أو صلة للتأكيد كالتى في قوله تعالى : ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ^(٣)﴾ انتهى . فالمعنى أن هذا الربع ظلوه من الأهل

(١) ط : « في معنى التشبيه » ، صوابه في ش .

(٢) الآية ٢٦ من البقرة .

(٣) من الآية ١٥٥ من النساء « فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات

الله » ، والآية ١٣ من المائدة « فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية » .

قد سفت الريح عليه التراب حتى خفيت الأوارى فيه ، فلا تظهر للناظر
بادى بدء ، وإنما يستبينها ببطء بعد التأمل .

فإن قلت : رواية الفراء^(١) تناقض رواية الجمهور ؛ فإن روايته
صريحة في نفي استبانة الأوارى ، وحينئذ لا معنى لاستثناء الأوارى . قلت :
هى بتقدير ما أبينها بسرعة بل ببطء ، فتطابق رواية الجمهور ويصح الاستثناء .
فإن قلت : هل يصح أن تكون ما في رواية الجمهور نافية ؟ قلت : لا ،
لأن المعنى حينئذ أن الأوارى لم أتبينها ببطء بل بسرعة . وهذا خلاف
مراد الشاعر ، فتأمل . وفي ذكر الأوارى دلالة على أن أهل الرّبع ذوو عز
وشجاعة لاقتنائهم الخليل . والله أعلم .

وترجمة النابتة الذّيبانى قد تقدمت في الشاهد الرابع بعد المائة^(٢) .

وأشدد بعمده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد للمائتين^(٣) :

٢٧٣ (وما الدهرُ إلّا منجنوناً بأهله وما صاحبُ الحاجات إلّا ممّعباً)

على أن يونس استدّل به على إعمال ما مع انتقاض فيها بإلّا .

وأجيب بأن للمضاف محذوف من الأول ، أى [يدور^(٤)] دوران
منجنون ، ويدور خبر للبندأ ، فحذف هو والمصدر وأقيم منجنون مقام المصدر .

(١) للفراء روايتان ، وانما يريد البغدادى رواية « الا أوارى لا ان ما

أبينها ، .

(٢) الخزائنة ٢ : ١٣٥ .

(٣) انظر المقرب لابن عصفور والتصريح ١ : ١٩٧ والأشـمـونى

٢٤٨ : ١

(٤) التكملة من ش .

وَأَنَّ الثَّانِي أَصْلُهُ وَمَا صَاحِبُ الْحَاجَاتِ إِلَّا يَعْذِبُ مَعْذِبًا أَيْ تَعْذِيْبًا ، فَيَعْذِبُ
خَبَرَ الْمُبْتَدَأِ ، فَخُذَفَ وَبَقِيَ مَصْدَرُهُ . فَلَا عَمَلَ لِمَا فِي الْوَضْعَيْنِ .

وخرَّجَه صاحب اللب على أنه بتقدير : وما الدهر إِلَّا يُشْبِهُ مَنْجُونًا ،
وما صاحب الحاجات إِلَّا يُشْبِهُ مَعْذِبًا ، فهما منصوبان بالفعل الواقع خبراً ،
ومعذَّب على هذا اسم مفعول ، وهذا أَقْلُ كُفَّةً .

وقال شارح اللب السيد عبد الله : ويجوز أن يكون — أى منجنونا —
منصوباً على الحال والخبر محذوف ، أى وما الدهر موجوداً إِلَّا مثل المنجنون ،
لا يستقرُّ في حالة . وعلى هذا تكون عاملة قبل انتقاض نفيها . وكذا يكون
التقدير في الثاني : أى وما صاحب الحاجات موجوداً إِلَّا مَعْذِبًا . ولا تقدَّر
هنا مثل ، لأن الثاني هو الأوَّل .

وقال ابن هشام (في شرح شواهد) : وجوز ابن بإشاد أن يكون
الأصل إِلَّا كمنجنون ، ثم حذف الجارَّ فانتصب المجرور . ومن زعم أن كاف
التشبيه لا يتعلق بشيء فهذا التخريج عنده باطل ، إذ كان حقُّه أن يرفع المجرور
بعد حذفها ، لأنه كان في محلِّ رفعٍ على الخبرية ، لا في موضع رفعٍ باستقرارٍ
مقدَّرٍ ، فإذا ذهب الجارُّ ظهر ما كان للحلِّ . انتهى .

وعندي أن يكون من قبيل تأويل من قرأ : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ^(١) ﴾
بالنصب ، أى نُرَى عُصْبَةٌ . والظاهر أن هذا أسهل .

ورواية البيت كذا هي الرواية للشهورة ، ورواه ابن جني (في المحتسب)
عند قراءة ابن مسعود : ﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا لَيُؤْفِقُنَّهُمْ ^(٢) ﴾ من سورة هود :

(١) الآية ٨ ، ١٤ من يوسف .

(٢) الآية ١١١ من هود . وانظر المحتسب ١ : ٣٢٨ طبع لجنة احياء

أرى الدهر إلّا مَنْجُونًا بأهله وما طالبُ الحاجات إلّا مملًا
قال : معنى هذه القراءة ما كُلُّ إلّا والله ليوفينهم ، كقولك : ما زيد
إلّا لأخبرته ، أى ما زيد إلّا مستحق لأن يقال فيه هذا . ويجوز فيه وجه
ثانٍ : وهو أن تكون إن مخففة من الثقيلة وتجمل إلّا زائدة . وقد جاء عنهم
ذلك ، قال :

أرى الدهر إلّا مَنْجُونًا (البيت)

أى أرى الدهر مَنْجُونًا بأهله يتقلب بهم ، فتارة يرفعهم وتارة يخفضهم .
انتهى .

قال ابن هشام (فى اللغى) : إنما المحفوظ : وما الدهر . ثم إن ثبت روايته
فينخرج على أن أرى جوابٌ لقسم مقدرٌ وحذفت لا ، كحذفها فى : **تَفْتَوُ تَذَكَّرُ** (١) ، ودلّ على ذلك الاستثناء المفرغ . انتهى .

وهذا البيت نسبته ابن جنى (فى كتاب ذا القدر) (٢) لبعض العرب .
و (المنجون) : الدولاب الذى يستقى عليه ؛ وهو مؤنث . قال ابن جنى (فى)
شرح تصريف للمازنيّ للسمى بالمنصف) : ليس منجون من ذوات الخمسة ،
هذا محال ، لأجل تكرير النون ، وإنما هو مثل حندقوق ملحق بعصرفوط .
ولا يجوز أن تكون الميم زائدة : لأننا لا نعلم فى الكلام مفعولاً . ولا يجوز
أن تكون الميم والنون جميعاً زائدتين ، على أن تكون الكلمة ثلاثية من

١٣٠

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) فى هامش ش والمطبوعة : « ذا القدر كتاب جمعه ابن جنى من
كلام شيخه أبى على رحمهما الله تعالى » . قال الميمنى : « وكذا فى نسخة
من الأدباء ، وفه الأثر » : « ذا القدر » . وانظر معجم الأدباء ١٦ : ١١٣ حيث

لفظ الجن ، من جهتين : إحداهما أنك كنت تجمع في أول الكلمة زيادتين وليست الكلمة جارية على فعل مثل منطلق ومستخرج . والآخرى : أنا لا نعلم في الكلام منفعولا فيحمل هذا عليه . ولا يجوز أيضاً أن تكون النون وحدها زائدة : لأنها قد ثبتت في الجمع في قولهم مناجين ، ولو كانت زائدة لقليل مجاجين ، فإذا لم يجوز أن تكون الميم وحدها زائدة ، ولا النون وحدها زائدة ، ولا أن يكونا كلتهما زائدتين ؛ لم يجوز إلا أن يكونا أصليين وتجمل النون لأمّا مكررة ، وتكون الكلمة مثل خندقوق ملحقة بعضرفوط .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المائتين وهو من شواهد س^(١) :

٢٧٤ ﴿ فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ دَوْلَتَهُمْ

إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرٌ ﴾

بأن سيبويه حكى أن بعض الناس ينصب (مثلهم) . وهذا لا يكاد يعرف . وقيل : إن خبر ما مخذوف ، أي إذ ما في الدنيا بشر ، ومثلهم حال من بشر ، وانتصابه عند الكوفيين على الظرف أي في مثل حالهم وفي مثل مكانهم من الرفعة .

قول سيبويه مبني على إعمال ما ، والقولان بعده مبنيان على إهمالها . قال

(١) في كتابه ١ : ٢٩ . وانظر مجالس العلماء للزجاجي ١١٣ وشرح شواهد المغني ٨٤ ، ٢٦٥ والعيني ٢ : ٩٦ والتصريح ١ : ١٩٨ والهمع ١ : ١٢٤ ، ٢١٩ ، ٢٤٩ والأشموقي ١ : ٢٣٠ ، ٢٤٨ وديوان الفرزدق ٢٢٣ .

سيبويه : وهذا لا يكاد يعرف ، كما أن ﴿ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾^(١) كذلك .
وربَّ شيء هكذا . قال السيرافي : يعني أن نصب مثلهم بشر على تقديم الخبر
قليل ، كما أن ﴿ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ بالرفع قليل لا يكاد يعرف . انتهى .

وقال أبو جعفر النحاس : يذهب سيبويه إلى أنه نصب مثلهم على أنه
خبر وإن كان مقدماً ، فكأنه يميز ما قائماً زيد . (أقول) : كيف ينصبونه
مقدماً ؟ قال النحاس : سألت أبا إسحاق عما قاله المبرد فقال : إنه لعمري من
بنى تميم . ولكنه مسلم قد قرأ القرآن وقرأ فيه : ﴿ ما هذا بشراً ﴾^(٢) وقرأ :
﴿ ما هنَّ أمهاتهم ﴾^(٣) فرجع إلى لغة من ينصب ، فلامعني للتشنيع بأنه من بنى
تميم . انتهى .

أقول : من نصب لا ينصب مع تقدّم الخبر ، فلا يصحُّ هذا جواباً . وقيل :
أراد الفرزدق أن يتكلم بلسان الحجاز فغلط . وهذا باطل ؛ فان العربي لا يمكن
أن يغلط لسانه ، وإنما الجائز غلظه في المعاني .

وقال الأعمى : والذي حمله عليه سيبويه أصحُّ عندي وإن كان الفرزدق
تميمياً : لأنه أراد أن يخلص للمعنى من الاشتراك : وذلك أنه لو قال فيه
إذ ما مثلهم بشر بالرفع ، لجاز أن يتوهم أنه من باب ما مثلك أحداً ، إذا نفيت
عنه الإنسانية والمرودة ، فإذا قال : ما مثلهم بشر بالنصب لم يتوهم ذلك
وخلص المعنى للمدح دون توهم الذم . فتأملته تجده صحيحاً . والشعر موضع ضرورة ؛

(١) الآية ٣ من سورة ص . وقراءة رفع الحين هي لأبي السمال ، مع

ضم تاء « لات » وقرأها عيسى « ولاتَ حِينَ مَنَاصٍ » . تفسير أبي حيان
٧ : ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٢) الآية ٣١ من يوسف .

(٣) الآية ٢ من المجادلة . ويبدو أن في هذا النص سقطاً .

ويحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون إحراز ثابتة ، فكيف مع وجود ذلك . وسيبويه ممن يأخذ بتصحيح المعاني وإن اختلفت الألفاظ ، فكذلك^(١) وجهه على هذا وإن كان غيره أقرب إلى القياس . انتهى .

يريد بتخليص المدح أنك إذا قلت مامثلك أحداً فنفيت الأحدية
احتمل المدح والدم ، فإن نصبت المثل ورفعت أحداً تعين للمدح . انتهى^(٢) . ١٣١
قال ابن هشام (في شرح شواهد) : وفيه نظر ؛ فإن السياق يعين
الكلام للمدح .

وقال في الرد على المبرد أحد بن محمد بن ولاد : إن الرواة عن الفرزدق
وغيره من الشعراء قد تغير البيت على لغتها وترويه على مذاهبها ، مما يوافق
لغة الشاعر ويخالفها ، ولذلك كثرت الروايات في البيت الواحد . ألا ترى أن
سيبويه قد يستشهد بيت واحد لوجود شئ ! وإنما ذلك على حسب ماغيرته
الرواة بلغاتها ، لأن لغة الراوى من العرب شاهد ، كما أن قول الشاعر شاهد ،
إذا كانا فصيحين . فمن ذلك ما أشده سيبويه :

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائئاً^(٣)

(١) في الأعلام : « فلذلك » ، وبذلك غيرها الشنقيطي في نسخته
فيما غيره بقله ، وكلاهما صحيح في العربية .
(٢) يبدو أن هذه الكلمة مقحمة ، فإن الكلام رأى خاص للبغدادى
لا اقتباس له من غيره .

(٣) البيت لزهير نسبه سيبويه إليه في ١ : ٨٣ ، ٤١٨ ، ٤٥٢ / ٢ :
٢٧٨ . ورواية « سابقاً » في أول موضع فقط . لكنه نسبه في ١ : ١٥٤
إلى صرمة الأنصاري مع رواية الجبر . ورواه بدون نسبة ومع الجبر في ١ :
٢٩٠ .

ورواه أيضاً : (ولا سابقاً) في موضع آخر . وكذلك قول الأعور الشنّي :

فليس بآتيك مَنهَها ولا قاصر عنك مأمورها^(١)

بالرفع والجر . وهذا كثير جداً . انتهى .

وفيه أن بيت^(٢) الفرزدق ليس على لغة الحجاز ولا على لغة تميم وغيرها فكيف يكون من قبيل لغة الراوى ! فتأمل .

والقول الأول من القولين هو للمازنى ، وتبعه المبرد وقال : كأنّ مثلهم صفة لبشر فلما قدّم عليه صار حالا .

قال السيد عبد الله (في شرح اللب) : وفيه نظر لأنّ الحال فضلة يتم الكلام بدونها ، وههنا لا يتم الكلام بدون مثلهم ، فلا يكون حالا .

ورده ابن هشام أيضاً (في شرح شواهد) بأن معاني الأفعال لا تعمل مضمره . والكوفيون القائلون بنصب مثل على الظرف يقولون : أصله ما بشر في مكانٍ مثل مكانهم ، ثم أنبت الصفة عن الموصوف ، والمضاف إليه عن المضاف . قال ابن هشام : وردّ بأنّ الصفة إنّما تخلف الموصوف إذا اختصّت بجنسه ؛ ولهذا جاز رأيت كاتباً ، وامتنع رأيت طويلاً .

وبقي تخريج آخر لم يذكره الشارح المحقّق ، وهو أنّ مثلهم خبر ما التيمية ؛ لكنّ بنى مثل على الفتح لإضافته إلى مبنى ، ؛ فإنّ المضاف إذا كان مُبهماً كغير ومثل ودون وأضيف إلى مبنى بُنى كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ

(١) سيبويه ١ : ٣١ . ونسبه في العمدة ١ : ١٣ الى عمر بن الخطاب ،

او الأعور الشنّي وفي العقد ٣ : ٢٠٧ لمحمد بن حازم .

(٢) في النسختين : « باب » وحورها الشنقيطي في نسخته الى

« بيت » .

مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ^(١) ﴿ فيمن فتح مثل ، أو كقراءة بعضهم : ﴿ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ^(٢) ﴾ بالفتح . وهذا أقرب الأقوال .
وزعم ابن مالك أَنَّ ذلك لا يكون في مِثْلٍ ، لمخالفتها للمبهمات بَأَنْ تَنْتَ وَتَجْمَع .

وقوله : (إِذْ تُفْرَشُ قَرِيشُ الْخِ) إِذْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلتَّعْلِيلِ . وبه استشهد ابن هشام في هذا البيت (في اللغني) .

وهذا البيت من قصيدة للفردق يمدح بها عمر بن عبد العزيز الأموي . صاحب الشاهد وهذه أبيات منها^(٣) :

(تَقُولُ لَمَّا رَأَيْتَنِي وَهِيَ طَيِّبَةٌ عَلَى الْفَرَّاشِ وَمِنَهَا الدَّلُّ وَاطْفَرُوا أَيْتَاتِ الشَّاهِدِ
أَصْدِرْهُمُومَكَ لَا يَقْتُلُكَ وَارْدُهَا فَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صَدْرٌ)
إلى أَنْ قَالَ :

فَعَجَّنَهَا قَبْلَ الْأَخْيَارِ مَنَزَلَةً وَالطَّيِّبِي كُلِّ مَا النَّائِتُ بِهَا الْأُزْرُ^(٤)
إِذَا رَجَا الرِّكْبَ تَعْرِيسًا ذَكَرْتُ لَمْ عِيشًا يَكُونُ عَلَى الْأَيْدِي لَهُ دِرَرٌ^(٥)
وَكَيْفَ تَرْجُونَ تَنْمِيزًا وَأَهْلُكُمْ بِحَيْثُ تَلْحَسُ عَنْ أَوْلَادِهَا الْبَقَرُ

(١) الآية ٢٣ من الذاريات .

(٢) الآية ٨٩ من هود . وقراءة النصب هي قراءة مجاهد والجدري

وابن أبي اسحاق ، ورويت عن نافع أيضا . تفسير أبي حيان ٥ :
٢٥٥ .

(٣) ديوان الفردق ٢٣٠ - ٢٢٤ .

(٤) في الديوان : « به الأزر » :

(٥) في الديوان : « غيثا يكون » .

١٣٢ سِيرُوا فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى عَنْ أَمَامِكُمْ وَبَادِرُوهُ فَإِنَّ الْعُرْفَ يُبْتَدَرُ^(١) إِلَى أَنْ قَالَ :

(وما أُعِيدَ لَمْ حَتَّى أُتَيْتَهُمْ أَزْمَانُ مِرْوَانَ إِذْ فِي وَحْشِهَا غَوْرُ
فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ دَوْلَتَهُمْ إِذْ هُمْ قَرِيشٌ وَإِذَا مَا مِثْلَهُمْ بَشَرُ
وَلَنْ يَزَالَ إِمَامٌ مِنْهُمْ مَلِكٌ إِلَيْهِ يَشْخَصُ فَوْقَ الْمَنِيرِ الْبَصَرُ
إِنْ عَاقَبُوا فَلَمَنَّا يَا مِنْ عَقُوبَتِهِمْ وَإِنْ عَفَوْا فَذَوُوا الْأَحْلَامِ إِنْ قَدَرُوا)

قوله : ومنها الدلّ والخفّر ، الدلّ بفتح الدال : مصدر دلّت المرأة من بابي ضرب وتعب . وتدلّت تدلّلا ؛ والاسم الدلّال وهو جرّءٌها في تكسّر وتفتّج ، كأنّها مخالعةٌ وليس بها خلاف . كذا في اللصباح . والخفّر ، بفتح اللعجمة ، وهو شدّة الحياء . وقوله : أصدر همومك ، أى اصرفها عنك ، يقال صدر القوم وأصدروا همومهم إذا صرفتهم . وقوله : فكل واردة ، تعليل لقوله أصدر .

وقوله : فمُجَنِّها قِبَلَ الْأَخْيَارِ ، يقال عَجّت الناقة أعوجها : إذا عطفت رأسها بالزمام ؛ والضمير للناقة . والقيل ، بكسر القاف وفتح الموحدة : الجهة . ومنزلة تمييز . والطبي معطوف على الاخيار وهو جمع مذكّر سالم حذف نونه للإضافة ، والمفرد طيب . والثالث : التفت ؛ يقال لا ث عمامة يَلُونَهَا ، إذا لفّها على رأسه . وضمير بها لما الموصولة . والأزّر : جمع إزار ، وهو ما يستر من

(١) في الديوان : « من أمامكم » . وفي العيني ٣ : ٦٢٦ : « فان ابا ليلي أمامكم » . ولا تصح ، فان الممدوح بالقصيدة عمر بن عبد العزيز ، وأمه هي ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، كما أن أم أبيه هي ليلي بنت الأصبح بن زيادة الكلبى .

السرة إلى أسفل . والزَّداء : ما يستر من المنسكب إلى أسفل . وهذا كناية عن وصفهم بالعفة ؛ والعرب تكنى بالشئ عما يحويه ويشتمل عليه ، كقولهم : ناصح الجيب ، أى الفؤاد . أراد أنهم أخيار ذوو عفة .

وهذا البيت أورده ابن قاسم (فى شرح الألفية) على أن الطيبي صفة مشبهة مضافة إلى مضاف إلى الموصول .

وقوله : إذا رجا الركبُ الخ ، التعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم .

وقوله : بحيث تلحس الخ ، أى فى موضع قفر لا نبات به ولا ماء .

وابن ليلى هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وليلى هى أمه ، وهى بنت عامر بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والعُرف ، بالضم : المعروف .

وقوله : إذ فى وحشها غِرَرٌ ، الغرر بالكسر : جمع غِرَّة ، وهى الغفلة . يريد أن وحشها لا يدعرها أحد ، فهى فى غِرَّة من عيشها ، يقال هو فى غِرَّة من العيش ، إذا كان فى عيش ليس فيه كدر ولا خوف . وأزمانٌ : نائب فاعل أُعيد . وأُتيتهم : خطابٌ لعمر بن عبد العزيز . وضمير وحشها للمدينة المنورة .

قال ابن خلف : مدح الفرزدق بهذا الشعر عمر بن عبد العزيز . وكان قد ولى المدينة . يقول : وما أُعيد لأهل المدينة ولن بها من قرش أزمانٌ مثلُ أزمانِ مروانٍ فى الخصب والسعة ، حتى وَلَّيت أنتَ عليهم فماد لهم مثلُ ما كانوا فيه من الخير حين كان مروانُ والياً عليهم ، فأصبحوا بولايتك عليهم قد أعاد الله نعمتهم عليهم .

وقال الأعمى : مدح بالشعر بنى أمية فقال : كان ملكُ العرب فى الجاهلية

لغير قریش وسائر مضر ، وكانوا أحقَّ به لفضلهم على البشر ، فقد أصبحوا
والإسلام فيهم ، فعاد إليهم مارجع عن غيرهم بما كان واجباً لهم
بفضلهم . انتهى .

والمعنى هو الأول ويدل له قوله : قد أعاد الله نعمتهم ، فإنَّ نعمتهم كانت
منقطعةً بعزل مرثوان وأعيدت إليهم بتولية عمر بن عبد العزيز عليهم ، فإنَّ
العود رُجوع الشيء إلى الشيء بعد انفصاله عنه . وأما قوله : فعاد إليهم بعد
؛ ما خرج عن غيرهم ، فهذا انتقال لا عود .

وقوله : قد أعاد الله نعمتهم ، هذه الجملة خبر صار . والعجب من العيني
في قوله صار من الأفعال الناقصة^(١) ، وجعله هذه الجملة حالا مع أنه لم
يعين الخبر .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين :

٢٧٥ (لَوْ أَنَّكَ يَا حُسَيْنُ خُلِقْتَ حُرًّا

وَمَا بِالْحُرِّ أَنْتَ وَلَا الْخَلِيقُ^(٢))

على أن فيه دليلاً على جواز تقديم الخبر المنصوب ، إذ الباء لا تدخل
إلا على الخبر المنصوب .

وعلى هذا بنى أبو علي والزحشرى امتناع دخولها على ما التيمية ،

(١) كذا ، وفي هامش ش : « صوابه أصبح » .

(٢) في الانصاف ٢٠٠ والمقرب ٣٥ وشرح شواهد المغني ٤١

وانتصريح ٢ : ٣٢٣ : « ولا العتيق » ، وفي يس ٢ : ٢٣٣ : « ولا الخليق »
كما هنا .

وأجازه الأخفش . قال أبو علي (في إيضاح الشعر) : أما ما أنشده بعض البغداديين :

أما والله عالم كل غيب ورب الحجر والبيت العتيق
لو أنك يا حسين خلقت حرًا وما بالحر أنت ولا الخلق
فإنه ينكون شاهداً على ما حكاه أبو عمرو في نصب خبر ما مقدماً .
ومن دفع^(١) ذلك أمكن أن يقول إن الباء دخلت على المبتدأ ، وحل ما على
أنها ما التيمية . ويقوى أن ما الحجازية أن أنت أخص من الحر ، فهو أولى
بأن يكون الاسم ويكون الحر الخبر . انتهى

أقول : من يدفع ذلك يقول إن الباء زيدت في خبر ما التيمية ،
ولا يذهب أن مدخولها مبتدأ . والصحيح أنها تزداد في خبر ما على الفتنين ،
وهو ظاهر كلام سيبويه في باب الاستثناء في مسألة ما زيد بشئ إلا شيء
لا يعبا به .

قال الشاطبي (في شرح الألفية) : والأصح ما ذهب إليه سيبويه
من أوجه :

أحدها : أن بني تميم يدخلونها في الخبر ، فيقولون : ما زيد بقائم ، فإذا لم
يدخلوها رفعوا . قال ابن خروف : إن بني تميم يرفعون ما بعدها بالابتداء
والخبر ، ويدخلون الباء في الخبر لتأكيد النفي . ثم حكى عن الفراء أنه قال :
أنشدني امرأة :

أما والله أن لو كنت حرًا وما بالحر أنت ولا العتيق

(١) في النسختين : « رفع » وخورها الشنقيطى الى « دفع »

قال : فأدخلت الباء فيما يلي ما . فإن ألفتها رفعت . انتهى

وقد أنشد سيديوه للفرزدق وهو تميمي :

لَعَمْرُكَ مَا مَعْنُ بِنَارِكَ حَقُّهُ وَلَا مَنَسِيٌّ مَعْنُ وَلَا مُتَيْسِّرُ

وهو كثير في أشعارهم لمن بحث عنه .

والثاني : أن الباء إنما دخلت على الخبر بعد ما لكونه منفياً ، لا لكونه خبراً منصوباً ؛ ولذلك دخلت في خبر لم يكن ولم تدخل في خبر كنت . وإذا ثبت أن المسوغ لدخولها إنما هو النفي فلا فرق بين منفي منصوب المحل ومنفي مرفوع المحل .

والثالث : أنه قد ثبت دخول الباء مع إبطال العمل ومع أداة لا عمل لها البتة ، نحو قوله ^(١) :

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ بَوَاءٍ وَلَا بَضْعِيٍّ قَوَاءٍ

وأنشد الفارسي (في التذكرة) للفرزدق :

يقول إذا اقلولنا عليها وأقردت أأهل أخو عيشٍ لذيقٍ بدائم ^(٢) ١٣٤

وإنما دخلت بعد هل لشبهها بحرف النفي ؛ فدخولها بعد النفي المحض وهو ما التسميية أحق . قال ابن مالك : لأن شبه ما بها أكل من شبه هل بها . ثم ذكر ماحكي الفراء عن كثير من أهل نجد : أنهم يجرّون الخبر بعدما بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا . قال ابن مالك : وهذا دليل واضح على أن دخول

(١) هو المتنخل الهذلي ، كما سيأتي في الشاهد التالي .

(٢) انظر شواهد المغني للسيوطي ٢٦٢ والعيني ٢ : ١٣٥ ، ١٤٩

والهمع ١ : ٢/١٢٧ : ٧٧ وديوان الفرزدق ٨٦٣ .

الباء جارة للخبر بعدما [لا^(١)] يلزم منه كون الخبر منصوب المحل ، بل جاز أن يقال هو منصوب المحل وأن يقال هو مرفوع المحل ، وإن كان المتكلم به حجازياً ، فإنَّ الحجازيَّ قد يتكلم بغير لفته وغيره يتكلم بلغته . إلاَّ أنَّ الظاهر أنَّ محلَّ المجرور نصبٌ إنَّ كان المتكلم حجازياً ، ورفعٌ إنَّ كان تميمياً أو نجدياً . قال : فن دخول اللغة التيممية في الحجازية كسرُ هاء الغائب بعد كسرة أو ياء ساكنة ، وإدغامُ نحو : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾^(٢) ورفع الله من قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٣) لأنَّ اللغة الحجازية به وفيه بالضم ، ولا يضارُّ بالفتح ، وإلاَّ الله بالنصب لأنَّ الاستثناء منقطع . قال : وإذا جاز للحجازيَّ أن يتكلم باللغة التيممية جاز للتميمي أن يتكلم باللغة الحجازية ، بل التيمميُّ بذلك أولى لوجهين : أحدهما أنَّ الحجازية أفصح ، واتقياد غير الأفصح لموافقة الأفصح أكثر وقوعاً من العكس . والثاني أنَّ معظم القرآن حجازيٌّ والتميميون متعبدون بتلاوته كما أنزل ، ولذلك لا يقرأ أحد منهم ما هذا بشرُّ^(٤) إلاَّ من جهل كونه منزلاً . هذا ما قاله ، وفيه نظر لا يليق بهذا الموضع . انتهى ما أورده الشاطبي .

وروى الفراء هذا البيت (في تفسيره) كذا :

أما والله أن لو كنت حرّاً وما بالحر أنت ولا المتنبِّق^(٥)

أنشده في سورة الجنَّ عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾^(٥)

(١) تكملة تقتضيها صحة الكلام .

(٢) الآية ٢٨٢ من البقرة .

(٣) الآية ٦٥ من النمل .

(٤) ط : « بشرأ » ، صوابه في ش بالرفع .

(٥) الآية ١٦ من الجن .

قال : قد اجتمع القراء على كسر إنا في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾^(١) واختلفوا فيما بعد ذلك فقرأوا : وأنا ؛ وإنا إلى آخر السورة ، فكسروا بعضاً وفتحوا بعضاً . فأما الذين فتحوا كلها فإنهم ردّوا أن على قوله ﴿ فَأَمَّا بَ ﴾ وأما بكل ذلك ، ففتحت أن لوقوع الإيمان عليها . ويقوى النصب قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا ﴾ فينبغي لمن كسر أن يحذف أن من لو ، لأنَّ إنا إذا خففت لم تكن في حكاية ؛ ألا ترى أنك تقول : أقول لو فعلت لفعلت ، ولا تدخل أن . وأما الذين كسروا كلها فهم في ذلك يقولون : وأن لو استقاموا ؛ فكأنهم أضروا يميناً مع لو وقطعوا عن النسق ، فقالوا : والله أن لو استقاموا . والعرب تدخل أن في هذا الموضع مع اليين وتحذفها ، قال الشاعر^(٢) :

* فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْنَا أَنَا رَسُولُهُ *^(٣)

وأنشدني آخر :

أما والله أن لو كنت حرّاً البيت

ومن كسر كلها ونصب ﴿ وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ خصه بالوحى ، وجعل وأن لو مضرة فيها اليين على ما وصفت لك . انتهى .

وكذا أورده ابن هشام (في المعنى) في بحث أن وجعلها زائدة ، قال :
ومن مواضع زيادتها أن تقع بين لو وفعل القسم ، مذكوراً كقوله^(٤) :

(١) الآية الأولى من الجن .

(٢) هو امرؤ القيس . ديوانه ٢٤٢ . وهو الشاهد ٨١٧ .

(٣) معجزة :

* سواك ولكن لم نجد لك مدفعا *

(٤) هو المسيب بن علس ، من أبيات في شرح شواهد المفنى ٤١ والخزانة ٤ : ٢٢٦ بولاق . ومعجزة :

* لكان لكم يوم من الشر مظلم *

فأقسم أن لو التقينا وأتم
أو متروكا كقوله :

أما والله أن لو كنت حُرًّا البيت

وهذا قول سيبويه^(١) وغيره . وفي مقرب ابن عصفور : أنها في ذلك
حرف جىء به لربط الجواب بالقسم . ويُبعده أن الأكثر تركها ، والحروف
الرابطه ليست كذلك . انتهى .

وتقضى الدمامنى باللام الداخلة على جواب لو المنفى^(٢) كقولك :

* ولو نُعطى الخيار لما افترقنا^(٣) *

فإنها حرف رابط، والأكثر تركها نحو : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَعَلُوهُ﴾^(٤) ، انتهى
وأنشده المرادى أيضاً كذا (في شرح الألفية) شاهداً على أن رابط
الجواب القسم .
وقوله :

أما والله عالم كل غيب ... الخ

(١) الحق أن سيبويه لا يرى زيادتها ، بل يعدها موطنه للقسم .
سيبويه ١ : ٤٥٥ والرضى ٢ : ٣١٦ والخزانة ٤ : ٢٢٥ بولاق في الشاهد
٨١٦ .

(٢) هذا ما فى ش . وفى ط : « على الجواب المنفى » .

(٣) ط : « تعطى » ، صوابه فى ش والسيوطى ٢٢٨ والهمع ٢ :
٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٣ .

(٤) الآية ١١٢ من الأنعام . وفى الأنعام غيرها ١٣٧ : « ولو شاء
الله ما فعلوه » .

أما بالتخفيف حرف تنبيه يستفتح به الكلام ، وجواب القسم محذوف
أى لقاومتك ، أو في بيت آخر .

وقوله : لَوْ أَنَّكَ ، يقرأ بنقل فتحة الألف من أَنَّكَ إلى واو لو . والحرث
من الرجال : الكريم الأصل الذى خلص من الرق مطلقاً ، سواء كان رق
المبودية أو رق النفس ، بأن تستخدمه فى الرذائل . والخليق : الجدير واللائق .
أى ولا أنت جدير بأن تكون حرّاً . والعتيق ، على رواية الفراء وغيره ،
هو الكريم والأصيل . والذى خلص من الرق عتيق أيضاً . ولذكره بجنب
الحرّ حُسْنُ مَوْقِع .

وهذان البيتان لم أعرف قائمهما . وقال العيني ، فى البيت الشاهد : أنشده
سيبويه ، ولم يعزه إلى أحد . أقول : لم ينشده سيبويه ولا وقع فى كتابه . وصوابه
أنشده الفراء فإنه أول من استشهد به . والله أعلم

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائتين^(١) :

٢٧٦ (لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ أَبَا مَالِكٍ بَوَّانٍ وَلَا بَضْعِيْفٍ قُوَاهِ)

على أَنَّ الباء تزداد بعد ما النافية المكفوفة بإِنْ اتفاقاً . وهذا يدل على أنه
لا اختصاص لزيادة الباء فى خبر ما الحجازية .

وهذا البيت أول أبياتٍ للمتنخلّ الهذليّ يرثى بها أباه ، وبعبده :

صاحب الشاهد

(١) الهمع ١ : ١٢٧ والأشمونى ١ : ٢٥٢ والهذليين ٢ : ٢٩

والشعراء ٦٤٣ وأمالى المرتضى ١ : ٣٠٦ .

(ولا بالذَّ له نازِعٌ يُغَارِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَا^(١))
 وَلَكِنَّهُ هَيِّنٌ لِّينٌ كَهَالِيَةِ الرُّمَحِ عَرَدٌ نَسَاهُ
 إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ وَمَهْمًا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ
 أَلَا مَنْ يَنَادِي أَبَا مَالِكٍ أَفَى أَمْرُنَا هُوَ أَمْ فِي سِوَاهُ
 أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُسْبِغٌ غِنَاهُ)

وقوله : (لعمرك ما إن الخ) اللام لام الابتداء ، وفائدتها توكيد مضمون الجملة . وعمرُك ، بالفتح ، بمعنى حياتك مبتدأ خبره مخنوف ، أى قسى . وجملة ما إن أبو مالك الخ جواب القسم . وأبو مالك هو أبو الشاعر . واسمه عُويمر ، لأنَّ المتنخل اسمه مالك بن عويمر كما يأتي قريباً . ولم يصب ابن قتيبة في كتاب الشعراء في زعمه أنه يرى أخاه أبا مالك عويمراً . (وَاِنْ) : اسم فاعل من وني في الأمر وَتَى وَوَنِيًّا من بابي تعب ووعد ، بمعنى ضعف وفتر . وروى بدله (وَاِ) وهو أيضاً اسم فاعل من وهى من باب وعد ، بمعنى ضعف وسقط . والقَوَى : جمع قُوَّةٍ خلاف الضعف ، قال في الصحاح : ورجل شديد القَوَى ، أى شديد أسر الخلق . يريد أن أباه كان جليلاً شهماً لا يَسْكُلُ أمره إلى أحد ، ولا يؤخره لعجزه إلى وقت آخر .

وقوله : ولا بالذَّ الخ ، الالذَّ : الشديد الخصومة ، من الالذد بفتح الحين وهو ١٣٦ شدة الخصومة . قال السكري (في شرح أشعار هذيل) هنا ، وتبعه السيد المرتضى (في أماليه) : ومعنى له نازع أى خُلِقَ سوء ينزعه من نفسه - يريد أنه من نزعت الشيء من مكانه من باب ضرب بمعنى قلعه - ويجوز أن يكون من قولهم لعل له عرقاً نزاع أى مال بالشبه . ويقولون أيضاً : العرق نزاع .

(١) ط : « بغارى » ، صوابه فى ش والشرح التالى .

ونزع إلى أبيه ونحوه في الشبه أي ذهب . وهذا عندى أولى . وقوله : يفارى أخاه ، قال السكرى ، وتبعه السيد المرتضى : أى يُلاحى ويشار ، من غاريت بين الشبهين ، إذا واليت بينهما . قال أبو عبيدة : وهو من غرى بالشئ يُغرى به . أقول : كونه من غرى فلان إذا تهادى في غضبه أولى . وروى بدله : (يهادى) من العداوة ضدّ الصداقة . وهذا وما قبله كلاهما داخلان تحت النقي .

وقوله : كعالية الرمح الخ ، عالية الرمح : ما دخل في السنان إلى ثلثه . ومعنى كونه لينا كعالية الرمح أنه إذا دعى أجاب بسرعة كعالية الرمح ، فإنه إذا هزّ الرمح اضطرب وأنهرّ لينه ، بخلاف غيره من الأخشاب فإنه لا يتحرك طرفها إذا هزّت لصلابتها ويدهسها . وقوله : عرد نساء ، العرد ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشديد . والضمير لأبي مالك . والنساء ، قال الأصمعي : بالفتح مقصور : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمحت الدابة انفلقت فخذاهما بلحمتين عظيمتين وجرى النساء بينهما واستبان . وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الرّبتان وخفى النساء . وإذا قالوا : إنه لشديد النساء فإنما يريدون به النساء أنفسه ، كذا في الصحاح . قال السكرى : أراد غليظ موضع النساء .

وقوله : إذا سُدّته سدت الخ قال السيد المرتضى : ومعنى سُدّته من المساودة التي هي المساورة ، والسواد هو السرار ، كأنه قال : إذا ساررت طواعك وساعدك . وقال قوم : هو من السيادة فكأنه قال : إذا كنت فوقه سيّدا له طواعك ولم يحسدك ، وإن وكلت إليه شيئا كفالك . وقوم يشهدونه :

* إذا سُستهُ سُست مطوعة *

ولم أجد ذلك في رواية . انتهى . وهذه الرواية أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة (في مختار أشعار القبائل) . وسسته ، من سست الرعية مياسة . والمطواع : الكثير الطوع أى الانقياد ، والتناء لنا كيد المبالغة . واقتصر السكرى على المعنى الثانى فقال : يقول إذا كان لك السؤدد عليه أطاعك ولم يحسدك . ومهما وكلت إليه أى مهما تركته وإياه كفاه . انتهى

والسواد بالكسر كالسرار وزناً ومعنى .

وهذا البيت يأتى شرحه إن شاء الله فى الجوازم^(١) وقوله : أفى أمرنا هو الخ ، يعنى غيبته عنا ألينفعا كما كان تعود^(٢) ، أم لشيء آخر كاللوت . وهذا كلام المتوَلِّه الذى حصل له ذهول لعظم ما أصابه . وقال السكرى : هذا منه توشع ؛ أراد من ينادى أبا مالك فيسأله أمضى أم قد ذهب ، وأمره يصير إلينا أم يذهب ؟ وقال الباهلى : أمرنا أمره .

وقوله : قاصر فقره على نفسه ، هو من القصر وهو الحبس . والمشيح : من الإشاعة ، وهى الإذاعة . يريد أنه إذا افتقر أخفى فقره ، وإذا أنرى أذاع غناه ليُقصد من كل جهة ، وهذا من شرف النفس .

وهذه الأبيات على هذا الترتيب للمتنخل الهذلى رواها ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) ، والسكرى (فى أشعار هذيل) ، والسيد المرتضى (فى أماليه) والأصبهاني (فى أغانيه) . وروى أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) البيت الشاهد مع بيتين آخرين لدى الإصبع العدواني هكذا :

• (١) وهو الشاهد ٦٨٥

• (٢) ش : « يغزو »

١٣٧

وما إن أُسِيدُ أبو مالك بوانٍ ولا بضعيفٍ قواه
ولكنه هينٌ لبينٍ كمالية الرمح عَرْدُ نَسَاءِ
فإن سُستَه سُستَ مطوَاعَةٍ ومهما وَكَلْتَ إليه كَفَاهِ
وأُسِيدُ ، بفتح الهمزة وكسر السين المهملة .

المتنخل الهذلي

والمتنخلُ ، بكسر الخاء المشددة اسم فاعل من تنخَّلَ ؛ يقال تنخَّلته :
أى تخيَّرتَه كأنك صَفَيْتَه من نُخَالِه . وللمتنخلُ لقبٌ ، واسمه مالك وهو
جاهلي . ونسبته : مالك بن عُويم^(١) بن عثمان^(٢) بن خُنيس^(٣) بن عادية
ابن صمصمة بن كعب بن طابخة ، أخو بني لحيان بن هذيل بن مُدْرِكَة .
شاعرٌ محسنٌ من شعراء هذيل .

قال الأمدى^(٤) : والمتنخلُ السعديّ شاعرٌ أيضاً ، لم يقع إلى من شعره .
واستشهد الكسائيّ والفراء بقوله^(٥) :

يا زبرقانُ أخوا بني خَلَفٍ ما أنتَ وَيْبَ أَيْبِكَ والفَخْرُ

ومن شعر المتنخل الهذليّ ، أنشده أبو عبيد البكريّ (في شرح نوادر
القالی) وليس موجوداً في رواية السكريّ :

لا يُنسى اللهُ مِنَّا معشراً شَهِدُوا يومَ الأَمِيلِحِ لا عاشُوا ولا مَرَحُوا

(١) وقيل « عمرو » .

(٢) وقيل « عثم » .

(٣) وقيل « حبشي » . وانظر الأغاني ٢٠ : ١٤٥ والمؤتلف ١٧٨

واللآلئ ٧٢٤ والعيني ٣ : ٥١٧ .

(٤) في المؤتلف والمختلف ١٧٨ .

(٥) هو المخبل السعديّ . سيبويه ١ : ١٥١ والهمع ٢ : ٤٢

والحزانة ٢ : ٥٣٥ بولاق .

عَقُّوا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَشْعُرْ لَهُ أَحَدٌ ثُمَّ اسْتَفَاوُوا وَقَالُوا حَبِّدَا الْوَضْحُ
 قَالَ الْبَكْرِيُّ^(١) : هَذَا مِنْ شَعْرِ يَهْجُو بِهِ نَاسًا مِنْ قَوْمِهِ كَانُوا مَعَ أَبِيهِ
 حُجَّاجًا يَوْمَ قُتِلَ . وَقَوْلُهُ : لَا يَنْسَى اللَّهُ ، أَيْ لَا يُؤَخِّرُ اللَّهُ مَوْتَهُمْ ؛ مِنْ الْإِنْسَاءِ
 وَهُوَ التَّأْخِيرُ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ : التَّعْقِيَّةُ : سَهْمُ الْإِعْتِذَارِ . قَالَ ابْنُ
 الْأَعْرَابِيِّ : أَصْلُ هَذَا أَنْ يَقْتُلَ الرَّجُلُ رَجُلًا مِنْ قَبِيلَتِهِ فَيُطْلَبُ الْقَاتِلُ بِدَمِهِ ،
 فَتَجْتَمِعُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ بِدِيَةِ مُكَمَّلَةٍ وَيَسْأَلُونَهُمُ الْعَفْوَ
 وَقَبُولَ الدِّيَةِ ؛ فَإِنْ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ ذَوِي قُوَّةٍ أَبَوْا ذَلِكَ ، وَإِلَّا قَالُوا لَهُمْ : بَيْنَنَا
 وَبَيْنَ خَالِقِنَا عِلَامَةٌ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ؛ فَيَقُولُ الْآخَرُونَ : مَا عَلَامَتُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ :
 أَنْ نَأْخُذَ سَهْمًا فَنَرْمِي بِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ ، فَإِنْ رَجَعَ إِلَيْنَا مُضْرَجًا بِالدَّمِ فَقَدْ نُهِنَا
 عَنْ أَخْذِ الدِّيَةِ ، وَإِنْ رَجَعَ كَمَا صَعِدَ فَقَدْ أَمَرْنَا بِأَخْذِهَا . وَحِينَئِذٍ مَسَحُوا لِحَامَهُمْ
 وَصَالَحُوا عَلَى الدِّيَةِ . وَكَانَ مَسْحُ اللَّحْيَةِ عِلَامَةً لِلصُّلْحِ ، قَالَ الْأَسْعَرُ^(٢) الْجُعْفِيُّ :

عَقُّوا بِسَهْمٍ ثُمَّ قَالُوا سَالِمُوا يَا بَنِي الْقَوْمِ إِذْ مَسَحُوا اللَّحْيَ^(٣)

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : مَارَجَعَ ذَلِكَ السَّهْمُ قَطُّ إِلَّا تَقِيًّا ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْتَدِرُونَ بِهِ
 عِنْدَ الْجَهَالِ . انْتَهَى .

وَعَقُّوا ، بِضَمِّ الْقَافِ وَفَتْحِهَا ، لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ بَابَيْنِ فَإِنَّهُ يُقَالُ : عَقَّ بِالسَّهْمِ
 إِذَا رَمَى بِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَذَلِكَ السَّهْمُ يُسَمَّى عَقِيْقَةً بِقَافَيْنِ ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : سَهْمٌ

(١) ش : « السكري » ، صوابه في ط .

(٢) في النسختين : « الأشعر » وحوار الشنقيطي نقط الشين إلى
 سكون فوق السين ، وهو الصواب . والأسعر الجعفي من شعراء الأصمعيات ،
 لقبه بالأسعر لقوله :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك لأن أنا لم أسعر عليهم وأنقب

(٣) انظر الأصمعيات ١٥٩ برواية « مسحوا لحامهم ثم قالوا سالموا » .

الاعتذار . فعقوا بضم القاف . ويقال عقي بسهمه تعقية : إذا رماه في الهواء .
فعقوا بفتح القاف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين ^(١) :
٢٧٧ (نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ كَانَ مِنِّي فَلَيْتَ بَأَنَّهُ فِي جَوْفِ عِغْمٍ)
على أن الباء قد تزايد بعد ليت كما هنا .

قال أبو زيد (في نوادره) : الباء زائدة ، والوجه فليت أنه ^(٢) .
قال أبو علي (في التذكرة القصيرة) : وجه زيادة الباء في اسم ليت شبه
ليت لنصبها ورفعها بالفعل ، والفعل يصل تارة بنفسه وأخرى بالباء ، قال تعالى :
﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِين ﴾ ^(٤) .
ومثله في أنه لما أشبه الفعل عُذِّي تعديته تارة بنفسه وأخرى بحرف الجر
يازيد ويالزيد .

فإن قلت : فهل يكون على إضمار اسم ليت كقوله :
ألا ليت أني يوم تدنو مني شيمت الذي ما بين عينيك والغم ؟
فإن ذلك لا يستقيم ، لتلايبدأ بأن مفتوحة .
وسدَّ الظرف في خبر أن مسدَّ خبر ليت كما سدَّ في قولك علمت أن زيداً
في الدار مسدَّ المفعول الثاني . وجوازُ حذف الخبر في ليت وأن وبابه ، بوقوع
الجلل أخباراً لها . انتهى .

(١) نوادر أبي زيد ٣٣ وديوان الخطيئة ٦١ واللسان (عكم ، لسن) .

(٢) في النوادر : « والوجه فليته » .

(٣) الآية ١٤ من سورة العلق .

(٤) الآية ٢٥ من سورة النور .

وقال (في الحجة) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾^(١)
من سورة البقرة : فأما ما أنشده أبو زيد :

ندمت على لسانٍ قاتٍ مِنِّي (البيت)

فيحتمل أمرين : أحدهما أن تكون الباء زائدة وتكون أن مع الجار
في موضع نصب ، ويكون ما جرى في صلة أن قد سدّ مسدّ خبر لبت ، كما أنها
في ظننت أن زيدا منطلق كذلك . ويحتمل أن الهاء مرادة ودخلت الباء
على المبتدأ كما دخلت في بحسبك أن تفعل ذلك . ولا يمتنع هذا من حيث
امتنع الابتداء بأن ، لمكان الباء ، ألا ترى أن أن قد وقعت بعد لولا
في نحو قولك : لولا أنك منطلق ، ولم يجر ذلك الامتناع بجرى أنك منطلق
بلغنى ، لأن المعنى الذى له لم يبتدأ بالفتوحة — مع لولا — معدوم .
انتهى كلامه .

وروى شارح ديوان الخطيئة : (فليت بيّانه) ، فلا شاهد فيه .

وهذا البيت من أبيات للخطيئة قالها لأبي سهم عوذ بن مالك بن غالب^(٢) . أبيات الشاهد
وهي أربعة أبيات في ديوانه . وكذلك قال أبو زيد (في نواتره) : قال المفضل
لم أسمع غير هذه الأربعة الأبيات ، وهي :

(فيا نَدَمِي على مَهْمٍ بنِ عَوْذٍ^(٣) نَدَامَةٌ ما سَفِهْتُ وُضْلٌ حَلَمِي
نَدِمْتُ نَدَامَةَ الكُسْعَى لَمَّا شَرَيْتُ رِضَا بَنِي مَهْمٍ بِرَغَمِي)

(١) الآية ١٠٢ .

(٢) ش : « عوذ بن غالب » باسقاط « مالك » ، وفي النسختين :
« عوذ » بالبدال ، صوابه « عوذ » بالذال المعجمة كما في شرح السكري
لديوان الخطيئة ٦٠ .

(٣) في النواتر : « سهم بن عوف » .

ندمتُ على لسانٍ فاتٍ مني فليت بأنَّه في جوفِ عِكمِ
هنايكُمُ تهْدَمُ الرِّكَايا وضُمَّتِ الرِّجا فهوتُ بدمي)

قوله : فيا ندمي ، قال أبو عمر^(١) الجرْمى : أراد فيا ندامتاه ، فحذف الهاء لما وصل الكلام . ويروى : (يا ندمي) بإسقاط الفاء . (وندامة) بالنصب ، وما مصدرية أى ندامة سَفَهى ، ويشهد له الرواية الأخرى وهى (ندامة أنْ سَفِهت) ، وقد رواها شارح ديوانه . والسَفَه : طيشٌ وخفةٌ عقل . والحلم ، بالكسر : العقل .

والكسَعى^٢ : رجل جاهلٌ كانَتْ له قوس رُمى عليها بالليل حميراً من الوحش ، فظن أنه أخطأ — وكان قد أصاب — فغضب فكسرها ، فلما أصبح رأى الحمير مجدلةً فندم على كُسر قوسه . فُضرب به المثل فقيل : « أُنْدم من الكسَعى » ، و : « نَدِمْتَ ندامة الكسَعى » .

وشرح هذا المثل مفصلاً في أمثال حمزة والميداني والزحشرى .

وشرَيْت هنا بمعنى بعْت . يقول : بعْتُ رضامٍ برغمٍ مني .

وقوله : (ندمت على لسانٍ الخ) قال شارح الديوان : اللسان ها هنا الكلام فيكون مجازاً أطلق عليه اسم آله . وقال أبو زيد : اللسان ها هنا المنطق . وقال ابن الأنباري^٣ (في شرح المفضليات) : اللسان ها هنا الرسالة ، أوردته نظيراً لمطلع قصيدة مرقش الأكبر :

أنتنى لسانُ بنى عامٍ فجَلَّتْ أحاديثُها عن بَصَرٍ

١٣٩

(١) فى النسختين : « أبو عمرو الجرْمى » وهو خطأ يتكرر كثيراً .

وقد تكلم أبو علي (في الإيضاح الشعري) على اللسان بكلام مبسوط على قول يزيد بن الحكم:

لسانك لي أرى وعينك علقم وشرك مبسوط وخيرك ملتوى

وقد تقدم هذا البيت في قصيدته مشروحة في الشاهد الثمانين بعد المائة (١) فأحببت أن أوردته هنا لحسنه ، قال : ليس يخلو اللسان من أحد المعنيين ، إما أن يكون الجارحة ، أو التي بمعنى الكلام كقوله عز وجل : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ (٢) كأن المعنى : بلغتهم . ومما يقوى ذلك إفراؤ اللسان حيث أريد به الجارحة ، قال عز وجل : ﴿ واختلاف السنينكم والوانكم ﴾ (٣) . وألشد أبو زيد :

ندمت على لسان كان متى البيت

فبهذا يعلم أنه لا يريد به الجارحة ، لأن الندم لا يقع على الأعيان ، إنما يقع على معانيها . فإن قلت : فقد قال :

* فليت بأنه في جوف عكم *

إنما يكون العين . قيل : هذا اتساع ، وإنما أراد فليته كان مطوياً لم ينشر ، كما قال أوس :

ليس الحديث ينهبى بينهم ولا سر* يحدثنه في الحى منشور

فليس المنشور هنا كقولك نشرت الثوب الذي هو خلاف طويته ، وإنما يريد أنه لا يذاع ولا يشاع ، فاتسع . وكذلك قوله :

(١) الخزانة ٣ : ١٣٤ .

(٢) الآية ٤ من إبراهيم .

(٣) الآية ٢٢ من الروم .

* إِنِّي أَتَانِي لِسَانٌ لَا أَسْرُهُ بِهِ ^(١) *

انتهى المراد منه

وتقدم بقية هذا على بيت ابن الحكم هناك . ومراد أبي عليّ بالانساس الاستخدام ، فإنّ اللسان أريد بظاهره معنى وبضميره معنى آخر ، كقوله ^(٢) :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا

وكان هنا تامة بمعنى حدث وجرى ، و يروى بدله (فات مني) .
(والعِكم) بكسر المهملة : العِدْل ، وقال شارح الديوان : هو مثل الجوالق .
وقوله : هنالك الخ أى عند ذلك القول الذى صدر مني في حقهم . والركايا :
الآبار ، جمع رَكْي ، ونائب فاعل ضُمّت ضمير الركايا ، والرجا مفعوله
الثاني . قال في الصحاح : وكلُّ شئ جعلته في وعاء فقد ضُمّته إياه . والرجا
بالجيم قال شارح الديوان : هو جانب البئر من داخل ؛ وجؤلها بالضم :
جوانبها من خارج . والرجا : الناحية من كلِّ شئ ، قال أبو زيد : الرجا هنا
بمعنى الأرجاء . يريد أنه مفرد معروف باللام وقع موقع الجمع ، لأن البئر لها
نواح . يقول : عندما صدر مني قول في حقهم كأن الآبار تهدمت وسقطت
على بجميع نواحيها بسبب ذمّي . وروى (بنم) بالتنكير . قال شارح ديوانه :
أى بنم الركايا . وقال أبو علي في (التذكرة) : يقول ، كالذى حفر بئراً وهو حين
حفرها لم يقدّر أنها تقع على فساد ، فلما أن حفرها وقع على فساد ، فبناها

(١) لأعشى باهلة يرثى المنتشر . انظر الأصمعيات ٨٩ وحواشيها .
وعجزه :

* من علو لاعجب منه ولا سخر *

(٢) هو معود الحكماء معاوية بن مالك بن جعفر ، أو جرير . معاهد
التنصيص ١ : ٢/٢٢٨ : ١٣٩ وديوان جرير ١٧ .

على ذلك وتهنئهم ما بنى ؛ وكان قبل ذلك يأمل التمام لما يريد . فقتل هذا لما أن مدح على رجاء تمام للمدح فأخلف فهو بنم . انتهى

ثم رأيت ديوان الخطيئة جمع أبي سعيد السكري من رواية محمد بن حبيب وقبل هذه الأبيات قصيدة في ذم بني سهم بن عوذ^(١) بن مالك بن غالب ابن قطيعة بن عبس — وم بنو عمه — منها :

ولو وجدت سهم على النفي ناصراً لقد حَلَبْتُ فيه زماناً وصَرَّتِ^(٢)
ولكن سهماً أفسدت دارَ غالبٍ كما أَعَدَّتِ الجربُ الصِّحاحَ فَعَرَّتِ ١٤٠

قال السكري : كان من حديث هذه القصيدة أن بني مالك بن غالب — وم رهط الخطيئة — وبني سهم بن عوذ بن مالك بن غالب أغاروا — وفيهم سمير المخزومي ، ورئيسهم قدامة بن علقمة ، ومعهم المسيب — على هوازن فأصابوا سبياً وإبلاً ، فتنازع المسيب وسمير في الإبل ، فغلب عليها المسيب . ثم إن سميراً خرج بفر من قومه حتى أتوا الإبل فأطردوها ؛ فلما أتى المسيب الخبر ركب بأصحابه [فالتقوا^(٣)] فاقتلوا قتالاً شديداً فقتل منهم أربعة نفر ، وذهب بها سمير . وكان قال هذه الأبيات قبل أن يذهب بها سمير ، فلما ذهب بها سمير ندم الخطيئة مما قال فقال :

فياندى على سهم بن عوذِ (الأبيات الأربعة)

(١) فى النسختين : « عود ، فى جميع المواضع ، صوابه بالذال المعجمة كما سبق .

(٢) فى الديوان : « لقد حلبت فيها نساء وصرت » ، وقال فى شرحه : « يقول : سبين فصرن رواعى » .

(٣) التكملة من شرح الديوان .

قال السكرى : أراد باللسان الشعر ، يريد : وددت أن الشعر الذى قلتُ
فيهم كان مخبوءاً فى جُوالق . والرجا : ما بين رأس البئر إلى أسفلها ، فجعله
ها هنا أسفلها . وقوله : وضمتُ الرجا ، يريد أنها تهتدت فصار أعلاها
فى أسفلها . فلذلك جعل أسفلها تضمن أعلاها . وهذا مثل . وهوت بذم :
سقطت مذمومة^(١) إنتهى كلامه .

وترجمة الخطيئة قد تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة^(٢)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين ، وهو من
شواهد س^(٣) :

٢٧٨ (مشائيم ليسوا مُصلِحِينَ عَشيرةٌ

ولا ناعِبٍ إلا بين غُرَابِها)

على أن (ناعِبٍ) عطف بالجَرِّ على (مصلحين) المنصوب على كونه خبر
ليس لتوهم الباء ، فانها تجوز زيادتها فى خبر ليس ، ويسمى هذا فى غير
القرآن المطف على التوهم ، وفى القرآن المطف على للمعنى

وأنشده سيبويه فى موضعين بروايتين ، الأول أنشده (ولا ناعباً)
بالنصب للمطف على مصلحين ، استشهد به على نصب عشيرة بمصلحين لأن

(١) الذى عند السكرى : « وبذم ، هذا مثل . يريد سقطت مذمومة » .

(٢) الحزانة ٢ : ٤٠٦ .

(٣) فى كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٤١٨ ، والخصائص ٢ : ٣٥٤ والانصاف

١٩٣ ، ٣٩٥ ، ٥٩٥ وابن يمين ٢ : ٥/٥٢ : ٧/٦٨ : ٥٧/٨ : ٦٩

وشرح شواهد المغنى ٢٩٥ والأشمونى ٢ : ٢٣٥ وديوان الفرزدق ٢٣ .

النون فيه بمنزلة التنوين في واحده ، وكلاهما يمنع من الإضافة ويوجب نصب ما بعده ، والثاني بجرّ (ناعب) على توهم الباء في خبر ليس .

ولم يجوز المبرّد إلا نصب ناعب ، قال : لأنّ حرف الجر لا يضرر .
وقد بين سيبويه ضعفه وبُعده مع أخذه لذلك عن العرب سماعاً ، فلا معنى للرد عليه .

وأورده صاحب الكشف نظيراً لقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِيَ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ ﴾^(١) قال : شهدوا معطوف على ما في إيمانهم من معنى الفعل ، فهو من قبيل عطف الفعل على المصدر بتقدير أن ؛ إذ للمعنى بعد أن آمنوا وشهدوا ، كما جرّ الشاعر ناعباً بتوهم الباء في خبر ليس .

وهذا البيت من قصيدة عدتها ستة وعشرون بيتاً ، للأخوص اليربوعي . صاحب الشاهد وهذه أبيات منها أنشدها الجاحظ (في كتاب البيان^(٢)) :

(وليس يربّوع إلى العقل حاجةٌ سوى دَلَسٍ يسودُّ منه ثيابُها^(٣) أبيات الشاهد
فكيف بنوكي مالكٍ ان غفّرتُم لهم هذه أم كيف بعدُ خطاياها^(٤))

(١) الآية ٨٦ من آل عمران . وكذا استشهد به صاحب الكشف في سورة هود : « ومن وراء اسحاق يعقوب » بنصب يعقوب . وكذا عند قوله تعالى في سورة المؤمن : « اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل » بجر السلاسل .

(٢) البيان ٢ : ٢٦١ .

(٣) في النسختين : « يسود منها » والتصحيح للشنقيطي في نسخته .

(٤) البيان : « ان كفرتُم » والكفر والفقر بمعنى .

مِثَائِمٍ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً الْبَيْتِ
 فَانْ أُنْتُمْ لَمْ تَقْتُلُوا بِأَخِيكُمْ فَكُونُوا بَغَايَا بِالْأَكْفِ عِيَابُهَا (١)
 سَيُخْبِرُ مَا أَحْدَثْتُمْ فِي أَخِيكُمْ رَفَاقٌ مِنَ الْآفَاقِ شَيْئًا لِإِيَّاهَا

قال أبو محمد الأسود الأعرابي (في فرحة الأديب) : هذا الشعر لقتال
 ١٤١ كان بين بني يربوع وبين بني دارم . فأراد بقوله مِثَائِمٍ بني دارم بن مالك
 لا بني يربوع . وكان من قصة هذا الشعر أن ناساً من بني يربوع وبني دارم
 اجتمعوا على القراء ، فقتل بينهم رجلٌ من بني غُدَاة يَكْنَى أبا بدر ؛ فقالت
 بنو يربوع : والله لا نبرح حتى نترك ثأرنا ؛ فقالت بنو دارم : إنا لا نعرف
 قاتله فأقيموا قِسَامَةً نعطيك حَقَّكُمْ . فقالت بنو غُدَاة : نحن نفعل . فأخرجوا
 خمسين غلغلو كلهم إلا رجلاً — أن الذي قتل أبا بدر عُبَيْدُ بْنُ زُرْعَةَ ؛
 فقال الباقي من الحسين أليس تدفعون إلينا عبيداً (٢) إذا أنا أكلت الحسين ؟
 قالوا : لا ، ولكننا نديبه لأننا لا ندرى من قتله . فقال الباقي عند ذلك
 — وهو أبو بَيْضُ الْغُدَانِي — والله لا أكلمهم أبداً ، ولا يفارقنا عُبَيْدٌ حتى
 قتله ؛ فقام ضَرَارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ بْنُ مَعْبِدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وشَيْبَانُ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنُ بَشْرٍ
 ابن عمرو فكفلا بمُعْبِدٍ ؛ فدفعته بنو غُدَاة إليهما ، فلما جُهِمَ اللَّيْلُ قال
 ضَرَارُ وشَيْبَانُ لمُعْبِدٍ : انطلق حيث شئت . وغدت بنو غُدَاة على بني دارم ؛
 فقالوا لهم : إنَّ صاحبكم قد هرب ولكن هذه الدِّبَّةُ ، فاقبلوها من إخوانكم ،
 ولا تطلبوا غير ذلك فتكونوا كجَادِرٍ أَنْفَه ، ولو علمنا مكان صاحبكم

(١) كذا في ش مع الوضوح . وفي ط : « لم تعقلوا » .

(٢) كذا في فرحة الأديب ، وسقطت من النسختين كلمة « عبيدا » ،

وفي ط : « تدفعونه » .

قصَدْنَا إليه . فلَمَّا سمعهم الأُخوص يذكرون الـدية قال : دعوني أَتَكلِّم . قالوا :
تكلِّم يا أبا خولة . فقال هذه الأبيات من قصيدة .

قوله : وليس يربوع إلى العقل الخ ، يقول : إنَّ العقل لا ينفهم بل
يضرِّم ويكسبهم عاراً . ونَوَكِي ، بالفتح جمع أنوك كأحق وحقي ، وزناً ومعنى ،
أى كيف العشرة معهم . ويروى بدل خطابها (مبابها) بالكسر : مصدر سابه
أى شاته .

و (مشائم) : جمع مشثوم كقصور ، قال (فى الصحاح) وقد شام فلان
قومه يشأمهم فهو شائم : إذا جرَّ عليهم الشؤم ؛ وقد شُمَّ عليهم فهو مشثوم :
إذا صار شؤماً عليهم ، وقوم مشائم . وأنشد هذا البيت .

وقال السيد المرتضى ^(١) رحمه الله تعالى : « إنَّ العربَ لا تعرف هذا ،
وإنما هو من كلام أهل الأمصار . وإنما نسى العربُ من لحقه الشؤمُ مشثوما ،
كما فى قول علقمة بن عبدة :

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغِرْبَانِ يَزْجُرْهَا عَلَى سَلامَتِهِ لَا يَدُّ مَشْثُومٌ »

و (عشيرة) الرجل : بنو أبيه الأدنون . قال الأعم : نسبهم إلى الشؤم
وقلة الصلاح والخير فيقول : لا يصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ،
ولا يأتَمرون بخير ، فغرابهم لا ينبعُ إلا بالنشيت والفراق . وهذا مثل
للتعظيم ^(٢) منهم والنشؤم . و (النعيب) بالعين المهملة : صوت الغراب ومدّه
عنته عند ذلك ؛ ومنه يقال ناقة نعوب : إذا مدَّت عنقها فى السير . وقال ابن

(١) أمالى المرتضى ١ : ٥٧٨

(٢) فى الأعلام ١ : ٨٣ : « للتطير » . وفى ش : « للتعظيم » .

وأنبت ما فى ط .

السيراقي (في شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقال نَعَبَ الغراب : إذا صاح .
وهم يتشاءمون بصوت الغراب . وإنما ذكر هذا على طريق المثل وإن لم يكن
غراب ، كما يقال فلان مشثوم الطائر ، ويقال طائر الله لا طائر ك . انتهى .

وقال ابن خلف : وقولهم « أشأم من غراب البين » فأنما لزمه هذا الاسم
لأن الغراب إذا بان أهل الدار لنجبة وقع في مواضع بيوتهم يتلصص ما يأكله ؛
فتشاءموا به وتطيروا منه ، إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا ، فسموه
غراب البين . ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة ، فعلموا أنه
نافذ البصر صافي العين ، حتى قالوا : « أصفى من عين الغراب » كما قالوا :
« أصفى من عين الديك » ، فسموه الأعور كناية ، كما كنوا عن الأعمى
فسموه أبا بصير ، وكما سموا لللدوغ سليما ، والفيافي مفاوز . وهذا كثير .
ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة ، والاعتراب ، والغريب .
وليس في الأرض شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه .
وذكر بعض أصحاب المعاني أن نعيب الغراب يُتطير منه ونعيته يُتفأل به ،
وأنشد قول جرير :

إنَّ الغُرابَ بما كَرِهَتْ مُوَلِّعُ بَنَى الأَحِبَّةَ دائِمُ التَّشْجَاعِ
لَيْتَ الغُرابَ غَدَاةً يَنْعِيبُ دَائِبًا كَانَ الغُرابُ مَقْطَعُ الأَوْداجِ
ثم أنشد في النفيق :

تَرَكْتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ وَلِلْغِرْبَانِ مِنْ شِبَعِ نَفِيقُ

قال : ويقال نفق الغراب إذا قال : غيق غيق . فيقال عندها نفق بخير .
ونعب نعيباً : إذا قال غاق غاق . فيقال عندها نعب ببين . قال : ومنهم من
يقول نفق ببين . وأنشد في ذلك :

أَبَقِيَ فِرَاقَهُمْ فِي الْمَقْلِينَ قَدَّيْ أَمْسَى بِذَاكَ غَرَابَ الْبَيْنِ قَدْ نَفَقَا
 قال : وبعض العرب قد يَتِمَّنُ بالغراب فيقال : « دم في خَيْرٍ لَا يُطَارُ
 غَرَابُهُ » أَيْ يَقَعُ الْغَرَابُ فَلَا يَنْفَرُ ، لَكثْرَةِ مَا عِنْدَهُمْ . فَلَوْلَا تَيَمُّنُهُمْ بِهِ
 لَكَانُوا يَنْفَرُونَهُ .

وقال الدافعون لهذا القول : الغراب في هذا المثل السواد ، واحتجوا
 بقول النابغة :

وَلَرَهْطِ حَرَابٍ وَزَيْدٍ سُورَةٍ فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غُرَابُهَا بِمَطَارٍ^(١)
 أَيْ مِنْ عَرَضٍ لَهُمْ لَمْ يُمْكِنَهُ أَنْ يَنْفَرُ سَوَادُهُمْ لِعَزْمِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ .

وقوله : فَكُونُوا بَغَايَا أَخْ ، الْبَغَايَا جَمْعُ بَغْيٍ ، بِقَالَ بَغَتْ الْمَرْأَةُ يَنْشَاءُ
 بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ أَيْ زَنَتْ فَهِيَ بَغْيٌ . وَالْعِيَابُ ، بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ : جَمْعُ عَيْبَةٍ يَفْتَحُهَا
 وَهِيَ مَا يَجْعَلُ فِيهِ الشَّيَابُ .

وقوله : سَيُخْبِرُ مَا أَحْدَثْتُمُو الْخَ ، لِلْسَّابِ : لِلرَّجْعِ ، أَيْ إِذَا رَجَعْتَ
 الرِّفَاقَ تَفَرَّقْتَ فِي كُلِّ وَجْهِ وَانْتَشَرَ فِيهِمْ قُبْحُ صَنِيعَتِكُمْ ، وَقَتْلُهُ مَنْ سَمِعَهُ إِلَى
 مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ .

وَالْأُخُوصُ ، بِالْهَاءِ لِلْمُعْجَمَةِ ، يُقَالُ رَجُلٌ أُخُوصٌ بَيْنَ الْخُوصِ : أَيْ غَائِرُ
 الْعَيْنَيْنِ وَقَدْ خُوصَ بِالْكَسْرِ وَأَمَّا الْأُخُوصُ بِالْهَاءِ الْمُهْمَلَةِ فَلَيْسَ هَذَا ، وَكَثِيرٌ
 مَا يَصْحَفُ بِهِ . وَالْخُوصُ : ضَيْقٌ فِي مُؤَخَّرِ الْعَيْنِ .

(١) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والذي في ديوانه ٣٥
 واللسان (قد ، سور) : « حَرَابٌ وَقَدْ » بفتح قاف « قد » . وقالوا :
 حَرَابٌ وَقَدْ : رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ .

الأخوص
الرياحي
اليربوعي

قال الآمدي^(١) (في المؤلف والمختلف) : الأخوص ، بانحاء المعجزة ، اسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرثمة بن رياح بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر فارس . وهو القائل :

وكنتُ إذا ما بابُ ملكٍ قرعتهُ قرعتُ بآبائه ذوى شرف ضخم^(٢)
ببناء عتاب وكان أبوم إلى الشرف الأعلى بآبائه ينس
وهم مَلَكُوا الأملاك آلَ محرق وزادوا أبا قابوس رُغماً على رغم
وقادوا بكره من شهاب وحاجب رهوس معدّ في الأزيمة وأخطم
أنا ابن الذي ساد الملوك حياته وسلس الأمور بالمروءة والحلم
وكنّا إذا قوم رَمينا صفاتهم تركنا صدوعاً بالصفة التي نرى
حَمِيناً حَمَى الأسد التي لشبولها نجرٌ من الأقران لحماً على لحم
ونزعى حيى الأقوام غير محرم علينا ولا يُرعى حمانا الذي نحمي

١٤٣

وله (في كتاب بنى يربوع) أشعارٌ جياذ مما تنخلته من قبائلهم^(٣) . انتهى
وكتب أبو محمد بن عبد الله ابن برّي النحوي (في هامشه) أن صاحب
المؤلف والمختلف لم يذكر الأخوص الرياحي ، وهو قيس بن زيد بن عمرو بن
عتاب بن رياح . قال : ومن شعره :

مشائم ليسوا مُصلحين عشيرةً البيت

(١) الميمنى : « الأبيات في النقائض ٦٨ لشريح بن الحارث اليربوعي ،
وهي تسعة . وفي ص ٣٠٠ للأخوص بزيادة : وفي نسخة وهو الصحيح :
وقال شريح بن الحارث اليربوعي ، وهي عشرة . وفي البلدان (طخفة)
خمسة للأخوص مصحفاً » .

(٢) الميمنى : « وفي النقائض ٩١٩ أيضاً أبيات له . وهي بمينها
في الإصابة ٢٩٩٨ » .

وفيه أنَّ الأخوص الرياحيُّ نُسب تارة إلى جدِّه الأدنى وهو رياح ، وتارة إلى جدِّه الأعلى وهو يربوع :

وقدَّمَ ابنُ بَرِّيَ بعضَ الأسماء على بعضها والصواب ما أثبتته الأمدى .

ويؤيده ما قاله ياقوت (في مختصر جهرة الأنساب) ، فانه لما ذكر أولاد هرْمِيَّ بن رياح قال : ومنهم عتَّاب بن هرْمِيَّ بن رياح ، وهو رِذْف النعمان والمنذر أبيه . ومن ولده الأخوص بنُ عمرو بن قيس بن عتَّاب ، والحُرُّ ابنُ يزيد بن ناجية بن قنْصَب بن عتَّاب المقتول مع الحسين بن علي عليهما السلام . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ الأخوص الرياحيُّ إسلامي^(١) . والله أعلم .

ثم رأيت (في ضالة الأديب لأبي محمد الأعرابي) شعراً له يتعلق بإيل الصدقة . فعلم أنَّه إسلامي . وهو معاصر لُسَيم بن وَثِيل .

* * *

وأنشد بعده :

(مُعَاوَى إِمْنَا بَشْرٌ فَأَسْجِحُ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدَا)

على أنَّ قوله (الحديدَا) معطوف على محلِّ قوله (بالجبال) ، فإنَّه في محلِّ نصبٍ ، لأنَّه خبر ليس ، والباء زائدة .

و (مُعَاوَى) منادى مرخم معاوية بن أبي سفيان . و (أَسْجِحُ) بفتح الهمزة وكسر الجيم : فعل أمر بمعنى ارفق وسهِّل .

(١) الميمنى : " كان في خلافة عثمان . وانظر النقائض ٩١٨

والإصابة ٢٩٩٨ ، .

وقد تقدم شرحه مفصلاً في الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة^(١) :

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين :

٢٧٩ ﴿ إِنَّهُ مُسْتَوِلِيًّا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَوْعَفِ الْمَجَانِينِ ﴾^(٢)

على أن المبرد أجاز إعمال (إن) النافية عمل ليس ، واستشهد بهذا البيت :
فهو اسمها ومستولياً خبرها .

(وإن) كما النافية الحجازية في الحكم ، لا تختص في العمل بنكرة دون معرفة ، بل تعمل فيهما . قال ابن هشام (في المغني) : أجاز الكسائي والمبرد إعمال إن عمل ليس ، وقرأ سعيد بن جبيرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلَكُمْ ﴾^(٣) بنون خفيفة مكسورة لالتقاء الساكنين ، ونصب عباداً وأمثالكم . ويصح من أهل العالية : إن أحد خيراً من أحد إلا بالعافية . وإن ذلك نافعك ولا ضارك . انتهى .

وقال (في شرح شواهد) : كذا خرج ابن جني قراءة سعيد بن جبيرة ، فظن أبو حيان أن تخريجها على ذلك يوقع في تناقض القراءتين ، فإن الجماعة يقرءون بتشديد النون وفتحها ورفع عباد وأمثالكم ، وذلك إثبات ، وقراءة سعيد على هذا التخريج نفي . فخرجها على أنها المؤكدة خففت ونصبت الجرايين كقوله :

(١) الخزانة ٢ : ٢٦٠ .

(٢) شذور الذهب ٢٧٨ والعيني ٢ : ١١٣ والتصريح ١ : ٢٠١

والهمع ١ : ١٢٥ والأشمونى ١ : ٢٥٥ .

(٣) الآية ١٩٤ من الأعراف .

* إِنَّ حَرَّاسَنَا أَسَدًا ^(١) *

ولم يُثبت الأكترون إعمالها النصب في الجزأين وتأولوا ما أوهم ذلك .
ثم إن القائلين به لم يذكروه إلا مع التشديد ، لا مع التخفيف . ثم إن التناقض
الذي توهّمه مدفوع ، لأنهم أمثالهم في أنهم مخلوقون وليسوا أمثالهم في الحياة
والنطق . وقراءة سميد على هذا التخريج أقوى في التشنيع عليهم من قراءة
الجماعة ، ويؤيدها ما بعدها من قوله تعالى : ﴿ اَلْهَمُّ اَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ^(٢) ﴾
.... الآيات . انتهى .

وقال ابن الشجري (في أماليه ^(٣)) : إذا كانت إن نافية فسيبويه لا يرى
فيها إلا رفع الخبر . وإننا حكم بالرفع لأنها حرف جحد يُحدث معنى في الاسم
والفعل كألف الاستفهام ، وكما لم تعمل ما التيميّة ، وهو وفاق للقياس . ولما
خالف بعض العرب القياس فأعملوا ما ، لم يكن لنا أن نتعدى القياس في
غير ما . وغير سيبويه أعمل إن على تشبيهها بليس كما استحسّن ذلك في ما ،
واحتجّ بأنه لا فرق بين إن وما في المعنى ؛ إذ هما لنفي ما في الحال ، وتقع بعدها
جمله الابتداء كما تقع بعد ليس . وأنشد :

إن هو مستولياً على أحدٍ إلا على حزبه الملائع

وهو قول الكسائي والمبرد . ووافق الفراء في قوله سيبويه . انتهى .

وروى المعز أيضاً : (إلا على حزبه المناحيس)

(١) لعمر بن أبي ربيعة . شرح شواهد المغني ٤٥ والهمع ١ : ١٣٤

والأشعري ١ : ٢٦٩ . وليس في ديوانه .

(٢) الآية ١٩٥ من الأعراف .

(٣) لم أجد هذا النص في نسخة أمالي ابن الشجري المطبوعة ، ومن

المعروف أنها ناقصة الآخر في أصلها .

قال ابن هشام : وفي البيت شاهد على مسألة أخرى ، وهي أن انتقاض
النفي بعد الخبر لا يقدح في العمل ، ومثله في ذلك قول الآخر :
إِنَّ الْمَرْءَ مَيِّتًا بِاقْتِضَاءِ حَيَاتِهِ وَلَكِنْ بَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ فَيُخَذَلَا^(١)
وهذا الشاهد مع كثرة دورانه في كتب النحو لم يعلم له قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد المائتين :

٢٨٠ ﴿وَلَاتَ سَاعَةً مُتَدَمَّرٌ﴾^(٢)

على أن الفراء قال : لا يختص عمل لات بلفظ الحين ، بل تكون مع
الأوقات كلها . وأنشد هذا الشعر :

أقول : لعلَّ الفراء قال ما نقله الشارح المحقق عنه في غير تفسيره ، وأما
في تفسيره فإنه لم يتعرض لهذا ولا لغيره أيضاً . وروى هذا الشعر على أن
لات فيه حرف جر ؛ وهذه عبارته في سورة ص ، عند تفسير قوله تعالى
﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٣) : يقول ليس حين فرار . والنووس :
التأخر . ومن العرب من يضيف لات فيخفض ، أنشدوني :

* وَلَاتَ سَاعَةً مُتَدَمَّرٌ *

ولا أحفظ صدره . والكلام أن يُنصب بها في معنى ليس ،
أنشدني المفضل :

(١) ط : « ان المرء منا » ، صوابه ما اثبت من تصحيح الشنقيطي

والعيني ٢ : ١٤٥ والهمع ١ : ١٢٥ والأشموني ١ : ٢٥٥ .

(٢) شذور الذهب ٢٠٠ والعيني ٢ : ١٤٦ والهمع ١ : ١٢٦

والأشموني ١ : ٢٥٦ .

(٣) الآية ٣ من ص .

تذكر حباً ليلي لات حينا وأضحى الشيب قد قطع القرينا
فهذا نصب . وأنشد بعضهم :

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء^(١)
فقفض أوان . فهذا خفض . انتهى كلام الفراء .

فظهر من كلامه أنه ليس فيه تقييد معمول لات بزمان ولا غيره .

وقد نقل عنه ابن هشام (في المعنى) تبماً لأبي حيان (في الارتشاف)
خلاف ما نقله الشارح المحقق ، قال : اختلف في معمولها : فنص الفراء على
أنها لا تعمل إلا في لفظ الحين — وهو ظاهر قول سيبويه — وذهب الفارسي
وجماعة إلى أنها تعمل في الحين وفيما رادفه . ثم قال بعد هذا : زعم الفراء أن
لات تستعمل حرفاً جاراً لأسماء الزمان خاصة .

قال الدماميني : بين نقل ابن هشام ونقل الرضى عن الفراء تخالف . فإن^{١٤٠}
قلت : هلا حملت نقل الرضى عن الفراء : أنها تكون مع الأوقات ، على
ما إذا كانت عاملة للجر كما نقله المصنف هنا ، وحملت حكاية كلام المصنف
أولاً أنها لا تعمل إلا في لفظ الحين على ما إذا كانت عاملة عمل ليس ،
فلا يكون بين النقلين تعارض . قلت : لا ؛ لأن الرضى لما ذكر عنه أنها تعمل
في الأوقات^(٢) أنشد :

* ولات ساعة مندم *

والرواية فيه بنصب الساعة . فلم يبق إذا لتوفيق مجال . انتهى .

(١) لأبي زبيد الطائي . انظر الشاهد ٢٨٢ .

(٢) ش : « أنها لا تعمل في الأوقات » ، وهو خلاف ما تقدم .

أقول . قد وقع هذا الشعر في كلام الشارح المحقق مجلاً ، لا يعلم هل هو منصوب أو مجرور ، وبأن لك من قلنا لكلام الفرّاء أن الرواية عنه عن العرب الجوّ ، فكيف تكون الرواية فيه النصب ؟ نعم روى النصب عن غير الفرّاء ، وبه أورده ابن النّاظم وابن عقيل (في شرح الألفية) فتكون ساعة خبر لات واسمها محذوف . ويجوز الرفع بقلة على أنها اسم لات والخبر محذوف فيقدر في الأوّل : ولات ساعة لك ساعة مندم ، أو ولات الساعة ساعة مندم . وقدر الشارح المحقق في الآية أى لات الحين حين مناص .

فإن قلت : إنهم قالوا لات لاتعمل إلا في اسم زمان منكر ، فكان الظاهر في البيت التقدير الأوّل ، وفي الآية نحو ما قدره الشاطبي ، وهو ولات حين يُنادون فيه حين مناص .

قلت : إنهم قالوا (منهم ابن هشام ، في المعنى) : إن لات لاتعمل في معرفة ظاهرة ، ففهموه أنها تعمل في معرفة مقدّرة . وقيل ناظر الجيش (في شرح التسهيل) عن شرح السكافية لابن مالك : لا بدّ من تقدير المحذوف معرفة لأنّ المراد نفي كون الحين الحاضر حيناً ينوِّصون فيه أى يهربون أو يتأخرون ، وليس المراد نفي جنس حين للنّاص ، ولذلك كان رفع الحين الموجود شاذّاً لأنّه محجوج إلى تكلفٍ مقدّرٍ يستقيم به المعنى ، مثل أن يقال معناه ليس حين مناص موجوداً لم عند تناديهم ونزول ما بهم ، إذ قد كان لهم قبل ذلك حين مناص ؛ فلا يصحّ نفي جنسه مطلقاً بل مقيّداً .

وقول الشارح المحقق « وتعمل عمل ليس بكسع الناء » أى بلحاقها للات وتبعها إياها . قال الصاغانيّ (في العباب) في فصل الكاف من باب الهمزة : كسّ القوم وكسّعهم : إذا تبعهم . وهذه عبارة مأثورة للنحاة قديماً وحديثاً . قال

ابن مالك (في التسهيل) هنا : وتُكسَعُ بالناء فتختص بالحين أو مرادفه .
وقول الشاطبي : كُسمت بالناء أى ضُربَ في عجزها بها^(١) فيه تكلف
للمناسبة . وكذلك قول شارح الباب : يقال كسمت فلانا : إذا ضربت دبره
بيدك أو بصدر قدمك . أو من كسمت الناقة ، إذا ضربت خيلها بالماء البارد
ليتراد اللبن في ضرعها^(٢) . انتهى

ويقدّر في الساعة^(٣) نحولات ساعة مندم ساعة لك . وقدّر الشارح المحقق
في الآية تبعاً لأبي عليّ (في المسائل المنثورة) أى لات حين مناص حاصلاً .
وفيه أنهم قالوا : إنّ عمل لات مختص بالحين اسماً وخبراً . قال ابن مالك :
وما للات في يسوى حين عمل وحذف ذى الرفع قسماً والمكس قلّ
فالظاهر نحو ما قدّره الشاطبي أى ولات حين مناص حيناً يُنادون فيه .
وقد جاء عمل لات في غير الحين شذوذاً في قول الحماسي^(٤) :

لمنى عليك اللفية من خائفٍ يبنى جوارك حين لات مجير^{١٤٦}
ولا ينبغي حمل الآية على هذا .

فإن قلت : أجل حاصلاً صفة زمان محذوف أى حيناً حاصلاً ونحوه .
قلت : شرط هذا اختصاص الصفة بالموصوف ، وما هنا ليس كذلك .
ثم قال الشارح المحقق : « ولا يجوز أن يقال بإضمار اسمها ؛ لأن الحروف
لا يضمّر فيها » .

(١) هذا الصواب في ش . وفي ط : « أى ضرب عجزها في
عجزها » .

(٢) ط : « في ظهرها » .

(٣) ش : « في الثاني » .

(٤) هو عبد الله بن أيوب التيمي يرثي منصور بن زياد . الحماسة

٩٥٠ بشرح المرزوقي وشرح شواهد المغني ٣١٣ .

أقول : يريد الردّ على المصنف (في الإيضاح) فإنه عبّر هناك بالإضمار دون الحذف . وهذا شيء قد سبقه سيبويه فيه ، فإنه كثيراً ما يطلق لفظ الإضمار على الحذف . وكذلك فعل صاحب اللبّ ، قال : واسم لات حين محذوف أو مضر ، لجريها مجرى الفعل في إلحاق التاء عند التحليل وسيبويه . وقال السيد شارح : فإنه لما ألحقت التاء صارت شبيهة بليس صورة ومعنى ، فحسن إضمار الإسم فيها كما في ليس . وحل ابن خروف كلام سيبويه على التجوّز لا على حقيقة الإضمار ، بناء على أنها عنده حرف لا فعل ، فإنهم قد اختلفوا في حقيقتها على ثلاثة مذاهب^(١) ، كما اختلفوا في عملها .
فالأول فيه أربعة مذاهب :

(أحدها) أنها كلمة واحدة فعل ماض ، وفيه قولان : أحدهما أنها في الأصل بمعنى نقص ، من قوله تعالى : **لَا يَلِيْنَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا**^(٢) فإنه يقال لات يليت كما يقال آلت يآلت - وقد قرئ بهما - ثم استعملت للنفي كما أن قل كذلك ؛ قاله أبو ذرّ الحُشَني في شرح كتاب سيبويه ، نقله عنه أبو حيان (في الارتشاف) وابن هشام (في المغني) . والقول الثاني : أن أصلها ليس أبدلت سينها تاء ، كما قالوا **سِت** والأصل **سِدَس** بدليل التصغير على **سُدَيْس** والتكسير على أسداس ، فصارت ليت ، ثم انقلبت الياء ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها ، إذ أصلها عندهم ليس بكسر الياء فصارت لات ، فلما تغيرت اختصت بالحين .

(١) في حواشي الطبعة الأولى : « قوله على ثلاثة مذاهب ، هكذا بالأصل ، والصواب : أربعة ، بدليل ما بعده . نعم ان ابن هشام في المغني اقتصر على ثلاثة مذاهب ، وهي ما عدا الأخير هنا . »
(٢) الآية ٣ من سورة ص .

والمذهب (الثاني) أنَّها كلمتان : لا النافية ، والتاء لتأنيث اللفظ ، كما شرحه الشارح المحقق — وهذا مذهب الجمهور .
و (الثالث) أنَّها حرف مستقل ليس أصلها ليس ولا لا ، نقله الشاطبي — في شرح الألفية .

(الرابع) أنَّها كلمة وبعض كلمة ، وذلك أنَّها لا النافية والتاء زائدة في أول الحين . ونسب هذا إلى أبي عبيد^(١) وابن الطَّراوة . قال ابن هشام (في المغني) : واستدلَّ أبو عبيد بأنه وجدها في الإمام — وهو مصحف عثمان ابن عفان — مختلطة بحين في الخط . ولا دليل فيه ، فكيف في الخط من أشياء خارجة عن القياس ويشهد للجمهور أنه يُوقف عليها بالتاء والهاء ، ورُحمت منفصلة من الحين ، وأن التاء قد تكسر على أصل حركة التقاء الساكنين . وهو معنى قول الزمخشري : وقرئ بالكسر على البناء كجيز . انتهى . ولو كان فعلاً ماضياً لم يكن للكسر وجه .

وأما الاختلاف في عملها فيه أربعة مذاهب أيضاً :

(أحدها) أنَّها لا تعمل شيئاً ، فإنَّ ولها مرفوع فبتدأ حذف خبره ، أو منصوب ففعل محذوف وهو قول الأخفش ، والتقدير عنده في الآية : لا أرى حينَ مناص ، وعلى قراءة الرفع ولا حينَ مناص كائن لهم .
(الثاني) : أنَّها تعمل عمل لا التبرئة وهو عمل إن . وهذا قول آخر للأخفش والكوفيين .

(الثالث) : أنَّها حرف جرّ عند الفرّاء على ما نقل عنه .

(١) انظر تحقيق البغدادى لنسبة هذا القول الى ابي عبيد في أول

(الرابع) : أنها تعمل عمل ليس ، وهو قول الجمهور . قال أبو حيان
(في الارتشاف) : والعطف على خبر لات عند من أعملها إعمال ليس
١٤٧ كالعطف على خبر ما الحجازية ، لات حين جزع ولات حين طيش ولات
حين قلق بل حين صبر ، تنصب في الأولى وترفع في الثانية كما كان في ما ولا
النافية . ثم قال : وقد جاءت لات غير مضاف إليها حين ولا مذكور بعدها
حين ولا ما رادفه ، في قول الأفوه الأودي :

ترك الناس لنا أكنافهم وتولوا لات لم يغن الفرار

قال ناظر الجيش (في شرح التسهيل) : وهذا يدل على أن لات لا تعمل
وإنما هي في هذا البيت حرف نفي مؤكداً بحرف النفي الذي هو لم . ولو كانت
عاملة لم يجر حذف الجزأين بعدها ، كما لا يحدفان بعد ما ولا العاملتين
عمل ليس .

والبيت الشاهد الذي قال الفرّاء لا أحفظ صدره ، رواه مع صدره
ابن السكيت (في كتاب الأضداد) ، وهو ^(١) :

(ولتعرفنّ خلائقاً مشمولةً ولتندمنّ ولات ساعة مندم)

قال فيه قال ابن الأعرابي ، يقال أخلاق مشمولة أي مشثومة ، وأخلاق
سوء . وأنشد :

ولتعرفنّ خلائقاً مشمولةً البيت

ويقال أيضاً رجل مشمول اخلائق : أي كريم الأخلاق . قال : وأنشد
أبو عمرو لرجل من بني سعد :

(١) الميكنى : « ابن السكيت رقم ٢٩٠ والأصمعي ١٨ وابن الأنباري

١٠٩ في كتب الأضداد » .

كأن لم أعش يوماً بصعباء لَذَّةٍ ولم أندُ مشمولاً خلائقهُ مثلى... انتهى
وأند ، بالنون قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) ناديت
الرجل مثل نادمت وهو المجالسة ، ولم أندُ : لم أجالس . والنادى منه ، هو
المجلس . وأنشد هذا البيت .

وزعم الشاطبى أن هذا البيت برمته رواه الفراء عن الفضل . وهذا
لا أصل له ؛ وإنما الذى رواه عن الفضل البيت الذى بعده كما هو ظاهر
من نقل عبارة الفراء .

ورأيت ابن عقيل وغيره ذكر للبيت الشاهد رواية غير ما نقلناه ، جملة
صدراً وتممه بعجز كذا :

ندم البغاة ولات ساعة مندمٍ والبغى مرتعٌ مُبتَغِيهِ وخيمٌ
وقال : هو لرجل من طيء . أى ولات الساعة ساعة مندم . وهذا هو
للمشهور المتداول فى كتب النحو .

وقال العينى : قاله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى ؛ ويقال
مهلهل بن مالك الكنانى . والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد المائتين :

٢٨١ (العاطفونَ تحينَ ما مِنَ عاطفٍ والمطمعونَ زمانَ أينَ المَطْعِمُ) (١)

على أن أبا عبيد زعم أن التاء فى قولهم لات حين مناص من تمام حين

(١) مجالس تغلب ٤٤٢ والانصاف ١٠٨ والاشمونى ٤ : ٣٣٩

واللسان (ليت ٢٩٢ حين ٢٩١) .

كما في هذا البيت . ومثله لصاحب اللب وغيره قال : وعن أبي عبيد : تحين
لغة في حين ، ولا لنفي الجنس .

أقول : إنَّ أبا عبيد لم يذهب إلى هذا ، وإنما هو قول للأُموي (١) نقله
عنه (في كتابه في اللغة ، للشهور بالغريب المصنف) وهذه عبارته فيه : وقال
الأحرار : تالآن في معنى الآن ، وأنشدنا :

تَوَلَّى قَبْلَ نَأْيِ دَارِي جُحَانَا وَصِلِينَا كَمَا زَعَمَ تَالَانَا (٢)

وكذلك قال الأُموي ، وأنشد لأبي وجزة (٣) :

١٤٧

الماطفون تحينَ ما من عاطفٍ والمفضلون يَدَّ إذا ما أنعموا (٤)

قال : وإنما هو حين (٥) ، قال : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾
معناه لا حين مناص . انتهى كلامه .

فَعَلِمَ بِهِ أَنَّ الْقَوْلَ بَكُونِ لَاتِ حِينَ هُوَ لَا تَحِينَ وَالتَّاءُ زَائِدَةٌ إِنَّمَا هُوَ قَوْلُ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص . .
ذكره الزبيدي في الطبقة الثالثة من اللغويين الكوفيين وقال : وروى عنه
أبو عبيد وغيره . بغية الوعاء ٢٨٢ وقال ابن النديم في الفهرست ٧٢ :
« وليس من الأعراب . لقي العلماء ودخل البادية وأخذ عن الفصحاء من
الأعراب . وله من الكتب : كتاب النوادر ، كتاب رحل البيت » . وهو
شارح قصائد أبي حزام العكلي في مجموع أشعار ٨٥ - ١٠٧ الملحق بالجزء
الأول من مجموع أشعار العرب نشر وليم بن الورد البروسي في ليبسك
سنة ١٩٠٢ .

(٢) تاويل مشكل القرآن ٤٠٤ والانصاف ١١٠ واللسان (حين) .

(٣) ط : « لأبي وجزة » صوابه في ش .

(٤) ش : « أسغبوا » .

(٥) ش : « تحين » .

الأموى لا أبى عبيد ، وإن اشتهر النقل عنه . وقد ردّه الشارح المحقق ولم يبين موقع التاء فى هذا البيت . وقد رأيت فى تحريجه وجهين :

(أحدهما) ذكره ابن جنيّ (فى سر الصناعة) وسبقه ابن السيرافى (فى شرح شواهد الغريب المصنف) وأبو على (فى المسائل المنثورة) : وهو أنها فى الأصل هاء السكت لاحقة لقوله العاطفون ، اضطرّ الشاعر إلى تحريكها فأبدلها تاء وفتحها . قال ابن جنيّ : أراد أن يجريه فى الوصل على حدّ ما يكون عليه فى الوقف ، وذلك أنه يقال فى الوقف هؤلاء مسلمونه وضاربونه ، فتلحق الهاء ببيان حركة النون ، كما أنشدوا :

أهكذا يا طيب تفعّلونه أعللاً ونحن منهلّونه

فصار التقدير العاطفونه ، ثم إنّه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن إلى حركة الهاء قلبها بناء ، كما تقول فى الوقف : هذا طلحة ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء فقلت هذا طلحتنا . وعلى هذا قال العاطفونه . ويؤنس بصحة هذا قول الراجز :

من بعد ما وبعد ما وبعد مت صارت نفوس القوم عند الغلصمت^(١)

أراد : وبعد ما ، فأبدل الألف فى التقدير هاء ، فصارت بعده ، ثم إنّه أبدل الهاء تاء لتوافق بقية القوافى التى تليها ، وشجّع شبه الهاء المقدرة فى قوله وبعدمه بهاء التأنيث فى طلحة وحمة ، ولما كان يرام قد يقولون فى الوقف : هذا

(١) لأبى النجم العجليّ فى مجالس ثعلب ٣٢٧ والخصائص ١ : ٣٠٤

وشرح شواهد الشافعية ٢١٨ والعينى ٤ : ٥٥٩ والتصريح ٢ : ٣٤٤ والهمع

٢ : ٢٠٩ والأشمونى ٤ : ٢١٢ .

(١٢) خزانة الأدب

طلحت وحزت قال هو أيضاً وبعدت ، فأبدل الهاء المبذلة من الألف تاء .
وليس شيء مما يُضطرُّون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً . فإذا جاز أن تشبه
هاء وبعدهم تاء التانيث حتى يقال فيها وبعدت جاز أيضاً أن تشبه هاء
العاطفون بهاء التانيث فيقال العاطفون ؛ وفتحت التاء كما فتحت في آخر
رُبَّتْ وُثِتْ . انتهى مختصراً .

قال ابن السيرافي : ويجوز أن ينشد (العاطفون) بإسكان الهاء ، فيكون
قد أضمر وجعل مستغفلين في موضع متفاعلين . وأظن أن الرواة غيره
وحرّكوه طلباً لأن يكون الجزء تاماً على الأصل . انتهى

والوجه (الثاني) ذكره ابن مالك (في التسهيل) وتبعه شارح اللب :
وهو أن التاء بقية لات ، فحذفت لا وبقيت التاء . قال : وقد يضاف إلى لات
حين لفظاً أو تقديرًا ، وربما استغنى مع التقدير عن لا بالتاء . ومثل ابن عقيل
للأول بقوله :

وذلك حين لات أوان حلم . ولكن قبلها اجتنبوا أذاني
- أي أذيتي - ومثل للثاني بقوله :

تذكر حب ليلى لات حيناً وأمسى الشيب قد قطع القرينا
أي حين لات حين تذكر . ومثل للثالث بقوله :

العاطفون حين ما من عاطف البيت

أي حين لات حين ما من عاطف ؛ فحذف حين ولا .

١٤٩

هذا كلامهما ولا يخفى تصفّيه . وتخرج هذا البيت على زيادة التاء أسهل
وأقل كلمة من هذين التخريجين وإن كان لا يطرد زيادة التاء في كل موضع
فيه لا . وهذه التاء زيادتها غير مطردة وغير لازمة . وقد سمع زيادتها مع لفظ

الآن أيضاً ، قال أبو زيد (فى نواجره) : سمعت من يقول حسبك تالآن ،
يريد الآن . وقال ابن أحر :

نَوَلَى قَبْلَ نَأَى دَارَى جُحَانَا وَصِلِينَا كَمَا زَعَمْتَ تَالَانَا
أى كما زعمت الآن . ونَوَلَى أمر من النوال وهو القُبْلة . وجُحَانَا : منادى
مرثم جُحَاتة بضم الجيم وهو امرأة ، والألف للاطلاق .

وهذا البيت الشاهد من قصيدة لأبى وَجْزَةَ السعديّ مدح بها آل الزبير صاحب الشاهد
ابن العوام ؛ لكفته مركب من مصراعى يتنين وقع فى صحاح الجوهرى هكذا
فتبعه الشارح المحقق وغيره . والذي فى ديوانه كذا :

(وَإِلَى ذَرَا آلِ الزُّبَيْرِ بِفَضْلِهِمْ نِعْمَ الذَّرَا فِي النَّائِبَاتِ لَنَا نُمْ أَيْتَانِ الشَّاهِدِ
الْعَاطِفُونَ تَحْيَنَ مَا مِنْ عَاطِفٍ وَالْمُسْبِفُونَ يَدَا إِذَا مَا أُنْصِمُوا
وَاللَّاحِقُونَ جِفَاتَهُمْ كَقَعَ الذَّرَا وَالْمَطْعِمُونَ زَمَانَ أَيْنَ الْمَطْعِمُ
وَالْمَانُونَ مِنَ الْمُضْيِيبَةِ جَارَهُمُ وَالْحَامِلُونَ إِذَا الْعَشِيرَةُ تَغَرَّمُ)

والذَّرَا بالفتح : كل ما استترت به ، يقال أنا فى ظلِّ فلان وفى ذَرَاهُ أى
فى كنفه وسِتره . والنائبات : شدائد الدهر وحوادثه . وفى واللام متعلقان
بالذَّرَا ، لأنه بمعنى الملتجأ . وهم هو المخصوص بالمدح .

و (العطف) : الشفقة والتحنن . و (تحيّن) ظرف للعاطفون ، والتاء
زائدة أو أنها متصلة بما قبلها على أنها هاء السكت كما يتناه ؛ وعلى هذين
القولين ما نافية وحين مضافة إلى الجملة المنفية ، فإن من زائدة وعاطف مبتدأ
خبره محذوف أى يوجد ونحوه ؛ أو أنه بقية لات وحين خبرها واسمها
محذوف كما قال ابن مالك . وفيه غرابة ، حيث يحذف العامل ويبقى منه حرف
واحد وهو مع ذلك عامل ، وهذا لا نظير له . وينظر على هذا فى حين ، هل

هي مضافة إلى الجملة المنفية ، أو أن ما ليست نافية ؟ فإن كانت نافية انتقض النفي الأول بها . وهذا غير مراد الشاعر . وإن كانت غير نافية فينظر من أي أنواع ما هي . وبالجملة : كون التاء بقية لات يشكّل عليه معنى البيت وإعرابه ولا داعي إلى هذا كله . وقال ناظر الجيش : ونخرج البيت على ما ذكره المصنّف لا يتعقّل ، لأنّه يكون المعنى هم العاطفون وقت ليس الحين حين ليس ثمّ عاطف . و (المسبغون) : من أسبغ الله النعمة : أفاضها وأنعمها . وسبغت النعمة : اتّمت . وروى صاحب الغريب المصنّف : (المفضلون) بدل المسبغون من الإفضال وهو الإنعام ؛ والجيد هو الأول . و (اليد) : النعمة . يقول : هم يعطفون على من سألهم واحتاج إليهم ، إذا امتدت الأحوال وأجذب الزمان ، ولم يجد المسترفد رافداً ؛ وإذا أنعموا أوسعوا على المنعم عليه إفضالاً ونائلاً .

وقوله : واللاحقون الخ ، أي والمتّبعون ؛ يقال لحقته ولحقت به من باب تعب لحاقاً بالفتح : إذا تبعته وأدركته ؛ وألحقته بالالف مثله ؛ ولحقته الثن لحوقاً : لزمه ؛ فاللحوق : اللزوم ، واللاحق : الإدراك . كذا في المصباح . والجفان ، بالكسر : جمع جفنة بالفتح ، وهي القصعة الكبيرة للطعام . والتّمع بفتح القاف والميم : جمع قمة بالتحريك ، وهي رأس السّنام ؛ والنّثر بالضمّ : جمع ذُرّة بضم الذال وكسرها : أعلى السّنام ؛ وإثماً خصّة لأنّه أطيب لحم الإبل عندهم . وزمان ظرف للمطعمون ، وهو مضاف للجملة بعده لكن بتقدير مضاف أي زمان سؤال أين المطعم . ورواه الأماويّ على ما نقله أبو عبيد في الغريب المصنّف :

* والمطعمون زمان ما من مطعم *

فيكون في البيت على هذه الرواية إقواء . مدحهم بأنهم يطعمون الفقراء
أطيبَ اللحم في أيام القحط والجذب ، وفي الزمان الذي يتساءل الناس عن
الكرماء المطمئنين للطعام .

وقوله : والمانون الح ، المضيفة : المظلمة ، فعيلة بمعنى فاعلة ، من هضمت
الشيء إذا كسرتة . والحاملون : من حمل الدية . يقول : إن وُزعت دية قتيل
على عشيرته حملها عنهم ودفعها من ماله .

وتركب بيت من بيتين ونحوه في الاستشهاد شائع عند المصنفين يفعلونه
قصداً ، إما لأنَّ المعنى متفرقا يكون في أبيات ؛ وإما لأنَّ في أحد المصراعين
قلاقة معنى أو لغة ، فيختصرونه بأخذ مصراعين منه ، كما فعل ابن الشجري
وابن هشام (في المغنى) في قوله :

وناهدةِ الثديين قلتُ لها أتكى فقالت على اسم الله أمرُك طاعة^(١)

وهو من شعرٍ لعمر بن أبي ربيعة . وله حكاية ذكرها الجاحظ (في المحاسن
وللساوى) . والأصل هكذا :

وناهدةِ الثديين قلتُ لها أتكى على الرمل من جنباته لم توسد^(٢)

فقالت على اسم الله أمرُك طاعته وإن كنت قد كلفت ما لم أعود

فأخذ منها مصراعين ، ولم يتنبه لهذا أحد من شراح المغنى . وكما فعل
الزنجشبرى (في المفصل) وغيره كابن هشام (في المغنى) في قوله :

(١) انظر الحصاص ٢ : ٣٦٢ وابن الشجري ١ : ٣٢٠ والأغاني

١ : ٧٥ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ .

(٢) في المحاسن والأضداد ٢٦١ : « في ديمومة لم توسد » وفي

الأغاني ١ : ٧٥ : « من جبانة لم توسد » .

حاشيا أبا ثوبان إنَّ له ضناً على الملحاة والشتم

وهو من قصيدة مسطورة في المفضليات^(١)؛ والأصل :

حاشيا أبا ثوبان إنَّ أبا ثوبان ليس بِبُكْمَةٍ فَدَمَر

عمرو بن عبد الله إنَّ به ضناً على الملحاة والشتم

أبو وجزة (أبو وجزة) هو بفتح الواو وسكون الجيم بعدها زاي معجمة ، يقال رجل وَجَزَ أى سريع الحركة ، وامرأة وَجْزة .

وأبو وجزة اسمه يزيد بن عبيد ، وقيل ابن أبي عبيد . وهو شاعر ومحدث ومقرئ ، كذا قال الصاغاني (في العباب) . وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : هو من بني سعد بن بكر بن هوازن أظفار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعراً مجيداً ، وهو الذي روى الخبر في استسقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وتوفي بالمدينة سنة ثلاثين ومائة ، وهو أول من شُبِّ بعجوز^(٢) .

أقول : أبو وجزة إنما هو من بني سليم بالتصغير ؛ ولأنما نشأ في بني سعد فقلب عليه نسبهم . وقال صاحب التقريب والتهذيب : أبو وجزة السعدي المدني الشاعر ثقة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من التابعين ، ثم ذكر مشايخه وتلاميذه .

١٥١

(١) المفضليات ٣٦٧ وبشرح ابن الأنباري ٧١٨ من قصيدة للجميع الأسدي .

(٢) الذي في الشعراء ٦٨٤ والأغاني ١ : ٧٧ عن ابن قتيبة : « وهو أحد من شُبِّ بعجوز » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد المائتين :

٢٨٢ * طلبوا صلحنا ولات أوانٍ فأجبتنا أن ليسَ حينَ بقاءٍ ^(١) *

على أن أصله عند اللبرد والسيرافي : ولات أوانٍ طلبوا ، فحذفت الجملة
وبنى أوان على السكون أو على الكسر ، ثم أبدل التنوين من المضاف إليه
كما في يومئذ .

قال ابن هشام (في المغني) : قرئ *ولات حين مناصٍ ^(٢) * ، بخفض الحين ،
فزعم الفراء أن لات تستعمل حرفاً جاراً لاسمائه الزمان خاصة ، وأنشد :

* طلبوا صلحنا ولات أوانٍ *

وأجيب عن البيت بجوابين :

أحدهما : على إضمار من الاستغراقية . ونظيره في بقاء عمل الجار مع حذفه
وزيادته قوله :

* ألا رجلي جزاه الله خيراً ^(٣) *

(١) ديوان أبي زبيد الطائي ٣٠ والخصائص ٢ : ٣٧٧ والانصاف
١٠٩ والمختصص ١٦ : ١١٩ وابن يعيش ٩ : ٣٢ وشرح شواهد المغني
٢١٩ ، ٣٢٤ وشذور الذهب : ٢٠١ والعيني ٢ : ١٥٧ والهمع ١ : ١٢٦
والأشمونى ١ : ٢٥٦ ونحوه قول ابن حلزة اليشكرى فى العقد ٢ :
٣١٩ :

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ ان ما يطلبون فوق النجوم

(٢) الآية ٣ من سورة ص .

(٣) لعمرو بن قعاس ، كما فى الحزانة ٣ : ٥١ . وعجزه :

* يدل على محصلة تبئت *

فيمر رواه يجرّ رجل .

والثاني : أن الأصل : ولات أوان صلح ، ثم بنى المضاف لقطعه عن الإضافة ، وكان بناؤه على الكسر لشبهه بنزال وزناً ، ولأنه قدّر بناءه على السكون ثم كسر على أصل التقاء الساكنين كأمس ، ونوّن للضرورة ، وقال الزخشرى للتعويض كيومئذ . ولو كان كما زعم لأعرب لأن العوض ينزل منزلة الموضع منه .

وعن القراءة بالجواب الأول - وهو واضح - والثاني وتوجيهه : أن الأصل حين مناصهم ثم نزل قطع المضاف إليه من مناص منزلة قطعه من حين ، لا اتحاد المضاف والمضاف إليه ؛ قاله الزخشرى . وجعل التنوين عوضاً من المضاف إليه ثم بنى الحين لإضافته إلى غير متمكن . انتهى .

والأولى أن يقال : إن التنزيل المذكور اقتضى بناء الحين ابتداء ، وإن للناس مُعَرَّب وإن كان قد قطع عن الإضافة بالحقيقة ، لكنه ليس بزمان ، فهو ككل وبعض . انتهى كلام ابن هشام .

(أقول) : تقدير المضاف إليه جملة هو المناسب لتشبيه أوان بيومئذ في البناء وفي كون التنوين بدلاً من المضاف إليه ، وأما تقديره مفرداً ثم تعليل بنائه بقطعه عن الإضافة كما صنع ابن هشام تبعاً لغيره ففيه أن ما ذكره مختص بالظروف النسبية ، ويكون بناؤها حينئذ على الضم ، وأما أوان فإنه ظرف متصرف كما يأتي قريباً وليس مضموماً ، كقبل وبعد . ويجوز أن يقدّر المضاف إليه ولات أوان نسطلح ، فإن المنقّى في الحقيقة هو أوان الصلح ، أو يقدّر جملة اسمية أى ولات أوان صلحنا ممكن ، فأوان خبر لات وهو منصوب لفظاً أو مبنى على الفتحة لإضافته إلى مبنى ، واسمها محذوف أى ولات الأوان .

قال أبو علي (في المسائل المنثورة) : قال أبو العباس المبرد : أوان هنا مبنية ؛ لأن أوان تضاف إلى المبتدأ والخبر ، فكأنك حذفته منه المبتدأ والخبر ، فنوّنت ليعلم أنك قد اقتطعت الإضافة منه .

ولم يرتض ابن جني (في الخصائص) كون التنوين عوضاً عن الجملة كيومئذ وفرّق بينهما بأن إذ ظرف ناقص ، وأوان ظرف متصرف . قال : وتأول أبو العباس المبرد قول الشاعر :

طلبوا صلحنا ولات أوان البيت

على أنه حذف المضاف إليه أوان فعوض التنوين عنه ، على حدّ قول الجماعة في تنوين إذ . وهذا ليس بالسهل ، وذلك أنّ التنوين في نحو هذا إنما دخل فيما لا يضاف إلى الواحد أي المفرد ، وأما أوان فعُرب ويضاف إلى الواحد كقوله (١) :

١٥٢

فهذا أوان العريض حيّ ذبابه زناييره والأزرق المتلمس
وقد كسّروه على آوة وتكسّيرهم إياه يبعده عن البناء ، لأنه أخذ به في شقّ التصريف والتصرف .

وكذا قال (في سرّ الصناعة) : ذهب أبو العباس إلى أن كسرة أوان ليست إعراباً ولا هي علماً للجر ، ولا أنّ التنوين الذي بعدها هو التابع لحركات الإعراب ؛ وإنما تقديره عنده أنّ أوان بمنزلة إذ ، في أنّ حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو قولك جئتكَ أوان قام زيد ، وأوان الحجاج أمير ،

(١) هو المتلمس . ديوانه ٦٠ والحماسة ٦٦٢ بشرح المرزوقي .

وبهذا البيت سمى المتلمس ، واسمه جرير بن عبد المسيح الضبيعي .

أى إذ ذاك كذلك ، فلما حذف المضاف إليه أوان ، عوض من المضاف إليه تنويناً . والنون عنده كانت في التقدير سا كنة كسكون ذال إذ ، فلما لقيها التنوين سا كناً كسرت النون لالتقاء الساكنين . فهذا شرح هذه الكلمة وقوله هذا غير مَرَضٍ ، لأن أواناً قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله (١) :

* هذا أوانُ الشدِّ فاشتدَّى زَيْمٌ *

وقوله :

* فهذا أوانُ العَرَضِ (٢) *

وغير ذلك . فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فهلاً حركوا النون في يومئذ وأوان لسكونها وسكون الذال والنون قبله ، ولم يحرِّكوها لذلك دونه ؟ فالجواب : أنهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذَنْ ، فيشبه التنوين الزائدُ النونَ الأصلية . وأيضاً فلو فعلوا ذلك في إذ لما أمكنهم أن يفعلوه في أوان ، لأنهم لو آثروا إسكان النون لما قدرُوا على ذلك ، لأنَّ الألف سا كنة قبلها ، وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ، ثم يأتى التنوين بعدها ، فكان لا بد أيضاً من أن يقولوا أوان . فإن قيل : فلملَّ على هذا كسرم النون من أوان إنما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دون أن يكون كسرم إياها ، لسكونها وسكون التنوين بعدها ، [فالجواب ما تقدم ذكره من أن كسرم ذال إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها (٣)] .

فلى هذا ينبغي أن يحمل كسر النون من أوان ؛ لثلا يختلف الباب ،

(١) هو رشيد بن رميض ، كما في البيان ٢ : ٣٠٨ والكامل ٢١٥

والعقد ٤ : ١٢٠ / ٥ : ١٧ وابن يعيش ٩ : ٣٢ .

(٢) البيت للمتلمس ، وقد سبق قريباً .

(٣) التكملة من سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ١٢٠ لفة .

ولأنَّ أوان أيضاً لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه فيُقَدَّر مكسورَ النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، وإنما حذف منه المضاف إليه وعوض منه التنوين عقيب ذلك ، فلم يوجد له زمن يلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنما كسرت لسكون الألف قبلها ، فاعرف ذلك من مذهب أبي العباس . وأما الجماعة غيره وغير أبي الحسن فعندهم أنَّ أوان مجرورة بلات ، وأن ذلك لغة شاذة . وروينا عن قطرب قال : قراءة عيسى : ﴿ ولات حين مناصي ﴾ بالجر . انتهى كلامه .

وهذا حق لا شبهة فيه ؛ فالوجه كون لات فيه حرف جر كما نقله الفراء في قوله .

* ولات ساعة مندم *

بجر ساعة . وفي هذا البيت أيضاً .

وكذلك نقله أبو علي (في المسائل المنشورة) عن أبي عمر الجرمي . واستشكله أبو علي بأنَّ حروف الجر لا بد أن تتعلق بشيء ، ولات هنا لا تتعلق بشيء — كما بينه الشارح — وجوابه : أنَّ لنا حروف جر لا تتعلق بشيء ، منها لولا في نحو قوله : لولاي ولولاه ، فليكن هذا منها .

وقول ابن هشام : « وزعم الفراء أن لات تجر أسماء الزمان خاصة » تقدم النقل عنه قبل هذا بشاهدين ، أنه لم يقيَّد معمول لات بشيء ، سواء كانت جارة أو عاملة عمل ليس .

وقوله : « وأجيب عن البيت بجوابين : أحدهما على إضمار من الخ » ، ١٥٣ هذا الجواب فاسد ، لأنَّ تقدير من يقتضى أن لا يكون لها معمول ، وإذا لم يكن لها معمول اقتضى كونها غير عاملة . والجواب إنما هو لبيان عملها .

ومن الغريب قول أبي حيان على ما نقله السمين (في إعرابه) : إن من المقدرة
ومجرورها موضعها رفع على أنهما اسم لات . قال : كما تقول ليس من رجل
قائما ، والخبر محنوف . هذا كلامه .

وقوله : « وعن القراءة بالجواب الأول » . وهذا الجواب لا يصح هنا
أيضاً لما يفتأه .

وقوله : « وتوجيهه أن الأصل حين مناصهم الخ » وهذا الأصل لا يصح ،
لأن معمول لات لا يجوز إضافته إلا إلى نكرة .

ودعوى أن المضاف وهو حين اكتسب البناء من المضاف إليه ، ففيها
أن شرط اكتساب البناء بالإضافة في مثله أن يكون المضاف زماناً مبهما ،
وللمضاف إليه إما إذ ، أو فعل ، أو جملة اسمية ، ومناص ليس واحداً منها .
ثم إن البناء إنما سمع فيما ذكرنا على الفتح لا على الكسر .

ونقل السمين (في إعرابه) عن الأخفش أنه خرج البيت على حذف
مضاف ، أي ولات حين أوان ، فبقى للمضاف إليه مجروراً بعد حذف للمضاف .
ورد عليه مكي بأنه كان ينبغي أن يقوم المضاف إليه مقام المضاف . وأجاب
عنه السمين بأن بقاء مثله على الجر قليل ، ومنه قراءة من قرأ : ﴿ والله يريدُ
الآخرة ^(١) ﴾ بجر الآخرة .

أقول : تقدير هذا المضاف لا قرينة تدل عليه ، وإن صح إضافة حين
إلى أوان يجعل الحين عامّاً والأوان خاصاً بحمله على أوان الصلح .

ثم قال السمين : وقال الزجاج : الأصل ولات أواننا ، فحذف المضاف إليه

(١) الآية ٦٧ من الانفال . وقراءة الجر هي قراءة سليمان بن جمار

المدني . تفسير أبي حيان ٤ : ٥١٨ - ٥١٩ .

فوجب ألا يعرب ، وكسره لا لتقاء الساكنين . قال أبو حيان : ومنه أخذ الزمخشري قوله أصله ولا أوان صلح .

أقول : عبارة الزجاج (في تفسيره) : ومن خفض جعلها مبنية مكسورة لالتقاء الساكنين ، كما قالوا فداء لك فبنوه على الكسر . ولما قال ولات أوان جعله على معنى ليس حين أواننا ، فلما حذف المضاف إليه بنى على الوقف ثم كسر لالتقاء الساكنين . والكسر شاذ شبه بالخطأ عند البصريين . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة لأبي زُبَيْدٍ الطائي النَّصرانيّ . سبها ما حكاه صاحب الشاهد أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي قالا : نزل رجلٌ من بني شَيْبَانَ اسمه المُكَّاءُ برجل من طيء ، فأضافه وسقاه ، فلما سكر وثب إليه الشيبانيّ بالسيف فقتله وخرج هارباً . واقتخر بنو شيبانَ بذلك ، فقال أبو زُبَيْدٍ هذه القصيدة . وهذه أبيات منها :

(خَبَرْتَنَا الرِّكَابُ أَنْ قَدْ فَرَحْتُمْ	وَفَخَرْتُمْ بِضَرْبَةِ الْمُكَّاءِ	قصيدة الشاهد
وَلَعَمْرِي لَعَارُهَا كَانَ أَذْيَ	لَكُمْ مِنْ تَقَى وَحَسَنَ وِفَاءِ	
ظِلٍّ ضَيْفًا أَخَوَكُمْ لِأَخِينَا	فِي صَبَوحٍ وَنَعْمَةٍ وَشِوَاءِ	
لَمْ يَهَبْ حُرْمَةَ النَّدِيمِ - وَحَقَّتْ -	يَا لِقَوْمِي لِلْسُّوءَةِ السُّوَاءِ	
فَاصْدُقُونِي وَقَدْ خَبَرْتُمْ وَقَدْ نَا	بَتَ إِلَيْكُمْ جَوَائِبُ الْأَنْبَاءِ	
هَلْ عَلِمْتُمْ مِنْ مَعْشَرٍ سَافِهُونَا	نَمْ عَاشُوا صَفْحًا ذَوَى غُلُوءِ	
كَمْ أَزَالَتْ رِمَاحُنَا مِنْ قَتِيلٍ	قَاتَلُونَا بِنَكْبَةٍ وَشَقَاءِ	
بَعَثُوا حَرْبَنَا إِلَيْهِمْ وَكَانُوا	فِي مَقَامٍ لَوْ أَبْصَرُوا وَرَخَاءِ	
نَمْ لَمَّا تَشَدَّرَتْ وَأَنَافَتْ	وَتَصَلَّوْا مِنْهَا كَرِيَةَ الصَّلَاةِ	

طلبوا صلحنا، ولات أوانٍ ، فأجبنا أن ليس حينَ بقاء
ولعمري لقد لقوا أهلَ بأسٍ يصدّقون الطّمانَ عند اللقاء
ولقد قاتلوا فما جئنا القو مٌ عن الأثمات والأبناء)

إلى أن قال :

١٥٤

(فاصدّقوني أسوة أم ملوك أنتم ، والملوكُ أهلُ علاء
أبدىء أن تقتلوا إذ قتلتم أم لكم بسطةٌ على الأكفاء
أم طمعتم بأن تُريقوا دِممانا ثم أنتم بنجوةٍ في السماء
فلحنا الله طالبَ الصلح منّا ما أطفأ المُبسُّ بالدّهناء
إننا معشرٌ شمائلنا الصبّة سرُ ودفعُ الأسي بحسن العزاء
ولنا فوق كلِّ مجدٍ لواءٌ فاضلٌ في التمام كلِّ لواء
فإذا ما استنظمتُم فاقنلونا من يُصبُ يرمي بغير فداء)
المسكاه ، بضم الميم وتشديد الكاف : اسم الشيباني القاتل . وعارها :
عار الضربة .

وقوله : لم يهب حرمة النديم إلخ ، أورده صاحب الكشف
عند قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾^(١) على أن السوءة ما يفتح
كشفه . والسوءة السوّاء ، على وزن الليلة اللبلاء : الخصلة القبيحة . ويهب :
من الهيبة والخوف . وللعني أنه لم يُعظم حرمة الصاحب ، وحقّت تلك
الحرمة بأن تهاب . ثم نادى قومه ليعجبهم من النظر إلى هذه الفضيحة التي
هي هتك حرمة النديم . وروى : (ولكن) بدل قوله : (وحقّت) .

(١) الآية ٣١ من سورة المائدة .

وقد وقع المعجز شاهداً في الكشف ، قال الطيبي : إني لم أظفر بصدوره ولا بقاتله .

وجوائب الأنباء : جمع جائية ، من الجوب وهو القطع . قال في الصحاح : يقال هل جاءكم جائيةٌ خير : أى خير يجوب الأرض من بلد إلى بلد . وقوله : سافهونا ، من السَّفه وهو ضدُّ الحلم . وصفحاً : إعراضاً عنهم . وذوى : حال من الواو فى عاشوا . والتلَّوا بضم المعجمة : النشاط ومرح الشباب .

وقوله : لو أبصروا ، لو للتمنى . ورخاء : معطوف على مقام . وتشذَّرت ، بالشين والذال المعجمتين ، قال في الصحاح : يقال تشذَّر فلان : إذا نهياً للقتال ؛ وتشذَّر القوم فى الحرب : أى تطاولوا . وأنافت : زادت . وتصلَّوا : من صلى بالنار صلَّى ، من باب تمب : وجدَّ حرَّها . والصلاء ككتاب : حرَّ النار .

وقوله : (طلبوا صلحنا الخ) هو جواب لمَّا . ومن المجائب قول العيني : طلبوا فعل وفاعله مستتر فيه ، ولات أوان فى محل الحال من الصلح وقوله : (فأجبنا) معطوف على طلبوا ؛ وأن مصدرية يقال أجابه بكذا . وقال السيوطى : هى تفسيرية . و (حين) خبر ليس أى ليس الحين حين بقاء . و (البقاء) : اسم من قولهم أبقيت على فلان إبقاءً : إذا رحمته وتلطَّفت به . والمشهور أنَّ الاسم منه البُقي بالضم ، والبَقوى بالفتح . وقال العيني وتبعه السيوطى : المعنى بقاء الصلح .

وقوله : أبدىء ، الهزمة للاستفهام الإنكارى ؛ وبدىء بالهمز كبديع ١٥٥ وزنا ومعنى . وتُقتلوا بالبناء للمفعول ، وقُتِلتم بالبناء للفاعل .

وقوله : ثم أنتم بنجوة النخ ، النجوة بفتح النون وسكون الجيم :
المكان المرتفع .

وقوله : فلحنا الله ، أى قبح الله .

وقوله : ما أطاف النخ ، ما مصدرية ظرفية . وأطاف وطاف بمعنى دار
حول الشيء . والميس : حادى الإبل ، وهو فى الأصل اسم فاعل من أبست
الإبل : إذا زجرتها . والدّهنا : موضع فى بلاد بنى تميم .

ويُصَبّ ويُرَمَّن كلاهما بالبناء للمفعول .

وأبو زبيد اسمه المنذر بن حرمة^(١) من طي . قال أبو حاتم (فى كتاب
المعمرين) وابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) وغيرهما : عاش أبو زبيد مائة
وخسين سنة ، وكان نصرانياً ومات على نصرانيته .

أبو زبيد

وألقبه الجمحى بالطبقة الخامسة من شعراء الإسلام^(٢) . وكان أعور آدم
طوالاً : طوله ثلاثة عشر شبراً . وكان من زوار الملوك وخاصة ملوك العجم .
واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه ولم يستعمل نصرانياً غيره . وكان
عثمان بن عفان يقرُّبه ويدنى مجلسه . وكان مغرّى بوصف الأسد بعبارات

(١) الميمنى : « تبع البغدادى فى هذا ابن قتيبة فى الشعراء والمعمرين

والعيني ٢ : ١٥٦ والمعروف بالعكس ، أى حرمة بن المنذر . راجع
الاشتقاق ٢٣١ والآلى وابن عسّاكر ٤ : ١٠٨ والجمعى ، والأدباء
والاقتضاب ٢٩٩ والسيوطى ٢١٩ والاصابة رقم ٤٨٠ من الكنى ، الى
غيرهم . ولو جسرت على ضعف منتى وقلة حيلتى لقلت ان أبا حاتم أول
من صحف على جلالته ، فتبعه من عثر على كتابه . وقال الاصبهاني ١١ :

٢٣ انه هو الصحيح ، بعد ان ذكر القولين ، .

(٢) انظر ابن سلام ٥٠٥ والأغانى ١١ : ٢٣ .

مهولة تز عجب السامع ، حتى كأنه يشاهد الأسد في حضوره ؛ فقال له عثمان رضي الله عنه ، يوماً : إني لأحسبك جباناً . فقال : كلاً يا أمير المؤمنين ، ولكن رأيتُ منه منظرأً وشهدتُ منه مشهداً لا يبرحُ ذكره يتردد ويتجدد في قلبي !
ثم وصف ما شاهد منه — ونقل كلامه برمته صاحب الأغاني — إلى أن قال له عثمان رضي الله عنه : اسكت قطع الله لسانك ، قد أرعبت قلوب المؤمنين !

وقال الطبري^(١) : كان أبو زيد في الجاهلية مقيماً في أخواله بني تغلب بالجزيرة ، وفي الإسلام منقطعاً إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط في ولاية الجزيرة وولاية الكوفة ، ولم يزل به الوليد حتى أسلم وحسن إسلامه .
هذا كلامه ، وهو خلاف ما قال العلماء : أنه مات على نصرانيته .

قال صاحب الأغاني : ولما وفد أبو زيد إلى الوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة أنزله دار عقيل بن أبي طالب ، على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ؛ فكان ذلك أول ما طعن به على الوليد ، لأن أبا زيد كان يخرج منها إلى الوليد فيسمر عنده ويشرب معه ، ويشقّ الجامع وهو سكران ؛ فلما شهد على الوليد بشرب الخمر عزله عثمان عن الكوفة وحده في الخمر .

وقال ابن قتيبة : ولما اعتزل الوليد بن عقبة علياً^(٢) ومعاوية صار إلى الرقة ، وكان أبو زيد ينادمه .

وقال صاحب الأغاني : ومات الوليد قبل أبي زيد ، فرأى أبو زيد بقبوره فوقف ثم قال :

(١) الطبري ٣ : ٦٠ في حوادث سنة ٣٠ .

(٢) في النسختين : « على » . وانظر الشعراء ٢٦١ .

يا هاجرى إذ جئت زائرَه ما كَانَ من عادتك الهجرُ
يا صاحبَ القبرِ السَّلامُ على من حالَ دون لقائه القبرُ
ثم انصرف . وكان يجرى إلى قبره فيشرب عنده ويصبُّ الشراب على
قبره ويبيكى . ويقى أبو زبيد إلى أيام معاوية .

قال أبو حاتم وغيره : كان يجمل له فى كل يوم أحد طعام كثير ، وبهياً
له شراب كثير ، ويذهب أصحابه يتفرقون فى البيعة ويحملنه النساء فيضعنه فى
ذلك المجلس ، فيشرب والنصارى حوله ؛ فجاءه الموت فقال :

إذا جعل للمرء الذى كان حازماً يُحَلُّ به حلُّ الحوارِ ويُحْمَلُ^(١)
فليس له فى العيش خير يريده وتكفينه ميتاً أعفُ وأجلُ
أتانى رسولُ الموت يامرحباً به لآتيه وسوف والله أفعلُ ١٥٦

ثم مات فجاءه أصحابه فوجدوه ميتاً ، فدفن على البلخ ، وهو موضع
إلى جانب قبر الوليد بن عقبة . وفى ذلك يقول أشجع السلمي وقد مرَّ
بقبرها :

مرت على عظام أبى زبيد وقد لاحت ببلقة صلود^(٢)

(١) ط : « حال الحوار » ، وأثبت ما فى ش والشعراء والأغاني .
وانظر سائر الروايات فى ديوان أبى زبيد ١٣٢ .

(٢) فى أدب النديم لكشاجم ٣٥ :

مرت على عظام أبى زبيد رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد ثوى فأضحى مجاور قبره قبر الوليد
وما أدرى بمن قصر المنايا بأشجع أو بحمزة أو سعيد
وحمزة وسعيد : صديقان له وقفا معه على قبرهما ، قال كشاجم :
« فيقال انهم ماتوا على هذا النسق أولا أولا » .

وكان له الوليدُ تَدْبِمَ صدقي فنادم قبرُهُ قبرَ الوليدِ^(١)

* * *

وأنشد بعده: ﴿أَلَا رَجُلٌ﴾

على أن رجلاً مجرور بمن للقدرة . وهو قطعة من بيت ، وهو :
(ألا رجلي جزاء الله خيراً يدلُّ على محصلة تبيت)
وتقدم شرحه في الشاهد الثالث والستين بعد المائة^(٢) . وذكر الشارح
المحقق هناك أن (رجل) يروى (ألا رجلاً) وبالرفع وبالجر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين^(٣) :

٢٨٣ ﴿حَنْتَ نَوَارُ وَلَاتَ هَنَا حَنْتَ
وبدا الذي كانت نَوَارُ أُجْنَتِ﴾

على أن هَنَا في الأصل للسكان ، استعير للزمان ، وهو مضاف إلى الجملة
الفعلية ، وهو حنت .

يريد أن لات مع هنا عاملة عمل ليس أيضاً لا مهمة ، وإلا لما احتاج إلى
هذا التأويل في هَنَا . واعلم أن هَنَا بفتح الهاء وكسرها مع تشديد النون ، حكاهما
السيرافي وقال : الكسر رديء . ووم العين هنا فضبط الهاء بالضم ، وتبعه
السيوطي (في شرح شواهد المغني) . وهي عند أهل اللغة قاطبة اسم إشارة

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) الخزانة ٣ : ٥١ .

(٣) ابن يمين ٣ : ١٥ ، ١٧ وشرح شواهد المغني ٣١١ والعيني ١ :

٤١٨ والهمع ١ : ٧٨ ، ١٢٦ والأشمونى ١ : ١٤٥ ، ٢٥٦ .

للقريب ، وعند ابن مالك للبعيد . قال صاحب الصحاح : هُنَا بِالْفَتْح والتشديد
معناه ههنا ، وَهَنَّاكْ أَيْ : هُنَاكَ . قال :

لَمَّا رَأَيْتَ بِحَمْلِهَا هُنَا مُحَدَّرِينَ كَدْتُ أَنْ أُجَنَّا (١)

ومنه قولهم : تَجَمَّعُوا مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ، أَيْ مِنْ ههنا وَمِنْ ههنا . انتهى .
وَمِنْ لَازِمِ اسْمِ الْإِشَارَةِ التَّعْرِيفِ ، وَعَدَمِ إِضَافَتِهِ إِلَى شَيْءٍ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي
الشَّعْرِ كَثِيرًا لَا تَ هُنَا ، فَالْتَزَمَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ وَتَبِعَهُ ابْنُ مَالِكٍ إِهْمَالُ لَا تَ ،
لِأَنَّهَا لَا يَصِحُّ إِعْمَالُهَا فِي مَعْرِفَةِ وَمَكَانٍ ، وَقَالَا : إِذَا دَخَلْتَ لَا تَ عَلَى هُنَا
كَانَتْ مَهْمَلَةً وَكَانَتْ هُنَا مَنْصُوبَةٌ عَلَى الظَّرْفِ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْخَبَرِ لِمَبْتَدَأٍ
بِمَدِّهَا ، سِوَاهُ كَانَ اسْمًا نَحْوُ :

« لَا تَ هُنَا ذَكَرَى جُبَيْرَةُ (٢) »

وأورد عليه ابن هشام (في اللغى ، وفي شرح شواهد) أَنَّ فِيهِ الْجَمْعَ
بَيْنَ مَعْمُولِيهَا ، وَإِخْرَاجَ هُنَا عَنْ الظَّرْفِيَّةِ ، وَإِعْمَالِ لَا تَ فِي مَعْرِفَةِ ظَاهِرَةٍ ،
وَفِي غَيْرِ الزَّمَانِ — وَهُوَ الْجُمْلَةُ النَّائِبَةُ عَنِ الْمُضَافِ وَحَذْفُ الْمُضَافِ إِلَى جُمْلَةٍ .
انتهى .

وذهب بعض شُرَاحِ الْمَفْصَلِ إِلَى أَنَّ هُنَا خَبَرُ لَا تَ وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ ، وَأَنَّ
هُنَا بِمَعْنَى الْحَيْنِ ، وَالتَّقْدِيرُ لَيْسَ الْحَيْنُ حِينَ حَنِينِهَا .

وهذا مراد الشارح المحقق ؛ فقوله : « إِنَّ هُنَا فِي الْأَصْلِ لِلْمَكَانِ اسْتِعْمَالُ
لِلزَّمَانِ » قَصْدُهُ بِالرَّدِّ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ وَمَنْ تَبِعَهُ ، بِأَنَّ هُنَا لَيْسَتْ عَلَى أَصْلِهَا

(١) ليزيد بن الأعدود الشنسي من أرجوزة طويلة في الحصاص ١ :

٢٤٧ • وانظر اللسان (هنن ٣٢٨) •

(٢) قطعة من بيت للأعشى ، سيرد بتمامه قريباً .

حتى يلزم المحذور ، بل قد استعيرت للزمان فهي ظرف بمعنى حين ، وكان أصلها الإشارة للمكان ، فتوسّع فيها فجعلت مجردة للزمان . والمعنى (١) في جميع ١٥٧ ماورد شاهد له ، فتبقى لات على ما عهد لها من العمل عند ميبويه ومن تبعه ، والاستعارة هنا بمعنى التوسّع .

وقوله : « وهو مضاف إلى الجملة » أراد به الردّ على ابن عصفور : بأنّ هنا خبر لات لا اسمها ، وأنّها مضافة إلى الجملة بعدها ، لا أنّ الجملة خبر لات بتقدير مضاف .

والشارح المحقّق قد أخذ كلامه هذا من الإيضاح لابن الحاجب ، فإنه قال في فصل إضافة أسماء الزمان إلى الجمل : هنا في قوله ولات هنا حنت ، البيت ، محمول على الزمان لأمر :

أحدها : أنّ لا التي لنفي الجنس المكسوة بالتاء لا تدخل إلا على الأحيان .

والثاني : أنّ المعنى إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنّما يتحقّق بالزمان لا بالمكان .

والثالث : أنّه لو جعل للمكان لم يصحّ إضافته إلى الفعل ، إذ لم يُصَفَّ من أسماء المكان إلى الأفعال إلا الظروف غير المتمكنة كحيث . انتهى . وقد ذهب ابن الخطّاب أيضاً (في النهاية) إلى أنّ هنا مضافة إلى الجملة بعدها . نقله عنه ابن هشام (في شرح شواهد) ، وردّه بأن اسم الإشارة لا يضاف . وهذا الردّ غير متّجه ؛ فإنّ من يجعلها مضافة إلى الجملة كالزحشرى

(١) ش : « والعيني » ، تعريف .

(في المِفْصَل) لم يقل إنها اسم إشارة مضافة إلى الجملة ؛ إذ ^(١) من القواعد أن أسماء الإشارة لا تصح إضافتها إلى شيء ، وإنما هي عنده مجردة لمعنى الحين .
وبما ذكرنا يسقط أيضاً توقف الدماميني (في شرح التسهيل) عندما نقل كلام الشارح هناك وقال : قوله : « وهو مضاف إلى الجملة » إن كان مع التزام أنه اسم إشارة فمشكل ، لأنه لا يضاف ، وإن كان مع ادعاء التجرد عنها فيحتاج إلى نقل ١ هـ .

ومنه تعلم فساد كلام الشاطبي أيضاً وجعله هنا اسم إشارة للزمان مع إعمال لات ، فإنه قال : فإن قيل من شرط لات عملها في زمان منكر ، وقولهم ولات هنا خت ونحوه ، هنا فيه معرفة وهي إشارة للمكان . . فالجواب أن هنا لا تختص بالإشارة إلى المكان ، بل قد يراد بها الزمان ؛ ومن ذلك هذه المواضع ، فإن معناها الإشارة إلى الزمان ، أي ذكرى جبيرة ليس في هذا الزمان ، وحينها ليس في هذا الوقت . وأما عملها في المعرفة فإنها عند ابن مالك غير عاملة في هذه المواضع ١ هـ .

فإن قلت : كيف التزم الشارح المحقق أن تضاف هنا إلى الجملة وقد وقع بعدها المفرد في قول الأعشى :

لَاتَ هَـنَا ذِكْرِي جُبَيْرَةَ أَمْ مَنْ جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الْأَهْوَالِ ^(٢)
وفي قول الطيرماتح :

لَاتَ هَـنَا ذِكْرِي بِلَهْنِيَةِ الدَّهْرِ وَأَنَّى لَذِي السُّنَيْنِ الْمَوَاضِي ^(٣)

(١) بدله في ش : « للعلم » .

(٢) ديوان الأعشى ٣ .

(٣) في جمهرة القرشي ١٩٠ والديوان ٨٠ : « وأنى ذكرى السنين

المواضي » .

(قلتُ) : ذكرى مفعول مطلق عامله محذوف ، أى لات هنا أذكر
ذِكْرَى جُبَيْرَة ، فالجمله محذوفة مع بقاء أثرها .

و (الجنين) : الشوق ونزاع النفس إلى شيء . والثناء من حنت وأجنت
مكسورة للوزن . و (نَوَّار) : فاعل حنت مبني على الكسر فى لغة الجمهور
وعند تميم مُعْرَب لا ينصرف ، وهو من أسماء النساء مأخوذ من نارت المرأة
تَنُور : إذا فَرَّت من الريبة ؛ وجمع نَوَّار نُور بالضم . وجملة (ولات هنا
حنت) حال من نوار . قال ابن هشام : وتكون حالا إذا وقعت بعد الواو .
و (بَدَأَ) بمعنى ظهر . و (نَوَّار) الثانى قد وضع موضع الضمير . و (أجنت)
بالجيم : أخفت وستر . وبعد هذا البيت بيت ثانٍ لا ثالث له ، وهو :

١٥٨

لما رأت ماء السَّلَى مشروباً والفَرثُ يُعَصَّرُ فى الاناء أُرنتُ

والسَّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هى الجلدة الرقيقة التى يكون الولدُ
فيها من المواشى ، وهى المشيمة له . والفَرثُ ، بالفتح : السرجين ما دام
فى الكَرْشِ . وأُرنتُ من الرَنَّة وهو الصوت ؛ يقال رنت ترن رنيناً وأرنت
إرناناً : إذا صاحت . وإنما صاحت نَوَّار وبكت لأنها تيفنت فى تلك المغازة
المهلكة حيث لا ماء ، إلّا ما يُعَصَّر من فرث الإبل وما خرج من المشيمة
من بطونها .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان اختلف فى قائلهما :

ف قيل : شبيب بن جُعيل النُفَلَيْي ، وهو جاهلى . وإليه ذهب الآمدى شبيب بن جُعيل
(فى المؤلف والمختلف) قال (١) : وشبيب هذا كان بنو قَنِينَة (٢) الباهليون

(١) المؤلف والمختلف ٨٤

(٢) كذا فى النسختين : « قنينة » بنونين ، وقد ضبطه البغدادى =

أسروه في حرب كانت بينهم وبين بنى تغلب ، فقال شيب هذين البيتين لما رأى أمه نوار أرنت ، وهي بنت عمرو بن كلثوم .

حجل بن نضلة وقيل : هو حجل بن نضلة ؛ وهو جاهلي أيضاً . وهو قول أبي جُبَيْد ، وتبعه ابن قُتَيْبَةَ (في كتاب الشعراء) وأبو عليّ (في المسائل البصرية) قالوا : قالها في نوار بنت عمرو بن كلثوم لما أسرها يوم طَلَحَ ، فركب بها الفلاة خوفاً من أن يُلْحَقَ . والله أعلم .

ومنه تعرف أنه لا وجه لقول ابن الحاجب المتقدم هنا : إن معنى البيت إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنما يتحقق بالزمان لا بالمكان .

قال ابن قتيبة والآمدی : قد نقص حرف من فاصلة البيت الثاني ، وبعض الناس ^(١) يسمون هذا إقواء ، لأنه نقص من عروضه قُوَّة ، وكان يستوى البيت بأن يقول متشرباً . يقال أقوى فلان الجبل : إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى . والمشهور أن الإقواء — كما قال أبو عمرو بن العلاء — هو اختلاف الإعراب في القوافي : وذلك أن تكون قافية مرفوعة ، وأخرى مجرورة . وبعض الناس يسمي هذا الاختلاف الإكفاء . اهـ

== بذلك كما سيأتي. والصواب « قتيبة » كما في المؤلف وجمهرة ابن حزم ٢٤٥ والاشتقاق ٢٧١ بتحقيق كاتبه . قال ابن دريد : « و قتيبة تصغير قتب البطن . والاقتاب : الأمعاء » . وهم بنو قتيبة بن معن بن مالك ابن أعصر ، وهم باهلة . ولكنني أبقيت النص على خطئه لأن البغدادى قيده به .

(١) بعض الناس هو أبو عبيد ، ولكن الخليل كان يسميه المقعد ، وقد تكلم على هذا العيب بما لا مزيد فيه أبو العلاء في شرح قول الربيع بن زياد العبسي :

أفبعد مقتل مالك بن زهير
ترجو النساء عواقب الأطهار
وانظر العمدة ١ : ٩٤ .

و (جُعِيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة . و (التغَلَبِيّ) بالمشناة من فوق بعدها غين معجمة . و (قُنَيْنَة) بضم القاف ونونين^(١).

و (عمرو بن كلثوم) هو صاحب المعلقة إحدى المعلقات السبع، وقد تقدّمت ترجمته^(٢).

و (حَجَل) بفتح المهملة وسكون الجيم . و (نَضْلَة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة .

تتمة

قال بعض فضلاء المعجم (في شرح شواهد المفصل) عند شرح هذا البيت :
نَوار اسم لابنة عبد شمس ، وكانت قد عشقت مَلِكاً ، فهمَّ الملك بأن يُوقع
بعبد شمس ، فشعرت نوار بذلك وأذنت أباها ، فقال رجل من أقربائها :
حَنَّتْ نوار ، أى اشتاقت إلى من تحبه وليس الوقت وقت الحنين والاشتياق
إليه ، لظهور العداوة بيننا ، وظهر الذى كانت هذه المرأة أجتته وسترته
من الاشتياق .

هذا كلامه ، وهو خطأ فاحش ، وما قاله شرحٌ لمثل وهو : حَنَّتْ ولات هُنْتُ
وَأَنْتِ لَكِ مَقْرُوعٌ^(٣) .

(١) لا أدري من أين أخذ البغدادى هذا الضبط . وانظر ما سبق

فى الحواشى .

(٢) فى الخزانة ٣ : ١٨٣ .

(٣) الميمنى : « المثل عند الميدانى ١ : ١٧٠ ، ١٣٠ ، ١٧٦ والفاخر

رقم ٤٤٩ والعينى طبعناه ٤ : ٢٩ ، والعسكرى بومباى ٧٤ ، ١٠٠ و ١ :

١٩٢ ، ٢٥٦ مصر والمستقصى .

وقد خبط خبط عشواء أيضاً في بيانه كما يعلم وجهه مما سيأتى .

وهذا المثل أورده الجوهري (في مادة ليت ، وفي مادة هنت ^(١)) وزعم أنه شعر ، وليس كذلك وإنما هو نثر . قال : يقال هَنَّ يَهِنُّ هَنِناً أى حَنَّ . وذكره أبو عبيد (في أمثاله) ، والرواية عنده حَنَّتْ ولات هَنَّتْ إلى آخره ، قال : يضرب مثلاً لمن يَهَمُّ في حديثه ولا يصدق ، وأوّل من قاله مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم ، لابنة أخيه الهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم حين أخبرت أباه أن عبد شمس بن سعد بن زيد مناة يريد أن يُغيّر عليهم ، فأتهمها مازن ، لأنَّ عبد شمس كان يهواها وكانت تهواه ، فقال مازن هذه المقالة . انتهى كلامه .

١٥٩

وأورده صاحب اللباب للردّ على أبي عبيد في زعمه أن تاء لا تخرج من الحين . قال شارحه الفألى : وجه الاستدلال أن التاء دخلت مع لا على هَنَّتْ ، فليس جزءاً من الحين ؛ وهَنَّتْ بمعنى حَنَّتْ ؛ ومقروع : لقب عبد شمس ابن سعد ، وفيه يقول مازن بن مالك في الهيجمانة بنت العنبر بن تميم :
حَنَّتْ ولات هَنَّتْ [وأنتى لكِ مقروع ^(٢)] ، وهو مثل ؛ وأصله أن الهيجمانة بنت العنبر كانت تعشق عبد شمس — وكان يلقب بمقروع — فأراد أن يغيّر على قبيلة الهيجمانة ، وعلمت بذلك فأخبرت أباه ، فقال مازن : « حَنَّتْ ولات هَنَّتْ » ، أى اشتاقت وليس وقت اشتياقها . ثم رجع من من الغيبة إلى الخطاب فقال : « وأنتى لكِ مقروع » أى من أين تظفّرين به . يضرب لمن يحنّ إلى مطلوبه قبل أوّاه . انتهى

(١) كذا في النسختين ، وصوابه (هنت) .

(٢) التكملة من ش . وقد أورده في اللسان (هنت ٣٢٨) مسبقاً

بقوله « قال الشاعر ، جعله شعرا ، خلافاً لقول البغدادى فيما سبق .

وفي هذا المثل شيء لم يُنتبه له ، وهو أَنَّ لَات فيه لا اسم لها ولا خبر ، لانتها دخلت على فعل ماض فنكون مهملة كما تقدم .

وقول صاحب القاموس تبعا لصاحب العباب : لا تكون لَات إلا مع حين ، وقد تحذف وهي مرادة كقوله : « حنت ولات هنت وأنى لك مقروع » فإن أراد أَنَّ الزمان المحذوف معموها — فهذا غير صحيح ، لأنه لا يجوز حذف معمولى لَات كما لا يجوز جمعها . وإن أراد أَنَّها مهملة وَأَنَّ الزمان لا بد منه لتصحيح استعمالها فغير صحيح أيضاً ، لأنها إذا أهملت دخلت على غير الزمان أيضاً ، كما تقدم بيت الأفوه الأودى عن أبي حيَّان . والله تعالى أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين ^(١) :

٢٨٤ (أف أنثر الأظعان عَيْنُكَ تَلْمَحُ نَعَمْ لَاتَ هَنَّا، إِنْ قَلْبُكَ مَتَّيْحُ)

على أَنَّ (هَنَّا) فيه ظرف زمان مقطوع عن الإضافة ، والأصل لَات هَنَّا تلمح ، فحذف تلمح لدلالة ما قبله عليه ؛ فهنَّا فى موضع نصب على أنه خبر لَات ، واسمها محذوف ، والتقدير ولات الحين حين لمح عينك ، كما حذفت الجملة فى قوله :

* لَاتَ هَنَّا ذَكَرَى جُبَيْرَةُ ^(٢) *

والفرق بينهما : أَنَّ الجملة حذفت هنا ولم يبق لها أثر ، وفى لَاتَ هَنَّا ذكرى جبيرة حذفت الجملة وبقى أثرها ، كما تقدم بيانه فى البيت الذى قبل هذا .

(١) اللسان (تيج ٢٤١ هنن ٣٢٩) ومعجم البلدان (شرف) .

(٢) قطعة من بيت الأعشى الذى مضى قريبا ص ١٩٨ فى الشاهد ٢٨٣ .

فإن قلت: لو كان هنا مقطوعة عن الإضافة - كما زعم الشارح المحقق - لوجب أن يلحقها التنوين عوضاً من المضاف إليه الجملتي كما قال هو في باب الإضافة: إن الظروف التي فيها معنى النسبة كقبل وبعد إن قطعت عن الإضافة بقيت على الضم، وإن كانت غير ذلك وجب إبدال التنوين عوضاً من المضاف إليه كاذ وأوان. وقال في شرح بيت لات أوان قبل هذا: ولا يعوّض التنوين في المبنيات من المضاف إليه إلا إذا كان جملة.

قلت: لم يلحق التنوين لأن ألف هنا للتأنيث، فهو مقدّر فيها. فإن قلت: أي ضرورة إلى ادعاء حذف الجملة المضاف إليها هنا، مع أنه لم يقل به أحد، ولا ابن الحاجب؟

قلت: لما حقق أن هنا قد تجردت لظرف الزمان، كان الظرف لا بد له من مظروف، والتنفى في الحقيقة متوجه إليه، ولولا اعتباره لما كان معني لقولنا لات هنا، إذ لا فائدة في نفى الظرف. وهذا المحذوف ملحوظ أيضاً عند من جمل هنا إشارة للمكان، فإنه لا يتم المعنى بدونه، إذ لا بد للإشارة من مشار إليه، فيكون المنفى في الحقيقة هو المشار إليه.

هذا ما أمكنني أن أفهم [في] كلامه في لات هنا، والله دره: ما أدق نظره، وألطف فكره (وفوق كل ذي علم عليم). والله أعلم

صاحب الشاهد وهذا البيت مطلع قصيدة للراعي، عدتها سبعة وخمسون بيتاً، مدح بها بشر بن مروان المرواني، ويعمده:

(ظلمات مينايف إذا ملّ بلدة أقام الركاب باكر متروخ)

فقوله: (أفي أثر الأظمان) الهمة للاستفهام، وفي متعلق بقوله تلمح، وقدم لأنه هو المستفهم عنه. و(عينك) مبتدأ وتلمح خبره. و(الأظمان):

جمع ظُعيْنة ، قال ابن الأثير (في النهاية) : الظُعيْنة المرأة ؛ وأصل الظُعيْنة الراحلة التي ترحل ويُظَعَن عليها أى يُسار ؛ وقيل للمرأة ظُعيْنة لأنّها تظعن مع الزوج حيثما ظعن ؛ أو لأنّها تحمل على الراحلة إذا ظلعت ؛ وقيل الظُعيْنة المرأة في اليهودية ثم قيل لليهودج بلا امرأة ظُعيْنة ؛ وجمعها ظُعن ، وظعائن ، وأظمان ؛ وظعن يظعن ظُعنًا بالتحريك : إذا سار . انتهى . و (اللّحج) : الإبصار الخفيف ، قال صاحب الصحاح : لمحّه والمحّه ، إذا أبصره بنظر خفيف . و (نعم) : إعلام للمستفهم السائل . و (المتّيح) بكسر الميم وسكون المثناة الفوقية وفتح للمثناة التحتيّة ؛ قال ابن حبيب (في شرح ديوان جرّان العود) : المتّيح الذي يأخذ في كلّ جهة ، وهو مفعّل ، كأنّه أتيح له إناحة أى قدّر . وقال ابن حريد (في الجمهرة) رجل متّيح : إذا كان قلبه يميل إلى كلّ شيء . وكلاهما أنشد هذا البيت .

والميناف ، بكسر الميم بعدها ياء ، أصلها الممز ؛ قال (في العباب) رجل مثناف أى سائر في أول النهار ، وقال الأصمعيّ : رجل مثناف : يرعى ماله أُنْفَ الكلاء ، يقال آفَنَت الإبلُ أنفاً : إذا وطئت كلاً أنفاً ، بضمّ الألف والنون ، أى عُشباً لم يرع ولم يَدَسْ بالأرجل . والبلدة : الأرض . وأقامه من موضعه : خلاف أقعده . والركاب : الإبل التي يُسار عليها ، الواحدة راحلة ، لا واحد لها من لفظها .

ومعنى البيت أن الشاعر خاطب نفسه لما رآها ملتفتة إلى حبايبها ، ناظرة إلى آثارها بعد الرحيل ؛ فاستفهمها بهذا الكلام ، ثم أجاب جازماً بأنّ عينها ناظرة إلى أثرهنّ . وسفّها في هذا الفعل بأن الملح ليس صادراً في وقته ، لأن صاحبهن ملتزم أسفار ، ومقتحم أخطار ؛ شأنه الذّهاب ، وعدم الإياب ؛ فلا ينبغي لها أن تكتسب من النظرة ، شدائد الحمرة .

وقوله : **إِنْ قَلْبَكَ مُتَّيْحٌ** ، استثناف بياني وقع جواباً لسؤال عن سبب خاص نشأ من الجملة المنفية ، كأنَّ نفسه قالت له : هل أنا في هذا الفعل **مُتَّيْحٌ** ؟ فأجابها بالجملة المؤكدة . وقوله : **ظَلَمَائِنِ مِينَافٍ** ، أى هنَّ ظلمائِنٌ ؛ والجملة الشرطية صفة لميناف . وجملة : **أَقَامَ الْحُجَّ** ، جواب إذا . **وَبَاكَرُ** فاعل أقام أى سائق باكر ؛ **مَتْرُوْحٌ** : أى شأنه سوق الإبل بالقدادة والرواح .

فإن قلت : كيف يرتبط الجواب بالشرط مع خلوه عن ضمير الميناف ؟ قلتُ : هو بتقدير أقام الركاب بأمره . ثم وصف رحيل الميناف ونزوله ومنازلته في أبيات كثيرة .

وترجمة الراعي قد تقدمت في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة^(١) .

* * *

باب المجرورات

١٦١

الإضافة

أنشد فيها :

(وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّثِيمِ يُسَبِّحُنِي)

على أنَّ ذا اللام في أصل الوضع لواحدٍ معين ، وقد يستعمل بلا إشارة إلى معين ، كاللثيم ، فإنَّ المراد منه لثيمٌ من اللؤماء ، أى لثيمٍ كان .

وتامه : (فَضِيتُ نُمْتُ قَلْتُ لَا يَغْنِينِي)

وقد تقدّم الكلام عليه في الشاهد الخامس والحسين (١) .

* * *

وأُشَدُّ بعده :

(عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ النَّعَا رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مَاضِي الشُّفْرَتَيْنِ بِمَانِي)

على أن العلم إذا أضيف نكراً بجمله واحداً من جملة من مسمى بذلك اللفظ، كزيد ، فإنه معرفة بالعلمية ولما أضيف نكراً واكتسب التعريف من الإضافة.

وقد تقدّم الكلام عليه أيضاً في الشاهد الثامن عشر بعد المائة (٢) .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين :

٢٨٥ (إِنْ قُلْتُ خَيْرًا قَالَ شَرًّا غَيْرُهُ)

على أن ابن السراج قض به ما قاله ابن السريّ - وهو أبو اسحق إبراهيم ابن السريّ الشهير بالزجاج - من أن (غير) إذا أضيفت إلى معرف له ضدّ واحد تعرّفت ، كقولك : عليك بالحركة غير السكون . ووجه النقض : أن غيراً في البيت قد أضيفت إلى ضمير الخبر - وهو ضد الشر - ولم تعرّف ، بدليل وقوعها صفة لقوله شرّاً .

(١) الخزائن ١ : ٣٥٧ .

(٢) الخزائن ٢ : ٢٢٤ .

وتقضى عليه أيضاً بقوله تعالى: ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(١) وأجاب الشارح المحقق بأنّ غيراً فيهما بدل لا صفة؛ ويجوز أن تكون صفةً على الأكثر الأغلب، وهو عدم تعرّفها بالمضاف إليه. هذا كلامه؛ وما نسبه إليهما لم أراه في كلامهما.

أما ابن السريّ فهذه عبارته في تفسير الفاتحة: وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فيُخَفَّضُ على ضربين: على البديل من الذين، كأنه قال: صراطٌ غيرِ المفضوب عليهم؛ ويستقيم أن يكون غيرِ المفضوب عليهم من صفة الذين، وإن كان غيرِ إنّما أصله في الكلام أن يكون صفةً للنكرة، تقول مررت برجلٍ غيرِك، فغيرك صفة لرجل، كأنك قلت مررت برجلٍ آخر. ويصلح أن يكون معناه مررت برجلٍ ليس بك، وأنما وقع هنا صفة للذين لأنّ الذين هنا ليس بمقصود قصدم، فهو بمنزلة قولك إني لأمرُّ بالرجلِ مثلك فأكرمه. انتهى كلامه.

فلم منه أن وقوع غير صفة للذين لتأويل الذين بما يقرب به من النكرة، وهو كون المعرّف الجنسي قريباً من النكرة، لا لكونها وقعت بين ضدّين كما نقل عنه الشارح المحقق.

وأما ابن السراج فقد قال في باب الإضافة (من الأصول): وأما مثل وغير وسوى، فإنّهنَّ إذا أضفن إلى المعارف لم يتعرّفن، لأنك إذا قلت مثل زيد فمثله كثير: واحدٌ في طوله، وآخر في علمه، وآخر في صناعته، وآخر في حسنه. وهذا يكاد يكون بلا نهاية. وكذلك غير إذا قلت غير زيد؛ لأن

كل شيء إلا زيد فهو غير زيد . فهذا وما أشبهه لا يتعرف بالإضافة . فإن
أردت مثل زيد المعروف بشبه زيد كان معرفة . انتهى .
فليس فيه رد ولا شعر .

وقد نسب ابن هشام (في المغنى) إلى ابن السراج ما نسبته الشارح المحقق
إلى ابن السرى .

والصراع من أبيات أوردها ابن الأعرابي (في نوادره) للأسود بن صاحب الشاهد
يعفر ، وهى :

(إن امرأ مولاة أذنا داره فيما ألم وشره لك بادى^(١)) أبيات الشاهد
إن قلت خيراً قال شراً غيره أو قلت شراً مدّه بمداد
فلئن أقت لأظعن لبلدة ولئن ظعنت لأرسين أوتادى
كان التفرق بيننا عن ميرة فاذهب إليك فقد شفيت فؤادى)

وقوله : إن امرأ مولاة الخ المولى هنا يجوز أن يكون ابن المم ، وأن
يكون الناصر ، وأن يكون الجار . وأدنا^(١) بمعنى أضعف وأذل ؛ من الدناءة
فسهل . وفى للسببية ، وألم من الألم ، وهو مقاربة الذنب . وبادى : ظاهر .
ومولاة مبتدأ وأدنا^(١) خبره والجملة صفة لاسم إن ، وخبرها الجملة الشرطية ،
وهو قوله : (إن قلت خيراً الخ) . وقلت فى الموضعين بفتح التاء . وقوله :
(مدّه الخ) أى زاده بزيادة متصلة .

وقوله : فلئن أقت الخ ، هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . وقوله :
لأرسين ، النون الخفيفة للتأكيد . والإرساء : الإثبات ؛ يقال رسا الشيء يرسو :

(١) رسمت فى النسختين بالياء ، وإنما هى مسهلة من أدنا .

إذا ثبت ؛ وأرساه : أثبته . وأراد بأوتاده أوتاد الخيمة . وإرساؤها كناية عن الإقامة .

والميثرة ، بكسر الميم وسكون الهيمزة ، هي العداوة ، قال أبو زيد : مآرت بين القوم مأراً ومآرت ممامرة : أى عادت بينهم وأفسدت . قال : والاسم الميثرة . وإليك اسم فعل بمعنى تنحّ وابتعد .

والأسود بن يعفر شاعر جاهليّ ، تقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع والستين (١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين (٢) :

٢٨٦ (أَمَاوِيٌّ إِنِّي رُبٌّ وَاحِدٌ أُمِّهِ
أَجَرْتُ فَلَا قَتْلُ عَلَيْهِ وَلَا أُنْسَرُ)

على أن (واحد أُمِّه) نكرة لا يتعرّف بالإضافة وإن أضيف إلى المعرفة ، لتوغله في الإبهام ، إذ لا ينحصر بالنسبة إلى مضاف إليه معيّن ، إذ بعد الإضافة لا يتعيّن للمضاف أيضاً ، فهو نظير غيرك ومثلك ، ولذلك وقع مجروراً بربّ .

والشارح المحقق نسب جملة منكرًا إلى بعض العرب ، واستدل له بدخول ربّ عليه ، فإنّها لا تدخل إلّا على نكرة . وغيره نسب التنكير إلى بعض النحاة ؛ ويؤيده قول ابن الأنباري (في الزاهر) : إنّ القراء وهشامًا قالا :

١٦٣

(١) الخزائن ١ : ٤٠٥ .

(٢) معجم الهوامع ٢ : ٤٧ وديوان حاتم ١١٨ واللسان (وحده

نَسِيجَ وَحَدِهِ وَعَيْبَرٍ وَحَدِهِ ، وَوَاحِدُ أُمِّهِ ، نَكَرَات . والدليل على هذا أن العرب تقول : رَبُّ نَسِيجٍ وَحَدِهِ قد رأيت ، وربّ واحد أُمُّه قد أُجِرَتْ . واحتجَّ هشامٌ بقول حاتم :

أُماوِيَّ إِنِّي رَبُّ وَاحِدِ أُمِّهِ البيت

قال شارح الباب وغيره : والأكثر أن يكون معرفة على قياس الإضافة إلى المعارف ، وأما وروده نكرةً فنادر ، إنما جاء في الشعر .

١٦٣ وقول الشارح المحقق : « وليس العلة في تنكيرها ما قال بعضهم إن واحد مضاف إلى أم » إلى آخره ، هو كلام عبد القاهر الجرجاني ، قال : والضمير المتصل ببطن وأم ، لا يجوز أن يعود إلى نفس واحد وعبد ، لأن المضاف يكتسب من المضاف إليه التعريف ؛ فإذا كان تعريف أم بإضافتها إلى ضمير الواحد ، كان التماس تعريف الواحد منها محالاً ، وكان بمنزلة تعريف الشيء بنفسه ، فوجب أن يعود الضمير إلى شيء غير عبد وواحد ؛ يجوز أن تقول : زيد عبدُ بطنه ، فيكون تعريف عبد بغير ضميره . قال : فإذا قلت جاءني واحد أُمِّهِ ، وعبدُ بطنه ، جاز أن يكون معرفة بأن يتقدم الذكر ، كأنك قلت جاءني الكامل النبيل الذي عرفته . وإذا جعل نكرةً فعلى أنه يوصف به نكرةً محذوفة كما في البيت ، كأنه قال إنسانٌ واحد أُمِّهِ ؛ بمنزلة قولك : ربّ إنسان عزيز معظّم ، لأن ربّ لا تدخل على المعارف . انتهى كلامه .

وقوله : (أُمَاوِيَّ الخ) الهزمة للنداء ، ومَاوِيَّ منادى مرخّم مآوِيَّةً ، وهي زوجة حاتم . والمآوِيَّة في اللغة : المرأة التي يُرى فيها الوجه ؛ كأنها منسوبة إلى الماء ، فإن النسبة إلى الماء مآوِيٌّ ومَاوِيٌّ . و (رَبُّ) هنا لإنشاء

التكثير^(١) والعامل في محل مجرورها (أَجَرْتُ) بالجيم والراء للمهلة، بمعنى أمنتها مما يخاف ؛ يقال استجاره أى طلب منه أن يحفظه فأجاره . وروى بدله : (أخذت) .

قال الزمخشري (في أمثاله) عند قوله « أجود من حاتم » : كان إذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا سئل وهب ، وإذا ضرب بالقِدْح سبق ، وإذا أسر أطلق ، وإذا أُنرى أنفق . وكان أقسم بالله لا يقتل واحداً أمة . انتهى .

وروى صاحب اللباب المصراع الثاني هكذا :

* قتلْتُ فلا غُرْمُ على ولا جدلُ *

من جدل عليه : إذا صال عليه بالظلم . وليس كذلك ؛ فإن البيت من قصيدة رائية وهي :

قصيدة الشاهد	(أماوى ، قد طال التجنبُ والمَجْرُ	وقد عذرتنى في طلابكم عُدْرُ
	أماوى ، إنَّ المالَ غادرٌ ورائحُ	ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذُّكُورُ
	أماوى ، إني لا أقولُ لسائلي	إذا جاء يوماً حلٌّ في مالنا التَّزْرُ
	أماوى ، إماً مانعٌ فمبينُ	وإماً عطاه لا ينهنه الزجرُ
	أماوى ، ما يغنى الثراء عن الفقى	إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
	أماوى ، إنَّ يُصبحُ صداى بقرّة	من الأرض لآماه لدى ولا خمرُ

(١) فى النسختين : « التكثير » ، تحريف . قال ابن هشام فى

المغنى : « وليس معناها التقليل دائماً خلافاً للأكثرين ، ولا للتكثير دائماً

خلافاً لابن درستويه وجماعة ، بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً » .

وانظر اللسان (ريب) .

تَرَى أَنْ مَا أَنْفَقْتُ لِمِ يَكُ ضَائِرِي وَأَنْ يَدِي مِمَّا بَخَلْتُ بِهِ صَفَرُ
أَمَاوِيٍّ إِنِّي رُبُّ وَاحِدٍ أُمُّهُ أَخَذْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَقَرُ
أَمَاوِيٍّ ، إِنَّ الْمَالَ مَالٌ يَدَّلُهُ فَأَوَّلُهُ شُكْرُ وَآخِرُهُ ذِكْرُ
وَأَنِّي لَا آكُو بِمَالِي صَنِيعَةً فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ ذُخْرُ
يُفَكُّ بِهِ الْعَسَانِي وَيُؤْكَلُ طَيْبًا وَمَا إِنْ يُعْرِيهِ الْقِدَاحُ وَلَا الْقَمَرُ ١٦٤
وَلَا أَظْلَمُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي شُهُودًا وَقَدْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ الدَّهْرُ
غَنِينًا زَمَانًا بِالتَّصْلُوكِ وَالْفَنَى وَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَأَوًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا ، وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ
وَمَا ضَرَّ جَارِيَا ابْنَةَ الْقَوْمِ ، فَاعْلَمِي يَجَاوِرُنِي أَنْ لَا يَكُونُ لَهُ سِرُّ
بِعَيْنِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةً وَفِي السَّمْعِ مَنِي عَنْ أَحَادِيثِهَا وَقَرُّ

قوله : وقد عذرتني الخ ، عذرتني فيما صنع من باب ضرب : رفعت عنه اللوم ، فهو معذور أى غير ملوم ، والاسم العذر بالضم .
وقوله : حلّ في مالنا النزر ، أى القلة . ونهته : كفه ومنعه .

وقوله : إذا حشرجت يوماً الخ ، أورد صاحب الكشاف هذا البيت عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ (١) على إضمار النفس قبل الذكر ، لدلالة الكلام عليه ، كما أضمرها الشاعر في حشرجت . والحشرجة ، أوله حاء مهملة وآخره جيم : الفرغرة عند الموت وتردد النفس . والصدى : ما يبقى من الميت في قبره ، قاله المبرد في الكامل (٢) عند قول النمر بن تَوَلَّبَ الصَّحَابِيُّ :

(١) الآية ٢٦ من سورة القيامة .

(٢) ص ٢١٠ ليبسك . وهذا التفسير أحد أوجه ستة ذكرها المبرد

في هذا الموضع .

أَعَاذَلْ إِنْ يَصْبِحُ صَدَاىَ بَقَرَةٍ بَعِيداً نَأْنِي صَاحِبِي وَقَرِيبِي
تَرَى أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبِّهِ وَأَنْ الَّذِي أَنْقَضْتُ كَانَ نَصِيبِي
وقوله : لا آلو ، أى لا أقصّر . والماتى : الأسير .

وقوله : وما إن يُعْرِيهِ أى يُفْنِيهِ . والقِداح : قِداح الميسر . والقَمَر
بالتفتح : المقامرة .

وقوله غنينا ، غْنَى كَفَرَح : عاش ، وغنى بالمكان : أقام به . والبأو
بالموحدة وسكون الهمزة السكبر والفخر ، يقال : بأوت على القوم أبأى بآوا .
وسبب هذه القصيدة هو ما رواه الزجاجي (١) فى أماليه الوسطى (١) قال :
أخبرنا ابن ذرير قال : أخبرنى عبد الرحمن عن عمه ، وأبو حاتم عن أبى
عبيد قالا :

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكمال ، وحسب
ومال ، قالت أن لا تزوج نفسها إلا من كريم ، ولئن خطبها لثيم لتجدعن
أنفها ، فتحامها الناس حتى انتدب لها زيد الخليل ، وحاتم بن عبد الله ،
وأوس بن حارثة بن لأم الطائيون ، فارتحلوا إليها فلما دخلوا عليها قالت :
مرحباً بكم ، ما كنتم زوّاراً فما الذى جاء بكم ؟ قالوا : جئنا زوّاراً خطّاباً ،
قالت . أكفاه كرام ، فأنزلتهم وفرقت بينهم وأسبغت لهم القرى وزادت فيه ؛
فلما كان فى اليوم الثانى بعثت بعض جواربها متسكرة فى زى سائلة تنعّرض
لهم ، فدفع إليها زيد وأوس شطراً ما حُلّ إلى كل واحد منها ، فلما صارت

(١) أمالى الزجاجي ١٠٦ بتحقيق كاتبه . والقصة على وجه آخر فى
الأغانى ١٦ : ٩٩ والشعراء ١٩٧ - ٢٠٠ وأمالي القالى ٣ : ١٥٤ والعينى
٢ : ٣٦٩ وديوان حاتم ١٣١ - ١٣٤ .

إلى رَحْلٍ حَاتِمٍ دَفَعَ إِلَيْهَا جَمِيعَ مَا كَانَ مِنْ نَفَقَتِهِ ، وَحَمَلَ مَعَهَا جَمِيعَ مَا حَمَلَ إِلَيْهِ ،
فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ دَخَلُوا عَلَيْهَا فَقَالَتْ : لِيَصِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ نَفْسَهُ
فِي شَعْرِهِ ، فَايْتَدِرُ زَيْدٌ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

هَلَّا سَأَلْتُ بَنِي ذَيْبَانَ مَا حَسْبِي عِنْدَ الطَّعَانِ إِذَا مَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ (١)
وَجَاءَتِ الْخَيْلُ مَحْمَرًا بِوَادِرُهَا بِالمَاءِ يَسْفَحُ مِنْ لَبَّاءِهَا الْعَلَقُ
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ فَارِسَهَا يَوْمَ الْأَكْسِ بِهِ مِنْ نَجْدَةِ رَوْقِ (٢)
وَالْجَارُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ خَاذِلَهُ إِنَّ نَابَ دَهْرٍ لِعَظَمِ الْجَارِ مُعْتَرِقُ
هَذَا الشَّيْءُ فَإِنْ تَرْضَى فَرَاضِيَةً أَوْ تَسْتَخْطِي فَأَلِي مِنْ تَعَطُّفِ الْعُنُقِ
وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ : أَنْتَ لَتُعَلِّمِينَ أَنَا أَكْرَمَ أَحْسَابٍ وَأَشْهَرِ أَعْمَالٍ ،

مَنْ أَنْ نَصَفَ أَنْفُسَنَا لَكَ ، أَنَا الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ (٣) :

إِلَى أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ لِيَقْضَى حَاجَتِي وَلَقَدْ قَضَاها
فَاوْطِئَ الْحَصَى مِثْلُ ابْنِ سَعْدَى وَلَا لِبَسَ النِّعَالَ وَلَا احْتَذَاها
وَأَنَا الَّذِي عَقْتُ عَقِيْقَتَهُ ، وَأَعْتَقْتُ عَنْ كُلِّ شَعْرَةٍ فِيهَا عَنْهُ نَسَةً .
ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَإِنْ تَنْكَحِي ، مَاوِيَّةَ الْخَيْرِ ، حَاتِمًا فَمَا مِثْلُهُ فِينَا وَلَا فِي الْأَعَاجِمِ

(١) صوابه « بنى نيهان » كما في أمالي الزجاجي . وسيساني
ذكر « نيهان » في شعر أوس بن حارثة الذي يذكر فيه زيد الخيل ، وهو
زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضى بن المختلس بن ثوب
ابن كتانة بن غوث بن نابل بن نيهان بن عمرو بن الغوث بن طيء .
جمهرة أنساب العرب ٤٠٣ والاصابة ٢٩٣٥ .

(٢) الأكس : القصير الأسنان . والروق ، بالتحريك : اشراق
الأسنان العليا على السفلى .

(٣) هو بشر بن أبي خازم . ديوانه ٢٢٢ والكامل ١٣٣ .

فَتَى لَا يَزَالُ الدَّهْرَ أَكْبَرَ هَمَّهُ
وإن تنكحني زيداَ ففارسُ قومه
وصاحبُ نهبان الذي يُتَّقَى به
وإن تنكحيني تنكحني غيرَ فاجر
ولا مُسَقٍّ يوماً إذا الحربُ شمرت
وإن طارقُ الأضيافِ لاذَّ برحله
فأَيُّ فتى أهدى لكِ الله فاقبلي
فَكَأَنَّكَ أُسِيرٌ أَوْ مَعُونَةُ غلامٍ
إذا الحربُ يوماً أقعدت كلَّ قائمٍ
شَدَا الأمرُ عندَ المُعْظِمِ المتفاهيمِ
ولا جارفٍ جُرفَ العشيَةِ هادمٍ
بأنفسها نفسى كفعل الأَشْأَمِ
وجئتِ ابنَ سَعْدَى للقرى غيرَ عامٍ
فإنَّا كرامٌ من رموسٍ أكلامٍ
وَأَنشأ حاتم يقول :

أماوىَّ قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ وقد عذرتني في طلبكم عذْرُ
إلى أن انتهى إلى آخر القصيدة — وهى مشهورة — فقالت : أما أنت
يا زيد فقد وَّترت العرب ، وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأما أنت يا أوس فرجل
خوضرائر ، والدخول عليهنّ شديد . وأما أنت يا حاتم فرضى الخلائق ،
محمود الشيم ، كريم النفس ، وقد زوجتك نفسى . ١ . هـ مارواه الزجاجي .

وقد روى صاحب الأغاني هذا الخبرَ على غير هذا ، قال : إن معاوية
تذاكروا عنده ملوك العرب ، حتى ذكروا الزبَاءَ ومأويةً ، فقال معاوية : إني
لأحبُّ أن أسمع حديثَ مأوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدُّثُك به ؟
فقال معاوية : بلى . فقال : إن مأوية كانت ملسكة ، وكانت تتزوج من أرادت ،
وإنها بشت يوماً غلماناً لها وأمرهم أن يأتوها بأوسمٍ من يجدونه من الحيرة ،
فجأوا بحاتم فأكرمته (١) وبعد أن رحل عنها دعت نفسها إليها فأثاها يخطبها ،

(١) هنا حديث بينها وبين حاتم . انظر له الاغانى ١٦ : ٩٩

وديون حاتم ١٢٢ .

فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النّبيت ، فقالت : اتقلبوا إلى
رحالكم وليقل كلُّ منكم شعراً يذكر فيه فعّاله ومَنْصبه ، فإنّي أتزوج
أكرمكم وأشعركم . فانصرفوا فنحَرَ كلُّ واحد منهم جزوراً ، ولبست ماوية
ثياباً لامية لها فأعقبتهم ، فأنت النّبيتي ، فاستطعته من جزوره فأطعمها ثيل
جزوره - أى وعاء قضيبه - فأخذته ثم أنت نابغة بنى ذبيان فاستطعته فأطعمها
ذنب بجله ، فأخذته ثم أنت حاتم وقد نصب قدره فاستطعته ، فقال لها :
قرّى حتى أعطيك ما تنتفعين به . فأعطاهما من العجز والسّنام ، [ومثلها من
المخدش ، وهو عند الحارث (١)] ، ثم انصرفت فأرسل إليها كلُّ واحدٍ ظهر
جله ، وأهدى حاتم إلى جارائها مثل ما أهدى إليها ، وصبّحوها فاستنشدنهم ،
فأنشدها النّبيتي :

هلاً سألتِ النّبيتيّينَ ما حَسبي عندَ الشتاءِ إذا ما هبّت الرّيحُ

١٦٦

وبعدَهُ أبياتُ ثلاثة . ثم قالت : أنشدنا يا نابغة ، فأنشدها :

هلا سألتِ بنى ذبيانَ ما حَسبي إذا الدّخانُ تَغَشّى الأشطَطَ البرّما

وبعدَهُ بيتان ، ثم قالت : يا أخا طيّ ، أنشدنا . فأنشدها :

أماوىَّ قد طالَ التجنُّبُ والمُجرُ وقد عذرتنى في طِلابكم العذُرُ

إلى آخر القصيدة - فلما فرغ حاتم من إنشاده دعت بالقداء ، وكانت
قد أمرت إماءها أن يُقدّمن إلى كلِّ رجلٍ ما كان أطعمها ، فقدّمن إليهم
ما كانت أمرتهن أن يُقدّمنه ، فنكّس النّبيتي والنابغة رأسيهما ، فلما نظر
حاتم ذلك رمى بالذى قدّمته إليهما ، وأطعمهما مما قدّم إليه ، ففسلاً منها .

(١) التكملة من الأغاني . والمخدش : كاهل البعير ، لانه يخدش

الفم إذا أكل بقلة لحمه .

وقالت : إِنَّ حَاتِمًا أكرمكم وأشعركم . فلما خرجا قالت : يا حاتم ، خل سبيل امرأتك ، فأبى ، فزودته . فلما انصرف عنها ماتت امرأته ، فعاد إليها فتزوجها فولدت له عدياً . وقد كان عدياً أسلم وحسن إسلامه . اهـ مختصراً .

والصحيح أن عدياً من امرأته نَوَارٍ ، لا من ماوية . والله أعلم وترجمة حاتم الطائي قد تقدمت في الشاهد التاسع والسبعين بعد المائة (١) .

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُ على اللّيم يسُبني)

تمامه : (ففضيت نمت قلت لا يعنيني)

وقد تقدم قريباً (٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س (٣) :

٢٨٧ (لما أتى حَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ انْخَسَعَتْ)

على أن (سوراً) اكتسب التأنيث من المدينة ، ولهذا أنث له الفعل .

قال الأعم (في شرح شواهد س) : إِنَّ السُّورَ ، وإن كان بعض المدينة

(١) الخزانة ٣ : ١٢٧ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٠٦ في أول باب الإضافة .

(٣) في كتابه ١ : ٢٥ . وانظر النقائض ٩٦٩ ومجاز القرآن

١ : ١٩٧ والخصائص ٢ : ٤١٨ وديوان جرير ٢٤٥ واللسان (سور

لا يسمَّى مدينة ، كما يسمَّى بعض السنين سنة ، ولكن الاتساع فيه متمكن ، لأن معنى تواضعت المدينة وتواضع سُور المدينة متقارب .

وذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى إلى أن السُّور جمع سُورة ، وهى كل ما علا ؛ وبها تسمى سُور المدينة سوراً . وعلى هذا لا شاهد فى البيت .

قال السيرافى : والجبال الخُشَع مبتدأ وخبرٌ عند بعضهم : أى وصارت الجبال خاشعة متضائلة ؛ لأنه لا مدح فى قولنا تواضعت الجبال المتضائلة ، بل تواضعت الجبال الشاخحة ، لكنّه وصفها بما آلت إليه . وقال بعضهم : هو معطوف على سُور المدينة ، والخُشَع صفة له ؛ ولم يُرد أنها كانت خُشَعاً قبل ، بل هى خُشَع لموته الآن . وأراد : لما أتى خبر قتل الزبير وتواضعت وقعت إلى الأرض . والخُشَع : التى قد لطئت بالأرض .

وهذا البيت من قصيدة لجرير ، عدتها مائة وعشرون بيتاً هجاءها صاحب الشاهد الفرزدق وعدّد فيها معانيه ، منها أن ابن جرُموز الجُاشعى — وهو من رهط الفرزدق — قتل الزُّبير بن العوام غيلةً بعد انصرافه من وقعة الجمل ، فهو ينسبهم إلى أنهم غدروا به لأنهم لم يدفعوا عنه . يقول : لما وافى خبر قتل الزبير إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تواضعت هى وجبالها ، وخشعت حُرُنّا له . وهذا مثل ، وإنما يريد أهلها . وقبل هذا البيت :

(إِنَّ الرِّزْيَةَ مَنْ تَضَمَّنَ قَبْرَهُ وادى السباع ، لكلِّ جنبٍ مصرعُ)

وبعده :

(وبكى الزُّبيرَ بَنَاتُهُ فى مَأْتَمٍ ماذا يرُدُّ بكاه من لا يَسْمَعُ) ١٦٧

ووادى السباع على أربعة فراسخ من البصرة . ثم إن ابن جرُموز قديم على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وهنأه بالفتح وأخبره بقتله الزبير ،

فقال له عليّ : أبشّرْ بالنار ، سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بالنار » .

وفي ذلك قال ابن جرموز :

أَتَيْتُ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهَا رُفْعَةً
فَبَشَّرَ بِالنَّارِ فِي قَتْلِهِ فَبُشِّرَ بِشَارَةِ ذِي التُّحَفَةِ

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير — وكان والياً على العراق
من قبل أخيه عبد الله — فقال : اقتلني بالزبير ! فكتب في ذلك إلى أخيه ،
فكتب إليه عبد الله : أنا لا أقتله بالزبير ولا بشيخ نعله . فلم يقتله ، ومضى
ابن جرموز من عند مصعب .

وقصة مقتل الزبير مفصلة في التواريخ .

وترجمة جرير قد تقدمت في الشاهد الرابع من أول الكتاب^(١) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائتين ، وهو من
شواهد س^(٢) :

٢٨٨ (إِذَا بَمَضُ السَّنِينَ تَعَرَّقْنَا كَفَى الْإِيْتَامَ فَقَدْ أَبَى الْيَتِيمِ)

لما تقدم قبله ، وهو أن (بعضاً) اكتسب التأنيث مما بعده بالإضافة ؛
ولهذا قال (تعرّقنا) بالتأنيث .

قال ابن جني (في سر الصناعة) عندما أنشد قول الشاعر :

(١) الخزائن ١ : ٧٥ .

(٢) في كتابه ١ : ٢٦ ، ٢٢ وابن يعيش ٥ : ٩٦ ويس ٢ : ٣٢

وديون جرير ٥٠٧ .

* سائل بنى أسد ما هذه الصوت (١) *

إِنَّمَا أَنْتَه لَأَنَّهُ أَرَادَ الِاسْتِفَاتَةَ . وَهَذَا مِنْ قَبِيحِ الضَّرُورَةِ ، أَعْنَى تَأْنِيثَ الْمَذْكُورِ ؛ لِأَنَّ التَّذْكِيرَ هُوَ الْأَصْلُ ، بِدَلَالَةِ أَنَّ الشَّيْءَ مَذْكُورٌ وَهُوَ يَقَعُ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمَوْثُتُ ، فَعَلِمْتُ بِهَذَا عَمُومَ التَّذْكِيرِ وَأَنَّهُ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي لَا يَنْكَسِرُ . وَنَظِيرُ هَذَا فِي الشَّدُوذِ قَوْلُهُ — وَهُوَ مِنْ أَيْيَاتِ الْكِتَابِ — :

إِذَا بَعْضُ السَّنِينَ تَمَرَّقَتْنَا الْبَيْتُ
وَهَذَا أَسْهَلُ مِنْ تَأْنِيثِ الصَّوْتِ قَلِيلًا ، لِأَنَّ بَعْضَ السَّنِينَ سَنَةٌ ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ ، وَهِيَ مِنْ لَفْظِ السَّنِينَ ؛ وَلَيْسَ الصَّوْتُ بَعْضُ الِاسْتِفَاتَةِ وَلَا مِنْ لَفْظِهَا . انْتَهَى .
وَزَادَ الْمَبْرَدُ (فِي الْكَامِلِ) عَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَجْهًا آخَرَ قَال : قَوْلُهُ :

* إِذَا بَعْضُ السَّنِينَ تَمَرَّقَتْنَا *

يَفْسَّرُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَنْ يَكُونَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ بَعْضَ السَّنِينَ يُؤْنَثُ لِأَنَّهُ سَنَةٌ وَسَنُونَ (٢) . وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ الظُّهْرُ فِي الْمَعْنَى عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ فَأَقْحَمَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ تَوْكِيدًا (٣) ، لِأَنَّهُ [غَيْرُ (٤)] خَارِجٌ مِنَ الْمَعْنَى . وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَظَلَّلْتُ أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (٥) وَالْخُضُوعُ بَيْنُ فِي الْأَعْنَاقِ ،

(١) لَرُوشِدِ بْنِ كَثِيرٍ الطَّائِي فِي الْحِمَاسَةِ ١٦٦ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِيِّ .
وَصَدْرُهُ :

* يَا أَيُّهَا الرَّائِكُ الْمَرْجِي . مَطِيئَتُهُ *

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ طَبْعَةِ لَيْبَسِكِ مِنَ الْكَامِلِ ٣١٢ : « ذَهَبَ إِلَى أَنْ بَعْضُ السَّنِينَ سَنُونَ » .

(٣) وَكَذَا فِي أَصُولِ الْكَامِلِ ، وَالْمُرَادُ الْمُضَافُ ، وَهُوَ فِي بَعْضِ الِاعْتِبَارِ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَا بَعْدَهُ . أَوْ الْمُرَادُ أَقْحَمَ كَلِمَةً « بَعْضُ » فِي كَلِمَةِ السَّنِينَ لِتَكُونَ تَوْكِيدًا . وَفِي اللِّسَانِ : « وَكُلُّ مَا أَدْخَلْتَهُ شَيْئًا فَقَدْ أَقْحَمْتَهُ آيَاهُ وَأَقْحَمْتَهُ فِيهِ » ، فَتَكُونُ تَوْكِيدًا مَفْعُولًا ثَانِيًا لِأَقْحَمَ .

(٤) التَّكْمِلَةُ مِنَ الْكَامِلِ

(٥) الْآيَةُ ٤ مِنَ الشُّعْرَاءِ .

فأخبر عنهم فأقحم الأعناق توكيداً — وكان أبو زيد الأنصاري يقول :
أعناقهم : جماعهم — والأول قول عامة النحويين . انتهى المراد منه .

و (بعض) : فاعل فعل محذوف يفسره (تفرقتنا) المذكور ؛ يقال
تفرقتُ العظم : إذا أكلت ما عليه من اللحم . يريد أنها أذهبت أموالنا
ومواشينا . و (السنة) هنا : القحط والجذب : ضد الخصب والرخاء .
و (كفى) بمعنى أغنى يتعدى إلى مفعولين ، أولهما (الأيتام) وثانيهما (فقد) ،
ومصدره الكفاية ، قال تعالى : ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ (١) . أى كفى
الأيتام فقد آبأهم ؛ لأنه أفق عليهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه ، وكان
في الكفاية لهم والحراسة والتفقد لأحوالهم بمنزلة آبأهم . وأراد أن يقول :
كفى الأيتام فقد آبأهم فلم يمكنه فقال : فقد أبى اليتيم ؛ لأنه ذكر الأيتام
أولاً ، ولكنه أفرد حملاً على المعنى ؛ لأن الأيتام هنا اسم جنس ، فواحدها
ينوب مناب جمعها ، وبالعكس . وكان المقام مقام الإضمار فأتى بالاسم الظاهر .

١٦٨

آيات الشاهد وهذا البيت من قصيدة لجرير مدح بها هشام بن عبد الملك بن مروان :

(وأنت إذا نظرت إلى هشام عرفَ نَجَارَ مُنْتَجَبٍ كَرِيمٍ (٢)
يرى للمسلمين عليه حقاً كفيل الوالد الرؤف الرحيم
إذا بعضُ السنين تفرقتنا كفى الأيتام فقد أبى اليتيم)
والتيجار ، بكسر النون وبمدها جيم : الأصل .

وقوله : يرى للمسلمين عليه حقاً ، له مثله في قوله أيضاً :

وإني لأستحي أخى أن أرى له على من الحق الذى لا يرى ليا

(١) الآية ٢٥ من الأحزاب .

(٢) فى الديوان : « منتجب » بالجيم .

قال المبرّد في الكامل : هذا بيت يحمله الناس على خلاف معناه ، ولمّا تأويله إني لأستحي أخى أن يكون له على فضل ولا يكون لى عليه فضل ومضى إليه ^(١) مكافأة ، فأستحي أن أرى له على حقاً بما فعل إلیّ ، ولا أفعل إلیه ما يكون لى به عليه حق . وهذا من مذاهب الكرام . وأما قول عائدة الكلب الزبيری ^(٢) لعبد الله بن حسن بن حسن بن علي ^(٣) رضى الله عنهم :

له حقٌ وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسن الجليل ^(٤)

وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره ، وهو الرسول ^(٥)

فإنه ذكره بقلة الإنصاف فقال : يرى له حقاً على الناس ولا يرى لهم عليه حقاً ، من أجل نسبه بالرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قيل لعلى بن الحسين ابن على رضى الله عنهم : مابالك إذا سافرت كتمت نسبك أهل الرقة ^(٦) ؟

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى ش والكامل ٣١٠ .

(٢) فى النسختين : « الزبيدي » ، وحورها الشنقيطى الى « الزبيرى » بالراء لتصحح ، كما فى الكامل ٣١٠ والأغانى ٢٠ : ١٨٠ . وعائدة الكلب هذا هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام . وكان ممن خرج مع النفس الزكية ، سمي بذلك لقوله : مالى مرضت فلم يعدنى عائدة منك وممرض كلبكم فأعود وانظر الآلى ٥٧٠ ، ٦٥٩ .

(٣) فى زهر الآداب ٨٦ والعمدة ٢ : ١٤٠ أنه « الحسن بن زيد بن الحسين بن على »

(٤) الكامل ٣١٠ . ونسب البيتان فى زهر الآداب لأبى عاصم محمد بن حمزة الأسلمى ، وفى العمدة لابن عاصم المدينى ، صوابه « لأبى عاصم » .

(٥) فى العمدة : « لأهلها » .

(٦) ط : « الرقة » ، صوابه فى ش والكامل . والرفقة : الأصحاب

فى السفر .

قال : أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أُعطي مثله .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين وهو شواهد
س (١) :

٢٨٩ (مرُّ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِ

أَخَذَنَ بَعْضِي وَتَرَكَنَ بَعْضِي)

على أن (مرُّ) اكتسب التأنيث من اللضاف إليه ، ولهذا قال : أخذن .
وسببوه جبل محل الشاهد أَسْرَعَتْ ؛ ففي البيت قد اكتسب المذكّر فيه
التأنيث بوجهين : أحدهما التأنيث فقط — وهو بالنظر إلى قوله أَسْرَعَتْ —
وثانيهما التأنيث والجمعيّة — وهو بالنظر إلى قوله أخذن — وكان للناسب
للشارح المحقّق أن يضمّ هذا البيت مع البيت الذي بعده ، أو يوافق سببويه
ومن تبعه .

ويُرْوَى : (طُولُ اللَّيَالِي) .

قال ابن خلف : الشاهد فيه أنّه قال أَسْرَعَتْ ، فأنث الضمير الذي هو
فاعل أَسْرَعَتْ . ويجب أن يكون مذكّراً لأنّه ينبغي أن يعود إلى المبتدأ ،
والمبتدأ مذكّر وهو الطول . وإنما أنث لأنّه أضاف الطول إلى الليالي ، وليس
الطول شيئاً غيرها ، فأخلص الخبرَ لليالي دون الطول . فقد بان لك أنّ معنى
طول الليالي أَسْرَعَتْ ، والليالي أَسْرَعَتْ سواء . انتهى .

(١) في كتابه ١ : ٢٦ . وانظر البيان ٤ : ٦٠ والخصائص ٢ :

١٦٨ وشرح شواهد المغني ٢٩٨ والعيني ٣ : ٣٩٥ والتصريح ٢ : ٣١
والأشموني ٢ : ٢٨٤ والمخصص ١٧ : ٧٨ وملحقات ديوان العجّاج

وهذا ناظرٌ إلى الوجه الثاني من وجهي كلامٍ للبرّد المنقول عنه في البيت السابق .

وقال أبو علي الفارسيّ (في التذكرة القصريّة) : قول ذي الرمة :

مَشِينٌ كما اهْتَزَّتْ رِماحٌ تَسْفَتْ
أَعَالِيها مرُّ الرياحِ النوايسِرِ

أحسن من قوله :

* طول الليالي أسرعَتْ في تقضى *

لأنَّ الريح لا تكون ريحاً إلاَّ بمرورها ومدافعة الهواء بمعضة بمعضة ، فحسن أن تُجمل هي هو . وليس طولُ الليالي كذلك ، لأنَّ الليل قد يكون ليلاً وإن لم يكن طويلاً . انتهى .

وفيه نظر : فإنه ليس مراد الشاعر أنَّ الليالي الطوالَ دون القصارِ أسرعَتْ في تقضه ، وإنما يريد تكرار الزمان ليلاليه وأيامه ، طالت الليالي أو قصُرت ، والزمان لا ينفكُّ عن التكرار كما لا تنفكُّ الريح عن الهبوب وللرور . وهذا لازم ، فتأمل .

وروى البيت :

(إنَّ الليالي أسرعَتْ)

ورواه الجاحظ أيضاً في البيان :

(أرى الليالي أسرعَتْ)

وعلى هاتين الروايتين لا شاهد فيه . وروى المصراع الثاني هكذا أيضاً :

* نَقَضْنَ كُلُّهُ وَنَقَضْنَ بَعْضِي *

والنقض: هدم البناء حجراً فحجراً .

صاحب الشاهد وهذان البيتان من أرجوزة للأغلب العجلي ذكرها أبو حاتم (في كتاب المعرّين^(١)) ، وأورد بعدها :

حَنِينَ طُولِي وَحَنِينَ عَرَضِي أَقْعَدْتَنِي مِنْ بَعْدِ طُولِ نَهْضِي

وكان الأغلب العجلي من عُمرٍ عمرّاً طويلاً في الجاهلية والإسلام . أسلم واستشهد بوقعة نهاوند .

وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الحادي والعشرين بعد المائة^(٢) .

وزعم أبو محمد الأعرابي في (فرحة الأديب) أن هذا الرجز ليس للأغلب ، وإنما هو من شوارد الرجز لا يعرف قائله . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

وقد رواه للأغلب صاحب الأغاني أيضاً ، قال أبو محمد وهو كذا :

أَصْبَحْتُ لَا يَحْمِلُ بَعْضِي بَعْضِي مَنْفَهًا أَرْوَحُ مِثْلَ النَّقْضِ^(٣)

مَرُّ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوْنِي طَوْنِي وَطَوْنِي عَرَضِي

ثُمَّ التَّحْنِ عَنْ عِظَامِي نَحْضِي أَقْعَدْتَنِي مِنْ بَعْدِ طُولِ نَهْضِي

* * *

(١) المعرّين ٨٧ . وكذا في نسب إلى الأغلب العجلي في الأغاني

١٨ : ١٦٤ والعينى ٣ : ٣٩٥ .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٣٩ .

(٣) المنه : الضعيف . والنقض : بالكسر : البعير أعياء السير

وهزله .

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّسْعُونَ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ (١) :

٢٩٠ ﴿ وَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَفَقْنَ قَلْبِي
وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارَ ﴾

على أن المضاف وهو (حُبُّ) اكتسب التأنيث والجمعية بإضافته إلى الديار ، وهو جمع دارٍ ، وهو مؤنثٌ ممتاعٍ . وهذا واضح .

وقد يكتسب المضاف الجمعية فقط كقوله :

وَكَمْ دُدْتُ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَلْثٍ وَسَوْرَةٍ أَيْلَمَ حَزْنَ إِلَى اللَّحْمِ

فسورة اكتسبت الجمعية من إضافتها إلى أيام ، ولهذا أعيد الضمير من حزنَ جميعاً . والفرق بينه وبين وما حُبُّ الديارِ شَفَقْنَ ، أن هذا اكتسب التأنيث بصفته أعنى الجمعية ، فلم يتمحض لاكتساب الجمعية ، كما في : وسورة أيام حزن .

وبقي أشياء لم يذكرها الشارح المحقق مما تُكسبه الإضافة ، منها تذكير المؤنث عكس ما ذكره كقوله (٢) :

إِنارةَ العقلِ مكسوفٌ بطُوعِ هوى وعقلُ عاصي الهوى بزاد تنويراً

ومنها الظرفية ، نحو قوله تعالى : ﴿ تَوَتَّى أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ (٣) . ومنها

(١) تزيين الأسواق ١٧ وديوان الصبابة ١٦ ويس ١ : ٣٠٧ وديوان المجنون ١٧٠ .

(٢) هو أحد المولدين . انظر شرح شواهد المغنى ٢٩٨ والمعنى ٣ : ٣٩٦ والتصريح ٢ : ٣٢ والأشموقي ٢ : ٢٤٨ .
(٣) الآية ٢٥ من سورة إبراهيم .

للمصدرية نحو قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَابٍ يَنْقَابُونَ﴾^(١) .
 ١٧٠ فأى مفعول مطلق ناصبه ينقلبون ، ويعلم معلق عن العمل بالاستفهام . ومنها
 وجوب التصدير نحو : غلامٌ من عندك ؟ ونحو صبيحة أى يوم سفرك ؟ ونحو :
 غلام أيهم أكرمت ؟ ونحو : غلام أيهم أنت أفضل ؟

صاحب الشاهد البيت الشاهد لمجنون بنى عامر . وقبله :

(أمرٌ على الديار ديارٍ ليلي أقبل ذا الجدارَ وذا الجدارا)
 وهما بيتان لا ثالث لهما .

روى أنه كان إذا اشتد شوقه إلى ليلي يمرُّ على آثار المنازل التي كانت
 تسكنها ، فتارة يقبلها ، وتارة يلصق بطنه بكشبان الرمل ويتقلب في حافتها ،
 وتارة يبكي وينشد هذين البيتين .

و (الديار) : المنازل ، قال الكرماني (في شرح شواهد الموشح) : قال
 أبو حاتم : الديار : العساكر والخيام ، لا البنيان والعمران ؛ وإن الدار العمران
 والبنيان ، وعليه قوله تعالى في سورة هود : ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جاثمين﴾^(٢)
 أى في عساكرهم وخيامهم ؛ وفي سورة الأعراف والعنكبوت : ﴿فَأَصْبَحُوا
 فِي دَارِهِمْ جاثمين﴾^(٣) أى في مدينتهم المعمورة . ولو أراد غير ما قيل لجمع الدار .
 فعلم من كلامه أن الديار مخصوص بالخيام ؛ انتهى كلامه . وهذه غفلة عن قول
 الشاعر : « أقبل ذا الجدار » وهو حائط البيت . ثم قال : ويجوز أن يكون
 الديار جمع دارة ، قال محمد بن جعفر (في كتاب دارات العرب) : أعلم أنهم

(١) الآية ٢٤٧ من الشعراء .

(٢) من الآيات ٧٨ ، ٩١ من الأعراف و ٣٧ من العنكبوت .

(٣) الآيتين ٦٧ ، ٩٤ من هود .

يقولون لدار الرجل التي يسكنها دارة ، ويجمعونها دارات ودُور وديار .
وذا اسم اشارة . وشغف الهوى قلبه شَغْفًا ، من باب نفع ، والاسم الشَّغْفُ
بفتحين : بلغ شغافه بالفتح ، وهو غشاؤه .

و (المجنون) اسمه قيس بن مُعَاذ ، ويقال قيس بن الملوَّح ، أحد بني جَعْدَةَ
ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ ويقال بل هو من بني عُقَيْل
(بالتصغير) ابن كعب بن ربيعة^(١) .

وهو من أشعر الناس ، على أنهم قد نسبوا إليه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه
شعره ، كقول أبي صخر الهذلي :

فيا هجر ليلى قد بلفت به المدي وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر^(٢)
ويا حبها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة العشاق موعدك الحشر

وقال الجاحظ : ما ترك الناس شعراً مجهولاً لقائل فيه ذكر ليلي إلا نسبوه
إلى المجنون ، ولا فيه لبني إلا نسبوه لقيس بن ذريح .

وفي الأغاني : اختلف في وجوده : فذهب قوم إلى أنه مستعار لا حقيقة
له ، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب . وقال الأصمعي : رجلان ما عرفا
في الدنيا إلا بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القرية ، وإنما وضعهما الرواة .
قيل له : فمن قال هذه الأشعار المنسوبة إليه ؟ قال : قتي من بني مروان ، كان
يهوى امرأة منهم فقال فيها الشعر ، وخاف الظهور فنسبه إلى المجنون ، وعمل له
أخباراً وأضاف إليها ذلك ، فحمله الناس وزادوا فيه .

(١) ط : « بن كعب بن سعد » ، صوابه في ش ومما سيأتي .

(٢) وجه الرواية : « بي المدي » . شرح السكري للهذليين ٩٥٨

وأما القالي ٢ : ١٤٩ .

وقال الذهبي (في تاريخ الإسلام) أنكر بعضُ الناس ليلي والمجنون ؛ وهذا دفعٌ بالصدر ، فليس من لا يعلم حجةً على من يعلم ، ولا المثبت كالنافي . وعلى القول بوجوده اختلف في اسمه : فقيل مهدي ، وقيل قيس بن معاذ ، وقيل غير ذلك . والاصح أنه قيس بن الملوّح بن مزاحم بن قيس بن عدى ابن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ وصاحبته ليلي بنت مهدي ، أم مالك العامرية .

قال ابن قتيبة^(١) : وكان المجنون ويلي برعيان البهم وهما صيَّان ، فعليها علاقة الصبي وقال :

بعض أخبار
المجنون
١٧١

تعلّقت ليلي وهي غُرٌّ صغيرة
ولم يبدُ للأثراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البهمَّ ياليتَ أنا
صغيران لم تكبرْ ولم تكبرِ البهمَّ

ثم نشأ وكان يجلس معها ويتحدّث في ناس من قومه ، وكان ظريفاً جميلاً راويةً للشعر حلواً الحديث ، فكانت تعرض عنه وتُقْبِل بالحديث على غيره ، حتى شقَّ ذلك عليه وعرفته فقالت :

كلانا مُظهرٌ للناس بُفضاً وكلُّ عندَ صاحبه مَكِينُ
تبلّغنا العيونُ بما رأينا وفي القلبين ثم هو دفينُ^(٢)

ثم تمادى به الأمر حتى ذهب عقله وهام مع الوحش ، وصار لا يلتبس

(١) في الشعراء ٥٤٧ .

(٢) هذا البيت ساقط من نسخة الشعراء .

ثوباً إلا خرقه^(١) ، ولا يعقل إلا أن تذكر له ليلى ، فإذا ذكرت عقل وأجاب عن كل ما يسأل عنه . ثم إن قوم ليلى شكوا منه للسلطان ، فأهدر دمه ، وترحل قومها من تلك الناحية ، فأشرف فرأى ديارهم بلاقع ، فقصد منزلها وألصق صدره به وجعل يمرغ خديّه على التراب ويقول الأشعار .
ثم إن أباه قيده ، فجعل يأكل لحم ذراعيه ، ويضرب نفسه ، ويعض لسانه وشفتيه ، فأطلقه .

وروى أن نوفل بن مساحق لما جاء ساعياً على صدقات بني عامر ، رأى المجنون يلعب بالثراب وهو عريان ، فقال لغلام له : خذ ثوباً وألقه عليه . فقالوا له : ألا تعرفه ؟ قال : لا . قالوا : هذا المجنون قيس بن الملوّح ، فكلّمه فجعل يجيبه بغير ما يسأله عنه ، فقالوا له : إن أردت أن يكلمك كلاماً صحيحاً فاذكر له ليلى . فقال : أتحب ليلى ؟ فأقبل عليه يحدثه عنها وينشده شعره فيها ، فقال له : أتحب أن أزوجهك ؟ قال : وتفعل ذلك ؟ قال : نعم ، أخرج معي حتى أقدم بك على قومها فأخطبها لك ، فارتحل معه^(٢) ودعا له بكسوة ، فلبسها وراح معه كأصح أصحابه ، فلما قرب من قومها تلقوه بالسلّاح وقالوا : والله لا يدخل المجنون لنا بيتاً أو نقتل عن آخرنا ، وقد أهدر لنا السلطان دمه ، فأقبل بهم وأدير فأبوا عليه ، فقال له : انصرف . فقال : أين ما وعدت ؟ قال : رجوعك بالخيلة أهون عليّ من سفك الدماء . ثم هام على وجهه في الغلوات وأنس بالوحوش فكان لا يأكل إلا ما تنبت الأرض من البقول ، ولا يشرب إلا مع الطباء ، وطال شعر جسده ورأسه ، وألفته

(١) ط : « ولا خرقه » ، صوابه في ش والشعراء .

(٢) ط : « له » ، صوابه في ش والشعراء .

الوحوش ، وكان يهيم حتى يبلغ حدود الشام ، فإذا ثاب عقله سأل عن نجد فيقال : وأنتى نجد ؟ فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه . وكان أهله يأتونه بالطعام والشراب ، فربما أكل منه . وفي بعض الأيام أتوه بالطعام فلم يروه ، فانطلقوا يفتشونه فأروه ملقى بين الأحجار ميتاً ، فاحتملوه إلى الحى ففسلوه ودفنوه ، وكثر بكاء النساء عليه . وكان في مدة ابن الزبير .

وقد أطلال ترجمته جداً أبو الفرج الأصبهاني (في الأغاني) .

وكانت ليلي نحبته أيضاً محبة شديدة . حكى ابن قتيبة قال : خرج رجل من بني مرة إلى ناحية الشام والحجاز ، مما يلي تباه ، في بنية له ، فإذا هو بحبيبة قد رُفعت له عظيمة فعذل إليها ، فتنحج فإذا امرأة قد كَلَّمته فقالت : انزل . فنزل وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمرٌ كثير عظيم ؛ فقالت : سلوا هذا الراكب من أين أقبل ؟ فقال : من ناحية نجد . فقالت : يا عبد الله ، وأى بلاد نجد وطئت ؟ قال : كلها . قالت : فيمن نزلت منهم ؟ قال : بني عامر . فتفتست الصعداء ثم قالت : بأى بني عامر ؟ قال : ببني الحريش . قالت : فهل سمعت بذكر قتي منهم يقال له قيسٌ ويلقب بالهجنون ؟ قال : إى والله ، قد أتيت فرأيتهم مع الوحش ولا يعقل شيئاً حتى تذكر له ليلي ، فيبكي وينشد أشعاراً يقولها فيها . فرفعت السترَ بيني وبينها فإذا شقة قمر لم ترعيني مثلاً ، فلم تزل تبكي وتتنحب حتى ظننت أن قلبها قد تصدع ، فقلت : يا أمة الله أتقى الله ، فوالله ما قلتُ بأساً ! فكشفت على تلك الحال من البكاء والنحيب ، ثم قالت :

ألا ليت شعري والخطوبُ كثيرةً متى رحل قيسٍ مستقلٌ فراجعُ
بنفسى من لا يستقل برحلي ومن هو إن لم يحفظ الله ضائعُ

ثم بكت حتى غشي عليها ، فلما أفاقت قلتُ : من أنتِ يا أمة الله ؟
 قالت : أنا ليلي للشئمة عليه غير المواسية له . قال : فوالله ما رأيتُ مثلَ
 حزنها عليه ، ولا مثلَ جزعها ، ولا مثلَ وجدها !

* * *

وأنشد بعده :

* ياسارقَ الليلةَ أهلَ النارِ *

قد تقدّم الكلام عليه فى الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد للمائتين ، وهو من
 شواهد س (٢) :

٢٩١ * رَبِّ ابْنِ عَمِّ لُسَيْمَى مُشْتَعِلِ
 طَبَاخِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَيْلَ *

على أَنَّ (ساعات) كان فى الأصل مفعولاً فيه (٣) ، فأُتسع فيه فألحق
 بالمفعول به وأضيف إليه طَبَاخِ . فكسرة التاء من ساعات كسرة جرّ ، وزادَ
 الكَيْلَ منصوب على أنه مفعول طَبَاخِ ، لأنّه معتمد على موصوفه .
 قال الأَعلَم : [الشاهد فيه (٤)] إضافة طَبَاخِ إلى ساعات ، على تشبيهها

(١) الحزانة ٣ : ١٠٨ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ١٥٢ والمخصص

٣٧ : ٣٧ وابن الشجرى ١ : ٢/١٢٥ : ٢٥٠ وديوان الشماخ ١٠٩ .

(٣) ط : « معمولاً فيه » ، صوابه فى ش .

(٤) التكملة من الشنتمرى .

بالمفعول به ، لا على أنها ظرف ، ولا يجوز الإضافة إليها وهي ظرف لأنَّ الظرف يقدَّر فيه حرف الوعاء وهو في ؛ والإضافة إلى الحرف غير جائزة ، وإنما يضاف إلى الاسم . ولما أضاف الطباخ إلى الساعات اتساعاً ومجازاً ، عدَّاه إلى الزاد ، لأنَّه المفعول به في الحقيقة . انتهى .

وقول ثعلب (في أماليه)^(١) : « إضافة طباخ إلى ساعات لا يجوز إلّا في الشعر » ممنوع .

وقال ابن برّيّ (في شرح أبيات الإيضاح لأبي علي) : لا بدّ أن تقدَّر الساعات تنزّلت منزلة المفعول به ، حتّى كأنّها مطبوخة ، وإن كان الطباخ في المعنى إنما هو للزاد ، كما تصير الليلة في قوله :

* ياسارق الليلة أهل الدار *

بمنزلة المفعول حتّى كأنّها مسروقة . ولما خفض ساعات باضافة طباخ إليها انتصب زاد على المفعول به ، لأنَّه المطبوخ في الحقيقة . ومن خفض زاد الكسل قدَّر الساعات ظرفاً فاصلاً بين المضاف والمضاف إليه ، على قولهم في الرواية الأخرى :

* ياسارق الليلة أهل الدار *

انتهى كلامه .

وأورده الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾^(٢) قال : أضيفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسل على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين ، مثل كسوتك الثوب

(١) مجالس ثعلب ١٥٣ .

(٢) الآية ٤٧ من سورة إبراهيم .

وأدخلتك الدار تبدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول هو كاسى عبد الله ثوباً
ومدخله الدار ، ويجوز هو كاسى الثوب عبد الله ومدخل الدار زيدا ؛ جاز ذلك
لأنَّ الفعل قد يأخذ الدار كأخذه عبد الله . ومثله قول الشاعر :

١٧٣

ترى الثورَ فيها مُدْخِلَ الظلِّ رأسه وسائرُه بادٍ إلى الشمس أجمع^(١)
فأضاف مُدْخِلَ إلى الظلِّ ، وكان الوجه أن يضيف مُدْخِلَ إلى الرأس .
ومثله :

رب ابن عمٍ لسُلَيْمى مُشْعِلٌ الخ

ومثله قوله الآخر :

* ياسارقَ الليلةَ أهلَ الدار *

يريد : ياسارقَ أهلَ الدار الليلة ، [فأضاف سارقاً إلى الليلة^(٢)] ونصب
أهل الدار . وكان بعض النحويين ينصب الليلة ويخفص أهل الدار . انتهى
المراد منه .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) وغيره : وروى بجرّ زاد أيضاً ؛ على أنَّ
طباخا قد أضيف إليه وفصلَ بينهما الظرف وهو ساعات ، فتكون
الكسرة فيه نائبة عن الفتحة وهو منصوب لا مجرور . قال : ومثل هذا جائز
فى الشعر كقوله :

* ياسارقَ الليلةَ أهلَ الدار *

(١) البيت من الخمسين ، فى سيبويه ١ : ٩٢ والهمج ٢ : ١٢٣

وأمالى المرتضى ١ : ٢١٦ .

(٢) التكملة من ش ، وما قبلها ساقط من ش ثابت فى ط .

يريد : يا سارق أهل الدار الليلة . انتهى .

وقال ابن خلف : ويجوز أن يكون زاد الكسل بدل اشتغال من موضع ساعات ، ألا ترى أن الزاد تبيين^(١) لما يطبخ في الساعات ، وهي مشتملة على الزاد وغيره ، ويجوز أيضا نصب زاد بفعل دلّ عليه طبّاخ ، أى يطبخ زاد الكسل . هذا كلامه فتأمل .

وقوله (مشمعل) صفة لمجرور ربّ بعد وصفه^(٢) بقوله لسليبي . وللمشمعل : الجادّ في الأمر الخفيف في جميع ما أخذ فيه من العمل ، وهو مشدّد اللام إلا أنه سكّنها للشعر .

قال المبرد (في الكامل^(٣)) : أمر مُصعب بن الزبير رجلا من بني أسد ابن خزيمة بقتل مرّة بن مُحكان السعدى ، فقال مرّة :

بنى أسدٍ إن تقتلوني تُحاربوا تيمما إذا الحربُ العوانُ اشتملتِ
ولستُ وإن كانت إلى حبيبة ببالكِ على الدنيا إذا ماتولّت

قال المبرد : واشتملت : ثارت فأسرعت . وأنشد :

* ربّ ابن عمّ لسليبي مُشمعل *

و (طبّاخ) صفة ثالثة لمجرور ربّ . و (الكرى) : النعاس . و (الكسل) يفتح الكاف وكسر السين ، بمعنى الكسلان ، إلا أن في كسلان مبالغة ليست في الكسل وهو المتناقل المتوائم . يقول : إذا كسل أصحابه عن طبخ الزاد ،

(١) في النسختين : « تبيين » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسختين : « بعده وصفه » ، صوابه ما أثبت .

(٣) الكامل ١١٣ .

عند نزولهم آخر الليل وغلبة النعاس عليهم ، كفاهم ذلك وشمر في خدمتهم .
وصفه بالنشاط والمضى في الأمور وقت كل أصحابه وفتورهم . والعرب تفتخر
بمثل هذا .

وروى المبرّد (في الكامل) هذا الرجز كذا :

ربّ ابنٍ عمٍّ لسليبي مشعلٌ أروعَ في السّفَرِ وفي الحى غَزَلٌ
طبّاخُ ساعاتٍ (إلى آخره)

والأروع : السيد الذى يروعك عظمتُه وعزّته . والسّفَرُ : جمع سافر ،
كصحب جمع صاحب ؛ يقال سَفَرْتُ أى خرجت إلى السفر ، فأنا سافر وقوم
سَفَرٌ . وغَزَلُ بفتح الغين وكسر الزاى المعجمتين ، يقال رجلٌ غَزَلٌ :
أى صاحب غَزَل ، وهو محادثة النساء ومارادتهن . [وهذا الإعراب هو
مقتضى هذه الرواية ؛ وستأتى الرواية الاصلية ^(١)] .

وقد نسب المبرّد هذا الرجز إلى الشّماخ بن ضرار ، وهو من رجز [لجبار صاحب الشاهد
ابن جزء أخى الشماخ ^(٢)] يتعلق بعنه الشماخ . وهذا مدح فيه .
وهو من جملة أراجيز جماعة ، لها حكاية مسطورة في آخر ديوان الشماخ ،
محصلها :

أن الشماخ أقبل من مِصر ^(٣) ومعه أولاد إخوته ، فى ناسٍ من قومه ، ١٧٤

(١) التكملة من ش .

(٢) تكملة يقتضيها السياق . وسيأتى ما يؤيد أن الرجز لجبار بن

جزء .

(٣) مصر بالصاد المهملة ، وفى ذلك يقسول الجليح (ديوان

الشماخ ١٠٧) :

أقبلن من مصر يبارين البسرى يشكون قرحا بالدفوف والكل

منهم جندب بن عمرو ، وكان الشماخ وأصحابه يُبغضونه لأنه كان يتحدث إلى امرأة الشماخ ، حتى إذا كانوا قريباً من تباه على رأس ماء يقال له نُجْر (بفتح المثناة وسكون الجيم) قال الشماخ لحسن بن زرد^(١) : انزل احذ بالقوم — وكانوا كذلك يفعلون : ينزل الرجل فيسوق بأصحابه ويرتجز بهم — وأمره أن يعرض بامرأة جندب ؛ فقال :

خليلُ خَوْدٍ غَرَّها شِبابُهُ إلى آخر الرجز
فَنَزَلَ جُنْدَبٌ وَحَدًّا بِالْقَوْمِ ، وَعَرَّضَ بامرأة الشماخ ، وكانت أم صبي ،
واسمها سليبي ، فقال :

* طيفُ خيالٍ من سُلَيْبِي هَامِجِي^(٢) *

إلى أن قال :

يَا لَيْتَنِي كَلَّمْتُ غَيْرَ حَارِجٍ^(٣) قَبْلَ الرِّوَا حِ ذَاتَ لَوْنٍ بِاهِجٍ^(٤)
أُمَّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أَوْ دَارِجٍ غَرَنِي الرِّشَاحُ كَوَّةَ الدَّمَالِجِ
فَنَضَبَ الشَّماخُ لَمَّا عَرَّضَ بامرأته ، فَنَزَلَ وَسَاقَ بِالْقَوْمِ ، وَرَجَزَ رَجَزَيْنِ
عَرَّضَ فِيهِمَا بامرأة جندب إلى أن نزل ، وَحَدًّا جَمَاعَةً مِنْ طَرَفِ هَذَا وَجَمَاعَةً
مِنْ قَبْلِ ذَاكَ ، وَكَلَّ رَجُلٌ يَتَمَصَّبُ لِصَاحِبِهِ ؛ إِلَى أَنْ تَوَاتَبُوا بِالسُّيُوفِ .
وَكَانَ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، فَاقْتَحَمَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ : يَا قَوْمُ هُشَّتْ هُشَّتْ !
فَلَمْ يَزَالُوا يَسْتَقُونَهُ السِّنَّ وَاللِّبْنَ حَتَّى لَهَوْا عَنْ قَتَالِهِ ، فَأَصْبَحُوا وَقَدْ سَكَنُوا .

(١) في ديوان الشماخ : « قال الشماخ لابن جزء » .

(٢) في النسختين : « هانج » ، صوابه من الديوان ١٠٠ .

(٣) حارج ، بالحاء المهملة في أوله : آثم مذنب . وفي النسختين :

« خارج » ، صوابه من الديوان .

(٤) هذا الشطر ساقط من الديوان .

وهذا رجز جَبَّار^(١) ابن أخى الشماخ بتمامه :

(قالت سُليْمى لستَ بالحادى المُدِلُّ
مَالَكْ لَا تَمْلِكْ أَعْضَادَ الْإِبِلِ

المُدِلُّ : الذى أدلَّ بقوة على شدة السير . يقول : مَالَكْ تَتَخَلَّفُ عَنْ
الابل لَا تَكُونُ عِنْدَ أَعْضَادِهَا . وهذا خطابٌ لجندب بأنه ضعيف لا جَلَدَ له .

رَبِّ ابْنِ عَمِّ لُسْلُيْ مُشْتَعِلٌ
يُحِبُّهُ الْقَوْمُ وَتَشْنَاهُ الْإِبِلُ

أراد بـابن العم زوجها الشماخ . ويحبُّه القوم لأنه يمينهم ويخدمهم مساعدة .
وتشْنُوهُ الْإِبِلُ : أى تبغضه ، لأنه يسوقها سوقاً عنيفاً بالخداء . ويحبُّه : جواب
رَبِّ الْعَامِلُ فِي مَحَلِّ مَجْرُورِهَا .

فِي الشَّوْلِ وَشَوَّاشٌ وَفِي الْحَى رِفْلٌ
طَبَّاخُ سَاعَاتِ الْكِرَى زَادَ الْكَلِ
أَحْوَسُ وَسَطَ الْقَوْمِ بِالرَّحِ الْخَطِلِ (

الشَّوْلُ ، بالفتح : الإبل التى شَوَّلَتْ ألبانها أى رفعت . والشَّوَّاشُ ،
بمعجمتين : الخفيف المتسرِّع . والرَّفْلُ ، بكسر الراء وفتح الفاء واللام مشددة
سَكَنْتِ لِلْوِزْنِ : اللابس الثياب المتجمل بها . يريد أنه خفيفٌ جَلَدٌ فِي السَّفَرِ
يُخْدَمُهَا وَيُرَاعِيهَا ، وَفِي الْإِقَامَةِ فِي الْحَى مُتَنَمِّ مُتَحَمِّلٌ . والجلتان اسميتان .
وقد روى بدل هذا البيت ما نقلناه عن المبرد . وقوله : طَبَّاخُ ، بالرفع خبر
مبتدأ محذوف ، أى هو طباخ كما هو الظاهر من السياق ، بخلاف ما تقدّم .

وفي طبّاخ مبالغة دون طابخ . والأحوس^(١) ، بمهلّتين : الرجل الشديد الذي لا يبرح عند القتال . وأخلطِل ، بفتح الخاء وكسر الطاء ؛ الطويل جداً فوق القدر .

(عاذلتني أبقى قليلاً من عَذَلْ وإن تقولى هالكُ أَقْلُ أَجَلْ)

عاذلتني : منادى . والعَذَل : اللوم . ومن متعلّقة بمحذوف . وهالك ، أى أنت هالك . وأجل بمعنى نعم .

١٧٥

(قَرَبْتُ عَنَساً خُلِقْتُ خَلَقَ الْجَمَلُ لا تشكى مَالَقِيْتُ مِنَ الْعَمَلِ)
قَرَبْتُ بالتكلم والبناء للفاعل^(٢) . والعنس ، بالنون : الناقة الصلبة .

(كَأَنَّهُمَا وَالنِّسْعَ عَنْهَا قَدْ فَضَّلَ وَهَلَّ السُّوْطَ بِدَقِّيْهَا وَعَلَّ)
(مُؤَلِّغٌ يَقْرُو صَرِيماً قَدْ نَقَلَ^(٣))

يريد أن ناقته ضُمرت فاسترخت تُسوعها أى سبورها . وهَلَّ السُّوْطُ بِدَقِّيْهَا أى بجيبيها . وَعَلَّ أى ضربت بالسوط مرة بعد مرة . والمولّع ، بصيغة اسم المفعول : الثور الوحشي ؛ شبه ناقته في حال كلالها وتعبها بالثور الوحشي في حال مارأى الصياد وقد أمسى الليل عليه ، فهو يسرع أشد ما يمكن . ويقرو بالثقاف ، يقال قروت البلاد قرواً ، وقريتها ، واستقريتها : إذا تبقعتها تخرجُ من أرض إلى أرض . والصَّرِيم : القاطع^(٤) ؛ يريد رفيقه الذي صرمه وتقلّ رجله عنه فسبقه .

(١) ط : « والأحوص » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « للمفعول » ، صوابه في ش .

(٣) كذا في النسختين ، وهو المطابق لشرح البغدادي ، لكن الصواب « قد بقل » . وفي شرح النديوان : « صريماً : رملاً . قد بقل : قد أنبت البقل » .

(٤) هذا وهم من البغدادي انساق فيه الى آخر التفسير . وانظر الحاشية السابقة .

(صَبَّ عليه قانصٌ لَمَّا غَفَلَ الشمسُ كالمراة في كفّ الأثل)

(مقلّدتِ القيدَ يقرُون الدَّعْلُ (١))

قانص : فاعل صَبَّ ؛ أى أرسل قانصٌ على الثور لما غفل كلاباً . وجلة : والشمس كالمراة ، حال إمّا من قانص ، أو من فاعل غفل أو من ضمير عليه ، وهما ضمير الثور ، يريد في حالة أن الشمس قد تنكبت للغيب . والأثل : الذى يبست يده فلا يمسكها إلاّ منكمّة . والمقلّدت ، بصيغة اسم المفعول ، يريد كلاباً عليها قلائد من السيور ؛ وهو مفعول صَبَّ . ويقرُون : يتبعن ويطلبن . والدَّعْلُ ، بفتح الدال والعين المهملتين ؛ قال ابن الأعرابى : هو الخنل ؛ وهو يداعله أى يخالله .

وقوله : والشمس كالمراة ، الخ ، أورده القزوينى : (فى تلخيص المفتاح) فى باب التشبيه ، وعدّه من التشبيه الغريب . ولم يزد العباسى شارح شواهد التلخيص على قوله : اختلف فى قائل هذا البيت ، ف قيل للشماخ ، وقيل لأخيه ، وقيل لأبى النجم ، وقيل لابن المعتز .

وجيَّار قائل هذا الرجز هو بفتح الجيم والباء الموحدة المشددة ومعناه ذو الجبّية والمظلة ، يقال قوم فيهم جبّية ، بفتح الباء ، أى عظمة وكبر . ونسبه تقدّم فى ترجمة عمه الشماخ فى الشاهد الحادى والتسمين بعد المائة (٢) .

* * *

(١) صوابه « الدغل » بالعين المعجمة كما فى الديوان . والدغل :

النبت الكثير المتلف .

(٢) الحزانة ٣ : ١٩٦ .

وأُشْدَ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س^(١) :

٢٩٢ (ضَرُوبٌ يَنْصُلُ السَّيْفَ سَوْقَ سِمَانِهَا)

هذا صدر ، وعجزه :

(إِذَا عَدِمُوا زَادًا فَأَنْتَ عَاقِرٌ)

على أن أبنية المبالغة لكونها للاستمرار لا لأحد الأزمنة ، عملت . فـضَرُوبٌ مبالغة ضارب ، وقد عمل النصب في سوق على المفعولية .

قال ابن ولاد : سألت أبا إسحاق الزجاج : لم صار ضروبٌ ونحوه يعمل وهو بمنزلة ما استقر وثبت ، وضاربٌ لا يعمل إذا كان كذلك ؟ قال : لأنك تريد أنها حالة ملازمة هو فيها ، ولست تريد أنه فعل مرة واحدة وانقضى الفعل كما تريد في ضارب ، فإذا قلت : هذا ضروبٌ رموس الرجال ، فإنما هي حال كان فيها فتحن فحكها . ١٧٦

قال ابن عصفور : هذا هو الصحيح ، والدليل على صحته قول أبي طالب :

* ضَرُوبٌ يَنْصُلُ السَّيْفَ * الخ

لأنه مدح به أمية بن المغيرة^(٢) بما ثبت له واستقر ، وحكى الحال التي كان فيها من عقر الابل إذا عدم الزاد . ولو أراد المضي المحض ولم يرد حكاية حاله ، لما ساغ الإتيان بأذا ، لأنها للمستقبل .

(١) في كتابه ١ : ٥٧ . وانظر ابن الشجري ٢ : ١٠٦ وابن يعيش

٦٩ : ١٧٠ ، والشذور ٣٩٣ والعيني ٣ : ٥٣٩ والتصريح ٢ : ٦٨

والهمع ٢ : ٩٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٧ وديوان أبي طالب ١١ .

(٢) صوابه « أبا أمية » . وانظر التحقيق التالى للبغدادى عند

تعيين صاحب الشاهد .

قال ابن السيد (في شرح أبيات الجمل) : نصل شفرته ، أى حده الذى يقطع به ، فلذلك أضافه إلى السيف . وقد يسمى السيف كله نصلا . وسوق : جمع ساق . والسمان : جمع سمينة . والضمير للإبل . وعقر البعير بالسيف عَقْرًا : ضرب قوائمه . لا يُطلق العقر في غير القوائم . وكانوا يعقرون الناقة إذا أرادوا نحرها : إما لتبرك فيكون أسهل لنحرها ، أو ليعاجل الرجل ذلك فلا تمنعه نفسه من عقرها فيكون قد عاجلها لثلاث أمره بغير ما في نفسه . وضروب : خبر مبتدأ محذوف أى هو ضروب . فقله : فإنك عاقر ، التفتات . قال بعضهم : ولو قدر أنت ضروب لكان الالتفات فيه (١) ، ويكون إنك عاقر على مقتضى الظاهر . وإذا شرطية تجزم في الشر . وجملة عدموا شرطها في محل جزم وهى العامل في إذا ، والجملة المقرونة بالغاء جوابها . ولا يجوز أن يكون عاقر عاملاً في إذا ، لأن ما بعد إن لا يعمل فيها قبلها ، لأنها حرف والحرف لا يتقدم معموله ولا معمول معموله عليه . وقيل إذا هنا شرطية غير جازمة ، قال ابن هشام (في المغنى) : وفي ناصبها مذهبان : أحدهما أنه شرطية (٢) - وهو قول المحققين - فتكون بمنزلة متى وحيثما وأيان . وقول أبي البقاء إنه مردود بأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف ، غير وارد ، لأن إذا عند هؤلاء غير مضافة كما يقوله الجميع إذا جزمت ، كقوله :

* وإذا تصببك خصاصة فتجمل (٣) *

(١) صوابه « لما كان الالتفات » ، أو « لكان الالتفات معدوما

فيه » .

(٢) فى النسختين : « شرطيتها » ، وصححها الشنقيطى بما

أثبت مطابقاً لما فى المغنى .

(٣) لعبد قيس بن خفاف ، أو حارثة بن بدر الغداني . وصدره : =

والثاني : أنه مافي جوابها من فعل أو شبهه ، وهو قول الأكثرين . انتهى .
وعلى هذا اقتصر اللخمي (في شرح أبيات الجمل) فقال : العامل في إذا
فعل محذوف دلّ عليه عاقر ، والتقدير : إذا عدموا زاداً عقرت . ولا يجوز
أن يعمل في إذا عاقر ، لأنه لا يعمل ما بعد إن فيها قبلها . والعجب من المعنى
هنا فإنه بعد أن ذهب إلى أنها شرطية جازمة ، قال : والعامل فيها فعل محذوف
دلّ عليه عاقر أي عقرت . ولا يخفى تعسفه . وقيل إذا هنا ظرفية وليست
شرطية ؛ وعاملها ضروب . وهذا ركيك والأوّل هو البليغ .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لأبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، روى
بها أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(١) ، وكان ختنته ، فخرج
تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سرّو سحيم ، فرثاه أبو طالب بهذه القصيدة .
كذا في شروح أبيات سيبويه وأبيات الجمل وغيرها ، إلا أن في بعض
نسخ ما ذكرنا سقطاً من الكتاب ، وهو أنهم حذفوا المضاف من أبي أمية ،
والصواب إثباته كما يأتي بيانه .

وغلط بعضهم فزعم أنها مدح في مسافرين أبي عمرو .
وأفحش من هذا القول قول ابن الشجري (في أماليه) إنها مدح في النبي
صلى الله عليه وسلم . والقصيدة هذه^(٢) :

* استغن ما أغناك ريك بالغنى *

شرح شواهد المغنى ٩٥ والهمع ١ : ٢٠٦ والمفضليات ٣٨٥
والأصمعيات ٢٣٠ .

(١) في النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وليس لمخزوم ولد
اسمه « عمرو » إنما هو « عمر » كما في كتب الأنساب كجمهرة ابن
حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٦١ ، ٦٣ والسيرة ٢٤٧ .

(٢) الميمنى : « بعض قصيدة أبي طالب باختلاف في الأغصاني
٨ : ٤٨ وديوانه رواية ابن جنى ١٨ : ٢٢٠ - ٢٣٩ من المجلة الألمانية :
Z. D. M. G وابن أبي الحديد ٤ : ٢٩٤ والاشتقاق ٩٤ » .

(أُرِقتُ ودمعُ العين في العين غائرُ
 كأنَّ فراشي فوقه نارُ مُوقِدِ
 على خير حافٍ من قرشي وناعلِ
 ألا إنَّ زاد الركب غير مُدْأَفِعِ
 بَسرو سُجيم عارفٌ ومُنْأَكِرُ
 تنادوا بأن لاسيّدَ الحى فيهمُ
 وكان إذا يأتى من الشام قافلاً
 فيصبح أهلُ الله بيضاً كأنما
 ترى داره لا يبرحُ الدهرَ عندها
 إذا أكلت يوماً أتى الندى مثلها
 ضروبٌ بنصل السيفِ سَوْقَ سِمانها
 فالأى يكنُ لحمٌ غريضٌ فأنه
 فياك من ناعٍ ا حُييتَ بألّةِ
 وجادت بما فيها الشئونُ الأعاورُ^(١) قصيدة الشاهد
 من الليل ، أوفوق الفِراش السَّوْاجِرُ
 إذا الخيل يرجى أو إذا الشرُّ حاضرُ ١٧٧
 بَسرو سُجيم غيبتَه المقابرُ^(٢)
 وفارسَ غاراتِ خطيبُ وياسرُ
 وقد فُجع الحيان كعبٌ وعامرُ
 تَقَدَّمُه تسمى إلينا البشائرُ
 كسَنهم حَبيراً رَيْدَةً وَمَعَا فِرُ
 مُجْمَعَةً كَوْمُ سِمانُ وباقرُ
 زواهِقُ زُهمُ أو خَاضُ بهازرُ
 إذا عَدَمُوا زاداً فانك عاقرُ
 تُكَبُّ على أفواههم الغرائرُ
 شِراعيةٌ تصفرُّ منها الأظافرُ^(٣)
 الغائر من غار الماء في الأرض غوراً : ذهب فيها . والشئون : جمع شأن
 وهو عِرْق ينحدر من الرأس إلى الحاجب ثم إلى العين ، ومنه نجيء الدموع .
 والأعاور : جمع أعور ؛ من عورت العين من باب تعب : قصت أو غارت .
 والسواجر : جمع ساجر بكسر الجيم ، وهو الموضع الذي يأتى عليه السيلُ
 فيملؤه . يريد كثرة الدموع .

(١) في النسختين : « في العين غامر » ، والتصحيح للشنقيطي
 في نسخته .

(٢) اليمنى : « في ديوانه رواية ابن جنى المنشور بالمجلة
 الألمانية : بوادى أشى » . قلت : وكذلك في ديوانه ١١ مخطوطة
 الشنقيطي بدار الكتب المصرية .

وقوله : ألا إنَّ زاد الركب النخ ، زاد الركب لقب أبي أمية ، قال الزبير ابن بكار (في أنساب قريش) : كان أزواد الركب من قريش ثلاثة : أحدهم مُسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وثانيهم : زَمعة بن الأسود بن للطلب بن أسد بن عبد العزى ، وثالثهم : أبوأمية بن [المغيرة بن (١)] عبد الله بن عمر بن مخزوم . وإنما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزوّد معهم أحد (٢) . وسُجيم بضم السين وفتح الحاء المهملتين : موضع ؛ وسرّوه : أعلاه . كذا قال ابن السيد وغيره . وليس هذا اللفظ في معجم ما استعجم ولا في معجم البلدان (٣) . والموجود في الأول سُجيم بالحاء المعجمة على وزنه ، قال : هو بخلاف من مخاليف اليمن تنسب إليه الحُجور الجيدة . وقال في مادة سرو : والسرو ارتفاع وهبوط بين حزن وسهل ، وسرو حنير أعلى بلاد حمير . انتهى . وزعم العيني أن سرّوا هنا شجرة . وليس كذلك .

وقوله : بسرو سحيم عارف النخ ، عارف مبتدأ والظرف قبله خبره ، وما بعده معطوف على عارف ؛ وحذف حرف العطف من خطيب ضرورة . والعارف : من عرّف على القوم يعرف ، من باب قتل ، عرافة بالكسر ، فهو عارف أى مدبر أمرهم وقائم بسياستهم . ومُناكر : اسم فاعل من ناكره أى قاتله . وخطيب القوم هو المتكلم عنهم . والياسر : اللاعب بقِداح الميسر

(١) التكملة من ش .

(٢) اليمنى : « راجع لأزواد الركب التبريزى بون ٤٦٤ وبولاق ٤٢ : ٣ والشار ٤٩ والاشتقاق ٥٨ ، ٩٤ والمستقصى والميدانى ٢ : ٦٢ ، ٤٩ ، ٦٦ والعسكرى طبعناه ١٦٣ و ٢ : ١٢٩ » .

(٣) هذا سهو من البغدادى ، فان ياقوتا ذكره فى رسم (السرو) . وقال فى رسم (سحيم) : « موضع فى بلاد هذيل » .

وهو قمار العرب ، وتسمى الأزلَام . وكان المبسر منقبةً في الجاهلية ، يلعبون به في أيام الجدب والقحط ؛ وكان الغالب يفرق ماأخذه على الفقراء .

والقافل : الراجع من السفر . والبشائر : جمع بشارة (١) .

وأراد بأهل الله قريشاً ؛ وكانت العرب تسميهم أهل الله لكونهم أرباب مكة . ويبض : جمع أبيض ؛ والبياض لمزته عند العرب لغلبة السمرة عليهم ، يستعمرونه لحسن الحال والجودة . والحبير ، بفتح الميملة وكسر الموحدة : ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن . وريدة ، بفتح الراء وسكون المشاة التحنية : بلدة من بلاد اليمن . ومعاير ، بفتح الميم وكسر الفاء وبينهما عين مهملة : حى من همدان في اليمن ، إليهم تنسب الثياب المعافرية .

١٢٨

وقوله مجمعة ، اسم فاعل من جمعت الإبل ، إذا صوّتت ؛ والمجموعة : أصواتها إذا اجتمعت ؛ وهى حال من كُوم جمع كَوْماء كصحراء ، وهى الناقة العظيمة السنّام . وقال ابن السيد وغيره من شراح الشواهد : المجمعة المصروعة ، وعليه فهى اسم مفعول . ومن المعجائب قول المعنى هنا : مجموعة من المجموعة وهى صوت الرحى . والباقر : اسم جماعة البقر ، كالجمال لجماعة الجمال .

وقوله : إذا أكلت يوماً [الخ] الغد منصوب على الظرفية ، وهو اليوم الذى يلى يومك . ومثلها : حال من زواحق ، وهى جمع زاهقة ، وهى السينة . والزُّم : الكثيرات الشَّح ، جمع زَهْمَة بفتح فكسر ، وكلاهما بالزاي المعجمة . والمخاض : الحوامل من الإبل ، واحدها خِلقة من غير لفظها . والبّهّازر : جمع بهززة كحيدرة ، وهى العظيمة الجسم .

(١) بكسر الباء وضمها .

وقوله : ضروبٌ بنصل السيف الخ ، السياق والسباق يمنع أن يكون تقديره أنت ضروب ، كما زعمه بعضهم .

والغريز ، بإعجام الطرفين : الطرى من اللحم . وتكَبَّ : تصبَّ .
والغرائر : جمع غرارة ، وهى العدل ، يكون فيها الدقيق والحِطنة وغيرها .

وقوله : فيالك من ناع الخ ، هذا تعجُّب . والناعى : الذى يخبر بموت الإنسان . وحُبِيت : خُصِصت ؛ من الحِباء وهى العطية ^(١) . والآلة ، بفتح الهمزة واللام المشددة ، وهى الحربة . وشرعية بالكسر ، لا بالضم كما ضبطه العيني . قال صاحب الصحاح : ورمح شرعى أى طويل ؛ وهو منسوب ^(٢) . وقال ابن السيد وتبعه ابن خلف : الشرعية التى قد أشرعت للطعن ^(٣) أى صوّبت وصدّدت . وقوله : تصفر منها الخ أى تموت منها ، لأن الميت يصفر ظفّره ، دعاء على من أخبر بموت أبى أمية بالقتل .

وأبو أمية اسمه كنيته ، تقدم ذكر نسبه قريباً ، مات فى الجاهلية ، وكان زوج أخت أبى طالب ، وهى عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم عمه النبى صلى الله عليه وسلم . قال الزبير بن بكار (فى أنساب قريش) : كان عند أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أربع عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب ، وهى أم زهير وعبد الله وهو الذى قال للنبي صلى الله عليه وسلم

أبو أمية
ابن المغيرة

(١) الوجه : « وهو » .

(٢) وفى القاموس : « وكغراب : رجل كان يعمل الأسنة والرماح » .

(٣) ط : « الطعن » ، صوابه فى ش بتصحيح الشنقيطى .

﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(١) ، وقريّة الكبرى . وعاتكة بنت جندل الطعان ، وهى أم أم سلمة والمهاجر . وعاتكة بنت عتبة^(٢) بن ربيعة ، وهى أم قريّة الصفرى^(٣) . وعاتكة التميمية ، وهى بنت قيس بن سعد بن زمة بن نسل بن دارم ، وهى أم أبى الحكم — درج — وأم مسعود قتل يوم بدر كافرًا ، وربيعة وهشام الأكبر وصفية . وكان زهير ابن أبى أمية من رجال قريش ، وكان عبد الله بن أبى أمية شديد الخلاف على المسلمين ، ثم خرج مهاجرًا من مكة يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقه بالطّوب بين السّقياء والعرج ، هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له أم سلمة : يا رسول الله ما جيل ابن عمك وأخى ، ابن عمك^(٤) أشقى الناس بك ! فقال على بن أبى طالب ١٧٩ لأبى سفيان بن الحارث : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه وقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف : ﴿ تَاللّٰهِ لَقَدْ آتٰكَ اللهُ عَلِيًّا وَإِنْ كُنَّا نَلَاطِمِينَ ﴾^(٥) فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولًا . ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٦) وقبل منهما وأسلم . وهو أخو أم سلمة لأبيها ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وخيبر . وقتل يوم الطائف شهيدًا . وقتل هشام بن أبى أمية يوم أحد كافرًا .

(١) الآية ٩٠ من سورة الاسراء .

(٢) ط : « عقبه » صوابه فى ش والاصابة ٨٨٧ من قسم النساء .

(٣) قريّة هذه بفتح القاف ، وتقال أيضا بالتصغير ، كما فى

الاصابة ٨٨٧ من قسم النساء .

(٤) ابن عمه هو أبو سفيان ، وابن عمته عبد الله ، وهو أخو أم

سلمة . الاصابة ٤٥٣٤ .

(٥) الآية ٩١ من يوسف .

(٦) الآية ٩٢ من يوسف .

وأسلم المهاجر وزهير . وولد زهير معبدًا ، وقتل يوم الجمل ، وعبد الله بن زهير . وولدت قرية الكبرى لزَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى^(١) . وولدت قرية الصغرى عبد الله وأمّ حكيم ابني عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وترجمة أبي طالب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم تقدّمت في الشاهد الحادى والتسمين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هَيْكَلِ)

على أن قيداً بمعنى مقيد ، فاضافته إلى الأوابد لفظية لم تُكسبه تعريفاً ،
ولهذا وقع نعتاً لمنجرد .
وهذا عجز وصدره :

(وقد أعتدى والطيرُ في وُكُناتها)

أى أخرج غُدوةً للصيد . والوُكنة : عُشّ الطائر الذى يبيض فيه .
والمنجرد من الخيل : الماضى فى السير . والأوابد : جمع أبدة بالمدّ وهى الوحوش .
يريد أنّ هذا الفرس من سرعته يلحق الوحوش فيصير لها بمنزلة القيد .

(١) كذا بدون ذكر للمولود ، ومن أولاد زمعة : عبد الله بن زمعة له صحبة ، والحارث بن زمعة ، قتل يوم بدر كافراً مع أبيه ، ويزيد بن زمعة ، استشهد يوم الطائف ، ووهب بن زمعة . جمهرة ابن حزم . ١١٩ .

(٢) الخزائن ٢ : ٧٥ .

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس ، تقدم شرحه والكلام على قيد الأوابد بلاغة وإعراباً في الشاهد الخامس والمائتين بعد المائة^(١) .

وأشد بعده :

(يَسَارِقُ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ)

على أن إضافة سارق إلى الليلة بمعنى في ، أي يَسَارِقُ في الليلة .
وقد تقدم الكلام على هذا في الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة^(٢) .

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد للمائتين^(٣) :

٢٩٣ (لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبُرْدُ بُرْدُهُ)

على أن (أل) في البُرد عند الكوفيين عوض من المضاف إليه ،
والتقدير : وبُردى برده . وهو المناسب لقوله : لحافى لحاف الضيف .
وقد أوردته الشارح في البديل ، وفي المعروف باللام ، وفي الصفة للشبهة أيضاً .
وهذا صدر وعجزه :

(وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالُ مُقَنَّنٍ)

وبعده :

أُحَدِّثُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

(١) الخزانة ٣ : ١٥٦ - ١٥٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٠٨ وانظر أيضاً ٤ : ٢٣٣ بعد الشاهد رقم

٢٩٠ .

(٣) أمالي المرتضى ١ : ٤٧٥ وابن الشجري ٢ : ٢٠٥ والحماسة

١٧١٩ بشرح المرزوقي واللسان (بصرى) والأغاني ١١ : ٤٩ .

وهذان البيتان أوردهما أبو تمام في باب الاضياف (من الحماسة) لمسكين الدارمي ؛ إلا أنه روى للمصراع الشاهد :

* لحافى لحاف الضيف والبيت بيته *

وكذلك رواه جميع من سُنِدَ كَر من رواته ، منهم ابن الأثير (في المثل السائر) وقال : الغزال المقنع استعارة للمرأة الحسنة .

ومنهم السيد المرتضى (في أماليه) وقال : ومعنى أحدثه إن الحديث من القُرَى : أى أصبر على حديثه وأعلم أنه سوف ينام ، ولا أضجر بمحدثنا ١٨٠
فأكون قد محقت قرأى . والحديث الحسن من تمام القُرَى .

وقال التبريزي : أى تعلم نفسى وقت هجوعه فلا أكله . يريد أنه يحدثه بعد الإطعام كأنه يسامره ، حتى تطيب نفسه ؛ فإذا رآه يميل إلى النوم خلاه .
فإن قيل : كيف يحمد بقوله : إن الحديث من القُرَى ، وقد قال غيره (١)
في إنزال الضيف :

* ولم أقعدُ إليه أسائله *

قلت : هذا إشارة إلى ابتداء النزول ، وذلك وقت الاشتغال بالضيافة ، وهذا يريد بحديثه بعد الإطعام .

ومنهم الأعمى الشنمري (في حماسه) إلا أنه روى المصراع الأخير :

* وتكلاً عيني عينه حين يهجع *

(١) هو منصور النمري ، كما في الحماسة ١٦٩٨ بشرح المرزوقي ، وهو بتمامه :

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً رشدت ولم أقعد إليه أسائله

وتكلاً : تحرس ؛ والكلاءة : الحراسة والحفظ . والعين الأول حاسة البصر ، والثاني بمعنى الذات .

ومنهم أبو زيد (في نوادره ^(١)) ، ومنهم الجاحظ (في البيان والتبيين ^(٢)) إلاّ أنّهما زادا على البيتين قبلهما بيتين آخرين وهما :

أرى كل ريج سوف تسكن مرة وكل سماء ذات درّ منقلع
فاؤئك والأضياف في برودة ممّا إذا ما تبعض الشمس ساعة تنزع
لحاف لحاف الضيف البيتين

قال أبو زيد : تبعض أي تجرى إلى المغرب ؛ أي أمرم لازم لك ، كأنك أنت وهم في برودة . وهو بالضاد المعجمة ، قال صاحب الصحاح : وبض الماء يبض بضيضاً أي سال قليلاً قليلاً . وتنزع : تذهب ؛ من نزع إلى كذا : إذا مال إليه وذهب . وأراد بالسما السحاب . والدّر القطر . والإقلاع : الكف عن الشيء ؛ يقال أقلع عما كان عليه .

والكاف من قوله فاؤئك الخ مكسورة ؛ لأنّه خطاب مع امرأته .

وقوله : ولم يلهني أي لم يشغلني . والمقنع : اسم مفعول ، الذي ألبس للمقنع والمقنعة بالكسر ، وهما ما قنع به المرأة رأسها أي تغطيه . والقناع أوسع من المقنعة . وإنما لم يقل للمقنعة بالتأنيث لأنّه جرى على لفظ الغزال .

(١) لا يوجد شيء من هذه الأبيات في نوادر أبي زيد طبع بيروت ، وهو دليل على نقص هذه النسخة .

(٢) البيان والتبيين ١ : ١٠ و ٢ : ٣٥٨ بدون نسبة . وفي الموضع الأول أنشد البيت الثالث والرابع . وفي الموضع الثاني أنشد البيت الأول مع بيتين آخرين .

وكلهم روى هذا الشعر لمسكين الدارمي — وقد تقدمت ترجمته في الشاهد السابع والستين بعد المائة (١) — إلا الجاحظ والأعلم الشفتمري ، فإنهما نسباه إلى كعب بن سعد الغنوي . ونسبه التبريزي إلى عتبة بن بجير ، وبعضُ شراح الحماسة .

وقد انفرد ابن الشجري بنسبته إلى عتبة بن مسكين الدارمي ، فإنه قال :
 محادثة الضيف من دلائل الكرم ؛ وقد مدحوا [بذلك وتمدحوا (٢)] به :
 فن المدح قول الشماخ بمدح عبد الله بن جعفر :

إنك يا ابنَ جعفر نيمَ الفتي ونمَ ماوى طلاقٍ إذا أتى
 وربُّ ضيف طرقَ الحى مُرى صادفَ زاداً وحديثاً ما انتهى
 إن الحديث طرّف من القوى

ومن التمدح قول عتبة بن مسكين الدارمي :

لحافى لحافُ الضيف والبيتُ بينه (البيتين)

وقوله : وربُّ ضيف ، هو بفتح الراء وضمّ الباء عطف على نيم (٣) .

وقد نسب ابن الشجري مسكين الدارمي (٤) إلى البخل ، فإنه قال قبل :
 بيتك البيتين :

ومن شعره الذى استدّل به على بخله قوله يذكر ضيفاً نزل به :

أتى يَخْبطُ الظلّاءَ وَالليلُ دَامِسٌ يسألُ عن غير الذى هو آمِلُ

(١) الحزانة ٣ : ٦٩ .

(٢) التكملة من ش وابن الشجري .

(٣) أى على فاعل نعم . والوجه أن يكون « ربُّ ضيف » ،

(٤) هذا على الحكاية ، والا فالوجه « مسكين الدارمي » .

قلت لها قومي إليه فيسرى طعاماً فإن الضيف لا بدّ نازل
يقول وقد ألقى مراسيه للقرى أين لي ما الحجاج بالناس فاعل
قلت لعمري ما لهذا طرقتنا فكل ودع الحجاج ما أنت آكل
أتانا ولم يعذله سحبان وائل بيانا وعلماً بالذي هو قائل^(١)
فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العي لما أن تسكلم باقل

قوله : ألقى مراسيه ، أى ألقى أثقاله وثبت كل الثبات . وسؤاله عن الحجاج هو الذى عنه بقوله : « سائل عن غير الذى هو آمل » . وطرقتنا : أتيتنا ليلاً . وقوله : فما زال عنه اللقم الخ ، أراد أنه امتلأ من الطعام حتى كسبته الكظة التى ، كقولهم : « البطنة تذهب الفطنة » . ولما بدأ الضيف بالحديث وسأله عن الحجاج طلباً للاستئناس ، قطع عليه كلامه بقوله : ما لهذا طرقتنا ، فكل ودع الحجاج . وهذا منه نهاية فى البخل ، لأن محادثة الضيف من دلائل الكرم^(٢) . انتهى كلام ابن السجري .

وأشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسمون بعد المائتين ، . هو من شواهد^(٣) :

(١) ط : « نائل » صوابه فى ش والبيان ١ : ٦ مع نسبة البيت الى حميد بن ثور .
(٢) انظر ايضا من دلائل بخل مسكين ، ما فى كنيات الجرجاني ٥٧ واللائى ١٨٦ : أنه وقع بينه وبين امراته سباب . فقال مسكين : نارى ونار الجبار واحدة واليه قبلى تنزل القدر فقالت امراته متهمكة : القدر للجبار ، فهمى تنزل اليه قبله ! ثم قال :

ما ضر جاراً لي أجاوره الا يكون لبابه ستر
فقلت : بل يتسور على جارتة فلا يشميهما سترها منه .

(٣) فى كتابه ١ : ٩٤ . وانظر همع الهوامع ٢ : ٤٨ ، ١٣٩ وديوان

الأعشى ٢٥ .

٢٩٤ (الواهب المائة المجان وعبيدها [عُونَاً تُزَجِّى خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا] (١))

على أنه قد يجعل ضمير المرف باللام في التابع مثل المرف باللام ؛ فإن قوله (عبيدها) بالجر معطوف على المائة ، وهو مضاف إلى ما ليس فيه أل . واغتنر هذا لكونه تابعا ؛ والتابع يجوز فيه مالا يجوز في المتبوع .

قال أبو بكر بن السراج في باب العطف : ومما جاء في العطف لا يجوز في الأول قول العرب : كل شاة وسخلتها بدرم ؛ ولو جعلت السخلة تلي كل لم يستقم . ومن كلام العرب : هذا الضارب الرجل وزيد ، ولو كان زيد يلى الضارب لم يكن جراً . وينشدون هذا البيت جرّاً :

• الواهب المائة المجان وعبيدها •

وكان أبو العباس المبرد يفرق بين عبيدها وزيد ويقول : إن الضمير في عبيدها هو المائة ، فكأنه قال : وعبد المائة ؛ ولا يستحسن ذلك في زيد ولا يجهزه . وأجازه سيبويه والمازني ، ولا أعلمهم قاسوه إلا على هذا البيت . وقال المازني : إنه من كلام العرب . والذي قاله أبو العباس أولى وأحسن . انتهى وقال الأعمى : قد غلط سيبويه في استشهاده بهذا ، لأن العبد مضاف إلى ضمير المائة ، وضميرها بمنزلة ما ؛ وهذا جائز بإجماع ، وليس مثل الضارب الرجل وعبد الله ، لأن عبد الله علم كالفرد ، لم يضاف إلى ضمير الأول فيكون بمنزلة . وإنما احتج سيبويه بهذا بعد أن صحّ عنده بالقياس جواز الجر في الاسم المعطوف . وأشد البيت ليرى ضرباً من المثال في الاسم المعطوف . لأنه حجة له ، لا أنه ليس يجوز فيه غيره . هذا كلامه .

ومعنى البيت أن هذا الممدوح يهب المائة من الإبل الكريمة ، ويهب راعيها أيضاً ، وهو المراد من العبد . وخصّ الهجان لأنه أكرمها . والهجان : البيض ، قال الجوهري : هو من الإبل الأبيض ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع ، وقال الأصمعي : الهجان : الكرام ، وأصل الهجان البياض ، وهي تكون للواحد والجمع ، وربما جمع هجاناً كما قالوا شمال وشمال

وعوداً : حال من الهجان ، وهو جمع عائذ بالعين المهمة والذال المعجمة ؛ وهذا جمع غريب ، ونظيره حائل وحول وفاره وفُرّه . قال ابن الأثير (في النهاية) : العائذ : الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أياماً حتى يقوى ولدها . وقال شارح ديوان الأعشى : العوذ : الحديثات الفُتاج قبل أن تُوفى خمس عشرة ليلة ، ثم هي مُطْفِل بعده . وقال ابن خلف : هي الحديثة التناج ، كان معها ولد أو لم يكن . قال الأعلام : وسميت عائذاً لأن ولدها يعوذ بها لصغره ، وتُنى على فاعل لأنه على نية النسب لاعلى ما يوجب التصريف ، كما قالوا عيشة راضية ، و تزجى^(١) : بالزاي المعجمة والجيم أى تسوق ، والتزجية : السّوق ، ومنله الإزجاء . وروى بدله (ترشح) والترشيح . التربية ، يعنى إذا تخلّقت أولادها وقفت وحنّت حتى يلحق أولادها بها فتغذيها وتدفعها^(٢) ، وكذلك التزجية . وقيل إنما تكون التزجية من بين يديها . وفاعل تزجى ضمير العوذ ، والجملة صفة لها ، وأطفالها مفعول تزجى .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون — وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد

(١) هذا الصواب لا ما قاله الأعلام بالبناء للمفعول ، فانه يستلزم

رفع الروى ، وحركة روى القصيدة إنما هي الفتح .

(٢) ش : « فتقويه وتدفعه » .

الثالث والعشرين في أوائل الكتاب^(١) — وقد استعمل هذا المعنى في شعره كثيراً ، منها قوله :

الواهب المائة الهجان وعبيدها قُطُنًا تشبُّها النخيل المُكرِّعا
القطُن والقطين : أتباع الملك ؛ وهو حال [من العبد^(٢)] . وتشبُّها
بالخطاب . وللمُكرِّع ، بوزن اسم الفاعل : النخيل التي على جُول الماء^(٣)
ومنها قوله :

هو الواهبُ للمائة المصطفَاةَ إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارًا
وقال أيضاً في قصيدة نونية :

هو الواهبُ المائة المصطفَاةَ كَالنَّخْلِ زَيْنُهَا بِالرَّجَنِ
والرَّجَن ، بفتح الراء المهملة وبالجيم ، قال في الصحاح : قال الفراء :
رَجَنَتِ الإبلُ ورَجِنَتْ أيضاً بالكسر وهي راجنة ؛ وقد رَجَنَتْهَا أنا وأرجنتها :
إذا حبستها لتعلِّفها ولم تسرحها .

وقد سبق الأعتق في هذا المعنى إِمَّا بشرُّ بن أبي خازم ، وإِمَّا أوس
ابن حجر ، فإنَّهما متعاصران وكانا قبله : قال الأوَّل يمدح عمرو بن أمِّ أناس :
والماتح المائة الهجانَ بأسرها تَرْجِي مَطَائِلَهَا كَجَنَّةٍ يَتَرَبِّ

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كذا في ش . وجول البئر ، بالضم : جانبها . وفي ط :
« حول » بالمهمله .

وقال الثاني يمدح فضالة :

الواهب المائئة المِسْكَاء يشفعها يوم النضار بأخرى غير مجهود^(١)
والمِسْكَاء، بكسر الميم وسكون العين المهملة بعدها كاف ، قال ابن الأنباري
(في المقصور والممدود) : يقال أعطاه مائة مِسْكَاء : إذا أعطاه مائةً من الإبل
سمناً غلاظاً . وأشد هذا البيت .

وتلك القصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب الكندي .
وهذا مطلعها :

١٨٣ رَحَلْتُ مُجِئَةً غُدْوَةً أَجَالَهَا غَضَبِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَأَ لَهَا
هذا النهارُ بَدَأَ لَهَا مِنْ هَمِّهَا مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا
سَفْهًا ، وَهَلْ تَدْرِي مُجِئَةً وَيَحْجَا أَنْ رَبٌّ غَانِيَةٌ قَطَعَتْ وَصَالَهَا
ثم قال :

(وَسَبِيتُهُ مِمَّا تُعْتَقُ بِابِلٍ كَدَمَ الذَّبِيحِ سَلْبَتُهَا جِرْيَالَهَا^(٢))
وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قَلَّتْهَا لِيَقَالَ مَنْ ذَا قَالَهَا
ثم وصف ناقته فقال مخاطباً لها^(٣) :

(وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِخَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الْخَصَى قَيْسٍ فَأَثَبَتْ نَعْلَهَا وَقِيَالَهَا
مَا النَّبِلُ أَصْبَحَ زَاخِرًا مِنْ مَدَّهِ جَادَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا فَجَرَى لَهَا^(٤))

(١) في ديوان أوس ٢٥ : « يوم النضال » ، وفي اللسان (عكا) :
« يوم الفضال » .

(٢) في النسختين : « يعتق بابل » والشرح ورواية الديوان ٢٣
يقتضي ما أثبت .

(٣) الحق أن الشعر الآلي أخبار لا خطاب . وانظر القصيدة في
الديوان .

(٤) ط : « جاءت له ريح الصبا » ، وأثبت ما في ش والديوان

زَبَدًا بِمَصْرِ يَوْمَ يَسْقَى أَهْلَهَا وَغَدًا تَفْجُرُهُ النَبِيْطُ خِلَالَهَا
يَوْمًا بِأَغْزَرِ نَائِلًا مِنْهُ إِذَا نَفْسُ الْبَخِيلِ تَجْهَمْتُ سُؤَالَهَا
الْوَاهِبِ الْمَائَةِ الْمَجَانِ وَعَبْدَهَا الْبَيْتِ
وَالْقَارِحِ الْأَحْوَى وَكُلُّ طَيْرَةٍ مَا إِنْ تَنَالُ يَدُ الطَّوِيلِ قَدَالَهَا

وقال في آخر القصيدة :

(وَإِذَا نَجَى كَتِيْبَةٌ مَلُومَةٌ خَرَسَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِيَالَهَا
كُنْتُ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَا بَسِ جُنَّةٌ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا
وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتْفَهَا مَا شَاءَ خَالِقُهَا الْمَلِكُ قَفَى لَهَا)

قوله : رحلت سمية الخ ، الأجمال : هي الجمال ، ورحلتها : حملتها ،
ونحية : اسم امرأة .

وقوله : هذا النهار بدا لها الخ ؛ قال أبو علي (في الإيضاح الشعري)
رواه أبو الحسن : « هذا النَّهَارُ » بالنصب ، وكذلك رواه أبو عمرو الشيباني ،
فأما من رفع النهار فجعله وصفاً لهذا وحذف الراجع من خبر المبتدأ ، كأنه قال :
هذا النهارُ بدا لها فيه . فأما فاعل بدا فيكون ضمير المصدر ، أي بدا البداء ،
وقوله : من همها ، حال من هذا الفاعل ، ويجوز على قول الأخفش بزيادة من
في الواجب أن يكون مجرورها فاعل بدا . ومن استجاز حذف الفاعل ممن
خالف سيبويه أجاز أن يكون من همها صفة للفاعل المحذوف ، كأنه قال : بدا لها
بداء^(١) من همها . ومن نصب النهار ففيه وجهان : أحدهما أن يكون على حدِّ
زيداً مرتت به ، والآخر أن يكون ظرفاً لبدا ، كأنه قال : بدا لها البداء من همها

(١) ط : « بدو » صوابه في ش وما يقتضيه الشرح بعده .

في هذا النهار . ويجوز أن يكون قوله : هذا ، فيمن نصب النهار إشارة إلى الارتحال ، كأنه لما قال : رحلت قال : هذا الارتحال بدا لها النهار ، فيكون في بدا ذكر يعود إلى المبتدأ الذي هو هذا . وكان المعنى عليه ، لأن المعنى هذا الارتحال والمفارقة قد بدا لها في النهار ، فما بالها بالليل يعتادنا خيالها ، هلاً فارقتنا بالليل كما فارقتنا بالنهار . فأمّا فاعل زال فيمن نصب زوالها ، فجائز أن يكون الهمّ ، لأنّ ذكره قد تقدّم ، كأنه قال : زال الهمّ زوالها ، فدعا عليها بأن يزول الهمّ زوالها ، أي زوال همّها معها حيث زالت . وقد حكي هذا القول ١٨٤
عن أبي عمرو الشيباني . ويجوز أن يكون الفاعل اسم الله تعالى كأنه قال : زال الله زوالها ، من قوله زلته فلم يزُلْ ، وعلى هذا قول ذي الرمة :

وبيضا لا تنحاش منّا ، وأمّها إذا ما رأتنا زيل منا زويلها

انتهى كلام أبي علي ، وكأنه لم يطلع على ما للعلماء بالشعر في هذا البيت . وقد جمعه حمزة بن الحسن (في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف) قال (١) : قوله : « هذا النهار بدا » قال الأخفش : النهار ظرف أي في هذا النهار . وقوله : « من همّها ما بالها بالليل » قال بعضهم : يقول : هذا الارتحال الذي يرى لنا من همّها في النهار ، فما بالها بالليل إذا نمنا ألمّ بنا خيالها . وقال آخر : يقول : هذا الهمّ بدا لها نهارا ، والهمّ ما همّت به من مفارقه وصرمه . وقال آخر : هي بالنهار تخاف العيون وتراقب الوشاة ، فما بالها بالليل أيضاً يمثل تلك الحال لا تزورني وقد زال عنها ما تحاذر . وقال آخر : إيماره على آخر البيت الأول ، وهو قوله : فما تقول بدا لها ، ثم قال مفسراً

(١) التنبيه لحمزة بن الحسن ص ٢٠٢ - ٢٠٧ طبع بفداد

لذلك : بدا لها أن همت بصرمى نهاراً ، فما بالها بالليل ؛ أى ما لنا
ولها بالليل لَيْسَ نَنَامُهُ^(١) شوقاً إليها وذكرآ لها . وقوله : « زال زوالها »
قال الأصمعي : هو دعاء على المرأة ، أى هذه المرأة لا أكاد أراها بالنهار
فإذا جاء الليل إذ أتاني خيالها^(٢) فما بالها ؟ ثم ضم عليها فقال : زال
زوالها ، ومعناه لا زال همها يزول زوالها أى يزول معها ، أراد أنه لا يفارقها .
وقال بعضهم : هذا دعاء على الهم ، ومعناه زال الهم معها حيث زالت^(٣) . وقال
أبو عمرو : هي كلمة يُدعى بها ، فتركها على حالها . وقال بعضهم : هو دعاء على
الخيال ، ومعناه أذهب الله خيالها عني كما ذهبت هي فاستريح . وقال الأخفش :
هو دعاء على الليل ، ومعناه أزال الله الليل الذي تقاسى فيه منه ما تقاسيه مع
صمرها لنا نهاراً كما زالت مُسَمِّية . وهذا كما تقول : هلك فلان ، أى أهلكه الله .
وقال الأخفش : قال بعضهم : زال هنا بمعنى أزال ، وهي لغة قوم من العرب ،
تقول زلت الرجل عن مقامه بمعنى أزلته . وعليه قول ذى الرمة :

• زيل منها زويلها^(٤) •

فكانه قال : ما بال هذا الليل أزالها .

ويحكى هذا القول بعينه عن أبي عبيدة . وقال الأصمعي في بعض

(١) في التنبيه : « ليستت تدعنا ننامه » .

(٢) ط : « اذاني خيالها » ش : « أتاني خيالها » ، والوجه
ما أثبت من التنبيه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ش ، وكتب ناسخها في الهامش :
« لعله كانت » . وفي ط : « حيث كانت » ، فاثبت ما في التنبيه .

(٤) البيت بتمامه في ديوان ذى الرمة ٥٥٤ :
وبيضاء لاتنحاش منا وأمهسا إذا مارأنا زيل . منها زويلها

الحكايات عنه : هذا مقلوب ، يجب أن يقول زالت زواله أى زوال النهار ؛
ثم قلب الكلام كما قال الشاعر :

..... كما كان الزناه فريضة الرّجْم^(١)

وقال بعضهم : هو خيرٌ ليس بدعاء ، ومنناه مبال حطفاً من حمية بالليل
قد زال كما زالت . وإنما يريد تأخر الخيال عنه الذى كان يقوم مقامها فيستريح
إليه . وعلة تأخر الخيال عنه أنه سهر لفراقها فلم ينام فيبصره . قال : وقد يجوز
أن يكون دعاء على الليل إذ فاتته حظه فيه منها . وقال أبو عمرو : أنا أرويه :
« زال زوالها » بالرفع ، وإن كان اقواء ؛ وعلى هذا يكون دعاء على المرأة
بالهلاك وأن تذهب من الدنيا ؛ والأعشى شاعر أغفل من أن يُقوى . وقال
بعضهم : هو دعاء منه لسمية لا عليها ، زال ماتهم به من صرنا في النهار
والليل ، كما زالت هي ، أى زال عنا همها بذلك . وقال بعضهم : هو إخبار
عن الليل وفيه تقدير قد ، أى قد زال زوالها ، أى كأن الليل الذى كان لنا
منها قد زال ، وهذا كما تقول : مالى مع فلان ليل ولا نهار ، وإنما تعنى مالى
حظ من الليل ولا النهار ، ولست تعنى أن هناك نهراً ولا ليلاً . انتهى
ما أورده حمزة .

١٨٥

وقوله : وسبيته مما تعنق بابل النخ ، السبيته : الحمر ، فعيلة بمعنى مفعولة ،
من سبأت الحمر سبئاً : إذا اشتريتها لشربها ، والاسم السبَاء بالكسر على
فعل ، والسبَاء : الخمار وزناً ومعنى . والجريال ، بكسر الجيم ويعد الراء

(١) البيت للناطقة الجمعدى فى ديوانه ٢٣٥ واللسان (زنا) .

وأوله :

* كانت فريضة ما أتيت كما *

مثناة نَحْيَةً ، قال الجواليقي (في المعربات) : هو صَبِغٌ أَحْمَرٌ ، ويقال جِرْيَانُ بالنون ، وقيل هو ماء الذهب ، وذهب الأصمعي أنه رومي معرَّبٌ ، وروى لي عن الأصمعي عن شُعْبَةَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى رَاوِيَةَ الْأَعْشَى^(١) قَالَ : قُلْتُ لِلْأَعْشَى : مَا مَعْنَى قَوْلِكَ : « سَلْبَتْهَا جِرْيَالَهَا » ؟ قَالَ : شَرَبْتُهَا حَمَاءً وَبَلَّغْتُهَا بَيْضَاءً فَسَلَبْتُهَا لَوْنَهَا . يَقُولُ : لَمَّا شَرَبْتُهَا تَقَلَّتْ لَوْنَهَا إِلَى وَجْهِ فَصَارَتْ حَمْرَتَهَا فِيهِ . وَهَذَا الْمَعْنَى أَرَادَ أَبُو نَوَاسٍ بِقَوْلِهِ :

* أَجْدَتْهُ حَمْرَتَهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدَّ^(٢) *

وَرَبَّمَا سَمَّيْتَ الْحَمْرَ جِرْيَالًا . انتهى كلامه .

وقوله : « وَغَرِيبَةٌ تَأْتِي الْمُلُوكَ حَكِيمَةً » أَيْ رَبُّ قَصِيدَةٍ غَرِيبَةٍ فِي أَسْلُوبِهَا عَمَّاكَ .

وقوله : « وَلَقَدْ نَزَلَتْ » الْخ ، قَالَ شَارِحُ الدِّيَوَانِ ابْنُ حَبِيبٍ : يَجُوزُ ضَمُّ النَّاءِ بِالتَّكْمِلِ وَكُسْرُهَا بِمُخْطَابِ النَّاقَةِ ، وَالْمُرَادُ لَقَدْ نَزَلَتْ بُرْجُلِي فَأَثْبَتَ نَعْلَهَا ، أَيْ قَضَى حَوَائِجِي . وَنَجَّهْتُمْ بِمَعْنَى اسْتَقْلَمْتُمْ .

وقوله : « وَالْقَارِحُ الْأَحْوَى » الْخ ، هُوَ بِالْجُرِّ عَطْفٌ عَلَى الْمَائَةِ الْمُهْجَانِ . وَالْقَارِحُ : مَا جَاوَزَ خَمْسَ سَنِينَ مِنْ ذَوَاتِ الْحَافِرِ . وَالْأَحْوَى : مَا خَالَطَ لَوْنَهُ لَوْنَ آخَرَ إِذَا كَانَ كَمِثْلٍ صَدَأُ الْحَدِيدِ ، وَقِيلَ حُمْرَةٌ يَخَالِطُهَا سَوَادٌ . وَالطِّمْرَةُ ، بِكسرتين وتشدِيدِ الرَّاءِ : الْمُسْتَفْزِلُ لِلوُثْبِ .

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « رَاوِيَةَ » ، صَوَابُهُ فِي الْمَعْرَبِ ١٠٣ ، وَبِذَلِكَ أَصْلُهُ الشَّنْقِيطِيُّ فِي ش .

(٢) فِي النُّسخَتَيْنِ وَأَصْلُ الْمَعْرَبِ ١٠٣ : « أَخَذَتْهُ حَمْرَتَهَا » ، وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْوِزْنُ ، وَلَا هُوَ الرَّوَايَةُ ، بَلِ الرَّوَايَةُ كَمَا فِي دِيَوَانِ أَبِي نَوَاسٍ ٢٦٥ : « أَجْدَتْهُ » مِنَ الْاجْدَاءِ • وَصَدْرُهُ :
* كَأَسَا إِذَا انْحَدَرَتْ فِي حَلْقٍ شَارِبَهَا *

وقوله : « وإذا نجى كتيبة » الخ ، الكتيبة : الجيش ، والخرساء : التي لا يُسمع فيها فَعْمَةُ سلاح من كثرة الدروع ، وملومة : مجموعة . وأُجْنَةُ ، بالضمّ الوقاية . يريد أنه يهجم في الحرب على الأبطال ، غير مكترث بلبس وقاية من السلاح . وهذا غاية في التهور .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد اطماس والتسعون بعد المائتين (١) :

٢٩٥ ﴿ وَلَيْسَ حَامِلِي إِلَّا ابْنُ حَمَالٍ ﴾

على أنه قيل النون في حاملتي هو نون التنوين ، وقيل نون وقاية ، وكلاماً شاذّ . وقيل الرواية (يَحْمَلِي) لاحاملتي . وهذا عجز وصدره :

(أَلَا قَتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمَلُنِي)

وهو من أبيات لم أرها إلا في كامل المبرد ، قال فيه : أُنشدنا أبو محمّد السعديّ :

(لَطْلَحَةُ بْنُ حَبِيبٍ حِينَ نَسَأَهُ	أُنْدَى وَأَكْرَمُ مِنْ فِنْدٍ بِنْ هَطَالٍ
وَبَيْتُ طَلْحَةَ فِي عِزٍّ وَمَكْرَمَةٍ	وَبَيْتُ فِنْدٍ إِلَى رَبْقٍ وَأَحْمَالٍ
أَلَا قَتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمِلُنِي ؟	وَلَيْسَ يَحْمَلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَالٍ
قُلْتُ : طَلْحَةُ أَوْلَى مَنْ هَمَدْتُ لَهُ	وَجِئْتُ أَمْشِي إِلَيْهِ مَشْيَ مُخْتَالٍ
مُسْتَقِينًا أَنْ حَبْلِي سَوْفَ يُعْلِقُهُ	فِي رَأْسِ ذَبَالَةٍ أَوْ رَأْسِ ذَبَالٍ)

قوله : إلى ربقي وأحمال ، أراد جمع حمل على القياس كما تقول في جمع باب فعلٍ : جَمَلَ وَأَجْمَالَ ، وَصَمَّ وَأَصْنَامَ .

وقوله : أَلَا فَيَّ مِنْ بَنِي ذِيانٍ يَحْمِلُنِي ، يَعْنِي ذِيانَ بَنٍ بَغِيضٍ بِنِ رَيْثِ
ابْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ .
وَأَشَدُّ بَعْضَهُمْ :

* وَلَيْسَ حَامِلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالٍ *

١٨٦ وهذا لا يجوز في الكلام ، لَأَنَّهُ إِذَا نَوَّنَ الْاسْمَ لَمْ يَتَّصِلْ بِهِ الْمَضْرُوعُ ، لِأَنَّ
الْمَضْرُوعَ لَا يَقُومُ ، بِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا يَقَعُ مُعَاقِبًا لِلتَّنْوِينِ : تَقُولُ هَذَا ضَارِبٌ زَيْدًا غَدًا
وَهَذَا ضَارِبُكَ غَدًا ، وَلَا يَقَعُ التَّنْوِينُ هُنَا ، لِأَنَّهُ لَوْ وَقَعَ لَانْفَصَلَ الْمَضْرُوعُ . وَطَى
هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّا مُجَبُّوْكَ وَأَهْلَكَ ^(١) ﴾ . وَقَدْ رَوَى سِيبَوَيْهِ بَيْنَيْنِ
مَحْمُولَيْنِ عَلَى الْضَّرُورَةِ - وَكِلَاهُمَا مُصْنُوعٌ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النُّحَوِيِّينَ الْمُتَقَنِّينَ ^(٢)
يَجِيزُ مِثْلَ هَذَا فِي الْضَّرُورَةِ ، لَمَّا ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ انْفِصَالِ الْكِنَايَةِ - وَالْبَيْتَانِ
الَّذَانِ رَوَاهُمَا سِيبَوَيْهِ :

مُمْ الْقَاتِلُونَ الْخَيْرِ وَالْأَمْرُونَهُ إِذَا مَا خَشُوا يَوْمًا مِنَ الْأَمْرِ مُعْظَمًا
وَأَشَدُّ :

وَلَمْ يَرْتَفِقْ وَالنَّاسُ مُحْتَضِرُونَهُ جَمِيعًا وَأَيْدِي الْمُعْتَفِينَ رَوَاهُ
وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ تَبَيَّنَ الْحَرَكَةُ إِذَا وَقَفْتَ ^(٣) فِي نَوْنِ الْاِثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ ، لِأَنَّهُ
لَا يَلْتَبَسُ بِالْمَضْرُوعِ ، تَقُولُ : هَا رَجُلَانِ ^(٤) وَهَمْ ضَارِبُونَهُ إِذَا وَقَفْتَ ، لِأَنَّهُ

(١) الْآيَةُ ٣٣ مِنَ الْعَنْكَبُوتِ .

(٢) فِي الْكَامِلِ ٢٠٦ : « الْمُفْتَشِّينَ » .

(٣) ط : « وَقَعْتَ » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَالْكَامِلِ . وَالْمُرَادُ مِنْ تَبْيِينِ

الْحَرَكَةَ ائِلَاوُهَا هَاءُ السَّكْتِ .

(٤) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « يَرْحَلَانِ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْكَامِلِ .

لا يلتبس بالمضمر ، إذ كان لا يقع هذا الموقع ، ولا يجوز أن تقول ضربته^(١) وأنت تريد ضربت^٢ والماء لبيان الحركة ، لأنّ المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لبساً . فأما قولهم : ارميه واغزه فتلحق الماء لبيان الحركة ، فإنما جاز ذلك لما حذفنا من أصل الفعل ، ولا يكون^(٣) في غير المحذوف . وقوله : في رأس ذبالة ، يعنى فرساً أنثى أو حصاناً . والذبال : الطويل الذنب . وإنما يُحمَد منه طولُ شعر الذنب وقصر العنقب ، فأما الطويل العنقب فمنوم . اهـ كلام المبرد .

قال ابن السّيد (فيما كتبه على الكامل) : ليس ما أصلٌ بصحيح ولا لازم قد قالوا : ضربته وهلمه^٤ ، يريدون : ضربته وهلم^٥ ، والمفعول يقع هنا . وما ذكرته مذکور في كتاب سيبويه^(٦) . وأنشد :

* يا أيها الناس ألا هلمه *

والمفعول يقع هذا الموقع .

وقوله لطلحة بن حبيب ، اللام للابتداء ، وطلحة مبتدأ وأندى خبره . والسؤال : استدعاء معرفة أو ما يؤدى إليها ، واستدعاء مال أو ما يؤدى إليه : فاستدعاء المعرفة جوابها باللسان ، وتنوب عنه اليد ، فاليد خليفة عنه بالكتابة^(٧) أو الإشارة . ويتمدى لاثنتين ثانيهما بنفسه تارة ، وبمحرف الجر أخرى ، وهو عن وتنوب عنها الباء .

(١) أى اللاحق ، أو بيان الحركة . وفي النسختين « تكون » ،

وأنبت ما فى الكامل .

(٢) سيبويه ٢ : ٢٧٩ .

(٣) فى النسختين : « بالكناية » ، والوجه ما أثبت .

واستدعاء المال جوابه باليد ، وينوب عنه اللسان بوعده أورد ، ويتعدى بنفسه أو بمن ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾^(١) ، وقال : ﴿وَاسْتَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢) . كذا في مفردات القرآن للسمين .

وأندى : أفعل تفضيل من الندى ، وهو السخاء . وفند ، بكسر الفاء وسكون النون : اسم رجل . والرق : بكسر الراء وسكون للموحدة : جبل فيه عدة عراً يشد به البهيم ، كل عروقة ربقة بالكسر والفتح ، والجمع كفتب . والبهيم ، بفتح الموحدة وسكون الهاء : ولد الضأن والمز والبقر ، وقيل صغار الإبل . والأحمال : جمع حمل ، بفتح الحاء المهملة والميم : الخروف ، وقيل هو الجذع أى الشاب من أولاد الضأن فما دونه . جعل بيت طلحة مظلوماً فى العز والمكرمة ، وبيت فند منتهياً إلى ما ذكر ، وأراد أن البيت الأول مملوء بالخليل وبها يكون العز ، والبيت الثانى بيت ذل وهو أن ، لأن اقتناء الخرفان عندهم يدل على الفقر والضعف ، وأن يبتهم إنما هو مرتبط للبهائم .

وقوله : ألا فتى من بنى ذبيان إلخ ، ألا هنا العرض والتخصيص ، وفتى ١٨٧ منصوب بفعل يفسر به يحملنى ، أو منصوب بمحنوف ، أى ألا ترونى فتى هذه صفته ، كما قال الخليل فى قوله :

* ألا رجلا جزاء الله خيراً^(٣) *

ولا يجوز أن تكون للتمنى فيكون فتى مبنياً معها على الفتح ، لوجود الخبر ،

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب .

(٢) الآية ٣٢ من النساء .

(٣) هو الشاهد ١٦٣ فى الحزاة ٣ : ٥١ وقد تكرر انشاده بعد

ذلك . وعجزه :

* يدل على محصلة تبيت *

وهو يحملني ؛ فإنَّ التي للتمنى لا خبر لها لفظاً ولا تقديرآ ، والمعنى أيضاً لا يساعد في جعلها للتوبيخ أو للاستفهام عن النفي ، فإنَّه بعيد . ولا معنى لجعلها هنا للتنبيه . ويحملني : من حمله ، إذا أعطاه دابةً تحمله . وحال هنا مبالغة حامل ، بالمعنى المذكور . وحاملني ، فيمن رواه ، خبر ليس مقدّم وما بعد إلاّ اسمها ؛ وعلى رواية ليس يحملني اسمها ضمير الشأن .

وقوله : قللت ، التاء مضمومة . وعدت : قصت .

وقوله : مستيقناً أنّ حبل الخ ، هو حال من فاعل أمشي . ويُعلّقه : مضارع أعلق حبله إذا أمكنه أن يعلق حبله ويربطه به . وعسيب الذئب : منبته من الجلد والعظم . والمعروف أنه لا يقال ذئبال إلاّ أن يكون مع طول الذئب طويلاً في نفسه ، فإن كان طويل الذئب فقط فهو ذائل .
وَحَلَمَ السَّعْدِيُّ ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة .

* * *

وأشد بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين وهو من

أبيات س (١) :

* * *

٢٩٦ (مُمُ الْفَاعِلُونَ الْخَيْرَ وَالْأَمْرُؤُهُ إِذَا مَا خَشُوا مِنْ مُخَدِّثِ الْأَمْرِ مُعْظَمًا)
على أنه قد جمع في قوله (الأمرونة) النون والضمير ضرورة ، وصوابه
والأمروه بمحذف نون الجمع للإضافة ، فإنَّ حكم الضمير أن يعاقب النون
والتنوين ، لأنَّه بمنزلة ما في الضعف والاتصال ، فهو معاقب لها إذ (٢) كان المظهر
مع قوّته وانفصاله يعاقبهما .

(١) في كتابه ١ : ٩٦ . وانظر الكامل ٢٠٦ ومجالس ثعلب

١٥٠ وابن يعيش ٢ : ١٢٥ والهمح ٢ : ١٥٧ .

(٢) ط : د اذا ، ، صوابه في ش .

قال أبو جعفر النحاس : هذا خطأ عند المبرد ، لأنَّ المجرور لا يقوم بنفسه ولا يُنطق به وحده ، فإذا أتى بالتنوين فقد فصل ما لا ينفصل وجمع بين زائدين . وهذا لا يلزم سيبويه منه غلط ، لأنَّه قد قال نصًّا : وزعموا أنه مصنوع . فهو عنده مصنوع لا يجوز ، فكيف يلزمه منه غلط . انتهى .

ولا يبعد أن يكون من باب الحذف والإيصال ، والأصل والآمرون به ، فحذفت الباء واتصل الضمير به ، فإنَّ أمرًا يتعدى إلى المأمور بنفسه ، وإلى المأمور به بالياء ، يقال أمرته بكذا . والمأمور هنا محذوف ، أى الآمرون الناس بالخير ، فيكون الضمير منصوبًا لا مجرورًا . يقول : هؤلاء يفعلون الخير ويأمرون به ، فى وقت خشيتهم الأمر العظيم من حوادث الدهر ، فلا يمنعم خوف الضرر عن الأمر بالمعروف .

وقد رواه المبرد فيما سبق النقل عنه بما يقرب مما هنا . وروى فى (المفصل) وغيره :

مُ الآمرون الخير والفاعِلونه إذا ماخشوا من حادث الدهر مُعظما
و (المعظم) : اسم مفعول ، وهو الأمر الذى يعظم دفعه . وقد روى
الجوهرى فى هاء السكت (١) المصراع الثانى كذا :

(إذا ماخشوا من مُعظم الأمر مُعظما)

وهو اسم فاعل من أظفَع الأمرُ إظفاعاً ، ومثله من فُظِع الأمر فظاعة :
إذا جاوز الحد فى القبح . و (خشوا) بضمَّ الشين ، وأصله خشبوا بكسرهما ،
فحذفت الكسرة وتقلت ضمة الياء إليها ثم حذفت الياء للساكنين .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين وهو من ١٨٨
أبيات س (١) :

٢٩٧ (ولم يرتفقْ والناسُ مُحْتَضِرُونَ
جَمِيعاً وأيدي المَعْتَفِينَ رَوَاهُ)

لما تقدّم قبله ، وهو أنه قد جمع النون والضمير في قوله : (محتضرونه)
ضرورة .

والكلام فيه كما تقدّم في الذي قبله ، فن جعل الماء ضميراً جعلها
ضميراً المدح ، ومن جعلها للسكت فإنه احتاج إلى تحريكها .

وفيه أن حضرَ واحتضرَ إن كان معناه ضدّ غاب فهو لازم ؛ وغير هذا
مرادُ هنا . وإن كان بمعنى شهد فهو متمدّد ، وهذا هو المراد . يقال حضرْتُ
القاضي أي شهادته . وفي القاموس : حضرَ كنصر وعلم حضوراً وحضارة :
ضدّ غاب كاحتضرَ وتحضرَ ؛ ويتمدّى يقال حضره وتحضره . انتهى . وعلى هذا
فالضمير منصوب على المفعولية ، لا أنه مضاف إليه . ومحتضرون عامل النصب
فيه ، لوجود شرط عمل النصب ؛ وهو جمع محتضر . و (الارتفاق) : الاتكاء
على المرفق ؛ أي لم يشتغل عن قضاء حوائج الناس . وبجمل أن المعنى لم يرتفق
بماله ، أي لم يبدله بالرفق بل جاز عليه بالجود . و (المعتفون) : الذين يأتون
يطلبون المعروف والاحسان ، يقال عفوته : أي آتيته أطلبُ معروفيه .
و (الرواهق) : جمع راهقة ، من رَهَقَ من باب تعب ، إذا غشيته وأتاه .

ورقه بمعنى أدركه وقرب منه أيضاً . والماء يجوز أن تكون ضميراً وأن تكون للسكت ..
وهذا البيت أيضاً مصنوع .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س^(١) :

٢٩٨ (الحافظُ عورةَ العشيِّرة)

على أن الضمير بعد الوصف ذى اللام المتق والمجموع ، يحتمل عند سيبويه أن يكون مجروراً على الإضافة ، أو منصوباً ، كما ورد الظاهر منصوباً بعده .

قال ابن السراج (في الأصول^(٢)) : وقد أجازوا رأيت الضاربى زيدا ، وليس ذلك بحسن ، وإنما جواز ذلك على أنك أردت النون فحذفها لطول الاسم ، كما تقول : الذى ضربتُ زيداً فتحنف الماء من ضربته وأنت تريدها . وحذف النون من الضَّارِّ بَيْنَ والضَّارِّ بَيْنَ مع الإعمال قبيح ، قال الشاعر :

الحافظُ عورةَ العشيِّرة لا يأتِيهمُ من ورائنا نطفُ
ولو جرُّوا لكان الجيدَ الصوابُ . ١٠٨

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنه حذف النون من الحافظون ، ونصب عورة العشيِّرة بما في الصلة ، فكأنه قال : الذين حفظوا عورةَ العشيِّرة . ولم يحذفها للإضافة ، إنما حذفها تخفيفاً مع ما فيه الألف واللام .

(١) في كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المنصف ١ : ٦٧ والهمع ١ : ٤٩ والأشمونى ٢ : ٢٤٧ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٢ .
(٢) ط : « الأطول » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

وقال ابن جني : حذفوا النون تشبيهاً لهذه الأسماء المتمكنة غير الموصولة بالأسماء الموصولة ، لأنها في معنى الموصولة . قال أبو علي : والاكثر الجر ، وقرأ بعضهم : ﴿ وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةَ ^(١) ﴾ بنصب الصلاة ، وحكى أبو الحسن عن أبي السماك ^(٢) : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ^(٣) ﴾ وليست فيه ألف ولا م حتى يشبه بالذين . وقرأ بعضهم أيضاً : ﴿ أَنْكُمْ لَذَانِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ^(٤) ﴾ بالنصب . وقرأ عمار بن عقيل : ﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ^(٥) ﴾ بنصب النهار . والأشبه في هذا أن يكون حذف التنوين لالتقاء الساكنين . ١٨٩

وروي : « الحافظو عورة العشيّة » بجر العورة على أن الحافظو مضاف ؛ فيكون سقوط النون للإضافة . وقوله : « الحافظو » صوابه « والحافظو » بالواو ، فإنه معطوف على خبر مبتدئ في بيت قبله كما سيأتي . وبه يسقط قول ابن خلف : الحافظو مرفوع بالابتداء أو على الخبر ، وهو مدح كأنه قال : هم الحافظون عورة العشيّة ؛ فحذف المبتدأ ؛ أو الحافظو عورة العشيّة هم فحذف الخبر هذا كلامه ؛ ولا ينبغي أن يكتب قبل أن يقف على السياق

-
- (١) الآية ٣٥ من الحج . وهذه قراءة ابن أبي اسحاق ، والحسن ، وأبي عمرو في رواية . تفسير أبي حيان ٦ : ٣٦٩ .
 (٢) كذا في النسختين ، ولعله « أبو السماك » ، واسمه قنعب بن هلال . وانظر لسان الميزان ٤ : ٤٧٥ وطبقات ابن الجزري ٢ : ٢٧ .
 وفي القراء أيضاً « ابن السماك » مصدر بابن وبالكاف في آخره .
 (٣) الآية ٢ من التوبة . ولم أعتد الى صاحب القراءة بالتحقيق .
 (٤) الآية ٢٨ من الصافات . وهذه قراءة أبي السماك ، وأبان عن ثعلبة بن عاصم . تفسير أبي حيان ٧ : ٣٥٨ .
 (٥) الآية ٤٠ من يس . وهذه قراءة عمار بن عقيل . تفسير أبي حيان ٧ : ٣٣٨ .

والسَّباق . ثم بعد هذا فصلٌ أنَّ المبتدأ يحذف في خمسة مواضع ، والخبر يحذف في اثني عشر موضعاً ، ثم أخذ في بيان أَل الموصولة وأَل المرفوعة وأنها سبعة أقسام ، واستوفى الكلام على الجميع . وهذا كله تطويل لا طائل له .

و (المَوْرَة) : المكان الذي يُخاف منه العدو . وقال ثعلب : كلُّ خَوْفٍ عورة . وقال كراع : عورة الرجل في الحرب ظَهْرُهُ . و (العَشيرة) : القبيلة ، ولا واحد لها من لفظها ، والجمع عشيرات وعشائر . كذا في المصباح . ولا يناسبه قول العيني هنا : « وعشيرة الرجل : الذين يعاشرهم ويعاشرونه » . و (النَّطْف) بفتح النون والطاء المهملة ، قال صاحب العباب : قال الفراء : النطف العيب ، وقال الليث : النطف : التلطح بالعيب . وروى بدله (الوكف) بفتح الواو والكاف أيضاً ، قال صاحب العباب : هو العيب والإثم . وأشد هذا البيت . وهذا المعنى الثاني أورده أبو عبيد (في الغريب المصنف) قال : وكيف وكفاً من باب فرح . وقد ردّه عليه أبو القاسم عليّ بن حمزة البصريّ (في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) بأنَّ الوَ كَفَ إنما هو العيب . وأنشد هذا البيت .

وكذلك قال ابن قتيبة (في أدب الكاتب) وأنشد هذا البيت .

قال ابن السيد (في شرح أبيات الجمل ، وأبيات أدب الكاتب) ، وتبعه ابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : للمعنى نحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يعابون به : من تضييع ثغرهم ، وقلة رعايته . هذا على رواية : « من ورائنا » . ومن روى : « من ورائهم » أخرج الضمير مُخْرَجَ الغيبة على لفظ الألف واللام ، لأنَّ معنى الحافظو عورة : نحن الذين يحفظون ، كما تقول أنا الذي قام ، فنخرج الضمير مخرج الغيبة ، وإن كنت

تعنى نفسك ، لأن معناه أنا الرجل الذى قام . وقد يقولون أنا الذى قت . فعلى هذا رواية من روى : « من ورائنا » . انتهى .

وقال ابن خلف : قوله من ورائنا أى من غيبنا ، فكفى بوراه عن ذلك فامتنح بحفظهم عورة قومهم بظهر الغيب ، وأمنهم من ناحيتهم كل قص وهيب . ويجوز أن يعنى من وراء حفظنا إيام وذنبنا عن حمام ، فحذف للمضاف الذى هو حفظ ، وأقام للمضاف إليه مقامه . ومن روى : « من ورائهم » فالمعنى فيه أوضح ، وحمل الضمير على العشرة أرجح .

وهذا البيت من قصيدة لعمر بن امرئ القيس الخزرجى ، وهى هذه (١) : صاحب الشاهد

(يا مال ، والسيد الممم قد	يَطرأ فى بعض رأيه السرف ^(٢)	قصيدة الشاهد
خالفت فى رأى كل ذى فخر	والحق يمال غير ماتصف ^(٣)	
يا مال ، والحق إن قمعت به	فالحق فيه لأمرنا نصف	
لا ترفع القبة فوق سنه	والحق نوى به ونعترف	١٩٠
إن بجبرا مولى لقومكم	يا مال ، والحق عنده فقفوا	
أوتيت فيه الوفاء معتريفا	بالحق فيه فلا تكن تكف ^(٤)	
نحن بما عندنا وأنت بما	عندك راض والرأى مختلف	

(١) انظر جمهرة القرشى ١٢٧ وديوان حسان ٢٨٠ حيث نسبت القصيدة فيهما الى عمرو بن امرئ القيس ، وبعض أبياتها فى اللسان (فجر) .

(٢) فى الجمهرة والديوان : « يبطره بعض رأيه السرف » .

(٣) فى ديوان حسان : « كل ذى فجر » ، وكذا فى اللسان

(فجر) وفسر الفجر بالجوهر الواسع والكرم ، من التفجر فى الخير .

(٤) الجمهرة : « بالحق فيه لكم فلا تكفوا » .

نَحْنُ الْمَكِينُونَ حَيْثُ نُحَمِّدُ بِالْ
والحافظو هورة العشرة لا
والله ، لا تزدهى كتيبتنا
إذا مشينا في الفارسين كما
نَمْشِي إِلَى الْمَوْتِ ، مِنْ حَفَائِظِنَا
إِنَّ سُبْرًا أَبَتْ عَشِيرَتُهُ
أَوْ تُصَدِّرَ الْخَيْلُ وَهِيَ جَافِلَةٌ
أَوْ تُجْرَعُوا الْغَيْظَ مَابِدَا لَكُمْ
إِنِّي لِأُنْسَى إِذَا انْتَمَيْتُ إِلَى
بِضَى جِمَادٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ
مُكْتِ ، وَنَحْنُ الْمَصَالْتُ الْأَنْفُ
يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِنَا وَكَفُ
أُسْدُ عَرِينٍ مَقِيلُهَا الْغُرْفُ
تَمْشِي جَمَالٌ مَصَاعِبُ قُطْفُ (١)
مَشِيًّا ذُرِيْعًا وَحَكْمُنَا نَصَفُ
أَنْ يَعْرِفُوا فَوْقَ مَا بِهِ نَصَفُ (٢)
تَحْتَ هَوَاهَا جَحَاجِمُ خُفُ (٣)
فَهَارِشُوا الْحَرْبَ حِينَ تَنْصَرِفُ
عَزَّ مَنِيعٍ وَقَوْمُنَا شُرْفُ (٤)
يَكْحَلُهَا فِي الْمَلَّاحِمِ السَّدْفُ (٥)

قوله : يامال ، هو منادى مرخم مالك بن العجلان . والعمامة عند العرب
لا يلبسها إلا الأشراف ، والعمائم تيجان العرب . وطرأ الشيء يطرأ طرأنا
مهموز : أى حصل بفتحة . والسرَف ، بفتحتين : اسم الاسراف ، وهو مصدر
أسرف إسرافاً إذا جاوز القصد .

والفخر بفتحتين : لغة في الفخر بسكون الخاء ، وهو الافتخار وعد القديم .
والنصف : العدل والاستقامة . والسنة : الطريقة . ويُجير بضم الموحدة وفتح الجيم .

(١) الجمهرة : « فى الفارسي » ، وفسره بقوله : « الفارسي :

الدرع » .

(٢) الجمهرة والديوان : « فوق ما به نطفوا » . والنطف : التلطيخ

بالعيب .

(٣) الجمهرة والديوان : « تحت صواها » . والصوى : الأعلام .

وشبه بها الفرسان فوق الخيل . وبذلك حورها الشنقيطى فى نسخته .

(٤) الجمهرة : « غر كرام وقومنا شرف » .

وَتَكِيفُ : مضارعٌ وَكَفَّ وَكَفًّا من باب فرح : إذا جَارَ وَعَدَلَ عن الحقِّ .
وقوله : « نحن بما عندنا الخ » هذا من شواهد النحاة والمعانيين ، حذف
فيه خبر نحن ، أى راضون ، بدلالة خبر المبتدأ الثانى ، وهو أنت راض
بما عندك .

وقوله : « نحن المَكِينُونَ » جمع مَكَيْث فَعِيل من اللَّكْث وهو
الانتظار واللبث^(١) ، أراد به هنا الصبر والرزاة ؛ يقال رجلٌ مَكَيْث ،
أى رزين . وَلَكْث بالفتح المصدر ، وبالضم والكسر الاسم . والمَصَالُتُ :
جمع مِصْلَت بكسر الليم ، وهو الماضى فى الأمور لا يهاب شيئاً . وَأُفْتُ
بضمّتين : جمع آف كضارب ، من الْأَنفَةِ وهى الْحِمِيَّة .

وقوله : « والحافظو عورة الخ » . هو معطوف على المصالت ، أى نحن
نحفظ عشيرتنا من أن يصيبهم ما يُعَابُونَ به .

وقوله : « لا تزدهى كتيبتنا الخ » تزدهى : تستعف . والكتيبة من
الجيوش : ما جُمِع فلم ينتشر . وهو مفعول والفاعل أُشْدُّ . والقرين ،
بفتح العين وكسر الراء المهملتين : الغابة والأجعة ، وهى مسكن الأسد
وأضاف الأسد إليها لأنها أشدّ ما تكون وهى فى الغابة ، ولا يقدر أحد
أن يهجم عليها . والفُرْفُ بضمّتين : جمع غُرِف بالعين المعجمة ، وهى
الغابة والأجعة أيضاً .

وقوله : « إذا مشينا فى الفارسين » أى بينهم . والمصاعب ، بفتح
الليم : جمع مُصْعَب بضمها وفتح ثالثة ، هو الفحل الشديد ؛ يقال أصعبت
الجلل فهو مُصْعَب إذا تركته فلم تركبه . وقُطِف بضمّتين : جمع قُطُوف ١٩١

(١) ط : « اللبس » ، صوابه فى ش .

بفتح القاف : البطوء ، يقال قَطَفَت الدابةُ من باب قتل ، إذا مَشَتْ مع تقارب الخطو .

وقوله : من حَفَظْنَا : جمع حَفِظَة ، وهي الحَمِيَّة والغضب . والذَّرِيع ، بالذال المعجمة : السريع .

وقوله : أو تصدر الخيل الخ ، أو هنا بمعنى إلى . وخَفُفُ بضمتين : جمع خَفِيف .

والهِرَاش : مصدر هارش ، وهو التحريش وتحريك الفتنة .
وقوله : « إِنِّي لَأَتْنِي إِذَا أُنْتِمَيْتُ » الأول بالبناء للمجهول يقال نَمِيت الرجلَ إلى أبيه نَمِيًّا : إذا نسبته إليه ؛ وانتنى هو : انتسب . وشُرُف ، بضمتين : أى أشراف .

وقوله : « بِيضُ جَمَادِ الخ » البِيض ، قال ابن السيد (فى شرح سَنَعَط الزُّنْد) : العرب تمدح السادة بالبياض من اللون ، وإنما يريدون النقاء من العيوب ؛ ورُبَّمَا أرادوا به طلاقة الوجه ؛ لأنَّ العرب تجعل العُيُوس سوادًا فى الوجه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ^(١) ﴾ .
والجَمَاد : جمع جَمَد بفتح الجيم وسكون العين المهملة ، وهو الكريم من الرجال . والملاحم : جمع مَلَحَمَة بالفتح : القتال . والسَدَف ، بفتح السين والدال ، هى الظلمة فى لغة نجد ، والضوء فى لغة غيرهم ؛ يقول : سوادُ أعينهم فى الملاحم باقى ، لأنهم أُنْجَادُ لا تبرق أعينهم من الفزع فيغيث سوادها .

وعمر بن امرئ القيس خزرجي جاهلي ، وهو جد عبد الله بن رواحة . عمرو بن امرئ القيس
 وكان السبب في القصيدة : أنه كان للمالك بن العجلان مولى يقال له بُجَيْر ، قصة الشاهد
 جلس مع نفر من الأوس من بني عمرو بن عوف ، فتفاخروا ، فذكر
 بجير مالك بن العجلان فضله على قومه ، وكان سيد الحيين في زمانه :
 الأوس والخزرج ، فنضب جماعة من كلام بجير وعدا عليه رجل من
 الأوس يقال له مُخَيْر بن زيد بن مالك ، أحد بني عمرو بن عوف فقتله ، فبعث
 مالك إلى بني عمرو بن عوف : أَنْ ابْعَثُوا إِلَيَّ بِسُيْرٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ بِمَوْلَايَ ،
 وَإِلَّا جَرَّ ذَلِكَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا . فبعثوا إليه : إِنَّا نَعْطِيكَ الرِّضَا نَحْنُ نَأْخُذُ مِنْهُ .
 فقال : لَا آخُذُ إِلَّا دِيَةَ الصَّرِيحِ — وَهِيَ عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ : ضَعْفُ دِيَةِ
 الْمَوْلَى ، وَهِيَ خَمْسٌ — فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا مِنْكَ اسْتِدْلَالٌ لَنَا وَبَنَى عَلَيْنَا !
 فَأَبَى مَالِكُ إِلَّا أَخَذَ دِيَةَ الصَّرِيحِ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا
 شَدِيدًا ، حَتَّى نَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْضٍ . ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَوْسِ نَادَى :
 يَا مَالِكُ ، نَشَدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا حَكَمًا مِنْ قَوْمِكَ ! فَارْعَوِ
 مَالِكُ وَحَكَمُوا عُمَرُو بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ صَاحِبَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا ،
 فَقَضَى لِمَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ بِدِيَةِ الْمَوْلَى ، فَأَبَى مَالِكٌ وَأَذَّنَ بِالْحَرْبِ ، فَخَذَلَتْهُ
 بَنُو الْحَارِثِ لِرُدِّهِ قِضَاءَ عُمَرُو ، وَأَنشَدَ يَقُولُ ^(١) :

إِنْ تُحْمِيَا أَرَى عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدَّبُوا دُونَهُ وَقَدْ أَنْفَوْا ^(٢)
 إِنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقَ بَنِي النَّجَّارِ لَا يَطْعَمُوا الَّذِي عُلِفُوا
 لَا يُسْلَمُونَا لِمُشْرِ أَبَدًا مَا دَامَ مِنَّا يَبِطُّهَا شَرَفُ ^(٣)

(١) انظر جمهرة القرشي ١٢٢ والأغاني ٢ : ١٦٢ .

(٢) في اللسان (سمر ٤٥) : « وقد أبقوا » ، وما هنا صوابه .

(٣) وكذا في الأغاني . وفي الجمهرة : « لن يسلمونا » ، وهو

الوجه . وفي الجمهرة أيضا : « ما كان منهم يبطنها شرف » .

لكن موالئ قد بدا لهم رأى سوى مالى أو ضعفوا
بين بنى جحججى وبين بنى زيد فأتى لجارى التلّف
يمشون بالبيض والدروع كما تمشى بجمال مصاعب قطف
كما تمشى الأسود فى رهج الموت إليه وكلهم لهف^(١)

١٩٢

وقال بعده عمرو بن امرئ القيس قصيدته التى شرحناها .

وقال درهم بن زيد أخو سمير :

يا قوم لا تقتلوا سميراً فإنّ القتل فيه البوار والأسف^(٢)
لا تقتلوه تزنّ نسوتكم على كريم ويفزع السلف^(٣)
إلى أن قال :

يا مال ، والحق إن قنعت به فينا وفى لأمرنا نصف^(٤)
إن بجيراً عبداً ، فخذنمنا والحق نوفي به ونعترف
ثم اعلن إن أردت ظلم بنى زيد فأنا ومن له الحلف
لنصبحن داركم بذى لجب يكون له من أمانه عزف^(٥)
البيض حصن لهم إذا فزعوا وسابغات كأنها النطف^(٦)

(١) وكذا فى الأغاني . وهذا البيت وسابقه هما بيت واحد فى

الجمهرة :

يمشون مشى الأسود فى رهج الموت إليه وكلهم لهف

(٢) فى النسختين : « ان القتل » صوابه من الأغاني ٢ : ١٦٢ .

(٣) الأغاني : « ان تقتلوه » .

(٤) الأغاني : « فيه وفينا » .

(٥) كذا فى النسختين ، ماعدا القافية ، فهى فى ط : « غرف » ،

وفى ش : « عزف » . . ورواية ش توافق الأغاني الا أولها فهى فى

الأغاني : « لأصبحن » . وفى الأغاني أيضاً : « جون له من أمامه » .

(٦) النطف ، بضم ففتح : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى قل

أو أكثر .

وَالْبَيْضُ قَدْ فُلَّتْ مَضَارِبُهَا بِهَا نُفُوسُ الْكُمَاةِ تُخْتَطَفُ
كَأَنَّهَا فِي الْأَكْفِ إِذْ لَمَعَتْ وَمِيزُ بَرْقٍ يَبْدُو وَيَنْكَشِفُ
وقال قيس بن الخطيم من قصيدة يجيبه (ولم يحضر الواقعة ولا كان في عصرها^(١)) :

أَبْلَغُ بَنِي جَجْجِي وَقَوْمَهُمْ خَطْمَةٌ أَنَا وَرَاءَهُمْ أَنُفُ
وَأَنَا دُونَ مَا يَسُومُهُمْ أَلَا أَعْدَاءُ مِنْ ضِمِّ حُطَّةٍ نُكُفُ
نَفْلِي بِحَدِّ الصَّفِيحِ هَامَهُمْ وَفَلِينَا هَامَهُمْ بِهَا عُفُ^(٢)

وبعد هذا ستة أبيات . فردّ عليه حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا من تلك القصيدة :

دَعْ ذَا وَعْدُ الْقَرِيضِ فِي نَفْرِ يَرْجُونَ مَدْحِي ، وَمَدْحِي الشَّرْفُ
إِنْ تَدْعُ قَوْمِي فِي الْمَجْدِ تَلَقَّهُمْ أَهْلَ فَعَالٍ يَبْدُو إِذَا وُصِفُوا
إِنْ سَمِعَ عَبْدٌ طَعْنِي سَفَهًا سَاعِدُهُ أُعْبِدُ لَهُمْ نَطْفُ^(٣)

ثم إنهم تهيّأوا للحرب وتقاتلوا قتالاً شديداً ، ومشت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين سنة في أمر سمير . فلما طال الحرب وكادت العرب يأكل بعضها بعضاً ، أرسلوا إلى مالك أن يحكموا بينهم ثابت بن المنذر أبا حسان ، فأجابهم إلى ذلك ، فأتوه وقالوا : قد حكمناك بيننا . قال : لا حاجة لي في ذلك .

(١) الأغاني ١٠ : ١٦٣ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٧ وديوان قيس

(٢) في الديوان : « بنا عنف » وفي الأغاني « بها جنف » .
(٣) النطف هنا بمعنى الأقران ، الواحد نطفة بالتحريك
وكهزمة . وكان العبد منهم يقرط ، وكذا ساقى الشراب ، ويبدو أن
تلك نحلة فارسية . وقد ذكر الأعشى تقريط الساقى في قوله :
يسعى بها ذو زجاجات له نطف مقلص أسفل السربال معتمل

قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردّوا حكى كما ردّدتكم حكم عمرو بن امرئ القيس . فأعطوه عهدهم : أن لا يردّون ما حكم به ^(١) ، فحكم أن يؤدّى حليف مالك دية الصريح ، ثم تكون السنة فيهم على ما كانت به : الصريح على دينه ، والحليف على دينه ؛ وأن يعدّوا القتلى التي أصابت بعضهم من بعض ^(٢) ، فيقابل البعض البعض ، ثم تعطى الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين . فرضوا بذلك ففصلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر ، فودّتهم الأوس واصطلحوا . . . وقيل : الخمسة المكيلة لدية الصريح أعطاهها ثابت من عنده حين أبت عليه الأوس أن تؤدّى أكثر من خمس ، وأبى مالك أن يقبل أقلّ من عشر ؛ إطفاء لنائرهم ، ولما لشعهم . ١٩٣

وقول مالك : « بين بنى جحججي الخ » بجاء ما كنة بين جيمين مفتوحين : حي من الأوس ، وكذلك بنو بدر . والاستفهام للإنكار .

وقول قيس بن الخطيم : « أبلغ بنى جحججي وقومهم » إلى آخره ، خطمة بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم ، هو عبد الله بن جشم ابن مالك بن الأوس ؛ قيل له لأنّه ضرب رجلاً بسيفه على خطمة أى أفقه ، فسّمى خطمة . وجحججي وخطمة : حيّان لقبيلة قيس بن الخطيم ، لأنّه أوسى . والسّوم : التكليف . والخطمة بالضم : الشأن والأمر العظيم . ونكف ، بضمتين : جمع ناكف ، من نكفت من كذا ، أى استنكفته وأنفت منه .

وعرف من إيرادنا لهذه القصائد ما وقع من التخليط بين هذه القصائد ،

(١) أن هنا تفسيرية ، ونون « يردون » ثابتة فى ط ، وقد أزالها الشنقيطى فى نسخه .

(٢) فى الأغانى : « الذين أصاب بعضهم من بعض » .

كما فعل ابن السِّدِّ واللُّخْمِيُّ (في شرح أبيات الجمل) ، وتبعهما العينيُّ والعباسيُّ (في شرح أبيات التلخيص) فإِتِّمَّ جعلوا ما قلنا من شعر قيس ابن الخطيم مطلع القصيدة ، ثم أوردُوا فيها البيت الشاهد وهو : « الحافظو عورة العشيرة » والشاهد الثاني وهو : « نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راضي » ، والحال أن هذين البيتين من قصيدة عمرو بن امرئ القيس .

ثم اختلف الناس في نسبة البيت الشاهد أعنى : « الحافظو عورة العشيرة » فنسبه التبريزيُّ (في شرح إصلاح المنطق) ، والجواليقي (في شرح أدب الكاتب) وابن برّي (في حواشي صحاح الجوهري) إلى عمرو بن امرئ القيس ، كما نسبناه نحن . ونسبه ابن السيراقي (في شرح أبيات الإصلاح) لشرح بن عمران^(١) من بني قُرَيْظَةَ ، قال : ويقال إنه لمالك بن العجلان الخزرجي . ونسبه ابن السِّدِّ (في شرح أبيات الجمل) ، وفي شرح أبيات أدب الكاتب) ، وابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) ، وعلي بن حمزة (في أغلاط الرواة) ، والعباسيُّ (في شرح أبيات التلخيص) لقيس بن الخطيم . والعجب من العينيِّ أنه نقل عن اللخمي أنه لعمرو بن امرئ القيس . والله أعلم .

* * *

وأُشْدَّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين . وهو من شواهدس^(٢) :

(١) هذا ما في ش . وفي ط : « عمرو » .

(٢) في كتابه ١ : ٩٣ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٧٢ ، ٧٤ والشذور

٤٣٦ والعيني ٤ : ١٢١ والتصريح ٢ : ٣٣ والهمع ٢ : ٢٢٢ والأشمونى

٢٩٩ (أنا ابنُ التاركِ البكرى بشرًا)

هذا صدرٌ وعجزه :

(عليه الطيرُ رقبُهُ وقُوعًا)

على أنه عند المبرد لا يتبع مجرور ذى اللام إلا ما يمكن وقوعه موقع منبوعه : فبشر عنده منصوب لا غير للحمل على محل البكرى .

أنشده سيبويه بجر (بشر) على أنه بدل أو عطف بيان للنظ البكرى وإن لم يكن فى بشر الآف واللام . وجاز ذلك عنده لبعده عن الاسم المضاف ، ولأنه تابع والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى المبوب .

وغلظه المبرد وقال : الرواية بنصب بشر . واحتج بأنه إنما جاز أنا ابن التارك البكرى ، تشبيهاً بالضارب الرجل ، فلما جئت ببشر وجعلته بدلاً صار مثل أنا الضارب زيدا ، الذى لا يجوز فيه إلا النصب .

قال الزجاج : الذى ذهب إليه سيبويه أن بشرًا عطف البيان الذى يقوم مقام الصفة ، يجوز فيها مالا يجوز فى الموصوف : تقول يا زيد الطريف ؛ ولا يجوز يا الطريف ؛ وكذا أقول الضارب الرجل زيد ولا أقول الضارب زيد .

قال النحاس : وقد قال المبرد (فى الكتاب الذى سماه الشرح) : القول فى ذلك أن قوله : « أنا ابن التارك البكرى بشر » عطف بيان ؛ ولا يكون ١٩٤ بدلاً لأن عطف البيان يجرى مجرى النعت سواء ؛ ألا ترى بيان ذلك فى باب النداء تقول يا هذا زيد ، وإن شئت [زيدا^(١)] على عطف البيان فىهما . وإن أردت البهل قلت زيد . فهذا واضح جداً ؛ لأنك أزلت هذا وجعلت

زيداً مكانه منادى . انتهى . وهذا من المبرد رجوع إلى رواية سيبيويه وإن كان خالفه في شيء آخر .

وقد أورده شراح ألفية ابن مالك بحجّ بشر على أنه عطف بيان للبكرى لا بدل ؛ لأنه في حكم تنحية المبدل منه وحلّوله محلّه .

و (التارك) إن كان من الترك الذى بمعنى الجعل والتصيير فهو متعدّد لمفعولين : الأول قد وقع مضافاً إليه ، والثانى هو جملة عليه الطير من المبتدأ والخبر . وإن كان من الترك الذى بمعنى التخلية فهو متعدّد لمفعول واحد . وهو المضاف إليه ، فيكون الظرف أعنى عليه حالا من البكرى ، والطير فاعل الظرف أو الطير مبتدأ ، وعليه الخبر ، والجملة حال منه ، وجملة ترقبه حال من الطير .

وأعربه الشارح في عطف البيان فقال : عليه الطير ثانى مفعولى التارك إن جعلناه بمعنى المصير ، وإلاّ فهو حال . وقوله : ترقبه ، حال من الطير إن كان فاعلاً لمليه ، وإن كان مبتدأ فهو حال من الضمير المستكنّ في عليه . انتهى .

ومعنى (ترقبه) أى تنتظر ازهاق روحه ، لأن الطير لا يقع على القتل وبه رمق ، ففيه حذف مضاف . وقوله : (وقوعاً) فيه أعراب : أجودها أنه مفعول له ، أى تنتظر ازهاق روحه للوقوع عليه . وقال الأعمى وتبعه ابن خلف إنه حال من الضمير في ترقبه . ولو رفع على الخبر جاز . وقوعٌ عنده جمع واقع وهو ضدّ الطائر . وهذه الحالية لا تصحّ من جهة المعنى ، لأنّه لا معنى للانتظار بعد الوقوع على الميت . ولو جعله حالاً من الطير كما قاله بعضهم لكان صحيحاً وكان حينئذ فيه بيان لقوله عليه الطير . وقال ابن يعيش : وقوعاً جمع واقع ، وهو حال إمام من الضمير المستكنّ في عليه ، وإمام من المضمر المرفوع في ترقبه . وقال ابن السكيت (في شرح أبيات للفصل) : ويجوز أن يكون مصدراً في موضع

الحال . ولم يَمُنَّ صاحبَ الحال . وقال بمض فضلاء العمم (في إعراب أبيات
المفصل) : ولا يبعد أن يجمل وقوعاً مصدرأ ويكون منصوباً على البذل من
الضمير الراجع إلى بشر في ترقبهِ ، لأنّه في معنى وقوعاً عليه ، فينخصص نوع
اختصاص ويكون من باب بدل الاشتغال . هذا كلامه ، وهو جيد ، إلا أن فيه
حذف الضمير . وقال العيني : قوله : الطير ، مبتدأ والجملة أعنى قوله ترقبه
خبره ، وقد وقعت حالا عن البكرى . وقوله عليه يتعلق بقوله وقوعاً .
ولا يخفى ما في تعبيره من الاختلال ، وكأنّه لم يبلغه منع تقدّم معمول المصدر
مع هذا الفصل الكثير .

صاحب الشاهد وهذا البيت للفرّار بن سعيد الفَقَّصِيّ . وبعده :

أبيات الشاهد (علاءُ بضربةٍ بعثتْ بلبلي نوائحه وأرخصتِ البُضوعا
وقاد الخيلَ عائدةً لِكَلْبٍ ترى لوجيفها رهجا سريعا
عيجتْ لقائلين صه لقوم غلامهم يفرّغ الشرف الرفيعا)

بعثتْ أى نهت من النوم ، يقال بعثه أى أهبه أى أيقظه . والنوائح :
جمع نائحة ، من ناحت المرأة على الميت نوحا ، إذا بكت عليه مع صراخ .
والبُضوع إما جمع بضعة بفتح الموحدة وسكون الضاد المعجمة ، وهى القطعة من
اللحم ؛ وإما جمع بضع بضم فسكون ، يطلق على الفرج والجماع . وروى بدله
(البضيعا) بفتح فكسر ، وهى اللحم . والوجيف بالجم : مصدر وجف الفرس
إذا عدا ؛ وأوجفته إذا أهديته ؛ وهو العنق فى السير بفتحين . والرهج
الغبار وصه أى اسكت سكوتا مآ . ويفرّغ بالفاء والعين المهملة بمعنى يملو ،
يقال فرغت الجبل إذا صعدته . قال ابن السيرافى (فى شرح شواهد س) :
بشر فى قوله : أنا ابن التارك البكرى بشر ، هو بشر بن عمرو بن مرثد ؛

وقته وجل من بنى أسد ، ففخر المرار بقتله . وبشر هومن بنى بكر بن وائل .
وأرخصت البضوعا ، أى أرخصت الضربة اللحم على الطير . والبضوع : جمع
بضعة ، ويروى (البضيعة) ، وهو اللحم . وزعم بعض الرواة أنه يريد بالبضوع
بضوع نساءه أى نيكاحهن ، يقول : لما قتلوه سبوا نساءه فنكحوهن بلامهم .
والبضوع : النكاح . والتفسير الأول أعجب إلى .

قال أبو محمد الأعرابي الأسود (فى فرحة الأديب) وقد تقدمت ترجمته
فى أول الكتاب (١) : ما أكثر ما يرجح ابن السيرافى الردىء على الجيد ؛
وذلك أنه مال إلى القول بأن البضوع هنا اللحم ؛ ولعمري أنها لو كانت لحوم
المعزى والإبل لجاز أن يقع عليها الرخص والغلاء . والصواب لما قتلوه عرّضوا
نساءه للسبأ لأنه لم يبق لمن من يحمين وينود عنهن . ثم إنه لم يذكر قاتل
بشر من أى قبائل بنى أسد ؟ وإذا لم يعرف حقيقة هذا لم يدرك لآى شئ افتخر
المرار بذلك . وقاتله سبع بن الحسحاس الفقى ، ورئيس الجيش جيشر بنى
أسد ذلك اليوم خالد بن نضلة الفقى ، وهذا جد المرار بن سعيد بن حبيب
ابن خالد بن نضلة . انتهى .

ومن المعجائب قول العيني : أراد ببشر بشر بن عمرو وكان قد جرح ولم
يعلم جرحه ، يقول : أنا ابن الذى ترك بشراً بحيث تنتظر الطيور أن تقع عليه
إذا مات . هذا كلامه ، وليت شعري كيف يفتخر الشاعر بقتيل جليل قاتله ؟
فإن قلت : فعلى قول الأسود الأعرابي قاتله سبع بن الحسحاس ، كيف افتخر
المرار به مع أنه ليس بأب من آبائه ولا ممن ينتسب إليه ؟ قلت : افتخاره
بجده خالد بن نضلة فإنه كان أمير الجيش ، وسبع المذكور كان من أفراد
عسكره ومأمورآله ، والفعل لسبع والاسم لخالد .

يوم قلاب

قال أبو محمد الأعرابي : وكان من حديث هذا اليوم وهو يوم قلاب : أن حياً من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان غزوا وعليهم خالد جد المرار المذكور فاعترض بشر بن عمرو لأنارهم ، فلما وصل إليهم قال : عليكم القوم . قال ابنه : إن في بني الحارث بن ثعلبة بني قعس ، وإن تلتقمهم تلق القتل . فقال : أسكت فإن وجهك شبيه بوجه أمك عند البناء^(١) ! فلما التقوا هزم جيش بشر فأتبعه الخليل^(٢) حتى توالى في إثره ثلاثة فوارس ، فكان أولهم سبع بن الحسحاس ، وأوسطهم عُميلة بن المقتبس الوالي ، وآخرهم خالد بن نضلة ، فأدركت نبل الوالي فرس بشر بن عمرو برمية عقرته ، ولحقه سبع فاعتنقه ، وجاء خالد وقال : ياسبع ، لا تقتله فإننا لا نطلبه بدم ، وعنده مال كثير . وأتتهم الخليل ، فكلما مر به رجل أمره بقتله فيزجر عنه خالد . ثم إن رجلاً ثم أن يوجه السيفان ، فذسّر خالد على ركبته وقال : اجنّب أسيرى ! ففضب سبع أن يدعيه خالد ، فدفع سبع في نحر بشر فوقع مستلقياً ، فأخذ برجله ثم أتبع السيف فرجّ الدرع حتى خاض به كبده ، فقال بشر : أجبروا سراويلي فاني لم أستعين^(٣) . وعمد إلى فرسه فاقتاده . انتهى .

١٩٦

المرار بن سعيد والمرار بفتح الميم وتشديد الراء المهملة الأولى ، ينسب تارة إلى قعس وهو أحد آبائه الأقربين ، وتارة إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وهو جد الأعلى .

(١) أي البناء عليها ، وهي ليلة زفافها .

(٢) في نسخة البغدادى من فرحة الأديب : فاتبعته الخيل .

(٣) ط : « فاني لم أسق » ، صوابه في ش وفرحة الأديب . وفي

اللسان (عين ١٧٤) : « أجر لي سراويلي فاني لم أستعين » . استعان

الرجل : حلق عانته .

وهذه لسبته (من المؤلف والمختلف للآمدى^(١)) : المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن فضلة بن الأشتر بن جحوان (بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة) ابن فقّص بن طريف ، الشاعر المشهور .

ثم ذكر بعد هذا خمسة من الشعراء ، من يقال لهم المرار .

والمرار بن سعيد من شعراء الدولة الأموية ، وقد أدرك الدولة العباسية .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : كان المرار بن سعيد الأسدي يهاجى المساور بن هند ، وكان مقرط القصير ضئيلاً .

تتمة

هذا المعنى أعنى تتبع الطير للجيش الغازى للأعداء حتى تتناول من القتلى متداول بين الشعراء قديماً وحديثاً ، وأول من جاء به الأوفو الأودى في قوله :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ، ثقة أن ستمار^(٢)

أى تأخذ الميرة من لحوم القتلى . وأخذه النابغة الذبياني فقال :

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجيشان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها إذا عرض الخطى فوق الكواكب^(٣)

(١) المؤلف والمختلف ١٧٦ .

(٢) ديوان الأوفو ١٠ نسخة الشنقيطى و ١٣ من الطرايف الادبية .

(٣) ط : « الخطبى » ، صوابه فى ش وديوان النابغة .

والكائبة من الفرس : حيثُ قمع عليه يدُ الفارس . وأخذه
الخطيئة فقال :

تَرى عافياتِ الطيرِ قد وثقت لها بشيع من السَّخلِ العِتاقِ منازلُه^(١)
وأخذه مسلم بن الوليد فقال :

قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثِقنَ بها فهنَّ يتبعنه في كلِّ مرتَحَلٍ
ثم تبعه أبو نواس وإن كان في عصره :

تَسْأِياً الطيرُ غَدَوَتَهُ نِقَةً بالشُّبُعِ من جَزَرِهِ
ثم أخذه أبو تمام فقال :

وقد ظَلَمْتُ عَقْبَانُ رَايَاتِهِ ضُحًى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرَايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ

وكلُّهم قَصُرَ عن النابغة ، لأنه زاد في المعنى فأحسن التركيب ، ودلَّ على
أنَّ الطير إنما أكلت أعداء المدموح . وكلامهم محتَمِلٌ وإن كان أبو تمام قد
زاد في المعنى . على أنَّ الطير إذا شُبعت ما تَسأل : أَيْ القَبِيلَيْنِ الغالب ؟
وقد أحسن المتنبي في قوله :

١٩٧ لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ تَبْقَ إِلَّا جَاجُهُ

وقال أبو عامر :

وَتَدْرِي كَمَاهُ الطَّيْرُ أَنَّ كَمَاثَهُ إِذَا لَقِيتُ صَيْدَ السَّكَاةِ سِبَاعُ

(١) ط : « قد رتقت لها بسبع » ، صوابه في ش والديوان

تَطِيرُ جِياعاً فوقه وتردّها إلى الأوكار وهي شِبَاعٌ^(١)

وقد أخذ هذا للمنى مروان بن أبي الجنوب ، فقال يمدح للمعتمم :
 لَا تَشْبَعُ الطَّيْرُ إِلَّا فِي وَقَائِمِهِ فَأَيْنَا سَارَ سَارَتْ خَلْفَهُ زُمَرَا
 عَوَارِفًا أَنَّهُ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ لَا يُغِيدُ السِّيفُ حَتَّى يُكْثِرَ الْجَزَرَا
 فأخذه بكر بن النطّاح فقال :

وَتَرَى السَّبَّاعَ مِنَ الْجَوَا رَحَ فَوْقَ عَسْكَرِنَا جَوَانِحُ
 نِقَّةً بَانَا لَا نَزَا لَ مُنْمِرُ سَاغِبَهَا الذَّبَاغُ
 وأخذه ابن جهّور فقال :

تَرَى جَوَارِحَ طَيْرِ الْجَوِّ فَوْقَهُمْ بَيْنَ الْأَسْنَةِ وَالرَّايَاتِ تَخْتَفِقُ
 وأخذه آخر فقال :

وَلَسْتَ تَرَى الطَّيْرَ الْحَوَائِمَ وَقَعَا مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا حَيْثُ كَانَ مُوَقَعَا
 ومنه قول الكُمَيْتِ بن مَعْرُوف :

وَقَدْ سَتَرْتُ أَسْنَتَهُ لِلْوَاضِي حَدِيًّا الْجَوِّ وَالرَّخْمُ السِّغَابُ^(٢)
 ومنه قول ابن قيس الرُّقَيَّات :

وَالطَّيْرُ إِنْ سَارَ سَارَتْ فَوْقَ مَوَكِبِهِ عَوَارِفًا أَنَّهُ يَسْطُو فَيَقْرِبُهَا^(٣)

(١) ط : « ظباء » ، صوابه ما أثبت .

(٢) في اللسان (حدأ) : « قال أبو حاتم : أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر الحديا ، وهو خطأ ، ويجمعونه الحدادي ، وهو خطأ » .

(٣) ط : « أن يسطو » ، صوابه في ش .

وأخذه عباسٌ الخياط فقال :

يَا مُطْعَمَ الطَّيْرِ لِحَوْمِ الْعِدَا فَكُلْهَا تَتَنَّى عَلَى بَاسِهِ
وقال ابن نباتة :

إِذَا حَوَّمتْ فَوْقَ الرِّمَاحِ نُسُورُهُ أَطَارَ إِلَيْهَا الضَّرْبُ مَا تَرَقَّبُ
وأبدع من هذا كله قولُ المتنبي :

يُطْعِمُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طَوْلُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ
وقد جاء امرؤ القيس بهذا المعنى بوجه آخر فقال :

إِذَا مَارَكْنَا قَالَ وَلِدَانُ أَهْلُنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطِبُ
يقول : قد وثقوا بصيد هذا الفرس فهم يهيمون للحجى صيده الحطاب .
وأخذه حميد بن ثور الهلالي الصحابي فقال في صفة الذئب :

يَنَامُ بِإِحْدَى مَقْلَتَيْهِ وَيَتَقَى بِأُخْرَى الْمَنَابِإِ فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
إِذَا مَا عَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غِيَابَةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُونَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ^(١)

وأخذه ابن المعتز بلفظ امرئ القيس فقال :

قَدْ وَثِقَ الْقَوْمُ لَهُ بِمَا طَلَبُ فَهُوَ إِذَا جَلَّى لَصِيدٍ وَاضْطَرَبَ
عَرَّوْا سَكَ كَيْنَهُمْ مِنَ الْقُرْبِ .

(١) في النسختين : « غيابة » ، صوابه بيادين ، كما في ديوان

حميد ١٠٦ والحيوان ٦ : ١٠٦ / ٧ : ٢١ .

وأُشْدَ بعده ، وهو الشاهد الموفى ثلاثمائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) : ١٩٨

٣٠٠ ﴿ أَقَامَتْ عَلَى رَبِّعَيْهَا جَارَتًا صَفًا
كَمِينًا الْأَعَالِي جَوْنَتًا مُصْطَلَاهَا ﴾

على أَنَّ الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهر مضاف إلى ضمير صاحبها .
ينبغي أن تُشْرَحَ أولاً ألفاظه اللغوية حتى يظهر ما ينبغي عليه من المسألة
النحوية فنقول :

هذا البيت للشماخ بن ضرار ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الحادى صاحب الشاهد
والثسعين بعد المائة (٢) . وقيل هذا بيت وهو مطلع القصيدة :

(أَمِنْ دِمْنَتَيْنِ عَرَّسَ الرِّكْبُ فِيهِمَا بِحَقْلٍ الرُّخَاخَى قَدَأْنِي لِبِلَاهُمَا
وقد أوردهما ممّا سيبويه (في كتابه) وبعدهما :

وإِثْرُ رِمَادٍ كَالْحَمَامَةِ مَائِلٍ وَنُؤْيَانٍ فِي مَظْلُومَتَيْنِ كُدَاهِمَا
أَقَامَا لِلَّيْلِ وَالرَّبَابِ وَزَالَتَا بِذَاتِ السَّلَامِ قَدْ عَفَا طَلَلَاهُمَا
فَفَاضَتْ دُمُوعِي فِي الرَّدَاءِ كَأَنَّهَا عَزَا لِي شَعْبِي خُلِيفٍ وَكُلَاهُمَا)
قوله (أَمِنْ دِمْنَتَيْنِ) ، الجار متعلق بمحذوف تقديره أَتَحْزَنُ أَوْ أَتَجَزَعُ
مِنْ دِمْنَتَيْنِ رَأَيْتُهُمَا فَتَذَكَّرْتُ مَنْ كَانَ يَحِلُّ بِهِمَا . والاستفهام تقريرى ،
والخطاب لنفسه . ذكر فى هذه الأبيات أَنَّهُ رَأَى مَنَازِلَ جَبَائِبِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ
فِيهَا غَيْرُ الْأَثْنَيْنِ وَالرَّمَادِ وَالنُّؤَى . والدمنة بالكسر : الموضع الذى أثار فيه

(١) فى كتابه ١ : ١٠٢ . وانظر الخصائص ٢ : ٤٢٠ وابن
ميمش ٦ : ٨٣ ، ٨٦ ، والمعنى ٣ : ٥٨٧ والتصريح ٢ : ١٢٢ والهمع ٢ :
٩٩ والأشمونى ٣ : ١١ وديوان الشماخ ٨٦ .
(٢) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

الناس بزولهم وإقامتهم فيه . والتعريس : نزول المسافرين في آخر الليل قليلا للاستراحة ثم يرتحلون ، وروى بدله « عرج الركب » . والتعريج : أن يعطفوا رواحلهم في الموضع ويقفوا فيه . والركب : ركاب الإبل ، جمع راكب . والخلق بفتح المهملة وسكون القاف : القراح الصلب ، وهي المزرعة التي ليس عليها بناء ولا شجر . والرُخاى بضم الراء بعدها خاء معجمة وآخره ألف مقصورة ، وهو شجر مثل الضال وهو السدر البري . ويحقل الرُخاى (١) حال من الضمير في فيهما . وأنى بالنون فعل ماض بمعنى حان . واليلى بكسر اللوحدة : الفناء والذهاب بالمرّة ، واللام زائدة أى قد حان يلاها . وقد روى كثيرٌ بدلها : (قد عفا طلالهما) ، وهذا غير صواب ، لأنه يتكرر مع ما بعده .

وقوله : « أقامت على ريعيها ملح » أى بعد ارتحال أهلها . والريع : الدار والمنزل . وضمير المثنى للذمتين ، خلافا للسيد المرتضى (في أماليه) فإنه قال : يعنى بزيعبيها منزلى امرأتين اللتين ذكرهما ، مع أنه لم يقدم ذكرهما بل أخرهما كما رأيت . وجارتا : فاعل أقامت ، وهو مضاف . والصفا بفتح الصاد المهملة والفاء : الصخر الأملس ، واحده صفاء ، وهو مضاف إليه . قال السيد المرتضى (في أماليه (٢)) ويعنى بجارتا صفاء ، الأثنتين ، لأنهما مقطوعتان من الصفا الذى هو الصخر : ويمكن في قوله : جارتا صفا ، وجه آخر هو أحسن من هذا ، وهو أن الأثنتين توضيحان قريبان من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما ، وممسكةً للقدر معهما ، ولهذا تقول العرب : « رماه بثالثة الأثافي » أى بالصخرة أو الجبل . انتهى .

(١) في النسختين : « ويجعل الرخامى » ، وبهذا صححها الشنقيطى بقلمه فى نسخته .
(٢) أمالى المرتضى ٢ : ٣٠ .

وعلى هذا الأخير اقتصر ابن السيرافي (في شرح أبيات سيبويه) ، ١٩٩
وتبعه الجماعة ، قال : الصَّفَا هو الجبل في هذا الموضع ، وجارتاه : صخرتان
تجعلان تحت القدر ، وهما الأُفَيْتَانِ اللتان تقربان من الجبل ، فيقومُ الجبل
مقام صخرةٍ ثالثة تكون تحت القدر . ومقتضى المعنى أنَّ في كلٍّ من الربعين
جارتا صفا^(١) لا أنَّ في مجموع الربعين جارتا صفا^(١) .

وقوله : « كَيْتَا الأَعَالَى الخ » هو صفة جارتا صفا ، وهو تركيب إضافي
مثله ، وهو مثنى كُمَيْتٍ بالتصغير من الكُمْتَةِ ، وهي الحجرة الشديدة المائلة إلى
السواد . وأراد بالأَعَالَى أَعَالَى الجارتين ، قال الأَعلَمُ : يعنى أَنَّ الأَعَالَى من
الأُفَيْتَيْنِ لم تَسوَّدْ لبعدها عن مباشرة النار ، فهي على لون الجبل . وكذلك
قال السيد المرتضى : شبه أَعَالَهُمَا بلون الكُمَيْت وهو لون الحجر نفسه ، لأنَّ
النَّارَ لم تصل إليه فتسوَّده . وقال ابن السيرافي ، وتبعه مَنْ بعده : يريد أنَّ
أَعَالَى الأَثَافِ ظَهَرَ فِيهَا لَوْنُ الكُمْتَةِ من ارتفاع النار إليها . وقوله : جَوْنَتَا
مُصْطَلَاهُمَا نعتٌ ثانٍ لقوله : جارتا صفا ، وهو تركيب إضافي أيضاً . والجَوْنَةُ :
السَّوْدَاءُ ؛ والجَوْنُ : الأسود وهو صفة مشبهة ، ويأتى بمعنى الأبيض أيضاً ،
وليس بمرادٍ هنا . ومن الغريب قول النحاس إنَّ الجَوْنَ هنا هو الأبيض .
والمصطلى : اسم مكان الصَّلَاةِ أى الاحتراق بالنار ، فيكون المصطلى موضع
إحراق النار . يريد أنَّ أسافل الأَثَافِ قد اسودَّت من إيقاد النار بينها .
والضمير المثنى في مصطلاهما ، عند سيبويه ، لقوله جارتا صفا ؛ وعند المبرِّد ،
للأَعَالَى كما يأتى بيانهما . وزعم بعض فضلاء العجم (في شواهد المفصل)
أنَّ الكُمْتَةَ هنا السواد . وهذا غير صواب .

(١) هذا على الحكاية ، والا فالوجه « جارتى صفا » .

وقوله : « وإِثْرَ رَمَادِ الخ » هو معطوف على فاعل أَقَامَتْ . وإِثْرُ كلِّ شَيْءٍ : أَصْلُهُ ، وهو بالكسر وآخره ثاءٌ مثلثة . والْحَمَامَةُ هنا : القِطَاعَةُ . شَبَّهَ لونَ الرَّمَادِ بِرِيشِ القِطَاعَةِ . ومِثَالٌ : مُنْتَصِبٌ . والنُّثْوَى ، بالضم : حُفَيْرَةُ تُحْفَرُ حَوْلَ انْتِجَاءِ يَجْمَلِ ثُرَابِهِ حَاجِزًا لِنَلَأٍ يَدْخُلُ المَطَرُ . قال شارح الديوان : والمظلومة : الأرض الغليظة التي يُحْفَرُ فيها في غير موضع حفر . والكُدْيَةُ بالضم : الأرض الغليظة التي ظَلِمَتْ كَدَاها ، أي حُفِرَ فيها في غير موضع حفر . وقوله : « أَقَامَا لِلَّيْلِ الخ » قال شارح الديوان : أي هذان الطللان أقاما بعد أهلها . أشار إلى أَنَّ اللامَ في اللَّيْلِ بمعنى بعد . وذات السَّلام : موضع . وعفا : تَغَيَّرَ . والطلل ، قال الأَعلَمُ : هو ما شَخَصَ من علامات الدار وأشرفَ كَالْأَثْنِيَّةِ والوَرْدِ ونحوهما ؛ وإن لم يكن له شَخَصٌ كَأَثَرِ الرَّمَادِ ولِأَعْبِ الغِلْمَانِ فهو رِسمٌ .

وقوله : « كَأَنَّهَا عَزَا إِلَى الخ » هو جمع عَزَلَاءَ بِفَتْحٍ مَهْمَلَةٍ وَسُكُونِ مَعْجَمَةٍ ، وهي فَمُ القِرْبَةِ ، وَمَصَبُّ المَاءِ مِنَ المَزَادَةِ . والشَّعْيَانِ : المَزَادَتَانِ ، قال أبو عبيد : الشَّعْيِبُ والمَزَادَةُ والراوِيَةُ والسَّطِيحَةُ شَيْءٌ واحدٌ . والمُخْلِفُ : المَسْتَقِيُّ . والسَّكْلَى : الرُّقَاعُ التي تَكُونُ في المَزَادَةِ ، واحداً كُلِّيَّةٌ .

هذا . وأما محلُّ الشاهد فقوله : (جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا) فَإِنَّهُ أَضَافَ جَوْنَتَا إِلَى مُصْطَلَاهُمَا . قال السِّيرَافِيُّ : جَوْنَتَا مَثْنًى وهو بِمَنْزِلَةِ حَسَنَتَا ، وقد أَضِيفَا إِلَى مُصْطَلَاهُمَا ، ومُصْطَلَاهُمَا بِمَنْزِلَةِ جِهْمَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ حَسَنَتَا وَجِهْمَا ، والضَّمِيرُ الَّذِي فِي مُصْطَلَاهُمَا يَعُودُ إِلَى جَارَتَا صِفَا ، ومعنى جَارَتَا صِفَا الأَثَافِي ، والصفا هو الجبل ، وإِنَّمَا يَبْنَى فِي أَصْلِ الجَبَلِ فِي مَوْضِعَيْنِ مَا يَوْضَعُ عَلَيْهِ القَدَرُ ، وَيَكُونُ الجَبَلُ هُوَ الثَّالِثُ ، فَالْبِنَاءُ فِي مَوْضِعَيْنِ هُمَا جَارَتَا صِفَا . وقوله : كَيْتَا الأَعَالَى ، يَعْنِي أَنَّ الأَعَالَى مِنْ مَوْضِعِ الأَثَافِي ، لَمْ تَسْوَدَّ لِأَنَّ الدِّخَانَ لَمْ يَصِلْ

إليها ، فهي على لون الجبل . وجعل الأعلى من الجبل أعالي الجارتين . وجوئنا مصطلهما يعني مسودتنا المصطلى يعني الجارتين مسودتنا المصطلى ، وهو موضع الوقود . وقد أنكر هذا على سيبويه وخرج للبيت ما يُخرجُ به عن : حسن وجهه وحسنه وجهها ، قال : وذلك أنه لا خلاف بين النحويين أن قولنا زيد حسن وجه الأخ جيد بالغ ، وأنه يجوز أن يكفى عن الأخ فنقول زيد حسن وجه الأخ جميل وجهه ، فالهاء تعود إلى الأخ لا إلى زيد ، فكأننا قلنا زيد حسن وجه الأخ جميل وجه الأخ . قال : فعلى هذا قوله كئينا الأعلى جوئنا مصطلهما ، كأنه قال جوئنا مصطلى الأعلى ، فالضمير في المصطلى يعود إلى الأعلى لا إلى الجارتين ، فيصير بمنزلة قولك الهندان حسنا الوجوه مليحنا حدودهما . فإن أردت بالضمير في حدودهما الوجوه كان كلاماً مستقبها ، كأنك قلت حسنا الوجوه مليحنا حدود الوجوه . فإن أردت بالضمير الهندين فالمسألة فاسدة ، فكذلك جوئنا مصطلهما إن أردت بالضمير الأعلى فهو صحيح ، وإن أردت بالضمير الجارتين فهو ردى ، لأنه مثل قولك هند حسنة وجهها .

قال : فإن قال قائل : فإذا كان الضمير في مصطلهما يعود إلى الأعلى فلم يثنى والأعلى جمع ؟ قيل له : الأعلى في معنى الأعلىين ، فردّ الضمير إلى الأصل . ومثله :

مضى ماثلقتى فردين ترجف روائف أليتيك وتسطارا^(١)

فردّ تسيطر إلى رافقتين ، لأن روائف في معنى رافقتين . وعلى هذا يجوز

(١) البيت لعنترة ، وهو من شواهد الحزاة وهو الشاهد

أن تقول: المهندنان حسنتا الوجوه جميلتا خدودهن ، لأنَّ الوجوه في معنى الوجهين ، فكأنَّك قلت : جميلتا خدود الوجهين . قال أبو بكر بن ناهض القرطبي : هذا التأويل حسن في إعادة الضمير الذي في مصطلهما إلى الأعلى ، لولا ما يدخل البيتين [من ^(١)] فساد للمعنى ، وذلك أنَّك إذا قلت كميتا الأعلى جوتنا مصطلهما ، إنَّ معناه اسودَّت الجارتان واصطلى أعاليهما ؛ كما أن معنى قولك المهندنان حسنتا الوجوه مليحتا خدودهما ، إنَّما المعنى حسنت وجوههما ومكَّحت خدودهما ، فكذلك يجب أن يكون مصطلهما إذا أعيد الضمير إلى الأعلى أن يكون قد اصطلت الأعلى ، وإذا اصطلت الأعلى فقد اسودَّت ، وهو يخبر أنَّهما لم يسودَّا لأنَّهما لم يصل الدُّخَانُ إليهما ؛ والدليل على ذلك أنَّه وصف الأعلى بالكُتْته ولم يصفها بالسَّوَاد كما وصف الجارتين ، فلا يشبه هذا قولك المهندنان حسنتا الوجه مليحتا خدودهما ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من هذين الضميرين قد ارتفع بفعله ، وكذلك يجب أن يرفع ضمير الأعلى بفعله ، فيكون على هذا الأعلى قد اصطلت بالنَّار ، وهذا خلاف ما أراد الشاعر ، لأنَّه ذكر أنَّه لم يصطل منها غيرُ الجارتين وأنَّ الأعلى لم يصل إليها الدخان . ٢٠١
فهذا خلاف ما نظره النحويون وقاسوه . فلا بدَّ من [الذهاب في] معنى البيت إلى ما ذهب إليه سيبويه ، من أنَّ الضمير في مصطلهما يعود على الجارتين . انتهى .

وقد ردَّ ما ذهب إليه المبرِّد ابنُ جني أيضاً بوجه غير هذا ، قال في باب الحمل على المعنى (من اختصاص) : اعلم أنَّ العرب إذا حملت على المعنى لم تكدر تراجع اللفظ ، كقولك شكرت من أحسنوا إلىَّ على فعله . ولو قلت

(١) ليست في النسختين ، وهي ضرورية في الكلام .

شكرت من أحسنَ إليّ على فعلهم جاز ، ولهذا ضعف عندنا أن يكون هما من مصطلّاهما في قوله كيتاً الأعلى جوتنا مصطلّاهما ، عائداً على الأعلى في المعنى إذا كانا فاعلين اثنين (١) ، لأنّه موضع قد ترك فيه لفظ التثنية حملاً على المعنى لأنّه جعل كلّ جهة منهما أعلى ، كقولهم : شابت مفارقة ، وهذا بعير ذو عثّانين ، ونحو ذلك . أو لأنّ الأعلىين شبتان من شبتين ، فإذا كان قد انصرف عن اللفظ إلى غيره ضعفت معاودته إياه ، لأنّه اتسكت وتراجع فجرى ذلك مجرى إدغام الملحق وتوكيد ما حذف . على أنه قد جاء منه شيء قال :

* دوس كبيرين ينتطحان *

وأما قوله (٢) :

كلاما حين جدّ الجرى بينهما قد أقلما وأقلما رأينا

فليس من هذا الباب وإن كان قد عاد من بعد التثنية إلى الأفراد ؛ وذلك أنه لم يقل كلاما قد أقلما وأقلما راب فيكون ما أنكرناه ، لكنه قد أعاد كلاماً أخرى غير الأولى فعاملها على لفظها . ولم يقبح ذلك لأنّه قد فرغ من حديث الأولى ثم استأنف من بعدها أخرى ، ولم يجعل الضميرين عائدين إلى كلا واحدة . وهذا كقولك : من يقومون أكرّمهم ومن يقعد أضره (٣) . ولا يحسن * ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من

(١) وكذا في بعض أصول الحصائص ٢ : ٤٢١ . والوجه ما في

سائر أصول الحصائص : « كانا أعليين اثنين » .

(٢) هو انفرزدق . ديوانه ٢٣ ونوادر أبي زيد ١٦٢ .

(٣) بعده في الحصائص : « فتأتى بمن الثانية فتعاملها على

ما تختار مما يجوز مثله » .

عِنْدَكَ (١) لما ذكرناه . وهذا واضح فاعرفه . انتهى .

وهذا مأخوذ من كلام أبي علي (في المسائل البغداديات) وقد بسط القول على هذا البيت ، فلا بأس بإيراد كلامه قال : فأما قوله : جوتنا مصطلاهما ، فقد قدره سيبويه تقدير حسنة وجهها وجعل قياسه كقياسه ، وكان حكمه عنده - إن أجراه على الأصل دون الحذف - أن يقول : جارتا صفًا جوتنا مصطلاهما فيجري جوتنا على الجارتين فيرتفع بجره عليهما ، لأنهما مرفوعتان ، ثم يرتفع المصطلى بجوتنا ويعود ضمير التثنية على الجارتين ، فيكون كقولك الهندان حسنٌ نوبتهما وهند حسنٌ وجهها . وإن أجراه على الحذف دون الأصل أن يقول : أقامت على ربعيهما جارتا صفًا جوتنا المصطليات ، فيمن قال الهندان حسننا الوجوه ، وفيمن قال صفار حليهما ، جوتنا المصطليين ، فيصير كقولك الهندان حسننا الثوبين . فلم يستعمله على الإتمام والأصل ، ولا على الاختصار والحذف ، ولكن جعله كقولك هذه امرأة حسنة وجهها ، فبني الجوتة وهما وصفًا للجارتين وأضافته مثنًى إلى المصطلى ، وهو هما في المعنى ، إلا أنه وضع الواحد موضع الجمع فيمن قال حسان الوجوه ، وموضع التثنية فيمن قال صفار حليهما ، وهو المصطلى ، ألا ترى أن لكل واحدة من الجارتين مصطلًى . وإن وجهته على أن المصطلى يكون جميع ذلك ، وأحد لم يضع واحداً موضع جمع ، ثم أضاف مصطلًى

(١) الآية ١٦ من سورة محمد أو القتال . وفي النسختين والخصائص كذلك : « من يستمعون » ، وهو تحريف في الكتاب واجب اصلاحه ، وهو مع ما فيه غير صالح للاستشهاد . ومن عجب ألا يتنبه ابن جنى ولا البغدادى ولا محقق الخصائص غفر الله لهم . على أنه من أمانة النقل أن أذكر أن في بعض نسخ أصول الخصائص : « حتى اذا خرج » .

إلى ضمير الجارتين كما أضاف الوجه في قوله هذه امرأة حسنة وجهها إلى ضمير المرأة بعد إضافة حسن الذى هو الوجه في المعنى إلى الوجه . فعلى هذا وضع سيبويه هذا البيت . وقد يحتمل غير ما تأوله ، وهو ما ذكره بعضهم : من أن الشاعر إنَّما رد الضمير المثني في قوله مصطلهما إلى الأعلى ، لأنه في الحقيقة اثنان ، وهذا مثل قوله :

رأتُ جبلاً فوقَ الجبالِ إذا التقت رهوسُ كبيرهنَّ ينتطحان ٢٠٢

ولستُ أعرفُ مَنْ قاتلُ هذا القول ، إلا أنه ليس بممتنع . ويخرج الكلام به من أن يكون على قولك هند حسنة وجهها ، لأنَّ الضمير المثني على هذا في قوله مصطلهما ، ليس يرجع إلى الجارتين ، إنَّما يرجع إلى الأعلى ؛ لأنَّ الأعلى وإن كان مجموعاً في اللفظ فهو اثنان في المعنى ، فعمله على ذلك ، فكأنه قال جونتنا مصطلهما الأعلى . وإذا كان كذلك لم يكن على حسنة وجهها ، لأنَّ الجونة لم تضاف إلى اسم يتصل به ضمير يعود إلى الجارتين كما يعود من الاسم الذى بعد الصفة في قولك هند حسنة وجهها ضميرٌ يعود إلى هند ، لكون الضمير العائد إلى الجارتين محذوفاً ، كما أنَّ الضمير من هند حسنة الوجه ودعد حسنة وجه الأب محذوف ، فلذلك أتت جونة من قوله جونتنا مصطلهما ، كما أنَّ حسنة في قولك هند حسنة الوجه ، لأنه لم يعد فيه إلى هند ضمير . وقياس هذا إذا رفع الاسم بالصفة ولم تضاف الصفة إلى ما هو فاعلها في المعنى كحسن وجه وحسن الوجه ، أن يقال جارتنا صفًا جون مصطلهما أعليهما أو أعليهما ، فمصطلهما في موضع رفع مثل قولك هاتان امرأتان حسن غلام أبويهما . وعيب هذا القول الذى قاله هذا القائل ، هو أن التثنية حملت على أنها جمع ، وذلك بعيد ، لأننا وجدناهم يجعلون الاثنين على لفظ الجمع في نحو

قوله عز وجل : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْحَرَابَ ﴾ ^(١) و ﴿ قَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(٢) وبابه ، ولم نرم يجعلون لفظ التثنية للجمع . إلا أنه لا يمتنع ذلك في هذا الموضع ، لأن المجموع الذي هو قولنا الأعلى هنا اثنان في الحقيقة ، فحمله على المعنى ، أو استعمال اللتين اللتين في نحو هذا جميعاً ؛ فحمل الأول على قوله : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ والثاني على صفارحليهما . وليس ذلك بحسن ، لأن الراجع أن يكون على لفظ المرجوع إليه أحسن ، إلا أن ذلك لا يمتنع . ففي هذا التأويل تخليص للشعر من عيب وإدخاله في عيب آخر . انتهى كلام أبي على .

ومثله لابن السَّرَّاج (في الأصول) قال : وقد حكى سيبويه أن بعضهم يقول زيد حسنٌ وجهه شبهوه بحسن الوجه ؛ واحتج بقوله جونتاً مصطلاًها ، فحمل المصطلى ههنا في موضع خفض والماء والميم راجعة إلى الاثنتين وهما جارتا صفا . وكان حقه أن يقول جونتاً المصطلين . وقال غيره : ليس للمعنى على هذا والماء والميم ترجع إلى الأعلى وإن كانت جمعاً ، لأن معناها معنى اثنتين ، وإنما جمعت لآتيها من اثنتين كما قال :

* ظهراهما مثلُ ظُهورِ التُّرْسَيْنِ ^(٣) *

فكان معنى الشعر مصطلى الأعلى . ونظير هذا : هند فارهة العبد حسنة وجهه . تريد حسنة وجه العبد . ولو قلت حسنة وجهها كنت قد أضفت الشيء إلى نفسه . وسيبويه إنما ذكر هذا البيت على ضرورة الشاعر والغايط عندي . ثم قال (في آخر الكتاب) ، في ذكر ما جاء كالشاذ الذي لا يقاس عليه : وهو سبعة ، منه تغيير وجه الأعراب للقافية تشبيهاً بما يجوز : قال : ومما يقرب من

(١) الآية ٢١ من ص .

(٢) الآية ٤ من التحريم .

(٣) لحطام المجاشعي ، كما سبق في ٢ : ٣١٤ .

هذا قوله جَوْنَتَا مصطلاهما ، وإنما الكلام المصطلين ، فردّه إلى الأصل في المعنى ، لأنك إذا قلت : مررت برجل حسن الوجه فعناه حسن وجهه ، فإذا ثنيت قلت مررت برجلين حسني الوجه ، فإن رددته إلى أصله قلت برجلين حسن وجوههما . فإذا قلت وجوههما لم يكن في حسن ذكرهما قبله ، وإذا أتيت بالألف واللام وأضفت الصفة إليها كان في الصفة ذكر الموصوف . ٢٠٣ فكان حق هذا الشاعر لما قال مصطلاهما أن يوحد الصفة فيقول جون مصطلاهما . انتهى

قد بان لك مما نقلنا عنهم ، وهم أرباب النقد في هذا العلم ، أن الرادّ على سيبويه ليس المبرد ، لاسيما أبو على فإنه قال : لا أعرف قائل هذا القول . والشارح المحقق قال هو المبرد . وفوق كل ذي علم عليم . والله أعلم . وقد تكلم على هذا البيت في باب الصفة المشبهة أيضاً وقال : كلام للمبرد تكلف ، والظاهر مع سيبويه .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الثلاثمائة (١) :

٣٠١ ﴿ رَحِيبٌ قِطَابِ الْجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ بِجَسِّ النَّدَايِ بَضَّةٌ الْمُتَجَرَّدِ ﴾
على أن إضافة (رَحِيب) إلى (قِطَاب) في حكم إضافة جَوْنَتَا إلى مصطلاهما ، في القبح . قال السيِّرافى : ومما يدخل في هذا النحو قول طرفة : « رَحِيبٌ قِطَابِ الْجَيْبِ » البيت ، وهذه الإضافة رديئة بمنزلة حسنة وجهها ، وذلك أن الأصل وهو الإنشاد الصحيح : « رَحِيبٌ قِطَابُ الْجَيْبِ » بتنوين رحيب ، فقطاب يرتفع برحيب وضمير منها يعود إلى الأول ، فإذا أضفنا

رحيب فقد خلا منه الضمير المائد ، فلا معنى لئنها على ما بيننا في حسنة الوجه ، وكذلك لا يحسن أن تقول زيد حسن العين منه . انتهى .

احب السامد وهذا البيت من معلقة طرفة بن العبد ، وقوله :

(ندماى بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برود ومجسد)

رحيب قطاب الجيب منها — البيت —

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدد
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها تجاوب أظاري على ربيع ردى
وما زال كشرابي الخمر ولذتى وبينى وإنفاقى طرقي ومثلى
إلى أن تحامتنى العشرة كلها وأفردت أفراد البعير المبدى
رأيت بنى غبراء لا ينكروننى ولا أهل هذا الطرف المددى

قوله : « ندماى بيض الخ » الندماى : الأصحاب ، يقال فلان نديم فلان إذا شارب ، وفلانة نديمة فلان . ويقال ذلك أيضاً إذا صاحبه وحدته وإن لم يكونوا على شراب . قال أبو جعفر : سمى النديم نديماً لندامة جذيمة الأبرش حين قتل مالكاً وعقيلاً ابني فارح ، اللذين أتيا بعمرو ابن أخيه فسألاه أن يكون في سمرة فوجد عليهما فقتلها وندم ، فسعى كل مشارب نديماً . وواحد ندمان ونديم ، والمرأة ندمانة ونديمة ، ويقال من الندم ندمان وندمى . وقوله : بيض كالنجوم ، أى هم سادات مشاهير كالنجوم . وقوله : وقينة ، معطوف على بيض . والقينة : المغنية ، وكل أمة قينة ، وإنما قيل لها قينة لأنها تعمل بيديها مع غنائها ، والعرب تقول لكل من يصنع بيديه شيئاً قين . ومعنى تروح علينا تجمئنا عشيّاً . وروى : « تروح إلينا » . والبرود : ثوب وشي . ومجسد ، هو بضم الميم وسكون الجيم وفتح السين ،

قال الأعمى (في شرح المعلّقة) المُجَسَّد : المصبوغ بالزعفران المشبّع . والجَسَاد ،
بافتح : الزعفران . وقال ابن السكيت (في شرح ديوانه) : المُجَسَّد : الثوب ٢٠٤
الذى يلى الجسد ، وهو الشّعار . والمعنى على الأول تأتينا بالعشى تارة وعليها
بُرْدٌ ، ومرةً وعليها ثوب مصبوغ بالزعفران . والمعنى على الثانى تأتينا وعليها
هذان الثوبان .

وقوله : « رحيب قطاب الجيب الخ » روى بإضافة رحيب إلى قطاب
وتقدّم بيان ضعفه ، وروى تنوين رحيب ورفع قطاب وهو الإنشاد الثابت
الصحيح ، فيكون رحيب صفة سببية لقينة ، فيكون الرحب وصفاً للقينة
في اللفظ ووصفاً لقطاب الجيب فى المعنى ، لأن المعنى رَحْبَ قِطَابٍ جِيبِهَا ،
أى اتسع . وضيق منها للقينة . وقِطَابِ الجِيبِ ، بالكسر : مجتمعه حيث
قُطِبَ أى جمع ، وهو مخرج الرأس من الثوب . والرحيب : الواسع ، وإنما
وصفَ قِطَابَ جِيبِهَا بالسعة لأنها كانت توسّعه ليدوّ صدرها فينظر إليه
ويتلذّذ به . وليس المعنى أن عنقها واسع فيحتاج إلى أن يكون جِيبُهَا واسعاً
- كما توهمه أبو جعفر النحوى والخطيب التبريزي - فإنّ هذا الوصف ذم .
وقوله : رفيقة ، بقاء وقاف من الرفق ، وهو اللين والملازمة . وروى رَفِيقَةٌ
بقافين من الرقة وهو ضد الغلظة . والجس ، بفتح الجيم : اللمس ، أى لمس
أوتار الهوى . أى استمرت على الجسّ فهى رفيقة به حاذقة . وقيل جسّ
الندامى ما طلبوا من غنائها ، وقيل جسّ الندامى هو أن يجسّوا بأيديهم
فيلمسوها تلذذاً كما فسرنا أولاً ، كما قال الأعشى :

* لجسّ الندامى فى يد الدرع ممّثق^(١) *

(١) صدره فى ديوان الأعشى ١٤٧ :

* وراعدة بالمسك صفراء عندنا *

وكانت القينة يُفتَقُ فَنَيْقُ في كُمِّها إلى الإبط ، فإذا أراد الرجل أن يلبس منها شيئاً أدخل يده فلبس . والدُّرْعُ : قميص المرأة ، ويده : كمة . وروى : « لَجِسُ النَّدَامَى » باللام موضع الباء . والبَضَّةُ بفتح الموحدة وتشديد الضاد المعجمة : البيضاء الناعمة البدن الرقيقة الجلد . والمتجرَّدُ ، على صيغة اسم المفعول : ما ستره الثياب من الجسد . يقول : هي بَضَّةُ الجسم عند التجرد من ثيابها والنظر إليها .

وقوله : « إذا نحنُ قُلْنَا الخ » أَسْمِعِينَا أَى غَنِينَا . وانبرت ، اعترضت وأخذت فيما طلبنا من غنائها . ورسلها ، بالكسر بمعنى هيتها ورققها ومهلها . ومطروقة ، بالقاف : الفاترة الطرف ، أَى كأنَّ عينها طُرِفَتْ فهي ساكنة . وقيل إنَّ معناه تُعِدُّ النظرَ بطرفها . وهذا ليس بشيء . وروى : « مطروقة » بالقاف ، ومعناه مسترخية لينة . وهو حال من فاعل انبرت . ولم تشدَّد ، أصله تشدَّدَ بتأوين ، أَى لم يجتهد وإنما غنَّتْ ما سهل عليها .

وقوله : « إذا رجعت في صوتها » ، الترجيع : ترديد الصوت . والأظَارُ : جمع ظئر وهي التي لها ولد . ورُبْعٌ ، بضم الراء وفتح الموحدة : ولد الناقة . ورَدِي فعل ماض من الرَدَى وهو الهلاك . يقول : إذا طرَّبت في صوتها ورددت نغماتها حسبت صوتها أصوات نوق تحنُّ لهلاك ولديها . شبه صوتها بصوتهن في التحزين . ويجوز أن يكون الأظَارُ النساء والرِّبعُ مستعاراً لولَدِ الإنسان ، فشبه صوتها في التحزين والترقيق بأصوات النوادب والنوايح على صبي هالك . وهذا البيت قلما يوجد في هذه القصيدة .

وقوله : « وما زال تشرابي الخ » التَّشْرَابُ : الشرب ، وهو للتكثير . والطريف والطارف : ما اكتسبه الإنسان من المال . والمُتَلَدُ ، بصيغة اسم

المفعول ، وكذا التالذ والتليد : المال القديم الذى ورثه عن آباءه . ومعناه ٢٠٥ المتولد والتاء بدل الواو .

وقوله : « إلى أن نحامتي الخ » أى تركنتى . والعشيرة : أهل بيت الرجل والقبيلة . والمعبد ، بزة اسم المفعول : الأجر ، وقبل المهنوء الذى سقط ويره فأفرد عن الإبل . أى تركت ولذأتى .

وقوله : « رأيت بنى غبراء » غبراء : الأرض ، وبنو غبراء الفقراء ويدخل فيهم الأضياف . وأهل مطوف على الواو فى ينكروني . والطراف ، بالكسر : بناء من آدم يكون للأغنياء . والمدد : المنسوب . يقول : إن هجرنى الأقارب وصلتنى الأبعاد الفقراء والأغنياء ، فالفقراء لإنعامى عليهم ، والأغنياء لاستطابتهم صحبتى ومنادمتى .

وقد تقدم شرح أبيات [من] هذه القصيدة .
وترجمة طرفه تقدمت فى الشاهد الثانى والخسين بعد المائة (١)

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الثلاثمائة :

(إليكم ذوى آل النبي تطلعت نوازغ من قلبى ظله وألبب^(٢))
على أن إضافة ذوى آل النبي من إضافة المسعى إلى الاسم ، أى يا أصحاب هذا الاسم . أراد بهذا الرد على من زعم أن ذا فى مثله وكذا فى الأبيات الآتية زائد .

(١) ترجمة طرفه فى ٢ : ٤١٩ . وأما شرح الأبيات فهو فى ٣ :

١٥١ .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٧ والمحاسب ١ : ٣٤٧ وابن يعيش ١ : ١٥٤

٣ : ١٢ ، ١٥٥ واللسان (لب ٢٢٥)

وهذا كله ملخص من كلام ابن جني (في الخصائص وغيره) وإن موجوداً (في المفصل وشروحه).

وجوز أبو علي (في الإيضاح الشعري) أن يكون ذوزائداً ، وأن يكون على جبل الاسم المسمى على الاتساع ، لمصاحبه له وكثرة الملازمة .

قال ابن جني (في المحتسب) عند قراءة ابن مسعود من سورة يوسف ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾^(١) : تحتمل هذه القراءة ثلاثة أوجه : أحدها أن تكون من باب إضافة المسمى إلى الاسم ، أى فوق شخص يسمى عالماً أو يقال له عليم^(٢) . وقد كثر عنهم إضافة المسمى اسمه ، منه قول الكيت :

إليكم ذوى آل النبي تطلعت نوازع من نفسى ظلمه وألبب
أى إليكم يا آل النبي ، أى يا أصحاب هذا الاسم الذى هو آل النبي
وعليه قول الأعشى :

فكذبوها بما قالت فصبحهم
ذو آل حسان يزجى الموت والشرع^(٣)

أى صبحهم الجيش الذى يقال له آل حسان . وهو باب واسع
تفسيره (في كتاب الخصائص) .

والوجه الثانى : أن يكون عالم مصدرًا كالفالج والباطل .

(١) الآية ٧٦ من يوسف . وانظر المحتسب ١ : ٣٤٦ - ٨
وتفسير أبى حيان ٥ : ٣٣٣

(٢) فى المحتسب : « يسمى عالماً عليم » .

(٣) ديوان الأعشى ٨٣ والخصائص ٣ : ٢٧ .

والثالث : أن يكون على مذهب من يعتقد زيادة ذى . انتهى مختصراً .
وقد ذكر ابن جنى هذه الاضافة فى أكثر كتبه ، قال (فى إعراب
الحماسة) عند قول طُفَيْلِ الْغَنَوَى :

وما أنا بالمستنكرِ البينِ إِنِّى بَدِى لَطَفِ الْجِيرَانِ قِدَمًا مَفْجَعٌ
هذا من باب إضافة المسئى إلى اسمه ، أى إِنِّى بالشئ المسئى بلطف
الجيران . ومثله بيت الشماخ :

* وأدرج دَرَجَ ذِى شَطَنِ (١) *

أى دَرَجَ الشئ المسئى ذا شَطَنَ أو بِشَطَنَ . ومثله بيت الكميت :

إليكم ذوى آل النبي البيت

أى يا أصحاب هذا الاسم ، وأصحابه هم آل النبي صلى الله عليه وسلم
فكأنه قال : إليكم يا آل النبي ، وأمثاله كثيرة جداً قد ذكرناها فى غير
موضع . ومن ذهب إلى زيادة ذى وذات فى هذا الموضع ذهب إلى زيادتها
فى بيت طُفَيْلِ هذا أيضاً ، ومعناه فى التأويلين جميعاً أَنِّى بلطفِ الجيرانِ ٢٠٦
أى بوصلهم مفجع .

وقال أيضاً (فى أواخر إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

فلما رَأَى أَبْصَرَ الشَّخْصَ أَشْخَصًا قَرِيبًا وَذَا الشَّخْصِ الْبَعِيدَ أَقَارِبُهُ (٢)

(١) قطعة من بيت له فى ديوانه ٦١ برواية :

أطار عقيقه عنه نسالا وأدمج دمج ذى شطن بديع

(٢) البيت لفرغان بن الأعراف ، فى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٦١

ولم يرد فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٤٤٥ لكنه ورد فى الحماسة بشرح
التبريزى ٤ : ١٩ .

قريباً إن شئت ظرف أى من قريب ، وإن شئت حال ، أى أبصره مقارباً أشخصاً ، معناه أبصره وأنا قريب منه أشخصاً . وقوله : وذا الشخص البعيد من باب إضافة المسمى إلى اسمه ، كقول الشماخ .. ، وقول الأعشى .. ، وقول السكيت .. ، وأنشد الأبيات الثلاثة ، ثم قال : ومعنى أقاربه ، أى أظنه قريباً . ولو جرّ البعيد هنا لم يجوز ، لأنّ الشخص فى هذا البيت اسمٌ لامسى . ولو قلت تميّنه بزيد الطريف على هذا لم يجوز ، لأنّ الظرف لا توصف به الأسماء .

ثم قال : وقد دعاً خفاء هذا الموضع أقواماً^(١) إلى أن ذهبوا إلى زيادة ذى وذا فى هذه المواضع ، وإتباع ذلك بعد عن إدراك هذا الموضع . انتهى .

وزاد (فى الخصائص) على ما ذكرناه أن أبا على حدّثه أن أحمد بن إبراهيم أستاذ ثعلب روى عنهم : هذا ذر زيد ، أى هذا صاحب هذا الاسم الذى هو زيد .

وقد عقد لهذا باباً (فى الخصائص) وهو باب إضافة الاسم إلى المسمى والمسمى إلى الاسم^(٢) ، وأطال الكلام فيه وأطاب ، وقال : هذا موضع كان يعتاده أبو على ويألفه ، ويرتاح لاستعماله^(٣) ، وهو فصل من العربية

(١) لم يرد هذا النص الأخير فى اعراب الحماسة نسخة مكتبة أحمد الثالث ٢٠٢ ، لكننى وجدته فى الخصائص ٣ : ٢٩ . وفى النسختين : « وقد ادعى خفاء هذا الموضع أقوام » ، تحريف .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٤ .

(٣) الكلام بعده الى آخر الفقرة ليس موضعه هنا ، بل موضعه فى آخر الباب ، فقدمه البغدادي عن موضعه .

غريب ، وقلّ من يعتاده أو ينظر فيه ، وقد ذكرته لئلا فتنبّه على ما هو في معناه إن شاء الله تعالى .

ثم قال : وفيه دليل يدلّ على فساد قول من ذهب إلى أنّ الاسم هو المسمّى ، ولو كان إيّاه لم تجز إضافة واحدٍ منهما إلى صاحبه ، لأنّ الشئ لا يضاف إلى نفسه . قيل لأنّ الغرض من الإضافة إنّما هو التعريف والتخصيص والشئ إنّما يعرفه غيره ؛ لأنّه لو كانت نفسه تعرفه لما احتاج أبداً إلى أن يعرف بغيره ، لأنّ نفسه في حالي تعريفه وتنكيره واحدة ، وموجودة غير مفتقّدة . ولو كانت نفسه هي المعرفة له أيضاً لما احتاج إلى إضافته إليها ، لأنّه ليس فيها إلا ما فيه ، فكان يلزم الاكتفاء به عن إضافته إليها ؛ فلماذا لم يأت عنهم نحو هذا غلامه^(١) ، ومررت بصاحبه ، والمظهر هو المضمر المضاف إليه^(٢) ، هذا مع فساده في المعنى ، لأنّ الإنسان لا يكون أخا نفسه ولا صاحبها .

فإن قلت : فقد تقول مررت بزيد نفسه وهذا نفس الحق ، يعني أنّه هو الحق لا غيره . قيل : ليس الثاني هو ما أضيف إليه من المظهر ، وإنّما النفس هنا بمعنى خالص الشئ وحقيقته ، والعرب تحلّ نفس الشئ من الشئ محلّ البعض من الكل ، ولهذا حكوا عن أنفسهم مراجعتهم إيّاهما وخطابها لم ، وأكثروا من ذكر التردّد بينها وبينهم . ألا ترى إلى قوله^(٣) :

(١) في النسختين : « غلاماته » ، صوابه من الخصائص .

(٢) في النسختين : « والمظهر والمضمر المضاف إليه » ، صوابه في

الخصائص .

(٣) هو أعرابي قتل أخوه ابناً له . الحماسة ٢٠٧ بشرح المرزوقي .

أقول للنفس تأساء وتعزيةً إحدى يدي أصابتنى ولم ترد
وقوله :

قالت له النفس تقدم راشداً إنك لا ترجع إلا حامداً
وأمثال هذا كثير جداً ، وجميع هذا يدل على أن نفس الشيء عندهم
غير الشيء .

فإن قلت : فقد قول هذا أخو غلامه ، وهذه جارية بنتها فتعرف
٢٠٧ الأول بما أضيف إلى ضميره ، والذي أضيف إلى ضميره إنما تعرف بذلك
الضمير ، ونفس المضاف الأول متعرف بالمضاف إلى ضميره ، وقد ترى
على هذا أن التعريف الذي استقر في جارية من قولك هذه جارية بنتها ، إنما
أتاها من قبل ضميرها ، وضميرها هو هي ، فقد آل الأمر إذاً إلى أن الشيء
قد يعرف نفسه ، وهذا خلاف ما ركبته وأعطيت يدك به .

قيل : كيف تصرفت الحال فالجارية إنما تعرفت بالبت ، التي هي
غيرها ، وهذا شرط التعريف من جهة الإضافة ، فأما ذلك المضاف إليه
أمضاف هو أم غير مضاف فغير قاطع . والتعريف الذي أفاده ضمير الأول
لم يعرف الأول ، وإنما عرف ما عرف الأول ، والذي عرف الأول غير
الأول ، فقد استمرت الصفة وسقطت المعارضة .

ويؤكد ذلك أيضاً أن الإضافة في الكلام على ضربين : أحدهما ضم
الاسم إلى اسم هو غيره بمعنى اللام ، نحو غلام زيد . والآخر ضم اسم
إلى اسم هو بعضه بمعنى من ، نحو هذا ثوب خز . وكلاهما ليس الثاني
فيه بالأول . واستمرار هذا عندهم يدل على أن المضاف ليس بالمضاف إليه
البتة . انتهى .

وقول الكيت : (ذوى آلِ النبي) هو منادى حنف منه حرف النداء ،
 أى يا أصحاب هذا الاسم . وفيه من التفخيم ما ليس فى قولك يا آلِ النبي ؛
 لأنه قد جعلهم أصحاب هذا الاسم ، ومن كان صاحب هذا الاسم فهو ممدوح .
 و (تطلعتُ) أى تشوّفت ، وبه يتعلّق قوله إليكم . وقدّمه للحصر ، أى أنا
 مشتاق إليكم لا إلى غيركم و (نوازع) : جمع نازعة ، من نزعَت النفسُ إلى
 الشيء أى اشتاقت إليه ؛ ومثله نازعتُ زُروعاً وزِراعاً بالكسر . وهذا
 كقولهم : جنّ جنونه . و (الظاء) : العطاش ، يقال ظمى ظمأً بالهمز ،
 كمطش عطشاً وزناً ومعنى ، فهو ظمآن وهى ظمأى ، مثل عطشان وعطشى ،
 والجمع ظمَاء كسهم . ووصف النوازع بالظاء للمبالغة فى قوتها وشدتها
 و (ألبب) : جمع لبّ بضمّ ، وهو العقل ، وهو شاذّ والقياس ألبّ بالإدغام ،
 وهو معطوف على نوازع

وهذا البيت من قصيدة طويلة للكيت بن زيد — وقد تقدمت ترجمته صاحب الشاهد
 فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب^(١) — مدح بها آل بيت النبي
 صلى الله عليه وسلم ، وهى إحدى القصائد الهاشميات ، وهى من جيّد شعره .
 وقد استشهد النحاة بأبيات من هذه القصيدة ، وهذا مطلعها مع جملة
 أبيات منها :

(طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ	ولا لعباً مَنّي ، وذو الشيب يلمبُ ؟
ولم تلهى دارُ ولا رسمُ منزلٍ	ولم يتطربني بَنانُ مخضَبُ
ولا أنا ممن يزجرُ الطيرَ همهُ	أصاح غرابُ أم تعرضَ ثعلبُ
ولا السانحاتُ البارحتُ عشيةً	أمرٌ سليمُ القرنُ أم مرٌّ أعضبُ

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي
 إلى النفر البيض الذين بحبهم
 بنى هاشم رهط النبي وإنني
 خضضت لهم مني جناح مودتي
 بأي كتاب أم بأية سنة ٢٠٨
 ومالي إلا آل أحمد شيعة
 ومن غيرهم أرضى لنفسى شيعة
 إليكم ذوى آل النبي تطلعت
 وجدنا لكم في آل حليم آية
 فإني على الأمر الذي تكرهونه
 يشيرون بالأيدى إني وقولهم
 فطائفة قد أكفرني بحبهم
 يعميوني من غيهم وضلالمهم
 وقالوا نراي هواه ودينه
 فلا زلت فيهم حيث يتهمونني
 ألم ترني في حب آل محمد
 كائني جان محدث وكانما
 على أي جرم أم بأية سيرة
 أفس بهم عزت قريش فأصبحوا
 وخير بني حواء والخير يطلب
 إلى الله فيما نابي أقرب
 بهم ولم أرضى مراراً وأغضب
 إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
 ترى حبهم عاراً علي وتحبس
 ومالي إلا مشعب الحق مشعب
 ومن بعدهم ، لا ، من أجل وأرحب
 نوازغ من قلبي ظلام واللب
 تأولها مناً تقى ومغرب
 بقولي وفعلي ما استطعت لأجنب
 ألا خاب هذا ، والشيرةون خيب
 وطائفة قالوا : سوء ومذنب
 على حبكم ، بل يسخرون وأعجب
 بذلك أدعى فيهم وألقب (١)
 ولا زلت في أشياعهم أتللب
 أروح وأعدو خافاً أترقب
 بهم يتق من خشية العر أجرب
 أعنف في قريظهم وأؤنب
 وفيهم خباء المكرمات اللطنب (٢)

(١) ط : « وقالوا ترالى » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « وفيهم خباء » ، تحريف ، صوابه فى ش .

من أخبار
الكهيت

روى الأصهباني (في الأغاني) بسنده إلى محمد بن علي النوفلي عن أبيه أنه قال : الكهيت بن زيد الشاعر كان أول ما قال القصائد الهاشميات فسيرها ، ثم أتى الفرزدق بن غالب فقال له : يا أبا فراس ، إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكهيت بن زيد الأسدي . قال له : صدقت ، أنت ابن أخي فما حاجتك ؟ قال : نُفِيت على لساني فقلت شعراً فأحييت أن أعرضه عليك ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره وكنت أولى من ستره علي . فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن ، وإنني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأشدني ما قلت . فأنشده :

* طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب *

قال : فقال لي : فيما تطرب يا ابن أخي ^(١) ؟ فقال :

ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

قال : بلى يا ابن أخي ، فالمب فانك في أوان اللعب . فقال :

ولم يلهنى دار ولا رسم منزل (البيت)

قال : فما يطربك يا ابن أخي ؟ فقال :

ولا السانحات البارحات عشية (البيت)

قال : أجل ، لا تنطير . فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى (البيت)

(١) ش : « فيما تطرب يا ابن أخي » . واثبات ألف ما الاستفهامية

مع الجار جاز في العربية . انظر المغنى والخزانة ٢ : ٥٣٧ بولاق في

الشاهد ٤٣٦ وحواشي البيان ٣ : ١٢٥ .

فقال : وَمَنْ هَؤُلَاءِ وَيَحْك ؟ فقال :

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحَبِّهِمْ (البيت)

فقال : أَرَحْنِي وَيَحْك ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فقال :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي (البيت)

فقال له الفرزدق : أَذِغْ أَذِغْ يَا ابْنَ أَخِي ، أَنْتَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ مَنْ مَضَى
وَأَشْعَرُ مَنْ بَقِيَ .

وعن عِكْرِمَةَ الضَّبِّيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَدْرَكَتِ النَّاسَ بِالْكُوفَةِ مَنْ لَمْ يَرَوْ :

* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ *

فليس بشيعي . ومن لم يَرَوْ :

* ذَكَرَ الْقَلْبُ الْفَهَّ الْمَهْجُورًا ^(١) *

فليس بأموي . ومن لم يَرَوْ :

* هَلَّا عَرَفْتَ مَنَازِلًا بِالْأَبْرِقِ ^(٢) *

فليس بمهلي .

٢٠٩

وقوله : طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إلخ ، استشهد به أبوحيان على تقديم المفعول له
على عامله ، ردًّا على من منع ذلك ، فإنَّ شَوْقًا مفعول له مقدَّم على عامله
وهو أَطْرَب . واستشهد به ابن هشام أيضًا (في المغني) على أنَّ هَمْزَةَ الاستفهام
لكونها أصلًا جاز حذفها سواء كانت مع أم أو لا ، فَإِنَّهُ أَرَادَ : أَوْ ذُو الشَّيْبِ

(١) في الأغاني ١٥ : ١١٧ :

ذكر القلب الفه المذكور وتلافى من الشباب أخيرا

(٢) الذي في الأغاني ١٥ : ١٩ : هلا سالت منازلًا بالأبرق ،

ولم يأت بعجزه .

يلعب ؟ والاستفهام إنكارى . وقال شارح السمع الهاشميات : ذو الشيب خبر وليس باستفهام ، والمعنى لم أطرب شوقاً إلى البيض ، ولا طربت لعباً منى وأنا ذو الشيب ، وقد يلعب ذو الشيب ويطرب وإن كان قبيحاً به ، ولكن طرّيت إلى أهل الفضائل والنهى .

وقوله : ولم ينطربتني الخ ، استشهد به الجوهرى على أنه يقال أطربه غيره وتطرّبه ، بمعنى أوجد فيه الطرب .

وقوله : ولا أنا ممن يزجر الطير الخ ، هم فاعل يزجر والطير مفعوله . قال ابن الأثير (فى النهاية) : الزجر للطير هو التّيمّن والتشاؤم بها والتغاؤل بطيرانها ، كالسائح والبارح ، وهو نوع من الكهانة والعيافة . انتهى . وقال ابن رشيّق (فى العمدة ^(٢)) : الغراب أعظم ما يتطّيرون به ، ويتشاءمون بالثور الأعضب وهو المكسور القرن . والسائح ما ولاك ميامنه ، والبارح ما ولاك مياسره ، وأهل نجد تيمّن بالأوّل وتتشاءم بالثانى ، وأهل العالية على عكس هذا . وأنشد البيهقي .

وفى السانحات جوّز الأخفشُ النصبَ للمطف على الطير .

وقوله : « ترى جبههم عاراً الخ » استشهد به ابن هشام (فى شرح الألفية) على جواز حذف مفعولى باب ظن للدليل .

وقوله : « ومالى الا آلَ أحمد الخ » استشهد به النحاة ، منهم صاحب الجمل ^(٣) على تقديم المستثنى على المستثنى منه . والمشعب : الطريق ، يقول :

(١) فى باب من الزجر والعيافة . العمدة ٢ : ٢٠١ بتصرف .

(٢) انظر أيضاً مجالس ثعلب ٦٠ والانصاف ٢٧٥ وابن يعيش

٢ : ٧٩ والشذور ٣٦٣ والعينى ٣ : ١١١ والتصريح ١ : ٣٥٥ والاشموني ٢ : ١٤٩ .

مالى مذهب إلا طريق الحق الذى هو حب آل النبي وتفضيلهم صلى الله عليه وسلم .

وقوله : « وجدنا لكم » الخ آل حم اسم للسور السبع التى أولها حم ، ويقال لها أيضا الخواميم ، وأراد الآية التى فى حمصق : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾^(١) يقول : من تأول هذه الآية لم يسمعه إلا التشيع فى آل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإبداء المودة لهم على تقية كانت أو غير تقية . وقوله : تقي ومغرب ، قال الجوهري : أعرب بحجة إذا أفصح بها ولم يتق أحدا . وأشد هذا البيت ، ثم قال : يعنى المفتح بالتفضيل والساكته عنه للتقية . وهذا البيت من شواهد سيبويه^(٢) ، أورده شاهداً لترك صرف حاميم لكونه وافق بناء ما لا ينصرف من الأعجمية نحو قابيل وهابيل . قال الأعلام : جعل حاميم اسماً للكلمة ، ثم أضاف السور إليها كإضافة النسب إلى قرابة ، كما تقول آل فلان .

وقوله : * ألم ترني فى حب آل محمد * الخ

قال السيوطى فى (شرح أبيات المغنى^(٣)) : أخرج ابن عساكر عن محمد بن سهل قال : قال الكمي : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأنا مخنف فقال لى : مـ خوفك ؟ فقلت : يا رسول الله ، من بنى أمية . ثم أنشدته :

ألم ترني من حب آل محمد (البيت)

(١) الآية ٢٢ من الشورى .

(٢) سيبويه ٢ : ٣٠ واللسان (حمم ٤٠) .

(٣) شرح شواهد المغنى ص ١٤ .

فقال لى صلى الله عليه وسلم : « اظهر فقد أمنتك الله فى الدنيا والآخرة » .
 وفى الأغاني بسنده إلى إبراهيم بن سعيد الأسدى ^(١) عن أبيه
 قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : من أى الناس أنت ؟
 قلت : من العرب . قال : من أى العرب ؟ قلت : من بنى أسد . قال : من
 أسد بن خزيمه ؟ قلت : نعم . قال : أهلا لى أنت ؟ قلت : نعم . قال : أتعرف
 الكيت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمى ومن قبيلتى . قال : أتحفظ من
 شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى :
 * طربت وما توقاً إلى البيض أطرب *

قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله :
 فالى إلا آل أحمد شيعه (البيت)

فقال لى : « إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام وقل له : قد غفر الله لك
 بهذه القصيدة » .

وروى أيضاً بسنده إلى دعبل بن على الخزاعى قال ^(٢) : رأيت
 النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : مالك وللكيت بن زيد ؟ فقلت :
 يا رسول الله ، ما بينى وبينه إلا كما بين الشعراء . فقال لى : لا تفعل ، أليس
 هو القاتل :

فلا زلت فيهم حيث يتهموننى ولا زلت فى أشياهم أقلب
 فإن الله قد غفر له بهذا البيت . فأنهيت عن الكيت بعدها .

(١) فى الأغاني ١٥ : ١١٩ : « إبراهيم بن سعيد الأسدى » .

(٢) الأغاني ١٥ : ١١٨ .

وروى أيضاً بسنده إلى نصر بن مزاحم النِقَرِيّ^(١) أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وبين يديه رجلٌ ينشده :

* من لقلبٍ مُتَيِّمٍ مستهامٍ^(٢) *

قال : فسألت عنه فقيل لي : هذا الكميث بن زيد الأسدي . قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « جزاك الله خيراً » . وأثنى عليه .

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الثلاثمائة^(٣) :

٣٠٣ (أَلَا قَبَّحَ إِلَٰهَ بَنِي زَيْدٍ وَحَيَّ أَبِيَهُمْ قَبَّحَ الْحَمَارِ)

على أَنَّ لفظ (حَيَّ) من حَيَّ زيدٍ يستعمل في التأكيد ، بمعنى ذاته وعينه وإن كان ميتاً ، بعد أن كان بمعنى ضدِّ الميت ، كما شرحه الشارح . وكأنه فهم أنَّ ما بعد حَيَّ في البيتين ميتٌ فبنى كلامه هذا عليه ، وإلا فلم يقل به أحدٌ بل صرح ابن السكيت (في كتاب للمذكَّر والمؤنث) بأن مثل هذا لا يقال إلا والمضاف إليه حَيٌّ موجود غير معدوم ، وأشد هذين البيتين بعينهما وجعل لفظ حَيٌّ مما يقع على المذكَّر والمؤنث ، لكن إذا كان المضاف إليه مؤنثاً فلا بد من تأنيث فعله . قال : رأيت العرب قد أفردت مما يقع

(١) صاحب وقعة صفين ، وقد طبعت بالقاهرة بتحقيق كاتبه

طبعين سنة ١٣٦٥ وسنة ١٣٨٢ .

(٢) في النسختين : « مشتاق » ، تحريف صوابه في الأغاني

١٥ : ١١٩ والهاشميات ٢١٠ وهو صدر بيت هو مطلع قصيدة له وعجزه :

* غير ما صبوة ولا أحلام *

(٣) انظر الخصائص ٣ : ٦٨ واللسان (حبي ٢٣٣) .

على المذكر والمؤنث شيئاً لا يكادون يذكرون فعله ، ولفظه لفظ المذكر .
من ذلك قولك : أتيتك وحىً فلانة شاهدة ، وحيتك وحىً زيد قائم . ولم أسمع
وحىً فلانة شاهدٌ — أى بتذكير شاهد — وذلك أنهم إنما قصدوا بالتخبر عن
فلانة إذا كانت حية غير ميتة . انتهى .

ومثله لابن جني (في المحتسب) عند إنشاده هذا البيت قال : أى وقَبِحَ
أباهم الحى الذى يقال له أبوهم ، ومنه قول الآخر :

* وحىً بكري طعنًا طعنةً بحراً^(١) *

أى الإنسان الحى الذى يسئ بقولهم بكر .

وقال (في الخصائص) : أى والشخص المسئ بكراً طعنا . ففى ههنا مذكر
حية ، أى وشخص بكر الحى طعنا . ومثله قول الآخر^(٢) :

يا قرُّ إن أباك حى خويلد البيت^(٣)

أى إن أباك الشخص الحى خويلدا . وكذلك قول الآخر :

ألا قَبِحَ الإله بنى زياد البيت

أى أباهم الشخص الحى . وقال : وليس الحى هنا هو الذى يراد به
القبيلة ، كقولك حى نعيم وقبيلة بكر ، إنما هو كقولك هذا رجل حى
وامرأة حية .

(١) فى الخصائص : « طعنة فجري » . وفى بعض نسخها « بحرا »
كما هنا .

(٢) هو جبار بن سلمى . نوادر أبى زيد ١٦١ والخزانة ٢ : ٦٦٦
بولاق .

(٣) عجزه :

* قد كنت خائفة على الاحقاق *

وجعل ابن جني هذه الإضافة من إضافة المسمى إلى اسمه ، وبَيَّنَّها كما رأيت . وخالفه الشارح المحقق فجعلها من إضافة العام إلى الخاص .

٢١١ ومن حكم بزيادة حي (كصاحب اللب) جعل الإضافة من قبيل إضافة الملحق إلى المعتبر ، كما قال ابن عقيل (في شرح التسهيل) .

ومن ارتضى الزيادة الزخشرى (في المفصل) فإنه قال : قالوا : إن الاسم مقعّم دخوله وخروجه سواء ، وقد حكي عنهم حي فلانة شاهد ، بدون تأنيث الظاهر . وتقدم طعن ابن السكيت فيه ، لكن يرد عليه ما أنشده أبو علي (في الإيضاح الشعرى) من قول الشاعر :

* لو أنَّ حيَّ الغانيات وحشا *

ومن العجب قول شارحه المظفرى : لفظ حي زائد ومعناه الشخص ، فكأنك قلت هذا الشخص زيد ، فكما أنَّ لفظ شخص زائد فكذلك لفظ حي . وقوله بعد هذا : قيل ولا يضاف لفظ حي إلا بعد موت المضاف إليه ، صوابه إلا قبل موت المضاف إليه .

ومما ورد عن العرب من إضافة حي إليه ما قاله الشارح قبل هذا البيت بصفحة « قالن حي رباح » بإقحام حي . قال المظفرى : يعنى سمع الأخصس أعرابياً أنشد أبياتاً فقبل له : من قال هذه الأبيات ؟ فقال : قالن حي رباح بزيادة حي ، أى قالن رباح . انتهى . ورباح بكسر الراء بعدها باء موحدة ^(١) .

(١) الميمنى : « هذا الضبط غلط شنيع منه ، فليس فى العرب رباح بالباء الموحدة الا مفتوح الراء ، ولا رباح بالياء المثناة من تحت الا كسورها . وهذا متعالم متعارف . راجع مشتبه النسبة للذهبي ٢١٢ . والذين مثلوا هنا ذكروه بالياء . راجع اللسان حيا ، »

وهو مأخوذ من الإيضاح الشعرى لأبي علي ، قال حكى : أبو الحسن الأخفش
في أبيات أنه سمع من يقول فيها : قالن حي رباح . وأشد :
أبو بحر أشد الناس منّا علينا بعد حي أبي المغيرة

وقوله : (ألا قبح الإله الخ) هذا البيت من جملة أبيات ليزيد بن صاحب الشاهد
ربيعة بن مفرغ الحريري .

(ألا) هنا كلمة يُستفتح بها الكلام ، ومعناها تنبيه المخاطب لسماع
ما يأتي بعدها ، وجملة (قبح الإله) دعائية ، يقال قبحه الله يقبحه بفتح
الموحدة فيها ، أى نجاه عن الخير . وفي التنزيل : ﴿ ثُمَّ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾^(١)
أى المبعدين عن الفوز . والمصدر التَّبَجُّح بفتح القاف ، والاسم التَّبَجُّح بضمها
يقال قَبَحًا له وقَبَحًا أيضاً . والإله تقدم أنه لا يجمع بين أل وهزة إله إلا
على القلة لكون أل فى الله بدلا من همزة إله^(٢) .

وزياد هو زياد بن سُحْمِيَّة ، وهى جارية للحارث بن كَلْدَةَ الطليبيب الثَّقَفِيّ ، زياد بن أبيه
كان زوجها بعدله رومى اسمه عُبيد ، فولدت له زياداً على فراشه . وكان
أبو سفيان سافر فى الجاهلية إلى الطائف قبل أن يسلم ، فواقعها بواسطة
أبي مريم الخُمَار ، فيقال إنّها علقت منه بزياد . ثم إن معاوية أحضر من شهد
لزياد بالنسب^(٣) واستلحقه بأبي سفيان ، فقبل زياد بن أبيه ، أى ابن أبي
معاوية . ويقال له أيضاً زياد بن سُحْمِيَّة ، نسبة إلى أمه . وهذه أول واقعة خولفت
فيها الشريعة المطهرة علانية ، لصريح قوله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش

(١) الآية ٤٢ من القصص .

(٢) انظر الخزانة ٢ : ٢٦٦ - ٢٦٩ .

(٣) ط : « من شهد لمعاوية بالنسب » ، صوابه فى ش .

وللماهر الحنجر . وأعظم الناس ذلك وأنكروه ، خصوصاً بنى أمية لكونه ابن عبد رومي صار من بنى أمية . وقيل فيه أشعار ، منها قول يزيد صاحب البيت الشاهد :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلةً من الرجل البجاني^(١)
أتنضب أن يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد إن رَحْمَك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سُمية غير داني
وقصة الاستلحاق مفصلة في التواريخ .

٢١٢ قال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي^(٢)) : كتاب المثالب لأبي عبيدة أصله لزياد بن أبيه ، فإنه لما ادعى أباسفيان أباً ، علم أن العرب لا تقر له بذلك مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب المثالب وألصق بالعرب كل عيب وعار وباطل وإفك وبهت . انتهى .

وبنو زياد المشهور منهم : عباد ولّى سجستان وما والاها ، ومنهم عبيد الله بن زياد الشقي الخبيث ، قاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما .

(١) نسبة الأبيات الى يزيد بن مفرغ في الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . وفي الأغاني ١٢ : ٧١ : « والناس ينسبوننا الى ابو مفرغ لكثرة هجانه لزياد ، وذلك غلط » . ونسبتها الى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم فى الحيوان ١ : ٧/١٤٦ : ٢٣٥ والأغاني . وجاء فى شفاء القليل للخفافى ١٧٣ « كرحم الفيل من ولد الاتان » وقال : « هذا فى شعر للكثير » . ونسبت الى عبد الرحمن بن حسان فى العقد ٦ : ١٣٢ .

(٢) اللآلئ ٨٠٧ . وهذا ايجاز من البغدادى ، فان البكرى ساق بعد ذلك سلسلة من كتب الشعوبية .

وقوله : (وحى أبهم) معطوف على بنى ، أى وقبح الله أباهم زياداً .
 وقوله (قَبَّحَ الحمار) هو بفتح القاف مصدر تشبيهي ، أى قَبَّحَهُمَ الله قَبْحاً
 مثل قَبَّحَ الحمار . وإِنَّمَا ذكر الحمار لأنه مَثَلٌ في المذلة والاستهانة به ، ولأنَّ
 صوته أنكر الأصوات وأبشعها .

وزيد شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وهو أبو عثمان يزيد بن يزيد بن مفرغ
 ربيعة بن مفرغ بن ذى المشيرة بن الحارث ، وينتهي نسبه إلى زيد بن يمحسب
 الحميري ، وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ
 الحميري ، حليف لقريش ، ويقال إنه كان عبداً للضحاك بن يثوث الهلالي
 فأنعم عليه . انتهى .

ومفرغ بكسر الراء المشددة : لقب جده ، سُمِّيَ به لأنه راهن على شرب
 سقاء لبن ، فشربه حتى فرَّغه ، فسقى مفرغاً . وقال النوفلي : كان حداثاً
 باليمن فعزل قفلاً لامراًق وشرط عليها عند فراغه منه أن تجمته بكرش من
 لبن ، ففعلت فشرب منه ووضعها ، فقالت : رُدَّ على الكرش ، فقال : ما عندي
 ما أفرِّغه فيه . قالت : لا بد من ذلك . ففرَّغه في جوفه فقالت : إنك لمفرغ .
 فعرف به .

وكان السبب في هجو زياد وبنيه ، هو ما رواه الأصبهاني (في الأغاني ^(١))
 أن سعيد بن عثمان بن عفان لما ولي خراسان استصحب ابن مفرغ فلم يصحبه ،
 وصحب عبَّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان : أمَّا إذْ أُبَيِّتَ مُحْبِقِي واخترت
 عبَّاداً عليّ فاحفظ ما أوصيك به : إنَّ عبَّاداً رجلاً لثيم ، فإياك والدَّالة
 عليه وإن دَعَاكَ إليها من نفسه ، فإِنَّهَا خُدَعَةٌ مِنْكَ عن نفسك ، وأقلِّلْ

زيارته فإنه ملول ، ولا تفاخره وإن فاخره ، فإنه لا يحتمل لك ما كنت
أحتمله . ثم دعا سعيدُ بمال فدفعه إليه وقال : استعن بهذا على سفرك ، فإن
صلح لك مكانك من عباد ، وإلا فمكانك عندي ممهد . ثم سار سعيد من
خراسان ، ولما بلغ عبيد الله بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عباداً شق عليه ،
فلما سار عباد إلى سجستان أميراً عليها شيعه عبيد الله ، وشيوعه الناس ،
فلما أراد عبيد الله أن يودّع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له : إنك سألت أخي
عباداً أن تصحبه فأجابك إلى ذلك ، وقد شق عليّ . فقال ابن مفرغ :
ولم أصلحك الله ؟ فقال : لأنّ الشاعر لا يقنعه من الناس ما يُقنع بعضهم من
بعض ، لأنّه يظنّ فيجعل الظنّ يقيناً ، ولا يعذروني بعض العذر^(١) ؛ وإن
عباداً يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه ويخراجه عنك ، فلا تذرّه
فتركسبنا عاراً وشرّاً . فقال : لست كما ظنّ الأمير ، وإن لمروه عندي
شكراً كثيراً^(٢) ، وإن عندي إن أغفل أمرى عذراً ممهداً . قال : لا ،
ولكن تضمن لي إن أبطأ ما تحبّه ألا تعجل عليه حتى تكتب إلي . قال :
نعم . ثم إن عباداً لما قدم سجستان اشتغل بحروبه فاستبطأه ابن مفرغ
ولم يكتب إلى عبيد الله كما ضمن له ، ولكن بسط لسانه وهجاه - وكان
عباداً عظيم الحجة^(٣) ، فسار ابن مفرغ يوماً مع عباد فدخلت الریح فيها
فنفثتها ، فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من ظم كان إلى جانبه :

ألا ليت الريح كانت حشيشاً فنعلفها دواب المسلمين^(٤)

(١) الأغاني : « في موضع العذر » .

(٢) الأغاني : « لشكراً كثيراً » .

(٣) بعده في الأغاني : « كانها جوالق » .

(٤) الرواية المعروفة : « خيول المسلمين » كما في الأغاني وبعض

أصول الشعراء ٢١٠ ليدن ، وفي بعضها الآخر : « دواب » كما هنا ،
وتقرأ بتخفيف الباء .

فسمى به اللحيي إلى عباد ففضب من ذلك وقال : لا تجملُ عقوبته في هذه الساعة مع محبته لي ، وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي منه ، فإنه كان يقوم ويشتم أبي في عدة مواطن . وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال : إني لأجد ربح الموت عند عباد ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ، إني كنت مع سعيدي بن عثمان ، وقد بلغك رأيي في ، ورأيت جميل أثره علي ، وإني اخترتك عليه فلم أحفظ منك بطائل (١) ، وإني أريد أن تأذن لي في الرجوع . فقال له : إني اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتك حين سألتني ، فقد أعجبتني عن بلوغ محبتي فيك ، وقد طلبت الإذن لترجع إلى قومك فتنفضخني عندهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أنصتَ حقك . فأقام وبلغُ عباداً أنه يسبه وينال من عرضه . وأجرى عبادُ الخليل يوماً فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرغ :

سَبَقَ عِبَادٌ وَصَلَتْ لِحِيَتُهُ وَكَانَ خَرَّازًا نَجُودُ قَرِيبَتُهُ (٢)

قال المدائني : لما بلغ عباداً هذا الشعر دعا به والمجلس حافل ، فقال له : أنشدني هجاء أليك الذي هجى به . فقال : أيها الأمير ، ما كُفِّ أحدٌ قطُّ مثل ما كلفتني به ، فأمرَ غلاماً عجيباً (٣) أن يصبَّ على رأسه السوط إن لم يُنشد ، فأنشده أبياتاً هجى بها أبوه أولها :

قَبَّحَ الْإِلَهُ وَلَا أَقْبَحَ غَيْرُهُ وَجَهَ الْحَارِ رِيْعَةً بَنَ مَفْرَغُهُ (٤)

(١) في الأغاني : « فلم أحل منك بطائل » .

(٢) في الشعراء : « تجور فريته » . وصلت لحيته : تبعته .

والسابق الأول من الخيل ، والمصلي : الثاني .

(٣) كذا في النسختين . وفي الأغاني ١٧ : ٥٤ : « أعجيباً » .

(٤) في الأغاني : « ولا يقبح غيره » .

وجعل عبّاد يتضاحك به ، فخرج ابن مفرغ وهو يقول : والله لا يذهب
شتم شيخى باطلا (١) .

فطلب عليه العَلَلُ ودسَّ إلى قوم كان لهم عليه ديون أن يقتَضُوا ما لهم
عليه ، ففعلوا نجسه وضربه ، وأمر ببيع سلاحه وخيله وأثاثه ، وقسم ثمنها
بين غُرَمائه ، ثم بعث إليه أن يفتي الأراكَة وبرْدًا ، وكانت الأراكَة قينة
لابن المفرغ وبرْدٌ غلامه ، ربّاهما وكان شديد الضنُّ بهما ، فبعث إليه
ابن مفرغ : أبيع المرء نفسه أو ولده ؟ فأضرب به عباد حتى أخذهما منه ، وقيل
اشتراهما رجل من أهل خراسان ، فلما دخلا منزله قال له برد — وكان داهية
أديباً (٢) — : أتدرى ما شريت ؟ قال : نعم ، شريتك وهذه الجارية . قال :
لا والله ، ما اشتريت إلا العارَ والدَّمارَ وفضيحة الأبد ! فجزع الرجل وقال :
كيف ذلك ويحك ؟ قال : نحن ليزيد بن المفرغ ، وما أصاره والله إلى هذه
الحال إلا لسانه وشره ، أقراء يهجو عبّاداً وهو أمير سجستان ، وأخاه عبيد
الله وهو أمير العراقيين ، وعمّه معاوية وهو الخليفة ، ويمسك لسانه عنك وقد
ابتغنى وأنا مثلُ ولده ، وهذه الجارية وهي نفسُ التي بين جنبيه ؟ فوالله
ما أدرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله ممّا أدخلته منزلك ! فقال :
أشهد أنسكاً له ، إن شتّمنا مضياً إليه ، وإن شتّمنا تكونا له عندي .

(١) مقتبس من قول امرئ القيس :

والله لا ينهب شيخى باطلا حتى أير مالكا وكاهلا

وما بعده من الخبر في الأغاني ١٧ : ٥٣ من رواية عمر بن شبة ،

وابن الأعرابي ، ولقيط بن بكير .

(٢) وكذا في الأغاني ، بالدال المهملة ، لا أرييا بالراء .

قال^(١) : فاكتب إليه بذلك . فكتب إليه ابن مفرّغ
يشكر فعله ويسأله أن يكونا عنده حتى يفرّج الله عنه .

وفي بيعهما قال — وذكّر تركه سعيد بن عثمان^(٢) — :

أَصْرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامَةٍ مِنْ بَعْدِ أَيَّامِ بَرَامَةٍ
وَرَمَقْتَهَا فَوَجَدْتَهَا كَالضَّلَعِ لَيْسَ لَهَا اسْتِقَامَةٌ
لَهْفَى عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي كَانَتْ عَوَاقِبُهُ نِدَامَةٌ
تَرَكَى سَعِيداً ذَا النَّدَى وَالْبَيْتِ تَرْفَعُهُ الدَّعَامَةُ
لَيْثاً إِذَا شَهِدَ الْوَعَى تَرَكَ الْهَوَى وَمَضَى أَمَامَةُ
فُتِحَتْ سَمَرَقَنْدُ لَهُ فَبَنَى بَعْرَصَتَهَا خِيَامَةً
وَتَبِعْتُ عَبْدُ بَنِي عَلَا جَ، تِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ
جَاءَتْ بِهِ حَبْشِيَّةٌ سَكَاةً تَحْسِبُهَا نَعَامَةٌ
مِنْ لَسْوَةٍ سَوْدٍ الْوَجْوِ ه تَرَى عَلَيْهِنَّ الدَّمَامَةَ
وَشَرِيتُ بَرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً
أَوْ بَوْمَةً تُدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْجَمَامَةِ
فَالرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْعُ فِي الْعِمَامَةِ
وَالْعَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا وَالْحَرْثُ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةَ

وقوله : وشريت برداً البيت ، استشهد به صاحب الكشاف عند قوله

(١) ط : « قالا » ، صوابه في ش والأغاني .

(٢) الأغاني ١٧ : ٤٥ وأمالى الزجاجي ٤٢ بتحقيق كاتبه ،

والوفيات ٢ : ٢٩٠ والشعراء ٣٢١ .

تعالى : ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾^(١) على أن الشراء يأتي بمعنى البيع ، فهو من الأضداد والمهمة : أننى الصدى ، وهو ذكر اليوم .

وفي مروج الذهب للمسعودي : من العرب من يزعم أن النفس طائر ينسبط في الجسم ، فإذا مات الإنسان أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشاً يصدح على قبره ، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم ، وهو أبداً مستوحش ويوجد في الديار المظلمة ، ومصارع القتلى والقبور وأنهم لم تزل عند ولد الميت ومخلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره .

وقال أيضاً في بيعهما^(٢) :

شريتُ برداً وقد ملكتُ صفتَهُ لما تطلبتُ في بيعي له رشداً
يا بُرْدُ ، مامساً دهرٌ أضربُ بنا من قبل هذا ، ولا يميناً له ولداً
أما أراكهُ كانت من محارمنا عيشاً لذيذاً وكانت جنةً رعداً
لولا الدَّواعي ولولا ما تعرض لي من الحوادث ما فارقتها أبداً

ثم إن ابن مفرغ علم أنه إن أقام في الحبس على ذمّ عباد لم يزد إلا شراً فجعل يقول للناس إذا سئل عن حبسه : أنا رجلٌ أدبه أميره ليقيم من أودّه . فلما بلغ ذلك عبداً رق له فأطلقه ، فهرب حتى أتى البصرة ثم الشام ، وجعل ينتقل في البلاد ويهجو بني زياد ويتأسف على تركه صُحبة سعيد ، فن ذلك قوله :

إن تركي ندى سعيد بن عمار ن قى الجودِ ناصري وعديدي^(٣)
وأتباعي أخوا الضراعة والثؤم م لنقص وفوت شأني بعيد

(١) الآية ٧٤ من النساء .

(٢) الأغاني ١٧ : ٥٤ والشعراء ٣٢١ .

(٣) الأغاني ١٧ : ٦١ .

قلتُ والليلُ مُطْبِقٌ بعُراه : ليتني مِتُّ قبلَ تَرْكِ سَعِيدٍ

ثم إنه هجا بني زياد حتى ملأ منه البلاد ، وتغنى به أهل البصرة ، فطلبه عبيدُ الله طلباً شديداً وكتب إلى معاوية — وقيل إلى يزيد^(١) — « إن ٢١٥ ابن مفرغٍ هجا زياداً وبنيه بما هتك في قبره وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقتله بالزُّنَى ، وسبَّ ولده وهرب إلى البصرة ، وطلبته حتى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضغ لحومنا بها ويهتك أعراضنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتتصف لنا منه » . فهرب ابن مفرغ من الشام إلى البصرة فأجاره المنذرُ بن الجارود ، وكانت بنت المنذر تحت عبيد الله ، وكان المنذر من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك ، فبلغ عبيد الله أن المنذر قد أجاره فبعث عبيد الله إلى المنذر ، فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشُّرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ ، فلما رآه الجارود قام إلى عبيد الله فقال له . أذكرُكَ الله أيها الأمير لا تُخفِرَ جوارى فإني قد أجرتُه ! فقال عبيد الله : يمدحك ويمدح آبائك ، وقد هجانى وهجا أبى ثم تجيرهُ على ، والله لا يكون ذلك أبداً ! فغضب المنذرُ وخرج ، وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال : بثما صحبت به عبداً ! فقال : بثما صحبني عباد ، اخترته على سعيد وأنفقت على صحبته جميع ماملكته وظننتُ أنه لا يخلو من عقل زياد ، وحلم معاوية ، وسماحة قريش ، فعدل عن ظني كله ثم عاملني بكل قبيح . من حبس وغرم وضرب وشم ، فكنت كمن شام برقاً خلِباً في سحاب جهام ، فأراق ماء ، طمعا فأت عطشا ، وما هربت من أخيك إلا لما خفت أن يجرى في ما يندم عليه ، وها أنا بين يديك فاصنع

(١) الميمنى : « لم يكن يزيد ولى الخلافة فى حياة زياد ، فان

زيادا توفى سنة ٥٣ ومعاوية سنة ٦٠ ، .

فِي مَا شِئْتُ ! فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ وَكُتِبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي قَتْلِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : «إِيَّاكَ وَقَتْلَهُ ، وَلَكِنْ تَنَاوَلَهُ بِمَا يَنْكُلُهُ وَيَشُدُّ سُلْطَانَكَ عَلَيْهِ ، وَلَا تَبْلُغْ نَفْسَهُ ، فَإِنَّ لَهُ عَشِيرَةً هُمْ جُنْدِي وَبِطَانَتِي ، وَلَا يَرْضَوْنَ بَقْلَهُ إِلَّا بِالْقَوْدِ مِنْكَ ، فَاحْذَرْ ذَلِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْجِدَّةَ (١) مَنَى وَمِنْهُمْ ، وَأَنْتَ مُرْمَنٌ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ فِي دُونَ تَكْلِيفِهَا مَدْرُوحَةٌ تَشْتَفِي مِنَ الْغَيْظِ . فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ أَمَرَ بَابْنَ مَفْرُغٍ فَسُقِيَ نَيْدًا حُلَاوًا مَخْلُوطًا بِالشُّبْرُمِ وَالتَّرْبُدِ (٢) فَأَسْهَلَ بَطْنَهُ ، وَطَيفَ بِهِ عَلَى بَعِيرٍ فِي أَرْقَةِ الْبَصْرَةِ وَأَسْوَاقِهَا ، وَقُرْنَ بِهَرَّةٍ وَخَنْزِيرٍ ، وَجَعَلَ يَسْلُحُ وَالصَّبِيَّانَ يَتَبِعُونَهُ وَيَصِيحُونَ عَلَيْهِ ، وَأُلْحَ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ حَتَّى أَضْعَفَهُ فَسَقَطَ ، فَقِيلَ لِعَبِيدِ اللَّهِ : إِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يَمُوتَ . فَأَمَرَ بِهِ فَيُسَلَّ فَلَمَّا غُسِلَ قَالَ :

يَسْلُ الْمَاءَ مَا فَعَلْتُ ، وَقَوْلِي رَاسِخٌ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي

ثُمَّ رَدَّ إِلَى الْحَبْسِ . وَقِيلَ لِعَبِيدِ اللَّهِ : كَيْفَ اخْتَرْتَ لَهُ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ سَلَحَ عَلَيْنَا فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَسْلَحَ عَلَيْهِ الْخَنْزِيرَةَ وَالْهَرَّةَ .

ثُمَّ إِذْ عَبِيدُ اللَّهِ أَرْسَلَهُ إِلَى أَخِيهِ بِسَجِسْتَانَ ، وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا ، وَكَانَ لَمَّا هَرَبَ مِنْ عِبَادِهِ هَجَاهُ وَكُتِبَ هَجَاهُ عَلَى حَيْطَانِ الْخِلَائِطِ ، فَأَمَرَ عَبِيدُ اللَّهِ الْمُوَكَّلِينَ بِهِ أَنْ يُلْزِمُوهُ بِمَحْوِ مَا كُتِبَ عَلَى الْحَيْطَانِ بِأُظَافِيرِهِ ، فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى ذَهَبَتْ أُظَافِيرُهُ ، فَكَانَ يَمْحُو بِعِظَامِ أَصَابِعِهِ . وَأَمَرَهُمْ أَيْضًا أَنْ لَا يَتْرَكُوهُ يَصَلِّي إِلَّا إِلَى قَبِيلَةِ النَّصَارَى إِلَى أَنْ يُسَلِّمُوهُ إِلَى عِبَادِهِ ، فَحَبَسَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا طَالَ حَبْسُهُ اسْتَأْجَرَ رَسُولًا إِلَى دِمَشْقَ وَقَالَ لَهُ : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قِفْ عَلَى دَرَجِ جَامِعِ دِمَشْقَ ، ثُمَّ أَنْشُدْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ بِأَرْفَعِ مَا يُمْكِنُكَ مِنْ صَوْتٍ ، وَهِيَ :

(١) فِي الْأَغَانِي ١٧ : ٥٦ : « أَنَّهُ الْجِدَّةُ » .

(٢) لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي . وَالتَّرْبُدُ ، كَقَفْزٍ : نَبْتٌ .

٢١٦ أبلغُ لديكَ بنى قحطانَ قاطبةً عصتَ بأير أبيها سادةَ اليمنِ
أضحى دَعَى زِيادٍ قنَعَ قرقرةً يا للمجائبِ يلهو بآبن ذى يزن (١)
والخيرى طريحٌ فوقَ مَرْبلةٍ هذا للمركمِ غَبْنٌ من الغَبْنِ (٢)
قوموا فقولوا: أميرَ المؤمنينَ لنا حقٌّ عليكِ ومنٌ ليس كاللننِ
فاكففِ دَعَى زيادٍ عن أكلِنا ماذا تزيد على الأحقادِ والإحنِ

ف فعل الرسول ما أمر به ، فحمت البمانية و غضبوا له ودخلوا إلى معاوية فسألوه فيه ، فدافعهم عنه ، فقاموا غضاباً والشرُّ يلع في وجوههم ، فعرف ذلك معاوية منهم فوهبه لهم ، ووَّجه رجلاً من بنى أمد يقال له خنخام ، يريدُ إلى عباد ، وكتب له عهداً ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرج ابن مفرغ منه ، ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قدِم فيقتاله . ففعل ذلك فلما خرج من الحبس قرُبَتْ بغلةٌ من بغال البريد فركبها فقال :

عَدَسُ ما لعبادٍ عليكِ إمارةٌ أَمِنْتَ ، وهذا يحملينَ طليقُ

وهو من جملة أبيات (تأتى إن شاء الله تعالى في الموصول عند إنشاد هذا البيت هناك (٣)) فلما دخل على معاوية بكى وقال : رُكِبَ مِنِّي ما لم يُرْكَبْ من مُسلم قط ، على غير حَدَثٍ في الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعة . فقال له : ألسْتَ القاتل :

(١) ط : نقع قرقرة ، صوابه بالفاء ، كما في ش والآغانى .

والفقع : ضرب من أردأ الكماة . والقرقر : القاع الأملس . يضرب مثلاً

للدليل . وانظر للشعر الآغانى ١٧ : ٥٩ ، ٦٢ .

(٢) فى الآغانى : « وسط مربة » .

(٣) الخزاعة ، الشاهد ٤٨٢ .

ألا أبلغ معاويةَ بنَ حربٍ مغلَّلةً من الرجلِ البيماني
 الآياتِ المتقدمة . فقال : لا ، والذي عظمَ حَقُّكَ ما قُلْتُها ، ولقد بلغني
 أنَّ عبد الرحمن بنَ الحكم قالمها ونسبها إلى^(١) . قال : أفلم تقل كذا وكذا ..
 وسرد أشعاره ، ثم قال : اذهب فقد عفوتُ عن جُرْمِكَ فاسكنْ أيَّ أرض
 شئت . فاختار الموصل ، ثم ارتاح إلى البصرة فقدمها ، فدخل على عبيد الله
 فاعتذر إليه وسأله الصَّفْحَ والأمان فأمنه ؛ فأقام بها مدة ثم دخل عليه فقال :
 أصلح الله الأمير إني قد ظننت أنَّ فُسْكَ لا تطيبُ لي بخيرٍ أبداً ، ولي أعداء
 ولا آمن سعيهم عليَّ بالباطل ، وقد رأيتُ أنَّ أتباعد . فقال له : إلى أين شئت ؟
 فقال : كِرْمان . فكتب له إلى شريك بن الأعور ، وهو عليها ، بجائزة
 وقطيفة^(٢) ، فشنخس إليها وأقام بها إلى أن مات في سنة تسع وستين في طاعون
 الجارف أيام مُصْعَب بن الزبير .

هذا ما لخصته من الأغاني ، وهو كشذرة من عِقْدِ نَحْرِ ، أو قطرة من
 قاموس بحر .

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد المفصل^(٣) :
 ٣٠٤ (ياقُورُ إنَّ أباك حَيٌّ خُوِيلِدٍ قد كنتُ خائفهُ على الإحراقِ)
 لما تقدَّم قبله . وذهب أبو علي (في الإيضاح الشمرى) عند ذكره هذه
 الشواهد ، إلى أنَّ لفظ حَيٍّ زائد لا غير ، وتبعه الزمخشري (في المفصل)
 والبيضاوي (في اللب) ، وتعقبه شارحه السيّد عبدُ الله بأنّه غير زائد من

(١) في الأغاني ١٧ : ٦٠ : « قاله ونسبه الـ » .

(٢) في الأغاني : « بجائزة وقطيفة وكسوة » .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٣ . وانظر أيضاً نوادر أبي زيد ١٦١

والخصائص ٣ : ٢٨ والأشمونى ٤ : ١٣٣ .

حيث للمعنى ؛ فإنه يفيد نوعاً من تحقير ما أضيف إليه حي ، كأنه يقول :
هذا شخص ليس سوى أنه حي ، وشيخ ما فيه سوى أنه حساس . انتهى .
ولا يخفى أن هذه النكتة قاصرة على هذا البيت لا تنمى له في غيره .

و (قر) بضم القاف : مرخم قرّة . و (حيّ خويلد) بدل أو عطف بيان ٢١٧
من أبائك (١) . وجملة (قد كنت خائفه) خبر إن . و (الإحقاق) : مصدر
أحق الرجل : إذا ولد له ولد أحق ، وكذا أحقت المرأة ؛ وأما أحق بدون
ألف فهو من الحق بالضم وهو فساد في العقل ؛ وهو من باب تمب ، ووصفه
حق بكسر الليم ؛ وأما أحق ففعله ححق بالضم والأنتى حق . وعلى متعلقة
بخائفه ، يقال خفته على كذا أى خفت منه . والمعنى إننى كنت أرى من
أبيك مخايل تدل على أنه يلد ولداً أحق ، وقد نتحقق بولادته إياك . ومثل
هذا أبلغ من أن يقول له : أنت أحق ؛ لأن ذلك يشعر بتحقيق ذلك فيه ،
أى كان ذلك معروفاً من أبيك قبل أن يلدك . فهذا أبلغ من دعوى الحق
فيه الآن . وإدراك مثل هذه المعاني لا يكاد يحصل بالتعبير ، وإنما هو أمر
في الغالب يدرك بالقوة التي جعلها الله تعالى في أهل هذا اللسان . كذا في
أمالى ابن الحاجب .

وهذا البيت نسبته أبو زيد (في نوادره) إلى جبار بن سلمى بن مالك (٢) ،
قال : وهو جاهلي . وأورد بعده :

(١) في النوادر ١١٦ : « قال الرياشي : يعنى حياة خويلد » ،

(٢) في النوادر : « قال أبو الحسن : وقع في كتابي سلمى ،
وحفظى عن أبى العباس محمد بن يزيد : جبار بن سلمى . ولى سلمى
هذا يقول القائل :

وأتيت سلمياً فعدت بقبيره وأخو الزمانة عائذ بالأمع

(وَكأنَ حَيًّا قَبْلَكم لَمْ يَشْرَبُوا فِيهَا بِأَقْلَبِيَّةٍ أَجَنٌّ زُعَاقٍ)
 هذا الحَيُّ بمعنى القبيلة . وأقلبة : جمع قلب بمعنى البئر ، قال الرياشي :
 هذا يدل على تذكير القلب ، لأنه قال أقلبة ، والجمع قُلُب ، ولكن جاء به
 على رغيغ وأرغفة للجمع القليل . انتهى . والباء بمعنى من . وأجنَّ فعلٌ ماضٍ
 والنون الأخيرة فاعله تعود على أقلبة ، لما سكن لها لام الفعل أدغمت فيها ،
 يقال أَجَنَ الماءُ يَأْجِنُ بضم الجيم وكسر ها . إذا تغيَّر . وضمر فيها للمنية .
 وضرب القلب مثلاً لها . وقد يكون القلب القبر ، قاله ابن بَرِّي (في شرح
 أبيات إيضاح الفارسي) . والزُعَاق ، بضم الزاي بعدها عين مهمل : للماء المر
 الغليظ لا يطاق شربه من أجوجته . وإذا كثر ملح الشيء حتى يصير
 إلى المرارة فأكلته قلت : أَكَلْتُهُ زُعَاقًا .

جبار بن سلمى وجبار ، بفتح الجيم وتشديد الموحدة وآخره راء مهمل . وقد أورده
 الآمدي (في المؤلف والمختلف) وقال : هو جبار بن سلمى بن مالك من بني
 عامر بن صعصعة ^(١) . وأشد له للفضل في اللقطات :

وما للعَيْن لا تبكي بُجَيْرًا إذا افتَرَّتْ عن الرُخَّ البِدَان ^(٢)
 وما للعَيْن لا تبكي بُجَيْرًا ولو أُنِّي نُعِمْتُ لَهُ بَكَائِي
 وذكر ثلاثة من الشعراء يوافقونه في اسمه ، أحدهم : جبار بن مالك بن
 جبار بن شَمَخ بن فزارة ^(٣) .

(١) في المؤلف ٩٩ : « بن مالك بن عامر بن صعصعة » ،
 تحريف . وفي جهرة ابن حزم أنه جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن
 كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، انظر الجمهرة ٢٨٦ ، ٢٨٢ .
 (٢) ط : « إذا فترت » ، وأثبت ما في ش والمؤتلف .
 (٣) ذكر الميمنى أن في مختار المؤلف : « مالك بن حمار بن شَمَخ
 بن فزارة » .

وثانيهم: جَبَّار بن عمرو الطائي قاتل عَنَتْرَةَ العَبْسِي، وها جاهليان أيضاً.
وثالثهم: جَبَّار بن جَزْء بن ضِرَار، وهو ابن أخى الشَّمَاخ، وهذا إسلامي
ابن صحابي.

* * *

وأُشَدَّ بعده، وهو الشاهد الخامس بعد الثلاثة^(١):

٣٠٥ (إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا
وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ)

على أن لفظ (اسم) مقحم عند بعض النحاة.

قال ابن جني (في الخصائص): هذا قول أبي عبيدة، وكذلك قال
في بسم الله، ونحن نحمل الكلام على أن فيه محذوفاً^(٢). قال أبو علي:
وإنما هو [على^(٣)] [حدّ حذف للمضاف، أي ثم اسم معنى السلام عليكما،
واسم معنى السلام هو السلام، وكأنه قال: ثم السلام عليكما. فالمنع لعمري
ما قاله أبو عبيدة، لكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها، ألا تراه هو ٢١٨
اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء. انتهى.

وقال ابن السّيد البعلبكي (في تأليف ألفه في الاسم): تقديره ثم
مسمّى السّلام عليكما، أي ثم الشيء المسمّى سلاماً عليكما، فالاسم هو المسمّى

(١) الخصائص ٣ : ٢٩ والنصف ٣ : ١٣٥ وابن يعيش ٣ : ١٤

والعيني ٣ : ٣٧٥ والهمع ٢ : ٤٩ ، ١٥٨ والأشمونى ٢ : ٢٤٣ وديوان
لبيد ٢١٤ .

(٢) الذى فى الخصائص ٣ : ١٣٠ : « فابو عبيدة يدعى زيادة ذى

واسم » .

(٣) التكملة من ش والخصائص .

بمعينه وهما يتواردان على معنى واحد . وذهب أبو عبيدة إلى أن لفظ اسم هنا مقحم . وعند أبي عليّ فيه مضاف محذوف تقديره مسمى اسم السلام . انتهى .

ورّد عليه الإمام السهيلي (في كتابه المعتبر) فقال : هذا جواب لا يقوم على ساق ، ولا يكاد يفهم لما فيه من الاستغلاق ^(١) . وقد تكلف في هذا التأليف وتصّف ، ومن ألف فقد استهدف . والأحسن أن يقال : لم يرد الشاعر إيقاع التسليم عليها لحينه ، وإنما أراد بعد الحول . فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلماً في وقته الذي نطق به في البيت ، فلذا ذكر الاسم الذي هو عبارة عن اللفظ ، أي إنما لفظاً بالتسليم بعد الحول ، وذلك السلام دعاء ، فلا يتقيّد بالزمان للمستقبل ، وإنما هو لحينه ، فلا يقال : بعد الجمعة اللهم ارحم زيدا ، وإنما يقال : اغفر لي بعد الموت ، وبعد ظرف للمغفرة ، والدعاء واقع لحينه . فإن أردت أن تحمل الوقت ظرفاً للدعاء صرحت بلفظ الفعل فقلت : بعد الجمعة أدعو بكذا ، وألفظه ، ونحوه ؛ لأنّ الظروف إنما تقيّد بها الأحداث الواقعة خبراً أو أمراً أو نهياً ، وأما غيرها من للمعاني كالعقود والقسم والدعاء والتمنى والاستفهام ، فإنها واقعة لحين النطق بها . فإذا قال : بعد الحول والله لأخرجن ، فقد انعقد اليقين حين ينطق به ، ولا ينفعه أن يقول أردت أن لا أوقع اليقين إلا بعد الحول ؛ فإنه لو أراد ذلك قال : بعد الحول أحلف أو ألفظ باليمين . فأما الأمر والنهي والخبر ، فإنما تقيّدت بالظروف لأنّ الظروف في الحقيقة إنما يقع فيها الفعل للمأمور به أو المخبر به ، دون الأمر والخبر ، فإنهما واقعان لحين النطق بهما ، فإذا قلت اضرب زيدا يوم الجمعة فالضرب واقع في اليوم وأنت اليوم أمره . فلو أن ليبيداً قال : إلى الحول ثم

(١) ط : « الاستقلال » ش : « الاستغلاق » ، والوجه ما أثبت .

والعبارة مسجوعة .

السلام عليكما ، كان مسلماً لحينه ، وقد أراد إتي لا ألفظ بالتسليم والوداع
إلا بعد الحول ؛ ولذا ذكر الاسم الذي هو اللفظ ، ليكون بعد الحول ظرقاً .
انتهى كلام السهيلي .

والمراد من قوله : « ثم اسمُ السَّلام عليكما » الكناية عن الأمر بترك
ما كان أمرهما به ، وهو سلامٌ توديع . وأتى بـ « ثم » لأنها للتراخي والمُهلة . وقد
تسّف قومٌ لإخراج الاسم عن الزيادة بجعل السلام اسم الله تعالى ، ثم اختلفوا
فقال بعضهم : عليكما اسم فعل ، أي الزّما اسم الله واترُ كما ذكرى . وفيه أن
تقديم اسم الفعل لا يجوز إلا عند الكسائي ؛ على أن الرواية رفع
اسم لا نصبه .

وقال جماعةٌ منهم شارح اللبّ : إن المعنى ثم حفظ الله عليكما ، كما يقال
لشيء المعجب : اسمُ الله عليك ، تعويداً له من السوء . ففي ذكر الاسم
تفخيمٌ وصيانةٌ للمسئ عن الذكر .

وقال الشّلوين (في حاشية للفصل) : أجاب بعضهم بأن السَّلام هنا اسمٌ من أسماء
الله تعالى ، والسَّلام عبارةٌ عن التحية ، وهذا هو الذي أراد ، ولكنه شرّفه
بأن أضافه إلى الله تعالى لأنه أبلغُ في التحية ، كأنه يقول : لو وجدتُ سلاماً
أشرف من هذا لحيتكم به ، ولكني لا أجده لأنه اسم السلام . هذا كلامه .

وقال بعض فضلاء المعجم (في شرح أبيات المفصل) : قوله ثم اسمُ السلام
عليكما ، أي حفظُ الله عليكما ، والاسمُ مقحم ، وثُمَّ تستعمل في معنى ٢١٩
الترك والإعراض . هذا كلامه ، ولا يخفى ما فيه من الخبط الظاهر

وهذا البيت من أبيات للبيد بن ربيعة بن ربيعة بن عامر الصّحابي ، وقد تقدّمت صاحب الشاهد

ترجمته في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة^(١) .

روى أنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه :

تَمْنَى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وهل أنا إلا من ربيعةٍ أو مُضَرَ
فَقُومَا وَقُولَا بِالَّذِي تَلْمَازَانِي وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ
وَقُولَا : هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ ، وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ ، وَلَا غَدَرَ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا (البيت)

وبعد وفاته كانا تلبسان ثيابهما في كلِّ يومٍ وتأتیان مجلسَ جعفر بن كلاب
قبيلىته ، فترثيانه ولا تقولان ، فأقامنا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا .

وقوله : « تمنى ابنتاى » هو مضارع ، وأصله تمنى بتاءين . وزعم بعضهم
أنه فعل ماض ، ولو كان كما زعم لقال تمتت ، ولا موجب لحله على الضرورة .
وقوله : « وهل أنا الخ » أى جميع آبائى من ربيعة أو مضر قد ماتوا ولم يسل
أحد منهم من الموت ، فكذلك أنا لا بد لي من الموت . وقال بعض فضلاء
العجم (فى أبيات المفصل) معناه : وما أنا إلا من الكرام الأشراف ، ومن
كان منهم لا يعيش طويلا ، لأن الكرام قليلة الأعمار . وهذا كلامه ، وليس
هذا معنى الشعر ، ويكذبه أن ليبيدا من المعمرين كما تقدم فى ترجمته .

وقوله : فقوما ، الفاء فصيحة ، لأن المعنى إذا ثبت أنى من ربيعة أموت
كما ماتوا ، فقوما بعد موتى للزماء وقولا فى الرثاء ما تلمزانه من الصفات الحميدة
وابكيا إن أردتما ولا تخمشا بأظافيركما ولا تحلقا شعركما . ويُقدَّر « ابكيا »
لقوله ولا تخمشا الخ ، وذلك أن خمش الوجه وحلق الشعر لا يكون إلا مع

البكاء، والبكاء مباح ما لم يكن فيه خمش الوجه وحلق شعر ولطم خدّ . وقوله : لا صديقه ، مفعول مقدم لقوله أضاع ، ومفعول غدر مخدوف وهو ضمير الخليل أو أن غدر منزل منزلة اللازم ، أى لم يحصل منه غدر لأحد .

وقوله : « إلى الحول » متعلق بقوله : قوما ، أى امتثالا ما قلت لكما إلى الحول ، وإنما قال إلى الحول لأن الزمان ساعات وأيامٌ وجمعٌ وشهورٌ وسنون ، والسنون هى النهاية ، فالحول والسنة مدّة هى نهاية الزمان فى التقسيم إلى أجزاءه . ويمكن أن يكون ذلك لما روى فى بعض الآثار : أن أرواح اللوتى لا تنقطع من التردد إلى منازلهم فى الدنيا إلى سنة كاملة ، فكأنّه إنّما أمرها بما ذكر من الذكر والدّعاء وغير ذلك ، ليشاهد ذلك منهما ، ولذلك قال : « ومن يَبْكِ حولا الخ » . وقال بعضهم : إنّما وقت بالحول لأنه مدّة عزاء الجاهليّة ، وهذا لا يصحّ هنا لأنّ قائله صحابى . و (اعتذر) بمعنى أعذر ، أى صار ذا عذر ، كذا فى الصحاح . والخطاب فى قوله عليكم لا بئتيه كما تقدّم ، ومنه يعلم غفلة [بعض^(١)] شراح المفصل فى قوله : المعنى بكيت عليكم ، أيها الخليلان ثم السلام عليكم ، يعنى تركت البكاء فإنّ من يبكى حولا فقد قضى حقّ الخليل .

وعجيبٌ من صاحب (الكشف^(٢)) فى سورة المؤمن قوله : إنّ لبيدّا قال ذلك يرى أخاه لأمّه وهو أربدٌ وابن عمه عامر بن الطفيل ، لما أصابها ما أصابها بدعوة من النّبي صلى الله عليه وسلم .

(١) تكملة ضرورية .

(٢) الكشف عن مشكلات الكشف ، لعمر بن عبد الرحمن الفارسى

القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ . اقليد الحزانة ٩٣ .

تتمة

رأيت (في التذكرة الحمدونية) أَنَّ الحسن بن الحسن بن عليّ رضي الله عنهم ، لما مات قامت زوجته بنت الحسين على قبره سنة ثم رفعت القسطاط وأنشئت :

إلى الحول ثم السلام عليكما البيت
فسمع صوت من جانب القبر : أهل وجدوا ما طلبوا ، وسمع من الجانب الآخر : بل يدسو فاقبلوا .

ومثل هذا ما رواه ابن الزجّاجي (في أماليه الوسطى) بسنده عن إسماعيل ابن يسار قال : مات ابن لأرطاة^(١) بن سُهَيْبِ المُرِّي ، فلزم قبره حولا ، يأتيه بالقداء فيقف عليه فيقول : أي عمرو ، هل أنت راضٍ معي إن أقمتُ عندك إلى العشي ؟ ثم يأتيه بال مساء فيقول مثل ذلك ، فلما كان بعد الحول أنشأ متمثلاً :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما البيت
وأنشد بعد هذا أبياتاً جيّدة في هذا الباب رواها الزجّاجي .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الثلاثمائة ، وهو من أبيات للفنّصل أيضاً^(٢) :

(١) في ط : « ابن أرطاة » ، والوجه ما أثبت من ش وأمالى الزجّاجي

(٢) ابن يعيش ٣ : ١٤ / ٤ ، ٧٢ ، ٨٥ . وانظر أيضا اصلاح المنطق

٣٤ والأشموقي ٣ : ١١٢ واللسان (شيب ٤٩٥ بصر ١٣٣) وديوان ذي الرمة ٦٠٩ . وقد كرر البغدادي الشاهد ووضع له رقما جديدا على خلاف عادته ، سهوا منه ، فان هذا الشاهد هو بعينه الشاهد رقم ٨ .

٣٠٦ * تَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُتَشَلِّمٍ

جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسَلَامٍ *

لما تقدّم قبله : من أن اسمًا مقمّم . قال الشّلوين (في حاشيته على المفصل) : ردّ هذا بعض المتأخّرين وقال : لو كان البيت على إقحام الاسم لقال باسم شيب ، والشاعر إنما قال باسم الشيب بالألف واللام ، ولفظهما غير موجود في صوت الإبل ، فأنما أراد تداعين بصوت يُشبه في اللفظ اسم الشيب أعنى جمع أشيب . انتهى .

أقول : وجود أل لا يضرّ ، فإنّها زيدت في الحكاية لآ أنّها من المحكى . على أن الصاغاني قال (في العباب) : الشيب حكايةُ أصوات مشافر الإبل عند الشرب . وأورد هذا البيت .

والنون في (تداعين) ضمير القلص أي النوق الشواب . و (للتلّم) بكسر اللام المشددة ، وهو المتهدّم والنكسر ، أراد الحوض للتلّم . وجلة (جوانبه من بَصْرَةٍ) صفة التلّم . والبصرة ، بفتح للموحدة : حجارة وخواه فيها بياض ، وقيل تفرب إلى السواد . والسلام ، بكسر السين المهملة : جمع سَلِمَة بفتحها وكسر اللام ، وهي الحجر ، وقيل الحجر الرقيق . وإنّما ذكرها لبيان الواقع .

وهذا البيت من قصيدة لذي الرمة تقدّم شرح بعضها مع هذا البيت صاحب الشاهد في الشاهد الثامن في أوائل الكتاب (١) . وقد وصف إبلاً وارداتٍ على حوض متهدّم فشرين للماء ، فيقول : دعا بعضُ الإبل بعضاً إلى الشرب بصوت مشافرها عند شرب الماء من ذلك الحوض ، أي إذا سمع كلُّ منها صوت

تجرع الماء من الآخر ازداد رغبةً في الشرب ، فكان ذلك كأنه دعاء
إلى الشرب .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الثلاثمائة^(١) :

٣٠٧ (لا يَنْعَشُ الطرفَ إِلَّا ما تَخَوَّنُهُ

داعٍ يُنادِيه باسم الماء مَبْعُومٌ)

على أن اسماً مقم . قال ابن الحاجب (في شرح للفصل) : النداء إنما
هو باللفظ ، فلو حمل الاسم على اللفظ لاختل المعنى . والذي يجعل الاسم المسمى
في قوله ثم اسم السلام عليكما ، [يجعله^(٢)] من باب ذات يوم ، ويتأول قوله
باسم الماء ، على أن المراد بمسمى هذا اللفظ ، ويجعله دالاً على قولك ماء ، وهو
حكاية بتمام الظبية . ويقوئى ذلك استعماله استعمال رجل وفرس بإدخال اللام
عليه وخفضه وإضافته ، ولولا تقديره اسماً لذلك لم يجز هذا المجزى . انتهى .

٢٢١ قال ابن جني (في الخصائص) : ذهب أبو عبيدة إلى زيادة الاسم في قوله
ثم اسم السلام عليكما ، وفي قوله باسم الماء مَبْعُومٌ ، ونحن نقول إن فيه محنوقاً ،
أى اسم معنى السلام . . . إلى آخر ما قلناه عنه قبل هذا^(٣) .

وزيادة الاسم هنا لا تتجبه ، لأنّ الداعي هنا هو الظبية ، وإنما دعت ولدها
بقولها ماء ماء ، فلو كان على إقحام الاسم لقات باسم ماء ماء ، والماء بالآلف
واللام ليس إلا الماء المشروب ، فكيف يريد حكاية صوتها ، ولكن الشاعر

(١) الخصائص ٣ : ٢٩ والمنصف ١ : ٣/١٢٦ : ١٤٣ وابن يعيش

٣ : ١٤ والأشمونى ٣ : ٢١٢ وديوان ذى الرمة ٥٧١ .

(٢) تكملة ضرورية لم ترد في إحدى النسختين .

(٣) انظر هذا الجزء ص ٣٣٧ .

أَلْفَزَ حيث أوقع الاشتراك بين لفظ الماء وصوتها ، كأنه اللفظ المعبر به عن الماء المشروب . كذا في حاشية المفصل للشكّوبين . وهذا كله مأخوذ من كلام أبي علي (في إيضاح الشعر) قال : فَإِنْ قِيلَ إِنَّ هَذَا مِنْ قَبِيلِ غَاقٍ ، يعنى الصوت ، فكيف أُلْحِقَ لَامُ التَّعْرِيفِ ، وقال آخر :

* ونادى بها ماءً إذا ثار ثورَةٌ *

على القياس ! فالقول فيه أن قوله باسم الماء ، إن شئت قلت إن تقديره يناديه بالماء ، والاسم دخوله وخروجه سواء ، كقوله : ثُمَّ اسْمِ السَّلامَ عَلَيْكُمَا . وإن شئت جعلت الاسم المسمّى على الإتيان ، لمصاحبتة له وكثرة الملازمة . وإن شئت قلت : إنَّ التقدير يناديه باسم معنى الماء ، فحذف المضاف ، واسم معنى الماء هو الماء ، فيكون التقدير باسم ماء ، وتكون أل فيه زائدة لأنها لم تلحق هذا القبيل ، ألا ترى أنهم لم يلحقوه غَاقٍ وصه ونحوه . انتهى كلامه مختصراً .

والبيت من قصيدة لذى الرِّثْمَةِ تغزل فيها بمحبوبته خرقاء ، ومطلّعا : آيات الشاهد

أَنَّ تَوَهَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَثَرَلَةً ماء الصبابة من عينيك مسجومٌ

ويأتى شرحه إن شاء الله تعالى في الحروف المشبهة بالفعل (١) .

وقبل البيت الشاهد :

كَأَنَّهَا أُمٌّ سَاجِي الطَّرْفِ أَخَذَهَا مَسْتَوْدَعٌ حَمْرَ الْوَعَسَاءِ مَرْخُومٌ
كَأَنَّهَ بِالضُّحَى يَرْمَى الصَّيْدُ بِهِ دَبَابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومٌ
لَا يَنْمَشُ الطَّرْفَ البيت

وقوله : كأنها ، أى كأن خرقاء أم غزال ساج طرفه ، والساجى : الساكن للحدائة . وأخذها ، أى خلفها عن قطيعها فأقامت عليه فخذلت هى بالبناء للمفعول ، وهى خاذل وهو خاذل . والمستودع فاعل أخذها ، وهو اسم مفعول أراد به الغزال ، يقول : استودعته أمه خمر الوعاء خوفاً عليه . والوعاء : الأرض اللينة لا يبلغ ترايها أن يكون رملا . ويقال الوعاء رابية من رمل . والخمر ، بفتح الخاء المعجمة والميم : الشجر السائر . ومرخوم ، باخاء المعجمة أى محبوب ، يقال : ألقى عليه رَحْمته ، وإن عليه الرحمة بالنحرى أى محبة . وقوله : كأنه ، أى كأن الغزال فى وقت الضحى سكران رماه على الصعيد الحمر . والصعيد : الأرض . والدبابة : الحمر لأنها تدب فى الرأس والجسم . والخروطوم : أول ما يبرز من الحمر ، وإنما شبه الغزال فى ضعفه وغلبة النعاس عليه وقتور عظامه بالسكران الذى غلبت عليه الحمر .

وقوله : (لا ينعش الطرف إلخ) فاعل ينعش ضمير ساجى الطرف ، وهو الغزال ، والطرف مفعوله ، ونعش كرفع معنى ووزنا ، ومضارعها مفتوح العين . وروى أيضاً : (لا يرفع الطرف) : يصفه بكثرة النوم ، لأنه يغلب على الطفل لرطوبة مزاجه . يقول : لا يرفع طرفه ولا جفن عينه ، من شدة نعاسه ، إلا أن تأتى إليه أمه فيسمع حسها أو صوتها ، فعند ذلك ينعش ويقوم . والنخون : التمدد ، يقال للحصى : تنخون فلانا ، أى تتمده ، وأصل النخون التنقص ، ويقال نخوننى فلان حق ، إذا تنقصك . قال الجوهري : « يقول : الغزال ناعس لا يرفع طرفه إلا أن تجيء أمه وهى المتمدة له ، ويقال : إلا ما تنقصه نومه دعاء أمه له » . ونخونه فعل ماض فاعله داع المراد به أمه . وأخطأ المظفرى (فى شرح المفصل) حيث قال : نخونه فعل مضارع حذف منه التاء ، وداع بدل من الضمير فى نخونه وهى الظبية . انتهى . وما مصدرية وقبلها

وقت محذوف أى لا يرفع طرفه إلا وقت تعهدها إياه بهذه اللفظة وهى ماء
 ماء^(١)، وحكى صوتها، وفعله من باب ضرب^(٢). وبُعْام الناقة : صوتٌ لا تفصح به
 وبُعَمَت الرجل : إذا لم تفصح له عن معنى ما تحدّثه به. قال الأصمعيّ في شرحه هنا :
 ومَبْعوم : مردودٌ إلى الصوت ، بُعِمَ به فهو مَبْعوم ، كما تقول قيل فهو مقول .
 أشار بهذا إلى أنه صفة داعٍ ، بمعنى أنه يجيبه ولده بماء ماءً أيضاً^(٣). وقيل هو خبر
 مبتدأ محذوف أى دعاؤه مبْعوم ، فلم يذكره اكتفاء بما فى داعٍ من الدعاء ،
 ومعناه دعاء ذلك الداعي بُعَامٌ غير مفهوم . وقيل فاعل يناديه . وهذان
 القولان تعسّف . ويناديه صفة لداعٍ ، قدم الوصف الجُمْلَى على الوصف المفرد .
 وقيل يناديه حال من داعٍ ، وفيه نظر لأنّه يلزم الفصل بين الصفة والموصوف .
 وقد تقدمت ترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب^(٤).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد
 المفصل^(٥):

٣٠٨ (ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذَّبِّ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ)

على أن لفظ (مقام) مقم ، وإليه ذهب الزمخشري (فى المفصل)

(١) ش : « ماما » ، وهما لفتان ، ولفظة ثالثة : ماء ماء ، بالهاء
 الساكنة فى آخرها . اللسان (ما ٣٦٣) .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) بالبناء على الكسر ، وانظر ما سبق قريبا .

(٤) الحزانة ١ : ١٠٦ .

(٥) انظر ابن يعيش ٣ : ١٣ ش ١٥ وكذا المعانى الكبير ١٩٤

ومجالس ثعلب ٥٤٣ : ١ والنصف ١ : ١٠٩ وديوان الشماخ ٩٢ .

والبَيضَاوَى (في الأب)، قال شارحه السيد عبد الله: وفيه نظر، لأنه يفيد تأكيد نفي الذئب لأنه إذا نفي موضع قيامه فقد نفاه قطعاً. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ (١) رعب لا يفيد لولم يذكر المقام. انتهى. وهذا هو ما أجاب به الشارح المحقق، وإليه ذهب صاحب الكشاف في حم السجدة (٢) عند قوله تعالى: ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ (٣) على أنه يوضع الجانب موضع النفس، فإنه يُنَزَّلُ جانب الشيء ومكانه وجهته منزلة نفسه فيقال: حضرة فلان ومجلسه، وكتبت إلى جانبه وجهته، والمراد نفسه، ومنه مقام الذئب، وهو الذئب نفسه.

وسبقهم إلى هذا ابن قتيبة (في أبيات المعاني) فإنه قال: قوله: مقام الذئب، أراد الذئب نفسه، أي نفيت الذئب عن مقامه.

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة عدتها أربعة وثلاثون بيتاً للشماخ بن ضرار، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الحادي والتسمين بعد المائة (٤) مدح بها عرابة ابن أوس. وليست لدى الرمة كما زعم العلامة الشيرازي في سورة الرحمن، وتبعه الفاضل النيني. وهذا بعد مطلعها:

قصيدة الشاهد (وماء قد وردت لوصل أروى عليه الطير كالورق اللعين
ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين)

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن .

(٢) هي سورة فصلت التالية لسورة غافر أو المؤمن . فهي من السور ذوات الاسمين كسابقتهما . أما السجدة بدون قيد فهي السورة التالية للقمان .

(٣) الآية ٥١ من سورة فصلت . وهي أيضاً الآية ٨٣ في الاسراء .

(٤) الخزانة ٣ : ١٩٦ .

إلى أن قَالْ مخاطباً لِنَاقَتِهِ :

(إذا بَلَغْنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَسْمُو إلى الْخِيَرَاتِ مَنْقِطِعَ الْقَرِينِ
أَفَادَ سَمَاحَةً ، وَأَفَادَ بَجْدًا فليس كَجَامِدٍ لَحِزِ ضُنِينِ
إِذَا مَا رَايَهُ رُفِعَتْ لِحْجِي تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ
فَنَعَمُ الْمُرْتَجَى رَكَدَتْ إِلَيْهِ رَحَى حَبِزَوْمُهَا كَرَحَى الطَّحِينِ
إِذَا ضُرِبَتْ عَلَى الْعَلَاتِ حَطَّتْ إِلَيْكَ حِطَاطٌ هَادِيَةٌ شَنُونِ
تَوَائِلُ مِنْ مِصْكٍ أَنْصَبَتْهُ حَوَالِبُ أُسْهَرِيهِ بِالذَّنِينِ
مَتَى يَنْلِ الْقِطَاةَ يَرْكُ عَلَيْهَا يَخْنُو الرُّأْسَ مَعْتَرِضَ الْجَبِينِ
شَجَّ بِالرِّيقِ إِذْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ حَصَانُ الْفَرْجِ وَاسِقَةُ الْجَنِينِ
طَوَتْ أَحْشَاءَ مُرْتَبَجَةٍ لَوْ قَتِ عَلَى مَشِجٍّ مُسْلَاكُهُ مَهِينِ

إلى أن قَالَ :

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشْكِي هُزُلًا بَعْدَ مَقْعِدِهَا السَّبِينِ
إِذَا بَوَّكْتُ عَلَى شَرَفٍ وَأَلَقْتُ عَسِيبَ جِرَانِهَا كَهَصَا الْهَجِينِ (١)
إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أَرْذَاهُ خُدُودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ
كَأَنَّ مَحَازَ لَحْيَيْهَا حَصَاهُ جَنَابًا جَلِدٌ أَجْرَبَ ذِي غُضُونِ

وهذا للمقدار نصف القصيد ، وإنما سَفَنَاهُ لأن فيه شواهد .

وقوله : وماء قد وردت إلخ ، الواو واو رب وجوابها قوله الآتي :
ذَعَرْتُ . وأروى اسمُ المرأة . واللَّجِين ، بفتح اللام وكسر الجيم ، قال شارح

(١) في الديوان ٩٣ : « على عليها أَلَقْتُ » .

ديوانه هنا : اللجين الذي قد رَكِبَ بعضُهُ بعضاً فتَلَجَّنَ كما يَتَلَجَّنُ الخَطْمَى
ويتَلَزَّجُ . ويقال (١) : اللجين : المبلول من الورق وغيره ، تقول لَجَنْتَهُ ، إذا
بَلَّغْتَهُ . انتهى

وقال أبو علي الفارسي (في الإيضاح الشعري) : أما الطير فيرتفع بالظرف
بلا خلاف ، وأما قوله : كالورق اللجين فإنه يحتمل ضربين : أحدهما أن يكون
حالاً من الطير ، والآخر أن يكون وصفاً للماء تقديره : وماء كالورق اللجين
لوصل أروى عليه الطير . ومثل قوله : وماء كالورق اللجين في المعنى ،
قولُ علقمة :

فأوردته ماءً جِماماً كأنه من الأجن حِثاءً معا وصيبُ
فكما شَبَّهَ خُثُورَةَ الماءِ لتقادُمِ عهده بالواردة بالِحِثاءِ ، كذلك شَبَّهَ الشَّمَاخَ
بالورق اللجين . وقوله : عليه الطير ، على هذا ، قد حذف منه المضاف (٢) .
ومثل ذلك قول الهذلي (٣) :

تُجِيلُ الحُبابَ بأنفاسها وتَجْلُو سَبِيخَ جُفَالِ النِّسَالِ
السبيخ : ما تَلَمَّسَ من ريش الطير . وقال الأعشى :
وَقَلِيبِ أَجْنٍ كَأَنَّ مِنَ الرِّيشِ شَرَّ بَارِجَائِهِ سُقُوطَ نِصَالِ
وإن جعلت كالورق اللجين حالاً للطير ، صار فيه ضميره ، ويكون معنى
عليه الطير أن الطير اتخذت فيه الأوكار لخلاصه وكثرتها عليه ، وقلة من يَرِدُّه ،

(١) ط : « وقال » صوابه في ش .

(٢) في اللآلئ ٦٦٢ : « قوله عليه الطير ، أراد ريش الطير ، فحذف
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه » .

(٣) هو أمية بن أبي عائذ الهذلي . أشعار الهذليين ٢ : ١٨٢ .

فالطير لكثرتها عليه وتكاثرها فيه كالورق اللجين . ومثل ذلك في المعنى
قول الراعي :

بدلوي غير مكرّبة أصابتُ حماماً في جوانبه فطارا

كأنّه استنقى بسفرةٍ فلذلك لم تكن مُكرّبة ، والطير قد اتخذت فيه
الأوكار للخلاء . فقوله كالورق اللجين ، مثل قولك صائداً به وصائد به ، ٢٢٤
بعد قولك : مررت برجل معه صقر . فجعلته مرةً حالاً من الهاء في معه ، وأخرى
صفة لرجل . انتهى

وقال شراح أبيات المفصل : اللجين : الساقط من ورق الشجر عند
الضرب بالعصا . قالوا : المعنى اجتمعت على ذلك ^(١) الطيرُ شبيهةً
بالورق الساقط من الشجر ، في اصفراره ، لأنّه في القفر فلا يرده وارداً
من الناس .

وقوله : ذعرت به القطا الخ ، يريد أنّه جاء إلى الماء متنكراً . وذعرت :
خوّفت وفترت . ونفّيت : طردت وأبعدت . والباء بمعنى في ، وخَصَّ الذئب
والقطا لأنّ القطا أهدى الطير ، والذئب أهدى السباع ، وهما السابقان إلى الماء .
قال شارح الديوان : أي ذعرت القطا بذلك الماء ، ونفّيت عن ذلك الماء مقامَ
الذئب ، أي وردت الماء فوجدت الذئب عليه فنحّيته عنه . أراد مقام الذئب
كالرجل اللعين المنقّى المُقصّى . انتهى . فاللعين على هذا بمعنى الطريد ، وهو
وصف للرجل ، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة (في أبيات المعاني) قال : اللعين :
المطرود وهو الذي خلعه أهله لكثرة جنائياته . وقال بعض فضلاء المعجم

(١) الإشارة إلى الماء .

(في شرح أبيات المنّصل) : اللعين : المطرود الذي يلغته كلُّ أحد ولا يؤويه ،
 أي هذا الذئب خليعٌ لا مأوى له كالرجل اللعين . وقال صاحب الصحاح :
 الرجل اللعين : شيء يُنصب في وسط الزرع يُستردّ به الوحوش . وأنشد
 هذا البيت .

، وقد أغرب أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) بقوله : كان
 الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جعل له مثالاً من طين ونصب ،
 وقيل : ألا إن فلاناً قد غدرَ فآلَعَنُوهُ . كما قال الشاعر (١) :

فَلَنَقْتَلَنَّ بِخَالِدٍ سَرَوَاتِكُمْ وَلَنَجْعَلَنَّ لظالمٍ تِمثالاً (٢)

فالرجل اللعين هو هذا التمثال (٣) . هذا كلامه ، فليُنظر على هذا
 ما معنى البيت .

وكذلك في قول أبي عبيدة خفاء حيث قال : إنما يريد مقام الذئب
 اللعين كالرجل ، قلّه عنه ابن قتيبة : (في أبيات المعاني) ، وأبو علي : (في
 المسائل البصرية) .

وقوله : إذا بلغتني وحملت رحلي ، البيت ، قال المبرّد (في الكامل (٤)) :
 « قد أحسن كلَّ الإحسان في هذا البيت ، يقول : لست أحتاج إلى أن أرحل

(١) في اللآلئ ٦٦٤ : « كما قال عبد الله بن جعدة » .

(٢) بعده في اللآلئ : « يعني خالد بن جعفر وقتل الحارث بن ظالم

له » .

(٣) لم أجد هذا التعقيب في اللآلئ . وقال الميمنى : « ليس فيه

أغراب إلا من جهة أن الذين أخذ عنهم لم يقولوا به » ثم رأيت هذا الكلام
 بعينه في كتاب الأزمدة ٢ : ١٧ عن ابن الكلبي » .

(٤) الكامل ٧٥ ليبسك .

إلى غيره . وقد عاب بعضُ الرواة قوله : فأشرقى بدم الوتين ، وقال : كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائها عنها (١) .

وتقدم نقل ما اعترض الناس عليه في هذا البيت بسوء مكافأته لناقته في الشاهد الستين بعد المائة (٢) .

وقوله : أفاد سماحة الخ ، قال الجوهري : أفدت المال : أعطيته غيره ، وأفدته : استفدته . والجامد بالجيم ، اليابس ، كناية عن الشح . واللحز ، بفتح اللام وكسر الحاء المهملة وآخره زاء معجمة ، هو البخيل الضيق الخلق . والضنين : البخيل . وقوله : تلقأها عرابة باليمن ، قال شارح الديوان : اليمن القوة ، قال الله تعالى : ﴿لَا خِزْيَ لَنَا مِنْهُمْ بِالْيَمِينِ﴾ (٣) . وقال بعضهم : يمينه لا بشماله . واليمن عند أحمد من اليسرى .

وقال المبرد (في الكامل) : قال أصحاب المعاني : معناه بالقوة . وقالوا مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ (٤) . قال المبرد : وكان هذا الشعر سبب ارتفاع عرابة بن أوس .

وسبب الشعر أن عرابة قديم من سفر ، فجمعه والشماخ الطريق فتحدثا ، فقال له عرابة : ما الذي أقدمك للدينة ؟ قال : قَدِمْتُ لِأَمْتَارٍ مِنْهَا ، فَلَأَ له عرابة رواحله بُرّاً وتمراً وأنحفه بغير ذلك ، فقال الشماخ هذا الشعر .

(١) انظر بقية الكلام عند المبرد في الكامل .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٨ - ٤٠ .

(٣) الآية ٤٥ من سورة الحاقة .

(٤) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

وقال معاوية لعرابة بن أوس : يَمَّ سُدَّتَ قَوْمَكَ ؟ قال : لستُ بسيدهم
ولكنني رجلٌ منهم . فعزَمَ عليه ، فقال : أعطيت في نائبتهم ، وحملت عن
سفيهم ، وشددت على يدَي جليهم ؛ فمن فعل منهم مثلَ فعلِي فهو مثلي ،
ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزني فهو أفضل مِنِّي .

وقوله : فنعم المرتجي الخ ، المخصوص بالمدح محذوف ، أي عرابة .
وَرَكَدْتُ إليه ، أي بَرَكْتُ عند عرابة ، ويقال دام سيرُها إليه ، والراكد :
القائم . ورَحَى حيزَومها أي كَرَكْرَكنها ، قال الجوهري : «والكِرْكِرَةُ بالكسر :
رَحَى زورِ البعير» . والإيل توصف بِصِغْرِ الكِرْكِرَةِ ، وشَبَّهَ رَحَى حيزَومها
برحى الطحين في الصَّلابة لا في العِظَم ، فإِنَّهُ عيب .

وقوله : إذا ضُربت على العِلاتِ الخ ، يقول : إذا ضُربت على ما كان
بها من عِلَّةٍ حَطَّت إليك ، أي اعتمدت عليك اعتمادَ هاديةٍ أي أتانٍ متقدمة .
والشُّنُونُ ، بفتح الشين المعجمة وضمّ النون ، بين السمين والمهزول .

وقوله : تَوَائِلُ مِنْ مِصْكٍ الخ ، تَوَائِلُ : تَفَاعِلُ ، من وَأَل بمعنى نجا ، أي
تنجو وتهربُ تلك الأتان من مِصْكٍ ، أي حمار شديد ، بكسر الميم وفتح الصاد
المهملّة ، والكاف مشددة . وَأَنْصَبْتَهُ من النَّصَب وهو التنب . وَحَوَالِبُ
فاعل أَنْصَبْتَهُ ، وهي مَاتَحْلِبُ وسال من أَنفِهِ وَذَكَرَهُ ؛ أي ذَكَرَهُ يَذِنُ بِمَا وَظَرَهُ فُهِمَا (١)
حوالب أسهرية ، لشدة شَبَقِهِ . وَالذَّنِين ، بفتح الذال المعجمة وتَوْنَيْنِ (٢)
الشئ الذي يسيل ويجري ، وقد ذَنَّ يَذِنُ ذَنْبًا ، إذا سال وجرى . وقال

(١) في النسختين : « فهي » ، والتصحيح للشنقيطي في نسخته ،

يعنى الأنف والذكر .

(٢) في النسختين : « وتذنين » ، والتصحيح للشنقيطي في

نسخته .

أبو عبيدة : حوالب أسهره هما عرقا الذكر اللذان يظهران إذا أنعظ . ويقال
الأسهران : عرقان في أصل القفا يجري فيهما الماء حتى يبلغ الذكر . ويقال :
الذنين : الذكر . كذا قال شارح الديوان .

وقوله ، متى ينل القطاة الخ ، أى متى ينل الحمار قطاة الأتان ، وهو موضع
الرؤف ، يرك عليها أى يتورك عليها . وحنو الرأس ، بكسر المهملة : جانب
الرأس . وقوله : معترض الجبين ، أى جبينه في ناحية من شدة نشاطه .

وقوله : شج بالريق ، أى غص ذلك الحمار بريقه إذ حرمت عليه ،
وذلك أنها حامل ، وهى محصنة الفرج ، يعنى الأتان . والواسقة : الحاملة .
والجنين : الولد في بطنها . فليس في الأرض أنثى تحمل فتتمكن الفحل ما خلا
المرأة .

وقوله : طوت أحشاء الخ ، أى هذه الأتان ضمت أحشاء مربيته ، أراد
رحمها ، أى أغلقت رحمها على ماء الفحل . والمشيح ، بفتح الميم وكسر
الشين : ماء الفحل مع الدم ، وقيل ماء الفحل والأتان جميعاً يختلطان .
وسلانه أى ماؤه ، وهو فاعل مشح ، ويقال السلالة الولد ، وهو الرقيق .
ومهين : ضعيف ، وهو صفة مشح . كذا قال شارح الديوان . وهذا البيت
أورده صاحب الكشاف عنه قوله تعالى : ﴿ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ (١) ، على أنه
يقال مشح كما يقال أمشاج وكلاهما مفرد .

قال شارح شواهد التفسيرين خضر الموصلى : يجوز أن يكون سلانه
مبتدأ وخبره مهين ، وإنما لم تؤنث إِمَّا لِأَنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَوْ بِمَعْنَى فَاعِلٍ
لَكِنَّهُ حُلٌّ عَلَيْهِ ، أَوْ لِأَنَّ الْمُرَادَ شَيْءَ مَهِينٍ . والجملة صفة لمشح . هذا كلامه .

وقد غفل عن القوافي مع أنه أورد القصيدة فإنتها مجرورة ، فهين مجرور
لا مرفوع حتى يصح أن يقع خبر المبتدأ .

والمعنى أن هذه الاثنان أطبقت رَحْمًا إلى وقت الولادة على النطفة ،
فلا تمكن الحمار منها ، فهي تهرب منه بأشد ما يكون ، فناقة الشماخ تشبه
هذه الاثنان في الإسراع للتوجه إلى هذا المدوح .

وقوله : إليك بعث الخ ، المقعد ، بفتح الميم وسكون القاف وكسر
الحاء المهملة : السنام .

وقوله : إذا برّكت على شرف الخ ، الشرف ، بفتحين : الموضع العالي .
والعسيب هنا : عظم العنق ، ويأتي بمعنى عظم الذنب . والجران بكسر الجيم :
باطن العنق ، وهو الذي يمس الأرض عند مد عنقه عليها . وشبه العسيب
بعضا الهجين خلقة وطوله . وخص الهجين لأن العبيد كانوا يرعون الإبل
ويستجيدون العصا . وجواب إذا هو قوله كأن يحاز لحياها البيت الآتي .

وقوله : إذا الأرطى توسد الخ ، هذا البيت من أبيات أدب الكاتب لابن
قنينة . والأرطى : شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود ، وهو مفعول
لفعل محذوف ، أي إذا توسد الأرطى . وأبرداه بدل اشتغال من الأرطى .
ومعنى توسد أبرداه اتخذها كالوسادة . والأبردان ، الظل والفيء ، محميا
بذلك لبرداهما . والأبردان أيضاً : الغداة والعشي . وخدود فاعل توسد .
والجوازي : الظباء . وبقر الوحش مميت جوازي ، لأنها اجتزأت بأكل
النبت الأخضر عن الماء ، أي اكتفت به واستغنت عن شرب الماء . والعين :
الواسعات العيون ، جمع عيناء . وللمعنى أن الوحوش تتخذ كئناسين عن جانبي
الشجر تستتر فيهما من حرّ الشمس ، فترقد قبل زوال الشمس في الكئناس

الغربي ، فإذا زالت الشمس إلى ناحية المغرب وتحول الظل فصار فيئاً زالت
عن الكناس الغربي ورقدت في الكناس الشرقي . والمعنى أنه قطع الفلاة
في الهاجرة حين تفرّ الوحوش من حرّ الشمس . يمدح نفسه بذلك ويوجب
على للمدوح رعاية حقّه . فقوله إذا الأرطى ، ظرف لقوله بعثت في البيت
السابق ، وليست شرطية حتى يقدر لها جزاء ، خلافا لابن السيد .

وقوله : كأنّ محازّ حبيها إلخ ، هذا جواب إذا الأولى . أخبر أنّها تطأطئه
رأسها من الدّباب فتزقه بالحصى فتدفع الحصى بلحبيها . فأخبر أنّ تلك
الأرض التي دفعت الحصى عنها ، كأنها جلد أجرب لم يبق عليه من الوبر
إلا القليل . يقول : تقع مقيية فتمدّ جرائها فتفحص التراب والحصى ،
فكان ذلك الفحص جنانا (بكسر الجيم) أي ناحيتا جلد أجرب . وضمير
حصاه للرمل .

وقد ذكر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني حكاية مستظرفة ، لقوله إذا
الأرطى تَوَسَّدَ أبرديه^(١) البيت ، فرأيت ذكرها في هذا الموضع :

عن المدائني أنّ عبد الملك بن مروان نصب الموائد يُطعم الناس ، فجلس
رجلٌ من أهل العراق على بعض الموائد ، فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره
فقال : أعراقي أنت^(٢) ؟ فقال : نعم . فقال : بل أنت جاسوس قال :
لا ، ويحك ادعني أهنأ طعام أمير المؤمنين ولا تنغصه علي^(٣) . ثم إن عبد الملك
أقبل يطوف على الموائد فوقف على تلك المائدة فقال : من القائل :

(١) ط : « أسد أبرديه » ، صوابه في ش .

(٢) ش : أعراقي أنت ، صوابه في ط والأغاني ٨ : ١٠٣ .

(٣) الأغاني : « دعني أهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصني به » .

• إذا الأرطى توسد أبرديه •

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزناه . فقال العراقي للخادم : أنمحب أن
أشرح لك ذلك^(١) ؟ قال : نعم ! فقال : هذا البيت يقوله عدى بن زيد
في صفة البطيخ الرسمى . فتهض الخادمُ مسروراً إلى عبد الملك فأخبره ،
فضحك عبد الملك حتى سقط ، فقال له الخادم : أخطأت يا مولاي أم أصبت ؟
فقال : بل أخطأت . فقال : هذا العراقي لقننى إياه^(٢) . فقال : أى الرجل هو^(٣) ؟
فأراه إياه . فقال : أأنت لقننته هذا ؟ فقال : نعم . فقال : صواباً لقننته
أم خطأ ؟ فقال : بل خطأ . فقال : ولم ؟ قال : لأنى [كنتُ] منحرماً^(٤)
بمادتك فقال لى كيت وكيت ، وأردت أن أ كفه عني وأضحك منه . فقال
له عبد الملك : فكيف الصواب ؟ فقال : هذا البيت يقوله الشماخ بن ضرار
في صفة البقر الوحشية التى جزأت بالرطب عن الماء ، فقال : صدقت ! وأمر
له بجائزة ، ثم قال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، قال : وماهى ؟ قال : تُنحى
هذا عن بابك ، فإنه يشينه .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الثلاثمائة (٥) :

٣٥٩ (فقلتُ المَجُوءَا عَنْهَا تَجَا الْجِلْدِ ، إِنَّهُ
سَبْرُضِيكُمَا مِنْهَا سَنَامٌ وَغَارِبَةٌ)

- (١) الأغاني : « أن أشرح لك قائله وفيه قاله » .
(٢) الأغاني : « هذا العراقي فعل الله به وفعل لقننيه » .
(٣) هذا ما فى الأغاني . وفى النسختين : « أى الرجل هو » .
(٤) هذا ما فى الأغاني . وفى ط : « لأنى متحريراً » . وفى ش :
« لأنى متحرم » مع أثر اصلاح .
(٥) النصف ١ : ٢١ والانصاف ١٢٣ وابن يعينى ٧ : ١٢٩ .
١٥٢ والعينى ٣ : ٣٧٣ والأشمونى ٢ : ٢٤٣ .

على أن القراء يجيز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كما في البيت ، فإن النجاء والجلد مترادفان ، وقد تضافا ،

وهو معنى قول المرادى (في شرح الألفية) : نجى الجلد من إضافة المؤكد إلى المؤكد ، قال صاحب الصحاح : النجا مقصور من قولك نجوت جلد البعير عنه وأنجيته ، إذا سلخته ، قال الشاعر يخاطب ضيفين طرّاه :

قللت أنجوا عنها نجا الجلد إنه .. البيت

قال الفراء : أضاف النجا إلى الجلد لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كقولك : عين اليقين ، ولدار الآخرة . والجلد نجاً مقصور أيضاً . انتهى .

وقال القالي في (المقصود للممدود) : والنجا ما سلخته عن الشاة والبعير ، يُكتب بالألف ، لأنه من نجا ينجو . وأنشد هذا البيت عن الفراء عن أبي الجراح . فيكون أصله نَجَوَ بالتحريك ، قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها .

قال الزجاجي (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ﴾^(١) : معنى النجوى في الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان ، سراً كان أو ظاهراً . ومعنى نجوت الشيء ، في اللغة خلصته وألقيته ، يقال نجوت الجلد : إذا ألقيته عن البعير وغيره ، وأنشد هذا البيت .

وقال أبو القاسم علي بن حمزة البصري (في التنبيهات على أغلاط الرواة) لا يقال في الإبل سلخت ، وإنما يقال فيها خاصة نجوت وجلدت .

قال أبو زياد : نجوت جِلْدَ البعير وجلدت البعير تجليدا ، ولا تقول سلخت
إلا لعنقه ، فَأَنَّهُمْ يقولون ذلك فيه دون سائر الجسد .

وقال ابن السيرافي (في شرح أبيات إصلاح المنطق) : يريد قشرا عنها
لحمها وشحمها ، كما يقشّر الجلد ، فَأَنَّهُا سمينة . وغاربها : ما بين السنّام
والعُنُق . ويؤخذ من هذا التفسير أن النجا هنا اسم مصدر بمعنى النجو ،
منصوبٌ على أَنَّهُ مفعول مطلق وليس اسماً للجلد . فلا يكون كما قاله
الفراء . فتأمل .

ورأيتُ (في حاشية الصحاح) لابن برّي نسبة هذا البيت لعبد الرحمن
ابن حسان بن ثابت رضى الله عنه .

وقل العيني (عن العُباب للصاغاني) أَنَّهُ لأبي الغمر الكلابي ^(١) ،
وقد نزل عنده ضيفان فنحر لها ناقةً ، فقالا : إِنّها مهزولة . فقال معتذراً لها :
« قتلتم انجوا الخ » .

قال : وقبّله بيتان آخران وهما : ٢٢٨

(وردتُ وأهلى بين قوْ وفردَةٍ على تجزير تأوى إليه ثالبةٌ
فصادفتُ خيرى كاهلي فاجأ بها يشفان لحاً بان منه أطايه)

(١) وفي العيني ٣ : ٣٧٣ نسبة الشعر أيضا الى أبي الجراح ،
نقلا عن القالي في المتصور والمدود . وأبو الغمر هذا غير أبي الغمر
الجبلي الذي ترجم له اليكزي في السمط ٤٤٣ وذكر أنه كان كاتباً
لأبي دلف العجلي أو لابن عمه ، وهو من شعراء الجبل . وهو أيضاً
غير أبي الغمر الطمرى الذي ترجم له المرزبانى في معجمه ٤٨٥ وذكر
فى الأشباه والنظائر للخالدين ٢ : ٥ وصحف بابى الغمر الطبرى .

وقد فتشت العُباب فلم أظفر فيه بشيء مما قاله ، والله أعلم بحقيقة الحال .
 وقَوْزٌ — بفتح القاف وتشديد الواو — هو وادٍ بالعقيق عقيق بنى عُقَيْل .
 وفردة — بفتح الفاء وسكون الراء بعدها دال — ماء من مياه نجدٍ لجرم .
 كذا في معجم البكري . ويجزُر بكسر الزاي موضع الجزر . وكاهل : أبو قبيلة ،
 وهو كاهل بن أسد بن خزْيمة . وفالجا : أى أنى بَقْتة . ويشْتان : من
 شَفِهَ اللحمَ يَشْفُه بالضم أى هَزَلَه ، أى اللحم الذى ظهر منه أطايبه قالاً إنه
 مهزول .

وأُشد بعده ، وهو الشاهد المأثر بعد الثلاثمائة^(١) :

٣١٠ * مَلِكٌ أَضْلَعُ الْبَرِيَّةِ لَا يُؤْجَدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاهُ *

على أَنَّ إضافة أفعل التفضيل عند أبى بكر بن السراج ومن تبعه لفظية
 لا تفيد تعريفاً ، بدليل هذا البيت ، فإنَّ أَضْلَعَ الْبَرِيَّةِ وقع نعتاً لملك ،
 وهو نكرة ، فلو كانت تفيد التعريف لما صحَّ وقوعه نعتاً لنكرة .

قال أبو على (فى التذكيرة القصريّة) : قال أبو بكر ، فى أفعل الناس
 نحو أشرف الناس وأفضل القوم : إنَّ هذه الإضافة فى تقدير الانفصال ، لأنَّ
 ما تضيفه من هذا القبيل ينبغى أن يكون بعض ما يضاف إليه ، بدلالة امتناع
 زيد أفضل الحخير ، فيجب أن يقدر الانفصال ، وإلا لم يجز ، لثلاث تضيف
 الشيء إلى نفسه .

فإن قلت : فإنَّ ما يقدر فيه الانفصال نجد فيه معنى الفعل ، نحو ضارب

(١) من معلقة الحارث بن حلزة المشهورة .

وليس في أفعل معنى الفعل ؛ قيل : هذا وإن قصرَ عن فاعل فإن فيه معنى الفعل لنصبه الظرف في بيت أوس : «أحوجَ ساعة^(١)» ، ووصوله تارةً بالحرف وأخرى بنفسه نحو (أَعْلَمُ بمن) و (أَعْلَمُ من) ، وهذا مما يختصّ بالفعل .

فإن قلت : إذا قدرْت فيه الانفصال اقتضت به على النكرة كضارب زيد . قال ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^(٢)﴾ . فالجواب عندي نعم ، وذلك قوله : « ملك أضلَع البرية البيت » . وأما قوله : أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فيكون مقطوعاً ، أى هو أحسن الخالقين ، لأنه موضع ثناء . انتهى

وهذا البيت من معلّقة الحارث بن حِزْرة ، وهى سابعة المعلقات السبعة^(٣) ، وقد تقدّم جانب منها مع ترجمته في الشاهد الثامن والأربعين^(٤) وقطعة في الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين^(٥) ونقلنا في الموضعين^(٦) سبب نظمه لهذه المعلقة ، وفي الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة أيضاً^(٧) . وقبل البيت الشاهد :

(فَلَمَّكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ حَتَّى مَلَّكَ الْمُنْدَرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ)

(١) هو قوله في الديوان ١٢١ :

فانا وجدنا العرض أحوج ساعة إلى الصون من ريط يمان مهم

(٢) الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

(٣) ط : « السبع » ، وهما وجهان جائزان في العربية ، فالعدد

إذا وقع وصفاً جاز فيه المطابقة وعدمها .

(٤) الحزاة ١ : ٣٢٤ .

(٥) الحزاة ٣ : ٤١٤ .

(٦) الصواب « في الموضع الأول » ، وليس في الثاني ذكر لسبب

النظم .

(٧) الحزاة ٣ : ١٨١ .

وهو الربُّ والشَّهيدُ على يو م الحيارين والبلاء بلاء
ملك أضلعُ البرية البيت

وقوله : فملكنا بذلك ، في هذا البيت إقواء ، فإنه مجرور القافية .
وقيل : هذا البيت منحول إليه ، ليس من القصيدة . وقوله : بذلك ، يعنى بالمرز
والامتناع وبالحروب التى كان القلبُ لنا فيها ذلُّنا الناسَ حتى ملك المنذر بن
ماء السماء .

وقوله : وهو الربُّ الخ ، الربُّ عني به المنذر بن ماء السماء . والربُّ ، ٢٢٩
في هذا الموضع : السيّد . والشَّهيد : الحاضر . والحياران : بلدٌ ، وهو بكسر
الحاء المهملة بعدها مثناة تحتية . يخبر أن المنذر كان شهد يوم الحيارين . فإنَّ
المنذر غزا أهل الحيارين ومعه بنو يشكر ، فأبلا بلاء حسناً ، وكان
البلاء في ذلك اليوم بلاء عظيماً .

وقوله : ملكُ أضلعُ الخ ، خبرٌ آخرُ لقوله هو ، فيكون مشاركاً
لرب في الخبرية ، فإنَّ الأخبار يجوز أن يأتى بعضها بالمطف وبعضها بدونه
كما هنا . وأضلعُ البرية أى أشدُّ البرية إضلاعاً^(١) لما يحمل ، أى هو أحمل
الناس لما يُحمَل ، من أمر ونهى وعطاء وغير ذلك . وقوله : لا يوجد فيها
الخ ، معناه ليس في البرية أحدٌ يكافئه ، ولا يستطيع أن يصنع مثل
ما يصنع من الخير . والكفاء ، بالكسر : المثل والنظير ، يقال فلان
كفاء لفلان أى كُفء له ونظير . وروى : (ملكُ أضلعُ البرية) على

(١) ط : « أضلاعاً » ، صوابه بكسر الهمزة . وفي القاموس :

« وهو مضلع لهذا الأمر ومضطلع ، أى قوى عليه » . وحورها الشنقيطى
في نسخته الى « مضطلعا » ، وهى صحيحة ، لكن ما أثبت أقرب
تصحيح .

أنه فعل ماض ، أى أذلّ البرية وقهرها ، فما يوجد فيهم من يساويه في مآله . وحينئذ لا شاهد في البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الثلاثمائة^(١) :

٣١١ * ولم أر قوماً مثّلنا خيرَ قومهم

أقلّ به مِنّا على قومهم فخراً *

لما تقدّم قبله ، فإنه وصف النكرة وهى قوماً بخير ، وهو بمعنى التفضيل ، ولو كانت الإضافة معنوية للتعريف لما وقع صفةً للنكرة .

قال الشلوّين (فى حاشية المفصل) : هذا إذا جعلت خيراً للتفضيل ؛ فإن جعلت خيراً فيهما من الخير الذى هو ضدّ الشرّ ، لم يكن من هذا الباب .

وجوز شراح الحماسة أن يكون خيرَ قومهم بدلاً أيضاً من قوماً ، لكن قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة^(١)) : فى هذا البيت شاهدٌ لجواز : مررت برجل أكرم أصحابه على أصحابه ، على الصفة ، لأنها هنا أظهر من البديل ، والباء فيه ضمير الخير الذى دل عليه قوله خير قومهم ، وليس الثانى هو الأوّل ، لأن خيراً الأوّل صفة ، والثانى المقدّر مصدر ، كقولك : أنا أوثر الخير وأكره الشر ، فدلّت الصفة على المصدر ، كقول الآخر :

إذا نُهي السّفِيه جَرَى إليه وخالف ، والسّفِيه إلى خلاف^(٢) انتهى

(١) اعراب الحماسة ٥٢ مخطوطة أحمد الثالث .

(٢) هو الشاهد ٣٧٤ من الخزنة .

وقوله : أقل ، بالنصب مفعول ثان لقوله لم أر . وخرّاً تميز . وتقدير البيت : لم أر خير قومٍ مثِلنا أقلّ بذلك خِراً منّا على قومنا . والمعنى إنّنا لا نبغى على قومنا ولا نتكبر عليهم ، بل نعدّهم أمثالنا ونظراءنا فنباسطهم ونوازنهم قولاً بقول ، وفعلًا بفعل .

وهذا البيت أولُ أبيات ثلاثةٍ مذكورة (فى الحماسة) لكن جميع النسخ أبيات الشاهد والشروح على إسقاط الواو من قوله : ولم أر قومًا ، على أنه مخروم . والبيتان اللذان بعدها :

(وما تَرَدَّهينا الكبرياء عليهم إذا كلّمونا أن نكلّمهم نزراً
ونحن بنو ماء السماء ، فلا نرى لأنفسنا من دون مملكتك قصراً)
زهاه وأزهاه بمعنى تكبر ، والزّهو : الكبر والفخر . ونزراً أى قليلاً ، وهو مفعول مطلق أى كلاماً قليلاً ، وللمعنى لا يستخفّنا الكبر ، إلى أن نتعلّى عليهم ونقلّل الكلام معهم ترفعاً عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكاشرهم فى القول والسؤال ، إيناساً لهم وتسكيناً منهم .

وماء السماء ، قال فى الصحاح : هو لقب عامر بن حارثة الأزدي ، وهو ماء السماء أبو عمرو مزريقا الذى خرج من اليمن لما أحسّ بسيل العریم ، فسعى بذلك ، ٢٣٠
لأنّه كان إذا أجذب قومه ما همّ حتى يأتيتهم الخصب ، فقالوا : هو ماء السماء ؛ لأنه خلف منه . وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام . قال بعض الأنصار (١) :

أنا ابنُ مزريقيا عمرو وجدّي أبوه عامرُ ماء السماء

(١) هو أوس بن الصامت ، كما فى العينى ١ : ٣٩١ .

وماء السماء أيضاً : لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى
ابن ربيعة بن نصر اللخمي . وهي ابنة عوف بن جشم ، من النمر بن قاسط .
وسميت بذلك لجمالها ؛ وقيل لولدها بنو ماء السماء ، وهم ملوك العراق . وقال
زهير بن جناب :

ولازمتُ الملوك من آل نصري وبعدهمُ بنى ماء السماء . انتهى

صاحب الشاهد فالظاهر أن المراد هنا هو الأول ؛ لأنَّ قائل الأبيات أنصاري ، وهو زيادة
ابن زيد الحارثي ^(١) من بنى الحارث بن سعد أخو عذرة . وقال أبو رياش ^(٢) :
هو زيادة بن زيد ، من سعد هذيم ^(٣) بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف
ابن قضاة . كذا قال التبريزي .

زيادة بن زيد وزيادة شاعر إسلامي في الدولة الأموية ، قتله ابن عمه هذبة بن خشرم .
ويأتى إن شاء الله سبب قتله عند ذكر هذبة ^(٤) .

وأشد بعده وهو الشاهد الثاني عشر بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد ^(٥) :

(١) ط : « بن زياد الحارثي » ، صوابه في ش .
(٢) في النسختين : « ابن رياش » ، وإنما هو أبو رياش شارح
الحماسة .

(٣) في النسختين : « بن سعد بن هذيم » ، صوابه من التبريزي
١ : ٢٣٨ . وانظر لسعد هذيم جمهرة ابن حزم ٤٤٧ والمعارف ٤٧
والاشتقاق ٥٤٦ من تحقيق كاتبه . وفي الجمهرة ان سعد هذيم هو ابن
زيد بن ليث بن سود .

(٤) انظر الخزنة الشاهد ٧٥٠ .

(٥) في كتابه ١ : ٣٩٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٢٣١ واللسان
(أيا ٥٩) .

٣١٢ (فَأَيُّ مَا وَأَيْكَ كَانَ شَرًّا فَقَيْدَ إِلَى الْمُقَامَةِ لَا يَرَاهَا)

على أن هذا ضرورة ، والقياس المستعمل : فأينا كان شرًّا من صاحبه . وما زائدة للتوكيد ، وأَيُّ مبتدأ ، وأَيْكَ معطوف عليه ، واسم كان ضمير ، أَيْ أَيْنا ، وشرًّا خبره ، والجملة خبر المبتدأ . وقيدَ مجهول قاد الأعمى . وجيء بالفاء لأنه دعاء فهو كالأمر . والمُقَامَةُ ، بضم الميم وفتحها : المجلس ، وجملة لا يراها حالٌ من ضمير قيد . يدعو على الشرِّ منهما ، أَيْ من كان مناشراً أعماه الله في الدنيا فلا يُبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح الباب : أَيْ قَيْدَ إِلَى مواضع إقامة الناس وجمعهم في العرصات لا يراها ، أَيْ قَيْدَ أعمى لَا يَرَى الْمُقَامَةَ . انتهى .

وَحَلَّ النِّعَامَ فِي الْآخِرَةِ (١) لَا عَلَى الدُّنْيَا غَيْرَ جَيِّدٍ . وهذا من المعاملة بالإِنصاف .

وهذا البيت من جُمْلَةِ أبياتِ للعبَّاسِ بنِ مُرْدَاسِ السُّلَمِيِّ ، قالها نُظْفَافُ أبيات الشاهد ابن نَدْبَةَ في أَمْرِ شَجَرٍ بَيْنَهُمَا ، وهى (٢) :

(أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي خُفَافًا أَلَوْكََا بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْتَهَاها
أَنَا الرَّجُلُ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ إِذَا انْظُفِرَاتُ لَمْ تُسْتَرَّ بِرَاهَا
أَشَدُّ عَلَى الْكَتْنِيَّةِ لَا أَبَالِي أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَمْ سِوَاهَا
فَأَيُّ مَا وَأَيْكَ كَانَ شَرًّا فَقَيْدَ إِلَى الْمُقَامَةِ لَا يَرَاهَا
وَلَا وَلِلَّتْ لَهُ أَبَدًا حَصَانُ وَخَالَفَ مَا يَرِيدُ إِذَا بِنَاهَا
وَلِي نَفْسٍ تَتَوَقُّ إِلَى الْمَعَالِي سَتَلَفُ أَوْ أَبْلَغَهَا مُنَاهَا)

(١) كذا في النسختين ، والوجه « على الآخرة » .

(٢) الأبيات في حماسة ابن الشجري ٣٥ .

٢٣١

وَحُفَّافٌ بضم الحاء المعجمة وتخفيف الفاء كغراب، واشتهر بالإضافة إلى أمه، وهي تَدْبَةٌ، بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحدة. وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالعباس بن مرداس.

وتقدّمت ترجمة العباس (في الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب^(١))، أما ترجمة حُفَّاف بن تَدْبَة فستأتى إن شاء الله تعالى (في باب اسم الإشارة^(٢)). وألوك بفتح الهمزة وضم اللام: الرسالة؛ ومنها لللائكة: وَحُدَّتْ بالبناء للمفعول واخطاب. وأنظفِرات: النساء الحبيبات، بفتح الحاء وكسر الفاء، والفعل من باب تعب. والبرأ: جمع برّة بضم الباء الموحدة فيهما، وهي كل حلقة من سوار وقُرْط وخلخال؛ والمراد هنا الأخير. وعدم ستر الخلائيل للنساء، إنما يكون عند هروبهن من السبي والنهب^(٣). وإذا ظرف، إما لقوله حَدَّتْ أو لقوله أَشَدُّ على الكتبية. ومثل هذا يسمى (التجاذب). وقوله: أَشَدُّ على الكتبية، قيل: لم يقل في الشجاعة أبلغ من هذا البيت. والكتبية: الجيش. والحنف: الهلاك. وقوله: فقيد إلى المقامة، روى أيضاً: «فسيق إلى المقامة» من السّوق. وقوله: ولا ولات له الخ، هذا دعاء عليه بقطع نسله. وألحصان بالفتح: المرأة العفيفة. وتتوق، تأقت نفسه إلى الشيء اشتاقته ونازعت إليه. وتلف الشيء من باب فرح إذا هلك.

* * *

(١) الخزائن ١: ١٥٢.

(٢) في الشاهد ٤١١ وهو:

فقلت له والرمح ياطر منه تأمل خفافا اننى أنا ذلكا

(٣) أنكر قوم صحة «الهروب»، وقد وجدتها في شعر في

الطبرى ٨: ١٣ وهو:

* وليس بمنجى ابن اللعين هروب *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الثلاثمائة (١) :

٣١٣ ﴿ أَظْلَمَ وَأَظْلَمُ ﴾

على أنه ضرورة ، والقياسُ أظلمنا . وهو قطعة من رجز رواه أبو علي (في إيضاح الشعر) عن أحمد بن يحيى الشهير بشعلب ، وهو :

(ياربَّ مُوسَى أَظْلَمِي وَأَظْلَمُ فَاصْبُبْ عَلَيْهِ مَلَكًا لَا يَرَحُّهُ)

قال : معناه أظلمنا ، كقوله : أخزى الله الكاذبَ مِنِّي ومنه ، أى منّا فالمنى أظلمنا فاصبب عليه . وهذا يدل على جواز ارتفاع زيد بالابتداء ، فى نحو زيد فاضربه ، إن جعلت الفاء زائدة على ما يراه أبو الحسن .

فإن قلت : أضمر المبتدأ كما أضمرت فى قولك : « خولانُ فانكح فئاتهم (٢) » ، فان ذلك لايسهل ؛ لأنه للمتكلم ، فكما لايتجه : هذا أنا ، على إرادة إشارة المتكلم إلى نفسه من غير أن ينزله منزلة الغائب ، كذلك لايجس أن يضار هذا هنا .

فإن قلت : إن أظلمنا على لفظ الغيبة ، فليس مثل هذا أنا ، فإنه وإن كان كذلك فالمراد به بعض المتكلمين ، ولا يمنع ذلك ، ألا ترى أنهم قالوا يا تميم كُتِّم ، فخلوه على الغيبة لما كان اللفظ له وإن كان المراد به المخاطب . وإن جعلت المضمر فى علمك ، كأنك قلت قد أظلمنا فى علمك ، كان مستقيماً . انتهى .

(١) انظر التصريح ١ : ٢٩٩ والهمع ١ : ١١٠ .

(٢) قطعة من الشاهد ٧٧ فى الجزء الأول ص ٤٥٥ . وهو بتمامه :

وقائلة خولان فانكح فئاتهم وأكرومة الحيين خلوا كما هيا
(٢٤) خزنة الأدب

ورواه ابن عقيل (في شرح التسهيل) هكذا :

* سَلَطَ عَلَيْهِ مَلَكًا لَا يَرْحُمُهُ *

و (ربّ) منادى مضاف إلى موسى ، وضيم (أظلمه) الغائب راجع إلى (موسى) هذا ، وهو خصم صاحب هذا الرجز .
وكلام أبي على مبني على رفع أظلم وأظلمه بالابتداء والخبر الجملة الدعائية ؛ ويجوز نصبهما على الاشتغال^(١) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثمائة^(٢) :

٢٣٢

٣١٤ ﴿فَهَلْ لَكُمْ فِيهَا لِي فَأَنْتَ طَبِيبٌ بِمَا أَعْيَا النَّطَاسِيَّ حِذْيَمًا﴾

على أن فيه حذف مضاف ، أي ابن حذيم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، لأنه علم أنه العالم بالطب والمشهور به ، لا حذيم ، فإنه ورد في الأمثال : « أَطَبُّ مِنْ ابْنِ حِذِيمٍ » . قال الزخشرى (في المستقصى) : هو رجل كان من أطباء العرب . وأشد هذا البيت وقال : أراد ابن حذيم انتهى .

قال أبو الندى : ابن حذيم^(٣) رجل من تيم الرّباب ، كان أظلم العرب ، وكان أظلم من الحارث بن كلدة .

(١) ان صح نصبهما على الاشتغال لزمه عيب القافية وهو الاقواء ، فان البيتين من مشطور الرجز .

(٢) الخصائص ٢ : ٤٥٣ وابن يعيش ٣ : ٢٥ وشرح شواهد الشافعية ١١٦ وديوان أوس ١١١ .

(٣) في أمثال الميداني ١ : ٤٠٥ : « قال أبو الندى : هو حذيم الخ » .

وأورد صاحب الكشف هذا البيت عند قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(١) على أن التسمية واقعة على المضاف والمضاف إليه جميعاً. وأما ما يرد من نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» فهو من باب الحذف لا من الإلباس، كما حنف الشاعر ابن من ابن جندب. وقد خالف كلامه هنا (في المفصل) فإنه قال فيه: إِذَا أَمِنُوا الْإِلْبَاسَ حَذَفُوا الْمِصْصَ. وقد جاء اللَّبْسُ فِي الشَّعْرِ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

عَشِيَّةُ فَرْجِ الْحَارِثِيَّاتِ بَعْدَمَا قَضَى نَجْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرُ
وقال:

* بِمَا أَغْيَا النِّطَاسِيَّ حَذِيْمًا *

أى ابن هوبر وابن حذيم. وهو فى قوله هذا تابع لأبى على (فى إيضاح الشعر) فإنه قال: قد جاء فى الشعر أبياتٌ فيها حذف مضاف مع أنه يؤدّى حذفه إلى الإلباس. ومثّل بما ذكر، وبقوله:

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لَطِيبٌ مَقْبِلُهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادٍ^(٢)

هو أبو دواد الشاعر، واسمه جارية، والتقدير ابن أمّ أبي ذواد، لحذف الأب. والصواب ما فى الكشف من أنه لا إلباس فيه، فإنّ الإلباس وعدمه إنّما يكون بالنسبة إلى المخاطب الذى يلقى المتكلم كلامه إليه، لا بالنسبة إلى أمثالنا، فإنه وإن كان عندنا من قبيل الإلباس، مفهوم واضح عند المخاطب به فى ذلك العصر.

(١) الآية ١٨٥ من البقرة.

(٢) البيت للأسود بن يعفر فى المفضليات ٢١٧.

ويؤيد ما ذكرنا قول ابن جني (في الخصائص) : ألا ترى أن الشاعر لما فهم عنه ما أراد بقوله قال الشاعر يصف إبلا (١) :

صَبَحَنَ مِنْ كَاطِمَةِ الْخُلَصِّ الْخُرْبُ يَحْمِلُنَ عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (٢)
وإنما أراد عبد الله بن عباس . ولو لم يكن على الثقة بفهم ذلك ، لم يجد بداً من البيان . وعلى ذلك قول الآخر :

* طَيْبٌ بِمَا أَعْيَا النَّطَاسِيَّ حَذِيْماً *

أراد : ابن حذيم . انتهى .

وحذف الصلتان القبدى أكثر من هذا في محامته بين جرير والفرزدق في قوله :

أَرَى الْخَطْفَى بِذِي الْفَرْزَدَقِ شِعْرَهُ وَلَكِنْ خَيْرًا مِنْ كِلَابٍ مَجَاشِعُ
فإنه أراد : أرى جرير بن عطية بن عطية بن الخطفي . وجاز هذا لكونه معلوماً عند المخاطب .

وقد أنكر الخوارزمي كون هذا من باب الحذف ، قال : إنما هو من باب تعدى القلب من الأب إلى الابن ، كما في قوله :

* كَرَّحِي النَّدَى وَالْعُرْفُ عِنْدَ الْمَذْلَقِ (٣) *

(١) كلمة « الشاعر » الثانية لم ترد في نسخة الخصائص ، وهو من باب الإظهار في موضع الإضمار .

(٢) في النسختين : « من كاظمة الحرب » ، وإكماله من الخصائص والكمال ٥٥٤ والعقد ٤ : ٣٥٧ .

(٣) صدره في أمثال الميداني ٢ : ٢٧ وابن يعيش ٦ : ٩٢ :

* فأنك إذ ترجو تميماً ونفعها *

أى ابن المذلق^(١) . هذا وقد قال يعقوب بن السكيت (فى شرح هذا البيت من ديوان أوس بن حجر) : حَذِيمٌ رَجُلٌ مِنْ تَيْمِ الزَّبَابِ ، وَكَانَ مُتَطَبِّبًا عَالِمًا . هذا كلامه ؛ فعنده أن الطيب هو حذيم لا ابن حذيم . وتبعه على هذا صاحبُ القاموس ، فلا حذف فيه ولا شاهد على ما ذكر . وحذيم ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة بعدها ياء تحتيّة آخر الحروف .

وهذا البيت من أبياتِ لأوس بن حجر قالها لبني الحارث بن سدوس ابن شيبان ، وهم أهل القرية بالجمامة ، حيث اقتسوا معزاه . وقيل اقتسها بنو حنيقة وبنو سحيم ، وكان أوس بن حجر أغرى عليهم عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، ثم جاور فيهم فاقتسوا معزاه . وهذا مطلقها :

(فَإِنْ يَأْتِيَكُمْ مَنِي هَجَاءٍ فَإِنَّمَا حَبَاكُمْ بِهِ مَنِي جَمِيلُ بْنُ أَرْقَا)
أبيات الشاهد
ثم بعد أربعة أبيات :

(فهل لكم فيها إلى فإنني البيت
فأخرجكم من ثوب شحطاء عارك مشهرة بلت أسافله دما
ولو كان جار منكم في عشرين إذا لأوا للجار حقا ومحروما
ولو كان حولى من نيم عصابة لما كان مالى فيكم متقسما
ألا تتقون الله إذ تغلفونها رضىخ النوى والعرض حولا مجرما
وأعجبكم فيها أغر مشهر تلاد إذا نام الربيض تغمغا)
وهذا آخر الأبيات . قوله : فَإِنَّمَا حَبَاكُمْ الْح ، حباكم به أى وصلكم بالمجاء .

(١) فى القاموس (ذلق) : « وابن المذلق : من عبد شمس ، لم يكن يبعد بيت ليلة ولا أبوه ولا أجداده ، فقيل : أفلس من ابن المذلق » . ونحوه فى أمثال الميدانى وابن يعيش .

وقوله : (فهل لكم فيها) الخ ، قال للفَضْل بن سَلَمَةَ (في الفاخر) وابن الأنباري (في الزاهر) : الطَّبُّ : الفطنة والحذق ، ومنه سُمِّيَ الطَّيِّبُ لعلِّه وحذقه . وأنشد هذا البيت . وروى ابن السكيت : « فإِنِّي بصير » بدل طيب . والبصير : العالم ، وقد بَصُرَ بالضم بَصَارَةً ، والتبصُّر : التأمل والتعرُّف . و (أعياء) للشئ متعدَّى عَيَّيت بأمرى إذا لم تهتدِ لوجهه . و (النُّطاسي) مفعوله ، و (حذيم) بدل من النطاسي . وفاعل أعياء ضمير ما الموصولة الواقعة على الداء . أى إِنِّي طيبٌ حاذقٌ بالداء الذى أعجز الأطباء فى مداواته وعلاجه . والنُّطاسي ، بكسر النون ، قال ابن السكيت : العالم الشديد النظر فى الأمور . قال أبو عبيد : ويروى : (النُّطاسي) بفتح النون . قال الجوهري : التنطُّسُ للبالغة فى التطهر ، وكلُّ من أدقَّ النظرَ فى الأمور واستقصى علمها فهو متنطس . ومنه قيل للمتطَّيبِ نَطِيسٌ كِفَاسِيٌّ ، ونطاسيٌّ بكسر النون وفتحها . وقوله : (فهل لكم) بضم الميم ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى هل لكم ميل . وقوله : (فيها) الضمير للمعزى . وفيه حذف مضاف أى فهل لكم ميلٌ فى ردِّ المعزى إلى .

وقوله : « فأخرجكم من ثوب شمطاء » الخ ، الشمطاء : المرأة التى فى رأسها شَمَطٌ — بالتحريك — وهو بياض شعر الرأس يخالطه سواد ، والرجل أشمط . والمارك : الحائض . ومشهرة : اسم مفعول من شَهَّرَته تشهيراً ؛ والشهرة : وضوح الأمر . يقول : هل لكم فى ردِّ معزائى فأخرجكم من سُبَّةِ شماء تلطخ أعراضكم وتدنسها كما تدنس الحائض ثوبها بالدم ، فأغسله (١) عنكم . وهذا مثلٌ ضربه .

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « فأغسلها » ، أى السبة . أو

المراد فأغسل ذاك عنكم .

وقد خَبَطَ جميعُ من تكلم على هذا الشاهد حيث لم ير السِّياق والسِّباق ،
 فقال شارح (شواهد التفسيرين) : المعنى هل لكم علمٌ وبصيرةٌ فبما يرجعُ
 نفه إلى ؟ ثم أعرَضَ عن سؤاله وقال : إننى أعلم بحالى منكم ، فإننى بصيرٌ
 بما أعجزَ الطيب المشهور . ٢٣٤

وقال المظفرى (فى شرح المفصل) : أى هل لكم طريقٌ فى مداواة
 ما بى ، فإننى أرى من الداء ما أعيا الطيبَ عن مداوانه .

وقد قارب بعضُ فضلاء المعجم (فى شرح أبيات المفصل) بقوله : والمعنى
 هل لكم فى هذه الحادثة حاجةٌ إلى لأشفيكم برأى فيها ، فإننى طيبٌ عالم
 بالذى عَجَزَ عنه هذا الخاذق العالمُ بالطب ولم يهتد إليه .

وقوله : أدلا تتقون الله الخ ، يقول : لولا أنك سرقها لأى شيء تعلفها ؟
 يقول : فردّها ولا تعلفها . والرضيخ ، بالضاد والخاء المعجمتين : المدقوق ،
 رَضَخَ الحصى والنوى كسّره . والعُصّ ، بضم العين المهملة وتشديد الضاد
 المعجمة ، قال ابن السكيت : هو القتّ ، وقال الجوهري : علف أهل الأمصار
 مثل الكُسْب والنوى المروض . والمجرّم ، بالجيم على وزن اسم المفعول :
 التام والكامل .

وقوله : «هو أعجبكم فيها أغرّ» الخ ، قال ابن السكيت : الأغرّ : الأبيض .
 والتلاد : القديم من المال . والرَّييض ههنا الغنم . وقوله : تغنما ، يعنى هذا
 الأغرّ ، والغنمة هبابه ، أى لا ينام ، وإنما يعرض بهم ويفترى عليهم . انتهى

تتمة

قال ابن الأثير (في المِرْصَع) : ابن حَديم شاعر في قديم الدهر ، يقال إنه كان طيباً حاذقاً ، يضرب به المثل في الطبّ فيقال : « أَطْبُ بِالْكَيِّ من ابن حَديم » ، وسمّاه أوسُ حديماً - يعنى أنّه حذف لفظ ابن - فقال :

* عَلِيمٌ بِمَا أَعْيَا الْفِطَاسِيُّ حَديماً *

ويقال ابن حَدام أيضاً ، وإنّه أوّل من بكى من الشعراء في الديار ، وهو الذى سمّاه امرؤ القيس في قوله :

عوجاً على الطَّلَلِ اُلْهَيْلِ لعلنا نبكى الديارَ كما بكى ابنُ حَدامِ

وابن خدام بالخاء المعجمة أشهر ، وقيل هما اثنان . وقال في الخاء المعجمة : ابن خدام هو المذكور في حرف الخاء على اختلاف الروايتين ، فبهم من جعله إتياء ومنهم من جعلهما اثنين . ويقال : إن هذا البيت الذى في قصيدة امرؤ القيس له ، وهو :

كأئنّى غداةَ البينِ حينَ نَحْمَلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الحَى نَاقِفُ حَنْظَلِ

ويقال للخُمَار ابن خَدام . وخَدام من أسماء الحمر . هذا كلامه .

أقول : جميع من ذكر ابن خدام الشاعر ، لم يقل إنه هو ابن حَديم الطيب . وقد اختلف في ضبط اسمه فالذى رواه الأمدى^(١) ابن خدام بمجمتين ، قال : من يقال له ابن خدام ، منهم ابن خدام الذى ذكره امرؤ القيس في شعره ، وهو أحد من بكى الديار قبل امرؤ القيس ، ودرس شعره . قال امرؤ القيس :

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْحَمِيلِ لَا تُنَا نَبِكِي الدِّيَارِ كَمَا بَكَى ابْنُ خِذَامٍ
قوله : لَأُنَا ، يريد لعلنا ، ذكر ذلك أَبُو عبيدة وقال : قال لنا
أَبُو الْوَثِيقِ : مَن ابْنُ خِذَامٍ ؟ قُتِلْنَا : مَا نَعْرِفُهُ . فقال : رجوت أن يكون علمه
بِالْأَمْصَارِ . قُتِلْنَا : مَا سَمِعْنَا بِهِ ! فقال : بَلَى قَدْ ذَكَرَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَبَكَى
عَلَى الدِّيَارِ قَبْلَهُ ، فقال :

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا . . . الْبَيْتُ ! انْتَهَى
وقال ابن رَشِيقٍ (في العمدة ^(١)) : الذي أَعْرَفَ أَنَّ ابْنَ خِذَامٍ بِذَلِكَ
مُعْجَمَةٌ وَحَاءٌ غَيْرُ مُعْجَمَةٍ كَمَا رَوَى الْجَلِاحُظُ ^(٢) وَغَيْرُهُ . انْتَهَى
وَضَبَطَهُ بَعْضُهُمْ ابْنَ حُمَامٍ ، بِحَاءٍ مَهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ بَعْدَهَا مِيمٌ غَيْرُ مُشَدَّدَةٍ ،
وَاسْمُهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ . قال الأَمْدِيُّ ^(٣) - عِنْدَ ذِكْرِ الْمُسَيَّنِّ بِأَمْرِ الْقَيْسِ -
وَمِنْهُمْ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حُمَامٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَسَبَهُ وَقَالَ : وَالَّذِي أَدْرَكَهُ الرِّوَاةُ
مِنْ شَعْرِهِ قَلِيلٌ جَدًّا . وَكَانَ امْرُؤُ الْقَيْسِ هَارِبًا فَقَالَ مَهْلَهْلُ :

لَمَّا تَوَغَّلَ فِي الْكُرَاعِ هَجَيْتُهُمْ هَلَمْتُ أَثَارُ جَابِرًا أَوْ صَنِيلًا ٢٣٥
فِي قِصَّةٍ مَذْكُورَةٍ فِي أَخْبَارِ زَهِيرِ بْنِ جَنَابٍ . وَهَذَا الْبَيْتُ قَبْلَ لَهْلَهْلٍ مَهْلَهْلٍ .
وَبَعْضُ الرِّوَاةِ يَرَوِي بَيْتَ أَمْرِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ :
عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْحَمِيلِ لَمَلْنَا نَبِكِي الدِّيَارِ كَمَا بَكَى ابْنُ حُمَامٍ
يَعْنِي أَمْرًا الْقَيْسِ هَذَا ، وَيُرْوَى ابْنُ خِذَامٍ . انْتَهَى .

وَمِثْلُهُ لِلْمُسْكِرِيِّ ^(٤) (فِي كِتَابِ التَّصْحِيفِ) قَالَ : وَمِنْهُمْ امْرُؤُ الْقَيْسِ

(١) العمدة ١ : ٥٤ في باب تنقل الشعر في القبائل .

(٢) انظر الحيوان ٢ : ١٤٠ .

(٣) في المؤلف ١٠ .

(٤) تصحيف العسكري ٢١٢ .

ابن حمام بن عبيدة بن هبل بن أخى زهير بن جناب بن هبل. ويزعم بعضهم أنه الذى عنى امرؤ القيس بقوله :

* نبكى الديار كما بكى ابن خدام *

وكان يفزو مع مهمل ، وإياه أراد مهمل بقوله :

لما توغل فى الكلاب هجيتهم (البيت)

فالمهجين هو امرؤ القيس بن حمام . وجابر وصنبل : رجلان من بنى تغلب . انتهى .

قال ابن رشيق (فى المدة) : ويروى :

* لما توغل فى الكراع شريد ثم *

قال السكرى : يعنى بالمهجين امرأ القيس بن حمام ، وكان مهمل تبعه يوم الكلاب ففاته ابن حمام بعد ان تناوله مهمل بالرمح ، وكان ابن حمام أغار على بنى تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلاً .

هذا ما اطلعت عليه . وقول امرى القيس بن حجر :

عوجا على الطلل المحيل ، البيت

هو من قصيدة له ، امتشهد به صاحب (الكشف) عند قوله تعالى :

* وما يشعر كم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ^(١) * بفتح الهمزة فى قراءة أهل

المدينة بمعنى لعل ، كما أن لآتنا فى البيت بمعنى لعلنا .

قال ابن رشيق (فى المدة ^(٢)) : يروى فى البيت : لآتنا ، بمعنى لعلنا ؛

وهى لغة امرى القيس فيما زعم بعض المؤلفين ، والذى كنت أعرف : لعمتنا بالمين ونونين .

(١) الآية ١٠٩ من الأنعام .

(٢) المدة ١ : ٥٤ .

والمُحِيل : الذى آتى عليه الحول . وعُوْجا أمر من عُبْجَتُ البعيرِ أعُوْجه
عُوْجا ومَعَاجا : إذا عطفت رأسه بالزمام .

و (أوس بن حجر) يفتح الحاء المهملة والجيم ، شاعر من شعراء تميم فى أوس بن حجر
الجاهلية . وفى أسماء نسبة اختلاف ، فلذا تركنا نسبة .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء ^(١)) كان أوسٌ فحلَّ مُضَرَ حَتَّى نَشَأَ
النابة وزهيرٌ فأخلاه . وقيل لعمر بن مُعَاذٍ وكان بصيراً بالشعر : مَنْ أشعُرُ
الناس ؟ فقال : أوس . قيل : ثم مَنْ ؟ قال : أبو ذؤيب . وكان أوسٌ عاقلاً
فى شعره ، كثير الوصف لمسكارم الأخلاق ؛ وهو من أوصفهم للحمير والسلاح
ولا سيما لقوس ، وسبق إلى دقيق المعانى وإلى أمثال كثيرة . انتهى .

وقال صاحب (الأغاني) : كان أوس هذا من شعراء الجاهلية وفحولها ،
وذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة ، وقرنه بالحطيئة والنابة الجمعدى . وتميمٌ
تقدّم أوساً على سائر شعراء العرب . وقال الأصمى : أوسٌ أشعر من زهير
إلا أن النابتة طأطأ منه . وقال أبو عبيدة : كان أوس غزلاً مفرماً بالنساء ،
فخرج فى سفر حتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شَرْج وناظرة ، فبينما هو يسير
ظلاماً إذ جالت به ناقته فصرعه ، فاندقت فخذُه ، فبات مكانه ، وما زال
يقاسى كلَّ عظيم بالليل ، ويستغيث فلا يغاث ، حتى إذا أصبح غدا جوارى
الحى يجمّنين الكماء وغيرها من نبات الأرض ، والناس فى ربيع : فبينما هنَّ
كذلك إذ بصُرُن بناقته تجول وقد علق زمامها بشجرة ، وأبصرته ملقًى
ففرّعن منه فهرين ، فدعاجاريةً منهنّ فقال لها : مَنْ أنت ؟ قالت : أنا حلينةُ
بنت فضالة بن كدّة . وكانت أصفرهن فأعطاهما حجراً وقال : ادعبي إلى

أبيك فقولى له : ابنُ هذا يقرئك السلام^(١) ويقول لك : أدركنى فأبنى فى حالة عظمة أفأت أباهما وقصت عليه القصة وأعطته الحجر ، فقال : يا بنية لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل [هو و^(٢)] أهله إلى الموضع الذى فيه أوس^٣ وسأله عن حاله فأخبره الخبر ، فأناه بمن جبر كسره ، ولم يزل مقيماً عنده وبنته تحذمه إلى أن برأ ، فدحه أوس بقصائد عديدة ، ورثاه أيضاً بعد موته . وكان أوس إذا جلس فى مجلس قومه قال : ما لأحد على منة أعظم من منة أبى دليجة . وكان أبو دليجة كنية فضالة بن كلدة .

وكلمة ، بفتح الكاف واللام ، وهى فى اللغة الأرض الغليظة . وذكره ابن قتيبة فى باب الأسماء المنقولة (من أدب الكاتب) .

ومن شعر أوس قوله :

يارا كباً إمّا عرضت فبلغن يزيد بن عبد الله ما أنا قائل
بآية . أتى لم أخنك ، وإنه سوى الحقّ مهما ينطق الناس باطل
فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن لهم هرشاً تغتابهم وتقاتل
وما ينهض البازى بغير جناحه ولا يحيل الماشين إلاّ الحوامل
ولا سابق إلاّ بساق سليمة ولا باطش مالم تغنه الأنامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل وانلخى أصبت حليماً أو أصابك جاهل^(٣)
المهراش : أشد القتال ، مثل مهارشة الكلاب . وأراد بالحوامل الأرجل .

* * *

(١) فى النسختين : « ان هذا » ، وصححه الشنقيطى فى نسخته

بما أثبت من الأغاني ١٠ : ٧ .

(٢) التكملة من الأغاني .

(٣) نسب هذا البيت أيضاً الى زهير فى ديوانه ٣٠٠ والشعراء

وأشده بعده :

﴿ وما حبُّ الديار شغفن قلبي ﴾

تمامه : ﴿ ولكن حبُّ مَنْ سكن الديارا ﴾

هو لقيس مجنون بنى عامر . وتقدم الكلام عليه في الشاهد التسعين بعد المائتين (١).

وأشده بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد الثلاثمائة (٢) :

٣١٥ ﴿ يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ

بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ ﴾

على أنه قد يقوم المضاف إليه مقام المضاف في التذكير ، لأنه أراد : ماء بردى . ولو لم يقم مقامه في التذكير لوجب أن يقال تصفّق بالتاء للتأنيث ، لأن بردى من صيغ المؤنث ، وهو نهر دمشق . قال أبو عبيد البكري : هو من البرد ، سُمّي بذلك لبرد مائه .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ (٣) على أن الواو في يجعلون ضمير أصحاب الصليب وإن كان مخدوفاً ، لبقاء مناء ، كما أرجع الشاعر ضمير يصفق إلى ماء بردى ، مع أنه غير مذكور ؛ ولهذا ذكر يصفق .

(١) انظر ما سبق في هذا الجزء الرابع ص ٢٢٧ .

(٢) انظر ابن يعيش ٣ : ٦/٢٥ : ١٣٣ والهمع ٢ : ٥١ والأشمونى

٢ : ٢٧٢ وديوان حسان ٣٠٩ .

(٣) الآية ١٩ من سورة البقرة .

قال ابن المستوفى : لو قال قائل : إنه أعاد الضمير مذكراً على المعنى لأن
بردى نهر لوجد مساعداً .

وروى صاحب الاغانى :

* كَأَسَا تُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السُّلْسِلِ *

وعليه لاشاهد فيه .

و (البريصى) قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) وتبعه
الصاغاني (فى العباب) : هو بفتح الموحدة وآخره صاد مهملة : موضع بأرض
دمشق . وزاد الجواليقي (فى العربيات) : وليس بالعربي الصحيح ؛ وقد تكلمت
به العرب ، وأحسبه روى الأهل . وأنشد هذا البيت ^(١) . ٢٣٧

ولم أر من أهل اللغة من ضبطه بالضاد المعجمة .

وقد اختلف شراح الفصل فى ضبطه ومعناه ، فقال ابن يعينش :
هو بالصاد المهملة نهر يتشعب من بردى ، وهو نهر دمشق ، كالصَّراة من
الفرات . ولدمشق أنهار أربعة كلها من بردى .

وقال المظفرى : هو بالضاد المعجمة وادٍ فى ديار العرب . والبريصى بالصاد
المهملة : اسم نهر ، وقيل اسم موضع بدمشق .

وقال ابن المستوفى : هو بالضاد المهملة . قال المفسرون : هو مأخوذ من
البرَّض ، أراد الموضع المبييض المحصص . ويروى بالضاد المعجمة فمیل من
البرَّض وهو اللاء القليل . ورواية المهملة أكثر وأجود وقالوا : هو اسم نهر .
وكرر البريصى فى هذه القصيدة فقال :

(١) فى النسختين : « وأنشدوا هذا البيت » ، وإنما المراد أنشد
الجواليقي هذا البيت . انظر العرب ٥٨ - ٥٩ وكذلك النص التالى الذى
أقتبسه البغدادى بعد الشعر .

فعلتُ من أرض البريحي عليهم حتى نزلتُ بمنزل لم يُوعَلْ
فدلَّ على أنه موضع بعينه ، لا ما ذهب إليه من فسرّه قبل . قال ابن دريد:
والبريحي موضع بدمشق ، وليس بالعربي الصحيح ، وقد تكلمت به العرب
وأُشْد هذا البيت . انتهى

وقال بعضهم^(١) : هو موضع فيه أنهارٌ كثيرة ، وهو بالمهمل . وأنشد :

أهان العام ما عيرتمونا شواء المسنات مع الخبيص^(٢)
فما لحم الغراب لنا بزادٍ ولا سرطان أنهار البريحي

وطاعل يَسْقون وهو الواو ضمير عائِدٌ على أولاد جفنة في بيت قبله كما يأتي
ومن مفعوله . قال العصام (في حاشية القاضي) : وتعدية الورود بعلّ لتضمينه
معنى النزول ، وإلا فالورود المتعدى بعلّ بمعنى الوصول لا يعدى بنفسه . والباء
في قوله بالرحيق المصاحبة ، أى ممزوجا بالخر الصافية السائغة . ويُصَقُّ بالبناء
للمفعول ، والتصفيق : التحويل من إناء إلى إناء ليتصقّى ، وحقيقته التحويل
من صَقِّق إلى صَفِّق ، أى من ناحية إلى ناحية . والباء في بالرحيق متعاق
بمحدوف ، أى يمزج بالرحيق ، وهو الصافي من الخر . وقال صاحب (الكشاف)
في المطفئين : الرحيق : صفوة الخر ، ولهذا فسرّ بالشراب الخالص الذى لا غش
فيه . والسلسل ومثله السلسال : السهل الانحدار السائغ الشراب .

قال ابن الحاجب (في أماليه) : يجوز أن يكون المراد مدح ماء بردى
وتفضيله على غيره . ومعنى يصَقِّق يمزج ، يقال صَقَّقته ، إذا مزجته . والرحيق :
الخر . والسلسل : السهل ، أى كأنه ممزوج بذلك ، فأسقط التشبيه كما دأبهم

(١) هو وعلة الجرمى ، كما فى الحيوان ٢ : ٣١٧ .

(٢) الذى فى الحيوان ، وهو الصواب : « فما بالعار ما عيرتمونا » .

في المبالغة . ويجوز أن يكون المراد مدح هؤلاء القوم بالكرم وأنهم لا يسقون الماء إلا ممزوجاً بالخر ، لعتهم وكرمهم وتعظيم من يرد عليهم . انتهى .

والظاهر أن المراد هو الثاني لا الأول ، للسياق والسباق . وايسر معنى التصنيق ما ذكره ، والصواب ما ذكره بعض فضلاء المعجم (في شرح أبيات المفصل) من أنه يصنفهم بالجود على من يرد عليهم ، فيسقونه ماء مصفى ممزوجاً بالخر الصافية السائغة في الخلق . وحمل هذا الكلام على القلب أظهر ، يريد : يسقون من يرد عليهم الرحيق السلسل يصفق ويردى أي بماها . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت الصحابي ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الحادي والثلاثين^(١) مدح بها آل جفنة ملوك الشام . وهذه قطعة منها بعد المطلع بثلاثة أبيات :

قصيدة الشاهد	(قَدْ دَرُ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ آبِيهِمْ يُغَشُّونَ حَتَّى مَا نَهَرُ كَلَابِهِمْ يَسْقُونَ مِنْ وَرْدٍ - الْبَيْت -	يَوْمًا بِجَلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةِ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
--------------	--	--

(يُسْقُونَ دِرْيَاقَ الرَّحِيقِ وَلَمْ تَكُنْ بَيْضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةً أَحْسَابِهِمْ فَلَبِثْتُ أَرْمَانًا طَوَالًا فِيهِمْ إِلَى أَنْ قَالَ بَعْدَ يَتَيْنِ :	تُدْعَى وَلَائِدُهُمْ لِنَقْفِ الْخَنْظَلِ شُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ نَمْ إِذَا كَرْتُ كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلِ
---	--

(وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَرَ فِي حَانُوتِهَا صُهَبَاءُ صَافِيَةٌ كَلْهَمِ الْفُلْجَلِ

يسى على بكأسها منتطف فيعلني منها وإن لم أنهل^(١)
 إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاها لم تقتل
 كلتاها حلب العصير فعاطى بزجاجة أرخاها للتفصيل
 بزجاجة رقصت بما في قمرها رقص القلوص براكب مستعجل

العصابة : الجماعة من الناس : وجلق بكسر الجيم واللام أيضاً ، قال
 الجواليقي (في المعربات) : يراد به دمشق ، وقيل موضع بقرب دمشق ، وقيل
 إنه صورة امرأة كان للماء يخرج من فيها في قرية من قرى دمشق ، وهو أعجى
 معرب ، وقد جاء في الشعر الفصيح . وأنشد هذا البيت .

وقوله : أولاد جفنة الخ بالجر بدل من عصابة ، ويجوز رفعه . وجفنه بفتح
 الجيم هو أبو ملوك الشام ، وهو جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن حارثة بن
 امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن الغساني .

وابن مارية هو الحارث الأعرج ، وهو الحارث بن بجيلة بن الحارث بن
 ثعلبة بن عمرو بن جفنة .

وأما بجيلة بن الأيهم فهو ابن مارية ؛ لأنه ابن الأيهم بن بجيلة بن الحارث
 الأعرج . وأراد بأولاد جفنة أولاد الحارث الأعرج ابن مارية ، وهم : النعمان
 والمنذر ، والمنذر ، وبجيلة ، وأبو شير . وهؤلاء كلهم ملوك ، وهم أعمام بجيلة
 ابن الأيهم . كذا في مختصر أنساب العرب لياقوت الحموي .

قال السيد الجرجاني (في شرح المفتاح) : ترك تفضيلهم احترازاً عن
 تقديم بعضهم على بعض . ثم قوله وعن التصريح بأسمى الأناث الداخلة فيهم ،
 فيه نظر ؛ فإن ذكر نساء الملوك لا يُعهد عند ذكر الملوك . وقوله : إن مارية

(١) ط : « يسقى على » ، صوابه في ش والديوان .

هى أم جفنة غير صواب ، وإنما هى أم الحارث الأعرج . ومارية قال جمهور النسّابين : هى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكندية . وقال أبو عبيدة وابن السكيت : هى مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة؛ فتكون على هذا غسانية، وهى أخت هند امرأة حُجر والد امرئ القيس صاحب المعلّقة، وليست أمه . ومارية هى التى يضرب المثل بقرطيبها فيقال : « خذْه ولو بقرطى مارية » ، يضرب للترغيب فى الشئ وإيجاب الحرص عليه ، أى لا يفوتك على كل حال ، وإن كنت تحتاج فى إحرازه إلى بذل النفائس . قال الزمخشري (فى أمثاله) : هى أول عربية تقرّطت وسار ذكر قرطيبها فى العرب ، وكانا نفيسى القيمة ، وقيل إنهما قوُما بأربعين ألف دينار ، وقيل كان فيهما درّتان كببيض الحمام لم يُر مثلهما ، وقيل هى من اليمن أهدت قرطيبها إلى البيت . انتهى .

وقال أبو محمد الاعرابي : هى ذات القرطين؛ لدرّتين كأنهما بيضتا نعامه أو حمامة .

وأراد بقوله : حول قبر أبيهم ، أنهم ملوك ذوو حاضرةٍ ومستقرّ ، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع . سئل الأصمعيّ بأنّه ما أراد حسان به ^(١) ، وأى مدح لم فى كونهم عند قبر أبيهم ؟ فقال : إنهم ملوكٌ حُول فى موضع واحد ، وهم أهل مدّر وليسوا بأهل عمد . وقال غيره : معناه أنهم آمنون لا يبرحون ولا يخافون كما تخاف العرب ، وهم مخصبون لا ينتجعون .

(١) سئل بكذا ، أى عن كذا ، من قوله تعالى : « سال سائل

بعذاب واقع » .

قال السيد المرتضى (في أماليه^(١)) : هذا من الاختصار الذي ليس فيه حذف . أراد أنهم أعزّاه مقيمون بدار مملكتهم ، لا ينتجعون كالأعراب . فاختصر هذا المبسوط في قوله : حول قبر أبيهم . . قال : والاختصار غير الحذف ؛ وقوم يظنون أنهما واحد ، وليس كذلك ، لأن الحذف يتعلق بالألفاظ : وهو أن تأتي بلفظ يقتضى غيره ، ويتعلق به ، ولا يستقل بنفسه ويكون في الوجود دلالة على المحذوف ، فيقتصر عليه طلباً للاختصار . والاختصار يرجع إلى المعاني : وهو أن تأتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عُبر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ . فلا حذف إلّا وهو اختصار ، وليس كل اختصار حذفاً . انتهى كلامه .

وأدرج ابن رَشِيق (في العُمدَة) هذا النوع في باب الإشارة^(٢) ، قال : والإشارة من غرائب الشعر ومُلَحِّهِ ، وبلاغة عجيبة تدلّ على بُعد الرمي وفرط القدرة ؛ وليس يأتي بها إلّا الشاعرُ المبرِّزُ والهاذقُ الماهر ؛ وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة ، واختصار ، وتلويح يعرف مجعلاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه .

وقوله : يُفْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَامُهُمْ الخ ، بالبناء للمفعول أى يُتَرَدَّدُ إليهم ؛ مِنْ غَشِيَةٍ : إذا جَاهَهُ . وَهَرَّ الْكَلْبُ يَهَرُّ ، مِنْ بَابِ ضَرْبٍ ، هَرِيرًا : إذا صَوَّتَ ، وهو دون النباح . يعنى أن منازلهم لا تخلو من الأضياف والفقراء ، فكلابهم لا تهَرُّ على من يقصد منازلهم ؛ لاعتيادها بكثرة التردد إليها من الأضياف وغيرهم . وقوله : لا يَسْأَلُونَ الخ ، أى هم في سعة لا يسألون كم نزل

(١) أمالي المرتضى ٢ : ٧٣ - ٧٤ .

(٢) العُمدَة ١ : ٢٠٦ .

بهم من الناس ، ولا يهولم الجمع الكثير ، وهو السَّواد ، إذا قصدوا نهمهم .
وهذا البيت استشهد به سيبويه^(١) وابن هشام (في المغنى) على أن حتى
فيه ابتدائية ، أى حرف يُبتدأ بعده الجملة اسمية ، أو فعلية .

وقال أبو على (فى التذكرة القصرية) : اعلم أن يُعْشَوْنَ للحال الماضية ،
أعنى أنه حكاية لما مضى من الحال ، ولولا تقدير ك له بالحال ما صحَّ الرفع ؛
لأنَّ الرفع لا يكون إلّا والفعل واقع . ويُعْشَوْنَ لا يكون إلّا للحال أو للآتى ،
فلو قدرته للآتى لم يصحَّ الرفع ؛ إذ لا يكون الرفع إلّا وما قبله واقع والآتى
لا يكون واقعا ، فثبت أن يعشون للحال إذ كانت الحال واقعة ، كأنه قال :
من عادتهم أنهم يعشون حتى لا نهر كلابهم ، أى لا يزالون يُعْشَوْنَ . انتهى .
وقوله : يُسْقَوْنَ دِرْيَاقَ الرَّحِيقِ الخ ، يُسْقَوْنَ بالبناء للمفعول ، قال شارح
الديوان السكرى : الدَّرْيَاق : خالص الحر وجيده ، شبهه بالدرياق الشافى .
والولائد : جمع وليدة ، وهى الخادم . والنَّقْف : استخراج ما فى الحنظل .
يقول : هم ملوك لا تَجْنَى ولا تَدْمُ الحنظل ولا تَنْقِفُهُ .

وقوله : من الطُّراز الأول ، يعنى آباءهم الأشراف المتقدمين الذين
لا تشبه خلائقهم وأفعالهم هذه الأفعال المحدثّة . ٢٤٠

وقوله : يسى^(٢) على بكأسها الخ ، المنتطف : المقرط ؛ والنطفة ،
بفتح الحاء : القرط . ويروى (منطقت) ، وهو الذى عليه مِنطَقَةٌ . وعله : سقاه
سَقِيًّا بعد سقى . والنهل هنا : العطش . وقال السكرى : يقول : يسقنيها على
كلِّ حالٍ ، عطِشْتُ أو لم أعطش .

(١) سيبويه ١ : ٤١٣ وشرح شواهد المغنى ١٣٠ ، ٣٢٥ .

(٢) ط : و يسقى ، صوابه فى ش .

وقوله : إنَّ التي ناولتني فرددتها قُتِلَتْ ، بالبناء للمفعول ، أى مزجت بالماء ، والجملة خبر إنَّ . وقوله : قُتِلَتْ ، هذا أيضاً بالبناء للمفعول ، لكنه مسند إلى ضمير المتكلم ، والجملة اعتراضية .

وقوله : كلتاها الخ ، أراد كلتا المزوجة والصرف ، حَلَبُ العنب ، فناولتني أشدها لإرخاء ، وهى الصِّرف التى طلبها منه فى قوله لم تقتل . وهاتيا بكسر التاء أمرٌ من هاتى يُهاتى مهاتاة^(١) . والحَلَبُ بفتحين بمعنى المهلوب ، كالقنص بمعنى القنوص . وأرخاها هو أفضل تفضيل من أرخى المزيد ، وهو سماعى عند قوم مقيس عند آخرين . والمفصل ، روى بكسر الميم وفتح الصاد ، وهو اللسان لأنه آلة يُفصل به ، وروى بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو موضع انفصال العضو .

وقوله : رقص القلوص ، بفتح القاف : الناقة الشابة ، قال السكرى : يقال رقص رقصاً وحلب حلباً بفتحتين ، وقد تخفف ، والوجه الفتح^(٢) .

قال ابن الشجرى (فى أماليه^(٣)) : قال أبو الفرج^(٤) على بن الحسين الأصبهانى صاحب كتاب الأغاني حديثاً رفعه إلى أبي طليان الحماتى قال :

(١) كذا . والمشهور أنها اسم فعل أمر بناؤه على الكسر .

(٢) نص السكرى ٣٥ من شرح الديوان طبع ليدن : « يقال رقص رقصا ، وحلب حلبا ، وجلب جلبا ، وقد يخففن أيضاً ، والوجه الفتح » .

(٣) لم أعر على هذا النص فى أمالى ابن الشجرى المطبوعة ، والمعروف أنها منقوصة الأواخر كما نبه محققها فى ٢ : ٣٥٦ أنها تنقصها ستة مجالس .

(٤) الأغاني ٨ : ١٦٣ .

اجتمعت جماعةٌ من الحنّاء على شرابٍ ، فتغنى أحدهم بقول حسان :

إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا (البيت)

وقوله : كَلَنَاهَا حَلَبُ الْعَصِيرِ (البيت)

فقال رجلٌ منهم : كيف ذكر واحدةً بقوله إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا ثُمَّ قَالَ كَلَنَاهَا فَجَعَلَهَا اثْنَيْنِ ؟ قَالَ أَبُو ظَبْيَانَ : فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْجَمَاعَةِ جَوَابًا ، فَخَلَفَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا إِنَّ بَاتٍ وَلَمْ يَسْأَلِ الْقَاضِي عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ (١) عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الشَّعْرِ ، قَالَ : فَسَقَطَ فِي أَيْدِينَا لِيَمِينِهِ ، ثُمَّ اجْتَمَعْنَا عَلَى قَصْدِ عُبَيْدِ اللَّهِ . فَخَدَّئْنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا السَّعْدِيِّينَ قَالَ : فِيمَنْنَاهُ نَتَخَطَّى إِلَيْهِ الْأَحْيَاءُ ، فَصَادَفْنَاهُ فِي مَسْجِدٍ يَصَلِي بَيْنَ الْعِشَاءِ بَيْنَ ، فَلَمَّا سَمِعَ حَسَنًا أَوْجَزَ فِي صَلَاتِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : مَا حَاجَتُكُمْ ؟ فَبَدَرَ رَجُلٌ مَنَا كَلَنَ أَحْسَنَتَا بَقِيَّةِ (٢) فَقَالَ : نَحْنُ ، أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِي ، قَوْمٌ نَزَعْنَا إِلَيْكَ مِنْ طَرِيقِ الْبَصْرَةِ (٣) فِي حَاجَةٍ مَهْمَةٍ ، فِيهَا بَعْضُ الشَّيْءِ ، فَإِنْ أَذْنَتْ لَنَا قُلْنَا . فَقَالَ : قُولُوا . فَذَكَرَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالشَّعْرِ . فَقَالَ : أَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي ، فَإِنَّهُ يَعْنِي الْحَمْرَ . وَقَوْلُهُ : قَتَلْتُ أَرَادَ مَزَجْتُ بِالْمَاءِ . وَقَوْلُهُ : كَلَنَاهَا حَلَبُ الْعَصِيرِ ، يَعْنِي الْحَمْرَ وَمِزَاجَهَا ، فَالْحَمْرُ

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « الْحُسَيْنِ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْأَغَانِي ٨ : ١٦٣ وَمَوَاضِعُ أُخْرَى مِنْهُ ، وَهَذَا هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَنْبَرِيُّ ، قَاضِي الْبَصْرَةِ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٦٨ . وَانْظُرْ حَوَاشِي الْحَيَوَانَ ١ : ٣٤٥ .
(٢) فِي النُّسخَتَيْنِ : « نَفْثَةٌ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْأَغَانِي ، وَالبَقِيَّةُ : الْفَهْمُ وَثَقُوبُ الذَّهْنِ ، كَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ : « أَوَّلُو بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ » .
(٣) فِي الْأَغَانِي : « مِنْ طَرَفِ الْبَصْرَةِ » .

عصير العنب ، والماء عصير السحاب ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ^(١) ﴾ . انصرفوا إذا شتم .

وأقول : إنَّ هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء :

أحدها أنه قال كلتاها وكلتا موضوعه لمؤنثين ، والماء لمذكر والمذكر أبدأً يتلَبَّ على التأنيث ، كتغليب القمر على الشمس في قول الفرزدق :

• لنا قراها والنجومُ الطوالعُ ^(٢) •

أراد : لنا شمسها وقراها . وليس للماء اسم آخر مؤنث فيحمل على المعنى كما قالوا : « أئنه كتابي فاحتقرها » ؛ لأن الكتاب في المعنى صحيفة .

والثاني : أنه قال : أرخاها للمفصل ، وأفعل هذا موضوع لمشركين ٢٤١ في معنى ، وأحدهما يزيد على الآخر في الوصف به ، والماء لا يشارك في إرخاء المفصل .

والثالث : أنه قال في الحكاية : فالخر عصير العنب ، وقول حسان حلب المصير يمنع من هذا ، لأنه إذا كان المصير الخمر والحلب هو الخمر فقد أُضيفت الخمر إلى نفسها ، والشئ لا يضاف إلى نفسه .

والقول في هذا عندي : أنه أراد كلتا الخمرين : الصرف والمزوجة ، حلبُ العنب ، فتولني أشدهما إرخاء للمفصل .

وفرق اللغويون بين المفصل والمفصل فقالوا : المفصل بكسر الميم وفتح

(١) الآية ١٤ من سورة النبا .

(٢) صدره ، كما في ديوانه ٥١٩ :

* اخذنا بأفاق السماء عليكم *

الصاد اللسان ، وهو بفتح الميم وكسر الصاد واحد مفاصل المظالم ، وهو في بيت حسان يحتمل الوجهين . انتهى كلام ابن السحري .

وأما حديث حسان بن ثابت مع جيلة بن الأيهم ، وكيفية إسلام جيلة وارتداده ، فقد أورده صاحب الأغاني (١) مفصلاً وها أنا أورده مجملًا :

روى بسنده إلى يوسف بن الماجشون عن أبيه قال : قال حسان بن ثابت : أتيت جيلة بن الأيهم الغساني و [قد] مدحته ، فأذن لي ، فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له ضفيران ، وعن يساره رجل لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه — وهو النابغة الذبياني — وأما هذا فلا أعرفه . قال : هو علقمة بن عبدة ، فإن شئت استنشدهما [وسحمتَ منهما] ، ثم إن شئت أن تُنشد بعدها أنشدت ، [وإن شئت أن تسكتَ سكتَ] . قلت : فذاك . فأنشده النابغة :

كَلْبِي لَهْمَ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقْلَسِيهِ بَطْلَى الْكَوَاكِبِ

قال : فذهب نصفي . ثم قال لعلقمة : أنشد . فأنشد :

طَحَابَكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

فذهب نصفي الآخر . فقال لي : أنت أعلم الآن ، إن شئت سكتَ وإن شئت أنشدت . فتشددت وأنشدت :

لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمُهَا يَوْمًا بِجِلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

أَبْنَاءَ جَفْنَةٍ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرَ ابْنِ مَارِيَةَ الْجَوَادِ الْمُفْضَلِ

يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ كَأَسَا تُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ (٢)

(١) الأغاني ١٤ : ٢ - ٧ . وما وضع بين معكفين في هذه

النصوص فهو تكملة من الأغاني .

(٢) ط : « بالرحيل » ، صوابه في ش والأغاني .

يَفْشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ لِلْقَبْلِ
 بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
 فَقَالَ لِي : اَدْنُ اَدْنُ ، لَعَرَى مَا أَنْتَ بَدُونِيهَا . ثُمَّ أَمَرَ لِي بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ
 وَعَشْرَةِ أَقْصَةِ لَهَا جِيبٌ وَاحِدٌ ، وَقَالَ : هَذَا لَكَ عِنْدَنَا فِي كُلِّ عَامٍ .

وَذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِي هَذِهِ الْقِصَّةَ لِحَسَّانَ مَعَ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ الْأَعْرَجِ ،
 وَأَنَّى بِالْقِصَّةِ أَنَّهُمْ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو : قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

قَدِمْتُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ فَاعْتَصَصَ الْوُصُولُ إِلَيْهِ (١) ، فَقُلْتُ لِلْحَاجِبِ
 بَعْدَ مَدَّةٍ : إِنْ أَذْنَتْ لِي وَإِلَّا هَجَوْتُ الْبَيْتَ كُلَّهُ . فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ ،
 فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ النَّابِغَةَ وَعَلْقَمَةَ بِنَ عَبْدَةَ ، فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ الْفَرِيعةِ ، قَدْ عَرَفْتُ
 نَسَبَكَ فِي غَسَّانٍ فَارْجِعْ ، فَإِنِّي بَاعْتُ إِلَيْكَ بِصِلَةِ سَنِيَّةٍ وَلَا نَحْتَاجُ (٢) إِلَى الشَّعْرِ
 فَأِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ هَذِينَ السَّبْعِينَ أَنْ يَفْضَحَاكَ ، وَفَضِيحَتُكَ فَضِيحَتِي ، وَأَنْتَ
 وَاللَّهِ لَا تَحْسَنُ أَنْ تَقُولَ :

رَقَاقُ النِّعَالِ طَلِيبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحَيِّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِبِ (٣)

فَأَيَّتُ وَقُلْتُ : لَا بَدَّ مِنْهُ . فَقَالَ : ذَاكَ إِلَى عَمِّيكَ . فَقُلْتُ لَهَا : بِحَقِّ ٢٤٢
 لِلْمَلِكِ إِلَّا مَا قَدَّمَ تَنَانِي عَلَيْكَ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْنَا . فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :
 أَبْنَاءُ جَنَّةٍ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةِ الْكَرِيمِ الْمُفْضَلِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « فَاعْتَصَصَ الْوُصُولُ عَلَى إِلَيْهِ » .

(٢) الْأَغَانِي : « وَلَا احْتَاجُ » .

(٣) ط وَالْأَغَانِي : « دَقَاقُ النِّعَالِ » ، وَاتَّبَتْ مَا فِي شِ وَالِدِيَوَانِ

٩ قَالَ شَارِحُهُ : « الْقَتَيْبِيُّ : قَوْلُهُ رَقَاقُ النِّعَالِ ، أَرَادَ أَنَّهُمْ مَلُوكُ

لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ ، وَأَمَّا يَخْصِفُ مِنْ يَمْشِي » .

(الآيات^(١)) فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً ، حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيك الشعر ، لا ما يمللاني به منذُ اليوم ، أحسنت يا ابن الفريعة ، هات له يا غلام ألف دينار [مرجوحة^(٢)] . فأعطيت ذلك ، ثم قال : لك على كل سنة مثلها .

وقال أبو عمرو الشيباني : لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني - وكان من ملوك آل جفنة - كتب إلى عمر يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له فخرج إليه في خمسمائة من أهل بيته ، من عك وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يُعلمه بقدومه ، فسر بذلك وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال ، وأمر جبلة مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الديباج^(٣) والحرير ، وركبوا الخيل معقودة أذنابها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطاً مارية ، وهي جدته ، ودخل المدينة فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا خرجت تنظر إليه وإلى زيته ، فلما انتهى إلى عمر رحب به وألطفه وأدنى مجلسه ، ثم أراد [عمر] الحج فخرج معه جبلة ، فينا هو في الطواف إذ وطئه إزاره رجل من بني قزارة ، فأنحل ، فرفع جبلة يده فشم أنف الفزاري ، فاستعدى عليه عمر فبعث إلى جبلة فأناه فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمّد حلّ إزارى ، ولولا حرمة الكعبة لضربت عنقه^(٤) بالسيف !

(١) الذى فى الأغاني بيت واحد ، وهو بدل البيت السابق :

اسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

(٢) وبعدها أيضاً فى الأغاني : « وهى التى فى كل دينار عشرة

دنانير » .

(٣) فى الأغاني : « فلبسوا السلاح » .

(٤) الأغاني : « لضربت بين عينيه » .

قال عمر ، قد أقررت إما أن تُرضي الرجل وإما أقدته . قال جبلة : تصنع ماذا ؟ قال : أمرُ بهشم أنفك ، قال : وكيف ذلك ، هو سَوْقَة وأنا ملك ؟ قال : [إن] الإسلام بحمك وإياه ، فليس تفضله إلا بالتقى والمافية ؛ قال جبلة : قد ظننتُ أني أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا ، فإنك إن لم تُرضِ الرجل أقدته منك ؛ قال : إذن أنتصر ؛ قال : إن تنصرت ضربتُ عنقك ، فلما رأى جبلة الجِدَّ من عمر قال : أنا ناظر في ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حَيٍّ هذا و [حَيٍّ] هذا خلقٌ [كثيرٌ] حتى كادت أن تكون فتنة ، فلما أمسوا أذن له عمرُ بالانصراف ، حتى إذا نام الناس تحمَّلَ جبلةُ مع جماعته إلى الشام ، فأصبحت مكةُ منهم بلاقع . فلما انتهى إلى الشام تحمَّلَ في خمسمائة من قومه حتى أتى القُسطنطينية فدخل إلى هرقل ، فنصَّر هو وقومه ، فسُرَّ هرقلُ بذلك جداً ، وظنَّ أنه فتحٌ من الفتح ، وأقعده حيث شاء^(١) ، وجعله من محدثية ومُتَمَّاره . ثم إن عمر بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوهُ إلى الإسلام ، ووجهَ إليه رسولا [وهو جثامة بن مُسَاحِق السكناني] ، فلما انتهى إليه أجابَ إلى كلِّ شيء سوى الإسلام ، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابنَ عمِّك هذا الذي جاءنا راعباً في ديننا ؟ قلت : لا . قال : فالقه . قال : فتوجَّهْتُ إليه ، فلما انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة^(٢) والحسن والستور^(٣) ما لم أَر مثله بباب هرقل ، فلما أُدخِلت عليه إذا هو في بهو عظيم ، وفيه من التصاوير ما لا أحسن وصفه ، وإذا هو جالسٌ على سريرٍ من قواريرٍ قوامه

(١) الأغاني : « وأقطعه حيث شاء » .

(٢) في النسختين : « البهو » ، صوابه من الأغاني .

(٣) ش : « والجيش » وفي الأغاني : « والحسن والسرور » .

٢٤٣ أربعة أسدٍ من ذهب ، وقد أمرَ بِمَجْلِسِهِ فَاسْتَقْبَلَ بِهِ وَجْهَ الشَّمْسِ ، فَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ تَلَوَحُ ، فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ رَدَّ السَّلَامَ وَرَحَّبَ بِي وَالْطَّفَنِي ، وَلَامَنِي عَلَى تَرْكِ النَّزُولِ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَقْعَدَنِي عَلَى سُرِيرٍ لَمْ أَدْرِ مَا هُوَ ، فَتَبَيَّنْتُ فَإِذَا هُوَ كُرْسِيٌّ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَمْعَدْتُ عَنْهُ فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ فَقُلْتُ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ هَذَا . فَقَالَ جَبَلَةٌ أَيْضًا مِثْلَ قَوْلِي فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ ذَكَرْتَهُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا هَذَا ، إِنَّكَ إِذَا طَهَّرْتَ قَلْبَكَ لَمْ يَضُرَّكَ مَا لَيْسَتْهُ وَلَا مَا جَلَسْتَ عَلَيْهِ . ثُمَّ سَأَلَنِي عَنِ النَّاسِ ، وَأَلْفَ فِي السُّؤَالِ عَنْ عَمْرٍ ، ثُمَّ جَعَلَ يَفْكَرُ حَتَّى عَرَفْتُ الْحُزْنَ فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى قَوْمِكَ وَالْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ ، أَبَعْدَ الَّذِي قَدْ كَانَ ؟ قُلْتُ : قَدْ ارْتَدَّ الْأَشْمُثُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْإِسْلَامِ [وَمَنْعَهُمُ الزَّكَاةَ] وَضَرَبَهُمُ بِالسَّيْفِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ . فَتَحَدَّثْنَا مَلِيًّا ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى غُلَامٍ عَلَى رَأْسِهِ ، فَوَلَّى يُحْضِرُ ، فَمَا كَانَ إِلَّا هُنَيْئَةً (١) حَتَّى أَقْبَلْتُ الْأَخُوَّةَ فَوَضَعْتُ ، وَجِيءَ بِخِيَّانٍ مِنْ ذَهَبٍ فَوَضَعَ أَمَامِي فَاسْتَعْفَيْتُ ، فَوَضَعَ أَمَامِي خِيَّانٍ مِنْ خَلَنَجٍ وَجَامَاتٍ قَوَارِيرَ ، وَأَدِيرَتِ الْحُمْرُ فَاسْتَعْفَيْتُ مِنْهَا ، فَلَمَّا فَرَّغْنَا دَعَا بِكَأْسٍ مِنْ ذَهَبٍ فَشَرِبَ مِنْهُ خَمْسًا ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى غُلَامٍ فَوَلَّى يُحْضِرُ فَاشْعَرْتُ إِلَّا بِعَشْرِ جَوَارٍ يَتَكَمَّرْنَ فِي الْحَلِيِّ وَالْحَلَلِ ، فَقَعَدَ خَمْسٌ عَنْ يَمِينِهِ وَخَمْسٌ عَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ سَمِعْتُ وَصُوسَةً مِنْ وَرَائِي ، فَإِذَا أَنَا بِعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْأَوَّلِ ، عَلَيْهِمُ الْوَشِيُّ وَالْحَلِيُّ ، فَقَعَدَ خَمْسٌ عَنْ يَمِينِهِ وَخَمْسٌ عَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ جَارِيَةً عَلَى رَأْسِهَا طَائِرٌ أَبْيَضُ كَأَنَّهُ لَوْلُؤَةٌ ، مُؤَدَّبٌ ، وَفِي يَدَيْهَا الْيَنْفَى جَامٌ فِيهِ مَسْكٌ وَعَنْبَرٌ قَدْ خُلِطَا ، وَفِي الْيَسْرَى جَامٌ فِيهِ مَاءٌ

(١) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « هُنَيْئَةٌ » ، وَفِي الْأَغَانِي : « هُنَيْيَةٌ » ، وَمَا

أَنْبَتَ أَقْرَبَ تَصْحِيحٍ ، وَانْظُرِ اللِّسَانَ وَالْقَامُوسَ (هَتُو) .

ورد ، فألقت الطائر في ماء الورد فتمعك فيه بين جناحيه وظهره وبطنه ،
ثم أخرجه فألقته في جام المسك والعنبر فتمعك فيهما حتى لم يدع فيه شيئاً ،
ثم نفّرتَه فطار فسقط على رأس جبلة ، ثم رفرف ونفض ريشه فما بقى عليه
شيء إلا سقط على جبلة ؛ ثم قال للجواري : أطر بني . فحقن بعيدهن يغنين :

لله دُرٌّ عصابة نادتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
(الآيات) فاستهل واستبشر وطرب ، ثم قال : زدني . فاندفعن يغنين :

لمن الدار أقفرت بمغان^(١) بين شاطي اليرموك فالصمان^(٢)

إلى آخر القصيدة .

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلنا في ملكنا
بأكناف دمشق ، وهذا شعر ابن الفريمة حسان بن ثابت شاعر رسول الله
صلى الله عليه وسلم . قلت : أما إنه مضرور البصر ، كبير السن ؟ قال :
يا جارية ، هاتي . فأته بخمسة دينار ، وخمسة أثواب ديباج ، فقال : ادفع
هذه إلى حسان . ثم راودني على مثلها ، فأبيت فبكي ، ثم قال لجواريه :
أبكييني . فوضعن عيدانهن ثم أنشأن يقُلن :

تنصرت الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها لجأج ونخوة وكنت كن باع الصمحية بالموار
فيا ليت أُمي لم تلدني ولينتي رجعت إلى القول الذي قاله عمر^(٣)

(١) ط : « بمغانى » ش : « بمغان » ، صوابه ما أثبت من الديوان

٤١٤ والأغاني .

(٢) في النسختين والأغاني : « بين شاطي » ، والصواب تخفيف

الهمزة . وفي الديوان والعقد ٢ : ٦٠ : « بين أعلى اليرموك فالصمان » .

وفي معجم البلدان (الصمان) : « بين شاطي اليرموك فالصمان » .

(٣) الأغاني : « قال لي عمر » .

٢٤٤ وَيَالَيْتَنِي أُرْعَى الْمَخَاضَ بِقَرَّةٍ وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رُبَيْعَةٍ أَوْ مَضَرٍّ
وَيَالَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَذْنِي مَعِيشَةٍ أَجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

ثم بكى وبكى معه ، حتى نظرت إلى دموعه نجول على لحيته ، ثم سلمت عليه وانصرفت ، فلما قدمت على عمر سألتني عن هرقل وعن جيلة فقصصت عليه القصة ، فقال : أبعده الله ، تعجل فانية اشتراها بباقية ، فهل سرّح معك شيئاً ؟ قلت : سرّح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج . فقال : هاها . وبثّ إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي لأجد أرواح آل جفنة ! فقال عمر رضى الله عنه : قد نزع الله تعالى لك منه على رغم الله ، [وأتاك بمعونته] . فأخذها وانصرف وهو يقول :

إِنَّ ابْنَ جَفْنَةَ مِنْ بَقِيَّةٍ مَعْشِرٍ لَمْ يَفْزُدْ أَبَاؤُهُم بِاللُّومِ
لَمْ يَدْخَسْنِي بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رَبُّهَا كَلًّا وَلَا مَتَنَصَّرًا ، بِالرُّومِ
يُعْطَى الْجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ إِلَّا كَبْعُضِ عَطِيَّةٍ لِلذَّمُومِ
وَأَتَيْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي وَسَقَى فُرُؤَانِي مِنَ الْخُرْطُومِ

ثم قال للرسول : ما قال لك جيلة ؟ قال : قال لي : إن وجدتته حياً فادفعها إليه ، وإن وجدته ميتاً فاطرح الثياب على قبره ، وابتع بهذه الدنانير بئنا فانحمرها على قبره . فقال حسان : ليتك والله وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي ! انتهى كلام الأغاني .

وروى هذه القصة ابن عبدربه (في العقد) على هذا النمط وزاد فيها عند قوله :

« قد ارتدَّ الأشعث بن قيس عن الإسلام ثم رجع وقبل منه ^(١) » . قال جبلة : ذرني من هذا ، إن كنتَ تضمن لي أن يزوجني عمر بنته ، ويولياني بعده الأمر رجعت إلى الإسلام . قال : فضمنت له التزويج ، ولم أضمن الإمرة .

وقال في آخر القصة ^(٢) : فلما قدمتُ على عمر أخبرته خبر جبلة وما دعوتهُ إليه من الإسلام ، والشرط الذي اشترطه ، فقال لي ^(٣) عمر : هلاً ضمنتَ له الإمرة أيضاً ، فإذا أفاء الله به [إلى ^(٤)] الإسلام قضى عليه بحكمه عز وجل . قال : ثم جهزني عمر إلى قيصر ، وأمرني أن أضمن جبلة ما اشترط به . فلما قدمتُ القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب . انتهى .

وروى صاحب الأغاني عن ابن الكلبي : أن الفزاري لما وطئ إزار جبلة فلطم الفزاري جبلة كما لطمه جبلة ، وثب عليه غسان ^(٥) فهشموا أنفه وأتوا به عمر . ثم ذكر باقي الخبر كما ذكر .

(١) الذي في العقد ٢ : ٥٨ بدل هذا « قد فعل رجل من بني فزارة أكثر مما فعلت ، ارتدَّ عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل ذلك منه » . والأشعث بن قيس ، من كندة ، بل كان من ملوكها فيما ذكر ابن سعد ، فالفزاري آخر غيره ، وهو عيينة بن حصن الفزاري . أسلم ثم ارتد ثم أسلم بعد ذلك على يد أبي بكر . الاشتقاق ٢٨٤ والاصابة ٦١٤٦ .

(٢) العقد ٢ : ٦١ .

(٣) في النسختين : « له » وإنما الضمير لتكلم . وفي العقد : « فقال » فقط .

(٤) هذه التكملة من العقد .

(٥) في العقد : « فوثبت غسان » .

وروى الزبير بن بكار : أَنَّ جبلة قدم على عمر في ألف من أهل بينه
فأسلم وجري بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام ، فسبَّ المدنيَّ فردَّ
عليه ، فلطمه جبلة فلطمه المدنيُّ ، فوثب عليه أصحاب جبلة ، فقال : دعوه
حتى أسألَ صاحبه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إِنَّكَ
فعلتَ به فعلاً ففعل بك مثله . قال : أو ليس عندك من الأمر إلّا ما أرى ؟
قال : لا ، فما عندك من الأمر يا جبلة ؟ قال : من سبنا ضربناه ، ومن ضربنا
قتلناه ! قال : إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنُ بِالْقِصَاصِ ! ! فنضب وخرج بمن معه ، ودخل
أرض الروم فتصّر ، ثم ندم فقال :

* تنصّرت الأشرافُ من عار لطمتي *

(وذكر الأبيات الماضية).

ثم روى صاحب الأغاني^(١) بسنده عن عبد الله بن مسعدة الفزاريّ قال :
٢٤٥ وجّهني معاويةُ إلى ملك الروم فدخلتُ عليه ، وعنده رجل على سرير من
ذهب ، فكلمني بالعربية فقلت : من أنت يا عبد الله ؟ قال أنا رجل
غلبَ عليه الشقاء ، أنا جبلة بن الأيهم الغساني ، إذا صرتُ إلى منزلي
فألقني . فلما انصرف أتيته فألقيته على شرا به ، وعنده قيتان تغنيانه بشعر
حسن بن ثابت ، فلما فرغتا من غناهما أقبل عليّ فقال : ما فعل حسان بن
ثابت . قلت : شيخ كبير قد عمي ! فدعا بألف دينار ، فقال : ادفعتها إلى
حسان . ثم قال : أترى صاحبك يني لي إن خرجتُ إليه ؟ قلت : قلّ ماشئتُ
أعْرِضُهُ عليه . قال : يعطيني [الثَّيَّةُ^(٢)] فإنّها كانت [منارلنا ، وعشرين

(١) الأغاني ١٤ : ٧ .

(٢) هي التي كانت تعرف بثنية العقاب ، ذكر ياقوت أنها المطنة

على غوطة دمشق .

قرية من الغوطة ، ويفرضُ لجماعتنا ويُحسنُ جوائزنا . فقلت : أبلغه . فلما قدمتُ على معاوية أخبرته الخبر ، فقال : وددت أنك أجبتَه إلى ما سأل . وكتب إليه بمطاء ذلك ، فوجده قد مات .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الثلاثمائة ، وهو من أبيات المفصل وغيره ^(١) :

٣١٦ ﴿ وقد جعلتني من حَزِيمَةٍ إصْبَعًا ﴾

على أن فيه حذف ثلاث كلمات متضائفات ، أي ذا مقدار مسافة أصبع . الأولي تقدير مضافين أي ذا مسافة إصبع ؛ فإنَّ المسافة معناها البعد ، و « المقدار » لا حاجة إليه . كذا قدر جماعة منهم أبو علي (في الإيضاح الشمرى) ، ومنهم ابن هشام (في المغنى) .

وهذا عجز ، وصدره :

(فأدركَ إبقاءَ العَرَادَةِ ظَلْمُهَا)

وهو من جملة أبياتِ الكَلْحَةِ العَرِينِي ^(٢) ، تقدّم شرحها وترجمته في الشاهد الحادى والستين . وأوّل الأبيات :

(فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا يَا حَزِيمَ بْنَ طَارِقِ)

فقد ترَكَتْ مَا خَلْفَ ظَهْرِكَ بَلَقْعًا)

(١) ابن يعيش ٣ : ٣١ . وانظر نوادر أبي زيد ١٥٣ والعينى ٣ :

٤٤٢ والأشمونى ٢ : ٢٧٢ والمفضليات ٣٢ .

(٢) ط : « العرنى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق من تحقيق

البغدادى فى ١ : ٣٩٢ .

يقول : إِنْ تَنْجُ يَا حَزِيمَةَ مِنْ فَرَسٍ ، فَلَمْ تَقْلُتْ إِلَّا بِنَفْسِكَ ، وَقَدْ اسْتُيْبِحَ مَالُكَ وَمَا كُنْتَ حَوَيْتَهُ وَغَنِمْتَهُ ، فَلَمْ تَدَعْ لَكَ هَذِهِ الْفَرَسُ شَيْئًا .

سبب الأبيات

وسبب هذه الأبيات : أَنَّ بَنِي تَغْلِبَ - وَكَانَ رَئِيسُهُمْ حَزِيمَةُ بْنُ طَارِقٍ - أَغَارَ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ ، فَاسْتَأْذَنَ حَزِيمَةُ بْنُ طَارِقٍ إِبِلَ بَنِي يَرْبُوعَ ، وَلَمَّا آتَى الصَّرِيحُ إِلَى بَنِي يَرْبُوعَ ، رَكَبُوا فِي إِثْرِهِ فَهَزَمُوهُ ، وَاسْتَنْقَدُوا مِنْهُ مَا كَانَ أَخْذَهُ ، وَأَسِيرَ حَزِيمَةَ . وَهَذَا الْبَيْتُ يَشْهَدُ بِانْفِلَاتِ حَزِيمَةَ ، وَشَعْرُ جَرِيرٍ يَشْهَدُ بِأَسْرِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

* قَدْ نَا حَزِيمَةَ قَدْ عَلِمْتَ عَنُوتَهُ (١) *

وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ حَزِيمَةَ بَعْدَ أَنْ نَجَا مِنَ الْكَلْبَةِ أَسْرَهُ غَيْرَهُ . وَضَمِيرُهَا رَاجِعٌ إِلَى فَرَسِ الْكَلْبَةِ . وَحَزِيمَ ، بَفَتْحِ الْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَكَسْرِ الزَّاءِ الْمَعْجَمَةِ : مَرْحَمٌ حَزِيمَةَ كَمَا فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ . وَالْبَلَّةُ : الْقَفْرُ الْخَالِي .

وقوله : (فَأَدْرَكَ إِيقَاءَ الْعَرَادَةِ) يَفْتَحُ الْعَيْنَ وَالرَّاءَ وَالذَّالَ الْمَهْمَلَاتِ : اسْمُ فَرَسِ الْكَلْبَةِ . وَ (الْإِيقَاءُ) مَا تَبْقِيهِ الْفَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ ، إِذْ مِنْ عِتَاقِ الْخَيْلِ مَا لَا تَعْطِي مَا عِنْدَهَا مِنَ الْعَدُوِّ ، بَلْ تُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ ، يُقَالُ فَرَسٌ مُبْقِيَةٌ : إِذَا كَانَتْ تَأْتِي بِجَرِيٍّ عِنْدَ اقْتِطَاعِ جَرِيهَا وَقْتِ الْحَاجَةِ . وَهُوَ مَفْعُولٌ . وَ (ظَلَمَهَا) فَاعِلٌ (أَدْرَكَ) . وَالظَّلْمُ فِي الْإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الْعَرَجِ الْيَسِيرِ ، وَلَا يَكُونُ فِي ذِي الْحَافِرِ إِلَّا اسْتِعَارَةً . يَقُولُ : تَبِعْتُ حَزِيمَةَ فِي هَرْبِهِ

(١) عجزه في ديوان جرير ٤٥٢ :

* وشتا الهديل يمارس الأغلال *

٢٤٦ فلما قربتُ منه أصابَ فرسى عرجٌ فتخلّفت عنه ، ولولا عرجُها لما أسره
غيرى . وجملة (وقد جعلتنى) الخ حالية .

وأخطأ المظفرى (فى شرح الفصل) حيث لم يقف على منشأ البيت ،
فزعم أن حزيمة اسم قبيلة ، وقال فى معناه : أدرك الظلمُ إبقاء هذا الفرس
أى بقاءها وثباتها فى السير ، يعنى كانت ثابتة فى السير فمرجت فى حالة
لم يبق بينى وبين قبيلتى إلاّ قدر إصبع . هذا كلامه ، وكان السكوت أجملَ
به ، لو كان يعقل !

وقال العينى : كانت فرس الكلجة مجروحة فقصّرت لما قرب من
حزيمة ففاته . وهذا لم يقله أحد ، ولما اعتذر الكلجة لعرج فرسه وانفلات
حزيمة بقوله :

(ونادى منادى الحى أن قد أُتَيْتُمْ وقد شربت ماء المزاودة أجمعا)
يقول : أتى الصريح وقد شربت فرسى من الحوض ماء^(١) . وخيل
العرب إذا علمت أنه يُغار عليها ، وكانت عطاشاً ، فمنها ما يشرب بعض
الشرب ، وبعضها لا يشرب ألبتة ، لما قد جرّبت من الشدة التى تلتقى
إذا شربت الماء وحُورب عليها . وجملة وقد شربت حال ، أى أُتَيْتُمْ^(٢)
فى هذه الحال . كذا قال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) .

فلم من هذا أن سبب عرج فرسه من إفراط شرب الماء ، لامن الجرح .
والله أعلم .

(١) ط : « من الحوض ماء » ، صوابه فى ش وشرح ابن الأنبارى

٢١ وما سبق فى ١ : ٣٨٩ .

(٢) ط : « أُوتَيْتُمْ » ، صوابه فى ش وشرح الأنبارى وما سبق .

وأشدد بعده :

(يا مَنْ رَأَى عَارِضاً أُسْرِبُهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجْهِهِ الْأَسَدِ)
على أَنَّ أَصْلَهُ : بَيْنَ ذِرَاعَيْ الْأَسَدِ وَجْهِهِ الْأَسَدِ . فُخِذَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ
الْأَوَّلُ عَلَى نِيَّةٍ لَفْظِهِ . وَلِهَذَا لَمْ يُبَيِّنِ الْمُضَافُ وَلَمْ يَنْوِّنْ .

و (مَنْ) مَنَادَى ، وَقِيلَ الْمَنَادَى مَحذُوفٌ وَمَنْ اسْتِفْهَامِيَّةٌ . وَالرُّؤْيَا
بَصَرِيَّةٌ . و (الْعَارِضُ) : السَّحَابُ الَّذِي يَعْتَرِضُ الْأَفْقَ . وَجَلَّةٌ (أُسْرِبُهُ)
بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ صِفَةً لِعَارِضٍ . و (الذَّرَاعَانِ) و (الْجَبْهَةُ) مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ .
وَعِنْدَ الْعَرَبِ أَنَّ السَّحَابَ الَّذِي يَنْشَأُ يَنْتَوِي مِنْ مَنَازِلِ الْأَسَدِ يَكُونُ مَطْرُهُ
غَزِيرًا ، فَلِذَلِكَ يُسْرِبُهُ .

قَالَ الْأَعْلَمُ (فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ) : وَصَفَ عَارِضَ سَحَابٍ اعْتَرَضَ
بَيْنَ تَوَيُّمِ الذَّرَاعِ وَتَوَيُّمِ الْجَبْهَةِ ، وَهِيَ مِنْ أَنْوَاءِ الْأَسَدِ ، وَأَنْوَاءُهُ أَحَدُ الْأَنْوَاءِ .
وَذَكَرَ الذَّرَاعَيْنِ ، وَالتَّوَيُّمَ إِنَّمَا هُوَ لِلذَّرَاعِ الْمَقْبُوضَةِ مِنْهُمَا ، لِاشْتِرَاكِهِمَا
فِي أَعْضَاءِ الْأَسَدِ .

وَقَدْ تَمَّ شَرْحُ هَذَا الْبَيْتِ - وَهُوَ لِلْفَرَزْدَقِ - بِأَبْسَطِ مِنْ هَذَا فِي الشَّاهِدِ
الْسادس والثلاثين بعد المائة (١) .

* * *

وأشدد بعده :

(إِلَّا عُلاَّةً أَوْ بُدَاهَةً سَابِجٍ نَهْدِ الْجَزَارَةِ)
على أَنَّ الْأَصْلَ : إِلَّا عُلاَّةً سَابِجٍ أَوْ بُدَاهَةً سَابِجٍ ، كَالَّذِي قَبْلَهُ .

قال أبو علي (في التذكرة القصرية) : ليس من اعترض في قوله إلا علالة أو بداهة قارح^(١) بأن المضاف إليه محذوف ، يدافع أن يكون بمنزلة ما شبهه به من قوله :

* لله در اليوم من لأمها^(٢) *

لأنه قد ولى المضاف غير المضاف إليه ، وإذا وليه غيره في اللفظ فقد وقع الفصل به بينهما ، كما وقع الفصل بينهما في اللفظ في قوله : لله در اليوم . وإذا كان كذلك فقد ساواه في القبح للفصل الواقع بينهما ، وزاد عليه فيه أن المضاف هنا محذوف ، والله در اليوم مذكور ، فلا يخلو الأمر من أن يكون ٣٤٧ أراد المضاف إليه فحذفه لدلالة الثاني عليه ، أو أراد إضافته إلى المذكور في اللفظ وفصل بينهما بالمعطوف . وكيف كانت القصة فالفصل حاصل بين المضاف والمضاف إليه . واعترض بأن قال : لو كان على تقدير الإضافة إلى قارح الظاهر ، لكان إلا علالة أو بداهة قارح . [و^(٣)] لا يلزم لأنه يجوز^(٤) أن يكون : إلا علالة قارح أو بداهة قارح ، فيظهر المضاف إليه موضع الإضمار ، فتحذفه من اللفظ كما جاز عند من خالف سيبويه ، بأن يذكر علالة وهو يريد الإضافة فيحذف المضاف . وله أن يقول : إن تقدير الحذف أسوغ ، ولأني أحذفه بعد أن قد جرى ذكره ، وحذف ما جرى ذكره أسوغ لتقدم الدلالة عليه . انتهى كلام أبي علي .

(١) إشارة الى رواية أخرى .

(٢) عجز بيت لعمر بن قميثة ، وهو الشاهد التالي رقم ٣١٧ .

(٣) بهذه الواو يستقيم الكلام .

(٤) ط : « لأنه يلزم » ، والصواب من ش .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون تقدم شرحه وترجمته في الشاهد الثالث والعشرين^(١). وقبله :

(وَهُنَاكَ يَكْذِبُ ظَنُّكُمْ أَنْ لَا اجْتِمَاعَ وَلَا زِيَارَةَ)
يقول : إذا غزونا كم علمتم أن ظنكم بأننا لا نفزركم كذب ، وهو زعمكم
أننا لا نجتمع ولا نزوركم بانخيل غازين .

وقوله (إلا علالة) استثناء منقطع من قوله لا اجتماع ، أى لكن نزوركم
بانخيل . والعلالة ، بضم المهملة : بقية جرى الفرس . و (البداة) بضم
الموحدة : أول جرى الفرس ، وأو للإضراب . وروى بتقديم (بداهة) على
(علالة) فأو ، على هذا لأحد الشئيين . و (السابج) : الفرس الذى يدحو
الأرض بيديه فى العدو . و (التهد) : المرتفع . و (الجزارة) بضم الجيم :
الرأس والبدان والرجلان . يريد أن فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً . وهذا
ملح فى الخليل .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

٣١٧ (لَمَّا رَأَتْ سَاتِيْدَمَا اسْتَعْبَرَتْ اللَّهُ دَرْ - الْيَوْمَ - مَنْ لَا مَهَا)
على أنه قد فصل فى ضرورة الشعر بين المتضامين بالظرف ، والأصل :
لله دَرْ من لا مَهَا اليوم .

(١) الحزانة ١ : ١٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩١ . وانظر مجالس ثعلب ١٥٢ والازمنة ٢ :

٣٠٩ والانصاف ٤٣٢ وابن يعين ٢ : ٤٦/٣ : ١٩ ، ٢٠ ، ٧٧/٨ :

٦٦ ومعجم البلدان (ساتيدما) وديوان عمرو بن قميصة ٦٢ .

قال أبو علي (في التذكرة المصرية) قال سيديويه : تقول : عجبت من ضرب اليوم زيدا ، ولا يكون على هذا : لله در اليوم من لامها ، فيضيف درًا إلى اليوم ؛ لأن درًا بمنزلة قولهم لله بلادك ، فليست تجرى مجرى المصدر ولا تعمل عمل الفعل . قال أبو عثمان : فلو أضفت درًا إلى اليوم ، لبقى قولك من لامها لا موضع له ، لأنه ليس كالضرب فيكون الثاني في موضع نصب بالمصدر ، فيكون بمنزلة عجبت من إعطاء زيد درهما . فإذا بقي لا موضع له ، لم تجز الإضافة في در ، وإذا لم تجز الإضافة في در إلى اليوم ، جعلته فاصلا بين المضاف والمضاف إليه ، وجعلته متصلا باللام ومعمولا له ، ولا يكون معمولا للآمها ؛ لأن ما في حيز الصلة لا يعمل فيها قبله . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت ثاني أبيات ثلاثة لعمر بن قتيبة^(١) ، وهي :

(قد سألتني بنت عمرو عن الـ أرض التي تُنكر أعلامها

٢٤٨

لما رأت سائيد ما استعبرت

« البيت »

تذكرت أرضاً بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها

قال أبو محمد الأسود الأعرابي (في فرحة الأديب) : قال أبو الندى :

سبب بكائها أنها لما فارقت بلاد قومها ووقعت إلى بلاد الروم ، ندمت على ذلك . وإنما أراد عمرو بن قتيبة^(١) بهنه الأبيات نفسه لابنته ، فكفى عن نفسه بها . وسائيدما : جبل بين ميا فارقين وسمرت . وكان عمرو بن قتيبة قال هذا لما خرج مع امرئ القيس إلى ملك الروم . انتهى .

وتُنكر : تجهل ؛ أنكرته إنكاراً : خلاف عرفته ، ونكرته مثلك تعبت كذلك ، غير أنه لا يتصرف . كذا في المصباح . والأعلام : الجبال ،

(١) ط « قمئة » صوابه في ش وما سياى من كلام البغدادي .

ويمجوز أن يريد بها المنار المنصوبة على الطريق ليستدل بها من يسلك الطريق .
يريد : أنها سألته عن المكان الذي صارت فيه وهي لا تعرفه ، لما أنكرته
استخبرته عن اسمه .

و (استعبرت) : بكت من وحشة القرية ولبعدها من أراضى أهلها .
والعرب تقول : لله در فلان ، إذا دعوا له ، وقيل : إثمهم يريدون الله عمله ،
أى جعل الله عمله فى الأشياء الحسنة التى يرضاها . وإنما دعا للأثم بالخير نكايته بها
لأنها فارت أهلها بحسن اختيارها ، فيكون هذا تسفيها لها بتغرُّبها .

وقال الأعمى : وصف امرأة نظرت إلى ساتيدما — وهو جبل بعيد من
ديارها — فتذكرت بلادها فاستعبرت شوقاً إليها ، ثم قال : لله در من لامها
اليوم على استعبارها وشوقها ، إنكاراً على لاأثمها ، لأنها استعبرت بحقي ،
فلا ينبغي أن تلام . هذا كلامه . وليس هذا معنى الشعر فتأمل .

وكذلك لم يصب بعض فضلاء العمم (فى شرح أبيات المفصل) فى قوله
قد سألتنى هذه المرأة عن الأَرْضَيْن التى كان بها أهلها ، إذ أنكرت جبالها
أو أعلامها المنصوبة فيها ، ولم تعرفها لتقدم العهد بها أو لتغيرها ، لما رأت
هذا الجبل بكت ، لأنه كان منزلاً لأهلها . ثم قال : لله در من لامها على البكاء
وقبحه عندها ، لتمنع عنه (١) . انتهى كلامه . وهذا كلام من لم يصل
إلى العقود .

وقوله : تذكرت أرضاً بها أهلها ، قد استشهد سيبويه بهذا البيت
أيضاً (٢) على أن قوله : أخوالها فيها وأعمامها ، منصوب بفعل مضمر وهو

(١) فى النسختين : « لتمنع » .

(٢) فى كتابه ١ : ١٤٤ .

تذكّرت. وهذا جائز عندهم بإجماع ، لأنّ الكلام قد تمّ في قوله : تذكّرت أرضاً بها أهلها ، ثم حل ما بعده على معنى التذكّر .

وأجاز بعض فضلاء المعجم (في شرح أبيات المفصل) أن يكون قوله : أخوالها ، بدلا من أرضاً بدلا ، الاشتغال

وقوله : بها أهلها ، الظرف صفة لقوله أرضا وأهلها فاعل الظرف ، ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف قبله خبره والجملة هي الصفة .

قال ابن خلف : ولو نصبت أهلها باضمار فعل لجاز على بُعد .

والكلام على سائديما قد أجاد فيه ياقوت الحموي (في معجم البلدان) قال : سائديما بعد الألف تاء مشناة من فوق مكسورة وياء مشناة من تحت ودال مهملة مفتوحة وميم وألف مقصورة ، أصله مهمل في الاستعمال في كلام العرب ، فإمّا أن يكون مرتجلا عربياً لأنهم قد أكثروا من ذكره في شعرهم ، وإمّا أن يكون أعجمياً . قال العِمْرَانِي : هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبداً . وأشدوا :

أبردُ من ثلج سائديما وأكثر ماء من العكرش (١)

وقال غيره : سمّي بذلك لأنه ليس من يوم إلّا ويسفك فيه دم ، كأنه اسمان جُعِلَا واحداً : سَاقِي ، دَمَا . وسَادِي وسَاقِي بمعنى ، وهو من سَدَى الثَّوبِ ، فسكأن الدماء تُسَدِي فيه كما يُسَدِي الثوب . وقد مدّه البحرى فقال :

ولما استقرت في جُلُوقِي ديارهم فلا الظَّهرُ من سائديما ولا اللُحْفُ ٢٤٩

(١) في معجم البلدان : « وأبرد ، بلا خرم . وقد زاد الشنقيطي

الواو بقلبه في نسخهته .

قال أبو عبيد البكريّ (في معجم ما استعجم) : رأيت البُحترىّ
قدمده ، فلا أعلم ضرورة أم لغة ، والبُحترىّ شديد التوقّي في شعره من
اللعن والضرورة .

ثم قال ياقوت : وقد حذف يزيدُ بن مفرغٍ ميمه فقال :

* فدَير سَوَى فساتيدا فبُصرى *

قلت : وهذا يدل على أن هذا الجبل ليس بالهند ، وإِنّما العِمرانيّ وهم .
وذكر غيره أنّ ساتيدا ، هو الجبل المحيطة بالأرض ، منه جبل بارمّا ، وهو
الجبل المعروف بجبل سُمرين وما يتصل به قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحي .
وهو أقرب إلى الصحة . والله أعلم .

وقال أبو بكر الصّوليّ في شرح قول أبي نواس :

ويومَ ساتيدا ضربنا بني الـ أَصْقَرِ والموتُ في كتائبها

قال : ساتيدا : نهر قرب أرزن ، وكان كسرى وجه إياس بن قبيصة
الطائي لقتال الروم بساتيدا فهزمهم ، فافتخر بذلك . وهذا هو الصحيح . وقوله :
في بلاد الهند خطأ فاحش . وقد ذكر الكسروى فيما أورد في خبر دجلة عن
المرزبانى عنه ، فذكر نهراً بين آمِد وميّا فارقين ، ثم قال : ينسبُ إليه
وادی ساتيدما ، وهو خارج من درب الكلاب ^(١) ، بعد أن ينصبّ إلى وادى
ساتيدما وادى الزور الأخذ من الكلك ، وهو موضع ابن بقرط البطريق من
ظاهر أرمينيا . قال : وينصبّ أيضاً من وادى ساتيدما ، نهر ميّا فارقين ،
وهذا كله مخرجه من بلاد الرُّوم ، فأين هو والهند ، ياللعجب ! وقول
عمرو بن قتيبة :

(١) ش : « ضرب الكلاب » .

* لما رأت ساتيدما استعبرت *

يدل على [ذلك] ؛ لأنه قاله (١) في طريقه إلى ملك الروم ، حيث سار مع امرئ القيس . انتهى كلام ياقوت .

وقال البكريّ (في معجم ما استعجم) : ساتيدما : جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند ، وليس يأتي يومٌ من الدهر إلا سُفِكَ عليه دم ، فلذلك سُمِّيَ ساتيدما . وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده على غيرة ، فاحتال له حتى انصرف عنه ، واتبعه كسرى في جنوده فأدركه بساتيدما ، فانهزموا مرعوبين من غير قتال ، فقتلهم قتل الكلاب ، ونجا قيصر ولم يكد . وفي شعر أبي النجم ساتيدما : قصر من قصور السواد ، قال أبو النجم يذكر سكر خالد القسريّ لدجلة :

فلم يجئها المرء حتى أحكما سكرًا لها أعظم من ساتيدما (٢)

انتهى . ولا يخفى أنه ليس في قول أبي النجم ما يعين كونه قصرًا ، ولا مانع من أن يحمل على معنى الجبل . ومما يرد به على الميراثي في قوله : إنه جبل بالهند لا يعلم ثلجه ، أن الهند بلاد حارة لا يوجد فيها الثلج (٣) . والله أعلم .

و (عمرو بن قبيصة) على وزن فَعيلة ، مؤنث قِيء على وزن فَعيل مهبوز عمرو بن قبيصة اللام من قَو الرجل بضم الميم قَمًا يسكونها ، وقمأة بفتحها والمد : أي صار قبيصةً ، وهو الصغير الدليل .

(١) في النسختين : « يدل على أنه » ، صوابه من معجم البلدان .

(٢) في معجم ما استعجم : « المد حتى أحكما » ، وما هنا صوابه .

(٣) هذا من أوام القديماء ، والا فالثلج يقطي أبدا رموس الجبال

العالية في الجبال الاستوائية ، كما هو معروف .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : عمرو بن قتيبة من قيس بن ثعلبة ابن مالك رهط طرفة بن العبد ، وهو قديم جاهلي كان مع حُجر أبي امرئ القيس ، فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه . وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك ، إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعترا
ثم قال ابن قتيبة : وفي عبد القيس عمرو بن قتيبة الصغير (١).

٢٥٠

وأورد الأمدى (في المؤلف والمختلف) ثلاثة من الشعراء يقال لهم ابن قتيبة ، أولهم هذا قال :

أبناء قتيبة

هو عمرو بن قتيبة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الشاعر المشهور ، دخل بلاد الروم مع امرئ القيس بن حُجر فهلك ، فقبل له عمرو الضائع . والثاني هو جميل بن عبد الله بن قتيبة الشاعر العُدري ، أحد بني ظبيان بن حن ، وحن بن عنزة (٢) ، ولم يكن جميل يعرف إلا بابن قتيبة . والثالث ربيعة بن قتيبة الصُّعبي أحد بني صعيب بن تيم بن أنمار بن ميسر ابن عميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، شاعر له في كتاب عبد القيس القصيدة التي أولها :

لمن دمن قهرُ كأنَّ رسومها على الحولِ جنُّ الفارسي المزخرف (٣)

* * *

(١) بعله في الشعراء ٣٣٨ : « وهو شاعر أيضا » .

(٢) هذا من موجز النسب ، والا فهو حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عنزة . أو صوابه « وحن من عنزة » . وانظر جمهرة ابن حزم ٤٤٩ من تحقيق كاتبه .

(٣) في النسختين : « على الجفن » ، صوابه من المؤلف ١٦٨ .

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ يُعَايِلُنَّ بَنَّا أَوْ آخِرِ الْبَيْسِ إِمْتِقَاضُ الْفَرَارِيجِ

على أَنَّ الظرف قد فصل بين المتضايفين لضرورة الشعر ، والأصل :
كَأَنَّ أَصْوَاتَ أَوْ آخِرِ الْبَيْسِ . ومن للتعليل .

و (الإيفال) : الإبعاد ، يقال أوغل في الأرض : إذا أبعدَ فيها .
والضمير للإبل . و (الأواخر) : جمع آخرة الرجل ، بوزن فاعلة ، وهو العود
الذي في آخر الرجل يستند إليه الراكب . و (الميس) بفتح الميم : شجرٌ
يتخذ منه الرجال والأقناب . وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتم فضة .
و (الإقتاض) : مصدر أقتضت الدجاجة : إذا صوتت ، وهو بالنون والقاف
والضاد المعجمة . و (الفراريج) : جمع فروج ، وهي صغار الدجاج .
يريد أن رحلهم جديدة ، وقد طال سيرهم فبعض الرجل يحك بعضاً ،
فيحصل مثل أصوات الفراريج من اضطراب الرجال ؛ لشدة السير .
وهذا البيت من قصيدة لذي الرمة تقدم الكلام عليه في الشاهد التاسع
والستين بعد المائتين (١) .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الثلاثمائة (٢) :

٣١٨ تَرْتَرُّ عَلَى مَا تَسْتَمِرُّ وَقَدْ شَقَّتْ غَلَائِلَ عَيْدِ الْقَيْسِ مِنْهَا صُدُورُهَا*

على أن الفصل بين المتضايفين بغير الظرف نادر ، كما هنا ، والأصل :
وقد شقت غلائل صُدُورُهَا عَيْدِ الْقَيْسِ مِنْهَا ، ففصل بين المضاف والمضاف

(١) انظر هذا الجزء الرابع من الخزانة ص ١٠٨ .

(٢) انظر الانصاف ٤٢٨ .

إليه بالفاعل وبالجارّ والمجرور . والفاعل ، وهو عبد القيس ، في نية التقديم على المفعول وهو غلائلٌ صدورها ، لأن فيه ضمير الفاعل .

و (عبد القيس) قبيلة . و (الغلائل) : جمع غليل^(١) ، وهو الضغن والحقد . و (شَفَّت) مجاز من شقّى الله المريض . إذا أذهب عنه ما يشكو . و (تمرُّ) من المرور . و (تستمرُّ) من الاستمرار .

وهذا البيت مصنوع ، وقائله مجهول ، كذا في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن الأنباري .

وقال ابن السيد (في أبيات المماني) : هذا البيت أنشده الأخفش ، وتوجيه إعرابه أنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بما ليس بظرف ، وهو أفحش ما جاء في الشعر ودعت إليه ضرورة ، وتقدير الكلام . وقد شَفَّتْ غلائلٌ صدورها . و (الغلائل) : جمع غليلة مثل عظيمة وعظام ، وكريمة وكرائم . وقال أبو الحسن الأخفش : إن كان الشعر لم يوثق بعربيته فيجوز أن يكون أخرج غلائل غير مضافة وقدّر فيها التنوين لأنها لاتنصرف ، ثم جاء بالصدور مجرورة على نية إعادتها ، كما قال الآخر^(٢) :

رحم الله أعظمًا دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

أي أعظمَ طلحةِ الطلحات . فكذلك هنا يريد غلائل عبد القيس منها غلائل صدورها ، وقد حذف الثاني اجتزاءً بالأول . وهذا التأويل حسن ، لأنه يخرج الكلام^(٣) ، وفيه ضعف من حيث إضلال الجار . انتهى

* * *

(١) كذا في النسختين ، والوجه « غليلة » . كما سيأتي .

(٢) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٢٠ .

(٣) ش : « يخرج الكلام » .

وأُشَدُّ بعده وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثمائة :

٣١٩ (فَرَجَجَتْهَا بِمَرْجَةٍ زَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ ^(١))

على أنه فصل بين المضاف وهو زَجَّ ، وبين المضاف إليه وهو أبي مزادة ، بالمفعول ، وهو القلوص .

يقال زَجَجَتْهُ زَجًّا : إذا طعنته بالزَّجِّ ، بضم الزاء ، وهي الحديدية التي في أسفل الرح . و (زَجَّ الْقُلُوصَ) مفعول مطلق ، أى زَجًّا مثل زَجَّ . و (الْقُلُوصَ) بفتح القاف : الناقة الشابة . و (أَبُو مَزَادَةَ) : كنية رجل ، قال صاحب الصحاح « الْمَرْجُ ، بكسر الميم : رح قصير كالمرزاق » . قال ابن خلف : « هذا البيت يروى لبعض المدنيين المولدين ، وقيل هو لبعض الوثنيين ممن لا يحتج بشعره . وِمَرْجَةٌ ، يروى بفتح الميم وهو موضع الزَّجِّ ، يعنى أنه زَجَّ راحلته لتسرع كما يفعل أبو مزادة بالقلوص . ويجوز أن تكون الميم مكسورة ، فيكون المعنى فرججتها يعنى الناقة أو غيرها ، أى رميتها بشئ ، في طرفه رَجَّ كالخرقة ، والمزجة ما يَزَجُّ به . وأراد كرج أبي مزادة بالقلوص أى كما يزجها . انتهى

وقول العيني : « الأظهر أن الضمير في زججتها يرجع إلى المرأة ، لأنه يخبر أنه زَجَّ امرأة بالمرجة كما زَجَّ أبو مزادة القلوص » ، كلام يحتاج في تصديقه إلى وحى . وقد انعكس عليه الضبط في مَرْجَةَ فقال : هى بكسر الميم ، والناس يلحنون فيها فيفتحون ميمها . وقد أُشَدُّ ثعلب في أماليه الثالثة هذا البيت كذا :

(١) مجالس ثعلب ١٥٢ والمصانص ٢ : ٤٠٦ والانصاف ٤٢٧

وابن يعيش ٣ : ١٩ ، ٢٢ والعيني ٤ : ٣٦٨ والأشمونى ٢ : ٢٧٦ .

فزوجتها متمكناً زج الصعاب أبو مزاده
وأنشد بعضهم :

* زج الصعاب أبي مزاده *

أراد زج أبي مزادة الصعاب ، ثم اعترض بالصعاب اه فلا شاهد في البيت على روايته الأولى . والصعاب : جمع صعب ، وهو قبيض الذلول . وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه ، حتى قال السيرافي : لم يثبته أحدٌ من أهل الرواية ، وهو من زيادات أبي الحسن الأخفش في حواشي كتاب سيبويه ، فأدخله بعض النساخ في بعض النسخ ، حتى شرحه الأعلام وابن خلف في جملة أبياته . والأخفش هذا هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة صاحب سيبويه ، لا الأخفش أبو الخطاب فإنه شيخ سيبويه . قال الزمخشري (في مفصله) وما يقع في بعض نسخ الكتاب من قوله : فزوجتها بمزجة ، البيت : فسيبويه يرى من عهده ^(١) . أراد أن سيبويه لم يورد هذا البيت في كتابه ، بل زاده غيره في كتابه . وإنما برأ سيبويه من هذا ، لأن سيبويه لا يرى الفصل بغير الظرف ، وإذا كان هذا مذهبه ، فكيف يورد بيتاً على خلاف مذهبه . ومنه يظهر لك سقوط قول الجعبري (في شرح الشاطبية) فإنه بعد أن زعم أن البيت من أبيات الكتاب قال : فإن قلت : فما معنى قول المفصل : يرى من عهده ؟ قلتُ معناه من عهدة هذه الرواية ، لأنه يرويه :

* زج القلوص أبو مزاده *

يجرّ القلوص بالإضافة ، ورفع أبو مزادة فاعل للمصدر . هذا كلامه .

(١) البيت لم يرد في مظهره من سيبويه ١ : ٩١ ولم أجد الأعلام تعرض له فيما طبع بهامش الكتاب .

ثم قوله : إن هذا البيت أنشده الأخفش والفرّاء ، أقول : نقل الفرّاء لهذا البيت ليس لتأييد قراءة ابن عامر الآتية ، وإنما نقله للطعن فيه بأنه كلام من لا يوثق به ، كما يظهر لك من كلام الفرّاء الآتي .

قال ابن جنيّ (في الخصائص) : قد فصل بالمفعول به مع قدرته أن يقول : زجّ القلوص أبو مزاده^(١) . وفيه عندي دليل على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندم وأنه في نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول . ألا تراه ارتكب ههنا الضرورة مع تمكنه من ترك ارتكابها ، لا شيء غير الرغبة في إضافة المصدر إلى الفاعل دون للمفعول . وهذا في النثر وحال السعة صعب جداً ، لاسيّما والمفصول به مفعول لا ظرف . ا هـ

ويقوله : لا شيء غير الرغبة الخ ، يُلمّ أن قول العينيّ : إن قائله ليس له عنر في هذا إلّا مسّ الضرورة لإقامة الوزن ، صادر عن غير رؤية وفكر .

ونقل جماعة عن ابن جنيّ في توجيهه ، أنه يقدر في الأول مضاف إليه وفي الثاني مضاف ، والتقدير : زجّ أبي مزادة القلوص قلوص أبي مزادة ، على أن يكون قلوص بدلاً من القلوص . وتسفّه ظاهر . ونقل ابن المستوفى عن الزمخشري (في حواشيه) أنه قال : الوجه أن يجرّ القلوص ويجعل أبي مزادة بعده مجروراً بمضاف مخوف ، تقديره : قلوص أبي مزادة ، كما في :

* ونارٍ تَوْقَدُ بالليلِ ناراً^(٢) * ا هـ

(١) بعده في الخصائص : « كقولك سرني أكل الحبز زيد » .

(٢) لأبي دود الإيادي في سيبويه ١ : ٣٣ . ومصدره :

* أكل امرئ تحسبين امرأ *

وينسب أيضاً إلى عدى بن زيد . الكامل ١٦٣ ، ٤٨٩ .

(٢٧) خزانة الأدب

وقد نقل الخلاف ابنُ الأنباري في هذه المسألة (في كتابه الإنصاف ، في مسائل الخلاف) قال : ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض ، لضرورة الشعر ، وذهب البصريون إلى إنه لا يجوز ذلك بغيرهما . أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إننا قلنا ذلك لأنَّ العرب قد استعملته كثيراً في أشعارها ، قال الشاعر :

فَزَجَّجَهَا بِمِرْجَةٍ (البيت)

وقال الآخر :

تَمَرَّ عَلَى مَا نَسْتَمِرَّ وَقَدْ شَفَتْ (البيت^(١))

وقال الآخر :

يَطْفَنَ بِحُوزَى المراتع لم يُرْعَ بواديه من قرع القسي الكنائن^(٢)

والتقدير من قرع الكنائن القسي . وقال :

وأصبحت بعد خَطَّ بهجتها كأنَّ قفراً رُسومها قلما

والتقدير بعد بهجتها ، ففصل بين المضاف الذي هو بعد والمضاف إليه الذي هو بهجتها ، بالفعل الذي هو خط . وتقدير البيت : فأصبحت قفراً بعد بهجتها كأن قلما خطَّ رسومها^(٣) . وقد حكى الكسائي عن العرب : هذا غلامٌ

(١) هو الشاهد ٣١٨ السابق لشاهدنا هذا .

(٢) ط : « بطعن بجوزى المراتع » صوابه في ش والانصاف وديوان الطرماح ١٦٥ واللسان (حوز) .

(٣) كتبت قديما في طبعة السلفية : « هذا البيت مثال عجيب في الشعر ، ولا أحسبه الا مصنوعا ، وجدير أن يطرح للالغاز والتعمية ، وقبلما يصيب المتحن فيه » .

والله زيد . وحكى أبو عبيدة سماعاً عن العرب : إن الشاة لتجتثر فتسمع صوت
والله ربها . وإذا جاء هذا في الكلام ، ففي الشعر أولى .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا إنما قلنا لا يجوز ذلك لأن المضاف
والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد ، فلا يجوز أن يفصل بينهما . وإنما جاز الفصل ٢٥٣
بالظرف وحرف الجر كما قال ابن قتيبة :

* لله درُّ اليوم من لأمها (١) *

وقال أبو حية الثميري :

كما حُطَّ الكتابُ بكفٍّ يوماً يهوديَّ يقارب أو يُزِيلُ (٢)
وقال ذو الرمة :

* كأن أصوات من إضالهن بنا (٣) *

لأن الظرف وحرف الجر يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما .
وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قوله : فزججته بمزجة البيت ،
فيرى لبعض المدنين المولدين ، فلا يكون فيه حجة . وأما ما نرى أنشدوه ،
فهو مع قلته لا يعرف قائله ، فلا يجوز الاحتجاج به . وأما ما حكاه الكسائي
وأبو عبيدة فإنما جاء في اليمين لأنها تدخل في أخبارهم للتوكيد ، فكأنهم
لما جازوا بها موضعها استدركوا ذلك بوضع اليمين حيث أدركوا من الكلام .

(١) صدره كما مر قريباً :

* لما رأيت سائديما استعبرت *

(٢) سيبويه ١ : ٩١ واللسان (عجم) *

(٣) تقدم الكلام عليه قبل الشاهد ٣١٨ . وعجزه :

* أواخر الميس انقاض الفراريج *

والذي يدل على صحة هذا أنا أجمعنا وإياكم على أنه لم يجيء الفصل بغير البين في اختيار الكلام . وأما قراءة ابن عامر ، فلا يسوغ لكم الاحتجاج بها ، لأنكم لا تقولون بموجبها ، لأن الإجماع واقع على امتناع الفصل بالمفعول في غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة . وإذا وقع الإجماع على امتناع الفصل بينهما في حالة الاختيار ، سقط الاحتجاج بها على حالة الاضطرار . والبصريون يذهبون إلى أن هذه القراءة وهم من القاريء ، إذ لو كانت صحيحة لكان من أفصح الكلام ، وفي وقوع الإجماع على خلافه دليل على أنه وهم في القراءة^(١) . وإنما دعا ابن عامر إلى هذه القراءة ، أنه رأى في مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوباً بالياء ، ووجه إثبات الياء جرّ شركائهم على البدل من أولادهم وجعل الأولاد هم الشركاء ، لأن أولاد الناس شركاء آباؤهم في أحوالهم وأمورهم . وهذا يخرج خطأ مصحف أهل الشام . فأما قراءة ابن عامر فلا وجه لها في القياس ، ومصاحف أهل الحجاز والعراق (شرّ كأؤم) بالواو ، فدلّ على صحة ما ذهبنا إليه ، والله أعلم . انتهى كلام ابن الأنباري .

وفيه أمران : الأول : أن نسبة جواز الفصل في الشعر بنحو المفعول إلى الكوفيين ، لم يعترف به الفراء وهو من أجلّ أئمة الكوفيين ، قال (في تفسيره المعروف بمعاني القرآن) في سورة الأنعام^(٢) ، عن قراءة ابن عامر ما نصه : وفي بعض مصاحف أهل الشام (شركائهم) ، فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ (زَيْن) أي بالبناء للمفعول ويكون الشركاء هم الأولاد ، لأنهم منهم في النسب والميراث . فإن كانوا يقرءون (زَيْن) أي

(١) في الانصاف : « دليل على وهمي القراءة » .

(٢) معاني الفراء ١ : ٣٥٧ في الآية ١٣٧ من الأنعام .

بالبناء للفاعل ، فلست أعرف جهتها إلا أن يكونوا آخذين بلغة قوم يقولون:
أَتَيْتَهَا عِشَاءً^(١) ثم يقولون في تنبيه الحراء حمرايان . فهذا وجه أن يكونوا
قالوا ، زَيْنٌ لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركائهم . وإن شئت جعلت
زَيْنٌ ، إذا فتحته ، فعلاً لا بليسَ ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد . وليس قولُ
من قال إنما أرادوا مثل قول الشاعر :

فَرَجَجَتْهَا مَتَمَكَّنًا زَجَّ القلوص أبي مزاده

بشوء . وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية .
انتهى .

وقال أيضاً في سورة إبراهيم عليه السلام^(٢) : وليس قول من قال خلفَ :
وعده رسله بشوء ، ولا : زَيْنٌ لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركائهم ،
بشوء . قال الفراء : هذا باطل ، ونحويو أهل المدينة يفسدون قوله :
* زَجَّ القلوص أبي مزاده *

والصواب :

* زَجَّ القلوص أبو مزاده * انتهى

الأمر الثاني : أن ابن خلف (في شرح أبيات الكتاب) ، وأبا شامة (في
شرح الشاطبية) ، وتبعه (في شرحها) بعده [الجعبري^(٣)] والسمين (في
إعراب القرآن) ، نقلوا عن (الإنصاف لابن الأنباري) ما يؤيد قراءة
ابن عامر .

(١) يعني عشاء .

(٢) معاني الفراء ٢ : ٨١ في تفسير الآية ٤٧ من إبراهيم .

(٣) التكمله مما يقتضيه الكلام التالي . وقد أثبتتها الشنقيطي

كذلك في هامش نسخته .

قال ابن خلف : قد احتجَّ ابن الأنباري لهذه القراءة بقول العرب : هو غلامُ إن شاء الله أخيك . ففصل بإن شاء الله . وقول الشاعر :

* زجُّ القلوصِ أبي مزاده *

وقال الجعبري : نقل ابن الأنباري (في كتاب الإنصاف) عن الكسائي عن العرب : هو غلامُ إن شاء الله أخيك ، ففصل بالجملة الشرطية .

وقال السمين : قال ابن الأنباري : هذه قراءة صحيحة ، وإذا كانت العرب قد فصلت بين المتضايين بالجملة في قولهم : هو غلامُ إن شاء الله أخيك ، فإن تفصل بالمفرد أسهل .

هذا كلامهم ، وأنت ترى هذا النقل لا أصل له ، وإنما نقلُ ابن الأنباري عن الكسائي عن العرب ، هو قولهم : هذا غلامُ والله زيد . وليس في كلامه أيضاً ما يؤيد القراءة ، وإنما هو طاعنٌ فيها تبعاً للزخشرى وغيره . وكنت أظن أن صاحب الكشف مسبوق بابن الأنباري ، فراجعت ترجمتهما فرأيت الأمر بالعكس ، فإن الزخشرى توفي يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وابن الأنباري مات ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وهو تلميذ الجواليقي (صاحب المعربات) وابن الشجري (صاحب الأمالي) ، والزخشرى من أقران ابن الشجري ، فابن الأنباري متأخر عن الزخشرى بأربع طبقات . والزخشرى في طمعه على هذه القراءة مسبوق أيضاً بالفراء ، فكان ينبغي الرد على الفراء ، فإنه هو الذي فتح ابتداء باب القسح على قراءة ابن عامر .

قال السمين : قراءة ابن عامر متواترة صحيحة ، وقد تجرأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغي ، وهو أعلى القراء السبعة سنداً ، وأقدمهم هجرة ، وإنما

ذكرنا هذا تنبيهاً على خطأ من ردّ قراءته ، ونسبه إلى لحن أو اتباع مجرد المرسوم . وقال أبو على الفارسي : هذا قبيح قليل الاستعمال ، ولو عدل عنها كان أولى ، لأنهم لم يفصلوا بين المتضايين بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظروف ، وإنما أجازوه في الشعر . وقال أبو عبيد : لا أحب قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه ، والقراءة عندنا هي الأولى لصحتها في العربية مع إجماع أهل المصرين بالعراق عليها . وقال الزمخشري — وأساء في عبارته — : وأما قراءة ابن عامر فشيء لو كان في مكان الضرورة لكان سمجاً مردوداً كما سمج ورُدُّ :

* زَجَّ القُلُوصَ أبا مزاده *

فكيف به في الكلام المنثور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته . وانتهى حمله على ذلك ، أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء . ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم ، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب . وهذه الأقوال كلها لا ينبغي أن يلتفت إليها ، لأنها طعن في المتواتر ، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر . وأيضاً فقد انتصر لها من يقابلهم ، وجاء في الحديث : « هل أنتم تاركو لي صاحبي » .

وقال ابن جني (في الخصائص) باب ما يرد عن العربي مخالفاً للجمهور (١) : ٢٥٥
إذا اتفق شيء من ذلك نظر في ذلك العربي وفيما جاء به ، فإن كان فصيحاً وكان ما جاء به يقبله القياس فيحسن الظن به ، لأنه يمكن أن يكون قد وقع إليه ذلك من لغة قديمة قد طال عهدها — وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال :

كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه في الإسلام^(١) . فجاء الإسلام فتشاعلت عنه العرب بالجهاد ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب ، راجعوا رواية الشعر فلم يثولوا إلى ديوان مدون ، وقد هلك من هلك فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم كثيره . فإذا كان الأمر كذلك لم يُقَطَّع على الفصح يسمع منه ما يخالف الجمهور ، بالخطأ إذا كان القياس يعضده .

وقال ابن ذكوان : سألت الكسائي عن هذا الحرف وما بلغه من قراءتنا ، فرأيته كأنه أعجبه ونزع بهذا البيت :

* نقي الدراهم تنقاد الصياريف^(٢) *

بنصب الدراهم وجر تنقاد . وأما ما ورد في النظم من الفصل بين المتضامين بالظرف وبغيره ، فكثير . ثم بعد أن سرد غالب ما ورد في الشعر قال : وإذا قد عرفت هذا ، عرفت أن قراءة ابن عامر صحيحة من حيث اللغة ، كما هي صحيحة من حيث النقل ، فلا التفات إلى قول من قال : إنه اعتمد على الرسم لأنه لم يوجد فيه إلا كتابة شركائهم بالياء ، وهذا وإن كان كافياً في الدلالة على جر شركائهم فليس فيه ما يدل على نصب أولادهم ، إذ المصحف مهمل من شكل وقط ، فلم يبق له حجة في نصب الأولاد إلا النقل المحض . وقال أبو شامة : ولا بُعد فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى ، وذلك

(١) إلى هنا ينتهي نص كلام عمر ، وما بعده من الكلام يحتمل أن يكون من كلام الفضل بن الحباب ، أو ابن سلام . انظر الخصائص وطبقات ابن سلام ٢٢ .

(٢) قطعة من الشاهد التالي .

أنه قد عهد تقدم المفعول على الفاعل المرفوع لفظاً ، فاستمرت له هذه المرتبة مع الفاعل تقديراً ؛ فإن المصدر لو كان منوناً لجاز تقديم المفعول على فاعله ، نحو : أعجبنى ضرب عمرأ زيد ، فكذا في الإضافة . وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجرّ ومجروره مع شدة الاتصال بينهما أكثر من شدته بين المتضايقين ، كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ^(١) ﴾ ، ﴿ فَبَارِحَةٌ ^(٢) ﴾ والمفعول المقدم هو في غير موضعه معنى ، فكأنه مؤخر لفظاً . ولا تنفات إلى قول من زعم أنه لم يأت في الكلام المنشور مثله . لأنه ناف ، ومن أسند هذه القراءة مثبت ، والإثبات مرجح على النفي بإجماع . ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر ، لرجع إليه ، فما باله لا يكتفى بنقل القراءة من التابعين عن الصحابة !

هذا زبدة ما أورده السمين ، ومثله كلام الجعبرى (في شرح الشاطبية) والله أعلم .

وأنشده بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الثلاثمائة ، وهو من أبيات سيبويه ^(٣) :

(١) في الآية ١٥٥ من النساء : « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ » . وفي الآية ١٣ من المائدة : « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً » .

(٢) الآية ١٥٩ من آل عمران .

(٣) سيبويه ١ : ١٠ والكامل ١٤٣ والخصائص ٢ : ٣١٥ وابن الشجرى ١ : ١٤٢ ، ٢/٢٢١ : ٩٣ ، ١٩٧ والانصاف ٢٧ ، ١٢١ . وابن يعيش ٦ : ١٠٦ والعينى ٣ : ٤/٥٢١ : ٥٨٦ والتصريح ٢ : ٣٧٠ والاشمونى ٢ : ٢٨٩ وديوان الفرزدق ٥٧٠ .

٣٢٠ (تَنَقَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ
تَنَقَّى الدَّرَاهِمَ تَنَقَّادَ الصَّيَارِفِ)

على أَنَّ فِيهِ الْفَصْلَ بِالْمَفْعُولِ أَيْضًا بَيْنَ الْمُتَضَايِفِينَ ، فَإِنْ أَصْلُهُ : تَنَقَّى تَنَقَّادَ الصَّيَارِفِ الدَّرَاهِمَ ، فَفَصْلٌ بِالْمَفْعُولِ وَهُوَ الدَّرَاهِمُ ، بَيْنَ الْمُتَضَايِفِينَ .
وإِضَافَةُ تَنَقَّى إِلَى تَنَقَّادَ ، مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ . وَرَوَى أَيْضًا بِإِضَافَةِ
تَنَقَّى إِلَى الدَّرَاهِمِ وَرَفَعَ تَنَقَّادَ ، فَيَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ . وَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ
أَنْشَدَهُ ابْنُ النَّازِمِ وَابْنُ عَقِيلٍ (فِي شَرْحِ الْأَلْفِيَةِ) ، قَالَ الْعَيْنِيُّ : وَفِي شَرْحِ
الْكِتَابِ : وَيَجُوزُ نَصَبُ التَّنَقَّادِ وَرَفَعَ الدَّرَاهِمَ فِي الْعَمَلِ ، عَلَى الْقَلْبِ ، مِنْ
حَيْثُ أَمِنَ اللَّبْسَ ، يَعْنِي أَنَّهُ رَوَى بِجَرِّ الدَّرَاهِمِ بِإِضَافَةِ تَنَقَّى إِلَيْهِ وَنَصَبِ تَنَقَّادَ ،
فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ عَلَى تَقْدِيرِ الْقَلْبِ بِجَمْعِ الْفَاعِلِ
مَفْعُولًا وَالْمَفْعُولِ فَاعِلًا . وَأَوْرَدَهُ سَيَبُويَه (فِي أَوَائِلِ كِتَابِهِ ، فِي بَابِ مَا يَحْتَمِلُ
الشَّعْرُ) قَالَ : وَرَبَّمَا مَدَّوْا فَقَالُوا : مَسَاجِيدَ وَمَنَابِيرَ ، شَبَّهَهُ بِمَا جُمِعَ عَلَى غَيْرِ
وَاحِدَةٍ فِي الْكَلَامِ كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

* تَنَقَّى الدَّنَانِيرَ تَنَقَّادُ الصَّيَارِفِ *

وَيَنْشُدُ : تَنَقَّى الدَّرَاهِمَ . انْتَهَى كَلَامُهُ .
وَحَمَلُ الشَّاهِدِ فِيهِ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ النَّحْلَسِ ، الدَّنَانِيرَ وَالْدَّرَاهِمَ ، قَالَ :
مَنْ رَوَى الدَّنَانِيرَ فَلَا ضَرُورَةَ عَنْدهُ فِيهِ ، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي دِينَارٍ دَنَارٌ فَلَمَّا جُمِعَتْ
رُدَّتْهُ إِلَى أَصْلِهِ فَقُلْتُ دَنَانِيرَ . وَمَنْ رَوَى الدَّرَاهِمَ فَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَيْسَانَ
أَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ دِرْهَامٌ ، قَالَ : فَيَكُونُ هَذَا عَلَى تَصْحِيحِ الْجَمْعِ .
قَالَ : أَوْ يَكُونُ عَلَى أَنَّهُ زَادَهُ لَدَدٌ . قَالَ : وَيَكُونُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَ
سَيَبُويَه أَنَّهُ بَنَى الْجَمْعَ عَلَى غَيْرِ لَفْظِ الْوَاحِدِ ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ : مَذَا كَبِيرٌ لَيْسَ عَلَى
لَفْظِ ذَكَرَ ، إِنَّمَا هُوَ عَلَى لَفْظِ مَذَكَرٍ ، وَهُوَ جَمْعٌ لَذَكَرَ عَلَى غَيْرِ بِنَاءِ وَاحِدَةٍ .

قال : ولم ينكر أن يكون الجمع على غير بناء الواحد ، فلذلك زاد الياء في دراهيم . وقال لى على بن سليمان : واحد الصياريف صيرف ، وكان يجب أن يقول صيارف . انتهى كلامه .

وعند الشنتمرى الشاهد في الصياريف ، قال : زاد الياء في الصياريف ضرورة تشبيهاً لها بما جمع في الكلام على غير واحد ، نحو ذكر ومذا كبير ، وسمح ومساميح . ولم يتعرض للدراهم والدنانير .

وقد جمع ابن خلف بينهما فقال : الشاهد فيه على زيادة الياء في جمع الدرهم والصيارف .

أقول : الظاهر كلام الأعلام لا غير ، وروى الدرهم بلا ياء ، وجميعهم لم يتعرضوا لإحراب الدراهم والتنقاد .

و (النقي) بالنون والفاء ، قال صاحب المحكم : كل ما رددته فقد نفيت ، ونفيت الدرهم : أثرتها للتنقاد . وأنشد هذا البيت . و (يداها) فاعل تنفي ، والضمير لئاقة الفرزدق . و (الحصى) : مفعول . و (المهاجرة) : وقت اشتداد الحر في وقت الظهر . و (نقي الدراهم) : مفعول مطلق تشبيهي ، والأصل تنفي يداها الحصى نقياً كنفى الدراهم . و (التَّنْقَاد) بالفتح ، من تقد الدرهم ، وهو التمييز بين جيدها ورديتها . و (الصياريف) مجرور لفظاً بالإضافة مرفوع محلاً ، لأنه فاعل تنقاد .

قال الأعلام : وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير في المواجر فيقول : إن يديها لشدة وقعها في الحصى ينفيانه فيقرع بعضه بعضاً ويُسمع له صليل كصليل الدنانير إذا انتقدها الصيرفي فنفي رديتها عن جيدها ، وخص المهاجرة لتعذر السير فيها .

وقال ابن خلف : وصف راحلته بالنشاط وسرعة السير في الهواجر ، حين تكلّ المطيّة^(١) وتضعف القوى منها ، تكون هي نشيطة قويّة ، إذا أصابت مناسمها الحصى انتفى من تحت مناسمها ، كما تنفى الدرهم من يد الصيرفي إذا نقدها بأصابعه . شبه خروج الحصى من تحت مناسمها بارتفاع الدرهم عن الأصابع إذا نُقِدت .

وترجمة الفرزدق تقدمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب^(٢)

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الحادي والعشرون بعد الثلاثئة :

٢٥٧

٣٢١ (يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا إلبكا)
(لنضربن بسيفنا فنيكا^(٣))

على أنه جاء في الشعر قلب الألف ياء مع الإضافة إلى كاف الضمير ، في قوله فنيكا ، والأصل قفاكا ، فأبدلت الألف ياء . وإنما كان سبيل هذا الشعر لأنه ليس مع ياء المتكلم فإنها تقلب معه ياء ، ثراً ونظماً ، عند هذيل .
وإنما قيد بكاف الضمير لأن السماع جاء معه .

وظاهر كلام أبي علي (في المسائل العسكرية) لا يختص هذا بالشعر ، فإنه قال :

(١) حورها الشنقيطي في نسخته إلى « المطى » ، وهو الوجه .

(٢) الخزائنة ١ : ٢١٧ .

(٣) نوادر أبي زيد ١٠٥ ، ٢٥٧ وأمالى الزجاجي ٢٣٦ وشرح

شواهد الشافية ٢٤٥ وشرح شواهد المغنى ١٥٣ والعيني ٤ : ٥٩١

والأشموني ١ : ٢٦٧/٤ : ٢٨٣ .

وأما إبدال الياء من الألف فى قفا ، فى الإضافة ، فإنما أبدل كما أبدلت الألف منها فىمن قال : رأيت هذان ، أى للتقارض . وقالوا أيضاً : عليك ، وإليك ، وقد اطرّد هذا فى بعض اللغات نحو : هَوَى ، ونَوَى ، وقَفَى ، فأبدلت الياء من ألف هوأى ، ونوأى ، وقنأى ، كما أبدلت الألف منها فى : حأحيت ، وعأعيت ، حيث أريد إزالة التضعيف فيه . كما أريد من نظيره من الواو وهو : ضَوْضيت ، وقوقيت . هذا كلامه .

وأما (عصيكاً) فأصله عصيت ، قال ابن جني (فى سرّ الصناعة) : أبدل الكاف من التاء لأنها أختها فى الهمس ، وكان سُحيمٌ إذا أشد شعراً قال : أحسّنتك والله ، يريد أحسنت . انتهى

وقد تقدّم الكلام فى هذا الكتاب ، فى ترجمة سحيم ، أنه كان حبشياً وكان فى لسانه لُكنة (١) .

وقال أبو على (فى المسائل العسكرية) : قال أبو الحسن الأُخفش : إن شئت قلت أبدل من التاء الكاف لاجتماعهما فى الهمس ، وإن شئت قلت أوقع الكاف موقعها ، وإن كان فى أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية ، ألا ترام يقولون : رأيتك أنت ، ومررت به هو ، فيجعل علامات الضمير المختصّ بها بعض الأنواع فى أكثر الأمر ، موقع الآخر . ومن ثمّ جاء : لولاك . وإنما ذلك لأن الاسم لا يصاغ معرباً ، وإنما يستحق الإعراب بالعامل انتهى .

قال ابن هشام (فى اللغنى) : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان

ضمير الرفع ، كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنما الكاف بدل من الناء بدلاً تصريفاً .

وهذا الشعر من مشطور السريع ، هكذا أورده أبو زيد (في نوادره) ونسب لراجز من حمير . وتبعه صاحب الصحاح في مادة السين المهملة (١) .

وأما الزجاجي فإنه رواه (في آخر أماليه الكبرى) على خلاف هذه الرواية فقال : باب الناء والكاف في المكني ، يقال : ما فعلت وما فعلك ، قال الراجز :

يا بَيْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكَ وَطَالَمَا عَنَيْكَ إِيكَ
لَنَضْرِبَنَّ بِسَيْفِنَا قَفَيْكَ

يريد عَصَيْتُنَا وَعَنَيْتُنَا . فروى (عَنَيْكَ) بدل الناء كافاً ، مثل (عصيكا) . وعَنَيْتُنَا إِلَيْكَ بمعنى أَتَعَبْتُنَا بِالسَّيْرِ إِلَيْكَ . والنون الخفيفة في قوله : (لَنَضْرِبَنَّ) نون التوكيد . وأراد بَابَنَ الزُّبَيْرِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ حَوْرَاً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد الثلاثمائة :

٣٢٢ (قَالَ لَهَا : هَلْ لَكَ يَانَا فِي) (٢)

على أن كسرياء المتكلم من نحو (في) لغة بني يربوع ، لكته عند

٢٥٨

(١) هي مادة (سين) .

(٢) انظر يس ٢ : ٦٠ .

النحاة ضعيف كقراءة حمزة : ﴿ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ﴾^(١) .

وهذا الشعر من أرجوزة للأغلب العجلى ، وهو شاعر جاهلي إسلامي ، صاحب الشاهد أسلم وهاجر ، ثم استشهد في وقعة نهاوند . وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الحادى والعشرين بعد المائة^(٢) . وأول هذه الأرجوزة :

(أَقْبَلَ فِي نَوْبٍ مَعَاوِرِيٍّ بَيْنَ اخْتِلَاطِ اللَّيْلِ وَالْعَشِيِّ)
إلى أن قال :

(ماضٍ إِذَا مَا مَمَّ بِالْمَضَى قَالَ لَهَا هَلْ لَكَ يَاتَانِي)
(قَالَتْ لَهُ مَا أَنْتَ بِالْمَرْضَى)

قال في الصحاح : معافر ؛ بفتح الميم : حى من همدان ، وإليه تنسب الثياب المعافرية ، وهو بالعين المهمل . والماضى : الذى لا يتوانى ولا يكسل فى أمرٍ هم به .

وقوله (قال لها) الخ ، الضمير عائذ على امرأة تقدم ذكرها . و (يا) : حرف نداء ، و (تا) بالثناة الفوقية منادى ، وهو اسم إشارة يشار به إلى المؤنث ، و (لك) بكسر الكاف ، والجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف وهو متعلق قوله (في) . يقول : قال لها ذلك الرجل الماضى : يا هذه المرأة : هل لك رغبة فى ؟ قالت له : لست بالمرضى فيكون لى رغبة فىك .

واعلم أن الفراء والزجاج وغيرهما قد أنكروا هذه القراءة ، والشعر . أما الفراء فقد قال (فى تفسيره^(٣)) : الباء من مصْرِخِي منصوبة ، لأن الباء

(١) الآية ٢٢ إبراهيم . وكذا ورد الاقتباس من الآية بترك الواو من أولها ، وهو جائز . انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .

(٢) الحزاة ٢ : ٢٣٩ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٧٥ .

من المتكلم تسكن إذا تحرك ما قبلها ، وتنصب لإرادة الهاء كما قرئ : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ (١) بنصب الياء وجزمها . فإذا سكن ما قبلها ردت إلى الفتح الذي كان لها ، فالياء من مصرخي ساكنة والياء بعدها من المتكلم ساكنة ، فحركت إلى حركة قد كانت لها . فهذا مطرود في الكلام . وقد خفض الياء من مصرخي الأعشى ويحيى بن وثاب جميعاً ، حدثني القاسم بن معن عن الأعشى عن يحيى أنه خفض الياء ، ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى ، فإنه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن الياء من بمصرخي خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك . ومما نرى أنهم وهموا فيه ، قولهم : ﴿ نوله ما تولى ونصليه جهنم ﴾ (٢) وظنوا - والله أعلم - أن الجزم في الهاء ، والهاء في موضع نصب وقد انجزم الفعل بسقوط الياء منه . ومما وهموا فيه قوله : ﴿ وما تزلت به الشياطين ﴾ (٣) ، حدثني مندل بن علي العنزي (٤) عن الأعشى قال : كنت (٥) عند إبراهيم وطلحة بن مُصَرِّف [يقرأ (٦)] : ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٧) بنصب اللام من حوله فقال لي إبراهيم : ما نزال تأتينا بحرف أشنع ، إنما هي : لمن حوله ، بخفض اللام . قال : قلت : لا ، إنما هي حوله ، فقال إبراهيم : يا طلحة ، كيف تقول ؟ قال : كما قلت .

(١) الآية ٦ من الكافرون .

(٢) الآية ١١٥ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢١٠ من سورة الشعراء . وهي قراءة الحسن . تفسير

أبي حيان ٧ : ٤٦

(٤) ط : « الغزي » ، صوابه في ش ومعاني الفراء .

(٥) في النسختين : « قلت » ، صوابه من معاني الفراء ٢ :

٧٦ .

(٦) التكملة من معاني الفراء .

(٧) الآية ٢٥ من الشعراء .

قال الأعمش قلت: لحنّها، لا أجالسها اليوم . قال الفراء: وقد سمعت بعض العرب ينشد:

قال لها: هل لكِ ياتاني قالت له: ما أنت بالمرضى

فخفض الياء من في: فإن يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فيخفض الآخر منهما، وإن كان له أصل في الفتح. ألا ترى أنهم يقولون: لم أره منذُ اليوم ومُنْذُ اليوم، والرفع في النال هو الوجه، لأنه أصل حركة منذ، وانخفض جائز. فكذلك الياء من مصرخي، خفضت ولها أصل في النصب. انتهى كلام الفراء.

وأما الزجاج فقد قال (في تفسيره): قرأ حمزة والأعمش (بمصرخي) بكسر الياء، وهذه عند جميع النحويين رديئة مرذولة، ولا وجه لها إلاّ وجيه ضعيف ذكره بعض النحويين، وذلك أنّ ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حرّكت إلى الفتح، ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التي قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء ساكن حرّكت إلى الفتح لا غير. ومن أجاز بمصرخي بالكسر، لزمه أن يقول: ﴿هذه عصاي أتوكأ عليها﴾^(١). وأجاز الفراء على وجهٍ ضعيف الكسر، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، وأنشد:

* قال لها هل لكِ ياتاني الخ *

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعمل مثل هذا أسهل، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يحتاج به في كتاب الله تعالى. انتهى كلام الزجاج.

(١) الآية ١٨ من سورة طه .

ونقل أبو شامة (في شرح الشاطبية) عن ابن النحاس : أنَّ الأَخفش
سعيداً قال : ما سمعت هذا من أحد من العرب ، ولا من أحدٍ من النحويين .
قال أبو جعفر : قد صار هذا بإجماع ، لا يجوز ولا ينبغي أن يحمل كتابُ
الله على الشذوذ . قال أبو نصر بن القشيري (في تفسيره) : ما ثبت بالتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز أن يقال هو خطأ أو قبيح وردى ،
بل في القرآن فصيح وفيه ما هو أفصح ، فلمل هؤلاء أرادوا أن غير هذا
الذي قرأ حمزة أفصح . قال أبو شامة : قلت : يُستفاد من كلام أهل اللغة ،
أنَّ هذه لغة ، وإن شئت وقلَّ استعمالها . قال أبو علي : قال الفراء (في
كتابه التصريف) : زعم القاسم بن معن أنَّه صواب ، قال : وكان ثقةً بصيراً ،
وزعم أنَّه لغة بني يربوع . ثمَّ بعد أن نقل أبو شامة بعضاً من كلام الفراء
والزجاج قال : والزخشرى قال : هي قراءة ضعيفة ، واستشهدوا لها بيت
مجهول فذكره .

قلت : ليس بمجهول فقد نسبه غيره إلى الأغلب المعجلى الراجز، ورأيتُه
أنا في أوَّل ديوانه . وانظر إلى الفراء كيف يتوقَّف في صحة ما أسنده ؟ وهذه
اللغة باقية في أفواه الناس إلى اليوم ، يقول القائل : مافٍ أفلُ كذا .

وفي شرح الشيخ : قال حسين الجعفي : سألت أبا عمرو بن العلاء عن كسر
الياء فأجازه . وهذه الحكاية تروى على وجوه ذكرها ابن مجاهد (في كتاب
الياءات) من طرق قال : قال خلاد حدثنا حسين الجعفي قال : قلت لأبي عمرو
ابن العلاء : إن أصحاب النحو يُلحِّقونها (١) فيها . فقال : هي جائزة أيضاً ،
لا نبالي إلى أسفل حركتها أو إلى فوق . ثم ذكر بقية الطرق .

(١) ط : ه يلحوننا ، ، صوابه في ش واضحة .

واعلم أن علماء العربية قد وتجهوا قراءة حمزة بوجه :

أحدها ما ذكره الشارح المحقق ، وهو أن ياء الإضافة شُبّهت بهاء الضمير التي توصل بواو إذا كانت مضمومة وياء إذا كانت مكسورة ، وتكسر بعد الكسر والياء الساكنة . ووجه المشابهة : أنَّ الياء ضمير كالماء ، كلاهما على حرف واحد يشترك في لفظه النصب والجر ، وقد وقع قبل الياء هنا ياء ساكنة ، فكسرت كما تكسر الماء في عليه . وبنو يربوع يصلونها بياء كما يصل ابن كثير نحو عليه بياء ، وحمزة كسر هذه الياء من غير صلة ، لأنَّ الصلة ليست من مذهبه .

وهذا التوجيه هو الذي اعتمد عليه أبو علي (في الحجة) قال : وجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أو جر ، ٢٦٠ فالياء في النصب والجر كالماء فيهما ، وكالكاف في أكرمك وهذا لك ، فكما أن الماء قد لحقتها الزيادة في هذا له وضربه ، ولحق الكاف أيضا الزيادة في قول من قال : أعطيتكاه وأعطيتكيه فيما حكاه سيبويه ، وهما أختا الياء ، كذلك ألحقوا الياء الزيادة من المند فقالوا : في ثم حذفت الياء الزائدة على الياء ، كما حذفت الزيادة من الماء في قول من قال : « لَهْ أَرْقَانِ » وزعم أبو الحسن أنها لغة .

قلت : نقل الواحدى (في تفسيره الوسيط) عن قطرب أنه زعم أن هذا لغة في بني يربوع ، يزيدون على ياء الإضافة ياء ، نحو « هل لك ياتاني » وكان الأصل بمصرخى ، ثم حذفت الياء الزائدة وأقرت الكسرة على ما كانت عليه . انتهى

وقول أبي علي : « لَهْ أَرْقَانِ » هو قطعة من بيت وهو :

فبت^١ لدى البيت العتيق أريغه ومطواي^٢ مُشتاقان له أرقان
ويأتى شرحه إن شاء الله تعالى في باب الضائر^(١)

وقال أبو شامة : ليس التمثيل بقوله : له أرقان ، مطابقاً لمقصوده ،
فإن الهاء سا كنة حذفت حركتها مع حذف صلتها ، وليس مراده إلا حذف
الصلة فقط . فالأولى لو كان مثل بنحو : عليه ، وفيه . ثم قال أبو علي :
وكما حذفت الزيادة من الكاف ، فقبل أعطيتك ، كذلك حذفت الياء
اللاحقة للياء على هذه اللغة وإن كان غيرها أفشى منها ، وعضده من القياس
ما ذكرنا . لم يجوز لقائل أن يقول إن القراءة بذلك لحن لاستقامة ذلك
في السماع والقياس ، وما كان كذلك لا يكون لحناً .

الوجه الثاني أن يكون الكسر في بمصرخى ، لأجل التقاء الساكنين ،
وهذا هو الوجه الذى نبه عليه الفراء أولاً وتبعه فيه الناس . قال الزمخشري :
كأنه قد رياء الإضافة سا كنة ، ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون
إلا مفتوحة حيث قبلها ألف في عصاي ، فما بالها وقبلها ياء .

ومن تبع الفراء ابن جنى (في المحنسب) في سورة طه قال : قرأ الحسن
وأبو عمرو بخلاف عنهما : (هي عَصَاي^(٢)) بكسر الياء ، وكسرهما
في نحو هذا ضعيف ، استثقلاً للكسرة فيها وهربا إلى الفتحة ، كهداي
وبشراي ، إلا أن للكسر وجهاً ما ؛ وذلك أنه قد قرأ أحزمة (وما أتم بمصرخى)
وكسر الياء لالتقاء الساكنين مع أن قبلها كسرة وياء ، والفتحة والألف

(١) هو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلاثمائة ، وقائله يعلى
الأحول الأزدي .

(٢) الآية ١٨ من سورة طه . وقد وردت في النسختين محرفة
« هذه عصاي » وانظر ما كتبت في كتابي تحقيق النصوص ص ٤٥ .

في عصاي ، أخف من الكسرة والياه في مصرخي . وروينا عن قطرب
وجاعة من أصحابنا :

* قال لها هل لك ياتافي *

أراد : في ، ثم أشبع الكسرة للإطلاق وأنشأ عنها ياه ، نحو منزلي
وحوملي (١) . وروينا عنه أيضا :

عليّ لعمرؤ نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب (٢)
وروينا عنه أيضا :

إن يفي صبية صفيون أفلح من كان له ربيعون (٣) اه
الوجه الثالث : أن الكسر في بمصرخي للإتباع للكسرة التي بعدها ،
وهي كسر همزة إني . كما قرأ بعضهم : (الحمد لله) بكسر الدال اتبعا
لكسر اللام بعدها .

قال أبو شامة : وهذه الأوجه الثلاثة كلها ضميعة . والله أعلم . ٢٦١

وأنشد بعده :

﴿ خالط من سلى خياشيم وفا ﴾

تقدم شرحنا في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين من باب الاستثناء (٤) .

(١) يعني في قول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) النابغة الذبياني في ديوانه ٣ .

(٣) الرجز لسعد بن مالك أو أكتم بن صيفي . نوادر أبي زيد

٨٧ والاشتقاق ٦٩ ، ١٦٤ والعقد ٣ : ١٠٣ .

(٤) الخزائن ٣ : ٤٤٢ .

وما وجه به الشارح هنا من الوجهين ، هما لأبي عليّ (في الإيضاح الشعري)
وتقدّم قلّهما عنه هناك بأبسط ممّا هنا فليرجع إليه .

وقال في (البغداديات) أجرى الشاعر في فم الأفراد ، مجرى الإضافة
في الضرورة ، وذلك قوله : خياشيم وفا ، فحُكِّمَ أَلِفًا ، أن تكون بدلاً
من التنوين ، وللمنقلة من العين سقطت لالتقاء الساكنين ، لأنّه الساكن
الأوّل ، وبقي الاسم على حرف واحد . وجاز هذا في الشعر للضرورة ، لأنّه
قد يجوز في الشعر كثيراً ما لا يجوز في الكلام . قال المبرّد : وقد تلحن كثير
من الناس العجّاج في قوله : خياشيم وفا . قال : وليس هو عندي بلاحن ، لأنّه
حيث اضطرأني به في قافية غير ملحقّة معها التنوين . والقول عندي فيه
ما قدّمته : من أنّه أجراه في الأفراد مجراه في الإضافة ، فلا يصلح تلحينه
ونحن نجد مساعداً إلى تجويزه ، ونحن نرى في كلامهم نظيره من استعمالهم
في الشعر ما لا يجوز مع سواء ، كقولهم :

* ولضفادى جَهْ نَقَاتِي^(١) *

أى لَضَفَادَعِ جَهْ ، فكذلك يجوز فيه استعمال الاسم على حرف واحد
وإن لم يَسْعُ في الكلام . فأمّا قول المبرّد : ومن كان يرى تنوين القوافي لم يتّون
هذا ، فليس في هذا عنده شيء منع من تنوينه عند من يتّون . ويُفسد
ما ذكره من أنّ من نوّن القوافي لم يتّون هذا ، أن^(٢) من ينوّن القافية يلزمه
تنوين هذا الاسم ، لكونه في موضع النصب ، وقد أجاز المبرّد في غير هذا

(١) لحلف الأحمر . انظر سيبويه ١ : ٣٤٤ وشرح شواهد
الشافعية ٤٤١ . وفي النسختين : « جمّة » ، تحريف أصلحه
الشنقيطي .

(٢) ط : « مع أن » ، وكلمة « مع » مقحمة ليست في ش .

الموضع أن يكون الاسم المظهر على حرف مفرد . هذا كلامه ومنه تعلم أن نقل الشارح المحقق عن أبي عليّ خلاف مذهب .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلاثمائة :

٣٢٣ (كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءٍ كَأَنِّي (١))

على أن الوقف على المنصوب بالسكون لغة ، فإن كافياً مفعول مطلق وهو مصدر مؤكّد لقوله كفى ، وكان القياس أن يقول كافياً بالنصب ، لكنّه حذف تنوينه ووقف عليه بالسكون ، والمنصوب حقّه أن يبدل تنوينه ألفاً .

(وكافٍ) من المصادر التي جاءت على وزن اسم الفاعل ، قال المرزوقي (في شرح الفصيح) : يريد كفى النأى من أسماء كفاية ، وهو اسم فاعل وُضِعَ موضع المصدر كقولهم : قم قائماً ، وعُوفى عافية ، وفُلج فالجا . وكان يجب أن يقول كافياً ، لكنّه حذف الفتحة كما تحذف الضمة والكسرة . انتهى

وكذلك الزمخشريُّ أوردّه (في المفصل) في المصادر التي جاءت على صيغة اسم الفاعل .

والنأى : البعد ، وهو فاعل كفى ، والباء زائدة في الفاعل كقوله تعالى :

(١) الخصائص ٢ : ٢٦٨ والمنصف ٢ : ١١٥ وابن الشجري

١ : ١٨٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ وابن يعيش ٦ : ١٠/٥١ : ١٠٣

وشرح شواهد الشافعية ٧٠ وديوان بشر ١٤٢ .

﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾^(١) . و (من أسماء) متعلق بالتأني . وأسماء : امرأة ، أصله وسماء من الوَسامة ، وهي الحسن .

وهذا صدر وعجزه :

(وليسَ لِنَائِيهَا إِذْ طَالَ شَأْنِي)

صاحب الشاهد ٢٦٢ وهذا البيت مطلع قصيدة لبشر بن أبي خازم ، مدح بها أوس بن حارثة ابن لأم ، لما خلى سبيله من الأسر والقتل . و (شاف) اسم ليس . و (لنأياها) متعلق به ، والخبر محذوف أي عندي أو موجود . وفاعل طال ضمير التأني . وإذ تعليلية متعلقة بشاف . وجملة وليس لنأياها ، الخ معطوفة على ما قبلها ، أي يكفي بعدها بلاء فلا حاجة إلى بلاء آخر ، إذ هو القاية ، ولا شفاء لي من مرض بعدها مع طوله . ويجوز أن تكون الواو للحال .

وقال معمر بن المنثى ، شارح ديوان بشر ، وهو عندي بخطه ، وهو خطأ كوفي : المعنى لا يصيبني بعدها شيء أشد منه ، أي هو سقم ومرض . و يروى : (وَلَيْسَ لِسُقْمِيهِ) أي السقم الناشئ من بعدها . و يروى أيضاً : (وليس لسقمها) أي السقم الذي حصل لي منها . هذا كلامه ، وليس وراء عبّادان قربة .

و يروى شراح المفصل المصراع الثاني كذا :

* وَلَيْسَ لِحَبِّهَا إِذْ طَالَ شَأْنِي *

(١) الآية ٤٣ من الرعد و ٩٦ من الاسراء . وفي الكتاب أيضا :

« وكفى بالله شهيدا » في الآيتين ٧٩ ، ١٦٦ من النساء و ٢٨ من الفتح . و « فكفى بالله شهيدا » في الآية ٢٩ من يونس .

قال شارح أبياته — وهو بعض فضلاء العجم — : قوله : لِحَبَّهَا ، مفعول شافى والخبر محذوف ، أى عندى أو موجود ، ويجوز أن يكون لِحَبَّهَا أى ليس شاف كافياً أو حاصلًا لِحَبَّهَا . ورواه للظفرى (فى شرحه) : «وليس بِحَبَّهَا» بالوحدة وقال : أى ليس حَبَّهَا شافياً إذ طال ، يعنى يحصل الشفاء من وصلها لا بِحَبَّهَا .

وبشر بن أبى خازم بكسر اللوحدة وسكون الشين المعجمة — وخازم — بشر بن أبى خازم بانحاء والزاى المعجمتين .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : بشر بن أبى خازم هو من بنى أسد ، جاهلى قديم ، وشهد حرب أسد وطىء ، وشهد هو وابنه نوفل الحلف بينهما . قال أبو عمرو بن العلاء : فلان من فحول الجاهلية كانا يقويان : بشر بن أبى خازم ، والناطقة الذبياني : فأما الناطقة فدخل يثرب ففنى بشعره [ففطن] فلم يعد [للإقواء (١)] . وأما بشر فقال له أخوه سواده : إنك لتقوى ! قال : وما الإقواء ؟ قال : قولك :

ألم تر أن طول الدهر يُسلى ويُنسى مثل ما نُسيت جذام
نم قلت :

وكانوا قومنا فبقوا علينا فسقنهم إلى البلد الشام
فلم يعد للإقواء . اهـ

وأورده محمد بن حبيب (فى كتاب أسماء من قتل من الشعراء (٢)) فقال : ومنهم بشر بن أبى خازم الأسدى ، وكان أغار فى مقنّب من قومه على الأبناء

(١) التكملة من الشعراء ٢٢٧ .

(٢) نشر محققا بقلم كاتبه فى نوادر المخطوطات ٢ : ١١٢ -

٢٧٨ . والنص التالى فيه ص ٢١٤

من بنى صمصعة بن معاوية — وَكَلُّ بْنُ صَمِصَعَةَ^(١) ، إِلَّا عَامِرُ بْنُ صَمِصَعَةَ ،
يُدْعَوْنَ الْآبَاءَ ، وَهُمْ : وَائِلَةُ ، وَمَازَنُ ، وَسَلُولُ — فَلَمَّا جَالَتْ الْخَيْلُ مَرًّا
بِشَرِّ بَغْلَامٍ مِنْ بَنِي وَائِلَةَ فَقَالَ لَهُ بَشَرٌ : اسْتَأْذِنِي . فَقَالَ لَهُ الْوَائِلِيُّ : لَنْ تَذْهَبَ
أَوْ لَا رَشْقُنْكَ بِسَهْمٍ مِنْ كِنَانَتِي : فَأَبَى بِشَرٌّ إِلَّا أَسْرَهُ ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ عَلَى
تُنْدُوتِهِ فَاعْتَنَقَ بِشَرٌّ فَرَسَهُ وَأَخَذَ الْغَلَامَ فَأَوْتَقَهُ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ أَطْلَقَهُ
بَشَرٌّ مِنْ وَثَاقِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَقَالَ : أَعْلِمُ قَوْمَكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ بِشَرًّا . وَهُوَ
قَوْلُهُ :

وَأَنَّ الْوَائِلِيَّ أَصَابَ قَلْبِي بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ نِكَسًا لِنَايَا
فِي شَعْرِ طَوِيلٍ أ . هـ .

وكان بشر أولاً يهجو أوس بن حارثة بن لأم ، وكان أوسٌ نذر لئن ظفر
به ليحرقنه ، فلما تمكَّنْ أطلقه وأحسن إليه فمدحه . وهذه القصيدة الفائية
أول القصائد التي مدحه بها . ولما لم يكن فيها شيء من الشواهد سوى المطلع
اكتفينا به وما زدنا عليه شيئاً . وعدتها أربعة وعشرون بيتاً .

وأوسٌ هذا ، مَن يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكِرَمِ وَالْجُودِ ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ
سُعْدَى ، قَالَ جَرِيرٌ :

٢٦٣

وَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سُعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمرَ الْجَوَادِ
وسبب هجاء بشرٍ لأوس ، هو ما حكاه أبو العباس المبرد (في الكامل^(٢)) قال :
أوسٌ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأَمٍ الطَّائِي كَانَ سَيِّدًا مُقَدِّمًا ، وَفَدَهُ وَحَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الطَّائِي عَلَى عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ ، وَأَبُوهُ الْمُنْذَرُ بْنُ الْمُنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ، فَعَدَا أَوْسًا

سبب هجاء
بشر لأوس

(١) فِي نَوَادِرِ الْمَخْطُوطَاتِ : « وَكَانَ بَنُو صَمِصَعَةَ » .

(٢) الْكَامِلُ ١٣٢ - ١٣٣ .

فقال : أأنت أفضل أم حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن ، لو مَلَكَني حاتمٌ ووَلَدِي ولَحْمِي لو هَبْنَا في غداة واحدة ؛ ثم دعا حاتمًا فقال : أأنت أفضل أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن إنما ذُكِرْتُ بأوس ، ولأحدُ وَلَدِهِ أفضل مِنِّي . وكان النعمان بن المنذر دعا بِجُلَّةٍ وعنده وفودُ العرب من كلِّ حَيٍّ — فقال : احضِرُوا في غدا فإني ملبسٌ هذه الحِلَّةُ أكرمكم . فحضر القوم جميعاً إلا أوساً فقيل له : لِمَ تَتَخَلَّفُ^(١) ؟ فقال : إن كان المراد غيري فأَجَلُ الأشياء ألا أكون حاضراً ، وإن كنتُ المرادَ فسأُطَلَّب ويُعرف مكاني ؟ فلما جلس النعمان لم ير أوساً ، فقال : اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضِرْ أَمَّا مَّا خَفْتُ . فحضر فألبسه الحِلَّةُ^(٢) ؛ فحسده قومٌ من أهله فقالوا للحطيطية : اهْجُهِ وَلَكِ ثَلَاثَةُ نَاقَةٍ . فقال الحطيطية : كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالا إلا من عنده ؛ ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفكُ صالحةً من آل لأمٍ بظهر الغيب تأتيني^(٣)

فقال لهم بشر بن أبي خازم — أحد بني أسد بن خزيمة — : أنا أهجوهُ

(١) في الكامل : « لم تخلفت » .

(٢) الكامل : « فألبس الحلة » .

(٣) الذي في ديوان الحطيطية ٨٣ : « وكان الحطيطية قد دعى الى

هجاء زيد — يعني زيد الخيل الطائي — وأرغبوه في ذلك فابى وأنشأ

يقول :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لاي بظهر الغيب تأتيني

وبعد أربعة أبيات . والظاهر أن صواب الرواية « لأم » ، فانه

ليس في آباء أوس من اسمه « لاي » . انظر الاصابة والاغاني . كما

يظهر أن سبب الشعر عند السكري مبتور ، ففي الاغاني أنه طلب الى

الحطيطية أن يهجو بني لأم وزيداً فابى . الاغاني ١٦ : ٥٥ .

لکم . فَاخَذَ الْإِبِلَ وَفَلَ ، فَأَغَارَ أَوْسٌ عَلَيْهَا فَاتَّسَحَهَا ، فَجَعَلَ لَا يَسْتَجِيرُ حَيًّا إِلَّا قَالَ قَدْ أَجْرْتُكَ إِلَّا مِنْ أَوْسٍ . وَكَانَ فِي هِجَاثِهِ قَدْ ذَكَرَ أُمَّهُ فَأَتَى بِهِ ، فَدَخَلَ أَوْسٌ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ : قَدْ أَتَيْنَا بِبَشِيرٍ الْمَاهِي لَكَ وَلِي^(١) ! قَالَتْ : أَوْ تَطِيعُنِي^(٢) ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ : أَرَى أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ وَتَعْفُو عَنْهُ وَتَجْبُوهُ ، وَأَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَفْسِلُ هِجَاثَهُ إِلَّا مَدْحُهُ ! فَخَرَجَ فَقَالَ : إِنَّ أُمِّي سَعْدَى الَّتِي كُنْتُ تَهْجُوهَا ، قَدْ أَمَرْتُ فَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا ! فَقَالَ : لِأَجْرَمَ ، وَاللَّهِ لَا مَدَحَتْ حَتَّى أَمُوتَ أَحَدًا غَيْرَكَ . فَفِيهِ يَقُولُ :

إِلَى أَوْسٍ بِنِ حَارِثَةَ بِنِ لَأْمٍ لِيَقْضَى حَاجَتِي فِيمَنْ قَضَاهَا
فَمَا وَطِئَ الثَّرَى مِثْلُ ابْنِ سَعْدَى وَلَا لَيْسَ النِّعَالَ وَلَا احْتَدَاهَا

هَذَا مَا أَوْرَدَهُ الْمُهَرِّدُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفَ تَمَكَّنَ مِنْهُ أَوْسٌ .

وَقَدْ حَكَاهُ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى (فِي شَرْحِهِ) قَالَ : إِنَّ بَشَرَ بْنَ أَبِي خَلْزَمٍ غَزَا طَيْئًا ثُمَّ بَنَى نِهَانَ ، فَجَرِحَ فَأَثْقَلَ جِرَاحَةً ، وَهُوَ يَوْمُنَا بِحِمَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَإِنَّمَا كَانَ فِي بَنَى وَالْبَةِ ، فَأَمْسَرَتْهُ بَنُو نِهَانَ فَنَجَبَتْهُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَبْلُغَ أَوْسًا ، فَسَمِعَ أَوْسٌ أَنَّهُ عِنْدَهُمْ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ خَيْرٌ أَبَدًا أَوْ يَدْفَعُوهُ ! ثُمَّ أَعْطَاهُ مِائَتِي بَعِيرٍ وَأَخَذَهُ مِنْهُمْ ، فَجَاءَ بِهِ وَأَوْقَدَ لَهُ نَارًا لِيَحْرَقَهُ — وَقَالَ بَعْضُ بَنَى أَسَدٍ : لَمْ تَكُنْ نَارَ ، وَلَكِنَّهُ أَدْخَلَهُ فِي جِلْدِ بَعِيرٍ حِينَ سَلَخَهُ ، وَيُقَالُ جِلْدُ كَبْشٍ ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى جَفَّ عَلَيْهِ فَصَارَ فِيهِ كَأَنَّهُ الْمَصْفُورُ^(٣) — فَبَلَغَ ذَلِكَ سَعْدَى بِنْتُ حُصَيْنِ الطَّائِيَّةِ ، وَهِيَ سَيِّدَةٌ^(٤) ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ :

(١) بعده في الكامل : « فما ترين فيه ؟ » .

(٢) الكامل : « أو تطيعني فيه » .

(٣) كذا وردت هذه المبالغة .

(٤) أي ذات سيادة في قومها .

ما تريد أن تصنع ؟ فقال : أحرق هذا الذي شتمنا . فقالت : قَبِّحَ اللهُ قوما يسوءونك أو يقتبسون من رأيك ، والله لكأنما أخذت به ، أما تعلم منزلته في قومه ، خل سبيله وأكرمه ، فإنه لا يفضل عنك ما صنع غيره . فحبسه عنده وداوى جرحه ، وكنسه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابث إلى قومك ٢٦٤ يفتؤنك ، فإني قد اشتريتكم بمائتي بعير . فأرسل بشر إلى قومه فبيثوا له الغداء ، وبادروا أوساً فأحسن كسوته وحمله على نجيبة الذي كان يركبه ، وسار معه ، حتى إذا بلغ أدنى أرض غطفان ، جعل بشر يمدح أوساً وأهل بيته ، بمكان كل قصيدة هجاء بها قصيدة ، فهجاءهم بخمس ومدحهم بخمس . وقد قيل : إن بني نهبان لم تأسر بشراً قط ، إنما أسره النعمان بن جيلة بن وائل ابن جلاح الكلبي ، وكان عند جيلة بنت عبيد بن لأم ، فولدت منه عوف ابن جيلة ، فبعث إليه أوس بن حارثة يتقرب بهذه القرابة ، فبعث يبشر إليه فكان من أمره ما كان .

هذه حكايته ، وقد قتلها من خطه الكوفي .

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلاثمائة :

٣٢٤ (وَآخِذْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَصْماً ^(١))

هذا عجز ، وصدرة :

(إلى للره قيسي أطيل الشرى)

(١) الخصائص ٢ : ٩٧ وابن يعيش ٩ : ٧٠ وشرح شواهد الشافية ١٩١ وديوان الأعشى ٢٩ .

على أنه وقف على للنصب المتن بالسكون ، ولم يبدل تنوينه ألفا كالذى قبله .

والاستشهاد بهذا البيت كثير في مؤلفات أبي علي وتلميذه ابن جني .
وكان القياس أن يقول : عُصَا ، لأنه مفعول آخَذَ ، وهو جمع عصام ،
ككتب جمع كتاب .

قال ابن جني (في المبهج ، وهو شرح أسماء شعراء الحماسة لأبي تمام (١)) :
عصام القرية : وكاؤها ، وعصامها أيضاً : عُرونها . وأنشد هذا البيت وقال :
هو جمع عصام ، يعنى عهداً يبلغ به ويعزُّ به . فقضيته أنه بضمتين .

واستشهد به ابن هشام صاحب السيرة النبوية ، على أن عصماً فيه بكسرة
فتحة ، جمع عصمة ، فإنه قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْكُوا بِعَصَمِ
الْكُوفَرِ (٢) ﴾ : واحدة العَصَمِ عَصْمَةٌ وهى الحبل والسبب . ثم أنشد
هذا البيت (٣) .

أبيات الشاهد وهو من قصيدة للأعشى ميمون مدح بها قيس بن معد يكرب ، مطلعها :

(أَنهَجْرُ غَانِيَةٌ أَمْ تَلَمْ أَمْ الْحَبْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَدِمٌ

أَمْ الصَّبْرُ أَحْبَبُ فَإِنَّ أَمْرًا سَيَنْفَعُهُ عِلْمُهُ إِنْ عَلِمَ)

إلى أن قال :

(وَبِهَاءٍ تَعْرِفُ جَنَاحَهَا مَنَاهِلُهَا آجَنَاتُ مَدْمٌ

قَطَعَتْ بِرَسَامَةٍ جَسْرَةٍ عَذَابِرَةٍ كَالْفَنِيْقِ الْقَطِمْ

(١) المبهج ص ٤٧ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الممتحنة .

(٣) السيرة ٧٥٤ جوتنجن .

تَفَرُّجُ المَرءِ مِنْ هَمِّهِ وَيُشْفَى عَلَيْهَا الْفَوَادُ السَّقِيمُ
إِلَى المَرءِ قَيْسٍ أَطِيلُ السُّرَى وَأَخْذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَصَمُ
فَكَمْ دُونَ بَابِكَ مِنْ مَعْشَرٍ خِفَافِ الحُلُومِ عُدَاةُ غُشَمِ (١)
إِذَا أَنَا حَيِّتُ لَمْ يَرْجِعُوا تَحِيَّتَهُمْ وَهُمْ غَيْرُ صُمِّ (٢)
إِلَى أَنْ قَالَ :

(وَلَمْ يُودِ مَنْ كُنْتَ تَسْعَى لَهُ كَمَا قِيلَ فِي الحَرْبِ أَوْدَى دَرِمِ)
إِلَى أَنْ قَالَ :

(تَقُولِ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرِّحِيلِ أُرَانَا سَوَاءَ وَمَنْ قَدْ يَتِيمُ ٢٦٥
فِيَا أَبْنَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا فَأَنَا نَحَافُ بِأَنْ تُخْتَرَمَ (٣)
فَلَا رِمْتَ يَا أَبْنَا عِنْدَنَا (٤) فَأَنَا بَخِيرٌ إِذَا لَمْ تَرِمْ
تُرَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبَلَاءُ دُ نُنَجِّي وَيُقَطِّعُ مَنَا الرِّجْمُ)

الغانية : الجارية التي استغنت بزوجها ، وقد تكون التي استغنت بحسبها .
والإللام : النزول ، وأراد به هنا الزيارة والمواصلة . والحبل : الوصل . ووهي
الحبل ونحوه : تشقق واسترخى . والانجدام ، بالجيم والذال المعجمة : الانقطاع .
وأحجى : أليق ، من الحجا وهو العقل .

والبهاء ، بفتح المثناة التحتية : الفلاة التي لا يُهتدى إلى الطريق فيها .
وتعزف : تصوت ، وهو بالعين المهملة والزاى المعجمة . والجنان بكسر الجيم :

(١) في الديوان ٣٠ : « صباة الحلوم عداة عشم » باهمال عين
« عشم » . وفسر ثعلب الصباة بقوله : أبو عبيدة : صباة الحلوم :
خفاف الحلوم .

(٢) الديوان : « تخترم » بالتاء في أوله .

(٣) الديوان : « أبانا فلا رمت من عندنا » .

جمع جانٍ، وهو أبو الجنّ. والمنهل : المورد ، وهو عين ماء ترده الإبل .
والآجن : الماء المنغّير الطم واللون . والسُدْم ، بضم السين والبدال المهملتين ،
في الصحاح : رَكِيَّةٌ سُدْمٌ وسُدْمٌ ، مثل عُسْرٌ وعُسْرٌ : إذا أدْفَنْت .

وقوله : قطعت، جواب ربّ المقدّرة في قوله : وبهماء ، وهو العامل في عمله .
والرسامة : الناقة التي تؤثر في الأرض من شدّة الوطء . والجسرة ، بفتح الجيم :
الناقة القوية الشديدة ، ومثلها العُدافرة ، بضم العين المهملة . والفَنَيْق بفتح
الفاء وكسر النون : الفحل العظيم الخلق . والقَطْم ، بفتح القاف وكسر الطاء :
وصفٌ من قَطْمِ الفحل بالكسر : أى احتاج وأراد الضراب ، وهو في هذه
الحالة أقوى ما يكون . والَهْمُ : الغم . والفؤاد فاعل يشنى . والسَقَم
بفتححتين مفعوله .

وقوله : (إلى المراء قيس) إلخ أل في المراء لاستغراق خصائص الأفراد ، نحو
زيد الرجل ، أى السكامل في هذه الصفة . وقيس بدل من المراء . و (السرى)
بالضم : جمع سرّية ، يقال سرّينا سرّية من الليل وسرّية ، بالضم والفتح .
قال أبو زيد : ويكون السرى أولّ الليل وأوسطه وآخره . وهذه طريقة
المتقدمين في التخلص إلى المديح ، وهو أنهم يصفون الفياق وقطعها بسير
النوق ، وحكاية ما يمانون في أسفارهم إلى ممدوحهم . وقوله : (وأخذ من
كل) إلخ ، معطوف على أطيل السرى . وإنما كان يأخذ من كل قبيلة عهداً
إلى قبيلة أخرى ، لأن له في كل حيّ أعداء من هجاءه ، أو ممن يكره ممدوحه ،
فيخشى القتل أو غيره ، فيأخذ عهداً ليصل بالسلامة إلى ممدوحه ، فذكر له
ما تجشّسه من المشاق في المسير إليه ، ليُجزل له العطايا . وقد ذكر الأعداء بقوله :

فكم دونَ بابك من مشرٍ . . . إلخ

وِخْفاف : جمع خفيف ، ككرام جمع كريم . والعُلوْم : جمع حِلْم بالكسر ، وهو الأناة ، أراد به العقل . وعُدَاة ، بضم العين : جمع عادٍ ، كفضاة جمع قاض من عدا عليه يعدو عدوانا : إذا ظلمه وتجاوز الحدَّ عليه . وغُشْم ، بضمّين : جمع غشوم ، من الغُشْم وهو الظُّلْم .

وقوله : ولم يودِ من كنت الحِج ، أودى فلان أى هلك فهو مُودٍ . ودَرِم بفتح الدال وكسر الراء ، قال فى الصحاح : « اسم رجل من بنى شيبان ، قُتِل فلم يُدرَك بئاره ، وقال المؤرِّج : فُقِد كما فقد القارظ العَترى » . وفى ديوان الأعشى : انه دَرِم بن دُبِّ بن مُرَّة بن ذُهَل بن شيبان ^(١) ، كان النعمان يطلبه فظفروا به ، فمات فى أيديهم قبل أن يصلوا به إلى النعمان ، فقيل « أودى دَرِم » ٢٦٦ فذهبت مثلا . وروى :

* كما قيل فى الحى أودى دَرِم *

قال العسكري (فى التصحيف ^(٢)) : اجتمع رُواة بغداد ^(٣) على أن دَرِم مفتوح الدال مكسور الراء إلا ابن الرومى الشاعر ، فإنه ذكر أن روايته (دَرِم) بكسر الدال وفتح الراء ، وكان يعزوه إلى محمد بن حبيب . وإِنَّمَا احتاجَ إلى أن يجعله هكذا فى شعر له هربا من التوجيه ، فقد كان ابتداء قصيدته :

(١) كذا فى شرح ثعلب للديوان ٣١٠ . وفى جمهرة ابن دريد ٢٦ : « وفى بنى شيبان بطن يقال له دب ، وهو دب بن مرة بن شيبان ، وهم قوم درم الذى يضرب به المثل فيقال : أودى درم . وانظر المثل عند العسكري والزمخشري والميداني .

(٢) تصحيف العسكري ٢٨٩ .

(٣) فى التصحيف : « أجمع الرواة رواة البصرة وبغداد » .

(٢٩) خزانة الأدب

* أَيْضًا دَمًا إِنَّ الرِّزَايَا لَهَا قِيمٌ ^(١) *

فَبِنَاهَا عَلَى فَتْحٍ مَا قَبْلَ الرُّوْيِ ثُمَّ قَالَ :

* فَطَاحَتْ جُبَارًا مِثْلَ صَاحِبِهَا دَرَمٌ *

وَأَنشَدَهَا عَلَى هَكَذَا ^(٢) ، فَأَنكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ ^(٣) .
وَدَرَمٌ هَذَا مَشْهُورٌ عِنْدَ النِّسَابِيِّينَ ، وَهُوَ دَرَمٌ بَن دُبٍّ بَن مَرَّةَ بَن ذَهْلٍ
ابْنِ شَيْبَانَ . إِنَّمَا قَالُوا : أَوْدَى دَرَمٌ ، لِأَنَّهُ قُتِلَ فَلَمْ يُوَدَّ وَلَمْ يَنَازَرْ بِهِ ، وَقَالَ
قَائِلٌ : أَوْدَى دَرَمٌ فَضْرِبٌ مِثْلًا .

وَقَوْلُهُ : أَرَأَنَا سِوَاءَ الْخِ ، أَيْ نَرَى أَنفُسَنَا مِثْلَ الْآيَاتِمِ سِوَاءٍ . وَقَدْ يَتِمُّ
بِالْكَسْرِ يَتِمُّ ^(٤) بِالْفَتْحِ يُتَمَّا بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ وَسُكُونُ التَّاءِ فِيهِمَا . وَاخْتَرَمَهُمُ
الدَّهْرُ ، وَتَخَرَّمَهُمْ : أَيْ اقْتَطَعَهُمْ وَاسْتَأْصَلَهُمْ . وَتُخْتَرَمُ ، بِضَمِّ النُّونِ .

وَقَوْلُهُ : فَلَا رِمَتْ الْخِ ، رَامَ مِنْ مَكَانِهِ يَرِيمُ : إِذَا بَرِحَ وَزَالَ . وَ أَنَا ،
بِضَمِّ النُّونِ مِنَ الرُّؤْيَةِ بِمَعْنَى الظَّنِّ . وَنَحْيِي بِضَمِّ النُّونِ مِنَ الْجَفْوَةِ ، أَيْ نَعْمَا لَهَا .

(١) عجزه كما في التصحيف :

* فَلَيْسَ كَثِيرًا أَنْ تَجُودَا لَهَا بِدَمٍ *

(٢) يَعْنَى عَلَى بَنِ الْعَبَّاسِ بَنِ جَرِيحِ الرُّومِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٨٣ .
وَالَّذِي فِي التَّصْحِيفِ : « وَأَنشَدَهَا عَلَى هَذَا » .

(٣) بَعْدَهُ فِي التَّصْحِيفِ : « وَأَقَامَ ابْنُ الرُّومِيِّ عَلَى أَنَّهُ دَرَمٌ بِكَسْرِ
الدَّالِ » .

(٤) فِي النُّسخَتَيْنِ : « يَتِمُّ » وَحُورُهَا الشَّنْقِيطِيُّ إِلَى يَتِيمٍ .

٣٢٥ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلاثمائة :
 (كَالْحَوْتِ لَا يَرْوِيهِ شَيْءٌ يَلْقَمُهُ يُصْبِحُ ظَلَّانٌ وَفِي الْبَحْرِ قَمُهُ ^(١))
 على أنه قد يقال في غير الأفصح في وفه وفم زيد ، في جميع حالات
 الإضافة . وهذا ظاهر فإثبات اللبم عند الإضافة فصيح ، ويدل له الحديث :
 « تَخْلُوفُ فَمِ الصَّامِ » ^(٢) .

ولا التفات إلى قول أبي علي (في البغداديات) : قد اضطر الشاعر
 فأبدل من العين اللبم في الإضافة ، كما أبدلها منها في الإفراد ، فقال : وفي البحر
 قَمُهُ . وهذا الإبدال في الكلام إنما هو في الإفراد دون الإضافة ، فأجرى
 الإضافة مجرى المفرد في الشعر للضرورة . هذا كلامه .

ويَلْقَمُهُ : مضارع أَقَمَتِ اللَّقْمَةَ لَقْمًا من باب طَرَبَ : إذا بلعها ، وكذلك
 التلغمتها وتلقمتها : إذا ابتلعها . وروى بدله : (يَلْهَمُهُ) وهو بمعناه ، يقال
 لَهَمَهُ لَهَا من باب طَرَبَ ^(٣) أيضاً . إذا ابتلعه . و (ظَلَّانٌ) بالنصب خبر
 (يصبح) . وجملة : (وفي البحر قَمُهُ) حال من الضمير المستتر في ظَلَّانٌ .
 قال حمزة الأصباهاني (في الدرّة الفاخرة) : « أَظْلَمُ مِنْ حَوْتٍ » مثلُ بَرَعْمُونِ
 دعوى بلاينة أنه يعطش وفي البحر قَمُهُ ، واحتجوا بقول الشاعر : كالحوث
 لا يرويه شيء الخ . وينقضون هذا بقولهم : « أَرَوَى مِنْ حَوْتٍ » ، فإذا سُئِلُوا
 عن علة قولهم قالوا : لأنه لا يفارق الماء . انتهى .

(١) الحيوان ٣ : ٢٦٥ والشذور ٣٢٣ والعيني ١ : ١٣٩

والتصريح ١ : ٢/٦٤ ٢٩٢ والهمع ١ : ٤٠ والمخصص ١ : ١٣٦
 وديوان العجاج ١٥٩ .

(٢) تمامه « أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ » . انظر الحديث

١٦٢ من الألف المختارة من صحيح البخاري .

(٣) في النسختين : « ضَرَبَ » ، صوابه ما أثبت .

ولم يزد الزمخشري^١ (في المستقصى) في شرح هذا المثل على قوله : يزعمون أنه يعطش في البحر ، قال : كالحوت لا يرويه شيء الخ .

وقد قل الكرماني كلام الدرّة (في شرح شواهد الخبيص) ثم قال : يمكن تصحيح المثليين حقيقة ، وهو أن الحوت لا يشرب ماء البحر ما أمكنه للموخته ، فهو إذن ظآن . ولكثرة صبره على العطش مع وجود الماء كأنه ريان ، إذ لو لا أنه كذلك لشرب الماء . وجاز أن يكون قلة شربه لخوف غرقه بوصول الماء إلى جوفه متجاوز الحد .

هذا كلامه ، ولا ينبغي له تسطير مثل هذا . والوجه أن يقال : لوجوده في الماء إنما ضرب المثل بريّه ، ولعدم طاقته على مفارقة الماء قيل : « أظلم من حوت » . كأن ملازمته للماء إنما هي لشدة ظمئه . ٢٦٧

وقال صاحب حياة الحيوان : هذا البيت مثل يضرب لمن عاش بخيلاً شرها (١) .

وهو من رجز طويل لرؤبة بن العجاج ، عدته أربعائة وخسة وثلاثون بيتاً ، مدح به أما العباس السفاح أول الخلفاء العباسية ، وأوله :

(قلت لزيد لم تصله مرة)

وذكر في أواخره قفرة وشدة حاجته إليه . وهذه قطعة منه :

(جادك عود خندي قشعه)

العود ، بالفتح : المسن القديم ، وأصله في الإبل ، عني به نفسه . وخندف :

(١) انظر حياة الحيوان للدميري في رسم (الحوت) .

امراة الياس بن مضر . وأراد بكونه خندفياً أنه عدنانى لا قحطانى .
والقشعم : الكبير .

(عليه من لبذ الزمان هليمة)

لبذ الزمان ، بكسر اللام وسكون الموحدة : جفوفه ووسخه . وهليمة :
ما تراكم بعضه على بعض ؛ وقال بعضهم : خلقاته . وهو بكسر الهاء واللام
وسكون اللام بينهما .

(موجب ، عارى الضلوع حرصمه^(١))

الموجب ، بكسر الجيم وروى بفتحها : الذى يأكل فى اليوم واليلة مرة ،
يقال فلان يأكل وجبة وقد وجب نفسه توجيباً : إذا عودها ذلك . أراد :
إننى لا أصيب من القوت فى اليوم واليلة إلا مرة . والحرصم ، بكسر المهملة
والضاد المعجمة بينهما راء مهملة : المهزول ، كذا فى شرح ديوانه .

(لم يلق للجشب إداماً يادمه)

الجشب ، بفتح الجيم وسكون الشين المعجمة : ضيق العيش . فى الصحاح :
طعام جشب ومجشوب أى غليظ ، ويقال هو الذى لا إدام معه .

(ما زال يرجوك لحق يزعمه)

(على التناى ويراك حلمه)

التناى : التباعد . والحلم بضمتين : ما يراه النائم . والإسناد مجازى
أى يراك فى حلمه .

(١) فى النسختين : « عادى ، بالدال ، وحوورها الشنقيطى الى
« عارى ، كما فى الديوان . وانظر اللسان (وجب) .

(قَدْ طَالَا جَنَ إِلَيْكَ أَهْيَهُ)

أهْيَهُ : عقله وفؤاده .

(إِيَّاكَ لَمْ يُخْطِئْ بِهِ تَرْسُهُ)

التَرْسُ ، بالراء : التفرس ، من الفراسة .

(كَالْحَوْتِ لَا يُرْوِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ)

شبه نفسه بالحوت أى هو كالحوت .

(يُصْبِحُ ظِمَانٌ وَفِي الْبَحْرِ فُهُ)

(مِنْ عَطَشٍ لَوْحَهُ مُسْلِمُهُ)

لَوْحَهُ : غيره ، من لَوْحَتِهِ أى غيره ، ومن لَوْحَتِ الشَّيْءِ بالنار : أحيطه .
والمُسْلِمُ : المقتير .

(أَطَالَ ظِمْنًا وَجِبَاكَ مَقْدَمَهُ)

الجبا ، بكسر الجيم بعدها موحدة : الماء المجموع للإبل ، وهو بالقصر .
وَمَقْدَمُهُ : مَوْرِدُهُ .

(وَفِيضُكَ الْفَيْضُ الرِّوَاءُ أَطْفَمُهُ)

الرِّوَاءُ ، بالفتح والمد : الماء العذب . وأطْفَمُهُ ، أى أَكْثَرَهُ ؛ وهو
بالتين المعجمة .

(قَدْ كَانَ جَمًّا شَاؤُهُ وَنَعْمُهُ)

أخبر عن نفسه بأنه كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَثِيرَ النِّعَمِ وَالْإِبْلِ .

(نَعَصَهُ دَهْرٌ مُدْفٍ مَحْطِيهِ)

(وَالْدَّهْرُ أَحْبَى لَا يَزَالُ أَلَّهُ)

الأحبي : الشديد الحابي الضلوع ، أى المشرف المنتفخ الجنبين من الغيظ .

(أَفْنَى الْقُرُونِ وَهُوَ بَاقِي أَرْزَمُهُ)

أى حوادثه ، وهو بالزاء المعجمة والنون .

(بِذَلِكَ بَادَتْ عَادُهُ وَإِرْمُهُ)

بادت : هلكت . وعاد وإرم : قبيلتان .

وهذا آخر الرجز . وترجمة رؤبة قد تقدمت فى الشاهد الخامس من أوائل الكتاب (١) .

وقد حَفِظَ الْأَصْعَىٰ عِنْدَ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِرَوَايَتِهِ لِهَذَا الرِّجْزِ .

روى ' السيد المرتضى ' (فى أماليه : الدرر والغُرر) بسنده إلى الأصمعيّ أنه قال : تصرّفتُ بِنِ الْأَسْبَابِ عَلَىٰ بَابِ الرَّشِيدِ مُؤَمِّلًا لِلظَّفَرِ بِهِ وَالْوَصُولِ إِلَيْهِ ، حَتَّىٰ إِنِّي صِرْتُ لِبَعْضِ حَرَسِهِ خَدِينًا (٢) ؛ [فَأَنَّنِي (٣)] فِي بَعْضِ لَيْلَةٍ ٢٦٨
قد ثُثِرَتِ السَّعَادَةُ وَالتَّوْفِيقُ فِيهَا الْأَرْقَىٰ بَيْنَ أَجْفَانِ الرَّشِيدِ ، إِذْ خَرَجَ خَادِمٌ قَتَالَ : أَمَّا بِالْخُفْرَةِ أَحَدٌ يَحْسِنُ الشَّعْرَ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! رَبُّ قَيْدٍ مُضَيِّقٍ قَدْ حَلَّهَ التَّيْسِيرُ (٤) ! فَقَالَ لِي الْخَادِمُ : ادْخُلْ ، فَلَعَلَّهَا أَنْ تَكُونَ لَيْلَةً يُعْرَسُ فِي صَبَاحِهَا الْغَنَى (٥) ! إِنْ فُزْتُ بِالْخُطْوَةِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَدَخَلْتُ

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) فى النسختين : « خدينا » ، صوابه من أمالى المرتضى ٢ :

٩ . والحدّين : الصديق والصاحب .

(٣) التكملة من ش والامالى .

(٤) فى أمالى المرتضى : « رب قيد مضيقه حله التيسير » .

(٥) المرتضى : « تعرس فى صباحها بالغنى » .

فواجهتُ الرشيدَ في مجلسه ، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه ؛ فوقف بي الخادمُ حيث يسمعُ التسليم ، فسلبتُ فرداً على السلام ثم قال : يا غلامُ أرحه ليُفرِّخَ رُوعه إن كان وجدَ للرُوعة حساً ! فدنوت قليلاً ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إضاءةُ مجدك وبهاءُ كرمك يُجبرانِ لمن نظر إليك من اعتراضِ أذية ! فقال : ادنُ . فدنوت فقال : أشاعرُ أم راوية ؟ فقلت : رواية لكل ذي جدٍّ وهزل ، بعد أن يكونُ مُحسناً ؛ فقال : تالله ما رأيتُ ادعاءً أعظمَ من هذا ! فقلت : أنا على الميدان ، فأطلقُ من عنائي يا أمير المؤمنين ؛ فقال : « قد أنصفَ القارةَ من راماهَا » ، ثم قال : ما المعنى في هذه الكلمة بديناً ؟ فقلت : فيها قولان : القارة هي الحرّة من الأرض ؛ وزعمت الرواة أن القارة كانت رُمةً للتبابعة ، والمُلكُ إذ ذاك أبو حَسَن ، فوافقَ عسكره عسكر السُفد^(١) فخرج فارسٌ من السُفد قد وضع سبهه في كبد قومه فقال : أين رُمة العرب ؟ فقالت العرب : « قد أنصفَ القارةَ من راماهَا » . فقال لي الرشيد : أصبت ! .

ثم قال : أتروى لرؤية بن المعجّاج والمعجّاج شينا ؟ فقلت : هما شاهدان لك بالقوا في وإن غُيبا عن بصرك بالأشخاص . فأخرج من رثي فرشه رُمةً ثم قال : أُنشدني :

• أَرَقْنِي طَارِقُ مِمَّ أَرَقَا^(٢) •

فضبت فيها مِضَى الجواد في سنن ميدانه^(٣) تهديرُ بها أشدّاق ، فلما

(١) في النسختين : « فوافق عسكره عسكر السعد » ، وما أثبت من أمالي المرتضى وتصحيح الشنقيطي بقلبه في نسخته . والمواقفة : أن يقفا معاً في حرب أو خصومة .

(٢) هي مطلع أرجوزة لرؤية في ديوانه ١٠٨ - ١١٥ .

(٣) المرتضى : « في متن ميدانه » .

صرت إلى مديحه لبنى أمية ، ثنيتُ لسانى إلى امتداحه لأبى العباس (١) في قوله :
(قلتُ لزيرٍ لم يَصِلْهُ مَرِيَمُهُ)

فلما رآنى قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال : أعن حيرة أم عن عمد ؟ قلت : عن عمد ، تركتُ كذبه إلى صدقه فيما وصف به جدك (٢) من بحمه ! فقال الفضل : أحسنت ، بارك الله فيك ! مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس ! فلما أتيت على آخرها قال لى الرشيد : أتروى كلمة عدى بن الرقاع :
* عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُماً فاعتادها (٣) *

قلت : نعم . قال : هات . فضيتُ فيها حتى إذا صرتُ إلى وصف الجمل قال لى الفضل : ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أُمِتْنَا به من السهر فى ليلتنا هذه ، بصفة جلي أجرب ! فقال له الرشيد : اسكتْ فالإبل هى التى أخرجتك من دارك ، واستلبتْ ناعج ملكك ، ثم ماتت ومَحَلَّتْ جلودها سِياطاً ضربتُ بها أنت وقومك ! فقال الفضل : لقد عوقبتُ على غير ذنب ، والحمد لله ! فقال الرشيد : أخطأت ، الحمد لله على النعم ، ولو قلت : وأستغفرُ الله كنتُ مُصيباً . ثم قال لى : امضِ فى أمرك . فأنشدته ، حتى إذا بلغت إلى قوله :

* نَزَجى أغنَّ كأنَّ إمرة رَوْقه *

استوى جالساً ثم قال : أتخفظ فى هذا ذِكْراً ؟ قلتُ : نعم ، ذكرتُ

(١) أبو العباس هو السفاح . وفى المرتضى : « المنصور » .

(٢) فى المرتضى : « المنصور » .

(٣) عجزه كما فى اللسان (بلد) والطرائف الأدبية ٨٧ :

* من بعد ما درس البلى إبلادها *

الرواة أن الغزذقي قال : كنتُ في المجلس ، وجريرو إلى جانبي ، فلما ابتدأ عديٌّ في قصيدته ، قلتُ لجريرو - مُسرّاً إليه - نسخر من هذا الشامي^(١) .
فلما ذقنا كلامه يئسنا منه ، فلما قال :

• تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ لِهَيْرَةَ رَوْقَهُ •

— وعديٌّ كالسترجيح — قال جريرو : أما تراه يستكِبُ بها مثلاً ؟ فقال الغزذقي : يَا لُكْع ، إِنَّهُ يَقُول :

• قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا •

فقال عديٌّ :

• قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا •

٢٦٩

فقال جريرو : أكان سمحك غبوءاً في صدره ؟ فقال له : اصكْتُ ،
شَغَلَنِي سَبْكُكَ عَنْ جَيْدِ الْكَلَامِ ! فلما بلغ إلى قوله :

وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَا كَهَا مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا

قال الرشيد : ما تراه قال حين أنشده هذا البيت ؟ قلت : قال : كذاك
أراد الله . فقال الرشيد : بما يكن في جلالته ليقول هذا ، أحسبه قال : ما شاء
الله ! قلت : وكذا جاءت الرواية . فلما أتيت على آخرها قال : أنروني لدى
الرمّة شيئاً ؟ قلت : لا أكثر . قال : فما أراد بقوله :

(١) عند المرتضى : « هلم نسخر من هذا الشامي » .

مُرَّ أَمْرُ فَتْلِهِ أَسَدِيَّةٌ ذِرَاعِيَّةٌ حَلَالَةٌ بِالمَصَانِعِ^(١)

قلت : وصف حمار وحش آمنه بقل روضةٍ تواشجت أصوله وتشابكت فروعُه ، من مطرٍ سحابةٍ^(٢) كانت بنوء الأسد ثم في الذراع من ذلك . فقال الرشيد : أريح ، فقد وجدناك مُتِمِّعًا وعرفناك محسنًا . ثم قال : أجدُ مَلَالَةً — ونَهْضَ — فأخذ الخادم يُصلح عَقِبَ النعلِ في رجله — وكانت عربية — فقال الرشيد : عَقَرْتَنِي يا غلام ! فقال الفضل : قَاتَلَ اللهُ الأعاجم ، أما إنَّهَا لو كانت سِنْدِيَّةً لما احتججتَ إلى هذه الكلمة^(٣) . فقال الرشيد : هذه نعلٌ ونعلٌ آبائي ؛ كم تُعَارِضُ فلا تُتْرَكُ من جوابٍ ممضٍ ! ثم قال : يا غلام ، يؤمِّرُ صالحُ الخادم ، بتعجيل ثلاثين ألفَ درهمٍ على هذا الرجل ، في ليلةٍ هذه ، ولا يحجَبُ في المسأنف . فقال الفضل : لولا أَنَّهُ مجلسُ أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره ، لأمرْتُكَ بِمَنْثَلٍ ما أَمَرَكَ ، وقد أَمَرْتُكَ بِهِ إِلَّا أَلْفَ درهمٍ ، فتلقُ الخادمَ صباحًا . قال الأصمعي : فما صَلَّيتَ من غديرٍ إِلَّا وفي منزلي تسعةٌ وخمسون ألفَ درهمٍ .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الثلاثمائة [وهو من شواهد س^(٤)] :

(١) في ديوانه ٣٦١ وأمالى المرتضى : « متنه أسدية » .

(٢) المرتضى : « عن مطر سحابة » .

(٣) المرتضى : « هذه الكلفة » .

(٤) التكملة من شمس . وانظر سيبويه ٢ : ٨٣ ، ٢٠٢ ومجالس

العلماء ٣٢٧ والمصائص ١ : ١٧٠/٣ ، ١٤٧ ، ٢١١ والانصاف ٣٤٥

وشرح شواهد الشافعية ١١٥ والهمع ١ : ٥١ وديوان الفرزدق ٧٧١ .

٣٣٦ (هُمَا نَفْثَانِي فِيٍّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّابِجِ الْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامٍ)

على أنه جمع بين البديل والمبدل منه ، وهما الميم والواو .

وتكلف بعضهم معتبراً بأن قال : الميم بدل من الهاء التي هي اللام ، قدّمت على العين .

وتقدير القول الأوّل (كما في البغداديات لأبي علي) أنه أضاف الفم مبدلاً من عينها الميم للضرورة ، كقول الآخر :

* وفي البحر فَنَّهُ (١) *

ثم أتى بالواو التي هي عين ، والميم عوض منه ، فيكون جمعاً بين البديل والمبدل منه للضرورة . وقد وجدنا هذا الجمع في مذاهبهم ، قال الشاعر :

* أقول يا اللهم يا اللهم (٢) *

فجمع بين حرف التنبيه وبين الميمين اللتين هما عوضان منه ، فيكون قد اجتمع فيه على هذا الوجه ضرورتان : إحداها (٣) إضافة فم بالميم وحكمه أن لا يضاف بها ، وثانيتهما (٤) جمعه بين البديل والمبدل منه .

أقول : إضافة فم بالميم فصيح ، وليس بضرورة ، وتقدم الرد عليه بحديث : « لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ (٤) » .

وأما القول الثاني فهو يشبه أن يكون منذهب سيبويه ، فإنه قال في باب

(١) انظر الشاهد السابق .

(٢) انظر الشاهد ١٣٠ في الخزانة ٢ : ٢٩٥ .

(٣) في النسختين : « أحدهما » و « وثانيهما » ، والوجه

ما أثبت .

(٤) في أثناء الكلام على الشاهد السابق .

النسبة — واسمه عنده باب الإضافة — مانصه : « وأما فم فقد ذهب من أصله حرفان ، لأنه كان أصله قَوْه ، فأبدلوا الميم مكان الواو ، فهذه الميم بمنزلة العين نحو ميم دم ثبتت في الاسم ، فن ترك دم على حاله إذا أضيف ترك فم على حاله ، ومن ردّ إلى دم اللام ردّ إلى فم العين فجعلها مكان اللام ، كما جعلوا الميم مكان العين في فم . قال الشاعر :

* هما نشتا في في من فويهما *

وقالوا فموان . فمن قال فَمَان فهو بالخيار ، إن شاء قال : فَمَوَى ، وإن شاء قال : فَمِي . ومن قال : فَمَوَان قال : فَمَوَى ، على كل حال .

هذا كلام سيبويه، وبه يظهر خطأ الأعلم في شرح شواهد حيث قال : [الشاهد (١)] في قوله فويهما وجنمه بين الواو والميم التي هي بدل منها في فم . ومثل هذا لا يُعرف لأنّ الميم إذا كانت بدلا من الواو فلا ينبغي أن يُجمع بينهما . وقد غلط (٢) الفرزدق في هذا ، وجعل من قوله إذْ أَسْنٌ واختلط عقله . ويحتمل أن يكون لما رأى فم على حرفين توهمه مما حذفت لامه من ذوات الاعتلال ، كيد ودم ، فردّ ماتوهمه محذوفا منه . انتهى كلامه .

وقوله : ومثل هذا لا يعرف ، تقدّم عن أبي عليّ أنه معروف في قولهم : يا اللهم .

وقوله : وقد غلط (٢) الفرزدق في هذا النخ ، فيه أنه لا يجوز أن يتوهم في البدوى أنه يغلط في نطقه ويلحن ، فإنه لا يطاوعه لسانه وإن تعدّده كما قيل ، فالعرب معصومون عن لحن اللسان . نعم يجوز أن يغلطوا في المعاني .

(١) التكملة من ش والشتنتمرى .

(٢) ط : « خلط » صوابه في ش والشتنتمرى .

وقوله : ويحتمل أن يكون لما رأى فما على حرفين الخ ، كأنه حين كتب هذا الكلام لم ينظر إلى كلام سيويه .

وقد نقل أبو علي (في البغداديات) وجهاً آخر في توجيه فويهما ، مع أنه لم ينقل فيها مذهب سيويه ، قال :

« وأما قول الفرزدق فويهما ، فإنه قيل إنه أبدل من العين الذي هو واو الميم ، كما تبدل منه في الأفراد ، ثم أبدل من الهاء التي هي لام الواو . وبذل الواو من الهاء غير بعيد ، ويدل على سوغ ذلك أنهما يعتقبان الكلمة الواحدة ، كقولك عِصَّة ، فإن لامة قد يُحَكَّم عليها بأنها هاء لقولهم عِصَاهُ ، وقد يحكم عليها أنها واو لقولهم عِصَوَات .

وذهب ابن جني (في سر الصناعة) إلى أن فويهما مثني فَمَا بالقصر ، قال في قول الشاعر :

* يَا حَبِذَا عَيْنَا سُلَيْمَى وَالْفَا *

يجوز أن يكون الفَا في موضع رفع ، وهو اسمٌ مقصور بمنزلة عصا ، وعليه جاء بيت الفرزدق :

* هَا نَفْنَا فِي فَيٍّ مِنْ فَوِيهْمَا *

فأعرفه . انتهى .

وقوله : (هَا نَفْنَا) ضمير التثنية راجعٌ إلى إبليس وابنه ، كما يأتي . ونَفْنَا : أى أَلْقَيْآ على لسانى ، من نَفَثَ اللهُ الشَّيْءَ فى القلب : أَلْقَاهُ . وأصل نَفَثَ بمعنى بَرَّقَ ، ومنهم من يقول : إذا بَرَّقَ ولا ريقَ معه . ونَفَثَ فى العُقْدَةِ عِنْدَ الرُّقِيَةِ^(١) ، وهو البزاق اليسير . ونَفَثَهُ نَفْثًا أَيضًا : إذا سحره . ورؤى

(١) ط : « عن الرقية » ، صوابه فى ش .

أَيْضاً : (هَا تَقْلًا) من تَقَلَّ تَقْلًا ، من بَابِ ضَرْبٍ وَقَتْلٍ ، من البَزَاقِ ؛ يُقَالُ يَزِقُّ نَمَّ تَقَلَّ . و (النَّاجِجُ) أَرَادَ بِهِ مَنْ يَتَعَرَّضُ لِلْهَجْوِ وَالسَّبِّ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَأَصْلُهُ فِي السَّكْبِ . وَمِثْلُهُ (الْعَاوِي) ^(١) بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ . و (الرَّجَامُ) : مُصَدَّرٌ رَاجِعُهُ بِالْجَارَةِ أَيْ رَامَاهُ ، وَرَاجِمٌ فَلَانٌ عَنْ قَوْمِهِ : إِذَا دَافَعَ عَنْهُمْ ، جَعَلَ الْهَجَاءَ كَالرَّاجَةِ لَجْلِهِ الْهَاجِجِ كَالسَّكْبِ النَّاجِجِ . وَكَأَنَّ الْأَعْلَمَ لَمْ يَقِفْ عَلَى مَا قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ ، وَلِهَذَا ظَنَّ أَنَّ ضَمِيرَ التَّنْثِيَةِ لِشَاعِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ ، نَزَعَ فِي الشُّعْرِ إِلَيْهِمَا .

وهذا البيت آخر قصيدة للفرزدق ، قالها آخر عمره تائباً إلى الله عز وجل مما فرط منه من مهاجاته الناس ، وقذف الحصنات ؛ وضم فيها إبليس لإغوائه إياه في شبابه . وهذه أبيات منها ^(٢) :

<p>(أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي ، وَإِنِّي عَلَى حِلْفَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَأَصْبَحْتُ أَسْعَى فِي فَكَاكِ قِلَادَةٍ وَلَمْ أَنْتَبِهْ حَتَّى أَحَاطَتْ خَطِيبَتِي أَطْلَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَزِعْتُ إِلَى وَبْقٍ وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي أَلَا طَالَمَا قَدْ بَتُّ يَوْضَعُ نَاقَتِي يَقْلُ بَيْنِي عَلَى الرَّحْلِ وَارِكًا يُبَشِّرُنِي أَنْ لَا أَمُوتَ ، وَأَنَّهُ</p>	<p>لَبِينَ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامٍ وَلَا خَارِجًا مِنِّي زُورُ كَلَامٍ رَهِينَةَ أَوْزَارٍ عَلَى عِظَامٍ وَرَأَيْتُ ، وَدَقَّتْ لِلْأُمُورِ عِظَامِي ٢٧١ فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِي مُلَاقِي لَأَيَّامِ النُّونِ حِمَامِي أَبُو الْجَنِّ إِبْلِيسُ بِغَيْرِ خِطَامٍ يَكُونُ وَرَأَيْتُ مَرَّةً وَأَمَامِي سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامٍ</p>
---	--

(١) ط : « العادي » ، بالبدال هنا وفي الشاهد ، وصوابه في ش .

(٢) ديوان الفرزدق ٧٦٩ والكامل ٦٩ والنقائض ١٢٦ .

فقلت له : هَلَا أُخِيكَ أَخْرَجْتَ
 فلما تلاقى فوقه الموجُ طامياً
 أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ الْحَجَرِ ، وَالْحَجَرُ أَهْلُهُ
 وَأَدَمُ قَدْ أَخْرَجْتَهُ وَهُوَ مَا كُنَّ
 وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ أَنْتَ نَاصِحٌ
 وَكَمْ مِنْ قُرُونٍ قَدْ أَطَاعُوكَ أَصْبَحُوا
 وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسَ بِالْمَرْءِ أَبْتَعَى
 سَاحِرِيكَ مِنْ سَوَاءٍ مَا كُنْتَ سَقْتَنِي
 تُعَبِّرُهَا فِي النَّارِ وَالنَّارُ تَلْتَقِي
 وَإِنَّ ابْنَ إِبْلِيسَ وَإِبْلِيسَ أَلْبَنَا
 هَا نَقْنَا فِي فِيٍّ مِنْ قُوَيْهَما البيت

وقوله : أَلَمْ تَرْنِي عَاهَدْتُ رَبِّي ، الْبَيْتَيْنِ ، هَا مِنْ شَوَاهِدِ الْكُشَافِ وَمَغْنَى
 اللَّيْبِ ، وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ شَرْحَهُمَا فِي مَحَلِّهِ .

وقوله : وَإِنَّ ابْنَ إِبْلِيسَ الْحِ ، أَلْبَنَا : سَقِيَا الْبَنَ ، يَرِيدُ أَنْ إِبْلِيسَ وَابْنَهُ
 سَقِيَا كُلَّ غُلَامٍ مِنَ الشَّرَاءِ هَجَاءً وَكَلَاماً خَبِيثاً . ثُمَّ إِنَّ الْفَرَزْدَقَ سَاحَهُ اللَّهُ
 وَغَفَرَ ذَنْبَهُ بَعْدَ هَذَا تَقْضَى تَوْبَتَهُ وَرَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ .

(١) ط : « لفيك » ، صوابه من الديوان ٧٧٠ . والمراد بهذا
 الأخ فرعون موسى ، إذ خدعه إبليس فغرق في اليم ، وهو بحر
 القلزم .

(٢) في النسختين : « فِي الْبُيُوتِ رُخَامِ » ، صوابه من الديوان

٧٧١٠ .

(٣) في النسختين : « ضِلَالِ غَمَامِ » ، صوابه من الديوان .

(٤) في النسختين : « تُعَبِّرُهَا فِي النَّارِ » ، صوابه من الديوان .

وكان السبب في تقض التوبة هو ما حكاه شارح النقائض : أن الفرزدق لما حج عاهد الله بين الباب والمقام أن لا يهجو أحداً أبداً ، وأن يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن ، فلما قدم البصرة قيد نفسه وقال :

ألم ترى عاهدتُ ربِّي وإني كَبِينَ رِثَاجٍ قائماً ومَقَامِ
الآيات . ثم إن جريراً والبعيث هَجَّياه (١) ، وبلغ لساء بني مجاشع فحشَ
جرير بن ، فأَتَيْنَ الفرزدق وهو مقيد قفلن : قبح الله قيدك ، وقد هنك
جرير عَوْرَاتِ نساءك ، فلُحِيت شاعر قوم ! فأغضبتَه ففك قيده وقال ،
وهو من قصيدة (٢) :

لمرى لئن قيدت نفسي لطالما سمعتُ وأوضعتُ المطيَّة في الجهل (٣)
تلاين علماً ما أرى من عماية إذا برقت أن لا أشد لها رحلى (٤)
أتنى أحاديثُ البعيث ودونه زَرَوْدُ فشامتُ الشقيق من الرمل (٥)
فقلت آظن ابن الخبيثة أننى شغلت عن الراعى الكنانة بالنبل
فإن يك قيدى كان نذراً نذرته فما بى عن أحساب قومى من شغل ٢٧٢
أنا الضامن الراعى عليهم وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى
وقوله : أوضعتُ المطيَّة ، أى دفعتها في السير . والعماية ، بالفتح :
الجهل والصبا .

(١) كذا في النسختين ، وصوابه « هجواه » لأنه من هجابهجو .

(٢) ديوان الفرزدق ٧١١ والنقائض ١٢٧ .

(٣) ط : « لعمرى ان » ، صواب الرواية من ش والديوان والنقائض .

(٤) في الديوان والنقائض : « الا شددت لها رحلى » ، والمعنى يستقيم بكل منهما .

(٥) في الديوان والنقائض : « الى الرمل » .

وقوله : أَظَنَّ ابْنُ الْخَلَيْثَةِ ، الهَمزة للاستفهام ، وابن الخليفة فاعل ظنَّ ، وأراد به جريراً . يقول . إنما أراد جريراً بهجاء البعث غيره ، كما صنع رامى الكنانة بصاحبها^(١) : وذلك أن رجلاً من بني فزارة ورجلاً من بني أسد كانا راميين ، فالتقيا ومع الفزاري كِنَانَةٌ جديدة ومع الأسدي كِنَانَةٌ رَثَّةٌ ، فقال الأسدي للفزاري . أنا أَرَمِيْ أَوْ أَنْتَ ؟ فقال الفزاري : أنا أَرَمِيْ مِنْكَ ! فقال له الأسدي : فإني أَنْصِبُ كِنَانَتِي وَتَنْصِبُ كِنَانَتَكَ حَتَّى نَرَمِيَّ فِيهِمَا ، فنصب الأسدي كِنَانَتَهُ فحمل الفزاري يرميها فيقُطِيسُ ، حَتَّى أَنْفَدَ سَهْمَهُ كُلَّهُ ، [كُلٌّ ذَلِكَ يَصِيبُهَا وَلَا يَخْطُئُهَا^(٢)] ، فلما رأى الأسدي أَنَّ سَهْمَ الْفَزَارِيِّ نَفِدَتْ قَالَ : انْصِبْ لِي كِنَانَتَكَ حَتَّى أُرْمِيَهَا . فرمى فسدد السهم نحوَه حَتَّى قَتَلَهُ . فضربه الفرزدق مثلاً ، يعني أَنَّ جريراً يهجو البعث وهو يعرّض بالفرزدق .

وقوله : أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمُ الْإِلْحُ ، هذا البيت من شواهد النحاة والبيانين ، وروى صدره بغير هذا أيضاً^(٣) .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت في الشاهد الثلاثين^(٤) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ، وهو من شواهد المفصل وغيره^(٥) :

(١) في النقائض : « كما صنع صاحب الكنانة » .

(٢) التكملة من النقائض ١٢٨ .

(٣) في العينى ١ : ٢٧٧ وشرح شواهد المغنى ٢٤٥ :

* أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الذَّمَارُ وَأَنَا *

(٤) الخزائنة ١ : ٢١٧ .

(٥) مجالس ثعلب ٥٤٤ وابن الشجرى ٣٧:٢ وابن يعيش ٣:٣ =

٣٢٧ (وَأَبْنَى مَالَكَ ذُو الْمَجَازِ بِدَارِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(قَدَّرُ حَلَّكَ ذَا الْمَجَازِ وَقَدْ أَرَى)

على أن (أَبْنَى) عند المبرد مُفْرَدٌ رَدٌّ لَامُهُ في الإضافة إلى الياء كما رَدَّتْ في الإضافة إلى غيرها ، فيكون أصله أَبْوَى ، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها ، عملاً بالقاعدة حيث اجتمعا وكان أولهما ساكناً ، وأبدلت الضمة كسرة لثلاثاء تعود الواو .

وكلام المبرد وإن كان موافقاً للقياس إلا أنه لم يقيم عليه دليل قاطع . قال الزمخشري (في الفصل) : وقد أجاز المبرد أَبْنَى وأخى ، وأنشد :

* وَأَبْنَى مَالَكَ ذُو الْمَجَازِ بِدَارِ *

وصحَّحَ محمله على الجمع في قوله :

* وَقَدَّرَ بِنَا بِالْأَيْنَا (١) *

تدفع ذلك . يريد أن أَبْنَى جاء على لفظ الجمع ، ولا قرينة مخلصه للإفراد فتعارض الاحتمالان ، فحمل على لفظ الجمع وسقط الاحتجاجُ به في محل اختلاف فيكون أصله على هذا أَيْبَنَ ، حذفت النون عند الإضافة ، فأدغمت الياء التي هي ياء الجمع في ياء المتكلم . فوزن أبْنَى فَعِي لا فَعْلِي . وعلى هذا حمل ابن جني وغيره قراءة من قرأ : ﴿ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (٢) ؛ ليكون في مقابلة آياتك في القراءة الأخرى .

== ٥٦ شرح شواهد المغنى ٢٩٢ ومعجم الأدباء ١٣ : ٢٠٠ ومعجم ما استعجم (الربعة) .

(١) قطعة من بيت هو الشاهد التالي لهذا .

(٢) الآية ١٣٣ من سورة البقرة . وانظر المحتسب ١ : ١١٢ .

قال أبو علي (في الإيضاح الشعري) : ومن زعم أن قول الشاعر :

* وأبني مآلك ذو المجاز يدار *

إنما ردّ الواو التي هي لام الفعل ، في الإضافة ، إلى الباء كما ردّه مع الكاف والهاء في نحو أبوك وأبوه ، فليس بمصيب ، وذلك أن هذا للوضع لما كان يلزمه الإعلال بالقلب ، وقد استمرّ فيه القلب وأمضى ذلك فيه ، فلم يرد فيه ما كان يلزمه الإعلال ، وإنّ أبيّ مثل عسريّ . انتهى واحتج [ابنُ الشجريّ في أماليه بمثل هذا ^(١)] .

وقد عزا ثعلب (في أماليه العاشرة ^(٢)) إلى الفراء ما عراه الزنجشريّ ^{٢٧٣} وابنُ الشجريّ إلى المبرد ، من كون أبي مفرداً ردّ إليه لام فعله . وهنّه عبارة ثعلب : الفراء يقول : من أتمّ الأب فقال هذا أبوك فأضاف إلى نفسه قال : هذا أبيّ ، خفيف ^(٣) . قال : والقياس قول العرب : هذا أبوك وهذا أبيّ فاعلم [ثقیل ^(٤)] ، وهو الاختيار . وأنشد :

فلا وأبيّ لا آتيك حتّى يُنسى الواله الصبّ الحيننا

وقال : أنشد الكسائيّ برنبويه ^(٥) — قرية من قرى الجبل — قبل أن يموت :

(١) تكملة يقتضيها السياق . وانظر أمالي ابن الشجريّ ٢ :

(٢) يعنى الجزء العاشر من مجالس ثعلب ص ٥٤٤ .

(٣) ط : « خفف » ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب .

(٤) التكملة من مجالس ثعلب ، ومن قلم الشنقيطى بهامش

(٥) ط : « زنبويه » ، بالزاي ، صوابه بالراء المهملة كما فى ش =

قَدَرُ أَحْلَكَ ذَا النُّجِيلِ وَقَدْ أَرَى وَأَيُّ مَالِكَ ذُو النُّجِيلِ بَدَارِ
إِلَّا كِدَارِكُمْ بَذَى بَقَرِ الْجَمَى هِبَاتَ ذَوْبَقَرٍ مِنَ الْمَزْدَارِ . انتهى .
وقوله : (قَدَرُ) مبتدأ ، وجملة (أَحْلَكَ) إلخ خبره . وهو كقولهم :
« شرُّ أهرِّ ذَا ناب » ، أى ما أَحْلَكَ ذَا المجاز إِلَّا قَدَر .

وأورده ابن هشام (فى مسوغات الابتداء بالنكرة من الباب الرابع ، من
المغنى) على أن المسوغ للابتداء به صفة محدوفة ، كقولهم : « شرُّ أهرِّ ذَا ناب »
أى قَدَرُ لا يَنَالُ وشرُّ أى شر . والقدر : قضاء الله وحكمه . وَأَحْلَكَ بمعنى
أَنزَلَ ، متمدِّى حلٍّ بالمكان حُلُولًا : إذا نَزَلَ ، وهو متمدٌّ إلى مفعولين
أولهما السكاف وثانيهما ذَا المجاز ، والمهزة للتصيير أى صَيَّرَكَ حالاً
بَذَى المجاز .

و (ذُو المجاز) بفتح الميم وآخره زاء معجمة : سوقٌ كانت فى الجاهلية
للعرب . قال ابن حجر (فى شرح البخارى) : ذكر الفاكهى من طريق
ابن إسحاق : أن ذَا المجاز سوقٌ كانت بناحية عَرَفة إلى جانبها . وعند الأزرقى
من طريق هشام بن الكلبي ، أنها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة . ووقع
(فى شرح الكرمات) أنها كانت بمعى . وليس بشيء ، لما رواه الطبرانى
عن مجاهد ، أنهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون فى الجاهلية بعرفة ولا بمعى . انتهى .

== ومعجم البلدان ووفيات الاعيان ٤٥٤:١ فى نهاية ترجمة محمد بن
الحسن . وقال ياقوت : « قرية قرب الرى ، بها مات على بن حمزة
الكسائى النحوى ، ومحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة ،
فدفنا بها . وكانا خرجا صحبة الرشيد فقال : اليوم دفنت الفقه
والنحو برنبويه » . ورنبويه ، آخره هاء ساكنة ، كما فى الوفيات .

والسكروماني في هذا تابع لصاحب الصحاح ، فإنه قال فيه : ذو المجاز موضع
بمعنى كان به سوق في الجاهلية . وتبعه أيضاً بعض فضلاء المعجم (في شرح
أبيات المفصل) والدماميني (في الحاشية الهندية) .

ذو النجيل

و (ذو النجيل) في روايه ثعلب بضم النون وفتح الجيم ، كذا رأيته
مضبوطاً (في نسخة صحيحة قديمة من أماليه عليها خطوط الأئمة) . قال ابن الأثير
(في المصنع) : ذو النجيل بضم النون وفتح الجيم : موضع من أعراض المدينة
وينبع اهـ . ورؤي أيضاً (ذو النخيل) بضم النون وفتح الخاء المعجمة وهو
مُناسب أيضاً ، قال ابن الأثير (في المصنع) : هو عين قرب المدينة ، وأخرى
قرب مكة ، وموضع دُوَيْن حَضْرَمَوْت . وكلا هذين اللفظين غير موجود
في معجم ما استعجم للبكري^(١) .

وقوله : (وقد أرى) قد للتحقيق وأرى بمعنى أعلم معلق عن العمل
بما النافية ، والجملة بعدها ساذة مسندة المفعولين . وقوله : (وأبى) الواو للقسم ،
وجملة القسم معترضة بين أرى ومعموله ، أتى بها للتأكيد ، وجواب القسم
محذوف يدل عليه مفعول أرى . وحرّفه بعضهم فرواه : (ولا أرى) بلا
النافية موضع قد ، وزعم أن الجملة للنافية جواب القسم وأن مفعولى أرى محذوفان
تقديره : لا أراك أهلاً لذى المجاز . وقيل لا دعائية . هذا كلامه . ولم يرو هذه
الرواية أحد ، والثابت في رواية ثعلب وغيره من شروح المفصل هو ما قدّمناه
وليس المعنى أيضاً على ما أعربّه ، فتأمل . وقال بعضهم : (أرى) بالبيني للمفعول
بمعنى أظن ، وبكسر الكاف من (أحلك) و (لك) ، وكلاهما لا أصل له . ٢٧٤

(١) الحق أن البكري قد أوردهما في معجمه ، فالنجيل رسم لها
في باب النون ص ١٣٠٠ . والنخيل ، أوردها في (نخل) ١٣٠٣ كما
أوردها عرضاً في ٦٣٥ عند ذكر (الربنة) .

وقوله : (مالك ذو المجاز) الخ ، وذو المجاز فاعل لك لاعتماده على النفي ، أو هو مبتدأ ولك خبره ، وعليهما ق قوله بدار حال صاحبها ذو المجاز على الأول وضميره المستتر في لك على الثاني ، أو قوله بدار خبر المبتدأ ، ولك كان في الأصل صفة لدار فلما قدم صار حالاً . خاطب نفسه وقال : قدر الله وقضاؤه أحلك هذا الموضع ، وقد أعلم أنه ليس لك هذا الموضع بمنزل تقيم فيه ، بل ترنحل عنه ، وأقسم على ذلك بأبي . وقوله : إلا كداركم ، صفة لموصوف محذوف أى إلا دار كداركم ، أو الكاف زائدة .

وذو بقر ، بفتح الموحدة والقاف ، قرية في ديار بني أسد ، وقال أبو حاتم عن الأصمعي : هو قاع يقرى الماء ، وقال يعقوب : هو وادٍ فوق الرَبْذَة . انتهى (١)

والمراد هو الأخير بدليل إضافته إلى الحمى ، فإن الرَبْذَة كانت حمى خارج المدينة المنورة . قال أبو عبيد (٢) : الرَبْذَة ، بفتح أوله والموحدة وبالذال المعجمة ، هي التي جعلها عمر حمى لأبل الصدقة ، وكان حماء الذي أحماه بريداً في بريد ، ثم زادت الولاة في الحمى أضعافاً ، ثم أبيحت الأحماء في أيام المهدي العباسي فلم يحبسها أحدٌ بعد ذلك .

إلى أن قال : ثم الجبال التي [تلى القهب (٣)] عن يمين المصعد إلى مكة جبل أسود يدعى أسود البرم ، بينه وبين الرَبْذَة عشرون ميلاً ، وهو في أرض

(١) كذا بدون ذكر لاسم الكتاب المقتبس منه ، أو المؤلف ،

وهذا النص بعينه في معجم ما استعجم ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم ٦٣٣ .

(٣) التكملة من معجم ما استعجم ٦٣٤ .

بنى سليم ، وأقرب المياه من أسود البرم حفائرُ حفرها المهديُّ على ميلين منه ،
تدعى ذا بقر ، وقد ذكرها مؤرِّج السليُّ فقال :

قدرُ أحلكَ ذا النَجِيلِ وقد أرى البيتين

وأشدهما على رواية ثعلب (في أماليه ^(١)) .

والمزدار : اسم فاعل من ازدار : اقتل من الزيارة . وأراد الشاعر به
نفسه ، استبعد أن يزور أرضه . وروى أبو عبيد في المعجم (الزَّوَّار)
جمع زائر .

مؤرِّج السليِّ وقائل هذين البيتين مؤرِّج السليِّ كما قال أبو عبيد (في المعجم) ،
وهو شاعر إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية . ومؤرِّج ، بضم الميم وفتح الهيمزة
وتشديد الراء المكسورة وآخره جيم ، وهو اسم فاعل من أَرَجَت بين القوم
تأريجاً : إذا هيَّجت الشرَّ بينهم . والسليِّ ، بضم السين وفتح اللام ، نسبة
إلى سليم بن منصور ، مصغراً ، وهو أبو قبيلة .

تتمة

أسواق العرب قال ابن حجر (في شرح البخاري) : أسواق العرب في الجاهلية أربعة
ذو المجاز ، وعُكاظ ، ومجنة ، وحُباشة .
أما ذو المجاز فقد تقدَّم نقله عنه .

وأما عُكاظ بضم أوله ، فمن ابن اسحاق : أنها فيما بين نخلة والطائف
إلى بلد يقال لها الفُتُق ، بضم الفاء والمنشأة بعدها قاف . وعن ابن الكلبي :
كانت بأسفل مكة على برِّ يدٍ منها غربيَّ البيضاء ، وكانت لكنانة .

(١) الحق أنه أورد « النخيل » بالخاء المعجمة لا الجيم .

وأما حُباشة بضم الحاء المهملة ومخفيف الموحدة ، وبعد الألف شين معجمة ، فكانت في ديار بارق نحو قنونا ، بفتح القاف وبضمّ النون الخفيفة وبعد النون ألف متصورة ، من مكة إلى جهة اليمن على ستّ مراحل . وقد ذكر في الحديث الثلاث الأول ، وإنما لم تُذكر حُباشة في الحديث لأنها لم تسكن من مواسم الحجّ ، وإنما كانت تقام في شهر رجب . قال الفاكهي : ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن الخوارج ، سنة تسع وعشرين ومائة ، وآخر ما ترك منها سوق حُباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى العباسي ، في سنة سبع وتسعين ومائة . ثم أسند عن ابن الكلبي : أن كلّ شريفٍ إنما كان يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ ، فإنهم كانوا يتوافون بها من كلّ جهة ، فكانت أعظم تلك الأسواق . وقد ذكرها في أحاديث ، منها حديث ابن عباس رضی الله عنهما : « انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ » الحديث في قصة الجن . وروى الزبير بن بكار (في كتاب النسب) أنها كانت تُقام صبحَ هلالِ ذي القعدة إلى أن يمضي عشرون يوما . قال : ثم تقوم سوق بحنة عشرة أيام إلى هلالِ ذي الحجة ، ثم تقوم سوق ذي الحجاز ثمانية أيام ، ثم يتوجهون إلى منى بالحج . وفي حديث جابر : « أن النبي صلى الله عليه وسلم لبثَ عشرَ سنينَ يتبع الناسَ في منازلهم في الموسم ، بِمَحَنَةٍ وَعُكَاظٍ يَبْلُغُ رِسَالَتِ رَبِّهِ » . انتهى ما أورده ابن حجر . وفيه : أن أسواق العرب أكثر من هذا ، جمعها صاحبُ قبائل العرب (١)

(١) انظر أيضا الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ١٦١-١٧٠ وصحيح الأعمش ١ : ٤١٠ . وقد ألف في ذلك بعض معاصرينا الأفاضل وهو الأستاذ سفيان الأفغاني ، كتابا سماه « أسواق العرب » .

قال : (دُومة الجندل) كانت تقوم أوّل يوم من ربيع الأول إلى النصف منه ، وكانت للبايعة فيه إلقاء الحجارة على السلعة ، فن أعجبته ألقى حجراً ففُركت له . و (للشقّر) تقوم من أوّل يوم من جُمادى الآخرة ، وكان بيعهم بالملامسة والإيماء والمهممة ، خوف الحلف والكذب . ثم (صُحار) بضم الصاد المهملة تقوم لعشر بمضين من رجب ، خمسة أيام . ثم (الشحر) بالكسر ، يقوم في النصف من شعبان ، وكان بيعهم فيه بالحجارة أيضاً . ثم (صنعاء) في النصف من شهر رمضان إلى آخره . ثم سوق (حَضْرَمَوْت) في النصف من ذى القعدة ثم (عكاظ) في هذا اليوم بأعلى نجد قريب من عرفات . وعكاظ من أعظم أسواق العرب ، وكان يأتيها قريشٌ وهوازن وغطفان ، وسُليم والأحابيش وعُقبيل والمصطلق ، وطوائف من العرب إلى آخر ذى القعدة ، فإذا أهلّ ذو الحجة أتوا (ذا المجاز) - وهو قريب من عكاظ - فتقوم سوقه إلى التروية ، ثم يصيرون إلى مقي ، وتقوم سوق (نطاة) بخيبر ، وسوق (حَجْر) بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء إلى آخر المحرم . هذا ما أورده صاحب قبائل العرب .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد سيبويه^(١) :

٣٢٨ (فلماً تَبَيَّنْ أصواتنا بكيْن وفديَنّا بالأينا)

على أن الأب يجمع على (الأَيْن) على حدّ جمع المذكر السالم ، كما في هذا البيت .

(١) في كتابه ٢ : ١٠١ . وانظر الخصائص ١ : ٣٤٦ والمحتسب

١ : ١١٢ وابن الشجرى ٢ : ٣٧ وابن يعيش ٣ : ٣٧ واللسان

(أبى ٦) .

قال سيديويه : وسألته - يعني الخليل - عن أب فقال : إن ألحقت فيه النون والزيادة التي قبلها قلت أبون ، وكذلك أخ تقول أخون ، لا تغير البناء ، إلا أن تحدث العرب شيئاً كما يقولون دُمُون (١) ، ولا تغير بناء الأب (٢) عن حال الحرفين لأنه بنى عايه ، إلا أن تحدث العرب شيئاً ، كما بنوه على غير بناء [الحرفين (٣)] . وقال الشاعر :

فلما تبينَّ أصواتنا . . . (البيت)

أنشدناه مَنْ نثق به ، وزعم أنه جاهل . وإن شئت كثرت قلت : آباء وآخاء . انتهى نص سيديويه .

وأورد ابن جني (في المحتسب) بعد هذا البيت - عند قراءة ابن عباس والحسن : (وإله أليك) على أنه أيين ، حذف النون للإضافة - قول أبي طالب نظيراً له :

ألم ترَ أني بعدمُ هممته لفرقة حرٍّ من أيين كرام .
وقول الآخر :

* فهو يندى بالأيين والخال (٤) *

قال الأعم : جمع أب جمع سلامة غريب ، إذ حقه للأعلام والصفات ٢٣٦ الجارية على فعلها ، كسملين .

(١) ط : « دومون » وحورها الشنقيطي في نسخهته الى « ذوون » ، صوابه من سيديويه .

(٢) في النسختين : « بناء الألف » صوابه من سيديويه .

(٣) في النسختين : « كما تنوه على غير بناء » والتصحيح والتكملة من كتاب سيديويه .

(٤) المحتسب ١١٢ واللسان (أبي ٧)

وقوله (تَبَيَّنَ) بمعنى (تعرَّفَن) وبه روى أيضاً . أى لما عرفنا أصواتنا معرفةً يَبَيَّنَةً ، ووزنه تَفَعَّلَن ، أدغمت النون الأصلية في نون جاعة النساء .
وقوله (فَدَيَّنَا) إلخ ، أى قلن : جعل الله آباءنا فداءً لكم .

قال ابن السيرافي (في شرح أبيات الكتاب) وتبعه مَنْ بعده من شراح الشواهد : البيت لزباد بن واصل . لما عرفنا أصواتهم رَكِبْنَا إليهم حتى يستنفذوهن وفديتهن بآبائهن . ويروى :
* فلما تبَيَّنَ أشباحنا *

جمع شَبَّحَ .

وقال أبو محمد الأعرابي الفندجاني (في فرحة الأديب^(١)) : كَذَبَ ابن السيرافي [في تفسير هذا البيت] ، ولم يعرف منه قليلاً ولا كثيراً ، كيف رَكِبْنَا إليهم حتى يستنفذوهن سبايا كما زعم ، وإنما معنى البيت أن زياداً افتخر في أبيات^(٢) بآباء قومه وبأمهاتهم من بني عامر ، وأنهم قد أبلوا في حروبهم ومعاوتهم ، فلما عادوا إلى [حِلَلِيمَ وَعِنْدَ] نسائهم وعرفنا أصواتهم فديتهم لأجل أنهم أبلوا في الحروب . والأبيات تدل على صحة هذا للمعنى . وأولها — وهي لزباد بن واصل السلمي — :

عَزَّيْنَا نِسَاءَ بَنِي عَامِرٍ فَسُنَّا الرِّجَالَ هَوَانًا مِهِينًا^(٣)
وَنَحْنُ بَنُوهُمْ يَوْمَ الصُّفَا قِ إِذْ تُقْبَلُ النُّوْمُ وَعُنَّا حُرُونَا
بِضَرْبِ كَوْنِ ذُكُورِ الذَّنَا ب تَسْمَعُ لِلْهَامِ فِيهِ رَيْنَا

(١) الورقة ٥٧ من مخطوطة البغدادي بدار الكتب المصرية ، وما بين معكفين فهو منها .

(٢) في الفرحة : « في هذه الأبيات » .

(٣) في الفرحة : « هواناً مهيناً » .

ورمي على كل عزافة تردُّ الشَّمال وتعلُّ التَّيْنا
 وكنا مع الخيل حتى استوت شبابُ الرجال وسرُّوا العيونا
 ولما تبينَّ أصواتنا رُئِمن وفدَّيننا بالأينا
 انتهى ما أورده أبو محمد .

و (رئمن) بمعنى عطفن وحنَّ من الحنين ، ومعناه على رواية (بكين)
 أنهنَّ بكين فرحا بسلامتهم ، وفدَّينهم بآبائهنَّ إشفافاً عليهم .

وقوله عزَّتْنا ، من عزوته إلى أبيه : إذا نسبته إليه . أراد : نُسبت نساء
 بنى عامر إلينا ، وقلن نحن منكم .

وقوله : فسُننا الرجال ، من سامه خسفاً ، أى أولاه ظلماً ومهانة .

وقوله : بضرب إلخ هو متعلق بسُننا ، يقال : ولغ في الإناء يَلْغ ولغا
 وولُغا إذا شرب مافيه بأطراف لسانه . وقوله : تسمع ، صفة ضرب ، والهامة
 الرأس ، وضمير منها للرجال ^(١) .

وقوله : ورمي ، إلخ هو بالجرُّ عطف على ضرب . والعزافة : الشَّجاع الجهير
 الصوت ^(٢) ، وهو صيغة مبالغة من العزَف ، بالعين للمهلة والزاي للمعجمة
 والفاء ، وهو الصَّوت . أى ورمي على كل شجاع صَبَّت يردُّ الضرب عن شماله
 ويُعطيه عن يمينه .

(١) كذا في النسختين ، وهو سهو من البغدادى ، صوابه
 « وضمير فيه للضرب » .

(٢) كذا . والحق أن العزافة هى القوس ، يقال عزفت عسزنا
 وعزيفا : صوتت .

زيد بن واصل وزيد بن واصل من شعراء بني سليم ، وهو جاهلٌ كما قال سيبيويه ^(١) .
والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثمائة ^(٢) :

٣٢٩ (وَكُنْتُ لَهُ كَثْرٌ بَنِي الْأَخِينَا)

على أن أخا يجمع على (أخين) جمع مذكر سالم كما يجمع أب على أبين .
وهذا عجز ، وصدره :

(وَكَانَ لَنَا قَزَارَةٌ عَمَّ سَوَاءٌ)

وهذا البيت أورده أبو زيد مفرداً في نواجره ^(٣) ؛ ونسبه إلى عقيل بن
علقة المرئي ، وقال : أراد الإخوة .

قال ابن الشجري ^(٤) (في أماليه) : وأما قول الآخر ، وهو من أبيات
الكتاب ^(٥) :

٣٣٧ قفلنا أسلموا إنا أحوكم فقد برئت من الإحن الصدور

(١) هذا يوهم أن سيبيويه عين اسمه أيضاً ، ولكن سيبيويه لم
يذكر اسم الشاعر ، بل قال بعد أن روى الشاهد : « أنشدناه من نثق به
وزعم أنه جاهل » .

(٢) نواجر أبي زيد ١١١ ، ١٩١ والبيان ١ : ١٨٦ واللسان
(أ خا ٢١) .

(٣) في الموضعين ١١١ ، ١٩١ .

(٤) وكذا في أمالي ابن الشجري ٢ : ٣٨ . والحق أن البيت ليس
من أبيات الكتاب ، كما سيأتي في كلام البغدادي ، إلا أن يكون أحد
شرح شواهد قد تعرض له .

ف قيل : إنه وضع الواحد موضع الجمع ، وقيل : إنه جمع أخ كجمع أب على
أين ، وحذف النون من أخون للإضافة . ومن قال الأبون والأخون قال
في التثنية الأبان والأخان ، فلم يرد اللام في التثنية كما لم يردّها في الجمع . انتهى .
أقول هذا البيت ليس من شواهد الكتاب ، وأورد الجاحظ (في البيان
والتبيين) ما قبل البيت الشاهد قال : وقال الآخر في إنجاب الأمّهات
وهو يخاطب بنى إخوته :

عفاريتاً علىّ وأخذ مالى وعجزاً عن أناسٍ آخرينا^(١)
فهلّا غير عمكم ظلمتم إذا ما كنتم متظلمينا
ولو كنتم لمكيسة أكست وكيس الأم كيس للبنينا
ولكن أثمكم حققت فجتم غنائاً ما نرى فيكم ميمنا
وكان لنا فزارة عمّ سوء وكنت له كشر بنى الأخينا

وقوله : متظلمينا ، في الصحاح : تظلمنى فلان ، أى ظلمنى مالى . وقوله :
ولو كنتم لمكيسة ، إلخ هو بضم الميم وسكون الكاف وكسر التحتية ،
هى المرأة التى تلد أولاداً أ كياساً . وأكست المرأة : ولدت ولداً كياساً .
قال صاحب الصحاح : الكيس : خلاف الحق ؛ والرجل كيس مكيس باسم
المفعول ، أى ظريف ؛ والكيسي ، بالكسر : نعت المرأة الكيسة ، وهوتا نيت
الأكيس ، وكذلك الكومى بالضم ؛ وقد كلس الولد يكيس كياساً . وأكيس

(١) هذا البيت وثلاثة بعده فقط فى اللسان (كيس) ، مع
نسبتها الى رافع بن هريم .

وفى البيان ١ : ٥٧٤/١٨٥ : « عفاريتاً على ، و » وعجزاً ،
بالنصب فيهما . وفى اللسان (كيس) ؛
عفاريتا على واكل مالى وجينا عن رجال آخرينا

الرجلُ وأُكاس ، إذا ولده أولاد أُكياس . وأنشد هذا البيت مع ما بعده .
وروى المصراع الثاني هكذا :

* فكيس الأم يُعرف بالبينا *

وكذا أنشدها الصاغانيّ (في العباب) ونسبه إلى رافع بن هُرَيم .
وقد رجعتُ إلى ديوان رافع بن هُرَيم ، فلم أجد فيه إلاّ البيتين الأولين وهما :

عفريتُ علىّ وأخذَ مالي البيت

والبيت الذي بعده . وليس فيه البيتان اللذان أوردهما صاحبُ الصحاح
والعباب منسوبين إليه .

وقوله : ولكنّ أتمّ حَقّت ، بضم الميم ، أى صارت حقاً . والغثاء ،
بكسر المعجمة بعدها مثناة : جمع غثيث بمعنى المهزول ، ككرام جمع كريم .
وقَزارة ، بفتح القاء وإزاي للمعجمة : أبو حَيٍّ من غطفان ، وهو قَزارة
ابن ذُبَيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان . والسَّوء ، بالفتح ، هو المؤذى .
في الصباح وغيره : هو رجل سَوء ، بالفتح والإضافة ، وعملُ سَوء ، فإن عرفت
الأول قلت : الرجل السَّوء والعمل السَّوء ، على التمتع .

وقوله : (وكنتُ له) إلخ في أكثر نسخ الشرح (وكنتُ لهم) بضمير
الجمع ، وهو خطأ والصواب الإفراد ، وهو بالتكلم لا بالخطاب . وإنما قال :
(كَشَرٌ) بالكاف لا بدونها ، لأنّه أَراد مثل أشْرَبني إخوة في الدنيا ، ولم يرِدْ
أنّه مثلُ أشْرَبني إخوة قَزارة .

والظاهر أنّ هذا البيت وحده لَعَلَّه بن عُلَفة ، وهو غير مرتبط بالأبيات
التي أوردها الجاحظ قبله . وتلك الأبيات البيتان الأولان منها ، رأيتهما في
ديوان رافع بن هُرَيم ، من رواية أبي عمرو .

ورافع هو رافع بن هريم بن عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن رافع بن هريم ثعلبية بن يربوع . قال أبو زيد (في نواحره) : هو شاعر قديم أدرك الاسلام وأسلم^(١) . وديوانه صغير ، وهو عندي وعليه خطأ أبي العباس ثعلب إمام الكوفيين ، وخط الحسن بن الخشاب البغدادي ، وليس فيه من شواهد هذا الشرح شيء . وهريم بضم الهاء وفتح الراء المهملة .

وأما عقيل بن علفة فهو شاعر فصيح مجيد من شعراء الدولة الأموية . عقيل بن علفة وعقيل بفتح العين وكسر القاف . وعلفة ، بضم العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء ، وهو علم منقول من واحد العلف ، وهو نمر الطلح .

وهو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن سعد^(٢) بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سمع بن قيس عيلان بن مضر . وأمه عمرة بنت الحارث بن عوف المرمي^(٣) . وأُمُّها بنت بدر بن حصن بن حذيفة^(٤) .

قال صاحب الأغاني ، كان عقيل هذا جافيا أهوج شديداً الغيرة والعجرفة وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه . وكان لا يرى أن له كفتاً ، وكانت قریش ترغب في مصاهرته ، وتزوج إليه من خلفائها^(٥) وأشرفها ،

(١) الذي في النواذر ٢٢ : « وقال رافع بن هريم ، اسلامي » . وفي ص ٦٩ : « وقال رافع بن هريم وأدرك الاسلام » .

(٢) في جمهرة ابن حزم ٢٥٣ « غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان » .

(٣) في الأغاني ١١ : ٨٢ : « وأم عقيل بن علفة العوراء ، وهي عمرة بنت الحارث بن عوف » .

(٤) في الأغاني : « زينب بنت حصن بن حذيفة » .

(٥) ط : « خلفائها » ، صوابه في ش والأغاني .

وخطب إليه عبدُ الملك بن مروانَ بعضَ بناته لبعضِ ولده ، فأطرق ساعة ثم قال : إنَّ كانَ ولا بدَّ فنجِّبني هُجْناءَكَ ! فضحك عبدُ الملك وعَجِبَ من كِبَرِ نفسه على ضيقته وشدة عيشته بالبادية .

ودخل على عثمان بن حيان — وهو أمير المدينة — فقال له عثمان : زوِّجني بعضَ بناتِكَ . فقال : أبكرةً من إبلى تعني ! فقال له عثمان : أبجنونٌ أنت ؟ قال : أيُّ شيءٍ قلتَ لي ؟ قال : قلتَ لك : زوِّجني ابنتَكَ . فقال : إن كنتَ تريدُ بكرةً من إبلى فنعم . فأمر به فوجئت عنقه ، فخرج وهو يقول :

لح الله دهرًا ذَعَذَعَ المالَ كلَّهُ وسودَّ أبناءَ الإماءِ العَواريكِ
وكان له جارُ جُنَيْ ، وقيل سلاماني ، فخطب إليه ابنته ، فغضب عَقِيلٌ وأخذَه فكتفَه ودهنَ استَه بشحمٍ أوزيت ، وأدناه من قرية التمل ، فأكل خصيتيه حتَّى ورم جسده ، ثم حلّه وقال : يخطبُ إلى عبدُ الملك فأردّه ، وتجتري أنت على فتخطب ابنتي !

وروى أن عمر بن عبد العزيز عاتبَ رجلاً من قريش أمه أختُ عَقِيلِ ابنِ علفه ، فقال له : قَبَحَكَ اللهُ ، لقد أشبهتَ خالك في الجفاء ! فبلغت عَقِيلًا فرحلَ من البادية حتَّى دخل على عمر فقال له : أما وجئتَ لابنِ عمِّك شيئًا تعيِّره به إلَّا ختولِي ، قَبَحَ [اللهُ] شرًّا كما خالا ! فقال عمر : إنك لأعرابيٌّ جافٍ ، أما لو كنتَ قدَّمْتُ إليك لأدبْتُكَ ، والله ما أراك تقرأ شيئًا من كتاب الله . فقال : بلى ، إني لأقرأ . ثم قرأ : إنا بعثنا نوحًا إلى قومه ! فقال له عمر : ألم أقل إنك لا تقرأ ؟ فقال : ألم أقرأ ؟ فقال : إن الله قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ . فقال عَقِيلُ :

خَذُوا بطنَ هَرَشَى أو قفاها، فإنه كَلَّا جَانِبِي هَرَشَى لهنَّ طريقٌ (١)

فجعل القوم يضحكون من عَجْرته ويعجبون .

وَرَوَى أَنَّهُ قَرَأَ (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ) حَتَّى بَلَغَ آخِرَهَا ، فَقَدَّمَ (وَمِنْ) يَفْعَلُ مِنْقَالَ ذَرَّةً شَرًّا بِرِهِ) عَلَى : (فَمَنْ يَفْعَلُ مِنْقَالَ ذَرَّةً خَيْرًا بِرِهِ) فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ أَطْيَرًا وَأَنْتَ قَدَّمْتَ الشَّرَّ ! فَأَنْشَدَ الْبَيْتَ .

وأورده صاحب الكشاف في (إذا زلزلت) لهذه الحكاية . ٢٧٩

وَهَرَشَى بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ : ثَنِيَّةٌ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ ، قَرْيَةٌ مِنَ الْجُلُحَةِ يُرَى مِنْهَا الْبَحْرُ . وَهَذَا مِثْلٌ فِي التَّخْيِيرِ . وَلَهَرَشَى طَرِيقَانِ ، مِنْ سَلَكِ أَيْهَا شَاءَ أَصَابَ . وَضَمِيرٌ لِمَنْ لِلْإِبِلِ . وَالْمَعْنَى يَا صَاحِبِي سِيرَا فِي بَطْنِ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ أَوْ قَفَاها ، أَيْ أَمَامَهَا أَوْ خَلْفَهَا ، فَإِنَّ كَلَّا جَانِبِيهَا طَرِيقٌ لِلْإِبِلِ . كَأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ لَا يَضُرُّ ، وَهُوَ غَفْلَةٌ عَنِ الْمَزَايَا الْقَرَّائِيَّةِ .

وَقَدِيمٌ عَقِيلٌ الْمَدِينَةُ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَعَلَيْهِ خِفَانُ غُلِيظَانِ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِرِجْلِهِ ، فَضَحَكُوا مِنْهُ ، فَقَالَ : مَا يُضْحَكُكُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ بِحَيٍّ بْنِ الْحَكَمِ - وَكَانَتْ ابْنَةُ عَقِيلٍ عِنْدَهُ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ - إِنَّهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ خُفْيِكَ وَضَرْبِكَ بِرِجْلَيْكَ ، وَجَفَائِكَ . فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ إِمْلَازِكَ ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ مِنْ خُفْيٍّ .

(١) الرواية : « خذا بطن هرشى ، بخطاب الاثنين ، وقد حورها الشنقيطي في نسخته الى « خذا » كما في الاغانى ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم .

وأُشْدَ بعده، وهو الشاهد الثلاثون بعد الثلاثمائة وهو من شواهد من (١):
 ٣٣٠ (رُحْتُ فِي رِجْلَيْكَ مَا فِيهِمَا وَقَدْ بَدَأَ هُنَاكَ مِنَ الْمِثْرَارِ)
 على أن تسكين (هن) في الإضافة للضرورة، وليس بلفظة.

وأورده سيبويه في باب الإشباع في الجرُّ والرفع وغير الإشباع قال: وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المجرور والمرفوع في الشعر، شبهوا ذلك بكسر فخذ حيث حذفوا فقالوا فَعَزَدَ، وبضمة عَضُدٍ حيث حذفوا فقالوا: عَضُدٌ، لأنَّ الرفعة ضمة والجرّة كسرة. ثم أنشد هذا البيت.

ومثله في الضرورة قول جرير:

سِيرُوا بَنِي الْعَمِّ فَلَا هَوَازُ مَنَازِلِكُمْ وَنَهْرٌ تِيرَى وَلَا تَعْرِفُكُمْ الْعَرَبُ^(٢)
 ومن أبيات الكتاب أيضاً^(٣):

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ
 قال ابن جني (في المحتسب): وأما اعتراض أبي العباس للبرد هنا على الكتاب فإنما هو على العرب لا على صاحب الكتاب، لأنه حكاه كما سمعه، ولا يمكن في الوزن أيضاً غيره. وقول أبي العباس: إنما الرواية فالיום فاشرب، فكأنه قال لسيبويه: كذبت على العرب ولم تسمع ما حكيت.

(١) في كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر الخصائص ١ : ٣ / ٧٤ : ٩٥
 والمحتسب ١ : ١١٠ وابن السجري ٢ : ٣٧ والعمدة ٢ : ٢١١ وابن
 يعيش ١ : ٤٨ والعيني ٤ : ٥١٦ عرضا والهمع ١ : ٥٤ .

(٢) في الديوان ٤٨ والبلدان (نهر تيرى) : « فلم تعرفكم
 العرب » و « ولم تعرفكم » وفي سمط اللآلئ ٥٢٧ : « فما تعرفكم »
 ورواية الحزانة والسمط يصح الاستشهاد :

(٣) سيبويه ٢ : ٢٩٧ . وهو لامرئ القيس .

عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف ، فقد سقطت كلفة القول معه .
وكذلك إنكاره عليه أيضاً قول الشاعر :

* وقد بدا هنك من للئزر *

فقال : إنما الرواية :

* وقد بدا ذاك من للئزر *

وما أطيب العروس لولا النفقة . انتهى

وهذا البيت ثالث أبيات للأقشير الاسدي .

صاحب الشاهد

قال صاحب الأغاني وغيره : سكر الأقشير يوماً فسقط ، فبدت عورته
وامرأته تنظر إليه ، فضحكت منه وأقبلت عليه تلومه وتقول له : أما تستحي
يا شيخ من أن تبلغ بنفسك هذه الحالة ! فرفع رأسه إليها وأنها يقول :

قول : يا شيخ أما تستحي من شربك الخمر على السكبر
قلت : لو باكرت مشمولاً صهباً كلون الفرس الأشقر
رُحْتُ وفي رجلِك عقالٌ وقد بدا هنك من الئزر !

انتهى . وقال بعض من كتب على شواهد سيبويه : مر سكران بسكة
بني قزارة ، فجلس يريق للاء ، ومر به نسوة فقات امرأة منهن : هذا
نشوان قليل الحياء ، أما تستحي يا شيخ من شربك الخمر ؟ فقال ذلك .

٢٨٠

وقال ابن الشجري (في أماليه) : مر الفرزدق بامرأة وهو سكران يتواقف ،
فسخرت منه ، فقال هذه الأبيات . انتهى ، والصواب الأول .

وقوله : أما تستحي ، هو شاهد على أنه يقال استحي يستحي كما سبني
يستبي . وقد قرأ يعقوب وابن محيصن : (إن الله لا يستحي أن يضرب

مثلاً^(١) بياء واحدة ، ورويت عن ابن كثير أيضاً ، وهي لغة تميم . قال ابن هشام (في شرح بانت سعاد^(٢)) : والأصل بياء بن فنقلت حركة العين إلى الفاء فالتقى ما كنان : فقليل حذفت اللام فالوزن يَسْتَفْع ، وقيل حذفت العين فالوزن يَسْتَفْل .

وروى بدل الحر (الراح) وهي بمعناها . وقوله : على المكبر ، بفتح الميم وكسر الموحدة ، مصدر كبر يكبر من باب علم أى أسن ، والمصدر الكِبر بكسر ففتح والمكبر أيضاً ، قال صاحب الصحاح : يقال علاه الكِبر بكسر الباء ، والاسم الكِبْرَةُ بفتح الكاف وسكون الباء أى السن . وباكرت بمعنى سارعت في البكرة . والمشولة : الحر الباردة العظم ، والأصل في المشولة التي ضربتها ريح الشمال حتى بردت ، يقال : غدبر مشول ، ونحوه . ويقال للخمر تَشْمُولُ أيضاً ، لأنها تشتمل على عقل صاحبها ، وقيل لأن لها عصاة كعصاة ريح الشمال . والصُبة : الشقرة ، وسميت الحر الصباء للونها ، وهي ممدودة وقد قصرها للضرورة ، وفيه ردُّ على الفراء إذ زعم أنه لا يقصر للضرورة إلا ما مأخذه السماع ، ولا يجوز قصر الممدود القياسي .

وقوله : (وفي رجل يك ما فيها) يريد أن فيها اضطراباً واختلافاً . وروى : (وفي رجل يك عُقالاً) وهو بضم العين وتشديد القاف : ظلع يأخذ

(١) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

(٢) عند الكلام في قول كعب :

شجت بلى شيم من ماء محنية صاف بأبطح أضحي وهو مشمول

في القوائم . و (بدا) بمعنى ظَهَرَ . و (الهن) : كناية عن [كل ما يقبُح ^(١)] ذِكْرُهُ ، وأراد به هنا الفرج . و (الينذر) هو الإزار ، كقولهم ملحف ولحاف .

والأقيشر : مصغر أقشر ، قال صاحب الصحاح : رجل أقشر بين القشر بالتحريك ، أى شديد الحرمة .

قال صاحب الأغاني ^(٢) : الأقيشر لقبٌ لقب به ، لأنه كان أحمر الوجه أقشر . واسمه المخيرة بن عبد الله بن معروض بن عمرو بن أسد بن خزيمه ^(٣) ويكنى أبا معروض بضم الميم وكسر الراء الخفيفة .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : اسمه المخيرة بن الأسود بن وهب ، أحد بني أسد بن خزيمه .

قال صاحب الأغاني : وعُمر الأقيشر عمراً طويلاً . ولد في الجاهلية ^(٤) ، وكان كوفياً خليعاً ، ماجناً ، فاسقاً ، فاجراً مدمناً الخمر ، قبيح المنظر . وهجاه رجلٌ من بني تميم فقال :

يا أيها المبتنى حُشاً لحاجيته وجهُ الأقيشر حُشٌ غير ممنوع

(١) تكمله ليست في النسختين .

(٢) ترجمة الأقيشر في الأغاني ١٠ : ٨٠ - ٩٠ والمؤتلف ٥٦

والمرزباني ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٣) في النسختين : « بن عمرو بن معروض بن أسد بن خزيمه » ،

وكلمة « معروض » مقحمة ، وليس لأسد من اسمه معروض . جمهرة ابن

حزم ١٩٠ . والصواب ما أثبت من الأغاني والاصابة ٥٤٤٩ .

(٤) نص أبي الفرج : « وما أخلقه بأن يكون ولد في الجاهلية

ونشأ في أول الإسلام » .

(والْحُسُّ، بضمّ الحاء المهملة وتشديد الشين المعجمة : بيت اخلاء)

قال ابن قتيبة : وكان يفضب إذا قيل له أقيشر . فرّ يوماً بقوم من بني عبس فقال رجل منهم : يا أقيشر ! فسكت ساعة ثم قال :

أتدعونى الأقيشراً ! ذاك إسمى وأدعوك ابن مطفئة السراج^(١)

تنادى خدنها بالليل سرّاً وربُّ الناس يعلم ما تناجى^(٢)

فسعى الرجل ابن مطفئة السراج ، وولده ينسبون إلى ذلك إلى اليوم .
قال صاحب الأغاني : وله حكايات في شرب الخمر والافتراء على الحمّارين ، ولم يسلّم من هجوه أحد .

وقد أطنب صاحب الأغاني في قبائحها : منها أنه كان له ابن عمّ موسر ٢٨١
فكان يسأله فيعطيه ، حتى كثر ذلك عليه فغنه فقال : إلى كم أعطيك وأنت تنفقه في شرب الخمر لا والله ، لا أعطيك شيئاً ! فتركه حتى اجتمع قومه في ناديهم — وهو فيهم — ثم جاء فوقف عليهم ثم شكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلفطه ، فأنشأ يقول :

سريع إلى ابن العمّ يَلِطُ وجهه وليس إلى داعي الندى سريع
حريص على الدنيا مُضِيعُ لدينه وليس لما في يده بِمُضِيع

والبيت الأول أورده صاحب تلخيص المفتاح ، شاهداً لردّ العجز على الصدر^(٣) .

(١) في الشعراء ٥٤١ : « ذلك اسمي » ، فتنتفى الضرورة .

(٢) في بعض نسخ الشعراء : « من تناجى » .

(٣) دلائل الإعجاز ٩٩ ومعاهد التنصيص ٢ : ٨٢ .

ومنها أنه كان عتيباً لا يأتي النساء ، وكان يصف ضدَّ ذلك من نفسه ،
فجلس إليه يوماً رجلٌ من قيس فأنشده الأقيشر :

ولقد أروحُ بمُشرفٍ ذى مِيعَةٍ عَسِرَ المَكْرَةُ ماؤُهُ يَتَفَصَّدُ (١)
مِرْجٍ يَطِيرُ مِنَ المِرَاحِ لُعَابُهُ وَيَكَادُ جِلْدُهُ إِهَابَهُ يَتَقَدَّدُ (٢)

ثم قال للرجل : أتعرف الشعر ؟ قال : نعم . قال : ما وصفت ؟ قال : فرساً .
قال : أفكنت لو رأيته ركبته ؟ قال : إى والله — وأمالَ عطفه — فكشف
الأقيشر عن أيره وقال : هذا وصفتُ قعم واركبه . فوثبَ الرجلُ عن مجلسه
وهو يقول : قَبَحْتَ الله من جَلِيس !

وذكره ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) ، وأورد له هذين
البيتين .

ومنها : أن عَمَّةَ الأقيشر قالت له يوماً : اتق الله وقم فصلًا ! فقال :
لا أصلي ! فأكرت عليه فقال : قد أبرمتى ، فاخترى خَصْلَةً من خَصَلَتَيْنِ .
إما أن أصلي ولا أتطهر ، أو أتطهر ولا أصلي ! قالت : قبحك الله ، فإن لم
يكن غيرُ هذا فصلًا بلا وضوء . فصلى بلا وضوء .

ومنها أنه أتى إلى قيس بن محمد بن الأشعث — وكان ضريباً وناسكاً —

(١) ط : « يتنضد » ، وفى ش والاغاني : « يتقصد » ، صوابه
من الإصابة ، وقال اليمنى : « رواهما أبو تمام فى الحماسة بتغير
القافية : يتدفق ، ويتمزق . وفى كنايات الجرجاني ٢٠ عن ابن دريد
لأعرابي وقف على أبى عبيدة ، بزيادة :

حتى علوت به مشق ثنية طورا أغور به وطورا أنجد
(٢) الإصابة : « جلد أريمه » ، وفى الأغاني : « وتكاد جلده به

تتقدد » . وانظر الحماسة بشرح المرزوقى ١٨٨٠ .

فسأله فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقال . لا أريدها جُلة ، ولكن مر القهرُ مان أن يعطيني في كلِّ يومٍ ثلاثة دراهم حتى تنفد . فأمر بذلك ، فكان يأخذها ، فجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرايه ، ودرهماً لدايةٍ تحمله إلى بيوت الخمارين ؛ فلما نفذت الدراهم ، أتاه الثانية فسأله فأعطاه كالأولى ، وعمل بها مثل ذلك . ثم أتاه الثالثة فأعطاه وفعلَ مثل ذلك . وأتاه الرابعة فسأله فقال قيس : لا بُدَّ لك كأنك قد جعلته خراجاً علينا . فانصرف وهو يقول :

ألم ترَ قيسَ الأكمةَ ابنَ محمدٍ يقولُ ولا تلقاه للخيرِ يفعلُ
رأيتُك أعمى العينِ والقلبِ ممسكاً وما خيرُ أعمى العينِ والقلبِ يبخلُ
فلو صمَّ تمتَ لعنةُ اللهِ كلها عليه ، وما فيه من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس ، لو نجى أحدٌ من الأقيشر لنجوت منه !

ومنها : أنه تزوج بابنة عم له ، يقال لها الرباب ، على أربعة آلاف درهم ، فأتى قومه وسألم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابنَ رأسِ البغل — وهو دِهقان العُصين ، وكان مجوسياً — فسأله فأعطاه الصداق كاملاً ، فقال ^(١) :

كفاني المجوسى مهزَّ الربابِ فدى للمجوسى خالى وعم ^(٢)
شهدتُ عليك بطيب الأرومِ فإنيك بحرٌ جوادٌ خفيم ^(٣)
وإنك سيدُ أهلِ الجحيمِ إذا ما ترديتَ فيمن ظلمَ

(١) الأبيات في الحيوان ٥ : ١٥٩ للحكم بن عبدل أو غيره ،

وفي عيون الأخبار ٢ : ١٩٦ منسوبة لبعض الأعراب ، وفي الشعراء

٣٣ لمجهول ، وفي نهاية الأرب ٤ : ٥٣ للأقيشر نقلاً عن الأغاني .

(٢) في نهاية الأرب : « هم الرباب » .

(٣) في القاموس : « والأرومة ، وتضم : الأصل ، جمعه أروم » .

تَجَاوَزُ هَامَانَ فِي قَمَرِهَا وَفِرْعَوْنَ وَالْمَكْتَنِي بِالْحَكْمِ
 فَقَالَ الْمَجُوسِيُّ: وَيْحَكَ . سَأَلْتَ قَوْمَكَ فَلَمْ يُعْطَوْكَ شَيْئًا وَجِئْتَنِي فَأَعْطَيْتُكَ
 فِجْرِيَتَنِي هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ : أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ جَعَلْتُكَ مَعَ الْمُلُوكِ وَفَوْقَ أَبِي
 جَهْلٍ !

ومن شعره :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا مَضَى مِنْ عِلْمِ هَذَا الزَّمَنِ الْذَاهِبِ (١)
 إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِ
 فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَائِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ (٢)

ومن قصيدة له :

لَا تُشْرِبَنَّ أَبَدًا رَاحًا مُسَارِقَةً إِلَّا مَعَ الْفَرِّ أَبْنَاءَ الْبَطَارِقِ
 أَفْقَى تِلَادِي وَمَا جُمْتُ مِنْ نَشَبٍ قَرَعُ الْقَوَاقِرِ أَفْوَاهَ الْأَبَارِقِ (٣)
 وهذا البيت من أبيات مفعي اليب في الباب الخامس .
 ومن هذه القصيدة :

عَلَيْكَ كُلٌّ فَنَى تَمْنَحِ خَلَاقَهُ مَحْضُ الرُّوْقِ كَرِيمٍ غَيْرِ مَذْذُوقِ
 وَلَا تَصَاحِبِ لُبًّا فِيهِ مَقْرَفَةٌ وَلَا تَزُورَنَّ أَصْحَابَ الدَّوَانِقِ

(١) الأبيات من قصيدة طويلة في شعر الأعشى ٢٧٥ مدسوبة

إلى أعشى جلان . وفي البيان ١ : ٥٤ أن معاوية تمثل بها .

(٢) ط : د فاختر الأَرْضَ ، تحريف .

(٣) في شرح شواهد المغنى ٣٠١ : د أفواه يروى بالرفع فاعلا

وبالنصب مفعولا ، لأن من قرعك فقد قرعته .

وكان الأقيشر مولماً بهجاء عبد الله بن إسحاق^(١) ، ومدح أخيه زكرياً^(٢) ، فقال عبد الله لطلحة : ألا تريحونا منه ؟ فانطلقوا فجمعوا بعرأ وقصباً بظهر الكوفة ، وجعلوه في حفرة ، وأقبل الأقيشر وهو سكران من الحيرة ، على بغل رجل مكارٍ ، فأنزله عن البغل وعاد ، فأخذوا الأقيشر فشدوه ثم وضعوه في تلك الحفرة ، وألهبوا النار في القصب والبر ، وجعلت الريح تلعح وجهه وجسمه بتلك النار ، فأصبح ميتاً ولم يدرك من قتله . وكان ذلك في حدود الثمانين من الهجرة .

تمة

ذكر الأمدى (في المؤلف والمختلف) من اسمه الأقيشر ، ومن اسمه الأقيسر من الشعراء .

فالأقيشر هو المغيرة بن عبد الله الأسدي الشاعر المشهور ، وصاحب الشراب .

والأقيسر^(٣) هو صاحب لواء بني أسد ، جاهلي . قال ابن حبيب : اسمه عامر بن طريف بن مالك بن نصر ، وأنهى نسبه إلى دودان بن أسد بن خزاعة .

* * *

(١) هو عبد الله بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، كما في نهاية الأرب ٤ : ٥٦ .

(٢) هو زكريا بن إسحاق بن طلحة ، وفيه يقول (الأغاني ١٠ : ٨٢) :

قرب الله بالسلام وحيّا زكريا بن طلحة الفياض
(٣) الذي في المؤلف ٥٥ : « الأقيشر » .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الثلاثمائة (١) :

٣٣١ (حَقٌّ إِذَا مَا خَرَجَتْ مِنْ فُئَةٍ)

على أَنَّ تشديد الميم مع ضمِّ الفاء وفتحها ضرورة وليس ببلغة عند ابن جني .

أقول : قاله ابن جني (في سرِّ الصناعة ، في حرف الميم) وهذه عبارته :
اعلم أَنَّ الميم حرف مجهور ، يكون أصلاً ، وبدلاً ، وزائداً .
فالأصل نحو مَرَسَ وسمروسم .

وأما البديل فقد أبدلت من الواو ، والنون ، والباء ، واللام . أما إبدالها من الواو فقولهم فم وأصله فوه بوزن سوط ، فحذفت الهاء تخفيفاً ، فلما بقي على حرفين ثانيهما حرف لين ، كرهوا حذفه للتنوين فيجحفوا به ، فأبدلوا من الواو ميماً للتقرب ، لأنَّهما شفهيَّان ، وفي الميم هواء في الفم يضارع امتداد الواو . ويدلُّ أَنَّ فم مفتوح الفاء وجودك إياها مفتوحة في هذا اللفظ ، وهو المشهور . وأما ما حكى فيها أبو زيد وغيره ، من كسر الفاء وضمِّها ، فضربُ ٢٨٣ من التغير لحق الكلمة لإعلانها بحذف لامها وإبدال عينها . وأما قول الآخر :

يَا لَيْتَهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فُئَةٍ حَتَّى يَعُودَ الْمَلِكُ فِي أُسْطُمَةٍ

يروى بضمِّ الفاء وفتحها ، فالقول في تشديد الميم عندي أَنَّهُ ليس ذاك

(١) اصلاح المنطق ٥٦ والخصائص ٣ : ٢١١ وابن الشجري ٢ :

٣٥ وابن يعيش ١٠ : ٣٣ والهمع ١ : ٣٩ وملحقات ديوان العجاج

بلغته . ألا ترى أنك لا تجد لهذه للشدة للميم تصرفاً . إنما التصرف كله على :
ف و ه ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ ﴾^(١) ، وقال الآخر^(٢) :
فلا لَفَوْ ولا تَأْتِيَمَ فيها وما فَاُهُوا به أبداً مقيم^(٣)

وقالوا : رجل مفوّه : إذ أجاد القول ، لأنه يخرج من فيه . وقالوا :
ماتفوّهت به ، وهو تفتعلت . وقالوا في جمع أفوه ، وهو الكبير الفم : فُوّه .
ولم نسّمهم قالوا : أقام ، ولا تفتّمت ، ولا رجل أفم كما قالوا الأصم . فدلّ اجتماعهم
على تصرف الكلمة بالفاء والواو والهاء على أن التشديد لأصل له ، وإنما هو
عارضٌ لحق الكلمة .

فإن قال قائل : فإذا ثبت بما ذكرته أن التشديد ليس من أصل الكلمة ،
فمن أين أتاها ؟ وما وجه دخوله إليها ؟ فالجواب : أن أصل ذلك أنهم ثقلوا
للميم في الوقف فقالوا : هذا فمٌ كما يقولون هذا خالدٌ ، وهو يحلّ ، ثم
لأنهم أجزوا الوصل مجرى الوقف فيها حكاه سيبويه عنهم من قولهم
ثلاثه ربعة ، وكفوله :

* بسازلٍ وجنّاءٍ أو عَيْهَلٍ^(٤) *

(١) الآية ١٦٧ من آل عمران .

(٢) هو أمية بن أبي الصلت . ديوانه ٥٤ والعيني ٢ : ٤٣٦ .

(٣) البيت ملفق من بيتين ، وهما :

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به أبداً مقيم
وبعده بأبيات :

ولا لفو ولا تائيَمَ فيها ولا غول ولا فيها مليم

(٤) لمنظور بن مرثد الأسدي ، كما في نوادر أبي زيد ٥٣

ومجالس ثعلب ٦٠٣ . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢٨٢ .

فهذا وجه تشديد الميم عندى ^(١) .

فإن قلت : إذا كان أصل فم عندك فَوَه ، فما تقول فى قول الفرزدق :

* هُما نفثا فى فى من فويهما ^(٢) *

وإذا كانت الميمُ بدلاً من الواو فكيف جازله الجمع بينهما ؟

فالجواب : أن أبا على حكى لنا عن أبى بكر وأبى إسحاق ، أنها ذهبا إلى أن الشاعر جمع بين العوض والمعوَض منه ؛ لأن الكلمة مجهورة منقوصة . وأجاز أبو على أيضاً فيه وجهاً آخر ، وهو أن تكون الواو فى فويهما لاماً فى موضع الهاء من الأفواه ، وتكون الكلمة يعقب عليها لامان : هاء مرة ، وواو أخرى ، فيجرى هذا مجرى سَنَة وعِصَة . ألا نراها فى قول من قال سنّوات ، وأسنّوا ، ومسناة ، وعِصّوات ، واويين ، ونجدها فى قول من قال سنة سنّها ، ويعير عاضه ، هاتيين . وإذا ثبت بما قدّمناه أن عين فم فى الأصل واو ، فينبغى أن يُقضى بسكونها ، لأنّ السكون هو الأصل .

فإن قلت : فهلاً قضيت بحركة العين بجمعك إياه على أفواه ، نحو بطل وأبطال ، وقدم وأقدام ، ورسن وأرسان ؟

فالجواب : أن فعلاً مما عينه واوٌ بابُه أيضاً أفعال ، كسوط وأسواط ، وحوض وأحواض ، فقَوَه لأنّ عينه واوٌ بسوطٍ أشبهُ منه بقدّم ورسن . فاعرف ذلك . انتهى كلام ابن جني باختصار قدر النصف .

(١) فى النسختين : « فهذا حكم تشديد الميم عندى » ، صوابه من النسخة رقم ١٣ ش من الخزانة .

(٢) هو الشاهد ٣٢٦ وقد سبق فى ص ٤٦٠ من هذا الجزء الرابع . وعجزه :

* على النابح العاوى أشد رجاء *

وقول الشارح : « والجمع أفام » . يوم أنه مسموع ، وقد نص ابن جني وصاحب الصحاح على أنه لا يقال ذلك .

صاحب الشاهد والبيت من أرجوزة للمعاج ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الحادي والعشرين من أوائل الكتاب^(١) .

ورواية الشارح للبيت غير جيدة ، والصواب :

* ياليتها قد خرجت من فمه *

كما هو في ديوانه . وكذا رواه ابن السكيت (في إصلاح المنطق) . يقول : ياليتها قد خرجت من فمه حتى يعود لللك إلى أهله . ويجوز أن يكون أراد كلمة ينكلم بها . وأسطم الشيء : وسطه ومعظمه . انتهى .

٢٨٤

وقال صاحب الصحاح : يقال فلان في أسطمة قومه ، أى في وسطهم وأشرفهم . وأسطمة الحسب : وسطه ومجتمعه ، والأطسمة مثله على القلب . وأنشد بيت المعاج وقال : أى في أهله وحقه ، والجمع الأساطم . وتميم تقول : أساتم ، تعاقب بين الطاء والتاء فيه ، وأورد البيت في مادة الفاء وللميم أيضاً .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا أعني بذلك أسفليكم ولكني أريد به الذوينا)

على أن قوله (الذوين) فيه شذوذان : أحدهما قطعه عن الإضافة ، وثانيها إدخال اللام عليه .

وهذا البيت للكثير بن زيد ، من قصيدة هجاء بها أهل اليمن تعصباً
لمضر . يقول : لا أعني بهجوى إياكم أراذلكم ، وإنما أعنى ملوككم ، كذى
يزن ، وكذى جدن ، وكذى نواس ، وهم التبابعة . والأسفلون : جمع أسفل ،
خلاف الأعلى . وأراد بالذوين : الأذواء^(١) .

وقد تقدم شرح هذا البيت فى الشاهد السادس عشر من أوائل
الكتاب^(٢) .

ثم بعون الله تعالى وحسن تيسيره .
الجزء الرابع من خزانة الأدب
بتقسيم محققه

(١) انظر الخزانة ٢ : ٢٨٩ - ٢٩٣ .

(٢) الخزانة ١ : ١٣٩ - ١٤٣ .

(١)

فهرس التراجم

الصفحة

٢٧٩ ... عمرو بن امرئ القيس
٢٨٨ ... المرار بن سعيد
٣١٥ ... (من أخبار) الكميث
٣٢٣ ... زياد بن أبيه
٣٢٥ ... يزيد بن مفرغ
٣٣٦ ... جبار بن سلمي
٣٦٥ ... ماء السماء
٣٦٦ ... زيادة بن زيد
٣٧٩ ... أوس بن حجر
٣٨٥ ... أولاد جفنة
٤١١ ... عمرو بن قيس
٤١٢ ... أبناء قيس
٤٤١ ... بشر بن أبي خازم
٤٧٢ ... مؤرج السلمي
٤٧٨ ... زياد بن واصل
٤٨١ ... رافع بن هريم
٤٨١ ... عقيل بن علفة
٤٨٧ ... الأقيشر الأسدي
٤٩٢ ... الأقيسر الأسدي

الصفحة

٨ ... لقمان صاحب النور
٨ ... لقمان للذكور في القرآن
١٢ ... الربيع بن زياد
١٥ ... خفاف بن ثدي
٢٩ ... سلامة بن جندل
٤١ ... أبو الطفيل
٦٧ ... فضالة بن شريك
٧٦ ... النجاشي الشاعر
١١٦ ... فروة بن مسيك
١٥٠ ... للتنخل المذلي
١٦٤ ... الأخوص الرياحي اليربوعي
١٨٢ ... أبو وجزة
١٩٢ ... أبو زييد
١٩٩ ... شبيب بن جعيل
٢٠٠ ... حجل بن فضلة
٢٢٩ ... المحنون
٢٤١ ... جبار بن جزء
٢٤٨ ... أبو أمية بن المغيرة

(ب)

فهرس الشواهد

باب خبر كان وأخواتها

الصفحة

الشاهد

- ٢٤٦ وكان طَوَى كَشَحًا على مُسْتَكِنَةٍ ٣
- ٢٤٧ أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَلَوْا أَخُو عَلَيْهَا الَّذِي أَخُو عَلَى لُبْدٍ ٥
- ٢٤٨ قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَدَارَكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَ ١٠
- ٢٤٩ أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ ١٣
- ٢٥٠ إِمَّا أَقْتَ وَأَمَّا أَنْتَ مَرَحَلًا فَاللَّهُ يَكْلَأُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ ١٩
- ٢٥١ وَمِنْ عِصْيَةٍ مَا يَنْبُتُنْ شَكْرُهَا ٢٢
- ٢٥٢ مِنْ لَدُنْ شَوْلَا فَإِلَى إِنْتِلَاهَا ٢٤

باب المنصوب بلا التي لنفي الجنس

- ٢٥٣ أَوْدَى الشَّبَابُ الَّذِي يَجِدُ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلَذٌ وَلَا لَذَاتٌ لِلشَّيْبِ ٢٧
- ٢٥٤ لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطْفَانُ لَا ذُتُوبَ لَهَا إِذْنٌ لِلَّامِ ذَوُو أَحْسَابِهَا عَمَّا ٣٠
- ٢٥٥ بَكَتْ جَزَعًا وَاسْتَرْجَعَتْ ثُمَّ آذَنْتْ رَكَابُهَا أَنْ لَا إِلَيْنَا رَجُوعُهَا ٣٤
- ٢٥٦ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَنَّا خُلِقْتَ لغيرِنَا حَيَاتُكَ لَا نَفْعٌ وَمَوْتُكَ فَاجِعٌ ٣٦
- ٢٥٧ تَرَكْتَنِي حِينَ لَا مَالٍ أَعِيشُ بِهِ وَحِينَ جُنَّ زَمَانُ النَّاسِ أَوْ كَلِبَا ٣٩
- ٢٥٨ حَتَّى قَلَوُصِي حِينَ لَا حِينَ مَحْنٌ ٤٥
- ٢٥٩ مَا بِالْجَهْلِكَ بَعْدَ الْحِلْمِ وَالِدِينَ وَقَدْ عَلَاكَ مَشِيبٌ حِينَ لَا حِينَ ٤٧
- ٢٦٠ فِي بَثْرِ لَا حَوْرٍ مَرَى وَمَا شَعَرٌ ٥١
- ٢٦١ لَا هَيْبَتٍ اللَّيْلَةُ لِلْمَطِي ٥٧
- ٢٦٢ أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خَبِيبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمَيَّةَ فِي الْيَلَادِ ٦١

- ٢٦٣ فلابَ وابناً مثلاً مروانَ وابنيه ٦٧
 ٢٦٤ ألا طمانَ إلا فرسانَ عاديةٍ إلا نجشؤكم حولَ التناويرِ ٦٩
 ٢٦٥ ألا سبيلَ إلى خمرٍ فأشربها أم لا سبيلَ إلى نصرٍ بن حجاجِ ٨٠
 ٢٦٦ ويُلْمُها في هواءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرضِ مَطْلُوبُ ٩٠
 ٢٦٧ لا كالعشيّةِ زائراً ومزوراً ٩٥
 ٢٦٨ وقد ماتَ شماغٌ وماتَ مُزَرَّدٌ وأى كَرِيمٍ لا أبالكَ مُحَلَّلُ ١٠٠
 ٢٦٩ كأنَّ أصواتَ، مِن إيفالينَ بنا، أواخرِ الميسرِ لِنَقَاضِ الفَراريجِ ١٠٨

باب خبر ما ولا المشبهتين بليس

- ٢٧٠ وما إن طَبْنَا جُبَيْنَ وَلَكِنْ مَنَابِنَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَ ١١٢
 ٢٧١ بَنَى عُدَانَةً مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبًا وَلَا صَرِيحًا وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْخَرْفُ ١١٩
 ٢٧٢ إِلَّا أَوَارَى مَا إِنْ لَا أُبَيِّنُهَا ١٢١
 ٢٧٣ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَفْجُونُونَ بِأَهْلِهِ وَمَا صَاحِبُ الْحَاجَاتِ إِلَّا مُعَذِّبًا ١٣٠
 ٢٧٤ فَاصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ دَوْلَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ ١٣٣
 ٢٧٥ لَوْ أَنَّكَ يَا حُسَيْنُ خُلِقْتَ حُرًّا وَمَا بِالْحُرِّ أَنْتَ وَلَا الْخَلِيقُ ١٤٠
 ٢٧٦ لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ يَوْكُنِ وَلَا بِضَعِيفٍ قُوَاهُ ١٤٦
 ٢٧٧ نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ كَانَ مِنِّي فَلَيْتَ بَأَنَّهُ فِي جَوْفِ عِكْمٍ ١٥٢
 ٢٧٨ مَشَائِمٍ لِبِسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بَيْنَ غُرَابِهَا ١٥٨
 ٢٧٩ إِنْ هُوَ مُسْتَوَلِيًّا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَضْعَفِ الْجَانِينِ ١٦٦
 ٢٨٠ وَلَاتَ سَاعَةً مَتَدَمٌ ١٦٨
 ٢٨١ الْعَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ وَالْمَطْعُونَ زَمَانَ أَيْنَ الْمَطْعِمُ ١٧٥

- ٢٨٢ طلبوا صلحاً ولات أوانٍ فأجبناً أن ليس حين بقاً ١٨٣
 ٢٨٣ حت نوار ولات هنا حنت وبدا الذي كانت نوار أجنت ١٩٥
 ٢٨٤ أفي أثر الأظعان عينك تلمح نعم لات هنا، إن قلبك منيح ٢٠٣

باب المجرورات : الإضافة

- ٢٨٥ إن قلت خيراً قال شراً غيره ٢٠٧
 ٢٨٦ أماوي إني رب واحد أمه أجرت فلا قتل عليه ولا أسر ٢١٠
 ٢٨٧ لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال انلثع ٢١٨
 ٢٨٨ إذا بعض السنين تفرقتنا كفى الأيثام فقد أبي اليتيم ٢٢٠
 ٢٨٩ مر الليالي أسرعت في نقضي أخذن بعضي وتر كن بعضي ٢٢٤
 ٢٩٠ وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار ٢٢٧
 ٢٩١ رب ابن عم لسلي مشعل طباح ساعات الكرى زاد الكسل ٢٣٣
 ٢٩٢ ضروب ينصل السيف سوق مماها ٢٤٢
 ٢٩٣ لحاف لحاف الضيف والبرد برده ٢٥١
 ٢٩٤ الواهب المائة الهجان وعبيدها [عوداً تزجي خلفها أطفالها] ٢٥٦
 ٢٩٥ وليس حاملي إلا ابن حمال ٢٦٥
 ٢٩٦ هم الفاعلون الخبر والأمرونه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظماً ٢٦٩
 ٢٩٧ ولم يرتقق والناس محتضرونه جميعاً وأيدي المعتفين رواهقه ٢٧١
 ٢٩٨ الحافظو عورة المشيرة ٢٧٢
 ٢٩٩ أنا ابن التارك البكري يشرأ ٢٨٤
 ٣٠٠ أقامت على ربيعها جارتاً صفأ كيناً الأعلى جوتناً مصطلماً ٢٩٣

- ٣٠١ رَحِيبُ قِطَابِ الْجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ
 ٣٠٢ إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعْتُ
 ٣٠٣ أَلَا قَبِيحَ الْإِلَهِ بَنَى زِيَادِ
 ٣٠٤ يَا قُرَّ إِنَّ أُمَّاكَ حَيَّ خُوَيْلِدِ
 ٣٠٥ إِلَى الْحَوْلِ نَمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا
 ٣٠٦ تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُثَلَّمِ
 ٣٠٧ لَا يَنْعَشُ الطَّرْفَ إِلَّا مَا تَخَوَّنَهُ
 ٣٠٨ ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَفَنَيْتُ عَنْهُ
 ٣٠٩ فَقُلْتُ انْجُوا عَنْهَا نَجَا الْجَلْدِ، إِنَّهُ
 ٣١٠ مَلِكٌ أَضْلَعُ الْبَرِّيَّةَ لَا يُؤْ
 ٣١١ وَلَمْ أَرِ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ
 ٣١٢ فَأَبَى مَا وَأَيْتُكَ كَلَنَ شَرًّا
 ٣١٣ يَارَبُّ مُوسَى (أُظْلِمِي وَأُظْلِمُهُ) ٣٦٩
 ٣١٤ فَهَلْ لَكُمْ فِيهَا إِلَى مَا تَنِي
 ٣١٥ يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ
 ٣١٦ وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزْبَةِ إَصْبَعَا ٤٠١
 ٣١٧ لَمَّا رَأَتْ سَاتِيْدَمَا اسْتَعْبَرَتْ
 ٣١٨ تَمُرُّ عَلَى مَا تَسْمُرُ وَقَدْ شَفَتْ
 ٣١٩ فَزَجَّجَتْهَا بِمَزْجَةٍ
 ٣٢٠ تَنِي بِدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ
 ٣٢١ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْتُكَ
 ٣٠٣ بَحْسُ النَّدَايِ بَضَّةُ الْمُنَجَّرِ ٣٠٣
 ٣٠٧ نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي ظِلْمُهُ وَالْبُبُ ٣٠٧
 ٣٢٠ وَحَى أَبَيْهِمْ قَبِيحَ الْحِمَارِ ٣٢٠
 ٣٣٤ قَدْ كُنْتُ خَائِفَهُ عَلَى الْإِحْمَاقِ ٣٣٤
 ٣٣٧ وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا قَدْ اعْتَذَرَ ٣٣٧
 ٣٤٣ جَوَابُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلَامِ ٣٤٣
 ٣٤٤ دَاعٍ يُنَادِيهِ بِاسْمِ الْمَاءِ مَبْغُومُ ٣٤٤
 ٣٤٧ مَقَامُ الذَّنْبِ كَالرَّجُلِ الْأَعْيَنِ ٣٤٧
 ٣٥٨ سَبْرُضِيكُمَا مِنْهَا سَنَامٌ وَغَارِيه ٣٥٨
 ٣٦١ جَدَ فِيهَا لَمَّا لَدَيْهِ كِفَاهُ ٣٦١
 ٣٦٤ أَقْلٌ بِهِ مِنَّا عَلَى قَوْمِهِمْ خِرًا ٣٦٤
 ٣٦٧ قَفِيدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا ٣٦٧
 ٤٠١ وَطَالَمَا عَصَيْتُنَا إِلَيْكَ ٤٢٨

الشاهد	الصفحة
٣٢٢	قَالَ لَمَّا : هَلْ لَكَ يَا تَائِي ٤٣٠
٣٢٣	رَكَنِي بِالنَّايِ مِنْ أَسْمَاءِ كَافِي ٤٣٩
٣٢٤	وَأَخَذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَصْمَ ٤٤٥
٣٢٥	كَالْهَوْتِ لَا يَرْوِيهِ شَيْءٌ يَلْقَمُهُ يُصْبِحُ ظَمَانٌ وَفِي الْبَحْرِ قَمُهُ ٤٥١
٣٢٦	مَا نَفَثْنَا فِي فِيٍّ مِنْ قَمَوِيَّهَا عَلَى النَّاسِجِ الْعَاوِيِ أَشَدَّ رِجَامِ ٤٦٠
٣٢٧	وَأَبِيَّ مَالِكٍ ذُو الْمَجَازِ بَدَارِ ٤٦٧
٣٢٨	فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصْوَاتُنَا بِكَيْنَ وَفَدَيْنَا بِالْأَيْنَا ٤٧٤
٣٢٩	وَكُنْتُ لَهُ كَشْرُ بَنِي الْأَخِينَا ٤٧٨
٣٣٠	رُحْتُ فِي رِجْلَيْكَ مَا فِيهَا وَقَدْ بَدَأَ هُنْكَ مِنَ الْتَزْرِ ٤٨٤
٣٣١	حَتَّى إِذَا مَا خَرَجْتُ مِنْ قُمِهِ ٤٩٣

خزانة الأديب

ولتُ بَاب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

عبد السلام محمد هارون

الجزء الخامس

الطبعة الثانية

١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة دار الرفاعى بالرياض

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصوري

مكتبة الخانجي

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

مطبعة الميكني

المؤسسة السودانية بمصر
٦٨ شارع الباسية - القاهرة . ت : ٨٩٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

التوابع النعت

أنشد فيه :

وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الثلاثائة ، وهو من أبيات إيضاح أبى
على الفارسى :

٣٣٢ (رَبَّاءُ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقُلَّتِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَوْبُ وَالسَّبُلُ^(١))

على أَنَّ الموصوف قد يحذف فى الأغلب مع قرينة دالة عليه ، كما فى البيت . والتقدير : هو رجلٌ رَبَّاءٌ هَضْبَةٌ شَمَاءٌ . فحذف الموصوف وأقيم الوصف مقامه فى الموضعين ، فإنَّ رَبَّاءٌ فَعَّالٌ ، وهو وصف مبالغة من قولهم : هو رَبَّاءٌ لأصحابه بالهمز ، رِبَاءٌ يَرِبُ ، من باب منع ، إذا صار ربيئةً لهم ، أى ديدبانا . فى (الصحاح) : المربأة : المرقبة ، وكذلك المربأ والمربئ . وربأت القوم رِبَاءً وارتبأتهم ، أى رقبتهم ، وذلك إذا كنتَ لهم طليعة فوق شَرَفٍ ، أى موضع مرتفع . يقال رِبَاءٌ لَنَا فلان وارتبأ ، إذا اعتانَ . وربأتُ المربأة وارتبأتها ، أى علوتها . والرَّئى والرَّيئة : الطليعة . انتهى .

(١) أمالى ابن الشجرى ٣٣:٢ وابن يعيش ٥٨:٣ وديوان الهذليين ٣٧:٢ واللسان (أوب) .

وهو فعيل وفعيلة . فالرِّبَاء وصف مبالغة ، والوصف لابد له من موصوف . ومن المعلوم أن الذى يرقب الأعداء لأصحابه إنما هو الرجل فى الغالب (١) . وقيل إنه من ربأت الجبل ، إذا صعدته وعلوته ، فيكون رباء شماء كقولهم : « طلاع أنجد » . وهو مضاف إلى شماء ، والشماء مجرور بالفتحة ، وهو مؤنث أشم ، من الشمم ، وهو الارتفاع . أراد هضبة شماء ، فحذف الموصوف ، بدليل « القلّة » وهى رأس الجبل . والهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض . ومن المعلوم أيضاً أن التى لا يأتى إلى قلتها إلا السحاب والمطر لا تكون إلا هضبة . وإضافة ربّاء إلى شماء لفظيّة . وقال السُّكْرِيُّ (فى شرح أشعار هذيل) : إنّ ربّاء من ربأت الجبل ، إذا صعدته وعلوته ، فيكون مثل قولهم : طلاع أنجد ، لمن هو ركّاب للصّعب من الأمور . وقال ابن يعيش (فى شرح الفصل) : الشاهد فى قوله ربّاء شماء ، والمراد رجل ربّاء ربوة شماء أو رابية شماء . وهو فعّال من قولك : ربوت الرابية ، إذا علوتها . وضعف العين للتّكثير ، والهمزة فى آخره بدل من واو هى لام الكلمة ، كهزمة كساء . ولم ينوّه لأنّه مضاف إلى شماء . وشماء فعلاء من الشمم ، يقال جبل أشم وراية شماء ، أى مرتفعة .

أقول : ليس فى هذا كثير فائدة ، وهو مع تكلفه يدفعه قوله : لا يأتى لقلّتها إلا السحاب إلخ . فتأمله .

وحكى الأندلسى (فى شرح الفصل) عن الخوارزمى : قلة ربّاء وهضبة شماء ؛ لأنّ الربّاء هى العالية ، واشتقاقها من الربّ لعلوّه على المربوب .
أقول : لوجه لما ذهب إليه الخوارزمى ، فإنّ ربّاء من وصف الرّبى لا القلّة كما يأتى ، وهو فعّال لافعلاء .

(١) تعليل لكون « ربيعة » وصفا للرجل .

وقال أبو البقاء (في شرح الإيضاح لأبي علي) : أَثَّ رَبَّاءَ لما أراد به
الريثة ، وهو الحافظ لأصحابه في الأمكنة العالية .
أقول : هذا خطأ ، فإنَّ رَبَّاءَ فَعَّالٌ لافعلاء .

ورواه بعضهم : « زَنَاءٌ شَمَاءٌ » بالزاي المعجمة والنون ، من زَنَأَ في الجبل
يزنأُ زَنَاءً وزُنُوءًا ، بمعنى صعد . وهو مهموز .

وقال بعضهم : إِنَّ شَمَاءَ اسم هضبة ، وهو منقولٌ من الصفة إلى
العلمية ، مثل حَسَنَ ، فلا شاهد فيه .

أقول : كون شماء اسم هَضْبَةٍ ذكره أبو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ (في معجم
ماستعجم) ، قال : شماء على لفظ تَأْنِيثِ أَشْمَ : هَضْبَةٌ ببلاد بني يشكر .
قال الحارث بن حِزْلَةَ في معلقته :

بعد عهدٍ لنا بِبُرْقَةٍ شَمَاءَ فَادَى ديارها الخُلُصَاءُ

لكن الظاهر هنا أنَّ المراد بِشَمَاءَ اسم جنس ، بدليل وصفه بقوله :
لَايَأْوِي لِقَلَّتْهَا إِخْ .

فإن قلت : أجعل الجملة حالاً من شماء لتعريفها .

قلت : صاحب البيت هذلي ، وشَمَاءُ الهضبة المعروفة في بلاد بني
يشكر ، مع أنَّ مقام المدح يقتضي أنه يربأُ كُلَّ جَبَلٍ موصوفٍ بهذا
الوصف ، وليس في جعلها علماً كثيراً مدح .

وقوله : (لَايَأْوِي لِقَلَّتْهَا إِخْ) هو من أوى إلى منزله يَأْوِي من باب ضرب
أَوْيًّا ، بمعنى أقام . والمراد لا يصل إلى قَلَّتْهَا . وروى السكري : «لَايَدْنُو لِقَلَّتْهَا» .
وضمير قَلَّتْهَا لِشَمَاءَ . وقُلَّةُ الجبل : رأسه . وروى : «لِقُلَّتْهَا» بالنون .
والقُلَّةُ هي القُلَّةُ .

وقوله : (إِلَّا السَّحَابُ) هو استثناء مفرغ ، أى لا يقرب إلى قُلَّتْهَا شَيْءٌ إِلَّا السَّحَابُ . وكرّر إلّا في قوله «إِلَّا الْأَوْبُ» للتوكيد . والأوب ، قال السكري : هو النحل حين تؤوب : ترجع . ويؤيده أنّه روى : «وإِلَّا التُّوبُ» بضم النون ، وهو النحل ، وهو جمع نائب لأنها ترعى وتؤوب إلى مكانها ، أى ترجع ؛ وقيل : هو الريح ، ذكره الصاغاني (في العُباب) . وقال الخوارزمي : هو المطرُ لأنّه بخار ارتفع من الأرض ثمّ آب إليها أى رجع ، ولذلك سَمِيَ رَجْعاً ، فسَمَوْهُ أَوْباً ورجعاً تَفَاوُلًا ليرجع ويؤوب . وقيل لأنّ الله تعالى يَرْجِعُهُ وقتاً فوقتاً . وإليه ذهب صاحب (الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(١) وأنشد هذا البيت على أنّ المطر تسمى رجعاً^(٢) كما في الآية ، وأوباً كما في البيت ، تسمية بمصدر رَجَعَ وآب . وذلك أنّ العرب كانت تزعم أنّ السحاب يحمل الماء من البحر ثم يرجعه إليه^(٣) . قال صاحب (الكشف) : جعل صاحب الكشاف الأوب والسَّيْلَ بمعنى المطر ، والأوْلَى ما قيل أنّ الأوب النحل ، لأنها تؤوب إلى محالّها بعد ما خرجت للنجعة . والسَّيْلُ . بفتحتين : المطر المنسيل ، أى النازل .

٢٨٦

قال ابن خلف (في شرح أبيات الكتاب) : السحاب اسم عام للغيم والماء ينسحب في الأفق ، أى ينجرّ ، نازلاً ماؤه وغير نازل . والسَّيْلُ : المطر النازل ، فهو إذن أخصّ من السَّحَاب ، ولذلك جاء قوله تعالى : ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾^(٤) ، لما كان الودق الماء النازل نفسه .

(١) الآية ١١ من سورة الطارق .

(٢) كذا وردت «تسمى» في النسختين بجعل المطر مؤنثاً . والذي في الكشاف : «سمى المطر رجعاً كما سمي أوباً» .

(٣) في ش : «من بخار ثم يرجعه إليه» . وفي الكشاف : «من بخار الأرض ثم يرجعه الى الأرض» .

(٤) من الآية ٤٣ من النور و ٤٨ من الروم .

وهذا البيت آخر قصيدة عدّتها عشرون بيتاً للمتنخل الهذلي ، تقدمت صاحب الشاهد ترجمته في الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين ^(١) ، رثى بها ابنه أثيلة بضم الهمة وفتح المثناة . وهذان البيتان قبله :

(أقول لمّا أتاني الناعيان به لا يبعد الرّمح ذو النّصلين والرّجل أبيات الشاهد
رُمحٌ لنا كان لم يُقللْ نِوْءُ به تُوفى به الحَرْبُ والعَزَاءُ والجُلُلُ
رثاءُ شَماء لا يدنو لقلتها البيت)

قوله : « الناعيان به » في الصحاح : الناعي الذي يأتي بخبر الموت . قال الأصمعي : كانت العرب إذا مات فيهم ميّت له قدرٌ ركب راکب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول : نعاء فلاناً ، أى انعه وأظهر خبر وفاته . وهى مبنية على الكسر مثل نزال . وقوله : « به » أى بنعيه ، حذف المصدر لدلالة الناعيات عليه . والمصدر جاء على نعى بفتح فسكون ، ونعى على وزن فاعيل ، ونُعيان ، بضم النون . والضمير راجع إلى أثيلة المقتول ، وهو ابن المتنخل . وذلك أنّه كان خرج مع ابن عمّ له يقال ربيعة بن الجحدر غازيين ، فأغاروا على طوائف من فهم بن عمرو ^(٢) بن قيس عيلان ، فقتل أثيلة وأفلت ربيعة ، فقال المتنخل هذه القصيدة في رثاء ابنه . وقوله : « لا يبعد الرّمح » الرمح فاعل يبعد ، يقال بعد بعداً من باب فرح فرحاً ، إذا هلك . وعادة العرب أن تقول عند ذكر الميت : لا يبعد فلان ! إمّا استعظاماً لموته ، وإمّا رجاء بقاء ذكره . ويأتى شرح

(١) في الجزء الرابع ص ١٥٠ .

(٢) ش : «توفى به الحرب» بالقاف . وسيأتى في الشرح التنبيه على الروایتين . واقتصر السكري في

الشرح ٣ : ١٢٨٥ على رواية الفاء «توفى» .

(٣) كذا في ش مع أثر تصحيح . وفي ط : « فقيم بن عمرو » تحريف . وليس لعمرو بن قيس عيلان

إلا ولدان : فهم ، والحارث . انظر جمهرة ابن حزم ٢٤٣ .

هذا مبسوطاً إن شاء الله بعد أبيات . والنَّصْل : حديدة الرمح الذى يُطَعَن به ، وهو السَّنان ، ويقال لحديدة السَّهْم والسيف والسكين أيضاً . والحديدة التى يُركّز بها الرمح فى الأرض من الطَّرَف الأسفل يقال لها الرُّج ، بضم الزاى المعجمة وتشديد الجيم . وسَمَّى الرُّج نصلاً بالتغليب فقال : النَّصْلين ، وإنما غلب على الرّج لأنَّ العمل للنصل ، وإذا كان للرمح رُجٌ كان أمكن للطَّعن به . وأراد به رمح المقتول .

وقوله : «والرجل» أراد الرجل الكامل ^(١) فى الشجاعة والفعل ، وهو ابنه ، وقيل أراد بالرمح ابنه ، شبهه بالرمح الذى له نصلٌ وزجٌ ، ويؤيده قوله رمح لنا ، أى هو رمح لنا . وضمير كان راجعٌ إليه ، وجملة لم يفلل خبرها ، أى لم يُكسر ولم يُثلم ، من الفلّ بفتح الفاء ، وهو واحد الفلول ، وهى كسور فى الشيء .

وقوله : «ننوء به» أى نهض به . يقال ناء بكذا أى نهض به مثقلاً . وقوله «توفى به الحرب» أى تعالى به وتقهر . وهو بالفاء ، وروى بالقاف أيضاً من الوقاية . والعزّاء بفتح العين وتشديد الزاء المعجمة : السنة الشديدة . والجُلل بضم الجيم وفتح اللام : جمع جُلّى ، وهو الأمر الجليل العظيم ، مثل كبرى وكُبر ، وصُغرى وصُغَر .

وفى هذه القصيدة أبياتٌ من الشواهد ، فينبغى أن نورد بقيّتها مشروحة إجمالاً . وهذا مطلع القصيدة :

(ما بال عينك أُمست دمعها خضيلٌ كما وهى سربُ الأخرابِ منبزلٌ ^(٢))

(١) ش : « وقوله الرجل : الرجل الكامل » .

(٢) ط : « الأخراب » صوابه فى ش وشرح السكرى . وقد رواه السكرى : « الأخراب » بالتاء فى آخره ،

جمع خرت ، وهو الثقب ، ثم قال : « ويروى : الأخراب » .

هذا خطابٌ مع نفسه . وَخَضِلَ : ندى . وَوَهَى السقاء ، إذا تَحَرَّقَ وانشَقَّ .
والأحزاب : جمع خُرَيْبٍ ^(١) بالضم ، وهى عروة المزادة وكلُّ ثَقْبٍ مستدير . وَسَرِبَ
بفتح فكسر : السائل ، يقال سَرِبَتِ المَزَادَةُ من باب فرح ، إذا سالت . ومنبزلٌ :
منشَقٌّ . وقد أخذ ذو الرمة مَطْلَعَ قصيدته من هذا فقال :
مابأل عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كُلِّ مَفْرِيسَةٍ سَرِبُ
والكُلَى : جمع كَلِيَةٍ بالضم ، وهى جُلَيْدَةٌ مستديرة تحت عُرْوَةِ المَزَادَةِ
تُخَرِّزُ مع الأديم .

(لاتفتأ الليلُ مع دمعٍ بأربعةٍ كأنَّ إنسانها بالصاب مكتحلٌ) ^(٢)
لاتفتأ : لاتزال ، يقال جاءنا وعيناهُ بأربعة ، أى بأربعة مدامع أو
مَسَائِلٍ ^(٣) ، أى تسيل من نواحيها من المأقِن واللَّحَاطِينَ . والصاب : شجرٌ له
لبنٌ مرٌّ إذا أصاب لبُّهُ العينَ حَلَبَهَا .
(تَبَكَى على رجلٍ لم تُبَلِّ جَدُّهُ خَلَى عَلَيْكَ فجاءاً بينها خَلَلُ)
لم تُبَلِّ جَدُّهُ : لم تستمتع بشبابه ، من الإبلاء . وروى : « لم تُبَلِّ جَدُّهُ »
من البَلَى وجَدُّهُ فاعل . وفجاءاً أى طرَقاً . بينها خَلَلُ ، أى فرجة أى كان
يسدُّها .

ومعنى خَلَى تركها . يريد أنه لم يمتنع منه ، كما قال ابن أحرر :
لَيْسَتْ أُنَى حَتَّى تَمْلِئُ برهةً وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا
(فقد عجبْتُ وما بالدَّهْر من عجبٍ أَنِّي قَتَلْتُ وَأَنْتَ الْحَازِمُ الْبَطْلُ)

(١) ط : « والأحزاب جمع خُرَيْب » ، صوابه فى ش والسكرى .

(٢) عند السكرى : « من سح بأربعة » . وفى ط : « كأن أسنانها » ، صوابه فى ش والسكرى .

وإنسان العين : ناظرها ، وهو المثال الذى يرى فى السواد .

(٣) ش : « مسائل » بالهمز ، والقياس التسهيل .

أى كيف قُتِلَتْ مع كونك شجاعاً حازماً . يقول : لاتعجب من
الدَّهر ، فإنَّ البطل يُقْتَل فيه ، والضعيف ينجو فيه ، وفيه أمورٌ مختلفة .
(وَيُلَمُّهُ رجلاً تَأبَى به غَبْنًا إذا تَجَرَّدَ لَانْخَالٌ وَلَا بَخْلٌ)

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة . قوله : « وَيُلَمُّهُ رجلاً »
هذا مدحٌ خرج بلفظ الذمِّ ، يروى بكسر اللام وضمها . ورجلاً تمييز
للضمير . وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في باب التمييز ^(١) . وتأبى
مضارع أبى ، بمعنى تكره ، والجملة صفة رجلاً . والغَبْنُ بفتح الباء : الخديعة
في الرأى ، وفعله من باب فَرَحَ . ويسكونها : الخديعة في الشراء والبيع ،
وفعله ^(٢) من باب ضرب . يقول : تأبى أنت أن تقبل به نقصانا . ومعنى
التجرّد ههنا التشمّر للأمر والتأهّب له . وأصل ذلك أنَّ الإنسان يتجرّد من
ثيابه . يقول : إذا حاول فعل أمرٍ أو الدُّخُول في حرب . فصار مثلاً لكل من
جَدَّ في الشيء وإن لم يتجرّد من ثيابه . يقول : إذا أتيتَه قام معك وتجرّد وجَدَّ .
وقوله : « لَانْخَالٌ وَلَا بَخْلٌ » فيه وجهان : أحدهما الخال الاختيال والتكبر ، فخال
مبتدأ محذوف الخبر ، أى لافيه تكبرٌ ولا بخل ، أو هو خبر بتقدير مضاف لمبتدأ
محذوف ، أى لاهو ذو خال . وثانيهما : الخال المتكبر ، وذكر المصدر وأريد
الوصف مبالغة ، أو هو وصف وأصله خَوِل ، فانقلبت الواو المكسورة
ألفاً كقولهم ، رجل مالٌ ويومٌ راح ، وأصلهما مَوِلٌ وَرَوِح . ويؤيِّده أنَّه روى :
« وَلَا بَخْلٌ » بكسر الخاء . فخال خبر مبتدأ محذوف ، أى لاهو خال ،

(١) الجزء الثالث ص ٢٧٣ ، ٢٧٩ .

(٢) ط : « وقوله » ، صوابه في ش .

ولا ذو بخل ، فيقدرُ في بخل مضاف لأنه مصدر . وإن أطلق على الوصف مبالغة فلا تقدير .

(السالك الثغرة اليقظان كالثها

مَشَى الهلوك عليها الخيلُ الفضلُ^(١)

أى هو السالك . ويجوز نصبه على المدح : أى أعنى السالك ؛ والثغرة بالضم والثغر بمعنى واحد ، وهو موضع يُخاف دخول العدو منه . وكالثها حافظها . والهلوك من النساء : التى تتهالك فى مشيتها ، أى تبخر وتتكسر ، وقيل هى الفاجرة التى تتوابع على الرجال . والخيل ، بفتح الحاء المعجمة ، قال السكرى : هو ثوبٌ يخاط أحدُ شِقِيهِ ويترك الآخر . والفضل هو الخيل ليس تحته إزار . وقال ابن الشجرى : الخيل : القميص الذى ليس له كُمَان ، وقيل : ولا دخاريص له . ويقال امرأةٌ فضلٌ بضمّتين ، إذا كان عليها قميصٌ ورداء وليس عليها إزارٌ ولا سراويل . و (فى العباب) : المفضل والفضل بضمّتين . وفى هذا عن الفراء^(٢) كالخيل تلبسُها المرأة فى بيتها ، والمرأة فضلٌ بضمّتين إذا لبسته . قال الأعشى :

ومستجيبٌ تخالُ الصنَجُ يُسمِعُهُ إذا ترجّع فيه القينةُ الفضلُ

المُستجيب : العود شَبَّهَ صوته بصوت الصنَج ، فكأنَّ الصنَج دَعَاه .

يقول : هو الذى من شأنه سلوكُ موضع الخافة ، يمشى متمكناً غير فروقٍ ولا هيوب ، كمشى المرأة المتبخترة الفضل^(٣) .

(١) ش : « سالكهما » ، وصوابه فى ط وشرح السكرى .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) ط : « والفضل » ، والواو مقحمة .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : الوجه نصب الثغرة بالسالك ، كقولك الضارب الرجل ، ويجوز خفضها على التشبيه بالحسن الوجه . واليقظان صفة الثغرة نصبتها أو خفضتها ، وارتفع به كالثغرة ، وجاز ذلك لعود الضمير على الموصوف . وقوله : مشى الهلوك ، منصوب بتقدير : تمشى مشى الهلوك . وإن شئت نصبته بالسالك ؛ لأن السالك يقطع الأرض بالمشى . انتهى .

وقال العيني : لا يجوز نصبه بالسالك ، لأنه موصوف باليقظان ، ولا تعمل الصفة بعد وصفها .

أقول : هذا سهو منه ، فإنه قال : اليقظان صفة الثغرة كما نقلنا . والفضل نعت للهلوك على الموضع ، لأنها فاعلة للمصدر الذى أضيف إليها . والتقدير : تمشى كما تمشى الهلوك الفضل . وبه أنشد ابن الناظم (فى شرح الألفية) . وزعم جماعة أنه مرفوع على المجاورة للمرفوع الذى هو الخيل . وهذا شيء لم يقل به أحد من المحققين . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى بأوسع من هذا فى آخر هذا الباب .

وعلى تفسير الفراء والسكرى للفضل يكون صفة للخيل .

وقد تكلم أبو على (فى الإيضاح الشعرى) على المصراع الأول بغير ما ذكرنا تمريناً للطالب ، أحببنا ذكره هنا ، قال : إن نصبت كالثغرة لم يجوز أن تجعلها حالا من السالك وأنت قد وصفته باليقظان ، لأنك حينئذ تفصل بين الصلة والموصول ، ولكن يجوز أن تنصبه حالاً عما فى يقظان ، كأنه يتيقظ فى حال حفظه إياها . ويجوز إذا نصبت كالثغرة أيضاً أن تجعله بدلاً من اليقظان .

فإن قلت : أفيجوز إذا نصبت كالثغرة أن أجعل الكالىء حالاً من الموصول الذى هو السالك على أن لا أجعل اليقظان صفة للألف واللام ،

ولكن أجعله صفة للثغرة ، فلا يلزم حينئذ إذا جعلته حالا أن أكون قد فصلت بين الصلة الموصول .

(فالجواب) أن وصف الثغرة باليقظان ليس بالسَّهل ، لأنَّ اليقظان من صفة الرجل دون الثغرة ، وهو مع ذلك مذكّر ، والثغرة مؤنث .

فإن قلت : فهل يجوز أن أحمل على الاتساع فأقول: ثغرة يقظان ، وأنا أريد يَتَّقِظُ فيها لشدة خوف السالك لها ، كما أقول: ليلٌ نائمٌ أريدُ أنه ينام فيه ، وأحمل التذكير على المعنى ، لأنَّ الثغرة والشجر والموضع واحدٌ في المعنى ؟ (فالجواب) : أنك إن حملته على هذا لم يمتنع أن يكون كالثغرة حالا من اللام التي في السالك المنتصب . وإن جعلت اليقظان على هذا الذي ذكرته من الاتساع جاز أيضا في الكائي أن تجعله حالا مما في السالك ، مما يعود إلى اللام . ألا ترى أنك إذا جعلت اليقظان وصفاً للثغرة ولم تجعله صفةً للام لم تتم الصلة ، وإذا لم تتم ولم يكن في الكلام شيء يؤذن بتأنيدها من صفة لها أو عطيف عليها أو تأكيدٍ يتبعها ، لم يمتنع أن تجعل كالثغرة حالا من الضمير كما وصفنا . فإن رفعت كالثغرة ورفعت السالك ، جاز أن يكون السالك ابتداءً مثل الضارب هنأً حافظها . فإن نصبت السالك ورفعت كالثغرة كان ارتفاع كالثغرة باليقظان ، كأنه قال : السالك الثغرة المتيقظ كالثغرة ، كأنه ثغرٌ مخوف ، يحتاج حافظه أن يكون متيقظاً حذراً لا يغفل ولا يدع التحرُّر من شدة الخوف فيها . ويجوز أن ترفع اليقظان وتنصب السالك وكالثغرة ، فيكون اليقظان بدلاً من الذكر العائد إلى الألف واللام في السالك ، فيكون كالثغرة حالا من السالك . انتهى كلام أبي على .

وبعد خمسة أبيات قال :

(فاذهبْ فأَيُّ فتنى فى الناس أحرزه)

من حتفه ظَلَمَ دُعَجٌ ولا جَبَلٌ (

هذا الاستفهام معناه النفي ، ولذلك عطف عليه قوله: ولا جبل . وهذا المعنى استشهد العلماء بهذا البيت ، منهم الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَمَالَنَا أَنْ لَا نَقَاتِلَ ﴾^(١) ، وقال : هذا البيت مما حمل على معنى هو مخالف لصاحبه في اللفظ ، أى ليس يُحرز الفتى من يومه ظُلمٌ دُعجٌ ولا جبل . قال : ومثله قول الشاعر^(٢) :

* ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم^(٣) *

أى ما أخو عيش . ومثله في قراءة عبد الله : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةٌ ﴾^(٤) ، أى ليس للمشركين .

وقال الكسائي : سمعت العرب تقول : أين كنتَ لتنجو منى ؟ أى ماكنت لتنجو منى^(٥) . وذكر له نظائر كثيرة .

ولهذا أيضا أورده ابن هشام (في مغنى اللبيب) في الواو العاطفة . وأحرزه بمعنى جعله في حرز يمنع من الوصول إليه . ومن حَتَفِه متعلق به . والحتف: الهلاك . والظُّلْمُ بضممة مفتحة : جمع ظلماء ، وهى الليالى السُّود . والدُّعجُ: جمع دعجاء ، وهى الشديدة السُّواد . والعرب تسمى الليلة الأولى من ليالى المَحاق الثلاثة فى آخر الشهر : دعجاء، وهى ليلة ثمانية وعشرين؛ والثانية: السُّرار بالكسر؛

(١) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) هو الفرزدق . ديوانه ٨٦٣ .

(٣) صدره فى الديوان ومعانى الفراء ١ : ١٦٤ :

* يقول إذا اقلولى عليها وأقردت *

والثالثة : الفلته ^(١) بالفاء ، وهى ليلة الثلاثين . والجبل بالجيم
والموحدة ، وروى : « الحيل » بكسر المهملة ، جمع حيلة .

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلاثمائة :
٣٣٣ (وَذُبْيَانِيَّةٌ أَوْصَتْ بَنِيهَا بِأَنْ كَذَبَ الْقَرَاطِفُ وَالْقُرُوفُ)
على أَنَّ الكذب مستَهْجَنٌ عندهم ، بحيث إذا قصدوا الإغراء بشيء
قالوا : كذب عليك ^(٢) . أى عليكم بهما فاغتنموهُمَا .

٢٩٠

وقد بيَّنه الشارح المحقق فى باب اسم الفعل ، بأوضح من هذا ، ونزيد
هناك ما قبل فيه ، إن شاء الله .

قال الزمخشري (فى الفائق) عن أبى عليّ : هذه كلمة جرت مجرى
المَثَل فى كلامهم ، ولذلك لم تُصَرَّفْ ، ولزمت طريقة واحدة فى كونها فعلاً
ماضياً معلقاً بال مخاطب ليس إلا ، وهى فى معنى الأمر ، كقولهم فى الدُّعاء :
رحمك الله .

والمراد بالكذب الترغيب والبعث ، من قول العرب : كَذَبْتَهُ نَفْسُهُ ، إذا
منته الأمانى وَخَيَّلَتْ إليه الآمال مما لا يكاد يكون ^(٣) . وذلك ما يرغب الرجل
فى الأمور ، ويغتنه على التعرُّض لها . انتهى .

ومضر تنصب بكذب ، وأهل اليمن ترفع به . قال ابن السكيت :
يرفعون المُعَرَّى به ، ومن نصب فعلى الأمر والإغراء .

(١) ط : « الفلية » بالباء ، صوابه فى ش . وانظر تعليل تسميتها بالفلته فى اللسان (فلت) .

(٢) أمالى ابن الشجرى : ٢٦٠ والسمط ٤٨٤ واللسان (كذب ، قرطف ، قرف) .

(٣) فى الفائق ٢ : ٤٠٢ : « وخيلت إليه من الآمال مالا يكاد يكون » .

وأورد صاحب (الكشاف) هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾^(١) على أَنَّ وَصَّى يجرى مجرى أَمَرَ معنى وتصرفاً .
و(القراطف) : جمع قَرَطَفٍ كجعفر ، وهو القطيفة ، أى كساء مُحمَّل .
و(القرُوف) : جمع قَرْفٍ بفتح فسكون ، وهو وعاءٌ من جلد يدبغ بالقرفة بالكسر ، وهى قشور الرِّمَّان ، ويُجعل فيه الحَلْعُ ويطحخ بالتوابل فيفرغ فيه .
والحَلْعُ بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام : لحم يُطحخ بالتوابل ثم يجعل فى القَرْف ، ويُترَوَّد به فى الأسفار . والواو واو رُبِّ . يقول : رب امرأة ذيبانية أمرت بنبيها أن يستكثروا من نهب هذين الشيئين إن ظفروا بعدوهم وغنموا ، وذلك لحاجتهم وقلة ما لهم . كذا فى (آيات المعانى لابن قتيبة ^(٢)) وفى (نواذر ابن الأعرابى) .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لمعقّر البارقي ، مدح بها بنى ثُمير وذكر مافعلوا ببنى ذبيان بشعب جَبَلَة ، وهو يومٌ كانت فيه وقعة بين بنى ذبيان و [بين] بنى عامر ، فظهرت بنو عامر على بنى ذبيان فى ذلك اليوم .
وغمير : أبو قبيلة من قيس ، وهو غمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وكان معقراً حليفاً لهم ، وذكر مافعلوا ببنى ذبيان .

وبعد هذا البيت :
أبيات الشاهد
(تَجَهَّزْهُمْ بِمَا اسْتَطَاعَتْ وَقَالَتْ بَنَى ، فَكَلَّكُمْ بَطْلٌ مُسَيِّفٌ
فَأَخْلَفْنَا مَوَدَّتَهَا فَقَاطَتْ وَمَا فِي عَيْنِهَا حَزَلٌ نَطُوفٌ)
وبنى منادى ، أى يابنى . والفاء فى « فكلَّكم » فصيحة ، أى إن تغزوا فكلَّكم إلخ .

(١) العنكبوت ٨ .

(٢) انظر المعانى الكبير ٣٨١ ، ٨٠٤ .

قال ابن قتيبة وابن الأعرابي : المسيف الذى ذهب ماله ووقع فى إبله السَّوَّاف . يقال أساف الرجل ، أى هلك ماله . والسَّوَّاف بالفتح وقيل بالضم : مرض المال وهلاكه . يقال : وقع فى المال سَوَّافٌ ، أى موت . تعنى أن أولادها فقراء . تحرضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفنا مودتها » الخ أى أخلفنا هواها ، وخيَّنا مأموها . وقاظت : أى أقامت فى القيظ ، وهو الصَّيْف . والحَذَل بفتح الحاء المهملة وكسر الذال المعجمة : الموق الذى فيه بثر وحمرة . والمأقى : لغة فى الموق ، وهو طرف العين ناحية الأنف . ونطوف أى سائل . يقال نطف الماء ينطف بالضم والكسر ، إذا سال .

ومعقر بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف المكسورة ، وهو معقر بن معقر بن أوس
أوس بن حمار ، على لفظ واحد الحمير ، ابن الحارث بن حمار ^(١) بن شجنة
بن مازن بن ثعلبة بن كنانة بن بارق ، وهو لقب ، واسمه سعد .

قال صاحب (العباب) : وبارق: أبو قبيلة من اليمن ؛ واسم بارق سعد
بن عدى بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء الأزدى . قيل : بارق
٢٩١ فى الأصل جبل باليمن نزل به بنو عدى بن حارثة فسموا به .

وكان قوم معقر قد حالفوا بنى نعيم بن عامر فى الجاهلية ، لدم أصابوه
منهم ، وشهدوا يوم جبلة ، وكان ^(٢) معقر قد كُفَّ بصره ؛ وكان قبل ذلك

(١) فى المؤلف ٩٢ : « معقر بن الحارث بن أوس بن حمار » . وفى الأغاني ١٠ : ٤٤ « معقر بن أوس بن حمار » . وفى ١٠ : ٤٥ : « واسمه سفيان بن أوس . يعنى أن « معقرا » لقب له سمي به لقوله :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

(٢) وكان ، ساقطة من ش .

من فرسان قومه وشعرائهم ، المشهورين يوم جَبَلَة ، وكان قبل الإسلام بتسع وخمسين ^(١) سنة ، قبل المولد الشريف النبوى بتسع عشرة سنة . كذا فى الأغاني للأصبهاني .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلاثئة ^(٢) :
 ٣٣٤ (وليل يقول النَّاسُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ الْعُيُونِ وَعُورُهَا
 كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بَيْوتًا حَصِينَةً مُسُوحًا أَعَالِيهَا، وساجاً كُسُورُهَا)
 على أَنَّ مسوحاً وساجاً نعتان لقوله : بيوتا . وصحَّ النعت بهما مع أَنَّ
 كلاً منهما ^(٣) اسمٌ جوهري ، أى جسمٌ ، لتأويلهما بالمشتق . فالأوّل يؤوّل
 بسُوداً ، والثاني بكثيفا .

قال ابن مالك : رفع الأعالى والكسور بمسوح وساج ، لإقامتهما مقام
 سود .

وقال السيرافي : ذهب بمسوح إلى سُود ، وبساج إلى كثيف . انتهى .
 وأورد ابن جنى هذا البيت (فى إعراب الحماسة) مع نظائر له ثم قال :
 وهذا يدلُّك مِنْ مذهبا ^(٤) على أَنَّها إذا نقلت شيئاً من موضعه إلى موضع
 آخر مكنته فى الثانى . ألا ترى أَنَّ هذه الأشياء كلّها أسماءٌ فى أصولها ، ولما

(١) ش : «بخمسة وسبعين» ، ولا يستقيم . وفى معجم البلدان : «بسبع وخمسين سنة وقبل مولد
 النبى ﷺ بسبع عشرة سنة» . وفى العقد ٥ : ١٤١ : «وكان يوم شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ،
 وهو عام ولد النبى ﷺ» .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٠٤ وزهر الآداب ٧٥١ .

(٣) ط : «وصح النعت بها مع أَنَّ كلا منها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) يعنى مذهب العرب .

نقلتها إلى أن وصفت بها مكنتها وثبتت أقدامها فيه ، حتى رفعت بها الظاهر ، وحتى أثنتها تأنيث الصفة ، وأجرئها على ماقبلها جريان الصفات على موصوفاتها . وعكس ذلك ماأخرج من الصفة إلى الاسم فمكّن فيه ، نحو صاحب ووالد . ألا تراهم حمّوا كلامهم أن يقولوا فيه : مررت بإنسان صاحب ، حتى صار صاحب بمنزلة جار و غلام . انتهى باختصار .

و(المسوح) : جمع مسح بالكسر ، وهو اليلّاس بكسر الموحدة وفتحها ، وهو فارسيّ معرب أورده الجواليقي (في المعربات) . وهو يُنسج من الشعر الأسود .

قال صاحب (الصحيح) : وأهل المدينة يسمّون المسح بلاسا . ومن دعائهم : أرانيك الله على البلس^(١) ! وهى غرائر كبار من مسوح ، يجعل فيها التبن فيشهر عليها من ينكل به ويُنادى عليه .

(والساج) بالجم : ضرب من الشجر لاينبت إلا بالهند والزنج ، يجلب خشبه ، وهو أسود . وإليه يشير تفسير الشارح له بالكثيف . والساج أيضا : الطيلسان الأخضر ، وهو ألوان متقاربة يطلق كل منها على الآخر . وهذا المعنى فسر الساج ههنا .

قال غلام ثعلب (في كتاب اليوم والليلة) : يقال إن أشعر ماقيل في صاحب الشاهد في الظلمة قول مضرّس . وأنشد هذين البيتين . ثم قال : يريد الطيلسان .

وكذلك قال الشريف ضياء الدين هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسيني (في الحماسة) التي صنّفها كحماسة أبي تمام ، وزاد عليه أبواباً كثيرة ، وأورد

(١) في اللسان : « البلس » بفتحتي . والصواب أن يكون بضمّتين جمعا لبلاس .

فيها أشعاراً جيدة ، وقد أجاد في الاختيار والنقد عندما أورد هذا الشعر فيها .
وعلى هذا يؤوّل الأوّل بسودا كثيفة ، والثاني بأسود لطيف .

وإلى هذا أشار الحُصْرِيُّ (في زهر الآداب) بعد ما أورد البيتين بقوله :
أراد أن أعلاه أشدُّ ظلاماً من جوانبه . وهذا معلومٌ حسّاً ، فإن الإنسان إذا
كان قائماً في الظلام لا يكاد يرى شيئاً ، وإذا لَطِيَءَ بالأرض فربّما رأى شيئاً .

٢٩٢

و(الكسور) : جمع كَسَرَ بكسر الكاف ، وهو أسفل شُقَّة البيت التي
تلى الأرض من حيث يُكسر جانباه ، من يمينك ويسارك . وفي جميع نسخ
الشرح : « ستورها ^(١) » بدل كسورها ، والظاهر أنه تحريف من الكتاب .
و(البيوت) : جمع بيت ، قال ابن الأنباري (في شرح المفضليات) : البيت
عند العرب هو ما يكون من صُوف أو شَعَر ، والخيمة لا تكون إلا من شجر .
وضمير أعاليها وكسورها راجعٌ للبيوت . شبه الليل بالبيوت الحصينة ،
للتحصين بهول الظلام ، فإنه لا يقدر أحدٌ أن يهجم على أحد .

وقوله : (ليل يقول الناس) إنخ ، من للتعليل ، (سواء) خبر مقدم ،
و(صحيحات) مبتدأ مؤخر ، والجملة مقول القول . أى العيون الصحيحة
والعيون العور سواء في عدم رؤية شيء لتكاثف الظلام . وروى : (بصيرات
العيون) . والواو في ليل هي واو رُب ، وجوابها : تجاوزته في بيت بعدهما ، وهو :
(تجاوزته في ليلةٍ مدلهمةٍ يُنادى صداها ناقتى يستجيرها)

آيات الشاهد

كأنه أراد بليلة قطعة منها . والمدلهمة : الشديدة السواد . وروى :

(١) ط : «سطورها» ، صوابه في ش .

* تجاوزته في همة مشنعة *

أى سريعة . والصّدى من طيور الليل ، وهو ذكر البوم ، وإنّما استجار بناقته لتفاقم هول الليل ، فأراد أن يصحبها ليأمن . والأصل يستجير بها ، فحذف ووصل . قال الشريف [صاحب الحماسة] : من أحسن ماوصف به سواد الليل هذه الأبيات . وقبلها بيتان ^(١) في وصف اليوم وهما :
(ويوم من الشعرى كأنّ ظباءه كواعب مقصور عليها ستورها
نصبت له وجهى وكلفت حميه أفانين خرجوج بطيء فتورها)

أى ربّ يوم من أيام طلوع الشعرى ، وهو الكوكب الذى يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحرّ . والكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية التى يبدو ثديها للنهود . وقصرت الستر : أرخيته . شبه الظباء الكانسة من شدة الحرّ بعدارى أرخى عليهن السّتر لثلاً يراهن أحد .

ونصبت له ، أى لذلك اليوم . ونصب الشيء : أقامه ، وهو جواب ربّ . وكلف يتعدى لمفعولين أوّهما : حميه ، أى حمى ذلك اليوم ، وهو مصدر حميت الشمس والنار مثلاً ، إذا اشتد حرهما . وثانيهما : أفانين ، وهو جمع أفنون بالضم ، وهو الجرى المختلط من جرى الفرس والناقة . كذا في القاموس . والخرجوج ، بضم الحاء المهملة وجيمين أولاهما مضمومة ، وهى الناقة السّمينية ، وقيل الشديدة ، وقيل الضامرة الوقادة القلب . ويطيء بالجر صفة سبية لخرجوج ، وفتورها فاعل بطيء ، والضمير لخرجوج . والفتور : مصدر فتر من باب دخل ، إذا ضُعب وتعب .

(١) ط : « وقيل بيتان » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات لمضرّس بن ربيعٍ ، وهو بكسر الراء وسكون الموحدة ،
الأسدى . وهو شاعر جاهلى ، وهو بضم الميم وكسر الراء المشددة فى اللغة :
الأسد الذى يَمَضَغ لحم فريسته ولا يبتلعها . وقد ضرّس فريسته تضرّيسا ، إذا
فعل بها ذلك . وقال أبو عمرو : المضرّس الذى قد جَرَّب الأمور ، وقيل مشتقٌّ
من الضرّس ، أى قد نَبَتَ ^(١) له ضرّيس الحُلم .

مضرّس بن ربيع

وهذا نسبُهُ من (المؤتلف والمختلف للآمدى) : مضرّس بن ربيعٍ ،
بكسر الراء وسكون الموحدة وتشديد الياء المكسور ما قبلها ، ابن لقيط بفتح
اللام ، ابن خالد بن نُضْلَة ، بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ، ابن الأشر
بن جَحْوَان بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة ، ابن فَقْعَس بن طَرِيف بن
عمرو بن قُعين ، بضم القاف ، ابن الحارث بن ثعلبة بن دُودان ، بضم
الدال ، ابن أسد بن خُزيمة . وهو شاعر محسّن متمكّن ، وهو القائل :

فلا تُهْلِكَنَّ النفسَ لوماً وحسرةً على الشئِ سَدَّاهُ لغيرِكَ قادِرُهُ ^(٢)
ولا تَيْأسَنَّ من صالحٍ أن تناله وإن كان بؤساً بين أيدٍ تُبادِرُهُ
وما فات فاتركه إذا عَزَّ واصطبر على الدهر إن دارت عليك دوائِرُهُ ^(٣)
فإنَّكَ لاتعطى امرأَ حظَّ غيره ولاتعرف الشَّقَّ الذى الغيْثُ ماطرُهُ ^(٤)
ورِيعِي : منسوب إلى الربيع . وأربع الرجلُ ، إذا وُلِدَ له ولدٌ وهو شابٌّ .

(١) ط : « ثبت » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « أسداه » ، وأثبت ما فى ش والمؤتلف ١٩١ . وفى اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاماً أو
أمراً بين قوم قيل : سدّى بينهم » .

(٣) ط : والمؤتلف : « عن الدهر » ، صوابه فى ش . وفى الكتاب العزيز : « واصطبر عليها » .

(٤) ويروى : « قاطره » كما فى حواشى المؤتلف . وإلى هنا ينتهى نص المؤتلف .

وولده ربيعي . وأصاف فهو مُصَيِّفٌ ، إذا ولد له بعد ما كبر . وولده صَيِّفٌ . قال
الراجز (١):

إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةً صَيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِنْعِيُونَ
وذكر الآمدي شاعراً آخر اسمه مضرّس ، وهو مضرّس بن قرطة (٢) بن
الحارث المزني ، شاعر محسن مُقِلٌّ ، وهو القاتل :

وَأَقْسَمُ لَوْلَا أَنْ تَقُولَ عَشِيرَتِي صَبَاً بِسُلَيْمِي وَهُوَ أَشْمَطُ رَاجِفُ
لَحَقْتُ إِلَيْهَا مِنْ [بَعِيدٍ] مَطِيَّتِي وَلَوْ ضَاعَ مِنْ مَالِي تَلِيدٌ وَطَارِفُ (٣)
ذَكَرْتُ سُلَيْمِي ذِكْرَةً فَكَأْتُمَا أَصَابَ بِهَا إِنْسَانٌ عَيْنِي طَارِفُ
أَلَا إِنَّمَا الْعَيْنَانِ لِلْقَلْبِ رَائِدٌ فَمَا تَأَلَّفَ الْعَيْنَانِ فَالْقَلْبُ آلَفُ
وليس في الصحابة من اسمه مضرّس إلا مضرّس بن سفيان بن خفاجة .
كذا في الإصابة (٤)

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني)

وتمامه :

* فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لايعنيني *

وقد تقدم شرحه مستوفى في الشاهد الخامس والخمسين (٥).

(١) هو سعد بن مالك . انظر نوادر أبي زيد ٨٧ والمحتسب ٢ : ٤٩ .

(٢) وكذا في المؤلف بالطاء المهملة . وانظر سمط اللآلئ ٨٩٣ .

(٣) في النسختين: «لحقت» صوابها من المؤلف . وكلمة: «بعيد» ساقطة من النسختين، وإثباتها من

المؤلف.

(٤) الحق أن في الصحابة مضرسا آخر. هو مضرس بن عمرو، الثعلبي ذكره ابن حجر برقم ٨٠٠٣.

(٥) الخزائن ١ : ٣٥٧ .

وأنشد بعده :

(جاءوا بمذيق هل رأيت الذئب قط)

وهذا أيضاً تقدم شرحه مفصلاً في الشاهد السادس والتسعين (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلاثمائة ، وهو من

شواهد س (٢):

٣٣٥ (وَنَظَرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بَاعِينَ مَرْضَى مُخَالِطِهَا السَّقَامُ صِحَاحِ)

على أن مخالطها بالجر صفة لأعين . قال سيويه : سمعنا العرب تنشد هذا البيت جرّاً . ومراده الرّد على يونس في زعمه أن الوصف إذا كان للاستقبال يجب رفعه على الابتداء ، ولا يجوز إتياعه لما قبله . فلو كان كما زعم لرفع الوصف ، فدلّ رواية الجر على جواز مازعمه (٣).

ونصّ سيويه : وبعضهم يجعله نصبا إذا كان واقعاً ، ويجعله على كلّ حال رفعاً إذا كان غير واقع . هذا قول يونس . ٢٩٤

وكلام سيويه هنا فيه غموض ، وقد لخصه الشارح المحقق وبين المذاهب الثلاثة بالطف عبارة وأظهر بيان ، فله دُرّه ، ما أحسن استنباطه وأجود تقريره .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لابن ميّادة ، وقبله :

(وَارْتَشَنَ حِينَ أُرْدُنَ أَنْ يَرْمِينَنَا نَبْلاً بِلَا رِيشٍ وَلَا بَقْدَاجِ) قرين الشاهد

وقوله : وارتشن ، أى اتخذن ريشاً لسهامهن . وهذا على طريق المثل ، جعل أعينهن إذا نظرن بمنزلة السّهام التى يُرمى بها . ونبلاً إمّا منصوب بارتشن بمعنى

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٧ .

(٣) أى لا على وجوبه .

رشن ، وإمّا منصوب بإضمار رشن ، كأنه قال : ارتشن فرشن نبلاً .
تقديره : اتخذن ريشاً فرشن به نبلا . والقداح : جمع قِدَح بكسر القاف
وسكون الدال ، وهو عود السهم قبل أن يُوضع فيه النّصل والرّيش . وروى :
* نبلاً مقدّزة بغير قداح *

والمقدّزة : السهام التى لها قُدّة ، بضم القاف وتشديد الدال
المعجمة ، وهى ريش السهم . يريد أنّ السّهام التى أصلحَها ورَمين بها ليست
بسهام من خشب ، وإنّما هى أعينهنّ إذا نظرن بها إلى إنسان . وخلّل
الستور، بفتح الحاء المعجمة : الفرج التى فيها .

وأورده الزجاج فى معانى القرآن عند قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ^(١) قال : والخلّل : كلُّ فرجة تقع فى شىء ، فإنّ معناه نظرن من
الفرج التى تقع فى الستور . انتهى .

وروى : « من خلل الخدور » جمع خدر بالكسر ، وهو السّتر . وجارية
مخدّرة ، إذا ألزمت ^(٢) السّتر . أشار إلى أنّهنّ مصونات لا ينظرن إلّا من وراء
حجاب . والعيون المرضى : التى فى طرفها فتور ، وجعل ذلك الفتور والضّعف
الذى فى نظرها بمنزلة السّقام فيها وهى صحاحٌ فى أنفسها لاعلةٌ فيها . وإنّما
يفتر النظر من رطوبة الجسم والنّعمة والرّفّة . وصف نساءً يُصبّن القلوب
بفتور أعينهنّ وحسنهنّ ، فجعل نظرهنّ كالسّهام ، ووصف عيونهنّ بالمرض لفتور
جفونهنّ ، ثم بيّن أنّ فتورها من غير علّة . فقلوه : ونظرن ، معطوف على قوله :
وارتشن ، ومن والباء متعلّقان به ، وذكر ^(٣) لأجل وصفها المذكور، وإلّا فالنظر

(١) الآية ١٢٥ من النساء .

(٢) ط : « لزمت » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) يعنى ذكر « العين » .

لا يكون إلا بالعين . ومرضى : جمع مريض ، وصف الجمع بالجمع ، أو جمع مريضة . والسقام فاعل مخالط . والصحاح بالكسر : جمع صحيحة ، وهو وصف ثالث .

وابن ميادة شاعر إسلامي ، تقدّمت ترجمته في الشاهد التاسع عشر من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد س ^(٢) .

٣٣٦ (حَمَيْنَ العَرَاقِيبَ العَصَا وَتَرْكَنَهُ بِهِ نَفْسٌ عَالٍ مَخَالِطُهُ بُهْرُ)
على أَنَّ مَخَالِطَهُ بِالرَّفْعِ صِفَةٌ لِنَفْسٍ ، وَبِهِرُ فَاعِلُهُ ، وَالْإِضَافَةُ لِفُظِّيَّةٍ
والتنوين مقدّر لنية الانفصال ، كالبيت السابق .

قال سيبويه : وإن أُلغيت التنوين ^(٣) وأنت تريد معناه جرى مثله منونًا . ويدل على ذلك أَنَّك تقول: مررت برجل ملازمك، فتجرّ ويكون صفة للنكرة بمنزلة ^(٤) إذا كان منونًا . وتقول : مررت برجلٍ مَخَالِطٍ بدنه أو جسده داء ، فَإِنْ أُلغيت التنوين ^(٥) جرى مجرى الأول إذا أردت ذلك المعنى ، وَلَكِنَّكَ تُلغِي التنوينَ ^(٦) تخفيفًا . فَإِنْ قلت: مررت برجلٍ مَخَالِطٍ داء، وأردت معنى الأول جرى على الأول ، كَأَنَّكَ قلت: مررت برجلٍ مَخَالِطٍ إياه داء. فهذا تمثيلٌ وإن كان يُقْبَحُ في الكلام . فإذا كان يجري عليه إذا التبسَ بغيره ، فهو

(١) الخزانة ١ : ١٦٠ .

(٢) في كتابه ١ : ٢٢٧ . وانظر ديوان الأخطل ١٩٨ .

(٣) في سيبويه ١ : ٢٢٧ : «وإن أُلغيت التنوين» بالقاف .

(٤) ط : «بمنزلة» ، صوابه من ش و سيبويه .

(٥) في سيبويه : «فإن أُلغيت التنوين» بالقاف .

(٦) في سيبويه : «تلقى التنوين» بالقاف

إذا التبسَ به (١) أخرى أن يجزى عليه . انتهى .

وفي البيت ردٌّ على يونسَ في زعمه أنَّ الصفة إذا كانت للحال وجب نصبُها على الحال ؛ فإنَّ الرواية برفع مخالطه على الإتياع ، مع أنه للحال لا للاستقبال . قال سيبويه : وأنشد غيره ، أى غير ابن ميادة من العرب ، بيتاً آخر ، فأجروه هذا المجزى ، وهو قوله :

* حمين العراقيب العصا وتركته *

والعمل الذى لم يقع والواقع الثابت في هذا الباب سواء ، وهو القياسُ وقولُ العرب . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ قول الشارح المحقق : وأنشد غيره ، داخلٌ تحت مقول قول سيبويه ، وإن كان ظاهرُ العبارة يُوهم أنَّ المنشد غير سيبويه . وقوله أيضاً : « وليونس أن يحمل رفعه على الابتداء » هو تخريج الأعلام (في شرح أبيات الكتاب) . قال : « ويجوز أن يكون رفعهما على الابتداء والخبر » .

وقول ابن خلف : ولم ينصب مخالطه على الحال لأنَّ المخالطةَ فاعلها البهر ، ساقط ، وما المانع من كونه حينئذ حالاً سببيةً ، والعراقيب والعصا مفعولان لحمين ، وتركته معطوف على حمين بمعنى فارقه . وجملة (به نفس عال) إلخ حالٌ من الهاء . و(البُهر) بالضم : تتابع النَّفس من التعب . يعنى أنَّه سِرٌّ شديداً ففتنَ الحادى ، فحمين عراقيبهنَّ من ضربه بالعصا ، فأخذهُ البُهر لشدة عذوه خلفهنَّ . وقوله : « حمين العراقيب » جواب إذا في بيت قبله ، وهو :

(إذا أنزر الحادى الكميش وقومتُ

سوالفها الرُكبانُ والحلقُ الصُفُرُ)

(١) في النسختين : « أليس به » ، وأثبت ما في سيبويه .

وَأَثَرٌ بِمَعْنَى لِبَسِ الْإِزَارِ . وَالْحَادَى : سَائِقُ الْإِبِلِ . وَالْكَمِيشُ : السَّرِيعُ
الْمَاضِي . وَقَدْ كُمِشَ بِالضَّمِّ كِمَاشَةً ، فَهُوَ كِمِشٌ وَكَمِيشٌ . وَقَوِّمَتْ : عَدَلَتْ .
وَالسَّوَالِفُ : جَمْعُ سَالِفَةٍ ، وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ : الْهَادِيَةُ ، أَيْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
الْعُنُقِ ، وَهُوَ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ ، وَالرُّكْبَانُ فَاعِلٌ مُؤَخَّرٌ . وَالْحَلْقُ مَعْطُوفٌ عَلَى
الرُّكْبَانِ ، وَهُوَ جَمْعُ حَلْقَةٍ بِالتَّحْرِيكِ أَيْضاً ، وَأَرَادَ الْبُرَّةَ ، وَهِيَ حَلْقَةٌ مِنْ نَحَاسٍ
تُجْعَلُ فِي أَنْفِ الْإِبِلِ ، لِتَذْلِيلِهَا . وَالصُّفْرُ : التُّحَاسُ بِضَمِّ الصَّادِ وَكسرها .
وصف في هذين البيتين سرعة الإبل .

صاحب الشاهد

وهما من قصيدة للأخطل ، وهو شاعرٌ نصرانيٌّ من شعراء الدولة الأموية
وما دحجهم . وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الثامن والسبعين (٢) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ :
٣٣٧ (قُولُوا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءٍ سَاعِيًا هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّ الْفَرَائِضُ (٢))
عَلَى أَنَّ « ذُو » الطَّائِيَةُ إِنَّمَا وَقَعَتْ وَصْفًا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى حَرْفَيْنِ ،
لَمُشَابَهَتِهَا لَذُو الْمَوْضُوعَةِ لِلْوَصْفِ بِأَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ .

صاحب الشاهد

وَهَذَا الْبَيْتُ أَوَّلُ آيَاتِ ثَلَاثَةِ لَقَوَالِ الطَّائِي ، أَوْرَدَهَا أَبُو تَمَامٍ فِي الْحِمَاسَةِ .
(وَالسَّاعِي) : الْوَالِي عَلَى صَدَقَةِ الزَّكَاةِ . يُقَالُ سَعَى الرَّجُلُ عَلَى الصَّدَقَةِ
يَسْعَى سَعِيًا : عَمِلَ فِي أَخْذِهَا مِنْ أَرْبَابِهَا . وَ(هَلُمَّ) : أَقْبِلْ وَتَعَال . وَ (الْمَشْرِفِيُّ)
بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالرَّاءِ هُوَ السَّيْفُ ، تُسَبُّ إِلَى الْمَشَارِفِ ، وَهِيَ قَرَى كَانَتْ السِّيُوفُ

(١) الخزائن ١ : ٤٥٩ .

(٢) انظر الإنصاف ٣٨٣ والأشمونى ١ : ١٥٧ والحماسة بشرح المرزوقي ٦٤٠ .

تُصَنَعُ فِيهَا . و (الفرائض) : جمع فريضة ، وهى الأسنان التى تصلح أن تؤخذ فى الصَّدَقَات . قال صاحب الصحاح : الفريضة ما فرض فى السائمة من الصَّدَقَةِ ، يقال أفرَضَتِ الماشيةُ ، أى وجبت فيها الفريضة ، وذلك إذا بلغت نصاباً . يقول : أبلغا هذا الرجل الذى جاء لأخذ الصدقات : تعال (١) فإن لك عندنا السيف بدلاً من الفرائض .

قال التبريزي : وهذا مأخوذ من المثل السائر : « تُحَذُّ من جذع ماعطاك » . وجذعٌ : رجل مُصَدِّقٌ ، فطلب منه فوق حَقِّه ، فقتله جذعٌ . (وإنَّ لنا حمَماً من الموت منقَعاً وإِنَّكَ مُخْتَلٌ فهل أنت حامضٌ) أى وقولا له : إنَّ لنا حمَماً ، بفتح المهملة ، وهو من النَّبات ماله ملوحة ومرارة . والخَلَّةُ ، بضم المعجمة : ما كان حلواً من النبات . تقول العرب : « الخلة تحبز الإبل ، والحمضُ (٢) فاكهتها » ، ويقال لحمها . ومنه قولهم للرجل إذا جاء متهدداً : « أنت مختلٌ فتحمض » . المختلُ : الذى يرمى الخلة . قال التبريزي : وما فى البيت مثل ؛ يقول : قد ملكت العافية والسَّلامة ، هلم إلى الشرِّ . والخلة مثل ضربه للحياة ، والحمض مثل ضربه للموت . يقول : إن ضاق صدرك من الحياة فأتنى مصدقاً فإننى أقتلك . والمنقع بزنة اسم المفعول : الثابت . يقال « انقع له الشرُّ حتى يسأم » ، أى أدِمهُ . (أظنُّكَ دونَ المالِ ذو جئتَ تبتغى ستَلَقاك يِيضُ للنفوسِ قوايضُ)

المال : الماشية ، ودون متعلق بأظنك لا بجئت ولا بتبتغى ، لأنَّ معمول

(١) ش : «يقال» ، تحريف مافى ط . وفى شرح الحماسة : « أقبل وتعال » .

(٢) ط : « والحمضة » ، صوابها فى ش .

الصلة لايتقدّم على الموصول ، وذو هو المفعول الثانى للظن ^(١) بمعنى الذى .
والبيض : السيوف . أراد التهكم ، وقد خلط به التوعّد والاستهانة ، ولذلك
قال : أظنك . وتبتغى جملة حالية ، ومفعوله محذوف ، والمعنى أحسبك الذى
جاء دون المال تبتغى صدقاته ، سترى ما أهين لك من سيوف تنتزع
الأرواح .

وقوال الطائى بفتح القاف وتشديد الواو : شاعر إسلامى فى آخر الدولة
الأموية ، وقد أدرك الدولة العباسية .

قوال الطائى

وقال هذه الأبيات فى مصدق جاء يطلب منهم إبل الصدقة . وسببها هو
مارواه أبو رياش (فى شرح الحماسة) قال : كان من خبر هذه الأبيات أن
معدان بن عبيد بن عدى بن عبد الله ، حدث أنه تزوّج امرأة من بنى بدر
بن فزارة ، قال : وكان شباب من بنى بدر يزوروننا ، فأدرك الثمار فاجتمعوا على
نبيذ لهم مع شباب منا ، فأسرع فيهم الشراب ، فوقع بينهم كلام ، فوثب
غلام منا فضرب شاباً من بنى بدر فشجّه فمات منها ^(٢) ، فقلت للبدرين :
لكم دية صاحبكم . فأبوا إلا أن يدفع الطائى إليهم ، وأبيت أن أفعل ، فأتوا
صاحب المدينة فى ذلك ، وكنا قد منعنا الصدقة حين وقعت الفتنة ، فكتب
أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عامل صدقة الخلفين : طيء
وأسد ، إلى مروان الحمار آخر ملوك بنى أمية ، يخبره بمنعنا الصدقة وقتلنا
الرجل ، فكتب إليه : أن سير إليهم جيشاً . وكتب إلى : أن مكّن البدرين من
صاحبهم ، وأدّ الصدقة ، وإلا فقد أمرت رسولى أن يأتينى بك ، وإن أبيت
أتانى برأسك ، ثم والله لأبيلن الخيل فى عرصاتك ! فأمرت بضرب عنق

خبر الأبيات

(١) ش : « لظن » .

(٢) وكذا عند التبريزى . والمراد : من الشجّة .

الرَّسُولُ . فَقَالَ الرَّسُولُ : إِنَّ الرَّسُولَ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنِّي لِأَسِيرٌ فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ طَيْئِ اسْتَحْيَاءَ ! فَقُلْتُ : قَدْ صَدَقْتَ ، وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : قُلْ لِمُرَّانٍ : آلَيْتَ تُبَيِّلَ الْخَيْلَ فِي عَرَصَاتِي وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ رَمْلُ عَالِجٍ ^(١) ، وَعَدِيدِ طَيْئِ حَوْلِي ، وَالْجَبَلَانِ خَلْفَ ظَهْرِي ، فَاجْهَدْ جَهْدَكَ ، فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ . وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ مُرَّانَ عَنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَأْيِ الْمَزَارِ
أَلَمْ تَرَ لِلْخِلَافَةِ كَيْفَ ضَاعَتْ إِذَا كَانَتْ بِأَبْنَاءِ السَّرَارِ
إِذَا كَانَتْ بِذِي حُمُقٍ تَرَاهُ إِذَا مَانَابَ أَمْرٍ ، كَالْحِمَارِ

٢٩٧

وَكُتِبَ إِلَيْهِ غَالِبُ بْنُ الْحُرِّ الطَّائِي :

لَقَدْ قُلْتُ لِلرَّكْبَانِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَمِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَالْقِبَائِلُ تَسْمَعُ
قَفُوا أَيُّهَا الرِّكْبَانُ حَتَّى تَبَيَّنُوا وَيَأْتِيَكُمُ الْأَمْرُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ
وَحَتَّى تَرَوْا أَيْنَ الْإِمَامُ وَتَشْعَبُوا عَصَا الْمُلْكِ إِذْ أَمْسَى وَبِالْمُلْكِ مَضِيعُ
أَرَى ضِيعَةً لِلْمَالِ أَنْ لَا يَضُمَّهُ إِمَامٌ وَلَا فِي أَهْلِهِ الْمَالُ يُودَعُ

فَكُتِبَ إِلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مَنِيعِ السَّعْدِيِّ مِنْ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، وَإِلَى أُمِيَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ : أَنْ سِيرَ بِأَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي وَقَيْسٍ وَغَيْرِهِمْ ، إِلَى مَعْدَانٍ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُ الصَّدَقَةَ وَتُقِيدُوا الْبَدْرِيِّينَ مِنْ صَاحِبِهِمْ ، وَأَوْطِئُوا الْخَيْلَ بِلَادَ طَيْئٍ وَائْتَوْنِي بِمَعْدَانٍ ! فَسَارَ أُمِيَّةٌ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَالْوَادِي ، مِنْ قَيْسٍ وَأَسَدٍ ، وَبَعَثَ إِلَى كُلِّ

(١) ط : « عاجل » ، صوابه في ش وشرح التبريزي للحماسة في مقطوعة أدهم بن أبي الزعراء

صاحبٌ دَخَلَ وَدِمْنَةَ^(١) يَطْلُبُهَا فِي طَيْيٍّ ، وَقَدَّمَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ الْحَرِيزُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حَمَلٍ ، مِنَ الضُّبَابِ ، وَثَارَتْ قَيْسٌ تَطْلُبُ النَّارَ مِنْ طَيْيٍّ . قَالَ مَعْدَانُ : وَكُنْتُ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى عَسْكَرِ أُمَيَّةٍ إِذَا جِبَالُ الْحَدِيدِ وَعَسْكَرٌ لَا يُرَى طَرَفَاهُ ، فَرَفَعَ طَيْيٌّ النَّارَ عَلَى أَجْأ فَاجْتَمَعُوا ، فَنَحَرُوا الْجُزُرَ وَعَمَلُوا مِنْ جُلُودِهَا دَرَقًا ، وَطَعَمُوا مِنْ لَحْمِهَا ، فَقُلْتُ : يَا بَنِي خَيْبَرٍ وَيَا مَعْشَرَ طَيْيٍّ ، هُوَ وَاللَّهِ يَوْمُكُمْ لِبَقَاءِ الدَّهْرِ أَوْ الْهَلَاكِ ، فَإِذَا وَقَعَ النَّبْلُ عِنْدَكُمْ فَقَبِّحَ اللَّهُ أَجْزَعَ الْفَرِيقَيْنِ ! فَصَافَفْنَاهُمْ فَرَمَوْا بِالنَّبْلِ ، ثُمَّ شَدَدْنَا عَلَيْهِمْ شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَمَا كَانَ إِلَّا سَيْفٌ أَوْسِيفَانٌ حَتَّى قُتِلَ الْحَرِيزُ وَسِرْحَانُ مَوْلَى قَيْسٍ ، وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي قَيْسٍ لِأَنَّهُمْ حَامَوْا عَنْ الْحَرِيزِ ، وَكَانَ يَلِي الْمَعَادِنَ^(٢) ، فَقَتَلَ مِنْ قَيْسٍ ثَلَاثَةَ ، وَانْهَزَمُوا أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ وَأَسْوَأَهَا ، فَأُيِّنَتْ بِأُمَيَّةٍ أَسِيرًا فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ ، وَأَتَيْتُ بِجَارِيَةٍ لَهُ فَأَلْحَقْتُهَا بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَنَادَيْتُ أَنَّ لَا يَتَّبِعُوا مُدْبِرًا وَلَا يُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَإِنَّ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ مِرْوَانُ لَفِي أَيْدِينَا مَا نَحْسَنُ أَنْ نَقْرَأَهُ ، وَجَدْنَاهُ فِي مَتَاعِهِ ، حَتَّى قَرَأَهُ بَعْضُ فَتْيَانِي إِذَا فِيهِ : اقْتُلْ وَاسْبِ . وَبِاللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَلِمْتُ مَا فِي الْكِتَابِ مَا أَفْلَتَ مِنْهُمْ صَبِيٌّ ! فَكَتَبَ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ إِلَى مِرْوَانَ يَخْبِرُهُ بِمَا صَنَعْتُ طَيْيٍّ مِنْ قَتْلِ الْحَرِيزِ وَسِرْحَانَ ، وَأَسْرَ أُمَيَّةٍ وَقَتْلَ ابْنِهِ ، وَمَالَقَيْتُ قَيْسَ ، وَمِنْ أَجَابِ دَعْوَتِهِ . فَوَجَّهَ مِرْوَانُ مِنْ عِنْدِهِ ابْنَ رَبَاحِ الْعَسَّائِي^(٣) فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَكَتَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى مِرْوَانَ بِقَتْلِ ابْنِ ضُبَارَةَ وَفُصُولِ قَحْطَبَةِ مَتَوَجِّهًا مِنَ الرِّى . فَقَالَ : مَا تَصْنَعُ

(١) الدمنة : الحقد الذى يدمن الصدر ويفسده .

(٢) المعادن : المواضع التى يستخرج منها جواهر الأرض ، والمشهور فى ذلك معادن القبلية من

نواحي الفرع بالمدينة .

(٣) فى شرح التبريزى : « ابن رباح » بالياء التحتية المثناة .

بشغل عشرة آلاف في قتال أعراب طييء ! فصرّفهم إلى ابن هيرة .
قال معدان : وكتبْتُ إلى قحطبة وبعثْتُ رسولاً فوافقه بهمدان (١)
والجيشُ بنهاوند ، فكتب إلى يسدّد رأيي ويصوب أمري ، ويُخبر أنه لو قدم
الكوفة بعث إلى جندا .

ثم كان من أمر قحطبة ما كان ، وقام أبو العباس السّفّاح فقَدِمت إليه
في مائتي رجل من طييء ، فأمر لي بعشرين ألف درهم وخِلعة ، وأمر
لأصحابي بثلاثمائة ثلاثمائة ، وخصّ قوماً نحواً من ثلاثين رجلاً بخمسمائة درهم
لكلّ رجل ، ولعشرة منهم بألف لكلّ رجل ، فوالله مارزانا مروان ولاجنده
ولا عمّالَه شاة ولا عبراً ، وإنّا لأوّل من نَقَم عليه ونَصَرَ آل محمد ، حتى انتهى
إلينا صاحبنا قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان ، ولجأ إلى يومئذ فراراً من
الحرب عبد العزيز بن أبي ذهل الجعفرى ، وكنا أحواله ، فقال عبد العزيز يمدح
معدان في قطعة :

وإنّ امرأ معدان في الحرب خاله إذا ما احتنى من دونه لمنيع (٢)
وقيل أشعار كثيرة في تلك الوقعة ، أورد بعضها أبو تمام في
الحماسة (٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثلاثمائة ، وهو من
أبيات سيبويه (٤) :

(١) ط : « بهمدان » ، صوابه في ش ، وهو بالذال المعجمة اسم للبلدة المعروفة لا للقبيلة .

(٢) ط : « ما احتنى » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح . وفي التبريزي : « احتنى » .

(٣) يشير إلى الأروزة البائية التي أولها :

قد صُبحت معن بجمع ذى لب قيسا وعُبدانهُم بالمنتهب

(٤) في كتابه ١ : ٢٢٢ .

٣٣٨ (ولا تجعلني ضيفي ضيف مقرب وآخر معزول عن البيت جانب)

على أنه يجوز القطع إلى الرفع في خبر نواسخ المبتدأ ، فإن جعل هنا بمعنى صير ، من نواسخ المبتدأ والخبر ، ينصبهما على المفعولية ، وضيفي المفعول الأول وهو في الأصل مبتدأ وهي مثنى مضاف إلى ياء المتكلم ، وضيف مقرب وآخر ، بتقدير وضيف آخر ، كانا في الأصل منصوبين على أنهما مفعول ثان لجعل ، وفريق بينهما بالعطف لأجل وصف كل منهما بصفة تغاير صفة الآخر ، فقطعاً من المفعولية إلى المبتدأ ، فيكون الخبر محذوفاً ، أي منهما ضيف مقرب ، ومنهما ضيف آخر إلخ . أو هما خبران لمحذوف ، أي أحدهما ضيف مقرب وثانيهما ضيف آخر إلخ . وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب على أنها المفعول الثاني لجعل .

قال سيويه بعد إنشاده هذا البيت : والنصب جيد كما قال الجعدي :

وكانت قشير شامتاً بصديقها وآخر مزرباً عليه وزاريا

قال الأخفش : يعنى النصب في ضيف على البدل . ورفع جانب بتقدير : هو

جانب .

أقول : صوابه النصب على أنه مفعول ثان لا على البدل ، وشامتاً في البيت نصب على أنه خبر كان . ولم يجعل الكلام تبعيضاً ، ولو رفع شامتاً لكان التقدير منهم شامت ، والجملة حينئذ خبر كان .

هجا قشيراً، وهي قبيلة من بني عامر، وكان بينه وبينها مهاجاة ، فجعل

منهم من يشمت بصديقه إذا نكب . وجعل بعضهم يرزاً بعضاً ^(١) ، للومهم واستطالة قويهم على ضعيفهم . وبنى مرزياً على تخفيف الهمزة ، ولو بناه على الأصل لقال مرزوءاً ^(٢) . وجانب بمعنى المجانب والمتنحى .

والبيت للعجير السلولى خاطب به امرأته . يقول لها : سوى بين صاحب الشاهد ضيفي في التقريب والإكرام ، ولا تكرمي بعضاً وتبيني بعضاً .

والعجير ، بضم العين المهملة وفتح الجيم ، كنيته أبو الفرزدق : وقال العجير السلولى الأمدى (في المؤلف والمختلف) : هو مولى لبنى هلال . ويقال هو العجير ابن عبد الله بن عبيدة ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن كعب . وأنهى نسبه إلى مرة بن صعصعة . قال : وهم سلول ^(٣) . انتهى .

وفي الأغاني ^(٤) : العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب ، ويقال ابن عبيدة بضم العين ، واسمه عمير ، من بنى سلول بن مرة بن صعصعة ، أخى عامر بن صعصعة . وأم بنى مرة سلول بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة ، غلبت عليهم وبها يعرفون . ويكنى العجير أبا الفرزدق ، وأبا الفيل . شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مُقِلٌ إسلامي . انتهى .

(١) ط : « يرمى بعضاً » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « مرزاً » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

وهذا كله لا يتسق الا مع رواية الشنتمري لآخر البيت : « مرزياً وآخر رازياً » والذي في نسخ سيبويه وكذا الديوان ١٧٨ : « مرزياً عليه وزارياً » ، من الزراية .

(٣) المؤلف ١٦٦ . وفي جمهرة ابن حزم ٢٧١ : « بنو مرة بن سلول — وهم أمهم — ابن صعصعة بن معاوية » . ثم قال : « سلول هذه بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة » . فبنو مرة هؤلاء هم بنو سلول .

(٤) الأغاني ١١ : ١٤٦ .

قال ابن السَّيِّد (في شرح أبيات الجمل) : عُجَيْر : اسمٌ منقول .
ويَحْتَمَلُ أن يكون مصغراً عُجْرَ من قولهم : عجر عنقه إذا لواها ، ويَحْتَمَلُ أن
يكون مصغراً مرخماً ، من أعجر ، وهو النَّاقِءُ السَّرة . وأمَّا سَلُولُ فاسمٌ
مرتجل غير منقول . انتهى .

٢٩٩

وله خيرٌ مع بنت عمِّه ، يأتي إن شاء الله تعالى في باب الجوازم ^(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلاثئة ، وهو من
أبيات سيبويه ^(٢):

٣٣٩ (فأصبحَ في حيثُ التقينا شَرِيدَهُم

طَلِيقٌ ومكتوفُ اليدين ومُزَعَفُ)

لما تقدّم في البيت الذي قبله ، من أنه يجوز القطع إلى الرفع في خبر
النواسخ ، فإنَّ أصبحَ هنا من أخوات كان ، وشريدَهُم اسمها ، وطلّيق ومابعد
كان في الأصل منصوباً على أنَّه خبر أصبح ، ففُطِعَ عن الخبرية وُفِعَ على أنَّه
مبتدأ وخبره محذوف ، أي منهم طليق ومنهم مكتوف إلخ ، أو خبر لمبتدأ
محذوف ، أي بعض الشريد طليق إلخ . والجملة في محلّ نصب على أنَّها خبر
أصبح ، ويجوز أيضاً النصب كما قال سيبويه ؛ فيقال طليقا ومكتوفا ومزعفا .
فإن قلت : أيجوز أن يكون طليق مقطوعاً عن الحالية ويكون خبر
أصبح قوله : في حيثُ التقينا ؟

قلت : لا يجوز معنىً ، فإنَّ المقصود تقسيم الشريد وتبيين أنواعه بما
ذكر ، لا أنه ذكر في موضع الالتقاء .

(والشريد) واحدٌ يؤدّي معنى الجمع ؛ لأنه واقعٌ على كلّ من شرّدته

(١) في الشاهد السابع والتسعين بعد الستائة ، وهو :

وما ذاك أن كان ابن عمي ولا أخى ولكن متى ما أملك الضر أنفع

(٢) في كتابه ١ : ٢٢٢ . وانظر ديوان الفرزدق ٢٩٩ .

الحرب ، فهو يعلم ما ذكر . قال الأخفش : يريد : أصبحوا منهم قتيلاً ومنهم مكتوف ، لا أن الشريد وحده اجتمع فيه مذكوره . وقال ابن خلف : لا يصح أن يكون في حيث التقينا خبر أصبح ، لأن ظرف الزمان لا يصح أن يكون خبراً عن الجئة . وهذا سهو ؛ لأن حيث للمكان ، لا للزمان . و(الشريد) : الطريد . و(الطلق) : الأسير الذي أطلق عنه إساره . والإسار ، بالكسر : القيد ، ومنه سُمي الأسير ، لأنهم كانوا يشدونّه بالقيد ، ثم سُمي كلُّ أخيد أسيراً وإن لم يشد به . و(المكتوف) من كتفت الرجل ، إذا شددت يديه إلى خلف بالكتاف . قال ابن دريد : الكتاف بالكسر : حبل يشد به وظيف البعير إلى كتفيه . و(المزغف) بالزاي المعجمة والعين : اسمٌ مفعولٍ من أزغفته . قال الأصمعي : أزغفته وازدغفته ، إذا أقعصته . يقال ضربه فأقعصه أى قتله مكانه . وقال الخارزنجي : أزغفت عليه ، إذا أجهزت عليه وتممت قتله . وقال الأعلام : رواه حملة الكتاب « مُزغِف » بكسر العين ، ومعناه : ذو زُعافٍ ، أى ذو صرّع وقتل ، وليس بجارٍ على الفعل . وقال ابن خلف : ورواه غيرهم بفتح العين ، من أزغفه الموت إذا قاربه ، وهو مأخوذ من قولهم : موت زُعاف وذُعاف ، أى مُعجل . انتهى .

وإلى هذا ذهب الشارح المحقق . قال الصّاغانى (فى العباب) : زغفه يزغفه زَعفاً من باب منع ، أى قتله مكانه . وسمّ زعاف وذُعاف بضم المعجمتين ، أى قاتل .

وهذا البيت من قصيدة طويلة ، عدتها مائة وخمسة وعشرون بيتاً ، صاحب الشاهد للفرزدق ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١) .
وهى قصيدة افتخارية هجا فى آخرها . ومنها وهو قبل البيت :

(وأضياف ليل قد نقلنا قِراهمُ إلينا فأتلفنا المنايا وأتلفوا
قريناهم الماثورة البيضَ قبلها يُثجُّ العروق الأزانى المثقف
فأصبح في حيث التقينا شريدهم البيت)

قوله : وأضياف ليل ، الواو واو ربّ ، والأضياف هنا كناية عن الأعداء
الهاجمين عليهم ليلاً . قال الصغاني في مادة تلف ، وقد أورد هذا البيت :
هؤلاء غَزَى غَزَوْهم . يقول : فجعلناهم تلفاً للمنايا ، وجعلونا كذلك ، أى
وقَعنا بهم فقتلناهم ، أى صادفنا المنايا مُتلفة وصادفوها كذلك ، كما تقول :
أتينا فلاناً فأبخلناه وأجبناهُ ، أى صادفناه كذلك . انتهى .

فألهمة في أتلَفنا للوجدان . وغَزَى في كلامه : جمع غازٍ مثل قاطن
وقَطِين ، وحاجّ وحجيج . أو هو بضم الغين وتشديد الزاى المفتوحة : جمع
غازٍ أيضاً ، كسابق وسُبُق .

وقوله : « قريناهم الماثورة » إلخ يقال قرئت الضيف قرى ، أى أحسنت
إليه . وهذا من قبيل الاستعارة التهكمية . قال صاحب الصحاح : الماثور :
السيف الذى يقال إنه من عمل الجن . قال الأصمعي : وليس من الأثر
الذى هو الفرند . والبيض : السيف أى البيض الماثورة . ونَجَعَت الماء والدَّمَ
بالجيم ، إذا سِيلته ، فالعروق مفعولٌ بتقدير مضاف ، أى دم العروق . والأزانى
فاعل . قال صاحب الصحاح : ذو يَزَنَ ملكٌ من ملوك حمير تنسب إليه
الرُمَاح اليزنية ، يقال رمح يَزَنِيٌّ وَأَزْنِيٌّ وَيَزَانِيٌّ وَأَزَانِيٌّ . والمثقف : المعدل .
والتثقيف : التعديل . وقوله : « قبلها » ، أى قبل الماثورة البيض . يقول :
طاعناهم بالرُمَاح قبل أن جالدهم بالسيف .

وفي هذه القصيدة شاهد آخر يأتي شرحه إن شاء الله تعالى في باب العطف (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد الثلاثة :

٣٤٠ (كَأَنَّ حُمُولَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ ثَلَاثَةٌ مُكَلِّبٌ مُتَطَارِدَانِ)
على أَنَّ بعضهم أجاز وصفَ البعض دون بعض ، محتجاً بهذا البيت .
لم أر هذا البيت إلا في (كتاب المعايمة للأخفش) ، وهو على طريقة
أبيات المعاني . ونصّه : قال بعضهم : إِنَّ هذا شعر وُضِعَ على الخطأ ليعلم
الذي يسأل عنه كيف فهمُ مَنْ يسأله . وقال بعضهم : لا ولكنه وصف أحد
اثنين منها وأخبر عنهما بتطارد ، وأجاز مررت برجلين صالح ، وصف أحد
الرجلين وكفَّ عن الآخر ، ومررت بثلاثة رجالٍ صالحين . ولايقول هذا كلُّ
أحد . وقد يحتمله القياس . انتهى كلامه .

ويجوز أن يقرأ (متطاردان) باسم الفاعل ، وأن يقرأ (يتطاردان)
بالمضارع . وعلى كلٍّ منهما هو وصفُ ثلاثة لكنّ بإلغاء واحدٍ منها . ويشبه
هذا قول جرير :

صارت حنيفةً أثلاثاً فثُلُثُهُمْ من العبيد وثُلثٌ من موالها
قال ابن السيد (في شرح كامل المبرد) : هذا مما عيب عليه ، لأنّه لم يذكر
الثالث .

قال الآمدي : لَمَّا قال جرير هذا البيت قيل لرجل من بني حنيفة :
من أيّ الأثلاث أنت ؟ قال : من الثلث الملعّى . انتهى .
وأراد جريرٌ بالثلاث المتروك أشرافهم وترك الثالث عمداً ، لأنّه في مقام

الذم لا يثبت لهم أشرفاً صراحة . و (الحمول) بضم الحاء المهملة والميم ، هي الإبل التي عليها الهودج ، كذا (في العباب) . و (استقلّت) : ارتفعت . واستقلّ القوم : ارتحلوا ومضوا . و (التطارد) ، و (المطاردة) : أن يحمل بعضهم على بعض في الحرب . و (أكلب) : جمع كلب ، جمع قلة .

وفي هذا البيت مبالغة من الهجو ، فإنّ الإبل التي يعدونها عندهم كثيرة عدتها ثلاثة لا غير ، وإنها صغيرة في الجثة جداً ، حتّى إنّها مع ما عليها في مقدار جرم الكلاب ، وإنها ليس عليها ما يثقلها ^(١) من الأثاث والمتاع ، ولذلك تطاردت لحفة ما عليها ، وإنّ بعضها هزيل جداً لا يقدر على الطراد . هذا ماسنح لى ^(٢) ، والله أعلم .

٣٠١

* * *

وأنشد بعده :

(وياؤى إلى نسوة عطّل وشعثاً مراضيع مثل السعالى)
على أنّ الأعراف مجيء نعت النكرة المقطوع بالواو .

وتقدّم عن الشارح في الشاهد الثالث والخمسين بعد المائة ^(٣) أنّ شعثاً منصوب على الترحم . قال سيبويه : كأنّه حيث قال نسوة عطّل صيرن عنده ممن علم أنّهن شعث ، ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنّ وتشويهاً . قال الخليل رحمه الله : كأنّه قال : وأذكرهنّ شعثاً ، إلا أنّ هذا فعل لا يستعمل إظهاره . وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونس أنّ ذلك أكثر ، كقولك : مررت يزيد أخيك وصاحبك . انتهى

(١) ش : « ليس عليها مما يقلها » .

(٢) ش : « سنح الى » .

(٣) الخزائن ٢ : ٤٢٦ .

وفاعل يأوى ضمير الصيَّاد ، أى يأتى مأواه ومنزله إلى نسوة بعد أن ذهب إلى الصيد ، فيجدهنَّ فى أسوأ الحال . وعُطِّل : جمع عاطل ، أى لاشيء عندها . والشُّعْتُ : جمع شَعَثاء ، وهى المتغيِّرة من الجوع ونحوه .
وتقدِّم شرحه هناك مفصلاً فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد س (١) :

٣٤١ (لا يُبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ)

على أنه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو ، كما يجوز قطع نعت النكرة بها . فقولها : والطيبون ، نعتٌ مقطوع بالواو من قومي للمدح والتعظيم ، بجعله خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الطيبون . وإثما حكم بالقطع مع أنه مرفوع كالمنعوت وهو قومي ، لقطع النازلين قبله ، لما ذكرنا أيضاً ، بجعله منصوباً بفعل محذوف تقديره أعنى أو أمدح ونحوهما . والعرب إذا رجعت عن شيء لم تُعَدَّ إليه .

وقال ابن السكيت (فى أبيات المعاني) : قال ابن الأعرابي : النازلين تابع لقومي على المعنى ، لأنَّ معناه النصب ، كأنه قال : لا يُبْعَدُ الله قومي .

قال سيبويه (فى باب ما ينتصب على التعظيم والمدح) : وإن شئت جعلته صفةً فجرى على الأول ، وإن شئت قطعت فابتدأته ، وذلك قول الله عز وجل :

(١) فى كتابه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٨٨ . وانظر الجمل ٨٢ واحتسب ٢ : ١٩٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٤ والإيضاح ٤٦٨ ، ٧٤٣ والعينى ٣ : ٦٠٢ / ٤ : ٧٢ والتصريح ٢ : ١١٦ ، ٢٠٤ والهمع ٢ : ١١٩ والأشمونى ٣ : ٦٨ ، ٢١٤ .

(لَكِنَّ الرَّاَسَخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ^(١)) ﴿ ١ 〉 . فلو كان كلُّه رفعا كان جيِّداً . فأما المؤتون فمحمول على الابتداء . وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ^(٢) 〉 ﴿ ٢ 〉 إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ^(٣) 〉 ﴿ ٣ 〉 . فلو رَفَعَ الصَّابِرِينَ عَلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ كَانَ جَيِّداً ، ولو ابتداءً فرفعه على الابتداء كان جيِّداً كما ابتدأت : وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ . ونظيرُ هذا من الشُّعْر قولُ الْخَزَنَتِيِّ :

* لَا يَعْدُنُ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ * (البيتين)

فرفعُ الطَّيِّبِينَ كرفعِ الْمُؤْتِينَ . ومثْلُ هذا في الابتداء قول ابن حَمَّاطِ الْعُكْلِيِّ ^(٤) :

وَكُلُّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ مُرْشِدِهِمْ إِلَّا نَمِيراً ، أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا ^(٥)
الظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يُظْهِرُوا أَحَدًا وَالْقَاتِلُونَ لَمَنْ دَارَ نَخْلِيهَا

٣٢

وزعم يونس أَنَّ من العرب من يقول : النازلون بكلِّ معترك والطَّيِّبِينَ ، ومن العرب من يقول : الظَّاعِنُونَ والقَاتِلِينَ ، فنصبهُ كَنَصْبِ الطَّيِّبِينَ ، إِلَّا أَنَّ هذا شتمٌ لهم وذمٌّ كما أَنَّ الطَّيِّبِينَ مدحٌ لهم وتعظيمٌ . وإن شئتَ أُجريت هذا كُلُّه على الاسمِ الأوَّلِ ، وإن شئتَ ابتدأته جميعاً فكان مرفوعاً على

(١) النساء ١٦٢ .

(٢) البقرة ١٧٧ .

(٣) واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس .

(٤) في سيبويه : « ابن خياط العكلى » . وانظر الإنصاف ٤٧٠ .

(٥) ط : « إلا نمير » ، صوابه في سيبويه والانصاف .

الابتداء . كل هذا جائزٌ في ذين البيتين وما أشبههما . انتهى كلام سيوييه .

وقال الزجاج : اختلف الناس في إعراب المقيمين فقال بعضهم : هو نَسَقٌ على ما ، المعنى : يؤمنون بما أنزل إليك وبالمُقيمين الصلاة ، أى يؤمنون بالبنيين المقيمين الصلاة . وقال بعضهم : نَسَقٌ على الهاء والميم ، المعنى : لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك . وهذا عند النحويين ردى ، لا ينسَقُ بالظاهر على المضمر إلا في شعر . وذهب بعضهم إلى أن هذا وهمٌ من الكاتب . وقال بعضهم : في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها . وهذا القول عند أهل اللغة بعيدٌ جداً لأنّ الذين جمعوا القرآن أصحابُ رسول ﷺ ، وهم أهلُ اللغة وهم القدوة ؛ وهم الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وجمَعوه . وهذا ساقط عنم لا يعلم بعدهم ، وساقطٌ عنم يعلم ، لأنهم يقتدى بهم ، فهذا مما لا ينبغي أن يُنسب إليهم . والقرآن محكمٌ لالحن فيه حتّى (١) يتكلّم العرب بأجود منه في الإعراب . ولسيوييه والخليل وجميع النحويين في هذا بابٌ يسمونه باب المدح ، قد بينوا صحّة هذا وجودته .

قال النحويون : إذا قلت مررت بزيد الكريم وأنت تريد أن تخلّص زيدا من غيره فالخفض هو الكلام ، حتّى تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم . وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت وإن شئت رفعت . وجاءنى قومك المطعمين في المحل والمغثون في الشدائد ، على معنى أذكر المطعمين وهم المغثون . وعلى هذا الآية ؛ لأنّه لما قال : بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك علم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، فقال : والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة

(١) ط : « بشيء » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

على معنى : أذكر المقيمين ، وهم المؤتون . وأنشدوا يت خرنق بنت هفان :
لايعدن قومي الذين هم ، البيتين ، على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ،
رفعه ونصبه على المدح . وبعضهم يرفع النازلين وينصب الطيبين ، وكله واحد
جائز حسن . انتهى .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : القطع لكونه بتقدير الجملة أبلغ من
الإتياع لكونه مفرداً . قال فى سورة فاطر : قرأ الضحّاك : ﴿ الحمد لله فطرَ
السّموات ﴾ (١) . وهذا على الثناء على الله سبحانه وذكر النعمة التى استحق
بها الحمد . وأورد ذلك فى الجملة التى هى جعل بما فيها من الضمير ، فكان
أذهب فى معنى الثناء ، لأنّه جملة بعد جملة . وكلما زاد الإسهاب فى الثناء أو
الذم كان أبلغ (٢) . ألا ترى إلى قول خرنق :
* لايعدن قومي الذين هم * (البيتين)

ويروى النازلون والطيبون ، والنازلين والطيبون ، والنازلون والطيبين . والرفع
على هم والنصب على أعنى ، فلمّا اختلفت الجمل كان الكلام أفانين
وضروباً ، فكان أبلغ منه إذا ألزم شرجاً واحداً (٣) . فقولك : أثنى على الله
أعطانا فأعنى ، أبلغ من قولك : أثنى على الله المعطينا والمغنين ؛ لأنّ معك هنا
جملة واحدة ، وهناك ثلاث جمل . ويدلّك على صحة هذا المعنى قراءة الحسن :

٣٠٣

(١) الآية الأولى من سورة فاطر . وهى قراءة الضحّاك والزهرى كما فى تفسير أبى حيان ٧ :
٢٩٧ . وفى هامش ش : « الحمد لله فاطر » ، وهى قراءة الجمهور .

(٢) فى المحتسب : « كان أبلغ فيهما » .

(٣) ط والمحتسب : « شرحا » بالخاء المهملة ، صوابه بالجيم كما فى ش . يقال هما شرح واحد
وعلى شرح واحد ، أى ضرب واحد .

﴿جَاعِلٌ﴾ (١) الملائكة بالرفع. فهذا على قولك: هو جاعل الملائكة. ويشهد به أيضاً قراءة خُليد بن نُشَيْط (٢): «جَعَلَ الملائكة». قال أبو عبيدة: إذا طال الكلام خرجوا من الرفع إلى النصب ومن النصب إلى الرفع. يريد مانحن عليه، لتختلف ضروبه وتباين تراكيبه. هذا كلامه.

وقد أوردته سيبويه (في باب الصفة المشبهة) أيضاً، على أن معاقدة منصوب بقوله: الطيِّبون على التشبيه بالمفعول به، وليس مفعولاً به، لأنَّ عامله غير متعَدٍّ، ولا تمييزاً كما زعم الكوفيون، لأنَّه معرفة. فإن قيل: يكون تمييزاً من باب حسن الوجه المنوى به الانفصال، فيكون نكرة.

أجيب بأنَّه ليس منه في شيء، إنما إضافته من باب إضافة المصادر أو الأمكنة إلى ما بعدها، كقيام زيد ومقام عمرو، فإنَّ إضافتهما معنوية.

وقولها: (لايَعْدَن) معناه لا يهلكن، وهو دعاء جاء بلفظ النهى. ويَعْدَن فعل مستقبل مبنى مع نون التوكيد الخفيفة، وموضعه جزم بلا الدعائية وقومى فاعله، يقال: يَعِدُ من باب فرح إذا هلك. وإما الذى هو ضد القرب فهو بَعْدَ يبعد بضم العين فيهما، ومصدره البُعْد، وقد يستعمل فى الهلاك أيضاً لتداخل معنييهما، كقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا يَبْعَثُ ثَمُودُ﴾ (٣).

قال اللخمي (في شرح أبيات الجمل): واسم الفاعل منهما جميعاً بعيدٌ، استويا فيه كما استويا فى المصدر، تقول: بَعُدَ وَبَعْدَ بُعْدًا وَبَعْدًا. وقال ابن السِّيد (في شرح أبيات الجمل): فإن قيل: كيف دعت لقومها بأن لا يهلكوا وهم قد

(١) وقراءة الجمهور «جاعل» بالجر، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٩٧.

(٢) نشيط، بضم النون فى ش واخْتَسَبَ.

(٣) الآية ٩٥ من سورة هود.

هلكوا ؟ فالجواب أَنَّ العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ، ولهم في ذلك غرضان : أحدهما أَنَّهُم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدّقون بموته . وقد بيّن هذا المعنى زهير بن أبي سلمى بقوله :

يقولون : حصنٌ ، ثم تأبى نفوسُهُم وكيف بحصن والجبال جنوحٌ
ولم تَلْفِظِ الموتى القبورَ ولم تُزَلْ نجومُ السَّماء والأديمُ صحيحٌ

يريد أنهم يقولون : مات حصن ، ثم يستعظمون أَن ينطقوا بذلك ويقولون : كيف يجوز أن يموت والجبال لم تنسف ، والنجوم لم تنكدر ، والقبور لم تُخرج موتاهها ، وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث ؟!

والغرض الثاني أَنهم يريدون الدعاء به بأن يبقى ذكره ولا يذهب ، لأنَّ بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . ألا ترى إلى قول الشاعر ^(١) :

فأثّروا علينا لأبأ لأبيكمُ بأفعالنا إنَّ الثناء هو الخلدُ
وقال آخر يرثي يزيد بن مَزَيْدِ الشيباني ^(٢) :

فإن تك أفتته الليالي فأوشكت فإن له ذكراً سيفنى الليالي
وقال المتنبي وأحسن :

ذكر الفتى عُمره الثاني ، وحاجته مافاتهُ ، وفُضُولُ العيش أشغالُ
وقد بيّن مالك بن الرِّيب المازني ^(٣) مافي هذا من المُحال ، من قصيدة تقدّمت :
يقولون لا تبعُدْ وهم يَدْفِنُونَنِي وأين مكان البُعْدِ الإمكانيا

(١) هو الحادرة ، كما في البيان ٣ : ٣٢٠ . وانظر حواشي البيان .

(٢) ط : « بن يزيد » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « المزي » ، صوابه في ش . وانظر الخزنة ٢ : ٢١٠ .

٣٠٤ :

وقال الفرار السُّلمى

ماكان يَنْفَعْنى مقال نسائهم وَقُتِلْتُ دونَ رجالهم لاَتَبْعِد
 وقولها : (سُمُّ العداة) الخ ، السم معروف ، وسينه مثله . و(العداة) :
 الأعداء جمع عاد ، كقضاة جمع قاض ، حكى أبو زيد : أشمت الله عادِيكَ
 أى عدوك . ولايكون العداة جمع عدو ؛ لأنَّ عدُوَّ فَعُول ، وفَعُول لايجمع على
 فُعْلة إنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام . والأعداء : جمع عدو ، أجروا فَعُولاً
 مجرى فعيل ، كشریف وأشراف . وقد جمعوا أعداءً على أعادى . و (الآفة) :
 العلة . و (الجزر) بضم فسكون : جمع جزور ، والأصل بضميتين ، كرسول
 ورسل ، فسكن الثانى تخفيفاً . والجزور هى الناقة التى تُنحر . فإن كانت من
 الغنم فهى جَزرة بفتحيتين . وصفتهم أولاً بالشجاعة والنجدة ، وأنهم يقتلون
 أعداءهم كما يقتلهم السم . وثانياً بالكرم ونحر الإبل للأضياف ، فكأنهم آفة
 للإبل تصيبها فتهلكها . قال ابن السِّيد : فإن قيل : كيف قالت الذين هم ،
 وإنما يليق هذا بمن هو موجود ، وإنما كان ينبغى أن تقول كانوا ، كما قال
 الآخر :

كانوا على الأعداء نارَ محرَّق ولقومهم حرماً من الأحرام (١)
 فالجواب عنه من وجهين : أحدهما أنَّ العرب كانت تَضُمُّن (٢) كان ، اتكالاً
 على فهم السامع ، كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ
 سليمان (٣) ﴾ ، قال الكسائى : أراد ما كانت تتلو . وثانيهما أنها إذا دَعَتْ
 ببقاء الذكر بعد موتهم صاروا كالموجودين ، وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه .
 وقولها : (النازلين) الخ ، قال ابن خلف : يجوز فى النازلين والطينيين

(١) ط : « نارا محرقا » تحريف ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « تضمير » مع أثر تصحيح .

(٣) البقرة ١٠٢ .

أربعة أوجه: رفعهما ، ونصبهما ، ورفع أحدهما مع نصب الآخر مقدّماً ومؤخراً ، على القطع ، غير أنّك إن رفعتهما جاز أن يكونا نعتين لقومى ، فيكون الرفع لهما رافع قومى بعينه ، والكلام جملة واحدة ، وجاز أن يكونا مقطوعين فى التقدير بإضمار مبتدأ ، فيكونا جملتين . والرافع والنّاصب المقدّران ^(١) لايجوز أن يظهر واحدٌ منهما لفظاً ، إنما يكون مُقدّراً أبداً منوياً ، وامتناعُ إظهاره إشعارٌ باتّصاله بما قبله وتشبيهه به ، فلو ظهر أمكن أن يكون جملةً قائمة بنفسها مستقلة ، وليس الغرض ذلك . ويجوز أن يكون الطيّون معطوفاً على سَمّ العداة وآفة الجزر ، وأن يكون على الضمير فى النازلين . ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ كما ذكر فى الكتاب . ولايجوز أن يكون النازلون رفعاً صفةً لمجموع قومى وسَمّ العداة ، لاختلاف العاملين .

فإن قيل: هل الأقيس ^(٢) أن يكون نعتاً لقومى أو لسَمّ العداة ؟ فالجواب : لقومى ، لأنه محض الاسم ، فهو أولى بالوصف من الصفة . انتهى وإنما كان سَمّ صفة لتأويله بالقاتل .

ثم قوله : وفى نصب النازلين اختلاف ، فالزجاجى يذهب إلى أنه نصب على إضمار أعنى ، وعلى قياس قول سيبويه نصبٌ على المدح — ساقط ؛ إذ لا اختلاف معنى ، فإنّ هذا ونحوه منصوب على المدح سواء قدر أمدح أو أعنى أو نحوهما .

والباء فى (بكل) ظرفية متعلّقة بالنازلين . و(المعترك) ، وكذلك المعرك كجعفر ، والمعركة : موضع القتال . وهذا مشتقٌّ من عَرَكَتِ الرِّحَا ^(٣) الحبّ ،

(١) ط : « المقدرين » صوابهما فى ش .

(٢) ش : « فان قيل فالأقيس » .

(٣) الرّحَا ، تكتب بالألف وبالياء . وفى اللسان : « الرّحَا معروفة وتشتبها رحوان . والياء أعلى » .

إذا طحنته . أرادوا أن موضع القتال يطحن كما تطحن الرّحاً ما يحصل فيها ،
ولذلك سمّوه رَحاً . قال عنترة :

* دارت على القوم رَحاً طَحُونُ *

وقد بيّن ذلك زهير بن أبى سُلمى بقوله :
فتمرككُم عركَ الرّحَا بثِفَالِهَا وتَلَقَّحَ كِشَافاً ثم تحمل فتَقْطُمُ (١)
وقولها : (النازلين بكلُّ مُعْتَرَك) يعنى أنّهم ينزلون عن الخيل عند ضيق
المُعْتَرَك فيقاتلون على أقدامهم ، وفى ذلك الوقت يتداعون : نَزَال ! كما قال ربيعة
بن مقروم الضبّى (٢) :

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طرادِها بسليم أوظفةِ القوائم هيكِل
فدَعَوْا نَزَالِ فكنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وعلَامَ أركبه إذا لم أنزل
وقال ابن السّيد : النزول فى الحرب على ضربين : أحدهما ما ذكر ، والثانى
فى أول الحرب ، وهو أن ينزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلهم (٣) . قال
الليثى : وإنما ينزلون عن الإبل إلى الخيل فى الغارات ، يقودون خيولهم
ليُحَوِّها ؛ ويركبون إبلهم ، فإذا قربوا من عدوّهم وأغاروا نزلوا عن إبلهم إلى
خيلهم ، مخافة أن يتّبعوا فيدركوا . وزعم ابن سيده فى نزولهم إنما هو من الإبل
إلى الخيل . وليس كذلك .

وفى قولها : (النازلين) إلخ إشارة إلى أن حالهم فى القتال على الخيل كحالهم

(١) كذا وردت الرواية هنا ، ولم أجدها فى مرجع آخر . وفى هامش ش : « ترضع » مقرونة
بالرمز « صح » . ويروى : « ثم تنتج » .

(٢) من الحماسية التاسعة بشرح المازوق ٦١ .

(٣) ش : « ويركبوا » فقط بسقوط : « خيلهم » .

في القنال على الأقدام ، وأنهم لا يكفون عن النزول ^(١) ، إذ أحوال الناس في ذلك مختلفة ، ولا ينزل في ذلك الموضع إلا أهل البأس والشدة . ولذلك قال مهلهل : لم يطبقوا أن ينزلوا فنزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا وقولها : (والطيبون) أرادت أنهم أعفَاء في فروجهم ؛ لأن العرب تكنى بالشيء عما يحويه أو يشتمل عليه ، كقولهم : ناصح الجيب ، يريدون الفؤاد ، فكنا عنه بالجيب الذي يقع عليه أو قريباً منه . تقول : لا يحلثون أزهرهم على ماليس لهم . قال اللخمي : وقال ابن خلف : إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج ، يراد أنه لا يعقد إزاره على فرج زانية . وكذلك طهارة الذيل . وإذا وُصِفَ بطهارة الكمّ أو الرُدن وهو الكمّ بعينه ، أرادوا أنه لا يسرق ولا يخون . وإذا وصفوه بطهارة الجيب أرادوا أن قلبه لا ينطوى على غش ولا مكر . وقد يكونون عن عفة الفرج بطيب الحُجرة ، كما قال النابغة :

* رفاق النعال طيب حُجَرَاتِهِم *

(والمعاقد) إما جمع مَعْقِد بكسر القاف ، وهو موضع العَقْد ، وإما جمع مَعْقَد بفتحها وهو مصدر ميمي . قال اللخمي : المعاهد الحُجَز . والحجرة بضم المهملة وسكون الجيم بعدها زاي معجمة ، وهي حيث يثنى طرف الإزار في لَوْتُ الإزار أى طيّه . وحكى ابن الأعرابي حُرّة بضم المهلة وتشديد الزاء ، كما ينطق بها العامة . وقيل المعاهد للأزُر ، والحُجَز للسراويلات . والحُجَز للعَجَم وملوك العرب كما قال النابغة ، والمعاهد للعرب لأنها لا تكاد تلبس إلا الأزُر ؛ وهو جمع إزار ، وسكن الزاء أيضاً تخفيفاً والأصل ضمها . والإزار عند العرب : ماستر النصف الأسفل من الإنسان ، والرداء : ماستر النصف الأعلى منه .

(١) يكفون : يجبنون . وفي ط : « يكفون » ، صوابه في ش .

ولبس السراويل عند العرب نادر . يروى أَنَّ أعرابيا مرَّ بسراويل مُلقاةٍ
فظنَّها قميصا ، فأدخل يديه فى ساقها وأدخل رأسه فلم يجد منفذاً ، فقال :
مأظنُّ هذا إلّا من قُمَصِ الشَّيَاطِين ! ثم رماها .

٣٠٦

وهذان البيتان من قصيدة لخريق بنت هِفَان ، رثت بها زوجها بشر بن صاحب الشاهد
عمرو بن مرثد الضُبَعِيّ ، وابنها علقمة بن بشر ، وأخويه حسان وشرحبيل ،
وَمَنْ قُتِلَ معه من قومه ، وكان بشرٌ غزا بنى أسد بن خُزَيْمة هو وعمرو بن عبد
الله بن الأشْل ، وكانا متساندين : بشرٌ على بنى مالك وبنى عتاب بن ضبيعة ،
وعمرو على بنى مالك وبنى رُهم . ومعنى التساند والمساندة أن يَخْرُجَ كُلُّ
رجل على حِدَّتِهِ وانفراده ، ليس لهم أميرٌ يجمعهم . فأغار على بنى أسد
فتقدّمهم بنو أسد إلى عَقَبَةٍ يقال لها قُلاب ، فقتل بشر بن عمرو وبنوه ، وفرَّ
عمرو بن عبد الله بن الأشْل فسمى ذلك اليوم يوم قلاب (١) . كذا قال ابن
السيد واللّخمى .

وبعد البيتين :

لَعَطًا من التَّأْيِيهِ والزَّجْرِ	قومٌ إذا ركبوا سَمِعَتْ لهم
بِمَنَائِحِ المُهُرَاتِ والمُهِرِ	فى غيرِ ما فُحِشَ يُجاء به
يتواغظوا عن مَنَطقِ الهُجْرِ (٢)	إن يشربوا يَهْبُوا وإن يَذُرُوا
وذوى الغنى منهم يذى الفقرِ	والخالطين نَحِيَتَهُم بُنْضارهم
فإذا هلكَتْ أَجَنَّتْى قبرى	هذا ثنائى ما بقيتُ عليهم

(١) قلاب ، بالضم : جبل فى ديار بنى أسد . وانظر لهذا اليوم معجم البلدان .

(٢) ط : « وإن يزدوا » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والعينى ٣ : ٦٠٣ .

واستدلّ بعضهم بهذه الأبيات على أنّ ماتقدّم دعاء لمن بقى من قومها ، أى لأبعد الله من قومي كبعد من مضى منهم .

ويردّ عليه قولها فى القصيدة :

لاقوا غداة قلاب حتفهم سوق العتير يساق للعتّر

واللّغظ بفتح المعجمة وسكونها : الأصوات المختلطة . والتأنيه : الدّعاء . يقال أيّئت بالرجل ، إذا دعوته ، وأيّهت بالفرس . وفى الحديث : « أنّ ملك الموت سئل : كيف تقبض الأرواح ؟ فقال : أويّه بها كما أويّه بالخيّل فتجىء إلى » .

وقولها : فى غير مافحش لملخ ، مازائدة . قال ابن السكيت : تقول يزجرونها بعفاف من ألسنتهم ، لايدكرون الفحش فى الزجر .

وقولها : إن يشربوا يهبوا ، ليس بمدح تامّ ، لأنّها جعلت العلة فى كرمهم شرب الخمر . وقد عيب على طرفه قوله :

فإذا ما شربوها وانتشروا وهبوا كلّ أمونٍ وطيرٍ

وعيب على حسنّ قوله :

ونشرها فتركنا ملوكاً وأسدّاً ماينهنهنّ اللقاء

وقد قال البحتريّ فى هذا فأحسن :

تكرّمت من قبل الكئوس عليهم فما اسطعن أنّ يُحدثنّ فيك تكرّماً

وأول من نطق بهذا امرؤ القيس فى قوله :

سماحة ذا وبرّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

فاخبر أنه جوادٌ فى الحالين جميعاً : فى حال الصَّخْر وفى حال السُّكْر . وهذا هو المدح التام . ثم اتَّبعه زهير فقال :
 أخوثر ثِقَةً لا تُتْلَفُ الخمرُ ماله ولكنَّه قد يُهلك المالَ نائلةً
 والهجر بالضم : الكلام القبيح .

٣٠٧

وقولها : والخالطين نخيتهم إلخ ، التَّحيت بفتح النون وكسر المهملة : الخامل الساقط الذكر . والتُّنْضار بضم النون بعدها ضاد . معجمة : الخالص التَّسبب العزيز الشَّهير . يقول : إنهم خلطوا خاملهم برفيعهم ، وفقيرهم بغنيهم ، فاكْتَسَبُوا منهم الغنى والخصال الحميدة ؛ فليس فيهم خامل ولا فقير . ومثله قول زهير :
 على مُكْثَرِيهِمْ حَقٌّ من يعترِبُهُمْ وعند المُقْلِينَ السَّماحةُ والبذلُ
 وهذا البيت وقع فى شعر حاتم الطائى^(١) ، قال أبو عبيدة : والصواب أنه لخرنوق .
 والعروض فى هذا البيت على متفاعلين تامَّة ؛ وهى فى جميع الأبيات على فَعْلُنْ حَذَاء ، ولا يجوز ذلك . والشعر من الضرب الرابع من الكامل .
 وقولها : فإذا هلكت إلخ ، أَجَنَّتْنِي : سَتَرْنِي . قال ابن السَّيِّد : كلامٌ لافائدة فيه على ظاهره ، والمعنى فإذا هلكت قام عُذْرِي فى تركى الثناء عليهم لهلاكى ، فهو مما وضع السبب فيه موضع المسبَّب^(٢) .
 وقولها : لا قَوْراً غداة إلخ ، الحُتْف : الهلاك . وسَوَّقَ مفعول مطلق ، أى سيقو إلى الحُتْف سوقاً كسَوَّقَ العتير ، وهو بفتح العين المهملة وكسر المثناة الفوقية : ما يُذْبَح للأصنام فى رَجَب فى الجاهلية ، تعظيماً لأصنامهم .
 والعُتْر ، بفتح العين المهملة : ذبح العتيرة ، فهو مصدر .

(١) من مقطوعة فى ديوانه ١٦١ عدتها ستة أبيات أولها :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتى فحلّى فى بنى بدرٍ

(٢) ش : « فى موضع المسبَّب » .

وقلاب يضم القاف وتخفيف اللام وآخره باء موحدة ، قال أبو عبيد
 البكرى (فى معجم مااستعجم) : هو جبلٌ من محلة بنى أسد على ليلة . وفى
 عَقَبَة قلاب قتلت بنو أسد بشر بن عمرو ، زوج خرنق ، وابنها منه علقمة بن
 بشر فقالت (١) :

مُنْتُ لهم بوائلة المنايا بحرف قلاب للحن المسوق (٢)

ثم إن بنى ضبيعة أصابوا بنى أسد بهرشى وأدركوا بثأرهم ، فقال وائل
 بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد :

أبى يوم هَرْشَى أدرك الوترَ فاشتفى يوم قلاب والصُروفُ تدورُ
 انتهى . ومُنْتُ أصله مُنيت ، أى قُدِّرَت المنايا لهم ، فحذفت الياء .

وهو آخر بيت من أبيات ، وهى :

لا وأبيك آسى بعد بشرى على حى يموت ولا صديق
 وبعد الخير علقمة بن بشرى إذا مالموت كان لدى الخلوq
 ومال بنو ضبيعة بعد بشرى كما مال الجنوع من الحريق
 فكم بقلاب من أوصالي خرق أخى ثقة وجُمجمة فليق (٣)

(١) سقطت هذه الكلمة من ش ، كما سقط منها « زوج خرنق » السابقة .

(٢) وكذا فى معجم ياقوت : « وائلة » بالثاء المثلثة قال : « مأخوذ من الوئيل وهو ليف النخل ،
 وهى قرية معروفة » وفى ش : « وابلة » بالباء ، تحريف ، وفى معجم مااستعجم : « بوالبة » ، ولم أجد لهذا
 المكان ذكرا إلا فى هذا الموضع من معجم مااستعجم .

(٣) ط : « أوصاف خرق » ، صوابه فى ش ومعجم البلدان لياقوت ، حيث أنشد هذه الأبيات

مع زيادة ونقص .

وَأَسَى : أَحْزَنَ . وَلَا مَحْدُوفَةً ، أَى وَأَبْيَكْ لَا أَحْزَنَ بَعْدَ بَشَرٍ . وَالْخَلُوقُ :
جَمْعُ خَلَقَ ، وَهُوَ مَجْرَى الطَّعَامِ . وَمَالُ بَنُو ضُبَيْعَةَ ، أَى تَسَاقَطُوا بَعْدَ بَشَرٍ .
وَالْخِرْقُ بِكَسْرِ الْمَعْجَمَةِ ، مِنْ الْفَتْيَانِ : الظَّرِيفُ فِي سَمَاحَةٍ وَنَجْدَةٍ .

وخرنق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر النون بعدها خرنق بنت بدر
قاف، هي امرأة شاعرة جاهليّة . قال أبو عبيدة : هي خرنق بنت بدر بن
هفان، من بني سعد بن ضبيعة رهط الأعشى . كذا (في العباب) للصاغاني . وفي
كتاب (التصحيف للعسكري) و (شروح أبيات الكتاب والجمل) : خرنق بنت
هفان القيسيّة ، من بني قيس بن ثعلبة بن عُكَّابَةَ بن صَعْبَ بن عَلِيٍّ بن بكر
بن وائل ، بمحذف « بدر » . وقالوا : هي أخت طرفة بن العبد لأُمّه . وقال
يعقوب بن السكيت (في أبيات المعاني) : هي عمّة طرفة بن العبد . والله أعلم .
وقيس هو رهط الأعشى أيضاً ، وإليه ينسب فيقال أعشى قيس .

وخرنق من الأسماء المنقولة ، لأنّ الخرنق في اللغة ولد الأرنب . والخرنق
أيضاً : مَصْنَعَةُ الْمَاءِ ، وَهُوَ نَحْوُ الصُّهْرِيحِ ، وَانْنُونُ أَصْلِيَّةٌ .
وَأَمَّا هِفَانُ بِفَتْحِ الْهَاءِ وَكسرها وتشديد الفاء ، فهو اسم مرتجل غير
منقول ، مشتقٌّ من الهفيف ، وهو سُرْعَةُ السَّيْرِ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد الثلاثمائة ، وهو من
شواهد سيبويه (١) :

٣٤٢ (وما الدُّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْذَحُ)

(١) في كتابه ١ : ٣٧٦ . وانظر ديوان ابن مقبل ٢٤ والمقتضب ٢ : ١٣٨ والكامل ٧٣٨
والحيوان ٣ : ٤٨ والمختضب ١ : ١١٢ والجمع ٢ : ١٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٨٣ .

على أن الموصوف محذوف ، أى منهما تارةً أموت . هكذا قدّر سيبويه وأورده فى باب حذف المستثنى ، نحو قولك ليس غير وليس إلا أنه ، كأنه قال : ليس إلا ذاك ، وليس غير ذاك . قال : وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأيته فى حال كذا ، وإنما يريد : مامنهما واحد مات . انتهى .

وأورده الفراء أيضاً (فى تفسيره) عند قوله تعالى ﴿ ومن آياته يُرِيكُمْ ﴾^(١) ، قال : من أظهر^(٢) أن فهى فى موضع اسم مرفوع ، كما قال : ﴿ ومن آياته مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾^(٣) ، فإذا حذف أن جعلت مؤدبة^(٤) عن اسم متروك يكون الفعل صلة له ، كقول الشاعر :

وما الدهر إلا تارتان البيت

كأنه أراد : فمِنْهُمَا ساعةً أموتُها وساعةً أعيشُها ، وكذلك : ومن آياته آيةٌ للبرق وآيةٌ لكذا . وإن شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أن ولا غيره . انتهى .

وكذلك أنشده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى ﴿ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾^(٥) أى قومٌ يحرفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما تارةً أموت فيها، فحذف تارةً وأقام الجملة التى هى صفتها نائبة عنها، فصار : أموت

(١) من الآية ٢٤ فى سورة الروم .

(٢) فى النسختين : « أضمر » ، صوابه فى معانى الفراء ٢ : ٣٢٣ .

(٣) من الآية ٢٣ فى سورة الروم .

(٤) فى النسختين : « جعلت مورية » ، وصوابه وإكمله من معانى الفراء .

(٥) من الآية ٤٦ من النساء .

فيها ، فحذف حرف الجر فصار التقدير : أموتها ، ثم حذف الضمير فصار أموت . ومثله في الحذف من هذا الضرب ، بل هو أطول منه :

تَرْوِّحِي يَاخَيْرَةَ الْفَسِيلِ تَرْوِّحِي أَجْدَرَ أَنْ تَقِيلِي (١)

أصله : اتنى مكاناً أجدر بأن تقيلي فيه ، فحذف الفعل الذى هو اتنى لدلالة تروّحي عليه ، فصار مكاناً أجدر بأن تقيلي فيه ، ثم حذف الموصوف الذى هو مكاناً ، فصار تقديره أجدر بأن تقيلي فيه ، ثم حذف الباء أيضاً تخفيفاً ، فصار أجدر أن تقيلي فيه . ففيه إذن خمسة أعمال ، وهى حذف الفعل الناصب ، ثم حذف الموصوف ، ثم حذف الباء ، ثم حذف فى ، ثم حذف الهاء . وهنا عمل سادس (٢) وهو أن أصله اتنى مكاناً أجدر بأن تقيلي فيه من غيره ، كما تقول : مررت بـرجل أحسن من فلان ، وأنت أكرم على من غيرك . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة تميم بن ألى بن مقبل ، وهو شاعر إسلامى صاحب الشاهد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب (٣) . وقبله يصف القحط :

(ألم تعلمي أن لا يذمُّ فجاءقى
وأن لا ألوم النفس فيما أصابنى
دخيلى إذا اغبرَّ العضاءُ المجلَّحُ
وأن لا أكاذُ بالذى كنتُ أفرحُ

٣٠٩

(١) لأحيحة بن الجلاح . وانظر المحاسب ١ : ٢١٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٣ والعينى ٤ :

٣٦ والتصرح ٢ : ١٠٣ الأشموى ٣ : ٤٦ .

(٢) ش : هـ وهناك وجه سادس هـ ، صوابه فى ط .

(٣) الجزء الأول ص ٢٣١ .

وما العيش إلا تارتان فمئهما
 أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح^(١)
 وكلتاها قد حُطَّتْ لى فى صحيفه
 فلا العيش أهوى لى ولا الموت أروح

أن فى المواضع الثلاثة محففة من الثقيلة ، والفعل بعدها مرفوع ،
 وفجاءتى مفعول مقدم . والفجاءة بضم الفاء والمد: مصدر فجأه الأمر كضربه ،
 وفجئه كعلمه ، إذا أتاه بغته . ويقال أيضاً فجأه الأمر مفاجأة وفجاء . ودخيل
 أى ضيفى ، فاعل مؤخر ، والدخيل : الضيف إذا حلّ بالقوم فأدخلوه .
 يقول : إذا جاءنى بغتة ضيف فى أيام القحط فلا بدّ من إطعامه وإكرامه
 ولأدعه يذمّننى . واغبرّ : صار بلون الغبرة . والعضاء بكسر العين المهملة بعدها
 ضاد معجمة وآخره هاء : شجر عظيم شائك تأكل الماشية ورقه . والمجلح
 بالجيم ، قال صاحب الصحاح : المأكول ، ومنه قول ابن مقبل :

* إذا اغبرّ العضاء المجلح *

وهو الذى قد أكمل حتى لم يترك منه شيء .

والكدح : الكسب والسعى ، وجملة أكدح حال مؤكدة لعاملها ،
 وهو أبتغى . وتارة المحذوفة مبتدأ وجملة أموت صفتها ، والعائد إلى الموصوف
 محذوف ، أى فيها . ومنهما خبر مقدم ، وأخرى صفة مبتدأ محذوف ، أى تارة
 أخرى . وليس فى هذا شاهد . وجملة أبتغى العيش خبر المبتدأ والعائد محذوف

(١) فى الديوان : « فى صحيفتى » . وفيه أيضا : « فللعيش أشهى لى وللموت أروح »

والصواب ما هنا ، وهو المقارب لما فى الحيوان وحماة البحترى .

أيضاً ، أى فيها . يقول : لراحة فى الدنيا لأن وقتها قسمان : إمّا موت ، وهو مكروه عند النفس ، وإمّا حياة وكلّها سعى فى المعيشة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلاثمائة :

٣٤٣ (وكلمتها ثنتين كلماءٍ منهما وأخرى على لوحٍ أحرّ من الجمر^(١))

لما تقدّم قبله ، أعنى أن الموصوف محذوف إذا كان بعضاً من مجرور بمن ، سواء تقدّم المجرور كما مضى ، أو تأخر كما هنا ، ولهذا كرر الشاهد ، فإنّ التقدير : كلمتها كلمتين ، منهما كلمة كلماء ، وكلمة أخرى أحرّ من الجمر . وتقدّم المجرور أكثرى .

وهذا ثالث أبياتٍ ثلاثة أوردّها الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين) وهى :

(لقيت ابنة السهمى زينب عن عُفْرِ ونحن حرّامٌ مُسى عاشرُ العشر أبيات الشاهد وإنى وإياها لحتمٌ مبيتنا جميعاً وسيرانا مُعذٌّ وذو فترٍ فكلمتها ثنتين كالثلج منهما على اللوح، والأخرى أحرّ من الجمر)

السهمى : نسبة إلى سهم ، بفتح السين المهملة : قبيلة من قريش ، وقبيلة فى باهلة أيضاً . وزينب بدل من ابنة ، وعُفْر بضم العين المهملة وسكون الفاء وبضم الفاء أيضاً ، قال الجاحظ : يقال مايلقانا إلا عن عُفْر ، أى بعد مدّة . وكذلك قال القالى (فى أماليه) : قوله عن عُفْر أى بعد حين ، يقال ماألقاه إلا عن عُفْر ، أى بعد حين . وقال الزمخشري (فى مستقصى الأمثال) : لقيته عن عُفْر ، أى بعد شهر ونحوه ، والأصل قلّة الزيارة ، من تعفير الطّبية ولدها ، وهو

(١) البيان ١ : ٢٨٠ وأمالى القالى ١ : ٩٨ ودرة الغواص ٧٢ .

أن ترضعَه ثم تدعَه ثم ترضعَه ثم تدعَه، وذلك إذا أرادت أن تطفمه .وعكس المأخذ^(١) صاحبُ الصحاح فقال: والتعفير في الفطام أن تمسح المرأةُ ثديها بشيءٍ من التراب تنفيراً للصبى. ويقال هو من قولهم: لقيت فلانا من عُفر بالضم أى بعد شهر ونحوه ، لأنها ترضعه بعد اليوم واليومين^(٢)، تبلو بذلك صبره . وقوله : « ونحن حرام » قال القالى : أى محرمون . قال صاحب الصحاح: ورجلٌ حرام بالفتح أى مُحرَّم، والجمع حُرْم مثل قَذال وقذل. انتهى. وإنما لم يجمعه هنا لأنه في الأصل مصدرٌ يستوى فيه الجمع [والثنية والمفرد^(٣)].
وجملة ونحن حرام حالٌ من الفاعل والمفعول. وقوله «مُسْنَى عاشر» إلخ مُسْنَى بضم الميم وسكون السين، وكسر الميم لغةً: اسمٌ للمساء ، كالصُّبح اسمٌ للصباح، ولهذا قال الجاحظ : أى وقت المساء. وهو ظَرْفٌ لقوله لقيت .وعاشرة العشر هو اليوم العاشر من ذى الحجة، يريد أنه لقيها بعرفات عشية عرفة، وهى مُسْنَى عاشره العشر.

وقوله : «لحتمٌ مبيتنا» الحتم، بفتح الحاء المهملة: اللازم. يريد إن مبيت الناس بالمزدلفة حتمٌ لا يتجاوزها أحد. وجميعاً حال من المضاف إليه، وهو ضمير المتكلم مع الغير. وقوله : « وسيرانا » إلخ، سيراً : مثنى سير، حذفت نونه للإضافة، ونا ضمير المتكلم مع الغير .وروى : «مسراناً» بالإفراد .قال صاحب الصحاح :وسريت سُرَى ومَسْرَى وأسريت بمعنىً، إذا سِرَتْ ليلاً^(٤). وأما السَّير فلا يختص بالليل .قال صاحب الصحاح :سار يسير سيرا ومَسِيراً، يكون بالليل وبالنهار، ويستعمل لازماً ومتعدّياً .ومُغِذٌّ بالغين والذال المعجمتين

(١) الحق أنه لم يعكسه ، وإنما جمع بين المأخذين ، كما يفهم من نهاية النص .

(٢) في الصحاح : « بين اليوم واليومين » .

(٣) هذه التكملة من هامش ش مقرونة بكلمة « صح » .

(٤) في النسختين : « سريت » ، صوابه من الصحاح .

اسم فاعل من أَغَذَّ في السير إغذاذاً ، أى أُسرع فيه وجَدَّ . والفتر ، بفتح الفاء ، بمعنى الفترة والفتر ، أى الانكسار والضعف . قال القالي : أى سبى أنا مسرعٌ ، وسيرها ذو فتور وسكون ، لأنها يُرْفَقُ بها . ولم يرو القالي (فى أماليه) إلا هذين البيتين عن أبى بكر بن دريد .

وقوله : (فكلمتها ثنتين) إلخ الصواب رواية الجاحظ ، وهى (كالثلج) بدل (كالماء) . والمِصْرَاع الثانى كذا :

* على اللّوح والأخرى أحرٌّ من الجَمْرِ *

وكذا رواه الزمخشري : (فى المستقصى) . واللّوح بفتح اللام وآخره حاء مهملة : العطش . قال الجاحظ : لاح الرجل يلوح لَوْحاً ، والتاح يلتاح التياحاً ، إذا عطش . انتهى .

وعلى بمعنى مع . يريد : إني كلمتها كلمتين ، كانت إحداها كالثلج مع العطش زال بها ما أُجِد من الحرارة ، وكانت الكلمة الأخرى أحرٌّ من الجمر ، فالتهب قلبى من حرارتها .

قال الحريري (فى درة الغواص) : أراد بالكلمة الأولى تحية القدم ، وبالأخرى سلام الوداع .

وجعل الزَّمْخَشَرى أحرَّ من الجمر من الأمثال ، وأنشد له هذا البيت مع البيت الأول عن الجاحظ ، لكن روى المصراع الأول هكذا :

* فقالت لنا ثنتين كالثلج منهما *

وهذا أنسب بما قاله الحريري .

وقوله : ثنتين منصوب على المفعول المطلق ، أى تكليمتين ، والأخرى

صاحب الشاهد
مبتدأ بتقدير موصوف ، أى والكلمة الأخرى ؛ وأحرُّ من الجمر خبر المبتدأ.
وهذه الأبيات نسبها الجاحظ والقالى والحريرى إلى أبى العميثل عبد الله
ابن خالد (١) والعميثل ، بفتح العين المهملة والميم وسكون المثناة التحتية وفتح
الثاء المثناة . والعميثل فى اللغة يأتى لمعانٍ منها الأسد الضخم ، والسيد الكريم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلاثئة ، وهو من
شواهد س (٢) :

٣٤٤ (لو قلت مافى قومها لم تيشم يفضلها فى حسب وميسم) ٣١١

على أن جملة يفضلها صفة لموصوف محذوف هو بعض المجرور بفى .
قال سيويه : يريد مافى قومها أحد يفضلها ، كما قالوا : لو أن زيدا ههنا ، وإنما
يريدون لكان كذا . انتهى .

وأنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ (٣) عَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ ، وذلك من كلام العرب ، أن
يضمروا مَنْ فى مبتدأ الكلام بمن ، فيقولون : مَنَّا يقول ذاك ومَنَّا لايقوله . وذلك
أنَّ مِنْ بعضٌ لما هى منه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك . قال الله
تعالى : ﴿ وما مِنَّا إِلا له مَقَامٌ مَعْلُومٌ (٤) ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ

(١) من شعراء الاعراب . توفى سنة ٢٤٠ ، انظر حواشى الحيوان ١ : ١٥٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٠ وابن يعيش ٣ : ٥٩ ، ٦١ والعينى ٤ :

٧١ والتصریح ٢ : ١١٨ والجمع ٢ : ١٢٠ والأشمونى ٣ : ٧٠ .

(٣) الآية ٤٦ من النساء .

(٤) الآية ١٦٤ من الصافات .

وَأَرَدُهَا ^(١) . ولا يجوز إضمار مَنْ في شيءٍ من الصفات إلا على هذا الذي نبأْتُكَ به . وقد قالها الشاعرُ في في ، ولستُ أشتَهِها ، قال :

لو قلتُ مافي قومها لم تأثم يَفْضُلُها في حَسْبٍ ومِيسَمٍ

ويروى أيضاً : « تيثم » لغة . وإنما جاز ذلك في في لأنك تجد معنى مَنْ أَنَّهُ بعضُ ما أُضيفت إليه . ألا ترى أَنَّكَ تقول : فينا الصالحون وفينا دون ذلك ، فكأَنَّكَ قلت : مَنَّا . ولا يجوز أَنْ تقول في الدار يقول ذاك ، وَأَنْتَ تريد في الدار مَنْ يقول ، إنما يجوز إذا أُضيفت في إلى جنس المتروك . انتهى كلامه .
وأراد بَمَنْ المضمرة النكرة الموصوفة لا الموصولة ، فإنها لا تحذف وتبقى صلتها ، أو أنها هي المرادة عنده فَإِنَّهُ كوفيٌّ ، والكوفيون يجوزون حذف الموصول .

وقد بيّن الضابط في حذف الموصوف مع المجرور بمن وفي ، إلا أَنَّهُ جعل الثاني دون الأول ، ووافقه السيرافي فقال : أكثر ما يأتي الحذف مع مِنْ ، لأنَّ مِنْ تدلُّ على التبعية . وقد جاء مثله مع في ، وليس مثل مِنْ في الكثرة . انتهى .

وقوله : (لم تيثم) جواب لو الشرطية ، أي لم تكذب فتأثم ، وأصله تأثم فكسر التاء على لغة من يكسر حروف المضارعة إلا الياء للكرهة ، وهم بنو أسد . قال ابن يعيش : وذلك إذا كان الفعل على فَعِل نحو يعلم ويسلم . انتهى . وقبل كسر التاء قلبت الهمزة ألفاً ، وبعد كسر التاء قلبت الألف ياء لانكسار ما قبلها . وقوله : (مافي قومها) خبر لمبتدأ محذوف ، وهو الموصوف بقوله يفضلها . وقدره ابنُ يعيش بإنسان يفضلها ، والجملة المنفية مقول القول .

وقوله : (في حسب) متعلق بيفضلها . والحسب : ما يعده الإنسان من مفاخره ، وأراد به الشرف النسبي وهو شرف الآباء ، وأراد بالميسم الشرف الذاتي ، فإن الميسم الحسن والجمال ، من الوسم ، وهو الحسن .

صاحب الشاهد وهذا البيت من رجز لحكيم بن مُعَيَّة الرِّيعي ، من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو راجز إسلامي كان في زمن العجاج وحميد الأرقط . نسبه إليه سيبويه في موضع آخر من كتابه (١) . وبعده :

(عفيفة الجيب حرام المَحْرَم

من آل قيس في النِّصاب الأكرم)

والنصاب وكذا المنصب : الأصل .

وكان يفضل الفرزدق على جرير ، فهجاه جرير لذلك .

ونسب ابن يعيش البيت الشاهد للأسود الحِماني . والله أعلم .

و (مُعَيَّة) بضم الميم وفتح العين وتشديد التحتية : مصغر معاوية . والحِماني بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم : نسبة إلى حِمَّان (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

٣١٢ (أنا ابنُ جَلَا وطلَّأُ الثَّنايا متى أضيعَ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي (٣)

على أن الاسم الموصوف بالجملة لا يحذف بدون من أوفى ، إلا في الشعر كما هنا ، فإن أصله : أنا ابن رجلٍ جلا . فجلا فعلٌ ماضٍ بمعنى كشف الأمور ،

(١) كذا . ولم أجد هذا الموضع .

(٢) هم بنو حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الجمهرة ٢٢٠ .

(٣) الجزء الأول ص ٢٥٥ . وانظر أيضا المعاني الكبير ٥٣٠ والكامل ١٢٨ ٢١٥ والجملة ٢١٢

والمقرب ٦١ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ ، ٢٥٤ .

أو بمعنى انكشف أمره . وفيه ضمير يعود على الموصوف المحذوف لضرورة الشعر . وهذا على أحد التخريجين المشهورين في هذا البيت . والتخريج الثاني لسيبويه ، وهو أنَّ جلا مع ضميره المستتر جملة محكية جُعِلت علما ، ولاشاهد فيه على هذا . ولنا عليه كلام أسلفناه في الشاهد الثامن والثلاثين من أوائل الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الثلاثئة (١) :
 ٣٤٥ (مَالِكٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٌ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةٍ الْوَتْرُ
 * جَادَتْ بِكَفِّيَّ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ *)

على أنَّ جملة كان مع ضميره المستتر صفة لموصوف محذوف ضرورة ، أَيْ
 بِكَفِّيَّ رَجُلٌ أَوْ إِنْسَانٌ كَانَ . وَالْأَوَّلَى بِكَفِّيَّ رَامٌ ، لِلْقَرِينَةِ . قَالَ ثَعْلَبُ (فِي
 أَمَالِيهِ) : لَمْ أَسْمَعْ مِنْ فِي مَوْضِعِ الْاسْمِ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : قَوْلُهُ :
 * جَادَتْ بِكَفِّيَّ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ *

وقوله :

* أَلَا رَبَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُومُ بِمَالِكَا *

وقوله :

* أَلَا رَبَّ مِنْهُمْ دَارِعٌ وَهُوَ أَشْوَسُ *

انتهى . وإنما قال لم أسمع لأنَّ كان فعل ، وربَّ حرف ، ولإليهما إلَّا
 الأسماء . وهذا يستدلُّ على حرفية من التبعيضية ، لأنَّ رَبَّ لا تَجْرُ إِلَّا النُّكْرَةُ .

(١) انظر المقتضب ٢ : ١٣٩ ومجالس ثعلب ٥١٣ والخصائص ٢ : ٣٦٧ وأمالى ابن السجري

٢ : ١٤٩ والإنصاف ١١٤ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ .

وأقول : لولا وقوع هذا الموصوف مضافاً إليه هنا لجاز أن يكون من قبيل :

* وكَلَّمْتُهَا ثنتين كالماء منهما ^(١) *

وقال ابن جنى (فى الخصائص) : روى أيضاً بفتح ميم مَنْ أَى بكَفَى من هو أرمى البشر ، وكان على هذا زائدة . انتهى .
أقول : جعل مَنْ على هذه الرواية نُكْرَة موصوفة أولى من جعلها موصولة .

وقوله : (مالك عندى) إلخ لك ظرف مستقرّ وغير فاعله ، وعندى متعلق بلك . (كبداء) أَى قوس كبداء ، وهى التى يملأ الكفّ مقبضُها . و(جادت) أَى أحسنت . وهذه رواية ثعلب وابن جنى وغيرهما ، ووقع فى رواية ابن هشام (فى المغنى) : « ترمى » بدل « جادت » . ويرى فى بعض نسخ هذا الشرح « كانت » ، وهذا لا يناسب المعنى .
وقوله : (بكفَى) متعلق بمحذوف على أنّه حال ، وهو مثْنَى كفّ ، وحذفت النون للإضافة .
وهذا الشاهد قُلّمَا خلا منه كتابُ نحوى ؛ لكنّه لم يعرف له قائل .
والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الثلاثائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(٢) :

(١) انظر الشاهد ٣٤٣ ص ٥٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٣٨ وابن يعيش ١ : ٦١ — ٣ : ٥٩ ، ٦٠ .
والعنى ٤ : ٦٧ والأشموقى ٣ : ٧١ وديوان النابغة ٧٩ .

٣٤٦ (كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنْ)

على أنَّ حذف الموصوف هنا بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، لضرورة الشعر ، والتقدير : كأنك جمل من جمال بني أقيش . وهذا مثال لقيام الظروف مقام الموصوف لضرورة الشعر ، والبيتان قبله لقيام الجملة مقامه كذلك .

٣١٣ وقد أورده ابن الناظم والمرادى (فى شرح الألفية) كما أورده الشارح المحقق . وفيه أنَّ البيت من القسم الأوّل ، وهو أنَّ الموصوف بالجملة أو الظرف إذا كان بعضاً من مجرور بمن أو فى يجوز حذفه كثيراً . وبيانه أنَّ الموصوف يقدر هنا قبل يُقَعِّع ، والجملة صفة له ، أى كأنك جمل يُقَعِّع ، وهو بعض من المجرور بمن ، ويكون قوله من جمال بني أقيش حالاً من ضمير يُقَعِّع الراجع إلى جمل المحذوف .

وقد أورده الزمخشري (فى المفصل) وصاحب (اللباب) فيما يجوز حذف الموصوف منه ، إلا أنهما جعلاه خبراً لكان كالشارح المحقق . وهما فى ذلك تابعان لسيبويه ، فإنه قال (فى باب حذف المستثنى استخفافاً) ، قال : وذلك قولك ليس غير ، وليس إلا ، كأنه قال : ليس إلا ذاك وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب ما يعنى . وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأيت فى حال كذا ، وإنما يريد مامنهما واحد مات . ومثل ذلك قوله تعالى جُدّه : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ^(١) ، ومثل ذلك من الشعر :

* كأنك من جمال بني أقيش *

أى كَأَنَّكَ جَمَلٌ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ . ومثل ذلك قوله أيضاً :

* لو قلت مافى قومها لم تيتم *

البيت . انتهى

وليس فى كلامهم ما يشعر كونه من قبيل الضرورة ، بل جعله الرخشرى وصاحب (اللباب) من قبيل ما إذا ظهر أمر الموصوف ظهوراً يُستغنى معه عن ذكره فحينئذ يجوز تركه وإقامة الصفة مقامه . ولم يذكر مذكروه الشارح ^(١) المحقق من جواز حذفه كثيراً إذا كان بعضاً من مجرور بمن أوفى . وقوله (بنى أقيش) بضم الهمزة وفتح القاف وآخره شين معجمة . قال أبو عمرو : هو حىٌّ من عُكْلٍ ، وجماعهم ضعاف تنفر من كل شيء تراه . وقال ابن الكلبي : بنو أقيش : حىٌّ من الجن ، وإنما أراد : إِنَّكَ نفورٌ وليس لك معقودٌ رأى . وقال الأصمعيُّ : جمال بنى أقيش حوشيةٌ ليست ينتفع بها ، فيضرب بنفاراها المثل . ورأيت فى (جمهرة الأنساب) : أقيش بن منقر بن عُبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب ^(٢) . وأنشد هذا البيت . وقيل بنو أقيش فخذ من أشجع ، وقيل حىٌّ من اليمن .

(و) (يقعق) بالبناء للمفعول . والققعقة : تحريك الشيء اليابس الصلب . و(الشَّنّ) بالفتح : القرية البالية ، وجمعها شنان ، وتقعقُها يكون بوضع الحصى فيها وتحريكها فيسمع منها صوت ، وهذا ممّا يزيدُها نفورا . ووقع مثله فى شعر صخر بن حَبْناء ، يخاطب أخاه المغيرة :

تَجَنَّيْتَ الذَّنُوبَ عَلَى جَهْلًا لَقَدْ أَوْلَعْتَ وَحَاكَ بِالتَّجَنَّى
كَأَنَّكَ إِذْ جَمَعْتَ الْمَالَ غَيْرٌ يَقْعَقُ خَلْفَ رَجْلَيْهِ بَشَنٌ

(١) ش : « مذكر الشارح » .

(٢) وقع فى جمهرة ابن حزم ٢١٦ : « أنيس » بالنون ، ويبدو أن ما هنا صوابه .

ومنه المثل : «فلان مايقعّع له بالشّنان» ، يضرب لمن لايتّضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعه ما لا حقيقة له . وقال الزمخشري (في المستقصى): يضرب للرجل الشّرس الصعب ، أى لا يهدّد ولا ينزع . وقال الحجاج على منبر الكوفة : « إني والله يا أهل العراق مايقعّع لي بالشّنان » .

وهذا البيت من قصيدة للنابعة الذبياني . قال ابن السيرافي (في شرح صاحب الشاهد أبيات سيبويه) : سبب هذا الشعر أنّ بني عيس قتلوا رجلاً من بني أسد ، فقتلت بنو أسد رجلين من بني عيس ، فأراد عُيينة بن حصن الفزاريّ أن يُعين بني عيس عليهم وينقضّ الحلف الذي بين بني ذبيان وبين بني أسد ، فقال له النابغة: اتّخذل بني أسد وهم حلفاؤنا وناصرونا، وتعين بني عيس عليهم . انتهى .

وهذه أبيات من القصيدة بعد ثمانية أبيات من أولها :
 (أتخذل ناصري وتُعزّز عيساً أيربوع بن غيظ للمعن^(١))
 كأنك من جمال بني أقيش يُقعّع خلف رجليه بشنّ
 تكون نعامةً طوراً، وطوراً هوىّ الريح تنسج كلّ فنّ
 إذا حاولت في أسد فجوراً فأنيّ لست منك ولست مني
 همّ درعى التي استلامت فيها إلى يوم النّسار وهم مجنّى
 وهم وردّوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إنيّ
 شهدت لهم مواطن صادقات أتيتهم بنصح الصّدر مني
 بكلّ مجرب كاللّيث يسمو على أوصال ذبال رفنّ
 ولو أني أطعتك في أمور قرعت ندامة من ذاك سيّ

(١) ش « بن قبيظ » ، تحريف .

وهذا آخر القصيدة . وقوله :

* أتخذل ناصرى وتُعزّ عبسا *

هذا خطابٌ لعينة بن حصن ، وأرادَ بناصره بنى أسد . وقوله :

* أيربوع بن غيظ للمعنّ *

هذا خطاب آخر ليربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وهو من قوم النابغة . والمعنّ بكسر الميم وفتح العين المهملة : المعارض في الأمور ^(١) ، وعنى به عينة بن حصن ، يقال عنّ يعنّ ، وإنك لتعنّ في هذا الأمر أى تعرّض فيه . واللام في للمعنّ متعلّقة بمحذوف ، أى تعجب ياربوع من هذا المعارض .

وقوله : (كأنك من جمال) إلخ هذا خطابٌ لعينة أيضاً ، يقول : أنت سريع الغضب والثفور ، تنفر مما لا ينبغي لعاقِل أن ينفر منه . وقيل معناه إنك جبانٌ في الحرب لا تقدر على الطعان والضراب ، بل تنفر عنها كما ينفر الجمل عن صوت الشنّ وقعته .

وقوله : « تكون نعامه » ، قال أبو عمرو : يقول : تتخيّل مرّة كذا ومرّة كذا . وقوله : « هوىّ الريح » يريد طوراً تهوى هوىّ الريح . والفنّ : اللون ، والجمع الفنون . وقال الأصمعيّ : كأنّه يهوى هوىّ كل فن ، أى كلّ ضربٍ من الجرى .

وقوله : « إذا حاولت في أسد فجوراً » ، استشهد به الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ ^(٢) 》 .

(١) ط : « المقبوض في الأمور » ، صوابه في ش .

(٢) الآية ٢٣ من النساء .

وقوله : «درعى التى» إلخ اللأمة بالهمزة :الدرع . واستلأمتها: تحصنت فيها . والمجنّ : الترس . والتسار ، بكسر النون : اسم ماء لبنى عامر من بنى تميم ، وفيه وقعة كانت لأسد وغطفان على تميم .

وقوله : «وردوا الجفار» البيتين ، فى البيت التضمين ، وهو عيبٌ ، وهو أن يتوقف على البيت الثانى ، فأن خبر إن هو أول البيت الثانى . والجفار بكسر الجيم : اسم ماء لبنى تميم بنجد .

وقوله «بكل مجرب كالليث» إلخ أى بكل شجاع مجرب فى الحروب . ورفق بكسر الراء المهملة بعدها فاء ، قال أبو عمرو : هو السريع . والذئبال : الطويل الذنب . والأوصال : المفاصل ، أى على أوصال فرس يذيل فى مشيته سابغ الذئب .

٣١٥

والنابعة الذبياني شاعرٌ جاهلى قد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة (١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الثلاثئة (٢) :

٣٤٧ (والمؤمن العائذات الطير يمسحها

رُكبان مَكَّةَ بين الغيل والسند)

على أن العائذات كان فى الأصل نعتاً للطير ، فلما تقدم وكان صالحاً لمباشرة العامل أعرب بمقتضى العامل ، وصار المنعوت بدلا منه ، فالطير بدل من العائذات، وهو منصوب إن كان العائذات منصوباً بالكسرة على أنه مفعول به للمؤمن ، ومجرور إن كان العائذات مجروراً بإضافة المؤمن إليه . والأصل على الأول : والمؤمن الطير (٣) بنصب الأول بالفتحة والثانى بالكسرة . وعلى الثانى : والمؤمن

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) ديوان النابعة ١٥ وابن يعيش ٣ : ١١ .

(٣) كلمة « الطير » ساقطة من ش .

الطير العائذات ، ابجراً بالكسر ، فلماً قدّم النعت أعرب بحسب العامل وصار المنعوت بدلاً منه .

هذا محصل كلام الشارح المحقق ، وهو في هذا تابع لأبي على (في الإيضاح الشعري) ، وهذه عبارته : مَنْ كانت الكسرة عنده جرّة ، على هذا الحسن الوجه جرّ الطير ، لأنّ العائذات مجرورة . ومن كانت الكسرة عنده في موضع نصب على قولك الضارب الرجل نصب الطير ، والطير في هذا الموضع بدل أو عطف ، وإثما كَانَ حذّه : والمؤمن الطير العائذات أو الطير العائذات ، فقدّم العائذات وأخر الطير . و (المؤمن) هو الله سبحانه ، وهو اسم فاعل من آمن كما قال : ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ ^(١) أى آمنهم من الخوف لكونهم في الحرم وحلّولهم فيه . انتهى .

ولم يرضَ الزمخشريّ هذا (في المفضل) في باب الإضافة : أنّ العائذات كان في الأصل الطير العائذات ، فحذف الموصوف وجعل العائذات اسماً لا صفة ، فلماً جعلت اسماً احتاجت إلى تبيين ، فأجرى عليها بالتبيين . قال : وليس هذا من تقديم الصفة على الموصوف .

ولا يخفى أنّ هذا تكلف ، ولهذا أعرض عنه الشارح .

وزعم بعضهم أنّ الطير بدل بعض من العائذات ، لأنّ العائذات عام يقع على الطير والوحش وغيرهما .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة للنايفة الذبياني ، وهو أحسن شعره ، ولهذا أحقوها بالقصائد المعلقة ، مدح بها الثعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وتبرأ فيها مما اتّهم به عند النعمان .

(١) الآية ٤ من سورة قريش .

وتقدّم أبياتٌ منها في باب الاستثناء، وفي خبر كان وفي غيرهما.

وهذه أبيات منها :

(فلا لعمرُ الذي قد زُرْتُهُ حَجَجاً وماهريقُ على الأنصاب من جَسَدِ أبيات الشاهد
والمؤمن العائذاتِ الطير البيت
ما إن أتيْتُ بشيءٍ أنت تكرهُهُ إِذْنٌ فلا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى يَدِي
إِذْنٌ فعاقَبَنِي رَبِّي معاقبةً قَرَّتْ بها عينُ من يَأْتِيكَ بالحسَدِ
هذا لأبرأ من قولٍ قُدِفْتُ به طارت نوافذه حَرَى على كبدِي)

قوله : «فلا لعمر الذي» إلخ لا الداخلة على القسم قيل نافية منفيها محذوف ، أى ليس الأمر كما زعموا ، وقيل زائدة زيدت توطئة لنفى جواب القسم ، وعمر مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ، أى قسمي . وحججاً : جمع حجّة ، بكسر المهملة فيهما ، وبعدها جيم ، وهى السنّة . أقسمَ بالبيت الذى زاره فى سنين متعدّدة ، وهو البيت الحرام . وقوله : «وماهريق على الأنصاب» هريق بمعنى أريق ، والهاء بدل من الهمزة . والأنصاب : حجارة كانت العرب فى الجاهليّة تنصبها وتذبح عندها . والجسد بفتح الجيم ، هو الدم . ومامعطوف على الذى ، وكذا قوله : والمؤمن . وزعم من لم يطلع على البيت الأوّل أنّ الواو واو القسم . والعائذات : ماعاذ بالبيت من الطير ، قال ثعلب : أراد بالعائذات الحمام ، لما عاذت بمكة والتجأت إليها حرم قتلها وآمنها من أن تُضام . وقد أغرب بعضهم بقوله : العائذات جمع عائذ ، وهى الحديثة النتاج من الطيور والبهائم ، وهو من عُذت بالشئ : التجأت إليه ، لأنّ الحامل إذا ضربها المخاض عاذت . وهو فى الأصل من باب الكناية . انتهى

وفيه أن العائد بالمعنى المذكور خاص بالناقة .

والطَّيْر : جمع طائر ، مثل صَحْب وصاحب ، وقد يقع على الطَّيْر الواحد ، وجمعه طيور وأطيّار . ورُكبان : جمع ركب ، وجملة «يمسحها ركباً مَكَّةَ» حال من الطَّيْر . والسَّند ، بفتحين : ماقابلك من الجبل وعلا عن السفح ^(١) . وروى أبو عبيدة الغيل بكسر الغين المعجمة ، وقال : هي والسند أجمتان كانتا بين مكة ومنى . وأنكرها الأصمعي وقال : إنما الغيل بالفتح ، وهو ماء . يعنى النابغة ماءً كان يخرج من أمي قُبَيْس . كذا في شرح ديوان النابغة . ولم يذكر أبو عبيد هذا (في معجم ما استعجم ^(٢))

وقوله : « ما إن أتيت بشيء » إلخ هذا [هو] جواب القسم . واستشهد به ابن هشام (في المغنى) على أن « إن » تزداد بعد ما النافية . يقول : ما فعلت شيئاً تكرهه أنت ، وإلا فلا رفعت يدي إلى سوطي ، أي شلت يدي ولم تقدر على رفع السوط .

وقوله : « إذَنْ فعاقبتني ربِّي » إلخ هذا دعاء آخر على نفسه .
وقوله : « هذا لأبرأ » إلخ أي هذا القسم لأجل أن أتبرأ مما اتهمتم به .
والنوافذ تمثيل ، من قولهم : جرح نافذ . أي قالوا قولاً صارَ حرُّه على كبدي وشقيقت به .

وأنشد بعده :

(وليل أفاقيه بطيء الكواكب)

على أنه يجوز أن توصف النكرة بالجملة قبل وصفها بالمفرد إذا اجتمعا ،

(١) ط : « من السفح » ، صوابه في ش واللسان (سند) .

(٢) ش : « في المعجم فيما استعجم » .

كما هنا ، فإنَّ ليلاً قد وُصِفَ بجملةِ أفاقيه قبل وصفه بقوله : بطيء ، وليس مجروراً بالعطف على همٍّ في صدر البيت ، وهو :

* كِلينى لهمَّ يا أميمةً ناصب * .

يقول : دعينى واتركينى لهذا همِّ المتعب ومقاساة الليل البطيء الكواكب .

وهذا البيت مطلع قصيدة للنابعة الذبياني أيضاً تقدّم الكلام عليه مفصلاً في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة (١) :

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الثلاثئة (٢) :

٣٤٨ (ألا أيُّها الطيرُ المُرّة بالضُّحى على خالدٍ لقد وقَّعت على لحم)

على أنَّ الصفة ربّما تنوى ولم تذكر ، للعلم بها كما هنا . فإنَّ التقدير : على لحم أى لحم .

وكذا أورده في (التفسيرين) (٣) عند قوله تعالى ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ (٤) على تنكير هدى للتعظيم ، أى هدى عظيم ، كتنكير لحم في هذا البيت ، أى لحم عظيم . والفرق بينهما أنَّ الأول مفهوم من اللفظ المحذوف ، والثانى من الفحوى ، والحوج إلى هذا استقامة المعنى ، ولولاه لكان لغواً ٣١٧

(١) الخزانة ٢ : ٣٢١

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ . وسيأتى في ٣ : ١٨ بولاق .

(٣) هما تفسير الزمخشري والبيضاوى . وقد شرح شواهدهما معا « خضر الموصلى » .

(٤) الآية ٥ من البقرة .

لا يفيد شيئاً ، ولهذا اعتُبر ، سواء كان بالطريق الأولى أم الثانية .

ولجوازهما قَدَّر الشارح المحقق هنا الوصف ، واعتبره هناك من التنكير لما فيه من الإبهام المقتضى للتفخيم والتعظيم .

ونُقل عن الزمخشري أنه كان إذا أنشد هذا البيت يقول : ما أفصحك من بيت !

صاحب الشاهد
وصدر البيت لم أَره كذا إلا في رواية الشارح المحقق . والبيت من شعر
مذكور في أشعار هذيل ذُكر في موضعين منها ، ذكر في الموضع الأول ستة
أبيات ، وفي الموضع الثاني اثنين وثلاثين بيتاً . أما الرواية الأولى ، والشعر
منسوبٌ لأبي خراش فهي هذه :

(إِنَّكَ لو أَبْصَرْتَ مَصْرَعِ خَالِدٍ	بَجَنبِ السُّتَارِ بَيْنَ أَظْلَمَ فَالْحَزَمِ
لَأَيَقِنْتَ أَنَّ الْبَكْرَ لَيْسَ رَزِيَّةً	وَلَا النَّابَ ، لَا اضْطَمَّتْ يَدَاكَ عَلَى غَنَمٍ
تَذَكَّرْتُ شَجَواً ضَافَنِي بَعْدَ هَجْعَةٍ	عَلَى خَالِدٍ فَالْعَيْنُ دَائِمَةُ السَّجَمِ
لَعَمْرُأَى الطَّيْرَ الْمُرِّيَّةَ بِالضُّحَى	عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى لَحْمٍ
كُلِّيهِ ، وَرَيْى ، لَا تَجِيئِينَ مِثْلَهُ	غَدَاةً أَصَابَتْهُ الْمَنِيَّةُ بِالرَّدَمِ
وَأَيُّ لَا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِثْلَهُ	طَوِيلَ النَّجَادِ غَيْرَ هَارٍ وَلَا هَشَمِ

قوله : « إِنَّكَ لو أَبْصَرْتَ » ، هذا خطابٌ لعشيقته خالد بن زهير
الهذلي ، قُتل بسببها كما يأتي بيان قتله . وخالدٌ هو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي .
والسُّتار ، بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقية وآخره مهملة ، قال البكري (في
معجم ما استعجم) : هو جبلٌ معروف بالحجاز . وأنشد هذا البيت . وأظلمُ

على وزن أفعل التفضيل من الظلم^(١) ، قال البكري : هو موضع قريب من الستار . والحزم ، بفتح المهملة وسكون الزاي المعجمة ، هو موضع يقال له حزم بنى عُوال .- ووقوع هذه الفاء بعد بَيِّن قد شرحه الشارح المحقق في الفاء العاطفة .

وقوله : «لَأَيَقُنْتَ أَنَّ الْبَكْرَ» هو بالفتح : الجمل الشاب . والناب : الناقة المسنة . يقول : لو رأيت هلاك خالدٍ لعلمت أن ذهاب البكر والناب ليسا بمصيبة ، واستخففت مُصابتهما . وقوله : «لااضطمت» إلخ هو دعاء عليها ، وهو افتعلت من الضم ، أَيْ لاغْنِمْتُ يدَاكَ بل خِيَبِكَ اللهُ ، إذ صِرتَ تحزّنين على هذا البكر .

وقوله : «تَذَكَّرْتُ شَجَوًّا» هو بضم التاء . والشَّجو : الحزن . وضافني : نَزَلَ بِي كَالضَّيْفِ . وَالْهَجْعَةُ : النَّوْمَةُ . وَالسَّجْمُ : السَّكَبُ .

وقوله : «لِعَمْرٍ أَيْ الطَّيْرِ» قال السكري (في شرح أشعار هذيل^(٢)) : قوله : لقد وقعت على لحم : كان ممنوعاً . والطير مضبوط بالكسرة في نسختي ، وهذه نسخة قديمة صحيحة ، تاريخ كتابتها في سنة مائتين بعد الهجرة ، وعليها خطوط العلماء منهم ابن فارس صاحب (المجمل) في اللغة ، كتب على ظهرها سند روايته . ولعمر مبتدأ محذوف الخبر ، أَيْ قسمي ، وقوله : «لقد وقعت» جواب القسم ، وهو خطاب للطير على الالتفات . وروى : «لقد عَكَفَن» بدله من العكوف بالغيبة ، والنون ضمير الطير ، وعليه لا التفات . وأراد

(١) الذي في معجم ما استعجم : « من الظلمة » .

(٢) شرح السكري ١٢٢٦ .

بأبي الطير خالداً^(١) سماءً به لوقوعها عليه ، كما يقال أبو تراب ونحوه . وقيل أراد :
أبا الطير^(٢) الواقعة على لحمه ، واستعظمها بالقسم بها لاستعظام لحم خالده
العظيم ، ففيه تعظيم للإقسام عليه بنفسه ، كما قال أبو تمام :

* وثناياك إنَّها إغريضُ^(٣) *

٣١٨

و(المريّة) : اسم فاعل ، صفة الطير ، من أربّ بالمكان ، إذا أقام به . وروى
(في التفسيرين) :

* فلا وأبى الطير المريّة بالضحي *

فلا : ردٌّ لما يُتوهم من تحقيره بأكل الطير له ، وقيل زائدة . وزعم بعضهم
أن أبا بياء المتكلم ، والطير بالرفع . وبعض آخر أن أبا أصله أبيض بالجمع حذفت
نونه للإضافة . ولا يخفى ركاكته .

وقال السعد (في حاشية الكشف) : وروى برفع الطير على أنه فاعل فعل
يفسره لقد عكفن .

وقوله : « كُليهِ ورَبِّي » أمرٌ للطير بالأكل ، يرغبها في أكلها إياه فإنَّها
لاتجىء إلى مثله ولا تظفر به .

وقوله : « ولا وأبى لا تأكل الطير » إلخ هارٍ أصله هائر ، أى ضعيفٌ
ساقط ، فقلب وحذف بالإعلال ، مثل شاكى السلاح أصله شائك .
والهشيم^(٤) : الرخو الضعيف .

(١) ط : « خالد » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « أراد بالطير » ، صوابه في ش .

(٣) مطلع قصيدة في ديوانه ١٨١ يمدح بها أبا الغيث موسى الرافقى . وعجزه :

* ولآلِ ثومٍ وبرقٍ وميضُ *

(٤) كذا . والذي في البيت « الهشم » فله « والهشم والهشم » .

وأبو خراش : شاعرٌ إسلاميٌّ صحابي ، تقدّمت ترجمته في الشاهد الثاني والسبعين ^(١) .

وأما الرواية الثانية بعد ثمانية أوراق ^(٢) بعد هذا ^(٣) ، ونسبها الأخفش لخراش ابن المذكور . والقصيدة هذه :

(أرقتُ لهمّ ضافني بعد هجعة على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السَّجَمِ ^(٤)
إذا ذكرته العينُ أغرقها البُكا وتشرقُّ من تهماها العينُ بالدمِّ
فباتت تُراعى النّجمَ عينٌ مريضة لِمَا عاها واعتادها الحُزنُ بالسُّقَمِ
عالمها : أثقلها وشقَّ عليها -

وما بعدُ أن قد هدّنى الحزنُ هدّةً تضالَّ لها جسْمى ورقَّ لها عَظْمى
وأن قد أصابَ العظمَ منى مُخامرٌ من الداءِ داءٌ مستكنٌّ على كلِّم
تضالَّ بمعنى صغرُ وضعف ، وأصله بالهمزة بعد الألف ، فحذفها للضرورة . ومخامر : مخالط وملازم . والكلم بالفتح : الجرح -

وأن قد بدا منى لِمَا قد أصابنى من الحزنِ أتى ساهمُ الوجه ذو همِّ
شديدُ الأسى بادى الشُّحوبِ كأننى أخو جنةٍ يعتاده الحُبْلُ فى الجسمِ
الساهم : المتغيّر . والأسى : الحزن . والشُّحوب : التغير . وجنةٌ بالجم ،

(١) الخزانة ١ : ٤٤٣ .

(٢) كذا فى النسختين . والوجه « ثمانى أوراق » .

(٣) كذا وردت العبارة فى النسختين .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٥١ وشرح السكرى ١٢٢٣ .

هو الجنّ . وروى: « حَيَّة » بمهملة ومثناة تحتيّة ، يعنى ملسوعا . والخَبَل ،
بفتح المعجمة : فساد الجسم والعقل —

لِفَقْدِ امرئٍ لا يجتوى الجارُ قَرَبه

ولم يك يُشْكِي بالقطيعة والظلم

يعود على ذى الجهل بالحلم والنُّهى

ولم يك فَحَاشاً عَلَى الجارِ ذا عَدم

— لا يَجْتَوِي بالجم ، أى لا يكره . والعدم ، بفتح العين المهملة وسكون الذال
المعجمة : العَضُّ^(١) والوقية —

ولم يَكْ فَظّاً قاطعاً لقرايةً ولكن وَصُولاً للقراية ذا رُحم^(٢)
وكنْتَ إِذا ساجرتَ منهم مُساجراً صفحتَ بِفضيلِ فى المروءة والعلم

— هذا خطابٌ لخالد . وساجرتَ بالجم ، بمعنى عاشرت . والسجير :

العشير والصاحب —

وكنْتَ إِذا ماقلتَ شيئاً فعلته وفُتْ بذاك الناسَ مجتمعَ الحزم
وإنْ تَكْ غالتك المنايا وصرفُها فقد عشتَ محمودَ الخلائق والحلم
كريمَ سجيّاتِ الأمور محبباً كثيرَ فضولِ الكفِّ ليس بذى وصم
أشَمَّ كنصل السيف يرتاح للندى بعيداً من الآفات والخلق الوخم

٣١٩

(١) العَضُّ ، بالعين المهملة ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت .

(٢) فى شرح السكرى : « ذا رحم : ذا رحمة » . وفى اللسان : الرحم : العطف والرحمة .

جَمَعْتَ أَمْوَرًا يُنْفَذُ الْمِرَّةَ بَعْضُهَا مِنْ الْحَلْمِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْحَسْبِ الضَّخْمِ^(١)

— الْمِرَّةَ مَفْعُولٌ يُنْفَذُ ، وَبَعْضُهَا فَاعِلُهُ . يَقُولُ : بَعْضُ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي فِيكَ تَجْعَلُ الْمِرَّةَ نَافِذًا فَائِقًا لَا يَقْدِرُ عَلَى كَسْبِهَا فَكَيْفَ كُلُّهَا^(٢) ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِيكَ . وَالْمِرَّةُ ، بِكَسْرِ الْمِيمِ ، فِي لُغَةِ هَذَا^(٣) —

لَعَمْرُ أَيْ الطَّيْرِ الْمُرِّيَّةِ غُدُوَّةً عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ عَكَفَنَ عَلَى لَحْمٍ — رَايَةَ هَذَا الْبَيْتِ هُنَا كَذَا وَقَعْتَ ، وَقَالَ السَّكْرِيُّ هُنَا : أَرَادَ

التَّعَجُّبَ ، أَيْ أَيْ لَحْمٍ وَقَعْتَ عَلَيْهِ . وَيُرْوَى :

لَقَدْ قَلْتُ لِلطَّيْرِ الْمُرِّيَّةِ غُدُوَّةً عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتَ عَلَى لَحْمٍ وَالْمُرِّيَّةُ : الْمَقِيمَةُ . انْتَهَى —

وَلَحْمٍ أَمْرِيءٍ لَمْ تَطْعِمِ الطَّيْرُ مِثْلَهُ عَشِيَّةَ أَمْسَى لَاثَيْنٍ مِنَ الْبَكَمِ أَرَادَ الْبَكَمَ بَفَتْحَتَيْنِ فَخَفَّفَ —

فَكَلَّا وَرَبِّي لَا تَعُودِي لِمِثْلِهِ عَشِيَّةَ لَاقَتْهُ الْمَنِيَّةُ بِالرَّدَمِ فَلَا وَأَيْ لَا تَأْكُلِ الطَّيْرُ مِثْلَهُ طَوِيلَ النَّجَادِ غَيْرِ هَارٍ وَلَا هَشَمٍ أَبْعَدَكَ أَرْجُو هَالِكًا لِحَيَاتِهِ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُوهُ وَمَاعَشْتُ بِالرُّغْمِ فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَاعَشْتُ لَيْلَةَ ضَفَى مِنْ الْإِخْوَانِ وَالْوَلَدِ الْحَتَمِ

(١) فِي دِيَوَانِ الْهَذَلِيِّينَ وَشَرَحَ السَّكْرِيُّ : « الْمِرَّةُ » . وَقَالَ السَّكْرِيُّ : « الْمِرَّةُ لَفْتُهُمُ ، يُرِيدُ الْمِرَّةَ يَا هَذَا » . لَكِنْ فِي اللَّسَانِ (مَرَأً) أَنْشَدَ الْبَيْتَ بِالرَّوَايَةِ الْمَثْبُتَةِ هُنَا . وَقَالَ : « هَكَذَا رَوَاهُ السَّكْرِيُّ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لُغَةُ هَذَا » .

(٢) فِي الدِّيَوَانِ وَشَرَحَ السَّكْرِيُّ : « تَجْعَلُ الْمِرَّةَ نَافِذًا فَكَيْفَ كُلُّهَا » .

(٣) انْظُرِ التَّعْلِيقَ السَّابِقَ .

— الضَّغَى : فَعُولٌ مِنْ ضَفَا يَضْفُو ، إِذَا كَثُرَ . وَالْحَتْمُ : الْحَقُّ —

تُطِيفُ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهُوَ مَلْحَبٌ خِلَافَ الْبُيُوتِ وَهُوَ مُحْتَمِلُ الصَّرْمِ

— الْمَلْحَبُ : بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : الْمَقْطَعُ . وَالصَّرْمُ ، بِالْكَسْرِ : الْحَيُّ —

فَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ مَصْرَعًا خَالِدٍ بِجَنْبِ السُّتَارِ بَيْنَ أَظْلَمَ فَالْعَزْمِ
لَأَيَقِنْتَ أَنَّ النَّابَ لَيْسَتْ زُرِّيَّةٌ وَلَا الْبَكْرُ ، لَا التَّفْتُ يَدَاكَ عَلَى غُثْمِ

— هَذَا خُطَابٌ مَعَ الْمَرْأَةِ ، يَقُولُ : إِنَّ الْمَصِيبَةَ قَتَلَ ذَاكَ ، لَيْسَ الْمَصِيبَةُ نَابًا

تُصَايِرُ بِهَا . ثُمَّ دَعَا عَلَيْهَا : لَا رَزَقَ اللَّهُ يَدَيْكَ خَيْرًا تَلْتَفُّ عَلَيْهِ —

وَأَيَقِنْتَ أَنَّ الْجُودَ مِنْهُ سَجِيَّةٌ وَمَا عَشْتِ عَيْشًا مِثْلَ عَيْشِكَ بِالْكُرْمِ

أَتَتَهُ الْمَنَايَا وَهُوَ غَضٌّ شَبَابُهُ وَمَا لِلْمَنَايَا عَنْ حِمَى النَّفْسِ مِنْ عَزْمِ

— مَا نَافِيَةٌ . وَالْكُرْمُ بِالضَّمِّ : الْعِزَّةُ . وَالْعَزْمُ هُنَا : الصَّبْرُ —

وَكُلُّ أَمْرِيءَ يَوْمًا إِلَى الْمَوْتِ صَائِرٌ قَضَاءً إِذَا مَا حَانَ يُؤْخَذُ بِالْكَظْمِ

وَمَا أَحَدٌ حَتَّى تَأْخُرَ يَوْمُهُ بِأَخْلَدَ مِمَّنْ صَارَ قَبْلُ إِلَى الرَّجْمِ

— وَالْكَظْمُ بِالْفَتْحِ : الْحَلْقُ ، وَقِيلَ الْفَمُ ، وَقِيلَ مَخْرَجُ النَّفْسِ ، وَأَصْلُهُ

بِفَتْحَتَيْنِ فَسَكَنَ ضَرُورَةً . وَالرَّجْمُ بِالْفَتْحِ : الْقَبْرُ ، وَأَصْلُهُ أَيْضًا بِفَتْحِ الْجِيمِ

فَسَكَنَ —

سَيَأْتِي عَلَى الْبَاقِينَ يَوْمٌ كَمَا أَتَى عَلَى مَنْ مَضَى حَتْمٌ عَلَيْهِ مِنَ الْحَتْمِ

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا خَالِدًا مِنْ مُكَافِيٍّ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ رَحَاءٍ وَمِنْ أَرْجَمِ

فَلَسْتُ بِنَاسِيهِ وَإِنْ طَالَ عَهْدُهُ وَمَا بَعْدَهُ لِلْعَيْشِ عِنْدِي مِنْ طَعْمِ

وهذا آخر القصيدة . والأزم : الشدة . وإثما سقّتها بتمامها لحُسْنها
وانسجامها ، ولأنَّ شراح شواهد التفسير زعموا أنَّ البيت الشاهد ليس هو إلاَّ
من أبيات أربعة ، لعدم اطلاعهم .

وروى السكري في آخر أشعار الهذليين ^(١) في بيان سبب قتل خالد
المذكور ، أنَّ البيت الشاهد ومامعه من الشعر لخاله أوى ذؤيب الهذلي .

وهذه قصة قتله ، قال : زعموا أنَّ رجلاً من هُذيل كان يقال له وهب
بن جابر ، هوى امرأةً من هذيل ، كان يُقال لها أمّ عمرو ، فاصطاد يوماً ظبية
فقال يخاطبها ^(٢) :

فمالك يا شبيهة أمّ عمرو إذا عايتننا لا تأمنينا
فعينك عينها إذ قمتِ وسنى وجيدك جيدها لو تنطقينا
وساقلك حمشةً ولأمّ عمرو خدلجةً تضيقُ بها البرينا
ورأسك أزعرٌ ولأمّ عمرو غدائرٌ ينعفرن وينثينا

— تضيق من الإضاقة . والبرين : جمع بُرة ، وهى الخلخال —

ثم خلى سبيلها ، فبلغ ذلك أمّ عمرو فعطفت عليه ، فاستمكن منها
وكان رسولها إليه أبا ذؤيب الشاعر ، فلما أيفع أبو ذؤيب وكان جميلاً رغب فيه
واطّرحت وهباً ، ففشا أمرهما في هذيل وقصّر عن بعض زيارتها وأخفى أمرها
خشية أن يُرصد فيغتال ، فانطلق إلى ابن أخت له يقال له خالد بن زهير
فأخبره بأمر أمّ عمرو ، وقال له : هل لك أن تكون رسولاً إليها وتعهديني

(١) في النسختين : « أبيات الهذليين » ، وأثبت مافى هامش ش مقرونا بكلمة « صح » .

وانظر ماسياتى في آخر القصة التالية .

(٢) فى ش : « كان يقال لها أم عمرو فقال » فقط .

على أن لا تغدرني ^(١). فأعطاه خالد موائقه واختلف بينهما ، فلم تلبث أن عشقت خالداً وتركت أبا ذؤيب ، وكان أبو ذؤيب يرسل خالداً إليها فينطلق فيتحدث إليها بحديث نفسه ، فإذا انصرف قال لأبي ذؤيب : لم ألج إليها الخباء ، وجدتها وسنى ! وكان ينصرف عنها ملطخاً بالطيب ، فارتاب أبو ذؤيب من ذلك ، وجعل يمس خده ويشم ثوبه فيجد منه ريح الطيب ، وأنكر ذلك خالد من خاله فقال خالد لأمه ، وهي أخت أبي ذؤيب :

يا قوم من لي وأبا ذؤيب كنت إذا أتوته من غيب
يشم خدي ويشر ثوبي كأننى أرتبه بريـب
* من أجل أن يرمينى بعيب *

فقال له أبو ذؤيب يوماً : انطلق إليها يا خالد ، فإنى أريد أن آتيها الساعة . فانطلق خالد إليها فعانقها وقضى ما أراد من لهوه وضاجعها ، وذهب بهما التوم فجاء أبو ذؤيب بعد ذلك فأخذ سهمين من سيهامه ، فوضعهما عند رعوسهما وأرجلهما ثم انصرف ، فلما انتبه خالد عرف السهمين ، فأعرض عن أبي ذؤيب إذ عرف أنه قد أيقن بغدوره . وأقبل أبو ذؤيب على أم عمرو فقال :

تريدين كيما تجمعينى وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
فأجابه خالد من شعر :

٣٢١

فلا تسخطن من سنة أنت سيرتها فأول راضى سيرة من يسيرها
وجرى بينهما أشعار مذكورة في أشعار الهذليين . فلما رأى وهب بن جابر فساد ما بينهما بعث ابنه عمرو بن وهب ، فبذل لأم عمرو ذات يده ، فعطفها على نفسه بالطمع ، وكان عمرو من أعظم شباب هذيل ، واستمسكت

(١) يقال غدره وغدر به ، يتعدى ولا يتعدى ، كما في اللسان ، أى نقض عهده .

بخالدٍ لعشيقها إِيَّاهُ ، فكان لِخالدٍ سِرُّها ، ولعمرو علانيُّتها، فبينا عمرو عندها ذات يومٍ إذ أتاهَا خالدٌ وهى وهو على شرايِهما ، فقام مستبطناً سَيْفَهُ فولَّجَ عليهما ، فضربَ رأسَ عمرو ثم خرج هارباً، فمَرَّ بأبى ذؤيبَ ، وأبى خراشَ ، وربيعةَ بنِ جَحدر ، وهم يتصيِّدون ، فقال أبو ذؤيبَ: ما وراءك ياخالد؟ فقال: قتلْتُ عمراً . قال: قد أوقعتنِي في شرٍّ طويل ، عليك بالَحَزْمِ^(١) ! فبلغ الخَيْرُ وهبَ بنَ جابر ، فركبَ وركب معه جَبَّارُ بن جابر في رهطهما ، فمَرُّوا بأبى ذؤيبَ وأبى خراشَ وربيعةَ بن جحدر ، فسألهم عنه فقالوا: لم نعلمه ، ولكن هل لك في شيءٍ من الأروى^(٢) ؟ قال : مالى بهنَّ من حاجة ! ومضَوْا في طلب خالدٍ حتَّى لَحِقُوهُ بجبلٍ يقال له أَظلم ، فقتلوه ، فبلغ ذلك أبا ذؤيبَ وخراشا وربيعةَ بن جَحدر ، فعند ذلك قال ربيعة من شعر :

فوالله لا ألقى كيومَ لخالدٍ حياتِي حتَّى يعلوَ الرَّأسَ رامسُ

وقال أبو ذؤيبَ يرثى خالدا :

لَعَمْرُأى الطَّيْرُ المَرَّتْ في الضحى على خالدٍ لقد وقَّعتْ على لَحْمٍ

ثم جمع أبو ذؤيبَ رهطه فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلَ عروةَ بن جحدر ،

ونجا خراش بن أبى جحدر ، فعند ذلك قال أبو جحدر :

حمدتُ إلهى بعد عروةَ إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ

ثم إنَّ القومَ تَحاوَزوا ، والقَتَلَى^(٣) في أصحابِ أبى ذؤيبَ أكثر ، فطلبوا

خويلداً ، وهو أبو خراش بن وائلة الهذلى ، وهو في الحَزْمِ ، ومعه امرأته فلما علم بأمرهم أَمَرَ امرأته أن تسير أمامه ، وتقيم بمكانٍ وصفه لها ، فأخبرها

(١) الحزم : اسم لعدة مواضع . وأصل الحزم المكان الغليظ .

(٢) ط : « من الأروى » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) هذا ما فى ش . وفى ط : « والقتل » .

أَنَّ قَوْمَهُ يَطْلُبُونَهُ بِذَخِيلٍ ، فَإِنْ أَبْطَأْتُ عَلَيْكَ فَأَنْعِنِي لِقَوْمِكَ . فَقَصَدُوا
خُويلدًا حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِمْ ، فَتَنَكَّرُوا لَهُ وَرَحَّبُوا بِهِ ، فَقَطِنَ لَهُمْ وَانصَرَفَ
رَاجِعًا ، فَاتَّبَعُوهُ فَسَبَقَهُمْ ، وَرَمَوْهُ بِأَسْهَمٍ فَلَمْ تَصِبْهُ . فَهُوَ حَيْثُ يَقُولُ :
رَفَوْنِي وَقَالُوا : يَا خُويلد لَا تُثْرِعْ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوَجُوهَ : هُمْ هُمْ
هَذَا مَا أوردته السكري في آخر أشعار الهذليين .

وأوردنا القصَّة هنا لأنَّ فيها أشعاراً فيها شواهدُ إذا جاءت فيما سيأتى
نُحِيل عليها .

وكانت هذه الوقعة ^(١) قبل إسلام أُنَى ذؤيب وأُنَى خراش . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلاثمائة ^(٢) :
٣٤٩ (فَايَاكُمْ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَادٍ هَمُوزِ التَّابِ لَيْسَ لَكُمْ يَسِيٌّ)
على أَنَّ سيبويه استدللَّ به على جرِّ الجوار ، ردًّا على الخليل في زعمه أنَّه
لا يجوز إلَّا إذا اتَّفَقَ المضاف والمضاف إليه ، في أمور ذكرها الشارح المحقق :
٣٢٢ منها اتَّفَاقهما في التذكير والتأنيث ، وهذا البيت يردُّ عليه ؛ فَإِنَّ هَمُوزَ نَعْتِ
الحَيَّة المنصوبة ، وَجُرِّ مجاورته لأحد المجرورين ، وهو بطن أو واد ^(٣) .
وعينه ابن جني (في شرح تصريف المازني) فقال : جرَّ هموز مجاورته
لوادٍ مع اختلاف المضاف والمضاف إليه تذكيراً وتأنيثاً؛ فَإِنَّ حَيَّةَ مؤنث
ومابعدھا مذكر . وفيه أنَّ كلاً من الحية ومابعدھا مذكر .

(١) ط : « الواقعة » ، وأثبت ما في ش .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٢٠ والمنصف ٢ : ١٥ وأملی ابن الشجرى ١ : ٣٤٢ وابن يعيش ٢ : ٨٥
واللسان (سوا ١٣٧) والحامسة بشرح المروزقى ٤١٧ وديوان الخطيئة ٦٩ .

(٣) ش : « بطن وواد » .

أما الحية فقد قال صاحب الصحاح : الحية للذكر والأنثى ، وإنما دخله الهاء لأنه واحدٌ من جنس ، كبطة ودجاجة . وفلانٌ حيةٌ ذكر . على أنه قد روى عن العرب : رأيت حياً على حية ، أى ذكراً على أنثى . انتهى .

أما البطن فقد قال صاحب الصحاح أيضاً : البطن : خلاف الظهر ، وهو مذكر ، وحكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن تأنيثه لغة . انتهى .

وأما الوادى فهو مذكر لا غير ، فيجوز للخليل أن يدعى توافق المضاف والمضاف إليه تذكيراً بجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ؛ وكذلك هموز فإنه فعول يُوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم ألا أن يكتفى «س» للتخالف بالتأنيث والتذكير اللفظيين . هذا وسيبويه لم يستشهد بهذا البيت ، وإنما استشهد بقول العجاج :

* كَأَنَّ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمَرْمَلِ *

ووجه الاستدلال منه أن العنكبوت مؤنث والمرمل مذكر ، لأنه وصف للنسج ، فقد اختلفا تأنيثاً وتذكيراً . وللخليل أن يمنع هذا أيضاً فإن العنكبوت قد جاء مذكراً أيضاً ، نقل ذلك عن العرب . وأنشدوا :

على هطّاهم منهم ييوتُ كأنّ العنكبوت هو ابتناها (١)

وعلى تسليم أنها فى البيت مؤنثة فإنه تأنيثٌ ليس بعلامة ، إذ ليس مؤنثاً بالتاء ولا بإحدى الألفين المقصورة والممدودة ، فأشبه التذكير ، إذ لم يظهر فيه من التنافر ما يظهر فى التثنية .

وقد استدللّ لسببويه بعضهم بقراءة يحيى بن وثّاب والأعمش: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾

(١) الهطال : اسم جبل ، كما فى معجم البلدان واللسان (هطل) عند إنشاد البيت .

هو الرزاق ذو القوة المتين^(١) ﴿بجَرِّ المتين . وَرَدَّ هذا أيضاً باحتمال أن يكون المتين صفة للقوة ، لأنها في معنى السبب فذكر على المعنى ، فلا يكون من باب الخفض على الجوار . وهذا نص سيبويه في باب النعت : وقال الخليل رحمه الله : لا يقولون إلا هذان جُحراً ضبٌ خربان ، من قَبْلِ أَنَّ الضب واحد والجحر جحران، وإنما يغلطون إذا كان الآخر بعدة الأول وكان مذكراً مثله أو مؤنثاً. وقالوا : هذه جِحْرَةٌ ضباب خربة ، لأنَّ الضَّبَاب مؤنثة ، ولأنَّ الجِحْرَةَ مؤنثة والعدة واحدة ، فغلطوا. وهذا قول الخليل رحمه الله. ولا نرى هذا والأوَّل إلاَّ سواء ، لأنه إذا قال هذا جحر ضب متهدم ، ففيه من البيان أنه ليس بالضب مثل ما في التثنية من البيان أنه ليس بالضب . قال العجاج :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المرمل *

والمرمل مذكر ، والعنكبوت مؤنث . هذا كلام سيبويه

وقول الشارح المحقق : وقال بعض البصريين : إنَّ التقدير : هذا جحر ضب خرب جُحْرُهُ إلخ، هذا تخريج ابن جنى (في الخصائص) قال فيه : الأصل هذا جحر ضب خرب جُحْرُهُ ، حذف الجُحْر المضاف إلى الهاء وأقيمت الهاء فارتفعت ، لأنَّ المضاف المحذوف كان مرفوعاً ، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع في نفس خرب ، فجرى وصفاً على ضَبٍّ وإن كان الخراب للجُحْر لا للضب على تقدير .

٣٢٣

وقال السيرافي : ورأيتُ بعض نحوِّي البصريين قال في هذا جحر ضب خرب ، قولاً شرحتُه وقوَّيْتُهُ بما احتمله من التقوية . والذي قاله النحويُّ أنَّ معناه هذا جحر ضب خرب الجحر ، والذي يقوِّيه أننا إذا قلنا خرب الجحر فهو من باب حسن الوجه ، وفي خرب ضمير الجحر مرفوع ، لأنَّ التقدير كان

خرب جحره. ومثله مما قاله النحويون : مررت برجل حسن الأبوين لاقبيحين ،
والتقدير لاقبيح الأبوين وأصله لاقبيح أبواه ، ثم جعل في قبيح ضمير الأبوين
فثنى لذلك ، وأجرى على الأول فخفض ، واكتفى بضمير الأبوين ولم يُعِدْ
ظاهرهما لما تقدّم من الذكر . انتهى .

قال أبو حيان ، بعد أن نقل قولهما : ومذهبهما خطأ من غير ماوجه ،
لأنه يلزم أن يكون الجحر مخصّصاً بالضبّ ، والضرب مخصص بخراب الجحر
المخصّص بالإضافة إلى الضبّ ، فتخصيص كل منهما متوقّف على صاحبه ،
وهو فاسدٌ للدّور ، ولا يوجد ذلك في كلام العرب ؛ أعنى لا يوجد مررت بوجه
رجل حسن الوجه ، ولا حسن وجهه ، ولأنّه من حيث أجرى الحَرْبُ صفة على
النّصْب لزم إبراز الضمير لثلاً يُلِيس (١) . وقد فرق سيبويه بين حسن الوجه
وحسن . ولأنّ معمول هذه الصفة لا يتصرّف فيه بالحذف لضعف عملها .
فأمّا قول الشاعر :

ويَضْحَكُ عِرْفَانُ الدَّرُوعِ جُلُودُنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مَظْلَمُ الشَّمْسِ كَاسِفُ

فلا يريد كاسف الشمس ، فيكون قد حذف معمول الصفة وإن كان
قد ذهب إليه بعضهم ، وإنّما هو عندنا صفة لليوم نفسه ، لأنّ الكسوف
يكون فيه ، فيكون نحو قولهم : نهارك صائمٌ وليلك قائمٌ . ولأنّ هذه الصفة لا يجوز
نقل الضمير إليها حتى يصحّ نسبتها إلى الموصوف على طريق الحقيقة . ألا ترى
أنّه لا يصحّ عندنا : مررت برجل حائض البنت ، لأنّ الحيض لا يكون للرجل .
وكذلك الحرب لا يكون للضّبّ ، والمرمل لا يكون للعنكبوت . وكذلك هموز الناب
لا يكون للوادي . والذي يقطع بطلان ماذهباً إليه قول الشاعر :

(١) ط : « يلبّيس » .

ياصاح بَلِّغْ ذوى الحاجاتِ كلِّهم
أن ليس وصلٌ إذا انحَلَّتْ عُرى الذَّنْبِ^(١)

وقول أبى ثروان فى المفضَّل « كان والله من رجال العرب المعروف له ذلك » بخفض المعروف على المجاورة . وفى كلام أبى ثروان ، وهو ممن تؤخذ عنه اللغة والعربية ، ردُّ على من يقول بأنَّ الجوار لا يكون إلَّا مع النكرة ؛ فإنَّ كُلاً من البيت ومن كلام أبى ثروان لا يمكن فيه أن يكون تابعاً للمجرور الذى قبله بحال . وتشبيه السيرافى المسألة^(٢) بنحو قول النحويين : مررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ، تشبيهٌ غير صحيح . انتهى كلام أبى حيان .

ويُتَّه ابنُ هشام (فى المغنى) بعد نقل كلامهما ، بأنَّه يلزم استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لا يجوز عند البصريين وإنَّ أمين اللبس . وقول السيرافى : إنَّ هذا مثلُ مررت برجل قائم أبواه لقاعدين ، مردود ، لأنَّ ذلك إنَّما يجوز فى الوصف الثانى دون الأوَّل . انتهى .

وقوله: ولأنَّ هذه الصفة لا يجوز نقل الضمير إليها حتى يصحَّ نسبتها إلى الموصوف ، إلى آخره ، هذا كلامُ السيرافى ، وهو معترف به ، فإنَّه قال بعد ما نقلناه^(٣) : ولا يشبه عندى : وحيَّة بطنٍ واد هموز الناب ، على هذه العلة لِأَنَّ إذا خفضنا هموز الناب فهو محمولٌ على واد أو على بطن واد ، وليس هموز بمضاف إلى شىءٍ إضافته إليه تصحُّحه فى التقدير ، كما كان تقدير إضافة خرب الجحر توجب تصحيح الخفض . انتهى .

٣٢٤

(١) مجهول القائل . وانظر شرح شواهد المغنى ٣٢٥ والشذور ٣٣١ والجمع ٢ : ٥٥ . والشاهد

فيه جر « كلهم » على المجاورة للحاجات ، وإنما هى تأكيد لذوى المنصوبة .

(٢) ش : « فى المسألة » .

(٣) ش : « بعد ما نقلنا » فقط .

وقد بينَّ الشارحُ المحققُ إضافة هموزٍ إلى ما يصحُّحُ إضافته في التقدير ،
وشرَّحه بما لا مزيدَ عليه ، وكأنَّه قصد بهذا البيانِ الرَّدَّ على السيراقي .

واعلم أنَّ قولهم : جُحر ضِبٌّ خربٍ مسموعٌ فيه الجر والرفع ، والرفع في
كلامهم أكثر . قال أبو حيان (في تذكرته) : ينبغي أن لا تجوز مسألة التثنية
والجمع ، لأنَّ جر الجوار لم يسمع إلَّا في المفرد خاصَّة فلا يُتعدَّى فيه السماع .
وقد قال الفراء وغيره : لا يخفض بالجوار إلَّا ما استعملته العرب كذلك ،
والمسموع منه ماتقدم ، وما سيأتى في الشرح من بيت امرئ القيس ، وقول
دريد بن الصَّمَّة :

فجئت إليه والرماحُ تنوشه كوقع الصَّيَّاصي في النَّسِيج الممدَّد
فدافعتُ عنه الحيلُ حتى تبدَّدتُ وحتى علاني حالكُ اللونِ أسودِ
وأسود نعت لحالك ، وجُرَّ لمجاوته المجرور .

وقول آخر :

كأنَّما ضربتُ قُدَّامَ أعينها قُطناً بمستحصد الأوتار محلوج (١)
ومحلوج نعت لقوله قطناً ، لكنَّه جرٌّ بالمجاورة .

وقوله ذى الرمة :

تريك سنَّة وجهٍ غيرٍ مقرِّفةٍ مَلَسَاءَ ليس بها خالٌ ولا ندْبُ
وغير : نعت لسنَّة المنصوبة ، وجُرَّ للمجاورة . ووُرى بالنصب أيضاً . قال الفراء :
قلت لأبى ثروان ، وقد أنشدنى هذا البيت بخفض غير : كيف تقول :
* تريك سنَّة وجهٍ غيرٍ مقرِّفةٍ *

(١) في النسختين : « كأنك ضريت » ، صوابه من الإنصاف ٦٠٥ : وفي ط : « بمستحصل » ،
صوابه في ش . والمستحصد : المحكم القتل .

قال :

* تريك سُنَّةَ وجهٍ غير مُقْرِفَةٍ *

بنصب غير . قلت له : فأنشد بخفض غير ، فخفض غير ، فأعدت عليه القول فقال : الذي تقول أنت أجود ممَّا أقول أنا . وكان إنشاده على الخفض . انتهى

قيل : ومنه قوله تعالى : ﴿اَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(١) ، لأنَّ عاصف من صفة الريح لا من صفات اليوم . وهذا القول للفرَّاء . قال : لما جاء العاصف بعد اليوم أتبعته إعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب ، أن يُتبعوا الخفض إذا أشبهه .

قال أبو حيان (في تذكرته) : قد أُولِّت هذه الآية . أقول : أولَّها الفرَّاء بتأويلين : أولهما وهو جيدٌ قال : جعل العُصُوفَ تابعاً ليوم في إعرابه ، وإنَّما العُصُوف للريح . وذلك جائز على جهتين : إحداهما أنَّ العُصُوف وإن كان للريح فإنَّ اليوم يُوصف به ، لأنَّ الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول يوم عاصف كما تقول : يوم بارد ، ويوم حارٌّ . وقد أنشدني بعضهم :

* يومين غَيمين ويوماً شَمْساً *

فوصف اليومين بالغيمين ، وإنَّما يكون الغيم فيهما .
والوجه الآخر : أن تريد في يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح لأنَّها قد ذُكرت في أوَّل الكلمة ، كقوله :
* إذا جاء يومٌ مَظْلَمُ الشمس كاسفُ^(٢) *

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) سبق البيت بتمامه في ص ٨٩ .

يريد كاسف الشمس . انتهى

وقد تقدم ردُّ هذا في كلام أبي حيان .

وَجَرَّ الجوار لم يسمع إلّا في النعت على القلة . وقد جاء في التأكيد في بيت على سبيل الندرة . قال الفراء (في تفسيره) : أنشدني أبو الجراح العَقِيلُ:

ياصاح بلُّغ ذوى الزَّوجاتِ كلَّهم
أنَّ ليس وصلٌ إذا انحلت عُرَى الذَّنْبِ^(١)

فاتبع كلَّ خفض الزوجات ، وهو منصوب ، لأنه توكيد لذوى . انتهى

وزعم أبو حيان (في تذكرته) وتبعه ابن هشام (في المغنى) أنَّ الفراء سأل أبا الجراح فقال : أليس المعنى ذوى الزوجات كلَّهم؟ فقال: بلى ، الذى تقوله خيرٌ من الذى نقول . ثم استنشده البيت فأنشده بخفض كلَّهم . انتهى والفراء إنما نقل هذه الحكاية في بيت ذى الرمة السابق .

وهذا البيت لأبى الغريب . قال أبو عبيد البكرى (في شرح أمالى القالى) : هو أعرأى له شعر قليل ، أدرك الدولة الهاشمية . قال أبو زياد الكلابى : كان أبو الغريب شيخاً قد تزوج فلم يُولم ، فاجتمعنا على باب خبائه وصحبنا : أولم ولو بيريوس أو لو بقرد مجدوع^(٢)

(١) سبق الكلام عليه في ص ٩٠ .

(٢) كتبت في ش : « أولم ولو بقرد مجدوع » ، ثم صححت فيها بقلم الناسخ بحذف كلمة « ولو » . وفي سبط اللآلى ٦٥٠ : « أو بقراد مجدوع » وكذا في الاشتقاق ١٤٢ .

* قَتَلْنَا مِنَ الْجَوْعِ *

فأولم واجتمعنا عنده ، فأعرس بأهله ، فلما أصبح غدونا عليه فقلنا :
يا ليت شعري عن ألى الغريب إذ بات فى مَجَاسِدِ وطيب
معانقاً للرَّشَاءِ الرِّيبِ أَحْمَدَ المِحْفَارِ فى القلبِ

* أم كان رخواً يابسَ القصيبِ *

فصاح إلينا : يابس القضيبي والله ، يابس القضيبي ! وأنشأ يقول :
سَقِيّاً لعهد خليل كان يأدُمُ لى زادى ويذهب عن زوجاتى الغضبا
كان الخليل فأضحى قد تحوَّته هذا الزمان ، وتطعانى به الثُّقْبَا
وقال :

ياصاح بلِّغ ذوى الزَّوجَاتِ كلَّهم
أنَّ ليس وصلٌ إذا استرخت عُرى الذَّنْبِ
انتهى . وأراد باسترخاء عُرى الذنب استرخاء الذكر .

وأما جرّ الجوار فى العطف فقد قال أبو حيان (فى تذكرته) : لم يأت فى
كلامهم ، ولذلك ضعُف جداً قول من حمل قوله تعالى : ﴿وَأَمْسَحُوا برؤوسكم
وأرجلكم﴾ ^(١) ، فى قراءة من خفض على الجوار ^(٢) . والفرق بينه وبين النعت
كون الاسم فى باب النعت تابِعاً لما قبله من غير وساطة شئ ، فهو أشدُّ له
مجاورة ، بخلاف العطف . إذ قد فصل بين الاسمين حرفُ العطف ، وجاز

(١) الآية ٦ من سورة المائدة .

(٢) قرأ نافع والكسائى وابن عامر وحفص : « وأرجلكم » بالنصب . وقرأ سائر القراء بالجر . وقرأ
الحسن : « وأرجلكم » بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر ، أى اغسلوها إلى الكعنين . تفسير أبى حيان .

إظهار العامل في بعض المواضع ، فبُعِدَت المجاورة . وذهب بعض المتفقهة من أصحابنا الشافعية إلى أَنَّ الإعراب على المجاورة لغة ظاهرة ، وحمل على ذلك في العطف الآية الكريمة ، وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ ﴾^(١) ، قال : فخفض المشركين لمجاورة أهل الكتاب . وما ذهب إليه يمكن تأويله على وجه أحسن ، فلا حجة فيه . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغنى) : وقيل به في ﴿ وَحُورٍ عِينٍ ﴾^(٢) فيمن جرَّهما ، فإن العطف على ﴿ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾^(٣) لا على ﴿ أَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ ﴾^(٤) ، إذ ليس المعنى أَنَّ الولدان يطوفون عليهم بالحور . وقيل العطف على جنات ، وكأنَّه قيل : المقربون في جنات وفاكهة ولحم طير وحور . وقيل على أكواب باعتبار المعنى ، إذ معنى يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون بأكوابٍ : ينعمون بأكواب . انتهى .

وأما قوله في البدل فقد قال أبو حيان أيضا : لم يُحفظ ذلك في كلامهم ، ولا خرَّج عليه أحدٌ من علمائنا شيئا فيما نعلم . وسبب ذلك والله أعلم أنه معمولٌ لعامل آخر للعامل الأول على أصحِّ المذهبين ، ولذلك يجوز ذكره إذا كان حرف جرٍّ بإجماع ، وربما وجب إذا كان العامل رافعا أو ناصبا . ففي جواز إظهاره خلاف ، فبُعِدَت إذ ذاك مراعاة المجاورة ، ونزَّلَ المقدَّر الممكن إظهاره منزلة الموجود ، فصار من جملة أخرى . انتهى .

وقد آن لنا أن نرجع الى البيت الشاهد فنقول : هو من أبيات للحطيئة ، صاحب الشاهد

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

(٢) الآية ٢٢ من الواقعة .

(٣) الآية ١٧ من الواقعة .

(٤) نصها : « بأكواب وأباريق » ، من الآية ١٨ من الواقعة .

وقد تقدمت ترجمته في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة ^(١) ، مدح بها عدى ابن فزارة ، وعيينة بن حصن ، وحذيفة بن بدر ، فقال بعد تسعة أبيات ^(٢) من الغزل :

(فأبلغ عامراً عنى رسولاً رسالةً ناصحاً بكمُ حفيٌّ
فإياكم وحيّةً بطنٍ وادٍ حديد النَّاب ليس لكم بسى
فحلُّوا بطنَ عُقْمَةٍ واتَّقونا إلى نجرانٍ في بلدٍ رخيٍّ
فكم من دارٍ حىٌ قد أباحت لقومهم رِماحُ بنى عدى
فما إن كان عن ودٍّ ولكن أباحوها بضمِّ السّمهرى ^(٣))
وبعد هذا خمسة أبيات أخر .

وقوله : « فأبلغ عامراً » الخ قال أبو عمرو : يعنى عامر بن صعصعة ، وهو أبو قبيلة . والرسول : الرسالة . انتهى . فيكون على هذا قوله : رسالة ناصح بدلاً من رسولاً ، وأجود منه أن يكون رسولا حالا من ضمير أبلغ . والحفيُّ ، بالحاء المهملة ، هو المشفق اللطيف .

وقوله : (وإياكم وحيّة) الخ إياكم محذّر وحية محذّر منه ، منصوبان بفعلين ، أى أبعدوا أنفسكم واحذروا الحية . وأراد الخطيئة بالحية نفسه ، يعنى أنه يحمى ناحيته ويُتقى منه كما يُتقى من الحية الحامية لبطن واديه ، المانعة منه . والوادی : المطمئن من الأرض . وقوله : (حديد النَّاب) هكذا وقع في رواية ديوانه ، وهذا لايدلّ على أن المراد بالحية الذكر ، لأنّ حديداً في الأصل

(١) الخزائن ٢ : ٤٦ .

(٢) ط : « من بعد تسعة أبيات » .

(٣) السّمهرى : الرماح المنسوبة إلى سمهر زوج رديئة ، وكان مثقفا للرماح . والصم : جمع أصم .

وهو الصلب المصمت . ط : « بضم السّمهرى » ، صوابه في ش والديوان ٦٩ .

مسند إلى الناب ، أى حديد نابه . والناب من الأسنان مذكّر مادام له هذا الاسم ، والجمع أنياب ، وهو الذى يلى الرّباعيّات . قال ابن سينا : ولا يجتمع فى حيوانٍ نابٌ وقرن . كذا فى المصباح . و (الحديد) : القاطع ، وروى بالنصب إتباعاً للفظ الحية ، والمشهور فى رواية النحويّين (هَمْوزِ النَّابِ) بالجر على المجاورة كما تقدم . و (الهموز) : فعول من الهمز بمعنى الغمز والضغط . وقوله : (ليس لكم بسى) ، هذا يدلّ على تذكير الحية ، فإنّ ضمير ليس عائد إلى الحية ، ولو أراد المؤنث لقال ليست . والسى بكسر السين المهملة : المثل ؛ أى لا تستون معه ، بل هو أشرف منكم .

وقوله « فحلّوا بطنَ عُقْمَةٍ » إلخ حُلُّوا أمرٌ من الحلول بمعنى النزول . وعُقْمَةٌ ، بضم العين وسكون القاف ، قال أبو عُبيد البكرى (فى المعجم) : هو موضعٌ ما بين ديار بنى جعفر بن كلاب وبين نَجْران . وأنشد هذا البيت . والمعنى : اتَّقُونَا من ههنا إلى نَجْران . ونَجْران : مدينةٌ بالحجاز من شِقِّ اليمن . ورَخَى : بعيد ، وقيل واسع مخصب .

وقوله : « فكم من دار حَى » إلخ حَى هنا بمعنى القبيلة . وأباحَت : بمعنى جعلته مباحاً (١) .

وقوله : « فما إن كان عن ود » إلخ يقول : لم ينزلوا هذه المنازل عن مودّة بينهم وبين هؤلاء ، ولكن أباحتها لهم رماحهم وسيوفهم .

وأما بيت سيويه ، وهو :

* كَأَنَّ نَسِجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُرْمَلِ *

(١) ط : « جعلت » ، صوابه فى ش .

فهو للعجاج . وبعده ^(١):

على ذُرَى قُلَامِهِ المَهْدَلُ سُبُوبُ كَتَّانٍ بِأَيْدِي الغُسْلِ
النسج : الغَزْل . والمرمل : المنسوج ، والمَعْزُول . والذُرَى : الأعلى ،
جمع ذِرْوَةٍ بالكسر . والقُلَام بضم القاف وتشديد اللام : ضربٌ من النبت ،
وَضْمِيرُ قُلَامِهِ راجعٌ إلى الماء ، فَإِنَّهُ في وصف ماءٍ وَرَدَهُ .
والمَهْدَل : المَدْلَى ^(٢) . والسُبُوب : جمع سَبَّ بالكسر ، كجذوع ^(٣) .
والسَّبُّ : ثوبٌ من كَتَّانٍ أبيض . والغُسْلُ : جمع غاسل وغاسلة . يعني أنَّ
العنكبوت قد نسجت على القُلَام الذي نبت حول الماء . شَبَّةٌ مانسجَتِ
العنكبوتُ عليه بثوبٍ رقيق من الكَتَّان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الثلاثئة ^(٤):

٣٥٠ (كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ)

على أن قوله « مزمل » انجرَّ لمجاورته لأناسٍ تقديرًا ، لا لبجَادٍ ؛ لتأخُّره
عن مزْمَلٍ في الرُّتَبَةِ . فالمجاورة على قسمين : ملاصقة حقيقية كما في البيت
السابق ، وملاصقة تقديرية كما في هذا البيت .
وفيه ردٌّ على شراح المعلقات ومن تبعهم ، فإنهم قالوا : جرَّ مزْمَلًا على
الجوار لبجَاد ، وحقه الرفع لأنه نعت لكبير .

(١) في ديوانه ٤٧ . وانظر سيبويه ١ : ٢١٧ والخصائص ٣ : ٢٢١ والانصاف ٦٠٥ . ش : « وما

بعده » .

(٢) ش : « المدل » ، صوابه في ط .

(٣) أى كجذوع ، جمع جذع بالكسر .

(٤) الخصائص ١ : ١٩٢ / ٣ : ٢٢١ والمحاسب ٢ : ١٣٥ وأمالى ابن السجري ١ : ٩٠ وسيعاد

في ٣ : ٦٣٩ بلاق .

ومن تبعهم أبو حيان ، قال (في تذكرته) : خفض مزملاً على الجوار للبيجاد ؛ وهو في المعنى نعت للكبير ، تغليياً للجوار . ومنهم ابن هشام (في بعض تعاليقه) قال : لما جاور المخفوض وهو البيجاد خفض للمجاورة . ولا يخفى أن المجاورة رُبِّيَّة كانت أو لفظية ، كافية .

وما قاله (١) الشارح المحقق لاداعى له .

ولم يجعل أبو على هذا البيت من باب الجر على الجوار ، بل جعل مزملاً صفة حقيقية لبيجاد ، قال : لأنه أراد مزمل فيه ، ثم حذف حرف البجر فارتفع الضمير واستتر في اسم المفعول . انتهى

وقال الخطيب التبريزي (في شرح المعلقات) : وفي البيت وجه آخر ، وهو أن يكون على قول من قال : كُسِيَتْ جَبَّةٌ زَيْدًا ، فيكون التقدير : في بجاد مزمله الكساء ، ثم تحذف كما تقول : مررت برجل مكسوِّته جبةً ، ثم تكنى عن الجبة فتقول : برجل مكسوِّته ، ثم تحذف الهاء في الشعر . هذا قول بعض البصريين (٢) . انتهى

ولا يخفى تعسف هذا القول . وتخرج أى على أقرب من هذا .

والمصراع عجزٌ ؛ وصدرة :

(كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عِرَانَيْنِ وَثِيلِهِ)

والبيت من معلقة امرئ القيس المشهورة .و(ثبير) : جبل بمكة (٣) . صاحب الشاهد

(١) ش : « وما قال » .

(٢) في شرح التبريزي : « بعض النحويين » .

(٣) من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، سمى ثبيراً برجل هذلي مات فيه .

و(العرانين) :الأوائل ،والأصل في هذا أن يقال للأنف عرين ،استعير لأوائل المطر ؛ لأن الأنوف تتقدم الوجوه . و(الويل) : مصدر وَيْلت السماء وَيلاً ؛ إذا أَتت بالوابل ، وهو ماعظم من القَطَر . وضمير وبله راجعٌ للسحاب في بيت قبله . و(البجاد) بالجيم بعد الموحدة المكسورة ، وهو كساءٌ مخطط من أكسية الأعراب من وبر الإبل وصُوف الغنم . و(المزمل) : اسم مفعول بمعنى الملفف^(١) . قال الزوزني (في شرح المعلقات) : كأنَّ ثَبِيراً في أوائل مَطَرِ هذا السحابِ سيّدُ أناسٍ ملفّف بكساءٍ مخطّط . شَبّه تَغْطِيَهُ بِالْعُثَاءِ^(٢) بتَغْطِي هذا الرجل بالكساء . انتهى . ونقل الخطيب التبريزي عن أبي نصر أن امرأة القيس شَبّه الجبل وقد غطاه الماء والعُثَاء الذي أحاط به إلّا رأسه ، بشيخ في كساء مخطّط . وذلك أن رأس الجبل يضرب إلى السواد والماء حوله أبيض . انتهى .

٣٢٨

وقال أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) : شَبّه ثَبِيراً برجل مزمل بالثياب ، لأنَّ المطر لَمَّا سَحَّ سَتَرَهُ .

وروى المبرد (في الكامل) تبعاً للأصمعي :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَدَقِهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ إلخ

وقال :أبان: جبلٌ ، وهما أبانان : أبان الأسود وأبان الأبيض . وقوله : في أفانين وَدَقِهِ ، يريد ضرباً من ودقه . والودق : المطر . قوله كبير أناس إلخ يريد مزملاً بشيابه ؛ قال تعالى : ﴿ يَأْيُهَا الْمَزْمَلُ * قُمْ اللَّيْلُ ﴾^(٣) ،

(١) ط : « المكفف » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٢) العثاء كغراب ، وتشديد الثاء أيضاً : مايجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد

والوسخ وغيره .

(٣) الآية الأولى من المزمل .

وهو المتزمل والتاء مدغمة في الزاى . وإنما وصف امرؤ القيس الغيث . فقال قوم : أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل . وقال آخرون : إنما أراد ماكسائه المطر من خضرة النبت . وكلاهما حسن . وذكر الودق لأن تلك الخضرة من عمله . انتهى .

تتمتان

(إحدهما) : لم يذكر الشارح المحقق الرفع على المجاورة ، لأنه لم يثبت عند المحققين ، وإنما ذهب إليه بعض ضعفة النحويين في قوله :
السالك الثغرة يقظان كالثغرة مشى الهلوك عليها الخيل الفضل^(١)

أولهم الأصمعي ، ذكره على بن حمزة البصرى (في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) قال : سأل الرياشي الأصمعي عنه فقال : الفضل من نعت الخيل ، وهو مرفوع ، وأصله أن المرأة الفضل هي التي تكون في ثوب واحد ، فجعل الخيل فضلاً لأنه لا ثوب فوقه ولا تحته ، كما يقال امرأة فضل . قال الرياشي : وهذا مما أخذ على الأصمعي . ثم رجع عن هذا القول وقال بعد : هو من نعت الهلوك ، إلا أنه رفعه على الجوار كما قالوا : جحر ضب خرب . انتهى .

ومنه ابن قتيبة ، قال (في أبيات المعاني^(٢)) : الثغرة والثغر سواء ، وهو موضع المخافة . والكالىء : الحافظ . والخيل : ثوب يُخاط أحد جانبيه ويُترك الآخر . والهلوك : المثنية المتكسرة . والفضل من صفة الهلوك ، وكان ينبغي أن يكون جرّاً ، ولكنه رفعه على الجوار للخيل . ومثله :

* كأن نسج العنكبوت المرمّل *

(١) للمتخل الهذلى في ديوان الهذليين ٢ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٢٩٢ .

(٢) المعاني الكبير ٥٤٤ .

ومثله جحر ضبٌ خربٍ . ومثله :

* كبير أناسٍ في بجادٍ مزملٍ *

وأراد أنه آمنٌ لا يخاف ، فهو يمشى على هينته . انتهى .

وقد ردَّ العلماء هذا القول ، منهم ابن الشجرى (في أماليه) قال : وزعم بعضٌ من لا معرفة لهم بحقائق الإعراب ، بل لامعرفة لهم بجملة الإعراب ، أنَّ ارتفاع الفضل على المجاورة للمرفوع ، فارتكب خطأً فاحشاً ، وإثماً الفضل نعتٌ للهالك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث أسند المصدر الذى هو المشى إليها ، كقولك : عجبت من ضرب زيد الطويل عمراً ، رفعت الطويل لأنه وصفٌ لفاعل الضرب وإن كان مخفوضاً فى اللفظ . فلو قلت بعجبت من ضرب زيد الطويل عمرو فنصبت الطويل لأنه نعت لزيد على معناه من حيث هو مفعول فى المعنى كان مستقيماً ، كما عطف الشاعر عليه المنصوب فى قوله :
قد كنتُ داينت بها حسناً مخافةً الإفلاس والليانا^(١)

ومثل رفع الفضل على النعت للهالك رفع المظلوم على النعت للمعقب

فى قول لبيد يصف الحمار والأتان :

٣٢٩

يُوفى ويرتقبُ النجادَ كأنه ذو إربة كلَّ المرام يرومُ
حتى تهجر فى الرواح وهاجها طلبُ المعقب حقَّه المظلومُ^(٢)

يوفى ، أى يُشرف . والنجاد : جمع نجد ، وهو المرتفع . أى يشرف

(١) لرؤية فى ملحقات ديوانه ١٨٧ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٩٨ .

(٢) البيت من شواهد الخزنة . وقد سبق فى ٢ : ٢٤٠ .

عَلَى الأماكن المرتفعة ، كالقريب ، وهو الرجل الذى يكون ربيعة القوم، يربض
عَلَى نَشْرٍ متجسسا^(١) . والإربة : الحاجة

وقوله : « حتى تهجرَ فى الرُّواحِ » أى عَجَل رِواحَه فراحَ فى الهاجرة .
وهاجها ، أى هاج الأتان وطردها وطلبها مثل طلب الغريم المعقَّب حقَّه؛
فالمعقَّب فاعل الطلب . ونصب حقَّه لأنَّه مفعول الطلب . والمظلوم صفة
للمعقَّب ، على المعنى ، فرفعه لأنَّ التقدير : طلبها مثل أن طلب ^(٢) المعقَّب
المظلوم حقَّه . والمعقَّب : الذى يطلب حقَّه مرة بعد مرة . انتهى .

ومنهـم أبو حيان (فى تذكرته) قال فى أولها : قال بعض معاصرنا :
أكرمهم يعتقد الجوار مخصوصا بالجرور ، وقد جاء فى المرفوع ، وأنشد :
السالك الثغرة اليقظان كالثغرة البيت

قال : رفعوا الفضل إتباعا لما قبله لقربه .

قال أبو حيان : قلت : وليس الرفع كما ذكر إتباعا للخيـل ، بل رفعه
على النعت للهـلوك على الموضع ، لأنَّ معناه : كما تمشى الهلوك الفضل . وعليها
الخيـل حال معمولة لتَمْشَى ، أو جملة اعتراضية . انتهى .

واليقظان بالنصب : صفةً للثغرة ، وكالثغرة فاعل اليقظان ، ومشى
مفعول مطلق ، أى مشياً ^(٣) كمشى الهلوك . والفُضْل بضمـتين : المرأة التى
عليها قميصٌ ورداء ، وليس عليها إزارٌ ولا سَرَويل .

(١) ش : « متجسسا » بالحاء المهملة ، وهما سواء ، وفسر قوله تعالى « ولا تجسسوا » ،
بقولهم : « ولا تحسسوا » . على أنها فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢ : « متجسسا » بالجيم .
(٢) ش : « مثل طلب » مع أثر تصحيح بالخط على « أن » ، وهو الموافق لما فى أمالى ابن
الشجرى .

(٣) ش : « ماشيا » .

وقال الفراء والحسن السكرى (فى الهذليات) : الفضل : ثوبٌ كالخيل
تلبسه المرأة فى بيتها . وعلى هذا فلا مجاورة ولا إبتاع على المحل . يقول : هذا
من شأنه سلوك موضع الخافة متمكنا غير خائف ، كمشى المرأة المتبخرة
الفضل .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت فى جملة شرح قصيدته فى الشاهد
الحادى والثلاثين بعد الثلاثمائة (١) .

(ثانيتها) : قد ضرب المثل بخفض مزمل فى كون الشريف يعاشر ذنباً
فيسفل بعشرته . قال الأمين المحلى :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافاً لأرباب الصُّلور تصدراً
وإياك أن ترضى صحابة ناقص فتنحط قدراً من علاك وتُحقراً
فرفع أبو من ثم خفض مزمل يبين قولى مغرباً ومحدراً

وأورد ابن هشام هذا الشعر (فى معنى اللبيب) فى الأمور التى يكتسبها
الاسم بالإضافة . منها : وجوب التصدر . ومما له الصدارة كلمات الاستفهام
يجب أن تتصدر فى جملتها ، فإذا أضيف إليها اسم وجب تصدُّره أيضاً ،
وحينئذ لا يعمل ما قبله فيه ، ولهذا وجب الرفع فى قولك : علمت أبو من زيد .
وإليه الإشارة بقوله « فرفع أبو من » . والإشارة بقوله « ثم خفض مزمل » إلى
بيت امرئ القيس الذى شرحناه . وقوله « مغرباً » راجع إلى قوله أولاً : « عليك
بأرباب الصدور » ، وقوله : « محدراً » راجع إلى قوله ثانياً : « وإياك أن ترضى
صحابة ناقص » .

(١) الصواب أنه الثانى والثلاثون بعد الثلاثمائة . وهو أول هذا الجزء الخامس .

فإن قيل : « قوله: يُبَيِّنُ قولي » ، إنلج لا يصح أن يكون خبراً عن مجموع قوله : فرفع أبو من ثم خفض مزمل ، إذ لم يقل يبيّنان . ولا عن أحدهما لاشتغال الجملة على قيد لا يصح تعلّقه بكلّ منهما . وذلك أن رفع أبو من لا يبيّن قوله مغنياً ومحدّراً ، وإنما يبين قوله مغنياً ، وكذا الثاني .

٣٣٠

أجيب بأن قوله: « يبيّن قولي » فقط هو خبر الأول ، وخبر الثاني محذوف ، وأنّ قوله : مغنياً ومحدّراً قيدان للمحذوف ، والتقدير فرفع أبو من يبيّن قولي ، وخفض مزمل كذلك ، هما يبيّنان قولي مغنياً ومحدّراً . ومثل هذا الشعر قول ابن حزم الظاهري :

تجنّب صديقاً مثل ماء، واحذر الذي يكون كعمرو بين عُرب وأعجم^(١)
فإنّ صديق السوء يزرى، وشاهدى: كما شَرِقتْ صدرُ القنّاة من الدم

قال ابن هشام (في المغنى) في المبحث الذى تقدّم ذكره : مراده بما الكناية عن الرجل الناقص ، كنقص ما الموصولة . ويعمرو الكناية عن المتزيد الآخذ مالىس له ، كأخذ عمرو الواو في الخط .

وقال في (موقد الأذهان وموقف الوسنان) وهى رسالة له ، بعد أن ذكر أنّه سئل عن الأبيات : يريد بالصدى الذى كعمرو المستكثر بما ليس له ، فإنّ عمراً قد أخذ الواو في الخط في الرفع والجر ، وليست داخله في هجائه ، ومن ثم نسب الشعراء إلحاقها له إلى الظلم . قال الشاعر :

أيّها المدّعى سليماً سفاهاً لست منها ولا قلامة ظفرٍ
إنّما أنت من سليم كواو ألحقّت في الهجاء ظلاماً بعمرو

(١) يقال رجل أعجم وقوم أعجم أيضاً . وأنشد في اللسان :

سكّوم لو أصبحت وسط الأعجم فى الروم أو فارس أو فى الديلم

وأما المشار إليه بما فهو الصديق الناقص ^(١) ، وذلك على أنه يريد ما الموصولة ، فإنها مفتقرة إلى صلة وعائد ؛ وما الاستفهامية ، فإنها تنقص حرفاً إذا دخل عليها الجار . وهذا أحسن من قوله (في المغنى) كنقص ما الموصولة . لأن ما الناقصة أعم من الموصولة لشمولها الاستفهامية . وأما الموصوفة فهي كالموصولة .

وأما الشاهد الذى أشار إليه ابن حزم فهو قول الأعشى ميمون ، من قصيدة :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدم ^(٢)
وبيانه أن الفعل إنما تلحقه التاء إذا كان الفاعل مؤنثا ، ولا يجوز قالت زيد ، فكان ينبغى أن لا يجوز كما شرقت ؛ لأن الصدر مذكر ، لكنه لما أضافه للقناة سرى منها التانيث إليه . وعكس ذلك قوله :

إنارة العقل مكسوفٌ بطَوَّع هوى

وعقلٌ عاصى الهوى يزداد تنويرا ^(٣)

فكان ينبغى أن يقول مكسوفة ؛ لأن الإنارة مؤنثة ، ولكنه لما أضافها إلى العقل سرى إليها منه التذكير .

والأمين المحلى من الفضلاء المصرية ؛ له تأليفات في علم العروض . والمحلة : كورة بمصر القاهرة .

الأمين المحلى

(١) ش : « فهو للصديق الناقص » .

(٢) ديوان الأعشى ٩٤ . وفى ط : « قد أزعته » بالزاي ، صوابه فى ش والديوان . والبيت من

شواهد سيبويه ١ : ٢٥ والمقتضب ٤ : ١٩٧ ، ١٩٩ . وانظر معجم شواهد العربية ١ : ٣٦٨ .

(٣) البيت لأحد المولدين . وانظر شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٦ والتصریح ٢ : ٣٢

والأشعوى ٢ : ٢٤٨ .

باب العطف

أنشد فى أوله :

٣٣١ (إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية فى المزدحم)
على أن الصفات يعطف بعضها على بعض ، كما هنا . وقد تقدم
الكلام عليه فى الشاهد الخامس والسبعين فى باب المبتدأ والخبر ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الثلاثئة ^(٢) :

٣٥١ (يالهف زبابة للحارث ال صابج فالغانم فالآيب)
على أن الصفات يعطف بعضها على بعض كما هنا ، فإن الغانم
معطوف على الصابج ، والآيب معطوف على الغانم . وأشار بالبيتين إلى أن
عطف الصفات يجوز بالواو إن قصد الجمع ، وبالفاء إن قصد التعقيب .
قال الخطيب التبريزى (فى شرح الحماسة) : لما كانت هذه الصفات
متراخية حسن إدخال فاء العطف ، لأن الصابج قبل الغانم، والغانم أمام
الآيب . ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة فى الموصوف ، فلا
يحسن أن يقال عجت من فلان الأزرق العين فالأشم الأنف فالشديد
الساعد ؛ إلا على وجه يبعد ، لأن زرق العين وشم الأنف وشدة الساعد قد
اجتمعن فى الموصوف . انتهى .

والصواب أن يقال متعاقبة بدل متراخية، فإن التعاقب هنا كالتعاقب

(١) الخزنة ١ : ٤٥١ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢١٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٨ ومع المعام ٢ : ١١٩ والحماسة
بشرح المرزوقى ١٤٧ والتبريزى ١ : ١٤٢ .

في قولك : تزوّج زيد فولد له : وكذلك كل شيء بحسب حصوله وإن كان فيه تراخ .

وقال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : أراد الذى يَصْبَحُ العدو بالغارة فيغنم فيثوب سالماً ، فعطف الموصول على الموصول ، وهما جميعاً لموصوف واحد . والشئ لا يعطف على نفسه ، من حيث كان العطف نظير التثنية في المعنى ، فكما لا يكون الواحد اثنين كذلك لا يعطف الواحد على نفسه . وعلة جواز ذلك قوة اتصال الموصول بصلته ، حتى إنه إذا أريد عطف بعض صلته على بعض [جىء به ^(١)] هو معطوفاً في اللفظ على نفسه . ومثله ^(٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿الذى هو يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ^(٣)﴾ إلى آخر الآية . وهذا كله صفة موصوف واحد ، وهو القديم عز اسمه . وقد تفصّيت هذا في كتاب ^(٤) (المعرب) وهو تفسير قوافى أبى الحسن . فأما قول الله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * وَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً ^(٥)﴾ فقد يمكن أن يكون ممّا نحن فيه ؛ وقد يمكن أن تكون العاديات غير الموريات ، والمغيرات غيرهما ؛ فيكون عطف موصوف على موصوف آخر حقيقةً لا مجازاً كقولك : مررت بالضاحك فالباكى ، إذا مررت باثنين أحدهما ضاحك والآخر باكٍ . انتهى .

وأورد الزمخشري هذا البيت والذى قبله عند قوله تعالى : ﴿والذين

(١) التكملة من إعراب الحماسة لابن جنى الورقة ٤٣ . وبدلها في ش « حسبته » تحريف .

(٢) ش : « ومثل » ، صوابه في ط وإعراب الحماسة .

(٣) الآية ٧٩ ، ٨٠ من الشعراء .

(٤) ط : « كثنائى » ، وأثبت ما في ش وإعراب الحماسة .

(٥) الآيات ١ — ٣ من سورة العاديات .

يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ^(١) ﴿﴾ من سورة البقرة ؛ فى توسُّط العاطف بينه وبين قوله تعالى قبله : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فَإِنَّهُمَا واحدٌ ؛ كما توسُّط بين الصفَّات فى البيتين . وعطف الصفَّات على الصفات كثير ، بناءً على تغاير المفهومات وإن كانت متَّحدة بالذات . وقد يكون العطف بالواو كما فى الآية والبيت الأوَّل ؛ وقد يكون بالفاء كما تقدَّم بيانه .

قال صاحب (الكشاف) فى أوَّل الصفَّات ، ونقله ابن هشام (فى المغنى) : للفاء مع الصفات ثلاثة أحوال : أحدها أن تدلَّ على ترتب معانيها فى الوجود ؛ كقوله : يالهف زِيَاة البيت ؛ أى الذى صَبَحَ فَعَنِمَ قَاب . والثانى : أن تدلَّ على ترُّبها فى التفاوت من بعض الوجوه ، نحو قولك : ٣٣٢ خذ الأكمل فالأفضل ، واعمل الأحسن فالأجمل .

والثالث : أن تدلَّ على ترتيب موصوفاتها فى ذلك ، نحو : رحم الله المخلَّقين فالمقصِّرين . انتهى .

قال الفاضل اليمنى : والقسمة الصحيحة تقتضى أربعة ، لأنَّه كما جاز فى الصفات الدلالة على ترُّب ^(٢) معانيها فى الوجود ، كذلك يجوز فى الموصوفات ، كما تقول : حلَّ المتمتع فالقارن فالمفرد ^(٣) .

وهذا البيت أوَّل أبيات ثلاثة لابن زِيَاة ، مذكورة فى الحماسة . وبعده : صاحب الشاهد ([و] الله لو لاقيته خالياً لآبَ سَيْفانا مع الغالب ^(٤)) أنا ابنُ زِيَاة إن تدعنى آتِكَ والظنُّ على الكاذب)

(١) الآية ٤ من البقرة .

(٢) هذا ما فى ط . وفى ش : « ترتيب » .

(٣) يقال حل الحرم من إجرامه يحل حلا بالكسر وحللا ، - إذا خرج من حرمة .

(٤) الواو فى أوَّل البيت تكملة من ش والحماسة .

قال الجوهري : يالهف : كَلِمَةٌ يتحسّرُ بها على مافات . ولهف منادى مضاف ، أى يالهف احضُر .

وزيَّابة بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتية وبعد الألف باءً موحّدة : اسم أمّ الشاعر . ومثل هذا البيت فى تلهيف الأمّ والتحسّر على الفات ، قول النابغة الذبيانيّ :

يالهف أمّى بعد أسرة جَعُولٍ أن لا أَلأقيهم ورَهْطَ عِرارٍ^(١)

وزعم ابن هشام (فى المغنى) أنّ زيابة أبو الشاعر ، ولم أَره لغيره . وقال : أراد يالهف أبى على الحارث أن لا أكون لقيته فقتلته . وذلك لأنّه يريد يالهف نفسى .

وفيه أنّه يصح أن يكون اللّهُف من أمّه وأبيه ، فلا حاجة إلى إقامة غيره مقام نفسه .

واللام فى (للحارث) للتعليل ، أى يالهف أمى من أجل الحارث . وجعلها ابنُ هشام بمعنى على . قال أمين الدين الطّبرسى (فى شرح الحماسة) : يجوز أن يكون أوردَ هذا الكلام على الحقيقة ، فلَهَفَ لما رأى من نجاحه فى غزواته ، وسلامته فى مآبه . ويجوز أن يكون أوردَه على طريق الاستهزاء فوصفه بهذه الصفات والأمرُ بخلافه . والأشهر أن يوصف الرجل بما هو متّصف بضده تهكّما به وسخرية . وهذا من أشدّ سباب العرب ، يقول الرجل لغيره . ياعاقلُ أو يا حليم ، إذا استجهله . ونحوه قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٢) . انتهى

(١) البيت لم يرد فى ديوان النابغة برواية البطلوسى ولا برواية ابن السكيت .

(٢) الآية ٤٩ من الدخان .

وحمل أبو عُبيد التمرى (فى شرح الحماسة) هذا الكلام على ظاهره فقال :
يقول : يَصْبَحُ أعداءُهُ بالغارة فيغنم ويؤوب ، فوصفَهُ (١) بالفتك والظَّفَر
وحسن العاقبة . وهذا بَيِّن واضح .

وردَّ عليه أبو محمد الأعرابى الأسود فقال: هذا موضع المثل: « اخطأتِ
استنك الحفرة ». كيف يذكره بالفتك والظَّفَر وهو أعدى عدوِّ له؟ وإنما المعنى
أنَّه لَهْف أمه وهى زبابة، أن لا يلحقه فى بعض غاراته فيقتله أو يأسره. انتهى.
ومنه تعلم أن قول ابن هشام يالهف أبى على الحارث إذ صَبَح قومى
بالغارة غير جيِّد من وجهين : أحدهما تفسير زبابة بالأب ، والثانى تقييد صَبَح
بقوله قومى .

وقد ذهب إليه أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) فقال : تأسف
أن صَبَّحهم فغنم وآب سالما . والصَّابح : الذى يَصْبَحُ القوم بالغارة .
والحارث هذا هو الحارث بن همَّام بن مُرَّة بن ذهل بن شيبان . وإنما الحارث بن همَّام
قال ابن زبابة فيه هذا الشَّعر جوابا عن شعر له فيه . وهذا شعر الحارث ٣٣٣
بن همَّام :

أيا ابن زبابة إن تلقنى لا تلقنى فى النعم العازب
وتلقنى يشتدُّ بى أجردٌ مُستَقْدِم البركة كالراكب
العازب : البعيد. يريد إنك لاترانى راعى إبل . والمعنى : إنما أنا صاحب
فرس ورمح ، أغير على الأعداء وأحارب من يبتغى حرنى . ويشد من الشَّد ،
وهو العدو . والأجرد : الفرس القصير الشعر : والبركة بكسر الموحدة :
الصُّدر ، أى متقدِّم الصُّدر مشرفه . كالراكب ، أى إشرافه لإشراف الرَّاكِب
لا المركوب . وأيا حرف نداء ، وابن زبابة منادى .

(١) ط : « وصفه » ، وأثبت ما فى ش .

وقوله : « والله لو لاقيته خالياً » إلخ ، يقول : لو لاقيته لقتلته أو قتلنى ، ورجع السيفان مع الغالب . وفى هذا الكلام وصف لنفسه بالشجاعة وقلة مبالاته بالموت ، وإنصاف للمحارب .

وقوله : « إن تدعنى » إلخ هذا يحتمل وجهين .

أحدهما : إنيك إن دعوتنى علمت حقيقة ما أقول ، فادعنى وأخلص من الظن ، لأنك لاتظن بى العجز عن لقائك . والظن من شأن الكاذب .
والآخر : أن يكون معنى قوله والظن على الكاذب ، أى يكون عوناً عليه مع الأعداء ، كما تقول : رأيك عليك ، أى إنيك تُسيئه فيكون كالمُتظاهر عليك . هذا كلام الخطيب التبريزي .

وقال الطبرسي : قوله والظن على الكاذب ، جرى مجرى الأمثال ، ومعناه قولٌ لبيد :

واكذب النفس إذا حدّثها إن صدق النفس يُزرى بالأمل
والمعنى كلٌ يحدث صاحبه بكذبها ثم الظن على من لا يتحقق أصله .
ويجوز أن يريد : أنا المشهور المعروف ، إن تدعنى لمبارزتك أجبتك ، فإن كنت تظن غير هذا فظنك عليك ؛ لأنك تكذب نفسك فيما تتوهمه من قعودى عنك ، ونكولى عن الإقدام عليك . ويجوز أن يريد : إن ظننت أن تكون الغالب فظنك عليك لأنك تكذب نفسك :

وابن زبابة : شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، واختلف فى اسمه ، فقال أبو رياش (فى شرح الحماسة) : هو عمرو بن لأى ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز (١) .

ابن زبابة

(١) فى القاموس : « مجلز كمنبر : فارس عمرو بن لأى التيمي » .

وقال أبو محمد الأعرابى، والمرزبانى : اسمه سلمة بن ذهل .
 وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : اسمه عمرو بن
 الحارث بن همّام ، أحد بنى تميم اللات بن ثعلبة .
 وزَيَابَة اسمٌ مرتجل ، قال ابن جنى (فى المبهج) : هو فعّالة أو فيعالة
 أو فوعالة ، من لفظ الأزيب ، وهو التّشاط . انتهى .
 قال صاحب الصحاح عن ابن السكيت : الأزيب على أفعل :
 النشاط ، ويؤنث ، يقال : مرّ فلانٌ وله أزيبٌ مُنكرة ، إذا مرّ مرّاً سريعاً من
 النشاط . والأزيب : الدّعى . والأزيب : العداوة . والأزيب : النكباء التى تجرى
 بين الصّبا والجنوب . وقال أبو زيد : أخذنى من فلانٍ الأزيبُ ، وهو الفزع .
 وأخطأ محمد بن داود الجراح فى ضبطه ابن زَيَابَة (١) بياءين موحدتين
 خفيفتين ، قال : وهى فارةٌ صمّاء يشبّه بها الجاهل ، قال ابن جرّور :
 وهُم زَيَابٌ حائرٌ لاتسمعُ الآذانُ رَعداً (٢)
 وشعره يردُّ عليه (٣) ، فإنّه لا يستقيم على ما قال . نقله أبو عبيد البكرى .
 ٣٣٤ واللّائى ، بفتح اللام وسكون الهمزة بمعنى ، البطء . وتيم بمعنى
 عبد ، واللات صَنَم . ومَجَلَزٌ بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام وآخره زاي
 معجمة : اسمُ فرسه ، وهو من الجلز ، وهو القتل الشديد .

(١) ش : « ابن زبابه » ، ولكل منهما وجه .

(٢) ط : « زبابه حائر » ، صوابه فى ش والحيوان ٤ : ٤١٠ / ٥ : ٢٦٠ وعيون الأخبار ٢ : ٩٥

واللسان (زيب) .

(٣) أى شعر ابن زبابه ، وهو قوله :

أنا ابن زبابه إن تدعى آتاك والظن على الكاذب

ولابن زِيَّابَة شعرٌ جيد ، أورد منه المبرد (في الكامل) هذه الأبيات ، وأبو تمام (في الحماسة) (١) :

مَالِدِدٍ مَالِدِدٍ مَالُهُ يَبْكِي وَقَدْ أَنْعَمْتَ مَابَالَهُ
مَالِي أَرَاهُ مُطَرِّقًا سَامِيَا ذَا سِنَةٍ يُوعِدُ أَخْوَالَهُ
وَذَاكَ مِنْهُ تُخْلَقُ عَادَةٌ أَنْ يَفْعَلَ الْأَمْرَ الَّذِي قَالَهُ
إِنَّ ابْنَ بِيضَاءَ وَتَرَكَ النَّدَى كَالْعَبِيدِ إِذْ قَيَّدَ أَجْمَالَهُ
آلِيْتُ لَا أَدْفِنُ قَتْلَاكُمْ فَدَخَنُوا الْمِرَّةَ وَسِرْبَالَهُ
الدَّرْعَ لَا أَبْغِي بِهَا نَثْوَةً كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالَهُ
وَالرُّمْحَ لَا أَمْلَأُ كَفِّي بِهِ وَاللَّبْدُ لَا أَتَّبِعُ تَرْوَالَهُ

قال المبرد : قوله مالدِدِ ، يعني رجلا . ودَدٌ في الأصل هو اللُّهُو ، قال رسول الله ﷺ : « لستُ من دِدٍ ولاددٌ مني » . وقد يكون في غير هذا الموضع مأخوذاً من العادة . وقوله « أنعمت ماباله » مأزئدة ، والبال هنا : الحال .

وقوله : « مطرِقا سامياً » السامي : الرَّافِعُ رَأْسَهُ ؛ يقال سما يسمو ، إِذَا ارْتَفَعَ . والمطرِيقُ : السَّاكِتُ المَفْكُرُ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ سَامِيًا بِنَفْسِهِ . وقوله : « ذَا سِنَةٍ » يقول : كَأَنَّهُ لَطُولُ إِطْرَاقِهِ فِي نَعْسَةٍ . انتهى . قال ابن السَّيِّد (فيما كتبه على الكامل) : حَكَى الرَّجَّاجِيُّ أَنَّ المَطْرِيقَ مِنْهُ هُوَ بَذِيءٌ فِي أَفْعَالِهِ وَيَطْلُبُ مَعَالَى الْأُمُورِ . وقال غيره : المَطْرِيقُ الخَامِلُ الذَّكْرُ ، أَيْ هُوَ خَامِلٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَهُوَ يَتَكَبَّرُ فِي نَفْسِهِ . وقوله : « ذَا سِنَةٍ » يريد أن وعيده لاحقية له فكأنه يراه في النوم . انتهى كلام ابن السَّيِّد .

(١) انظر الكامل ٢٠٧ والحماسة ١٤٢ بشرح المَرْزُوقِي وَ ١ : ١٣٦ بشرح التَّبْرِيزِي .

وروى أبو تمام المصراع الأول :

تُبَيِّتُ عَمْرًا غَارِزًا رَأْسَهُ ذَا سِنَةٍ

قال الخطيب التبريزى : نبى متعدي إلى ثلاثة مفاعيل ، أولها نائب الفاعل وهو تاء المتكلم ، ورأسه منصوب بغارزاً ، بمعنى مدخلا رأسه ، ومنه الغرز بالإبرة . وغرز الرأس : كناية عن الجهل والذهاب عما عليه وله من التحفظ . والسنة بالكسر : النعاس . يقول : كأنه ^(١) وسنان قد تغير عقله ، فهو يوعد من لا يجب ^(٢) أن يوعد ، وجملة يوعد حال . وروى : فى «سنة» بفتح السين ، أى فى جذب وقحط .

وقوله : « وذاك منه خلق عادة » روى بدله أبو تمام : « وتلك منه غير مأمونة » .

قال الخطيب : أى تلك الخصلة لا يؤمن وقوعها من عمرو ، وهو فعله لما يقوله . وهذا تهكم . وأن يفعل موضعه بدل من قوله : وتلك منه .

وقوله : « كالعبد إذ قيّد أجماله » قال المبرد : يريد غير أنه مكترث لاكتساب المجد والفضل ؛ وذلك أن العبد الراعى إذا قيّد أجماله لف رأسه ونام ناحية ^(٣) . وهذا شبيه بقوله ^(٤) :

* واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى *

(١) ط : « لكأنه » وأثبت ما فى ش والتبريزى .

(٢) فى النسختين : « من لا يجب » بالخاء المهملة ، صوابه بالجيم من التبريزى .

(٣) الذى فى الكامل : « نام حجرة » . وحجرة ، بفتح الحاء فى أوله بمعنى الناحية ، ومنه قول

الحارث بن حلزة :

عتا باطلا وظلما كما تم تر عن حجرة الربيض الطباء

(٤) هو الخطيعة . ديوانه ٥٤ . وصدده :

* دع المكارم لا ترحل لبغيتها *

وهذا البيت ساقطٌ في رواية أبي تمام . قال الخطيب : قال الثمري : وفيها :

* إنك ياعمرُو وترك الندى *

قال ابن السكيت ^(١) : يقول : أنت كالعبد اقتصر على موضع يرعى فيه ^(٢) ولا يعزبُ بإبله . وعندى أنه غير ممتنع أن يكون قوله « وترك الندى » معناه إنك وبخلك ؛ فإنه من ترك الندى فقد أخذ البخل . يقول : وبخلك وجبلك مالك ^(٣) كالعبد قيد أجماله فلا يبرح منها بعير . وكذلك أنت قيدت مالك لا يبرحك . قال أبو محمد الأعرابي : هذا موضع المثل :

٣٣٥

فلا يدرى نُصيرٌ من دحّاها ومن هو ساكنُ العرش الرفيع ^(٤)
أخبرنا أبو الندى قال : هذا البيت من المختل القديم ، والصواب :
إنني وحواء وترك الندى كالعبد إذ قيد أجماله
قال : حواء : فرسه . ومعناه إنى متى أترك الغزو على ظهر حواء واغتنام
الأموال ^(٥) وتفريقها على الزائرين والسائلين ، لم يبق لي هم ، لأن أكثر همى في
ذلك ، وكنتُ مثل العبد إذا شبت إبله فأراحها وقيدَها في مُراحها ^(٦) لم يبق
له هم حينئذ . يقول : همى في الغزو واغتنام الأموال وبذلها . انتهى .

(١) موضع كلمة « السكيت » بياض في ش . وفي ط : « ابن السيد » . وهذا الكلام منسوب إلى ابن السكيت في شرح التبريزي ١ : ١٤٠ .

(٢) فيه ، ساقطة من ش . وفي شرح التبريزي نقلا عن ابن السكيت : « يرعى فيه ولا يعزب بإبله » .

(٣) في النسختين : « وكسبك مالك » ، صوابه عند التبريزي .

(٤) عند التبريزي : « فلا يدرى نصير » بالصاد المهملة .

(٥) ش : « أو اغتنام الأموال » ، وأثبت ما في ط والتبريزي .

(٦) المراح بالضم : مأوى الابل . وفي ط : « مراحلها » ، صوابه في ش والتبريزي .

وقوله : «فَدَخَنُوا الْمَرْءَ وَسِرْبَالَهُ» . قال المبرد : يروى أَنَّهُ طَعَنَ فَارِساً مِنْهُمْ فَأَحْدَثَ ، فقال : نَظَّفُوهُ فَإِنِى لَأَدْفِنُ الْقَتِيلَ مِنْكُمْ إِلا طَاهِراً .
وقوله : «الدرع لأبغى بها ثثرة» قال المبرد: الثثرة : الدرع السابغة.
يقول : درعى هذه تكفينى (١) .

وقوله : « كل امرئٍ مُستودعٌ ماله » قال المبرد : أى مُستترهَنٌ بأجله ، وهو كقول الأعشى :
كُنْتُ الْمَقْدَّمُ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أَبْطَالَهَا (٢)
وَعَلِمْتُ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتْفَهَا مَا كَانَ خَالِقُهَا الْمَلِكُ قَضَى لَهَا (٣)
انتهى . وقال الإمام أبو الوليد (فيما كتبه على الكامل) : ليس هذا بالمعنى ، لأنَّ الاستيداع غير الاسترهان ، والمال غير الأجل ، وإثما المعنى مال الإنسان وديعة مرتجعة ، وعارية مؤداة ، كما قال لبيد :
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلاَّ وَدِيعَةٌ وَلَا بَدْءٌ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ (٤)
ويروى :

* وَالْدرع لا أبغى بها ثروة *

وهذه الرواية تدل على معنى بيت لبيد ، ولا يجوز معها تأويل المبرد . انتهى
وهذه رواية شراح الحماسة . قال الخطيب : أى درعى مالى الذى أدخره (٥) . وهذا كقول الآخر :

(١) ط : « تكفينى » ، صوابه فى ش والكامل .

(٢) ط : « يضرب » ، وأثبت ما فى ش والكامل والديوان ٢٧ .

(٣) فى الكامل : « ما كان خالقها الفضيل » .

(٤) ديوان لبيد ١٧٠ .

(٥) كلمة « الذى » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش وشرح الحماسة . وفى شرح الحماسة :

« الذى أدخره » .

ومالَى مالٌ غيرُ درعٍ حصينةٍ وأبيضَ من ماءِ الحديدِ صقيلٍ
ويَحْتَمِلُ أَنَّهُ لا يبيعها فيأخذ العوضَ عنها فيُثْرِى به .

وقوله : « كلُّ امرئٍ » الخ ، يريد احتفاظه بالدرع ، وأنَّ كلَّ إنسانٍ
يحفظ ماله فهو عنده كالوديعة التي قد لزم حفظها . ويحتمل أن يريد تعزية
نفسه إذ لا مال له ، فيقول : كلُّ امرئٍ مُستودعٌ ماله ، أى إنه سيُسْتَرَدُّ منه
كما تُسْتَرَدُّ الوديعة . ويجوز أن تكون « ما » بمعنى الذى ، فيكون المعنى كل
امرئٍ مرتَهَنٌ بأجله ، وبالذى كتب له . ولا يمتنع أن يكون أشار بما إلى
ما يُقْتَنَى من أعراض الدنيا . ويروى : « مستودعٌ » بكسر الدال ، والمعنى أنَّ
ما يجمعه المرءُ ويكسبه إذا جاء محتومُ القضاء يتركه لغيره لا محالة ، فلم أرغب
فيه وأزهدُ في اكتساب المحامد ؟! ويروى « والدرعُ لأبغى بها نثرة » وهى ،
الواسعة . والمعنى إننى أكتفى من الدرع ببذنه . انتهى كلامُ الخطيب (٢) .
وقوله :

* والرَّمْحُ لا أَمَلًا كَفَى به *

قال المبرد : يُتَأَوَّلُ على وجهين : أحدهما أنَّ الرمح لا يملأ كفى وحده ، أنا
أقاتل بالرَّمْحِ وبالسَّيْفِ وبالقوس وغير ذلك . والقول الآخر : إننى لأملأ به
كفى ، وإنما أختلس اختلاسا (٣) ، كما قال :
ومدجج سَبَقَتْ يداى له تحت الغبار بطعنةٍ خلّسى
وقوله :

• واللِّبْدُ لا أَتْبَعُ نَزْواله •

(١) البدن : الدرع القصيرة . والدرع يؤنث ويذكر .

(٢) أى انتهى ما أراد نقله منه . وإلا فإنَّ للخطيب بعد هذا كلاما آخر .

(٣) فى الكامل : « انى لأملأ كفى به ، انما أختلس به اختلاسا » .

يقول : إن انحَلَّ الحِزَامُ فَمَالَ اللَّبْدُ لم أَمِلْ معه ، أى إئتَى فارسٌ ثابتٌ على ظهور الخيل (١) . انتهى

وأوضحُ منه قول الطَّبْرَسِي : يجوز أن يكون المعنى : أى لأقتصر (٢) من تعاطى أنواع السلاح على الرُّمَح فقط ، ولكنى أجمع في الاستعمال بينها ، وهذا كما يقال (٣) : «مَلَأَ كَفَّهُ مِنْ كَذَا ، فليس فيه موضعٌ لغيره . ويجوز أن يكون المعنى إئتَى أستعملُ رُمَحِي بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ الْيَدِ ، لِحَذَقٍ واقتداري ، ولا آخذه بجميع كَفِّي . وقوله : « واللبد لا أتبع » إلخ ، يريد : ألزُمَ ظهر دابَّتِي فَإِنْ مَالَ اللَّبْدُ لم أَمِلْ معه . يصف نفسه بالفروسيَّة ويعرِّض بأنَّ أصداد هذه الأوصاف مجتمعةٌ في خصمه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد الثلاثئة (٤) :
 ٣٥٢ (وَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمْتُ بِرَحْلِي أَوْ خَيَالْتُهَا الْكَذُوبُ)
 على أن قوله «خَيَالْتُهَا» معطوف على الضمير المستتر في أَلَمْتُ ، وجاز مع عدم تأكيد المستتر بمنفصل لوجود الفصل قبل حرف العطف وهو قوله : «برحلي» .

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : عَطَفَ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ الْمُتَّصِلِ بِغَيْرِ تَأْكِيدٍ ، وَلَوْ أَكَّدَ فَقَالَ أَلَمْتُ هِيَ ، لَكَانَ أَحْسَنَ ، غَيْرَ أَنَّ الْكَلَامَ طَالَ بِقَوْلِهِ بِرَحْلِي ، فَغَابَ طَوْلُهُ عَنِ التَّأْكِيدِ (٥) ، كَمَا أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ (٦) لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ فِيهِ بَلَا . وإن كانت بعد

(١) في الكامل : «أى أنا فافوس ثبت » فقط .

(٢) ش : « لأقصر » .

(٣) ش : « كما قال » .

(٤) مع الهوامع ٢ : ١٤١ وشرح الحماسة للمرزوقي ٣١٠ .

(٥) في إعراب الحماسة ٦٢ : « عن توكيده » .

(٦) الآية ١٤٨ . من سورة الأنعام .

الواو (١) حسن الكلام بطولها . انتهى .

أبيات الشاهد

وهذا البيت أول أبيات ثلاثة مذكورة في الحماسة . وبعده :

(فقد جعلت قلوّص بني سهيل من الأكوار مرثعها قريب
 كأن لها برجل القوم بواً وما إن طبها إلا اللغوب)
 قوله : (ولست بنازل) مفعول نازل محذوف ، أى منزلاً أو مكاناً . والإلام : زيارة
 لا لبث معها ، أو هو من ألم الرجل بالقوم إلماً (٢) بمعنى أتاهم فنزل بهم .
 وفاعل ألمت ضمير الحبيبة . و(الرحل) : كل شيء يعد للرحيل من وعاء
 للمناع . و(الخيالة) : الطيف ، يقال خيال وخيالة ، كما يقال مكان ومكانة .
 و(الكذوب) : صفة خيالة ، وإنما لم يؤثته لأن فعولاً يستوى فيه المذكر والمؤنث
 وجعلها كذوباً لأنها تخيل إليه في النوم ما لا يحق . وقال المرزوقي : وجعلها كذوباً
 لما لم يُحقق قولها وفعلها (٣) . يقول : لأنزل محلاً إلا رأيت هذه المرأة ملمة
 برحلى ، أى متصورة لى بهذه الصورة ، تشوقاً منى ، وهذا فى حال اليقظة ، أو
 رأيت خيالها الكاذب الذى لاحقيقة له ، وهذا فى حال النوم . والمعنى إئنى
 ما أنفك منها فى يقظة ولا نوم . وهو أبلغ من قول الآخر :
 آخر شيء أنيت فى كل هجعة وأول شيء أنيت عند هبوى (٤)
 لأن هذا فى حال دون حال ، وذاك الدهر كله .

(١) أى وأن كانت لا واقعة بعد الواو . وفى النسختين : « وان كان » ، والتذكير للفظ الحرف .

(٢) ط : « إلماً » ، صوابه فى ش .

(٣) واو « وجعلها » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش والحماسة . وفى الحماسة : « لما لم يتحقق فعلها وقولها » .

(٤) ط : « هبوى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ومن شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٢٠ . وهو أول أبيات حماسية لم يعرف قائلها .

و«قد جعلت قلوب» إلخ جعلت هنا بمعنى طَفِقت وأقبلت - وأخطأ العيني في قوله إن جعلت هنا بالبناء للمفعول - وقلوب اسمها ، وهى النَّافَة ٣٣٧ الشَّابَّة . وجملة «مرتعا قريب» فى محل نصب خبرها، و«من الأكوار» (١) متعلق بقريب . واستعيرت الاسمية موضع الفعلية لأن المراد : وقد جعلت هذه القلوب يقرب مرتعا من الأكوار . وقد أورده الشارح المحقق فى آخر أفعال المقاربة ، ويأتى بيانه هناك إن شاء الله تعالى . وقال المرزوق : ومرتعا قريب فى موضع الحال .

يقول : أقبلت قلوب هذين الرجلين قرية المرتع من رحالم ، قصيرة المسرح فى رواحهم ؛ لأنه (٢) لِمَا لِحَقَّهَا من الكلال والإعياء لم تقدر على التباعد فى المرعى (٣) . انتهى .

وقد شرحه قول الآخر وأبلع فقال :

من الكلال لا يذقن غودا لأعقلاً تبغى ولا قيودا
والأكوار : جمع كور بالضم ، وهو الرحل بأداته . أى إذا سرحت لم تُبعد فى المرعى ، لشدة كلالها .

وزعم الدمامينى (فى الحاشية الهندية) وتبعه غيره ، أنه يصح أن يكون أكوار هنا جمع كور بالفتح ، وهى الجماعة الكثيرة من الإبل . وهذا وإن كان صحيحاً فى نفسه إلا أنه لايناسب المقام . فتأمل .

وقوله : « كأن لها برحل » إلخ قال المرزوق : يقول : كأن لهذه الناقة ولداً برحل القوم تتعطف عليه ولا تتباعد عنه ، ومادأوها إلا الإعياء . والطب

(١) ش : « من أكوارها » صوابه فى ط .

(٢) ما أثبت من ط يطابق ما عند المرزوق . وفى ش : « لأنها » .

(٣) ط : « لم يقدر على التباعد فى المرعى » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .

بالكسر أصله العلم ، والمراد به هنا الذى يعلم ويُعرف . والبُّ ، أصله جلدُ
فصيل يُحشَى تَبْنًا لتدرَّ الأمُّ عليه . انتهى .

وقال شارح آخر : قوله : وما إن طُبِّها ، قال أبو الندى : أى شائها وداؤها .
وقال غيره : الطَّبُّ ههنا : السُّقْم ، ومنه « آخر الطَّبِّ الكى » . وأكثر
ما يستعمل ذلك فى السُّحَر ، ومنه رجل مطبوب . واللغوب : الإعياء ، وقد
لُغِبَ لغوبا كدخل دخولا ، ولُغِبَ لغباً كفرح فرحا . انتهى .

وهذه الأبيات أوردها أبو تمام فى باب الحماسة ، مع أنه لاتعلّق لها بها صاحب الشاهد
بوجه (١) فإن البيت الأول من باب التَّسْيَب ، والبيتان الأخيران من باب
الوصف ، وهو نعتُ الناقة بشدّة التعب ، وهذا بمعزل عن الحماسة . ولم أر من
تبه لهذا من شراحه ، ولم أر أيضا منهم من نسبها إلى قائلها .

ورأيت الصغانى (٢) نسبها فى مادة الخيال (من العباب) إلى رجل من
بنى بُحْتَر بن عَتود (بضم الموحدة وسكون المهمله وضم المثناة الفوقية) .
وعَتود (بفتح المهمله بعدها مثناة فوقية مضمومة وآخره دال) .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة)

على أن أصله الحافظون عورة العشيرة ، فحذفت النون طلباً للاختصار ،
لأن الصلة قد طالت . وعورة منصوب به . وروى أيضاً بجرها بالإضافة .

وهذا صدر من بيت ، وهو :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأتهم من ورائنا وكَف)

(١) كلمة « بها » من ش .

(٢) ش : « الصاغانى » ، وهما نسبتيان صحيحتان إلى صغانيان ، وهى ولاية عظيمة كانت بماء وراء النهر .

والوكف : العيب والإثم . أى نحن نحفظ عورة عَشِيرَتِنَا فلا يأتهم من ورائنا شيء يعابون به ، من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .
وقد تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين (١).

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلاثة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٣٥٣ (فاليوم قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ) ٣٣٨
على أن حرف الجر قد يترك ضرورةً ، عند البصريين ، أى ما بك وبالأيام عجبٌ .
قال سيبويه قبل أن ينشد هذا البيت : ومما يقبح أن يشرك المظهر علامة المضمر المجرور ، وذلك قولك : مررت بك وزيد ، وهذا أبوك وعمرو ، فكروها أن يشرك (٣) المظهر مضمرّاً داخلاً فيما قبله ، لأنّ هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لا يتكلم بها إلاّ معتمدة على ما قبلها ، وأنها بدلٌ من اللفظ بالتثنية ، فصارت عندهم بمنزلة التثنية ، فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم ، ولم يجوز أن يُتبعوها إياه . إلى أن قال : وقد يجوز فى الشعر .
وأُنشدَ هذا البيتَ وبيتاً آخر . انتهى .

وأوضحُ منه قول ابن السراج (فى الأصول) : وأما المحفوض فلا يجوز أن يعطف عليه الظاهر ، لا يجوز أن تقول : مررت بك وزيد ، لأن المجرور ليس

(١) الخزانة : ٤ : ٢٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٩٢ . وانظر الكامل ٤٥١ والانصاف ٤٦٤ وابن يعيش ٣ : ٧٨ ، ٧٩

والمقرب ٥٠ والعينى ٤ : ١٦٣ والهمع ١ : ١٢٠ / ٢ : ١٣٩ والأشمونى ٣ : ١١٥ .

(٣) ط : « تشرك » صوابه فى ش . وفى كتاب سيبويه : « ومما يقبح أن يشركه المظهر » .

له اسمٌ منفصل فيتقدم ويتأخر كما للمنصوب ، وكل اسم معطوف عليه فهو يجوز أن يؤخر ويقدم الآخر عليه ؛ فلما خالف المجرور سائر الأسماء لم يجوز أن يعطف عليه . وقد حكى أنه جاء في الشعر :

* فاذهب فما بك والأيام من عَجَبٍ * انتهى

ووافق الكوفيين يونس ، والأخفش ، وقطرب ، والشَّلوين ، وابن مالك . وهذه المسألة أوردها ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) بأدلة الفريقين، قال : احتجَّ الكوفيون على جوازها بجميعها في التنزيل ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ^(١) ﴾ بالخفض ؛ وهي قراءة حمزة وغيره ^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ^(٣) ﴾ فما عطف ^(٤) على ضمير فيهن . وقال تعالى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاكِثُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ^(٥) ﴾ ، فالقائمين عطف على الكاف في إليك ، أو على الكاف في قبلك . قال تعالى :

(١) من الآية الأولى في النساء . وفي ط : « الذين » تحريف .

(٢) هي قراءة إبراهيم النخعي ، وقتادة ، ويحيى بن وثاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش أيضا . ورواية الأصفهاني والخلبي عن عبد الوارث . كما في تفسير أبي حيان ٣ : ٥١٧ والإنصاف . ووافقه المطوعي كما في إتحاف فضلاء البشر ١٨٥ . وانظر ماسيأتى في ص ١٢٧ .

(٣) الآية ١٢٧ من النساء .

(٤) ط : « عطفه » ، وأثبت ما في ش . وفي الإنصاف : « فما في موضع خفض لأنه عطف على الضمير المخفوض في فيهن » .

(٥) الآية ١٦٢ من النساء .

تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشَ وَمَنْ نُسْتَمْ لَهُ بَرَاذِقِينَ ^(١) ﴾ فمن عطف على ضمير لكم . وقال الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيام من عَجَبِ *

وقال الآخر :

أَكْرُ عَلَى الكَتِيبةَ لأبَالِي أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَمْ سَوَاهَا
أَيُّ أَمْ فِي سَوَاهَا ^(٢) . وقال آخر ^(٣) :

نَعْلَقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانُفُ
أَيُّ بَيْنَ السِّيُوفِ وَبَيْنَ كَعْبِ الرَّجُلِ .

وقال آخر :

هَلَا سَأَلْتَ بِذِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ وَأَيُّ نُعِيمُ ذِي اللِّوَاءِ الْخَرَقِ
أَيُّ عَنْهُمْ وَعَنْ أَيْ نَعِيمِ .

ثم قال : والجواب عن الأول من وجهين ، أحدهما أَنَّ الأرحامَ مجرورٌ بواو القسم لا بالعطف ، وجوابُ القسم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيًّا ﴾ .
وثانيهما : أَنَّهَا مجرورة بياءٍ مقدَّرةٌ حُدفت للدلالة الأولى .

وأما الجواب عن الثاني فمن وجهين أيضا: أحدهما أَنَّ مامعطوف على الله ، أَيُّ الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم يفتيكم فيهن ، وهو القرآن .

(١) الحجر ٢٠ .

(٢) هذا التعليق ساقط من ش .

(٣) هو مسكين الدارمي . ديوانه ٥٣ .

(٤) ويروى : « تعلق » بالثناء والبناء للمجهول ، كما في الديوان والإنصاف ٤٦٥ والأشعرى ٣ :

١١٥ / ٣ : ١١٥ والحيوان ٦ : ٤٩٤ .

وثانيهما معطوف على النساءِ من قوله : «يستفتونك في النساء» .

وأما الجواب عن الثالث فمن وجهين أيضا :

أحدهما : أنَّ المقيمين منصوبٌ على المدح ؛ وذلك أنَّ العرب تنصب على المدح عند ترك العطف ، وقد تستأنف فترفع .

وثانيهما : أنَّه معطوفٌ على «ما» من قوله «بما أنزل إليك» أى يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين . على أنه قد روى عن عائشة أنها سئلت عن هذا الموضع فقالت: هذا من خطأ الكاتب. وروى عن بعض ولد عثمان أنه سئل عنه فقال: إنَّ الكاتب لما كتب: وما أنزل من قبلك ، قال: ما أكتب ؟ فقل له اكتب : والمقيمين الصلاة ، يعنى أنَّ المملَى أعملَ قوله اكتب في المقيمين ، على أنَّ الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ما قبلها على لفظ المملَى .

وأما الجواب عن الرابع فأنَّ المسجد الحرام مجرورٌ بالعطف على سبيل الله لا بالعطف على به ، لأنَّ إضافة الصِّدِّ عنه أكثر استعمالاً من إضافة الكفر به . ألا ترى أنَّهم يقولون صددته عن المسجد الحرام ولا يكادون يقولون : كفرتُ بالمسجد الحرام .

وأما الجواب عن الخامس فإنَّ مَنْ عطِفَ على معاش ، أى جعلنا لكم فيها المعاش والعبيد والإماء . وأما قول الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيام *

فلا حجة فيه أيضاً ، لأنه مجرورٌ على القسم لا بالعطف على الكاف .

وأما قول الآخر :

* أفياها كان حتفى أم سيواها *

فإن سواها منصوب على الظرف ؛ لأنها مجرورة بالعطف .
وأما قوله :

* وما بينها والكعب *

فالكعب مجرور بإضافة بين إليه محذوفاً لا بالعطف ، حذف بين الثانية لدلالة الأولى عليه .

ثم لو حمل ماأنشده من الأبيات على مادّعهو لكان من الشاذّ الذى لا يُقاس عليه .

هذا ماأورده ابن الأنبارى ، ولا يخفى ما فى غالبه من التعسف .

وقد أنكر النُّحاة قراءة حمزة بجرّ الأرحام ، وهى قراءة مجاهد والنخعيّ وقتادة وأبى رزين ^(١) ويحيى بن وثّاب ، والأعمش ، وأبى صالح أيضاً .

قال الفراء (فى معانى القرآن) : حدّثنى شريك بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن إبراهيم النخعي ، أنه خفض الأرحام فقال : هو كقولهم بالله والرَّحِم ^(٢) . وفيه قبح ؛ لأن العرب لا تردّ مخفوضاً على مخفوض وقد كُنِيَ عنه ، وإنما يجوز هذا فى الشعر لضيقه .

وقد بالغ الزجاجى (فى تفسيره) فى إنكار هذه القراءة فقال : القراءة الجيدة نصب الأرحام ، والمعنى وأنفقوا الأرحام أن تقطعوها ، فأما خفض فى الأرحام فخطأ فى العربية لا يجوز إلا فى اضطرار شعر . وخطأ أيضاً فى أمر الدين عظيم ،

(١) أبى رزين الكوفى ، واسمه مسعود بن مالك ، روى عن ابن مسعود وعلى بن أبى طالب ، وروى عنه الأعمش . طبقات ابن الجزرى ٣٥٩٧ .

(٢) أى قاسه على عطف المجرور الظاهر على المجرور الظاهر . وهو قياس مع الفارق .

لأن النبي ﷺ قال : « لاتحلفوا بآبائكم » ، فكيف يكون تَسَاءُلُون بالله وبالرَّحْم على ذا ؟ ! ورأيت إسماعيل بن إسحاق ينكر هذا ، ويذهب إلى أن الحلف بغير الله أمرٌ عظيم ، فإن ذلك خاصٌّ بالله عزَّ وجل . فأما العريية فإجماع النحويين أنه يَقْبَحُ أن يُنسَقَ باسم ظاهر على اسم مضمَر في حال الخفض إلا بإظهار الخافض . فقال بعضهم : لأنَّ المحفوض حرفٌ متصل غير منفصل ، فكأنه كالتنوين في الاسم ، فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه .

وقد فسَّر المازنيُّ هذا تفسيراً مقنعاً فقال: الثاني في العطف شريكُ الأول ، فإن كان الأول يصلح أن يكون شريكاً للثاني وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكاً له . قال: فكما لا تقول مررت بزيد وك ، كذلك لا تقول مررت بك وزيد ، وقد جاء في الشعر ، أنشد سيبويه :

* فاذهب فما بك والأيام من عجب * انتهى .

٣٤٠

وتعقبه أبو شامة (في شرح الشاطبية) بعد ما نقل عبارة الزجاج بقوله : قلت : هاتان العلتان منقوصتان ^(١) بالضمير المنصوب وقد جاز العطف عليه ، فالجور كذلك . انتهى

أقول : قد فرق الشارح المحقق بينهما بأن اتَّصال المضمَر المجرور بجارِهِ أشد من اتَّصال الفاعل المتَّصل ، والمضمَر المنصوب المتَّصل ليس كالجزء معنى كما بيَّنه ، فالقياس ممنوع .

ثم قال أبو شامة: وأما إنكار هذه القراءة من جهة المعنى لأجل أنها سؤالٌ بالرحم فهو حَلَف ، وقد نُهي عن الحَلَف بغير الله تعالى ، فجوابه أن هذا حكاية ما كانوا عليه، فحَضَّهم على صلة الرحم ونهاهم عن قطعها، ونَبَّههم

(١) ش : « مختصتان » .

على أنها بلغ من حرمتها عندهم أنهم يتساءلون بها . وحسن حذف الباء هنا أن موضعها معلوم ، فإنه قد كثر على ألسنتهم قولهم : سألتك بالله وبالرحم ، فعومل تلك المعاملة مع الضمير . انتهى

أقول : أول كلامه يدفع آخره ، فإن أوله اقتضى أن الواو للقسم السؤالي . وقد ردّ الشارح هذا بأن قسم السؤال لا يكون إلا مع الباء ، وأن آخره اقتضى أنها للعطف والجر بالباء المقدرة . وفيه النزاع فتأمل .

ثم قال أبو شامة في تعليل قراءة حمزة : إنها على القسم ، وجوابه (إن الله كان عليكم رقيباً) : أقسم سبحانه بذلك كما أقسم بما شاء من مخلوقاته من نحو : (والتين والزيتون) . وهذا الوجه وإن كان لامطعن عليه من جهة العربية فهو بعيد ، لأن قراءة النصب وقراءة ابن مسعود «وبالأرحام» بالباء مصرحتان بالوصاة بالأرحام . وأما ردّ بعض أئمة العربية ذلك فقد قال القشيري (في تفسيره) : لعلمهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح ؛ فإننا لاندعى أن كل القراءات على أفصح الدرجات في الفصاحة . وإن أرادوا غير هذا فلا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو ، فإن القراءات التي قرأ بها الأئمة ثبتت عن النبي ﷺ . وهذا كلام حسن صحيح . انتهى

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل .

وقوله : (فالיום قرئت) : إلخ قال الأعلام : معنى قرئت وأخذت واحد ، يقال قرئت تفعل كذا أي جعلت تفعله . والمعنى : هَجَوَكْ لَنَا مِنْ عَجَائِبِ الدَّهْرِ ، فقد كُثِرَتْ فلا يُتَعَجَّبُ منها . انتهى . فأفاد أن قرئت هنا من أفعال الشروع ، ويؤيده رواية الكوفيين كما نقله النحاس :

فالיום أنشأت تهجونا * إلخ .

فَجُمْلَةٌ تهجونا خبر قَرَّبَ ، والتاء اسمها .

وزعم العينى وتبعه غيره أنَّ قَرِبت هنا بالتشديد بمعنى قَرِبت بالتخفيف أى دنوت ، وجملة تهجونا حال ، ويقال قَرِبت هنا من أفعال المقاربة فحينئذ تكون الجملة خبراً . هذا كلامه .

قال شارح (شواهد الموشح) : يروى « قَرِبت » معروفاً ومجهولاً . فعلى الأول معناه : اليوم قَرِبت هجاءنا أى أدنيت ، ويجوز أن يكون معناه الإسراع أى أسرع فى الهجاء . وجملة تهجونا حالية ، أى قَرِبت هاجياً . وعلى الثانى يريد أنك كنت مهجوراً مبعداً فالיום قَرِبت تهجونا ، وليس هذا جزاء الإحسان والتقريب . وقوله : فاذهب - أمر تهديد وتحذير . انتهى .

وهذا ناشئ عن عدم الاطلاع ، ولا ينبغي تسويد الورق بمثله .
وقوله : (فاذهب) قال العينى : هو جواب شرط محذوف ، والتقدير فَإِنْ فعلت ذلك فاذهب ، فَإِنَّ ذلك ليس بعجبٍ من مثلك ومن مثل هذه الأيام . انتهى .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

فَإِنْ كُنْتُ سَيِّدَنَا سُدَّتْنَا وَإِنْ كُنْتُ لِلْخَالِ فَادْهَبْ فَخَلْ

أراد باذهب تأكيداً ^(١) كما تقول : أخذ يتحدث ؛ وجعل يقول ، وأنت تريد حديثه ^(٢) . وكذلك قام يشتمنى ، قال حسان .

* على ما قام يشتمنى لئيم *

(١) ش : « أراد اذهب تأكيداً » . والذى فى إعراب الحماسة الورقة ٥٣ : « أراد : فخل ، فزاد اذهب » .

(٢) فى إعراب الحماسة : « حديثه وقوله » .

أى علامَ يشتمنى . وعليه بيت الكتاب :
 فالיום قريت تهجونا ... البيت .
 أى فعا بك عجب . واذهب توكيدٌ للكلام وتمكين له . ومثله قوله :
 من دون أن تلتقى الأركابُ ويقعد الأير له لعابُ (١)
 وليس هناك قيامٌ ولا قعود ولا ذهاب ، ولكن هذه استراحاتٌ من العرب
 وتطريحات منها فى القول . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائة الهجانِ وعَبْدُهَا)

على أن عطف قوله وعبدها بالجر على المائة ضعيف . ووجه الضعف
 أن اسم الفاعل المقرون بال المضاف يلزم أن يكون المضاف إليه معرّفاً بها
 أيضاً ، لمشابهته للحسن الوجه ، فإذا عطف على المضاف إليه شيء لزم أيضاً
 أن يكون معرّفاً بها ، لأن المعطوف فى حكم المعطوف عليه . وإنما جاز هنا
 عطف (عبيدها) مع خلوه من أل على المائة ، لكونه مضافاً إلى ضمير المعرفة
 بال ، والتقدير وعبد المائة ؛ ولكونه تابعاً ، والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى متبوعه .
 وقد تقدّم شرح هذا مستوفى مع القصيدة التى هذا المصراع منها فى
 الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين (٢) .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلاثئة (٣)) :
 ٣٥٤ (أتعرف أم لا رسم دارٍ مُعطَّلًا من العام يَغشاهُ ومن عامٍ أوَّلًا
 قطارٌ وتاراتٍ خريقٌ كأنَّها مُضِلَّةٌ بوٌّ فى رعيْلٍ تَعَجَّلًا)

(١) قبله فى اللسان (ركب) :

لا يفتح الجارية الخضاب ولا الوشاحان ولا الجلاب

(٢) الخزنة ٤ : ٢٥٦ .

(٣) نوادر أوى زيد ٢٠٨ وحاشية يس على التصريح ٢ : ١٦٣ .

على أن الشاعر قد فصل بالظرف وهو تارات بين العاطف وهو الواو ، وبين المعطوف وهو خريق ، والأصل : قطارٌ وخريقٌ تاراتٍ .

صاحب الشاهد وهذان البيتان من أبيات خمسة للتحيف العقيلي ، مذكورة في أواخر (نوادير أبي زيد) ، ولم أرها إلا فيها .

والأبيات الثلاثة لا ارتباط لها بهما ، ولهذا تركناها .

وقوله : (أتعرف أم لا) إلخ رسم مفعول تعرف . ومعناه الأثر . ومعطلاً صفة رسم ، أى خالياً من الأنيس والسكّان . ومن العام متعلق بمعطلاً ، و (من عام أولاً) معطوف عليه . والعام : الحول . قال ابن الجواليقي : ولا تفرق عوام الناس بين العام والسنة ، ويجعلونها بمعنى ، فيقولون لمن سافر في وقت من السنة ، أى وقت كان إلى مثله : عام ، وهو غلط ، والصواب ما أخبرت به عن أحمد بن يحيى أنه قال : السنة من أى يوم عددته إلى مثله ، والعام لا يكون إلا شتاءً وصيفاً . وفي التهذيب أيضاً : العام حول يأتي على شتوة وصيفة . وعلى هذا فالعام أخص من السنة وليس كل سنة عاماً . وإذا عدت من يوم إلى مثله فهو سنة ، وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء . والعام لا يكون إلا صيفاً وشتاءً متوالين . واللام فيه للعهد الحضورى ، أى هذا العام . وعامٌ أول (١) هو الحول السابق . وأول له استعمالان : أحدهما بمعنى سابق ومتقدّم ، ويُصرف على هذا . وثانيهما بمعنى أسبق ، ولا ينصرف على هذا . قال صاحب (المصباح) : وتقول عامٌ أول ، وإن جعلته صفة لم تصرفه لوزن الفعل والصفة ، وإن لم تجعله صفة صرفته . انتهى . وألف آخره للإطلاق ، ومن التفضيلية محذوفة ، أى من عام أول من هذا العام .

٣٤٢

(١) ط : « عام أول » ، وإثبات الواو من ش .

وقال أبو الحسن عليّ بن سليمان الأنخفش (فيما كتبه على نوادر أبي زيد) : قوله ومن عام أولاً ، يريد من عام زمان أول أو دهر أول ، فأقام الصفة مقام الموصوف . قال أبو عبيدة ^(١) ، في قوله تعالى : ﴿ ترميهم بحجارة من سجيل ^(٢) ﴾ قال : أراد والله أعلم : من شديد . ولم يزد على هذا ، وتقديره عند أهل العربية : من رام شديد . انتهى

ولا يخفى تعسّفه .

(و) يغشاه من غشيّه من باب تعب بمعنى أتاّه ، والاسم الغشيان . والذي رواه أبو زيد : « يمحا » بدل يغشاه . قال أبو الحسن الأنخفش : تقول العرب : محّا يمحو ويمحا ؛ وقد جاء يَمْحِي ^(٣) وهو شاذ [قليل ^(٤)] . يقول بعضهم : محيٌ ، كما يقول الآخرون محوت . ومن قال يَمْحَا فَإِنَّمَا يَفْتَحُ لَأَنَّ الحاء من حروف الخلق . انتهى

(و) قطار (فاعل يغشاه أو يمحا ، وجملة الفعل والفاعل في محل نصب على الحال من رسم ، ولا يجوز أن يكون حالاً من دار لتذكير الضمير في يغشى ^(٥) . وقطار ، بكسر القاف : جمع قطر بمعنى المطر . وهذا عيبٌ في الشعر عند الخليل ، ويسمّيه المضمّن ؛ وهو أن يكون تمام المعنى في البيت الثاني . و) تارات (منصوب على الظرف ليغشى ، وهو جمع تارة بمعنى مرّة . و) خريق (معطوف على قطار ، فصل بينه وبين الواو العاطفة الظرف ، وهو بفتح الحاء المعجمة وكسر الراء المهملة

(١) هذا النص من نوادر أبي زيد له أصل في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٣١٢ .

(٢) الآية ٤ من سورة الفيل .

(٣) وكذا في النوادر . وفي ش : « يمحا » ، تحريف .

(٤) التكملة من ش . وفي النوادر : « وهى شاذة قليلة » .

(٥) ش : « يغشاه » .

وآخره قاف . قال صاحب العباب: الحريق: الرِّيح الباردة الشديدة الهبوب .
 وضمير كأنها للحريق . و(مُضِلَّة): اسم فاعل من أضلته بالألف، بمعنى فقدته
 وأضغته . قال الأزهري: وأضللت الشيء بالألف، إذا ضاع منك فلم تعرف
 موضعه ، كالدَّابَّة والناقة وما أشبههما. فإن أخطأت موضع الشيء الثابت كالدار
 قلت: ضللتته وضللتته. ومُضِلَّة صفة موصوف محذوف، أى ناقة مُضِلَّة . و(البو):
 جلدُ الحُوار ، أى ولد الناقة، يُحشى إذا مات فتعطف عليه الناقة فتدِرُّ .
 و(الرعي) بالراء والعين والمهملتين : الجماعة من الخيل . و(تعجّل) فعل ماضٍ
 بمعنى أسرع، وفاعله ضمير الرعي، وجُملة كأنها مُضِلَّة إلخ حال من حريق.
 شبه الريح العاصفة في رسم الدار بناقة أضاعت ولداً في جَمْع خيل أسرع
 ومضى، فهى والهة تريد اللِّحاق إليه، فتسرُعُ بأشد ما يمكنها
 والقحيف بضم القاف وفتح الحاء المهملة وآخره فاء. والعقيل بضم العين وفتح
 القاف؛ وهو شاعر جاهل، وتقدم ذكره في الشاهد الثالث والخمسين بعد
 الثلاثة^(١).

القحيف العقيل

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الثلاثة :

٣٥٥ (وكان سيّان أن لا يسرّحوها نِعْماً

أو يسرّحوه بها واغبرت السّوح^(١))

على أن أو هنا بمعنى الواو ، وإنما احتيج إلى جعل أو بمعنى الواو ، لأنّ سواء
 وسيّان يطلبان شيئين ، فلو جعلت أو لأحد الشيئين لكان المعنى سيّان أحدهما .
 وهذا كلامٌ مستحيل .

(١) كذا . وستأتى ترجمته مفصلة في الشاهد الخامس والعشرين بعد الثلاثة .

(٢) الخصائص ١ : ٣٤٨ / ٢ : ٤٥٦ وأما ابن الشجري ١ : ٦١ / ٢ : ٣١٥ وابن عيش ٢ :

٨٦ / ٨ : ٩١ وشرح شواهد المغنى ٧٢ .

٣٤٣

قال أبو علي (في إيضاح الشعر) : والذي حسن ذلك للشاعر أنه يرى جالس الحسن أو ابن سيرين ، فيستقيم له أن يجالسهما جميعاً . وكل الخبز أو التمر ، فيجوز له أن يجمعهما في الأكل . فلما جرت مجرى الواو في هذه المواضع استجاز أن يستعملها بعد سي . ولم نعلم ذلك جاء في سواه ، وقياسه قياس سيان . انتهى .

وبين ابن جنى سره (في باب تدريج اللغة من الخصائص) قال : وذلك أى تدريج اللغة أن يشبه شيء شيئاً من موضع ، فيمضى حكمه على حكم الأول ثم يرقى منه إلى غيره . فمن ذلك قولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين . فلو جالسهما جميعاً لكان مصيباً مطيعاً لا مخالفاً ، وإن كانت أو إنما هي في أصل وضعها لأحد الشئيين . وإنما جاز ذلك في هذا الموضع لالشيء رجع إلى نفس أو ، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى أو . وذلك لأنه قد عُرِفَ أنه رغب في مجالسة الحسن ، لما لمجالسته في ذلك من الحظ . وهذه الحال موجودة في مجالسة ابن سيرين أيضاً . فكأنه قال : جالس هذا الضرب من الناس . وعلى ذلك جرى النهي في هذا الطرز من القول في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾^(١) . فكأنه والله أعلم قال : لاتطع هذا الضرب من الناس ، ثم إنه لما رأى أو في هذا الموضع قد جرت مجرى الواو تدرج من ذلك إلى غيره ، فأجراها مجرى الواو في موضع عاير من هذه القرينة التي سوغته استعمال أوفى معنى الواو . ألا تراه كيف قال : فكان سيان أن لايسرخوا نِعَمًا وسواء وسيان لا يستعمل إلا بالواو . انتهى .

... البيت

(١) ط : « فلما صارت » ، وأثبت ما في ش .

(٢) الآية ٢٤ من الانسان .

وقد أخذ هذا من كلام أبي عليّ (في التذكرة القصيرية) قال : إنّما جاز أو مع سيّان اتّساعاً ، وذلك أنّهم لما رأوا أنّ أو يُجمع بها ما قبلها وما بعدها كما جمع بالواو وإن كان المعنى مختلفاً ، شبهوه بها فعطفوا بها في هذا الموضع كما يعطف بالواو . وكذلك العلم بأنّ هذا الموضع يقتضي اثنين فصاعداً ولا يقتصر فيه على أحد الاسمين . انتهى

(وسيّان) : مثنيّ سىّ بالكسر بمعنى مثل ، وأصله سيوى ، لأنّه من السواء والسويّة ، فقلب وأدغم ، عملاً بالقاعدة. قال ابن يسعون : كان ينبغي أن يقول سيّين ، لأنّ المعرفة أولى بأن تكون اسم كان ، وكأنّه كره اجتماع ثلاث ياءات فعدل إلى الألف ، أو قدّر في كان ضمير الشأن ورفع على الخبر ، لأنّ المبتدأ هو قوله أن لا يسرحوا . انتهى .

وقال أبو عليّ (في إيضاح الشعر) : إنّما أن يكون أضمر في كان الحديث أو الأمر ، فيكون سيّان خبر الاسمين اللذين هما أن لا يسرحوا نعماً أو يسرحوه ، أو يكون جعل سيّان المبتدأ وإن كان نكرة ، وأدخل كان على قوله سيّان . والوجه الأوّل أشبه . انتهى .

قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : ولقائل أن يقول : الإخبار عن المعرفة بالنكرة مغتفر في الضرورة . على أن ابن مالك قال بجوازه مطلقاً .
وسرحت الإبل سرحاً ، من باب نفع ، وسروحاً أيضاً : رعت بنفسها ، وسرحتها ، يتعدّى ولا يتعدّى . وهو هنا متعدّد . والتّعم : المال الراعي ، وهو جمع لا واحد له من لفظه ، وأكثر ما يقع على الإبل : قال أبو عبيد : التّعم : الجمال فقط ، وتوثّ وتذكّر ^(١) ، وجمعه تُعمان كَحَمَلٍ وحُمَلائٍ ، وأنعام

(١) ش : « ويؤنث ويذكر » .

أيضا . وقيل النعم : الإبل خاصة ، والأنعام : ذوات الحُفِّ والظِّلْف ، وهي الإبل والبقر والغنم . وقيل تطلق الأنعام على هذه الثلاثة ، فإذا انفردت الإبل فهي نَعَم ، وإن انفردت البقر والغنم لم تسم نَعَمًا . كذا في المصباح . وضمير (بها) قال ابن يسعون : للسنة المجذبة التي دَلَّت الحال عليها . ويحتمل أن يريد البقعة التي وصفها بالجذب . والباء بمعنى في . واغْبَرَّت ، اسودَّت في عين من يراها ، أو كثر فيها الغبار لعدم الأمطار . وروى بدله : « وايضت » . والسُّوح : جمع ساحة ، وهي فضاء يكون بين دُور الحَيِّ . والواو في اغْبَرَّت للحال .

قال ابن الشجري (في أماليه): وصف سنة ذات جذب ، فرغى النعم وترك رعيها سواء . قال أبو علي (في إيضاح الشعر): زعم أبو عمرو أن الأصمعي أنشدهم هذا البيت لرجل من هذيل . وجميع النحويين رَوَوْا هذا البيت كذا . وقد رأيتُه ملفقا من بيتين في قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي ، وهما : صاحب الشاهد (وقال راعيمهم : سَيَّانَ سَيْرَكُمُ وَأَنْ تَقِيمُوا بِهِ وَاغْبَرَّتِ السُّوحُ وَكَانَ مِثْلَيْنِ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعَمًا حَيْثُ اسْتَرَدْتَ مَوَاشِيَهُمْ وَتَسْرِيحُ) وعلى هذا لا شاهد فيه .

والقصيدة مرثية رثى بها أبو ذؤيب صديقا له قُتل في وقعة . وهذه أبيات

منها من المطلع :

(نَامَ الْخَلْيُ وَبِتُ اللَّيْلُ مُشْتَجِرًا	كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ
لَمَّا ذَكَرْتُ أَخَا الْعُمَقَى تَأَوَّنِي	هَمِّي وَأَفْرَدَ ظَهْرِي الْأَغْلَبُ الشَّيْخُ
الْمَانِحِ الْأَدَمَ كَالْمَزْوِ الصَّلَابِ إِذَا	مَاحَاذَ الْخُورِ وَاجْتَثَّ الْمَجَالِيحُ
وَزَقَّتِ الشُّوْلُ مِنْ بَرْدِ الْعَشَى كَمَا	زَفَّ النَّعَامُ إِلَى حَفَانِهِ الرُّوحُ

وقال ماشيهم سيّان سيركم البيتين
واعصّوصبت بكراً من خرجف ولها وسط الدّيار رزّات مرانح
أما أولات الذرى منها فعاصبة تجول بين مناقبها الأقاديح (١)
لا يُكرمون كرمات المَخاض وأد ساهم عقائلها جوع وترنح
قوله : « نام الخلى » لمخ قال السكرى فى شرح أشعار هذيل : الخلى :
الذى لاهم له . والمشتجر : الذى قد وضع حنكه على يده أو فمه عند هم .
والصاب : نبت إذا شق يخرج من ورقه كاللبن ، يحرق العين . ومذبوح :
مشقوق . وذبحه : شقه .

وقوله : « لما ذكرت أخا العمقى » لمخ العُمقى بضم العين المهملة
وكسرها وبالقصر : أرض قُتل بها هذا الرجل المرقى . وتأوبنى : أتانى ليلاً . و
« أفرد ظهري » أى كان يمنع ظهري من العدو . والأغلب : الأسد الغليظ
الرقبة . يقال رجل شيع ومُشيح ، إذا كان جلدأ . يقول : خلانى للأعداء .
وقوله : « المانح الأدم » لمخ ماأوردناه من الأبيات ، أورده أبو حنيفة
الدّينورى (فى كتاب النبات) وقال : ومأ وصف به المخل قول أبى ذؤيب
ومدح رجلاً ببذل ماله فيه (٢) .

قال السكرى : المانح هو أن يدفع الأدم كالعارية يشرب لبنها سنة .
كالمر : فى صلابتها . والمرو : الحجارة البيض . والخور : الغزار الرقاق
وليست بسيّان . وحارد : ذهب ألبانها ، وهى من المحارّة . والمجالح : اللواقى
يذرّرن فى القرّ والجهد ، والواحدة مُجالح .

(١) ط : « آلات الذريح » ، صوابه فى ش وديوان الهذليين .

(٢) ش : « ببذله ماله فيه » .

وقال الدينورى : المحاردة : انقطاع اللبن . والمجاليح : الصبر من النوق
 ٣٤٥ على الجذب الباقية الألبان ، الواحدة مُجالحة . فاجتثت لتدر ولا در بها .
 وقوله : « وَزَفَتِ الشَّوْلُ » إلخ الزَّيف : مشى سريع فى تقارب
 الخطو . والشَّوْل : التى شالت ألبانها وَخَفَتْ بطونها من أولادها وأتى على
 نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية . والحَفَّان ، بفتح المهملة وتشديد الفاء : صغار
 النعام . والرَّوْحُ : نعت النعام وهو جمع أرواح وروحاء ، وصف من الروح
 بفتححتين ، وهو سعة فى الرجلين . والأرواح تتباعد ^(١) صدور قداميه وتتدانى
 عقباه . يقول : زَفَتِ الشَّوْلُ إلى أن تأتى مكاناً تستتر فيه . وإنما خصَّ
 الشَّوْل لقلة صبرها على البرد ، لخفة بطونها .

وقوله : « وقال راعيهم سيان » إلخ ، روى السكرى : « وقال ماشيهم »
 أيضا . وقال : يريد اغبرت ساحات ماحولهم من الجذب . وماشيهم ، يريد
 ماشى الحى ، والمُمَشَّى : صاحبها . قال الباهلى : زعموا أن ماشيهم فى معنى
 مُمشيهم ، أى صاحب الماشية . يقال : أمشى الرجل . أى سواء سيركم إن سرتهم
 وإن أقمتهم فأنتم فى جذب . وروى الدينورى : « وقال رائدُهم سيان
 سيركم » إلخ .

وقوله : « وكان مثلين » إلخ هذا على القياس بنصب مثلين ، قال
 السكرى : أراد : أن لايسرحوا وتسرَّحهم ^(٢) سواء . ومعنى أن لايسرحوا أن
 لايرعوا . واسترادت مواشيهم ، أى ترود وتطلب المرعى ، أى فهو جذب رعوا
 أم لم يرعوا .

(١) ط : « يتباعد » .

(٢) ش : « وتسريح » . وفى شرح السكرى ١٢٢ : « أراد : كان تسريحهم وتركهم سواء » .

وقوله : « واعصوصبت بَكَراً » إلخ قال الدهنورى : اعصوصبت : اجتمعت من البرد يتقى بعضها ببعض . والبَكَر ، بفتحين : جمع بَكَرة ، وهى الناقة الشابة . والحرجف ، بتقديم المهمله المفتوحة على الجيم : الريح الباردة اليابسة . والرذية : الهزيلة الساقطة ، وكذلك المرازج ، وهى التى رزحت فلا حراك لها . ولم يقل السكرى فى هذا البيت شيئاً .

وقوله : « أما أولاتُ الذرى » إلخ ، قال السكرى : أولات الذرى : ذوات الأنسمة . « فعاصبة » أى قد عَصَبَتْ واستدارت لاتبرح . والأقاديح : جمع قِداح ، أى تجول القداح بين مناقبها ، وهو أن يُضْرَبَ عليها بالقداح . يقول : يختار مُنْقِيَاتِهَا ، أى سَمَانِهَا ، للعقر .

وقوله : « لا يكرمون كرميات » إلخ قال السكرى : يقول : ينحرون كرميات المَخَاض ، وهى الحوامل ، فهى أنفسُ عندهم إذا نحروها . وعقائلها : كرائمها . أى أنسأهم الجوع والترزج ، وهى الرزاح ^(١) التى قد قامت من الهزال وسقطت .

وترجمة أبى ذؤيب الهذلى تقدمت فى الشاهد السابع والستين ^(٢) . وهو شاعر إسلامى .

* * *

وأُنشد بعده، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الثلاثئة ^(٣) :
 ٣٥٦ (بَاتَ يُعْشِيهَا بَعْضُ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَاقِهَا وَجَائِرِ ^(٤))

(١) ط : « الرزاح » صوابه فى ش وشرح السكرى .

(٢) الخزائن ١ : ٤٢٢ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والعينى ٤ : ١٧٤ والأشعورى ٣ : ١٢٠ .

(٤) أسواقها وردت بالواو فى جميع المواضع هنا فى ط، لكنها فى ش مهموزة فى جميع المواضع . وهما لغتان .

على أَنَّ (جائر) معطوفٌ على يقصد ، لكونه بمعنى الفعل ؛ أى يقصد وَيَجُور .

وأورده الفراء والزجاج (في تفسيرهما) عند قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ ^(١) على أَنَّ جملة يكلم معطوفة على وَجِهاً . قال الزجاج : وجائرٌ أن يعطف بلفظ يفعل على فاعلٍ لمضارعة يفعل فاعلاً ، أى قاصدٌ في أسوقها وجائرٌ .

وأورده الفراء في سورة الأنبياء أيضاً ، عند قوله تعالى : ﴿ لَا هِيَّةَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٢) .

وكذلك استشهد به أبو على (في إيضاح الشعر) وابن الشجري (في أماليه) ؛ ولم ينسبه أحدٌ منهم إلى قائله . ولم أر له تنمة . وهو بيتان من الرجز المسدّس .

وقوله : (بات يعيشيها) إلخ بات من أخوات كان ، اسمها مستتر فيها ؛ وجملة يعيشيها في موضع نصب على أَنَّها الخبر ؛ أى يطعمها العشاء بالفتح ؛ وهو الطعام الذى يؤكل وقت العشاء بالكسر .

ورأيت في أمالي ابن الشجري في نسخة صحيحة قد صحّحها أبو اليمن الكندى وغيره ، وعليها خطوط العلماء : « بات يُغشّيها » بالغين المعجمة ، من الغشاء كالغطاء ، بكسر أولهما وزناً ومعنى ، أى يشملها ويعمّها . وضمير المؤنث للإبل وهو في وصف كريم بادر يعقرُ إبله لضيوفه . وزعم العيني أَنَّ الضمير للمرأة التى عاقبها زوجها بالسيف . ولا يخفى أن هذا غير مناسب لسياق الكلام .

(١) آل عمران ٤٦ .

(٢) الأنبياء ٣ .

ورواه الفراء (في تفسيره) : « بَتُّ أَعَشِيَّهَا » بالتكلم^(١).

و (العَضْب) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة : السيف ، وهو في الأصل صفة بمعنى قاطع ، عَضَبَه بمعنى قطعه ، والباء متعلقة ببعشِيَّها ، وهذا من باب : عتابه السيف ، وتحيته الضرب . (وباطر) صفة أولى لِعَضْبٍ ، وجملة يقصد صفة ثانية له ، و (جائر) صفة ثالثة ، وهو بمعنى قاطع ، من بتره بترًا من باب قتل ، إذا قطعه على غير تمام . و (يقصد) : مضارع قصد في الأمر من باب ضرب ، أى توسَّط ولم يجاوز الحد . وفي متعلقه بيقصد . وأسوق : جمع قلة لساق ، وهى ما بين الركبة والقدم . وجائر من جار في حكمه ، إذا ظلم .

فإن قلت : عقره الإبل إما قصد وإما جور فكيف وصف بهما ؟ قلت : هو على التوزيع ، أى يقصد فى أسوق إبل تستحق العقر كالتيب ، ويجور فى أسوق إبل لا تستحق العقر كالحوامل وذوات الفصال .

وجائر فى الحقيقة معطوف على جملة يقصد الواقعة صفة ثانية لعَضْب ، كقول راجز آخر :

* أم صبي قد حبا وذارج^(٢) *

وفاعله ضمير العضب .

وزعم العيني أن الضمير عائد على ما عاد عليه ضمير بات ، وأن الجملة حال . وهذا فاسد ؛ لأنه لو كان كما زعم لنصب جائر ، لأنه معطوف عليه . ولا جائز

(١) معاني القرآن ١ : ٢١٣ . ولم يرد هذا الشطر فى تفسير سورة الأنبياء .

(٢) مجهول القائل . وانظر أمالى ابن السجى ٢ : ١٦٧ والتبريح ١ : ١٤٢ ، ٢ : ١٥٢ والأشمونى ٣ : ١٢٠ .

أن يكون منصوباً أو مرفوعاً ؛ لأنَّ الشَّعر من الرجز الذى يجب ^(١) توافُق قوافيه .
ويدلُّ لما قلنا رواية الفراء :

بِتْ أَعْشِيهَا بَعْضِبِ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرِ
والقافيتان مضبوطتان بضبط القلم بالجر في نسخٍ صحيحةٍ مقروءة ،
وعليها خُطوطُ العلماء ، منها (تفسيرُ الفراءِ والزجاج) ، ومنها (إيضاحُ الشَّعر) بخط
ابن جنِّي ، ومنها (أمالى ابن الشجرى) كما ذكرنا .

ولو رفع باتر على أنَّه نعت مقطوع من النكرة غير المخصَّصة لرفع جائر .
وفيه ما لا يخفى . وكذلك لا يجوز أن يكون جملة يقصد خبراً ثانياً لبات أو بدلاً من
يعشِّيها ؛ لما ذكرنا .

ولم يذكر الشارحُ المحقق شرطَ عطفِ الاسم على الفعل مضارعاً أو ماضياً
وعكسِهِ . وقد بيَّنه ابنُ الشجرى (فى أمالِيه) فى فصلِ عَقْدِهِ له ، فلا بأس بإيراده ؛
قال : عطفُ اسمِ الفاعل على يفعل ، وعطفُ يفعل على اسمِ الفاعل جائزٌ ، لما
بينهما من المضارعة التى استحقَّ بها يفعل الإعرابَ واستحقَّ بها اسمُ الفاعل
الإعمال ، وذلك جَرَيَانُ اسمِ الفاعل على يفعل . ونَقُلُ يفعل من الشَّياع إلى
الخصوص بالحرف المخصَّص كنقل الاسم من التنكير إلى التعريف بالحرف
المعرِّف ، فلذلك جاز عطفُ كلِّ واحدٍ منهما على صاحبه ، وذلك إذا جاز
وقوعُهُ فى موضعه ، كقولك : زيد يتحدَّث وضاحك ، وزيد ضاحك ويتحدَّث ، لأنَّ
كلَّ واحدٍ منهما يقع خبراً للمبتدأ . وكذلك مررت برجل ضاحك ويتحدَّث ،
وبرجل يتحدَّث وضاحك ؛ لأنَّ يفعل مما يُوصف به النكرات . فمن عطف الاسم
على الفعل قولُ الرَّاجز :

بات يغشِّيها بَعْضِبِ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرِ
فإن قلت : سيَتحدَّث زيد وضاحك لم يجوز ، لأنَّ ضاحكاً لا يقع موقع يتحدَّث ،

من حيث لايلي الاسم السين . وكذلك : مررت بجالس ويتحدث لايجوز ، لأنَّ حرف الجر لا يليه الفعل .

فإن عطفت اسم الفاعل على فعل لم يجوز ؛ لأنه لا مضارعة بينهما .
فإن قرئت فعل إلى الحال بقدر جاز عطف اسم الفاعل عليه ؛ كقول
الراجز :

* أم صبي قد حبا ودارج *

فإن كان اسم الفاعل ؛ بمعنى فعل جاز عطف الماضي عليه ؛ كقوله
تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَصْدِّقِينَ وَالْمَصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ ^(١) ﴾ ، لأنَّ التقدير إن الذين
تصدَّقوا واللاتي تصدَّقن .

* * *

وأنشد بعده ؛ وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الثلاثمائة ^(٢) :
٣٥٧ (وعَضُ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مَجْلَفًا)
على أنه تجوز المخالفة في الإعراب إذا عُرف المراد كما هنا ، فإنَّ قوله
مَجْلَفٌ معطوف على قوله مُسْحَتًا ، وهما متخالفان نصباً ورفعاً .

قال أبو بكر محمد بن عبد الملك التارخي (في تاريخ النحاة) في ترجمة
عبد الله بن أبي إسحاق النحوي الحضرمي : قال ابن سلام: وحدثنا يونس
قال ابن أبي إسحاق في بيت الفرزدق إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مَجْلَفًا ، قال: للرفع
وجه. وكان أبو عمرو ويونس لا يعرفان للرفع وجهاً. قلت ليونس: لعل الفرزدق

(١) الآية ١٨ من الحديد .

(٢) ابن سلام ١٩ والجملة ٢١٣ والخصائص ١ : ١٩٩ والمختضب ١ : ١٨٠ / ٢ : ٣٦٥
والإنصاف ١٨٨ وابن يعيش ١ : ٣١ / ١٠ : ١٣ واللسان (جلف) وديوان الفرزدق ٥٥٦ .

قالها على النصب ولم يَأْبَهُ للقفافية . قال : لا ، كان ينشدُها على الرفع ، وأنشدنيها رؤية على الرفع . انتهى .

وهذا البيت صعبُ الإعراب . قال الزمخشريُّ : هذا بيتٌ لاتزالُ الرُّكْبُ تصطَلُكُ في تسوية إعرابه . وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : رفع الفرزدق آخر البيت ضرورة ^(١) ، وأتعب أهلُ الإعرابِ في طلب الحيلة ، فقالوا وأكثرُوا ولم يأتوا فيه بشيء يُرْتَضَى . ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر أنَّ كلَّ ما أتوا به احتيالٌ وتمويه . وقد سأل بعضهم الفرزدقَ عن رفعه هذا البيت فشتمه وقال : على أن أقول وعليكم أن تحتجُّوا . انتهى .

وقال الفراء (في تفسيره ^(٢)) : حدثني أبو جعفر الرُّؤاسيُّ ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : مرَّ الفرزدقُ بعبد الله بن أبي إسحاق النحوي فأنشده هذه القصيدة :
* عَزَفَتْ بِأَعْيَاشٍ وَمَا كَدَتْ تَعَزِفُ ^(٣) *

حتى انتهى إلى هذا البيت ، فقال عبد الله : علام رفعت مجلَّف ؟ فقال له الفرزدق : على ما يسوءُك .

وفي (تذكرة أبي حيان) من النهاية قال عبدُ الله بن أبي إسحاق للفرزدق : بم رفعتَ أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءُك وينوءُك ، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا . ثم قال الفرزدق :

فلو كان عبدُ الله مولى هجوئهِ ولكنَّ عبدَ الله مولى موالياً
فقال له عبد الله : أردتَ أن تهجوئني فلحنَّتْ أيضاً . والفرزدق مشغوفٌ في شعره بالإعراب المشكل المحوَّج إلى التقديرات العسيرة ، بالتقديم والتأخير

(١) وكذا في الشعراء ٣٥ . وفي ش : « رفع الفرزدق آخره ضرورة » .

(٢) معاني القرآن ٢ : ١٨٢ في الآية ٦١ من سورة طه .

(٣) في النسختين : « بأعْيَاش » ، صوابه من الفراء ومعجم البلدان وديوان الفرزدق ٥٥١ .

المُخَلَّ بالمعاني . وسمعت شيخنا يقول : أني لأعجب من إبراهيم بن هشام
المخزومي حين فهم قول الفرزدق :

ومامثلُهُ في الناس إلَّا مملُكا أبو أمه حتى أبوه يُقارِبُهُ ٣٤٨

وقال أبو محمد بن الخشاب (في كتابه الموضوع لجوابه المسائل الست
الإسكندرية) : إنَّ أبا حاتم السجستاني قال: ليس الفرزدقُ أهلاً لأن يُستشهد
بشعره على كتاب الله ، لما فيه من التعجرف . وقال ابن الخشاب أيضاً : لم يجز
في سنن الفرزدق ، من تعجرفه في شعره بالتقديم والتأخير المُخَلَّ بمعانيه ،
والتقدير المشكل ، إلَّا المتنبي ، ولذلك مال إليه أبو عليّ وابن جنّي ، لأنَّه مما
يوافق صناعتَهُما . ولاينفع المتنبي شهادة أُنَى على له بالشعر ، لأنَّ أبا عليّ
معربٌ لا نقاد ، وإنَّما تنفعه شهادة مثل العسكريين وأُنَى القاسم الأمدى ،
فإنَّهم أئمةٌ يُقتدى بهم في نقد الإعراب . انتهى ماأورده أبو حيان .

وقد تكلف له العلماء عدَّة توجيهاتٍ ذكر الشارح المحقق منها ثلاثة
أوجه ، والثلاثة مبنية على رواية (لم يدع) بفتح الدال وعلى رواية نصب
مُسَحَّت .

أمَّا (الأوّل) فهو للخليل بن أحمد ، وقال: هو على المعنى ، كأنَّه
قال :لم يبق من المال إلَّا مُسَحَّت ، لأنَّ معنى لم يبق ولم يدع واحد ، واحتاج
إلى الرفع فحمله على شيءٍ في معناه . قال أبو عليّ (في إيضاح الشعر) : نصب
مُسَحَّت ببدع بمعنى الترك ، وحمل مجلَّف بعده على المعنى ، لأنَّ معنى لم يدع
من المال إلَّا مسحتا ، تقديره : ولم يبق من المال إلَّا مسحتٌ ، فحمل مجلَّف
بعده على ذلك . ومثل ذلك في الحمل على المعنى من أبيات الكتاب قوله :

بادت وغير آيين مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء^(١) ومُشَجَّجٌ أما سواء قذاله فبدأ وغير ساره المعزأ لأن معنى بادت إلا رواكد ، معناه: بها رواكد ، فحمل مشججا على ذلك ، فكذلك قوله لم يدع من المال إلا مسحتا معناه: بقي مُسَحَّت . قال أبو عمرو : هذا قول الخليل ، وليس البيت في الكتاب ^(٢) ، فلا أدري أسمعته عنه أم قاسه . انتهى .

ومحصله أن مجلفاً مرفوع بفعل محذوف دل عليه لم يدع. وإليه ذهب ابن جنى (في المختص في سورة والضحي)، قال: إنه لما قال لم يدع من المال إلا مسحتا دل على أنه قد بقي، فأضمر ما يدل عليه^(٣)، فكأنه قال: وبقي مجلف. وأما (الثاني) فهو لثعلب ، قال (في أماليه)^(٤) نصب مُسَحَّت بوقوع يدع عليه وقد وليه الفعل ولم يل مجلفا ، فاستؤنف به فرفع ، والتقدير : هو مجلف . انتهى .

وقول الشارح المحقق إنَّ أو في هذا الوجه للإضراب بمعنى بل ، لا يناسب المعنى ، وإنما يناسب لو كان مسحتا بعد أو ، فهي هنا لعطف جملة على مفرد ، ومعناها أحد الشئيين .

وأما (الثالث) فهو لأنى على الفارسي (في التذكرة) قال : مجلف معطوف على عض ، وهو مصدر جاء على صيغة المفعول ، قال تعالى : ﴿ وَمَرْفَأُهُمْ كُلٌّ مِمَّزَّقٍ ^(٥) 》 كأنه قال : وعض زمان أو تجليف .

(١) من شواهد سيبويه في كتاب ١ : ٨٨ .

(٢) يعني البيت الشاهد .

(٣) في المختص ٢ : ٣٦٥ : « فأضمر ما يدل عليه القول » .

(٤) هذا من المواضع المستدركة على مجالس ثعلب . وقد أثبتته في ذيل المجالس .

(٥) الآية ١٩ من سورة سبأ .

وبقى غير مذكوره الشارح توجيه الفراء ، قال : إنَّ مجلفاً مرفوع بالابتداء ، وخيره محذوف ، كأنه قال : أو مجلف كذلك . ونسبه إليه ابنُ السَّيِّد (في شرح أبيات الجمل) ، وكذلك نسبه إليه على بن حمزة البصري (في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) ونصّه : قال الفراء : ومن روى مسحتاً أراد لم يدع فيه عضُّ الزمان إلا مسحتاً أو مُجَلَّفٌ بقي ، فرفعه على هذا الإضمار . قال الكسائي : هذا كما تقول : ضربت زيداً وعمرو ، كأنه يرفعه بفعل مضمر ، أى وعمرو مضروب ، أو وعمرو كذلك . انتهى .

٣٤٩

وقد ذهب إلى هذا ابن الأنباري أيضاً (في مسائل الخلاف) ، قال ابن السَّيِّد (في شرح أبيات المعاني) : فيكون هذا من عطف جملة اسمية على جملة فعلية ، كما تقول : رأيت زيداً وعمرو مرّاً أيضاً .

وبقى أيضاً توجيه الكسائي ، وهو أنَّ مجلفاً معطوف على الضمير المستتر في مُسَحَّت . قال ابن السَّيِّد (في شرح أبيات الجمل) : حكى هشام هذا التوجيه عن الكسائي .

هذا ما طلعْتُ عليه من توجيه هذه الرواية ، وهى الرواية المشهورة . وقد أوردها صاحب الكشف في سورة طه .

وفيه روايات أخر :

إحداها : « إلا مسحتاً أو مجلف » يرفعهما . قال على بن حمزة (في كتاب التنبيهات) : رواه أبو جعفر بن حبيب (في كتاب النقائص) برفع الاسمين . قال ابن الأعرابي والفراء : حروف الاستثناء تجيء بمعنى قليل من

(١) ط : « أو مجلفاً » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « أو عمرو كذلك » وأثبت ما في ش .

كثير ، فجعل إلا معلقة بأن يكون ، فأضمرها ونواها ، ورفع مُسَحَّتْ عَلَى هذا المعنى . أراد إلا أن يكون مسحت أو مجلف ، فرفعه ليكون المضمرة ، وإلا تدل عَلَى تعلُّقها بأن يكون كقولك : ماأتانى أحدٌ إلا زيد ، وإلا أن يكون زيد . ومثله لشبيب بن البرصاء :

ولا خير في العيدان إلاَّ صلابُها

ولا ناهضاتِ الطير إلا صقورها

أراد : ولاخير في العيدان إلا أن يكون صلابها ، وإلا أن يكون صقورها .

انتهى .

وهذا التوجيه مردود ، فإنَّ الموصول لا يحذف مع بعض الصلة ويبقى

بعضها .

والصواب توجيه صاحب (الكشاف) فإنه استشهد به عَلَى قراءة أبى والأعمش : ﴿فَشْرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١) بالرفع مع كونه استثناء من كلام موجب حملاً له عَلَى المعنى ، فإنَّ قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه إلا قليل ، فرفعه كرفع الشاعر مسحتا ومجلفا مع كونه استثناء مفرَّغا فى موقع المفعول به ، لأنه فى المعنى واقع موقع الفاعل ، لأنَّ لم يدع فى معنى لم يَبْقَ . والأحسن ماذهب إليه الطوسى ، نقله عنه صاحب (التنبيهات) قال : أراد لم يَدْعُ من الدعة .

ونقل ابن الأنبارى أيضاً (فى شرح المفضليات) عن أبى عمرو أنه قال : لم يَدْعُ من الدَّعة والسكون ، يقال رجل وادع إذا كان ساكناً ، فيكون عَلَى هذا مسحت فاعل لِيَدْعَ .

وثانى الروايات الأخر رواية خالد بن كلثوم وهى :

(١) الآية ٢٤٩ من البقرة .

وعَضُّ زَمَانٍ يَابِنِ مِرْوَانَ مَابِهِ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مَسَحَتْ أَوْ مَجْلَفٌ
 بَرَفِ الْعَاسِمِينَ أَيْضاً ، حَكَاهُ عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ حَمْرَةَ صَاحِبُ التَّنْبِيهَاتِ .
 وَقَالَ الْفَرَاءُ (فِي تَفْسِيرِهِ) : قِيلَ لِي إِنْ بَعْضُ الرِّوَاةِ يَقُولُ : « مَابِهِ مِنْ
 الْمَالِ إِلَّا مَسَحَتْ أَوْ مَجْلَفٌ » فَقُلْتُ : لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ . انْتَهَى .
 وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ أَحْسَنُ الرِّوَايَاتِ وَأَصَحُّهَا .

وِثَالُ الرِّوَايَاتِ الْآخَرِ : « لَمْ يَدْعَ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتٌ » بِكَسْرِ دَالٍ
 يَدْعُ وَرَفْعِ الْعَاسِمِينَ أَيْضاً ، وَقَدْ نَسَبَهَا صَاحِبُ (التَّنْبِيهَاتِ) إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ ،
 وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ (فِي شَرْحِ الْمُفْضَلِيَّاتِ) إِلَى عَيْسَى بْنِ عَمْرِو ، عِنْدَ قَوْلِ سُؤَيْدِ بْنِ
 أَبِي كَاهِلٍ الْيَشْكُرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَرَقَّ الْعَيْنَ خِيَالٌ لَمْ يَدْعُ مِنْ سُلَيْمَى فَفَوَادَى مُنْتَرَعٌ ^(١)

قَالَ : يَدْعُ بِمَعْنَى يَقَرُّ وَيَمْكُثُ . وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ جَنَى فِي بَابِ الْأَطْرَادِ
 وَالشُّذُودِ (مِنْ الْخَصَائِصِ) قَالَ فِيهِ : وَمِنْ ذَلِكَ امْتِنَاعُكَ مِنْ وَذَرٍ وَوَدَعٍ لِأَنَّهُمْ
 لَمْ يَقُولُوهُمَا . فَأَمَّا قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَدِ :

لَيْتَ شِعْرِي مِنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي

غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهُ

فَشَاذٌ ، وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ بَعْضِهِمْ : « مَا وَدَعَكَ رَيْثُكَ وَمَا قَلَى » . فَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَدَعَ
 الشَّيْءُ يَدْعُ ، إِذَا سَكَنَ فَاتَّدَعَ ، فَمَسْمُوعٌ مُتَّبِعٌ ، وَعَلَيْهِ بَيْتُ الْفَرَزْدَقِ ، فَمَعْنَى لَمْ
 يَدْعَ بِكَسْرِ الدَّالِ ، أَيْ لَمْ يَتَّدَعْ وَلَمْ يَثْبُتْ . وَالْجُمْلَةُ بَعْدَ زَمَانٍ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ
 لِكُونِهَا صِفَةً لَهُ ، وَالْعَائِدُ مِنْهَا إِلَيْهِ مَحْذُوفٌ لِلْعِلْمِ بِمَوْضِعِهِ ، وَتَقْدِيرُهُ لَمْ يَدْعَ فِيهِ
 أَوْ لِأَجْلِهِ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتٌ أَوْ مَجْلَفٌ ، فَيَرْتَفِعُ بِهِ مَسَحَتْ ، وَمَجْلَفٌ

عطف عليه . وهذا أمرٌ ظاهر ليس فيه من الاعتذار والاعتلال ما في الرواية الأخرى . ويحكى عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : خير المجالس ماسافر إليه البصر ، وأثدغ فيه البدن . انتهى .

وقال في سورة الضحى (من المحتسب) : قرأ : ﴿مَادَعَكَ﴾ ^(١) خفيفة النبي ﷺ وعروة بن الزبير . وهذه قليلة الاستعمال . قال سيبويه : استغنوا عن وذر وودع بقولهم ترك . على أنها قد جاءت في شعر أبي الأسود . وأما لم يدع في بيت الفرزدق بكسر الدال فهو من الاثداع ، كقولك : قد استراح وودع ، فهو وادع من تبعه . والمسحت على هذه الرواية مرفوعٌ بفعله ، ومجلف معطوف عليه . وهذا ما لا ينظر فيه لوضوحه .

ورابع الروايات الأخر : « لم يُدع » بضم الياء وفتح الدال ، مع رفع الاسمين أيضاً ، ذكرها ابن جنى (في المحتسب) ونقلها عنه ابن السيد واللخمي (في شرح أبيات الجمل) ، ولم ينسبها أحدهم إلى راوٍ .

قال ابن جنى : وأما رواية « يُدع » بضم الياء وفتح الدال فقياسه يُودع ، كقوله تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ومثله يُوضَع ، والحديد يُوقَع ، أى يُطَرَق ، من قولهم وقعت الحديد ، أى طرقتها . قالوا : إلا أن هذا الحرف كأنة لكثرة استعماله جاء شاذاً فحذفت واوه تخفيفاً فقليل لم يُدع أى لم يترك . والمسحت والمجلف جميعاً مرفوعان أيضاً كما يجب . انتهى .

وهذا ماوقفت عليه من روايات هذا البيت . والله أعلم .

وقوله : (وعَضُ زمان) هو مرفوع بالعطف على (همومُ النى) في بيت قبله ، وهو :

(١) الآية ٣ من سورة الضحى .

(إليك أمير المؤمنين رَمَتْ بنا
همومُ المَنَى والهَوَجُلُ المتعسِّفُ)

أراد : يأمر المؤمنين . و(ابن مَرَّوان) : عبد الملك بن مروان . شكا إليه ما فعل به الزمان من تفريق أمواله وتغيير أحواله . والهَوَجُلُ : الفلاة التي لأعلام فيها يُهْتَدَى بها . والمتعسِّفُ : التي يُسار فيها بلا دليل . وَعَضُّ الزمان : شِدَّتُهُ . قال اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : قال الخليل بن أحمد : العَضُّ كله بالضاد، إلا عَضُّ الزمانِ والحَرْبِ . وقال ابن سراج (١) : العَضُّ المجازيُّ بالطاء والحقيقى بالضاد . وهذا كقول الخليل . وقيل إنَّ العَضُّ كله بالضاد مجازيا كان أو حقيقياً . انتهى .

و (المجْلَفُ) بالجيم : الذي ذهب معظمه وبقي منه شيء يسير .
و(المُسْحَت) : المستأصل الذي لم يبق منه بقية . قال الفراء في سورة طه ، في قوله تعالى ﴿ فَيُسْحَتْكُمْ ﴾ (٢) : سَحَتَ أَكْثَرُ ، وهو الاستئصال . والعرب تقول : سَحَتَ : أَسْحَتَ بمعنى واحد . وأنشد هذا البيت .

وقال مثله الزجاجُ في سورة المائدة ، وأنشد البيت أيضاً .

وقال صاحب الصحاح : مالٌ مسحوت ومُسْحَتٌ أى مُذْهَبٌ . وأنشد هذا البيت أيضاً ، ومنه أخذ الشارح .

ومثل هذا البيت ما أورده أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى تلميذ ابن ولّاد (في طبقات النحويين) في ترجمة أبي الفضل الرياشي، بسنده عن أبي الفضل قال: وقع رجلٌ بأمةٍ لرجل فولدت، فحلف سيِّدُها أن لا يُعْتَقَ، فقال الذي وقَعَ في الجارية:

٣٥١

(١) ابن سراج، بكسر السين وتخفيف الراء، هو عبد الملك بن سراج امام أهل قرطبة، وهو ممن درس جمهرة ابن دريد واستظهرها . توفي سنة ٤٨٩ هـ . س : « ابن السراج » .

(٢) الآية ١١ من سورة طه .

تَحَلَّلْ جزاك الله خيراً أما ترى تَخَاذُلْ إخواني وَقَلَّةَ مالِيا
وعَضُّ زَمان لم تَدْعُ جَفَوَاتِهِ من المَالِ إِلَّا جِلَّةً وَعَنَاصِيا
تَأَلَّ على مافي يديك كأنما رأيت ابن ذِي الجَدَّينَ عِنْدَكَ عَانِيا^(١)
انتهى التحليل في اليمين : أن يحلف ثم يستثنى استثناءً متصلاً . والجِلَّةُ
بكسر الجيم من الإبل : المَسَاكُ ، وهو جمع جليل ، كصبي وصبية .
والعَنَاصِي بفتح المهملة ، قال صاحب الصحاح : ما بقى من ماله إلا عَنَاصٍ ،
وذلك إذا ذهب مُعْظَمُهُ وبقي بُذْ منه . وتأَلَّ فعلُ أمر ، يقال تأَلَّى على كذا
أى أقسم عليه . والعانى : الأسير .

والبيتان من قصيدة طويلة للفرزدق ، تزيد على مائة بيت ؛ ليس فيها صاحب الشاهد
مدحٌ غير هذين البيتين ، وماقبلهما من أوَّل القصيدة نسيب ، ومابعدهما عدَّة
أبياتٍ في كلال الإبل . وشرحها الشريف المرتضى قُدَّس سرُّه (في أماليه غرر
الفرائد ودرر القلائد ^(٢)) .

ومابعدها إلى آخر القصيدة افتخارٌ بآبائه على جرير .
وفيهما شاهدٌ يأتي شرحه مع أبيات منها إن شاء الله تعالى في باب الفعل^(٣) .
ومضى بيتٌ منها في باب النعت^(٤) .
وتقدَّمت ترجمة الفرزدق في الشاهد الثلاثين^(٥) .

(١) ط : « ذو المجددين » ، صوابه في ش . والجد بمعنى الحظ . وذو الجدين هو قيس بن مسعود
بن قيس بن خالد الشيباني ، وهو والد بسطام بن قيس ، وقيل مسعود بن عمرو ، وقيل عمرو بن ربيعة
ابن عمرو ، وقيل عبد الله بن عمرو بن الحارث . وانظر تعليل تسميته في جنى الجنتين ١٥٧ .

(٢) أمالي المرتضى ١ : ٥٨٢ — ٥٨٤ .

(٣) هو الشاهد ٦٦٦ في ٣ : ٦٠٧ بولاق .

(٤) هو الشاهد ٣٣٩ في هذا الجزء الخامس .

(٥) في الجزء الأول ص ٢١٧ .

باب التوكيد

أنشد فيه ؛ وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة (١) :

٣٥٨ (أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ)

على أنه ربما دلَّ على عطف البيانِ بعضُ متبوعاته مع قلة الاشتراك ، كأبي حفص وهو المتبوع ، يدلُّ على عطف البيان وهو عُمَرُ ، كما بيَّنه الشارحُ المحقق .

وقد أوردته في باب عطف البيان وشرحه هناك .

صاحب الشاهد

وهو أوَّلُ رجز قاله أعرابيٌّ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قصة الشاهد

وسببه مارواه المحدثون عن أبي رافع ، أن أعرابياً أتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ أهلي بعيد ، وإني على ناقةٍ ذبراء ، فاحملني . فقال عمر كذبت ، والله ما بها نقبٌ ولا برٌّ ! فانطلق الأعرابيُّ فحلَّ ناقته ، ثمَّ استقبل البطحاء وجعل يقول ، وهو يمشي خلف ناقته :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ ما إنَّ بها من نَقَبٍ ولا ذَبَرٍ
اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرٌ

ويروى : « مامسها من نَقَب » . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه مقبلٌ من أعلى الوادى ، فجعل إذا قال :

* اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرٌ *

قال : اللَّهُمَّ صَدِّقْ ! حتَّى التقيا فأخذ بيده فقال: ضَعُ عن راحلتك.

(١) المخصص ١٠٠ : ١١٣ وابن يعيش ٣ : ٧١ وشذور الذهب ٤٣٥ والعينى ١ : ٣٩٢ / ٤ :

١١٥ والتصريح ١ : ١٢١ ، ١٣١ والأشعرونى ١ : ١٢٩ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ .

فوضع فإذا هي كما قال ، فحمله على بعير ، وزوده وكساه .

وروي هذا الأثر بالفاظ مختلفة .

وهذا المقدار من الرجز هو المشهور ، وفي رواية الأصمعي ^١ أزيد . من

هذا . قال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (في طبقات النحويين) في ترجمة الأصمعي : أخبرنا ابن مطرف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعي قال : وقف أعرابي بين يدي عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، أبدوغ بي وأدمنت بي راحلتي ، ودبر ظهرها ونقب خفها ! فقال له عمر : والله ما أظنك أنقبت ولا أخفيت ، فخرج الرجل ثم خرج عمر . قال : والرجل يقول :

أقسم بالله أبو حفص عمر مامسها من نقب ولا دبّر
حقاً ولا أجهدّها طول السّفَر والله لو أبصرت نضوى يا عمر
وما بها ، عمرك ، من سوء الأثر عددتني كابن سبيل قد حضر ^(١)

فرق له عمر وأمر له ببيع ونفقة . انتهى .

والدّبراء ، من دبّر ظهر الدابة من باب فرح ، إذا جرج من الرجل والقتب . وأدبرت البعير فدبر ^(٢) وأدبر الرجل ، إذا دبّر بعيره ، فهو مدبر . والنقباء من نقب البعير من باب فرح أيضاً ، إذا رق خفه . وأنقب الرجل ، إذا نقب بعيره . وقوله : فاحملني ، أى أعطني حمولة ، وهى بالفتح ما يحمل عليه الناس من الدواب ، كالركوبة .

(١) يقال حضر فلان واحتضر ، بالبناء للمجهول فهما ، إذا دنا موته .

(٢) ط : « تدبر » ش : « تدبر » ، صوابه من اللسان (دبر ٣٥٩ س ٢) .

وقوله : (أقسم بالله أبو حفص عمر) عمر أبو حفص : فاعل أقسم بمعنى حلف ، وهو كنية عمر . واستشهد به ابن هشام (في شرح الألفية) في جواز تقديم الكنية على الاسم .

وقوله : « ما إن بها » إن زائدة . وقوله « إن كان فجر » ، قال ابن الأنباري (في الزاهر) : الفاجر في كلام العرب : العادل المائل عن الخير ، وإنما قيل للكذاب فاجر لأنه مال عن الصدق . وأنشد هذ الشعر .

وقوله : « ضَع عن راحلتك » ، أى ارفع عنها قَتَبها . وقوله في رواية الأصمعي « أُبدِعْ بى » بالبناء للمفعول ، أى انقُطِعْ بى لكلال راحلتى ، فكان راحلته جاءت ببدعة .

وقوله : « ما أظنُّك أُتْقِبْتَ ولا أَحْفَيْتَ » كلاهما بالبناء للفاعل (١) ، يقال أحفى الرجل إذا خفيت دابته ، أى رَقَّ خفُّها وحافرها من كثرة المشى . والتضو ، بكسر النون وسكون المعجمة : المهزول . وقوله : عَمْرُكُ ، مبتدأ وخبره محذوف ، أى قسمي ، والجملة معترضة ؛ وهى بفتح العين .

عبد الله بن كيسة وهذا الرجز نسة ابن حجر (في الإصابة) إلى عبد الله بن كَيْسَبَة ، بفتح الكاف وسكون المثناة التحتية وفتح المهملة بعدها باء موحدة ، التَّهْدَى . ذكره المرزبانى (في معجم الشعراء) قال : وكَيْسَبَة أمه ، ويقال اسمه عَمْرُو . وهو القائل لعمر بن الخطاب واستحمله فلم يحمله :

* أقسم بالله أبو حفص عُمَرُ *

الآيات الثلاثة . وكان نظر إلى راحلته لما ذكر أنها أعجفت فقال : والله ما بها من علة أفرد عليه ، فعلاه بالدرّة ، وهرب وهو يقول ذلك ، فلما سمع

(١) في النسختين : « للمفعول » ، والصواب ما أثبت .

عمرُ آخر كلامه حَمَلَه وأعطاه . وله قصَّةٌ مع أوى موسى فى فتح تُسْتَر . وقيل أن كنيته أبو كيسبة ، وإنَّ عمر سَمِعَه ينشدُها ، فاستحلفه أنه ماعرف بمكانه ، فحلف فحمله . انتهى .

وقد ذكره فى قسم المخضرمين الذين أدركوا النبىَّ — ﷺ — ولم يَرَوْه . وزعم ابن يعيش (فى شرح المفضل) أن الرجز لرؤية بن العجاج . وهذا لأصل له ، فإنَّ رؤية مات فى سنة خمس وأربعين ومائة ، ولم يعدّه أحدٌ من التابعين فضلاً عن المخضرمين (١) . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بى وَلَا لِلِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاءً)

على أنه ضرورة ، حيث أكَّد اللَّامُ الأولى باللام الثانية بدون ذكرٍ مجرورٍ

٣٥٣

الأولى ، والقياس لما للمالى .

وهذا البيت قد تقدّم شرحه مع قصيدته وسببها مستوفى فى الشاهد

الرابع والثلاثين بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَيْنِ)

لما تقدّم قبله ، ومضى الكلامُ عليه مفصّلاً فى الشاهد الخامس

والثلاثين بعد المائة (٣) .

* * *

(١) وكذا لم يرد الرجز فى ديوانه .

(٢) الخزاعة ٢ : ٣٨ .

(٣) الخزاعة ٢ : ٣١٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلاثئة ^(١) :
 ٣٥٩ (فَأَيْنَ إِلَى أَيْنَ النَّجَاءُ بِيَعْلَتِي أَتَاكَ أَتَاكَ اللَّاحِقُوكَ احْبِسِ احْبِسِ)
 على أَنَّ المستقبل يجوز تكريره بلا فَصْل . والظاهر أَنَّ المراد أَنَّهُ من تكرير
 المفردات لا الجمل ، وهو الظاهر أيضا من كلام ابن جَنِّي (في إعراب
 الحماسة) قال : أول البيت توكيد الاستفهام ، وفي الثاني توكيد الخبر ، وفي
 آخره توكيد الأمر .

وقال ابن الشجري (في أماليه) : هذا البيت فيه تكرير ثلاث جمل ، أراد
 إلى أين تذهب إلى أين تذهب ، أَتَاكَ أَتَاكَ اللَّاحِقُوكَ ^(٢) احبس احبس ^(٣) .
 وهذا يقوِّى ماذهب إليه الكسائيُّ من حذف الفاعل في باب إعمال الفعلين .
 ألا تراه لو أضمر الفاعل ولم يحذفه لقال : أتوك أَتَاكَ اللَّاحِقُوكَ ، أو أَتَاكَ
 أَتُوكَ . انتهى

والصحيح أَنَّ الثلاثة من توكيد المفردات .

أَمَّا الأوَّل فإين مجرورة بإلى المحذوفة المدلول عليها بالمذكورة ، وهو خبر
 مقدَّم ، وإلى أين توكيده ، والنَّجَاءُ مبتدأ مؤخَّر ، وهو مصدر نجا ينجو نجا ،
 إذا أسرع وسبق .

وزعم العينيُّ أَنَّ إلى أين هو الخبر ، وَأَنَّ أين ظرف لمحذوف ، أى أين
 تذهب . وهذا غنى عن الرد .

وَأَمَّا الثاني فَإِنَّ اللَّاحِقُوكَ، وهو جمع مذكر سالم، مضاف للكاف وحذفت

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٣ والعينى ٣ : ٩ والتصریح ١ : ٣١٨ والجمع ٢ : ١١١ و١٢٥ والأشموئى

٩٨ : ٢ .

(٢) ط : « اللاحقون » ، صوابه في ش وأمالي ابن الشجرى .

(٣) احبس احبس ، ساقط من ش .

نونه للإضافة فاعل لأتاك الأول ، وأتاك الثاني تأكيد له . ولما كان الأول متصلاً به ضميرُ المفعول اتَّصل بالثاني ليوافق الأول .

وقد اختلف النحويون في نحو : قام قام زيد ، فقيل زيد فاعل الأول فقط ، وأما الثاني فإنه يحتاج لفاعل ، لأنه لم يؤت به للإسناد ، وإنما أتى به لجرد التأكيد . وقيل فاعلهما ، ولا يلزم منه اجتماع العاملين على معمول واحد لأن لفظهما ومعناهما واحد ، فكأنَّهما عامل واحد . وقيل فاعل أحدهما وفاعل الآخر ضمير محذوف ، على أنَّهما تنازعا . وقد ردّه ابن الناظم وابن هشام (في شرح الألفية) لأنه ليس هذا من مواضع حذف الفاعل ، ولو كان من التنازع لقيل : أتوك أتاك ، أوأتاك أتوك .

وأما الثالث فإنَّ الأمر الثاني تأكيدٌ للأمر الأول ، وتوكيد الضمير للضمير بالتبعية ضرورة ، إذ لا يمكن انفكاكه عن الأمر . ويجوز أن يكون توكيداً مقصوداً فيكون من قبيل توكيد الجُمْل .

وزعم العيني أن مفعول احبس تقديره نفسك . وهذا لا يناسب المقام . والظاهر أنَّه بغلتي ؛ لوجود القرينة .

وهذا البيت مع شهرته لم يُعلم له قائل ولا تنمة . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الثلاثئة :

٣٦٠ (لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَشْنَةَ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاتِقًا وَعُهْدًا^(١))

لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ . وهذا في الحرف ، وما قبله في تكرير^(٢) الاسم والفعل . ٣٥٤
(أَبُوح) : مضارع باح الشيء بَوْحاً من باب قال ، بمعنى ظهر . ويتعدَّى

(١) العيني ٤ : ١١٤ والتصريخ ٢ : ١٢٩ والجمع ٢ : ١٢٥ والأشئوني ٣ : ٤ وديوان جميل ٧٩ .

(٢) ط : « تكرر » .

بالحرف فيقال باح به صاحبه، وباهمزة أيضا فيقال أباحه . (بثنة) بفتح الموحدة وسكون المثناة بعدها نون : اسم محبوبة جميل بن معمر العذريّ، والمشهور (بثينة) بالتصغير، وهي مجرورة بالفتحة لأنها لاتنصرف. وزعم العيني أنّها في محل الجرّ. وقوله إنّها بالكسر استئناف بياني. و (مَوَاتِق): جمع مَوْتِق، وهو العهد. وأمّا المَوَاتِق فهو جمع ميثاق، وربما قيل ميثاق على لفظ الواحد. والبيت من قصيدة لجميل العذريّ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني والستين (١).

صاحب الشاهد

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادي والستون بعد الثلاثئة، وهو من شواهد سيويه (٢):

٣٦١ (تَرَكِهَا مِنْ إِبِلِ تَرَكِهَا)

على أنّ المستقبل يجوز تكريره للتأكيد مع فاصل، كما جاز بدونه. وتراك اسم فعل أمر بمعنى اترك. وله أورده سيويه. وهو متعدّ إلى الضمير، [نصبه (٣)] على المفعولية. ولما لم يتقدّم مرجعه فسره بالتمييز المجرور بمن المبيّنة. قال أبو عبيدة (في أماليه) : كانوا في الجاهلية إذا غنموا الغنيمة فلحقها أربابها قالوا للسائقين (٤):

* تَرَكِهَا مِنْ إِبِلِ تَرَكِهَا *

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧.

(٢) في كتابه ١/١٢٣: ٣٧ وانظر المقتضب ٣/٣٦٩: ٤. ٢٥٢ والكمال ٢٦٩ والمختص ٦٦: ١٧ وابن السجري ٢/١١١، ١٣٥ والإنصاف ٥٣٧ وابن يعيش ٤: ٧٥ والشذور ٩٠ واللسان (ترك ٢٨٧).

(٣) التكملة من ش.

(٤) ط : « للسائقين » بالياء.

أى خلُّوا عنها . فيقول السائقون (١) .

* أما ترى الموتَ على أوراكها *

أى مآخِرها ، أى إنَّا نحميها . وبعضهم يقول :

* مَناعِها من إيلٍ مَناعِها *

فيجواب بقولهم :

* أما ترى الموتَ لدى أرباعها *

يعنون أفتاءها (٢) . انتهى .

وقال يعقوب بن السُّكَيْت : أغيرَ على إيلٍ قومٍ من العرب ، فلحق أصحابُ الإيلِ؛ فجعلوا لا يدنو منها أحدٌ إلا قتلوه، فقال الذين أغاروا على الإيلِ:

تَراكِها من إيلٍ تَراكِها أما ترى الموتَ لدى أرباعِها

فقال أصحاب الإيلِ :

مَناعِها من إيلٍ مَناعِها أما ترى الموتَ لدى أرباعِها

وفى أُمالى ابن الشجرى : وقال آخر :

تَراكِها من إيلٍ تَراكِها أما ترى الموتَ لدى أوراكها

أراد أن أوراكها من شدة السير كأنها فى استرخائها قد شارفت الموت .
ومثله قول الآخر :

مَناعِها من إيلٍ مَناعِها أما ترى الموتَ لدى أرباعِها

(١) ط : « السائقون » بالباء .

(٢) الأفتاء من الدواب : خلاف المسان ، واحدها فتى ، مثل يتيمة وأيتام . وفى ط : « أفتاءها » ،

بالنون ، وفى ش : « أبتاءها » بباء قبل النون ، والوجه ما أثبت .

الأرباع : جمع الرُّبْع ، وهو ولد النَّاقَةِ التي تَلِدُهُ في الربيع . والهُبَّع : الذي تلده في أول الصَّيْف ، وجمعه أهباع ، كَرُطَب وأرطاب . انتهى .
 وقوله : أراد أن أوراكها من شدة السير ، إلخ لا وجه له ، وكأنه لم يقف على ماقدّمنا .

صاحب الشاهد وقال ابن خلف : هذا قول طُفَيْل بن يَزِيد الحارثي حين أغارت كِنْدَةُ على نَعْمه ، فلحقهم وهو يقول :

* تَرَاكِهَا من إِبِل تَرَاكِهَا *
 أما ترى الموت إلخ .

ويروى :

* دَرَاكِهَا من إِبِل دَرَاكِهَا *

ويروى :

* قد لحق الموتُ على أوراكها *

وحمل على فحل الإبل فعقره ، فاستدارت النعم حوله ولحقت به بنو الحارث بن كعب ، فاستنقذوا ماله وهزمت كندة . قال سيبيويه : فهذا اسم لقوله اتركها ، أى هى محمية من أن يُغار عليها ، فاتركها وانج بنفسك . وقوله : أرباعها ، الأرباع : جمع رُبْع ، وهو ولد النَّاقَةِ . وأولادُ الإبل تتبعها . والقتال يشتد إذا لحق الإبل أصحابها؛ وإنما يقع القتال عند مآخيزها ، لأن الذين أغاروا عليها يطردونها ويسوقونها ، وأصحابها يمنعونهم من ذلك . وهو مثل قول الآخر :

٣٥٥

* أما ترى الموت لدى أوراكها *

وبجوز أن يريد بالأرباع جمع ربع بالفتح ، وهو المنزل ، يعنى أنهم اقتتلوا في المواضع التي فيها الإبل . انتهى .

طفيل الحارثي

وطُفيل بن يزيد الحارثي : شاعرٌ فارسٌ جاهليٌّ .

ولم يذكر الآمدي (في المؤلف والمختلف) هذا ، مع أنه أورد خمسة ممن اسمهم طفيل

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد الثلاثة ^(١) :

٣٦٢ (أَقْبَلَنَ مِنْ نَهْلَانٍ أَوْ وَادِي خَيْمٍ

عَلَى قِلاصٍ مِثْلَ خِيْطَانِ السَّلَمِ)

على أن الأندلسيَّ جَوَّزَ أن يقال في جمع المذكر العاقل المكسر: الرجال كلُّهم، مستدلاً بهذا البيت . ولم يظهر لي وجهه ، وكأنَّ وجه الاستدلال أن نون أقبلن ضمير العقلاء الذكور ، أي الرجال أو الرُّكَب أو نحوهما، وإنما أتت لتأويله بالجماعة. والدليل على أن مرجع الضمير ما ذكر قوله بعد:

* حَتَّى أَنْخَاها عَلَى بابِ الْحَكَمِ *

فدلَّ ما بعد الكلام على ما قبله . وفيه [أنه ^(٢)] لا يجب أن يتحدّا ، ويجوز أن تكون النون ضمير النسوة ، أو أن أصله أقبلنا ، فحذفت الألف ضرورة ، فيكون من باب التقارض .

وهذه المسألة لم أرها إلا هنا عن الأندلسي . وقد راجعتُ شروح التسهيل وارتشأف الضرب ، فلم أر فيها أن النون تعود عَلَى الجمع المكسر للعاقل ^(٣) بتأويله بالجماعة. ويشهد لما ذهب إليه الأندلسي قول الفرزدق:

* بَحُورَانِ يَعَصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِيهَ *

(١) ديوان جرير ٥٢٠ برواية مخالفة ، وكامل المبرد ٣٦١ ، ٥٤٦ وسمط الآلي ٦٤٦ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « العاقل » ، وأثبت ما في ش .

سواء أ جعلت النون حرفاً أم ضميراً . ويأتى شرحه بعد هذا فى الشاهد السادس والسبعين (١) .

صاحب الشاهد وهذا أوّل رجز لجريز بن الخطفى ، أورد المبرد بعضاً منه (فى الكامل) (وفى الاعتنان) . قال أبو عبيدة : أخبرنا أيوب بن كسيب بن عطاء بن الخطفى قال : قدم جريز فى إمرة الحكم بن أيوب الثقفى البصرة ، وكان الحكم ابن عمّ الحجاج وعامله . وأنا معه ، وكان أيوب بن كسيب لا يفارقه ، ومدح الحكم فقال :

أقبلن من ثهلان أو وادى خيم
على قلاص مثل خيطان السلم
حتى أنخناها إلى باب الحكم (١)
خليفة الحجاج غير المتهم
* فى ضئضى المجد وبُحجوج الكرم *

فأعجب به الحكم بن أيوب ووجده باقعة . قال : فكتب إلى الحجاج : إنّه قدّم على أعرابى شيطان من أشعر الناس وأفصحهم ، ووصفه له . قال : فكتب الحجاج أن يسرّحه إليه حين يقرأ كتابه . قال : فلما قدم الكتاب أمرنا الحكم فشخصنا حتى قدّمنا على الحجاج ، وامتدحه جريز بكلمته التى يقول فيها :

ومن يأمن الحجاج ، أمّا عقابه
فمرر وأما عقده فوثيق

(١) هو الشاهد ٣٧٦ .

(٢) بين هذا الشطر وتاليه فى الكامل :

* اذا قطعن علما بدا علم *

(٣) الباقعة : الذكى العارف لا يفوته شئ .

قال : وأما مسحل بن كسيب أخو أيوب فحدثني أن أول كلمة امتدحه بها كلمته التي يقول فيها :

مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النَّفَاقِ عَلَيْكُمْ
أَمْ مِنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ
أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ عَشِيَّةً
إِذَا لَا يَثْقَنَ بَعِيرَةَ الْأَزْوَاجِ

قال : فأمر له الحجاج بأربعة آلاف درهم ، وكساء حلة صفراء ، وأنزلنا في دار ضيافته . انتهى .

وزاد (في الكامل) أن جريراً لما دخل على الحجاج قال له : بلغني أنك ذو بديهة فقل لي في هذه — لجارية قائمة على رأسه — فقال جرير : مالي أن أقول فيها حتى أتأملها ، وما في أن أتأمل جارية الأمير ؟! فقال : بلي فتأملها واسألها . فقال لها : ما سمك يا جارية ؟ فأمسكت ، فقال لها الحجاج : خبريه بالحناء . فقالت : أمانة . فقال جرير (١) :

وَدَّعْ أَمَامَةَ حَيْنَ حَانَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ تَحَبُّ قَلِيلُ
مِثْلُ الْكُثِيبِ تَمَايَلَتْ أَعْطَافُهُ فَالْرِّيحُ تَجِيرُ مِنْهُ وَثُمِيلُ
هَذِي الْقُلُوبُ صَوَادِيَا تَيَّمَّتْهَا وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيل إليها ، خذها ، هي لك .

فصرَبَ بيده إلى يديها فتمنعت عليه ؛ فقال :

إِنْ كَانَ طِبُّكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنٌ دَلَالُكَ يَا أَمَامَ جَمِيلُ (٢)

(١) ديوان جرير ٤٧٢ .

(٢) الطب ، بالكسر : العادة والشأن . ط : «طلبكم» ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر

فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة . وخُيرَتْ أنَّها كانت من أهل الرُّى ، وكان إخوتُها أحراراً ، فأتبعوه فاعطَوْه بها حتى بلغوا عشرين ألفاً ، فلم يفعل . وفي ذلك يقول :

إذا عَرَضُوا عشرين ألفاً تعرَّضْتُ

لأُمِّ حكيم حاجةً هي ماها (١)

لقد زدتِ أهل الرُّى عندي مودةً

وحبَّيتِ أضعافاً إلى المواليا (٢)

فأولدها حكيماً ، وبلالا ، وحزرة ، بنى جرير (٣) . انتهى .

وثَهْلان : بفتح المثلثة : جبل باليمن ، وقال حمزة الأصباهي : هو جبلٌ بالعالية . وأصل الثَّهْل الانبساط على الأرض . ولضخم هذا الجبل تضرب به العربُ المثل في الثَّقَل فتقول : « أثقل من ثَهْلان ! » . و(خَيْم) بكسر الخاء المعجمة : جبل . قال صاحب الأغاني : ثَهْلان : جبلٌ كان لباهلة ، ثم غلبت عليه نعيم . وخَيْم : جبلٌ يناوِحه من طرفه الأقصى ، فيما بين رُكنه الأقصى وبين مطلع الشمس ، به ماءٌ ونخل . انتهى .

وهذا هو المشهور ، والذي في ديوانه ، ورواه أبو عبيد البكري (في المعجم) :

* أقبلن من جَنبى فتاخ وإضمّ *

(١) في ديوان جرير ٥٩٩ . « إذا أعرضوا ألفين منها » ، تحريف ماها .

(٢) في ديوان جرير : « عندي ملاحة » .

(٣) قال المبرد بعد هذا : « هؤلاء من أذكُر من ولدها » . وقد وجدت في الأغاني ٧ : ١٦٣

وجهمرة بن حزم ٢٢٥ ابنا رابعا هو نوح ابن جرير .

وقال : فتاخ بكسر الفاء بعدها مثناة فوقية وآخره خاء معجمة: موضع.
وقال الهَجْرِيُّ : فتاخ بأطراف الذَّهْناءِ مما يلي اليمامة . وإضم بكسر الهمزة :
وَادٍ دون المدينة ، وقيل جبل . والقلاص : جمع قُلوص ، وهى الناقة الشابة.
و(خيطان) : جمع نُحُوط بضم الخاء المعجمة ، وهو الغصن . وروى الزمخشري
(فى مستقصى الامثال) : « مثل أغصان السلم » . أراد أنَّ القلاص هُزِلَتْ
من شدة السفر حتى صارت كأغصان السلم ، فى الدَّقة والضمر .

وزاد أبو عبيدة البكرى بعد هذا (فى شرح أمالى القالى) :

٣٥٧

قد طُوِيَتْ بطوئُها على الأَدَمِ إذا قطعن علماً بدا عَلمٌ
فهنَّ بَحْثاً كمضَيَّلات الخدم حتى تناهين إلى باب الحكم
العَلمُ : الجبل . قال الزمخشري (فى مستقصى الامثال) . قوله :
* إذا قطعن علماً بدا عَلمٌ *

مثلٌ يضرب لمن يفرغ من أمر فيعرض له آخر .

وقوله : « فهنَّ بَحْثاً » أى يبحثن بَحْثاً بمناسِمْهنَّ الأرض ، كما يبحث
المُضَيَّلاتُ خَلَاخِيلَهُنَّ فى التراب . والخَدَم : جمع خَدَمَة بفتح الخاء المعجمة
وفتح الدال المهملة ، هو الخللخال . والضَّئِضِيُّ ، بكسر الضادين المعجمتين
والهمزة الأولى بينهما ساكنة : الأصل والجنس . والبُحْبُوح بضم الباءين والحاء
المهملة الأولى بينهما ساكنة : الوسط .

وقد أورد صاحب (الأغاني) حكاية جرير مع الحجاج على غير هذا
النَّمَط ، وأطال وزاد الأبيات ^(١) .

وترجمة جدير قد تقدّمت في الشاهد الرابع في أول الكتاب (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الثلاثمائة (٢):
 ٣٦٣ (يَالَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيًّا مَرْضَعًا تَحْمِلُنِي الذَّلْفَاءُ حَوْلًا أَكْتَعَا)
 على أَنَّ الكوفيين استشهدوا به على جواز توكيد النكرة المؤقّعة المعلومة المقدار ،
 وهو حَوْلٌ بمعنى العام.

قال صاحب المصباح : حال حَوْلًا من باب قال ، إذا مضى . ومنه
 قيل للعام حَوْلٌ وإن لم يمض ، لأنّه سيكون حَوْلًا ، تسميةً بالمصدر .
 وفيه شاهدٌ آخر، وهو التأكيد بأكتع غير مسبوق بأجمع. وبعده بيت
 آخر وهو:

(إذا بكيتُ قبَلتني أربعا إذن ظَلَلْتُ الدَّهْرَ أبكى أجمعا)
 وفيه أيضا شاهدان : أحدهما : التأكيد بأجمع غير مسبوق بكل .
 وثانيهما : الفصل بين المؤكّد وهو الدهر ، وبين المؤكّد وهو أجمعا ، بجملة
 أبكى . وبهذا استشهد ابن هشام (في المغنى) .

قال ابن عبد ربه (في العقد الفريد) : نظر أعرابيٌّ إلى امرأةٍ حسناء
 ومعها صبيٌّ ييكى ، فكلّما بكى قبَلته ، فأنشأ يقول هذا الرجز .
 وقوله : (يَالَيْتَنِي) إلخ يحرف تنبيهه ، ومُرَضَع اسم مفعول من أَرْضَعته
 إرضاعا . وجملة (تحملني الذلفاء) صفة ثانية . ويجوز أن تكون حالا من
 ضمير مُرَضَع ، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لكنت . و(الذلفاء) بفتح الذال
 المعجمة وبعد اللام الساكنة فاء : وصفٌ مؤنّثٌ أذلف ، من الذلف ، وهو
 صِغَر الأنف واستواء الأنزبة . ويحتمل أنّه اسم امرأةٍ منقولٌ من هذا .

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) العقد ٣ : ٣٦٠ والمغنى ٦١٤ والعينى ٤ : ٩٣ والهمع ٢ : ١٢٤ والأشمونى ٣ : ٧٦ ، ٧٨ .

و(أكتع) قال صاحب الصحاح : يقال إنه مأخوذ من قولهم : أتى عليه حولٌ ككتيع ، أى تام .

وقوله : « أربعا » ، أى تقبيلاً أربعا . وظللت بكسر اللام ، وظل بمعنى استمر من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أبكى فى موضع نصب خبرها ، والذهر ظرف لأبكى . وجملة إذن ظللت إلخ جوابٌ لشرط محذوف ، أى إن حصل ما تمنيت استمررت فى البكاء حتى تستمرّ الذلفاء تحملنى وتقبلنى كلما بكيت . وزعم العيني أن التقدير إن لم يكن الأمر كذا إذن ظللت إلخ . ولا يخفى أن هذا عكسُ مراد الشاعر .

* * *

وأنشد بعده :

(قد صرّت البكرة يوماً أجمعا)

لما تقدّم قبله .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) (١) : هذا شاذٌ ، وإن لم يكن مصنوعاً فوجهه عندى أن أجمع هذه ليست التى تستعمل للتأكيد ، أعنى التى مؤنثها جمعاء ، ولكن التى فى قولك أخذت المال بأجمعه وأجمعه ، بفتح الميم وضمها ، أى بكليته ، فدخل العامل عليها ومباشرتة إيّاها يدل على أنّها ليست التابعة للتوكيد ، فذلك قوله يوماً أجمعا أى يوماً بأجمعه ، ثم حذف حرف الجر ، ثم أبدل الهاء ألفاً فصار أجمعا . انتهى

وقال العيني : الرواية الصحيحة :

* قد صرّت البكرة يوماً أجمع *

على أن يوماً من غير تنوين ، وأصله يومى ، فالألف منقلبة عن ياء المتكلم ، فأجمع توكيد للمعرفة .

أقول : إن كان يومى ظرفاً فلم لم ينصب أجمع ، وإن كان غير ذلك
فما هو ، مع أنَّ ما قبله عنده :

• إِنَّا إِذَا خُطِّبْنَا تَقَعُّعًا •

وهذا من الرجز الذى لا يجوزُ اختلاف قوافيه . وهذا التوجيه تعسُّفه
ظاهر ككلام ابن جنى .

وقد استدلل الكوفيون بأبياتٍ أُخر ، منها قوله :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجبُ ياليتْ عدّة حولِ كله رجبُ
ومنها قوله :

• ثلاثٌ كلهنّ قتلتُ عمداً •

ومنها قوله :

إِذَا الْقَعُودُ كَرَّ فِيهَا حَفْدًا يَوْمًا جَدِيدًا كُلُّهُ مَطْرَدًا
ومنها قوله (١) :

زَحَرْتُ بِهِ لَيْلَةً كُلَّهَا فَجَعْتُ بِهِ مُودِنًا خَنْفَقِيهَا

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : أجاب البصريُّون عن هذه
الآيات بأنّ الرواية فى الأوّل «ياليتْ عدّة حولِ» بالإضافة إلى الياء . وعن
الثانى بأنّ كلهنّ بدلٌ من ثلاث ، أو جملة كلهنّ قتلتُ خبر عن الثلاث .
وعن الثالث بأنّ كله بالرفع لتوكيد الضمير فى جديد . وأمّا قد صرّت البكرة
يَوْمًا أجمعاً فمجهول . لا يعرف قائله .

هذا كلامه ، وهو مبنىٌّ على الطعن فى روايتهم ، وهذا لا يجوز ، لأنّهم
ثقات .

ثم قال : وأمّا قول الكوفيين بأنّ اليوم مؤقت فيجوز أن تقعد بعضه،

(١) هو شتيم بن خويلد ، كما فى الحيوان ٨٢:٣ واللسان (خفق). وانظر الإنصاف ٤٥١ — ٤٥٦ .

والليلة مؤقتة فيجوز أن تقوم بعضها ، فإذا أُكِّدَتْ صَحَّ معنى التأكيد . قلنا : هذا لا يستقيم ، فإنَّ اليوم وإن كان مؤقتاً إلا أنه لم يخرج عن كونه نكرة شائعة ، وتأكيدها بالمعرفة لا يجوز ، لأنَّ تأكيد ما لا يُعرف لافائدة فيه . انتهى
أقول : ادَّعَاؤه عدم الاستقامة ممنوع ، والفرق طاهر ، فإنَّ التأكيد باعتبار أجزاء اليوم والليلة ليشمل جميعها ، والشُّيوع باعتبار جنس اليوم والليلة ، فأين هذا من ذاك .

وقد أشار الشارح المحقق إلى ما ذكرنا ، والله أعلم .
وقد تقدم شرحُ هذا البيت في الشاهد الخامس والعشرين من أوائل الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الثلاثة^(٢) :
٣٦٤ (أولَاكْ بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما جميعاً ومعروفٍ أَلَمَّ ومُنْكَرٍ)
على أنَّ حمل (كليهما) فيه على البديل عند أهل المصرين أولى ؛ لأنَّ
خيراً وشرّاً ليسا بمؤقتين .

قال ابن جنِّي (في إعراب الحماسة) : الوجه في قوله : بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما ، أن لا يكون كليهما تأكيداً ، لكن يكون بدلاً من خيرٍ وشرٍّ ، حتى
٣٥٩ كأنه قال : بنو كلٍّ خيرٍ وشرٍّ ؛ فقد يضاف إلى المفرد المعطوف عليه مثله بالواو في ضرورة الشعر ، كما قال :

كلا السَّيْفِ والسَّاقِ التي ضَرَبَتْ به على دَهَشٍ ألقاه باثنين صاحبه^(٣)

(١) الجزء الأول ص ١٨١ .

(٢) يس على التصريح ٢ : ١٢٤ والحماسة بشرح المرزوقي ٩٩٠ وشرح التبريزي ٣ : ٣٤ .

(٣) وكذا في نسخة إعراب الحماسة الورقة ١٤٦ : « باثنين » .

وإنما جاز ذلك من حيث كان ماعطف بالواو بمنزلة ما جمع في لفظة واحدة . ألا تراك تقول : زيد وعمرو أخواك ، فإن أخبرت عنهما جميعاً قلت : اللذان هما أخواك زيد وعمرو ، فتأتى بضميرهما جزءاً واحداً ، وكان أحدهما على صاحبه معطوفاً ^(١) . وكذلك : زيد وعمرو مرت بهما . انتهى .

صاحب الشاهد وهذا البيت آخر أبيات أربعة لمسافع بن حذيفة العبسي ، مذكورة في باب المراثي من الحماسة ، وهي :

(أبعد بنى عمرو أسراً بمقبل من العيش أو آسى على إثر مدبر
وليس وراء الشيء شيء يرده عليك إذا ولي سوى الصبر فاصبر
سلام بنى عمرو على حيث هأمكم جمال الندى والقنا والسَّنور
أولاك بنو خير البيت)

قوله : « أبعد بنى عمرو » إخلال الهمزة للاستفهام الإنكارى ، وأسراً بالبناء للمفعول من السرور ، ومقبل بمعنى آت ، ومدبر بمعنى ذاهب . وآسى : مضارع أسى ، من باب تعب ، بمعنى حزن .

وقوله : « سوى الصبر » استثناء منقطع ، لأن الصبر ليس من الشيء الرادّ الفأنت في شيء . يقول : أسر بعيش مقبل ، أو زمن مساعد ، بعد أن فجعت بهؤلاء ، أو أحزن في إثر فأنت أو أجزع لتولّى مدبر ، وليس وراء الشيء الفأنت شيء يرده عليك ، فالأولى أن تتمسك بالصبر وتعتصم به ، فاصبر .

وقوله : « سلام بنى عمرو » إخلال سلام مبتدأ ، وجاز الابتداء به لتضمينه الدعاء وخبره قوله « على حيث هأمكم » . قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : هأمكم مبتدأ محذوف الخبر ، من جملة مجرورة الموضع بإضافة حيث إليها ، أى

(١) ط : « معطوف » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة ..

حيث هامكم متصورة ، أى موجودة ^(١) . ومثله قولهم : جئتكَ إذ ذاك ، أى إذ ذاك كذاك ، فحذف الخبر من الجملة المجرورة الموضع بإضافة إذ إليها . انتهى .

وذكر الهام على عادة العرب ، فى زعمهم أن عظام الموتى تصير هاماً تطير . وبنى عمرو منادى بحرف النداء المحذوف . وجمال الندي منصوب على المدح . وقال ابن جنى : نصب جمال الندي لأنه بدل من بنى عمرو . والندي بتشديد الياء : المجلس ، لغة فى النادى . وقال ابن جنى : لام الندي واو ، لأنه فعيل من الندوة ، وهى موضع جلوس النادى والندى . انتهى .
والقنا : جمع قناة ، وهى الرُح . والسَنور بفتح السين والنون والواو المشددة : لبوس من قد كالدرع . يعنى أنهم جمال المجالس يوم الجمع ، وزين السلاح غداة الرُوع .

وقوله : (أولاك) الخ هو مبتدأ ، لغة فى أولئك ؛ وبنو خبر المبتدأ . أراد أنهم ملازمون لفعل الخير والشر مع الأصدقاء والأعداء ، كما يقال فلان أخو الحرب . وجميعاً : حال مؤكدة لصاحبها . وقوله (معروف) هو بالجر معطوف على خير ، وكذلك منكر . والمعروف : الجميل الظاهر ، وضده المنكر ، فهما أخص من الخير والشر ، فإن الخير قد يكون ظاهراً شراً كاللداء المر . والشر قد يكون ظاهراً خيراً كهوى النفس . و(ألم) بمعنى نزل وعرض ، والجملة صفة معروف ، ومثله مقدّر بعد منكر .

٣٦٠

ومسافع، بضم الميم وكسر الفاء ، ابن حذيفة بالتصغير ، العبسى بالباء مسافع العبسى الموحدة ، وهو شاعر فارس من شعراء الجاهلية .

(١) فى إعراب الحماسة ١٤٦ : « أى حيث هامكم مقبورة أو موجودة » .

البدل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الثلاثئة ، وهو من
شواهد سيبويه (١) :

٣٦٥ (يَأْمَىٰ إِنْ تَفْقِدَىٰ قَوْمًا وَلَدَيْهِمْ
أَوْ تُخْلَسِيَهُمْ فَإِنَّ الدَّهْرَ خَلَّاسٌ
عَمْرُوٌّ وَعَبْدٌ مِّنَافٍ وَالَّذِي عَهْدْتُ
بِبَطْنِ عَرْعَرَ : آيِ الظُّلَمِ عَبَّاسٌ)

على أن قوله (عمرو وعبد مناف والذى) بدلٌ مقطوع من قوماً .
ومانقله الشارح من سيبويه إلى الشعر ، هو نصُّ عبارته بحروفه .
قال ابن خلف : الشاهد فيه رفع عمرو ومابعده بالابتداء ، كأنه قال :
منهم أُو من القوم الذين فقدوا ، أو يكون خبر مبتدأ ، كأنه قال : بعضهم .
ولو نُصِبَتْ على البدل من القوم لجاز . وعباس بدلٌ من آيى، وآيى بدل من
الذى ، ولو أُبدِلَتْ فسد الكلام ، لأننا إذا نصبنا وجب أن ينصب الذى هو
بدل منه ، فكنا نقول عباساً . وقوله : (تُخْلَسِيَهُمْ) بالبناء للمفعول، أى
يُؤْخِذُونَ مِنْكَ بَغْتَةً ، فَإِنَّ الدَّهْرَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوْخِذَ فِيهِ الشَّيْءُ بَغْتَةً . وعرعر:
مكان. ويروى: «ببطن مكة». وأراد بعمرو عمرو بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، وهو
هاشم بن عبد مناف، وسُمِّيَ هاشمًا لِهَشْمِهِ الثَّوْبِ لِقَوْمِهِ فِي مَجَاعَةٍ
أَصَابَتْهُمْ. والعبَّاس هو ابن عبد المطلب، وإنما قال ولدتيهم لما بين هُذَيْل وقريش من

(١) فى كتابه ١ : ٢٢٥ وديوان الهذليين ٣ : ١ وشرح السكرى ٢٢٦ ، ٤٣٩ .

القربة في النسب والدار ، لأنهم كلهم من ولد مدركة بن الياس بن مضر .
وقوله : (والدى عهدت) الضمير يرجع إلى مى ، وعدل عن خطابها وأخبر
عنها باللفظ الذى يكون للغائب ، أراد الذى عهدت ، فلم يستقم له . ومى :
مرحّم مية .

وهذان البيتان مطلعا قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى ، عدتها خمسة عشر صاحب الشاهد
بيتا أوردها أبو سعيد السكرى في أشعار الهذليين ، وبعدهما :

(يامى إن سباع الأرض هالكة والغفر والأدم والآرام والناس) أبيات الشاهد

الغفر بضم الغين وسكون الفاء : ولد الوعل ، ونقل شارح (شواهد
المفصل) عن صاحب (المقتبس) أنه القفز بالقاف والفاء والزاي المعجمة ، وهو
جمع أقفز ، وهو من الخيل : المحجل من يديه لا رجليه . وهذا تحريف قطعاً .
ونقل أيضاً عن صاحب (الإقليد) أنه الغفر بعين مهملة ، وهو جمع أغفر ،
وهو الأبيض . وليس بسديد . وظبية غفراء : يعلو بياضها حمرة ؛ وهى قصار
الأعناق . والأدم بالضم من الظباء : بيض تعلوهن خطوط فيهن غبرة تسكن
الجبال ، يقال ظبية آدماء وظبى آدم . والآرام : الظباء البيض الخالصة البياض ،
الواحد رئم بالهمز ، وهى تسكن الرمل .

تالله لايعجز الأيَّام مترك في حومة الموت رزَّام وفراس

لايعجز : لا يغلب . والمترك : الأسد ، من ابتكره ، إذا صرعه وجعله
تحت برّكه ، وهو الصدر . وأغرب الكرماني (في شرح شواهد الموشح) ورواه
«المنتزك» بالنون والزاي المعجمة ، أى الذى له نيزك^(١) أى رمح قصير ،

(١) ط : « منترك » ، صوابه في ش . ومنه قول العجاج :

• مطرر كالنيزك المظور •

كأنه فارسيٌّ معرب . وَحَوْمَةُ الموت : الموضعُ الذى يدور فيه الموت لا يبرح منه. وَالرَّزَامُ بتقديم المهملة : الصَّرَّاع ، يقال رَزَمَ به ، إذا صَرَّعه . وَالْقَرَّاسُ : الذى يدقُّ الأعناق ؛ ومنه فريسة الأسد ، لأنه يدقُّ عنقها .

(يَحْمِي الصَّرِيمَةَ أُحْدَانُ الرُّجَالِ لَهُ

صَيْدٌ وَمُسْتَمِعٌ بِاللَّيْلِ هَجَّاسٌ)

قال السكريُّ : الصَّرِيمَةُ ههنا : موضع . وَأُحْدَانُ الرجال : ما انفردَ من الرجال . وقال غيره : الصَّرِيمَةُ : رملةٌ فيها شجرٌ حماها من أن يدخلها أحدٌ خوفاً منه . وَأُحْدَانُ الرجال : الذين يقول أحدُهُم : أنا الذى لانظير له فى الشجاعة والبأس . يقول : هذا الأسد يصيد هؤلاء الذين يُدْلُون بالشجاعة .

وهذان البيتان أيضاً استشهد بهما سيبويه على جرى الصفات على ما قبلها مع ما فيها من معنى التعظيم ، ولو نصَّب لجاز . وَهَجَّاسٌ : يهجس . وروى بدله : « هَمَّاسٌ » من الهمس . قال النحَّاس : هَمَّاسٌ : دَقَّاقٌ لِلرَّقَابِ مَكْسَّرٌ لَهَا . قال ابن خلف : وَأُحْدَانُ الرجال يروى بالرفع والنصب ، فمن رفع قال أُحْدَانُ مبتدأ وصيد خبره ، ومن نصب جعله مفعول يحمى ، كأنه قال : يحمى الصَّرِيمَةُ من أُحْدَانِ الرجال ، فصيدٌ على هذا مبتدأ وله خبره . ومستمع ، وروى بدله « مجترى » : خبر مبتدأ محذوف ، أى وهو مستمع ، أو هو معطوف على رَزَامَ ، وهو الوجه الذى رواه ^(١) سيبويه ، والشاهد على أنه عطف هَمَّاسٌ . قال النحَّاس : ويجوز نصب مجترى على أَعْنَى .

(يَامِيٌّ لَا يُعْجِزُ الْأَيَّامُ ذُو حَيْدٍ

بِمَشْمَخِرٍ بِهِ الظُّنَّانُ وَالْآسُ)

(١) ط : « أراد » صوابه فى ش . وانظر هذه الرواية فى سيبويه ١ : ٢٥١ .

روى صدره صاحب (المفصل) :

* لله يَبْقَى عَلَى الْيَّامِ ذُو حَيْد *

على أَنَّ اللام في لله للقسم والتعجب معا . وتبعه صاحب (المغنى) .
ورواه صاحب (الجمال) : « تالله يبقَى » بالمشناة الفوقية . قال ابن السِّيد : ويروى
بالباء الموحدة ، وكلاهما قسمٌ فيه معنى التعجب . وقال اللخمي : ورواية
سبويه « لله » باللام . وقوله « يبقَى » جواب القسم بتقدير لا النافية ، ويعنى
بقوله ذو حيد الوَعْل . قال المبرد : الحَيْد بفتححتين : الرَّوْغان والفرار .
والمشهور حَيْد بكسر المهملة وفتح المثناة التحتية ، جمع حَيْدة ، كحَيْض جمع
حَيْضة . وهذه رواية ثعلب والسكرى . قال اللخمي : قوله ذو حيد يروى
بفتح الحاء وكسرهما ، فمن رواه بالفتح فهو اعوجاجٌ يكون في قرن الوعل ، وقيل
إنه مصدر من حاد يحيد حَيْداً ، وأصله السكون فلما اضطرَّ حركَ الياء ،
ومعناه الرَّوْغان . وقيل هو جمع حيدة ، وهى العقدة التى تكون في قرنه . وقيل
الحَيْد القوَّة . ومن روى : « حَيْداً » بالكسر فهى نتوءات ، والواحدة
حَيْدة . ويروى : « ذو حَيْد » بالجيم ، وهو جناح مائل من الجبل ، وقيل يعنى به
الظُّبى . والوَعْل : التَّيس الجبلى ، ويقال للأنثى أُرْوِيَّة بضم الهمزة وتشديد
الياء ، وربما قالوا وَعْلَة . انتهى .

وزعم الدمامينى^١ (في الحاشية الهندية) أَنَّ حَيْداً بكسر الحاء جمع حَيْدة
بفتحها ، كبَدَر جمع بَذرة ، وهى الحرف الثاقى في عرض الجبل لا في أعلاه .
هذا كلامه ، وهذا غير مناسب للمقام . والمشمخُرُ : الجبل الطويل ، وقيل العالى .
والباء بمعنى فى . والظُّبَيَّان بفتح المعجمة وتشديد المثناة التحتية : يَاسْمِين البرِّ ، وقيل
الرَّمَّان الجبلى . والآس ، قال ابن السِّيد : هو الرَّيْحان ، وقيل الآس : أثر النحل إذا
مرَّت فسقط منها بعضُ نقط من العسل ، حكاه الشَّيبانى . وقال صاحب
كتاب العين : هو شيءٌ من العسل . وأوضحه ابن المستوفى (في شرح شواهد

المفصل) فقال : هو نقطٌ من العسل تقع من النحل على الحجارة ، فيستدلون بتلك النقط على مواضع النحل . وقال اللخمي : الآس هنا بقية العسل في موضع النحل ، كما سُمِّيَ بقيةُ التمر في الجُلَّة (١) قوساً ، وباقي السمن في النّخي كعبا ، وقالوا للقطعة من الأقط ثور . والآس في غير هذا : المشموم . قال ابن دريد : وهو دخيلٌ في كلام العرب ، إلا أنهم قد تكلموا به . وقوله «على الأيام» حال على حذف مضاف ، أى على تعاقب الأيام أو على مرورها ، أى لا يبقى ذو حيدٍ والأيام متعاقبةٌ عليه . وقوله : «بشمخر» صفة لذي حيد . وكذلك قوله « به » صفة لمشمخر . والظيان فاعل به . ووقع في رواية سيويه تركيب مصرعين من بيتين هكذا :

يامي لايعجز الأيام ذو حيد في حومة الموت رزّام وفراس
يحمي الصرمة البيت

قال السيرافي : وقع في البيت الأول من هذين غلطٌ من كتاب سيويه ، لأنّ قوله ذو حيدٍ وعِل ، ورزّام وفراس أسد ، والصواب الذي حملته الرواة : يامي لايعجز الأيام ذو حيدٍ بمشمخرٍ به الظيان والآس والقصيدة لأبي ذؤيب الهذلي كما ذكرنا ، وقد أثبتنا له السكري في أشعار الهذليين ، وتقدمت ترجمته في الشاهد السابع والستين (٢) .

صاحب الشاهد
ووقع هذا الشعرُ في كتاب سيويه معزواً لمالك بن خالد الخناعي بضم الخاء المعجمة وتخفيف النون : بطنٌ من هذيل ، وهو خُناعة بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .

وقال اللخمي : وبعضهم روى هذا الشعر لأمية بن أبى عائذ الهذلي .

(١) الجُلَّة ، بالضم : وعاء من الخوص يكثر فيه التمر . ط : « الجاهلية » صوابه في ش مع أثر

تصحيح .

(٢) الخزاعة ١ : ٤٢٢ .

وأنشده الزمخشري (في المفصل) لعبد مناف الهذلي .
 وقال ابن السيد : وروى للفضل بن عباس بن عتبة بن أوى لهب .
 وقال ابن المستوفى (في شرح شواهد المفصل) : ورواه أبو الحسن
 الأخفش لأبى زيد الطائى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :
 (أقسم بالله أبو حفص عمر)
 تقدم شرحه قريباً (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الثلاثة (٢) :

٣٦٦ (فلا وأبيك خير منك أتى
 ليؤذنى التَّحْمُحُ والصَّهْلُ)

على أن (خير) بالجر بدل من أبيك بتقدير الموصوف ، أى رجل خير
 منك ، وهذا البدل بدل كل من كل . ومع اعتبار الموصوف يكون الإبدال
 جارياً على القاعدة ، وهى أنه إذا كان البدل نكرة من معرفة يجب وصفها
 كقوله : «بالناصية * ناصية كاذبة» (٣) . وهذا على رواية الجر . وفيه رواية
 أخرى وهى رفع خير ، قال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : ومن
 روى «خير منك» بالرفع فكأنه قال : هو خير منك .

وهذا البيت من أبيات سبعة لشمير بن الحارث الضبى، رواها أبو زيد
 ٣٦٢ صاحب الشاهد

(١) فى الشاهد ٣٥٨ ص ١٥٤ .

(٢) نوادر أبى زيد ١٢٤ والمقرب لابن عصفور ٥٢ .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(في نوادره) . وهى فى رواية ابن الأعرابى خمسةٌ بحذف الثالث والسابع . وهذه رواية أبى زيد :

آيات الشاهد

(دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خَفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ
لِيَحْمِلَنِي عَلَى فَرْسٍ فَإِنِّي ضَعِيفُ الْمَشْيِ لِلأَدْنَى حَمُولُ
أُحِبُّ الْخَيْلَ إِنْ لَامَتْ عَلَيْهِ إِنْثُ الْخَيْلِ وَالذَّكْرُ الطَّوِيلُ ^(١)
يَنْعَمُ بِأَلْ عَيْنِي أَنْ أَرَاهُ أَمَامَ الْبَيْتِ مَحْجَرُهُ أَسِيلُ
فَإِنْ فَرَعُوا فَرَعْتُ وَإِنْ يَعُودُوا فَرَضِي مَشْيُهُ عَتِدْتُ رَجِيلُ
فَلَا وَأَبِيكَ خَيْرٌ مِنْكَ إِنِّي لِيُؤْذِنِي التَّحْمَحُمُ وَالصَّهِيلُ
وَلَسْتُ بِنَائِنًا لَمَّا التَّقِينَا تَهَيَّيْنِي الْكَرِيمَةُ وَالْأَفِيلُ)

قال أبو حاتم : يَسْمَعُ أى يحيب ، ومنه : سمع الله لمن حَمَدَه . وقوله :
ليحملنى علة لدعوت ^(٢) . وقوله : «ضعيف المشى» رواه أبو حاتم : «ضعيف
المتن» وحمول خبر ثانٍ لِأَنَّ . وقوله : أُحِبُّ الْخَيْلَ إِنْ لَامَتْ عَلَيْهِ ، هو مثل قولك أقوم
إِنْ قَامَ زيد . ولامت من اللوم ، فاعله ضمير امرأته ونحوها . قال أبو علي : أى لامت
على حَبْسِهِ ، وفى لامت ضمير فاعلةٍ أَضْمِرَتْ لدلالة الحال عليه . انتهى .

وفيه شاهدٌ ، وهو رجوع الضمير المذكور على الخيل . وقوله : « إِنْثُ الْخَيْلِ »
الخييل « هو خير مبتدأ محذوف ، أى الذى أحبُّ أو ما أحبُّ إِنْثُ الْخَيْلِ .
وقوله : « الذكر الطويل » أى طويل الظهر .

وقوله : « يَنْعَمُ » الخ من التَّعْنَمُ وهو الترفُّه ، يقال نَعِمَ تَنْعِماً أى رَفَّهَ ،
وفاعله قوله أَنْ أَرَاهُ ، والهاء ضمير الذكر الطويل . وروى ابن الأعرابى فى

(١) فى النوادر : « أحب المال » .

(٢) علة ، ساقطة من ش .

نواده : « يَنْعَمُ بِالْ نَفْسِي » . وعليه فالبال بمعنى الخاطر والقلب . وجملة « محجره أسيل » حال منه . والمحجر ، كمجلس ، بتقديم الحاء على الجيم : ماحول العين ، أراد أسفل العين وهو الخدُّ ، لأنَّه يقال أسيل الخدُّ إذا كان لَيِّنَ الخدُّ (١) طويله . وكل مسترسل أسيلٌ أيضاً .

وقوله : « فَإِنْ فَرَعُوا فَرَعْتُ » الفرع : الإغاثة والنَّصر . ويعودوا في رواية أبى زيد بالعين ، وفي رواية ابن الأعرابيُّ بالقاف . وقوله : « فراضٍ مشيه » روى برفع مشيه على أنه مبتدأ أول وراضٍ خبره ، أى ذو رضا، كقوله: عيشة راضية وليلٌ نائم . وروى بنصب مشيه براضٍ ، فراضٍ خبر مبتدأ محذوف ، أى فأنا راضٍ مشيه . كذا قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد . وفرس عَتَدُ بفتححتين وبفتح فكسر : المَعْدُّ للجري . قال ابن السكيت : هو الشديد التامُ الخلق . والرَّجِيلُ بالجيم ، هو من الخيل الذى لا يَحْفَى ، وقيل الذى لا يعرق . وروى ابن الأعرابيُّ في نوادره :

فَإِنْ فَرَعُوا فَرَعْتُ وَإِنْ يَقُودُوا
فَراضٍ مَشِيهِ حَسَنٌ جَمِيلٌ

وعلى هذا تقديره : فأنا راضٍ ، ومشيه مبتدأ وحسنٌ خبره .

وقوله : (فلا وأبيك خَيْرٌ منك) الكاف في أبيك ومنك مكسورة ، خطابٌ للمرأة التى لامته على حبِّ الخيل، على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، و«لا» نفى لما زعمته ، والواو للقسام . وجملة (إني ليؤذيني) الماخ جواب القسم . واختلفوا في معناه ، فقال أبو الفضل: قوله ويؤذيني أى يَغْمُنِي وليس هو لى في ملك . وقال أبو حاتم والفارسي: أى ليؤذيني فقد التَّحَمَّحُم . وفي هذا

(١) ط : « لين الخلق » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

حذف مضاف ، ورواه ابن الأعرابي : (في نوادره) وتبعه ابن دريد : « ليؤذني » بنونين ، قال : يؤذني أى يعجبني ، من أذنت له . قال أبو محمد الأسود الأعرابي فيما كتبه على نوادر ابن الأعرابي وسماه (ضالة الأديب) : وصوابه « ليؤذني التَّحْمَحَم » من الإيذاء ، أى فقدان التَّحْمَحَم ، فحذف .

والتَّحْمَحَم : صوت الفرس إذا طلب العلف . يقال حمحم الفرس وحمحم . وصهيل الفرس : صوته مطلقاً ، فهو من عطف العام على الخاص . وقوله : « ولست بنأنا » إلخ النأنا بنونين وهمزتين على وزن جعفر ، هو الضعيف من الرجال . يقال نأناً في رأيه نأناً ، إذا ضُعف فيه . وقوله : تهيَّي الضعيف من الرجال . يقال نأناً في رأيه نأناً ، إذا ضُعف فيه . وقوله : تهيَّي أصله بتاءين ، مضارع تهيَّه أى هابه ، وفيه قلب ، أى لأهاب الكريمة من الإبل أن أعقرها للضعيف ولايتعاطمُنِي ذلك . والأفيل ، قال أبو زيد : هو الأفتاء من الإبل . وقال الأصمعي : ابن تسعة أشهر أو ثمانية . وفي العباب : الأفيل : ابن المَخاض وابن اللَّبُون ، والأنتى أفيلة ، فإذا ارتفع عن ذلك فليس بأفيل . وروى بدل الكريمة : « الكريمة » وهى الحرب . قال الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبي زيد) : الذى أختار رواية « لا يهيَّي الكريمة ^(١) » يقول : لا يهيَّي كبير مالى ولاصغيره إذا ورد ضيفٌ على . والأفيل : الصَّغير ، هكذا حفظى ، وليس له وقتٌ محدود . ومن روى الكريمة يقول : أنا أقاتل وأعقر للأضياف الأفيل . ولا أدري لم خصَّ الأفيل دون غيره . انتهى .

وشمير بضم الشين المعجمة وفتح الميم وآخره راء مهملة ، وهكذا ضبطه أبو زيد . وقال الأخفش فيما كتبه عليه : الذى فى حفظى شمير بالسین المهملة . وكذا ضبطه الصاغاني (فى العباب) بالمهملة ، وقال : وهو شاعر جاهلى . والله أعلم .

شمير بن الحارث

(١) فى النسختين : « رواية لا تهيَّي » ، و « لا » مقحمة فى النص ، والصواب فى النوادر .

وأنشد بعده :

(العائذات الطير)

وهو قطعة من بيت للنابعة الذبياني ، وهو :
(والمؤمن العائذات الطير يمسخها رُكبانُ مكَّة بين الغيل والسند)
وقد تقدم شرحه في الشاهد السابع والأربعين بعد الثلاثئة (١) .

* * *

وأنشد بعده .

(أنا ابن التارك البكرى بشر)

وتمامه :

(عليه الطير ترقبه وقوعا)

وتقدم شرحه هذا أيضاً في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الثلاثئة :

٣٦٧ (إنا وجدنا بنى جلان كلهم كساعد الضب لأطول ولاقصر^(٣))
على أنه يجوز [ترك] وصف النكرة المبدلة من المعرفة إذا استفيد من البديل
ماليس في المبدل منه كما هنا ، فإن قوله «طول» المنفى بدل من ساعد الضب ،
ومعنى الطول وماعطف عليه موجود في ساعد الضب .

وفيه شاهد آخر ، وهو إبدال النكرة من المعرفة والنكرة بغير لفظ

٣٦٥

المعرفة . قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) عند قول الحماسي :
نَهَلَ الزَّمانُ وعَلَّ غيرَ مُصرِّدٍ من آل عَتَّابٍ وآل الأسود^(٤)

(١) في هذا الجزء من الخزانة ص ٧١ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٣ .

(٣) الحيوان ٦ : ١١٢ برواية : « لأطول ولاعظم » .

(٤) الحماسية ٢٦٨ بشرح المروزقي ٨٠٥ .

غير أنه أعاد العامل معه وهو الجار. وهذا استدللنا^(١) على أن البدل من جملة غير الجملة التي منها المبدل. وهو كثير في القرآن والشعر. وأكثر ما يُعاد العامل مع البدل إذا كان العامل جاراً، من حيث صار الجار مع ما جره^(٢) بمنزلة الجزء الواحد. نعم وأبدل النكرة من المعرفة والنكرة بغير لفظ المعرفة. وهذا شيء يأباه البغداديون ويقولون: لا تبدل النكرة من المعرفة حتى يكونا من لفظ واحد، نحو قوله تعالى ﴿بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾^(٣). ورد ذلك أبو الحسن بما أنشده من قول الشاعر:

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي جِلَّانَ كُلَّهُمْ البيت
ومثله ما أنشده أبو زيد:

فلا وأبيك خير منك إني البيت . انتهى

وإنما أوله الشارح المحقق بقوله: أي لا ذى طول ولا ذى قصر، ليصح جعله بدل كل من كل، إذ لولا التأويل لكأننا متغايرين. وإنما لم يجعل لا طول بأحد التأويلات الثلاثة صفة كقوله^(٤) أبيك. لتخالف الموصوف والصفة فيهما تعريفاً وتنكيراً، فلو كان معرفاً لكان صفة، كما في قول أبي خراش الهذلي لامراته وكانت تسأله الطلاق:

فلا وأبيك الخير لا تجدينه جميل الغنى ولا صبوراً على العدم^(٥)

(١) في اعراب الحماسة: « وهذا هو الذى أرانا ودلنا » .

(٢) كتبت في نسخة اعراب الحماسة: « معما جره » بوصل مع بما .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(٤) في النسختين: « لقوله » ، ولا وجه له .

(٥) في أصول شرح السكري ١١٩٨ وكذا في ش مع أثر تصحيح « إلا صبوراً على العدم » .

والاستشهاد يقتضى رواية ط .

يقول : إن تزوجت زوجاً لاتجدينه متعففا ولا يصبر على العُدم بالضم ،
أى الفقر .

و (جِلَّان) بكسر الجيم وتشديد (١) اللام ، علمٌ لا ينصرف . قال
الأصمعيُّ في شرح هذا البيت من شعر ذى الرمة :
وبالشَّمَائِلِ من جِلَّانٍ مُقْتَنَصٍ رَذُلُ الثِّيَابِ خَفَى الشَّخْصُ مَنْزَرِبٌ (٢)
الشَّمَائِلُ : جمع شمال . وجِلَّانُ : قبيلة من عَنَزَةٍ ، وهم رُماة (٣) . ورذل
الثِّيَابُ : خَلَقُهَا . وخَفَى الشَّخْصُ بمعنى ضئيل الشَّخْصِ خِلْقَةً (٤) .
والمُنَزَّرِبُ : الداخِلُ في الزَّرْبِ ، وهو قُترة الصائد . يقال انزرب ، إذا دخل . انتهى
وعَنَزَةٌ : حَيَّان أحدهما : عَنَزَةٌ بن أسد بن ربيعة بن نزار . وثانيهما :
عَنَزَةٌ بن عمرو بن عوف بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد . ولا أعرف عنزة
المنسوب إليها جِلَّانَ أَى العَنَزَتَيْنِ (٥) .

وقوله : (كلهم) تأكيد لبنى جِلَّانَ ، لا لجِلَّانِ . وقوله : (كساعد
الضَّبِّ) الساعد : ذراع اليد . والضَّبُّ ساعدٌ جميع أفرادِه على مقدارٍ معيَّن
خِلْقَةٍ ، لا يزيد ساعدُ فردٍ من أفرادِه طولا على ساعد فرد آخر ، وكذلك لا ينقص
عن ساعد فردٍ آخر ، بخلاف سائر الحيوانات فإن بين ساعد أفرادها تفاوتاً في
الطُول والقصر بحسب الجثَّة . وهذا ينبغي أن يكون من الأمثال في الأشياء

(١) ضبط في القاموس ضبط قلم يفتح الجيم . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٤٧ ، ٢٩٤ . وضبط في
الاشتقاق ٣٢٣ ضبط قلم أيضا بكسر الجيم .

(٢) ط : « زول الثياب » ، صوابه في الديوان ١٤ وفي ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « وهم مار » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٤) في النسختين : « خلفه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الذى في الجمهرة ٢٩٤ أن جلان من بنى عنزة بن ربيعة بن نزار .

المتساوية ، كقولهم : « هم كأسنان المشط » لكنني لم أروه في كتب الامثال .
أراد أن بني جَلَّان متساوون في فضيلة رشق السهام لا يرتفع أحدهم على الآخر
فيها ولا ينحط عنه .

وهذا البيت لم أقف على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا وأبيك خير منك)

البيت السابق ذكره آنفاً لما تقدّم في البيت قبله . لكن قدّم الشارح المحقق
أنه بتقدير رجل خير منك ؛ فالبدل إنما هو النكرة الموصوفة ، غايته أنه
حذف الموصوف وبقيت صفته . ويمكن أن يقال : ماتقدّم لأجل جمود البدل
لا لأجل وصف النكرة المبدلة ، فإن اشتراط الوصف مذهب الكوفيين .

٣٦٦

قال السمين عند قول صاحب الكشف في قوله تعالى : ﴿ ناصية
كاذبة ﴾^(١) : جاز إبدال النكرة من المعرفة^(٢) لأنها وصفت ، فاستقلت
بفائدة . قلت : هذا مذهب الكوفيين ، لا يجوزون إبدال نكرة من غيرها إلا بشرط
وصفها ، أو كونها بلفظ الأول . ومذهب البصريين : لا يشترط شيء . وأنشدوا :
فلا وأبيك خير منك البيت . انتهى

وقال ابن عقيل (في شرح التسهيل) : ولم يشترط البصريون في إبدال
المعرفة من النكرة والنكرة من المعرفة اتحاد لفظ ، ولا وجود وصف . ونقل ابن
مالك عن الكوفيين أنهم لا يبدلون النكرة من المعرفة إلا إن كانت من لفظ
الأول ، ونسب هذا بعض النحويين لنحاة بغداد . ونقل عن الكوفيين

(١) الآية ١٦ من العلق .

(٢) ط : « عن المعرفة » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

أَيْضاً أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَعَكْسَهُ إِلَّا بِالْشَّرْطِ الْمَذْكُورِ . وَكَلَامُ الْكُوفِيِّينَ عَلَى خِلَافِ هَذَا . قَالَ الْكَسَاؤِيُّ وَالْفَرَّاءُ فِي : ﴿ قَتَالَ فِيهِ ^(١) ﴾ إِنَّهُ عَلَى نِيَّةٍ عَنْ ، وَصَرَّحَ بَعْنُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ . وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ فِي : ﴿ هَرُونَ أَخِي ^(٢) ﴾ كَوْنَهُ مُتَرَجِّماً لَوْزِيراً . قَالَ : فَيَكُونُ نَصّاً لِلتَّكْرِيرِ .

وَنُقِلَ أَيْضاً عَنِ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَغْدَادِيِّينَ اشْتِرَاطُ وَصْفِ النُّكْرَةِ الْمُبْدَلَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ . وَتَابِعَهُمُ ^(٣) السُّهَيْلِيُّ وَابْنُ أَبِي الرَّيِّعِ .

وَنُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْكُوفِيِّينَ فِي إِبْدَالِ النُّكْرَةِ الْمُبْدَلَةِ مِنَ النُّكْرَةِ اشْتِرَاطُ وَصْفِ الْمُبْدَلَةِ .

وَيَدُلُّ لِلْبَصْرِيِّينَ : ﴿ حَدَائِقُ وَأَعْنَابَا ^(٤) ﴾ ، وَقَوْلُهُ :
فَأَلْقَتْ قِنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَثَقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمٍ ^(٥)
وَقَوْلُهُ :

فَلَا وَأَبْيَكِ خَيْرٍ مِنْكِ الْبَيْتُ . انْتَهَى

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ :

(لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَرْدُ بُرْدُهُ)

هَذَا صَدْرُ بَيْتٍ ، وَعَجَزُهُ :

(وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ)

عَلَى أَنَّ اللَّامَ قَدْ تَنَوَّبَ عَنِ الضَّمِيرِ كَمَا هُنَا، فَإِنَّ الْأَصْلَ «وَبَرْدِي بِرْدَهُ». وَتَقَدَّمَ شَرْحُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الشَّاهِدِ الثَّالِثِ وَالتَّسْعِينَ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ ^(٦).

* * *

(١) الْآيَةُ ٢١٧ مِنَ الْبَقَرَةِ .

(٢) الْآيَةُ ٣٠ مِنْ طه .

(٣) ش : « وَتَابِعَهُمَا » ، وَلِكُلِّ وَجْهٍ .

(٤) الْآيَةُ ٣٢ مِنَ النَّبَأِ .

(٥) الْبَيْتُ لِأَبِي حَيَّةِ التَّمِيمِيِّ . الْبَيَانُ ٢ : ٢٢٩ ، وَالْعَقْدُ ٦ : ١٦٥ .

(٦) الْخُرَازَنَةُ ٤ : ٢٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الثلاثئة (١) :

٣٦٨ (أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ

رَجُلِي وَرَجُلِي شَتْنَةُ الْمَتَاسِمِ)

على أن قوله (رَجُلِي) بدلٌ بعض من ياء المتكلم في (أوعدني) .

هذا هو الظاهر . وعليه اقتصر الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ ﴾ (٢) .

واستشكلت البدلية بأنَّ الرَّجُلَ لا تُوعَدُ بالسَّجْنِ . وأجيب بأنها لما

كانت سبباً للدخول ناسب إيعادها بذلك .

وفيه وجوه ثلاثة :

أحدها : ما قاله ابن السَّيِّد (في شرح أبيات أدب الكاتب) ، وهو أنه

يجوز أن يكون رجلى مفعولاً ثانياً حذف منه حرفُ الجرِّ اختصاراً ، كأنه أراد :

لرجلى .

وثانيها : ما قاله أبو حيان (في تذكيرته) ومن خطّه نقلت ، وهو أن يكون

رجلى منادى على طريق الاستهزاء بالمُوعَد .

٣٦٧ .

ثالثها : ما نقله ابنُ السَّيِّد (في شرح أبيات إصلاح المنطق) عن

بعضهم ، وهو أن تكون الأدهم معطوفةً على السَّجْنِ ، ورجلى معطوفةً على

ضمير المتكلم، أى أوعدني بالسَّجْنِ وأوعد رجلى بالأدهم، كما تقول: ضربي

(١) إصلاح المنطق ٢٥٣ ، ٣٢٦ ومجالس ثعلب ٢٧٤ وعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢٠٧ وابن

يعيش ٣ : ٧٠ والشذور ٤٤٢ والعينى ٤ : ١٩٠ والتصريخ ٢ : ١٦٠ والهمع ٢ : ١٢٧ والأشئوني ٣ : ١٢٩

واللسان (وعد ٤٧٩) .

(٢) الآية ١٥ من آل عمران .

بالعصا والسَّوطِ ظهري ، تريد ضربني بالعصا وضربَ ظهري بالسَّوط ، ويكون على هذا من باب عطف معمولين على معمولي عاملين مختلفين .

و(رجلى) الثانية مبتدأ وشئنة خبرها ، وأتى بها ظاهرة غير مضمرة تعظيماً لأمرها وإشادةً بذكرها ، أو لأنها وقعت في جملة ثانية . والواو للحال ، وروى : (فرجلى) بالفاء على السببية . و(الشئنة) : الغليظة الخشنة ، يقال في صفة الأسد : شئن البرائن . قال العينى : ويجوز أن يكون بتقديم النون على المثلثة ، من شَنِئْتُ مشافِراً البعير ، أى غلظت من أكل الشوك . و(المناسم) : جمع مَنْسِم كـمجلس ، وهو طَرْفُ خَفِّ البعير ، استعاره للإنسان . وحسن ذلك ههنا لما ذكره من جلده وقوته، وبذلك يَصِفون أنفسهم . وقال ابن السيرافى : المنسم : أسفل خُفِّ البعير ، ولا يستعمل لغيره إلا في ضرورة شعر . وأراد بالمناسم هنا باطنَ رجله . يقول : رجلى غليظةٌ لاتألم لجعلها في القيد . هذا كلامه ، وهذه الإرادة غير ظاهرة . و(الأداهم) : جمع أدهم ، وهو القيد . والسَّجَن بالكسر : اسمٌ للمحبس ، والمصدر بالفتح . يقال سجنته سَجْنًا من باب قتل . و(أوعده) بكذا بمعنى هدَّده به . قال الخطيب التبريزى (فى شرح إصلاح المنطق) : قال الفراء : يقال وعدته خيرا ووعدته شرًّا بإسقاط الألف ، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير : وعدته ، وفى الشرَّ أوعدته . فالوعد والعدة فى الخير ، والإيعاد والوعيد فى الشر . فإذا قالوا أوعدته بكذا أثبتوا الألف مع الباء . وأنشد :

أوعدنى بالسَّجَن والأداهم البيت . انتهى

وقال ثعلب (فى أماليه) : يقال وعدته خيرا وشرًّا ، وإذا لم يُذكر الخير ولا الشر قيل فى معنى الخير : وعدته ، وفى الشر : وعدته ، وفى بعض اللغات أوعدته بالشر . وأنشد هذا البيت .

وفيه مخالفةٌ للفراء فيما إذا لم يُذكر الموعود به ، فأنه إذا أريد المكروه زِيدَت الألف .

وثعلبٌ ساوى بين ما إذا أريد الخير أو المكروه فى أنه يقال بلا ألف . قال (فى الفصيح) : وعدت الرجل خيراً ، وإذا لم تذكر الشر قلت وعدته . وأوعدته بكذا ، تعنى الوعيد .

قال الإمام المرزوق (فى شرح الفصيح) : وعدته خيراً وشرّاً . فإن أطلقت ولم تقيد قلت فى الخير : وعدت وغدا وعدة وموعدا وموعدة . والميعاد : الوقت ، والموضع . وفى الشر : أوعدته إيعادا ووعيدا . هذا هو الصحيح . وقوله فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا ، قال أبو إسحاق الزجاج : قلت لثعلب : قولك بكذا ينقض ما أصلته ؛ لأنَّ وعدَّ بإطلاقه ضماناً فى الخير ، وأوعد ضماناً فى الشر ، ولا حاجة إلى بكذا . قال أبو على : ويمكن أن يقال فى جوابه بكذا إشارة إلى نوع مما يتوعَّد به ، وإذا كان القصد إلى التنويع احتيج إليه . ألا ترى قوله :

* أوعدنى بالسَّجْن والأداهم .^(١)

وقول الآخر :

* أتوعدنى بقومك يا ابنَ سَعْدَى *

والمنكر أن يقال أوعدنى بالشر . فاعلمه . انتهى .

وهذا الشعر بيتان من الرجز المسدّس . قال ابن السيد : لأعلم قائله . ٣٦٨ صاحب الشاهد وقال ياقوت (فى حاشية الصحاح) ، وتبعه العينى : قائله العُدَيْل بن الفُرْخ ، العُدَيْل بن الفُرْخ وهو شاعر إسلاميٌّ فى الدولة المروانية ، وهو بضم العين وفتح الدال المهملتين . والفُرْخ ، بضم الفاء وسكون الراء وآخره خاء معجمة .

(١) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٢١ . وعجزه :

* وذلك من مُلَمَّاتِ الخطوب *

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء^(١)) : العُدَيْل بن الفُرَخ لقبه العَبَّاب ، بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى . والعَبَّاب : اسمُ كلبه . وهو من رهط أُمِّي النُّجْم العجلى ، وكان هجا الحَجَّاجَ وهرب منه إلى قيصَرَ مَلِكِ الروم ، فبعث إليه : لترسلنَّ به أو لأجهِزَنَّ إليك خيلاً يكون أولُها عندك وآخِرُها عندي ! فبعث به إليه ، فلما مثَل بين يديه قال : أنت القاتل : ودونَ يدِ الحجاج من أن تنالني بَسَاطُ بِأَيْدِي النَّاعِجَاتِ عَرِيضُ مَهَامِهِ أَشْبَاهُ كَانَتْ سَرَابَهَا مُلَاءُ بِأَيْدِي الْغَانِيَاتِ رَحِيضُ فقال : أنا القاتل :

فلو كنتُ في سَلَمَى أَجَا وشِعَابِهَا لكانَ الحَجَّاجَ عَلَى دَلِيلُ
خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسِيفُهُ لَكُلِّ إِمَامٍ مُصْطَفَى وَخَلِيلُ
بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَانَمَا هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ
فَعَفَا عَنْهُ وَأَطْلَقَهُ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد س^(٢) :

٣٦٩ (ذريني إنَّ حُكْمَكِ لَن يُطَاعَا

وما أَلْفَيْتُنِي حِلْمِي مُضَاعَا)

على أن قوله : (حلمي) بدل اشتغال من الباء في أَلْفَيْتُنِي .

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة): أنما يجوز البدل من ضمير المتكلم

(١) الشعراء ٣٧٥ والأغاني ٢٠ : ١١ — ١٩ .

(٢) في كتابه ١ : ٧٨ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٦٥ والشنور ٤٤٣ والعيني ٤ : ١٩٢ والجمع ٢ :

١٢٧ وديوان عدي بن زيد ٣٥ .

وضمير المخاطب إذا كان بدل البعض أو بدل الإشتغال ، نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . ومن أبيات الكتاب :
 ذريني إن أمرك لن يطاعا البيت

فحلمى بدل من في . ولو قلت قمتُ زيدٌ ، أو مررتُ بى جعفر ، أو كلمتك أبو عبد الله ، على البدل لم يجوز ، من حيث كان ضمير المتكلم والمخاطب غايةً فى الاختصاص ، فبطل البدل ، لأن فيه ضرباً من البيان ، وقد استغنى المضمير بتعريفه . انتهى

وكذلك الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ ﴾^(١) . الحلم منصوب بالإلقاء^(٢) على التكرير ، يعنى البدل ، ولو رفعه كان صواباً . وأورده أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾^(٣) .

وتبعه الزجاج فيها ، ونسبه إلى عدى بن زيد ، قال فى الآية: ترفع « وجوههم » و « مسودة » لأن الفعل قد وضع على الذين ، ثم جاء بعد الذين اسم له فعل ، فرفعه بفعله وكان فيه معنى نصب . وكذلك فافعل بكل اسم أوقعت عليه الظن والرأى وما أشبههما ، فارفع ما يأتى بعده من الأسماء إذا كان أفاعيلها بعدها ، كقولك رأيت عبد الله أمره مستقيم^(٤) . فإن قُدِّمت الاستقامة نصبتها ورفعت الاسم فقلت : رأيت عبد الله مستقيماً أمره . ولو نصبت الثلاثة فى

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) أى عامله ألقى ، على نية تكرار العامل فى البدل . وفى ش : « بالإلقاء » . وفى معانى القرآن ٢ : ٧٣ : « بالإلقاء » ، والصواب ما أثبت من ط .

(٣) سورة الزمر ٦٠ .

(٤) ط : « وأمره مستقيم » ، والصواب حذف الواو كما فى ش .

المسألة الأولى على التكرير كان جائزاً ، فتقول : رأيت عبد الله أمره مستقيماً .
وقال عدى بن زيد :

ذرينى إنَّ أمرك لن يُطاعا البيت

فنصب الحلم والمضاع على التكرير . ومثله :

* ما للجمال مَشِيها وثيدا *

فخفض الجمال والمشى على التكرير . فلو قرأ قارئ : وجوههم مسوذة
على هذا لكان صواباً . انتهى

وقوله : (ذرينى) خطابٌ لامراته ، أى اتركينى ودعينى . وجملة (إنَّ
حكملك) إلخ مستأنفة للتعليل .

وروى سيويه : « إنَّ أمرك » وهو بمعناه . وجملة (مألَفيتنى) إلخ
معطوفة على الجملة المستأنفة .

وروى العيني : « ولا أَلَفيتنى » . وألَفى بمعنى وجد من أخوات ظنَّ
تنصب مفعولين ، والتاء المكسورة فاعلها ، والنون نون الوقاية ، والياء مفعول ،
وحلمى بدل من الياء . وتساهل النحاسُ (فى شرح أبيات سيويه) وتبعه ابن
السيد (فى أبيات المعاني) فقالا : حلمى بدل من النون والياء . ومن العجائب
قول العيني : حلمى بدل من النون ، وكأنه أراد أن يتبع النَّحَّاسَ فيسقط من
قلمه أو من قلم الناسخ عطفُ الياءِ على النون . و (الحلم) بالكسر : العقل . يقول
لها : ذرينى من عَذْلِكَ فَإِنِّى لأطيعُ أمرك ، ولا وجدتنى سفياً^(١) مضبَّع
الحلم ، وعقلى يأمرنى بإتلاف مالى فى اكتساب الحمد . (ومضاعاً) مفعول ثان
لألَفى ، وهو اسم مفعول من الإضاعة ، ولا يصحُّ أن يكون حالاً كما زعم بعضهم .

(١) ط : « سفها » ، صوابه فى ش .

ونقل العيني عن (تذكرة أبي حيان) بأنه يجوز حلمى مضاع بالرفع على الابتداء والخبر ، والجملة مفعول ثان . وفيه أن هذا البيت من قصيدة قوافيها منصوبة . قال ابن السّيد : لا يجوز رفعهما ؛ لأنّ القوافي كلّها منصوبة .

صاحب الشاهد والبيت نسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة . وتبعه ابن السراج (في أصوله) . وعزاه الفراء والزجاج إلى عدّى بن زيد العبادي ، وهو الصحيح .
أبيات الشاهد وكذلك قال صاحب (الحماسة البصرية) وأورد من القصيدة بعده هذه الأبيات :

(أَلَا تَلِكِ الثَّعَالِبُ قَدْ تَهَاوَتْ
عَلَى وَحَالَفَتْ غُرْجاً ضِبَاعاً ^(١)
فَإِنْ لَمْ تَنْدَمُوا فَتَكَلِّتْ عَمراً
وَهَاجَرْتُ المَرُوقَ والسَّمَاعَا
وَلَا مَلَكْتُ يَدَايَ عِنانَ طَرِفِ
وَلَا أَبْصَرْتُ مِنْ شَمْسٍ شِعَاعَا
وَحُطَّةً مَاجِدٍ كَلَّفْتُ نَفْسِي
إِذَا ضَاقُوا رَحْبْتُ بِهَا ذِرَاعَا)

قوله: «تعاوت» تفاعلت من العواء، وهو صياح الكلب والذئب والثعلب .
وأراد بالثعالب الذين لاموه على جوده حسداً ولؤماً . والثعلب سبع جبان
مُستضعف ، ذو مَكْرٍ وخديعة، ولكنّه لفرط المكر والحيلة ، والخبث والخديعة
يجرى مع كبار السباع . قال الجاحظ ^(٢) : ومن أشدّ سلاح الثعلب الرّوغان ، وفي
المثل: «أروغ من ثعلب» . والرّوغان بالتحريك: مصدر راغ الثعلب

(١) الحماسة البصرية ١ : ٦٥ .

(٢) الحيوان ٦ : ٣٢ بتصرف .

يروع رَوْعاً وَرَوْعَانَا ، أى ذهب يَمَنَةً وَسِرَّةً فى سُرْعَةٍ خديعةً ، فهو لا يَسْتَقِرُّ فى جهة . و «حالفت» بالحاء المهملة ، أى عاهدت ، يقال تحالفا ، أى تعاهدا وتعاقدوا عَلَى أن يكون أمرهما واحداً فى النَّصْرَةِ والحماية . وبينهما جَلَفَ بالكسر ، أى عهد . والحليف : المعاهد .

وضباعاً مفعول حالفت : وعرجا كان فى الأصل صفة لِضِبَاعاً ، فلما تقدّم صار حالاً منه . أى عاهدت تلك الثعالب مَنْ هو أسوأ حالاً منها . والضَّبَاعُ بالكسر : جمع ضبع ، وهى يُضْرَبُ بها المثل فى حمقها فيقال : «أحمق من ضبع» . قال صاحب المصباح : الضَّبْعُ بضم الباء فى لغة قيس ، وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل يقع عَلَى الذكر والأنثى ؛ وربما قيل فى الأنثى ضَبْعَةٌ كما قيل سَبْعٌ وَسَبْعَةٌ بالسكون مع الهاء للتخفيف . والذكر ضِبْعَانُ والجمع ضِبَاعِينَ ، مثل سِرْحَانٍ وَسِرَاحِينَ . ويجمع الضَّبْعُ بضم الباء عَلَى ضِبَاعٍ ، وبسكونها ^(١) عَلَى أَضْبِعٍ . انتهى .

٣٧٠

والعُرْج : جمع عرجاء ، كصُفْر جمع صفراء . والضَّبْعُ توصف بالعُرْج وليست بعرجاء ، وإنما يُخَيَّلُ ذلك للناظر . وسبب ذلك التَّخْيِيلُ لدونةً فى مفاصلها ، وزيادة رطوبة فى الجانب الأيمن عَلَى الأيسر منها . كذا فى حياة الحيوان للذَّمِيرِى .

ومن الغرائب قول العينى هنا : قوله تعاوت من عَوَاءِ الكلب . وقوله ضباعا جمع ضبع ، وهو الحيوان المعروف ، وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سباع وسبع . وقوله عَرَجاً بفتح العين وكسر الراء صفة للضَّبَاعِ قَدِّمْتُ عليه للضرورة . وتوصف الضَّبَاعُ بالعُرْج كما توصف بِالْحَمَعِ . والعُرْج أيضاً يقال للقطيع من الإبل نحو الثمانين أو المائة والخمسين . فعلى هذا يكون قوله ضباعا بالكسر :

(١) ط : « وبسكون » ، وأثبت ما فى ش .

جمع ضابع إذا كانت شديدة الجرى . هذا كلامه بحروفه . وأى فائدة في تسطيره ، ولا يُزاد الطالب منه إلا جهالة .

وقوله : « فَإِنْ لم تندموا » إلخ التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأراد بالندم الرجوع عن لومه ، فَإِنَّ النَّدَمَ لازمه . وجملة ثكلتُ دعائية . وعمرو : ابنه . وهاجرت بمعنى قاطعت ، من الهجر بالفتح ، أى التَّرك . والمروء أراد به الخمر . يقال خمرٌ مروءٌ ^(١) . والسَّماع أراد به آلة الطرب واللهو . والطَّرْف بالكسر : الكريم من الخيل . والخطبة بضم الخاء المعجمة : الحالة والخصلة ، وهو مفعولٌ مقدّم لكَلَّفْتُ . وذراعاً : تمييز محوّل عن الفاعل . ورُخْب الذراع : سعتها ^(٢) . وبسطها : طولها . وضيق الذراع والذرع : قصرها . ووجهه أَنَّ القصير الذراع لا ينال ما يناله الطويل الذراع ، ولا يطيق طاقته . فضرب للذى سقطت قُوته دون بلوغ الأمر والاعتدار عليه . وبالعكس طول الذراع وبسطها .

وقد تقدّمت ترجمة عدى بن زيد مفصلة في الشاهد الستين ^(٣) : وهو شاعرٌ جاهلي .

والعبادى ، بكسر العين وتخفيف الموحدة ، نسبة إلى عباد ، وهم قبائل شتى من العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة . وزعم الجوهري أَنَّهُ بالفتح . والصواب ما ذكرنا .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السبعون بعد الثلاثمائة، وهو من شواهد سيبويه ^(٤) :

(١) الخمر مؤنثة ، وقد تذكر كما هنا .

(٢) السَّيعة بفتح السين وكسرها : الاتساع . ط : «وسعها» ش : «وسعتها» ، والصواب ما أثبت .

(٣) الخزاعة ١ : ٣٨١ .

(٤) في كتابه ١ : ٨٠ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٦٧ والهمع ٢ : ١٥٧ ، ونسب للأعشى ، وليس في

٣٧٠ (وَكأنَّهُ لَهْفٌ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ

ما حاجيَّه مُعَيَّنٌ بِسَوَادٍ)

على أنه قد يعتبر الأوَّل في اللفظ دون الثاني ، أى يعتبر المبدل منه في اللفظ دون البديل ، فإنَّ قوله حاجيَّه بدلٌ من ضمير كَأَنَّهُ . قال ابن السيد (في أبيات المعاني) وابن خلف : هو بدل اشتغال ، ومازائدة . وقال أبو على (في إيضاح الشعر) : قوله حاجيَّه بدل من الضمير ، وما لا تكون إلا زائدة ، وقد روى الضمير المبدل منه في اللفظ بجعل مُعَيَّن مفرداً ؛ ولو روى الذى هو حاجيَّه لقليل مُعَيَّن بالثنية . وقد يقال إنَّ الحاجين لما لزم أحدهما الآخر صار الإخبار عنهما كالإخبار عن الشيء الواحد ، وكذا حال ماهو مثني في البدن ، يجوز إفراد خبره وصفته على المعنى ، وتثنيته على اللفظ ، كقوله : لمن زُحْلُوقَةٌ زُلُّ لها العينان تنهَلُ^(١)

فأخبر عن العينين بما يكون خبراً عن الواحد . وعليه قول المتنبي :
حَشَائى على جمر ذكيٍّ من الهوى
وعينائى فى روض من الحسن ترتع^(٢)

وقال آخر^(٣) :

وَكأنَّ بالعينين حبَّ قرنُفيلٍ أو سُنْبِلًا كُحِلَتْ به فانهلَّت
وكان الظاهر أن يقول : كحللتا ، فأفرد لأنهما لايفترقان . ويجوز عكس
هذا فيخبر عن الواحد منهما بالثنية ، كقوله :
وَعَيْنِ لها حَذَرَةٌ بَدَرَةٌ وشَقَّتْ مآقيهما من أُخْر^(٤)

(١) اللسان (زلل) . وقال : « ويرى : زحلوفة » ، يعنى بالفاء .

(٢) ط : « حشائى » ، صوابه فى ش وديوان المتنبي ١ : ٣٨٤ .

(٣) هو سلمى بن ربيعة . الحماسة بشرح المرزوق ٥٤٧ .

(٤) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٦ . وفى ش والديوان : « شقت » بغير واو .

فابتدأ بذكر عين واحدة ، ثم أخبر عن الاثنتين . ومنه قول الآخر على وجه :

تسائلُ بابنٍ أحمرَ مَنْ رآهُ . أغارتَ عينُهُ أم لم تغارِ (١)
فلما استفهم عن الواحدة عطف بالاثنتين في قوله «أم لم تغارِ» . وقيل
معين مصدر كتمزق (٢) ؛ وإذا أُخبر بالمصدر كان موحدًا .

هذا وسيبويه إنما أورد البيت للبدل ، ولم يذكر ما اعتبره الشارح
المحقق . وهذه عبارته : وإن شئت قلت : ضُربَ عبدُ الله ظَهْرُهُ ، ومُطِرَ قومُكَ
سهلُهُم ، على قولك : رأيتُ القومَ أكثرهم ، ورأيتُ عمرًا شخصه ، كما قال :
وكأنَّه لَهقُ السَّراةِ... البيت . انتهى .

وبجوز أن يكون هذا من قبيل بدل البعض . وما ذكره الشارح المحقق
هو كلامُ أبي عليٍّ (في إيضاح الشعر) ، قال في موضع آخر منه : قد جاء
الحملُ على المبدل منه . قال :

وكأنَّه لَهقُ السَّراةِ البيت

فجعل الخبر فيه عن المبدل منه دون البدل .

وقوله : (وكأنَّه لهق) إلخ رواه سيبويه «فكأنَّه» بالفاء . قال الأعلم : وصف
الشاعر ثوراً وحشياً شَبَّه به بعيره في حِدْثِهِ ونشاطه ، فيقول : كأنَّه ثورٌ لهقُ
السَّراةِ ، أى أبيضُ أعلى الظَّهر (٣) أسفع الخدين ، كأنَّما عُيِّنَ بسواد . وكذلك
بقر الوحش بيضٌ كُلُّها إلَّا سَفْعَةً في خدودها ومغابنها وأكارعها . انتهى .

(١) لابن أحمر . شرح شواهد الشافعية ٣٥٣ . وفي ط : « أغارت أم لم تغار » بالغين المعجمة ،
وأثبت مافي ش مع أثر تصحيح ، وهو مافي شرح شواهد الشافعية . وهما روايتان كما نص البغدادى .

(٢) ط : « كتمرق » ، صوابه في ش .

(٣) ط : « أبيض الظهر أعلاه » ، صوابه في ش وشرح الأعلم .

وقال ابن خلف : اللّهُق : البياض . والسّرة: أعلى الشّىء . وثور الوحش يُوصف بأنّه لهق السّرة . وقيل إنّه يصف جملاً وسيرة وسرّعه ، وشبهه بثور وحش فى سرّعه . والجملة التى هى « كأنه ماحجبيه » إلخ ، وصف للثور . وترتيب الكلام : كأنّ هذا الجمل ثورٌ لهق السّرة ، كأنّ هذا الثور حاجبيه معيّن بسواد ، يعنى أنّ ماحول حاجبيه وعينه أسود . والعينة : ماحول العينين ، كأنّه قال : مسودّ العينة . انتهى .

وفى العباب : قال الليث : اللّهُق بالتحريك : الأبيض ليس بذى بريق كاللّهُق ، إنّما هو نعتٌ فى الثوب والشّيب . والبعر الأعيسُ لهقٌ ، والأنثى لهقة ، والجمع لهقات ولهاق . ولّهق الشّىء لهقا مثل سَحَق سَحَقاً ، ولهق لهقا مثل أرق أرقا ، إذا كان شديد البياض . انتهى .

يريد أنّه جاء من باى فتح فتحا وفرح فرحا . و(السّرة) بفتح السين ، قال صاحب الصحاح: وسرة كل شّىء : ظهره ووسطه . و(المعيّن) بزنة اسم المفعول . ولم يزد صاحب الصحاح على قوله: المعين: ثور . وفى القاموس : والمعيّن كمعظم : ثورٌ بين عينيه سوادٌ ، وهو مشتقٌ من العينة بالكسر ، وهى مصدر عَيْنَ عَيْناً من باب فرح وعينةٌ ، إذا عظم سواد عينه فى سعة . والعينة أيضاً من التّعجة : ماحول عينها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يُعرف لها قائل . ٣٧٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الثلاثئة (١) :

٣٧١ (إِنَّ السَّيُوفَ غَدَوْهَا وَرَوَّاحَهَا

تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الْأَعْصَبِ)

(١) ديوان الأخطل ٢٨ والكامل ٤٣٩ والأشمونى ٣ : ١٣٢ .

لما تقدّم قبله ، فإنّ قوله غدوّها بدلٌ من السيوف .

قال المبرد (في الكامل) : هو يدل اشتغال ، وقد روعي المبدل منه في اللفظ بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يُراعَ البدل ، ولو رُوعي لقليل تُركا بالثنية .

وهذا أيضاً كلام أوى على (في إيضاح الشعر) فإنه أورد هذا البيت مع البيت الذي قبله لما ذُكر . وفيه أنه يحتمل أنّ نصب غدوّها على الظرف ، كخفوق النجم ، وكأنّه قال : إنّ السيُوفَ وقتَ غدوّها ورواحها .

و(هوازن) : أبو قبيلة ، وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة ابن قيس بن عَيْلان بن مضر . و(الأعضب) بإهمال العين قال صاحب (العباب) : العَضْبَاءُ : الشاةُ المكسورةُ القرنِ الداخل، وهو المشاش^(١) . ويقال هي التي انكسر أحدُ قرنيها . وقد عَضِبَت بالكسر ، وكَبِشُ أعْضَبَ بَيْنَ العَضَب . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد وهو من قصيدة للأخطل عدّتها ستة عشر بيتاً ، مدح بها العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه ، فأعطاه ألف دينار ، وكان يقال له «المذهب» لجماله . روى أنّه خرج على فرس له وعليه مُطْرَفٌ خَزَرٌ ، فأشرفت امرأةٌ فنظرت إليه فقالت : ما أحسن هذا ؟! فتقطّر به فرسه فمات .

وهذا مطلع القصيدة :

من أبيات الشاهد

(بأنّ الشَّبابَ ورَّيماً علَّته بالغانيات وبالشراب الأصهب
ولقد شربتُ الخمرَ في حانوتها ولعبتُ بالقَيْناتِ عَفَّ الملعبِ^(٢))

(١) ط : « وهى المشاش » ، صوابه فى ش .

(٢) فى ديوان الأخطل : « كل الملعب » .

وقال فى مدحه :

(لَذَّ تَقَبَّلَهُ النَّعِيمُ كَأَنَّمَا مُسِيحَتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءٍ مُّذْهِبٍ ^(١)
 لَبَّاسٍ أَرْدِيَةِ الْمَلُوكِ تَرَوْقُهُ مِنْ كُلِّ مُرْتَقِبٍ عِيُونُ الرَّبْرِ
 يَنْظُرُنْ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ إِذَا بَدَا نَظَرَ الْهَجَانِ إِلَى الْفَنِيقِ الْمُصْعَبِ
 خَضِيلِ الْكِيَّاسِ إِذَا تَشَتَّى لَمْ تَكُنْ خُلْفًا مَوَاعِدُهُ كَبِرْقِ الْخُلْبِ ^(٢)
 وَإِذَا تُعَوَّرَتْ الزُّجَاجَةُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الشَّرَابِ بِفَاحِشٍ مُتَقَطِّبٍ
 اللَّذَّ : الْمُتَلَذِّذُ . وَتَقَبَّلَهُ النَّعِيمُ ، إِذَا اسْتَبَانَ عَلَيْهِ . وَالرَّبْرِ : جَمَاعَةُ
 النِّسَاءِ . وَالْهَجَانِ مِنَ الْإِبِلِ : كِرَامُهَا وَبَيْضُهَا . وَالْفَنِيقِ : الْفَحْلُ الْمَتْرُوكُ
 لَا يَرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ . وَالْخَضِيلُ : الْبُذْبُذُ . وَالْكِيَّاسُ ^(٣) . وَالتَّعَاوُرُ : التَّدَاوُلُ .
 وَبَعْدَ هَذَا اقْتَضَبَ الْكَلَامَ فَقَالَ :

إِنْ السُّيُوفُ غَدُوْهَا وَرَوَّاحَهَا الْبَيْتِ .

وبعده :

(وَتَرَكْنَ عَمَّكَ مِنْ غَنَى مُمْسَكًا بِإِزَاءٍ مَنَحْرَقٍ كَجُحْرِ الثَّعْلِبِ ^(٤)
 وَتَرَكْنَ فَلَّ بَنَى سُلَيْمٍ تَابَعًا لِبَنَى ضَبِيْنَةَ كَاتِبَاعِ التَّوْلِيبِ
 الْقَوَا الْبُرَيْنَ ، بَنَى سُلَيْمٍ ، إِنَّهَا شَانَتْ وَإِنْ حَزَّازَهَا لَمْ يَذْهَبِ ^(٥)

(١) قبله — وذلك لتوضيح إعرابه :

ولقد غدت على التجار بمسمع هرت عواذله هير الأكلب

(٢) ط : «إذا تتشا» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٣) والكياس ، كذا وردت فى النسختين بدون تفسير بعدها ، وهى جمع كأس ، يقال فى جمعها أكوُس وكوُس وكاس . واللسان (كأس) وشرح ديوان الأخطل .

(٤) فى النسختين : «منحرق» ، صوابه فى الديوان . يقول : كأنهم تمسكوا بحوض صغير قد

ذهب ماؤه .

(٥) شانت ، من الشين ، أى قبحت ، وهو على حذف المفعول . وفى الديوان : «شابت» من

الشيب . وهو تعريض بالمرأة التى خزمت أنفها .

ولقد علمت بأنّها إذْ علّقتْ سِمةَ الدّلِيلِ بكلِّ أنفٍ مُغضِبٍ
والخَيْلُ تعدو بالكِماةِ كأنّها أسُدُّ الغياطِلِ من فوارسِ تغلبٍ
وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « وتركن عمك من غنى » إلخ غنى : قبيلة . قال شارح ديوانه
السكرى : هذا مثلٌ ، يقول : لاشيء بأيديهم ، كأنهم تمسّكوا بحوضٍ صغير قد
ذهب ماؤه . وإزاء الحوض : موضع مصبِّ الدّلُو في مقدّمه ، فيوضع هناك
حجرٌ يصبُّ عليه الماء أو عباءةٌ ، لئلاّ يثور الطينُ فيفسد الماء .

وقوله : « وتركن فلّ بنى سليم » الفّل بالفتح : المنهزمون . وسليم
بالتصغير . وضّيئة ، بفتح المعجمة وكسر الموحّدة وقبل الهاء نون ، هى أمُّ سعد
مناة بن غامد بن الأزد ، غلبت على نسب ولدها . قاله السكرى .

وقوله : « ألقوا البرين » إلخ ألقوا : أمرٌ من الإلقاء . والبرين : جمع بُرةٍ
بضم الموحّدة ، وهى ما يُخزم به الأنف . وبنى سليم منادى . وذلك أن امرأةً
من سليم خزمت أنفها لما قتل عمير بن الحُباب ^(١) وحلفت أن لاتنزعها حتى
تدرك بثأره . والغياطل : جمع غَيْطَلٍ ، وهو الشجر الكثير الملتف . وتغلب :
قبيلة الأخطل . افتخر بفوارس قومه .

وترجمته تقدمت فى الشاهد الثامن والسبعين ^(٢) .

* * *

(١) ط : « عمرو بن الحباب » ، صوابه « عمير » بالتصغير كما فى ش وجهه أنساب العرب
٢٦٤ . وكان له شأن فى الحرب بين قيس وتغلب ، وقتلته تغلب . الأغاني ١١ : ٥٥ ، ٢٠ : ٢٦ . قتله
زياد بن هوير ، كما فى الاشتقاق ٣٣٩ . وفى الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس فى أيام عبد
الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه .
(٢) الخزائن ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٣٧٢ (إِنَّ عَلَىَّ اللَّهَ أَنْ تُبَايَعَا تَوْخِذَ كَرِهًا أَوْ تَجِيءَ طَائِعًا)

على أَنَّ الفعل قد يُبدل من الفعل إذا كان الثاني راجحَ البيانِ عَلَى الأول كما في البيت . فتَوْخِذَ بدل من تبايَع ، وتجيء معطوف على تَوْخِذَ . وهذا البديل آين من المبدل منه ، والبديل في الحقيقة إنما هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه ، إذ لا تكون المبايعة ^(٢) إِلَّا عَلَى أحد الوجهين من إكراه أو طاعة . وهو كقولهم : الرُّمَّانُ حلوا حامض ، وإن كان يقال باعتبار اللفظ إِنَّ تَجِيءَ معطوفٌ عَلَى تَوْخِذَ ، كما يقال في مثل ذلك من الخبر والحال .

والآية قبل البيت ^(٣) من بدل الكل ، قال الخليل : لأنَّ مضاعفة العذاب هي لُقِيَّ الأثام . والظاهر أَنَّ بدل الفعل من الفعل عند الشارح المحقق إنما يكون في بدل الكل ، وهو مذهب السيرافي ، قال : لا يبدل الفعل إِلَّا من شيء هو في معناه ^(٤) لأنه لا يتبعَّض ولا يكون فيه اشتغال ، فتَوْخِذَ كرها أو تَجِيءَ طائعا هو معنى المبايعة ، لأنها تقع عَلَى أحدهما .

وقد يَظْهَر من كلام سيبويه في باب ما يرتفع بين الجزمين .

وقد جَوَّز المتأخرون الأبدال الأربعة في الفعل ، منهم الشاطبي (في شرح

(١) في كتابه ١ : ٧٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٣ والعينى ٤ : ١٩٩ والتصریح ٢ : ١٦٢ والأشمونى ٣ : ١٣١ .

(٢) ش : « المتابعة » ، صوابه في ط .

(٣) يشير إلى استشهاد الرضى بقوله تعالى : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما » يضاعف له العذاب . الرضى ١ : ٣١٧ .

(٤) ش : « إلا من شيء هو في معناه » .

الألفية) قال : يتصوّر في بدل الفعل من الفعل ماثصور في بدل الاسم من الاسم ، فقد يكون فيه بدل الكلّ من الكلّ ، ومنه قوله :
* متى تأتينا نلتم بنا في ديارنا (١) *

وقد يكون فيه بدل البعض كقولك : إنّ تصلّ تسجد لله يرحمك .
وبدل الاشتغال أيضاً . ومنه قوله :
إنّ على الله أن تبايعا البيت

لأنّ الأخذ كرها والجمي طوعا من صفات المبايعه . وظاهر كلام سيبويه يقتضى أنّه أنشده شاهداً على بدل الاشتغال ؛ لأنه أتى به مع قول الآخر :
٣٧٤ * فما كان قيس هلكه هلك واحد (٢) *

وقول الآخر :

* وما ألفتني حلمي مضاعا (٣) *

وذلك في باب من أبواب بدل البعض والاشتغال. وإذا ثبت بدل البعض ثبت بدل الاشتغال: لأنه مشبه به، إذ عدوا وصف الشيء كالجزم منه. وقد يكون فيه بدل الإضراب والغلط، نحو : إنّ تطعم زيداً تكسّه أكرمك. وقد سأل سيبويه الخليل عن قولك: إنّ تأتينا تسألنا نعطك، بجزم تسألنا . فقال : هذا يجوز على أن يكون مثل الأوّل ، لأنّ الأوّل الفعل الآخر تفسير له (٤)،

(١) لعبيد الله بن الحر ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٦ والخزانة ٣ : ٦٦٠ بولاق . وعجزه :

« تجد حطبنا جزلا ونارا تأججا »

(٢) لعبد بن الطبيب . سيبويه ١ : ٧٧ . وعجزه :

« ولكنه بنيان قوم تهدما »

(٣) سبق الكلام عليه في هذا الجزء ص ١٩١ في الشاهد ٣٦٩ .

(٤) هذا صواب النص من سيبويه ١ : ٤٤٦ . وفي النسختين : « على غير أن يكون مثل الأوّل

لا من الأوّل والفعل الآخر تفسير له » .

وهو هو . يعنى ماتقدّم فى بدل الشيء من الشيء ، والسؤال لا يكون بالإتيان . قال : ولكنه يجوز على الغلط والنسيان ثم يتدارك . وقال بعد : فلو قلت : إن تأتني آتكَ أقل ذلك . كان غير جائز ، لأنّ القول ليس بالإتيان ، إلا أن تميزه على ماجاز عليه تسألنا . فهذا نصّ لجواز بدل الغلط والنسيان . وجواز بدل الإضراب أولى . انتهى كلام الشاطبى .

فإن قلت : بدل الاشتغال والبعض لابدّ لهما من ضمير فكيف الحال على قول الشاطبى ؟ قلت : لا يمكن الضمير هنا لظهور أنّ ذاك خاصّ بالأسماء ، لتعذر عود الضمير على الأفعال . كذا فى (شرح التوضيح للشيخ خالد) .

وقول الشارح المحقق : «إذا كان الثانى راجع البيان» ، مثله فى التسهيل قال : «ويبدل فعل من فعل موافق فى المعنى مع زيادة بيان» . انتهى . ولم يعتبر غيرهما هذا القيد . ولم يتعرض له أصلاً أبو حيان (فى الارتشاف) . قيل : والحقّ عدم اعتباره . وأمّا اعتبار الموافقة فى المعنى فقد اعتبروه ، منهم ابن معطى ، قال : وأبدلوا الفعل من الفعل إذا كان بمعناه . قال ابن الحُبَّاز : إنّما يكون ذلك إذا ترادف اللفظان ، كقولك : مَنْ يَأْتِ يَمْشِ^(١) إلّى أكلمه . انتهى .

وهذا عند الشارح المحقق من باب التوكيد كما صرّح به هنا . وقوله : إنّما يكون فى ترادف اللفظين ، ممنوع .

وهنا فائدة حسنة ذكرها ابن هشام (فى حواشى الألفية) ، وهى أنه ينبغى أن يُشترط لإبدال الفعل من الفعل ما اشترط لعطف الفعل ، وهو الاتحاد فى

(١) ط : « من يأتى يمشى » ، صوابه فى ش .

الزمان فقط ، دون الاتحاد في النوع ، حتى يجوز : إن جئتنى تمش إلى
أكرمك . انتهى .

واعلم أن إبدال الفعل من الفعل هو إبدال مفرد من مفرد ، بدليل
ظهور النصب كما في الشاهد ، وظهور الجزم كما في الآية .

وزعم ابن السِّيد في (أبيات المعاني) ، وتبعه ابن خلف ، والعيني ،
والحفيد (في حاشية المختصر) أن هذا من إبدال جملة من جملة . وهو سهو .
قال الشيخ خالد (في شرح التوضيح) : والفرق بين بدل الفعل وحده
والجملة ، أن الفعل يتبع ما قبله في إعرابه لفظاً أو تقديرًا ، والجملة تتبع ما قبلها
محلًا إن كان له محلٌّ . وإلا فإطلاق التبعية عليها مجاز ، إذ التابع كلُّ ثانٍ
أعرب بأعراب سابقه الحاصل والمتجدد . انتهى .

وقضية هذا : أنه لا يتصور في الفعل المرفوع أن يكون بدلا من فعل
مرفوع ، وذلك لأنَّ سبب الإعراب متوفّر فيه مع قطع النظر عن التبعية ، وهو
تجرّده عن الناصب والجازم ، فرفعُه لتجرّده ، لا لكونه تابعاً لغيره ، فكيف
يكون بدلا مع انتفاء التبعية لانتفاء الإعراب بإعراب سابقه . وهكذا يقال في
العطف : لا يتصور عطفُ الفعل المرفوع على مثله .

ومما يشكّل في البدل قول البيضاوي وغيره : إنَّ ﴿ يَتَرَكَّى ﴾ في سورة
واللّيل ، بدلٌ من قوله : ﴿ يُؤْتَى مَالَهُ ﴾ ، لأنَّ يؤتى مرفوعٌ لتجرّده ، فلم
يُعرب بإعراب سابقه .

٣٧٥

وأجاب بعضهم بأنَّ المراد أن البدل جملة يتركَّى من جملة يؤتى ماله .
وهذا لا يدفع الإشكال عن كلام البيضاوي ، لاعتنا ظاهر كلامهم أن الفعل
يُبدل من الفعل ، وعمومه شاملٌ للفعل المرفوع .

وجزم السيد عيسى الصّفّوى بأنّه لا يكون مضارعٌ مرفوعٌ تابعاً لمضارع

مرفوع ، وأجاب عما أُورِدَ على البيضاوى بأنَّ المراد كلُّ ثانٍ أعرب بإعراب سابقه ولم يكن معرباً لمقتضى للإعراب غير التبعية .

قيل : قد يقال لامانع من كون المضارع عند التبعية مرفوعاً بالتبعية ، وإن كان فيه مقتضى آخر للرفع وهو التجرد ، بناءً على جواز تعدد السبب . وفيه نظر ، فإنهم قالوا: العامل بمنزلة المؤثر الحقيقى ، ولا يجتمع مؤثران على أثر. وسكت الشارح المحقق عن إبدال الجملة من الجملة ، وعن إبدال الجملة من المفرد وعكسه .

أمَّا الأوَّل فقد قال الشيخ خالد: تبدل الجملة من الجملة بدَل بعض واشتال وغلط، ولاتبدل بدَل كل، نحو قعدت جلست فى دار زيد، فإنه توكيد. أمَّا بدل البعض فنحو قوله تعالى : ﴿ أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ (١) ﴾ ، فجملة أمدكم الثانية أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما، فتكون داخلة فى الأولى .

وأمَّا بدل الاشتال فكقوله :

* أقول له ارحل لاتقيمن عندنا (٢) *

فقوله تقيمن عندنا بدَل اشتال من ارحل ، لما بينهما من الملازمة اللزومية ؛ وليس توكيداً له ، لاختلاف لفظيهما ، ولابدل بعض لعدم دخوله فى الأوَّل ، ولا بدل كل لعدم الاعتداد به ، ولاغلط لوقوعه فى الفصحح .
وأمَّا بدل الغلط فنحو : قم اقعد .

(١) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من الشعراء .

(٢) هو مجهول القائل ، وقامه كما فى العينى ٤ : ٢٠٠ :

• وإلا فكن فى السر والجهر مسلماً •

وأما إبدال الجملة من المفرد فقد أورد له ابن هشام (في شرح الألفية)
قول الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً

وبالشام أخرى كيف يلتقيان^(١)

قال ، أبدل كيف يلتقيان وهو جملة مستأنفة ، نُبّه بها على سبب
الشكوى وهو استبعاد ما بين الحاجتين^(٢) .

وأما عكس هذا وهو إبدال مفرد من جملة فقد قال أبو حيان (في
البحر) في قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا﴾^(٣) قال : قَيِّمًا بدل
من جملة لم يجعل له عوجا ، لأنها في معنى المفرد ، أى جعله مستقيما . وقال
ابن هشام (في المغنى) في بحث كيف : إن جملة كيف خلقت بدل من
الإبل بدل اشتغال ، والمعنى إلى الإبل كيفية خلقها . ومثله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^(٤) . وكل جملة فيها كيف فهي بدل من اسم مفرد . وقال
السيوطى (في الهمع) : إن بدل الجملة من المفرد بدل اشتغال .

وبقى إبدال الفعل من اسم يشبهه ، وبالعكس ، وإبدال الحرف من
مثله .

أما الأول فقد قال ابن هشام (في حواشى الألفية) : ينبغى أن يجوز
إبدال الاسم من الفعل وبالعكس ، كما جاز العطف ، نحو : زيد متيق يخاف
الله ، أو يخاف الله متيق . انتهى .

(١) من شواهد العيني ١ : ٥٤٣ . ولم يرد في ديوان الفرزدق .

(٢) ش : « وهو استبعادها الحاجتين » ، صوابه في ط .

(٣) الكهف ١ - ٢ .

(٤) الفرقان ٤٥ .

والظاهر أن يخاف الله استثناءً بياني ، أو البدل هو الجملة لا الفعل وحده في الأول ، ومتى خبر بعد خبر في الثاني ، والتقوى غير الخوف ، فإن الوقاية فرط الصيانة .

وأما الثاني فقد ذكره سيبويه ، وجعل منه : ﴿ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ (١) ، فجعل أن الثانية بدلاً من الأولى ، لاتوكيداً كما قال غيره .

وقوله : (إن على الله) إلخ قال ابن خروف (في شرح الكتاب) : الله منصوب على القسم ، ويجوز أن يكون اسم إن ، والخبر الجار والمجرور ، وأن مفعول من أجله . وأنشد يحيى :

وإن على الله لاتحملوننى على حُطَّةٍ إلا انطلقتُ أسيرها

فلو حذف إن لقلت : على عهد الله لأضربنك . قال الفراء : ويجوز على الله أن أضربك . انتهى .

وقال ابن خلف : هذا الشاعر حلف على مخاطبه بالله ، أنه لا بد له من أن يبايع ، فلما حذف حرف القسم نصب الاسم ، وأن تبايع : اسم إن ، وعلى خبر إن ، والقسم معترض بين الاسم والخبر .

ونقل العينى عن بعض شراح الكتاب أن على متعلق باستقرار محذوف فى موضع خبر إن ، كأنه قال : وجب على اليمين بالله ، لأن هذا الكلام قسم ، وأن تبايعا يتعلق بعلى ، أعنى بما فيه من معنى الاستقرار . انتهى . وهذا التعلق غير ظاهر .

(والمبايعه) : بمعنى البيعة والطاعة للسلطان . وأصل البيعة الصفقة على

إيجاب البيع . وأيمان البيعة ^(١) هي التي رتبها الحجاج مشتملةً على أمور مغلظة من طلاق وعتق وصوم ونحو ذلك . (وتؤخذ) بدل من تباع كما تقدّم . قال السيرافي : النصب في هذه الأبيات على البدل جيّد ، ولو رفع على الابتداء لكان أكثر وأعرف ، فيقول ^(٢) : هلكه هلك واحد ، وما ألفتني حلمي مضاع ، وتكون الجملة في موضع الحال ، وتؤخذ كرهاً أو تجيء طائعاً على معنى أنت تؤخذ كرها ؛ فيكون أنت تؤخذ في موضع الحال . انتهى . وهذا كقوله :

مَتَى تَأْتِهَ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ

تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدٍ ^(٣)

رفع تعشو بين المجزومين ، أعنى الشرط والجزاء لأنه قصد به الحال ، أى متى تأته عاشياً ، أى ناظراً إلى ضوء ناره . وكذلك كل ما وقع بين مجزومين . وعليه قراءة : ﴿ يَرْتُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبِ ﴾ ^(٤) بالرفع ، لم يجعله جواباً ، وإنما جعله وصفاً ، أى وارثاً من يعقوب . فتدبره فإنه كثير . كذا (في أبيات المعاني) لابن السيد .

وقوله : (كرهاً) مفعول مطلق ، أى تؤخذ أخذاً كرها . ويجوز أن يكون حالاً بتأويله باسم الفاعل . وهو المناسب لقوله طائعاً ، فإنه حال . وهذا البيت قلما خلا عنه كتاب نحوي ، ومع شهرته لا يعلم قائله ، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها . والله أعلم .

* * *

(١) ش : « وأعيان البيعة » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « فتقول » .

(٣) للحطيطية في ديوانه ٢٥ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ .

(٤) الآية ٦ من سورة مريم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الثلاثئة ، وهو من أبيات س (١) :

٣٧٣ (وكنْتُ كذى رجلين رجلٌ صحيحةٌ
ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشَلَّتِ)

على أنه يروى (رجل) بالجر على أنه بدلٌ مع أخرى مفصلٌ من رجلين .
ويروى بالرفع على أنه بدلٌ مقطوع .

أنشده سيبويه في باب مجرى النعت على المنعوت والبدل على المبدل منه ، قال : ومثل مايجيء في هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة والبدل ، قوله جلّ وعز : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ (٢) . ومن الناس من يجرّ ، والجرُّ على وجهين : على الصِّفة وعلى البدل . ومنه قول كثيرٍ عزّة :

وكنْتُ كذى رجلين رجلٌ صحيحة
. . . (البيت) .
وقوله : « ومثل مايجيء في هذا الباب » إلخ ، يريد أنه يرفع على أنه خبرٌ مبتدأٌ محذوف ، والتقدير : إحداهما فئةٌ تقاتل إلخ . والجملة صفة لفئتين .
وقوله : « ومن الناس من يجرّ » إلخ يريد أن فئة بدل من فئتين . والصفة جائزة كما تقول : مررت برجلين قائم وقاعد . وإثما جعل فئة صفة لفئتين ، لأنّ فئة موصوفة ، فكان اعتماد الصفة في فئتين على صفة فئة ، كما تقول مررت برجلين : رجلٌ صادق ورجلٌ كاذب .

وقول كثيرٍ : (ورجلٌ) على رواية الرفع إمّا خبر مبتدأ محذوف ، تقديره

(١) في كتابه ١ : ٢١٥ . وانظر المقتضب : ٢٩٠ والجمال ٣٦ وابن يعيش ٤ : ٢٠٤ والأشمونى

٣ : ١٢٨ وديوان كثير ١ : ٤٦ .

(٢) آل عمران ١٣ .

هما رِجْلٌ صحيحة ورجُلٌ أخرى ، أو تقديره : إحداهما رجل صحيحة والأخرى رجل . فالكلام على الأول جملة واحدة وعلى الثاني جملتان . وإما مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : منهما رجل صحيحة ومنهما رِجْلٌ ، فالكلام جملتان . وقال العينى : ويجوز نصب رجل فى الموضعين على إضمار أعنى . وعلى رواية جرّ رجل يكون على الإبدال من رِجلين ، بدّل نكرة من نكرة ، وبه ^(١)أورده ابن هشام (فى المغنى) والمرادى (فى شرح الألفية) . وإتما أبدل لأجل الصفة ، وهو وصف الرجل الأولى بصحيحة والثانية بجملة رَمَى . ولما كان المبدل منه مثنيّ وجب الإتيان باسمين . ويعرف نحو هذا الإبدال ببديل المفصل من المجل ، لأنه أجمل أولاً ثم فصلّ ثانياً . وجملة رَمَى إلخ صفةٌ لرجل الثانية . ومفعول رَمَى محذوفٌ تقديره : رَمَى فيها الزمان داءً فشلت .

و(شَلْتُ) أصله شَلَلْتُ تَشَلُّ شَلًّا، من باب فرح . والشَّلُّ آفة تصيب اليد أو الرجل فتبيس منها، وقيل تسترخى. يقال شَلَّتْ يده وأشلها الله.

وقبل هذا البيت :

(وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صَعُودٍ مِنَ الْهَوَى فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبْتُ وَزَلْتُ
وَكُنَّا عَقْدُنَا عُقْدَةَ الْوَصْلِ بَيْنَنَا فَلَمَّا تَوَاتَقْنَا شَدَدَتْ وَحَلَّتْ
أَرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَهَا ، وَأُظَنُّهَا إِذَا مَا أَطْلُنَا عِنْدَهَا الْمُكْتَمَلَتْ
فَلَيْتَ قُلُوصَى عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدَتْ بِحَيْلٍ ضَعِيفٍ عَزَّ مِنْهَا فَضَلَّتْ
وَعُودَرِ فِي الْحَيِّ الْمَقِيمِينَ رَحْلُهَا وَكَانَ لَهَا بَاغٌ سِوَايَ قَبَلَتْ)

الصَّعُودُ بِالْفَتْحِ : خِلَافُ الْهَبُوطِ . وَالثَّوَاءُ ، بِالْفَتْحِ : الْإِقَامَةُ . وَعَزَّ مِنْهُ بِمَعْنَى غَلِبَهُ وَقَوَّى عَلَيْهِ . وَفِي (الْعَبَابِ) : قَالَ الْفَرَّاءُ : يَقَالُ بَلَّتْ مَطِيئَتُهُ عَلَى وَجْهِهَا، إِذَا هَمَّتْ ^(٢) ضَالَّةٌ . وَأَنشَدَ هَذَا الْبَيْتَ ، وَهُوَ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ .

(١) ط : « وجه » ، صوابه فى ش .

(٢) وكذا فى اللسان (بطل) . يقال همت الناقة هيا : ذهبت على وجهها فى الأرض .

واختلف أصحاب المعاني في معنى البيت الشاهد ، فقال الأعلم : تمنى أن تشل إحدى رجليه وهو عندها ، وتضل ناقته فلا يرحل عنها ، فيكون قوله : وكنت كذى رجلين إلخ معطوفاً على قوله : قيدت ، ليدخل في التمني .

وقال ابن سيده : لما خاتته عزة العهد فزلت عن عهده ، وثبت هو على عهدها ، صار كذى رجلين رجل صحيحة ، وهو ثباته على عهدها ، وأخرى مريضة ، وهو زللها عن عهده .

وقال عبد الدائم ^(١) : معنى البيت أنه بين خوف ورجاء ، وقرب وثناء ، كما قال المتنبي :

وأحلى الهوى ماشك في الوصل ربه

وفي الهجر، فهو الدهر يرجو ويتقي ^(٢)

وقال غيرهم : تمنى أن تضع قلبه فيبقى في حى عزة ، فيكون ببقائه في حياها كذى رجل ^(٣) صحيحة ، ويكون من عدمه لقلوبه كذى رجل علية .

حكى هذه الأقوال اللخمي وقال : وهذا القول الأخير هو المختار المعول عليه ، وهو الذى يدل عليه ما قبل البيت ، وهو اختيار الأستاذ أبي عبد الله ابن أبى العافية . وقد أخذ كثير هذا البيت من النجاشي ، وهو قوله :

(١) هو عبد الدائم بن مرزوق القيرواني ، كما سيأتي في الشاهد ٤٥٣ . قال السيوطي في البغية ٢٩٦ : « نحوى قديم ، روى عنه أبو جعفر محمد بن حكم السرقسطي ، وأكثر أبو حيان في الانشاف من النقل عنه » . وذكر البغدادى له « كتاب حلى العلى ، في الأدب » . فلعن هذا النقل منه . ومهما يكن فإن هذا النص ثابت في شرح شواهد المغنى للسيوطي ٢٧٥ . فلعنه كذلك نقل عن نقل .

(٢) ديوان المتنبي ١ : ٤٢٨ .

(٣) ط : « كذى رجلين » ، صوابه في ش .

وكنْتُ كذى رجلين رجلٍ صحيحةٍ

ورجلٍ رمت فيها يَدُ الحَدَثَانِ

فأما التى صحَّت فأزُدْ شنوءةٍ

وأما التى شَلَّتْ فأزُدْ عُمانِ

وقد أوردهُ ابن رشيق (فى العمدة) فى السَّرَقَاتِ الشعرية، وسَمَّاهُ
الاهتمام. قال: فأخذ كثيرُ القسمِ الأولِ واهتدم باقى البيت ، فجاءَ بالمعنى فى غير
اللفظ.

وهذه القصيدة كلها نسيبٌ بعزّة ، وهى من منتخبات قصائده ، والتزم
فيها مالا يلزم الشاعر ، وذلك اللام قبل حرف الروى ، اقتداراً فى الكلام وقوةً فى
الصناعة ، وماخرم ذلك إلا فى بيتٍ واحد ، هو :

فما أنصفتُ ، أمّا النساءُ فبَغَضْتُ إلى وأمّا بالتَّـوال فضنَّيتُ

وهى قصيدة . وهذا مطلعُها مع جملة أبياتٍ منها وقعت شواهدٌ للنحويين :

(خليلى هذا ربعُ عَزّة فاعقلا قلوَصيكما ثم أبكيا حيثُ حلَّتْ

وماكنتُ أدرى قبلَ عَزّة ماالبُكا ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تولَّتْ)

إلى أن قال :

(وإِنّى ونَهيامى بعزّة بعد ما تخَلَّيتُ فيما بيننا وتخلَّتْ

لكالمبتغى ظلَّ الغمامةِ كلَّما تبوأ منها للمقيل اضمحلَّتْ

يكلفُها القَيْرانُ شتمى وما بها هوانى ولكنَّ للحليل استدلَّتْ

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزّة من أعراضنا مااستحلَّتْ

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومةً لدينا ولا مقليةً إن تَقَلَّتْ)

وقوله : «وما كنت أدرى قبلَ عَزّة» إلخ استشهد به ابن هشام (فى

شرح الألفية) على نصب موجعات عطفاً على محلّ مفعول أدري المعلق بما الاستفهامية ، لأنّ المعلق أبطل عمله لفظاً لا محلاً . وقال (في معنى اللبيب) : فائدة الحكم على محلّ الجملة في التعليق بالنصب ظهور ذلك في التابع ، فتقول : عرفت من زيد وغير ذلك من أموره . واستدلّ ابن عصفور بنصب موجعات من هذا البيت . ولك أن تدعى أن البكاء مفعول ، وأنّ مازائدة ، أو أن الواو للحال وموجعات اسم لا ، أي وماكنت أدري قبل عزة ، والحالة أنّه لا موجعات للقلب موجودة ، ماالبكا . انتهى .

وقوله : « وإني وتهيامي بعزة » إلخ ، التّهيّام : بالفتح : مبالغة التّهيّام بالضم ، وهو كالجنون من العشق . قال ابن جنى (في سرّ الصناعة) : سألت أبا علي عن قول كثيّر : وإني وتهيامي بعزة البيت ، فقلت له : مامضع تهيامي من الإعراب ؟ فأفتني بأنّه بالابتداء وخبره بعزة ، وجعل الجملة اعتراضاً بين اسم إنّ وخبرها ، لأنّ فيها ضرباً من التسديد للكلام . ويحتمل أن تكون الواو للقسم فالباء على هذا متعلقة بتهيامي . وعرضت هذا على أبي عليّ فقبله . انتهى

وقد نقل ابن هشام ماحكيتُهُ عنهما في الجملة المعترضة (من المغنى) .

وقوله : « هنيئاً مريئاً غير داءٍ » إلخ ، أورده صاحب (الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) على أنّ الباء زائدة وما فاعل هنيئاً ، وهو صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل ، كأنه قال : هنأكم الأكل والشرب . وهنيئاً لعزّة مااستحلّت (٢) من أعراضنا . الهنيء والمرىء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ كشرّف ، إذا كان سائغاً لاتنغيص فيه . والخامر : المخالط .

(١) الآية ١٩ من الطور ، و ٤٣ من المرسلات .

(٢) ط : « لعزّة المستحلة » .

وقوله: « أسيئى بنا أو أحسنى » إلخ ، هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ أَنْفَقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ﴾ (١) على تساوى الإنفاقين فى عدم القبول ، كما ساوى كثيراً بين الإحسان والإساءة فى عدم اللوم . والتُّكْتَةُ فى مثل ذلك إظهارٌ نفى تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب ، كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد . ومَقْلِيَّةٌ بمعنى مُبْعَضَةٌ ، من القلى وهو البُغْض . وقوله : « إنْ تَقَلَّتْ » التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة .

وروى صاحب (الأغانى) بسنده عن هيثم بن عدى قال :

سأل عبد الملك بن مروان كثيراً عن أعجب خبرٍ له مع عَزَّةَ ، فقال :
يأمر المؤمنين ، حججْتُ سنةً وحجَّ زوج عَزَّةَ معها ، ولم يعلم أحدنا بصاحبه ، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياح سَمَنٍ تصلح به طعاماً لرفقته ، فجعلت تدور الخيامَ خيمةً خيمةً ، حتى دخلت إلى وهى لاتعلم أنَّها خيمتى ، وكنت أبرى سهماً ، فلما رأيتها جعلت أبرى لحمى وأنظرُ حتَّى برئت ذراعى وأنا لأعلم به ، والدم يجرى ، فلما عَلِمْتُ ذلك دخلتُ إلى فأمسكتُ يدى وجعلتُ تمسح الدَّم بثوبها ، وكان عندى نَحْيُ سمنٍ فحلفتُ لَتَأْخُذَنَّهُ (٢) . فأخذته وجاءت زوجها ، فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته ، حتى حلفَ عليها لَتَصَدَّقَنَّهُ . فصَدَّقَتُهُ فضرِبها ، وحلَفَ عليها لَتَشْتُمَنِي فى وجهى ، فوَقَفْتُ علىَّ وقالت لى وهى تبكى : يا ابن الزانية ! ثم انصرفا (٣) . وذلك حيثُ أقول :

* يكلفها الغَيْرانُ شتمى ومابها *

(١) الآية ٥٣ من التوبة .

(٢) فى النسختين : « لتأخذها » . والوجه مأثبت من الأغانى ٨ : ٣٧

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى ش : « ثم انصرف » مع أثر تغيير .

الآيات الثلاثة .

وروى صاحب الأغاني أيضاً قال : وقفتُ على جماعةٍ تكلموا فيّ وفي
جميل : أئنا أصدق عشقاً ، وهم لا يعرفونني ، ففضلوا جميلاً ، فقلت لهم : قد
ظلمتم كثيراً ، كيف يكون جميل أصدق منه عشقاً وحين أتاه من بثينة ما يكره
قال :

رمى الله في جفني بثينة بالقذى

وفي الغر من أنيابها بالقوادج

وكثير حين أتاه ما يكره من عزة قال :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر (البيت) .

وهذه القصيدة جيّدة فلا بأس بإيرادها على رواية أي على القالي (في قصيدة الشاهد
أماليه^(١)) قال : قرأت هذه القصيدة على أي بكر بن دريد في شعر كثير ،
وهي من منتخبات كثير ، وأوّلها :

(خليليّ هذا ربُّ عزةٍ فاعقلا قلو صيكما ثم أبكيا حيث حلّت^(٢))

ومُسّاً تراباً كان قد مَسَّ جلدَها وبيتاً وظلاً حيث باتت وظلّت

ولا تياسا أن يمحو الله عنكما ذنوبا إذا صليتما حيث صلت

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولّت ٣٨٠

وقد حلفت جهداً بما نحرث له قريش غداة المازمين وصلّت

(١) أمالي القالي ٢ : ١٠٩ .

(٢) البيتان التاليان لم يردا في مطبوعة الدار .

أُنَادِيكَ مَاحِجَ الْحَجِيجِ وَكَبَّرْتُ بِفَيْفَا غَزَالٍ رُفْقَةً وَأَهْلَتِ
وَكَانَتْ لِقَطْعِ الْعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَازِرَةً نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ

— ويروى : « وَفَتْ فَأَحْلَتِ » —

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مَصِيبَةٍ إِذَا وُطِنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ
وَلَمْ يَلَقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مِيعَةً لَعْمٌ وَلَا عَمِيَاءَ إِلَّا تَجَلَّتِ (١)
كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أُعْرِضْتُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتِ
صَفْرُوحًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتِ
أَبَاحْتُ حِمِيَّ لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تَلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلَ حُلَّتِ
فَلَيْتَ قَلُوصِي عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدْتُ بِقَيْدِ ضَعِيفٍ فَرَّ مِنْهَا فَضَلَّتِ (٢)
وَعُودِرَ فِي الْحَيِّ الْمَقِيمِينَ رَحْلُهَا وَكَانَ لَهَا بَاغٌ سِوَايَ فَبَلَّتِ
وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّيْمَانُ فَشَلَّتِ
وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلْعِ لَمَّا تَحَامَلْتُ عَلَى ظَلْعِهَا بَعْدَ الْعِثَارِ اسْتَقَلَّتِ
أُرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَهَا وَأُظْنُّهَا إِذَا مَا أَطْلَنَّا عِنْدَهَا الْمُكْتَ مَلَّتِ
فَمَا أَنْصَفْتُ، أَمَّا النِّسَاءَ فَبَغَضْتُ إِلَيْنَا وَأَمَّا بِالنِّوَالِ فَضَنَّتِ

(١) في الأمل والديوان كثير ١ : ٤٢ : « مِيعَةُ تَعْمٍ وَلَا غَمَاءَ » وفي شرح الديوان : « ويروى : تَعْمٌ ، أَيْ

تَغْطِي » .

(٢) في الأمل والديوان : « بِحَبْلِ ضَعِيفٍ غَرَّ مِنْهَا » أَيْ عَقَدَ ذَلِكَ الْحَبْلَ عَلَى غُرَّةٍ ، أَيْ عَلَى غُفْلَةٍ ،

فَهُوَ غَيْرُ مَوْثُوقٍ . وَفِي شِوَاهِدِ رِوَايَاتِ الدِّيَّانِ : « عَزَّ مِنْهَا » . وَفِي شَرْحِ الدِّيَّانِ : « أَيْ غَلَبَهَا قُوَى عَلَيْهَا » ،

ثُمَّ قَالَ : « وَيُرْوَى حَزَّ مِنْهَا ، أَيْ قَطَعَ مِنْهَا » .

يكلّفها الغَيْرَانُ شتمى وما بها هَوَانِي وَلَكِنْ لِلْمَلِكِ اسْتَدَلَّتْ
هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَائٍ مَخَامِرٍ لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

قال أبو علي : قيل لكثير : أنت أشعر أم جميل ؟ فقال ببل أنا . فقيل
له : أتقول هذا وأنت راويته ؟ قال : جميل الذي يقول :

رمى الله في عينيّ بئينة بالقذى وفي العُرِّ من أنيابها بالقوادج
وأنا أقول :

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَائٍ مَخَامِرٍ البيت
ووالله ما قاربْتُ إلا تباعدْتُ بصُرْمٍ وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتْ
فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَأَهْلًا وَمَرْجَبًا وَحَقَّتْ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتْ (١)
وإن تَكُنِ الأُخْرَى فَإِنَّ وِرَاءَنَا مَنَادَحَ لَوْ سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ كُلَّتْ (٢)
خَلِيلٌ إِنَّ الْحَاجِيَّةَ طَلَّحَتْ قُلُوصِيكَمَا وَنَاقَتِي قَدْ أَكَلَتْ (٣)
فَلَا يَبْعَدُنْ وَصِلْ لِعَزَّةٍ أَصْبَحَتْ بِعَاقِبَةِ أَسْبَابِهِ قَدْ تَوَلَّتْ (٤)
أَسِئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنَّ ثَقَلَتْ
وَلَكِنْ أَنْيَلِي وَاذْكُرِي مِنْ مَوَدَّةٍ لَنَا حُلَّةٌ كَانَتْ لَدَيْكَ فَضَلَّتْ (٥)

(١) في الأصل : « بها العتبي » ، صوابه من الأمالي والديوان .

(٢) ط : « مناوح » ، صوابه في ش والأمالي والديوان .

(٣) ط : « قد أطلت » ، صوابه في ش والأمالي والديوان .

(٤) في الأصل : « لعاقبة » ، صوابه في الأمالي والديوان .

(٥) ط : « أميلي » ، ش : « أبيني » ، وأثبت ما في الأمالي والديوان . وفي الأمالي والديوان :

« كانت لديكم فضلت » . وفي الديوان : « ويريى فضلت » ، من ضل فلان فلانا : نسيه ومطله » .

وَأُنِّي وَإِنْ صَدَّتْ لِمَنْ وَصَادَقَ
فَمَا أَنَا بِالِدَاعِي لِعَزَّةٍ بِالْجَوَى
فَلَا يَحْسِبُ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي
فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَبْلَلْتُ مِنْ دَنَفٍ بِهَا
وَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَاحِلٌ قَبْلَهَا
وَمَامَرٌ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كَيَوْمِهَا
فَأُصَحِّحُ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فَوَادِهِ
فِيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ
وَأُنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةٍ بَعْدَمَا
لِكَالْمُرْتَجَى ظَلَّ الْعِمَامَةُ كُلَّمَا
كَانَتْ وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُنْجِلٍ
عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ إِلَيْنَا أُرْلَتْ
وَلَا شَامِتٍ إِنْ نَعْلُ عَزَّةَ زَلَّتْ
بِعَزَّةٍ كَانَتْ غَمْرَةً فَجَلَّتْ
كَمَا أُدْنِفْتُ هَيْمَاءُ ثُمَّ اسْتَبَلْتُ (١)
وَلَا بَعْدَهَا مِنْ تُحْلَةٍ حَيْثُ حَلَّتْ
وَإِنْ عَظُمْتُ أَيَّامٌ أُخْرَى وَجَلَّتْ (٢)
فَلَا الْقَلْبُ يَسْلَاهَا وَلَا الْعَيْنُ مَلَّتْ
وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطُنْتُ كَيْفَ ذَلَّتْ
تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ
تَبَوُّاً مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ
رَجَّاهَا فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ اسْتَهَلَّتْ

قال أبو علي : المأزمان : عرفة والمزدلفة . وأناديك : أحداثك ؛ مأخوذ
من الندى والنادى جميعاً ؛ وهو المجلس . وميعة كل شيء : أوله .
والصفوح : المعرضة . وبلت : ذهبت . قال أبو علي : ما أعرف بلت ذهبت
إلا في تفسير هذا البيت . والعنبي : الإعتاب ، يقال عاتبني فلان فأعتبته ،
إذا نزع عماً عاتبك عليه ، والعنبي الاسم ، والإعتاب المصدر . وقوله :
« طلّحت » ، الطليح : المعنى الذي قد سقط من الإعياء . وطلت (٣) :
هدرت . وأزلت : اصطنعت . ويقال بل من مرضه وأبل واستبل ، إذا
برىء . واعترافه : اصطباره ، يقال نزلت به مصيبة فوجد عروفاً ، أى صبورا .
والعارف : الصابر . هذا مأورده أبو علي القالي .

(١) في النسختين : « من مدنف » ، صوابه من الأمالي والديوان .

(٢) ط « أمام أخرى » ، صوابه في ش والأمالي والديوان .

(٣) الذي في متن البيت : « فضلت » . وانظر حاشيته هناك .

وروى السيوطي (في شرح شواهد مغنى اللبيب) عن أبي الحسن بن طباطبا (في كتاب عيار الشعر) أنَّ العلماء قالوا : لو أنَّ كثيرًا جعل قوله :
فقلت لها يا عَزَّ كلُّ مصيبة . . . البيت

في وصف حربٍ لكان أشعرَ الناس . ولو جعل قوله : أسيئُ بنا أو أحسنى ، البيت ، في وصف الدنيا كان أشعرَ الناس .

وكثيرٌ ، بضم الكاف وفتح المثناة وكسر الياء المشددة التحتية . وهو كثيرٌ بن عبد الرحمن بن أبي جُمعة بن الأسود بن عامر . وقال اللخمي : هو كثيرٌ بن أبي جمعة . وهو خُزاعيٌّ . وأبو خزاعة : الصَّلْت بن النضر بن كنانة . وفي ذلك يقول كثيرٌ :

أليس أبي بالنضر أم ليس والدى لكل نجيبٍ من خُزاعةٍ أزهر
فحقَّق كثيرٌ أنَّه من قريش . وقيل إنَّه أزدىٌّ من قحطان . وهو شاعر حجازيٌّ من شعراء الدولة الأموية ، ويكنى أبا صخر ، واشتهر بكثير عَزَّة بالإضافة إلى عَزَّة ، وهي محبوبته ؛ وغالب شعره تشبيبٌ بها (١) .

وعَزَّة بفتح العين المهملة وتشديد الزاي . والعَزَّة في اللغة : بنت الظبية ، وبها سُمِّيَتْ . وهي كما قال ابن الكلبي : عَزَّة بنت حُمَيْل ، بضم المهملة ، بن خَفْص بفتحها ، من بني حاجب بن غفار ، بكسر المعجمة وخفة الفاء ، وكنيتها أم عمرو الضمرية ، نسبة إلى قبيلة ضَمرة . وكثيراً ما يُطلق عليها الحاجبية ، نسبة إلى جدّها الأعلى ، كقوله في هذه القصيدة :

(١) ط : « مشبب بها » ، صوابه في ش .

خَلِيلِيَّ إِنَّ الْحَاجِبِيَّةَ طَلَّحَتْ قُلُوصِيكَمَا وَنَاقَتِي قَدْ أَكَلَتِ (١)
ومن الغرائب تفسير العيني للحاجبية هنا بالرَّمْل الطويل . وهو غفلة
عن نسيها .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد
الله إلى كثير : يا ابن أبي جمعة ، ما الذي يدعوك إلى ماتقول من الشعر في
عزة ، وليست على ماتصيف من الجمال ، لو شئت صرفت ذلك إلى مَنْ هو
أولى به منها ، أنا أَوْ مثلي ! وإنما أرادت تجربته بذلك ، فقال :

إِذَا وَصَلْتَنَا خُلَّةً كَى تَزِيلُهَا أَبِينَا وَقَلْنَا : الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ
لَهَا مَهْلٌ لَا يُسْتَطَاعُ دِرَاكُهُ وَسَابِقَةٌ مِلْحَبٌ لَا تَتَحَوَّلُ
سُنُولِيكَ عُرْفًا إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا وَنَحْنُ لَتَلِكِ الْحَاجِبِيَّةِ أَوْصَلُ

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَمَّيْتَنِي لَكَ خُلَّةً ، وَمَا أَنَا لَكَ ، وَعَرَضْتَ عَلَيَّ
وَصَالِكَ وَمَا أَرِيدُ (٢) ، هَلَّا قُلْتَ كَمَا قَالَ جَمِيل :

يَا رَبُّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَهَا بِالْجَدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
فَأَجَبْتُهَا بِالرَّفْقِ بَعْدَ تَسْتُرٍ حُبِّي بِشِينَةٍ عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِي
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدَرِ قُلَامَةٍ وَصَلْتِكَ كَتَبْتُ أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي

وَرَوَى الْقَالِي (في أماليه) عَنِ الْعَتَبِيِّ قَالَ : دَخَلَتْ عَزَّةٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
بَنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهَا : أَنْتِ عَزَّةٌ كَثِيرٌ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ لَهَا : أَتُرَوِّينَ قَوْلَ
كَثِيرٍ :

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ

(١) ط : « أطلت » ، صوابه في ش والأمالي والديوان .

(٢) في الشعراء ٤٨٩ : « وما أريد ذلك وأن أردت » .

قالت : لأروى هذا ، ولكنى أروى قوله :

كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أُعْرِضْتُ مِنْ الصُّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعُصْمُ زَلْتُ
صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتِ
وروى ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) أن عائشة بنت طلحة قالت
لعزة : أَرَأَيْتِ قَوْلَ كَثِيرٍ :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَى غَرِيمِهِ وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مَعْنَى غَرِيمُهَا
ما كان ذلك الدين ؟ قالت : وعدته قُبْلَةً فَتَحَرَّجْتُ مِنْهَا . فقالت :
اقضِهَا وَعَلَى إِيْمِهَا .

قال صاحب الأغاني : كان ابن إسحاق يقول : كثيرٌ أشعر أهل
الإسلام ، وكانت له منزلة عند قريش وقدرٌ ، وكان عبدُ الملك معجباً بشعره .
وقال الجُمَحِيُّ : كان لكثيرٌ في النسيب نصيبٌ وافر ، وكان له من فنون الشعر
ماليس لجميل ، وكان راويةً جميل . وإِثْمًا صَغُرَ اسْمُهُ لشدَّةِ قصره وحقارته .
وقال الوقَّاصِي : رأيتُ كثيرًا يطوف بالبيت فمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يريد على ثلاثة
أشبار فلا تصدِّقه ، وكان إذا دخل على عبد الملك أو أخيه عبد العزيز يقول :
طَاطَىءُ رَأْسِكَ لَا يَصِيبُهُ السَّقْفُ ! وهجاءُ الحزِينُ الكِنَانِيُّ ^(١) بقوله :

(١) في النسختين : « الحر بن الكنانى » ، والصواب مأثبت ، والحزین لقب له ، واسمه عمرو بن
عبيد بن وهب بن مالك ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، حجازى . وكان هجاءً متكسباً بالشعر . وقد
وفد الى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك . الأغاني ١٤ : ٧٤ — ٨٢ والمؤتلف ٨٨ .

قصير قميص فاحشٌ عندَ بيته يَعِضُ القَرَادُ بِاسْتِهِ وَهُوَ قائمٌ^(١)

وروى صاحب الأغاني عن طلحة بن عبيد الله قال : مارأيت أحق من كثير ، دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وهو مريض ، وكنا كثيراً مانهزأ به وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً ، فقلت له : كيف تجذك يا أبا صخر ؟ قال : أجدني ذاهباً . قلت : كلاً . قال : فهل سمعت الناس يقولون في شيئاً ؟ قلت : نعم ، يتحدثون بأنك الدجال . قال : أما لئن قلت ذاك فأنتي لأجد في عيني هذه ضِعفاً منذ أيام . فقال له محمد بن علي : تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان ! قال : إنما أسخر منهم وأجعلهم حَيَاتٍ وعقارب ، وأخذ أموالهم .

٣٨٣

وكانت وفاته في خلافة يزيد بن عبد الملك بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . قال جُويرية بن أسماء : مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ، فقال الناس : اليوم مات أفقه الناس وأشعر الناس ! ولم يتخلف رجلٌ ولا امرأة عن جنازتيهما ، وذلك في سنة خمس أو سبع ومائة . وغلبت النساء على جنازة كثير يكيه . ويقال : إنه لما حضرته الوفاة قال : برئت إلى الإله من ابنِ أروى ومن دين الخوارج أجمعينا ومن عمرٍ برئت ومن عتيق غداة دُعِيَ أمير المؤمنين ثم خرجت رُوحُهُ كأنها حصاةٌ وقعت في ماء .

قال ابن السِّيد (في شرح أبيات الجُمَل) : هذا الشعر من حماقة ورَفْضِهِ . وابن أروى هو عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقد أظنّب الأصهباني (في الأغاني) في ترجمته .

(١) في الأغاني ٨ : ٢٨ : « قصير القميص » . وفي الحيوان ٥ : ٤٤٠ : « يكاد خليلي من تقارب شخصه » ، وفي الحماسة ١٨٨٠ : « أظن خليلي من تقارب شخصه » ، وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٢٩ : « رأيت خليلي » .

عطف البيان

أنشد فيه :

* أقسم بالله أبو حفص عُمر *

تقدم الكلام عليه في الشاهد الثامن والخمسين بعد الثلاثئة (١).

* * *

وأنشد بعده :

* أنا ابنُ التاركِ البكرى بشر *

تقدّم أيضاً ما يتعلق به في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (٢). والله أعلم.

(١) في هذا الجزء الخامس ص ١٥٤ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٤ .

المبنيات المضمر

أنشد فيه :

(هذا سراقا للقرآن يدرسه)

تمامه :

(والمرء عند الرشا إن يلقها ذيبٌ)

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد الثاني والثانين^(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الثلاثئة^(٢):

٣٧٤ (إذا زَجَرَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ)

تمامه :

(وخالف والسَّفِيهُ إلى خلاف)

على أن الضمير في « إليه » راجع على المصدر المدلول عليه بالوصف ،
أى إلى السفه .

وهذا البيت أوردّه الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ
أَمِنَ بِاللَّهِ﴾^(٣) في توجيه صحّة الخبر عن المبتدل فيه، قال: من كلام الغزب

(١) الخزانة ٢ : ٣ .

(٢) مجالس ثعلب ٧٥ والخصائص ٣ : ٤٩ والمختضب ١ : ١٧٠ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٦٨ ،
١١٣ ، ٣٥٥ / ٢ : ٢٠٩ والإنصاف ١٤٠ والمجمع ١ : ٦٥ .

(٣) الآية ١٧٧ من سورة البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٠٤ .

قولهم : « إِنَّمَا الْبِرُّ الصَّادِقُ الَّذِي يَصِلُ رَحْمَهُ وَيُخْفِي صِدْقَتَهُ » فيجعل الاسم خيراً للِفْعَل ، والفعل خيراً للاسم ، لأنه أمرٌ معروفٌ المعنى . فأما الفعل الذي جُعل خيراً للاسم فقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ^(١) ﴾ فهو كنايةٌ عن البخل . فهذا لمن جعل الذين في موضع نصب وقراها « تحسبن » بالتاء من فوق ، ومن قرأً بالياء من تحت جعل الذين في موضع رفع وجعل « هو » عماداً للبخل المضمر ، فاكتمى بما ظهر في يبخلون من ذكر البخل . ومثله في الكلام :
هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمُ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ ^(٢)

وقوله « به » يريد بالملك . وقال الآخر :

* إِذَا نُهِىَ السَّقِيُّ جَرَى إِلَيْهِ * الْبَيْت

يريد : إلى السَّفَه . انتهى .

وأنشده ثعلب أيضاً (في أماليه) وقال : أى جرى إلى السَّفَه . واكتفى بالفعل من المصدر .

وأورده ابن جنى أيضاً (في إعراب الحماسة) عند قوله :

وَلَمْ أَرِ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ أَقَلَّ بِهِ مِنَّا عَلَى قَوْمِهِمْ فَخَرَا

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الحادى عشر بعد الثلاثئة ^(٣) .

وأورده (في المحتسب) أيضاً عند قراءة الأعمش : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

(١) الآية ١٨٠ من آل عمران . وقراءة « ولا تحسبن » بالتاء ، هى قراءة حمزة ، ووافقه المطوعى .

وقرأ سائر السبعة « ولا يحسبن » بياء الغائب . تفسير أبى حيان ٣ : ١٢٨ وإتحاف فضلاء البشر ١٨٢ .

(٢) للقطامي في ديوانه وهو آخر قصيدة له يمدح فيها قريشا وبنى أمية ، وعبد الواحد الأموى .

وانظر أمالى بن الشجرى ١ : ٣٥ .

(٣) الخزائن ٤ : ٣٦٤ .

الدنيا يؤتته منها وَمَنْ يرد ثواب الآخرة يؤتته منها وسيجزي الشاكرين ﴿١﴾ بالياء
فيهما . قال : أضمر الفاعل لدلالة الحال عليه ، وإضماره فاش ، وعليه قوله :
إذا زجر السفية جَرى إليه البيت

أقول : هذا ليس من قبيل إضمار الفاعل في قراءة الأعمش كما هو
ظاهر . وقوله بعد هذا وكما أضمر المصدر مجروراً ، أعنى الهاء في إليه ، يعنى إلى
السففة كذلك أيضاً أضمره مرفوعاً بفعله ، لم أفهم معنى قوله : أضمره مرفوعاً
بفعله (١) . وفاعل جرى وخالف ضمير السفية .

وأورده ابنُ الشجرى أيضاً عند شرح قول الشاعر :
ومن يكُ بادياً ويكن أخاه أباً الضحَّاكِ ينتسج الشمالا (٢)
قال : الهاء في قوله أخاه عائدة إلى البدو الذي هو ضدُّ الحضَر ،
يقال بدا فلان يبدو بدوً ، إذا حلَّ في البدو ، دلَّ على عود الهاء إلى البدو قوله
بادياً ، كما دل السفية على السفه فأضمره القائل :

إذا نهى السفية جرى إليه البيت .
ومثله قولُ القطامي :

* هُمُ الملوك وأبناء الملوك لهم *

البيت المذكور . ثم ذكر كلام الفراء من غير أن يعزوّه إليه . ثم قال ومثل
ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٣) ، أى يرض الشكر .

(١) لم ينتبه صاحب الخزانة الى مايعنيه ابن جنى ، فانه قصده بذلك ماأنشده في المختص ١ :
١٧٠ من قول الشاعر :

ومخوفات قد علا ألوانها أسار جرد مترصات كالنوى
وقال : «أى قد علا التجويف ألوانها» فهذا معنى قوله «أضمره أى المصدر — مرفوعاً بفعله».

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥ .

(٣) الآية ٧ من الزمر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾^(١) أى فزادهم قول الناس إيماناً . قال : وقوله : أبأ الضحاك ، نصب على النداء ، فكأنه قال : ومن يك بادياً ويكن أخا البدو يأبأ الضحاك . وجعله أخا البدو كقولك : يأخا العرب ويأخا الحضر .

وإنما قال : ومن يك بادياً ثم قال : ويكن أخا البدو ، لأنه قد يحل في البدو من ليس من أهل البدو ، فسُمي بادياً مادام مقيماً في البدو . والشمال هنا : وعاء كالكيس يُجعل فيه ضرع الشاة يحفظ به . يقال شملت الشاة ، أى جعلت لها شِمَلاً . ويتنسج : يفتعل من قولك نسجت الثوب . فالمعنى : من يكن من أهل البدو يمارس ما يحتاج إليه الغنم . انتهى مختصراً .

وقوله : (إذا زُجر) هو بالبناء للمفعول ، ورواه الجماعة «إذا نُهي» مثله . ومتعلق النهي عامٌ محذوف ، أى عن أى شيء كان . وقوله : (وخالف) مفعوله محذوفٌ أى خالف زاجره . وقوله (والسفيه إلى خلاف) جملة تذييلية ؛ أى شأن السفيه الميل إلى مخالفة الناصح .

وهذا البيت لم يعزه القرأء إلى أحد . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الثلاثئة :

٣٧٥ (ولو أن الأطباء كانوا حولي وكان مع الأطباء الأساءة^(٢))

على أنه قد يُستغنى بالضمّة عن واو الضمير في ضرورة الشعر كما هنا فإن الأصل : ولو أن الأطباء كانوا حولي ، فحذفت الواو ضرورة ، وبقيت الضمة دليلاً عليها .

(١) الآية ١٧٣ من آل عمران .

(٢) معاني القرآن ١ : ٨٩ ومجالس ثعلب ١٠٩ والإنصاف ٣٨٥ . ٧٥٣ وابن يعيش ٧ : ٥ /

٩ : ٨ والعينى ٤ : ٥٥١ والجمع ١ : ٥٨ .

وأورده الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ فلا تخشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنُوا بَعِثَ اللَّهُ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾^(١) قال : قوله واخشوني أثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها ، وكل ذلك صواب . وإثما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدل عليها ، وليست العرب تهاب^(٢) حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوراً . من ذلك : « أَكْرَمَ » و « أَهَانِ » في سورة الفجر^(٣) وقوله : ﴿ أَتَمْتُونِي بِمَا لَا يَنْفَعُنِي ﴾^(٤) . ومن غير النون : « الْمُنَادِ »^(٥) و « الدَّاعِ »^(٦) وهو كثير ، يكتفى من الياء^(٧) بكسرة ما قبلها ، ومن الواو^(٨) بضمة ما قبلها مثل قوله : ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾^(٩) ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ ﴾^(١٠) وما أشبهه . وقد تُسقط العرب الواو وهي واو جمع^(١١) اكتفاء بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا : قد ضَرَبُ ، وفي قالوا : قد قالُ . وهي في هوازن وعليا قيس^(١٢) . أنشدني بعضهم :

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .

(٢) في معاني الفراء : « وليست تَهَيَّبُ العرب » .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من الفجر .

(٤) الآية ٣٦ من المل .

(٥) الآية ٤١ من ق .

(٦) في الآيتين ٦ ، ٨ من القمر .

(٧) ش : « استغنى عن الياء » ، وما أثبت من ط يطابق ما في معاني الفراء .

(٨) ش : « وعن الواو » ، وما أثبت من ط يطابق ما في معاني الفراء .

(٩) الآية ١٨ من العلق .

(١٠) الإسراء ١١ .

(١١) معاني القرآن : « وهي واو جماع » .

(١٢) هذا معاني معاني القرآن . وفي النسختين : « وعليا قيس » .

إذا ماشاء ضرؤوا من أرادوا [ولا يألوهم أحدٌ ضرارا ^(١)]
وأنشدني الكسائي :

متى تقول خلّت من أهلها الدار ^(٢)] كأنّهم بجناحي طائر طاروا ^(٣)
وأنشدني بعضهم :

فلو أن الأطباء كان عندي البيت

وتفعل ذلك في ياء التأنيث من تحت ، كقول عنترة :
إنّ العدو لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضب
يحذفون الياء وهي دليل على الأنثى ، اكتفاءً بالكسر ^(٤) . انتهى .
وظاهر كلامه أن هذا لغة لازورة .

وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً في سورة المؤمنين شاهداً لقراءة من
قرأ : ﴿ قد أفلح ^(٥) ﴾ بضم الحاء اجتزاء بالضمّة عن الواو ، والأصل قد
أفلحوا ، على لغة أكلوني البراغيث .

ونقل ابن هشام (في المغني) في الجهة الرابعة من الكتاب الخامس ، عن

(١) في تفسير أبي حيان ٤ : ٢٥٦ : «ولألّوهم أحد ضرارا» ، وكذا في الإنصاف .

(٢) التكملة من معاني القرآن . وبدونها يفسد القول ، إذ يظل الشطر السابق ، وهو من الوافر ،
صدرا للعجز التالي وهو من بحر البسيط .

(٣) وكذا رسمت في معاني القرآن . وفي ش مع أثر تصحيح «طار» طبقاً لما تقتضيه القراءة
للاستشهاد بحذف الواو .

(٤) في معاني القرآن : « بالكسرة » .

(٥) الآية الأولى من سورة المؤمنين .

التبريزي ، في قراءة يحيى بن يعمر: ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ^(١)﴾ بالرفع أن أصله أحسنوا ، فحذفت الواو اجتزاءً عنها بالضممة ، كما قال :

إذا ماشاء ضروا من أرادوا البيت

ثم قال : وحذفت الواو . وإطلاق الذى على الجماعة ليس بالسَّهْل ، والأولى قول الجماعة إنه بتقدير مبتدأ ، أى هو أحسن . وأما قول بعضهم فى قراءة ابن محيصن : ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة^(٢)﴾ إن الأصل أن يتموا بالجمع ، فحسُنْ لأنَّ الجمع عَلَى معنى مَنْ . ولكن أظهرُ منه قول الجماعة : إنه جاء عَلَى إهمال أن الناصبة . انتهى مختصراً .

وهذا الكلام أيضاً يدلُّ عَلَى أنه غير ضرورة .

وأورده المرادى^٣ (فى شرح الألفية) كذلك ، ولم يقيده بضرورة .

وفى البيت شاهدٌ آخر ، وهو قصر الممدود ، وبه أورده ثعلب (فى أماليه) قال : قُصِرَ الأطباء فى أول البيت ومُدَّ فى آخره وأصله المد . وأما قوله : « كَأَنَّ حَوْلِي » فإنه اكتفى بالضممة عن واو الجمع . هذه عبارته .

وأورده ابن الأنبارى أيضاً (فى مسائل الخلاف) فى موضعين بالوجهين ذكره فى المسألة الخامسة والسبعين^(٣) فى مسألة فعل الأمر هل هو معرب أو مبنيّ

٣٨٦

(١) قراءة فى الآية ١٥٤ من الانعام . وقد شارك يحيى فى هذه القراءة ابن أبى اسحاق كما فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٥ . وقراءة الجمهور : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن » بفتح النون على أنها فعل ماض .

(٢) الآية ٢٣٣ من البقرة . ونسبت القراءة إلى مجاهد فى البحر المحيط ٢ : ٢١٣ .

(٣) هى المسألة الثانية والسبعون فى نشرة الأستاذ الشيخ محيى الدين .

عَلَى أَنَّ الْاِكْتِفَاءَ بِالضَّمَّةِ ضَرُورَةٌ . وَأُورِدَ فِي الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ (١) فِي الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، عَلَى قَصْرِ الْأَطْبَاءِ لَضَرُورَةِ الشَّعْرِ . قَالَ : وَالْقِيَاسُ يُوجِبُ مَدَّهُ ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي طَبِيبٍ [أَنْ (٢)] يَجْمَعُ عَلَى طُبِيَّاءَ ، كَشَرِيفٍ وَشُرَفَاءَ ، إِلَّا أَنَّهُ اجْتَمَعَ حُرَفَانِ مُتَحَرِّكَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، فَاسْتَقْلَوْا اجْتِمَاعَهُمَا فَنَقَلُوهُ مِنْ فُعْلَاءَ إِلَى أَفْعَلَاءَ ، فَصَارَ أَطْبِيَاءَ ، فَاسْتَقْلَوْا أَيْضًا اجْتِمَاعَ حُرَفَيْنِ مُتَحَرِّكَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، فَنَقَلُوا كَسْرَةَ الْبَاءِ إِلَى الطَّاءِ وَأَدْغَمُوا . وَأَطْنَبَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَبَيَّنَّ حُجَجَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَجَاءَ بِمَا يَجْلُو الْعَيْنَ ، وَيَمْحُو عَنْ الْقَلْبِ الرَّيْنَ وَرَوَى بَعْدَ الْبَيْتِ الشَّاهِدِ بَيْتًا ثَانِيًا ، وَالرَّوَايَةُ عِنْدَهُ هَكَذَا : (فَلَوْ أَنَّ الْأَطْبَاءَ كَانُوا حَوْلِي وَكَانَ مَعَ الْأَطْبَاءِ الشُّفَاءُ إِذَنْ مَا أَذْهَبُوا أَلْمًا بَقَلْبِي وَإِنْ قِيلَ : الشُّفَاءُ هُمُ الْأَسَاءُ) وَالطَّبُّ بِالْكَسْرِ فِي اللُّغَةِ : الْحِذْقُ . وَالطَّبِيبُ : الْحَازِقُ . وَالْأَسَاءَةُ : جَمْعُ آسٍ ، كَقَضَاةٍ جَمَعَ قَاضٍ . قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الْآسِيُّ : الطَّبِيبُ . وَكَذَلِكَ الشُّفَاءُ : جَمْعُ شَافٍ .

وَقَوْلُهُ : (إِذَنْ مَا أَذْهَبُوا) جَوَابُ لَوْ . وَرَوَايَةُ الْعَيْنِ تَقْدِيمُ الْأَسَاءَةِ فِي قَافِيَةِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَتَأْخِيرُ الشُّفَاءِ فِي قَافِيَةِ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَلَمْ يَعْزِهُمَا الْفَرَاءَ فَمِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَحَدٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ . وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س (٣) :

(١) هِيَ الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ فِي نَشْرِ الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الدِّينِ .

(٢) التَّكْمِلَةُ مِنَ الْإِنْصَافِ ٧٥٣ .

(٣) فِي كِتَابِهِ ٣٢٦:١ . وَانْظُرْ دِيْوَانَ الْفَرَزْدَقِ ٥٠ وَالْخَصَائِصَ ١٩٤:٢ وَأَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١٣٣:١ وَابْنُ يَعْيشَ ٨٩:٣ / ٧:٧ وَالْمَعْمُوعَ ١٦٠:١ . وَسَيَأْتِي أَيْضًا فِي ٢٩٣:٣ ، ٤/٣٣٤ : ٥٥٤ بُلَاق .

(بَحْوَرانَ يَعَصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِيْهُ) ٣٧٦

على أَنَّهُ جاء على لغة أَكلوني البراغيث .
قال سيبيويه: واعلم أَنَّ من العرب من يقول ضربوني قومك، وضرباني
أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يُظهرونها في قالت فلانة، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا
للجمع علامةً كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة. قال الشاعر:
ولكن دِيافِيَّ أبوه وأُمُّه بَحْوَرانَ يَعَصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِيْهُ
انتهى .

فأقاربه فاعل يعصر، والنون علامة لكون الفاعل جمعاً، كتاء التأنيث.
قال ابن هشام (في شرح شواهد): إنما قال: يعصرن لأنَّه شَبَّههم
بالنِّساء لأنهم لاشجاعة لهم، والخدمة والتبذل في العرب إنما هو للنِّساء، وإمَّا
الرجال فشغلهم بالحروب . وقيل: شَبَّهه بِبَعِير دِيافِيٍّ، ثم أقبل يصف أقارب
البعير وأقاربه جمال، فلذلك جاء بالنون. انتهى.

أقول : الوجه الثاني بعيد لا قرينة له ، ويزيده بعداً يعصرن السليط.

قال ابن خلف : وفي رفع أقاربه أوجهٌ آخر : أحدها : يجوز أن يكون مبتدأ
ويعصرن خبر مقدم عليه ؛ وهذا سائغ عند أهل البصرة كما قالوا : مررت به
المسكينُ ، يريدون: المسكينُ مررت به . وقال أبو علي : وفيه مع هذا قبح ، لأن
الخبر جملة وليس بمفرد ، فلا ينبغي أن يجوز فيه ما جاز في الأصل الذي هو المفرد .
وأهل الكوفة لا يميزون مثل هذا . ويحتمل أن يكون رفعاً بَحْوَرانَ ويكون بحوران
صفة لديافي ، ويعصرن حالاً من الأقارب . ويجوز أن يكون بدلا من النون كما قيل
في : ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١) . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر،

والجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّر ، كأنه لما قيل بحوران يعصرن السِّلِيطَ فقيل : من هم ؟ فقال : هم أقاربه .

أقول : هذه الوجوه الأربعة مبنية على أنَّ النون ضمير ، وهذه النون في البيت سواء كانت حرفاً أم اسماً ، تدلُّ على صحة ما نقله الشارح المحقق في باب التوكيد عن الأندلسي ، من جواز رجوع ضمير جماعة المؤنث إلى الجمع المكسر العاقل ، فكان ينبغي أن يستدلَّ بهذا البيت دون البيت المتقدم لحفائه كما تقدم .

وقوله : (ديافى) خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : لكن أنت ديافى ، يدلُّ عليه قوله فيما قبله : لو كنت ضبيّاً ، أو هو ديافى : لقوله فلو كان ضبيّاً كما يأتي . وهو منسوبٌ إلى دياف بكسر الدال بعدها مثناة تحتية وآخره فاء . قال صاحب العباب : دِيافٌ من قرى الشام ، وأهلها نَبَطُ الشام ، وتنسب الإبل إليها والسيوف . وإذا عرَّضوا برجل أنه نَبَطِيٌّ نسبوه إليها . قال :

ولكن ديافى أبوه وأمه

وهذا يدلُّ على أنَّ ديافاً بالشام لا بالجزيرة كما قيل ، لأنَّ حوران من

رساتيق دمشق .

وكذا قال الحسن السكري ^(١) (في شرح ديوانه) : وقال جرير :

إنَّ سليطاً كاسمه سليطٌ لولا بنو عمرو وعمرو عيطٌ ^(٢)

* قلت : دِيافيون أو نبيط ^(٣) *

(١) السكري هذا هو الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن العتكي ، أبو سعيد . ولد

سنة ٢١٢ وتوفى سنة ٢٥٥ وهى سنة وفاة الجاحظ .

(٢) عيط : جمع أعيط وعيطاء ، وهو الطويل العنق . وفي معجم البلدان : « والعيط الضخام ،

واحدهم أعيط » .

(٣) عقب عليه ياقوت في (دياف) بقوله : « يقول : هم نبيط الشام أو نبيط العراق » .

أراد : عمرو بن يربوع ، وهم خلفاء بني سَلِيط .

وقال الأخطل :

كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حَجَرَاتِهِ

أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيافٌ لَصِرْخَدًا^(١) . انتهى

ولم يورد أبو عبيد البكري دِياف (في معجم ما استعجم) .

و(أبوهِ) مرفوعٌ بديافٍ لأنه خيرٌ سَبِيٍّ . وأتى بضمير الغيبة لأنَّ التقدير أنت رجل دِيافٍ أبوه . وأمه معطوفٌ عليه . وقوله (بَحْرُوان) متعلّقٌ بـيعصرن ، وجملة (يعصرن) صفةٌ لديافٍ ، وضمير (أقاربه) راجعٌ عليه . هذا هو الظاهر . وذكر ابن خلف أوجهاً متعسِّفةً في إعراب كلّ لفظةٍ من هذا البيت لفائدة في نقلها .

و(يعصرن) بكسر الصاد قال صاحب المصباح : عصرت العنب ونحوه عصرًا ، من باب ضرب : استخرجت ماءه ، وأراد هنا يستخرجن السَلِيطَ ، بفتح السين وكسر اللام . قال الصاغاني (في العباب) : السَلِيطُ : الزيت عند عامّة العرب ، وعند أهل اليمن : دهن السمسم . وقال ابن دريد وابن فارس : السَلِيطُ بلغة أهل اليمن . وبلغة من سواهم : دهن السمسم . أقول : الأمرُ على خلافه ، فإنّي سمعت أهل مكة جرسها الله تعالى وأهل تهامة واليمن يسمّون دهن السمسم : السَلِيطَ . انتهى .

(١) في النسختين : « لصرخد » ، صوابه من ديوان الأخطل ٩٧ . وصرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، قال ياقوت : « وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب إليها الحمر » . والبيت من قصيدة مفتوحة الروى مطلعها :

صحا القلب إلا من طعائن فاتنى بين أمير مستبد فأصعدا

وقال ابن خلف : السِّلِيطُ: الشَّيرَج (١) وهو هنا الزيت ؛ لأنَّ حَوْران من مدن الشام ، وأهلها نبط ، فهى بعصر الزيت أشهر منها بعصر الشيرج . وقد يجوز أن يكون الشَّيرَج ، لأنَّه يعصر بالشام كما يعصر الزيت . والدليل على أنَّ السِّلِيط يقع على الزيت قولُ النابغة الجعديّ :

أضاءت لنا النارُ وجهاً أغرَّ ملتبساً بالفؤاد التباساً
يضيءُ كضوءِ سراجِ السِّلِيطِ لم يجعل الله فيه نُحاساً
والتُّحاس : الدخان ، وذلك معدوم فى الزيت ، وأمَّا الشَّيرَج فكثير الدخان . هجاءُ بذلك إذ جعله من أهل القرى المستخدمين لإقامة عيشهم (٢) ، ونفاه عما عليه العرب من الانتجاع والحرب .

٣٨٨

والبيت من أبيات للفرزدق ، وهى :

صاحب الشاهد
أبيات الشاهد
(سَتَعْلَمُ ياعَمْرُو بنَ عَفْرِى من الذى يُلام إذا ما الأَمْر عِثَّ عَوَاقِبُهُ
فلو كنتَ ضَيِّباً صفحتُ ولو سرت على قدمى حَيَّاتِهِ وعقاربِهِ
ولكن دِيافىَّ أبوه وأُمُّه بحَوْرانَ يَعصرن السِّلِيطَ أَقاربُهُ
ولمَّا رأى الدَّهْناً رَمَتْه حبالُها وقالت دِيافىُّ مع الشام جانبهِ
فإن تَغَضِبِ الدَّهْناً عليك فما بها طريقٌ لَزِيَّاتٍ تُقَاد رِكائبُهُ

(١) الشَّيرَج : دهن السمسم ، كما فى تاج العروس . وفى الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير
٨٩ : « الشَّيرَج : دهن السمسم ، ويقال الشيرج أيضاً ، تعريب شير » . وفى شفاء الغليل ١٠٧ :
« سِرَج بكسر السين المهملة : دهن السمسم ، مغرب شير ، مولد » .

وفى معجم استنجاس ٧٧٤ أن « شير » من معانيها « زيت السمسم » .

(٢) ط : « عيشهم » ، صوابه بالشين كما فى ش .

تَضِنَّ بِمَالِ الْبَاهِلِيِّ كَأَتَمَّا تَضَنَّ عَلَى الْمَالِ الَّذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ
وَأَنَّ أَمْرًا يَغْتَابُنِي لَمْ أَطَأْ لَهُ حَرِيمًا وَلَا تَنْهَاهُ عَنِّي تَجَارِيهِ (١)
كَمَحْتَطِبٍ يَوْمًا أَسَاوَدَ هَضْبِيهِ أَتَاهُ بِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَاطِبُهُ
أَحِينَ التَّقَى نَابَأَى وَابْيَضَّ مِسْحَلِي وَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الْكَرَا مِنْ أَحَارِيهِ (

روى صاحب الأغاني بسنده عن محمد بن سلام قال :

أَنَّ الْفَرَزْدَقَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيُّ فَسَأَلَهُ ، فَتَقَلَّ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ
وَحِشْيِهِ فِي الْقَلِيلِ ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عَفْرَاءَ الضُّبِّيُّ رَاوِيَةُ الْفَرَزْدَقِ ، وَقَدْ هَجَاهُ
وَابْنَهُ (٢) الْفَرَزْدَقُ فِي قَوْلِهِ :

نَبَّئْتُ جَوَابًا وَسَكْنَا يَسْبُنِي وَعَمْرُو بْنُ عَفْرَى لِاسْلَامٍ عَلَى عَمْرٍو (٣)

فَقَالَ ابْنُ عَفْرَاءَ الضُّبِّيُّ : لَا يَهْوِلُنَّكَ أَمْرُهُ . فَقَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ :
أَنَا أَرْضِيهِ عَنْكَ بَدُونِ مَا كَانَ هَمٌّ لَهُ بِهِ . فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ ، فَبَلَغَ الْفَرَزْدَقُ
صَنِيعَ عَمْرٍو فَقَالَ هَذِهِ الْآيَاتُ .

قَالَ : فَأَتَاهُ ابْنُ عَفْرَاءَ فِي نَادَى قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ : اجْهَدْ جِهْدَكَ ، هَلْ هُوَ
إِلَّا هَذَا ، وَاللَّهِ لَا أَدْعُ لَكَ مَسَاءَةً إِلَّا أَتَيْتُهَا ، وَلَا تَأْمُرْنِي بِشَيْءٍ إِلَّا اجْتَنَبْتَهُ ، وَلَا
تَنْهَانِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا رَكِبْتَهُ . قَالَ : فَاشْهَدُوا أَنِّي أَنْهَاهُ أَنْ يَنْبِكَ أُمُّهُ . فَضَحَكَ
الْقَوْمُ وَخَجَلَ ابْنُ عَفْرَاءَ .

وَرَوَى أَيْضًا بَعْدَ هَذَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنْ يُونُسَ النَّحْوِيِّ قَالَ :

(١) في ط : « عنه تجاربه » ، صوابه في ش .

(٢) في الأغاني : « وقد هجا حرما وابنه »

(٣) كذا ورد « عفري » بالياء في ط ، لكن في ش « عفرا » ، كما هو المؤلف . وسيأتى في كلام
البغدادي : « وعفراء بالمد ، قصر ضرورة فكتب بالياء » .

مدح الفرزدق عمرو بن مسلم الباهلي فأمر له بثلاثة درهم ، وكان عمرو بن عفراء الضبي صديقا لعمرو ، فلامه وقال : أعطى الفرزدق ثلاثة درهم ، وإنما كان يكفيه أن تعطيه عشرين درهما ؟! فبلغ ذلك الفرزدق فقال : نهيئت ابن عفرى أن يعفر أمه كعفر السلي إذ جرّده ثعالبه وإنّ امرأ يغتابني لم أطأ له حرما فلا تنهأ عني أقرابه كمحتطب ليلا أساود هضبة أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه ألما استوى ناباي وايض مسحلي وأطرق إطراق الكرا من أحاربه فلو كان ضيبا صفحت ولو سرت على قدمي حيّاته وعقاربه ولكن دياي أبوه وأمه بحوران يعصرن ... (البيت) . انتهى .

وقال ابن خليف ، وصاحب العباب :

سبب هذا الشعر أنّ عمرو بن عفراء الضبي قال لعبد الله بن مسلم ^(١) الباهلي : [وقد أعطى] الفرزدق خلعة ^(٢) ، وحمله على دأبه وأمر له بألف درهم ، فقال له عمرو بن عفراء : ما يصنع الفرزدق بهذا الذي أعطيته ، إنّما يكفي الفرزدق ثلاثون درهما ، يزني بعشرة ، ويأكل بعشرة ، ويشرب بعشرة . فهجاه الفرزدق بهذا . انتهى .

٣٨٩

وكذا رأيته (في شرح ديوانه للحسن السكري من رواية ابن حبيب) .
وقوله : « ستعلم يا عمرو » إلخ هذا تهديد . وعفراء بالمد ، قصر ضرورة فكتب بالياء ، وهي أمه . وعى بمعنى لم يهتد لوجهه .

(١) في الأغاني ١٩ : ١٣ وكذا ديوان الفرزدق ٥٠ : « عبد الله بن سلم » .

(٢) يمثل هذه التكملة يلتزم الكلام . وفي ديوان الفرزدق : « وكان عبد الله بن سلم الباهلي أعطى الفرزدق جعلته » ، وفيه تحريف .

(٣) هذا ما في ش . وفي ط : « حلقة » ، تحريف . والخلعة من الثياب : ما خلعت فطرحة على آخر أو لم تطرحه .

وقوله : « فلو كنت ضيبا » إلخ ، نفاه عن قبيلته لكونه سكن القرى ، ولم يكن على طريقة العرب .

وقوله : « ولما رأى الدهنا » إلخ الدهنا يمد ويقصر ، وهو موضع ببلاد تميم . وجبالها : أسبابها .

وديا في بتقدير هو ديا في ، وجملة « مع الشام جانبه » صفة له ، وجواب لما محذوف ، والتقدير سكن الشام ونحوه . وقال الحسن السكري : الواو هنا مقحمة في وقالت ، لا موضع لها ، أراد : قالت . انتهى .

وقوله : « فَإِنْ تَغَضَّبَ الدَّهْنُ » هذا وجه رمى الدهنا ^(١) له ، فإنه سوقٌ يتاجر بالزيت . والدَّهْنُ لاتقبل مَنْ هو كذا . وقوله : تَضَنُّ ، أى تبخل . وقوله : « كمحتطب يوما » إلخ هو خبر إن في قوله وإنَّ امرأ ، وهو الذى يجمع الحطب . والأساود : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيات ، وفيه سواد . والهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض ، أشار إلى المثل المشهور لمن يتكلم بالغث والسمين : « حاطبُ ليل » ؛ لأنه لا يصر ما يجمع في حبله ؛ ربما يجمع في خطبه حية يكون هلاكه بها .

وقوله : « أحيانَ التقى ناباى » إلخ التقاء النابين واستواؤهما كناية عن بلوغ الأشدُّ . والمِسْحَل بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين . عارضُ الرجل ، أى صفحة خده . وأطرق ، أى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . والكرا : لغة في الكروان . يقول : أيؤذنينى فى وقتٍ شدتْى وحين تهابُنْى أقرانى وأطرقوا منى كإطراق الكروان . والاستفهام إنكارى .

وقوله : « نهيت ابن عفرى أن يعفر أمه » إلخ التعفير : التريغ فى التراب .

(١) ش : « الدهناء » فى هذا الموضع وتاليه .

والسَّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هو الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الثلاثة ^(١) :
 ٣٧٧ (إِنْ كُنْتُ أَدْرِى فَعَلَىٰ بَدَنُهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيْطِ أَتَىٰ مِنْ أَنَّهُ)
 عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ بَيَّنُّ فِتْحَ أَنَا فِي الْوَقْفِ بِهَاءِ السَّكْتِ ، كَمَا فِي آخِرِ الْقَافِيَةِ
 فِي هَذَا الْبَيْتِ .

قال ابن جنى (فى سِرِّ الصنّاعة) : فَأَمَّا قَوْلُهُمْ فِي الْوَقْفِ عَلَىٰ أَن
 فَعَلْتُ : أَنَا وَأَنَّهُ ، فَالْوَجْهَ أَن تَكُونَ الْهَاءُ فِي أَنَّهُ بَدَلًا مِنَ الْأَلْفِ فِي أَنَا ، لِأَنَّ
 الْأَكْثَرَ فِي الِاسْتِعْمَالِ إِنَّمَا هُوَ أَنَا بِالْأَلْفِ ، وَالْهَاءُ قَلِيلَةٌ جَدًّا ، فَهِيَ بَدَلٌ مِنَ
 الْأَلْفِ . وَيَجُوزُ أَن تَكُونَ الْهَاءُ أَيْضًا فِي أَنَّهُ أُلْحِقَتْ لِبَيَانِ الْحَرَكَةِ ، كَمَا أُلْحِقَتْ
 الْأَلْفُ ، وَلَا تَكُونَ بَدَلًا مِنْهَا بَلْ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا ، كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « كِتَابِيَّةٌ »
 وَ « حِسَابِيَّةٌ » وَ « سُلْطَانِيَّةٌ » وَ « مَالِيَّةٌ » وَ مَا هِيَ ^(٢) . انْتَهَى

و(البَدَنَةُ) قال صاحب المصباح :قالوا : هى ناقة أو بقرة . وزاد
 الأزهرى :أو بعير ذكر .قال :ولاتقع البدنة على الشاة . وقال بعضُ الأئمة :
 البدنة هى الإبل خاصّة ، وإنّما ألحقت البقرة بالإبل بالسُّنَّة . وقوله (من كثرة)
 متعلّق بالفعل المنفَى ضمناً ، أى ما أدرى مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيْطِ . قال صاحب
 الصحاح : والتخليط فى الأمر :الإفساد فيه . وقوله (أتى) بفتح الهمزة . وقوله
 (مَنْ أَنَّهُ) مَنْ عِنْدَ سَيِّبُوهِه مَبْتَدَأٌ ، وَأَنَّهُ خَبَرٌ ، وَعِنْدَ غَيْرِهِ بِالْعَكْسِ . وَالْجُمْلَةُ فِي

(١) انظر ابن عيش ٣ : ٩٤ وشرح شواهد الشافية ٢٢٢

(٢) نهايات الآيات ٢٥ — ٢٩ من سورة الحاقة .

محل رفع خبر أني ،وجملة أني من أنه في محل نصب، ساد مسد مفعولي أدرى.
وهذا البيت لم أقف له على أثر . والله أعلم .

٣٩٠

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الثلاثئة (١):

٣٧٨ (أنا سيف العشيرة فاعرفوني حُميداً قد تذرَيْتُ السَّناما)

على أن ثبوت ألف (أنا) في الوصل عند غير بنى تميم لا يكون إلا في الضرورة .

قال ابن جنى (في شرح تصريف المازنى) : أما الألف في أنا في الوقف

فزائدة ليست بأصل . ولم تقضى بذلك (٢) فيها من جهة الاشتقاق . هذا

مُحالٌ في الأسماء المضمرة ، لأنها مبنية كالحروف ، ولكن قضينا بزيادتها من

حيث كان الوصل يُزيلها ويُذهبها ، كما يُذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في

الوقف : ألا ترى أنك تقول في الوصل : أن زيدٌ ، كما قال تعالى : ﴿ إني أنا

ربك ﴾ (٣) تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت

على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل كسقوط الهاء التي تلحق في

الوقف لبيان الحركة في الوصل ، وبُيِّنَت الفتحة بالألف كما بُيِّنَت بالهاء ، لأنَّ

الهاء مجاورة للألف . وقد قالوا في الوقف أنه ، فبيَّنوا الفتحة بالهاء كما بيَّنوها

بالألف ، وكلتاهما ساقطة في الوصل . فأما قول الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني البيت

(١) المنصف ١ : ١٠ وابن يعيش ٣ : ٩٣ / ٧٤ والمقرب ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٢٣٢ .

(٢) ط : « ولم يقض في ذلك » ، وفي ش : « ولم يقض بذلك » ، وأثبت ما في المنصف .

(٣) الآية ١٢ من طه .

فإنما أجراه في الوصل على حدّما كان عليه في الوقف . وقد أجريت العرب كثيراً من ألفاظها في الوصل على حدّ ماتكون عليه في الوقف ، وأكثر مايجيء ذلك في ضرورة الشعر . انتهى .

(وحَمِيداً) بدل من ياء اعرفوني لبيان الاسم ، أو هو منصوب على المدح ^(١) . قال أبو بكر الخفّاف (في شرح الجمل) : قال الزجاج : حميداً بدل من الياء ، وهذا لا حجة فيه ، لاحتمال أن يكون منصوباً بإضمار فعل على المدح ، كأنه قال : فاعرفوني مشهوراً. وأتاب قوله حميداً مناب قوله مشهوراً، لكونه علماً . و(حُميد) يروى مصغراً ومكبراً . وأنشد صاحب الصحاح بدله «جميعاً» . و(تذريتُ السَّنامَ) بمعنى علوته [من الذروة ^(٢)] والذروة بالكسر والضم ، وهو أعلى السَّنام . وحقيقة تذريتُ السنام علوت ذروته .

ونسب ياقوتُ هذا البيت (في حاشية الصحاح) إلى حُميد بن بحدل ، صاحب الشاهد شاعر . وقال ابنُ الأعراني : بحدل الرجل ، إذا مالت لثته أي لحم أسنانه ^(٣) . وقال الأزهري : البحدلة : الخفة في السَّعي . قال : وسمعتُ أعرابياً يقول لصاحب له : بِحَدِلْ بِجَدِّكَ . يأمره بالسَّعة في المشي . انتهى .

وحميدٌ مضاف إلى جدّه ، لأنه حُميد بن حريث بن بحدل ، من بني حميد بن حريث كلب بن وبرة ، وينتهي نسبه إلى قضاة .
وحميدٌ شاعرٌ إسلاميٌّ ، وكانت عَمَّتُه ميسونُ بنتُ بحدل أم يزيد بن معاوية .

وكان ابنُ عمه حسَّانُ بن مالك بن بحدل سيّد كلب في زمانه ، وهو

(١) ط : « وهو منصوب على المدح » ، صوابه في ش .

(٢) التكملة من ش .

(٣) الذي في اللسان عن ابن الأعراني : « إذا مالت كتفه » ، ولعله الصواب .

الذى بايع مروان بن الحكم يوم المَرَج ، وكان ولّاه يزيد بن معاوية على فلسطين ^(١) والأردن ، وأخوه سعيد بن مالك بن بحدل على قنسرين ، فلما مات يزيد بن معاوية وثب زفر بن الحارث على سعيد فأخرجه منها وبايع لابن الزبير ، ثم خرج عمير بن الحُباب مُغيراً على بنى كلب بالقتل والنهب ، فلما رأت كلبٌ ، ما لقي أصحابهم ، اجتمعوا إلى حميد بن حريث بن بحدل ، فقتل حميد بنى فزارة قتلاً ذريعاً .

والقصة مفصلة في ترجمة عوف القوافي في الأغاني ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الثلاثمائة ، وهو من أبيات ٣٩١ المفصل ^(٣) :

٣٧٩ (فقلتُ أهى سرت أم عادنى حلم)

هذا عجز ، صدره :

(فقمْتُ للطيف مُرتاعاً فأرقنى)

على أن هاء هي قد تسكن بعد همزة الاستفهام .

وفى التسهيل ما يقتضى أنه قليل ، وفى شرح مصنفه ^(٤) أنه لم يجيء إلا فى الشعر .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : أسكن أول أهى لاتصال حرف

(١) ش : « فلسطين » ، تحريف .

(٢) الأغاني ١٧ : ١١٢ — ١١٣ .

(٣) ابن يعيش ٧ : ١٣٩ . وانظر الخصائص ١ : ٣٥ / ٢ : ٣٣٠ وشرح شواهد الشافية ١٩٠

وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٤٩ والتصریح ٢ : ١٣٢ والأشمونى ٣ : ١٠١ وشرح المروزقى للحماسة ١٣٩٦ .

(٤) هو ابن مالك . وكتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .

الاستفهام به ، وأجراها في ذلك مجرى المتصل ، فصار أَمْيَ كَعَلَمَ ، وأجرى همزة الاستفهام مجرى واو العطف وفائه ولام الابتداء ، نحو قوله ^(١) تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ^(٢) ﴾ وقوله : ﴿ فَهَوَ جَزَاؤُهُ ^(٣) ﴾ ، وقولك : وَهَيَ قَامَت ، وَفَهَيَ جَالِسَةٌ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(٤) ﴾ . غير أن هذا الإسكان مع همزة الاستفهام أضعفُ منه مع ما ذكرناه ، ومن حيث كان الفصل بينهما وبين المستفهم عنه جائزاً ، نحو قولك : أزيد قام وأزيداً ضربت ^(٥) ، وليس كذلك واو العطف وفائه ولا لام الابتداء ، لا يجوز الفصل بين شيءٍ منهن وبين ما وصلن به . فأمّا فصل الظرف في نحو : إِنَّ زَيْدًا لَفِي الدَّارِ قَائِمٌ ، فمغتفرٌ لكثيرته في الكلام ، ألا تراها في هذا البيت مفصلاً بينها وبين ما هي سؤالٌ عنه من اللفظ . وهذا الاتصال أو ضده من الانفصال ، إنما هو شيءٌ راجعٌ إلى موجود اللفظ لا إلى محمول المعنى . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة مسطورة (في الحماسة) عدّتها ثلاثة وأربعون صاحب الشاهد
بيتاً للمرّار العدويّ ، وقبله :

(زارت رُويقة شُعناً بعد ما هَجَعُوا لَدَى نَوَاحِلَ فِي أَرْسَاغِهَا الْعَدَمُ أَيْلَاتُ الشَّاهِدِ
فَقَمْتُ لِلزُّورِ مَرْتَعاً وَأَرْقَنِي البيت

(١) الذي في إعراب الحماسة : « نحو قولك » وكذلك « قوله » التالية ، هي في إعراب الحماسة : « قولك » .

(٢) الأنعام ٣ .

(٣) يوسف ٧٥ .

(٤) ليست هذه من آيات الكتاب .

(٥) ط : « أزيد ضربت » بالرفع ، صوابه في ش وإعراب الحماسة الورقة ١٩٣ .

وكانَ عهدى بها والمشي يَهْظُها من القريب ومنها التَّوم والسَّامُ (١)
وبالتكاليف تأتي بيتَ جارتها تَمْشي الهَوْنِي ومايلو لها قدمُ
سودَّ ذوائبها بيضُ ترائبها دُرْمُ مرافقها في خَلْقها عَمَمُ
رُويقٍ لئى وَمَنْ حجَّ الحَجِيجُ له وما أهلُّ بجنبي نخلة الحُرْمُ
لم يُنيسني ذِكْرُكم مذ لم أَلِقْكُمْ عيشُ سلوت به عنكم ولا قَدَمُ
ولم يشاركك عِنْدِي بَعْدُ غانية لا والذي أصبحت عندي له نِعَمُ

قوله : زارت رُويقة ، يقول : زار خيال رُويقة قوماً شعناً غُبرا بعد ما
ناموا عند إبل ضوامرٍ شَدَّتْ في إرساعها سيور القَيْد ، لشدة سيرها وتأثير
الكلال فيها (٢) .

وقوله : « فقمْتُ للطَّيف » إلخ ، الطَّيف : الحَيَال . وروى : « فقمْتُ
للزَّور » وهو مصدرٌ بمعنى الزائر ، يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر
والمؤنث . و(المرتاع) : الخائف الفرع .

وقد أنشده (صاحب المفضل) لما ذكره الشارح المحقق .

وأنشده ابن الناظم وابن هشام (في شرح الألفية) على أنَّ أم المتصلة
وقعت بين جملتين فعليتين في معنى المفردين ، والتقدير فقلت : أسارت هى أم
عادنى حلمها ، أى أى هذين .

وأنشده ابن هشام في موضعين (من المغنى) .

الأول في أم ، قال : إنَّ أم المعادلة لهمزة الاستفهام تقع بين مفردين،

٣٩٢

(١) في النسختين : « ينهضها » صوابه من الحماسة ، وما سيأتى في التفسير من أن معناه يعيها
قطع المسافة القريبة . وفي اللسان : « بهظنى الأمر والحمل بهظا : أثقلنى وعجزت عنه وبلغ منى مشقة » .

(٢) ط : « لتأثير الكلال فيها » ، صوابه في ش .

وهو الغالب ، وبين جملتين ليستا في تأويل المفردين ؛ وتكونان أيضاً اسميتين [و] فعليتين ^(١) كهذا البيت . قال : وذلك على الأرجح في هي ، من أنها فاعلٌ بمحذوف تفسره سَرَتْ .

والثاني في أول الباب الثاني ، قال : وتقدير الفعلية في أهي ، أكثر رجحانا من تقديرها في : ﴿ أَبَشَّرْ يَهْدُونَا ﴾ ^(٢) لمعادلتها الفعلية . قال ابن الحاجب (في أمالي المفصل) : يريد : إئني قمتُ من أجل الطَّيِّفِ منتبهاً مذعوراً للقائه ، وأرقتي لما لم يحصل اجتماعٌ محقق ، ثم ارتبت لعدم الاجتماع هل كان على التحقيق أم كان ذلك في المنام . ويجوز أن يريد : فقمْتُ للطَّيِّفِ وأنا في النوم إجلالاً في حال كوني مذعوراً لاستعظامها ، وأرقتي ذلك لما انتبهت فلم أجِدْ شيئاً محققاً ، ثم من فرط صبابته شكُّ أهي في التحقيق سَرَتْ أم كان ذلك حلماً ، على عادتهم في مبالغتهم ، كقوله :
* أَنْتِ أَمُ أَمْ سَالِمٌ ^(٣) * انتهى .

قال الدماميني بعد أن نقل هذا (في الحاشية الهندية) : حاصله احتمال كون القيام في اليقظة أو في المنام ، وأما الشكُّ في الاجتماع هل كان في النوم أو في اليقظة فثابتٌ على كلٍّ من الاحتمالين .

وقوله : «وكان عهدي بها» إلخ يقول: كيف يجوز مجيئها وقد عهدتها

(١) زيادة الروا مما يقتضيه صنيع ابن هشام فانه بعد أن أورد البيت على أن «أم» واقعة بين جملتين فعليتين ، ذكر أنها تقع أيضاً بين جملتين كقوله :

لعمرك مأدري وإن كنت داريا شعيت ابن سهم أم شعيت ابن منقر
(٢) الآية ٦ من التغاين .

(٣) من شواهد سيبويه في كتابه ٢ : ١٧٨ بولاق . وهو لذى الرمة في ديوانه ٦٢٢ . وقامه :
أيا ظلية الوعاء بين جلالجل وبين النفا آنت أم أم سالم

يَهْطُهَا ^(١) أَى يُعِيهَا قَطْعُ الْمَسَافَةِ الْقَرِيَةِ ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا طَلَبُ الرَّاحَةِ
بِالنَّوْمِ . وَنَصَبُ الْهُوَيْنَى عَلَى الْمَصْدَرِ ، أَى تَمْشَى مَشْيًا هَيِّنًا . وَالْهُوَيْنَى :
تَصْغِيرُ الْهُوْنَى مُؤَنَّثُ الْأَهْوَنِ . وَقَوْلُهُ : « وَمَا يَدُو لَهَا قَدَمٌ » أَى تَجَرُّ أَذْيَالَهَا .
وَقَوْلُهُ : « بِيضٌ تَرَائِبُهَا » جَمْعُ تَرِيَةٍ ، وَهُوَ أَعَالَى الصَّدْرِ . وَمِرْفَقٌ أَدْرُمٌ ،
إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَجْمٌ لَا كِتَانَاةً بِاللَّحْمِ . وَالْعَمَمُ ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ :
الطُّولُ .

وَقَوْلُهُ : « رُويَ إِنِّي » إِنْخَ هُوَ مُنَادَى مَرْحَمٌ رُويَةً . وَنَخْلَةٌ : مَوْضِعٌ قَرَبُ
مَكَّةَ ، قَالَ (صَاحِبُ مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ) : نَخْلَةٌ عَلَى لَفْظِ وَاحِدَةِ النَّخْلِ :
مَوْضِعٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَهِيَ الَّتِي تُسَبِّ إِلَيْهَا بَطْنُ نَخْلَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي وَرَدَ
فِيهَا الْحَدِيثُ لَيْلَةَ الْجَنِّ . انْتَهَى .

وَزَعَمَ الْعَيْنِيُّ أَنَّهُ مَوْضِعٌ قَرَبُ الْمَدِينَةِ . وَحُرْمٌ بَضْمَتَيْنِ : جَمْعُ حَرَامٍ ،
كَسَحَبَ جَمْعُ سَحَابٍ ، بِمَعْنَى الْحَرَمِ . وَرَوَى أَيْضًا : « وَمَا حَجَّ الْحَجِيجُ » .
قَالَ ابْنُ جَنَى (فِي إِعْرَابِ الْحَمَاسَةِ) : مَا هُنَا يَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ عِبَارَةً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى
وَأَرَادَ فِي مَا لِلثَّانِيَةِ لَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ حَذَفَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً فَتَكُونَ الْهَاءُ فِي
لَهُ لِلَّهِ تَعَالَى ^(٢) وَإِنْ لَمْ يَجْرَ لَهُ ذِكْرٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ جَرَى ذِكْرُ الْحَجِّ ، فَدَلَّتِ الطَّاعَةُ
عَلَى الْمَطَاعِ سُبْحَانَهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِنِّي وَحَجَّ الْحَجِيجِ لِلَّهِ . وَيُوكَدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ
يُعَدَّ مَعَ الثَّانِيَةِ لَهُ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ كَانَ مَصْدَرًا . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ
عِبَارَةً عَنِ الْبَيْتِ ؛ فَأَقْسَمَ بِهِ ، فَحِينَئِذٍ يَحْتَمَلُ الْهَاءُ فِي لَهُ أَنْ تَكُونَ

(١) فِي ط : « يَهْطُهَا » وَفِي ش : « يَهْطُهَا » ، صَوَابُهُ مَا ثَبَتَ . وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ مِنْ ص

(٢) فِي إِعْرَابِ الْحَمَاسَةِ ١٩٤ : « فَيَكُونُ الْهَاءُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى » ، وَمَا هُنَا صَوَابُهُ .

للبيت على أنَّ اللام بمعنى إلى ، وأن تكون لله ، أى والبيت الذى حجّه
الحجيج لطاعة الله .

وقوله : « لم ينسنى » إلخ هو مضارع أنسى ، وذكركم مفعول مقدّم ،
وعيشٌ فاعل مؤخر ، وقَدَم بكسر القاف معطوف على عيش . قال ابن
جنى : هذا البيت جواب القسم ، وأجاب بلم ، وحرّفاً الجواب فى النفى إنّما
هما : ما ولا ، لكن اضطرّ فشبهه لم بما ، كما اضطرّ إلى ذلك الأعشى فى قوله :
* أَجِدُّكَ لَمْ تَغْتَمُضْ لَيْلَةً ^(١) *

فاعرف ذلك فإنّه لطيف .

ومن أواخر القصيدة :

(بَلْ لَيْتَ شَعْرَى مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِيْ

جَرْدَاءُ سَابِجَةً أَوْ سَابِجٌ قُدُمُ

نَحْوَ الْأَمِيلِجِ مِنْ سَمْنَانَ مَبْتَكراً

بِفَتْيَةٍ فِيهِمُ الْمَرَارُ وَالْحَكَمُ)

بل للإضراب عما قبله . وتعارضنى أى أقودها فتسبقنى من سلاسة
قيادها . والجرءاء : الفرس القصيرة الشعر ، وهو محمودٌ فى الخيل . وسابجة :
كأنها تسبح فى سيرها وجريها . وقُدُم بضم القاف والبدال بمعنى متقدّم ،
يوصف به المذكور والمؤنث :

ونحو ظرف متعلق بأغدو . والأميلج : اسم ماء . وسمنان بفتح
السين : ديار الشاعر . والفتيّة : جمع فتى . والمرار والحكم : رجلان . وهذا البيت
أول شاهدٍ وقع (فى شرح الشافية) للشارح المحقق ، قال فيه : وكذا سمنان

(١) عجزه كما فى الديوان ٥٠ :

* فترقدها مع رقادها *

إمّا أن يكون مكرر اللام للإلحاق بزلزال ، أو يكون زيد فيه الألف والنون
لالتكرير ، بل كما زيداً في سلمان . ولا دليل في هذا البيت يمنع صرف سمنان
على كونه فعلاً ، لجواز كونه فعلاً . وامتناع صرفه لتأويله بالأرض والبقعة
لأنه اسم موضع . انتهى .

قال أبو عبيد (في معجم ما استعجم) : الأميلح بضم أوله وبالحاء
المهملة كأنه مصغر أملح : موضع . ولم يقل : إنه ماء . وقال في سمنان :
بفتح أوله وإسكان ثانيه على وزن فعّلان : مدينة بين الرّيّ ونيسابور . وسمنان
بضم السين : جبل في ديار بني أسد ، وقال أبو حاتم : في ديار بني تميم .
وهذا ضبطٌ مخالف لسائر الرواة .

قصيدة الشاهد

وأول هذه القصيدة في ذمّ صنعاء اليمن ومدح بلده وقومه . وهذا أولها :
(لأحبّذا أنت يا صنعاء من بلدٍ ولا شعوب هوى منى ولا نغم
ولن أحبّ بلاداً قد رأيت بها غنسا ولا بلداً حلت به قُدُم
إذا سقى الله أرضاً صوب غادية فلا سقاهنّ إلا النَّار تضطرم
وحبّذا حين تمسى الريح باردة وادى أشي وفتيان به هُضم)
إلى أن قال :

(همُّ البُحور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقى بهم بهم
وهم إذا الخيل جالوا في كوائها فوارس الخيل لا ميل ولا قزم^(٢)
لم ألق بعدهم حياً فأخبرهم إلا يزيدهم حباً إلى هم)

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت ما في ش .

(٢) كذا في النسخين : « جالوا » بالجم في المتن والشرح ، صوابه « حالوا » بالحاء المهملة كما في

الحماسة وشروحها . وفي القاموس : « وفي ظهر دابته : وثب » .

شعوب بفتح الشين ، وكذلك نُقِم بضم النون والقاف : موضع باليمن ، وهو جبل صنعاء الشرق . وعنس ، بفتح المهملة وسكون النون ، وقُدُم بضم القاف والdal : حيّان من اليمن . وأشئ ، بضم الألف وفتح الشين المعجمة وتشديد الياء ، قال أبو عبيد : هو واد وجبل في بلاد العدوية من بنى تميم . وقال عمر بن شبة : أشئ : بلد قريب من اليمامة . وأنشد هذا البيت . وهُضم بضمين : جمع هَضوم وهو الذى ينفق فى الشتاء ، أى حبّذا هم فى برد الشتاء إذا اشتدّ الزمان ، لأنهم يُطعمون فيه .

والبُهم بضم ففتح : جمع بُهْمَة بضم فسكون ، وهو الشجاع الذى لا يُدْرَى من أين يأتى من شدّة بأسه . وتلقى مفعوله محذوف ، أى إذا تلقى بهم عدوك .

وقوله : «وهم إذا الخيل» أراد بالخيل فرسانها ، كقولهم : «ياخيل الله اركبى» . وجالوا ، أى وثبوا ، يقال جالَ فى ظهر دابته ، إذا ركبها . لايميل : لامائلون عن وجوه الأعداء ، جمع أميل ، وقيل هو الذى لا يثبت على ظهر الدابة ، وهو عطف على فوارس ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لا هم ميل . وقَرَم بفتح القاف والزاي : رذال الناس وسفلتهم ، يطلق على الواحد والجمع ، والذكر والأنثى ؛ لأنه فى الأصل مصدرٌ بمعنى الدناءة والقماءة . والكواثب : جمع كاثبة بموحدة بعد مثلثة ، وهى فى عرف الفرس^(١) المتقدم من قريوس السرج حيث يقع عليه يدُ الفارس . كذا فى شرح الحماسة . وأورد صاحب الكشف هذا البيت فى سورة الأعراف على أن الخبر فى قوله تعالى ﴿يَمْلُونَهُمْ فِي الْغَى^(٢)﴾ جارٍ على غير ما هو له ، كما فى البيت ، فإن الخيل

(١) ط : «الناس» ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ٢٠٢ من الأعراف .

مبتدأً وجالوا خبره مسنداً إلى ضمير القوم . وفيه كلامٌ طويل .

وقوله : « لم أَلَقَ بعدهم » إلخ الحَيُّ : القبيلة . وَخَبَرْتُ الشَّيْءَ أَخْبَرَهُ ، من باب قتل ، تُخْبِرُ بِالضَّم ، بمعنى علمته . وانتصب أَخْبَرَهُمْ في جواب النفي . وَهُمْ الْأَخِيرُ فاعل يَزِيدُ ، فصل ضرورة . والمعنى : لم أَلَقَ بعد فراق قومي حيا من الأحياء فَأَخْبَرَهُمْ إِلَّا ازدادوا في عيني إذا قستهم بمن سواهم . وروى ابن قتيبة الصَّدَر (في كتاب الشعراء) ، والأصْبَهَانِي (في الأغاني) :

* وماأصاحبُ من قومٍ فأذْكُرُهُم *

وزعم أبو حيان أن الرواية كذا من تحريف ابن مالك . هذا قصورٌ منه . ويجوز رفع فأذْكُرُهُم عطفاً على أصحاب . والذِّكْرُ هنا قلبيُّ بمعنى التذكر ، فإن المعنى : إني إذا صاحبت قوماً فتذكرت قومي ازدادت محبةً فيهم ، لفضل قومي عليهم . وهذا البيت أورده ابن الناظم وابن هشام (في شرح الألفية) لما ذكرنا من فصل الضمير المرفوع ضرورة . قال ابن هشام (في المغنى) : ادَّعى ابنُ مالك أن الأصل يَزِيدُونَ أَنْفُسَهُمْ ، ثم صار يَزِيدُونَهُمْ ، ثم فصل ضمير الفاعل للضرورة وأخّره عن ضمير المفعول . وحامله على ذلك ظنه أن الضَّمِيرَيْنِ لمُسَمًّى واحد ، وليس كذلك . قال (في شرح شواهد) : وزعم بعضُ من فسّر الضرورة بما ليس للشاعر عنه مندوحة ، أن هذا ليس بضرورة ^(١) تمكن قائله من أن يقول : إِلَّا يَزِيدُونَهُمْ حَباً إِلَى هُمْ ، ويكون الضمير المنفصل توكيداً للفاعل . وردّه ابن مالك بأنه يقتضى كون الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لمُسَمًّى واحد ، وإنما يجوز ذلك في باب ظن . وهذا

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت ما في ش .

سهو ، لأنَّ مسمَّى الضميرين مختلفان ، إذ ضمير الفاعل لقومه وضمير
المفعول لقومه الممدوحين . ويحتمل عندى أن يكون فاعل يزيد ضمير الذكر ،
ويكون هم المنفصل توكيداً لهم المتصل . انتهى كلام ابن هشام .

وقد أخذ مسلمُ بنُ الوليد معنى بيت المرار فقال :

وَيَرْجِعْنِي إِلَيْكَ إِذَا نَأَتْ بِي دِيَارِي عَنْكَ تَجْرِبَةُ الرِّجَالِ (١)

والمرار شاعرٌ إسلامي في الدولة الأموية ، من معاصري الفرزدق المرار بن منقذ
وجرير . وهو بفتح الميم وتشديد الراء . قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) :
المرار العدويُّ هو ابن منقذ ، من صُدَى بن مالك بن حنظلة . وأم صُدَى
بالتصغير من جَلَّ بن عَدَى ، فيقال لولده بنو العَدَوِيَّة . وقال لهم عَوَف بن
الققعقاع : يا بنى العدوية، أنتم أوسع بنى مالك أجوافا ، وأقلهم أشرافا . والمرار
هو القائل :

وما أصحابُ من قومٍ فأذكركهم إلا يزيدهم حياءً إلىَّ هم

وأنشد معه أبياتاً آخر من هذه القصيدة . قال وفيه وفي قومه يقول

٣٩٥

جرير :

إن كنتُم جَرِي فعدى شفاؤكم

وللجنِّ إن كان اعتراك جنونُ (٢)

(١) ط : « ديار عنك » ، ومأثبت من ش يطابق الديوان ٣٣٦ وزهر الآداب ١٦٥ .

(٢) ط : « حزى » ، تحريف ، صوابه في ش . وفي الشعراء ٦٧٩ : « فإن كنتم كلبى » ، وهى

كذلك في الحيوان ٢ : ١٥ وديوان جرير ٥٨٩ .

وما أنت يامرّار يا زَيْدَ استِها

بأوّل من يشقى بنا ويَحِينُ^(١)

وقد رفع الآمدي نسبه (في المؤتلف والمختلف) فقال : هو المرّار بن منقذ بن عمرو بن عبد الله بن عامر بن يثرب بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر مشهور . اهـ

واسم المرّار هذا زياد بن منقذ ، قاله الحُصْرِيُّ (في زهر الآداب) ، وإلى اسمه نسب الشعر . وفي الحماسة [قال شُرَّاحُ الحماسة^(٢)] : هو لزياد بن منقذ ، وهو أحد بنى العدويّة من تميم ، ولم يقل غير هذه القصيدة ، ولم يقل أحدٌ مثلها . وكان قد أتى اليمنَ فنزع إلى وطنه بيطن الرّمة . قال أبو العلاء : الرّمة : وادٍ بنجد ، يقال بتشديد الميم وتخفيفها . اهـ

وصحّفه بعضهم وتبعه العيني فقال : بيطن الرّمث بالمثلثة .

وقد نسب الحُصْرِيُّ أيضاً هذا الشعر للمرّار ، قال : أنشد أبو عبيدة لزياد بن مُنْقَذِ الحَنْظَلِيِّ ، وهو المرّار العدوي ، نُسِبَ إلى أمّه العدويّة ، وهي فُكَيْهَة بنت تميم بن الدُّثَلِ بن جَلٍّ^(٣) بن عدى بن عبد مناة^(٤) بن تميم بن أدّ بن طابخة ، فولدت لمالك بن حنظلة عدياً وبربوعاً . فهؤلاء من ولده يقال لهم بنو العدويّة^(٥) .

(١) ط : « ياريد استها » ، صوابه في ش والشعراء والديوان . وأصل الزيد زيد الماء واللعب والبعير والفضة ، وهو طفاوته وقذاه .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « جبلة » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ٢٠٠ .

(٤) عبد مناة هذا هو ابن أد بن طابخة ، كما في الجمهرة وزهر الآداب ١٦٤ . و« تميم » هنا مقحمة .

(٥) وكذا في زهر الآداب ، لكن في جمهرة ابن حزم ٢٢٨ أن أبناء العدوية هم : زيد ، والصدى ، وبربوع وقد سبق ذكر « صدى » في ترجمة المرار .

وكان زيادٌ نزل بصنعاء فاجتواها ومنزلهُ في نجد ، فقال في ذلك قصيدةً يقول فيها وذكر قومه :

لم أَلقَ بعدهمُ حياً فأخبرهم إلا يزيدُهم حباً إلى هُم

وأراه أوّل من استثار هذا المعنى . وكان ابنُ عَرادة السَّعْدِي (١) مع سَلَم وابن زياد بخراسان ، وكان مكروماً له ، وابن عَرادة يتجنّى عليه ، إلى أن تركه وصحب غيره فلم يحمده ، فرجع إلى سلم وقال :

عَتَبْتُ على سَلَم فلماً فقدته وصاحبُ أقواماً بكيت على سَلَم
رجعتُ إليه بعد تجريبٍ غيره فكان كُبريً بعد طُولٍ من السُّقَم

ومنه قول أبي العتاهية في جعفر بن المنصور ، المعروف بابن الكردية ، وهو جعفر الأصغر :

جزى الله عني جعفرًا بوفائه وأضعف إضعافاً له بجزائه
بلوثُ رجالاً بعده في إخائهم فما ازددتُ إلا رغبة في إخائه
ومنه أيضاً لكنّه في الهجو ، لبعضهم :

ذممتُك أوّلاً حتى إذا ما بلوثُ سيواك عاد الذمُّ حمداً
ولم أحمّدك من خيرٍ ولكن رأيتُ سيواك شراً منك جدّاً
كمضطرٌّ تحامى أكل مَيِّت فلما اضطرَّ عاد إليه شدّاً

قال الصُّوْلِي : وآخر من أتى بهذا المعنى أحمد بن أبي طاهر :

بلوثُ الناس في شرقٍ وغربٍ وميّزُ الكِرَام من اللّثام

(١) في النسختين «ابن عرادة السعدي وكان» والوجه تقديم «وكان» كما في زهر الآداب ، لكن فيه : «ابن أبي عرادة» تحريف . وانظر أمالي القالي ٣ : ٣١ وذيل سمط اللآل ص ١٧ .

فَرَدْنِي ابْتِلَايَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ بَعْدَ تَجْرِيْبِ الْأَنَامِ
 وَعِنْدِي فِي هَذَا الْمَعْنَى مَقَاطِيعُ جَيِّدَةٍ ، لَوْلَا خَشْيَةُ السَّأَمِ لَسَرَدْتُهَا . ٣٩٦

وَزَعِمَ أَبُو تَمَامٍ فِي الْحَمَاسَةِ أَنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي مِنْهَا الْبَيْتُ الشَّاهِدُ لَزِيَادِ بْنِ
 حَمَلٍ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عُمَيْرَةَ بْنِ حُرَيْثٍ .

وَأَخْطَأَ أَبُو عُبَيْدٍ ^(١) الْبَكْرِيُّ (فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ) فِي زَعْمِهِ أَنَّ زِيَادَ
 بْنِ حَمَلٍ هُوَ الْمَرَارُ الْعَدَوِيُّ .

وَزَعِمَ الْأَصْفَهَانِيُّ (فِي الْأَغَانِي) وَالْخَالِدِيَانِ (فِي شَرْحِ دِيْوَانِ مُسْلِمِ بْنِ
 الْوَلِيدِ) أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِلْمَرَّارِ بْنِ سَعِيدِ الْفَقْعَسِيِّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالصَّوَابُ
 أَنَّهَا لَزِيَادِ بْنِ مَنْقِذِ الْعَدَوِيِّ . قَالَه يَاقُوتُ (فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ) ، قَالَ : وَالْمَرَّارُ
 وَالْحَكَمُ أَخَوَانُ .

(تَمَمَةٌ)

ذَكَرَ الْآمِدِيُّ (فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ) مِنْ يُقَالُ لَهُ الْمَرَّارُ سِتَّةٌ . أَوَّلُهُمْ
 الْمَرَارُ الْفَقْعَسِيُّ . وَسَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْكَافِ مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ ^(٢) .

ثَانِيَهُمْ : الْمَرَّارُ بْنُ مَنْقِذٍ ، وَتَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ هُنَا .

ثَالِثُهُمْ : الْمَرَّارُ بْنُ سَلَامَةَ الْعَجَلِيِّ ، وَهُوَ إِسْلَامِيٌُّّ .

رَابِعُهُمْ : الْمَرَّارُ بْنُ بَشِيرِ السَّدُوسِيِّ .

خَامِسُهُمْ : الْمَرَّارُ الْكَلْبِيُّ .

سَادِسُهُمْ : الْمَرَارُ بْنُ مُعَاذِ الْحَرَشِيِّ .

* * *

(١) ط : «أبو عبيدة» ، صوابه في ش .

(٢) هذا سهو من البغدادى ، فإن المرار بن سعيد الفقعسى تقدمت ترجمته في الخزانة ٤ : ٢٨٨

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٣٨٠ (فبيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائلٌ

لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نَجِيبٌ)

على أن واو (هو) قد يحذف ضرورة كما هنا ، فإنَّ الأصل : فبيناه هو يَشْرِي .

قال سيبويه (في باب ما يحتمل الشعر): اعلم أنَّه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام . إلى أن قال : وليس شيء يُضطرُّون إليه إلَّا هم يحاولون به وجهاً . وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا ، لأنَّ هذا موضعُ جُمَلٍ . قال أبو الحسن : سمعت من العرب قولَ العُجَير السلولى :
فبيناهُ يَشْرِي رحله قال قائلٌ البيت

قال الأَعلم : أراد : بيناه هو ، فسكن الواو ثم حذفها ضرورة ، فأدخل ضرورةً على ضرورة ، تشبيها للواو الأصليَّة بواو الصلة في نحو منه وعنه . وزعم ابن الأنبارى (في ترك صرف ما ينصرف من مسائل الخلاف) : أنَّ الواو حذفت متحرِّكة . قال : إذا جاز حذف الواو المتحرِّكة للضرورة من فبيناه يَشْرِي ، فلأنَّ يجوز حذف التنوين للضرورة من باب الأولى ، لأنَّ الواو من هو متحرِّكة ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنَّ حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك . اهـ

(١) ستأق الاشارة إلى أن الشاهد وقع صدره في أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وهو دليل على سقوطه من كثير من النسخ . ومهما يكن فهو من شواهد أبى الحسن الأخفش لا من شواهد سيبويه ، كما نص الشنتمرى في سيبويه ١ : ١٣ — ١٤ بولاق . وانظر لهذا الشاهد الخصائص ١ : ٦٩ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٨ والإنصاف ٥١٢ وابن يعيش ٣ : ٩٦ . وحواشى نشرق من سيبويه ١ : ٣٢ .

و(بين) ظرفٌ ، لَمَّا وصل بالالف إشباعاً للفتحة جاز إضافته إلى الجمل ، وحدث فيه معنى زائد وذلك ظرفُ الزمان ، كما حدث في مع لَمَّا أَشْبَعَتْ فَتَحْتُهَا وَحَدَّثَ بَعْدَهَا أَلْفٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : معاً . وهو مبتدأ وجملة يشرى خبره ، والمجموع في محل جر بإضافة بينا إليها . وإنما جاز هذا على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والتقدير : فبينما أوقاتٍ هو شارٍ رحله فإنه يقول . وبينما عند سيويوه لاتقع إلا للمفاجأة ، ولاتقع إلا في صدر الجملة ، جعلوها بمنزلة الظروف المهمة ^(١) التي تقع في صدور الجمل ، فإذا أضفتها إلى الجملة التي بعدها جئت بالفعل الذي عمل فيها ، نحو قولك : بينا زيد قائم جاء عمرو . وأما الأصمعي فإنه يقول : إضافة بينا إلى المصدر المفرد جائزة ، ويروى لأبي ذؤيب :

٣٩٧

* بينا تَعْنُقُهُ الكُماةُ ورَوَّغِهِ *

بجر تَعْنُقُهُ . وقال ابن قتيبة : سألت الرياشي عن هذه المسألة فقال . إذا وَلَّى لَفْظَةً بينا الاسمُ العلمُ رَفَعَتْ ، فقلت : بينا زيدٌ قائمٌ جاء عمرو . وإن وَلَّيَهَا المصدرُ فالأجود الجر . وقومٌ من النحويين لا يجيزون إضافته إلى المصدر المفرد ولا إلى غير مصدر ، ويمضون على الأصل .

و(يشرى) هنا بمعنى يبيع ، وهو من الأضداد . والرحل : كُلُّ شَيْءٍ يُعَدُّ للرحيل من وعاءٍ للمتاع ، ومركبٍ للبعير ، وجلس ورسن . و(المِلاط) بكسر الميم : الجنب . ورنحو المِلاط : سهله وأملسه . كذا قال القالي ^(٢) . وقال

(١) ط : « المهمة » ، ووجهه ما أثبت من ش .

(٢) ط : « قال القاتل » ، وأثبت ما في ش . ولأبي على القالي كتاب في اللغة ، هو « البارع » . ذكره البغدادى في ١ : ٥١٠ / ٣ : ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٤٣ بولاق . وقال باقوت : « جمع فيه كتب اللغة ، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة . قال الزبيدي : ولا تعلم أحدا من المتقدمين ألف مثله . ثم نقل عن أبي محمد العربى قوله : « كتاب البارع لأبي على القالي يحتوى على مائة مجلد ، لم يصنف مثله » . معجم الأدباء ٢٩ : ٧ .

ابن حَلَف : الملاط : مَقْلَمُ السَّنَام ، وقيل جانبه . وهما ملاطان : العضدان ، وقيل الإبطان . وقوله : (رخو) إشارة الى عَظْمه واتساعه . قال الأعلم : وصف بعيراً ضَلَّ عن صاحبه فيئس منه ، وجعل يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً ييسِّر به ^(١) . وإنما وصف ماورد عليه من السُرور بعد الأسف والحزن . والملاط : ماولى العَضُد من الجنب ، ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصف برخاوته لأن ذلك أشدُّ لتجافى عضديه عن كركته ، وأبعد له من أن يصيبه ناكث ^(٢) أو ماسح ، أو حارّ ، أو ضَبٌّ . وهذه كلها أعراض وآفات تلحقه إذا حكَّ بعضده كركته . اهـ . و(النجيب) : الجيد الأصيل ، والصواب بدله (ذلول) فإن القصيدة لامية .

قال ابن خلف : وهذا البيت قد وقع صدره في أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وأنشده أبو الحسن الأخفش : «رخو الملاط نجيب» بالباء ، وأنشده أيضاً (في كتاب القوافي) كذا ، وقال : سمعت الباء مع اللام والميم والراء ، كل هذا في قصيدة واحدة ، وهى :

(أَلَا قَدْ أَرَى إِنْ لَمْ تَكُنْ أُمُّ مَالِكٍ

بِمِلْكٍ يَدَى أَنْ الْبَقَاءَ قَلِيلُ

خَلِيلُ سِيراً وَاتْرَكَ الرِّحْلَ إِنْنِي

بِمَهْلَكَةٍ وَالْعَاقِبَاتُ تَدُورُ

رَأَى مِنْ رَفِيقِهِ جَفَاءً وَغِلْظَةً

إِذَا قَامَ يَبْتَاعُ الْقَلَاصَ دَمِيمُ

(١) ط: «يسير به»، وفي ش: «ينشده» مع أثر تصحيح، والوجه ما أثبت من شرح الأعلم ١: ١٤.

(٢) الناكث ، بالتاء المثناة فى آخره ، وهو أن يحز مرفق البعير فى جنبه . ط : «الناكث» ، صوابه

فبيناه يشرى رحله قال قائل
لمن جمل ربحو المِلاط نجيب)

قال : والذي أنشدته أعرأى فصيح لا يجتشم من إنشادها .

وقال أبو الفتح بن جنى : هكذا أنشدته أبو الحسن ، وهو بعيد ، لأن
حكم الحروف المختلفة في الروي أن يتقارب مخرجها كما أنشد سيويه في كتاب
القوافي . والذي وجد في شعر العُجَير السلولى :

فباتت هموم الصدر شتى يعدنه كما عيّد شيلو بالعراء قتيل
فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جمل ربحو المِلاط ذلول
محلى بأطواق عتاق كأنها بقايا لجين جرسهن صليل اهـ

وقال صاحب العباب : البيت للعُجَير السلولى ، ويروى للمُخَلَّب
صاحب الشاهد الهلالى ، وهو موجود في أشعارهما . والقطعة لامية ، ووقع في كتاب سيويه
«نجيب» بدل : «ذلول» ، وتبعه النحاة على التحريف . وهى قطعة غراء . اهـ .

قال الأسود أبو محمد الأعرأى (في ضالة الأديب) : قال أبو الندى :
القصيدة للمُخَلَّب الهلالى ، وليس في الأرض بدوى الأ وهو يحفظها ، وأولها :
وجدتُ بها وجدَ الذى ضلَّ يَضوهُ بمكة يوماً والرفاقُ نزولُ (١)
بغى ما بَغى حتى أتى الليلُ دونهُ وريحٌ تَعلى بالترابِ جَفولُ
أتى صاحبيهِ بعدما ضلَّ سعيهِ بحيث تلاقت عامرٌ وسلولُ
فقال : احملاني ورحليكما معاً فقالا له : كلَّ السفاهِ تقولُ
فقال : احملاني واتركا الرّحلَ إنّه بمهلكةٍ والعاقباتُ تُدولُ

٣٩٨

(١) ط : « وجدت لها » ، صوابه في ش .

فقالا : مَعَاذَ اللَّهِ ، واسترَجعتُهما وَرَحَلِيْهَا عَيْرَانَةً وَذَمَوُلْ (١)
شكا من خليليه الجفاء ونقده إذا قام يستلم الركاب قليل
فبات هموم النفس شتى يُعذِّدُه كما عيد شِلُو بالعرء قتيل
فبيناهُ يَشْرِي رحله قال قائل : لمن جَمَلٌ رِخْوُ الملاطِ ذلولُ
مَحْلَى بِأَطواقِ عِتاقِ تزينه أَهْلَةٌ جِنِّ بينهنَّ فصولُ
فهَلَلُ حيناً ثم راح بنضوه وقد حانَ من شمسِ النهارِ أقولُ
فما تمَّ قرنُ الشَّمسِ حتى أناخه بقرنٍ وللمستعجلات زليلُ
فلما طوى الشَّخصينِ وأزورَّ منهما ووطنه بالنَّقرِ وهو ذلولُ (٢)
فقاما يجرَّان الثيابَ كلاهما ، لما قد أسرا بالخليل ، قبيلُ
فقال : ارفعا رَحْلَيْكما وترَفَّعا فمأءُ الأداوى بالفلاة قليلُ (٣)

وقد سلك العُجَير السلولى طريقة المخلَّب الهلالى ، وأدرج معانى قطعته

فى شعره فقال :

ألا قد أرى إن لم تكن أُمَّ خالدٍ بِمِلْكٍ يَدَى أَنَّ البقاءَ قليلُ (٤)
وَأَنْ لَيْسَ لى فى سائرِ الناسِ رغبةٌ ولا منهمُ لى ماعداكِ خليلُ

(١) يقال ربع الحجر يريعه ربعا وارتبعه : شاله ورفعه ، وقيل حمله . وفى ش : « واسترجعتهما » .

(٢) النقر : صوت اللسان ، وهو أن يلزق طرفه بمخرج النون ثم يصوت به فينقر بالدابة لتسير .

ط : « بالنقر » ، صوابه بالقاف كما فى ش .

(٣) الأداوى : جمع إداوة ، وهى إناء صغير يتخذ للماء .

(٤) يقال هذا ملك يدى ومَلِكها بكسر الميم وفتحها ، كما فى إصلاح المنطق ٧٠ واللسان (ملك

وما وَجَدَ النَّهْدِيُّ وَجْداً وَجَدْتَهُ عَلَيْهَا ، وَلَا الْعُذْرِيُّ ذَاكَ جَمِيلٌ ^(١)
 وَلَا عُرْوَةٌ إِذْ مَاتَ وَجْداً وَحَسْرَةً بَعْفَرَاءَ لَمَّا أَنَّ أَجْدَّ رَحِيلَ ^(٢)
 وَلَا وَجْدٌ مُلْقَى رَحْلَهُ ضَلَّ نَضْوَهُ بِمَكَّةَ أُمْسَى وَالرِّفَاقُ نَزُولُ
 سَعَى مَاسَعَى حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُ وَرَيْحٌ تَلَهَّى بِالثَّرَابِ جَفْوُلُ

وساق هذا المساق حتى قال بعد سبعة أبيات :

فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لمن جملٌ رَسُلُ المِلاطِ طَوِيلُ

كذا في شعر العجيز: «رسل الملاط طويل» ، فعلم أن السبق للمُخَلَّبِ
 الهلالي . شبه الشاعر حاله في هوى امرأة يُحِبُّها وشدةً وجدّه بها ، بوجد هذا
 الرجل الذي ضلَّ بغيره وفارقه أصحابه فباتت همومُ هذا الرجل شتى تذهب
 عنه حيناً فيسكن ، وتجيئه حيناً فيعود إليه الألم ويأتيه ، كما يأتي العوائدُ إلى
 المريض وإلى القَتِيلِ ينظرُنه ، فبينما هو يبيعُ رحلَ جملة الذي ضلَّ منه سمع من
 يعرفُ الجمَلَ ليُرِّدَهُ على صاحبه .

والشلو بالكسر : العضو . والعراء بالفتح : الفضاء . والأطواق : جمع
 طوق . والعِتاَق : الحسان . والجَرَس : الصوت . والصليل : صوتٌ فيه شِدَّةُ
 مثل صوت الحديد والفضة وما أشبههما . والتَّضْو : بالكسر ، البعير المهزول .
 والرَّيحُ الجفول : التي تلقى التراب شيئاً على شيء . والسَّفَاهُ ، بالفتح : مصدر
 سَفِهَ فلان سفاهة وسفاهاً . وتدول بمعنى تدور . يقال دالت الأيامُ تدول مثل

٣٩٩

(١) النهدي هو عبد الله بن عجلان ، وهو شاعر جاهلي ، قال فيه الجنون :

فما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد النهدي وجداً على هند
 ولا وجد العذري عروة في الهوى كوجدى ولا من كان قبل ولا بعدى
 تزين الأسواق ٧٦ .

(٢) ط : « إذ مان » ، صوابه في ش .

دارت تدور ، وزناً ومعنى . واستام : افتعل من السَّوم ، يقال سام المشتري السلعة واستامها ، إذا طلب بيعها ، والركاب : الإبل ، وهو مفعول ، وقليل خير المبتدأ الذى هو نَقْدُهُ ، أى دراهمه . وقَرْنُ الثَّانِي : موضع . وزليل : مصدر زَلَّ يَزِلُّ بالزَّاي ، إذا مرَّ مرّاً سريعاً .

والعجير السلولى بضم العين وفتح الجيم ، قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : هو منسوب إلى بنى عُجَيْر ، وهو حى من أحياء العرب . أقول : العجير لقب ، وليس فيه نسبة . على أن الصاغاني قال (فى العباب) : بنو عُجْرَة : قبيلة من العرب . وليس فيه بنو عجير . والعُجَيْر يحتمل أن يكون مصغر عُجْر ، مصدر عُجِرَ عُنْقُهُ ، إذا لواها ، ومصغَرُ عُجْر بفتحتين ، مصدر عَجِرَ بالكسر ، أى غُلِظَ وَسِمَنَ . ويحتمل أن يكون مصدر ترخيم أعجر ، يقال كيس أعجر ، أى ممتلئ ^(١) ، وفحل أعجر أى ضخم . قال اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : اسم العجير عُمَيْر بالتصغير ، ابن عبد الله بن عبدة : بفتح العين وكسر الموحدة ، وقيل ابن عبدة بضمها . وهو من بنى سلول بن مرة بن صعصعة ، أخى عامر بن صعصعة . وأم بنى مرة سلول بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، غلبت عليهم وبها يعرفون . ويكنى العجير أبا الفرزدق ، وأبا الفيل . وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية . اهـ . وقال الآمدي (فى الموترلف والمختلف) : أبو الفرزدق عُجَيْرُ السَّلُولى ، مولى لبنى هلال . ويقال هو العجير بن عبد الله بن عبدة بن كعب بن عائشة بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة ، وهم سلول . اهـ . وسَلُول : اسم مرتجل غير منقول .

وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد الثلاثة ^(٢) .

(١) فى اللسان « وكيس أعجر وهيمان أعجر ، أى ممتلئ » .

(٢) انظر ص ٣٥ .

وأما المخَلَّبُ الهَلَالِي فهو بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحة اسم منقول . قال صاحب العباب : يقال ثوبٌ مَحَلَّبٌ ، إذا كانت نقوشه كمخالب الطير ، وقيل هو الكثير الوشئ من الثياب . وكرسىٌ مَحَلَّبٌ : معمول بالليف . ومُحَلَّبُ الثُّنُور : طينه .
وهذا الشاعر لم أقف على نسبه ولا على شيءٍ من أثره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من أبيات س ، وتقدّم عليه الكلام في الشاهد الثالث والثمانين (١) :

(دارٌ لسُعدَى إذ هو من هَواكا)

على أن الأصل (إذ هي) فحذفت الياء ضرورة . قال الفالائي (في شرح اللباب) أوله :

* هل تُعرِفُ الدار على تِبرَكا *

وهو بكسر التاء موضع .

وفي هذا ردٌّ على الكوفيين في زعمهم أن الضمير في هو وهي إنما هو الهاء ، والواو والياء زائدتان .

قال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أن الاسم من هو وهي الهاء وحدها . وذهب البصريون إلى أن الهاء والواو من هو ، والهاء والياء من هي ، هما الاسم بمجموعهما . أمّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الاسم هو الهاء أن الواو والياء يحذفان في التثنية، نحو : هما ؛ ولو كانت أصلاً لما حذفت . والذي يدلُّ عليه أنّهما يحذفان في الإفراد وتبقى الهاء قوله :

(١) الخزاعة ٤:٢ . وانظر أيضا العقد ١٨٥:٤ وابن يعيش ٩٧:٣ .

فبيناه يَشْرِي رحله البيت

٤٠٠

وقال الآخر

بيناه في دارِ صديقٍ قد أقام بها حيناً يعللنا وما نعلله (١)

وقال الآخر :

إذاه سيم الخسف آلى بقسم بالله لا يأخذ إلا ما احتكم (٢)

وقال الآخر :

* دار لسعدى إذه من هواكا *

فدلّ على أن الاسم هو الهاء وحدها . وإثما زادوا الواو والياء تكثيراً للاسم ، كراهية أن يبقى على حرف واحد .

وأما البصريّون فاحتجوا بأن [قالوا : الدليل على أن (٣)] الواو والياء أصلٌ أنّه ضميرٌ منفصل ، والضمير المنفصل لا يجوز أن يُبنى على حرف ، لأنّه لابد من الابتداء بحرف والوقف على حرف ، فلو كان الاسم هو الهاء لكان يؤدّي أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركاً ، وهو محال . وأما قولهم : إن الواو والياء يحذفان في التثنية . قلنا : إنّ هُما ليس تثنية ، وإثما هي صيغة مرتجلة للتثنية ، كأنّما . وأما ماأنشدوه من الأبيات فإنّما حذفوا الواو والياء لضرورة الشعر ، كقول الشاعر :

فلسْتُ بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

أراد : ولكن اسقني ، فحذفت النون للضرورة . وأما قولهم : زادوا الواو

(١) سيبويه ١ : ١٢ والانصاف ٦٧٨ .

(٢) الانصاف ٦٧٨ واللسان (ها ٣٦٦) .

(٣) التكملة من الانصاف .

والياء تكثيراً للاسم كما زادوا الواو في ضربتهو ، قلنا : هذا فاسد ، لأنَّ هو ضمير منفصل ، والهاء ضمير متّصل ، وقد بينّا أنَّ المنفصل لا يجوز أن يكون على حرف ، بخلاف المتّصل ، لأنّه لا يقوم بنفسه ، فلا يجب فيه ما وجب في المنفصل ، والواو في ضربتهو لازمة السكون ، بخلاف واو هو فإنّها جائزة السكون، ولو كانا بمنزلة لوجب أن يسوّى بينهما في الحكم . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الثلاثئة ^(١) :
 ٣٨١ (وإنّ لسانى شهدةٌ يُهتدى بها وهُوَ على من صبه الله علقمُ ^(٢))
 على أن همدان تشدّد واو (هو) كما فى البيت ، وياء (هى) : ولم يمثّل له ، وهو فى هذا البيت :
 والتّفس مأمّرت بالعنف آيةٌ وهى إن أمرت باللّطف تأتمّر
 وهمدان ، بفتح الهاء وسكون الميم والدال مهملة : قبيلة من اليمن ، وهو لقبٌ، واسمه أوسلة بن ربيعة بن لحيان بن مالك بن زيد بن كهلان.
 وهمدان وصفٌ من الهمدة ، وهى السّكتة . وهدت أصواتهم : سكّنت .
 و(شهدة) بضم الشين : العسل بشمعه . قال ابن هشام (فى شرح شواهد) : هذا البيت أوردّه الفارسى (فى التذكرة) عن قطرب والبغداديين ، وفيه أربعة شواهد : أحدها تشديد واو هو . الثانى : تعليق الجار بالجامد لتأويله بالمشتق ، وذلك لأنّ قوله هو علقم مبتدأ وخبر ، والعلقم هو الحنظل ، وهو نبت كزبه الطّعم ، وليس المراد هنا ، بل المراد شديد أو صعب ، فلذلك علّق به « على » المذكورة . ونظيره قوله :

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٦ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٤٥١ والتصريخ ١ : ٤٨

والجمع ١ : ٦١ / ٢ : ١٥٧ والأشمونى ١ : ١٧٤ .

(٢) فى هامش المطبوعة : « قوله يهتدى ، المعروف يشطفى . كذا بهامش الأصل » .

* وكلُّ فؤادٍ عليك أمُّ (١) *

فعلَّقَ عَلَى بَأْمَ ، لتأويله إياها بمشتق . وعلى هذا ففى علقم ضميرٌ كما
فى قولك : زيد أسد ، إذا أوَّلته بقولك : شجاع ، إلا إذا أردت التشبيه . ومن
تعلَّقَ الظرف بالجامد لِمَا فيه من معنى الفعل قوله :

تركت بنا لَوْحاً ولو شئت جادنا بُعِيدَ الكرى ثلجٌ بكرمانَ ناصحٌ (٢)
منعت شفاء النفس من تركته به كالجوى مما تحنُّ الجوارح (٣)

٤٠١ لَوْحاً بفتح أوله ، أى عَطَشاً ، يقال لاح يلوح أى عطش . وبُعِيدَ
متعلِّقٌ بثلج ، لما فيه من معنى بارد ، وإذا كان ريقها بارداً فى وقت تغيره من نومها
فما ظنُّك به فى غير ذلك . وكَرَمَانَ بالفتح : مدينة معروفة . وناصر : خالص .
الثالث : جواز تقديم معمول الجامد المؤول بالمشتق ، إذا كان ظرفاً .
ونظيره فى ذلك أيضاً فى تحمُّل الضمير قوله :
* كلُّ فؤادٍ عليك أمُّ *

الرابع : جواز حذف العائد المجرور بالحرف مع اختلاف المتعلِّق ، إذ
التقدير : وهو علقم على من صَبَّه الله عليه . فعلى المذكورة متعلِّقة بعلقم ،
والخنوفة متعلِّقة بصَبَّه .

وبهذين الوجهين الأخيرين أورده فى معنى اللبيب .

* * *

(١) صدره كما فى الخصائص ٣ : ٢٧٢ :

* ما أمك اجتاحت المنايا *

(٢) لجزير فى ديوانه ١٠٠ وشرح شواهد المغنى ٣١ من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن مروان .

(٣) فى الديوان وشرح شواهد المغنى : «الجوارح» ، وهو الأوفى ، كما أن هذا البيت فيها سابق

لسابقه هنا .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثانون بعد الثلاثاء^(١) :

٣٨٢ (رَمَيْتِهِ فَأَقْصَدْتِ وَمَا أُخْطِئَاتِ الرَّمِيَةِ)

على إِنَّ أبا على قال : تلحق الياء تاء المؤنث مع الهاء . قال أبو على
(في الحجة) في توجيه قراءة حمزة : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيٍّ ^(٢) ﴾ : بكسر الياء
المشددة من سورة إبراهيم عليه السلام ^(٣) : «والأكثر أن يقال رميته بكسر التاء
دون ياء ؛ كما قال أقصدت بدون ياء » . وأقصدت بمعنى قتلت . قال صاحب
الصحيح : وأقصد السهم أي أصاب فقتل مكانه . وأقصدته حيّة : قتلته .
قال الأخطل :

فإن كنت قد أقصدتني أو رميتني بسهميك فالرامي يصيد ولا يدرى^(٤)

أي ولا يختل . انتهى .

وهذه رواية أبي علي في كتابه (الهاذور^(٥)) . ورواه (في الحجة) :
«رَمَيْتِهِ فَأَصْمَيْتِ ^(٦)» . قال صاحب الصحيح : وأصميت الصيد ، إذا رميته
فقتلته وأنت تراه . وقد صمى الصيد يصمى كرمى يرمى ، إذا مات وأنت
تراه . والرمية : فاعل أخطأت ، وسكن آخره للقافية . وروى :

* وما أخطأت في الرمية *

(١) لم أجد له مرجعا آخر .

(٢) الآية ٢٢ من إبراهيم .

(٣) ط : « إبراهيم صلى الله وسلم على نبينا وعليه » .

(٤) في الديوان ١٢٨ : « بسهمك والرامي يصيب وما يدرى » .

(٥) هو المعروف بنقض الهاذور ، وهو في الرد على ابن خالويه في رده كتاب الأغفال لأبي على

الفارسي . انظر ماسبق في ٢ : ٢٨١ .

(٦) ط : « فأصمت » ، صوابه في ش .

بالخطاب أيضا . وبعده :

(بسهمين مليحين أعارتكيهما الظبييه)

وأعارتكيهما مثل رميته ، بزيادة الياء من إشباع الكسرة . كذا أنشد البيتين أبو حيان (في تذكرته) عن أبي الفتح بن جنى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلاثمائة :

٣٨٣ (فبتُ لدى البيتِ العتيقِ أريغهُ

ومطوَيَّ مُشتاقانِ لَهُ أرقانِ)

على أنَّ بنى عقيل وبنى كلاب يجوزون تسكين الهاء ، كما في قوله «له» بسكون الهاء .

والذى نقله ابن السراج (في الأصول) ، وابنُ جنى (في الخصائص والمحتسب وغيرهما) أنَّ تسكين الهاء لغةٌ لأزد السَّراة . وجعله ابن السراج من قبيل الضرورة عندهم . قال : وقد جاء في الشعر حذفُ الواو والياء الزائدة في الوصل مع الحركة ، كما هى في الوقف سواء . قال رجلٌ من أزد السراة :
فطلَّتْ لدى البيتِ العتيقِ أُخيله البيت .

وكذلك يشعر كلام أبى عليٍّ (في المسائل العسكرية) حيث قال : هذا من إجراء الوصل مجرى الوقف . وأما قوله :

* ما حَجَّ رَبُّهُ فى الدُّنيا ولا اعتمرا (٢) *

(١) الخصائص ١ : ١٢٨ ، ٣٧١ والمحتسب ١ : ٢٤٤ والمنصف ٣ : ٨٤ .

(٢) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ١٢ والإنصاف ٥١٦ . وصدره :

« أو معبر الظهر يبنى عن وليته »

٤٠٢

فهذا خارج عن حدّ الوقف والوصل جميعاً ، والصواب أنّه لغة لضرورة .
 وإليه ذهب ابن جنى فى موضعين (من الخصائص) قال فى الموضع الأول ،
 وهو باب تعارض السماع والقياس : وما ضَعُف فى القياس والاستعمال جميعاً
 بيت الكتاب :

له زجلٌ كأنّه صوتٌ حادٍ إذا طلب الوسيقة أو زميرٌ ^(١)

فقوله « كأنّه » خَلَسَ بحذف الواو وتبعية الضمة ، ضعيف فى القياس
 قليلٌ فى الاستعمال . ووجه ضعف قياسه أنه ليس على حدّ الوصل ولا على
 حدّ الوقف ، وذلك أن الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه ، كما تمكنت فى قوله
 أول البيت : له زجل ، والوقف يجب أن تحذف الواو والضمة فيه جميعاً وتسكن
 الهاء ؛ فضمُّ الهاء بغير واو منزلةٌ بين منزلتى الوصل والوقف .

وقال أبو إسحاق فى نحو هذا : إنه أجرى فى الوصل مجرى الوقف .
 وليس الأمر كذلك ، لما بيّناه ، لكنّ ما أجرى من نحو هذا فى الوصل على حدّ
 الوقف قول الآخر :

فظلْتُ لدى البيت العتيق أُخيله البيت

على أن أبا الحسن حكى أن سكّون الهاء فى نحو هذا لغة لأزد السراة .
 ومثل هذا البيت مارويناه عن قطرب ، قول الشاعر ^(٢) :

وأشربُ الماء ماى نحوهِ عطشٌ إلا أن عيوته سئل وإديها ^(٣) اهـ

(١) سيبويه ١ : ١١ . وهو للشماخ فى ديوانه ٣٦ . وفى النسختين : « زميل » ، صوابه ما أثبت من
 سيبويه والديوان والخصائص ١ : ١٢٧ / ٢ : ١٧ ، ٣٥٨ .

(٢) فى الخصائص : « من قول الشاعر » .

(٣) مجهول القائل . وانظر المختص ١ : ٢٤٤ والجمع ١ : ٥٩ .

وقال مثله في سورة الأنعام ^(١) (من المحتسب) .

وقال في الموضع الثاني ، (وهو باب الفصيح) : يجتمع في الكلام الفصيح لغتان فصاعداً من ذلك قوله : فظلت لدى البيت إلخ ، فهذان لغتان ، أعنى إثبات الواو في أخيله ، وتسكين الهاء في قوله «له» ؛ لأنَّ أبا الحسن زعم أنَّها لغة لأزد السَّراة . وإذا كان كذلك فهما لغتان . وليس إسكان الهاء في له عن حذفٍ لحق بصيغة الكلمة ، لكن ذلك لغة . وأما قول الشماخ :

له زجل كأنَّه صوتٌ حاد البيت

فليس هذا لغتين ، لأنَّنا لانعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة . قبلها ، فينبغي أن يكون ذلك ضرورة وصنعة ، لا مذهبا ولا لغة ^(٢) انتهى .

(تمة)

ذكر الشارح المحقق حذف واو الصلة وياؤها ، ولم يذكر حذف الألف من نحو رأيتها . قال ابن جنِّي (في سر الصناعة) : أمَّا الألف في نحو رأيتها فبردت علما للتأنيث . وَمَنْ حَذَفَ الواو من نحو : كأنَّه صوت حاد ، ومن نحو : له أرقان ؛ لم يَقُلْ في نحو رأيتها ونظرت إليها إلَّا بإثبات الألف ، وذلك لخفة الألف وثقل الواو . إلَّا أنا روينا عن قطرب بيتاً حُذفت فيه هذه الألف ، تشبيهاً بالواو والياء ، لما بينهما وبينها من النسبة . وهو قوله :
أَعْلَقْتُ بِالذُّبِّ حَبلاً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ الْحَقُّ بِأَهْلِكَ وَاسْلَمْ أَيُّهَا الذِّبُّ ^(٣)

(١) هذا سهو من البغدادى ، وصوابه « الأعراف » الآية ١٩ عند قوله تعالى : « مِنْ هَذِي الشَّجَرَةِ » بقراءة ابن مُخَيَّصين . انظر المحتسب ١ : ٢٤٤ .

(٢) في الخصائص : « لا مذهبا ولغة » .

(٣) البيتان في اللسان (ركب ٤١٤) بدون نسبة أيضا . وفي الثانى منهما إقواء ظاهر .

إِذَا تَقَوُّدُ بِهِ شَاءَ فَتَأْكُلُهَا
أَوْ أَنْ تَبِيعَهُ فِي بَعْضِ الْأَرَاكِيبِ

يريد : تبيعها ، فحذف الألف . وهذا شاذ . انتهى .

وقوله : (فبتُّ) بات من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أريغهُ خبرها .
وبات يفعل كذا معناه اختصاص ذلك الفعل بالليل ، كما اختص الفعل بالنهار
في نحو : ظلَّ يفعل كذا . ومنه تعرف ضعف الرواية الأخرى ، وهى : «فَظَلَّتْ
لدى البيت » بفتح الظاء وأصله ظَلَلَتْ بلامين ، فخفف بحذف إحدى
اللامين . وهى من أخوات كان أيضا . قال الخليل : لاتقول العرب ظلَّ إلا لعمل
يكون بالنهار . (ولدى) بمعنى عند . و(البيت العتيق) : مكة شرفها الله تعالى .
والعتيق : الشَّريف والأصيل ، أو لأنه عُتِقَ من الطوفان .

٤٠٣

وروى : « البيت الحرام » بمعنى الممنوع ، من باب إطلاق المصدر
وإرادة اسم المفعول . يقال البيت الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، أى
لايحلُّ انتهاكه . و(أريغهُ) بمعنى أطلبه ، يقال أرغت الصيد . وماذا تُريغ ، أى
ماذا تريد ، وهو بالراء المهملة والغين المعجمة . ويقال أريغُونى إراغتكُم ، أى
اطلبونى طلبتكم . قال خالد بن جعفر بن كلاب فى فرسه حَدَفَةً :
أريغُونى إراغتكُم فَإِنِّى وَحَدَفَةً كَالشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ
وقال عبيد بن الأبرص يرُدُّ على امرئ القيس :

أَتَوَعَدُ أُسْرِقُ وَتَرَكَتُ حَجْرًا يُرِيغُ سَوَادَ عَيْنِيهِ الْغَرَابُ

وقال زهير بن أبى سلمى فى ابنه سالم :

يَدِيرُونَنى عَنْ سَالِمٍ وَأَرِيغُهُ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

وهذا المصراع الثانى أراد عبد الملك فى جوابه عن كتاب الحجاج : أنت

عندى كسالم : وقد أخطأ صاحب الصحاح خطأ فاحشا في قوله : يقال للجلدة التي بين العين والأنف : سالم .

وأخطأ ابن خليف أيضاً (في شرح أبيات سيبويه) في نسبة هذا البيت لعبد الله بن عمر ، قاله في ابنه سالم ، والصواب أنه تمثل به لا أنه قاله .
وأخطأ صاحبُ (العباب) أيضاً في زعمه أن هذا البيت لدارة أبي سالم ، والصواب أنه تمثل به أيضاً ، فإن البيت من أبيات لزهير بن أبي سلمى ثابتة في ديوانه .

قال شارح ديوانه : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميل الوجه حسن الشعر ، وبعث إليه رجلٌ يردين ، فلبسهما الفتى وركب فرساً له جيداً ، وهو بماءٍ يقال لها التتاءة ^(١) ، بضم النون بعدها مثناة فوقية بعدها ألف ممدودة ، فمرَّ بامرأةٍ من العرب فقالت : مارأيْتُ كالِيوم رجلاً ولا بُردين ولا فرساً ^(٢) !!
فعمرت به الفرسُ فاندقت عنقه وعنق الفرس ، وانشقَّ البردان ، فقال زهير يرثى ابنه سالماً :

رأْتُ رجلاً لاقى من العيش غبطةً وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشبَّ له فيها بنونٌ وثوبعت سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
فأصبح محبوراً ينظرُ حوله بمغبطةٍ لو أن ذلك دائمُ
وعندى من الأيام ما ليس عنده فقلت تعلّم أنما أنت حالّم ^(٣)

(١) ط : « بماء » صوابه في ش . وفي ش : « التتائية » ، صوابه في ط . قال ياقوت : « وهو من التتوء ، وهو خروج الشيء عن موضعه من غير بينونة » .

(٢) في شرح الديوان ٣٤١ : « ولا فرساً أحسن » .

(٣) في شرح الديوان : « يخاطب ابنه يقول : مأنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم » .

لَعَلَّكَ يَوْمَا أَنْ تُرَاعَى بِفَاجِعٍ كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ التَّنَاءِ سَالِمٌ (١)
يَدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةً بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ
انتهى .

وروى جماعة بدل أُرِيغُهُ : « أُخِيلُهُ » بالخاء المعجمة ، يقال أُخِلْتُ
السَّحَابَةُ وَأُخِيلَتِهَا ، إِذَا رَأَيْتَهَا مُخِيلَةً لِلْمَطَرِ ، بضم الميم ، أَيْ تَحِيلُ مَنْ رَأَاهَا
أَنَّهُا مُمْطِرَةٌ . وَهُوَ مِنْ خَالَ أَيْ ظَنَّ . وَمَخِيلَةٌ أَيْضاً ، أَيْ مَوْضِعٌ لَأَنَّهُ يُخَالُ فِيهَا
الْمَطَرُ . كَذَا قَالَ الْمَعْرِيُّ (فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ) . وَأَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ .
وروى صاحب الأغاني ، وعلى بن حمزة البصري بدله : « أَشِيمُهُ » ،
يُقَالُ شَامَ الْبَرْقِ ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ ، أَيْ إِلَى سَحَابَتِهِ أَيْنَ تَمُطِرُ . وَالهَاءُ فِي الرَّوَايَاتِ
الثَّلَاثِ ضَمِيرُ الْبَرْقِ فِي بَيْتٍ قَبْلَهُ .

وقوله : (وَمِطْوَايَ) هُوَ مِثْنَى مِطْوٍ ، حَذَفَتْ نُونُهُ عِنْدَ الْإِضَافَةِ إِلَى يَاءِ
الْمُتَكَلِّمِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيُّ (فِي كِتَابِ التَّنْبِيْهَاتِ عَلَى أَغْلَاطِ الرَّوَاةِ) :
الْمِطْوُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا : الصَّاحِبُ . وَأَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ وَقَوْلَ الشَّاعِرِ :
عَلَامٌ تَقُولُ الْأَسْعَدَانِ كَلَاهُمَا
وَمِطْوُهُمَا كَبَشٌ بِذَوْرَةٍ مُعْبَرٌ

وقال صاحب الصحاح : مِطْوُ الشَّيْءِ ، بِالْكَسْرِ : نَظِيرُهُ وَصَاحِبُهُ .
وَأَنْشَدَ :

نَادَيْتُ مِطْوَى وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ بِهِمْ
وَعَبْرَةُ الْعَيْنِ جَارٍ دَمْعُهَا سَجَمٌ

(١) يُخَاطَبُ زَهِيرُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي حَسَدَتْ ابْنَهُ سَالِمًا . وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « تَرَاعَ » ، تَحْرِيفٌ
يُخَالِفُ مَا فِي النُّسخَتَيْنِ وَالْديْوَانِ .

وقال رجلٌ من أزدِ السَّراةِ يصفُ برقاً :

فَظَلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُخِيلُهُ وَمِطْوَاىَ مُشْتَاقَانِ لَهُ أَرْقَانِ
أَيُّ صَاحِبَايَ . انْتَهَى .

وقوله : (مشتاقان) خبر مطواى . وكذلك (أرقان) ، وضمير له للبرق أيضاً .

وروى صاحب الأغاني ، ومحمد بن حمزة العلوى (فى حماسته) :

* ومطواى من شوقٍ له أَرْقَانِ *

وعليه لاشاهد فيه ، فأرقان خبر مطواى ، ومن تعليلية متعلقة بأرقان ، وهو مثنى أرق بكسر الراء ، وهو وصف من الأرق بفتحها ، بمعنى السَّهر .

وهذا البيت من قصيدة لِيَعْلَى الأَحْوَلِ الأَزْدَى ، مطلعُها فى رواية أبى صاحب الشاهد عمرو الشيبانى :

(أَوْيَحَكْمَا يَا وَاشِيئِي أُمَّ مَعْمَرٍ بَمَنْ وَإِلَى مَنْ جِئْتُمَا تَشْيَانِ أَيْتِ الشَّاهِدِ
بَمَنْ لَوْ أَرَاهُ عَانِيًا لَفَدَيْتُهُ وَمَنْ لَوْ رَأَى عَانِيًا لَفَدَانِي
أَرِقْتُ لَبْرِيقِ دُونِهِ شَدَوَانِ يَمَانِ وَأَهْوَى الْبَرْقِ كُلِّ يَمَانِ
فَبْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ أُشِيمُهُ وَمِطْوَاىَ مِنْ شَوْقٍ لَهُ أَرْقَانِ
إِذَا قُلْتُ شَيْمَاهُ يَقُولَانِ وَاهْوَى يَصَادِفُ مَنَّا بَعْضَ مَاتَرِيَانِ)

إلى أن قال بعد أربعة أبيات :

(أَلَا لَيْتَ حَاجَاتِي اللَّوَاتِي حَبَسْتَنِي لَدَى نَافِعٍ قُضِّينَ مِنْذُ زَمَانِ

ومايَ بُغِضَ للبلادِ ولاقَلَى ولكنَّ شوقاً في سواه دَعَانِي
 فليتَّ القلاصَ الأدمَ قد وَخَدَت بنا بوايَ يمان في رُباً وَمَحَانِ
 بوايَ يمانٍ ينبت السُّدرَ صدرُهُ وأسفلُهُ بالمرخ والشَّبهانِ
 يدافعنا من جانبيه كلاهما غريفان من طَرفائه هَدِبانِ
 وَلَيْتَ لَنَا بالجُوزِ واللوزِ غِبلَةً جَنَاهَا لَنَا من بطن حَلِيَّةِ جانِي
 وليتَ لَنَا بالذِّيكِ مُكَّاءَ روضةٍ على فنن من بطن حَلِيَّةِ دَانِي
 وَلَيْتَ لَنَا من ماءٍ زمزم شَرِبَةً مُبَرَّدَةً باتت على طَهْيَانِ

الواشي : النَّمَام ، وشي يشي وشيا . والعاني : الأسير . وشَدَوَان ، بفتح
 الشين المعجمة والذال (١) ، قال أبو عبيد (في المعجم) : هو موضعُ ذَكَرِه أبو
 بكر .

ونافع : والى مكة ، كان حبس الشاعر .

والقلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة الشَّابَّة . والأدم : جمع أدماء .
 والأدمة في الإبل : البياض الشديد . وَوَخَدَت : أسرع . ورُباً : جمع روبة .
 ومحانٍ : جمع محنية ، بفتح الميم وكسر النون ، وهو موضع انحناء الوادي .

والمرخ : شجرٌ سريع الوري . والشَّبهانُ بفتح الشين المعجمة وضم
 الموحدة وفتحها : شجرٌ شائك ، وقيل هو النَّمَام من الرياحين .

والغريف ، بالغين المعجمة : الشجر الكثير الملتف ، أي شجر كان . ٤٠٥

والهذب بفتح فكسر : الشجر الذي له هَذَب بفتححتين ، وهو كل ورق ليس
 له عرض ، كورق الأثل والطرفاء والسرو .

(١) قيده ياقوت بلفظ الثنية . وذكر البكري أنه على وزن فعلان .

والغيلة ، بكسر الغين المعجمة : ثمرة الأراك الرطبة . تمتنى أن يأكل الغيلة بدلَ الجوز واللوز .

وحلية : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بعدها مشاة تحتية ، قال أبو عبيد (في المعجم) : أجمه باليمن معروفة ، وهى مأسدة .

وقوله : وليت لنا بالديك ، أى بدل الديك .

وطهيان بفتح الطاء والهاء والمثناة التحتية ، وهو جبل . يريد أيضاً بدلا من ماء زمزم . وهذا البيت يأتي شرحه إن شاء الله تعالى في حروف الجر في الشاهد الخامس والسبعين بعد السبعمائة .

ويعلى الأزديّ ، بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام بعدها ألف مقصورة . قال الأصهباني (في الأغاني) : يعلى الأحول الأزدي ، هو ابن مسلم بن أبي قيس ، أحد بني يشكر بن عمرو بن فلان — وفلان هو يشكر (١) — ويشكر لقبٌ لُقّبَ به — ابن عمران بن عمرو بن عدى بن حارثة بن لوزان بن كهف الظلام — هكذا وجدته بخط المبرد — ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر . شاعر إسلاميٍّ لصرّ ، من شعراء الدولة الأموية . وقال هذه القصيدة وهو محبوسٌ بمكة عند نافع بن علقمة الكنانى ، في خلافة عبد الملك بن مروان . قال أبو عمرو الشيباني : كان يعلى الأحول الأزديّ لَصّاً فاتكاً، وكان خليعاً يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم فيغير بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السابلة، فشكى إلى نافع بن علقمة بن مُحَرَّر^(٢) الكنانى ثم الفقيمي ، وهو

(١) في الأغاني ١٩ : ١١١ : «بن رألان ، ورألان هو يشكر» .

(٢) في الأغاني : «الحارث» ، وما هنا صوابه . و «محتر» نسبة الى جده الأعلى ، وهو كما في البيان ٣٩٣ ، ٣٠٢ : ١ نافع بن علقمة بن فضلة بن صفوان بن محتر . وقال الجاحظ : إنه كان خال مروان ، وكان واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهرا سيفه لا يغمده .

خال مروان بن عبد الملك ، وكان والى مكة ، فأخذ به عشيرته الأزدية ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمع إليه شيوخ الحى ، فعرفوه أنه خليع قد تبرعوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنه لو أخذ به سائر الأزد ما وضع يده في أيديهم . فلم يقبل ذلك منهم وألزمهم إحضاره ، وضم إليهم شرطاً (١) يطلبونه إذا طرّق الحى يجيئونه به ، فلما اشتد عليهم في أمره طلبوه حتى وجدوه ، فأتوه به فقيده وأودعته الحبس ، فقال في محبسه هذه القصيدة . كذا قال المبرد ، وعمرو بن أبى عمرو الشيباني عن أبيه (٢) . قال الشيباني : ويقال إنها لعمر بن أبى عمارة الأزدى ، من بنى خنيس . ويقال إنها لجؤاس بن حيان ، من أزد عمان . والله أعلم .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الثلاثمائة (٣) :

٣٨٤ (وما بُئى إذا ما كنت جارتنا أن لا يجاورنا إلّاك ديارُ)

على أن وقوع الضمير المتصل بعد إلّا شاذ ، والقياس وقوعه بعدها منفصلاً نحو : أن لا يجاورنا إلّا إياك ديار .

وإنما استحقّ النصب لأنه استثناء مقدّم على المستثنى منه وهو ديار .

وإنما استحقّ الفصل مع أنه معمول لإلّا على الصحيح ، لأنه مانحو مالقيت

(١) ط : « شرط » ، صوابه في الأغاني وفي ش مع أثر تصحيح . والشرط بضم ففتح : جمع شرطى .

(٢) ط : « عن أبى أبيه » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) الخصائص ١ : ٣٧ / ٢ : ١٩٥ وابن عيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٢٥٣ والتصريح ١ : ٩٨ ، ١٩٢ والأشمونى ١ : ١٠٩ .

إلا إياك (١) ، لأنه معمول للفعل بالاتفاق فلا يصح اتصاله بغير عامله ، ثم حمل عليه غير المفرغ ليجريا على سنن واحد .

وإنما سهل وصله في الضرورة لثلاثة أمور :

أحدها : أن الأصل في الضمير الاتصال .

الثاني : أن الأصل في الحرف الناصب للضمير أن يتصل به ، نحو إنك ولعلك .

الثالث : أجرى إلا مجرى أختها فأجريت مجراها في الوصف بها . ٤٦

وزعم ابن مالك (في شرح التسهيل) أن ما في البيت ليس بضرورة ، تمكن الشاعر من أن يقول :

* أن لا يكون لنا خل ولا جار *

وإذا فتح هذا الباب لم يبق في الوجود ضرورة ، وإنما الضرورة عبارة عما أتى في الشعر على خلاف ما عليه النثر . كذا قال ابن هشام في شرح شواهد .

وهذا البيت أنشده الفراء (في تفسيره) (٢) ولم يعزه إلى أحد . قال شارح اللب : ورواية البصريين :

* أن لا يجاورنا حاشاك ديار *

قال صاحب الكشف : ديار من الأسماء المستعملة فيبقى العام ، يقال ما في الديار ديار (٣) ، ودُّيور ، كقَيَّام وقُيُوم . وهو فيعال من الدُّور ، أو من

(١) كذا وردت العبارة في النسختين . وكتب مصحح طبعة بولاق : « هكذا بالأصل ، ولعل العبارة : لأن إيا في نحو مالتيت إلا إياك معمول » .

(٢) لم يرد هذا الشاهد في سورة نوح عند كلمة « ديار » فلعله ساقط من النسخة المطبوعة من معاني القرآن .

(٣) كذا في النسختين ؛ وفي الكشف : « ما بالدار » ، وهو الوجه .

الدار ، أصله دَيَّوَار ، ففَعِلَ به مافعل بأصل سَيِّد ؛ ولو كان فَعَّالاً لكان دَوَّار .

وقال ابن الحاجب (في أمالي المفصل) : معناه إذا حصلت مجاورتك فانتفاء مجاورة كلِّ أحد مغتفرةً غير مُبَالِي بها ؛ لأنَّ مجاورتك هي المقصودة دون جميع المجاورات . وأن لايجاورنا في موضع مفعول ، إمَّا على تقدير حذف حرف جر ، كقولك : ماباليت يزيد ، أو على التعدى بنفسه كقولك : ماباليت زيدا . وديَّار فاعل ليجاورنا . انتهى .

وقول العيني إلَّا هنا بمعنى غير ، فاسدٌ يظهر بالتأمل .

وهذا البيت قلَّما خلا عنه كتابٌ نحوى . والله أعلم بقائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثانون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد س (١) :

٣٨٥ (كَأَنَّا يَوْمَ قُرَىٰ إِمَّا نَقْتُلُ إِيَّانَا)

على أن (إِيَّانَا) فصل من عامله لوقوعه بعد معنى إِيَّا ، وهو شاذٌ .

قال سيبويه في بابٍ من أبواب المضمر : هذا بابٌ مايجوز في الشعر من إِيَّا ولا يجوزُ في الكلام . فمن ذلك قولُ حُمَيْدِ الأَرْقَطِ :

* إِيْلِكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّايَا *

وقال الآخر ، لبعض اللصوص :

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَىٰ إِمَّا نَقْتُلُ إِيَّانَا . انتهى

(١) في كتابه ١ : ٢٧١ ، ٣٨٣ . وانظر الخصائص ٢ : ١٩٤ وأمالي ابن الشجري ١ : ٣٩ والإنصاف ٦٩٩ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٢ .

قال الأعلام : الشاهد في وضع إيانا موضع الضمير المتصل في نقتلنا ، وفي وضع إِيَّاكَ موضع الكاف ضرورة .

وقال الزجاج : أراد بِلَعْنَتِكَ إِيَّاكَ ، فحذف الكاف ضرورة . وهذا التقدير ليس بشيء ، لأنَّه حذف المؤكّد وترك التوكيد مؤكّداً لغير موجود ، فلم يخرج من الضّرورة إلّا إلى أقبح منها . والمعنى : سارت هذه الناقّة إليك حتى بلغتكَ . انتهى .

وقبله :

(أَتَنَكْ عَنَسٌ تَقَطَّعَ الْأَرَاكَ)

والعَنَس ، بسكون النون : الناقّة الشديدة ، أى تقطع الأرضيّ التي هي منابت للأراك . وكان حقُّ الكلام في البيت الشاهد أن يقول : نقتل أنفسنا . لأنَّ الفعل لايتعدى فاعله إلى ضميره ، إلا أن يكون من أفعال القلوب ، لاتقول ضربتني ، ولا أضربني ولا ضربتك ، بفتح التاء ، ولازيدُ ضربه ، على إعادة الضمير إلى زيد ، ولكن : تقول ضربت نفسي ، وضربت نفسك ، وزيد ضرب نفسه . وإنما تجنبوا تعدّي الفعل إلى ضمير فاعله كراهة أن يكون الفاعل مفعولاً في اللفظ ، فاستعملوا في موضع الضمير النفس ، نزّلوها منزلة الأجنبي ، واستجازوا ذلك في أفعال العلم والظنّ الداخلة على جملة الابتداء فقالوا : حَسِبْتَنِي في الدار ، ولم يأت هذا في غير هذا الباب إلا في فعلين ٤٠٧ قالوا : عِدْمَتْنِي وفقدتني . ولمّا لم يمكن هذا الشاعر أن يقول : نقتل أنفسنا ولانقتلنا ، وضع إِيَّانا موضع نا ، وحسّن ذلك قليلاً أن استعمال المتّصل ههنا قبيح أيضاً ، وأنّ الضمير المنفصل أشبه بالظاهر من المتصل ، فإِيَّانا أشبه بأنفسنا من نا . ولكن أقبح منه قول حُميد :

* إِلَيْكَ حَتَّى بَلَعْتَ إِيَّايَا *

لأنَّ اتصال الكاف ببلَعَتْ حسنٌ .

والبيت من أبياتٍ لذي الإصبع العَدَواني ، وهي :

(لقينا منهمُ جمعاً فأوفى الجمعُ ماكانا ^(١)
 كأنا يوم قرئَ لنا نقتل إيانا
 قتلنا منهمُ كلَّ فتى أبيضَ حسانا
 يري يرقل في بُردَي من أبراد نَجْرانا)

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

كذا في أمالي ابن الشجري .

ولم يرو ابنُ الأعرابي (في أماليه) البيت الأول ، وأنشد بعد «نجران» :

(إذا يَسْرَحُ ضاناً مـ لائَةً أتبعها ضانا)

وقوله : «فأوفى الجمع» إلخ هو فعل ماضٍ من الوفاء ، ويجوز أن يريد فأوفى بما كان عليه ، فحذف وأوصل . ويجوز أن يريد فوفى الجمع الذي لقيناه ماكان عليه أن يفعلهُ من الإقدام على قتالنا .

وقوله : (كأنا يوم قرئَ) إلخ بضم القاف وتشديد الراء المهملة بعدها ألفٌ مقصورة . قال أبو عبيد البكري وياقوت (في معجميهما) : قرئَ : موضعٌ في بلاد بني الحارث بن كعب . وزاد أبو عبيد : وقال أبو حنيفة الدَّينوري : قرئَ : ماءة [قرية ^(٢)] من تَبالة ، وتَبالة بفتح المثناة الفوقية بعدها باءٌ موحدة بعدها لام ، على وزن فعالة : بلدٌ، وهي التي يُضرب بها المثل فيقال : «أهونُ من تَبالة على الحجاج» . أبو اليقظان : هي أولُ عملٍ وليه الحجاج ، وهي بلدةٌ صغيرة من اليمن، فلما قرب منها قال للدليل : أين هي ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة . قال : أهونُ علىَّ بعملٍ بلدةٍ تسترها عنى أكمة ! وكرّر راجعاً .

(١) ط : «مانا» ، صوابه في ش وأمالي ابن الشجري .

(٢) التكملة من معجم مااستعجم ١٦٢ .

قال ابن الشجرى : ومعنى قوله كأننا نقتل إيانا ، تشبيه المقتولين بنفسه وقومه فى الحُسْن والسيادة ، فلذلك وصفه بما بعده ، أى هم سادة يلبسون أبرادَ اليمن ، فكأننا بقتلنا إياهم قتلنا أنفسنا . انتهى

وقال ابن الأعرابى : أى لا ينبغي أن نقتل منهم لنفاسهم ، ولكن الجئونا إلى ذلك .

وقال الأعلام : وصف قوماً أوقعوا بينى عمهم ، فكأنهم بقتلهم قاتلون أنفسهم .

وقوله : « كل فتى أبيض حُسَّانا » هو بضم الحاء وتشديد السين : وصف بمعنى الكثير الحُسْن ، كالطُّوال بمعنى المفرط فى الطُّول ، والكُّبار بمعنى المفرط فى الكبر . والبياض هنا : نقاء العِرض عن كل ما يعاب به . وهذا البيت أورده سيبويه فى باب ما لا يكون الاسم فيه إلّا نكرة ، قال : حدّثنى أبو الخطّاب أنّه سمع من يوثق بعرييته من العرب يُنشد هذا البيت :
قتلنا منهم كل فتى أبيض حُسَّانا

فجعله وصفاً لكل . انتهى

فأبيض وحُسان منصوبان على أنّهما نعتان . ويجوز عندى أن يكونا صفتين لفتى ، وفتحتهما نائبة عن الكسرة لأنّهما ممنوعان من الصرف .

٤٠٨ وتبع ابن الشجرى سيبويه فقال : نصب حُسَّانا على الوصف لكل ، ولو كان فى نثر لجاز حُسَّانين وصفاً ^(١) لكل على معناها ، لأنّ لفظها واحد ومعناها جمع . قال : يقال حسنة وحسن ، فإذا بالغوا فى الحُسْن قالوا حُسان وحُسانة مخفّقان ، فإذا أرادوا النهاية فيه قالوا حُسان وحُسانة مشدّدان .

(١) ط : « وصف » .

وقوله: «يُرَى يَرْفُل» إلخ الأول بالبناء للمفعول ، يقال رَفَلَ (١) فلانٌ في ثوبه ، وذلك إذا طال الثوبُ على لابسِه وجَرَّه في مَشْيِه ، ويفعلون ذلك تكبُّراً. وَتَجَرَّان : بلدٌ باليمن يُنْسَج فيها البرود الجيدة (٢) .

وذو الإصبع العَدَوَانِي : شاعرٌ معمرٌ من شعراء الجاهلية . قال أبو حاتم (في كتاب المعمرين) : عاش ذو الإصبع ، وهو حُرثان بن مُحَرَّث ، من عَدَوَان بن عمرو بن قيس عيلان ، ثلثمائة سنة ، وقال :

أصبحتُ شيخاً أرى الشَّخصين أربعةً
والشَّخصَ شخصين لما مَسْنَى الكِبَرُ
لأسمعُ الصَّوْتِ حتى أَسْتَدِيرَ له
ليلاً وإنَّ هو ناغاني به القمرُ

وإنما قال ليلاً ، لأنَّ الأصوات هادئة ، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يَسْمَعَ بالنهار مع ضجَّة الناس وَلَقَطَهُمْ أبعاد (٣) . وإنما قيل له ذو الإصبع ، لأنه كانت له في رجله إصبعٌ زائدة .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : ذو الإصبع حُرثان بن عمرو ، من عَدَوَان بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان جاهلياً . وسمى ذا الإصبع لأنَّ حَيَّةً نهشت إصبعه فقطعها . انتهى .

وقال ابن الأنباري (في شرح المفضليات) : نسبَه أحمد بن عُبيد وغيره فقالوا: هو حُرثان بن الحارث. والأصمعيُّ يقول : ابن السموع بن مُحَرَّث بن

(١) ط : « يرفل » ، وأثبت ماورد في ش مع أثر تصحيح .

(٢) ش : « تنسج » بالتاء .

(٣) مابعده من الكلام لم يرد في كتاب المعمرين . وهو نهاية كتاب المعمرين .

ذو الإصبع

العدواني

شبابه (١) بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن الظَّرب بن عمرو بن عِياذ بن يشكر ابن عَدُوَان ، وهو الحارث (٢) ، بن عمرو بن سَعْد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار . وإنما سمي ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهامَ رجله فقطَعَهَا . ويقال إنه كانت له إصبعٌ زائدة . انتهى

وقال علم الهدى السيد المرتضى (في أماليه غرر الفوائد ودرر القلائد): ومن المعمرين ذو الإصبع العدواني ، واسمه حُرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان ، وهو الحارث ، بن عمرو بن قيس بن عيلان (٣) بن مضر . وإنما سمي الحارث عدوان لأنه عدا على أخيه فهِم فقتله . وقيل بل فقا عينه . وقيل : إن اسم ذى الإصبع محرث بن حُرثان ، وقيل حُرثان بن حويرث ، وقيل حُرثان بن حارثة . ويكنى أبا عدوان . وسبب لقبه بذي الإصبع أن حيّة نهشته على إصبعه فشلت فسمّى بذلك . ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاش ثلاثمائة سنة . وهو أحد حكام العرب في الجاهلية .

ثم أورد السيّد جملاً من أحواله الى أن أورد هذه الحكاية . وأوردها الزجاجي أيضا (في أماليه الصغرى) (٤) بسندهما الى سعيد بن خالد الجَدَلِي ، أنه قال : لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب بن الزبير دعا الناس إلى فرائضهم ، فأتيناه فقال : ممّن القوم ؟ قلنا : من جديلة . فقال : جديلة عدوان ؟ قلنا : نعم . فتمثلَّ عبدُ الملك :

(١) في شرح المفضليات ٣١٢ : « بن شباب » .

(٢) في شرح المفضليات : « بن عدوان بن الحارث » .

(٣) في أمالي المرتضى ١ : ٢٤٤ : « بن قيس عيلان » ، وكل صواب .

(٤) انظر ملحقات أمالي الزجاجي بتحقيق كاتبه ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَثْوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُرْعَوْا عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفَّونَ بِالْقَرْضِ (١)

ثم أقبل على رجل كُنَّا قَدَّمْنَاهُ أَمَامَنَا ، جَسِيمٌ وَسِيمٌ ، فقال : أَيُّكُمْ
يقول هذا الشعر ؟ فقال : لأدري . فقلت مِنْ خَلْفِهِ : يقوله ذُو الإصْبَعِ .
فتركتني وأقبل على ذلك الجسيم فقال : وما كان اسْمُ ذِي الإصْبَعِ ؟ فقال :
لأدري . فقلت أَنَا مِنْ خَلْفِهِ : اسْمُهُ حُرْثَانٌ . فأقبل عليه وتركتني . فقال : لم
سمي ذَا الإصْبَعِ ؟ فقال : لأدري . فقلت أَنَا مِنْ خَلْفِهِ : نهشته حَيَّةٌ عَلَى
إصْبَعِهِ (٢) . فأقبل عليه وتركتني . فقال : من أَيُّكُمْ كان ؟ فقال : لأدري .
فقلت أَنَا مِنْ خَلْفِهِ : من بنى نَاجٍ . فأقبل على الجسيم فقال : كم عَطَاؤُكَ ؟
فقال : سَبْعُمِائَةِ دِرْهَمٍ . ثم أقبل عَلَى فَقَالَ : كم عَطَاؤُكَ ؟ قلت : أَرْبَعُمِائَةِ
دِرْهَمٍ . فقال لكَاتِبِهِ (٣) حُطُّ مِنْ عَطَاءِ هَذَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَزَدْهَا فِي عَطَاءِ هَذَا .
فَرَحْتُ وَعَطَاتِي سَبْعُمِائَةٍ وَعَطَاؤُهُ أَرْبَعُمِائَةٍ . ا هـ

وأورد له من شعره قوله :

أَكَاثِيرُ ذَا الضَّغْنِ الْمُبِينِ مِنْهُمْ وَأَضْحَكُ حَتَّى يَدْوِ النَّابُ أَجْمَعُ (٤)
وَأَهْدِنَهُ بِالْقَوْلِ هَذَا وَلَوْ يَرَى سَرِيرَةً مَا أَخْفَى لِبَاتٍ يَفْزَعُ

(١) بعده في أمالي المرتضى ١ : ٢٥٠ :

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضَى فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضَى
وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِيزُ النَّاسَ سَ فِي السَّنَةِ وَالْفَرْضِ

(٢) في الأمالي : « في أصبعه » .

(٣) في أمالي المرتضى : « فقال : يَا أَبَا الزَّعِيْزَةِ » ، وهو اسم كاتبه على ديوان الرسائل ، كما في تاريخ
الطبري ٦ : ١٨٠ . وفيه ص ١٤٥ وقد قيل إن عبد الملك بن مروان لما خرج إلى الصلاة أمر غلامه أبا
الزَّعِيْزَةَ بقتل عمرو . وفي الأمالي : « يَا ابْنَ الزَّعِيْزَةِ » ، تحريف .

(٤) ط : « أَكَاثِرُ كَالضَّغْنِ » ، صوابه في ش وأمالي المرتضى والزجاجي .

ومعنى أهْدِنه : أسْكِنه . ومنه قوله :

إذا ما الدَّهْرُ جَرَّ على أناسٍ شَرَّاشِرُهُ أنَاخُ بآخرينَا
فقلْ للشَّامِتَيْنِ بنا: أفيقُوا سيَلْقَى الشَّامِتُونَ كما لقينا
ومعنى الشَّرَّاشِرِ، هنا: الثقل. يقال: ألقى على شرَّاشِرُهُ وجراميزه، أى ثقله.
ومن قوله أيضا (١) :

ذهبَ الدين إذا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُؤًا إِلَى وَرَحْبُوا بالمَقْبِلِ
وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا حَمَلَتْ حَمَالَةٌ وَلَقِيَتْهُمْ فَكَأَنَّنِي لَمْ أَحْمِلِ
وَالْحَمَالَةُ بِالْفَتْحِ : تَحْمِلُ دِيَةَ الْقَتِيلِ عَنِ الْقَاتِلِ .
وَحُرْتَانِ بضم الحاء المهملة وسكون الراء بعدها ثاء مثلبة . ومحَرَّتْ
بكسر الراء المشددة على زنة اسم الفاعل (٢) . وَعَدَوَانِ بفتح العين وسكون
الذال المهملتين . وَالسَّمْوَلُ بفتح السين والميم وسكون الواو بعدها همزة
مفتوحة ولام . وَشَبَابَةٌ بفتح الشين المعجمة بعدها موحَّدتان خفيفتان . وَعِيَاذُ
بكسر العين المهملة بعدها مثناة تحتية وآخره ذال معجمة . وَالظَّرْبُ بفتح
الطاء المعجمة المشالة وكسر الراء . وَفَهْمُ بفتح الفاء وسكون الهاء وثالثه ميم ،
وهو أَخُو عَدَوَانِ .

* * *

وأنشد بعده :

(تَرَاكِهَا مِنْ إِبْلِ تَرَاكِهَا)

وتقدم شرحه مستوفى فى الشاهد الحادى والستين بعد الثلاثمائة (٣).

(١) ط : « ومنه قوله أيضا » ، وأثبت ما فى ش ومالى المرتضى .

(٢) الذى فى اللسان والقاموس أنه كمحمَّد ، بزنة اسم المفعول .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٦٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثانون بعد الثلاثة^(١) :

٣٨٦ ضَمِنَتْ إِيَّاهُمْ الْأَرْضُ (

هذا قطعة من بيت ، وهو :

(بالباعث الوارث الأموات قد ضَمِنَتْ

إِيَّاهُمْ الْأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَائِرِ (

على أَنَّ فصل الضمير ضرورة ، والقياس ضَمِنَتْهُمْ الْأَرْضُ .

كذا أنشده ابن الشجري (في أماليه) وقال : ومثله في القُبْح^(٢) ضمير

الرفع . قال طرقة :

أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ بَلْ صَرَمُوا يَصَاحُ ، بَلْ قَطَعَ الْوِصَالَ هُمْ ٤١٠

وأنشده شراح الألفية ، وابن هشام (في شواهد) أيضاً ، بتقديم

الباعث على الوارث . والأنسب الرواية الأولى .

والباء في قوله (بالوارث) متعلقة بحلفت في بيتٍ متقدّم ، وهو :

(إِنِّي حَلَفْتُ وَلَمْ أَحْلِفْ عَلَى فَنَدٍ فَنَاءَ بَيْتٍ مِنَ السَّاعِينَ مَعْمُورٍ)

وقوله : « ولم أحلف على فند » الجملة حال من التاء في حلفت . والفند ،

بفتح الفاء والنون : الكذب . وفناء البيت : ساحته ؛ وهو بكسر الفاء بعدها

نون ، وهو ظرف لقوله حلفت . وأراد بالبيت بيت الله الحرام ، زاده الله شرفاً .

ومن متعلقه بمعمور . والسَّاعِينَ : الذين يسعون إليه من جميع البلاد . ومعمور

صفة لبيت .

(١) الخصائص ١ : ٣٧ / ٢ : ١٩٥ وأمالي ابن الشجري ١ : ٤٠ والإنصاف ٦٩٨ والعيني

١ : ٢٧٤ والتصريح ١ : ١٠٥ والأشمونى ١ : ١١٦ وديوان الفرزدق ٢٦٦ .

(٢) ط : « في الفتح » ، صوابه في ش . وفي أمالي ابن الشجري : « .. قبيح ، ومثله في ضمير

الرفع » .

و (الوارث) و (الباعث) : اسمان من أسماء الله الحسنی ، أقسمَ بهما .
والوارث : الذى يرجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك (١) . والباعث هو الذى
يبعثُ الخلق ، أى يُحييهم بعد الموت يومَ القيامة . و (ضمنتُ) بكسر الميم
بمعنى تضمّنت عليهم ، أى اشتملت عليهم ، أو بمعنى كفلت ، كأنّها
تكفّلت بأبدانهم . و (الأرض) فاعل ضمنت . و (الدهر) : الزمان . ودهر
الدهارير : الزمان السالف ، وقيل أوّل الأزمنة السالفة . وإذا قيل دهرٌ
دهاريرُ (٢) بالصفة فمعناه شديد ، كما يقال ليلةٌ ليلاء .

قال ابن هشام : و (الأموات) إمّا منصوب بالوارث على أن الوصفين
تنازعا وأعمل الثانى والأوّل لاضمير فيه (٣) ، وإما مخفوض بإضافة الأوّل أو
الثانى ، على حد قوله (٤) :

* بين ذراعى وجهه الأسد *

وأما قوله : قد ضمنت إياهم الأرض ، فهو إما حال من الأموات (٥) أو
وصفٌ ، لأنّ أل فيها للجنس .

والبيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد صاحب الشاهد
ابن المهلب .

وقبله :

(ياخير حىّ وقت نعلّ له قدماً وميّت بعد رُسل الله مقبور
أبيات الشاهد

(١) ش : « الملك » .

(٢) ط : « دهر الدهارير » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « وإلا لأضر فيه » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح بخط الناسخ لا الشنقيطى .

(٤) ط : « على حد قولهم » ، وأثبت ما فى ش .

(٥) ط : « إما حال من الأرض » ، صوابه فى ش .

إِنِّي حَلَفْتُ وَلَمْ أَحْلِفْ عَلَى فَنَدٍ فَنَاءَ بَيْتٍ مِنَ السَّاعِينَ مَعْمُورٍ^(١)
 فِي أَكْبَرِ الْحَجِّ حَافٍ غَيْرٍ مَتَعِلٍ مِنْ حَالِفٍ مُحَرِّمٍ بِالْحَجِّ مَصْبُورٍ^(٢)
 بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِنْتُ إِيَاهُمْ الْأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَارِ
 إِذَا يَثُورُونَ أَفْوَاجًا كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ رِيحٍ مِنَ الْأَجْدَاثِ مَنْشُورٍ
 لَوْ لَمْ يَيْشُرْ بِهِ عَيْسَى وَبَيْنَهُ كُنْتُ النَّبِيُّ الَّذِي يَدْعُو إِلَى النُّورِ
 فَأَنْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ إِيَّاهُ صَاحِبُهُ مَعَ الشَّهِيدِينَ وَالصَّدِّيقِ فِي السُّورِ^(٣)

وَالْفَنَدُ ، بفتح الفاء والنون : الكذب . والمصبور : الذى صَبَرَ نفسه
 على أفعال الحج ، أى حبسها .

وقوله : إِذَا يَثُورُونَ ، متعلقٌ بالباعث ، يريد : كأنهم جرادٌ نشرته الريح
 وفرَّقته . ومنشور كان حَقُّه الرفع ، لَأَنَّهُ نَعَبْتُ لَجَرَادٍ ، وَلَكِنَّهُ خَفَضَهُ عَلَى
 الْمَجَاوِرَةِ .

وقوله : لَوْ لَمْ يَيْشُرْ بِهِ إِنْخ ، هذا جوابُ القسم ، وفيه مبالغةٌ فاحشة .
 وترجمة الفرزدق تقدّمت في الشاهد الثلاثين^(٤) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالثَّانُونَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ^(٥) :

(١) في شرح الديوان ٢٦٤ : « ونصب فناء لما ترك الصفة ، يريد في فناء بيت » ، يعنى نصب
 على نزع الخافض . والكوفيون قد يسمون حروف الجر حروف الصفات لأنها تقع صفات لما قبلها من
 النكرات . انظر ابن يعيش ٨ : ٧ .

(٢) المصبور هنا : الذى صَبَرَ نفسه على الحج ، أى حبسها عليه .

(٣) في الديوان : « أَذْ لَمْ تَكُنْ » . والسور : جمع سورة ، وهى أعلى المنازل .

(٤) في الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٥) ديوان الأعشى ١١٩ . وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣١٧ والإنصاف ٥٨ .

٣٨٧ (وإنَّ أُمراً أُسرى إِلَيْكَ ودونه
من الأرض موماً ويبدأ سملق
لمحقوقة أن تستجيبى لصوته
وأن تعلمى أن المعان موفق)

٤١١ عَلى أن الكوفيين أجازوا ترك التأكيد بالمنفصل فى الصفة الجارية عَلى
غير من هى له ، إن أَمِنَ اللبس ، فإنَّ قوله (لمحقوقة) خبر عن اسم إنَّ
وهو فى المعنى للمرأة المخاطبة ، ولم يقل لمحقوقة أنت .

وأقول : الظاهر من كلام ابن الشجرى (فى أَماليه) ومن كلام ابن
الأنبارى (فى مسائل الخلاف) ومن كلام غيرهما ، أنَّ مذهب الكوفيين جوازُ
ترك التأكيد مطلقاً ، سواء أَمِنَ اللبس أم لا .

قال ابن الأنبارى: احتجَّ الكوفيون لمذهبهم بالشعر المتقدم ، ويقولون:
تَرى أرباقهم متقلديهم — كما صدىء الحديد عَلى الكماة^(١)
ولو كان إبراز الضمير واجباً لقال متقلديها هم ، فلما لم يبرز الضمير دلَّ
عَلى جوازه . وأجاب البصريون عن هذا بأنَّه على حذف مضاف ، أى ترى
أصحاب أرباقهم متقلديها . وعن الأوَّل بجوازين : أحدهما ما نقله ابن الشجرى
عن أبى عَلى ، وهو أنَّه ليس فى قوله محقوقة ضمير ، لأنَّه مسند إلى المصدر الذى
هو أن تستجيبى ، فالتقدير لمحقوقة استجابتك ، فجعل التانيث فى قوله لمحقوقة
للاستجابة للمرأة ، حتى إنَّه لو قال لمحقوق بالتذكير لجاز ، لأنَّ تانيث الاستجابة
غير حقيقى . وحاصله أنَّ المصدر المؤوَّل نائبُ الفاعل لقوله محقوقة . وإلى هذا
ذهب ابن هشام (فى شرح شواهد) .

(١) فى معانى الفراء ٢ : ٢٧٧ : « إذا صدىء الحديد » .

والجواب الثانى مذكروه ابن الأنبارى ، بأنَّ قوله أنَّ تستجيبى مبتدأ مؤخر ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر اسم إنَّ ، والرباط الضمير فى لصوته .
ويحتمل هذين الجوابين مانقله العسكرى ^(١) (فى كتاب التصحيح)
قال : أخبرنى أبى قال : أخبرنا عسل بن ذكوان قال : قال أبو عثمان المازنى :
سألنى الأصمعى لم أنتَّ محقوقة ^(٢) ؟ قلت : لأنَّه موضع مصدر مؤث ،
لأنَّ معناه استجابتك لصوته ؛ وأنَّ تستجيبى هى استجابتك . فلم يردَّ على
شيئاً . اهـ

وأجاب صاحب اللباب بأنَّ هذا لضرورة الشعر ، ولم يرتض الجوابين المذكورين . قال فيما أملاه على اللباب : قوله لمحقوقة إنَّما جرى على غير من هو له ، لأنَّ التقدير وإنَّ امرأ محقوقة بالاستجابة . لا يقال جاز أن يكون أن تستجيبى فاعل محقوقة ، أو مبتدأ خبره محقوقة مقدما ، لأنَّه يقال زيد حقيق بالاستجابة ، فيسند إلى الذات ، ولا يقال الاستجابة حقيقة بزيد . ولذلك يتأول قوله تعالى : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ ^(٣) ﴾ ، كما هو مذكور (فى الكشف) - اهـ

وأجاز شارحه الفالى ^(٤) مامنعه ، وأجاب عما أورده فقال : ويمكن أن

(١) ط : « السكرى » ، صوابه فى ش

(٢) فى التصحيح ٣٦ : « سألنى الأصمعى عنها لم أنتَّ المحقوقة » .

(٣) الأعراف ١٠٥ .

(٤) فى النسختين : « الفالى » بالقاف ، صوابه بالفاء ، كما سبق التنبيه فى مواضع كثيرة . وفى بغية الوعاة : « محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى المعروف بالفالى بالفاء ، صاحب شرح اللباب لم أقف له على ترجمة » . لكن ذكر الميمنى فى الإقليد أن اسمه إسماعيل الفالى ، وأنه يوجد من كتابه كثير من النسخ بالهند .

يُقال إنَّ قوله أنَّ تستجيبى مبتدأ مؤخر ^(١) ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر إنَّ، فقد جرت على من هي له . ومحقوقة بمعنى جدية . يقال أنت حقيقٌ أن تفعل كذا، وزيد حقيق به ومحقوق به ، أى خليك له . وكان حقه أن يسند إلى الذات فيقال زيد حقيق بالاستجابة ، لا أنَّ الاستجابة حقيقة بزيد . ونظير ذلك ما استشكل من قوله تعالى : ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ فيمن قرأ بغير تشديد الياء من على . وتأول بتأويلات أحدها : أنه على القلب . والثاني : أنَّ ما لزمك فقد لزمته . والثالث : أنَّ المراد حقيق على ترك القول إذ أكون أنا قائله ، ولا يرضى إلا بمثل ناطقاً به ^(٢) . اهـ

والبيت الأول من هذين البيتين قد أنشده الشارح في الشاهد الرابع بعد المائتين ، من باب الحال ، وتقدم الكلام عليه مع أبيات من أول القصيدة هناك ^(٣) .

صاحب الشاهد

والقصيدة للأعشى ميمون .

وقبله :

إذا خبَّ آلٌ وسَطَه يترقُّ
مُخَوِّفٌ عِلَافِيٌّ وَقَطْعٌ وَنُمرُقٌ
ألم بها من طائف الجنِّ أولق
... .. البيتين ^(٤)
وسهب به مُستوضحُ الآل يبرق

(وَحَرِقٌ مَخَوِّفٌ قَدْ قَطَعَتْ بَجَسْرَةٍ)
هِيَ الصَّاحِبُ الْأَدْنَى وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَتَصَبَّحَ مِنْ غَبِّ السُّرَى وَكَأَنَّمَا
وَإِنَّ أَمْرًا أُسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ
وَكَمْ دُونَهُ مِنْ حَزَنٍ قُفٍّ وَرَمْلَةٍ

(١) كلمة « مؤخر » ساقطة من ش .

(٢) ش : « لا بمثل ناطقاً به » .

(٣) الخزاعة ٢ : ٢٥٢ .

(٤) في الديوان ١٤٩ : « كم دون ليلى من عدو وبلدة » ..

- وأَصْفَرَ كَالْحَتَاءِ ذَاوِ جِمَامُهُ متى ما يذقه فارطُ القوم يَيْصُقُ (١)
 به تُنْفَضُ الْأَحْلَاسُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتُعْقَدُ أَطْرَافُ الْحَبَالِ وَتُطْلَقُ (٢)
 وَإِنَّ عَتَاقَ الْعَيْسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مَعْلُوقُ (٣)
 وَلَا بَدَّ مِنْ جَارٍ يُجِيرُ سَبِيلَهَا كَمَا سَلَكَ السَّكِيُّ فِي الْبَابِ فَيَتَّقُ (٤)

قوله : «وخرق» بفتح الخاء المعجمة : القفْرُ ، والأرض تنحرق فيها الرياح ، وهو مجرورٌ برَبِّ المقدرة بعد الواو . والجسرة ، بفتح الجيم وسكون السين المهملة : الناقة القوية على السير . وخبَّ بمعنى خدع . والآل : السراب في أول النهار ووسطه ، ويتفرق أى ينصبُّ خبره ، والجملة صفة آل ، والعائد الضمير . يقال رَقِرَ الماءُ وغَيِرَ ، إذا صبَّه رقيقاً . والسراب هكذا يُرى للنَّازِرِ إليه .

وقوله : «هى الصاحب» إلخ الأدنى : الأقرب . والمجوف بالجيم : الرَّحْلُ . والعِلافِيُّ منسوب إلى علاف ، بكسر المهملة ، وهو رجلٌ من قُضَاعَةَ كان يعمل الرِّحالَ . والقِطْع ، بكسر القاف : طُنْفَسَةٌ ، أى بساطٌ ، يجعله الراكب تحته ، ويغطِّي كَتَفَيِ البعير . والثَّمَرِق : الوسادة ، وهى هنا وسادةٌ فوق الرَّحْلِ .

وقوله : «وتصبح من غيب» إلخ الغيبُّ بالكسر : عاقبة الشيء . وألَمْ بمعنى نزل ، وفاعله أولق ، وهو الجنون . يريد أنها شديدةٌ جداً لا يحصل لها إعياء كالجنون .

وقوله : «وإنَّ امرأً أسرى» إلخ ، هذا انتقالٌ من وصف ناقته إلى خطاب امرأة . وأراد بالمرءِ نفسه . وأسرى : لغةٌ فى سرى . ودُونُهُ بمعنى أمامه وقُدَّامه .

(١) فى الديوان : «طام جهامه اذا ذاقه مستعذب الماء» .

(٢) فى الديوان : «وتعقد أنساع المطى» .

(٣) ط : «تزوركم» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٤) فى الديوان : «يجيز سبيلها كما جوز السكى» .

والمَوماة ، بفتح الميم : الأرض التى لا ماء فيها . والبيداء : القفر . والسَّمْلَق : الأرض المستوية .

وهذا البيت رُوى (فى ديوانه وغيره من كتب الأدب) كذا :
 وإنَّ امرأً أهداكُ بينى وبينه فيأفٍ تُنَوِّفُ وَيَهْمَاءُ سَمْلَقُ
 فالمراد من المرء ممدوحه ، والخطاب لناقته المذكورة . وكان ممدوحه أهداها له ،
 فالكلام على هذه الرواية من أوله إلى هنا خطابٌ لناقته . ومنه يظهر أنَّ
 المناسب فى الرواية الأولى أيضا كونُ المراد بالمرء ممدوحه والخطابُ لناقته ، وأنَّ
 أسرى بمعنى حُمِلَ عَلَى السَّرَى ، وإلى بمعنى على ، ليكون الكلام على وتيرة
 واحدة . وفيأفٍ : جمع فَيَافٍ ^(١) ، وهى الفلاة . و(تنوفات) : جمع تنوفة ،
 وهى القفر . واليهماؤ بفتح المشناة التحتية : الأرض التى لا يهتدى فيها . وروى
 « خيفق » بدل « سملق » بفتح الخاء المعجمة وسكون المشناة التحتية وفتح
 الفاء ، وهى الفلاة الواسعة .

وقوله : « أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقٌ » كلاهما اسم مفعول من الإعانة والتوفيق .
 قال السيد المرتضى (فى أماليه) : فيه قلبٌ ^(٢) ، يريد أن الموفق معان . وقال
 المرزبانى (فى الموشح) : ينبغى للشاعر أن يتفقد مصراع كل بيت حتى يشاكل
 ما قبله ، فقد جاء من أشعار القدماء ما يختلف مصاريعه ، كقول الأعشى :
 * وَأَنْ تَعْلَمَى أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقٌ ^(٣) *

(١) يقال فَيَافٍ وفَيَافَةٌ ، كلاهما بمعنى الصحراء الملساء .

(٢) فى ط : « قلت » موضع « فيه قلب » ، صوابه فى ش . والذى فى أمالى المرتضى ١ : ٤٦٦
 (يريد أن الموفق معان) فقط .

(٣) ط : « وَأَنْ تَعْلَمُوا » ، صوابه فى ش والموشح ٥٤ .

٤١٣

غير مشاكل لما قبله . وكذلك قال صاحب (تهذيب الطبع) .
 وقوله : «وكم دونه» إلخ ، الضمير للمرء . والحزن ، بالفتح : الأرض
 الوعرة . والقَفُّ بضم القاف : ما ارتفع من الأرض . والسَّهْب بالفتح :
 الفلاة والأرضُ المتسعة .

وقوله : «وأصفرَ كالحِجَاء» يعنى ماءً أصفر كالحِجَاء . وذاوٍ : متغيرٍ .
 والجمام بكسر الجيم : جمع جَمَّ بفتحها ، وهو الماء الكثير . وفارط القوم ،
 بالفاء ، هو الذى يتقدمهم إلى الورْد لإصلاح الحوض والدَّلاءِ . يقال فرط
 القومَ يفرطهم فرطاً ، إذا تقدمهم لما ذكرنا . وإنما يصقُّ عند ذوقه لمرارة
 الماء وتغيُّره .

وقوله : « به تُنفَض » إلخ ، الحِلْس بكسر المهملة : كساءٌ على ظهر
 البعير تحت البرْدعة ^(١) ويسط في البيت تحت حُر الثياب . وإنما تُنفَض
 للرحيل .

وقوله : «وإنَّ عِتَاقَ العيس» إلخ ، هذا المعنى أوَّل من اخترعه
 الأعشى ، وأخذَه من جاء بعده . قال القطامي :
 لأعلِّقنَّ على المطى قصائداً أذر الرواة بها طويل المنطق ^(٢)
 وقال نُصِيب :

فعاوجوا فاثنوا بالذى أنتَ أهله

ولو سكتوا أثنتُ عليك الحقائق

(١) ط : «البرْدعة» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفي اللسان : « البرْدعة : الحِلْس الذى
 يلقي تحت الرحل . قال شمر : هى بالذال والذال . » وكلاهما بفتح الباء .
 (٢) ط : « أذر » ، صوابه فى ش ودويان القطامى ٣٥ . وفى النسختين : « طويل المنطق » ،
 صوابه من الديوان .

ومن هنا أخذ أبو العتاهية قوله :

فإذا وردن بنا وردن خفائفاً وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا
وقوله : «ولا بدّ من جارٍ» إلخ ، الجار له معان ، والمراد هنا المجير ، ويقال
أيضاً للمستجير ^(١) ، وللحليف ، وللناصر ، وللمجاور الذي أجزّته من أن
يُظلم . والسكّي ، بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والياء ، وهو
المسمار ، ويقال له السكّ أيضاً بدون الياء . والفيتق ، بفتح الفاء وسكون
المثناة التحتية وفتح المثناة الفوفية : النّجار ، والحدّاد .
وترجمة الأعشى تقدمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل
الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الثلاثئة ^(٣) :

٣٨٨ (فلا تطمع أبيت اللعن فيها ومنعكها بشيء يُستطاع)
على أن مابعد الضمير المحرور إذا كان أنقص تعريفاً جاز فيه الانفصال
والاتصال ، فإنه كما جاز (منعكها) يجوز منعك إيّاها . وكاف المخاطب محلّها
الجر بإضافة المصدر إليها وهو المنع ، وضمير الغائب أنقص تعريفاً من ضمير
المخاطب .

قال ابن هشام (في شواهد) : هذا ممّا اتفق على أن فصله أرجح .
وأورده ابن الناظم والمرادى (في شرح الألفية) على أن هذا ، أعنى وصل
ثاني ضميرين عاملهما اسم واحد ، ضعيف ، والقياس : ومنعك إيّاها . كذا نقل

(١) ط : «التسجير» ، صوابه في ش .

(٢) الخزائن ١ : ١٧٥ .

(٣) شرح شواهد المغنى ١١٦ والعينى ١ : ٣٠٢ والأشعري ١ : ١١٨ ، ١٢٠ وشرح المرزوقي

العينيُّ عنهما هذا . والمنقول في اللغة أنَّ مَنَعَ مما يتعدى إلى المفعول الثاني تارةً بنفسه وتارةً بحرف الجر ، يقال منعتك كذا ، أو منعتك عن كذا أو من كذا .
ففي تصوير الفصل ينبغي أن يقيّد المفعول الثاني بحرف الجر . وفاعل المصدر هنا محذوف ، أى مَنَعِيكَ ^(١) عنها . والهاء ضمير راجع لسَكَابِ ، وهو اسم فرس . والباء في قوله : (بشيء) زائدة في خبر المبتدأ الذى هو منعكها . وبه استشهد ابنُ هشام (في المغنى) . قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : قد جاء زيادة الباء في الخبر ، ألا ترى إلى قول أبى الحسن في قول الله تعالى : ﴿ جزاء سيئة بمثلها ^(٢) ﴾ : إن تقديره جزاء سيئة مثلها ، اعتباراً لقوله عزَّ اسمه ^(٣) : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ^(٤) ﴾ ، فكأنه قال : ومنعكها شيء يستطيع ، أى أمرٌ مُطابقٌ غير باهظ ولا معجز ، أى فاله عنها ولا تعلق فكرك بها . ويجوز وجه آخر وهو أن يريد: ومنعكها بمعنى من المعانى ممّا يستطيع ، وذلك المعنى إمّا غلبةً ومُعَاوَةً ، وإمّا بقاءً تُقَدِّمُها به منك ، أو غير ذلك ، فيكون المعنى قريباً من الأول ، إلا أنه ^(٥) أليّن جانباً منه . فالباء على هذا متعلقة بنفس المنع . ويجوز أيضاً أن تعلق يستطاع ، أى يستطيع بمعنى من المعانى ويُقدَّر عليه به . اهـ .
وهذا البيت آخر أبيات أربعة أوردها أبو تمام في الحماسة ، ونسبها إلى رجل من بنى تميم ^(٦) وقد طلب منه ملكٌ من الملوك فرسا يقال لها سَكَابِ ، فمَنَعَهُ إِيَّاهَا وقال :

٤١٤

صاحب الشاهد

(١) ط : «منعتك» ، صوابه في ش .

(٢) يونس ٢٧ .

(٣) وكذا في إعراب الحماسة ٣٨ « لقوله عن اسمه » .

(٤) الآية ٤٠ من الشورى .

(٥) ط : «لا أنه» ، صوابه في ش وإعراب الحماسة .

(٦) هو عبيدة بن ربيعة بن قحطان ، كما في خيل ابن الأعرابي ٦٢ . ونسبت الأبيات في الحماسة

البصرية إلى القحيف العجلي .

(أَيَّتَ اللَّعْنِ إِنَّ سَكَابَ عَلِقَ نَفِيسٌ لَا يُعَارُ وَلَا يُبَاعُ) ^(١) أبيات الشاهد

مَفْدَاةٌ مُكْرَمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تَجَاعُ
سَلِيلَةُ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلَاهَا إِذَا نُسِبَا يَضْمُهُمَا الْكُرَاعُ
فَلَا تَطْمَعُ أَيَّتَ اللَّعْنِ فِيهَا

وَكَفَى تَسْتَقِلُّ بِحَمَلِ سَيْفِي وَبَى مَمَّنْ تَهَضَّمْنِي امْتِنَاعُ
وَحَوْلَى مِنْ بَنَى قُحْفَانَ شَيْبُ وَشَبَّانُ إِلَى الْهَيْجَا سِرَاعُ
إِذَا فَزَعُوا فَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ وَإِنْ لَاقَوْا فَأَيْدِيهِمْ شِعَاعُ

وقوله : «أَيَّتَ اللَّعْنِ» الخ ، أى أبيت الأمر الذى تُلعن عليه إذا فعلته . قال المرزوق (فى شرح الحماسة) : أبيت اللعن : تحية كان يستعطف به الملوك ^(٢) . وأصل اللعن ؛ الطرد . قال الشاعر :

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ ^(٣)

يعنى إلا أن يقال لى : أبيت اللعن ؛ لأنه تحية الملوك ، وكأنه قال : نلتُ كلَّ شيءٍ إلا الملك . وسكاب : فرس ، إذا أعرته منعه الصرف لأنه علم ، فلحصول التعريف فيه والتأنيث مع كثرة الحروف يمنع الصرف ، والشاعر تيمى وهذه لغة قومه . وإذا بنيته على الكسر أجريته مجرى حذام لأنه مؤنث معدول معرفة . فلمشابهته هذه الأوصاف : ذراك ونزال بنى ، وهذه اللغة

(١) فى الحماسة : « لانعار والاتباع » .

(٢) وكذا فى شرح الحماسة للمرزوق ، والمراد : هذا التعبير . وفى ش مع أثر تغيير : « يستعطف بها الملوك » .

(٣) لزهير بن جَنَاب ، فى المعمرين ٢٦ .

حجازية . واشتقاق سَكَاب من سَكَبْتُ ، إذا صَبَيْتَ ^(١) . ويقال في صفة
الفرس بَحْرٌ وَسَكَبٌ .

وقوله : « علق نفيس » أى مالٌ يُبَخَّل به ، وهذا كما يقال هو علق مَضِنَّةً
بالكسر . يقول : إِنَّ فَرْسِي نَفِيسٌ لَا يُبَذَل لِلْإِعَارَةِ ، وَلَا يُعْرَضُ لِلْبَيْعِ .

وقوله : « مَفْدَاةٌ مَكْرَمَةٌ » ، إلخ يقول : هِيَ لِعَزَّتْهَا عَلَى أَرْبَابِهَا تَفْدَى
بِالْآبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ ، وَتُؤَثَّرُ تَكْرِيماً لَهَا عَلَى الْعِيَالِ ، عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالْإِقْتَارِ ،
فَيَجُوعُ الْعِيَالُ وَلَا تَجُوعُ هَذِهِ .

وقوله : « سَلِيلَةٌ » إلخ يقول : هِيَ وَلَدُ فَرْسَيْنِ سَابِقَيْنِ ، إِذَا تُسَبَا ضَمٌّ
مَنَاسِبُهُمَا الْكَرَاعُ ، وَهُوَ بِالضَّمِّ فَحْلٌ كَرِيمٌ مَعْرُوفٌ . وَأَصْلُ الْكَرَاعِ أَنْفٌ يَتَقَدَّمُ
مِنَ الْجَبَلِ ، فَسُمِّيَ هَذَا الْفَحْلُ بِهِ لِعِظَمِهِ . وَسَلِيلَةٌ أُلْحِقَ الْهَاءُ بِهَا وَإِنْ كَانَ
فَعِيلًا فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ لِأَنَّهُ جُعِلَ اسْمًا ، كَمَا تَقُولُ هِيَ قَتِيلَةٌ ^(٢) بَنَى فَلَانٌ .
وَمَعْنَى سُلُّ نُرْعٍ . وَيُقَالُ نَجَلًا وَلَدَهُمَا وَتَنَاجَلَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَمِنْهُ التَّنَجُّلُ بِمَعْنَى
الْوَلَدِ ^(٣) .

وقوله : « وَفِيهَا عِزَّةٌ » إلخ نَحِيْدُهَا بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، أَيْ نَجْعَلُهَا حَائِدَةً .
وَحَرَ بِالْمَهْمَلَتَيْنِ ؛ أَيْ اشْتَدَّ . وَالْقِرَاعُ : مُصَدَّرُ قَارِعِهِ ، أَيْ ضَارِبِهِ .
وقوله : (فَلَا تَطْمَعُ) إلخ قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : يَقُولُ ارْفَعْ طَمْعَكَ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ

٤١٥

(١) ط : « صلبت » ، صوابه في ش .

(٢) في النسختين : « قبيلة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ما بعده من التفسير يبدو أنه متعلق ببيت ساقط من الأبيات هنا . كما تنبه الى ذلك مصحح
المطبوعة الأولى نقلاً عن هامش الأصل .. وما يجدر ذكره أن المراجع التي بين يدي لم يرد فيها الا الأبيات
الأربعة الأولى من هذه المقطوعة .

الفرس ، أبيت أن تأتي ماتستحق به اللعن ، ودفعك عنها يقدر عليه بوجهٍ ما وبِحيلةٍ ما . والمعنى : إنني لأُسعِفك بها إن استوهبتها ، ما وجدتُ إلى الردِّ طريقاً . فلا تطمع مادامت لي هذه الحالة .

وقوله : «وكفى تستقلُّ» الخ يقال تهضمُّ حقَّه ، أى ظلمه . وقُحْفان بضم القاف وسكون الحاء المهملَة بعدها فاء .. والشَّيب ، بالكسر : جمع أشيب ، وهو الذى حَصَلَ له الشيب .

وقوله : «إذا فزعوا» الخ الشَّعاع بفتح الشين : المتفرِّق . يقول : إن فزعوا من أمرٍ فكَلِمْتُهُمْ واحدة ، وإذا لاقوا العَلَوَّ فأيديهم متفرِّقة عليه بالظُّعن والضرب . وعُبَيْدة بن ربيعة : مصغر عبدة بالتأنيث ، وهو شاعرٌ فارس جاهليٌّ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثلاثة ، وهو من شواهد س (٢) :

٣٨٩ (وقد جعلتُ نفسى تَطِيب لضغمةٍ

لَضَغِمَهاها يقرُعُ العَظَمَ نائِها)

على أن الضمير الثانى إذا كان مساوياً للأوّل شدَّ وصلُّه كما هنا ، فإنَّه جمع بين ضميرى الغيبة فى الاتصال ، وكان القياس لضغمةٍ إياها .

قال سيبويه فى باب إضمار المفعولين : إذا ذكرت مفعولين كلاهما غائب قلت^(٣) أعطاهُها وأعطاهُها^(٤) ، جازَّ وهو عربىٌّ ؛ ولا عليك بأيهما بدأت ، من

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : «قوله وعبيدة بن ربيعة انظره فإنَّه لم يتقدم له ذكر . اهـ من هامش الأصل .» ويبدو أن البغدادى أراد أن يذكره فى نسبة أبيات الحماسة ، ولكنه لم يفعل .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٤ . وانظر أمالى ابن السجرى ١ : ٨٩ / ٢ : ٢٠١ وابن يعيش ٣ : ١٥٥

والعينية ١ : ٣٣٣ .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى سيبويه : « فقلت » .

(٤) هذا ما فى سيبويه . ورسمت فى النسختين : « أعطاهها هو » .

قِيلَ أَنَّهُمَا كِلَاهُمَا غَائِبٌ . وهذا أيضاً ليس بالكثير في كلامهم ، والكثير في كلامهم : أعطاهُ إيَّاهَا (١) . على أَنَّ الشاعر قال :

وقد جعلت نفسي تطيبُ لضغمةٍ ألبيت اه
قال النحاس والأعلم : إِنَّمَا كَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ لَضَغْمَهُمَا إِيَّاهَا ، لِأَنَّ الْمَصْدَرَ لَمْ يَسْتَحْكَمْ فِي الْعَمَلِ وَالْإِضْمَارِ اسْتِحْكَامَ الْفِعْلِ .

وَجَعَلَ هُنَا مِنْ أَفْعَالِ الشُّرُوعِ ، وَنَفْسِي اسْمَهَا ، وَجُمْلَةُ تَطْيِيبِ خَبَرِهَا .
وَالضَّغْمَةُ ، بِفَتْحِ الضَّادِ وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَتَيْنِ : الْعَضَّةُ .

وقد اختلف الناس في معنى هذا البيت ، وَأَصَوَّبُ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ ابْنُ الشَّجَرِيِّ (في أماليه) في موضعين منها ، وتبعه صاحب اللباب (في تعليقه على اللباب) قال : يقول : جعلت نفسي تطيب لأن أضغمهما ضغمة يقرع لها النابُ العظم . وصف ضغمة بالجملة ، والمصدر الذي هو الضغم مضاف إلى المفعول وفاعله محذوف ، التقدير : لضغمي إيَّاهما . والهاء التي في قوله لضغمهما عائدة إلى الضغمة ؛ فانتصابها إذن انتصابُ المصدر ، مثلها في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (٢) . وأضاف الناب إلى ضمير الضغمة ، لأنَّ الضغم إِنَّمَا هُوَ بِالنَّابِ . واللام في قوله لضغمهما متعلقة بيقرع ، أي يقرع عظمهما نابي ؛ لضغمي إيَّاهما ضغمة واحدة . اه
وعلى هذا الضغمتان والقَرعُ والناب جميعها للمتكلم ، واللام الأولى متعلقة بقوله : تطيب .

وينبغي أن نورد الأبيات التي منها هذا البيتُ وسببها ، حتى يتضح المعنى ويزول الإشكال ، فَإِنَّ غَالِبَ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ لَمْ يَقِفْ عَلَى مَا ذَكَرْنَا .

(١) في سيبويه : « أعطاه إياه » .

(٢) الآية ١٢٣ من الأعراف .

قال أبو محمد الأسود الأعرابي (في ضالة الأديب ، وهو ما كتبه على سبب الشعر نوادر ابن الأعرابي) : إِنَّ مُعَلِّسَ بْنَ لَقِيطٍ ؛ وهو من ولد مُعَبَّدِ بْنِ نَضْلَةَ ، كان رجلاً كريماً حليماً شريفاً ، وكان له إخوة ثلاثة : أحدهم أُطِيطُ ، بالتصغير ، وكان أُطِيطُ به باراً ، والآخران وهما مُدْرِكٌ ومُرَّةٌ مُمَاطِظِينَ ^(١) ، فلما مات أُطِيطُ أظهرها له العداوة ، فقال :

(أَبَقْتُ لَكَ الْإِيَّامُ بَعْدَكَ مُدْرِكَا وَمُرَّةٌ ، وَالْدُّنْيَا قَلِيلٌ عَتَابُهَا ^(٢)) آيات الشاهد
 قَرَيْنَيْنِ كَالذَّئْبَيْنِ يَتَدَرَانِنِي وَشَرُّ صَحَابَاتِ الرِّجَالِ ذَنَابُهَا ٤١٦
 وَإِنْ رَأَيْتَ لِي غِرَّةً أَغْرِيَا بِهَا أَعَادَى ، وَالْأَعْدَاءُ كُلِّي كَلَابُهَا ^(٣)
 إِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ نَجَوْتُ تَلَمَّسَا لِرَجُلِي مُعَوَّاةً هَيَاماً تَرَاهَا
 وَأَعْرَضْتُ أَسْتَبْقِيهِمَا ثُمَّ لَا أَرَى خُلُومَهُمَا إِلَّا وَشِيكاً ذَهَابُهَا
 لَعَلَّ جَوَازِي اللَّهِ يَجْزِيَنِي مِنْهُمَا وَمُرُّ اللَّيَالِي صَرْفُهَا وَانْقِلَابُهَا
 فَيَشْمَتُ بِالْمَرَّاتَيْنِ مَرَّةً تَخْطِيَا إِلَيْهِ قَرَابَاتٍ شَدِيداً حَجَابُهَا ^(٤)
 وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبُ لَضَغْمَةٍ أَعْضَهُمَاهَا يَقْرَعُ الْعِظَمُ نَابُهَا ^(٥)
 وَلَامَثَلُ يَوْمٍ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ نُوْفَلٍ يَفْرَتَانِجُ إِذْ تُوفِي عَلَى هَضَابُهَا
 لِأَجْعَلَ مَالِي يَجْعَلُ اللَّهُ لِمَرِيءٍ وَأَكْتُبُ أُمُوالاً عَدَاءُ كِتَابُهَا
 خَرَجْتُ خُرُوجَ الثَّوْرِ قَدْ عَصَبْتُ بِهِ سَلُوقِيَّةُ الْأَنْسَابِ خُضْعُ رِقَابُهَا

(١) المماظة : المخاصمة والمشامة والمنازعة . ش : «مماضين» ، تخويف .

(٢) في معجم المرزباني ٣٩٠ : «كربه عتابها» .

(٣) وكذا في الحماسة البصرية ١ : ١٩٩ . وفي معجم المرزباني ٣٩١ : «تعوى كلابها» .

(٤) ط : «تخططا» ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٥) جعلت في ش : «لضغمهاها» .

حُبِسْتُ بِغُمَى غَمْرَةٍ فَتَرَكْتُهَا وقد أَتَرَكَ الْغُمَى إِذَا ضَاقَ بِأُيُهَا^(١)
 ثُمَّ رَأَى أَطِيطاً فَقَالَ :
 (ذَكَرْتُ أَطِيطاً وَالْأَدَاوَى كَأَنَّهَا كُلِّي مِنْ أَدِيمٍ يَسْتَشْنُ هَزْوُهَا
 لِعَمْرِي لَقَدْ خَلَيْتَنِي وَمَوَاطِناً تُشِيبُ التَّوَاصِي لَوْ أَتَاكَ يَقِينُهَا
 وَأَبَدْتُ لِي الْأَعْدَاءَ بَعْدَكَ مِنْهُمْ تَرَى دِمْنَ مَا كَانَ يَدُو دَفِينُهَا)
 انتهى ما أورده أبو محمد .

وقوله : «والدنيا قليل عتابها» أراد أن عتاب الدنيا غير نافع ، فمُعاتبها
 غير مُستكثر منه .

وقوله : «قرنين كالذئبين» شبههما بالذئبين لأن الذئب أحب السباع .
 وقوله : «وإن رأيا لي غيرة» إلخ روى بدله :
 * إذا رأيا لي غفلة أسدا لها *

أى أفسدا قلوب أعادي حتى جعلوا أخلاقهم كأخلاق الأسود .
 والكَلْبِي : جمع كَلْب ، كَرَمَنِي جمع زمن .

وقوله : «إذا رأيا قد نجوت» إلخ تلمسا ألفه ضمير الاثنين . والمُغَوَّاة ،
 بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الواو : حُفْرَةٌ كَالزُّبْيَةِ . يقال : «مَنْ حَفَرَ
 مُغَوَّاةً وَقَعَ فِيهَا» . والهَيَامُ بفتح الهاء ، لا بكسرها كما زعمه العيني ، بعدها مشاة
 تحتية: الرَّمْلُ الذي لا يتاسك أن يسيل من اليد للينه. ونقل العيني عن أبي على
 (في التذكرة) أن الرواية عنده «هَيَالِي تُرَابُهَا»، قال: وهذا يدل على

(١) ط : «جلست» ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح .

(٢) بين البيتين وسابقتها ما يسمى بالإكفاء ، وهو اختلاف الروي بحروف متقاربة .

أَنَّ التُّرابَ جمعُ تُرْبٍ ، ولو كان مفرداً لقال هائلُ ترابها . قال صاحب العين : الهائل : الرمل الذي لا يثبُت . وضربَ هذا مثلاً لكثرة معرفتهما بالشرِّ ، والتحليل في جلب أنواع الضرر . وفرتاج ، بفتح الفاء ^(١) : موضع .
والخُضْع : جمع أخضع ، وهو الذي في عنقه تطامنٌ خلقة .

والعَمْرَة ، بالفتح : الشَّدة . والغَمَّى ، بفتح المعجمة وضمها : الغامَّة ^(٢) أى المُبْهَمَة ^(٣) . وروى السيرافي بعد قوله هيأماً تُرابها :
(فلولا رجائي أن تؤوبوا ولا أرى عُقولكما إلاَّ شديداً ذهابها
سَقَيْتُكما قبل التفرُّق شربةً يَمُرُّ على باغى الظلام شرابها
وقد جعلت نفسي تطيب... .. البيت).
والظَّلام ، بالكسر : جمع ظُلُم بالضم .

وقد أنشد البيت الشاهد أبو الحسن على بن عيسى الرُّبَعي هكذا :
فقد جعلتُ نفسي تَهْمُ بضَغْمَةٍ على عِلٍّ غيظٍ يَقْصِمُ العَظْمَ نابُها
والْعَلَّ بفتح المهملة : التكرُّر . والقَصْمُ بالقاف : كسرٌ مع فصل .
وعلى هذا لا شاهد فيه ، والمشهور الرواية الأولى .

وقد اختلف العلماء في معناه فقال الخوارزمي : الضَّغْمَة : العَضَّة ،
ولضغْمَهاها بدلٌ من قوله لضغْمَةٍ ، والضمير الأول لسبعين ، أمَّا الثاني
فلضغْمَة ، والضمير في نابها لضغْمَة . يقول : لكثرة ما بُتِلت [به] من المحن قد طابت
نفسى أن يعضننى سبعان ناباهما يضريان العَظْمَ . وقرعُ النَّابِ العَظْمَ كنايةٌ عن
الصَّوْت . هذا كلامه . وقال الأَعْلَم : هذا الشاعر وصف شدَّةَ أصابه بها
رجالان ، فيقول : قد جعلتُ نفسي تطيب لإصابتهما بمثل الشَّدة التى أصابانى بها .

(١) وضبطه ياقوت والبكري بكسر الفاء .

(٢) ط : « العامة » بالعين المهملة ، صوابه في ش .

(٣) ط : « المهمة » ، صوابه في ش .

وضَرَبَ الضَّغْمَةَ مثلاً ، ثم وصف الضَّغْمَةَ فقال : يقرع العظم نَابُها ، فجعل لها ناباً على السَّعَةِ . والمعنى : يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعُه . اهـ
وقال الأندلسي (في شرح المفصل) : قيل إنَّ معنى البيت أنَّ نفسه طابت لإصابة الشَّدة ، من أجل أنَّ هذين القاصدين له بالشَّدة أصابتهما مثلها . وفي البيت إشكالٌ ، فإنَّ الضغم عبارة عن الشَّدة ، فإذا قدَّرت إضافتها إلى المفعول وهو الظاهر وجب أن يكون ضميرها فاعلاً في المعنى ، فلا يستقيم لوجهين : أحدهما : أنَّها ليست من ضمائر الرفع . والآخر : أنَّ ضمائر الرفع لاتأْتِي بعد ضمير المفعول ^(١) . فالوجه أن يقال إنَّ الضَّغْمَ بمعنى الإصابة ، أضيف إلى الفاعل الذي هو ضمير الثنية ، ثم ذكر بعد ذلك المفعول ، فكأنه قال : لإصابة هذه الشدة التي عبر عنها بالضَّغْمَة أولاً . هذا كلامه .

ونقل ابن المستوفى (عن حواشي المفصل) أنه قال في الحواشي : هما عائدان للأسد والضبع ، وقيل للأسد والذئب ، و«ها» للضغمة ^(٢) . ووجدت في موضع آخر من الحواشي قال : الضمير الأول يرجع إلى الذئب والضبع ، والثاني إلى النفس . وهذا أشبه من الأول ، إلا أنَّه مع وجود ما يعود إليه ضمير الاثنين من قوله قرنين كالذئبين ، لاجابة إلى أن يذكر ما ذكره من الأسد والضبع ، أو الأسد ^(٣) والذئب ؛ لعدم ^(٤) ذكرهما في الشعر . والذي أراه أن معنى البيت : إنَّ نفسي قد طابت أن تصيبها ضغمة بهذه الصِّفة لأجل ضغمتها

(١) ط : «أحدهما أنها ليست من ضمائر الرفع لأنها لاتأْتِي بعد ضمير المفعول» . وقد تنبه ناشر الأولى لهذا النقص . والتكملة هنا من ش .

(٢) ش : «وهما للضغمة» ، صوابه في ط .

(٣) ط : «والأسد» ، صوابه في ش .

(٤) ط : «تقدم» ، صوابه في ش .

إياها ، إذ ليسا من نظرائي وأشكالي . فيكون موضع لام لضغهماها نُصِبَ على أنه مفعول له ، وموضع هما رُفِعَ بالفاعلية ، وموضع ها نصب بالمفعولية . هذا كلامه .

وقال ابن الحاجب (في أماليه) ، ونقله شارح (اللباب) : يقول : طابت نفسى للشدة التى أصابتنى لوقوع القاصد لى بها فى أعظم منها . والضغمة عبارة عن الشدة ، وهما اثنان قصدها بسوء فوقها فى مثل ماطلباه له . وجعل من أفعال المقاربة ، وضغمة معمول لتطيبُ إعمال الفعل فى مفعوله ، وليست بمعنى المفعول من أجله ، لأنه لم يُرِدْ ^(١) أنها لأجل الضغمة ، وإنما طابت بها . والتعليل هو قوله لضغهماها ، أى طابت نفسى لما أصابنى من الشدة لإصابة مَنْ قصدنى بمثلها . والضغمة : العضة ، فكنى بها عن المصيبة . ويقال ضَغَمَ الشَّدةَ وضَغَمَتَهُ . وجاء البيت على الوجهين . فقوله : لضغمة من قولهم عَضَّتْهُ الشدة ، لقوله : يقرع العظم نابها . وقوله : لضغهماها من قولهم : عَضَضَتِ الشَّدةُ ، لأنَّ الفاعل ههنا ضمير مَنْ أصابها ، وضمير المفعول ضميرها ، أى لضغهما إياها ، فهى معضوضة لاعاضة ، لجيئها مفعولة لا فاعلة . ويجوز أن يكون الموضعان من ضَغَمْتُ الشَّدةَ لا ضَغَمْتَنى ، ويكون قوله : يقرع العظم نابها مبالغة فى أنه عض الشَّدةَ عضاً قوياً بليغاً ، انتهى مايلغه العَضُّ . وكنى ببلوغ الناب العظم عن ذلك .

٤١٨

وموضع استشهاده مجىء الضميرين الغائبين متصليين وليس أحدهما فاعلاً وهما ضمير الفاعلين ، وهو قوله له ، وضمير الضغمة وهو قولك ها . وهو شاذ ، والقياس فى مثله لضغهما إياها ، كراهة اجتماع ضمائر الغائبين البارزة من

(١) ط : « لم يرو » صوابه فى ش .

جنس واحد ، بخلاف مالمو اختلفا . والضمير الأول في موضع خفضٍ بالإضافة ، وهو فاعلٌ في المعنى ، والضمير الثاني في موضع نصب على المفعولية بالمصدر ، أى لأنَّ ضَعَمَها . ويقرَع العَظَم نأبها في موضع صفة ، إما لِضَعْمَةٍ الأولى وفصل للضرورة بالجَار والمجرور الذى هو لضغمهماها ، ويضعف لأجل الفصل بين الصفة والموصوف بالأجنبيّ ، وهو غير سائغ . وإمّا في موضع صفةٍ لمعنى قولك ها ، إذ معناه لضغمهما مثلها ، إذ الأولى لم تصب هذين وإمّا أصابهما مثلها ؛ فهو في المعنى مُراد . ومثل نكرة وإن أُضيفت الى المعرفة ، فجاز أن توصف بالجملة . ويجوز أن يكون يقرع العظم نأبها جملة مستأنفة لتبيين أمر الضغمة في الموضعين جميعا ، فلا موضع لها من الإعراب ؛ لأنّها لم تقع موضع مفرد . وما يُتَوَهَّم من أنَّ لضغمهماها مضاف إلى المفعول وها في المعنى فاعل ، فيؤدى إلى أنّه أضاف إلى المفعول وأتى بعده بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب — مندفع بما تقدّم ، من أنّه لم يرد أن الشدة عضت ، وإمّا أراد أنهما عضّا الشدة ، إذ لا يستقيم ^(١) أن يضاف المصدر إلى المفعول ويؤتى بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب باتّفاق ، فوجب حمّله على ما ذكرناه ، دفعا لما يلزم مما أجمع على امتناعه . اهـ كلامه .

وهذا كلّهُ مبنىٌّ على خلاف التحقيق ، ومنشؤه عدم الاطلاّع على الأبيات وسببها ، وكذلك قول بعض فضلاء العجم (في شرح شواهد المفصل) إن قوله لضغمهماها يدلُّ من قوله لِضَعْمَةٍ .

والضمير الأول في لضغمهماها للسبّعين .

وأما الثانى فقال صاحبُ (التحجير) ^(٢) ، والإيضاح ^(٣) : لضغمة . ووافقهما

(١) في النسختين : «إذ يستقيم» ، والوجه ما أثبت . وقد تنبه إلى هذا مصحح المطبوعة الأولى .

(٢) ش : «التخمير» . وقد ورد بهذا اللفظ في الخزائن ٤ : ١١٩ ، ٢٦٣ بلاق . وهو لصبر

الأفاضل الخوارزمي .

(٣) الإيضاح شرح لابن الحاجب على المفصل .

في ذلك صاحب (الإقليد^(١))، والموصِّل^(٢). وقال صاحب (المقتبس^(٣)):
هو لنفسى . وتابعه في ذلك صاحب (المقاليد^(٤)).

وقوله : لضغهما مصدر مضاف إلى الفاعل على الوجهين ، إلا أن
المفعول في الوجه الأول يكون محذوفاً وهو النفس ، وفي الثاني يكون مذكوراً .
هذا كلامه .

وأغرب من هذا كله قول (شارح اللب السيّد عبد الله) لضغمة مفعول
تطيب على أنه مفعول به لا مفعول له . وقوله : لضغهما ، هو المفعول له .
أنى جعلت تطيب لضغمة سبع يقرع العظم ناب تلك الضغمة ، لضغمة
هذين السبعين النفس . والمراد به أن ضغمة سبع واحد أهون من ضغمة
سبعين . اهـ

وقد لخص ابن هشام (في شرح شواهد) هذه الأقوال فقال : وفي
معنى البيت وتوجيهه أوجه :

أحدها: أن الضغمة الأولى له والثانية لهما ، أى نفسه طابت لأن يوقع بهما
مصيبة عظيمة لأجل ضغهما إياه مثلها . واللام من لضغمة تتعلق بتطيب، وهى
لام التعدية، واللام من لضغهما متعلق بضغمة أو بجعلت أو بتطيب، وهى لام
العلّة. وضمير التثنية فاعل، وضمير المؤنث مفعول مطلق. والمعنى

٤١٩

(١) الإقليد شرح على المفصل ، للتاج أحمد بن محمود بن عمر الخجندى .

(٢) الموصِّل من شروح المفصل . قال الميمنى في الإقليد ١١٧ : «لعله كما في الكشف لحسام

الدين حسين بن على الصغناقى ؟ المتوفى سنة ٧١٠ جمع فيه بين الإقليد والمقتبس » .

(٣) المقتبس هذا من شروح المفصل ، واسمه «المقتبس» ، في توضيح ما التبس » ، وهو للفخر

الإسفيدرى المتوفى سنة ٦٩٨ .

(٤) لعله هو الإقليد ، أو هما كتابان .

لضغمتها إِيَّاي ضغمةً مثلها ، فحذف المفعول به والموصوف وأتاب عنه صفته ، ثم حذف المضاف وأتاب عنه المضاف إليه ووصله شذوذاً .
 الثانى : أن يكون المعنى كذلك ، لكن يكون ضمير المؤنث عائداً على الصفة المتقدمة فى اللفظ ، والمراد غيرها ، على حد قولهم : عندى درهم ونصفه .

الثالث : أن الضغمتين كليهما من فعل المتكلم ، أى جعلت نفسى لأجل إيدائهما لى تطيب لإيقاع ضغمةٍ بهما يقرع العظم نابهاً ، لشدة ضغمتها ^(١) إِيَّاهَا ، فحذف المضافين : الشدة المضافة إلى الضغمتين ، وياء المتكلم المضاف إليها الضغمتان ، وهى فاعل المصدر . فاللام الأولى متعلقة بتطيب ، والثانية متعلقة بيقرع .

الرابع : أن الضغمتين للمتكلم وأن الثانية على تقدير ياء المتكلم كما تقدّم ، ولكن الثانية بدل من الأولى بإعادة الجار . فاللامان للتعدية ، والتقدير لأن أضغمتها ضغمة يقرع العظم نابها .

الخامس : أن الضغمة الأولى لأجنبي والثانية لهما ، أى تطيب لأن يضغمنى ضاغماً ضغمةً يقرع العظم نابها لضغمتها إِيَّاي مثلها ، كما تقول : طابت نفسى بالموت لما نالنى من أذى فلان . واللام الأولى للتعدية والثانية للتعليل .

وراجح الأوجه الثالث ؛ لأن السيرافى روى : « تَهْمُ بِضَغْمَةٍ عَلَى عَلَى غِيْظٍ » ، ولأن بعضهم روى : « لضغمة أعضَّهماها » . وضمير نابها راجع للضغمة إما على أنه جعل لها ناباً على الاتساع ، والمراد صاحبها ، أو على أن التقدير ناب صاحبها ، ثم حذف المضاف . اهـ

(١) ط : « ضغمتها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال ابن يَسْعُون^(١) (في شرح^(٢) شواهد الإيضاح) : استشهد به أبو عليّ على وقوع الضمير المتصل موقع المنفصل ، لأن مجيء الضمير المنفصل مع المصدر أحسن ، والمصدر هو لضغمهما ، وهو مضاف إلى هما ، وهما في المعنى فاعلان ، والمفعول المضغوم محذوف . ولو ذكره مع ها المتصلة العائدة على ضغمة لقال لضغمهما إِيَّاي . ولو أتى بضمير الضغمة منفصلاً على الوجه الأحسن لقال لضغمهما إِيَّاي إِيَّاهَا ، فكان يتقدم لوجهين : أحدهما لأنّه ضمير المخاطب وهو أولى بالتقدم من ضمير الغائب . والوجه الثاني أنّ إِيَّاي ضمير المفعول به ، وإِيَّاهَا ضمير المصدر ، وهي فضلةٌ مستغنى بها هو أكّد منها ، وكان الأصل لضغمهما إِيَّاي مثلها ، أى مثل تلك الضغمة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، فكان ينبغي أن يأتي بالضمير المنصوب المنفصل . وحذف المفعول مع المصدر إذا كان معه الفاعل كثير ، كما قد يحذف معه الفاعل أيضاً .

هذا ماوقفت عليه .

ومغلّس بن لقيط : شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وهو بضم الميم وفتح مغلّس بن لقيط الغين المعجمة وكسر اللام المشددة . ولقيط بفتح اللام وكسر القاف . ومَعْبَد بفتح الميم الموحدة وسكون العين المهملة .

وكون الشعر لمغلّس بن لقيط المذكور هو ماقاله الأعلام . قال : واسم هذا الشاعر مغلّس بن لقيط الأسدي . والرجلان من قومه ، وهما مدرك ، ومُرّة . وكذا قال السيرافي ، لكنّه قال : هو لمغلّس بن لقيط الأسدي ، من ولد مَعْبَد بن

(١) اسمه يوسف بن يعقوب بن يوسف بن يسعون النجيب الباجلي المتوفى في حدود ٥٤٠ .

وكتابه هو « المصباح » ، في شرح ماأعتم من شواهد الإيضاح .

(٢) كلمة « شرح » ساقطة من ط . وإثباتها من ش .

نُضْلَةٌ ، يعاتب فيه مُدْرِكُ بن حصن ، ومُرة بن عَدَاء ، ويذكر أخاه أُطَيْطُ بن لقيط .

وقال العَيْنِيُّ : هو لمُغْلَسُ بن لقيط بن حبيب بن خالد بن نضلة الأسدِيّ ، جاهليّ ، هو وأخواه : بَعْرُ ونافع ابنا لقيط شعراء . وهو من قصيدة هائية يرثى فيها أخاه أُطَيْطاً ^(١) ، ويشتكى من قرينين له يُؤْذِيَانِهِ . وقيل هما ابنا أخيه ، وهما مدرك ، ومرة . اهـ

٤٢٠

ونسب ابنُ الشجري (في أماليه) ، وتبعه شارح (اللباب) ، هذا الشعرَ إلى لقيط بن مُرة ، قال : رثى فيه أخاه أُطَيْطاً ، وهجا مُرة بن عَدَاءٍ ومُدْرِكُ بن حصن الأسدِيّين .

نسبة أخرى
للساهد

وقال ابن هشام (في شرح شواهد) : هو لمُغْلَسُ ^(٢) بن لقيط السَّعْدِيّ لا الأسدِيّ ، وكان له ثلاثة أخوة : مُرة ، ومدرك ، وأُطَيْطُ وكان أبرَّهُمُ به ، فمات وأظهر الأخوانِ عداوته وآذياه ، فقال يرثيه ويشتكى من أخويه . وقيل هما ابنا أخيه المذكور ، وقيل أجنبيّان . هذا ماوقفْتُ عليه ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وأنشد بعده ، وهو الساهد التسعون بعد الثلاثمائة ^(٣) :

٣٩٠ (لئن كان إِيَّاهُ لَقَدْ حَالُ بَعْدَنَا

عن العهد ، والإنسانُ قد يتغيّرُ)

على أنّ المختار في خبر كان وأخواتها إذا كان ضميراً ، الانفصال كما هنا ؛ لأنّه خبر ، والأصل في الخبر الانفصال .

(١) ش : « شعراء يرثى أخاه أُطَيْطاً » بسقوط « فيها » و « وهو من قصيدة هائية » .

(٢) ط : « هو لمُغْلَسُ » ، وأثبت ما في ش .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٨٦ وابن يعيش ٣ : ١٠٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٤ والتصریح

١ : ١٠٨ والأشعرى ١ : ١١٩ .

وقال بدر الدين (في شرح ألفية والده) : الصحيح اختيار الاتصال
لكثرته في النظم والنثر الفصيح .

صاحب الشاهد : وهذا البيت من قصيدة لعمَر بن أبي ربيعة . وقبلة :
(الْكِنَى إليها بالسَّلام فَإِنَّهُ يُشْهَرُ لِلْمَامَى بِهَا وَيَنْكَسِرُ أَيْبَاتُ الشَّاهِدِ
بَايَةَ مَا قَالَتْ غَدَاً لَقِيْتُهَا بِمَدْفَعِ أَكْنَانٍ : أَهَذَا الْمَشْهُرُ
قَفَى فَاَنْظُرِي أَسْمَاءُ هَلْ تَعْرِفِينِي أَهَذَا الْمُغِيرَى الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ
أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ ذِكْرًا فَلَمْ أَكُنْ وَعَيْشِيكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمٍ أَقْبَرُ
فَقَالَتْ : نَعَمْ لَأَشْكُ غَيْرَ لَوْنِهِ سُرَى اللَّيْلِ يُحْيِي نَصَّةً وَالتَّهْجُرُ
لَكُنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا ... الْبَيْت)

قوله : «الْكِنَى» أى كُنْ رسولى وتحمل رسالتى إليها .
وقوله : «قَفَى» أمرٌ من الوقوف ، والآمرة هى نَعَمْ محبوبَةُ الشاعر .
« وَأَسْمَاءُ » : صاحبة نَعَمْ . وَأَسْمَاءُ مَنَادَى بِحَرْفِ النِّدَاءِ الْمَحذُوفِ . وَرَوَى
أَيْضاً : «قَفَى فَاَنْظُرِي يَا أَسْمُ» وهو مرثمٌ أَسْمَاءُ . وهذا على طَرِيقَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا
مَا يَتَغَزَّلُ بِنَفْسِهِ ، زَعَمًا مِنْهُ أَنَّ الْمَحذَرَاتِ يَعِشِقُنَهُ لِحَسَنِهِ وَجَمَالِهِ ، وَقَدْ عِيبَ
عَلَيْهِ . وَالْهَاءُ فِي «تَعْرِفِينِي» ضَمِيرُ الشَّاعِرِ وَهُوَ عَمْرٌ ، كَمَا أَنَّ الْمُغِيرَى عِبَارَةٌ عَنْهُ .
قَالَ الْخَوَّازِمِيُّ : الْمُغِيرَى مُنْسَوْبٌ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ (١)
وَهُوَ مِنْ أَجْدَادِهِ .

وقوله : «وعيشك أنساه» ، الواو للقسم ، والجملة معترضة بين لم أكن
وبين خبره وهو جملة أنساه . وسُرَى اللَّيْلِ فاعِلٌ غَيْرٌ ، وَالتَّهْجُرُ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ ،

(١) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه في ط وجهرة ابن حزم ١٤٤ وكتاب نسب قريش

وهو السَّيرُ في الهاجرة . ويُحيى : مضارعٌ معلوم من الإحياء ، وفاعله ضمير المغيرى ، ونصّه مفعوله .

وقوله : «قفى فانظرى» إلى آخر البيتين من مقول قالت : وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفضل) أن البيتين من مقول الشاعر ، فإنه قال : والمعنى قلت لحبيبتى أسماء : قفى يا أسماء فانظرى وتأملى هل تعرفين هذا الرجل الذى ترىته ؟ يريد به نفسه . ولما قال لها ذلك توهّمته فقالت متعجّبة متفكّرة لفرط تغيّره : الذى تراه عمرُ المغيرى الذى كان يذكر عندنا ؟ والله لئن كان المغيرى إياه لقد حال وتغيّر عما عهدناه ، فإنه ^(١) عهدناه شاباً وقد كبر ، وعهدناه ناضراً طرياً وقد حال عن ذلك ! ثم قالت تسليّة له : والإنسان قد يتغيّر عن حالٍ إلى حال ، فلا تحزن . ويجوز أن يكون هذا مقول الشاعر ، قال ذلك نفيّاً لتعجّبها مما استعظمت من تغيّره بعدها . أى إن الإنسان يتغيّر فلا تتعجبنى . اهـ . وفيه مالا يخفى .

٤٢١

وقوله : (لئن كان) إلخ اللام موطئة للقسم ، واسم كان ضمير المغيرى وإياه خبرها ، وجملة (لقد حال) إلخ جواب القسم المحذوف ، وقد سدّ مسدّد جواب الشرط . وحال بمعنى تغيّر ، من قولهم : حالت القوس ، أى انقلبت عن حالها التى عمّرت عليها ، وحصل فى قلبها اعوجاج . و(بعدنا) متعلّق بحال . وكذلك قوله : (عن العهد) ، أى عمّا عهدنا من شبابه وجماله . وجملة (والإنسان قد يتغيّر) حالية . ومثله قول كثير عزة :

وقد زعمت أنى تغيّرتُ بعدها

ومن ذا الذى ياعرز لايتغيّر

وهذه القصيدة عدة أبياتها ثمانون بيتاً أوردتها القالبي (في أماليه) (١)،
ومحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (في منتهى الطلب من أشعار العرب) .
وقد أنشد المبرد أبياتاً منها (في الكامل) (٢) وقال : يروى من غير وجه
أن ابن الأزرق (٣) أتى ابن عباس رضي الله عنه يوماً ، فجعل يسأله حتى
أمّله ، فجعل ابن عباس يُظهر الضَّجَر ، وطلع عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
على ابن عباس وهو يومئذ غلام ، فسلم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا
تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

أَمِنْ آلِ نَعِمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكَّرُ
غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمَهْجَرُ

حَتَّى أَمَّهَا ، وهى ثمانون بيتاً ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت يا ابن
عبّاس ، أنضرب إليك أكبادَ الإبل نسألك عن الدين فتُعْرِضُ ، ويأتيك غلامٌ
من قريش فيُنشدك سَفهاً فتسمعه ! فقال : تالله ما سمعت سَفهاً . فقال ابن
الأزرق : أما أنشدك :

رَأَتْ رَجُلًا أَيْمًا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
فِيخْزَى وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيُخْصَرُ

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال :
* فيضحى وأما بالعشى فيخصر * .

(١) انظر الأمالي ٣ : ١٤١ حيث ذكر صدر مطلع القصيدة .

(٢) الكامل ٥٧٠ . وانظر ديوان عمر ٨٤ — ٩٥ .

(٣) هو نافع بن الأزرق الحزوري ، الذي تنسب إليه طائفة الأزارقة ، وله أسئلة عن ابن عباس
مجموعة في جزء من روايته ، وأخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير ، وكان مقتله
سنة ٦٥ . لسان الميزان .

قال : أو تحفظ الذى قال ؟ قال : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردّها لرددتها . قال : فاردّها . فأنشده إياها . وروى الزبيرون أن نافعاً قال له : ما رأيت أروى منك قط ! فقال ابن عباس : ما رأيت أروى من عمر ، ولا أعلم من على . انتهى كلام المبرد .

وفى هذه القصيدة أبيات شواهد فى هذا الشرح وغيره ، لا بأس بإيرادها هنا . وهى هذه :

قصيدة الشاهد	(أَمِنْ آلِ نَعِيمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكُرٌ	غداة غَدٍ أم رَائِحٌ فمَهْجُرٌ (١)
	بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا	فَتَبْلَغُ عُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْذِرُ
	تَهَيِّمُ إِلَى نَعِيمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ	وَلَا الْحَبْلُ مُوصُولٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرٌ (٢)
	وَلَا اقْرُبْ نَعِيمٍ إِذْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ	وَلَا نَائِيهَا يُسَلَى وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
	وَأُخْرَى أَنْتَ مِنْ دُونِ نَعِيمٍ وَمِثْلُهَا	نَهَى ذَا النَهْيِ ، لَوْ تَرَعَوَى أَوْ تَفَكَّرُ (٣)
	إِذَا زَرْتُ نَعِمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ	لَهَا كُلَّمَا لَاقَيْتَهَا يَتَمَرُّ
	عَزِيزٌ عَلَيْهِ إِنْ أَلَمَ بِبَيْتِهَا	مُسِيرٌ لَى الشَّحْنَاءِ ، لِلْبَغْضِ مَظْهَرٌ (٤)

(١) ط : «أورائح» ، وأثبت ما فى الديوان وش مع أثر تصحيح.

(٢) فى الديوان والكامل : « تهيم » بالتاء .

(٣) ط : « لو يرعوى أو تفكر » ، والوجه توحيد حرف المضارعة كما فى ش . وفى الديوان والكامل : « لو يرعوى أو يفكر » .

(٤) فى الديوان : « والبغض يظهر » . وفى الكامل : « والبغض مظهر » .

٢٤٢

أَلِكْنِي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ
 عَلَى أَنَّهَا قَالَتْ غَدَاةً لِقِيَّتِهَا
 قَفَى فَانظُرِي يَا أَسْمَ هَلْ تَعْرِفِينِهِ
 أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتًا فَلَمْ أَكُنْ
 لَعْنُ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
 فَقَالَتْ : نَعَمْ لَاشْكُ غَيْرَ لَوْنِهِ
 رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
 أَخَا سَفَرٍ جَوَابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ
 قَلِيلٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ
 وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ
 وَوَالِ كَفَاهَا كُلَّ شَيْءٍ يُهْمُّهَا
 وَلَيْلَةَ ذِي دَوْرَانٍ جَشْمَتْنِي السَّرَى
 فَبْتُ رَقِيًّا لِلرَّفَاقِ عَلَى شَفَا
 إِلَيْهِمْ ، مَتَى يَسْتَأْخِذُ النَّوْمَ فِيهِمْ
 وَبَاتَتْ قَلُوصِي بِالْعَرَاءِ وَرَحْلُهَا

يُشَهِّرُ إِلَى الْمَامِي وَبِهَا وَيَنْكُرُ
 بِمَدْفَعِ أَكْنَانٍ : أَهَذَا الْمَشْهُرُ
 أَهَذَا الْمَغِيرَى الَّذِي كَانَ يَذْكُرُ
 وَعَيْشِكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمٍ أَقْبَرُ (١)
 عَنِ الْعَهْدِ ، وَالْإِنْسَانِ قَدْ يَتَغَيَّرُ
 سُرَى اللَّيْلِ يُحْيِي نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ
 فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيَخْصُرُ
 بِهِ فَلَوَاتٌ فَهُوَ أَشَعْتُ أَغْبُرُ
 سَوَى مَا نَقَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُحَبَّرُ
 وَرِيَّانٌ مَلْتَفٌ الْخَدَائِقِ أَنْضُرُ (٢)
 فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخَرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ
 وَقَدْ يَجْشَمُ الْهَوَى الْحُبَّ الْمَغْرُرُ (٣)
 أَرَأَيْتُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ وَأَنْظُرُ (٤)
 وَلِي مَجْلَسٌ لَوْلَا اللَّبَانَةُ أَوْعُرُ (٥)
 لَطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لَمِنْ جَاءَ مُغَوَّرُ

(١) ط : « فلم أكده » ، وأثبت ما في ش والديوان والكامل .

(٢) في الديوان : « أخضر » .

(٣) ط والديوان : « جشمتني السرى » ، وأثبت ما في ش .

(٤) في الديوان : « أحاذر منهم » .

(٥) الديوان : « متى يستمكن » .

- فَبِتُّ أَنَا جِي النَّفْسِ أَيْنَ حَبَاؤُهَا (١)
 فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبَ نَارًا عَرَفْتُهَا (٢)
 فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأَطْفَعْتُ (٣)
 وَغَابَ قُمْرٌ كُنْتُ أَهْوَى غِيوبِهِ
 وَنَفَضْتُ عَنِّي التَّوَمَ أَقْبَلْتُ مَشِيَةَ الدَّ (٤)
 فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا فَتَوَلَّاهُ (٥)
 فَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِالْبَنَانِ : فَضَحْتَنِي
 أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ (٦)
 فَقُلْتُ : كَذَاكَ الْحُبُّ قَدْ يَحْمِلُ الْفَتَى
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَتَعْجِيلُ حَاجَةً (٧)
 فَقُلْتُ لَهَا : بَلْ قَادَنِي الْحُبُّ وَالْهَوَى
 فَقَالَتْ وَقَدْ لَانَتْ وَأَفْرَخَ رُوعُهَا :
 فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَابِ غَيْرَ مُنَازَعِ (٨)
 وَأَنْتِ لَمَّا تَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ مُصَدِّرُ (٩)
 بِهَا ، وَهَوَى الْحُبِّ الَّذِي كَانَ يَظْهَرُ (١٠)
 مَصَابِيحُ شَبَّتَ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوَرُ (١١)
 وَرُوحُ رُعْيَانٍ وَنَوْمٌ سَمَرُ
 حُبَابٍ وَلَكِنِّي مِنَ الْقَوْمِ أَزُورُ (١٢)
 وَكَادَتْ بِمَرْفُوعِ التَّحِيَةِ تَجْهَرُ (١٣)
 وَأَنْتِ أَمْرُؤُ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ
 رَقِيًّا وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضِرُ (١٤)
 عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى يُسْتَقَادَ فَيُنْحَرُ (١٥)
 سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ
 إِلَيْكَ ، وَمَا نَفْسُ مِنَ النَّاسِ تَشْعُرُ (١٦)
 كَلَّاكَ بِحَفِظِ رَبِّكَ الْمُتَكَبِّرُ
 عَلَى أَمِيرٍ مَا مَكُنْتُ مُؤَمَّرُ (١٧)

(١) الديوان : « وكيف لما آتى من الأمر » .

(٢) في الديوان : « ربا عرفتھا لها وهوى النفس الذى كاد » .

(٣) في الديوان : « وأنور » بالهمز .

(٤) في الديوان : « عنى الصوت » و « وشخصى خشية الحى أزور » .

(٥) الديوان : « بمخفوض التحية » .

(٦) في الديوان : « لم تخف ، وقيت » .

(٧) هذا البيت لم يرد في الديوان .

(٨) الديوان : « بل قادنى الشوق والهوى » .

(٩) الديوان : « غير مدافع » .

فَبْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ أُعْطِيتُ حَاجَتِي
 فَيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ
 وَيَالِكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلَسِ
 يَمُجُّ ذِكِّي الْمَسْكِ مِنْهَا مُفْلَجٌ
 يَرِفُ إِذَا تَفَتَّرَ عَنْهُ كَأَنَّهُ
 وَتَرَنُو بَعِينَهَا إِلَى كَمَا رَنَا
 فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ
 أَشَارَتْ بِأَنَّ الْحَىَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ
 فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مَنَادٍ : تَحْمَلُوا
 فَلَمَّا رَأَتْ مِنْ قَدْ تَنَوَّرَ مِنْهُمْ
 فَقُلْتُ : أَبَادِيَهُمْ فَإِمَّا أَفَوْتُهُمْ
 فَقَالَتْ : أَتَحْقِيقُ لِمَا قَالَ كَاشِحٌ
 فَإِنْ كَانَ مَا لَا بَدَّ مِنْهُ فَغَيْرُهُ
 أَقْصُ عَلَى أُحْتَى بَدَاءَ حَدِيثِنَا
 لَعَلَّهْمَا أَنْ تَبْغِيَا لَكَ مَخْرَجاً
 فَقَامَتْ كَثِيباً لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ

أَقْبَلُ فَاها في الخلاءِ فأكثرُ
 وما كان ليلى قبل ذلك يقصرُ
 لنا لم يكذِّره علينا مكذُّرُ
 نَقِيُّ الشَّيَا ذُو غُرُوبٍ مُؤَشِّرٌ (١) ٤٢٣
 حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَفْحَوَانُ مَنُورٌ (٢)
 إِلَى ظَبِيَّةٍ وَسَطَ الْخَمِيلَةِ جَوْدُرُ
 وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ
 هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزُورُ
 وَقَدْ شَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ أَشْقَرُ
 وَأَيْقَازُهُمْ قَالَتْ : أَشِرُّ كَيْفَ تَأْمُرُ (٣)
 وَإِمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَاراً فَيَنَارُ
 عَلَيْنَا، وَتَصْدِيقٌ لِمَا كَانَ يُوَثِّرُ (٤)
 مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتُرُ
 وَمَا بَيَّ مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ (٥)
 وَأَنْ تَرْحُبَا سِرِّيًّا بِمَا كُنْتُ أَحْصَرُ (٦)
 مِنَ الْحُزْنِ تُذْذِرِي عِبْرَةً تَتَحَدَّرُ (٧)

(١) الديوان : « ذكى المسك منها مقبل » .

(٢) الديوان : « تراه إذا ما فتر عنه » .

(٣) الديوان : « من قد تنبه » .

(٤) الديوان : « أتتحقيقاً » و « وتصديقاً » .

(٥) الديوان : « ومالي من أن تعلمنا » .

(٦) الديوان : « أن تطلبيا لك مخرجاً » .

(٧) ط : « تدنى » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

فقالت لأختها : أعيناً على فتى
 فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا
 فقالت لها الصغرى : سأعطيه مطرفي
 يقوم فيمشي بيننا متكرراً
 فكان مجئى دون من كنت أتقى
 فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى :
 وقلن : أهذا دأبك الدهر سادراً
 إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا
 على أننى يأنعم قد قلت قولة
 هنئياً لبعل العامرية نشرها الـ
 فقمى إلى حرف نخون نيتها
 وحبسى على الحاجات حتى كأنها
 وماء بمومة قليل أنيسه
 به مبتئى للعنكبوت كأنه
 وردت وما أدرى : أما بعد موردى
 أتى زائراً ، والأمر للأمر يقدر
 ألقى عليك اللوم فالخطب أيسر
 ودرعى وهذا البرد ، إن كان يحذر
 فلا سرنا يفشو ، ولا هو يظهر
 ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر
 أما تتقى الأعداء والليل مقمر
 أما تستجى أو ترعوى أو تفكر
 لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
 لها ، والعناق الأرحيات تزجر (١)
 لذيد ورثاها الذى أتذكر
 سرى الليل حتى لحمها يتحسر (٢)
 بقيّة لوج أو شجار مؤسر
 بسابس لم يحدث بها الصيف محضر (٣)
 على شرف الأرجاء خام منشّر (٤)
 من الليل أم ماقد مضى منه أكثر

(١) الديوان : « سوى أننى قد قلت يانعم قولة » .

(٢) الديوان : « متحسر » .

(٣) الديوان : « لم يحدث به » .

(٤) الديوان : « على طرف الأرجاء » .

فطافت به مغللة أرض تحالها إذا التفتت مجنونة حين تنظر^(١)
 تُنازعي حرصاً على الماء رأسها ومن دون ماتهوى قلب معور
 مُحاولَةٌ للورد لولا زمامها وجذبي لها كادت مراراً تكسر^(٢)
 فلما رأيت الضر منها وأنتى ببلدة أرض ليس فيها معصر^{٤٢٤}
 قصرت لها من جانب الخوض منشأ صغيراً كقيد الشبر أو هو أصغر
 إذا شرعت فيه فليس للتعق مشافرها منه قدى الكف مسار^(٣)
 ولا دلو إلا القعب كان رشاءه إلى الماء نسع والجديل المضفر
 فسافت وماعفت وماصد شربها عن الرى مطروق من الماء أكرد
 هذا آخر القصيدة . وقد شرح العيني ألفاظها اللغوية إجمالاً .

وقوله : « رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت » البيت ، أورده
 الشارح المحقق في حروف الشرط من أواخر الكتاب ؛ ويأتى إن شاء الله شرحه
 هناك .

وقوله : « فكان مجننى دون من كنت أتقى » . البيت ، أورده أيضاً في
 باب العدد .

وقوله : « إذا جئت فامنع طرف عينك غيرنا » البيت ، أورده ابن
 هشام (في المغنى) في حرف الكاف برواية : « كما يحسبوا » .

(١) الديوان : « فطمت الى مغللة أرض كانها » .

(٢) في النسختين : « كانت » ، صوابه من الديوان .

(٣) قدى الشيء ، بكسر القاف وفتح الدال : قدوه ومقداره . ش : « قدى » : تصحيف صوابه

في ط والديوان .

وعمر بن ربيعة قد تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع والثمانين من أوائل الكتاب (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الثلاثئة ؛ وهو من شواهد س (٢) :

٣٩١ (ليت هذا الليل شهرٌ لا تَرى فيه عَرِيّاً

ليس إِيَّائى وإِيَّاكِ ولا نَحْشَى رَقِيّاً)

لما تقدّم قبله ، من أن الفصل هو المختار في خبر كان وأخواتها كما قال (لَيْسَ إِيَّائى) ، ولو وصل لقال: ليسنى .

قال سيبويه : ومثل ذلك كان إِيَّاه ، لأنَّ كانه قليلةٌ ، لانقول : كائنى وليسنى ، ولا كائنك ؛ فصارت إِيَّاهنا بمنزلتها في ضربى إِيَّاك . قال الشاعر :

* ليت هذا الليل شهر * إلخ

ويلغنى عن العرب الموثوق بهم أنَّهم يقولون : ليسنى ، وكذلك كَانِي . اهـ

قال الأعلام: الشاهد في إتيانه بالضمير بعد ليس منفصلاً ، لوقوعه موقع خبرها والخبر منفصلٌ من المخبر عنه، فكان الاختيار فصلَ الضمير إذا وقع موقعه. واتّصالة بليس جائزٌ لأنّها فعل وإن لم تقوَ قوّة الفعل الصحيح. و«ليس»

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٨١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والمنصف ٣ : ٦٢ وابن يعيش ٣ : ٧٥ ،

١٠٧ والجمع ١ : ٦٤ .

فى هذا البيت تحتمل تقديرين : أحدهما أن تكون فى موضع الوصف للاسم قبلها ، كأنه قال : لانرى فيه عريباً غيرى وغيرك . والتقدير الآخر : أن تكون استثناءً بمنزلة إلا . وعريب بمعنى أحد ، وهو بمعنى مُعَرَّب ، أى لانرى فيه متكلاً يخبر عنا ويُعرب عن حالنا . اهـ

وقوله : (ليت هذا الليل شهر) قال أبو القاسم سعيد الفارقى فيما كتبه (فى تفسير المسائل المشككة) فى أول (المقتضب للمبرد) : وقد روى فى «شهر» الرفع والنصب جميعاً ؛ وهو عندى أشبهُ بمعنى البيت . وكلاهما حسن . وقد قضينا هذا فى كتابنا (تفسير أبيات كتاب سيبويه) . اهـ
ولم يظهر لى وجهُ النصب (١) .

و(نرى) من رؤية العين . و(عريب) من الألفاظ الملازمة للنفى ، واسم ليس ضمير مستتر راجعٌ إلى عريب ، وإيأى خبرها بتقدير مضاف ، أى ليس عريبٌ غيرى وغيرك ، فحذف غير وانفصل الضمير وقام مقامه فى النصب . تمنى أن تطول ليلته بمقدار شهر . وجملة (لانرى فيه) خبر ثان لليئت (١) . وجمله (لأنخشي رقبيا) معطوف عليه ، والرابط محذوف أى فيه . ويجوز أن يكون جملة لانرى صفةً لشهر .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفضل) : يقول لحبيته ٢٥ :
ليت هذا الليل الذى نجمع فيه طويل كالشهر ، لأبصر فيه أحداً ليس إيأى

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله ولم يظهر لى وجه النصب ، أقول: يمكن أن يوجه نصبه على أنه خبر لكان مقدرة أو منصوب على الظرفية متعلق بمقدر . والله أعلم. اهـ من هامش الأصل. »

وإِيَّاكَ ، أَى لَيْسَ فِيهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَحَد . وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ لِنَفْسِهِ كَمَا قَالَ
إِلَّاكَ^(١) ، وَلَا نَخَافُ فِيهِ رَقِيبًا .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر نسبته خَدَمَةُ كتاب سيبويه إلى عُمَرُ بن أُمَيَّة المذکور آنفًا .
ونسبه صاحبُ الأغاني ، وتبعه صاحب الصحاح إلى العَرَجِي ، وهو عبد الله
ابن عمر بن عمرو بن عُثْمَان بن عَفَّان . نُسِبَ إلى العَرَج ، وهو من نواحي
مَكَّة ، لِأَنَّهُ وَلِدَ بِهَا ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ لَهُ بِهَا مَالٌ ، وَكَانَ يَقِيمُ هُنَاكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وتقدّمت ترجمة العَرَجِي في الشاهد السادس من أوائل الكتاب^(٢) .

العرجي

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد الثلاثمائة :

٣٩٢ (عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْسِ إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ الْكَرَامُ لَيْسِي)

على أَنَّهُ جَاءَ مُتَّصِلًا . قَالَ الزَّجَّاجِي : هَذَا الشَّعْرُ أَنْشَدَهُ السَّيْرَافِي ،
وفيه شذوذٌ من وجهين : الأوَّلُ : أَنَّهُ أَتَى بِخَبَرٍ لَيْسَ مُتَّصِلًا . وَالثَّانِي : أَنَّهُ
أَسْقَطَ نَوْنَ الْوَقَايَةِ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَقَالَ : لَيْسَتِي . اهـ

وأنشده شَرَّاحُ الْأَلْفِيَةِ على أَنَّ حَذْفَ نَوْنِ الْوَقَايَةِ مِنْهُ ضَرُورَةٌ .

وكذلك حكم ابن هشام بأنَّه ضرورة ، في قد ، وفي النون^(٤) (من)
المغنى) وقال^(٥) في (شرح شواهد): والذي سهَّلَ ذلك مع الاضطراب أمور:

(١) يشير إلى الشاهد المعروف ، وهو الشاهد ٣٨٤ من هذا الجزء :

وما نبالي إذا ما كنيت جارتنا ألا يجاورنا إلَّاكَ ديار

(٢) الخزائن ١ : ٩٨ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٠٨ وشرح شواهد المغنى ١٦٧ والتصريح ١ : ١١٠ واللسان (طيس) وديوان

رؤية ١٧٥ .

(٤) ط: «بأنه ضرورة فإنه قد ذكره في النون» ، وأثبت ما في ش . وانظر المغنى في (قد)، وفي (النون).

(٥) ش : «قال» ، بدون واو .

أحدها : أنَّ الفعل الجامد يشبه الأسماء ، فجاء ليسى كما تقول غلامى وأخى ، ومن ثمَّ جاز : إنَّ زيدا لعسى يقوم كما جاز لقائمٌ ، ولا يجوز إنَّ زيدا لقام . وجاز أيضاً نحو : ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ^(١) ، كما جاز : علمت أنَّ زيدا قائم ^(٢) ولا يجوز علمت أنَّ قام ولا أنَّ يقوم ، والثانى : أنَّ ليس هنا للاستثناء ، فحقُّ الضمير بعدها الانفصال ، وإنَّما وصله للضرورة كقول الآخر :

* أن لا يجاورنا إلَّاك ديار *

والنون ممتنعة مع الفصل ، فتركها مع الوصل التفاتا إلى الأصل .
الثالث : أنَّ ليس ^(٣) بمعنى غير ، ولا نون مع غير . اهـ
واسم ليس هنا ضمير اسم الفاعل المفهوم من ذهب ، والتقدير : ليس هو إيتى ، أى ليس الذاهب إيتى .
وقال (شارح أبيات الموشح) : اسم ليس مضمَر يرجع إلى الكريم المستفاد من الكرام . وفيه مالا يخفى .
وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : كذا أنشد العلماء هذا البيت . ويروى :

* عَهْدِي بِقَوْمِي كَعَهْدِ الطَّيْسِ *

وهو الصحيح . وأنشده الخليل (فى كتاب العين فى طيس) لرؤية ، صاحب الشاه
قال : الطَّيْس : العدد الكثير . وأنشد البيتين لرؤية .
واختلفوا فى تفسير (الطَّيْس) فقال بعضهم : هو كل ماعلى وجه الأرض من خلق الأنام . وقال بعضهم : بل هو كلُّ كثير النسل نحو النمل والذباب والحوام .

(١) الآية ٣٩ من النجم .

(٢) ش : « أن زيدا قائم » .

(٣) ط : « ليسنى » ، صوابه من ش مع أثر تغيير .

وقال غيره : الطَّيْس : الكثير من الرمل والماء وغيرهما . وأراد به رؤية هنا الرمل . اهـ

وكذلك أنشده ابن الأعرابي (في نوادره) : «عهدت قومي» . ورواه بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : «عهدى بقوم» ، وقال : أراد بقوم المنكر قومه ، بدليل رواية قومي ، واللام في القوم إشارة إليهم ، وهذا من باب وضع الظاهر موضع المضمر ، والأصل : إذ ذهبوا . وفائدته التوصل إلى وصفهم بالكرم . وقوله : «عهدى بقوم» مبتدأ خبره محذوف ، وهو حاصل . وقوله : (ليسى) استثناء لنفسه من القوم الكرام الذاهبين . يفتخر بقومه ويتحسّر على ذهابهم فيقول : عهدى بقومي الكرام الكثيرين مثل كثرة الرمل حاصل إذ ذهبوا إلاّ إيّاي . فإني بقيت بعدهم خلفاً عنهم . ولايعد أن يريد قوماً غير كرام ، فيكون المعنى : أرى قوماً كثيرا غير كرام إذ ذهب الكرام غيري . انتهى كلامه .

٤٢٦

وهذا المعنى هو الظاهر دون الأوّل ، وهو معنى قول العيني : والمعنى عدت قومي وكانوا بعدد الرمل ، ومع تلك الكثرة ما فيهم كريم غيري . وعليه فيكون العامل في إذ : عدت ، أو عهدت ، أو عهدى ، على الروايات .

وقال شارح (أبيات الموشح) : قوله : «كعديد الطيس» : حال من قومي . وقوله : إذ ذهب ظرف ليسى . يقول : عهدى بقومي الكرام الكثيرين مثل كثرة الرمل حاصل ، وليس فيهم الآن كريم غيري ، إذ ذهب القوم الكرام وبقيت بعدهم خلفاً عنهم . هذا كلامه فتأمله .

وقال العيني : عديد الطيس صفة مصدر محذوف ، تقديره : عدّا كعدد الطيس . والعديد بمعنى العدد . يقال هم عديد الحصى والثرى في الكثرة .

وترجمة رؤية تقدّمت في الشاهد الخامس من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٣٩٣ (فإن لا يَكُنْها أو تَكُنْه فَإِنَّه أَخوها غَدَتْه أُمّه يَلْبَانِها)

لما تقدّم قبله من وصل الضمير المنصوب بكان ؛ والقياس : فإن لا يَكُنْ إِيّاها أو تَكُنْ إِيّاه .

وأنشده سيبويه (في أوائل كتابه) في باب الفعل الذى يتعدّى اسم الفاعل إلى اسم المفعول ، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد ، قال فيه : وتقول : كُتِبَ كُتَاهُم كما تقول : ضَرَبْنَاهُم . وتقول : إذا لم نَكُنْهُمْ فمن ذا يَكُونُهُمْ (٣) كما تقول : إذا لم نَضْرِبْهُمْ فمن يَضْرِبْهُمْ . قال أبو الأسود الدؤلى :

فإِلَّا يَكُنْها أو تَكُنْه فَإِنَّه . . . البيت

قال الأَعلَم : أَرَادَ سيبويه أَنَّ كان لتَصَرُّفِها تَجْرَى مجرى الأفعال الحقيقية فى عملها ، فيتصل بها ضمير خبرها اتصال ضمير المفعول بالفعل الحقيقى فى نحو ضَرَبْتُهُ وضَرَبْنِى وما أَشَبَّهه . اهـ

وقبل هذا البيت :

دع الحمرَ تشربها العَوَاةُ فَإِنِّنى رأيتُ أخاها مُجَزَّئاً لِمَكَانِها (٤)

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والإنصاف ٨٢٣ وابن يعش ٣ : ١١٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٠ والأشعوى ٣ : ١١٨ ودويان أبى الأسود الدؤلى ٨٢ .

(٣) فى النسختين : « إذا لم تَكُنْهُمْ » بالفاء ، وكذلك فيما يأتى « إذا لم تَضْرِبْهُمْ » ، صوابه من

سيبويه .

(٤) وكذا فى اللسان (كون) والديوان . لكن فى الإنصاف والعينى : « بمكانها » .

سبب الشعر

قال شراح أبيات سيبويه ، وشرح أبيات أدب الكاتب : سببُ هذا الشعر أنَّ مولىً لأبي الأسود الدؤلي كان يحمل تجارة إلى الأهواز ، وكان إذا مضى إليها تناول شيئاً من الشراب ، فاضطرب أمر البضاعة ، فقال أبو الأسود هذا الشعر ينهيه عن شرب الخمر . فاسم يكنها ضمير الأخ و «ها» ضمير الخمر ، وهو خبر يكن ، واسم تكنه ضمير الخمر ، والهاء ضمير الأخ ، وهو خبر تكن . وأراد بأخى الخمر الزبيب . يقول : دع الخمر ولا تشربها ، فإنى رأيتُ الزبيب الذى هو أخوها ومن شجرتها مُغنياً مكانها ^(١) ، وقائماً مقامها ، فلا يكن الزبيب الخمر أو تكن الخمر الزبيب فإنَّ الزبيب أخو الخمر ، غَذَتْهُ أُمُّهُ بلبانها . يعنى أنَّ الزبيب شرب من عروق الكرمة كما شرب العنب الذى عُصِرَ خمراً . وليس ثمة لبان وإنما هو استعارة . كذا قال جماعة ، منهم الجواليقي ، قال (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : نهيه عن شرب الخمر ، وقال له : إنَّ الزبيب يقوم مقامها . فإن لم تكن الخمر نفسها من الزبيب فهى أختُه ، اغتذتا من شجرة واحدة .

٤٢٧

ومنهم ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قال : أراد بقوله أخاها الزبيب ، وجعله أخا الخمر لأنهما من شجرة واحدة .

ومنهم ابن هشام (فى شرح شواهد) قال : زعم مولى أبى الأسود أنه يشرب الخمر لحرارتها ، فأمره بأكل الزبيب فإنه أخوها ، أى ارتضعَ معها من ثدي واحد ، أى إنَّه شرب من عروق الكرمة كما شرب العنب الذى هو أصلها .

وقال جماعة: أراد بأخى الخمر نبيذ الزبيب، منهم الأعلام قال: وصَفَ نبيذَ الزبيب وأطلقه على مذهب العراقيين فى الأنبذة، وحثَّ على شربه وترك الخمر

بِعَيْنِهَا ، للإجماع على تحريمها . وجعل الزبيب أصلاً للخمر لأن أصلهما الكُرْمَة . واستعار اللبان لما ذكره من الأخوة .

ومنهم ابن السيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) قال : يعنى بأخيها نبذ الزبيب . يقول : إن لم يكن الزبيبُ الخمرَ أو تكن الخمر الزبيبَ فإنهما أَخَوَانِ غُذِيَا بِلَيْنِ واحد ، ينوب أحدهما مناب الآخر .

ومنهم صاحب (فرائد القلائد) . قال : إن أخاها نبذ الزبيب ، يريد به الماء الذى نُبذ بزبيب ليصير حلواً من غير أن تشوبه حرمة ، فإنه أخوها ، إلا أنه حلال وهى حرام .

وقد أنشده الزجاج (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ ^(١) ، قال : الخمر المَجْمَعُ عليه . وقياسُ كُلِّ ما عمل عملُها أن يقال له خمر ، وأن يكون فى التحريم بمنزلتها ، لأنَّ إجماع العلماء أنَّ القَمَارَ كُلَّهُ حرامٌ ، وإنما ذُكر الميسر من بينه . وجعل كله حراماً ^(٢) قياساً على الميسر ، والميسر إنما كان قِمَاراً فى الجُزُرِ خاصّة . فكذلك كلُّ ما كان كالخمر فهو بمنزلة . وتأويل الخمر فى اللغة : أنَّه ماستَرَ على العقل ، يقال لكل ماستر الإنسان من شجرٍ وغيره خَمَرٌ بالتحريك . وماستره من شجر خاصّة ضِراً ^(٣) ، مقصور . يقال : دخل فى خُمَارِ الناس ^(٤) ، أى فى الكثير الذى يستتر فيهم . وخُمَارُ المرأة قِنَاعُها ، وإنما قيل له خمار لأنه يغطيها . والخمرة بالضم : التى يُسَجَّدُ عليها إنما سميت بذلك لأنها

(١) البقرة ٢١٩ .

(٢) كلمة «حراماً» ساقطة من ش .

(٣) رسمت فى ش «ضرى» بالياء . ولم يذكر القصر فى كل من اللسان والقاموس ، بل جعلاه ممدوداً «الضراء» .

(٤) يقال بفتح الحاء وضمها كما فى القاموس . ومثله غمار الناس بضم الغين وفتحها .

تستر الوجه عن الأرض . وقيل للعجين : قد اختمر ، لأنَّ فطوره قد غَطَّاهَا الخمر ، أعنى الاختار . يقال قد أختمرت العجين وخمرته وفطرته . فهذا كُلُّه يدلُّ على أنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خمرٌ ، وكلُّ مُسْكِرٍ مُخالطُ العقل ^(١) ومغَطٌّ عليه . وليس يقول أحدٌ للشَّاربِ إلا مخمور، من كل مسكر ؛ وبه تُخَمَّرُ . فهذا بيِّنٌ واضح . وقد بُسِّ على أبي الأسود الدؤلي فقليل له : إنَّ هذا المسكر الذى سَمَّوه بغير الخمر ^(٢) حلال ، فظنَّ أنَّ ذلك كما قيل ، ثم رَدَّه طبعه إلى أن حَكَمَ بأنَّهما واحد ، فقال :

دع الخمرَ يشربها الغواة... .. البيتين

وما ذكره خلاف المعنى الذى ذكره الجماعة . وقد وافقه فى هذا المعنى أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى — وتوفى بمصر فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة — (فى كتاب مساوى الخمرة) ، وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدَيْن ، قال فيه : وقد حرَّم الخمرَ والقمار والزنى على نفسه فى الجاهلية عُقُوبٌ بن معد يكرب ^(٣) الكندى بقوله :

وقالت لى : هَلُمَّ إِلَى التَّصَالِي فَقُلْتُ : عَفْتُ عَمَّا تَعْلَمِينَا
وَوَدَّعْتُ الْقِدَاحَ وَقَدْ أَرَانِي هَا فِي الدَّهْرِ مَشْغُوفًا رَهِينَا
وَحَرَّمْتُ الْخَمُورَ عَلَيَّ حَتَّى أَكُونَ بِقَعْرِ مَلْحُودٍ رَهِينَا ^(٤)
أنت ترى كيف تفهَّم ما فى القمار من المشاركة للزنى والخمر، فى سوء

٤٢٨

(١) ط : « يخالط » ، والوجه ما أثبت من ش للتناسق .

(٢) ط : « بغير الخمر » ، صوابه من ش .

(٣) ذكره ابن حبيب فى الخبر ٢٣٧ ، ٢٣٩ فىمن حرم فى الجاهلية الخمر والسُّكَّر والأزلام .

وذكر أن اسمه كان « شراحيل » ثم سَمِيَ عُقُوبًا لتحريمه على نفسه ذلك . وانظر القاموس (عف) حيث ضبطه .

(٤) فى الخبر : « لقعر ملحود رهينا » . والملاحود : اللحد ، وهو القبر .

الذكر . ولاتنس قوله: « حرّمت الخمر » فأتى بها بلفظ الجمع ، إشارةً إلى اختلاف أجناسها ، كالخمر المتخذة من ماء العنب ، ونبذ الزبيب والتمر والشعير والحنطة والعسل ، وأمثال هذه ، إذ الكلُّ خمرٌ مختلفة الألوان والطعوم والأمزجة . وقد قال ابن شبرمة ^(١) منبّها على اشتراك هذه كلّها في المعنى :

يَا أُخْلَاءُ إِنَّمَا الْخَمْرُ ذَيْبٌ وَأَبُو جَعْدَةَ الطَّلَاءُ الْمُرِيبُ
وَنَبِيذُ الزَّبِيبِ مَا اشْتَدَّ مِنْهُ فَهُوَ لِلْخَمْرِ وَالطَّلَاءِ نَسِيبُ

وقال عبيد بن الأبرص :

وقالوا هي الخمر تُكنى الطَّلَاءُ كما الذئب يكنى أبا جَعْدَةَ ^(٢)

وقد قال أبو الأسود الدؤلي ^(٣) :

دع الخمر يشربها الغواة ... البيت

فقل له : فنبذ الزبيب ؟ فقال :

فإلا يكنّها أو تكنه فإنّه أخوها غذته أمّه بلبانها . اهـ

وقوله : (دع الخمر) ، أى اترك . و (الغواة) : جمع غاوٍ ، وهو الضالّ .

وقوله : (مجزئاً) قال ابن الأنباري (في الزاهر) : يقال أجزأني الشيء يُجزئني ، إذا

كفاني . وأنشد هذا البيت ، وروى بدله : « مغنيا » بمعناه .

(١) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبي الكوفي ، القاضي . ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة

١٤٤ . تهذيب التهذيب : وكان شاعرا فقيها ورعا .

(٢) وقالوا ، في أول البيت ، ساقطة من النسختين ، وإثباتها من الديوان ٣ واللسان

(جعد، طلاء) . ط : « يكنى » ، وهى في ش مهمة نقط الحرف الأول . والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « الدؤلى » .

وقوله : «فإلاً يكنها» إلخ الفاء للتفريع والتفسير ، وإن شرطية ، ولا نافية وتكنه معطوف على تكنها فهو منفي أيضاً ، وجملة فإنه أخوها جوابُ الشرط. وجملة غذته أمه إلخ لاحتل لها من الإعراب ، لأنها مفسرة للأخوة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ ^(١) . وقال العيني : هي خبرٌ بعد خبر ، ويجوز أن تكون حالا من الهاء في أخوها ، والعامل فيها إن . هذا كلامه .

و(اللبان) بكسر اللام قال الأعلم : هو للآدميين ، واللبن لغيرهم ، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع . اهـ

قال ابن السكيت : يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذي يشرب . قال الكميت يمدح مَخلد بن يزيد :
تَرَى النَّدى وَمَخلداً حليفينَ كانا معاً في مهده رضيعين ^(٢)
* تنازعا فيه لبان التَّدين *

وقال الحريري (في درة الغواص) ^(٣) : اللبان : مصدر لابنه . قال ابن برى (في حاشيته عليه) : اللبان مصدر لابنه ، أى شاركه في اللبن ، ليس بإجماع بل الأكثر على جواز غير ذلك . قال بعضهم : اللبان بمعنى اللبن ، إلا أنه مخصوص بالآدمي ، وأما اللبن فعام في الآدمي وغيره . وقال آخرون : اللبان جمع لبن . فمما جاء فيه اللبان للمشاركة في اللبن قولهم : هو أخوه بلبان أمه . كذا فسره يعقوب ، أى هو أخوه لمشاركته في الرضاع. وعليه قول الكميت

(١) آل عمران ٥٩ .

(٢) لم يرد هذا الرجز في ديوان الكميت جمع داود سلوم .

(٣) درة الغواص ص ٩٩ .

المذكور . وقال أبو سهل الهروي : لَبَانٌ هُنَا جَمَعَ لَبَنٌ ، وَعَلَى قَوْلٍ غَيْرِهِ هُوَ لُغَةٌ فِي اللَّبَنِ . وَكَذَلِكَ بَيْتُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيِّ . انْتَهَى كَلَامُهُ .
وترجمة أبي الأسود قد تقدمت في الشاهد الأربعين ^(١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الثلاثائة ^(٢) :
٣٩٤ (لَوْلَاكَ فِي ذَا الْعَامِ لَمْ أَحْجُجْ)

على أنه يجوز ورود الضمير المشترك بين النصب والجر على قلة بعد لولا . و «لولا» حرف جر عند سيبويه كما ذكره الشارح ، ويأتي نص كلامه في البيت الذي بعد هذا .

وأنشده الزمخشري في سورة ص ، مستشهداً به على أن لَاتَ تَجْرُ الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر .

وهو عجزٌ ، وصدرة :

* أَوَمْتُ بَعِينِهَا مِنَ الْهُودَجِ *

وبعده :

(أَنْتَ إِلَى مَكَّةَ أَخْرَجْتَنِي وَلَوْ تَرَكْتَ الْحَجَّ لَمْ أَخْرُجْ)

وروى :

* حُبًّا وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَخْرُجْ *

وهما من شعر عمر بن أبي ربيعة. و(أَوَمْتُ): أشارت. والكاف في

(١) الخزائن ١ : ٢٨١ .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ١٨١ والإنصاف ٦٩٣ وابن يعيش ٣ : ١١٨ ، ١٢٠ والعيني ٣ :

٢٦٤ والمجمع ٢ : ٣٣ وملحقات ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٧٩ .

(لولاك) مفتوحة ، كما أن التاء من أنت كذلك . خاطبته حبيبته ومئت عليه
بتحمل المشاق لأجله .

صاحب الشاهد وزعم الخطيب التبريزي (في شرح ديوان أبي تمام) أن البيت الشاهد
للعرجي المذكور آنفا . ولم يوجد في ديوانه ، والذي رواه العلماء أنه لعمر بن
أبي ربيعة ، وهو موجود في شعره . وسبب توهمه : أن للعرجي أبياتاً على هذا
النمط رواها الزجاجي (في أماليه الوسطى^(١)) بسننّه إلى إسحاق بن سعد بن
عمرو بن سعيد بن العاص ، قال : كان العرجي ، وهو عبد الله بن عمر بن
عمرو بن عثمان بن عفان ، يشبب بامرأة محمد بن هشام . وقال غيره : إنه
يشبب بامرأته الحارثية :

أبيات الشاهد عوجى علينا ، بة الهودج إنك إن لاتفعلى تُخرجى
أيسر ماقال محبٌ لدى بين حبيب قوله : عرج (٢)
يقضى إليكم حاجة أو يقل هل لى مما بى من مخرج (٣)
من حيكم بتتم ولم ينصرم وجد فؤادى الهائم المنضج (٤)
فما استطاعت غير أن أومأت بطرف عينى شادنٍ أدعج (٥)
تدود بالبرد لها عبوة جاءت بها العين ولم تشج (٦)

(١) انظر ملحقات أمالي الزجاجي بتحقيق كاتبه ص ٢٣٠ وديوان العرجي ١٧ والأغانى ١ : ١٥٦ .

(٢) في النسختين : «عرجى» ، الوجه مأثبات من الديوان والأغانى .

(٣) الديوان : « تقض اليه حاجة » وفي الأغانى : «نقض إليكم حاجة أو نقل» .

(٤) الديوان . «وجد فؤاد الهائم» .

(٥) الديوان : «نحوى يعنى شادن» .

(٦) أصل الديوان : لاتجود بالبرد « و «جادت بها العين» .

مخافةً الواشين أن يَفْطِنُوا بشأنها والكاشح المزعج (١)
أقول لما فاتنى منهم ما كنت من وصلهم أرتجى
أنى أتيتحت لى يمانية إحدى بنى الحارث من مَدحج
نمكت حولا كاملا كله لانتلقى إلا على منتهج
فى الحج إن حجت وماذا منى وأهله إن هى لم تحجج
فقال عطاء (٢) : الكثير الطيب ياخيث .

وروى أيضاً صاحب الأغاني بسنده أن مما قال العرجى فى الجيداء أم
محمد بن هشام المخزومى ، وهى من بنى الحارث بن كعب :
* عوجى علينا ربة الهودج *

الآيات الأربعة :

فلما سمع البيت الأخير عطاء بن أبى رباح قال : الخير والله كله فى
منى وأهله ، حجت أم لم تحجج .

ولقى ابن سريج عطاء فى منى وهو راكب على بغلته فقال له : سألتك
بالله إلا ماوقفت حتى أسمعك شيئاً . قال : وبحك دعنى . فقال : امرأتى
طالق إن لم تقف ، مختاراً للوقوف ، لأمسكن بلبام بغلتك ثم لا أفارقها ولو
قطعت يدى ، حتى أغنيك وأرفع صوتي . فقال : هات وعجل . فغنّاه :
فى الحج إن حجت وماذا منى ... البيت

(١) الديوان : «لشأنها» .

(٢) هو عطاء بن أبى رباح ، كما سيأتى .

فقال : الخير والله كله في مِنى وأهله ، لاسيما وقد غيَّبها الله عن مشاعره ، خلَّ سبيل البغلة. اهـ (١)

وقوله : « نلبث (٢) حولا كاملا كله » البيت ، هو من شواهد الكوفيين استدلُّوا به على جواز تأكيد النكرة المحدودة . وقد نقله عنهم ابن هشام (في معنى اللبيب) ، ولأجله أوردت هذه الأبيات .
وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدَّمت في الشاهد السابع والثانين (٣).

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد س (٤) :

٣٩٥ (وَمَ موطنَ لولائِ طِطحتَ كما هَوَى

بأجرامِهِ من قلةِ النِّيقِ مُنْهَوَى)

لما تقدَّم قبله . قال سيبويه في باب ما يكون مضمراً فيه الاسم متحوّلاً عن حاله إذا أظهر (٥) بعده : وذلك لولاك ولولائى ، إذا أُضْمِرَ فيه الاسم جُزَّ ، وإذا أظهر رفع . ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت لولا أنت ، كما قال الله تعالى : ﴿ لولا أنتم لَكُنَّا مؤمنين ﴾ (٦) ، ولكنهم جعلوه مجروراً .

(١) رمز الانتهاء هذا من ش فقط .

(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله نلبث ، لعله رواية ، والا فالذى تقدم غمكت » .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٤) في كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٣ والخصائص ٢ : ٢٥٩ والمنصف ١ : ٧٢

وأمالى القالى ١ : ٦٨ والإنصاف ٦٩١ وابن يعيش ٣ : ١١٨ / ٩ : ٢٣ والمقرب ٤١ والعينى ٣ : ٢٦٢ والجمع ٢ : ٣٣ والأشئونى ٢ : ٣٦ / ٤ : ٥٠ ويس على التصريح ١ : ٣١٠ .

(٥) ط : « ظهر » صوابه في ش . وفي سيبويه : « إذا أظهر بعده الاسم » .

(٦) الآية ٣١ من سورة سبأ .

والدليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمر مرفوع ، قال يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاي طِحتَ البيت

وهذا قول الخليل ويونس . وأما قولهم : عساک ، فالكاف منصوبة . قال الراجز :

* يَأْبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَ *

والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كان علامتك «ني» ، قال عمران بن حِطَّان :

ولى نفسٌ أقول لها إذا ما تُنازعنِي لعلِّي أو عسانِي ^(١)

فلو كانت الكاف مجرورة لقال: عسائى ، ولكنهم جعلوها بمنزلة لعل في هذا الموضع . فهذان الحرفان لهما في الإضمار هذا الحال ، كما كان للذن حال مع غدوة ليست مع غيرها ، وكما أن لات إذا لم تعملها في الأحيان لم تعملها فيما سواها ، فهي معها بمنزلة ليس ، فإذا جاوزتها فليس لها عمل ^(٢) .

ورأى أبى الحسن أن الكاف في لولاك في موضع رفع على غير قياس ، كما قالوا: ماأنا كانت ولأنت كأنا ، وهذان ^(٣) علم الرفع، كذلك عسانى . ولايستقيم أن تقول : وافق الجر في لولاي كما وافقه النصب ، إذ قلت مَعَكَ وضَرَبَكَ ؛ لأنك إذا أضفت إلى نفسك فالجر مفارق للنصب في هذه الأشياء . ولاتقل وافق الرفع النَّصَب في عسانى كما وافق النصب الجر في

(١) هو الشاهد ٣٩٧ فيما سأتى .

(٢) التعليقة التالية لأبى الحسن الأخفش ليست في جميع نسخ سيبويه . وانظر سيبويه ٢ : ٣٧٥

من تحقيق كاتبه .

(٣) ط : « وهذا ان » ، صوابه في ش .

ضَرَبَكَ وَمَعَكَ ، لَأَنَّهُمَا إِذَا أَضَفْتَ ^(١) إِلَى نَفْسِكَ اخْتَلَفَا . وَزَعَمَ نَاسٌ أَنَّ مَوْضِعَ الْيَاءِ فِي لَوْلَا ، وَفِي فِي عَسَانِي ، فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ ، جَعَلُوا لَوْلَا مَوْافِقَةً لِلجَرِّ ، وَفِي مَوْافِقَةٍ لِلنَّصْبِ ، كَمَا اتَّفَقَ النَّصْبُ وَالْجَرُّ فِي الْهَاءِ وَالْكَافِ . وَهَذَا وَجْهٌ رَدِيٌّ لَمَّا ذَكَرْتَ ، وَلَأَنَّكَ لَا يَنْبَغِي أَنَّ تَكْسِيرَ الْبَابِ وَهُوَ مَطْرُودٌ وَأَنْتَ تَجِدُ لَهُ نِظَائِرَ . وَقَدْ يُوْجِّهُ الشَّيْءُ عَلَى الشَّيْءِ الْبَعِيدِ إِذَا لَمْ يُوجَدْ لَهُ غَيْرُهُ . وَرَبَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ ، وَقَدْ بَيَّنَّ بَعْضُ ذَلِكَ وَاسْتَرَاهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . هَذَا نَصُّ سَيَبَوِيهِ بِرُمَّتِهِ .

قال الأعلم : الشاهد في هذا البيت إتيان ضمير الخفض بعد لولا التي يليها المبتدأ ، ولَمَّا كَانَ مَبْتَدُوهَا مَحْذُوفٌ الْخَبَرُ أَشْبَهَ الْمَجْرُورَ لِانْفِرَادِهِ ، وَالْمُضْمَرُ لَا يَتَّبِعُ فِيهِ الْإِعْرَابُ ، فَوَقَعَ مَجْرُورُهُ مَوْضِعَ مَرْفُوعِهِ ، وَالْأَكْثَرُ لَوْلَا أَنْتَ كَالظَّاهِرِ . وَرَدَّ هَذَا الْمَبْرُودُ وَسْفَهُ قَائِلُهُ تَحَامُلًا مِنْهُ وَتَعَسُّفًا . اهـ

٤٣١

وقد رأيت كلام المبرد (في الكامل) فإنه بعد أن نقل كلام سيبويه قال : والذي أقول أنَّ هذا خطأ ، ولا يصلح أن تقول إلا لولا أنت ، قال تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) . وَمَنْ خَالَفَنَا يَزْعُمُ أَنَّ الَّذِي قُلْنَا أَجُودُ وَيَدَّعِي الْوَجْهَ الْآخَرَ وَيُجِيزُهُ عَلَى بَعْدِ . اهـ

وقد فصل ابن الشجري (في أماليه) الأقوال فقال في وقوع المضمر بعد لولا التي يرتفع الاسم بعدها بالابتداء : وللنحويين في ذلك ثلاثة مذاهب : فذهب سيبويه أنه يرى إيقاع المنفصل المرفوع بعدها هو الوجه ، كقولك : لولا أنت فعلت كذا . ولا يمتنع من إجازة استعمال المتصل بعدها كقولك :

(١) ط : «إِذَا أَضَفْتَهُمَا» ، وَأُثْبِتَ مَا فِي ش . وَالَّذِي فِي سَيَبَوِيهِ : «لَأَنَّهُمَا مُخْتَلِفَانِ إِذَا أَضَفْتَ إِلَى نَفْسِكَ» .

(٢) الآية ٣١ من سورة سبأ .

لولاى ولولاك ولولاه ، ويحكم بأن المتصل بعدها مجرورٌ بها فيجعل لها مع المضمير حكماً يخالف حكمها مع المظهر .

ومذهب الأخفش أن الضمير المتصل بعدها مستعارٌ للرفع ، فيحكم بأن موضعه رفع بالابتداء وإن كان بلفظ المضمير المنصوب أو المجرور . فيجعل حكمها مع الضمير موافقاً حكمها مع المظهر .

ومذهب المبرد أنه لا يجوز أن يليها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع . واحتجَّ بأنه لم يأت في القرآن غير ذلك . ودفع الاحتجاج بهذا البيت وقال : إنَّ في هذه القصيدة شذوذاً في مواضع ، وخروجاً عن القياس ، فلا معرَجَ على هذا البيت .

وأقول : إنَّ الحرف الشاذَّ أو الحرفين أو الثلاثة ، إذا وقع ذلك في قصيدة من الشعر القديم لم يكن قادحاً في قائلها ، ولا دافعاً للاحتجاج بشعره . وقد جاء في شعرٍ لأعرابيٍّ :

* لولاك في ذا العام لم أحجِّج *

وللمحتجِّ لسيبويه أن يقول : إنَّه لما رأى الضمير في لولاى ونحوه خارجاً عن حيزِ ضمائر الرفع ، وليست لولا من الحروف المضارعة للفعل فتعملُ النصب كحروف النداء ، ألحقها بحروف الجرِّ . وحجة الأخفش أن العرب قد استعارت ضمير الرفع المنفصل في قولهم : لقيتك أنت ، وكذلك استعاروه للجرِّ^(١) في قولهم : مررت بك أنت ، أكدوا المنصوب والمجرور بالمرفوع . وأشدُّ منه إيقاعهم إياه بعد حرف الجر في قولهم : أنا كانت وأنت كأننا فكما استعاروا المرفوع للنصب والجرِّ كذلك استعاروا المنصوب للرفع في قولهم : لولاى ولولاك ولولاه . اهـ

وقد نسب ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) مذهب الأخفش إلى

(١) جعلها الشنقيطي في نسخته : «النصب» ، وليس بشيء .

الكوفيين ، وذكر حجج الفريقين ، وصحَّح مذهب الكوفيين ، وردَّ كلام سيبويه بأنَّ قوله إن الباء والكاف لا يكونان علامة مرفوع غير مسلم ؛ فإنَّه يجوز أن يستعار للمرفوع علامة المخفوض . كما يستعار له علامة المنصوب في نحو : عساک .

ثم قال : والذي يدلُّ على أن لولا ليس بحرف خفض أنَّه لو كان كذلك لوجب أن يتعلَّق بفعل أو معنًى ، وليس هنا ذلك . وقول البصريين إنَّه قد يكون الحرف في موضع مبتدأ لا يتعلَّق بشيء ، قلنا : الأصل في حروف الخفض أن يجوز الابتداء بها ، وأن تقع في موضع مُفيد^(١) ، وإنما جاء ذلك نادراً ، في قولهم : بحسبك زيد وما جاءني من أحد ، لأنَّ الحرف في نية الاطِّراح ، إذ لا فائدة له ، بخلاف لولا فإنَّه حرفٌ جاء لمعنى وليس بزائد . ألا ترى أنَّك لو حذفها لبطل ذلك المعنى الذى دخلت من أجله ؛ بخلاف الباء ومن . فبان الفرق بينهما . انتهى كلامه .

٤٣٢

وما نسبته ابن الأنباري للكوفيين نسبته النحَّاس (في شرح أبيات سيبويه) للفراء قال : مذهب سيبويه عند المبرد خطأ ، لأنَّ المضمر يَعْقِب المظهر فلا يجوز أن تقول المظهر مرفوعاً والمضمر مجروراً . وأبو العباس المبرد لا يبيح لولاك ولولاه ، وإنما يقول لولا أنت . قال أبو العباس : وحُدِّث أن أبا عمرو اجتهد في طلب مثل لولاك ولولاي بيتاً يصدِّقه ، أو كلاماً ماثوراً عن العرب ، فلم يجده . قال أبو العباس : وهو مدفوعٌ لم يأت عن ثقة . ويزيد بن الحكم ليس بالفصيح . وكذلك عنده قول الآخر :

«لولاك هذا العام لم أحجج»

قال: إذا نظرت إلى القصيدة رأيت الخطأ فيها فاشياً^(٢). وقول سعيد

(١) في النسختين : «مفيد» بالقاف ، والتصحيح للشنقيطي في نسخته بقلمه .

(٢) ط : «فاحشا» ، وأثبت ما في ش .

الأخفش ^(١) في لولاك : وافق ضمير الخفض في لولاي ؛ ليس هذا القول بشيء ، ولا يجوز هذا . وقال الفراء : لولاي ولولاك المضمّر في موضع رفع ، كما تقول : لولا أنّك ولولا أنت . قال : فإنما دعاهم أن يقولوا هذا لأنّهم يجدون المكنىّ يستوى لفظه في الخفض والنصب والرفع ، فيقال ضربنا ، ومربنا ، وقمنا ، فلما كان كذلك استجازوا أن تكون الكاف في موضع أنت رفعاً إذ ^(٢) كان إعراب المكنىّ بالدلالات لا بالحركات . قال أبو الحسن بن كيسان : الوجه لولا أنت ، ولا يجوز أن يكون المضمّر خلاف المظهر في الإعراب وهو بدلٌ منه وموضوعٌ موضِعُه ، ولكنّ المكنىّ مستغن عن دلالة بالحرف الذى يوجب فيه الرفع ولا يقع منصوب ولا مخفوض ؛ واكتفى بدلالة الحرف من دلالة المكنى ، وكان حرفٌ أخصر من حروف . قال : وهذا الذى اخترته هو مذهب الفراء .

ثم قال النحاس : وأما أبو إسحاق فجرى على عادته ^(٣) في الاحتجاج عن سيبويه والتصحيح عنه ، فقال : إنّ خبر المبتدأ الذى بعد لولا لا يظهر ، فأشبهت لولا حروف الجرّ لوقوع اسم بعدها ، وكان المضمّر لا يتبين فيه إعراب ، فجعل موضع الجرّ المجرور . وهذا احتجاجٌ لطيف لم نر أحداً يُحسن مثل هذا . وزاد عليه هذا أنه احتجّ بقول رؤية ، وهو ممن لا تُدفع فصاحته :

* لولاكمّا قد خرجت نفساهما *

انتهى ما أورده النحاس مختصراً .

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه .

(٢) ط : « إذا » ، صوابه في ش .

(٣) ش : « عادته » ، بالإفراد .

قال ابن الأنباري : وأما إنكار أبي العباس المبرد جوازَه فلا وجه له ؛
لأنه قد جاء كثيراً في كلامهم وأشعارهم . قال الشاعر :
وأنت امرؤ لولائي طِحتَ كما هوى ... البيت
وقال الآخر :

أُطْمَعُ فينا من أراقَ دماءنا ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسنٌ^(١)
وقال بعض العرب :

* لولاك هذا العام لم أحجج *

وأما مجيء الضمير المنفصل بعده فلا خلاف أنه أكثر وأفصح ، وعدم
مجيء الضمير المتصل في التنزيل لا يدل على عدم جوازه .

وقد أشهد المبرد (في الكامل) في الموضع الذي نقلنا منه آنفاً بيتاً في
وَقَعَةٍ للخوارج ، وهو :

ويومٌ يجيُّ تلاقِيَتُهُ ولولاك لاصطُلِمَ العسكرُ^(١)
وجيُّ^(١) : اسم مدينة .

(١) أي يا حسن . يعني الحسن بن علي بن أبي طالب . وفي النسختين : « لم تعرض لأحسابنا
عيس » ، صوابه في الإنصاف وابن يعيش ٣ : ١٢٠ والعيني ٣ : ٢٦٠ . وقبل البيت كما في العين :
معاوى إني لم أباليك فلتة ومازال مأسُرتُ مني كما علن
والأبيات عند العيني ثمانية على روى النون من قصيدة لعمرو بن العاص ، يخاطب بها معاوية بن
أبي سفيان .

(٢) ط : « ويوم يجيء » ، صوابه في ش والكامل ٦٥٠ ومعجم البلدان ، وأوله فيه : « ويوما »
بالنصب . وجي ، بالفتح وتشديد الياء : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة . قال ياقوت : « وتسمى الآن
عند العجم : شهرستان » . وفي النسختين : « تلاقيته » بالقاف ، وصوابه بالفاء كما في معجم البلدان ،
مع نسبة البيت إلى أعشى همدان .

(٣) ط : « وجيء » ، صوابه في ش .

وقوله : (وكم موطن) كم ^(١) هنا لإنشاء التكثير ، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : لك . والموطن، قال صاحب الصحاح : هو المشهد من مشاهد الحرب . وقد استشهد صاحب الكشف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ ^(٢) ، على أن المراد بالمواطن مواقعُ الحروب ، كما في البيت . ولولا هنا عند سيبويه حرف جر لا يتعلق بشيء . وعند غيره الياء مبتدأ ، استعير لفظ غير المرفوع للمرفوع ، وخبره محذوف تقديره حاضر . وجملة (طحت) في موضع النعت لموطن ، والرباط محذوف تقديره فيه ، وهو قد سُدَّ مسدَّ جواب لولا عند من يجعلها على بابها ، وتكون معترضة بين النعت والمنعوت . قال ابن السجري : والجملة التي هي « لولاي طحت » محلُّها جر على النعت لموطن ، والعائد محذوف . انتهى .

وهذا باعتبار مذهب سيبويه .

و(طاح) يطوح ويطيح أيضاً بمعنى هلك وسقط، وكذلك إذا تاه في الأرض.

وقوله : (كما هوى) إلخ مفعول مطلق لطحت من غير لفظه ، أى طُحِتَ طِيحاً ^(٣) كُهوئ الساقط؛ فما مصدرية، وقيل كافة . وهوى بالفتح يهوى بالكسر هويًا بضم فكسر فتشديد ، أى سقط إلى أسفل . و(الأجرام) : جمع جرم بالكسر ، وهو الجسد . قال المبرد (في الكامل) بعد إنشاده هذا البيت : جِزَمَ الإنسان : خَلَقَهُ . والثيق : أعلى الجبل . وهذا مثل « شابت مفارقة »؛ كأنه جعل أعضائه أجراماً توسعاً .

وقد زلَّ قلمُ ابن السجريُّ فقال : بأجرامه أى بذنوبه، جمع جُرم.

(١) ط : « وكم » بزيادة واو .

(٢) الآية ٢٥ من التوبة .

(٣) في النسختين : « طحوا » ، تحريف .

ويروى : «بإجرامه» مصدر أجرم ، يقال جرم وأجرم ، لغتان ، إذا أذنب . وأجرم لغة القرآن . انتهى .

ولا يخفى أن جعل الأجرام جمع مجرم بالضم ، وتفسيره بالذنب ، لا وجه له هنا .

و(النبيق) بكسر النون : أرفع الجبل . وقُلْتُهُ : ما استدق من رأسه .

و(منهوى) : ساقطٌ ، وهو فاعل هَوَى . ويُقْل عن المبرد الطعن في هذه أيضاً ، قال : انفعّل لايجي مطاوع فعلٌ إلا حيث يكون علاجٌ وتأثير . وقال ابن جنى (في شرح تصريف المازني) . اعلم أن انفعّل إنما أصله من الثلاثة ، ثم تلحقها الزيادتان ، نحو قطعته فانقطع ، ولا يكاد يكون فعلٌ منه متعدياً حتى تمكن المطاوعة والانفعال . وقد جاء فعلٌ منه غير متعدٍ ، وهو «وكم موطن لولاي طحت» البيت . فإنما هذه مُطَاوَعٌ هَوَى ، إذا سقط ، وهو غير متعدٍ كما ترى . وقد جاء في هذه القصيدة «مُنْعَوَى» قال أبو علي : إنما بنى من هوى وغوى ^(١) منفِعلاً ، لضرورة الشعر . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : هوى وانهى بمعنى . وقد جمعهما الشاعر في قوله . وأنشد هذا البيت .

وهو من قصيدة طويلة ليزيد بن الحكم ، يعاتب بها ابن عمه ، وقيل أخاه . وقد تقدّمت مشروحة في الشاهد الثانيين بعد المائة ^(٢) .

صاحب الشاهد

(١) ط : «إنما بنى منهوى ومنغوى» وهو تصحيف سنح ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ، ومن سر الصناعة ١ : ٧٣ .

(٢) الخزائن ٣ : ١٣٠ — ١٣٩ .

وهذا البيت مع شهرته لم يعرفه شارح (شواهد التفسيرين) خَضِرُ الموصليّ ، حتى إنه قال : هو بيت لم يعزه أحدٌ إلى قائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الثلاثئة (١) :

٣٩٦ (لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ)

على أنّه قد يجيء خبر لعلّ مضارعاً مقروناً بأنّ ، حملاً لها على عسى .

قال الزمخشري (في المفصل) : قد جاء في الشعر :

(لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ

عليك من اللأئي يَدْعُوكَ أَجْدَعَا)

٤٣٤

قياساً على عسى .

وقال ابن هشام (في المغني) : ويقترن خبر لعلّ بأنّ كثيراً ، حملاً على

عسى . كقوله :

* لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ *

وبحرف التنفيس قليلاً كقوله :

فقولاً لها قولاً رقيقاً لعلّها سترحمني من زفرةٍ وعويلٍ

انتهى . فلم يخصّه بالشعر .

وأما كثرة الاقتران بأنّ فهو بالنسبة إلى اقترانه بحرف التنفيس . وأما بالنسبة

إلى التجرد فهو قليل قطعاً . ويؤيده أن المبرد قال (في الكامل) ، عند إنشاده هذا

البيت : إنّ التجرد من أنّ هو الجيّد ، والاقتران بها غير جيّد . فلم يقيده بالشعر .

(١) المقتضب ٣ : ٧٤ ، والكامل ١١١ ، ٢٥١ وابن يعيش ٨ : ٨٦ وشرح شواهد المغني ٣٢٧

والمفضليات ٢٧٠ .

وقال بعضهم : الخبر في هذا البيت محذوف ، تقديره : لعلك مُعَدُّ لأن تلمّ
ملمة ، أو نحوه .

قال الخطيب التبريزي (في شرح المفضليات) قوله : « لعلك يوما أن
تلم » إلخ ، أظنك أن ألم بك ملمة من الملمات التي تترك ذليلاً مجدوع
الأنف والأذن ^(١) . ونحو لعل محذوف مع حرف الجر من أن تلم ، ويكون
تقدير الكلام ومعناه : لعلك لأرجوك لأن تلم بك ملمة . قال سيبويه : لعل
طمع وإشفاق . يريد أنه يكون للأمرين جميعاً . فإذا كان هذا المعنى فكأنه
يرجو الشر ^(٢) له ، ويطمع فيه . انتهى .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لمتهم بن نورة الصحابي ، رثى بها أخاه مالك بن
نورة لما قتله خالد بن الوليد بتهمة ^(٣) الردة . وقد تقدم الكلام على قصة قتله
مع شرح أبيات من هذه القصيدة ، في الشاهد السادس والثمانين ^(٤) .
وهذه أبيات قبل البيت المذكور :

(ألم تأت أخبار الحُلّ سرائكم
أبيات الشاهد
فيغضب منكم كل من كان مُوجِعاً
بمشمته إذ صادف الحُفّ مالكاً
ومشْهده ماقد رأى ثم ضيِّعاً ^(٥)
آثرت هدماً بالياً وسويّةً
وجئت بها تلعو بريداً مُقرِّعاً

(١) ط : «والآذان» ، وأثبت الأوفق من ش .

(٢) ط : «يرجو البشر» ، صوابه في ش .

(٣) ط : «التهمة» .

(٤) الخزائن ٢ : ٢٤ .

(٥) ط : «بمشمته» ، صوابه في المفضليات وش مع أثر تصحيح فيها .

فلا تَفْرَحَنَّ يوماً بنفسِكَ إنني أرى الموتَ وقاعاً على من تشجَّعا
 لعلك يوماً أن تلتَمَ ملمة . . . البيت
 نعيّتِ امرأً لو كان لحمُك عنده لآواه مجموعاً له أو ممزَّعا
 فلا يَهْنِئُ الواشينَ مقتلُ مالك فقد آبَ شانيه إياباً فودَّعا (١)
 وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « ألم تأت أخبارُ المُجَلِّ إلخ هو بضم الميم وكسر الحاء
 المهملة ، هو رجلٌ من بني ثعلبة ، مرَّ بمالك مقتولا كأنه شامتٌ ، فذمَّه
 متمم . وقال ابن الأنباري : المحلّ بن قدامة مرَّ بمالك فلم يُواره . والسَّراة :
 الأشراف . وروى : « فيغضبُ مِنْهُمْ » و « منها » أى من الأخبار . وقوله :
 « بمشمتِه » متعلق بموجعا ، وهو مصدر شَمِتَ به شماتة ومَشَمَتاً (٢) .

ويروى : « أن صادف الحتفَ مالكٌ » . ورفع الحتف أجود من نصبه .
 ومَشْهده معطوف على مشمتِه ، والضَّمائر كلها للمُجَلِّ .

وقوله : « آأثرت » استفهامٌ توبيخي ، والخطاب للمُجَلِّ . والهذم
 بالكسر : الثوب الخلق . والبالي : الفاني . والسَّوِيَّة بفتح المهملة وكسر الواو : كساء
 محشوٌّ بثمام أو نحوه ، يُجْعَل على ظهر الإبل كالحلقة لأجل السَّنام .

(١) ط : « فلا يهنأ » ، هنا وفي التفسير في آخر الكلام ، وصواب الرواية من ش والمفضليات . وهما لغتان ، يقال هنأني الأمر يهنؤني ويهنئني . والأسيّر في الشعر « يهنئ » ، قال أعشى باهلة :

أصبت في حرم منا أختا ثقة هند بن أسماء لايهنئ لك الظفر

وقال الأخطل :

إلى إمام تغاديننا فواضله أظفره الله فليهنئ له الظفر

(٢) ط : « ومشمته » ، صوابه في ش .

قال أبو جعفر : أُعْطِيَ الحُلَّ سَلَبَ مالِكٍ ففرح به ، وأقبلَ راجعاً . وقَرَعَ الرجلُ ، بالقاف والزاي المُعْجَمَة ، إذا أُسْرِعَ في سيره . وقَرَعَ القومُ رسولاً إذا أرسلوا (١) . أراد : إنك تسعى بخبره مسرعاً كمجىء البريد .

٤٣٥

وقوله : « فلا تفرحن يوماً » إلخ هذا دعاءٌ عليه ، أى لافرحتَ بنفسك . وقوله : « وقاعاً على من تشجّعاً » أى لايفلُتُ من الموت أحدٌ . يقول : آثرتِ الثَّيابَ وجئتِ تعدو بشيراً تُرى الناسَ أنك قد فزعتِ لمقتله ، وإنما ذاك شِمةٌ منك وسرورٌ به .

وقوله : (لعلَّكَ يوماً) إلخ ، الإللام : النزول . و (الملَّمة) : البليَّةُ النازلة . و(الأجدع) : المقطوع الأنف والأذن ، ويستعمل في الذليل ، وهو المراد هنا . يقول : أيها الشامثُ ، لا تكن فرحاً بموت أخى ، عسى أن تنزلَ عليك بليَّةٌ من البليَّاتِ اللاتي يتركنك ذليلاً خاضعاً .

وقوله : « نعيمٌ امرأ » إلخ النِّعَى : الإخبار بالموت . والممَزَّع : الممزَّق والمفرَّق . يقول : لو كنتَ أنت القَتيلَ لآوى لحَمَكِ بدفنه ، سواء كان مجموعاً أو ممزَّقا .

وقوله : « فلا يهنىءُ الواشين (٢) » إلخ هذا دعاءٌ عليهم في صورة النِّهَى .

* * *

(١) في شرح ابن الأثير للمفضليات ٥٤٣ : « أرسلوه » .

(٢) ط : « فلا يهنأ » . وانظر التعليق السابق .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد سيبويه (٢):

٣٩٧ (ولى نفس أقول لها إذا ما

تُنازعنى لعلّى أو عسائى)

على أن سيبويه استدلّ على كون الضمير ، وهو الياء ، منصوباً بلحوق نون الوقاية فى عسائى . قد تقدّم نصّ سيبويه قبل هذا بيتين .

قال النحاس : قال سيبويه فى قولهم عسك : الكاف منصوبة . واستدلّ على ذلك بقولهم : عسائى ، ولو كانت الكاف مجرورة لقال : عسائى . قال : ولكنّهم جعلوها بمنزلة لعلّ فى هذا الموضع . قال : فهذان الحرفان لهما فى الإضمار هذا الحال ، كما كان للدنّ مع غدوة حالّ ليست مع غيرها . قال محمد بن يزيد المبرد : هذا غلطٌ منه ، يعنى جَعَلَهُ عسى بمنزلة لعلّ . قال : لأنّ أفعال الرجاء لاتعمل فى المضمر إلّا كما تعمل فى المظهر . قال : تقديره عندنا أنّ المفعول مقدّم والفاعل مضمر ، كأنّه قال : عسك الخير والشرّ .

أراد المبرد أنّ عسى ككان ، لأنّهما فعلاّن . وذهب أبو إسحاق إلى صحّة قول سيبويه ، واحتجّ له بأنّ عسى ليس بفعلٍ حقيقى ، بل هو شبيهٌ بلعلّ . ووجدتُ بخطّى عن أبى إسحاق : يجوز أن يكون الضمير فى موضع نصبٍ بعسى فى عسك والمرفوع محذوف ، أى عسى الأمر إيّاك . وليس هذا بناقض (٢) لما أخذته عنه ، لأنّه قال : يجوز . فذاك عنده الأصل . وأجاز قول المبرد . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٢ والخصائص ٣ : ٢٥ وابن يعيش ٣ : ١٠ ،

١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ / ٧ : ١٢٣ والمقرب ١٨ والعينى ٢ : ٢٢٩ .

(٢) ط : «تناقضا» ، صوابه فى ش .

وزعم الأخفش تبعاً ليونس أن عسى باقية على عملها عمل كان ، ولكن استعير ضمير التَّصْبِ مكان ضمير الرفع .

قال ابن هشام (في المغنى) : ويردّه أمران : أحدهما : أن إنابة ضمير عن ضمير إنما ثبت في المنفصل ، نحو ما أنا كأت ولا أنت كأنا . والثاني : أن الخبر قد ظهر مرفوعاً في قوله (١) :

فقلتُ عساها نارُ كاسٍ وعلَّها تشكَّى فأتى نحوها فأعوذها انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لعمران بن حِطَّان الخارجي . وقبله :

(وَمَنْ يَقْصِدُ لِأَهْلِ الْحَقِّ مِنْهُمْ فَإِنِّي أَتَّقِيهِ كَمَا اتَّقَانِي عَلَىٰ بِذَاكَ أَنْ أَحْمِيهِ حَقًّا وَأَرْعَاهُ بِذَاكَ كَمَا رَعَانِي)

يقال : قصدته وقصدت إليه . وضمير منهم للخوارج . ومن الليبان . جعل الخوارج بزعمه أهل حق . أى من قصد لأهل الحق من الخوارج بمكروهم ٤٣٦
فإني أدافعه وأحاربه ، واتقيه كما يتقيني .

وقوله : (ولى نفسٌ تُنازعنى) إلخ يقول : إذا نازعتنى نفسى فى حملها على ما هو أصلح لها أقول : لها طاورعنى لعلّى أجد المراد والظفر ، أو قلت لها : لعلّى أفعل هذا الذى تدعونى إليه . فإذا قلت لها هذا القول طاورعتنى .

عمران بن حطان

وعمران بن حِطَّان ، هو على مافى الجمهرة : عمران بن حِطَّان بن ظَبْيَان بن شَعْل بن معاوية بن الحارث بن سدوس بن شَيْبَان بن ذُهَل بن ثعلبة ابن عُكَّابَةَ بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل السُدُوسى ، البصرى ، التابعى المشهور ، أحد رعوس الخوارج من القعدية بفتحيتين ، وهم الذين يرون الخروج ويحسّنونه لغيرهم ، ولا يباشرون بأنفسهم القتال . وقيل القعدية لا يرون الحرب وإن كانوا يُزَيَّنونه (٢) .

(١) هو صخر بن الجعد الحُضْرى ، كما فى معجم الشواهد .

(٢) الحرب مؤنثة ، وحكى ابن الأعرابى فيها التذكير ، كما هنا .

وفى الأغاني : إنما صار ابن حِطَّانَ من القَعْدَةِ لأنَّ عمره طال وكبير
وعَجَزَ عن الحرب وحُضورها ، فاقْتَصَرَ على الدَعْوَةِ والتحريض بلسانه . وكان
أولاً مشمراً لطلب العلم والحديث ، ثم يُلَى بذلك المذهب . وقد أدرك صدرأ
من الصحابة ، وروى عنه أصحاب الحديث .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : وقد أخرج له البخارى وأبو داود ،
واعْتَذَرَ عنه بأنَّه إنما خَرَجَ عنه ما حَدَّثَ به قبل أن يبتدع . واعتذر أبو داود
عن التخرىج بأنَّ الخوارج أصحُّ أهل الأهواء حديثاً عن قتادة . وكان عمرانُ
لا يُتِّهِمُ فى الحديث . وكان سبب ابتلائه أنَّه تزوَّج امرأةً منهم فكَلَّمُوهُ فيها ؛
فقال : سأردُّها عن مذهبها . فأضَلَّتْه .

وفى الإصابة أنَّها كانت بنتَ عمِّه ، بلغه أنَّها دخلت فى رأى
الخوارج ، فأراد أن يردَّها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها . وذكر المدائنى أنَّها
كانت ذات جمال ، وكان دميماً قبيحاً ، فقالت له مرَّةً : أنا وأنت فى الجنة .
قال : من أين علمت ذلك ؟ قالت : لأنَّك أعطيت مثلى فشكرت ، وابتليتُ
بمثلِكَ فصبرت . والشاكر والصابر فى الجنة . ومن شعره فى مدح عبد الرحمن
ابن ملجَمِ المرادى قَبَحَهُما اللهُ تعالى ، قاتِلِ أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ،
زوج البتول وصهر الرسول رضى الله عنه :

لله دُرُّ المرادى الذى سفكت كَفَّاهُ مُهْجَةً شَرَّ الخلق إنسانا
أَمْسَى عَشِيَّةً غَشَّاهُ بَضْرِيته مُعْطَى مُنَاهُ من الآثام غُرِيانا
يا ضَرِيَّةً من تَقِيٍّ ما أَرَادَ بها إِلَّا لِيَبْلَغَ من ذى العرش رِضوانا
إِنِّى لَأَذْكُرُهُ حِيناً فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى البرية عند الله ميزانا

قال أبو محمد بن حزم : إنَّ ابنَ ملجَمَ عند الخوارج النُصيرية (١) أفضلُ أهلِ الأرض ، لأنَّه خلَّصَ روحَ اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره . وعند الشيعة أنَّه أشقى الخلق في الآخرة . انتهى .

وقد أجابه من القدماء بكرُ بن حمَّاد التَّاهَرتي من أهل القيروان ، وأجابه عنها السنيُّد الحميريُّ الشيعيُّ ، وهى :

قُلْ لابنِ مُلْجَمٍ والأقدارُ غالبَةٌ هَدَمْتَ وَيْلَكَ للإسلام أركاناً
 قَتَلْتَ أَفْضَلَ من يَمْشِي على قَدَمٍ وَأَوَّلَ النَّاسِ إِسلاماً وإيماناً
 وَأَعْلَمَ النَّاسِ بالإيمانِ ثُمَّ بما سَنَّ الرَّسولُ لَنَا شَرْعاً وَتَبَيَّاناً
 صِهْرَ الرَّسولِ ومولاهُ وَنَاصِرَهُ أَضَحَتْ مَنَاقِبُهُ نوراً وَبُرْهاناً
 وَكانَ مِنْهُ على رَغَمِ الحَسودِ لَهُ مَكَانَ هَارونَ مِنْ موسى بْنِ عِمْراناً
 وَكانَ فى الحربِ سِيفاً مَاضِياً ذَكَرُوا لَيْثاً إِذا لَقِيَ الأَقْرانُ أَقْراناً
 ذَكَرْتُ قاتِلَهُ والدمْعُ مَنْحَدراً فَقُلْتُ: سَبْحانَ رَبِّ العَرْشِ سَبْحاناً
 إِنِّى لأَحْسِبُهُ ما كانَ مِنْ بَشَرٍ يَخْشَى المَعادَ وَلَكِنْ كانَ شَيْطاناً
 أَشَقَّى مَراذِ إِذا عُدَّتْ قَبائِلُها وَأَخَسَّرُ النَّاسَ عِندَ اللَّهِ مِيزاناً
 كَعاقِرِ الناقَةِ الأولى التى جَلَبَتْ على ثَمودٍ بِأَرْضِ الحِجْرِ خُسْراناً
 قَدْ كانَ يُخَبِّرُهُم أَنَّ سَوفَ يَخْضِبُها قَبْلَ المَنيَةِ أَزماناً وَأَزماناً (٢)

٤٣٧

(١) ط : «النصرية» صوابه فى ش . وفى الملل والنحل ٢ : ٢٤ أن النصيرية والإسحاقية من غلاة الشيعة . وذكر السمعاني فى الأنساب ٥٦٢ أن النصيرية من غلاة الشيعة ، ينتسبون إلى رجل اسمه «نصير» . كان فى زمن على عليه السلام ، وكان مع جماعته يزعم أن علياً هو الله . وذكر له قصة طويلة .
 (٢) فى طبقات الشافعية : «أزماناً فأزماناً» . ويروى : «قبل المنية أشقاها وقد كانا» .

فلا عفا الله عنه ماتحمله ولاسقى قبر عمران بن حطانا
 لقوله في شقي ظل مجترماً ونال ماناله ظلما وعدوانا
 «ياضربة من تقى ماأراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا»
 بل ضربة من غوى أوردته لظى فسوف يلقي بها الرحمن غضبانا
 كأنه لم يرد قصداً بضربه إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

قال ابن السبكي (في طبقات الشافعية ^(١)) : لقد أحسن وأجاد بكر
 بن حماد في معارضته ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وأخزى الله عمران بن حطان
 وقبحه ولعنه ، ماأجرأه على الله !

قال : وقال القاضي أبو الطيب الطبري :

إنى لأبرأ مما أنت ذاكره عن ابن ملجم الملعون بهتانا
 إنى لأذكره يوماً فألعنه ديناً وألعن عمران بن حطانا
 عليك ثم عليه من جماعتنا لعائن كثر سراً وإعلانا
 فأنتما من كلاب النار جاء به نص الشريعة إعلاناً وتبياناً
 وقد أجاب أيضاً الإمام طاهر بن محمد الأسفرائني (في كتاب الملل
 والنحل ، المسمى بالتبصير في الدين) :

كذبت وآيم الذى حج الحجيح له وقد ركبت ضلالاً منك بهتانا
 لتلقين بها ناراً مؤججة يوم القيامة لا زلفى ورضوانا

(١) طبقات الشافعية ١ : ٢٨٧ — ٢٩٠ تحقيق الطنطاوى والخلو .

تَبَّتْ يَدَاهُ لَقَدْ خَابَتْ وَقَدْ خَسِرَتْ وَصَارَ أَبْخَسَ مِنْ فِي الْحَشْرِ مِيزَانَا
هَذَا جَوَابِي فِي ذَا النُّذُلِ مُرْتَجِلًا أَرْجُو بِذَاكَ مِنَ الرَّحْمَنِ غَفْرَانَا
وَنَقْلُ الْإِمَامِ الْبَاقِلَانِيِّ أَنَّ السَّيِّدَ الْحَمِيرِيَّ نَقَضَهَا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ (١) :

لَا دُرَّ دُرُّ الْمَرَادِيِّ الَّذِي سَفَكَتْ

كَفَّاهُ مَهْجَةً خَيْرَ الْخَلْقِ إِنْسَانًا

أَصْبَحَ مِمَّا تَعَاطَاهُ بِضَرْبَتِهِ

مِمَّا عَلَيْهِ ذُؤُوبُ الْإِسْلَامِ غُرِيَانَا (٢)

أَبْكَى السَّمَاءَ لِبَابِ كَانَ يَعْمُرُهُ

مِنْهَا وَحَنَّتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ تَحْتَانَا

طَوْرًا أَقُولُ : ابْنُ مَلْعُونَيْنِ مُلْتَقَطٌ

مَنْ نَسَلَ إِبْلِيسَ ، لَا بِلْ كَانَ شَيْطَانًا (٣)

وَيُلْمُهُ أَيَّمَاذَا أُمُّهُ وَلَدَتْ

لَا إِنْ كَمَا قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَا (٤)

عَبْدٌ تَحْمَلُ إِثْمًا لَوْ تَحْمَلُهُ

تَهْلَانُ طَرْفَةً عَيْنٍ هَذَا تَهْلَانَا

انتهى ما أورده ابن السبكي .

ونقل الذهبي (في تاريخ الإسلام) أن شعر عمران بن حِطَّان المذكور
لَمَّا بَلَغَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَدْرَكَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَنَذَرَ دَمَهُ (٥) ، ووضع عليه العيون ،

٤٣٨

(١) القصيدة في ديوان السيد الحميري ٤٢١ — ٤٢٦ . ونص الباقلاني التالي في كتابه « مناقب الأئمة » كما في طبقات الشافعية ١ : ٢٩٠ .

(٢) ط : « عما تعاطاه » ، صوابه في ش وطبقات الشافعية .

(٣) في الديوان : « بل قد كان شيطاناً » .

(٤) في الديوان والطبقات : « أيما لعة ولدت » .

(٥) ط : « وهدر دمه » ، صوابه في ش وتاريخ الإسلام : ٢٨٥ .

واجتهد الحجاج في أخذه . وقيل : لما اشتهر بمذهبه أرادته الحجاج ليقتله ، فهرب فلم يزل ينتقل من حيّ إلى حيّ إلى أن مات في تَوَارِيهِه ، في سنة أربع وثمانين .

قال المبرد : (في الكامل) : وكان من حديثِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ ، فيما حدثني العباس بن الفرّج الرّياشي ، عن محمد بن سَلَامٍ ، أنه لما أُطْرِدَ الحجاج كان ينتقل في القبائل ، فكان إذا نزل في حيّ انتسب نسباً يقرب منه ^(١) ، ففى ذلك يقول :

نزلنا في بني سعد بن زيد وفي عَلِيٍّ وعامرٍ عَوِثَانِ ^(٢)
وفي لَحْمٍ وفي أُدَدَ بنِ عمرو وفي بكرٍ وحيّ بنى العَدَانِ ^(٣)

ثم خرج حتى نزل عند ^(٤) رُوح بن زنباع الجذامي ، وكان رُوحٌ يَقْرَى الأضياف ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مَرْوَانَ أثيراً عنده ، فانتفى له من الأزد ^(٥) . وكان رُوح بن زنباع لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حِطَّانٍ إلّا عرفه وزاد فيه ^(٦)

فذكر ذلك لعبد الملك فقال: إن لي جاراً من الأزد ما أسمع من أمير المؤمنين خبراً ولا شعراً إلّا عرفه وزاد فيه .

فقال: خبرني ببعض أخباره . فخبره وأنشده ، فقال: إن اللغة عدنانية ،

(١) وكذا في الكامل ٥٣١ . ش : « يقرب منه » .

(٢) في النسختين : « عوِثَان » ، صوابه من الكامل وجهرة ابن حزم ٢٥٤ والقاموس (عبث) .

(٣) ش : « وفي بنى العدان » ، تحريف .

(٤) ش فقط : « على » ، وأثبت ما في ط والكامل .

(٥) ط فقط : « إلى الأزد » .

(٦) الكلام بعده إلى « فيه » التالية ساقط من ش .

وإني لأحسبه عمران بن حِطَّان . حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان :
ياضربة من تقى ماأراد بها إلا ليلع من ذى العرش رضوانا
إئني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
فلم يدر عبدُ الملك لمن هو . فرجع رَوْحُ فسأل عمرانَ بن حطان ،
عنه ، فقال عمران : هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن مُلجَم
قاتل على بن أبى طالب ، «رحمة الله عليه ! فرجع رَوْحُ إلى عبد الملك فأخبره ،
فقال عبد الملك : ضيفك عمرانُ بن حطان اذهب ^(١) فجئني به . فرجع إليه
فقال : إنَّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يراك . فقال عمران : قد أردتُ أن
أسألك هذا فاستحييت منك ^(٢) فامض فإئني بالأثر . فرجع إلى عبد الملك
فخبره ^(٣) فقال له عبد الملك : أما إنك سترجع فلا تجده . فرجع فوجد
عمران قد احتمل وخلف رقعة فيها :

يارَوْحُ كم من أخى مثوى نزلت به
قد ظنَّ ظنَّكَ ، من لخمٍ وعَسَّانٍ
حتى إذا خِفْتُهُ فارقتُ منزله
من بعدِ ما قيل : عمران بن حِطَّانٍ
قد كنت جاركَ حولاً ماتروغنى
فيه روائعُ من إنسٍ ومن جانٍ

(١) هذا ما في ش والكمال . وفي ط : « فاذهب » .

(٢) الكامل : « فاستحييت منك » يباين . وكلمة « فامض » بعده ساقطة من ش .

(٣) الكامل : « فأخبره » .

حتى أردت بي العظمى فأدركني
 ما أدرك الناس من خوف ابن مروان
 فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له
 في النائبات خطوباً ذات ألوان
 يوماً يمان إذا لقيت ذا يمن
 وإن لقيت معدياً فعدناني
 لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية
 كنت المقدم في سري وإعلاني^(١)
 لكن أبث لي آيات مطهرة
 عند الولاية في طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلبي ، أحد بني عمرو بن كلاب ، وانتسب له أوزاعياً . وكان عمران يطيل الصلاة ، وكان غلماناً من بني عامر يضحكون منه ، فأتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زنباع ، فسلم عليه فدعاه زفر فقال : من هذا ؟ فقال : من الأزد ، رأيته ضيفاً لروح بن زنباع . فقال له : زفر : يا هذا ، أزدياً مرةً وأوزاعياً مرةً ؛ إن كنت خائفاً أمثاك ، وإن كنت فقيراً جبرناك^(٢) . فلما أمسى خلف في منزله رقعة وهرب ، فيها :

إن التي أصبحت يعياً بها زفر
 أعيت عياء على روح بن زنباع^(٣)

(١) ط : « لطاعته » صوابه في ش والكامل .

(٢) ش : « أجبرناك » ، صوابه في ط .

(٣) ش فقط : « أصبحت يعنى بها » مع أثر تغيير .

مازال يسألني حولاً لأخبره
 والناس ماين مكدوع وخداع
 حتى إذا انقطعت عني وسائله
 كف السؤال ولم يؤلج بإهلاع
 فكفف كما كف عني إتنى رجل
 إما صميم وإما فقعة القاع
 واكفف لسانك عن لومي ومسألتي
 ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع
 أما الصلاة فأبني لست تاركها
 كل أمري للذي يعني به ساعى
 أكرم بروح بن زبايع وأسرته
 قوم دعا أوليهم للعلا داع
 جاورتهم سنة فيما أسر به
 عرضي صحيح ونومي غير تهجاع
 فاعمل فإنك منعي بواحدة
 حسب اللبيب بهذا الشيب من ناعى

ثم ارتحل حتى أتى عُمان ، فوجدهم يعظمون أمر مرداس أبي بلال^(١) ويظهرونه ،
 فأظهر أمره فيهم ، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عامل عُمان فيه^(٢) فهرب عمران
 حتى أتى قوماً من الأزد ، فلم يزل فيهم حتى مات . وفي نزوله يقول^(٣) :

(١) في النسختين : «أمر مرداس بن أبي بلال» ، صوابه من الكامل . وأبو بلال هو مرداس بن
 أدية الخارجي ، كما سيأتي .

(٢) كلمة «فيه» ليست في ش ولا في الكامل . وفي الكامل : « إلى أهل عمان » .

(٣) الكامل : « وفي نزوله بهم يقول » .

نزلنا بحمد الله في خير منزل
 نُسِّرَ بما فيه من الأنس والخَفَرِ
 نزلنا بقوم يَجْمَعُ الله شَمْلَهُمْ
 وليس لهم أصلٌ سوى المجدِ يُعْتَصَرُ (١)
 من الأزْدِ إِنَّ الأزْدَ أَكْرَمُ معشرِ
 يمانية طابوا إذا نُسِبَ البشرُ
 فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرِ
 أتوني فقالوا : مِن ربيعة أو مضرِ
 أم الحَيِّ قَحْطَان ، وتلكم سفاهةٌ
 كما قال لى رَوْحٌ وصاحبُه زفرُ
 وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ
 تقرّني منه وإن كان ذا نفرِ
 فنحنُ بنو الإسلام والله واحدٌ
 وأولى عبادِ الله بالله من شكرِ
 وكان عمران رأس القعدية من الصُّفْرية ، وفقِيهِهُم وخطيبهم
 وشاعرهم . وقال ، لما قتل أبو بلال ، وهو مرداسُ به أَدْيَةٌ ، وهى جدّته ، وأبوه
 حَدِيرُ (٢) ، وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :
 لقد زادَ الحياةَ إلى بغضاً وحُبّاً للخروج أبو بلال
 أحاذرُ أن أموتَ على فراشي وأرجو الموتَ تحت ذُرَى العوالى (٣)

(١) الكامل : «وليس لهم عود» .

(٢) ط : «حدير» صوابه في ش والكامل ٥٣٠ .

(٣) بعده في الكامل بين هذا البيت وتاليه :

ولو أنى علمت بأن حتفى كحتف أبى بلال لم أبال

٤٤٠ فمن يك همُّه الدُّنيا فإِنِّي لها واللهِ ربُّ البيتِ قالى
وفيه يقول :

يا عينُ بكى لمرداسٍ ومصرعه ياربُّ مرداسٍ ألحقننى بمرداسٍ (١)
تركتنى هائما أبكى لمرزئى فى منزلٍ موحشٍ من بعدِ إيناسٍ
أنكرتُ بعدك ماقد كنت أعرفه ماالناسُ بعدك يا مرداسُ بالناسُ
إمّا شربت بكاسٍ دارَ أولها على القرون فذاقوا جرعة الكاسِ
فكلُّ من لم يذقها، شاربٌ عجلاً منها بأنفاسٍ ورِدٍ بعد أنفاسٍ
هذا ماأورده المبرد (فى الكامل) .

وقال المرزبانى : كان عمرانُ شاعراً مُفلحاً مُكثراً . وقال الفرزدق : كان
عمرانُ من أشعر الناس ، لأنه لو أراد أن يقول مثلنا لقال ، ولسنا نقدر أن
نقول مثله .

ويروى أن امرأته قالت له يوما : أما زعمت أنك لم تكذب فى شعرك
قط ؟ قال : أوقع ذلك ؟ قالت : نعم ، ألم تقل :
فهناك مجزأة بن ثور ر كان أشجع من أسامه
أفيكون رجلٌ أشجع من أسد . قال : أما رأيت مجزأة بن ثور فتح
مدينة الأسد لايقدر على ذلك .

وروى عن قتادة أنه قال : لقينى عمران بن حِطَّان فقال : يا عمى ؛
احفظ عنى هذه الأبيات :

حتى متى تُسقى النفوسُ بكأسها ريبَ المنون ، وأنت لاِ تترنُّعُ
أفقدَ رضيتَ بأن تُعلِّلَ بالمنى وإلى المنية كلَّ يوم تُدفعُ

(١) فى الكامل : « يارب مرداس اجعلنى كمرداس » .

أحلام نوم أم كظّل زائل إنّ اللبيب بمثلها لا يُخدعُ (١)

وفي تاريخ الإسلام للذهبي : أن سفيان الثوري كان يتمثل بأبيات

عمران بن جطّان هذه :

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عرّة وجوع
أراها وإن كانت تُحبُّ فإنها سحابة صيف عن قليل تَقْشَعُ
كركبٍ قضا حجاجتهم وترحلوا طريقهم بادی الغيبة مهيع (٢)

ومن شعره السائر :

أيها المادح العباد ليُعْطَى إنّ لله ما بأيدي العباد
فسل الله ما طلبت إليهم وارح فضل المهيم العواد

ومن شعره ، وأورده أبو زيد (في النوادر) ، وقال : إنها قصيدة طويلة :

وليس لعشنا هذا مهاه وليست دارنا هاتا بدار (٣)
وإن قلنا لعل بها قراراً فما فيها لحي من قرار
لنا إلا ليالى هينات وبلغتنا بأيام قصار
أرانا لا نمل العيش فيها وأولعنا بحرص وانتظار
ولا تبقى ولا تبقى عليها ولا في الأمر نأخذ بالخيار

(١) بعده في تاريخ الإسلام ١ : ٢٨٥ :

فقدودن ليوم ففرك دائبا واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع

(٢) الغيبة ، كذا وردت في النسختين . والغيبة الهبطة من الأرض . والذي في تاريخ الإسلام :

«بادی العلامة» .

(٣) ط : «مهاه» ، وأثبت ما في ش مع أثر تغيير ، وانظر اللسان (ممه ٤٣٩) وما سيأتى في

تفسير البغدادي . وفي ملحقات نوادر أبي زيد ٣١٠ من نسخة عاطف أفندي : «قال أبو الحسن : يروى

مهاه ومهاه» .

ولَكِنَّا الْعَدَاةَ بنو سبيل عَلَى شرف يُسَرُّ لَانْحِدَارِ (١)
كركبٍ نازلينَ على طريقٍ حثيثٍ رائجٍ منهم وسارى
وغادٍ إترهم طرباً إليهم حثيث السير مُؤْتَنَفَ النَّهَارِ

والبيت الأول من شواهد سيبويه ، أورده على أن هاتا اسم إشارة
للمؤنث بمعنى هذه .

والمهأه ، بهاءين وفتح الميم : الصفاء والرقّة . والصفريّة ، بضم الصاد
وسكون الفاء : جنسٌ من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر رئيسهم .
وزعم قومٌ أنّ الذى تُسبوا إليه هو عبد الله بن الصفار ، وأنّ الصفريّة بكسر
الصاد . كذا فى الصحاح . ويقال للخوارج الشُرّة بالضم ، والواحد شارٍ ،
سُمُوا بذلك لقولهم : إِنَّا شَرَيْنَا أَنْفُسَنَا فى طاعة الله ، أى بعناها بالجنة ، حين
فارقنا الأئمة الجائرة . يقال منه . تشرى الرجل .

وقد أطنب المبرّد (فى أواخر الكامل) فى الكلام على الخوارج وفرّقهم
ووقائعهم . ومن أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الثلاثئة ، وهو من
شواهد س (٢) :

٣٩٨ * يَا أَبَتَا عَلِّكَ أَوْ عَسَاكَ *

(١) ط : «ولكن» ، صوابه فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٨ / ٢ : ٩٩ . وانظر ٣ : ٧١ والخصائص ٢ : ٩٦ والمختضب ٢ : ٢١٣
وأما ابن الشعري ٢ : ٧٦ ، ١٠٤ والإنصاف ٢٢٢ وابن يعيش ٢ : ١٢ / ٣ : ١٢٠ / ٧ : ١٣٢ وشرح
شواهد المغنى ١٥١ والتصريح ١ : ٢١٣ / ٢ : ١٧٨ والهمع ١ : ١٣٢ والأشموقى ١ : ٢٦٧ / ٣ : ١٥٨
وملحقات ديوان رؤية ١٨١ .

على أنَّ الكاف [خيرٌ] منصوب المحل ، واسم عسى ضمير مستتر على أحد قولي المبرّد . وقد تقدم نص سيبويه قبل هذا بثلاثة أبيات (١) .

وقد أنشد أبو علي (في إيضاح الشعر) هذا البيت والذي قبله عن سيبويه ، ونقل عنه أنَّ الكاف منصوبة ، ولو كانت مجرورة لقال عساي . قال أبو علي : وجهُ ذلك أنَّ عسى لما كانت في المعنى بمنزلة لعل ، ولعلّ (٢) وعسى طمع وإشفاق ، فتقاربا ، أجرى عسى مجرى لعلّ إذ كانت غير متصرفة كما أنَّ لعلّ كذلك ، فوافقتها في العمل حيث أشبهتها في المعنى والامتناع من التصرف .

فإن قلت : إذا صارت بمنزلتها لهذا الشبه فما المرفوعُ بها ، وهي إذا صارت بمنزلة لعلّ تقتضي مرفوعاً لا محالة ، لأنه لا يكون المنصوب في هذا النحو بلا مرفوع . قيل : إنَّ ذلك المرفوع الذي تقتضيه محذوف ، ولم يمتنع أن تحذفه ، وإن كان الفاعل لا يحذف ، لأنها إذا أشبهت لعلّ جاز أن تحذف خبر هذه الحروف ، من حيث كان الكلام في الأصل الابتداء والخبر ، فحذفت كما تحذف أخبار المبتدآت . وكذلك المرفوع الذي يقتضيه عسى حُذف على هذا الحدّ ، كما حُذف الخبر من لعلّ في قوله : « علك أو عساكا » ، وقوله :

* لعلّي أو عساني *

وكما حُذف في :

* إنَّ محلاً وإنَّ مرتحلاً (٣) *

وكما حذف الخبر في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصْلُونَ عَنْ

(١) انظر ماسبق في ص ٣٣٧ .

(٢) ش : « وقال لعل » بإقحام « وقال » .

(٣) للأعشى في ديوانه ١٥٥ . وعجزه : « وإنَّ في السفر مامضى مهلا » .

سبيل الله (١) ، لا كما يحذف الفاعل . ويقوى ذلك أنهم قالوا : « عسى الغوير أبوساً » ، فجعلوها بمنزلة ما يدخل على الابتداء والخبر . وما يقوى حذف ذلك لهذه المشابهة وأنّ حذفه لا يمتنع من حيث امتنع حذف الفاعل ، أنّ ليس لما كانت غير متصرفية صارت عينها بمنزلة ليت في السكون ، ولم يكن في يائها الكسر والسكون ، ويكون ذلك المحذوف غائباً ، كأنه عساك الهالك ، أو عساك هو .

فإن قلت : فإن جاء شيء بعد شيء من هذه الآيات التي تشبه ما ذكر من عساك تفعل ، ولعلّ أو عسانى أخرج ، فما يكون الفاعل على قوله ؟ قيل : أمّا على ما ذهب إليه من أنّه بمنزلة لعل فلا نظر فيه ، ويكون بمنزلة لعلّك تخرج ، والقول فيه كالقول فيه . وأمّا على القول الآخر الذى رأيته غير ممتنع فهو أشكل ، لأنّ الفاعل لا يكون جملة . فإن شئت قلت : إنّ الفعل في موضع رفع بأنّه فاعل ، وكأنه أراد عسانى أن أخرج ، فحذف أن ، وصار [الفعل مع] أن المحذوفة (٢) في موضع رفع بأنّه فاعل ، كما كان في موضع رفع بالابتداء ، في قولهم : « تسمع بالمعديّ خيرٌ من أن تراه » ، وكقول أبى دؤاد :

٤٤٢

(٣)
* لولا تجاذبه قد هرب *

وقد جاء ذلك في الفاعل نفسه . أنشد أحمد بن يحيى :
وماراعنا إلاّ يسيّر بشرطه وعهدى به قيناً يفش بكير (٤)

(١) الآية ٢٥ من الحج .

(٢) ش : « وصار أن المحذوفة » فقط . وإكاله من ط .

(٣) وكذا أورد في ديوانه ٢٩٣ بدون صدر ، لكن برواية : « لولا تجاذبه » بالنون .

(٤) لمعاوية الأسدي . وفي ط : « يفش بكير » ، صوابه في ش والخصائص ٢ : ٤٣٤ وابن يمش

٤ : ٢٧ والعينى ٤ : ٤٠٠ واللسان (فرج) .

فكما أنَّ هذا على حذف أن ، وتقديره ماراعنا إلا سيرة بشرطة ،
كذلك يكون فاعل عسى في نحو عسى يفعل إنما هو على عسى أن يفعل ،
كقوله تعالى : ﴿ عسى أن تكرهوا شيئاً ^(١) ﴾ ، فتحذف أن وهى في حكم
الثبات .

ولو قال قائل إنَّ عسى في عسانى وعساك قد تضمن ضميراً مرفوعاً ،
وذلك الضمير هو الفاعل ، والكاف والياء في موضع نصبٍ على حدِّ النصب
في قوله : «عسى الغوير أبوسا» لاعلى حدِّ تشبيهه بلعلَّ ولكنَّ على أصل هذا
الباب ، كأنه عدَّاه إلى المضمر على حدِّ ماعدَّاه إلى المظهر الذى هو أبوس —
كان وجهاً . فأما فاعلها فإنه لا يخلو من أحد أمرين : إمَّا أن يكون قد جرى
له ذكر ، أو لم يجر له ذكر . فإن كان ذكره قد جرى فلا إشكال في إضماره .
وإن لم يجر له ذكر فإنه تضمَّره لدلالة الحال عليه ، كما ذكر من قولهم : إذا
كان غداً فأتنا ، فكذلك يكون إضمار الفاعل في عسى ، وتكون على بابها ولا
تكون مشبهة بلعلَّ . والأوَّل الذى ذهب إليه كأنه إلى النفس أسبق . انتهى
كلام أبى على .

وقد استشهد لما ذكره ^(٢) الشارح المحقق جماعةً ، منهم الزمخشري (في
المفصل) ، وابن هشام (في المغنى) . وفيه شاهدان آخران :
أحدهما ما ذكره سيبويه من أنَّ فيه تنوين الترم . قال : وأما ناسٌ كثير
من بنى تميم فإنهم يُبدلون مكان المدة النون فيما ينون ومالا ينون لما لم يريدوا
الترنم ، ثم أبدلوا مكان المدة نونا ، ولفظوا بتمام البناء وما هو منه ، كما فعل أهل
الحجاز ذلك بحروف المدِّ ، سمعناهم يقولون ، للعجاج :

(١) البقرة ٢١٦ .

(٢) ش : « بما ذكره » .

* يَا أَبَتَا عَلِّكَ أَوْ عَسَاكُنْ *

ثانيهما : مذكروه شارح اللباب وغيره ، من أنَّ في يَا أَبَتَا الجمع بين عَوْضَيْن ، فَإِنَّ التَّاء عوضٌ من ياء المتكلم ، وإِنَّمَا جاز الألف دون ياء المتكلم ، لَأَنَّ التَّاء عوض من ياء المتكلم ، فيمتنع الجمع بين العوض والمعوّض بخلاف الألف ، فَإِنَّ غايته أن يذكر عَوْضَانِ ، وهو غير ممتنع ، وليس فيه الجمع بين العوض والمعوّض ، كما زعم العيني وتبعه السيوطي (في شواهد المعنى). وقد خَطَّأَ أبو محمد الأعرابي الأسود رواية : « يَا أَبَتَا » ، وقال : إِنَّمَا الرواية « تَأْتِيَا » . وهو من التَّائِي كما يجيء بيانه .

وقد ذكر جميع شراح الشاهد أنَّ ما قبله :

* تقول بنتى قد أتى إناكا *

وَأَتَى : فعلٌ ماضٍ بمعنى قَرَّبَ . والإِثْنَى بكسر الهمزة والقصر : الوقت . قال تعالى : ﴿ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ ﴾ ^(١) على أحد قوليهِ . وَأَتَى إِيَّاكَ : حَانَ حِينَكَ أَيْ حِينَ ارْتِحَالِكَ إِلَى سَفَرٍ تَطْلُبُ رِزْقًا ، فَسَافِرٌ لِعَلِّكَ تَجِدُ رِزْقًا . أَوْ حَانَ رَحِيلُكَ إِلَى مَنْ تَلْتَمِسُ مِنْهُ شَيْئًا تَنْفَقُهُ عَلَيْنَا .

و(عَلِّكَ) بمعنى لَعَلَّكَ ، والخبر محذوف . وزعم العيني وتبعه السيوطي أنَّ أَنَاكَ بفتح الهمزة . قال : أصله أَنَاءُكَ . والأَنَاءُ عَلَى فَعَالٍ : اسْمٌ مِنَ الْفِعْلِ المذكور . ٤٤٣

وقد نازع أبو محمد الأعرابي في كون هذا ما قبله ، وقال : هما من أرجوزتين . وردَّ رَدًّا شَنِيعًا عَلَى ابْنِ السَّيْرَانِي ، فَإِنَّهُ قَالَ (في شرح أبيات سيويه) : قوله : يَا أَبَتَا عَلِّكَ أَوْ عَسَاكُنْ ، قبله :

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب .

* تقول بنتى قد أتى إناكا *

وفى شعره :

* فاستعزم الله ودع عساكا *

وقوله : قد أتى إناكا ، أى ممن تلتمس منه مالا تنفقه . وقوله : يابتا
علك أو عساكا ، أى لعلك إن سافرت أصبت ما تحتاج إليه . وقوله : « فاستعزم
الله » إلخ ، أى استخره فى العزم على الرحيل والنصر ، ودع قولك عساي لأفوز
بشيء إذا سافرت ومحصل بيدي التعب .

قال أبو محمد الأعرابي (فى فرحة الأديب) : خلط ابن السيرافى ههنا
من حيث أن التوى أشباه . وصحّف فى كلمة من البيت أيضاً ، وهو قوله
يابتا ، وإنما هو :

* تأتياً علك أو عساكا *

وسياتيك بيانه . وذلك أن قوله :

* فاستعزم الله ودع عساكا *

من أرجوزة ، وقوله :

* تأتياً علك أو عساكا *

من أرجوزة أخرى . فالتى فيها فاستعزم الله ، هى قوله يمدح بها الحارث
ابن سليم الهجيمى ، يقول فيها :

(تقول بنتى قد أتى إناكا فاستعزم الله ودع عساكا
ويُدرك الحاجة مُختطاكاً قد كاد يطوى الأرض مُرتقاكا

تُخْشَى وَتُرْجَى وَيُرَى سَنَاكَ فَقُلْتُ : إِنِّي عَائِكٌ مَعَاكَ (١)
 عَيْشاً وَلَا تَنْتَجِعُ الْأَرَاكَ فَايْلُغُ بَنِي أُمِيَّةَ الْأَمْلَاكَ (٢)
 بِالشَّامِ وَالْخَلِيفَةَ الْمَلَاكَ وَخِرَاسَانَ فَأَيُّنَ ذَاكَ
 مَنِّي وَلَا قُدْرَةَ لِي بِذَاكَ أَوْ سِرٌّ لِكِرْمَانَ تَجِدُ أَحَاكَ
 إِنَّ بِهَا الْحَارِثَ إِنْ لَا قَاكَ أَجْدَى بِسَبِّ لَمْ يَكُنْ رِكَكَ (٣)

والأرجوزة الأخرى يمدح فيها إبراهيم بن عربي ، وهي :

لَمَّا وَضَعْتُ الْكُورَ وَالْوَرَاكَ عَنْ صَلْبٍ مُلَاخِكِ لِحَاكَ
 أَسْرَ مِنْ إِمْسِيئِهَا نِسْعَاكَ أَصْفَرُ مِنْ هَجْمِ الْمَهِجِرِ صَاكَ (٤)
 تَصْغِيرِ أَيْدِي الْعُرْسِ الْمَدَاكَ تَأْتِيًّا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَ (٥)
 يَسْأَلُ إِبْرَاهِيمَ مَا لَهَاكَ مِنْ سَتْنَيْنِ أَتْنَا دِرَاكَ
 تَلْتَحِيَانِ الطَّلَحَ وَالْأَرَاكَ لَمْ تَدْعَا نَعْلًا وَلَا شِرَاكَ (٦)

هذا ما أورده ، والله أعلم بالصواب . والأكثرون على أن هذا الرجز لرؤبة
 ابن العجاج ، لا للعجاج . وقد تقدّم ترجمتهما في أوائل الكتاب (٦) .

* * *

(١) عاك معاشه يعوك عوكا ومعاك : كسبه وأصلحه . وفي النسختين : « عائك » صوابه من
 فرحة الأديب مخطوطة الدار .

(٢) في فرحة الأديب : « غيثا » .

(٣) في النسختين : « أصفر من هجم المهجير » ، صوابه من فرحة الأديب .

(٤) ط : « تصغير » ، وأثبت ما في ش وفرحة الأديب .

(٥) في النسختين : « يلتحيان » ، صوابه من فرحة الأديب . والضمير للستين في

الشرط السابق .

(٦) الخزانة ١ : ٨٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الثلاثة ^(١) :

٣٩٩ (هَلْ تُبْلِغُنِي دَارَهَا شَدْنِيَّةٌ

لُعْنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّم)

على أَنَّ النون الأولى في تُبْلِغُنِي نون التوكيد الخفيفة ، والنون الثانية نون الوقاية .

وهذا البيت من معلقة عنترة بن شداد العبسي . وقبلة : صاحب الشاهد

٤٤٤ (تُمْسِي وَتَصْبُحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ وَأَيْتُ فَوْقَ سَرَاةٍ أَدْهَمَ مُلْجَمٍ
وَحَشِيَّتِي سَرَجٌ عَلَى عَبَلِ الشَّوَى نَهْدٍ مَرَاكُلُهُ نَيْلِ الْحَزْمِ
هَلْ تُبْلِغُنِي دَارَهَا شَدْنِيَّةٌ
خَطَّارَةٌ غِبَّ السَّرَى زِيَّافَةٌ تَقْصُ الْإِكَامَ بِذَاتِ خُفٍّ مَيْثَمَ)

قوله : « تَمْسِي وَتَصْبُحُ » الضمير المؤنث لحبيبتة ، وهي عبلة . وَالْحَشِيَّةُ : الفراش المحشو . وَالسَّرَاةُ ، بفتح السين : أعلى كُلِّ شَيْءٍ ، وأراد به هنا ظهر فرسه . يقول : تَمْسِي وَتَصْبُحُ فَوْقَ فَرَّاشٍ وَطِيءٍ ، وَأَيْتُ أَنَا فَوْقَ ظَهْرِ فَرَسٍ أَدْهَمَ مُلْجَمٍ . يعنى أَنَّهَا تَتَنَعَّمُ وَأَنَا أَقَاسِي شِدَائِدَ الْأَسْفَارِ وَالْحُرُوبِ .

وقوله : « وَحَشِيَّتِي سَرَجٌ » مبتدأ وخبر . يريد أَنَّهُ مُسْتَوطِيءٌ بِسَرَجِ الْفَرَسِ كَمَا يَسْتَوطِيءُ غَيْرُهُ الْحَشِيَّةُ وَالْأَضْطِجَاعُ عَلَيْهَا . ثُمَّ وَصَفَ الْفَرَسَ بِأَوْصَافٍ مَحْمُودَةٍ ، وَهِيَ غَلْظُ الْقَوَائِمِ ، وَانْتِفَاحُ الْجَنْبَيْنِ ، وَسِمْنُهُمَا . وَالْعَبَلُ ، بِالْفَتْحِ : الْغَلِيظُ . وَالشَّوَى بِالْفَتْحِ : الْقَوَائِمُ ، جَمْعُ شَوَاةٍ . أَيْ عَلَى فَرَسٍ غَلِيظِ الْقَوَائِمِ

(١) من معلقة عنترة بن شداد .

والعظام ، كثير العَصَب . والنهد بفتح النون: الضَّخْم المشْرِف . والمراكل : جمع مَرَكْل كجعفر ، وهو الموضع الذى يصيب رجلَ الفارس من الجنين إذا استَوَى على السَّرَج . والنبيل : العظيم . والمحزِم : موضع الحِزام .

وقوله : (هل تُبَلِّغُنِي) إنْخ استبعدَ الوصول إليها لشدة بعدها ، فاستفهم عنه . وأبلغه المنزل ، إذا أوصله إليه . و(دارها) أى دار عبلة . و(شدنيّة): ناقة منسوبة إلى شَدَنٍ بفتح الحين ، وهو حَيٌّ بالين ، وقيل أرض فيه .

وقوله : (لُعِنْتَ) بالبناء للمفعول ، قال التبريزي فى شرح المعلقة : دَعَا عليها ^(١) بانقطاع لبنها ، أى بأن يُحرم ضرعُها اللبن فيكون أقوى لها ، وأسمَنَ وأصبرَ على معاناة شدائد الأسفار ، لأنَّ كثرة الحمل والولادة يُكسبها ضعفا وهزالاً . ويجوز أن يكون غير دعاء ويكون خبراً . وأصل اللعن اللعن البعد .

وقوله : (بمحروم الشراب) أى بضرع ممنوع شرابه . وأصل حُرِم مُنِع : وقيل بمحروم الشراب ، أى فى محروم الشراب . وقال خالد بن كلثوم : لُعِنْتَ : نَحَيْتَ عن الإبل ، لما عَلِمَ أنها معقومة ، فجعلت للركوب الذى لا يصلح له إلاً مثلها . و(المصرم) : الذى أصاب أخلافه شئ ففقطعه ، من صرَّارٍ أو غيره .

وقال أبو جعفر : المُصرَّم : الذى يُلَوَّى رأسُ خِلفه حتى ينقطع لبنه . وهو هنا مثل ، يريد : أنَّها معقومة ولا لبن لها . انتهى .

وقال الأعلام (فى شرح الأشعار الستة): قوله لعنت ، أى سبَّت بضرعها كما يقال : لعنَه الله ماأداهه وماأشعره ! وإنما يريد أن ضرعها قد حُرِم اللبن

(١) ط : «دعاء عليها» ، وأثبت مافى ش . وفى شرح التبريزي : « يدعو عليها » .

فذلك أوفر لقوتها وأصلب لها ، فتُلَعَن ويدعى عليها على طريق التعجُّب من قوتها . والمصرَّم : المقطوع اللين . وقيل معنى لعنت أنه دعا عليها بأنَّ ضرعها يكون مقطوع اللين ، إذ كان أقوى لها . والمعنى الأول أحسن وأبلغ . انتهى .

وقوله : « خطَّارة غِبَّ » إلخ ، هو صفة لشذنية . والخطَّارة : التي تَخْطِر بذنبها يَمَنَةً ويسرة ، لنشاطها . والسُرَى : سِر الليل . وَغِبُّ الشيء : بَعْدَه . يقول : هي خَطَّارة بعد السُرَى ، فكيف بها إذا لم تَسِر . والزَيَّافَة : التي تزيف في سيرها ، كما تزيف الحمامة ، تسرع . وقوله : « تقصُّ الإكام » أى تكسرهما بأخفافها ، لشدة وطئها وسرعة سيرها . يقال وَقَصَّ يَقْصُ بالقاف والصاد المهملة . ويروى : « تَطْسُ » بمعناه . يقال وطس يطس ، إذا كَسر . والإكام ، بالكسر : جمع أكم بفتحتين ، كجبال جمع جبل ، وهو ما ارتفع من الأرض . والمليثم : الشديد الوطء . يقال وَثَمَ الأرض يَثْمُها بالمثلثة ، إذا وطئها وطئاً . وقوله : « بذات خُفٍّ » . أى بقوائم ذات أخفاف .

٤٤٥

وقد تقدَّم في الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب شرحُ أبياتٍ من هذه القصيدة ، مع ترجمته عنتره ^(١) .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الموفى الأربعمئة، وهو من شواهد سيبويه ^(٢) :

٤٠٠ (تراه كالثَّغَامَ يُعَلُّ مِسْكَاً

يسوءُ الفالياتِ إذا فَلَينى)

(١) الخزانة ١ : ١٢٢ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٥٤ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٩ والعينى ١ : ٣٧٩ والجمع ١ : ٩٥ واللسان

(فلا) والحماسة بشرح المرزوق ٢٩٤ .

عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ حَذْفُ نُونِ الْوَقَايَةِ مَعَ نُونِ الضَّمِيرِ لِلزُّرُورَةِ ، كَمَا هُنَا . وَالْأَصْلُ : إِذَا فَلَيْنَنِي ، بِنُونَيْنِ .

قَالَ سَيَبَوِيه : وَإِذَا كَانَ فِعْلٌ الْجَمِيعِ مَرْفُوعاً ثُمَّ أُدْخِلَتْ فِيهِ النُّونُ الْخَفِيفَةُ أَوْ الثَّقِيلَةُ حُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : لَتَفْعَلُنَّ ذَلِكَ وَلِتَذْهَبُنَّ ، لِأَنَّهُ اجْتَمَعَتْ فِيهِ ثَلَاثُ نُونَاتٍ ، فَحُذِفَتْهَا اسْتِثْقَالاً . وَتَقُولُ : هَلْ تَفْعَلُنَّ ذَاكَ ، بِحَذْفِ نُونِ الرَّفْعِ ، لِأَنَّكَ ضَاعَفْتَ النُّونَ ، وَهَمَّ يَسْتِثْقِلُونَ التَّضْعِيفَ ، فَحُذِفَتْهَا إِذْ كَانَتْ تَحْذِفُ ، وَهَمَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَشَدُّ اسْتِثْقَالاً لِلنُّونَاتِ ، وَقَدْ حُذِفَتْهَا فِيمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَا (١) . بَلَّغْنَا أَنَّ بَعْضَ الْقُرَاءِ قَالَ : ﴿ تَحَاجُّونِي ﴾ (٢) ، وَكَانَ يَقْرَأُ : ﴿ فِيمَ تَبْشُرُونِي ﴾ (٣) خَفِيفٌ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اسْتِثْقَلُوا التَّضْعِيفَ . قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ : تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكَاً يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنَنِي

يُرِيدُ : إِذَا فَلَيْنَنِي . انْتَهَى .

قَالَ الْأَعْلَمُ : الشَّاهِدُ فِي حَذْفِ النُّونِ فِي قَوْلِهِ فَلَيْنَنِي ، كِرَاهَةُ لاجْتِمَاعِ النُّونَيْنِ ؛ وَحُذِفَتْ الْيَاءُ دُونَ جَمَاعَةِ النِّسْوَةِ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ لَغَيْرِ مَعْنَى . انْتَهَى . وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا قَالَهُ الشَّارِحُ .

وَأَخَذَ ابْنُ مَالِكٍ بِظَاهِرِ كَلَامِ سَيَبَوِيهِ (فِي التَّسْهِيلِ) أَنَّ الْمَحْذُوفَ هُنَا نُونُ النِّسْوَةِ ، وَقَالَ : هُوَ مَذْهَبُ سَيَبَوِيهِ . وَوَجَّهَهُ فِي شَرْحِهِ بِأَنَّهُمْ حَافِظُوا عَلَى بَقَاءِ نُونِ الْوَقَايَةِ مُطْلَقاً لِمَا كَانَ لِلْفِعْلِ بِهَا صَوْنٌ وَوَقَايَةٌ .

(١) يَعْنِي حَذْفُ نُونٍ مِنْ نُونَيْنِ لَا مِنْ ثَلَاثَةٍ .

(٢) الْأَنْعَامُ ٨٠ .

(٣) الْحَجَرُ ٥٤ .

والبيت من أبيات ثمانية لعمر بن معديكرب ، قالها فى امرأةٍ لأبيه ، أبيات الشاهد تزوجها بعده فى الجاهلية . وهى :

(تقول حليلتى لما قَلَّتْنى شرائجُ بين كُدرىَّ وجُونِ
تراه كالثغام يُعلُّ مسكاً يسوء الفالياتِ إذا فلينى^(١)
فزيتك فى شريطك أم عمرو وسابغةٌ وذو النونين زينى
فلو شمرن ثم عدون رهواً بكلُّ مُدَجِّجٍ لعرفت لوني
إذا ماقلتُ إنَّ على دينا بطعنة فارسٍ قضيتُ ديني
لَقَعَقَعَةُ اللَّجَامِ برأس طرفٍ أحبُّ إلى من أن تنكحني
أخاف إذا هبطن بنا خباراً وجدَّ الركضُ أن لا تحملينى
فلولا إحقوقى وبنى منها ملأْتُ لها بذى شُطْبٍ يمينى)

الحليلة : الزوجة . وقتلتى ، من القلى ، وهو البغض . وشرائج خبر مبتدأ محذوف ، أى شعرك شرائج . والجملة مقول القول . وشرائج : جمع شريح بفتح^(٢) الشين المعجمة وآخره جيم : الضرب والنوع . قال ابن دريد فى (الجمهرة) : كل لونين مختلفين هما شريجان . وأنشد هذا البيت .

٤٤٦

وقوله : « بين كُدرىَّ وجُونِ » أى بعض الشرائج كدرىَّ ، أى أغبر وبعضها جُون . والكدرىَّ : منسوبٌ إلى الكدرة . وجُونٌ بضم الجيم : جمع جَوْنَة ، وهو مصدر الجون بالفتح ؛ وهو من الأضداد ، يقال للأبيض جَوْنٌ وللأسود جُونٌ .

وقوله : (تراه كالثغام) إلخ الضمير المستتر للحليلة ، والضمير البارز المنصوب لشعر الرأس المفهوم مما قبله . ورواه الفراء وابن دريد : (رأته)

(١) فى هذه القافية والثلاثة بعدها مايسمى بسناد الحذو .

(٢) فى النسختين : « بضم » ، وهو تحريف ظاهر .

بالماضى ، وهو من رؤية العين . وكالثغام حالٌ من الهاء ، وكذلك قوله يُعَلُّ .
والثَّغام ، بفتح المثناة والغين المعجمة ، قال الأعلم : هو نبتٌ له نُورٌ أبيض
يشبه به الشيب . وقال صاحب الصحاح : هو نبتٌ يكون فى الجبل ، يبيضُ
إذا ييس ، يقال له بالفارسية دِرْمَنَه إسبيد ، يشبه به الشيب ، الواحدة
ثَغَامَة . وعَلَّلته ماءً عللاً ، من باب طلب : سقيته السَّقية الثانية . وَعَلَّ هو
يَعْلُ ، من باب ضرب ، إذا شرب . قال الأعلم : ومعنى يُعَلُّ يطَيَّب شيئاً بعد
شئ . وأصل العلل الشرب بعد الشرب . وهذا غير مناسب ، فإنه هنا متعدٍ إلى
مفعولين : أحدهما نائب الفاعل وهو الضمير المستتر العائد إلى ما عاود إليه الهاء
من تراه ، والثانى مسكاً . وقوله : (يسوءُ الفاليات) فاعله ضمير الشعر ،
والفاليات مفعوله ، وهو استئناف ، وهو دليل جواب إذا . والفالية هى التى
تَقلى الشعر ، أى تخرج القملَ منه .

وقوله : «فَزَيْنِكَ فى شَرِيْطِكَ» إِنْخ هذا خطابٌ لها . وأَمَّ عمرو منادى .
وَالزَّيْن : نقيض الشين ، مصدر زَانَه بمعنى زَيَّنَه ، إذا جعل له زينةً . والشريط ،
قال جامع ديوانه : هو العيبة الصغيرة . والعِيبة . بالفتح : ما تجمل فيه الثياب .
وقوله : وسابغةٌ ، خبر مقدَّم ، وزَيْنَى مبتدأ مؤخر . والسابغة : الدَّرع الواسعة
الطويلة . وذو النونين : السيف ، والنون : شَفْرته .

وقوله : «فلو شَمَّرَن ثَمَّ عَدَوْنَ» إِنْخ يعنى النساء الفاليات . وشَمَّرَ إزاره
تشميراً : رفعه . والرهو : السير السهل ، مصدرٌ رَهَا يَرْهُو فى السير ، أى رَفَقَ .
والمَدَجَّج بجيمين ، على صيغة اسم المفعول ، هو ^(١) اللابس آلة الحرب والسلاح .

(١) ط : «وهو» بالواو .

وقوله : «إذا ماقلت» إلخ هو بضم التاء فى الموضعين . والطَّرف ،
بالكسر : الفرس الجواد . والخبار بفتح الخاء المعجمة بعدها موحدة : الأرض
الرَّخوة . وذو شُطْب ، هو السيف ، وشُطْب السيف : طرائقه التى فى مَتْنِه ،
الواحدة شُطْبَةٌ .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدّمت فى الشاهد الرابع والخمسين بعد
المائة (١) . وهو من الصَّحابة رضى الله عنهم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الأربعمئة ، وهو شواهد
س (٢) :

٤٠١ (كُمْنِيَّة جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتَى
أَصَادِفُهُ وَأَفْقَدَ جُلَّ مَالِ)
على أَنَّ حذف نون الوقاية من (ليتى) ضرورة عند سيبويه .

قال سيبويه : وقد قالت الشعراء ليتى إذا اضْطُرُّوا ، كأنَّهم شَبَّهوه
بالاسم حيث قالوا الضارى ، والمضمر منصوب . قال زيد الخيل :
كُمْنِيَّة جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتَى أَصَادِفُهُ وَأُتِلِفَ بَعْضَ مَالِ

انتهى

وهذا مِنْ أَيْبَاتِ لَزِيدِ الْخَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَوَّلَهَا :
(تَمَنَّى مَزِيدٌ زَيْدًا فَلَا قَى أَخَا ثَقَةٍ إِذَا اخْتَلَفَ الْعَوَالِى أَيْبَاتِ الشَّاهِدِ)

(١) الخزائن ٢ : ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٦ . وانظر نوادر أبى زيد ٦٨ ومجالس ثعلب ١٢٩ والمقتضب ١ : ٢٥٠ .
والمقرب ١٩ وابن يعيش ٣ : ٩٠ ، ١٢٣ والعينى ١ : ٣٤٦ والأشموئى ١ : ١٢٣ واللسان (ليت) .

كمنية جابر إذ قال ليتي . . . البيت

وقد اقتصر عليهما أبو زيد (في نوادره) وبعدهما :

(تلاقينا فما كنّا سواءً ولكن خَرَّ عَنْ حَالٍ لِحَالٍ
ولولا قوله يَأْزِيدُ قَدْزَى لقد قامت نُورَة بالمآلى
شَكَكْتُ ثِيَابَهُ لَمَّا التَقِينَا بمَطَرٍ المَهْزَةِ كالخِلَالِ)

وقوله : «تمنى مزيد» إلخ ، مزيد بفتح الميم وسكون الزاء المعجمة بعدها
مشاة تحتية ، قال ابن السيرافي وغيره : هو رجلٌ من بنى أسد ، كان يتمنى أن
يلقى زيدَ الخيل ، فلقيه زيدُ الخيل فطعنه فهرب منه . وقوله : «أخا ثقه» أى
صاحب وثوق بشجاعته وصبره في الحرب . والعوالى : جمع عالية ، والعالية من
الرحم : مايلي الموضع الذى يركب فيه السنان . يعنى وقت اختلاف الرماح
ومجيئها وذهابها للطعان .

وقوله : (كُمنية جابر) إلخ ، هو فى موضع المفعول المطلق ، أى تمنى
مزيد تمنياً كتمنى جابر . والمنية بالضم : اسم للتمنى ، وفى الأصل الشئ
الذى يُتمنى . وإنما قال تمنى مزيد زيدا ، ولم يقل تمنانى مزيد ، للتهويل والتفخيم
فإن زيدا قد اشتهر بالشجاعة ، فلو أتى بالضمير لفات هذا . وجابر : رجلٌ
من غطفان تمنى أن يلقى زيدا حتى صَبَّحه زيد ، فقالت له امرأته : كنت
تتمنى زيدا فعندك ! فالتقيا فاختلفا طعنتين وهما دارعان ، فاندق رمح جابر ولم
يُغن شيئا ، وطعنه زيد برمح له كان على كعبٍ من كعابة ضَبَّةٍ من حديد ،
فانقلبَ ظهره لبطن ، وانكسر ظهره ، فقالت امرأته وهى ترفعه منكسراً ظهره :
كنت تتمنى زيدا فلاقيت أخا ثقة . ومعنى البيتين أن مزيدا تمنى أن

يلقى زيدا كما تمنى جابر ، وكلاهما لقي منه ما يكره .

وقال (١) أبو جعفر النحاس فى قول زيد الخيل :

ألا أبلغ الأقياس قيس بن نوفل

وقيس بن أهبان وقيس بن جابر

قال : قيس بن جابر هو الذى يقول فيه زيد :

* كمنية جابر إذ قال ليتى *

فسماه باسم أبيه ، كما قال الآخر :

* يحملن عباس بن عبد المطلب *

وإنما يريد عبد الله بن عباس . انتهى .

وروى أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : « كمنية حائن » بالنون ،

أى هالك ، والمراد به جابر المذكور . وقوله (وأفقد جلّ مالى) فقد يفقد من

باب ضرب ، بمعنى عديم . وروى بدله : « وأتلف » من الإتلاف . وجلّ

الشيء : معظمه . وهذه رواية الجوهرى ، وروى غيره : « بعض مالى » . قال

العينى : والأول أحسن . ومن زعم أن بعضا يرذ بمعنى كل وخرّج عليه قوله

تعالى : ﴿ يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ (٣) ، وقول الأعشى (٤) :

قد يُدرك المتمنى بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزلل

(١) ط : « قال » بدون واو .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المردى ، المعروف بالنحاس أو ابن النحاس .

(٣) الآية ٢٨ من سورة غافر .

(٤) ط : « قال الأعشى » ، وأثبت ما فى ش .

— صحَّ عنده حملُ رواية الجماعة على ذلك ، فيكون أبلغ من رواية الجوهري .
إلا أن هذا القول مردود . انتهى .

و(إذ) ظرفٌ عامله مُنية ، وجمله (أصادفه) خبر ليت . و(أفقدَ) منصوبٌ بإضمار أن ؛ فإنها تضمَر بعد واو المعية الواقعة بعد التمني . قال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : قال صدرُ الأفاضل : وأفقدَ بالنصب كما لو كان مكان الواو الفاء ، كأنه قال : ليتني أصادف زيدا وأن أفقدَ بعض مالى ، أى يجتمع ^(١) هذا مع فقدان بعض المال .

٤٤٨

وقال العيني : أفقد بالرفع جملة فعلية ، عطفٌ على أصادفه . كذا قيل ، وفيه نظر ، لأنه يلزم أن يكون فقد بعض ماله متممى ، وليس كذاك ، والصحيح أنه مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره : وأنا أفقد بعض مالى وتكون الواو للحال . انتهى .

أقول : لامانع على الوجه الأول من جعل الواو للمعية .

ثم قال : ويقال أفقد منصوب لأنه جوابُ التمني . وهذا لا يتمشى إلا إذا قرئ بالفاء : «فأفقد» . انتهى .

أقول : كأنه لم يطرق أذنه أن المضارع ينصب بإضمار أن بعد واو المعية كما ينصب بعد فاء السببية في جواب أحد الأشياء الثمانية .
وقل لمن يدعى في العلم فلسفةً

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

(١) ط : « أو يجتمع » ، وأثبت ما فى ش .

ثم قال : ولكن يجوز نصبه بإضممار أن .

أقول : كأن هذا الإضممار عنده من القسم السماعى الذى لم يطرد .
وفيما قلنا غنية عن هذا . فتأمل .

وقوله : «تلاقينا فما كنا سواء» إلخ ، خَرَّ بالخاء المعجمة : سقط .
والحال بالخاء المهملة : موضع اللَّبْد ^(١) من ظهر الفرس . والحال الثانية :
الوقت الحاضر . أى سَقَطَ عن ظهر الفرس بطعن في الحال .

وقوله : «ولولا قوله» أى لولا قول جابر . وقدنى : اسمُ فعلٍ بمعنى
حَسَبَى . وتُؤَيِّرُ ، بضم النون : امرأة جابر . قال بعض فضلاء العجم (في
شرح أبيات المفصل) : والمآلى : جمع مثلاة ^(٢) ، وهى الخرقفة التى تكون مع
النائحة تأخذ بها الدمع . أى لولا قول جابر حسبى يازيد من الطعن قامت
امراته ملتبسة بالخرق تنوح عليه وتبكى . أى قتلته .

وقوله : «بمطرَد المهزّة» أراد به الرمح ، فإنه إذا هَزَّ باليد يطرد . والخلال
بكسر الخاء المعجمة : العود الذى يُتَخَلَّلُ به ، وربما يُخَلَّل ^(٣) به الثوب
أيضاً . أراد أن الرمح كان سنانهُ دقيقاً مثل الخلال .

وزيد الخيل ، هو كما قال صاحب الاستيعاب : زيد بن مُهَلِّهْل بن زيد
ابن مُنْهَب ^(٤) الطائى ، قدم على رسول الله ﷺ ، فى وفد طيئ

(١) فى النسختين : «الكبد» ، صوابه مأثبت . وانظر اللسان (حول ٢٠٤) .

(٢) ط : «مثلاء» ، صوابه فى ش .

(٣) ش مع أثر تغيير : « يخلل » بلامين .

(٤) منهب كمحسن ، بضم الميم وكسر الهاء ، كما فى القاموس .. وانظر ترجمة زيد فى الشعراء
٢٤٤ وأسند الغابة ٢ : ٢٤١ والإصابة ٣ : ٣٤ والأغانى ١٦ : ٤٦ .

سنة تسع فأسلم ، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير ، وقال له : « ماؤصِف لي أحدٌ في الجاهلية فرأيتُه في الإسلام إلا رأيتُه دون الصِّفة غيرك » . وأقَطع له أرضين في ناحيته . ويكنى أبا مُكِيف ، وكان له ابنان : مُكِيف ، وحريث وقيل حارث . أسلما وصحبَا النبي ﷺ ، وشهدا قتال الرِّدة مع خالد بن الوليد . وكان زيدُ الخيل شاعراً محسناً خطيباً ، لَسِيناً شجاعاً ، بُهْمَةً كريماً . وكان بينه وبين كعب بن زهير هجاء ، لأنَّ كعباً اتَّهمه بأخذِ فرس له . قيل مات زيدُ الخيل مُنصرَفه من عند النبي ﷺ محموماً ، فلما وصل إلى بلده مات . وقيل بل مات في آخر خلافة عمر . وكان قبل إسلامه قد أسرَ عامرَ بنَ الطفيل وجزَّ ناصيته .

هذا ماأورده صاحب الاستيعاب .

وقيل له زيدُ الخيل لخمسةِ أفراس كانت له (١) .

وكان طويلاً جسيماً ، موصوفاً بطول الجسم وحُسن القامة ، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخطُّ رجلاه في الأرض ، كأنه راكبٌ حماراً (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد الأربعمئة (٣) :

٤٠٢ (أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنِي

لَسْتُ مِنْ قَيْسٍ وَلَا قَيْسُ مِنِّي)

(١) في الأغاني ١٦ : ٤٦ أنها ستة أفراس ، وهي : الهطال ، والكميت ، والورد ، وكامل ، ودعول ، ولاحق . وقد ذكرها جميعاً في شعره .

(٢) ش : « راكب حمار » بالإضافة . وفي الأغاني : « كأنه على حمار » .

(٣) انظر العيني ١ : ٣٤٢ .

على أَنَّ حذف النون ضرورة عند سيبويه ، والقياس : عَنَى وَمَنَى ،
بتشديد النون فيهما .

قال ابن هشام (في شرح شواهد) : إِذَا جُرَّتِ الياءُ بمن أو عن وجبت
النون، حِفْظاً للسكون ؛ لأنه الأصل فيما يينون . وقد يترك في الضرورة. قال:
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنَى ... البيت

وفي النفس من هذا البيت شيء ، لأنَّنا لم نعرف له قائلًا ولا نظيرًا ؛ لاجتماع
الحذف في الحرفين . ولذلك نسبته ابن الناظم إلى بعض النحويين ولم ينسبه إلى
العرب . وفي التحفة : لم يَحْيِء الحذف إلَّا في بيتٍ لَا يُعْرَفُ قائله . اهـ
ووقع فيه قيسٌ في موضع الضمير مرتين . وارتفاع الثاني بالابتداء ، لأنَّ
لَا لَا تَعْمَلُ إلَّا في النكرات . انتهى كلام ابن هشام .

وقيسٌ في الموضعين غير منصرفٍ للعلمية والتأنيث المعنوي ، لأنَّه
بمعنى القبيلة . وهو أبو قبيلة من مُضَرَ ، ويقال له قيس عيلان ، واسمه الناس
بن مضر بن نزار ، بهمة وصل ونون ، وهو أخو الياس بمشاة تحتية . قال ابن
الكلبي (في الجمهرة) : إِنَّمَا عِيلَانُ عَبْدٌ لِمُضَرَ حَضَنَ النَّاسَ وَرِيَّاهُ ، فغلب عليه
وُتْسِبَ إِلَيْهِ . وقال صاحب القاموس^(١) : وقيس عيلان تركيب إضافيٌّ لأنَّ عِيلَانَ
اسمُ فرسٍ قيس ، لا اسم أبيه كما ظَنَّه بعض الناس. اهـ . يقال تَقَيَّسَ فلانٌ، إذا
تشبَّه بهم أو تَمَسَّكَ منهم بسبب، إمَّا بِحِلْفٍ أو جَوَارٍ أو وِلَاءٍ. قال رؤبة:
* وَقَيَّسَ عِيلَانَ وَمَنْ تَقَيَّسَا ^(٢) *

(١) النص التالي لم يرد في القاموس بهذا النص في كل من مادتي (قيس، عيل) . وفي هامش
أصل المطبوعة : «لم أر هذا النص في القاموس ، فلعله نقل بالمعنى » .

(٢) قبله في ديوان العجاج ١٣٨ :

وإن دعونا من تميم أروسا والرأس من خزعة القرندسا

وقال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب): قيس عيلان بن مضمر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه النَّاس بالنون ، وأخوه الياس بالياء . وكان الناس بالنون متلافاً ، وكان إذا نَفِدَ ما عنده أُنِيَ أخاه الياس ، بالتحتيّة ، فينصفه أحياناً، ويؤيسه أحياناً، فلما طال ذلك عليه وأتاه كما يأتيه قال له الياس: غلبت عليك العيلةُ فأنت عيلان. فسُمِّيَ لذلك عيلان، وجُهِل الناس. ومن قال قيس بن عيلان فإنَّ عيلان كان عبداً لمضمر حضن ابنه الناس فغلب على نسبته . اهـ .

وقد تقدم هذا الكلام في الشاهد السادس عشر^(١) من أوائل الكتاب .

والقبيلة المنسوبة إلى قيس هي خَصَفَة بن قيس ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة والفاء . وخَصَفَة أيضاً : أبو قبيلة ، وهي محارب بن خَصَفَة بن قيس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٠٣ (قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْيْنِ قَدِي

ليس الإمام بالشَّحِيحِ الْمَلْحِدِ)

على أنَّ هذا ضرورة ، والقياس قَدْنِي بالنون .

قال سيبويه: وسألته رحمه الله، يعني الخليل بن أحمد، عن قولهم قطنى ومِنِّى وعُنِّى ولَدُنِّى ، ما بالهم جعلوا علامةَ المجرور ههنا كعلامة المنصوب؟ فقال:

(١) الصواب أنه الخامس عشر . انظر الخزانة ١ : ١٣٨ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٨٧ . وانظر نوادر أبي زيد ٢٠٥ وسمط اللآلئ ٦٤٩ والمختضب ٢ : ٢٢٣ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٤ / ٢ : ١٤٢ والإنصاف ١٣١ وابن يعيش ٣ : ١٢٤ / ٧ : ١٤٣ وشرح شواهد المغنى ١٦٦ والعينى ١ : ٣٧٥ والتصريح ١ : ١١٢ والهمع ١ : ٦٤ والأشعرونى ١ : ١٢٥ واللسان (لحد) . وسيأتى في ٣ : ٣٤ بولاق .

إنَّه ليس من حرفٍ تلحقه ياء الإضافة إلا كان متحرِّكاً مكسوراً ، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء ولا النونات ، لأنها لاتذكر أبداً إلاً وقبلها حرفٌ متحرك مكسور ، وكانت النون أولى ، لأنَّ من كلامهم أن تكون النون والياء علامة المتكلم ، فجاءوا بالنُّون لأنها إذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامات الإضمار ، وكرهوا إن يجيئوا بحرف غير النون فيخرجوا من علامات الإضمار . وإنما حملهم على أن لم يحركوا ^(١) الطاء والنونات كراهية أن يشبه الأسماء نحو : يَدٌ وَهْنٍ . وأما ما يحرك آخره فنحو مَعَ وَلَدٌ ، كتحرّيك أواخر هذه الأسماء ، لأنه إذا تحرك آخره فقد صارَ كأواخرِ الأسماء ، فمن ثمَّ لم يجعلوها بمنزلتها . فمن ذلك : معى ولدى في مَعَ وَلَدٌ ^(٢) . وقد جاء في الشعر قَدَى . قال الشاعر :

* قَدْنِي من نصر الحُبَيْبِينَ قَدَى *

لما اضْطُرَّ شَبَّهه بِحَسْبِي وَهْنِي ، لأنَّ ما بعد حسب وهن مجرور ، كما أن ما بعد قَطْ مجرور ^(٣) ، فجعلوا علامة الإضمار فيهما سواء ، كما قال : ليتني حيث اضْطُرَّ . انتهى كلام سيبويه .

ورَدَّه صاحب الكشاف والبيضاوي عند قوله تعالى : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ ^(٤) على قراءة نافع ، بتحريك نون لدن والاكتفاء بها عن نون الوقاية ، كما في :

* قَدْنِي من نصر الحُبَيْبِينَ قَدَى *

(١) في سيبويه : « على أن لا يحركوا » .

(٢) في سيبويه وش : « ولدى في : » فقط .

(٣) سيبويه : « كما أن ما بعد قد مجرور » .

(٤) من الآية ٧٦ في سورة الكهف .

وعند ابن مالك نون الوقاية في قَدْني وقطني غير لازمة ، بل يجوز ذكرها وحذفها . واستشهد لِقَطْ بما روى في الحديث من قوله : « قَطِي قَطِي بعزَّتكَ ^(١) » ، يروى بسكون الطاء وبكسرها مع الياء وبدونها . وقال في الألفية :
وفي لَدُنِّي لَدُنِّي قَلَّ وَفِي

قَدْني وقَطُنِي الحذف أيضاً قد يَفِي

قال الشاطبي : قوله ؟ « قَلَّ » دليل على أن هذا جائزٌ عنده في الكلام لاختصاصٍ بالشعر . وهذا دأبه في النظم . إنما يعبرُ بلفظ القلة عما جاء في النثر . وهو ثابتٌ بقراءة نافع وأبي بكر . ونَبَّه بذلك على مخالفة ظاهر كلام سيبويه .

قال (في شرح التسهيل) : وزعم سيبويه أن عدم لحاقها من الضرورات . وليس كذلك ، بل هو جائز في الكلام الفصيح ، كقراءة نافع : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ بالتخفيف . ثم قال الشاطبي : وقوله : وفي قَدني وقطني الحذف أيضاً قد يَفِي ، يريد أن حذف نون الوقاية فيهما قد يأتي . وإتيانه بقَدْ يَفِي ، إشعاراً بأنه مسموع في الكلام ، بل قد يكثر كثرةً ما ، إذْ معنى يَفِي يكثر ، أى إنه يكثر في السَّماع ^(٢) ، فلا يكون معدوداً في الشَوَادِّ ولا في الضرائر . وهذا تنكيت منه على سيبويه ومن قال بقوله : إنَّ عدم اللحاق يختصُّ بالشعر . اهـ

وقد تبعه ابن هشام (في شرح شواهد) قال: إِذَا جُرَّتِ الْيَاءُ بِلَدْنٍ أَوْ قَطْ أَوْ قَدْ، فَالْغَالِبُ إِثْبَاتُ النُّونِ، حِفْظاً لِلْسَّكُونِ، وَقَدْ يَتْرَكُ. ودليله في لدن قوله

(١) هو من حديث النار حين تمتلئ فتقول ذلك لربها . انظر اللسان (قطط ٢٥٦ جبر ١٨٢) ونهاية ابن الأثير (قط) .

(٢) ش : «يكثر أنه يكثر في السماع» بإسقاط «أى» .

تعالى : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ قرئ مخففا ومشددا . وأما قول سيبويه :
 إِنَّ تَرَكَ النون مع لدن ضرورة فمردود بالقراءة ، ولا يقال إنها جاءت على من
 يقول لَدْ ، وتكون النون للوقاية ، لأنه لا وجه حينئذ لدخول النون ؛ إذ لا
 سكون فيحفظ . ودليله في قد قوله :

* قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْحُبَيْبِينَ قَدِي *

وفي هذا نظرٌ واضح .

وقد أغرب الجوهري في زعمه أن لحاق النون لقَدْنِي على خلاف
 القياس . قال : فأما قولهم قَدْكَ بمعنى حسبك فهو اسم ، تقول : قَدِي وقَدْنِي
 أيضا بالنون على غير قياس ؛ لأن هذه النون إنما تزداد في الأفعال . واضح
 البطлан^(١) .

وقال ابن هشام (في المغنى) : قد الاسمية على وجهين :

اسم مرادف لحسب ، والغالب فيها البناء ، يقال قَدْ زَيْدٌ درهمٌ وقَدْنِي
 بالنون ، حرصاً على السكون . وتُعَرَّبُ بقلَّة ، يقال قَدْ زَيْدٌ درهمٌ بالرفع كما
 يقال حَسْبُهُ درهمٌ بالرفع ، وقَدِي بغير نون كما يقال حَسْبِي .

والوجه الثاني : اسم فعل مرادفة ليكفى ، يقال : قَدْ زَيْدٌ درهمٌ ، وقَدْنِي
 درهمٌ كما يقال : يكفى زَيْدٌ درهم ، ويكفيني درهم .

وقوله : « قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْحُبَيْبِينَ قَدِي » يحتمل قد الأولى أن تكون مرادفة

٤٥١

لحسب على لغة البناء ، وأن تكون اسم فعل . وأما الثانية فتحتمل الأول
 وهو واضح ، والثاني على أن النون حذفت ضرورة ، ويحتمل أنه اسم

(١) واضح البطلان ، من كلام البغدادي ، لا من كلام الجوهري .

فعل لم يذكر مفعوله ، فالياءُ للإِطلاق والكسر للساكنين . اهـ

وفيه أمور :

أحدها : قال الدماميني : لو كانت مرادفة ليكفى لكانت فعلا ،
واللازم باطل . ولأدري لم جعلها بمعنى المضارع مع أن مجيء اسم الفعل بمعناه
فيه كلام ^(١) ، وابن الحاجب يأباه . وقد صرح ابن قاسم أنها بمعنى
كفى . اهـ

والصواب ماقاله الشارح في باب اسم الفعل أن معنى قدك اكتف ،
ومعنى قدنى لأكتف . فيكون الأول أمراً للمخاطب ، والثاني أمراً للمتكلم
نفسه . وهذا كلامٌ في غاية الوضوح .

وثانيها : إذا كانت قد في الموضعين بمعنى يكفى فأين فاعلها ؟

ثالثها : يردُّ على قوله إنَّ الياء للإِطلاق والكسرة للساكنين ، قولُ
شارحه الدماميني : إنَّ حرف الإِطلاق حرف مَدّ يتولد من إشباع حركة
الروى ، فلا وجود له إلا بعد تحريك الروى ، فإذا لم يلتق ساكنان . اهـ

وقد أعاد ابن هشام هذا الكلام (في شرح شواهد) فقال : الشاهد في
قوله قدنى بإلحاق النون . وأمَّا قَدَى فقال الشارح — يعنى ابن الناظم —
وغيره : إنَّه شاهدٌ على ترك النون . وليس كما قالوا ، لجواز أن يكون أصله قَدْ ،
ثم ألحق ياء للقفية ، وكسر الدال للساكنين . وإنما شاهد الحذف قوله :
* قَدَى الآن من وجد على هالك قدى ^(٢) *

(١) ش : « مع أن في مجيء اسم الفعل بمعناه كلاما » .

(٢) من بيت في الحماسية ٣١ بشرح المرزوق ص ٨٩٦ . وصدرو .

فأقسمت لا آسى على إثر هالك .

والشاهد في قد الأولى . فأما الثانية فمحتملة لما ذكرناه . اهـ

ولا يخفى فساد قوله : « ثم ألحق ياء للقفية » ، فإنها دالية لا يائية .

وقوله : (من نصر الخبيين) من متعلقة بقَدْنِي ، لأنه بمعنى لأَكْتِفِ كما حققه الشارح في باب اسم الفعل . وذهب بعضهم إلى أن قدني مبتدأ بمعنى حسبي ، والجارّ والمجرور خبره ، وأن المعنى حسبي من نصرة هذين الرجلين ، أي لا أنصرهما بعد ^(١) . قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : ويجوز أن يكون النصر هنا بمعنى العطية ، كقول بعض السَّوَال : « من ينصُرني ينصره الله » وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ ^(٢) . وعلى هذا فالإضافة للفاعل : ويرجح الأوّل أنه لم يفرد أبا خبيب بالذكر ، وإنما يكون العطاء غالباً من وليّ الأمر . اهـ

و (الخبيين) قيل مثني تحبيب وقيل جمع تحبيب . فعلى الأوّل الباء الثانية مفتوحة ، وعلى الثاني مكسورة . وتحبيب ، بضم الحاء المعجمة وفتح الموحدة : مصغر تحبّ . وتحبيب هو ابن عبد الله بن الزبير . وكان عبد الله يكنى بأبي تحبيب . قال بعض فضلاء العجم (في شرح شواهد المفصل) : وكنيته المشهورة أبو بكر ، وكانوا إذا أرادوا ذمّه كنّوه بأبي تحبيب . وفي حاشيته : لعله للإشعار بكونه منقولاً من مصغر الحَبّ بالكسر ، وهو الرَّجُل الخَدَّاع . وقال ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصل) : أراد بالخبيين مثني : عبد الله ومُصْعَباً ابني الزبير . وخالف ماجاء للعرب من نحوه ، مثل العُمَريّن ، يريدون أبا بكر

(١) ش : « أي لأنصره بعد » .

(٢) الآية ١٥ من الحج .

وعمر ، للبخفة ، والقمرين للشمس والقمر ، لتغليب المذكر ، لأن عبد الله بن الزبير يكنى أبا خبيب باسم ولده ، وأبا بكر ، فإذا دُئِمَوه قالوا : أبو خبيب . قال فضالة بن شريك :

أرى الحاجات عند أبن خبيب

نَكِدْنَ ولا أُمِيَّةً بالبلاد (١)

فعلى ما ذكره الشاعر ينبغي أن يريد به خبيباً واحداً إخوته من بنى عبد الله بن الزبير ، وهم (٢) : حمزة ، وثابت ، وعَبَّاد ، وقيس ، وعامر ، وموسى . اهـ . ولا يخفى أن هذه الإرادة غير مناسبة لما سيحىء .

٤٥٢

وأورد المبرد هذا البيت عند ذكر الخوارج وقال : يريد خبيبا ومن معه . وقال الإمام أبو الوليد الوقشي (٣) (في حاشيته على الكامل) : هذا خطأ ، إنما يريد أبا خبيب وهو عبد الله بن الزبير . وأنشده المبرد (في أوائل الكامل أيضاً) وقال : أراد عبد الله ومُصْعَباً ابني الزبير ، وإنما أبو خبيب عبد الله .

وكتب أبو الوليد (في حاشيته) هنا أيضاً : أنشده في ذكر الخوارج : « الخبيبين » جمعاً ، وقال : يريد خبيبا ومن معه ، كقراءة

(١) هو الشاهد ٢٦٢ . الخزانة ٤ : ٦١ . وقد اختلف في قائله .

(٢) ط : « وهو » ، صوابه في ش .

(٣) ط : « أبو الوليد الوعلی » ش : « أبو الوليد أبو علي » . والصواب ما أثبت . وأبو الوليد هذا هو هشام بن أحمد بن هشام الكنانى الحافظ ، المتوفى سنة ٤٨٨ . ونسبته إلى وقش يفتح الواو وتشديد القاف على وزن بقم ، وهى مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة . ومن تأليفه : نكت الكامل للمبرد . انظر معجم البلدان ، وبغية الوعاة .

من قرأ : ﴿ سلام على الياسين ﴾ . قال : فإنما يريد الياس ومن كان معه على دينه . كذا وقع هنا يريد خُبياً ، وإنما هو يريد أبا خبيب على كنيته الأخرى المشهورة ، ذهاباً إلى نسبة الخب إليه . اهـ

ونقل ابن المستوفى عند شرح قوله :

* بصير بما أعيا النطاسي حذيماً ^(١) *

والأصل ابن حذيم . عن الخوارزمي : أن هذا ليس من باب الحذف ، إنما هو من باب تعدى القلب من الأب إلى الابن ، كما في قوله :

* كراجي الندى والعرف عند المذلق ^(٢) *

أي ابن المذلق . ألا ترى أنه يقال : «أفلس من ابن المذلق» . ومنه :

* قدني من نصر الخبيين قدي *

ونقل ابن هشام (في شرح الشواهد) عن ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) رد رواية الثنية ، بأن الشاعر قال هذا الشعر عند حصار طارق ، ومصعب مات قبل ذلك بسنين . اهـ

ولم أر لابن السيد شيئاً من شرحه على هذا البيت في الموضعين من الكامل .

وذكر العيني للثنية وجهين : أحدهما : أن المراد عبد الله وأخوه مصعب .

(١) الصفات ١٣٠ .

(٢) لأوس بن حجر ، وهو الشاهد ٣١٤ في الخزانة ٤ : ٣٧٠ .

(٣) سبق الكلام عليه في حواشي ٤ : ٣٧٢ . وصدده :

* فأنتك إذ ترجو تميما ونفعها *

وثانيهما : أنَّ المراد عبد الله وابنه حُبيِّب المذكور . وعلى هذا الثاني لا يردُّ الرُّدُّ المذكور عن ابن السيد .

ورواه جماعة بلفظ الجمع ، ومنهم أبو زيد (في نوادره) قال : أراد الحُبَيْبِيْنَ ، فحذف ياء النسبة . وأورد له نظائر .

ومنهم يعقوب بن السكيت (في إصلاح المنطق) قال ابن السيرافي (في شرح شواهدہ) : الحُبَيْبِيْنَ جمع ، يريد به عبد الله بن الزبير وأصحابه ، وجعلهم كأنَّ كل رجل منهم حُبيِّب . ومثل هذا يُفَعَّل كثيراً ، يقولون الأشْعرون إذا نسبوا إلى الأشعر ، كأنَّهم جمعوا رجالاً كل اسم رجل منهم أشعر ، وإنما أشعر الذي أضيفوا إليه ، فصار الحُبَيْبِيْنَ في موضع الحُبَيْبِيْنَ ، والأشْعرون في موضع الأشْعَرِيْنَ ، فحذفوا ياء النسبة وجعلوا الاسم كأنَّه لكل واحدٍ من المنسوبين . اهـ

ومنهم أبو عبيدة ، نقله عنه أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبي زيد) .

ومنهم أبو جعفر النحاس (في تفسير القرآن) قال : إنما يريد أبا حبيب عبد الله بن الزبير ، فجمعه على أنه من كان معه على مذهبه داخل فيه .

ومنهم ابن جنى (في المحتسب، في سورة الصافات) عند قراءة ابن محيصن : ﴿ وَإِنَّ الْيَاسَ ^(١) بِغَيْرِ هَمْزٍ ، ﴿ سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ ﴾ بِغَيْرِ هَمْزٍ . قال : فأما الياس موصول الألف فإن الاسم منه ياسٌ بمنزلة باب ودار ، ثم لحقه لام التعريف . والياسين على هذا كأنَّه على إرادة ياء النسب ، كأنَّه اليَاسِيْنَ ، كما

حكى عنهم صاحب الكتاب : الأشعرون والتميمون ، يريد الأشعريين والتميميين . وروينا عن قطرب عنهم ^(١) : هؤلاء زيدون منسوبون إلى زيد بغير ياء النسبة . وقال أبو عمرو : هلك اليزيدون ^(٢) يريد : ثلاثة يزيديين . وقد يجوز أن يكون جعل كل واحد منهم من أهل الياس ياساً ، فقال الياسين ، كقوله :

* قَدْنِي من نصر الحبيبين قدى *

يريد أبا حبيب وأصحابه ، كأنه جعل كل واحد منهم خبيياً . اهـ

٤٥٣ يفهمُ صنيعه أنه إذا جعل كل واحد منهم خبيياً لا يكون على تقدير ياء النسبة ، وإذا كان على قديرها يراد أصحاب أئى خبيب فقط ، ولا يدخل أبو خبيب فيهم . كما قال أبو محمد التَّوَزَّى : من أنشده بالجمع يريد أصحاب ابن الزُّبَيْر ، كما يقال المهالبة . وحقه الحبيبين بالتشديد ؛ ولكنه حذف ياء النسبة ، نقله عنه صاحب كتاب (التفْسُح في اللغة) . وإليه ذهب ابن هشام (في شرح شواهد) قال : يروى الحبيبين مثني على إرادة عبد الله وأخيه مُصْنَع ، ويروى على الجمع على إرادة عبد الله ومن على رأيه ، وكلاهما تغليب . ويحتمل على الجمع أن يريد مجرد أصحاب عبد الله ، على أن الأصل الحُبيبين ، ثم حذفت الياء كقولهم : الأشعرين . اهـ

وهذا خلاف ماتقَدَّم عن ابن السيرافي، وخلاف قول أئى على (في الإيضاح الشعري) قال: من أنشده على الجمع أراد الحبيبين ^(٣) ونسب إلى

(١) كلمة «عنهم» ساقطة من ش ثابتة في المختص ٢ : ٢٢٣ .

(٢) ش : «الزيدون» ، صوابه في ط والمختص .

(٣) ط : «الحبيبين» ، صوابه يباين في آخره كما في ش .

أبى خبيب ، يريد به ويريد شيعته ^(١) . وعلى هذا قراءة من قرأ : ﴿ سلام على
الياسين ﴾ أراد التَّسَبُّب إلى الياس . ومن أنشد على الثنية أراد عبد الله
ومصعباً ، فشأهما كما قالوا : العجَّاجان ^(٢) . اهـ

ويؤيد كلام ابن جنى ومن تبعه ، صنيع المبرد (في الكامل) قال عند
ذكر الخوارج : باب للنسب ^(٣) وهو أن يسمَّى كل واحد منهم باسم الأب
إذا كانوا إليه ينسبون . ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ، ويقولون : جاءني
التمَّيرون والأشعرون ، جعل كل واحد منهم ثميراً وأشعر . فهذا يتصل في
القبائل . وقد تنسب ^(٤) الجماعة إلى الواحد على رأي أو دين ، فيكون له
مثل نسب الولادة ، كما قلت أزرق لمن كان على رأي ابن الأزرق ، كما تقول
تيمى وتيمى لمن ولده تيم وتيمس . ومن قرأ : « سلام على الياسين ^(٥) » فإنما
يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه ، كما قال :
* قدنى من نصر الخبيبين قدى *

يريد أبا خبيب ومن معه ^(٦) . اهـ

وقوله : (قدى) تأكيدٌ للأوّل . و (ليس الإمام) إلخ ، أراد بالإمام
الخليفة ، وعرض بعبد الله بن الزبير ، فإنه كان بخيلاً . والشُّح : البخل . وشَحَّ
يَشْح من باب قتل ، وفي لغة من باى ضرب وتعب ، فهو شحيح من

(١) ش : « يريد شيعته » .

(٢) يعنون العجاج وابنه رؤية .

(٣) ش : « باب النسب » . والذي في الكامل ٣٢٣ : « فأما قولهم الأزاقة فهذا باب من النسب

آخر . وهو ... إلخ .

(٤) هذا ما في ط والكامل . وفي ش : « وقد نسب » .

(٥) الصافات ١٣٠ .

(٦) بدل هذا كله في ش : « خبيبا ومن معه » ، نقص وتحريف .

قوم أشحاء . و(الملحد) قال صاحب المصباح : مِنْ أَلْحَدَ فِي الْحَرَمِ بِالْأَلْفِ ،
إِذَا اسْتَحَلَّ حَرَمَتَهُ وَاتَّهَكَهَا . وَأَلْحَدَ إِلْحَاداً : جَادَلَ ^(١) وَمَارَى . وَلَحَدَ بِلَا أَلْفٍ
بِمَعْنَى جَارٍ وَظَلَمَ .

والبيتان من أرجوزة لَحْمِيدِ الْأَرْقَطِ . قال ابن المستوفي ^(٢) : ويروى : صاحب الشاهد

* ليس أميرى بالظَلُومِ الملحد *

ولم أر البيت الأول في ديوانه : وأولها :

(ليسَ الإمامُ بالشَّحِيحِ الملحدِ

ولا بوئيرٍ بالحجاز مُقَرِّدِ

إن يُرَ بالأرض الفَضاء يُصْطَدِ

وينَجِرُ فالجحر شرٌّ محكِدِ ^(٣)

وهي أربعة أبيات . اهـ

وكذلك أورد الأبيات القالِي (في أماليه) ولم يورد بيت قذني . وأورد أبو
عُبَيْدِ الْبَكْرِي (في شرح أمالي القالِي) أبياتاً ثلاثة قبلها ، قال : يمدح الْحَجَّاجَ ،
وهي :

(قلت لعنسي وهي عَجَلِي تعتدي

لأنوم حتى تُخْسِرِي وتُلْهَدِي ^(٤)

(١) ط : « حاول » ، صوابه في ش .

(٢) هو المبارك بن أحمد بن أبي البركات الإربلي ، ولد سنة ٥٦٤ ، وتوفي سنة ٦٣٧ . ومن كتبه

« إثبات المحصل في نسبة أبيات المفصل » . وهو الذي يعنيه البغدادي في مواضع كثيرة .

(٣) ط : « وينحجر » ، صوابه بتقديم الجيم ، كما في ش وكما سيأتي في الشرح .

(٤) سمط اللآلء ٦٤٩ — ٦٥٠ .

أو تَرِدِي حَوْضَ أُمِّي مُحَمَّدٍ
ليس الأميرُ بالشحيح المَلْحِدِ)

إلى آخر الآيات وقال : هذا تعريضٌ بابن الزبير في قوله : « بالشحيح المَلْحِدِ » ، يريد أنه ألحد في الحرم .

[وفي قوله : « ولا بَوَيْرٌ بالحجاز مُقَرِّدٍ » . والْوَيْرُ ، بفتح الواو وسكون الموحدة وآخره راء مُهملة : دُوَيْتَةٌ مثل السُّتُور طحلاء اللون ، حسنة العينين لا ذَنْبَ لها ، تُوجد في البيوت . والمُقَرِّدُ : اللاصق من جَزَع أو ذَلَّ . وقوله : « حتى تُحْسِرِي وتُلْهَدِي » يقال لُهد البعيرُ يُلْهد ، إذا عَضَّ الحِمْلُ غاربه وسنامَه حتى يُولمه ^(١)] . انتهى .

وقوله : « قلت لعنسي » إلخ ، العنس بفتح العين وسكون النون : الناقة الصُّلبة . وعجَلَى : مؤنث عجلان . وتعتدي ، من العدو . وتُحْسِرِي : مضارع حَسَرَ بالفتح يحسِر بالكسر حُسورا ، إذا أعيا . وتُلْهَدِي ، يقال لُهد البعير يُلْهد ، إذا عَضَّ الحِمْلُ غاربه وسنامَه حتى يُولمه . ولَهْدُ الحمل ، أى أثقله . قال الأصمعي : لَهْدُ القَوْمِ دَوَائِبُهُمْ : أجهدوها وأتعبوها .

٤٥٤

وقوله : « أو تَرِدِي » إلخ أو بمعنى إلى أو إلّا . وتَرِدِي ، من الوَرْد ، منصوب بحذف النون بأن مضمرة بعد أو . وأبو محمد : كنية الحجاج بن يوسف الثقفي .

وقوله : « ولا بَوَيْرٌ » إلخ : قال ابن الأثير (في النهاية) : الوَيْرُ بسكون الباء : دُوَيْتَةٌ على قدرِ السُّتُور غبراء أو بيضاء ، حسنة العينين ، شديدة الحياء

(١) ما بين المعقفين تكلمة من ش ساقطة من ط .

خجازية ، والأثنى وثرة . ويشبه بها تحقيراً . اهـ . وضبطه العيني وتبعه السيوطي (في شرح شواهد المغني) بفتح الواو وسكون التاء المثناة من فوق وفي آخره نون ، بمعنى واتن . يعني : ولابدائهم ثابت بأرض الحجاز . ويقال للماء المَعِين الدائم الذي لا يذهب : واتن ، وكذلك بمعناه واتن بالمثلثة . هذا كلامه ، وهذا تحريف منه قطعاً . ومُقَرَّد : اسم فاعل من أقرَد بالقاف ، بمعنى ذلّ وخضع . وقال الجوهري : أقرَد ، أى سكن وتماوَت . وروى : «مفَرَّد» بالفاء على أنه اسم مفعول من أفردته ، إذا عزلته .

وقوله : «إن يُرَ يوماً» إلخ الجملة الشرطية صفة لوبر ، ونائب الفاعل في «يُرَ» ضمير الوبر . والفضاء بالفاء . ويُصطَلد بالبناء للمفعول .

وقوله «وينجحر» إلخ قال صاحب الصحاح : الجُحْر بضم الجيم : واحد الجِجْرَةِ والأجحار . وأجحَرته ، أى أَلجأته إلى أن دخل جحره ، فانجحر . وفاعل ينجحر ضمير الوبر أيضاً . والمحكيد ، بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الكاف : الأصل ، ويقال له المَحْتِد أيضاً بكسر المثناة الفوقية .

وحَمِيدُ الأَرْقَط : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وهو مُعاصر حميد الأرقط . وهو حميد بن مالك بن رِيعَى بن مُحَاشِن بن قيس بن نَضْلَةَ بن أَحِيم^(١) بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وقيل هو أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهم ربيعة الجوع . وسمي الأرقط لآثار كانت بوجهه . والرَّقَط : النقط . والرَّقطة : سواد يشوبه نقط . والأرقط من الغنم : مثل الأَبْعَث . والأرقط : التمر .

(١) في الاشتقاق ٢٥٤ بتحقيق كاتبه : « وأما بهدلة فمنهم أحيم وكان شريفاً » .

ولم أر ترجمة حميد هذا (في كتاب الشعراء لابن قتيبة) ، ولا (في
المؤتلف والمختلف للآمدى) ولا (في الأغاني) ، فيما يحضرني منه . وإنما نقلت
ترجمته من الأنساب ^(١) .

وقيل قائل الشعر المذكور أبو بَجَلَة ^(٢) ، قاله ابن يعيش (في شرح
المفصل) . ولا أعرف هذا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(إذ ذهبَ القَوْمُ الكَرَامُ ليسَى)

وأوله :

* عددتُ قومي كعديد الطُّيسِ *

وتقدّم الكلام عليه قريباً ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(وليس حامِلَنِي إِلَّا ابنُ حَمَالٍ)

أوله :

* أَلَا فَتَى من بنى ذبيان يحملنى *

وتقدم شرحه في الشاهد الخامس والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة ^(٤)

* * *

(١) انظر أيضا سمط الآلى ٦٤٩ ومعجم الأدباء ١١ : ١٤ .

(٢) ش : « أبو نخيلة » ، وأثبت مافى ط . والذي في شرح المفصل « أبو مجدلة » . وقال

الميمنى : « وفي العيني ١ : ٣٥٨ والسيوطى ١٦٦ ونقلوا عن ابن يعيش أنه نسبها لأبى مجدلة » .

(٣) في الشاهد ٣٩٢ من هذا الجزء ص ٣٢٤ .

(٤) الخزانة ٤ : ٢٦٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الأربعمائة (١):

٤٠٤ (وكائن بالأباطج من صديق

يرانى لو أصيبت هو المصابا)

٤٥٥ على أنه ربما وقع ضميرُ الفصل بلفظ الغيبة بعد حاضر ، لقيامه مقام مضاف غائب ، أى يرى مُصابى هو المصاب .

بيانه : أنَّ هو فصلٌ وقع بعد ضمير الحاضر ، أى المتكلم ، فكان حقه في الظاهر أن يقول : يرانى أنا المصاب ، لأنَّ ضمير الفصل يجب أن يكون وفق ما قبله في الغيبة والخطاب والتكلم ، لأنَّ فيه نوعاً من التوكيد ، تقول : علمت زيدا هو المنطلق ، وعلمتك أنت المنطلق ، وعلمتنى أنا المنطلق . وحينئذ يتوجّه عليه سؤالان : أحدهما كيف وقع ضمير الغيبة بعد ضمير المتكلم ، وحقُّ الفصل أن يكون وفقاً لما قبله ؟ وثانيهما : أن المفعول الثانى فى باب علم يجب أن يكون موافقاً للمفعول الأول فى الماصدق ، فكيف يصحُّ حمل المصاب الذى هو بمعنى المصيبة على الياء فى يرانى ؟

وأجاب الشارح المحقق عنهما بما ذكره ، وهو أنَّ الضمير الحاضر ، وهو الياء ، قائم مقام المضاف الغائب ، أى يرى مُصابى هو المصاب . والمعنى يرى مُصابى هو المصاب العظيم ، ويسقط بهذا الجواب السؤالان .

ووجه قيام الياء مقام المضاف أن مفعول يرى فى الحقيقة هو المضاف المحذوف ، والياء مضاف إليه، فلما حذف المضاف قام الياء الجرور محلاً مقام

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٦ وابن يعيش ٣ : ١١ / ٤ : ١٣٥ والمقرب ٢٢ وشرح شواهد

المغنى ٢٩٦ والممع ١ : ٦٨ ، ١٥٦ / ٢ : ٧٦ والأشمونى ٤ : ٨٧ وديوان جرير ١٧ .

ذلك المضاف المنصوب على المفعولية ، فالفصل مطابق للمحذوف لا للقائم مقامه . وإنما وصف المضاف بالغائب لأنه اسم ظاهر ، وهو في حكم الغائب ، ولهذا يعود ضمير الغيبة إليه . والمصاب على هذا مصدر ميمي ، كقولهم : جبر الله مُصابك ، أى مصيبتك . وإنما وصَف المصاب بالعظيم لتحصل الفائدة . ومثله في حذف الصفة : ﴿الآن جِئْتُ بِالْحَقِّ﴾ ^(٢) ، أى بالواضح . وإلا لكفروا بمفهوم الظرف ، إذ يكون المعنى : وقبل الآن لم يجيء بالحق ، فيكون إنكاراً لما جاء به أولاً . ويجوز أن لا تقدر الصفة ، ويكفى بالفائدة الحاصلة من الحصر . والمعنى: لو أصبت يرى مُصِيبَتِي هى المصيبة ، ولا يعدُّ غيرها مصيبة ، وذلك من تأكيد صداقته ، لا يكثر بمصيبة غيرى ولا يهتم لها .

ولصحة المعنى هنا لم يقدر الشارح المحقق الصفة. فلله دَرُه ، مَادَقْ نظره!
وهذا الذى ذكره فى هذا البيت أحد تخريجين لأبى على الفارسى ، ذكرهما (فى إيضاح الشعر) قال : يجوز أن يكون التَّقدير فى يرانى : يرى مصابى أى مصيبتى وما نزل بى ، المصاب ، كقولك : أنت أنت ومصيبتى المصيبة . أى ماعداه جَلَلٌ هين ، فيكون هو فصلاً بين المضاف المقدر وبين الظاهر .
واقصر على هذا التخريج ابن السجرى (فى أماليه) ثم قال : ولو أنه قال يراه لو أصبت هو المصابا ، فأعاد الهاء من يراه إلى الصديق ، والمعنى يرى نفسه، كما جاء فى التنزيل : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ^(٣) — لَسَقَطَ الاعتراض، واستغنى عن تقدير المضاف، ولكن المصاب اسم مفعول من قولك:

(١) ط : «وصفنا» ، والوجه مأثبات من ش .

(٢) الآية ٧١ من البقرة .

(٣) العلق ٦ ، ٧ .

أصيب زيد ، فهو مصاب . ولكن المروى : «يرانى» . انتهى .
أقول : لم يرو الأحفش (فى كتاب المعاياة) إلا : « يراه لو أصيبت هو
المصابا » بالمشناة التحتية وضمير الغائب .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ويروى : « يراه » أى يرى نفسه ، و « تراه »
بالخطاب ، ولا إشكال حينئذ ولا تقدير . والمصاب حينئذ اسم مفعول
لامصدر . ولم يطلع على هاتين الروايتين بعضهم فقال : ولو أنه قال يراه ،
لكان حسناً ، أى يرى الصديق نفسه مُصاباً إذا أصبت . اهـ

والتخريج الآخر الذى ذكره أبو على : أن يكون تأكيداً لمستتر فى يرانى
لافصلاً . قال : موضع هو رفع لكونه تأكيداً للضمير الذى فى يرانى ، لأنَّ
هو للغائب ، والمفعول الأول فى يرانى للمتكلم ، والفصل إنما يكون الأول فى
المعنى ، كقوله سبحانه : ﴿ أَنَا أَقْلُ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا ^(١) ﴾ . ألا ترى أن أنا
هو المفعول الأول المعبر عنه بنى . والمعنى يرانى هو المصابا ، أى يرانى للصدّاقة
المصاب ، لغلظ مُصِيبَتِي عليه للصدّاقة ، وليس كالعِدُوِّ أو الأجنبى الذى
لا يُهَمُّه ذاك . اهـ

فالمصاب على هذا اسم مفعول لا مصدر .

وبقى تخريج ثالث نقله ابن هشام عن بعضهم (فى المغنى) ، وهو أن
يجعل هو فصلاً للياء . ووجهه بأنّه لما كان عند صديقه بمنزلة نفسه حتى كان
إذا أصيب كأنَّ صديقه قد أصيب ؛ فجعل ضمير الصديق بمنزلة ضميره ،
لأنّه نفسه فى المعنى . اهـ

وزعم ابن الحاجب (فى أماليه) أن الرواية : «لو أصيبت هو المصابا»

وقال : شرط الفصل أن يأتي على طبق الخبر ، فكان ينبغي أن يكون أنا ، لأنَّ المصاب مفعول ثانٍ ليراني ، والمفعول الأوَّل الياء وهي للمتكلم ، والمفعول الثاني هو الأوَّل في المعنى ، فكان يجب أن يكون الفاصل على القياس أنا . ووجهه أنه ليس على الفصل ، بل هو تأكيدٌ للضمير المستتر في يراني ، أو للضمير في أصيب . وأما إن قُدِّر لو أُصِبت لم يستقم المعنى ، إذ تقديره يراني مصاباً إذا أصابتنى مصيبة . ولا يخبر بمثل ذلك عاقل ، إذ لا يُتَوَهَّم خلافه . اهـ

فالمصاب المذكور عنده اسم مفعول ، لامصدر .

وقد خفيَ هذا على ابن هشام فقال (في المغنى) بعد نقل كلامه : وعلى ماقدّمناه من تقدير الصفة لايتَّجه الاعتراض .

قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : الصفة التي أشار إليها إنّما قُدِّرَها على جعل المصاب مصدراً لا اسم مفعول ، وكلام ابن الحاجب فيما إذا كان المصاب اسم مفعول لامصدراً ، ولذلك جعله مفعولاً ثانياً ليرى ، والمفعول الأوَّل هو الياء ، ولولا ذلك لما صحَّ بحسب الظاهر . والاعتراض الذي أشار إليه ابن الحاجب غير متَّجه مع الإعراض عن تقدير الصفة ، وذلك لأنَّ مبناه على أن يكون مصاباً اسم مفعول نكرة ، والواقع في البيت ليس نكرةً ، بل هو معرّف بأل ، والحصر مستفاد من التركيب كقولك : زيد هو الفاضل لاغيره . وكذا المعنى في البيت ، أي لو أُصِبت رآني المصاب ، بمعنى أنه لا يرى المصاب إلا إياي دون غيري ، كأنه لعظم مكانه عنده وشدة صداقته له ، تتلاشى عنده مصائب غير صديقه ، فلا يرى غيره مصاباً ، ولا يرى المصاب إلا إياه ؛ مبالغة . فالمعنى صحيح متَّجه كما رأيت ، بدون تقدير صفة . اهـ

وقوله (لو أَصْبَيْتُ) جملة معترضة بين مفعولٍ يرى ، وجواب لو محذوف يدلُّ عليه ما قبله . ويرأى بمعنى يعلمنى ، وفاعله ضمير صديق ، والجملة خبر كائن . و(بالأباطح) كان فى الأصل صفة لصديق ، فلما قدّم عليه صار حالاً منه . و(من صديق) تمييز لكائن ، وتمييزها مجرورٌ بمن فى الغالب . و(كائن) هنا خبرية لإفادة التكثير ككم الخبرية . ورواه الأَخْفَش (فى المعاينة) :

* ولم لى فى الأباطح من صديق (١) *

وأورده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿وَكَاثِنٌ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ﴾ (٢) . قال : وكائن على وزن فاعل ، وأكثر ماجاء الشعرُ على هذه اللغة . ثم أنشد هذا البيت مع أبيات آخر .

و(الأباطح) : جمع أبطح ، وهو مسيلٌ واسعٌ للماء فيه دُقاق الحصى .

وهذا البيت من قصيدة لجريز بن الخطَفى ، مدح بها الحجاج بن صاحب الد يوسف الثقفى . . وبعده :

(وَمَسْرُورٍ بِأَوْتِنَا إِلَيْهِ وَآخِرَ لَايْحِبُّ لَنَا إِيَابَا)

ومنها :

(إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ

رَأَى الْحَجَّاجَ أَتَقَبَّهَا شَهَابَا)

(١) الكلام التالى لهذا الشطر إلى « بأوتينا إليه » فى س ١٤ ساقط من ط . وإثباته من ش .

(٢) الآية ١٤٦ من آل عمران . وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو .

ومطلع القصيدة :

(سئمت من المواصلّة العتايا

٤٥٧

وأمسى الشيبُ قد ورثَ الشُّبابا)

ومعنى وراثته الشيب الشَّبابَ حلوله محله ، فإنَّ الوارثَ يحلُّ محلَّ

الموروث .

وترجمة جرير قد تقدّمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الأربعمئة (٢) :

٤٠٥ (هو البينُ حتّى ماتأنّى الحزائِقُ)

تمامه :

(وياقلْبُ حتّى أنتَ ممّن أفاقُ)

على أنه قد يخبر عن ضمير الأمر المستبهم تقدّراً بالمفرد ، كما أخبر
بالبين هنا عن هو ، كأنه قيل : أى شىء وقع من المصائب ؟ فقال : هو البين .

وقوله : (حتّى ماتأنّى) مبنى على مايفهم من استعظام أمر البين
المستفاد من الضمير ، أى ارتقى أمر البين فى الصُّعوبة حتّى لاتأنّى جماعاتُ
الإبل أيضاً .

وفى هذا ردٌّ على الواحدى فى زعمه أنّ هذا الضمير من قبيل مانفسر
بجملة . وهذه عبارته : هو كنايةٌ عن البين ، يسمّون ماكان من مثل هذا
الإضمار على شريطة التفسير ، كقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

(١) الخزائن ١ : ٧٥ .

(٢) ديوان المتنبي ١ : ٤٥١ بشرح العكبرى .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ^(١) ﴾ ، وقول الشاعر :

* هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَتَحَمَّلُ *

ومثله كثير . اهـ

وقال المبارك بن المستوفى (فى النظام) : قال أبو القاسم عبد الواحد بن على : يقول : الحقُّ والشَّأن هو الفراق لا الاجتماع ، كأنه نظر فيه إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ^(٢) ﴾ ، فقدَّم الموتَ لأنَّ الانتهاء إليه ، والأمور بخواتمها . وهذا تفسيرٌ بعيدٌ من معنى البيت ، وتقدير ضمير الشأن بما قدَّره به يغيّر ماقدِّره النحويون . اهـ

و(تأئى) أصله تتأئى بتاءين ، مضارع من التأئى ، وهو التلبُّث . و(الحزائى) : جمع حَزِيْق بالحاء المهملة والزاي المعجمة ، قال صاحب القاموس : الحزيق والحزيقة والحَزَاقَة : الجماعة ، والجمع الحزائى . والظاهر أنه بمعنى الجماعة مطلقاً لا بمعنى جماعة الإبل ، كما صرح به الشارح . ويدلُّ لما قلنا كلامُ شُراحه . قال ابن جنى : تأئى : تَمَكَّث . والحزائى : جمع حَزِيْق ، وهو الجماعة . وقال أبو اليُمْن الكِنْدَى : أى هذا الذى تشتكيه هو البين ، حتى لا مُكَّث للجماعات فى التفرُّق ، بل لها إسراعٌ وعجلة . ثم التفت إلى خطاب قلبه ، أى أنت أيضاً مع عُلقتك فى الموجبة لقُربك أنت مفارق . و(حتى) فى الموضعين ابتدائية . وأشار إليه ابن جنى بقوله : معناه يفارقنى كلُّ أحدٍ حتى أنت مفارقى ، كما قال الفرزدق :

(١) سورة الحج ٤٦ .

(٢) الآية الثانية من سورة الملك .

* فياعجبا حتى كليبٌ تَسْبُنِي (١) *

أى يسْبُنِي كل أحدٍ حتى كليبٌ تَسْبُنِي .

قال ابن هشام (في المغنى) : حتى الابتدائية حرفٌ يبدأ بعده الجمل ،

أى يُستأنف . فيدخل على الجملة الاسمية والفعلية ، قال الفرزدق :

* فياعجبا حتى كليبٌ تَسْبُنِي *

ولابدٌ من تقدير محذوف قبل حتى من هذا البيت يكون مابعد حَتَّى

غايةً له ، أى فواعجبا يسْبُنِي الناس حتى كليب تَسْبُنِي . اهـ

قال الواحدى : ومعنى البيت : هو البين الذى فُرّق كل شيء ، حتى

لايتمهل ولا يتأثى الجماعات أن يتفرقوا إذا جرى حكم البين فيهم . ثم

خاطب قلبه : وأنت أيضاً على مآلك من علائق القرب ممن أفارقه . يعنى :

الأحبة ، إذا فارقوني ذهب القلب معهم ، ففارقتى وفارقته . اهـ

وهذا البيت مطلعٌ قصيدةٍ لأبى الطيّب المتنبى ، مدح بها الحسين بن

صاحب الشاهد

٤٥٨ إسحاق التتوخى .

وترجمة المتنبي تقدّمت فى الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة (٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد

المفصل (٣) :

(١) من شواهد سيبويه ١ : ٤١٣ والخزانة ٤ : ١٤١ بولاق . وصدره فى ديوانه ٥١٨ :

* فياعجبا حتى كليب تَسْبُنِي *

(٢) الخزانة ٢ : ٣٤٧ — ٣٦٣ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١١٧ . وانظر الخصائص ٢ : ١٧٠ وشرح شواهد المغنى ١٤٤ وديوان الهذليين

٤٠٦ (على أنّها تعفو الكلوم وإنّما
نُوكِّل بالأدنى وإن جَلَّ مايمضى ^(١))

على أنّ الضمير في (أنّها) ضمير القصة .

في التسهيل وشرحه لابن عقيل : وإفراذه لازم ، لأنّ مفسرّه مضمون الجملة . وهو مفرد . وكذا تذكيره . والمنقول عن البصريين جواز التأنيث لإرادة القصة ، وعن الكوفيين المنع ما لم يله مؤنث ، نحو : إنها جاريتك ذاهبتان ، وإنها نساؤك ذاهبات ، أو مذكر شبه به مؤنث ، نحو : إنّها قمرٌ جاريتك ، أو فعلٌ بعلامة تأنيث ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ ﴾ فيرجح تأنيثه باعتبار القصة على تذكيره باعتبار الشأن . فيجوز في هذه المسائل الثلاث : التذكير والتأنيث ، لكن الراجح التأنيث ؛ لأنّ فيه مشاكلة تحسّن اللفظ ولا يختلف المعنى بذلك ، إذ القصة والشأن بمعنى واحد . اهـ

و(تعفو) هنا فعل لازم بمعنى تدرّس وتبرأ . و(الكلوم) فاعله ، جمع كَلَم ، وهو الجرح والحزّة ، والجملة خبر ضمير الشأن . ولم يحتج إلى رابط لأنّها نفس المبتدأ في المعنى . اهـ

والبيت من أبيات لأبي خراش الهذلي ، أوردها السكّري (في أشعار صاحب الشاهد الهذليين) ؛ وكذلك المبرد (في الكامل) ، وأبو تمام في أول باب المراثي (من الحماسة) . وكذلك الأصبهاني أوردها (في الأغاني) ، والقالبي (في أماليه) ، وهي :

(١) ط : «نوكّل» ش : «يوكّل» . والأخيرة رواية أجازها البغدادى في تفسيره التالى والرواية الغالبة بالنون كما أثبت من الديوان والأغاني ٢١ : ٤٣ والقالبي ١ : ٢٧١ والكامل ٣٣٧ . وهو الذى لا يتعارض مع نص البغدادى .

آيات الشاهد

(حَمِدْتُ إلهي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا
 خِرَاشٌ ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
 فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزْمَتُهُ
 بِجَانِبِ قَوْسِي مَامَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
 عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكَلُومَ وَإِنَّمَا
 تُؤَكَّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي^(١)
 وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ
 عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِي
 وَلَمْ يَكْ مِثْلُوجَ الْفَوَادِ مَهَبَّجَا
 أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرِّبِيلَةِ وَالْحَفْضِ^(٢)
 وَلَكِنَّهُ قَدْ نَازَعْتَهُ مَجَاوِعٌ
 عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ التَّهْضِي^(٣)

عُرْوَة : أخو أبي خراش ، وخراش : ابنه . وأخطأ بعض فضلاء العجم
 (في شرح آيات المفصل) ، وتبعه شارح آيات الموشح ، في زعمه أن عُرْوَة
 ابنُ الشاعر .

وخراش بالراء لا بالبدال .

أبو خراش الهذلي وأبو خراش اسمه ثُوَيْلِد بن مُرَّة ، وتقدّمت ترجمته في الشاهد الثاني
 والسبعين^(٣) . وكان لأبي خراش تسعة إخوة ، منهم عُرْوَة بن مُرَّة ، وزهير بن
 مُرَّة

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) ط : « مهيجا » بالياء ، صوابه بالياء الموحدة كما في ش وسائر المراجع .

(٣) الخزائن ١ : ٤٤٣ .

قال المبرد (في الكامل) : جاور عروة بن مرة أخو أبي خراش الهذلي ثمالة من الأزد^(١) فجلس يوماً بفناء بيته آمناً لا يخاف شيئاً ، فاستدبره رجل منهم بسهم فقصم صلبه ، ففى ذلك يقول أبو خراش :

لَعَنَ الْإِلَهِ وَجْهَ قَوْمٍ رُضِعَ
غَدَرُوا بِعُرْوَةَ مِنْ بَنِي بَلَّالٍ

وأُسرت ثمالة خراش بن أبي خراش ، فكان فيهم مقيماً ، فدعا أسرته رجلاً منهم للمنادمة ، فرأى ابن أبي خراش مؤثقا في القيد^(٢) فأمهل حتى قام الأسر لحاجة ، فقال المدعو لابن أبي خراش : من أنت ؟ قال : أنا ابن أبي خراش . فقال : كيف دليلاك ؟ قال : قطاة . قال : فقم فاجلس ورائي . وألقى عليه رداءه ، ورجع صاحبه فلما رأى ذلك أصلت له السيف ، فقال : أسيرى ! فنثر الحجير كناتته وقال : والله لأرْمينَّك إن رُمْتَه ؛ فإنى قد أجزته ! فَخَلَّى عنه ، فجاء إلى أبيه فقال له : من أجارك ؟ فقال : والله ما أعرفه . فقال أبو خراش :

* حَمِدْتَ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا * الأبيات

وتزعم الرواة أنها لاتعرف رجلاً مدح من لايعرف غير أبي خراش . وقوله : «وجوه قوم رُضِعَ» هو جماعة راضع ، وقوم يقولون : هو توكيد للقيم

(١) ط : «بن الأزد» ، صوابه في ش والكامل ٣٣٧ . وهو ثمالة بن أسلم بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، كما في جمهرة ابن حزم ٣٧٧ .

(٢) القيد ، بالكسر : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ فتشد بها الأقتاب والمحامل ونحوها . ط : «القيد» صوابه في ش والكامل .

كما يقولون : جائع نائع ^(١) . وقوم يقولون : الراضع : الذى يرتضع من الضرع
لئلا يسمع الضيف والجار الحلب منه ^(٢) . وقوله : كيف دليلاك ، فهو كثرة
الدلالة . والفِعْلِيّ إنما تستعمل فى الكثرة . اهـ

وقال صاحب الأغاني : خرج زهير بن مُرّة ، أخو أبى خراش ، معتمراً
حتى ورد ذات الأُقيّر من نَعْمان ^(٣) ، فبينما هو يسقى إبلًا له إذ ورد عليه قومٌ
من ثَمالة . فقتلوه ، فغزاهم أبو خراش وقتل منهم أهل دارين ، أى حِلَتَيْن ، من
ثَمالة. ثم إنَّ عروة وخراشاً خرجا مُغِيرَيْن على بطنيين من ثَمالة ، يقال لهما : بنو
رِزام وبنو بَلال — بتشديد اللام الأولى — فَظَفَرَ بهما الثماليون ، فأما بنو رزام
فَنَهَوْا عن قتلها ، وأبَت بنو بَلال عن قتلها ، حتى كاد يكون بينهم شرٌّ ،
فألقي رجلٌ منهم ثوبه على خراش حين شَغِلَ القوم بقتل عروة ثم قال : انجُ .
وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا سَلَمَوْه إليه ^(٤) فقالوا : أين
خراش ؟ فقال : أفلت منى فذهب . فسعى القوم فى أثره فأعجزهم ، فقال
أبو خراش فى ذلك يَرثى أخاه عروة ويذكر خلاص ابنه خراش :

حمدتُ إلهى بعد عروة إذ نجا الأبيات اهـ

وذكر التبريزى (فى شرح الحماسة) بعد نقل هذين القولين عن المبرد
أيضاً ، أن مُلقَى الرِّداء كان مجتازاً بعروة ، فرآه بادية العورة مصروعاً ،

(١) بعده فى الكامل : «وحسن يسن ، وعطشان نطشان ، وأجمع أكنع» .

(٢) الكامل : «لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه» .

(٣) فى النسختين : «ذات الأقيّر» بالياء ، صوابه بالياء مع هيئة التصغير ، كما فى معجم البلدان
«الأقيّر» .

(٤) فى الأغاني ٢١ : ٤٣ : « وكانوا أسلموه اليه » .

ف فعل به ذلك . قال التبيزي : قد روى فيما حُكي عن الأصمعي وأبي عبيدة
أنهما قالاً : لانعرف من مدح من لا يعرفه غير أبي خراش .

وقد سلك من شعراء الإسلام مسلكه أبو نواس ، في أبيات أولها :
ودارِ ندَامِي عطَّلُوها وأدْجَوا بها أثراً منهم جديدٌ ودارسُ
مَسَاحِبٍ من جَرِّ الزُّفَاقِ على الثرى وأضغاثُ رِجَاحٍ جَنِيٌّ ويابسُ
ولم أدرِ من هم غيرَ ما شهدت لهم بشرقٍ ساباطِ الديارِ البساسِ

وقوله : « حمدتُ إلهي بعد عروة » إلخ قال ابن جني (في إعراب
الحماسة) : إذْ بدلٌ من بعدَ عروة ، والمعنى : أشكر الله بعد ما اتَّفَق من قتل
عروة على تخلُّص خراش ، وبعض الشرِّ أخفُّ من البعض ، كأنه تصوُّر قتلها
جميعاً لو اتَّفَق ، فرأى قتلَ أحدهما أهون .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) وأخذه التبيزي (في شرحها) :
فإن قيل : ليس في الشرِّ هين ، وأفعل هذا يستعمل في مشتركين في صفة (١)
زاد أحدهما على الآخر ، فكيف يجوز هذا ولا هينٌ في الشرِّ ؟ وجوابه أن هذا
كلامٌ محمول على معناه دون لفظه ، وذلك أنه إن كان هناك حالٌ تهوُّن الشرِّ
من صبرٍ عليه أو احتساب ، أو طلب ذكر أو ثواب ، فإنه أيضاً مراتبٌ ،
وليس بجاري على سنن واحد .

وقال التبيزي : قلت (٢) : إنَّ للشرِّ مراتب ، فإذا جئت إلى آحادها

(١) ط : « وأفعل هذا في مشتركين يستعمل في صفة » ، صوابه في ش كما هو في شرح الحماسة
للتبيزي ٢ : ٢٨٢ . وفي إعراب الحماسة الورقة ١١٠ : « إنما يقال هذا أفعل من هذا في الصفة يشترك فيها
الموصوفان ثم يزيد فيها أحدهما على صاحبه » . والنص هنا بعده مطابق لنص ابن جني في
إعراب الحماسة .

(٢) في النسختين : « قال » ، والوجه ما أثبت من شرح التبيزي .

وقد تصوّرتَ جملها ورُتّبَ الآحادِ فيها ، وجدتَ كلَّ نوعٍ منها بمضامّته للغير له حالٌ في الخفة والثقل . وإذا كان كذلك فلا يمنع أن يوصّف منه شيء بأنّه أهونٌ من غيره .

٤٦٠

وقوله : « فوالله ما أنسى » إلخ رواه القارى (١) : « فوالله لا أنسى » .
وقوسى بالقاف والقصر ، قال المبرد (في الكامل) : هو بلدٌ تحله ثمالة بالسّراة : وقال القالى (في المقصور والممدود) وتبعه أبو عبيدة (في معجم مااستعجم) : هو موضعٌ ببلاد هذيل ، وفيه قتل عروة . وأنشد هذا البيت .
وهذا خلاف الصواب .

وأخطأ أبو عبيدة في قوله : عروة أخو أبى كبير . وقال أبو عبيد أيضاً (في شرح أمالى القالى) : إن قوسى رواه أبو على القالى بفتح القاف ، وغيره يأبى إلّا ضمّها . وقال (في معجم مااستعجم) : بفتح أوله وضمه معا .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : إن قوسى بفتح القاف وسكون الواو وسين مهملة ثم ألف مقصورة ، تكتب ياء : بلد بالسّراة ، وبه قتل عروة أخو أبى خراش الهذلى .

ورزئته بالبناء للمفعول ، أى أصبت به . قال المرزوقى وتبعه التبريزى : تعلق الباء من قوله بجانب بقتيلاً ، كأنه قال : ما أنسى قتيلاً على الأرض بجانب قوسى رزئته ، ورزئته وبجانب جميعاً صفة للقتيل ، وقد دخله بعض الاختصاص بذكرهما . اهـ . فأراد بالتعلّق التعلّق المعنوى ، وهو كونه صفة كما صرّح به في آخر الكلام .

(١) انظر ماسبق في حواشى الجزء الأول من الخزانة ص ٢٧٥ . وللقارى هذا شرح على ديوان

الهذليين .

وقد غفل عنه الدماميني (في الحاشية الهندية) فقال : قال المرزوق في الباء من قوله بجانب : يتعلّق بقتيلا . الظاهر أنه لايعنى قتيلا المذكور ؛ لأنّ وصفه مانع من إعماله ، وإنّما يعنى قتيلاً محذوفا . أى رزئته حالة كونه قتيلاً بجانب قوسى . هذا كلامه .

وقوله : « مامشيتُ على الأرض » قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) ، وأخذه التبريزى : مامع الفعل فى تقدير مصدر ، وحذف اسم الزمان معه ، كأنه قال : مدّة مشيى على الأرض ، وإن أمش على الأرض . وفى الكلام نيّة الشرط والجزاء ، كأنه : قال لأنسى قتيلا رزئته إن مشيت على الأرض . ومعناه إن بقيتُ حياً . فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل ، لأنّ مامشيت على الأرض فى موضع مأمشى على الأرض .

وقوله : (على أنها تعفو الكلوم) إلخ قال التبريزى : هذا يجرى مجرى الاعتذار منه ، والاستدراك على نفسه فيما أطلقه من قوله : لأنسى قتيلا رزئته . والضمير للقصة ، وخبر إنّ الجملة بعدها . ولو قال على أنه لجاز ، وكان الضمير للشأن . ويعنى بالكلم الحزّة عند ابتداء الفجيرة . اهـ

(وتعفو) : تمنحى وتذهب وتبرأ ، من عفا المنزل يعفو عَفُواً وَعُفُواً وَعَفَاءً بالفتح والمد ، بمعنى درس وانمحى . ويأتى متعدّياً ، يقال عَفَتْه الريح بمعنى مَحَتْه . وليس بمراذٍ هنا .

وقوله : (نوكل^(١)) بالبناء للمفعول ، يروى بالنون وبالمنشة التحتية ، من وكّلته بأمر كذا توكيلا ، إذا فوّضته إليه ، أى ألزمته به إلزاماً . والأدنى : الأقرب ، أى الرزى الأقرب . قال القارى^(٢) : يقول : إنما نخزن على الأقرب

(١) انظر ماسبق فى حواشى ٤٠٥ .

(٢) ش : «القالى» مع أثر تغيير . وانظر الحاشية السابقة فى ٤١٠ .

فالأقرب ، وَمَنْ مضى نَسِينَاهُ ولو عظم ماضى . ومثله :

حادثٌ مأمْنِي يَعُولُك والـ أقدمُ تنسَاهُ وإنْ هُوَ جَلَّ (١)

انتهى .

قال أبو عُبيد البكرى (٢) (في شرح أمالي القالى) : قال الأصمعى :

هذا بيت حكمة (٣) .

وقد أَلَمَ بهذا البيت أبو بكر بن دريد من قصيدة أوردها القالى فى ذيل

أماليه :

بلى ، غير أنَّ القلبَ ينكوهُ الأسى الـ حُلُمٌ وإنْ جَلَّ الجوى المتقدِّمُ (٤)

وضدُّ هذا قول هشام فى أخويه : أوفى ، وغيلان ذى الرمة :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغِيلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفُنُ الْعَيْنِ مَلَّانَ مُتَرَعُّ

وَلَمْ يُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيئَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَاءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ (٥)

قال التبريزى : موضع (٦) (على أنها) نصبٌ على الحال ، والعامل فيه

مأنسى . وهذا كما تقول : ما أترك حقَّ فلان على ظُلْعٍ لى ، كأنَّ التقدير :

(١) ش : « حادث مايشى بعولك » . ومنى ، أى قُتِر . بعولك : يغلبك ويثقل عليك ويهملك .

(٢) سمط اللآلىء ٦٠١ .

(٣) فى النسختين : « أبو بكر » فقط ، والتصحيح للشنقيطى فى المخطوطة .

(٤) فى النسختين : « ينكوه الأسى » ، صوابه من ذيل أمالى القالى ٣ : ١٢ .

(٥) ط : « ولكن نكاء » ش : « ولكن نكا أ » ، كلاهما محرف .

(٦) ط : « قال التبريزى فى موضع » .

أؤذيه ظالعا . فعلى هذا يجيء : ما أنسى قتيلا رزئته على عفاء الكلوم ، أى أذكره عافياً جرحى كسائر الجراح (١). اهـ

قال ابن الحاجب (فى أماليه على أبيات المفصل) : إن «على» هذه تقع فى شعر العرب وكلامهم كثيراً ، والمعنى فيها استدراك وإضراب عن الأول . ألا ترى أنك إذا قلت لا يدخل فلان الجنة لسوء صنيعه ، على أنه لا يأس من رحمة الله ، كان استدراكاً لما تقدّم وإضراباً عن تحقيقه . وكذلك قوله فى البيت الذى قبله :

* فوالله ما أنسى قتيلا رزئته *

البيت

ثم قال : على أنها تعفو الكلوم . لأنّ المعنى : على أن العادة نسيان المصائب إذا تطاولت ، والحزن (٢) على ما كان من المصائب قريب العهد . وهذا إضراب واستدراك لما تقدّم من قوله: أنسى . وكذلك قوله ، وهو أيضاً فى الحماسة :

وقد زعموا أنّ المحبّ إذا دنا
يُملّ وأنّ النأى يشفى من الوجد (٣)
بكلّ تداوينا فلم يُشَفّ ما بنا
على أنّ قرب الدار خير من البعد
على أنّ قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهوّه ليس بذى ودّ

(١) الذى فى التبريزى : « عافيا كلمى كسائر الكلام » . والكلم : الجرح .

(٢) ط : « والجزاء » - صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) من الحماسيه ٥٠٣ بشرح المرزوق ص ١٢٩٩ . وهى لابن الدّمينة .

فقلوه : « بَكَلٍ تداوينا فلم يشف مابنا » ثم قال « على أن قرب الدار خير من البعد » كالإضراب عن الأول ، لأن المعنى : فلم يحصل لنا شفاءً أصلاً ، وإذا كان قرب الدار خيراً في المعنى المراد ، ففيه شفاءً أو بعض شفاء أصلاً . وكذلك قوله : « على أن قرب الدار خير من البعد » ، فاستدرك أنه لا يكون خيراً إلا مع الودّ ، فأبطل العموم المتقدم في قوله قرب الدار خير من البعد . هذا معناها ، وأما تعلّقها على الوجه الإعرابي فيحتمل أمرين : أحدهما أن تتعلق بالفعل المتقدم قبلها كما تعلقت حاشا الاستثنائية بما قبلها لكونها أوصلت معنى ما قبلها إلى ما بعدها على وجه الإضراب والإخراج . وأظهر منه أن يقال إنها في موضع خبر محذوف ^(١) ، كأنه قيل : والتحقيق على أن الأمر كذا . فتعلّقها بمحذوف كما يتعلق كل خبر جارٍ ومجرور ، لأنّ الجملة الأولى وقعت عن غير تحقيق ، ثم جرى بما هو التحقيق فيها . وحذف المبتدأ لوضوح المعنى . اهـ

وقد لخص ابن هشام (في المغني) هذا الكلام في على . والعجب من ابن هشام فإنه ذكر (في شرح شواهد) ماقاله التبريزي من كون على أنها تعفو حال وعامله لأنسى ، وغفل عن كلام المغني هذا .

والذي رواه أبو بكر القاري (في أشعار الهذليين) ، والمبرد (في الكامل) ، وأبو على القالي (في أماليه) ، وابن جنّي (في المحتسب) : « بلى ^(٢) إنها تعفو الكلوم وإنما » .

(١) كذا في النسختين ، أي خبر مبتدأ محذوف .

(٢) ط : « لتعلّقها » ، صوابه في ش .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عاصم الحلواني القاري ، تلميذ المبرد والسكري . وتوفي سنة ٣٣٣

كما في تاريخ بغداد ٥ : ٧٦ . وانظر فهرست ابن النديم ١١٩ وإنباه الرواة ١ : ٩٨ ومعجم الأدباء ٤ :

(٤) ط : « على » ، صوابه مأثبات من ش ، وهو الثابت فيما ذكر من المراجع .

قال أبو عبيد البكري (فيما كتبه على أمالي القالي) : هذا رجوعٌ من قوله الأول إلى ماهو أصح .

وقال ابن جنى عند توجيه قراءة الأعرج وغيره : ﴿ يا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَاد ﴾ ^(١) من سورة يس ، ساكنة الهاء : قالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ ^(٢) : هو كقولك : لا والله ، وبلى والله ، فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبُّت فيه والإشباع له ، والمماطلة عليه ^(٣) من قول الهذلي : .

٤٦٢

* فوالله لأنسى قتيلاً رزئته * البيت

أفلا ترى إلى تَطْعَمِكَ ^(٤) هذه اللفظة في النطق هنا بها ، وتطعك لإشباع معنى القسم عليها . وكذلك أيضاً قد ترى إلى إطالة الصوت بقوله من بعده :

بلى إنَّها تغفو الكلام البيت .

أفلا تراه لما أكذب نفسه وتدارك ما كان أفرط فيه لفظه ، أطال الإقامة على قوله بلى ، رجوعاً إلى الحق عنده ، وانتكاثاً عما كان عقد عليه يمينه . فأين قوله هنا فوالله ، وقوله بلى ، منهما في قوله : لا والله وبلى والله . وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ ^(٥) ، أى وكذمتوها وحققتموها . انتهى كلامه .

(١) الآية ٣٠ من سور يس . وانظر المحتسب ٢ : ٢٠٨ .

(٢) البقرة ٢٢٥ والمائدة ٨٩ .

(٣) عليه ، ساقطة من ش .

(٤) تطعم الكلام : تذوقه . ش « تنطعك » وما أثبت من ط يطابق ما في المحتسب .

(٥) المائدة ٨٩ .

وقوله : « ولم أدرِ مَنْ ألقى عليه رداءه » إلخ ، قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : مَنْ هنا استفهام ، وخبرها ألقى . ويجوز أن تكون موصولة فتكون منصوبة الموضع بأدرى على حدِّ قولك : مادريت به ، ثم تحذف حرف الجر (١) . ولا يحسن أن تكون نكرة وألقى صفةً لها ؛ لأنه يصير المعنى لم أدر إنساناً ألقى عليه رداءه (٢) ، وهذا ربما أوهم أنه لم يلقِ أحدٌ منهم رداءه . والأمر بضدِّ ذلك . اهـ

وقوله : « على أنه قد سلَّ » قال التبريزى : موضع على نصبٌ على الحال كأنه قال : لا أدريه مسلولاً عن ماجد محض . وروى فى الحماسة : « سوى أنه » وهو استثناءٌ منقطع ، والمعنى لأعرف اسمه ونسبه ، لكنّه ولّد كريم بما ظهر من فعله .

قال القارى : لما صرَّع خِرَاش ألقى عليه رجلٌ ثيابه فواراه ، وشُغِلوا بقتل عروة فنجا خِرَاش . والرجل الذى ألقى عليه ثوبه من أزد شنوعة ، فقال : لأدرى مَنْ ألقى عليه ثيابه ولكنه سلَّ عن ماجدٍ محض ، يعنى الرداء . والماجد المحض ، أى خالص النسب ، هو الذى ألقى عليه ثوبه . اهـ
فالمسلول على هذا هو الرِّداء لا الولد كما قال التبريزى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : فى هذا البيت ثلاثة أقوال : قال قوم : إنَّ عروة لما قتل ألقى عليه رداءه رجلٌ من القوم فكفَّنه به . وقال آخرون : بل الذى ألقى عليه الرجل هو خِرَاش (٣) . وذلك

(١) بعده فى إعراب الحماسة ١١١ : « فيقضى الفعل إليه فينصبه » .

(٢) ط فقط : « رداء » ، بدون هاء .

(٣) فى اللآل ٦٠١ : « بل الذى ألقى عليه الرجل رداءه هو خِرَاش » .

أَنَّ رجلاً من ثَمَالَةَ ألقى عليه رداءه لِيَحْفَى عليهم ، وقد شغل القوم بقتل عروة فقال : اهْرُبْ . وعطف القوم عليه فلم يروه . وقيل : بل ألقى رجلٌ عَلَى خراش رداءه إجارةً له ؛ وكذلك كانوا يفعلون .

وهذا مثل قول بعضهم ^(١) يذكر رجلاً من عليه :

ولمَّا رأيت رأيت أَنَّهُ مُتَعَبِّطٌ

دعوتُ بنى بدر وألحقته بُردى ^(٢)

انتهى .

وقد تقدّم هذا الأخير عن المبرد .

وقوله : « ولم يك مثلوج الفؤاد » إلخ قال القارى : أى لم يكن مثلوج الفؤاد ضعيفه ، أى بارد الفؤاد . والمثلوج : البارد . يقال للرجل إذا لم يكن ذا رأى وحزم : ما أبرد فؤاده وما أخلاه ! من ذاك . وقال التبريزى : كأنه أصاب فؤاده ثلج فبردت حرارته . والمهْبَج ، بفتح الموحدة المشددة بعدها جيم ، قال القارى : هو المثقل الكثير اللحم المنتفخ الوجه . وقال التبريزى : هو المرهّل اللحم المتغير اللون . والرَّيْلَة ، بفتح الراء المهملة بعدها موحدة ، قال القارى : يقال إنها التَّعْمَة والخِصْب . وإنه لرَبْلُ اللحم ، إذا كان رطب اللحم . وليس عندي كما قالوا ، لِبَيْتٍ سمعته ، وهو :

(١) هو البريق الهذلى ، كما فى اللآلئ . وانظر شرح أشعار الهذليين للسكرى ٧٥٤ .

(٢) المتعبط : المقتول على غير علة . وفى النسختين : « متغيظ » صوابه فى اللآلئ وشرح أشعار

الهذليين . ورواية عجزه فى أشعار الهذليين :

* دعوت بنى زيد وألحقته جردى *

وقال : بنو زيد من هذيل . وقال أيضا : والجَرْدُ : الثوب الخلق .

رَبَّلْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ لِنَبْتَغِيَ الْبَوَا

وَلَا مَنْ وَتَرْنَا يُسْتَفَادُ وَتِيرُ (١)

فالرَّييلة : الكثرة والشدة . يقال ربل بنو فلان إذا كثروا . والوتير : المتور . والبواء : أن يُقتل الرجل بالرجل . اهـ

وقال التبريزي : الرَّييلة : الرطوبة والسَّمَن . يقال رجل ربل . ومعنى الشعر أنه رجع إلى صفة عروة فقال : كان ذكئ الفؤاد شهماً ، لم يكن ممن ضيَّع شبابه في صلاح البدن . وهذا أولى ، لشيئين : أحدهما قوله ولم يك ، لأنه يدلُّ ظاهره على أنه نعت فائت . والآخر وصفه بأوصاف لا يوصف بها من لا يعرف . ولا يعدل عن هذا الوجه ، وإن كان قد ذكر أنه (٢) من صفات الذي أنجى خراشا . اهـ

والخَفَضُ : الدعة والراحة .

وقوله : « وَلَكِنَّهُ قَدْ نَازَعْتَهُ » إلخ قال التبريزي : ويروى « وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحْتَهُ مَخَامِصٌ » . ولَوَّحْتَهُ : غَيَّرْتَهُ . والمخامص : جمع مَخْمَصَةٍ ، وهي خلاء البطن من الطعام جوعاً . والمجاوع مثل المَخَامِص ، وإنما أثرت فيه المجاوع ، لأنه إذا سافر أثر صحبه على نفسه بزياده ويَجُوع (٣) . وقوله : « صَادِقُ النَّهْضِ » ، يعنى النهوض للمكارم والعلا ، لا يكذب فيها إذا نهَض لها .

(١) البوا : مقصور البواء كسحاب ، وهو التساوى والتكافؤ في الأموال والأقدار والدماء . وفي ش : « على الأعداء نبتغي البوا » . ولا يستقيم به الوزن .

(٢) في النسختين : « بأنه » ، صوابه من التبريزي . وفي التبريزي : « من صفة » بالإفراد .

(٣) في التبريزي : « بزياده فيشبعهم ويجوع » .

هذا مأورده صاحب الحماسة وغيره ، وزاد أبو بكر القارى ، والمبرد
(فى الكامل) بعد هذا بيتين ، وهما :

(كأنهم يَشْبَثُونَ بطائرٍ

خفيف المشاش عظمه غير ذى نحض)

قال القارى : يقول : هؤلاء الذى يَعْدُونَ خَلْفَ خراش كأنهم يتعلّقون
بطائر خفيف المشاش ، أى ليس بكثير اللحم . يقال لكل ما استُخِفَّ
وخَفَّ : إنّه لخفيف المشاش ، بضم الميم . والطائر : العقاب . ثم قال :
« عظمه غير ذى نحض » أى هو خفيف ليس بمثقل . والنحض : اللحم .
اهـ . وهو بفتح النون وسكون الحاء المهملة . وَيَشْبَثُونَ أصله يَتَشَبَثُونَ .
وروى المبرد : « كأنهم يَسْعَوْنَ فى إثرِ طائرٍ » . وهذا البيت يؤيد ما اختاره
التبريزى من أنّ الكلام فى وصف خراش

(يُبادر جُنَحَ اللَّيْلِ فهو مُهابذٌ

يُحْتُ الجناح بالتبسُّط والقبض)

قال القارى : فهو مُهابذ ، يعنى الطائر . والمهابذ : السَّريع ، فهو جادٌ
ناج . وأصله من مَرَّ يُهْذِبُ إهذاباً ، ولكنه قَلَبَ . والقبض : أنَّ يَقْبِضَ
جناحيه . وقال لى الأصمعى : سمعتُ ابن أبى طرفة ينشد : « مُهابذ » وإنما أراد
مُهابذ ، فقلبه فقال : مُهابذ . يقال : مَرَّ يُهْذِبُ إهذاباً ، إذا عدا عدواً
شديداً . وقد سمعت غيره يقول : مُهابذ أى جاد . اهـ

قال المبرد : وقوله : فهو مهاذب ، يقول : مجتهد . وهذيلٌ فيها سعىٌ
شديد وفى جماعةٍ من القبائل (١) التى تحلُّ بأكناف الحجاز .

* * *

(١) فى النسختين : « فيها سعى شديد فى جماعة القبائل » . ولأكمال النص من الكامل ٣٣٨ .

وأنشد بعده :

(إِنَّ مِنْ يَدْخُلِ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا
يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءً)

على أَنَّ اسمَ إِنَّ ضميرَ شأنٍ محذوف ، والجمله بعدها خبرها . وإنما لم يُجعل مَنْ اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر في جملته ، فلا يعمل فيه ما قبله .

وقد تقدّم الكلامُ على هذا البيت في الشاهد الثامن والسبعين (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد
سيبويه (٢) :

٤٠٧ (إِنَّ مِنْ لَأَمٍ فِي بَنِي بَنَتٍ حَسًّا
نَ الْمُمَّةِ وَأَعَصِيهِ فِي الْخَطُوبِ)

على أَنَّ اسمَ إِنَّ ضميرَ شأنٍ محذوف .

قال سيبويه في باب ما يكون فيه الأسماء التي يجازى بها بمنزلة الذي ،
وذلك قولك : إِنَّ مِنْ يَأْتِينِي آتِيهِ ، وكان مِنْ يَأْتِينِي آتِيهِ ، وليس مِنْ يَأْتِينِي
آتِيهِ . وإنما أذهبَ الجزاء هنا لأنك أعملت كان وإنَّ ، ولم يسعُ لك أن تدعَ
كان وإشباهه معلقةً لأتعملها في شيء ، فلما أعملتهن ذهب الجزاء ولم يكن
من مواضعه. ألا ترى أنك لو جئت بِإِنَّ ومتى، تريد إِنَّ إِنَّ وَإِنَّ متى

٤٦٤

(١) الخزائن ١ : ٤٥٧ .

(٢) في كتابه ١ : ٤٣٩ . وانظر أمالي ابن الشجرى ١ : ٢٩٥ والإنصاف ١٨٠ وابن يعيش ٣ :

١١٥ وشرح شواهد المغنى ٣١٢ وديوان الأعشى ٢١٩ .

كان محالا . وإن شغلت هذه الحروف بشيء جازيت فمن ذلك قوله : إنه من يأتنا نأته ، وقال جل وعز : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ^(١)﴾ ، وكنت من يأتني آته . وتقول : كان من يأتنا نُعطه ، وليس من يأتنا نعطه ، إذا أضمرت الاسم في كان أو في ليس ، لأنه حينئذ بمنزلة لست وكنت . فإن لم تضمر فالكلام على ما وصفنا . وقد جاء في الشعر : إن من يأتني آته . قال الأعشى :

إِنَّ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بَنْتِ حَسًّا نَ ... البيت

فزعم الخليل أنه إنما جازى حيث أضمر الهاء ، فأراد : إنه . ولو لم يرد الهاء كان محالاً . اهـ

فعلم أن حذف اسم إن في هذا مخصوص بالضرورة .

وكذلك قال الأعمش : الشاهد في جعل من للجزاء مع إضمار منصوب إن ضرورة .

وقال النحاس : يقدره سيبويه على حذف الهاء ، وهو قبيح . وفيما كتبه عن أبي إسحاق : لم يجوز إن من يأتني آته من جهتين ، لأن من إذا كانت شرطاً واستفهاماً لم يعمل فيها ما قبلها ، ولأن تقديرها تقدير إن في المجازة ، فكما لا يجوز إن أن تأتينا نكرمك ، كذا لا يجوز هذا . فإذا جاء في الشعر فعلى إضمار الهاء . وقال أبو العباس (في الشرح^(٢)) : وأجاز الزيادي : إن من يأتنا نأته ، على غير ضمير في إن . وهذا لا يجوز ، لامتناع الجزاء من أن يعمل فيه ما قبله . اهـ .

(١) الآية ٧٤ من طه .

(٢) شرح أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، وهو الرد على سيبويه .

و(لام) فاعله ضمير مَن الشرطية ، والجُملة في محل جزم لأنَّه شرط ،
و(ألمه) مجزوم ، والأصل أَلومَه فحذفت الواو للساكن ، وهو جزاء الشرط ،
والهاء ضمير من . و(أعصه) معطوف على ألمه ، وأصله أعصيه ، فحذفت الياء
لما ذكرنا في ألمه . و(الخطوب) : جمع حَظَب ، وهو الأمر والشأن .

صاحب الشاهد

والبيت في ديوان الأعشى كذا :

من يلمنى على بنى بنت حساً
ن إلخ
وعليه لاشاهد فيه .

وهو من قصيدة له مدح بها قيساً أبا الأشعث بن قيس الكندي .

أبيات الشاهد

وأولها :

(من ديار هضب كهضب القلب^(١))

فاض ماء الشؤون فيض الغروب

أخلفتني بها قتيلة ميعا

دى وكانت للوعد غير كذوب^(٢)

إلى أن قال :

(من يلمنى على بنى بنت حساً

ن ألمه وأعصه في الخطوب

إن قيساً قيسَ الفَعال أبا الأشـ

عث أمسّت أعداؤه لِشُعوب

(١) كذا . وفي الديوان ٢١٨ : « من ديار بالهضب هضب القلب » .

(٢) في النسختين : « وكان » ، صوابه من الديوان .

ذَاكُم الماجدُ الجواد أبو الأش
 عث أهل الندى وأهل السيوب
 كل عام يمدني بجموع
 عند ترك العنان أو بنجيب
 تلك خيلي منه وتلك ركابي
 هُنَّ صُفْرٌ أولادها كالزبيب)

قوله : «من ديار» إنلخ من تعليلة . والهضب الأول : المطر ، يقال
 هَضَبْتُمُ السَّمَاءَ ، أى مطرتم . وهضب القلب : ماء لبنى قنفذ ^(١) من بنى
 سليم . كذا قال البكري (في معجم مااستعجم) . وهو فى الأصل جمع
 هَضْبَةٍ ، وهو الجبل المنبسط على وجه الأرض . والقلب : البئر ، لأنه قلب
 ترابها . والشؤون : جمع شأن ، وهو مجرى الدَّمع فى العين . والغروب : جمع
 ٤٦٥ غَرَبٌ بفتح المعجمة وسكون المهملة : الدلو العظيمة .

وَقَتِيلَةٌ بالتصغير : اسم امرأة . وقوله: بنى بنت حسان ، وحَسَّان أحد
 تبابعة اليمن .

وقوله : «إن قيسا» إنلخ هو قيس بن معديكرب الكندى ، مات فى
 الجاهلية . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائتين ^(٢) ، وكان يكنى
 بابنه الأشعث .

(١) قنفذ ، بالذال المهملة كما فى معجم مااستعجم طبعة وستنفذ ٥٤٧ . وفى طبعة السقا :

«قنفذ» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفى اللسان : «القنفذ : لغة فى القنفذ حكاهما كراع عن

قطرب » .

(٢) الخزائن ٣ : ٢٣٩ .

قيس والأشعث اسمه معديكرب ، كان أبداً أشعث الرأس ، فسُمِّيَ :
الأشعث . وهو من الصحابة ، وفد على النبي ﷺ سنة عشر وأسلم ، وكان
شريفاً مطاعاً جواداً شجاعاً . وهو أول من مشّت الرجال في خدمته وهو
راكبٌ . وكان من أصحاب عليّ ، رضى الله عنه ، في وقعة صفين ، وقد قاتل
قتالاً شديداً حتى هجم على أصحاب معاوية ودفعهم عن ماء الفرات وأخذه
منهم ، بعد أن مُنع منه أصحاب عليّ رضى الله عنه بليلة . وصلى عليه
الحسن بن عليّ رضى الله عنهما وله من العمر ثلاث وستون سنة .

والفَعَال بفتح الفاء : الكرم والجود . وشُعُوب ، بالفتح : علم للمنية .
والسُّيُوب : جمع سيب ، بفتح السين المهملة وسكون المشاة التحتية ،
وهو العطاء .

يُمَدُّنى من الإمدادِ . والجموم ، بفتح الجيم : الفرس الكثير الجرى .
وقوله : « عند ترك العنان » أى عند تركك تحريكه فى الجرى يعطيك ماعنده
من الجرى عفواً . والنجيب : الجمل الكريم .

وقوله : « تلك خيلي منه » ، أى من قيس . والركاب : الإبل ، لا واحد له
من لفظه ، وإنما يعبر عن واحده بالراحلة . وصُفْر : جمع أصفر بمعنى أسود .
وقد استشهد به البيضاوى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ صَفراءُ فاقعٌ لونها ﴾^(١)
من سورة البقرة . قال : عن الحسن البصرى : صفراء : سوداء شديدة
السّواد ، وبه فسّر قوله تعالى : ﴿ جِمالٌ صُفْر ﴾^(٢) . وقال الأعشى :

تلك خيلي منه وتلك ركابى البيت

(١) الآية ٦٩ من البقرة .

(٢) الآية ٣٣ من المرسلات . وهى قراءة الجمهور . وقرأ حمزة والكسائى وحفص وأبو عمرو :

« جمالة » بالافراد . تفسير أبى حيان ٨ : ٤٠٧ .

ولعله عبّر بالصفرة عن السّواد ، لأنها من مقدّماته ، أو لأنّ سواد الإبل يعلوه صفرة . وفيه نظر ، لأنّ الصفرة بهذا المعنى لا تؤكّد بالفقوع . انتهى . وهذا اعتراضٌ على تفسير الصفرة في الآية بالسّواد . وأما البيت فسكت عنه .

واعترضه صاحب الكشف ^(١) من وجهين : الأول أنّ الزبيب الغالب عند العرب الطائفي ، وهو إلى الصفرة أقرب منه إلى الحمرة . والثاني جواز أن يراد : هُنَّ صُفَرٌ وأولادها سود . وأجيب عن الأول بأن تشبيه الشيء بالزبيب صار علماً في الوصف بالسّواد في لسان الفصحاء ، وكون بعض أفرادهم أصفر وأحمر لا يقدح في ذلك . وعن الثاني بأنّ الظاهر من العبارة كون أولادها فاعلاً لصفّر ، أو كون هُنَّ صفر جملةً وأولادها كالزبيب أخرى ، فبعيدٌ لا يتبادر إلى الفهم السليم .

وترجمة الأعشى قد تقدمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الأربعمئة ، وهو من أبيات المفصّل ^(٣) :

(١) في النسختين : «صاحب الكشف» ، والوجه مأثبات ، وليس من المعقول أن يعترض الرّحمتي المتوفى سنة ٥٣٨ على البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ . كما أن هذا الكلام لم يرد في تفسير الرّحمتي إن فرض أنه اعترض على القول لأعلى القائل . أما صاحب الكشف هذا فهو عمر بن عبد الرحمن الفارسي القزويني المتوفى سنة ٧٤٥ .

(٢) الخزائن ١ : ١٧٥ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٧١ ، ٧٣ . وانظر المنصف ٣ : ١٢٨ والإنصاف ٢٠٥ والمقرب ٢٠ وشرح شواهد المغنى ٣٩ والعينى ٢ : ٣١١ والجمع ١ : ١٤٣ والأشمونى ١ : ٢٩٠ .

٤٠٨ (فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي)

تمامه :

(طَلَاكَ لَمْ أَبْخُلْ وَأَنْتَ صَدِيقٌ)

٤٦٦

على أَنَّ إعمال أَنَّ المخففة في الضمير البارز شاذٌّ. وفيه شذوذ آخر ، وهو كون الضمير غير ضمير الشأن ، لأنهم قالوا : إِنَّ أَنَّ إِذَا خَفَّفْتَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ اسْمُهَا ضَمِيرًا غَائِبًا وَأَنْ يَكُونَ ضَمِيرَ شَأْنٍ . قال سيبويه في الباب السابق ، بعد قول الأعشى :

في فتية كسيوف الهند قد علموا

أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَخْفَى وَيَتَعَلُّ

يريد معنى الهاء ^(١) ، ولا يخفف أَنْ إِلَّا عليه ، كما قال : قد علمت أَنْ لايقول ، أى أَنَّهُ لايقول ، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ^(٢) ﴾ وليس هذا بقوي في الكلام كقوة أَنْ لايقول ، لأنَّ لا عوض من ذهاب العلامة . ألا ترى أَنَّهُم لا يكادون يتكلمون بغير الهاء فيقولون : قد علمت أَنْ عبد الله منطلق . انتهى .

وقال الفراء (في تفسيره ^(٣)) من سورة الحجر ، عند الكلام على حذف نون الوقاية : وقد خففت العرب النون من أَنَّ الناصبة ثم أنفذوا لها عملها ، وهى أشدُّ من ذا . قال الشاعر :

(١) في سيبويه ١ : ٤٤٠ بولاق : « فهذا يريد معنى الهاء » .

(٢) الآية ٨٩ من سورة طه .

(٣) معاني الفراء ٢ : ٩٠ .

فلو أُنْكِ في يوم الرِّخاءِ سَأَلْتَنِي
فِرَاقَكَ لم أَبْخُلْ وَأَنْتِ صَدِيقُ
فَمَا رُدُّ تَزْوِيجٍ عَلَيْهِ شَهَادَةٌ
وَلَا رُدُّ مِنْ بَعْدِ الْحَرَارِ عَتِيقُ
وقال الآخر (١):

وقد علم الضَّيْفُ والمَرْمِلُونُ
إِذَا اغْبَرَّ أَفْقٌ وَهَبَّتْ شَمَالًا
بَأُنْكَ رِبْعٌ وَغَيْثٌ مَرِيعٌ
وَقَدَمًا هُنَاكَ تَكُونُ الثَّمَالَا
انتهى .

وظاهره أنها تعمل مطلقاً كالمثقلة . ونقل ابن المستوفى عنه (في شرح
أبيات للفصل) : لم يسمع من العرب تخفيف أن وإعمالها إلا مع المكنى ،
لأنه لا يتبين فيه الإعراب ، فأما مع الظاهر فلا . ولكن إذا خففوها رفعوا .
انتهى .

ومنه تعلم أن نقل ابن هشام (في المغنى) عن الكوفيَّين أنهم زعموا أنها
إذا خففت لاتعمل شيئاً غير صحيح . وتحريه أن اسمها إذا كان ظاهراً لاتعمل
شيئاً .

والبيت خطابٌ لزوجته في طلبها الطلاق ، ويريد بيوم الرخاء قبل إحكام
عقد النكاح ، بدليل البيت الثاني .

(١) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب ، كما سيأتى في الشاهد ٨٦٩ .

وبه يسقط قول الدماميني (في الحاشية الهندية على المغني) : إنّ الشاعر خاطب امرأته واصفاً نفسه بالجود . وقوله : « في يوم الرخاء » من التثمين . وكذا قوله : « وأنت صديق » ؛ لوقوع كلٍّ منهما في كلام لا يفيد خلاف المقصود مفيداً لثبوتها ، وهي المبالغة في الانّصاف بالجود . ويحتمل أن يكون مراده وصف نفسه بمحبته هذه المرأة ، وأنه قد يؤثر ما يختاره هو ، حرصاً على رضاها وحصول مرادها . انتهى .

وتبعه العيني فقال : إنّه يصف نفسه بالجود حتى لو سأله الحبيب الفراق مع حبه لأجابه إلى ذلك وإن كان في الدعة والراحة ، كراهة ردّ السائل . وإنما خصّ يوم الرخاء لأن الإنسان ربما يفارق الأحباب في يوم الشدة . هذا كلامه . ونقل السيوطي (في شرح شواهد المغني) كلام العيني .

وزعم بعضهم أن الخطاب لمذكر ، وروى : « فراقك » بدل « طلاقك » . وهذا كله ناشئ من عدم الاطلاع على البيت الثاني . ويوم الرخاء متعلق بسألتني ، وطلاقك مفعوله الثاني ، والجمله خبر أن الخففة ، ولم أبخل جواب لو ، وجمله أنت صديق حال من ضمير أبخل .

فإن قلت : كان الواجب أن يقول وأنت صديقة ؟ قلت : قال الشارح المحقق (في شرح الشافية) عند الكلام على جمع الصفة جمع تكسير : وقد جاء شيء من فاعيل بمعنى فاعل مستوياً فيه المذكر والمؤنث ، حملاً على فاعيل بمعنى مفعول نحو : جديّد وسديس ، وريح خريق ، ورحمة الله قريب . ويلزم ذلك في سديس وخريق . انتهى .

وقال صاحب العباب : قد يقال للواحد والجمع والمؤنث ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ صَدِيقُكُمْ ^(١) ﴾ أي أصدقاؤكم . وقال :

(١) الآية ٦١ من سورة النور .

نَصَبْنَ الهوى ثم ارتَمَيْن قُلُوبَنَا

بَأَعْيُنٍ أَعْدَاءٍ وَهَنَّ صَدِيقُ (١)

وَأَنشَدَ اللَّيْثُ (٢):

إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بَعْزَةٌ

وَإِذَا أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مَسَاعِفُ (٣)

انتهى . وَالْحَرَّارُ بَفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : مُصْدَرُ حَرٍّ يَحَرُّ ، مِنْ بَابِ
تَعَبَ ، أَيْ صَارَ حُرًّا .

وَالْبَيْتَانِ أَنَشَدَهُمَا الْفَرَّاءُ وَلَمْ يَعِزَّهُمَا لِأَحَدٍ .

(١) لجرير في ديوانه ٣٩٨ واللسان (صدق ٦٣) ورواية الديوان : « دعون الهوى » .

(٢) ط : « وَأَنشَدَ الْبَيْتَ » ، صوابه في ش .

(٣) لَكُوسُ بْنُ حَجَرٍ فِي دِيَوَانِهِ ٧٤ . وَانْظُرِ الْلسَانَ وَالتَّاجَ (سَعْف) وَنَوَادِرَ الْمَخْطُوطَاتِ ١ : ١٥٩ .

وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « إِذَا النَّاسُ » . صوابه من المراجع السابقة . والمعروف في الرواية : « بَغْرَةٌ » ، كَمَا فِي الْلسَانِ وَالنَّوَادِرِ .

اسم الإشارة

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد الأربعمئة ، وهو من أبيات
المفصل^(١):

٤٠٩ (دُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى

والعيش بعد أولئك الأيام)

على أن (أولاء) يشار به إلى جمع ، عاقلا كان أو غيره كما فى البيت ؛
فإنَّ أولاء أشير به إلى الأيام ، وهو جمعٌ لغير مَنْ يعقل . وكذا قوله تعالى :
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

وأورده صاحبُ الكشف عند هذه الآية أيضا .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويرى : (الأقوام) بدل (الأيام)
فلا شاهد فيه . وزعم ابن عطية أنَّ هذه الرواية هى الصواب ، وأنَّ الطبرى
غلطَ إذ أنشده: «الأيام» ، وأنَّ الزجاج تبعه فى هذا الغلط . انتهى .

قلت : رواه محمد بن حبيب (فى النقائض^(٣)) ، ومحمد بن المبارك (فى
منتهى الطلب من أشعار العرب) : «الأقوام» كما قال ابن عطية .

(١) ابن يعيش ٣ : ١٢٦ ، ١٣٣ / ٤ : ٣٦ ، ٣٧ / ٩ : ١٢٧ ، ١٥٩ . وانظر المقتضب ١ :
١٨٥ وشرح شواهد الشافعية ١٦٧ والعينى ١ : ٤٠٨ والتصریح ١ : ١٢٨ والأشمونى ١ : ١٣٩ ، وديوان
جرير ٥٥١ .

(٢) الآية ٣٦ من الاسراء .

(٣) النقائض ٢٦٩ .

وهو من قصيدة لجريز بن الخطّفى ، هجا بها الفرزدق ، وعدّها ستة صاحب الشاهد
وعشرون بيتاً . ومطلعها :

(سَرَبِ الهمومُ فَبِتَنَ غَيْرَ نِيَامِ
وأخو الهموم يرومُ كلَّ مَرَامِ
ذمُّ المنازل بعد منزلة اللوى ... البيت)
وقال بعد بيتين :

(فإذا وقفتُ على المنازل باللوى
فاضت دموعى غيرَ ذاتِ نظامِ
طَرَقْتُكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا
حِينَ الزِيارَةِ فارِجِعى بِسلامِ
تُجْرِى السَّوَاكُ على أَغَرَّ كَأَنَّهُ
بَرْدٌ تَحْدَرُ من متون غمامِ
لولا مَراقِبَةُ العيونِ أَرَيْنَا
مُقَلَّ المَها وسوَالفَ الآرامِ)

ثم بعد أن تغزّل بأبياتٍ شرعَ فى هجو الفرزدق فقال :
(إنَّ ابنَ آكلةِ التُّخالةِ قد جَنَى
حَرَباً عليه ثَقِيلَةً الأَجرامِ
لُحِقَ الفرزدقُ سَوءَةً فى مالِكِ
ولِخَلْفِ ضَبَّةٍ كانَ شَرَّ غلامِ^(١))

(١) فى النسختين : «لحق الفرزدق» ، صوابه من الديوان . وفى ط : «سورة فى مالِك
والخلف» ، صوابه من ش والديوان .

مهلاً فرزدق إن قومك فيهم
 خور القلوب وخفة الأحلام
 الظاعنون على العمى بجمعهم
 والنازلون بشر دار مقام
 لو غيركم علق الزبير بحبله
 أذى الجوار إلى بنى العوام
 كان العنان على أليك محرماً
 والكبير كان عليه غير حرام

٤٦٨

وبعده بيتان هما آخر القصيدة (١)

وقوله : (ذم المنازل) إطلع قال ابن هشام : الأرجح فيه كسر الميم الذى هو واجب إذا فك الإدغام على لغة الحجاز ، ودونه الفتح للتخفيف ، وهو لغة بنى أسد ، والضم ضعيف ووجهه إرادة الاتباع . والمنازل : جمع منزل أو منزلة ؛ فهو كالمساجد والمحامد (٢) . وهذا أولى ، لقوله : (منزلة اللوى) . و(بعد) إما حال من المنازل ، أو ظرف . و(العيش) عطف على المنازل . و(الأيام) صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان .

وقوله : «طرقتك صائدة» إطلع هذا التفات من التكلم إلى الخطاب . والطروق : الإتيان ليلاً . قال ابن هشام : قد عيب عليه طرد خيال محبوبته . وأجيب بأنه طرقة فى حال السفر ، فأشفق عليه من الخطر .
 وقوله : «تجربى السواك على أغر» ، أى على ثغر أغر .

(١) الحق أن بعد هذا البيت سبعة أبيات لابيتين . الديوان ٥٥٣ .

(٢) إذ أن المساجد جمع مسجد ، والمحامد جمع حمدة .

وقوله : «لولا مراقبة العيون» أى الرقباء ، جمع عين وهو الجاسوس .
 وقوله : «إن ابنَ آكلةِ الثُّخَالَةِ» يعنى البعيث . وأراد بآكلةِ الثُّخَالَةِ
 الخنزيرة ^(١) . والبُعِيثُ شاعرٌ من بنى مجاشع . والجرم بكسر الجيم : الجسد ،
 يقال رماه بأجرامه ، أى بجسده .

والخلف بسكون اللام : الردىء من الناس وغيرهم ، وبفتحها : الجيّد
 من الناس ومن كلّ شيء .

وقوله : «الظّاعنون» إلخ معناه أنّهم يركبون مالا ينالون غايته ، وينزلون
 شرّ البقاع لنذلتهم ، لا يميكنون من موضع جيّد .

وقوله : «لو غيركم علقَ الزبير» إلخ الحبل هنا : الذمة . والجوار : المجاورة
 والذمة . وعلقَ الشيء بكذا ، من باب تعب ، وتعلق به ، إذا نشب به
 واستمسك . يريد أن قوم الفرزدق غَدَرُوا بالزبير بن العوام فقتلوه . يقول : لو
 كان فى ذمة غيركم لأدى ذمته إلى بنى العوام ولم يَغدر به .

وملخص سبب قتله أن الزبير لما جاء مع عائشة فى وقعة الجمل ، ذكره على
 رضى الله عنه بقول النبى عليه الصلاة والسلام : «إنك ستحاربه وأنت ظالم له»
 فاسترجع وقال : أذكرتنى شيئاً أنسانيه الدّهر . ثم فارق المعركة آخذاً طريق مكة ؛
 فنزل على قوم من بنى تميم ، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعى فأضافه ثم قال له :
 ياباً عبد الله ، حدّثنى عن خصالى أسألك عنها . قال : هات . قال : حدّثك
 عثمان وبيعتك عليّاً ، وإخراجك أم المؤمنين ، وصلاتك خلف ابنك ، ورجوعك
 عن هذه الحرب ، فظنّنى كلّ شيء إلّا الجبن ! فانصرف وهو يقول : والهفى على
 ابن صفيّة ، أضرمها ناراً ثم أراد أن يلحق بأهله ، قتلنى الله إن لم أقتله .

(١) ط : «الخنزير» . صوابه فى ش .

ثم رجع إليه كالمستنصح . قال : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، دُونَ أَهْلِكَ فَيَافِي ، فَخُذْ نَجِيبِي هَذَا وَخَلِّ فَرَسَكَ وَدِرْعَكَ فَإِنَّهُمَا شَاهِدَانِ عَلَيْكَ بِمَا تَكْرَهُ . وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى تَرَكَ عِنْدَهُ فَرَسَهُ وَدِرْعَهُ ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى وَادِي السَّبَّاحِ ، وَأَرَاهُ أَنَّهُ يَرِيدُ مُسَايَرَتَهُ وَمَوَائِسَتَهُ ، فَقَتَلَهُ غِيلَةً وَهُوَ يَصَلِّي ، وَآتَى بِسِيفِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبَرَهُ بِقَتْلِهِ ، فَبَشَّرَهُ عَلَى النَّارِ . ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ جُرْمُوزَ عَلَى عَلِيٍّ مَعَ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ فَقَتَلَ مَعَ مَنْ قُتِلَ هُنَاكَ .

وهذا البيت أورده المبرد (في الكامل) إلا أنه رواه بنصب «غيركم» قال :
نُصِبَ بِفَعْلِ مُضْمَرٍ يَفْسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ ، لِأَنَّهَا لِلْفَعْلِ ^(١) . وَهُوَ فِي التَّمْثِيلِ : لَوْ
عَلِقَ الزَّيْبِرُ غَيْرَكُمْ . انتهى .

٤٧٩

وأورده أيضاً أبو بكر بن السراج (في الأصول) في باب أَنَّ المفتوحة ،
قال : إِنْ الْأَسْمَاءُ تَقَعُ بَعْدَ لَوْ عَلَى تَقْدِيرِ الْفَعْلِ الَّذِي بَعْدَهَا . فَمِمَّا وَلِيَهَا مِنْ
الْأَسْمَاءِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ ^(٢) ، وَقَالَ جَرِيرٌ :
* لَوْ غَيْرَكُمْ عَلِقَ الزَّيْبِرُ بِجَبَلِهِ *

البيت . انتهى .

والظاهر أَنَّ الرواية عنده بالرفع ، وهو الصحيح لِأَنَّ عِلْقَ لَا يَتَعَدَّى إِلَى
مَفْعُولٍ صَرِيحٍ .

وكذلك رواه ابن هشام (في مغنى اللبيب) عند الكلام عَلَى «لَوْ غَيْرُكُمْ» ^(٣)

(١) في الكامل ١٥٨ : «لأنه للفعل» يعنى أن كلمة «لو» أو لفظها إنما هو للفعل لا تدخل

إلا عليه .

(٢) الآية ١٠٠ من سورة الاسراء .

(٣) ط : «لو» فقط ، وتكلمته من ش .

بالرفع . ويردُّ عليه أنَّ هذا لا يصحُّ ، لأنَّ المتعلق بالحبل الزبير لا غيركم . وقد يوجَّه بأنَّ التعلق من الطرفين : من الزبير بنزوله عندهم ، ومن الغير بحفظ الدمام . وفيه تعسُّف ، والظاهر أنَّ هذا مما حذف فيه كان الشأنيَّة ، كقوله :
* لو في طُهَيَّة أحلامٌ لما عرضوا ^(١) *

وجملة «غيركم علق الزبير بحبله» من المبتدأ والخبر ، خبر كان الشأنيَّة المحذوفة . أو يكون غيركم اسم كان المحذوفة الناقصة ، وجملة علق الزبير في محل نصب على أنَّه خبرها .

وإنما أُطْنِبْتُ في شرح هذا البيت لأنِّي لم أرَ أحداً وفَّى حقَّه من الشُّراح ، حتى إنَّ الدماميني مع جلالته ما فهم معناه ، قال (في الحاشية الهندية على المغني): والذى يظهر أنَّ غرض الشاعر ذمُّ مخاطبيِّه بأنهم لا قوَّة لهم يحكمون بها من التجأ إلى جوارهم . يقول: لو تمسَّك الزبير بذمة غيركم لم يلتفت إلى جوار قومه واستمسك بهؤلاء الذين استجار بهم ، لكونهم من الحماية له بحيث يفوقون عُصبة قومه . يعنى: وأما أنتم فلستم بهذه المثابة ، فلا يعتدُّ الزبير باعتصامكم، بل هو مستمسك بجوار قومه لا يردُّ عليهم ^(٢) لافتقاره إليه وضعفكم .

هذا كلامه على البيت بخلافه ، ولا يخفى أنَّ هذا لامساس له بالبيت، ومنشؤه عدم الاطلاع على القصيدة وغرض الشاعر .

وقوله : «كان العنان على أيك محرَّماً» إلخ أراد عنان الفرس . والكبير : كُور الحدَّاد ^(٣) . يريد أنهم ليسوا بفُرسان ، وأن أباه قَيْنٌ، أى حدَّاد . وقد عارضه الفرزدق بقصيدة ، منها هذه الأبيات :

(١) تمامه كما في المغني ٢٦٨ : * دون الذى أنا أرميه ويرمى * .

(٢) أى لا يرد عليهم جوارهم ، بل يظل مستمسكا به .

(٣) كذا في النسخين . وهو سهو من البغدادى ، فإن الكبير هو منافخه . وأما الكور فهو

الحجرة المبنية من الطين ونحوه .

- قال ابن صانعة الزروب لقومه
 (١) لأستطيع رواسى الأعلام
 قالت تجاوبه المراغة أمه
 (٢) قد رُمْتُ ويل أبيك غير مرام
 ووجدت قومك فقتلوا من لؤمهم
 عينيك عند مكارم الأقوام
 صغرت دلاؤهم فما ملثوا بها
 (٣) حوضاً ولا شهدوا غداة زحام
 أشبهت أملك إذ تعارض دارماً
 بأدقة متقاعسين لئام
 وحسبت بحر بنى كليب مصدراً
 (٤) ففرقت حين وقعت في القمقام
 في لجة غمرت أباك بحورها
 في الجاهلية كان والإسلام
 إلى هنا كلام أم جرير له . ومن هنا شرع يفتخر فقال :
 إنَّ الأقارِعَ والحُتَاتَ وغالباً
 وأبا هنيذة دافعوا لمقامي (٥)

(١) ط : « صابغة » صوابه في ش مع أثر تصحيح الديوان ٨٤٩ والنقائض ٢٦٢ . والزروب واحدها زرب ، وهى حفيرة تخفر مثل البئر بينى حولها فتصير كالخظيرة ، تحبس فيها الجداء والعنوق عن أمهاتها .

(٢) في الديوان والنقائض : « كل مرام » .

(٣) في الديوان والنقائض : « عراك زحام » .

(٤) مصدرا ، أى يرتوى شاربهُ فيصدر عنه .

(٥) أبو هنيذة هو صعصعة، وهنيذة هى بنته هند امرأة الزريقان بن بدر. انظر النقائض والأغانى

بمناكبٍ سَبَقَتْ أَبَاكَ صَدُورُهَا
 وَمَآثِرٍ لِمَتَوَجِّينَ كَرَامِ
 إِنِّي وَجَدْتُ أُنَى بَنَى لِي بَيْتَهُ
 فِي دَوْحَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالْحُكَّامِ
 مِنْ كُلِّ أَيْضٍ مِنْ ذَوَابَةِ دَارِهِ
 مَلِكٍ إِلَى نَضْدِ الْمُلُوكِ هُمَامِ
 مِمَّا الَّذِي جَمَعَ الْمُلُوكَ وَبَيْنَهُمْ
 حَرْبٌ يُشَبُّ وَقُودُهَا بَضِيرَامِ
 خَالِي الَّذِي تَرَكَ النَّجِيعَ بِرَحْمِهِ
 يَوْمَ النِّقَا شَرْقًا عَلَى بَسْطَامِ
 وَأُنَى ابْنِ صَعَصَعَةَ بْنِ لَيْلَى غَالِبٌ
 غَلَبَ الْمُلُوكَ وَرَهْطُهُ أَعْمَامِي
 وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ شَرْحُ جَمِيعِ هَذَا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ :
 * فِي لُجَةِ غَمَرْتِ أَبَاكَ بِحُورِهَا *

فإنه من شواهد هذا الكتاب في باب الأفعال الناقصة (١) .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْعَاشِرُ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ (٢) :
 ٤١٠ (تَجَلَّدُ لَا يَقْلُ هَوْلًا هَذَا
 بَكَى لَمَّا بَكَى أَسْفًا وَغَيْظًا)

(١) هو الشاهد ٧٢٩ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ١٣٦ .

على أن (هَوْلَاءَ) بفتح الهاء وسكون الواو مخفف هَوْلَاءَ بحذف ألف ها وقلب همزة أولاءِ واوا .

وقال ابن جنى (في الخاطريّات) : الأصل هَوْلَاءَ ، فحذفت الألف ، ثمَّ شَبَّهَ هَوْلٌ بَعْضُ فُسَكُنْ ، ثمَّ أُبدِلَ الهمزة واواً وإنَّ كانت ساكنة بعد فتحة ، تنبيهاً على حركتها الأصلية . ومثله في المعتل قول بعضهم في بئس : بَيَّسَ بياء ساكنة بعد الباء . وأسهل من ذلك أن يقال : أُبدِلَ الهمزة من هَوْلَاءِ واوا على غير قياس ، ثم استثقلت الضمة على الواو فأُسكنت فحذفت الألف لالتقاء الساكنين .

وقال الشُّلُوبين (في حاشيته على المفضل) : كثر هَوْلَاءَ في كلامهم حتى خففوه فقالوا: هَوْلَاءَ . قال الشاعر :

تَجَلَّدَ لاِيقُلَ هَوْلَاءَ هذا

بكى لما بكى أسفاً عليكَا

فالقافية في رواية الشُّلُوبين كافية . ولم أدرِ أَى الروایتين صحيحة ، لأنَّي لم أقف على شيءٍ بأكثر من هذا . والله أعلم .

و(تَجَلَّدَ) : فعل أمرٍ من الجلادة ، وهو التحفظ من الجزع . ويُقُلُ مجزومٌ بلا الناهية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الأربعمئة (١) :

٤١١ (فقلتُ له والرُّمَحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ

تَأْمَلُ خُفَافاً إِنَّنِى أَنَا ذَلِكَا)

على أَنَّ الإشارة فيه من باب عظمة المشار إليه ، أى أنا ذلك الفارس الذى سمعت به . نَزَلَ بُعْدَ درجته ورفعة محله منزلة بُعْدِ المسافة . وكذا القول فى قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . وقال المبرد (فى الكامل) نقلا عن ابن عباس ، وتبعه ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قالا : قد يأتى اسمُ الإشارة البعيدُ بمعنى القريب ، كما يكون « ذلك » بمعنى هذا . قال تعالى : (أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ) . وقال خُفاف بن نَدْبَةَ :

* تَأَمَّلْ خُفَافاً إِنْنِى أَنَا ذَلِكَا *

أى هذا . وأقره أبو الوليد الوقشى (فى شرح الكامل) وقال : وأقرب مُتَأَوِّلاً من ذا وذاك فى قول خفاف وأولى بالتأويل ، أن يريد أى أنا خفاف ، فكفى عنه بقوله أنا ذلك ، كما يقول لك القائل : أنت زيد ؟ فتقول له : أنا ذلك الذى تريد . انتهى .

والبيت من أبيات لخُفاف بن نَدْبَةَ الصحابى ، وهى :

(فَإِنْ تَكْ خَيْلِي قَدْ أَصِيبَ عَمِيدُهَا

فإنى على عَمِدٍ تيممْتُ مالِكا

نَصَبْتُ لَهُ عُلُوًى وَقَدْ خَامَ صُحْبَتِى

لأَبْنَى مَجْدًا أَوْ لَأَثَارَ هَالِكَا

لَدُنْ ذَرَّ قَرْنَ الشَّمْسِ حَتَّى رَأَيْتَهُمْ

سِرَاعًا عَلَى خَيْلٍ تَوُمُّ الْمَسَالِكَا

٤٧١

فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ بَيْنَهُمْ

شَرِيجِينَ شَتَّى مِنْهُمْ وَمُوَاشِكَا

تَيَمَّمْتُ كَبَشَ الْقَوْمِ لَمَّا رَأَيْتُهُ

وَجَانِبَتِ شُبَّانَ الرِّجَالِ الصَّعَالِكَا

فجادت له يُمنى يدي بطعنة
كست متنتيه أسود اللون حالكا
وقلت له والرُمح يَطرُ متنه
تأمل: خفافاً إثنى أنا ذلكا
أنا الفارسُ الحامى حقيقة والدى
به تُدرك الأوتار قِدماً كذلكا

قوله : « إن تك خيلي » إلخ أراد بالخيل هنا الفرسان . والعميد : السيد
الذى يُعمد أى يقصد ، أى إن قُتل سيّد الفرسان . وروى : « صميمها »
والصميم : الشريف والخالص . وأراد بهذا السيد الذى قُتل ابن عمه ، وهو
معاوية بن عمرو بن الشريد ، وهو أخو صخر والخنساء الصحابية الشاعرة .
وتيممت : قصدت . ومالك ، هو ابن حمار ، وهو سيّد بنى شَمخ بن فزارة .
وكان من خبره أن خفاف بن ندبة غزا مع معاوية بن عمرو ، مُرة وفزارة ،
فعمد ابنا حرملة : دريد وهاشم المزيّان ، عمّد معاوية ^(١) ، فاستطرد له أحدهما
فحمل عليه معاوية فطعنه فى عضده ، وحمل الآخر على معاوية فطعنه
متمكنا ، فلمّا تنادوا : قُتل معاوية ! قال خفاف : قتلنى الله إن برحتُ مكانى
حتى أثأّر به ! فحمل على مالك المذكور فطعنه فقتله . وإنما تيممه لأنه عذُل
معاوية .

وقوله : « نصبت له علوى » إلخ ، ويرى : « وقفْتُ له علوى » ، وهو بفتح
المهملة وسكون اللام وبالقصر : اسم فرس خفاف ، أورده القالى (فى

(١) ط « المزيان لمعاوية » ، وأثبت ما فى ش .

المقصور والممدود) . وخام ، بالخاء المعجمة ، بمعنى ارتدَّ . يقال أخام الرجل يدهُ عن الطعام ، إذا رفع يدهُ عنه . والصُّحبة : مصدر صحَّبه يصحبه . وأراد به الأصحاب . والمجد : الشرف . وأثَّار هالكاً ، أى آخذ بثأر هالك ، يعنى معاوية . وقوله : «لدن ذرَّ قرنٌ» إلخ ، يقال ذرَّ قرنُ الشمس ذُروراً ، بالذال المعجمة ، من باب قعد ^(١) : طلعت . وقرنها : أوَّل ما يظهر منها . ولدن : ظرف لقوله نصبت له علوى .

وقوله : « شريجين » : مثْنى شريج : بفتح الشين المعجمة وكسر الراء وآخره جيم ، حالٌ من القوم ، أى صنفين . وشَتَّى ومُواشكا : بدلٌ من شريجين . وشَتَّى : جمع شتيت ، كجرحى جمع جريح . ومُواشك : اسم فاعل بمعنى مُسرَّع . يعنى رأيت القوم قسمين : فريقٌ منهم رَجَعَ وتشتَّت عن معاوية قبل قتله كما يأتى فى خبر مقتله ، وفريقٌ هاربٌ مُسرَّعٌ بعد قتله .

وقوله : « تيمَّمتُ كبشَ » إلخ هو جواب لما . وكبشُ القوم : رئيسُهم وسيِّدُهم . وإنما جانب الشباب ولم يَقْتُلْ منهم لأنهم ليسوا بكفٍّ لمعاوية . والصعالك : جمع صُعْلوك ، والقياس الصعاليك ، وهم الفقراء .

وقوله : « فجادت له » أى لمالك . والمتنة : مثل المتن ، كما جاء به فى البيت بعده . قال ابن فارس : المتنان : مُكْتَنَفَا الصلْب من العَصَب واللحم . ومتنت الرجل متنا من بابئى ضرب وقتل ^(٢) ، إذا ضربتَ متنه . وأراد بأسود اللون الدَّم . والحالك : الشديد السَّواد .

(١) ط : «فقد» ، صوابه فى ش .

(٢) فى هامش ش بخط الناسخ «صوابه من بابئى ضرب ونصر» !

وقوله : (وقلت له) إلخ معطوف على جادت ، والعاطف هو الواو لا الفاء كما في الشرح . والضمير للمالك ، وجملة (والرُمحُ يَاطِرُ مَتْنُهُ) حالٌ من الهاء ، وجملة (تَأْمَلُ خُفَافًا) مقول القول . ويَاطِرُ : يحنو ويثنى ^(١) . يقال أطره أطرًا من باب ضرب ، إذا عطفه ، ومنه إطار المنخل . ومنته مفعول يَاطِرُ ، أى يعطف ظهر مالك . و(تَأْمَلُ) فعل أمرٍ خطابٌ للمالك ، من تأملت الشيء ، إذا تدبّرتَه، وهو إعادتك النظرَ فيه مرّةً بعد أخرى حتى تعرفه . و(خُفَافٌ) بضم الخاء المعجمة وفاءين كغراب : اسمُ الشاعر . وإنما قال له ذلك ليعرفه أنّه هو الذى قتله . روى الأخفش (في شرح ديوان الخنساء) أنّ خفافا لما قال له ذلك قال مالك : أنت ابن ندبة يريد أنت ابن جارية سوداء ، يعيره بذلك .

وقوله : (إننى أنا ذلك) ، استئنافٌ بيانيٌّ ، كأنّه قال له : هل أنت مما يتأمل إنما أنت ابن ندبة . فقال له : إننى أنا ذلك الشجاع الذى سمعتَ به . وأنا إمّا تأكيدٌ للباء كما تقدم وجهه في الشرح في بابه ، وإمّا مبتدأٌ خبره لك والجملة خبر إننى ، والألف في ذلك للإطلاق ، وكذلك في جميع هذه القوافي .

وقوله : «أنا الفارس» إلخ استئنافٌ نحوى ، وهو ابتداءٌ كلام لا علاقة له بما قبله معنى ، ابتداءً به للافتخار . وفي نهاية ابن الأثير : فلانٌ حامى الحقيقة إذا حمى ما يجب عليه حمايته . انتهى .

وحقيقة والده هنا : أخذُ ثار ابن أخيه ؛ لأنه يحقُّ على والده أن يأخذ ثار معاوية . قال عامر بن الطفيل قاتله الله :
لقد علمتُ عُليا هوازنَ أننى أنا الفارسُ الحامى حقيقةً جعفرِ

(١) يقال حنى الشيء يحنيه ويحنوه ، لغتان .

وجعفر هذا أبو جدّه ، لأنّه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب .

وقوله : « به تُدرك الأوتار » إلخ أى إنما تُدرك الأوتار بالحمى الدالّ عليه الحامى ، لا بغيره . أو الضمير راجع للحامى ، يقال حميت المكان من الناس حمياً من باب رمى ، وحمية بالكسر ، إذا منعتهم . والحماية اسم منه . وتُدرك بالبناء للمفعول . والأوتار : جمع وتر بالكسر ، وهو الثار والدحل ، أى الحقد . وقوله : « قَدْماً كذلك » ، أى كذلك تُدرك الأوتار قَدْماً ، بكسر القاف . قال صاحب الصحاح : يقال قَدْماً كان كذا وكذا ، وهو اسمٌ من القَدَم جعل اسماً من أسماء الزمان .

وروى صاحب الأغاني كذا :

أنا الفارسُ الحامى الحقيقةَ والذى

به أدرك الأبطالُ قَدْماً لذلك (١)

وزاد بعده ، وهو :

وإنْ يَنْجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ

كسّته نجيحاً من دم الجوف صائكا

قال : حَقَّقْ خفافٌ أنَّ الذى طعنه معاوية هو هاشم بن حرملة .

وخَفَافٌ بن نُدْبَةَ هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح خفاف بن نُدْبَةَ

ابن يَقْظَةَ بن عُصَيَّةَ بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَةَ بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصْفَةَ .

(١) الذى فى الأغاني ١٣ : ١٣٥ : «قدما كذلك» .

وخفاف بضم الخاء المعجمة ، هو بمعنى الخفيف ، يقال رجلٌ خَفَافٌ وخَفِيفٌ بمعنى ، كطَوَالٍ وطَوِيلٍ . والخِفَّ بالكسر بمعنى الخفيف أيضاً .

وعَمِيرٌ : مصغر عَمُرٍ . والشَّرِيدُ اسمه عمرو . ورياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية . وَيَقْطُظَةُ ، هو ضد النوم . وَعُصَيَّةٌ : مصغر عصاً . وَبُهْتَةٌ بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثناة . وَسَلِيمٌ بالتصغير .

وأما نَذْبَةٌ فهو اسم أمّه ، كان سبأها الحارث بن الشَّرِيد حين أغار على بنى الحارث بن كعب ، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً ، وكانت امرأةً سوداء . كذا في الأغاني .

وقال ابن الكلبي (في الأنساب) : نَذْبَةٌ هي بنت الشَّيْطَان بن قَتَان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن كعب . انتهى .

وقال صاحب العباب : نذبة هذه كانت سوداء حبشية ، وهي بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحدة ، مأخوذ من قولهم : رجلٌ نَذْبٌ ، أى خفيفٌ في الحاجة ، وامرأة نذبة . وفسر نَذْبٌ ، أى ماضٍ . ونَذْبٌ نذابة مثل شَجَعٍ شجاعة ، أى حَفٌّ في العمل .

٤٧٣

والشَّيْطَان منقول من الشَّيْطَان الرجيم ، عليه الخزي .

وقَتَانٌ ، بفتح القاف بعدها نونان خفيفتان .

وخفاف بن نَذْبَةٍ مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام، وشهد فتح مكة^(١)، وكان معه لواءُ بنى سُلَيمٍ، واللواء الآخر مع العباس بن مرداس. وشهد حُنيناً والطائف، وثبت على إسلامه في الردّة، وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب

(١) انظر الخزنة ٤ : ١٥ .

وكنيته أبو خُراشة . وكان فى الجاهلية يُهاجى العباس بن مرداس ، وله يقول
العباس :

أبا خُراشة أَمَا كُنْتَ ذَانِفِرَ فَإِنَّ قَوْمَى لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ
وتَقَدَّمَ الكلام عليه (١).

وخفاف هو أحد فرسان قيس وشعرائها المذكورين . قال الأصمعى :
خفاف ودريد بن الصمة أشعرُ الفرسان ، وهو أحد أغربة العرب ، أى
سُودانهم ؛ لأنه كان أسودَ حالكا ؛ وهو القاتل :
كلانا يسُوده قومه على ذلك النسبِ المُظلمِ
يعنى السودان .

وأغربة العرب هم : عنترة بن شداد ، وسُلَيْك بن السُلُكَة ، وأبو عمرو
ابن الحُبَاب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبى مُعَيْط .

وأما معاوية المذكور فهو ابن عمِّ خفاف ، وهو أخو الخنساء الصَّحَّابية
وأخو صخر . وقد قتل معاوية وصخرٌ فى الجاهليَّة . روى هشامٌ عن أبيه قال :
كان عُمر بن الحارث (٢) بن الشريد يأخذ بيد ابنه صخر ومُعاوية ، فى
الموسم فيقول : أنا أبو خيرى مُضَر ، فمن أنكر ذلك فليغيِّر ! فما يغيِّر ذلك
عليه أحد .

وهذا خبر مقتل معاوية :

خبر مقتل معاوية

روى صاحبُ الأغاني عن أبى عبيدة قال : إِنَّ معاوية وافى عكاظَ فى
بن عُمر

(١) فى الشاهد ٢٤٩ بالجزء الرابع ص ١٣ .

(٢) ط : « عمرو بن الحارث » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر ماسبق فى النسب .

موسم من مواسم العرب ، فبينما هو يمشى بسوق عكاظ إذ لقي أسماء المريّة ، وكانت جميلة ، وزعم أنها كانت بغياً ، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت : أما علمت أنى عند سيّد العرب هاشم بن حرملة ! فأغضبته (١) . فقال : أما والله لأقارنّه عنك . قالت : شأنك وشأنه . فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما جرى فقال هاشم : لا نريهم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده . قال : فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس من عكاظ خرج معاوية غازياً يريد بنى مرة وبنى فزارة ، فى فرسان أصحابه من سليم ، حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة — والشك من أبى عبيدة — سَنَحَ له ظبى فتطير منه (٢) . ورجع فى أصحابه ، فبلغ ذلك هاشم بن حرملة ، فقال : مامنه من الإقدام إلّا الجين . فلما كان فى السنة المقبلة غزاهم حتى إذا كان فى ذلك المكان سَنَحَ له ظبى وغراب ، فتطير فرجع ، ومضى أصحابه ، وتخلّف فى تسعة عشر فارساً منهم لا يريدون قتالا ، إنما تخلّف من عظم الجيش راجعاً إلى بلاده . فوردوا ماءً وإذا عليه بيت شعر ، فصاحوا بأهله فخرجت إليهم (٣) امرأة فقالوا : ممن أنت ؟ قالت : امرأة من جُهينة ، أخلاف لبنى سهم بن مرة بن غطفان . فوردوا الماء ، فانسلت فأتت هاشم بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيد ، وعرفته بعدتهم (٤) . وقالت : لا أرى إلّا معاوية فى القوم ! فقال : يالكاع ، معاوية فى تسعة عشر رجلاً ؟ شَبّهت وأبطلت ! قالت : بل قلت الحق ، وإن شئت لأصفتهم لك رجلاً رجلاً . قال : هاتى .

٤٧٤

قالت : رأيت فيهم شاباً عظيم الجمة ، جبهته قد خرجت من تحت مغفره

(١) فى الأغاني ١٣ : ١٣٤ : « فأحفظته » .

(٢) فى الأغاني : « دومت عليه طير وسنح له ظبى فتطير منهما » .

(٣) ط : « اليه » ، صوابه من الأغاني ومن ش مع أثر تصحيح .

(٤) فى النسختين : « أنهم غير بعيد وبعدهم » . وتكملته من الأغاني .

صبيح الوجه عظيم البطن ، على فرس غراء . قال : نعم هذه صفة معاوية وفرسيه السماء^(١) . قالت : ورأيت رجلاً شديداً الأذمة شاعراً ينشدهم . قال : ذلك خفاف بن نديبة . قالت : ورأيت رجلاً ليس يرح وسطهم^(٢) إذا نادوه رفعوا له أصواتهم . قال : ذلك عباس الأصم . قالت : ورأيت رجلاً طويلاً يكنونه أبا حبيب ، ورأيتهم أشد شيء له توقيراً . قال : ذاك نبيشة بن حبيب^(٣) . قالت : ورأيت شاباً جميلاً له وفرة حسنة . قال : ذلك العباس بن مرداس . قالت : ورأيت شيخاً له ضفيران ، فسمعتة يقول لمعاوية : بأى أنت ، أطلت الوقوف . قال : ذلك عبد العزى زوج الحنساء أخت معاوية . قال : فنادى هاشم فى قومه وخرج ، وزعم أن المرى لم يخرج إليهم إلا فى عدتهم من بنى مرة . قال : فلم يشعر السلميئون حتى طلوعوا عليهم فثاروا إليهم فلقوهم ، فقال لهم خفاف : لا تنازلوهم رجلاً رجلاً ، فإن خيلهم تثبت للطراد وتحمل ثقل السلاح ، وتحيلكم قد أنهكها الغزو ، وأصابها الحفاء . قال : فاقبقتلوا ساعة ، فانفرد هاشم ودريد ابناً حرملة لمعاوية ، فاستطرد له أحدهما ، فشد معاوية عليه وشغله ، واغتره الآخر فطعنه فقتله . واختلفوا أيهما استطرد له وأيهما قتله . وكان بالذى استطرد له طعنة طعنه إياها معاوية ، ويقال هو هاشم

(١) السماء ، من أسماء خيلهم ، كما فى القاموس ، وفى الأغاني والعقد ٥ : ١٦٣ : «السماء» ، تحريف ، وقد قيدها البغدادى فى آخر الشرح ، بأنها بلفظ السماء خلاف الأرض .

(٢) ليس يرح وسطهم ، ساقط من ش ثابت فى ط والأغاني .

(٣) الكلام من «رجلاً طويلاً» إلى هنا ساقط من ش . وفى الأصل : «نبيشة» ، صوابه فى الأغاني وجهرة ابن حزم ٢٦١ والاشتقاق ٣١١ . وقال ابن دريد : «نبيشة : تصغير نبيشة ، وكل شيء كشف عنه التراب فقد نبشته » .

(٤) الكلام بعده إلى «قال» ساقط من ش .

وقال الآخرون : بل دريد أخو هاشم . قال : وشدّ خفاف بن ندبة على مالك بن حِمار ^(١) سيد بني شمع بن فزارة ، فقتله . ولما دخل الشهر الحرام من السنة المقبلة خرج صخر أخو معاوية حتى أتى بني مرة فوقف على ابني حرملة ، فإذا أحدهما به طعنة في عضده زعم خفاف في شعره أنه هاشم . فقال صخر : أيكما قتل أخي معاوية ؟ فسكتا . ثم قال الصحيح للجريح : مالك لا تحببه ؟ فقال : وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي وشدّ أخي فقتله ، فأيتنا قتل أدركت ثأرك ، إلا أنا لم نسلب أخاك . قال : فما فعلت فرسه السماء ، قال : هاهي ، خذها . فأخذها فرجع ، فلما كان في العام المقبل غزاهم صخر وهو على فرسه السماء ، فقال : أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غرة السماء فيتأهبوا . فحمم غرتها . فلما أشرف على الحي رأوها فقالت فتاة : هذه والله السماء ! فنظر هاشم فقال : السماء غراء وهذه بهيم . فلم يشعروا إلا والخيل عليهم ، فاقتتلوا ، فقتل صخر دريدا وأصاب بني مرة فقال :

ولقد قتلنكم ثناء وموحداً

وتركت مرة مثل أمس المدير

ولقد دفعت إلى دريد طعنة

نجلاء تُرغل مثل عط المنخر ^(٢)

تُرغل : تخرج الدم قطعاً قطعاً . قال : والزُغلة : الدفعة الواحدة من الدّم والبول .

(١) ط والأغاني : «حماد» ، صوابه بالراء كما في ش والاشتقاق ٢٨٣ ، ٣٠٩ والحيوان ١ : ٣٨٠ .

(٢) في ط والعقد ٥ : ١٦٥ : «غط المنخر» ، صوابه من ش واللسان (دبر) ، (زغل) .

وقال صخرٌ أيضاً فيمن قُتل من بنى مُرة :
 قتلْتُ الخالدَينَ به وبشراً
 وعمرأَ يومَ حَوْزةَ وابنَ بشرِ
 ومن شَمخٍ قتلْتُ رجالَ صديقِ
 ومن بدرٍ فقد أوفيتُ نذرى
 ومُرةً قد صَبَحناها المنايا
 فروينا الأُسنةَ غيرَ فخرِ
 ومن أفناءِ ثعلبةَ بنِ سعيدِ
 قتلْتُ ، وما أبيتُهُمُ بوترِ
 ولكنَّا نريدُ هلاكَ قومِ
 فنقتلُهُم ونشريحُهُم بكسرِ
 وقال أبو عبيدة : ثم إنَّ هاشم بن حرملة خرج غازياً ، فلما كان ببلاد
 جُشم بن بكر بن هوازن نزل منزلاً ، وخلا لحاجته بينَ شجر ، ورأى غفلته
 قيسُ بن الأمرار الجُشميَّ ، فقتله وقال : هذا قاتل معاوية ، لانيجتَ نفسى إن
 نجا (١) ! فلما قعد لحاجته تكمَّن له (٢) بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه
 أرسلَ عليه مِغْبلَةً (٣) فقتله . فقالت الخنساء في ذلك :
 فدأءُ الفارسِ الجُشميَّ نفسى
 وأفديهِ بمن لى مِن حميمِ

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٤٠ والعقد ٥ : ١٦٦ : «لا وألت نفسى إن وأل » .

(٢) فى الأغانى : « تقتل له » ، وفى العقد : « كمن له عمرو بن قيس » .

(٣) المِغْبلَة ، بكسر الميم : فصل طويل عريض . والجمع معابل .

- خصصت بها أخوا الأمرار قيساً
 (١) فتى في بيت مكرمة كريم
 أفديه بكل بنى سليم
 (٢) بظاعنهم وبالأنس المقيم
 كما من هاشم أقرث عيني
 (٣) وكانت لاتنام ولا تُنيم
 انتهى كلام الأغاني .

وروى الأخفش (في ديوان الخنساء) عن ابن الأعرابي ، أن قيساً كان رجلاً راعياً ، فأغار عليه هاشم بن حرملة فأخذهم وقال : أتيتكم بهذا الراعى وغنمه . فاغتفله الراعى فرماه فقتله .

وللخنساء مرث كثيرة في أخيها معاوية وصخر .
 والسَّماء التي هي اسم فرس معاوية، هي بلفظ السَّماء خلاف الأرض.
 وقد روى ابن عبد ربّه (في العقد الفريد) عن أبي عبيدة أيضاً خبر مقتل معاوية على غير هذا الوجه الذي نقلناه عن الأغاني ، تركناه لطوله ، ومن أراد الاطلاع عليه فلينظره في باب أيام العرب من العقد الفريد (٤) . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٥) :

-
- (١) ط : «حضضت» ، صوابه في ش .
 (٢) في الأغاني : «بجل بنى سليم» .
 (٣) في هذا البيت إقواء .
 (٤) العقد في يوم حوزة الأول ويومها الثاني ١٦٣:٥ — ١٦٦ .
 (٥) في كتابه ٢ : ١٤٥ ، ١٥٠ وانظر المقتضب ٢ : ٣٢٣ والمجم ٢ : ٧٦ وديوان زهير ١٨٢ .
 وسيعاد الشاهد في ٤ : ٢٠٤ ، ٤٧٨ بولاق .

٤٩٢ (تَعْلَمَنَّ هَالْعَمْرُ اللّٰهَ ذَا قَسَمًا)

هذا صدر ، وعجزه :

(فَاقْدُرْ بِذِرْعِكَ وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ)

على أن الفصل بين ها وبين ذا بغير إن وأخواته كالقسم قليل ، كما هنا .
قال سيبويه في باب ما يكون [ما] ^(١) قبل المحذوف به عوضاً من
اللفظ بالواو : قولك إى ها الله ذا ، يثبت ألُفها ^(٢) ، لأنّ الذى بعدها
مدغم . ومن العرب من يقول : إى ها الله ذا ، فيحذف الألف التى بعد الهاء ، ولا
يكون فى المقسم ههنا إلا الجر ، لأنّ قولهم ها صار عوضاً من اللفظ بالواو ،
فحذفت تخفيفاً على اللسان . وأما قولهم ذا ، فزعم الخليل أنه المحلوف عليه كأنه
قال : إى والله للأمر هذا ، فحذف الأمر لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم ، وقدم
ها كما قدّم قومٌ : ها هو ذا ، وها أنا ذا . وهذا قول الخليل . وقال زهير :
تَعْلَمَنَّ ها لعمرُ الله ذا قسما البيت . انتهى

قال النحاس : قال الخليل فى ذا : إنّه المحلوف عليه ، فكأنه قال : إى
والله الأمر هذا ، فحذف الأمر وقدم ها كما قدّم قومٌ : ها هو ذا . وعند غيره أن
المعنى : هذا ما أقسم به . وقسماً مصدرٌ فى القولين ، ومقبله يدلّ على الفعل .
انتهى .

وقال الأعمش : الشاهد فيه تقديم ها التى للتنبيه على ذا ، وقد حال بينهما
بقوله لعمر الله . والمعنى : لعمر الله هذا ما أقسم به ، ونصب قسماً على المصدر

(١) التكملة من ش وسيبويه ٢ : ١٤٥ .

(٢) فى الكتاب : « تثبت ألف ها » .

المؤكد لما قبله ، لأنَّ معناه أقسم ، فكأنه قال : أقسم لعمر الله قسماً . ومعنى تَعْلَمُنْ اعلم ، ولا يستعمل إلَّا في الأمر .

٤٧٦

وقال أيضاً (في شرح الأشعار الستة) قوله : تَعْلَمُنْ أى اعلم ، وها : تنبيه . وأراد : هذا ما أقسم به . ففرَّق بين ذا وها بقوله لعمر الله ، ونصب قسماً على المصدر المؤكَّد به معنى اليمين .

وقال شارح ديوان زهير صَعُوداً (١) ، وكان ضعيفاً في النحو : وقوله تَعْلَمُنْها أى اعلمها ، والمعنى تَعْلَمُنْ هذا ، وصل ها بالنون من تعلمن ، وفرق بين ها وذا ، ونصب قسماً بتعلُّم ، يريد : يا هذا كما تقول : اعلم زيد (٢) ، أنى زائرک ، أى يازيد . قال الأصمعي : وقد رويت : «ذا قَسِمَ» فذا حيثُذ نصب على الحال ، وهى ذو التى تتصرَّف ، وتصرُّفها فى الإعراب نحو : ذو مال وذا ثوب وذى قوم . وبعضهم يقول : تَعْلَمُنْها لعمر الله ذا ، ثم ينصب قسماً على كلامين ، كأنه قال : تعلم قسماً ، فاقصد بذرعك ، أى اعرف قدرك . هذا كلامه ، وكله خلاف الصواب ، وإنما نقلناه للتعجُّب .

وقوله : (فاقدِرْ بذرعك) إلخ قال الأعلم (في شرح الأشعار الستة) : أى قدِّر لخطوك . والذَّرع : قدِّر الخطو . وهذا مثَلٌ ، والمعنى لا تكلِّف ما لا تطيقُ منى ؛ يتوعَّده بذلك . كذلك قوله : «وانظُرْ أين تنسلك» . والانسلاك : الدُّخول فى الأمر ، وأصله من سلوك الطريق . والمعنى لا تُدخِل نفسك فيما لا يعنِيكَ ولا يجدى عليك . اهـ .

(١) صعوداً : لقب له ، واسمه محمد بن هبيرة الأسدي ، كان من أعيان الكوفة وعلمائها بالنحو واللغة وفنون الأدب ، قدم بغداد واختص بعبد الله بن المعتز ، كما كان مؤدباً لأولاد محمد بن يزيد وزير المأمون .

(٢) ط : «زيداً» ، صوابه فى ش .

والأحسن أن يكون اقدر من قدرت قدرًا من باى ضرب وقتل ، وقدرته تقديرًا بمعنى . والاسم القدر بفتحيتين ، ومفعوله مخذوف تقديره : فاقتُر خطوك بذرعك . وذرع الإنسان : طاقته التى يبلغها . وروى : «فاقصِدْ بذرعك» من قصد فى الأمر قصدًا من باب ضرب ، إذا توسَّط وطلب الأسد ، ولم يجاوز الحد . فالباء بمعنى فى . و(الذَّرع) بمعنى الطاقة أيضا .

والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى ، عدتها ثلاثة وثلاثون بيتاً . صاحب الشاهد قال الأصمعى : ليس فى الأرض قصيدة على الكاف أجود من قصيدة زهير التى مطلعها :

بأن الخليط ولم يَأوُوا لمن تَرَكُوا
وزودوك اشتياقاً آيةً سلَكُوا (١)

ومن قصيدة أوس بن حجر التى أولها :
زَعَمْتُمْ أَنَّ غَوَلاً وَالرَّجَامَ لَنَا
وَمَنْعَجاً فَادْكُرُوا ، والأمر مشترك

وهذه القصيدة هدَّد بها زهير الحارث بن ورقاء ، أخا بنى الصيداء بن عمرو ابن قعين الأسدى ، فإنه كان أغار على طائفة من بنى سليم بن منصور ، فأصاب سبياً ثم انصرف راجعاً ، فوجد غلاماً لزهير حبشياً يقال له يسار ، فى إبل لزهير ، وهو آمن فى ناحية أرضهم ، فسأله : لمن أنت ؟ قال : لزهير بن أبى سلمى . فاستاقه وهو لا يحرم ذلك عليه لحلف أسد وغطفان ، فبلغ ذلك زهيراً فبعث إليه : أن ردَّ ما أخذت . فأبى ، فقال زهير فى ذلك هذه القصيدة يهدِّده

(١) ط : «استباقاً» ، صوابه فى ش والديوان ١٦٤ .

بأنه يهجوهُ إن لم يُرسل ما أخذه . وهذا أوّل الكلام معه بعد التغزل :

(هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمْ

بَأَى حَبِلِ جَوَارٍ كُنْتُ أُمْتَسِكُ

فَلَنْ يَقُولُوا: بِحَبِلِ وَاهِنْ خَلَقَ

لَوْ كَانَ قَوْمُكَ فِي أَسْبَابِهِ هَلَكُوا

يَا حَارٍ لَا أُرْمِيَنَّ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ

لَمْ يَلْقَها سَوْقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكٌ (١)

أَرَدُّدٌ يَسَارًا وَلَا تَعْنَفُ عَلَيْهِ وَلَا

تَمَعَكَ بِعَرْضِكَ إِنَّ الْغَادِرَ الْمَعَكُ

وَلَا تَكُونَنَّ كَأَقْوَامٍ عَلِمْتُهُمْ

يَلُؤُونَ مَا عِنْدَهُمْ حَتَّى إِذَا تُهَكِّوْا

طَابَتْ نَفُوسُهُمْ عَنْ حَقِّ خَصْمِهِمْ

٤٧٧

مُخَافَةَ الشَّرِّ فَارْتَدُّوا لَمَّا تَرَكُوا

تَعْلَمَنَّ هَا لِعَمْرُ اللَّهِ ذَا قِسْمًا ... البيت.

لَنْ حَلَلْتُ بِجَوِّ فِي بَنِي أُسْدٍ

فِي دِينَ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَذَكُّ

لِيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنِطْقٌ قَدَّعٌ

بَاقٍ كَمَا دَنَسَ الْقُبْطِيَّةُ الْوَدَكُ

هذا آخر القصيدة :

قوله : «هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي الصَّيْدَاءِ» الخ بنو الصيديات : قومٌ من بني أُسْدٍ ، وهم

(١) ط : «لم يلقها» ، وأثبتت مافي ش والديوان ١٨٠ .

رَهط الحارث بن وَرْقَاء . وأَيُّ منصوب بَأُمْتَسْك . والحبل : العَهد والميثاق . قال صَعُوداء: إنما يعنى الحِلْف الذى بين مُزينة وغطفان ، وصهره فى بنى العَدِير^(١) .
والواهن: الضَّعِيف . والخَلَقُ بفتحتين : الذائب . وجملة لو كان قومك إنخ من المقول المنفى . يقول : سلَّهم كيف كنت أفعل لو استجرت بهم فأنى كنت أستوثق ولا أتعلق إلا بحبل متين .
وقوله: «لو كان قومك» إنخ أى فى أسباب ذلك الحبل . يقول: هو حبل شديد محكم ، فمن تمسك به نجا ، وليس بحبل ضعيف من تعلق بأسبابه هلك.

وقوله : «يا حار» إنخ هو مرخم الحارث بن ورقاء . ولا ناهية ، وأرمين بالبناء للمفعول مؤكد بالنون الخفيفة . والسُّوقَة : الرِّعية . وهذا البيت من شواهد علم العروض .

وقوله : «اردُّ يساراً» إنخ هو عبد زهير ، كان الحارث أسره . وتَعَنَف بضم النون ، من العنف ، وهو فعل الشئ على غير وجهه والتجاوز فيه . والمَعَكُ : المظل ، وماضيه ومضارعه بفتح العين . والمَعَك بكسر العين : الذى يماطل . يقول : ماتمُطَلْنى فمطلك غدر ، وكلما مطلتنى لحق ذلك بعرضك . وإنما يتوعَّده بالهجو .

وقوله : «ولانكونن كأقوام» إنخ يقال لواه يلويه ثِيًّا ولَيَّانا ، أى مَظْلُة . يَطلون بما عليهم من الدِّين . ومعنى نُهَكُوا شتموا وبُلوغ فى هجائهم؛ وأصله من نهكته الحمى ، إذا بلغت من جسمه وهزلته .

(١) ط : «وَضَمِيرُهُ فى بنى العَدِير» ، صوابه فى ش . وفى شرح ديوان زهير ٥٥ : «وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له العَدِير — والعَدِير هو أبو بشامة الشاعر — فولدت له زهيراً وأوساً» .

وقوله : «فارتدوا لما تركوا» أى لما أوزوا بالهجاء دفعوا الحق إلى صاحبه وارتدوا إلى عطاء ماكانوا تركوه ومنعوه من الحق، مخافةً من الشر ، وإبقاءً على عرضهم .

وقوله : «لئن حللت بجو» البيتين اللام الأولى موطئة ، والثانية جواب القسم . جو بالجم : اسم وادٍ .. ودين عمرو ، بالكسر : طاعته وسُلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند ملك العرب . وفذك ، بفتح الفاء والذال (١) .

والفَذَع ، بفتح القاف والذال المعجمة : اسم بمعنى السبّ البليغ . يقال أقذع فلانٌ لفلان ، أى استقبله بكلام قبيح . وياق ، أى يبقَى على الدهر بجريانه على أفواه الناس . والقُبْطِيَّة ، بضم القاف وكسرها : ثياب بيض تصنع بالشام ، وقد يقع على كل ثوب أبيض . والودك : الدَّسَم . يقول : لئن نزلت بحيث لأدركك ليردَّن عليك هجوى ، ولأُدثِّنَّ به عِرْضُكَ كما يدثِّن الدسَم الثياب البيض .

وقال أبو حاتم: فلما أتت القصيدة الحارث بن ورقاء لم يلتفت إليها ؛ فقال زهير :

تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ	يُنَادِي فِي شِعَارِهِمْ يَسَارُ
وَلَوْ لَا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ	وَشَرُّ مَنِحَةٍ عَسْبٌ مُعَارُ (٢)
إِذَا جَمَحْتَ نَسَاؤَكُمْ إِلَيْهِ	أَشْطَ ، كَأَنَّهُ مَسَدٌ مُعَارُ
يُرِيرُ حِينَ يَعُوْ مِنْ بَعِيدٍ	إِلَيْهَا ، وَهُوَ قَبْقَابٌ قُطَارُ
كَطَفَلٍ ظَلَّ يَهْدُجُ مِنْ بَعِيدٍ	ضئيل الجسم يعلوه انبهارُ

(١) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة .

(٢) في ديوان زهير ٣٠١ : « أير معار » .

إذا أَبْرَتْ به يوماً أَهَلَّتْ كما تُبْزَى الصَّعَائِدُ وَالْعِشَارُ
فَأَبْلَغَ إِنْ عَرَضَتْ لَهُمْ رَسُولًا بَنَى الصَّيْدَاءُ إِنْ نَفَعَ الْجَوَارُ^(١)
بَأَنَّ الشَّعْرَ لَيْسَ لَهُ مَرْدٌّ إِذَا وَرَدَ الْمِيَاءُ بِهِ التَّجَارُ

وقوله : «تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ» إلخ الشعرار : علامة القوم في سفرهم
وَعَزْوِهِمْ وَحَرْبِهِمْ ، نحو : يَا أَفْلَحَ ، وَيَا سَلَامَةَ ، فيصير كلُّ قومٍ إلى داعيهم . وكان
شعار رسول الله ﷺ يومَ حنين : يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ . فلما انهمز الناسُ صاح
العباس : يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ ، فرجع الناسُ وكان الفتْحُ . وَيَسَارُ : عبد زهير .
وَالْعَسْبُ : الضُّرْبُ وَالْجَمَاعُ . يقول : لولا حاجة نسائكُم إليه لرددتموه
عَلَى . وَالْمُنِيحَةُ : الْعَارِيَّةُ .

وَجَمَحَتْ : مَالَتْ . وَأَشْطَ : قَامَ مَتَاعُهُ وَصَلَبَ وَاشْتَدَّ . وَالْمَسْدُ :
الْحَبْلُ . وَالْمُعَارُ : الشَّدِيدُ الْفَتْلُ . يُقَالُ أَغْرَثُ الْحَبْلُ ، أَيِ فَنَلْتُهُ مُحْكَمَا .
وَيَبْرِيرُ : يَصْوْتُ مِثْلَ بَرِيرَةِ الْفَحْلِ إِذَا أَرَادَ النَّاَقَةَ ، وَالتَّيْسِ إِذَا أَرَادَ الشَّاةَ .
وَالْقَبْقَابُ : الْمَصَوْتُ ، مِنَ الْقَبْقَبَةِ ، وَهِيَ هَدِيرُ الْفَحْلِ . وَالْقَطَارُ ، بضم
القاف : الْقَائِمُ الْمُنْتَصِبُ الرَّأْسُ يَقْطُرُ إِحْلِيلُهُ مِنَ الشَّهْوَةِ .

وَالْهَدَّجَانُ : مِقَارِبَةُ الْخَطْوِ فِي سُرْعَةٍ . وَالْإِنْهَارُ : عُلُوُّ النَّفْسِ عِنْدَ
التَّعَبِ . شَبَّهَ فِي عَدُوهِ عَلَى أَرْبَعٍ إِلَيْهَا عِنْدَ إِرَادَةِ الْفَاحِشَةِ وَعُلُوُّ نَفْسِهِ مِنَ
الْحَرَصِ وَالشَّهْوَةِ ، بِطِفْلِ صَغِيرٍ يَحْبُو بَيْنَهُمْ لَضَعْفِهِ .

(١) في شرح ثعلب ٣٥٥ وشرح الشنمري ٤٩ : « إِنْ نَفَعَ الْجَوَارُ » ، بِالْجِيمِ . ط : « يَقَعُ » ،
صوابه في ش والشرحين .

والإبزاء ، بالموحدة والزاء المعجمة ، من جميع الإناث : أن ترفع استنها إلى الفحل . وأهلت : رفعت صوته . والصعائد : جَمَعَ صَعُودٍ ، وهى الناقة التى تُخَدِّجُ على سبعة أشهر أو ثمانية ، فتعطف على ولدها التى ولدته فى العام الماضى فتدُرُّ عليه . وقيل هى التى مات ولدها فعُطِفَتْ على ولدها الأول . والعشار : جمع عُشْرَاءَ ، وهى التى أتى عليها مذ حملت عشرة أشهر ، وربما بقى الاسم عليها بعد ذلك . وعليه مخرج البيت ، لأنه شبه النساء فى حاجتهن إلى الجماع وإبرازهن أعجازهن وإهلالهن عند ذلك ، باحتياج الصعائد التى أَلْقَتْ أولادها لغير التمام ، والعشار التى وَلَدَتْ ثم حَنَّتْ إلى الفحل ، ولذلك وصفه بالبريرة والقبقة ، وهما صوتُ الفحل عند الضَّرَابِ . والحوار بكسر المهملة : المحاورة والمجاوبة .

وقال أبو حاتم: فلما بلغتهم الأبيات قالوا للحارث بن ورقاء: أَقْتُلْ يساراً. فأبى عليهم وكساه وأحسن إليه، وردة مع الإبل إلى زهير، فمدحه زهير بعد ذلك^(١). ولولا خوف الإطالة لأوردت جملة مما قال فيه .

وترجمة زهير تقدمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة^(٢) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الأربعمئة ، وهو من أبيات
المفصل^(٣) :

(١) بقصيدته الرائية فى الديوان ٣٥ ، ومطلعها :

أبلغ بنى نوفل عنى فقد بلغت منى الحفيظة لما جاء فى الخير

وقصيدته اللامية التى مطلعها فى الديوان ٣٨ :

أبلغ لديك بنى الصياد كلهم أن يسارا أتانا غير مغلول

(٢) الخزنة ٢ : ٣٣٢ .

(٣) ابن يعش ٨ : ١١٣ ، ١١٤ وشرح شواهد الشافية ٨٠ وديوان النابغة ٢٧ . وسيأتى أيضاً فى ٤ : ٤٨٧

٤١٣ (ها إن تا عذرة إن لم تكن نفعت)

هو صدر ، وعجزه :

(فإن صاحبها قد تاه في البلد)

على أن الفصل بين (ها) وبين (تا) بغير إن وأخواتها قليل ، سواء كان الفاصل قسماً كما تقدم ، أو غيره كما هنا ، فإن الفاصل هنا إن .

وتا . اسم إشارة لمؤنث بمعنى هذه . وروى : « ها إن ذى عذرة » .
وروى أبو عبيدة : « وإن ها عذرة » ، فلا شاهد فيه على روايته .

وهذا البيت آخر قصيدة للناطقة الديباني ، مدح بها النعمان بن المنذر
ملك الحيرة ، واعتذر إليه فيها مما افتري عليه . ٤٧٩

وقد بينا سبب اعتذاره في ترجمته في الشاهد الرابع بعد المائة (١) ،
وتقدم شرح أبيات منها . وقبله :

(نُبْتُ أَنْ أبا قابوسَ أوعَدني

ولا قرَّارَ عَلى زأرٍ من الأسد)

ها إن تا عذرة البيت

نبت ، بالبناء للمفعول بمعنى أخبرت . وروى : « أنبت » . وأبو
قابوس : كنية النعمان بن المنذر . وقابوس معرب كاوس ، على وزن طاوس : اسم
ملك من ملوك العجم . وأوعَد بالألف لا يكون إلا في الشر ، بمعنى هدّدني

وزأر : مصدر زأر الأسد بالهمز يزأر وزأراً ، إذا صَوَّت بِحَقِّقٍ . وهذا تمثيل لغضبه .
 وقوله : (ها إن تا) إلخ ها للتنبيه ، وتا : اسم إشارة لما ذكره في قصيدته من
 يمينه على أنه لم يأت بشيء يكرهه ، وهى مبتدأ خبره عذرة . قال بعضهم : إنَّ
 عذرتى هذه عذرة . وقال الخطيب التبريزى فى شرحه لهذه القصيدة : الإشارة
 للقصيدة ، أى إنَّ هذه القصيدة ذات عذرة ^(١) . والعذرة بكسر العين اسم
 للعذر ، وبضمها قال صاحب الصحاح : يقال عذرتة فيما صنع أعذره
 عذراً ، و عُذراً . والاسم المعذرة والعُذرى . وكذلك العِذرة ، وهى مثل الرُكبة
 والجلِسة . وأنشد هذا البيت . وقال صاحب المصباح : عذرتة فيما صنع عُذراً من
 باب ضرب : رفعتُ عنه اللوم ، فهو معذور ، أى غير ملوم . والاسم العُذر ،
 وتضمُّ الذال للإتباع وتسكن . وقوله : (إنَّ لم تكن نفعت) روى أيضاً : «إلا
 تكن نفعت» .

وقوله : (إنَّ صاحبها) أى صاحب العذرة ، ويعنى به نفسه . و(تاه)
 الإنسان فى المفازة يتيه تيهاً : ضلَّ عن الطريق ؛ وتاه يتوه تَوْهاً لغة . وقد تَيَّهته
 وتَوَّهته ، ومنه يستعار لمن رام أمراً فلم يصادف الصواب ، فيقال إنه تائه . كذا
 فى المصباح . و(البلد) : الأثر والأرض ، وقيل هنا بمعنى المفازة ، فإنَّ مَنْ تحيَّر
 فى المفازة يَهْلِك . وقال شارح ديوانه : معناه لأفارق بلدك مادمت سائحاً
 على . والمعنى عندى : إن لم تقبل عذرى وترضى على ^(٢) فإنى أختلُّ حتى إئنى
 أضلُّ فى البلدة التى أنا فيها ، لما أنا فيه من عِظَم الدهشة الحاصلة لى من
 وعيِّدك . فتأمل .

* * *

(١) ط : «عذر» ، وفى ش : «ذا عذرة» ، صوابها مأثبت .

(٢) ش : «وترضى عني» .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١):

٤١٤ (ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا

فقلتُ لهم : هذا لها ، ها وذا اليا)

على أن الفصل بالواو بين ها وذا قليل ، والأصل : وهذا ليا .

نقل بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) عن صدر الأفاضل : إنما جاز تقديم ها على الواو لأن هاتينيه ، والتنبية قد يدخل على الواو إذا عطفت جملة على أخرى ، كقولك : ألا إن زيدا خارج ألا وإن عمراً مقيم. اهـ

قال سيبويه في (باب استعمالهم علامة الإضمار الذي لا يوقع موقع ما يضم في الفعل) ، قال: وكذلك ها أنا ذا ، وها نحن أولاء ، وها هو ذاك ، وها أنت ذا ، وها أنتم أولاء ، وها أنتن أولاء ، وإنما استعملت هذه الحروف هنا لأنك لا تقدر على شيء من الحروف التي تكون علامة في الفعل ، ولا على الإضمار الذي في فعل. وزعم الخليل أن هاهنا هي التي مع ذا إذا قلت هذا ، وإنما أرادوا أن يقولوا هذا أنت ، ولكنهم جعلوا أنت بين ها وذا ، وأرادوا أن يقولوا أنا هذا وهذا أنا ، فقدّموا «ها» وصارت أنا بينهما . وزعم أبو الخطاب أن العرب الموثوق بهم تقول : أنا هذا ، وهذا أنا . ومثل ما قال الخليل في هذا قول الشاعر:

٤٨٠

ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا البيت

(١) وهو من شواهد س ، ساقط من ط . وانظر سيبويه ١ : ٣٧٩ والمقتضب ٢ : ٣٢٣ وابن يعيش ٨ : ١١٤ والجمع ١ : ٧٦ وملحقات ديوان لبید ٣٦٠ . وسيعاد مرة أخرى في ٤ : ٤٧٨ .
(٢) ط : «بعد» ، صوابه في ش .

كأنه أراد أن يقول : وهذا لى ، فصير الواو بين ها وذا . وزعم أن مثل ذلك : إى ها الله ذا ، أى إنما هو هذا . وقد تكون هافى ها أنت ذا غير مقدّمة ، ولكنها تكون بمنزلتها فى هذا . ويدلك على هذا قوله عز وجل : ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ ، قلو كانت هاهنا هى التى تكون أولاً إذا قلت هؤلاء لم تعد «ها» ههنا بعد أنتم . وحدّثنا يونس أيضاً تصديقاً لقول أبى الخطاب ^(١) أن العرب تقول : هذا أنت تقول كذا وكذا . ولم يرد بقوله هذا أنت أن يعرفه نفسه ، كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيره . هذا محال ، ولكنه أراد أن ينبّه ، كأنه قال : الحاضر عندنا أنت ، إذ الحاضر ^(٢) القائل كذا وكذا أنت . وإن شئت لم تقدّم ها ^(٣) فى هذا الباب ، قال عز وجل : ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ ^(٤) . هذا نصٌ سيويّه ، ونقلناه بطوله لكثرة فوائده .

قال الأعلام ^(٥) : الشاهد فى فصله بين ها وذا بالواو ، ونصب نصفين على الحال . وفى هذا حجة لما أجازّه سيويّه من الحال فى قول ذى الرمة :
ترى خلّقها نصفٌ قنّةً قويمةً
ونصفٌ نقاً يرتجُ أو يتمرمرُ

وأطال على المبرد فى إبطال جوازه ، فإنه قال ^(٦) : سيويّه رفع نصف ومابعده على القطع والابتداء ، ولو نصب على البدل أو على الحال لجاز .

(١) ط : «تصديقاً لأبى الخطاب» ، وأثبت ما فى ش وسيويّه .

(٢) سيويّه : «والحاضر» .

(٣) فى النسختين : «لم تقدمها» ، والوجه ما أثبت من سيويّه .

(٤) الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٥) انظر سيويّه ١ : ٢٢٣ بلاق .

(٦) الكلام التالى للأعلام فى موضع سابق للشاهد فى سيويّه ١ : ٢٢٣ بلاق يقابله ما سبق فى

وغلطه المبرد وزعم أنَّ نصفاً معرفة لأنه في نية الإضافة ، فكأنه قال : ترى خلقها نصفه كذا ونصفه كذا . والحجة لسيبويه أنه نكرة وإن كان متضمناً لمعنى الإضافة ، وليس من باب كلّ وبعض ، لأنَّ العرب قد أدخلت عليه الألف واللام وثنته وجمعته ، وليس شيء من ذلك في كلّ وبعض . وصف امرأة فجعل أعلاها في اللطافة كالقناة ، وأسفلها في امتلائه كالنقا المرتج المتمرير ، أى يجرى بعضه في بعض . انتهى .

ومعنى البيت الشاهد واضح .

ونسبه الأعلام إلى لبيد ؛ وكذلك نسبه الأندلسي (في شرح المفصل) صاحب الشاهد إليه . وأنا لم أره في ديوانه . وكذلك قال قبلى ابنُ المستوفى (في شرح أبيات المفصل) : إنه لم يره في ديوانه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(حَنْتَ نَوَارٍ وَلَاتِ هُنَّا حَنْتِ)

هذا صدر ، وعجزه :

(وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارٍ أَجْنَبَتْ)

على أَنَّ هُنَّا بمعنى الزمان ، أى لات حين حَنْتِ ؛ فهى ظرف زمان لإضافتها إلى الجملة .

قد تقدم الكلام عليه مفصلاً في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين (١) .
والحنين: نزاع النفس إلى شيء . ونَوَارٍ: اسم امرأة مبنية على الكسر في لغة الجمهور ، وعند تميم معرب لا ينصرف . وأجْنَبَتْ ، بالجيم بمعنى أخفت وسترت ، وتاؤه وتاء حَنْتِ مكسورتان للوزن .

باب الموصل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد الأربعمئة (١) :

٤٨١ ٤١٥ (وَأَنَّى لَرَايَ نَظْرَةً قَبْلَ التِّي
لَعَلِّي وَإِنْ شَطَطَتْ نَوَاهَا أَزُورُهَا) (٢)

على أن جملة (لعلّي) ملح صلة التّي ، بتقدير القول ، أي التّي أقول لعلّي أزورها. وإنما قدّر أقول (٣) لأنها إنشائية لا يصح وقوعها صلة ، فقدّر القول لتكون خبريّة. وينبغي أن يقول التّي أقول فيها لعلّي، ليحصل عائد الموصل. وهذا تخرّيج أي على الفارسيّ (في التذكرة القصيرية) ، قال فيها : قول الفرزدق :

* وَأَنَّى لَرَايَ نَظْرَةً قَبْلَ التِّي *

هو على غير الظاهر ، وتأويله الحكاية ، كأنه قال : التّي أقول فيها هذا القول . وإضمار القول شائع كثير ، والحكاية مستعملة إذا كان عليها دليل . والدلالة هنا قائمة ، وهي أن الصلة إيضاح ، وماعدا الخبر لا يوضح . وقال أيضاً (في إيضاح الشعر) : جاء في هذا البيت للفرزدق الصلة غير الخبر ، والصلة لا تكون إلاّ خبراً كما أن الصفة كذلك .

(١) ديوان الفرزدق ٦٦١ برواية : « وإن شقت على أناها » . وانظر شرح شواهد المعنى ٢٧٤

والجمع ١ : ٩٥ والأشموقي ١ : ٦٣ .

(٢) ويروى : « أناها » ، كما سبق في التخرّيج .

(٣) كلمة « قدر » ساقطة من ش .

فإن قلت : فقد جاء من الموصولة ^(١) مأوَّصل بغير الخبر ، نحو ماقالوه : كتبت إليه : أن قم وبأن قم ؟ قلت : ذلك وإن جاء في «أن» لا يستقيم في الذى ونحوه من الأسماء ، لأن الذى يقتضى الإيضاح بصلته ، وليست أن كذلك . ألا ترى أنها حرف ، وأنه لا يرجع إليها ذكر من الصلة . وهذا وإن جاء فى البيت فإن النحويين يجعلون لعل كليت ، فى أن الفاء لاتدخل على خبرها ، فلا يميزون : لعل الذى فى الدار فمنطلق كما لا يميزون ذلك فى ليت .

فإن قلت : أحمل لعل على المعنى ، لأنه طمع كأنه قال : أطمع فى زيارتها ؟ قيل لك : فصله أيضا بالتمنى ^(٢) وقل : المعنى الذى أتمنى ، وصله بالاستفهام والنداء ، وجميع ^(٣) مالم يكن خبراً ، وقل : المعنى الذى أنادى ، والذى أستفهم . فهذا لا يستقيم .

ويجوز فيه أن تقدّر قبل لعلى فعلا وتحذفه لطول الكلام ، فيكون الصلة الفعل الذى هو أقول فيها ، وهو خبر لا إشكال فيه . وحسن الحذف لطول الكلام . اهـ

وأورده ابن هشام (فى الجملة المعترضة من الباب الثانى من المعنى) على أن جملة «وإن شطّ نواها» معترضة بين لعلى وبين أزورها . وصلة التى قولٌ محذوف كما ذكرنا .

وذكره الخفاف (فى شرح جمل الزجاجى) على أن أزورها صلة التى ، وفصل بينهما بلعل وإن شطّ ^(٤) على وجه الاعتراض ، ويكون خبر لعل

(١) ش : « من الموصولات » .

(٢) ش : « فصله أيضا بليت » .

(٣) ش : « أو جميع » .

(٤) ط : « وإن سقطت » .

محدوفاً تقديره : لعلّ أبلغ ذلك . والفصلُ بين الصلّة والموصول بمجمل جائز .
قال الشاعر :

* ذاك الذى وأبيك يعرف مالكاً ^(١) *

ففصل بالقسم بين الصلة والموصول .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى) فقال : ويحتمل أن هذا البيت من قبيل
الاعتراض بين الموصول وصلته على أن تقدير الصلة أزورها ، ويقدر خبر لعلّ
محدوفاً ، أى لعلّى أفعل ذلك .

وهذا التخريج مأخوذ من كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) ،
وما ارتضى ظاهره ، بل وجهه فقال : فإن قلت أراد بأزورها التقديم ، كأنه
قال : التى أزورها ؟ قلنا: إن ذلك لا يستقيم ، لأنه واقع موقع الخبر ، وتقدير
الخبر على لعلّ لا يستقيم . والوجه فيه أنه لما جرى أزورها خبراً للعلّ سدّ أزورها
مسدّد الصلة التى يجب أن تكون خبراً ، فكأنه أراد التى أزورها ، فأغنى ذكر
أزورها خبراً للعلّ عن ذكره لها قبل لعلّ ، والمعنى على التقديم . وأشبه هذا
قولهم : لو أن زيداً جاءنى ، فى أن الفعل الجارى فى الصلة سدّ مسدّد الفعل
الذى يقع قبل أن بعد لو ، ولولا هذا الفعل لم يجز . ألا ترى أنه لا يجوز : لو
مجيئك . فكذلك سدّ ذكره بعد لعلّى مسدّد ذكره قبل لعلّى . فهذا وجهه . ولا ينبغي
أن يقاس على هذا ولا يؤخذ به ، وكأنّ الذى حسنّ هذا طول الكلام وذكر الخبر
فى الصلة ^(٢) . وقد رأيت طول الصلة يجوز فيه مالا يجوز إذا لم تطلّ . اهـ

٤٨٢

ولم يكتب الدمامينى ولا شارح شواهد المغنى على هذا البيت شيئاً .

(١) الجهر فى ديوانه ٤٣٠ . وانظر معجم الشواهد . وقامه :

* والحق يدفعُ ثُرْهَاتِ الباطل * .

(٢) ط : « وذكر الجزاء فى الصلة » ، صوابه فى ش .

هذا . وآخر البيت مغير عن أصله ، والرواية الصحيحة :

* لعلّي وإن شئت على أنالها *

والبيت من قصيدة لامية كما يأتي بعضها . وحينئذ يأتي في أنالها ما قيل في أزورها ، بل يتحتم إضمار القول .

والقصيدة مدح بها الفرزدق بلال بن أبي بردة . وأولها : صاحب الشاهد

(وقائلة لي لم يُصِبنِي سهاُمها رَمَتْنِي على سوداءِ قلبي نبالُها^(١) وأبىات الشاهد
وإني لرامِ رميةً قِيلَ التي لعلّي وإن شئت على أنالها
ألا ليت حَظّي من عُليّة أُنّي إذا نمتُ لا يسرى إلى خيالها
فلا يُلبثُ الليلَ الموَكَّلُ دونها عليه بتكرار الليالي زوالها)
وبعد هذا شرع في مدحه .

وقوله : (وقائلة لي) إلخ هو من القتل ، يقول : ربّ امرأة قتلتني مع أنّها لم تصبني بسهامها الحقيقية ، لكنها رمت سُوداءَ قلبي بنبال عُيونها فقتلتني .
وقوله : رمتني ، جواب ربّ .

وقوله : (وإني لرام) إلخ يقال رمى نظره نحو كذا ، أي توجه نحوه ،
ورمى نحوه رميةً ، إذا قصده قصداً . ومنه الحديث : «ليس وراء الله مرمى» أي مقصود ترامي إليه الآمال^(٢) ، ويوجّه نحوه الرجاء . و (شطّ) من باى ضرب وقتل . يقال شطّ الدار أي بُعدت . و (نواها) : فاعل شطّ .

(١) في الديوان : « وقائلة » ، وما هنا صوابه .

(٢) ط : « ترمى اليه الآمال » ، وأثبت ما في ش .

والتوى مؤنثة لاغير ، وهى الوجه الذى ينويه المسافر من قُرْبٍ أو بُعْدٍ . ويجوز أن يكون فاعل شطّبت ضمير التى ، ونواها منصوب بتقدير فى . هذا على الرواية الأولى . وأمّا (شَقَّت) على الرواية الثانية ففاعله ضمير رمية ، من شَقَّ الأمر عليه ، إذا اشتدَّ وثقل عليه . ومنه حديث : « لولا أن أشقَّ على أمتى لأمرتهم بالسَّوَاك عند كلِّ صلاة » . (أنالها) مضارع نال خيراً تَيْلاً ، أى أصابه .

وقوله : «فلا يلبثُ الليلُ» إلخ قال شارح ديوانه : يقول زالت فذهبت ، فزوالها يُهْدَى إلى خيالها كلَّ ليلة ، وزوالها لا يحبس الليل عنى ، فلا يلبث زوالها أن يُعيدَ خيالها . وقال الحرّمازى . يقول : ليت حظى منها أن لا يلبث الليل الموكّل على زوالها بال تكرار ، أى يكرّر زوالها على الليل بجعل الليلة ليالى . وهو مثل قوله :

كَأَنَّ اللَّيْلَ يَحْبِسُهُ عَلَيْنَا ضِرَارٌ أَوْ يَكُرُّ إِلَى نَدْوَرٍ
أى كأنه يعود كلما كاد يَفْنَى . اهـ

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين (١).

* * *

وأنشد بعده :

(جاءوا بمَذِقٍ هل رأيت الذئبَ قَطْ)

على أن الجملة الاستفهامية وقعت صفة لمذق ، بتقدير : تقول عند رؤيته : هل رأيت ، إلخ . وقبله :

(مازلتُ أسعى معهم وأختبطُ حتى إذا جنَّ الظلامُ واختلطُ

جاؤا بمدق إلخ . يقال خبطت فلاناً واختبطته أى سألته بغير وسيلة

٤٨٣

ما . شكا قوما وقال : لم أزل طولَ النهارِ أسعى معهم وأسألهم شيئاً ، حتى إذا أظلم الليل واختلط الظلام جاعوني بلبني مخلوط بماء كثير يضرب لونه لكثرة مائه إلى لون الذئب ، فكلُّ من رآه يستفهم عن رؤيته الذئب ؛ لأنه بلونه يحمل رائبه على السؤال عن الذئب . وإنما قال هذا لأن الذئب موصوفٌ بالورقة ، واللبني إذا كثرت مائه يصير أورق . والورقة بالضم : لون أبيض يخالطه سواد .

وقد تقدم الكلامُ عليه مفصلاً في الشاهد السادس والتسعين (١).

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة)

هو بعض بيت أصله :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأتهم من ورائهم وكف)

على أنه حذف بعض الصلة (٢) تخفيفاً ، وهو النون ، والأصل الحافظون عورة العشيرة . فال موصول اسمي بمعنى الذين ، والوصف المجموع صلته ، وقد حذف بعضها وهو النون . وهذا على رواية نصب عورة ، وأما على رواية

(١) الخزنة ٢ : ١٠٩ .

(٢) كلمة « بعض » ساقطة من النسختين ، وإثباتها من نص الرضى ٢ : ٣٥ في قوله : « وتارة بحذف الصلة ، إما الضمير أو نون المتنى والمجموع نحو الحافظو عورة العشيرة » .

جرّها فحذف النون للإضافة . وقد تقدّم الكلام عليه مفصّلاً في الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة (١).

والعورة : المكان الذى يُخاف منه العدو . وقال ثعلب : كلُّ مَخُوفٍ عورة . وقال كراع : عورة الرجل فى الحرب : ظهره . والعشيرة : القبيلة . والوكف ، بفتح الواو والكاف ، ويروى بدله (تَطَف) بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العيب . أى يحفظون العشيرة أن يصيبهم ما يُعابون به ولا يُضيّعون ما استُحفظوا فيلحق العشيرة عيبٌ بذلك .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الأربعمئة (٢):

٤١٦ (سُودِ نَوَاصِيهَا وَحُمِرِ أَكْفُهَا

وَصُفِرِ تَرَّاقِيهَا وَيَبِيضِ خُدُودُهَا)

على أن رجوع الضمير من نواصيها على الموصوف بسودِ المقدّر ، خاصٌّ بالضرورة ، والقياس بنساءٍ سودٍ نواصيها .

وهذا على رواية البيت كذا ، وأما على ماسيأتى فمرجع الضمير وصفٌ مذكور فى بيتٍ قبله .

والبيت من أبياتٍ للحسين بن مطير ، أوردها أبو تمام فى باب النسيب (من الحماسة) وهى :

صاحب الشاهد

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ .

(٢) أمالى القالى ١ : ١٦٥ والمرضى ١ : ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٠ والحماسة بشرح المروزقى ١٢٣٠ .

أبيات الشاهد

(لقد كنتُ جلدًا قبل أن تُوقد النوى
 على كبدى ناراً بطيئاً جُموّدها
 وقد كنتُ أرجو أن تموتَ صبايتى
 إذا قدّمتَ أيامُها وعهودُها
 فقد جعلتُ فى حبة القلب والحشا
 عهادُ الهوى تُولى بشوقٍ يُعيدها
 بسود نواصيها البيت

مُخَصَّرَةُ الأوساط زانت عُقودَها بأحسنَ مما زينتُها عقودُها
 يُمَنِّينَا حتى تُرَفِّ قُلُوبُنَا رفيفَ الخُزامى باتَ طَلَّ يَجُودُها)

قال أمين الدين الطبرسى (فى شرح الحماسة) تبعاً للخطيب التبريزى :
 يقول : كنتُ حمولاً لحوادثِ الزمان صبوراً عليها ، حتى مُنيتُ بفراق الأُحبة ،
 وكنتُ أرجو أن تسكُنَ صبايتى وتنصرم إذا مال عليها الدهر وتقادمتَ أيامُها ،
 أى أيام الصباية . والعُهود : جمع عهد ، وهو اللقاء ههنا . والعهاد : جمع
 ٤٨٤ عَهْد ، وهو المطر فى أوّل السنة ، وروى بالنصب والرفع ، فالنصب على أنه
 مفعول أوّل لجعلتُ ، وتُولى بشوق فى موضع المفعول الثانى ، ويُعيدها صفة
 شوق . ومعنى تُولى : ثُمطرُ الولى . والولى : المطر بعد الوسمى . أى صيرت فى
 حبة القلب وأحشائه أمطارَ الهوى تتجدّد وتُتبع بولى من الشوق يرُدّها كما
 كانت . والضمير فى يعيدها يرجع إلى عهاد . يريد أن الشوق لا ينقضى . والرفع
 على أن يكون جعلتُ بمعنى طِفَقْتُ ^(١) وأقبلتُ ، فيكون غير متعَدٍّ

(١) ط : «بمعنى خففت» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وشرح الحماسة للمرزوق ١٢٢٩ .

ويرتفع عهادُ الهوى به . ويروى : «يُولَى» بالياء ^(١) . و«يُعِيدُهَا» بالباء فاعل
(يُولَى) ^(٢) . أى فقد طفقت أوائل هواها يُمطرُ أبعدُها بشوقٍ يجِدُّها .

والباء فى قوله : (يسود) يجوز أن يتعلق بقوله تموت صبايتى ، ويجوز أن
يتعلق بجعلتُ ، إذا ارتفعت عهادُ الهوى به . يريد جعلتُ العهادُ تفعل ذلك
بسبب نساءِ بهذه الصفات «محصرة الأوساط» ، أى دقيقة الخصور ،
وقلائدهن ^(٣) تكتسب من التزيّن بهنّ إذا علّقت عليهن أكثر مما يكتسبن
منها إذا تحلّين بها . اهـ

والأقرب أن تتعلق الباء فى «يسود» بقوله يُعيدُها ، وهو الأنسب من
جهة المعنى .

وقال الخطيب التبريزى : وإنما جاز أن يجمع حُمر وسود وغيرهما ، وإن
ارتفع مابعدُها بها ، لأن هذه الجموع لها نظائرُ فى الأسماء المفردة ، ولو كانت
مالا نظير له فى الواحد لما جاز جمعه ، تقول : مررت برجالٍ ظُرَافِ آبَاؤُهم ،
ولو قلت : برجالٍ ظريفين آبَاؤُهم لم يجوز .

وقوله : «يُمَيِّنُنَا» يصف حُسن مواعيدهنّ وتقريبن أمر الوصال . «حتى
ترَفَّ قلوبنا» أى تهتَزَّ نشاطاً وترتاح وتفرح . والخزامى ، بضم أوله والقصر :
خيرى البَرّ . ورفيفها : اهتزازُها . والطلُّ : أثر الندى فى الأرض من المطر .
وإنما جعل الطلُّ يجودُ جوداً لأنه يفعل فى رِىّ الخزامى ونَعْمَتها مايفعل الجودُ فى
نبات الأرض . يقال رَفَّ يَرِفُّ ، إذا اهتَزَّ نعمةً ونضارة .

(١) ط : « يولى بالياء » ، صوابه ما أثبت من ش .

(٢) ط : « يولى » ش « تولى » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) ش : « قلائدهن » بدون واو .

وقد أورد هذه الأبيات بأكثر من هذا مع بعض تغيير السيد المرتضى
(في أماليه) قال : أخبرنا أبو عبد الله المزياني قال : أنشدنا علي بن سليمان
الأخفش قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب ، للحسين بن مطير :

(لقد كنت جلدًا قبل أن يُوقد الهوى على كبدى ناراً بطيئاً محمودها أيات الشاهد
ولو تُركت نارُ الهوى لتضرمت ولكن شوقاً كل يوم يزيدها
وقد كنت أرجو أن تموت صبايتي إذا قدمت أيامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهد الهوى تلوي بشوق يعيدها^(١)
بمرتجة الأرداف هيف خصوصها عذاب ثناياها عجاف قيودها
وصفر تراقبها وخبر أكفها وسود نواصيها وبيض خلودها
يمنينا حتى ترف قلبونا رفيف الخزامى بات طل مجردها) اهـ
وكذا روى هذه الأبيات القالي^٢ (في أماليه) عن ابن دريد وعن ابن
الأعرابي .

وكتب الشريف المرتضى على قوله « بمرتجة الأرداف » ... البيت : يعنى
أنها عجاف اللثات . وأصول الأسنان^(٢) هي قيودها . قال أبو العباس
ثعلب : خفض عجاف لحن ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون
نصباً لأنه حال من الثنايا . اهـ

أقول : إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير في قيودها للثنايا . وهذا
عجب منه، فإن باب جرّيان الصفة على غير من هي له واسع .

(١) في أمالي المرتضى : « تولى بشوق » .

(٢) ط : « وأصل » ، صوابه في ش وأمالي المرتضى .

والباء في قوله: بمرتبجة متعلقة بقوله: يعيدها ، ويجوز أن تتعلق بجعلت أو بتموت . ومرتبة الأرداف هو مرجع الضمائر الآتية بعده ، فلا يرد ماأوردته الشارح المحقق ، في البيت الشاهد .

وقوله : «مُخَصَّرَةُ الْأَوْسَاطِ» بالجر ، ويجوز النصب والرفع على المدح . وكذلك قوله : « وصفر تراقبها » . والبيت مأخوذ من قول مالك بن أسماء بن خارجه :

وَتَزِيدُنِ أَطِيبَ الطَّيِّبِ طِيباً أَنْ تَمَسِّيَهُ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا^(١)
وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجْهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهِكَ زَيْنَا

وقوله: « وصفر تراقبها » بالتنوين في المواضع الأربعة ، وتراقبها فاعل صفر ، وكذلك أكفها ونواصبها . والتراقى : جمع ترقوة ، وهى أعلى الصدر . وصفها بالصفرة من الطيب كالزعفران . وأراد بحمرة أكفها الخضاب .

وهذا البيت أورده ابن رشيق (في العمدة) في باب المطابقة ، قال : أنشد غير واحد من العلماء : بسود نواصبها ، البيت . ورواه ابن الأعرابي في نسق أبيات : «وصفر تراقبها وحمر أكفها» ... إلخ . وهذه الرواية أشكل في الصنعة .

وروى أبو تمام (في الحماسة) للحسين بن مطير أيضاً ، ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة :

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبِكَاءَ
فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا

خَلِيلٌ مَا بِالْعِيشِ عَيْبٌ لَوْ أَنَا

وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الصَّبَا مَن يُعِيدُهَا

وروى أبو تمام أيضاً لغيره، وبعض الرواة يرونها لابن مطير أيضاً :

وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْجَوَى

كَنْظَرَةٍ تَكَلَّى قَدْ أَصِيبَ وَلِيدُهَا (١)

هَلِ اللَّهُ عَافٍ عَنِ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ

أَمْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا (٢)

وحسين بن مطير هو (كما قال في الأغاني) حُسَيْنُ بْنُ مَطِيرٍ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ مَطِيرٍ

مَكْمَلٌ ، مَوْلَى لَبْنَى أَسَدَ بْنِ خَزِيمَةَ ثُمَّ لَبْنَى سَعْدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ دُوْدَانَ بْنِ أَسَدَ . وَكَانَ جَدُّهُ مَكْمَلٌ عَبْدًا ، فَأَعْتَقَهُ مَوْلَاهُ ، وَقِيلَ بَلْ كَاتِبُهُ فَسَعَى فِي مَكَاتِبِهِ حَتَّى أَدَاَهَا وَأُعْتِقَ .

وحسينٌ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . شاعرٌ متقدمٌ في القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بني أمية وبني العباس ، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية ، ووفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن ، فلما دخل عليه أنشده :

(١) ورد هذان البيتان في الحماسة ١٣٦٠ بشرح المرزوقي مفصولين عن بيتين آخرين للحسين بن

مطير مسبوقين بقول المرزوقي : « وقال آخر » . لكنهما مع سابقيهما في الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ٣٠٣ مقطوعة واحدة للحسين بن مطير .

(٢) في رواية التبريزي : « يعيدها » .

أَتَيْتُكَ إِذْ لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ جَابِرٌ

وَلَا وَاهِبٌ يَعْطِي اللَّهُمَّ وَالرَّغَائِبَا (١)

فقال له معن : يا أخا بني أسد ، ليس هذا بمدح ، إنما المدح قول نَهَار

بن تَوْسِيعَةَ فِي مِسمَعِ بن مالك بن مِسمَع :

قَلَدَتْهُ عُرَى الْأُمُورِ نَزَارٌ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكَ السَّرَّاءُ الْبَحُورُ (٢)

قال : وأول هذا الشعر :

أَظَعْنِي مِنْ هَرَاةٍ قَدْ مَرَّ فِيهَا حَجَجٌ مَذَّ سَكَنْتُهَا وَشَهُورُ (٣)

أَظَعْنِي نَحْوَ مِسمَعِ تَجْدِيدِهِ نِعَمٌ ذَا الْمَشْنَى وَنِعَمَ الْمَزُورُ (٤)

سَوْفَ يَكْفِيكَ إِنْ ثَبَّتَ بِكَ أَرْضُ بَخْرَاسَانَ إِذْ جَفَاكَ أَمِيرُ

مَنْ بَنَى الْحِصْنَ عَامِرُ بْنُ بَرِيحٍ لَأَقْلِيلُ الْندَى وَلَا مَنْزُورُ (٥)

وَالَّذِي يَقْزَعُ الْكِمَاءَ إِلَيْهِ حِينَ تَدْمَى مِنَ الطَّعَانِ التُّحُورُ

فَاصْطَنَعَ يَا ابْنَ مَالِكٍ آلَ بَكْرِ وَاجْبُرُ الْعَظَمَ إِنَّهُ مَكْسُورُ

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها ، منها :

(١) في الأغاني ١٤ : ١١١ : « لما يبق » ، وما هنا صوابه .

(٢) في الأغاني : « المحجور » ، صوابه ماهنا .

(٣) ط : « قد سكنتها » ، صوابه في ش والأغاني .

(٤) في النسختين : « نعم ذى المنتأى » ، تحريف . أى نعم هذا الموضع الذى ينشئ إليه

المادحون والراغبون .

(٥) الحصن هذا هو ثعلبة بن عكابة بن صعب . وفي الأغاني أن مسمع من بني تيم الله بن

ثعلبة . وهم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ، كما في جمهرة ابن حزم ٣١٤ . وفي النسختين :

« عامل بن بريح » ، وأثبت ما في الأغاني .

سَلَّ سِيُوفًا مُّحَدَّثًا صِيقَالُهَا صَابَ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبِأَلْهَا

* وَعِنْدَ مَعْنَى ذِي التَّدْيِ أَمْثَالُهَا *

فَاسْتَحْسَنَهَا وَأَجْزَلَ صَلْتَهُ .

قال المفضل الضبيّ : كنت يوماً محتاجاً إلى درهم ^(١) ، وعلى عشرة آلاف درهم ، إذ جاءني رسول المهديّ فقال : أجب أمير المؤمنين ! فتخوّفته لأنني كنتُ خرجتُ عليه مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فتطهرتُ ولبستُ ثوبين نظيفين ، وصيرتُ إليه ، فلما مثلتُ بين يديه سلّمت ، فردّ عليّ وأمرني بالجلوس ، فلما سكّن جأشي قال لي : يامفضل ، أيّ بيتٍ قالته العرب أفخر ؟ فتشكّكت ساعة ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى جالساً ثم قال : وأيّ بيتٍ هو ؟ قلت : قولها :

وإنَّ صَحْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فأومأ إلى إسحاق بن بزيع ثم قال : قد قلتُ له ذلك فأبى . فقلت : الصّوابُ ما قاله أمير المؤمنين . ثم قال : يامفضل ، أسهرني البارحة قول ابن مطير الأسديّ :

وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي فَقِيرُهَا غَنِيًّا وَيَغْنَى بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا

فَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا

ثم قال : ألهذين البيتين ثالث ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين :

(١) في الأغاني ١٤ : ١١٢ : « كنت جالساً على بائٍ وأنا محتاج إلى درهم » .

وكم قد رأينا من تغير عيشة

وأخرى صفًا بعد اكدرار غديرها (١)

وكان المهدي رقيقاً ، فاستعبر ثم قال : يامفضل ، كيف حالك ؟
قلت : كيف تكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ! فأمر لي
بثلاثين ألف درهم .

ودخل ابن مطير يوماً على المهدي فأنشده :

لو يعبدُ النَّاسُ يامهديّ أفضلهم

ماكان في الناس إلا أنت معبودُ

أضحت يمينك من جودٍ مصورةً

لا بل يمينك منها صورُ الجودِ

من حُسن وجهك تبدو الأرضُ مشرقاً

ومن بتانك يجرى الماء في العود (٢)

لو أن من نوره مثقال خردلة

في السُّود طراً إذا لايبضُّ السُّودُ

فأمر له لكل بيت بألف درهم .

والبيت الثالث رأيته مجروراً كما هو .

ومن قصيدة له في مدح المهدي :

إذا شاهدَ القَوَادَ سارَ أمامهم

جرى على مايتقون وثوب

(١) ط : «صفاء» ، صوابه في ش والأعاني .

(٢) هذا البيت لم يرد في الأعاني . وفيه إقواء .

٤٨٧

وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابةً

بها يقهر الأعداء حين يغيبُ (١)

يعفُ ويستحيى إذا كان خالياً

كما عفَّ واستحيا بحيثُ رقيبُ

ومن شعره المشهور في رثاء مَعْن بن زائدة :

ألمَّا بمعنٍ ثم قولاً لقبره

سُقِيت الغواذى مَرَبَعاً ثُمَّ مَرَبَعاً

أيا قبر مَعْن كنتَ أوَّلَ حُفْرَةٍ

من الأرض حُطَّتْ للمكارم مضجعاً

أيا قبر مَعْن كيف واريث جوده

وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُتَرَعَا

بلى ، قد وَسِعَتْ الجودُ والجودُ ميتُ

ولو كان حياً ضَقَّتْ حتَّى تصدَّعا

أبى ذكُرُ مَعْن أن تموتَ فعاله

وإن كان قد لاقى جِماماً ومَصْرَعَا

هذا ما انتخبته من الأغاني .

وروى السيّد المرتضى (في أماليه) بسنده عن محمد بن حميد قال : كنّا

عند الأَصمعيّ ، فأنشده رجلُ أبياتٍ دُغِبل :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَآيَةُ سَلَكَا لَا أَيْنَ يُطَلَّبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكَا (٢)

(١) ش : « بما يقهر » ، صوابه في ط والاعاني .

(٢) هذا البيت ساقط من أمالي المرتضى ١ : ٤٣٨ .

لا تعجبى ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
 ياسلم مابالشيب منقصة لا سوقة يُقى ولا ملكا
 قصّر القواية عن هوى قمر وجد السيل إليه مُشتركا
 ياليت شعرى كيف نومكما ياصاحبي إذا دمي سفكا
 لاتأخذا بظلامتي أحدا قلبى وطرفى فى دمي اشتراكا
 فاستحسنها كل من كان حاضرا فى المجلس ، وأكثروا التعجب
 من قوله :

* ضحك المشيب برأسه فبكى *

قال الأصمعيّ : إنما أخذ هذا من قول ابن مطير الأسدى :
 أين أهل القباب بالدهناء أين جيراننا على الأحساء
 جاورونا والأرض ملبسة نو ر الأقاحى تُجاد بالأنواء
 كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء
 ذهب حيث ماذهنا ، ودر حيث دُرنا ، وفضة فى الفضاء (١)
 وقد أخذه مسلم فى قوله :
 مُستغبر يبكى على دمنة ورأسه يضحك منه المشيب (٢)
 قال السيّد المرتضى قدس الله روحه : ولأبى الحجناء نصيب الأصغر
 مثل هذا المعنى :
 فبكى الغمام به فأصبح روضه
 جذلان يضحك بالجميم ويزهر

(١) ديوان مسلم ٣٦١ عن الوساطة للجرجاني ٤٢ وزهر الآداب ٩٨١ ومعاهد التنصيص ١ :

ولابن المعتز مثله :

أَلَحْتُ عَلَيْهِ كُلَّ طَخِيَاءٍ دِيمَةٍ
إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِكَ الزَّهْرُ

ولابن دريد مثله :

تَبَسَّمَ الْمَرْءُ وَانْهَلَتْ مَدَامُعُهُ
فَأَضْحَكَ الرَّوْضَ جَفَنُ الضَّاحِكِ الْبَاكِي

٤٨٨

وغازل الشمسَ نورٌ ظلٌّ يَلْحَظُهَا
بَعِينٌ مُسْتَعْبِرٌ بِالْذَّمْعِ ضَحَّاكٍ
وَرَوَى عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ ^(١) أَنَّهُ قَالَ : أَخَذَ ابْنُ مُطَيْرٍ قَوْلَهُ :
* تَضَحَّكَ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ *

من قول دُكَيْنِ الرَّاجِزِ :

جُنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكَ وَضَحِكَ الْمَرْءُ بِهِ حَتَّى بَكَى
انْتَهَى مَا أَوْرَدَهُ السَّيِّدُ فِي أَمَالِيهِ .

وهذا الخبر المسند إلى الأصمعي رواه (صاحب الأغاني) بسنده إلى أبي
المنشئ أحمد بن يعقوب ابن أخت أبي بكر الأصم . وإنما اخترنا رواية السيّد
لأنها اشتملت على فوائد . ولم يحك صاحبُ الأغاني في روايته إلا قوله :

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ... البيت

(١) في النسختين : «وروى أبو العباس» ، والوجه ما أثبت من أمالي المرتضى .

مع أبيات ابن مُطِير (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الأربعمئة (٢) :

٤١٧- (وقد يُخْرِجُ اليربوعُ مِن نَافِقائِهِ

وَمِن جُحْرِهِ الشَّيْخَةَ الَّتِي تَقْصَعُ

يَقُولُ الْخَنَى ، وَأَبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقاً

إِلَى رَبَّنَا صَوْتُ الْحَمَارِ الْيُجْدَعُ)

على أن أل الموصولة قد وصلت بالمضارع في ضرورة الشعر ، كما في الَّتِي تَقْصَعُ وَالْيُجْدَعُ ، بينائهما للمفعول .

صاحب الشاهد

وهما من مقطوعة هي سبعة أبيات لذي الخِرْق الطَّهَوِيّ قد شرحناها في أوّل شاهد من شواهد الشرح . والبيت الثاني هو ثاني الأبيات ، والأول هو خامسها . وكأنه نقل البيتين من (سر الصنّاعة لابن جنى) ، فإنهما كذا وقعا فيه ، والصواب أيضاً: «فيسخرج اليربوع» بالفاء كما مر .

وقد ذكر الشارحُ المحقق هنا أن حقّ الإعراب في نحو الضارب والمضروب إنّما هو لأل الموصولة ، لكن لما كانت في صورة الحرف نقل إعرابها إلى صلتها عارئةً كما في إلّا بمعنى غير . وَحَقَّقَ أَنَّ أَصْلَهُمَا الضَّرْبَ وَالضَّرْبُ ، فكروها إدخال اللام الاسمية المشابهة للحرفية لفظاً ومعنى على صورة الفعل . فظاهر هذا الكلام أن إعرابها ينقل أيضاً إلى صلتها إذا كان فعلاً، لأنّ علّة

(١) انظر الأغاني ١٤ : ١١١ .

(٢) نوادر أبي زيد ٦٧ والإنصاف ١٥١ ، ٣١٦ ، ٥٢٢ وابن يمين ٣ : ١٤٤ وشرح شواهد

المغنى ٥٩ والغنى ١ : ٤٦٧ والجمع ١ : ٨٥ .

النقل موجودة ، بل ولو كانت الصلة جملة اسمية . وعليه فجملة يُجَدِّع
وَيُتَقَصِّع في محل جرٍّ على الوصفية للحمار .

فإن قلت : أل مبنية والبناء يقابل الإعراب ، فأى إعراب نقل منها إلى
مابعدھا ؟ قلت : أراد أنها في محلٍّ لو كان بدلها معرباً لظهر إعرابه ، فأعرابها
مَحَلِّي . وقد صرَّح ابن هشام (في تذكرته) أنَّ الجملة الواقعة صلةً لِمَحَلٍّ لها
من الإعراب تطرد فيما عدا نحو قوله :

* إِنِّي لَكَ الْيُنْذِرُ مِنْ نِيرَانِهَا فَاصْطَلِ (١) *

وقوله :

* مِنَ الْقَوْمِ الرَّسُولُ اللَّهُ مِنْهُمْ *

لأنها في هذه حالة محلِّ المفرد المعرب (٢) من قولك : الضارب والمضروب .
وبحث مثله الدماميني (في شرح التسهيل) فقال : أطلقوا القول بأن جملة
الصلة لِمَحَلٍّ لها من الإعراب ، وينبغي أن يستثنى من ذلك الجملة التي تقع صلة
لأل ، لأنها واقعة موقع المفرد .

وتعقبه الشُّمْنِيُّ (٣) بأننا لانسلم أنَّ كل جملة واقعة موقع المفرد لها محلٌّ من
الإعراب، وإنما ذلك للواقعة موقع المفرد بالأصالة، والواقع بعد أل ليس مفرداً بطريق
الأصالة ، لأنهم قالوا : إنَّ صلة أل فعلٌ في صورة الاسم ، ولهذا يعمل

(١) البيت بتمامه كما في الضرائر ٢٨٨ ، وانظر معجم الشواهد :

لَا تَبْعَثْنِ الْحَرْبَ إِنِّي لَكَ الْيُنْذِرُ مِنْ نِيرَانِهَا فَاصْطَلِ

(٢) ط : « محل المعرفة من المعرب » صوابه في ش .

(٣) أحمد بن محمد بن محمد حسن ، شيخ الإمام السيوطي . ترجم له في البغية ترجمة مستفيضة .
وكانت حياته ما بين سنتي ٨٠١ — ٨٧٢ . منسوب إلى مزرعة أو قرية ببعض بلاد المغرب ، كما في الضوء اللامع .

بمعنى الماضي ، ولو سُلِّمَ فإنما ذلك للواقعة موقع المفرد الذى له محلٌّ ، والمفرد الذى هو صلة آل لاحتلَّ له ، والإعراب الذى فيه بطريق العارِية من آل ، فإنها لما كانت فى صورة الحرف نقل إعرابها إلى صلتها بطريق العارِية . انتهى .
وعلى هذا الكلام أيضاً يردُّ أن علة النقل موجودة .

وقد خَطَرَ لى بتوفيق الله تعالى ما أرجو أن يكون سديداً ، وهو أن آل لما كانت مبنية وكان الوصف بعدها من جنسها وهو الاسمية ، وكان صالحاً لظهور الإعراب فيه حيث كان غير مشغول بإعراب عامل من حيث كونه صلةً ، وكان الغرض ظهور إعرابها المحلى ، نقل إعرابها إلى الوصف على سبيل العارِية ، وفى اليجدع [لما^(١)] كان الفعل مخالفاً لها فى جنسها وكان مشغولاً بإعراب عامله وهو التجرد ، كان غير صالح لظهور إعراب آخر فيه . ولو نُقل إعرابها إلى الجملة لما كان يظهر لفظاً ، لكونه غير صالح له . ولو نقلوه إلى محلها لنافى الغرض ، وكان نقل إعرابٍ مما لا يظهر فيه إلى مالا يظهر فيه ، وهذا لاوجه له . فظهر الفرق بين نقل إعرابها إلى الوصف دون المضارع والجملة . والله الحمدُ والمنة ، والله أعلم بالصواب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الأربعمئة ^(٢) :

٤١٨ (لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ

وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ ^(٣))

(١) تكملة ليست فى الأصل .

(٢) الإنصاف ٧٢٣ والجمع ١ : ٨٥ وشروح سقط الزند ٢٠٣ ، ١٦٢٠ وديوان الهذليين ١ : ١٤١

واللسان (فيأ) . وسيأتى بعد فى الشاهد ٤٥٠ ص ٥٦٤ بولاق فى الجزء السادس .

(٣) طه : «أفئائه» ، صوابه فى ش وسائر المراجع وما سيأتى فى الشرح .

على أن الكوفيّين جَوَّزُوا أن يكون الاسمُ الجامدُ المعروف باللام موصولاً كما قالوا في هذا : إنَّ التقدير لأنْتَ الذي أكرمَ أهله ، لكنه موصولٌ غير مبهم كسائر الأسماء الموصولة . وعند البصريين اللام غير مقصودٍ قصْده ، والمضارع صفة له . وفيه أمور :

الأول : كان ينبغي أن يقول : لأنْتَ البيت الذي أكرمَ أهله ؛ فإنَّ صنيعةً يوهَم أنَّ البيت عند الكوفيين بمعنى الذي ، وهو باطلٌ لم يقل به أحد ، وإنما الموصول مفهومٌ من اسم الجنس المعروف باللام إذا وقع بعده فعل أو ظرف أو مجرور .

الثاني : قوله لكنه موصول غير مبهم ، لم ينقله أحدٌ عنهم ، ولو كان قولهم لما ردَّ به البصريون عليهم كما يأتي .

الثالث : كون الجواب عند البصريين بجعل اللام للجنس والجملة المضارعية صفة للبيت ، غير منحصر فيه عندهم كما يأتي أيضاً .

قال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم المعروف باللام يُوصل كالذي ، واستدلُّوا بقوله :

* لعمري لأنْتَ البيتُ أكرمُ أهله *

فأنت مبتدأ والبيت خبره ، وأكرم صلة الخبر الذي هو البيت . وردَّ البصريون عليهم بأنَّه لا يجوز ذلك ، لأنَّ الاسم الظاهر يدلُّ على معنى مخصوص في نفسه ، وليس كالذي ، لأنَّه لا يدلُّ على معنى مخصوص إلاَّ بصلة توضِّحه ، لأنَّه مُبْهَم ، وإذا لم يكن في معناه فلا يجوز أن يقام مقامه .

وأما البيت المذكور فلا حجة لهم فيه من وجهين :
 أحدهما: أن يكون البيت خبر المبتدأ الذى هو أنت، وأكرم خبراً آخر .
 والثانى : أن يكون البيت مُبهماً لايدل على معهود ، وأكرم وصفاً له
 فكأنه قال : لأنت بيت أكرم أهله كما تقول : إئتى لأمر بالرجل غيرك ومثلك
 وخير منك . انتهى .

واقصر الخفاف (فى شرح الجمل) على الخبرية فقال : لاجبة لهم
 فيه لاحتمال أن يكون خبراً ثانياً لأنت ، ويكون قوله أنت البيت تعظيماً له ،
 أى البيت المعظم ، بمنزلة قولك : أنت الرجل ، أى الرجل العظيم . ٤٩٠

وقال ابن السيد (فى شرح سقط الزند) : أكرم أهله عند الكوفيين صلة
 للبيت ، وعند البصريين جملة فى موضع الحال ، أو فى موضع خبر مبتدأ
 مضمر ، كأنه قال : أنا أكرم أهله ، ولو ظهر النصب فى هذه الحال لقلت
 مكراً أهله أنا؛ لأنها تصير حالاً على غير من هى له ، فيلزم ظهور الفاعل
 المضمر ، والعامل فى هذه الحال مافى قوله : لأنت البيت ، من معنى التعظيم ،
 كما أن العامل فى جارة من بيت الأعشى :

• يا جارتا مأنتِ جاره (١) •

مافى قوله : «مأنتِ» من معنى التعظيم . انتهى .

وأجاز ابن الأنبارى أن يكون أكرم أهله صلة لموصول محذوف لالبيت ،
 كأنه قال: لأنت البيت الذى أكرم أهله، لكن الموصول حذف ضرورة.

(١) صدره كما سبق فى ٣ : ٣٨ :

• بانت لتحننا عفاره •

وهذا الوجه جارٍ على مذهب الكوفيين ، إذ يميزون حذف الموصول دون صلته في غير ضرورة ، وهذا يأباه البصريون .

قال أبو علي (في إيضاح الشعر) : لا يجوز أن تحذف الموصول وتدع الصلة ، لأنها تُذكر للتخصيص والإيضاح للموصول . ونظيره : أجمعون في التوكيد ، لا يجوز أن تذكره وتحذف المؤكّد . فإن قلت : لم لا يكون كالصفة والموصوف في جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ؟ قيل : لم تكن الصلة كالوصف إذا كان مفرداً ، ألا ترى أن الوصف إذا كان مفرداً كان كالوصوف في الإفراد ، وإذا كان مثله جاز وقوعه مواقع الموصوف من حيث كان مفرداً مثله مع استقباح لذلك . فأمّا الصلة فلا تقع مواقع المفرد من حيث كانت جملاً ، كما لم يجوز أن تُبدل الجملة من المفرد من حيث كان البدل في تقدير تكرير العامل ، والعامل في المفرد لا يعمل في لفظ الجملة . فأمّا مَنْ تأوّل قوله : لعمرى لأنت البيتُ أكرم أهله ، على تقدير لأنت البيت الذي أكرم أهله وحذف الموصول ، فليس في البيت دلالة على هذا الذي تأوّل ، وذلك أنه يجوز أن يكون أكرم أهله جملةً مستأنفة معطوفة على الأولى ، ولم يُحتج إلى حرف العطف لما في الثانية من ذكر مافي الأولى ، كقوله تعالى : ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٢) . ويجوز أن يكون قوله : لأنت البيتُ ، على جهة التعظيم ، فأجرى عليه اسم الجنس لهذا ، كما تقول : أنت الرجل ، تريد به الكمال والجلد ، فكذلك يكون المراد بالبيت . ألا ترى أنهم قد يقولون : له بيتٌ وشرف ! وإذا كان كذلك جاز أن يكون أكرم أهله في موضع حال مما في البيت من معنى الفعل ، كما أن علماً في قولك : أنت الرجل علماً وفهماً ،

(١) انظر شروح سقط الزند ١٦٢٠ .

(٢) الآية ٣٩ ، ٢٧٥ من البقرة و ٣٦ من الأعراف و ٢٧ من يونس و ١٧ من المجادلة . كما

وردت مسبوقة بالفاء والواو في آيات أخر .

ينتصب عما في الرجل من معنى الكمال . وكما أنَّ جارةً في قوله :

* يا جارتنا ما أنتِ جارةٌ *

ينتصب عما في ما أنت^(١) من معنى التعظيم ، كائنه قال : كَمَلْتُ في جال علمك وبذك غيرك . فإن قلت : فهل يجوز أن يكون البيتُ بدلاً من أنت ، ويكون أكرم في موضع خبر المبتدأ ، كائنه قال ، إذا أبدل البيت من أنت : أنت أكرم أهله ، أو البيت أكرم أهله ؟ قلت : إنَّ قياسَ قول سيبويه عندي إنَّه لا يجوز هذا . ألا ترى أنَّه لم يجز في قولهم : «بَيَّ المسكينَ كان الأمرُ^(٢)» بدلُ المسكين من الياء . وإنَّما لم يجز ذلك لأنَّ البدل إنَّما يذكر لضربٍ من التبيين ، فإذا لم يفد ذلك لم يُستجز . والمتكلم في غاية التخصيص والتبيين ، فلم يحتج لذلك فيه إلى بدل ، وإذا كان كذلك فال مخاطب في هذا كالتكلم .

٤٩١

انتهى كلام أبى على ، ولكثرة فوائده نقلناه بجملة.

وقوله : (لعمري) اللام للابتداء وعمري مبتدأ وخبره محذوف تقديره: قسمي . أقسمَ بعُمره . وجملة (لأنت البيت) إلخ جوابُ القسم . و(أكرم) فعل مضارع ، و(أهله) مفعول .

(١) ش مع أثر تغيير : « ينتصب بما في ما أنت » .

(٢) في النسختين : « في المسكين كان الأمر » ، صوابه من سيبويه ٢ : ٧٦ س ١٥ — ١٦ من تحقيق كاتبه . ويعنى سيبويه أن إتياع «المسكين» على الإبدال من ياء المتكلم ، وكذلك من كاف المخاطب في قولك : «بك المسكين مرت» لا يجوز ، وعلة بقوله : «لأنك إذا عتيت المخاطب أو نفسك فلا يجوز أن يكون لا يدرى من تعنى ، لأنك لست تحدث عن غائب » .

وكتب بعض من عاصرناه ^(١) (في حاشيته على شرح القطر للفاكهى): كَأَنَّ الداعِيَ للكوفيين على جعل البيت اسماً موصولاً أنه لا يصح الإخبار به عن أنت على الظاهر ، بجعله اسماً معرّفاً بأل . ويمكن أن يجاب بأنّه على حذف مضاف ، أى أنت صاحب البيت ، ونحوه .

وقوله : (أَكْرِمُ) فعل مضارع ، لأنَّ الصلة لا تكون إلا جملة . فما في بعض النسخ من ضبطه على صيغة أفعَل التفضيل وإضافته إلى أهله ، ليس كما ينبغي . هذا كلامه . وهو من ضيق العَطْن وعدم الاطِّلاع على المعنى ، فإنَّ البيت مستعملٌ في حقيقته ، والخطاب له ، فإنَّ الشاعر — وهو أبو ذؤيب الهذلي ، وتقدّمت ترجمته في الشاهد السابع والستين ^(٢) — بعد أن تغزّل بأبياتٍ خاطب دارَ حبيبته . قال الإمام المرزوقي (في شرح أشعار الهذليين) : قوله : لعمري لأنت البيت إلخ ، هذا رجوعٌ من أى ذؤيب إلى ذكر البيت لتعظيم شأن أهله . وأشار بقوله وأقعد في أفيائه ، إلى ما كان يناله منهم فيدومُ لذلك ملازمته له وحبّه وإكرامه لسكّانه . قال: ويروى «وأجلِسُ في أفيائه» . ولافضل ^(٣) بين أقعد وأجلِسُ في المعنى ، وإن كان لكلّ منهما من التصرف ما يستبدُّ به دون صاحبه . ألا ترى أنّه لا يقال مع القيام إلا القعود ، وأنّه يقال للزّمين : هو مُقْعَدٌ وبه قُعادٌ ، ولاينى له من الجلوس مثل

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : «وقوله بعض من عاصرناه ، لعله يعنى ياسين . اهـ من هامش الأصل» . وقال الميمنى في الإقليد: ٨٣ مقبلاً على ذلك : «هذا خطأ ، فإنه لم يذكر يس الحمصي إلا بلفظ شيخنا . انظر حاشيته على التصريح ، وشرح الألفية له ، في الخزّانة» .

(٢) الخزّانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) كذا وردت «فضل» بالضاد المعجمة في النسختين ، وهى صحيحة .

ذلك ، وأنه حُكِيَ عن أعرابيٍّ يصف رجلاً : «هو كريم النَّحَّاس ، جميل الجُلَّاس». ويقال فلان المجلس بمعنى النديم ، وهم جُلَّساء الملك . ولم يكثر لهذا المعنى مثل هذا البناء من القعود ، وإن كان الخليل قد حَكَى : قعيد الرجل : جلسه . ونظائر هذا في اللغة كثيرة .

أبيات الشاهد
والبيت من قصيدةٍ عِدَّتْهَا أربعةٌ وعشرون بيتاً ، فلا بأس أن تُشْرَحَ
فإنَّ فيها شواهدً ، وهي هذه :

(أَسَاءَلْتُ رَسَمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تُسَائِلِ
عَنِ السُّكْنِ أَمْ عَنْ عَهْدِهِ بِالْأَوَائِلِ
لَمَنْ طَلَّلُ بِالْمُنْتَضَى غَيْرَ حَائِلِ

عفا بعد عهدٍ من قطارٍ ووابِلِ (١)

عفا بعد عهد الحَيِّ منهم وقد يُرى
بِهِ دَغْسُ آثَارِ وَمَبْرَكِ جَامِلِ
عفا غَيْرَ نَوَى الدَّارِ مَا إِنْ تُبَيَّنَتْ
وَأَقْطَاعُ طُفَى قَدْ عَفَتْ فِي الْمَاعِلِ (٢)

وإنَّ حديثاً منكٍ لو تبذَلينه
جَنَى النَحْلِ فِي أَلْبَانِ عُوْذِ مَطَافِلِ
مَطَافِيلِ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ نَتَاجِهَا
يَشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ

(١) ط : «المنتصى» بالصاد المهملة ، وهما لغتان ، كما سيأتى في الشرح ، وهي في ديوان

الهلذلين ١ : ١٤٠ بالضاد المعجمة .

(٢) في الديوان : « ما أن أبينه » .

رآها الفؤادُ فاستُضِلَّ ضلالُهُ
 نيفاً من البيض الحسان العطابيل
 فإن وصلتَ جبل الصفاء فذم لها
 وإن صرمتَه فانصرف عن تجاميل^(١)

لعمري لأنت البيتُ أكرمُ أهله البيت .
 وماضربَ يضاء ياوى مليكها
 إلى طُنفٍ أعياً يراق ونازل
 تُهالُ العقابُ أن تمرَّ برِيدِهِ
 وترمى دُرُوءَ دونه بالأجاديل
 ٤٩٢ تنمى بها اليعسوبُ حتى أقرها
 إلى مألِفِ رَحْبِ المباءة عاسل
 فلو كان جبلاً من ثمانين قامةً
 وتسعين باعاً نالها بالأنامل^(٢)
 تدلّى عليها بالحبال مُوثَّقاً
 شديد الوصاة نابل وابن نابل
 إذا لسعته النحل لم يرج لسعها
 وحالفها في بيت نوب عوامل^(٣)

(١) في الديوان : « فانصرم » بالميم . وفي ش : « عن تحامل » ، صوابه في ط والديوان .

(٢) في الديوان : « فلو كان جبل » بالرفع .

(٣) في الديوان : « وحالفها » بالخاء المعجمة ، وهما روايتان نص عليهما البغدادى .

فحطَّ عليها والضُّلُوعُ كأنها
 من الخوف أمثال السَّهامِ التَّواصلِ
 فشرَّجها من نُطفَةٍ رَجِيَّةٍ
 سُلَّاسِلَةٍ من ماءٍ لَصْبٍ سُلَّاسِلٍ^(١)
 بماءٍ شُنَانٍ زَعَزَعَتْ مَتْنَهُ الصَّبَا
 وجادت عليه دِيْمَةً بعدَ وابلٍ
 بأطْيَبٍ من فيها إذا جثَّ طارقاً
 وأشهى إذا نامت كلابُ الأسافلِ
 ويأشِينِي فيها الألاءِ يَلُونَهَا
 ولو عَلِمُوا لم يَأشِبُونِي بِطَائِلِ
 ولو أَنَّ ماعند ابنِ بُجْرَةَ عندها
 من الخمر لم تَبْلُلْ لهاقِ بناطِلِ
 فتلك التي لا يبرحُ القلبُ حبُّها
 ولا ذِكْرُها ما أَرْزَمَتْ أُمَّ حائِلِ
 وَحَتَّى يُووبَ القارِظانِ كلاهما
 وَيُنْشَرَّ في الهَلَكى كَلِيبٌ لَوَائِلِ

قوله : « أساءلت رسم الدار » إلخ المساءلة : مفاعلة تكون من اثنين ،
 وهذا اتِّساع على عادتهم. والسُّكْنُ : جمع ساكن ، مثل تاجر وتجر . وتقديره :
 أساءلت رسم الدار عن السُّكْنِ أم عن عهده بالأوائل أم لم تسائل ، إذا جعلت
 عن السكن متعلِّقة بالفعل الأوَّل . خاطب نفسه على طريق التَّحْزُن والتَّوَجُّع

(١) ش : « رحيبة » بالحاء المهملة ، تحريف .

فقال : أبا حنّسَ رَسَم الدار لما وقفتَ عليها عن أخبار سَكَّانها كيف انتقلوا ، وإلى أين صاروا ، أو عن مُدَّة عهده بهم ، ومُذَّ كم ارتحلوا ، ومتى ساروا ، أَوَّلًا ؟ والسؤال عن السَّكْنِ أَنفُسِهِمْ غَيْرُ السُّؤال عن مُدَّة العهد بهم ، فلهذا فَرَّق . والأوَّائل هم السَّكْنُ ، ولكن فَحَمَّ شَأْنَهُمْ بأنَّ أعاد اسمَهُم الظاهر ولم يقل عن عهده بهم . ودَعَتَه القافية إليه أيضا . وحسَّن ذلك ، لما لم يهَجِّجْهُ التكرير ، اختلاَفُهُمَا . ويجوز أن يريد بالسكن الوحش التي استبدلتها من قُطَّانها قبل ، وتلك الحالة من الدار مما يزيد في جزع الواقف عليها ، ويستمدُّ السؤال على جهة التلَّهف لها ، كما قال :

يَعِزُّ عَلَى أَنْ يُرَى عِوَضَ الدُّمَى بِحَافَاتِهِ هَامٌ وَيَوْمٌ وَهَجَرِسُ

وقوله : «لن طلل» إلخ هذا وجه آخر من التحزُّن ، كأنَّه استنكر أن تكون دارهم بالحالة التي رآها ، فجعل سؤاله سؤال من لا يثبته ، تعظيماً للأمر . والمنتصى : مُلتقى الواديين حيث يُناصي أحدهما صاحبه . وقال الباهلى : المنتصى : موضع . وروى أبو عمرو : «المنتصى» بالضاد معجمة ، وقال : هو موضع . وقوله : «غير حائل» قال الباهلى : أراد عفا بعد عهد من قِطار ووابل ، ولم يَمُرَّ به حول . والمشهور أن يقال أحال الشيء إذا أتى عليه حول ، إلا أنَّ بعضهم حكى أنَّ حال لغة فيه . ويجوز أن يكون حائل بمعنى متغيِّر ، يقال حال الشيء واحتال إذا تغيَّر ، كأنَّه كان دارسَ البعض باقى البعض ، فلم يعدَّ ذلك تغيِّراً كاملاً ، ومتى كانت الرسوم بهذه الصفة ذكَّرت العهود أشدَّ ، وجدَّدت الغموم أجَدَّ . ولذلك تمنى بعض الشعراء شمول الدروس عليها ليستريح منها فقال :

أَلَا لَيْتَ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلَيْنَا فَلَا يَرْمِينِ عَنْ شُرُزٍ حَزِينَا (١)

(١) البيت لابن أحرر في اللسان والمقاييس (شرن) وشرح السبع الطوال ٢٠ .

وقوله : «بعد عهد» يجوز أن يريد بعد إلمام ، ويجوز أن يكون مصدر عُهِدَت الروضة ، إذا أتى عليها العهد ، وهو كلُّ مطر بعد مطر ؛ وجمعه عِهَاد . وإنَّما قال من قطار ووايل ، لأنَّ الوايل المطر المُرَوَّى ، والقطار : جمع قَطَر ، وهو لما دَوَّه .

وقوله : «عفا بعد عهد الحى» إلخ ابتدأ يبيِّن كيف عفا ، والمعنى عفا الطلل والمكان بعد أن كان للحى فيه عهدٌ . والعهد : المنزل الذى لايزالون إذا بُعدوا عنه يرجعون إليه ، كأنَّهم تركوا النزول به وفارقوه فعفا ، يريد عفا منهم بعد عَهْدِهِمْ ، أى بعد أن كانوا يعهدونه ، وقد بقى من آثارهم ومبارك إبلهم ما يُسْتَدَلُّ به على أنه ربُّهم . والدَّعْس : شِدَّةُ الوطء . وقال أبو نصر : هو تتابع الآثار . والجامل : اسمٌ للجمع يقع ^(١) على الذكور والإناث ، كالإبل ، وإن كان من لفظ الجمل .

وقوله : «عفا غير نوى» إلخ يقول : عفت آثارُ الدار وانمحت إلا نوىاً لا يُستَبان منها ، وأقطاعاً من نُحُوصِ المُقْلِ تَمَزَّقت لِقَدَمِها ، ففترقت فى الساحات وكثرت بتريد الرياح لها . والنوى : حاجزٌ يُمنع به السَّيْلُ عن البيت . والطَّفَى واحدها طَفْية . ومعنى عفا درس . وعَفَتْ فى المعازل : كثرت . وهذا من الأضداد ، يقال عفا المكان ، إذا درس ، عَفَاءً وَعَفُوءاً ، وعفته الرياح عَفَاءً وَعَفُوءاً : كَثُرَ ، وعفوته أنا . والمعازل : جمع المَعِزِلِ ، وهو ههنا المنزل الذى نزلوه وَحَفِظُوا مَالَهُمْ فيه . والعقل : الحفظ .

وقوله : «وإن حديثاً منك» إلخ ترك وصف الدار ودروسها وعطف إلى خطابها يغازلها . يقول : إنَّ حلاوة حَدِيثِكَ لو تفضَّلتِ به حلاوة العسل مشوباً

(١) ط : « يقال » ، صوابه فى ش .

باللبن . والجَنَى أصله الثمر المجتنى ، فاستعاره . والعُودُ : الحديثات النَّتاج ، واحداً عائداً . ومُطافِل : جمع مُطْفِل ، وهى التى معها طِفْلُها . وإنما نَكَّرَ قوله حديثاً منك ، ليبين أنَّ موقع كلامها منه على كل وجهٍ ذلك الموقع . ودلَّ بقوله «لو تبدلينه» على تمنعها وتعدُّر ذلك من جهتها .

وقوله: «مطافيل أبكار» إلخ مطافيل بدل من قوله عود مطافيل ، وأشبع فى الفاء للزومها فحدثت الياء . والأبكار : التى وضعت بطناً واحداً ، لأنَّ ذلك أول نتاجها ، فهى أبكارٌ وأولادها أبكار ، ولبنها أطيب وأشهى ، فلذلك خصَّه وجعله مزاجاً . ويشاب صفة لألبان ، أى مشوبة بماءٍ مُتَنَاهٍ فى الصِّفاء . وقيل فى المفاصل إنَّها المواضع التى ينفصل فيها السَّهْل من الجبل حيث يكون الرُّضراض ، فينقطع الماء به ويصفو^(١) إذا جرى فيه . وهذا قول الأصمعى وأبى عمرو . واعترض عليه فقيل : هلاً قال بماءٍ من مياه المفاصل ، وماله يشبهه به ولا يجعله منه ؟ فقيل : هذا كما يقال : مثل فلان لايفعل كذا ، والمراد أنَّه فى نفسه لايفعل ، لأنه أثبت له مثل ينتفى ذلك عنه . ألا ترى أنَّه لو جعل ذلك لنظيره لكان المدح لايتعلّق به ، وقد علّم أنَّ القصد إلى مدحه . وعلى هذا قد حُمِلَ قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾^(٢) . وقال أبو نصر : أراد بالمفاصل مفاصل الجبل حيث يقطر الوُشَل ، وذلك أصفى من مياه المناقع والعيون . وقيل أراد يشاب بماءٍ كالدمع صفاء ، فالمفاصل شؤون الرأس ، وهى تسمّى مفاصل ومواصل ، والدمع منها يخرج . وهذا كما يقال : جئتكَ بخمرةٍ كماء العين وأصفى من الدمع ، فالتشبيه حاصل فى هذا الوجه ، وهو عندى حسن . والمراد بماء

٤٩٤

(١) ط : «وتصفو» ، وأثبت ما فى ش .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

العين الدَّمْعُ لاغير . وقال أبو سعيد : ماء المفاصل الدم ، وأراد بالماء الخمرَ وشَبَّهها به . وقال ابن الأعرابي : ماء المفاصل ماء اللحم التي شَبَّه حُمْرته بحُمْرته . وعهدة هذين القولين عليهما .

وقوله : «رآها الفؤاد» ائح أضاف الرؤية إلى الفؤاد تحقيقاً للأمر ، لأنَّ العين رائد القلب ، فكأنَّها أدركت بالعين أولاً ، ثم تُوَلَّت بالفكر في محاسنها ثانياً ، فتمكَّن الحب بإعادة النظر وبسط الفكر . قوله : «فاستُضِلَّ ضلاله» ، قال الأصمعي : هو كما يقال جُنَّ جُنُونه . وكشَفَ هذا : أن للنفس شهوةً في المستحسنات قد تضلُّ بها عندها ، فتسمَّى تلك الشهوة ضلالاً لكونها سبباً فيه ، ثم إذا غلب عليها شيء يستتبع تلك الشهوة قيل استُضِلَّ ضلالاً فلان ، أى طُلِبَ منه أن يضلَّ فضلً . وقال بعضهم: أراد استُزِيدَ ضلاله ، أى زيد ضلاله ضلالاً ؛ كأنه لما تفكر في محاسنها وتقصَّأها ازداد بها ولوعاً ، فجعل ذلك استضلالاً للضلال . وقال الأخفش : هذا كما يقال: خرجت خوارجه ، والمعنى دواخله ، فسمَّأها بما آلت به ، فكذلك أراد استُضِلَّ رشادُه ، فقال ضلاله ، لرجوعه إليه . ومثله :

* يُدْعَوْنَ حُمْساً ولم يَرْتَعْ لَهُم فَرْع *

أى لم يَرْتَعْ أَمْتُهُمْ . وهذا كثير . وقوله : نيافاً، نصبٌ على الحال . والنياف : الطويلة المشرفة ^(١) ، ومنه أناف على كذا، أى أشرف . والعطابيل : جمع عطبول بحذف الزيادة منه ، كأنه كان عَطْبُلاً ، وهى الطويلة الأعناق .

وقوله : «فإن وصَلتَ جبَل» إئح يُسأل عن موقع هذا الكلام ممَّا قبله ، وعن زهده المسرف في هذا البيت بعد ضلاله المفرط في البيت المتقدم ، وكيف

(١) ط : « المترفة » ، صوابه في ش وشرح السكرى .

وجهُ التّامهما على تقاربهما ، وهل يجوز أن يتجلّد في هذا ثم يقول بعقبه :

* لعمري لأنّ البيت أكرمُ أهله *

والجواب أنّ هذا وفق ما تقدّمه ، وغير مخالف له ، لكنّه أظهر الاستسلام لها ولرأيها ، فإن وصلت حبله دام على مصافاتها لا يشرك أحداً في ودّها ، وإن صرمت ودّه وقف عند محدودها في الانصراف ومرسومها ، لا يستعمل منكراً ولا يتعاطى رفناً ولا هُجراً . وهذا من الآداب المحمودّة فيما يجرى عليه المتحابّان . ويدلّ على ما قلنا أن أبا ذؤيب أمر نفسه بالدوام إن رأت الوصل — والدوام على الوصل زيادةً عليه وثباتٌ فيه — وبالنصراف عنها على أجملِهِ إن رأت الصّرم إلى أن ترى غيره . وإذا كان الأمر كذلك فما أظهر زهداً فيها .

وقوله : «وماضربُ بيضاء» إلخ عاودَ وصفَ المرأة . والضربُ: الشّهدة ، ويقال استَضْرِبَ العسل ، إذا خُثِرَ فصلُب . وهو ضَرْبٌ وضريب . والعسلُ في لغتهم مؤنّثة ، فلذلك قال بيضاء . وقوله: «ياؤى مَلِيكُها» أراد به العسوب ، وهو قائد النحل ، وأضاف المليك إلى العسل توسّعاً ، وإنّما هو مليك النحل المعسلة. والطنف ، بفتح الطاء وضمها: حَيْذٌ نادرٌ من الجبل ، والمعنى ماعسلُ بيضاء ياؤى نَحَلُها إلى أنفٍ من الجبل يُعْبَى الرّاقي إليه. والنازلُ منه.

وقوله : «تَهال العقابُ» إلخ . قال الباهلي : الرّيد : شِمْرُخٌ في الجبل . وقال أبو نصر: الرّيد مانتاً من الجبل فخرج منه حرف . والثروة: جمع الدّرء وهو الحَيْذُ يدفع ما يلاقيه. ومنه تدارأ الرجلان، إذا تدافعا . وقال الأصمعي: هو الأنف المعوّج . والمعنى أنّ ذلك الجبل تهاب العقابُ من المرور بحرفه ، لإشرافه وعُلُوّه واعوجاج أطرافه وأنوفه .

وقوله : «تَنَمَّى بِهَا الْيَعْسُوبُ» إلخ ضمير بها للنحل ولم يَجِر لها ذكر ، لأنه يُسْتَدَلُّ عليها بالقصة . يعنى أن اليعسوب يرتفع بالنحل حتى يُسْكِنَهَا في مجمع لها أَلْفَتُهُ واسع ذى عَسَل . وإِنَّمَا قال هذا لَأَنَّ النحل تتبع قائدها فتطير بِطَيْرَانِهِ وتَرْجِع بِرَجْوَعِهِ . والمباعدة : مرجع الإبل ومَبِينَتِهَا الذى تتبوأ فيه وتأوى إليه ، فاستعاره ههنا . وقوله : «أَقْرُهَا إِلَى مَأْلِفٍ» عذاه بإلى ، لأنه فى معنى آواها وألجأها ، وهم يحملون النّظير فى التعدية على النظير ، والنقيض على النقيض كثيراً .

وقوله : «فلو كان حَبْلًا من ثمانين» البيتین الضمير المؤنث فى نالها وعليها للخليّة المفهومة من المقام ، وفاعل نالها : شديد الوصاة ، وجمله تدلّى : حالٌ بتقدير قد ، والتقدير : نالها بالأنامل شديد الوصاة نابلّ وابن نابلّ متدلّياً عليها بالحبال . ويكون مؤثّقاً حالاً^(١) من الضمير فى تدلّى . ويجوز أن تكون جملة تدلّى اعتراضاً بين الفعل والفاعل ، ويحسن الاعتراض أنّه تفسيرٌ لنيل المشتار للعسل كيف كان ، وعلى أى وجه توصّل . وروى تقديم بيت تدلّى عليها ، على بيت فلو كان حَبْلًا ، وبه يحسن الانتظام ، ويصير قوله فلو كان^(٢) حَبْلًا من ثمانين قامة واقعاً فى موقعه ، وبياناً لحذق المشتار وحسن تأثّيه^(٣) فيما يعانيه ، حتى لا يمتنع عليه شاقّ منيع . وعليه يكون شديد الوصاة فاعل تدلّى ، وموثّقاً حال . قال الأصمعى : أراد بشديد الوصاة الشديد الحفظ بما أوصى به . قال أبو نصر : بيانه : شديد عند الوصاة لا يسترخى فيها ولا يتجوّز . وقال أبو عبيدة : أى يوصى أصحابه بالحبل ويشدّد فى الأمر ، يقول : أمسكوه واستوثّقوا منه . وقوله : نابلّ وابن

(١) ط : « حال » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « ولو » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « تأثّيه » ، صوابه فى ش .

نابل ، أى حاذق وابن حاذق ، يعنى أنه ورث صناعته عن أسلافه ، ثم نشأ عليها وبرغ فيها .

وقوله : «فلو كان جبلاً» تقديره : لو كان الجبل الذى تدلّى به جبلاً طوله ثمانون قامة وتسعون باعاً . والمعنى تدلّى عليها ، ولو كانت أشق منها مطلباً وأبعد منالاً لاحتال فيها حتى ينالها بيده (١) .

وقوله : «إذا لسعته النحل» إلخ يُروى «إذا لسعته الدب» وهو كالنحل وزناً ومعنى . يقول : إذا لسعت النحل هذا المشتار لم يخف لسعها ، ولم يُبال بها ، ولا زَمها فى بيتها حتّى قضى وطره من مُعسلها . ومعنى لم يرج : لم يخف ، من قول الله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً﴾ (٢) . وكما وضعوا الرجاء موضع الخوف وضعوا الخوف موضع الرجاء . وقوله : «وخالفها» قال الأصمعى : أى صار حليفها فى بيتها وهى نُوبٌ . ولم يرد : خالفها فى بيت غيرها . وروى أبو عمرو : «وخالفها» بالخاء معجمة قال : يريد جاء إلى عسلها من ورائها لما سرحت فى المراعى . والثوب : النحل ، ولا واحد له . وقال ابن الأعرابى : هو جمع نوبى ، سمّوها بذلك لسوادها . وقال الأصمعى : هو جمع نائب ، كعائد وعوذ . يريد أنها تختلف وتجيء وتذهب ، أى تنتاب المراعى ثم تعود . وعوامل ، أى تعمل العسل .

وقوله : «فحط عليها» إلخ يقول : انحدر المشتار على الخلية والقلب يجب ، والأحشاء تضطرب ، خوفاً مما يكابده فى التدلّى ، حتّى كأن ضلوعه سهام لانصال لها ، رُمى بها فطاشت وقَلقت . والسهم الناصل : الذى سقط نصله أو قَلق (٣) .

(١) ش : «حتى نالها بيده» .

(٢) الآية ٢٧ من سورة النبأ .

(٣) ط : «فلق» ، صوابه بقافين ، كما فى ش .

يقال : نَصَلَت السهم ، إذا رَكِبْتَ عليه النصل ، وأنصلته فَتَصَلَ ، إذا نَزَعْتَ نَصْلَهُ .

٤٩٦

وقوله : «فَشَرَّجَهَا مِنْ» إلخ أى جعل العسل شَرِيجِينَ ، أى خَلِيطِينَ ، بالمزاج الذى صَبَّه عليها ، وكل واحد من الخَلِيطِينَ شَرِيج . والنطفة : الماء . وإنما نسبها إلى رجب لأنَّ رَجَبَ وجمادى كانا فى زمانهم من شهور الشتاء . والسَّلاسلُ ، بالضم : التى تتسلسل فى الخلق لصفاتها وعذوبتها وسهولة صفاء مدخلها . وجعلها من ماء لِيَصْبَ بكسر اللام ، وهو شَقٌّ فى الجبل ، ليدلُّ على أنها من ماء المطر ، وأنه تنقَّلَ فى مضائق الطرق وتقطع بمدرجات الشقوق والنُّقَر ، فتزِيلُ الكدورة عنه ، وتَسْلَسِلُ فى جريه ومروره حتَّى تنهى فى مَقَرِّهِ ورَيْدِ الرِّيحِ (١) فى مستنقعهِ . فقوله : سُلَّاسِلُ صفة لماء لِيَصْبَ ، وأراد به رِقَّتَهُ وسرعة مَرَوْ فى مجاريهِ من المساليل والمناقع .

وقوله : «بماء شُنَانٍ» إلخ رواية الأصمعى بتنوين ماء وإجراء شنان وصفاء له . قال أبو نصر : وهو أَحَبُّ إلى . والشُّنَانُ بضم المعجمة : البارد ينشَنُّ من الجبل انشناناً . ومنه شَنُّ عليه الغارة . وروى أبو سعيد : «بماء شِنَانٍ» على الإضافة ، قال : والشُّنَانُ ، بكسر المعجمة : جمع الشَّنَّةِ ، وهى القربة الحَلَقُ ، والماء فيها أبرد . وقوله : «زَعَزَعْتُ مَتْنَهُ» أى أعلاه . وقوله : «وجدت عليه» إلخ القصد فيه إلى تكثير الماء حتى يكون أصفى .

وقوله : «بأطيب من فيها» إلخ هذا خبر «ما» من قوله : وماضربٌ بيبضاء . وإذا جئتُ ظرفاً لطارقاً ، وإذا نامت ظرفاً لأشهى . والمراد : وأشهى من فيها إذا نامت . والمشار إليه بإذا نامت غير المشار إليه بإذا جئت ، يدلك

(١) ش : « ورید الريح » ، صوابه فى ط . ورید : أقام .

أَنَّ الوقت الذى يجيئ فيه طارق ^(١) يجوز أن يكون من أول الليل ، ومن أوسطه ، وآخره ، فإنَّ الوقت الذى ينام فيه كلابُ الأسافل يكون معلوماً متميِّزاً عن ساعات الليل . وقد اختلفَ فيه ، فقال بعضهم : هو أولُ الصبح ، لأنَّ الكلابَ إذا تحرَّك الناسُ تنام وتسكن . ومثله قول أبى ذؤيب فى أخرى :

بأطيب من مُقبلها إذا ما دنا العيوقُ واكتم التُّبوحُ
وقيل الأسافل مراد به أسافل الحى ، لأنَّ مواشيهم لاتبيت بل لها مباءةٌ على حدة ، فرعاتها لاينامون إلا آخرَ من ينام ، لأنَّ منهم من يربُّق ، ومنهم من يحلبُ ، وكلابهم تحرس معهم ، فلا تنام إلا آخر الليل .
وقال الباهلى : الجِواء يكون فيه الوجوه ، والأسافل يكون فيه الرعاء .
وهذا كالبيان للأوّل .

وقال أبو سعيد : الأسافل سَفَلَةُ الناس ، ويعنى بهم هنا الرعاة ، وليس يراد به أسافل البيوت .

وقال الأخفش : الرواية « كلاب المَسافل » ، يعنى المواضع التى تسفل الناسُ فيها . يقال أتيت المسفلَ من مكة وأتيت المغلى منها ، وهى مسافلها ومعالها . والمعنى على جميع هذه الوجوه أنَّ فمها أشهى مما وصفه إذا تحلَّفت الأفواه وتغيَّرت .

وقوله : « يَأشِبْنِي فيها » إلخ يَأشِبْنِي : يَلطِخُنِي ويقذفنى . يقال : أشبهُ بشيءٍ، إذا قذفه به . والألأء ^(٢) : اسم موصول بمعنى الذين . وعِلِم هنا بمعنى عَرَفَ

(١) ش : « طارقا » ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « والأوّل » ، صوابه فى ط ، وهو المطابق لنص الشعر .

يقول : لو عرفوا قصتي معها مع تمنعها لم يقولوا إني أصبتُ منها طائلا .
والطائل : ماله فضل وقدر . وروى : « بباطل » ، والمعنى : لتخرجوا من قذفي
بالباطل . ويُلُونها : يقرّبونها . وروى : « الألى لا يُلونها » أى الغبراء دون أهل
بيتها .

وقوله : « ولو أن ماعند » إلخ ، ابن بُجْرة بضم الموحدة وسكون الجيم :
خَمَارٌ معروف كان بالطائف . والناطل ، هنا : جُرْعَةٌ من ماءٍ أو لبن أو نبيذ ،
ويأتى بمعنى المكيال للخمر ، وليس مراداً هنا . وأبلغ من هذا : ٤٩٧

وكيف طلائى وصل من لو سأله

قَدَى العين لم يُنعمَ وذاك زهيدٌ (١)

وقوله : « فتلك التى لا يَيرح » إلخ ، مامصدرية ظرفية ، وأرزمت بتقديم
المهملّة : حَنَّت . والحائل : الأنثى من أولاد الإبل . والسَّقْب : الذكر .
والمعنى : تلك المرأة التى وصفتها هى التى لايفارقتى حبّها وذكرها أبداً .
وقوله : « حتى يؤوب القارطان » إلخ ، المعنى : لايفارقتى حبّها حتى
يكون مالا يكون .

القارطان

القارطان أحدهما القارظ العَنزى ، وهو يذكر بن عَنزَة بن أسد بن ربيعة ،
كان يعشق [ابنته] (٢) فاطمة ، خزيمَة بن نهد ، فطليها من أبيها فلم يزوجه ، ثم
خرج يذكر وخزيمة يطلبان القَرظ — وهو ورق تدبغ به الجلود الطائفية —

(١) أنعم : أجاب بنعم . وذاك ، أى الإجابة بنعم .

(٢) ابنته ، ساقطة من ش .

ومراً بقلبي فاستقيا ، فسقطت [الدلو^(١)] فنزل يَذْكُرُ لِيُخْرِجَهَا ، فلما صار في البئر منعَ الحبْلَ وقال : زَوِّجْنِي فَاطِمَةَ . فقال : أمّا على هذه الحالة اقتساراً فلا أفعل ، ولكن أخرجني حتّى أزوِّجَكَ . فامتنع ، وجعل يسأله ويأبى حتّى هلك فيها .

والقارظ الثاني : رجلٌ من النمر بن قاسط ، خرج يَبْغِي قَرْظاً فَأَبْعَدَ ، فنهشته حيّة فقتلته ، فضُربَ المثلُ برجوعه فيما لا يكون . قال عُمارة بن عقيل :

لِأَجْزَرَ لَحْمِي كَلْبَ نَبْهَانٍ كَالَّذِي
دَعَا الْقَاسِطِيَّ حَتْفَهُ وَهُوَ نَازِحُ

كذا ذكر المبرد أنّ القاسطيّ أحد القارظين . هذا لخصّته من شرح أشعار الهذليين للإمام المرزوقي .

وقال الزمخشري (في مستقصى الأمثال) : القارظ الثاني : اسمه هُمَيْمٌ ، وقيل عُقْبَةُ ، وكان يتصيدُ الوعول ويدبغ^(٢) جلودها بالقرظ ، فعرض له في بعض الجبال ثعبانٌ فنفخه نفخةً فوقع منها ميتاً . انتهى .

وأما الميدانيّ (في مجمع أمثاله) فقد قال : القارظ الثاني ليس له حديث غير أنه فقد في طلب القرظ ، واسمه هُمَيْمٌ . والله أعلم بالصواب .

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللّيم يسبُّني)

(١) كلمة « الدلو » ساقطة من ش .

(٢) يقال دبغ الجلد يدبغه ويدبغه ويدبغه ، مثلث الباء في المضارع .

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الخامس والخمسين من باب المبتدأ والخبر (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد الأربعمئة (٢):

٤١٩ (وليسَ المالُ فاعلمه بـمالٍ وإنْ أغناكَ إلاَّ للذي

يُريدُ به العلاءَ ويصْطفيه لأقربِ أقربيه وللقصَى)

على أن كسرة الياء المشددة من (الذي) كسرة بناء .

والبيتان كذا رواهما ابن الشجري (في المجلس الرابع والسبعين من أماليه) . وقوله : (بمال) خبر ليس ، والباء زائدة ، وجملة (فاعلمه) معترضة ، وكذلك جملة (وإن أغناكَ) معترضة ، وإن وصلية ، ونقل شارح شواهد الموشح عن بعضهم أنها نافية ، والمستثنى منه محذوف ، تقديره لأحد . وجملة (يريد) بفاعله المستتر صلة الذي . وروى بدله : (ينال به) . ويصطفيه معطوف على يريد . و(العلاء) بفتح العين والمد : مفعول يريد ، وهو بمعنى الرفعة والشرف . ويصطفيه بمعنى يختاره . وقوله : (لأقرب) متعلق بيصطفيه . وإضافة أقرب إلى أقربيه كقولهم : أعلمُ الأعْلَمِينَ . والقصَى : البعيد . يقول : ليس المال في الحقيقة مالا لأحد إلا للذي يريد بسببه علو الدرجة في المجد ، ويختاره للقريب والبعيد .

وروى البيت الثاني الخفاف (في شرح الجمل) كذا :

٤٩٨

(١) الخزائن ١ : ٣٥٧ .

(٢) أمال ابن الشجري ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٥ والهمع ١ : ٨٢ ويس ١ : ١٨١ واللسان

(ضمن ١٢٨ لذا ١١١) .

تَحُوزُ بِهِ الْعَلَاءَ وَتَصْطَفِيهِ لِأَقْرَبِ أَقْرَبِكَ وَلِلصَّفَى
بِالْخَطَابِ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ .

وروى ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) البيتين كذا :
وليس المالُ فاعلمه بمالٍ من الأقوامِ إلا للذي
يُرِيدُ بِهِ الْعَلَاءَ وَيَمْتَنِّهِ لِأَقْرَبِ أَقْرَبِهِ وَلِلْقَصَى
وعليها فعزم يمتنه ضرورة ، وهو من امتنت الشيء بمعنى أهنته
وحقَّرتَه .

والبيتانِ لاعلم لي بقائلهما . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الأربعمئة (١):

٤٢٠ (وَالَّذِ لَوْ شَاءَ لَكُنْتُ صَخْرًا
أَوْ جِبَلًا أَشْمَمٌ مَشْمُخَرًا)

على أن حذف الياء من (الذي) والاكتفاء بكسر الذال لغة .
و (الأشْمَمُ) من الشَّمَم ، و [هو] الارتفاع . و (المَشْمُخَرُ) : العالى المتطاوِل ،
وقيل الراسخ . وهذا مارواه الخفاف وغيره . ورواه ابنُ الشَّجَرِي (في أماليه)
وابن الأنباري (في مسائل الخلاف) :

وَالَّذِ لَوْ شَاءَ لَكَانَتْ بَرًّا أَوْ جِبَلًا أَصَمٌّ مَشْمُخَرًا

(١) أمالي ابن الشجرى ٢ : ٣٥ والإنصاف ٦٧٦ والمجمع ١ : ٨٢ .

قال شارح (شواهد الموشح) : ضمير كانت للدُّنيا أو الأرض .
والْبِرُّ : خلاف البحر . والمعنى : هو الذى لو شاء أن يكون برًّا لكان برًّا ،
ولو شاء أن يكون جبلاً (١) . انتهى .

والأَصَمُّ من الصَّمَم ، أراد به المصمّت الذى لاجوف له .
ولأعلم قائل هذا البيت أيضاً ، وعلمه عند الله .

نهاية الجزء الخامس من تقسيم محققه

(١) كذا بإغفال جواب الشرط هنا لوجود ما يبدل عليه ، أى لكان جبلاً .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

٢٤٣	حُميد بن حُرَيْث	١٧	مَعْقَر بن أَوْس
٢٥٣	المَرَّار بن مَنْقِذ	٢٢	مَضْرُوس بن رَيْعَى
٢٥٦	من يُقال لهم المَرَّار	٣٠	قَوَّال الطائِي
٢٦٤	الْخَلْب الهَلَالِي	٢٦٣، ٣٥	العُجَبِر السلُولِي
٢٧٧	يَعْلَى الْأَحْوَل الْأَزْدِي	٥٥	خِرْنَق بنت بَدْر بن هِفَّان
٢٨٤	ذو الْإِصْبَع الْعَدَوَانِي	٦٤	حَكِيم بن مُعَيَّة
٣٠١	عُبَيْدَة بن رَبِيعَة	٩٣	أَبُو الْغَرِيب النَّصْرِي
٣١١	مَغْلَس بن لَقِيط	١٠٦	الْأَمِين الْمَحَلِّي
٣٥٠	عِمْرَان بن حِطَّان	١١٢	ابن زِيَابَة
٣٧٩	زَيْد الْخَيْل	١٣٤	الْقُحَيْف الْعُقَيْلِي
٣٩٥	حُميد الْأَرْقُط	١٥٦	عبد الله بن كَيْسَبَة
٤٠٦	أَبُو خِرَاش الْهَذَلِي	١٦٣	طُفَيْل الْحَارِثِي
٤٢٤	الْأَشْعَث بن قَيْس	١٧٣	مُسَافِع بن حَذِيفَة الْعَبْسِي
٤٤٥	خُفَاف بن نَذْبَة	١٧٨	مَالِك بن خَالِد الْخُنَاعِي
٤٧٥	حُسَيْن بن مُطَيْر	١٨٢	شُمَيْر بن الْحَارِث الضَّبِّي
٥٠٢	القَارِظَان	١٩٠	الْعُدَيْل بن الْفُرَخ
		٢٢١	كَثِيرَة عَزَة

(ب) فهرس الشواهد

التوابع

باب النعت

ص	الشاهد
٣	٣٣٢ رَبَّاءَ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقُلَّتْهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّبُلُ
١٥	٣٣٣ وَذِيَانِيَّةٍ أَوْصَتْ بَنِيهَا بِأَنْ كَذَبَ الْقَرِاطُفُ وَالْقُطُوفُ
	٣٣٤ وَلَيْلٍ يَقُولُ النَّاسُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ الْعَيُونِ وَعُورُهَا
١٨	كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بَيْوتًا حَصِينَةً مُسَوَّحًا أَعَالِيهَا وَسَاجًا كَسُورُهَا
٢٤	٣٣٥ وَنَظَرَنَ مِنْ خَلَالِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ مَرْضَى مُخَالِطِهَا السَّقَامُ صَحَاحٌ
٢٦	٣٣٦ حَمِينَ الْعَرَاقِبِ الْعَصَا وَتَرَكْنَهُ بِهِ نَفْسٌ عَالٍ مَخَالِطُهُ بُهْرٌ
٢٨	٣٣٧ قُولُوا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءَ سَاعِيًا هَلَمْ فَإِنَّ الْمَشْرِفَى الْفَرَائِضُ
٣٤	٣٣٨ وَلَا تَجْعَلِ ضَيْفِيَّ ضَيْفٌ مُقَرَّبٌ وَآخِرُ مَعزُولٌ عَنِ الْبَيْتِ جَانِبٌ
٣٦	٣٣٩ فَأَصْبَحَ فِي حَيْثُ التَّقِينَا شَرِيدُهُمْ طَلِيقٌ وَمَكْتُوفُ الْيَدَيْنِ وَمُزْعَفٌ
٣٩	٣٤٠ كَانَ حَمُولُهُمْ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ ثَلَاثَةُ أَكْلِبٍ مَطَارِدَانِ
	٣٤١ لَا يَبْعَدُنَ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ
٤١	النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ
٥٥	٣٤٢ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتِغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ
٥٩	٣٤٣ وَكَلَّمْتُهَا ثِيَشِينَ كَالْمَاءِ مِنْهُمَا وَأُخْرَى عَلَى لَوْحٍ أَحْرَ مِنْ الْجَمْرِ

- ٣٣٤ لو قُلْتَ: مافى قومها لم تَنِيَمَ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِيسِمٍ ٦٢
 ٣٤٥ مَالِكَ عِنْدَى غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٍ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةٍ الْوَتْرِ ٦٥
 ٣٤٦ كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنى أَقْيَشٍ يَقْعَقُعُ خَلْفَ رَجْلِيهِ بَشَنٍّ ٦٧
 ٣٤٧ وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّنْدِ ٧١
 ٣٤٨ أَلَا أَيُّهَا الطَّيْرُ الْمُرِيَّةُ بِالضُّحَى عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى لَحْمٍ ٧٥
 ٣٤٩ فَإِيَّامَ وَحْيَةٍ بَطْنِ وَادٍ هَمُوزَ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بَسِيٌّ ٨٦
 ٣٥٠ كَانَ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَثِيلِهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمِلٍ ٩٨

باب العطف

- ٣٥١ يَالْهَفَ زَيَّابَةَ لِلْحَارِثِ الـ صَابِحَ فَالْغَانِمَ فَالْآيِبَ ١٠٧
 ٣٥٢ وَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمْتُ بَرَحْلَى أَوْ خِيَالُتْهَا الْكَذُوبُ ١١٩
 ٣٥٣ فَالْيَوْمَ قَرَّبْتُ تَهْجُونَا وَتَشْتَمُنَا فَازْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ ١٢٣
 ٣٥٤ أَتَعْرِفُ أُمَّ لَا رَسْمَ دَارٍ مُعْطَلًا مِنْ الْعَامِ يَغْشَاهُ وَمِنْ عَامٍ أَوَّلًا ١٣١
 ٣٥٥ وَكَانَ سَيِّانٍ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعْمًا أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا وَاعْبَرْتَ السُّوْحُ ١٣٤
 ٣٥٦ بَاتَ يَعْشِيهَا بَعْضُ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرٍ ١٤٠
 ٣٥٧ وَعَضُّ زَمَانٍ يَا بَنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مَسْحَتًا أَوْ مَجْلُفٌ ١٤٤

باب التوكيد

- ٣٥٨ أقسم بالله أبو حفص عمر ١٥٤
- ٣٥٩ فأين إلى أين التجأ بيغلتى أتاك أتاك اللاحقون احبسي احبسي ١٥٨
- ٣٦٠ لا لا أبوح بحب بشة إنها أخذت على موثقا وعهودا ١٥٩
- ٣٦١ تراكها من إيل تراكها ١٦٠
- ٣٦٢ أقبلن من ثهلان أو وادي خيم على قلاص مثل خيطان السلم ١٦٣
- ٣٦٣ ياليتنى كنت صبيًا مرضعا تحملنى الذلفاء حولاً أكتعا ١٦٨
- ٣٦٤ أولاك بنو خير وشر كليهما جميعاً ومعروف ألم ومُنكر ١٧١
- ٣٦٥ يامى إن تفقدى قوماً ولدتيهم أو تُخلصيهم فإن الدهر خلاص ١٧٠
- عمر وعبد مناف والذى عهدت بطن عرعر : آبي الظلم عباس ١٧٤
- ٣٦٦ فلا وأبيك خير منك إني ليؤذيني التمحّم والصهيل ١٧٩
- ٣٦٧ إنا وجدنا بنى جلان كلهم كساعد الضب لأطول ولا قصر ١٨٣
- ٣٦٨ أوعدني بالسجن والأداهم رجلى ورجلى شنة المناسيم ١٨٨
- ٣٦٩ ذريني إن حكمك لن يطاعا وما ألفتني حلمي مضاعا ١٩١
- ٣٧٠ وكأنه لهُق السرة كأنه ماحجيه معين بسواد ١٩٧
- ٣٧١ إن السيوف غدوها ورواحها تركت هوازن مثل قرن الأعضب ١٩٩
- ٣٧٢ إن على الله أن ثبايعاً تؤخذ كرهاً أو تحياء طائعا ٢٠٣
- ٣٧٣ وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت ٢١١

المبنيات

المضمر

- ٣٧٤ إذا زُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ
 ٣٧٥ ولو أَنَّ الْأَطْبَاءَ كَانَ حَوْلِي
 ٣٧٦ ولكن دِيَانِي أَبَوَهُ وَأُمُّهُ
 ٣٧٧ إِنْ كُنْتُ أَدْرِى فَعَلْتُ بِدَنَّةٍ
 ٣٧٨ أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِي
 ٣٧٩ فَقِمْتُ لِلطَّيْفِ مُرْتَاعًا فَأَرْقَنِي
 ٣٨٠ فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ :
 ٣٨١ وَإِنْ لَسَانِي شَهِدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا
 ٣٨٢ رَمِيَّتِهِ فَأَقْصَدْتُ
 ٣٨٣ فَبْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْغَتِيقِ أَرْيَعُهُ
 ٣٨٤ وَمَائِبَالِي إِذَا مَا كُنْتُ جَارَتُنَا
 ٣٨٥ كَأَنَّا يَوْمَ قُرَى إِنْ —
 ٣٨٦ بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِنْتُ
 ٣٨٧ وَإِنْ أَمْرًا أَسْرَى إِلَيْكَ وَدَوْنَهُ
 لِحَقُوقَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ
 ٣٨٨ فَلَا تَطْمَعُ أَيْتَ اللَّعْنِ فِيهَا
 ٣٨٩ وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَنْعِمَةٍ
 ٣٩٠ لَعْنٍ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
 ٣٩١ لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ شَهْرٌ
- وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ ٢٢٦
 وَكَانَ مَعَ الْأَطْبَاءِ الْأَسَاءَةُ ٢٢٩
 بِحُورَانَ يَعْبُرُونَ السَّلِيطَ أَقَارِبُهُ ٢٣٤
 مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيضِ أَنَّى مِنْ أَنَّهُ ٢٤١
 حُمِيدًا قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا ٢٤٢
 فَقُلْتُ : أَهَى سَرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلُمٌ ٢٤٤
 لَعْنُ جَمَلٍ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبُ ٢٥٧
 وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّهِ اللَّهُ عَلَقُمُ ٢٦٦
 وَمَا أَخْطَأْتُ الرَّمِيَةَ ٢٦٨
 وَمِطْوَايَ مُشْتَقَانِ لَهْ أَرْقَانِ ٢٦٩
 أَنْ لَا يُجَاوِرُنَا إِلَّا كِ دَيَّارُ ٢٧٨
 مَا نَقْتُلُ إِيَّانَا ٢٨٠
 إِيَاهُمُ الْأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَابِ ٢٨٨
 مِنَ الْأَرْضِ مَوَاةً وَبِيدَاءَ سَمَلُقِ
 وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوَفَّقُ ٢٩١
 وَمَنْعُكَهَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ ٢٩٧
 لِضَعْفِهَا يَقْرَعُ الْعَظَمُ نَائِبُهَا ٣٠١
 عَنْ الْعَهْدِ ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ ٣١٢
 لَا تَرَى فِيهِ غَرِيبًا ٣٢٢

- ٣٩١ لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ شَهْرٌ لَا تَرَى فِيهِ عَرِيًّا
 لَيْسَ إِيَّايَ وَإِيَّاكَ وَلَا نَخْشَى رَقِيًّا
 ٣٩٢ عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْسِ إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ الْكَرَامُ لَيْسِي
 ٣٩٣ فَإِنْ لَا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَا فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَتْهُ أُمُّهُ بِلَبَانِهَا
 ٣٩٤ لَوْلَاكَ فِي ذَا الْعَامِ لَمْ أَحْجِجْ
 ٣٩٥ وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَحَتْ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قَلَّةِ النَّيِّقِ مُنْهَوِي
 ٣٩٦ لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلَمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدْعُنَكَ أَجْدَعَا
 ٣٩٧ وَلِي نَفْسٌ أَقُولُ لَهَا إِذَا مَا تُنَازَعَنِي : لَعَلِّي أَوْ عَسَانِي
 ٣٩٨ يَا أَبْتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَ
 ٣٩٩ هَلْ تُبْلَغُنِي دَارَهَا شَدَّيَّةٌ لَعْنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصْرَمٌ
 ٤٠٠ تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكَا يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَّيْنِي
 ٤٠١ كَمْنِيَّةِ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتِي أَصَادَفَهُ وَأَفْقَدُ جُلَّ مَالِي
 ٤٠٢ أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنِي لَسْتُ مِنْ قَيْسٍ وَلَا قَيْسُ مِنْي
 ٤٠٣ قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْحُبِيِّينَ قَدِي لَيْسَ الْإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ
 ٤٠٤ وَكَائِنْ بِالْأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ يَرَانِي لَوْ أُصِيبْتُ هُوَ الْمُصَابَا
 ٤٠٥ هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَرَائِقُ وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ
 ٤٠٦ عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا نُوكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
 ٤٠٧ إِنَّ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بَنِي حَسًّا نَ أَلَمُهُ وَأَعْصِيهِ فِي الْخُطُوبِ
 ٤٠٨ فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي طَلَاقَكَ لَمْ أَبْخُلْ وَأَنْتَ صَدِيقُ

اسم الإشارة

- ٤٠٩ ذُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام ٤٣
 ٤١٠ تجلّد لايقبل هؤلاء : هذا بكى لما بكى أسفاً وغيظا ٤٣٧
 ٤١١ فقلت له والرحم ياطر ممتنه : تأمل خفافاً إننى أنا ذلکا ٤٣٨
 ٤١٢ تعلّمن ها لعمر الله ذا قسماً فاقدر بذرعك وانظر أين تنسلك ٤٥١
 ٤١٣ ها إن تا عذرة إن لم تكن نفعت فإن صاحبها قد تاه في البلد ٤٥٩
 ٤١٤ ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا فقلت لهم: هذا لها ها وذالها ٤٦١

الموصول

- ٤١٥ وإئني لراج نظرة قبل التي لعلی وإن شطت نواها أزورها ٤٦٤
 ٤١٦ بسود نواصيها وحمى أكفها وصفر تراقبها وبيض خلودها ٤٧٠
 ٤١٧ وقد يخرج البروغ من نافقائه ومن جحره بالشيحة يتقصع ٤٨٢
 يقول الخنى وأبغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار الجددع ٤٨٢
 ٤١٨ لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل ٤٨٤
 ٤١٩ وليس المال فاعلمه بمال وإن أغناك إلا للذي ٤٨٤
 يريد به العلاء ويصطفيه لأقرب أقربيه وللقصي ٥٠٤
 ٤٢٠ واللذ لو شاء لكنت صخرا أو جبلاً أشم مشمخراً ٥٠٥

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٨٤/١٩٧٧ .

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء السادس

الناشر مكتبة النخاعي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويري

مكتبة الحانجي

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

○ الطبعة الثالثة ○

□ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م □

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع ٨٦/٣٠٥١

الترقيم الدولي ٤ - ١٥ - . ٥٠٥ - ٩٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الأربعمئة (١) :

٤٢١ (كَالَّذِ تَزْبَى زُبَّةً فاصطيدا)

على أَنَّ حذفَ الياء من (الذى) وتسكين الذال لغةٌ .

قال ابن الأنبارى (فى المقصور والممدود) : زُبَّةٌ وجمعها زُبَى ، وهى أماكن تحفر للأسد . أنشد الفراء :

فكنْتُ والأمر الذى قد كيدا كَالَّذِ تَزْبَى زُبَّةً فاصطيدا

والزُبَى : أماكن مرتفعة ، يقال فى المثل : « قد بلغَ الماءُ الزُبَى » ، قال العجاج :

* قد بلغ الماءُ الزُبَى فلا غَيْرَ * انتهى .

وقد أخذَه القالى (فى المقصور والممدود) وزاده . قال : ومن أمثالهم : « قد بلغَ السَّيْلُ الزُّبَى » ، يقال ذلك عند شدة الأمر . ومنه حديث عثمان : « أمّا بعد فقد بلغ السَّيْلُ الزُّبَى » . ويقال إن النمل إذا أحسَّتْ بندى الأرض ترفَّعتْ إلى زُبَاهَا ، خوفاً من السَّيْلِ ، فيستدَلُّ بذلك من فعلها على كثرة المطر ويخصب السَّنة . قال الكميت :

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٢ ويس ١ : ٤٢ وشرح السكرى للذهليين

٦٥١ واللسان (زبى) .

وأصبحت منهم فوق علياء صعبة إذا بلغت تلك السُّبُول زُبَى التَّمَلِ (١)
انتهى .

وقال أبو فيد مؤرِّج بن عمرو السَّدُوسِي (في أمثاله) : وتقول العرب :
« قد بلغ السَّيْلُ الزُّبَى » ، وهو أن يبلغ الأمر منتهاه . والزُّبَى غير القُترة . الزُّبَى
تحفر للأسد فيصايد فيها ، وهى رَكِيَّة بعيدة القعر ، إذا وقع فيها لم يستطع
الخروج منها ، لبعد قعرها ، يحفرونها ثم يوضع عليها لحم وقد غمَّوها بما
لايُعمله ، فإذا أتی اللحم انهدم غطاء الزُّبَى . وأمَّا القُترة والتَّاموس والبُرَّة فإنها
خَفِيْرَة يحتفرها القانصُ على موارد الوحش ويَطْرَحُ عليها الشَّجَر ، فإذا وردت
رمى من قريب . والزُّبَى لا يستطيع أحدٌ نزولها لُبْعدها ، والرمي فيها أبعد من أن
يُرى إذا دخلها شيء . حدثني سعيد بن السَّمَاك (٢) بن حرب عن أبيه ،
عن حنش بن المعتمر قال : أتى مُعَاذُ بن جبل بثلاثة نفر قتلهم أسدٌ في زُبَى .
فلم يدر كيف يُفتيهم ، فسأل عليّ بن أبي طالب فقال : قُصُّوا عليّ خبركم .
قالوا : صيدنا أسداً في زُبَى فاجتمعنا عليه ، فتدافع الناس عليها فرموا برجل
فيها ، فتعلَّق الرجل بآخر وتعلَّق الآخر برجل آخر ، فهوى فيها ثلاثتهم .
فقَضَى فيها : أنَّ للأوَّل رُبْع الدِّيَّة ، وللثاني النصف ، وللثالث الدِّيَّة كلها .

وروى البيت الأول ابنُ ولَّاد (في المقصور والممدود) :

* فَظَلْتُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ كَيْدًا (٣) *

(١) البيت لم يرد في ديوان الكمي .

(٢) سعيد بن سماك بن حرب ، يروى عن أبيه سماك بن حرب ، واختلف في توثيقه . لسان
الميزان ٣ : ٣٣ . وسماك بكسر السين ، كما في المشتبه للذهبي ٣٦٩ . ط : « السَّمَال » صوابه في ش .
وكان أبوه سماك بن حرب من كبار التابعين ، ترجم له في تهذيب التهذيب .

(٣) المقصور والممدود لابن ولَّاد ٥١ .

يقول : ظَلَلْتُ فى شَرٍّ من الذى كَذْتُ فى حَقِّه ، كالذى عمل حُفْرة لِبَصْطَادِ فيها فاصْطيد وأخذ . وفى هذا المعنى قولُ النبى ﷺ : « من حَفَرَ بئراً لأخيه يُوشِكُ أن يقعَ فيها » .

وروى غيره :

* ولا تكونَنَّ من الذِّ كيدا *

وهو ماضٍ مجهول من الكَيْد . و (تَزَيُّ زُيَّة) معناه حَفَرَ زُيَّة ، بضم الزاى المعجمة وسكون الموحدة ، وجمعها زَيُّ . وأما الرُّيا بضم الراء المهملة ، فجمع رَيوة مثلثة الراء ، وهى ما ارتفع من الأرض .

وهذا من رَجَزٍ أوردَه السَّكْرِيُّ (فى أشعار الهذليين) لرجلٍ من هذيل ، صاحب الشَّعْد

وهو :

أُرَيْتَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمْلُودَا مُرَجَّلا وَيَلْبِسُ الْبُرُودَا

- أَى إِنْ جَاءَتْ بِهِ مَلِكَا أُمْلُودَا أَمْلَسَ -

* ولا ترى مالاَ له معدودا *

- أَى لا يعدُّ ماله من جُوده -

أَقَاتِلُونِ أَعْجَلِي الشُّهُودَا فَظَلْتُ فى شَرٍّ من الذِّ كيدا

* كَالَّذِ تَزْبِي صَائِدَا فَصِيدَا *

ويروى : « فاصْطيدا ^(١) » . و (تَزَبَّى زُيَّة) : حَفَرَ زُيَّة . يقول :

أُرَايْتُ إِنْ وَلَدَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ رَجُلَا هَذِهِ صَفْتُهُ ، أَيْقَالَ لَهَا : أَقِيمِي الْبَيْتَةَ أَنْكِ لم تَأْتِي بِهِ مِنْ غَيْرِهِ ^(٢) .

(١) ط : « فاصْطيد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « يقال لها أقيمي البينة أنك لم تأت به من غيره » ، صوابه فى ش .

هذا ما أورده السكري . ويأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى نون التوكيد من آخر الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الأربعمئة^(١) :

٤٢٢ (فَقُلْ لِّلَّتْ تَلُوْمُكَ إِنَّ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُعَوِّذُ بِالتَّيْمِيمِ)

على أَنَّ الياء حذفت من التى ، وسكن تاؤها .

هذا البيت أنشده ابنُ الشجرى (فى أماليه) عن الفراء وقال : التميم :

جمع تميمية ، وهى التَّعَوِّذُ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الأربعمئة ، وهو من

شواهد س^(٢) :

٤٢٣ (أَبْنَى كُلِّبٍ إِنَّ عَمَّى اللِّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَا)

على أَنَّ حذَفَ التُّونَ من قوله اللِّذَا ، وأصله اللَّذان ، تخفيفاً ، لاستطالة

الموصل بالصلة . هذا قول البصريين ، وأما الكوفيون فحذَفَ التُّونَ عندهم لغة فى

إثباتها ، أطالت الصلة أم لم تُطَلَّ . حكاه عنهم ابنُ الشجرى (فى أماليه) .

قال سيبويه : « قال رجلٌ من الأنصار :

الحافظو عَوْرَةَ العشيرة لَا يَأْتِيَهُمْ مِنْ وَرَائِنَا وَكَفُّ

لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم النون ، ولكن كما حذفوها

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والمجمع ١ : ٨٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المقتضب ٤ : ١٤٦ والمنصف ١ : ٦٧ والمختب ١ : ١٨٥

وابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ والعينى ١ : ٣٢٤ والتصریح ١ : ١٣٢ والمجمع

١ : ٤٩ وديوان الأخطل ٤٤ . وسيأتى مرة أخرى فى ٨ : ٢١٠ .

من اللّذين والذين حين طال الكلام ، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر .
وقال الأخطل :

* أبني كليب إنَّ عمِّي اللذا *... البيت

لأنَّ معناه الذين فعلوا ، يعنى الحافظو عورة العشيرة ، وهو مع المفعول
بمنزلة اسم مفرد لم يعمل فى شئ ، كما أنَّ الذين فعلوا مع صلته بمنزلة اسم .
قال أشهب بن رُميلة :

إنَّ الذى حانت بفَلج دماؤهم

هُم القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالدٍ » انتهى .

والبيت من قصيدة للأخطل يفتخر بقومه ويهجو جريراً . صاحب الشاهد

والألف للنداء ، وبنو كليب بن يربوع : رهط جرير . فخر الأخطل على
جرير بمن اشتهر من قومه من بنى تغلب وساد ، كعمرو بن كلثوم التَّغَلَّبى قاتل عمرو
ابن هنيد ملك العرب ، وعُصْمُ أبى حَنْش^(١) قاتل شُرْحَبِيل بن عمرو بن حُجر ،
وغيرهم من سادات تغلب . و (الأغلال) : جمع غُلٍّ ، وهو طوق من حديد يُجعل
فى عنق الأسير ، وقد يكون من قَدٍّ وعليه شَعَر فيَقْمَل على الأسير ، ومنه قيل للمرأة
السَّيِّئة الخلق : « غُلٌّ قَمَلٌ » ، بفتح القاف وكسر الميم ، أى ذو قَمَل . أى إنَّ عمِّي
يَقْطَعُ الغُلَّ من عنق الأَسْرَاءِ ويُنجونهم من أسْرِ أعدائهم قسراً عليهم . قال السكرى
(فى شرح ديوان الأخطل) : أحد عمِّيهِ أبو حَنْش عُصْمُ بن النعمان ، قاتل

(١) أبو حنش : كنية لعصم ، وهو عصم بن النعمان ، كما سيأتى وكا فى الاشتقاق ٣٣٨ وجمهرة ابن

شُرْحِيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار ، يوم الكلاب الأول . والآخر دَوْكس بن
الْفَدَوْكس بن مالك بن جُشَم بن بكر بن حُبَيْب ، بالتصغير . وبعده :
(وأخوهما السَّفَّاحُ ظَمًا خَيْلَهُ حتى وردن جِبَا الكُلاب نِهالا)

الكلاب بضم الكاف : اسم ماءٍ فيما بين البصرة والكوفة على يَضْعَ
عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ومن اليمامة على سبع لَيَالٍ أو نحوها . والجبا بكسر الجيم بعدها
موحَّدة ، قال السَّكْرِيُّ : السَّفَّاح اسمه سَلَمَةُ بن خالد بن كعب بن زهير ،
من بنى تَيْم بن أُسامَةَ بن بكر بن حُبَيْب ، وإنما سُمِّي السَّفَّاح لِأَنَّهُ لما دنا من
الكلاب عَمَدَ إلى مَزَادِ أَصْحَابِهِ فشَقَّقَهَا وسَفَحَ ماءَهَا وقال : لاماءَ لكم
إلا ماءُ القوم ، فقاتلوا عنه وإلا فموتوا عطاشا . انتهى .

وللعرب وَقْعَتَانِ على الكلاب يقال لهما يوم الكلاب الأول ويوم
الكلاب الثاني . وقد تقدم شرح الكلاب الثاني في الشاهد الخامس
والستين ^(١) ، وهذا شرحُ اليوم الأول باختصار :

قال الإمام العسكري (في كتاب التصحيف) : أما اليوم الأول فكان
يوم الكلاب الأول
في الجاهلية لبني تغلب ، وعليهم ^(٢) سلمة بن الحارث الكندي ، ومعهم ناسٌ
من بنى تيم قليل ، وفيهم سُفْيَان بن مجاشع . وكانت تيمم يومئذ فرقتين : فرقةٌ
مع تغلب ، وفرقة مع بكر بن وائل . فلقى سلمة بن الحارث بن عمرو أخاه
شُرْحِيل بن الحارث ، ومع شُرْحِيل بكر بن وائل وبعضُ بني تيمم ، فَهَزَمَ
أَصْحَابُ شُرْحِيل وَقُتِلَ شُرْحِيل . قال ابن الكلبي : شرحبيل بن الحارث
الكندي من ولد حُجْر آكل المرار : ملك بني تيمم ، وسلمة بن الحارث ملك
بني تغلب . انتهى .

(١) الخزانة ١ : ٤١٠ .

(٢) ش : « عليهم » بدون واو ، وهي بالواو في تصحيف العسكري ٤٣٩ .

وقد تجَّوز الأخطل في جعل أُنَى حَنَشٍ ودَوْكَسٍ عَمِّيهِ ، مع أنَّهما من أعمام آبائه ، كما تجَّوز في جعل السفاح أخاً لهما . والصواب ما قاله ابن قتيبة في ترجمة ابن كلثوم (من كتاب الشعراء) : يعنى بعَمِّيهِ عَمراً ومُرة ابْنَى كلثوم ؛ فَإِنَّ عَمراً قتل عمرو بن هند ، ومُرة قتل المنذر بن النعمان بن المنذر . ولذلك قال الفرزدقُ لجرير :

ماضِرٌّ تغلَّبَ وائِلٌ أهجوئها أم بُلَّتْ حيث تناطَحَ البحرا
قومٌ هم قتلوا ابنَ هندٍ عَنوةً عَمراً ، وهم قَسَطُوا على النُّعمانِ

انتهى .

ونقل ابن المستوفى عن الخوارزمي أنه قال : في حاشية نسختي من المفصَّل : يعنى بعَمِّيهِ ابنَ هبيرة التَّغَلبي ، والهدَّيل بن عمران الأصغر . قال : سُئِلْتُ كيف يكونان عَمِّيهِ وأحدهما ابن عمران والآخر ابن هبيرة ؟ أجبت بأنَّه يحتمل أن يكون أحدهما عَمُّه والآخر عَمُّ أبيه أو جدُّه . وكلاهما يسمَّى عَمّاً . انتهى .

وقال ابن خلف : عَمَّاه أبو حنش وأخوه ، أو رجل آخر من قومه غير أخى أُنَى حنش . وقيل عمه الآخر عمرو بن كلثوم . انتهى :

وأول القصيدة نسيبٌ ، وهذا مطلعُها :

(كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطِ)

أبيات الشاهد

غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرِّبَابِ خَيْالاً

وَتَعَرَّضْتَ لَكَ بِالْأَبَالِخِ بَعْدَمَا

قَطَعْتَ بِأَبْرِقٍ خُلَّةً وَوَصَالاً

وَتَعَوَّلْتَ لَتُرْوَعَنَا جَنِيَّةً

وَالْغَانِيَاثُ يُرِيْنَكَ الْأَهْوَالَا

يَمْدُدْنَ مِنْ هَفَوَاتِهِنَّ إِلَى الصُّبَا
 سِبْياً يَصِدْنَ بِهِ الرِّجَالُ طَوَّالَا
 مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَكْرِهِنَّ إِذَا جَرَى
 فِينَا ، وَلَا كَحِبَاهُنَّ جِبَالَا
 الْمُهْدِيَاتُ لِمَنْ هَوَيْنَ مَسَبَّةً
 وَالْمَحْسِنَاتُ لِمَنْ قَلَيْنَ مَقَالَا
 يَرَعَيْنَ عَهْدَكَ مَا رَأَيْتُكَ شَاهِداً
 وَإِذَا مَذَلَّتْ يَصِيرْنَ عَنْكَ مِذَالَا
 وَإِذَا وَعَدْتُكَ نَائِلاً أَخْلَفْتَهُ
 وَوَجَدْتَ عِنْدَ عِدَاتِهِنَّ مِطَالَا
 وَإِذَا وَزَنْتَ حُلُومَهُنَّ إِلَى الصُّبَا
 رَجَحَ الصُّبَا بِحُلُومِهِنَّ فَمَالَا)

ثم بعد أربعة أبيات من هذا النمط قال :

* أَبْنَى كَلِيبَ أَنَّ عَمِّيَ اللَّذَا * البيت

وذكر ثلاثة أيام أخر مما أوقع بنو تغلبَ بني تميم ، وهي يوم الكَحِيلِ
 بالتصغير ، ويوم الشَّرْعَبِيَّةِ ، ويوم إِرَاب .

وكان السبب في يوم الكلاب أَنَّ الحارث بن عمرو الكنديَّ جدَّ امرئ
 القيس الشاعر ، مَلَكَ المدرَّ والوبر أربعين سنة ، وقيل ستين سنة ، وقد كان
 فَرَّقَ بنيهِ في قبائلٍ معدَّةٍ قبل موته ، فجعل حُجراً وهو أبو امرئ القيس في بني
 أسد وكنانة ، وكان أَسَنُّ ولده . وجعل شرحبيل في بكر بن وائل ، وبني حنظلة
 ابن مالك ، وبني أُسَيْد بن عمرو بن تميم ، وطوائف من بني عمرو بن تميم
 والرَّيَاب . وجعل سَلَمَةَ ، وهو أصغرهم ، في بني تغلب ، والثَّمر بن قاسط ،
 ٥٠٢ وبني سعد بن زيد مناة . فلما هلك الحارثُ تَشَتَّتْ أُمُرُهُمْ ، وتفرقت كلمتهم ،

ومشت الرجال بينهم وتفاقم أمرهم ، حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع ، وزحف إليه بالجيوش ، فسار شرحبيل فيمن معه فنزل الكلاب ، وأقبل سلمة فيمن معه من بنى تغلب وسعد وغيرهما ، وكان على بنى تغلب السقّاح المذكور ، فالتقى القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كان في آخر النهار ، أخذت بنو حنظلة وعمر بن تميم والرياب ، وانصرف بنو سعد ، وصبر ابنا وائل : بكر وتغلب ، وليس معهم أحد غيرهم ، حتى غشيهم الليل ، فنادى مُنادى شرحبيل : من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل . ونادى منادى سلمة كذلك . ولما انهزم بنو حنظلة مع من ذكرنا خرج معهم شرحبيل ، ولحقه ذو السنيّة - كانت له سنّ زائدة فسمّى بذلك - فضربه شرحبيل على ركبته فأطنّ رجله ، وكان ذو السنيّة أخا أوى حنش لأمه ، فقال ذو السنيّة : يا أبا حنش ، قتلنى الرجل ! وهلك . فقال أبو حنش : قتلنى الله إن لم أقتله ! فحمل أبو حنش على شرحبيل فأدركه ، والتفت إليه فقال : يا أبا حنش ، اللبّ اللبّ ! قال : قد هرقت لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش ، أملكاً بسوقة ؟ فقال : إنّه كان ملكى . فطعنه فألقاه فاحتزّ رأسه ، فبعث به مع ابن عمّ له إلى سلمة فطرّحه بين يديه فقال سلمة : لو كنت ألقىته إلقاءً رفيقاً ؟ فقال : ما صنع به وهو حىّ شرّ من هذا ! وعرف القوم الندامة فى وجهه ، والجزع على أخيه ، فهرب أبو حنش فقال سلمة :

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً فمالك لا تحيى إلى الثواب
تعلّم أن شرّ الناس طراً قتيل بين أحجار الكلاب

فأجابه أبو حنش :

أحاذر أن أجيبك ثم تحبو جباء أهلك يوم صنيعات

وكانت غَدْرَةً شنعاء تهفو تقلدُها أبوكِ إلى المماتِ

وقوله : « كذبتك عينك » إلخ خطابٌ لنفسه ، وفيه حذفُ ألف الاستفهام ، أى كذبتك . وبه استشهد بعضهم . وأورده ابن هشام (فى المغنى) على أن أبا عبيدة قال : إنَّ أمَّ تأنى للاستفهام المجرد عن الإضراب ، وقال : إن المغنى فى البيت هل رأيت ؟ وفى (تفسير ابن جرير) عند قوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ ^(١) قال : أم هنا على الشكِّ ، ولكنَّه قاله ليقبَّح به صنيعهم ، كقول الأخطل : كذبتك عينك ، البيت .
والرَّباب : اسم امرأة . وواسط هذه : قريةٌ غربىَّ الفُراتِ مقابل الرِّقَّة من أعمال الجزيرة . والخابور : قربَ قَرْقِسياء ^(٢) ، وهى من منازل بنى تغلب وليست واسط هنا واسط التى بناها الحجاج بين البصرة والكوفة ، خلافاً لشارح شواهد المغنى . نقل ياقوت (فى معجم البلدان) عن الأسود أبى محمد الغندجاني قال : أخبرنى أبو الندى ^(٣) قال : للعرب سبعة أواسط : واسط نجد ، وواسط الحجاز ، وواسط الجزيرة . قال الأخطل :

« كذبتك عينك أم رأيت بواسطِ » البيت

وواسط اليمامة ، وواسط العراق وهى التى بناها الحجاج فى سنة أربع وثمانين وفرغ منها فى ست وثمانين . قال أبو الندى : وقد أنسيْتُ اثنتين . ثم قال ياقوت : وواسط أيضاً : قرية مشهورةٌ ببلخ ، وواسط : قرية بحلب

(١) الآية ١٠٨ من البقرة .

(٢) قرقسياء بياء كما فى ط ومعجم البلدان . قال ياقوت « ويقال بياء واحدة » . وفى ش :

« قرقسياء » .

(٣) ط : « أبو النداء » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش .

قرب بُزاعة ^(١) مشهورة ، وبالقرب منها قرية يقال لها الكوفة . وواسط : قرية ٥٠٣
 بدجيل على ثلاثة فراسخ من بغداد . وواسط : قرية بالأندلس . وواسط : قرية
 قرب مرزباد ^(٢) ، حلة بنى مزيد من أعمال بغداد يقال لها واسط مرزباد .
 وواسط : قرية في شرقي دجلة الموصل بينهما ميلان ، ذات بساتين كثيرة .
 وواسط : قرية باليمن بسواحل زبيد . وواسط : موضع في بلاد تميم . وواسط من
 منازل بنى قشير . وواسط : موضع بين العذيب والصفراء . وغير ذلك .
 وقوله : « وتعرضت لك بالأبأخ » هو جمع بليخ ، بفتح الموحدة وكسر
 اللام وآخره خاء معجمة ، قال أبو عبيد (في معجم ما استعجم) : البليخ :
 نهر الرقة والفرات ، وبينه وبين شطّ الفرات ليلة . وجمعه باعتبار أجزائه .
 وتغوّلت : تهوّلت . والغاية : المرأة التي غيّت بحمالها عن الزينة . وهفواتهنّ :
 جهلهنّ . والسبب : الحبل . والطول ، بضمّ الطاء ، بمعنى الطويل صفة
 لسبب .

ومذلت بكسر الذال المعجمة بمعنى قلقت وضجرت ، ومذال ،
 بكسر الميم : جمع مذلة بفتح فسكون ، كعبلة وعبال ، وجعدة
 [وجعاد ^(٣)] ، بمعنى قلقة ومتضجرة .
 والأخطل : شاعر نصراني من شعراء الدولة الأموية ، وتقدّمت ترجمته في
 الشاهد السابع والثمانين ^(٤) .

وقد نسب الزمخشري (في المفصل) البيت الشاهد للفرزدق ، ونقله
 العيني عنه . وهذا سهو من قلم الناسخ . والله أعلم .

* * *

(١) بزاعة بضم الباء وكسرها ، كما في معجم البلدان .

(٢) الكلام بعده الى « مرزباد » التالية ، ساقط في ط .

(٣) تكملة يقتضيه السياق .

(٤) صوابه « الثامن والسبعون » . الخزائن ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الأربعمئة (١) :
 ٤٢٤ (هما اللتا لو ولدت تميمٌ لقليل فخرٌ لهم صميمٌ)
 على أن نون اللتان حُذفت لاستطالة الموصول بالصلة تخفيفاً ، كالبيت
 المتقدم .

قال شراح التسهيل : حذف النون من الذين واللذون واللتان : لغة
 بنى الحارث بن كعب وبعض بنى ربيعة . وأنشدوا هذين البيتين .
 والعجب من ابن مالك بعد أن قال (فى التسهيل) : إنه يجوز حذف
 النون ، قال (فى شرحه) : إنَّ حذف النون من هما اللتا ضرورة . وهما مبتدأ ،
 واللتا خبره بتقدير موصوف ، أى هما المرأتان اللتان ، والجملة الشرطية مع
 جوابها صلة الموصول ، والعائد محذوف لكونه مفعولاً ، أى ولدتهما ، وتميم
 فاعل ولدت ، وهو أبو قبيلة . والصميم : الخالص النقى ، وهو صفة للمبتدأ
 الذى هو فخرٌ ، ولهم هو الخبر ، والجملة مقول القول .
 قال ابن الشجرى : وهذا البيت أنشده الفراء (٢) .
 وقال العينى : « هو للأخطل » . وقد فتشت أنا ديوانه فلم أجده فيه .
 والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الأربعمئة (٣) :
 ٤٢٥ (قومى اللذو بعكاظ طيروا شرراً
 من رؤس قومك ضرباً بالمصاقيل)
 على أنه قد تحذف النون من اللذون .

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والعينى ١ : ٤٥٥ والتصریح ١ : ١٣٢ والجمع ١ : ٤٩ .

(٢) لم يرد فى معانى القرآن .

(٣) لم أجده له مرجعاً آخر .

و (عكاظ) بضم العين المهملة وبالتنوين ، باعتبار أنه اسمُ مكان .
قال أبو عبيد (في معجم ما استعجم) : عكاظ : صحراءٌ مستوية لا علمَ فيها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التي كانت بها في الجاهلية ، وبها من دماء الإبل كالأرحاء العظام ^(١) . وكانت عكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقاً لمكة في الجاهلية . قال محمد بن حبيب : عكاظ بأعلى نجد قريبٌ من عرفات . وقال غيره : عكاظ وراء قرن المنازل بمرحلةٍ من طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف وعلى بريدٍ منها ، وأرضها لبنى نصر ، وأُتخذت سوقاً بعد الفيل بخمسَ عشرةَ سنة ، وُتركت عامَ خرجت الحرورية بمكة مع المختار بن عوف ، ٥٠٤ سنة تسع وعشرين ومائة ، إلى هلم جراً . قال أبو عبيدة : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وكان سوقُ عكاظ يقوم صَبَحَ هلال ذى القعدة عشرين يوماً ، وسوق مَجَنَّة يقوم ^(٢) عشرةَ أيام بعده ، وسوق ذى المجاز تقوم هلال ذى الحجة . ثم قال : وعكاظٌ مشتقٌ من قولك : عَكَظَ الرجل عكظاً ، إذا قهرته بحجته ، لأنهم كانوا يتعاكظون هناك بالفخر . وكانت بعكاظ وقائعُ مرّةٍ بعد مرّةٍ . وذكر أبو عبيدة أنه كان بعكاظ أربعةَ أيام : يوم شَمْطَة ^(٣) ، ويوم العَبلاء ، ويوم شَرِب ^(٤) ، ويوم الحُريرة ، وهي كلها من عكاظ ، قال : فشَمْطَة من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بنى كنانة

(١) في بعض نسخ معجم ما استعجم ٩٥٩ : « كالأرحال العظام » ، تحريف .

(٢) في معجم ما استعجم : « يقوم » في هذا الموضع وناليه . والسوق يذكر ويؤث . وأنشدوا في

التذكير :

ألم يعظ الفتيان ما صار لمتى بسوق كثير ريحه وأعاصره

(٣) ط : « شمطة » في جميع المواضع هنا ، وأثبت ما في ش . وقد أورد ياقوت « شمطة » بالطاء

المهملة ، ثم قال : « ورواه الأزهري بالطاء المعجمة » .

(٤) شرب ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، قال ياقوت : « ويشرب كانت وقعة الفجار العظمى » .

بعد يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا فيه من أيام الفَجَارِ بِحَوْلٍ ، على ما تواعدت عليه مع هَوازِن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يُقتل من قریش أحدٌ يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى جبل يقال له دَحْم ، فلم يُقتل منهم أحد . وقال خِداش بن زهير :

فأبلغ إن بلغت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليدا
بأناً يوم شمطة قد أقمنا عمود الدين ، إن له عمودا

ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة بالعلاء إلى جنب عُكاظ ، فكان لهوازن أيضاً على قریش وكنانة . قال خِداش بن زهير :

ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العلاء خندف بالقيادِ
ضربناهم بيطن عُكاظ حتى تولوا طالعين من النجادِ (١)

ثم التقوا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نخلة بشرب ، وشرب من عكاظ . ولم يكن بينهم يوم أعظم منه ، فحافظت قریش وكنانة وقد كان تقدم لهوازن عليهم يومان ، وقيد أبو سفيان وحرب ابنا أمية (٢) وأبو سفيان بن حرب أنفسهم وقالوا : لا يرخ منا رجل مكانه حتى يموت أو يظفر (٣) ! فانهزمت هَوازِن وقيس كلها إلا بنى نصر ، فإنها صبرت مع ثقيف ، وذلك أن عكاظ بلدهم لهم فيه نخل وأموال ، فلم يُغنوا شيئاً ، ثم انهزموا ، وقتلت هَوازِن يومئذ قتلاً ذريعاً . قال أمية بن الأسكر الكناني :

(١) في معجم البكري : « طالعين » بالطاء المعجمة .

(٢) في المعجم : « سفيان وحرب ابنا أمية » . وما يجدر ذكره أن أمية الأكبر بن عبد شمس من

أولاده سفيان وأبو سفيان ، وحرب وأبو حرب ، كما في الجمهرة ٧٨ . وفي النسختين : « أبناء أمية » والوجه ما أثبت من المعجم .

(٣) في المعجم : « أو يظفر » .

أَلَا سَائِلَ هَوَازِنَ يَوْمَ لَاقُوا
فَوَارِسَ مِنْ كَنَانَةٍ مُعَلِّمِينَا
لَدَى شَرِبٍ وَقَدْ جَاشُوا وَجِشْنَا
فَأَوْعَبَ فِي النَّفِيرِ بَنُو أُبَيْنَا ^(١)

وقال :

قَوْمِي اللَّذُو بِعَكَازٍ طَيَّرُوا شَرًّا
مِنْ رُوسِ قَوْمِكَ ضَرِبًا بِالمَصَاقِيلِ ^(٢)

ثُمَّ التَّقَوُّا عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ بِالْحَرِيرَةِ ، وَهِيَ حَرَّةٌ إِلَى جَنْبِ عُكَازٍ مِمَّا يَلِي
مَهَبَّ جَنْبِهَا ، فَكَانَ لَهُوَازِنَ عَلَى قَرِيشٍ وَكَنَانَةٍ .

و (الشَّرَر) بفتح الحاء ، هو إمَّا جمع شَرَّة ، وهو ما يتطاير من النَّار ،
وكذلك الشَّرَار والشَّرَاة ؛ وإمَّا مصدر شَرَرْتُ يَا رَجُلٌ بفتح الراء وكسرها ، شَرًّا
وَشَرًّا ، مِنَ الشَّرِّ نَقِيضُ الْخَيْرِ . وَقَوْلُهُ : (مِنْ رُوسِ قَوْمِكَ) هُوَ بِحَذْفِ
الْهَمْزَةِ مِنْ رُوسٍ . وَقَوْلُهُ : (ضَرِبًا) إمَّا مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ أَيْ بِضَرْبٍ ، ٥٠٥
وإمَّا مَنْصُوبٌ بِعَامِلٍ مَحذُوفٍ حَالٍ مِنَ الْوَاوِ فِي طَيَّرُوا ، أَيْ يَضْرِبُونَ ضَرِبًا ،
أَوْ ضَارِبِينَ ضَرِبًا . وَ (المَصَاقِيلِ) : جَمْعُ مَصْقُولٍ ، مِنَ الصَّقَلِ ، وَهُوَ جِلَاءُ
الْحَدِيدِ وَتَحْدِيدُهُ ، أَيْ جَعْلُهُ قَاطِعًا . أَرَادَ كُلُّ آلَةٍ حَدِيدٍ مِنَ السَّلَاحِ ، مِثْلُ
السَّيْفِ وَالسِّنَانِ .

وَالْبَيْتُ لِأُمَيَّةِ بْنِ الْأَسْكَرِ الْكِنَانِي . وَلَمْ أَقِفْ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَلَا مَا بَعْدَهُ . صَاحِبُ الشَّاهِدِ

(١) ط : « فَأَدْعِب » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَالْمَعْجَمِ .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَرِدْ فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ .

وأمية ، كما قال صاحب الأغاني : أمية بن حُرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سَراييل الموت ^(١) بن زهرة بن زينة ^(٢) بن جُندَع بن ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن مدركة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . شاعرٌ فارس مخضرم ، أدرك الجاهليَّة والإسلام . وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيامٌ مأثورة مذكورة .

وابنه كِلاب بن أمية أدرك النبي ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبي ﷺ .

وروى صاحبُ الأغاني بسنده إلى الزُّهري عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوام ، فسألهما : أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فأغراه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كِلاب عنه قال :

لَمَنْ شِيخَانٍ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا

كَتَابَ اللَّهِ لَوْ قَبِلَ الْكِتَابَا ^(٣)

أُنَادِيهِ فَيُعْرَضُ فِي إِبَاءِ

فَلَا وَأَيُّ كِلَابٍ مَا أَصَابَا

(١) وفي الأغاني : « بن سراسل الموت » ، تحريف . والذي في جمهرة ابن حزم ١٨٣ : « بن عبد الله سريال الموت » .

(٢) في النسختين : « زينة » ، وفي الأغاني : « زينة » ، صوابه من الجمهرة ١٨٣ والإصابة

. ٢٥١

(٣) في الأغاني ١٨ : ١٥٧ : « إن قبل » ، وفي الجمهرة : « لو حفظ » . وفي المعمرين ٦٨ :

« لو ذكر » .

إِذَا سَجَعْتُ حَمَامَةً بَطْنِ وَجِّ

إِلَى بَيْضَاتِهَا دَعَا كَلَابَا ^(١)

أَتَاهُ مَهَاجِرَانِ تَكْتَفَاهُ

فَفَارَقَ شَيْخَهُ خَطَأً وَخَابَا

تَرَكْتُ أَبَاكَ مَرْعَشَةً يَدَاهُ

وَأَمَّكَ مَا تُسَيِّغُ لَهَا شَرَابَا

تَمَسَّحَ مَهْدَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ

وَتَجَنَّبَهُ أَبَاعِرَهَا الصَّعَابَا ^(٢)

فَإِنَّكَ وَابْتِغَاءَ الْأَجْرِ بَعْدَى

كَبَاغَى الْمَاءِ يَتَّبِعُ السَّرَابَا ^(٣)

قال : تَجَنَّبَهُ وَتَجَنَّبَهُ وَاحِدٌ ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ

تَعْبُدُوا الْأَصْنَامَ ^(٤) ﴾ . فَلَبِغْتَ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ يَرُدِّدْ كَلَابَا ، فَأُهْتِرَ أُمِيَّةٌ وَخَلَطَ جَزْعًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَتَاهُ يَوْمًا وَهُوَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَوْلَهُ الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَعَاذَلُ قَدْ عَذَلْتِ بَغِيرَ عِلْمِ

وَمَا تَدْرِينَ عَاذَلُ مَا أُلَاقِي ^(٥)

(١) فِي الْأَغَانِي : « بَطْنِ وَاد » . وَفِي الْإِصَابَةِ :

إِذَا نَعِبَ الْحَمَامَ بِبَطْنِ وَجٍ عَلَى بَيْضَاتِهِ ذَكَرَا كَلَابَا

وَفِي الْمَعْمَرِينَ : « إِذَا هَفَّتْ حَمَامَةُ بَطْنِ وَجٍ » .

(٢) ط : « مَهْر » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَالْمَعْمَرِينَ .

(٣) الْإِصَابَةُ : « وَإِنَّكَ وَاتِّمَّاسَ الْأَجْرِ » .

(٤) الْآيَةُ ٣٥ مِنْ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ .

(٥) فِي الْمَعْمَرِينَ ٦٨ وَالْإِصَابَةُ : « وَمَا يَدْرِكُ وَيَحْكُ مَا أُلَاقِي » . وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (بِسَاقِ) :

« وَلَا تَدْرِينَ عَاذَلُ » .

فإمّا كنتِ عاذلتى فرُدّي
 كلاباً إذْ توجّه للعراقِ
 ولم أقضِ اللبّانةَ من كلابِ
 غداةَ غداً وآذنَ بالفراقِ (١)
 فتّى الفتيانِ فى عُسرٍ ويُسرٍ
 شديدُ الرُّكنِ فى يومِ التلاقِ
 فلا وأيّكِ ما باليتِ وَجَدى
 ولا شَغَفى عليكِ ولا اشتياقِ
 وإبقائى عليكِ إذا شَتُونَا
 وضمُّكِ تحتِ نحري واعتناقِ (٢)
 فلو فَلَقَ الفؤادَ شديدُ وجِدِ
 لهمْ سوادُ قلبى بانفلاقِ (٣)
 سأستعدي على الفاروقِ ربّاً
 له دفعَ الحجيجِ إلى سياقِ (٤)
 وأدعو اللهَ مجتهداً عليه
 يبطنُ الأخشيينَ إلى دُفاقِ

٥٠٦

(١) ط والأغانى : « غداة غدا » بالإضافة ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) فى معجم البلدان : « وإيقادى عليك » .

(٣) فى الأغانى : « حطام وجد » ، وفى المعمرين : « حطاط وجد » .

(٤) ط والمعمرين والإصابة : « وله رفع » ، وأثبت ما فى ش والأغانى . وفى البلدان : « له

عمد » . وسياق ، كذا فى النسختين ، وفى هامش نسخة ش : « كذا بخط المؤلف رحمه الله ، وصوابه

بساق بتقديم الباء ، كغراب » . وهو جبل بعرفات ، وقيل واد بين المدينة والجار .

إِنَّ الْفَارُوقَ لَمْ يَرُدُّ كِلَاباً

إلى شيخين هاتهما زواق

قال : فبكى عمرُ بكاءً شديداً ، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بالكوفة يأمره بإقفال كلاب بن أمية إلى المدينة ، فلما دخل عليه قال له : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أكفيه أمره ، وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب لبناً أغزر ناقة في إبله وأسمتها ، فأريحها فأتركها حتى تستقر ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ، ثم أحلب له فأسقيه . فبعث عمر إلى أمية فجاء يتهاذى وقد ضعف بصره وانحنى ، فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم أشتى أن أرى كلاباً فأشمة شمة ، وأضمة ضمة قبل أن أموت ! فبكى عمر وقال : ستبلغ في هذا ما تحب إن شاء الله ! ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها . ففعل ، فنالوه عمرُ الإناء قال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمرُ الله يا أمير المؤمنين إني لأشتم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال له : هذا كلابٌ عندك حاضر ، قد جئناك به . فوثب إلى ابنه فضمه إليه وقبله ، وجعل عمرُ يبكي ومن حضره ، وقال لكلاب : الزم أبوك ما بقيا ، ثم شئتُك بنفسك بعدهما . وأمر له بعطائه وصرفه إلى أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبواه (١) .

وأخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدثنا الحارث عن المدائني قال : لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة ، فكان يغزو ، وشهد فتوحاً كثيرة (٢) ، وبقي إلى أيام زياد ، فولاه الأبلّة ، فسمع كلاب يوماً عثمان بن

(١) في الأغاني : « أبوه » .

(٢) في الأغاني : « فتوحات كثيرة »

أبى العاص يحدث أن داود نبى الله عليه السلام كان يجمع أهله فى السَّحَر
فيقول : ادعوا ربكم فإنَّ فى السحر ساعة لا يدعو فيها عبدٌ مؤمن إلا غُفِرَ
له ، إلا أن يكون عَشَّاراً أو عَرِيفاً . فلما سمع ذلك كلابٌ كتب إلى زيادٍ
فاستغفاه من عمله فأعفاه .

قال المدائنى : ولم يزل كلابٌ بالبصرة حتَّى مات . والمرئعة المعروفة
بمرئعة كلابٍ منسوبة إليه . قال : وعُمَرُ أمية بن الأسكر عمراً طويلاً حتَّى
خَرَفَ .

وكذلك قال أبو حاتم (فى كتاب المعمرين) . ولم يذكرنا ما مقداره
عمره وفى أى سنة أسلم ، وفى أى سنة مات . والله أعلم .

ونقل صاحب الأغانى عن أبى عمرو الشيبانى أنَّ كلاب بن أمية هاجر
إلى النبی ﷺ ، فقال فيه أبوه شعراً ، فأمره النبی ﷺ بصلة أبيه وملازمة
طاعته .

ثم قال : هذا خطأ من أبى عمرو ، وإنما أمره بذلك عُمَرُ .

وذكره ابن حجر (فى قسم الصحابة) ثم قال : إنما لم أُؤخَّرْه إلى
المخضرمين لقول أبى عمرو الشيبانى ، فإنَّه ليس فى بقيَّة الأخبار ما ينفيه ، فهو
على الاحتمال ، ولاسيما من رجل كنانى من جيران قریش . ا هـ .

وذكر الذهبى أمية هذا (فى التجريد) وقال : فى صحبته نظر .

قال ابن حجر : الأسكر بالسین المهملة ، فيما صوِّبه الجيَّانى .
وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة .

تمة

الشاهد المشهور فيما بين النحويين لقولهم : « اللّذون » هو قوله :

نحن اللّذون صَبَّحُوا الصَّبَّاحَا

يَوْمَ التُّخَيْلِ غَارَةً مِلْحَا حَا

قطعة من أرجوزة أوردها أبو زيد (في نوادره) ^(١) وقال : هي لأبي

حرب الأعلَم ^(٢) ، من بني عُقَيْل بالتصغير ، وهو شاعرٌ جاهلي . وبعدهما : ٥٠٧

نَحْنُ قَتَلْنَا الْمَلِكَ الْجَحْجَحَا حَا ولم نَدْعُ لِسَارِحِ مِرَا حَا

ولا دِيَارَا أَوْ دَمًا مُفَا حَا ^(٣) نحن بنو خُوَيْلِدٍ صِرَا حَا

* لا كَذَبَ الْيَوْمَ وَلَا مِرَا حَا *

قوله : « أَوْ دَمًا مُفَا حَا » أَوْ في معنى وَאו العطف . وَالْمُفَا حَا :

المُهْرَاق . يقال فَا ح دُمُهُ وَأَفَا حَ جميعاً ، يَفِيحُ فَيَحَا وَيُفِيحُ إِفَا حَةً . لم يعرف

الرِّيَاشِيُّ ولا أبو حاتم : أَفَا ح . « لا كَذَبَ الْيَوْمَ وَلَا مِرَا حَا » قال أبو حاتم :

مِرَا حَا بكسر الميم وبالراءِ المهملة ، وهو النشاط ^(٤) . قال أبو زيد : أَفَا حَت دَمَهُ

فَفَا حَ يَفِيحُ فَيَحَانَا . وَالْجَحْجَحَا حَا : السَّيِّد . هذا ما في النوادر .

والتُّخَيْلِ ، بالتصغير : عين مَاءٍ قُرْبَ الْمَدِينَةِ عَلَى مَشْرِفِهَا الصَّلَاةُ

وَالسَّلَام ، وموضعٌ من نواحي الشام . ولم يذكر أبو عبيد (في معجم

ما استعجم) هذا اللفظ ولا ذَا التُّخَيْلِ ^(٥) وهو موضع قرب مكة ، وموضع

قرب خَضْرُمُوت . قاله الصغاني (في العباب) .

(١) نوادر أبي زيد ٤٧ . وانظر شرح شواهد المغني ٢٨١ والعيني ١ : ٤٢٦ والتصريح ١ : ٢٣

والهجم ١ : ٦١ ، ٨٣ والأشئوي ١ : ١٤٩ .

(٢) وكذا عند العيني . وفي النوادر : « أبو حرب بن الأعلَم » .

(٣) وروى أبو حاتم : « ولا مِرَا حَا » . قال : قال : « وأراه ودما مفاحا » .

(٤) وروى في النوادر أيضا : « ولا مِرَا حَا » بالزاي المعجمة .

(٥) لم يذكر لهما ربما ، وإنما ورد الأول عرضا في شعر ١٣٠٣ ، والثاني في شعر أيضا في ٦٣٥ .

وخلط العيني بينهما فقال : نُخِيل : أربعة مواضع . ثم ذكر معنييهما .
والغارة : اسمٌ من الإغارة على العدو . وملحاحاً صفة غارة ، ولم يؤثته
لعدم اعتبار تأنيث المصدر ، لأنه في تأويل أن والفعل ، وهذا لا يتَّصف
بتأنيث أو لأنه بمعنى النسبة ، أى ذات إلحاح ، كقوله تعالى : ﴿ السَّمَاءُ مَنفَطِرٌ
بِهِ ﴾^(١) أى ذات انفطار . وهو من ألح المطر ، إذا دام . والسَّارح : المال
السائم . والمُراح بالضم . اسمٌ مكانٍ من أراح إبله ، إذا ردها إلى المراح ، وهو
حيث تأوى إليه الإبل والغنم بالليل ؛ ولا يكون ذلك إلا بعد الزوال . وصراح
بالكسر : جمع صريح ، وهو الخالص في النسب ، ككِرَام جمع كريم .

وروى العيني عن الصاغاني (في العباب) أنَّ الرجز لليلي الأخيَّليَّة ، في
قتل دهر الجعفي^(٢) ، وأنَّ الرواية كذا :

نَحْنُ قَتَلْنَا الْمَلِكَ الْجَحْجَاحَا دَهْرًا فَهَيَّجْنَا بِهِ أَنْوَا حَا
لَا كَذَبَ الْيَوْمَ وَلَا مِرَا حَا^(٣) قَوْمِي الَّذِينَ صَبَّحُوا الصَّبَا حَا
يَوْمَ التُّخَيْلِ غَارَةً مِلْحَا حَا مَذْجَجَ فَاجْتَحْنَا هُمْ اجْتِيَا حَا
* فلم ندع لسارح مُرَا حَا *

إلى آخر الأبيات . وعليها لا شاهد فيه .

وأنواح : جمع نوح . ومذجج ، بكسر الحاء المهملة بعد الذال المعجمة

(١) الآية ١٨ من المزمل .

(٢) ذكره ابن حبيب في المحرر ٢٥٢ في الجرايين من اليمن ، وهو دهر بن الحذاء بن ذهل بن
جعفي . وقال في ٢٤٦ : « ولم يكن الرجل يسمى جَرَّاراً حتى يرأس ألفاً » .

(٣) في العيني : « ولا مزاحا » بالزاي .

الساكنة : قبيلة كبيرة . فاجتحناهم ، من الاجتياح بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، وهو الإهلاك والاستئصال . وصَبَّحَ ، بمعنى أناه صَبَاحاً . وغارة مفعول لأجله . وقال العيني : ويجوز أن يكون حالاً من الواو في صَبَّحُوا . وقد قُتِلَتْ هذا الرجز بجميع موادِّ ألفاظه (في العباب) فلم أر له فيه أثراً ، ولم أدر من أيِّ مادة نقله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٢٦ (وإنَّ الذي حانَتْ بفلجٍ دِماؤهم

هُمُ القومُ كُلُّ القومِ يا أُمَّ خالدِ)

على أنَّ أصله : (وإنَّ الذين) ، فحذفت النون منه تخفيفاً .

وقد تقدَّم نصُّ سيبويه في هذا البيت عند شرح قوله :

* أبني كليپ إنَّ عَمِّي اللذا * البيت

قبل هذا بيَّتين . قال الأعلم : الشاهد فيه حذف النون من الذين ٥٠٨ استخفافاً . والدليل على أنه أراد به الجمع قوله : « دِماؤهم (٢) » . ويجوز أن يكون الذي واحداً يؤدِّي عن الجمع لإبهامه ، ويكون الضمير محمولا على المعنى ، فيجمع ، كما قال جل وعز : ﴿ والذي جاء بالصدِّق وصدَّق به أولئك هم المتَّقون (٣) ﴾ . رثي قوماً قُتلوا بفلج ، وهو موضعٌ بعينه كانت فيه وقعة . اهـ .

(١) في كتابه ١ : ٩٦ . وانظر البيان ٤ : ٥٥ والمقتضب ٤ : ١٤٦ والمحاسب ١ : ١٨٥ والمنصف ١ : ٦٧ وأمالى ابن السجري ٢ : ٣٠٧ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ وشرح شواهد المغنى ١٧٥ والعيني ١ : ٤٨٢ والتصریح ١ : ١٣١ والجمع ١ : ٢/٤٩ : ٧٣ .

(٢) ما بعده الى كلمة « الذي » ساقط من ش .

(٣) الآية ٣٣ من سورة الزمر .

وأورده ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة من قرأ : ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾^(١) بالنصب ، قال : أراد المقيمين ، فحذف النون تخفيفاً . أو شبه ذلك بالذين فى قوله :

* فإن الذى حانت بفلج دماؤهم * البيت
وأورده صاحب الكشف أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ آلم ﴾ * ذلك الكتاب ﴿ على أن السورة المسماة بآلم هو الكتاب لکماله ، حتى كأن ما عداه من الكتب بالنسبة إليه لا يستحق أن يسمى كتاباً ، من باب حصر الجنس فى بعض أفرادها ، على حد قولك : زيد هو الرجل ، أى الكامل فى الرجولية . ولما كان ذلك مستبعداً فى الأوهام أتى بما صرح به بحصر كل الجنس فى الفرد الكامل ، فى قوله :

* هم القوم كل القوم يا أم خالد *
إزالة لذلك الوهم . والمعنى : إن الذين هلكوا بهذا الموضع هم القوم والرجال الكاملون ، فاعلمى ذلك وابكى عليهم يا أم خالد .

قال الواحدى : قولهم يا أم خالد ويا ابنة القوم ، هو من عادة العرب بهذا الخطاب للنساء لحثهن على البكاء . وكل القوم صفة للقوم ، دلالة على كآلمهم . وبه أورده ابن هشام (فى كل ، من المعنى) . والحين ، بالفتح : الهلاك . وحن الرجل : هلك . وأحانه الله : أهلكه . ودماؤهم : فاعل حانت . ومعنى حانت دماؤهم : لم يؤخذ لهم بدية ولا قصاص . (وفلج) بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : هو موضع فى بلاد بنى مازن ، وهو فى طريق البصرة إلى مكة ، وفيه منازل للحجاج . وقال الزجاج : هو ماء لبنى العنبر ما بين الرحيل إلى

المَجَازَة . وقال ياقوت (في معجم البلدان) : قال أبو منصور : فلجَّ اسم بلد ،
ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة : طريق فلج . وأنشد ^(١) :
* وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ^(٢) *

وقال غيره : فلج وادٍ بين البصرة وحمى ضريبة من منازل عدي بن جندب
ابن العنبر بن عمرو بن تميم ، من طريق مكة . ويطن وادٍ يفرق بين الحزن
والصَّمان ، يُسلك منه طريق البصرة إلى مكة ، ومنه إلى مكة أربع وعشرون
مرحلة .

وهذا البيت أنشدَه الجاحظُ (في البيان والتبيين) بدون واو مع بيتين صاحب الشاهد
بعده ، للأشهب بن رُميلة ، وهما :

(هم ساعدُ الدهر الذي يُتقى به
وما خيرُ كفٍ لا ينوء بِساعِدِ ^(٣)
أسودُ شرى لاقت أسودَ خفيّة
تساقوا على حرِّ دماءِ الأسودِ)

قال : وقولهم : ساعد الدهر : إنما هو مثل ، وهذا يسميه الرواة
البديع .

وقد قال الراعي :

-
- (١) ط : « أنشدوا » ، صوابه في ش . وفي معجم البلدان : « وأنشد للأشهب » .
(٢) ط : « إن الذي » بالخرم ، وأثبت ما في ش والمعجم .
(٣) الكف مؤنثة ، وقد تذكر . وفي اللسان عند قول الأعشى :

أرى رجلا منهم أسيفاً كأنما يضم الى كشحه كفا مخضبا

« فإنه أراد الساعد فذكر ، وقبل إنما أراد العضو » . وفي البيان واللسان (سعد ٢٠١) :

« لا تنوء » .

هُمُ كَاهِلُ الدَّهْرِ الذِي يَتَقَى بِهِ

وَمَنْكُبُهُ إِنْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَنْكِبٌ

وأنشده الآمدي (في المؤتلف والمختلف) للأشهب بن رُمَيْلة أيضاً مع البيت الثاني فقط ، وهو : هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَنْشَدَهُ : « فَإِنَّ الذِي »
بالفاء .

وقد أنشد الأبيات الثلاثة أحمد بن أبي سَهْل بن عاصم الحُلَوَانِي (في ٥٠٩ كتاب أسماء الشعراء المنسوين إلى أمهاتهم) ، إِلَّا أَنَّهُ أَنْشَدَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ
كذَا :

* إِنَّ التِي مَارَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ *

وعليه لا شاهد فيه ، ومن خطه نقلت . فيكون بتقدير : إِنَّ الْجَمَاعَةَ
التي مارت ، أَى ساحت وجرت . يقال مار الدم على وجه الأرض . وبنوء
بمعنى ينهض . و (في معجم ما استعجم) : قال الأصمعي : الشَّرَى : أرض
في جهة اليمن ، وهي مأسدة . وأنشد هذا البيت . قال أبو الفتح : لام الشَّرَى
يَاءٌ لأنها مجهولة ، والياء أغلب على اللام من الواو . قال : وكذلك رأيته في
الخط العتيق مكتوباً بالياء . ١ هـ .

وقال صاحب الصحاح : والشَّرَى : طريق في سَلَمَى كثيرة الأسد .
وحَفِيَّة بفتح الحاء المعجمة وكسر الفاء قال (١) صاحب الصحاح : قولهم أسود
حَفِيَّة كقولهم : أسود غابة ، وهما مأسدتان . وقال صاحب المعجم : حَفِيَّة :
اسمُ غَيْضَةٍ ملتفة ، تتخذها الأسد عُرْسَةً . كذا قال الخليل ، وأنشد هذا
البيت . وخرَّد بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين : مصدر خرَّد من باب

(١) ط : « قاله » صوابه في ش .

ضرب ، بمعنى قَصَدَ ؛ وبمعنى غَضِبَ ، من باب فَرِحَ أيضاً . ودماء : مفعولٌ
تساقوا ، أى سُقِيَ كُلُّ منهما دَمُ الأسود . وهو إمَّا جمع أسود على أفعل ،
وهو العظيم من الحيات وفيه سواد . وهو اسمٌ له ، ولو كان وصفاً لجمع على
فُعْل بالضم . وإمَّا جمع أسود بالضم ، وهو جمع أسد فيكون جمع الجمع .
والمراد بالأسود الشُّجعان ، وهو عبارةٌ عنهم وعن أخصامهم .

وقال العيني ، وتبعه السيوطي : الأسود : جمع أسودة ، وأسودةٌ : جمع
سَوَاد ، والسواد : الشخص ، وأراد بالأسود شُخوصَ الموق .

ورَوَى : « سِمَام » بدل « دماء » وقال : هو جمعٌ سَم . فالمناسب على
هذه الرواية تفسير الأسود بالحيات .

وروى أبو تمام البيت الشاهد (فى كتاب مختار أشعار القبائل) آخِرَ فَنٍ لِحَرْبِ
صاحب الشاهد
أبياتٍ خمسةٍ لحريث بن محفّض ، وهى :

(ألم تر أئى بعد عمرو ومالك

وعُروّة وابن الهول ، لست بخالدٍ

وكانوا بنى ساداتنا فكأئما

تساقوا على لُوح دماء الأسودِ

وما نحن إلّا مثلهم غير أننا

كمنتظرٍ ظمئاً وآخِرٍ واردٍ

هُم ساعدُ الدهر الذى يُتقى بهم

وما خَيْرُ كَفٍّ لا تنوءُ بساعدٍ

فإنَّ الألى حانت بفلجِ دماؤهم البيت)

والألى بمعنى الذين ، وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه .

وَاللَّوْح ، بفتح اللام وسكون الواو آخره حاء مهملة : العطش .
وَالظُّمء ، بكسر الظاء المشالة وسكون الميم بعدها همزة : اسم الزمان الذي
يكون بين الشَّرْبَتَيْنِ للإبل ، من الظمأ بفتح الميم ، وهو العطش . وآخر : ضد
أَوَّل ، معطوف على منتظر .

أَمَّا الْأَشْهَبُ بْنُ رُمَيْلَةَ فهو شاعرٌ إسلامي مخضرم ، أدرك الجاهلية
والإسلام ، أسلم ولم تُعرف له صحبةٌ واجتماعٌ بالنبي ﷺ ، ولهذا أورده ابن
حجر في قسم المخضرمين (من الإصابة) .

وَرُمَيْلَةُ : اسم أمه ، وهى بضمّ الراء المهملة وفتح الميم .

وذكره المرزبانى (فى معجم الشعراء) فى حرف الزاء المعجمة .

قال صاحب الأغانى : هو الأشهب بن ثور بن أفى حارثة بن
عبد المَدَانِ بن جندل بن تَهْشَل بن دارم بن عمرو بن تميم .

و (فى المؤتلف والمختلف) و (فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى
٥١٠ أمهاتهم) : المنذر ، بدل عبد المَدَانِ . و (فى مختصر الجُمهرة لياقوت) : ابن
عبد المنذر . والله أعلم .

وَرُمَيْلَةُ أُمُّهُ ، وهى أُمَّةٌ لخالد بن مالك بن رِيعَى بن سلمى بن جندل
المذكور . قال أبو عمرو : ولدها يزعمون أنها كانت سبيّة من سبَايا العرب
فولدت لثور بن أفى حارثة أربعة نفر ، وهم زَبَاب^(١) ، وَحَجْنَاء ، والأشهب ،
وسُوَيْط ، وكانوا من أشدّ إخوة فى العرب لساناً وبدأً ، ومنعةً للجانب ، فكثرت
أموالهم فى الإسلام ، وكان أبوهم ثورٌ ابتاعَ رُمَيْلَةَ فى الجاهلية ، وولدتهم فى

(١) ط : « رباب » فى هذا الموضع وما يليه من المواضع ، صوابه بالزاي المعجمة كما فى ش .
وضبطه صاحب القاموس فى (زب) كسحاب ، وقال : « وابن رُمَيْلَةَ الشاعر أخو الأشهب » .

الجاهلية فعزّوا عزّاً كثيراً ، حتى كانوا إذا وردوا ماءً من ماء الصّمان حظّروا على الناس ما يريدونه منه .

وكانت لرميلة قطيفة حمراء ، فكانوا يأخذون الهُدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء ، أى قد سبقنا إلى هذا ، فلا يرده أحد لعزهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه . فوردوا في بعض السنين ماءً من ماء الصّمان ، وورد معهم ناسٌ من بنى قطن بن نهشل ، فأورد بعضهم بعيه فأشرعه حوضاً قد حظّروا عليه ، وبلغهم ذلك فغضبوا فاقتتلوا ، فضرب زباب بن رميلة رأس بشير بن صبيح ، فمات بشير في ليلته فقتل زباب قوداً ؛ ولما أرادوا ضرب عنقه قالوا له : أوصينا . قال لهم : دعوني أصلي ركعتين . فصلّى ثم قال : أما والله إنى إلى ربي لذو حاجة وما منعتنى أن أزيد في صلاتي إلّا أن تقولوا : خاف من الموت ! فليضربني منكم رجل شديد الساعد ، حديد السيف . فدفعوه إلى ابن خزيمة بن بشير فضرب عنقه ، وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان .

ورثاه أخوه الأشهب بقصائد .

وفى (كتاب الشعراء المنسوين إلى أمهاتهم ، ونقلته من خط مؤلفه) : كان الأشهب يهاجى الفرزدق ، ولقيه يوماً عند باب عثمان بن عفان ^(١) وهو يريد أن يجوز نهر أم عبد الله ^(٢) على قنطرة ، فاحتبسه الفرزدق عليها ، وكان الفرزدق على فرس ، فقال الأشهب :

(١) ذكره الطبري فى ٩ : ٤٨٥ بما يفهم أنه فى سكة المريد بالبصرة . قال : « فغابوا فى سكة

المريد الى أن بلغوا باب عثمان » .

(٢) نهر أم عبد الله بالبصرة ، منسوب الى أم عبد الله بن عامر بن كريز ، أمير البصرة فى أيام

عثمان .

يا عجباً هل يركب القينُ الفرسَ (١)
وعَرَّقُ القينُ على الخيلِ نَجَسُ
والقينُ لا يَصْلُحُ إلَّا ما جلس
بالكلبتين والعلاة والقَبَسُ (٢)

ثم إن غالباً لما بلغه ما قال الأشهبُ أتاه ليلاً فتعوذُ منه ، وقال :
أتشتُمنا من غيرِ إحنةٍ ؟ فأَمْسِكْ عَنَّا . فقال الأشهبُ : هلاً كان هذا نهاراً .
ويقال : كان الأشهبُ بنِ رَميلةَ يهجو غالباً أبا الفرزدق ، فقال الفرزدق : ربّما
بكيت من الجرع أنَّ الأشهبُ كان يهجونَا ، فأريد أن أجيبه فلا يتأتَّى لى
الشعر ، ثم فتح الله علىَّ فهجوته فغلبته وسقط بعد ذلك .

حريث بن محفّض

وأما حريث بن محفّض فهو شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية .
وَحَرِثٌ بضم الحاء وفتح الراء المهملتين ، وآخره ثاء مثلثة . ومحفّض ، بضم
الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الفاء المشددة وآخره ضاد معجمة ، وهو في
الأصل اسم فاعل من حَفَّضَ تخفيفاً ، إذا طَرَحَهُ خَلْفَهُ وَخَلَّفَهُ وراءه .
وَحَفَّضَهُ بالتخفيف بمعنى ألقاه وطرحه من يده ، كحَفَّضَهُ تخفيفاً . وَحَفَّضَ
العود بالتخفيف أيضاً بمعنى حَنَاهُ وعطفه .

قال الإمام أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (في كتاب
التصحيف) في باب ما يشكل ويُصحّف من أسماء الشعراء : هذا باب
صعبٌ لا يكاد يَضْبِطُهُ إلَّا كثيرُ الرواية غزيرُ الدّراية (٣) . وقال أبو الحسن على بن

(١) ط : « هل تركب » ، صوابه في ش والأغاني ١٩ : ٤٣ .

(٢) ط : « بالكلبتين » ، صوابه في ش . والكلبتان : آلة تكون مع الحدادين يأخذون بها الحديد
الحصى . والعلاة : السندان . وفي الأغاني :

ولمّا سلاحه إذا جلس
الكلبتان والعلاة والقَبَس

(٣) ط : « عزيز » ، صوابه في ش وكتاب العسكري ٣٧ .

عبلوس الأرجاني ، وكان فاضلاً متقدماً ، وقد نظرَ في كتابي هذا فلما بلغ هذا الباب قال لي : كم عدّة أسماء الشعراء الذين ذكرتهم ؟ فقلت : مائةً وثيِّف . ١١
فقال لي : إني لأعجبُ كيف استتبَّ لك هذا ، فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوافرون - وذكر أبا إسحاق الزجاج ، وأبا موسى الحامض ، وأبا محمد الأنباري واليزيدي وغيرهم - فاختلفنا في اسم شاعرٍ واحد ، وهو حريث بن مخفّض ، وكتبنا أربع رقاعٍ إلى أربعةٍ من العلماء ، فأجاب كل واحدٍ منهم بما يخالف الآخر ، فقال بعضهم مخفّض بالحاء والضاد المعجمتين ، وقال آخر (١) : ابن مخفّض (٢) ، وقال آخر : ابن مخفّض (٣) . فقلنا : ليس لهذا إلا أبو بكر ابن دريد . فقصدناه في منزله ، فعرفناه ما جرى ، فقال ابن دريد : أين يُذهب بكم ؟ هذا مشهور ، هو حُرَيْث بن مخفّض ، الحاء غير معجمة ومفتوحة ، والفاء مشددة ومكسورة ، والضاد منقوطة . وهو من بني تميم ، ثم من بني مازن بن عمرو بن تميم ، وهو القائل :

ألم ترّ قومي إن دُعُوا للملّةِ

أجابوا ، وإن أغضبَ علىّ القوم يغضبوا

هم حَفِظُوا غَيْبِي كما كنت حافظاً

لقومي أخرى مثلها إن تغيّبوا (٤)

(١) ش : « آخرون » ، وأثبت ما في ط وكتاب العسكري .

(٢) في حواشي ط : « ضبط في الأصل بالقلم ، الأول بفتح الميم ، والثاني بكسرهما » .

(٣) ط : « ابن مخفّض » ، وأثبت ما في ش والعسكري . وما يجدر ذكره أن في كتاب

العسكري بعد كلمة « المعجمتين » : « وقال آخر : ابن مخفّض » ، بسقوط ما بين القولين .

(٤) ط : « عيني » ، صوابه في ش وتصحيف العسكري .

بنو الحرب لم تَقْعُدْ بهم أُمّهاتهم
وآبائهم آباءُ صديقٍ فأنجِبو

وتمثّل الحجاجُ بهذه الأبيات على المنبر ، فقال : أنتم يا أهل الشام كما
قال حريث بن محفّض . قال : أنا والله حريث بن محفّض . فقال : ما حملك
على أن سابقتني ؟ قال : لم أتمالك إذ تمثّل الأميرُ بشعري فأعلمته مكانى . ثم
قال أبو الحسن بن عبدوس : فلم يفرج عنّا غيره . انتهى ما أورده العسكري .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الأربعمئة (١) :

٤٢٧ (وبئرِ ذُو حَفَرْتُ وذو طَوَيْتُ)

هذا عجز ، وصدّره :

(فَإِنَّ البئرَ بئرُ أُنَى وَجَدَى)

على أنّ ذُو اسمٌ موصول ، وهو هنا بمعنى التى ، لأنّ البئر مؤنثة .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : وزعم ابنُ عصفور أنّ ذُو
خاصّةٌ بالمذكر ، وأنّ المؤنث يختصُّ بذات ، وأنّ البئر فى البيت ذُكُرت على
معنى القليب ، كما قال الفارسيّ فى قوله :

يا بئرنا بئرَ بنى عدى لأنزِحنَ قَعْرَكَ بالدُّلَى

* حتّى تعودى أقطعَ الولّى *

إنّ التقدير : حتّى تعودى قليباً أقطعَ ، فحذف الموصوف .

وفرق ابن الضائع بينهما بأنّ أقطعَ صفةً ، فيحمل على الفعل ، بخلاف ذُو .

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ والإنصاف ٧٧٣ وابن يعيش ٣ : ٨/١٤٧ : ٤٥ : والتصريح

١٣٧ : ١ : ٨٤ والأشمونى ١ : ١٥٨ والحماسة بشرح المرزوق ٥٩١ واللسان (ذا ٣٤٨) .

قال : ألا ترى أن من قال نَفَعَ الموعظة لا يقول مشيراً إليها : هذا الموعظة .
ولهذا قال الخليل في : ﴿ قال هذا رحمة من ربّي ﴾^(١) : إنه إشارة إلى القطر
لا إلى الرحمة . اهـ .

والبيت مشهور . وهو من أبيات خمسة أوردها أبو تمام (في الحماسة) صاحب الشاهد
لسنين بن الفحل الطائي ، وهي :
(وقالوا : قد جُنِنت ، فقلت : كلاً)

وربّي ما جُنِنت ولا انتشيتُ
ولكنّي ظلمتُ فكدتُ أبكي
من الظلم المبين أو بكتُ
فإنّ الماء ماء أوى وجدي
ويشري ذو حفرتُ وذو طويّت
وقبلك ربّ حصم قد تمالّوا
علّيّ فما هَلِعتُ ولا دَعوتُ
ولكنّي نصبتُ لهم جيني
والآلة فارس حتّى قرئتُ)

٥١٢

قال أمين الدين الطبرسي (في شرح الحماسة) : قد عيب على أبي
تمام إيرادُه مثل هذه الأبيات في باب الحماسة ، والبكاء على الظلم ضعف
وعجز ، والوجه فيه أن بكاءه كان لمطالبتهم ما ليس لهم ، ولا سبيل له على
الاعتساف^(٢) . والمغالبة فعل أهل الجاهليّة ، إذ لا يراقب دين ، ولا يُرهب
سلطان . ويدلّ على ذلك ما ذكره ابنُ دريد في سببه : أنّه اختصم حيّان من

(١) الآية ٩٨ من مريم .

(٢) ط : « الاعتساف » ، وأثبت ما في ش . والاعتساف : الأخذ بالعنف . والاعتساف : الظلم .

العرب إلى عبد الرحمن بن الضحّاك وهو وإلى المدينة ، في ماءٍ من مياههم ،
وعبدُ الرحمن مصاهرٌ لأحد الحَيِّين ، فبك شُبْح بين يديه من الحَيِّ الآخر
وقال : أصلحَ الله الأمير ، أنا الذى أقول :

إلى الرحمن ثم إلى أميرى تعسّفتُ المفاوِزَ واشتكيْتُ
رجالاً طالبونى ثم لجؤا ولو أنى ظلمتهمُ انتهيتُ
رجؤاً فى صهرهم أن يغلبونى وبالرحمن صدّق ما ادّعيْتُ
وقالوا قد جُننتُ فقلت كلا الأبيات الخمسة .

وبعدها :

فأنصِفينى هداك الله منهم

ولو كان العُلبَةُ لاكتفيتُ

وقال الخطيب التبريزى (فى شرحه) : وهذا ماءُ لبنى أمّ الكهف ، من
جَرم طيّءٍ ، ولبنى قَرم بن العُشراء من فزارة ، اختصم فيه الحَيَّانِ وهم
مختلطون مجاورون ^(١) . وقوله : « ولو أنى ظلمتهمُ انتهيتُ » أى قلت أنا
الظالم ، ثم امتنعوا ، لكففت ولم ألج . وقوله : « و [قالو ^(٢)] : قد جنت »
معطوف على لجؤا ، وجُننتُ بالبناء للمفعول وبالخطاب فى الأوّل وبالتكلم فى
الثانى . وكلاً للزجر والردع .

قال الإمام المرزوقى : كان الواجب أن يقول : قالوا جنتُ أو سَكرت .
فاكتفى بذكر أحدهما لأنّ النفى الذى يتعقّب فى الجواب يَنظُمهما . ومثله قول
الآخر ^(٣) :

(١) وكذا فى شرح التبريزى ٢ : ١٥٣ . وفى ش : « متجاورون » .

(٢) تكملة ضرورية يلتزم بها الكلام .

(٣) هو المثقب العبدى فى المفضليات ٢٩٢ .

فما أدرى إذا يَمُمْتُ وجهاً

أريدُ الخيرَ أُيهما يلينى

لأنَّ المراد أريد الخير وأتجنَّب الشر ، فاكتمى بذكر أحدهما ، لأنَّ

ما بعده يبيِّنهما ، وهو :

أأخيراً الذى أنا أبتغيه أم الشرُّ الذى هو يبتغينى

أراد : إننى لما أظهرتُ إنكارى وتشدَّدت فى إباءى قالوا : إنَّه جُنَّ

أو سَكَر . فزجرتهم وحلفُ بالله نافيا ما نُسيبُ إليه . والانتشاء والنشوة :

السُّكْر . ثم أخذ يبيِّن كيف استنكر ما دُفِعَ إليه حتى قيل فيه ما قيل ،

كقوله :

* ولكنى ظلمت فكذتُ * ... إلخ

وذكر البكاء ليرى أنْفَتَه وامتعاظه ^(١) وإنكاره لما أريد ظلمه فيه

واغتياظه ^(٢) . فأما العرب فإنما تنسب نفسها إلى القساوة وتعيّر من يبكى .

قال مهلهل :

يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ

لَتَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ الْإِبِلِ

يقول : لكن عَرَضَ عَلَيْنَا ضَيْمٌ لم آلفه ، واستنزلتُ عن حقِّى لى طال

ملازمتى له ، فشارفت البكاء أو بكيت ، كلَّ ذلك لاستنكافى مما أرادونى

عليه .

وقوله : « فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءٌ » إلخ صرَّح بما أريد غَضَبُهُ عليه ^(٣) فقال : هو

(١) ط : « وامتعاظه » صوابه فى ش وشرح المَرْزُوقِ للحماسة ٥٩١ .

(٢) ط : « واغتياظه » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .

(٣) ط : « غضبه عليه » ، صوابه فى ش .

٥١٣ ماءٌ موروثة عن الأسلاف ، وجميٌّ معروف لى ، سلمه الناس لى على مرّ الأيام ، وبئر توليت استحداثها وحفرها وطبها . وطئ البئر : بناؤها بالحجارة . وطويت البئر فهو طويٌّ .

وقوله : « وقبلك ربَّ خصم » إلخ الخصم لكونه فى الأصل مصدراً يطلق على المفرد وغيره ، والذكر والأنثى بلفظ واحد . وفى لغة يطابق فى التثنية والجمع ، فيجمع على تحصوم وخصام . وتحصم الرجل يخصم من باب تعب ، إذا أحكم الخصومة فهو خصم وخصيم . وخاصمته فخصمته أخصمه ، من باب قتل ، إذا غلبته فى الخصومة . وتمالأوا ، أصله تمالؤوا بهمة مضمومة بعد اللام المفتوحة ، يقال مالأة ممالأة ، كفعله مفاعلة ، بمعنى عاونه معاونة . وتمالؤوا على الأمر : تعاونوا . وقال ابن السكيت : اجتمعوا عليه . وهلع هلعاً من باب تعب ، بمعنى جزع ، فهو هَلَعٌ وهَلُوعٌ مبالغة ، وقيل الهَلَعُ : أفحش الجزع . ودَعَوْتُ بمعنى قلت : يالفلان !

قال الإمام المروزقى : تَبَّه على حُسن ثباته فى وجه الخصوم ، وتمرَّنه بمجادلتهم ^(١) قديماً وحديثاً ، وتحككه لهم على احتفالٍ منهم فى مناوراته سالفاً وآناً ، فيقول : وقد بليت قبلك بقوم لُدَّ تالَّبوا علىَّ وتعاونوا ، فلم أجزع لما مُنيت بهم جزعاً فاحشاً ، ولا استتصرت عليهم غيرى . فإن قيل : كيف قال هَلِعت وقد قال كدت أبكى من الظلم إلخ ، وهل الهَلَعُ إلَّا البكاء والجزع ؟ قلت : إنَّ الهَلَعُ هو الجزع الفاحش الذى يظهر فيه الخضوع والانقياد ، فهذا هو الذى زعم أنَّه لا يظهر عليه ^(٢) . والبكاء الذى ذكر أنَّه شارفه إنَّما كان

(١) المروزقى : « وتمرَّنه بمجادلتهم » .

(٢) نص المروزقى : « فهذا هو الذى انتضح منه » ، أى أظهر البراءة منه .

على طريق الاستكاف ، وإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشع وتذل ولا انقياد ولا استسلام . وسَلِمَ الكلام من التناقض .

وقال ابن هشام (في شرح الشواهد ^(١)) : وهذا ليس تناقضاً لأنه على اختلاف وقتين ؛ أى إنه ذلّ جانبه بعد أن كان عزيزاً . وهذا كلام الخطيب التبريزي . ونظيره أبياتُ فاطمة بنت الأبحم ^(٢) حين ضَعُفَ جانبها ، لِموتِ مَنْ كان ينصرها ، وهى أبياتُ حسنة تمثلت بها سيدتنا فاطمة رضى الله عنها ، حين قُبِضَ رسول الله ﷺ ، وهى :

قد كنتُ لى جبلاً أَلُوذُ بِظِلِّهِ

فتركتنى أمشى بأجرَدَ ضاحى ^(٣)

قد كنتُ ذاتَ حميةٍ ما عشت لى

أمشى البرَّازَ ، وكنتُ أنتَ جناحى

فاليومَ أخضعُ للذليل وأتقى

منه ، وأدفعُ ظالمى بالزَّاج

وإذا دعت قُمرِيَّةٌ شجناً لها

ليلاً على فتنٍ دعوتُ صَباحى ^(٤)

وقوله : « ولكنى نصبت لهم » إلخ الألة بفتح الهمزة وتشديد اللام :

(١) ط : « وهنا » .

(٢) هو الأبحم بن دندنة ، ويقال « الأبحم » أيضاً ، كما فى ش ، وكان أحد سادات العرب . انظر أمالى القالى ٢ : ٢ والنتيه ٨٧ . والأبيات التالية وردت فيهما وفى الحماسة ٩١٠ بشرح المرزوقى .

(٣) وررى : « فتركتنى أضحى » فى الحماسة والأمالى .

(٤) الحماسة : « يوما على فتن » . ط : « صباح » ، وكذا فى الأمالى . والوجه « صباحى » ، كما فى ش والحماسة وتبيه البكرى ٨٧ . وقال المرزوقى فى تفسيره : « أى قائلا : واصباحاه ! » .

الْحَرْبَةُ ، والجمع إلآل^(١) كحربة وجِراب . يقول : ولكُنْني صَبْرَتْ لهم وانتَصَبْتُ في وجوههم وهيأتُ سلاحى لدفعهم ، وطردتهم عن وِردهم ، كفعل الفارس الذابُّ المانع ، حتَّى خَلَصْتُ عن غَصْبِهِم^(٢) حَقَّى ، وقرئت الماءُ مِن دونهم في حوضى . يقال قرئت الماء في الحوض بالقاف ، أى جمعته ، واسم ذلك الماء قَرَى بكسر القاف مقصور .

وسنان بن الفحل : شاعر إسلامي في الدولة المروانية . وهو بكسر السين بعدها نونان . والفحل بفتح الفاء وسكون الحاء المهملة .

عبد الرحمن بن الضحاك

وأما عبد الرحمن بن الضحَّاك فقد ذكره القاسى (في تاريخ مكة المشرفة) وقال^(٣) : عبد الرحمن بن الضحَّاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الفهرى . قال ٥١٤ الزُّبير : ولأه يزيدُ بن عبد الملك المدينة والموسم . وذكر الطبرى أنَّ في سنة ثلاث ومائة ضُمَّت إليه مكة مع المدينة ، وأنه عُزل عن مكة والمدينة في النصف من ربيع الأوَّل سنة أربع ومائة ، بعبد الواحد بن ربيع البصرى . وسبب عزله أنَّه كان تَحْطَبُ فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فامتنعت من قبوله ، فألحَّ عليها وتوعَّدها ، فشكته إلى يزيد بن عبد الملك ، فبعث إلى عبد الواحد فولَّاه المدينة وأمره بالقبض على عبد الرحمن ، وأخذَ ماله حتَّى تركه في جُبه صوِّف بالمدينة ، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهُراً . وكان الزُّهرى قد أشار عليه برأى ، وهو أنَّه يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمرٌ ، فلم يفعل ، فأبغضه الناس وذمَّه الشعراء . وهذا كان آخرَ أمره . انتهى .

(١) ط : « الألات » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « غصيم » ، صوابه في ش .

(٣) ش « قال » بدون واو .

وإنما ذكرت عبد الرحمن هذا ليعلم منه عصر سينان بن الفحل الطائي ، فإنني لم أظفر له بترجمة ، ولم أر ذكره في كتب الأنساب . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(قَوْلًا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءٍ سَاعِيًّا

هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّ الْفَرَائِضُ)

على أنَّ (ذو) بمعنى الذي .

والساعي : الوالي على صدقة الزكاة . وهلمَّ : أقبل وتعال . والمشرفيُّ : السيف المنسوب إلى المشارف ، وهي قُرَى للعرب كانت السيوف تطبع بها . والفرائض : الأسنان التي تصلح لأن تؤخذ في الزكاة . يقول : أبلغنا هذا الرجل الذي جاء ساعياً ، أي والياً للصدقات : هلمَّ فإنك تُعطى السيف بدلاً من فرائض الإبل . وهذا مثل ضربه لهذا الساعي مستهزئاً به ومتوعداً إياه . يقول : إنك مِلَلْتَ العافية والسلامة ، فهلمَّ إلى البلاء والشر من هذه الولاية .

والبيت أول أبيات لقول الطائي ؛ أوردها أبو تمام (في الحماسة) . وقد صاحب الشاهد شرحناها مع ذكره سببها في الشاهد السابع والثلاثين بعد الثلاثمئة من باب النعت (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٢٨ (عَدَسُ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ

أُمْنِتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ)

(١) الخزانة ٥ : ٢٨ - ٣٠ .

(٢) المحاسب ٢ : ٩٤ وابن الشجرى ٢ : ١٧٠ والإنصاف ٧١٧ وابن يعيش ٢ : ٤/١٦ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٩ وشرح شواهد المغنى ٢٩١ والشذور ١٤٧ والعينى ١ : ٣/٤٤٢ : ٤/٢١٦ : ٣١٤ والتصریح ١ : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢/٢٨١ : ٢٠٢ والهمع ١ : ٨٤ والأشئوى ١ : ٣/١٦٠ : ٢٠٨ وديوان ابن مفرغ ١١٥ والشعراء ٣٢٤ واللسان (عدس) .

على أن (هذا) عند الكوفيين اسم موصول بمعنى الذى ، أى الذى تحمليته طليق .

قال الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(١) : العرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذى ، فيقولون : ومن ذا يقول ذاك ؟ فى معنى من الذى يقول ؟ وأنشدوا :
 * عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ *
 البيت
 كأنه قال : والذى تحمليْن طليق . انتهى .

قال أبو عليّ الفارسيّ (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت ينشده البغداديون ويستدلون به على أن ذا بمنزلة الذى ، وأنه يوصل كما يوصل الذى ، فيجعلون تحمليْن صلةً لذا ، كما يجعلونه صلةً للذى . وعندنا يحتمل قوله « تحمليْن » وجهين : أحدهما أن يكون ^(٢) صفة لموصوف محذوف تقديره : وهذا رجل تحمليْن ، فتحذف الهاء من الصفة كما حُذفت فى قولك : الناس رجلان : رجلٌ أكرمْتُ ورجلٌ أهنت . وكقوله :
 * وما شئٌ حميتُ بمستباح *
 أى حميته . والآخر أن يكون صفةً لطليق فُقِّدَت فصار فى موضع

٥١٥

نصب على الحال : فإذا احتمل غير ما تأولوه من الصلة لم يكن على الحكم بأن ذلك والأسماء المبهمة توصل كما يوصل الذى ، دليلٌ . وكذلك ما استشهدوا به من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ﴾ ^(٣) وقالوه وتأولوه على أن المعنى : وما التى يمينك ؟ ولا دلالة فيه ، لأنه يمكن أن يكون

(١) الآية ٢١٩ من البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٨ .

(٢) ش : « يحتمل قوله تحمليْن احتمالين : الأول أن يكون » .

(٣) الآية ١٧ من سورة طه .

بيمينك في موضع الحال ، والعامل في الحال في الموضعين جميعاً ما في الاسم المبهم من معنى الفعل . انتهى .

والاحتمال الأوّل ضعيف ، لأنّه تخريجٌ عَلَى ضرورة ، لأنّ حذف الموصوف إذا كانت صفته جملة بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، خاصٌّ بالضرورة أو الشذوذ . وأضعف من هذا تخريج ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) أنّ جملة تحمّلين صلةً لموصول محذوف تقديره : وهذا الذي تحمّلين . وهذا لا يقول به بصريّ ؛ لأنّه لا يرى أحدٌ منهم حذف الموصول الاسميّ وبقاء صلته . والتخريج على الحاليّة هو الجيد ، ولا حاجة إلى اعتبار كونه في الأصل صفة فلما قدّم صار حالاً ، لأنّ ذاك إنّما يُعتبر في الأحوال المفردة لا في الجمل ، نحو :

* لَمِيَّةٌ مُوَحِّشاً طَلُّ *

وإدعاء أنّ العامل في هذه الحال ما في اسم الإشارة من معنى الفعل غيرٌ جيّد ، فإنّ جملة تحمّلين حال من ضمير طليق ، فطليق هو العامل في الحال وصاحبها .

فإن قلت : نزّل كلامه على أنّ الجملة حالٌ من اسم الإشارة فيكون العامل معنى التنبيه . قلت : يأباه قوله إنّ تحمّلين مقدّم من تأخير . فتأمّل .

والبيت أوّل أبياتٍ ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميريّ ، خاطب بها صاحب الشاهد بغلةً . وبعده :

(طليقُ الذي نحى من الحبس بعدما

تلاحمَ في دربٍ عليك مَضِيّ

ذَرَى وتَنَاسَى مَا لَقِيَتْ فَإِنَّهُ
 لِكُلِّ أَنَاسٍ خِطَّةٌ وَحَرِيقُ (١)
 قَضَى لَكَ حَمْحَامٌ بِأَرْضِكَ فَالْحَقَى
 بِأَهْلِكَ لَا يُؤَخِّذُ عَلَيْكَ طَرِيقُ
 فَيَا بَغْلَةَ شَمَاءَ لَوْ كُنْتُ مَادِحًا
 مَدَحْتُكَ إِنِّي لِلْكَرَامِ صَدِيقُ
 لِعَمْرَى لَقَدْ أَنجَاكَ مِنْ هَوَاةِ الرَّدَى
 إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْإِمَامِ وَثِيقُ (٢)
 سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ نِعْمَةٍ
 وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُنْعِمِينَ حَقِيقُ
 فَإِنْ تَطَرَّقَ بَابَ الْإِمَامِ فَإِنِّي
 لِكُلِّ كَرِيمٍ مَاجِدٍ لَطَرُوقُ (٣)

وقد تقدّم سبب هذه الأبيات مع ترجمة يزيد هذا ، في الشاهد الثالث بعد الثلاثمائة ، ولكن ينبغي إيراده هنا مختصراً لطول العهد .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : يزيد هذا حليف لقريش ، ويقال إنه كان عبداً للضحّاك بن يغيث الهلالي ، فأنعم عليه ، ولما ولي سعيّد بن عثمان بن عفّان خراسان استصحبه فلم يصحبه يزيد ، وصحب زياد بن أبي

(١) ط : « وخریق » ، وأثبت ما في ش والشعراء .

(٢) في الشعراء : « حمحام » ، وما في الأصل يطابق ما في الأغاني ١٧ : ٦٠ وفيه أن معاوية « وجه رجلا من بني أسد يقال له حمحام » ، ويقال جهنم ، يريد إلى عباد . وانظر ما سبق في الخزنة ٤ : ٣٣٣ وكذا رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٢ .

(٣) ط وكذا في الأغاني : « للأنام » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

سفيان ، فلم يَحْمَدُهُ ، وأتى عَبَادُ بن زياد فكان معه . وكان عَبَادٌ طويلَ اللحية عريضَها ، فركب ذات يوم وابن مفرغ معه في موكبه ، فهبَّتْ ريحٌ فنفشت لحيته ، فقال ابن مفرغ :

أَلَا لَيْتَ اللَّحَى كَانَتْ حَشِيشاً

فترعاها خيولُ المسلمينا

فبلغ ذلك عَبَادًا فحقد عليه وجفاه ، فقال ابن مفرغ :

إِنَّ تَرْكِي نَدَى سَعِيدِ بن عثما

ن فتى الجودِ ناصرى وعديدى

وأتباعى أخا الرضاعة واللؤ

م لَنَقْصُ وفوتُ شأو بعيد ٥١٦

قلتُ واللَّيْلُ مُطَبَّقُ بِعَراه

ليتنى مِتُّ قبل تركِ سعيد

فأخذه عبيد الله بن زياد وحبسه وعذَّبه وسقاه التُّرْبُدَ (٢) فى النبيذ ، وحمله على بعير وقرن به خنزيرة ، وأمشاه بطئه مشياً شديداً ، فكان يسيل منه ما يَخْرُجُ على الخنزيرة فتصيح ، وكلما صاححت قال ابن مفرغ :

ضَجَّتْ سُمَيَّةٌ لما مسَّها القَرْنُ لا تجزعى إنَّ شرَّ الشَّيْمةِ الجزعُ (٣)

(١) فى ديوانه ١٠٩ : « الضراعة واللؤم » . والضراعة : الذل .

(٢) ش : « الربد » مهملة النقط . وفى الشعراء ٣٢٠ : « التريذ » بالذال فى آخره . وما أثبت من ط يطابق ما فى معجم استينجاس ٢٩٢ وتذكرة داود الأنطاكى ١ : ٩٤ وذكر أنه نبت فارسى يكون بجبال خراسان وما يليها ، وأنه يغشى ويكرب ، حتى أن الردىء منه ربما قتل . وفى الأغاني ١٧ : ٥٦ : « فسقى نبيذا حلوا قد خلط معه الشبم » .

(٣) فى الأغاني : « لما لزها قرن » . والقرن ، بالتحريك : الحبل يقرن به البعيران ، ويقال أيضا للبعير يقرن بآخر .

وسمّية : أمّ زياد ، وجعلها خنزيرة .

فطيف به في أزقة البصرة وجعل الناس يقولون : اين جيست ؟ أى ما هذا !
وهو يقول :

آب است نبيذ است عصارات زيب است

سمية رؤسيد است ^(١)

وهذه كلمات بالفارسية ، أى هذا الذى ترونه إنما هو نبيذ وعصارة
زيب ، وسمية البغى . يعنى بها الخنزيرة . فلما ألحّ عليه ما يخرج منه قيل لعبيد
الله : إنه يموت ، فأمر به فأنزل واغتسل ، فلما خرج من الماء قال :
يَغْسِلُ الماءُ ما فَعَلْتُ وقولى

راسخ منك فى العظام البوالي

ثم دسّ عليه غمائه يَسْتَعْدُونَ عليه ، فأمر ببيع ما وُجد له فى إعطاء
غمائه ، فكان فيما بيع له غلام يقال له برد ، وكان يعدلّ عنده ولده ، وجارية
يقال لها الأراكّة ، ففيهما يقول :

يا بُردُ ما مسنا دهرٌ أضّر بنا

من قبل هذا ولا يغنا له وَلَدَا

أمّا الأراكُ فكانت من محارمنا

عيشاً لذيذا وكانت جَنَّةَ رَعْدَا ^(٢)

(١) ط : « أين نبيذ است » ش : « اينست نبيذ است » . وأثبت ما فى الأغاني والبيان والتبيين

. ١٤٣ : ١

(٢) ط : « روسبيست » ش : « روسفيست » ، صوابه من الأغاني والبيان . وانظر حواشى البيان .

(٣) انظر ما سبق فى ٤ : ٣٣٠ .

لولا الدَّعَى ولولا ما تَعَرَّضَ لى

من الحوادث ما فارقتها أبدا

وقال أيضاً من قصيدة :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي من بعدِ بَرْدٍ كُنْتُ هَامَهُ

أَوْ بُومَةً تَدْعُو صَدَى بينَ المَشَقَّرِ وَالْيَمَامَةِ

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهُ والْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي الْعَمَامَةِ (١)

ثم إنَّ عبيد الله أمر به فحِيلَ إلى سجستان إلى أخيه عباد بن زياد ، وكان ابن مفرغ كتب في حيطان الطرق والمنازل والخانات هجاءهم ، فالزِمَ مَحْوُهُ بأطفاره حتى فسدت أنامله ، ومُنِعَ أَنْ يَصَلَّى إِلَى الكعبة ، وألْزَمَهُ أَنْ يَصَلَّى إِلَى قِبْلَةِ النَّصَارَى ، فلما وصل إلى عبادِ حُبِسَ ، فكان يهجوهم في الحَبْسِ . ومما قاله فيه :

إِنَّ زِيَادًا وَنَافِعًا وَأَبَاكَ رَءً عِنْدِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

إِنَّ رَجَالًا ثَلَاثَةً خُلِقُوا مِنْ رَحِمٍ أَنَّثَى مَخَالِفَى النَّسَبِ

ذَا قَرَشْتِي كَمَا يَقُولُ ، وَذَا مَوْلَى ، وَهَذَا بَزَعِمِهِ عَرْنَى

والثلاثة أولاد سمية . أما نافع فهو من الحارث بن كلدة . وأمَّا أبو بكر وزياد فهما من عبيد الرومى ، فإنَّ الحارث بعد أن أولدها نافعاً زوَّجها لعبيد ، فزياد ادَّعى أَنَّهُ قرشى ، وأبو بكرة مولى لكونه ابن عبيد . وأمَّا نافع (٢) فهو عربى لكونه ابنَ الحارث الثقفى . فلما طال حَبْسُهُ دخل أهلُ اليمن إلى معاوية ٥١٧ فشفَّعوا فيه ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام - وقال ابن السيد : هو

(١) كذا . والرواية المعروفة « شجوها » ، ولكن البغدادى قيده في التفسير التالى بأنها « شجوه » ، وقال : « أى شجو برد » .

(٢) ش : « ونافع » .

من بنى راسب ^(١) - بريدأ إلى عبّاد ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرج ابن مفرغ منه قبل أن يعلم عبّاد فيغتاله . ففعل ذلك ، فلما خرج من الحبس قرئت بغلة من بغال البريد فركبها وقال :

الأبيات * عدس ما لعباد عليك إمارة *

وتمام القصّة هناك . فقوله (عدس) هو زجر للبغل ، أى إنّه زجر له ليسرع . قاله الجوهري ، وأنشد هذا البيت . وربما سمّوا البغل عدس بزجره .

قال الشاعر :

إذا حملت برّقي على عدس

فما أبالي من غزا ومن جلس

وقال الجاحظ ^(٢) : زعم أناس أن عدس اسم لكل بغلة ، وذهبوا إلى

قول الشاعر :

إذا حملت برّقي على عدس على التى بين الحمار والفرس

* فما أبالي من غزا ومن جلس *

وروى عن الخليل أن عدس كان رجلاً عنيفاً بالبغال أيام سليمان عليه السلام ، فإذا قيل لها ذلك انزجرت وأسرعّت . وهذا لا يعرف في اللغة .

وزعم ابن قتيبة أن الذى ركب ابن مفرغ فرس ^(٣) . قال : فبعث على البريد من أطلقه ، فبدأ بالحبس فأخرجه ، فلما قرب إليه فرسه قال : عدس ما لعباد البيت . وهذا وهم ، ويدل لما قلنا قوله : « فيابغلة شماء » ... البيت

(١) ما بعده إلى « من الحبس » ساقط من ش .

(٢) في كتاب البغال . انظر رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٣ .

(٣) ش : « أن التى ركبها ابن مفرغ فرس » .

وَأَنَّ عَدَسَ خَاصَّ بَزْجَرِ الْبَغَالِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ عَدَسَ اسْمٌ بَغْلَتُهُ . وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ بَغَالِ الْبَرِيدِ .
 وَقَوْلُهُ : (مَا لِعَبَادٍ) إِخْلَجَ مَا نَافِيَةٌ ، وَاللَّامُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ ، وَعَلَيْكَ مُتَعَلِّقٌ بِالظَّرْفِ ، (وَإِمَارَةٌ) إِمَّا فَاعِلٌ لِقَوْلِهِ لِعِبَادٍ ، وَإِمَّا مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ لِعِبَادٍ .
 وَجُمْلَةُ (أَمْنِتِ) مُسْتَأْنَفَةٌ بَيَانًا لِلْجُمْلَةِ الْمُنْفِيَةِ . وَجُمْلَةُ (وَهَذَا تَحْمِيلٌ طَلِيقٌ) حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ أَمْنِتِ ، أَيْ أَمْنِتِ فِي حَالٍ كَوْنٍ مَحْمُولٍ عَلَى طَلِيقًا .
 وَ (الطَّلِيقُ) : الَّذِي أُطْلِقَ مِنَ الْإِسَارِ ، أَيْ أَمْنِتِ مِنْ حُكْمِ عِبَادٍ . وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حُكْمٌ عَلَى الْبَغْلَةِ فَلَا يُنَاسَرُ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ حُكْمٌ أَوَّلَى . وَقَوْلُهُ : « وَهَذَا تَحْمِيلٌ » يَعْنِي بِالْإِشَارَةِ نَفْسَهُ . وَمِنْ الْعَجَبِ قَوْلُ الْعَيْنِيِّ هُنَا : إِنَّ عَدَسَ مُنَادِيٌ بِحَرْفٍ نَدَاءٍ مَحذُوفٍ ، وَنُبْنَى عَلَى السَّكُونِ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ حِكَايَةُ صَوْتٍ . إِلَى أَنْ قَالَ : وَإِمَارَةٌ مُبْتَدَأٌ .

وَعَبَادٌ هُوَ أَخُو عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، الَّذِي قَاتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي كَرْبَلَاءَ . وَزِيَادٌ يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ سُمَيَّةَ ، وَهِيَ أُمُّهُ ، بَضْمُ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَفَتْحُ الْمِيمِ وَتَشْدِيدُ الْيَاءِ ، وَيُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدٍ بِالتَّصْغِيرِ ، وَهُوَ أَبُوهُ . وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ ، أَيْ ابْنُ أَبِي مُعَاوِيَةَ ، لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ جَعَلَهُ أَخًا لِنَفْسِهِ ، وَاسْتَلْحَقَّهُ بِأَبِيهِ .

وَبَيَانُ ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَهُ الْمَلِكُ إِسْمَاعِيلُ الْأَيْبِيُّ صَاحِبُ حِمَاةٍ (فِي كِتَابِهِ أَخْبَارُ الْبَشَرِ) : أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، اسْتَلْحَقَّ مُعَاوِيَةُ زِيَادُ بْنُ سُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ سُمَيَّةُ جَارِيَةً لِلْحَارِثِ بْنِ كُلْدَةَ الثَّقَفِيِّ ، فَزَوَّجَهَا بِعَبْدٍ لَهُ رُومِيٍّ يُقَالُ لَهُ عُبَيْدٌ ، فَوُلِدَتْ سُمَيَّةُ زِيَادًا عَلَى فَرَاشِهِ ، فَهُوَ وَلَدُ عُبَيْدٍ شَرَعًا . وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ قَدْ سَارَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الطَّائِفِ ، فَنَزَلَ عَلَى إِنْسَانٍ يَبِيعُ الْخَمْرَ يُقَالُ لَهُ أَبُو مَرْيَمَ ، أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَكَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : قَدْ

٥١٨ اشتبهت النساء . فقال له أبو مريم : هل لك في سُمَيَّة ؟ فقال أبو سفيان : هاتها على طول نديتها ودَفَرِ لبطيها ! فأتاه بها فوق عليها ، فيقال إنها عَلِقَتْ منه بزياد ، فوضعت في سنة الهجرة . ونشأ زيادٌ فصيحاً ، ثم لما كان قضية شهادة الشهود على المغيرة بالزنى وجَلَدَهم^(١) ، ومنهم أبو بكره أخو زياد لأُمِّه وامتناعُ زياد عن التصريح كما ذكرنا ، اتخذ المغيرة بذلك لزياد يدأ . ثمَّ لَمَّا ولى على بن أبي طالب رضى الله عنه الخلافة استعمل زياداً على فارس ، فقام بولايتها أحسنَ قيام . ولَمَّا سَلَّمَ الحسنُ الأمرَ إلى معاوية امتنع زيادٌ بفارس ولم يدخُلْ في طاعة معاوية ، وأهَمَّ معاويةَ أمرُه وخاف أن يدعو إلى أحد من بنى هاشم ويعيد الحرب ، وكان معاوية قد ولى المغيرة بن شعبة الكوفة ، فقدم المغيرة على معاوية في سنة اثنتين وأربعين ، فشكا إليه معاويةَ امتناعَ زياد بفارس فقال المغيرة : أتأذن لى فى المسير إليه ؟ فأذن له وكتب معاوية لزيادِ أماناً ، فتوجَّه المغيرة إليه لَمَّا بينهما من المؤدَّة ، وما زال عليه حتى أحضره إلى معاوية وبايعه ، وكان المغيرة يكرم زياداً ويعظمه ، من حينَ كانَ منه فى شهادة الزنى ما كان .

فلَمَّا كانت هذه السنة ، سنة أربع وأربعين ، استلحقَّ معاوية زياداً وأحضر الناس ، وحضر من يشهد لزيادِ بالنسب ، وكان ممن حضر ذلك اليوم أبو مريمَ الخُمَارُ الذى أحضر سُمَيَّةَ إلى أبى سفيان بالطائف ، فشهد بنسب زيادِ من أبى سفيان وقال : إئننى رأيت إسكتنى سُمَيَّةَ يقطران من منى أبى سفيان . فقال زياد : رويدك ، طُلبت شاهداً ولم تُطَلَّبْ شتأماً . فاستلحقَّه معاوية . وهذه أوَّلُ واقعةٍ حُوِّلَتْ فيها الشريعةُ علانيةً ، لصريح قول النبى ﷺ « الولدُ للفراش وللغاهر الحجر » . وأعظمَ الناسُ ذلك وأنكروه ،

(١) ط : « بالزنى جلدَهم » . وما أثبت من ش .

خصوصاً بنى أمية ، لكون زياد بن عُبَيْد الرومى صار من بنى أمية بن عبد شمس .

وقال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان في ذلك :

ألا أبلغ معاويةَ بنَ صخرٍ

لقد ضاقت بما تأتى اليدين

أتغضبُ أن يقال أبوك عَفٌّ

وترضى أن يقال أبوك زانى

وأشهدُ أن رَحِمَكَ من زيادٍ

كرَحِمِ الفيل من ولد الأتانِ

ثم ولّى معاويةُ زياداً البصرة ، وأضاف إليه خراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ، فيها قدم زيادٌ إلى البصرة وسَدَّ أمر السلطنة وأكَّد الملك لمعاوية ، وجَرَّد السيف ، وأخذ بالظَّنة وعاقب على الشُّبهة ، فخافه الناسُ خوفاً شديداً . وكان معاوية وعُمَّاله يدعون لعثمان في الخطبة يوم الجمعة ويسُبُّون علياً . ولَمَّا كان المغيرة متولّى الكوفة كان يفعل ذلك ، وكان حُجْرٌ يقوم معه جماعة يرُدُّون عليه ، وكان المغيرة يتجاوز عنهم ، فلما ولّى زيادٌ ودعا لعثمان وسبَّ علياً قام حُجْرٌ وقال كما كان يقول ، من الثناء على على ، فغضب زيادٌ وأمسكه وأوثقه بالحديد وثلاثة عشر نفراً معه وأرسلهم إلى معاوية ، فشفع في ستة منهم عشائُرهم ، وبقي ثمانية منهم حُجْرٌ ، فقتلهم معاوية . وكان حُجْرٌ صحابياً من أعظم الناس ديناً وصلابة . وروى ابنُ الجوزي بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : أربع خصال كنَّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت مُوبقة ، وهى : أخذه الخلافة بالسيف من غير ٥١٩

مشاوره وفي الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة . واستخلافه ابنه يزيد ، وكان سيكراً خميماً يلبس الحرير ويضرب بالطناير . وادّعاؤه زياداً أخاً ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقتله حُجر بن عدي وأصحابه ، فيما ولاه له من حُجر وأصحاب حُجر . وروى عن الشافعي أنه أسرّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادة أربعة ، وهم : معاوية ، وعمرو بن العاصي ^(١) ، والمغيرة ، وزيد .

وأما قضية المغيرة بن شعبة فقد كانت في سنة سبع عشرة ، وهي أن المغيرة كان عمرُ بن الخطاب قد ولاه البصرة ، وكان في قبالة العُلَيَّة ^(٢) التي فيها المغيرة بن شعبة عُلَيَّة فيها أربعة ، وهم أبو بكره مولى النبي ﷺ ، وأخوه لأُمّه زياد بن أبيه ، ونافع بن كلدة ، وشبل بن معبد ، فرفعت الرِّيح الكوفة عن العُلَيَّة ، فنظروا إلى المغيرة وهو على أمّ جميل بنت الأرقم بن عامر بن صعصعة ، وكانت تَغشى المغيرة ، فكتبوا بذلك فعزل المغيرة واستقدمه مع الشهود ، فلما قَدِم إلى عمر شهد أبو بكره ونافع وشبل على المغيرة بالزنى ، وأمّا زياد بن أبيه فلم يُفصح بشهادة الزنى ، فقال : رأيته جالساً بين رجلَي امرأة ورأيت رجلين مرتفعتين ونفساً يعلو ، واستأثرُبو عن ذكر ، ولا أعلم ما وراء ذلك . فقال عمر : هل رأيت الميل في المُكحلة ؟ فقال : لا . فقال : هل تعرف المرأة ؟ قال : ولكن أشبهها . فأمر عمر بالثلاثة الذين شهدوا بالزنى أن يُحدّثوا حدّ القذف فجلدوا . وكان زياد أخاً أُنَى بكره لأُمّه ، فلم يكلمه أبو بكره بعدها . انتهى ما نقلته عن أخبار البشر .

(١) ش : « العاص » .

(٢) العلية : الغرفة ، ووزنها فُعْلَةٌ أو فُعْلِيَّة . ونقال أيضا بكسر العين .

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي ^(١)) : كتاب مثالب العرب أصله لزياد بن أبيه ؛ فإنه لما ادّعى أبا سفيان أبا ، علم أن العرب لا تُقرُّ له بذلك مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب المثالب وألصقَ بالعرب كلَّ عيبٍ وعارٍ وباطلٍ ، وإفكٍ وُهنٍ . ثم ثنى على ذلك الهيثم بن عديّ وكان دعياً ، فأراد أن يعرف أهل الشرف تشفيّاً منهم . ثم جدّد ذلك أبو عبيدة معمر ابن المثنى وزاد فيه ، لأنَّ أصله كان يهودياً ، أسلم جدّه على يدئ بعض آل أئى بكر ، فانتمى إلى ولأئ تيم . ثم نشأ غيلانُ الشعوى الوراق ، وكان زنديقاً ثنويّاً لا يُشكُّ فيه ، فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن الإسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكر مناكحهم وأمهاتهم ، ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب إليهم كلَّ كذب وزور ، ووضع عليهم كلَّ إفك وبهتان . ووصله عليه طاهرٌ بثلاثين ألفاً . وأما كتابُ المثالب والمناقب الذى بأيدى الناس اليومَ فإنما هو للنضر بن شميل الحميرى وخالد بن سلمة الخزومى ، وكانا أنسبَ أهلَ زمانهما ، أمرهما هشامُ بن عبد الملك أن يبيّنا مثالب العرب ومناقبها ، وقال لهما ولمن ضمَّ إليهما : دعوا قريشاً بما لها وما عليها . فليس لقرشيّ فى ذلك الكتاب ذكر . انتهى .

وقوله : « طليق الذى نُجى » إلخ ، الذى نجّاه من الحبس هو معاوية . والدرب ، بالفتح : باب السكة الواسع ، والباب الأكبر . ومضيق : فاعل تلاحم .

وقوله : « لكل أناسٍ خبطة » إلخ الخبطة ، بفتح المعجمة وسكون الباء ، قال صاحب القاموس : الخبطة : الرُكمة تصيب فى قُبُل الشتاء ^(٢) ، المطرُ الواسع . وقال : الرُكمة بالضم : الطين المجموع .

(١) اللآلىء ٨٠٧ - ٨٠٨ . وانظر حواشى البيان ٣ : ٥ .

(٢) كذا ، وهو سهو من البغدادى فى النقل من القاموس ، والذى فى القاموس والتاج : الرُكمة بالزى المفتوحة ، وهى الزكام . وقد انساق البغدادى فى السهو ، فالتمس للركمة بالراء =

٥٢٠ وقوله : « قضى لك خمخام » بفتح الخاءين المعجمتين . وروى ابن قتيبة بخاءين مهملتين . ويؤخذ مجزوم بلا الناهية ، وأراد به الدعاء لها بأن لا تؤخذ في طريق وهو عليها .

والشَّمَاء : العالية المرتفعة ، مؤنث الأشم . والهَوَّة بالضم : الموضع الهاوى . والرَّذَى : الهلاك . وإمامٌ فاعل أنجأك .

والطَّرَق والطُّرُق : الإتيان بالليل ، وأراد به مطلق الإتيان .
وقوله :

وشرَّيتُ برداً ليتنى من بعد بُردٍ كنتُ هامه

في القاموس : الهامة : طائرٌ من طير الليل ، وهو الصَّدَى . وقال (في صدى) : والصَّدَى : طائرٌ يطير بالليل يَقْفِزُ قفزا . والمُشَقَّرُ كمعظمٍ : حصن قديم . وإيمامة : بلاد الجوّ ، وأصل الإمامة اسم امرأة ، وهى جارية زرقاء وكانت ^(١) تُبصر من مسيرة ثلاثة أيام ، وهى مشهورة ، سمى الجوّ باسمها . وبها تنبأ مسيلمة الكذاب ، وهى عن مكة ست عشرة مرحلة من البصرة ، وعن الكوفة نحوها .

وقوله : « شجوه » مفعول لأجله ، أى شجَو بُرد . والشَّجُو : الحزن ،

= المضمومة معنى فى مادة (ركم) من القاموس فوجد لها معنى الطين المجموع . وقد تركت نص البغدادى كما هو محافظة عليه . على أن « الخطبة » التى وردت فى البيت معناها من تحيط ورق الشجر ، وهو ضربه ليسقط ويستعمل فى الحريق . ويؤيد هذا المعنى قوله فى البيت « وحريق » . ومعنى البيت فيما أرى ، أن بعد العسر يسرا ، ولابد لكل قوم من أن تتاح لهم فرصة النار بعد تعسرها عليهم .

(١) ط : « وكانت » .

أى لَشَجَوْهَا عليه . والبرق معطوفٌ على الريح ، أى والبرق ييكى أيضا .
وجملة يلمع إلخ حالٌ . قال السيّد المرتضى قدّس سيْرُهُ (فى أُماليه الغرر
والدرر) : عطف البرق على الريح ثمّ أتبعه بقوله : يلمع فى الغمامة ، كأنه
قال : والبرق أيضاً ييكى لامعاً فى غمامِهِ ^(١) ، أى فى حال لمعانه . ولو لم
يكن البرق معطوفاً على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .

والبيت الأوّل استشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى :
﴿ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ ^(٢) على أن الشراء يأتى بمعنى البيع كما
فى البيت ، يقال شريت الشيء أشريه شِري وشِراء ، إذا بعته ، وإذا أخذته
أيضاً . فهو من الأضداد .

وقد عنّ لى أن أسوق القصيدة هنا فإنها جيّدة فى بابها . قال ^(٣) : قصيدة يزيد بن
مصرع

أَصْرَمْتَ جَبَلَكَ مِنْ أَمَامِهِ	مِنْ بَعْدِ أَيَّامِ بَرَامِهِ
وَوَمَقَّتُهَا فَوَجَدْتُهَا	كَالضَّلَعِ لَيْسَ لَهَا اسْتِقَامِهِ
لَهْفَى عَلَى الرَّأْيِ الَّذِى	كَانَتْ عَوَاقِبُهُ نَدَامِهِ
تَرَكَى سَعِيداً ذَا التَّنْدَى	وَالْبَيْتَ تَرْفَعُهُ الدَّعَامِهِ ^(٤)
لَيْثاً إِذَا شَهِدَ الْوَعْيِ	تَرَكَ الْهَوَى وَمَضَى أَمَامِهِ
فُتِحَتْ سَمَرْقَنْدٌ لَهُ	فَبَنَى بَعْرَصَتَهَا بَحِيَامِهِ
كَانُوا صَدِيقاً قَبْلَ ذَا	فَأَلَمَ دَهْرٌ ذُو عَرَامِهِ

(١) وكذا بالإضافة فى أُمالى المرتضى ١ : ٤٤٠ .

(٢) الآية ٧٤ من النساء .

(٣) الأغاني ١٤ : ٥٤ - ٥٥ والشعراء ٣٢١ وأُمالى الزجاجى ٤٢ .

(٤) سعيد هذا هو سعيد بن عثمان بن عفّاد . وكان والياً على خراسان

وَبَيَّغَتْ عَبْدَ بَنِي عَلَا ج تَلَكْ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ
جَاءَتْ بِهِ حَبِشِيَّةٌ سَكَاءُ تَحْسِبُهَا نَعَامَهُ
مِنْ نِسْوَةِ سُودِ الْوَجُو ه تَرَى عَلَيْهِنَ الدَّمَامَةَ
وَشَرِئْتُ بَرْدًا لِيَتْنَى الْبَيْتَيْنِ
وبعدهما :

وَالْعَبْدُ يَقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةِ
وَالْهَوَلُ يَرْكُبُهُ الْفَتَى حَذَرَ الْخَاذِي وَالْمَلَامَةِ

وقوله : « سَكَاءُ تَحْسِبُهَا نَعَامَهُ » ، قال في العباب : السَّكَّ بفتحتين :
صَغَرُ الْأُذُنِ . وَأُذُنٌ سَكَاءٌ ، أَيْ صَغِيرَةٌ . يُقَالُ : كُلُّ سَكَاءٍ تَبْيِضُ ، وَكُلُّ
شَرْفَاءٍ تَلْدُ . فَالسَّكَاءُ : الَّتِي لَا أُذُنَ لَهَا ظَاهِرَةٌ . وَالشَّرَفَاءُ : الَّتِي لَهَا أُذُنٌ
ظَاهِرَةٌ . انْتَهَى . وَالنَّعَامُ صَغِيرُ الْأُذُنِ يَحْلِقَةُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالْعَشْرُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ ^(١) :

٤٢٩ (فَقُلْتُ لَهُ : لَا وَالَّذِي حَجَّ حَاتِمٌ
أُخَوَّنُكَ عَهْدًا ، إِنَّنِي غَيْرُ خَوَّانٍ)

عَلَى أَنَّهُ بِتَقْدِيرٍ : حَجَّ حَاتِمٌ إِلَيْهِ ، فَحَذَفَ إِلَيْهِ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ (فِي الْإِيضَاحِ الشَّعْرَى) : قَوْلُهُ : لَا وَالَّذِي حَجَّ حَاتِمٌ ،
يَحْتَمِلُ الَّذِي ضَرَبَيْنِ : إِنْ عَنَى بِالَّذِي الْكَعْبَةَ ، فَذَكَرَ عَلَى إِرَادَةِ الْبَيْتِ كَمَا
يَقُولُونَ : وَالْكَعْبَةُ ، وَالْبَيْتُ ، وَالْمَسْجِدُ ! فَالضَّمِيرُ فِي حَجَّ مُحْذُوفٌ ، لِأَنَّ هَذَا

(١) نوادر أبي زيد ٦٥ و ١ : ١٤٧ والحامسة ١٦٢٨ بشرح المرزوق .

الفعل متعدٍ ، يدلُّ على ذلك قوله : ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ ^(١) ﴾ .
فالمعنى : الذى حجَّه حاتم . وإن عنى بالذى الله سبحانه فالتقدير :
لا والذى حجَّ له حاتم ، فحذف له من الصلة . وهذا النحو من الحذف من
الصَّلَات قد جاء فى الشعر ، من ذلك قوله :

ناديتُ باسمِ ربيعةَ بنِ مكَّدَم
إنَّ المنوَّةَ باسمه الموثوقُ

فقال : الموثوق ، وحذف به . انتهى .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : سألتنى أبو على مرَّة عن قوله :
* فقلت له لا والذى حج حاتم * البيت

فقلت له : يجوز أن يكون أقسم بالله عز وجل ، أى والله الذى حجَّ
حاتمُ بيته ثم حذف المضاف فصار حَجَّه ، ثم حذف الضمير على العادة من
الصلة . ويجوز أن يكون الذى مصدرًا كقوله تعالى : ﴿ الذى يبشِّر الله
عباده ^(٢) ﴾ [، وهو ^(٣)] شبيهةً ببيتنا هذا . ا هـ .

أراد بالبيت المشبَّه به البيت الذى شرحه ، وهو :

رُوِّقَ لى وما حجَّ الحجيع له وما أهلَّ بجنبى نَحْلَةَ الحُرْم ^(٤)

قال : يحتمل ما هنا أوْجهاً : أحدها أن تكون عبارة عن القديم سبحانه
على ما حكاه أبو زيد عن العرب ، من قوله ^(٥) : سبحانه ما سَحَرَكُنَّ لنا ،

(١) الآية ١٥٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى .

(٣) التكملة من إعراب الحماسة لابن جنى الورقة ١٩٤ .

(٤) بضمّتين ، جمع حرام ، بمعنى المحرم بالحج أو العمرة .

(٥) فى إعراب الحماسة : « قولهم » .

وسبحان ما سبَّح الرعد بحمده ، وأراد : في ما ^(١) الثانية له ، غير أنه حذفها لإطول الكلام وتقدّم ذكرها مع ما في الأولى . ويجوز أيضاً أن يكون ما هنا مصدراً فتكون الهاء في له لله تعالى ؛ وإن لم يجز له ذكر ، لأنه قد جرى ذكر الحج ، فدلّت الطاعة على المطاع سبحانه ، فكأنه قال : إني وحجّ الحجاج لله . ويؤكد ذلك أنه لم يُعَدّ مع ما الثانية له ، لأنه غير محتاج إليها من حيث كانت مصدراً ^(٢) ، وغير محتاجة إلى عائد وقد تقدّم « له » الأولى . ويجوز أيضاً أن تكون ما عبارة عن البيت ، فيقسم بالبيت ، كقول زهير :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله

رجال بنو من قريش وجُرهم

فإذا كان الأمر كذلك احتملت الهاء في له أمرين : أحدهما أن تكون للبيت على أن يكون له بمعنى إليه ، كقوله تعالى : ﴿ بَأْن رَّبِّكَ أَوْحَى لَهَا ^(٣) ﴾ أى إليها . والآخر ^(٤) أن يكون لله تعالى ، أى والبيت الذى حجّ الحجاج لطاعة الله . وسألنى أبو عليّ مرة عن قوله . إلى آخر ما أوردناه أولاً .

فَعَلِمَ أَنَّ كَلَامَ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ هُوَ أَحَدُ تَخْرِيجِيَّ أُنَى عَلِيِّ الْفَارَسِيِّ عَلَى تَقْدِيرِ حَمَلِ الذِّى عَلَى اللَّهِ . وَلَمْ يَرْتَضِهِ ابْنُ جَنَى عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ، بَلْ جَعَلَهُ عَلَى تَأْوِيلٍ : وَاللَّهُ الذِّى حَجَّ بَيْتَهُ حَاتِمٌ ، فَحَذَفَ بَيْتَ أَوَّلًا ثُمَّ الضَّمِيرَ الْعَائِدَ تَدْرِيجًا . وَهَذَا أَقْبَسُ مِنْ كَلَامِ أُنَى عَلَى .

(١) في النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٢) كذا في إعراب الحماسة . وفي الأصل : « لأنه غير محتاج إليه من حيث كان مصدراً » .

(٣) الآية ٥ من الزلزلة .

(٤) في نسخة من إعراب الحماسة : « والأحسن » .

والبيت أحد أبيات ثلاثة أوردها أبو زيد (في نوادره) . لكن روايته ليست كرواية الجماعة ، وهي فيها كذا :

(مررتُ على دار امرئ السوء ، عنده

أبيات الشاهد

لُيُوثٌ كعُيْدَانٍ بِحَائِطِ بُسْتَانٍ

ومررتُ على دار امرئ الصّدق حوله

مَرَابِطِ أَفْرَاسٍ وَمَلْعَبُ فُتَيَانٍ

فقال مجيباً : والذي حجّ حاتم

أخونك عهداً ، إننى غيرُ خَوَانٍ

والسوء بفتح السين وضمها : مصدرٌ ، أراد به السيئ ، فأطلق عليه مبالغة . وكذلك الصّدق ، مصدر أطلق على الصادق . ويكون السوء والصّدق في القول والفعل .

واللُيُوثُ : جمع ليث وهو الأسد ، أراد به الشجعان . وقال الجرمي : هو جمع لَيْثَةٍ ، يقال ناقة لَيْثَةٍ . انتهى . وفي القاموس : اللَّيْثَةُ مِنَ الْإِبِلِ : الشَّديدَةُ .

والعُيْدَانُ ، بفتح العين المهملة : النخل الطوال ، قال الجوهري : والعُيْدَانُ ، بالفتح : الطّوَالُ مِنَ النَّخْلِ ، الواحدة عُيْدَانَةٌ . هذا إن كان فعلاً فهو من هذا الباب ، فإن كان فيعلاً فهو من باب النون .

وقوله : « بِحَائِطِ بَسْتَانٍ » الباء بمعنى في . والحائط : البُستان ، والبستان ، فعلاً : الجَنَّةُ . قال الفراء : عَرَبِيٌّ ^(١) . وقال بعضهم : رومي معرب . فإضافة حائط إلى بستان بيانية .

(١) ط : « عرب » ، صوابه في ش .

وقوله : « ومررت على دار » إلخ قال الجرمي : الواو زائدة ^(١) في البيت ، كأنه عطف بيتاً على بيت . وفتيان : جمع فتى .
 وقوله : « أخونك عهداً » ، الحَوْن والحَيانة : أن يؤتمن الإنسان فلا يَنصَح ، يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد تارة ، يقال خان الرجل الأمانة ، وتارة إلى المفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر ، يقال خانته العهد وفي العهد . والعهد : الوصية ، والأمان ، والمَوْتُق ، والذمة .

وقوله : « فقال مجيباً » فاعل قال ضمير امرئ الصدق ، ومُجيباً حال منه . وقوله والذي ، الواو للقسم ، والذي مُقسم به . وحج حاتم صلة الذي ، والعائد محذوف كما تقدّم بيانه ، وجملة أخونك جوابُ القسم بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : ﴿ تَاللّهِ تَفْتُو تَذَكَّرُ يُوْسَفَ ^(٢) ﴾ والكاف مفعول أول ، وهي مفتوحة لا مكسورة . وعهداً مفعول ثان ، وجملة « إننى غير خَوّان » ، استئناف بيانى .

والأبيات لِغُرَيَّانِ بن سَهْلَةَ الجَرْمِيّ ، وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية .
 كذا قال أبو زيد (فى نوادره) . والغُرَيَّان ، بضم العين وسكون الراء المهملتين بعدهما مثناة تحتية وآخره نون . وسَهْلَةَ ، بفتح السين المهملة وسكون الهاء بعدها لام وهاء تأنيث . والجَرْمِيّ : نسبة إلى جَرَم بفتح الجيم وسكون الراء المهملة . وجرم : بطنٌ من قبيلة طَيّء ، وبطن من قبيلة قضاة أيضاً .
 ولا أعلم نسبته إلى أى هذين البطين . والله أعلم .

* * *

(١) وتسمى فى اصطلاح العروض بالحزم ، بالزأى المعجمة .

(٢) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٣٠ (فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ)

هذا عجزٌ ، وصدوره :

(إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي مَالِكٍ)

على أَنَّ العائد الواقع مبتدأ محذوف ، والتقدير : أيهم هو أفضل . وفيه روايتان : « عَلَى أَيُّهُمْ » بالبناء على الضم ، وبه أورده ابن هشام في بحث أَى (من المغنى) . و « عَلَى أَيُّهُمْ » بإعرابه بالجر ، وبه أورده أيضاً في بحث جملة الصلة من الباب الثانى ، قال : قرئ : ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ^(٢) ﴾ بالنصب ، وَرَوَى فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ ، بالخفض . وكذلك رواه بالوجهين (فى شرح الشواهد) .

وإذا شرطية ، وما زائدة . وجملة فسلم جواب الشرط .

ومسألة أَى خلافة ، وقد فصلها ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) ، ٥٢٣ وكذلك الشارح المحقق بعد الإخبار بالذى .

والبيت لم يبلغنى قائله . وقال ابن الأنبارى : حكاه أبو عمرو الشيبانى صاحب الشاهد بضم أَيُّهُمْ عن غَسَّان ، وهو أَحَدُ مَنْ تَوَخَّذَ عَنْهُ اللُّغَةُ مِنَ الْعَرَبِ . انتهى . فغَسَّانُ قَائِلُ الْبَيْتِ ^(٣) . وزعم ابن هشام أَنَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ غَسَّانَ . والله أعلم .

* * *

(١) الإنصاف ٧١٥ وابن يعيش ٣ : ٤/١٤٧ : ٧/١٢ : ٨٨ وشرح شواهد المغنى ٨٣ ، ٢٨١ والتصریح ١ : ١٣٥ والجمع ١ : ٨٤ ، ٩١ والأشعرونى ١ : ١٦٦ ويس ١ : ١٣٦ .

(٢) الآية ٦٩ من سورة مريم .

(٣) المفهوم أن غسان هو راوى البيت ، أو صاحب هذه الرواية .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الأربعمائة ^(١) :

٤٣١ (أنا الذى سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةً)

على أنه يجوز أن يقال : سَمَّيْتُ ، والأكثر سَمَّته . وظاهر كلامه أنه غير قبيح .

وكذلك كلام صاحب الكشف ، وبه استشهد عند قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ﴿ ٢ ﴾ على جواز كون أبلغكم صفة رسول الله ، لأنَّ الرسول وقع خبراً عن ضمير المتكلم في لكنى ، فجاز عود ضمير المتكلم عليه كما وقع الموصول في البيت خبراً عن ضمير المتكلم ، مع أنَّ حقَّ الضمير العائد إلى الموصول الغيبة ، فكان مقتضى الظاهر في الآية : يُبَلِّغُكُمْ ، وفي البيت : سَمَّته .

وكذلك ظاهر كلام ابن الشجرى (فى أماليه) ؛ فإنه تكلم على قول المتنبي :

كفى بجسمى نُحولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَّوْلا مَخَاطِبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي ^(٣)
قال : رَجُلٌ خبر موطئ ^(٤) ، والجملة بعده صفته ، والفائدة بها ،
والخبر الموطئ ^(٥) كالزيادة فى الكلام . فلذلك عاد الضميران ، وهما الياء فى

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥٢ وطبقات الشافعية ١ : ٢٥٥ والجمع ١ : ٨٦ .

(٢) الآية ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ من الأعراف .

(٣) ديوان المتنبي ٢ : ٤٠٢ . وهذا البيت لم يرد فى النسخة المطبوعة من الأمالى ، وليس فيها من هذا النقل إلا : « ونظير ذلك عود ضمير المتكلم إلى الموصول إذا وقع الموصول خبراً عن ضمير متكلم كقول أمير المؤمنين عليه السلام :

« أنا الذى سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةً » .

(٤) فى النسختين : « موطأ » . صوابه ما أثبت ، وهو نظير الحال الموطئة . وانظر الأشمونى ٢ :

١٧١ والتصریح ١ : ٣٧١ .

(٥) فى النسختين : « الموطأ » . وانظر التنبيه السابق .

مُخاطبتى ولم ترفى ، إلى الباء فى أننى ، ولم يعودا على رجل لأن الجملة فى الحقيقة خبرٌ عن أننى . ونظيره عود الباء إلى الذى فى قول على رضى الله عنه :
* أنا الذى سَمَّينِ أُمِّى حَيْدِرَهُ *

لَمَّا كان المعنى الذى هو أنا فى المعنى ، وليس هذا مِمَّا يحمل على الضرورة لأنَّه وقع فى القرآن نحو : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ^(١) ﴾ . ومِمَّا جاء فى الشعر لغير ضرورة قوله :

أَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فَتَبْتَنِى به الجاه أم كنتُ امرأ لا أُطِيعُهَا ^(٢)

ولم يقل يُطِيعُهَا وفاقاً لامرئى . فهذا دليلٌ على دليل التنزيل ، فاعرف هذا وقس عليه نظائره . انتهى .

ولا يخفى أنَّ مَبْنَى كلامه على أنَّ الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة . والصحيح أنها ما وقع فى الشعر ، سواء كان عنه مندوحة ، أم لا . وصرح كلام الإمام المَرْزُوقِ ^(٣) أنَّه قبيح مردود . قال : كان القياس أنَّ يقول سَمَّته حتى يكون فى الصلة ما يعود إلى الموصول ، لكنَّه لما كان القصد فى الإخبار عن نفسه ، وكان الآخر هو الأوَّل ، لم يُبالِ برَدِّ الضمير على الأوَّل ، وحمل الكلام على المعنى لأَمْنِهِ من الإلباس ^(٤) ، وهو مع ذلك قبيح عند النحويِّين ، حتى إنَّ المازنى قال : لولا اشتها مَوْرِدُهُ وكثُرَتْ لِرَدِّدَتِهِ . انتهى .

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

(٢) نسب إلى المجنون ، أو الصمة القشبرى ، أو ابن الدمية . وانظر شرح شواهد المغنى ٧٩ ، ٣٠٩ وحواشى الحماسة بشرح المَرْزُوقِ ١٢٢٠ .

(٣) فى شرح الحماسة ٢٩٧ .

(٤) فى شرح الحماسة : « من الإلباس » .

و (الحيدرة) : الأسد ، نقل الحسين الميُذَيّ^(١) (في شرح ديوان الإمام على رضى الله عنه) عن الحافظ إسماعيل قال : يُروى أَنَّ أُمَّ مَرْحَب كانت كاهنة قالت لابنها : يا بَنَى إِنِّي خَائِفَةٌ عَلَيْكَ رَجُلًا يَسْمَى نَفْسَهُ فِي الْحَرْبِ حَيْدَرَةً ، فَإِنْ سَمِعْتَ ذَلِكَ فَلَا تَبَارِزُهُ . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجَزَ أَرَادَ الْرُجُوعَ ، فَمَنَعَتْهُ الْحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالسِّيَاقُ مُشْعِرٌ بِأَنَّ عَلِيًّا كَانَ سَمِعَ هَذَا ، فَلِهَذَا قَالَ حَيْدَرَةً . انتهى .

٥٢٤ وحمله الجمهور على غير هذا ، قال ابن قتيبة (في غريب الحديث) : سألت بعض آل أبي طالب عن قوله : سَمَتْنِ أُمِّي حَيْدَرَةً ، فذكر أَنَّ أُمَّ عَلِيٍّ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ وَلِدَتْ عَلِيًّا وَأَبُو طَالِبٍ غَائِبٌ ، فَسَمَتْهُ أَسَدًا بِاسْمِ أَبِيهَا ، فَنَمَّا قَدِمَ أَبُو طَالِبٍ كَرِهَ هَذَا الْاسْمَ وَسَمَّاهُ عَلِيًّا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ خَيْرِ وَرَجَزٍ عَلِيٌّ ذَكَرَ الْاسْمَ الَّذِي سَمَتْهُ بِهِ أُمُّهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَنَا الْأَسَدُ . اهـ . ومثله في صحاح الجوهري .

وقال السهيلي (في الروض الأنف^(٢)) . في قول عليٍّ : « سَمَتْنِ أُمِّي حَيْدَرَةً » ثلاثة أقوال ، ذكرها قاسم بن ثابت . أحدها : أَنَّ اسْمَهُ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَسَدٌ ، وَالْأَسَدُ هُوَ الْحَيْدَرَةُ . الثاني : أَنَّ أُمَّةَ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ حِينَ وَلِدَتْهُ ، كَانَ أَبُوهُ غَائِبًا ، فَسَمَتْهُ بِاسْمِ أَبِيهَا أَسَدًا ، فَقَدِمَ أَبُوهُ فَسَمَّاهُ عَلِيًّا .

(١) ش : « الميذى » ، صوابه بالذال المعجمة ، نسبة إلى ميذ ، قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون وضم الباء الموحدة وذال معجمة : بلدة من نواحي أصبهان » . وهو الحسين بن معين الميذى المتوفى في سنة ٨٧٠ . لكن ذكر في كشف الظنون أن هذا الشرح بالفارسية . فلعله شرحه مرة بالفارسية ، وأخرى بالعربية ، كما يتضح من نقل البغدادى عنه .

(٢) الروض الأنف ٢ : ٢٤٢ .

الثالث : أَنَّهُ كَانَ لُقْبٌ فِي صَغَرِهِ بِحَيْدَرَةٍ ، لِأَنَّ الْحَيْدَرَةَ الْمَمْتَلِئَةَ لِحَمَاءٍ مَعَ عِظَمِ بَطْنٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ اللُّصُوصِ حِينَ فَرَّ مِنْ سِجْنِهِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى نَافِعًا ، وَقِيلَ فِيهِ بِالْيَاءِ أَيْضًا :
وَلَوْ أَنِّي مَكْنُثٌ لَهُمْ قَلِيلًا

لَجُرُونِي إِلَى شَيْخِ بَطْنِي

انتهى .

فعلى القولين الأولين يكون من التعبير بالمترادف .

قال ابن السيد البطليوسى (فى شرح أدب الكاتب) : أراد أنا الذى سَمَّيْتُ أُمِّى أَسَدًا ، فلم يمكنه ذكر الأسد من أجل القافية ، فذكر حيدرة ، لأنه اسمٌ من أسمائه . وإنما قلنا ذلك لأنَّ أُمَّهُ لم تسمَّه حيدرة ، وإنما سَمَّته أَسَدًا . انتهى .

والبيت من رجز لعل رضى الله عنه ، قاله يوم خيبر . روى أَنَّ مَرْحَبًا صاحب الشاهد اليهودىَّ خرج يومَ خيبر وهو يَخْطِرُ وعليه مِغْفَرٌ يَمَانِيٌّ ، وَحَجَرٌ قد ثَقَبَهُ مِثْلُ الْبَيْضَةِ عَلَى رَأْسِهِ ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خَيْرُ أُنَّى مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرَبُ
* إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلْهَبُ ^(١) *

فبرز له عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعليه جُبَّةٌ حمراء قد أخرجَ حَمَلُهَا ، وهو يقول :

أنا الذى سَمَّيْتُ أُمِّى حَيْدَرَهُ

ضِرْغَامُ آجَامٍ وَلَيْثُ قَسْوَرَهُ

(١) ط : « تلتب » ، صوابه فى ش .

عَبْلُ الذَّرَاعِينَ شَدِيدُ الْقَصَرِ
 كَلِثَ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ
 أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رِقَابَ الْكَفَرِ
 أَكِيلُهُم بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرِ
 وروى أيضاً :

* أَوْفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرِ *
 وزاد الحسين الميذني^(١) في روايته :
 أَضْرِبُكُمْ ضَرْباً يُبَيِّنُ الْفَقْرَ
 وَأَتْرُكُ الْقِرْنَ بِقَاعِ جَزَرِهِ
 أَشْفِي صَدْرِي مِنْ رُؤُوسِ الْكَفَرِ^(٢)
 أَقْتُلُ مِنْهُمْ سَبْعَةً أَوْ عَشْرَةَ
 * فَكُلُّهُمْ أَهْلُ فُسُوقٍ كَفَرِ *
 وقد رُويَ آياتٌ مَرَحِبٌ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرْنَا وَهِيَ :
 إِنَّا أَنَاسٌ وَلَدْتْنَا غَيْرَهُ
 لِبَاسُنَا الْوَشْيُ وَرَيْطُ جَبَرِهِ^(٣)
 * أَبْنَاءُ حَرْبٍ لَيْسَ فِينَا غَدَرُهُ *

(١) ش : « الميذني » وانظر ما سبق من تحقيق ص ٦٤ .
 (٢) كذا ورد صدر هذا البيت ، ولا يستقيم به الوزن . ولعله « صُدِيرِي » بالتصغير ،
 أو « صُدُورِي » تعبيراً بالجمع عن المفرد .
 (٣) ط : « لَنَا سَنَا الْوَشْيُ » ، صوابه في ش .

وقال : العَبْرَة : المرأة الحسناء . وَالْوَشْي من الثياب معروف . وَالرَّيْطَة : الملاعة . وَالْحَبْرَة : البرد اليمنى . وَعَدْرَة : جمع غادر . وَالْجَزْرَة بفتحتين : ٥٢٥ اللحم الذى تأكله السَّبَاع ^(١) ، والجمع جَزَر ، يقال تركوهم جَزْراً ، أى قتلوهم . اهـ .

وَالسَّنْدْرَة : بفتح السين المهملة وسكون النون ، قال السَّهْلِيل : شجرة يُصْنَع منها مكايلٌ عِظام . وقال ابن السَّيِّد البطلبوسى : قال ابنُ قتيبة : (فى شرح الحديث) : السَّنْدْرَة شجرة تُعْمَل منها القسيّ والنَّبل ، فيحتمل أن يكون مِكْيالاً يتخذ من هذه الشجرة يسمى باسمها ، كما تسمى القوس نُبْعَةً باسم الشجرة التى أُخِذَتْ منها . قال : ويحتمل أن يكون امرأةً كانت تكيل وافيّاً أو رجلاً . وذكر أبو عُمَرَ المَطْرُزُ (فى كتاب الياقوت) : أنَّ السندرة امرأة . انتهى .

وفى (العباب للصاغاني) : السَّنْدْرَة : اسم امرأةٍ كانت تبيع القمح وتوفى الكيل . والسندريُّ : مكيالٌ ضخمة كالقَنْفَل والجُرَاف . وقال ثعلب فى قول على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتني أمي حيدرَه

كليث غابات كرية المنظرَه

أكيلكم بالسيف كيل السندره

أطعن بالرمح نُحورَ الكفرَه

لم تختلف الرُّوَاة أنَّ هذا الرجز له ، واختلفوا فى السندرة ، فقال ابن الأعرابى : هى مكيال . أى أقتلكم قتلاً واسعاً كثيراً . وقال غيره : هى امرأة كانت تُوفى الكيل . أى أقتلكم قتلاً وافيّاً . انتهى .

(١) ط : « يأكله السباع » .

والضَّرْغام والليث بمعنى الأسد . والآجام والغابات ^(١) : جمع الأجمة والغابة ، وهما الشجر الكثير الملتف أو القصب مثله ، يكونان مأوى الأسد ؛ إشارة إلى فرط قوّته ومنعة جانبه ، حيث لم يكتف بأجمة بل حمى آجاماً وغابات . وليث الأول مضاف إلى قسورة ، والقسورة هنا أول الليل ، ذكر هذا المعنى صاحب العباب . ويأتى بمعنى الأسد أيضاً ، وهو من القَسْر ؛ لأنه يأخذ فريسته قهراً وغلبة ، ويجوز على هذا أن يقرأ بتنوين ليث ، فيكون قسورة وصفاً له . والقَصُورَة لغة فى القَسُورَة ، وفسره شارح الديوان برامى السهم ، وفى التنزيل : ﴿ فَرَثَ مِنْ قَسُورَةٍ ﴾ ^(٢) . قيل : من أسد . وقال ابن عباس : القسورة : ركز الناس وجسهم . وقال غيره : هم الرماة الذين يتصيدونها . وقال : المعنى كأنهم حُمِرَ نَفَرُهَا ^(٣) من يفسرها برمى أو صيد أو غير ذلك . والعُبل بفتح العين المهملة وسكون الموحدة : الضَّحْم . والقَصْرَة ، بفتح القاف والصاد المهملة . أصل العُنق . ورواه أبو عمرو الشيبانى :

* كَلَيْثُ غَابَاتٍ غَلِيظِ الْقَصْرَةِ *

وأخطأ شارح الديوان بتفسيره إيّاه بأصل الأذن . و الفِقرَة بكسر الفاء وفتح القاف : جمع فِقرَة بسكون القاف ، وهى خَرَزَة الظهر . والفَقارة بالفتح أيضاً هى خَرَزَة الظهر . والقِرْن بكسر القاف وسكون الراء ، هو المقاوم فى قتال أو علم أو غيرهما . وقول مرحب : شاكى السِّلَاح ، قال صاحب المصباح : الشوكة : شدة البأس والقوة فى السلاح . وشاك الرجل يَشَاك شوكاً ، من باب خاف : ظهرت شوكته وجِدَّتْه . وهو شائك السِّلَاح ، وشاكى السلاح على القلب .

(١) والغابات ، ساقط من ش .

(٢) الآية ٥١ من المدثر .

(٣) ش : « أنفرها » .

و (فى سيرة ابن سيّد الناس) أنّ مرحباً لمّا رجز :

« قد علّمت خيبر أنى مرحبٌ »

أجابه كعبُ بن مالك شاعر رسول الله ﷺ :

قد علّمت خيبر أنى كعبُ

مفرّج الغمّا جرىء صُلبٌ ^(١)

فى أبيات . وهذا هو الصحيح ، فإنّ أجوبة الأرجاز فى الحرب إنما هى ٥٢٦

على القافية ، فيكون رجز علىّ رضى الله عنه جواباً عن قول مرحب :

« إنا أناسٌ ولدتنا عبّره »

كما رواه حسين الميبدى ^(٢) . ولم يذكر الشامى هذا فى سيرته ، وذكر

فى قتل مرحبٍ رواياتٍ مختلفة .

وخيبر : اسم ولايةٍ مُشمّلةٍ علىّ حُصون ومزارعٍ ونخل كثير ، على ثلاثة

أيامٍ من المدينة ، على يسار الحاجّ الشامى ، سمّيت باسم أول من نزّلها ،

وهو خير أخو يثرب ، ابنا أخى عاد . وكانت غزوة خيبر فى آخر السنة

السادسة من الهجرة قبل فتح مكة شرفها الله تعالى ، فإنّ فتحها كان فى سنة

ثمان من الهجرة .

واعلم أنّ العلماء قد اختلفوا فى الشعر المنسوب إلى على رضى الله عنه ،

قال المازنى : إنه لم يصح أنّه عليه السلام تكلم بشيء من الشعر غير هذين

البيتين . وصوّبه الزمخشري ، وهما :

(١) وكذا فى السيرة ٧٦٠ . والغما : مقصور الغماء بالمد وفتح الغين وتشديد الميم ، ومثلها

« الغمى » بضم الغين .

(٢) ش : « الميبدى » ، وانظر ما سبق فى حواشى ص ٦٤ .

تَلَكُمُ قُرَيْشٌ تَمَنَّاى لَتَقْتَلَنِى
 فلا وَرَبِّكَ ما بَرُّوا ولا ظَفَرُوا
 فَإِنْ هَلَكْتُ فَهَنْ ذِمَّتِى لَهُمْ
 بذات وَدَقِينَ لا يَعْفُو لها أَثَرُ

كذا قال صاحب القاموس . وفسر ذات ودقين بالذاهية ، قال : كأنها ذات وجهين . وودقين بفتح الواو وسكون الدال وفتح القاف . ويرد على المازنى والزخشرى ما نقلناه آنفاً عن ثعلب من كون الرواة لم يختلفوا فى الرجز الذى منه البيت الشاهد أنه له عليه السلام ، ويؤيده أنه مذكور فى جميع كتب السير والمغازى .

على بن أبى طالب ، رضى الله عنه وكرم وجهه ، قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو ابن عمّ النبى ﷺ ، وأبو الحسن ، وأول الناس إسلاماً فى قول الكثير من أهل العلم ، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فرى فى حجر النبى ﷺ ولم يفارقه ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة : « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » الحديث . وزوجه بنته فاطمة ، وكان اللواء بيده فى أكثر المشاهد .

ولما آخى النبى ﷺ بين أصحابه قال له : « أنت أخى » .

ومناقبه كثيرة ، حتى قال الإمام أحمد : لم يُنقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلى . وقال غيره : وكان سبب ذلك تنقيص بنى أمية له ، فكان كل من كان عنده علم من مناقبه من الصحابة يبثه ، وكلما أرادوا إخماده وهددوا

مَنْ حَدَّثَ بِمَنَاقِبِهِ لَا يَزِدَادُ إِلَّا اِنْتِشَارًا . وَ - خصائص على رضى الله عنه
 [قوله صلى الله عليه وآله وسلم ^(١)] يوم خبير : « لَأُدْفَعَنَّ الرَايَةَ غَدًا إِلَى رَجُلٍ
 يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ » . فلما أصبح رسول الله ﷺ غَدَوْا
 كُلَّهُمْ ^(٢) يرجو أن يُعْطَاهَا ، فقال ﷺ : « أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟
 فَقَالُوا : يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ . فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ ، وَأَعْطَاهُ الرَايَةَ .
 أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ . وَبَعَثَهُ لِقِرَاءَةِ بَرَاءَةِ عَلَى قَرِيشٍ ، وَقَالَ : « لَا يَذْهَبُ
 إِلَّا رَجُلٌ مَنِيَّ وَأَنَا مِنْهُ » . وقال لِبَنِي عَمِّهِ : « أَيُّكُمْ يُوَالِيُنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟
 فَقَالَ عَلَى : أَنَا . فَقَالَ ^(٣) : « إِنَّهُ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » ، وَأَخَذَ رِداءَهُ
 فَوَضَعَهُ عَلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنَ وَحُسَيْنَ ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ^(٤) ﴾ . ولبس ثوبه ونام مكانه ، وكان المشركون
 قَصَدُوا قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ ، فلما أصبحوا رأوه ، قالوا : أَيْنَ صَاحِبُكَ ؟ وَقَالَ لَهُ ٥٢٧
 فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ : « أَنْتَ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بَنِيَّ » ،
 أَيْ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي . وَقَالَ لَهُ : « أَنْتَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ
 بَعْدِي » . وَسَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ ، فَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ جُنْبًا وَهُوَ طَرِيقُهُ
 لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ غَيْرُهُ . وَقَالَ : « مِنْ كُنْتُ مُولَاهُ فَعَلَيٌّْ مُولَاهُ » .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ قَوِيٍّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ فِي قِصَّةٍ قَالَ فِيهَا :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يَرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ ، إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ ،
 وَهُوَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي » .

(١) التكملة من الإصابة .

(٢) وكذا في الإصابة ، وفي ش « وكلهم » .

(٣) في الإصابة : « فَأَبَوْا فَقَالَ عَلَى أَنَا » .

(٤) الآية ٣٣ من الأحزاب .

واستشهد في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة . ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر . انتهى كلام الإصابة مختصراً .

ومناقبه العديدة ، وسيرة الحميدة ، لا يحتملها هذا المختصر . وقد ألف العلماء فيها تأليف عديدة لا تُعد ولا تحصى .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد الأربعمئة (١) :

٤٣٢ (القاتِلُ أَنْتَ أُنَا)

وهذا بعضُ بيتٍ وضعه بعضُ النحاة للتعليم ، كما في (سفر السعادة) ، وهو :

(كيف يخفى عَنْكَ ما حَلَّ بنا

أُنَا أَنْتَ القاتِلُ أَنْتَ أُنَا)

وروى أيضاً :

* أُنَا أَنْتَ الضارِبُ أَنْتَ أُنَا *

واقصر الشارح المحقق على هذا القدر لتعلق غرضه به ، ولم يُورده بتمامه لشهرته وخطأ قائله ، فإنه كان يجب أن يقول القاتِلُ بالهاء لا بالياء ، ليكون التقدير : الذي قتلته أنا . لأنَّ أُلَ في القاتِل اسم موصول بمعنى الذي ، وحق العائد أن يكون بضمير الغائب لا بضمير المتكلم ؛ لئلا يصير الإخبار لغواً، إذ التقدير : الذي قتلتنى ، فيصير من قبيل الذي ضربت أنا .

وقد ذكر أنه لا يجوز الحمل على المعنى . قال ابن السراج (في

(١) لم أجد له مرجعاً آخر غير ما نص عليه البغدادي . وقد خرجته في سفر السعادة وتذكرة أبي حيان .

الأصول) : لا يجوز الذى ضربتك أنت ، ولا الذى ضربتنى أنا . فإن قدّمت نفسك قبل الذى ، قلت : أنا الذى ضربتك ، وأنا الذى ضربتنى . قال أبو عثمان المازنى : ولولا أن هذا حكى عن العرب الموثوق بعريتهم ردّدناه لفساده . وما جاء فى الشعر فى صلة الذى محمولا على معناه لا لفظه ، قوله :

وأنا الذى قَتَلْتُ بَكَراً بالقنا

وتركْتُ تغلبَ غيرَ ذاتِ سَنامٍ

ولو حُمِلَ على لفظه لقال قَتَلَ . وليس كل كلام يحتمل أن يُحمَلَ على المعنى . انتهى .

وقد جوّزه أبو ذَرٍّ مُصَعَّب بن أُمى بكر الخشنى ، حكاه عنه أبو حيان : (فى الارتشاف) قال : يُجيز عودَ الضمير مطابقاً للمخبر فى الخطاب والتكلم ، بحمله على المعنى . قال : ورُدَّ عليه بأنه يلزم منه أن تكون فائدة الخبر حاصلةً فى المبتدأ . وذلك خطأ .

وقال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : المبتدأ يُخبر عنه مظهراً كان أو مضمراً ، بمتكلم أو مخاطب أو غائب ، فيقال فى الإخبار عن هو ، من قولك : هو قائم هو ، وفى الإخبار عنه إذا كان لمتكلم أو مخاطب خلافاً ، والأصح الجواز . والضمير الذى يؤتى به خلفاً يكون ضمير غيبة . وأجاز الكسائى : الذى أنا قائم أنا ، والذى أنت قائم أنت . والكسائى نظر إلى المعنى . ولا شك أن هذه المسألة نُقلت إلى مسألة أنت الذى قام وأنا الذى ٥٢٨ قام ، حيث يجوز فيها . أنت الذى قمت ، وأنا الذى قمت ، ولكن شرط مُراعاة المعنى فى هذه المسألة تقدّم الضمير على الاسم الموصول ، فلو تقدّم الموصول على الضمير لم يجز مُراعاة المعنى إلا عند الكسائى ، ومن ثم أجاز : الذى أنا قائم أنا ، والذى أنت قائم أنت . انتهى .

وإذا وقفت على هذا علمت أن ما رده الشارح المحقق وأبو حيان ليس بوجه ، لأنه قول لإمام الكوفيين وغيره ، فناظم البيت تابع لهما . غاية أنه مخالف لقول الجمهور .

وقد أعرب هذا المصراع بوجهين أبو محمد عبد الله ، الشهير بابن برّي ، كما نقله عنه صاحب (سفر السعادة) قال : أحد الوجهين أن تجعل الألف واللام لأنا ، والفعل لأنت . فأنا على هذا ^(١) مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلي ^(٢) مبتدأ ثالث لأنته غير أنت ؛ إذ الألف واللام لأنا . والعائد على الألف واللام الياء في القاتلي ، لأنها أنا في المعنى ، وأنت فاعل بالقاتلي ، أبرز لما جرى الوصف على غير من هو له ، إذ الألف واللام لأنا ، والفعل لأنت ، فأنا على هذا مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلي ^(٣) خبر أنت ، ولا يبرز الضمير فيه ، لأنه جرى على من هو له ، ويكون الكلام قد تم عند قوله القاتلي ، ويكون أنت أنا على طريق المطابقة للأول ، ليكون آخر الكلام دالاً وجارياً على أوله . ألا تراه قال في أول الكلام : أنا أنت ، ولهذا قال في آخره : أنت أنا ، أى كيف أشكو ما حلّ بى منك وأنا أنت وأنت أنا ، فإذا شكوتك فكأنما أشكو نفسى . قال : ولو جعلت الألف واللام والفعل في هذه المسألة لأنا ، لقلت : أنا أنت القاتلك أنا ؛ فأنا مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلك مبتدأ ثالث ، لأنه غير أنت وفيه ضمير يعود على الألف واللام التى هى أنا في المعنى . ولم يبرز الضمير الذى في القاتلك . والقاتلك وخبره خبر أنت ، وأنت وخبره خبر أنا . اهـ .

وقد أورد أبو حيان هذا البيت (فى تذكرته) ، واقتصر فى إعرابه على

(١) على هذا ، ليست فى ط .

(٢) ما بعده إلى « والقاتلي » التالية ساقط من ش .

(٣) إلى هنا ينتهى سقط ش الذى نهت عليه فى الحاشية السابقة .

الوجه الأول من وجهي قول ابن برى ، قال : أنا الأول مبتدأ ، وأنت الأول مبتدأ ثان ، والألف واللام لأنا ، وقاتلى لأنت . فقد جرى اسم الفاعل صلةً على الألف واللام التى هى أنا ، فأبرز ضميره وهو أنت . فأنت يرتفع بقاتلى ، وأنا خبر عن الألف واللام ، وهى وما بعدها خبر عن أنت الأول ، وهو وما بعده خبر عن أنا الأول ، والعائد إلى أنا الأول أنا الثانى ، والياء فى القاتلى عائدة على الألف واللام . انتهى .

وقد أجاب بالوجه الأول نظماً أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دَعَّاس (١) الفارسي ، فإنه سأله بعضهم عنه بقوله :

أيها الفاضل فينا أفئتنا
وأزل عنا بفتواك العنا
كيف إعراب نُحَاة النّحو في :
أنا أنت الضارى أنت أنا

فأجابه بقوله :

أنا أنت الضارى مبتدأ فاعتبرها يا إماماً لسينا (٢)
أنت بعد الضارى فاعله وأنا يُخبر عنه علنا
ثم إنَّ الضارى أنت أنا خبر عن أنت ما فيه اثنا
وأنا الجملة عنه خبر وهى من أنت إلى أنت أنا

(١) فى النسختين : « دعاس » ، صوابه من البغية ٢٠٥ وتاج العروس (دعس) ، قال الزبيدى « والفقيه أبو بكر بن دعاس كشداد : أحد الأمراء بزيد . وإليه نسبت المدرسة بها » .

(٢) فى البغية : « سننا » .

٥٢٩ وأبو بكر هذا كان فقيهاً حنفياً أديباً شاعراً ، نال من إمام اليمن المظفر
 حظوة حتى اختصَّ به ، ثم طرده ، لإدلالٍ تكرر منه ، من تعزُّ إلى زَبيد ،
 فمات بها في جمادى الآخرة سنة سبع وستين وستمائة . وكان أهل زَبيد
 ينسبونه إلى سرقة الشعر ويقولون : إذا حوسب الشعراء يوم القيامة يؤتى بابن
 دعاس ^(١) فيقول : هذا البيت لفلان ، وهذا المصراع لفلان ، وهذا المعنى
 لفلان . فيخرج بريئاً . كذا في معجم النحويين للسيوطي .

أما أبو محمد ابن برِّي فهو عبد الله بن برِّي بن عبد الجبار المقدسي
 المصري الشافعي النحوي اللغوي ، كان قيماً بهما وبالشواهد ، ثقة . قرأ عليه
 الجزولي ^(٢) . وصنف الرد على ابن الخشاب في رده على الحريري في مقاماته ،
 وكتاب الرد على دُرَّة الغواص للحريري ^(٣) ، وحواشي على صحاح الجوهري .
 قال الصَّفْدِيُّ : لم يُكْمَلْها ، بل وصل إلى (وقش) ، وهو رُبع الكتاب ،
 فأكملها الشيخ عبد الله بن محمد البسْطِي . مات في ليلة السبت السابعة
 والعشرين من شَوَّال سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة . وأقرأ كتابَ سيويه ،
 وتصدَّر بجامع عمرو . وكان مع غزارة علمه ودقَّة فهمه ذا غفلة وبلاهة ،
 تحكى عنه حكاياتٌ عجيبة . كذا في معجم النحويين للسيوطي .

(١) في النسختين : « دعابس » ، وانظر ما سبق من تحقيق .

(٢) هذا هو الصواب . وفي بغية الوعاة : « قرأ على الجزولي » ، ولا يستقيم ، فإن الجزولي توفي
 سنة ٦٠٧ ووفاة ابن برِّي سنة ٥٨٢ .

(٣) هذا هو الصواب . وفي البغية : « وصنف اللباب » ، في الرد على ابن الخشاب ، في رده على
 الحريري في درة الغواص . الرد على الحريري في درة الغواص .

وَبَرَّى بفتح الموحدة وتشديد الراء والياء ، وهكذا ضبطه ابن حجر (في مشتببه النسبة) .

وَأَمَّا مُصْعَبُ الخُشْنَى ، فهو محمد بن مسعود الخُشْنَى الأندلسي مصعب بن الحَيَّانِي ، كان أحد الأئمة الْمُتَّقِينَ ، وأحد الْمُعْتَمِدِينَ في الفقه والأدب ، إماماً في العربية ؛ جال الأندلس في طلب العلم .

وَرَوَى عن ابن قُرْقُول^(١) وابن بَشْكُوَال^(٢) ، وعبد الحقّ الإشبيلي ، وأجاز له السِّلْفَى ، وولى قضاء بلده . ولم يكن في وقته أتمّ وقاراً ولا أحسنُ سَمْتاً منه . واتفقوا على أنّه لم يكن في وقته أضبطُ منه ولا أتقنُ في جميع علومه حفظاً وقلماً^(٣) . وكان نقّاداً للشعر ، مطلق العنان في معرفة أخبار العرب^(٤) وأيامها ، وأشعارها ولغاتها ، متقدّماً في كل ذلك .

وَالخُشْنَى ، بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين وبالنون : نِسْبَةٌ إلى خُشَيْنَ كقريش : قرية بالأندلس ، وقبيلة من قضاة ، وهو خُشَيْنُ بن النمر بن وَبَرَة بن تغلب بن عمران بن حلوان بن الحاف بن قضاة . كذا في معجم النحويين للسيوطي^(٥) .

(١) في تاج العروس : « بن قُرْقُول كعصفور ، مصنف مطالع الأنوار ، تلميذ القاضي عياض ، وقد ذكره المصنف في جؤنة . وهو أبو اسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحمزي . ولد بالبرية من الأندلس سنة ٥٠٥ وتوفي بفاس سنة ٥٦٩ . وفي البغية ٣٩٢ : « ابن قُرْقُول » ، صوابه ما هنا .

(٢) ابن بشكوال ، هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي القرطبي . ولد سنة ٤٩٤ وتوفي سنة ٥٧٨ بقرطبة . وفيات الأعيان .

(٣) أى كتابة وتأليف .

(٤) في الأصل : « وكان نقاداً للشعر ومعرفة أخبار العرب » . وتصحيحه وإكماله من بغية الوعاة .

(٥) الكلام على نسب الخُشْنَى ، لم يرد في ترجمة مصعب الخُشْنَى من بغية الوعاة في طبعها .

علم الدين
السخاوي

وأما صاحب سِفَر السَّعَادَةِ فهو أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ الْهَمْدَانِي ، الملقب عَلمَ الدِّينِ السَّخَاوِيُّ ، من سَخَا إحدى بلاد مصر من إقليم المحلة . كان فقيهاً شافعيّاً ، إماماً في القراءات والتفسير والنحو . وصنّف تصانيف كثيرة منها : شرحُ الشاطبية . وتفسير القرآن في أربع مجلدات . وشرحُ المفصل شرحين . وسِفَر السَّعَادَةِ وسِفَر الإفادة . وشرحُ أحاجي الزُّنْحُشْرَى النحوية ، وغير ذلك . وكان مولده سنة ثمانٍ أو تسع وخمسين وخمسمائة ، ومات بدمشق ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وستائة ، بمنزله بالتربة الصالحية ، ودفن بقاسيون . كذا في طبقات الأسنوي (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٣٣ (من النفر اللائي الذين إذا اعتزوا

وهاب الرجال حلقة الباب فقععوا)

على أنه من باب التكرير اللفظي ، كأنه قال : من النفر اللائي اللائي . ٥٣٠

على أنه قد رواه الرواة : « من النفر الشَّم الذين » .

قال ابن السراج (في الأصول) : العرب لا تجمع بين الذي والذى ، ولا ما كان في معنى الذي . وأما ذلك فشيء قاسه النحويون ليتدرّب به المتعلّمون . وكذا يقول البغداديون الذين على مذهب الكوفيّين ، يقولون : إنه ليس من كلام العرب ، ويذكرون أنه إذا اختلف (٣) جاز . وينشدون :

(١) علق عليه الميمني في الإقليد ٧٤ بأنه « عند بعض بخلاء لكنو » .

(٢) المقتضب ٣ : ١٣٠ ، والبيان للجاحظ ٣ : ٣٠٦ .

(٣) ط : « إن اختلف » ، وأثبت ما في ش .

مِنَ النَّفَرِ اللَّائِي الَّذِينَ إِذَا هُمْ
يَهَابُ الْقَائِمُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا

قالوا : فهذا جاء على إلغاء أحدهما . وهذا البيت قد رواه الرواة ولم يجمعوا بين اللأى والذين . ويقولون عَلَى هذا : مررت بالذى ذو قال ذاك ، على الإلغاء . وهذا عندى أقبح ، لأنَّ الذى يجعل ذو فى معنى الذى : طَيَّءٌ ، فكيف يُجمع بين اللغتين . ولا يميزون الذى مَنْ قام زيد على اللغو ، ويحتجُّون بأنَّ مَنْ تكون معرفة ونكرة ، ويميزون بالذى القائم أبوه على أن يجعل الألف واللام للذى ، وما عاد من الأب على الألف واللام ، ويخفض القائم ^(١) يتبع الذى . وهذا عندنا غير جائز ، لأنَّ الذى لابدَّ لها من صلة توضَّحها ، فمتى حُذفت الصلة فى كلامهم فإنما ذاك لأنَّه قد علم . وإذا حذفت الصلة وهى التى توضَّحه ولا معنى له إلا بها ، كان حذف الصفة أولى ، فكيف تحذف الصلة وتترك الصفة . ا هـ .

وجميع ما أورده الشارح المحقق هنا من مسائل الإخبار عن الذى فهو (من الأصول) ، وهو بالنسبة إلى ما فيه قليل من كثير .

وقد أورد البيتَ الفراءى فى سورة الذاريات (من تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ ^(٢) . قال : قد يقول القائل : كيف اجتمعت ما وأنَّ ، وقد يكتفى بإحدهما عن الأخرى ؟ فوجهه أنَّ

(١) ش : « ويخفض القائم » .

(٢) الآية ٢٣ من الذاريات .

العرب تجمع بين الشئيين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما . فمن الأسماء قول الشاعر :

« من النفر اللأى الذين إذا هم » البيت

فجمع بين اللأى والذين ، وأحدهما يجزىء من الآخر . انتهى كلامه .

وأورده أبو علي أيضاً (في إيضاح الشعر) في موضعين ، قال في الموضع الأول : اعلم أنه لا يجوز أن يكون الذين ^(١) صلة اللأى ، كقولك : الذى الذى فى داره زيد عمرو ، لأنه ليس فى ظاهر صلة الذين ما يرجع إلى اللأى . وقد جاء فى التنزيل وصُلُّ الموصول بالموصول على ما يحمل النحويون عليه مسائل هذا الباب . زعموا أن بعض القراء قرأ : ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته ^(٢) ﴾ .

وقال فى الموضع الثانى : فأما قوله من النفر اللأى الذين ، فإن اللأى وإن لم يعد عليه ذكر من اللفظ فإنه يجوز أن يكون حذفَ الراجع من الصلة كأنه قال : اللأى هم الذين . ويجوز أن يكون حذف الصلة لأن صلة الموصول بعده تدل عليها ، كقول الآخر :

من اللواتى والتى واللاتى زعمن أنى كبرت لِداتى ^(٣)

فلم يأت للموصولين الأولين بصلة . ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن البغداديين قد أجازوا فى هذه الموصولة من نحو الذين أن يوصف ولا يوصل ،

(١) فى الأصل : « الذى » فى هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .

(٢) الآية ١٥ من القصص .

(٣) هو الشاهد ٤٤٧ فيما سياتى .

كإجازة الجميع ذلك في مَنْ وما ^(١) . وقد أنشد أبو عثمان عن الأصمعي :

حتى إذا كانا هما اللذين

٥٣١

مثل الجديلين المحملجين ^(٢)

واللاقي واللائي من الأسماء الموصولة ، وهما يقعان على المؤنث ، ولم نعلم

اللاقي استعملت في المذكر . فأما اللائي فقد استعمل في المذكر ، قال :

ألمّا تعجبي وترى بطيطاً

من اللاتين في الحقب الخوالي ^(٣)

ولو كان يختص بالمؤنث لم يُجمع بالواو والنون . ويدل على تذكير اللائي

أيضاً قوله : من النفر اللائي الذين ، ألا ترى أنه جعله وصفاً للنفر والتفّر

مذكر . وأما هم في البيت فإنه يرتفع بمضمر يفسره قعقعوا ، والشرط قعقعوا

المتأخر ، والتقدير إذا أظهرت المضمر الذي ارتفع عليه الضمير : إذا قعقعوا

قعقعوا ؛ لأن الضمير يتصل بالفعل المضمر إذا أظهرته ، ولا يجوز أن يكون

الشرط يهاب ، لأنه لا يجوز أن يُفسر ما ارتفع عليه هم ، وإنما يفسره قوله

قعقعوا ^(٤) . والتقدير : إذا قعقعوا حلقة الباب هاب اللثام دقها ؛ لأنهم

ليسوا على ثقة من الإذن لهم كما يثق هؤلاء نفر الرؤساء بأنهم يؤذن لهم .

فقعقعوا وإن كان مؤخرًا في اللفظ فهو مقدّم في التقدير ، بدلالة أنه لا يخلو

من أن تجعل الشرط إذا يهاب أو إذا قعقعوا . فلا يجوز الأول ^(٥) لأنه لا يفسر

(١) ش : « فأجاز الجميع » ، صوابه في ط : « فيمن وما » ، صوابه في ش .

(٢) لم يعرف قائله . وانظر ابن عيش ٣ : ١٥٣ واهمع ١ : ٨٦ .

(٣) أنشده في اللسان (بظط) على أن البطيط بمعنى العجيب .

(٤) هذا كنه على رواية « إذا هم يهاب اللثام » .

(٥) ش : « للأول » .

ما ارتفع عليه كما يفسره قعقعو . ألا ترى أنه مشتغل بظاهر ، وإذا كان كذلك لم يجز من جهة اللفظ ، إن لم يمتنع من جهة المعنى ، أن تقول : إذا هاب اللئام دق الحلقة دقها الكرام . فأما صلة الموصول بإذا مع أن الذين يُعنى بهم أعيان ، ولا يجوز الذى يوم الجمعة زيد ، كما يجوز الذى يوم الجمعة القتال - فإن الكلام محمول على المعنى ، كأنه قال : الذين إن قعقعو يهاب اللئام ، فلذلك جاز . وهذا يدل على جواز ما أجازته سيبويه من قوله : زيد إذا أتانى أضرب ، وأنه لا يكون بمنزلة زيد يوم الجمعة ، ولا زيد غداً . وعلى هذا قول أوس :

فقومى وأعدائى يظنون أننى

متى أحدثوا أمثالها أتكلّم^(١)

مع أنه لا يجوز علمت أن زيدا يوم الجمعة . فأما قوله إذا يهاب فجاء بالمضارع بعد إذا ، وأكثر ما يجيء فى الاستعمال الماضى ، فإن الأصل المضارع . ألا ترى أنه يراد به الآتى ، فإذا جاء به على الأصل كان حسنا ، كقوله :

« إذا يراح اقشعرّ الكشح والعضد »

انتهى كلام أوس على .

وقوله : « إذا اعتزوا » فى رواية الشارح المحقق ، بمعنى إذا انتسبوا . وروى أيضاً : « إذا ائتموا » من الائتاء ، بمعنى الانتساب . والشتم بالضم : جمع أشم ، وهو الذى به شمم ، أى كبر ونخوة ، وأصله ارتفاع الأنف ، وهو من صفة العظماء .

(١) فى الأصل : « إذا أحدثوا » ، والصواب « متى » ، لأن النص يقتضى ظرفا جازما . والبيت

من قصيدة منكسورة الروى فى ديوان أوس ١١٧ أولها :

تنكرت من بعد معرفة أسمى وبعد النصاى والشباب المكرم

ورواية الديوان ١٢٢ والشعراء ١٥٦ : « متى يحدثوا أمثالها » .

وأورد هذا البيت بمفرده أبو على القالى (فى ذيل أماليه ^(١)) كذا :

من النفر البيض الذين إذا انتموا وهاب اللثام إلخ

وقال : البيض : السادة الذين لا عيبَ فيهم ، يُقدِّمون على أبواب الملوك بأحسابهم ومواضعهم وكبر أنفُسهم ، ويهابُها اللثام لخمولهم وقصور هِمَمهم . انتهى .

وجميع من روى هذا البيت رواه : « من النفر البيض الذين » أو « من النفر الشَّم الذين » . ولم أر من رواه : « من النَّفَر اللّائى الذين » إلا النحويين . والنَّفَرُ : اسم جمع يقع على جماعةٍ من الرجال خاصّة ، ما بين الثلاثة إلى العشرة . ولا واحد له من لفظه . كذا فى النهاية . وإنما أطلقه الشاعر هنا على الكرام إشارةً إلى أنَّهم ذوو عددٍ قليل . واللثام : جمع لثيم ، وهو الشحيح ٥٣٢ والدنيء النفس ، والمهين . واللؤم : ضدّ الكرم . وروى بدله : « الرجال » . وحلقة الباب ، وحلقة القوم ، وهم الذين يجتمعون مستديرين ، كلتاهما بسكون اللام . وأما الحَلَقَة بفتح اللام فهو جمع حالق . وقَعَقَعُوا بمعنى ضَرَبُوا الحَلَقَة على الباب لتصوّت . والقَعْقَعَة : حكاية صوتِ الحَلَقَة على الباب ونحوها .

وهذا البيت وقع فى شعرين : أحدهما ما رواه أبو سعيد السكرى (فى صاحب الشاهد كتاب اللصوص) قال : أخبرنى رُفيع بن سَلَمَة عن أى عُبيدة ^(٢) ، قال :

(١) الأملال ٣ : ١٦٤ .

(٢) فى الأصل : « أى عبید » وإنما يروى رفيع عن أى عبيدة ، أستاذ أى عبید القاسم بن سلام قال المترجمون : « وكان أوثق الناس عن أى عبيدة » . انظر طبقات الزبيدى ١٩٨ وإنباه الرواة ٢ : ٦ .

زعم النقرى ^(١) أن أبا الرئيس الثعلبي ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، سرق ناقةً كان عبد الله بن جعفر بن ألى طالب صنعها وعلفها ، فسرقتها أبو الرئيس وقال :

(هَلْ تُبْلِغُنِيهَا إِذَا مَا طَلَبْتَهَا
غداً وانجلي عني الغطاء المَنَعُ
قصيرةً فضلِ التسعتين إذا رمى
بها الرِّعْلَةَ الأولى الزَّمِيلُ المَزْعَزُعُ
مطيّةً بطالٍ ، لدنْ شَبَّ ، همُّهُ
قِمَارُ الكِعَابِ والَطَّلَاءُ المشعشعُ
من الثَّفَرِ البيضِ الذين إذا انتموا
وهابَ الرجالَ حَلَقَةَ البابِ قَعَقَعُوا
إذا الثَّفَرُ السُّودُ الِيَمَانُونَ نَمِنُوا
لَهُ حَوْكٌ بُرْدِيهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا)

قوله : « قصيرةً فضلِ التسعتين » بكسر النون . يريد أنها تستوفى نسوعها أى سيورها ، لعظمها وسعة جوفها . والرِّعْلَةَ ، بالفتح : القطعة المتقدمة . والزَّمِيلُ : الرِّدْفُ . والمَزْعَزُعُ : الذى يُزْعِزُهُ السَّيْرُ . قال : فلما قال أبو الرئيس هذا الشعر ومدح به صاحب الناقة ادعت فتيان قريش كلُّهم الناقة ، وإنما كانت لعبد الله . قال : فعمد رجلٌ من الموالى إلى نجية فصنعها

(١) كذا فى النسختين . فإن صح كان نسبة إلى نقر بن عمرو بن لوى بن ذهن بن معاوية بن أسلم بن أحس . جمهرة ابن حزم ٣٨٨ وأنساب السمعاني ٥٦٧ .

وَعَلَفَهَا وَجَعَلَهَا فِي مَوْضِعِ تِلْكَ النَّاقَةِ ، رَجَاءً أَنْ يَسْرِقَهَا أَبُو الرَّيْسِ فَيَمْدَحَهُ ،
فَمَرَّ بِهَا أَبُو الرَّيْسِ فَطَرَدَهَا ، وَقَالَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : بَلْ قَالَ هَذِهِ الْجَوْنُ
الْمَحْرُزِيُّ :

نَحْبِيَّةُ عَبْدِ دَانِهَا الْقَتُّ وَالنَّوَى

بِيَثْرَبَ حَتَّى تُثِيهَا مَظَاهِرُ

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي فَمَا بِكَ عِلَّةٌ

سَنَامُكَ مَدْمُومٌ وَنَابُكَ فَاطِرُ

فَمِثْلُكَ أَوْ خَيْرًا تَرَكْتُ رَذِيَّةً

تَقْلُبُ عَيْنِهَا إِذَا طَارَ طَائِرُ

دَانَهَا ، أَيْ عَوْدَهَا ، مِنَ الدِّينِ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ الْعَادَةُ . وَالنَّوَى ، بَفَتْحِ
النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ : الشَّحْمُ . وَالْقَتُّ بَفَتْحِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْمِثَالَةِ الْفَوْقِيَّةِ :
الْفِصْفِصَةُ إِذَا يَبَسَتْ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : حَبٌّ بَرِّيٌّ لَا يَنْبِتُهُ الْآدَمِيُّ ، فَإِذَا كَانَ
عَامَ قَحْطٍ وَقَفَدَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ مَا يَقْتَاتُونَ بِهِ مِنْ لَبَنٍ وَتَمْرٍ وَنَحْوِهِ دَقُّهُ وَطَبَخُوهُ
وَاجْتَرَعُوهُ بِهِ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْخَشُونَةِ .

وَقَوْلُهُ : سَنَامُكَ مَدْمُومٌ ، رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ : « سَنَامُكَ مَلْمُومٌ » أَيْ
مَجْتَمِعٌ . وَفَطَرَ نَابَهُ ، إِذَا طَلَعَ . يَقُولُ : تَقْلُبُ عَيْنِهَا خَوْفًا مِنَ الطَّائِرِ يَقَعُ عَلَى
دَبَرِهَا فَيَأْكُلُهَا لِأَنَّهَا ذَبَرَتْ . رَذِيَّةٌ : قَدْ أَرْدَاهَا وَأَدْبَرَهَا ^(١) . وَفِي الصَّحَاحِ :
الرَذِيَّةُ : النَّاقَةُ الْمَهْزُولَةُ مِنَ السَّيْرِ . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هِيَ الْمَتْرُوكَةُ الَّتِي حَسَرَهَا
السَّفَرُ ، لَا تَقْدَرُ أَنْ تَلْحَقَ بِالرَّكَابِ . وَالذِّكْرُ رَذِيٌّ ، وَقَدْ أَرْدَيْتِ نَاقَتِي ، إِذَا
هَزَلَتْهَا وَخَلَفَتْهَا .

وَقَوْلُهُ : « مَطِيَّةٌ بَطَّالٌ » ، إِنْخَ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ . يَقُولُ : هِيَ

(١) ط : « وَقَدْ أَرْدَاهَا وَأَدْبَرَهَا » بزيادة الواو قبل « قَدْ » .

مَطِيَّةُ شَجَاعِ هُمُّهُ اقْتِنَاءُ الْمَعَالَى مِنْ يَوْمِ كَبِيرٍ وَتَرَعْرَعٍ . وَالْقِمَارُ : الْمَقَامَرَةُ .
 ٥٣٣ وَالْكَعَابُ بِالْكَسْرِ : جَمْعُ كَعْبٍ . وَالطَّلَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الْخَمْرُ . وَالْمَشْعَشَعُ :
 الْمَمْزُوجُ بِالْمَاءِ . وَهَذَانِ مَدْحٌ عِنْدَ الْعَرَبِ .

وقوله : « مِنْ النَّفْرِ الْبَيْضِ » مِنْ ابْتِدَائِيَّةٍ أَوْ تَبْعِيضِيَّةٍ . يَقُولُ : ذَلِكَ
 الْبَطَالُ مِنَ النَّفْرِ الْبَيْضِ .

وَأَمَّا الشَّعْرُ الثَّانِي فَقَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْجَاهِظُ ، رَوَاهُ (فِي كِتَابِ
 الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ) ، قَالَ : كَانَ أُسَيْلِمُ بْنُ الْأَحْنَفِ الْأَسَدِيُّ ذَا بَيَانٍ وَأَدَبٍ ،
 وَعَقْلٍ وَجَاهٍ . وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ :

(أُسَيْلِمُ ذَاكُمُ لَا خَفَا بِمَكَانِهِ
 لَعِينِ تُرْجِي أَوْ لِأَذْنٍ تَسْمَعُ
 مِنَ النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا
 وَهَابَ اللَّثَامُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا
 جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكَ فَرْقَهُ
 وَطَيْبُ الدَّهَانِ رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعُ
 إِذَا النَّفْرِ السُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا
 لَهُ حَوْكَ بَرْدِيهِ أَدْقُوا وَأَوْسَعُوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة . ا هـ .

وقال المبرد (في الكامل) ، وتبعه صاحب كتاب (فضائل الشعراء ^(١)) : قال عبد الملك بن مروان لأَسِيلَمَ بن الأحنف الأسدي : ما أحسن ما مُدِحَتْ به ؟ فاستعفاه ، فأبى أن يعفيه ، وهو معه على سرير ، فلما أبى إلا أن يخبره قال : هو القائل ^(٢) :

ألا أيُّها الرُّكْبُ المخبُونُ هل لكم

بسيِّد أهل الشام تُحبُّوا وترجعوا

من التفر البيض الذين إذا اعتزوا

وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

إذا التفر السود اليمانون نمنموا

له حوك بُرديه أجادوا وأوسعوا

جلا المسك والحمَّام والبيض كالذمي

وفرق المداري رأسه فهو أنزع

فقال له عبد الملك : ما قال أخو الأوس أحسن ممَّا قيل لك . اهـ .

أراد بقول أخى الأوس ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، قوله :

قد حصَّت البيضة رأسي فما

أطعمُ نوماً غير تهجاع

أسعى على جُل بني مالك

كلُّ امرئ في شأنه ساعي

(١) لم يذكر إلا في هذا الموضع من الخزنة .

(٢) في الكامل ١٠٣ : « قال قول القائل » .

واختُلف في إسلام ابن الأسلت ، فقال العسكري : أدرك النبي ﷺ ولم يُسلم . وقال المرزباني : كان قد غَضِبَ من عبد الله بن أبي ، فحلف لا يُسلم شهراً ، فمات قبل ذلك ، فزعموا أنَّ النبي ﷺ بعث إليه وهو يموت : « قل لا إله إلا الله ، أشفع لك يوم القيامة » ، فسمِعَ يقوِّها . وهو من سادات الأنصار وشعرائهم ، وفرسانهم . وقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين ^(١) .

والمخْبُون : المسرعون ، ونمِنُوا : زخرفوا ، يقال نَمِنَ الشيءُ نَمْنَةً ، إذا رَقَشَتْ وزخرفه ، وثوبٌ منمنم أى موشى . والبيض : النساء الحسنات . والذُمى : جمع دُمية ، وهى الصورة الحسنه . وفرق المدارى بالرفع عطفاً على المسك . والمدارى : الأمشاط . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبيه جَبْهته . والأصلع : الذى انحسر الشعر عن مقدَّم رأسه .

وقوله : « قد حَصَّت البيضةُ رأسى » إلخ . البيضة ، بالفتح : ما يُلبس على الرأس من الحديد فى الحرب . وَحَصَّت البيضةُ رأسه ، بمهملتين ، أى قللت شعره . يقال رجلٌ أَحَصُّ بَيْنَ الْحَصَصِ ، أى قليل شعر الرأس .

وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : قال عبدُ الملك بن مَرْوَانَ لِأَسِيلَمَ بن الأحنف الأسدَى : ما أَحْسَنُ شَيْءٍ مُدَحَّتْ به ؟ قال : قول الشاعر . وروى ما رواه الجاحظ من الأبيات . ثم قال : وقال عبد الملك : أحسن من هذا قول أبى قيس بن الأسلت ^(٢) . وأنشد البيتين .

٥٣٤

(١) الخزائن ٣ : ٤٠٩ .

(٢) ط : « قول قيس بن أسلت » ، صوابه فى ش والعقد ٥ : ٣٤٣ .

وقال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ (في أنساب قريش) ، وتبعه الدَّارِقُطْنِيُّ (في كتاب المختلف والمؤتلف) : إِنَّ أبا الرَّبِيسِ عَبَّادَ بْنَ طِهْفَةَ الثَّعْلَبِيِّ ، قال لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان :

جَمِيلُ الْحَيَا وَاضِحُ اللَّوْنِ لَمْ يَطَأْ

بَحَزْنٍ وَلَمْ تَأْلَمْ لَهُ النَّكْبُ إِصْبُعُ

مِنَ النَّفْرِ الشُّمِّ الَّذِينَ إِذَا انْتَدَوْا

وَهَابَ اللَّثَامُ حَنْقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا

إِذَا النَّفْرُ الْأُدْمُ الْيَمَانُونَ نَمْنَمُوا

لَهُ حَوْكٌ بَرْدِيهِ أَدْقُوا وَأَوْسَعُوا ^(١)

جَلَا الْغِسْلُ وَالْحَمَامُ وَالْبَيْضُ كَالذَّمَى

وَطِيبُ الدَّهَانِ رَأْسَهُ فَهُوَ أَصْلَعُ

والْحَزْنُ ، بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ .
وَالنَّكْبُ منصوب بنزع الخافض ، أَى يَنْكَبِ ، وهو مصدر نكب كنائبته
نكباً ، إِذَا كَبَّهَا . يريد أنه رئيسٌ لا يمشى ولا يَحْمِلُ سلاحه ، بل يحمله
خدمه . وانتدوا ، بمعنى حضروا الندى ، وهو المجلس . والأدْمُ : جمع آدم
بمعنى الأسمر ، من الأدمة وهي السُّمرة . والغسل ، بالكسر : ما يُغْسَلُ بِهِ
الرَّأْسُ مِنْ خِطْمَى وَغَيْرِهِ .

وأبو الرَّبِيسِ : شاعرٌ إسلاميٌّ . قال الأمير أبو نصر بن ماكولا : هو
بضم الراء وفتح الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية بعدها سين مهملة . وهو
[أبو ^(٢)] الرَّبِيسِ الثَّعْلَبِيِّ ، واسمه عَبَّادُ بْنُ طِهْفَةَ ، بكسر الطاء . اهـ .

(١) ش : « أرقوا » بالراء .

(٢) تكملة ليست في النسختين .

ولم يذكر صاحبُ الجمهرة طُهفة في نسبه ، وإنَّما قال : أبو الرئيس
الشاعر هو عَبَّاد بن (١) عباس بن عَوْف بن عبد الله بن أسد (٢) بن ناشب
ابن سُبْد ، بضم ففتح ، بن رِزَام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

* * *

وأنشد بعده :

(لا أرى الموت يسبق الموتُ شيء)

هذا صدر ، وعجزه :

(نَعَصَ الموتُ ذا الغنى والفقير)

على أنَّ الظاهر الواقع موقع الضمير يفيد التفخيم ، والأصل : لا أرى
الموت يسبقه شيء ، فلم يضمم للتفخيم .

وقد تقدّم أنَّ الشارح المحقق أورده في الشاهد السّتين من باب المبتدأ ،
أنَّ إعادة الموت هنا ظاهراً غير مفيد للتفخيم . وقد ذكرناه هناك مفصلاً
فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده :

(أنا الذي سمّيتُ أمي حيدرَه)

تقدّم الكلام عليه قبله بيتين .

* * *

وأنشد بعده :

(القاتلي أنت أنا)

(١) الكلام من أول « طهفة بكسر الطاء » إلى هنا ، ساقط من ش .

(٢) ش : « أسعد » .

هو من بيتٍ ، وهو :
كيف يخفى عنك ما حلّ بنا أنا أنت الضارنى أنت أنا
وتقدم الكلام عليه قبله بيت .

* * *

وأنشد بعده :
إلى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكنية والمزدحم

تقدّم شرحه فى الشاهد الخامس والسبعين . ٥٣٥

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الأربعمئة ، وهو من
شواهد س (١) :

٤٣٤ (ما أنت وبب أيبك والفخر)

على أن ما الاستفهامية يدخلها معنى التحقير كما هنا ، وكذلك قوله
ويب أيبك ، وفيه معنى التحقير والتصغير .
وهذا عجزٌ وصدره :

(يازبرقانُ أخا بنى خليف)

واستشهد بالبيت سبويه على أنه عطف الفخر على أنت ، مع ما فيه
من معنى مع ، وامتناع النصب ، إذ ليس قبله فعلٌ ينفذ إليه فينصبه .
وأورده صاحب الكشف فى آخر المائدة (من تفسيره) عند قوله

(١) فى كتابه ١ : ١٥١ . وانظر المؤلف ١٧٩ حيث سب فيه إلى المختل السعدى خطأ ،
وابن يعيش ١ : ٢/١٢١ : ٥١ والجمع ٢ : ٤٢ .

تعالى : ﴿ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ^(١) ﴾ قال : إذا قلت يا زَيْدُ أحاطم ، أو قلت : يا زَيْدُ ابنَ الرجل الصالح ، رفعت الأول ونصبت الثاني كما في البيت . إلا أنه روى المصراع الثاني : « مَا أَنْتَ وَيلَ أَيْبِكَ » باللام . ونقل بعضهم عنه أنه قال أصل ويل : وئى ، زيد عليها لام الجر ، فإن كان بعدها مكنتى فتحت لامه كويلك وويله . وإن كان ظاهراً جاز فتح اللام وكسرهما . وذكر أنهم أنشدوا قوله :

* مَا أَنْتَ وَيلَ أَيْبِكَ والفخرُ *

بكسر اللام وفتحها ، فالكسر على الأصل ، والفتح لجعلها مخلوطة بوى ، كما قالوا : يا لَيْتَمَ ، ثم كثرت في الكلام فأدخلوا لاماً فقالوا : وَيْلٌ لَكَ . قال السَّيرافي : ولو كان كما قال ما قالوا وَيْلٌ لَكَ بالتثنية والضم . فإن قال : توهَّموا أنها أصليَّة فنَوَّنوها وزادوا بعدها لاماً ، فبعيدٌ جداً .

وقال الصاغاني (في العباب) : ويب كلمةٌ مثل وَيْلٌ ، تقول وَيَيْبُكَ وويب زيد ، وويب أَيْبِكَ . وزاد أبو عمرو : ويأ له ، وويب له ، وويبه وويب غيره . وزاد الفراء : وَيَيْبُكَ وويب بك بالكسر فيهما . ومعنى هذه الكلمات ألزمه الله وياًلاً . نُصِبَ نصبُ المصادر . فإن جئت باللام قلت : وَيِبْ لزيد . فالرفع على الابتداء أجود من النصب ، والنصب مع الإضافة أجود من الرفع . وقيل إنهم قالوا ذلك لِقُبْح استعمال الويل عندهم . اهـ .

وقوله : (وَيِبْ أَيْبِكَ) معناه ألزمتك الله هلاك أَيْبِكَ ، أى فقدته . وهو اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه .

وقوله : (يا زبرقان) إلخ الزُّبرقان ، هو صحابيٌّ . وهو الزُّبرقان بن بدر ،

واسمه حُصَيْن بالتصغير . وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع والتسعين بعد المائة ^(١) . يقال يا أخا العرب ، يراد : يا واحداً منهم ، جعله واحداً من قومه وقصده تحقيره ، وقيل للاحتراز عن الزُّبرقان الفزارى . وبنو حَلَف : رهطُ الزُّبرقان بن بدر ، وحلفُ جده الأعلى ، لأنه الزُّبرقان بن بدر بن امرئ القيس ابن حَلَف بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

والبيت للمخَبَّل السَّعْدَى ، وهو ابن عمِّ الزُّبرقان ، هجا به ابن عمه . صاحب الشاهد .
وبعده :

(هل أنت إلا في بنى خليف كالإسكتين علاهما البَظُرُ)

والإسكتان بكسر الهمزة ^(٢) : ناحيتا فرج المرأة . والبَظُرُ بفتح الهمزة : هنةٌ بين شَفَرَي فرجها . وامرأة بظراء : لم تُحْتَن . شَبَّه قَوْمَهُ وهم حوله بالإسكتين حول البَظُر ، وشَبَّه إذا اجتمعوا حوله بالبَظُر بين الإسكتين .

والخَبَلُ بفتح الباء المشددة ، في الأصل اسم مفعول من خَبَلَه تخبيلاً ، الخبل السعدى
أى أفسد عقله . ورجل مخَبَّل ، كأنه قُطعت أطرافه .

واسمه ربيع بن ربيعة بن عَوْف بن قِتَال بن أنف الناقة : [وقِتَال ^(٣)] ، ٥٣٦
بكسر القاف بعدها مثناة فوقية بعدها لام . كذا في مختصر أنساب الكلبي .
وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالى) : الخَبَلُ لقبٌ ، وهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف ، أحد بنى أنف الناقة ، واسمه جَعْفَر بن

(١) الخزنة ٣ : ٢٠٧ .

(٢) وفتحها أيضاً ، كما في اللسان والقاموس .

(٣) التكملة من ش .

قُرَيْع بن عوف بن سعد بن زيد مناة بن تميم . هذا قول ابن حبيب ، ويكنى
أبا يزيد . وهو شاعرٌ مخضرم فحلّ ، وهو المراد بقول الفرزدق :
وهبَ القصائدَ لى التّوابعُ إذ مضَوْا
وأبو يزيد وذو القروح وجروّل (١)

انتهى .

فالتوابع ثمانية شعراء . وأبو يزيد : المخبّل السعدى . وذو القروح : امرؤ
القيس . وجروّل هو الحطيئة .

قال صاحب الأغاني : عُمَرُ المخبّلُ فى الجاهلية والإسلام عمراً طويلاً ،
وأحسبه مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخٌ كبير .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هاجر المخبّل وابنه إلى البصرة :
وولده كثيرٌ بالأحساء ، وهم شعراء . وكان المخبّل هجاً الزّبرقان بن بدرٍ وذكر
أخته حُلَيْدة ، ثم مرّ بها بعد حين وقد أصابه كسر وهو لا يعرفها ، فأوته
وجبرث كسره ، فلمّا عرفها قال :

لقد ضلّ حلمى فى حُلَيْدة ضلّةً

سأعتبُ نفسى بعدها وأتوبُ

وأشهدُ ، والمستغفرُ الله ، إننى

كذبتُ عليها والهجاءُ كذوبُ

انتهى .

وفى (الإصابة) لابن حجر : قال ابن حبيب : خطب المخبّل إلى الزّبرقان

(١) فى اللآلئ ٨٥٧ : « التوابع كلهم » .

أخته خُلَيْدَة فَرَدَّه وزَوَّجَهَا رجلاً من بنى جُشَم بن عوف ، فهجَاه المَخْبِلُ
السَّعْدَى ، وَعَبْدَة بن الطَّيِّب ، وعمرو بن الأَهِم ، وعلقمة بن عَبْدَة ، قَبْلَ أَنْ
يُسَلِّمُوا ، وقَبْلَ مَبْعِثِ النَّبِيِّ ﷺ .

وفي الشعراء من يقال له المَخْبِلُ غير هذا ثلاثة ، وهم المَخْبِلُ الزُّهْرَى ، من يقال له المَخْبِلُ
والمَخْبِلُ الثَّمَالِي ، وكَعْبُ المَخْبِلِ .

وقد أخطأ الآمَدِيُّ هنا (في المؤتلف والمختلف) فزعم أَنَّ البيت
الشاهد للمُتَنَخِّلِ السَّعْدِيِّ ، بضم الميم وفتح المثناة الفوقية بعدها نون وكسر
الخاء المعجمة المشددة ، وقال : لم يقع إلَيَّ من شعره شيء .

واستشهد الكسائي والفراء بقوله :

يا زَبْرَقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَبَّ أَيْبِكَ وَالْفَخْرُ

وهذا تصحيفٌ منه في اسم الشاعر . وهو تارةً يَنْسَبُ إلى قُرَيْعٍ وتارةً إلى
سعد . وهذا سببُ التصحيف ، وما ذكرناه هو الذي قاله شراح [شواهد ^(١)]
سيبويه والمفصل وغيرهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الأربعمئة ^(٢) :

٤٣٥ (يا سَيِّدًا مَا أَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ)

على أَنَّ ما الاستفهامية قد يدخلها معنى التعظيم كما في البيت ، فَإِنَّهَا
استفهامية تعجُّبية ، والمقصود التعظيم .

(١) التكملة من ش .

(٢) المقرب ٣٠٤ والشذور ٢٥٨ والتصریح ١ : ٣٩٩ والمجم ١ : ١٧٣ ، ٢/٣٥١ : ٩٠ .

والمفضليات ٣٢٢ .

وأورده الفراء في سورة يس (من تفسيره) عند قوله تعالى :
﴿ يا حسرةً على العباد ﴾^(١) قال : المعنى يالها حسرةً على العباد . وقرأ بعضهم : ﴿ يا حسرةً العباد ﴾^(٢) والمعنى في العربة واحد . والله أعلم .

والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشيء ، آثرت النصب ، يقولون :
يا رجلاً كريماً أقبل ، ويا راكباً على البعير أقبل ، فإذا أفردوا رفعوا أكثر ممّا
٥٣٧ ينصبون . أنشدني بعضهم :

يا سيِّداً ما أنت من سيِّد
موطاً البيت رحيب الذراع

ولو رفعت النكرة الموصولة بالصفة كان صواباً ، قد قالت العرب :
* يا دارٌ غيَّرها اليلَى تغييراً^(٣) * اهـ

والبيت من قصيدة للسفاح بن بُكير بن معدان اليربوعي ، رثى بها يحيى
ابن شداد بن ثعلبة بن بشر ، أحد بني ثعلبة بن يربوع .

وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريع رثى بها يحيى بن ميسرة
صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وقى له حتى قُتل معه .

وهذه أبياتٌ من أولها :

(صَلَّى على يحيى وأشياعه

ربُّ غفورٍ وشفيعٌ مطاعٌ

(١) الآية ٣٠ من سورة يس . وانظر معاني الفراء ٢ : ٣٧٥ .

(٢) هي قراءة الحسن ، كما في إتخاف فضلاء البشر ٣٦٤ . وفي تفسير أبي حيان ٧ : ٣٣٢ أنها
قراءة أبي ، وابن عباس ، وعلى بن الحسين ، والضحاك ، ومجاهد ، والحسن .

(٣) ط : « البلا » ، صوابه في ش ومعاني الفراء ٢ : ٣٧٢ .

لَمَّا عَصَى أَصْحَابُهُ مُصْعَبًا
 أَدَّى إِلَيْهِ الْكِيلَ صَاعًا بِصَاعٍ
 يَا سَيِّدًا مَا أَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ
 مُوْطَأً الْبَيْتَ رَحِيبَ الذَّرَاعِ
 قَوْلًا مَعْرُوفٍ وَفَعَالِهِ
 وَهَابٍ مَثْنَى أُمَّهَاتِ الرَّبَاعِ
 يَجْمَعُ جِلْمًا وَأَنَاةً مَعًا
 ثُمَّتَ يَنْبَاغُ أَنْبِيَاعِ الشُّجَاعِ)

وهذه قصيدةٌ اختلفت الرواةُ في عدَّةِ أبياتها ، فقد رواها الضبيُّ ثلاثة عشر بيتاً ، ورواها أحمد بن عبيد اثني عشر بيتاً مع تغايرٍ في الأبيات . والروايتان مسطورتان (في المفضليات وشرَّحها لابن الأنباري) .

وقوله : « لَمَّا عَصَى أَصْحَابُهُ مُصْعَبًا » ، إلخ تقدَّم شرحه في الشاهد الحادى والأربعين ^(١) من أوائل الكتاب . ورواه أحمد بن عبيد :

لَمَّا جَلَا الْخُلَّانُ عَنْ مُصْعَبٍ

أَدَّى إِلَيْهِ الْقَرْضَ صَاعًا بِصَاعٍ

(١) ش : « الواحد والأربعين » . ومن المعروف أن الواحد والواحدة إذا استعملتا مع العشرة ومع ما فوقها كالعشرين ، فإنك تقلب فاءها إلى موضع لامها ، فتقول : حاد وحادية ، بعد الإعلال . ولكن حكى الكسائي عن بعض العرب واحد عشر على غير القلب ، فلم يلتزم القلب كل العرب . كما في التصريح والجمع ٢ : ١٥١ والأشئوني ٤ : ٧٧ . ومهما يكن فهو استعمال شاذ .

قوله : (يا سيداً ما أنت) . إلخ روى صدره الضبّي :

* يا فارساً ما أنت من فارس *

ومن سيد ومن فارس : تمييز مجرور بمن . و (موطأ البيت) ، يعنى أن بيته مذلّل للأضياف . و (الرّحيب) : الواسع . والمعنى أنه واسع البسيطة كثير العطاء سهل لا حاجز دونه . ولما كان الذراع موضع شدة الإنسان ، قيل في الأمر الذي لا طاقة للإنسان به : ضاق بهذا الأمر ذراع فلان وذرع فلان ^(١) أى حيلته بذراعه . وتوسّعوا في هذا حتى قلبوه فقالوا : فلان رَحْبُ الذراع ، إذا وصّفوه باتساع المقدرة .

وقوله : « قَوْل معروف وفَعَّاله » إلخ الأوصاف الثلاثة بالجَرِّ على الوصفية لسيد أو لفارس ^(٢) . والمعنى أنه لا يقول إلا فَعَلَ ، ولا يَعْدُ إلا وفَى ، ولا يُخْلَف . والرّباع ، بالكسر : جمع رُبْع ، بضم ففتح ، وهو ما يُنتج في أول نِتاج الإبل . وخصَّ أمّهات الرّباع لأنها عزيزة . ومثْنَى أى واحدة بعد أخرى . قال ابن برّي (في شرح أبيات إيضاح أنى على) : وَرَوَى أبو حنيفة :

* عَقَّارُ أُمَاتِ الرّباع الرّناع *

أى هى مُترعة ^(٣) لسعة الرعى عليها . اهـ .

وقوله : « يَجْمَعُ جِلْماً » إلخ ، الأناة ، بالفتح : التأني . وثُمَّتَ مخصوصة بعطف الجمل . وينباع بمعنى يَثْب وَيَسْطُو . والشُّجاع : الحيّة .

(١) ش : « ذرع فلان وذراع فلان » .

(٢) أى على روايتي : « من سيد » ، و « من فارس » .

(٣) المترعة : المتلفة .

وَلَسَفَّاحُ بْنُ بُكَيْرٍ ، تقدم في الشاهد الحادى والأربعين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الأربعمئة ^(٢) :

٤٣٦ (على ما قام يَشْتُمْنِي لَيْثِمٌ كَخَنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادٍ)

على أنَّ ثبوت لألف في ما الاستفهامية المجرورة في غير الأغلب ، ٥٣٨ مفهومة أنَّ إثباتها فيها غالب .

ويوافقه قول صاحب الكشف في سورة يس ، عند قوله تعالى : ﴿ يَمَّا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ ^(٣) : طرح الألف أجود ، وإن كان إثباتها جائزاً .

وهذا معارض لقوله في سورة الأعراف ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْنِي ﴾ ^(٤) : قيل ما للاستفهام ، وإثبات الألف قليل شاذ .

قال الشارح احقق (في شرح الشافية) : وبعض العرب لا يحذف الألف من ما الاستفهامية المجرورة ، كقوله :

على ما قام يشتمنى لَيْثِمٌ البيت

فهذا لا يقول « على مَه » وقفاً ، بل يقف بالألف التي كانت في

الموصل ، والأولى حذف ألف ما الاستفهامية مجرورة ، لما ذكرنا في الموصولات . اهـ .

(١) الخزانة ١ : ٢٩٠ .

(٢) أمالي ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ وشرح شواهد الشافية ٢٤٤ برواية « في دمان » فيها .

وانظر ابن يعيش ٤ : ٥٥٤ ولعيني ٤ : ٥٥٤ والتصريح ٢ : ٣٥٤ والجمع ٢ : ٢٧ والأشمونى ٤ :

٢١٦ . وديوان حسان ١٤٣ .

(٣) الآية ٢٧ من سورة يس .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

أراد أنه ذكره في شرح الموصولات (من شرح الكافية) .

وإذا ثبت أن هذا لغة لبعض العرب لم يكن إثبات الألف نادراً ولا ضرورة ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ فيمن قرأ ﴿ عَمَّا ﴾ بالألف . قال الفالي^(١) (في شرح اللباب) : الكثير الشائع حذف الألف ، وجاء إثباتها في عَمَّا يتساءلون ، وفي قوله : على ما قام يشتمنى البيت . وقال السمين : يجوز إثبات الألف في ضرورة ، أو في قليل من الكلام .

وقال ابن جنى (في المحتسب) : إثبات الألف أضعف اللغتين .

قال ابن السمين^(٢) في سورة يس : المشهور من مذهب البصريين وجوب حذف ألفها إلا في ضرورة .

وكذلك قال ابن هشام (في المعنى) : يجب حذف ألف ما الاستفهامية إذا جرّت ، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها . وربما تبعت الفتحة الألف في الحذف ، وهو مخصوص بالشعر كقوله :

يا أبا الأسود لِمَ خَلَفْتَنِي لَهْموم طارقاتٍ وذَكَرُ

ثم قال : وأما قراءة عكرمة وعيسى : ﴿ عَمَّا يتساءلون ﴾ فنادر .
وأما قول حسان :

(١) في الأصل : « القالى » ، صوابه بالفاء كما سبق في كثير من المواضع . وانظر حواشى ١ :

(٢) كذا في النسختين . يقال « السمين » و « ابن السمين » . قال اليمنى في الاقليد ١٠ : « هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين المتوفى سنة ٧٥٦ . وهو تلميذ أبى حيان » . وله إعراب القرآن الذى سماه « الدر المصون فى علم الكتاب المكنون » . قالوا : وهو أجل ما صنف فى إعراب القرآن . كما أن له « تفسير القرآن » . قال اليمنى : « ومنه نسخة بزامبور ، وأخرى عند الشيخ حبيب الرحمن الشروالى » .

« على ما قام يشْتُمْنِي لَيْتَمِ »

فَضْرُورَةٌ . ومثله قول الآخر :

إِنَّا قَتَلْنَا بَقْتَلَانَا سَرَائِكُمْ

أَهْلَ اللَّوَاءِ ففِيهَا يَكْثُرُ الْقَيْلُ ^(١)

قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : ادَّعى المصنف أن إثبات

الألف في البيتين ضرورة ، ولقائل أن يمنع ذلك ، بناءً على تفسيرها بما لا مندوحة للشاعر عنه ، إذ الوزن مع حذف الألف في كل منهما مستقيم . غاية الأمر يكون في بيت حسن العقل ، وفي الآخر الخبن ، وكل منهما زحاف مغتفر . اهـ .

وقد عَمَّ الشارح المحقق في الجارِّ لما ، سواء كان حرف جر

أو مضافاً . وهذا هو المشهور .

وقال اللبلى (في شرح أدب الكاتب) : إن كان الجارُّ اسماً متمكناً لم

يفعلوا ذلك ، أى لم يحذفوا الألف . وقول العرب : مجيء مَ جئت ، ومثل مَ أنت ، شاذّ . وإنما جاء مع بعد وعند لأنهما غير متمكّنين ، فألحقا بحروف الجرّ . اهـ .

وهذا قول غريب لم يقله غيره ، كقول ابن قتيبة (في أدب الكاتب) :

إنَّ أَلْفَ ما الموصولة لا تحذف إلّا مع شئت . قال : تقول : ادْعُ بِمَ شئت ، وسلِّ عَمَّ شئت ، وخذه بِمَ شئت ، وكن فيم شئت . إذا أردت معنى سل ، أى عن أى شيء شئت ، نَقَصْتُ الألف . وإن أردت سل عن الذى أحببت

(١) كنّا ورد إنشاده في أمالي ابن الشجرى ٢ : ٢٣٤ بدون نسبة . وانظر شرح شواهد المغنى

أُتِمَّتْ الألف إلّا مع شئت خاصّة ، فإن العرب تنقص الألف منها خاصة ، فتقول : ادع بَمَ شئت ، في المعنيين جميعاً . اهـ .

٥٣٩ والمشهور أن ألفها يثبت مُطلقاً ، سواء استعملت مع شئت أم غيرها ^(١) . وعلى نقله يلغز فيقال : في أيّ موضع يجب حذف ألف ما الموصولة المجرورة بحرف جر ؟

صاحب الشاهد وهذا البيت من أبيات دالية لحسان بن ثابت الصحابي . وقد حرّف الرواة قافيته ، فبعضهم رواه :

* كخزير تمرّغ في دَمَانِ *

وهو ابن جنّي (في المحتسب) ، وتبعه جماعة منهم ابن هشام (في المغني) قال : الدّمان كالرّماد وزنا ومعنى . ورواه صاحب اللباب وشارحه الفاي : « في الدّهان » بالهاء بعد الدال . ورواه المرادّي (في شرح الألفية) : « في تراب » ، ورواه بعضهم : « في دُمالي » باللام . وهذا كلّه خلاف الصواب .

ورواية السكري (في ديوان حسان) :

* ففيم تقول يشتمني لئيم ^(٢) * [إلخ]

وعليه لا شاهد فيه .

وقوله : (على ما قام) إلخ على تعليلية ، أي لأجل أيّ شيء . ونقل العيني عن ابن جنّي أن لفظة قام ههنا زائدة ، والتقدير ما يشتمني . وقال ابن يسعون : وليس كذلك عندي ؛ لأنها مقتضى النهوض بالشتم والتشمير له

(١) ش : « أو مع غيرها » .

(٢) هذه التكملة من ش .

والجِدِّ فيه . وقوله (كخنزير) إلخ ، تعريضٌ بقبحه ، فلذلك خصَّ الخنزير لأنه مَسْخٌ ^(١) قبيح المنظر ، سَمَحَ الخَلْقُ ، أَكَّالُ العِدْرَةِ . وقوله : (تَمَرَّغَ في رَمَادٍ) تَمِيمٌ لذمه ، لأنه يدلُّك خَلْفَهُ ^(٢) بالشجر ، ثم يَأْتِي للطين والحماة فيتلطَّخ بهما ، وكلما تساقط منه شيء عاد فيهما .

قال الجاحظ : والعَيْنُ تكره الخنزير جُمْلَةً دون سائر المسوخ ، لأنَّ القرد وإن كان مسيخاً فهو مُسْتَمْلَحٌ . والفيل عجيبٌ ظريفٌ نبيلٌ بهيٌّ ؛ وإن كان سَمَجاً قبيحاً ^(٣) .

والأبيات قالها حسَّان في هجو بني عابدٍ ، بموحدة بعدها دال غير معجمة ^(٤) ، ابن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ^(٥) . قال البلاذري ^(٦) : لم يكن لهم هجرة ولا سابقة . قال : وقال الأثرم عن أبي عُبيدة ^(٧) : قال حسَّان هذا الشعرُ في رُفيع بن صَيْفَى بن عابد ، وقُتِلَ رُفيع يوم بدرٍ كافراً . ورُفيع بضم الراء وفتح الفاء : مَصْعَرٌ رَفَعَ بالعين المهملة . وصَيْفَى بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء وتشديد التحتية . والأبيات هذه : نيات السامع (إنْ تَصْلُحْ فَإِنَّكَ عَابِدِيٌّ وَصُلُحْ الْعَابِدِيُّ إِلَى فَسَادِ

(١) ش : « مسيخ » .

(٢) ط : « خلقه » بانقاف ، وأثبت ما في ش .

(٣) الحيوان ٧ : ٣٩ .

(٤) في جمهرة ابن حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ : « عائذ » وما هنا صوابه . وجاء في مختلف القبائل ومؤتلفها ٤٤ : « في قريش في بني مخزوم عابد بياء موحدة وذال مهملة ، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيها : عايد بياء آخر الحروف وذال معجمة ، بن عمران بن مخزوم » .
(٥) ط : « عمير بن مخزوم » ش : « عمرو بن مخزوم » مع أثر تغيير ، وصوابه ما أثبت من المراجع السابقة .

(٦) كذا في النسختين بدال مهملة .

(٧) ط : « أي حبيزة » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . والأثرم هو أبو الحسن علي بن المغيرة سمع أبا عبيدة والأصمعي . وتوفي سنة ٢٣٢ .

وإن تفسد فما ألفت إلا
بعيداً ما علمت من السداد
وتلقاه على ما كان فيه
من الهفوات أو نوك الفؤاد
مبين الغي لا يعيا عليه
ويعيا بعد عن سبل الرشاد
ففيهم تقول يشتمني لئيم
كخنزير تمرغ في رماذ
فأشهد أن أملك م البغايا
وأن أباك من شر العباد
فلن أنفك أهجو عابداً
طوال الدهر ما نادى المنادى
وقد سارت قواف باقيات
تناشدها الرواة بكل واد
ففتح عابد وبنى أبيه
فإن معادهم شر المعاد (

وهذا آخر الأبيات . وقوله : « إن تصلح » إلخ فيه خرم ، وبعضهم يرويه : « وإن تصلح » فلا خرم . والسداد ، بالفتح : الرشاد والاستقامة .
٥٤٠ . والهفوات : السقطات . والنوك بالضم ^(١) : الحقم ، وهو نقص في العقل ، وأراد به البلادة وعدم الاهتداء للمقصود ، ولهذا أضافه إلى الفؤاد ، وهو معطوف على الهفوات .

وقوله : « مبين الغي » بالنصب حال من مفعول تلقاه .

(١) ويقال بفتح النون أيضا .

وقوله : « ففيم تقول » رواية السكرى بالخطاب [لمن يصلح الخطاب ^(١)] معه . وقوله : « م البغايا » أصله من البغايا ، وهو لغة في من . والبغى : المرأة الفاجرة . وقوله : « طَوَّال الدهر » بفتح الطاء ، بمعنى طَوَّل الدهر .

وقوله : « فقَبِّح عابِدٌ » ، هو بالبناء للمفعول على الدعاء . والواو في قوله : وبني أبيه واو المعية ، وبني أبيه مفعول معه . وترجمة حَسَّان [تقدَّمت ^(٢)] في الشاهد الحادى والثلاثين .

تممة

البيت الذى أورده صاحبُ المغنى ، وهو ^(٣) :

إِنَّا قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَائِكُمْ

أَهْلَ اللَّوَاءِ ففِيمَا يَكْثُرُ الْقَيْلُ

لم يعرفه أحدٌ ممَّن كتب على المغنى ، وما قبل حرف الروى فيه مثابة تحتية والقاف مكسورة . وقد صَحَّفَه البدر الدمامينى فضبطه بمثابة فوقية ، ثم استشكله ، قال : فى البيت كلامٌ من جهة العروض ، وذلك أنَّ هذا من بحر البسيط من عروضه الأولى وضربها الثانى ، وهو المقطوع ، كان أصله فاعلن حذفت نونه وسكنت لامه فصار فَعْلَن بإسكان العين ، فقد ذهب منه زنة متحرك ، وإذا ذهب منه ذلك وجب أن يكون مُرْدَفًا ، أى يؤتى قبل حرف الروى بحرف لين ، كما فى شاهد العروضيين :

قد أَشْهَدُ الْغَارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمِلْنِي

جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةُ اللَّحِيْنِ سُرْحُوبُ

(١) التكملة من ش .

(٢) التكملة من ش .

(٣) انظر ما سبق فى ص ١٠١ .

ولا يخفى أن ضرب البيت الذى نحن فيه ، وهو اللامى الروى ، غير مردف ؛ ففيه مخالفة لما قرره العروضيون فى أمثاله .

هذا كلامه ، وهذا موضع المثل المشهور : « زَنَاهُ فَحَدَّه » .

والبيت من قصيدة لكعب بن مالك شاعر رسول الله ﷺ ، رواها صاحب الشاهد الكلاعى (فى سيرته) قال : أجاب بها ابن الزبير وعمر بن العاصى ^(١) ، عن كلمتين افتخرا بهما يوم أحد ، وهى هذه :

أبلغ قريشاً وخير القول أصدقه

والصدق عند ذوى الأبواب مقبول

أن قد قتلنا بقتلانا سراتكم

أهل اللؤاء ففيما يكثُر القيل

ويوم بدرٍ لقيناكم لنا مددٌ

فيه مع النصر ميكال وجبريل

إن تقتلوننا فدينُ الله فطرُنا

والقتل فى الحق عند الله تفضيل

وإن تروا أمرنا فى رأيكم سفهاً

فراى من خالف الإسلام تضليل

إنّا بنو الحرب نمرىها وننتجها

وعندنا لذوى الأضغان تنكيل

(١) فى ديوان كعب بن مالك ٢٥٥ أنه يجيب بها عمرو بن العاص ، وضرار بن الخطاب . وكذلك فى سيرة ابن هشام ٦٢٢ - ٦٢٤ .

إِنْ يَنْجُ مِنَّا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَلَغْتَ
 مِنْهُ التَّرَاقِي وَأَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولُ
 فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حُكْمًا وَمَوْعِظَةً
 لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لَبٌّ وَمَعْقُولُ ^(١)
 وَلَوْ هَبَطْتُمْ بِيْطْنَ السَّيْلِ كَأَفْحَكُمْ
 ضَرَبْتُ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَرَعِيلُ
 تَلْقَاكُمْ عُصْبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ ، لَهُمْ
 مِمَّا يُعِدُّونَ فِي الْهَيْجَا سَرَايِلُ ^(٢)
 مِنْ جِذْمٍ غَسَّانَ مَسْتَرَحٍ حَمَائِلُهُمْ
 لَا جُبْنَاءُ وَلَا مَيْلٌ مَعَاذِلُ

وهي قصيدة طويلة جيدة ، سردها بتمامها ، وبين مُشْكِلٍ لغاتها ، قال :
 سرّاء القوم : خيارهم . والقيّل والقول واحد . والتنكيل : الزجر المؤلم . ويطن ٥٤١
 السَّيْلُ : الوادي . وكأفحكم : واجهكم . وشاكلة البطحاء : طرفها .
 والترعيل : الضرب السريع . والسرايل : جمع سربال ، وهو الدرع . وجذم
 بكسر الجيم : الأصل . وغسّان : قبيلة الأنصار ^(٣) . والحمايل : حمائل
 السيّف . والجبناء : جمع جبان . والميل : جمع أميل ، وهو الذي لا تُرْسَ
 معه . والمعازيل : الذين لا رِمَاحَ معهم .

(١) الحكم : الحكمة والعلم . ط والديوان والسيرة : « حلما » باللام ، وأثبت ما في ش .

(٢) في الديوان والسيرة : « للهيجا » .

(٣) كذا . والوجه « قبيلة من الأنصار » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س^(١) :

٤٣٧ (رَبُّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ)

ر له فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ (

على أنَّ « ما » نكرةٌ موصوفةٌ بجملة تكره النفوس . فحكيم على كونهما نكرة بدخول رَبٍّ عليها ، وحكم بالجملة صفةً على قياس نكرة رَبٍّ ، من أنَّها موضوعة لتقليل نوع من جنس ، فلا بد أن يكون الجنس موصوفاً حتى تحصل النوعية .

وقد أورده سيبويه في كتابه مرتين ، قال : « رَبٍّ لا يكون بعدها إلا نكرة » . وأنشده . قال الأعلم : استشهد به على أنَّ ما نكرة بتأويل شيء ، ولذلك دخلت عليها رَبٍّ ، لأنها لا تعمل إلا في نكرة . ولا تكون « ما » هنا كافة ؛ لأنَّ في « تكره » ضميراً عائداً عليها ، ولا يضمير إلا الاسم . وكذلك الضمير في له عائداً عليها . والمعنى : رَبٍّ شيء تكرهه النفوس من الأمور الحادثة الشديدة وله فَرْجَةٌ تعقب الضيق والشدة ، كَحَلِّ عِقَالِ المقيّد . والفَرْجَةُ بالفتح في الأمر ، وبالضم في الحائط ونحوه . ١ هـ .

ومثله (في إيضاح الشعر) لأبي عليّ قال : ما اسمٌ منكور ، يدلُّ على ذلك دخول رَبٍّ عليه . ولا يجوز أن تكون كافة كالتى في قوله تعالى : ﴿ رَبُّمَا

(١) في كتابه ١ : ٢٧٠ : ٣٦٢ . وانظر المقتضب ١ : ٤٢ ومجالس العلماء للزجاجي ١٦٦

وأما ابن الشجرى ٢ : ٢٣٨ وابن يعيش ٤ : ٨/٢ : ٣٠ وشرح شواهد المعنى ٢٤٠ والشذور ١٣٢ والمعنى ١ : ٤٨٤ والجمع ١ : ٨ ، ٩٢ والأشعوى ١ : ١٥٤ واللسان (فرج) وديوان أمية بن أبى الصلت ٥٠ .

يؤدُّ الذين كفُّروا^(١) ﴿ لَأَنَّ الذَّكَرَ قَدْ عَادَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلِهِ لَهُ فَرْجَةٌ ، فَلَا يَجُوزُ مَعَ رَجُوعِ الذَّكَرِ أَنْ تَكُونَ حَرْفًا ، فَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ تَكْرَهُ مُرَادَةً ، وَالتَّقْدِيرُ : تَكْرَهُهُ النَّفْسُ . وَفَرْجَةٌ مُرْتَفَعَةٌ بِالظَّرْفِ ، وَمَوْضِعُ الْجُمْلَةِ جَرٌّ . ا هـ .

وقوله : « وَمَوْضِعُ الْجُمْلَةِ جَرٌّ » أَيْ عَلَى الْوَصْفِيَّةِ لِلأَمْرِ ، وَلَا اعْتِبَارَ بِلَامِ التَّعْرِيفِ لِأَنَّهَا كَمَا قَالَ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ لِلْجِنْسِ . وَفِي كَوْنِ الْجُمْلَةِ صِفَةً نَظَرَ ، إِذِ الْوَصْفُ عَلَى كَلَامِهِ إِنَّمَا هُوَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ لَا غَيْرَ ، لِأَنَّهُ جَعَلَ فَرْجَةً فَاعِلَهُمَا^(٢) . وَإِنَّمَا كَانَ يَتَّبِعُهُ لَوْ جَعَلَ فَرْجَةً مُبْتَدَأً وَالظَّرْفُ قَبْلَهُ خَبْرَهُ ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ صَنِيعِ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ فِي قَوْلِهِ : لَهُ فَرْجَةٌ صِفَةُ الأَمْرِ . وَبِمَا سَقْنَاهُ مِنْ قَوْلِ الأَعْلَمِ وَأَيْ عَلَيَّ ، عَلِمَ^(٣) ضَعْفَ قَوْلٍ مِنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ « مَا » فِي الْبَيْتِ : كَافَّةٌ مُهَيَّئَةٌ لِدُخُولِ رَبِّ عَلَى الْجُمْلِ كَمَا فِي الْآيَةِ .

قال ابن الحاجب (في شرح المفصل) : وَكَوْنُهَا اسْمًا أَوَّلَى ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ الْعَائِدَ عَلَى الْمَوْصُوفِ حَذَفُهُ سَائِعٌ ، وَمِنْ الأَمْرِ تَبْيِينٌ لَهُ . وَإِذَا جَعَلْتَ مَا مُهَيَّئَةً كَانَ قَوْلُهُ مِنَ الأَمْرِ وَاقِعًا مَوْضِعَ الْمَفْعُولِ ، تَقْدِيرُهُ تَكْرَهُ النَّفْسُ شَيْئًا مِنَ الأَمْرِ . وَحَذَفُ الْمَوْصُوفِ وَإِبْقَاءُ الصِّفَةِ جَارًّا وَمَجْرُورًا فِي مَوْضِعِهِ قَلِيلٌ . انْتَهَى .

وقد ناقشه الشارحُ المحقق بعد نقل كلامه بالمعنى بأنه لا يلزم من كون

(١) الآية الثانية من الجُحْرِ . وَقرَأَ نافعٌ وعاصمٌ بتخفيف الباء ، والباقون بتشديدها . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

(٢) ش : « فاعلها » ، صوابه في ط . والمراد فاعل الجار والمجرور قبله .

(٣) كلمة « علم » ساقطة من ش .

« ما » مهيئة أن يكون من الأمر واقعاً موقع المفعول حتى يَرِدَ ما ذكر ، لجواز أحد أمرين :

أحدهما : يجوز بقوله أن تكون « من » متعلقة بنكرة وهى للتبويض ، كما فى أخذت من الدراهم ، أى أخذت من الدراهم شيئاً . فكذا معناه تكره من الأمر شيئاً .

٥٤٢ ثانيهما : تضمين تكره معنى تسمئز وتنقيض ، بدليل رواية سيبويه وغيره : « ربما تجزع النفوس من الأمر » ؛ فإنَّ تجزع ، لازم لا يقتضى مفعولاً به . وبقي وجه ثالث ، وهو جواز كون من زائدة عند الأخفش والكوفيين . وتبع ابن الحاجب شارحُ اللباب الفاللى ^(١) قال : لا يتعين كون ما موصوفة ؛ إذ قبل إنها كافةٌ مهيئة لدخول رب على الجمل ، ولكن الأولى جعلها موصوفةً ، لوجهين :

أحدهما أنه حملُ لرب على بابهِ الكثير ، وهو كونها غير مكفوفة . والثانى : أن تكره لا بدَّ له من مفعولٍ [حينئذٍ ^(٢)] ، وتقديره : شيئاً من الأمر ، ولكن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ضعيف . اهـ . وقول الخوارزمي (فى التخمير ^(٣)) : لا يجوز كون ما كافة ، لئلا تبقى من التبينية لا معنى لها ، يمنع كونها حينئذ تبينية . ويجاب بأحد الأوجه الثلاثة .

(١) فى الأصل : « القالى » ، صوابه بالفاء كما سبق فى التنبيه الأول ص ١٠٠ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) انظر ما سبق من التحقيق فى الجزء الخامس ص ٣٠٨ .

وقال ابن هشام (في المغنى) : يجوز أن تكون ما كافةً والمفعول المحذوف اسماً ظاهراً ، أى قد تكره النفوس من الأمر شيئاً ، أى وصفاً فيه .
أو الأصل من الأمور أمراً ^(١) ، وفى هذا إنابة المفرد عن الجمع . وفيه وفى الأول إنابة الصفة غير المفردة عن الموصوف ، إذ الجملة بعده صفة له . اهـ .
وقد أورد البيت (فى التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ ربما يؤدّ الذين كفروا ^(٢) ﴾ على أن بعضهم قال : موصوفة بجملة يؤدّ كما وصف « ما » فى البيت ، وكأنه جعل العائد ضميراً منصوباً ، أى يؤدّ الذين كفروا . وفيه أن مفعوله ^(٣) مضمون قوله تعالى : ﴿ لو كانوا مسلمين ﴾ أى الإسلام ، أو هو المفعول بجعل لو مصدرية .

وقوله : (له فرجة) قال صاحب المصباح : الفرجة بالفتح : مصدرٌ يكون فى المعانى ، وهى الخلو من شدة ، والضم فيها لغة . قال ابن السكيت : هو لك فرجة وفرجة ، أى فرج . وزاد الأزهري فرجة بالكسر . وحكى الثلاثة صاحب القاموس أيضاً . وقوله : (كحلّ العقال) صفة فرجة ، أى فرجة سهلة سريعة كحلّ عقال الدابة . والعقال ، بالكسر ، هو الحبل الذى يشدّ به يدّ الدابة عند البروك أو الوقوف ، لينعها من الذهاب ، ويكون ربطه كأنشوطة ، وهى عقد التكة ، حلّها سهل ^(٤) .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : موضع الكاف من قوله كحلّ

(١) ش : « أمر » ، صوابه فى ط .

(٢) انظر حواشى ١٠٩ .

(٣) ط : « مفعول » . صوابه فى ش .

(٤) فى القاموس : « والأنشوطة كأنبوبة : عقدة يسهل انحلالها كعقد التكة » .

العقال يجوز فيه ضربان : أحدهما أن يكون نصباً ، والآخر أن يكون جراً كقولك : مررت برجلٍ معه صقرٌ صائِدٌ به . اهـ .

وأراد النصب على الحالية من المجرور بمن ، بعد وصفه بقوله : له فرجة . وأراد الخفض على الوصفية للأمر بجعل اللام للجنس ، بدليل التنظير . وهذا بعيد ، والقريب أن تكون صفة لفرجة ، وهو أحد وجهي ما جَوَّزه (في الحجة) ، قال : موضع الكاف يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون في موضع نصب على الحال من له ، والآخر : أن تكون في موضع رفع صفة لفرجة . اهـ .

وأراد بقوله له ضمير الأمر المجرور باللام .

والبيت الشاهد قد وجد في أشعار جماعة ، والمشهور أنه لأمية بن أبي الصلت ، من قصيدة طويلة عدتها تسعة وسبعون بيتاً ذكر فيها شيئاً من قصص الأنبياء : داود ، وسليمان ، ونوح ، وموسى . وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وزعم أنه هو الذبيح ، وهو قول مشهور للعلماء .

وهذه أبيات من القصيدة ^(١) إلى البيت الشاهد ، قال :

يا بُنَيَّ إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلَّهِ ٥٤٣

هـ شَحِيحاً فَاصْبِرْ فِدَى لَكَ خَالِي ^(٢)

فَأُجَابَ الْعَلَامُ أَنْ قَالَ [فِيهِ ^(٣)] :

كُلُّ شَيْءٍ لِلَّهِ ، غَيْرَ انْتِحَالٍ

أَبَتِي إِنَّنِي جَزَيْتُكَ بِاللَّهِ

هـ تَقِيّاً بِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ

(١) ط : « القصّة » .

(٢) ش : « يا ابني » . وفي الديوان ٥٠ : « أبني » . والشحيط : الذبيح . شحطه يشحطه

شحطا : ذبحه .

(٣) التكملة من ش والديوان .

فاقْضِ ما قد نَذَرْتَ لِلَّهِ وَاكْضِفْ
 عَنْ دَمِي أَنْ يَمَسَّهُ سِرْبَالِي
 وَاشْدُدِ الصَّفْدَ أَنْ أَحِيدَ مِنَ السِّدِّ
 سَكِينِ حَيْدِ الْأَسِيرِ ذِي الْأَغْلَالِ (١)
 إِنَّنِي آلَمُ الْحَزَّ وَإِنِّي
 لَا أَمْسُ الْأَذْقَانَ ذَاتَ السَّبَالِ
 وَلَهُ مَدِيَّةٌ تَحْيِلُ فِي اللَّحْ
 مِ هَذَا جَلِيَّةٌ كَالْهَلَالِ (٢)
 بَيْنَا يَخْلَعُ السَّرَابِيلَ عَنْهُ
 فَكَّهُ رَبُّهُ بِكِبْشِ الْجَلَالِ
 قَالَ : لُحْذُهُ وَأَرْسِلِ ابْنَكَ إِنِّي
 لِلَّذِي قَدْ فَعَلْتُمَا غَيْرَ قَالِي
 وَالَّذِي يَتَّقِي وَآخِرُ مَوْلُو
 ذُ ، فَطَارًا مِنْهُ بِسَمْعِ مُعَالِ
 رَبِّمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الشَّ
 رِّ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ (

هكذا رواه جامع ديوانه محمد بن حبيب : « من الشر » بدل من
 « الأمر » وقال : قوله جزيتك بالله معناه أطعتك بالله . وقوله « غير انتحال »
 أى غير كذبٍ وادِّعاءٍ ، بل هو حق . والسربال : القميص . والصَّد : الحبل

(١) في الديوان : « لا أُحِيدُ عَنِ السَّكِينِ » .

(٢) في الديوان : « حنية » .

الذى يُرِيط به . وقوله : « أن أحيد » أى خشية أن أحيد ، مضارع حاد عنه ، أى مال عنه وعَدَل .

وقوله : « لا أَمَسُّ الأَذْقَانِ » إلخ قال محمد بن حبيب : يقول : لم أَمَسَّ ذَنْقِي ، إني لا أَجْزَع ولا أَمْتَعُك . وذَقْنُ الإنسان : مجمع لحييه ، وأصله في الجَمَلِ يَحْمِلُ الثَّقِيلَ فلا يَقْدِرُ على النهوض ، فيعتمد بِذَقْنِهِ على الأرض . والسَّبَال : جمع سَبَلَة ، وهى عند العرب مقدّم اللحية .

وقوله : « وله مُدِيَّةٌ » هى بضم الميم : السكين . قال محمد بن حبيب : تَحْيَلُ في اللحم : تمضى فيه ، من الحَيَلَاءِ . وهُدَامٌ بضم الهاء بعدها ذال معجمة : القاطعة السريعة ، من الهذم ، وهو القطع والأكل في سُرعة . قال أبو عبيد : سيفٌ هُدَامٌ ، أى قاطع . وجَلِيَّةٌ : مجلوة .

وكبشٌ جُلَالٌ ، بضم الجيم ، بمعنى جليل وعظيم .

وسَمِعَ بالكسر : الذَّكْرُ الجميل . يقال ذهبَ سَمِعُهُ في الناس . والمُعَال ، بضم الميم : المرتفع ، أى صار لهما شرفاً يذكران به .

وأَمِيَّةٌ هذا شاعرٌ جاهليٌّ ، تقدّمت ترجمته في الشاهد السادس والثلاثين من أوائل الكتاب ^(١) .

ووجد أيضاً في قصيدة رواها الأصمعيُّ لأبي قيس اليهوديِّ ، وقيل :
هني لابن صيرمة الأنصاريِّ ، مطلعها :
سَبَّحُوا للمليك كلَّ صباحٍ طلعت شمسُه وكلَّ هلالٍ

(١) الخزائن ١ : ٢٤٧ .

وقال ابن المستوفى (فى شرح الشواهد للمفصّل) : وجدت قوله ربّما
تكره النفوس من الأمر البيت ، فى أبياتٍ لأبى قيس صيرمة بن أبى أنس ، من
بنى عدى بن النجّار ، ووجد أيضاً فى أبياتٍ لحنيف بن عمير اليشكرى ،
قالها لما قُتل مُحكم بن الطفيل ^(١) يومَ اليمامة ، وهى :

يا سعادَ القوادر بنت أثال طال ليلى بفتنة الرّجال ^(٢)
إنها يا سعاد من حدّث الدّه
م عليكم كفتنة الدّجال
إن دينَ الرسول دينى وفى القو
م رجال على الهدى أمثال
أهلك القوم مُحكم بن طفيل
رجال ليسوا لنا برجال
ربّما تجزعُ النفوس من الأُم
ر له فرجة كحلّ العقال

٥٤٤

وحنيف أدرك الجاهلية والإسلام ، ولا تعرف له صحبة . وقال ابن
حجر (فى الإصابة) : هو مخضرم ، ذكره المرزبانى . وروى له هذه الأبيات
عمر بن شبة ، ووجد أيضاً فى أبياتٍ لأعرابى . وهى :

(يا قليلَ العزاء فى الأهوال وكثيرَ الهموم والأوجال)

(١) ذكره ابن حزم فى الجمهرة ٣٤٩ وقال : « وكان أشرف فى قومه من مسيلمة » . كما ذكره فى
الاشتقاق ٢٤٩ باسم « مُحكم اليمامة » . وانظر اللسان (حكم) . وقد ضبط اسمه بهذا الضبط فى كل
هذه المراجع . لكن الشعر التالى يقتضى أن يكون « محكم » كمصعب . وكان مقتله على يد عبد الرحمن
ابن أبى بكر فى حروب الردة سنة ١١ .

(٢) هو الرجال بن عنفة ، أحد الخارجين مع مسيلمة باليمامة . وفى حديث أبى هريرة :
جلست مع النبى ﷺ فى رهط ، معنا الرجال بن عنفة ، فقال : « أن فيكم لرجلا ضرره فى النار
أعظم من أحد » . فهلك القوم وبقيت أنا والرجال ، فكنت متخوفا لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة
فشهد له بالنبوة ، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة . الطبرى فى حوادث سنة ١١ ج ٣ :
٢٨٧ . وفى القاموس (رجل) : « وكشداد : ابن عنفة ، قدم فى وفد بنى حنيفة ثم ارتد ، فنبع
مسيلمة ، قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة . ووهم من ضبطه بالخاء » . ط : « الرجال » ، صوابه فى ش .

اصْبِرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلْتَمٍ
 إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةً مُحْتَالٍ
 لَا تَضْيِقَنَّ بِالْأُمُورِ فَقَدْ يُكْ
 شَفُ غَمَّاؤُهَا بغير احتيالٍ
 رَبِّمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ
 رٍ لَهُ فَرَجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ
 قَدْ يُصَابُ الْجَبَانُ فِي آخِرِ الصَّدِّ
 فٌ وَيَنْجُو مُقَارِعُ الْأَبْطَالِ (

ورواها صاحب (الحماسة البصرية ^(١)) لَحْنِيفُ بْنُ عُمَيْرٍ المذکور ،
 وقيل إنها لإنهار ابن أخت مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ ، لعنه الله . ونسبها العيني لأمية بن
 أبي الصَّلْتِ . وهذا لا أصل له .

وقوله : « يا قليل العزاء » هو بالفتح ، بمعنى الصبر والتجلد .

وقوله : « اصبر النفس » أى احبسها . والمَلَمُّ : الحادث من حوادث
 الدهر ، وهو اسم فاعل من أَلَمَّ ، إذا نزل . وَغَمَّاؤُهَا : مَبْهَمُهَا وَمُشْكَلُهَا ؛
 وهو بالغين المعجمة ، يقال أمر غُمَّة أى مُبْهَمٌ ملتبس . ويقال صُمْنَا لِلْعُمَى ،
 بفتح الغين وضمها ، وصمنا للغماء على فعلاء ، بالفتح والمد ، إذا غَمَّ الْهَلَالُ
 على الناس وستره عنهم [غِيَمٌ ^(٢)] ونحوه . وصَحَّفَه العيني فقال : عَمَّاؤُهَا
 بالعين المهملة وتشديد الميم للضرورة . وَالْعَمَاءُ ^(٣) في اللغة : السَّحَابُ الرَّقِيقُ
 سُمِّيَ بذلك لكونه يُعْمَى الْأَبْصَارَ عن رؤية ما وراءه . وأراد بها ما يَحُولُ بين
 النفس ومرادها . هذا كلامه .

(١) الحماسة البصرية ٢ : ٧٧ - ٧٨ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « والعما » ، صوابه في ش .

قال السيوطي (في شرح شواهد المغني) : أخرج ابن عساكر من طريق الأصمعي قال : قال أبو عمرو بن العلاء : هَرَبْتُ مِنَ الْحَجَّاجِ فَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يُنْشِدُ :

يَا قَلِيلَ الْعَزَاءِ فِي الْأَهْوَالِ وَكَثِيرَ الْهَمُومِ وَالْأَوْجَالِ

إلى آخر الأبيات . فقلت : ما وراءك يا أعرابي ؟ فقال : مات الْحَجَّاجُ ! فلم أدْرِ بَأَيِّهِمَا أَفْرَحُ : أَمْمُوتِ الْحَجَّاجُ أَمْ بِقَوْلِهِ فَرَجَةٌ ؟ لِأَنِّي كُنْتُ أَطْلُبُ شَاهِدًا لِاخْتِيَارِي الْقِرَاءَةَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : ﴿ إِلَّا مِنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً ^(١) ﴾ بِالْفَتْحِ . انتهى .

وقد رُويت قصة أُنَى عمرو بن العلاء هذه على وجوهٍ مختلفة منها رواية الصاغاني (في العباب) قال : قال الأصمعي : سمعتُ أبا عمرو بن العلاء وكان قد هرب من الحجَّاجِ إلى اليمن يقول : كُنْتُ مُخْتَفِيًّا لَا أُخْرَجُ بِالنَّهَارِ فَطَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ ، فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ وَقَتَّ السَّحَرُ مَفْكَرًا سَمِعْتُ رَجُلًا يَنْشُدُ وَهُوَ مَارٌّ : رَيْمًا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ

رِ لَه فَرَجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ

وَمَرَّ خَلْفَهُ رَجُلٌ يَقُولُ : مَاتَ الْحَجَّاجُ ! قَالَ أَبُو عمرو : فَمَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا كُنْتُ أَفْرَحَ ، أَمْمُوتِ الْحَجَّاجُ ، أَمْ بِقَوْلِهِ : فَرَجَةٌ بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَكُنَّا نَقُولُهُ بِضَمِّهَا . اهـ .

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة . وقراءة الفتح هي قراءة نافع وابن كثير وأُنَى عمرو . ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والشنودى . الإتحاف ١٦١ وتفسير أُنَى حيان ٢ : ٢٦٥ . والخبر كذلك في معجم المرزبانى ٢٤٣ وشرح شواهد المغني للسيوطى ٢٤١ .

٥٤٥ ومنها ما رواه الدماميني (في الحاشية الهندية) قال : يُحكى عن أبي عمرو بن العلاء أَنَّهُ كان له غلامٌ ماهر في الشعر ، فَوُشِيَ به إلى الحجاج فطلبه ليشتره منه . قال : فلما دخلتُ عليه وكَلَّمَنِي فيه قلت : إِنَّهُ مُدَبَّر . فلَمَّا خرجتُ قال الواشي : كَذَب . فهربتُ إلى اليمن خوفاً من شرِّه ، فمكثتُ هناك وأنا إمامٌ يُرجع إلَيَّ في المسائل ، عَشْرَ سنين ، فخرجتُ ذاتَ يوم إلى ظاهر الصَّحراء فرأيتُ أعرابياً يقول لِآخر : ألا أبشرك ؟ قال : بلى . قال : مات الحجاج ! فأنشده :

ربِّمَّا تَكْرهُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ

ر ر له فَرَجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ

وأنشده بفتح الفاء من « فَرَجَةٌ » . قال أبو عمرو : لا أدري بأى الشيئين أفرحُ ، أَمُوتَ الحجاج أم بقوله فَرَجَةٌ بفتح الفاء ، ونحن نقول فَرَجَةٌ بضمِّها ، وهو خطأ . وتطلبت ذلك زماناً في استعمالهم . قال أبو عمرو : وكنت بقوله : فَرَجَةٌ أَشَدُّ مِنِّي فرحاً بقوله : مات الحجاج . ا هـ .

كذا ساق الحكاية . وفي قوله في آخرها : « وهو خطأ » نظرٌ لا يخفى .

والمشهور أَنَّ سببَ هروب أبي عمرو إلى اليمن طلبُ الحجاج منه شاهداً من كلام العرب لقراءته : ﴿ غَرَفَةٌ ﴾ بالفتح ، فلما تعذَّر عليه هرب إلى اليمن . ولم تحضرنى الآن هذه الرواية .

تتمة

روى السيد المرتضى رحمه الله : (في أماليه الغرر والدرر ^(١)) عن

(١) أمالي المرتضى ١ : ٤٨٦ .

الصُّوْلَى أَنْ مَنَشِدًا أَنَشِدَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبَّاسٍ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ فِي دِيْوَانِ الضِّيَّاعِ :
 * رِمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنْ الْأَمْرِ *
 البيت

قال : فَنَكَّتْ بِقَلَمِهِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ :
 وَلِرُبِّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى
 ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرُجُ
 كَمَلْتُ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ خَلْقَائُهَا
 فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تَفْرُجُ
 فَعَجِبَ مِنْ جُودَةِ بَدِيهِتِهِ . اهـ .

* * *

وَأَنَشِدَ بَعْدَهُ :

(لِأَمْرِ مَا يَسْوَدُّ مِنْ يَسْوَدُّ)
 عَلَى أَنَّ مَا هُنَا لِإِفَادَةِ التَّعْظِيمِ . وَيَسْوَدُّ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، أَيْ يُجْعَلُ
 سَيِّدًا .
 وَهَذَا عَجَزٌ وَصَدْرُهُ :

(عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ ^(١))
 وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الشَّاهِدِ السَّبْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ مِنْ بَابِ الْمَفْعُولِ
 فِيهِ (٢) .

* * *

(١) ط : « ذِي صَدَاءٍ » ، صَوَابُهُ فِي ش وَالْخَزَانَةِ ٣ : ٨٧ .

(٢) الْخَزَانَةِ ٣ : ٨٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الأربعمئة ^(١) :
 ٤٣٨ (فكفى بنا فضلاً على مَنْ غَيْرُنَا
 حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا)

على أَنَّ (مَنْ) نكرة موصوفة بمفرد ، وهو قوله (غيرنا) .
 قال سيبويه : قال الخليل رحمه الله : إِنْ شئت جعلت مَنْ بمنزلة إنسان
 وجعلت نا بمنزلة شيء نكرتين . وزعم أَنَّ هذا البيت مثلُ ذلك :
 وكفى بنا فضلاً على مَنْ غَيْرُنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا
 وكذا أورده الفراء (في أول تفسيره) من سورة البقرة ^(٢) .

قال الأعلام : الشاهد فيه حمل غير ^(٣) على مَنْ نعتاً ، لأنها نكرة
 ٥٤٦ مبهمه ، فوصفت بما بعدها وصفاً لازماً يكون لها كالصلة ، والتقدير : على
 قوم غيرنا . ورفع غير جائز على أَنْ تكون مَنْ موصولة ، ويحذف الراجع عليها
 من الصلة ، والتقدير : من هو غيرنا . والحبُّ مرتفع بكفى ، والباء في بنا
 زائدة مؤكدة ، والمعنى كفانا . اهـ .

وأورده ابن الشجرى في ثلاثة مواضع (من أماليه) قال في الموضع
 الثانى : رفع غير رواية .

(١) لم ينص هنا على أنه من شواهد سيبويه . وهو فى سيبويه ١ : ٢٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٠
 وتفسير الطبرى ١ : ٤٠٤ والجمل ٣١١ وأمالي ابن الشجرى ٢ : ١٦٩ ، وابن يعيش ٤ : ١٢
 والمقرب ٤٣ وشرح شواهد المغنى ١١٦ ، ٢٥٢ والعينى ١ : ٤٦٨ والجمع ١ : ٩٢ ، ١٦٧ وديوان
 كعب بن مالك ٢٨٩ . ولم أجده فى ديوان حسان .
 (٢) معانى القرآن ١ : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤٥ .
 (٣) ش : « غيره » ، صوابه فى ط والشتى .

وقال في الثالث ^(١) : وإن رفعت غيرُ فإنه خبر مبتدأ محذوف ، تريد من هو غيرُنا ، فجعلتَ مَنْ موصولة ، كقراءة من قرأ : ﴿ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ ^(٢) يريد : هو أحسن .

وقال ابن هشام (في المغنى) في بحث مَنْ : ويروى برفع غير ، فيحتمل أنْ مَنْ على حالها ، ويحتمل الموصولة . وعليهما فالتقدير : من هو غيرُنا ، والجملة صفةٌ أو صلة . وقال الكسائي : من هنا زائدة وغيرنا مجرور بعلى . نقله العيني عنه .

وأورده ابن هشام (في المغنى) على أن الباء قد زيدت في مفعول كفى المتعدية لواحد ، ومنه الحديث : « كفى بالمرء إثمًا أن يُحدّث بكلِّ ما سمع » . وقيل : إنّما هي في البيت زائدة في الفاعل ، وحُبُّ بدل اشتغال على المحل . اهـ .

قال المرادى : صاحب هذا القيل ابنُ أُنَى العافية . وعلى هذا حمل بعضهم قولَ المتنبي :

كفى بجسمى نُحولاً أننى رجلٌ

لولا مخاطبتى إياك لم تُرنى

ونقل ثعلب (في أماليه) عن المازنى أن زيادة الباء في قوله : « فكفى بنا » شاذة ، وإنّما تدخل الباء على الفاعل .

وحُبُّ النبيّ فاعل كفى ، و (مُحَمَّدٌ) عطف بيان للنبي ، وحُبُّ

(١) هذا الموضع الثالث مُعْتَر علىه في أمالي ابن الشجرى ، فهو مما سقط من النسخة المطبوعة .

(٢) الآية ١٥٤ من الأنعام .

مصدر مضاف إلى فاعله ، وإيانا مفعوله ، و (فضلاً) : تمييز محوّل عن الفاعل ، والأصل كفانا فضل حبّ النبي ﷺ .
وقال الدماميني : فضلاً حال وتوينة للتفخيم ، أى كفانا حبّ النبي حالة كونه فضلاً عظيماً . ولا يصحّ كونه مفعولاً ثانياً لكفى ، لفساد المعنى .
انتهى .

وروى بدله : (شرفاً) ، وهما بمعنى المزية والفضيلة .

وهذا البيت لكعب بن مالك شاعرٍ رسول الله ﷺ ، وقد تقدّمت
ترجمته في الشاهد السادس والستين ^(١) . ونُسب إلى حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضاً ؛ ولم يوجد في شعره . قال ابن هشام اللخمي (في شرح شواهد الجمل) : وقيل : هو لعبد الله بن رَوَاحَة الأنصارى . وقيل : لبشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك .

وهو مع كثرة وجوده في كتب النحو لم يذكر أحدٌ ماقبله ،
إلا السيوطى (في شرح شواهد المغنى) ، وهو :

(نصرُوا نبيَّهُم بنصرٍ وليّه)

فالله عزّ بنصره سَمَانَا (

يعنى أن الله عز وجل سَمَاهم الأنصارَ لأنهم نصرُوا النبي ﷺ ومن والاه . والباء في « بنصرٍ وليّه » بمعنى مع .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٣٩ (رَبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً صَدْرَهُ

قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يُطْعَمِ)

على أَنَّ جملة (أَنْضَجْتُ) في موضع جرٍّ على أَنَّها صفة لمن ، لأنَّها نكرة بمعنى إنسان ، بدليل دخول رَبٍّ عليها .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ^(٢) على أَنَّ من فيها نكرة موصوفة بالظرف ، لأنَّها وقعت بعد كُلِّ كوقعها بعد رَبٍّ في البيت .

قال ابن هشام (في المغنى) : زعم الكسائي أَنَّ مَنْ لا تكون نكرة إلا في موضع يخصُّ النكرات . وردَّ بقوله :
* فكفى بنا فضلاً عَلَى مَنْ غَيْرَنَا *

وبقول الفرزدق :

إِنِّي وَإِيَّاكَ إِذْ حَلَّتْ بَارْحُلُنَا

٥٤٧

كَمَنْ بِوَادِيهِ بَعْدَ الْمَحَلِّ مَطْوَرٍ ^(٣)

أى كشخص مطوٍ بواديه ، لأنَّ مجرور عَلَى والكاف لا يجب أَنْ يكون نكرة . وقد خُرجَ مَنْ فيهما على الزيادة ، وذلك شيء لم يثبت .

وروى أيضاً :

رَبِّمَا أَنْضَجْتُ غَيْظاً قَلْبَ مَنْ قَدْ تَمَنَّى إلخ

(١) ابن الشجرى ٢ : ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ١١ وشرح شواهد المغنى ٢٥٢ والشذور ١٣١

والجمع ١ : ٢/٩٢ : ٢٦ والأشعوى ١ : ٥٤ والمفضليات ١٩٨ .

(٢) الآية ٩٣ من مريم .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٦٣ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٢٦٩ .

فلا شاهد فيه ، وما حيثُذ كافة مهْيئة لدخول ربِّ عَلى الجملة .
 وجرور ربِّ هنا في محل رفع على الابتداء ، والخبر إمَّا قد تمَّنَى ، ولم يُطعْ خبر بعد
 خبر ، وإمَّا لم يطع وجملة قد تمَّنَى صفة ثانية . وإنضاج اللحم : جعله بالطبخ
 [أو الشَّى ^(١)] مستوياً يمكن أكله ويحسُن ، وهو هنا كناية عن نهاية الكمَد
 الحاصل للقلب ، أو استعارة . شَبَّ تحسِير القلب وإكاده بإنضاج اللحم الذى
 يؤكل . وغيظاً إمَّا مفعول لأجله أى أنضجت قلبه لأجل غيظي إيَّاه ، وإمَّا
 تمييز عن النسبة ، أى أنضج غيظي إيَّاه قلبه ، وهو مصدر غاظه ، إذا
 أغضبه . قال ابن السكَّيت : ولا يقال أغاظه . وأثبتته صاحبُ القاموس قال :
 يقال غاظه وغيَّظه وأغاظه . ورؤى : « قلبه » موضع « صدره » المراد به قلبه ،
 وروى أيضاً : « كَبَّده » .

وهذا البيت من قصيدة طويلة ، عدَّتْها مائة بيت وثمانية أبيات ، لسويد
 ابن أبى كاهل اليشكرى ، مسطورة في المفضليات ، مطلعها :
 (بسطت رابعة الحبل لنا

فوصلنا الحبل منها ما اتسع)

وهذه أبيات منها بعد الشاهد المذكور . قال ابن قُتيبة في ترجمة سويد
 (من كتاب الشعراء) : كان الحجاج تمثِّل يوم رُسْتَقَاباد ^(٢) على المنبر بأبيات
 من شعره ، وهو قوله :

(ربِّ مَنْ أنضجتُ غيظاً قلبه قد تمَّنَى لى موتاً لم يُطعْ
 ويرانى كالشَّجا فى حلقه عسراً مخرجه ما يُنتزعْ)

(١) أو الشى ، من ش فقط .

(٢) الذى فى الشعراء ٣٨٤ ومعجم البلدان : « رستقباد » ، والذال والذال متعاقبتان . وقال

ياقوت : « من أرض دستوا : بلدة بفارس » .

مُزِيدٌ يَخْطُرُ مَا لَمْ يَرِنِ فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعَ
 قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَتَى مَا يَكْفِي شَيْئاً لَمْ يُضْعَ
 لَمْ يَضِرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهُوَ يَرْقُو مِثْلَ مَا يَرْقُو الضُّوْعُ
 وَيَحْيِينِي إِذَا لَافَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَنَعَ
 كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا جَلَّلَ الرَّأْسَ مَشِيبٌ وَصَلَعَ (

قال ابن الأنباري (في شرح القصيدة) : روى أيضا :

* رَبِّمَا أَنْضَجْتَ غِيظاً قَلْبَ مَنْ * ... إلخ

والشجاء : الْعَصَصُ ونحوه . ومُزِيدٌ من أزيد . وأصل الْخَطَرُ في الناس : تحريك اليدين في المشي والاحتياال بهما . وانقمع : دَخَلَ بعضُهُ في بعض . والمعنى أَنَّهُ يَتَعَظَّمُ إِذَا لَمْ يَرِنِ ، فَإِذَا رَأَى تَضَاعُلَ . والضُّوْعُ بضم الصاد : ذَكَرَ الْيَوْمَ . وَيَرْقُو : يَصِيحُ . وَرَنَعَ : أَكَلَ . وَالسَّقَاطُ : الْفَتْرَةُ . يقول على طريق التعجُّب : كَيْفَ يَوْمَلُونَ فَتْرَتِي وَسَقَطِي وَقَدْ بَلَغْتُ هَذِهِ السَّنَ .

وسويد هو ابن أبي كاهل ، واسمه غُطَيْفٌ بن حارثة بن حِجْل بن مالك سيد بني دؤس . ابن عبد سعد بن عدى بن جُثَم بن ذُبْيَان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل . ويكنى أبا سعد ، وفي ذلك يقول :

أَنَا أَبُو سَعْدٍ ، إِذَا اللَّيْلُ دَجَا
 دَخَلْتُ فِي سِرْبَالِهِ ثُمَّ النَّجَا

ويقال اسم والده شَيْبٌ . وهو شاعرٌ مقدّم مخضرم ، أدرك الجاهليّة ٥٤٨ والإسلام . عدّه ابن سَلَامٍ الْجُمَحِيُّ في الطبقة السادسة ، وقرنه بعنترَ العبسي . قال أبو نصر أحمد بن حاتم : قرأت شعر سُوَيْدٍ على الأصمعيّ ، فلما بلغت قصيدته التي أوّلها :

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَّلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ

فَضَّلَهَا الْأَصْمَعِيُّ وَقَالَ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْضُلُهَا وَتَقْدِّمُهَا ، وَتَعُدُّهَا مِنْ حَكَمِهَا ، وَكَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَسْمَى « الْيَتِيمَةَ » ، لَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْثَالِ . وَعَاشَ سُوَيْدٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَهْرًا ، وَعُمِّرَ فِي الْإِسْلَامِ سِتِّينَ سَنَةً بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَى زَمَنِ الْحَجَّاجِ . كَذَا فِي الْإِصَابَةِ .

وهو من المعمرين ، ولم يذكره أبو حاتم (في كتاب المعمرين) .

وكان زياد الأعجم قد هجا بني يشكر بقوله :

إِذَا يَشْكُرُ مَسَّ ثَوْبِكَ ثَوْبُهُ فَلَا تَذْكُرَنَّ اللَّهَ حَتَّى تَطْهَرَا
فَلَوْ أَنَّ مِنْ لُؤْمٍ تَمُوتُ قَبِيلُهُ إِذَا لَأَمَاتَ اللَّؤْمُ لَا شَكَّ يَشْكُرَا

فَأَتَتْ بَنُو يَشْكُرَ [تَشْكُو ^(١)] ، [سُوَيْدًا لِهَجْوِ زِيَادًا ، فَأَبَى سُوَيْدٌ ،

فَقَالَ زِيَاد :

وَأُنْبِئْتَهُمْ يَسْتَصْرِخُونَ ابْنَ كَاهِلٍ وَلِلُّؤْمِ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامُ
فَإِنْ يَأْتِنَا يَرْجِعُ سُوَيْدٌ وَوَجْهُهُ عَلَيْهِ الْخَزَايَا غُبْرَةٌ وَقَتَامُ
دَعَى إِلَى ذُبْيَانَ طَوْرًا وَتَارَةً إِلَى يَشْكُرٍ ، مَا فِي الْجَمِيعِ كِرَامُ

فَقَالَ لَهُمْ سُوَيْدٌ : هَذَا مَا طَلَبْتُمْ لِي ؟ وَكَانَ سُوَيْدٌ مَغْلَبًا .

وَأَمَّا قَوْلُ زِيَادِ الْأَعْجَمِ « دَعَى » فَإِنَّ أُمَّ سُوَيْدٍ كَانَتْ قَبْلَ أَبِي كَاهِلٍ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ بْنِ قَيْسٍ ، فَمَاتَ عَنْهَا فَتَزَوَّجَهَا أَبُو كَاهِلٍ ، وَكَانَتْ فِيهَا

(١) التَّكْمَلَةُ مِنْ ش . وَالْمَعْنَى : أَتَتْ سُوَيْدًا شَاكِيَةً .

يقال حاملاً ، فلما وَلَدَتْهُ استلحقه أبو كاهل وسمَّاه سُويدا ، وكان سُويدُ إذا غضب على بنى يشكر انتمى إلى ذبيان ، وإذا رضى عنهم أقام على نَسَبِهِ فيهم .

وهاجى سُويدُ حاضِرَ بن سَلَمَةَ العنزى ، فطلبهما عبدُ الله بن عامر فهربا من البصرة . ثم هاجى الأعرجَ أخوا بنى حماد بن يشكر ^(١) ، فأخذهما صاحبُ الصدقة في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحى الكوفة ، فحبسهما وأمر أن لا يخرجوا من السَّجَن حَتَّى يُوَدِّيَا مائةً من الإبل ، ففكَّ بنو حمَّاد صاحبهم وبقي سُويد ، فخذله بنو عبدِ سعد ^(٢) وهم قومه ، فلم يزل محبوساً حَتَّى استوهبته عبسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتماه إليهم ، وأطلقوه بغير فداء . وحَلَفَ أن لا يعود .

وهذه أبياتٌ من قصيدةٍ انتهى فيها إلى ذبيانَ ومدحهم :

أنا الغطفاني ابنُ ذبيانَ فابعدوا وللزنَجِ أدنى منكم ويحايُرُ
أبت لى عبسٌ أن أسامَ دَنِيَّةً وسعدٌ وذبيانُ الهجانُ وعامرُ ^(٣)
وحى كرامٌ سادةٌ من هوازٍ لهم في الملماتِ الأنوفُ الفواخرُ ^(٤)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الأربعين بعد الأربعمائة ^(٥) :

(١) لم أعثر عليهم في كتب الأنساب . والذي في الأغاني ١١ : ١٦٧ : « أخوا بنى جمال بن يشكر » .

(٢) في الأصل : « بنو سعد » ، وما أثبت من الأغاني هو ما يتفق مع نسبه السابق ص ١٢٥ .

(٣) سعد هؤلاء ، هم سعد بن ذبيان . وكان سُويد إذا غضب على بنى يشكر قومه ادَّعى إلى بنى ذبيان ، كما سبق .

(٤) ط : « الملمات » ش : « باللمات » صوابهما في الأغاني ١١ : ١٦٦ . وفي الأصل : « الأنوف النواخر » ، والوجه ما أثبت من الأغاني .

(٥) أمالي ابن الشجرى ٢ : ٣١٢ وشرح شواهد المغنى ٢٥٣ والهمع ١ : ١٢ .

٤٤٠ (آل التَّزْيِيرِ سَنَامُ الْمَجْدِ قَدْ عَلِمَتْ

ذاك العَشِيرَةُ وَالْأَثَرُونَ مَنْ عَدَدَا)

على أن (مَنْ) عند الكوفيين حرف زائد ، أى : والأثرون عددا . وهى
عند البصريين موصوفة ، أى والأثرون إنساناً معدوداً .

٥٤٩ وهذا الجواب أورده الفالى ^(١) (فى شرح اللباب) ، قال : يجعل عدداً
مصدراً بمعنى المفعول ، أى معدوداً ، فتكون صفة مفردة . فمن اسم موصوف
بمفرد ، كقوله :

« فكفى بنا فضلاً على مَنْ غَيْرِنَا »

ويجوز أن تكون موصوفة بجملة محذوفة ، وذلك أن عدداً مفعول مطلق
وعامله محذوف ، تقديره يُعَدُّ عدداً بالبناء للمفعول . والجملة صفة مَنْ ، أى
إنساناً يُعَدُّ عدداً . وعلى هذا الجواب اقتصر صاحب اللباب ، وابن الشجرى
(فى أماليه) قال : زاد الكسائى فى معانى مَنْ قسماً آخر ، وهو أنها قد
جاءت صلة - يعنى زائدة - وأنشد :

« وَالْأَثَرُونَ مَنْ عَدَدَا »

وقال غيره : معناه والأثرون من يُعَدُّ عدداً ، فحذف الفعل واكتفى
بالمصدر منه ، كما تقول : ما أنت إلا سيراً . فمن فى هذا القول نكرة موصوفة
بالجملة المحذوفة ، فالتقدير : والأثرون إنساناً يُعَدُّ . اهـ .

(١) فى الأصل : « القالى » صوابه بالفاء كما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ . وانظر هذا الجزء

وأجاب بهما ابن هشام (في المغنى) فقال : عدداً إما صفةً لمن على أنه اسمٌ وضع موضع المصدر ، وهو العدَدُ ، أى والأثرُون قوماً ذوى عدَدٍ (١) أى قوماً معدودين . وإما معمول ليعَدَّ مخذوفا صلة أو صفة لمن ، ومن بدل من الأثرُون . اهـ .

وإنما نصبوا تفسيرا مَنْ ، وهو قوطهم : إنساناً أو قوماً ، لأنَّ مَنْ تمييز . وعلى قول الكوفيين من زائدة وعدداً هو التمييز . وفي تخريجهم نظرٌ لا تخفى سماجته ، مع أنه ليس فيه كبير مدح ؛ فإنَّ مراد الشاعر أنَّ آل الزُبَيْرِ سَنَامُ المجد والأكثرُون عدداً ، فإنَّ أتباعهم أكثر من أتباع غيرهم عدداً ، إلا أنَّهم يُعدُّون عدداً ؛ فإنَّ من يُعدُّ قليلاً ، والقلة لا فخر فيها ولا مدح .

وجعل ابن هشام مَنْ بدلاً من الأثرُون على تقدير الفعل ، لا وجه له ، إذ لا فرق في المعنى بين قولنا قوماً معدودين وبين قوماً يُعدُّون . فتأمل . ونقله كونها اسماً في حال الزيادة ، يخالفه صريحُ نقل الشارح المحقق ، وصريحُ كلام ابن السجري . وتخرج الكوفيين خالٍ عن التعسف مع صحة معناه ، ومتانة مغزاه .

وقال الأندلسي (في شرح المفصل) : الرواية عند البصريين : « والأثرُون ما عددا » ، وزيادة « ما » جائزة لا اختلاف فيها (٢) .

وقوله : (آل الزبير) مبتدأ و (سنام المجد) خبره ، و (الأثرُون) معطوف على الخبر ، وجملة (قد علمت ذاك العشيرة) اعتراضية لتقوية المعنى

(١) ط : « ذوى عد » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « لا خلاف فيها » ، وأثبت ما في ش .

وتسديده ؛ و (ذاك ^(١)) مفعول علمت ، وهو إشارة إلى كونهم سَنَامُ المجد والأكثرين عددا . و (العشيرة) فاعل علمت ، وروى بدله (القبائل) أى قبائل العرب . وعلم هنا متعدّد لمفعول واحد ، لأنه بمعنى عرف . و (سنام المجد) : أعلى المجد ، استعير من سَنَام الإبل . و (الأثرُون) : جمع أثرى ، وهو أفعّل تفضيل من ثَرِيْتُ بك بكسر الراء ، أى كَثُرْتُ بك . قاله فى الصحاح .

وهذا البيت مع كثرة دَوْرانه فى كتب النحو لا يُعرف له قائل ، ولا تنمة . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الأربعمئة ^(٢) :
 ٤٤١ (ياشاةً مَنْ قَنَصَ لَمَنْ حَلَّتْ له
 حُرْمَتٌ على وليتها لم تحرم)
 على أَنَّ (مَنْ) عند الكوفيين زائدة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : مَنْ هنا أيضا نكرة موصوفة بمفرد ، أى ياشاةً إنسانٍ قَنَصَ ، على أنه من الوصف بالمصدر للمبالغة .
 يريد أن قَنَصا مصدر بمعنى الصَّيْدَ أريد به اسم الفاعل ، أى ياشاةً إنسان قانص . وأراد بالإنسان نفسه . وهذا تخريجٌ جيد لا مطعن فيه ،
 ٥٥٠ والمشهور فيه كما قال الشارح المحقق : « ياشاةً ما قنصى » بزيادة ما ، وهى رواية شَرَّاح المعلقات ، ولم يرو أحد منهم الرواية الأولى ، فإن البيت من معلقة عنترة ابن شدّاد العبسى .

(١) ط : « وذلك » ، صوابه فى ش .

(٢) شرح شواهد المغنى ٢٥٢ . والبيت من معلقة عنترة المعروفة .

و (الشاة) هنا : كناية عن المرأة ، والعرب تكنى عنها بالنَّعْجَة أيضا .
وقد أورده صاحب الكشف برواية (ما) عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ^(١) ﴾ ، على أَنَّ النعجة استُعيرت للمرأة ، كما استعار عنترة للشاة ، فقصي على هذه الرواية مصدرٌ بمعنى المفعول ، وهو مجرور بإضافة شاة إليه . وفى زيادة ما وتنكير قنص ما يدلُّ على أَنَّها صيدٌ عظيم يَغْتَبِطُ مَنْ يَحُوزُهَا أَىَّ اغْتِبَاطٍ ، فيكون ^(٢) فى قوله (حُرِّمَتْ عَلَى) الدلالة على التحزُّن التامُّ على فوات تلك الغنيمة .

قال الخطيب التبريزيُّ فى شرح هذه المعلقة : قوله (لِمَنْ حَلَّتْ) أى لِمَنْ قدر عليها . وقوله : (حُرِّمَتْ عَلَى) معناه هى من قوم أعداء . ويدلُّ على هذا قوله فى القصيدة :

« عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا »

والمعنى : أَنَّها لَمَّا كانت فى أعدائى لم أَصِلْ إليها وامتنعتُ منى . وأصل الحرام الممنوع . والمعنى : أَنَّها حرمت علىَّ باشتباك الحرب بينى وبين قبيلتها . وقوله : (وَلَيْتَهَا لَمْ تَحُرِّمْ) هو تمنُّ فى بقاء الصلح . وقال الأخفش : معنى حرمت علىَّ : أى هى جاريتى ، وليتها لم تحُرِّمْ : أى ليتها لم تكن جارةً حتَّى لا يكون لها حرمة .

وقال الزوزنى فى شرحه : هى امرأة أبيه ، يقول : حُرِّمَ علىَّ تزويجها لتزويج أبى إيَّاهَا ، وليتها لم يتزويجها حتى كانت تحلُّ لى . اهـ .

(١) الآية ٢٣ من سورة ص .

(٢) ش : « فيكون » بالياء .

أقول : لا ينبغي أن يذكر هذا ، فإنَّ التزوُّجَ بامرأة الأب كان جائزاً في الجاهلية ، ويشهد له القرآن ^(١) . و (شاة) بالنصب ، لأنه منادى مضاف عند أبي جعفر النحوي ، ومفعول لفعل محذوف مع المنادى عند الزوزني ، قال : التقدير : يا هؤلاء اشهدوا شاةً قنص لمن حَلَّتْ له ، فتعجبوا من حسنها وجهالها ، فإنَّها قد حازت الجمال . والمعنى : هي حسناء جميلة .

وترجمة عنتره قد تقدّمت في الشاهد الثاني عشر من أوائل الكتاب . وقد أورد البدر الدماميني هنا أبياتاً قد ضُمِّنَ فيها البيتُ الشاهد ، قال : أنشدني شيخنا شمس الدين العُمَارِيُّ إجازةً قال : أنشدني أبو حَيَّان قال : أنشدنا جعفر بن الزُّبَيْر قال : أنشدني القاضي أبو حفص عُمر بن عُمر الفاسي نفسه ، وقد أُهْدِيَتْ إليه جارية فوجدها ابنةً سُرِّيَّةً كان تسرَّها ، فردَّها وكتب إلى مهديها :

يا مُهْدِيَ الرِّشَاءِ الَّذِي أَلْحَظُهُ	تَرَكْتَ فَوَادِي نَصَبَ تِلْكَ الْأَسْهَمِ
رِيحَانَةَ كُلِّ الْمَنَى فِي شَمِّهَا	لَوْلَا الْمُهَيْمَنُ وَاجْتِنَابُ الْمَحْرَمِ
مَا عَن قَلْبِي صُرِفَتْ إِلَيْكَ ، وَإِنَّمَا	صَيْدُ الْغَزَالَةِ لَمْ يُبَيِّحْ لِلْمَحْرَمِ
إِنَّ الْغَزَالَةَ قَدْ عَلِمْنَا سَرَّهَا	قَبْلَ الْمَهَابَةِ ، وَلَيْتَنَا لَمْ نَعْلَمْ
يَا وَيْحَ عَنترَةَ يَقُولُ وَشَفُّهُ	مَا شَقَّنِي فَشَدَا وَلَمْ يَتَكَلَّمِ
« يَا شاةً مَا قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ	حَرَمْتُ عَلَى وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرَمِ »

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد الأربعمئة ^(٢) :

(أَوْ تُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ الْمَوْلَى)

٤٤٢

(١) يعني الإشارة التي في قوله تعالى : « وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ » . سورة النساء ٢٢ .

(٢) نوادر أبي زيد ٥٣ .

على أن (أَل الموصولة) المستعملة في الجمع إذا لم تصحب موصوفها
يجوز مراعاة لفظها كما هنا ، إذ المراد : في الظاعين المولّين . ويجوز أن يكون ٥٥١
الإفراد باعتبار أن موصوفها المقدّر مفرد اللفظ ، أى في الجمع الظاعين ؛ وإنّما
حُمِلَ أَل في الوصفين على الجمع لأنّ المعنى دلّ على أن المراد : إن تصبّح
راحلة مع الظاعين . وليس لإفرادهما معنى بدون ما ذكره الشارح المحقق .
وذهب أبو على الفارسيّ (في المسائل البصرية) إلى أن الجمعية
مستفادة من كون أَل للجنس ، لا أنّها تدلّ عليها وضعاً ، قال : أنشد
المازني :

« أو تصبّح في الظّاعن المولّي »

وفسّره بالظاعنين . وسألني أبو يعقوب الماورديّ : إذا حسُن أن
تكون ^(١) اللام للجمع في الظاعنين دالة على الجمع فيه على قول المازنيّ وابن
السّراج ، فلم لا يحسُن ذلك في الظاعن مع إفراد ظاعين ، كما جاز ﴿ مثل
الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ^(٢) ﴾ ؟ فقلت له : الفرق بينهما أن
ذلك في الذي اتسع ، وأنّه لم يخلُ ذلك من دليل يدلّ عليه ملفوظ به .
ألا ترى أنّه قال : فلمّا أضاءت ما حوله ! وقال :

« إنّ الذي حانت بفلج دماؤهم »

واللام محمولة على الذي اتساعاً ، فلا تحتل من الاتساع ما يحتمله
الأصل . ألا ترى أن حملها على الذي اتسع فيها ، حتّى قال أبو عثمان :
ليست بمعنى الذي ، ولكنها دالة على الذي . وتوالى الاتساع مرفوض ، وإذا لم

(١) ش « يكون » .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة . ونصّها : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » . والاكتفاء ببعض
النص القرآني جائز .

يحسن أن يجعل بمنزلة الذى فى هذا ، فإن لا تحسن أن تجعل بمنزلة الذى فى مع تعريضها من دليل يدل عليه أولى ، وإن الذى ، لا يسوغ ذلك فيها متعريّة من دليل . ا هـ .

وفيه نظر من وجهين :

الأول : أن قوله اللام محمولة على الذى اتساعاً ممنوع ، فإنها موضوعة لمعنى الذى وفرعيه بالاشتراك ، وليست محمولة على الذى .

والثانى : قوله وتوالى الاتّساع مرفوض ، ممنوع أيضاً ، فإنّ المجاز وهو من الاتّساع فى اللغة ، قد يتجوّز به إلى مجازين أو أكثر .

وكذلك ذهب ابن السجّرى (فى أماليه) إلى أن الجمعية مستفادة من لام الجنس ، قال : والشكّور من قوله تعالى : ﴿ وقليل من عبادى الشكّور ﴾ ^(١) اسم جنس ، والمعنى : وقليلون من عبادى الشكورون . وكون اسم الجنس مشتقاً قليل ، وإنّما يغلب على أسماء الأجناس الجمود ، كالدينار والدرهم ، والقفيز والإردب . إلى أن قال : ومما جاء من المشتق يراد به الجنس : المفسد والمصلح ، فى قوله تعالى : ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ ^(٢) أى المفسدين من المصلحين . ومنه قول الراجز :

* أو تُصبحى فى الظاعن المولى *

أراد : فى الظاعنين المولين . وقول الأحيلىّة :

(١) الآية ١٣ من سورة سبأ .

(٢) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخَ
بِنَجْدٍ وَلَمْ يَهْبِطْ مَعَ الْمَتَغَوِّرِ ^(١)

أَرَادَتْ : مَعَ الْمَتَغَوِّرِينَ . ا هـ .

وَالْبَيْتُ مِنْ أَرْجُوزَةٍ أَوْرَدَ بَعْضُهَا أَبُو زَيْدٍ (فِي نَوَادِرِهِ) ، وَهَذَا مَقْدَارُ
مَا أَوْرَدَهُ :

أَشْطَارُ الزَّجَرِ

(إِنْ تَبَحَّلَى يَاجُمْلُ أَوْ تَعَتَّلَى
أَوْ تُضْبِجَى فِي الظَّاعِنِ الْمَوْلَى
تُسَلِّ وَجَدَ الْهَائِمِ الْمَغْتَلِّ
بِأَزْلِ وَجَنَاءَ أَوْ عَيْهَلِّ
كَأَنَّ مَهْوَاهَا عَلَى الْكَلْكَلِّ
وَمَوْقِعاً مِنْ ثِفْنَاتِ رُؤْ
مَوْقِعُ كَفَى رَاهِبٍ يُصَلِّي)

وَأَوْرَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ (فِي نَوَادِرِهِ أَيْضاً) هَذَا الْمَقْدَارَ ، وَزَادَ عَلَيْهِ بَعْدَهُ ،
وَهُوَ :

(فِي غَبَشِ الصُّبْحِ وَفِي التَّجَلَّى) ٥٥٢

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ بَعْدَ إِيرَادِهِ الْآيَاتِ : الْمَغْتَلِّ : الَّذِي اغْتَلَّ جَوْفُهُ مِنَ الشَّقْوِ
وَالْحُبِّ وَالْحُزْنِ ، كَعُتْلَةِ الْعَطَشِ . وَالْوَجَنَاءَ : الْوَثِيرَةَ الْقَصِيرَةَ . وَالْعَيْهَلِّ :
الطَّوِيلَةَ . وَالرُّؤْ : الْمُلْسُ . ا هـ .

(١) ط : « لَمْ يَنْخَ » صَوَابُهُ فِي ش وَدِيوَانِ لَيْلَى ٧٢ .

وقوله : « إن تبخلى » هو من البخل ، أى إن تبخلى علينا بوصلك .
 وجُمِّلَ ، بضم الجيم ، من أسماء نساء العرب . وتَعَتَّلَى ، من الاعتلال ، وهو
 التمازض والتمسُّك بحجة . والظاعن ، من ظعن من باب نفع ، إذا ارتحل .
 والموَلَّى ، من وَلَّيت عنه ، إذا أعرضت عنه وتركته . وتعتلَّى وتصبحى معطوفان
 على تبخلى ، ولهذا جُزِما بحذف النون .

وقوله : « نُسلِّ » جواب الشرط ، مجزوم بحذف الياء وأوله نون المتكلم ،
 من التسلية ، وهو إذهاب الهم ونحوه بالسُّلُو . قال أبو زيد : السُّلُو : طيب
 نفس الإلف عن إلفه . والوجد : الغم والحزن . والهاثم ، أراد به الشاعر نفسه ،
 وهو من هام ، إذا خرجَ عَلَى وجهه لا يدرى أين يتوجَّه إن سلك طريقاً
 مسلوکاً ، فإن سلك طريقاً غير مسلوک فهو راكبُ التعاسيف . كذا فى
 المصباح . والمغتَلِّ بالعين المعجمة ، من الغلَّة بالضم ، وهى حرارة العطش .
 وفسر المغتَلِّ صاحبُ الصَّحاح بشديد العطش .

وقوله : « ببازل » متعلق بنسلِّ ، والبازل : الداخل فى السنة التاسعة من
 الإبل ذكراً كان أو أنثى ، والمراد هنا الثانى لقوله وجَناء . وفسرها أبو زيد
 بالوثيرة ، بالثاء المثناة ، وهى الكثيرة اللحم ، والتى لا تُتعب راكبها .
 والمشهور تفسيرها بالناقة الشديدة . والعيهل ، فسرها أبو زيد بالطويلة ، وقال
 غيره : هى السريعة . قال صاحب العباب : العيهل والعيهلة : الناقة السريعة .
 قال أبو حاتم : ولا يقال جمل عيهل ، وتشديد اللام لضرورة الشعر . اهـ .

وبه يظهر فساد قول السخاوى (فى سفر السعادة) : إن العيهلُ :
 النجيبُ من الإبل ، والأنثى عيهلة . ويردُّ عليه أيضاً قوله وجناء .

وقوله : « مَهْوَاهَا » مصدر بمعنى الهوى والسقوط . والكلكل ، كجعفر : الصدر ، وتشديد اللام ضرورة أيضاً . وَثَفَنَات : جمع ثَفْنَة بفتح المثلثة وكسر الفاء بعدها نون ، وهو ما يقع على الأرض من أَعْضَاءِ الإبل إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما . وَزَلَّ بالضم : جمع أَزَلَّ ، وهو الخفيف . وفسره أبو زيد بِمُلْسٍ . وهو غير مناسب ، إذ المراد تشبيه الأَعْضَاءِ الخشنة الغليظة من النَّاقَةِ بكثرة الاستناخِ بكفى راهب قد شُتِنَتْ وخشنت ، من كثرة اعتماده عليهما في السُّجود . وروى : « رَجَلَى راهب » بدل « كَفَى راهب » . والغَبَش ، بفتحيتين : بقية الليل . وأراد بالتجلى النهار .

وهذه أرجوزة طويلة أورد منها شُراح شواهد سيبويه جملةً ، وكذلك أبو علي (في المسائل العسكرية) .

وقوله :

* بيازل وجنأ أو عيهل *

أورده سيبويه في باب الوقف ^(١) ، لرجل من بني أسد ، على أن تضعيف الآخر في القافية ضرورة . قال الأعلام : الشاهد فيه تشديد عيهل في الوصل ضرورة ، وإنما يشدد في الوقف ليعلم أنه متحرك في الوصل . قال أبو علي (في المسائل العسكرية) أما العيهل والكلكل فاستعمالهما بتخفيف ، فقدّر الوقف عليه فضايف ، إرادة للبيان . وهذا ينبغي أن يكون في الوقف دون الوصل ، لأن ما يتصل به في الوصل يبين الحرف وحركته . فمن ذلك من قال في الوقف : هذا خالداً فإذا وصل قال : هذا خالداً كما ترى .

٥٥٣ ويضطر الشاعر فيجربى الوصل بهذه الإطلاقات في القوافي مجرى الوقف . وقد جاء ذلك في النصب أيضاً . قال :

* مثل الحريق وافق القصبا *

وهذا لا ينبغي أن يكون في السعة . ا هـ .

وهذه الأرجوزة نسبها السخاوى (في سفر السعادة) لمنظور بن مرثد الأسدى . قال : وقيل لغيره . ونسبه الصاغاني (في العباب) لمنظور بن حبة الأسدى ، وهما واحد ، فإن مرثداً أبوه وحبة أمه ، فبعضهم ينسبه إلى أبيه وبعضهم إلى أمه .

قال الصاغاني (في العباب) : منظور بن حبة راجز من بنى أسد . وحبة أمه ، واسم أبيه مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان ابن طريف بن عمرو بن قعين . ا هـ .

وقعين : ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة .

* * *

وأنشد بعده :

(جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطَّ)

على أن جملة (هل رأيت) إلى آخرها صفة لمذق ، بتقدير القول . وتقدم شرحه مستوفى في الشاهد السادس والتسعين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س^(١) :

٤٤٣ (ولقد أبيت من الفتاة بمنزل

فأبيت لا حرج ولا محروم)

على أن (لا حرج) عند الخليل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والجملة محكية بقول محذوف ، أى أبيت مقولاً فنى : هو لا حرج ولا محروم . وهذا من حكاية الجمل بتقدير المبتدأ ، ولا يصح أن يكون من حكاية المفرد ، لأن حكاية إعرابه إنما تكون إذا أريد لفظه ، نحو : قال فلان : زيد ، إذا تكلم بزيد مرفوعاً ، وفي غير هذا يجب نصبه ، إلا أن يكون بتقدير شيء ، فتجب حكاية إعرابه كما هنا .

وهذا نص سيبويه في المسألة : وزعم الخليل أن أيهم إنما وقع في قولهم : اضرب أيهم أفضل على أنه حكاية ، كأنه قال : اضرب الذى يقال له : أيهم أفضل . وشبهه بقول الأخطل :

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل.... البيت

قال الأعلم : الشاهد في رفع حرج ومحروم ، وكان وجه الكلام نصبهما على الحال . ووجه رفعهما عند الخليل الحمل على الحكاية ، والمعنى : فأبيت كالذى يقال له لا حرج ولا محروم . ولا يجوز : رفعه حملاً على مبتدأ مضمّر ، كما لا يجوز : كان زيد لاقائم ولا قاعد ، على تقدير : لا هو قائم ولا هو

(١) في كتابه ١ : ٢٥٩ ، ٢٩٨ . وانظر أمالي ابن الشجرى ٢ : ٢٩٧ والإنصاف ٧١٠ وابن

يعيش ٣ : ٧/١٤٦ : ٨٧ .

قاعداً (١) لأنه ليس موضع تبعض ولا قطع ، فلذلك حمّله على الحكاية .
اهـ .

وقال النحاس : قال سيبويه : زعم الخليل أن هذا ليس على إضمار
أنا ، ولو كان كذلك لجاز : كان عبد الله لا مسلم ولا صالح ، ولكنه فيما
زعم الخليل : فأبيت كالذى يقال له لا حرج ولا محروم . وإنما فر الخليل من
إضمار أنا وإن كانت قد تضرّعت في غير هذا الموضع ، لأنه يلزم عليه أن
يقول : كنت لا خارج لا ذاهب . وهذا قبيح جداً ، فجعله على الحكاية :
فأبيت بمنزلة الذى يقال له : لا حرج ولا محروم ، أى إنها لم تحرمنى فيقال لى
محروم ، ولم أخرج من حضوري معها فيقال لى حرج . وقال أبو إسحاق
الزجاج : هو بمعنى لا حرج ولا محروم فى مكانى . فإذا لم يكن فى مكانه
حرجاً ولا محروماً فهو لا حرج ولا محروم . وزعم الجرمي أنه على معنى فأبيت
٥٥٤ وأنا لا حرج ولا محروم . قال سيبويه : وقد زعم بعضهم أنه على النفى ، كأنه
قال : فأبيت لا حرج ولا محروم بالمكان الذى أنا فيه . وكلام أبى إسحاق
شرح لهذا . قال أبو الحسن : فيكون فى المكان الذى أنا فيه خيراً عن
حرج ، والجمله خبر أبيت . انتهى كلام النحاس .

قال السيرافى : وهذا التفسير أسهل ، لأنّ المحذوف خبر حرج ، وهو
ظرف ، وحذف الخبر فى النفى كثير كقولنا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، أى
لنا .

وقوله : (ولقد أبيت) قال صاحب المصباح : بات له معنيان :
أحدهما كما نقل الأزهري عن الفراء : بات الرجل ، إذا سهر الليل كله فى

(١) من « على تقدير » فى ص ١٣٩ إلى هنا ، ساقط من ش .

طاعة أو معصية . وثانيهما بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواء كان فى ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فَإِنَّهُ لَا يَدْرِى أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ » ، أى صارت ووصلت . ا هـ .
والمناسب هنا المعنى الثانى .

والرواية فى ديوان الأخطل : « ولقد أكون » . والمستقبل هنا فى موضع صاحب البيت . الماضى ، لأنه يريد أن يخبر عن حاله فيما مضى ، وأكثر ما يحى هذا فيما علم منه ذلك الفعل تحلقا وطبعيا وقد تكرّر ذلك الفعل منه ، ولا يكون كفعل فعله فى الدهر مرة واحدة . و (الفتاة) : الجارية الشابة ، يريد أنه كان فى شبابه تحبّه الفتيات ، ويبيت عندهنّ (بمنزلة) يعنى بمنزلة جميلة . و (الحرج) بفتح الحاء وكسر الراء : المضيق عليه . يقول : إنّ موضعه لم يكن مضيقا به ، ولا هو محروم من جهتها ما يريده .

وقبل هذا البيت :

(ولقد يَكُنْ إِلَى صُوراً مَرَّةً أَيَّامَ لَوْ غَدَائِرِي يَحْمُومُ)

والنون فى يَكُنْ ضمير النساء الغواني فى بيت قبله . والصُّور : جمع صائرة بمعنى مائلة . والغدائر : الذوائب ، جمع غديرة . واليحموم : الأسود . والبيتان من قصيدة ذكر فيها ما كان يفعله أيام الشباب ، ثم توعّد جميعاً ، وهو رجل من كلب ، بأنه إن لم يُمسك لسانه عنه هجاء وهجا قبيلته .

والأخطل شاعر نصرانيّ من شعراء الدولة الأموية . وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والسبعين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٤٤ (دَعَى مَاذَا عَلِمْتُ سَأْتِقِيهِ وَلَكِنْ بِالْمَغِيبِ نَبِّئْنِي)

على أن (ذا) هنا زائدة بعد ما الموصولة .

وهذا مخالفٌ لكلام سيبويه فيهما ؛ فإنَّ ما عنده في البيت استفهامية ، وذا اسمٌ مركبٌ معها ، جُعِلَا بمنزلة شيءٍ واحدٍ . وهذا نصُّ كلامه : وأما إجرأؤهم ذا مع ما بمنزلة اسم واحد ، فهو قولك : ماذا رأيت ؟ فتقول : خيراً ، كأنك قلت : ما رأيت ؟ فلو كانت ذا لغواً لما قالت العرب : عمّا ذا تسأل ، ولقالوا : عمّ ذا تسأل ، ولكنَّهم جعلوا ما وذا اسماً واحداً كما جعلوا ما وإنَّ حرفاً واحداً حين قالوا إنَّما . ومثل ذلك : كأنتما وحيثما في الجزاء . ولو كان ذا بمنزلة الذي لكان الوجه في ماذا رأيت إذا أراد الجواب أن يقول : خير . وقال الشاعر ، وسمعنا بعضَ العرب يَقوله :

دَعَى مَاذَا عَلِمْتُ سَأْتِقِيهِ وَلَكِنْ بِالْمَغِيبِ نَبِّئْنِي

فالذي لا يجوز في هذا الموضع ، و « ما » لا يحسن أن تلغيها . انتهى كلامه .

٥٥٥ وقال أبو حيان (في تذكرته) : قال بعضهم : ذا مع ما شيءٌ واحد ، وموضع ماذا نصب بعلمتُ ، وهي الاستفهامية على ما حكى سيبويه . وحكى السيرافي أنَّ ماذا في البيت بمعنى الذي ، وعلمتُ صلة ، وحذفت الهاء العائدة ، وماذا في موضع نصب بدعى ، والتقدير : دعى الذي علمتُ فإتني

(١) في كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر شرح شواهد المغنى ٦٩ ، ٢٤٣ والعينى ١ : ٤٨٨ والجمع

١ : ٨٤ واللسان (ذا ٣٤٩) .

سأتقيه . وهو أصحُّ معنى مما حكى سيويه ، لأنَّه جعلها استفهامية منصوبة ^(١) بعلمت الواقع بعدها ، وهو فاسدٌ من طريق المعنى . ويمكن أن يكون منصوباً بإضمار فعل يدلُّ عليه سأتقيه ، كأنَّه قال : دعى كلَّ شيء سأتقى ماذا علمت سأتقيه . اهـ .

وقد خَفِيَ على الأعلام ظهور كون ما فى البيت استفهامية ، فزعم أنها موصولة ، قال : الشاهد فيه جعل ماذا اسماً واحداً بمنزلة الذى ، والمعنى دعى الذى علمته فإنى سأتقيه لعلمى مثل الذى علمت ، ولكن نبئنى بما غاب عَنى وعنك ، مما يأتى به الدَّهر ، أى لا تعذِّلنى فيما أبادر به الزَّمان ^(٢) من إتلاف مالى فى وجوه الفتوة ، ولا تخوِّفنى الفقر . ا هـ .

والمفهوم من تقريره أنَّ التاء من علمت مكسورة . قال النحاس : وهى رواية أئى الحسن ، وأمَّا رواية أئى إسحاق فهى بضم التاء . قال النحاس : فذا هنا لا تكون بمعنى الذى ، لأنَّه لا يجوز دعى ما الذى علمت . قال أبو إسحاق : لا يكون ذاهاً إلَّا بمنزلة اسمٍ مع ما ، وذلك أنها لا تخلو من إحدى ثلاث جهات : إمَّا أنَّ تكون ما صلة وذا بمعنى الذى ؛ وهذا لا يجوز لأنَّ ذا لا يكون بمعنى الذى إلا مع ما ومن الاستفهاميتين ، كذا استعملت .

وإمَّا أنَّ يكون « ما » بمعنى الذى ، وذا بمعنى الذى ، فتكون ما مفعولة وذا مبتدأ وعلمت صلة ، ويبقى المبتدأ بلا خبر . فإن قلت : أضمر هو ، فكأنك قلت : دعى الذى هو الذى علمت . فهذا قبيح . وهذا الذى قال سيويه ، والذى لا يجوز فى هذا الموضع ، لئلا يلزم أن تحذف هو منفصلة .

الثالث : أنَّ تكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد . ا هـ .

(١) ش : « منصوبا » .

(٢) فى النسختين : « فيما أبادر بالزمان » ، صوابه ما أثبت من شرح الأعلام .

ولا يخفى أنه لم يعين معنى ماذا بعد هذا التردد ، هل هي استفهام أو موصول .

وزهب ابن عصفور إلى أنَّ ما استفهامية وذا موصولة ، وقال : لا يكون ماذا مفعولاً لدعى ، لأنَّ الاستفهام له الصدر . ولا علمت ، لأنه لم يرد أن يستفهم عن معلومها ما هو . ولا لخدوف يفسره سأتيه ، لأنَّ علمت حينئذ لا محل له . بل ما استفهام مبتدأ ، وذا موصول خبر ، وعلمت صلة ، وعُلّق دعى عن العمل بالاستفهام . ا هـ .

ولا يخفى أنَّ هذا مبنيٌّ على رواية كسر التاء من علمت ، وأمّا على رواية ضمها فلا استفهام ، إذ المعنى : دعى ما علمته أنا وخبريني ما جهلته . وأورد عليه ابن هشام (في المعنى) بعد نقل كلامه أنَّ قوله لم يرد أن يستفهمها عن معلومها ، لازمٌ له إذا جعل ماذا مبتدأ وخبراً . ودعواه تعليق دعى مردودةٌ ، لأنها ليست من أفعال القلوب . فإن قال : إنّما أردت أنه قدّر الوقف على دعى ، فاستأنف ما بعده ، ردّه قول الشاعر : ولكن ، فإنّها لا بدّ أن يخالف ما بعدها ما قبلها ، والمخالف هنا دعى ، فالمعنى دعى كذا ولكن افعل كذا . وعلى هذا فلا يصحّ استئناف ما بعد دعى ، لأنّه لا يقال من في الدار فإنني أكرمه ولكن أخبرني عن كذا . ا هـ .

وزهب أبو علي (في المسائل المنثورة) إلى أنَّ ماذا بمعنى شيء نكرة . قال : ولا يجوز أن أجعل ذا في تأويل الذي ، لأنها لم تحيَّ في تأويل الذي ٥٥٦ إلا في الاستفهام . وههنا ليس معنى استفهام ، ولكن معنى ما وذا بمعنى شيء ، فيكون بمعنى اسم واحد ، فيكون تقديره : دعى شيئاً علمت ، ويكون علمت

صفةً لماذا . والشاهد على هذا القول أنَّ ما وذا إنَّما جاءت بمعنى شيء واحد في الاستفهام ، والاستفهام نكرة ، وهى ههنا أيضاً مبهمة ، فحملتها على النكرة التى جاءت فى الاستفهام . ا هـ .

وعلمت هنا بمعنى عَرَفْتُ ، ولهذا تعدَّى إلى مفعول واحد . والنبأ : الخبر .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرِفَ قائلها ، والله أعلم به . وزعم العيني وتبعه السيوطى (فى شرح شواهد المغنى) أنَّه من قصيدة صاحب الشاهد للمثقَّب العبدى ، مطلعها :

(أَفَاطَمُ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِنِى وَمَنْعَكَ مَا سَأَلْتِ كَأَنَّ تَبَيَّنِى)
وهذا لا أصل له ، وإنَّ كان الروى والوزن شيئاً واحداً ؛ فإنَّ قصيدة المثقَّب العبدى قد رواها جماعة ، منهم المفضل الضبى (فى المفضليات) ، ومنهم أبو على القالى (فى أماليه) و (فى ذيل أماليه) ، ولم يوجد البيت فيها ، ولم يعزَّه إليه أحدٌ من خدِّمة كتاب سيبويه ، وهم أدري بهذه الأمور . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٤٥ (أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْحَبَ فَيَقْضَى أَمْ ضَلَّالٌ وَبَاطِلٌ)

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٩ والمعانى الكبير ١٢٠١ والجمل ٣٣١ والمختص ١٤ : ١٠٣ وأمالى ابن السجى ٢ : ١٧١ ، ٣٠٥ وابن يعش ٣ : ٤/١٤٩ و٢٣ وشرح شواهد المغنى ٥٥ والعينى ١ : ٧ ، ٤٤٠ واللسان (ذو ، ذوات ، حول) .

على أن ما مبتدأ وذا زائدة ، وجملة يحاول خبر المبتدأ ، والرباط محذوف ،
أى يحاوله .

وهذا مخالف لسيبويه ومن تبعه ، فإنه جعل ذا هنا موصولة ، وهذا
نصه : أمّا إجراؤهم ذا بمنزلة الذى فهو قولهم : ماذا رأيت ؟ فيقول : متاع
حسن . وقال لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول البيت

قال الأعلام وابن السيرافى : التقدير : ما الذى يحاول ، فما مبتدأ وذا
خبره ، ويحاول صلة ذا ، كأنه قال : أى شئ الذى يحاوله ، بدليل قوله :
أنحب . ولو كان ذا مع ما كشيء واحد لكان ماذا منصوباً بيحاول ، وكان
مفسره الذى هو نحب منصوباً ، لأنه استفهام مفسر للاستفهام الأول ، فهو
على إعرابه ، ولوجب أن يقال : أنحبا فيقضى أم ضلالاً وباطلاً . اهـ .

وكذلك قال أبو على (فى إيضاح الشعر) كأنه قال : ما الذى يحاوله ،
الذى يحاوله نحب أم ضلال . ولو كان ذا مع ما فى البيت اسماً واحداً كما كان
فى قوله تعالى : ﴿ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ﴾ ^(١) لكان النحب نصباً .
اهـ .

ونقل النحاس عن ابن كيسان أنه قال هنا : إن شئت جعلت ما وذا
شيئاً واحداً ؛ لأن ما تكون لكل الأشياء وذا كذلك ، فوافقتها فى الإبهام
فقرنتا . والذى اختار إذا جعلاً شيئاً واحداً أن يكون ذا صفة لما . انتهى .

وكذلك قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : كون ذا موصولاً لا يتعين ؛ لاحتمال أن يكون ماذا كله اسماً واحداً مرفوعاً على أنه مبتدأ ، ويحاول خبره ، والرباط محذوف أى يحاوله . ومثله في الشعر جائز . ونحبّ بدل من المبتدأ ، ويحتمل أن يكون ماذا كله في محل نصب على أنه مفعول يحاول ، ولا ضمير محذوف . فإن قلت : يبطله رفع البدل . قلت : لا يكون نحب حينئذ بدلاً ، بل يكون خبر مبتدأ مضمّر . ا هـ .

أقول : أما النصب فقد جوزه الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾^(١) قال : تجعل ما في موضع نصب ٥٥٧ وتوقع عليها يُنفقون ، ولا تنصبها يسألونك . وإن شئت رفعتها من وجهين : أحدهما أن تجعل ذا اسماً يرفع ما ، كأنتك قلت : ما الذي ينفقون . والعرب قد تذهب بهذا وإذا إلى معنى الذي . والرفع الآخر : أن تجعل كلّ استفهام أوقعت عليه فعلاً بعده رفعاً ، لأنّ الفعل لا يجوز تقديمه قبل الاستفهام ، فجعلوه بمنزلة الذي إذ لم يعمل فيها الفعل الذي بعدها . فإذا^(٢) نويت ذلك رفعت العفو كذلك ، كما قال الشاعر :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول البيت

رفع النحب لأنه نوى أن يجعل « ما » في موضع رفع ، ولو قال أنحباً فيقضى أم ضلالاً وباطلاً كان أبين في كلام العرب وأكثر . ا هـ .
وأما جعل نحب خبر مبتدأ فقد نقله ابن هشام اللخمي (في شواهد

(١) الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

(٢) ط : « وإذا » ، وأثبت ما في ش ومعاني الفراء .

الجملة (وقَوَاهُ . قال : نحب بدل من ما ، وقيل إن نحباً خبر مبتدأ مضمر ، والتقدير : أهو نحب ، والمبتدأ والخبر بدل من موضع ماذا . وهذا أقوى ، لأنه أبداً جملة من جملة لما كانت في معناها . اهـ .

ومثله لابن السَّيِّد (في شرح شواهد الجمل) قال : من اعتقد في نَحْبِ البَدَلِ فموضع « ما » رفع على كَلِّ حال ، ومن اعتقد أنَّ قوله أَنُحِبَ مرتفع على خبر مبتدأ مضمر كأنه قال : أهو نحب ، جاز أن تكون ما مرفوعة المحل ، وجاز أن تكون منصوبة الموضع . اهـ .

وقال ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصل) : إذا كان ذا بمعنى الذى ففيه وجوه : أحدها أن يكون خبر ما ، وأن يكون بدلاً منها ^(١) ، وأن يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : ما هو الذى يحاول . اهـ .

أقول : أما الثانى فباطل ، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يقترن مع البدل استفهام ، كما اقترن بقوله نحب ، على تقدير كونه بدلاً من ما . وأما الثالث فلا يجوز ، لعدم القرينة على الحذف . وبقي عليه أن يقول : ما خبر مقدم وذا مبتدأ مؤخر ، كما اختلفوا في قولهم : كم مالك ؟

وقوله : (أَلَا تَسْأَلَانِ) إلخ ألا : كلمة يستفتح بها الكلام ، ومعناه التنبيه . وتَسْأَلَانِ خطابٌ لصاحبيْن له . وقيل : إنما هو خطابٌ لواحد . وزعم بعضهم أنَّ العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين . وحكى عن بعض الفصحاء ^(٢) : يَا حَرَسَى اضْرِبَا عُنُقَهُ ! وزعموا أنَّ قوله تعالى : ﴿ اَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ^(٣) ﴾ أَنَّهُ خطاب للملْك . وهذا شيء ينكره حُذَّاق

(١) ش : « أن يكون خبراً أو بدلاً منه » .

(٢) هو الحجاج ، كما سيأتى فى الشاهد رقم ٥٠٧ .

(٣) الآية ٢٤ من سورة ق .

البصريين ، لأنه إذا خاطب الواحد بخطاب الاثنين وقع اللبس . وذهب المبرد إلى أن التنبية على التوكيد يؤدى عن معنى ألق ألق . وخالفه أبو إسحاق بأنه فى كلة خطاب لاثنين ، وهو الظاهر هنا . والسؤال هنا بمعنى الاستفهام ، يقال سألته عن كذا ، فهو يتعدى إلى المسئول منه بنفسه ، وإلى المسئول عنه بحرف عن ، فجملة ماذا يحاول فى موضع المفعول الثانى المقيّد بعن المعلق عن العمل بالاستفهام . والمحاولة : استعمال الحيلة ، وهى الحذق فى تدبير الأمور ، وهو تقليب الفكر حتى يهتدى إلى المقصود . والحيلة أصلها حيلة ، انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها . ولأم (المرء) للعهد الذهنى ، نحو : ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ (١) . أى سلا الإنسان الساعى فى تحصيل الدنيا . وقيل اللام للجنس ، لا يعنى به امرأ معيناً . وقال ابن المستوفى : يعنى بالمرء نفسه ، والناس فيه سواء . و (التَّحَبُّ) بفتح النون وسكون المهملة له معان ، المراد هنا التذر ، وهو ما يَنْذِرُهُ الإنسان على نفسه ويوجب عليها فعله على كل ٥٥٨ حال . يقول : اسألوا هذا الحريص على الدنيا عن هذا الذى هو فيه ، أهو نذر نذره على نفسه فرأى أنه لابد من فعله ، أم هو ضلال وباطل من أمره . وقوله : (فَيُقْضَى) روى بالبناء للمفاعل وبالبناء للمفعول ، وعليهما (٢) الجملة خير لمبتدأ محذوف ، أى هو يقضى . وهذا المبتدأ ضمير المرء على الرواية الأولى ، وضمير النحب على الرواية الثانية . والفاء هنا للاستئناف ، كقوله :

* يريد أن يُعْرِيه فيُعْجِمْه (٣) *

وقصره بعضهم على الرواية الثانية فقال : هو فى موضع نصب على أنه جواب الاستفهام ، وليس بمعطوف على يحاول .

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) ش : ١ وعليه ١ .

(٣) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ٤٣٠ ونسبه إلى رؤية .

وقد سَهَا العيني هنا سهواً فاحشاً ، فرغم أن جملة يقضى في محل رفع صفة لنحب . ويجوز أن تكون في محل نصب على تقدير انتصاب النحب . اهـ . فإن الفاء مانعة من الوصفية ، وكأنه قاسها على واو اللصوق (١) .

والبيت أول قصيدة للبيد بن عامر الصحابي (٢) ، وتقدمت ترجمته مع صاحب الشاهد شرح أبيات منها في الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة (٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الأربعمئة (٤) :
 ٤٤٦ (وماذا عَسَى الواشُونَ أَنْ يتحدَّثُوا
 سِوَى أَنْ يقولوا : إِنَّنِي لِكِ عاشِقٍ)
 على أن « ذا » قبل إنها زائدة لا موصولة .

وزهب ابن جني (في إعراب الحماسة) عند قول المعلوط السعدى :
 غَيَّضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا (٥)

(١) أثبتنا الزمخشري ومن قلده . وانظر معنى الليب في حرف الواو ص ٣٦٤ .

(٢) كتب ناسخ ش : « قوله لبيد بن عامر » ، كذا بخط المؤلف رحمه الله ، والصواب لبيد بن ربيعة بن مالك . وأقول : نسبة البغدادي الى جده الأعلى « عامر بن صعصعة » ، وكذلك كانوا يفعلون . وإنما هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وفي ذلك يقول لبيد في رجزه :

* ونحن خير عامر بن صعصعة *

(٣) الحق أن ترجمته إنما هي في الشاهد ١٢٢ في الخزنة ٢ : ٢٤٦ . أما شرح أبيات الشاهد فهي في الشاهد ١٢٣ في الخزنة ٢ : ٢٥٢ .

(٤) انظر ديوان المجنون ٢٠٣ والمقتضب ٣ : ١٩٥ والأشعرى ١ : ١٦٣ والحماسة بشرح المرزوقي ١٣٨٣ .

(٥) ذكر ابن جني في إعراب الحماسة الورقة ١٨٨ أن البيت يروى لجرير . وهو كذلك في ديوان جرير ٥٧٨ . وانظر مجالس ثعلب ٦٦٥ والعمدة ٢ : ٢١٨ وأمالى ابن الشجري ١ : ٢٦٨ .

إلى أن « ماذا » فيه مركبة بمعنى المصدر مبتدأ ، أى تحديث ، وجملة عسى خبره . ولم يلتفت إلى إنشائيته لوروده في الخبر ، إمّا لأنّه بتقدير قول محذوف كما هو مذهب الجمهور ، وإمّا بدونه كما هو مذهب البعض . وهذه عبارته :

لا سبيل إلى أن تنصب ماذا على أنّهما اسم واحد يتحدّثوا ^(١) لأنّه في صلة أن ، فيجرى هذا ، في امتناع ما بعد أن من الموصول إليه ، مجرى « ذكرّ ^(٢) » ، من قولك : أذكرّ أن تلد نأقتك أحبّ إليك أم أنثى ؟ وماذا هنا بمعنى المصدر ^(٣) فترفعه بالابتداء وتضمّر له عائداً ، كقولك : أى قيام عسى زيد أن يقوم ، وأنت تريد يقومه ، فتحذف الهاء وترفع الأوّل مضطراً إلى رفعه ، إذ لا سبيل إلى نصبه . ويضعف أن تكون ذا بمنزلة الذى ، وذلك لما تصير إليه من وصل ^(٤) الذى بعسى . وفيه ذهابٌ عن البيان والإيضاح بالصّلة . فإن قلت : فقد قال الفرزدق :

وإئى لرام نظرة قبل التى لعلّى وإن شطت نواها أزورها

فإن أبا عليّ يتأوّل هذا ويتناوله ^(٥) على الحكاية ، حتى كأنّه قال : قبل التى يقال فيها لعلّى . وباب الحكاية طريق مهيع يتقبل فيه كل تأوّل ؛ وما أشبهه إلا بالنام ، أو حديث البحر الذى انطوت النفوس على تقبل ما يعرض فيه ، وترك التناكر لشيء يردّ عنه . اهـ مختصراً .

(١) ط : « يتحدّثوا » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٢) ط : « ذكره » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٣) ط : « الصدر » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٤) ش : « وصله » ، وصوابه فى ط وإعراب الحماسة .

(٥) فى النسختين : « ويتأوّل » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

والبيت أورده أبو تمام (في الحماسة) ، وبعده بيت ثان ، ونسبهما
 لجميل العذري ، وهو :
 (نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ
 علينا وإن لم تصفُ منك الخلائق)

يقول : الواشون لا يقدرّون في وشايتهم على أكثر ممّا أن يقولوا : إنني
 ٥٥٩ لك عاشق . ثم أوجب بقوله نعم . فكأنه قال : قد صدقوا فيما ادّعوه ، أنت
 تَكْرُمِينَ^(١) علينا وإن لم نصادف من أخلاقك صفاء . والواشي : النّمام الذي
 يُحَسِّنُ الكلامَ ويُرْوِّقُه للإفساد بين اثنين ، من الوشَى ، وهو التزيين . وروى :
 (وابق) بدل عاشق ، وهو بمعناه . وروى : (حبيبة إليّ) بدل كريمة علينا .
 وهو مناسب .

وترجمة جميل العذري تقدّمت في الشاهد الثاني والستين^(٢) .

وقد روى صاحبُ الأغاني هذين البيتين من جملة أبيات مجنون بنى
 عامر ؛ وهو قيس بن الملوّح ، المشهور بمجنون ليلى . روى بسنده عن الهيثم
 ابن عدى أنّ رَهطَ المجنون اجتازوا في نُجعةٍ لهم بحى ليلى ، فرأى أبيات أهلها
 ولم يقدرْ على الإلمام ، وعدّل أهلُه إلى وجهه أخرى ، فقال المجنون :
 (لعمركَ إنّ البيتَ بالقَبْلِ الذي مررتُ ولم أَلِممْ عليهم لَشائِقُ^(٣)
 كَأَنِّي إِذَا لَمْ أَلَقْ لَيْلَى مُعَلَّقُ بِسَبِيْنِ أَهْفُو بَيْنَ سَهْلٍ وَحَالِقِ^(٤))

(١) في النسختين : « تكرمى » ، والوجه ما أثبت من شرح المرزوق ١٣٨٤ .

(٢) الخزائن ١ : ٣٩٧ .

(٣) القبل ، بالتحريك : النشز من الأرض يستقبلك . في النسختين : « لسائق » صوابه في

الأغاني ٢ : ٢٠٢ . وفي الديوان والمجنون ٢٠٢ . وفي الديوان والأغاني : « ولم أَلِمْ عليه » .

(٤) السب ، بالكسر : الحبل . وفي النسختين « بشيين » ، صوابه في الديوان والأغاني . وفي

البيت إقواء .

على أننى لو شئتُ هاجت صَبَابَتِي
 عَلَيَّ رِسُومَ عَمِّي مِنْهَا الْمَنَاطِقُ (١)
 لَعَمْرِكَ إِنَّ الْحَبَّ يَا أُمَّ مَالِك
 بِقَلْبِي ، يَرَانِي اللَّهُ ، مِنْكَ لِلْأَصْقُ (٢)
 وماذا عسى الواشُونَ ..
 إلى آخر البيتين .
 وكذلك نسبهما ابن نُبَاتَةَ الْمِصْرِيَّ (في شرح رسالة ابن زيدون) إلى
 المجنون ، إلا أنه أورد بعدهما بيتين آخرين ، وهما :
 (كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا الْخَمَرُ شَجَّهَا
 بماء سحابٍ آخَرَ اللَّيْلِ غَابُقُ
 وما ذِفْتُهُ إِلَّا بَعِينِي تَفْرُسَا
 كَمَا شَيْمَمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارُقُ)
 وترجمة المجنون قد تقدّمت أيضاً في الشاهد التسعين بعد المائتين (٣) .

* * *

وأنشد بعده :
 (وَإِنِّي لِرَامٍ نَظْرَةً قَبْلَ التِي لَعَلِّي وَإِنْ شَطَطَتْ نَوَاهَا أَزُورُهَا)
 على أن جملة لعلّ إلخ مقولة بقول محذوف هو الصلة ، أى قَبْلَ التِي
 أقول لعلّي إلخ .
 وقد تقدّم الكلام عليه مفصّلاً في أول الباب في الشاهد الخامس عشر
 بعد الأربعمئة (٤) .

* * *

(١) في الديوان والأغاني : « عى فيها التناطق » .
 (٢) يَرَانِي اللَّهُ ، يعنى يعلم الله ، وهو شاهد على ما أقول . وفي الديوان والأغاني : « يَرَانِي » .
 والمعروف من البرء بمعنى الشفاء ، أن يقال أبرأه ، من المزيد .
 (٣) الخزّانة ٤ : ٢٢٩ .
 (٤) الخزّانة ٥ : ١٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الأربعمائة ^(١) :

٤٤٧ (مِنْ اللّوَاتِي وَالتّي وَاللّاتِي زَعَمَنْ أَنّى كَبِرتْ لِذاتِي)

على أن جملة (زعمن) إلخ صلة الموصول الأخير ، وصلة كلّ من الموصولين الأوّلين محذوفة للدلالة عليها بصلة الثالث ، والتقدير : من اللّواتي زعمن ، ومن النساء التي زعمن ^(٢) . ويجوز أن تكون صلة للموصولات الثلاثة ، لاتحاد مدلوها ، ولا يجوز أن تكون صلة للثاني فقط .

هذا تقرير كلام الشارح المحقق ، وأمّا غيره فقد جعل الصّلة للموصول الأخير فقط ، وصلة كلّ ممّا قبله محذوفة ، منهم ابن الشجرى (فى أماليه) ، قال : أنشد المبرد (فى المقتضب) :

بَعَدَ اللَّتِيَّ وَاللَّتِيَّ وَالتّي إِذَا عَلَتْهَا أَنْفُسٌ تَرَدَّتْ ^(٣)

٥٦ لم يأت للموصولين الأوّلين بصلة ، لأنّ صلة الموصول الثالث دلّت على ما أراد . ومثله :

من اللّواتي والتّي واللاتي البيت

وصل اللاتي ، وحذف صلة اللواتي والتّي ، للدلالة عليها .

(١) الشعراء ٣٥ وأمالي ابن الشجرى ١ : ٤٤ . وقد سبق عرضا فى الشاهد ٤٣٣ .

(٢) ش : « ومن النساء اللواتي زعمن » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) المقتضب ٢ : ٢٨٩ . والرجز للعجاج ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣٧٦ : ٢ : ١٤٠ .

ومما حُذِفَ منه صلة موصولين فلم يوث فيه بصلة قول سُلَمَى بن ربيعة السَّيْدَى (١) :

ولقد رَأَيْتُ ثَأْيَ العَشِيرَةِ بَيْنَهَا وَكَفَيْتُ جَانِبَهَا اللَّتْيَا وَالتَّى
أَرَادَ اللَّتْيَا وَالتَّى تَأْتَى عَلَى النَفُوسِ ؛ لِأَنَّ تَأْنِيثَ اللَّتْيَا وَالتَّى ههنا إِنَّمَا هُوَ
لِتَأْنِيثِ الدَاهِيَةِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ :

* بَعْدَ اللَّتْيَا وَالتَّى وَالتَّى *

وَتَرَدَّتْ : تَفَعَّلَتْ مِنَ الرَّدَى ، مَصْدَرُ رَدَى يَرْدَى ، إِذَا هَلَكَ ؛ أَوْ مِنَ
التَّرَدَّى الَّذِي هُوَ السَّقُوطُ مِنْ عَلَوٍ . وَحُذِفَ الصَّلَةُ (٢) مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ
المُوصُولَاتِ إِنَّمَا هُوَ لَتَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَتَفْخِيمِهِ . وَقَدْ جَاءَ التَّصْغِيرُ فِي كَلَامِهِمْ
لِلتَعْظِيمِ كَقَوْلِهِ :

* دُونِيَّهَةً تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ (٣) *

أَرَادَ بِالدُّوَيْهَةِ الْمَوْتَ ، وَلَا دَاهِيَةَ أَعْظَمَ مِنْهَا ، فَتَحْقِيرَ اللَّتْيَا ههنا
لِلتَعْظِيمِ . وَالرَّأْبُ : الْإِصْلَاحُ . وَالتَّأْيُ بِفَتْحِ الْمَثَلَةِ وَالْهَمْزَةِ ، وَبَعْدَهَا أَلِفُ
تَكْتُبُ يَاءُ : الْفَسَادُ . وَالظَّرْفُ مُتَعَلِّقٌ بِالتَّأْيِ ، أَيْ أَصْلَحَتْ مَا فَسَدَ بَيْنَهَا .
اهـ .

وإِنَّمَا نَقَلْتُهُ ههنا بِتَمَامِهِ لِأَنَّهُ كَالْشَّرْحِ لِمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا .

(١) السَّيْدَى : نَسَبَةٌ إِلَى بَنِي السَّيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ ، كَمَا سَيَأْتِي فِي تَرْجُمَتِهِ
فِي الشَّاهِدِ ٥٨٢ . وَالسَّيْدُ بِكَسْرِ السِّينِ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « السَّيْدَى » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ . وَسُلَمَى
بِضَمِّ السِّينِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَآخِرُهُ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ ، وَيُقَالُ أَيْضًا « سَلَمَى » بِفَتْحِ السِّينِ وَالْقَصْرِ .

(٢) ط : « وَالْحَذْفُ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي ش .

(٣) لِلْبَيْدِ بْنِ رِيْعَةَ فِي دِيْوَانِهِ ٢٥٦ . وَهُوَ الشَّاهِدُ ٤٤٩ الْآخِي .

ومنهم : أبو علي ، قال (في إيضاح الشعر) عند قول الشاعر ، وتقدّم
شرحه :

من النفر اللاء الذين إذا هم (البيت المتقدم)
يجوز أن يكون حذف صلة الأوّل لأنّ صلة الموصول الذي بعده تدلّ
عليها ، كقول الآخر :

من اللواتى والتى واللاتى (البيت)

فلم يأت للموصولين الأوّلين بصلة . اهـ .

وقوله : (من اللواتى) حرف الجر متعلّق بما قبل البيت . واللواتى
واللاتى كلاهما جمع التى . و (كَبِرَتْ) من الكَبَر فى السن ، وقد كَبِرَ الرجل
بكسر الباء ، يكَبُر بفتحها ، كَبِراً بكسر الكاف وفتح الباء . وروى صاحب
الصحاح :

* زعمن أن قد كبرت لِداتى *

و (لِداتى) : جمع لِدَة ؛ ولِدَة الرجل : تَرْبُه الذى وُلد معه قريباً ،
والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوْلُه ، لأنه من الولادة ، ويجمع على لِدُون
أيضاً . و (الزَّعم) يطلق على القول والظنّ ، قال الأزهريّ : وأكثر ما يكون
الزعم فيما يشكّ فيه ولا يتحقّق . وقال بعضهم : هو كناية عن الكذب .
وقال المرزوقي : أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب .

والبيت لا أعرف ما قبله ولا قائله ، مع كثرة وجوده فى كتب النحو .
والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الأربعمائة ^(١) :
 ٤٤٨ (فَإِنْ أَدَعَ اللّوَاتِي مِنْ أَنْاسٍ
 أَضَاعُوهُنَّ لَا أَدَعَ الدِّينَا)
 على أَنَّهُ حَذَفَ صِلَةَ المَوْصُول فِيهِ قَلِيلاً ^(٢) .

قال أبو على الفارسي (في إيضاح الشعر) : أنشده أحمد بن يحيى
 ثعلب وقال : يقول : فَإِنْ أَدَعَ النِّسَاءُ اللّاتِي أَوْلَادُهُنَّ مِنْ رِجَالٍ قَدْ أَضَاعُوا
 هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ . أَيْ لَا أَهْجُوا النِّسَاءَ ، وَلَكِنْ أَهْجُوا الرِّجَالَ الَّذِينَ لَمْ يَمْنَعُوهُنَّ .
 فعلى تفسيره ينبغي أن يكون المبتدأ مضمراً في الصلة ، كأنه قال : فَإِنْ أَدَعَ
 اللّوَاتِي أَوْلَادُهُنَّ مِنْ أَنْاسٍ أَضَاعُوهُنَّ فَلَمْ يَحْمُوهُنَّ كَمَا تَحْمِي ^(٣) البُعُولَةُ أَزْوَاجَهُمَا
 فَلَا أَدَعَ الَّذِينَ . والتقدير . : إِنْ أَدَعَ هَجَوْ هَؤُلَاءِ النِّسَاءُ الضَّعَافُ لَا أَدَعَ
 هَجَوْ الرِّجَالَ الْمُضِيِّعِينَ ، وَذَمَّهُمْ عَلَى فَعْلِهِمْ . فالمضاف محذوف في الموضعين . ٥٦١
 وتقديرُ حذفِ المبتدأ غير ممتنع هنا ، وقد حُذِفَ المبتدأ من الصِّلَةِ ، نحو قول
 عدى :

لَمْ أَرُ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَبَنِ الْـ أَيَّامٍ يَنْسَوْنَ مَا عَوَّاهُهَا
 أَيْ مَا هُوَ عَوَّاهُهَا ، فحذف . وكذلك يمكن أن يكون قوله :
 * أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا *

وقد يستقيم أن تكون الصلة من أناس ، فتكون مستقلة . وإن لم تقدّر
 حذف المبتدأ فيكون التقدير على أحد أمرين : إمّا أن يكون اللواتي من نساء
 أناس ، فحذف المضاف ، أو يكون اللواتي من أناس على ظاهره ، لا تقدّر فيه

(١) ديوان الكميّ ٢ : ١٣٠ وفصل المقال ٢٩٥ .

(٢) الذي في الرضى ٢ : ٥٧ : * ويجوز قليلاً حذف صلة الموصول الاسمي غير الألف واللام
 إذا علمت * . ثم أنشد هذا الشاهد .

(٣) ط : * يحيى * ، وأثبت ما في ش .

حذفاً ، فيكون معنى قوله في النساء ، هنّ من أناس ، على معنى أنّهم يقومون بهنّ ، وبالإتفاق عليهم . وأمّا صلة الذين فمحذوف من اللفظ للدلالة عليها فيما جرى من ذكرها ، تقديره : الذين أضاعوهنّ . ا هـ .

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (في أمثاله) وقال : الذين ههنا لا صلة لها . والمعنى : إنّ أدع ذكر النساء فلا أدع الذين ، يريد الرجال ، أى إتنى إن تركت شتم النساء فلا أترك شتم الرجال . ا هـ .

وأورده أبو بكر بن السراج أيضاً (في أصوله) قال : إنّ الكوفيين يقولون : إنّ العرب إذا جعلت الذى والتى لمجهول مذكر أو مؤنث ، تركوه بلا صلة ، نحو قول الشاعر :

فإن أدع اللواتى من أناس البيت

و (لا أدع) جواب الشرط ، ولهذا جزم ، وكسرة العين لدفع التقاء الساكنين .

وهذا البيت من قصيدة طويلة للكميت بن زيد ، هجاً بها قحطان ، أعنى قبائل اليمن ، تعصباً لمضر .

وتقدّم سبب هجوه لأهل اليمن بهذه القصيدة في الشاهد الرابع والعشرين (١) . وتقدم أيضاً بعض من هذه القصيدة مع ترجمة الكميت في الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب (٢) .

(١) الخزائن ١ : ١٧٩ - ١٨١ .

(٢) الخزائن ١ : ١٤٤ .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة ^(١) :

٤٤٩ (دُويهيَّةٌ تُصَفِّرُ منها الأناملُ)

على أنَّ تصغير دويهيَّة للتعظيم ، فإنَّه أراد بها الموت ، ولا داهية أعظم منها ، والتصغير غير مناسب لذكر الموت . والدليل على أنَّه أراد بها الموت قوله : « تصفِّرُ منها الأناملُ » .

والمراد من الأنامل الأظفار ، فإنَّ صفرتها لا تكون إلا بالموت . وقال الطوسي (في شرح ديوان لبيد) : إذا مات الرجل أو قُتل اصفرت أنامله واسودَّت أظافره .

ولم يرتضه الشارح المحقق (في شرح الشافية) فإنَّه قال : قيل مجيء التصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكتنى بالصغر عن بلوغ الغاية ؛ لأنَّ الشيء إذا جاوز حدَّه جائسَ ضيَّده . وقريبٌ منه قول الشاعر :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخُلُ بينهم دُويهيَّةٌ تصفِّرُ منها الأناملُ

ورُدَّ بأنَّ تصغيرها على حسب احتقار الناس لها ، وتهاوُّنهم بها ؛ إذ المرادُ بها الموت ، أى يجيئهم ^(٢) ما يحتقرونه مع أنَّه عظيم في نفسه تصفِّرُ منه الأنامل . واستدلَّ بقوله :

فُوقَ جُبيلٍ سامِقِ الرأسِ لم تُكُنْ لتبلَّغَه حتَّى تَكِلَّ وتعمَلَا ^(٣)

(١) ديوان لبيد ٢٥٦ . وانظر أمالي ابن الشجرى ١ : ٢/٢٥ : ٤٩ ، ١٣١ ، والإنصاف ١٣٩ وابن يعيش ٥ : ١١٤ وشرح شواهد الشافية ٨٥ وشرح شواهد المغنى ٥٥ ، ١٣٧ ، ١٨٣ والعينى ٤ : ٥٣٥ والهمع ٢ : ١٨٥ والأشعرى ٤ : ١٥٧ .

(٢) ش : « يحسنهم » ، صوابه في ط وشرح شواهد الشافية .

(٣) لأوس بن حجر في ديوانه ٨٧ . وهو من شواهد ابن يعيش ٥ : ١١٤ .

٥٦٢ وَرُدَّ بتجويز كون المراد دَقَّةَ الجبل وإن كان طويلاً ، وإذا كان كذا فهو أَشَدُّ لصعوده . اهـ .

وكذلك الجارِزُ دُيُّ لم يرتضيه ، وأَوَّلُه بوجهين : أحدهما أَنَّ التصغير فيه لتقليل المدة . وثانيهما بأنَّ المراد أَنَّ أصغر الأشياء قد يُفسد الأمورَ العظام ، فحتف النفوس قد يكون بالأمر الصغير الذى لا يُؤَبِّه به .

وقال الفالَى ^(١) (فى شرح اللباب) : هذا على العكس ، كتسمية اللديغ سليماً ونظائره ، إطلاقاً لاسم الضدِّ على الضدِّ .

وقد أوردته المرادى (فى شرح الألفية) بأنَّ الكوفيين استدلوا به على مجيء التصغير للتعظيم .

وأنشده ابن هشام فى أربعة مواضع (من المغنى) فى أمّ ، وفى ربّ ، وفى كلّ ، وفى حذف الصلة من الباب الخامس .

و (الداهية) : مصيبة الدهر ، مشتقة من الدَّهَى ، بفتح الدال وسكون الهاء ، وهو التَّنْكَرُ ، فإنَّ كلّ أحد يُنْكَرُها ولا يقبلها . ودهاءُ الأمر يَدْهَاهُ ، إذا أصابه بَمَكْرُوهِه . ورواه ابن دريد (فى الجمهرة) :

* خَوَيْخِيَّةٌ تصفّرُ منها الأناملُ *

وقال : الخَوَيْخِيَّةُ : الدَّاهِيَةُ ، وهى بخاءين معجمتين : مصفّرُ الخَوْخَةِ بالفتح ، وهى الباب الصغير .

(١) فى النسختين : « الفالَى » بالقاف ، صوابه ما أثبت . وانظر حواشى ١ : ٣٣٨ .

ورواها الطوسي أيضا عن أنى عمرو ، وقال : يقول : يَنْفَتَحُ عليهم بابٌ
يدخل منه الشر .

و (سوف) هنا للتحقيق والتأكيد .

والبيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحابي ، وتقدمت ترجمته مع
شرح أبيات منها في الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسين بعد الأربعمئة ^(٢) :
قول المتنبي :

٤٥٠ (بئسَ الليالي سَهَدْتُ مِنْ طَرِي)

هذا صدر ، وعجزه :

(شوقاً إلى من يبيتُ يَرْقُدها)

على أنه يُخَرَّجُ بحذف الموصول ، والتقدير : بئسَ الليالي التي
شهدت ، قياساً على تخريج الكوفيين قوله تعالى : ﴿ وما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ
مَعْلُومٌ ^(٣) ﴾ ، أى إِلَّا من له مقام ، فإنَّ الموصول يجوز حذفه عندهم .
وقد ارتضاه المحقق ^(٤) . وأشار إليه الواحدى فى شرحه بقوله : يريد
الليالي التي لم يَنَمْ فيها لما أخذته من القلق وخِفة الشوق إلى الحبيب الذي كان
يرقد تلك الليالي .

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ .

(٢) ديوان المتنبي ١ : ١٨٥ ودلائل الاعجاز ٣٠٤ .

(٣) الآية ١٦٤ من سورة الصافات .

(٤) المحقق ، ساقطة من ش .

وخرَّجه ابن الشجرى ^(١) (في أماليه) على حذف الموصوف ، أى ليالٍ شهدت . وهذا خاصٌ بالشعر ؛ لأنَّ الموصوف بالجملة أو الظرف إنما يجوزُ ^(٢) حذفه إذا كان بعضاً من مجرورِ يَمُنْ أوفى . قال ابن الشجرى : وما أهمل ^(٣) ، مفسِّرو شعرِ أوى الطَّيِّب المتنبِّى ، تعريبه قوله :

بئس الليالي سَهِدْتُ من طرى

يتوجَّه فيه السؤال عن المقصود فيه بالذم ، وما موضع من طرى من الإعراب ، وما الذى نصب شوقاً ، وكَم وجهاً فى نصبه ، وم يتعلّق إلى ، وكَم حذفاً فى البيت ؟

فأمّا المقصود بالذم فمحذوف ، وهو نكرةٌ موصوفة بسَهِدْتُ ، والعائد إليه من صفته محذوفٌ أيضاً ، فالتقدير : ليالٍ شهدت فيها . ونظير هذا الحذف فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يَرِيكُمُ الْبَرْقَ ﴾ ^(٤) . التقدير : آيةٌ يريكم البرق فيها . وجاء فى الشعر حذفُ النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة ، فى قوله :

* جادت بِكَفِّى كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ *

أراد : بِكَفِّى رجل ، فحذف رجلاً وهو ينويه . وقوله « من طرى » مفعول له ، ومن بمعنى اللام ، وشوقاً يحتمل أن يكون مفعولاً من أجله عمل فيه طرى ^(٥) فيكون الشَّوْقُ عِلَّةٌ للطرب . والطرب عِلَّةٌ للسُّهَاد . ولا يعمل سَهِدْتُ فى شوقاً ، لأنّه قد تعدّى إلى عِلَّةٍ ، فلا يتعدى إلى أخرى إلاّ بعاطف ٥٦٣

(١) هذا النص التالى لابن الشجرى ساقط من النسخة المطبوعة من الأمالى ، ولم أعر عليه فيها .

(٢) ط : « جوز » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) فى النسختين : « وما أهملوه » .

(٤) الآية ٢٤ من سورة الروم .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « بعاطف » ساقط من ش .

كقولك : شهدتُ طرباً وشوقاً . ويحتمل أن ينتصب شوقاً انتصابَ المصدر ، كأنه قال : شُقت شوقاً أو شاقني التذكرُ شوقاً . وشُقت بالبناء للمفعول ، كقول المملوك : قد بُعت ، أى باعنى مالكى . فأما « إلى » فالوجه أن تعلقها بالشوق ، لأنه أقرب المذكورين إليها ، وإن شئت علقتها بالطرب ، وذلك إذا نصبت شوقاً بطربى . فإن نصبتَه على المصدر امتنع تعليق إلى بطربى ؛ لأنك حينئذ تفصل شوقاً وهو أجنبيٌّ بين الطرب وصلته . وكان الوجه في يرقدها يرقد فيها ، كما تقول : يوم السبت خرجت فيه ، ولا تقول خرجته ، إلا على سبيل التوسُّع في الظرف ، تجعله مفعولاً به . ففي البيت أربعة حذف :

الأول : حذف المقصود بالذم ، وهو ليال .

والثاني : حذف في من شهدت فيها ، فصار سهدتها .

والثالث : حذف الضمير من سهدتها .

والرابع : حذف في من يرقدها .

وقد روى : « سَهِدْتُهَا طَرِباً » .

وقد فرَّق بعضُ اللغويين بين السَّهَادِ والسَّهَرِ ، فزعم أن السَّهَادَ للعاشق والدديغ ، والسَّهَرُ في كلِّ شيء . وأنشد قول النابغة :

* يَسْهَدُ فِي لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا ^(١) *

وقول الأعشى :

* وَبَتْ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسْهَدًا ^(٢) *

(١) عجزه في ديوان النابغة ٥١ :

• حللى النساء في يديه قعاقع •

(٢) صدره في ديوان الأعشى ١٠١ :

• ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا •

والطرب : خِفَّةٌ تُصِيبُ الإنسانَ لشدة سرور أو حُزن . اهـ .
والبيت من قصيدةٍ للمتنبي قالها في صباه مدحاً في محمد بن عبد الله
العلوي .

صاحب الشاهد

وهذه أربعة أبياتٍ من مطلعها :

أبيات الشاهد

(أهلاً بدارٍ سباك أغيدُها

أبعدُ ما بان عنك حُرْدُها

ظَلَّتْ بها تنطوي على كبدِ

نضيجه فوق خَلْبِها يدها

يا حاديني عيسِها وأحسبني

أوجدُ ميتاً قبيلَ أفقدُها

قفا قليلاً بها على فلا

أقلَّ من نظرةٍ أزودُها)

نصب أهلاً بمضمر ، تقديره : جعل الله تعالى بتلك الديار أهلاً .
وإنما تكون مأهولةً إذا سُقِيت الغيث ، فنبت الكلاء ، فيعود إليها أهلها . وهو
في الحقيقة دعاءٌ لها بالسقي . والأغيد : الناعم البدن ، وأراد جارية ، وذكر
اللفظ لأنه عنى الشخص . والخُرد : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تُمسَسْ
وأبعدُ مبتدأ وخُردُها الخبر ، أى أبعدُ شئٍ فارقَكَ جَوَارِي هذه الدار .

وقوله : « ظَلَّتْ بها تنطوي » إلخ ، يريد ظَلَّلَتْ فحذف إحدى اللامين
تخفيفاً . يقول : ظَلَّلَتْ بتلك الديار تنشى على كبدك ، واضعاً يدك فوق
خَلْبِها . والمحزون يفعل ذلك كثيراً ، لما يجد في كبده من حرارة الوجد ، يخاف
على كبده تنشق ، كما قال الصَّمَّةُ القُشَيْرِيُّ (١) :

(١) ط : « القشري » ، صوابه في ش . والبيت في الحماسة بشرح المازني ١٢١٨ .

وأذكرُ أَيَّامَ الحِمَى ثم أنشئ على كبدي من خشية أن تقطعا

والانطواء كالانشاء . والتضج لليد ، ولكن جرى نعتا للكبد لإضافة اليد إليها . وجعل اليد بنضيجه ، لأنه أدام وضعها على الكبد ، فأنضجتها بما فيها من الحرارة ، ولهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمى الشيء باسم غيره إذا طالت صحبته إياه ، كقولهم لفناء الدار : العذرة . وإذا جازت هذه التسمية كانت الإضافة أهون ، فلطول وضع يده على كبده أضافها إليها ، كأنها لها ، لأنها لم تزل عليها . والخلب : غشاء للكبد رقيق لازب بها . وارتفع يدها بنضيجه ، وهو اسم فاعل يعمل عمل الفعل . ويجوز أن تكون بنضيجه ٥٦٤ من صفة الكبد وتَمَّ الكلام ، ثم وضع اليد على الكبد ، والأول أجود . كذا في شرح الواحدى .

وأورد ابن هشام هذا البيت (فى الباب الثالث من المغنى) وقال : يحتمل قول المتنبي يذكر دار الحبوب : ظَلَّتْ بها تنطوى البيت ، أن تكون اليد فيه فاعلة بنضيجه ، أو بالظرف ، أو بالابتداء . والأول أبلغ ، لأنه أشد للحرارة . والخلب : زيادة الكبد ، أو حجاب القلب ، أو ما بين الكبد والقلب . وأضاف اليد إلى الكبد للملاسة بينهما ؛ لأنهما فى الشخص . اهـ .

وقوله : « يا حادى عيسها » البيتين ، قال الواحدى : دعا الحادين ، ثم ترك ما دعاها إليه حتى ذكره فى البيت الذى بعده وأخذ فى كلام آخر . وتسمى الرواة هذا الالتفات ، كأنه التفت إلى كلام آخر .

أقول : هذا اعتراض ، وليس من الالتفات فى شيء .

وأراد قبيل أن أفقدها ، فلما حذف أن عاد الفعل إلى الرفع . وقال

للحادين اللذين يحدوان غيرها : احتبساهما على زماناً قليلاً لأنظر إليها وأترودَ منها نظرة ، فلا أقلّ منها . ومن رفع أقلّ جعله بمنزلة ليس . وضمير بها يجوز أن يعود إلى العيس وإلى المرأة .

وقريب من هذا في المعنى قول ذى الرّمة :
 وإن لم يكن إلاّ تعلّل ساعة قليل فإني نافع لى قليلها
 وأورد ابن هشام هذا البيت (فى المغنى) على أن لا فيه نافية للجنس عاملة عمل إن . ويجوز رفع أقلّ على أن تكون عاملة عمل ليس .
 وترجمة المتنبي قد تقدّمت فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :
 (لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ
 وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ وَالْأَصَائِلِ)
 على أن فيه حذف موصول عند الكوفيين ، والتقدير : لأنّ البيت الذى أكرم أهله .
 وتقدّم الكلام عليه فى الشاهد الثامن عشر بعد الأربعمئة ^(٢) .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ .

(٢) انظر الخزانة ٥ : ٤٨٤ - ٥٠٣ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » ، تحريف . وإلى هنا ينتهى الجزء الثانى من الخزانة من تقسيم الطبعة الأولى طبعة بولاق .

أول الجزء الثالث

من طبعة بولاق

٣ : ٢ بولاق

باب الحكاية بمن وما وأى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٥١ (أتوا نارى فقلت : منون أنتم

فقالوا : الجن ، قلت : عموا ظلاما)

على أن يونس يجوز الحكاية بمن وصلا ، كما فى البيت .

قال سيبويه : وأما يونس فإنه يقيس منه على أية فيقول : منه ومنه ومنه إذا قال ، يا فتى . وهذا بعيد ، وإنما يجوز على قول شاعر قاله مرة فى شعر ثم لم يُسمع بعد :

أتوا نارى فقلت : منون أنتم البيت

وزعم يونس أنه سمع عربياً (٢) يقول : ضرب من مناً . وهذا بعيد لا تتكلم به العرب ، ولا تستعمله ناس كثير (٣) ، وكان يونس يقول : لا يقبل هذا كل أحد ، فإنما يجوز منون يا فتى على هذا . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٢ . وانظر نوادر أوى زيد ١٢٣ والمقتضب ٢ : ٣٠٧ والجمل ٣٢٠ والخصائص ١ : ١٢٩ وابن يعش ٤ : ١٦ والمقرب ٦٥ والعينى ٤ : ٤٩٨ ، ٥٥٧ والتصریح ٢ : ٢٨٣ والهمع ٢ : ١٥٧ ، ٢١١ والأشمنوى ٤ : ٩٠ ، ٢٢٠ .

(٢) فى سيبويه : « أعرابيا » .

(٣) سيبويه : « ولا يستعمله منهم ناس كثير » .

قال النحاس : وهذا عند سيوييه ردى ، لأنَّ هذه العلامة إنّما تقع في الوقف ولا تقع في الوصل ، فلما اضطرَّ أجراه في الوصل على حاله في الوقف . وأنشد أبو الحسن بن كيسان :

أتوا نارى فقلت : منون ، قالوا :

سراة الجن ، قلت : عموا ظلاما

وقال : إنما حكى كيف كان كلامه وجوابه . انتهى .

وهذه الرواية هي رواية أنى زيد (في نوادره) كما يأتي . ففي الرواية الأولى شذوذان كما في المفصل : إلحاق العلامة في الدَّرج ، وتحريك النون . وفيه أيضاً كما قال ابن الناظم (في شرح الألفية) أنه حكى مقدراً غير مذكور . وفي الثانية شذوذ واحد ، وهو تحريك النون . قال ابن جنى (في الخصائص) : من رواه : « منون قالوا » فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف . فإن قلت : فإنه في الوقف إنما يكون « منون » ساكن النون ^(١) وأنت في البيت قد حرَّكته . فهذا إذن ليس على نيّة الوقف ولا على نيّة الوصل . فالجواب : أنه إنّما أجراه في الوصل على حدّه في الوقف ، فلما أثبت الواو والنون التقيا ساكنين ، فاضطرَّ حينئذٍ إلى أن حرَّك النون لإقامة الوزن . فهذه الحركة إذن إنما هي حركة مستحدثة لم تكن في الوقف ، وإنّما اضطرَّ إليها في الوصل . وأمّا من رواه : « منون أنتم » فأمره مشكل . وذلك أنه شبه من بأى فقال : منون أنتم ، على قوله : أيون أنتم . فكما حمل ههنا أحدهما على الآخر كذلك جمع بينهما ، في أن جرّد من الاستفهام كل منهما . ألا ترى إلى حكاية يونس عنهم : ضرب من مناً ، كقولك : ضرب رجل رجلاً . انتهى .

(١) ش : « إنما يكون ساكن النون » ، صوابه في ط والخصائص .

وقوله : (أتوا نارى فقلت) إلى آخره ، الفاء عطفت جملة قلت على أتوا . وهى للترتيب الذكري ، وهو عطف مفصل على مجمل ، نحو : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأُخْرِجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ^(١) . وجملة منون أنتم من المبتدأ والخبر محكية بالقول . و (منون) إما مبتدأ وأنتم خبره أو بالعكس . والفاء من (فقالوا) عطفت مدخولها على قلت . و (الجن) خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن الجن . والجملة محكية بقالوا . وكذلك على الرواية الثانية : « فقلت منون قالوا سراة الجن » أى نحن أشرفها . وهو بفتح السين جمع سري على ما قيل ، بمعنى الشريف . وكذلك منون على تقدير منون أنتم . قال الجوهري : « عَمُوا صَبَاحاً : كلمة تحية » . قال ابن السيرافى : وإنما قال لهم : عموا ظلاماً لأنهم جن ، وانتشارهم بالليل ، فناسب أن يذكر الظلام ، كما يقال لبنى آدم إذا أصبحوا : عَمُوا صباحاً .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى عَمُوا انعموا ، يقال عَمَّ صباحاً بكسر العين وفتحها . ويقال وعم يعم من باب وعد وومق . وذهب قومٌ إلى أن يعم محذوفةً ينعم . وقالوا : إذا قيل عَمَّ بفتح العين فهو محذوف من انعم المفتوح ، وإذا قيل عم بكسر العين فهو محذوف من ينعم المكسور العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنترة :

* وعمى صباحا دارَ عبلة واسلمى *

فقال : هو من نِعِم المطر إذا كثرت ، ونعم البحر إذا كثرت زبده ، كأنه يدعو لها بالسُقيا وكثرة الخير .

(١) الآية ٣٦ من سورة البقرة .

وقال الأصمعيّ والفراء في قولهم : عِمَّ صباحا : إنّما هو دعاءٌ بالنعيم والأهل ، وهذا هو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب . و (ظلّاما) : ظرف ، أى انعموا في ظلامكم ، أو تمييز ، والأصل لينعم ظلّامكم ، فحوّل إلى التمييز . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في أماليه) : ظلّاماً تمييز ، أى نَعِمَ ظلّامكم ، كما تقول : أحسن الله صباحك . ولا يحسن أن يكون ظرفاً ، إذ ليس المراد أنّهم نعموا في ظلام ولا في صباح ، وأنّما المراد أنه نَعِمَ صباحهم ، وإذا حسُن صباحهم كان في المعنى حُسْنهم .

والبيت من أبيات أربعة رواها أبو زيد (في نوادره) ونسبها لشُعَيْر بن الحارث الضبّي ، مصغّر شِمْر بكسر المعجمة . قال أبو الحسن فيما كتبه على نوادر أبن زيد : سُمير المذكور ، بالسّين المهملة . وهى هذه :

(ونايٍ قد حضأتُ لها بليلٍ

بدارٍ لا أريدُ بها مُقاما

سوى تحليلٍ راحلةٍ وعَيْنٍ

أُكَلِّمُهَا مخافةً أن تنامَا

أَتَوْنا نارِي فَقَلْتُ : منونَ قالوا

سَرَاةَ الجنِّ قلتُ : عِمُّوا ظلّاما

فقلتُ : إلى الطَّعام ، فقال منهم

زَعِيمٌ : نحسُدُ الإنسَ الطَّعاما)

وزاد بعده غيره بيتاً آخر ، وهو :

(لقد فُضِّلْتُمْ بالأكلِ فينا ولكنْ ذاكُ يُعَقِّبُكم سَقاما)

وزادَ بعضهم بعده :

(أَمِطْ عَنَّا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ

لَاكِيلَهُ النَّقَاصَةُ وَالسَّقَامَا)

قال السكرى فيما كتبه هنا : حضأتُ أى أشعلت وأوقدت ، يقال فى تصريحها حضأت النارَ أحضؤهاَ حَضُتًا ، وهو بالحاء المهملة والضاد المعجمة والهمزة . واللام فى لها زائدة ؛ لأنَّ حضأت متعد . وروى ابنُ السَّيِّد وغيره :

* وناير قد حضأتُ بُعيدَ وَهْنٍ *

وقال : الوهن والموهن : نحو من نصف الليل . والذى ذكره الأصمعى أنَّ الوهن هو حين يُدبر الليل . وهذا يدلُّ له الاشتقاق . فالجُرور بواو ربِّ فى محل نصب عَلَى المفعول بحضأت .

وقوله : « سوى تحليل راحلة » قال السكرى : أراد : سوى راحلةٍ أقمت فيها بقدر تَحِلَّةِ اليمين . وروى غيره : « سوى ترحيل راحلة » . قال ابن السَّيِّد : ترحيل الراحلة : إزالة الرجل عن ظهرها . والرَّحْل للإبل كالسَّرَج للخيول . والراحلة : الناقة التى تُتخذ للركوب والسَّفر ، سُمِّيت بذلك لأنها ترحل براكبها . وأكالتها : أحرسها وأحفظها لئلا تنام . قال ابن السَّيِّد : وكان المفضل يروى : « وعير أكالتها » بالراء بدل النون ، وقال : العير : إنسان العين . قال ابن هشام اللخمي بعد هذا : وهذه هى الرواية الصحيحة . وعير تُؤثت عَلَى المعنى ، لأنها عين ، وتذكَّر . وخفافة مفعول لأجله .

وقوله : « فقلت إلى الطعام » إلى متعلقة بفعل محذوف ، أى هلمُّوا إليه . وأورده الزمخشري فى : (أول الكشف) على أَنَّهُ حَذَفَ متعلق الجار من

بسم الله الرحمن الرحيم ، كما حذف منعلق إلى الطعام ، وهذا المحذوف في حكم الموجود ، والجموع محكى بالقول .

وقول ابن السَّيِّد : هذا الفعل المحذوف في حكم الظاهر ، فلذلك لم يكن له موضع من الإعراب ، لا يظهر لتعليله وجّه .

وقال ابن خروف : يجوز أن تكون إلى اسم فعل . وجزم اللخمى بأنَّ إلى هنا إغراء .

وفسروا الزَّعيم بالرئيس والسَّيِّد . وقال بعضهم : الزعيم بمعنى القاتل ، كما تقول زعم زاعم أي قال قاتل ، ولا معنى للسَّيِّد هنا . وزعيم فاعل . قال : وروى بدل زعيم : « فريق » . و « منهم » كان في الأصل وصفه فلما قدّم عليه صار حالاً منه . وقوله : « نحسد » إلخ يروى بالنون ، فالجملة مقول القول . ويروى بالثناة التَّحتية فالجملة صفة لزعيم ، فيكون البيت الذي بعده مقول القول . والأئس يروى بفتحيتين ، وبكسرة فسكون ، ومعناها البشر .

قال ابن الحاجب (في أماليه) : الطعام : مفعول ثان ، إما على تقدير حرف خفض ، أي نحسد الإنسان على الطعام . وإما على أنه متعذّب بنفسه من أصله . كقوله : استغفرت الله الذنب (١) ، ومن الذنب . وقال اللخمى : الطَّعام مفعول ثان على إسقاط حرف الجر ، أي نحسد الإنسان في الطعام . وقال الأندلسي : الأولى تقديره بعلی : لأنّه يقال حسدته على كذا . وقد ورد قوله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين » ، يجوز أن يكون أقام بعض حروف الصفات مقام الآخر . ويؤيده قول الجوهري : « حسدتك على الشيء وحسدتك الشيء بمعنى » .

(١) شاهده قول القاتل ، وأنشده سيويه في كتابه ١ : ١٧ :

أستغفرُ الله ذنبا لست محصيه

رب العباد إليه الوجه والعمل

وقوله : « لَقَدْ فَضَّلْتُمْ » بالبناء للمفعول ، وفينا بمعنى علينا .

وقوله : « أَمِطْ عَنَّا » إلخ أى أزله عنا . و « التَّنْقَاصَةُ » بالفتح ، هو مصدر كالتَّنْقُص بالنون والقاف والصاد المهملة ^(١) .

ذكر فى أبياته أَنَّ الجنَّ طرقته وقد أوقَدَ ناراً لطعامه ، فدعاهم إلى الأكل مِنْهُ فلم يجيبوه ، وزعموا أَنَّهُمْ يحسدون الإنسَ فى الأكل ، وَأَنَّهُمْ فضَّلُوا عليهم بأكل الطعام ، وَلَكِنَّ ذلك يُعَقِّبُهُم السَّقَامُ .

وقوله :

« لَقَدْ فَضَّلْتُمْ بِالْأَكْلِ فِينَا »

ظاهره أَنَّ الجنَّ لا يأكلون ولا يشربون . وقال ابن السيرافى : قال زعيمهم : نحسد الإنس على أكل الطعام والالتذاذ ، وليس من شأننا أن نأكل ما يأكله الإنس .

وقال ابن المستوفى : لم يُرد أَنَّ الجنَّ لا تأكل ولا تشرب ، وإنما أراد أَنَّ طعامَ الإنس أفضل من طعام الجنِّ .

وهذان القولان خلافُ الظاهر . ويؤيد ما قلنا قول ابن خروف (فى شرح أبيات سيبويه) : قوله لَقَدْ فَضَّلْتُمْ بِالْأَكْلِ فِينَا ، مخالفٌ للشرع ، لأنَّ النبى ﷺ قال : إنَّ الجنَّ تأكل وتشرب . وفى (آكام المرجان فى أحكام الجان) ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الشبلى الحنفى الشامى ، وقد صنَّفه كما

(١) لم يرد هذا المصدر فى المعاجم المتداولة . والمعروف النقص ، والنقصان ، والنقيصة .

قال الصفدى فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة : وقد ^(١) اختلف العلماء فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون ^(٢) .

وهذا قول ساقط .

ثانيها : أن صنفاً منهم يأكلون ويشربون ، وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون .

ثالثها : أن جميع الجن يأكلون ويشربون .

فقال بعضهم : أكلهم وشربهم تشتم واسترواح ، لا مضغ وبلع . وهذا لا دليل له . وقال آخرون : أكلهم وشربهم مضغ وبلع . ويدل لهذا حديث أمية ابن مخشى ^(٣) ، من رواية أبى داود : « مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله تعالى استقاء ما فى بطنه » . وفى الصحيحين أن الجن سألوا رسول الله ﷺ الزاد ، فقال : « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم أو فر ما يكون لحماً ، وكل برع غلف لدوابهم » . وفى حديث يزيد بن جابر قال : « ما من أهل بيت من المسلمين إلا وفى سقف بيتهم من الجن من المسلمين ، إذا وضع غداؤهم نزلوا فتغذوا معهم ، وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم ، يدفع الله بهم عنهم » .

(١) ش : « قد » بدون واو .

(٢) الكلام بعده الى « أن جميع الجن يأكلون ويشربون » ساقط من ش :

(٣) الإصابة ٢٥٨ . وحديثه فى سنن أبى داود ٣ : ٣٤٧ برقم ٣٧٦٨ .

والجنّ على مراتب ، قال ابن عبد البر : إذا ذكروا الجنّ خالصاً قالوا : جنّى . فإن أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا : عامر ، والجمع عُمار . فإن كان ممّا يعرض للصبيان قالوا : أرواح . فإن خُبث ولؤم قالوا : شيطان . فإن زاد على ذلك فهو مارد . فإن زاد على ذلك وقوى أمره قالوا : عفريت .

وقال ابن عقيل : الشياطين : العصاة من الجنّ ، وهم ولد إبليس ، والمردة أعتاهم وأغواهم ، وهم أعوان إبليس .

وقال الجوهري : « كلّ عاتٍ متمرد من الجنّ والإنس والدوابّ شيطان » .

وقال ابن دريد : الجنّ : خلاف الإنس . ويقال : جنّه الليل وأجنّه ، وأجنّ عليه وغطّاه في معنى واحد ، إذا ستره . وكلّ شيء استتر عنك فقد جنّ عنك . وبه سمّيت الجنّ . وكان أهل الجاهلية يسمّون الملائكة جنّاً لاستتارهم عن العيون . قالوا : والجنّ بالحاء المهملة زعموا أنه ضرب من الجن . وقال أبو عمّر الزاهد : الجنّ : كلاب الجن وسفلتهم . والجانّ : أبو الجنّ .

قال السهيلي (في كتاب النتائج ^(١)) : وممّا قدّم للفضل والشرف تقدّم الجنّ على الإنس ، في أكثر المواضع ، لأنّ الجنّ تشتمل على الملائكة ٦ وغيرهم ممّا اجتنّ عن الأبصار . قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنّة نسبا ﴾ ^(٢) ، وقال الأعشى ^(٣) :

(١) لم يذكر في كشف الظنون . كما لم يذكر في الخزانة إلا في هذا الموضع .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الصافات .

(٣) لم يرد البيت التالى في ديوان الأعشى .

وَسَخَّرَ مِنْ جَنِّ الْمَلَائِكِ سَبْعَةً

قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أَجْرِ

فأما قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئْنُوا لِلْإِنْسِ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ^(١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ^(٢) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَا بَغْضَاءَ اللَّهِ فَكَذَّبْنَا ^(٣) ﴾ فإن لفظ الجن ههنا لا يتناول الملائكة ، لنزاهتهم عن العيوب ، فلما لم يتناولهم عموم اللفظ لهذه القرينة بدأ بلفظ الإنس لفضلهم وكأهم .

وشُمير بن الحارث الضبّي ، ناظم هذه الأبيات ، تقدم ذكره في الشاهد الخامس والستين بعد الثلاثمائة ^(٤) .

تَمَمَ

قد روى البيهقي الشاهد من قصيدة قافيتها حاثية . قال ابن السّيد (في شرح أبيات الجمل للزجاجي) : ذكر أبو القاسم مؤلف الجمل أنّ الناس يغلطون في هذا الشعر فيروونه عموا صباحا ، وجعل دليله الأبيات الميمية المنقولة عن أبي زيد . ولقد صدق فيما حكاه ولكنه أخطأ في تخطئة رواية من روى : « عموا صباحا » ، لأنّ هذا الشعر الذي أنكره وقع في (كتاب خبر سبّ مارب) ونسبه إلى جذع بن سنان الغساني في حكاية طويلة زعم أنّها جرت له مع الجن . وكلا الشعرين أكذوبة من أكاذيب العرب لم تقع قط .

(١) الآية ٧٤ من سورة الرحمن .

(٢) الآية ٣٩ من سورة الرحمن .

(٣) الآية ٥ من سورة الجن .

(٤) صوابه السادس والستين بعد الثلاثمائة . وانظر الخزانة ٥ : ١٨٢ .

والشعر الذى على قافية [الميم ينسب إلى شُمَيْر بن الحارث ، وينسب إلى تَابُط شَرًّا . وأما الشعر الذى على قافية (١)] الحاء فلا أعلم خلافاً فى أنه ليجذع بن سِنان ، وهو :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ : مَنْوَنَ أَنْتُمْ
فَقَالُوا : الْجَنُّ قُلْتُ : عِمُوا صَبَاحَا
نَزَلْتُ بِشَيْعِ وَادِي الْجَنِّ لَمَّا
رَأَيْتُ اللَّيْلَ قَدْ نَشَرَ الْجَنَاحَا
أَتَيْتَهُمْ وَلِلْأَقْدَارِ حَتْمُ
تُلاقِي الْمَرْءَ صَبِيحاً أَوْ رَوَاحَا
أَتَيْتَهُمْ غَرِيباً مُسْتَضِيفَا
رَأَوْا قَتْلِي إِذَا فَعَلُوا جُنَاحَا
أَتَوْنِي سَافِرِينَ فَقُلْتُ : أَهْلًا
رَأَيْتُ وَجُوهَهُمْ وَسُمّاً صَبَاحَا
نَحَرْتُ لَهُمْ وَقُلْتُ : أَلَا هَلُمُّوا
كُلُّوا مِمَّا طَهَيْتُ لَكُمْ سِمَاحَا
أَتَانِي قَاشِرٌ وَبَنُو أَبِيهِ
وَقَدْ جَنَّ الدُّجَى وَاللَّيْلُ لَاحَا
فَنَازَعَنِي الزُّجَاجَةَ بَعْدَ وَهْنِي
مَزَجْتُ لَهُمْ بِهَا عَسَلًا وَرَاحَا
وَحَذَرَنِي أُمُوراً سَوْفَ تَأْتِي
أَهْزُهَا الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاخَا

(١) هذه التكملة من ش .

سَامِضِي لِلذِي قَالُوا بَعِزْمِ
 وَلَا أَبْغَى لَذَلِكُمْ قِدَا حَا
 أَسَأْتُ الظَّنَّ فِيهِ ، وَمَنْ أَسَاهُ
 بِكُلِّ النَّاسِ قَدْ لَاقَى نَجَاحَا
 وَقَدْ تَأْتَى إِلَى الْمَرْءِ الْمَنَايَا
 بِأَبْوَابِ الْأَمَانِ سُدَى صُرَا حَا
 سُبُقِي حَكْمُ هَذَا الدَّهْرِ قَوْمَاً
 وَيَهْلِكُ آخَرُونَ بِهِ ذُبَا حَا
 أَثْعَلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو لَيْسَ هَذَا
 أَوْ أَنَّ السَّيْرَ فَاعْتَدَّ السَّلَاحَا
 أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الذَّلَّ مَوْتُ
 يُتِيحُ لِمَنْ أَلَمَّ بِهِ اجْتِيَا حَا
 وَلَا يَبْقَى نَعِيمُ الدَّهْرِ إِلَّا
 لِقَرْمِ مَا جِدَّ صَدَقَ الْكِفَا حَا

قال ابن السَّيِّد : إن قيل كيف جاز أن يقول لهم : عموا صباحا ، وهم
 في الليل . وإِنَّمَا يَلِيقُ هَذَا الدُّعَاءُ بِمَنْ يُلْقَى فِي الصَّبَاحِ . فالجواب من
 وجهين :

أحدهما : أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قِيلَ لَهُ عَمِ صَبَاحَا فَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ يَنْعَمُ فِي
 الصَّبَاحِ دُونَ الْمَسَاءِ ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا قِيلَ أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ ، وَحَيَّا اللَّهُ وَجْهَهُ ، فَلَيْسَ
 الْمُرَادُ الْأَنْفَ وَالْوَجْهَ دُونَ سَائِرِ الْجِسْمِ . وكذلك إِذَا قِيلَ لَهُ : أَعْلَى اللَّهُ كَعْبِكَ .
 وَإِنَّمَا هِيَ أَلْفَاطٌ ظَاهِرُهَا الْخُصُوصُ وَمَعْنَاهَا الْعُمُومُ . ومثله قَوْلُ الْأَعَشِيِّ :

* الواطئين على صدور نعالهم ^(١) *

والوطء لا يكون على صدور النعال دون سائرهما .

والوجه الثانى : أن يكون معنى أنعم الله صباحك : أطلع الله عليك كل صباح بالنعيم ، لأنَّ الصباح والظلام نوعان ، والنوع يسمى به كل جزء منه بما يسمّى به جملة .

والشعب ، بالكسر : الطريق فى الجبل .

ووسماً بالضم : جمع وسيم ، وهو الذى عليه سمة الجمال . وكذلك

الصُّباح بالكسر : جمع صبيح . شبه بالصبح فى إشرافه .

وطهيت : طبخت ، يقال طهيت اللحم وطهوته فأنا طاهٍ .

وقوله : « لا أبغى لذلکم قداحا » أى لا أطلب ضرب القداح ، لأنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر ضربوا بالقداح ، فإن خرج القدح المكتوب عليه : افعل ، فعل الأمر . وإن خرج القدح المكتوب عليه : لا تفعل ، لم يفعل الأمر .

وقوله : أسأتُ الظن فيه ، يقول : أسأتُ الظن بضرب القداح والتعويل على ما تأمر به وتنهى عنه ، وعلمت أن ما أمرتني به الجنُّ أحرى أن يعول عليه .

وقوله : « سُدَى صُراحاً » ، السُدَى : الإبل المهملة التى لا يردها أحد . والصُّراح : الظاهرة .

والذُّبَّاح ، بضم الذال المعجمة بعدها موحدة : نبات يقتل من أكله . ومن رواه يكسر الذال جعله جمع ذبيح .

(١) عجزه فى الديوان ٩٩ واللسان (دفن) :

« يمشون فى الدفن والأفراد » .

وقوله : « يُتِيح » أى يَقْدَر وَيَجْلِب ، يقال أتاح الله كذا أى قَدَرَهُ .
وَأَلَمَّ : نزل . والاجتياح ، بحيم بعدها مثناة فوقية : الاستئصال .

والقَرَم ، بفتح القاف وسكون الراء : السَّيْد ، وأصله الفحل من الإبل . والكفاح ، بالكسر : ملاقاتة الأعداء . انتهى .

جذع بن سنان العسائى بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، شاعر جاهلى قديم . وغسان : قبيلة من الأزد من قحطان . وجذع خرج مع مَنْ خرج من الأزد قبل سيل العرم وجاءوا إلى الشام ، وكان ملكها إذ ذاك سليح ، وهم من غسان أيضا ، وقيل من قضاة . وكانوا يؤذون لسليح عن كل رجل دينارين ، فجاء عامل الملك إلى جذع بن سنان يطلب الخراج الذى وجب عليه ، فدفع إليه سيفه رهناً ، فقال : أدخله فى حِرِّ أُمِّك ! فغضب جذع وقَعَّه به ، فقيل : « تُحْذُ من جذع ما أعطاك » ، وسارت مثلاً . تُضْرَبُ فى اغتنام ما يجود به البخيل . وقيل فى سبب المثل غير هذا .

وامتنعت غسان من هذا الخراج بعد ذلك وولوا الشام ، كما تقدم شرحه فى ملوك بنى جفنة (١) .

و (فى العباب) للصَّغَانِ أَنْ جِذَعاً هو جذع بن عمرو . وهو غلط .

* * *

باب أسماء الأفعال

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٥٢ (فداءٍ لك الأقوامُ)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(مهلاً فداءٍ لك الأقوامُ كلُّهمُ)

٨

وما أثمر من مالٍ ومن ولدٍ)

على أنَّ (فداء) اسم فعل منقول من المصدر . قال صاحب الصحاح : الفِداء إذا كسر أوله يمدّ ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال : قُم فَدَى لك أُنَى . ومن العرب من يكسر فداءً بالتثنية إذا جاور الجرَّ خاصّة ، فيقول : فداءٍ لك ، لأنّه نكرة ، يريدون به معنى الدعاء . وأنشد هذا البيت للنابغة عن الأصمعي .

وهذا التعليل فيه خفاء ^(٢) . والواضح قول أُنَى على (في المسائل المنثورة) وقد أنشده فيها قال : بُنَى على الكسر لأنّه قد تضمّن معنى الحرف ، وهو لام الأمر ، لأنّ التقدير : ليفدك الأقوام كلُّهم . فلمّا كان بمعناه بُنَى . وبُنَى على الكسر لأنّه وقع للأمر . والأمر إذا حُرِّك تحرك إلى الكسر . ونوّنوه لأنّه نكرة . انتهى .

(١) ابن يعيش ٤ : ٧٠ ، ٧٣ وديوان النابغة ٢٦ .

(٢) أرى أنّ الخفاء يزول إذا فهمنا قوله فيما سبق : « إذا جاور الجر » على أنّه الجار والمجرور وهو « لك » ، ونحوه .

قال الزمخشري (في المفصل) : ومنه فداء لك ، بالكسر والتنوين ، أى ليفدك . وأنشد البيت .

قال ابن المستوفى : قوله « ومنه » : يريد ما التزم فيه التنكير ، كإيها في الكف ، ووثيها في الإغراء ، وواها في التعجب . وعقبه بقوله : ومنه فداء ، يستعمل مكسورا منونا وغير منون ، حملا على إيه وإيه . ثم نقل عن الزمخشري في حواشيه أنه قال : فداء بالرفع ، عَلَى أنه خبر الأقوام . وفداء بالكسر ، لما ذكرنا ^(١) . وفداء بالنصب على أنه مصدر لفعله ، وهو ليفدك الأقوام . ويرفع الأقوام مع كسر فداء بالفاعل أيضا لأنه أمر لهم بالفداء . يعنى أن الأقوام فاعل فداء أيضا في حالة النصب ، لأنه فاعل المصدر ، كما أنه فاعله في حالة الكسر والتنوين .

وذكر القوّاس (في شرح ألفية ابن معطى) أن فيه لغات : فدّى بفتح الفاء وضمها مع القصر ، وكسرها مع القصر والمد .
وروى أبو زيد (في نواتره ^(٢)) قول الراجز :
* وبها فداء لك يا فضاله *

بالكسر والتنوين . وهذا لا فاعل له في اللفظ ، وإنما الفاعل مفهوم من المقام ، أى ليفدك الناس ، ونحوه .

ووبها : كلمة إغراء . وقوله : (مهلا) ، بمعنى أمهل وتأن . وقوله : (وما أثمر) معطوفة على الأقوام ، وهى موصولة والعائد محذوف ، أى أثمره . وأثمر : أجمع وأصلح . يقال ثمر فلان ماله ، إذا أصلحه وجمعه . ومن للبيان .

والبيت من قصيدة للناطقة الذيباني مدح بها النعمان بن المنذر ، وتصل عن ما قذفوه به ، حتى خافه وهرب منه إلى بنى جفنة ملوك الشام .

صاحب الشاهد

(١) ط : « كما ذكرنا » صوابه في ش .

(٢) نواتر أئى زيد ص ١٣ .

وقد تقدّم شرح أبيات كثيرة منها في باب الحال ، وفي باب خبر
كان ، وفي النعت ، وفي البدل وغير ذلك .

وبعد هذا البيت يثّ يورده علماء التصريف في كتبهم ، وهو :
(لا تقدّفتني بركن لا كفاء له)

قرين الشاهد

ولو تأثّفتك الأعداء بالرّفْد)

وقوله لا تقدّفتني ، أى لا تركبني بما لا أطيق ولا يقوم له أحد . والكفاء
بالكسر : الجثل . وتأثّفتك الأعداء : اجتمعوا حولك واحتوشوك ، فصاروا
منك موضع الأثافي من القدر .

وقوله : بالرّفْد ، بكسر ففتح : جمع رَفْدَة بكسر فسكون ، أى يرَفِد
بعضهم بعضاً ، يتعاونون بالنّمائم على ويسعون بى عندك . يقال رَفَدَ فلانٌ
فلاناً يرَفُده رَفداً ، إذا أعانه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الأربعمئة ، وهو من
شواهد س (١) :

٤٥٣ (كَذَبَ العتيق وماءَ شَرٍّ بارداً

إن كنتِ سائلتي غبوقاً فاذهبي)

٩ على أن « كذب » في الأصل فعل ، وقد صار اسم فعل أمر بمعنى الزم .
لم أرَ مَنْ قال من النحويين وغيرهم أن كَذَبَ اسم فعل . وهذا شيء

(١) في كتابه ٢ : ٣٠٢ . وانظر أمالي ابن الشجرى ١ : ٢٦٠ واللسان (كذب ٢٠٤ عتق

انفردَ به الشارح المحقق . وإثماً ذكره في جملة الأفعال التي مُنعت التصرف ، منهم ابن مالك (في التسهيل) .

وقول الشارح المحقق : « إذا رُوى بنصب العتيق » ، تحقيق لكونه اسمَ الفعل ، فإنَّ أكثر اسم الفعل يكون بمعنى الأمر كما قاله الشارح ، ففاعله مستترٌ فيه وجوباً تقديره أنت ، والعتيقُ مفعوله وماءٌ معطوف على العتيق ، وبارداً صفة ماء . ومفهومه أنَّ العتيق إذا رُوى بالرفع لم يكن كذب اسمَ فعل . ولم يبيِّن حكمه ، وكأنَّه ترك شرحه لشهرته بمعنى الإغراء .

وفيه أن كذبَ سواءً نصبَ ما بعده أو رفع ، بمعنى الإغراء كما في الأمثلة المذكورة في الشرح ، فجعله مع المنصوب دون المرفوع اسمَ فعل تحكُّم لا يظهر له وجه . على أنَّ النصب قد أنكره جماعة وعيَّنوا الرفع ، منهم أبو بكر بن الأنباري (في رسالة شرح فيها معاني الكذب) على خمسة أوجه ، قال ^(١) :

كذبَ معناه الإغراء ومطالبة المخاطب بلزوم الشيء المذكور ، كقول العرب : كذبَ عليك العسلُ ، ويريدون كُلَّ العسل . وتلخيصه ^(٢) : أخطأ تاركُ العسلِ ، فغلب المضافُ إليه على المضاف . قال عمر بن الخطاب : « كذبَ عليكم الحجُّ ، كَذَبَ عليكم العُمرةُ ، كذبَ عليكم الجهادُ : ثلاثة أسفار كَذَبَنَ عليكم » معناه الزموا الحجَّ والعُمرةَ والجهاد . والمغرى به مرفوع بكذبَ ، لا يجوز نصبه على الصَّحَّة ، لأنَّ كذبَ فعلٌ لا بدَّ له من فاعل ، وخبرٌ لا بدَّ له من محدث عنه ، والفعلُ والفاعل كلاهما تأويلهما الإغراء . ومنَّ زعم أنَّ الحجَّ والعُمرةَ والجهادَ في حديث عمر حكمهنَّ النصبُ لم يصب ، إذ قضى بالخلوِّ عن الفاعل . وقد حكى أبو عبيد عن أبي عبيدة عن أعرابي ، أنَّه نظر إلى ناقةٍ نضوٍ لرجل فقال : كذبَ البَزْرُ والتوى . قال أبو عبيد :

(١) سيذكر هنا الخامس فقط . وانظر ما سيأتى في ١٩٤ - ١٩٩ .

(٢) التلخيص : التبيين والشرح . وهو أيضاً الاختصار .

لم يسمع النصبُ مع كذب في الإغراء إلا في هذا الحرف . قال أبو بكر :
وهذا شاذٌّ من القول ، خارجٌ في النحو عن منهاج القياس ، ملحَقٌ بالشواذَّ
التي لا يعوَّل عليها ولا يؤخذ بها . قال الشاعر :

* كذب العتيق وماء شَنّ باردٌ *

معناه الزمى العتيق وهذا الماء ، ولا تطالبنى بغيرهما . والعتيقُ مرفوع
لا غير . انتهى .

ومن الغريب قولُ ابن الأثير (في النهاية) في حديث عمر ، برفع الحج
والعمرة والجهاد ، معناه الإغراء ، أى عليكم بهذه الأشياء الثلاثة . وكان وجهه
النصب ، ولكنه جاء شاذّاً مرفوعاً . انتهى .

وقد نقل أبو حيان كلام ابن الأنبارى (في تذكرته ، وفي شرح
التسهيل) ، وزاد فيه بأن الذى يدلُّ على رفع الأسماء بعد كذب أنّه يتصل بها
الضمير كما جاء في كلام عمر : « ثلاثة أسفار كذبن عليكم » . وقال
الشاعر :

* كذبتُ عليك لا تزال تُقَوِّنِي ^(١) *

معناه عليكِ بى ^(٢) : فرجع التاء وهى مغرّى بها ، واتصلت بالفعل لأَنّه
لو تأخر الفاعل لكان منفصلاً ، وليس هذا من مواضع انفصال الضمير ^(٣) .
انتهى .

(١) للقطامي في اللسان (كذب ، قوف) وليس في ديوانه . ويروى أيضا للأُسود بن يعفر .
ط : « تقوِّنى » ش : « تبوقنى » والصواب ما أثبت . وقافه يُقَوِّفه مثل قفاه يقفوه ، أى تبعه .

(٢) في الأصل ، أى النسختين : « عليكن » ، صوابه من اللسان . (كذب ، قوف) . وفي
اللسان : « فأغراه بنفسه ، أى عليك بى » .

(٣) كلمة « الضمير » ساقطة من ش .

والصحيح جواز النصب ، لنقل العلماء أنه لغة مضر ، والرفع لغة اليمن . ووجهه مع الرفع أنه من قبيل ما جاء لفظ الخير [فيه ^(١)] بمعنى الإغراء كما قال ابن الشجرى (فى أماليه) كَتُومَنُونَ بِاللَّهِ ، بمعنى آمَنُوا بِاللَّهِ .
 ١٠. وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، بمعنى اللهم ارحمهُ ، وحسبك زيد ، بمعنى اكتف به . ووجهه مع النصب من باب سِرَايَةِ الْمَعْنَى إِلَى اللَّفْظِ ^(٢) فَإِنَّ الْمَغْرَى بِهِ لَمَّا كَانَ مَفْعُولًا فِي الْمَعْنَى اتَّصَلَتْ بِهِ عَلَامَةُ النَّصْبِ لِيَطَابِقَ اللَّفْظُ الْمَعْنَى .

وقال عبد الدائم بن مرزوق القيروانى (فى كتاب حُلَى الْعُلَى ، فى الأدب) : إنه يروى العتيق بالرفع والنصب ، ومعناه عليك العتيق وماء شَنِّ وأصله : كذب ذاك ، عليك العتيق ، ثم حذف عليك وناب كذب منابه ، فصارت العرب تُغَرِّى بِهِ .

وقال الأعلام (فى شرح مختار الشعراء الستة) عند كلامه على هذا البيت : قوله كذب العتيق ، أى عليك بالتمر . والعتيق : التمر البالى . والعرب تقول : كَذَبَكَ التَّمْرُ واللبن ، أى عليك بهما . وبعض العرب ينصب ، وهم مضر ، والرفع لليمن . وأصل الكذب الإمكان . وقول الرجل للرجل : كذبت ، أى أمكنت من نفسك وضَعُفْتَ . فلهذا اتَّسَعَ فِيهِ وَأَغْرَى بِهِ ، لأنه متى أغرى بشئ فقد جعل المغرَى به ممكناً مستطاعاً إن رَامَهُ الْمَغْرَى . انتهى .

قال أبو حيان (فى شرح التسهيل) بعد نقله لهذا الكلام : وإذا نصبنا بَقَى كَذَبَ بلا فاعل على ظاهر اللفظ ، والذي تقتضيه القواعد أن هذا يكون من باب الإعمال ، فكذب يطلب الاسم على أنه فاعل ، وعليك

(١) تكملة يقتضيه الكلام .

(٢) أصل السراية بالكسر سرى الليل : وفى اللسان : « ويقال فى المصادر أن تحي على هذا البناء لأنه من أبنية الجمع . يدل على صحة ذلك أن بعض العرب يؤنث السرى والهدى ، وهم بنو أسد ، توهماً أنهما جمع سُرْيَة وَهْدِيَة » .

يطلبه على أنه مفعول ، فإذا رفعنا الاسم بكذب كان مفعول عليك محذوفاً لفهم المعنى ، التقدير كذب عليكُ الحجج . وإنما التزم حذف المفعول لأنه مكان اختصار ، ومحرف عن أصل وضعه ، فجرى لذلك مجرى الأمثال في كونها يلتزم فيها حالة واحدة يتصرف فيها ، وإذا نصبنا الاسم كان الفاعل مضمراً في كذب يفسره ما بعده على رأى سيبويه ، ومحذوفاً على رأى الكسائي . وقال ابن طريف (في الأمثال ^(١)) : وكذب عليك كذا ، أى عليك به ، معناه الإغراء ، إلا أن الشيء الذى بعد عليك يأتي مرفوعاً . انتهى .

وقد بسط الكلام على هذه الكلمة الزمخشري (في الفائق) فلا بأس بإيراده هنا ، وإن كان فيه طول . قال في حديث الحجامه : « فمن احتجم في يوم الخميس والأحد كذباك » أى عليك بهما . ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « كذب عليكم الحجج » الحديث السابق . وعنه : أن رجلاً أتاه يشكو إليه النقرس ، فقال : كذبتك الظهائر ، أى عليك المشى في حرّ الهواجر وابتدأ النفس . وعنه : أن عمرو بن مَعْدِيكَرْب شكّا إليه المعص ^(٢) . فقال : كذب عليك العسل ، يريد العسلان ^(٣) . فهذه كلمة مشككة قد اضطربت فيها الأقاويل ، حتى قال بعض أهل اللغة : أظنّها من الكلام الذى درج ودرج أهله ومن كان يعلمه . وأنا لا أذكر من ذلك إلا قول من هجّيره التحقيق ^(٤) . قال أبو على : الكذب ضرب من القول ، وهو نطق كما أن

(١) صوابه « الأفعال » كما في إنباه الرواة ٢ : ٢٠٨ .

(٢) المعص ، بالتحريك : التواء في عصب الرجل ، ويقال أيضاً معصت قدمه : التوت من كثرة المشى . ط : « المعص » صوابه بالعين المهملة كما في الفائق ٢ : ٤٠٠ وكذا في ش مع أثر تصحيح .

(٣) العسل والعسلان : ضرب من المشى فيه سرعة . وانظر جمهرة العسكرى ٢ : ١٦٦ .

(٤) الهجري : الدأب والشأن والعادة .

القول نطق . فإذا جاز في القول الذى الكذب ضرب منه أن يُتَّسَع فيه فيُجعل غير نطق ، في نحو قوله :

* قد قالت الأنساع للبطن الحَقى ^(١) *

جاز في الكذب ^(٢) أن يُجعل غير نطق ، في نحو قوله :

* كذب القراطف والقروف *

فيكون ذلك انتفاءً لها ، كما أنه إذا أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به كان انتفاءً للصدق فيه . وكذلك قوله :

* كذبت عليكم أوعدونى *

معناه لست لكم ، وإذا لم أكن لكم ولم أعينكم كنت مُنابذاً لكم ، ومنتفيةً نُصرتى عنكم . وفي ذلك إغراءً منه لهم به .

وقوله : « كذب العتيق » ، أى لا وجود للعتيق وهو التمر فاطليبه ، وإذا لم تجدى التمر فكيف تجددين العَبوق ^(٣) . ١١

وقال بعضهم في قول الأعرابى وقد نظر إلى جميل نضو : « كذب عليك القَتَّ والنوى » ، وروى : « البزر والنوى » ، ومعناه أن القَتَّ والنوى ذكرًا أنك لا تسمن بهما ، فقد كذبا عليك ، فعليك بهما ؛ فإنك تسمن بهما وقال أبو على : فأما من نصب البزر فإنَّ عليك فيه لا يتعلق بكذب ولكنه

(١) ش والخصائص ١ : ٢٣ : « الحق » بدون ياء . وأثبت ما في ط وفائق الرمحشرى . وفي اللسان أن « البطن » من الإنسان مذكر ، وحكى أبو عبيدة أن تأنيثه لغة .

(٢) ط : « معاندا » ، وأثبت ما في ش والفائق .

(٣) ما بعد « فاطليبه » إلى هنا ليس في فائق الرمحشرى ، ولعله سقط من أصوله .

يكون اسم فعل وفيه ضمير المخاطب ، وأما كذب ففيه ضمير الفاعل ، كأنه قال : كذب السَّمَن ، أى انتفى من بعيرك ، فأوجده بالبرز والنوى . فهما مفعولا عليك ، وأضر السَّمَن لدلالة الحال عليه فى مشاهدة عدمه .

و (فى المسائل القصريات) : قال أبو بكر فى قول من نصب الحجج ، فقال كذب عليك الحجج : إنه كلامان ، كأنه قال : كذب ، يعنى رجلاً ذمَّ إليه الحجج ، ثم هيَّج المخاطب على الحج فقال : عليك الحجج . هذا ، وعندى قول هو القول ، وهو أنها كلمة حرت مجرى المثل فى كلامهم ، ولذلك لم تُصَرَّف ولزمت طريقة واحدة فى كونها فعلاً ماضياً معلقاً بالمخاطب ليس إلا ، وهى فى معنى الأمر ^(١) ، كقولهم فى الدعاء : رحمك الله ! والمراد بالكذب الترغيب والبعث ، من قول العرب : كَذَبْتُهُ نفسه ، إذا مَنَّته الأمانى وخيَّلت إليه من الآمال ما لا يكاد يكون ، وذلك ما يرغب الرجل فى الأمور ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون فى عكس ذلك : صدَّقْتُهُ ، إذا ثَبَّتْهُ وخيَّلت إليه العجز ^(٢) والتَّكْد فى الطلب . ومن ثمَّ قالوا للنفس « الكذوب » . قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للرجل يتهدَّد الرجل ويتوَعَّده ثم يكذب ويَكْغُ ^(٣) : صدَّقْتُهُ الكَذوبُ ! وأنشد :

فأقبل نحوى على قُدرة فلما دنا صدَّقْتُهُ الكَذوبُ ^(٤)

(١) ش : « الكلام » ، صوابه فى ط والفائق .

(٢) فى الفائق : « المعجزة » .

(٣) يقال كع يَكْغُ ويَكْغُ ، والكسر أجود ، أى جبن وضعف .

(٤) فى الأصل : « على قدره » ، وأثبت ما فى الفائق .

وأنشد الفراء :

* حَتَّى إِذَا مَا صَدَقْتَهُ كُذُّبُهُ (١) *

أى نفوسه ، جعل له نفوساً لتفرّق الرأى وانتشاره . فمعنى قوله :
كذبك الحج : ليكذبك ، أى ينشطك ويبعثك على فعله .

وأما كذب عليك الحجّ فله وجهان : أحدهما أن يضمن معنى فعل
يتعدّى بحرف الاستعلاء ، أو يكون على كلامين كأنه قال : كذب الحجّ ،
عليك الحجّ ، أى ليرغبك الحج وهو واجب عليك . فأضمر فى الأوّل لدلالة
الثانى عليه . ومن نصب الحجّ فقد جعل عليك اسم فعل كما سبق ، وفى
كذب ضمير الحج . انتهى .

والبيت الشاهد هو من أبيات سبعة لعنترة صاحب المعلقة . ورؤى
أيضاً أنه لخزّز بن لؤذان السدوسى . وكلاهما جاهليّان .

قال الصاغاني : وهو موجود فى ديوان أشعارهما (٢) .

وهذه أبياتٌ عنتره خاطبَ بها امرأته وكانت لا تزال تذكر خيله وتلوّمه
فى فرس كان يؤثره على سائر خيله ويسقيه اللبن :
(لا تذكرى فرسى وما أطعمتهُ

فيكونَ جلدك مثلَ جلدِ الأجرِ

(١) الكذب ، بضمّين : جمع كذوب . وفى ط : « كذوبه » صوابه فى ش والفائق وتاج العروس
(كذب ٤٤٩) ، وهو ما يقتضيه التفسير بعده .
(٢) ديوان عنتره ٢٤ - ٢٥ .

إِنَّ الْغُبُوقَ لَهُ ، وَأَنْتَ مَسُوءَةٌ
 فَنَأْوِهِي مَا شِئْتَ ثُمَّ تَحْوِي
 كَذِبَ الْعَتِيقُ وَمَاءَ شَنْ بَارِدٍ
 إِنْ كُنْتَ سَائِلَتِي غَبُوقًا فَادْهَبِي
 إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
 إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي
 وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَجِدْجَه
 وَابْنُ النِّعَامَةِ عِنْدَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
 وَأَنَا أَمْرُو إِنْ يَأْخُذُونِي عَنُوءٌ
 أَقْرَنُ إِلَى شَرِّ الرِّكَّابِ وَأُجْنَبُ
 إِنِّي أُحَاذِرُ أَنْ تَقُولَ ظَعِينَتِي :
 هَذَا غِبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلْبَبُ (

١٢

وقوله (١) : « مثل جلد الأجر » أى لا تلومينى فى إيشار فرسى
 فأبغضتك وأهجر مضجعك وأتحاماك ، كما يتحامى الأجر من الإبل ويبتعد
 عنها لئلا يُعديها . وقيل معناه أضربك فيبقى أثر الضرب عليك كالجر .
 فيكون تهديدها بالضرب الأليم .

وقوله : « إِنَّ الْغُبُوقَ لَهُ » إلخ الغُبُوق : شَرُّ اللَّيْلِ بِالْعَشِيِّ . وَالْعَشِيُّ :
 مَا بَيْنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ ، وَقِيلَ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى الصَّبَاحِ . وَمَسُوءَةٌ ، أَيْ آتٍ
 إِلَيْكَ مَا يَسُوءُكَ بِإِشَارِ فَرَسِي عَلَيْكَ . وَالتَّوَهُ : التَّحَزُّنُ ، وَأَنْ تَقُولَ : آهِ !
 تَوَجُّعًا . وَالتَّحَوُّبُ : التَّوَجُّعُ ، وَيُقَالُ هُوَ الدَّعَاءُ عَلَى الشَّيْءِ .

(١) ش : « قوله » بدون واو .

وقوله : (كذب العتيق) إلخ العتيق هو التمر القديم . قال الدِّينَوْرِي
(في كتاب النبات) : يقال عَتَقَ وعَتَّقَ بالفتح والضمّ ، إذا تقادم . والعتيق :
اسمٌ للتمر عَلم . وأنشد هذا البيت . و (الشَّنُّ) : القربة الخلق ، والماء يكون
فيها أبرد منه في القربة الجديدة . يقول : عليك بالتمر فكليهِ ، والماء البارد
فاشربه ، ودعيني أوتر فرسى باللين . وإن تعرّضتِ لشرب اللبن فاذهبي .
وإنما يتوعّدها بالطلاق .

وقد أورد سيبويه هذا البيت في باب وجوه القوافي في الإنشاد ، على أنّه
سمع من العرب من ينشده :

« إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهب »

بسكون الباء ، لأنهم لم يريدوا التزم .

وقوله : « إن الرجال » إلخ ، ويروى « إن العدو » . والوسيلة : القربة ،
وقيل المنزلة القرية . قال الأعلام (في شرح مختار شعر عنترة) : هذا منه وعيدٌ
وتخويفٌ أن تُسبى فيستمتع بها الرجال ، [ولذلك ^(١)] قال : تكحلّ
وتخضّبي . والمعنى : إن أخذوك تكحلّ وتخضّبت لهم ليستمتعوا بك .

وقال ابن الشجري : أن يأخذوك موضعه نصب بتقدير حذف
الخافض ، أى فى أن يأخذوك ، أى لهم قربةٌ إليك فى أخذهم إياك . قدّفها
بإرادتها أن تؤخذ مسبية .

هذا كلامه ، وهذا تحريفٌ منه ، فإنّ إن شرطية لا مفتوحة مصدرية ،
وقد جرّمت الشرط والجزاء . وقد غفل عنهما .

(١) الكلمة من ش .

وقوله : « ويكون » إلخ القعود بفتح القاف : ما اتخذ من الإبل للركوب خاصة . والجذج ، بكسر المهملة وآخره جيم : مركب من مراكب النساء . وروى بدله « رحله » . وابن النعامة : اسم فرسه . وقيل هو الطريق ، وقيل هو صدر القدم . يقول : إن أخذوك حُمِلت سبيّة على قعود ونجوت أنا على فرسى . والمعنى على الثانى والثالث أنّه إن أسر يمشى راجلاً مُهاناً .

وقوله : « وأنا امرؤ » إلخ العنوة بالفتح : القسر والقهر . والركاب : الإبل التى يُحمَل عليها الأثقال . وأقرن أى ألصق بها وأجعل مقروناً إليها . وأجنب : أقاد . يقول : إن أخذت عنوة قرنت إلى شرّ الإبل وجنبت كما تُجنب الدابة .

وقوله : « إئنى أحاذر » إلخ الطعينة : الزوجة مادامت فى الهدج . والتلبّ: التحزّم ، أى تحزّم للمحاربة . وقيل هو الدخول فى السلاح . وقوله : « هذا غبار » ، يعنى غبار الخيل عند الغارة . والسّاطع : المستطير فى السماء .

وترجمة عنتره تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين أول الكتاب (١) .
وترجمة ابن لوزان تقدمت أيضاً فى الشاهد العشرين بعد المائة (٢) .

تمّة

أصل الكذب الإخبار على خلاف الواقع . قال ابن قتيبة : الكذب ١٣ يكون فى الماضى ، والخُلف فى المستقبل . قال ابن السّيد : هذا الأكثر

(١) صوابه « الثانى عشر » . انظر الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) انظر الخزانة ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

والأشهر . وقد جاء الكذب مستعملاً في المستقبل . قال تعالى : ﴿ ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب ﴾ ^(١) . ومن المجاز حديثٌ : « صدق الله وكذب بطنُ أخيك » . قال صاحب النهاية : استعمل الكذب ههنا مجازاً ، حيث هو ضدُّ الصدق . والكذب يختصُّ بالأقوال ، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع فيه العسل كاذباً ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ فيه شفاءٌ للناس ﴾ ^(٢) .

وقد ألف أبو بكر بن الأنباري (رسالة في معاني الكذب) قال :
الكذب ينقسم على خمسة أقسام :

إحدهنَّ : تغيير الحاكى ما يسمع ، وقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية ^(٣) .
وهذا القسم هو الذي يؤثم ويهضم المروءة .

الثاني : أن يقول قولاً يشبه الكذب ولا يقصد به إلا الحق ، ومنه حديث « كذب إبراهيم ثلاث كذبات ، في قوله : إني سقيم . وفي قوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وفي قوله : سارة أختي ^(٤) » ، أى قال قولاً يشبه الكذب . وهو صادق في الثلاث ، لأنَّ معنى إني سقيم : الموت في عنقي ، ومن الموت في عنقه سقيم أبداً . وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، تأويله فعله الكبير إن كانوا ينطقون ، فهو في الحقيقة لا يفعل كما لا ينطقون أبداً . وتأويل قوله : سارة أختي ، هي أختي في ديني لا في نسبي .

الثالث : بمعنى الخطأ ، نحو : أقدر أن فلاناً في منزله الساعة ، فيقال

(١) الآية ٦٥ من هود .

(٢) الآية ٣٩ من النحل .

(٣) ط : « رواية » ، صوابه في ش .

(٤) هو من حديث عبادة بن الصامت ، انظره بتفصيل في سنن أبي داود ٢ : ٣٦ في (باب

في من لم يوتر) .

لقائله : صدقت وكذبت . فتأويل صدقت أصبت ، ومعنى كذبت أخطأت . قال ابن الأثير (فى النهاية) : ومنه حديث صلاة الوتر : « كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ » أى أخطأ ، سَمَاهُ كَذَبًا لِأَنَّهُ شَبِيهُهُ فى كونه ضِدَّ الصَّوَابِ ، كما أَنَّ الكَذِبَ ضِدُّ الصَّدْقِ وإن افترقا من حيث النِّيَّةُ والقصد ، لِأَنَّ الكاذِبَ يَعْلَمُ أَنَّ ما يَقُولُهُ كَذِبٌ ، والخطيئ لا يعلم . وهذا الرجل ليس بمخير ، وإنما قاله باجتهاد أدَّاهُ إِلَى أَنَّ الوتر واجب . والاجتهاد لا يَدْخُلُهُ الكَذِبُ ، وإنما يَدْخُلُهُ الخطأ . وأبو محمد : صحابى اسمه مسعود بن زيد (١) .

وقد استعملت العربُ الكَذِبَ فى موضع الخطأ . قال الأخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط

غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرِّبَابِ خِيَالًا (٢)

انتهى .

الرابع : البُطُول ، كَذَبَ الرَّجُلُ بمعنى بَطَلَ عَلَيْهِ أَمْلُهُ وما رَجَاهُ . قال أبو ذؤادٍ الإيادى :

قُلْتُ لَمَّا ظَهَرَ فى قُنَّةٍ

كَذَبَ الْعَيْرُ وَإِنْ كَانَ بَرَّخَ (٣)

معناه كذب العير أمله وبطل عليه ما قدَّر ، لِأَنَّهُ كَانَ أَمَّلَ السَّلَامَةِ مَنَّى لَمَّا بَرَّخَ . وتفسير برح أخذ من جهة شِمَالِي ماضياً على يميني ، فلَمَّا قَلَبْتُ

(١) إلى هنا ينتهى نص ابن الأثير . وترجمة أبى محمد فى الإصابة ٧٩٣٩ .

(٢) ديوان الأخطل ٤١ .

(٣) فى ديوانه ٣٠١ والمقاييس واللسان (كذب) والمعانى الكبير ١١٨١ وجمهرة العسكرى ٢ :

١٦٦ . وروايته فيها : « قلت لما نضلا من قنة » .

عليه الرمح وطعنته بطلّ عليه ما كان أملّ من التخلّص والسلامة .

وقد قيل في هذا البيت :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها

مغالبّة مادام للسيف قائم

إنّ معناه : كذبكم أمّلكم . ومثله أيضاً قوله :

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها

بنى شاب قرّناها تصرّ وتخلّب^(١)

تقديره : كذبكم أمّلكم .

وفسر قول أوى طالب :

كذبتم وبيت الله تُبْزى محمداً

ولما نطاعنّ دونه ونناضل^(٢)

معناه : بطلّ عليكم ما أمّلتكم .

وقال بعض أهل اللغة في قول الله تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٣) : انظر كيف بطلّ عليهم أمّلتهم ، لأنّهم لما قالوا : ﴿ والله ربّنا ما كنا مُشركين ﴾ ، رجّوا أن يزول عنهم بهذا القول البلاء ، ولم يحلفوا على الذى أقسموا عليه إلّا وهو في معتقدهم حقّ ؛ إذ كانوا في حالة ما أقسموا ، على ما قدّروه في دار الدنيا ، من أنّ الشّرك غير شرك ، وأنّ الكفر هدى وإيمان .

(١) من شواهد سيبويه في كتابه ١ : ٢/٢٥٩ : ٧ ، ٦٤ .

(٢) ديوان أوى طالب الورقة الثانية مخطوطة الشنقيطى .

(٣) الآية ٤٣ من سورة الأنعام .

ومن كانت هذه سبيله فليس كذبه إلا من جهه يُطول أمله . وقد خولف هذا اللغوى . انتهى .

ومنه قول سيبويه : « وهو محال كذب » أى باطل وفاسد ^(١) ، قاله فى الكلام المختل ، وهو الذى لا تحصل فائدته ، نحو : سوف أشرب ماء البحر أمس ، وقد شربت ماء البحر غداً .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : وخالفه فيه أصحابه : الأخفش ، والمازنى ، والمبرد ، فقالوا : هذا القسم محال وليس بكذب ، لأنه لا يحصل له معنى . والكذب سبيله أن يقع لما يخاطب بمعناه . قال أبو بكر : وقول سيبويه عندى صحيح ، لأن الكذب يقع على الفاسد من القول ، كما يقع الصدق على الصحيح منه . وجائز عندى أن يقال محال لكل ما لا يحصل معناه من الخطأ والكذب ، من حيث أن تأويل المحال فى اللغة المغير عن الصواب ، المزال عن طريق الصحة . فمن كذب وأخطأ فى قول يفهم عنه فقد أقال . انتهى .

قال ابن الأنبارى : ومما يدل على أن كذب بمعنى أخطأ ، وهو مصحح لقول سيبويه ، ومبطل لمذهب مخالفه - أن عروة بن الزبير ذكر عند عمر بن عبد العزيز ما كانت عائشة رضى الله عنها تخصص به عبد الله بن الزبير من البر والأثرة والمحبة ، فقال له عمر : كذبت ! وبالحضرة عبيد الله بن عبد الله فقال : إئى ما كذبت ، وإن أكذب الكاذبين لمن كذب الصادقين .

قال أبو بكر : فلا يحمل هذا من قول عمر بن عبد العزيز إلا على أنه أراد أخطأت ، إذ المعنى الآخر يلزم عمر كذباً فيأثم . وجواب عروة وقع على غير المعنى الذى قصد له عمر ، لأنه حين غضب حمل كذب على معنى قلت غير الحق .

(١) انظر سيبويه ١ : ٨ بولاق ، ١ : ٢٦ من نشرتنا .

ومثله قول معاوية للناس : كيف ابنُ زياد فيكم ؟ قالوا : ظريفٌ عَلَى أَنَّهُ يَلْحَنُ . قال : فذاك أَظْرَفُ لَهُ . أَرَادَ الْقَوْمُ بِقَوْلِهِمْ يَلْحَنُ : يَخْطِئُ ، وَذَهَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى أَنََّّهُمْ أَرَادُوا يَلْحَنُ بِمَعْنَى يَقْطُنُ وَيُصِيبُ ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : فَلَانٌ الْحَنُ بِحَجَّتِهِ مِنْ فَلَانٍ .

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ حُكِيَ لَهُ عَنْ صَحَابِيٍّ رَوَاةٍ رَوَاهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : كَذَبٌ ^(١) ، يَعْنِي أَخْطَأُ . لَا مُحْتَمَلٌ لِهَذَا غَيْرِ التَّأْوِيلِ ، إِذْ هُمْ مَعَادُنُ التَّقْوَى وَالْوَرَعِ ، وَأَرَبَابُ الصَّدَقِ وَالْفَضْلِ ، وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالصَّدَقِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ^(٢) .

وَيَقَالُ : كَذَّبَ الرَّجُلُ ، إِذَا كَذَّبَتْهُ فِيمَا هُوَ فِيهِ كَاذِبٌ . وَكَذَّبَتْهُ إِذَا نَسَبَتْهُ إِلَى الْكَذْبِ فِيمَا هُوَ فِيهِ صَادِقٌ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ ^(٣) أَرَادَ لَا يَصْحَحُونَ عَلَيْكَ الْكَذْبَ وَإِنْ نَسَبُوكَ إِلَيْهِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَقَدْ أَجِبْتُ عَنْهَا بِجَوَابٍ آخَرَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ بِقُلُوبِهِمْ عِنْدَمَا يَنْسَبُونَكَ إِلَى الْكَذْبِ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ عَنْدهُمْ عِلْمًا فِي الصَّدَقِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَدْعُونَهُ : « الْأَمِينُ » . وَأَنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى لَابْنِ الدُّمَيْنَةِ :

حَلَفْتُ لَهَا أَنْ قَدْ وَجَدْتُ مِنَ الْهَوَى

أَخَا الْمَوْتِ ، لَا بَدْعًا وَلَا مِتَاشِبًا ^(٤)

(١) إِشَارَةٌ إِلَى حَدِيثِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَسْعُودِ بْنِ زَيْدٍ ، الَّذِي سَبَقَ قَرِيبًا فِي ص ١٩٥ .

(٢) الْآيَةُ ٨ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ .

(٣) الْآيَةُ ٣٣ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

(٤) أَثْبَتَ الْبَيْتَيْنِ مُحَقِّقُ دِيوَانَ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ ٢١٣ نَقْلًا عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْخَزَانَةِ .

١٥

وقد زعمت لى ما فعلتُ فكيف لى

إذا كنت مردودَ المقال مكذِّبا

أراد منسوباً إلى الكذب فيما أنا فيه محقٌّ صادق .

والمعنى الخامس من المعانى كَذَبَ : الإغراء . وقد تقدم الكلام فيه فى أول الشاهد (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وَذُبْيَانِيَّةٌ أَوْصَتْ بَنِيهَا

بَأَنْ كَذَبَ الْقِرَاطُفُ وَالْقُرُوفُ)

على أَنَّ كَذَبَ فيه مستعملٌ فى الإغراء والقِرَاطُفُ فاعله ، والمعنى على المفعولية ، أى عليكم بالقِرَاطُفِ وبالْقُرُوفِ فاغتموهما .

وتقدَّم ما يتعلق بكذب فى البيت الذى قبله . ويَعْدُهُ :

(تَجَهَّزْهُمْ بِمَا اسْطَاعَتْ وَقَالَتْ

بَنِيٌّ فَكُلُّكُمْ بَطْلٌ مُسَيِّفٌ

فَأُخْلِفْنَا مَوَدَّتَهَا فِظَاظَتْ

وَمَا قَى عَيْنَهَا حِدِرٌ نَطُوفٌ)

والأبيات من قصيدة لمعقَّر البارق ، وكان حليفاً لبني نَمِر ، ومدحهم فيها صاحب الشاهد

وذكر ما فعلوا ببني ذبيان . وقد تقدَّمت ترجمته مع شرحها فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الثلاثمئة (٢) .

(١) انظر ص ١٨٤ .

(٢) الخزنة ٥ : ١٦ - ١٨ .

وهذا شرحها باختصار . يقول : ربَّ امرأة ذبيانية أمرت بنيتها أن يُكثروا من نهب هذين الشيئين إن ظفروا بيني نمير ^(١) ، وذلك لحاجتهم وقلة ما لهم . والقراطف : جمع قَرَطَف كجعفر ، وهو كساء مُحْمَل . والقروف : جمع قَرَف بفتح القاف وسكون الراء : وعاء من جلد يدبغ بالقرفة بالكسر ، وهي قشور الرُّمَّان ، يُجَعَل فيه الحَلَع بفتح الحاء المعجمة وسكون اللام ، وهو لحم يطبخ بالتوابل يوضع في القَرَف وَيُزَوَّد به في الأسفار . وَبَنَى منادى . والمُسَيْف : الذي قد هلك إبله ومواشيه . يقال أساف الرجل ، أى هلكت مواشيه بالسَّوَّاف بفتح السين ^(٢) المهمله وضمها ، وهو مرض الدواب وطاعونها . يعنى ^(٣) أن أولادها فقراء قد هلكت مواشيه . تحرَّضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفنا مودتها » إلخ ، أى أخلفنا مأمولها . وفاظت : ماتت . والمأق : لغة في الموق ، وهو طرف العين من ناحية الأنف . وحَدِر وصفٌ بمعنى منحدر . ونطوف : سائل ، يقال نطف الماء ، إذا سال . يعنى ماتت وهى فى هذه الحالة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الأربعمئة ^(٤) :
 ٤٥٤ (يا أيُّها المائحُ ذلوى دُونِكا
 إني رأيت الناسَ يَحْمَدونِكا ^(٥))

(١) ط : « بنى نمر » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « بالهمزة وفتح السين » ، صوابه في ط .

(٣) ط : « تعنى » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٤) أمالى القالى ٢ : ٢٤٤ والعقد ٥ : ١١١ وأمالى الرجاجى ٢٣٧ عن الخزانه ، والانصاف

٢٢٨ وابن يعيش ١ : ١١٧ والمقرب ٢٧ والشذور ٤٠٧ والعينى ٤ : ٢٢١ والتصريخ ٢ : ٢٠٠ والجمع

٢ : ١٠٥ والأشمونى ٣ : ٢٠٦ واللسان والتاج والمقاييس (ميج) .

(٥) ط : « المائح » بالتاء فى هذا الموضع وسائر المواضع ، والوجه ما أثبت من ش فى جميع

المواضع .

على أَنَّ معمول اسم الفعل يجوز تقدُّمه عليه كما هنا ؛ فإنَّ قوله : دلولى مفعول دونكا ، والمعنى : خذْ دلولى . ومنعه البصريُّون فجعلوا دلولى مبتدأ ودونك ^(١) ظرفاً لا اسمَ فعل ، أى دلولى قدَّامك فخذْها ، فدونك ظرف خبر المبتدأ .

وقد بيَّن الفراءُ مذهب الكوفيين (فى تفسيره) ، عند قوله تعالى : ﴿ كَتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ^(٢) ﴾ من سورة النساء ، قال : قوله : كتاب الله عليكم كقولك : كتاباً من الله عليكم . وقد قال بعضُ أهل النحو : معناه عليكم كتاب الله . والأوَّل أشبه بالصواب . وقلماً تقول العرب : زيداً عليك أو زيداً دونك ، وهو جائز ، كأنَّه منصوب بشيء مضمَر قبله . وقال الشاعر :

« يا أيها المائِثُ دلولى دونكا »

الدلو رفع كقولك : زيد فاضربوه : هذا زيدُ فاضربوه ^(٣) . والعرب ١٦ تقول : الليلُ فبادروا ، والليلُ فبادروا . وتنصب الدلو بمضمَر فى الخِلْفَةِ ^(٤) كأنك قلت : دونك دلولى دونك . انتهى .

وتعقبه الزجاج (فى تفسيره) قال فى ﴿ كَتَابَ اللَّهِ ﴾ : منصوب على التوكيد محمول على المعنى ؛ لأنَّ المعنى حُرِّمَتْ عليكم أمهاتكم ، كتب الله عليكم هذا كتاباً . وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر ، ويكون عليكم مفسراً له ، فيكون المعنى الزموا كتابَ الله عليكم . ولا يجوز أن يكون منصوباً بعلَيْكُمْ لأنَّ قولك عليك زيداً ليس له ناصب فى اللفظ متصرِّف فيجوز تقديم منصوبه .
وقول الشاعر :

(١) ش : « ودونكا » .

(٢) الآية ٢٤ من النساء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٦٠ .

(٣) هذا زيد فاضربوه ، ليست فى معانى الفراء .

(٤) الخلفة ، بالكسر : الذى يخلف صاحبه ، يذهب هذا ويحيى هذا .

* يا أيها المائح دلوى دونكا *

يجوز أن يكون دلوى فى موضع نصب بإضممار تحذ دلوى ، ولا يجوز أن يكون على : دونك دلوى ، لما شرحنا . ويجوز أن يكون دلوى فى موضع رفع ، المعنى : هذه دلوى دونك . انتهى .

وقد أورد هذه المسألة ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) فقال : ذهب الكوفيون إلى أنَّ عليك وعندك ودونك يجوز تقديم معمولاتها كما فى الآية والبيت ، ولأنها قامت مقام الفعل فتعمل كعمله . ومنعه البصريون والفراء وقالوا : إن كتاب الله منصوب بكتب مقدراً ، وإن دلوى خبر مبتدأ مقدر ، أو منصوب بفعل محذوف كخذ ، يفسره دونك ، لا بدونك . وأجابوا عن الثانى بأنَّ الفعل متصرف فى نفسه فتصرف فى عمله ، وهذه الألفاظ لا تستحق عملاً وإنما أعملت لقيامها مقام الفعل ، وهى غير متصرفة فى نفسها فلا تتصرف فى عملها ، فلا يقدم معمولها . انتهى .

وقوله : إن الفراء تبع البصريين ، مخالف لنص كلامه ، فإنه صرح بجواز عمله مؤخرًا ومحذوفاً .

وردَّهما الزجاج وجعل دلوى منصوباً بفعل محذوف يفسره دونك . فدونك على هذا اسم فعل قد حذف مفعوله ، أى دونكه . ويكون فى جعله دلوى خبر مبتدأ محذوف ، دونك ظرفاً فى موضع الحال لا اسم فعل .

وهذان الوجهان غير ما وجه به الشارح المحقق ، وإنما حكاه عن البصريين ، لأنه تحريج موافق لقواعدهم . وقد وجه به أيضاً ابن هشام : (فى شرح القطر ، وفى المغنى) .

وقول الشيخ خالد (فى التصريح) : « وفيه نظرٌ لأن المعنى ليس على الخبر المحض حتى يخبر عن الدلو بكونه دونه » ، لا وجه له ، كما قال عبد الله الدنوشى . وما المانع من أن يكون خبراً محضاً قصد به التنبيه على أن الدلو أمانه ويكون الدال على الأمر بأخذ الدلو مقدراً . والتقدير : فتناوله .

وجوز ابن مالك أن يكون دلوى منصوباً بدونك مضمرة ، مدلولاً عليها بدونك المذكورة ، مستنداً لقول سيويه فى زيداً عليك : كأنك قلت : عليك زيداً . وقد ردّه الزجاج وغيره .

قال ابن هشام : (فى المغنى) : شرط الحذف أن لا يؤدى إلى اختصار المختصر ، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله ، لأنه اختصار للفعل . وأما قول سيويه فى : زيداً فاقتله ، وفى : شأنك والحج ، وقوله :

« يا أيها المائح دلوى دونكا »

إنّ التقدير : عليك زيدا ، وعليك الحج ، ودونك دلوى ، فقالوا : إنما أراد تفسير المعنى لا الإعراب ، وإنما التقدير : خذ دلوى ، والزم زيدا ، والزم الحج . ويجوز فى دلوى أن يكون مبتدأ ودونك خبره . انتهى .

وظاهره أنّ البيت ذكره سيويه فى كتابه . وليس كذلك ، فإنه لم يورده فيه البتة . ولم يورد الدمامينى هنا شيئاً سوى ما نقله عن الشارح المحقق من أنه لا يجوز تقدّم معمول اسم الفعل عليه .

١٧

و (المائح) : فاعل من الميح بالمشاة التحتية والحاء المهملة ، قال صاحب الصحاح : المائح الذى ينزل البثر فيملأ الدلو ، وذلك إذا قلّ ماؤها ، والجمع مائحٌ ، وقد ماح يميح . وأنشد هذا البيت . وأما المائح بالمشاة الفوقية

فهو الذى يسقى الماء ^(١) ، يقال متح الماء يمتحه متحا ، من باب فتح ، إذا نزعه بالدلو . وثر متوح للتي يُمَدُّ منها باليدين على البكرة .

صاحب الشاهد

والبيتان لراجز جاهلي من بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، ولهما قصة أوردها أبو رياش ، وأبو عبد الله النمرى ، وأبو محمد الأسود الأعرابي ، (فى شروحهم لحماسة أى تمام) .

قال أبو محمد الأسود : أُملى علينا أبو الندى قال : كان وائل بن صُريم الغُبَرِيُّ ذا منزلة من الملوك ومكانٍ عندهم ، وكان مفتوق اللسان حُلُوهُ ، وكان جميلاً ، فبعثه عمرو بن هند اللخمي ساعياً على بنى تميم فأخذ الإتاوة منهم حتّى استوفى ما عندهم ، غير بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، وكانوا على طُوَيْلَع ^(٢) ، فَأَتَاهُمْ فَنَزَلَ بِهِمْ ، وَجَمَعَ النِّعَمَ وَالشَّاءَ ، فَأَمَرَ بِإِحْصَائِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ عَلَى بئرٍ أَتَاهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ فَحَدَّثَهُ ، فَغَفَلَ وَائِلٌ فَدَفَعَهُ الشَّيْخُ فَوَقَعَ فِي الْبئرِ فَاجْتَمَعُوا فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَيَقُولُونَ :

يا أيها المائح دلولى دونكا

إئني رأيت الناس يحمدونكا

وإنما هذا هُزْءٌ به . فبلغ الخبر أخاه باعث بن صُريم ، فعقد لواءً ونادى فى غُبَرٍ فساروا ، وآلَى أَنْ يَقْتُلَهُمْ عَلَى دَمِ وَائِلٍ حَتَّى يُلْقَى الدَّلْوُ فتمتلئ دماً ! فقتل باعث منهم ثمانين رجلاً ، وأسر عِدَّةً ، وقَدَّمَ رجلاً منهم يقال له قمامة فذبحه حتّى ألقى دلوهُ ، فخرجت مَلَأَى دماً . ولم يزل يغير عليهم زماناً ، وقَتَلَ

(١) كذا فى النسختين . والمعروف « يستقى الماء » كما فى المعاجم .

(٢) طويلع : ماء لبنى تميم .

منهم فأكثر ، حتَّى إنَّ المرأة من بنى أُسَيْدٍ كانت تعثر فتقول : تَعِسَتْ غُبْرٌ ،
ولا لقيت الظَّفَرَ ، ولا سَقَيْتِ المطَرُ ، وَعَدِمَتِ النَفْر ! وقال باعث في ذلك :

سائل أُسَيْدٌ هل ثارتُ بوائِل

أم هل أُتِيَتْهُمْ بأمرٍ مُبْرَم

إذ أرسلوني مائحاً لِدلائِلهم

فملاؤها حتَّى العِراقِي بالدم

انتهى .

والغُبْرَى : نسبة إلى غُبْر بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة ، قبيلة .
وأُسَيْد بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء المكسورة .

وقد أنشدتهما جارية من بنى مازن وضمت إليهما بيتين آخرين . قال
الصفغاني (في العباب) في مادة الميح ، ونقله العيني : ومنه حديث البراء بن
عازب رضي الله عنه : أتى رسولُ الله ﷺ على بئرٍ ذَمَّةٍ فنزلناها ستةَ ماحَةٍ ،
ونزل فيها ناجية بن جندب الأسلمي رضي الله عنه بأمر رسول الله ﷺ ،
فأدلت جارية من بنى مازن دلوها وقالت :

يا أيُّها المائح دلوى دونكا

إنِّي رأيتُ الناسَ يَحْمَدونكا

يُسُون خيراً ويمجِّدونكا

خُذْها إليك اشْغَل بها يمينكا

فأجابها ناجية :

قد علمتُ جاريةً يمانيةً

أنِّي أنا المائح واسمى ناجيةً

وطَعْنَةٌ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَةٌ
طَعْنَتْهَا تَحْتَ صُدُورِ الْعَادِيَةِ

انتهى .

١٨

وبئر ذَمَّةٌ بالوصف ، أى قليلة الماء ، أى إنها تُدَمُّ لقلّة مائها .
والذميم : الماء المكروه . ومازن : اسم ثلاث قبائل فى عدنان . وهذا يخالفه قول
ناجية :

* قد علمت جارية يمانيه *

فإنَّ أهل اليمن كلَّهم من قحطان . وأثنى عليه خيرا ، من الشاء وهو
الوصف الجميل ، فعليك فى الرجز مقدرة . ويمجدونك : يذكرونك بالمجد وهو
العزُّ والشرف والكرم . وشغلَّ من باب نفع . وطعنة أى ربّ طعنة . ورشاش
الطَّعْنَةُ بالفتح : الدم المتطاير منها . وأرشت الطعنة بالألف : نفذت فأنهزت
الدم . كذا فى المصباح . وزعم الشامي (فى السيرة) أنّه بالفتح جمع رشّ ،
والمراد به المطر القليل . هذا كلامه . وواهية : صفة طعنة ، أى منشقة
مسترخية . والعادية ، قال الشامي : هم الذين يعدّون : يسرعون الجرى .

وأخذ العينى من ظاهر نقل الصاغاني أنّ البيتين الأوّلين لتلك الجارية ،
وليس كذلك . وروى السيوطى (فى شواهد المغنى) عن البيهقيّ (فى
الدلائل) ، عن ابن إسحاق قال : زعمت أسلم أنّ جارية من الأنصار أقبلت
بدلوها عامَ الحديبية ، وناجية بن جندب الأسلمى صاحب بُذْنِ رسول الله
ﷺ فى القلب يَمِيع على الناس ، فقالت . وأنشد الشعرين :

* خذها إليك اشغل بها يمينكا *

وقوله : « جارية من الأنصار » يوافقه قوله جارية يمانية ، فإنَّ أصل
الأنصار من اليمن . وكذا روى الشامي (فى السيرة) .

وزعم ابن الشجرى (فى أماليه) أنَّ البيتين لرؤية ، وأنه لم يستسق ماءً
فى الحقيقة وإنما طلب عطاء .

وكلاهما لا أصل له كما عرفت . والبيت الذى لرؤية إنما هو هذا :
كَأَنَّهَا دَلُو بئر جَدٍّ مَاتِهَا

حَتَّى إِذَا مَا رَآهَا خَانَهُ الْكَرْبُ

أى كأنَّ الناقة فى السرعة دَلُو مَلَأَى وَصَلَتْ إلى فَمِ الْبئر ، ثم انقطع
حَبْلُهَا فَهَوَتْ فيها . والماتح هنا بالمشاة الفوقية ، هو الذى يستقى على رأس
البئر . والكرب بفتحتين : الحبل الذى يُشَدُّ على عَرْقُوة الدلو .

وروى الزجاجى (فى أماليه) قال : حَدَّثَنَا ابن دريد قال : أَخْبَرَنَا
أَبُو حَاتِمٍ قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عبيدة قال : كَتَبَتْ امرأةٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى طَلْحَةَ
الطَّلَحَات :

يَا أَيُّهَا الْمَاتِحُ دَلْوَى دُونِكَ إِنِّى رَأَيْتِ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ

* يُشْنُونَ خَيْرًا وَيَعْجِدُونَكَ *

فلما قرأ طلحة الكتاب أَحَبَّ أَنْ لَا يَفْطِنَ الرَّسُولَ ، فقال : مَا أَيْسَرَ
مَا سَأَلْتُ ، إِنَّمَا سَأَلْتُ جَنَبَةً ^(١) . ثُمَّ أَمَرَ بِجَنَبَةٍ ^(٢) عَظِيمَةٍ فَقُورَتْ وَمُلِئَتْ
دَنَانِيرَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهَا :

(١) فى النسختين : « جنة » تحريف . والجنبية ، بتقديم النون : جلدة من جنب البعير يعمل
منها علبة . وفى التهذيب : أعطى جنبه ، فيعطيه جلدا فيتخذها علبة .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ش : « بجنبه » تصحيف .

إِنَّا مَلَأْنَاهَا تَفِيضًا فَيضًا فلن تخافى ما حَيَّيْتَ غَيْضًا

* نَحْذِي لَكَ الْجَنْبَ وَعُودِي أَيْضًا *

وغيضاً ، من غاض الماء في الأرض ، إذا غار فيها وانمحق .

* * *

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهَا الطَّيْرُ الْمَرْيَّةُ بِالضُّحَى

عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتَ عَلَى لَحْمٍ)

على أن تنوين لحم للإيهام والتفخيم ، أى لحم وأى لحم .

تقدم شرحه مفصلاً في الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلاثمائة من باب

النعت (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الأربعمائة (٣) :

١٩

٤٥٥ (وَقَفْنَا فَقُلْنَا إِيَّاهُ عَنْ أُمِّ سَالِمٍ وما بأل تكليم الدِّيارِ الْبَلَّاقِ)

على أن ابن السكيت والجوهري قالوا : إنما جاء ذو الرمة هنا بإيه غير

مُنَوَّن مع أنه موصول بما بعده ، لأنه نوى الوقف .

(١) في النسختين : « الجين » ، تصحيف كذلك .

(٢) الخزائن ٥ : ٧٥ - ٨٦ .

(٣) مجالس ثعلب ٢٧٥ والمقتضب ٣ : ١٧٩ وابن يعيش ٤ : ٣١ ، ٩/٧١ : ٣٠ ، ١٥٦ .

والشدور ١١٩ وديوان ذي الرمة ٣٥٦ .

هذا الكلام نقله الجوهرى عن ابن السكيت ، ثم نقل عن ابن السرى الزجاج^(١) أنه قال : إذا قلت إيه يا رجل فإنما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما ، كأنك قلت : هات الحديث . فإن قلت إيه بالتنوين فكأنك^(٢) قلت : هات حديثاً ما ؛ لأن التنوين تنكير . وذو الرمة أراد التنوين فتركه للضرورة . انتهى .

وإنما كان ترك التنوين ضرورةً لأنه أراد من المطلل أن يُخبره عنها أى حديث كان ، وليس فيه ما يقتضى أن يحدّثه حديثاً معهوداً . كذا قيل ، وفيه أنّه إنّما طلب حديثاً مخصوصاً وهو الحديث عن أمّ سالم . وبه يسقط قول ثعلب (فى أماليه) : تقول العرب إيه بالتنوين بمعنى حدّثنا^(٣) . وأما قول ذى الرمة فإنّه ترك التنوين وبنى على الوقف ، ومعناه إيه أى حدّثنا^(٤) .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : تنوين التنكير لا يوجد فى معرفة ، ولا يكون إلا تابعاً لحركات البناء ، وذلك نحو إيه ، فإذا تَوَت وقلت إيه فكأنك قلت : استزادة . وإذا قلت إيه فكأنك قلت : الاستزادة . فصار التنوين علمَ التنكير ، وتركه علمَ التعريف . قال ذو الرمة :

« وقفنا فقلنا إيه عن أمّ سالم * »

فكانه قال : الاستزادة . وأما من أنكر هذا البيت على ذى الرمة فإنما خفى عليه هذا الموضع .

(١) ش : « الزجاجى » ، تحريف . والزجاج هو إبراهيم بن سهل ، أبو إسحاق ، كان يخرط لزجاج ، ثم مال الى النحو فله المبرد ، وصار إماماً فى النحو ، توفى فى سنة ٣١١ . وأما الزجاجى تلميذه فهو عبد الرحمن بن إسحاق ، صاحب كتاب الحمل . توفى سنة ٣٣٩ .

(٢) ش : « كأنك » .

(٣) ط : « حديثاً ، فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش وبجالس ثعلب .

(٤) فى المجالس : « يه حدثنا عن أمّ سالم » .

هذا كلامه . وفي (شرح الصفار لسيبويه) : وأما إليه فمعناه حدث أو زد ؛ لكن هو لازم ، لا يقال : إليه كذا .

قال أبو حيان : قد استعمله بعض الشعراء المولدين متعديا فقال :

* إليه أحاديث نعمانٍ وساكنيه (١) *

وقال آخر :

* إليه حديثك عن أخبارهم إليه *

والبيت من قصيدة طويلة لذي الرمة ، وهذا مطلعها :

خليلِيَّ عُوْجًا عُوْجَةً نَاقَتَيْكُمَا على طَلَلٍ بَيْنَ الْقِلَاتِ وَسَارِعِ (٢)

به ملعبٌ من مُعْصِفَاتٍ نَسَجْنَهُ كنسج اليماني برده بالوشائع (٣)

وقفنا فقلنا إليه البيت

وقوله : « عُوْجًا عُوْجَةً » يقالُ عجت البعير أعوجه عُوْجًا وَمَعَاجَا ، إذا

عطفَ رأسه . والتاء في عُوْجَةً للمرة . وناقتيكما مفعول عوجا . والظلل :

بيت الشاعر

(١) ش : « وسأكتبه » ، صوابه في ط . وهو لابن الأثير كما في حواشي شذور الذهب . وقد استشهد في الشذور ١١٨ بهذا الصدر أيضا ، وظنه الشيخ محي الدين عجزا فوضعه في الفهرس في قافية النون . والحق أنه صدر ، وعجزه كما في أزهار الرياض في أخبار عياض ١ : ٦ .
« إن الحديث عن الأحباب أسمار »

(٢) ش : « القلاة » صوابه في ط والديوان ٣٥٥ وذكر ياقوت أنها جمع قلت وهو كالنقرة تكون في الجبل . وذكر أنها قلات الصبيان . وقد وردت « شارع » في النسختين بالسین المهملة ، ولم ترد بهذا الرسم في مواضعهم ، وإنما هي « شارع » بالشين المعجمة كما في الديوان ومعجم البلدان ٥ : ٢١١ وذكرت كذلك في رسم (القلات) ٧ : ١٤٢ . وشارع : جبل من جبال الدهناء . وذكرت كذلك في اللسان في نهاية مادة (شرع) قال : « وفي جبال الدهناء جبل يقال له شارع ذكره ذو الرمة في شعره » . لكن البغدادى قيدها بالمهملة فيما سيأتى .

(٣) كلمة (اليماني) مبيض لها في ش . وإثباتها من ط والديوان .

ما بقي في الدار من أثر الراحلين ، كالأثنية ونحوها . والقلات ، بكسر القاف
وآخره مثناة ، وسارع بنهملات : موضعان .

وقوله : « به ملعب » إلخ المعصية : الريح الشديدة ، يقال عصفت
الريح وأعصفت . ونسجته ، أى ذهبت عليه الريح وجاءت كالنسج .
والوشائع : جمع وشيعة ، من وشعت المرأة الغزل على يدها : خالفته .
وتوشّعت الغنم في الجبل ، أى اختلفت .

وقوله : (وقفنا فقلنا) إلخ أى وقفنا عليه ، أى الطلل . والعطف بالفاء
لا بالواو كما في الشرح . قال الأصمعي : أساء في قوله إيه بلا تنوين .
(والبال) : الشأن والحال . وما : استفهام إنكارى ، أى ليس من شأنها
الكلام .

و (الديار البلاقع) : التى ارتحل سُكَّانها ، فهى خالية . طلب
الحديث من الطلل أولاً ليخبره عن محبوبته أم سالم ، وهذا من فرط تحيره
وتدللّه في استخباره ممّا لا يعقل ، ثم أفاق وأنكر من نفسه بأنّه ليس من شأن
الأماكن الإخبار عن السوّاكن .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت في الشاهد الثامن في أول الكتاب (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٥٦ (تذر الجماجم ضاحياً هامئها

بله الأكف كأنها لم تُخلَق)

على أنّه قد روى (الأكف) بالحركات الثلاث .

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) السيرة ٧٠٥ وس يعيش ٤ : ٤٧ ، ٤٨ وشرح شواهد المغنى ١٢٢ وأنشور ٤٠٠

والتصريح ٢ : ١٩٩ والجمع ١ : ٣٢٦ والأشعوى ٢ : ٣/١٢١ وديوان كعب ٢٤٥ .

أَوَّلُ الْبَيْتِ : (فترى الجماجم) ، وقوله :

(نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِحُطُونَا

قُدُمًا ، وَتُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْبَحِ)

وإنما ينشدونه : « تذر الجماجم » ليعرى من التعلق بما قبله .

وَالْقُدُمُ بضمين : القُبْلُ بضمين أيضاً ، كذا في المصباح . وقال

صاحب الصحاح : « وَمَضَى ^(١) قُدُمًا بضم الدال : لم يعرج ولم يثن » .
ويجوز أن يكون بكسر القاف وسكون الدال ، اسمٌ مِنَ الْقِدَمِ أى خلاف
الحدوث ، وهو ظرف لقوله نصل .

قال الجاحظ (في كتاب البيان ^(٢)) : إِنَّ الْفَارِسَ رَبَّمَا زَادَ فِي طَوْلِ

رَحْمِهِ لِيُخْبِرَ عَنْ فَضْلِ قَوَّتِهِ ؛ وَيُخْبِرُ عَنْ قَصْرِ سَيْفِهِ لِيُخْبِرَ عَنْ فَضْلِ نَجْدَتِهِ .
وَأُنْشِدَ هَذَا الْبَيْتَ وَنظَائِرَهُ .

وقوله : (فترى الجماجم) ، إلخ الرؤية بصرية . والجماجم مفعول

الرؤية . وضاحيا حال سببية من الجماجم ، وهاماتها فاعل (ضاحيا) وهو
من ضحا يضحو ، إذا ظهر وبرز عن محله . و (الجماجم) : جمع جمجمة ،
قال صاحب المصباح : هِيَ عَظْمُ الرَّأْسِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الدِّمَاغِ ، وَرَبَّمَا عُبرَ بِهَا
عَنِ الْإِنْسَانِ فَيُقَالُ : تُخَذُ مِنْ كُلِّ جَمِجْمَةٍ دِرْهَمًا ، كَمَا يُقَالُ تُخَذُ مِنْ كُلِّ
رَأْسٍ ، بهذا المعنى . وقال أيضاً : الهامة من الشخص : رأسه . فالمناسب هنا
أَنَّ الْجَمِجِمَةَ بِمَعْنَى الْإِنْسَانِ . وقد فرق الزجاج (في كتاب تخلق الإنسان)
بين الجمجمة والهامة ، بجعل الهامة بعضاً من الجمجمة ، فقال : عَظْمُ الرَّأْسِ
الَّذِي فِيهِ الدِّمَاغُ يُقَالُ لَهُ الْجَمِجِمَةُ . والهامة : وسط الرأس ومعظمه . وزعم
الداميني (في الشرح المزج على المغنى) أَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الْجَمِجِمَةُ هُنَا
الْقِبَائِلُ الَّتِي تَجْمَعُ الْبَطُونَ فَيُنْسَبُ إِلَيْهَا دُونَهُمْ .

(١) في النسختين : « ومعنى » ، وصواب النص من الصحاح (قدم) .

(٢) البيان ٣ : ٢٦ .

٢٢ الفرس عند الكوفيّين رفع لا غير ، لأنّ معناه يعجبك أن يُركبَ الفرس . وجوّز البصريون أن يكون منصوباً بتأويل أن يركب الفرس ، أى يركب راكبُ الفرس . ورد الكوفيون هذا واحتجّوا بأنّ المصدر لا يحتمل ضميراً من الفاعل فإذا أُضيف إلى الفرس والفرس منصوب بقى الركوب بلا فاعل له مظهر ولا مضمر ، وفي هذا فساد التركيب . وقال البصريّون : عملت ^(١) على الاختصار ومعرفة المخاطب بأنّ للركوب فاعلاً وإن لم يكن مظهرًا ولا مضمرًا . وقال الكوفيون : ما وجدنا فاعلاً خلا الفعل من إظهاره معه أو إضماره فيه ، وما يصل إلى إظهار الفاعل ولا إضماره مع المصدر إذا انفرد واحد . والمصدر على الفعل مبنئ ، فما لم يعرف صحته مع الفعل فهو سقيم مع المصدر . انتهى .

صاحب الشاهد والبيتان من قصيدة لكعب بن مالك ، شاعر رسول الله ﷺ ، قالها في وقعة الأحزاب ، وأوردها أصحاب السير والمغازي في كتبهم ، وهى :

(مَنْ سَرَّهَ ضَرْبٌ يُرْعَبُ بَعْضُهُ) آيات الشاهد

بعضاً كمعمعة الأباء المُحَرَّقِ ^(٢)

فليأت مأسدةً تَسُنُّ سيوفها

بين المَدَادِ وبين جِرْعِ الحَنْدِقِ

دَرَبُوا بضرب المُعَلِّمِينَ فأسلموا

مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ المَشْرِقِ

(١) ط : « عملنا » صوابه في ش .

(٢) في الديوان ٢٤٤ والسير ٧٠٥ : « يجمع بعضه بعضاً » .

وهذا خلاف ما قاله الشارح المحقق ؛ فإنه جعل بله فيما حكاه أبو زيد بمعنى كيف . ولم يتعرّض أبو علي في هذا الكتاب لمجىء بله بمعنى كيف . ونقل الشارح عنه لعله من غير هذا الكتاب .

ونقل عنه ابن هشام : (في المغنى) نقيض ما نقله الشارح عنه فقال : وإنكار أى علمي أن يرتفع ما بعدها ، مردودٌ بحكاية أى الحسن وقطرب له . انتهى .

والقطوف من الدوابّ وغيره : البطيء . والجلة بكسر الجيم : جمع جليل ، كصبية جمع صبي ، وهو المسنُّ من الإبل . والتُّجُب ، بضمّتين : جمع نجيب ، وهو الأصلُ الكريم . والمعنى أنَّ البطيء يمشى كمشى الجواد من الخيل مع الحذاء ، فدع الإبل الكرام ، فإنها مع الحذاء تسرع أكثر من غيرها . ورواه صاحب الصحاح :

* مشى النجبية بله الجلة التُّجبا *

ونسبه إلى ابن هرمة .

وقال أبو حيان (في تذكرته) : هذا الذى تأوَّله سيبويه في الخفض من نيابة بله عن المصدر المضاف إلى المخفوض عند الكوفيين على معنيين : إن كان المخفوض بتأويل مرفوع ، وتقدير ضَرَبَ : ليضرب زَيْدٌ ، فالكلام صحيح . وإن كان تقدير المخفوض النصب والتأويل اضرب زيدا فالكلام عندهم خطأ ، لأنَّ المصدر الذى يتعدى فعله إلى المفعول إذا أفرد بواحد أضيف إليه ولم يذكر معه غيره ، فلا بدَّ من أن يكون ذلك الواحد مرفوعاً ، لأنَّ الفعل لا يخلو من الفاعل وما يجرى مجراه ، فيعجبني ركوبُ الفرس ، موضعُ

بمنزلة المصدر ، كما نقول ضرب زيد . فمن قال بله زيد جعله مصدرًا . ولا يجوز أن تضيف ويكون مع الإضافة اسم الفعل ، لأن هذه الأسماء التي يسمّى بها الأفعال لا تضاف . ألا ترى أنّه قال : جعلوها بمنزلة النّجاءك ، أى لم يضيفوها إلى المفعول به كما أضافوا أسماء الفاعلين والمصادر إليه . فهى فى قوله على ضربين : مرة تُجرى مجرى الأسماء التي تسمّى بها الأفعال ، ومرة تكون مصدرًا . وقال أبو زيد : إنّ فلانا لا يطيق أن يحمل الفهرّ فمن بله أن يأتى بالصّخرة ؛ يقول : لا يطيق أن يحمل الفهرّ فكيف يطيق أن يحمل الصخرة . قال : وبعض العرب يقول : من بهل أن يحمل الصخرة ! فقلب . وأنشد :

نذر الجماجم البيت

فما حكاه أبو زيد من دخول من عليه والإضافة والقلب ، يدلّ على أنّه مصدر وليس باسم فعل ، لأنّ أسماء الفعل لا تضاف ، ولا يدخل عليها عوامل الأسماء . ألا ترى أن أبا الحسن يقول : إنّ دونك ليس ينتصب على حدّ انتصابه قبل . ويقوى كونه مصدرًا أن أبا عمرو الشيبانيّ حكى : ما بلهك لا تفعل كذا ، أى مالك . ومن الناس من ينشده : « بله الأكف » بالنصب . فهذا على هذا الإنشاد اسم فعل ، كأنه قال دع الأكف ، فجعلها اسمًا لدع . والدلالة على جواز كونها اسمًا للفعل كما أجاز سيبويه ، قول الشاعر :

يمشى القُطوفُ إذا غنّى الحداةُ به

مَشَى الجوادِ فَبَلَه العِجْلَةُ النُّجْبَا

فأمّا ما يتعلق به « من » فيما حكاه أبو زيد من قوله « فمن بله » فهو ما ينتصب عليه بله فى من جعله مصدرًا وأضاف .

فمعنى بله الأكفّ على رواية نصب الأكفّ : إنك ترى رءوس الرجال
أى بعض الرءوس بارزة عن محلّها بضرب السيوف ، كأنها لم تخلق على
الأبدان ، فدع ذكر الأكفّ فإن قطعها من الأيدي أهون بالنسبة إلى الرءوس .
فَبَلَّه على هذا : اسم فعل .

وعلى الجر : إنك ترى تطاير الرءوس عن الأبدان ، فتركاً لذكر
الأكفّ ، أى فاترك ذكرها تركاً ؛ فإنها بالنسبة إلى الرءوس سهلة . فَبَلَّه على
هذا مصدر مضاف .

وعلى الرفع : إنك ترى الهامات ضاحية عن الأبدان ، فكيف الأكفّ
لا تكون ضاحية عن الأيدي . يعنى إذا جعلت السيوف الأبدان بلا رءوس فلا
عجب أن تترك الأيدي بلا أكفّ . فَبَلَّه بمعنى كيف للاستفهام التعجّبي .
فبله الأكفّ على الأوّل والثالث جملة اسمية ، وفتحة بله (١) بنائية .
وعلى الثانى جملة فعلية حذف صدرها ، والفتحة إعرابية .

وهى بالمعنى (٢) الأوّل والثانى مأخوذة من لفظ البَلَه والتبأله ، وهو من
العُقْلَة ؛ لأن من غفل عن شيء تركه ولم يسأل عنه . وكذلك هنا ، أى
لا تسأل عن الأكفّ إذا كانت (٣) الجماجم ضاحية مقطّعة . كذا (فى
الروض الأنف) للسّهيلي .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : قال سيويوه : أما بله زيد فبله هنا ٢١

(١) ش : « بيانية » ، صوابه فى ط .

(٢) ش : « وهى بمعنى » .

(٣) ط : « إذ كانت » ، وأثبت ما فى ش والروض الأنف ٢ : ٢٠٦ .

فِي عُصْبَةٍ نَصَرَ إِلَاهَ نَبِيَّهِ
 بِهِمْ ، وَكَانَ بَعْدَهُ ذَا مَرْفِقٍ
 فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخْطُ فُضُولُهَا
 كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتَرَقِرِ
 بِيضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا
 حَدَقُ الْجَنَادِ ذَاتِ شَكٍّ مُوْتِقِ
 جَدَلَاءَ يَحْفَظُهَا نِجَادٌ مَهْنَدٍ
 صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْتِقِ
 تَلَكُمُ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا
 يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكُلِّ سَاعَةِ مَصْدَقِ
 نَصْلُ السُّيُوفِ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا
 قُدُمًا وَنُلْحَقَهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
 فَتَرَى الْجُمَا جَمَّ ضَاحِيًا هَامِئَهَا
 بَلَّةَ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا لَمْ تَخْلُقِ
 تَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ
 تَنْفَى الْجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ
 وَتُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مَقْلَصِ
 وَرِدٍ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أَبْلَقِ
 تَرْدِي بُفْرَسَانِ كَأَنَّ كُمَائِهِمْ
 عِنْدَ الْهِيَاجِ أَسْوَدُ طَلٍّ مُلْتَقِ

صُدِّقَ يُعَاطُونَ الكِمْاءَ حُتَوَفَهُمْ
 تَحَتَّ العِمْاءَ بِالوَشِيجِ المَرْهَقِ (١)
 أَمَرَ الإِلهَ بِرَبْطِهَا لَعْدُوهُ
 فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوَفِّقٍ
 لَتَكُونَ غِيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحُيْطًا
 لِلدَّارِ إِنْ دَلَفْتَ خِيُولَ التَّرْقِ (٢)
 وَيُعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ
 مِنْهُ ، وَصِدِّقِ الصَّبْرَ سَاعَةً نَلْتَقِ
 وَنَطِيعَ أَمْرٍ نَبِيْنًا وَنُجِيبُهُ
 وَإِذَا دَعَا لِكْرِهَةٍ لَمْ نُسَبِّقِ
 وَمَتَى يَنَادِي لِلشَّدَائِدِ نَأْتِهَا
 وَمَتَى نَرَى الْحَوَامِثَ فِيهَا نُعْنِقِ (٣)
 مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ
 فِينَا مَطَاعُ الْأَمْرِ حَقَّ مُصَدِّقٍ
 فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا
 وَيُصَيِّنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ بِمَرْفِقِ
 إِنَّ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا
 كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمَتَّقِيْ

(١) ط : « بِالوَشِيجِ » صوابه في ش والديوان والسيره . وفي الديوان والسيره : « تَحَتَّ العِمْاءِ »
 بالياء ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « وَحُيْطًا » ، صوابه في ط والديوان والسيره . وفي ط : « لَا تَلَفْتَ » ، صوابه في ش
 والديوان والسيره .

(٣) في الديوان فقط : « وَمَتَى يَنَادِي إِلَى الشَّدَائِدِ » .

قوله : « من سره ضرب » إلخ رعبله : قَطَّعه . والمعمة ، قال صاحب ٢٣
 الصحاح : هو صوت الحريق في القَصَبِ ونحوه ، وصوتُ الأبطال في الحرب .
 وأنشد هذا البيت . والأبَاءُ : القَصَبُ ، واحدها أباءة ، كسحابٍ وسحابة ،
 وقيل أجمة الحلفاء والقَصَبُ خاصة . كذا في الصحاح . وقال السهيلي : (في
 الروض الأنف) : والهمزة الأخيرة بدل من ياء ، قاله ابن جنى ، لأنَّه عنده من
 الإِبَاية ، كأنَّ القصب يأنى على من أراده بمضغٍ أو نحوه . ويشهد لما قاله قولُ
 الشاعر ^(١) :

يراه الناس أخضرَ من بعيدٍ

وتمنعه الحرارة والإبَاءُ

والمُحَرَّقُ : اسم مفعول .

وقوله : « فليأت مأسدة » إلى آخره هذا جواب الشرط . قال
 السُّهيلي : المأسدة : الأرض الكثيرة الأسد ، وكذلك المسبعة : الأرض الكثيرة
 السَّباع . ويجوز أن يكون جمع أسد ، كما قالوا مشيخة ومعلجة . حكى
 سيبويه : مشيخة ومشيوخاء ، ومعلجة ومعلوجاء .

قوله : « تسنَّ سيوفها » قال السهيلي : نصب الفاء هو الصحيح عند
 القاضي أبي الوليد ، ووقع في الأصل عند أبي بحر برفعها . ومعنى الرواية الأولى
 تسنُّ أى تصقل . ومعنى الثانية أى تسنُّ للأبطال ولمن بعدها من الرجال سنَّة
 الجرأة والإقدام . والمذاذ قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : هو
 بفتح الميم بعدها ذال معجمة والآخر دال مهملة ، الموضع الذي حَفَرَ فيه

(١) هو بشر بن أبي خازم . والبيت في ديوانه ٤ واللسان (أنى) وأمانى ابن الشجرى ٦٧ .

رسول الله ﷺ الخندق . وقال السيوطي (في شواهد المغنى) : هو أَطْمُ بالمدينة . وقال الشامي : هو لبنى حرام غربىّ مساجد الفتح ، سُمِّيَتْ به الناحية . والجزع بكسر الجيم : منعطف الوادى . قال الشامي : وهو هنا جانب الخندق . والخندق هنا خندق المدينة المنورة .

وقوله : « دَرَبُوا بِضَرْبٍ » إلخ قال صاحب الصحاح : الدربة بالضمّ : عادة وجُرْأَةٌ على الحربِ وكلِّ أمرٍ ، وقد دَرِبَ بالشئِ بكسر الراء ، إذا اعتاده وضَرَّيَ به . والمُعَلَّمُونَ بضم الميم وفتح اللام ^(١) : الذين يُعَلِّمُونَ أنفسهم بعلاماتٍ في الحرب يعرفون بها ^(٢) ، وهم الشجعان هنا . وأسلموا : من أسلم أمره لله ، أى سلّمه له . والمهجة هنا : الرُّوح . وأراد برب المشرق ربَّ المشرق والمغرب .

وقوله : « يَعْْبُدُ ذَا مَرْفَقٍ » : مصدر كالرفق ضِدُّ العنف . قال أبو زيد : رَفَقَ الله بك وزَفَقَ عليك رِفْقاً ومَرَفَقاً ومَرَفَقاً ، بفتح الميم وكسر الفاء في الأول ، وبالعكس في الثانى . وزاد غيره مَرَفَقاً بفتح الميم والفاء ، حكاه الصاغاني (في العباب) .

وقوله : « في كل سَابِغَةٍ » إلخ السابغة ، الدرع الواسعة . وتخطُّ بالبناء للفاعل . وقُضُوها : جمع فضل ، وهو الزائد . أى ينسحب ذيلُ الدرع على الأرض لطولها . والنَّهْيُ بفتح النون : الغدير ، وأهل نجد يكسرون النون : والمتَرَقِّقُ بالجرّ صفة للنهى ، من تَرَفَّقَ إذا تحرك وجاء وذهب . والريح إذا هَبَّتْ على الماء حصلتْ هذه الصفة . وزعم السيوطي أنّه بمعنى اللامع .

وقوله : « بِيضَاءٌ مُحْكَمَةٌ » ، إلخ البضاء : المجلوة . والقَتِيرُ ، بفتح

(١) كذا في النسختين . والوجه كسر اللام كما في اللسان .

(٢) ط : « ويعرفون بها » .

القاف وكسر المثناة الفوقية قال صاحب الصحاح : رعوس المسامير في الدروع ، شَبَّهَهَا بعيون الجُنْدَب ، وهو نوعٌ من الجراد ، في البريق واللِّمَعَان . والشك : مصدر شككت الشيء ، إذا ضممته إلى غيره ، ومنه شك القوم بيوتهم ، إذا جعلوها مصطفةً متقاربة . وهو معنى قول الشامي : الشك هنا : إحكام السرد ، وهو متابعة نسج حلق الدرع ، ومولاته شيئاً فشيئاً حتى يتناسق . والموثق : المثبت .

- وقوله : « جلداء يحفزها » إلخ الجلداء ، بفتح الجيم : الدرع المحكمة ٢٤ التَّسْج . ويقال درع مجدولة أيضاً ، من جدلت الحبل أجذله بالضم جدلا ، أى قتلته محكما . ويحفزها ، أى يشمرها ويرفعها ، بالحاء المهملة والفاء والزاء المعجمة . والتَّجَاد : سيور السيف . والمهَّند : السيف المطبوع من حديد الهند . قال السَّهيلي : هذا كقول ابن الأُسَلْت (١) في وصف الدرع :
- أَحْفِزُهَا عَنِّي بَذَى رُونِقٍ
أَبْيَضٌ مِثْلَ الْمِلْحِ قَطَاعٌ (٢)

وذلك أنَّ الدرع إذا طالت فضوها حفزوها ، أى شَمَرُوهَا فربطوها بنجاد السيف . وقال غيره : كانت العرب تعمل في أغماد السيوف أشباه الكَلَالِب ، فإذا ثقلت الدرع على لابسها رفع ذيلها فعَلَّقَهُ بِالْكَلَّابِ الذي في غمد السيف ليخفف عليه . وصارم : قاطع . والرَّونِق : جوهر السيف .

وقوله : « تلکم مع التقوى » إلخ ، الإشارة للدرع الموصوفة . قال السهيلي : هذا من أجود الكلام ، انتزعه من قول الله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾

(١) هو أبو قيس بن الأُسَلْت الأنصاري . أنظر المفضليات ٢٨٤ .

(٢) في المفضليات : « مهند كالملح » .

ذلك خَيْرٌ ^(١) . وموضع الإجابة جعله لباسَ الدروع تَبَعاً للباس التقوى ،
لأنَّ حرف مَعَ يفيد أن ما بعده هو المتبوع وليس بتابع . ويوم الهياج : يوم
القتال . والمَصْدَق ، كجعفر : الحملة الصادقة على العدو ، يقال للرجل
الشجاع والفرس الجواد : إِنَّهُ لَذُو مَصْدَق ، أى صادق الحملة وصادق
الجرى ، كأنه ذو صدق فى وَعْد ذلك .

وقوله : « نصل السيوف » إلخ قد نُظِم هذا المعنى كثيرا . قال الأحنس
ابن شهاب :

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا
خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ
وَقَالَ السَّمُوعِلُ بْنُ عَادِيَاءَ :
إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا
خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَطْوُلُ

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَمِيرَ :
وَصَلْنَا الرِّقَاقَ الْمَرْهَقَاتِ بِخَطُونَا
عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى أَمَكَّتِنَا الْمَضَارِبُ

وَقَالَ آخَرُ ^(٢) :
إِذَا الْكِمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَصِيْبَهُمْ
حُدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

(١) الآية ٢٦ من سورة الأعراف .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى . الحماسة ١٠٨ بشرح المروزق .

وقال آخر :

الطاعنون في النحور والكُلَى
شَرَّراً وَصَّالُوا السِّوْفَ بِالْخُطَى

وقال آخر :

إِنَّ لَقَيْسَ عَادَةً تَعْتَادُهَا
سَلَّ السِّوْفِ وَخُطَى تَزْدَادُهَا

وهذا كله شعر جاهلي . وقال حميد بن ثور الهلالي الصَّحَّاحِي :
ووصل الخُطَى بالسَّيْفِ والسَّيْفِ بِالْخُطَى
إِذَا ظَنَّ أَنَّ السِّيفَ ذُو السِّيفِ قَاصِرُ

وله نظائر أُخَرُ ستأتي إن شاء الله تعالى في باب الظروف .
وقوله : (فترى الجماجم) قد غَيَّرَ النحويون إلى قولهم : « تذر
الجماجم » وتقدم شرحه (١) .

قال السهيلي : خَفَضُ الْأَكْفِّ هو الوجه ، وقد روى بالنصب لأنَّه
مفعول ، أَيْ دَعِ الْأَكْفَّ . وبه كلمة معناها (٢) دَعِ ، وهي من المصادر
المضافة إلى ما بعدها ، وهي من لفظ الْبَلَّهْ أَيْ الْغَفْلَةُ ، لأنَّ من غفل ترك ولم
يسأل عنه (٣) ، وكذلك هذا . أَيْ لَا تَسْأَلْ عَنِ الْأَكْفِ إِذَا كَانَتْ الْجَمَاجِمُ
ضَاحِيَةً مَقْطَعَةً .

(١) انظر ص ٢١٢ .

(٢) كلمة « دَعِ » ساقطة من ش .

(٣) في الروض ٢ ٢٠٦ : « لأنَّ من غفل عن الشيء تركه ولم يسأل عنه » .

وقال الدماميني (في الشرح المزج على المعنى) : الجمجمة : عظم الرأس المشتمل على الدماغ ، والقبيلة تجمع البطون فينسب إليها دونهم . والبيت محتمل لكل من المعنيين . والمعنى على رواية رفع الأكف أن تلك السيوف تترك قبائل العرب الكثيرة بارزة الرؤوس للأبصار ، كأنها لم تخلق في محالها من تلك الأجسام . أو تترك تلك العظام المستورة مكشوفة ظاهرة ، فكيف الأكف . أى إذا كانت حالة الرؤوس هذه مع عزّة الوصول إليها ، فكيف حال الأيدي التى يتوصّل إليها بسهولة . وعلى رواية النصب : أنها تترك الجماجم ^(١) على تلك الحالة ، دح الأكف فأمرها أيسر وأسهل . وعلى رواية الجر : أنها تترك الجماجم ترك الأكف منفصلة عن محالها ، كأنها لم تخلق متّصلة بها .

وقال ابن الملا (في شرحه على المعنى) : الجمجمة : القحف ، أو العظم فيه الدماغ ، والسيد ، والقبيلة التى تنسب إليها البطون . ومتى أريد بالجماجم القبائل جاز أن يراد بالهامات رؤسائها ، وبالأكف من دونهم من الكفاة . ففى القاموس : الهامة : رأس كلّ شيء ، ورئيس القوم .

والمعنى على رواية الرفع أن تلك السيوف تترك تلك العظام المستورة ظاهرة فكيف الأكف البادية ، أى إذا كانت حالة الرؤوس هذه مع عزّة الوصول إليها فكيف الأكف التى يتوصّل إليها بسهولة ، فإنها تدعها كأنها لم تخلق في محالها . ولا حاجة إلى دعوى الجواز فى الأكف عن الأيدي كما يفهم من صنيع الشارح . أو تترك السادات من كلّ قبيلة أو القبائل من العرب بارزة الرؤوس للأبصار بإبانته عن محالها كأنها لم تخلق فيها . أو تترك القبائل بارزاً

(١) من هنا إلى « الجماجم » التالية ، سقط في ش .

رعوسها للقتل ، أى مقتولة . وأراد بالأكف من يُتَقَوَّى به من فرسان القبائل .
وعلى النصب : أنها تترك الجماعم على تلك الحالة ، دع الأكف فإن أمرها أيسر وأسهل .

وعلى الجرّ : أنها تتركها ترك الأكف ، منفصلة عن محالها ، كأنها لم تخلق متصلة بها . انتهى .
وهذا كله تكلف وتوسيع للدائرة .

وقوله : « نلقى العدو » إلخ الفخمة : الجيش العظيم ، من الفخامة
وهى العِظَم . وملمومة : مجموعة .

وقوله : « كقصد رأس المشرق » قال السُّهيلي : الصحيح ما رواه ابن
هشام عن أبى زيد : « كرأس قدس المشرق » ، لأنّ قدس جبل معروف من
ناحية المشرق . انتهى :

وظاهره أنّه بفتح الميم . وقول الشامي المشرق نعت لقدس بمعنى جبل ،
إشارة إلى ضمة الميم ، وهو اسم فاعل من الإشراق . والظاهر أنّ هذا هو
الجيد . قال البكري (فى معجم ما استعجم) : القُدس بضم القاف وسكون
الدال من جبال تهامة ، وهو جبل العُرج . قال ابن الأنباري : قدس مؤنثة
لا تنصرف ؛ لأنها اسم للجبل وما حوله .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قدس : جبل عظيم بأرض نجد .
قال ابن دريد : قدس أواره : جبل معروف . وأنشد الآمدى لبُعَيْت (١) :

(١) بغيت ، بياء بعدها غين معجمة وآخره تاء مثناة ، كما فى المؤلف ٥٨ حيث أنشد البيت .
وفى الأصل : « لبُعيت » ، وفى معجم البلدان : « للبعيث » تصحيف .
وقال الآمدى : « وبغيت : تصغير باغت ، مثل شريح تصغير شارح ، وحريث تصغير حارث ،
وهو من تصغير الترخيم » .

ونحن جلبنا يوم قُدس أواره

قنابل خيل ترك الجَوَّ أقتما^(١)

وقال الأزهري : قدس أواره^(٢) : جبلان لمزينة ، وهما معروفان بحذاء سقيا مُزينة . وقال عَرَّام^(٣) : بالحجاز جَبْلَان يقال لهما القدسان : قدس الأبيض وقدس الأسود ، وهما عند وَرْقَان . أما الأبيض فهو جبلٌ شامخ بين العرج والسُّقيا . والقدسان جميعاً لمزينة . انتهى .

فظهر بهذا أنه ليس جبلٌ في المشرق اسمه قدس ، فالصواب ما قاله الشامي . وقوله : « نَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ » نَعْدُ : نُهَيِّئُ ، من الإعداد ، وهو التهيئة . والمقلّص ، قال صاحب الصحاح : فرس مقلّص ، بكسر اللام ، أى مشرف طويل القوائم . والورد : الفرس الذى تضرب حمته إلى الصفرة . والمحجول : الفرس المحجّل ، والتحجيل : بياضٌ في قوائم الفرس أو في ثلاثٍ منها ، أو في رجليه ، قلّ أو كثر ، بعد أن يجاوز الأرساغ ، ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين ، لأنها مواضع الأحجال ، وهى الخلاخيل والقيود . ولا يكون التحجيل واقعاً بيد أو يدين ما لم يكن معها رجلٌ أو رجلان . كذا في العباب للصاغاني . والأبلق : الفرس الذى فيه البلق بفتحتين ، وهو سواد وبياض .

وقوله : « تردى بفرسان » إلخ قال صاحب الصحاح : ردى الفرس بالفتح يردى رذيا ورديانا : إذا رجم الأرض رجماً بين العدو والمشى الشديد .

(١) ط : « قبائل » ش : « قنائل » ، صوابه ما أثبت من المؤلف . والقنابل : ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل .

(٢) في معجم البلدان : « قدس وآرة » .

(٣) في النسختين : « أبو عرام » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان الذى ينقل من كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها لعرام بن الأصمغ السلمي . وقد قمت بنشره وتحقيقه مرتين ، الأولى في كتاب مستقل سنة ١٣٧٢ هـ والأخرى في المجلد الثانى من نواذر المخطوطات .

والكمة : جمع كمي ، وهو الشجاع المتكمي في سلاحه ، لأنه كمي نفسه ،
 أى سترها بالدرع ^(١) والبيضة . والطل : المطر الضعيف . والمثق : اسم فاعل
 صفة لطل ، من اللثق بفتحيتين ، قال السهيلي : واللثق : ما يكون عن الطل
 من زلق . والأسد أجوع ما يكون وأجراً في ذلك الحين . وقال صاحب
 العباب : اللثق : الندى . قال كعب بن زهير :

بأنت له ليلة جم أهاضيها

وبأنت ينفذ عنه الطل واللثقا

وألثقه غيره . قال سلمه بن الخرشب :

حدارية فتخاء ألثق ريشها

سحابة يوم ذى أهاضيها مطر ^(٢)

وقوله : « صدق يعاطون » إلخ بالرفع صفة أسود ، وهو بضم الصاد
 جمع صدق بفتحها ، والدال ساكنة معهما ، يقال رجل صدق اللقاء وصدق
 النظر ، إذا مضى فيهما ولم يثنه شيء . والصدق أيضاً : الكامل المحمود من كل
 شيء . والصدق أيضاً : الصلب من الرماح ، ويقال المستوى .

ويعاطون : يناولون . والكمة : الشجعان مفعول أول ، وحتوفهم مفعول
 ثان ، وهو جمع حتف ، وهو الهلاك . والعماء بالمد ، كالسحابة وزناً ومعنى .
 قال أبو زيد : العماء : السحاب ، وهو الدخان يركب رؤوس الجبال ، وأراد به
 هنا الغبار الناتج في المعركة .

(١) : « بالدروع » ، وأثبت ما في ش .

(٢) الفضليات ٣٧ .

ورواه الشامي : « العَمَاية » بالياء ، وفُسِّرَه بالسَّحاب ، وليس في الصحاح إلا ما ذكرنا (١) . وإنما فيه : عَمَاية : جبلٌ من جبال هذيل .
والوشيج : الرماح ، وأصله شَجَر الرماح . والمزهق : اسم فاعل ، المذهب للأرواح .

وقوله : « لتكون غيظاً للعدو وحِيْطاً » قال الشامي : هو جمع حائط ، اسم فاعل من حاط يَحُوط أى كَلَّاه ورعاه . وأراد بالدار المدينة المنورة . ودلفت : قربت . والتَزَّق : الأعداء ، وهو جمع تَزَق بفتح فكسر ، من نَزَق نَزقا كفرح فرحا . والتَزَّق : الخفة والطيش وسوء الخلق . وهذا أصله .
وقوله : « وإذا دعا لكريمة » إلخ ، الكريمة من أسماء الحرب . ونُسِقَ بالبناء للمفعول .

والحَوْمَات : جمع حَوْمَة ، وهى موضع القتال . وتُعِنَق : نسرع . قال في المصباح : العَنَق بفتححتين : ضربٌ من السير فسيح سريع ، وهو اسمٌ من أعنق إعناقا .

وقوله : « حَقٌّ مصدَّق » بفتح الدال المشددة مصدر ، أى تصديقا حَقٌّ تصديق . ٢٧

وترجمة كعب بن مالك الصحابي تقدمت في الشاهد السادس والستين (٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الأربعمئة (٣) :

(أَعْطِيَهُمُ الْجَهْدَ مِنِّي بَلَّةَ مَا أُسْعُ) ٤٥٧

(١) لكن أثبت في اللسان اللغتين في معنى السحاب ، كما سبق في الحواشي .

(٢) الخزائن ١ : ٤١٧ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٤٩ واللسان (كون ، بله) وديوان أبى زيد ١٠٩ .

على أَنَّ الأَخْفَشَ أوردَه في باب الاستثناء وقال : بله فيه حرفُ جرٍّ كعدا وخلا بمعنى سوى .

أوردَه أبو علي (في إيضاح الشعر) ، وعقد لَبْلَه باباً ، قال : هذا باب ما يكون مرّةً اسماً ، ومرّةً مصدرًا ، ومرّةً حرف جر . قال الشاعر :

حَمَلْ أَثْقَالِ أَهْلِ الْوَدِّ آوَنَةً
أُعْطِيهِمُ الْجَهْدَ مِنْ بَلَهٍ مَا أُسْعُ

قال أبو الحسن الأَخْفَشُ في بابٍ من الاستثناء : إِنَّ بله حرف جر . قال أبو علي : ووجه كونه حرفاً أَنَّهُ يمكن أن يقال إِنَّكَ إِن حملته عَلَى أَنَّهُ اسم فعل لم يجوز ، لأنَّ الجمل التي تقع في الاستثناء مثل لا يكون زيداً وليس عمراً وعدا خالداً ، فيمن جعله فعلاً ، ليس شَيْءٌ منه أمراً ، وهذا يراد به الأمر ، وهو اسمٌ للفعل ، فإذا كان كذلك لم يجوز ، لأنه لا نظير له . فَإِن قلت : فلم لا تجعله المصدر ، لأنَّ المصدر قد وقع في الاستثناء في قولك : أَتَانِي الْقَوْمُ مَا عَدَا زَيْدًا ، والتقدير : مجاوزتهم زيداً ، فهو مصدر . قلت : يمكن أن يقال إِن ما زائدة وليست التي للمصدر ، وعدا إِذَا قَدَّرْتَ زِيَادَةَ « ما » كان جملةً ، فليس في ذلك دلالة ، لاحتماله غَيْرَ ذَلِكَ . والحروف قد وقعت في الاستثناء نحو خلا وحاشا ، ولا وجه لهذه الكلم إلا أن تكون حروف جر ، فإذا كان بله زيد هنا ليس يخلو من أن يكون اسم فعل أو مصدرًا أو حرفاً ، وليس يجوز وقوع اسم الفعل هنا لما قدمنا ، ولا المصدر لأنَّه لم يقع عليه دلالة من حيث جاز أن تكون ما زائدة في ما عدا - كان حرف جرٍّ ؛ لأنَّ حروف الجر قد وقعت في موضع الاستثناء . انتهى كلامه .

وحاصله أَنَّهُ استدَلَّ لَبْلَه بكونه حرف استثناء بأن اسم الفعل لم يقع في

الاستثناء ، فكذلك لم يكن مصدرًا ، لأنه لا يكون مصدرًا إلا حيث يكون اسم فعل . ثم اعترض نفسه بما عدا زيداً وبابه ، فقال : يمكن أن تكون ما زائدة .

قال أبو حيان (في تذكرته) : قلت كونها مصدرية أولى ، وبه قال سيويه والجماعة . وقد حكى أبو عبيدة وأبو الحسن النصب بعدها في الاستثناء . انتهى .

ويريد أبو علي أنها ليست في النصب حرفاً ، لأنها قد جرت ، وليس في الاستثناء ما ينصب ويخفض إلا وهو متردد بين الحرفية والفعلية ، ولا يكون نصبها كنصب إلا لهذا ، ولأنها لا يقع بعدها المرفوع . كذلك قال أبو حيان . يريد أنها لم تخرج عن بابها وإن دخلها معنى الاستثناء . فالخفض على أنها مصدر ، والنصب على أنها اسم فعل . وقال الدماميني (في شرحه المزج ^(١)) على المعنى) : ذهب الكوفيون والبغداديون إلى أن بله ترد للاستثناء كغير . وجمهور البصريين على أنها لا يستثنى بها . واستدل ابن عصفور بأمرين : أحدهما : أن ما بعد بله لا يكون من جنس ما قبلها . ألا ترى أن الأكف في البيت ليست من الجماجم .

والثاني : أن الاستثناء عبارة عن إخراج الثاني ممّا دخل في الأول ، والمعنى في بله ليس كذلك . ألا ترى أن الأكف مقطوعة بالسيوف كالجماجم .

وفيه نظر . أما الأول فلأن لا نسلم أن كل استثناء يكون ما بعد الأداة فيه من جنس ما قبلها ؛ بدليل المنقطع . وأما الثاني فلتحقق الإخراج باعتبار الأولوية . انتهى .

(١) ش : « في الشرح المزج » .

وقد بسط القول أبو حيان (في شرح التسهيل) على هذه المسألة فلا بأس بإيراده . قال :

مذهب جمهور البصريين : لا يجوز فيما بعدها إلا الخفض . وأجاز الكوفيون والبغداديون فيه النصب على الاستثناء ، نحو أكرمت العبيد بله الأحرار . وإنما جعلوها استثناء لأنهم رأوا ما بعدها خارجاً عما قبلها في الوصف ، من حيث كان مرتباً عليه ، لأنَّ المعنى فيه : إنَّ إكرامك الأحرار يزيد على إكرامك العبيد . والصحيح أنها ليست من أدوات الاستثناء ، بدليل انتفاء وقوع إلا مكانها ، وأنَّ ما بعدها لا يكون إلا من جنس ما قبلها .

ويجوز دخول حرف العطف عليها ، ولم يتقدّمها استثناء . قال شيخنا ابن الضائع ^(١) : ومما يُضعف إدخال بله ولا سيما في أدوات الاستثناء ، أنَّهم لم يأتوا بحتى في الاستثناء . ألا ترى أنَّ قولهم : قام القوم حتى زيد ، قد أُخرج زيد عن القوم لصفة اختصَّ بها في القيام لم تثبت لهم ، فلو كان هذا المعنى حقيقة في الاستثناء للزم . ولا تذكر حتى في أدوات الاستثناء . انتهى .

وما ذهب إليه جمهور البصريين من أنَّه لا يجوز فيما بعدها النصب ليس بصحيح ، بل النصب بعدها محفوظ من العرب . قال الشاعر :

* مَشَى الجَوَادِ قَبْلَهُ الْجِلَّةُ النَّجْبَا (٢) *

وقال جرير :

وَهَلْ كُنْتُ يَا ابْنَ الْقَيْنِ فِي الدَّهْرِ مَالِكاً

لَغَيْرِ بَعِيرٍ بَلْهُ مَهْرِيَّةً نُجْبَا

(١) هو على بن محمد بن علي الإشبيلي ، وهو بالضاد المعجمة ، من شيوخ أبي حيان . توفي

سنة ٦٨٠ .

(٢) لابن هرمة في ديوانه ٥٧ واللسان والتاج (بله) . وصدره :

، تمشي القطوف إذا غنى الحداة بها *

وقال آخر :

« بَلَّةُ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ »

وقد روى الرفع أيضاً بعد بلة على معنى كيف . ذكره قطرب وأنكره أبو على . وفي (مختصر العين) : بَلَّةٌ بمعنى كيف ، وبمعنى دع . فأما الجر بعدها وهو المَجْمَعُ على سماعه فذهب بعض الكوفيين إلى أَنَّهَا بمعنى غير ، فمعنى بلة الأكف غير الأكف ، فيكون هذا استثناءً منقطعاً . وذهب الفارسيُّ إلى أَنَّهَا مصدر لم يُنطَقْ له بفعل ، وهو مضاف وهى إضافةٌ مِنْ نَصَب . وذهب الأخفش إلى أَنَّهَا حرف جر . وأما النصب فيكون على أَنَّهُ مفعول وبلة مصدر موضوع موضع الفعل ، أو اسم الفعل ليس من لفظ الفعل . فإذا قلت : قام القوم بلة زيدا ، فكأنك قلت : تركاً زيدا ، أو دَعَ زيدا .

وأما الرفع فعلى الابتداء وبلة بمعنى كيف في موضع الخبر . وقال ابن عصفور : إذا قلتَ قام القوم بلة زيدا إِنَّمَا معناه عندنا دع زيدا ، وليس المعنى إِلَّا زيدا . ألا ترى أَنَّ معنى بلة الأكف دع الأكف . فهذه صفتها ، ولم يرد استثناء الأكف من الجماعم .

قال شيخنا : هذا مناقضٌ لقوله : كأنها لم تخلق ، فإنما يريد إذا كان فعلها في الجماعم كذا فالأكفُ أخرى بذلك ، فكأنها لم تكن قط ، فيقال إنها قطعتها . فلا فرق بين معنى لاسيما وبلة . انتهى .

هذا ما أورده أبو حيان . وقول الشارح المحقق : « ومنه بلة ما أُطْلِعْتُمْ » أى من الاستثناء يجعله بلة بمعنى سوى . وهو قطعة من حديث أخرجه البخارى (فى صحيحه) عن أنى هريرة فى تفسير سورة السجدة وهو : « يقول

الله تعالى : أعددت لعبادِي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ذُخْرًا بَلَهَ ما أُطْلِعْتُمْ عليه . ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفس ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١) . وأُطْلِعْتُمْ ضبطه القسطلاني بضم الهمزة وكسر اللام . قال : ولأنى الوقت : « أُطْلِعْتُهُمْ » بفتح الهمزة واللام وزيادة هاء بعد التاء . وأخرجه مسلم أيضاً عن أنس هريرة في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (من صحيحه) ولفظه : « قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : أعددت لعبادِي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ذُخْرًا ، بَلَهَ ما أُطْلِعْتُمْ عليه » ، ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفس ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أعين ﴾ انتهى . وفي رواية منه : « بَلَهَ ما أُطْلِعْتُمْ الله عليه » .

فقول القسطلاني في شرح البخاري : إنَّ هذا الحديث من أفراد البخاري سهو ، مع أن ابن حجر قال (في فتح الباري) : أخرج مسلم الحديث كله عن أنس بن مالك بن أبي شيبة ، قال النووي في شرح مسلم : بَلَهَ معناها : دع عنك ما أُطْلِعْتُمْ عليه ، فالذي لم أُطْلِعْكم عليه أعظم . فكأنه أضرَبَ عنه استقلالاً له في جنب ما لم يطلع عليه . وقيل معناها غير ، وقيل معناها كيف . وقال ابن الأثير (في النهاية) : بَلَهَ اسم فعل بمعنى دَع ، وقد يوضع موضع المصدر ويضاف . وقوله : ما أُطْلِعْتُمْ عليه ، يحتمل أن يكون منصوب المحل ومجروره . انتهى .

ورواه أبو حيان (في تذكرته) : « بَلَهَ ما قد أُطْلِعْتُمْ عليه » ، وقال : يريد فدع ما أُطْلِعْتُمْ عليه ، وكيف ما أُطْلِعْتُمْ . وتقول العرب : إنِّي لا أركب الخيل فكيف الحمير ، يريد : فدع ذكر الحمير لا تذكره . ففي هذا القول دلالة على موافقة كيف معنى دَع في هذه الجهة . انتهى .

ووقع في أكثر نسخ البخارى « مِنْ بَلْهَ مَا أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ » ،
 بزيادة « من » . قال القسطلانى : هى رواية أوى ذر وأوى الوقت والأصيلى
 وابن عساكر . قال ابن حجر : قال الصَّغَانى : اتَّفَقَتْ نُسَخُ الصحيح على
 مِنْ بَلْهَ ، والصواب إسقاط كلمة مِنْ . وَتُعْقَبُ بَأْتُهُ لَا يَتَعَيَّنُ إسقاطها إلا إذا
 فسَّرت بمعنى دع ، وأما إذا فسَّرت بمعنى من أجل أو من غير أو سوى فلا .
 وقد بيَّنت فى عدَّة مصنفاتٍ خارجِ الصحيح بإثبات مِنْ . وأخرجه سعيد بن
 منصور من طريق ابن مردويه من رواية أوى معاوية عن الأعمش كذلك . وقد
 فسَّر الخطابى الجارَّ والمجرور بقوله : كَأَنَّهُ يَقُولُ : دع ما أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ سَهْلٌ
 فى جَنْبِ ما أَذْخَرْ لَهُمْ . وهذا إِنَّمَا هو لاثِقٌ بشرح بَلْهَ بغير تقدُّم من عليها .
 وأما إذا تقدَّمت من عليها فقد قيل : هى بمعنى كيف ويقال أجل ، ويقال
 بمعنى غير أو سوى ، وقيل بمعنى فضل . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ومن الغريب أنَّ فى رواية البخارى « مِنْ
 بَلْهَ » ، قد استعملت معربةً مجرورةً بمن ، وخارجةً عن المعانى الثلاثة . وفسَّرها
 بعضهم بغير ، وهو ظاهرٌ . وهذا يتَّقَوَّى من يعدّها فى ألفاظ الاستثناء . انتهى
 وكذلك قال القسطلانى : قد ثبت جرُّ بَلْهَ بِمَنْ فى الفرع المعتمد
 المقابل على أصل اليونانى ، المحرَّر بحضرة إمام العربية أوى عبد الله بن مالك .
 قال الدمامينى (فى شرح البخارى) : و (فى شروح المغنى) : نصُّ
 ابن التِّين ^(١) على أنَّ بَلْهَ ضبط بالفتح والجر ، وكلاهما مع وجود من . فأما
 الجر فقد وجَّهه ابن هشام ، وأما توجيه الفتح مع وجود من فقد قال الرضى :
 إذا كان بَلْهَ بمعنى كيف جاز أن تدخله من ، وعليه تتخرَّج هذه الرواية ،
 فتكون بمعنى كيف التى يقصد بها الاستبعاد . وما مصدرية ، وهى مع صلتها

٣٠

(١) ذكره فى تاج العروس (تين) قال : « وعبد الرحمن السفاقسى المالكى المعروف بابن التين ،
 شارح البخارى » . وفى كشف الظنون : « عبد الواحد بن التين السفاقسى » .

فى محلّ رفع على الابتداء والخبر من بله ، والضمير من عليه عائد على الذخر ،
أى كيف ومن أين أطلعكم على الذخر الذى أعددت ، فإنه أمرٌ قلما تتسع
العقول لإدراكه والإحاطة به . انتهى .

ومثله لابن حجر قال : ووقع فى المعنى لابن هشام أن بله استعملت
معربةً مجرورة بمن ، وأنها بمعنى غير ، ولم يذكر سواه . وفيه نظر لأن ابن التّين
حكى روايةً من بله بفتح الهاء مع وجود من ، فعلى هذا فهى مبنية
وما مصدرية ، وهى وصلت فى موضع رفع على الابتداء ، والخبر هو الجار
والمجرور المتقدم ، ويكون المراد ببله كيف التى يقصد بها الاستبعاد . والمعنى :
من أين أطلعكم على هذا القدر الذى تقصّر عقول البشر عن الإحاطة به .
ودخول من على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف (فى
شرح الحاجبية) . وأوضح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب أنّها
بمعنى غير . وذلك بين لمن تأمله . انتهى .

وهذا الاتفاق من الدمامينى وابن حجر غريبٌ ، يقلّ وقوع مثله ،
فإنهما وإن كانا متصاحبين لم يرَ كلّ منهما شرح الآخر على البخارى .
أقول : كسرة بله يحتمل أن تكون كسرة بناء . ويؤيده ما قاله أبو حيان
(فى الارتشاف) بأنه سمع فى بله فتح الهاء وكسرها .

والبيت الشاهد من قصيدة لأبى زُبَيْد الطائى النصرانى . وقبله ، وهو صاحب الشاهد
مطلع القصيدة :

(مَنْ مَبْلَغٌ قَوْمَنَا النَّائِنَ إِذْ شَحَطُوا

أبيات الشاهد

أَنْ الْفَوَادَ إِلَيْهِمْ شَيِّقٌ وَلِغُ

حَمَّالٌ أَثْقَالِ أَهْلِ الْوَدِّ آوَنَةٌ

أَعْطَاهُمُ الْجَهْدَ مَنَى بِلَهَ مَا أَسْعُ (

مَنْ اسْتَفْهَامِيَّةٌ وَمَبْلَغٌ مُتَعَدٍّ إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، يُقَالُ أَبْلَغْتَهُ السَّلَامَ ، فَقَوْمَنَا مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ ، وَالنَّائِنِ وَصْفُهُ ، وَأَنَّ الْفَوَادَ لَخَ بَفَتْحٍ أَنَّ فِي تَأْوِيلٍ مُصَدَّرٍ مَنْصُوبٍ هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي . وَالنَّائِنِ : جَمْعُ نَاءٍ اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ النَّأْيِ ، وَهُوَ الْبَعْدُ . وَإِذَا ظَرَفَ مَعْنَاهُ التَّعْلِيلُ مُتَعَلِّقٌ بِمَبْلَغٍ . وَشَحَطُوا بِفَتْحٍ الْحَاءِ ، يُقَالُ شَحَطَ يَشْحَطُ شَحَطًا مِنْ بَابِ مَنْعٍ وَشَحُوطًا ، وَهُوَ الْبَعْدُ . وَشَيَّقَ : مُشْتَقٌّ ، وَأَصْلُهُ شَيَّقَ بوزنَ فِعْلٍ . وَوَلَعَ بِكسر اللام : وَصَفَّ مِنْ وَلَعَ بِفَتْحِ اللامِ وَكسرها يَلَعُ بِفَتْحِهَا مَعَ سِقُوطِ الْوَاوِ ، وَلَعًا بِسكون اللامِ وَفَتْحِهَا ، بِمَعْنَى عَلِقَ بِهِ ، مِنْ عِلَاقَةِ الْحَبِّ . كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ .

وَحَمَالٌ : مَبَالِغَةٌ حَامِلٌ خَيْرٍ لِمُحذُوفٍ ^(١) أَيْ هُوَ حَمَّالٌ . وَأَثْقَالٌ : جَمْعٌ ثَقُلَ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَهُوَ مَتَاعُ الْمَسَافِرِ . وَآوَنَةٌ : جَمْعُ أَوَانَ بِمَعْنَى الْحِجِينَ ، كَأَزْمَنَةِ وَزْمَانٍ وَهُوَ ظَرْفُ الْحَمَّالِ ، أَيْ حَمَلْتَهُ فِي أَزْمَانٍ كَثِيرَةٍ . وَضَمِيرُ أَعْطَاهُمْ لِأَهْلِ الْوَدِّ ، وَجَمْعُهُ بِاعْتِبَارِ مَعْنَاهُ . وَالْجَهْدُ بِالْفَتْحِ : النِّهَايَةُ وَالْغَايَةُ ، وَهُوَ مُصَدَّرُ جِهْدٍ فِي الْأَمْرِ جِهْدًا مِنْ بَابِ نَفْعٍ ، إِذَا طَلَبَ حَتَّى بَلَغَ غَايَتَهُ فِي الطَّلَبِ . وَمِنْهُ اجْتَهَدَ فِي الْأَمْرِ ، أَيْ بَذَلَ وَسْعَهُ وَطَاقَتَهُ فِي طَلَبِهِ لِيَبْلُغَ مَجْهُودَهُ وَيَصِلَ إِلَى نِهَائِهِ . وَالْجَهْدُ أَيْضًا : الْوَسْعُ وَالطَّاقَةُ ، يَفْتَحُ فِي لُغَةِ الْحِجَازِ وَيُضْمُ فِي غَيْرِهِ . وَأَسْعُ : مُضَارَعٌ وَسِعَ ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى . يُقَالُ وَسِعَ الْمَكَانُ الْقَوْمَ ، وَوَسِعَ الْمَكَانُ ، أَيْ اتَّسَعَ . قَالَ النَّابِغَةُ :

(١) ش : « خَيْرٍ لِمُحذُوفٍ » .

تَسْعُ البلادُ إذا أَيْتُكَ زائراً وإذا هجرتك ضاق عني مقعدى^(١)

وَالسَّعَةُ وَالْوُسْعُ : الطاقة ، وَالْجِدَّةُ أيضاً . والفعل وسع بكسر السين يَسَعُ بفتحها ، وأصل الفتححة الكسرة ، ولهذا أسقطت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة ثم فتحت بعد الحذف لِمَكَانِ حرف الحلق . فأسع إن كان متعدداً فما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف ، أى أسعه . وإن كان لازماً بمعنى اتسع فما مصدرية . فالجهد إن كان بالمعنى الأول فالوسع بالمعنى الثانى ، وبالعكس لثلاثا يتكرر . وظهر من هذا التقدير أنَّ الاستثناء لا مِساس له هنا ، وإنما المعنى على أحد الأوجه الثلاثة فى البيت السابق . فالأول أُنِّى أعطهم فوق الوُسْع ، فتركاً للوسع ، أو فدع الوُسْع أى ذكره ، أو فكيف الوُسْع لا أعطيه ، فتأمل .

* * *

وأنشد بعده :

(وقفنا فقلنا إيه عَنْ أُمِّ سَالِمِ)

تَقَدَّمَ شرحه قبل بيتين منه^(٢)

* * *

وأنشد بعده :

(مَهْلًا فِدَاءٍ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ)

وَمَا أَثْمُرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ)

وهذا أيضاً تَقَدَّمَ شرحه فى أول الباب^(٣)

* * *

(١) ديوان النابعة ٣٤ تحقيق شكرى فيصل .

(٢) انظر هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) فى الشاهد ٤٥٢ ص ١٨١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٥٨ (أَلَا حَيِّيا لَيْلَى وَقولا لَهَا هَلَا)

فقد ركبَتْ أمراً أغرَّ محجَّلاً (

على أن (هَلَا) فيه اسم فعل بمعنى أسرع ^(٢) .

المعروف ^(٣) أنها زجرٌ للدابة لتذهب ، فتكون من أسماء الصوت كما فسَّره هو بهذا في باب الصوت .

قال صاحب الصحاح : هَلَا : زجرٌ للخيل ، أى توسَّعى وتنحَّى .

قال :

* وأى جوادٍ لا يقال له هلا *

وللناقة أيضاً ، وقال :

* حتَّى حَدَوْنَاهَا بهيد وهلا *

وهما زجران للناقة ، وقد تسكَّن بها الإناث عند دُتُو الفحل منها .

قال :

أَلَا حَيِّيا لَيْلَى وَقولا لَهَا هلا انتهى

فقد عكس الشارح كما ترى ، ففسَّرها بأسرعى دون اسكنى .

وقال ابن الأثير (فى النهاية) فى شرح حيَّهلا من حديث ابن مسعود :

« إذا ذُكِرَ الصالحونَ فحيَّهلاً بعمر » ، قال : أى أقبل به وأسرع ، وهى

(١) الأغاني ٤ : ١٣٢ وابن يعيش ٤ : ٧٤ وديوان النابغة الجعدي ص ١٢٤ .

(٢) لذى فى الرضى ٢ : ٦٧ : « ومنها هلا ، وله معنيان : اسكن ، وأسرع » ، فقط .

(٣) ش : « أو معروف » بزيادة « أو » من الناسخ مقرونة بكلمة « صح » . والحق أن الكلام

هنا لنبعددى لا للرضى .

كلمتان جعلتا كلمة واحدة ، فحَى بمعنى أقبل وهَلَا بمعنى اسكن عند ذكره حتى تنقضى فضائله . انتهى .

فهَلَا من حَيَّهَلَا إمَّا بمعنى أسرع وإمَّا بمعنى اسكن ؛ لأنها تأتي للمعنيين كما قال الشارح .

وكأنه رحمه الله أخذ كلامه من هنا لكنه لم يُنعم النظر .

وأورده الزمخشري (في مفصله) قال : ويستعمل حَى وحده بمعنى أقبل ، وهَلَا وحده . وأنشد البيت .

والبيت أول أبياتٍ للناطقة الجعدى الصحابى هجا بها ليلَى الأخيلىة . صاحب الشاهد وبعده :

(ذرى عنك تهجاء الرجال وأقبل)

إلى أَذْلَقَى مِمَّا اسْتَكَّ فَيْشَلَا ^(١)
بُرَيْدِيَّةٌ بَلَّ الْبَرَاذِينَ ثَقَرَهَا

وقد شربت في أول الصيف أَيْلَا

وقد أكلت بَقْلًا وَخِيْمًا نباته

وقد نكحت شرَّ الأخيلا أخيلا

وكيف أهاجى شاعراً رُمَحُهُ اسْتُهُ

خَضِيبَ الْبَنَانِ لَا يَزَالُ مَكْحَلًا)

وقوله : (أَلَا حَيًّا) ، أى ابلاغها تحيى ، على طريق الهزء والسخرية .

وروى : أَلَا أَبْلَغَا ، أَمَرَ مخاطبين بالتبليغ أو واحداً ، إما بتقدير الألف مبدلة من

(١) في الديوان : « وأقبل على أذلغى » .

٣٢ نون التوكيد الخفيفة . وإمّا من قبيل خطاب الرجل صاحبه بخطاب الاثنين على عادتهم . وهلا هو المحكى بالقول .

وقوله : (فقد ركبت) إلخ أراد أنها ركبت بسبب التعرض لى ^(١) أمراً واضحاً ظاهراً لا يخفى . وهذا يقال فى كل شئ ظاهر عُرف كما يُعرف الفرس الأغر المحجل . ومنه قول الشاعر ^(٢) :

وأيا منّا معروفة فى عدونا

لها غررٌ معروفةٌ وحجولٌ

وروى : « لقد ركبت أيرا » بالمشاة التحتية بدل الميم ، وهو تحريف من الكتاب .

وقوله : « ذرى عنك » إلخ ذرى : اتركى . وتهجاء بالفتح : مصدر لمبالغة الهجاء . وأذلقى ، أى أير أذلقى . والأذلق : السنن المسنون المحدد . قال صاحب العباب : ذلق السنن بالكسر يذلق ذلقاً ، أى صار حديداً ، فهو ذلق ؛ وأسِنَّةٌ ذلق .

وقال العيني : أذلقى أى رجل فصيح متقن .

وهذا لا مناسبة له هنا . ومثله لبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) ، وتبعه الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) قالا : أذلقى أى فصيح ، يقال فلان ذلق اللسان أى طليقه . والأذلقى مبالغة . انتهى .

(١) ط : « التعرض لى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هو السموئل ، كما فى ديوانه ص ١٥ والحماسة ٢١ بشرح المرزوق .

(٣) فى الديوان : « وأيا منّا مشهودة فى قديمنا » .

وروى : « أذلغى » بدل « أذلقى » بذال وغين معجمتين بينهما لام . قال صاحب العباب : ويقال للذكر أذلغ وأذلغى ، ومذلغ بكسر الميم . والأذلغى : منسوب إلى بنى أذلغ : قوم من بنى عامر ، يُوصَفون بالنكاح . قال ابن الكلبي : الأذلغ هو عوف بن ربيعة بن عبادة ، وأمه من ثمالة .

وقال الأزهري : الذكر يسمى أذلغ إذا ائتمَهَل^(١) فصارت ثومته مثل الشَّفَّة المنقلبة . ويقال رجل أذلغ ، إذا كان غليظ الشفتين . وذلغ جاريته ، إذا جامعها . انتهى .

والفيشل ، بفتح الفاء : رأس الذكر ، ومثله الفيشلة . كذا في العباب . وقال العينى : الفيشل : الذكر العظيم الكمرة . ولم أره بهذا المعنى . وقوله : « بريذينة حَلَّ البراذين » إلخ هو مصغَّر البروذنة . قال المطرزي : البرذون : التركى من الخيل ، وهو خلاف العراب . وقال ابن الأنبارى : البرذون يقع على الذكر والأنثى ، وربما قالوا فى الأنثى بروذنة . كذا فى المصباح . والثَّفر بفتح المثلثة وسكون الفاء . قال صاحب المصباح : الثفر ، مثل فُلَس ، للَسْبَاع وكل ذى مخلب بمنزلة الفَرْج والحيا للناقة . وربما استعير لغيرها .

وقوله : « وقد شربت من آخر » إلخ الأيُّل ، بضم الهمزة وتشديد الياء المفتوحة : جمع آيل ، كقارح وقُرَح . والآيل : اللبن الخائر . وقيل اسم جمع له ، يقال آل اللبن يؤول أولاً ، إذا خَثُر . وأراد ألبانا أَيْلًا ، فحذف الموصوف . وقيل هو آيل بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء المكسورة ، وهو

(١) فى النسختين : « اذا تمهل » ، والصواب ما أثبت كما فى اللسان (ذلغ ٣٠٨) . وفى اللسان (تمهل) : « اتمهل الشيء اتمهالا : أى طال ، ويقال اعتدل . وكذلك أعمال وأتمار ، أى طال واشتد » .

الذَّكَر من الأوعال . والأنثى أَيْلَة وأروية . والأَيْل هو ذو القرن الأشعب مثل الثَّور الأهل ؛ وإِنَّمَا سُمِّي أَيْلًا لأنه يؤول إلى الجبال يتحصَّن فيها . قال ابن السِّدِّ (في شرح أبيات أدب الكاتب) : أراد لبن أَيْل ، فحذف المضاف وخصَّه دون غيره لأنه يبيِّج الغُلمة .

وقال صاحب العباب : قال شمر : هو لبن الأيائل . قال أبو الهيثم : هذا محال ، ومن أين يوجد ألبانُ الأيائل .

وقال أبو نصر : هو البول الخائر من أبوال الأروى ، إذا شربته المرأة اغتلمت . وهو يُغلم ، أى يقوَّى على النِّكاح .

وقوله : « قد أكلتُ بقلًا وخيمًا » إلخ الوخيم : الثقيل . ونكحت : تزوّجت ، من باب ضرب . والأخايل : جمع أخيل ، قال صاحب العباب : بنو الأخيل : حَيٌّ من بنى عُقيل رهط ليلي الأخيلية . وقولها :

نَحْنُ الأخايل ما يزال غلامنا ٣٣

حَتَّى يدبَّ على العصا مذكورا

وإِنَّمَا جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العُقيلي . انتهى .

أراد أنها تزوجت بأشْر بنى أخيل . وأخيل صفة لشر ، لتأويله بمشوم فإنَّ الأخيل هو الشِقْرَاق ، والعرب تتشاءمُ به .

وقوله : « وكيف أهاجى شاعراً » إلخ أى كيف أهاجى امرأةً بهذه الصفات . والاستفهام إنكارى . أى لا أهاجو ؛ استنكافاً من هذه الصفة .

وسبب هجو النابغة لليلي أنه كان يهاجى زوجها سَوَّار بن أوفى
القُشَيْرى ، فاعترضت ليلي بينهما فهجت النابغة بشعر ، فهجاها بهذا
الشعر ، فهجته بقصيدة منها هذه الأبيات :

أنايغ لم تنبغ ولم تك أولاً

وكنت صنيًا بين صُدَيْنِ مجهلاً^(١)

أنايغ إن تنبغ بلؤمك لا تجذ

للؤمك إلا وَسَطَ جَعْدَةٍ مجعلاً

أعيرتنى داءً بأَمِّك مثله

وأى حَصَانٍ لا يقال لها : هلا

تُساوِر سَوَّاراً إلى المجد والعلأ

وفى ذمَّتى لئن فعلت لَيَفْعَلَا

فَعَلْبَتَه ، ولهذا صار النابغة معدوداً من المغلّين . هذا هو الصحيح فى
الرواية كما فى الأغانى وفى شرح شواهد إصلاح المنطق ، لا العكس^(٢) ، كما
قاله ابن هشام (فى شرح الشواهد) ، وتبعه العينى وغيره .

ثم إنها وفدت إلى الحجاج بن يوسف فأعطأها ما سألت ، ثم قال لها :
أَلَيْك حاجة بعد هذا ؟ قالت : نعم ، تدفعُ إلَى النابغة الجعدى . قال : قد
فعلت . فلما بلغ النابغة فعلُ الحجاج به خرج هارباً إلى عبد الملك بن مروان
عائذاً به ، فاتَّبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتَّبعته^(٣)
بكتاب الحجاج إليه ، فماتت بقومس . وقال ابن قتيبة : بساوة ، وقبرت
هناك .

(١) ديوان ليلي ١٠٠ . وانظر ما فيه من تخرىج .

(٢) فى هامش طبعة بولاق : « قوله لا العكس إلخ أقول : راجعت شرح الشواهد لابن هشام

فلم أر فيه عكس ما هنا ، بل مثله . كذا بهامش الأصل » .

(٣) فى النسختين : « فاتَّبعه » .

وقولها « أنابغ » أُلغِ الهمزة للنداء . ونابغ : مرَّحَم نابغة ، وهو لقبُ والهاء للمبالغة . يقال نبغ الرجل ، إذا لم يكن في إرث الشعر ثم قال وأجاد ، ومنه سُمي النوابغ من الشعراء ، وهم ثمانية . واسم الجعدى قيس بن عبد الله ، وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد السادس والثمانين بعد المائة (١) .

وَبَنَعَ ينبغ بفتح الباء في الماضي ، وبثليثها في المضارع ، إذا ظهر وعلا . وقولها : « ولم تك أولاً » أى لم تكن أوّل من قال شعراً ، وليس لك قدم فيه . والصنئ : مصغر صنو بكسر الصاد المهملة وسكون النون ، وهو جسئ صغير لا يرّده أحد ولا يؤثّه له ، ويقال هو شقّ في الجبل . كذا في الصحاح ، وقال ابن السيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : الصنئ : شعب ضيق بين الجبال ، وقيل هو الرماد ، وقيل هو الشيء الحقيق الذي لا يلتفت إليه . والجسئ بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ، وهو الماء المتوارى في الرمل . قال ابن السيرافي (في شرح أبيات إصلاح المنطق) : لم تنبغ : لم تغل ولم تذكر . والصنئ : الجسئ الصغير ، تريد أنه بمنزلة الجسئ ، كهذا الماء الذي بين جبلين لا يرّده أحد . ومجهلاً نعت لصنئ . والصد ، بضم الصاد وفتحها ، ويقال سد بالسين كذلك ، هو الجبل .

والمجعل : مصدرٌ ميمي بمعنى الجعل ، أى لم تجد من يجعلك شريفاً إلا قومك .

وقولها : « أعيرتني داءً » ، أى : أنسبتني إلى العار ، وهو كلّ شيء يلزم منه عيبٌ أو سبّة ، يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه كما هنا . وبالباء أيضاً . قال المرزوق (في شرح الحماسة) : المختار أن يتعدّى بنفسه . والحصان ،

بالفتح : المرأة العفيفة . وروى بدله « وأئى جواد ، وهو الفرس الجيدة . وقولها :
« تُساورُ سواراً » إلخ ، تساور : توثب وتغالب .

وسوار قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : هو سوار بن أوفى
القشيري . وكان زوجها . وصحّفه بعضهم ورواه « تسور سوار » ، والصواب
ما روينا .

وهذا البيت أورده سيبويه في كتابه ^(١) على أنّ الألف في ليفعلا أصلها
نون التوكيد الخفيفة قلبت ألفاً . واللام في لئن موطئة للقسم ، واللام الثانية في
جواب القسم المقدر ، وجملة : ليفعلا جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف
وجوباً ، وفي ذمتي خبر مبتدأ محذوف ، أى في ذمتي القيام بما أدّعيه لسوار من
أن يغلبك ، والله لئن فعلت ليفعلن ، أى لئن واثبته ليواثبتك ويغلبتك .

وقال أبو علي (في إيضاح الشعر) قوله : « وفي ذمتي » قسم ، وجوابه
ليفعلن . فإن قلت : إن قوله ^(٢) : « وفي ذمتي » ليس بكلام مستقل ، والقسم
إنما هو جملة .

قلت : إنّه أضمر في الظرف اليمين أو القسم ، لدلالة الحال عليه ، كما
أضمر في قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ ^(٣) ﴾ الفاعل ، وصار ليسجنّته
كالجواب ، لأنّ بدا بمنزلة علم ، وذلك أنه علّم . ومن لم يرفع بالظرف فينبغي
أن يكون المبتدأ عنده محذوفاً . ويبيّن ذلك قولهم : على عهد الله لأفعلن .
انتهى ^(٤) .

المبتدأ وجوباً إذا كان خبره صريحاً في القسم ، كقولهم : في ذمتي لأفعلن ، أى في
ذمتي يمين .

(١) سيبويه : ٢ : ١٥١ .

(٢) ش : « إن قوماً » .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) يبدو أن بين هذ الكلام وتاليه سقطاً تقديره : « ويحذف » وقد يبيّن له في النسختين بمقدار

نصف سطر .

وأنشد هذا البيت .

وإنما عدّه صريحاً لأنه اشتهر استعماله في القسم . وبه يسقط قول من قال كما نقله العيني : يحتمل أن يكون : في ذمتي دينٌ أو عهد ، فلا يفهم القسم إلا بذكر المقسم به .

* * *

وأنشد بعده :

(قدنّى من نصر الحُبيّين قدي)

وقد تقدّم شرحه مفصلاً في الشاهد الثالث بعد الأربعمئة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٥٩ (ومَتّى أهْلِكَ فلا أُخْفِلُهُ

بَجَلِي الْآنَ مِنَ الْعَيْشِ بَجَلٌ)

على أنّ (بَجَلٌ) كان في الأصل مصدرًا بمعنى الاكتفاء ، ثم صار اسمَ فعل بمعنى الأمر ، فإن اتّصل به الكاف كان معناه اكتف ، أمر مخاطب حاضر . وإن اتّصل به الياء كان معناه لأكتف ، أمر متكلّم نفسه ، كما أنّ قد وقَطَ كذلك . ففيه ضمير مستتر وجوبا تقديره في الأول : أنت ، وفي الثاني : أنا .

ومثله (في المفصل للزمخشري) : أنّ قدك وقطك بمعنى اكْتِفِ وائته . ولم يذكّر معهما بجل .

(١) الخزانة ٥ : ٣٨٢ - ٣٩٦ .

(٢) ديوان ليبد ١٩٧ والحامسة بشرح المرزوقي ٢٩١ ، ٦٠٨ .

وكونها موضوعةً لهذا المعنى هو المتبادر الظاهر من موارد استعمالها ،
والمطرّد في كل موضع أتت فيه .

وذهب ابن مالك (في التسهيل) إلى أنّ الثلاثة موضوعةٌ لأكتفى فعلاً
مضارعاً للمتكلم . وهو قريب مما قاله .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : وأما بجل فقد ذكروا أنّها اسمُ فعل
والياء في موضع نصب بمعنى كفاني أو يكفيني . وإذا لم تلحق فهي بمعنى
حسب .

واقصر الماردى (في الجنى الدانى) وابن هشام (في المغنى) وغيرهما ٣٥
على أنّها موضوعة ليكنى فعلاً مضارعاً غائباً . وهذا يحتاج إلى فاعل ظاهر
ولا يتيسّر في بجلى الآن ، ولا في قول طرفه بن العبد .

وقد أورده ابن هشام (في المغنى) :

« أَلَا بَجَلَى مِنَ الشَّرَابِ أَلَا بَجَلْ »

لعدم وجوده . ولَمَّا رَأَوْا أَن لا فاعل اضْطُرُّوا إلى جعل بجل في البيتين
بمعنى حسب ، وأثبتوا معنىً ثانياً لها . ولا ضرورةً تدعو إليه ، ولهذا لم يذكر
الشارح المحقق معنى حسب أصلاً ، حسماً للانتشار من غير فائدة .

فإن قلت : إنّ علماء اللغة المتقدمين كالأزهري ، وابن دُرَيْد ،
والجوهرى وغيرهم ، إنما قالوا بَجَلْ بمعنى حَسَب ، ولم يتعرّضوا لمحيها اسم فعل
فما وجهه ؟ قلت : هو راجعٌ إليه ، وإنما عَبَّرُوا بِحَسَبٍ لِقُرْبِ المعنى تيسيراً
للفهم . وهم يتساهلون في تفسير بعض الألفاظ .

ولمّا كان غرض النحويّين متعلّقاً بأحكام الألفاظ دَقَّقُوا النظر فَبَيَّنُوا حقيقتها ، وفسَّروها بالفعل وسموها اسم فعل . ولا يصح أن تكون موضوعةً بمعنى حسب ، لأنّ كلاّ منهما لا يستعمل استعمال الآخر . أمّا حَسَبَ فإنها اسمٌ معرب متصرّف ، يقع مبتدأ وخبراً وحالاً ومجروراً ، ويدخل عليها العوامل اللفظية . ويَجَلّ على خلاف هذا ، وإثبات هذه الأمور لها دَوْنَهُ خَرَطُ القتاد . وأمّا بجل فإنّ نون الوقاية تلحقها ، وحسب لا تلحقها ولا في الندرة .

وقد أخذ ابن مالك بظاهر كلام أهل اللغة فأثبت مجيء بجل بمعنى حسب . وحَسَبَ ليست اسمَ فعل لدخول العوامل عليها ، ولم يُصِبْ من عدّها من أسماء الأفعال ، كالقواس (في شرح ألفية ابن معطى) ، ولا يجب لحاق نون الوقاية لبجل مع الياء ، بل يجوز بمرجوحية .

قال الشارح المحقق هنا : وتجب نون الوقاية في قد وقط دون بجل في الأعرف ، لكونهما على حرفين دونه .

وقال في باب المضمّر : وكذا الحذف في بجل أولى من الإثبات وإن كان ساكن الآخر مثل قد وقَطْ ، لكراهة لام ساكنة قبل النون ، وتعرُّسُ النطق بها .

ومثله لابن هشام (في المغنى) : أن لحاق النون لبجل إذا كان اسمَ فعل نادر . وكذا حال جميع أسماء الأفعال ، يجوز إلحاق نون الوقاية وتركها . قال الشارح المحقق في باب المضمّر ^(١) : يجوز إلحاق نون الوقاية في أسماء

الأفعال ، لأدائها معنى الفعل ، ويجوز تركها أيضاً لأنها ليست أفعالاً في الأصل . حكى يونس : عَلَيَّكَ ، وحكى الفراء : مَكَانَكَ^(١) . انتهى .
وكذا قال الشاطبي (في شرح الألفية) : حكى سيويه في أسماء الأفعال عليكني وعليكي . بل ينبغي أن يكون إلحاق النون لاسم الفعل كالفعل من كل وجه ، فكما تقول تراكها : تقول تراكني ، وفي رويد : رويدني ، وفي هلم الحجازية : هَلُمْنِي . وكذلك سائر أسماء الأفعال المتعدية .
وقد نص ابن مالك (في شرح التسهيل) على جواز إلحاق النون في اسم الفعل مطلقاً . انتهى .

وزعم ابن هشام (في شرح الألفية) و (في الجامع الصغير) وغيرهما أن إلحاقها لاسم الفعل واجب . وحينئذ يردُّ عليه ما استشكله الدماميني (في شرح المغنى) قال : هذا مشكل ، لأنها حيث تكون اسمَ فعل بمعنى يكفى فالنون واجبة لا نادرة . نعم إذا كانت بمعنى حسب جاز الأمران ، إلا أن ترك النون أعرف من إثباتها ؛ فندور بَجَلْنِي بالنون إنما هو إذا كانت بمعنى حسب لا بمعنى يكفى .

٣٦ هذا كلامه وتابعه عليه الشُّمْنِيُّ وناقشه بشيء لا طائل تحته . وقد لَفَّق بين كلاميهما ابن المُلَّا على عادته ، ولم يأت بشيء .

وقول الشارح المحقق : إلا أن الضمير قد يحذف من بجل بخلاف قد وقط ، يعنى قد تستعمل مجردة من إلحاق ضمير المتكلم أو المخاطب كما في البيت ، فإنَّ بجل الثانية تأكيد للأولى ، وليس معها ضمير كالأولى . والمعنى عليه . ومثله قول طرفه :

(١) ش : « مكانتي » . صوابه في ط وشرح الرضى .

* أَلَا بَجَلَىٰ مِنَ الشَّرَابِ أَلَا بَجَلَىٰ *

وكذلك قول بعض أهل البصرة في يوم الجمل (١) :

* رَدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلَىٰ *

يريد : ثُمَّ بَجَلَكُمْ ، أَى كَفُّوا وَانْتَهَوْا .

وزعم العيني أَنَّ بَجَلَ الثانية حَرْفٌ بِمَعْنَى نَعَمْ ، ومع هذا هى تأكيد لبجل الأولى . وفيه أَنَّ الحرف لا يُوَكِّد الاسم ، لتغايرهما بالنوعية .

وقول الشاعر : (ومَتَى أَهْلَكَ) إلخ متى جازمة . وأهلك شرط ، ولهذا جزم . وجملة (لا أَحْفَلُهُ) فى محل جزم جواب الشرط . وهلك الشئ من باب ضرب ، وكذلك حَفَلٌ من باب ضرب . قال صاحب العباب : وَحَفَلْتُ كَذَا أَى بِالْيَتِّ بِهِ . ويتعدى بالباء أيضاً ، وهو الكثير . يقال حَفَلْتُ بفلان ، إذا قَمَتْ بأمره . ولا تحفل بأمره ، أَى لا تبال به ولا تهتمَّ به . واحتفلت به : اهتممت به . وضمير أحفله راجعٌ إلى الهلاك المفهوم من أهلك .

وهذا البيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحائى ، ذكر فيها أيامه ومشاهدته وما جرى له عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، والتأسف على موته . إلى أن قال :

* فَمَتَى أَهْلَكَ فَلَا أَحْفَلُهُ *

البيت

وبعده :

(مِنْ حَيَاةٍ قَدْ سَمَّمْنَا طَوْلَهَا)

وجديرٌ طولٌ عيش أن يُمَلَّ)

ثم رُئِيَ أخاه لأُمّه أُرِيدَ ، لموته بصاعقة نزلت به بدعاء النبي ﷺ (١) ؛
لأنه كان جاء مع عامر بن الطفيل ، قاتلهما الله ، للغدر بالنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم .

وهذه القصيدة قالها قبل إسلامه . وتقدّم شرح أبيات منها في الشاهد
الخامس والعشرين بعد المائتين (٢) .

وترجمته تقدّمت أيضاً في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة (٣) .
وقوله : « من حياة » بدل من قوله : « من العيش » في البيت السابق .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الأربعمئة (٤) :

٤٦٠ (أنشأت أسأله ما بال رُفقتِه

حَيَّ الحُمُولَ فَإِنَّ الركبَ قد ذهبَا)

على أن (حَيَّ) جاء متعدياً بمعنى ائت الحمول ، جمع حمل بالكسر .

وهذه رواية الجوهرى (في الصحاح) ، وكذا رواه خطّاب بن يوسف
(في كتاب الترشيح) وقال : أخذ يسأل غلامه : ما بال الرفقة ؟ وأين
أخذت ؟ ثم قال له : حَيَّ الحمول يا غلام ، أى ائتها وحُثَّها . انتهى .

نقله عنه أبو حيان (في التذكرة) .

(١) من « وسلم » هنا إلى « وسلم » التالية ساقط من ش .

(٢) صوابه : « الثامن والعشرون بعد المائتين » . الخزّانة ٣ : ٣٦٨ .

(٣) الخزّانة ٢ : ٢٤٦ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٣٧ . وانظر اللسان (حيا ٢٤٣) .

وقد روى البيت أبو علي : (في كتاب إيضاح الشعر) والسُّهيلي (في
الروض الأنف) هكذا :
أنشأتُ أسأله عن حال رُفقتَه

فقال : حَيَّ فَإِنَّ الركبَ قد ذهبَا

وعليه فليس بمتعدي . ورواه الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة
المجاشعي (في كتاب المعاياة) :
وقلتُ أسأله عن حال رُفقتَه

فقال : حَيَّ فَإِنَّ الركبَ قد ذهبَا

وقال : أراد بقوله : حَيَّهْل ، فنقصه . والرفقة بضم أولها وتكسر . وجعل
الركب بمنزلة الواحد . ا هـ .

أى بالنظر إلى قوله ذهب بالافراد ، ولو كان راعى معناه لقال : ذهبوا .
وقال ابن أبي الريع^(١) . حَيَّ تستعمل مركبة وغير مركبة . فَإِنْ كانت
غير مركبة كانت بمنزلة أقبل ، فتتعدى بعلی ، وإذا كانت مركبة كانت متعدية
بمنزلة ائت . انتهى .

وقوله : (أنشأت) أى شرعت أسأل غلامى كيف أخذ الركب .
(والبال) : الحال والشأن . و (الرفقة) ، قال صاحب المصباح : هى
الجماعة ترافقهم فى سفرك ، فإذا تفرقت زال اسم الرفقة . وهى بضم الراء فى

(١) فى النسختين : « ابن الريع » ، والصواب ما أثبت . وهو عبيد الله بن أحمد ، شيخ
أبى حيان ، وله شرح الإيضاح . وسيأتى على الصواب فى ٢٦٢ .

لغة تميم ، والجمع رفاق ، مثل بُرمة وبرام ، وبكسرهما في لغة قيس ، والجمع رفق
 مثل سِذرة وسِدر . وقوله : (حَيَّ الحُمُول) مقول لقول محذوف ، أى فقال :
 حَيَّ الحُمُول ، وهو مصرَّح به في رواية غير الجوهري . قال صاحب المصباح :
 وراكب الدابة جمعه رُكب ، مثل صاحب وصحب ، ورُكبان . انتهى . وقال
 ابن قتيبة (في أدب الكاتب) : الرُّكْب : أصحاب الإبل ، وهم العَشْرَة ونحو
 ذلك . قال ابن السيد (في الاقتضاب) : هذا الذى قاله ابن قتيبة قاله غير
 واحد . وحكى يعقوب عن عُمارة بن عَقِيل ^(١) قال : لا أقول راكب
 إلَّا لراكب البعير خاصَّة ، وأقول لغيره فارسٌ وبَغَالٌ وحَمَّارٌ . ويقوى هذا الذى
 قاله قول قُرَيْط العنبري :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا

شئوا الإغارة فرساناً ورُكباناً

والقياس يوجب أنَّ هذا غلط ، والسماع يعضد ذلك . ولو قالوا إن
 هذا هو الأكثر في الاستعمال لكان لقولهم وجه . وأما القطع على أنَّه لا يقال
 راكب ولا ركب إلَّا لأصحاب الإبل خاصَّة فغير صحيح ، لأنَّه لا خلاف
 بين اللغويين في أنَّه يقال ركبت الفرس وركبت البغل ، وركبت الحمار . واسم
 الفاعل من ذلك راكب ، وإذا كثرت الفعل قلت رُكَّاب ورُكُوب . وقد قال
 الله تعالى : ﴿ وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكُبُوهَا ﴾ ^(٢) فأوقع الرُّكُوب على
 الجميع . وقال امرؤ القيس :

(١) يعقوب ، هو ابن السكيت . وفي النسختين : « بن عماره بن عقيل » . والصواب

ما أثبت . وانظر لإصلاح المنطق ٣٣٨ الطبعة الثالثة .

(٢) الآية ٨ من النحل .

إذا ركبوا الخيل واستلّاموا

تَحَرَّقَتِ الْأَرْضُ وَالْيَوْمَ قَرَّ (١)

وقال زيد الخيل الطائي :

وَتَرَكْتُ يَوْمَ الرُّوعِ فِيهَا فَوَارِسٌ

بَصِيرُونَ فِي طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكُلَى (٢)

وهذا كثير في الشعر وغيره . وقد قال الله تعالى : ﴿ فَرَجَالًا

أَوْ رُكْبَانًا (٣) ﴾ . وهذا اللفظ لا يدلُّ (٤) على تخصيص شيء بشيء ، بل

اقتراءه بقوله فرجالاً يدلُّ على أنّه يقع على كلّ ما يُقْلُ على الأرض .

ونحوه قول الراجز :

بَنَيْتُهُ بِعُصْبَةٍ مِنْ مَالِيَا أَخْشَى رُكْبِيًّا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيًّا (٥)

فجعل الرّكب ضدَّ الرجل ، وضدَّ الرجل يدخل فيه راكبُ الفرس

وراكب الحمار وغيرهما . وقول ابن قتيبة أيضاً إنّ الرّكب العشرة ونحو ذلك ،

غلط آخر ، لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ (٦) ﴾ يعني

مشركي قريش يوم بدر ، وكانوا تسعمائة وبضعة وخمسين . والذي قاله يعقوب في

(١) ط : « تحرقت » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، والديوان ١٥٤ .

(٢) ط : « منا فوارس » ، وأثبت ما في ش ، وهو يطابق ما سيأتي في الشاهد ٧٨٥ .

(٣) الآية ٢٣٩ من البقرة .

(٤) في النسختين : « يدل » ، والوجه ما أثبت .

(٥) لأحيحة بن الجلاح في الخزائن ٢ : ٢٣ .

(٦) الآية ٤٢ من الأنفال .

٣٨ الركب هم العشرة فما فوقها . وهذا صحيح ، وأظن أن ابن قتيبة أراد ذلك فعَلَطَ في النقل . انتهى .

وقبل البيت الشاهد :

(تَعْدُو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقدةٌ

قد قارب العَقْدُ من إيفادها الحَقَبَا)

وتعدو ، أى الناقة ، من العدو ، وهو ما قارب الهَرَوَلَة ، وهو ذُون الجرى . وبنا أى لى وبغلامى ؛ فإنه كان زميل على الناقة . والشَطْر هنا بمعنى الجهة . وَجَمْعُ : اسم المزدلفة . وَسَمَّيتَ به إمَّا لأنَّ الناس يجتمعون بها ، وإمَّا لأنَّ آدم اجتمع هناك بحوَّاء . والعاقدة : الناقة التى قد أقرت باللقاح ، لأنَّها تعقِد بذنبها فيعلم أنَّها حملت . وقيل : العاقدة : التى تضع عنقها على عَجْزها . والإيفاد : الإسراع ، مصدر أوفَدَ بالفاء ، أى أسرع . والحَقَب ، بفتح المهملة والقاف : حبل يشدُّ به الرجلُ إلى بطن البعير مما يلي ثيلَه ، أى ذكره ، كى لا يجتذبه التَّصدير . تقول منه : أحقبت البعير . وروى أيضا :

تعدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى مُوفدةٌ

قد قارب الغَرْضُ من إيفادها الحَقَبَا

ومُوفدةٌ : اسم فاعل بمعنى مسرعة ، من الإيفاد المذكور . والغَرْض ، بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها ضاد معجمة ، ويقال له غَرْضة بالضم ، وهو التَّصدير ، وهو للرَّحْل بمنزلة الحِزام للسرَّج ، والبِطَان للَقَب . يقول : قد لوت عنقها وعَسَرت بذنبها ^(١) ،

(١) عسرت بذنبها : رفعته في العدو ، أو بعد اللقاح . ط : « عسرت » صوابه في ش .

وتخامصت بيطنها ، فقرب كل واحد من العُرض والحقب ، من صاحبه ،
وذلك من شدة السير .

والبيتان من قصيدة لابن أحمر . كذا أورد البيتين السهيلي (في الروض
الأنف) : قال الحافظ مُغلطاي (في حاشيته عليه) : وفيه نظر ، من حيث
أن الذي في ديوان ابن أحمر أن ذلك البيت بعد قوله :

صاحب الشاهد

(قالوا : عيينا فما ندرى وقد زعموا

آيات الشاهد

أن قد مضى منهم ركبٌ فقد نصبا^(١)

إمّا الجبالَ وإمّا ذو الحجاز وإمّا

مّا في منى سوف تلقى منهم سببا

وافيتُ لما أتاني أنّها نزلتُ

إنّ المنازلَ مما يجمعُ العجبا

ثمّ ارتمينا بقولِ يَيننا دَوِلِ

بين الهباءين لا جدّا ولا لعبا^(٢)

في طَمِيّةِ النَّاسِ لم يشعُر بنا أحدٌ

لما اغتنمنا جبالَ اللَّيْلِ والصَّحْبَا

حتّى أتيتُ غلامى وهو ممسكُها

يدعو يساراً وقد جرّعته غضبا

أنشأت أسأله ما بال رفقة البيت) . انتهى .

(١) ط : « عيينا فابدرى » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « لا حذا ولا لعبا » .

وهو شاعر إسلامي في الدولة الأموية. وهجا يزيد بن معاوية فأراد يزيد أن عمرو بن أحر يأخذه ففر منه ولم يقدر عليه .

قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : هو عمرو بن أحر ، من باهلة ، وهو أحد غوران قيس ، وهم خمسة شعراء : تميم بن أبي بن مقبل ، والرأعي ، والشماخ ، وابن أحر ، وحديد بن ثور .

وقال ابن الشجري (في أماليه) : هو عمرو بن أحر بن العمر بن عامر بن عبد شمس بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مضر . وكان من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام .

وأورد الآمدي (في المؤلف والمختلف) من يقال له ابن أحر أربعة ، وقال : منهم عمرو بن أحر الباهلي . قال ابن حبيب : هو عمرو بن أحر بن العمر بن عامر بن عبد شمس بن عبد بن قدام بن قرص^(١) بن معن ، الشاعر الفصيح ، كان يتقدم شعراء أهل زمانه . وقد ذكرت حاله وأشعاره مع الشعراء المشهورين . انتهى .

٣٩

وأورده ابن حجر (في قسم المخضرمين من الإصابة) وقال : قال المرزباني : هو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ، وغزا مغازي في الروم ، وأصيب بإحدى عينيه هناك ، ونزل الشام ، وتوفي على عهد عثمان بعد أن بلغ سنًا عالية . وقال أبو الفرج : كان من شعراء الجاهلية المعدودين ، ثم أسلم وقال في الإسلام شعراً كثيراً ، ومدح الخلفاء الذين أدركهم ، ولم يلق أبا بكر ، ومدح عمر فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان .

(١) وردت « فراص » في النسختين والمؤلف ٣٧ بالقاف ، صوابه في جمهرة ابن حزم ٢٤٥ والمعارف ٣٦ والاشتقاق ٢٧٤ والقاموس (فرص) .

وهذا يخالف قول المرزباني : إِنَّهُ في عهد عثمان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمائة :
٤٦١ (يَتِمَارَى في الذى قُلْتُ له

ولقد يَسْمَعُ قولى حَيْهَلْ)

على أن لبيداً سَكَنَ اللام لِلْقافية ، ولا يجوز تسكين اللام في غير الوقف .

تبع الشارح المحقق في هذا صاحب الصحاح ، فإنه قال : وأما حَيٌّ هلا ، بلا تنوين فإنما يجوز في الوقف ، وأما في الإدراج فإنها لغة رديئة . وأما قول لبيد يذكر صاحباً له في السَّفر كان أمره بالرحيل :

يَتِمَارَى في الذى قلت له البيت

فإنما سكنه للقافية .

وأصله من (كتاب الأصول لابن السراج) قال : وأما حَيْهَلْ فإذا وقفت فإن شئت قلت حَيْهَلْ بالسكون ، وإن شئت قلت حَيْهَلْ ، تقف على الألف كما وقفت في أنا . انتهى .

وتبعه أبو علي (في إيضاح الشعر) ، وسيأتى كلامه .

والصحيح أن تسكين اللام لغة سواء كان في الوقف أم في الدَّرَج . قال أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) : حَيْهَلْ وحَيْهَلْ وحَيٌّ على ، يقال في الاستسراع والاستحاث . وقال زكريا الأحمر ^(٢) : في حَيْهَلْ ثلاث لغات :

(١) الخصائص ٣ : ٤٦ وابن يعيش ٤ : ٤٢ ، ٤٥ ويس ٢ : ٩٩ وديوان لبيد ١٨٣ .

(٢) في إنباه الرواة ٤ : ١١٤ « أبو زكريا الأحمر ، من الأعراب » .

يقال حَيْهَلْ بفلان بحزم اللام ، وحَيْهَلْ بفلان بحركة اللام ، وحَيْهَلْ بفلان بالتونين . وقد يقولون من غير هل ، من ذلك : حَى على الصلاة . انتهى .

فهل تكون لغةً فى هَلَا ، كما قال ابن جنى (فى الخصائص) عند الكلام على هَلَمْ . وهو : قال الفراء : أصل هَلَمْ هل زجر وحثٌ دخلت على أَمْ كأنها كانت : هَلْ أَمْ ، أى اعجل واقصد . وأنكر أبو على عليه ذلك وقال : لا مدخل هنا للاستفهام . وهذا عندى لا يلزم الفراء ، لأنه لم يدع أن هل هنا حرفٌ استفهام ، وإنما هى عنده زجر ، وهى التى فى قوله :

« ولقد يسمع قولى حَيْهَلْ »

قال الفراء : فالزمت الهمزة فى أَمْ التخفيف فِقِيلَ : هَلَمْ . انتهى .

وقال ابن عصفور : إنَّ حيهلا مركبة من حَى وهلا ، إلا أن ألف هلا تحذف فى بعض اللغات تخفيفاً .

وهذا البيت من قصيدة طويلة للبيد بن ربيعة الصحابى ، قد شرحناه مع صاحب الشعر .

أبيات قبله فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين ^(١)

و (التمازى) : المجادلة ، ومثله الامترأ ، وهما من المربة بالكسر ، وهى الشكُّ . وحَيْهَلْ : بمعنى أسرع .

وقول الشارح المحقق : « وفى الكتاب الشعرى لأبى على : حَيْهَلْ بكسر اللام وتونينه » ، أراد به كتاب (إيضاح الشعر) فإنه يعبر عنه تارة بالأوّل ، وتارة بالثانى ، وتارة بكتاب الشعر . وهذا نصّه فيه :

(١) صوابه « الثامن والعشرين بعد المائتين » . الخزنة ٣ : ٣٦٨ .

وقد وصلوها بهَلْ فقالوا حَيْهَلْ . وزعم أبو الخطاب أن بعضهم يقول
حَيَّ هِل الصَّلَاة . وقال أبو زيد : حَيَّ هَلْ ، وَحَيَّ هَلْ ، وَحَيَّ هَلَا . والقول
في حَيَّ هِل أن التنوين دخله للتذكير ، كما دخل في صِهْ ونحوها . وكأنه قدر فيه
٤٠ الإسكان ، كأنه قال حَيَّ هِل على الوقف ، كما قال لبيد :

* ولقد يسمع قولى حَيْهَل *

فكسر اللام كما كسر الذال في يومئذ . ولا يجوز أن تكون حركة اللام
للإضافة ، لأن هذه الأسماء التى سميت بها الأفعال لا تضاف ، ألا ترى أنه
قال : جعلوها بمنزلة النَّجَاك ، أى لم يضيفوها إلى المفعول كما أضافوا المصادر
وأسماء الفاعلين إليه .

ويجوز أن يكون لما نكَّر حَرَّك بالكسر ليكون على لفظ غيره من أمثاله
من النكرات ، نحو صِهْ وإِيهْ ، ولما جرى فى كلامهم غير مضاف لإجرائهم
إياه مجرى الفعل لنصبيهم الأسماء المخصوصة بعده لم يستجيزوا إضافتها إلى
المفعول به ، فيكون ما لم يُجْعَل بمنزلة الفعل على حدٍّ ما جعل من هذه الأسماء
بمنزلة . ألا ترى أن الأسماء لم تُجْعَل بمنزلة الفعل مفردة حتى ينضم إليها جزء
آخر وإن كان فيها ضمير ، لأن الضمير الذى فى اسم الفاعل لما لم يظهر فى
أكثر أحواله صار لا حكم له ، فإذا لم يضيفوا هذا الباب لأن إضافته يخرج بها
عن الحدِّ الذى استعملت عليه ، علمت أن الكاف فى حَيْهَلْ للخطاب ،
لا لضمير الاسم . وإذا كان كذلك علمت أن الكاف فيه مثل الهاء فى :
هَهْنَاهُ وهَوْلَاهُ ، فى أنها لحقت الألف لتبيينها لما لم يلتبس بالإضافة . فكذلك
الكاف فى حَيْهَلْ لحقت للخطاب حيث لم يجز لحاق التى تكون اسماً فى هذا
الموضع ، كما لم تلحق الهاء التى لحقت فى هَهْنَاهُ أفعاه ونحوها . والضمير الذى فى حَيْهَلْ

ينبغى أن يكون فى مجموع الاسمين ، ولا يكون فى كل واحد منهما ضمير كما كان فى حى على الصلاة ضمير ، لأن الاسمين جعلاً بمنزلة اسم واحد ، كما أن خمسة عشر بمنزلة مائة . فكما أن خمسة عشر حكمه حكم المفرد ، كذلك حى هل حكمه حكم المفرد . وإذا كان كذلك كان متضمناً ضميراً واحداً . ويدلُّك على ضم الكلمة الثانية إلى الأولى قول ابن أحرر :

أنشأت أسأله عن حال رُفْقَتِهِ فقال : حى فإنَّ الركب قد ذهباً

انتهى . وعلم من قوله : والضمير الذى فى حيهل ينبغى أن يكون فى مجموع الاسمين ، أن ما نقله الشارح المحقق عنه وعن أبى على ، حالهما مع التركيب فى احتمال الضمير ، كحال حلو حامض إلى آخر ما نقله - مخالف لما هنا ، ولعله نقله عنه من كتاب آخر له . والله أعلم .

ونقل أبو حيان (فى الارتشاف) عن (النهاية لابن الجباز) ، قيل : فى حى وهلا ضميران ؛ لأنهما فى الأصل اسماً فعلٍ أمر ، فكل واحد منهما يستحق الضمير ، وقيل فيهما ضمير واحد ، لأنهما بالتركيب صاراً كالكلمة الواحدة . ويدلُّ على ذلك أن حى وهل لا يتعديان ، فلما ركباً تعدّيا ، فدلَّ على أن حكم الأفراد قد زال . وقوله :

* يوم كثيرٌ تناديه وحيَّهله ^(١) *

أضافه إلى الضمير وأعرَّبه . انتهى .

(١) لرجل من بنى أبى بكر بن كلاب ، انظر سيبويه ٢ : ٥٢ وهو الشاهد التالى .

وحاصل ما ذكر الشارح من لغات حَيَّهْل ثمانية :

أولها : حَيَّهْل بحذف الألف وإبقاء فتح اللام . قال ابن عصفور (في شرح إيضاح أبي علي) : إذا وقفت عليها في هذا الوجه جاز أن تقف بالسكون ، وأن تقف بالألف لتبيين حركة المبنى في الوقف .

ثانيها : حَيَّهْل بسكون الهاء وفتح اللام بلا تنوين .

ثالثها : حَيَّهْلاً بفتح الهاء والتنوين

رابعها : حَيَّهْلاً بسكون الهاء والتنوين . ولا ينبغي أن يعدّ المنون من

٤١ اللغات ، إذ التنوين في اسم الفعل للتذكير . وإذا كان غير منون فهو معرفة ^(١) فإن المجرد من التنوين غير المنون .

قال أبو حيان (في الارتشاف) : ولا يكون المنون إلّا بمعنى ائت . ويرد

عليه : « فحَيَّهْلاً بعمر » ، فإنه بمعنى أُسْرِغَ بذكره .

خامسها : حَيَّهْلاً في الوقف ، بفتح الهاء وسكون الألف وحذف

التنوين ^(٢) فيها .

وقال ابن عصفور : هذه اللغة تكون في الوقف والوصل . ولم يقيّد

كونها رديئة في الوصل كما قيّد الشارح المحقق تبعاً لصاحب الصحاح .

وقال ابن أبي الربيع : منهم من يقول : حَيَّهْلاً في الوصل والوقف ؛ لأنَّ

(١) بعدها بياض في النسختين ، كما سقطت كلمة « فإن » التالية من ش .

(٢) الكلام بعد « بعمر » السابقة في س ١١ إلى هنا ساقط من ش .

هلا صوت ، أو لأنه من إجراء الوصل مجرى الوقف ، أو لأن منهم من يقول حَيْهَلْ بالسكون فى الوصل ، فإذا وقف وقفَ بالألف ، فتكون الألف عوضاً من هاء السكت كألف أنا .

وكذلك قال أبو حيان (فى الارتشاف) : إن حَيْهَلْ بإثبات الألف تكون وصلاً ووقفاً ، كما قال الشاعر :

* بِحَيْهَلْ يُزْجُون كُلَّ مَطِيَّةٍ *

سادسها : حَيْهَلْ بسكون اللام فى الوقف . وأطلق أبو حيان تبعاً لابن عصفور ، سواء كان فى الوقف أم الوصل . وقال الراعى (فى شرح الألفية) ذكر سيبويه فى حَيْهَلْ ثلاث لغات : فتح اللام بلا تنوين ، وفتحها مع التنوين ، وفتحها مع الإشباع . وزاد ابن سيده تسكين اللام . قيل : وما سمع منه لا حجه فيه ؛ لاحتمال أن يكون للوقف . انتهى . وفيه ما تقدّم عن (كتاب النبات) . وهذا نص سيبويه : من العرب من يقول حَيْهَلْ إذا وصل ، وإذا وقف أثبت الألف . ومنهم من لا يثبت الألف فى الوقف والوصل . انتهى .

سابعها : حَيْهَلْ بكسر اللام والتنوين . وظاهره أن الهاء فى هذه اللغة يجوز سكونها أيضاً .

ثامنها : حَيْهَلْكَ بفتح اللام وإلحاق الكاف التى هى حرف خطاب . ولم أعرف هل يجرى مع الكاف سكون الهاء أيضاً أم لا .

قال ابن عصفور : وتستعمل فى جميع ذلك متعدية بنفسها ، وبإلى ، وبعلى ، وبالباء . فإذا تعدّت بنفسها كانت بمعنى ائت ، وإذا تعدّت بإلى

أو بعلی كانت بمعنى أقبل ، وإذا تعدّت بالباء كانت بمعنى جئ . انتهى .
 وقول الشارح المحقق (١) : إن الباء للتعدية كذهبت به ، فيه أنّهم
 ذكروا أنّ باء التعدية في ذهبت به غير التعدية المشهورة ، وذلك أن مدخولها
 يكون فاعلاً في المعنى كقوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ (٢) ، أي جعله
 ذاهباً ، فهي تساوى همزة التعدية . وهذا المعنى لا يجري هنا .

وقول الشارح المحقق : وقد تركّب (٣) حَيَّ مع هلا إلخ ، قال ابن
 عصفور : إذا ركبت حَيَّ مع هلا فالأكثر أن تستعمل (٤) لاستحثاث العاقل
 تغليباً لحَيَّ . ومنهم من يغلب هَلَا فيستعملها لاستحثاث غير العاقل ؛ وذلك
 قليل . وقد يستعمل كل واحد منهما على انفرادها ؛ فإذا استعملت حَيَّ
 وحدها كانت بمعنى أقبل ، وإذا استعملت هَلَا على انفرادها كانت بمعنى
 تقدّم . وحَيَّ خاصّة باستحثاث العاقل ، وهلا باستحثاث غير العاقل . وقد
 تستعمل هلا في العاقل إلا أنّ ذلك قليل . ومن ذلك قوله :

* ألا حَيّاً ليلي وقولا لها هَلا *

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : وحيّهل مركبة من حَيَّ ومعناها
 أقبل ، ومن هَلْ وهلا . قال ابن هشام : بمعنى عَجِّل ، وقيل بمعنى قَرَّ وتقدّم ،
 وقيل إنّها (٥) صوت الإبل . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى « الشارح المحقق » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة .

(٣) ش : « قد تركب » ، وأثبت ما في ط وشرح الرضى ٢ : ٦٨ .

(٤) ط : « يستعمل » ، وأثبت ما في ش .

(٥) ط : « انهما » ، وأثبت ما في ش .

وزعم الراعى (فى شرح الألفية) أنَّ حَيْهْل كلمة واحدة عند الجمهور وقيل مركبة . انتهى .
وهذا خلاف المنقول .

تتمة

قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : الحَيْهْل : نبت من دِقِّ الحَمْض ، الواحدة حَيْهْلَة ، سَمِّيت بذلك لسُرْعَةِ نباتها . قال حميد بن ثور :

٤٢

* دميث به الرمث والحَيْهْل (١) *

والرَّمْث أيضا من الحمض . فأما أبو زياد فقال : الحَيْهْل ، فخفف الياء وسكَّنْها فيما بلغنى عنه ، وقال : الحَيْهْلُ ينبت فى السَّبَّاح ، وإذا أخصب الناسُ ومُطَرُّوا هلك ، فلا يكاد يرى منه نبت ، فإذا أَسْتَوُوا وذهبت الأمطار نبت فى مواضعه (٢) ، وهو دُقَاقٌ قَصِيفٌ ليس لها خشب ولا حطب ، وإنما يأكله من الإبلِ الإبلُ التى عَوَّدوها إياه . يحسونها فيه حين لا تجد شيئا تأكله ، وربما قتل الإبلُ فى أوَّلِ أمرها ، وذلك إذا أكلته ثم كَظَمَ عليها لا تسلح ، فإذا سلحت نجت وطابت بطونُها . انتهى باختصار .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد الأربعمئة وهو من شواهد س (٣) :

(١) ملحقات ديوان حميد ١٢٨ عن اللسان (هـ ل ، بـ ث) ، وصدوره :

* بَمَيْثِ بَئَاءِ نَصِيفِيَّةِ *

والرواية فى الموضع الأوَّل : « دميث بها » ، وفى الثانى عن التهذيب : « دميث به » .

(٢) ش : « موضعه » .

(٣) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٤٦ .

٤٦٢ (فهَيَّجَ الحَيَّ من كَلَبٍ فَظَلَّ لهم

يَوْمَ كثيرٍ تَنَادِيهِ وَحَيَّهْلُهُ)

على أن ضمة اللام حركة إعراب ، وهو مفرد بلا ضمير .

قال سيبويه : وَأَمَّا حِيَهْلُ التِي لِلأمر فمن شيعين ، يدلُّك على ذلك :

حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ . وزعم أبو الخطاب أَنَّهُ سَمِعَ من يَقُولُ حَيَّ هَلْ الصَّلَاةُ .
والدليل على أَنَّهُمَا جَعَلَا اسماً واحداً قولُ الشاعر :

وَهَيَّجَ الحَيَّ من دَارٍ فَظَلَّ لهم

يَوْمَ كثيرٍ تَنَادِيهِ وَحَيَّهْلُهُ

والقوافي مرفوعة . وأنشدناه هكذا أعرابيّ من أفصح الناس ، وزعم أَنَّهُ

شَعُرَ أَيْبِهِ . انتهى .

قال الأَعلَمُ : الشاهد في قوله حَيَّهْلُهُ وإِعْرَابُهُ بالرفع ، لأنه جعله وإن

كان مركباً من شيعين ، اسماً للصوت ، بمنزلة معديكرب في وقوعه اسماً
للشخص ، وكأنَّهُ قال : كثيرٌ تَنَادِيهِ وَحَيَّهْلُهُ ومبادرته ، لأن معنى قولهم حَيَّهْلُ
عَجَلٌ وَبَادِرٌ . وَصَفَ جيشاً سُمِعَ به وَخِيفَ منه ، فانتَقَلَ عن الحَلِّ من أَجله
وَبُوْدِرَ بالانتقال قبل لحاقه . انتهى .

و (في شرح أبيات المفصل) لابن المستوفى : وقال السيرافي : زعم

سيبويه أَن الشعر لرجلٍ من بني أُمَيٍّ بَكْرُ بنِ كَلَابٍ ^(١) ، واحتجَّ به لِيُرَى أَنَّهُ
من شيعين ، إذ ليس في الأفعال والأسماء المفردة مثلُ هذا البناء . قال ابن
السَّراج في حِيَهْلِهِ : جعله اسماً واحداً كحَضْرَموت ، ولم يأمر أحداً بشيء . قال

(١) في النسختين : « بكر بن كلاب » ، والصواب من الجمهرة ٢٨٢ ، وذكر أن أبا بكر هذا

اسمه « عبيد » .

سيبويه : والقوافي مرفوعة ، أى إنه جعله بمنزلة اسم واحد ، ولو لم يكن كذلك لقال وحيَّهَلَه بالفتح . وجميع ما يجرى هذا المجرى إذا جُعِلَ علماً أُعْرِبَ . وقالوا : إذا قال حيَّهَلَا تركه على البناء مع التسمية ، وإذا قال حيَّهَلَه أُعْرِبَه كما يعرب وبارٍ إذا سُمِّيَ به . ووجدته يُرَوَى لرجلٍ من بَجيلة . انتهى .

و (هَيَّج) بمعنى فَرَّقَ ، وفاعله ضمير الجيش على ما قال الأعلم .
و (الحى) : القبيلة مفعوله . وقوله : (من كلب) هى قبيلة . ولم أَرِه كذا إلّا هنا ، وأمّا فى كتاب سيبويه ، وفى المفصل وشروحهما ، فقد رأيت بدله (من دار) . قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : دار معرفة لا تدخله الألف واللام ، قال ابن دريد : هو وادٍ قريبٌ من هَجَر ، معروف . انتهى .
و (ظلَّ) بمعنى استمر . ويومٌ فاعل ظلَّ ، وتناديه فاعل كثير .
و (التنادى) : تفاعل ، مصدرٌ من نادى القوم بعضهم بعضاً . و (حيَّهَلَه) معطوف عليه .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : قيل فاعل هَيَّج غراب البين وقد ذُكِرَ قبل . ويجوز أن يكون هَيَّج وظلَّ متوجَّهين إلى يومٍ على التنازع . وظلَّ لهم يوم ، من باب قولهم : نهأه صائم ؛ لأن الظُّلُولَ فى ٤٣ الحقيقة للقوم لا لليوم . وروى : (فظَلَّلَهُمْ) موصولا . ومعناه دنا منهم يومٌ ، وحقيقته : ألقى عليهم ظِلَّهُ . انتهى .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرفَ قائلها . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س^(١) :

٤٦٣ (بَحِيْهَلًا يُزْجُونَ كُلَّ مَطِيَّةٍ
أمام المطايا سَيْرُهَا المتقاذِفُ)

على أَنَّ (حِيْهَلًا) بلا تنوين محكى أريد به لفظه .

قال النحاس : جعله بمنزلة خمسة عشر ، فلذلك لم ينوّه .

وقال الأعمى : الشاهد في قوله بَحِيْهَلًا ، فتركه على لفظه محكيًا . يقول : لعجلتهم يسوقون المطايا بقولهم : حِيْهَلًا . ومعناه الأمر بالعجلة على أَنَّها متقدّمة في السير متقاذقة عليه ، أى مترامية . وجعل التّقاذف للسّير اتساعاً ومجازاً . انتهى .

قال ابن السّيرافى : المتقاذف : الذى يتبع بعضه بعضاً ، كأنَّ كُلَّ سيرٍ تسيرُهُ هذه المطية يقذف بها إلى سير آخر . ومثله قول عمر بن أبى ربيعة :

أخو سفرٍ جَوَّابٌ أرضٍ تقاذفت به فَلَوَاتٌ فهو أشعثٌ أغبر^(٢)

أى رمته فلاةً إلى أخرى . وقال غيره : إن القَذَافَ سرعة السّير . وفرس متقاذف : سريع العدو . ويجوز أن يكون المتقاذف الذى يرمى بعضه بعضاً لسرعته . والإزجاء بالزّاى المعجمة والجيم : السّوق . والمطيّة : الدابة ، يقال لها

(١) في كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٣٦ وشرح شواهد الشافعية ٤٧٨ وملحقات ديوان الجعدي ص ٢٤٧ .

(٢) رواية ديوان عمر ٧٦ : « أخا سفر » . وقوله :
رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما يالعثى فيخصرُ

مَطْيَّةَ لأنها تمطو في السير ، أى تمتدُّ . و (أَمَامَ) بالفتح ، قال ابن الحاجب (فى أُماليه) : يريد أنهم مُسرِّعون فى السير ، فهم يسوقون بهذا الصوت لتسرَّع فى سيرها . وقال « أمام المطايا » ، لأنه إذا سبقت الأولى تبعها ما بعدها ، بخلاف سوق الأواخر . وقال : سيرها المتقاذف ، يعنى أنَّهم يسوقونها مع كون سيرها متقاذفاً ، والتقاذف : الترامى فى السير ، وإذا سَبَق المتقاذفُ كان سيره أبلَّعَ مما كان عليه . وأمام المطايا فى موضع وصف المطية ، وسيرها المتقاذف جملة ابتدائية صفةً لمَطْيَّةَ ، والجارُّ والمجرور متعلق بيزجون . انتهى .

وأجود من هذا أن يكون سيرها فاعل الظرف ، لاعتماده على الموصوف ، والمتقاذف صفة لسيرها . ويجوز أن يكون سيرها المتقاذف مبتدأً موصوفاً والظرف قبله خبره ، والجملة صفة مطية .

والبيت أنشده سيبويه للنابعة الجعدى الصَّحَّابى ، وتبعه عليه خَدَمَةُ صاحب الشاهد كتابه . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة ^(١) . ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) عن السيرافى أنه من قصيدة لمزاحم ابن الحارث العُقَيْلى . وأورد هذه الأبيات منها :

(ووجدى بها وجدُّ المضلَّ بعيرَه بمكَّةَ لم تُعْطِفَ عليه العواطفُ
رأى من رفيقيه الجَفَاءَ وفاته بنشدانها المستعجلاتُ الخوافُ ^(٢)
وقالوا : تعرَّفها المنازلُ من مِنى وما كُلُّ من وافى مِنى أنا عارفُ)
الوجد : ما يجده الإنسان من العشق . والمضِلُّ : اسم فاعل من أضلَّهُ ،

(١) الخزنة ٣ : ١٦٧ .

(٢) ط : « بنشدتها » ، صوابه فى ش .

وجملة « لم تعطف » إلخ حال من المضلّ . وهذا غاية في الحيرة . ولم تعطف عليه العواطف : جمع عاطفة ، أى لم ترق له ... ^(١) ولم يَحْمِلْهُ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ ، وهو جمع عاطفة . ويراد بها في الصداقة ^(٢) والرحم والمودة والصحبة وما أشبه ذلك . وروى « نخلة » بدل مكة ، وهى موضعٌ بقرب مكة ، وعليها يأخذ الحاجُّ بعد انقضاء حَجِّهِمْ ، ولذلك قال : لم تعطف إلخ ، لأنَّهم آخذون في الانصراف . أى إنَّه وَجَدَ بمفارقتها لها كما وَجَدَ الذى ضلَّ بعيره في هذا الموضع .

والبيت من أبيات سيبويه ، ومحلُّ الشاهد فيه أنه جعل وجدى مبتدأً ووجدُ المضلَّ خبره لا يستغنى عنه ، فلم يَجْزِ نصبه على المصدرية . وأصله وجدى بها وجدٌ مثلُ وجد المضلَّ بعيره .

والخواف : جمع خائفة ، وهى الناقة التى تخنف برأسها ، أى تُمِيلُهَا إِذَا عَدَّتْ . وهى بالخاء المعجمة والنون والفاء .

وقوله : « وقالوا تعرّفها المنازل » إلخ قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : كانوا يسمّون منىّ المنازل ، وأنشد هذا البيت . ثم قال : ويقال للرجل إذا أتاه : نازل . قال عامرُ بن الطفيل :
أَنَازِلَةُ أَسْمَاءُ أُمِّ غَيْرِ نَازِلِهِ أَيْبِنِي لَنَا يَا أَسْمَ مَا أَنْتِ فَاعِلَةٌ
وقال غيره : المنازل من منىّ : حيث ينزلون أيام رمى الجمار .

(١) كتب مصحح طبعة بولاق : « هكذا بياض بالأصل . متى وقع بياض فى النسخة فسيبه أن الأصل المنقول منه هذه النسخة منقول من مسودة المصنف ، وكثرا ما يكتب رحمه الله فى الهامش ، فيغتال بعض ذلك أيدي المجلدين والبلا . فليتبّه . اهـ من هامش الأصل » .
(٢) ش : « فى الطلاقة » .

والبيت أورده سيبويه في موضعين من كتابه ، برفع كل على لغة الحجاز . قال سيبويه : وإن شئت حملته على ليس ، يعنى إن شئت جعلت كل مرفوعاً بما ، وجعلت أنا عارف في موضع الخبر ، وأضمرت في عارف هاء تعود إلى كل ، كأنك قلت عارفه . ثم قال : وإن شئت حملته على كله لم أصنع . وهذا أبعد الوجهين ، يعنى وإن شئت رفعت كل بالابتداء وجعلت الجملة في موضع الخبر كذلك ، على لغة تميم كما قلت : كله لم أصنع ^(١) ، فرفعت كل بالابتداء ^(٢) [وأضمرت هاء في أصنع . ومعنى قوله « وهذا أبعد الوجهين » يعنى رفع كل بالابتداء] ، وذلك لأن من يرفعه بالابتداء لا يعمل ما ، فإذا لم يعملها أمكنه أن يعمل عارف في كل ، فإذا لم يعمل فقد قبح ، إذ قد وجد السبيل إلى المختار ، ولا ضرورة تدعو إلى غيره . ومن رفع كل بما فهو لا يجد السبيل إلى إعمال عارف في كل إلا بحذف ما ، وحذفها يُغيّر المعنى . وقال النحاس : ويجوز أن ينصب كلاً بعارف على أنها تيمية .

وقال ابن خلف : هذا البيت روى برفع كل ونصبه على جعل ما تيمية وإبطال عملها . ونصب كل بعارف .

وأنشده الفراء أيضاً (في تفسيره) مرتين : الأولى عند قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٣) . قال : أنشدني أبو ثروان :

* وقالوا تعرفها المنازل من منى ^(٤) * البيت

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٥٩ حيث الكلام على هذا الشاهد .

(٢) ما بعده إلى « بالابتداء » التالية ساقط من ش .

(٣) الآية ٢١٥ من البقرة . ومعاني الفراء ١ : ١٣٩ . وفي النسختين : « ويسألونك » ، وأثبت نص الآية كما ورد في معاني الفراء . وفي الكتاب آية أخرى أولها : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، وهي الآية ٢١٩ من البقرة . وليست مرادة هنا .

(٤) عجزه في معاني الفراء في هذا الموضع وتاليه :

• وما كل من يغشى منى أنا عارف •

رفعاً . قال : ولم أسمع نصب كل .

والثانية عند قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ﴾^(١) قال :
العرب في كل تختار الرفع ، وقع الفعل على راجع الذكر أو لم يقع . وأنشدوني
فيما لم يقع الفعل على راجع ذكره :

فقالوا تعرفها المنازل البيت

فلم يقع عارف على كل ، وذلك أن في كل تأويل : وما من أحد وافي
مبنى^(٢) أنا عارف . ولو نصبت لكان صواباً ، وما سمعته إلا رفعاً . وقال
الآخر^(٣) :

قد علقْتُ أمَّ الخِيارِ تدعى

على ذنباً كله لم أصنع

رفعاً . وأنشدني بعض بني أسد نصباً . انتهى .

وأنشده ابن النازم (في شرح الألفية) ، وابن هشام (في شرحها وفي
المعنى أيضاً) ينصب كل على إبطال ما ، لإيلائها معمول الخبر ، وليس ظرفاً
لأن كلا معمول لعارف .

وقال ابن هشام (في شرح شواهد) : ويروى كل بالرفع على أنه اسم
ما ، والجملة من قوله أنا عارف خبرها ، والعائد محذوف أى عارفه . وذلك

(١) الآية ١٣ من سورة الأسراء . وانظر معاني الفراء ١ : ٢٤٢ . لانشاده . انظر حواشي

الصفحة السابقة .

(٢) لأنى النجم العجلى ، كما سبق في ١ : ٣٥٩ وكما سيأتى .

متسهِّل إذا كان المخبر عنه كُلاً ، كقراءة ابن عامر : ﴿ وكلُّ وعد الله الحسنى ^(١) ﴾ ، وكقوله ^(٢) :

* ثلاث كلهن قتلن عمداً *

وقول أوى النجم :

* كلُّه لم أصنع ^(٣) *

وانتصاب المنازل على إسقاط (فى) توسعاً ، لا على الظرف ، لأنه مختص . انتهى .

وهذا ردُّ على ابن خلف فى زعمه أنه منصوب على الظرف . وتعرَّفها ، أى اعرَفَ منزلها بالسؤال عنها . قال النحاس : سألنا أبو إسحاق الزجاج عن معنى هذا البيت فقال : الإنسان يسأل عن الشيء من يعرفه ومن لا يعرفه ، فما معنى هذا البيت ؟ وأجاب فقال : هذا يذكر امرأة يتعشَّقها ، فليس يسأل عن خيرها إلا من يعرفه ويعرفها .

ومزاحم بن الحارث شاعرٌ إسلاميٌّ من بنى عُقَيْل بن كعب بن ربيعة مزاحم العقيق ابن عامر بن صعصعة . قال صاحب الأغاني : وقيل هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث ^(٤) . وهذا القول أقرب عندى إلى الصواب . انتهى .
فيكون الحارث على هذا جدُّ أبيه .

ثم قال : وهو شاعر بدويٌّ فصيح إسلامي ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جريرٌ يصفه ويقرِّظه ويقدِّمه ، ويقول : ما من بيتين كنت أحبُّ

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء .

(٢) هو الشاهد ٥٧ من الخزانة . وتامه كما فى الخزانة ١ : ٣٦٦ .

« فأخزى الله رابعة تعود »

(٣) هو الشاهد ٥٦ من الخزانة فى الجزء الأول ص ٣٥٩ .

(٤) الذى فى الأغاني ١٧ : ١٥٠ : « وقيل مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف » .

أَنْ أَكُونَ سَبَقْتُ إِلَيْهِمَا غَيْرَ بَيْتَيْنِ مِنْ قَوْلِ مُزَاجِمِ الْعُقَيْلِ ، وَهُمَا :
وَدِدْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهُوَى
وَعَنَى الْأَمَانِي أَنْ مَا شِئْتُ يُفْعَلُ
فَتَرَجَعَ أَيَّامٌ تَقْضَتْ ، وَلَذَّةٌ
تَوَلَّتْ ، وَهَلْ يُشْنَى مِنَ الذَّهْرِ أَوَّلُ (١)

وَسَرَفِ الْهُوَى : خَطْوُهُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ جَرِيرِ :

* مَا فِي عَطَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرَفٌ (٢) *

أَرَادَ : أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ مَوَاضِعَ الصَّنَائِعِ ، لَا أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِالْاِقْتِصَادِ
وَالْتَوَسُّطِ فِي الْجُودِ (٣) .

وَرَوَى أَنَّ الْفَرَزْدَقَ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْ بَعْضِ بَنِيهِ فَقَالَ
لَهُ : أَتَعْرِفُ أَحَدًا أَشْعَرَ مِنْكَ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّ غَلَامًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ يَرْكَبُ
أَعْمَازَ الْإِبِلِ وَيَنْعَتُ الْفُلُواتِ فِيجِيدُ ! ثُمَّ جَاءَهُ جَرِيرٌ فَسَأَلَهُ عَنْ مِثْلِ مَا سَأَلَ
الْفَرَزْدَقَ ، فَأَجَابَهُ بِجَوَابِهِ ، فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ جَاءَهُ ذُو الرِّمَةِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَشْعَرُ
النَّاسِ ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنْ غَلَامٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ يُقَالُ لَهُ مَزَاحِمُ يَسْكُنُ الرُّوَضَاتِ
يَقُولُ وَحْشِيًّا مِنَ الشُّعْرِ لَا يُقَدَّرُ عَلَى قَوْلِ مِثْلِهِ (٤) . فَقَالَ : أَنْشِدْنِي بَعْضَ
مَا تَحْفَظُ مِنْ ذَلِكَ . فَأَنْشَدَهُ :

(١) فِي الْأَغَانِي : « أَيَّامٌ مُضَيْنٌ » ، وَ « وَهَلْ يُشْنَى مِنَ الْعَيْشِ » .

(٢) صَدْرُهُ فِي الْأَغَانِي وَدِيوان جَرِيرِ ٣٨٩ :

« أَعْطَوْا هَنِيْدَةً يَحْدُوها ثَمَانِيَةٌ » .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « أَرَادَ أَنَّهُمْ لَا يَخْطِئُونَ مَوَاضِعَ الصَّنَائِعِ ، إِلَّا أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِالْاِقْتِصَادِ وَالتَّوَسُّطِ فِي

الْجُودِ » .

(٤) فِي الْأَغَانِي ١٧ : ١٥٣ : « لَا يُقَدَّرُ عَلَى مِثْلِهِ » .

خليلي عوجا بي عَلَى الدَّارِ نَسْأَلِ
متى عهدُها بِالظَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ
فَعَجْتُ وَعَاجُوا بَيْنَ بَيْدَاءَ مَوْرَثِ
بِهَا الرِّيحُ جَوْلَانِ التَّرَابِ الْمُنْخَلِ (١)
حتى أتى على آخرها . ثم قال : ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل
هذا . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :
(إِنَّ لَوْأَ وَإِنَّ لَيْتَا عَنَاءُ)
هذا عجز ، وصدرة :
(لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتٌ)
ويأتى إن شاء الله شرحه في باب العلم (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الأربعمئة (٣) :
٤٦٤ (لَشْتَانُ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى
يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَغْرُ بْنُ حَاتِمٍ)
على أنه قد يقال في غير الأكثر الأفضح : شتان ما بين يزيد وعمرو ، ٤٦
كما في البيت .

(١) في الأغاني : « فَعَجْتُ وَعَاجُوا فَوْقَ بَيْدَاءَ صَفَقَتْ » .

(٢) في الشاهد ٥٣٧ .

(٣) الأغاني ٤ : ٣٨ والعمدة ٢ : ١٤٠ والعقد ١ : ٢٨٨ ، ٣٠٥ : ٥/٣٠٦ وابن يعيش ٤ :

٣٧ ، ٦٨ والشذور ٤٠٤ .

قال أبو علي (في المسائل العسكرية) : وأما شتان فموضوع قولك : قولك : افترق وتباين ، وهو من قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾^(١) ، و﴿ أَشْتَاتَا ﴾^(٢) . وهذا الباب إذا كان كذلك اقتضى فاعلين فصاعداً ، فمن ثمَّ يقال : شتان زيدٌ وعمرو . وعلى هذا قول الأعشى :

شَتَّانَ ما يومِي عَلَى كُورِها

ويومُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ

فأسنده إلى فاعلين معطوف أحدهما على الآخر . فأما قولك : شتان ما بينهما ، فالقياس لا يمنعه إذا جعلت ما بمنزلة الذي ، وجعلت بين صلة ، لأنَّ « ما » لإبهامها قد تقع على الكثرة ، ألا [ترى ^(٣)] قوله : ﴿ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾^(٤) ثم قال : « ويقولون » ، فعلمت أنَّ المراد به جمع . وكذلك : ﴿ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴾^(٥) ، ثم قال : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ فإذا كان كذلك لم يمتنع في القياس . وقد جاء في الشعر « لشتان ما بين اليزيديين ^(٦) » إلا أن الأُصمعي طعن في فصاحة هذا الشاعر ، وذهب إلى أنه غير محتج بقوله . ورأيت أبا عمرو قد أنشد هذا البيت على وجه القبول له والاستشهاد به . وقد طعن الأُصمعي على غير شاعر قد احتج بهم غيره ، كذى الرمة والكُميت ، فيكون هذا أيضاً مثلهم . انتهى .

ومثله للإمام المرزوقي (في شرح فصيح ثعلب) قال : شتان موضوعٌ

(١) الآية ٤ من سورة الليل .

(٢) من الآية ٦١ من النور و ٦ من الزلزلة .

(٣) تكملة ضرورة ليستقيم الكلام .

(٤) الآية ١٨ من يونس .

(٥) الآية ٧٣ من النحل .

(٦) ش : « شتان ما بين اليزيديين » .

موضعَ تَشَتَّتْ ، وإذا قلتَ شتانَ ما هما ، فما صلةُ أَكَّدَ بها الكلامَ ، وهما في موضعِ الفاعلِ ، ولا يُستغنى بواحد ، لأنَّه وُضِعَ لاثنتينِ فصاعداً ، كما أنَّ تَشَتَّتْ كذلك . والعامَّة تقول : شتانَ ما بينَ فلانَ وفلانَ ، وكثيرٌ من الناسِ يدفعونه ، حتَّى خطأً جماعةً من النحويين ربعةَ الرَّقَى . وله وجهٌ صحيحٌ ، وهو أن يكونَ « ما » لأحوالِ اليزيديين وأوصافهما ، وجعلت ما بعده صلةً له فعرَّفته ، أو صفةً له فنكَّرتَه ، لأنَّه حينئذ يصح دخولُ شتانَ وتَشَتَّتْ عليه . ولا يكونَ لواحدٍ . انتهى .

وهذا مخالفٌ لصنيعِ الشارحِ المحقِّق ، فإنه منع أن تكونَ ما موصولةً مع تفسيرِ شتانَ بما يطلبُ فاعلين ، لأنَّ مشاركةَ اليزيديين في كلٍّ من خَصَّتِي الجودِ والبخلِ ضدُّ مقصودِ الشاعر ، وإنما مراده انفرادُ أحدهما بالجودِ والآخر بالبخلِ . ويدلُّ عليه قوله بعد :

فهمُ الفتى الأزدِيُّ إِتلافُ ماله وهمُ الفتى القَيْسِيُّ جمعُ الدراهم

وهذا مَبْنِيٌّ على أنَّ في البيتِ حذفَ معطوفٍ ، والتقديرُ لشتانَ ما بينَ اليزيديين في التَّدى والبُخلِ ، فيكونُ من قبيلِ قوله تعالى : ﴿ سَرَّايِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾^(١) ، أى والبرد . فإن قلت : يجوزُ أن يشتركا في الندى ، ويكونَ أحدهما في الطرفِ الأعلى منه والآخر في الطرفِ الأسفل ، فلا يكونُ فيه حذفُ معطوفٍ . قلت : هذا أيضاً خلافُ مقصوده . فإنه يريدُ أن يثبتَ صفةَ الجودِ لأحدهما ويثبتَ خلافهاً للآخر ، فلا اشتراكَ لهما في أصلِ الجودِ . ويدلُّ عليه قوله أيضاً :

يزيدُ سليمٌ سالمَ المَالِ ، والفتى أخو الأزدِ للأموالِ غيرُ مسالمٍ

٤٧ فلما رأى الشارح المحقق ما ذكر من منع تفسير شتان بافترق ، حمل شتان على معنى « بُعَدَ » الطالب لفاعل واحد ، وهو :
 إمّا « ما » وتكون عبارة إما عن البون والمسافة . والبون : الفضل والمزية ، وهو مصدرُ بانه يَبُونُهُ بوناً إذا فضّله . وبينهما بون ، أى بين درجتهما وبين اعتبارهما فى الشرف . وأمّا إذا كانا متباعدين بالجسم . فيقال : بينهما بُينٌ بالياء . والمسافة : قَطْع الطريق ، مفعلة من السَّوْف وهو الشَّمُّ ، لأنَّ الدليل يَسُوْفُ ترابَ الموضع الذى يسير فيه ، فإن استأف رائحة أبوال الإبل وأبعارها علم أنه على جادّةٍ ، وإلا فلا . يقال : بينهم مسافة بعيدة . و« ما » فى الحقيقة على هذين الوجهين موصولة ، أى البون الذى بينهما ، أو المسافة التى بينهما .

وإمّا « بينَ » هو الفاعل ، وتكون ما زائدة كما قرره الشارح المحقق . ويؤيده ورودُ « بين » بالنصب فاعلاً لشتان بدون ما . قال حسّان بن ثابت :
 وشتانَ بينكما فى الندى

وفى البأسِ والخيرِ والمنظرِ (١)

وقال آخر :
 أناخِطبُ جَهراً إذْ لَهْنٌ تخافُ

وشتانَ بينَ الجهرِ والمنطقِ الحَفَتِ (٢)

وقال جميل :
 أريدُ صلاحَها وتريدُ قتلى
 وشتناً بينَ قتلى والصِّلاحِ (٣)

(١) من أبيات فى ديوانه ١٨٢ يفضل فيها الحارث بن أوى شمر الغساني على النعمان بن المنذر اللخمي .

(٢) اللسان (خفت ، شتت) .

(٣) ديوان جميل ٥٢ وأمالى القالى ١ : ٢١٦ .

أصله شَتَانٌ وحذفت النون ضرورة . وَعَلَى هذا لا يعتبر حذف معطوف ، كما اعتبر على غير توجيه الشارح المحقق .

ويجوز رفع بين إذا لم يسبقها ما ، وقَدَّمه صاحب القاموس على النصب فقال : وشتان بينهما ، وينصب . وروى أبو زيد (في نوادره) قول الشاعر :
شتان بينهما في كلِّ منزلة

هذا يُخَافُ وهذا يُرْتَجَى أبداً (١)

برفع بين . ثم قال : ومن العرب من ينصب بينهما ، كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٢) .

وبين : لفظ مشترك بين المصدر والظرف ، وهي من الأضداد تكون للوصل والفرقة . قال في القاموس : البين يكون فُرْقَةً ووصلاً ، واسماً وظرفاً متمكناً .

وقول الشارح المحقق ، كما هو مذهب الأخفش ، في قوله تعالى : ﴿ يُفَصِّلُ بَيْنَكُمْ ﴾ (٣) بالبناء للمفعول إمَّا بتشديد الصاد ، وهي قراءة ابن عامر ، وإمَّا بتخفيفها وهي قراءة غيره وغير الأخوين وعاصم . وأمَّا قراءة الأخوين (٤) فهي بالبناء للمعلوم مع تشديد الصاد . وأمَّا قراءة عاصم فهي كذلك مع تخفيفها (٥) .

قال السمين (في الدر المصون) : من بناء للمفعول فالنائب إمَّا ضمير المصدر أو الظرف ، وبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن . أو الظرف وهو باقٍ عَلَى نصبه . انتهى .

(١) لم أجده في نوادر أبي زيد المطبوعة .

(٢) الآية ٩٤ من سورة الإنعام .

(٣) الآية ٣ من الممتحنة .

(٤) الأخوان هما في مصطلح القراء : حمزة والكسائي . انظر جنى الجنتين للمحبي ص ١٨ .

(٥) انظر تفسير أبي حيان ٨ : ٢٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ٤١٤ .

وهذا الأخير هو قول الأخفش .

واعلم أنَّ الشارح المحقق مسبوق بتوجيهه .

أما الأول فقد قال ابن عصفور (في شرح الإيضاح لأبي علي) :
والذى يميز شتان ما بينهما يجعل ^(١) شتان بمنزلة بُعد ، فكما يجوز بُعد ما بين
زيد وعمرو ، كذلك يجوز : شتان ما بين زيد وعمرو .

ومثله لابن السيد (في شرح أدب الكاتب) . قال : كان ربيعة عند
الأصمعي ممن لا يُحتجُّ بشعره . وهذا غلط ^(٢) لأنَّ شتان اسمٌ للفعل يجرى
٤٨ مجراه في العمل ، فلا فرق بين ارتفاع « ما » به في بيت ربيعة ، وارتفاع « اليوم »
في بيت الأعشى ، كما أنك لو قلت : بعد ما بين زيد وعمرو ، لجاز بالاتفاق .
وكذلك قال اللبلى (في شرح فصيح ثعلب) : شتان بمعنى بُعد
وتفرق ، وما بمعنى الذى ، فاعل شتان ، وبين صلة لما .

وأما الثانى فقد قال أبو البقاء : إن جعلت ما زائدة وبين فاعلا وهى
ظرفٌ ، لا تكاد العرب تستعملها كذلك . وإن جعلتها بمعنى الذى ضعف
أيضاً ، لأنَّ المعنى يصير افترق الذى بين زيد وعمرو . وليس المراد ذلك ، بل
المراد افترق زيد وعمرو . ومن أجازاه قال : إن مفارقة زيد وعمرو ليس من جهة
الأشخاص ، بل المراد افتراقهما فى الأخلاق والأحوال ، وهو المعنى بالذى .
انتهى .

وقوله : « لا تكاد العرب تستعملها كذلك » غير مسلم ، فإنه قد قرئ

(١) ط : « يجعل » ، صوابه فى ش .

(٢) وكنا فى الاقتضاب ٣٨٩ . وفى ش : « وهو غلط » .

به في القرآن في عدّة مواضع . وكلامه وإن كان على اعتبار شتان بمعنى ما يقتضى فاعلين إلا أن المنزعين فيه .

وأما إنكار الأصمعيّ شتان ما بينهما فقد قال ابن برى : (في حاشية الصحاح) : ليس بشيء ، لأنّ ذلك قد جاء في أشعار العرب ^(١) ، قال أبو الأسود الدئليّ :

وشتّان ما بيني وبينك ، أننى
على كلّ حالٍ أستقيم وتظلعُ ^(٢)

ومثله قول البعيث :

وشتّان ما بينى وبين ابن خالد
أمية في الرّزق الذى يُتقسّم ^(٣)

وقال آخر :

وشتّان ما بينى وبين رُعاتها
إذا صصر العصفور في الرّطب الثّعديّ ^(٤)

والثّعديّ ، بفتح المثلثة : ما لان من البسر . ويقال شتان بينهما أيضاً بدون ما .

وتقدمت أبياته .

(١) ط : « في أشعار من العرب » ، وأثبت ما في ش .

(٢) ديوان حسان ٥٦ واللسان (شت) .

(٣) اللسان (شت) .

(٤) في النسختين : « دعاتها » بالبدال ، صوابه بالراء كما في اللسان (شت ، ثعد) .

وقد تبع الأصمعيّ في إنكاره جماعةً ، منهم ابن قتيبة (في أدب الكاتب) قال : يقال شتان ما هما ، ولا يقال شتان ما بينهما ، وليس قوله :

* شتان ما بين اليزيديين في النّدى *

بحجّة .

ومنها الأزهريّ (في التهذيب) قال : قول ربيعة ليس بحجّة ، إنّما هو مؤلّد . وأبى الأصمعيّ شتان ما بينهما . قال أبو حاتم : فأنشدته قولَ ربيعة فقال : ليس بفصيح يلتفت إليه .

وقول الشارح المحقق : « وموهمه شيان : أحدهما لغة في شتان وهي كسر النون ^(١) » ، قال الإمام المرزوقي (في شرح فصيح ثعلب) : أصحابنا البصريون لا يُجيزون فيه إلا الفتح ، ولو كان مثني لجاز تأخيره فقليل : زيد وعمرو شتان ، بل كان هو الوجه والترتيب ، ولجاز أن يقلب ألفه في النّصب والجرّ ياء ، وذلك لا يُعرف . ألا ترى أن قولهم سيّان زيد وعمرو ، لما كان مثني سيّ وهو المثل جاز جميع ذلك فيه . انتهى .

وزعم ثعلب (في فصيحه) أن كسر النون هو قول الفراء . ونقل شارحه اللبليّ عن ابن درستويه أن الفراء إنما ذهب إلى الكسر لأنّ المعنى لما كان للاثنتين ظنّ أن شتان مُثْنِي فكسره ، والعرب كلها تفتحه ، والكسر لا يجيزه عربيّ . انتهى .

أقول : الفراء لم يذهب إلى أن النون مكسورة لا غير ، وشتان مثني

(١) الرضى ٢ : ٦٩ . والمراد قول الأصمعيّ . وقبله في الرضى : « وأنكره الأصمعيّ وقال : الشعر مولد . وذلك بناء على مذهبه وهو أن شتان مثني شت ، وهو المتفرق » .

شَتَّ ، وإنما حكى أن كسر النون لغة في فتحها ^(١) . قال : (في تفسيره)
عند قوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ ^(٢) : أنشدني بعضهم :
لشَتَّانِ ما أنوى ويَنوى بنو أئى
جميعاً ، فما هذان مستويان

تَمَنَّوْا لى الموت الذى يَشَعْبُ الفتى
وكلُّ فتى والموت يلتقيان ^(٣)

قال الفراء : يقال شَتَّان ما أنوى بنصب النون وخفضها ، هذا
كلامه ^(٤) .

٤٩

وكذا نقل الصاغاني . (في العباب) عنه أن كسر النون لغة في فتحها
وليس فيه ما زعمه ابن درستويه . وبه يسقط ترديد أئى سهل الهروى ^(٥) (في
شرح الفصيح) حيث قال : وأما على قول الفراء فإنه يجوز أن يكون كسر
النون على أصل التقاء الساكنين ، ويجوز أن يكون أراد ثنية شَتَّ ، وهو
المتفرق . انتهى .

وزعم ابن الأنبارى (في الزاهر) أنه لا يجوز كسر النون في شتان
ما بين أخيك وأبيك ، قال : لأنها رفعت اسما واحداً . ويجوز كسرهما في غيره ،
وهو شَتَّان أخوك وأبوك ، وشَتَّان ما أخوك وأبوك . قال : يجوز في هذا كسر
النون على أنه ثنية شَتَّ . هذا كلامه ، وفيه ما لا يخفى .

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « فتحها » .

(٢) الآية ٣١ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٢٢ .

(٣) نسب في العبنى ١ : ٥٤٣ إلى الفرزدق . وليس في ديوانه .

(٤) تعليق الفراء هذا لم يرد في معانى القرآن ، وأن كان الفراء قد أنشد البيتين شاهدا على رفع
أهل نجد للخبر بعد « ما » فقط .

(٥) ط : « أئى سهيل » تحريف . وهو أبو سهل محمد بن على بن محمد ، نزيل مصر . كان
نحويا ، وكانت له رئاسة المؤذنين بجامع مصر ، وله سنة ٣٧٢ . توفي سنة ٤٣٣ . بغية الوعاة .

وقول الشارح المحقق : « الثاني : أنَّ المرفوع بعده لا يكون إلا مثني أو ماهو بمعنى المثني » إلخ ، أقول : قد ورد المرفوع بعد شتَّان أربعة ، قال لقيط ابن زُرارة :

شتَّانَ هذا ، والعناقُ ، والتَّوَمُ ، والمشرَّبُ الباردُ في ظلِّ الدَّوَمِ

وهذا مما يردُّ على الأصمعي ويؤيد قولَ غيره أنَّ شتان لا يكتفى بواحد ، لأنَّه وضع لاثنين فصاعداً .

وقد أجاز ثعلبُ ما منعه الأصمعي ، قال (في فصيحه) : وتقول شتَّانَ زيدَ وعمرو ، وشتان ما هما ، نون شتَّان مفتوحة . وإن شئت قلت شتَّان ما بينهما . والفراء يخفض نون شتَّان . انتهى .

ومحصَّل الكلام فيها أنَّ شتَّان يكون مرفوعها شيئين ^(١) اتفاقاً ، وأكثر عند غير الأصمعي ، ويكون معهما ما الزائدة وبدونها . والصحيح جواز شتَّان ما بينهما ، خلافاً للأصمعي .

ولم يتعرَّض ابن السراج (في الأصول) لهذا . قال : قولك شتَّان زيد وعمرو ، معناه بُعد ما بين زيد وعمرو جداً . وهو مأخوذ من شتَّ . والتشتيت : التباعد ما بين الشيئين أو الأشياء ، فتقديره تباعد زيد وعمرو . انتهى .

وهي عند الشارح قسمان : أحدهما ما ذكر من أنه لا بُدَّ لها من مرفوعين فصاعداً . والثاني : جواز الاكتفاء بمرفوع واحد . وهو في شتَّان ما بينهما لكونها بمعنى بُعد .

وبقى استعمالها مع « ما » الموصولة بفعل ، ولم يذكره . وهو ما أورده

(١) ش : « شيان » ، صوابه في ط .

الفرء في الشعر المذكور ، وهو « لشتان ما أنوى ^(١) » . وينبغي أن تقدر ما الموصولة في الفعل الثاني ، ليكون مرفوعها شيئين . وهى اسم فعل على الصحيح .

قال ابن عصفور (فى شرح الإيضاح) : وهو ساكن فى الأصل ، إلا أنه حُرِّك لالتقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحةً إتباعاً لما قبلها وطلباً للخفضة ، ولأنه واقع موقع الماضى مبنى على الفتح ، فجعلت حركته كحركته . وزعم المرزوقى والهروى (فى شرح الفصيح) أنها مصدر . قال الأول : شتان مصدر لم يُستعمل فعله . وهو مبنى على الفتح ، لأنه موضوع موضع فعل ماض ، وزيد فاعل له .

وقال الثانى : معنى شتان البعد المفرط بين الشيئين ، وهو اسم وضع موضع الفعل الماضى ، تقديره : شتَّ زيد وعمرو ^(٢) ، أى تشتتا وتفرقا جدا . وسبقهما الزجاج كما نقل الشارح المحقق عنه .

قال ابن عصفور : وزعم الزجاج أنه مصدر واقع موقع الفعل جاء على فعلان فخالف أخواته ، فبنى لذلك .

فإن قيل : لنا فعلان فى المصادر ، قالوا : لوى يلوى ليانا ، وشنته شتانا ^(٣) . وأنت لو وضعت ليانا وشتانا موضع الفعل لبقيا على إعرابهما ولم يُنبيا .

٥٠ . فالجواب : أنهما مصدران قد استعملا بعد فعلهما وتمكنا ، فإذا وقعا موقع فعلهما بقيا على إعرابهما ، وليس كذلك شتان ؛ لأنك لا تقول شتَّ

(١) ط : « شتان ما أنوى » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) وعمرو ، ساقطة من ط ، وقد ألحقت فى هامش ش بخط ناسخها .

(٣) يقال بسكون النون وفتحها أيضا . وقرأ بهما قوله تعالى : « ولا يجرمنكم شتان قوم » .

يُشْتُّ شَتَاتًا ، وإِنَّمَا استعمل في أوَّل أحواله موضوعاً موضع الفعل المبني ، فبني لذلك . انتهى .

قال ناظر الجيش (في شرح التسهيل) : مقتضى هذا الجواب أن تبني المصادر الملتزم لإضمار ناصبها ، كسبحان الله ومعاذ الله . انتهى .

وجوز المازني تنوين شتان ، قال أبو علي (في التذكرة القصرية) : قال أبو عثمان : سبحان وشتان يجوز تنوينهما اسمين كانا ، أو في موضعهما . قال أبو علي : شتان إذا كان في موضعه فهو اسم للفعل وهو شت بمنزلة صه ، فإن نَوْنته فهو نكرة ، وإن لم تنوَّنه فهو معرفة .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكون معرفة وهو بمنزلة شت ، وكذلك صه بمنزلة اسكت ، واسكت وصه لا يجوز أن يكونا معرفة . قيل : لأنَّهما اسمان للفعل وليساً بفعل . فإن نقلت شتان عن أن يكون اسماً للفعل فجعلته اسماً للتشيت معرفة ، وصار بمنزلة :

* سبحان من علقمة الفاخر *

في أنه اسمٌ للتنزيه معرفة جاز . فإن نَوْنته ونونت سبحان هذا تنكّر لأجل التنوين ، وصار بمنزلة زيد من الزيدين إذا نكرت زيدا المعرفة . ويضعف جعل هذه المعرفة نكرة ، لأنَّ المعنى الملقَّب بسبحان وشتان ، شيء واحد لا يصحُّ أن يكون له أمثال من جنسه ، هي تنزيه وتشيت ، وليس كذلك الملقَّب بزيد ، لأنَّه يصحُّ أن يكون له أمثال من جنسه فيقدر زيدا من الزيدين يصحُّ في المعنى ، وتقدير سبحان من أمثاله لا يصحُّ في المعنى . فالجواب أن هذا وإن لم يصحَّ في المعنى فإن تقديرهم له تقدير ما يصحُّ له في هذا المعنى

جائز ، يدلُّ على ذلك أنَّ من قال : هذا ابن عرسٍ مقبلاً ، نَزَلَ الجِنْسَ منزلةً شئاً واحداً ، وإن كان في الحقيقة أشياء ، ثم قال : هذا ابن عرسٍ مقبلاً ، نَزَلَ ما قد نَزَلَهُ منزلةً شئاً واحداً منزلةً أشياء كثيرة . فهذا ابنُ عرسٍ مقبلاً ، بمنزلة زيد من الزيدين منكرًا من هذا ابن عرسٍ مقبلاً . ونظيرُ تلقيب المعنى بسبحان وشتان ، فيمن جعله لقباً للمعنى ، جَعَلَ النَحْوَيْنِ أفعال معرفة في قولهم : أفعال إذا كان وصفاً لا ينصرف ، فيجعلون أفعال معرفةً لقباً للمعنى ، وهو هذا الوزن . فلم يُخْرِجِ النَحْوِيَّونَ بتلقيبهم المعاني عن كلام العرب ، لأنَّها قد لُقِّبَت المعاني كما لُقِّبَت الأشخاص . ونظير ذلك قولهم :

« فحملتُ بَرَّةً واحتملتُ فجارٍ »

وبرَّةً تلقيبُ المعنى ، فلهذا لم يصرفها . انتهى كلام أبنى على ، ولنفاسته سُقْنَاهُ بُرْمَتَهُ .

والبيت الشاهد من قصيدةٍ لربيعة الرِّقْيِ ، مدح بها يزيد بن حاتم صاحب الشاهد المهلبى . وهذه أبياتٌ من أولها :

(حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ

أبيات الشاهد

يَمِينَ امرئٍ آلَى بها غَيْرَ آثِمٍ ^(١)

لَشَتَّانَ ما بين اليزيديين في الندى

يزيدٌ سُليْمٌ والأغرُّ ابنُ حاتمٍ

يزيدٌ سُليْمٌ سالمَ المالِ ، والفتى

أخو الأزْدِ للأموالِ غيرُ مسالِمٍ

(١) الأبيات وخبرها في الأغاني ١٥ : ٢٧ والعقد ١ : ٢٣١ ، ٥/٢٥٤ : ٣٠٥ ووفيات

الأعيان (ترجمة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب) .

فَهَمْ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ إِتْلَافُ مَالِهِ
 وَهُمْ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
 فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّامُ أَتَى هَجْوُهُ
 وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
 فَيَا أَيُّهَا السَّاعِي الَّذِي لَيْسَ مُدْرِكًا
 بِمَسْعَاتِهِ سَعَى الْبَحُورِ الْخَضَارِمِ
 سَعَيْتَ وَلَمْ تُدْرِكْ نَوَالَ ابْنِ حَاتِمٍ
 لِفِكَ أُسِيرَ وَاحْتِمَالِ الْعِظَائِمِ (١)
 كِفَاكَ بِنَاءَ الْمَكْرَمَاتِ ابْنُ حَاتِمٍ
 وَنَمَتْ ، وَمَا الْأَزْدِيُّ عَنْهَا بِنَائِمٍ
 فَيَا ابْنَ أُسَيْدٍ ، لَا تَسَامِ ابْنَ حَاتِمٍ
 فَتَقَرَّعَ إِنْ سَامِيَتَهُ سَنٌّ نَادِمٍ
 هُوَ الْبَحْرُ إِنْ كَلَّفَتْ نَفْسَكَ خَوْضَهُ
 تَهَالَكَتْ فِي أَمْوَاجِهِ الْمُتَلَاطِمِ
 تَمَنَّيْتُ مَجْدًا فِي سُلَيْمٍ سَفَاهَةٍ
 أَمَانِيَّ خَالٍ أَوْ أَمَانِيَّ حَالِمٍ (٢)
 أَلَا إِنَّمَا آلُ الْمَهْلَبِ غُرَّةُ
 وَفِي الْحَرْبِ قَادَاتٌ لَكُمْ بِالْحَزَائِمِ (٣)

٥١

(١) ش : « بفك أسير » . وأثبت ما في ط ووفيات الأعيان .

(٢) الخالئ هنا : الذي يخلو بنفسه ويتأمل . ط : « حال » بالخاء المهملة ، صوابه في ش ووفيات الأعيان . وقد يكون الخال هنا مقلوب خائل ، أى متخيل . اللسان (خيل ٢٤٢) .

(٣) كذا وردت بإهمال هنا وفي الشرح . والوجه « بالحزائم » بالخاء المعجمة كما في الوفيات ،

وانظر حواشي ص ٣٠١ .

هم الأنف والخرطوم ، والناس بعدهم
 مناسيم ، والخرطوم فوق المناسيم
 قضيت لكم آل المهلب بالعلأ
 وتفضيلكم حقاً على كل حاكم
 لكم شيم ليست لخلق سواكم
 سماح وصدق البأس عند الملاجم
 مهينون للأموال فيما ينوبكم
 مناعيش دقاعون عن كل جارم

وقوله : « حلفت يميناً » إلخ ، مثنوية ^(١) : مصدر بمعنى الاستثناء في
 اليمين ، أى حلفت غير مستثنى فى يمينى . وقوله : غير ذى مثنوية ، أى غير
 يمين ذى مثنوية .

وهذا المصراع من شعر للنابغة الذبياني ، وتمامه :

* ولا علم إلاّ حسن ظنّ بصاحب *

وهو من شواهد سيبويه ، وقد شرحناه مع قصيدته فى الشاهد الثالث
 والعشرين بعد المائتين ^(٢) .

وقوله : يمين امرىء ، إلخ مفعول مطلق تشبيهى ، أى كيمين . واليمين :
 القسم ، سُمى بها لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم على يمين

(١) ما بعده إلى « مثنوية » التالية ، ساقط من ش .

(٢) الخزنة ٣ : ٣٢٧ .

صاحبه . قال صاحب المصباح : ويمين الحلف أنثى . قال ابن الأنبارى : ولهذا أعاد الضمير عليها من « بها » مؤنثا . وآلى ، بمعنى أقسم .

وقوله : (لشتان ما بين اليزيديين) إلخ ، اللام في جواب القسم ، وما بعدها أجوابه . قيل : شتان ما بين اليزيديين صار مثلاً في ظهور الفرق . والتدنى : السخاء والجود ، والألف أصلها واو ، لأنه يقال ندوت ^(١) . ويقال سنّ للناس التدنى فندوا بفتح الدال . و (الأغر) من الغرة ، وهو بياض فوق الدرهم في جبهة الفرس . يقال فرسٌ أغرٌ ومهرة غراء ، وقد استعيرت للوضوح والشهرة . وقال في المصباح : ورجلٌ أغرٌ : صبيحٌ أو سيّد قومه .

أما يزيد سليم فهو يزيد بن أسيد بضم الهمزة وفتح السين المهملة ، وينتهى نسبه إلى بُهثة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة ، ابن سليم ، بضم السين ، ابن منصور بن عكرمة بن خصفة ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة ، ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وأما يزيد بن حاتم ، فهو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، وينتهى نسبه إلى الأزد ، وهى قبيلةٌ عظيمة باليمن . وهو جدّ الوزير المهلبى . فإنه أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم . ومات في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة .

وكان السبب في هذه القصيدة أن ربيعة قصد يزيد بن أسيد ، وهو

(١) والتدنى مع ذلك تكتب بالياء غالبا مراعاة للإمالة . انظر اللسان (ندى ١٨٥) . وقد وردت في الأصل مكتوبة بالألف في جميع المواضع ، لكنى أجريتها على الكتابة المألوفة .

يومئذٍ وإل على أرمينية ، وكان قد وليها زماناً طويلاً لأنى جعفر المنصور ، ثم من بعده لولده المهدي . وكان يزيد هذا من أشرف قيس وشجعانهم ، ومن ذوى الآراء الصائبة . ومدحه ربعة بشعر أجاد فيه فقصر يزيد في حقه . ومدح يزيد ابن حاتم فبالغ في الإحسان إليه ، فقال ربعة هذه القصيدة يفضل يزيد بن حاتم على يزيد بن أسيد . وكان في لسان يزيد بن أسيد تمتمة ، فعرض بذكرها : « فلا يحسب التمام أنى هجوته » . كذا في تاريخ ابن خلكان .

قال صاحب المصباح : وتمم الرجل تمتمة ، إذا تردّد في التاء ، فهو تتمام بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذى يَعَجَل في الكلام ولا يفهمك .

وقال ابن عبد ربه (في ثلاثة مواضع من العقد الفريد ^(١)) : مدح ربعة الرقى يزيد بن أسيد السلمى ، فلم يُعطه شيئاً ، ثم عطف على يزيد بن حاتم وهو والى مصر ومدحه ، فتشاغل عنه في بعض الأمور ، واستبطأه ربعة فشخص من مصر وقال :

أُرانى ولا كُفرانَ لله راجعاً

يُخْفى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فأرسل في طلبه ، فلمّا دخل عليه قال له : أنت القائل :

أُرانى ولا كُفرانَ لله راجعاً البيت

قال : نعم . قال : هل قلت غير هذا ؟ قال : لا . قال : والله لترجعن

يُخَفِّي حَنِينَ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا ^(١) . فَأَمَرَ بِخَلْعِ حُفْيِهِ وَأَنْ تُمْلَكَا ^(٢) دَنَانِيرَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَصْلِحْ مَا أَفْسَدْتَ مِنْ قَوْلِكَ . فَقَالَ فِيهِ لَمَّا عَزَلَ مِنْ مِصْرَ وَوَلَّى مَكَانَهُ يَزِيدُ بْنُ أَسِيدٍ السَّلْمِيُّ :

بِكَى أَهْلُ مِصْرَ بِالذُّمُوعِ السَّوَاجِمِ غَدَاةَ غَدَا مِنْهَا الْأَعْرُ بْنُ حَاتِمٍ
وَفِيهَا يَقُولُ :

لِشَّتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدِيِّينَ فِي النَّدَى يَزِيدُ سَلِيمٌ وَالْأَعْرُ بْنُ حَاتِمٍ
مَعَ أَيْبَاتٍ ثَلَاثَةَ بَعْدَهُ . وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ جَوَادًا سَرِيًّا مَقْصُودًا
مَمْدُوحًا ^(٣) . قَصَدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : كَتَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَسْتَوْصِلُهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ
ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ ^(٤) إِلَيْكَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا
لَا أَكْثَرَهَا امْتِنَانًا ، وَلَا أَقَلَّهَا تَحْقِيرًا ، وَلَا أَسْتَشِيكَ عَلَيْهَا ثَنَاءً ، وَلَا أَقْطَعُ لَكَ بِهَا
رِجَاءً . وَالسَّلَامُ .

وَقَالَ ابْنُ بَخْلُكَانَ : ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ
أَبَا جَعْفَرَ الْمَنْصُورَ عَزَلَ حُمَيْدَ بْنَ قَحْطَبَةَ عَنْ وِلَايَةِ مِصْرَ ؛ فَوَلَّاهَا نُوْفَلَ بْنَ

(١) وَكَذَا فِي الْعَقْدِ ١ : ٣٢٢ وَفِيهِ « مَمْلُوءَةٌ مَالًا » . لَكِنْ فِي ٥ : ٣٠٥ : « مَمْلُوءَتَيْنِ مَالًا » .
وَالْخَفِّ مَذْكُورٌ ، وَمِنْهُ : « فَأَتَى عَبْدَ الْمُطَلِّبِ وَعَلِيَهُ خِفَانُ أَحْمَرَانِ » . وَيَبْدُو أَنَّهَا تَوَثَّتْ حَمَلًا عَلَى « النَّعْلِ »
وَالنَّعْلِ مُوَثَّةٌ .

(٢) كَذَا فِي ط وَالْعَقْدِ ، وَفِيهِ : « وَإِنْ تَمْلِكَا لَهُ مَالًا » لَكِنْ فِي ش : « يَمْلِكَا » بِالْيَاءِ .

(٣) ش : « مَمْدُوحًا » . لَكِنْ مَا أُثْبِتَ مِنْ ط يَطَابِقُ مَا فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « أَمَّا بَعْدُ بَعَثْتُ » ، وَالتَّكْمِلَةُ مِنَ الْعَقْدِ ١ : ٣٠٦ .

الفرات ، ثم عزله وولّى يزيد بن حاتم ، وذلك فى سنة ثلاث وأربعين ومائة . ثم إنَّ المنصور عزله عن مصر فى سنة اثنتين وخمسين ومائة ، وجعل مكانه محمد ابن سعيد . انتهى .

وهذا لا يوافق ما قاله ابن عبد ربه .

وقيل : تولى بعده ^(١) عبد الله بن عبد الرحمن من قبل المنصور . ولم أر ما قاله ابن عبد ربه ^(٢) .

ثم قال ابن خلكان : وقال ابن يونس (فى تاريخه) : ولى يزيد بن حاتم مصر فى سنة أربع وأربعين ومائة . وزاد غيره : فى منتصف ذى القعدة . ثم إنَّ المنصور خرج إلى الشام وإلى زيارة بيت المقدس فى سنة أربع وخمسين ومائة ، ومن هناك سير يزيد بن حاتم إلى إفريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر ابن حفص ، وجهز معه خمسين ألف مقاتل ، واستقرّ والياً ، وكان وصوله إليها واستظهاره على الخوارج فى سنة خمس وخمسين .

ولمّا عقد المنصور ليزيد المهلبى على بلاد إفريقية ، وليزيد السلمى المذكور على ديار مصر خرجا معاً ^(٣) ، وكان يزيد المهلبى يقوم بكفاية الجيشين ، فقال ربيعة الرقى :

(١) ش : « بعد » صوابه فى ط . والبغدادى يناقش ما ورد فى العقد من أن الذى جاء بعد يزيد ابن حاتم فى الولاية هو يزيد بن أسيد السلمى . فإنَّ هذا معارض بما ذكر الطبرى أن الذى جاء بعده هو محمد بن سعيد ، وفى قول آخر أنه عبد الله عبد الرحمن .

(٢) أى لم يجد أحداً ذكر ما أورده ، غيره .

(٣) فى النسختين : « معه » ، والصواب من وفيات الأعيان .

٥٣

يزيد الخير إنَّ يزيدَ قومي سَمِيكَ لا يجود كما تجودُ
تقود كتيبةً ويقود أخرى فترزُق من تقود ومن يقودُ

وقدِم أشعْبُ المشهور في الطمع على يزيدَ وهو بمصر ، فجلس
بمجلسه ، ودعا بعلامه فسارَه ، فقام أشعْب فقبل يده ، فقال له يزيد : لم
فعلت هذا ؟ فقال : إنَّي رأيتك تسارِرُ غلامك فظننتُ أنك قد أمرتَ لي
بشيء ! فضحك منه وقال : ما فعلتُ ولكنِّي أفعل . ووصله وأحسنَ إليه .
وقدم عليه بمصر أبو عُبيد الله محمد بن مسلم ، الشهير بابن المولَى ،
وأنشده :

يا واحدَ العُربِ الذي أضحى وليس له نظيرُ
لو كان مثلكَ آخَرُ ما كانَ في الدُّنيا فقيرُ

فدعا يزيد بخازنه . وقال : كم في بيت مالى ؟ قال : فيه من العين
والورق ما مبلغه عشرون ألف دينار . فقال : ادفعها إليه . ثم قال : يا أخى ،
المعذرةُ إلى الله تعالى وإليك ، والله لو أن في ملكي غيرها ما ادَّخرته عنك .
وقال الطرطوشى ^(١) (في كتاب سراج الملوك) : قال سُحنون ^(٢) :

(١) نسبة إلى طرطوشة ، بضم أوله وقد يفتح : مدينة بالأندلس ، كما في القاموس . واقتصر في
معجم البلدان على أنها بالفتح . وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى ، رحل إلى
المشرق ودخل بغداد والبصرة والشام ، ثم نزل الإسكندرية واستوطنها . وتوفى سنة ٥٢٠ .
(٢) سحنون ، بضم السين ، وأصله اسم طائر . وفي تاج العروس أنَّ سيده قد تفتح . وهو
سحنون بن سعد الإفريقى ، من أئمة المالكية ، جالس مالكا مدة ، ثم قدم بمذهبه إلى إفريقية فأظهره
فيها . وتوفى سنة ٢٤١ .

كان يزيد بن حاتم يقول : والله ما هبْتُ شيئاً قطُّ هبتي لرجل ظلمته وأنا لا أعلم ، وليس له ناصر إلا الله تعالى ، فيقول : حسبك الله ، الله بيني وبينك ! وذكر أبو سعيد السمعاني (في كتاب الأنساب) أن المسهر التميمي الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بإفريقية ، فأنشده :

إليك قصرنا النصف من صلواتنا

مسيرة شهر ثم شهر نواصلة

فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا

لديك ولكن أهنا البر عاجله

فأمر يزيد بوضع العطاء في جُنده وكان معه خمسون ألف مرتزق ، فقال : من أحب أن يسرني فليضع لزازري هذا من عطائه درهمين . فاجتمع له مائة ألف درهم ، وضمَّ يزيد إلى ذلك مائة ألف درهم أخرى ودفعها إليه .

ولما كان يزيد والياً بإفريقية كان أخوه روح بن حاتم والياً في السند ، وولى خمسة من الخلفاء : أئى العباس السفاح ، والمنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشد ، فقال أهل إفريقية : ما أبعد ما بين هذين الأخوين ، فإنَّ يزيد هنا وأخاه روحاً في السند . فلما توفي يزيد بإفريقية يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة ، وكان والياً فيها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، فاتفق أن الرشيد عزل روحاً عن السند وسيَّره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل إلى إفريقية في أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ، ولم يزل والياً عليها إلى أن توفى بها لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر

رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، ودفن في قبر أخيه يزيد . فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد .

تمة

قال الصولى (فى كتاب الأنواع) : حدثنا أبو العباس محمد الجُبَّائى قال : أنشدنا بكر المازنى ^(١) لربيعه بن ثابت الرقى ، يمدح يزيد بن حاتم المهلبى ويهجو يزيد بن أسيد السلمى :

لشَتَان ما بين اليزيديين فى الندى البيت

وبعده الأبيات الثلاثة . قال : بلغ هذا الشعر أبا الشمقمق ، واسمه

مروان ، فقال يفضل يزيد بن مزيد الشيبانى على يزيد المهلبى :

لشَتَان ما بين اليزيديين فى الندى

إذا عُدَّ فى الناس المكارم والحمدُ

يزيد بنى شيبان أكرم منهما

وإن غضبت قيس بن عيلان والأزدُ

انتهى .

ويزيد هذا هو ابن مَزِيد بن زائدة ، وهو ابن أخى معن بن زائدة الشيبانى . وكان يزيد هذا من الأمراء المشهورين ، والشُّجعان المعروفين ، وكان واليا بأرمينية ، فعزله عنها الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم ولَّاه إياها وضم إليها أذربيجان فى سنة ثلاث وثمانين . وهو من الأجواد ، وقد قصده الشعراء من سائر النواحي ، وأجاد صلاتهم .

يزيد بن مزيد

(١) هو بكر بن محمد بن بقية ، أبو عثمان المازنى ، المتوفى سنة ٢٤٩ .

وقد أطلال ترجمته ابن خلكان .

وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة ، ورثاه أبو الشمقمق ، ومسلم بن الوليد ، وأبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي المشهور ، وغيرهم .

ورأيت في (رسائل صاحب بن عباد) رسالة مُداعبة ، جمع فيها نظائر هذا الشعر ، وهي رسالة جيدة أحببت أن أورها هنا وهي :

أبو الفرج عباد بن المطهر أعزه الله ، يزعم أن الشيخ الأمين ^(١) رضى الله عنه سمّاه عبّادا . والناس يروون :

لشتان بين اليزيديين في الندى

يزيد سليم والأعرج بن حاتم

وفيه من لا يعلم أنه لربيعه الرقي ، ولا أن اليزيديين : يزيد بن حاتم المهلبى وهو الممدوح ، ويزيد بن أسيد وهو المذموم . وكما لا يدري أن الشعر بلغ أبا الشمقمق فقال ، وفضل عليهما يزيد بن مزيد الشيباني :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى

إذا عُدَّ في الناس المكارم والحمد

يزيد بنى شيان أكرم منهما

وإن غضبت قيس بن عيلان والأزد

وقد قال الآخر :

يزيد الخير إن يزيد قومي

سميك لا يزيد كما تزيد

(١) الذى فى رسائل 'صاحب ١٥٩ : « أن الشيخ الأمير » .

وَيَذْكُرُنِي مَوْلَايَ أَنَّهُ أَتَشِدُّ كَثِيرًا لِأَيِّ الْهَوْلِ الْحَمِيرِي ، فِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَالْبُرْمَكِيِّ :

فَضْلَانِ ضَمَّهُمَا اسْمٌ وَشَتَّ الْأَخْبَارِ (١)

كَأَسْمَعْنِي أَتَشِدُّ لِبَشَّارٍ :

رَأَيْتَ السُّهَيْلِينَ اسْتَوَى الْجُودُ فِيهَا

عَلَى بَعْدِ ذَا مِنْ ذَاكَ فِي حَكْمِ حَاكِمٍ

سُهَيْلِ بْنِ عَثْمَانَ يَجُودُ بِمَالِهِ

كَأَجَادَ بِالْفَعْلِ سُهَيْلُ بْنُ سَالِمٍ (٢)

وَمِنَ الْمَبْتَذِلِ فِي هَذَا :

شَتَّانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ

حَتَّى أَمَاتَ وَمَيِّتَ أَحْيَانِي

وَالْمُحَمَّدَانِ : مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ زِيَادٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ . وَلَا أَحْسِبُ عِبَادًا هَذَا يَعُدُّ مَا قَلَّتْهُ تَفْضِيلًا لِعَبَادِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ ، وَإِضَافَةً لَهُ إِلَيْهِ ، وَلَا أَنْ يَقُولَ كَمَا قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ : أَشَدُّ الْهَجَاءِ الْهَجَاءُ بِالْتَفْضِيلِ . وَذَلِكَ كَمَا قَالَ صَدِيقُ مَوْلَايَ الْقَرِيبِ ، وَابْنُ عَمَّتِهِ النَّسِيبِ ، الْفَرَزْدَقُ بْنُ غَالِبٍ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : أَنْزِلْ عَلَى أَيْ قَطْنٍ قَبِيصَةً ، فَحَسِبَهُ ابْنُ مَخَارِقِ الْهَلَالِي ، فَإِذَا هُوَ آخِرُ لَا يَحْضُرُنِي نُسْبُهُ (٣) وَذَمَّ قِرَاهُ وَجَوَارَهُ ، فَقَالَ :

(١) وَرَدَ فِي النُّسخَتَيْنِ عَلَى أَنَّهُ نَثَرٌ . وَهُوَ بَيْتٌ مِنْ مَجْزُوءِ الْمُحْتَثِ .

(٢) الْفَعْلُ ، بِالْفَتْحِ : كِتَابَةٌ عَنِ الْوُجَعَاءِ ، وَهِيَ الدَّبَرُ ، قَصْرُ وَزْنِهَا لِلشَّعْرِ ، وَفِي الْأَغَانِي ٣ :

٢٦ : « بِالْوُجَعَاءِ » . وَفِي الرِّسَالَةِ :

« كَمَا جَاءَ بِالْفَعْلَاءِ سُهَيْلُ بْنُ سَالِمٍ » .

وَمَا هُنَا صَوَابُهُ .

(٣) وَكَذَا فِي دِيْوَانِ الْفَرَزْدَقِ ٥٨٧ ، فِي حَوَاشِيهِ : « أَرَادَ قَبِيصَةَ ابْنِ مَخَارِقِ الْهَلَالِي ، فَعَلَطَ فَنَزَلَ

عَلَى قَبِيصَةِ آخَرٍ غَيْرِ هَذَا الْهَلَالِي » . وَانْظُرْ لِقَبِيصَةِ جَهْمَةَ ابْنِ حَزْمٍ ٢٧٣ .

سَرَّتْ ماسرت من ليلها ثم وافقت
أبا قطن ليس الذى لخارق ^(١)
وقد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى
كثيراً ، ولكن لا تلاقى الخلائق
فأما التفضيل الذى أومأت إليه فقد أعجبني منه أن الحطيئة قال : ٢٥
فلما أن مدحتُ القوم قلتم
هجوْتُ ، وهل يحل لى الهجاء
فلم أشتم لكم حسباً ولكن
حدوتُ بحيث يُسمع الحداء
حتى زعم بعضهم عن الزبرقان أن هذا أوجعُ له من قوله :
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى
وعلى ذكر هذا البيت فلا أدري لم ترك ما قيل قبله . فقد سبق الأعشى
بقوله :
فدعنا وقوماً إن هم عمدوا لنا
أبا ثابت ، واجلس فإنك طاعم ^(٢)

(١) فى الديوان : « ثم وافقت أبا قطن غير الذى لخارق » . وفى البيت الثانى من هذين البيتين إقواء . وبينهما فى الديوان :

فباتت وبات الظل يضرب رحلها موافقة ياليتها لم توافق

(٢) فى النسختين : « إنهم عمدوا لنا » صوابه فى رسائل الصاحب ١٦١ وديوان الأعشى ٥٨ . وفى الديوان : « وذرنا وقوما » . وأبو ثابت كنيته يزيد بن مسهر الشيبانى ، الذى هجاه الأعشى بقصيدة هذا البيت .

لست أدري ، أيدَّ الله مولاي ، ما هذا الوسواس الخناس ، الذى
يوسوس فى صدور الناس . وإثما حضر هذا الفتى وله حقُّ العُربة وأعظمُ به
حقًا ، ثم حقُّ الأدب وأكريمُ به فخرا ، وقد خدمني طفلا ، والآن كهلا ،
وهاجر إليّ ، فتظاهرت حُرُماته لدى . وهذه التسمية أيضاً لها ذِمَامٌ يُرعى ،
وذِمَارٌ لا يُنسَى ، وسألنى أن أناطبَ مولاي فى بابِه ، وأُسميه ^(١) فى مرعى
جنابه ، وتصوّر لى الأنسُ بمطاولة مولاي ؛ وحسبْتُنى أناجيه عن قرب كما أنا
مكاتبه عن بعد ، فلجَّ الطبعُ والقلم ، وحضرت هذه الأبيات والعبر ، ومولاي
ولّى ما يوليه ، ويختصُّه بالجميل فيه ، فقد كان أبو عيسى التُّوشْجَانِي
عبد المسيح ^(٢) أنشدَ والدى :

وإنَّ ائتلاف النفس أدنى قرابةً

لمن يدعى القرى إذا كان ظالما

انتهى . وقوله : وقد قال الآخر :

يزيدُ الخير إنَّ يزيدَ قومي البيت

هذا سهوٌ منه فى زعمه أنَّه لغير ربيعة ، والصواب أنه له كما نقلناه .

وقوله : « بمسعاته سَعَى البحور الخضارم » ، المَسْعَاة : مصدر ميمى ،
وهو السعى . والخضارم بالفتح : جمع خِضْرَم ، بكسر الخاء وسكون الضاد
المعجمتين وكسر الراء : الواسع الكثير .

(١) ط : « وأسميه » ، صوابه فى ش ورسائل صاحب .

(٢) فى رسائل صاحب : « أبو عيسى التوشجان بن عبد المسيح » .

وقوله : « بالحَزَائِم » جمع حِزَام ، مستعار من حزام الدابة . أراد أنهم متشَبِّهون للحرب ^(١) .

وقوله : « هم الأنف والخرطوم » ، هو بالضم : الأنف . وخرطوم القوم : سيدهم . والمناسم : جمع منسيم بفتح الميم وكسر السين ، وهو خف البعير .

والملاحم : جمع ملحمة ، بفتح الميم والحاء ، وهى الوقعة العظيمة فى الفتنة .

والمناعيش : جمع منعاش مبالغة ناعش ، كمنحار مبالغة ناجر ، من نعشه ينعشه بفتح العين فهما نعشاً بسكونها ، إذا رفعه من سقطته . والجارم : الكاسب الفقير ، من جرم يجرم كضرب يضرب .

وربيعة الرق هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت ، من موالى سليم . ويدل عليه ربيعة الرق قوله :

* يزيد الخير إن يزيد قومى *

وقال محمد بن معاوية الأسدى : هو من بني جذيمة بن مالك بن نصر ابن قعين . وهو شاعر مطبوع . قال دِغْبِل بن عُلَى الحُزَاعى : قلت لمروان بن أبى خفصة : يا أبا السَّمْط من أشعركم جماعة المحدثين ؟ قال : أشعرتنا أسيرنا بيتاً ^(٢) . قلت : من هو ؟ قال : الذى يقول :

(١) كذا قيد التفسير هنا رواية (الحزائم) فى البيت ١٢ من قصيدة ربيعة الرق السابقة ، لكن فى الوفيات : « قادات لكم بالحزائم » وأرى أنها صواب الرواية ، فالحزائم جمع خزامة ، وهى حلقة من شعر تجعل فى وتره أنف البعير يشد بها الزمام . وفى الحديث : « ومرهم أن يعطوا القرآن بخزائهم » ، يراد به الانقياد لحكم القرآن وإلقاء الأزمة اليه ، كما يؤخذ البعير بخزامته . وانظر اللسان (خز) . والبيت لم يرد فى العقد ولا فى الأغانى .

(٢) ط : « أشعرتنا بيتا » ، وفى ش مع أثر تصحيح : « أسيرنا بيتا » ، وإكمال الكلام وتصحيحه من ضوء الأغانى ١٥ : ٣٧ ففيها « أشعرتنا أسيرنا بيت » ، وفيه تحريف كما ترى .

لشتان ما بين اليزيديين في الندى

يزيد سُلَيْم والأَعْرُ ابنُ حاتم

وَالرَّقِيُّ : منسوب إلى رَقَّة ، بفتح الراء وتشديد القاف ، وهي مدينة ،
٥٦ ومعناها في اللغة كُلُّ أرض إلى جنب وادٍ ، ينبسط عليها الماء أيام المدِّ ثم
ينحسر عنها فتكون جيِّدة النبات ، والجمع رقاق .

قال ياقوت (في معجم البلدان) : الرَّقَّة : مدينة مشهورة على
الفرات ، بينها وبين حَرَّان ثلاثة أيام ؛ معدودة في بلاد الجزيرة ، لأنها من
جانب الفرات الشرقي . ويقال الرقة البيضاء ^(١) ، وهي من الإقليم الرابع .
ووصفها ربعة الرَّقِيُّ بقوله :

حَبْدًا الرقة داراً وبلدٌ ساكنه ممن تَوَدُّ ^(٢)
ما رأينا بلدةً تعدُّها لا ، ولا أخبرنا عنها أحد
إنَّها بَرِّيَّةٌ بَحْرِيَّةٌ سُورُها بحرٌ وَسُورٌ في الجَدِّ
يَسْمَعُ الصُّلُصَلُ في أشجارها هدهدُ البر ، ومُكَّاءٌ غِرْدُ ^(٣)
لم تُضْمَنْ بلدةٌ ما ضُمَّنَتْ من جمالٍ ، في قریش وأسد

وكان بالجانب الغربي مدينة أخرى تعرف برَقَّة واسط ، كان بها قصران
لهشام بن عبد الملك ، كانا على طريق رُصافة هشام . وأسفل من الرقة
بفرسخ الرَّقَّة السوداء ، وهي قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . والرَّقَّة أيضاً :

(١) في معجم البلدان : « ويقال لها الرقة البيضاء » .

(٢) ش : « دار وبلد » . وفي معجم البلدان : « دار أو بلد » .

(٣) الصلصل بضم الصادين : طائر تسميه العجم الفاختة . غنى تجارب الطير في أرجائها .

البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد ^(١) ، وهي بالجانب الغربى ، وهو عظيمٌ جداً جليل القدر .

وأطب يا قوت فى وصفها .

تتمة

قد تقدّم بيتان هما من شواهد النحويين ، وأوردهما الرمخسرى (فى مَفَصَّلَه) ، أما الأول فهو :

شَتَان ما يومى على كُورها ويوم حَيَّانَ أخى جابر

وهو من قصيدة للأعشى ميمون ، قد شرحنا بعض أبياتها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائتين ^(٢) .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : حَيَّان وجابر ابنا عُميرة من بنى حنيفة ^(٣) ، وكان حَيَّان نديماً للأعشى . يقول : يومى على كُور هذه الناقة ، بالضم ، وهو الرجل ، ويومى مع حَيَّان أخى جابر ، مختلفان لا يستويان ؛ لأنَّ أحدهما يومُ سفر وتعب ؛ والثانى يوم لهُو وطرب . روى أنَّ حَيَّانَ كان سيِّداً أفضلَ من أخيه جابر ، فلما أضافه إلى جابر غضب وقال : عَرَفْتَنى بأخى وجعلته أشهرَ مِنى ، والله لا نادمُك أبداً ! فقال له الأعشى : اضطررتنى القافية ! فلم يعذره . انتهى .

وقد غلط الأندلسى (فى شرح المفضل) فقال : الأخ يقال له جابر ،

(١) فى النسختين : « بغداد » ، والوجه ما أثبت من معجم البلدان .

(٢) الخزائن ٣ : ٣٩٧ .

(٣) فى الاقتضاب ٣٨٨ : « حيان وجابر : رجلا من بنى حنيفة » .

يقول : كنا نشرب مع جابر . وهذا غلطٌ ظاهر ، يلزم منه أن يكون حيّان وجابر مبينين للأخ . وهذا محال .

وقال الخوارزمي : يقول : كنا نشرب ونتنعم مع جابر ، وكان فيما يقال ملكا يختص بأبي حيّان ^(١) ، لأنه نديمه .

هذا كلامه ؛ ونقله بعض فضلاء العجم (في أبيات المفصل) . وهذا غير صحيح أيضاً ؛ لأنه يصف حيّان ويذكر عيشه معه ^(٢) ؛ ولم يكن يشرب مع جابر ، وإنما ^(٣) كان نديمه حيّان .

وقد وقع في شعر حسن نظير ما وقع للأعشى من تعريف المشهور بالخامل ؛ قال في رثاء جعفر أخى على بن أبى طالب رضى الله عنهما :
وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائهم عزّ لا تُرام ومفخر ^(٤)
بهاليل منهم جعفر وابن أمّه عليّ ، ومنهم أحمد المتخير

البهايل : جمع بهلول بالضم ، وهو السيّد الوضئ الوجه ، الطويل القامة . والمتخير : المنتخب . وقوله : « منهم أحمد المتخير » قد عابه بعض الناس لما أضاف أحمد المتخير إليهم ، وليس هذا بعيب ، لأنها ليست بإضافة تعريف ، وإنما هذا تعريف لهم حيث كان منهم . وإنما ظهر العيب في قول أبى نواس من قصيدة مدح بها العباس بن عبيد الله ^(٥) بن أبى جعفر المنصور :

(١) ش : « يحسن بأبى حيّان » ، تحريف . على أن كلمة « أبى » مقحمة ، فإن الرجل حيّان لا أبو حيّان .

(٢) ط : « عيلته معه » ، وأثبت ما في ش .

(٣) ش : « إنما » بدون واو .

(٤) ديوان حسان ١٨٠ .

(٥) في السختين : « بن عبيد » ، وأثبت ما في ديوان أبى نواس ٦٦ . وفي أمالي ابن الشجري

٢ : ٣٥٣ : « العباس بن عبد الله بن جعفر بن جعفر بن المنصور » .

كيف لا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ

لأنَّهُ ذَكَرَ وَاحِداً وَأَضَافَ إِلَيْهِ ، فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ مَا عِيبَ عَلَى الْأَعْشَى .

قال السهيلي (في الروض الأنف) : وجدت في رسالة لمهلهل بن يموت

ابن المزروع قال : قال علي بن الأصغر ، وكان من رُواة أبي نواس ، قال : لَمَّا
عمل أبو نواس :

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عُفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلٍ وَلَا سَمَرِهِ

أَنشَدْنِيهَا ، فلما بلغ قوله « مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ » وقع لي أَنَّهُ كلامٌ

مستَهْجَنٌ ، في غير موضعه ، إذ كان حقُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يضاف إليه
ولا يضاف إلى أحد . فقلت له : أعرفت عيب هذا البيت ؟ فقال : ما يعيبه
إِلَّا جَاهِلٌ بِكَلَامِ الْعَرَبِ ، إنما أردت أن رسول اللَّهِ ﷺ من القبيل الذي هذا
الممدوح منه ، أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر الإسلام : « ومنهم أحمد
المتخير » ؟! وأنشد البيتين .

ورأيت هذه الحكاية في آخر ديوان أبي نواس ، في الباب الخامس

عشر ، أوردها حمزة بن الحسن الأصفهاني فيما دوَّنه من شعر أبي نواس .

وأما الثاني فهو :

شَتَانٌ هَذَا وَالْعَنَاقُ وَالنَّوْمُ وَالْمَشْرَبُ الْبَارِدُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ

وهو للقيط بن زُرارة بن عُدُس بن تميم ، ويكنى أبا دَخْتَنُوسَ ، وهي

بنته ، وأبا نهشل أيضاً . وأخوه حاجب بن زُرارة صاحبُ القوس التي يقال لها

قوس حاجب . أنشده المبرد في المقتضب ^(١) ، وأنشده :

* والمشرّب الدائم في الظلّ الدوم *

جعل المبرد المصدر في هذا الموضع موضع الوصف ، أى الدائم .
وأنشد غيره : « في ظلّ الدوم » على الإضافة . والدوم : شجر المُقل . وهذه
رواية أنى عبيدة . قال الأصمعي : قد أحال ابن الحائك ، لأنه ليس بنجد ^(٢)
دوم ، وإنما الرواية : « في الظلّ الدوم » ، أى الدائم .

قال الخوارزمي : مَنْ أنكر على من روى « ظلّ الدوم » قال : أى ظلّ
يكون للدوم ، وهو شجر المقل . ولا يخفى أنّ المنكر هو الأصمعي ، وإنما
أنكره لأن الدوم ليس مما ينبت في بلاد الشاعر ، لا لما ذكره ، وأما شجر
المقلّ فله ظلّ قطعاً .

وقوله : شتانَ هذا ، إسم الإشارة راجعٌ إلى الأمر الذى استصعبه
الشاعر من الحال . والعناق : المعانقة . والمعنى افترق هذا ، أى ما أنا فيه من
التعب ، والمعانقة والنوم والراحة والماء العذب فى ظلّ هذا الشجر ، أو فى الظلّ
الدائم . وقبله :

يا قوم قد حرّقتمونى باللّوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

وقد أرخينا هنا عنان القلم فجرى فى ميدان الطُروس ، فأنى بما يُبهج
النفوس . وقد بقيت أشياء تركناها خشية السامة ، واتقاء الملامة ، كالكلام
على تشية العلم فى اليزيديين ، فإنّ ابن جنى قد حقّق ما يتعلق به (فى سِرِّ
الصناعة) . وإن ظهر لنا موضعٌ يناسبه أوردناه فيه إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) المقتضب ٤ : ٣٠٥ .

(٢) لأنه ليس ، ساقطتان من ش .

وأنشد بعده . وهو الشاهد الخامس والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٤٦٥ (قالت له ريح الصبا : قَرَقَرِ)

على أن الأكثرين قالوا : لم يأت اسمُ فعل من الرباعي إلا كلمتان ، إحداهما قرقار .

قال سيبويه : وأما ما جاء معدولاً عن حده من بنات الأربعة فقوله :

« قالت له ريح الصبا : قَرَقَرِ »

فإنما يريد بذلك قالت له : قَرَقَرْ بالرَّعد يا سحاب . وكذلك عَرعارِ وهى بمنزلة قرقار ، وهى لُعبة ، وإنما هى من عَرَعَرْتُ . ونظيرها من الثلاثة : نَحراج ، أى اخرجوا ؛ وهى لُعبة أيضا . انتهى .

قال الأَعلم : قرقار : اسمٌ لقولك قرقر ، كما أن نزال اسم لقولك انزل . وحقُّ هذا المعدول أن يكون فى باب الثلاثى خاصّة ، فهو على طريق الشذوذ والخروج عن النظائر . وصَفَ سَحَاباً هبّت له ريح الصبا فألقَحَتْه ، وهَيَّجَتْ رَعْدُهُ ، فكأنه قالت له : قَرَقَرْ بالرَّعد ، أى صَوْتُ . والقرقرة : صوت الفحل من الإبل . وقد خولف سيبويه فى حمل قرقار وعَرعار على العدل ، لخروجهما عن الثلاثى الذى هو الباب المطرّد ، وجُعلا حكايةً للصوت المردّد ، دون أن يكونا معدولين عن شيء . انتهى .

(١) فى كتابه ٢ : ٤٠ . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥١ والأشعوى واللسان (قرر ٣٩٩) .

أقول : المخالف هو المبرد ، قال : غلط سيبويه ، ولم يأت في الأربعة معدول ، إنما أتى في الثلاثي وحده . وقرقار وعرعار حكاية صوت نحو غاق غاق . قال السيرافي : والقول ما ذهب إليه سيبويه ، لأن حكاية الصوت لا يخالف فيها أوّل ثانيا ، نحو : غاق غاق . وقد يصرفون الفعل من صوت المكرر ، نحو قرقرت من قار قار ، وعرعرت من عار عار ، يصيرون به إلى وزن الفعل . فلمّا خالف اللفظ الأوّل الثانی علمنا أنه محمول على قرقر وعرعر ، لا على حكاية قار قار وعر عار . انتهى .

وقال أبو حيان (في شرح التسهيل) بعد ما ذكر أنّ المبرد غلّطه : ومما يقوّى ما ذهب إليه سيبويه وجود مثل قرقار اسم فعل في غير الأمر ، وحكى ابن كيسان أنّه يقال همّهم ، وحمّحم ، وهجّهاج ، وبجّاج ، أى لم يبق شيء . وأنشد :

ما كان إلّا كاصطفاف الأقدام

حتّى أتيناهم فقالوا همّهم

انتهى .

ولم يذكر صاحب الصحاح إلا همهم عن اللحياني ، قال : سمعت أعرابيا من بني عامر يقول : إذا قيل لنا : أبقى عندكم شيء ؟ نقول : همهم ، أى لم يبق شيء . وأنشد هذا الشعر .

وزاد الصاغاني (في العباب) على هذه الألفاظ : ددعاع ، وقال : قرقار بنى على الكسر وهو معدول ، والعدل في الرباعي عزيز ، كعرعار وهمهم وهجهاج وبجهاج وددعاع . قال أبو النجم يصف سحابا :

(حتى إذا كان على مُطَارٍ يُمناه ، واليسرى على الثَّارِ
 قالت له ريح الصَّبَا : قَرَارٍ تَمْرِي خَلَايا هَزِيمِ نَثَارِ
 بينَ مَشَايِعَ له دُرَّارٍ فَشَقَّ أَنْهَاراً إلى أَنْهَارِ)

٥٩

وَمُطَارٍ بَنَجْد ، وَالثَّارِ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ . وَقَوْلُهُ : قَرَارٍ ، أَيْ قَرَّرَ بِالرَّعْدِ
 وَصُبَّ مَاءُكَ وَهَاتِ مَا عِنْدَكَ . وَمَعْنَاهُ ضَرَبَتْهُ رِيحُ الصَّبَا فَدَرَّ لَهَا ، فَكَأَنَّهَا قَالَتْ
 لَهُ : صَبَّ مَاءُكَ . انْتَهَى .

وَلَمْ يُورَدْ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا بِحَبَاحٍ بِمُوحَدَتَيْنِ وَمُهْمَلَتَيْنِ ،
 قَالَ : قِيلَ لِبَعْضِ بَنِي عَامِرٍ ، أَبْقَى عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ : بَحَبَاحٍ ! مَبْنِيَا عَلَى
 الْكُسْرِ ، أَيْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ . هَذَا كَلَامُهُ ، فَكَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَذْكُرَ هَذِهِ
 الْأَلْفَاظَ مَعَ قَرَارٍ ، لِثَلَاثٍ يَتَوَهَّمُ أَنَّهَا اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ مَعْدُولٍ .

وَلَمْ يُورَدْ الْجَوْهَرِيُّ مَا أوردَهُ مَعَ أَنَّهُ أَصْلُهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ : وَقَوْلُهُمْ قَرَارٍ بَنِي
 عَلَى الْكُسْرِ ، وَهُوَ مَعْدُولٌ ، وَلَمْ يُسْمَعْ الْعَدْلُ مِنَ الرَّبَاعِيِّ إِلَّا فِي عِرْعَارٍ وَقَرَارٍ .
 فَلِلَّهِ دُرَّةٌ مَا أَحْسَنَ صَنِيعَهُ !

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ (فِي كِتَابِ الْإِبِلِ) : قَالُوا قَرَارٍ وَقَرَارٍ بَفَتْحِ الْقَافِ
 وَكُسْرِهَا ، وَقَرَّرَ . وَأَنشَدَ الْبَيْتَ .

وَأوردَهُ صَاحِبُ (الْكَشَافِ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا ﴾
 بَلَى ، ^(١) عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ وَالتَّخْيِيلِ كَمَا فِي الْبَيْتِ .

(١) الآية ١٧٢ من الأعراف .

وقوله : « حتى إذا كان على مُطار » قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : مُطار بضم الميم : وادٍ قرب الطائف . وأنشد هذه الأبيات .
وقال : والثرثار بالجزيرة : ماءٌ معروف ، وقيل هو قريب من تكريت . ولم تختلف الرواة في هذا الوادى أنه مُطار بضم الميم . فأما مطار بفتحها فموضع في ديار بني تميم ، مؤنث لا يتصرف .

وقال في الثاء المثلثة : الثثرار : ماء معروف قبل تكريت . وقال الهمداني : هو نهر يصب من الهرماس إلى دجلة . وقال أبو حنيفة : هو بالجزيرة .

واسم كان ^(١) يماه ، والضمير للسحاب . و « على مطار » ، يريد أنه سحاب عظيم طرفه الأيمن على مطار ، وطرفه الأيسر على الثثرار . وجملة قالت له إطلع جواب إذا .

وتمرى : مضارع مريت الناقة مريا ، إذا مسحت ضرعها لتدر . وفاعله ضمير الريح . والحلايا : جمع خلية بالخاء المعجمة : الناقة تُعطف مع أخرى على ولدٍ واحد فتدّران عليه ، ويتخلى أهل البيت بواحدةٍ يحلبونها . وهزم بفتح الهاء وكسر الزاى المعجمة ، يقال غيثٌ هزم أى متبعق لا يستمسك . ونثار : مبالغة نثر . وبين ظرف للنثار .

والمشاييع : جمع مشياع ، وهو الذى يُشيع السر ^(٢) ، استعير للسحاب الساكب . ودّرار صفة لمشاييع ، وهو بضم الدال جمع دَار . يقال ناقة دَارٌ بدون هاء ، ونوق دُرّار مثل : كافر وكفار ، أى كثيرة الدّر ، وهو اللبن .

(١) ط : « واسم واد كان » وكلمة « واد » مقحمة

(٢) ط : « يذيع السر » ، وأثبت ما فى ش .

وقوله : « فشَقَّ أنهاراً » إلخ أى فشَق ماءً ذلك السحاب الأرضَ فصَيَّرَ فيها أنهاراً جارية إلى أنهار .
 وأنشد الجوهري البيت الشاهد من هذا الرجز مع بيت آخر منه ،
 وهو :

« واختلط المعروف بالإنكارِ »

وهذا هو المشهور في كتب النحو . يريد : قالت الريح للسحاب قَرِّقِرْ بالرَّعد . ولما كان إنشاء السحاب بسبب الريح صار كأن الريح قالت له قَرِّقِرْ بالرعد . والقرقرة : صوت فحل الإبل . والقرقرة : الهدير . وبغير قرقار الهدير ، إذا كان صافى الصوت في هديره .

وقوله : « واختلط المعروف » أى من صوت الرعد بالمنكر منه . وقيل أراد أن السحاب أصاب كل مكان مما يُعرَف وينكر ، أى عمَّ الأرضَ كلها ، أو ممَّا كان معروفاً بأن يَمُطِر وما كان منكراً إمطاره . قال ابن الأعرابي (في نوادره) : مُطِرت مطراً شديداً فأنكرت ما تُعرِفُ مِنْ (١) آثار الديار . ومعالمها . وقيل المعروف : المطر ؛ والإنكار : البرق ، والسَّيل (٢) والصاعقة . شبه الريح بالأمير ، والسحاب بالمأمور ، وقرقار بالمأمور به ، لأن الريح هى التى تنشئ السحاب وتسوقه ، ولهذا جُعِلت كأنها قائلة له . كلُّ ذلك على سبيل التمثيل .

وترجمة أبى النجم العجلي ، وهو راجز إسلامي ، قد تقدمت في الشاهد السابع (٣) من أوائل الكتاب .

* * *

(١) في النسختين : « من تعرف » .

(٢) ش : « والسيل » بالياء الموحدة ، وهو المطر .

(٣) الخزانة ١ : ١٠٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الأربعمائة ^(١) :

(يَدْعُو وَيُدْهُمُ بِهَا عَرْعَارِ) ٤٦٦

لما تقدم قبله . وهذا عَجَزٌ وصدره :

(مَتَكْنَفِي جَنْبِي عُكَازٌ كِلَيْهِمَا)

يعنى يقيمون فى كَنَفَى جنبى عكاظ . والكنف : الناحية . وهو جمع مذكر سالم حذف نونه للإضافة ، والإضافة لفظية . و (عكاظ) : سوق قريبة من مكة ، كانت فى الجاهلية تقام ، وقد شرحناها فيما مضى ^(٢) ، وهى غير مصروفة للعلمية والتأنيث . و (كليلهما) تأكيد لقوله جَنْبِي . و (الوليد) : الصبى . وضمير بها لعكاظ . (عرعار) : لعبة للصبيان ، إذا خرج الصبى من بيته ولم يجد أحدا يلعبه رفع صوته فقال : عرعار ، أى هلموا إلى العرعة ، فإذا سمعوا صوته خرجوا ولعبوا معه تلك اللعبة . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : سمعتُ عرعار الصبيان ، إذا سمعت اختلاط أصواتهم . وقال (فى الصحاح) : العرعة : لعبة للصبيان . وعرعار بنى على الكسر ، وهو معدول عن عرعة ^(٣) . والصحيح كما قال الأعلام عرعار معدولة عن قولهم عَرِعِر ، أى اجتمعوا للعب ، كما أن خراج اسم لعبة لهم : معدول عن قولهم : اخرج .

ومعنى البيت أنهم آمنون فى إقامتهم هناك لعَرْمهم ^(٤) وكثرتهم ،

(١) ابن يعيش ٤ : ٥٢ والأشعوى ٣ : ١٦٠ وديوان النابغة ٣٥ بشرح البطليوسى .

(٢) انظر ٤ : ٤٧٢ - ٤٧٤ .

(٣) ط : « من عرعة » ، وأثبت ما فى ش والصحاح . وبعده فى الصحاح : « مثل قرقر من

قرقرة » .

(٤) ش : « بعزتهم » .

وصيائُهم يلعبون بهذه اللعبة لبطَرهم ورفاهيتهم . ونحوه قول حسان :

* أولاد جفنة حول قبر أبيهم (١) *

أى لا يرحلون عنه لعزهم وغناهم ، بخلاف غيرهم ، لا بدّ له من الرحلة للانتجاع .

والبيت آخر أبيات تسعة للنابعة الذبياني ، حذّر بها عمرو بن المنذر صاحب الشاهد ابن ماء السماء ملك الحيرة من أعدائه ، وهم قوم النابعة . أخبره بأنهم نزلوا بعكاظ وهم كثيرون ، ينتظرون وقوع الربيع فيرعونه ويحاربونه . وأولها (٢) :

(من مبلغ عمرو بن هند آية

أبيات الشاهد

ومن النصيحة كثرة الإنذار

لا أعرفك عارضاً لرماحنا

في جُف تغلب وارد الأمرار (٣)

الجُف بضم الجيم : العدد الكثير ، والجماعة من الناس ، ومنه قيل لبكر وتيم : الجُفان ؛ لكثرتهما . وتغلب : أبو قبيلة عظيمة ، وهو تغلب بن وائل . والأمرار بفتح الهمزة قال صاحب الصحاح : هى مياةٌ فى البادية مُرة . وأنشد هذا البيت .

(ومعلقون على الجياد حليها حتى تصوب سماءهم يقطار)

(١) عجزه كما فى الديوان ٣٠٩ .

* قبر ابن مارية الكريم المفضل *

(٢) الأبيات فى ديوانه صنعة ابن السكيت ١٢٨ - ١٢٩ وليس فيها البيت الشاهد .

الحَلَّى ، بفتح المهملة وكسر اللام : ما تَعْتَلِفُه الخيل إذا ييس ؛ وإذا
كان رطباً أخضر فهو نَصَى . وقطار ، بالكسر : جمع قَطْر . إلى أن قال :
(فيهم بناتُ العسجدى ولاحق)

وَرُقُّ مراكُلها من المِضمارِ)

عسجد ولاحق : فحلان من خيل غنى بن أعصر . والمَرَكَل
كجعفر : موضع عَقِب الفارس . يقول : تَضْمُرُ خيلُهم بالركوب ، فتقرع
أعقابهم مواضع المراكل فيتحاتُّ شعرها ثم ينبت بعد ذلك شعر أسود . ولهذا
قال : وَرُقُّ ، لأنه إذا نبت خرج يضرب إلى الغيرة ، وهى الورقة .
(تُشَلَى توابعها إلى آلافها)

حَبَبَ السَّبَّاعِ الوَلَّهَ الأَبكارِ

مُتَكَنِّفِي جَنبِي عَكَظَ كليهما

(البيت)

الإشلاء : الدعاء ؛ أشليته : دعوته . يعنى يدعى توابع من أولادها ومن
خيل أخرى إلى ما ألفته . والوَلَّهَ : التى قد ولّته إلى أولادها . والأَبكار : التى
وضعت بطنها ، وتكون التى لم تلد قَطُّ . وقوله : متكنّفى حال من أصحاب
هذه الخيل . والإضافة لفظية ، ولهذا صحّت الحال .

ولما بلغت هذه الأبيات عمرو بن هند قال :

أبلغ زياداً أن قومك حاربوا

فانهض ألينا أن قدّرت بجارٍ (١)

(١) ش : « بجار » ، صوابه في ط وديوان النابغة صنعة ابن السكيت ..

نَجْزِيكَ إِنْذَارًا بِمَا أُنْذَرْتَنَا

وَذَكَرْتَ عَطْفَ الْوُدِّ وَالْأَصْهَارِ

وزيادٌ : اسم النابغة . وله قصيدةٌ على هذا الوزن والروى مطلعها ^(١) :

تُبْتُ زُرْعَةَ وَالسَّفَاهَةَ كاسِمَهَا

يُهْدِي إِلَيَّ غَرَائِبَ الْأَشْعَارِ

وَزُرْعَةٌ هُوَ ابْنُ عَمْرٍو بْنِ خُوَيْلِدٍ أَخِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الصَّعِقِ

الكلابي ، كان هجاءً للنابغة ، فلمَّا بلغ هجاءُ النابغة قال هذه القصيدة

يتوعده بالهجاء ومحاربه إياه مع قومه ، ثم وصف قومه وأحلافهم إلى أن قال :

جَمْعٌ يَظُلُّ بِهِ الْفَضَاءُ مَعْضَلًا

يَذُرُّ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارِ

معضل اسم فاعل ، يعنى غاصًّا ضيقًا . يقال قد عضلت المرأة بولدها

تعضيلًا ، إذا تعسر عليها فنشِبَ ولم يخرج .

وليس في هذه القصيدة البيت الشاهد ^(٢) .

وزعم ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصل) وتبعه جماعة ، أنه منها .

وأورد معه قوله :

* جَمْعٌ يَظُلُّ بِهِ الْفَضَاءُ مَعْضَلًا *

البيت مع أبيات آخر ، وقال : مدح بهذه القصيدة بنى غاضرة من بنى

أسد .

(١) القصيدة في ديوانه ٣٤ بشرح البطلوسي .

(٢) الحق أن البيت الشاهد فيها في ص ٣٥ كما سبقت الإشارة .

وليس الأمر كذلك كما بينّا .

وسياق شرح بعض هذه القصيدة بعد شاهد واحد إن شاء الله تعالى . وترجمة النابغة الذبياني قد تقدمت في الشاهد الرابع بعد المائة (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٦٧ (ولأنت أشجع من أسامة إذ

دُعيت نزال ولج في الذعر)

على أن عبد القاهر استدلل على تأنيث فعَال الأمرى بما هنا ، فإن نزال نائب فاعل دُعيت ، ولولا أنها مؤنثة ما ألحق علامة التأنيث للفعل المسند إليها .

وفيه ما أورده الشارح المحقق . وعبد القاهر مسبق بما قاله .

قال سيويوه ، في باب ما جاء معدولاً عن حدّه من المؤنث : ويقال نزال أى انزل . وأنشد البيت ثم قال : فالحدّ في جميع هذا : افعل ، ولكنه معدول عن حدّه ، وحرك آخره لأنه لا يكون بعد الألف حرف ساكن ، وحرك بالكسر لأن الكسر مما يؤنث به . وإنما الكسرة من الياء . انتهى .

وقال ابن السراج (في الأصول) : اعلم أنه لا يبنى على مثال فعَال من

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) في كتابه ٢ : ٣٧ . وانظر المقتضب ٣ : ٣٧٠ والجمل ٢٣٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ :

١١١ والإنصاف ٥٣٥ وابن يعيش ٤/٢٦ ، ٥٠ ، ٥٢ وشرح شواهد الشافعية ٣٣٠ وديوان زهير ٨٩ .

هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته ، وإئما بنى
 على الكسر لأن الكسر مما يؤنث به ، تقول للمرأة : أنتِ فعلتِ وإنكِ فاعلة . ٦٢
 وكان أصل هذا إذا أردت به الأمر السكون ، فحرَّكته لالتقاء الساكنين ،
 فجعلت الحركة الكسرة للتأنيث ، وذلك قولك : نزال وتراك ، ومعناه انزل
 واترك ، فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة . قال الشاعر تصديقاً لذلك :
 إذا دعيت نزال ولجّ في الذعر

فقال : دَعِيتْ ، لما ذكرت لك من التأنيث . انتهى .

وهكذا قال خَدَمَة كتاب سيبويه ^(١) . وشرح شواهد الجمل وغيرهم .

قال الأعلم : الشاهد في قوله : نزال ، وهو اسم لقوله انزل ، ودلّ على
 أنه اسمٌ مؤنث دخولُ التاء في فعله ، وهو دَعِيتْ . وإنما أخبر عنها على طريق
 الحكاية ، وإلا فالفعل ، وما كان اسماً له ، لا ينبغي أن يُخبر عنه . انتهى .
 ومثله في كون نزال أريد به لفظه فجعل نائب فاعل ، قولُ زيد الخيل
 الصحابي :

وقد علّمت سلامةً أن سيفي

كريهٌ كلّما دُعِيتْ نزال

وقد وقع مفعولاً به في قول ربيعة بن مقروم :

فدعوا نزال فكنْتُ أوّل نازل

وعَلَامَ أركبُه إذا لم أنزل

(١) ط : « كلام سيبويه » ، صوابه في ش .

ومعنى دعاء الأبطال بعضهم بعضاً بهذه الكلمة : أن الحرب إذا اشتدت بهم وتزاحموا فلم يمكنهم التطاعن بالرماح ، تداعوا بالنزول عن الخيل ، والتضارب بالسيوف .

ومعنى (لُجَّ في الذعر) : تَتَابَعَ ^(١) الناس في الفزع ، وهو من اللجج في الشيء ، وهو التماذى فيه .

وقد تقدم شرح النزال مفصلاً في الشاهد الأربعين بعد الثلاثمائة ^(٢) .

والشارح المحقق قد تبع صاحب الصحاح في روايته البيت كذا في مادة

(أَسَم) ، وهو مركب من يَتَيْن ، فإن البيت الذى فيه دُعيت نزال ،

صاحب الشاهد وهو لزهير بن أبى سلمى ، صدره كذا :

ولنعم حَشَوُ الدَّرْعَ أَنْتَ إِذَا

دُعيت نزالٍ وَلُجَّ في الدُّعْرِ

وقوله :

* ولأنت أشجع من أسامة إذ *

إنما هو صدرٌ من بيت للمسيَّب بن علس ، وعجزه :

(نَقَعَ الصُّرَاخُ وَلُجَّ في الذعر ^(٣))

وهذا ليس فيه دعيت نزال .

والبيت الشاهد كما ذكرناه هو رواية سيويه وسائر النحويين . وبيت

(١) كذا في النسختين ، ولعلها « تتابع » بالياء .

(٢) صوابه الحادى والأربعين بعد الثلاثمائة . انظر الخزانة ٥ : ٤٩ .

(٣) في النسختين « يقع » ، صوابه بالنون كما في الديوان ٨٩ والبيان ١ : ١٨٩ . ونقع الصراخ :

ارتفع . قال لبيد (ديوانه ١٩١) :

فمضى ينقع صراخ صادق يجلبوها ذات جرس وزجل

المسيب بن علس على ما رتبناه هو رواية الجاحظ (في كتاب البيان والتبيين) .
وقد رأيت البيتين في ديوانيهما كذلك . أما بيت زهير فهو من قصيدة مدح بها
هَرَمَ بنَ سنانِ المُرِّي . وهذه أبياتٌ بعد ثلاثة أبيات من أولها :

أبيات الشاهد

دَعُ ذَا وَعْدَ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ
خَيْرِ الْبُدَاةِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ
تَاللَّهِ قَدْ عَلِمْتُ سَرَاةَ بَنِي
ذُبْيَانَ عَامَ الْحَبْسِ وَالْأَصْرِ (١)
أَنْ نَعَمَ مُعْتَرِكُ الْجِياعِ إِذَا
حَبَّ السَّفِيرُ وَسَانَى الْخَمِرِ
وَلْنَعَمَ حَشَوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا
دُعِيتَ نَزَالَ وَلَجَّ فِي الدُّعْرِ
وَلْنَعَمَ مَأْوَى الْقَوْمِ قَدْ عِلِمُوا
إِنْ عَضَّهُمْ جُلٌّ مِنَ الْأَمْرِ
وَلْنَعَمَ كَافِي مَنْ كَفَيْتَ ، وَمَنْ
تَحْمِلُ لَهُ تَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِ (٢)
حَامِي الدَّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ الْـ
جُلَى أَمِينُ مَغِيْبِ الصَّدْرِ
حَدِبْتُ عَلَى الْمَوْلَى الضَّرِيكِ إِذَا
نَابَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ

٦٣

(١) في الديوان ٨٨ : « تَاللَّهِ ذَا قَسَمَا لَقَدْ عَلِمْتُ » .

(٢) في الديوان : « يُحْمِلُ عَلَى ظَهْرِ » .

عَظُمَتْ دَسِيعَتُهُ وَفَضَّلَهُ
 جُزُّ النَّوَاصِي مِنْ بَنَى بَدْرٍ
 أَيَّامَ ذُبْيَانٍ مَرَاغِمَةً
 (١) فِي حَرْبِهَا وَدِمَائِهَا تَجْرَى
 وَمُرْهَقُ النَّيْرَانِ يُطْعِمُ فِي الْ
 سَلَاوَاءِ غَيْرِ مُلْعَنِ الْقَدْرِ (٢)
 وَيَقِيكَ مَا وَقَى الْأَكَارِمُ مِنْ
 حُوبٍ تُسَبُّ بِهِ وَمِنْ غَدْرِ
 وَإِذَا بَرَزْتَ بِهِ بَرَزْتَ إِلَى
 ضَافِي الْخَلِيقَةِ طَيِّبِ الْخُبْرِ (٣)
 مَتَصَرِّفٌ لِّلْمَجْدِ مَعْتَرِفٌ
 لِّلنَّائِبَاتِ يَرَّاحُ لِلذِّكْرِ (٤)
 جَلْدٍ يَحْتُ عَلَى الْجَمِيعِ إِذَا
 كَرَّةَ الظَّنُونِ جَوَامِعَ الْأَمْرِ
 وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ
 خُسُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي
 وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجِهَ إِلَى
 أَبْطَالٍ مِنْ لَيْثٍ أَيْ أَجْرٍ

(١) ط : « ودمائها » ، ش : « ودماءها » ، والوجه ما أثبت كما في حواشي ديوان زهير :

(٢) في الديوان : « يحمّد في اللّواء » .

(٣) رواية ثعلب « ضافي الخليفة » بالصاد المهملة .

(٤) رواية الأعلم : « متصرف للحمد » .

يَصْطَادُ أَحَدَانِ الرَّجَالِ فَمَا
تَنْفُكُ أَجْرِيهِ عَلَى ذُخْرِ
وَالسَّتْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا
يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ
أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا
أَسْلَفْتُ فِي النَّجْدَاتِ وَالذِّكْرِ (١)

قوله : « وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ » هو بفتح الهاء وكسر الراء ، أحد الأجواد
في الجاهلية من بنى مُرَّة . أَيْ دَعَا مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ وَصْفِ الدِّيارِ ، وَعَدَّ
الْقَوْلَ ، أَيْ أَصْرَفَهُ ، إِلَى مَدْحِ هَرَمٍ . وَالْبَدَاةُ : جَمْعُ بَادٍ . وَالْحَضْرُ : جَمْعُ
حَاضِرٍ ، كَصَحْبِ جَمْعِ صَاحِبٍ .

وقوله : « تَاللَّهِ قَدْ عَلِمْتُ » إلخ السَّراة : جَمْعُ سَرِيٍّ (٢) ، وَهُوَ الْكَرِيمُ .
وَالْحَبْسُ وَالْأَصْرُ ، بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَنْ يُحْدِقَ الْعَدُوُّ بِالْقَوْمِ فَيَحْبِسُوا
أَمْوَالَهُمْ وَلَا يُخْرِجُوهَا إِلَى الرَّعْيِ ، خَشْيَةً أَنْ يُغَارَ عَلَيْهَا . وَالْأَصْرُ : الضِّيقُ
أَيْضاً وَسُوءُ الْحَالِ .

وقوله : « أَنْ نِعَمَ مُعْتَرَكٌ » إلخ ، أَنْ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ مَخْفِفةً مِنَ الثَّقِيلَةِ مُؤَوَّلَةٌ
مَعَ مَدْخُولِهَا بِمَصْدَرٍ ، سَادَةٌ مَسْدُ مَفْعُولِي عَلِمْتُ . وَمُعْتَرَكٌ فَاعِلٌ نَعَمْ ،
وَالْمَخْصُوصُ مَحْذُوفٌ ، وَهُوَ اسْمُ مَكَانٍ ، أَيْ نَعَمْ مَوْضِعُ اِزْدِحَامِ الْفُقَرَاءِ أَنْتَ .
وَأَصْلُهُ فِي الْحَرْبِ ، فَاسْتَعَارَهُ هُنَا . وَحَبَّ السَّفِيرِ ، أَيْ أَسْرَعَ وَطَارَ مَعَ الرِّيحِ .
وَالسَّفِيرُ : مَا جَفَّ مِنَ الْوَرَقِ وَسَقَطَ ، وَذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ وَقِحْطِ الزَّمَانِ .

(١) ط : « سلفت » ، صوابه في ش والديوان .

(٢) الحق أنه اسم جمع لا جمع ، وإلا فقياسه سراة بالضم ، وأسرياء وسُرَّاء .

وسائىءُ : معطوفٌ على معترك ، وهو مهموز الآخر ، اسم فاعل من سبأ الخمر ، إذا اشتراها ، وإنما وصفه بسبأ الخمر في شدة الزمان ، ليدل على تناهي جوده ، فلا تمنعه شدة الزمان من إنفاق ماله .

وقوله : « ولنعم حشو الدرع » إلخ جعل لابسَ الدرع حشواً لها لاشتغالها عليه ، كما يشتمل الإناء على ما فيه . وهو العامل في إذا ، لأنه بمعنى لابس ، وقيل متعلق بنعم لما فيه من معنى الثناء كما فيما قبله . والجُل ، بالضم : الحادث العظيم كالجُلَى . وقوله : « على ظهري » أى ظهر حمول قوى .

والذمار : ما يجب عليه أن يحميه . والجُلَى : النائبة الجليلة ، وقيل هنا بمعنى جماعة العشيرة . وقوله : « أمين مغيب الصدر » ، أى لا يضر إلا الجميل ، ولا ينطوى إلا على الوفاء والخير وحفظ السر ، فهو مأمونٌ على ما غاب في صدره .

والحدب : المشفق . والمولى : ابن العم . والضريك : الفقير والمحتاج . ٦٤
والدسيعة : العطية الجزيلة . وجزُ الناصية تكون في الأسير ، إذا أُنعِمَ عليه وأُطلقُ جُزّت ناصيته وأُخذت للافتخار . ورأغمهم : نابذهم وهجرهم وعاداهم .

وقوله : « ومرهق النيران » أى تُغشى ناره ؛ يقال رهقت الرجل ، إذا غَشِيته وأحطت به ؛ والمشدد للتكثير . يصف أنه يؤقد النار بالليل للطبخ وإطعام الناس ، وليعشوا إليها الضيف والغريب . وكثرة النيران ، للإخبار عن سعة معرفه . واللاؤاء : شدة الزمان والقحط . وقوله : « غير ملعن القدر » أى لا يؤكل ما فيها دون الضيف والجار واليتيم والمسكين ، فهو محمود القدر لا مذمومها . وأوقع اللعن على القدر مجازاً ، وهو يريد صاحبها .

وقوله : « وَيَقِيكَ مَا وَقَى الْأَكَارِمُ » إلخ وَقَى بالبناء للمفعول .
وَالْحَوْبُ : الإِثْمُ ، أَيْ إِنَّ الْأَكَارِمَ وَقُوا أَنْ يُسْبُوا فَيَقِيكَ ذَلِكَ أَنْتَ أَيْضًا ، أَيْ
إِنَّهُ لَا يَغْدِرُ وَلَا يُسَبِّ فَيَأْتِي بِإِثْمٍ ^(١) . وَرَوَى « مَا وَقَى الْأَكَارِمَ » بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ
وَنَصَبِ الْأَكَارِمِ .

وقوله : « وَإِذَا بَرَزْتَ بِهِ » أَيْ إِلَيْهِ ، يَعْنِي إِذَا صَرْتَ إِلَيْهِ صَرْتَ إِلَى رَجُلٍ
وَاسِعِ الْخُلُقِ طَيِّبِ الْخَبْرِ .

وقوله : « مُتَصَرِّفٌ لِلْمَجْدِ » إلخ أَيْ يَتَصَرَّفُ فِي كُلِّ بَابٍ مِنَ الْخَيْرِ
لَا كِتْسَابَ الْمَجْدِ . وَالْمُعْتَرِفُ : الصَّابِرُ ، أَيْ يَصْبِرُ لِمَا نَابَهُ . وَقَوْلُهُ : يَرَّاحُ ، أَيْ
يَهْشَ وَيَخِفُّ وَيَطْرَبُ لِأَنْ يَفْعَلَ فِعْلًا كَرِيمًا يُذَكَّرُ بِهِ وَيُمدَحُ مِنْ أَجْلِهِ .

وقوله : « جَلْدٌ يَحُثُّ » إلخ أَيْ قَوِيٌّ الْعِزْمُ مُجْتَهِدٌ فِيمَا يَنْفَعُ الْعَشِيرَةَ مِنْ
التَّأَلَّفِ وَالِاجْتِمَاعِ ، فَهُوَ يَحُثُّ عَلَى ذَلِكَ وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، إِذَا كَرِهَ الظَّنُونُ الْاجْتِمَاعَ
وَالْتَأَلَّفَ ، لِمَا يُلْزِمُهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَشَارَكَةِ وَالْمَوَاسَاةِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ . وَالظَّنُونُ :
الَّذِي لَا يُوثِقُ بِمَا عِنْدَهُ ، لِمَا عُلِمَ مِنْ قَلَّةِ خَيْرِهِ . وَجَوَامِعُ الْأَمْرِ : مَا يَجْمَعُ النَّاسَ
فِي شَأْنِهِمْ .

وقوله : « وَلَأَنْتَ تَفْرِي » إلخ هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ . وَالْخَالِقُ : الَّذِي يَقْدِرُ
الْأَدِيمَ وَيَهَيِّئُهُ لِأَنْ يَقْطَعَهُ وَيُخْرِزَهُ . وَالْفَرَى : الْقَطْعُ . وَالْمَعْنَى : إِنَّكَ إِذَا تَهَيَّأْتَ
لِأَمْرِ مُضِيئٍ لَهُ وَأَنْفَذْتَهُ وَلَمْ تَعِجْزْ عَنْهُ ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَقْدِرُ الْأَمْرَ وَيَتَهَيَّأُ لَهُ ثُمَّ
لَا يَعِزُّ عَلَيْهِ ، عِجْزًا وَضَعْفَ هِمَّةٍ . قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ (فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ) : فَرَى
الْأَدِيمَ : قَطَعَهُ عَلَى جِهَةِ الْإِصْلَاحِ ، وَأَفْرَاهُ : قَطَعَهُ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ . وَقَالَ

(١) ط : * باسم * ، صوابه ش .

ابن السَّيِّد : هذا قول جمهور اللغويين ، وقد وَجَدنا فَرَى مستعملاً في القطع على جهة الإفساد ، قال الشاعر :

فَرَى نَائِبَاتُ الدهر بينى وبينها

وصَرَفَ اللَّيَالِي مثل ما فَرَى البُرْدُ

وحكى أبو عبيد (في الغريب المصنف) عن الأصمعي : أفريت : شققت وفريت بمعنى ؛ وفريت إذا كنت تقطع للإصلاح . انتهى .

وقوله : « ولأنت أشجع » إلخ تنجّه : يواجه بعضهم بعضاً في الحرب . والأجر : جمع جرو مثلث الجيم ، وهو ولد الأسد وغيره . وإنما جعل الميث ذا أولاد لأنّ ذلك أجراً له وأعدى على ما يُريده ، لاحتياج أولاده إلى ما تتغذى به .
وقوله : « يصطاد أهدان » إلخ جمع واحد ، والهمزة بدل من واو ، أى يصطاد الرجال واحداً بعد واحد ، فلا يزال عنده ما يدّخره لما بعد اليوم . ومثله في وصف جروى أسيد :

ما مرّ يوم إلا وعندهما لحمُ رجال أو يُولغان دماً^(١)

وقوله : « والستّر دون الفاحشات » إلخ ، أى بينه وبين الفاحشات ستّر من الحياء وثقى الله ، ولا ستر بينه وبين الخير يحجّبه عنه . وحكى أن عمر بن الخطاب لما سمعه قال : « ذلك رسول الله ﷺ » .

(١) نسب في الحيوان ٧ : ١٥٤ إلى عبد الله بن قيس الرقيات . وانظر الكلام على نسبه في ملحقات ديوان أبى زيد ١٤٩ . والحق أنه لابن قيس الرقيات من قصيدة في ديوانه ٢٥٣ - ٢٦٠ .

وقوله « أثنى عليك » إلخ أى بما علمتُ من أمرك وشاهدت من جُودك . وما أسلفتُ ^(١) أى ما قدمت في الشَّدائد . والنَّجدة : الشدة والبأس . والذكر : ما يُذكر به من الفضل ^(٢) .

وترجمة زهير بن أبى سلمى تقدّمت في الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة ^(٣) .

وأما بيت المسيّب بن علس فهو من قصيدة أيضاً مدح بها قيس بن معديكرب الكندى ، تقدم شرح بعضها في الشاهد الثانى بعد المائتين ، ورويت لابن أخته الأعشى ميمون ، وهى ثابتة في ديوانه أيضاً ، فيكون المسيّب ابن علس خال الأعشى . وهذه أبيات منها :

(وإليك أَعْمَلْتُ المطيَّةَ مِنْ

سَهْلِ العراق وَأَنْتَ بالقفرِ

أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا

وَتَوَاجَهُوا كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ

أَوْ فَارَسُ الْيَحْمومِ يَتَبَعُهُمْ

كَالطَّلَقِ يَتَبَعُ لَيْلَةَ الْبُهِرِ

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةَ إِذْ

نَقَعَ الصُّرَاخُ وَلُجَّ فِي الذَّعْرِ ^(٤)

أبيات الشاهد
في رواية أخرى

(١) في النسختين : « ما سلفت » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ش : « والذكر به من الفضل » ، صوابه في ط .

(٣) الخزائن ٢ : ٣٣٢ .

(٤) في النسختين : « يقع الصراخ » ، وانظر ما أسلفت من تحقيق في ص ٣١٨ .

ولأنت أجودُّ بالعطاء من الـ
 رِيَّان لما ضَنَّ بالقَطْرِ
 ولأنت أحيا من مُخْبَاةٍ
 عَذْرَاءَ تَقْطُنُ جَانِبَ الْكِسْرِ
 ولأنت أئين حين تنطقُ مِنْ
 لُقْمَانَ لما عَى بالأمرِ
 لو كنت من شيء سوى بشرٍ
 كنت المنور ليلة القَدْرِ (١)

وفارس اليعموم ، هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة . واليعموم : اسم فرسه . والطلُّق : الليلة التي لا حرَّ فيها ولا برد . وليلة البُهر : ليلة البدر حين بَهَرَ النُّجُوم . وفي القاموس : أسامة بالضم معرفة : علم الأسد . والأسامة لغة فيه . والصُّراخ بالضم : الصوت الشديد ، يكون للاستغاثة وغيرها .

والريَّان قال ياقوت (في معجم البلدان) : جبل ببلاد طيء ، لا يزال بسيل منه الماء . وضَنَّ ، بالبناء للمفعول ، أى بُجِّل . وتقطن بالقاف ، أى تسكن . والكِسر بكسر الكاف : الشُّقَّة السفلى من الخباء .

ولقمان ، هو كما قال الجاحظ (في كتاب البيان والتبيين) : هو لقمان ابن عاد الأكبر ، وكانت العرب تعظم شأنه في النباهة والقدر ، وفي العلم وفي الحكم ، وفي اللسان وفي الحلم . وهو غير لقمان المذكور في القرآن (٢) .

(١) كذا في النسختين . ورواية الأعلام ٦٤ : « ليلة البدر » ، وتعلب : « كنت المنير ليلة

البدر » . وانظر ديوان زهير ٩٥ .

(٢) انظر عبارة الجاحظ في البيان ١ : ١٨٤ فقد تصرف فيها البغدادي كثيرا .

وترجمة المسيب بن علس تقدمت في الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٦٨ (أَنَا اقْتَسَمْنَا حُطَّتَيْنَا بَيْنَا

فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فِجَارِ)

على أن (فجار) مصدر معرفة مؤنث .

قال سيبويه : وأما ما جاء اسماً للمصدر فكقول النابغة :

* فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فِجَارِ *

فَجَارٍ مَعْدُولَةٌ عَنِ الْفَجْرَةِ . وقال الشاعر :

فَقَالَ : امْكُثِي حَتَّى يَسَارَ لَعْلُنَا

نَحُجُّ مَعاً ، قَالَتْ : أَعَاماً وَقَابِلَهُ

فهى معدولة عن الميسرة ، فأجرى هذا الباب مجرى الذى قبله ، لأنه عُدِلَ كَمَا عُدِلَ ، ولأنه مؤنث بمنزلته . ا هـ .

قال الأعلم : الشاهد في فجار ، وهو اسم للفجرة معدول عن مؤنث ،

(١) صوابه « الثاني بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٢٤٠ .

(٢) في كتابه ٢ : ٣٨ . وانظر مجالس ثعلب ٢٦٤ والجمل ٢٣٤ والخصائص ٢ : ٣/١٩٨ :

٢٦١ ، ٢٦٥ ، وأمالى ابن السجى ١ : ٣٨ / ٤ : ٥٣ والعينى ١ : ٤٠٥ والهمع ١ : ٢٩ والأشعرونى

١ : ١٣٧ وديوان النابغة ٣٤ .

كأنه عُدل عن الفَجْرة بعد أن سَمِيَ بها الفجور ، كما سَمِيَ البِرُّ : بَرَّة ،
ولو عدلها لقال بَرارٍ كما قال فجاري . ١ هـ .

٦٦ قال الشارح المحقق : « لم يَقم لى إلى الآن دليل قاطع على تعريفه
ولا تأنيثه » إلى آخر ما حققه ، وأجاد فيه البحث ودققه .

ومثله لناظر الجيش (فى شرح التسهيل) قال : وما ذكره المصنّف من
أن ما كان من أسماء الأفعال على فَعَالٍ محكومٌ بتأنيثه ، كأنه أمر مجمع عليه من
النحاة . وهو أمر يؤخذ تقليداً . وقال فى باب منع الصرف أيضاً : وأما قوله
وكلها معدول عن مؤنث فهو أمر كالجمع عليه عند النحاة ، ولكن يتعين
التعرُّض لبيان المعدول عنه فى كلّ من الأربعة المذكورة .

أما الصفة المختصة بالنداء فالظاهر أن فساق معدولٌ عن فاسقة ؛
لقصد المبالغة فى الذم .

وأما الصِّفة الجارية مجرى الأعلام فذكروا أنها معدولة عن صفات غَلَبت
فاستعملت أسماء ، كناية فى قوله :

* ونابعةُ الجعدى فى الرمل بيته (١) *

فنابعة نعتٌ فى الأصل إلا أنه غلب حتى صار اسماً . قالوا : وكذلك
لا يجوز أن تتبع موصوفاً . ولا يخفى أن الغلبة لا تكون عدلاً لأنَّ العدل عبارة
عن تبديل لفظ بلفظ للدلالة على المبالغة فى ذلك المعنى الذى أفاده اللفظ
المعدول عنه . ولم يتحقّق لى وجهُ العدل فى هذه المسألة .

وأما المصدر فقالوا : هو معدول عن مصدر مؤنث معرفة ، وإن كانوا لم

(١) لمسكين الدارمى فى ديوانه ٤٩ واللسان (وضع ، نغ) . وعجزه كما فى كتاب سيبويه ٢ :

٢٤ ، ٣ : ٢٤٤ من نسختى :

* عليه تراب من صفيح موضع *

يستعملوا في كلامهم ذلك المصدر للمعرفة المؤنثة الذى عدل عنه . ويفهم من هذا أنه عدلٌ تقديرى لا تحقيقى .

وأما الحال فقالوا : إنه عدلٌ عن مصدر مؤنث معرفة . وقد فسر سيبويه بدادٍ ، بقوله بددا . وليس هذا بعدلٍ لأنه نكرة ، وإنما هى معدولة عن البِدَّة أو المبادَّة ، وهذا أيضاً عدلٌ تقديرى .

وأما اسمُ الفعل فلم يذكروا ماذا عدل عنه ، ولم يتحقق لى وجهُ العدل فيه . والعجب أنهم يجعلون اسم الفعل أصلاً فى العدل والتأنيث . وما برحتُ أطلبُ بيان ما عدل عنه نزالٍ وبيان كونه مؤنثاً ، ولم أقف من كلامهم على ما يوضح لى ذلك . والذى يظهر أنَّ القول بالعدل والتأنيث فى نزالٍ ليس على وجه التحقيق ، بل على وجه التقدير . وقال صاحب الإفصاح : نزالٍ عند سيبويه علمٌ على المعنى كسبحان ، ومثله خلاقٍ وجمادٍ ، فى اسم المنيَّة والسنة المجدة .

وقد يكون هذا العدل علماً على الشخص كحَدَام . ويرى سيبويه أنَّ هذه الأشياء بنيت حملاً على نزالٍ ، ونزالٍ بنى حملاً على الفعل . اهـ .

ويظهر من كلامه أنَّ العدل فى هذه الأمور تحقيقى ؛ وإنما هو تقديرى . وأما قوله إن نزالٍ عند سيبويه علم فلم يتضح لى كونه علماً . انتهى ما أورده ناظر الجيش باختصار .

واستدلَّ ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) للتأنيث بشيئين ضعيفين ، قال : أراد بفجار العُدرة . وتسمى العُدرة فجار كما تسمى المرأة حَدَام . فإن قلت : لم جعلته للغدرة المؤنثة دون أن تجعله اسماً للغدر ، وما دليلك على هذه الدعوى ؟ قلنا : على ذلك دليلان : أحدهما أن فعالٍ

المعدول لا يُعدّل إلا عن مؤنث ، ألا تراه قد قال دُعيت نزال ، وليس هذا في بيت زهير وحده ، بل هو مطّرد في فعالٍ حيثما وقعت . والثاني : أنَّ النابغة سَمِي الوفاء بَرَّةً ، وهو يريد البرّ ، وكذلك سَمِي الغدر فجارٍ ، وهو يريد الفجور . انتهى .

وقال اللخمي : فجارٍ اسمٌ للفجور ، وهو معدول عن مؤنث كأنه عدل عن الفجرة ، وهو مصدر ، بعد أن سَمِي بها الفجور كما سَمِي البرّ : بَرَّةً . ٦٧ هذا مذهب سيّويه ، وحكى غيره أنه معدول عن صفة غالبية ، ودليل ذلك أنه قال :

* فحملتُ بَرَّةً واحتملتُ فجارٍ *

فجعلها نقيض بَرَّة ، وبرة صفة كأنه قال : حملتُ الخصلة البرّة وحملتُ الخصلة الفاجرة ، كما تقول : الخصلة القبيحة والحسنة ، فهما صفتان . اهـ .

وهذا الذي حكاها هو مذهب السيرافي كما نقله الشارح عنه . وزاد ابن جني في الطنبور نعمة ، فزعم أن فجار معدولة عن فجرة علماً بدون أل ، قال في باب التفسير على المعنى دون اللفظ (من كتاب الخصائص) : اعلم أن هذا موضعٌ قد أتعّب كثيراً من الناس واستهواهم ، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مذّبوا به وتتابعوا فيه ^(١) حتى إن أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة والأقوال المستشعبة ، إنما دعا إليها القائلين بها تعلّقهم بظواهر هذه الأماكن دون أن يبحثوا عن سرّ معانيها ومعاييد أغراضها . فمن ذلك قول سيّويه في بيت النابغة : إن فجارٍ معدولة عن الفجرة ، وإنما غرضه أنها معدولة عن فجرة علماً معرفة ، على ذا يدلُّ هذا الموضع ^(٢) . ويقوّيه ورؤد بَرَّةً معه في البيت ، وهي كما ترى علّم ، لكنّه

(١) مذّبوا به : أى ضجروا وقلقوا . وفي النسختين : « ما بذلوا به » ، صوابه من الخصائص ٣ :

٢٦١ . وتتابعوا ، بالياء ، أى تساقطوا وتهاقنوا ، وفي النسختين : « وتتابعوا فيه » ، وأثبت ما في

الخصائص .

(٢) في الخصائص : « هذا الموضع من الكتاب » .

فُسِّرَ ^(١) على المعنى دون اللفظ . وسُوِّغَ أنه لما أراد تعريف الكلمة المعدولة عنها مَثَلُ ذلك بما يُعْرَفُ ^(٢) باللام ، لأنه لفظ معتاد ، وترك لفظ فجرة لأنه لا يُعتاد ذلك علماً ، وإنما يعتاد نكرة من جنسها ، نحو فجرت فجرةً ، كقولك : تجرت تجرةً . ولو عُدلت بَرَّةً على هذا الحد لوجب أن يقال بَرَارٍ كفجار . اهـ .

وقد أخذ الشاطبي هذا الكلام فزاده تنويراً (في شرح الألفية) عند قول ناظمها :

ومثله بَرَّةٌ للميرة كذا فجارٍ علم للفجرة

قال : ومن عَلِمَ الجنس للمعنى : فجار ، وهو علم الفجور ومعدول عن فجرة علماً ، لا عن الفجرة ، فإنه من باب حَذام المعدول عن علم مثله . فقول سيبويه إن فجار معدولٌ عن الفجرة تحوُّز . كذا قال ابن جنى والمحققون .

وَأَل في الفجرة في كلام الناظم لا إشكال فيها ، إذ لم يُرد العلم كما أراد سيبويه ، وإنما مراده الجنس الذى هو مطلق الفجور . ومثل هذين المثالين فَيَنَة في قولهم : ما ألقاه إِلَّا فَيَنَةً ، أَى في التُّدرة . قال ابن جنى : هو علم لهذا المعنى . ومنه حَمَادٍ للمحمدة ، ويسارٍ للميسرة . وأشار الناظم بمثالى بَرَّة وفجار إلى بيت النابغة . وفي عبارته شَيْءٌ ، وهو أن الفجرة هى المرة الواحدة من الفجور ، ومعلوم أن فجار ليس علماً لجنس المرة الواحدة ، فإن أهل اللغة

(١) في الخصائص : « لكنه فسره » .

(٢) في النسختين : « فإنما يعرف » . وفي الخصائص : « بما يُعْرَفُ » .

لم ينقلوا إلا أنه علم للفجور المطلق ، ولا يصح أن يُريد أن فجار اسم جنس للفجرة المعدول هو عنه ، إذ لم يقولوا ذلك ، ولا يصح في نفسه . فثبت أن قوله فجار علم للفجرة ، مشكل .

والجواب أن إتيانه بالفجرة مقصود له ، وذلك أن القاعدة في فعال أنه مؤنث ومعدول عن مؤنث . وقد بين ذلك سيبويه في أبواب ما لا ينصرف غاية البيان ، حتى إنه قدّر ما لم يستعمل مؤنثاً كأنه استعمل كذلك ، ثم جعل فعال معدولاً عنه . وإذا كان كذلك فالاسم المعدول عنه وهو العلم المقدر اسم لجنس مؤنث ، إذ لا بد من مطابقته له في التأنيث ، ولذلك قال : ومثله برة للمبرة ، ولم يقل للبر ونحوه .

٦٨ والحاصل أن الناظم نَبّه بمثال الفجرة على أن فعال علم لاسم الجنس المؤنث ، فإن كان مستعملاً فذاك وإلا قدّر له اسم مؤنث . وهذه قاعدة محلّ بيانها باب ما لا ينصرف . انتهى كلامه باختصار يسير .

وهذا كله لا يدفع ما أورده الشارح المحقق .

صاحب الشاهد
والبيت من قصيدة للناطقة الذيباني هدد بها زُرعة بن عمرو الكلاني ، وكان زُرارة لَقِيَ النابغة بُعْكاظ ، وأشار عليه أن يُشير على قومه أن يَغْدِرُوا بنى أسد (١) وينقضوا حلفهم ، فأبى عليه النابغة وجعل حُطَّتْهُ التي التزمها من الوفاء برة ، وحُطَّة زُرعة لما دعاه إليه من الغدر ونقض الحلف فاجرة .
وبلغ النابغة أن زُرعة هجاه وتوعدّه فقال النابغة - وهذا أول القصيدة عند أبي عمرو الشيباني والأصمعي :

(١) هذا ما في ش ، وهو صحيح ، يقال غدره وغدر به ، كما في اللسان . وفي ط : « يغدروا

بنى أسد » .

(تُبْتُ زُرْعَةَ وَالسَّفَاهَةَ كاسمها
 يُهْدَى إِلَى غَرَائِبِ الْأَشْعَارِ
 فَحَلَفْتُ يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرٍو إِنِّي
 مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضِرَارِي
 أَعْلَمْتُ يَوْمَ عَكَاظَ حِينَ لَقِيتَنِي
 تَحْتَ الْغُبَارِ فَمَا خَطَطْتَ غُبَارِي
 أَنَا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا
 فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارِي
 فَلَتَاتِيْنِكَ قَصَائِدٌ وَلَيَدْفَعُنَّ
 أَلْفٌ إِلَيْكَ قَوَادِمَ الْأَكْوَارِ
 رَهْطُ ابْنِ كُوْزٍ مُحَقِّبُو أَدْرَاعِهِمْ
 فِيهِمْ وَرَهْطُ رَيْعَةَ بْنِ حُذَارِ
 وَلِرَهْطِ حَرَابٍ وَقَدْ سُورَةُ
 فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غَرَابُهَا بِمُطَارِ
 وَبَنُو قُعَيْنٍ لَا مَحَالَةَ أَنَّهُمْ
 آتَوْكَ غَيْرَ مَقْلَمِي الْأَظْفَارِ
 سَهْكِينَ مِنْ صَدَأِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
 تَحْتَ السُّتُورِ جِنَّةُ الْبَقَارِ
 وَبَنُو سُوءَاءَ زَائِرُوكَ بِوَفْدِهِمْ
 جَيْشٌ يَقُوْدُهُمْ أَبُو الْمِظْفَارِ

وبنو جذيمة حَيُّ صديق سادة
 غلبوا على خَبِيتٍ إلى تِعْشارٍ
 والقومُ غاضرةُ الذين تحمَّلوا
 بلوائهم سيراً لدارٍ قرارٍ
 جَمَعَ يَظُلُّ به الفضاءُ معضلاً
 يذر الإكامَ كأنَّهنَّ صَحارٍ)

وقال في آخرها :

(حولى بنو دُوْدانَ لا يَعصُونَنِي)

وبنو بغيضٍ كُلُّهم أنصارِي)

وقوله : « نُبِيتْ زُرْعَةٌ » إلخ بالبناء للمفعول والتاء نائب فاعل ، وزرعة مفعول ثان ، وجملة يُهْدَى إلخ في موضع المفعول الثالث . وقوله : « والسَّفاهة كاسمها » اعتراض ، أى فعل السفاهة قبيح ، وإنما قال هذا لأنَّ السَّفاهة كما تنكرها القلوب والعقول ، تمنحُّ الآذانُ اسمَها . فإن قلت : ما اسم السفاهة حتى قال : كاسمها ؟ قلت : أراد ما سَمِيَ سفاهة . أى المسمى بهذا الاسم قبيح ، كما أنَّ الاسم الذى هو السَّفَه قبيح ، إلا أنَّه لما لم يجد إلى العبارة عن الذات طريقاً إلا باسمه قال : « والسفاهة كاسمها » . كذا قال الإمام المرزوق . وقوله : « يُهْدَى إِلَى غَرَائِبِ الْأَشْعَارِ » إلخ يعنى أنه غير مشهور ، فالشعر من قبله غريب ، إذ ليس من أربابه .

وقوله : « فَحَلَفْتُ يَا زُرْع » إلخ جملة إنَّى إلخ جوابُ القسم . والضَّرار

بالكسر : الدنو من الشيء ^(١) والمُصَوَّق به . يقول : أنا قوَّى عزيز فالعدوُّ
يكره مجاورتي له .

وقوله : « أعلمت » إلخ الاستفهام تقريرى . وروى « أنسيت يوم » ٦٩
وخططت بالخاء المعجمة : شققت ، يقال ما حَطَّ غبارُهُ ، أى لم يدنُ منه
ولم يتعلَّق به .

وقوله : (أنا اقتسنا) إلخ بفتح همزة أنا ^(٢) لأنها مع معموليها فى تأويل
مصدر ساءً مسدِّ مفعولى علمت ، هذه رواية أنى عمرو . وروى الأصمعى :
(يوم اختلفنا حُطَّتينا) ، وابن الأعرابى : (يوم احتملنا) . يقول : بررتُ أنا
وفجرتُ أنت . قال شارح الديوان : قوله فجار يعنى حُطَّةً فاجرة ، خرج
مَخْرَج حذام ورقاش . والخطبة بالضم : الحالة والحَصْلَةُ . قال ابن السيد (فى
شرح أبيات الجمل) : وقال فى البر حملتُ وفى الفجور احتملتُ لأنَّ العرب
إذا استعملت فعل وافعلَّ بزيادة التاء كان الذى لا زيادة فيه يصلح للقليل
والكثير ، والذى فيه الزيادة للكثير خاصة ، نحو : قَدَّر واقتدر ، وكسب
واكتسب . فأراد أن يهجو بكثرة غدره وإيثاره للفجور ، فذكر اللفظة التى
يراد بها الكثير ليكون أبلغ فى الهجو . ولو قال : حملتُ فجار لأمكن أن
لا يكون غدرٌ إلا مرَّة واحدة .

وأما الأفعال التى لا تستعمل إلا بالتاء فخارجة عن هذا الحكم ، لأنها
تصلُّح لما قل ولما كثر ، كقولك : استويت على الشيء ، واجتويت البلد ، إذا
كرهته ، واكتريتُ الدار . فهذا لا يقال فيه إنه للتكثير خاصة ، لأنه
لم يستعمل غير مزيد .

(١) فى النسختين : « الدنو فى المشى » ، صوابه من شرح ديوان النابغة ٣٤ . وفيه : « يقال
أضر الشيء بالشيء إذا دنا منه وأثر فيه . ومنه ضرير الوادى ، وهو حرفه الذى يدنو منه ويؤثر فيه » .

(٢) ط : « إذا » ، صوابه فى ش .

وقوله : « فَلتَأْتِيَنَّكَ قِصَائِدٌ » إلخ ، هذا شروعٌ في تهديد زُرعة . يقول :
والله لأُغَيِّرَنَّ عليك بقصائد الهجو ورجال الحرب . وروى بنصب ألف ورفع
قواذم . يقول : لترَكِبَنَّ إليك نجائبُ تدفع إليك جيشاً . والكُور بالضم :
الرحل ؛ وقادمته : العودان اللذان يجلس بينهما الراكب .

وقوله : « رهط ابن كوز » إلخ أى هم رهط إلخ . وابن كُوز وريعة بن
حُذار بضمّ الحاء المهملة وكسرهما ، هما من بنى أسد . وقوله : « محقبو
أدراعهم » أى يجعلونها خلفهم في موضع الحقائق . والحقيبة : خُرج صغيرٌ
يربطه الراكب خلفه .

وقوله : « ولرهط حَرَابٍ وَقَدْ » إلخ الأوّل بفتح الحاء وتشديد الراء
المهملتين ، والثاني بفتح القاف وتشديد الدال . قال ابن الكلبي وابنُ
الأعرابي : هما من بنى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . والسُورة
بالضم : الفضيلة .

وهذا البيت استشهد به الزمخشري والبيضاوي ، عند قوله
تعالى : ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ^(١) ، على أنّ السُورة : الرُتبة .

وقوله : « ليس غرابُها بمطار » كناية عن كثرة الرهط ودوام العزّ لهما .
وإذا وُصف المكان بالخصب وكثرة الشجر قيل : لا يُطار غرابُه . يريد أنه
يقع في المكان فيجد ما يُشبع ، ولا يحتاج أن يتحوّل . فجعله مثلاً للمجد ،
أى مجدهم ليس بمنقلع .

وقال أبو عبيدة : هو في مكان مرتفع ، لا يؤدّي من العزّ . أراد أنهم

(١) الآية ٢٣ من البقرة .

أَعَزَّاءُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِمْ . وتخصيص الغراب لأنه المثل في الحذر ، فإنه يطير بأدنى ريبة .

وقوله : « وبنو قُعين » إلخ هم من بنى أسد . وقوله (غير مقلَمى) إلخ ، يريد إنهم آتوك غير مسالين لك ، وعداوتهم ظاهرة ، وإنما يأتونك للمحاربة . وآتوك : جمع آت .

وقوله : « سهكين من صدأ » إلخ ، متلبسين برائحة الحديد المُصدئ^(١) . يعنى أن السلاح يصدأ عليهم لطول لبسهم إياه . والسَّهْكة : رائحة الحديد المُصدئ . والسَّنُور : الدروع ، وقيل السَّلاح كله . والبَقَّار ، بالموحَّدة والقاف المشددة : موضع برمل عاج ، قريب من جبل طي^{٧٠} . تسكنه الجن . يقول : كأنهم جنٌّ في شجاعتهم .

وقوله : « وبنو سُوءة » بضم السين والمد ، هم من بنى أسد أيضاً . وأبو المظفر هو مالك بن عوف من بنى أسد .

وقوله : « وبنو جذيمة » إلخ بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ، هو من بنى أسد أيضاً . وجذيمة هو ابن مالك بن نصر بن قُعين . وحبَّت بفتح المعجمة وسكون الموحَّدة : اسم ماء في ديار كندة . وتِعِشار ، بكسر المثناة الفوقية وبعد المهملة شين معجمة : موضع في بلاد بنى تميم ، وقيل جبل في بنى ضَبَّة ، وقال الخليل : ماء لبني ضبة بنجد . كذا (في معجم ما استعجم) .

وقوله : « والقوم غاضرة » إلخ غاضرة بإعجام الأوّلين : قوم من بنى أسد

(١) كذا في ش في هذا الموضع وتاليه . يقال صدئ الحديد يصدأ ، وأصدأ يصدئ . وفي

ط : « الصدئ » ، وكلاهما صواب .

أيضاً . يقول : لم يتحملوا ليهربوا ^(١) ، إنما أرادوا الإقامة والثبات في منازلهم .
وقوله : « جمع يظُلُّ به » إلخ ، معضلاً بفتح الضاد المشددة : غاصاً
ضيّقاً ^(٢) .

وقوله : « حولى بنو دُودان » ، هم من بنى أسد . وبنو بغيض هم رهط
النابعة .

وترجمة النابغة تقدّمت في الشاهد الرابع بعد المائة ^(٣) .

وأما البيت الذى أورده سيبويه بعد البيت الشاهد فقد أورده غُفلاً غير
منسوب ، ولم يعزّه شراح أبياته ، وقال ابن السّيد : لا أعرف قائله . وعينه ابن
هشام اللخمي فقال : هو لحُميد الأرقط ، يقول لزوجِه وكانت قد سألتَه
الحجَّ ، وكان مقلاً فقال لها : امكثي حتى يرزقنا الله مالاّ نحجُّ به . فقالت
منكرة لقوله : أأمكث عاماً وقابله ، أى قابل ذلك العام . والقابل بمعنى
المقبل ، وهو جارٍ على قَبَل . يقال : أقبل وقَبَل ، وأدبر ودَبَر . وهو ظرفٌ
ومثله : معاً ، وعاملهما محذوف دلٌّ عليه المعنى كما قدّرنا . والهمزة للإنكار .
وهو من أبيات ثلاثة هي :

تحرّضني الذَّلْفَا على الحجِّ ويَحَهَا

وكيف نحجُّ البيتَ والحالَ حائله

فقلت امكثي حتى يسار البيت

لعلّ ملَمَّاتِ الزمانِ ستنجلي

وعلّ إلَه الناس يؤلّيك نائله

(١) ط : « ليهزلوا » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « عاضاً ضيقاً » .

(٣) الخزائن ٢ : ١٣٥ .

ويسار : اسمٌ لليسر ، معدول عن الميسرة وهي الغنى .
وترجمة حميد الأرقط تقدّمت في الشاهد الثالث بعد الأربعمئة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٦٩ (جَمَادٍ لَهَا جَمَادٍ وَلَا تَقُولِي
طَوَالَ الدَّهْرِ مَا ذُكِرَتْ : حَمَادٍ)

على أنهم قالوا : معناه قولي لها جموداً ولا تقولي حمداً ، بالتنكير والتذكير .

وهذا واردٌ على قولهم إنّ فعال معدولٌ عن معرّف مؤنث .
ومن قال كذا ابنُ السراج (في الأصول) فإنه قال بعد ما أنشد البيت : قال سيبويه : يريد قولي لها جموداً ولا تقولي لها حمداً .

ومنهم ابنُ الشجري ، [قال (٣)] (في أماليه) : جماد اسمٌ للجمود ، وجماد اسمٌ للحمد في هذا البيت . أراد قولوا لها : جموداً ولا تقولوا لها : حمداً .
وهذا لا يرُدُّ عليهم ؛ فإنهم قالوا : لا بدّ من التعريف والتأنيث في فعال بالمعاني الأربعة (٤) . وقولهم معناه جموداً وحمداً وما أشبهه ، فإنما هو تساهلٌ في التعبير عنه .

(١) الخزانة ٥ : ٣٩٥ .

(٢) في كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر أمالي ابن الشجري ٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٥ واللسان

(حمد) وديوان المتلمس ٧ شنقيطى و ١٦٥ صيرفى .

(٣) التكملة من ش .

(٤) انظر ص ٣٢٨ .

وكذلك فعل سيبويه ، إلا أنه اعتبر التأنيث في المعدول عنه ، إما تحقيقاً أو تقديراً ، قال : وأما ما جاء اسماً للمصدر فنحو فجار معدولة عن الفجرة ويسار معدولة عن الميسرة ، وكذلك قوله :

* والخيلُ تعدو بالصعيد بدادٍ *

٧١ فهذا بمنزلة قوله : تعدو بدداً^(١) ، إلا أن هذا معدول عن حذّه مؤنثاً . وكذلك لا مساسي ، والعرب تقول : أنت لا مساسي ، ومعناه لا تمسني ولا أمسك . ودعني كفاف ، فهذا معدول عن مؤنث وإن كانوا لم يستعملوا في كلامهم ذلك للمؤنث الذي عدل عنه بدادٍ وأخواتها . ونحو ذا في كلامهم . ألا ترى أنهم قالوا ملامح ومشابه وليالٍ ، فجاء جمعه على حذّ ما لم يستعمل في الكلام ، لا يقولون ملامح ولا ليالة . ونحو ذلك كثير ، قال الشاعر :

جمادٍ لها جمادٍ ولا تقولي البيت

فهذا بمنزلة جموداً . ولا نقول عدل عن قوله جمداً لها ، ولكنهما عُدلا عن مؤنث كبداد . انتهى نص سيبويه^(٢) .

فعنده يجب فيما لو كان من أسماء الأجناس غير مؤنث فجعل له اسمُ فعال أن يقدّر له التأنيث . وقد قدّر سيبويه في حصار وسفار أنه اسم الكوكبة والماء ، وهما من علم الشخص .

وقال السيرافي في بداد : إنه معدول عن البدّة أو المبادّة أو غير ذلك ، يعني مما يقدّر مؤنثاً يُعطى معنى ذلك المذكّر .

(١) هذا الصواب من سيبويه . في ط : « بداد » وفي ش : « بدادا » .

(٢) في هذا النص نقص عما في نسختي من كتاب سيبويه ٣ : ٢٧٦ . فانظره .

والبيت من قصيدة للمتلمس ، أورد بعضها الشريف ضياء الدين هبة صاحب السند
الله على بن محمد بن حمزة الحسيني (في حماسته) ، وهي ^(١) :

(صَبَاً مِنْ بَعْدِ سَلَوْتِهِ فَوَادِي

وَسَمَّحَ لِلْقَرِينَةِ بِانْقِيَادِ
كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدُّوا
وَحَثَّ بِهِمْ وَرَاءَ الْيَدِ حَادِي ^(٢)
عُقَاراً عَتَّقَتْ فِي الدَّنِّ حَتَّى
كَأَنَّ حَبَابَهَا حَدَقَ الْجَرَادِ
جَمَادٍ لَهَا جَمَادٍ وَلَا تَقُولُنَّ
لَهَا يَوْمًا إِذَا ذُكِرَتْ حَمَادٍ)

هذا ما أورده الشريف . وقوله : « صبا من بعد سلوته » إلخ ماضى
يصبو صَبَوَةً ، أى مال إلى الجهل والفتوة . وَسَمَّحَ بمهملتين بمعنى ذَلَّ وفاعله
ضمير الفؤاد . ويقال أَسَمَحَ بالألف أيضا . والقريضة : النفس ، ومثله الْقَرُونَةُ
بالواو أيضا . يقال أَسَمَحَتْ قَرِينَتُهُ وقرونته ، وكذلك قَرِينُهُ وقَرُونُهُ ^(٣) بدون
هاء ، أى ذَلَّتْ نفسه وتابَعَتْه على الأمر . وقوله :

* كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدُّوا * إلخ

أى مَضَوًا برأيم ، كذا قال الشريف صاحب الحماسة . وهو من
استَبَدَّ فلانٌ بكذا ، أى انفرد به . والواو ضمير تعود على قوم حبيته . وقوله :

(١) الديوان وحماسة ابن الشجرى ٢٤٩ .

(٢) في الديوان : « يوم استقلوا » ، « لدى المومة حاد » .

(٣) ط : « قريضة وقرونه » ، صوابه في ش .

« وحثَّ بهم » إلخ أى أسرعَ بهم . وحادى فاعلٌ حثٌّ ، وهو سائق الإبل بالحداء ، يقال حدا بالإبل يحدو حَدَوًا ، أى حثها على السير بالحداء كغراب ، وهو الغناء لها . وقوله : « وراءَ البيد » قال الشريف : أى حالَ دونهم البيد ، وهو جمع بيداء ، وهى القفر والمفازة .

وقوله : « عُقَارًا عَتَقَتْ » إلخ بضم العين مفعول شارب بمعنى الخمر . وهذا البيت يشهد للأصمعي ، فإنه قال : إن الخمر إنما سُمِّيت عُقَارًا لطول مُكثِّها فى الدَّنِّ . واحتج بقولهم : عاقَر فلان الشراب ، إذا لزمه وأدمنه . والْحَبَابُ بالفتح : ما ينتفخ من الماء ونحوه ويعلوه . قال الدينورى (فى كتاب النبات) : يقال لما ينزو من الخمر إذا مُزجت : الْحَبَابُ والقَوَاقِعُ . والجنادع : جنادُبُ تكون فى العُشْرِ . فشبه ما ينزو منها بالجنادب إذا قَمَصَتْ ^(١) . وأنشد هذا البيت مع البيت الأخير . وقد شبه حَبَاب الخمر بعيون الجراد . وقوله : (جماد لها جماد) إلخ بالجيم : الجمود ، والكلمة الأخيرة (حَمَادَ) بالمهمله : الحمد . قال الأعلم : هما اسمان للجمود والحمد ، معدولين عن اسمين مؤنثين سُمِّيا بهما ، كالمحمدة والمحمدة . وقال صاحب الصحاح : يقال للبخيل جَمَادٍ له ، مثل قطام ، أى لا يزال جامد الحال . وإنما بنى على الكسر لأنه معدول عن المصدر ، أى الجمود ، كقولهم : فجار أى الفجرة . وهو نقيضُ قولهم : حماد بالمهمله فى المدح . وأنشد الأبيات الثلاثة الأخيرة للمتلمس ، ثم قال : أى قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمداً وشكراً . اهـ .

وكونه معدولاً عن المصدر لا يكون سبباً لبنائه . قال الشريف صاحب

(١) قمصت : وثبت .

الحماسة : الضمير في لها يعود على القرينة . وقال جامع شعره أبو الحسن الأثرم : أى أجمد الله خيرها ، يقول قلله . يعنى الخمر . اهـ .

ومنه تعلم أن الأعلم لم يُصب في قوله : وصف امرأة بالجمود والبخل ، وجعلها مستحقة للذم غير مستوجبة للحمد . هذا كلامه ، وسببه أنه لم يطلع على البيت الأول .

وكذلك لم يصب ابن السّيد في قوله (فيما كتبه على كامل المبرد) : دعا على عاذلته بأن يقل خيرها . وهو مأخوذ من الأرض الجماد ، وهى التى لا تنبت شيئا . وقيل إنه دعا على بلاد هذه المرأة بالجمود وأن لا تنبت شيئا . انتهى .

وقوله : (ولا تقولى) بياء المخاطبة . وهذا هو المشهور ، وهو محرف من نون التوكيد الخفيفة كما رويناها عن الشريف ، وهى الصواب ، فإنه خطابٌ لمذكر ولم يتقدم ذكرُ أنثى . ويؤيده ما رواه ابن الشجرى (فى أماليه) : « ولا تقولوا » بالواو . وقوله (طوال الدهر) بفتح الطاء ظرف للقول ، يقال لا أكلّمه طوال الدهر ، وطول الدهر ، بمعنى . وما مصدرية ظرفية ، ونائب فاعل ذكرت ضمير القرينة ، وحماد فى موضع نصب لأنه مقول القول .

وهذه الأبيات الأربعة أوّل قصيدة ، وما أحسنَ هذه الأبيات منها : أبيات الشاعد

(وَأَعْلَمُ عِلْمَ حَقٍّ غَيْرَ ظَنٍّ)

وتقوى الله من خير العتادِ

لَحِفْظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ ضَيَاعِ

وَضَرْبُ فِى الْبِلَادِ بَغِيرِ زَادِ

وإصلاح القليل يزيد فيه

ولا يبقى الكثير مع الفساد (

وقد ضَمَّنَ البيتَ الأخيرَ بعضهم في الهجاء فقال :

يَحْصُنْ زَادَهُ عَنْ كُلِّ ضِرْسٍ

وَيُعْمَلْ ضِرْسُهُ فِي كُلِّ زَادٍ

ولا يَرَوَى من الأشعار شيئاً

سوى بيتٍ لأبرهة الإيادي

« قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلَحُهُ فَيَبْقَى

وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ »

وقد أخطأ هذا القائل في نسبة البيت إلى أبرهة من وجهين .

ومثله لابن وكيع التَّنِيسِيُّ :

مَالٌ يُخْلَفُهُ الْفَتَى لِلشَّامَتَيْنِ مِنَ الْعِدَا

خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَصْدِهِ إِخْوَانُهُ مُسْتَرْفَدَا

وروى أن حاتمًا البطائي لما سمع قول المتلمس قال : ماله قطع الله لسانه

يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْبَخْلِ ! هَلَّا قَالَ :

وَمَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ

ولا البخلُ في مال البخيل يزيدُ

فلا تلتَمِسْ فَقْرًا بَعِيشَ فَإِنَّهُ

لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ

٧٣

ألم تر أن المال غادٍ ورائح

وأن الذي يُعطيك ليس يبيدُ

والمتملس شاعرٌ جاهلي مُفلقٌ مُقل ، ذكره الجمحي في الطبقة السابعة التملس الضمير
من شعراء الجاهلية . قال أبو عبيدة : اتفقوا على أن أشعرَ المقلين في الجاهلية
ثلاثة : المسيب بن علس ، والحُصين بن حُمام ، والمتملس . واتفقوا على أن
المتملس أشعرُهم .

والمتملس اسمه جرير ، وكنيته أبو عبد الله بن عبد المسيح بن عبد الله
ابن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلَى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة
ابن نزار بن معد بن عدنان . وقيل : إنه جرير بن عبد العزى ؛ وقيل : غير
هذا . ودوفن بفتح الدال وسكون الواو وفتح الفاء بعدها نون . وجُلَى ، بضم
الجيم وتشديد اللام بعدها ألف مقصورة ^(١) . وأحمس : أفعل من الحماسة .
وضبيعة بالتصغير .

وسياًقى إن شاء الله وجهُ تسميته بالمتلمس في باب العلم .

وكان المتلمس مع ابن أخته طرفة بن العبد ينادم عمرو بن هند ملك
الحيرة ، ثم إنهما هجوا ، فلما أشعر ^(٢) بهجوهما كره قتلهما عنده ؛ فكتب
لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وقال لهما : إنني كتبت لكما
بصلة ، فاذهبا لتقبضاها !

فخرجا حتى إذا كانا ببعض الطريق إذا هما بشيخ على يسار الطريق ،
وهو يُحدث ويأكل ويقتل القمل ، فقال المتملس : ما رأيت كالיום شيخاً أحمق !

(١) كذا . والصواب أنه بصيغة التصغير ، كما في الاشتقاق ٣١٣ والجمهرة ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) ش : « شعر » .

فقال له الشيخ : ما رأيت من حُمقى ؟ أخرجِ الداء واكل الدواء ، وأقتل الأعداء ! أحمقُ مني والله من يحمل حتفه بيده ! فاستراب المتلمس بقوله ، وطلع عليهما غلامٌ من الحيرة ، فقال له المتلمس : تقرأ يا غلام ؟ قال : نعم . فكفَّ الصحيفة ودفعها إليه ، فإذا فيها : « أمّا بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيّاً ! » فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك ، فإن فيها مثل الذى فى صحيفتى ، فقال طرفة : كلاً ، لم يكن ليحتريء ^(١) على ، فإن بنى ثعلبة ليسوا كبنى ضبيعة ! فقذف المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وهرب إلى بنى جفنة ملوك الشام ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين ، فقتل هناك كما شرحناه مفصلاً فى ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة ^(٢) .

وقال المتلمس فى ذلك يُخاطب طرفة :

مَنْ مَبْلُغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمَا
خَبِراً فَتَصُدُّقَهُمْ بِذَاكَ الْأَنْفُسُ
أَوْدَى الَّذِى عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا
وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ الْمُتَلَمِّسُ
أَلِقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَالِكَ إِنَّهُ
يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْجِبَاءِ النَّقْرُسُ

والتَّقْرِسُ : داء فى الرَّجُل معروف . وصارت صحيفة المتلمس مثلاً يُضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع . قال الفرزدق :

(١) ش : « ليحتريء » .

(٢) الخزائن ٢ : ٤١٩ .

يا مَرُورَ إِنَّ مَطَيَّتِي مَحْبُوسَةٌ
 تَرْجُو الحَبَاءَ وَرُبُّهَا لَمْ يَبْأَسِ
 وَحَبَوْتَنِي بِصَحِيفَةٍ مَخْتُومَةٍ
 يُخْشَى عَلَيَّ بِهَا حَبَاءُ النَّقْرِسِ
 أَلِقِ الصَّحِيفَةَ يَا فَرْزَدُقُ لَا تَكُنْ
 نَكَدَاءً مِثْلَ صَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ

والبيت الأول من شواهد سيبويه ^(١) ، واستشهد به على ترخيم مروان بحذف الألف والنون ، لزيادتهما وكون الاسم ثلاثياً بعد حذفهما . وأراد مَرُورَ ابن الحكم .

وسبب هذا الشعر أَنَّ الفرزدق قَدِمَ المدينة مستجيراً بسعيد بن العاصي من زياد بن سُمَيَّةَ ، فامتدح سَعِيداً وَمَرُوراً عنده قاعد ، فقال :
 ترى القُرَّ الجَحَاجِجَ من قُرَيْشٍ
 إِذَا مَا الأَمْرُ بالمَكْرُوهِ عَالَا ^(٢)
 قِيَاماً يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ
 كَأَنَّهُمْ يَرُونَ بِهِ هِلَالاً

فقال له مروان : قعوداً يا غلام . فقال : لا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ ، إِلَّا قِيَاماً . فَأَغْضَبَ مَرُوانَ : وَكَانَ مَعَاوِيَةُ يُعَادِلُ بَيْنَ مَرُوانَ وَبَيْنَ سَعِيدٍ ؛ فَلَمَّا وَلِيَ

(١) في كتابه ١ : ٣٣٧ . وانظر ديوان الفرزدق ٤٨٢ .

(٢) ديوان الفرزدق ٦١٨ .

مروانُ كتب للفزدق كتاباً إلى واليه بضريّة^(١) ؛ أن يعاقبه إذا جاء ، وقال للفزدق : إنّي قد كتبت لك بمائة دينار ! فلما أخذ الكتاب وانصرف على أنّه جائزته ندم مروانُ ، فكتب إلى الفزدق :

قُل للفزدق والسّفاهةُ كاسمها

إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة إنَّها مرهوبة

واعمد لمكة أو لبيت المقدس

ففطن الفزدق وأجابه بهذه الأبيات ، فكان الفزدق لا يقرب مروان في خلافته ، ولا عبد الملك ، ولا الوليد .

وروى من طريق أخرى : أن مروان تقدّم إلى الفزدق أن لا يهجو أحداً ، وكتب إليه البيتين ، فأجابه الفزدق بالأبيات .

وقوله : « فاجلس » أى اذهب إلى المجلس^(٢) ؛ بفتح الجيم وسكون اللام ، وهو نجد . يقال جلس الرجل ، إذا أتى نجداً . والجباء : العطاء . وجعل الرجاء للناقة وهو يريد نفسه .

وروى ابن السّيد (فى شرح أبيات الجمل) هذا الخبر على غير هذا الوجه فقال : إن الفزدق كان مقيماً بالمدينة ، وكان أزنّى الناس ، فقال شعراً يقول فيه :

(١) ضرية : قال ياقوت : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر فى طريق مكة من البصرة من نجد .

ط : « بضرية » تحريف .

(٢) ط : « الجلسة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

هما دَلَّتَانِ مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
 كَمَا انْقَضَ بَارِزُ أَقْتَمِ الرِّيشِ كَاسِرُهُ ^(١)
 فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجَالِي فِي الْأَرْضِ قَالَتَا
 أَحْيَى يُرَجِّى أَمْ قَتِيلٌ نَحَازِرُهُ
 فَقُلْتُ : اِرْفَعِ الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا
 وَأَقْبَلْتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلِ أَبَادِرِهِ
 أَحَازِرُ بَوَائِيهِ قَدْ وُكِّلَا بِنَا
 وَأَسْمَرَ مِنْ سَاحِجِ تَصِيلِ مَسَامِرِهِ
 فَعْيَرَهُ جَرِيرٌ بِذَلِكَ فِي شَعْرِ طَوِيلٍ ، مِنْهُ :
 لَقَدْ وَلَدْتُ أُمَّ الْفَرْزُوقِ فَاجِرًا
 فَجَاءَتْ بَوَزَوَازِ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ ^(٢)
 يُوصِّلُ حَبْلِيهِ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ
 لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَالِمِ ^(٣)
 تَدَلَّيْتُ تَرْزِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
 وَقَصَّرْتُ عَنْ بَاعِ الْعُلَا وَالْمَكَارِمِ
 هُوَ الرَّجْسُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَاحْذَرُوا
 مُدَاخِلَ رَجْسٍ بِالْخَبَائِثِ عَالِمِ

(١) ديوان الفرزدق ٣٦١ .

(٢) ديوان جرير ٥٥٨ . وبقية الأبيات من قصيدة أخرى في ٥٦٠ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) ط : « جنبه » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

لقد كان إخراج الفرزدق عنهم

طهوراً لما بين المصلّى وواقم^(١)

فاجتمع أشراف المدينة إلى مروان بن الحكم وكان والياً بها ، فقالوا :
ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج النبي ﷺ وقد أوجب عليه
الحَد ! فقال مروان : لست أحده ، ولكن أكتبُ إلى من يحده . فأمره مروان
بالخروج من المدينة وأجلّه ثلاثة أيام ، ففى ذلك قال :

تَوَعَّدَنِي وَأَجَلَّنِي ثَلَاثًا كَمَا وُعِدْتُ لِمَهْلِكِهَا ثَمُودُ^(٢)

ثم كتب له كتاباً إلى عامله يأمره فيه بأن يحده ويسجنه ، وأوهمه أنّه
كتب له بجائزة . ثم ندم على ما فعل فوجّه عنه رجلاً وقال له : أنشده هذين
البيتين :

* قُلْ لِلْفَرْزَدَقِ وَالسَّفَاهَةِ كَاسِمَهَا *

ففطن الفرزدق لما أراد ، فرمى الصحيفة وقال الأبيات الثلاثة ، وخرج
هارباً حتى أتى سعيد بن العاصي ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
رضى الله عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كل واحد منهم بمائة دينارٍ وراحلة ،
وتوجّه إلى البصرة .

وقيل لمروان : أخطأت فيما فعلت ، كأنك عرضت عرضك لشاعرٍ
مُضَرٍّ ! فوجّه وراءه رسوله ومعه مائة دينارٍ وراحلة ، خوفاً من هجائه .

(١) واقم ، بالواو : أطم من آطام المدينة . ط : « راقم » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر

تصحيح .

(٢) ديوان الفرزدق ١٨٥ .

ولمّا هرب المتلمس إلى ملوك الشام هجا عمرو بن هند بقصيدة ،
 وحرّض قوم طرفه على الطلب بدمه ، أوّلها :
 إنّ العراق وأهله كانوا الهوى
 فإذا نأى نى ودّهم فليبعِد^(١)

إلى أن قال :
 إنّ الحَيّانة والمَغالة والخنى
 والعَدَر تتركه ببلدة مُفسِد^(٢)
 ملكٌ يلاعب أمّه وقطينها
 ريحُ المفاصل ، أيره كالمرود
 بالباب يرصد كلّ طالب حاجة
 فإذا خلا فالمرء غير مسدّد

فبلغ هذا الشعرُ عمراً فحلف إن وجده بالعراق ليقْتلنه ، وأن
 لا يطعمه حبّ العراق ! فقال المتلمس من قصيدة^(٣) :
 آليت حبّ العراق الدهرَ أطعمه
 والحبُّ يأكله في القرية السّوسُ
 لم تدر بُصرى بما آليت من قسم
 ولا دمشق إذا ديسَ الكراديسُ

(١) ديوانه ١٣٥ ص ١٢٠ .

(٢) ديوانه ١٤٦ ص ١٢٠ .

(٣) ديوانه ٩٥ .

والبيت من شواهد سيبويه ^(١) على أن نصب حبّ على نزع الخافض ،
أى على حبّ العراق . وآليت بالخطاب لعمر بن هند ، يقول له : حلفت
لا تركننى بالعراق ولا تطعننى من حبه ، والحال أن الحبّ لا يبقى إن أبقيته ،
بل يُسرّع إليه الفساد ويأكله السوس ، فالبخل به قبيح . وهذا على طريق
الاستهزاء به والسخرية .

وبُصرى : مدينة بالشام . يقول : لا تُدرى كثرة الطعام الذى يُبصرى
وبدمشق . والكراديس : أكداس الطعام .

ومن شعر المتلمس ، وهو من شواهد البديع :
ولا يقيمُ على ضيّمٍ يُرادُّ به

إلا الأذلّان : غير الحىّ والورث ^(٢)

هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمته

وذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدٌ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الأربعمئة ، وهو من أبيات
المفصل ^(٣) :

٤٧٠ (أطلتُ فراطهمُ حتّى إذا ما

قتلتُ سرّاتهمُ كانت قطّاطِ)

على أن (قطّاطِ) فيه وصف مؤنث بمعنى قاطئة ، أى كافية .

(١) فى كتابه ١ : ١٧ .

(٢) ديوانه ٢٠٨ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٥٨ ، ٦١ واللسان (قطط) .

قال الزمخشري (في المفصل) : أى كانت تلك الفعلة كافيةً لى وقاطئةً لثأرى ، أى قاطعة له . أشار إلى أنّ اسم كان ضمير الفعلة المفهومة من قتلت سراتهم . وقَطَّاط مبنية على الكسر فى محل نصبٍ خبر كان . قال ابن يعيش (فى شرحه) : وقطاط معدولٌ عن قاطئة أى كافية ؛ يقال قَطَّاطٌ بمعنى حسبى ، من قولهم : قَطَّك درهم ، أى حسبك ، مأخوذٌ من القطّ وهو القطع ، كأنَّ الكفاية قَطَّعت عن الاستمرار . انتهى .

وفراطهم ، بكسر الفاء ، أى إمهالى إيتاهم ، فهو مصدر مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف . قال صدر الأفاضل : أى أطلت إمهالهم والتأثنى بهم . والصواب « فراطكم » و « سراتكم » بالخطاب كما سيأتى . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنف) : الفِراط هو التقدُّم . يقول : سبقْتُ إليكم بالتهذُّد والوعيد لتخرجوا من حَقِّى . والسَّرة ، بالفتح ، قال أهل اللغة قاطبة : هو جمع سَرَى بمعنى الشريف . ويردُّ عليهم أنَّ فَعِيلاً لا يجمع على فعلة بالتحريك ، لهذا قال الشارح المحقق (فى شرح الشافية) : الظاهر أنَّه اسمُ جمع لا جمع .

وذهب السهيلي (فى الروض الأنف) إلى أنَّه مفرد لا جمعٌ ولا اسمُ جمع ، قال : لا ينبغى أن يقال فى سراة القوم إنَّه جمع سَرَى ، لا على القياس ولا على غير القياس ، إنَّما هو مثل كاهل القوم وسَنامهم .

والعجب كيف خفى هذا على النحويين حتى قلَّد الحَالف منهم السالف ، فقالوا : سَرة جمع سَرَى . ويا سبحان الله كيف يكون جمعاً له وهم يقولون جمع سَرة سَرات ، مثل قطاة وقطوات . يقال : هؤلاء من سَرات الناس كما تقول من رعوسهم .

ولو كان السَرة جمعاً ما جُمع ، لأنَّه على وزن الفَعلة ، ومثل هذا البناء

في الجموع لا يجمع ، وإنما سَرِيََ فعيل من السَّرَو وهو الشَّرَف ، فإنَّ جمع على لفظه قيل سَرِيََ وأسرِيا كَعَنَى وأغنيا ، ولكنه قليل وجوده ، وقلة وجوده لا تدفع القياس فيه . وقد حكاه سيبويه . انتهى .

والبيت من أبياتِ عمرو بن معديكرب الصَّحابي ، قالها قبل إسلامه ،
لبنى مازن من الأزْد ؛ فإنَّهم كانوا قتلوا أخاه عبد الله فأخذ الدِّية منهم ، فعَيَّرته
أخته كبشة بذاك ، فغزاهم وأثخنَ فيهم ، وقال هذه الأبيات :

(تَمَنَّتْ مازنٌ جهلاً خِلاطِي)

أبيات الشاعر

فذاقت مازنٌ طَعَمَ الخِلاطِ (١)

أَطَلْتُ فِرَاطَكُمْ عاماً فعاماً

وَدَيْنَ المَذْحِجِيَّ إِلَى فِرَاطِ

أَطَلْتُ فِرَاطَكُمْ حَتَّى إِذَا مَا

قَتَلْتُ سَرَائِكُمْ كَانَتْ قَطَاطِ

غَدَرْتُمْ غَدْرَةً وَغَدَرْتُ أُخْرَى

فَمَا إِنْ بَيْنَنَا أَبْدأً يِعَاطِ

بَطْعِنِ كَالْحَرِيقِ إِذَا التَّقِينَا

وَضُرِبَ المَشْرِقِيَّةُ فِي العُطَاطِ)

الخِلاطُ : مصدر خالطه مخالطةً وخلاطاً . ومازن هو مازن بن زُبَيْد ،
وأراد به القبيلة . ودَيْنَ بالفتح . ومَذْحِجٍ ، بفتح الميم وسكون الذال المعجمة
وكسر الحاء المهملة بعدها جيم : قبيلة كبيرة من قبائل اليمن تفرَّعت منها قبائلُ

(١) في أمالي القالي ٣ : ١٩١ : « فذوق مازن » .

كثيرة . قال ابن الكلبي (في جمهرة الأنساب) : بنو الحارث بن كعب من مذحج . والنَّحْع من مذحج ، وجنَّب من مذحج ، وصُدَاء من مذحج ، ورُهَاء من مذحج ، وسَعْد العشيرة من مذحج ، والبطون المذكورة منها إلى زُيْد . ومُرَاد من مذحج ، وَعَنْس من مذحج ؛ وَطِيَّء من مذحج . ومَذْحِج : اسم امرأة ، وهي بنت ذى مَنَجِشَان ^(١) ، كانت أمَّها وَلَدَتْهَا عَلَى أكمةٍ يقال لها مَذْحِج ، فَلَقَّبَتْ بها .

وَيَعَاظ بفتح المثناة التحتية بعدها عين مهملة : كلمة إغراء عَلَى الحرب ، أى احمِلوا .

وَالْعُطَاظ بضم الغين المعجمة : أول الصبح .

كذا روى أبو على القالى هذه الأبيات الخمسة (في نوادره) . وقد اختلف في رواية هذا الخبر . قال أبو على القالى (في ذيل الأمالى) : قال : أبو محمَّد : حدثني ^(٢) السُّكْرِيُّ قال : حدثنا ابن حبيب قال : قال هشامُ بن الكلبي : مرَّ عبد الله بن معديكربَ براجَ للمحزَّم ^(٣) بن سلمة ، من بني مالك بن مازن بن زُيْد ، فاستسقاءهُ لبناً فأبى واعتلَّ عليه ، فشتمه فقتله عبد الله ، فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه ، فتوانى عمرو في الطلب بدمه ، فأنشأت أخته تقول أبياتاً ، فاحتذى عمرو عند ذلك فثار في قومه بنى عُصَم ^(٤) ، فأباد بنى مازن ، وقال في ذلك :

(١) هذا ضبطه في لسان (ذحج) والقاموس (نجش) .

(٢) ط : « وحدثني » .

(٣) في الأمالى ٣ : ١٩٠ والأغاني ١٤ : ٣٢ : للمخزَّم « بالخاء المعجمة ، لكن قيدها نغدادى فيما سيأتى بالخاء المهملة .

(٤) ط : « بنو عصم » . صوابه في ش .

* تمت مازنٌ جهلاً خلاطى *

إلى آخر الأبيات الثلاثة الأولى . ولم ينشد البيتين الأخيرين (١)

وروى أيضاً (فى نوادره) أن الأصمعى قال : كان بين عمرو بن معديكرب وبين رجل من مراد يقال له أبى كلام ، فتنازعا فى القسَم ، فعجل عمرو وكانت فيه عَجَلَة ، وكان عبد الله أخو عمرو رئيس قومه ، فجلس مع بنى مازن رهط من سعد العشيرة ، وكانوا فيهم ، فقعد عبد الله يشرب ، ويسقيهم رجل يقال له المحزَّم (٢) من بنى زُبيد ، له مال وشرف . وكان عَبدٌ من عبيد المحزَّم قائماً يسقى القوم ، فسبه عبد الله فضربه ، فقام رجلٌ نشوانٌ من بنى مازن فقتل عبد الله . فرأس عمرو بعد أخيه ، وكان غزا غزوةً فأصاب فيها ومعه أبى المرادى ، فادعى أنه كان مساند عمرو ، فأبى عمرو أن يعطيه ، فلما رجع عمرو من غزاته جاءت بنو مازن فقالوا : قتله رجلٌ منا سفيه ، ونحن يدك عليه وعضدك ، وإنما قتله وهو سكران ، فنسألك بالرحم أن تأخذ الدية وتأخذ بعد ذلك ما أحببت ! فأخذ عمرو الدية وزادوه بعد ذلك أشياء كثيرة ، فغضبت أخت له تسمى كبشة ، وكانت ناكحاً فى بنى الحارث بن كعب ، فقالت :

أرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه

إلى قومه أن لا تُحلُّوا لهم دَمى (٣)

(١) لم يرد الخبر على هذا الوجه فى الأمالى ، كما أن الأبيات الطائية مروية فيها كلها .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ٣٥١ فيما يخص هذا العلم .

(٣) وكذا فى الحماسة بشرح المروزقى ٢١٧ ، بالخرم ، وفى الأمالى ومعجم البلدان (صعدة) :

« وأرسل عبد الله » .

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكرًا
 وأترك في بيت بصعْدَة مُظْلَمٍ
 ودَع عَنْكَ عَمراً إِنَّ عَمراً مسالِمٌ
 وهل بطن عمرو غير شبر لمطعمٍ
 فإن أنتم لم تقتلوا وأتديتُمُو
 فمشوا بأذان التَّعامِ المصلِّمِ
 ولا تشربوا إلَّا فضولَ نسائكُم
 إذا أنهلت أعقابهنَّ من الدم (١)
 جدعتم بعبد الله سيّد قومه

بنى مازن أن سُبَّ ساقِ المخزَّم (٢)
 فلما حَضَّتْ كبشة أخاها عمراً أكْبَّ بالغارة عليهم وهم غارُون ،
 فأوجعَ فيهم . ثم إن بنى مازن احتملوا فنزلوا في مازن بن مالك بن عمرو بن تميم
 فقال عمرو في ذلك :

* تَمَنَّتْ مازنُ جهلاً خِلاطِي (٣) *

الآبيات الستة .

والمخزَّم ، بتشديد الزاءِ المفتوحة والحاء قبلها مهملة . والمساندة :
 المعاضدة . وخرج القومُ متساندين ، أى على راياتٍ شَتَّى ، أى ولم يكونوا
 تحتَ رايةِ أميرٍ واحد (٤) .

وقولها : « أرسل عبد الله » أورد أبو تمام هذه الآبيات إلا البيت الأخير

(١) في الحماسة ومعجم البلدان : « ولا تردوا » و « إذا ارتقلت » .

(٢) في الأملال : « المخزَّم » .

(٣) ط : « فراطى » صوابه في ش .

(٤) كلمة « تحت » ساقطة من ش .

(في الحماسة) : قال التبريزي : إنما تكلّمتُ به على أنه إخبار عما فعله عبد الله ورضيها تحضيضهم على إدراك الثأر . وقولها : أن لا تخلّوا من التخلية .
 ٧٨ وهذه رواية القالي . ورواية الحماسة : « لا تعقلوا لهم دمي » . يقال عقلتُ فلاناً ، إذا أعطيت ديتة . والمراد : لا تأخذوا بدل دمي عقلاً . ورواه ابن الأعرابي : « أن لا يُعْلُوا لهم دمي » بالمشناة التحتيّة والغين المعجمة ، وقال : الإغلال عند العرب : ترك القَصَاب بعض اللحم في الإهاب . والغلول : الخيانة في المغنم . والإفال : جمع أفيل ، وهو الصَّغير من الإبل ، وكذا الأَبْكَر ، وهو جمع بكر . قال التبريزي : فإن قيل : لم ذكر الإفال والأبكر ، وما يؤدّي في الديات لا يكون منهما ؟ قلت : أراد تحقير الديات ، كما يقال في تحقير نحو خلعة : أعطى فلانٌ خِرْقاً ، وإن كانت فاخرة .

وقولها : « وأترك في بيت » إلخ ، صَعْدَة : مِخْلَافٌ من مخاليف اليمن ، أى ناحية منها . وإنما جعلت قبره مُظْلماً لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أُهْدِرَ دُمُه أو قبلت ديتة يبقى قبره مظلماً .
 وقولها : « وهل بطن عمرو » إلخ تزهيد في الدية ، كما روى في الخبر : « هل بطن ابن آدم إلا شبر في شبر » ، لما أريد تزهيدُه في الدنيا .
 وقولها : « أتديتمو » أى قبلتمو الدية ، وهو افتعلتم ، يقال وديتة فأتدّى .

وقولها : « فمشّوا » إلخ أى امشوا . وضَعَفَ الفعل للتكثير . ومن روى بضم الميم فمعناه امسحوا بالمشوش بفتح الميم ، وهو منديل يُمسح به الدِّسم . والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاءً بأذان مجذعة كأذان النعام . ووصف النعام بالمصلّم تصغيراً لها ، وإن كانت خِلقة . يقول :

كانكم مما تعيرون ليست لكم آذان تسمعون بها ، فامشوا بغير آذان .
واختلف في النعام فقيل إنها كلها صلّم ، وقيل غير ذلك .

وقولها : « ولا تشربوا إلا فضول » إلخ رواه أبو تمام : « ولا تردّوا » ،
و « إذا ارتملت » . قال التبريزي : يقال ترمل وترمل ، إذا تلطّخ بالدم ، فكان
من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدّم الرجال ثم الرعاة ثم النساء ، فكنّ يغسلن
أنفسهنّ وثيابهنّ ويتطهّرن ، آمناات مما يُرعجهنّ ، فمن تأخّر عن الماء حتى
يصدّر النساء فهو الغاية في الذل . وجعلت النساء مرتلمات بدم الحيض
تفطيعاً للشّان .

وقال النّمريّ : قال أبو رياش : تقول : إذا قبلتم الدية فلا تأنفوا بعدها
من شيء كما تأنف العرب ، واغشوا نساءكم وهي حيض . والفضول : بقايا
الحيض . وسَمِيَ الغُشيانَ ورداً مجازاً . وقال أبو محمد الأعرابيّ : معناه لا تردوا
المواسم بعد أخذ الدية إلا وأعراضكم دنسة من العار ، كأنكم نساء حيض .
وهذا كما قال جرير :

لا تذكروا حُللَ الملوك فإنكم

بعد الزُّبير كحائضٍ لم تَغَسِّلَ (١)

وقال ابنُ الأعرابيّ بعد إيراد هذه الأبيات : إن المحزّم (٢) بن سلمة
أحد بني مازن بن زبيد قتل عبد الله بن معديكرب أخا عمرو ، وكان عبد الله
لطم عبداً للمحزّم على شرايب ، فجاءت بنو مازن إلى عبد الله فقتلوه ورأسوا

(١) البيت لم يرد في ديوانه .

(٢) جعلها الشنقيطي هي وتالياتها : « المحزّم » بالخاء المعجمة . ولكن قيدها البغدادى بالخاء
المهملة فيما سبق .

عليهم عمرو بن معديكرب ، فلما حضت عمراً أكبَّ على بنى مازن بقتلهم ^(١) وهم غارون ^(٢) فيقال إنهم احتملوا فنزلوا فى بنى مازن بن عمرو ، فهم فيهم . وأنفذ عمرو ابن أخ له وأعطاه الصمصامة ، وقال : اقتل بها المحزّم . فمضى فقتل المحزّم وابن أخ له ، ثم انصرف إلى عمرو فقال له : ما صنعت ؟ قال : قتل المحزّم وابن أخيه ! فقال عمرو : كيف أصنع ببني مازن وقد قتلت سيدها ؟ فقال الغلام : أعطيتني الصمصامة ، وسميتني المقدام ثم أقتل واحداً فما خبرى إذن ؟ قال : فرحل عمرو فى أربعين من بنى زبيد فصار فى جرّم ، حتى جاء الإسلام وهاجر . اهـ .

وروى هذا الخبر مفصلاً الأصفهاني (فى الأغاني) قال : كان عبد الله ابن معديكرب رئيس زبيد ، فجلس مع بنى مازن فشرب ، فتغنى عنده حبشئ وهو عبد للمحزّم ^(٣) أحد بنى مازن ، فشبب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبد الله وقال : أما كفاك أن تشرب معنا حتى تشبب بالنساء ! فنادى الحبشئ : يا لمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، فرؤس ^(٤) عمرو مكان أخيه . وكان عمرو غزا هو وأبى المرادى ، فأصابوا غنائم ، فادعى أنه كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، فكرة أبى أن يكون بينهم شر ، لحدائنة قتل أخيه ، فأمسك عنه . وبلغ عمراً أنه توعدّه ، فقال فى ذلك قصيدة منها :

تَمَنَّا لِيَقْتَلَنِي أُبَيٌّ وَدِدْتُ وَأَيْنَا مَنَّى وَدَادَى

(١) وفيما سيأتى : « بالقتل » .

(٢) غارون : غافلون . ط : « عارون » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وضبط الراء بالشدّة .

وقد سبقت على هذا الوجه فى ص ٣٥٧ .

(٣) فى ش والأغاني ١٤ : ٣٢ : « للمخزم » بالخاء المعجمة .

(٤) كذا فى ش والأغاني . وفى ط : « فرأس » .

فلو لاقيتني للقيت قرناً وصرح شحم قلبك عن سواد
إذن للقيت عمك غير نكس ولا متعلم قتل الواحد^(١)
أريد جباهه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد^(٢)

وكان علي بن أبي طالب إذا نظر إلى ابن ملجم أنشد :

أريد جباهه ويريد قتلى البيت

وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا : إن أخاك قتله رجل منا سفيه وهو
سكران ، ونحن يدك وعضدك ، فنسألك بالرحم إلا أخذت منا الدية
ما أحببت ! فهم عمرو بذلك وقال :

« إحدى يدي أصابتنى ولم ترد^(٣) »

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كبشة ، وكانت ناكحاً في بني الحارث
ابن كعب ، فغضبت ، فلما وافى الناس من الموسم قالت شعراً . وأنشد
الآبيات الستة . فقال عمرو قصيدة منها :

أرقت وأمسيث لا أرقد وساورني الموجع الأسود
وبت لذكرى بني مازن كأني مرتفق أريد^(٤)

(١) في الأغاني : « ولا متعلما » . في الأصل : « قتلى » ، وفي الأغاني « قبل » .

(٢) انظر تحقيق البيت في حواشي نسختي من سيبويه ١ : ٢٧٦ . ويروى : « أريد حياته » .

(٣) وكذا ورد في الأغاني ١٤ : ٣٣ على أنه نثر . وإنما هو عجز بيت هو أول حماسية رواها
أبو تمام ٢٠٧ لأعرابي قتل أخوه ابنا له فقدم إليه ليقناده منه ، فألقى السيف وهو يقول :

أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(٤) في الأغاني : « أريد » .

ثم أكبَّ عمرو على بنى مازن فقتلهم ، وقال فى ذلك :
 أخذوا حِقَقًا مَخْطُمَةً صفايا وكيدى يا محزَم ما أكيدُ ^(١)
 قتلتم سادى وتركتمونى على أكتافكم عبءٌ جديدُ ^(٢)

فأرادت بنو مازن ، أن يردُّوا عليهم الدية لما آذَنهم بحرب ، فأبى عمرو . وكانت بنو مازن من أعداء مذحج ، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمها دون عمرو ، وكان عمرو يهْم بالكف عنهم حتى قتل من قتل منهم ، فركبت كبشة فى نساء من قومها وتركت عمراً أخاها وعيرته فأفحمتها ، فأكبَّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا ، فلحقت بنو مازن بصاحبهم مازن بن تميم ، ولحقت ناشرة ببني أسد ، ولحقت فالج بسليم بن منصور . وفالج وناشرة ابنا أُمّار بن مازن بن ربيعة بن مُنْبه بن صَعْب بن سعد العشيرة . فقال كابية ^(٣) بن حرقوص بن مازن ^(٤) :

يا ليتنى ياليتنى بالبلدة
 رُدَّت على نجومها فارتدَّت
 من كان أسرع فى تفرُّق فالج
 فلبوئه جَرِيَتْ معاً وأغْدَت ^(٥)
 هلاً كناشرة الذى ضيَّعتم
 كالغُصن فى غُلوائه المتنبَّت

٨٠

(١) فى الأغاني : (يا محزم) . والحقق : جمع حقة بالكسر ، وهى من الإبل : ما دخل فى الرابعة ، تؤخذ فى الصدقات والديات . وفى الأصل والأغاني : « حقان » ، ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى .

(٢) ما بعد هذا من سائر الخبر لم يرد فى الأغاني .

(٣) ط : « كاتبة » صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر حواشى الحيوان ٦ : ٤٥٥ .

(٤) فى سيبويه ١ : ٣٦٨ نسبة الشعر إلى عنز بن دجاجة .

(٥) ط : « جذبت معا » ش : « جذبت معا » ، صوابها ما أثبت من سيبويه .

وقال عمرو فى ذلك :

« تَمَنَّتْ مازنٌ جهلاً خلاطى »

الآيات السابقة إلا البيت الأخير .

وتقدّمت ترجمة عمرو بن معديكرب فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٧١ (والخيلُ تعدو فى الصَّعِيدِ بَدَادِ)

على أن (بداد) وصف مؤنث معدول عن متبذدة أى متفرقة ، فهو حال .

وهذا مخالف لقول سيويه ، فإنه أنشده على أن بداد فيه معدول عن مصدر مؤنث لا عن وصف . قال : هذا بمنزلة قوله تعدو بدداً (٣) . فيكون المصدر مؤولا بالحال .

قال الأعلم : الشاهد فيه قوله بداد ، وهو اسم للتبذد ، معدول عن مؤنث ، كأنه سمى التبذد بدّة ثم عدلها إلى بداد ، كما سمى البرّ : برّة . انتهى .

وصنيع الشارح أحسن ، فإن الحال نادرٌ وقوعها معرفة .
ويأتى بداد اسم فعل أمر أيضاً . وأورده الزمخشري فى فعال الأمرى ، قال :

(١) الخزانة ٢ : ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر مجالس ثعلب ٥٢٧ والمقتضب ٣ : ٣٧١ وأمالى ابن السجى

٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٤ والمجم ١ : ٢٩ والأشمونى ٣ : ٢٧١ واللسان (بدد ، حلق) وديوان حسان ١٠٨ والنايقة الجعدى ٢٤١ .

(٣) فى الأصل : « بدادا » ، صوابه من سيويه .

وبدَادِ ، أى ليأخذ كلَّ منكم قرْنَه . ويقال أيضا : جاءت الخيلُ بدَادِ ؛ أى متبدِّدة . فهى مشتركة بين الأمر والمصدر .

قال فى الصحاح : قولهم فى الحرب : يا قوم بدَادِ بدَادِ ، أى ليأخذ كلُّ رجلٍ قرْنَه . يقال منه تبادَّ القومُ يتبادُّون ، إذا أخذوا أقرانهم . وبنى لأنَّه واقع موقع الأمر . ويقال أيضا لقوا بدَادَهم ^(١) ، أى أعدادهم ، لكل رجلٍ رجلٌ . والبَدَادُ ، بالفتح : البرَّاز . يقال : لو كان البَدَادُ ما أطاقونا ، أى لو بارزناهم رجلٌ ورجل . وقولهم : جاءت الخيلُ بدَادِ ، أى متبدِّدة . وبنى أيضا على الكسر لأنَّه معدول عن المصدر ، وهو البَدَدُ . قال :

* والخيلُ تعدو فى الصعيدِ بدَادِ *

وتفرَّق القومُ بدَادِ ، أى متبدِّدة . قال حسان :

كُنَّا ثمانيةً وكانوا جَحْفَلًا

لَجِبًا فَشَلُّوا بالرِّمَاحِ بدَادِ ^(٢)

وإنَّما بنى للعدل والتأنيث والصفة . انتهى .

فبدَاد على هذا ثلاثة أقسام . وهو تابعٌ فى صنيعه . وكذلك تبعه ابن الشجرى (فى أماليه) فإنه أوردَ البيت فى قسم المصدر وقال : أراد بددا . والبيت من أبيات لعوف بن الخريج ^(٣) التِّيمى ، يَرُدُّ على لقيط بن

(١) وكنا فى القاموس . وفى اللسان : « أبداهم » .

(٢) ديوان حسان ١٠٨ .

(٣) ط : « الجزع » ، صوابه فى ش ، وسيأتى فى نهاية الشاهد ضبطه .

زُرارة ، فَإِنَّهُ كَانَ هَجَا عَدِيًّا وَثِيماً ، وَعَيْرُهُ عَوْفٌ بِفِرَارِهِ عَنْ أَخِيهِ مَعْبِدٍ لَمَّا أُسِرَ . وَقَبْلَهُ :

(هَلَّا كَرَرْتَ عَلَى ابْنِ أُمِّكَ مَعْبِدُ)

وَالْعَامِرِيُّ يَقُودُهُ بِصِفَادٍ

وَذَكَرْتَ مِنْ لَبَنِ الْمُحَلَّقِ شَرِبَةً

وَالْخَيْلُ تَعْدُو بِالصَّعِيدِ بَدَادٍ)

فِي الْأَغَانِي ^(١) بِسَنَدِهِ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمٍ الْمُرِّيَّ لَمَّا قَتَلَ خَالِدَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ غَدْرًا ، عِنْدَ التُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ بِالْحَيْرَةِ ، فَأَتَى زُرَارَةَ بْنَ عُدْسٍ فَكَانَ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي بَنِي تَمِيمٍ عِنْدَ زُرَارَةَ حَتَّى لَحِقَ بِقَرِيْشٍ . فَخَرَجَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ حَيْثُ لَجَأَ إِلَى زُرَارَةَ ، فَسَارَتْ بَنُو عَامِرٍ نَحْوَهُمْ ، وَالتَقَوْا بِرَحْرَحَانَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأُسِرَ يَوْمئِذٍ مَعْبِدُ بْنُ زُرَارَةَ ، أَسْرَهُ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ، وَاشْتَرَكَ فِي أَسْرِهِ طُفَيْلٌ وَرَجُلٌ مِنْ غَنًى يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْلَةَ ، وَهُوَ عِصْمَةُ بْنُ وَهَبٍ ، وَكَانَ أَخَا ابْنِ مَالِكٍ مِنَ الرِّضَاعِ ، وَكَانَ مَعْبِدُ بْنُ زُرَارَةَ كَثِيرَ الْمَالِ ، فَوَفَدَ لِقَيْطِ بْنِ زُرَارَةَ عَلَى عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ رَجَبٍ ، فَسَأَلَ ٨١ عَامِرًا أَنْ يُطْلِقَ أَخَاهُ ، فَقَالَ عَامِرٌ : أَمَّا حِصَّتِي فَقَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ ، وَلَكِنْ أَرْضِ أَخِي وَحَلِيفِي اللَّذَيْنِ اشْتَرَا فِيهِ . فَجَعَلَ لِقَيْطُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، فَرَضِيًّا وَأَنْثِيًّا عَامِرًا فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ عَامِرٌ لِلْقَيْطِ : دُونَكَ أَخَاكَ ، فَأُطْلِقَ عَنْهُ . فَلَمَّا أَطْلَقَهُ فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ لِقَيْطُ وَقَالَ : أَعْطِيهِمْ مِائَتَيْنِ مِنَ الْإِبِلِ ^(٢) وَتَكُونَ

(١) الْخَبَرُ هُنَا بِاخْتِصَارٍ مِنَ الْأَغَانِي ١٠ : ٣٠ - ٣٢ .

(٢) فِي شِ وَالْأَغَانِي : « مِائَةُ » ، وَإِنَّمَا هُمَا مِائَتَانِ كَمَا فِي ط .

النَّعْمَةُ لَهُمْ (١) ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ ! وَرَجَعَ إِلَى عَامِرٍ فَقَالَ : إِنَّ أُنَى زُرَّارَةَ نَهَانَا أَنْ نَزِيدَ عَلَى دِيَةِ مَضَرٍّ وَهِيَ مَائَةٌ ، إِنَّ أَنْتُمْ رَضِيتُمْ أَعْطَيْتُكُمْ مَائَةً مِنْ الْإِبِلِ . فَقَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا فِي ذَلِكَ . فَانصَرَفَ لَقِيْطُ ، فَقَالَ لَهُ مَعْبِدُ : مَا لِي يُخْرِجَنِي مِنْ أَيْدِيهِمْ . فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ لَقِيْطُ ، وَقَالَ مَعْبِدُ لِعَامِرٍ : يَا عَامِرُ أَنْشُدْكَ اللَّهَ لَمَّا خَلَيْتَ سَبِيلِي ، فَإِنَّمَا يَرِيدُ ابْنُ الْحَمْرَاءِ أَنْ يَأْكُلَ مَا لِي (٢) ! وَلَمْ تَكُنْ أُمُّهُ أَمْ لَقِيْطُ . فَقَالَ عَامِرُ : أَبْعَدَكَ اللَّهُ ، إِنْ لَمْ يَشْفُقْ عَلَيْكَ أَخَوْكَ فَأَنَا أَحَقُّ أَنْ لَا أَشْفُقَ عَلَيْكَ . فَعَمَدُوا إِلَى مَعْبِدٍ فَذَبَحُوا شَاةً فَأَلْبَسُوهُ جِلْدَهَا حَارًّا وَشَدُّوا عَلَيْهِ الْقِدَّةَ ، وَبَعَثُوا بِهِ إِلَى الطَّائِفِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الْحَرَجِ :

* هَلَّا كَرَّرْتَ عَلَى ابْنِ أُمِّكَ * الْبَيْتَيْنِ

وَالْكَرُّ هُنَا : الرَّجُوعُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ لِاسْتِخْلَاصِ أَخِيهِ مِنَ الْحَرْبِ . وَاتَّفَقَتْ جَمِيعُ الرِّوَايَاتِ عَلَى قَوْلِهِ (ابْنِ أُمِّكَ) مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ أُمِّينَ . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ (فِي شَرْحِ النِّقَاطِضِ) : لَيْسَتْ أُمُّهُمَا وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ أُمُّهُمَا أُمَّهُاتُ (٣) فَجَمَعَهُمَا .

وَرَوَاهُ ابْنُ السَّيِّدِ (فِيمَا كَتَبَهُ عَلَى كَامِلِ الْمُبَرَّدِ) : (عَلَى أُخْيَيْكَ مَعْبِدُ) .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ الْأَسْوَدُ (فِي ضَمَالَةِ الْأَدِيبِ) : قَدْ غَلِطَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ مِنْ وَجْهِينَ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الشَّعْرَ لِعَوْفِ بْنِ الْخَرَجِ ، وَهُوَ قَدْ نَسَبَهُ إِلَى ابْنِ كِرَاعٍ .

(١) فِي الْأَغَانِي : « ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ النَّعْمَةُ عَلَى بَعْدِ ذَلِكَ » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « كُلُّ مَا لِي » . وَالْحَمْرَاءُ : الرُّومِيَّةُ أَوْ الْفَارَسِيَّةُ .

(٣) ش : « لَهَا أُمَّهُاتُ » .

والثانى : أَنَّهُ قال : (على ابن أمك) وإنما الرواية : (على أُخَيْكَ)
بالتصغير ، لأنَّ معبدا لم يكن لأمّ لقيط .

وقوله : (والعامرى يقوده) إلخ جملةٌ حال من التاء فى كررت .
والصفاد بالكسر : جمع صَفَدَ بفتحين ، وهو القيد .

وقوله : (وذكرى من لبن) إلخ الجملة معطوفة على هَلَّا كررت .
والحَلَقُ بتشديد اللام المفتوحة ، قال صاحب النقائص : الحَلَقُ سُمَةُ إِبْلِ بنى
زُرارة .

وقال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : الحَلَقُ : إِبْلٌ موسومة
بالحَلَقِ على وجهها . وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : أى من لبن التَّعَمِ
الذى عليه وسومٌ كأمثال الحَلَقِ .

وقوله : (والخيل تعدو) الجملة حال من تاء المخاطب فى ذكرت .
والصَّعِيد : وجه الأرض . وروى بدله : (بالصفاح) بالكسر . قال ابن
السيد : وهو موضع .

قال الأعلام : يقول هذا للقيط بن زُرارة التميمى ، وكان قد انهزم فى
حربٍ أَسْرَ فيها أخوه مَعْبَد بن زُرارة ، فعَيَّرَهُ ونسب إليه الحرصَ على الطعام
والشراب ، وأنَّ ذلك حَمَلَهُ على الانهزام ، وأراد بالحلَقِ قِطْعَ إِبْلِ وَسْمٍ بِمِثْلِ
الحَلَقِ من وَسْمِ النار . انتهى .

قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : قال مَقَّاسُ العائِذى :

تَذَكَّرْتُ الحَيْلَ الشَّعِيرَ عَشِيَّةً

وَكُنَّا أَناساً يعلفون الأياصرا

أى ذكركم (١) الحَبَّ والقُرَى فانهزمتم ورجعتم إليها ، ونحن نعلف الحشيش ، فنحن نسير لا نهزم ولا نبالى أين كنا .

ونحو منه قول عوف بن عطية بن الخرج اللقيط بن زرارة :

هَلَّا كَرَرْتُ عَلَى ابْنِ أُمِّكَ الْبَيْتَيْنِ

والمخلق : إِبْل سَمَاتِهَا الْحَلَق . وبداد : متفرقة . انتهى

والأياصر : جمع أَيْصَر ، وهو الحشيش .

٨٢

وهذه الوقعة يقال لها يوم رحرحان ، براءين وحاءين مهملات ، وهو

جبل قرب عكاظ .

وقد شرح خير هذا اليوم شارح المناقضات شرحاً مفصلاً قال :

قال أبو عبيدة : حَدَّثَنِي أَبُو الْوَيْثِق ، أَحَدُ بَنِي سُلَيْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ

جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ قَالَ : لَمَّا التَّحَفَ بَنُو دَارِمَ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ لَمَّا قَتَلَ

خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، وَأَيُّ بَنِي دَارِمَ أَنْ يَسْلِمُوهُ أَوْ يَخْرِجُوهُ مِنْ عِنْدِهِمْ ،

غَزَاهُمْ رِبِيعَةُ بْنُ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، بِأَفْنَاءِ عَامِرٍ ، طَالِباً بِدَمِ أَخِيهِ

خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ ، فَقَاتَلَ فِي الْقَوْمِ فَهَزَمَتْ بَنُو دَارِمَ وَهَرَبَ

مَعْبِدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ غَنَى لِعَامِرٍ وَالْطَفِيلِ ابْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ

كِلابٍ : هَذَا رَجُلٌ مُعْلِمٌ بِعِمَامَةِ حِمْرَاءَ ، فِي رَأْسِهِ جَرَحٌ ، رَأْيْتَهُ يَسْنِدُ (٢) فِي

الْهَضْبَةِ - أَيْ يَصْعَدُ - وَكَانَ مَعْبِدٌ قَدْ طُعِنَ فَصُرْعَ ، فَلَمَّا أَجَلَّتْ عَنْهُ الْخَيْلُ

سَنَدَ فِي هَضْبَةٍ مِنْ رَحْرَحَانَ ، وَهُوَ جَبَلٌ ، فَقَالَ عَامِرُ وَأَخُوهُ الطَّفِيلُ لِلْغَنَوِيِّ :

اسْنَدْ وَاحِدُرَهُ . فَسَنَدَ الْغَنَوِيُّ فَحَدَّرَهُ عَلَيْهِمَا ، فَإِذَا هُوَ مَعْبِدُ بْنُ زُرَّارَةَ . فَأَعْطِيَا

الْغَنَوِيُّ عَشْرِينَ بَكْرَةً وَصَارَ أُسِيرَهُمَا .

(١) ط : « تذكرتم » ، صوابه في ش والمعاني الكبير ١٠٤ .

(٢) ش : « يستدنى » ، صوابه في ط والنقائض ٢٢٨ .

وأما درواس ، أحد بنى زرارة ، فزعم أن معبدا كان بِرَحْرَحان متنجيا عن قومه فى عُشراوات له ، فأخبر الأحوص بمكانه فاغتره ، فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فداء أخيه ، فقال : لكم عندى مائتا بعير . فقالوا : إنك يا أبا نهشل سيد الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا نقبل فداءه منك إلا دية مالك . فأبى أن يزيدهم ، وقال : إن أبانا أوصانا ^(١) أن لا نزيد بأسير منا على مائتى بعير فيحب الناس أخذنا . فقال معبد : والله لقد كنت أبغض أخوتى إلى وفادة على ، لا تدعنى وملك يا لقيط ، فوالله إن عدّة نعى لأكثر من ألف بعير ^(٢) ، فأفدنى بألف بعير من مالى ! فأبى لقيط وقال : تصير سنة علينا . فقال معبد : وملك يا لقيط ، لا تدعنى فلا ترانى بعد اليوم أبداً ! فأبى ومثاه أن يغزوهم ويستنقذه ، ورحل عن القوم ، فما سقوا معبداً الماء حتى هلك هزلاً . وقال أبو الوثيق : لما أبى لقيط أن يتفادى معبداً بألف بعير ظنوا أنه سيغزوهم ، فقالوا : ضعوا معبداً فى حصن هوازن . فحملوه حتى وضعوه بالطائف ، فجعلوا إذا سقوه قرأه لم يشرب وضّم بين فقميه وقال : لا أقبل قرأكم وأنا فى القيد أسيركم ! فلما رأوا ذلك عمدوا إلى عود فأولجوه فى فيه وفتحوا فاه ، ثم أوجروه اللبن رغبة فى فدائه ؛ وكراهية أن يهلك . فلم يزل كذلك حتى هلك فى القيد .

فلما هجا لقيط عدياً وثيماً قال عطية بن عوف التيمى يُعيره أسر بنى عامر معبداً ، وفراره عنه :

(١) فى النقائض : « ان أبانا كان أوصانا »

(٢) فى النقائض : « ان عُيب نعى من المنح والفقر لأكثر من ألف بعير » . الغيب : جمع

غائب . والفقر : جمع فقرى . وهى الناقة أو البعير يعار ظهره للركوب .

هلاً كررت على ابن أُمك معبد البيتین

فلما انقضت وقعة يوم رَحْرَحان جمع لقيطُ بن زُرارة لبنى عامر ، وألب عليهم . وبين يوم رَحْرَحان ويوم جَبَلَة سنة ، وكان يومُ جَبَلَة قبل الإسلام بخمس وأربعين سنة في قول المكثّر ، وذلك عام ولد النبي ﷺ . وفي قول المقلّل : أربعين سنة . انتهى باختصار .

وعوف بن الخرع التيمي شاعر جاهلي ، وهو عَوْف بن عطية بن الخرع ، واسم الخرع عمرو ، بن عيش بن وُرَيْقَة ^(١) بن عبد الله بن لؤي بن عمرو بن الحارث بن تميم بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . كذا في جمهرة الأنساب .

فالخرع لقب جدّه ، وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء ، بعدها عَيْن . وله ديوانٌ صغير ، وهو عندي . ٨٣

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد الأربعمائة ^(٢) :

٤٧٢ (قد كنتُ أحسبُكم أسودَ خَفِيّةٍ
فإذا لَصَافٍ ، تَبَيّضُ فيه الحُمُرُ)

على أنَّ (فَعَالٍ) في الأعلام الشخصية جميع ألفاظها مؤنثة . وأمّا لَصَافٍ هنا فإنما ذكّره بإرجاع الضمير عليه من فيه ، لتأويله بالموضع ، وهو منزلٌ من منازل بني تميم . وروى أيضا « فيها » بتأنيث الضمير ، فلا إشكال حينئذ .

(١) في معجم المرتزاني ٢٧٦ : « عمرو بن عيس بن وداعة » .

(٢) إصلاح المنطق ١٧٨ وأمالى القال ٢ : ٢٣٦ والسميط ٨٥٩ وابن يعيش ٤ : ٦٣ .

أقول : الذى رواه : « فيه » بضمير المذكر هو صاحب الصحاح والعياب . والذى رواه : « فيها » بضمير المؤنث جماعة كثيرة ، منهم ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، والقالى (فى أماليه) ، وأبو محمد الأعرانى (فى ضالة الأديب) ، وأبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) ، وأبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) .

قال ابن دريد (فى الجمهرة) بعد إنشاده البيت : يخرج لَصَافٌ مخرج المؤنث فتقول : هذه لَصَافٌ ، ورأيت لَصَافً ، ومررت بلَصَافٍ ، فهو لا ينصرف . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لَصَافٍ ، مبنًى على الكسر ، أخرجه مخرج حَذَامٍ وقَطَامٍ . وإن رفعتَ فجيدٌ ، وإن نصبت فجائز . انتهى .

قال الصاغانى (فى كتاب فَعَال ^(١)) : وبعضهم يُجرّيه مجرى ما ينصرف . وقد صرفه الشاعر فى قوله :

* إِنَّ لَصَافاً لَا لَصَافٍ فَاصْبِرِ ^(٢) * البيت

ولصاف باللام والصاد المهملة : اسم ماءٍ فى موضع بين مكة والبصرة لبنى يربوع ، من قبيلة تميم .

قال أبو عبيد (فى المعجم) : قال الأثرم : لصاف ماء لبنى يربوع ؛

(١) نشره وحققه عزة حسن بدمشق ١٣٨٣ باسم « ما بنته العرب على فعال » .

(٢) بعده كما فى كتاب فعال ومعجم البلدان :

« إذ حقق الركبان موت المنذر » .

وسياق قريبا نسبته إلى عبد ناجر ، أو باجر .

وكانت لصاف هي وما يليها من المياه والمواضع أولاً لإياد ، وفيها يقول
عبد ناجر الإيادي ^(١) :

إِنَّ لَصَافَا لَا لَصَافَ فَاصِيرِي
إِذْ حَقَّقَ الرِّكْبَانُ مَوْتَ الْمُنْذِرِ

ثم نزلتها بنو تميم فصارت لهم .

و (لصاف) موضع رفع على الابتداء ، وجملة (تبيض) إلخ خبره .
و (الحُمَر) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم المفتوحة : ضرب من الطير
كالعصفور ، الواحدة حُمرة ، وقد تخفف الميم فيقال حُمَر وحُمرة . أنشد ابن
السكيت لابن أحرر :

إِنْ لَا تَذَارِكُهُمْ تَصْبَحُ مَنَازِلَهُمْ
قَفْرًا تَبْيِضُ عَلَى أَرْجَائِهَا الْحُمَرُ

كذا في الصحاح ، وأنشد البيت .

وقال أبو حاتم (في كتاب الطير) : الْحُمَرُ يَعْظِمُ الْعَصْفُورَ ، وتكون
كذراء ورقشاء . قال أبو العلاء المعري (في شرح ديوان البحتری) : يجوز أن

(١) في معجم ما استعجم في رسم (توضح) ١ : ٣٢٧ : « عبد باجر » . وهو الصواب .
ففي القاموس (بجر) : « وكهاجر : صنم عبده الأزد » . وفي ذيل الأضنام لابن الكلبي ٦٣ : « باجر ،
قال ابن دريد : وهو صنم الأزد في الجاهلية ومن جاورهم من طيء وقضاة ، كانوا يعبدونه . يفتح الجيم
وربما قالوا : باجر بالكسر » . وروى ابن الأثير في النهاية أنه يسمى « باحر » بالحاء المهملة . وذكره في
مادة (بجر) بالجمع ، وقال : إنه كان في الأزد .

يكون كلُّ من المشدّد والمخفف لغة ، ويجوز أن يكون المخفف ضرورة ، لأنَّ إحدى الميمين زائدة . وقد ذكر ابن السكيت المخفف في باب فُعْلة ، فأوجب عليه ذلك أن يكون يرى التخفيف أفصح . ومذهب سيويوه والخليل أن الميم الأولى هي الزائدة ، ومذهب غيرهما أنَّ الثانية هي المزيدة . وكلا القولين له مَساغ .

قال صاحب العباب : وابن لسان الحُمرة كوفى نَسابة ، واسمه عبد الله ابن لسان الحمرة ابن حُصين بن ربيعة بن صُعير بن كلاب . وحُصين هو لسان الحُمرة . وقرأت (في كتاب الفهرست) لمحمد بن إسحاق بن النديم بخطه : أنَّ اسم ابن لسان الحمرة وِرْقَاء بن الأسعر . انتهى .

٨٤

وَحَفِيَّةٌ بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء بعدها مشاة تحية مشددة ، قال الخليل : هي اسم غِيْضة ملتقاة تتخذها الأسد عريناً ^(١) . كذا في المعجم لأبي عبيد . يقول : كنت أحسبكم شُجعاناً كأُسود حَفِيَّة ، فإذا أتم جُبناء ضعفاء ، فكأنَّ أرضكم لَصافٍ ، يتولَّد فيها هذا الطير لا الرجال .

والبيت أول أبيات لأبي المهوش الأسدي ، هجا بها نهشل بن حرّى ، صاحب الشاهد أوردها أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) ، وهي :

(قد كنتُ أحسبُكمُ أُسودَ حَفِيَّة)

أبيات الشاهد

فإذا لَصافٍ تبيض فيها الحُمَرُ

فترفَعُوا هَدَجَ الرِّثَالِ فَإِذَا

تَجَنَّى الهُجَيْمُ عَلَيْكُمْ وَالْعَنْبَرُ

(١) في معجم ما استعجم ١ : ٥٠٦ : « عريسة » .

عَضَّتْ تَمِيمٌ جِلْدَ أُيْرِ أَبِيهِمْ
يَوْمَ الْوَقِيطِ وَعَاوَنَتَهَا حَضَجُرُ
وَكَفَاهُمْ مِنْ أُمِّهِمْ ذُو بَنَّةٍ
عَبْلُ الْمَشَافِرِ ذُو قَلِيلٍ أَسْعُرُ
ذَهَبَتْ فَشِيشَةُ بِالْأَبَاعِرِ حَوْلَنَا
سَرَقًا ، فَصَبَّ عَلَى فَشِيشَةِ أُبْجُرُ ^(١)
مَنَعَتْ حَنِيفَةً وَاللَّهَازِمُ مِنْكُمْ
قَشِيرَ الْعِرَاقِ وَمَا يَلْدُ الْحَنْجُرُ
وَإِذَا تَسْرُكُ مِنْ تَمِيمٍ خَلَّةٌ
فَلَمَّا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ
يَا نَهْشَلُ بْنُ أُمَى ضُمِيرٍ إِنَّمَا
مِنْ مِثْلِ سَلَحِ أَبِيكَ مَا تَسْتَقِطُرُ
إِذْ كَانَ حَرَّى سَقِيطَ وَلِيدَةٍ
بُظْرَاءَ يَرْكُضُ كَاذَتِيهَا الْعُهُرُ)

قوله « فترقعوا هَدْج » إلخ استهزاء بهم . وهَدْج الرِّثَال منصوب بنزع الخافض ، أى عن هَدْجِه ، وهو مصدرٌ وفعله من باب فرح ، يقال هَدْج الظليم ، إذا مشى فى ارتعاش . والرِّثَال : جمع رَأل بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو فَرَح النعام . والهَجِيم بالتصغير والعنبر أَخَوَان ، وهما ابنا عمرو بن تميم . وأراد أولادهما ، فَإِنَّ كُلاً مِنْهُمَا أَبُو قَبِيلَةٍ .

(١) فى أمال القالى ٢ : ٢٣٦ : « ويروى هربا » ، أى بدل « سرقا » .

وقوله : « عَضَّتْ تَمِيم » إلخ روى بدل تميم « أُسَيْد » مصغر أسود لا ينصرف ، وهو أخو الهجيم والعنبر . وروى أيضاً بدل جلد « جذل » بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، وهو أصل الخطب العظيم . شَبَّهَ أَيْرَ أَيَّهِمْ بِهِ . وهذا الكلام سبٌّ وتذليل عند العرب . وأراد بتميم ماتفرّع منه من القبائل والبطون .

ويوم الوقيط كان في فتنة عثمان بن عفّان ، وهو لِلْهَازِم ، رئيسُهُمْ أُنْجَر ابن بُجَيْر ، على بنى مالك بن حنظلة . فَأَمَّا بنو عمرو بن تميم فَأَنْذَرَهُمْ نَاشِب ابن بَشَامَةَ العنبري فدخلوا الدَّهْنَاءَ فَنَجَّوْا . وفي هذا اليوم أُسِرَ ضِرَارُ بن معبد ابن زرارة .

وَحَضْرَجَر بفتح المهملّة وسكون المعجمة بعدها جيم ، وهو لقب العنبر . قاله أبو محمد الأعراي .
والمعاونة كانت بالإلذار كما ذكرنا .

وقوله : « وكفأهم من أمهم » ضمير « هم » راجعٌ لِأُسَيْدٍ وَالْهُجِيمِ والعنبر ، وأمهم هي أُمُّ خَارجة المشهورةُ بالنكاح ؛ يقال فيها : « أَسْرَعُ من نِكَاحِ أُمِّ خَارجة » . كانت ذَوَاقَةً ، إِذَا ذَاقَتِ الرَّجُلَ طَلَقَتْهُ وَتَزَوَّجَتْ غَيْرَهُ . فَتَزَوَّجَتْ نَيْفًا وَأَرْبَعِينَ زَوْجًا ، وَلِدَتْ فِي عَامَةِ قِبَائِلِ الْعَرَبِ . وَكَانَ الْخَاطِبُ بِأَتِيهَا يَقُولُ : خُطِبَ ! فَتَقُولُ : نِكَحْ ! وَكَانَ أَمْرُهَا إِلَيْهَا إِذَا تَزَوَّجَتْ ؛ إِنْ شَاءَتْ أَقَامَتْ وَإِنْ شَاءَتْ ذَهَبَتْ ، فَيَكُونُ عَلَامَةً ارْتِضَائِهَا لِلزَّوْجِ أَنْ تَصْنَعَ لَهُ طَعَامًا كُلَّمَا تَصَبَّحَ . وَكَانَ آخِرُ أَزْوَاجِهَا عَمْرُو بن تميم ، وهو المراد بقوله « ذُو بَنَّة » بفتح الموحدة وتشديد النون ، وهي رائحة بَعَرِ الظباء ، وَالرَّائِحَةُ أَيضًا . وَالْعَبْلُ : الضخم . وَالْمِشْفَرُ بالكسر ، فِي الْأَصْلِ : شَقَّةُ الْبَعِيرِ . وَالْقَلِيلُ بِالْقَافِ : دَقَّةُ الْجَنَّةِ . وَالْأَسْعَرُ ، بِالسَّيْنِ وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَتَيْنِ : الْقَلِيلُ اللَّحْمِ الظَّاهِرِ الْعَصَبِ . وَصَفَّهُ بِحَقَارَةِ الْجُنَّةِ .

وقوله : « ذهب فشيشة » بالفاء والشين المعجمة : لقب لبعض بنى تميم ^(١) . وأبجر : رئيس اللهازم ^(٢) .

وقوله : « منعت حنيفة واللهازم ^(٣) » حنيفة : أبو قبيلة ، وهو حنيفة ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . واللهازم هم تيم الله بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي المذكور . واللهازم حلفاء بنى عجل ، وعجل أخو حنيفة المذكور . والقشير بفتح القاف وكسر الشين ، وهو التمر الكثير القشور . والحنجر : الحلقوم .

وقوله : « وإذا تسرك » إلخ الحلة بفتح الحاء المعجمة هي الخصلة . وقوله : « يا نهشل » إلخ هو نهشل بن حرّ بن ضمرة ، وهو شقة ، ابن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم . وضمير هو مصغر ضمرة . والسلح : التعمط ، وهو مصدر سلح . والسلح بالضم : اسم النجو والعذرة . وتستقطر : تتبخر بالقطر بالضم ، وهو العود الذي يبخر به .

وقوله : « إذ كان حرّى » بفتح المهملة وتشديد الراء والياء ، وهو أبو نهشل المهجو . وسقيط بمعنى السقط . والوليدة : الخادمة . والبظراء : التى لم تحتن . ويركض : يحرك . والكاذتان : مانتا من اللحم فى أعالى الفخذ . والعهر : جمع عاهر ، وهو الزانى . رمى أمه بالفجور .

(١) فى اللسان أنه لقب لبني تميم . وفى السمع ٨٦١ : « تيز لبني تميم ، مأخوذ من خروج الريح ، يقال فش الوطب ، إذا أخرج منه الريح » .
(٢) هو أبجر بن جابر العجل ، كما قال فى السمع ٦٨١ . ثم قال « وقيل أن أبجر اسم من أسماء الدواهي » .

(٣) كلمة « منعت » ساقطة من ش .

ذكر المدائني وغيره قال : مرَّ الفرزدق بمضرِّ بن رِيعَى الأسدى ، وهو يُنشد بالمُرِّيد وقد اجتمع الناس حوله ، فقال : يا أخا بنى فقعس ؛ كيف تركت القَنان ؟ قال : تبيض فيه الحمر . قال : أراد الفرزدق قول نهشل بن حرَّى :

ضَمِنَ الْقَنَانُ لِفَقْعَسٍ سَوَّاءِهَا

إِنَّ الْقَنَانَ بِفَقْعَسٍ لَمَعْمَرٌ (١)

وأراد مضرِّ قول أئى المهُوِّش الأسدى :

وَإِذَا تَسَرُّكَ مِنْ تَمِيمٍ خَصْلَةٌ

فَلَمَّا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ

فَإِذَا لَصَافٍ تَبْيِضُ فِيهَا الْحَمَرُ

عَضَّتْ أُسَيْدُ جِذَلٍ أَيْرَ أَبِيهِمْ

يَوْمَ النَّسَارِ ، وَخُصِيَّتِيهِ الْعَنْبَرُ

نسبهم إلى الجبن بقوله : « فَإِذَا لَصَافٍ تَبْيِضُ » إلخ ، ثم أعضَّهم أير

أبيهم لفرارهم يوم النَّسَارِ .

وقال القالى (فى أماليه) : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ

الْأَصْمَعَى عَنْ أئى عمرو بن العلاء قال : قيل للفرزدق : إِنَّ ههنا أَعْرَابِيًّا قَرِيباً

(١) فى ش : « ضَمِنَ الْقَنَانَ بِفَقْعَسٍ لَمَعْمَرٌ » فقط . وفيه سقط .

منك يُنشد شعراً رقيقاً . فقال : إنَّ هذا لقائف أو لحائن ^(١) ! فأتاه فقال :
 ممَّن الرجل ؟ قال : من بنى فقعس . قال كيف تركت القنان ؟ قال : تركتهُ
 يساير لصافٍ . فقلت : ما أرادًا ؟ قال : أراد الفرزدق قول الشاعر :

ضَمِنَ الْقَنَانُ لَفَقْعَسٍ سَوَاءَهَا البيت

وأراد الفقعسي قول الآخر :

وإذا تسرُّك من تميم خصلة البيت

قد كنت أحسبهم أسودَّ خفية البيت

أكلت أسيداً والهَجِيمَ ودارم

أير الحمار ، وخصيتيه العنبرُ

انتهى .

قال أبو عبيد البكري (فيما كتبه على أمالي القالي) : البيت الأخير

٨٦ محوّل عن وجهه ، والمحفوظ فيه :

عَضَّتْ أَسِيدٌ جِذْلَ أَيْرِ أَبِيهِمْ

يَوْمَ النَّسَارِ وَخُصَيْتِيهِ الْعَنْبَرُ

انتهى .

وبنو تميم لا تعيّر بأكل أير الحمار ، وإنّما تعيّر به بنو فزارة . وقوله :

« يساير لصافٍ » ، من المحال الذي لا يجوز إلّا إذا سيّرت الجبال فكانت سرّاباً

(١) قائف ، من القيافة ، وهى تتبع الأثر . وفي الأصل : « لفائف » وفي السمط ٨٥٨ :

« لقائف أو الحائن » . وفي الأمالي ٢ : ٢٣٦ : « لقائف أو لَحَائِن » .

والتعريض الحسن هو ما نقلنا . انتهى .

قلت : وقد روى البيت المذكور أبو محمد الأعرابي كما رواه القالي ، وهو خطأ كما بينا . وقنان بفتح القاف ونونين : جَبَل في ديار بني فقعس .

أبو مهوش
شاذ

وأبو مهوش الأسدي قال ابن الكلبي (في جمهرة الأنساب) : هو ربيعة بن رثاب ^(١) بن الأشتر بن حَجْوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين ^(٢) بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مُدركة بن الياس ابن مضر .

ومهُوش ، بكسر الواو المشددة بعدها شين معجمة . وَحَوط بواو ساكنة بين مهملتين . ورثاب براء مهملة مكسورة بعدها همزة ممدودة . وَحَجْوان بفتح المهملة وسكون الجيم . وَقُعَيْن يضم القاف وفتح العين . ودُودان بضم الدال المهملة الأَوَّل .

وقال أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) : اسمُه حَوط بن رثاب . وبه ترجمه ابن حجر (في الإصابة) في قسم المخضرمين الذين أدركوا النبي ﷺ ولم يَرَوْهُ . قال : حوط بن رثاب الأسدي الشاعر ، ذكر أبو عبيد البكري (في شرح الأُمالي) أَنَّهُ مخضرم . وهو القائل :

(١) ط : « وثاب » صوابه في ش ، وهو ما يقتضيه الضبط بعده .

(٢) في النسختين : « عمرو قعين » وحاول الشنقيطي إصلاحها فتعذر عليه . وهو عمرو بن قعين ، كما في جمهرة ابن حزم ١٩٥ - ١٩٦ .

دَنَوْتُ للمجد ، والسَّاعُونَ قد بَلَغُوا
 جَهْدَ النُّفُوسِ وَالْقَوَا دَوْنَهُ الْأُزْرَا
 فظهر من هذا أَنَّهُ إسلامي .
 ولم أرَ له في كتب تراجم الشعراء ذكراً . والله أعلم .

* * *

الأصوات

أنشد فيه :

(باسمِ الماءِ)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(لا ينعشُ الطرفُ إلَّا ما تحوُّنهُ

داعٍ يناديه باسمِ الماءِ مبعومُ)

* * *

وتقدّم شرحه مفصّلاً في الشاهد السابع بعد الثلاثمائة ^(١) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الأربعمائة ^(٢) :

(كما رُعَتِ بالجوِّاتِ)

٤٧٣

وهو قطعةٌ من بيت :

(دعاهنَّ ردّى فارعويّنَ لَصَوِيهِ

كما رُعَتِ بالجوِّاتِ الظَّمَاءُ الصَّوَادِبا)

على أنَّ بعض الأصوات قد يدخُله أداة التعريف .

(١) الخزانة ٤ : ٣٤٤ .

(٢) ابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٨٢ والعيني ٤ : ٣٠٩ .

قال الزمخشري (في المفصل) بعد ما أنشدُهُ : هو بالفتح محكيًا مع الألف واللام .

وقال ثعلب (في أماليه) : يقال للبعير جَوْتُ جَوْتُ ، إذا دعوته إلى الماء ؛ وإذا أدخلوا الألف واللام تركوها على حالها . وكان أبو عمرو يكسر التاء ويقول : إذا أدخلت عليه الألف واللام ذهبت منه الحكاية .

وجوز ابن الناطم (في شرح الألفية) الوجهين : الجرُّ على الإعراب ، والفتح على الحكاية .

قال الصَّغَانِي (في العباب) : يقال للإبل : جَوْتُ بفتح الجيم والتاء ٨٧ المشاة ، إذا دُعِيَتْ إلى الماء . وحكى الفراء : جَوْتُ بفتح الأول وكسر الآخر وضمه أيضا . فالجيم مفتوحة لا غير . والتاء وردَ فيها الحركات الثلاث .

قال صاحب القاموس : جوت جوت ، مثلثة الآخر مبنية : دُعَاءٌ للإبل إلى الماء . وقد جأوتها وجأيتها . أو زجر لها . والاسم الجَوَات .

وأما حَوْبٌ بفتح الحاء المهملة وآخره باء موحدة ، فهو زجرٌ للإبل وليس بمرادٍ هنا ، وبأوه مثلثة الحركات ، وقد أخذ منه فَعَلٌ ففعل : حَوْبٌ فلان بالإبل ، إذا قال في زجرها : حَوْب .

والبيت وقعَ في شعرَي شاعرين : أحدهما : في شعر عُوفٍ القوافي ، وهو المشهور . واختلف في معناه ، فقيل أراد بالرَّدْفِ تابِعُهُ من الجن ، فإنَّ القوافي إذا تزامت في خاطره ووَسَّوَسَتْهُ يقولون : إن له شيطانًا يوسوسه . فضمير دعاهنَّ للقوافي ، أى دعا شيطاني القوافي فأجبنه وانتلن عليه . يعنى

أن الشعر أطاعه . والردف بالكسر في الأصل : المرتدّف ، وهو الذى يركب خلف الراكب .

والارعواء : النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه . ورُعَت بالخطاب ، هو من قولهم : هذه شربة راع بها فؤادى ، أى برد بها غلة روعى بالضم ، وهو القلب أو موضع الفزع منه ، أو سواده . وقيل هو من راعه بمعنى أعجبه .

والظماء : جمع ظمآنٍ وظمآنٍ ، من ظمىء كفرح ، أى عطش ، أو اشتدّ عطشه . والصّوادى : جمع صادية ، من الصّدّى وهو العطش ، وفعله من باب رضى . وقيل معناه وهذا هو المشهور : أن رديفه لما دعا النساء اجتمعن ورَجعن عما كنَّ عليه من الشُّغل ، كما لو دعوت إلى الشرب الإبل فالتفّقن وتضامنن للشرب . فضمير دعاهنّ راجع للنساء .

ولم أقف على ما قبل البيت حتى أتحقّقه .

والثانى : وقع فى شعر سُحيم عبد بنى الحسحاس هكذا :

* وأودّة ردّفى فارعوين لصوته ^(١) * ... إلخ

وأودّة فعل ماض ، قال صاحب القاموس : أودّة بالإبل ، أى صاح بها . ويوجد فى (بعض نسخ مجمع الأمثال للميدانى ^(٢)) عند قوله : « إلّا دِهٍ فلا دِهٍ » قال أبو السّمح : أظنّه من الإيداء ، وهو الإهابة بالإبل . وأنشد هذا البيت .

وقد وقّع المصراع الأوّل صدر بيت من قصيدة لمضرّس بن ربعى ، وهى قصيدة مختلفة المعانى ، وصف فيها الإبل ثم قال :

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوان سحيم .

(٢) النص التالى لم يرد فى مطبوعة مجمع الأمثال عند هذا المثل .

دعاهنَّ رَذْفِي فارعَوَيْنَ لصوته
 وقلنَّ لحاديهنَّ هل أنتَ ناظرُهُ
 قال الأصمعي : دعاءهُ : أَنْ يَغْنَى ليعْرِفنَ صَوْتَهُ وإنشاده ، فَيُحْبَسْنَ
 عليه .

ومثله :

نادُوا الذين تحمَّلُوا كى يَرَبُعُوا كيما يودَّع عاشقٌ ويودَّعُوا
 وأضيف عُوفٍ ^(١) إلى القوافي لقوله :
 سأكذب مَنْ قد كان يزعمُ أنَّنى
 إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيا ^(٢)

ويشبه أن يكون هذا البيت من قصيدة البيت الشاهد .

عوف القوافي

وعوف هو عوف بن معاوية بنُ عقبة بن ثعلبة بن حصن - وقيل :
 ابن عقبة بن عينة بن حصن - بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيْة بن
 لُوذان بن ثعلبة بن عدى فزارة بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن
 سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

وعوف القوافي شاعر مقلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، من ساكنى
 الكوفة ، وبيته أحد البيوتات المتقدمة الفاخرة فى العرب . قال أبو عبيدة ٨٨
 حدثنى أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعدُّ البيوتات المشهورة بالكِبر
 والشرف من القبائل ، بعد بيت هاشم بن عبد مناف فى قريش ، ثلاثة
 بيوتات . ومنهم من يقول أربعة . أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزارى : بيت
 قيس . وبيت آل زُرارة بن عُدس الدَّارميِّ : بيت تميم . وبيت آل ذى الجَدَّين
 ابن عبد الله بن همام : بيت شيبان . وبيت بنى الدِّيان من بنى الحارث بن
 كعب . بيت اليمن .

(١) ط : « عوف » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) البيان ١ : ٣٧٤ ونوادير المخطوطات ٢ : ٣٠٩ والأغاني ١٧ : ١٠٧ .

وأما كندة فلا يُعَدُّون من أهل البيوتات ، إنما كانوا ملوكا .
وروى صاحب الأغاني بسنده ^(١) أن عوفيف القوافى وقف على جرير بن
عبد الله البجلي وهو في مسجده فقال :
أصُبُّ على بَجِيلَةٍ مِنْ شَقَّاهَا
هَجَائِي حِينَ أَدْرَكَنِي الْمَشِيبُ
فقال له جرير : ألا أشتري منك أعراض بَجِيلَةٍ ؟ قال : بلى . قال :
قل . قال : بألف درهم وبرذون . فأمر له بما طلب فقال :
لولا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بَجِيلَهُ
نعمَ الفتى وبُعثت القبيلة
فقال جرير : ما أراهم نَجَوْا مِنْكَ بعد !
وروى بسنده أيضاً إلى أبي بردة الأشعري قال : حضرت مع عُمر بن
عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفْتُ معه وعليه عمامةٌ قد سَدَلَهَا مِنْ
خَلْفِهِ ، فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به :
أَجِبْنِي أبا حفص لَقِيتَ محمداً
على حوضه مستبشراً وراكاً ^(٢)
فقال عمر بن عبد العزيز : لبيك ! ووقف ووقف الناس معه ، ثم قال :
فمه ؟ فقال :

(١) الأغاني ١٧ : ١٠٧ .

(٢) ط : « وأراكا » ، صوابه من ش والأغاني .

فأنت امرؤ كلتا يديك مُفيدة

شمالك خير من يمين سيواكا

[قال : ثمّ مه ؟ فقال (١)] :

بَلَعْتَ مَدَى الْمُجْرَيْنِ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا

ولم يبلغ المُجْرُونَ بَعْدَ مَدَاكَ

فَجَدَّكَ لَا جَدِّينَ أَكْرَمُ مِنْهُمَا

هناك تناهى المجد ثمّ هناكا

فقال له عمر : أراك شاعراً ، ما لك عندي من حقّ . قال : ولكنّي سائل وابن سبيل . فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال : أعطه فضل نفقتي . فقال : وإذا هو عوف القوافي الفزاري . وكانت أخت عوف القوافي تحت عُيَيْنَةِ بن أسماء بن خارجة الفزاري ، فطلّقها عيّنة فكان عوف مراغماً لعيّنة ، وقال : العُرّة لا تطلّق لغير ما بأس . فلما حبس الحجاج عُيَيْنَةَ وقّده قال عوف :

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا يُحَسُّ رِقَادُ

خَبِرَ أَتَاكَ وَنَامَتِ الْعَوَادُ

خبر أتاى من عيّنة موجّع

ولمّثله تتصدّع الأكبادُ

بَلَعَ النُّفُوسَ بِلَاؤُهَا فَكَأَنَّا

مَوْتَى وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ

ساء الأقارب يوم ذاك ، وأصبحوا

بَهْجِينَ قَدْ سُرَّتْ بِهِ الْحَسَادُ (٢)

(١) التكملة من الأغاني ١٧ : ١١٠ .

(٢) أى أصبح الحساد بهجين مسرورين . وفي الأغاني : « قد سروا » . وقد أضمر في « أصبحوا » قبل ذكر الحساد .

يرجون عثرة جدنا ولو أنهم
لا يدفعون بنا المكاره بادوا
لما أتاني عن عيينة أنه
عانٍ تظاهر فوقه الأقيادُ
نخلت له نفسى النصيحة إنه
عند الحفائظ تذهب الأحقادُ
وذكرت أى فتى يسد مكانه
بالرفد حين تقاصر الأرفادُ
أو من يهين لنا كرائم ماله
ولنا إذا عُدنا إليه معادُ

٨٩

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الأربعمئة :

٤٧٤ (تُرْدُ بِحَيْهَلٍ وَعَاجٍ وَإِنَّمَا

من العاج والحَيْهَلِ جُنَّ جنونها)

على أن اسم الصوت إذا قصد به لفظه أعرب كما فى البيت ، فإنَّ
عاج ، وهو زجرٌ للإبل لتسرع ، لَمَّا قُصِدَ لفظه أعرب بالجر والتنوين أولاً ،
وبالجر والتعريف ثانياً . أى إنها تُرْدُ بمجرد ذكر هذه الكلمة ، وهى اسم فعل
كما تقدّم .

وأنشد ثعلب (فى أماليه) بيتاً فيه حَيْهَلٌ معرفاً باللام ، ونقله ابن برى
(فى حاشية الصحاح) قال : قد عرفت العرب حَيْهَلٌ كقوله :

وقد غدوت قبل رفع الحِيَهْلُ أسوق نابين وناباً مِ الإِبِلِ (١)
قال : والنابان : العجوزان . وم الإِبِلِ ، أصله : من الإِبِلِ ، فحذفت
منه النون .

والبيت الشاهد نسبه الشارح المحقق لجهم بن العباس ، ولم أَرُه إلا في
شرحه ولا أعرف جهماً من هو . والله أعلم .

وأنشد بعده :

(تداعين باسم الشَّيبِ في مُتَّكِمِ)
تقدم شرحه مستوفى في الشاهد الثامن من أول الكتاب .

وأنشد بعده :

(كما رُعَتِ بالَجَوَتِ الظمَاءُ الصواديا)
تقدم شرحه قريباً قبل هذا بشاهد واحد .

وأنشد بعده :

(إِنَّ لَوّاً وَإِنَّ لَيْتاً عَناءِ)
على أَنَّ الكلمة المبنية إذا قصد لفظها أعربت كما أعربت لو وليت .
وسياتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى في باب العلم (٢) .

وأنشد بعده :

(عَدَسْ ما لَعْبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةً)
نَجَوَتِ وهذا تحمليْن طليْقُ

(١) لم يرد في أمالي ثعلب المنشورة .

(٢) هو الشاهد ٥٣٧ في الجزء السابع .

على أن عدس فيه زجرٌ للبلغل .

وتقدّم شرحه مفصلاً في الشاهد الثامن والعشرين بعد الأربعمئة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الأربعمئة :

٤٧٥ (حتى استقامت له الآفاق طائعةً

فما يقال له هَيْدٌ ولا هَادٌ)

على أن الشاعر لمّا قصد لفظ هيد وهاد أعربهما بالرفع على جعل الأول نائب فاعل يقال ، والثاني معطوفاً عليه .

وهذا مأخوذ من صحاح الجوهري ، قال فيه : وهيد بفتح الهاء وكسرهما ، وهاد : زجر للإبل . وأنشد أبو عمرو :

وقد حَدَوْنَاهَا بهيدٍ وهَلَاً

حَتَّى يُرَى أَسْفُلُهَا صَارَ عَلَاً

وقولهم : ماله هيد ولا هاد ، أى ما يقال له هيدٌ ولا هاد . وأنشد الأحمر :

* حتى استقامت له الآفاق طائعة * البيت

أى لا يحرك ولا يمنع من شئ ولا يزجر عنه . اهـ .

وخطأه ابن بَرٍّ ، في رواية الرفع ، قال (في أماليه على الصحاح) :

البيت لابن هَرَمَةَ ، وصواب إنشاده بالكسر في هيد وهادٍ لأنهما مبتنيان .

وأول القصيدة :

(١) انظر هذا في الجزء السادس ص ٤١ - ٥٦ ، وقد سقط هذا الشاهد من نسخة ش .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٨٠ وديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(اَرَبْعَ عَلَيْنَا قَلِيلًا أَيُّهَا الْحَادِي)
 قَلَّ الثَّوَاءُ إِذَا نَزَعْتُ أَوْتَادِي .
 والبيت في شعره بخلاف ما أنشده الجوهري وهو :
 (إِنِّي إِذَا الْجَارُ لَمْ تُحَفِّظْ مُحَارْمُهُ
 وَلَمْ يُقَلِّ دُونَهُ هَيْدٍ وَلَا هَادٍ ^(١)
 لَا أَخْذُلُ الْجَارَ بَلْ أَحْمِي مَبَاءَتَهُ
 وَلَيْسَ جَارِي كَعُشٍّ بَيْنَ أَعْوَادٍ ^(٢)

انتهى .

وتبعه الصلاح الصفدي (في كتابه نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهري من الوهم) ، ونقل كلامه برمته وقال : فالبيت الذي أورده الجوهري تغير أكثر ألفاظه مع تغيير القافية ؛ لأن هيد وهاد مبيان على الكسر ، وهما بمعنى الزجر عن الشيء وفعله . ا هـ .

وأنا استبعد أن يكون بيت الجوهري من قصيدة ابن هرمة ؛ لاحتمال أن يكون من شعر آخر . والله أعلم .

وقوله : « اَرَبْعَ » بكسر الهمزة وفتح الموحدة ، أى قف وتحبس . والثَّوَاءُ : الإقامة .

وقوله : « إِنِّي إِذَا الْجَارُ » خبر إِنِّي أول البيت الثاني ، وهو لا أَخْذُلُ . والمباعدة بالفتح والمد : منزل القوم في كل موضع .

(١) ديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(٢) في اللسان (هيد) : « كَعُشٍّ » .

وأما البيت الأول وهو :

* وقد حدونهاها بهيد وهلا *

فلم يكتب ابن برى عليه شيئاً^(١) ، وقد نسب إلى القتال الكلاى ، ولم يوجد فى ديوانه . ونسبه أبو محمد الأعرأى لغيلان بن حُرَيْث الرَّبْعَى كذا :

* ليس بثانيها بهيد أو حلا^(٢) *

وقال الصَّفدى : هلا فى هذا الرجز غلط ، لأن هيد : زجر للإبل ، وهلا : زَجَرٌ للخيل ، والذي يقرن به هيد إنما هو حلا ، وكذا هو فى الرجز . وهو لغيلان . على أن البيت معيّر . والصواب .

* ليس بثانيها بهيد وحلا *

وترجمة ابن هرمة تقدمت فى الشاهد الثامن والستين^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الأربعمئة^(٤) :

(إَلا دِهْ فلا دِهْ)

٤٧٦

(١) فى ملحقات ديوان القتال ١٠٠ : « وأنشد أبو عمرو للقتال الكلاى ، وقال ابن برى : الراجز هو غيلان بن حريث الربعى » ثم ساق أربعة أشطار من الأرجوزة . وقد نقل ابن منظور هذه النسبة من ابن برى فى اللسان (عطل) .

(٢) ش : « بهيد وحلا » ، وأثبت ما فى ط . وانظر التعليق التالى .

(٣) الخزائن ١ : ٤٢٤ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٨١ ومجمع الأمثال ٤٠ فى باب الهمة ، واللسان (دده ٣٨٣) .

هو مَثَلٌ ، وَقَعَ فِي قِطْعَةٍ مِنْ رَجَزٍ لِرُؤْيَا بْنِ الْعَجَّاجِ ، يُورِدُ النُّحَوِيُّونَ مِنْهُ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ ، وَهِيَ :

(فَالْيَوْمَ قَدْ نَهْنَهَى نَهْنَهَى
وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسْفَهِّ
وَقُوْلٌ إِلَّا دِهٍ فَلَا دِهٍ
وَحَقَّةٌ لَيْسَتْ بِقَوْلِ التُّرَّةِ)

وَصَفَّ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ شَبَابَهُ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ مِغَاظَلَةِ الْغَوَانِي وَمِوَاظِلَةِ الْأَمَانِي ، إِلَى أَنْ قَالَ : فَالْيَوْمَ قَدْ زَجَرْنِي عَمَّا كُنْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ :
الْأَوَّلُ التَّنْهَى ، وَهُوَ مِطَاوَعُ نَهْنَهَتِهِ عَنْ كَذَا فَتَنَهَةٍ ، أَيْ كَفَفْتُهُ وَزَجَرْتُهُ عَنْهُ فَكَفَّ ، أَيْ زَجَرْنِي زَوَاجِرُ الْعَقْلِ .

الثَّانِي : أَوَّلُ حِلْمٍ ، أَيْ رُجُوعِ عَقْلِ لَا يُنْسَبُ إِلَى السَّفَهِّ .

الثَّالِثُ : عَذْلُ الْقَائِلِينَ : إِنْ لَمْ تَتَبِ الْآنَ مَعَ الدَّوَاعِي إِلَى التَّوْبَةِ فَلَا تَتُوبُ أَبَدًا . فَقَوْلُهُ : « وَقُوْلٌ » هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ .

وَالرَّابِعُ : حَقَّةٌ أَيْ حُطَّةٌ حَقَّةٌ . فَالْمُوصُوفُ مُحَذَفٌ ، وَأَرَادَ بِهَا الْمَوْتَ ٩١ وَقُرْبَهُ . يُقَالُ حَقٌّ وَحَقَّةٌ ، كَمَا يُقَالُ أَهْلٌ وَأَهْلَةٌ .

وَالتُّرَّةُ : اسْمُ مِفْرَدٍ بِمَعْنَى الْبَاطِلِ ، يُقَالُ تُرَّةٌ وَتُرَّةَةٌ ، وَجَمْعُ الْأَوَّلِ تَرَارِيهُ ، وَجَمْعُ الثَّانِي تَرَهَاتٌ .

وَقَوْلُ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ : « دِهٍ بِفَتْحِ الدَّالِ وَسُكُونِ الْهَاءِ » إِلَى آخِرِ

ما ذكره ، هذا كلام شارح الباب إسماعيل الفالى من غير زيادة ولا نقص . ولا يخفى أنه إذا كان ده بمعنى اضرب فهو اسم فعل لا صوت ، والحق أنها فى لغة الفرس زجرٌ لذى الحافر ليسرع أو ليذهب ، وليست بمعنى اضرب . وهذا أمر ظاهر من استعمالهم إلى الآن ، ولكنهم أجمعوا على أنَّها بمعنى الضرب . وحينئذ فيرد عليهم أنها تكون اسم فعل لا صوتاً .

قال صاحب الباب فيما علَّقه على مَنته : ذكر جارُ الله أن ده زجر للإبل ، مثل هيد وهاد . وذكر فى أمثاله أن ده بفتح الدال وكسرهما فارسية معناها الضرب ، قد استعمالها العرب فى كلامهم ، وأصله أن الموتور يلقى واطره فلا يتعرَّض له ، فيقال له « إلَّا ده فلا ده » ، أى إنك إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه أبداً . وتقديره : إن لم يكن ده فلا يكون ده ، أى إن لم يوجد ضرب الساعة فلا يوجد ضرب أبداً . ثم اتسعوا فيه فضربوه مثلاً فى كل شيء لا يُقدِّم عليه الرجل وقد حان حينه ، من قضاء دين قد حلَّ ، أو حاجة طُلِبَتْ ، أو ما أشبه ذلك من الأحوال التى لا يسوغ تأخيرها . وأنشد أبو عبيدة لرؤية :

* وقُولُ إلَّا ده فلا ده *

وذكر هشام بن محمد الكلبي فى حكاية طويلة أن هذا من قول الكاهن الذى سافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية ، وقد خبئوا له رأس جرادة فى خُرَزٍ مزادة ، وجعلوه فى قلادة كلبٍ يقال له سَوَّار ، فقال : « خبأتم لى شيئاً طار فسطع ، فتصوَّب فوقع ، فى الأرض منه بُقع » : جمع باقعة ^(١) وهى الداهية . فقالوا : لَا دَه ^(٢) ، أى بيَّنه . قال : « هو شيء طار فاستطار - أى

(١) كذا فى النسختين ، والباقعة لا تجمع على بقع ، وإنما مفرد البقع بقعة .

(٢) ما بعده إلى : « ده » التالية فى ص ٣٩٤ ساقط من ش .

تفرّق وفشا - ذو ذنب جرّار ^(١) ، وساق كالمنشار ، ورأس كالمسمار « ، فقالوا : لا ، دَوْ . فقال : « إلا دَوْ فلا دَوْ » ^(٢) . هو ^(٣) رأس جرادة ، في تحرز مزادة ، في عنق سوار ذي الفلادة « . قالوا : صدقت .

وفي أمثال الميداني : إلا دَوْ فلا دَوْ ، رواه ابن الأعرابي ساكن الهاء . قال أبو عبيد : يضربه الرجل يقول : أريد كذا وكذا . فإن قيل له : ليس يُمكن ذا . قال : فكذا وكذا . وقال الأصمعي : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن . وقال : لا أدري ما أصله . ويروى أيضا : « إلا دَوْ فلا دَوْ » ، أى إن لم تعط الاثنين فلا تعط العشرة . انتهى .

وهذه رواية غريبة شاذة ، وبها يخرج ده مما نحن فيه ، فإن لفظ دو بالفارسية الاثنان من العدد بدال مضمومة بعدها واو ساكنة ، ولفظ دَه بمعنى العشرة في لغتهم بدال مفتوحة وهاء ساكنة .

ثم قال الميداني : وقال المنذرى : قالوا معناه : إلا هذه فلا هذه ، يعنى أن الأصل إلا ذَوْ فلا ذَه ، بالذال المعجمة ، فعربت بالذال غير المعجمة ، كما في يهودا مبدلة من يهوذا . انتهى .

أقول : هذا يقتضى أن تكون الكلمة عربية أبدلت ذالها المعجمة دالا مهملة ، لا أنها كانت أعجمية فعربت بما ذكر ^(٤) . فتأمل .

والحاصل أن قولهم إلا ده فلا ده قد اختلف في ضبط لفظه وشرح معناه ، وجميع الأقوال على أنها كلمة فارسية معربة . وقد أرى أبو محمد

(١) في الأصل وهو هنا ط فقط : « وذنب جرار » ، صوابه في مجمع الأمثال .

(٢) فلا ده ساقط من ش .

(٣) في النسختين : « وهو » . وأثبت ما في الأمثال .

(٤) يشير إلى ما ورد في كلام شارح اللباب المتقدم .

عبد الله الشهير بابن برى المقدسى أن تكون هذه الكلمة في هذا المثل غير
عربية ، وذهب إلى أنها صفة مشبهة ، من الذَّهَاء ، وهو الفطنة ، وردَّ على
ملك النحاة ^(١) في زعمه أنها أعجمية في الأصل بمعنى اسم الفعل . ولقد
أجاد فيما أفاد ، وحقق مُدَّعاه فوق المراد ، فلا بأس بنقل كلاميهما .

قال أبو نزار الملقَّب بملك النحاة ^(٢) في مسائله التي سماها (المسائل
العشر ، المنبوزة بإتعاَب الفكر إلى الحشر) وتحدَّى بها في قصَّة يطول ذكرها :
المسألة السابعة ، وهي مسألة سُئِلت عنها بِغَزَنَةِ ^(٣) لما دخلتها ،
فبيَّنتُ مشكلها للجماعة وأوضحتها . وذلك أُنِّي سُئِلت عن قول الراجز :
« وَقَوْلٌ إِلَّا دِهٍ فَلَا دِهٍ »

فذكرت أن هذه من باب كلماتٍ نابت عن الفعل فعملت عمله .
وده في كلام العرب بمعنى صَحَّ أو يَصْحُ . ألا ترى أن قوما جاءوا إلى سَطِيجِ
الكاهن وخبثوا له خبيثة وسألوه فلم يصرِّح فقالوا : لا ده . أى لا يصح
ما قلت . فقال لهم : « إلا ده فلا ده ، حبة بُرٍّ ، في إحليل مُهر » .
فأصاب . فكأنه قال : إلا يَصْحُ فلا يَصْحُ أبداً ، لكننى أقول في المستقبل
ما تشهد له الصَّحَّة . فكان كما قال . إلا أن التنوين في هذه الكلمة ليس
كتنوين رجل وفرس ولكنه تنوين تنكير .

(١) ش : « بمالك النحاة » تحريف . ومَلِك النحاة هو الحسن بن صافى بن عبد الله . ولد سنة
٤٨٩ وتوفى سنة ٥٦٨ . قال السيوطى : « وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة » . وكان يقول :
« هل سيوبه إلا من رعيتى وحاشيتى ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلا حمل غاشيتى » .

(٢) ش : « بمالك النحاة » ، وانظر الحاشية السابقة .

(٣) غزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، ش : « بعرفة » تحريف . وفي البغية :
« ثم سار إلى خراسان وكرمان وغزنة » .

هذا كلامه ، وحذفتُ منه ما لا حاجة لنا إليه .

وأجاب ابن برى : إن قولك ده اسمٌ من أسماءِ الفعل ليس بصحيح على مذهب الجماعة ، ومن له حذق في هذه الصناعة . والصحيح أنها اسم الفاعل من دَهَى فهو داه ودهٍ ، والمصدر منه الدَّهَى والدَّهَاء . فيكون المراد بدهٍ فِطْن ، لأن الدَّهَاءَ الفِطْنَةُ ، وجودةُ الذهن ، فكأنة قال : إلا أكن دَهِيًّا أى فطنا فلا أدهى أبداً ، أى فلا أفطن . فهذا أصله ، ثم أُجريت هذه اللفظة مثلاً إلى أن صارت يعبرُ بها عن كل فعل تُغتَنَم الفرصة في فعله . مَثَلُ ذلك أن يقول الإنسان لصاحبه وقد أمكنته الفرصة ^(١) فى طلب ثأر : إلا ده فلا ده ، أى إلا تطلب الآن ثأراً فلا تطلبه أبداً .

وهذا الرجز لرؤية . وقبله :

صاحب الشاهد

(فالיום قد نَهَّهْنِي نَهْهِي وَأَوَّلُ حلم ليس بالمُسَفِّهِ

وَقَوْلٌ : إلا ده فلا ده)

ومعناه إن لا تفلح اليوم فلا تفلح أبداً ، أى : إن لا تنته اليوم فلا تنته أبداً فهذا معنى ده في هذا المثل . وأما إعرابه فإنه في موضع نصب على خبر كان المحذوفة ، تقديره إلا أكن دَهِيًّا فلا أدهى . وإنما أسكن الياء وكان حقها أن تكون منصوبة ، من قِيلَ أن الأمثال تنزّل منزلة المنظوم . وهذه الياء قد حَسُنَ إسكانها في الشعر ، وهو عندهم من الضرورات المستحسنة ، كقول الشاعر :

(١) ط : « وقد أمكنه الفرصة » ، وأثبت ما في ش .

« يا دارَ هنْدٍ عفت إلا أثافِها ^(١) »

وكقول الآخر :

« كفى بالنأي من أسماء كافي ^(٢) »

فقد ثبت بهذا أن ده اسم فاعل لا اسم للفعل . وهي معربة لا مبنية ، وتنوينها تنوين الصرف لا تنوين التنكير . ويدل على أنها ليست من أسماء الأفعال أنها لا تقع بعد حرف الشرط . ألا ترى أنه لا يحسن : إلا صه فلا صه ، ولا : إلا مه فلا مه ، ولا هيات . ا هـ .

وقد نقل السخاوى (فى سفر السعادة) هذا السؤال عن ملك النحاة وهذا الجواب أيضاً ، لكنه لم يعزه إلى ابن برّى .

وترجمة رؤية تقدمت فى الشاهد الخامس .

وفى هذه الأرجوزة بيتان من أولها ، وهما :
(لله درُّ الغانيات المُدَّهِ

سَبَّحَنَ واسترجعن من تالَّهى)

أورد هذا بعض المفسرين فى بيان اشتقاق لفظ الجلالة فقال : هو من أله ياله إلهة ، كعبد يعبد عبادة ، وزنا ومعنى . والتالَّه : التعبَّد كما هنا . قال : فمعنى الإله المعبود .

(١) للحطيئة فى ديوانه ١١١ . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٥٥ . وعجزه :

« بين الطوى فصارات فواديه »

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤ . وهو الشاهد ٣٢٣ فى الخزانة ٤ : ٤٣٩ . وعجزه :

« وليس لنايها ما طال شاق »

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الأربعمئة (١) :

٤٧٧ (رَمَى اللهُ فِي عَيْنِي بَثِينَةً بِالْقَدَى

وَفِي الْعُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ)

عَلَى أَنْ الشَّيْءَ إِذَا بَلَغَ غَايَتَهُ يَدْعَى عَلَيْهِ ، صَوْنًا عَنْ عَيْنِ الْكَمَالِ (٢)
كما هنا .

قال ابن الأنباري (في الزاهر) : معنى قوله : رمى الله في عيني بثة
إنخ سبحانه الله ، ما أحسن عينيها . من ذلك قولهم : قاتل الله فلاناً
ما أشجعه ! وأنياب القوم : ساداتهم ، أى رمى الله الفساد والهلاك في سادات
قومها ، لأنهم حالوا بينها وبين زيارتي . انتهى .

وقال المرزوقي (في شرح الفصيح) : قيل إنه لم يدع عليها بذلك ، وإنما
هو كما يقال : قاتله الله ما أفرسه ! على وجه التعجب . وحكى بعض أهل
اللغة أن مما يشهد لطريق التعجب في مثل هذا أن بعضهم عدل عن لفظ قاتل
إلى قَاتَعَ فقال : قاتعه الله ما أشجعه ! ليزول المكروه من اللفظ كما لم يكن في
المعنى . وأحسن ممّا ذكرناه أن يقال : أراد بالعنين رقيبها ، وبالْعُرِّ من أنيابها
كرام ذوبها وعشيرتها . والمعنى أفناهم الله وأزاهم المنكرات . فهو في الظاهر
يشتُمها ، وفي النية يشتم من يتأذى به فيها . ويقال : هم أنياب الخلافة ،
للمدافعين عنها . وقيل أراد : بلغها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عواملها
وحواشها . فالدعاء على هذا لها لا عليها . انتهى .

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) : قد تأوله قوم على أنه

(١) الخصائص ٢ : ١٢٢ والسمط ٧٣٩ وديوان جميل ٥٣ .

(٢) أى حسد الشيء الكامل .

أراد بالعينين الرقيين ، وبالأنياب سادة قومها الذين يحجبونها عنه ويمنعونه منها . انتهى .

و (بثينة) بالتصغير : محبوبة جميل العذرى . والباء فى (بالقذى) زائدة . قاله أبو حيان (فى تذكرته) . والقذى : كل ما وقع فى العينين من شئ يؤذيها كالتراب والعود ونحوهما . قال ثعلب (فى الفصيح) : تقول : قَذَت عينه تَقْذِي قَذِيًّا ، إذا ألقت القذى ؛ وقَذِيت تَقْذِي قَذِيًّا ، إذا صار فيها القذى . وأقْذيتها إقْذاءً ، إذا ألقيت فيها القذى . وقَذَيْتها تَقْذِيَّةً ، إذا أخرجت منها القذى . انتهى .

وقوله : (وفى الغر) إلخ معطوف على قوله : « فى عيني » ، وهو جمع أغرّ وغرّاء . أراد : ورمى الله فى أنيابها الحسان النقيّة البيضاء القوادح . فالباء زائدة أيضاً . و (أنياب) : جمع ناب ، وهو السن . وللإنسان أربع وثلاثون سنّاً ^(١) : أربع ثنايا ، وهى مقدّم الأسنان اثنتان من فوق واثنان من تحت . وأربع رباعيات . وأربعة نواجد تكون بينها الأنياب . وأربع ضواحك تكون بينها النواجد . واثنان عشرة رَحَى تكون بينها الضواحك .

و (القوادح) : جمع قادح ، قال صاحب الصحاح : القادح : السواد الذى يظهر فى الأسنان .

وقال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : يقال قُدِحَ فى سنّه أى بالبناء لمفعول ، إذا وقع فيها الأكل ووقع فى أسنانه القادح ، وإذا عرض

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : « قوله أربع وثلاثون سناً ، صوابه اثنتان وثلاثون ، ليطابق التقسيم ويوافق ما هو مذكور فى كتب اللغة . اهـ من هامش الأصل » .

شئ من جميع ما ذكرنا من آفات العود قيل : قُدَح العودُ يُقَدَح قَدْحاً فهو مقدوح وهى القوادح . وبعضهم يقول قُدَح فى العود ، إذا عرض له القادح فَأُتَكَّل يَأْتَكُل ائتكالا . وقال الباهلى : يقال عود قد قُدَح فيه ولا يقال مقدوح .

وكذلك قُدَح فى سنه ، إذا وقع الأكل ، ووقع فى أسنانه القادح .
وأنشد البيت . ٩٤

وهذه التأويلات يدفع فى صدرها ما رواه الأصبهاني (فى الأغاني ^(١)) :
قال : حدثنى على بن صالح قال : حدثنى عمر بن شُبَّة عن إسحاق قال :
لقى جميلٌ بثينةً بعدَ تهاجرٍ بينهما طالت مدته ، فتعابها طويلاً ، فقالت له : ويحك يا جميل ، أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول :
رمى الله فى عينى بثينةً بالقذى * البيت

فأطرق جميلٌ طويلاً يبكى ثم قال :
ألا ليتنى أعمى أصمُّ تقودنى
بثينةٌ لا يخفى علىَّ كلامها

فقالت له : وما حملك على هذه المني ، أو ليس فى سعة العافية ما كفانا جميعاً .

وروى بسنده أيضاً أنَّ جميلاً لما ودَّع بثينةً وذهب إلى الشام لكثرة اللُّغَطَ فيهما واصلت بعده حَجَبَةً ^(٢) الهلالي . ولما رجع من الشام بعد حين

(١) الأغاني ٧ : ٧٩ - ٨٠ .

(٢) فى ش : « حجية » فى جميع المواضع ، تحريف . وانظر ما سيأتى فى الشعر .

قال حَجْبة لبثينة ، وكان ابن سُرَّية : لا أرضى إلا أن تُعَلِّمى (١) جميلاً أنك
استبدلت به ! فقالت لجميل :

ألم تر أنَّ الماءَ غيَّرَ بعدكم
وأنَّ شِعَابَ القلبِ بعدك حُلَّتْ

فقال لجميل :

فإنَّ تك حُلَّتْ فالشُعَابُ كثيرةٌ

وقد نَهَلْتُ منها قُلُوصى وَعَلَّتْ

فقالت لحجبة : عَرَضْتَنِي لجميل يَجْعَلُنِي حديثاً . وقالت لجميل : إنَّه
استزَلَّنِي ، وقد ناشدتك الله أن تسترني فأثَّها كانت هفوة . فقال جميل من
أبيات :

فيا بُشَّنْ إنَّ واصلتِ حَجْبة فاصرمي

جِبالى وإن صارمته فصلينى (٢)

ولا تجعلينى أسوةَ العبدِ واجعلى

مع العبدِ عبداً مثلهُ وذرينى

وانصرف عنها . وهجرها وقال :

* رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * البيت

(١) فى النسختين : « أن تعلمين » ، والوجه ما أثبت . وهذا الخبر لم يرد فى الأغاني .

(٢) البيتان فى ديوان جميل ٢٠٩ نقلا عن الخزانة .

وقال في ذلك أيضاً :

وإني لأستحيي من الناس أن أرى

رديفاً لوصل أو عليّ رديف^(١)

وإني للماء المخالط للقذى

إذا كثرت وُرَّاده لعيوف

وقال أيضاً :

بيننا جبالى ذات عقْدٍ لبْثْنةٍ

أُتيح لها بعضُ العَوَاةِ فحلَّها^(٢)

فَعُدْنَا^(٣) كأننا لم يكن بيننا هوى

وصار الذي حلَّ الجبال هوى لها

وروى أيضاً بسنده عن كثير ، ونقله القالي (في أماليه) ، والمرزباني

(في الموشح) أيضاً : أن كثيراً حَدَّث وقال : وقفتُ على جماعةٍ يفيضون فيَّ

وفي جميل : أئنا أصدقُ عشقاً ، ولم يكونوا يعرفونني ، ففضلوا جميلاً فقلْتُ

لهم : ظلمتم كثيراً ، كيف يكون جميلٌ أصدقُ منه ، وحين أتاه من بئينة

ما يكره قال :

* رمى الله في عيني بئينة بالقذى * البيت

(١) ديوان جميل ١٣٩ نقلا عن الخزانة ووفيات الأعيان ١ : ١١٦ . وبين هذا البيت وتاليه في

الوفيات :

وأشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بوصل منك وهو ضعيف

(٢) ديوان جميل ١٩٠ عن الخزانة والأغانى ٨ : ١١٩ والزهرة ١٧٦ .

(٣) ط : « قعدنان » ، وأثبت ما في ش .

وكثير حين أتاه من عزة ما يكره قال :
 هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر
 لعزة من أعراضنا ما استحلّت

فما انصرفوا إلّا على تفضيلي . اهـ .

وهذا كله يدلّ على أنّ جميلاً دعا عليها حقيقة ، ويدلّ أيضاً على أن البيت لجميل لا لغيره .

ومن الغرائب أن الصاغاني قال (في مادة ترب من العباب) : إنّ هذا البيت لأخى شَمَجَى ، يُخاطب أذينة بنت عمّ صعب بن كلثوم ، والرواية كذا :

٩٥ « رمى الله في عيني أذينة بالقذى » البيت

وليس البيت لجميل ولا الرواية « في عيني بثينة » كما وقع في بعض كتب اللغة منسوباً إليه . اهـ .

أقول : جميع من تكلم على هذا البيت وروى فيه تحبراً ، أثبت لجميل في بثينة . ومع كثرة ورود هذه الأخبار في أكثر كتب الأدب كيف يقال إنّ وقع في بعض كتب اللغة . والله أعلم .

وجميل شاعر إسلامي تقدّمت ترجمته في الشاهد الثاني والستين ^(١) .

وشَمَجَى بالشين والميم والجيم وألف مقصورة ، قال في القاموس : وبنو شَمَجَى بن جرّم من قضاة ، وهو بفتحات ثلاثة .

* * *

وَأَنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعَمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س (١) :

٤٧٨ (وَئِىْ كَأَنَّ مِنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْ

سَبَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرٍّ)

على أن (وَئِىْ كَأَنَّ) ، عند الخليل وسيبويه مركبة من وَئِىْ التعجبية وكَأَنَّ المخففة من المثقلة ، إلى آخر ما ذكره .

وهذا نص سيبويه ، ونقله ابن السراج (فى الأصول) بحروفه : سألت الخليل عن قوله تعالى : ﴿ وَيَكَاثُهُ لَا يَقْلُحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) ، وعن قوله تعالى : ﴿ وَيَكَاثُ اللَّهُ ﴾ (٣) فزعم أنها « وَئِىْ » مفصولة من كَأَنَّ ، والمعنى وقع على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نُبِّهوا فقليل لهم : أما يُشبه أن يكون هذا عندكم هكذا . والله أعلم . وأما المفسرون فقالوا : ألم تر أن الله . وقال زيد ابن عمرو بن نفيل :

* وَئِىْ كَأَنَّ مِنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ * البيت

انتهى .

وقال النحاس : يريد أن معنى وَئِىْ تنبيه ، يقولها الإنسان حين يستنكر

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ٣٨٩ والمختضب ٢ : ١٥٥ والخصائص ٣ :

٤١ ، ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ٧٦ وشرح شواهد المغنى ٢٦٦ والمجمع ٢ : ١٠٦ والأشمونى ٣ : ١٩٩ .

(٢) الآية ٨٢ من القصص .

(٣) الآية ٨٣ من القصص .

أمرأً أو يستعظمه ، فيقول : وى ! فتكون ويكأن مركبة مِنْ وىٍ للتشبيه ، ومن كَأَنَّ للتشبيه .

وكذلك قال الأعلام . فقوْلُ الشارح المحقق إنّ وىٍ عند سيبويه بمعنى التعجب خلافاً المنقول .

وهذا نص الفراء (فى تفسيره ^(١)) قال فى آخر سورة القصص : ويكأنّ فى كلام العرب تقريرٌ ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنّع الله ! وقال الشاعر :

وى كأن من يكن له نُسْبٌ يُخـ بَب البيت

وأخبرنى شيخٌ من أهل البصرة قال : سمعتُ أعرابيةً تقولُ لزوجها : أين ابْنُك ويْلُك ؟ فقال : ويكأَنَّهُ وراءَ البيت . معناه أما تَرَيْتَهُ وراءَ البيت .

وقد يذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان يريد : ويك أنه ، أراد : ويلك ، فحذف اللام وجعل أنّ مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويلك أعلم أنه وراء البيت ، فأضمر أعلم . ولم نجد العرب تُعمل الظن والعلم بإضمار مضمر فى أنّ ؛ وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين أو فى آخر الكلمة ، فلما أضمره جرى مجرى الترك . ألا ترى أنّه لا يجوز فى الابتداء أن تقول : يا هذا أنك قائم ولا يا هذا أن قمت ، تريد علمتُ أو أعلم ، أو ظننت أو أظن .

وأما حذف اللام من ويلك حتى تصير « ويك » فقد تقوله العرب ، لكثرتها فى الكلام . قال عنترة :

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها

قَوْلُ الفوارس ويك عنتر أقدم

وقد قال آخرون : إن معنى وى كَأَنَّ ، أَنَّ وى منفصلة من كَأَنَّ ، كقولك لرجل : وى ، أما ترى ما بين يديك ؟ فقال : وى ثم استأنف كَأَنَّ ، ٩٦ يعنى كَأَنَّ الله ييسط الرزق لمن يشاء . وهى تعجب ، وكَأَنَّ فى مذهب الظن والعلم . فهذا وجه مستقيم . ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة . وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه ، كما اجتمعت العرب على كتاب يا ابن أم : يبنوم . قال : وكذا رأيتهما فى مصحف عبد الله ، وهى فى مصاحفنا أيضاً . ١ هـ .

فعلم من كلامه أَنَّ ويكأن عنده كلمة بسيطة بمعنى ألم تر ، والاستفهام للتقرير ، لا أنها مركبة من كلمتين إما من ويك ومن أن ، كما نقله عن بعض النحويين ؛ وإما من وى ومن كَأَنَّ كما نقله عن بعض آخر .
فما نقله الشارح المحقق عن الفراء نقل مركب من قوله الذى صدره ومن القول الأول لبعض النحاة .

قال النحاس بعد نقل ما نقله الفراء : وما أكثر خطأ هذا القول ، وذلك لأنَّ المعنى لا يصح عليه ، لأنَّ القوم لم يخاطبوا أحداً فيقولوا له ويلك ، وكان يجب على قوله أَنَّ يكون إنه بالكسر . وأجمع المسلمون على الفتح . وأيضاً فليس فى القرآن لام ، فكيف تُحذف اللام لغير علة .

وزعم ابن جنى (فى المحتسب) أن وى عند سيويه والخليل بمعنى

أعجب ، كما قال الشارح المحقق ، وأنَّ كأنَّ ليست للتشبيه عندهما ، خلافاً للشارح . قال : ومن ذلك قراءة يعقوب : ﴿ وَيْلَكَ ﴾ يقف عليها ثم يبتدئ فيقول ﴿ إِنَّهُ ﴾ . وكذلك الحرف الآخر مثله .

قال أبو الفتح : في ويكأنه ثلاثة أقوال : منهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على وى ، ومنهم من يقف على وى ، ويعقوب يقف على وَيْلَكَ ، وهو مذهب أبى الحسن .

والوجه فيه عندنا قول الخليل وسيبويه ، وهو أنَّ وى على قياس مذهبهما اسمٌ سُمي به الفعل فكأنه اسمٌ أعجب ، ثم ابتداء فقال : كأنَّه لا يفلح الكافرون ، ووى كأنَّ الله ييسط الرزق ، ووى منفصلة من كأنَّ . وعليه بيت الكتاب :

وى كأن من يكن له نَشَبٌ يح بَب البيت

وممَّا جاءت فيه كأنَّ عاريةً من معنى التشبيه قوله ^(١) :

كأننى حين أمسى لا تكلمنى

متيمٌ أشتهى ما ليس موجودا ^(٢)

أى أنا حين أمسى متيمٌ ، من حالى كذا وكذا . ا هـ .

أقول : أمَّا قوله إنَّ وى عندهما اسمٌ أعجب ، فقد تقدَّم عن النحاس والأعلم ما يرده .

(١) فى المحتسب : « ما أنشدناه أبو على » .

(٢) نسب فى الخصائص ٣ : ٩٦ إلى عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه ٣١٢ ، وفى اللسان (عود

٣١٣) إلى يزيد بن الحكم الثقفى وه يسبه ابن جنى فى المحتسب

وأما قوله : « إنَّ كَأَنَّ عارية عن التشبيه ، فقولُ سيبويه : « أَمَا يُشْبِهُ أَنْ يكون هذا عندكم هكذا » ، يكذِّبه .

وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله : « كَأَنَّنِي حِينَ أَمْسَى » البيت ، فهو مذهب الزجاج فيما إذا كان خبر كَأَنَّ مشتقاً لا تكون للتشبيه ، لئلا يتحد المشبه والمشبَّه به .

وَأَجِيبُ بَأَنَّ الخبر في مثله محذوف ، أى كَأَنَّنِي رجلٌ مَتَّيِّمٌ ، فهى على الأصل للتشبيه .

ثم قال ابن جنى : ومن قال إنها وىك فكأنَّه قال : أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ، وهو قول أبى الحسن ^(١) . وينبغى أن تكون الكاف هنا حرف خطاب كما فى « ذلك » ، لأنَّ وى ليست مما يُضاف ^(٢) . ومن وقف على وىك ثم استأنف فينبغى أن يكون أراد أن يُعلم أنَّ الكاف من جملة وى ، وليست بالتى فى صدر كَأَنَّ ، فوقفَ شيئاً لبيان هذا المعنى .

ويشهد لهذا المذهب قول عنترة :

* قِيلُ الفوارسِ وىكٌ عتتر أقدم *

وقال الكسائى : فيما أظنَّ أراد وىلك ثم حذف اللام . وهذا يحتاج إلى خبر نَّبى ليقبل منه . ٩٧

وقول من قال إنَّ وىكأنَّه كلمة واحدة إنما يريد به أنه لا يُفصلُ بعضه من بعض . اهـ .

(١) فى النسختين : « وهو قول الحسن » ، وصوابه من المختص ٢ : ١٥٥ .

(٢) فى النسختين : « مما تضاف » ، صوابه فى المختص .

تتمتان

(إحداهما) : جعل ابن هشام (في المغنى) وى وواهاً لغتين في (وا) بمعنى أعجب . وهذا باطل فإن كل واحدة من هذه الثلاثة كلمة مستقلة في نفسها أصلاً ومادة ، وليست ياء وى مبدلة من ألف (وا) كما يزعمه ابن قاسم ^(١) (في حواشيه عليه) . هب أنه كذلك فما يقول في واها . ولم يتنبه أحد من شراحه لما ذكرناه .

واعترض الدماميني (في شرح التسهيل) على قول ابن مالك إن وى اسم فعل بمعنى أعجب . في كلام ابن الحاجب ما يشعر بأن القائل إنها اسم فعل يقول : إنها اسمٌ لإعجب ، أمراً لا مضارعاً ؛ لأنه قال : وى تعجب . ويجوز أن يقال إنها اسم صوت لا اسم فعل ، لأن المتعجب يقول عند التعجب لا لقصد الإخبار بالتعجب ، بل كما يقول المتألم : آه .

وكذلك يقوله المتعجب منفرداً ، ولو كان اسم فعل لم يقله إلا مخاطباً لغيره . انتهى .

أقول : لا إشعار فيه بما زعمه ، فإن آه اسم صوت ، وهم قالوا إنه بمعنى أتوجع ، وليس فيه قصد الإخبار به . فتأمل .

(الثانية) : نقل المرادى (في الجنى الدانى) عن صاحب (رصف المباني) أنه قال : وى حرف تنبيه معناها التنبيه على الزجر ، كما أن ها معناها

(١) كذا في النسختين ، وشهرته « ابن أم قاسم » وهى جدته أم أبيه . وابن أم قاسم هو الحسن ابن عبد الله المرادى .

التنبيه على الحضر ، وهى تقال للرجوع عن المكروه والمحذور ، وذلك إذا وُجد رجل يسبُّ أحداً أو يُوقعه فى مكروه ، أو يُلْغيه ، أو يأخذ ماله ، أو يعْرِض بشئ من ذلك ، فيقال لذلك الرجل : وى ، معناه تنبّه وازدجر عن فعلك . ويجوز أن يوصل به كاف الخطاب . انتهى .

والبيت الشاهد من أبيات لزيد بن عمرو بن نفيل ^(١) ، وهى :
(تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمِّ)

يَدِ إِلَى الْيَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهَتَرِ
سَأَلَتَانِ الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَا مَا

لِي قَلِيلاً ، قَدْ جِئْتَانِي بِنُكْرٍ
فَلَعَلِّي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي .

وَيُعَرِّى مِنْ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي
وَتُرَى أَعْبُدُ لَنَا وَأَوَاقِ

وَمَنَاصِيفُ مِنْ خَوَادِمَ عَشْرِ
وَنَجْرُ الْأَذْيَالِ فِي نَعْمَةٍ زَوِ

لِ تَقُولَانِ : ضَعْ عَصَاكَ لَدَهْرٍ
وَيِ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحَدِّ

بَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعْشَى عَيْشَ ضُرٍّ
وَيُجَنَّبُ سِرَّ النَجِيِّ وَلَكِ

مَنْ أَخَا الْمَالَ مُحَضَّرٌ كُلُّ سِيرٍ)

(١) فى البيان ١ : ٢٣٥ / ٣ : ١٢٤ أنها لأبى الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وانظر ما أثبت فى حواشيه .

قوله : « تلك عرساى » مثنى عرس مضاف إلى الياء . والعرس بالكسر : الزوجة ، أى هما عرساى . ويجوز أن يخالف اسم الإشارة المشار إليه كقوله تعالى : ﴿ عَوَّانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾^(١) . والعمد : القصد . والهتر بفتح الهاء وسكون المثناة الفوقية : مصدر هتره يهتره من باب نصر ، إذا مزق عرضه . والهتر ، بالكسر : الكذب والداهية ، والأمر العجب ، والسقط من الكلام والخطأ فيه . وبالضم : ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن . وروى أيضاً :

تلك عرساى تنطقان بهجر

وتقولان قول أثرٍ وعثرٍ^(٢)

والهجر بالضم : اسم من الإهجار وهو الإفحاش فى المنطق والحنى . والأثر بالفتح : مصدر أثرت الحديث ، إذا ذكرته عن غيرك . ومنه الحديث المأثور ، أى ينقله خلف عن سلف . والأثر بالضم : أثر الجراح يبقى بعد البرء . والعثر بمثناة فوقية بعد المهملة : مصدر عثر الرمح ، إذا اضطرب واهتز ، من باب ضرب . والعثر ، بالمثلثة : الاطلاع على الشيء ، مصدر عثر عليه .

وقوله : « سالتانى الطلاق » لُخِج استشهد به سيبويه^(٣) على أن الشاعر يبدل الهمزة ألفاً فى الضرورة . قال : وليس هذا من لغة من يقول سِلْتُ يسال كخفت يخاف . وبلغنا أنه لغة . قال الأعلم : هى لغة معروفة ، وعليها قراءة من قرأ : ﴿ سَالَ سَائِلٌ بعذابٍ واقعٍ ﴾^(٤) . وروى : (تسألان الطلاق) وحينئذ لا شاهد فيه .

(١) الآية ٢٨ من سورة البقرة .

(٢) فى النسختين « الهجر » ، صوابه مما سيأتى ص ٤٢٠ .

(٣) فى كتابه ٢ : ١٧٠ .

(٤) الآية الأولى من سورة المعارج .

وقوله : « قد جئتماني بئكر » التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . والتكر ، بالضم : الأمر القبيح المنكر .

وروى الزجاجي في أماليه بدل نكر (مر) ، من المارة : ضدّ الحلاوة .
وروى أيضاً :

سالتاني الطلاق أن رأأتاني قلّ مالى قد ... إلخ

فجملة قلّ مالى فى محل نصب مفعول ثانٍ للرؤية كالرواية السابقة . ويجوز أن تكون الرؤية بصرية . وجملة قلّ مالى حال من الياء . وقليلًا حال من مالى .

وقوله : « ويعرّى من المغارم » جمع مغرم بالفتح ، وهو ما ينوب الإنسان فى ماله من ضررٍ لغير جنائية ، كتحميل الدّيات ، والإطعام فى النّائبات .

وقوله : « وتُرى أعبدُ » إلخ بالبناء للمفعول والخطاب ^(١) . وأعبد : جمع عبد . وأواق ، أى من الذهب والفضة ، وهو جمع أوقية ، وهى سبعة مثاقيل ، وأربعون درهما . وروى بدله : « وجياد » جمع جواد ، وهو الكريم من الخيل . ومناصيف : جمع منصف ، وهو الخادم . قاله الجاحظ ^(٢) . فالياء زائدة لضرورة الشعر . ومنصفٌ يفتح الميم وكسرهما ؛ والأنثى بالهاء . وفعله نصفه ينصفه من باب نصر وضرب نصفًا ، ونصافًا ، ونصافة ، بكسرهما وفتحهما ،

(١) كذا فى النسختين ، ولا خطاب هنا .

(٢) فى البيان ١ : ٢٣٥ - ٢٣٦ .

أى خدمه ، ويقال أيضاً أنصفه بالألف . وخوادم : جمع خادم ، وهى الجارية ، ويقال أيضاً خادمة . والخادم يطلق على المذكر . وروى بدله : « من ولائد عشر » جمع وليدة بمعنى الخادمة .

وقوله : « فى نعمة زول » بفتح الزاى المعجمة وسكون الواو صفة نعمة ، أى حسنة وجيدة . قاله الجاحظ .

وقوله : « ضع عصاك » إلخ وضع العصا كناية عن الإقامة ، لأن المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يحملها . قال الشاعر (١) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عينا بالإياب المسافر

وما أحسن قول البأخرزى :

حمل العصا للمبتلى بالشيب أنواع البلاء

وصف المسافر أنه ألقى العصا كى ينزلا

فعلى القياس سبيل من أخذ العصا أن يرحلا

واللام فى لدهر بمعنى إلى ، أى إلى انقضاء دهر ، وهو الزمان الطويل .

وقوله : « وى كأن من يكن » إلخ من شرطية ونشب اسم كان ، وله

خبرها ، ويحبب بالبناء للمفعول من المحبة جزاء الشرط . وكذلك « من يفتقر

يعش » . وعيش مفعول مطلق . والضّر بالضم والفتح : سوء الحال من قلة

(١) هو مضرس الأسدى ، كما فى البيان ٣ : ٤٠ . وفى اللسان (عصا) نسبتة إلى معقر بن

همار ، أو عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثامة الخنفى . ونسب فى كتاب العصا إلى راشد بن عبد الله .

نوادير المخطوطات ١ : ١٩٣ .

مال وجاه . والنَّشَب بفتح النون والشين : المال الأصيل من الناطق والصامت .

وأورد صاحب الكشف هذا البيت ، عند قوله تعالى : ﴿ وَيَكُنُّهُ ٩٩ لا يفلح الكافرون ﴾ ^(١) على أن وى مفصولة من كأن .

وقوله : « وَيَجْنِبُ سِرَّ النَجَى » معطوف على يَعِش ، وهو بالبناء للمفعول من جَنَّبَهُ إياه تجنيباً ، أى باعده عنه . فهو متعدّد لمفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضَمِير من يفتقر ، وثانيهما سِرَّ النجى . والسر هو الحديث المكتّم فى النفس .

والنجى : فاعل ، هو من يُفْشَى له السّر . يعنى أن الفقير يستحقّره صاحبه فلا يفشى له سرّه .

وقوله : مُحَضَّر : اسم مفعول من أحضره إياه ، أى جعله حاضراً غير غائب ، فهو متعدّد إلى مفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضمير أخى المال ، والثانى كلّ سر . وروى أيضاً :

وَيُجَنَّبُ يُسَرُّ الْأُمُورَ وَلَكِ

مَنْ ذَوَى الْمَالِ حُضَّرَ كُلُّ يُسَرِّ

واليسر : نقيض العسر . وحُضَّر : جمع حاضر ، من حضره ، إذا شاهده ^(٢) .

(١) الآية ٨٢ من القصص .

(٢) ط : « إذا شاهد » .

والرواية الأولى هي رواية الجاحظ (في البيان والتبيين) ، والرواية الثانية هي رواية الزبير بن بكار (في أنساب قريش) ، وتبعه صاحب الأغاني . وأبو الحسن المدائني (في كتاب المقسات ^(١)) . وهي لزيد بن عمرو بن نفيل كما في كتاب سيبويه وخدمته . وكذا (في أمالي الزجاجي الوسطي) ، وأثبتها الجاحظ لابنه سعيد بن زيد ، ونسبها الزبير بن بكار لئبيه بن الحجاج .

قال أبو الحسن المدائني : قالوا : تزوج عمرو بن نفيل امرأة أبيه نفيل ابن عبد العزى ، فولدت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت ولدت الخطاب أبا عمر بن الخطاب ، فكان الخطأب عم زيد وأخاه لأمه . وكان زيد يطلب الدين ويخرج من مكة إلى الشام وغيرها يلتمس الدين ، فكان الخطأب يعيب عليه خروجه عن مكة وطلبه الدين ، وخلاف قومه ، وكان يؤذيه ، وأمر امرأته أن تعاتبه وتأخذ بلسانها ، ففعلت ، فاعتزم على الخروج ، فقال زيد لامرأته صفية بنت الحضرمي :

لا تحبسيني في الهوا	نِ صَفِيٍّ ، ما داني ودأبه
إنني إذا خفت الهوا	نَ مشيعٌ ذُلِّلَ رِكا به
دُعْموصُ أبوابِ الملو	ك وجانبٌ للخرقِ بابه
قطّاعُ أسباٍ تذ	لَ بغيرِ أقرانِ صِعباه
وإنما ألف الهوا	نَ العيرُ إذ يهوى إهابه ^(٢)

(١) كذا في ط ، وفي ش : « القسات » بإهمال نقط ما بعد القاف . ولعله « كتاب المغنيات » الذي ذكره ابن النديم في الفهرست ١٤٩ .

(٢) لعلها : « ولربما ألف » . وإلا ففي التفعيلة الأولى عيب الوقص .

وأخى ابنُ أُمِّي ثمَّ عمِّ
 سى ، لا يُواتِنِي خطَابُه
 وإذا يَعَاتِبْنِي أُخْ—
 سى أقول : أَعْيَانِي جَوَابُه
 وإذا أَشَاءَ لَقَلْتُ : مَا
 عِنْدِي مَفَاتِحُه وَبَابُه

وقال لامرأته :

تلك عرساى تنطقان الأبيات

أما الأول فهو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، القرشى العدوى .

زيد بن عمرو
بن نفيل

قال صاحب الاستيعاب : كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، قبل أن يُبعث النبي ﷺ ، وكان لا يذبح للأنصاب ، ولا يأكل الميتة والدم .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : ذكر البغوى وابن منده وغيرهما زيدا هذا فى الصحابة . وفيه نظر ، لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين ، ولكنه يحى على أحد الاحتمالين فى تعريف الصحابى ، وهو أنه من رأى النبي ﷺ مؤمنا به ، هل يشترط فى كونه مؤمنا به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك ، أو يكفي كونه مؤمنا به أنه سيبعث ، كما فى قصة هذا وغيره . وقد ذكر ابن إسحاق أن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن

عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والذي نفسى بيده ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى .

وأخرج الفاكهى بسند له إلى عامر بن ربيعة قال : « لقيت زيد بن عمرو وهو خارج من مكة يريد حراء ، فقال : يا عامر ، إني قد فارقْتُ قومي واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبدُ إسماعيلُ من بعده ، كان يصلى إلى هذه النية . وأنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيلَ ثم من ولد عبد المطلب ، وما أرانى أدركه . وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي » الحديث . زاد الواقدي فى حديث نحوه : « فإن طالت بك مدة فأقرئه منى السلام ^(١) » . وفيه : لما أسلمت أقرأت النبی ﷺ منه السلام ، فردَّ عليه وترحم عليه وقال : « رأيتہ فى الجنة يسحب ذيولاً » .

وروى الواقدي عن ابنه سعيد بن زيد قال : توفى أبى وقريشُ تبنى الكعبة . وكان ذلك قبل المبعث بخمس سنين .

أما سعيد بن زيد المذكور فقد كان من السَّابِقِينَ إلى الإسلام ، وهاجر وشهد أحداً والمُشَاهِدَ بعدها ، ولم يكن بالمدينة زمانَ بدر ، فلذلك لم يشهدا . وهو أحد العشرة المبشَّرة ، وكان إسلامه قديماً قبل عمر ، وكان إسلام عمر عنده فى بيته ، لأنه كان زوجَ أخته فاطمة .

قال الواقدي : توفى بالعقيق فحمل إلى المدينة ، وذلك سنة خمسين من الهجرة ، وقيل إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين ، وعاش بضعا وسبعين سنة .

(١) ش : « فأقرئه منى السلام » . والمعروف أقرئه السلام .

وزعم الهيثم بن عدى أنه مات بالكوفة وصلى عليه المغيرة بن شعبة .
قال : وعاش ثلاثا وسبعين سنة .

وزعم العلامة الدوّانى (فى شرح ديباجة العقائد العضدية) وتبعه
السيد عيسى الصفوى (فى شرح الفوائد الغيائية) أن زيد بن عمرو المذكور
نبيّ أوحى إليه لتكميل نفسه .

وهذه عبارته : النبىُّ : إنسانٌ بعثه الله إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه إليه .
وعلى هذا لا يشمل من أوحى الله ما يحتاج إليه لكمالهِ فى نفسه ، من غير أن
يكون مبعوثاً إلى غيره ، كما قيل فى زيد بن عمرو بن نفيل ، اللهم إلا أن
يُتكلف .

أقول : هذا غير صحيح ، فإنه لم يقل أحدٌ من المؤرخين والمحدثين : إنه
نبيّ أو ادّعى النبوة . وأمره مشهور ، وكان حياً فى زمن النبىِّ ﷺ ، وليس فى
عصره نبيّ غيره .

قال الذهبي : زيد بن عمرو بن نفيل هو الذى قال فيه رسول الله
ﷺ : « إنه يُبعث أمةٌ وحده (١) » ، وكان على دين إبراهيم ، ورأى النبىَّ
ﷺ ، وتوفى قبل مبعثه ﷺ .

وكان دخل الشام والبلقاء . وكان نفرٌ من قريش : زيد ، وورقة ، وعثمان
ابن الحارث ، وعبيد بن جحش (٢) ، خالفوا قريشا وقالوا لهم : إنكم تعبدون

(١) ط : « واحدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن العثمانية للجاحظ ١٤٢ .

(٢) ذكره فى الإصابة ٦٣٩٠ فيمن أدرك النبىَّ ﷺ ولم يره . وقال : شهد القادسية ونزل
الكوفة .

ما لا يضرُّ ولا ينفع من الأصنام ! ولا يأكلون ذبائحهم . واجتمع بالنبي ﷺ قبل البعثة وقال له : إني شأمت النصرانية واليهودية فلم أر فيها ما أريد ، فقصصت ذلك على راهب فقال لي : إنك تريد ملة إبراهيم الحنيفية ، وهي لا توجد اليوم ، فالحق ببلدك فإن الله باعثٌ من قومك من يأتي بها ، وهو ^(١) ١٠١ أكرم الخلق على الله . اهـ .

ومنه تعلم أنَّ ما قاله الدواني لا يليق بمثله أن يذكره . وكذا ما في حواشي الكازروني من أنه يجوز أن يكون زيد مبعوثاً إلى الخلق ، بدليل أنه كان يُسند ظهره إلى الكعبة ويقول : أيها الناس لم يبق على دين إبراهيم غيري . ويُعلم من هذا أنه يجوز أن يكون نبيا ، فلا ينتقض به التعريف . انتهى . وهذا مما يقضى منه التعجُّب ، وكذا جميع ما ذكره هنا أرباب حواشيه . وذكره البيضاوي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ ^(٢) : وقال : هو موحد الجاهلية .

وأما الثاني فهو نُبيّه ، بضم النون وفتح الموحدة بعدها ياء ساكنة فهاء ، وكنيته أبو الرزّام بتشديد الزاي المعجمة ، ابن الحجاج ، بتشديد الجيم الأولى ، ابن عامر بن حذيفة بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص ، بالتصغير ، ابن كعب ابن لؤي بن غالب .

(١) ش : « وهم » تحريف .

(٢) الآية ٢٢ من سورة البقرة .

قال الزبير بن بكار (في أنساب قريش) : كان نبيّة وأخوه منّي ، على صيغة اسم الفاعل من التنييه ، من وجوه قريش وذوى النباهة فيهم ، وقُتِلَا ببدر كافرين . وكانا من المطعمين يوم بدر ، ورثاهما الأعشى بن نباش بن زُرارة التميمي ^(١) حليف بنى عبد الدار ، وكان مداحاً لنبيه بن الحجاج ، وله فيه من قصيدة يصف ناقته :

تَبْلَعُنْ رَجُلًا مُحَضًّا ضَرَائِبُهُ
مُؤَمَّلًا وَأَبُوهُ قَبْلُ مَأْمُولُ
إِنَّ نُبَيْهَا أبا الرِّزَامِ أَحْلَمُهُمْ
حِلْمًا ، وَأَجُودُهُمْ ، وَالْجُودُ تَفْضِيلُ

وكان نُبَيّْة شاعراً ، وهو الذى يقول فى زوجتيه وقد سألتاه الطلاق :
تلك عِرْسَايَ تَنْطَقَانِ بِهَجْرٍ
وتقولان قول أثر وعثر ^(٢)

إلى آخر الأبيات المقدّمة . ومن شعره :
قَصَّرَ الشَّيْءُ بِي وَلَوْ كُنْتُ ذَا مَا
لِ كَثِيرٍ لَأَحْلَبَ النَّاسُ حَوْلِي ^(٣)

(١) ط : « التيمي » ، صوابه فى ش والمؤتلف ٢٠ والاشتقاق ١٤٢ . قال ابن دريد : « أخبرنا بعض أهل العلم عن الأعشى بن نباش بن زُرارة بن وقدان ، أحد بنى تميم .. وسترى تفسيره فى نسب تميم إن شاء الله » .

(٢) سبقت هذه الرواية فى ص ٤١١ . وفى ط هنا : « تنطقان لهجر » .

(٣) أحلبوا ، بالحاء المهملة : جاءوا من كل وجه . وفى ط : « أحلب الناس » بالميم ، وهو بالميم للتجميع فى الشر .

ولقالوا أنت الكريم علينا
ولخطوا إلى هوائى وميلى
ولكلت المعروف كيلا هنيئا
يُعجز الناس أن يكيلوا ككيلى (١)

وله أيضاً :
قالت سليمة يوم جئت أزورها
لا أبتغى إلا امرأ ذا مال
لا أبتغى إلا امرأ ذا أنضر
كى ما أسد مفارق وخلالى
فلأحرصن على اكتساب مُحِبِّ
ولأكسبن فى عِفَّةٍ وجمال
وله شعر كثير . اهـ .

والأنضر كأحمد (٢) : لغة فى النَّضر ، وهو الذهب .

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الأربعمئة (٣) :

٤٧٩ (قولُ الفوارس ويلك عَنَّتْراً أقدم)
على أنَّ الفراء قال : وى فى ويكأته ، كلمة تعجَّبُ الحقُّ بها كاف
الخطاب ، كقوله : ويلك عنتر ، أى ويلك وعجباً منك .

(١) ش : هـ هينا بالتسهيل .

(٢) كذا فى النسخين بالبدال .

(٣) المحتسب ١ : ٢/١٦ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٥ ، ٦ وابن يعيش ٤ : ٧٧ وشرح

شواهد المغنى ٢٦٧ والعينى ٤ : ٣١٨ والتصریح ١ : ١٩٧ والأشمونى ٣ : ١٩٨ .

١٠٢ أقول : ليس هذا مذهب الفراء ، وإنما هو قول لبعض النحويين نقله الفراء عنه كما مضى . زعم أنَّ ويكأنَّ مركب من ويك ومن أنَّ ، وأنَّ ويك أصله ويك ، فحذفت منه اللام ، كما في بيت عنترة .

ولا تخفى ركافة قول الشارح : « وى كلمة تعجب ألحق بها كاف الخطاب » مع قوله : « أى ويك وعجبا منك » .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : قال المفسرون فى قول الله تعالى : ﴿ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾^(١) ، معناه ألم تر أن الله .

ومثل ذلك : ﴿ وَيَكُنَّه لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٢) . واختلف فيها اللغويون فقال الخليل . إنها وى مفصولة من كأنَّ ، والمراد بها التنبيه . وإلى هذا ذهب يونس وسيبويه والكسائى . وقال السيرافى : وى كلمة يقوها المتنذم عند إظهار ندامته ، ويقوها المتنذم لغيره والمنبه .

ومعنى كأنَّ الله يبسط الرزق التحقيق ، وإن كان لفظه لفظ التنبيه ، فالتقدير : تَنَبَّهَنَّ أنَّ الله يبسط الرزق ، أى تنبَّه لبسط الله الرزق . وقال الفراء : معناها فى كلام العرب التقرير ، كقولك لمن تقرره : ألا ترى إلى صنع الله ، فكأنه قيل : أما ترى أنَّ الله يبسط الرزق^(٣) .

وأقول^(٤) : إنَّ كل واحد من مذهبي الخليل والفراء ، وكذلك ما قاله

(١) الآية ٨٢ من القصص .

(٢) الآية ٨٢ من القصص .

(٣) هذا ما فى ش وأمالي ابن الشجرى ، وفى ط : « أما ترى الله يبسط الرزق » .

(٤) ش فقط : « فأقول » .

السيرافي من أنَّ التقدير : [تنبّه ^(١)] أن الله ييسط الرزق ، معناه ألم تر أنَّ الله ييسط الرزق . وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر أنَّ الله أنزل من السماء ماءً فتُصْبِحُ الأرضُ مَخْضَرَّةً ^(٢) ﴾ .

فهذا تنبيه على قدرته وتقرير بها .

وقال غير هؤلاء من اللُّغويين : هي ويك بمعنى ويلك ، وحذفت اللام لكثرة هذه اللفظة في الكلام . وأنَّ من قوله أنَّ الله ييسط الرزق ، مفتوحة بإضمار اعلم .

واحتجوا بقول عنترة : « ويك عنتر أقدم » فالكاف على هذا القول ضمير ، فلها موضع من الإعراب .

وقال آخرون : هي وي اسمٌ للفعل ومعناها أتعجَّب ^(٣) كما تقول : وي لم فعلت هذا ؟ فالكاف في هذا الوجه حرفٌ للخطاب ، كالكاف في رويدك ، فهي دالةٌ على أنَّ ^(٤) التعجب موجَّهٌ إلى مخاطب لا إلى غائب . وانفتحت أنَّ بتقدير اللام ، أى أتعجَّب لأنَّ الله ييسط الرزق ^(٥) . انتهى كلام ابن الشجرى .

والبيت من معلقة عنترة العبسى . قال شراح المعلقة : قال بعض صاحب الشاهد النحويين : معنى ويك ويحك ، وقال بعضهم : معناه ويلك . وكلا القولين خطأ ، لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ ويك إنه ، كما يقال ويلك إنه ، ويحك

(١) هذه من أمالى ابن الشجرى .

(٢) الآية ٦٣ من سورة الحج .

(٣) في الأصل : « العجب » ، صوابه من الأمالى .

(٤) هذه الكلمة من ش والأمالى .

(٥) ش فقط : « العجب لأنَّ الله ييسط الرزق » .

إِنَّهُ . على أنه قد ^(١) اخْتُجَّ لصاحب هذا القول بأنَّ المعنى : ويليكَ اعْلَمْ أَنَّهُ لا يفلح الكافرون .

وهذا أيضا خطأ من جهات : إحداهما حذف اللام من ويليكَ ، وحذف اعلم ، لأنَّ مثل هذا لا يحذف لأنَّه لا يعرف معناه . وأيضا فإنَّ المعنى لا يصح ، لأنَّه لا يُدرى من خاطبوا بهذا . وروى عن بعض أهل التفسير أنَّ معنى وَيْلِكَ أَلَمْ تَرَ ، وأما ترى . والأحسن في هذا ما روى سيبويه عن الخليل ، وهو أنَّ وى منفصلة ، وهى كلمة يقولها المنتدم إذا ما تنبَّه على ما كان منه ، كأنَّهم قالوا على الندم : وى ، كأنه لا يفلح الكافرون . انتهى .

وروى : (قِيلُ الفوارس) . والقول والقيـل بمعنى . وجمع فارس الوصفى على فوارس نادر .

(وعنتر) : منادى مرتحم ، أى يا عنتره . و (أقدم) بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى تقدّم ، أو هو من الإقدام الذى بمعنى الاجتهاد والتصميم . وروى بدله : (قدّم) ، أى قدّم الفرس ، أو بمعنى تقدّم . جعل أمرهم له بالتقدّم شفاءً لنفسه ، لما ينال فى تقدّمه من الظفر بأعدائه ، ولما يكتسب بذلك من الرفعة وعلو المنزلة .

وقد تقدمت ^(٢) ترجمة عنتره وشرح المعلقة مع أبيات منها فى الشاهد ١٠٣ الثانى عشر وغيره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الأربعمائة ^(٣) :

٤٨٠ (روافذه أكرمُ الرَّافداتِ بَخْ لَكَ بَخْ لبحرٍ خَضَمُ)

(١) ط : « على أنه وقد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « تقدم » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٧٩ والصحاح والمقاييس واللسان (بنخ ، رفد) .

على أن الشاعر جَمَعَ فيه لُعَتَى بَيْحِ الموصولة في الدَّرَج ، وهما :
تخفيف الخاء مع الكسر والتنوين ، وتشديدها كذلك . وهذا من (الصحاح)
فإنه قال : بَيْحُ كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ ، وتكرر للمبالغة فيقال
بِخ بِخ . فَإِنْ وَصَلَتْ خَفَضَتْ وَنَوَتْ فَقُلْتُ بَيْخُ بَيْخُ ، وربما شَدَّدَتْ
كالاسم . وقد جمعهما الشَّاعِر فقال يصف بيتا :

روافده أكرم الرفادات البيت

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (في الغريب المصنف) قال : الرَّوَّافِدُ
خَشَبُ السَّقْفِ ، قال الشاعر وذكر بيتاً : روافده أكرمُ البيت .

قال شارح أبياته يوسف بن الحسن السيرافي : بَيْحُ كلمة تقال عند
وصف الشئ بالرفعة والتناهي في الأمور الجليلة ، وهي مبنية على السكون ،
لأنه من أسماء الأفعال ، والفعل الذي هي في موضعه فعل تعجَّب في قولك :
أَفْعِلْ به ، في موضع أعظم به وأكرم به ، كما كان صَنَ في موضع اسكت .
وهو في نية تعريف . وهذه الأفعال التي للتعريف إذا نوى بها التعريف لم
تُنَوَّنْ ؛ وإن نوى بها التنكير نُوَّتْ . فمن قال : بَيْحُ وَنَوَّنَ أراد به النكرة
فأدخل التنوين ، وهو حرف ساكن ، على الخاء وهي ساكنة ، فاجتمع
ساكنان فكسرت الأولى منهما ، وهي الخاء . فإن قال قائل : الساكنان إذا
التقيا في كلمة واحدة كسر الثاني منهما ، نحو : دراك ونزال ، وإذا التقيا من
كلمتين كسر الأول نحو : اضرب ابنك وأكرم القوم ، فلم كسرت الخاء
لدخول التنوين وهما في كلمة واحدة ولم يكسر التنوين ؟ قيل له : التنوين ليس
من الكلمة ، وهو مضموم إليها داخل للعلامة ، وليس من حروفها ، فجرى

مجرى كلمة غير الكلمة الأولى . وبخ بالتشديد هو الأصل ، والخفف ما حذف منه حرف من الأصل . والخِصْمُ : الكثير العظيم الكثرة . وصف البيت بالكرم وأراد كرم من هو بيته . انتهى .

فعلى كلامه هي اسم فعل لا اسم صوت .

والبيت لم أقف على قائله وتمتمته . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثانون بعد الأربعمئة (١) :

(وصار وصل الغانيات أتحا)

٤٨١

على أن الشاعر جعل (أتحا) كالمصدر فأعربه ، وهو مصدر بمعنى المفعول أى مكروها .

وكذلك أورده الزمخشري فى الأصوات وقال : وأخ عند التكره . قال العجاج :

* وصار وصل الغانيات أتحا *

وروى : « كتحا » . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : أخ ، وذكرها بالفتح ، كلمة تقال عند التأوه ، وأحسبها محدثة . وكخ : زجر للصبي وردع له ، وتقال عند التقدر للشيء ، وتكسر الكاف وتفتح وتسكن الحاء وتكسر ، بتونين وغير تونين ، قيل هي أعجمية عربت . كذا فى النهاية .

ولم أر نسبة البيت للعجاج إلا فى المفصل .

و (فى العباب للصاغاني) يقال للصبي إذا نهى عن فعل شيء قذير : ١٠٤

(١) مجالس ثعلب ٤٥١ وأمالى الزجاجى ١٢١ وابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٧٩ وملحقات ديوان

إِخْ بالكسر ، بمنزلة قول العجم : كَيْخْ ، كَأْتُهُ زَجْرٌ ، وقد تفتَح همزته ، قال أعرابى :

« وكان وصلُ الغانيات أُنْحَا »

ويروى كَحَا . وإِخْ بالكسر : صوت يَنَاح به الجمل ليبرك ؛ ولا يشتق منه الفعل فلا يقال أَحْحَحْتُ الجملَ . إِنَّمَا يَقُولُونَ أَنَحَّتْهُ .

وهو من أبيات رواها جماعة غُفْلا ، منهم ثعلب (فى أماليه) ، أنشد :

لا خيرَ فى الشيخ إذا ما اجلَحَّا

وسألَ غَرُبُ عَيْنِهِ وَلَحَّا

وكان أَكْلًا قاعداً وشَحَّا

تَحْتَ رُواقِ البيتِ ، يَغشَى الدُّنْحَا

وانثنت الرجلُ فكانت فَحَّا

وكان وصلُ الغانيات أُنْحَا

اجْلَحَّ : سقط ولم يتحرَّك . وَلَحَّ : سَالَ . وَأَخَّ كقولك : أُفْ وتُف .

انتهى .

وكذا رواها الزجاجى (فى أماليه الوسطى) عن ابن الأعرابى وقال :
اجْلَحَّ : اعوجَّ . وَلَحَّ : التصقت عينه . وشَحَّا ، يقول : كثر غائطه . والدُّخُّ ،
بضم الدال وفتحها : الدُّحَان . ويعشى الدُّخُّ : يغشى ^(١) التَّنُورَ فيقول :
أطعمونى . انتهى .

وقال على بن حمزة البصرى (فى التنبهات) : الغرب : بثرة تكون فى

(١) يغشى ، من ش فقط .

العين تُقْدَى ولا تَرْقَأ . وأنشد الأبيات . وكذلك أنشد الأبيات ابن دريد (في
الجمهرة) وقال : لَحَّتْ عينه تلحُّ لَحًا ولحخا ، إذا كَثُرَتْ دموعها وغلظت
جفونها . وربما قالوا : لَحَّتْ ، أى بالمهملة .

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (في طبقات النحويين) :
حدثنا ابن مُطَرِّف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه
قال : قالت أعرابية في زوجها وكان شيخا :
* لا خير في الشيخ إذا ما اجلحًا *

الأبيات . فقال زوجها :

أَمَ جَوَارٍ ضَيُّوْهَا غَيْرُ أَمِرٍ

صَهْصَلَقُ الصَّوْتِ بعينها الصَّبْرُ

تُبَادِرُ الذُّبَّ بعْدُوٍ مشفتر

سَائِلَةٌ أَصْدَاغَهَا مَا تَحْتَمِرُ

تَغْدُو عَلَيْهِمَ بَعْمُوْدٍ منكسر

حَتَّى يَفِرَّ أَهْلُهَا كُلُّ مَفَرٍّ

لَوْ نَحَرَتْ فِي بَيْتِهَا عَشْرَ جُرُ

لَأَصْبَحَتْ مِنْ لَحْمِهِنْ تَعْتَذِرُ

فَقَالَتْ لِرُجُلِهَا : اسْكُتْ فَإِنَّا جَمَارَا الْعِبَادِي . قال : أَجَلْ ، وَأَنْتِ

بَدَأْتَ . انتهى .

وَجَوَارٍ : جمع جارية . والضَّئِءُ ، بفتح الضاد المعجمة وكسرها وسكون

النون بعدها همزة : النسل والولد ، لا واحد له من لفظه . وأَمِرٌ : كثير ، من

أَمَرَ كَفَرَح ، إذا كثر . والصَّهْصَلَقُ قال في القاموس : هي العجوز الصَّخَّابة ،

ومن الأصوات : الشديد . والصَّبْر : عُصارة شجر مُرّ . يريد أن عينها تدمع دائماً كأنَّ في عينها هذه العصارة .

والمشفتَر كمقشِرّ : المَشْمُر ، والمنتصب .

وسائلة أصداغها ، أى طويلة شعر الأصداغ . وما تختمر ، أى لم تستعمل الخِمار .

والجزُر بضمّتين : جمع جزور ، وهو البعير أو الناقة المجزورة ، وما يذبح من الشاء ؛ واحدها جَزْرَة .

* * *

المركب

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد الأربعمئة ^(١) :

١٠٥ ٤٨٢ (كَلَّفَ مِنْ عَنَائِهِ وَشِقْوَتِهِ

بَنَتْ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِهِ)

على أن بعض الكوفيين أجاز إضافة النيف إلى العشرة .

قال أبو علي (في التذكرة القصصية) : البغداديون يجيزون خمسة عشر ،

فيضيفون وأنت تريد به العدد ، ويستشهدون بقول الشاعر :

كَلَّفَ مِنْ شِقَائِهِ وَشِقْوَتِهِ ^(٢)

بَنَتْ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِهِ

وأصحابنا يمنعون من ذلك إذا أردت به العدد . فإن سميته بخمسة عشر

جازت الإضافة على قول من قال معديكرب ، وجاز أن لاتضيف على حد من

قال معديكرب ؛ لأنه قد خرج عن العدد بالتسمية . وأجاز ذلك

أبو عمر ^(٣) (في الفرخ) انتهى .

وقال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنه

(١) الحيوان ٦ : ٤٦٣ والمخصص ١٤ : ١٧/٩٢ : ١٠٢ والإنصاف ٣٠٩ والعيني ٤ : ٤٨٨

والتصريح ٢ : ٢٧٥ والمعجم ١٤٩ والأشمونى ٤ : ٧٢ .

(٢) حاول الشنقيطي في نسخته أن يجعلها « من عنائه وشقوته » .

(٣) في النسختين : « أبو عمرو » ، تحريف . وصاحب كتاب الفرخ هو أبو عمر صالح بن =

يجوز إضافة النيف إلى العشرة ، واستدلوا بالبيت ، ولأن النيف اسم مظهر كغيره من الأسماء المظهرة التي تجوز إضافتها ، ومنعه البصريون لأن الاسمين قد جُعلا اسماً واحداً ، فكما لا يجوز أن يضاف الاسم الواحد بعضه إلى بعض فكذلك ههنا .

وبيان ذلك : أن الاسمين لمَّا ركبا دلاً على معنى واحد ، والإضافة تبطل ذلك المعنى . ألا ترى أنك لو قلت : قبضت خمسة عشر من غير إضافة دل على أنك قد قبضت خمسة وعشرة . وإذا أضفت دلاً على أنك قبضت الخمسة دون العشرة ، فلما كانت الإضافة تبطل المعنى المقصود وجب أن لا تجوز .

وأما البيت فلا يعرف قائله ، ولا يؤخذ به . على أنا نقول : إنما صرفه لضرورة ، ورده إلى الجر لأن ثمانى عشرة لما كانا بمنزلة اسم واحد وقد أضيف إليهما بنت رد الإعراب إلى الأصل بإضافة بنت إليهما ، لا بإضافة ثمانى إلى عشرة . وهم إذا صرفوا المبنى للضرورة ردوه إلى الأصل .

وأما قولهم إن النيف اسم مظهر كغيره من الأسماء في جواز الإضافة ، قلنا : إلا أنه مركب ^(١) ، والتركيب ينافى الإضافة ، لأن التركيب جعل الاسمين اسماً واحداً بخلاف الإضافة ، فإن المضاف يدل على مسمى ، والمضاف إليه يدل على مسمى آخر . وحينئذ لا يجوز الإضافة لاستحالة المعنى . ا هـ .

= إسحاق الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ ، كما في البغية . وقد ذكر ابن الدليم من كتبه في الفهرست ٨٤ « كتاب الفرخ » كما ذكر في إنباه الرواة ٢ : ٨٢ . وذكر الميمنى في الإقليد ٨٠ أن كتابه يسمى « فرخ سيبويه » وفيه يقول المعري في لزومياته :

وللجرمي ما اجترمت يدها وحسبك من فلاح أو بوار
وأما فرخه فلا جناح يطير بحمل أقلام جوار

(١) ش : « قلنا إنه مركب » .

وأنشد الفراء البيت في موضعين (من تفسيره) عن أنى ثروان :
أحدهما : عند قوله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ^(١) ﴾ ، لما ذكر
من مذهب الكوفيين ، وفصل المسألة عندهم .

وثانيهما عند قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ^(٢) ﴾ ، بكسر
السين ، وهى قراءة أهل المدينة وعاصم ، وأنشد البيت أيضاً .

و (العناء) بالفتح : التعب والتَّصَب . و (الحِجَّة) بالكسر :
السَّتَّة . ونائب فاعل كُفِّفَ : ضمير الرجل ، وبنت مفعول ثانٍ لِكُفِّفَ .

قال الجاحظ (فى كتاب الحيوان) : أنشدنى أبو الرُّدَيْنِى الدَّهْم بن
شِهَاب ، أحد بنى عَوْف بن كنانة ، مِنْ عُكْل ^(٣) قال : أنشدنى نُفَيْع بن
طارق :

عُلِقَ مِنْ عَنَائِهِ وَشِقْوَتِهِ
بَنَتْ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حِجَّتِهِ
وَقَدْ رَأَيْتُ هَدَجًا فِي مَشِيَّتِهِ
وَقَدْ جَلَا الشَّيْبَ عَذَارَ لَحِيَّتِهِ ^(٣)
يَظُنُّهَا ظَنًّا بِغَيْرِ رُؤْيَتِهِ
تَمَشَّى بِجَهْمٍ ضَيْقُهُ فِي هِمَّتِهِ ^(٤)

(١) الآية ٤ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٣٤ .

(٢) الآية ١٠٦ من سورة المؤمنین . معانى الفراء ٢ : ٢٤٢ .

(٣) جلاه : جعله واضحاً أبيض . فى النسختين : « حكى » ، صوابه فى الحيوان .

(٤) ش : « ضيقة » صوابه فى ط والحيوان . وفى الحيوان أيضاً : « من همته » .

١٠٦

لم يُخْزِرْهُ اللهُ بُرْحَبَ سَعَتِهِ

حَجَّجَ بَعْدَ حَلْقِهِ وَنُورَتِهِ ^(١)

كَقَنْفَذِ الْقَفِّ اخْتَفَى فِي فَرَوْتِهِ

لَا يَقْنَعُ الْأَيْرُ بِنَزْعِ زَهْرَتِهِ ^(٢)

« كَأَنَّ فِيهِ وَهَجاً مِنْ مَلَّتِهِ »

والهدج : مِشْيَةُ الشَّيْخِ . والجهم : الباسر الكالِح ، مِنْ جَهْمٍ بِالضَّم ،

إِذَا صَارَ بَاسِرَ الْوَجْهِ . أَرَادَ حِرّاً جَهْمَا ذَا عُنَيْنٍ ، كَالْوَجْهِ الْجَهْمِ .

وقوله : « ضَيْقُهُ فِي هِمَّتِهِ » ، أَرَادَ أَنَّ حِرَّهَا ضَيْقٌ كَضَيْقِ هِمَّتِهِ .

وَحَجَّجَ ، بَفَتْحِ الْجِيمِ وَالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، أَيْ بَرَزَ الْحِرُّ الْجَهْمُ ، مِنْ حَجَّجَ

الرَّجُلَ إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ كَالشَّاحِصِ .

وَالْقَفُّ : حِجَارَةٌ غَاصٌّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، مُتَرَادِفٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ .

وَالْمَلَّةُ ، بِالْفَتْحِ : الرَّمَادُ الْحَارُّ .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّلَاثُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ ^(٣) :

٤٨٣ (وَلَا تَبْلَى بِسَالَتِهِمْ وَإِنْ هُمْ

صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِيناً بَعْدَ حِينٍ)

(١) فِي الْحَيَوَانِ : « جَم » ، أَيْ ظَهَرَ فِيهِ الشَّعْرُ وَلَمْ يَغْزُرْ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْجَمِيمِ ، وَهُوَ النَّبْتُ الَّذِي

طَالَ بَعْضُ الطُّوْلِ وَلَمْ يَتِمَّ .

(٢) زَهْرَتِهِ ، كَذَا وَرَدَتْ فِي النُّسخَتَيْنِ . وَفِي الْحَيَوَانِ : « رَهْوَتُهُ » . وَالرَّهْوَةُ : مُسْتَنْقَعُ الْمَاءِ .

وَالنَّزْعُ مَأْخُذٌ مِنَ نَزْعِ الْمَاتِحِ بِالْدَّلُو مِنَ الْبُئْرِ .

(٣) أُمَالِي الْقَالِي ١ : ٢٦٠ وَابْنُ يَعْيشَ ٤ : ١٥٣ وَالْحَمَاسَةُ ٤١ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِ .

على أن أصل حِينَ حِينَ بالتركيب ، حيناً بعد حين ، كما في البيت .
وأورده صاحب الصحاح في صِلَى بالأمر كفرح ، إذا قاسى حرّه
وشدّته .

والبيت من أبياتٍ لأبي العُول الطُّهَوِيّ ، أوردها القائلُ (في أماليه) ،
وأبو تمام (في أوّل حماسه) ، وهى :
(فَدَتِ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي)
أبيات الشاهد

فوارسٌ صدّقُوا فيهم ظنُونِي
فوارسٌ لا يَمَلُّونَ المنايا
إذا دارت رَحَا الحربِ الزَّبُونِ
ولا يَجْزُونَ من حَسَنِ سُوءِي
ولا يَجْزُونَ من غِلَظِ بِلِينِ
ولا تَبْلَى بِسَالَتِهِمْ وَإِنْ هُمْ
صَلُّوا بالحربِ حيناً بعدَ حينِ
هُمْ مَنَعُوا جَمِيَّ الْوَقْبِي بِضَرْبِ
يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي
وداؤُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ (١)
ولا يَرْعَوْنَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي
إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُلُونِ (٢)

(١) ط : « وداوى » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . وانظر الشرح في ص ٤٣٧ .

(٢) ش : « أكتاف الهوينى » ، صوابه في ط والمراجع السابقة .

قوله : « فدت نفسي » إلخ جملة دعائية ، وما موصولة . وتخصيص
اليمين لفضلها وقوة التصرف بها ، وهم يقيمون البعض مقام الجملة وينسبون إليه
الأحداث والأخبار كثيرا ، كقوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا
خَاضِعِينَ ^(١) ﴾ .

قال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) : قوله : صدَّقوا فيهم
ظنونى ، فظنونى مفعوله . وروى غير القالي : « صدَّقت فيهم ظنونى » فالظنون
على هذه الرواية فاعلة ^(٢) . وروى « صدَّقت » بضم الصاد فتكون الظنون
مفعولة . يريد أنها نائب فاعل .

وأنشده صاحب الكشاف في سورة سبأ برواية : « صدَّقت فيهم
ظنونى » ، وقال : لو قرئ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ^(٣) ﴾ ،
بتشديد الدال ورفع إبليس والظن كما في البيت لكان مبالغة في الصدق عليهم .
وفوارس شاذ في الجموع ، لأن فواعل جمع فاعلة لما يعقل دون فاعل .
والمعنى : تفدى نفسى ومالى أجمع فوارس يكونون عند ظنونى بهم في الحرب .

وقوله : « فوارس لا يملون » إلخ بالنصب بدل من فوارس وبالرفع خبر
مبتدأ محذوف ، أى هم فوارس . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت ؛ أراد
أسبابها . والزبون : الناقة التى تزبن حاليتها ، أى تدفعه برجلها ، ومنه الزبانية ،
لأنهم يدفعون إلى النار . وإثما لم يؤث لاستواء فعول فى المؤنث والمذكر . ١٠٧
شبه الحرب التى لا تقبل الصلح بالناقة الزبون . ويقال ثبت فلان فى رحا
الحرب ، أى حيث دارت كالرحا .

(١) الآية ٤ من الشعراء .

(٢) فى النسختين : « فاعله » و « مفعوله » فيما سأتى . والوجه ما أثبت من اللآلى ٥٨٠ .

(٣) الآية ٢٠ من سورة سبأ . وقراءة رفع « إبليس » و « ظنه » هى قراءة عبد الوارث عن

أبى عمرو ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٧٣ . وقرأ الكوفيون : « صدق » بالتشديد ، مع رفع إبليس
ونصب ظنه . وبقى السبعة « صدق » بالتخفيف مع رفع إبليس ونصب ظنه .

قوله : « ولا يجزون من حسن » إلخ ، يُشرح إن شاء الله في أفعال التفضيل ^(١) .

قوله : « ولا تبلى بسالتهم » إلخ قال الطبرسي : تبلى من بلى الثوب . ويرى : « تُبلى » بالضم ، من بلوت إذا اختبرت . والبسالة يُوصف بها الأسد والرجل . وصلوا من صليت بكذا ، أى مُنيئ به . وجواب إن هم صلوا يدل عليه ما قبله ، تقديره : إن مُنوا بالحرب لم تُخلق شجاعتهم ، أو لم تختبر شجاعتهم ليعرف غورها ومنتهاها على مر الزمان ، واختلاف الأحوال . انتهى . وقال أبو عبيد البكري : هكذا الرواية « تبلى » بالفتح من البلى . وروى غير القالى : « ولا تُبلى » بضم التاء من الابتلاء ، وهو الاختبار ، أى لا يختبر ما عندهم من النجدة والبأس وإن طال أمد الحرب ، لكثرة ما عندهم من ذلك . ويجوز على هذه الرواية « صلوا بالحرب إلا بعد حين » .

وقوله : « هُم مَنَعُوا حِمَى » إلخ الحمى : موضع الماء والكلاء . والوقبى بفتح الواو والقاف : موضع بقرب البصرة . وكان من حديثه أن عبد الله بن عامر كان عاملاً لعثمان بالبصرة وأعمالها ، واستعمل بشر بن حارث بن كهف المازنى على الأحماء التى منها الوقبى ، فحفر بها رَكبتين : ذات القصر ، والجوفاء ^(٢) ، فانتزعهما منه عبد الله بن عامر ، ووقعت الحرب بينهم بسبب ذلك ، وعاد الماء فى آخر حروب ومُغاورات إلى بنى مازن . كذا قال شراح الحماسة .

وقال أبو عبيدة : كانت الوقبى لبكرٍ على إِيَادِ الدَّهَرِ ، فغلبهم عليها بنو

(١) فى الشاهد ٦٢٦ .

(٢) فى النسختين : « الجوفاء » صوابه بالجيم ، كما فى شرح الحماسة للتهيزى ١ : ٣٤ ومعجم البلدان فى حرف الجيم .

مازن بَعَوْن عبد الله بن عامر صاحب البصرة لهم ، فهي بأيدي بنى مازن اليوم . وكان بين بنى شيبان وبين مازن حرب فيها ، وتعرف بيوم الوقى ، قُتل فيها جماعة من بنى شيبان . انتهى .

يقول : إِنَّ هَؤُلاءِ القوم هُم الذين يمنعون حِمَى هذا المكان ، بضرب يجمع بين المنايا المتفرقة . وهذا يحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون أن هَؤُلاءِ لو بقُوا في أماكنهم ولم يجتمعوا في هذه المعركة لوقعت منايهم متفرقة في أمكنة متغايرة ، وأزمنة متفاوتة ، فلما اجتمعوا تحت الضرب الذى وصفه صار الضربُ جامعاً لهم .

ويجوز أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفة ، وهذا الضرب جمع بين الأسباب كلها . وحكى عن أبى سعيد الضَّرِير أن المعنى أن الضرب إذا وقع أَلَف بين أقدارهم التى قُدِّرَت عليهم . ويجوز أن يكون المراد : بضرب لا ينفس المضروب ولا يُمهله ، لأنه جمع فَرَق الموت له .

وقوله : « فَكَبَّ عَنْهُمْ » إلخ الدرع أصله الدفع ، ثم استعمل في الخلاف ؛ لأنَّ المختلفين يتدافعان . يقول : هذا الضرب نَكَب عن هَؤُلاءِ القوم اعوجاج الأعادى وخلافهم ، وداوُوا الشرَّ بالشرِّ . وهذا كقولهم : « الحديد بالحديد يُفْلَح » . وأصل النَّكَب المِيل . وقال أبو عبيد البكرى : هذا مثل قول عمرو بن كلثوم :

أَلا لا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا

فنجهل فوق جهل الجاهليتنا

وقال الفرزدق :

أَحْلَامُنَا تَرْنُ الْجِبَالِ رِزَانَةً

ويزيد جاهلنا على الجهال

١٠٨ قوله : « ولا يرعون أكناف » إلخ الهوينى : الدعة والخفض ، وهو مصغر الهوينى تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهونى اسماً مبنياً من الهينة وهى السكون ، ولا تجعله تأنيث الأهون .

والهدون : السكون والصلح . يصفهم بالحرص على القتال ، وإيثار جانب الخصومة على الصلح . فيقول : لا يرعى هؤلاء القوم ، من عزهم ومنعتهم ، الأماكن التى أباحتها المسالمة ، ووطأتها ^(١) المهادنة ، ولكن يرعون النواحي المحمية ، والأراضى المنيعه ^(٢) .

وأبو الغول الطهوى هو كما قال الآمدى (فى المؤلف والمختلف) من قوم من بنى طهية يقال لهم بنو عبد شمس بن أبى سود ^(٣) . وكان يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها وقال :
رأيتُ الغولَ تهوى جُنَحَ ليل

بسهب كالعباية صحصحان

فقلت لها : كلانا نضو أرضي

أخو سفر فصدى عن مكاني ^(٤)

(١) وطأ الشيء : سهله وهياه . فى النسختين : « ووطئها » ، صوابه من اللآلئ ٥٨١ .

(٢) فى اللآلئ : « والأرضين المنتعة » .

(٣) ط : « بن سود » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح والمؤلف ١٦٣ . وانظر الاشتقاق ٢٣٣ وما سياتى فى ضبط البغدادى .

(٤) ط : والمؤلف : « فقلت له » ، صوابه فى ش . والغول مؤنثة .

إذا عَيْنَانِ فِي وَجْهِ قَبِيحٍ
كُوجِهٍ الْهَرِّ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ
بِعَيْنَيْ بُومَةٍ وَشَوَاةٍ كَلْبِ
وَجَلْدٍ فِي قَرَأٍ أَوْ فِي شِنَانٍ (١)

وله في هذا حديث وخبر (في كتاب بنى طهية) . انتهى .
ونسب ابن قُتَيْبَةَ تلك الأبيات (٢) لأبي الغول النهشلي . قال : هو أبو الغول النهشلي
عَلْبَاءُ بْنُ جَوْشَنَ ، من بنى قَطَنَ بن نهشل ، وكان شاعرا مجيدا ، وهو القائل :
وَسَوْءٌ يُكْثِرُ الشَّيْطَانُ إِنْ ذُكِرْتُ
مِنْهَا التَّعْجُبُ ، جاءت من سليمان
لا تَعْجَبَنَّ لَخَيْرٍ جَاءَ مِنْ يَدِهِ
فَالْكُوكَبُ النُّحْسُ يَسْقَى الْأَرْضَ أحيانا (٣)
انتهى .

وأبو الغول النهشلي غير أبي الغول الطهوي ، نقلهما الأمدى عن أبي
اليقظان ؛ وقال في النهشلي : هو علباء بن جَوْشَنَ ، وإِنَّهُ شاعر ذكره أبو
اليقظان ولم ينشد له شعراً ، ولم أرَ له ذكراً في كتاب بنى نهشل . انتهى .
وأبو سود بضم السين هو ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة
ابن تميم . وأم أبي سود طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(١) في المؤلف : « بعيني بومة » . والبومة : طائر يشبه البومة إلا أنه أصغر منها . وقال
أبو عمرو : هي البومة الصغيرة .

(٢) يعني أبيات الشاهد التونية ، انظر الشعراء ٣٩٤ .

(٣) في الشعراء : « زل عن يده »

ونهشل هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة المذكور . فأبو سنود يكون عمّ نهشل . وعلباء بكسر العين المهملة وسكون اللام بعدها باء موحدة وألف ممدودة .

وسليمان هو سليمان بن عبد الملك بن مروان .

فالنهشلي شاعر إسلامي في الدولة المروانية . وأمّا الطهوي فلم أقف على كونه إسلامياً أو جاهلياً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٨٤ (فلولا يومٌ يومٍ ما أردنا

جزاءك والقروض لها جزاء)

على أنّه إذا خرج الظروف والأحوال عن الظرفية والحالية وجبت الإضافة ولم يجز التركيب .

قال سيبويه : وأمّا يومٌ يومٍ ؛ وصباحٌ مساءً ، وبيتٌ بيتٍ ، وبينَ بينٍ ، فإن العرب تختلف في ذلك ، يجعله بعضهم بمنزلة اسمٍ واحد ، وبعضهم يضيف الأول إلى الآخر ولا يجعله اسماً [واحداً ^(٢)] ، ولا يجعلون شيئاً من هذه الأسماء بمنزلة اسمٍ واحد إلا في حال الحال والظرف ، كما لم يجعلوا يا ابن عمّ ويا ابن أمّ بمنزلة شيء واحد إلا في حال النداء . والآخِر من هذه الأسماء في ١٠٩ موضع جرٍّ ، وجعل لفظه كلفظ الواحد وهما اسمان أحدهما مضافٌ إلى

(١) في كتابه ٢ : ٥٣ . وانظر الشذور ٧٦ والجمع ١ : ١٩٧ وديوان الفرزدق ٩ .

(٢) التكملة من سيبويه .

الآخر . وزعم يونس ، وهو رأيه ، أنَّ أبا عمرو كان يجعل لفظه كلفظه ^(١) ، إذا كان شيئاً منه ظرفاً أو حالاً . وقال الفرزدق :

ولولا يومٌ يومٌ ما أردنا البيت

فالأصل في هذا والقياسُ الإضافة . انتهى .

قال الأعلام : الشاهد فيه إضافة يوم الأول إلى الثاني ، على حدِّ قولهم : معديكرب ، فيمن أضاف الأول إلى الثاني . يقول : لولا نصر مالِك في اليوم الذي تعلم ما طلبنا جزاءك . وجعل نصرهم له قرضاً يطالبونه بالجزاء عليه . هذا كلامه ، ولم يشرح وجه الإضافة . وظهرها إضافة المترادفين . وقد شرحها أبو علي (في التذكرة) قال : أما قوله حين لا حين ، فالثاني غير الأول ، لأنَّ الحين يقع على الجزء اليسير من الزمان ، فأضاف الحين الأول إلى الثاني ، ولا زائدة ، فيكون من إضافة البعض إلى الكل ، نحو حلقة فضة ، وعيد السنَّة ، وسبَّت الأسبوع ، فلا يكون إضافة الشيء إلى نفسه . ومثله قول الفرزدق :

ولولا يوم يوم ما أردنا البيت

فيوم الأول : وضع النهار ، والثاني البرهة ، كالتى في قوله : ﴿ وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ ^(٢) . وأنشد أبو عمرو :
حَبَّذا العُرْصَاتُ يَوْمًا في ليالي مُقَمَّرَاتٍ ^(٣)

فقال : « يوما في ليالي » إرادة المدَّة ، دون المعاقب اللَّيْل . انتهى .

(١) في سيبويه : « كلفظ الواحد » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الأنفال .

(٣) ط : « ليالي المقمرات » ، وأثبت ما في ش .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٨٥ (وَجَنَّ الْخَازِبَارِ بِهِ جُنُونًا)

على أَنَّ لام التعريف إذا دخلت على اللغات المذكورة لخازبار لم تغيّر ما كان مبنيا عن بنائه .

قال ابن برى (فى شرح أبيات إيضاح الفارسي) : بنى على الكسر كما تبنى الأصوات ، وفيه لغات . ولمّا أرادوا تعريفه أدخلوا أل عليه ؛ لأن المركب حكمه حكم المفرد فى ذلك ، نحو الخمسة عشر درهما . قال أبو على : وإنّما جاز دخول أل عليه وإن كان الغالب عليه وقوعه صوتاً لأنّهم أوقعوه على غير الأصوات فى نحو قوله :

يا خازبار أرسل اللهازما إننى أخاف أن تكون لازما

فقليل إنّه ورم . وقد يجوز أن يشبّه بباب العباس ، لأن ما دخلته أل من ذلك كثير ، نحو :

* تداعين باسم الشيب (٢) *

وشيب : حكاية صوت جَذَب الماء ورَشَفَه عند الشرب . انتهى :

وصدره :

(تَفَقَّأُ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارَى)

(١) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر الحيوان ٣ : ٦/١٠٩ : ١٨٥ والإنصاف ٣١٣ وابن يعيش ٤ : ١٢١ وحماسة البحرى ١٩٠ والكامل ٣٠٠ والآلئ ٥٩٣ .

(٢) هو الشاهد الثامن فى الخزانة ١ : ١٠٤ ، وهو بتمامه :

تداعين باسم الشيب فى متلهم . جوانبه من بصرة وسلام

والبيت من قصيدة لابن أحرر . وقوله :

(يَظُلُّ يَحْفَهُنَّ بِقَفْقَفِيهِ وَيُلْحِفُهُنَّ هَفَافاً ثَخِيناً ^(١))
 بهجَلٍ من قَسَا ذَفَرِ الْخُرَامَى تَهَادَى الْجَرِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا
 تَفَقَّأُ فَوْقَهُ البيت)

يصف في هذه الأبيات نعماً . ويحفهن أي يحف بيضات .
 والقَفْقَفَانِ : الجناحان . والقَفْقَف كجعفر ، بقافين بينهما فاءان . وجناح
 هَفَاف ، أي خفيف الطيران . وجعله ثخيناً لتراكم الريش عليه . أي يلبس
 بيضه جناحيه ، ويجعلهما للبيض كاللحاف ، وجناحه خفيف مع ثخينه ١١٠
 وكثرة ريشه ، لأنه لو كان ثقيلاً لكسر البيض .

وقوله : « بهجل من قسا » إلخ الباء متعلقة بيلحفهن . والهَجَل ، بفتح
 الهاء وسكون الجيم : المطمئن من الأرض . والروض أحسن ما يكون في
 مطمئن ، لأن السُّيُولَ تجتمع فيها . وقَسَا ، بفتح القاف والسين المهملة :
 موضع . يريد أن هذا الموضع أَدْحِيَّهَا ومحل بيضها . وذَفَرُ صفة لهَجَل بفتح
 الدال المعجمة وكسر الفاء ، وصف من الذفر بفتحتين ، وهو كل ريح ذكية
 من طيب أو نتن . وأما الذفر بالمهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة .
 والخُرَامَى بضم المعجمة : نبات طيب الريح . والجرياء بكسر الجيم : ريح
 الشمال . وتهادى أي تهادى ، أي تُهدى إليه الحنين ، وهو الشوق وتوقان
 النفس . وضمير به للهَجَل .

(١) هفاف وهفهاف : يطير مع الريح . والمراد الجناح . وفي اللسان : « هفهافا » .

وقوله : (تَفَقَّأُ فَوْقَهُ) أى فوق الهَجَل . وتَفَقَّأُ أى تَتَفَقَّأُ ، فهو مضارع ، أى تَتَشَقَّقُ السَّحَابُ فوق هذه الروضة التى فى هذا الهَجَل . وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يقال تَفَقَّأُ السحاب ، أى سال بالمطر . وأنشد البيت . وجملة تَفَقَّأُ صفة أخرى من هَجَل أو حال منه . و (الْقَلْع) بفتح القاف واللام : جمع قَلْعَة ، وهى القطعة العظيمة من السحاب . وقال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : السحاب العظام . و (السوارى) : جمع سارية ، وهى السحابة التى تأتى ليلاً . و (الخازياز) هنا : نبت . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : جنونه : طوله وسرعه نباته . وبه ، أى بهذا الهجل .

وكذلك قال قبله أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : المجنون من الشجر كَلَّهُ والعُشْبُ : ما طال طولاً شديداً . وإذا كان كذلك قيل جُنَّ جنونا .

وأنشد هذا البيت . وقال فى ثلاثة مواضع آخر من كتابه : الخازياز من ذَبَّانِ العُشْبِ . وأنشدوا قول ابن أحرر فى صفة عُشْبِ :
* وَجُنَّ الخازياز به جنونا *

يعنى فى هزجه وطيرانه . وقال آخرون ، هو نبتٌ . وجنونه : طوله وسُمُوقه ^(١) . انتهى .

وفسره حمزة (فى أمثاله) بالذباب عند قوله : « الخازياز أَخْصَبَ ^(٢) » ، قال : هو ذباب يطير فى الربيع ، يدلّ على خصب السنة . وأنشد البيت .

(١) السُمُوق : الارتفاع . ط : « وسمرته » ، صوابه فى ش .

(٢) أمثال حمزة ٢ : ٤٥٨ . وأورده الميدانى أيضاً فى ١ : ٢٢٧ فى حرف الحاء .

وَفَسَّرَهُ الزَّخَشَرِيُّ أَيْضاً (فِي الْمَقْصَلِ) بِذِيَابِ الْعُشْبِ . وَمَثَلٌ لِلْعُشْبِ
بِقَوْلِهِ :

« وَالْخَازِبَارِ السَّيِّمِ الْمَجُودَا »

وَهُوَ مِنْ أَرْجُوزَةٍ أوردَ بَعْضُهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ (فِي نَوَادِرِهِ) ، وَهُوَ :
أَرَعَيْتَهَا أَطِيبَ عُودٍ عوداً
الصِّلِّ وَالصَّفْصِلَ وَالْيَعْضِيدَا
وَالْخَازِبَارِ النَّاعِمِ الرَّغِيدَا ^(١)

وَالصِّلِّيَّانِ السَّيِّمِ الْمَجُودَا

« بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا ^(٢) »

فَهَذَا صَوَابُهُ .

وَقَدْ سَبَقَ الزَّخَشَرِيُّ ابْنَ السَّكَيْتِ (فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ) . وَهُوَ مُرَكَّبٌ
مِنْ بَيْتَيْنِ كَمَا تَرَى . وَهَذِهِ أَسْمَاءُ نَبَاتَاتٍ . وَالسَّيِّمُ بَفَتْحِ السَّيْنِ وَكَسْرِ النُّونِ :
الْعَالِي . وَالْمَجُودُ : الَّذِي أَصَابَهُ الْجَوْدُ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْقَوِيُّ . وَعَامِرٌ
وَمَسْعُودٌ : رَاعِيَانِ .

قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : قَوْلُهُ : بِحَيْثُ يَدْعُو إلَخْ ، هَذَا بَيْتٌ يَلْقَى فَيَسْأَلُ :
مَنْ يَدْعُو أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ؟ فَالْجَوَابُ : إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِكثْرَةِ النَّبْتِ وَطُولِهِ ، بِحَيْثُ
يُؤَارَى مَسْعُوداً عَنْ عَامِرٍ ، فَلَا يَعْرِفُ عَامِرٌ مَكَانَ مَسْعُودٍ ؛ فَيَدْعُوهُ لِيَعْرِفَ
مَكَانَهُ .

(١) ش : « الرَّعِيدَا » .

(٢) ط : « مَسْعُودٌ » . صَوَابُهُ فِي ش .

وأطيب مفعول ثان . وروى بدله « أكرم » . وها : ضمير الإبل مفعول
 ١١١ أول . ومن روى « رعيتها » ، فأطيب حال وها ضمير البقعة وما بعده بدل من
 أطيب على الوجهين . وتسمية هذه النباتات عوداً على اعتبار تسمية الغيث
 شجرة .

وابن أحمر شاعر إسلامي تقدمت ترجمته في الشاهد الستين بعد
 الأربعمئة (١) .

* * *

(١) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ٢٥٧ - ٢٥٨ . وهنا ينتهي الجزء الأول من مخطوطة
 الشنقيطي ذات الرمز (ش) . وكتب ناسخها :
 تم الجزء الأول من خزانة الأدب بعون الله تعالى وتوفيقه على يد كاتبه أفقر الوري وأحوجهم
 إلى مولاه على بن محمد بن مصطفى الملقب بابن رجب ويا بن الترجمان الجزائري نشة (لعله يريد
 نشأة) المدنى دارا . غفر له ولوالديه وأشياخه وأحبابه والمسلمين أجمعين . وكان الفراغ من كتابته في
 ضحوة يوم الاثنين المبارك خامس ربيع الأول الأنور من شهور سنة ١٢٨٩ كتبه لأخيه وحبيه العالم
 الفاضل الورع العامل الأديب اللبيب الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى حفظه الله تعالى وزاده
 رفعة وكالا . آمين .

يتلوه في أول الجزء الثاني الكنايات .

الكنائيات

أنشد فيها ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٨٦ (كَأَنَّ فَعْلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاكِبُهَا

دِيَارَ بَكْرٍ وَلَمْ تُخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ)

على أَنَّ (فَعْلَةً) كناية عن مَوَزُونِهِ مع اعتبار معناه ، وهو خَوَلَةٌ .

والبيت للمتنبي من قصيدة رثى بها خولة أخت سيف الدولة الحمداني ، صاحب الشاهد

ولم يصرح بلفظها استعظماً ، لكونها ملكة ، بل كنى عن اسمها بفعلة ، فلفظ
فَعْلَةٌ حكمها حُكْمَ موزونها ، ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، فكذا فعلة
ممتنع .

وقد أورده الشارح المحقق في باب العلم أيضاً .

ومنه قول المتنبي أيضاً :

يَا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الذِي لَوْلَاكَ مَا

أَكَلَ الضَّنَى جِسْمِي وَرَضَّ الْأَعْظَمَا ^(٢)

قال ابن فورجة : داهية ليست باسم علم لمحبوته ، ولكن كنى بها عن

اسمها ، على سبيل التضجُّر ، لعظم ما حلَّ به من بلائها ، أى إنَّها لم تكن إلا

(١) انظر ديوان المتنبي بشرح العكبري ١ : ٥٩ .

(٢) في الديوان ٢ : ٢٩٦ : « يَا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الَّتِي لَوْلَاكَ مَا » .

داهية عليه . وزعم ابن جنى أنّ داهية اسمُ التي شَبَّ بها . ولم يُصِب
الواحدى فى قوله : الوجه قول ابن جنى : فترك صرفها فى البيت ، ولو لم يكن
علماً لكان الوجه صرفها . اهـ .

وقد نقل الشارح المحقق عن سيبويه أنّ حال كناية العلم فى الصِّرف
ومنعهِ ، كحال العلم . وبه يضمحلُّ قولُهُ : « ولو لم تكن علماً لكان الوجه
صرفها » .

أبيات الشاعر

وهذه أبياتٌ من أوّل القصيدة :

(يا أختَ خير أخٍ يا بنتَ خير أبٍ

كنايةً بهما عن أشرفِ النسبِ)

قال الواحدى : أراد يا أخت سيف الدولة ويا بنت أوى الهيجاء ، فكنى
عن ذلك ، ونصب « كنايةً » على المصدر ، كأنَّهُ قال : كُنَيْتُ كنايةً .
(أَجُلُّ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَبَّةً

ومن يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ)

مؤبنة : مرثية ، من التأين وهو مدح الميت . وتُسَمَّى بمعنى تُعَرِّفُ . أى
أنت أَجَلُّ من أن تُعَرِّفَ باسمك ، بل وصفك يَعْرِفُكَ بما فىك من المحاسن
والمحامد التى ليست فى غيرك ، كما قال أبو نواس :

فهى إِذَا سَمِّيتْ فَقَدْ وَصِفَتْ

فيجمع الإسمُ معنيين معا

إلى أن قال :

(طوى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ

فرعْتُ فيه بآمالى إلى الكذبِ)

يريد خبر نعيها ، وأنه رجا أن يكون كذبا ، وتعلل بهذا الرجاء .
والجزيرة : مدينة على شطّ دجلة بين الموصل وميافارقين . يقول : جاءنى خبر
موتها من الشام ، وقطع الجزيرة حتى وصل إلى ، فلما سمعت التجأت إلى ١١٢
التعلل بالآمالى ، فقلت : لعله يكون كذبا . فلم ينفعنى ذلك .
(حتّى إذا لم يدع لي صيدقه أملاً

شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي)

يقول : حتى إذا صحّ الخبر ولم يبق لي أمل في كونه كذبا ، شرقت
بالدمع لغلبة البكاء إياى ، حتى كاد الدمع يشرق بي ، أى كثرت الدموع
حتى صرت بالإضافة إليها لقلتى كالشئ الذى يُشرق به .

والشرق بالدمع : أن يقطع الانتحاب نفسه فيجعله في مثل حال
الشرق بالشئ . والمعنى : كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه شرق بي .
(تعثرت به في الأفواه ألسنها

والبرد في الطرُق والأقلام في الكتب)

أورده الشارح المحقق في باب الوقف من شرح الشافية قال : إن كان
قبل الهاء متحركاً نحو : به وغلّامه ، فلا بدّ من الصلة ، إلا أن يضطرّ شاعر
فيحذفها ، كقول المتنبي : وأنشد البيت .

قال الواحدى : أى لهول ذلك الخبر لم تقدر الألسنُ فى الأفواه أن تنطق به ، ولا البريدُ فى الطريق أن يحمله ، ولا الأقلامُ أن تكتبه .

ولم يلحق الباء فى الهاء من به واكتفى بالكسرة ضرورة .

وقد جاء عن العرب ما هو أشدُّ من هذا ، كقول الشاعر :

وأشرب الماء ما بى نحوه عطشٌ

إلا لأنَّ عيونه سئلَ وادبها^(١)

وهذا كقراءة من قرأ : ﴿ لا يُوَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾^(٢) ، بسكون الهاء .

ويروى : « تعثرت بك » يخاطب الخبر ، وترك لفظ الغيبة . كذا فى شرح الواحدى . وقال المعريّ : يريد أن هذا الخبر نبأ عظيم لا تجترأ الأفواه على النطق به . وهذا قد يجوز أن يكون صحيحاً ، لأنَّ الإنسان ربما هاب الإخبار بالشئ لعظمه فى نفسه ، وكذلك الكاتب الذى يكتب بالخبر الشنيع ، ربما يعثر قلمه هيباً للأمر الذى دخل فيه ، وإنما التعثر للكاتب . وأما إذا ادعى التعثر من البرد فكذب لا محالة ، لأنَّ البريد لا يشعر بالخبر .

وقد ذكر فى موضع آخر ما يدلُّ على أنَّ حامل الكتاب الذى لا يُشعر ما فيه غير شاقٍ عليه حمله فكيف بالدابة التى لا يُحكم عليها بالعقل . وذلك قوله لعضد الدولة :

حاشاك أن تضعف عن حمل ما تحمّل السائر فى كتبه^(٣)

(١) من شواهد المحتسب ١ : ٢٤٤ والخصائص ١ : ٣٧١ / ٢ : ١٨

(٢) الآية ٧٥ من آل عمران . وهذه قراءة أبى عمرو وهشام وطائفة . إنحاف فضلاء البشر

(٣) ديوان المتنبي ١ : ١٣٦ .

وقال المبارك بن أحمد المستوفى (فى كتاب النظام) : لا فرق بين تعثر القلم وتعثر البريد ، لأن نسبة ذلك إليهما محال . وإذا اعتذر فى القلم بتعثر الكاتب فهلاً اعتذر فى البريد بتعثر أصحابه ، لأن كلاً من الأقلام والبريد لا يشعر بالخبر .

(كأن فعلة لم تملأ مواكبها

ديار بكر ولم تخلع ولم تهب)

قال ابن جنى : كنى بفعلة عن اسمها ، واسمها خولة . قال أبو العلاء : وهذا تقوية لقوله :

* أجَلْ قدرِك أن تُسمَى مؤنّة * .

قال الواحدى : يذكر مساعيها أيام حياتها ، يقول : كأنها لم تفعل شيئاً مما ذكر ، لأن ذلك انطوى بموتها . وقال ابن المستوفى (فى النظام) : زعم أبو البقاء أن المعنى : أنها كانت تجهز الجيوش إلى ديار بكر للجهاد . وليس كذلك ، لأن الموكب الجماعة يركبون للزينة والفرجة . قال الجوهري : الموكب بابة من السير ^(١) . والموكب : القوم الركوب على الإبل للزينة ، وكذلك جماعة الفرسان . وفى قول أبى الطيب « ديار بكر » دليل على ما ذكرته ؛ لأنه لو أراد ما ذكره أبو البقاء كان قد قصر جهادها على موضع مخصوص ، وهذا فيه

(١) فى النسختين : « بابه السير » ، صوابه من الصحاح واللسان (وكب) ، أى نوع من

نقص من المدح . وعلى أن ديار بكر كان لسيف الدولة معظمها ، فكيف تجهز جيشاً إلى بلاد أخيها .

وترجمة المتنبي قد تقدمت في الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة ^(١) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الأربعمائة ^(٢) :

(اكفِ اكف)

٤٨٧

هو قطعة من بيت ثان من أحجية للحريرى (فى مقاماته) ، وهما :

يامن تُقصّر عن مدا

هُ حُطّاً مُجارِيه وتضعف ^(٣)

ما مثل قولك للذى

أضحى يحاجيك : اكفِ اكف

على أن المراد بهذين اللفظين المكررين بطريق الإلغاز والتعمية : مهمه ، وهو القفر . فإن اكف يرادفه « مة » ، ومكره « مهمه » ، فمجموع اكف اكف كناية عن : مهمه . وهذا تعمية وإلغاز .

والمعنى واللغز فى اللغة كلاهما بمعنى واحد ، وهو الشيء المستور . وبينهما فرق عند علماء الأدب . فالمعنى كما قال القطب (فى رسالة المعنى) المسماة (بكنز الأسماء ، فى كشف المعنى) : هو قول يستخرج منه كلمة

(١) الخزانة ١ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

(٢) مقامات الحريرى ٣٩٦ . انظر المقامة الملطية .

(٣) فى النسختين : « يقصر » بالياء ، والوجه ما أثبت ليتساقق الفعلان .

فأكثرُ بطريق الرمز والإيماء ، بحيث يقبله الذوق السليم . واللغز : ذكر أوصاف مخصوصة بموصوف ليُنْتَقَل إليه ، وذلك بعبارة يدلُّ ظاهرها على غيره وباطنُها عليه .

قال القطب في (رسالته) : قد فرقوا بينهما بأنَّ الكلام إذا دلَّ على اسم شيء من الأشياء بذكر صفاتٍ له تميّزه عمّا عداه كان لغزاً . وإذا دلَّ على اسم خاص بملاحظة كونه لفظاً بدلالة مرموزِهِ سُمِّيَ ذلك معمّياً . فالكلام الدالُّ على بعض الأسماء يكون معمى من حيث إنّ مدلوله اسم من الأسماء بملاحظة الرمز ^(١) على حروفه ، ولغزاً من حيث إنّ مدلوله ذاتٌ من الذوات بملاحظة أوصافها . فعلى هذا يكون قول القائل في كمّون :

يا أيُّها العَطَّارُ أعْرِبْ لنا

عن اسم شيء قلَّ في سومِكا ^(٢)

تنظره بالعين في يقظةٍ

كما ترى بالقلب في نومِكا

يصلح أن يكون لغزاً بملاحظة دلالاته على صفات الكمّون ، ويصلح أن يكون في اصطلاحهم معمّياً باعتبار دلالاته على اسم بطريق الرمز . انتهى . ويقال للمعمّى في اللغة أحجّية أيضاً ، وهي في اصطلاح أهل الأدب نوعٌ منه . وقد نظم الحريري (في المقامة السادسة والثلاثين ^(٣)) عشرين أحجّيةً ، وهو أوّل من اخترعها وسماها أحجّيةً . وقال : « وضع الأحجّية ،

(١) ش : « بملاحظة من الرمز » .

(٢) رسمت في ش : « سومك » ، وفي البيت التالي : « نومك » .

(٣) هي المقامة الملطية التي أشرت إليها فيما سبق .

لامتحان الألفية^(١) ، واستخراج الخبيثة الخفية . وشرطها أن تكون ذات مماثلة
١١٤ حقيقية ، وألفاظ معنوية ، ولطيفة أدبية . فمتى نافى هذا النمط^(٢) ، ضاهت
السقط ، ولم تدخل السقط .

ومن أحاجيه قوله في (ها ، دية) :

أيا مُسْتَنْبِط الغامض من لُغز وإضمارٍ
ألا اكشِفْ لِي مامثلُ تناوُل ألف دينارٍ

وقد تلاه من جاء بعده فنظم في هذا الأسلوب ما راق وسحر
الألباب ، وشاق الأفهام لدركها من كل باب .

والأحجية في الحقيقة من قسم الترادف والتحليل ، وهما من أعمال فن
المعنى . فالأحجية نوع من المعنى ، وهو فن استنبطه أدباء العجم ، أسسوا
له قواعد ، وعقدوا له معاهد ، حتى صار فناً متميزاً من سائر الفنون .

وأول من دونه المولى شرف الدين على اليزيدى^(٣) مؤرخ (الفتوحات
التيمورية) باللغة الفارسية . وكان شاعراً فصيحاً ، وناثراً بليغاً في اللسانين ،
وتوفى سنة ثلاثين وثمانمائة .

قال القطب : وما زال فضلاء العجم يقتفون أثره ، ويوسعون دائرة الفن
ويتعمقون فيه ، إلى أن ألف فيه المولى نور الدين عبد الرحمن الجامي صاحب

(١) نص الحريري : « اعلّموا يا ذوى الشمائل الأدبية ، والشمول الذهبية ، أن وضع الأحجية ،
لامتحان الألفية » ... إلخ .

(٢) نافته ، من المخافة والمخالفة .

(٣) في حواشي ط : « قوله اليزيدى ، صوابه اليزيدى . اهـ من هاشم الأصيل » .

شرح الكافية ، عشر مسائل قد دُوِّنت وشرحت . وكثر فيها التصنيف إلى أن نبغ في عصره المولى مير حسين النيسابورى ، فأتى فيه بالسحر الحلال ، وفاق فيه لتعمقه ودقة نظره سائر الأقران في الأمثال . كتب فيه رسالة تكاد تبلغ حد الإعجاز ، أتى فيها بغرائب التعمية والإلغاز ، حتى إن المولى عبد الرحمن الجامى مع جلالة قدره قال : لو اطلعتُ عليها قبل الآن ما ألفتُ شيئاً في علم المعنى .

وارتفع شأن مولانا مير حسين بسبب علم المعنى مع تعمقه في سائر العقليات ، فصار ملوك خراسان وأعيانها يرسلون أولادهم إليه ، ليقروا رسالته عليه ؛ إلى أن توفى في عام اثني عشر وتسعمائة بعد وفاة الجامى بأربعة عشر عاماً .

وظهر بعدهما فائقون في المعنى في كل قطر ، بحيث لو جُمعت تراجمهم لزادت على مجلد كبير .

ثم قال القطب : وأنت إذا تصفّحت كتب الأدب ، وتتبعت دواوين شعراء العرب ظفرت من كلامهم بكثير مما يصدق عليه تعريف المعنى ، لكنهم نظموا في قالب اللغز يُستخرج منه الاسم الذى ألغزوه بطريق الإيماء ، ووجدت كثيراً من أعمال المعنى في غضون ألغازهم . فليس العجم أبداً عذرة هذا الفن ، ولكنهم دَوَّنُوهُ ورَتَّبُوهُ .

ورأيت كثيراً من ألغاز شرف الدين بن الفارض يصدق عليه تعريف المعنى في اصطلاح العجم . ويقرب من ذلك قول القائل في « بختيار » :

وأهيفَ معشوق الدلال ممَّنَّع

يمزّقنى فى الحبِّ كلَّ ممزَّق

فلو أن لي نصف اسمه رَقِّ وارعوى
أو العكس من باقيه لم أتعشَّق
إلى أن قال : وأعمال المعنى ثلاثة :

الأول العمل التحصيلي ، وهو ما يتحصَّل به حروف الكلمة المطلوبة .
والثاني العمل التكميلي ، وهو ما بسببه تتكَمَّل الحروف الحاصلة
وتترتب . وهذا بمنزلة الصورة ، والأول بمنزلة المادة .

والثالث العمل التسهيلي ، وهو الذى يسهِّل أحد العاملين السابقين .
وتحت كلِّ نوع من هذه الأعمال أنواعٌ متعددة . انتهى .

قلت : وأوَّل من دوَّن فى المعنى فى اللغة العربية وترجمه بالطريقة
العجمية ، العالم الفاضل قطب الدين المكى الحنفى ، فى رسالة سماها (كنز
الأسماء ، فى كشف المعنى) .

وتلاه تلميذه عبد المعين بن أحمد ، الشهير بابن البكاء البلخى
الحنفى ، وألف رسالة سماها (الطراز الأسمى ، على كنز الأسماء) .

وأما التأليف فى الألغاز والأحاجى فقد صنَّف فيه جماعة عديدة ، لهم
فيها كتب مفيدة ، وتصانيف سديدة ، أجَّلها علما وأعظمها حجما ، كتاب
(الإعجاز ، فى الأحاجى والألغاز) تأليف أبى المعالى سعد الوراق
الخطيرى ^(١) وهو كتاب تكبُّل عن وصفه الألسن ، جمع فيه ما تشبهه

(١) فى كشف الظنون : « إعجاز فى الأحاجى والألغاز للشيخ أبى المعالى سعد بن على الوراق
الخطيرى المتوفى سنة ٥٦٨ . ولصائن الدين الخبيل » .

قلت : صوابه « الخطيرى » بالخاء المهملة بعدها ظاء معجمة ، كما فى النجوم الزاهرة ٦ : ٦٨
واسمه فيها : سعد الدين بن على . قال ابن تغرى بردى : كان شاعرا فاضلا . والخطيرة : قرية فوق
بغداد ، وهى بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء . وسيأتى
هذا الضبط فى نهاية الكلام على الشاهد .

الأنفس ، وتلذذ فيه الأعين ^(١) ذكر في أوله اشتقاق المعنى واللغز والأحجية ، والفرق بينها وبين ما شاكلها ، فلا بأس بإيراده هنا ، فإنه قلما يوجد في كتاب على أسلوبه .

قال في الجمهرة : الْحَجَبَا : الْعَقْل . وَالْحُجَيَّا من قولهم : حُجَيَّاك ما كذا وكذا ؟ وهى لعبة وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم ، نحو قولهم : أحاجيلك ما ذو ثلاث آذان ، يسبق الخيل بالرديان ؟ يعنون السهم وما أشبه ذلك .

وقال أيضا : اللَّغْز : مَيْلُكَ بالشَّيْءِ عن جهته ، وبه سُمِّيَ اللغز من الشعر ، كأنه عُمِّي عن جهته . واللُّغِزَاءُ بالمد : أن يحفر اليربوع ثم يميل في بعض حُفَرٍ ليعمِّي على طالبه . والألغاز : طرقٌ تلتوى وتُشكِّل على سالِكها ، والواحد لغز . وقال الأزهري : قال الليث : اللغز : ما ألغزت من كلام فسبَّهت معناه ، مثل قول الشاعر ، أنشدته الفراء :

ولمَّا رَأَيْتُ النَّسْرَ عَزَّ ابْنَ دَايَةٍ

وعشَّش في وكره جاشت له نفسى ^(٢)

أراد به الشَّيْب ، شبَّه به لبياضه ، وشبَّه الشباب بَابْنِ دَايَةٍ ، وهو الغراب الأسود ، لأنَّ شعر الشباب أسود .

قال : وأخبرني المنذرى عن أبى الهيثم أنه قال : اللَّغْز بضمّتين واللُّغْز بالسكون ، واللُّغِزَاءُ . والألغاز : حفرٌ يحفرها اليربوع في جُحره تحت الأرض . يقال ألغز اليربوع إلغازاً . فيحفر في جانبٍ منه طريقاً ويحفر في الجانب الآخر

(١) فيه الأعين ، كذا في النسختين .

(٢) النسان (دأى ٢٧٢) .

طريقاً ، وكذلك في الجانب الثالث والرابع ، فإذا طلبه البدوي بعصاه من جانب نفق من الجانب الآخر .

والأحاجي : جمع أحجية ، أفعولة من الحجا وهو العقل ، أى مسألة تستخرج بالعقل . وقال الأزهري : قال الليث : تقول حاجيته فحجوته ، إذا أتت عليه كلمة مخالفة المعنى للفظ . والجواري يتحاجين الحجياً ، تصغير الحجوى . وتقول الجارية للأخرى : حُجَيَاكِ ما كان كذا وكذا ؟ والأحجية : اسم الحاجة ، وفي لغة : أحجوة ، والياء أحسن . والحجوى : اسم أيضاً للمحاجة .

والمعمى : المغطى . قال الأزهري : التعمية : أن يعمى الإنسان ^(١) فيلبسه عليه تلبيساً . والأعماء : جمع عمى ، وأنشدونا :

« وبلدة عامية أعماءه ^(٢) »

أى دراسة . وأعماءه : مجاهله ، يقال بلد عمى لا يهتدى فيه ، لأنه لا أعلام له يهتدى بها ^(٣) : والمعامى هى الأرضى المجهولة . وقال الليث : العمى : ذهاب البصر من العينين كليهما ، والفعل منه عمى يعمى عمى . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ^(٤) ﴾ قال : أعمى عن الحجّة وقد كنت بصيراً بها . وقال ابن عرفة ^(٥) : يقال عمى عن رُشدّه وعمى عليه طريقه ؛ إذا لم يهتد إليه . وروى

(١) الذى فى التهذيب ٣ : ٢٤٧ : « والتعمية أن تعمى على إنسان شيئاً فتلبسه عليه تلبيساً » .

(٢) الشطر لرؤية فى ديوانه ٣ وبعده :

« كأن لون أرضه سماءه »

(٣) فى ش : « لا أعلام له يهتدى » . والذى فى التهذيب : « بلد مجهول وعمى لا يهتدى فيه » .

(٤) الآية ١٢٥ من سورة طه .

(٥) فى التهذيب ٣ : ٢٤٤ : « وقال نفطويه » ، ونفطويه هو إبراهيم بن عرفة .

أبو عبيد في حديث النبي ﷺ أَنَّ أَبَا رَزِينِ الْعُقَيْلِي قَالَ لَهُ : أَيْنَ كَانَ رُبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ^(١) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ قَالَ : « كَانَ فِي عَمَاءٍ تَحْتَهُ هَوَاءٌ » . وَقَالَ ١١٦
أَبُو عُبَيْدٍ : الْعَمَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ السَّحَابُ ، وَهُوَ مَمْدُودٌ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَإِنَّمَا تَأَوَّلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ الْمَنْقُولِ عَنْهُمْ ، وَلَا يَدْرِي كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ الْعَمَاءُ . قَالَ : وَأَمَّا الْعَمَى فِي الْبَصَرِ فَمَقْصُورٌ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ فِي شَيْءٍ .

قال الأزهري : وبلغني عن أبي الهيثم ^(٣) في تفسير هذا الحديث أنه « فِي عَمَى » مقصور ، قال : وكل أمر لا تدركه القلوب بالعقول فهو عمى . والمعنى أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ حَيْثُ لَا تَدْرِكُهُ عَقُولُ بَنِي آدَمَ ، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ الْوَصْفُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْفُطُنُ .

ثم قال ^(٤) بعد كلامٍ طويلٍ :

(فصل) في ذكر أسماء هذا الفن وعودها إلى معني واحد . هذا الفن وأشباهه يسمَّى المعايَاة ، والعويص ، واللغز ، والرمز ، والمحاجة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والرموس ، والتأويل ، والكناية ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ؛ والمعنى ، والممثل .

والمعنى في الجميع واحد ، وإنَّمَا اختلفت أسماءُهُ بحسب اختلاف وجوه اعتباراته ، فَإِنَّكَ إِذَا اعتبرتَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْطًى عَنْكَ سَمَّيْتَهُ مَعْنًى ؛ مَأْخُودٌ

(١) في التهذيب ٣ : ٢٤٦ : « قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ » .

(٢) بعده في التهذيب : « وَفَوْقَهُ هَوَاءٌ » .

(٣) في النسختين : « الْهَيْثَمُ » ، صوابه في التهذيب .

(٤) يعني الخطيرى صاحب كتاب الإعجاز .

من لفظ العمى ، وهو تغطية البصر عن إدراك المعقول . وكلّ شيء تغطّى
عنك فهو عمى عليك .

وإذا اعتبرته من حيث أنّه سيتر عنك ورُمس سَمِيته مرموساً ، مأخوذ
من الرمس وهو القبر ، كأنّه قُبر ودفن ليخفى مكانه على مُلتمسِه . وقد صنّف
بعض الناس في هذا كتاباً وسماه (كتاب المرموس) ، وأكثره ركيك غامى .

وإذا اعتبرته من حيث إنّ معناه ، يؤول إليك أى يرجع ، أو يؤول إلى
أصل سَمِيته مؤولا ، وسميت فعلك تأويلا . وأكثر ما يختص هذا بالآيات
والأخبار . والتفسير يختص باللفظ ، والتأويل بالمعنى .

وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه واعتياص استخراجهِ سَمِيته
عويصاً . وهذا يختص بمشكل كلّ علم ، يقال منه مسألة عويصة ، وعلم
عويص .

وإذا اعتبرته من حيث إنّ غيرك حاجاك به ، أى استخراج مقدار
حِجّاك وهو عقلك ، أو مقدار رِثْلك في استخراجهِ ، مشتقاً من الحجو وهو
الوقوف واللّبث ، سَمِيته محاجة ، ومسائله أحاج^(١) واحداً أحجية وحُجياً .
وهذا أيضاً لا يختص بفن واحد من العلوم ، وإن كان الحريرى صاحب
المقامات قد أفرد له باباً .

وإذا اعتبرته من حيث أنّه قد عُمل له وجوه وأبواب مشتبهة سَمِيته لغزاً
وسميت فعلك له إلغازاً ، مأخوذ من لغز اليربوع .

وإذا اعتبرته من حيث أنّ واضعه كان يعاينك ، أى يظهر إعياءك ،

(١) ش : « أحاجى » .

وهو التعب فيه ، سَمَّيْتَه معاياة . وقد صنف الفقهاء في هذا الفن كتباً وسموها كتب المعاياة . ولغيرهم من أرباب العلوم مصنفات .
 وإذا اعتبرتَه من حيث إنَّ واضعه لم يفصح به قلت : رمز ، والشئ مرموز ، والفعل رمز .
 وقريب منه الإشارة .

وإذا اعتبرتَه من حيث استخراجُ كثرة معانيه في الشعر سَمَّيْتَه أبيات المعاني ، وكتب المعاني . وهذا يخصُّ الأدب والشعر .

وإذا اعتبرتَه من حيث هو ذو وجوه سَمَّيْتَه الموجَّه ، وسَمَّيْت فعله التوجيه . وذلك مثل قول محمد بن حكينا ^(١) ، وقد كان أمين الدولة أبو الحسن بن صاعد الطبيب قاطعه ثم استماله ، وكان ابن حكينا قد أضُرَّ بصرُه وافتقر ، فكتب إليه :

وإذا شئت أن تُصالح بشأ

رَ بن بُردٍ فاطرُح عليه أباه

فَنَقَذَ إليه بُرداً واسترضاه ، فاصطلحا . وهذا أحسن ما سمعتُ في التوجيه .

قوله : بشار بن برد ، أى أعمى . فاطرُح عليه أباه ، هذه لفظةٌ بغداديةٌ ، يقال لمن يريد أن يصالح : اطرح عليه فلانا ، أى اجِمله إليه ليشفع لك .

ولم يَتَّفَقْ لأحدٍ في التوجيه أحسن من هذا .

(١) وكذا في كتاب الفلاكة والمفلوكون ١٨١ قال : « ابن حكينا المعروف بالبرغوث الشاعر » .
 لكن في ترجمة الحريرى في معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وابن خلكان ١ : ٤٢٠ : « ابن جكينا » بالجيم .
 وسماه ابن خلكان « أبو محمد بن أحمد الحريرى البغدادى » .

وإذا اعتبرته من حيث إنَّ قائله لم يصرَّح بغرضه سمَّيته تعريضا
وكناية . وأكثر أرباب الحياء من الناس مضطَّراً إلى مثله .

وإذا اعتبرته من حيث إنَّ قائله يوهمك شيئاً ويريد غيره ، سمَّيته لحناً ،
وسمَّيت مسائله الملاحن . وقد صنف الناس في هذا الفن كتباً ، كالملاحن
لابن دريد ، والمنقذ للمفجع ^(١) ، والحيل في الفقه وغيره . فاعرف ذلك .

الحريرى صاحب
مقامات

والحريرى هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريري
البصريّ صاحب المقامات . كان أحد أئمة عصره ، ورزق السعادة والخُطوة
التامة في عمل المقامات ، واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها
وأمثالها ، ورموز أسرار كلامها . ومن عرفها حق معرفتها استدلَّ بها على فضله
وكثرة اطلاعه ، وغزارة مادته .

رُوى أنَّ الزمخشريّ لما وقف عليها استحسناها ، وكتب على ظهر نسخة
منها :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَمَشَعَرِ الْحَجِّ وَمِيقَاتِهِ
أَنَّ الْهَرِيرِيَّ حَرِيٌّ بَأَنَّ نَكُتَبُ بِالتَّبَرِّ مَقَامَاتِهِ

ثم صنع الزمخشريّ المقامات المنسوبة إليه ، وهى قليلة بالنسبة إليها ،
وشرحها أيضاً ، وصنع فى إثرها (نوابغ الكلم) .

(١) المفجع هذا هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب البصرى . لقي ثعلباً وأخذ عنه ،
وكان بينه وبين أبى بكر بن دريد مهاجرة . وسرد له ابن النديم فى الفهرست ١٢٣ كتباً كثيرة . وقال
ياقوت فى معجم الأدباء ١٧ : ١٩٤ : « وله أيضاً كتاب المنقذ فى الأيمان ، يشبه الملاحن لابن دريد ،
إلا أنه أكبر منه وأجود وأتقن » . ط : « للمنتجع » ش : « للمجتمع » ، والصواب ما أثبت . وليس هذا
المنتجع من المؤلفين بل هو أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة .

وقد اعتنى بشرح المقامات أفاضل العلماء شروحاً متنوّعة تفوت الحصر والعدّ .

وله أيضاً (دُرّة الغواص) ، وله أيضاً شروح كثيرة قد اجتمع منها عندي خمسة شروح .

وله أيضاً (مُلحة الإعراب) في النحو ؛ وشرحها أيضاً . وهو عند العلماء يعدّ ضعيفاً في النحو . وله ديوان رسائل وشعر كثير . وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً .

ويحكى أنّه كان دَمِيماً قبيح المنظر ، فجاءه شخصٌ غريب ليأخذ عنه ، فلما رآه استرّى شكله ، ففهم الحريريّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يملّي عليه قال له : اكتب :

ما أنتَ أوَّلُ سارٍ غرّة قمرٍ

ورائدٍ أعجبه حُضرة الدّمن

فاختر لنفسك غيري ؛ إنني رجلٌ

مثل المُعيديّ فاسمعي ولا ترفي

فخجل الرجل وانصرف عنه .

وكانت ولادته سنة ستٍ وأربعين وأربعمائة ، وتوفّي في سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

والحريريّ نسبته إلى الحرير وعمله ، أو بيعه . وكان يزعم أنّه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن في مَشَان البصرة ، بفتح الميم والشين المعجمة ، وهي بُليدة فوق البصرة كثيرة النخل ، موصوفة

بشدّة الوَحَم ، وكان أصله منها ، يقال إنّه كان له بها ثمانية عشر ^(١) ألف نخلة وإنه كان من ذوى اليسار .

ولمّا اشتهرت المقامات استدعاه من البصرة إلى بغداد وزيرُ المسترشد جلالُ الدين عميد الدولة ، أبو الحسن بن صدقة ^(٢) ، وسأله عن صناعته فقال : أنا رجلٌ منشئ . فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عَيْنُها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، ومكث زماناً طويلاً فلم يفتح الله عليه بشيء ، فقام وهو خجلان . فعمل هذين البيتين فيه أبو محمد المعروف بابن حكينا ^(٣) الشاعر البغدادي :

شيخٌ لنا من ربيعة الفرس
يَنْتِفِ عُنُونُهُ مِنَ الْهُوسِ
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا

رماه وَسَطَ الدِّيوانِ بِالْخَرْسِ ^(٤)

سعد الوراق
الخطيرى

وأما سعد الوراق ، فهو أبو المعالى سعد بن على بن القاسم الأنصارى الخزرجى الوراق الخطيرى البغدادي ، المعروف بدلال الكتب . كان له نَظْمٌ جيد ، وألّف مجاميع ، منها كتاب (زينة الدهر ، وعُصْرَة أهل العصر) ، وهو ذيلٌ على (دمية القصر للباخرزى) . وله كِتَابٌ سَمَّاهُ (ملح الملح ^(٥))

(١) هذا الصواب من ش . وفي ط : « ثمان عشرة » . والألف مذكر .

(٢) في الوفيات ١ : ٤٢٠ : « جمال الدين عميد الدولة أئى على الحسن بن أئى العز على بن صدقة ، وزير المسترشد » . والمسترشد هو الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدر بالله العباسى ، كانت حياته بين سنتي ٤٨٥ - ٥٢٩ .

(٣) انظر ما سبق في حواشي ص ٤٦١ .

(٤) في معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وكتاب الفلاكة ١١٨ : « بالمشان وقد أُلْجِمه في العراق

بالخرس » .

(٥) في الوفيات ١ : ٢٠٣ : « ملح الملح » .

يدلُّ على كثرة اطلاعه . وله (كتاب الألفاظ) المذكور . وله شعرٌ جيدٌ منه :

ومعذِّرٌ في خدِّه ورَّدٌ وفي فيه مُدام
ما لأنَّ لي حتَّى تعَدَّ شئٌ صُبَّحَ سالفه ظلامٌ
كالْمُهرِ يجمَعُ تحت را كبه وَيَعْطِفُه اللَّجام

وله أيضا :

أحدَقْتُ ظُلْمَةَ العذار بِخَدَّيْ ه فزادت في حُبِّه حَسْرَاتِي
قُلْتُ : ماء الحياة في فمه العذ ب ، دَعُوْنِي أَخْوَضُ فِي الظُّلُمَاتِ

وله كُلُّ معنى مليح ، مع جودة السبك .

وتوفى في يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد .

والحظيرى ، بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة : نسبة إلى موضع فوق بغداد ، يقال له الحظيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء . والثيابُ الحظيرِيَّةُ منسوبةٌ إليه أيضا .

ولَحِّصَتْ هَاتَيْنِ التَّرْجُمَتَيْنِ مِنَ الْوَفَايَاتِ لَابْنِ خَلِّكَانَ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ (١) :

٤٨٨ (وَإِنِّى لِأَكُوْنُ عَنْ قَدْرٍ بغيرها

وَأَعْرَبُ أحياناً بها فَأَصَارُحُ)

على أَنَّهُ يُقَالُ كُنْتُ ، كما يُقَالُ كُنَيْتَ .

(١) إصلاح المنطق ١٥٧ واللسان (قدر ، كنى) .

وأورده يعقوب بن السكيت (في باب ما يقال بالياء والواو من إصلاح المنطق) قال : ويقال كنيته وكنوثة . وأنشد أبو زياد :

* وإني لأكُنُّو عن قذور * البيت

قال شارح أبياته ابن السيرافي : قذور : امرأة . يقول : أذكرها في بعض الأوقات باسم غيرها ، وأصرَّح باسمها في وقت آخر وأعربُ وأبين . يقال أعرب عن الشيء يعرب إعراباً ، إذا بيَّنه . و (أصرَّح) : أظهر ولا أستر . انتهى .

وقال ابن دريد : ناقة قذور : عزيزة النفس لا ترعى مع الإبل ولا تترك معها . انتهى .

فيكون اسم المرأة منقولاً من هذا .

وأبو زياد هو صاحب النوادر المشهورة ، أنشد ذلك البيت في نوادره ولم يعزه لأحد .

وهو يزيد بن عبد الله بن الحرّ بن مَمَام بن دهر بن ربيعة بن عمرو بن نَفَاثة بن عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقدم أبو زياد بغداداً من البادية ، أيام المهدي ، لأمرٍ أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وصنَّف (كتاب النوادر) ، وهو كتاب كبير فيه ١١٩ فوائد كثيرة . وله (كتاب الفروق) .

ومن شعره :

له نَارٌ تُشْبُّ عَلَى يَفَاعٍ
إِذَا التَّيْرَانُ أَلْبَسَتْ الْقِنَاعَا (١)
وَلَمْ يَكْ أَكْثَرُ الْفَتِيَانِ مَالاً
وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ :
(رَبُّ مَنْ أَنْضَجْتُ غِيْظاً صَدْرَهُ)
هَذَا صَدْرٌ وَعَجْزُهُ :
(قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يُطْعَمْ)
وَتَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي الشَّاهِدِ التَّاسِعِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِئَةِ (٢) .

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ :
(عَلَى أَتْنَى بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى)
ثَلَاثُونَ لِلْهَجْرِ حَوْلًا كَمِيلَا
وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الشَّاهِدِ السَّادِسِ عَشَرَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ (٣) .

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِئَةِ ، وَهُوَ مِنْ
شَوَاهِدِ س (٤) :

-
- (١) الحيوان ٥ : ١٣٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والحامسة بشرح المروزقي ١٥٩٢ .
(٢) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ١٢٣ - ١٢٧ .
(٣) الخزانة ٣ : ٢٩٩ .
(٤) في كتابه ١ : ٢٩٦ . وانظره المقتضب ٣ : ٦١ والجمل ١٤٧ والإنصاف ٣٠٣ وابن
يعيش ٤ : ١٣٢ والمقرب ٦٨ والجمع ١ : ٢/٢٥٥ : ١٥٦ والأشعوري ٤ : ٨٢ .

٤٨٩ (كم بجودٍ مُقرِّفٍ نالُ العلا

وكريمٍ بخله قد وضعه)

على أنَّ يونس يميز في الاختيار الفصل بين كم الخيرية وبين مميّزها المتضايقيّن بالظرف ، كما في البيت .

قال سيويوه : وقد يجوز أن تجرّ ، يعنى كم ، وبينها وبين الاسم حاجز ، فتقول : كم فيها رجلٍ . فإن قال قائل : أضمر من بعد فيها ؛ قيل له : ليس في كلّ موضع يضمّر الجار . وقد يجوز على قول الشاعر :

كم بجودٍ مقرِّفٍ نالُ العلا

وكريمٍ بخله قد وضعه

الجرُّ والرفع والنصب على ما فسرنا . انتهى .

قال الأعلام : فالرفع على أن تجعل كم ظرفاً ويكون لتكثير المِرار ^(١) ، وترفع مقرِّف بالابتداء وما بعده خير ، والتقدير : كم مرة مقرِّف نال العلا . والنصب على التمييز ، لقبخ الفصل بينه وبين كم في الجرّ . وأما الجرُّ فعلى أنه أجاز الفصل بين كم وما عملت فيه بالظرف ضرورةً . وموضع كم في الموضعين موضع رفع بالابتداء ، والتقدير : كثيرٌ من المقرِّفين نالُ العلا بجودٍ . والمقرِّف : التذلل اللّثيم الأب . يقول : قد يرتفع اللّثيم بجوده ، ويتضع الرفيع الكريم الأب بيخله . انتهى .

وقال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنه إذا

(١) جمع مَرّة . وفي النسختين : « المراد » بالدال ، صوابه في الشنتمري .

فصل بين كم الخيرية وبين الاسم بظرف كان مخفوضاً ، بالنقل والقياس . أما بالنقل فقلوه :

« كم يجود مقرّف نال العلا »

وقال الآخر :

« كم في بنى بكر بن سعد سيّد »

وأما القياس فلأنّ خفض الاسم بتقدير من ، نحو : كم رجل أكرمت ، بدليل أنّ المعنى يقتضيه ، فتقدر من في الفصل كما تقدّر في الاتصال . ولا يجوز أن تكون بمنزلة عددٍ ينصب كثلاثين ، ولو كانت بمنزلة لكان ينبغي أن لا يجوز الفصل بينهما .

وذهب البصريّون إلى أنّه لا يجوز فيه الجر ويجب نصبه ، لأنّ كم هي العاملة للجر ، لأنها بمنزلة عدد مضاف ، فإذا فصل بظرفٍ بطلت الإضافة ، لأنّ الفصل بين المتضايقين بالظرف لا يجوز في الاختيار ، فعُدل إلى النصب ١٢٠ كما قال :

« كم نالني منهم فضلاً على عدم »

والتقدير : كم فضل ، فلماً فصل نصب . وإنما عدل إلى النصب لأنّ كم بمنزلة عدد ينصب ما بعده . ولم يمتنع النصب بالفصل لأنّ له نظيراً . وأما قوله كم بجود مقرّف ، فالرواية الصحيحة مقرّف بالرفع ، أو أنّ الجرّ شاذّ ، وهذا هو الجواب عن البيت الثاني . وقولهم : « إنّ من مقدّرة » قلنا : إنّ كم عند المحققين من أصحابكم بمنزلة ربّ ، يخفض الاسم بها كربّ (١) ولأنّ حذف حرف الجر له مواضع مخصوصة ، وليس هذا منها .

(١) ط : « فخفض الاسم بها كرب » ، وأثبت ما في ش . والذي في الإنصاف : « فيخفضون بها الاسم الذي بعدها كربّ » .

وقولهم : إنَّها لو كانت بمنزلة عدد ينصب ما بعده كـثلاثين لكان ينبغي أن لا يجوز الفصل . قلنا : إنما جاز فيها جوازاً حسناً دون نحو ثلاثين ^(١) لأنَّ كم مُنعت من بعض ما لثلاثين من التصرف ، فجعل هذا عوضاً مما منعه . ألا ترى أنَّ ثلاثين تكون فاعلة لفظاً ومعنى ومفعولة ، فلما مُنعت كم من هذا جعل لها ضرباً من التصرف ، ليقع التعادل . على أنه جاء الفصل بين ثلاثين وميَّزها في الشعر كقوله :

على أنَّى بعد ما قد مضى

ثلاثون للهجر حولاً كميلاً ^(٢)

انتهى .

وقوله : (بجود) متعلق بنال ، والباء سببية ، وكم على هذا الوجه مبتدأ وهى خبرية ونال العلا الخبر . ومن روى بنصب مقرف فهى أيضاً خبرية . قال أبو على : وقد تجعل كم في الخبر بمنزلة عشرين فينصب ما بعدها ، ويُختار ذلك إذا وقع الفصل بين المضاف والمضاف إليه . فتكون كم أيضاً مبتدأ ، ونال العلا الخبر ، ونصب مقرف على التمييز .

ومن روى برفع مقرف فهى أيضاً خبرية وموضعها نصب بأنها ظرف ، والعامل فيها نال ، ومقرف مبتدأ ونال العلا خبره . وإنما لم تكن كم في الخبر لأنها هنا ظرف زمان .

(١) في الإنصاف : « دون ثلاثين ونحوه » .

(٢) هو الشاهد ٣١٦ في الخزانة ٣ : ٢٢٩ . ونسب إلى العباس بن مرداس .

وقوله : (وكريم) بالجر عطف على مقرف على رواية الجر ، وجملة (بخله قد وضعه) من المبتدأ والخبر خبر لكم المقدرة .

والبيت من أبيات نسبها صاحب الأغاني لأنس ^(١) بن زنيم ، قالها صاحب الشاهد لعبيد الله بن زياد بن سُمَيَّة . كذا قال صاحب الأغاني وشرح أبيات سيبويه وشرح الجمل ، وهي :

سَلْ أُمَيْرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهُ
عن وصالي اليوم حتى ودَّعه
لَا تُهْنِيْ بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِيْ
فَشَدِيدٌ عَادَةً مُنْتَزِعُهُ
لَا يَكُنْ وَعْدَكَ بَرَقًا خُلْبًا
إِنَّ خَيْرَ الْبَرَقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
كَمْ بِجُودٍ مَقْرِفٍ نَالَ الْعَلَا
وَشَرِيفٍ بُخْلُهُ قَدْ وَضَعَهُ (

وقوله : « سل أُمَيْرِي » إلخ أنشده الشارح المحقق (في شرح الشافية) على أن يدع سمع ماضيه ودَّعَ كما في البيت . قال سيبويه : استغنوا عن وذر وودع بقولهم : ترك . وقد جاء ودع على جهة الشذوذ ، قرئ في الشواذ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ 》 ^(٢) ، وكفوله : حتى ودعه . وقال سويد بن أبي كاهل :

(١) الأغاني ٢١ : ١٦ - ١٧ واللسان (ودع ٢٦٣) .

(٢) هي قراءة عروة بن الزبير ، وابنه هشام ، وأبي حيو ، وأبي بحرية ، وابن أبي عبله . تفسير

أبي حيان ٨ : ٤٨٥ .

فَسَعَى مَسَاعَاهُ فِي قَوْمِهِ ثُمَّ لَمْ يَدْرِكْ وَلَا عَجْزاً وَدَعَّ (١)
وقال آخر :

فَكَانَ مَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرَ نَفْعاً مِنَ الَّذِي وَدَّعُوا (٢)
١٢١ - وقد جاء وادع أيضاً في الشعر ، أنشده أبو علي (في البصريات) ،
وهو :

فَأَيُّهُمَا مَا أَتْبَعَنَّ فَإِنِّي حَزِينٌ عَلَى تَرْكِ الَّذِي أَنَا وَادِعُ (٣)
وقد جاء المصدر أيضاً في الحديث ، وهو قوله ﷺ : « لِيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ
عَنْ وَدَّعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لِيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ » .
وقد جاء اسمُ المفعول أيضاً . قال خفاف بن ندبة :
إِذَا مَا اسْتَحَمَّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ

جَرَى وَهُوَ مَوْدُوعٌ وَوَادِعٌ مُصَدِّقٌ (٤)

قال الصغاني : أى متروك لا يُضْرَب ولا يَزْجَر .
وقول ابن بري إِنَّ مَوْدُوعاً هُنَا مِنَ الدَّعَةِ الَّتِي هِيَ السُّكُونُ لَا مِنَ
التَّرِكِ ، يَرُدُّ عَلَيْهِ أَنَّ وَدَعَ بِمَعْنَى سَكَنَ غَيْرَ مُتَعَدٍّ ، يُقَالُ وَدَعَ فِي بَيْتِهِ .
وقوله : « لَا تَهَيَّيْ » هُوَ مِنَ الْإِهَانَةِ . وَالْخَلْبُ مِنَ الْبَرَقِ : الَّذِي
لَا مَطَرَ مَعَهُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِسَحَابِهِ . وَتَضْرِبُ بِهِ الْعَرَبُ الْمَثَلَ لِمَنْ أَخْلَفَ وَعْدَهُ .
قال أعشى همدان :

(١) الفضليات ١٩٩ . وصواب الرواية : « فسعى مساعاهم » ، لأن قبله :

ورث البغضة عن آبائه حافظ العقل لما كان استمع

(٢) اللسان (ودع) .

(٣) اللسان (ودع ٢٦٣) عن البصريات أيضاً .

(٤) في النسختين : « ووادع مصدق » ، صوابه في الأصمعيات ٢٤ واللسان (ودع ٢٦١

صدق ٦٣) .

لا يَكُزْ وَعَدُكَ بِرَقًا حُلْبًا كاذباً يَلْمَعُ في عُرْضِ الْعَمَامِ^(١)
الآيات :

ونسب صاحب الحماسة البصرية هذه الآيات في باب الوصف
لعبد الله بن كُرَيْز . وزاد بعد البيت الثاني :
(واذكر البلوى التي أبليتني
ومقالاً قلته في الجمع^(٢))

ورويت أيضاً لأبي الأسود الدؤلي . والله أعلم بحقيقة الحال .

وأنس بن زعيم شاعر صحابي ، مضاف إلى جدّه . قال الآمدي : هو
أنس بن أبي أناس^(٣) الكنانى بن زُئيم بن مَحْمِيّة بن عَبْدِ بن عَدِيّ بن الدَّيْل
ابن بكر بن كنانة بن نُجَيمَة بن مدركة . وهو شاعرٌ مشهور حاذق ، وهو
القائل :

وعَوْرَاء من قِيلِ امرِي قد رَدَدَتْهَا
بسالة العينين طالبة عُذْرًا
ولو أنّه إذ قالها قُلْتُ مثْلَهَا
أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا أَوْرَثَتْ بَيْنَنَا غَمْرًا
فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَانْتَظَرْتُ بِهِ غَدًا
لَعَلَّ غَدًا يُبْدِي لِمَوْثَمِرٍ أَمْرًا

(١) قبله في الأغاني ٥ : ١٣٨ :

حييا خولة منى بالسلام درة البحر ومصباح الظلام

(٢) ط والحماسة البصرية ٢ : ١٠ : « البلوى الذى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) فى الأصل : « يانس » ، صوابه من المؤلف ٥٥ وجمهرة ابن حزم ١٨٤ ، ١٨٥ والقاموس

(أنس) .

لأنزعَ ضيماً ثاوياً في فؤاده

وأقلِّمَ أظفاراً أطالَ بها الحفراً

وقال ابن حجر (في الإصابة) : ذكر ابن إسحاق (في المغازي) أنَّ

عمرو بن سالم الخزاعي خرج في أربعين راكباً يستنصرون رسول الله ﷺ على قريش ، فأنشده :

لاهمَّ إني ناشدُ محمداً عَهْدَ أَيْنَا وأَيِّهِ الأَتْلَدَا (١)

الآيات . ثم قال : يا رسول الله ، إنَّ أنسَ بن زُنَيم هجأك ! فهَدَرَ

رسول الله ﷺ دمه ، فبلغه ذلك فقدم عليه عليه ﷺ معتذراً ، وأنشده آياتاً مدحه بها ، وكلمه فيه نوفل بن معاوية الدؤلي فعفا عنه .

ومن تلك الآيات :

فما حَمَلْتُ من ناقةٍ فوقَ رحلها

أبرَّ وأوفى ذمَّةً من محمدٍ

قال دِعلَب بن علي (في طبقات الشعراء) : هذا أصدق بيتٍ قالته

العرب .

ولأنس مع عبيد الله بن زياد أمير العراق أخباراً أوردها الأصفهاني ١٢٢

صاحب الأغاني (في ترجمة حارثة بن بدر الغداني) فإنه كان بينهما أهاج بعد

تصافٍ (٢) .

(١) السيرة ٨٠٦ جوتنجن .

(٢) ش : « أهاجى بعد تصافى » وفيه تحريف .

وَرَوَى أَنَّ أَنَسًا لَمَّا رَأَى مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ جَفْوَةً ، وَآثَرَةَ لِحَارِثَةَ بْنِ
بَدْرٍ ، قَالَ :

أَهَانُ وَأَقْصَى ثُمَّ تُنْتَصِحُونَنِي

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا^(١)

رَأَيْتُ أَكْفَ الْمُصْلِحِينَ عَلَيْكُمْ

مِلَاءٌ وَكَفَى مِنْ عَطَائِكُمْ صِفْرًا

مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَمْنَعُوا

لَّذِي لِي لَا أُسْطِغُ عَلَى ذَلِكُمْ صَبْرًا

وَأَنِّي صَرَفْتُ النَّاسَ عَمَّا يَرِيْبِكُمْ

وَلَوْ شِئْتُ قَدْ أَغْلَيْتُ فِي حَرْبِكُمْ قُدْرًا

وَأَنِّي مَعَ السَّاعِي عَلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ

إِذَا عَظُمُكُمْ يَوْمًا رَأَيْتُ بِهِ كَسْرًا^(٢)

فَقَالَ عِبِيدُ اللَّهِ لِحَارِثَةَ : أَجِبْهُ . فَاسْتَعْفَاهُ ؛ لِمَوَدَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فَأَقْسَمَ

عَلَيْهِ فَقَالَ :

تَبَدَّلْتُ مِنْ أَنَسٍ ، إِنَّهُ كَذُوبُ الْمَوَدَّةِ خَوَّأْتُهَا

أَرَاهُ بَصِيرًا بَعِيبَ الْخَلِيلِ وَشَرُّ الْأَخْلَاءِ غُورَائُهَا^(٣)

فَأَجَابَ أَنَسٌ :

(١) فِي الْأَغَانِي ٢١ : ١٥ : « وَأَيُّ امْرِئٍ يُعْطَى نَصِيحَتَهُ » .

(٢) ط : « إِذَا عَظُمُكُمْ » ، صَوَابُهُ مِنْ شِ وَالْأَغَانِي .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « بَضْرُ الْخَلِيلِ » .

إِنَّ الْخِيَانَةَ شَرُّ الْخَلِيلِ لِي وَالْكَفَرَ عِنْدَكَ دِيَوَانُهَا (١)
 بَصُرْتُ بِهِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَمَا بَصَّرَ الْعَيْنَ إِنْسَانُهَا
 وَدَامَ الشَّرُّ بَيْنَهُمَا زَمَانًا طَوِيلًا . وَذَكَرَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا وَشِعَرَ كُلِّ وَاحِدٍ
 فِي الْآخِرِ بِإِغْرَاءِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ .

وَأُنْشِدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّسْعُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
 شَوَاهِدِ س (٢) :

٤٩٠ (كَمْ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ سَيِّدٌ

ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ مَاجِدٍ نَفَّاعٍ)

عَلَى أَنَّ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى جَوَازِ الْفَصْلِ بِالظَّرْفِ الْمُسْتَقَرِّ عِنْدَ يُونُسَ ، كَمَا
 جَازَ الْفَصْلُ بِالظَّرْفِ اللَّغْوِ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ .

وَسَبَبِيهِ لَا يُجِزِ الْفَصْلُ بِالظَّرْفِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ . وَأُنْشِدَ هَذَا الْبَيْتُ .
 قَالَ الْأَعْلَمُ : الشَّاهِدُ فِيهِ خَفَضُ سَيِّدٍ بِكَمْ ضَرُورَةٌ ، وَلَوْ رُفِعَ سَيِّدٌ
 أَوْ نُصِبَ لِحَازٍ كَمَا تَقْدُمُ . وَبَيَانُ كَوْنِهِ ظَرْفًا مُسْتَقَرًّا أَنَّ كَمْ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ ،
 وَالظَّرْفُ الْفَاصِلُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ .

وَأَخْطَأَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى (فِي شَرْحِ آيَاتِ الْمَفْصَلِ) فِي زَعْمِهِ أَنَّ الظَّرْفَ
 حَالٌّ مِنْ سَيِّدٍ ، وَكَانَ فِي الْأَصْلِ صِفَةً فَلَمَّا قُدِّمَ عَلَيْهِ صَارَ حَالًا مِنْهُ .
 وَوَجْهُ الْخَطَأِ أَنَّ الْمُبْتَدَأَ يَبْقَى بِلاَ خَبَرٍ .

وَضَخْمُ وَمَاجِدُ وَنَفَّاعُ ، بِجَمْعِ الثَّلَاثَةِ صِفَاتٍ لِسَيِّدٍ . وَ (الدَّسِيعَةُ)

(١) فِي الْأَصْلِ : « إِنَّ خِيَانَةَ شَرِّ الْخَلِيلِ » ، وَاثْبَتَ مَا فِي الْأَغَانِي .

(٢) فِي كِتَابِهِ ١ : ٢٩٦ . وَانْظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٣ : ٦٢ وَالْإِنْصَافَ ٣٠٤ وَابْنَ بَيْعِشَ ٤ : ١٣٠ ،

وَالْعَيْنِ ٤ : ٣٩٢ وَالْأَشْمُونِيَّ ٤ : ٨٢ .

بفتح الدال وكسر السين وبعد المثناة التحتية عين ، والثلاثة بالإهمال ، ومعناها العطية . قال الأعلام : هى من دسع البعير بِجَرَّتِه ، إذا دفع بها . ويقال هى الجَفْنَةُ . والمعنى أَنَّهُ واسعُ المعروف . و (الماجد) : الشريف . يصف كثرة السَّادات فى هذه القبيلة .

والبيت وقع غُفلا فى كتاب سيبويه والمفصَّل ، ولم يعزه أحدٌ من شرَّاحهما إلى قائله .

وزعم العيني أَنَّهُ للفَرزدق . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٩١ (كَمْ نَالِيْ مِنْهُمْ فَضْلاً عَلَى عُدُومِ

إِذْ لَا أَكَادُ مِنَ الْإِقْتَارِ أَحْتَمَلِ)

على أَنَّ جر التمييز مع الفصل بالجملة لا يميزه إلَّا الفراء ، فيجوز عنده ١٢٣ خفض فضلا . وأما غيره فيوجب نصبه كما فى البيت .

قال سيبويه : وقال الخليل : إذا فصلت بين كم وبين الاسم بشيء استغنى عليه السكوت أو لم يستغن (٣) ، فأحمله على لغة الذين يجعلونه بمنزلة اسم منون ، لأنَّه قبيح أن يفصل بين الجار والمجرور ؛ لأنَّ المجرور داخل فى

(١) لم أجده فى ديوان الفرزدق .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٥ . وانظر المقتضب ٣ : ٦٠ والإنصاف ٣٠٥ وابن يعيش ٤ : ١٢٩ ،
١٣١ والعينى ٤ : ٤٩٤ والهمع ١ : ٢٥٥ والأشمونى ٤ : ٨٢ وجمهرة القرشى ١٥٣ وديوان القطامى

(٣) ط : « أم لم يستغن » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

الجائر فصارا كأنهما كلمة واحدة . والاسم المنون قد يفصل بينه وبين الذي يعمل فيه ، تقول : هذا ضارب بك زيدا ، ولا تقول هذا ضارب بك زيد . قال القطامي :

* كم نالني منهم فضلا * البيت

وإن شاء رفع فجعل كم المرار التي ناله فيها الفضل ، فارتفع الفضل بنالني ، كقولك : كم قد أتاني زيد ، فزيد فاعل وكم مفعول فيها ، وهي المرار التي أتاه فيها ، وليس زيد من المرار . ا هـ .

قيل : روى فضلا بالجور أيضاً . فكم على النصب والجور مبتدأ ، وجملة نالني خبره وفاعله ضمير كم . وعلى الرفع ظرف لنالني كما قال سيبويه .

وزعم العيني أن كم مع النصب ظرف زمان تقديره : كم مرة أو كم يوماً ، وجملة نالني منهم جملة معترضة بين كم ومميزها ، وهو فضلاً .

هذا كلامه ، ولا يخفى فساده ؛ إذ جعل المميز محذوفاً مع أنه مذكور . ولا يصح جعل [جملة ^(١)] نالني اعتراضية ، إذ لا فاعل للفعل حينئذ .

وقوله (على عدم) أى مع عدم ، متعلق بمحذوف على أنه حال من الياء . كذا قال ابن الحاجب (فى أماليه) عن ابن برهان .

وزعم العيني أنه متعلق بنالني . وهو فاسدٌ يُدرك بالتأمل .

وأفسد منه قول ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : قوله : على عدم ، حال من الياء ، وعامله نالني ، ويجوز أن يعمل فيه فضيل المصدر على أنه مفعول به .

(١) التكملة من ش .

والْعَدَمَ ، بفتحين ، والعُدْمَ ، بضم فسكون ، كلاهما بمعنى الفقر والاحتياج .

و (منهم) متعلق بنالتى . وقال ابن المستوفى ، يجوز أن يكون موضع منهم النصب على الحال صفة لفضل مقدما عليه ، ويجوز أن يكون من فيه مبيّنا للجنس ويعمل فيه نالتى .
وهذا خطأ ، فإنّ من البيانية مع مجرورها تتعلق بمحذوف على أنه حال .

و (الفضل) : الخير والإنعام ، وجملة أحتمل فى محل نصب خبر كاد وهو بالخاء المهملة . قال شارح ديوان القطامى : أى لم يكن ^(١) لى حمولة أحتمل عليها . والحمولة ، بالفتح ، قال صاحب المصباح : هو البئر يحمل عليه ، وقد يستعمل فى الفرس والبغل والحمار . ا هـ
فمعنى أحتمل : أتخذ حمولة .

وقال الأعلام : قوله « إذ لا أكاد » إلخ ، أى حين بلغ منى الجهد وسوء الحال [إلى أن ^(٢)] لا أقدر على الارتحال لطلب الرزق ، ضعفاً وفقرًا .
ويروى : « أجتمل » بالجيم ، أى أجمع العظام لأخرج ودكها وأعزل به ، والجميل : الودك . ا هـ

ولم يذكر أحد رواية الجيم من اجتملت الشحم ، إذا أذبت ، ركنا جمّلته أجملّه جملاً ، وربما قالوا : أجملته ، حكاه أبو سبيد . ورأيت فى بعض الحواشى أنّه روى : (أحتمل) بالخاء المهملة من الاحتمال ، وما أظنه صحيحاً .

(١) ش : « أى لم تكن » .

(٢) التكملة من الشتمى .

وزعم بعض فضلاء العجم (في أبيات المفصل) أن الرواية (احتول) ولم يذكر غيرها . وقال : احتول من الحيلة ، وأصلها جولة قلبت الواو ياء كما في ميزان . وكان الوجه أحتال ، إلا أنه جاء على الأصل المرفوض . هذا كلامه ولم أرها لغيره .

وقوله : (إذ لا أكاد) إذ ظرف لنالني .

١٢٤ والإقتار : مصدر أقتَر . قال في الصحاح : « وأقتَر الرجل : افتقر » . ومن متعلقة بالنفى ، وقال العينى : ومن متعلقة بأجتمَل . وسيجىء رده . وزعم ابن بَرّهان أن قوله من الإقتار مفعول له يعمل فيه أحتَمَل .

قال ابن الحاجب (في أماليه) : لا يصحُّ هذا ، لفسادِ المعنى ؛ إذ الاحتمال لم يكن من أجل إقتار فيخصّصه بالنفى ، وإنما يصحُّ أن يكون معللاً بمثل ذلك ثم ينفيه مخصّصاً له ، كقولك : ما جئتكَ طمعاً في بَرِّك ؛ فإنَّ الجمىء قد يكون طمعاً في البرِّ ، فيُنْفَى الجمىء المقيّد بعلّة الطمع ، ولذلك لا يلزم منه نفى الجمىء لغير ذلك ، لأنّه لا يتعرّض له ، بل قد يُفهم منه إثبات جمىء لغير ذلك عند من يقول بالمفهوم . أمّا لو قال : ما كلّفتك بشيءٍ للتخفيف عليك ، فلا يستقيم أن يكون تعليلاً لكلفتك ، فإنه لا يصح أن يكون التخفيف ^(١) علةً للتكليف ، وإنما علّل به نفى التكليف من أجل غرض التخفيف . وسرُّ ذلك هو أنه إذا تعلق الفعل بشيء فلا بُدَّ أن يُعقَل شيئاً في نفسه ثم يتعلّق النفى به . وإذا تعلّق النفى به انتفى المقيّد بما تعلق ، ولا ينتفى مطلقاً ، إذ لم ينفيه إلا مقيّداً . ومن أجل ذلك امتنع تعلّق « من الإقتار »

(١) ط : « للتخفيف » ، صوابه في ش .

بأحتمل . ويُمنع أيضاً تعلقه بأكاد ، إذ لا يتصوّر تعليل مقارنة الاحتمال بالإقتار ؛ لأنّه عكس المعنى على ما تقدم فى أحتمل ، فوجب أن يكون متعلقاً بالنفى ، إذ هو المسبّب فى المعنى ، لأنّ المعنى انتفت مقارنة الاحتمال ، من أجل الإقتار . ألا ترى أنّك لو قلت لمن قال : انتفت مقارنة الاحتمال : ما سبب ذلك ؟ لصحّ أن يقول : سببه الإقتار . ولو قلت لمن قال : ما سبب مقارنة الاحتمال أو ما سبب الاحتمال ؟ : سببه الإقتار ^(١) ، لكان فاسداً . فهو مما يوضح أنّه تعليل للنفى ، وغير مستقيم ^(٢) أن يكون تعليلاً لأحتمل أو أكاد . انتهى كلامه .

والبيت من قصيدة للقطامي عدّتها واحد وأربعون بيتاً ، مدح بها صاحب الشاهد أبا عثمان عبد الواحد .

قال ابن الكلبي ، وابن حبيب : هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم ابن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف .

وقال مصعب الزيرى : هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . وكان والياً فى المدينة لمروان بن محمد .

أبيات الشاهد

وهذا مطلع القصيدة :

(إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّ

وإن بليت وإن طالت بك الطيل)

إلى أن قال بعد ستة أبيات :

(والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له

ما يشتهى ، ولألم المخطيء الهبل)

(١) فى النسختين : « وقال سببه الأقتار » والوجه حذف : وقال .

(٢) ش : « غير مستقيم » ، بدون واو .

قد يُدرك المتأثني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلُّ
ثم وصف الإبل التي توصله إلى حبيبته عُلَيَّة (١) بأبيات منها :
(يَمْشِينَ رَهْوَ فَلَ الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ
ولا الصدورُ على الأعجاز تَتَكَلُّ (١)

إلى أن قال :
(فقلتُ للرَّكَبِ لَمَّا أنْ علَتْ بِهِمْ
من عَن يَمِينِ الحُيَّيَّا نَظْرَةً قَبْلُ
ألمحة من سنا يرق رأى بصري
أم وجه عالية اختالت به الكِلَلُ)

ثم بعد أبيات خاطب ناقته فقال :
(إن ترجعي من أوى عثمان مُنْجِحَةً ١٢٥
فقد يَهْوَن على المستنجح العمل (٣)
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم
إذا تخاطأ عبد الواحد الأجلُ

(١) ورد اسمها في البيت الذي يلي السابق في ص ٢ من الديوان :

أمت عالية يرتاح القواد لها وللرواسم فيما دونها عمل

لكن سيأتي في البيت الثالث بعد هذا برسم « عالية » فلعل « عالية » تصغير ترخيم .

(٢) ط : « فلا أعجاز خاذلة إلا الصدور » ، صوابه ما أثبت من ش والديوان ٤ .

(٣) ش : « المستنجح » ، صوابه في ط والديوان ٦ وما سيأتي من التفسير .

أما قريشُ فلن تلقاهم أبدا
 إلا وهم خير من يحفى وينتعل^(١)
 إلا وهم جبَلُ الله الذى قصرت
 عنه الجبالُ فما سواى به جبَلُ
 قومٍ هم ثبَتوا الإسلامَ وامتنعوا
 رهط الرسول الذى ما بعده رُسُلُ^(٢)
 من صالحوه رأى فى عيشه سعةً
 ولا يرى من أرادوا ضره يئل
 كم نالنى منهم فضلا على عدم
 وكم من الدهر ما قد ثبَّتوا قديمى
 إذ لا يزال مع الأعداء ينتضلُ^(٣)
 فمأهم صالحوه من يتغنى عنتى
 ولا هم كدروا الخير الذى فعلوا^(٤)
 هم الملوك ، وأبناء الملوك لهم
 والآخذون به والساسة الأول (قوله : « إنا محيوك » أى داعون لك بالتحية ، وهى البقاء . والطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل ، بالكسر : جمع طيلة ، وهى الدهر . وقوله : « والناس من يلق » إلخ يقول : من أخطأ قيل : لأمه الثكل !

(١) ش : « أما قريشا » .

(٢) فى الديوان ٦ : « قوم الرسول الذى ما بعده » .

(٣) فى الديوان ٧ : « إذ لا يزال مع الأعداء أنتضل » .

(٤) ط فى : « من يتغنى » ، صوابه من ش والديوان .

وهو الهَبَل . ومن يَلْق خيراً ، أى من أصاب عوضاً من الدنيا قالوا :
ما أَرَجَلَه ، لله أبوه ما أعقله ! ومن أخطأه الرُّزْق قالوا : أماته الله ما أعجزه !
وقوله : « قد يدرك المتأنى » إلخ المتأنى : صاحب الأناة والوقار
والجِلْم . وزَلَّ عن الأرض يزل زليلاً ، إذا عثر .

وقوله : « يمشين رهواً » إلخ أى على هيتها . يقال فعل ذلك راهياً ، أى
ساكناً سهلاً .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ وَاَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا ﴾^(١)
على أَنَّ الرهو : السير السهل الساكن . ونَسَبَ البيت للأعشى ظاناً أنه من
قصيدته التى أولها :

ودَّع هُريرةً إِنَّ الركبَ مرتحلُ

وهل تُطيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ

وليس كذلك . قال أبو عمرو : يقول هى موثقة الصدور والأعجاز
لا تخذل أعجازها صدورها ، ولا صدورها أعجازها .

وقوله : « فقلت للركب » إلخ نظرة فاعل علَّت . والنَّظَرُ القَبْلُ
بفتحتين : التى لم تتقدمها نظرة ، ومنه يقال رأينا الهلال قبلاً ، إذا لم يكن رُئى
قبل ذلك . ومعنى علت بهم : جعلتهم يعلون وينظرون . والجُبَيَّا ، بضم الحاء
المهملة وفتح الموحدة وتشديد المثناة التحتية : موضع بالشام . وعن بمعنى
جانب ، فهى اسم . وبه استدلل ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) ، وابن الناظم
والمرادى أيضاً (فى شرح الألفية) .

وقوله : « ألمحة من سنا » إلخ هذا البيت مقول قلت . واللَّمحة :

(١) الآية ٢٤ من سورة الدخان .

اللِّمعة . وسَنَا البرق : ضوءه . واختالت : تزَيَّنت به الكِللُ من حُسْنِه ،
وضمير به للوجه . والكِلل : السُّتور . يريد أن وجه عالية ظهر إليهم من
الستر ، فأشرفوا ينظرون إليه إعجاباً به .

ومُنْجحة من أنجح الرجل ، واستنجح ، إذا ظفر بحاجته . والعَمَل : التعب .

ويخفى : يمشى بغير حذاء ، ومصدره الخفاء بالمد .

ويُثَل : ينجو ، يقال وأل يثُل مؤثلاً . ونالني : أصابني . ويتنَّضِلُ :
يرتمى ، بالضاد المعجمة . وعنتي : هلاكى . يقال عَنَت الرجل يَعَنَت عَنَّا ،
إذا وقع في هلكة .

وقوله :

« هم الملوك وأبناء الملوك لهم »

أى منهم . و « الآخذون به » أى بالملك ، فأضمّره لمّا جرى ذكر ١٢٦
الملوك .

والقطامي : شاعرٌ إسلامي في الدولة الأموية ، تقدمت ترجمته في
الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة (١) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد الأربعمئة ، وهو من
شواهد س (٢) :

٤٩٢ (كم عَمَّةٌ لك يا جريرُ وخالَةٌ

فَدَعَاءٌ قد حَلَبْتُ على عِشاري)

(١) الخزائن ٢ : ٣٧٠ .

(٢) في كتابه ١ : ٢٥٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، وانظر المقتضب ٣ : ٥٨ والجمل ١٤٨ وابن يعيش

٤ : ١٣٣ والمقرب ٦٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٤ والعينى ١ : ٤/٥٥٠ ٤٨٩ والتصريح ٢ : ٢٨٠
والجمع ١ : ٢٥٤ والأشعوى ١ : ٢٠٧ ، ٤/٢١٢ ، ٨٠ ، ٨١ وديوان الفرزدق ٤٥١ .

على أنه قد روى عمة وخالة بالحركات الثلاث . وشرحها شرحاً جيداً ، وجوّز في النصب أن تكون كم استفهامية ، وخبرية . وهو مذهب أئى الحسن الرّبعى .

فإنّ السيرافى قال : كم حينئذ استفهامية . وتبعه الزجاجى . وقال أبو على : لا معنى هنا للاستفهام ، ولكن شبه بالاستفهامية فنصب بها كما تشبه الاستفهامية بالخبرية فيجرّ بها ، فى نحو قولك : على كم جذع بيتك مبنى ؟ وتوسط الرّبعى بينهما فقال : الوجه ما قاله أبو على . والذى قاله السيرافى يجوز على أنّه استفهمه هازئاً به . كذا نقل ابن السيّد ، وتبعه ابن خلف .

والرّبعى مسبوق ، فإنّ ابن السّراج قال (فى الأصول) : النصب عندى على وجهين : على ما قال سيبويه فى لغة من ينصب فى الخبر ، وعلى الاستفهام . انتهى .

وهذا يضمحلّ قول اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : إنّ سيبويه أدخل البيت فى وجه النصب على الخبر والتحقيق ، لا على وجه الاستفهام والشك . قال سيبويه : ومن ينصب كثير ، منهم الفرزدق . ولم يذكر الاستفهام لكن ذكر أنّها شُبّهت فى الخبر بالاستفهام فنصب بها كما ينصب ما بعد العدد . انتهى .

وكذا جوّز الشارح المحقق الوجهين فى الرفع .

قال ابن السّراج : اعلم أنّك إذا قلت كم عمة بالجر فليست تقصد إلا واحدة ، وكذلك إذا نصبت ، فإن رفعت لم يكن إلا واحدة ؛ لأنّ التمييز يقع

واحدُه في موضع الجمع ، فإذا رفعت فلست تريد التمييز ، فإذا قلت : كم درهمٌ عندك فإنما المعنى : كم دانقاً هذا الدرهم الذي أسألك عنه ؟ فالدرهم واحد لأنَّه خبر وليس بتمييز . ا هـ .

فكُلُّ من الجرِّ والنصب أبلغ من الرفع ، لأنهما يدلّان على أنَّ الجزير عماتٍ وخالات أجيرات ممتَهَنات . والرفع يدلُّ على أنَّ له عمَةً واحدة ، حلبت له عشاره . وهذا قال السيرافي : الأجود في البيت الخفض ، وبعده النصب ، وبعده الرفع .

وبَيَّنَّ الشارح الخقق إعراب كم مع الرفع ولم يبيِّنْه مع غيره . فهي مع خفض عمه ونصبها موضعها رفعٌ على الابتداء ، والخبر جملة قد حلبت .

قال ابن هشام (في المعنى) : وأفرد الضمير في حلبت حملاً على لفظ كم .

وليس هذا من قبيل ما هو عائذٌ على مجموع ما تقدَّم ، نحو : النساء فعلت كما زعمه الدماميني ، فإنَّ العمه والخالة مفردان ، بخلاف النساء فإنه اسمُ جمع . وأمَّا في رواية رفع عمه على الابتداء فلا بدَّ من تقدير قد حلبت أخرى ؛ لأنَّ الخبر عنه في هذا الوجه متعدّد لفظاً ومعنى . ونظيره : زينب وهند قامت . قاله ابن هشام في المعنى .

وجاز الابتداء بها وإن كانت نكرة لأنَّها قد وصفت بلك وبفدعاء محذوفة مدلولٍ عليها بالمذكورة ، إذ ليس المراد تخصيص الحالة بالفدع ، كما حذفت لك من صفة حالة استدلالاً عليها بلك الأولى . قاله ابن هشام أيضاً . وعليه فيكون من قبيل الاحتباك ؛ وهو أن يثبت لأحدهما نظير ما حُذف من الآخر .

ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) عن الزمخشري (فى حواشيه على المفصل) أن التقدير : كم لك غيرهما ؟ فتعلق لك بكم .

ولأنى على (فى المسائل المنثورة) كلام جيد فى كم ، أحببت إيرادها هنا . قال : إذا كانت كم خيراً جاز فيما بعدها الجر والرفع والنصب ، وإثما جرته بكم لأن كم نقيضة رب ، ومن أصولهم حمل الشئ على نقيضه . ألا ترى أن رب للقلة وكم للكثرة ! فلما كانت بهذه المنزلة أجريت مجرى رب . وإن نصب ما بعدها فجائز لأنها عدد فى الحقيقة ، والأعداد تبين مرة بالنصب ومرة بالجر . وإذا كان هذا جائزاً فى الأعداد فعلى أى وجه أردت جاز . والرفع إذا قلت كم رجل أتانى ، صارت كم فى معنى مرار ، فتكون فى موضع نصب بأتانى ، ويكون رجل مبتدأ وأتانى خبره . قال أبو عمرو : لا يكون ما تبين به كم إلا نكرة ، وذلك لأنها عدد ، والأعداد لا تبين إلا بالنكرات .

والنصب فى الخبر جائز ، لأنها عدد فى الحقيقة ، وإن كان الوجه الجر . والحسن أن تنصب إذا فصلت بينها وبين ما أضيف إليها ، لأن الفصل بين المتضامين قبيح . فلما قبح نصبه لأنها فى الحقيقة عدد ، ورجل يفسر ويوضح .

وأما قول الشاعر : « كم بجود مرقفا » البيت ، فنصب مرقفا فسر به كم ^(١) لأنه حال بينه وبين كم بقوله بجود ، وتكون كم فى موضع رفع بالابتداء ، وهى فى المعنى فاعلة كما تقول : زيد قام ، فزيد مبتدأ وإن كان فاعلاً فى المعنى . ويجوز الجر لأنك حلت بين كم وبين ما عملت فيه بظرف . فأما قول الفرزدق :

(١) فى الأصل ، أى النسختين : « فسرو بكم » ، والوجه ما أثبت كما اقترح مصحح طبعة

كم عَمَّة لك يا جرير وخالة *

فأما النصب في العَمَّة فتجعل كم رفعاً بالابتداء وحلبت خبرها ، وعمة تفسير العدد ، كأنه قال : عشرون عمة حلبت . والجُرُّ على ما تقدّم من الكلام . وأما الرفع في العمة فتكون كم في موضع نصب ، وتكون كم في معنى مرار فتصير ظرفاً للحلب . قال أبو عمرو : تقول : كم رجال قد رأينا ، فجاز في كم أن تفسّر بالجمع ، لأنّ العدد يفسّر بالجمع وبالواحد . وإذا كانت كم عدداً جاز تفسيرها بالواحد والجمع مع أنّه مع كم أشدُّ استمراراً ، وذلك إذا قلت عشرون درهما ، ففي الكلام دلالة على الجمع . وإذا قلت كم فليس في كم دلالة على الجمع ، فلذلك أجازوا ذلك في كم . انتهى كلام أبي على .

وفدعاء : صفة لخالة لقربها ، وحذّفه من عمة قبلها . وقد فسّر الشارح الفدعاء بكلام الصحاح . وقال ابن الأعرابي : الأفدع : الذي يمشي على ظهور قدميه . وقال أبو جعفر : الفَدَع في القدم ، والكَوَع في اليد . والرُسْع بالضم هو من الإنسان : مفصل ما بين الكف والساعد ، والقدم إلى الساق . ومن الدوابّ : الموضع المستدق بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل . والإنسي بكسر الهمزة قال صاحب الصحاح : الإنسيّ : الأيسر من كل شيء .

وقال الأصمعي : هو الأيمن . وقال : كل اثنين من الإنسان مثل الساعدين والقدمين فما أقبل منهما على الإنسان فهو إنسيّ ، وما أدبر عنه فهو وحشي . انتهى .

وقال صاحب المنصباح : الوحشيّ من كل دابة : الجانب الأيمن . قال

الشاعر :

فمالت على شِقِّ وحشِها . وقد رِيعَ جانبها الأيسر ^(١)

١٢٨ قال الأزهري : قال أئمة العربية : الوحشُ من جميع الحيوان غير الإنسان : الجانبُ الأيمن ، وهو الذى لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب . والإنسى : الجانب الآخر ، وهو الأيسر ^(٢) . وروى أبو عبيد عن الأصمعي أن الوحش هو الذى يأتى منه الراكب ويحلب منه الحالب ، لأن الدابة تستوحش عنده فتفر منه إلى الجانب الأيمن . قال الأزهري : وهو غير صحيح عندى .

قال ابن الأنباري : ويقال ما من شيء يفزع إلا مال إلى جانبه الأيمن ، لأن الدابة إنما تؤتى للركوب والحلب من الجانب الأيسر ، فتخاف عنده فتفر من موضع المخافة وهو الجانب الأيسر إلى موضع الأمن ، وهو الجانب الأيمن . فلهذا قيل الوحشُ الجانب الأيمن . ووحشى اليد والقدم : ما لم يُقبل على صاحبه ^(٣) والإنسى خلافه . ووحشى القوس ^(٤) : ظهرها . وإنسبها : ما أُقبل عليك منها . انتهى ، وسُفناه برمته لجودته .

والشَّوْه ^(٥) بسكون الواو : مصدر شاهت الوجوه تشوّه ، أى قبحت . وقول الشارح المحقق : « وإنما عدى حليت [بعلَى ^(٦)] لتضمينه معنى ثقلت » إلخ مأخوذ من كلام صدر الأفاضل ، فإنه قال : إن قيل : ما معنى

(١) نسب في شرح القصائد السبع الطوال ٣٢٥ - ٣٢٦ واللسان (وحش ٢٦٣) إلى الراعى . وفي القصائد السبع : « فجال على » .

(٢) انظر الحيوان ٥ : ٥١٢ - ٥١٣ وشرح القصائد السبع ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٣) ش : « ما أُقبل على صاحبه » ، صوابه في ط .

(٤) ش : « الفرس » ، صوابه في ط .

(٥) هذا تفسير لعبارة وردت في كلام المحقق الرضى في ٢ : ٩٢ في قوله شارحا للشاهد :

« يعنى أنها لكثرة الخدمة صارت كذلك ، أو هذا خلقة لها . نسبها إلى شوّه الخلقة » .

(٦) تكملة ضرورية من شرح الرضى ٢ : ٦٤ . يريد أن حليت على بمنزلة ثقلت على .

حلبت عليّ ؟ أجيب بأنّ معناه : على كره مني ، وهذا كما يقال باع القاضي عليه داره . يقول : استنكفت أن تحلب عشاري . ويشهد لهذا المعنى الفدعاء . انتهى .

قال شارح شواهد الإيضاح والمفتاح : وجه الشهادة أنّ الفدعاء من صفات الإمام ، فيؤذن بلووم من يوصف به ، فلذلك استنكف . يريد : خدمتني على كره ؛ لأنني لم أكن راضيا بذلك ؛ لحسنته ولؤمهنّ .

ونقل ابن المستوفى (عن حواشي المفصل) أنّ الفدع من صفات الإمام . وقوله : « عليّ » أي لي ، أي كانت راعية لي . ثم نقل كلام صدر الأفاضل . وقال : الأجود ما في الحواشي ، لأنّه لا تحلب عشاره إلا بإذنه ، وهو أبلغ . هذا كلامه .

و (العشار) بالكسر : جمع عشراء بضَمّ ففتح وبالمد ، قال اللخمي : هي الناقة التي مضت لها عشرة أشهر من حملها . ثم يبقى عليها الاسم إلى أن تنتج لحول وبعد ذلك بأيام . على هذا إجماع أكثر اللغويين . وقيل يقع هذا الاسم على التي أقي عليها من وضعها عشرة أشهر ، وهي في هذا البيت كذلك ، بدليل قوله حلبت ، وهو الوجه ، ويحتمل أن يحمل البيت الأول على القول الأول . ومعنى البيت يذمه بذلك ويصفه أنّه من أهل القلّة ، وليس من أهل الشرف والسعة ، إذ لو كان كذلك لصابهنّ من الابتذال . وإنّما خصّ النساء بالحلب^(١) لأنّ العرب يتعايرون بحلب النساء ، فهو في القلّة كما قال السُّليّك :

أشَابَ الرَّأْسَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ
أَرَى لِي خَالَهَ وَسَطَ الرَّحَالِ

(١) ط : « بالحرب » صوابه في ش .

يَعْرِزُ عَلَى أَنْ يَلْقَيْنَ ضِيْمًا

وَيَعِجْزُ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ مَالِي

وقد صَحَّفَ اللَّحْيَانِي ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ مِنَ الْبَيْتِ :

الأولى : حَلَبَتْ فَإِنَّهُ صَحَّفَهُ بِجُلَيْتٍ ، بَضَمَ الْجِيمَ وَكَسَرَ اللَّامَ بَعْدَهَا
مَشَاةً تَحْتِيَّةً .

والثانية : عَلَيَّ ، صَحَّفَهُ بِعَلَى الْجَارَّةِ .

والثالثة : عِشَارِي ، فَإِنَّهُ صَحَّفَهُ بِعِشَارٍ ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الشَّيْنِ .

قال ابن جنِّي (في سر الصناعة) : أصحابنا البصريون في كثير مما
يحكيه اللَّحْيَانِي كَالْمَتَوَقِّفِينَ . حكى أبو العباس عن إسحاق بن إبراهيم قال :
سمعت اللَّحْيَانِي يَنْشُدُ :

كَمْ عَمَةٌ لَكَ يَا جَرِيرٌ وَنَحَالَةٌ

فَدَعَاءٌ قَدْ جُلِيْتُ عَلَيَّ عِشَارِي

فقلت له : ويحك ، إنَّما هو : « قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي » . فقال

لي : وهذه أيضا رواية . ومما صَحَّفَهُ أيضا قولهم في المثل : « يَا حَامِلُ اذْكُرْ
حَلَا » حَامِلُ بِالْمِيمِ . وإنَّما هو : « يَا حَابِلُ اذْكُرْ حَلَا » بِالْبَاءِ ، أَيْ يَا مَنْ
يَشُدُّ الْحَبْلَ اذْكُرْ وَقْتُ حَلِّهِ . وذاكرتُ بنوادره شَيْخَنَا أَبَا عَلِيٍّ فَرَأَيْتُهُ غَيْرَ رَاضٍ
بِهَا ، وَكَانَ يَكَادُ يَصْلِي بَنَوَادِرَ أَيْ زَيْدَ إِعْظَامَا لَهَا . وَقَالَ لِي وَقْتُ قِرَاءَتِي إِيَّاهَا
عَلَيْهِ : لَيْسَ فِيهَا حَرْفٌ إِلَّا وَتَحْتَهُ لِأَيْ زَيْدٍ غَرَضٌ مَّا . وَهُوَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّهَا
مَحْشُوءَةٌ بِالثَّكَنِ وَالْأَسْرَارِ . انْتَهَى .

ورأيت في (تذكرة أبي علي) حدثني أبو خالد عن إسحاق بن الموصلي ^(١) قال : أنشد أبو المنذر العروضي يوماً : « قد جُلِّيت على عَشَّار » فقيل له : الرواية « قد حَلَبت على عَشَّارِي » فقال : وهذا أيضاً وَجْيه . انتهى .

ووقع مثل بيت الفرزدق بيتٌ لجرير من قصيدة هجا بها خُلَيْدَ عَيْنين العبدى ، وهو :

كم عمة لك يا خليدُ وخالة

خضر نواجذها من الكَرَّاثِ ^(٢)

قال المبرِّد (في الكامل) : وإثما هجاه بالكَرَّاثِ لأنَّ قبيلة عبد القيس يسكنون البحرين ، والكَرَّاثُ من أطعمتهم ، [و] العامة [يسمونه : الرُّكْل والرُّكَّال ^(٣)] .

وبيت الفرزدق من قصيدة [عدَّتْها ^(٤)] ثمان وثلاثون بيتاً هجا بها جريراً ، مطلعها :

(يا بنَ المراغة إثمًا جاريتني

بمَسْبِقين لَدَى الفَعَالِ قصارٍ ^(٥)

(١) يعني إسحاق بن إبراهيم الموصلي . كانت حياته ما بين سنتي ١٥٥ و ٢٣٥ .

(٢) البيت لم يرد في ديوان جرير . ونعده في الكامل ٤٩٨ :

نَبَتْ بِمَنْبَتِهِ فطاب لربها

ونأت عن القيصوم والجنجاث

(٣) هذه التكملة وسابقتها من الكامل للمبرِّد ، وبدونها لا يستقيم الكلام . وانظر اللسان (ركل) .

(٤) التكملة من ش .

(٥) ط : « لَدَى الفَعَالِ » ، صوابه في ش والديوان ٤٤٨ .

والحابسين إلى العشيّ ليشرّبوا
 نُزَحَ الرُكْبَى وَدِمْنَةُ الْأَسَارِ (١)
 يَا ابْنَ الْمِرَاغَةِ كَيْفَ تَطْلُبُ دَارِمًا
 وَأَبُوكَ بَيْنَ حَمَارَةٍ وَحِمَارٍ
 لَنْ تَدْرِكُوا كَرَمِي بَلْثُومَ أَبِيكُمْ
 وَأَوَابِدِي بَتْنُحْلَ الْأَشْعَارِ (

إلى أن قال :

(قَبَحَ الْإِلَهِ بَنِي كَلِيبِ إِنَّهُمْ
 لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونَ لِحَارِ
 يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نُهَاقِ حَمِيرِهِمْ
 وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ
 مُتَرَقِّمِي لَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ
 طُلَيْتَ حَوَاجِبُهَا عَنِّيَّةَ قَارِ (٢)
 كَمْ مِنْ أَبِي لِي يَا جَرِيرُ كَأَنَّهُ
 قَمَرُ الْمَجَرَّةِ أَوْ سَرَاجُ نَهَارِ
 وَرِثَ الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
 ضَبَحُومِ الدَّسِيعَةِ كُلِّ يَوْمٍ فَخَّارِ)

(١) في ديوان الفرزدق ٤٤٨ : « ليأخذوا نزع الرُكْبَى » .

(٢) في الديوان : « مترقمى لؤم » . وقد سمع حذف النون في مثل هذا ، ومنه قراءة الحسن :

« والمقيمي الصلاة » ، بنصب « الصلاة » . وانظر حاشية الصبان على الأشموني ١ : ٨٩ .

إلى أن قال :

(كم عَمَّةٌ لكَ يا جريرٌ وخالة

فدعاء قد حلبت على عشاري

كنا نحاذر أن تُضَيِّعَ لِقَاخَنَا

وَلَهَى إِذَا سَمِعْتَ دُعَاءَ يَسَارٍ ^(١)

شَعْرَةً تَقْدُ الْفَصِيلَ بِرِجْلِهَا

فَطَارَةً لِقَوَادِمِ الْأَبْكَارِ)

وهذا آخر القصيدة .

وقوله : « لا يغدرون » إلخ ^(٢) . يقول : هم ضعفاء لا يقدرُونَ على

غدرٍ ولا على وفاء .

وعنية ، بفتح العين وكسر النون بعدها مثناة تحتية مشددة ، قال في

الصحاح : هو بول البعير يُعَقَّدُ في الشمس يُطَلَّى به الأجرب . والقار

بالقاف ، قال في الصحاح : هو الإبل ^(٣) .

وقوله : « كنا نحاذر » إلخ تُضَيِّعُ : مضارع أضع ، ولقاخنا مفعولُه

١٣٠

وهو جمع لُقُوح وهي الناقة الحلوب . قال في الصحاح : إِذَا تُنَبَّجَتِ الناقة

فهى لُقُوح شهرين أو ثلاثة ، ثم لبون بعد ذلك . وقوله : وَلَهَى ^(٤) : فاعل

(١) وهى ، رسمت ضبقا لما سيأتى في الشرح ، وفي الأصل والديوان : « ولها » .

(٢) وقوله لا يغدرون إلخ ، ساقط من ش .

(٣) في ش : « هو بول الإبل » ، وأثبت ما في ط والصحاح ، وفيه : والقار : الإبل . قال الراجز :

إِنَّا رَأَيْنَا مُلُوكًا أَغَارَا أَكْثَرَ مِنْهُ قَرَّةً وَقَارَا

(٤) رسمت في الأصل : « ولها » ، والوجه ما أثبت .

تضييع ، وهو فعلى من الوله . ويسار : اسم عبد كان يتعرض لبنات مولاة .
 وقوله : « شَعْرَة تَقْدُ الفصيل » إلخ هو من شواهد سيبويه ، أورده بعد
 قوله : كم عمة لك يا جرير البيت ، بنصب شَعْرَة على الذم . قال : زعم
 يُونس أنه سمع الفرزدق ينشده بالنصب ، جعله شتماً ، وكأنه ^(١) حين ذكر
 الحلب صار من يُخاطَب عنده عالماً بذلك . ولو ابتدأه وأجراه على الأول كان
 جائزاً عربياً . انتهى .

قال الأعلام : [الشاهد ^(٢)] فى نصب شَعْرَة وفَطْرَة على الشتم .
 والشَعْرَة : التى ترفع رجلها ضاربة للفصيل لتمنعه من الرضاع عند الحلب ،
 يقال شجر الكلب إذا رفع رجله ليبول . والوقد : أشد الضرب . والموقودة : التى
 نُهِكَّت ضرباً حتى أشرفت على الهلاك . والفطّارة : التى تحلب الفطر ، وهو
 القبض على الخلف بأطراف الأصابع لصغره . والضفّ : أن يقبض عليه
 بالكف لعظمه . والأبكار : جمع بكر ، وهى التى نتجت أول بطن .
 وقوادمها : أخلافها ، وهى أربعة : قادمان وآخران ، فسمّاها كلّها قوادم
 اتساعاً ومجازاً . وإنما وصفها بهذا الضرب من الحلب لأنه أصعبه . انتهى .
 وقال ابن خلف : الضفّ بالفاء ، ويقال الضبّ بالباء ، وهو الحلب
 بالكف كلّها ، وإنما يكون للكبار من النوق ، وأما الصغار من النوق فإنما
 تُحلب بأطراف الأصابع لصغر ضرعها ، وإنما وصف جذقها ومعرفتها
 بالحلب لأنها نشأت عليه .

وقال ابن المستوفى : أراد أنّها عالمة بالحلب ، فهى أول من فتح قوادمها .

(١) ش : « وكان » ، صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٢٥٤ .

(٢) التكملة من ش .

قالوا : لأن الأخلاف والضرور أيام الحمل تكون مسدودة بشئ كالصمغ ، فإذا ولدت الدابة عاجله الحالب حتى ينزعه من مكانه ، فيسهل خروج اللبن .

ووجدت هذا البيت في شعر الراعي من أبيات أولها :

(عوجوا المطى على ذا الأكوار

كيما أخبركم من الأخبار

أن الخلال وخنزراً ولدتهما

أم مقارفة على الأطهار^(١)

شعارة تقذ الفصيل برجلها البيت . انتهى

وقد تكلم السيد المرتضى قدس سره (في أماليه) على هذا البيت ، فلا بأس بإيراده : قال : أما قول الفرزدق شعارة تقذ الفصيل ... البيت ، فإنه من غريب شعره^(٢) . وفسره قال : معنى شعارة أنها ترفع رجلها للبول . وقوله : « تَقْذُ الفصيل » ، أى تدفعه عن الدنو إلى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب . وأراد بتقذه أى تبالغ فى إيلاجه وضربه ، ومنه الموقوذة . فأما قوله : « فطارة لقوادم الأبقار » ، فالفطر هو الحلب بثلاث أصابع . والقوادم : الأخلاف . وإنما خص الأبقار بذلك لأن صغر أخلافها يمنع من حلبها ضباً . والضب

(١) ورد باسم « الخلال » بالحاء المهملة فى شرح التيزيزى للحماسة ٤ : ٧٧ ، إذ قال عند الكلام على خنزr بن أرقم : « واسمه الخلال ، وهو أحد بنى بلr بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن ثمر » . والحق أنه غيو . وأما « خنزr » فهو خنزr بن أرقم ، كما فى شرح الراعى . وفى الأصل : « وخيزرا » تحريف . إذ أن خنزرا كان صاحب مناقضات مع الراعى ، كما فى الحماسة . وانظر ديوان الراعى ٦٧ ، ٨٩ .

(٢) فى الأصل : « فأما من غرب شعره » ، صوابه من أمالى المرتضى ١ : ٨٠ .

هو الخلب بالأصابع الأربع ، فكأنه لا يُمكن فيها ، لِقصر أخلافها ،
إلا الفَطرُ . ومعنى البيتِ تعييره لنساءِ جرير بأنَّهن راعيات ، وذلك مما تعيّر به
العربُ النساءُ . ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كم عمة لك يا جرير وخالة البيت
كنا نحاذر أن تضيع لقاحنا البيت
ثم تلا ذلك بقوله : « شَعَّارة » .

١٣١ قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وعندى أن قوله شَعَّارة كناية عن
رفع رجلها للزنى ، وهو أشبه بأن تكون مرادة في هذا الموضع . ألا ترى أنَّه قد
وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار . ويسار : اسم لراع ،
فكأنه وصفها بالوله إلى الزنى والإسراع إليه ، وترك حفظ ما استُحفظته من
اللقاح . انتهى كلامه .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت في الشاهد الثلاثين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائّة الهجان وعبيدها)

هذا صدر ، وعجزه :

(عُوداً ترجى خلفها أطفالها)

على أنَّه يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع كما هنا ، وهو جعل ضمير
المعرف باللام في التابع مثل المعرف باللام ، فإنَّ قوله « عبدها » بالجر معطوف

على المائة ، وهو مضاف إلى ما ليس فيه أل ، واغتُفِرَ هذا لكونه تابعا .
 والهيجان : كرام الإبل . والعُود : جمع عائد ، وهى الحديثة النتاج قبل
 أن توفى خمس عشرة ليلة ، ثم هى مُطفل بعده . وتزجى : تسوق ، وفاعله
 ضمير العود ، وأطفالها مفعولة . والمعنى أن هذا الممدوح يهب المائة من الإبل
 الكريمة مع أطفالها ، ويهب راعيها أيضاً .
 وقد تقدم شرح هذا مفصلاً فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

الظروف

أنشد فيه :

(إِلَّا عُلاَلَةً أَوْ بُدَا هَةَ سَابِج نَهْدَ الْجَزَارَةِ)

على أنه حذف المضاف إليه من الأول بدلالة المضاف إليه من الثاني التابع ؛ فَإِنَّ الْأَصْلَ : إِلَّا عُلاَلَةً سَابِج أَوْ بُدَاهَةَ سَابِج ، فحذف سَابِج من الأول لدلالة الثاني عليه .

وتقدّم الكلام عليه مشروحا في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ، ومَرَّ في باب الإضافة أيضاً ^(١) .

قال الفراء (في تفسيره) : ولا تنكرن أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهر ، فقد قال الشاعر :

إِلَّا بُدَاهَةَ أَوْ عُلاَلَةً سَابِج نَهْدَ الْجَزَارَةِ

وسمعت أبا ثروان العُكَلِيُّ يقول : قطع الله الغداة يدَ رجلٍ من قاله . وإنما يجوز هذا في الشيئين يصطحبان ، مثل اليد والرجل . ومثله : عندي نصفُ أو ربعُ درهم ، وجئتكَ قبلَ أو بعدَ العصر . ولا يجوز في الشيئين يتباعدان ، مثل الدار والغلام ، فلا يجوزونَ : اشتريت دارَ أو غلامَ زيد ، ولكن عبدَ أو أمةَ زيد ، وعين أو أذن زيد ^(٢) ، وما أشبهه . ا هـ .

(١) الخزانة ٤ : ٤٠٤ - ٤٠٦ .

(٢) بعده في معاني الفراء ٢ : ٣٢٢ : « ويد أو رجل » .

والعلالة بالضم : بقية جرى الفرس ، وهو منصوب لأنه استثناء منقطع . والبداهة بالضم أيضاً : أول جرى الفرس . والسابح : الفرس الذى يدحُو الأرض بيديه فى العدو . والنهد : المرتفع والعالى . والجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أن فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الأربعمئة (١) :

٤٩٣ (ونَحْنُ قَتَلْنَا الْأَزْدَ أَزْدَ شَنْوَةٍ

فَمَا شَرَبُوا بَعْدَهُ عَلَى لَذَّةِ حَمْرَا)

١٣٢ على أنه يجوز بقلة فى هذه الظروف أن يعوّض التنوين من المضاف إليه فيعرب ، كما أعرب بعداً فى البيت على الظرفية ، والكثير البناء على الضم ؛ إذ المختار عند الشارح المحقق أن المبنى على الضمّ والمنون لا فرق بينهما فى المعنى ، وأنهما مقطوعان عن الإضافة . فإن لم يبدل التنوين من المضاف إليه بنى على الضم لما ذكره ، وإن أبدل عنه كان معرباً بالنصب على الظرفية . وقد ينون المبنى على الضم فى الضرورة .

وقد روى : « فَمَا شَرَبُوا بَعْدَ » أيضاً بضميتين . فالأول معرب وهذا مبنى وكلاهما معرفة ، إذ المضموم بنية الإضافة إلى معرفة .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وإذا قطعاً ، يعنى قبل وبعد ، عن الإضافة لفظاً ونوى ما أضيف إليه وكان معرفة بُنيّاً على الضم .

ثم قال أبو حيان : وقد يتوقّف فى تعريفهما بالإضافة إلى معرفة لأنهما متوغلان (٢) فى الإبهام .

(١) شذور الذهب ١٠٥ والعينى ٣ : ٤٣٦ والتصريح ٢ : ٥٠ والمجمع ١ : ٢٠٩ ، ٢١٠

والأشعوى ٢ : ١٦٩ .

(٢) ط : « متغولان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

هذا محصّل كلام الشارح المحقق . وكون تنوين المنصوب للتعويض من المضاف إليه كتّوين بعض وكل ، هو مذهب الجماعة .

قال ابن مالك (في شرح الكافية) : وذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ قبلاً في قوله وكنت قبلاً ^(١) ، معرفةً بنية الإضافة ، إلا أنه أعرب لأنه جعل ما لحقه من التنوين عوضاً من اللفظ بالمضاف إليه ، فعومل « قبل » مع التنوين لكونه عوضاً من المضاف إليه بما يعامل به مع المضاف إليه ، كما فعل بكّل ، حين قطع عن الإضافة لحقه التنوين عوضاً .

وهذا القول عندى حسن . اهـ .

وهذا خلافُ الطريقة المشهورة ، وهو ما عليه الجمهور ، قالوا : إنَّ المتون نكرة كسائر النكرات ، وإنَّ التنوين فيها للتمكين . قال ابن مالك (في الألفية ^(٢)) :

وأعربوا نصباً إذا ما نُكِّرا
قبلاً وما مِنْ بَعْدِهِ قد دُكِّرا

قال الشاطبي في شرحه : تخصّيصُ النصب في هذه الأشياء إذا قصد تنكيرها دون الجر والرفع ، ظاهرُ التحكُّم من غير دليل ، وأمرٌ لا يساعده عليه سماع ، فإنَّ أكثر ما ذكر يدخل فيه الجر وغيره . تقول : أتيت من فوق ومن

(١) جزء من الشاهد المعروف (انظر الخزانة ١ : ٤٢٦) :

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً أغص بنقطة الماء الحميم

(٢) في باب الإضافة .

تَحْتَ . وفي بعض القراءات : ﴿لله الأمر من قبل ومن بعدي﴾^(١) ، ومن دون^(٢) ، و ﴿من دبر﴾^(٣) وما أشبه ذلك .

قال سيويه^(٤) : وسألته يعنى الخليل عن قوله ومن دون ، ومن فوق ، ومن تحت ، ومن قبل ومن بعد ، ومن دبر ومن خلف ، فقال : أجروا هذا مَجْرَى الأسماءِ المتمكنة ؛ لأنها تضاف وتستعمل غير ظرف . ثم قال : وكذلك من أمام ومن قدام ومن وراء ومن قُبْلٍ ومن دُبْرٍ . قال : وزعم الخليل أنَّهن نكرات ، كقول أى النجم .

* يَأْتِي لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأَشْمَلِ *

وزعم أنَّهنَّ نكرات إذا لم يُضَفَّن إلى معرفة ، كما يكون أَيْمَنٌ وَأَشْمَلٌ نكرة . وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه . ا هـ .

وقد رفعوا قبل ونحوه كما في قوله :

هتكت به بيوت بنى طريف

عَلَى ما كان قَبْلَ من عتابِ

انتهى ما أورده الشاطبي .

وقسِّموا هذه الظروف على أربعة أقسام :

(١) الآية ٤ من سورة الروم . وقراءة الجر مع التنوين هي قراءة أى السماك والجدردى وعون العقيلي . تفسير أى حيان ٧ : ١٦٢ .

(٢) ليس قراءة ، وإنما هو مجرد مثال لاستعمال العرب .

(٣) في الآيات ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة يوسف . وقراءة الجر مع التنوين هي قراءة الجمهور . وقرأ ابن أى إسحاق ، والطاردى ، وأبو الزناد ، ونوح ، والجارود : « من دبر » بالبناء على الضم . تفسير أى حيان .

(٤) في كتابه ٢ : ٤٦ .

ما ذكر فيه المضاف إليه نحو : قبل زيد وبعده . فهذا ينصب على
الظرفية ، ويجر بمن خاصة .

الثاني : ما حذف منه المضاف إليه ونوى ثبوت لفظه ، فهذا أيضا
يعرب كالأول ، إلا أنه لا ينون لنية الإضافة .

الثالث : ما حذف منه المضاف إليه ونوى معناه لا لفظه ، فهذا يبنى
على الضم .

الرابع : ما حذف منه المضاف إليه ولم يُنَوَ لفظه ولا معناه . فهذا
ينون ، وتنوينه للتمكين ، وهو نكرة . ١٣٣

وقد تكلم الفراء على قبل وبعده (في تفسيره) فلا بأس بنقل كلامه
تبركا . قال : قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ القراءة بالرفع من
غير تنوين ، لأنهما في المعنى يراد بهما الإضافة إلى شيء لا محالة ، فلما أذيا
عن معنى ما أضيفتا إليه وسموهما بالرفع وهما مخفوضتان ، ليكون الرفع دليلا
على ما سقط مما أضيفتهما إليه . وكذلك ما أشبههما ، كقول الشاعر :

* إِنْ تَأْتِ مِنْ تَحْتِ أَجْئُهَا مِنْ عَلٍ ^(١) *

ومثله قول الشاعر ^(٢) :

إِذَا أَنَا لَمْ أَوْمَنْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ

لِقَائِكَ إِلَّا مِنْ وَرَاءُ وَرَاءُ

(١) معاني الفراء ٢ : ٣١٩ - وفي اللسان (بعد ٦٠) :

* إِنْ يَأْتِ مِنْ تَحْتِ أَجِئُ مِنْ عَلٍ *

(٢) هو عتي بن مالك العقيلي . اللسان (وري ٢٦٩) وابن يعيش ٤ : ٨٧ . وهو من أبيات

أربعة في اللسان أولها :

أَها مدرك أن الهوى يوم عاقل دعاني ومالي أن أجيب عزاء

ترفع إذا جعلته غاية ولم تذكر بعده الذى أضفته إليه ، فإن نويت أن تظهره أو أظهرته قلت : لله الأمر من قبل ومن بعد ، كأنك ^(١) أظهرت الخفض الذى أسندت إليه قبل وبعد . وسمع الكسائى بعض بنى أسيد يقرؤها : « لله الأمر من قبل ومن بعد » بخفض قبل ويرفع بعد على ما نوى . وأنشدنى هو :

أكابدها حتى أعرس بعدما

يكون سحيراً أو بُعيداً فأهجعاً

أراد : بُعيد السحر ، فأضمه ، ولو لم يرد ضمير الإضافة لرفع فقال بُعيد . ومثله قول الشاعر ^(٢) :

فو الله ما أدري وإني لأوجل

على أينما تعدو المنية أول

رفعت أول لأنه غاية . ألا ترى أنها مسندة إلى شيء هي أوله ، كما تعرف أن (قبل) لا يكون إلا قبل شيء ، وأن (بعد) كذلك . ولو أطلقتها بالعربية فنوت وفيها معنى الإضافة فخففت في الخفض ونوت في النصب والرفع لكان صواباً . قد سُمع ذلك من العرب ، وجاء في أشعارها ، فقال بعضهم :

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً

أكاذ أعص بالماء الحميم ^(٣)

فنون . وكذلك تقول : جئتك من قبل فرأيتك . وكذلك قوله :

(١) الكلام بعد البيت السابق الى هنا ساقط من ش .

(٢) هو معن بن أوس . ديوانه ٥٧ والخزانة ٣ : ٥٠٥ بولاق .

(٣) ليزيد بن الصعق كما سبق في ١ : ٤٢٦ .

* كجلمود صَخِرَ حَطَّةَ السَّيْلِ مِنْ عِلِّ (١) *

فهذا مخفوضٌ ، وإن شئت نَوْنْتُ . وأما قول الآخر :

هتكتُ به بيوتُ بنى طريف

عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ مِنْ عِتَابِ

فَنَوْنٌ ورفع ، فإن ذلك لضرورة الشعر ، كما يضطر إليه الشاعر فينَوْنُ في

النداء المفرد ، كقوله :

قَدُمُوا إِذْ قِيلَ قَيْسٌ قَدُمُوا

وارفَعُوا المجدَ بِأَطْرَافِ الأَسَلِ (٢)

وأنشدني بعض بنى عُقَيْل :

وَنَحْنُ قَتَلْنَا الأُسْدَ أُسْدَ شَنْوَةِ

فَمَا شَرَبُوا بَعْدَ عَلَى لَذَّةِ خَمْرٍ (٣)

ولو رَدَّه إلى النصب كان وجهاً ، كما قال :

* فساغ لى الشرابُ وكنتُ قبلاً *

وكذا النداء لو رُدَّ إلى النصب إذا (٤) نَوْنُ كان وجهاً ، كما قال :

فَطِرْ خَالِدًا إِنْ كُنْتَ تَسْطِيعُ طَيْرًا

وَلَا تَقْعَنْ إِلَّا وَقْلُبُكَ حَازِرًا

(١) لامرئ القيس في معلقته . وصدّره :

• مكر مفر مدير معا •

(٢) للبيد في ديوانه ١٩٢ واللسان (قدم ٣٦٧) .

(٣) هو الشاهد الذى نحن فيه .

(٤) ط : إذ ، صوابه في ش ومعاني الفراء ٢ : ٣٢١ .

ولا تُنكرَنَّ أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهر . إلى آخر

ما نقلناه قبل هذا البيت . انتهى كلام الفراء . ١٣٤

وقد لحَّص هذا الكلام أبو إسحاق الزجاجي ^(١) (في شرح خطبة أدب الكاتب) وهو عندى بخطه ، وتاريخ كتابته سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ^(٢) ، وقال : هذا الذى اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد فى ضرورة الشعر هو مذهب أبى عمرو بن العلاء وأصحابه .

والمذهب الأول ، وهو رفعه منونا ، هو مذهب الخليل وسيبويه وأصحابه . وذلك أنَّ أباً عمرو قال : المنادى المفرد إذا اضطر الشاعرُ إلى تنوينه فسيبيله أن ينصبه ، لأنه فى موضع نصب . وإنما بنى على الضم لمضارعتة المضمر ، فإذا نَوَّن فقد زال عن البناء ، وسبيله أن يرجع إلى أصله . وقال الخليل : سبيله أن يترك مضموماً وينون . وشبَّهه بالاسم الذى لا ينصرف إذا نَوَّن فى ضرورة الشعر . ومذهب أبى عمرو أقيس ، ولولا كراهة الإطالة لذكرت ما يعتلُّ به الفريقان .

وأنشد البصريون قولَ الأحوص :

سلامُ الله يا مطرٌ عليها

وليس عليك يا مطرُ السلامُ

فالخليل وأصحابه يروونه : « يا مطرٌ » بالرفع والتنوين ، وأبو عمرو

وأصحابه يروونه « يا مطراً » ، بالنصب . قال سيبويه : وكل العرب ينشدون :

(١) صوابه « أبو القاسم » . وأما أبو إسحاق فهو كنية شيخه إبراهيم بن السرى الزجاج .

(٢) لا يتفق هذا مع ما ذكر المترجمون أن الزجاجى توفى سنة ٣٤٠ . فلعلها ٣٣٧ .

* يا عَدِيًّا لِقَلْبِكَ المِهْتَاجُ (١) *

بالنصب . انتهى .

والبيت الشاهد لم أرَ من عزاه إلى قائله . وأورده الزجاجيُّ (في شرح
تلك الخطبة) مع بيت قبله ، وهو :

(ما من أناسٍ بينَ مصرَ وعالج

وأَيِّنَ إلَّا قد تركنا لهم وثرا)

وعالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل . وأَيِّنَ بفتح الهمزة وكسرهما
وسكون الموحدة بعدها مثناة مفتوحة : موضع في اليمن ، قال أبو عبيد
البكري : هو بكسر الهمزة اسم رجل كان في الزمن القديم ، وهو الذي
تنسب إليه عدن إِيَّيْنِ من بلاد اليمن ، هكذا ذكره سيويه في الأبنية بكسر
الهمزة .

وقال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة : كيف تقول إِيْنِ بفتح الهمزة
أو بكسرهما ؟ قال : أقولهما جميعا . قال الهمداني : وهو ذو أَيْنِ بن ذى يقدم
ابن الصَّوَّار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث . قال الرائي (٢) :

واذكر به سيِّدَ الأَقْوامِ ذا يَيْنِ

من القَدَامِ وعمراً والفتى الثاني

أراد : ذا إِيْنِ . وحمير تطرح مثل هذه الألف فتقول في اذْهَبْ :
ذَهَب . اهـ .

(١) ط « بقلبك » ، صوابه في ش .

(٢) في الأصل : « الرائي » ، وأثبت ما في معجم ما استعجم ١ : ١٥٣ .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : أيّين بفتح أوله ويكسر ، ويقال ييين . وذكره سيبويه في الأمثلة بكسر الهمزة ^(١) ، ولا يعرف أهل اليمن غير الفتح ، وهو مخالف باليمن ، منه عدن ، يقال إنّه سمّى بأيّين بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن حمير بن سبأ . وقال الطبرى : عدن وأيّين : ابنا عدنان .
وأنشد الفراء :

* مامن أناس بين مصر وعالج *
البيتين .

وقال عمارة بن الحسن اليمنى : أيّين : موضع في جبل عدن . اهـ .
والوتر ، بفتح الواو وكسرها : الجناية التى يَجْنِها الرجلُ على غيره من قتل أو نهب أو سبي . والأزد ، ويقال الأسد بإبدال الزاى سينا : أبو حىّ من اليمن ، وهو أزد بن الغوث بن ثبّت بن مالك بن كهلان بن سبأ . وهم فرق : فرقة يقال لها أزد شنوءة ، وأخرى أزد عمان ، وأخرى أزد السّراة . فلما كان الأزد يجمع قبائل شتى بيّن المراد منه بقوله أزد شنوءة .

والشنوءة بالهمزة على وزن فعولة ، ومعناه التقزُّز وهو التباعد من الأذناس . تقول : رجل فيه شنوءة أى تقزُّز . قال فى الصحاح : ومنه أزد شنوءة ، وهم حىّ باليمن ينسب إليهم شنائى . قال ابن السكيت : ربّما قالوا أزد شنوءة بالتشديد غير مهموز ، وينسب إليها شنوى . قال :
نحن قريش وهم شنوءة بنا قريشا خُتم النبوه
ورواه ابن سيده (فى المحكم) ، وتبعه العيى :
« ونحن قتلنا الأسد أسد خَفِيّة »

(١) انظر سيبويه ٢ : ٣١٦ بولاق و ٤ : ٢٤٥ من نسختى .

وهذا تحريف قطعاً ، ولا يلائمه ما بعده . وخفية بفتح الحاء المعجمة وكسر الفاء : اسم موضع كثير الأسود . قال العيني : وأسد خفية بدل من الأسد ، ولم يبين هل هو بدل كل أو بدل بعض بتقدير العائد ، أى منهم ، والظاهر أنه بيان له . وبعداً ظرف لشربوا . والأصل عند الشارح المحقق بعد قتلنا إياهم ، فحذف المضاف إليه وعوض عنه التنوين .

* * *

وأنشد بعده :

(فساغ لى الشَّرابُ وكُنْتُ قبلاً أكاد أغصُّ بالماءِ الحميم)

على أن الأصل : قبل هذا ، فحذف المضاف إليه وعوض عنه التنوين . وعند الجمهور : التنوين للتمكين وهو نكرة ، فمعنى كنت قبلاً : كنت متقدماً . ومعنى فما شربوا بعداً : ما شربوا متأخراً ، ولا ينوى تقدّم ولا تأخر على شيء معين ، وإنّما المراد في هذه الحالة مطلق التقدّم والتأخر من حيث هو . وأما في حال الإضافة فالنية بهما التقدّم والتأخر على شيء بعينه . قاله الدماميني .

والبيت قد تقدّم شرحه مستوفى في الشاهد التاسع والستين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سلّمى خياشيم وفا)

على أن الأصل : وفاها ، فحذف المضاف إليه .

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين (٢) من باب

(١) الخزائن ١ : ٤٢٦ .

(٢) الخزائن ٣ : ٤٤٢ .

الاستثناء ، وبعد الشاهد الثاني والعشرين بعد الثلاثمئة من باب الإضافة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٩٤ (إِنِّي أَتَنَّى لِسَانٌ لَا أَسْرُ بِهَا

مَنْ عَلَوَ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ)

على أَنَّهُ روى (علو) مثلث الواو .

قال صاحب الصحاح : وعلو بتثنيث الواو : أى أتانى خبرٌ من أعلى نجد . وقال أبو عبيدة : أراد العالية . وقال ثعلب : أى من أعالي البلاد . وأثَّ اللسان لأنه بمعنى الرسالة هنا ، لأنَّ الشاعر كان أثاره خبرٌ قتل أخيه المنتشر . والسَّخَرُ بفتحيتين وبضميتين : الاستهزاء . يقول : لا عَجَبٌ من هذه الرسالة وإن كانت عظيمة ، لأنَّ مصائب الدنيا كثيرة ، ولا سَخَرُ بالموت . وقيل : معناه لا أقول ذلك سخرية .

والبيت مطلع قصيدةٍ لأعشى باهلة ، رثى بها أخاه المنتشر بن وهب الباهلي . وقد شرحنا القصيدة برمتها وما يتعلق بها على سبيل الاستقصاء في الشاهد السابع والعشرين من أوائل الكتاب ^(٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س ^(٣) :

(١) نوادر أوى زيد ٣٧ وابن يعيش ٤ : ٩٠ وجمهرة القرشي ١٣٦ والأصمعيات ٨٨ .

(٢) الخزائن ١ : ١٨٥ .

(٣) في كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٨ والمجمع ٢ : ٥١ .

٤٩٥ (بَايَةٌ يُقَدِّمُونَ الْخَيْلَ شُعْثًا

كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا)

١٣٦ على أَنَّ آيَةَ تضاف في الأغلب إلى الفعلية مصدرة بحرف المصدر ،
ومن غير الأغلب أن تضاف إليها بدون كهذا البيت .

وهذا خلاف مذهب سيوييه ، فَإِنَّ آيَةَ عنده لا تضاف إلى الفعلية
إِلَّا بدون حرف المصدر . وهذا نصُّه : وما يضاف إلى الفعل أيضا آيَةُ ؛ قال
الأعشى :

* بَايَةٌ يَقْدِمُونَ الْخَيْلَ شُعْثًا * البيت

وقال يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ :

أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي تَمِيمًا بَايَةٌ مَا يَحْبُونُ الطَّعَامَا

فما لغو . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أَنَّ آيَةَ إِنَّمَا تضاف إلى مفرد نحو : ﴿ إِنَّ آيَةَ
مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ^(١) ﴾ ، وقال : الأصل بَايَةٌ ما تقدمون ، أى بَايَةَ
إقدامكم ، كما قال :

* بَايَةٌ مَا يَحْبُونُ الطَّعَامَا *

ويؤخذ من تقريره أَنَّ يُقَدِّمُونَ بالخطاب ، والمشهور أَنَّهُ بالغيبة ، وعليه
المعنى .

قال ابن هشام (في المغنى) : فيه حذف موصول حرفي غير أن بقاء صلته . ثم هو غير متأت في قوله :

« يَايَـة مَا كَانُوا ضَعَا فَا وَلَا عَزَلَا » (١) .

وتكلف اللّاميني فقال : بل هو متأت بأن تكون ما مصدرية ، ولا النافية محذوفة للدلالة ما بعدها عليها ، والمعنى بآية كونهم لا ضعافا ولا عزلا .

ثم قال ابن هشام : ومذهب سيويه أن آية مما يضاف جوازاً إلى الجملة الفعلية المتصرف فعلها ، سواء كان مثبتا كالبيت الشاهد ، أو منفيما بما كقولها :

« بآية مَا كَانُوا ضَعَا فَا وَلَا عَزَلَا » انتهى .

وكذا قال صاحب المفصل إن آية مما يضاف إلى الفعل . قال النحاس : قال أبو إسحاق : لأن معنى آية علامة من الزمان ، وأضيف الفعل إلى الزمان ، لأن الفعل من أجل الزمان ذكر . وكان أبو إسحاق يرى أنه حكاية . وقال غيره : المراد المصدر . وقال المبرد في إضافة آية إلى الفعل : إنه بعيد ، وجاز على بعده للزوم الإضافة ، لأن آية لا تكاد تفرد إذا أردت بها العلامة . انتهى .

وفيه أن أكثر ما وجدت في القرآن بهذا المعنى مفردة عن الإضافة ، قال تعالى : ﴿ وَآيَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ (٢) ﴾ ، ﴿ وَآيَةُ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ (٣) ﴾ .

(١) لعمر بن شأس . وهو من شواهد سيويه ١ : ١٠١ و صدره :

« أَلَيْكُنِي إِلَى قَوْمِي السَّلَامُ رَسَالَةٌ »

(٢) الآية ٣٧ من سورة يس .

(٣) الآية ٤١ من سورة يس .

وقال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يقدمون على تأويل المصدر ،
أى بآية إقدامهم الخيل . يريد أن المعنى عليه ، لأنَّ الفعل مؤوَّل بحرف مصدر
مقدَّر ، إذ الفرض أنَّه مضاف إلى الجملة من دون سابق .

ثم قال الأعلم : وجاز هذا فيها لأنها اسمٌ من أسماء الفعل ، لأنها بمعنى
علامة ، والعلامة من العَلَم ، وأسماء الأفعال تضارع الزمان ، فمن حيث جاز
أن يضاف الزمان إلى الفعل جاز هذا فى آية ، وكأنَّ إضافتها على تأويل إقامتها
مقام الوقت ، كأنه قال : بعلامة وقتٍ يقدمون . يقول : أبلغهم عنى كذا
بعلامة إقدامهم الخيل للقاءٍ شعثاً متغيِّرة من السَّفر والجَّهْد . وشبه ما ينصبُّ
من عرقها ممتزجاً بالدم على سنابكها بالخمير . والسنابك : جمع سنبك ، وهو
مقدم الحافر . انتهى .

أراد أن ذلك لمَّا صار عادةً وأمرًا لازماً صار علامة . وكأنَّ الشاعر لمَّا
حَمَلَ إنساناً أن يبلغ قوماً رسالته قال له ذلك الانسان : بأى علامة يُعرف
هؤلاء القوم ؟ فقال : بعلامة تقديمهم الخيل إلى الحرب . أى إذا رأيت قوماً
بهذه الصفة فأبلغ رسالتى . والشُّعث : جمع أشعث ، وهو المغبرُّ الرأس . قال
الدامينى (فى الحاشية الهندية) : ضمير يقدمون ضمير غيبة يعود على تميم
المذكورين قبله ، وهو :

ألا من مبلغٌ عنى تميما بآية ما يحبون الطَّعاما ١٣٧

وهذا لا يصحُّ ؛ فإنَّ كل بيت منهما من شعرٍ آخر ، وليساً من قصيدةٍ
لقائل واحد .

والبيت الشاهد لم أره منسوباً إلى الأعشى إلا فى كتاب سيبويه ، وفى
غيره غير منسوب إلى أحد . والله أعلم به .

وقد تكلم على معنى الآية أبو القاسم على بن حمزة البصري اللغوي ،
 فيما كتبه على إصلاح المنطق لأبي يوسف بن السكيت (من كتاب التنبيهات
 على أغلاط الرواة) قال أبو يوسف : وقد تأيَّته : تعمَّدت آيته أى شخصه .
 وحكى لنا أبو عمرو : يقال خرج القوم بآيتهم ، أى بجماعتهم ^(١) ، أى لم
 يَدْعُوا وراءهم شيئاً . وأنشدنا البرج بن مُسَهِر :
 خرجنا من النعتين لا حىً مثلنا بآيتنا نَرْجى اللقاحَ المطافلا ^(٢)

قال : ومعنى آية من كتاب الله أى جماعة حروفه . قال أبو القاسم :
 قد أفسد أبو يوسف صحيح قوله الأول بقول أبى عمرو فى معنى الآية من
 كتاب الله ، وإنما الآية العلامة لا جماعة حروف . وكذلك قال ابن دريد :
 والآية من القرآن الكريم كأنَّها علامةٌ لشيء ، ثم يخرج منها إلى غيرها .
 وكذلك قال فى بيت البرج ، أى خرجوا بجماعتهم وبما يستدلُّ به عليهم من
 متاعِهِمْ . ويقال هذه آية كذا ، أى علامة كذا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ
 بكل ربيع آيةً تَعْبَثُونَ ^(٣) ﴾ ، أى أُمَرَةً وعلامة ، ومنه قول الشاعر :
 بآية يُقَدِّمون الخيل زوراً تُسَنُّ على سَنابكها القُروُنُ
 وقال آخر :

بآية يُقَدِّمون الخيلَ زوراً كأنَّ على سَنابكها مُداما

وقال آخر :

ألا أبلغُ لَدَيْكَ بنى تميم بآية ما يُحْبُونُ الطعاما

(١) الكلام من هنا إلى « بجماعتهم » التالية ساقط ش .

(٢) فى التنبيهات ٣٠٨ : « من النعتين » ، وهو الأشبه .

(٣) الآية ١٢٨ من الشعراء .

وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ^(١) ﴾ ، قالوا : علامة أعلم بها وقوع ما بُشِّرْتُ به .

وكذلك قالوا في قوله سبحانه : ﴿ قَالَ آيُتِكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ^(٢) ﴾ أى تُمنع الكلام وأنت سَوَى ، فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد . فكان ذلك من فعل الله به علامة دالة على صحة ما بشره به من أمر يحبى عليه السلام .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ^(٣) ﴾ قال المفسرون : كانت في قلب العصا آية دالة على وحدانية الله تعالى . ثم أمره بضم يده وأعلمه أنها ^(٤) تخرج [بيضاء ^(٥)] من غير برص ، وأن تلك آية أخرى دالة على ما ذُكِرَ عليه الآية الأخرى ^(٦) .

فأصل الآية العلامة ، فكان الآية من كتاب الله علامة يفضى منها إلى غيرها ، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية . قال الشاعر :

* إِذَا مَضَى عِلْمٌ مِنْهَا بَدَأَ عِلْمٌ ^(٧) *

ولما كانت الآية هي العلامة الدالة عَلَى الشَّيْءِ سَمَّوْا شَخْصَ الشَّيْءِ آيَةً ، وقالوا : تَأْيِيته عَلَى وزن تفاعلته ، إِذَا تَعَمَّدَتْ آيَتَهُ . وكذلك آيات الله

(١) الآية ٤١ من آل عمران .

(٢) من الآية السابقة .

(٣) الآية ٢٢ من طه .

(٤) ط : « أنه » صوابه في ش والتنبيهات ٣١٠ .

(٥) التكملة من التنبيهات .

(٦) في التنبيهات : « الأولى » .

(٧) وكذا في التنبيهات ٣١٠ . والمعروف أن من شواهدهم قول جرير :

« إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ »

التي ضربها لعباده أمثالا ، فقال عز من قائل : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ ^(١) . وقال سبحانه : ﴿ وانظر إلى حمرك ولنجعلك آية للناس ﴾ ^(٢) . وقال عز وجل : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ ^(٣) . وقال تقدست أسماؤه : ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ ^(٤) . في أمثال هذه الآيات . وكلها بمعنى الدلائل والعلامات الدالة على صنع اللطيف الخبير . ولا وجه لما قاله من جماعة الحروف . وإن قاله غيره ، فهو قول غير مقبول ^(٥) . انتهى ما ساقه أبو القاسم .

وقد اختلف في أصلها على ستة أقوال :

أحدها : أن أصلها أئمة كقصة ، فالقياس في إعلاها آية ، فتصح العين وتعمل اللام ، ولكن عكسوا شذوذا فاعلوا الياء الأولى لتحركها وانفتاح ما قبلها دون الثانية . وهذا قول الخليل .

الثاني : أن أصلها أئمة بسكون العين كحية فأعلت بقلب الياء الأولى اكتفاء بشطر العلة وهو فتح ما قبلها فقط دون تحركها . قاله الفراء ، وعزى لسيبويه ، واختاره ابن مالك . وقال : إنه أسهل الوجوه ، لكونه ليس فيه إلا الاجتزاء بشطر العلة . وإذا كانوا قد عولوا عليه فيما لم يجتمع فيه ياءان نحو طائي ^(٦) ، وسمع : اللهم تقبل تابتي وصامتي ^(٧) ، ففيما اجتمع فيه ياءان أولى لأنه أثقل .

(١) الآية ٢٥ من الروم .

(٢) الآية ٢٥٩ من البقرة .

(٣) الآية ١٨ من النجم .

(٤) الآية ٢٣ من طه .

(٥) في التنبهات : « ولا أعلم أن أحدا قاله سواه ، فإن كان قاله غيره فهو قول غير

مقبول » .

(٦) هذا هو المسموع في النسبة إلى طيء ، وقياسه : طيء . وانظر اللسان .

(٧) أي توبني وصومتي . وأنشد في اللسان .

تبت إليك فتقبل تابتي وصمت ربي فتقبل صامتي

الثالث : أنَّ أصلها آيَّة كضاربة ، حذفت العين استثقلاً لتوالى ياءين أولاًهما مكسورة ، ولذلك كانت أولى بالحذف من الثانية . قال الكسائي : وردَّ بأنه كان يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة في قولهم : آى .
الرابع : أنَّ أصلها آيَّة بضم الياء الأولى كسُمرة ، فقلبت العين ألفاً . وردَّ بأنه كان يجب قلب الضمة كسرة .

الخامس : أنَّ أصلها آيَّة بكسر الياء الأولى كنبقة ، فقلبت الياء الأولى ألفاً . وردَّ بأن ما كان كذلك يجوز فيه الفك والإدغام ، كحَيِّ وحَي .
السادس : أنَّ أصلها آيَّة كقصبة كالأول ، إلاَّ أنَّه أعلت الثانية على القياس ، فصار آياة كحياة ونواة ، ثم قدمت اللام إلى موضع العين ، فوزنها فلعة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٦) :

٤٩٦ (ألا مَنْ مبلغٌ عَنِّي تميماً بآية ما يحبون الطعاما)

على أن (آية) تضاف في الأغلب إلى الفعلية مصدرة بحرف المصدر ، كما في البيت ، فإنَّ ما مصدريةٌ تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بإضافة آية إليه .

وهذا خلاف مذهب سيبويه : فإنَّ « ما » عنده زائدة ، وآية مضافة إلى الفعل ، ولا تأويل بمصدر صناعة . قال النحاس : ما عند سيبويه لغو . وقال المبرد : ما والفعل مصدر . وأنكر ما قاله سيبويه .

وقال ابن هشام (في المغنى) في حذف ما المصدرية من الباب الخامس : « الصواب أن ما مصدرية » . وهذا يشعر أن مذهب سيويه خطأ . وليس هذا بصواب ، فكان اللائق أن يقول « والصحيح » ، أو يقول : « وعندى » ، أو « وعند غيره » .

قال الأعلام : الشاهد فيه إضافة آية إلى يخبون ، وما زائدة للتوكيد . ويجوز أن تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر ، كإضافتها إلى سائر الأسماء . انتهى .

ومفعول مبلّغ محذوف ، أى رسالة ، كأنه لما قال : من مبلّغ تميما عنى رسالة قيل له : بأى علامة يعرفون ؟ فقال : بعلامة حبهم الطعام وحرصهم عليه . يريد : إذا رأيت قوماً يحبّون الطعام فاعلم أنهم تميم ، فبلّغهم رسالتى . وقول الزمخشري (في شرح أبيات سيويه) : ما زائدة ، أى بعلامة ١٣٩ مَحَبَّتكم الطعام ، يُشعر أن تحبّون بالخطاب . وليس كذلك ، وإنما هو بالغيبة .

وروى صدره المبرد (في الكامل) :

ألا أبلغ لذيكَ بنى تميم بآية ما يحبّون الطّعاما (١)

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) هذا من الغلط ، إنَّما الرواية :

« بآية ما بهم حبُّ الطعام »

وبعده :

(أجازتها أُسيّد ثم أودت . بذات الضّرْع منها والسّنَام)

وليس أبو العباس المبرد بأوّل مَنْ غلط فيه من النحويين . انتهى .
وعليه لا شاهد فيه . وهذا يؤيد قول سيبويه ، فإنّ ما موصولة وحُبّ
الطعام مبتدأ والظرف قبله خبره ، والجملة صلة الموصول .

و (في شرح شواهد المغنى للسيوطي) : قال أبو محمد السيرافي : وفي
شعره ، يعنى يزيد بن عمرو بن الصعق :

ألا أبلغ لديك بنى تميم بآية ذكرهم حُبّ الطعام
أجارؤها أسيّد ثم غارت بذات الضّرْع منه والسّنام

وسببه أن بنى عوف بن عمرو بن كلاب جاوروا بنى أسيّد بن عمرو
ابن تميم ، فأجلّوهم عن مواضعهم ، فقال يزيد هذا الشعر .

و (في أيام العرب لأبي عبيدة) : نزل يزيد بن الصعق قريباً من بنى
أسيّد بن عمرو بن تميم ، واستجارهم لإبله ، فأجاروه ، ثم أغار عليه ناسٌ منهم
فذهبوا بها ، فقال يزيد هذين البيتين . انتهى .

وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه ، وحُبّ منصوب بنزع الخافض ،
أى بآية ما يُذكرون بحُبّ الطعام .

وقول السيرافي : « وفي شعره » ، يوهم أنّ هذا الشعر غير البيت
الشاهد ، وليس كذلك ؛ فإنّ الشعر واحد والقافية مجرورة .

وقد ردّ عليه أوس بن غلفاء الهُجيمي من قصيدة :
فإنّك من هجاء بنى تميم كمزداد الغرام إلى الغرام^(١)

هُمْ تَرَكَوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ
وَهُمْ ضَرَبُوكَ أُمَّ الرُّأْسِ حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الشُّوْنِ مِنَ الْعِظَامِ
إِذَا يَأْسُونَهَا جَشَّاتُ إِلَيْهِمْ شَرَبَتْهُ الْقَوَائِمُ أُمَّ هَامٍ

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : الذى ضرب يزيد على رأسه الحارث بن حصبة ، أو طارق بن حصبة - الشك من أى عبيدة - ضربه يوم ذى تَجَب (١) وأسرهُ ، فقال تميم لابن أبى جُويرية التميمي ، وكان نطاسيًا ، أى طيبيا : انظُرْ إليه فإن كنت ترجوه لن نطلقه (٢) حتى يعطينا الرضا فى فدائه . فإن خفت عليه قنعنا منه بأدنى شئ . فأعطاه يزيد شيئاً على أن يخبره بأنه يخاف عليه ، فأخذوا منه شيئاً يسيراً وأطلقوه . إنتهى .

وقوله : « أجارَئها أسيد ثم أودت » إلخ أجاره : التزم له ذمة المجاورة . والمضمير للإبل . و « أودت بذات الضرع » : أى أهلكتها . وروى بدله : « غارت » : أى أتت العُور بها . وإنما جعل حب الطعام آية لبنى تميم يعرفون به لما كان من أمرهم فى تحريق عمرو بن هند إياهم ، ووفود البرجمي عليه لما شَم رائحة المحرقين ، فظنهم طعاماً يُصنع ، فقذِف به إلى النار .

١٤٠

قال المبرد (فى الكامل) . وكان سبب ذلك أن أسعد بن المنذر ، أخا عمرو بن هند ، كان مسترضعاً فى بنى دارم فى جَبْر حاجب بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وانصرف ذات يوم من صيدٍ وبه نبيذ ،

(١) فى النسختين : « جَب » ، صوابه بالنون ، كم فى معجم البلدان (نجب) . وانظر الميداني ٢ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٦ . وفى الميداني : « بتحريك النون والهم مفتوحهما : يوم لبنى تميم على عامر بن صعصعة . »

(٢) كذا فى النسختين . والوجه : « فلن نطلقه » .

فَعِبْتُ كَمَا تَعَبْتُ الْمَلُوكَ ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي دَارِمَ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَمْرُو بْنُ مَلْقُطٍ الطَّائِي لِعَمْرُو بْنِ هَنْدٍ :

فَأَقْتُلْ زُرَّارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارِهِ
فَغَزَاهُمْ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ فَقَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ ، وَيَوْمَ أُورَةَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعَشَى :

وَتَكُونُ فِي الشَّرَفِ الْمَوَا زِي مِنْقَرًا وَبَنِي زُرَّارِهِ
أَبْنَاءُ قَوْمٍ قُتِلُوا يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ وَالْأَوَّارِهِ

ثُمَّ أَقْسَمَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ لِيَحْرِقَنَّ مِنْهُمْ مَائَةً ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَ مُحَرِّقًا ، فَأَخَذَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَجُلًا فَقَذَفَهُمْ فِي النَّارِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَبْرُقَ قِسْمَهُ بِعَجُوزٍ مِنْهُمْ لِتَكْمُلَ الْعِدَّةُ ^(١) ، فَلَمَّا أَمَرَ بِهَا قَالَتِ الْعَجُوزُ : أَلَا فَتَى يَفِدَى هَذِهِ الْعَجُوزَ بِنَفْسِهِ ! ثُمَّ قَالَتْ : « هِيَهَاتَ ، صَارَتِ الْفِتْيَانُ حُمَمًا ! » . وَمَرَّ وَافِدٌ لِلْبَرَّاجِمِ ^(٢) فَاشْتَمَّ رَائِحَةَ اللَّحْمِ ، فَظَنَّ أَنَّ الْمَلِكَ يَتَّخِذُ طَعَامًا فَعَرَّجَ عَلَيْهِ ، فَأَتَتْهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَيْبَتُ اللَّعْنِ ، أَنَا وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ . فَقَالَ عَمْرُو : « إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ » ! ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُذِفَ فِي النَّارِ . فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ يُعِيرُ الْفَرَزْدَقَ :

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَارَ عَمْرٍو حُرِّقُوا أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فَيْكُمُ الْمُسْتَرْضَعُ
وَقَالَ الطَّرْمَاحُ :

وِدَارْمُ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمْ مَائَةً
فِي جَا حِمِ النَّارِ إِذْ يَنْزُونَ بِالْجَدَدِ
يَنْزُونَ بِالْمُسْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا
عَمْرُو ، وَلَوْلَا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقِدْ

(١) فِي الْكَامِلِ : « لَطْمَعٌ » .

(٢) فِي الْكَامِلِ : « وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ » .

ولذلك عُيِّرَت بنو تميم بحبِّ الطعام ، يُعْنَى كطمع ^(١) البرُّجُمَى في الأكل . قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، أحد بني عمرو بن كلاب :
 ألا أبلغُ لديك بني تميم بآية ما يحبُّون الطَّعاما
 وقال آخر ^(٢) :

إذا ما مات مَيِّتٌ من تميم فسركَ أن يعيشَ فيجىءُ بزادٍ
 بخبزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ أو الشَّيء المَلْفَفُ في البِجادِ
 تراه ينقُبُ البطحاءَ حولاً ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادٍ
 انتهى ما أورده المبرد .

قال ابن رشيقي (في العمدة) : زعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرقهم فقد أخطأ ، فذكر له شعرُ الطَّرَمَاح فقال : لا علم له بهذا . واستشهد بقول جرير :

أين الذين بسيفِ عمرو قُتِلوا
 أم أين أسعدُ فيكم المسترضعُ . انتهى

وهذه الرواية للبيت غير رواية المبرد .

وروى صاحب الأغاني خير هذا اليوم بسنده إلى هشام بن الكلبي عن أبيه وغيره من أشياخ طيِّء ، بأبسط من رواية المبرد ، مع مخالفة ^(٣) قال : ١٤١

(١) في الكامل ٩٨ : « لطمع » .

(٢) في حواشي الكامل : « ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبي مهوش الفقعسي . وذكر دعبل أنه لأبي الهَوَس الأَسَدِي » .

(٣) الأغاني ١٩ : ١٢٧ .

يوم أورة

كان من حديث يوم أورة أَنَّ عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند ، كان يُعرف بأُمّه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حجر آكل المرار الكندي ، وهو الذي يقال له مضطّرّ الحجارة - أنه كان عاقد هذا الحَيّ من طَيّء على أن لا يُنازعوا ولا يفاخروا ولا يُغيروا .

وَأَنَّ عمرو بن هند غزا اليمامة فرجع مُنفضاً فمَرَّ بطَيّء ، فقال له زُرارة ابن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي : أَيَيْتَ اللَّعْن ، أَصَبَّ مِنْ هَذَا الْحَيِّ شَيْئاً . قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ إِنَّ لَهُمْ عَقْداً . قَالَ : وَإِنْ كَانَ . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَصَابَ مَالاً وَنِسْوةً وَأَزْوَاداً ، فَذَمَّهُ قَيْسُ بْنُ جِرَّةِ الطَّائِي بِقَصِيدَةٍ عَلَى نَقْضِ عَهْدِهِ ، فَبَلَغَتْ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ فَغَزَا طَيِّئاً . فَأَسْرَ أُسْرَى مِنْ طَيِّءٍ ، وَهُمْ رَهْطُ حَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَفِيهِمْ قَيْسُ بْنُ جَحْدَرٍ ، وَهُوَ جَدُّ الطَّرِمَاحِ بْنِ حَكِيمٍ ، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ حَاتِمٍ ، فَوَفَدَ حَاتِمٌ إِلَى عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ فَوَهَبَهُمْ لَهُ .

ثُمَّ إِنَّ الْمَنْذَرَ بْنَ مَاءِ السَّمَاءِ وَضَعَ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا ، وَيُقَالُ بَلْ كَانَ أَخَاهُ صَغِيرًا ^(١) يُقَالُ لَهُ مَالِكٌ عِنْدَ زُرَّارَةٍ ، وَإِنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ يَتَصَيَّدُ فَأَخْفَقَ وَلَمْ يَصْبُ شَيْئًا ، فَمَرَّ بِأَبْلِ لِرَجْلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ يُقَالُ لَهُ سُويْدٌ . وَكَانَتْ عِنْدَ سُويْدِ ابْنَةِ زُرَّارَةَ بْنِ عُدَسٍ ، فَوُلِدَتْ لَهُ سَبْعَةُ غِلْمَةٍ ، فَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ الْمَنْذَرِ بِنَاقَةٍ سَمِيَّةٍ مِنْهَا فَنَحَرَهَا ثُمَّ اشْتَوَى ، وَسُويْدٌ نَائِمٌ ، فَلَمَّا انْتَبَهَ شَدَّ عَلَى مَالِكٍ بَعْضًا فَضَرِبَهُ فَأَمَّهُ ^(٢) . وَمَاتَ الْغُلَامُ ، وَخَرَجَ سُويْدٌ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِمَكَّةَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ ، فَحَالَفَ بَنِي نُوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فَاخْتَطَّ بِمَكَّةَ ، وَكَانَتْ طَيِّئٌ تَطْلُبُ عَثْرَاتِ زُرَّارَةَ وَبَنِي أَبِيهِ حَتَّى بَلَغَهُمْ مَا صَنَعُوا بِأَخِي الْمَلِكِ ، فَأَنْشَأَ عَمْرُو بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ مِلْقَطِ الطَّائِي يَقُولُ :

(١) فِي الْأَعْيَانِ : « وَيُقَالُ بَلْ كَانَ أَخَاهُ لَهُ صَغِيرًا » .

(٢) أُمُّهُ يَوْمُهُ : أَصَابَ أُمَّ رَأْسِهِ ، وَهِيَ الدِّمَاغُ .

مَنْ مَبْلُغٌ عَمْرًا بَأْ نَ الْمَرْءَ لَمْ يُخْلَقْ صُبَارُهُ
وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ لَا يَبْقَى لَهَا إِلَّا الْحِجَارُهُ
أَنَّ ابْنَ عِجْزَةِ أُمِّهِ بِالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أَوَارِهِ
تَسْفَى الرِّيَّاحُ خِلَالَ كَشْدِ حَيِّهِ وَقَدْ سَلَبُوا إِزَارَهُ
فَاقْتُلْ زُرَّارَةً ، لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارِهِ

وَالصُّبَّارَةُ بِالضَّمِّ : الْحِجَارَةُ ، وَقِيلَ بِالْفَتْحِ جَمْعُ صَبَّارٍ ، وَانْهَاءُ لَجْمَعِ الْجَمْعِ ، لِأَنَّ الصُّبَّارَ جَمْعَ صَبْرَةٍ بِالْفَتْحِ ، وَهِيَ حِجَارَةٌ شَدِيدَةٌ . كَذَا فِي الصَّحَاحِ . وَأَوَارَةُ بِالضَّمِّ : اسْمُ مَاءٍ وَإِلَيْهِ نَسَبُ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَالْعِجْزَةُ بِالْكَسْرِ : آخِرُ وَلَدِ الرَّجُلِ ، عَنَى بِهِ أَخَاهُ . وَيُقَالُ لِأَوَّلِ وَلَدِ الرَّجُلِ : زُكْمَةٌ بِالضَّمِّ .

فَلَمَّا بَلَغَ الشَّعْرُ عَمْرَوَ بْنَ هِنْدَ بَكَى حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَبَلَغَ الْخَبَرَ زُرَّارَةَ فَهَرَبَ ، وَرَكِبَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ فِي طَلْبِهِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حُبْلَى وَقَالَ : مَا فَعَلَ زُرَّارَةُ الْعَادِرُ الْفَاجِرُ ؟ قَالَتْ : إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ الطَّيِّبَ الْعَرَقُ ^(١) ، السَّمِينُ الْمَرْقُ ، يَأْكُلُ مَا وَجَدَ ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا فَقَدَ ؛ لَا يَنَامُ لَيْلَةً يَخَافُ ، وَلَا يَشْبَعُ لَيْلَةً يُضَافُ ! فَبَقَرَ بَطْنَهَا ، فَقَالَ قَوْمُ زُرَّارَةَ لَزُرَّارَةَ : وَاللَّهِ مَا قَتَلْتَ أَخَاهُ ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَاصْدُقْهُ الْخَبَرَ . فَأَتَاهُ زُرَّارَةُ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَقَالَ : جِئْنِي بِسُوَيْدٍ . فَقَالَ : قَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ . فَقَالَ : عَلَيَّ بَنِيهِ . فَأَتَاهُ بَيْنِيهِ السَّبْعَةُ وَهُمْ غِلْمَةٌ ، فَتَنَاولُوا أَحَدَهُمْ فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ ، وَتَعَلَّقَ بِزُرَّارَةَ الْآخَرُونَ ، فَتَنَاولُوهُمْ وَقَتَلُوا ، وَآلَى عَمْرُو بْنُ هِنْدَ لِيَحْرِقَنَّ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ مِائَةَ رَجُلٍ ، فَخَرَجَ يَرِيدُهُمْ ، وَبَعَثَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ عَمْرُو بْنُ مِلْقِطِ الطَّائِي ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ ١٤٢ ثَمَانِيَةً وَتَسْعِينَ رَجُلًا بِأَسْفَلِ أَوَارَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ فَحَبَسَهُمْ ، وَلَحَقَهُ عَمْرُو بْنُ

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « قَالَتْ مَا عَلِمْتُ مَكَانًا لَطِيبَ الْعَرَقِ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْأَغَانِي ١٩ : ١٢٩ .

هند حتى انتهى إلى أواره ، فأمر لهم بأحدود ثم أضرمه ناراً ، وقذف بهم فيها فاحترقوا ، وأقبل راكب من البراجم - وهم بطن من بنى حنظلة - عند المساء لا يدرى بشيء مما كان فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ فقال : حب الطعام ، قد أقوى ثلاثاً لم أذق طعاماً ، فلما سطع الدخان ظننته دخان طعام . فقال له عمرو : ممن أنت ؟ قال : من البراجم . فقال عمرو : « إن الشقى وافد البراجم » ، فذهبت مثلاً . ورمى به في النار . فهجت العرب تميماً بذلك ، فقال ابن الصِّعق العامري :

ألا أبلغ لديك بنى تميم بآية ما يحبون الطعاما

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقليل له : أبيت اللعن ، لو تحللت بامرأة منهم ! فدعا بامرأة منهم فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا الحمراء ابنة ضمرة بن قطن بن نهشل . فقال : إني لأظنك أعجمية . فقالت : ما أنا بأعجمية ، ولا ولدتي العجم :

إني لبنت ضمرة بن جابر

ساداً معدداً كابراً عن كابر

إني لأخت ضمرة بن ضمره

إذا البلاد لفعت بغمرة (٢)

فقال عمرو : والله لولا مخافة أن تلدى مثلك لصرفتك عن النار ! قالت : أما والذي أسأله أن يضع وسادك ، ويخفض عمادك ، ويسلبك ملكك (٣) ، ويقرب هلكك ، ما أبالي ما صنعت ! فقال : اقدفوها في النار :

(١) ط : « راكب البراجم » ، وأثبت ما في ش والأغاني . وهو الموافق لما في كتب الأمثال .

(٢) في الأغاني : « بجمره » .

(٣) بعده في الأغاني : « ما قتلت إلا نساء أعاليهن ندى ، وأسافلهن دمي » . قال : اقدفوها في

النار . « الندى : جمع ندى . والدمى : جمع دم .

فأحرقت . انتهى ما أورده صاحب الأغاني مختصراً .

تتمة

قال ابن قتيبة (في خطبة أدب الكاتب) : مازح معاوية بن أنى سفيان الأحنف بن قيس ، فما رُئي مازحان أوقرَ منهما ، فقال له : يا أحنف ما الشيءُ الملفف في البجاد ؟ فقال : السخينة يا أمير المؤمنين .

أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات ميتٌ من تميم

فسرك أن يعيشَ فجىءَ بزادٍ

بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ

أو الشيء الملفف في البجادِ

تراه يُطوَّف الآفاقَ حرصاً

ليأكل رأسَ لقمانَ بنِ عادٍ

والملفف في البجاد : وطب اللبن . وأراد الأحنف أن قريشا كانت تعير بأكل السخينة ، وهي حساء من دقيق يُتخذ عند غلاء السعر وعجف المال ، وكلب الزمان . انتهى .

قال ابن السِّيد في شرحه : هذا الشعر ليزيد بن عمرو بن الصِّعق ، وذكر الجاحظ أنه لأبي المهوش الأسدي . والذي اقتضى ذكر الشيء الملفف في البجاد وذكر السخينة في هذه الممازحة ، أن معاوية كان قرشياً ، وكانت قريش تُعير بأكل السخينة . وكان السبب في ذلك أن النبي ﷺ لما بُعث

فيهم فكفروا به دعا الله عليهم ، وقال : « اللهم اشُدُّ وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنينَ كسني يوسف ! » . فأجدبوا سبعَ سنين ، فكانوا يأكلون الورَّ بالدم ويسمونه العلهز . وكان أكثر قريش إذ ذاك يأكلون السخينة ، فكانت قريش تلقب سخينة ؛ ولذلك يقول حسان :

زَعَمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا ١٤٣

وَلْيَغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ

وذكر أبو عبيدة أنَّ قريشا كانت تُلقب سخينة لأكلهم السُّخن ^(١) ، وأنه لقب لزمهم قبل مبعث النبي ﷺ .

ويدل على صحة ما ذكر قول خدش بن زهير ، ولم يدرك الإسلام :
يا شَدَّةَ ماشدِّدنا غيرَ كاذبةٍ

على سَخِينَةٍ لولا الليلُ والحرمُ

وأما الأحنف بن قيس فإنه كان تميميا ، وكانت تميم تعيرُ حُبَّ الطعام وشَدَّةَ الشَّرَّةِ ، وكانَ السبب الذي جرَّ ذلك أن أسعد بن المنذر ، أخا عمرو ابن هند ، كان مسترضعاً في بني دارم . إلى آخر ما رواه المبرد (في الكامل) .
وقال السُّهيلي (في الرُّوض الأنف) : قول كعب :

* جاءت سخينة كي تغالبَ ربَّها * البيت

كان هذا الاسم ممَّا سُميت به قريش قديماً . ذكروا أنَّ قُصِيًّا كان إذا ذُبَحَتْ ذبيحة أو تُجِرَتْ نَحيرة ^(٢) بمكة أُتِيَ بعُجْزها فيصنع منه خزيرة ، وهو

(١) وكذا في الاقتضاب ص ٤٦ .

(٢) ط : « أو بَحْرَت بحيرة » ، صوابه في ش والروض الأنف ٢ : ١٠٥ .

لحم يُطْبَخ بِبُرٍّ ، فَيُطْعَمُهُ النَّاسُ ، فَسُمِّيَتْ قَرِيشٌ سَخِينَةً .

وقيل : إنَّ العرب كانوا إذا أَسْنَتُوا ^(١) أَكَلُوا الْعِلْهَزَ ، وهو الوبر والدم ، وتأكل قريش الخزيرة واللَّفَيْتَةَ ^(٢) ، فنَفِست عليهم العرب ذلك فلقبوهم سَخِينَةً .

ولم تكن قريشُ تكره هذا اللَّقَبَ ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله ﷺ منهم ، ولتركه أدباً مع النبي ﷺ إذ كان قرشياً .

ولقد استنشد عبدُ الملك بن مروان ما قاله الهَوَازِنِيُّ في قريش :

* يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ * ... البيت

فقال : ما زاد هذا على أن استثنى . ولم يكره سماع التلقيب بسَخِينَةٍ . فدلَّ على أنَّ هذا اللَّقَبَ لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعيير لهم . انتهى .

والْعِلْهَزُ ، بكسر العين المهملة وسكون اللام وكسر الهاء بعدها زاي معجمة . والخزيرة ، بفتح الخاء وكسر الزاي المعجمتين ثم راء مهملة . قال في الصحاح : الخزيرة : أن تُنصَبَ القدر بلحم يقطع صغاراً على ماء كثير ، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحمٌ فهي عَصِيدَةٌ .

وقال ابن السَّيِّد : قوله : « إذا ما مات مَيَّت » إلخ ، فيه ردٌّ على أبي حاتم السُّجِسْتَانِي ، فإنه كان يقول : قول العامة مات المَيَّت خطأً ، والصواب

(١) أَسْنَتُوا : أَجْدَبُوا ، وفي الأصل : « شَتُوا » تحريف ، صوابه في الروض الأنف .

(٢) اللَّفَيْتَةُ : العَصِيدَةُ الغليظة . وفي الروض : « والقيته » ، صوابه في الخزانة .

مات الحَيَّ . وهذا الذى أنكره غير منكّر ، لأنَّ الحَيَّ قد يجوز أن يسمَّى ميتا لأنَّ أمره يؤوّل إلى الموت . قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) . ومثله كثير . وقد فرق قومٌ بينهما فقالوا : الميت بالتشديد : ما سيموت ، والميت بالتخفيف : ما قد مات . وهذا خطأ فإنَّ المشدّد أصل المخفف ، والتخفيف لم يحدث فيه شيئا يغيّر معناه . وقد استعملتهما العرب من غير فرق .

قال الشاعر ^(٢) :

ليس من مات فاستراح بميت

إنّما الميت ميت الأحياء

وقال ابن قعاس الأسدى :

ألا يا ليتنى والمرء ميت وما يغنى عن الحدّثان ليت

ففى البيت الأوّل سوّى بينهما ، وفى الثانى جعل المخفف الحَيَّ الذى لم يمّت . ألا ترى أنّ معناه والمرء سيموت ، فجرى مجرى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

وقوله : « بخبز أو بتمر أو بسمن » : بدل من قوله بزد . والملفّ فى البجاد : وطب اللين يلفّ فيه ويترك حتّى يروب . والوطب : زقّ اللين خاصّة . والبجاد : الكساء فيه خطوط .

وقوله : حرصا : مصدر وقع موقع الحال ، أو مفعول لأجله . وإنّما ذكر لقمان بن عادٍ لجلالته وعظمه ، يريد أنّه لشدة نهمه وشهره إذا ظفر

(١) الآية ٣٠ من سورة الزمر .

(٢) هو عدى بن الرعاء . أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٢ وابن عيش ١٠ : ٦٩ والعقد ٥ :

بأكلة فكأنه قد ظفر برأس لقمان ، لسروره بما نال ، وإعجابه بما وصل إليه .
وهذا كما يقال لمن يُزهى بما فعل ، ويفخر بما أدرك : كأنه قد جاء برأس
خاقان !

وهذا الكلام الذى جرى بين معاوية والأحنف يسمى التعريض ، لأن
كل واحد منهما عرّض بصاحبه بما تُسب به قبيلته من غير تصريح .
ويشبه ذلك ما يروى ، من أن شريك بن عبد الله التميمي ، ساير عمر
ابن هبيرة الفزاري يوماً ، فبدرت بغلة شريك ، فقال له ابن هبيرة : غُضَّ من
لجام بغلتك . فقال له شريك : إنها مكتوبة . فضحك ابن هبيرة وقال : لم أرد
ما ذهبت إليه .

عرّض ابن هبيرة بقول الشاعر (١) :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وعرّض شريك بقول سالم بن دارة :

لا تَأْمَنَنَّ فزاريّاً خلوت به

على قُلُوصِكَ واكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

وكان بنو فزارة يُنسبون إلى غشيان الإبل .

وقوله : تعير بأكل السخينة ، بالباء . وقد منعه ابن قتيبة قال : تقول
عيرته كذا ولا تقول عيرته بكذا . والصحيح أنهما لغتان ، وإسقاط الباء
أفصح .

والْحَسَاءُ وَالْحَسُوُّ لغتان . والعُجْفُ : الضعف والهزال .

(١) هو جرير ، يقوله للراعي التميمي . ديوان جرير ٧٥ ومعجم الشواهد ٣٠ .

وأراد بالمال هنا الحيوان ، وكذلك تستعمله العرب في الأكثر ، وقد يجعل اسماً لكل ما يملكه الإنسان من ناطق وصامت ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ^(١) ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلنَّسَائِلِ وَالْخُرُومِ ^(٢) ﴾ . فالمال فيهما عامٌّ لكل ما يملك .

وكلَّب الزمان : شِدَّتهُ ، وأصل الكَلْب سُعار يصيب الكلاب ، فضرب بذلك مثلاً للزمان الذي يذهب بالأموال ويتعرَّق الأجسام ، كما سَمَّوا السنة الشديدة ضُبْعاً ، تشبيها لها بالضبع . وقالوا : أكلَّه الدهر ، وتعرَّقه الزمان ، كما قال :

أبا خراشة أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ
فَإِنْ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضُّبْعُ ^(٣)
وترجمة يزيد بن الصعق تقدَّمت في الشاهد التاسع والستين ^(٤) .

* * *

وأنشد بعده :
(لم يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرٌ أَنْ نَطَقَتْ
حَمَامَةٌ فِي غَصْبٍ ذَاتِ أَوْقَالٍ)

وتقدَّم الكلام عليه في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين ^(٥) :
وضمير « منها » راجع للوَجْناء وهي الناقة الشديدة . والشرب مفعول يمنع ، وغير فاعله ، لكنَّه بنى على الفتح جوازاً لإضافته إلى مبنى . وروى الرفع أيضاً فلا شاهد فيه . وأراد بنطقت صَوَّتْ ، مجازاً . وفي بمعنى على .

(١) الآية ٥ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٤ ، ٢٥ من سورة المعارج .

(٣) للعباس بن مرداس . وهو الشاهد ٢٤٩ من الخزائن .

(٤) الخزائن ١ : ٤٣٠ .

(٥) الخزائن ٣ : ٤٠٦ .

و « ذات » بالجر صفة لغصون . والأوقال : جمع وَقْل بفتح فسكون ، وهو ثمر الدَّوم اليابس ، فإن كان ثمره طرياً فاسمه البَهْش . يريد : لم يمنعها أن تشرب الماء غير ما سمعت من صوت حمامة فنفرت . يريد أنَّها حديدة النفس ، يُخامرُها فزع وذعر ؛ لحدة نفسها ، وهو محمود فيها .

* * *

وأنشد بعده :

(غير أنَّي قَدْ استعين عَلَى الهد

مَّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ)

وتقدم هذا أيضاً مشروحاً في الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين ^(١) .

وغير للاستثناء المنقطع مما قبله ، فيحتمل أن تكون الفتحة فيه للبناء وفيه الشاهد ، ويحتمل أن تكون نصباً فلا شاهد فيه .

وقوله : « قَدْ استعين » بنقل فتحة الهمزة إلى دال ^(٢) قد . وخَفَّ بمعنى ذهب وأسرع . والثَوِيُّ : مبالغة ثاوٍ بمعنى مقيم . والنجاءُ ، بفتح النون بعدها جيم : المضى والسرعة ، والباء للتعدية . أى إذا اضطرَّ المقيم السفر وأقلقه السير والمضى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الأربعمئة ^(٣) :

(بأذْلٍ حَيْثُ يَكُونُ مَنْ يَنْذَلُّ)

٤٩٧

(١) الخزانة ٣ : ٤١٤ .

(٢) كتب مصحح الطبعة الأولى : « انظر ما الداعي للنقل مع استقامة الوزن » . وانظر

شرح القصائد السبع الطوال ٤٤٠ .

(٣) ديوان الفرزدق ٧٢٠ .

على أن أبا على قال في (كتاب الشعر) : إن جملة يكون صفة لحيث لا أنها مضاف إليه . لأنَّ حيث هنا اسمٌ بمعنى موضع ، لا أنها باقية على الظرفية .

وكتاب الشعر يقال له (إيضاح الشعر) ، و (إعراب الشعر) أيضاً . وقد تكلم على هذا المصراع وأجاد الكلام فيه ، فينبغي أن نثبته هنا إيضاحاً له .

والمصراع من قصيدة طويلة عدَّتْها تسعة وتسعون ^(١) بيتاً للفرزدق ، هجا بها جريراً . ولا بد من نقل بيتين منها ليتَّضح معناه ، وهما :
(إِنَّا لَنضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ)
صاحب الشاهد قرينا الشاهد

وَأَبُوكَ خَلَفَ أَتَانِهِ يَتَقَمَّلُ
يَهْزُ الْهَرَائِعَ عَقْدَهُ عِنْدَ الْخُصَى
بَأَذَلَّ حَيْثُ يَكُونُ مِنْ يَتَذَلَّلُ

قال أبو على : أنشده بعض البغداديين وزعم أن حيث يكون اسماً ، والقول في ذلك أن أفعال لا يضاف إلا ما هو بعضه ، فإذا كان كذا فإنه يراد به الموضع ، لأنه مضاف إلى مواضع ، وجاز أن يراد بحيث الكثرة لإيهامها كما تقول أفضل رجل . وكذلك لما أضاف أذل صار كأنه قال : بأذل موضع ، فحيث موضع ، ولا يجوز مع الإضافة إليها أن تكون ظرفاً كقولك :
* يأسارق الليلة أهل الدار ^(٢) *

وقد حكى قطرب فيها الإعراب . ومما جاء حيث مفعولاً به قوله تعالى :

(١) هي ١٠٥ بيت في ديوانه ٧١٤ - ٧٢٥ .

(٢) انظر الخزانة ٣ : ١٠٨ .

﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾^(١) . ألا ترى أن حيث لا يخلو من أن يكون جرّاً أو نصباً . فلا يجوز أن يكون جرّاً لأنه يلزم أن يضاف إليه أفعل ، وأفعل إنّما يضاف إلى ما هو بعض له ، وهذا لا يجوز في هذا الموضع ، فلا يجوز أن يكون جرّاً ، وإذا لم يكنه كان نصباً بشيء دل عليه ، يعلم أنه مفعول به . والمعنى : الله يعلم مكان رسالته ، وأهل رسالته . فهذا إذن اسم أيضا .

فإن قال قائل : إذا صار اسماً فلم لا يعرب لزواله عن أن يكون ظرفاً ؟ قيل : كونه اسماً لا يخرججه عن البناء ، ألا ترى أن منذ حرف ، فإذا استعملت اسماً في نحو منذ يومان لم تخرج عن البناء . وكذلك عن وعلى إذا قلت : من عن يمين الخط ، وكذلك قول الشاعر :

» غدت من عليه ^(٢) »

وكذلك « كم » بنيت في الاستفهام ، فإذا صارت خبراً بقيت على بنائها ؛ فكذلك حيث إذا صارت اسماً . فأما موضع (يكون) في قوله :

» بأذلّ حيث يكون من يتدلّل »

١٤٦

فجرّ بأنّه صفة حيث ، كأنه قال : بأذلّ موضع يكونه ، أى يكون فيه . فحذف الحرف وأوصل الفعل ، فليس بجرّ لإضافة حيث إليه ، لأنّ حيث إنّما يضاف ^(٣) إلى الفعل إذا كان ظرفاً . فإذا لم يكن ظرفاً لم ينبغ أن

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وهذه هي قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد . تفسير أبي حيان ٤ : ٢١٧ .

(٢) لمزاحم بن الحارث العقيلي . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢١٧ والخزانة ٤ : ٢٥٣ بولاق . وتماه :

غدت من عليه بعدما تمّ ظمؤها تصل وعن قبض ببيداء مجهل
(٣) ش : « تضاف » ، وأثبت ما في ط .

يضاف إلى الفعل . وليس حيث في البيت بظرف . وإنما لم يعرب مَنْ لم يعربه لأنه جعله بمنزلة ما ومن ، في أنهما لم يُعربا إذا وصفا وكانا نكرتين . وذلك أَنَّ الإضافة في حيث كانت للتخصيص ، كما أَنَّ الصفة كذلك ، فلما جعل اسماً ولم يصف صار لزوم الصفة له للتخصيص بمنزلة لزوم الصلة للتخصيص ، فضارع حال الوصف حال الإضافة .

ولو جعلت في قوله : « بأذَلَّ حيث يكون » زمانا لم يحسن ، لأن أفعال هذا بعض ما يضاف إليه .

وإذا قلت : هذا أذَلُّ رجل ، فالمعنى هذا رجل ذليل ، ولا يكاد يقال زمان ذليل كما يقال موضع ذليل . ألا ترى أَنَّ الأماكن قد وصفت بالعز ، فإذا جاز وصفها بالعز جاز وصفها بخلافه ، ولا تكاد تسمع وصف الزمان بالذَلِّ .

فلا يجوز إذن أن يكون موضع « يكون » جرّاً بآته صفةً حيث ، ويجعل حيث اسم زمان . انتهى كلام أبي على .

وحاصله : أَنَّ أذَلَّ أفعال تفضيل مجرور بالكسر ، وهو مضاف إلى حيث بمعنى موضع يراد به الكثرة لإيهامه ، ولهذا صحَّ إضافة أفعال إليه ، إذ لا يضاف أفعال التفضيل إلّا إلى ما هو بعضه . وجملة يكون صفة لحيث فتكون في محل جر ، والعائد إلى الموصوف ضمير نصب محذوف ، والأصل : يكون فيه ، ففيه خبر يكون ومن يتدَلَّل اسمه ، فحذف حرف الجر واتصل الضمير ببيكون ، فصار يكوُّنه ، ثم حذف الضمير فصار يكون ، فجملة يكون إلخ في محل جرّ ، لكونها صفة لحيث لا لكونها مضافاً إليه .

وحيث موصوف بالجملة لا مضاف إليها . ولما كان حكم الجملة بعد

حيث في الآية حكمها في البيت ، نسبهما إلى أئى على ، وإن لم يذكر حكم
الجملة بعد حيث في الآية أبو على .

وقال الشارح المحقق : الأول أن يكون مضافاً ، ولا مانع من إضافته ،
وهو اسم لا ظرف ، إلى الجملة كما في ظروف الزمان ، وذلك نحو قوله تعالى :
﴿ يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾^(١) . وعلى هذا أيضاً يكون الخبر محذوفاً
يقدر بعد يتذلل ، أى فيه .

وقوله :

« إِنَّا لَنضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ »

يقول : نحن في الطرف الأعلى من العز ، وأنتم في نهاية الذل والعجز .
والأتان : أنثى الحمار . ويتقمل : يقتل قملَه .

وقوله : « يَهْزُ الْهَرَانَعُ » إلخ تفسير لقوله يتقمل . ويهز : مضارع وهز
هز هزةً وهزاً ، إذا نزع القملة وقصعها ؛ أوله واو وثالثه زاء معجمة . والهرانع
مفعول هز مقدّم ، جمع هرنع بكسر الهاء وسكون الراء المهملة وكسر النون
بعدها عين مهملة ، وهو القمل ، الواحدة هرنعة . قال الشاعر :

« فِي رَأْسِهِ هَرَانَعٌ كَالْجِعْلَانِ »

كذا قال ابن دريد . وقال الليث : الهرنوع ، كعصفور : القملة
الضخمة ، ويقال هى الصغيرة . وأنشد البيت . فيكون الجمع على حذف
الزائد .

وقال ابن الأعرابي : الهرنع كقنفذ ، والهرنوع : القملة الصغيرة .

(١) الآية ١١٩ من سورة المائدة .

(٢) في السختين : « ووهز » ولا وجه له ، والصواب ما أثبت .

وَعَقْدُهُ فاعِل يَهْزُ ، وهو بفتح العين المهملة وسكون القاف ، والضمير راجع لقوله : وأبوك . وفسره ابن حبيب (في شرح المناقضات) ، وابن قتيبة (في أبيات المعاني) وقالوا : يعنى عقد الثلاثين ، وهو هيئة تناول القملة بإصبعين : الإبهام والسبابة . ورواه الصاغاني (في العباب) في مادة (وهز) عن شمر كذا :

يَهْزُ الْهَرَانَعُ لَا يَزَالُ وَيَفْتَلِي بِأَذَلِّ حَيْثُ يَكُونُ مِنْ يَتَذَلَّلُ
ففاعل يهز على هذا ضمير أبوك .

واعلم أَنَّ العقود والعقد نوعٌ من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد منه في الحديث : « وَعَقَدَ عَقْدَ تَسْعِينَ ^(١) » . وقد أَلْفَوْا فيه كتباً وأراجيز ، منها أرجوزة أبي الحسن على ، الشهير بابن المغربي . وقد شرحها عبد القادر بن علي بن شعبان العوفي . ومنها في عَقْدِ الثلاثين : وَاَضْمُمُهُمَا عِنْدَ الثَّلَاثِينَ تُرَى

كقابض الإبرة من فوق الثرى

قال شارحها : أشار إلى أَنَّ الثلاثين تحسّل بوضع إبهامك إلى طرف السبابة ، أى جمع طرفيهما كقابض الإبرة .

و (عند الخصى) ظرف لقوله يَهْزُ . وقوله (بأَذَلِّ) الباء بمعنى في متعلقة بمحذوف على أَنَّهُ حال من ضمير عقده . يقول : نحن لعزنا وكثرتنا نحارب كلَّ قبيلة ، ونقطع رؤوسها ، وأبوك لِدُلِّهِ وعجزه يقتل قملهُ خلف أتانهِ ، فهو يتناول قملة بإصبعه من بين أفخاده ، حالة كونه جالساً في أحقر

(١) انظر لحساب العقد أيضا اللسان (ردم ١٢٧) والموشح ١٩٤ والقسطاني ١٠ :

١٧١ ، ٢١٥ وفتح الباري ١٣ : ٩٥ - ٩٦ والألف المختارة الحديث ٨٩٦ ، ٩٢٥ .

موضع يجلس فيه الذليل ، وهو خلف الأتان . فنحن نقتل الأبطال ، وأبوك يقتل القمل والصبيان ، فشتان ما بيني وبينك .

وهذه القصيدة مطلعها :

(أن الذي سمك السماء بنى لنا

بيتاً دعائمه أعز وأطول)

ويأتى شرحه إن شاء الله في الصفة المشبهة .

وترجمة الفرزدق قد تقدّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٩٨ (نَهَيْتَكَ عَنْ طِلَابِكَ أُمَّ عَمْرٍو

بعاقبة وأنت إذِ صحیحُ)

على أن التنوين اللاحق لِإِذٍ عَوْضٌ عن الجملة ، والأصل : وأنت إذ الأمر ذاك ، وفي ذلك الوقت .

وكذا أورده صاحب الكشاف في سورة ص . استشهد به على أن أَوَّانٍ

في قوله :

* طلبوا صَلَحَنَا وَلَاتِ أَوَّانٍ *

بنى على الكسر تشبيهاً بِإِذٍ ، في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وَعَوْضٌ

(١) الخزائن ١ : ٢١٧ .

(٢) الخصائص : ٢ : ٣٧٦ وابن يعيش ٣ : ٩/٢٩ : ٣١ وشرح شواهد المغنى ٩٢

والأشموقي ١ : ٥٦ ويس على التصريح ٢ : ٣٩ والهدليين ١ : ٦٨ .

عنه التنوين ، وكسر لالتقاء الساكنين .

وروى أيضا : « وأنت إذاً صحيح » ، فيكون التنوين فيه أيضا عوضا عن المضاف إليه الجُمْلَى عند الشارح المحقق ، ويكون الأصل وأنت إذاً نبيّتك ، كما قال في قوله تعالى : ﴿ فَعَلْتُهَا إِذَا أَنَا مِنَ الصَّالِّينَ ﴾^(١) .
والمشهور أنّها في مثله للجواب والجزاء . وعليه مشى المروزقي (في شرح الهذليين) قال : رواه الباهلي : وأنت إذاً صحيح وتكون إذاً للحال ، كأنه يحكى ما كان . والمراد : وأنت في تلك الحال صحيح .

قال ابن جنى عند قول الحماسيّ :

فإنّك إن تَرَى عَرَصَاتٍ جُمِلَ

بعاقبة فأنت إذاً سعيد^(٢)

قال سيبويه : إنّ إذاً جوابٌ وجزاء . وإذا كان كذلك ففي الفاء مع ما بعدها الجزاء ، فما معنى إذاً ؟ فإن ذلك عندى لتوكيد الجزاء ، كما أنّ الياء في قوله :

« والدهر بالإنسان دَوَّارٌ *

لتوكيد الصفة^(٣) . انتهى .

وقوله قبل البيت : « وقوله^(٤) » هو بالجر معطوف على مدخول

١٤٨ الكاف في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّا آتِينَا ﴾^(٥) .

(١) الآية ٢٠ من الشعراء .

(٢) الحماسة بشرح المروزقي ١٥١ . وقال المروزقي : « أتى بترى تاما وأن كان في موضع الجزم ، فهو كقول الآخر :

« ولا ترضاها ولا تملق »

(٣) ورد النص هنا موجزا . وانظر إعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ .

(٤) انظر شرح الرضى على الكافية ٩٩ س ١٠ .

(٥) الآية ١٧٩ من الأنبياء .

واعلم أنَّ الشارح المحقق قد دَقَّق النظرَ في نحو يومئذ فجعل إذ بدلاً من الظرف قبله ، فيكون يوم ونحوه غير مضاف إلى إذ . وحينئذ يردُّ عليه : ما وجه حذف التنوين من الظرف الأول ؟

ومن قال بالإضافة كالجمهور فحذف التنوين ظاهر . ويجوز فيه البناء على الفتح والإعراب على حسب العامل .

قال ابن السراج (في الأصول) : وأسماء الزمان إذا أُضيفت إلى اسم مبنًى جاز أن تعربها وجاز أن تبنّيها ، وذلك نحو يومئذ بالرفع ويومئذ بالفتح ، فيقرأ على هذا إن شئت : ﴿ من عذاب يومئذ ^(١) ﴾ بالجر ، و ﴿ من عذاب يومئذ ﴾ بالفتح . اهـ

وقد قرّر الشارح المحقق هذا فيما سيأتى ، وتنبّه لهذا الاعتراض ، فأجاب عنه بأنَّ الإعراب لعروض علة البناء ، أعنى بالإضافة إلى الجمل ؛ والبناء لوقوع إذ المبنًى موقعَ المضاف إليه لفظاً .

وقوله : « والذي يبدو لى أنَّ هذه الظروف التى كأنها فى الظاهر مضافة إلى إذ ليست مضافة إليه بل إلى الجمل المحذوفة » ، هذا ممكنٌ فى يوم وحين فإنهما يجوز إضافتهما إلى الجمل ، وقد سمع .

وأما ساعةً وليلةً وغداةً وعشيةً وعاقبةً ، فإنها ليست من الظروف التى يجوز إضافتها إلى الجمل ؛ لأنّه لم يسمع ، فكيف يقال إنها تضاف إلى الجمل وإذ بدلٌ منها ، فلمّا حذفت الجملة المضافة إليها إذ عوض التنوين عنها ؟

وقد وجد بخط صاحب القاموس ، تركيب هذه الظروف مع إذ ، قال :
لا يضاف إلى إذ من الظروف في كلام العرب غير سبعة ألفاظ ، وهي : يومئذ
وحينئذ ، وساعتئذ ، وليلئذ ، وغدائذ ، وعشيئذ ، وعاقبتئذ . اهـ .

قيل : ومقتضاه أنه لا يقال وقتئذ ، ولا شهرئذ ، ولا سنئذ .

وقد ورد أوانئذ في شعر الداخل بن حرام الهذلي ^(١) ، قال :

دَلَفْتُ لها أَوَانِئِدِ بِسَهْمٍ

حَلِيفٍ لَمْ تَخُونَهُ الشُّرُوجُ

والدَّليْف : سَيَّرَ فِيهِ إِبْطَاءً . وَحَلِيف : حَدِيدٌ . وَتَخَوَّنَهُ : تَنَقَّصَهُ .
وَالشُّرُوجُ : الشَّقُوقُ وَالصَّدُوعُ .

وزعم الأخفش أن ^(٢) إذ معرب مجرور بإضافة ما قبله إليه .

قال ابن هشام (في المغنى) : وزعم الأخفش أن إذ في ذلك معربة ،
لزوال افتقارها إلى الجملة ، وأن الكسرة إعراب ، لأنَّ اليوم مضاف إليها .
وردَّ بأنَّ بناءها لوضعها على حرفين ، وبأنَّ الافتقار باقٍ في المعنى ،
كالموصول تحذف صلته للدليل . قال :

نَحْنُ الْأَلَى فَاجْمَعْ جُمُوعَكَ ثُمَّ جَهِّزْهُمْ إِلَيْنَا ^(٣)

(١) قصيدة البيت التالي تروى لعمر بن الداخل في ديوان الهذليين ٣ : ٩٨ وشرح السكري
لأشعار الهذليين ٢ : ٦١١ . وفي شرح السكري : « وقال الأصمعي هذه القصيدة لرجل من هذيل
يقال له الداخل ، واسمه زهير بن حرام ، أحد بني سهم بن معاوية » .

(٢) الكلام بعده الى « أن » التالية ، ساقط من ش .

(٣) لعبيد بن الأبرص في ديوانه ٢٨ . وانظر أمال ابن السجري ١ : ٢/٢٩ ، ١٧٩ ، ٣٠٨ ،
وشرح شواهد المغنى ٩١ والعينى ١ : ٤٩٠ . ويروى : « ثم وجههم » .

أى نحن الأتلى عُرفوا . وبأنَّ العوض ينزل ^(١) منزلة المعوّض منه ، فكأنَّ المضاف إليه مذكور ؛ وبقوله وأنت إذ صحيح .

وأجاب عن هذا بأنَّ الأصل حينئذٍ ثم حذف المضاف وبقي الجر ، كقراءة بعضهم : ﴿ والله يُريد الآخرة ^(٢) ﴾ أى ثواب الآخرة . اهـ .

وهذا مع أنَّه لا قرينة عليه لا يفيد شيئاً لوجود مقتضى البناء فيه . وقد سها سهواً بيئناً شارحُ شواهد المغنى ^(٣) فقال : البيت استشهد به الأخفش على أن إذٍ معربة لعدم إضافة زمان إليها وقد كسرت . وأجيب بأنَّ الأصل وأنت حينئذٍ ، ثم حذف المضاف وبقي الجر .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ الأخفش لم يستشهد بالبيت ، وإنما استشهد به عليه ، فأجاب بأنَّ الحين منه محذوف . وهو غير قائل بأنَّ إذٍ ^(٤) معربة لعدم الإضافة .

وقد تكلم ابن جنى (فى سر الصناعة) على يومئذٍ ببيان واف وإن كان على خلاف طريقة الشارح المحقق ، فلا بأس بإيراده مختصراً ، قال : من وجوه التنوين أن يلحق عوضاً من الإضافة نحو يومئذٍ ، وليلئذٍ ، وساعتئذٍ ، وحينئذٍ ، وكذلك قول الشاعر :

* وأنت إذٍ صحيحٌ *

وإنما أصل هذا أن تكون إذٍ مضافة إلى جملة نحو : جئتكَ إذ زيد أمير ، وقمت إذ قام زيد ، فلما اقتطع المضاف إليه عوض منه التنوين ، فدخل وهو ساكن على الذال وهى ساكنة ، فكسرت الذال لالتقاء الساكنين .

(١) ط : « تنزل » ، وأثبت ما فى ش والمغنى ٨٦ .

(٢) الآية ٦٧ من الأنفال . وقراءة الجر هى قراءة سليمان بن جهمز المدنى . تفسير أئى حيان

٥١٨ : ٤ .

(٣) لم أجد الكلام التالى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٤) ط : « بأن ذا » ، صوابه فى ش .

ولست الكسرة كسرة إعراب وإن كانت إذ في موضع جر بإضافة ما قبلها إليها . ويدل على أن الكسرة في إذ إنما هي لالتقاء الساكنين ، قول الشاعر :

* وأنت إذ صحيح *

ألا ترى أن إذ ليس قبلها شيء . فأما قول أبي الحسن إنه جر إذ لأنه أراد قبلها حين ، ثم حذفها ، وبقي الجر - فساقت . ألا ترى أن الجماعة قد أجمعت على أن إذ ، ومَنْ ، من الأسماء المبنية على الوقف . وقد قال أبو الحسن نفسه (في بعض التعليقات عنه في حاشية الكتاب) : بَعْدَ كَمْ وإذ من التمكن أن الإعراب لم يدخلها قط . فهذا تصريح منه ببناء إذ ، وهو اللائق به ، والأشبه باعتقاده . وذلك القول الذي حكيناه عنه شيء قاله في (كتابه الموسوم بمعاني القرآن) ، وإنما هو شبيه بالسهو منه .

على أن أبا علي قد اعتذر له منه بما يكاد يكون عذراً .

قلت : أورد هذا العذر (في آخر إعراب الحماسة) : قال : سألت أبا علي عن قوله : وأنت إذ صحيح ، فقلت : قد قال أبو الحسن : « إنه أراد حينئذ » ، فهذا تفسير المعنى أم تقدير الإعراب ^(١) على أن تكون إذ مجرورة بحين المرادة المحذوفة ؟ فقال : لا ، بل إنما فسّر المعنى ، ولا يريد أن إذ مجرورة بحين المرادة . والذي قاله أبو علي أجري على مقاييس مذاهب أصحابنا ، غير أن كلام أبي الحسن ظاهره هناك أنه يريد ما عدل أبو علي عنه . انتهى .

(١) في إعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ : « فهذا تفسير المعنى أم تقدير للإعراب » .

ثم قال ابن جنى ^(١) : ويؤيد ما ذكرته من بناء إذ أنّها إذا أضيفت مبنية نحو قوله : ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ ^(٢) ، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ ^(٣) ، فإذا في هذا ونحوه مضافة إلى الجمل ، وموضعها نصب ، وهى كما ترى مبنية . فإذا كانت فى حال إضافتها إلى الجمل مبنية من حيث كانت الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، لأن من حق الإضافة أن تقع على الأفراد فهى ، إذا ^(٤) لم تضاف فى اللفظ أصلاً ، أجدرُ باستحقاق البناء . ويزيدك وضوحاً قراءة الكسائى : ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ﴾ ^(٥) فبنى يوم على الفتح لَمَّا أضافه إلى مبنى غير متمكن .

فإن قيل : بنيت إذ من حيث كانت غايةً منقطعا منها ما أضيفت إليه ، أو من حيث إضافتها إلى جملة تجرى الإضافة إليها مجرى لا إضافة ، فهلاً أعربت لما أضيفت إلى المفرد فى نحو قولهم : فعلت إذ ذاك ؟ قلت : هذه مغالطة فإن ذاك ليس مجروراً باضافة إذ إليه ، وإنما ذاك مبتدأ حذف خبره تخفيفاً ، والتقدير إذ ذاك كذاك . فالجملة هى التى فى موضع جرّ .

ونظير هذا ماذهب إليه أبو العباس المبرد فى قول الآخر :
 طلبوا صلحنا ولات أوإن فأجبنا أن ليس حين بقاء ^(٦)

(١) النص التالى لم يرد فى إعراب الحماسة ، وهو امتداد لما نقله البغدادى عن « سر الصناعة » فيما سبق من الكلام . وهو بذلك يكرر ما أورده فيما مضى من الخزانة ٤ : ١٨٥ .

(٢) الآية ٧١ من سورة غافر .

(٣) الآية ١٢٧ من البقرة .

(٤) ط : « اذن » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٥) الآية ١١ من سورة الماعراج .

(٦) لأبى زيد الطائى فى ديوانه ٣٠ وهو الشاهد ٢٨٢ فى الخزانة ٤ : ١٨٣ .

وذلك أنه ذهب إلى أن كسرة أوان ليست إعراباً ، ولا أن التنوين الذى بعدها هو التابع لحركات الإعراب ، وإنّما تقديره عنده أن أوان بمنزلة إذ ، ١٥٠ فى أن حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو : جئتكَ أوانَ قام زيد ، وأوانَ الحجاجُ أمير ، أى إذ ذاك كذاك ، فلما حذف المضاف إليه أوانَ عوض من المضاف إليه تنوينا . والنون عنده كانت فى التقدير ساكنة ، فلما لقيها التنوين ساكناً كسرت النون لالتقاء الساكنين .

وهذا غير مرضى ، لأنّ أوانا قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله :

* هذا أوانُ الشّدِّ فاشتدّى زَيْمٌ ^(١) *

وقوله :

* فهذا أوانُ العِرضِ ^(٢) *

وغير ذلك .

فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فهلا حركوا التنوين فى يومئذ وأوان ، ولم حركوا آخره دون التنوين ؟ فالجواب : أنّهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذن ، فيشبه النون الزائد النون الأصلي ؛ ولما أمكنهم أن يفعلوه فى أوان ، لأنّهم لو آثروا إسكان النون لما قدروا على ذلك ، لأنّ الألف ساكنة قبلها ؛ وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ، ثم يأتى

(١) سبق الكلام عليه فى حواشى ٤ : ١٨٦ وأنه لرشيد بن رميض .

(٢) للمتلمس ، كما سبق فى حواشى ٤ : ١٨٥ . ونماه :

فهذا أوان العرض حى ذبابه رنابيره والأزرق المتلمس

التنوين بعدهما ، فكان لا بدَّ أيضا من أن يقولوا أوَّانين ^(١) .

فإن قيل : فلعلَّ على هذا كسرهم النونَ من أوَّانٍ إنما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دون أن يكون كسرهم إياها لسكونها وسكون التنوين بعدها ؟

فالجواب ما تقدم ، من كسرهم ذالٍ إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها .

فعلى هذا ينبغي أن يحمل كسر النون من أوَّانٍ ، لثلا يختلف الباب . ولأنَّ أوَّانٍ أيضا لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه ، فيقدَّر مكسور النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، إنما حذف منه المضاف إليه وعوض التنوين عُقِيب ذلك ، فلم يوجد له زمنٌ تلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنما كسرت لسكون الألف قبلها . فاعرف ذلك من مذهب المبرد .

وأما الجماعة إلَّا أبا الحسن والمبرد ، فعندها أنَّ أوَّانٍ مجرورةٌ بـلاتٍ ، وأنَّ ذلك لغة شاذة . انتهى كلام ابن جنى .

والبيت من مقطوعةٍ تسعة أبيات لأبي ذؤيب الهذلي ، أوَّانها ^(٢) :
 (جَمَالَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْقَرِيحُ سَتَلْقَى مِنْ تَحَبُّ فَتَسْتَرِيحُ)
 نهيتُكَ عن طِلابِكَ أَمَّ عمرو البيت
 وقلت : تَجَنَّبَنَّ سُخْطَ ابْنِ عَمٍّ ومَطْلَبَ شَلَّةٍ وَهِيَ الطَّرُوحُ ^(٣)
 قوله : « جمالكَ » إلخ قال الإمام المرزوقي (في شرحه) : يجوز أن يكون

(١) رسمت في ش « أوَّان » كما سبق في ٤ : ١٨٦ .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٦٨ وشرح السكري ١٧١ .

(٣) في الهذليين وشرح السكري :

فقلت تجنبن سخط ابن عم ومطلب شلة ونوى طروح

المراد : الزم جمالك الذى عُرف منك وعُهد فيما تُدفع إليه وتمتحن به ، أى صبرك المألوف المشهور .

ويجوز أن يكون المعنى : تصبّر وافعل ما يكون حسناً بك . والمصادر يؤمر بها توسعاً ، مضافة ومفردة .

وهذا الكلام بعث على ملازمة الحسنى وتحضيض ، ووعد بالنجاح فى العقبى وتقريب .

وقوله : (نَهَيْتَكَ عَنْ طِلَابِكَ) إلخ قال الإمام المَرْزُوقُ : يذكر قلبه بما كان من وعظه له فى ابتداء الأمر ، وزجره من قبل استحكام الحب ، فيقول : دفعتك عن طلب هذه المرأة بعاقبة ، أى بآخر ما وصيتك به .

وهذا كما تقول لمن تعتب عليه فيما لم يقبله : كان آخر كلامى معك تحذيرك ما تقاسيه الساعة . ولست تريد أن تلك الوصاة كانت مؤخرة عن غيرها ومردفة سواها ممّا هو أهمّ منها ، ولكنك تنبه على أن الكلام كان مقصوراً عليها أولاً وآخراً .

ويجوز أن يكون المعنى : نهيتك عن طلبها بذكر ما يُفضى أمرك إليه ١٥١ وتدور عاقبتك عليه ، وأنت بعد سليمٌ تقدر على التملّس منها ، وتملك أمرك وشأنك فى حبها . وكأنّه كان رأى لتلك الحالة عواقب مذمومة تحصل كل واحدة على طريق البدل من صاحبها ^(١) ، وكان ذكرها كلها ، فلذلك نكر العاقبة .

ويجوز أن يريد : نهيتك بعقب ما طلبتها ، أى كما طلبتها ^(٢) زجرتك عن

(١) ط : « صاحبها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) جعلها الشفيطى : « أى كلما طلبتها » .

قريب ^(١) ، لأن مبادئ الأمور تكون ضعيفة فيسهل فيها كثير مما يصعب من بعد . وهذا أقرب الوجوه في نفسى . والعرب تقول : تغير فلان بعاقبة ، أى عن قريب بعقب ما عهد عليه قبل . انتهى .

فظهر من هذا أن عاقبة بالقاف والموحدة . وكذا هى فى رواية أبى بكر القارى شارح أشعار الهذليين قبل الإمام المرزوقى ، وهى عندى بخطه وعليها خطوط علماء العربية . منهم أحمد بن فارس صاحب المجمل فى اللغة ، وفسرها القارى ^(٢) بقوله : « آخر الشأن » .

والباء على المعانى الثلاثة متعلقة بنهيتك ^(٣) . وجملة وأنت صحيح حال من الكاف فى نهيتك .

وصحّفها الدمامينى (فى الحاشية الهندية على المغنى) بالفاء والمثناة التحتية ، فجعل الباء متعلقة بمحذوف على أنه حال من إحدى الكافين كالجملة الاسمية ، وجوّز أيضاً أن تكون الباء متعلقة بنهيتك ، وقال : أى نهيتك عن حال عاقبة ^(٤) . والاسمية حال من التاء .

أقول : لا يصح كونها حالاً من التاء ؛ لأنها صفة للمخاطب لا للمتكلم . فتأمل .

وقوله : « وقلت تجنّب » إلخ قال : الإمام المرزوقى : روى لنا عن

(١) عن قريب ، ساقطة من ش .

(٢) ط : « القالى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٣) الكلام بعده إلى « متعلقة بنهيتك » ساقط من ش .

(٤) ط : « عاطبته » ، صوابه فى ش .

الدَّيرِدَى عن أئى يزىد^(١) وعن الزىادى : « شَلَّة » بضم الشين ، قال : وكذا قرأته بخط ذى الرمة . وكذا رواه الباهلى أيضا .

وروى : « شَلَّة » بفتح الشين ، وهما جميعاً من الشَّل : الطرد كأنه يعدد ما كان يحذره منه ، ويعرفه أن نتائجه كان عالماً بها ، فلها ما كان ينفره . والمعنى أن طلبك لها يجلب عليك مُراغمة أبناء عمك ، ويسوقك إلى التعب فيما يبعد عنك ولا يجدى عليك .

والطَّرُوح : البعيدة . وروى بعضهم : « ونوى طروح » أى تطرح أهلها فى أقاصى الأرض . وكأنه أراد : ونوى طروح ذاك ، لأن القوافى مرفوعة . اهـ .

وترجمة أئى ذؤيب الهذلى تقدّمت فى الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س^(٣) :

٤٩٩ (علىَ حينَ عاتبتُ المَشَيَّبَ على الصِّبَا

فَقُلْتُ : أَلَمَّا تَصْنَعُ والشَّيْبُ وَازْعُ)

على أنه يجوز إعراب حين بالجر لعدم لزومها للإضافة إلى الجملة ،

(١) كذا فى النسختين . وقد تكون « عن أئى زىد » .

(٢) الخزائن ١ : ٤٢٢ .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٩ . وانظر المصنف ١ : ٥٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٤٦ : ١٣٢ ، ١٦٤ ، وابن يعيش ٣ : ١٦ ، ٨١/٤ : ٨١/٩١ : ١٤٦ والإنصاف ٣٩٢ والمقرب ٦٣ والشذور ٧٨ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٢ : ٤/٤٠٦ : ٣٥٧ والتصریح ٢ : ٤٢ والهمع ١ : ٢١٨ والأشئونى ٢ : ٣/٢٥٦ : ٤/٢٢٦ : ٨ وديوان النابغة ٥٣ .

ويجوز بناؤها على الفتح لاكتسابها البناء من إضافتها إلى المبنى ، وهو جملة عاتبت .

وأورده صاحب الكشاف عند قراءة نافع والكسائي : ﴿ وَمَنْ يَخْزِي يَوْمَئِذٍ ^(١) ﴾ بفتح الميم . شاهدنا على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه .

والبيت من قصيدة للنابعة الديانتي ، وقد تقدّمت مشروحة بتامها في صاحب الشاهد الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة ^(٢) . وقبل هذا البيت :

(فأسبل منى عبّرة فرددتها

على النحر منها مستهلّ وداعم)

وفاعل أسبل ضمير « ذو حُسى » في مطلع القصيدة بضم الحاء والسين المهملتين ، وهو بلد في بلاد بني مُرة . وعبّرة مفعول أسبل ، يقال أسبل الرجل الماء ، أى صبّه .

والعبّرة بالفتح : الدمعة . وإتّما ردها خوف الفضيحة ، فإنّه يبكى على دار الحبيب الدارسة وهو شيخ . وعلى النحر متعلّق بأسبل ؛ ويجوز أن يتعلق برددتها على وجه . والنحر ، موضع القلادة من الصدر . والدمعة تجرى على الحدود ثم تسيل منها على النحر . ومستهلّ : سائل منصبّ له وقع . ومنه استهلّت السماء بالمطر ، إذا دام مطرها . وداعم : قاطر . وجملة « منها مستهلّ » لعبرة ، أى بعضها مستهلّ وبعضها داعم .

(١) الآية ٦٦ من سورة هود .

(٢) الخزائن ٢ : ٤٥١ - ٤٦٨ .

وقوله : (على حين عاتبت) إلخ على بمعنى في ، متعلّقة بأسبل . وعائبه على كذا ، أى لامه مع تسخُّطٍ بسببه . فعلى الصبا متعلق بعاتبت .
(و) الصُّبا (بالكسر والقصر : اسم الصُّبوة ، وهى الميل إلى هوى النفس .
(و) المشيب) : الشيب ، وهو ايضاض الشعر المُسوّد ، ويأتى بمعنى الدخول فى حدّ الشيب .

وقوله : (فقلت) أى للمشيب ، معطوف على عاتبت . وجملة (أَلَمَّا تصحُ) إلخ مقول القول . والهمزة للإنكار ، ولَمَّا جازمة بمعنى لم ، وفيها توقّع ، لأنَّ صحوه متوقّع . وتصحُّ مجزوم بحذف الواو ، من صحا يصحو ، إذا زال سُكروه .

وجملة (والشيب وازع) : حال من فاعل تصحُّ . ووازع ، بالزاي المعجمة : الزاجر والكاف . تقول : وزع^(١) يزع ، إذا كفّ فهو وازع ، كما يقال وضع يضع فهو واضع . قال الشاعر :

إذا لم يَزَعْ ذا الجهل حلمٌ ولا تُقَى

ففى السيف والتّقوى لذى الجهل وازعُ

وروى أبو عبيدة : « أَلَمَّا أصحُ » بالهمزة بدل التاء .

وقد تقدمت ترجمة النابغة الذبياني فى الشاهد الرابع بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(لم يمنع الشُّربَ منها غَيْرَ أنْ نطقتْ

حمائمٌ فى غُصون ذاتِ أوقالِ)

على أنْ غيراً بنيت على الفتح لإضافتها إلى مبنى ، وبينه الشارح المحقق ، مع أنَّها فاعلٌ لم يمنع .

(١) ط : « وازع » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزائن ٢ : ١٣٥ .

وقد روى الرفعُ أيضاً على الأصل . قال سيبويه (فى باب ما تكون أنْ
وأنْ مع صلتها بمنزلة غيرهما من الأسماء) : حدَّثنا أبو الخطاب أنه سمع من
العرب الموثوق بهم مَنْ ينشد هذا البيت رفعاً :

* لم يمنع الشُّربَ منها غيرُ أنْ نطقت * البيت .

وزعموا أنْ أناساً ينصبون هذا كنصب بعضهم يومئذ فى كلِّ موضع ،
فكذلك غيرُ أنْ نطقت . وكما قال النابغة :

* على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصَّبَا * . انتهى

وتقدّم شرحه قريباً

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسمائة ^(١) :

٥٠٠ (وَطَطَعْنَهُمْ حَيْثُ الْكَلَى بَعْدَ ضَرْبِهِمْ

ببَيْضِ الْمَوَاضِي حَيْثُ لَى الْعَمَائِمُ)

على أنْ إضافة حيث إلى مفرد نادر ، فتكون حيث بمعنى مكان ، ولَّى
مجرور بإضافة حيث إليه ؛ وهو مصدر لوى العِمامة على رأسه ، أى لفَّها .
ومكانُ لفِّ العمامم هو الرأس .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وندرت إضافة حيثُ إلى المفرد كهذا
البيت . والكسائى يَقِيْسُهُ . وأندر من ذلك إضافتها إلى جملة محذوفة كقوله :

(١) ابن يعيش ٤ : ٩٠ ، ٩٢ وشرح شواهد المغنى ١٣٣ والعينى ٣ : ٣٨٧ والتصریح ٢ :

٣٩ والجمع ١ : ٢١٢ والأشمونى ٤ : ٦٥ .

إذا رَيْدَةً من حيث ما نفحت له

أتاه بريّاه خليل يواصله (١)

أى إذا رَيْدَةً نفحت له من حيث هَبَّتْ ، وذلك لأنَّ رَيْدَةً فاعل
بمحذوف يفسره نفحت ، فلو كان نفحت مضافا إليه حَيْثُ لزم بطلان
١٥٣ التفسير ، إذ المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ، فلا يفسر عاملا فيه .
قال أبو الفتح (فى كتاب التمام (٢)) : ومن أضاف حيثُ إلى المفرد
أعربها . انتهى .

وقال العيني : إنَّ حيث لم يضاف فى البيت إلى جملة ، فيكون معربا
ومحلّه النصب على الحالية . انتهى .

يريد ما ذكره أبو الفتح من أنَّها إذا أُضيفت إلى مفرد أعربت ، فتكون
منصوبة لفظاً على الظرفية ، وعاملها مقدّر منصوب على الحالية ، كما قالوا مثله
فى : رأيت الهلال بين السحاب . هذا مراده .

وقال شارح شواهد المغنى : الصواب أنَّها ظرف لضرب لا حال ،
فإنَّها ظرف مكان ، كما أنَّ تحت ظرف مكان لتقطعهم .

ولم يفهم ابن الملا الحلبى (فى شرح المغنى) عبارة العيني وزيفها ،
وهذا كلامه ، ومن خطه نقلت : وقول العيني هنا أنَّ (حيث) حيث لم

(١) اللسان (ريد) . وستأتى فى ص ٥٥٩ نسبه إلى أى حية النمرى كما وردت النسبة فى
العيني ٣ : ٣٨٦ .

(٢) كتاب التمام فى تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكرى . وقد طبع فى بغداد سنة
١٩٦٢ بتحقيق الأساتذة : القيسى ، وخديجة ، ومطلوب .

تضيف إلى جملة معربة محلّها النصب على الحال ، مردود ، إذ لا معنى لجعل إعرابها محليا مع الحكم عليها بأنّها معربة . انتهى .

وقول شارح أبيات المغنى « كما أنّ تحت ظرف مكان لنطعنهم » . هذه رواية العيني ، أخذها منه ، فإنّ صاحب المغنى لم يورد إلّا المصراع الثانى .

والمشهور فى شرح المفصل وغيره أنّ الرواية « حيثُ الحبا » ، قال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : يجوز أن يكون حيثُ مضافاً إلى الحُبا على حدّ حيث لى العمائم ، إلّا أنّه لا يظهر فيه الإعراب . والحُبا : جمع حُبة ، وهو أن يجمع الرجلُ ظَهْرَه وساقيه بعمامته ، وقد يحتبى بيديه . وفيها ضم الحاء وفتحها . وقال الجوهري : والجمع جَبِيّ مكسور الأول ^(١) ؛ عن يعقوب . والذى أنشده شيخنا البحراني وكتبه بخطه : الحبا بضم الحاء وبالألف . انتهى .

ورواية الشارح المحقق فى جميع نسخه : « الكلى » بدل الحبا . وبهذه الرواية تم المصراع الدمامينى ، وتبعه ابن الملا . وهو جمع كُلية ، والكُلوة لغة فيه . وقال ابن السكيت : ولا تقل كِلوة أى بكسر الكاف . والمراد بالروايات الثلاث الأوساط . ولكِلّ كُليتان ، وهما لحمتان لازقتان بعظم الصُّلب عند الخاصرتين .

وقوله : (ونطعنهم) قال صاحب المصباح : طَعَنه بالرَّح طعنا من باب قتل . ثم قال : وطعنت فيه بالقول ، وطعنت عليه من باب قتل أيضا ؛ ومن باب نفع لغة . وأجاز الفراء يَطْعَن فى جميع معانيه بالفتح ، لمكان حرف الحلق . وفى القاموس : طعنه بالرح كمنعه ونصره طعناً : ضربه ، وفيه بالقول

(١) ش : « بكسر الأول » ، وما أثبت من ش يوافق ما فى الصحاح .

طعنا . وقال شارح أبيات المغنى : يقال طَعَنَهُ بالرمح يَطْعُنُهُ بالضم فى المضارع ، وكذا كل ما هو جِسِّيٌّ . وأما المعنويّ (١) كيَطْعَنَ فى التَّسَبُّبِ فبفتح العين .

وقوله : (بعد ضربهم) مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والفاعل محذوف ، أى ضربنا إيَّاهم . وقوله (ببيض المواضى) بالكسر : جمع أبيض ، وهو السيف .

والمواضى : جمع ماضٍ ، وهو القاطع الحادّ ، والإضافة من باب إضافة الموصوف إلى الصفة . وقال العينى : البَيْضُ بفتح الباء : الحديد . والمواضى : السيوف . أراد ضربهم بحديد السيوف فى رُءُوسهم . ويجوز كسر الباء إلى آخر ما ذكرنا . ولا ينبغي لمثله أن يسوّد وجه الورق الأبيض بهذه التّرهات .

وهذا البيت لم يُعرف له قائل . قال ابن المستوفى : هذا البيت لا يحسن أن يكون من باب ما يُفتخر به ، لأنّهم إذا ضربوهم مكان لىّ العمام ولم يموتوا ، واحتاجوا إلى أن يطعنوهم مكان الحُبا - وعادة الشجاع أن يأتى بالضرب بعد الطعن - فهذا منهم فعلُ جبانٍ خائفٍ غير متمكّن من قتل قرنه . وإثما الجيّد قول بلعاء بن قيس ، من بنى ليث بن كنانة :

وفارس فى غمرات الموت منغمس

إذا تألّى على مكروهٍ صدقا (٢)

غشّيته وهو فى جأواءٍ باسلةٍ

عَضْباً أصاب سوائ الرأس فانقلقا

(١) فى النسختين : « المعنى » ، وأثبت ما فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٢) الحماسة ٥٩ بشرح المرزوق .

بضريّة لم تكن منى محالسة

ولا تَعَجَّلْتُهَا جُنَا وَلَا فَرَقَا

فانظر كيف وصف قرنه بما وصف به ، ووصف موضعه وبالغ في وصفهما ^(١) ، ووصف ضربته بما يدل على جرأته وشجاعته . انتهى .

هذا ولم يورد الزمخشري (في المفصل) هذا البيت بتمامه ، وإنما قال : وقد روى ابن الأعرابي بيتاً عجزه :

« حيث لى العمائم »

قال التبريزي (في شرح الكافية) . إنما لم ينشد البيت بتمامه للاختلاف في صدره ، فبعضهم رواه كما ذكر ، وبعضهم قال : صدره : ونحن سقينا الموت بالسيف معقلاً

وقد كان منهم حيث لى العمائم

انتهى .

وقال ابن المستوفى : وما أنشده ابن الأعرابي فقد قال الأندلسي : وجدت أنا تمامه في بعض حواشي المفصل ، وهو :
ونحن قتلنا بالشام معقلاً

وقد كان منا حيث لى العمائم

قال : ولا أعلم صحته . وأوله على ما أنشدني شيخنا محمد بن يوسف البحراني :

(١) ط : « في موضعهما » ، صوابه في ش .

ونطعنهم حيث الحُبَا بعد ضربهم .. البيت
 ولم يَتمَّه بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) إلا بقوله :
 (ونحن سقينا الموت بالشَّام مَعْقِلًا
 وقد كان منكم حيث لىَّ العمائم)

وقال : المعنى ونحن سقينا هذا الرجل ، وهو مَعْقِلٌ ، كأس الموت بهذه
 البلدة ، وقتلناه ، وقد كان هذا الرجلُ منكم فوق العروس منكم ، أى كان
 رئيسكم وعاليًا عليكم . وقال بعض الشارحين : معناه قد كان المعقل منكم ،
 وهو الملجأ ، في مكان لىَّ العمائم ، وهو الرأس . وهذا ليس بظاهر . انتهى .
 وهذا البيت أيضاً لم يعرف قائله .

أقول : البيت الذى رواه ابن الأعرابى غير ذينك البيتين . قال الصاغانى
 (فى العُباب) : وروى ابن الأعرابى بيت كثير :
 وهاجرةٍ يا عَزَّ يَلْطُفُ حَرْها
 لركبانها من حيث لىَّ العمائم
 نَصَبْتُ لها وجهى وعَزَّةٌ تَتَّقِي
 بجلبايها والسَّترِ لَفَحَ السَّمائم

ويروى : « من تحت لوث العمائم » .
 ولعلَّ الزمخشري لم ينشده لرجحان الرواية الثانية عنده .
 وأمَّا البيت الذى أنشده صاحب المغنى ، وهو :
 * إذا رَيْدَةٌ من حيث ما نفحت له * إلخ .

فهو لأبى حية التُمَيْرِيّ : شاعر إسلامي أدرك الدولة الأموية والعباسية .
توفّي سنة بضع وثمانين ومائة .

والريدة ، براءٍ مهملة مفتوحة ومثناة تحتية بعدها دال : الريح اللينة
الهُبوب . ونفحت : هبّت . والريّا : الرائحة .

وقد أورد أبو عليّ هذا البيت (في الإيضاح الشعري) وتكلّم عليه
فيه ، ولم يظفر به أحدٌ من شُرّاح المغني ، فلا بأس بإيراده . قال :

وصفّ أبو حية التُمَيْرِيّ بهذا البيت جَمَاراً . يقال ريحٌ راذةٌ وريذةٌ ١٥٥
وريدانة : اللينة . وريّاها : ربحها . وخلييل ، يعني أنفه . يقول : تأتيه الريح
لتنسّمه إياها بأنفه . فإذا هذه ، هي التي هي ظرفٌ من الزمان ، لأنّ المعنى :
إذا نفحت ريحٌ تنسّمها . وإذا كانت كذلك كانت « ريذة » مرتفعة بفعل
مضمر يفسّره نَفَحْتُ ، مثل : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ^(١) ونحو ذلك ،
ومن متعلّقة بالمحذوف الذي فسّره « نَفَحْتُ » . وما أضيف إليه « حيث »
محذوف كما يُحذف ما يضاف إليه إذ في يومئذٍ للدلالة عليه ، وأنّه قد علّم أنّ
المعنى إذا نفحت من حيث ما نفحت . وإن شئت قلت : إن حيث مضافة
إلى نفحت ، وريذة مرتفعة بفعل مضمر دلّ عليه نفحت ، وإن كان قد
أُضيف إليه حيث ، كما دلّ عليه الفعل الذي في صلة أنّ في قولك : لو أنّك
جئتني لأكرمك ، وأغني عنه . فكذلك هذا الفعلُ المضاف إليه حيث ،
أغني عن ذلك الفعل لَمّا دلّ عليه ، كما قلنا في لو . ألا ترى أنّ المضاف إليه
مثلٌ ما بعد الاسم الموصول ، في أنّ كلّ واحدٍ منهما لا يعمل فيما قبله . ومع

(١) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ذلك فقد أغنى الفعلُ الذى فى صلة أنَّ عن الفعل الذى يقتضيه لوْ ، وإن كان قبل الصلة . فكذلك الفعل المضاف إليه حيثُ . انتهى بكلامه وحروفه .
و « ما » تكون زائدة فى التوجيهين .

ونقل عن ابن مالك أنَّها فى التوجيه الأول عوضٌ عن الجملة المحذوفة ، كالتنوين الذى فى حينئذٍ .

وبالتوجيه الثانى يسقط قول ابن هشام : « فلو كانت نفحة مضافاً إليه ^(١) لزم بطلان التفسير ، إذ المضافُ إليه لا يعمل فيما قبل المضاف » . ويتأيد قول الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : لا مانع من كون نفحة مضافاً إليه مع جعله مفسراً .

وما استند إليه منظورٌ فيه ، لأنَّ الظاهر من كلامهم أن امتناع تفسير ما لا يعمل مخصوصٌ بباب الاشتغال .

* * *

تم بعون الله وتيسيره الجزء السادس - من خزانة الأدب - بتقسيم محققها

(١) ش : « مضافاً إليها » .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

٢٧٣	مزاحم بن الحارث العُقيل	١٨	أمية بن الأسكر
٢٩٠	يزيد بن أسيد السلمى	٣٠	الأشهب بن رميلة
٢٩٠	يزيد بن حاتم	٣٢	حريث بن محقق
٢٩٦	يزيد بن مَزِيد	٤٠	سنان بن الفحل
٣٠١	ربيعة الشرق	٤٠	عبد الرحمن بن الضحاك
٣٤٥	المثلسم الضبعى	٥٥	يزيد بن مفرغ
٣٧٠	عوف بن عطية بن الخرع	٦٠	الريان بن سهلة
٣٧٣	ابن لسان الحمرة	٧٠	على بن أئى طالب
٣٧٩	أبو مهوش الأسدى	٧٦	أبو بكر بن دغاس
٣٨٤	عوياف القوافى	٧٦	ابن برى
٤١٦	زيد بن عمرو بن نفيل	٧٧	مصعب الحننى
٤١٧	سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل	٧٨	علم الدين السخاوى
٤١٩	ثيبه بن الحجاج	٨٩	أبو الرئيس الثعلبى
٤٤٨	أبو الغول الطهوى	٩٣	الخبل السعدى
٤٤٩	أبو الغول النهشلى	٩٥	من يقال له الخبل
٤٦٢	الحريرى صاحب المقامات	١٢٥	سويد بن أئى كاهل
٤٦٤	سعد الوراق الحظيرى	١٣٨	منظور بن حبة
٤٦٦	أبو زياد الأعرابى	١٨٠	جذع بن سنان
٤٧٣	أنس بن زنيم	٢٠٤	وائل بن صريم
٥٢٤	يـوم أواره	٢٥٧	عمرو بن أهر

(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الموصول

الشاهد	صفحة
٤٢١	كَالَّذِ تَزَيُّ زَيَّةً فَاصْطِيدَا ٣
٤٢٢	فَقُلْ لِّلْث تَلَوْمُكَ إِنَّ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُعَوِّذُ بِالتَّيْمِيمِ ٦
٤٢٣	أُبْنَى كُليبٍ إِنَّ عَمِّي اللِّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَا ٦
٤٢٤	هُمَا اللَّثَا لَوْ وَلَدْتُ تَيْمِيمٌ لِّقِيلَ فخر لَهُمْ صَمِيمٌ ١٤
٤٢٥	قَوْمِي اللَّذُو بُعَاظُ طَيْرُوا شَرًّا مِنْ رُوسِ قَوْمِكَ ضَرِيًّا بِالمَصَاقِيلِ ١٤
٤٢٦	وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجِ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدَ ٢٥
٤٢٧	وَبَشَى ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْثُ ٣٤
٤٢٨	عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمِنَتْ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيْقُ ٤١
٤٢٩	فَقُلْتُ لَهُ : لَا وَالَّذِي حَجَّ حَاتِمٌ أَخُونُكَ عَهْدًا إِنَّنِي غَيْرُ خَوَانٍ ٥٦
٤٣٠	فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ ٦١
٤٣١	أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَهُ ٦٢
٤٣٢	كَيْفَ يَخْفَى عَنْكَ مَا حَلَّ بَنَا أَنَا أَنْتَ الْقَاتِلِي أَنْتَ أَنَا ٧٢
٤٣٣	مَنْ الثَّغْرُ اللَّائِي الَّذِينَ إِذَا اعْتَرَوْا وَهَابَ الرَّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ فَعَقَعُوا ٧٨
٤٣٤	مَا أَنْتَ وَبَيْ أَبِيكَ وَالْفَخْرُ ٩١
٤٣٥	يَا سَيِّدًا مَا أَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ ٩٥
٤٣٦	عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمْنِي لَيْمٌ كَخَنْزِيرٍ تَمْرُغُ فِي رَمَادٍ ٩٩
٤٣٧	رُبَّمَا تَكْرَهُ النَّفْسُ مِنَ الْأَمْرِ بِرٍ لَهُ فَرْجَةٌ كَحُلِّ الْعِفَالِ ١٠٨
٤٣٨	فَكَفَى بَنِي فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ عَمِيدٍ إِنَّا نَا ١٢٠
٤٣٩	رُبَّ مَنْ أَنْضَجَتْ غِيظًا صَدْرَهُ قَدْ تَمَتَّى لِي مَوْتَا لَمْ يُطْعَ ١٢٣

الشاهد	صفحة
٤٤٠ آل الزبير سنّامُ المجد قد علّمت	١٢٨ ذاك العشيّة والأثرونَ من عددا
٤٤١ يا شاةً من قنصر لمن حلّت له	١٣٠ حرّمت على وليتها لم تحرم
٤٤٢ أو تُصبيحى فى الظّاعين المولّى	
٤٤٣ ولقد أبيت من الفتاة بمنزل	١٣٩ فأبيت لا حرج ولا محروم
٤٤٤ دعى ماذا علّمت سائقه	١٤٢ ولكن بالمغيّب نبينسى
٤٤٥ ألا تسالان المرء ماذا يحاول	١٤٥ أنحب فيقضّى أم ضلال وباطل
٤٤٦ وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا	١٥٠ سوى أن يقولوا : إننى لك عاشق
٤٤٧ من اللواتى واللى واللاق	١٥٤ زعمن أئى كبريت لداتى
٤٤٨ فإن أدع اللواتى من أناس	١٥٧ أضاعوهن لا أدع الدنيا
٤٤٩ ذوبية تصفرّ منها الأنامل	١٥٩
٤٥٠ بس الليالى شهدت من طريى	١٦١ شوقاً إلى من بيت يرقدها

باب الحكاية بمن وما وأى

٤٥١ أتوا نارى فقلت : متون أنتم	١٦٧ فقالوا : الجن . قلت : عمواظلاما
--------------------------------	-------------------------------------

باب أسماء الأفعال

٤٥٢ مهلاً فدأ لك الأقوام كلهم	١٨١ وما أثمر من مال ومن ولد
٤٥٣ كذب العتيق وماء شن بارداً	١٨٣ إن كنت سائلتى غبوقاً فاذهبى
٤٥٤ يا أيها المائح دلوى دونكا	٢٠٠ إنى رأيت الناس يحمدونكا
٤٥٥ وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم	٢٠٨ وما بال تكليم الديار البلاقع
٤٥٦ تذر الجماجم صاحبا هاماتها	٢١١ بله الأكف كأنها لم تُخلق
٤٥٧ حمال أثقال أهل الود آونة	٢٢٨ أعطهم الجهد منى بلة ما أسع
٤٥٨ ألا حياء لىلى وقولا لها هلا	٢٣٨ فقد ركبث أمراً أغر محجلا

الشاهد	صفحة
٤٥٩ ومتى أهلك فلا أحفله	٢٤٦ بَجَلَى الْآنَ مِنَ الْعِيشِ بَحْلُ
٤٦٠ أَنْشَأْتُ أَسَالَهُ مَا بَالُ رُفْقَتِهِ	٢٥١ حَى الْحُمُولُ فَإِنَّ الرِّكْبَ قَدْ ذَهَبَا
٤٦١ يَتَّارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ	٢٥٨ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلُ
٤٦٢ فَهَيَّجَ الْحَى مِنْ كَلْبٍ فَظَلَّ لَهُمْ	٢٦٦ يَوْمَ كَثِيرٍ تَنَادِيهِ وَحَيْهَلُهُ
٤٦٣ بِحَيْهَلًا يُرْجُونَ كُلَّ مَطْيَةِ	٢٦٨ أَمَامَ الْمَطَايَا سِيرُهَا الْمُتَقَاذِفُ
٤٦٤ لَشْتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدِيِّينَ فِي النَّدَى	٢٧٥ يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَعْرُ بْنُ حَاتِمٍ
٤٦٥ قَالَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا قَرَارٍ	٣٠٧
٤٦٦ مَتَكْنَفِي جَنَنِي عُكَازَ كُلَيْهِمَا	٣١٢ يَدْعُو وَلِيْدُهُمْ بِهَا قَرَارٍ
٤٦٧ وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ	٣١٦ دُعِيَتْ تَرَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ
٤٦٧ أَنَا اقْتَسَمْنَا حُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا	٣٢٧ فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارٍ
٤٦٩ جَمَادٍ لَهَا جَمَادٍ وَلَا تَقُولِي	٣٣٩ طَوَالَ الذَّهْرِ مَا ذُكِرْتُ حَمَادٍ
٤٧٩ أَطَلْتُ فِرَاطَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا	٣٥٢ قَتَلْتُ سَرَاتَهُمْ قَالَتْ : قَطَاطٍ
٤٧١ وَالْخَيْلُ تَعْدُو فِي الصَّعِيدِ بَدَادٍ	٣٦٣
٤٧٢ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ	٣٧٠ فَأَذَا لَصَافٍ تَبْيِضُ فِيهِ الْحُمْرُ
باب الأصوات	
٤٧٣ دَعَاهُمْ رِدْفِي فَارْعَوَيْنَ لَصَوْتِهِ	٣٨١ كَارُعَتْ بِالْجَوْتِ الظَّمَاءُ الصَّوَادِيَا
٤٧٤ تُرْدُ بِحَيْهَلٍ وَعَاجٍ كَأَنَّمَا	٣٨٧ مِنَ الْعَاجِ وَالْحَيْهَلُ جُنَّ جَنُوتُهَا
٤٧٥ حَتَّى اسْتَقَامَتْ لَهُ الْآفَاقُ طَائِعَةً	٣٨٩ فَمَا يُقَالُ لَهُ هَيْدٌ وَلَا هَادٌ
٤٧٦ وَقَوْلٍ إِلَادٍ فَلَا دَوٍ	٣٩١
٤٧٧ رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُكْيَةً بِالْقَدَى	٣٩٨ وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِجِ
٤٧٨ وَفِي كَأَنَّ مِنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يَخُ	٤٠٤ سَبَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعْشَى عَيْشَ ضَرٍّ

الشاهد	صفحة
٤٧٩	ولقد شَفَى نفسى وأبرأ سَقَمَها
٤٨٠	روافده أكرمُ الرافِساتِ
٤٨١	وصار وصلُ الغانياتِ أُنحَا
٤٢٦	

باب المركب

٢٨٢	كُلِّفَ من عَنائه وشِقْوَتِه
٤٨٣	ولا تَبْلَى بِشاشتُهُمُ وإن هُمُ
٤٨٤	فلولا يومُ يومٍ ما أردنا
٤٨٥	تَفَقُّاً فوقَه القَلْعُ السَّواري
٤٣٠	بنت ثمانى عشرة من حِجَّتِه
٤٣٣	صَلُّوا بالحربِ حيناً بعد حين
٤٤٠	جزاءك والقروضُ لها جزاءُ
٤٤٢	وَجُنَّ الخازِبارُ به جُنونا

باب الكنايات

٤٨٦	كَأَنَّ فَعَلَةً لم تَمَلَأْ مواكِبُها
٤٨٧	اكفف اكفف
٤٨٨	وإِنِّي لَأَكُونُ عن قَدُورٍ بغيرِها
٤٨٩	كم بجودٍ مَقْرِفٍ نال العُلاَ
٤٩٠	كم فى بنى سعد بن بكر سَيِّدٍ
٤٩١	كم نالنى منهمُ فضلاً على عُدُمِ
٤٩٢	كم عَمَةٍ لك يا جريرُ وخالَةٍ
٤٤٧	ديارَ بكرٍ ولم تَحْلُغْ ولم تَهَبِ
٤٥٢	
٤٦٥	وأعربُ أحياناً بها فأصارُحُ
٤٦٧	وكريمُ بُخْلُهُ قد وَضَعَهُ
٤٧٦	ضَخِمَ الدَّسِيعَةُ ماجِدُ نَفَّاعِ
٤٧٧	إِذْ لا أَكادُ من الإِقْتارِ أَجْتَمِلُ
٤٨٥	فَدَعَاءٌ قد حَلَبْتُ عَلَى عِشارى

باب الظروف

٤٩٣	ونحن قَتَلنا الأَزْدَ أَزْدَ شِئْوَةٍ
٤٩٤	إِنِّي أَتَتْنى لساناً لا أُسَرُّ بها
٤٩٥	بآية يُقَدِّمونَ الحَيْلَ شَعَثا
٥٠١	فما شَرِبوا بَعْدَها على لَذَّةِ حَمَرٍ
٥١١	من عُلُو لا عَجَبٌ منها ولا سَحَرُ
٥١٢	كَأَنَّ على سَنابِكها مُدَاما

الشاهد	صفحة
٤٩٦ أَلَا مِنْ مُبْلَغٍ عَنِّي تَمِيمَا	بَايَةَ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا ٥١٨
٤٩٧ يَهْزُ الْهَرَائِعَ عَقْدُهُ عِنْدَ الْخُصِيِّ	بِأَذَلِّ حَيْثُ يَكُونُ مِنْ يَتَذَلَّلُ ٥٣٤
٤٩٨ نَهَيْتُكَ عَنْ طِلَابِكَ أُمَّ عَمْرٍو	بِعَاقِبَةٍ وَأَنْتَ إِذْ صَحِيحُ ٥٣٩
٤٩٩ عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا	فَقُلْتُ أَلَمَّا تَصْنَعُ وَالشَّيْبُ وَازْعُ ٥٥٠
٥٠٠ وَنَطَعْنُهُمْ حَيْثُ الْكُلَى بَعْدَ ضَرْبِهِمْ	بِیضِ الْمَوَاضِي حَيْثُ لِي الْعَمَائِمُ ٥٥٣

خزانة الأندلس

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء السابع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصوري

مكتبة الخالجي

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

□ حقوق الطبع محفوظة □

○ الطبعة الثالثة ○

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأنشد بعده : وهو الشاهد الحادى بعد الخمسمائة :

٥٠١ (أما ترى حيث سهيل طالعا)

وبعده :

* نجمًا يضيء كالشهاب ساطعا *

على أنَّ حيثُ مضافةٌ إلى مفرد بُندرة ، وسهيل مجرور بإضافة حيثُ إليه . وفي هذه الصورة يجوز بناء حيثُ وإعرابها . وروى برفع سهيل على أنَّه مبتدأٌ محذوف الخبر ، أى موجود ، فتكون حيثُ مبنيةً مضافةً إلى الجملة ، وهى هنا على كلِّ تقدير وقعت مفعولا ^(١) ل ترى ، لا ظرفاً له . هذا محصل كلام الشارح المحقق .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت أنشده الكسائى وجعل حيثُ اسما ولم يعربه ، لأنَّ كونه اسما لا يُخرجه عن البناء ، كقوله تعالى : ﴿ من لئن حكيم خبير ^(٢) ﴾ . يريد أنَّ موضع حيثُ

(١) ش : « مفعولة » .

(٢) الآية الأولى من سورة هود . وفى ش : « حكيم عليم » من الآية ٦ من سورة النمل .

النصبُ بترى ، فإن قلت : إنَّ حيثُ إنّما جاءَ اسماً في الشعر ، وقد يجوز أن تجعل الظروفُ أسماءً ^(١) في الشعر . فالجوابُ أنَّ ذلك قد جاء اسماً في غير الشعر . وقد حكى أحمد بن يحيى عن بعض أصحابه أنهم قالوا : هي أحسنُ الناس حيثُ نظرَ ناظرٌ ، يعنى الوجه . فهذا قد جاءَ في الكلام . ومما جاءَ مفعولاً به قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حيثُ يجعلُ رسالاته ﴾ ^(٢) كما تقدم . اهـ .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : مذهب البصريين أنه لا يجوز إضافتها إلى المفرد ، وما سُمِعَ من ذلك نحو : ١٥٦

* حيثُ لىَّ العمام ^(٣) *

نادر . وأجاز الكسائى الإضافة إلى المفرد قياساً على ما سمع [من] إضافتها إلى المفرد . اهـ .

ولا يخفى أنَّ إعراب هذا الشعر مشكل . والذى أراه أنَّ الرؤية بصرية ، وأنَّ حيثُ مفعول به ل ترى ، وسهيل مجرور بإضافة حيثُ إليه ، وطالعا حال من سهيل . ومجئى الخطل من المضاف إليه وإن كان قليلا فقد ورد منه كثيرٌ في الشعر . قال تأبط شراً :

سَلَبْتُ سِلاحِي بِائِسًا وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبٍ
فَبَائِسًا حَالٌ مِنَ الْبِائِءِ .

قال ^(٤) أبو على (فى المسائل الشيرازيات) : قد جاءَ الحال

(١) ط : « أسماء » .

(٢) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام . وهذه قراءة الجمهور . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالافراد ، ووافقهما ابن محيصن . إنحاف فضلاء البشر .

(٣) انظر الشاهد ٥٠٠ فى الجزء السادس .

(٤) ش : « وقال » .

من المضاف إليه فى نحو ما أنشده أبو زيد :
عَوِذْ وَبُهْتَةُ حَاشِدُونَ ، عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتْلَهُبُ (١)

ومضاعفًا حال من الحديد . اهـ .

وقال الشاطبى (فى شرح الألفية) : مثلُ هذا إنما يكون على توهم إسقاط المضاف ، اعتبارًا بصحة الكلام دونه . ومن هنا أجاز الفارسى فى قول الشاعر (٢) :

أرى رجلاً منهم أسيِّفًا كأنما يضمُّ إلى كشحيه كفاً مخضِبًا

أن يكون مخضِبًا حالاً من الهاء فى كشحيه وهو مضاف ، ولكنه فى تقدير : يضمُّ إليه ، لأنه إذا ضمَّه إلى كشحيه فقد ضمَّه إليه ، فكأنه قال : يضمُّ إليه ، فهو فى التقدير حال من المجرور بحرف ، وهو جائز كما تقدم . وكذلك جعل مضاعفًا من قوله « حلق الحديد مضاعفاً يتلهَّب » حالاً من الحديد . اهـ .

وكذلك المعنى هنا ، فجاء طالعاً حالاً من سهيل على توهم أنه مفعول وسقوط حيث ، فيكون نَحْمًا على هذا بياناً لسهيل أو بدلاً منه . ويجوز أن يكون منصوباً على المدح .

ونقل الدمامينى (فى الحاشية الهندية) عن شارح اللباب أن طالعاً مفعول ثانٍ لترى ، أو حال من سهيل إن جعلت حيث صلة ، بمنزلة مقام فى قوله :

(١) من شواهد الخزنة ٣ : ١٧٣ . وهو لزيد الفوارس .

(٢) الأعشى . ديوانه ٨٩ وابن الشجرى ١ : ١٥٨ ، ٢٢٧ والإنصاف ٧٧٦ .

* نفيت عنه مقام الذئب ^(١) *

وإن لم يُجعل ^(٢) صلة يكون حالا ، والعامل معنى الإضافة ، أى مكانا مختصا سهيل حال كونه طالعا . ويجوز أن يكون حيث في البيت باقيا على الظرفية ، وحذف مفعول ترى نسيا ^(٣) كأنه قيل : أما تحدث الرؤية في مكان سهيل طالعا . اهـ .

قلت : جعل العامل معنى الإضافة غير مرضي عندهم ، وكذا القول بزيادة حيث ، والأولى أن تُجعل الحال من ضمير يعود إلى سهيل حذف هو وعامله للدلالة عليه ، أى تراه طالعا . هذا كلام الدماميني .

وقال اللبّبي ^(٤) (في شرح أدب الكتاب) ^(٥) : من جرّ سهيل نصب طالعا حالا من حيث ، لأنّ الحال من المضاف إليه ضعيفة . والتقدير : حيث سهيل طالعا فيه ، وحيث مفعول . [وإن جعلت] ^(٦) ترى بمعنى تعلم كان طالبا مفعولا ثانيا . ولا يجوز أن يكون حيث ظرفا لفساد المعنى . اهـ .

(١) قطعة من بيت للشماخ في ديوانه ٩٢ . ونعام إنشاده :

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

وهو من شواهد الخزائن ٤ : ٣٤٧ .

(٢) ش : « تجعل » .

(٣) النسي ، بالكسر والفتح : النسيان . والنسيان يأتي بمعنى الترك .

(٤) في ط : « التلي » ، وفي ش : « النسفى » والوجه ما أثبت ، وانظر الحاشية التالية .

(٥) في النسختين : « هذا الكتاب » والوجه ما أثبت ، وانظر ما سبق في الجزء السادس

ص ١٠١ .

ومن المعروف أن أدب الكاتب لابن قتيبة يسمى أيضا أدب الكتاب ، وعلى ذلك ألف ابن السيد كتابه : الاقتصاب في شرح أدب الكتاب .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من ش .

وقال العيني : حيث معرب إما منصوبٌ على الظرفية أو على المفعولية ، ويكون ترى علمية مفعوله الأول حيث ، ومفعوله الثانى طالعا ، أو تكون ترى بصرية فتكون حيث مفعولا به وطالعا حالا من حيث ، لا من سهيل . هذا كلامه .

وأما إن رفع سهيل ^(١) فطالعا حالٌ من ضمير خبر سهيل ، ونجما منصوب على المدح . وسُهَيْلٌ : نجمٌ عند طلوعه تنضح الفواكه وينقضي القیظ . والشَّهاب : شعلة من نار ساطعة أى مرتفعة ، فيكون ساطعا حالا مؤكدة . والهمزة فى أما للاستفهام . وهذا الشعر لم أعرف قائله ، والله سبحانه أعلم .

١٥٧

وقال التبريزى (فى شرح الكافية الحاجبية) : وأما قوله :
وأنتى حيث مايدنى الهوى بَصْرَى من حيث ماسلكوا أدنو فأنظور ^(٢)
فمن جَوَزَ إضافته إلى المفرد فما مصدرية ، أى من حيث السلوك :
ومن لا يجَوِّزُ يجعله ^(٣) فى محل المبتدأ وخبره محذوف ، فيكون مضافا إلى الجملة ، أو ما زائدة اهـ .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : والجملة التى تضاف إليها حيث شرطها أن تكون خبرية اسمية أو فعلية ، مثبتة ، مصدرة بماض أو مضارع مثبتين ، أو منفيين بلم أو لا . فأما قوله من حيث ما سلكوا فما زائدة .

* * *

(١) ش : « وان رفع سهيل » .

(٢) من شواهد الخزائن ١ : ١٢١ . والبيت لآين هرمة فى ديوانه ١١٨ عن سر الصناعة وشرح المعلقات للروزنى ٢٨٦ . وقد أغفلت نسبه فى الجزء الأول من الخزائن ، فلتبث فى الحاشية .

(٣) ش : « لا يجعله » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد الخمسمائة :

٥٠٢ (لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعِمِ)

هذا صدر وعجزه :

* فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بَيُوتُ كَثِيرَةٌ * .

على أَنَّ (حيث) المضافة إلى الجملة والمفرد قد تفارق الظرفية فتجرّ ، كما في البيت ، فإنّها في موضع جرّ بإضافة لدى إليها ، وقد تنصب على المفعوليّة كما في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾ ^(١) . وقد تنصب على التمييز كما في : هي أحسن الناس حيث نظر ناظرٌ ، يعني وجهها .

قال ابن هشام (في المغنى) : والغالب كونها في محل نصبٍ على الظرفية أو خفضٍ بمن ، وقد تخفض بغيرها كقوله :

* لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعِمِ *

وقد تقع مفعولاً به وفاقاً للفراسى ، وحمل عليه : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾ ، إذ المعنى أنّه تعالى يعلم نفس المكان المستحقّ لوضع الرسالة فيه لا شيئاً في المكان . وناصبها يعلم محذوفاً مدلولاً عليه بأعلم لا بأعلم نفسه ، لأنّ أفعال التفضيل لا ينصب المفعول به . فإنّ أوّلته بعالم جاز أن ينصبه في رأى بعضهم . ولم تقع اسماً لأنّ ، خلافاً لابن مالك ، ولا دليل له في قوله :

إِنَّ حَيْثُ اسْتَقَرَّ مِنْ أَنْتَ رَاعِي - جِئْتِي فِيهِ عَزَّةً وَأَمَانٌ ^(٢)

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وقد سبق التعليق عليها قريباً .

(٢) البيت غير منسوب . انظر العيني ٢ : ١٤ والجمع : ١١١ . وما بعد البيت إلى كلمة

« اسما » ساقط من ش .

لجواز تقدير حيث خبراً وحى اسماً . فإن قيل : يؤدّى إلى جعل المكان حالاً في المكان . قلنا : هو نظير قولك : إن في مكة دار زيد . ونظيره في الزمان : إن في يوم الجمعة ساعة الإجابة . اهـ .

وقوله : « والغالب كونها في محل نصب على الظرفية أو خفض بمن » ، بقى عليه خفضها بالباء وبغيرها . قال أبو حيان في (الارتشاف) : إنها جُرت بمن كثيراً ، وبقي شاذاً ، نحو :

* فأصبح في حيث التقينا شريدهم ^(١) *

وبعلّى . قال :

* سلامٌ بنى عمرو على حيث هأمكم *

وبالباء ، نحو :

* كان منا بحيث يُعكّى الإزار ^(٢) *

وبإلى ، نحو :

* إلى حيث ألت رحلها أم قشعم *

وأضيفت لدى إليها في قوله : « لدى حيث ألت رحلها » . وتمام الدليل في الآية أن يقال : لا يجوز أن تكون حيث ، ظرفاً ، لأنّ علم الله لا يختص بمكان دون مكان . ولا يجوز أن تكون مجرورة بإضافة أعلم إليها ، لأنها ليست بصفة وهي شرط في إضافة أفعل التفضيل . ولا يجوز أن تكون منصوبة به ، لأنّ أفعل التفضيل لا يعمل النصب في الظاهر .

(١) وكنا ورد هذا الصبر في المجمع ٢ : ٢١٢ .

(٢) ط : « يعلى » تحريف ، صوابه في ش والدرر اللوامع ١ : ١٧١ . يعكّى : يشد البطن .

١٥٨ وإذا بطل ذلك تعين أن يكون منصوبا على المفعول به بفعل مقتر دَلَّ عليه
أَعْلَمَ ، أَيْ اللهُ أَعْلَمَ يَعْلَمُ حَيْثُ يُجْعَلُ ، كَقَوْلِهِ :

* وَأَضْرَبَ مَنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا *

أَيْ أَضْرَبَ مَنَّا يَضْرِبُ الْقَوَانِسَ بِالسُّيُوفِ .

وَجَوَّزَ السِّفَاقِسِيُّ أَنَّ تَكُونَ بَاقِيَةً عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ
عَمَلِ أَعْلَمَ فِي الظَّرْفِ . وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى ظَرْفِيَّتِهِ ، وَالْإِشْكَالُ إِنَّمَا
يَرُدُّ مِنْ حَيْثُ مَفْهُومُ الظَّرْفِ ، وَكَمْ مَوْضِعٌ تُرِكَ فِيهِ الْمَفْهُومُ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَى
تَرْكِهِ . وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . اهـ .

وقوله: لا دليل له في قوله إِنَّ حَيْثُ اسْتَقَرَّ إلخ ، يريد : أَنَّ حَيْثُ فِيهِ
ظَرْفٌ ، وَهُوَ خَيْرٌ مَقْدَمٌ ، وَحُمِيَ اسْمُ إِنَّ مُؤَخَّرٌ كَقَوْلِهِمْ : إِنَّ عِنْدَكَ زَيْدًا .
وَيَرُدُّ عَلَيْهِ أَنَّ هَذَا الْحَمْلَ غَيْرُ مَرَادٍ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى إِنَّ مَكَانًا اسْتَقَرَّ فِيهِ جَمَاعَةٌ
أَنْتَ رَاعِيهِمْ وَحَافِظُهُمْ هُوَ حُمِيَ فِيهِ الْعِزَّةُ وَالْأَمَانُ . فَتَأَمَّلْ . وَالْحُمَى : الْمَكَانُ
الْمَحْمِيُّ مِنَ الْمَكْرُوهِ .

وقد ذكر أبو حيان (في تذكرته) أَنَّ حَيْثُ تَقَعُ اسْمًا لِكَاَنَّ ، وَتَقَعُ
مَبْتَدَأً ، وَأُورِدَ مَسَائِلُ تَمَرِينٍ لِحَيْثُ فَلَا بَأْسَ بِإِيرَادِهَا هُنَا ، قَالَ :

إِذَا قِيلَ : حَيْثُ نَلْتَقَى طَيْبٌ ، حَكَمَ عَلَى حَيْثُ بِالرَّفْعِ لِأَنَّهُ اسْمُ
الْمَكَانِ الَّذِي خِيَرَهُ طَيْبٌ ، وَهُوَ نَائِبٌ عَنْ مَوْضِعَيْنِ أُسْبِقُهُمَا مَحْلُودُ خِيَرَهُ
طَيْبٌ ، وَآخِرُهُمَا مَجْهُولٌ نَاصِبُهُ نَلْتَقَى . تَلْخِيصُهُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي نَلْتَقَى فِيهِ
طَيْبٌ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كان حيث نلتقى منه المحلّ من جانبيه وعِلانٍ ووعِلٍ

* ثلاثةُ أشرفن في طود عُتْلٍ *

أنشد هذا الشعر هشام وقال : ثلاثة خبر كان .

وإذا قيل إنَّ حيث زيد ضربت عمرًا ، ففيها وجهان : رفع زيد ونصب عمرو ، ونصب زيد وعمرو . فعلى الأوّل أبطل إنَّ في ظاهر الكلام ، ونصب عمرًا بضربت ، ورفع زيدًا بحيث لنيابة زيد عن محلّين أسبقهما يطلبه الضرب وآخرهما يرفع زيدًا ، وتقديرها : إنَّ في المكان الذي فيه زيد ضربت زيدًا . والكسائي يقول : ليس لأنَّ اسم ولا خبر . لأنّها مبطلّة عن ضربت ، إذ لم تكن من عوامل الأفعال . والبصريون يضمّون الهاء مع إنَّ ، ويجعلون الجملة الخبر . والقراء يقول : ضربتُ سُدَّ مَسَدٌ ضاربًا أنا . وقال هشام : يقال حيث زيدٌ عمرو ، بفتح الثاء ورفع زيد وعمرو ، وحيث زيدٌ عمرو بفتح الثاء وخفض زيد . وأما الفتح مع رفع زيد فمُفَارِقٌ للقياس يجري مجرى قول من يقول : حيث زيد عمرو ، فيضمُّ الثاء ويخفض بها زيدًا . قال :

* أما ترى حيث سهيل طالعا *

وقد حكوا عن العرب حيث سهيل بضم الثاء وخفض سهيل ، وهو فاسدُ العلة ، لأنَّ ضم الثاء يوجب رفع سهيل ، كما أن فتح الثاء يُوجِبُ به خفض سهيل . ولا ينبغي أن يبنى إلا على الأكثر والأعرف والأصحّ علة . وإذا قيل : إنَّ حيث أبوك كان أخوك ، رفع الأخ بكان وحيث

خبر كان ، والأب رفع بحيث لنيابتها عن محلّين أحدهما خبر كان والآخر رافع الأب وإن مبطلّة عن كان ، والتقدير : إن في المكان الذي فيه أبوك كان أخوك . ويجوز إن حيث أبوك كان أخاك ، فأخاك اسم إن وحيث خبر إن ، وأبوك رفع بالراجع من كان ، وحيث خبر كان ، والتقدير : إن أخاك في المكان الذي كان فيه أبوك .

وإذا قيل إن حيث أبوك قائم أخاك جالس ، نصب الأخ بإن وجالس خبر إن ، ورفع قائم بالأب ، وحيث نائبة عن محلين : أحدهما صلة الجالس (١) وهو الأسبق ، وآخرهما صلة قائم . ويجوز : إن حيث أبوك قائم أخاك جالس ، الأخ وجالس على ما كانا عليه (٢) والجواب الأول ، وقائماً نصب على الحال من أيك ، وحيث متضمنة لمحلّين أولهما صلة الجالس (٣) وآخرهما رفع للأب . ويجوز : إن حيث أبوك قائم أخاك جالساً ، أخاك اسم إن وحيث خبر إن ، وهى رافع الأب وقائماً حال الأب وجالساً حال الأخ . ويجوز إن حيث أبوك قائم أخاك جالساً ، أخاك اسم إن وحيث متضمّن محلين أولهما خبر إن وآخرهما صلة قائم ، وقائم رفع بأيك ، وجالساً نصب على الحال من أخيك . وإن فتحت ثاء حيث وأضيفت قيل : إن حيث أيك قائم أخاك جالس وجالساً ، على التفسير المتقدم . انتهى ما أورده أبو حيان .

وقال (في الارتشاف) : لم يجيء فاعلاً ولا مفعولاً به ولا مبتدأ . وقد قرع الكوفيون صوراً على حيث ، منها : حيث نلتقى طيب .

(١) ش : « صلة الجالس » .

(٢) ش : « كان عليه » .

(٣) ط : « صفة جالس » وأثبت ما في ش .

ثم ذكر بعض ما أورده في التذكرة .

والبيت من معلقة زهير بن أبى سلمى ، ولا بد من إيراد شيء مما قبله صاحب الشاهد ليتضح معناه . وهذه أبيات مما قبله وما بعده :

(لَعَمْرِي لَنَعَمَ الْحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ	بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حَصِينُ بْنُ ضَمْضَمٍ	أبيات الشاهد
وَكَانَ طَوًى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكْنَةٍ	فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ	
وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقَى	عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجِمٍ	
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ يَبُوتٌ كَثِيرٌ	لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا ثُمَّ قَشْعِمٍ	
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مَقْدَفٍ	لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ	
جَرَى مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ	سَرِيعًا وَإِلَّا يُبَدَّ بِالظُّلْمِ يُظْلَمُ)	

أراد بالحي حتى مرة من بنى ذبيان . وجر : ماضي من الجريرة ، وهي الجناية . ويؤاتيه : يوافقهم . وحصين بن ضمضم هو ابن عم النابغة الذبياني ، وكانت جنايته أنه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبيس امتنع حصين هذا من الصلح واستتر من القبيلتين ، لأن ورد بن حابس العبيسي كان قتل هرم بن ضمضم ، وهو أخو حصين ، فحلف حصين لا يغسل رأسه حتى يقتل وردا أو رجلا منهم . ثم أقبل رجل من بنى عبيس فنزل بحصين بن ضمضم ، فلما علم أنه عبيسي قتله ، فكاد الصلح ينتقض ، فسعى بالصلح وتحمل الديّة الحارث بن عوف وهرم بن سنان . ولهذا مدحهم زهير بقوله :
لنعم الحي .

وقد تقدم الكلام على هذه القصيدة وعلى سببها مفصلا في

الشاهد السادس والخمسين بعد المائة (١) .

وقوله : « وكان طوى كشحا » إلخ اسم كان ضمير حصين . والكشح : الخاصة ، يقال طوى كشحه على كذا ، أى أضمره فى نفسه . والمستكنة : المستترة . أى أضمر على غدره مستترة . وقوله : « فلا هو أبداها » أى : ما أظهر الغدر المستكنة ولا تقدم فيها قبل الصلح . وروى « ولم يتجمجم » بيمين ، أى لم ينتهته عما أراد مما كنتم . وقال الأعلم : أى لم يدع التقدم فيما أضمر ، ولم يتردد فى إنفاذه .

وشرح هذين البيتين تقدم فى الشاهد السادس والأربعين بعد المائتين (٢) .

وقوله : « وقال سأقضى حاجتى » إلخ فاعل قال ضمير حصين . وحاجته : ما كان أضمره فى نفسه من قتل عيسى . وورأى أى أمامى كقوله تعالى : ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ ومن وراءه عذاب ﴾ (٤) . وملجم يروى بكسر الجيم ، أى بألف فارس ملجم فرسه . ويروى بفتح الجيم ، أى بألف فرس ملجم . وأراد بها فرسانها . قال الأعلم : أى سأدرك ثارى ثم ألقى عدوى بألف ، أى أجعلهم بينى وبين عدوى . يقال ألقاه بحقه ، أى جعله بينه وبينه . وجعل ملجما على لفظ ألف فذكره ، ولو كان فى غير الشعر لجاز تأنيثه على المعنى . اهـ . وذلك لأن فرسا ممّا يذكر ويؤنث .

(١) الخزانة ٢ : ٥ .

(٢) الخزانة ٤ : ٣ - ٤ .

(٣) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

(٤) الآية ١٧ من سورة إبراهيم .

وقوله : « فشُدَّ » إلخ أى حمل حصين على ذلك الرجل العبسي فقتله ولم
تَفْزَع بيوت كثيرة ، أى لم يعلم أكثر قومه بفعله . وأراد بالبيوت أحياء
وقبائل . يقول : لو علموا بفعله لفزعوا ، أى لأغاثوا الرجل العبسي ولم يدعوا
حصينًا . وإنما أراد بقوله هذا أن لا يُفسدوا صلحهم بفعله . وقوله : « حيث
أَلَقَتْ رَحْلَهَا » أى حيث كان شدة الأمر ، يعنى موضع الحرب . وأمَّ قشعم :
كنية الحرب ، ويقال كنية المنية . والمعنى أن حُصَيْنًا شَدَّ على الرجل العبسي
فقتله بعد الصُّلح ، وحين حطَّت رحلها الحرب ووضعت أوزارها وسكنت .
ويقال هو دعاء على حُصين ، أى عدا على الرجل العبسي بعد الصلح وخالف
الجماعة ، فصيَّره الله إلى هذه الشدة ! ويكون معنى أَلَقَتْ رحلها على هذا :
تَبَيَّنَتْ وتمكَّنت .

هذا كلام الأعلام (فى شرح الأشعار الستة) . وتَفْزَع على روايته
بالبناء للفاعل .

وقال التبريزي : معناه شَدَّ على عُنُوِّهِ وحَدَّهُ فقتله ، ولم تَفْزَع العامة
بطلب واحد ^(١) وإنما قصد الثَّار ، أى لم يستعن على قتله بأحد .

ونقل صَعُوداً ^(٢) (فى شرح ديوان زهير) عن قوم ، أن أمَّ قشعم على
هذه الرواية هى أمَّ حُصين ، أى فلم تَفْزَع البيوت التى بحضرة بيت أمه ، لأنه
أَخَذَ ثَارَهُ . فلدى على قول الأعلام ظرف متعلق بشدَّ ، وعلى

(١) أى يطلب واحد منهم .

(٢) ش : « صاعوراء » ، تحريف . وهو محرز بن هيرة الأسدي أبو سعيد النحوي الكوفي ،
وهو أستاذ عبد الله بن المعتز . معجم الأدباء ١٩ : ١٠٥ وإنياه الرواة ٢ : ٨٥ وتاريخ بغداد ٣ :
٣٧٠ وابن النديم ٧٤ . قال القفطي : « ولقيه أشهر من اسمه » . ولنا أورده فى رسم الصاد .

قول صَعُودَاءَ يكون لدى متعلقا بمحذوف على أنه صفة ثانية لبيوت أو حال منه .

وروى الزوزنى : « ولم يُفزع بيوتًا » ، على أن فاعله ضمير حصين ، وقال : أى لم يتعرض لغيره عند مُلقى رحلِ المنية . ومُلقى الرّحال : المنزل ، لأنّ المسافر يُلقى به رحله ، أى أثاثه ومتاعه . أراد : عند منزل المنية . وجعله منزل المنية لحلّوها فيه . فعلى هذا يكون لدى متعلقا بـفُزع مضارع أفزعه أى أخافه ، بخلاف الأوّل فإنّه مضارع بمعنى أغاث أو علم . والمشهور رواية « فشّد ولم ينظر بيوتًا كثيرة » فيكون فاعل ينظر أيضا ضمير حصين ، ثمّ اختلفوا فرواه صعوداء ^(١) بفتح أوله وقال : لم ينظر أى لم ينتظر ، يقال نظرتُ الرجل أى انتظرته . وعلى هذا يكون المعنى لم ينتظر حصين أن ينصره قومُه على أخذ ثأره . وروى أبو جعفر « ولم يُنظر » بضم أوله وكسر ثالثه ، وقال : معناه لم يؤخر حصين أهل بيت قاتل أخيه فى قتله ، لكنه عجلَ قتلَه . فيكون يُنظر مضارع أنظره ، بمعنى أمهله وأخره . وعلى هذين الوجهين يكون لدى متعلقا بشّد ، وكذلك على قول من فسّر أم قشعم بالعنكبوت ، وهو أبو عبيدة ، أو بالضبع ، كما نقله صعوداء . ويكون المعنى : فشّد على صاحب ثأره بمضيعة من الأرض . قال صعوداء : أم قشعم عند الأصمعي : الحرب الشديدة . ومن جعلها العنكبوت أو الضبع فمعناه وجدّه بمضيعة قتلَه . وقال ابن الأثير (فى المرصع) : أم قشعم هى المنية ، والداهية ، والحرب ، والنسر ،

(١) ش : « صاعودا » فى هذا الموضع وتاليه . وانظر الحاشية السابقة .

والعنكبوت ، والضبع ، والذئب ، واللبؤة ، وفَسَّرَ بأحد هذه الأشياء . قال زهير :

* لدى حيث أَلَقْتُ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعِم *
 هذا كلامه .

وقشعم : فَعَلَمٌ من قَشَعَتِ الرِّيحُ الترابَ فانقشع ، وأقشع القومُ عن الشيء وتَقَشَّعُوا ، إذا تَفَرَّقُوا عنه وتركوه .

١٦١

وقوله : « لدى أُسَدٍ شاكى السلاح » إلخ هذا البيت في الظاهر غير مرتبط بما قبله ، ولا يعرف متعلق لدى أُسَدٍ . وقد فحصت عنه فلم أجِدْ من رَبطَه مع أَنَّهُ من أبيات علم المعاني ، أوردَ شاهداً لِحِجَازِ الجمع بين التجريد والترشيح . وقد رجعت إلى (معاهد التنصيص للعباسي) فلم أر فيه غير هذه الأبيات ، ولم يتكلم عليها بشيء ، ففَرِغْتُ إلى قريحتي وأعملت الفكرة ، فأرشدني الله إلى وجهه ، وهو أَنَّ لدى أُسَدٍ متعلق بأَلَقْتُ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعِم ، على تفسير أُمُّ قَشْعِم بالحرب ، ومعنى أَلَقْتُ رَحْلَهَا حَطَّت رَحْلَهَا الحَرْبُ ووضعت أوزارها وسكنت ، فيكون الإلقاء عبارة عن السُّكُون والهدوء ، كما قال الشاعر (١) :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ

ويكون المراد من الأسد الحارث بن عوف المري ، فإنه هو الذي أطفأ نار الحرب بين عبي وذيبيان ، بعد ما جرى بينهما في يوم

(١) هو مضرس الأسدى كما في البيان ٣ : ٤٠ أو معقر بن حمار كما في المؤلف ٦٩٢ والاشتقاق ٤٨١ . وفي اللسان (عصا) نسبته إلى عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر . ونسب في كتاب العصا من نوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ إلى راشد بن عبد الله .

داحس ، وسَعَى في الصُّلح بينهما بتحمُّل الديات مع عَمِّهِ هَرَم بن سِنان المَرى . وعلى هذا يَتَّضح الارتباط ويضمحل ما فسرَّ به أُمُّ قَشَعَم من سائر المعاني ، والله الحمد والمنة .

وقال الزوزنى : البيت كُلُّهُ من صفة حُصين بن ضمضم .

وقال الأَعلم والتَّبْرِيزى : أراد بقوله لدى أَسَدِ الجَيْش ، وحمل لفظ البيت على الأسد .

ولا يَخفى أَنَّهُ لا يصحُّ الارتباط بكُلِّ من هذين القولين .

وقوله : « شاكى السِّلَاح » وهو مقلوبٌ شائك كما بَيَّن في الصَّرْف ، أى سِلاحُهُ شائكةٌ حديدية ذاتُ شوكة .

والمَقْدَفُ ، بصيغة اسم المفعول ، قال الأَعلم وأبو جعفر : هو الغليظ الكثير اللحم ، فيكون ترشيحاً . كقوله : « له لَبْدٌ » إلخ . وقال الزوزنى : أى يُقْدَفُ به كثيراً إلى الوقائع والحروب . فعلى هذا يكون تجريدًا كشاكى السلاح . وروى صَعُوداءُ والتَّبْرِيزى : « مَقَاذِفُ » بكسر الذال وفسراه بمرامى ^(١) أى يَرَامى بنفسه في الحروب . وهذا تجريدٌ أيضاً .

وقوله : « له لَبْدٌ » هو بكسر اللام وفتح الموحدة ، جمع لَبْدَةٍ . قال الأَعلم : اللَّبْدَةُ : زُبُرَةُ الأسد . والزُّبُرَةُ : شعرٌ متراكبٌ متلبَّدٌ بين كتفى الأسد إذا أَسَنَ . وأراد بالأظفار السِّلَاح . يقول : سِلاحُهُ تَأَمُّ حديد . وأوَّلُ من كنى بالأظفار عن السِّلَاح أوس بن حجر في قوله :

لَعَمْرِكَ إِنَّا والأَحَالِيفَ هُوَلَا لَفَى حِقْبَةٍ أَظْفَارُهَا لم تَقْلِمُ

ثم تبعه زهيرٌ والنابعةُ في قوله :

(١) كذا في النسختين . والوجه « بمرام » .

أَتَوَكَّ غَيْرَ مَقْلَمَى الْأُظْفَارِ (١) اهـ

وقوله : « جرى » هو وصف أسد ، ويُظلم الأول ويُبدَّ كلاهما بالبناء للمفعول ، ويعاقب ويظلم الثانى بالبناء للفاعل . قال الأُعلم : قوله وإلا يبدَّ بالظلم إلخ . يقول : إن لم يُظلم بداهم ، لعزّة نفسه وجراءته . ومتى جازم لفاعلين . وسريعا إما حال من ضمير يُعاقب وإما مفعول مطلق ، أى عقابا سريعا . ويُبدَّ أصله يُبدأ بالهمزة ، فأبدلها ألفا ثم حذفت الألف للجازم . وقد أوردَ الشارح المحقق (فى أول شرح الشافية) لما ذكرنا .

وترجمة زهير بن أبى سلمى تقدّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الخمسمائة :

١٦٢ ٥٠٣ (للفتى عقلٌ يعيشُ به حيثُ تهدى ساقه قدّمه) (٣)

على أنَّ الأُخفش قال : إن حيث قد تأتى بمعنى الحين ، أى ظرف زمان ، كما فى هذا البيت .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : زعم أبو الحسين أنَّ حيث قد يكون اسماً للزمان ، وأنشد :

للفتى عقلٌ يعيشُ به البيت

(١) صدره فى ديوان النابغة ١٠٠ :

« وبنو قعين لا عمالة أنهم »

(٢) الخزاعة ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٣) مجالس ثعلب ٣ : ٣٢٨ وابن الشجرى ٢ : ١٦٢ وابن يعيش ١٠ : ٩٢ والمجم ١ :

٢١٢ وديوان طرفة ١٩ .

فجعل حيث فيه حيناً .

فإن قلت : فهل يجوز على هذا أن يكون موضع الجملة بعد حيث جراً ، لإضافة حيث إليه ، كما تضاف أسماء الزمان إلى الجمل ، فالجواب : أن ذلك لا يمتنع فيه إذا كان زماناً . اهـ .

وقال ابن مالك : لا حجة للأخفش فيه ، لجواز إرادة المكان على ما هو أصله . ويدل لما قاله أن المعنى على الظرفية المكانية ، إذ المعنى أين مشى ، لا حين مشى .

وقال ابن هشام (في المعنى) : وإذا اتصل بـحيث ما الكافة ضمنت معنى الشرط وجزمت الفعلين ، كقوله (١) :

حيثما تستقم يُقدَّر لك الد . هـ نجاحاً في غابر الأزمان

وهذا البيت دليلٌ عندى على مجيئها للزمان . قال الدماميني (في الهندية) : كأن ذلك جاء من قبل قوله : في غابر الأزمان ، فصَّرح بالزمان . وليس بقاطع ، فإن الظرف المذكور إما لغو متعلق بيقدر ، وإما مستقرٌ صفة لنجاحاً . وذلك لا يوجب أن يكون المراد بـحيث الزمان ، لاحتمال أن يكون المراد : أينما تستقم يُقدَّر لك النجاح في الزمان المستقبل .

وقوله : (حيث تهدي) قال في الصحاح : « وهذاه أى تقدّمه » . وأنشد البيت . (وساقه) : مفعول مقدم ، وقدمه فاعل مؤخر .

والبيت آخر قصيدة عدتها ثلاثة وعشرون بيتاً لطرفة بن العبد .

(١) المعنى ١٣٣ والمعنى ٤ : ٣٢٦ والأشعري ٤ : ١١ والجمع ٢ : ٣٧ . ولم يعرف له

وأورد أبو عبيد (في الغريب المصنف) البيت الذي قبل هذا ، فلنقتصر عليه ، وهو :

الهييتُ لا فؤادَ له والثبيتُ ثبته فهُمهُ

قال أبو عبيد : الهييت : الذاهب العقل . وقال شارح أبياته ابن السيرافي : المعنى أنَّ الجبان يذهب عقله ويطير قلبه من الفزع ، فلا يهتدي للصواب ، والثابت القلب يعرف وجه الرأي فيأتيه . وقوله « للفتى عقل » ، أى للفتى العاقل عقل يعيش به ، أين توجه انتفع به . اهـ .

وقال ابن السكيت (في شرح ديوانه) : الهييت : الذى فيه هبة أى ضربة بالعصا . وقال أبو عمرو : الهييت المبهوت جُبنا . ويروى : « والثبيتُ قلبه قيمه » ، أى قوامه . وقوله : « حيث تهدي » الخ أى عقل حيثما مشى . اهـ .

وقال الأعلام : (في شرح الأشعار الستة) : الهييت : المبهوت ، يقال رجل هييت ومبهوت ومبهوت بمعنى ، وهو الجبان المخلوع الفؤاد . وقوله : « والثبيت ثبته فهمه » أى من كان ثابت القلب ففهمه يُثبت عقله . وهذا مثل ضربه لشدة الحرب . وقوله : « للفتى عقل » يقول من كان عاقلاً وفتى معصراً عاش ، حيثما نقلته قدمه وذهبت به من أرض غربة وغيرها . اهـ .

وكلهم حملوا حيث على أصلها كما هو ظاهر من كلامهم .

وترجمة طرفة تقدمت في الشاهد الثاني والخمسين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الخمسمائة وهو من شواهد س^(١) :

٥٠٤ (ترفع لى خندف والله يرفع لى نارا إذا حمدت نيرانهم تقيد)

على أن إذا قد تجزم فى الشعر فعلين كما هنا ، فإن جملة حمدت فى محل جزم شرط إذا ، وتقيد جوابها ، وهو مجزوم وكسرة الدال للروى .

قال سيويه : وقد جازوا بها ، أى إذا ، فى الشعر مضطرين ، شبهوها بأن حيث رأوها لما يستقبل ، وأنها لابد لها من جواب .

وقال قيس بن الخطيم :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها نخطانا إلى أعدائنا فنضارب

وقال الفرزدق :

ترفع لى خندف والله يرفع لى (البيت)

وقال بعض السلوليين :

إذا لم تزل فى كل دار عرفتها لها واكف من دم عينيك يسجم^(٢)

فهذا اضطرار ، وهو فى الكلام خطأ ، ولكن الجيد قول كعب بن

زهير :

وإذا ما تشاء تبسعث منها مغرب الشمس ناشطاً مدعورا . اهـ

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٤ . وانظر المقتضب للمبرد ٢ : ٦٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٣

وابن يعيش ٧ : ٤٧ ودويان الفرزدق ٢١٦ .

(٢) فى النسختين : « تسجم » بالتاء هنا وفى المواضع التالية . والوجه ما أثبت من سيويه

والشتمرى .

وقوله : « إذا قصرت أسيفنا » إلخ يأتي شرحه إن شاء الله بعد بيت الفرزدق .

وقوله : (ترفع لي خندف) إلخ ، قال الأعلام : الشاهد فيه جزم تقيد على جواب إذا ؛ لأنه قدرها عاملة عمل إن ضرورة . يقول : ترفع لي قبيلتي من الشرف ماهو في الشهرة كالنار الموقدة إذا قعدت بغيري قبيلته . وخندف : أم مدركة وطابخة ابني الياس ، فلذلك فخر بخندف على قيس عيلان بن مضر .

وقوله : « إذا لم تزل في كل دار » إلخ قال الأعلام : الشاهد في جزم تسجّم على جواب إذا كما تقدّم . وتقدير لفظ البيت : إذا لم تزل في كل دار عرفتها من ديار الأحبة يسجّم لها واكف من دمع عينيك . ومعنى يسجّم ينصب^(١) . والواكف : القاطر . ورفعه بإضمار فعل دلّ عليه يسجّم . ويجوز أن يكون مرتفعاً به على التقديم والتأخير ضرورة . ويروى : « يسكب » .

والبيت لجرير في قصيدة بائية ، ونسب إلى غيره في الكتاب ، وغيرت صاحب الشاهد قافيته غلطاً . ويحتمل أن يكون لغيره ، من قصيدة ميمية .

وقوله : « وإذا ما تشاء تبعث » إلخ قال الأعلام : الشاهد فيه رفع ما بعد إذا على ما يجب فيها . وصف ناقته بالنشاط والسّعة بعد سير النهار كلّ ، فشبهها في انبعاثها^(٢) مسرعةً بنشاط قد دُعر من صائد أو سبع . والناشط : الثور يخرج من بلد إلى بلد ، فذلك أوحش له وأدعر . انتهى .

(١) في النسختين : « ومعنى تسجّم تنصب » . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) في النسختين : « بانبعثها » ، والوجه ما أثبت من الشتمري .

وروى بيت الفرزدق « إذا ما خبت نيرانهم تقيد » . وعليه فلا ضرورة فيه . ووقع بهذه الرواية (في بعض نسخ الباب) وقال : إنه قليل . قال شارحه الفالي (١) : هذا البيت لم يوجد مذكورا في نسخة مقابلة بنسخه المصنف ، والظاهر أنه إلحاق ، والصواب إذا خمدت ، لأن إذا بدون ما هو المبحث ، وأما مع ما فتجوز الجزم به قد لا يستبعد ، لأن إذ مع « ما » جُوز الجزم بها ، فإذا مع « ما » أجدر . انتهى .

ولم يرض الشارح المحقق الجزم بإدما أيضا كما سيأتي في آخر الكلام على إذا وإذ .

وقوله : « ترفع لي خندف » بكسر الخاء المعجمة والدال ، قال ابن هشام (في السيرة) : قال ابن إسحاق : ولد الياس بن مضر ثلاثة نفر : مدركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقمعة بن الياس ، بكسر القاف وتشديد الميم المفتوحة (٢) ، وأمهم خندف : امرأة من اليمن ، وهي خندف بنت الحاف بن قضاة . انتهى .

والخندفة : مشية كاهرولة ، ومنه سميت خندف ، واسمها ليل ، نسب ولد الياس إليها وهي أمهم . وإنما افتخر بها الفرزدق لأنه تميمي ، ونسب تميم ينتمي إليها . وتوین خندف للضرورة . وقوله (والله يرفع لي)

١٦٤

(١) في النسختين « الفالي » ، صوابه بالفاء ، كما سبق في حواشي ١ : ٣٣٨ .

(٢) هنا ضبط غريب . والمعروف أن قمعة بفتحين ، كما في التهذيب والقاموس واللسان ، وكما ضبط في كتب الأنساب . وقال في التهذيب ١ : ٢٩٣ : « يقال إنه لقب بقمعة لأنه انقمع في ثوب حين خرج أخوه مدركة بن الياس في بغاء إبل له ، وقعد الأخ الثالث يطبخ القدر ، فسمى باغي الإبل مدركة ، وسمى طابخ القدر طابخة ، وسمى المنقمع في ثوبه قمعة » .

أى إنَّ الرافع فى الحقيقة هو الله . وحمدت النار تُحمودا من باب قعد : ماتت فلم يبق منها شىء ، وقيل سكنَ لها وبقي جمرها . وأما خَبَتِ النارُ تُخبُوا من باب قعد أيضا ^(١) فمعناه خمد لها . و (تقد) مضارع وقدت النار وَقَدًا من باب وعد ، ووقودا ، أى اشتعلت .

وترجمة الفرزدق تقدّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(٣) :

٥٠٥ (إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب)

على أن (إذا) جازمة للشرط والجزاء فى ضرورة الشعر ، بدليل جزم نضارب بالعطف على موضع جملة كان وصلها إلخ الواقعة جوابا لإذا . ولولا أن جملة الجواب فى موضع جزم لما عطف عليه نضارب مجزوما . وأما كسرة الباء فهى للروى .

والبيت الذى قبل هذا ظهر أثر الجزم فيه على نفس الجواب ، بخلاف هذا البيت فإنه ظهر أثره فى تابعه ، ولهذا قدّمه على هذا البيت . وقد تقدّم نقل كلام سيبويه .

وإلى متعلّقة بوصلها . ويجوز أن يكون متعلّقا بالخطا . والمعنى فنخطو إلى أعدائنا . كذا قال اللّخمي .

وفيه على الأوّل الفصل بين المصدر ومعموله بمعمول غيره ، لأنّ خطانا

(١) وتقال من باب نصر أيضا ، والمصدر خبرا كنعرا .

(٢) الخزانة : ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٤ والمقتضب ٢ : ٥٧ وابن الشجرى ١ : ٣٣٣ ، وابن يعيش ٤ :

٩٧ / ٧ : ٩٧ . وديوان قيس بن الخطيم ٤١ .

خبر كان ، والعامل في إذا شرطها ، لأنها ليست حينئذ مضافة إليه .

قال اللّخمي : ويجوز أن يكون العامل كان .

وقال الأعمى : يقول : إذا قصرت أسيفنا في اللقاء عن الوصول إلى الأقران وصلناها بخطانا مُقدمين عليهم حتى ننالهم .

وقال اللّخمي (في شرح أبيات الجمل) : معنى البيت : إذا ضاقت الحرب عن مجال الخيل واستعمال الرماح نزلنا للمضاربة بالسيف ، فإن قصرت عن إدراك الأقران خطونا إليهم إقداماً عليهم فالحقناها بهم . انتهى .

قال ابن الشجري (في أماليه) : وإنما لم يجزوا بإذا في حال السعة كما جزموا بمتي ، لأنه خالف إن ، من حيث شرطوا به فيما لا بد من كونه ، كقولك : إذا جاء الصيف سافرت ، وإذا انصرم الشتاء قفّلت . ولا تقول : إن جاء الصيف ولا إن انصرم الشتاء ، لأنّ الصيف لا بد من مجيئه والشتاء لا بد من انصرامه . وكذا لا تقول : إن جاء شعبان كما تقول إذا جاء شعبان . وتقول : إن جاء زيد لقيته ، فلا تقطع بمجيئه . فإن قلت إذا جاء ، قطعت بمجيئه . فلمّا خالفت إذا إن ، فيما تقتضيه إن من الإبهام ، لم يجزوا بها في سعة الكلام . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة بائية مجرورة لقيس بن الخطيم ، ووقع أيضاً في شعر رويّه مرفوع .

أما القصيدة المجرورة فعدّتها ثمانية وثلاثون بيتاً ، أوردها محمد

ابن المبارك بن محمد بن ميمون (في منتهى الطلب ، من أشعار العرب) ،
ذكر فيها يوم بُعث ، وكان قبل الإسلام بقرب . ومطلعها :

(أتعرفُ رسماً كالطراز المذهبِ لعمرةٍ وحشاً غيرَ موقفِ راكِبِ

ديارَ التي كادت ونحْنُ على مِنى تحلُّ بنا لولا نجاء الرُكائبِ

تبَدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامية بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجِبِ) ١٦٥

إلى أن قال :

(إذ مافررنا كان أسواً فرارنا صُدودَ الخدودِ وازورارَ المناكِبِ

صُدودَ الخدودِ والقنا متشاجرٌ ولا تبرحُ الأقدامُ عند التضاربِ

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها البيت)

قال ابن السِّيد : وروى ^(١) : « إلى أعدائنا للتقارب » ، فلا شاهد

فيه . وروى أيضاً : « وإن قصرت أسيفنا ، فنضاربٌ » بالرفع على الإقواء .

وأسوا أصله مهموز فأبدل الهمزة ألفاً ، بمعنى أقبح . يقول : لا نفرُّ في الحرب

أبداً وإنما نصدُّ بوجوهنا ونُميل مناكبتنا عند اشتجار القنا ، أى تداخل بعضها

في بعض . وهذا لا يسمى فرارا وإنما يسمى اتقاءً . وهذا مملوحٌ في

الشُّجعان ، أى فإن كان يقع منا فرارٌ في الحرب فهو هذا لا غير .

وأما الذى رويهِ مرفوع فقد وقع في شعرين أحدهما في قصيدة للأخمس

ابن شهاب التغلبي ، أولها :

لِابْنَةِ حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رَقَّشَ الْعُنْوَانَ فِي الرَّقِّ كَاتِبٌ^(١)

ثم ذكر بعض قبائل العرب ومدح قبيلته فقال :
فوارسُها من تغلبَ ابنة وائل حماة كُماة ليس فيها أشائب
وإن قصرت أسيافا كان وصلها (البيت)

هكذا رواه المفضل بن بدل إذا ، ولكن روى المصراع الثاني كذا :

* خطانا إلى القوم الذين نضارب *

ورواه أبو تمام أيضًا بأن ، إلا أنه رواه : « إلى أعدائنا فنضارب » فيكون
نضارب خبر مبتدأ محذوف ، أى فنحن نضارب .

والقصيدة في رواية المفضل الضبي في (المفضليات) سبعة وعشرون
بيتا ، وشرحها ابن الأنباري . ورواها أبو عمرو الشيباني (في أشعار تغلب)
ثلاثين بيتا . وأوردها أبو تمام (في الحماسة) ثلاثة وعشرين بيتا . ونقلها
الأعلم الشنتمري (في حماسه) . وهذا مطلعها عنده :

فمن يك أمسى في بلادٍ مُقامه يسائل أطلالا بها ما تجاوبُ
فلا بنة حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ (البيت)

وأورد منها (في مختار أشعار القبائل) سبعة أبيات لا غير .

وأما الشعر الثاني فهو من قصيدة عدتها أربعة وعشرون بيتا لرقم أخى
بنى الصاردة^(٢) . وأوردها أبو عمرو الشيباني (في أشعار

(١) المفضليات ٣٠٤ .

(٢) في النسختين : « الصادرة » بتقديم الدال ، صوابه بتقديم الراء ، كما سيأتى في ٣٠٤

قبيلة محارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان) ، وهي عندى فى نسخة قديمة تاريخ كتابتها فى صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكاتبها أبو عبد الله الحسين بن أحمد الفزارى ، قال : نقلتها من نسخة أبي الحسن الطوسى ^(١) وقد عُرِضَتْ على ابن الأعرابى . وهذا أولها :

عَفَتْ ذِوْرَةٌ مِنْ آلِ لَيْلَى فَعَاذُبُ فَمَيْتُ التَّقَا مِنْ أَهْلِهِ فَالذَّنَائِبُ
وهذه أسماء أماكن أربعة . إلى أن قال :

وقد علمت قيس بن عيلان أننا لنا فى محلها الذرى والنوائب
وإننا لتقرى الضيف من قمع الذرا إذا أخلفت أنواءهن الكواكب
ونحن بنو الحرب العوان نشبها وبالحرِبِ سُمِينَا فنحن مُحاربُ
إذا قصرت أسافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضاربُ
فذلك أفنانا وأبقى قبائلا توقوا بنا إذ قارعتنا الكتائبُ
نقلب بيضا بالأكف صوارما فهن لهامات الرجال عصابُ

ثم ذكر حروبهم وغلبتهم فيها ، وختم القصيدة بقوله :

فتلك مساعينا لمن رام حربنا إذا ما التقت عند الحفاظ الكتائبُ

وأورد أبو محمد الأعرابى الأسود (فى كتاب ضالة الأديب) أربعة

أبيات من هذه القصيدة ، ولم يصرح باسم قائلها ، وهى :

تمنى دُرَيْدٌ أَنْ يَلَاقَى ثَلَّةً فقارعه من دون ذاك الكتائبُ
فنحن قتلنا بكره وابن أمه ونحن طعننا فى اسنهِ وهو هاربُ

(١) اسمه على بن عبد الله بن سنان ، كما فى إنباه الرواة .

ونحن بنو الحرب العوانِ نشبها (البيت)
إذا قصرت أسيفنا كان وصلها (البيت)

والبيتان الأولان غير مذكورين في رواية أبي عمرو الشيباني (١) ، والظاهر
أنهما من قصيدةٍ لآخر ، لأنَّ رُقيماً قال في قصيدته :

ويوم دُرَيْدٍ قد تركناه ثاوياً به داميأت في المَكْر جوالِبُ

وقال أبو محمد الأعرابي : سبب هذا الشعر أنَّ دريد بن الصمة هجأ
زيدَ بنَ سهلٍ المحاربي في قصيدة قالها دريد ، حين غزا غطفان غزوة ثانية ،
فأغار على بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فهرب عياض بن ناشب الثعلبي ، ثم
غزاهم فأغار على أشجع فلم يصبهم ، فقال دريد في ذلك :

قتلنا بعبدِ الله خيرَ لِداتِهِ ذَوَابَ بنِ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قارِبِ

وهي ثمانية عشر بيتاً ، ومنها :

تَمَنَيْتَنِي زَيْدَ بنَ سَهْلٍ سَفَاهَةً وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا تَحْتَوِيكَ مِقَانِبُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ جَعَدُ الْقَفَا مَتَعَكَّسٌ مِنْ الْأَقِطِ الْحَوْلِيِّ شَبْعَانُ كَانِبُ

وهذان البيتان بالرفع على الإقواء . والمتعكس : المتشئ غصون القفا .
والكانب ، بالنون : الممتلى الغليظ . وآخرها :

فليت قبوراً بالمراضين حَدَّثَتْ بِشَدَّتْنَا فِي الْحَيِّ حَيَّ مُحَارِبِ (٢)

(١) كلمة « الشيباني » ساقطة من ش .

(٢) قال ياقوت : تنية المراض بلفظ جمع مريض ، ثنى بعد أن سمي . قال الليث : المراضان :
واديان ملتقاهما واحد ، وقال : المراضان والمراض : مواضع في ديار تميم ، بين كازمة والنفرة ، فيها
أحساء ، ليست من بلب المرض ، والميم فيها ميم مفعول ، من استراض الوادي ، إذا استنقع فيه الماء .

قال أبو محمد : ولما ذكر دريد محارباً قال بعضهم يردُّ عليه . وذكر الأبيات الأربعة .

وقد أورد الشريف الحسيني هبة الله (في حماسه) البيت الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة التي رواها أبو عمرو الشيباني ونسبها لسهم بن مرة المحاربي ، وهي :

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها البيت
ونحن بنو الحرب العوان نشبها البيت
فذلك أفنانا وأبقى قبائلا البيت
والله أعلم بحقيقة الحال .

فظهر ممّا ذكرنا أن البيت من ثلاث قصائد .

قال ثعلب : هذا البيت يتنازعه الأنصار ، وقريش ، وتغلب . وزعمت علماء الحجاز أنه لضرار بن الخطّاب الفهري ، أحد بني محارب من قريش .
وقال ابن الأنباري (في شرح المفضليات) : هو للأخمس ١٦٧
ابن شهاب . قال : هو أول العرب وصل قصّر السيوف بالخطي - في قوله :

وإن قصرت أسيفنا البيت

ومنه استرق كعب بن مالك الأنصاري صلة السيوف فقال :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا فُدماً وتلحقها إذا لم تلحق

انتهى .

وهذا هو الصحيح ؛ لأنه قاله قبل أن يُخلق هؤلاء بدهر ، كما

سيأتي . ومنه تعلم خطأ جماعة اعترضوا على سيبويه في روايته البيت بالكسر ، منهم ابن هشام اللخمي ، قال (في شرح أبيات الجمل) : روى سيبويه هذا البيت بكسر الباء من نضارب على أن يكون معطوفاً على موضع كان ، والبيت من شعر كله مرفوع . وكذلك أدخله أبو تمام (في حماسته) فيحتمل أن يكون سيبويه رواه مقوى لقيس بن الخطيم ، والصحيح أنه للأخنس بن شهاب . هذا كلامه .

واعلم أن جماعة من الشعراء تداولوا هذا المعنى ، وقد أوردنا جملة مما قالوه في الشاهد السادس والخمسين بعد الأربعمئة ، عند بيت كعب بن مالك الأنصاري (١) .

وزعم المبرد (في الكامل) أن قول أبي مخزوم النهشلي :

إذا الكُماة تنحّوا أن ينالهمُ حُدَّ الطُّبَاتِ وصلناها بأيدينا (٢)

مأخوذ من بيت كعب بن مالك . وليس كما زعم ، كما بينا .

ومن تبع الأخنس بن شهاب في المعنى حناك بن سَنَّة العبسي الجاهلي - وهو بكسر المهملة وتخفيف النون وآخره كاف ، وسَنَّة بفتح السين المهملة وتشديد النون - قال :

أبني جذيمة نحنُ أهلُ لوائكمُ وأقلّكم يومَ الطَّعانِ جَبانا

كانت لنا كرمُ المواطنِ عادةً نصيلُ السيوفِ إذا قصرنُ خطانا

أوردهما الآمدي (في المؤتلف والمختلف) .

(١) الخزاعة ٦ : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) في النسختين : « تنالهم » بالناء ، وأثبت ما في الكامل ٦٥ .

ومنهم : أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ، قال :

والسيفُ إن قصَّره صانعٌ طوَّله يوم الوغى باعى ^(١)

ومنهم : ودَّك بن نَمِيل المازنى ، قال :

مقاديمُ وصَّالون في الرُّوع خطوهم بكلِّ رقيقِ الشِّفرتين يَمَانِي

ومنهم : نَهشل بن حَرَّى ، قال :

فَتَى كان للرمح الأصمَّ محطما طعاناً وللسيف القصيرُ مطيلاً ^(٢)

ومنهم : عُبيد الله بن الحرِّ الجُعفى ، قال :

إذا أخذت كفىً بقائمٍ مُرهِفٍ وكان قصيراً ، عاد وهو طويلُ

ومنهم : نابغة بنى الحارث بن كعب ، واسمه يزيد بن أبان ، قال :

وإذا السيوف قصُرنَ بَلَّغَهَا لنا حَتَّى تناوَل ماتريدُ خطانا

ومنه قول عبد الرحمن بن سلامة الحاجب :

ويوم تقصُرُ الآجالُ فيه نُطاوَلُه بأرماحٍ قصارٍ

وقال آخر :

تُطِيلُ السيوفُ المَرَهَفَاتُ لدى الوغى خطانا إذا ارتدَّتْ حُطَى وسيوفُ ^{١٦٨}

وقد أخذه مسلم بن الوليد وزاد فيه وأجاد :

(١) الذى فى المفضليات ٢٨٦ :

وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يقصر به باعى

(٢) ط : « للرمح الأسن » ، صوابه فى ش .

إِنْ قَصَّرَ السَّيْفُ لَمْ يَمْشِ الْخَطِيَّ عَدَدًا أَوْ عَرَّدَ السَّيْفُ لَمْ يَهْمُمْ بِتَعْرِيدٍ (١)

قال ابن الأثير : (في المثل السائر ، في السرقات الشعرية) :

الضرب السادس : السَّلَخ ، وهو أَنْ يُؤْخَذَ المعنى فيزاد عليه معنى آخر . فمِمَّا جاء منه قول الأحنس بن شهاب ، وأخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه . وأنشد البيت .

وأخطأ الخالدیان (في شرح ديوان مسلم) ، في زعمهما أَنَّ مسلماً أخذه من قيس بن الخطيم .

وروى أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ الحُصْرِيّ (في كتاب الجواهر ، في الملح والنوادر) أَنَّ بعض الأمراء أعطى سيفاً لرجل ، فقال : هو قصير . قال : صِلْهُ بِخُطُوتِكَ . قال : الصَّيْنُ أَقْرَبُ مِنْ تِلْكَ الْخُطُوةِ !

ومثله ما رواه الخالدیان قالا : روى أَنَّ المهلبَ نظر إلى سيف مع بعض ولده فقال له : إِنَّ سَيْفَكَ لقصير . قال : ليس بقصير من يَصِلْهُ بِخُطُوه . فقلل بعض من حضر المجلس : تلك الخُطُوةُ أصعبُ من المشرق إلى المغرب . وروى أَنَّ الحجاجَ سأل المهلبَ أَنْ يريَه سيفه ، فلما نظر إليه قال : يا أبا سعد ، إِنَّ سَيْفَكَ لقصير . قال : إذا كان في يدي فلا .

وأما قيس بن الخطيم فهو شاعرٌ فارس أنصاريٌّ ، مات كافراً .

قيس بن الخطيم

قال ابن حجر (في الإصابة) : قيس بن الخطيم الأنصاري ، ذكره

(١) في النسختين : « إن قصر السيف الخطا عددا » ، وتكلمته من ديوان مسلم ١٥٩ ، وفي

شرحه : « يقول : إن قصر الرمح عن إدراك من أراد أن يطلعه به لم يمش الخطا تباطؤا كمثل من بعد خطاه ، بل يسرع هو عند ذلك » .

علی بن سعد العسکری ^(١) فی الصحابة ، وهو وهم فقد ذکر أهل المغازی أنه قدِم مكة فدعاه النبی ﷺ إلى الإسلام وتلا علیه القرآن فقال : إني لأسمع كلامًا عجيبًا ، فدعني أنظر في أمری هذه السنة ثم أعود إليك . فمات قبل الحول . وهذا هو الشاعر المشهور ، وهو من الأوس ، وله في وقعة بُعث التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة . انتهى .

والخطيم ، بفتح الخاء المعجمة وكسر الطاء المهملة .

وهذه نسبته : قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر - وظفر هو كعب - ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر - وهو ماء السماء - بن حارثة الغطريف .

وقيس شاعر الأوس ، وهو القائل ^(٢) :

طعنْتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةً ناثِرَ	لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءَها
ملكْتُ بها كُفًى فَأَنهَرْتُ فتَقَها	يَرى قائِماً من دونها ما وراءَها
وكنْتُ امرأً لا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سَبَّهَ	أُسَبُّ بها إِلَّا كَشَفْتُ غِطاءَها
وإِنِّي في الحربِ الضُّروسِ مُوكَّلَ	بإقدامِ نفسٍ لا أريدُ بقاءَها
إذا سَقِمْتُ نَفْسِي إلى ذى عداوةٍ	فإِنِّي بنصْلِ السِّيفِ باغٍ دواءَها
متى يأتِ هذا الموتُ لم تَبَقْ حاجةٌ	لنَفْسِي إِلَّا قد قُضِيَتْ قضاءَها

(١) في الإصابة : « على بن سعيد » .

(٢) ديوانه ٧ - ١٠ .

وقائم فاعل يرى . ودون ووراء من الأضداد ، فإن كان الأول بمعنى
قُدَّام كان الآخر بمعنى خلف ، وإن كان الأول بمعنى خلف كان الثاني بمعنى
قُدَّام . وملككت بمعنى شددت وضبطت . وأنهرت : أوسعت : وقد ضمن
المصراع الصنفى الجلى فى قوله :

تزوج جارى وهو شيخ صبية فلم يستطع غشيانها حين جاءها
ولو أننى بادرئها لتركئها يرى قائم من دونها ما وراءها

١٦٦

وابن عبد القيس الذى قتله هو رجل من قبيلة عبد القيس . كان قتل
أباه الخطيم فأخذ ثأره منه .

ومن شعر قيس :

وما بعض الإقامة فى ديار يُهانُ بها الفتى إلا عياء (١)
يريد المرء أن يُعطى منه ويأبى الله إلا ما يشاء
وكل شديدة نزلت بقوم سيأتى بعد شدتها رخاء
ولا يُعطى الحريص غنى بحرص وقد ينمى على الجود الثراء
غناء النفس ما عمرت غناء وفقر النفس ما عمرت شقاء (٢)
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مُزِر بصاحبه السخاء

(١) فى ديوانه ٩٦ : « إلا عياء » . وفى الحماسة بشرح المرزوق ١١٨٧ : « إلا بلاء » . ويقال
داء عياء : لا دواء له . وقال المرزوق : « قوله وما بعض الإقامة ، إنما بعضها لأنه أشار إلى الإقامة التى
أوائلها تنزاح معها العليل ، ويسهل فى اختيارها الانفصال والترحل ، وأواخرها تتعرض بما يعرض فيها
حتى يشق لها التلوم والتلبث » .

(٢) فى الديوان :

« غنى النفس ما عمرت غنى » .

وفى الحماسة :

« غنى النفس ما استغنى غنى » .

وبعضُ الداء ملتَمَسٌ شفاه وداءُ الثَّوكِ ليس له شِفَاءُ

قال صاحب الأغاني : قيس بن الخطيم هذا هو صاحب المنافسات مع حسان بن ثابت . وذلك أن حسناً كان يذكر لى بنت الخطيم أختَ قيس في شعره ، وكان قيس يذكر في شعره امرأته عمرة ، كما ذكرها في مطلع قصيدة البيت الشاهد .

وحكى المفضل قال : لما هدأت حربُ الأوس والخزرج تذكَّرت الخزرج قيسَ بن الخطيم ونكايته ^(١) فيهم ، فتواعلوا إلى قتله ، فخرج عشيةً من منزله يريد مالا له ، حتَّى مرَّ بأطم بنى حارثة ، فرمى منهم بثلاثة أسهم أحدها في صدره ، فصاح صيحةً سمعها رفقته ، فجأؤوه وحملوه إلى منزله فلم يروا له كفتاً إلا أبا صعصعة بن زيد بن عوف ، من بنى النجار . فاندسَّ إليه رجلٌ حتَّى اغتاله في منزله فضرب عنقه واشتمل [على] رأسه ، وأتى به قيساً وهو بآخر رمقٍ فألقاه بين يديه وقال : يا قيسُ ، قد أدركتُ بئارك . فقال : عَضِضْتُ بِأُيْرٍ أَيْيَكَ إِنْ كَانَ غَيْرَ أَيْيَ صَعْصَعَةٍ . فقال : هو أبو صعصعة . وأراه الرأس ، فلم يلبث أن مات على كفره قبل قدوم النبي ﷺ المدينة .

وأما الأخنس بن شهاب فقد قال ابنُ الأنباري (في شرح الأخنس بن شهاب الفضليات) : هو الأخنس بن شهاب بن ثُمَامَةَ بن أَرْقَمَ بن حُزَابَةَ بن الحارث ابن ثُمَيْر بن أسامة بن بكر بن معاوية بن غَنَمَ بن تغلب . والأخنس شاعر جاهليٌّ قبل الإسلام بدهر . انتهى .

وأما رُقَيْمُ أخو بني الصَّارِدَةِ ^(٢) المحاربي فالظاهر أنه شاعرٌ إسلامي

(١) ط : « نكأته » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٢) انظر ما مضى في ص ٢٨ .

لأن أبا عمرو الشباني قال بعد تلك القصيدة : وقال رقيم أيضا وكان سعد بن مُعَاذٍ الأنصاري خاله :

اهتز عرشُ الله ذى الجلالِ لموت خالى يومَ مات خالى
ورقيم (بضم الراء وفتح القاف) . والصادرة اسمه سعد بن بذاوة بن
ذهل بن خُلف بن محارب . كذا (فى جمهرة الأنساب) .

ولم يذكرهُ ابن حجر (فى الإصابة) . فإذا لم يكن صحابيا
ولا مُحَضَّرًا يكون تابعيًا ، ويكون سعد بن معاذ خال أبيه أو خال إحدى
أمهاته . والله أعلم .

وقد أورد ابن حجر من اسمه رقيم من الصحابة (١) لكنّه أنصاري لا
محاربى . قال : أبو ثابت ، رقيم بن ثابت بن ثعلبة الأنصاري الأوسى ،
استشهد بالطائف .

وأنشد بعده :

١٧٠

(إذا الخصم أبزى مائل الرأس أنكب)

على أن وقوع الجملة الاسمية بعد إذا شاذ .

وتقدم ما يتعلّق به فى الشاهد التاسع والخمسين بعد المائة (٢) . وهذا
عجزٌ وصلّره :

* فهلاّ أغلّونى لمثلى تفاقدوا *

(١) ش : ه فى الصحابة .

(٢) الخزائن ٣ : ٢٩ .

وهو من أبياتٍ مذكورة (في الحماسة) وقد شرحناها هناك .

وإذا ظرف لأعلوني . وجملة « تفاقدوا » اعتراضٌ بينهما . يقول : هلاً جعلوني عُدةً لرجلٍ مثلي ، فقد بعضهم بعضاً ، وهلاً ادّخروني ليوم الحاجة إذا كان الخصمُ هكذا متأخر العُجز مائل الرأس منحرفاً . وهذا تصويرٌ لحال المقاتل إذا انتصب في وجهه مقصوده . ورجلٌ أبزى بالزء المعجمة : يخرج صدره ويدخل ظهره . وأبزى هنا مَثَلٌ ، ومعناه الراصد المخاتل ، لأنَّ المخاتل ربّما انتشى فيخرج عجزه . وفسره أبو رياش بقوله : تحامل على خصمه ليظلمه . فجعل أبزى فعلاً ماضياً ، وإنّما المعروف بزوت الرجل ، ومنه اشتقاق البازي . وعليه فالخصم مرفوعٌ بفعل يفسره أبزى ، فلا شنوذ حينئذ . قال في القاموس : وبزى فلاناً : قهره وبطّش به ^(١) كأبزى به . ويرفع مائلُ الرأس على أنّه يدلّ من الخصم . والأنكب : المائل ، وأصله الذي يشتكي منكبيه ، فهو يمشي في شِقٍّ . ومائل الرأس أي مصعر من الكبير .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد السادس بعد الخمسمائة :

٥٠٦ (حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ
شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا ^(٢))

(١) ط : « وتطيش به » ، صوابه في ش والقاموس .

(٢) أمالي ابن الشجرى ١ : ٣٥٨ / ٢ : ٢٨٩ والإنصاف ٤٦١ والممع ١ : ٢٠٧ ودويوان

الهلذلين ٢ : ٣٨ .

على أَنَّ جواب إذا عند الشارح المحقق محذوف لتفخيم الأمر ،
والتقدير : بلغوا أملهم ، أو أدركوا ما أحبوا ، ونحو ذلك .

وهذا هو الصواب من أقوال ثلاثة في إذا .

قال ابن السِّيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : هذا مذهب
الأصمعي ، ومثله يقول الراجز :

لو قَدْ جَدَاهُنَّ أَبُو الجودِيَّ برَجَزٍ مُسَخَّنٍ الرُّويِّ

مستويات كَتَوَى البرنِيَّ

أراد : لأَسْرَعَنَّ .

وذهب جماعة إلى أَنَّ شلاً أثر الجَوَاب ، إذ التقدير : شلَّوهم شلاً ،
فاستغنى بذكر المصدر عن ذكر الفعل لدلالته عليه . منهم أبو علي (في
التذكرة) ، قال : شلاً منتصب بجواب إذا .

ومنها : ابن الشجري (في أماليه) قال : البيت آخر القصيدة ،
فلا يجوز أن تنصب شلاً بأسلكوهم ، لئلا يبقى إذا بغير جواب ظاهر ولا
مقتر ، ولكن تنصبه بفعل تضره فيكون جواب إذا ، فكأنك قلت : حتَّى
إذا أسلكوهم شلَّوهم شلاً .

ومنها : ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) قال : لم يأت بالجواب ،
لأنَّ هذا البيت آخر القصيدة ، والتقدير فيه : حتَّى إذا أسلكوهم شلَّوهم شلاً ،
فخذف للعلم به توتخياً للإيجاز .

وهذا المذهب غير سديد في المعنى ، لأنَّ الشَّلَّ أي الطرد إنما
كان قبل إسلاكهم في قنائة ، أي إدخالهم فيها ، وكلامهم يقتضي

أن يكون بعد ذلك ، وهو فاسد ، وإنما شلاً حال من الواو ، أى شالين ، أو من هم ، أى مشلولين . والأقيس الأول لقوله كما تطرد الجمالة ، فشبه الشل بشل الجمالة ، وهم الطاردون . وإذا كان حالاً من ضمير المفعول وجب أن يقول : كما تطرد الجمال الشرد ، وهو مع ذلك جائز لأن العرب قد توقع التشبيه على شيء والمراد غيره . والكاف فى كما فى موضع الصفة لشلاً ، وما مصدرية ، كأنه قال : شلاً كطرد .

١٧١

و (الشرد) بضمّتين : جمع شرود : وهى من الإبل التى تفرّ من الشيء إذا رآته ، فإذا طردت كان أشدّ لفرارها ، فلذلك خصّها بالذكر .

قال ابن السّيد : وقال أبو عبيدة : إذا زائدة ، فلذلك لم يؤت لها بجواب . فالمدانى مسبق بأبى عبيدة فى هذا لا أنّه قوله كما هو صريح كلام الشارح المحقق . ويؤيده ما روى أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى ترجمة أبى عبيدة من طبقات النحويين) قال : حدّثونا عن رجل عن أبى حاتم قال : أُملى علينا أبو عبيدة يبتّ عبد مناف بن ربيع الهذلى :

حتى إذا أسلكوهم فى قتالدة

البيت

قال : هذا كلام لم ينجى له خبر (١) .

وهذا البيت آخر القصيدة . قال : ومثله قول الله جل ثناؤه : ﴿ ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ بل لله

(١) المراد بالخبر هنا الجواب .

الأمرُ جميعاً ﴿^(١)﴾ ، قال : فجئت إلى الأصمعي فأخبرته بذلك فقال : أخطأ ابنُ الحائك ، إنما الخبر في قوله شلاً ، كأنه قال : شلّوهم شلاً . قال : فجعلت أكتب ما يقول ، ففكر ساعة ثم قال لي : اصبر فإنّي أظنّه كما قال ؛ لأنّ أبا الجوديّ الراجز أنشدني :

لو قد حداهنّ أبو الجوديّ برجزٍ مُسحقٍ الرويّ
مستوياتٍ كنوى البرنيّ

فهذا كلامٌ لم يجيء له خبر . انتهى .

وهذا النقل يخالف ما قاله ابن السّيد ، وكذلك يخالفه قول شارح أشعار هذيل السُّكريّ ^(٢) ، وهو غير أشعار الهذليين ، في شرح هذا الشعر ، قال الأصمعيّ : هذا ليس له جوابٌ ، وقد سمعت خلفاً ينشد ^(٣) عن أبي الجوديّ :

لو قد حداهنّ أبو الجوديّ (الأبيات)

لم يجعل له جواباً . وقال : قد يقال إنّ قوله شلاً جوابٌ ، كأنه قال : حتّى إذا أسلكوهم شلّوهم شلاً . انتهى .

فالنقل عن الأصمعيّ مضطربٌ كما ترى .

وقال في الصحاح : إذا زائدة ، أو يكون قد كفّ عن خبره لعلم السامع . انتهى .

ولا ينبغي القول بزيادة إذا لأنّها اسم ، والاسم لا يكون لغواً . وعلى تقدير القول يكون شلاً حالاً أيضاً كما قلنا .

(١) الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٢) ط : « للسكري » ، صوابه في ش .

(٣) ش : « ينشدهن عن أبي الجودي » .

وقوله (أَسْلَكُوهُمْ) أَسْلَكَ لغة في سَلَكَ ، يقال أَسْلَكَتُ الشَّيْءَ في الشَّيْءِ مثل سَلَكَتُهُ فِيهِ ، بمعنى أَدَخَلْتُهُ فِيهِ ، ولهذا أُنْشِدَ صَاحِبُ الْكَشَافِ هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ^(١) .

و (قَتَائِدَة) بضم القاف بعدها مثناة فوقية وبعد الألف همزة : بعدها دال مهملة . قال ابن السَّيِّد : هي ثنية ضيقة . وقال الأصمعي : كلُّ ثنية قَتَائِدَة . وقال في الصحاح : قَتَائِدَة : اسم عَقَبَة . وأنشد البيت وقال : أَيْ أَسْلَكُوهُمْ في طريقِ قَتَائِدَة . وقال البكري (في معجم ما استعجم) : قال اليزيدي عن ابن حبيب : هي جبل بين المنصرف والروحاء . ونسب قول الأصمعي لا يكون صرفها للضرورة . قال أبو الفتح : همزة قَتَائِدَة أَصْلٌ لَأَنَّهَا حشو ولم يدلُّ ^(٢) على زيادتها دليل . قال : ولا تحملها على حُطَّائِط وجُرَائِضٍ ^(٣) لَقَتَّيْمَا . انتهى .

ونقل ياقوت (في معجم البلدان) عن الأزهري أَنَّهَا جبل . وأنشد البيت .

(وَالشُّلُّ) : الطرد . و (الْجَمَّالَة) : فاعل تُطْرَدُ . قال ابن السَّيِّد : والجمَّالَة : أصحابُ الجمال ، كما يقال الحَمَّارَة لأَصْحَابِ الْحَمِيرِ ، والبَغَّالَة لأَصْحَابِ الْبَغَالِ . ولم يقولوا قَرَّاسَة ولا نَحْيَالَة . انتهى .

وقال ابن الشَّجَرِيّ (في معاني التاء) : الضرب الرابع أَنَّ يدلُّ

(١) الآية ٢٧ من سورة المؤمنون .

(٢) ط : « ولم يدخل » ، صوابه في ش . وقد تنبه لذلك مصحح بولاق فقال : « لعله لم

يدل » .

(٣) في النسختين : « وجرائد » ، صوابهما ما أثبت .

١٧٢ لحاق التاء على الجمع ، كقولهم رَجُلٌ جَمَلٌ ورجالٌ جَمَالَةٌ ، وِبَعَالٌ وِبَعَالَةٌ ، وِحَمَارٌ وِحَمَارَةٌ ، وِسَيَّارٌ وِسَيَّارَةٌ . وأنشد البيت .

(والشُّرْدُ) بضمّتين كما تقدّم ، قال في الصحاح ، ويروى البيت بفتحّتين أيضًا على أنّه جمع شارد ، كَحَلَمٍ جمع خادم . وقد وُصف في هذا البيت قومٌ هزموا حتّى أُلجفُوا إلى الدخول في قتادة .

وقد استشهد أبو علي به على أنّ تاء التانيث قد تحيىء دالةً على عكس دلالتها في باب تمرة وتمر . قال أحد شراح أبيات الإيضاح : ألا ترى أنّ جمالة واقع على الجمع ، فإن أردت الواحد أسقطت التاء فقلت جمال . وتمرة واقعة على المفرد ، فإن أردت الجمع أسقطت التاء فقلت تمر . فإن قال قائل : لعل التاء لم تلحق جمالة وأمثاله لما ذكرتم من التفرقة بين الجمع والمفرد ، ولحقته ^(١) من حيث كان صفة الجمع . ألا ترى أنّ الأصل كما تطرد الرجال الجمالة الشُّرْدُ . والجمع وإن كان لمذكّر قد تعامله العرب معاملة الواحدة من المؤنث ، ومن ذلك قولهم : « الرجال وأعضادها ، والنساء وأعجازها » . قيل له : الدليل على أنّ التاء في جمالة دخلت لما ذكر من الفرق ، أنّها من الصفات التي أتت على معنى النسب كدارع ولابن . ألا ترى أنّها غير مأخوذة من فعل ، كما أنّ دارعا ولابنًا كذلك . وقياس الصفات التي تأتي على معنى النسب التي لا تلحقها التاء وإن جرت على مؤنث نحو حائض وطامث ، فكان ينبغي على هذا أن لا تلحق التاء ، لولا ما أريد من التفرقة بين المفرد والجمع . وإنّما أدخلوها حين أرادوا التفرقة في صفة الجماعة ولم يدخلوها

١٧١

(١) ط : . ولحقته . ، صوابه من ش

في صفة المقرد ، لأنَّ جمع التكسير وإن كان لمن يعقل قد يُعامل معاملة
الواحدة من المؤنث كما تقدّم ، فكانت بذلك ^(١) أحقّ بالتاء . إلى هنا
كلامه .

والبيت آخر قصيدة عدتها اثنا عشر بيتاً لعبد مناف بن ربيع صاحب الشاهد
الجُرَيّ ^(٢) . وهي :

<p>لا ترقدان ولا بُوسى لمن رقدا من بطن حليّة لا رطباً ولا نقدا ضرباً أليماً بسيف يلعج الجليدا جيش الحمار فجاءوا عارضاً برّدا أولى العدىّ وتعدّ أحسنوا الطردا وفياً وزادوا على كليتهما عددا حتى كأنّ عليهم جابجا ليذا ^(٣) جيش الحمار ولاقوا عارضاً برّدا ضرب المعول تحت الديمة العضدا ^(٤)</p>	<p>(ماذا يغير ابتنى ربيع عويلهما كلتاهاما أبطنت أحشاؤها قصبا إذا تجرد نوح قامنا معه من الأسى أهل أنف يوم جاءهم لنعم ما أحسن الأبيات نهبة إذ قدّموا مائة واستأخرت مائة صابوا بستة أبيات وأربعة شّلوا على القوم فاعتطوا أوائلهم فالطعن شغشغة والضرب هيعة</p>
--	---

(١) ش : « لذلك » .

(٢) الجري ، بضم فتح : نسبة إلى جريب بن سعد بن هذيل كما سيأتى . وفيهم يقول
المعترض بن حيواء الظفرى :

رغبنا عن دماء بنى جريب ونعشو بالصميم إلى الصميم

وانظر شرح أشعر الهذليين ٦٧٧ ، ٦٧٩ ، ٦٩٣ .

(٣) في شرح السكري ٧٦٤ : « ويروى : طافوا ، ويروى : جاءوا بستة » . وفي ش :
« صعلبوا » مع أثر تغير ، وليس بالوجه . وفي النسختين : « جابجا » صوابه بالجيم من شرح أشعر
الهذليين .

(٤) ط : « فالطعن شغشغة » وكذا وردت في الشرح . والصواب ما أثبت من ش في
الموضعين .

وللقسَى أزاميلٌ وغمغمَةٌ حسَّ الجُنُوبُ تسوقُ الماءَ والبردا
 كأنَّهم تحت صيفيٍّ له نَحْمٌ مصرَّح طَحَرْتُ أَسْنَاهُ القَرْدَا
 حتى إذا أسلَّكُوهم في قنَّادة (البيت)

قوله : « ماذا يَغَيِّرُ ابنتي ربيع » إلخ قال شارح القصيدة : غارَ أهلهُ :
 مارَهم . وابنتا ربيع هما أختا الشاعر . والعويل : رفع الصوت بالبكاء .
 لاترقدان : لا تنامان ، ومن نام فلا يؤسى له ، فإنَّ الذي ينام مستريح بخير في
 راحة ، قريحُ العين ، وإنَّما البؤس على من حزن لسهرٍ أو مرض . والبؤس :
 الضيق والشدة . ١٧٣

وقوله : « كلتاها » إلى آخره ، هذا مثل ، أى كأنَّ في صلورها مزاميرَ
 من البكاء والحنين . « ومن بطن حلية » أى هذا القصب الذى يُزمر به أُخذ
 من بطن حلية ، بفتح المهملة وسكون اللام بعدها مثناة تحتية : اسم واد .
 والتَّقيد بفتح فكسر : المتأكل .

وقوله : « إذا تجرَّد نوحٌ » إلخ جمع نائحة ، أى إذا تهبأ نساء للنوح .
 وضربا ، أى وضربنا ضرباً . بسيت^(١) بالكسر ، وهو الجلد المدبوغ . كانَ
 النساء يَلطِمنَ خدودهنَّ بجلدة . ويلعج : يُحرقُ ، يقال وَجَدَ لَاعَجَ الحزن ،
 أى حُرَّقته ، والجلد بكسر اللام لغة في سكونها ، أراد جلد وجهها .

وقوله : « من الأسى » إلخ الأسى : الحزن . وأثف : بلد به قُتلوا
 يومئذ . وقوله : « جيش الحمار » كانوا غزواً ومعهم حمارٌ يحملون

(١) ش : « بالسبت » .

عليه زادهم . والعارض : الجيش ، شَبَّهه لكثرتِه بالعارض من السَّحاب الممتلئ ماءً . والبرْد بكسر الراء : الذى فيه البرْد بفتحتين .

وقوله : « لنعم ما أحسن » إلخ وروى :

عمرى لقد أحسن الأبيات نهنهً أولى الخميس

والنهنه : الرَّد . وأولى العدى : العادية ، وهى الحاملة ^(١) . والأبيات : قومٌ أغير عليهم . وأحسنوا الطرد ، أى أحسنوا طرادهم . وأولى مفعول لنهنه . والمعنى : نعم ما أحسنوا ردَّ العدى ، وأحسنوا مطاردتهم بَعْدُ .

وقوله : إذ قَدَّموا مائة إلخ ، وروى أبو عبد الله :

فقدَّموا مائة وأخروا مائة كلتاها قد وفَّت وازدادتا عددًا .

وقوله : « صابوا بسطة » إلخ صابوا : وقعوا . وصابَ المطر : وقع . والجاهى ^(٢) بموحدة فهمة : الجراد . واللبد ، بفتح فكسر : المتراكب بعضه على بعض . واللبد بضم ففتح : الكثير . يقول : من كثرة ما وقع عليهم الناس كأنَّ عليهم جرادًا منقضًا .

وقوله : « شئوا على القوم فاعتطوا » : شئوا أوائل القوم . وجيش الحمار بالجر بدل من ضمير الجمع المضاف ، وبالنصب بدل من أوائل . وقيل له جيش الحمار لأنَّه كان فى الجيش حمارٌ جاعوا عليه . ويقال إنما

(١) فى اللسان (عبا ٢٥٨) : « العدى أول من يحمل من الرجالة وذلك لأنهم يسرعون العدو ... ويقال رأيت عدى القوم مقبلا ، أى من حمل من الرجالة دون الفرسان » .

(٢) فى النسختين : « الجاهى » بالحاء المهملة ، صوابه من شرح التهذيب واللسان (جبا) .

كان معهم جِمارٌ يحمل بعضَ متاعهم . يقول : لَأَقُوا جيشًا مثل العارض الذى فيه بَرْدٌ .

وقوله : « فالطعن شغشغة » ^(١) إلخ الشغشغة بمجمتين : حكاية صوت الطَّعن فى الأجواف والأكفال . والهيعة : حكاية صوت الضرب بالسيوف ^(٢) . والمعول بكسر الواو المشددة : الذى يبنى عَالَةً . والعالة : شجر يقطعه الرامى فيستظلُّ به من المطر . والعَضْد بفتحتين : ما قطع من الشجر ، والمضارع بكسر الضاد ، يقال عضد يَعِضِدُ عَضْدًا ، إذا قطع . وجعله تحت الدِّيمة لأنه أسمع لصوته إذا ابتلَّ .

وقوله : « وللقسى أزاميل » : جمع أزمَل ، والياء من إشباع الكسرة . وأزمَل كل شيءٍ : صوته . يريد أن لها أصواتًا تختلط فتصير واحدًا . والغمغمة : صوتٌ لا يفهم . والحِس : الصوت . والجَنُوب : الرِّيح . أى لها صوتٌ كدوىِّ الرياح الجنوب .

وقوله : « كأنهم تحت صيفيُ إلخ » ، أى سحاب . له نَحْم بفتح النون والحاء المهملة ، أى صوت ينتحم ^(٣) مثل نجيم الدابة . مصرَّح : صرَّح بالماء : صَبَّه وانكشف فصار غيمًا خالصًا ، ونفَى عنه القَرْد بفتح القاف والراء المهملة ، وهو من السُّحاب : الصُّغار المتلبِّد المتراكبُ بعضُهُ

(١) ط : « شغشقة » فى هذا الموضع وتاليه ، والصواب فى ش وشرح السكرى واللسان والمقاييس (شغغ) والحيوان ٤ : ٤٠٦ .

(٢) ش : « الضرب بسيف » .

(٣) وكنا فى شرح السكرى ٦٧٥ . وفى ط : « ينجم » . وفى القاموس : « والانتحام :

الاعتزام ، وقد انتحمت على كنا وكنا » . ومما يجلر ذكره أن البغدادى اعتمد اعتمادا كبيرا فى شرح هذه القصيدة على الأخذ من شرح السكرى .

على بعض . وطحرت : دفعت . والأسناء : جمع سنّا وهو الضوء . يقول :
 كأنهم تحت مطر صيفي مما يقع بهم ، له نَحَم ، أى صوتُ رعد . ويروى : ١٧٤
 » لهم نحم « .

وعبد مناف : شاعرٌ جاهلي من شعراء هذيل ، وهو ابن ربيع الجُرّي ، عبد مناف بن ربيع
 بكسر الراء وسكون الموحدة . والجُرّي ، بضم الجيم وفتح الراء المهملة : نسبة
 إلى جُرَيْب كقريش ، وهو بطنٌ من هذيل ، وهو جُرَيْب بن سعد بن هذيل .
 وهذه الواقعة يقال لها : « يوم أنف » بفتح الألف وسكون النون ، وهو بلدٌ يلي
 ديارَ بني سُليم من ديار هذيل . وقال السكري : أنف : داران ، إحداهما فوق
 الأخرى بينهما قريبٌ من ميل . ويقال أنف عاذٍ فيضاف ، بالعين المهملة
 والذال المعجمة ، كذا قال السكري . وبدلٍ مهملة رواها أبو عمرو ..

وكانت بنو ظفر من بني سُليم حرباً لهذيل ، فخرج المعترضُ بن حنّاء
 الظَفَرى يغزو بني قرد من هذيل ^(١) ، وفي بني سُليم رجلٌ من أنفسهم كان
 دليلَ القوم على أحواله من هذيل ، وأُمّه امرأةٌ من بني جُرَيْب بن سعد ، واسمه
 دُيَّة ، فدُلّهم فوجد بني قرد بأنف ، وبني سليم يومئذ مائتا رجل ، وزاملتهم
 حمار . فلما جاء دُيَّة بني قرد قالوا له : أى ابنٍ أختنا ، أتخشى علينا من
 قومك مخشًى ؟ قال : معاذ الله . فصلّدقوه وأطعموه ، وتحدّثوا معه ساعةً من

(١) ش : « قرد بن هذيل » ، والصواب في ط ومعجم ما استعجم ٢٠٢ ونسب عدنان

وقحطان للمبرد ٦ . وفي تاج العروس : « قرد بن معلوية بن تميم بن سعد بن هذيل » وفيه المثل
 المشهور : « أذن من قرد » . أمثال الميداني والذرة الفاخرة ١ : ٢١٣ وغيرهما من كتب الأمثال .

الليل . ثم قام كل واحد منهم إلى بيته ، ورمقه رجل من القوم وأوجس منه خيفة ، حتى إذا هدا أهل الدار فلم يسمع ركز أحد ولا جسّه ، لم ير إلا إياه قد انسل من تحت لحاف أصحابه . فحضر بنى قرد لذلك ، فقعده كل رجل منهم في جوف بيته آخذاً بقاءم سيفه ، أو عجنس قوسه ومعه نبله . وحديث دُيَّة أصحابه بمكان الدارين ^(١) ، فقدموا مائة نحو الدار العليا ، وتواعدوا طلوع القمر ، وهي ليلة خمسة وعشرين من الشهر ، والدار في سفح الجبل ، فبدا القمر للأسفلين قبل الأعلىين ، فأغار الذين بدا لهم القمر فقتلوا رجلاً من بنى قرد ، فخرجوا من بيوتهم فشدوا عليهم فهزموهم ، فلم يرجع الأعلىين إلا بنو قرد يطردون أصحابهم بالسيف ، فزعموا أنهم لم ينج منهم ليلتد إلا ستون رجلاً من المائتين ، وقتل دُيَّة ، وأدرك المعترض فقتل أيضاً .

وقال عبد مناف بن رُبع هذه القصيدة ، وذكر فيها هذا اليوم .

وقد أطلت الكلام هنا لأنني لم أر من شرح البيت الشاهد كما ينبغي ، ولم يذكر أحد القصيدة ولا اليوم كان سبباً لها .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الخمسمائة :

٥٠٧) فاضحى ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا ^(٢)

(١) انظر ما سبق من قول السكري : « أنف : داران ، إحداها فوق الأخرى » .

(٢) الكامل ٢١٧ والأغاني ١٣ : ٤٠ .

لما ذكره . قال أبو علي (في التذكرة القصيرة) : هي لا تدخل فصلاً في قول أصحابنا قبل نكرة ، فإذا كانت أقرب بمنزلة قريب لم تكن هي فصلاً ، وإذا لم تكن فصلاً كان « أو » عطفاً على عاملين . انتهى .

وفيه مسامحة ، إذ مراده على معمول عاملين ، فهي معطوف على مفعول ترى ، وأقرب معطوف على مكان .

وقال (في إيضاح الشعر) : لا تخلو هي من أن تكون مبتدأ ، أو وصفاً ، أو فصلاً . فلا تكون مبتدأ لانتصاب ما بعده ، فبقي أن تكون وصفاً أو فصلاً . وذلك أن قوله : « رآها مكان السوق » دالٌّ على : أو رآها ، فحذفها من اللفظ للالة ما تقدّم عليها ، فصار التقدير : أو رآها أقرب ، أي أو رآها أقرب من السوق ، فصارت هي فصلاً بين الهاء والخبر المنتصب .

١٧٥

وقد يجوز أن تجعل هي وصفاً للهاء التي هي المفعول الأول ، كما جاز ذلك في : ﴿ تَجِلُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا ^(١) ﴾ . والأوّل أوجه ، لأنّ المحذوف لحذفه يستغنى عن وصفه .

ويجوز أن يكون أقرب ظرفاً . فإذا جعلته ظرفاً ولم تجعله وصفاً كان مبتدأً وأقرب الخبر ، والتقدير : أو هي أقرب من السوق . ومثله : ﴿ وَالرَّكِبَ اسْفَلَ مِنْكُمْ ^(٢) ﴾ . انتهى .

(١) الآية ٢٠ من سورة المزمل .

(٢) الآية ٤٢ من الأنفال .

وهذا الأخير هو مراد الشارح المحقق . وأراد بالوصف التوكيد ، وهو تعبير سيوييه .

وقال أبو حيان (في تذكرته) : قال الفراء : إذا قيل منزلك بالحيرة أو أقرب منها ، ففي « أقرب » الرفع والنصب ، أى : أو منزلك أقرب من الحيرة أو مكاناً أقرب منها ، أو يكون موضع أقرب خفضاً بالنسق على الحيرة ، معناه أو بأقرب منها . وأنشد الفراء :

فأضحى ولو كانت خراسانُ دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا
فنصب الأقرب على المحل ، وتأويله : أو هي مكاناً أقرب من
خراسان . على أنه قد جَوَّزَ مجَوَّزَ نصب أقرب في البيت على خبر رأى
المضمر ، وقدره : أو رآها هي أقرب . انتهى .
وقوله : أقرب من خراسان سهو ، وصوابه أقرب من السوق .

ثم قال أبو حيان : وقد قال الفراء : العرب تؤثر الرفع منع أو . واحتج
بقول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَتْ لَهُ حِجَابَةٌ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ^(١) ﴾ . رفعت الفراء أشد ولم
تحمله على العطف ، وبنته على : أو هي أشد قسوة . على أنه يجوز في النحو
أو أشد قسوة بنصب أشد ، وموضعه خفض بالنسق على الحجارة ، أى
كالحجارة أو كأشد قسوة . فإثما أوتر الرفع مع أو لأنها تأتي بمعنى الإباحة :
إن شبهتم قلوب هؤلاء بالحجارة أصبتم ، أو بما هو أشد قسوة من الحجارة
أصبتم ، وإن شبهتم قلوبهم بالحجارة وما هو أشد قسوة منها لم تخطئوا ، كما
يقال : جالس الحسن أو ابن سيرين . يعنى قد أبحث أفراد أحدهما

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

بالمجالسة ، والجمعَ بينهما في ذلك . فلما أتت « أو » بهذا المعنى اختاروا أن لا يعربوا ما بعدها بإعراب الذى قبلها إذا أمكن الاستئناف ، ليدل بذلك على استواء الجملتين اللتين إحداهما قبلها والأخرى بعدها . ولو لم يكن استئناف اختلط الذى بعدها بالذى قبلها ، وسقط معنى الاختصاص بالإباحة . انتهى .

وهذا يؤيد كون أقرب ظرفاً خبراً لـ « أو » .

والبيت آخر أبيات خمسة لعبد الله بن الزبير الأسدي ، رواها المبرّد صاحب الشاهد

(في الكامل) وغيره ، وهى :

أرى الأمر أمسى منصيباً متشعباً	أقول لعبد الله يومَ لقيته	أبيات الشاهد
عُميراً وإما أن تزور المهلباً	تجهّز فإما أن تزور ابنَ ضائق	
ركوبك حولياً من الثلج أشهباً	هما حُطّتا خسف نجاؤك منهما	
يد الدهر حتى يترك الطفل أشيباً ^(١)	فما إن أرى الحجاج يُغمّد سيفه	
رأها مكان السوق أو هى أقربا	فأضحى ولو كانت خراسان دونه	

قوله : « أقول لعبد الله » روى صاحب الأغاني « أقول لإبراهيم » .
وأورد منشأ هذه الأبيات مختصراً فقال :

لما قدم الحجاج الكوفة صعد المنبر وأعد أهلها وهلّدهم ، ثم حثهم على اللحاق بالمهلب بن أبى صُفرة ، وأقسم إن وجد منهم أحداً

(١) ط : « يد الدهر » ش : « يد الدهر » ، والصواب ما أثبت . وفي اللسان : يد الدهر ،

أى الدهر . هنا قول أبى عبيد . وقال ابن الأعرابي : معناه لا آتية الدهر كله . قال الأعشى :

رواح العشى وسر الغنو يد الدهر حتى تلاق الخيلرا

١٧٦ اسْمُهُ فِي جَرِيدَةِ الْمَهْلَبِ بَعْدَ ثَالِثَةِ الْكَوْفَةِ قَتْلَهُ . فَجَاءَهُ عُمَيْرُ بْنُ ضَالِحٍ
الْبَرْجُمِيِّ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنِّي شَيْخٌ لَا فَضْلَ فَيٍّ ، وَلِي ابْنٌ شَابٌّ جَلْدٌ ،
فَاقْبَلْهُ بَدْلًا مِنِّي . فَقَالَ أَبُو عَنَيْسَةَ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، هَذَا
جَاءَ إِلَى عَثْمَانَ وَهُوَ مَقْتُولٌ فَرَفْسَهُ وَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ ! فَقَالَ لَهُ
الْحِجَااجُ : فَهَلَّا يَوْمَئِذٍ بَعَثْتَ بَدْلًا ؟ يَاحْرَسُيْ أَضْرَبْتُ عَنْقَهُ ^(١) فَسَمِعَ الْحِجَااجُ
ضَوْضَاةً فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : هَذِهِ الْبَرَااجِمُ جَاءَتْ لَتَنْصُرَ عُمَيْرًا . فَقَالَ :
أُتْخَفُّوهُمْ بِرَأْسِهِ ! فَوَلُّوا هَارِيرِينَ ، فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى الْجِسْرِ لِلْعُبُورِ لِلْمَهْلَبِ
حَتَّى غَرِقَ بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ :

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتَهُ ... (الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ) .

وَالْمَنْصِبُ : اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَنْصَبَهُ أَيْ اتَّبَعَهُ . وَالْمَتَشَعَّبُ أَيْضًا : اسْمُ
فَاعِلٍ مِنْ تَشَعَّبَ ، أَيْ تَفَرَّقَ .

وَقَوْلُهُ : « تَجَهَّزْ فِيمَا » إِيخَ أَيْ تَهَيَّأْ لِأَحَدِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ : إِمَّا يَقْتُلُكَ
الْحِجَااجُ كَمَا قَتَلَ عُمَيْرًا وَإِمَّا تَلْحُقُ الْمَهْلَبَ .

وَقَوْلُهُ : « هُمَا تُحْطِئَانِ خَسِيفٌ » إِيخَ الْحُطَّةُ بِالضَّمِّ : الْحَالَةُ . وَالْخَسِيفُ
بِفَتْحٍ الْمَعْجَمَةُ : الدَّلُّ . وَنَجَاؤُكَ ، أَيْ خَلَاصُكَ . وَالْحَوْلَى ، هُوَ مِنْ كُلِّ
ذِي حَاقِرٍ مَا اسْتَكْمَلَ سَنَةً وَدَخَلَ فِي الثَّانِيَةِ . وَالْأُنْثَى حَوْلِيَّةٌ ، وَأَرَادَ
بِهِ هُنَا الْمُهْرَ . وَالْأَشْهَبُ مِنَ الْخَيْلِ وَغَيْرِهِ : مَا غَلَبَ بَيَاضُهُ عَلَى سَوَادِهِ .
وَمِنْ الثَّلَجِ صِفَةُ أَوَّلَى لِحْوَلَى ، وَهُوَ بِالضَّمِّ جَمْعُ أَثْلَجٍ ، وَهُوَ الْفَرَحَانُ

(١) وَيُرْوَى : « أَضْرَبَا عَنْقَهُ » عَلَى إِرَادَةِ نَوْنِ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةِ الَّتِي تَقْلِبُ أَلِفًا فِي الْوَقْفِ ، ثُمَّ
يَجْرِي الْوَصْلُ بِجَرَى الْوَقْفِ .

النشيط . ومُرَّادُهُ بهذا الفرار ، كما قرَّ سَوَّار بن المضَرَّب السَّعْدِي من الحجاج يومئذ ، وقال :

أَقَاتَلِي الحِجَّاجُ إِن لَّمْ أَرُزْ لَهُ دَرَابٍ وَأَتَرَكْ عِنْدَ هِنْدٍ قَوَادِيَا ^(١)
فَإِنْ كَانَ لَا يَرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلَى قَطْرِئٍ مَا إِخَالُكَ رَاضِيَا
إِذَا جَاوَزْتَ دَرَبَ الْمُجِيرِينَ نَاقَتِي فَبَاسَتْ أُنَى الحِجَّاجِ لَمَّا ثَنَانِيَا
أُيْرَجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا

ومَمَّنْ هَرَبَ مِنْهُ : مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ الْمَازِنِيُّ ، وَقَالَ :

فَإِنْ تُنْصَفُونَا يَا لَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَادْنُوا بِيَعَادِ
فَقَى الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أَوْطِنْتَ كِبَلَادِ
فَمَاذَا تَرَى الحِجَّاجَ يَبْلُغُ جِهَتَهُ إِذَا نَحْنُ جَاوَزْنَا خَفِيرَ زِيَادِ
فَلَوْلَا بَنُو مَرْوَانَ كَانَ ابْنُ يَوْسُفَ كَمَا كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ إِيَادِ

وقوله : « فَمَا إِنْ أَرَى » إلخ إن زائدة ، والحجاج مفعول أول لأرى ، وجملة يغمد سيفه في موضع المفعول الثاني . وأغمد سيفه : أدخله في غمده بالكسر ، أى قرابه . وَيَدُّ الدَّهْرِ ^(٢) ، بفتح المثناة التحتية بمعنى مدى الدهر ، بالميم بدلها . وقوله : « حَتَّى يَتَرَكَ » حَتَّى بمعنى إِلَّا .

وقوله : « فَأُضْحِي وَلَوْ كَانَتْ خِرَاسَانُ » الفاء سببية تسبب ما بعدها عن قوله : تَجَهَّزْ فَإِذَا أَنْ تَزُورَ ... البيت . وأضحى من الأفعال الناقصة

(١) دراب ، هى درابجرد : كورة بفارس .

(٢) فى النسختين : « يدى الدهر » . والوجه ما أثبت . وانظر ما سبق من الحواشى فى

واسمها ضمير عبد الله أو إبراهيم ، وجملة رآها خبرها . وقد مرَّ أنَّ الشارح المحقِّق استشهد بقوله :

* وكان طوى كشحاً على مستكنة ^(١) * .

على وقوع الماضي خبراً للأفعال الناقصة ، وعلى هذا تكون لو وصليّة لا جواب لها ، وعليه المعنى ، فإنه يريد أنَّ عبد الله صار كأنَّه رأى خراسان مكان السُّوق قريبة منه ، أو هي أقرب من السوق ، فذهب إليها من غير تأهُّب واستعداد ، لشدة خوفه من الحجاج ، وإن كانت خراسان في نفس الأمر دونه بمراحل .

١٧٧

وزعم أبو على (في إيضاح الشعر) أنَّ خير أضحي محذوف ، فتكون لو شرطية ورآها جوابها . ولا يخفى ركافة الشرطية . وهذه عبارته :

« فأما خير أضحي فمحذوف تقديره : فأضحى مشمراً أو مجلداً أو نحو ذلك ، ممّا يدلُّ عليه ما تقدّم » . انتهى .

وخراسان : ولاية واسعة تشتمل على أمهات من البلاد ، منها نيسابور ، وهراة ، ومرو ، وبلخ . واختلفت في تسميتها بذلك ، فقال دَغَلُ النسابة : خرج خراسان وهيطل ابنا عابر ^(٢) بن سام بن نوح عليه السلام ، لما تبلبلت الألسن ببابل ، فنزل كل واحد منهم في البلد المنسوب إليه . يريد أنَّ هيطل نزل في البلد المعروف بالهياطلة ، وهو ماوراء نهر جيحون . ونزل

(١) في الشاهد ٢٤٦ أول الجزء الرابع .

(٢) ش : عالم ، تحريف . وفي القاموس (عبر) : « واعر كهاجر : ابن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام » .

خراسان في البلاد المذكورة ، فسمي كل بقعة بالذي نزل بها .

ونقل أبو عبيد البكري (في المعجم) عن الجرجاني أنه قال : معنى
نُحِرَ : كُئِلَ ، وآسان معناه سهل ، أي كُئِلَ بلا تعب . وقال غيره : معنى
خراسان بالفارسية مطلع الشمس . انتهى .

وقوله : « دونه » أي دون عبد الله . ودون بمعنى أمام . وزعم المبرد (في
الكامل) أن الضمير للسفر المفهوم من المقام . وقال : يعنى دون السفر .
رأها مكان السوق للخوف والطاعة . وهذا كلامه ^(١) ولم يفسر من هذا الشعر
غير هذا . « ومكان » ظرف ، والسوق مؤنث سماعي ، وتذكر ، وهو محل البيع
والشراء ، وهى ضمير خراسان ، وأقرب أفعال تفضيل منصوب على الظرفية ،
وهو وعامله خبر هي ، والألف للإطلاق .

روى صاحب الأغاني أن ناظم هذه الأبيات لما قفل من حرب الأزارقة
جاء يوماً إلى الحجاج وهو بقنطرة الكوفة يُعرض عليه الجيش ، وجعل يسأل
عن رجل رجل ، فمر به ابن الزبير فسأله من هو ، فأخبره ، فقال : أنت
الذي تقول :

تُخَيِّرُ فإِذَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ عَمِيرًا وَإِذَا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلْبَا

قال : بلى . فقال الحجاج : فامض إلى بعثك . فمضى فمات
بالري .

(١) ش : « هذا كلامه » .

وتقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة ^(١) .

وهذه الوقعة وقعة الخوارج ، وكان أميرهم قَطَرِيٌّ بن الفُجاءة ، وكان ثَغَلْب على شِيرَاز وكَازُرُون ومايلها ، في زمن عبد الملك بن مروان ، وكان عبد الملك أَمْرَ أمير الكوفة أخاه ، وهو بشر بن مروان ، أن يولّي المهلب بن أبي صُفْرة لقتال الخوارج ، فولّاه وأمّنه بجيش من الكوفة كيبرهم عبد الرحمن ابن مِخْنَف ، وكانوا ثمانية آلاف رجل ولحقوا بالمهلب . وبعد شهر ^(٢) مات بشر ، فلما تسامعوا بموته تسلّلوا من عند المهلب وجاءوا إلى الكوفة .

ثم إن عبد الملك بن مروان ولّى الحجاج موضع أخيه ، وأمره أن يُمِدَّ المهلب ، فلما جاء الحجاج إلى الكوفة صعد المنبر وحثّ أهل الكوفة باللّحاق إلى المهلب ، وهتدّهم وأعطاهم أرزاقهم ، وحلف إن وجد أحدا منهم بعد ثلاثة أيام ليضربن عنقه . فهابه الناس وتسارعوا في السّفر .

وقد فصلّ المبرد (في الكامل) هذه الأخبار والحروب وما قيل فيها من الأشعار ، وشرّحها .

وللحجاج خطبةً بليغة قالها على المنبر حين دخوله الكوفة أميراً عليها ، ستأتى إن شاء الله مشروحة في أفعال المقاربة عند شعر عمير بن ضامئ .

١٧٨

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٢) ش : « أشهر » ، وما أثبت من ط يطابق ما في الكامل ٦٦٤ ، وفيه : « فلم يمكث براهمرمز إلا شهرا حتى أتاه موت بشير ، فاضطرب الجند على ابن مخنف » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الخمسمائة :

٥٠٨ (فِينَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا

إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ ^(١))

على أَنَّ الأغلب مجيء إذا الفجائية في جواب بينا ، كما في البيت .

وقد تَقترن الفاء الزائدة بإذا ، كما قال ابن عَبْدَل ، وهو من شعراء

الحماسة :

بَيْنَاهُمْ بِالظَّهْرِ قَدْ جَلَسُوا يَوْمًا بِحَيْثُ تُنَزَّعُ الذَّبْحُ ^(٢)

فَإِذَا ابْنُ هِنْدٍ فِي مَوَاقِبِهِ تَهْدَى بِهِ خَطَاةٌ سُرُحُ ^(٣)

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : يومًا منصوب لأنه بدل من بينا ، ألا ترى أَنَّ معناه بين أوقات هُم قد جلسوا ، وذلك اليَّين هو اليوم الذى أبدله منه ^(٤) . وليس يعنى باليوم المقدار المعروف من طلوع الشمس إلى غروبها ، وإنما يريد الوقت مبهمًا لا يخصُّ به مقدارًا من الزمان . وقد يكون برهة من الدهر تشتمل على الأيام والليالي . وزاد الفاء في قوله : « فإذا » ، وإنما أراد : بينهم كذلك إذا ابن هند قد فَعَلَ كذا . انتهى .

(١) أمالي ابن الشجرى ٢ : ١٧٥ والمغنى ٣١١ ، ٣٧١ والممع ١ : ٣١١ والحماسة بشرح

المرزوق ١٢٠٣ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوق ١٧٨٣ ومعجم البلدان (الظهر) والرواية فهما : « ينزع »

بالياء . والذبح ، كزفر : نبت له أصل يفتش عنه ويخرج كالجزر ، ويقشر عنه جلد أسود ، وهو حلو يؤكل . والظهر ، بالفتح : موضع كانت به وقعة بين عمرو بن تميم وبنى حنيفة .

(٣) في الحماسة : « نهوى به » ، أى تسرع . وتهدى ، بالدال بمعنى تتقدم . وهى بالدال

رواية ابن جنى في التنبيه على الحماسة الورقة ٢٤١ .

(٤) وكذا في التنبيه لابن جنى . وفى ش : « أبدل منه » .

ويؤخذ منه أنَّ بينا يجوز اقتران جوابها بإذا ، وإن أبدل منها ظرف زمانٍ آخر .

وقول الشارح المحقق : « ولا يجيء بعد إذا المفاجأة إلا الفعل الماضي » ، أراد : مع بينا وبينما ، وهو الظاهر كقوله :

* فبينما العسر إذ دارت مياسير ^(١) *

وأما مع غيرهما فلا تأتي للمفاجأة . قال أبو حيان (في الارتشاف) : وتأتي إذ للمفاجأة . قال سيبويه : بينا كذا إذ جاء زيد . فهذا لما يوافقه ويهجم عليه . انتهى . ولا تكون للمفاجأة إلا بعد بينا وبينما . انتهى وكذلك قال ابن هشام (في المغنى) : تكون إذ للمفاجأة ، نصر عليه سيبويه ، وهي الواقعة بعد بينا وبينما .

وأجاز الرضئ مجيئها لها في غير جوابهما ، فيما يأتي قبل إيراد قوله : « بينا تعتقه الكماة ... » البيت الآتي ، فقال : وقد تجيء إذ للمفاجأة في غير جواب بينا وبينما ، كما في قولك : كنت واقفاً إذ جاءني عمرو .

هذا كلامه ، وهذا يحتاج إلى إثباته بكلام من يؤتى به . قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : قوله بينا نسوس الناس إلخ ، أراد بين فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً . قال أبو علي : أصله بين أوقات نسوس الناس ، والعامل في بينا ما دل عليه قوله :

* إذا نحن فيهم سوقة نتصّف *

ألا ترى أنَّ معناه بين هذه الأوقات خدّمنا الناس وذلّلنا ، كما

(١) لعثمان بن لييد العنري . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ١٥٨ . وصدّره :

« استقر الله خيرا وأرضين به »

أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (١) تَأْوِيلُهُ : قَنَطُوا . فَوَقَّوعٌ إِذَا هَذِهِ الْمَكَانِيَّةُ جَوَابًا لِلشَّرْطِ مِنْ أَقْوَى دَلِيلٍ عَلَى قُوَّةِ شَبْهِهَا بِالْفِعْلِ . وَإِذَا هَذِهِ مَنْصُوبَةٌ بِالْفِعْلِ بَعْدَهَا ، وَلَيْسَتْ مِزَاجَةً إِلَيْهِ . وَكَذَلِكَ إِذِ التَّيُّ لِلْمِزَاجَةِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ :

بَيْنَا النَّاسُ عَلَى عَلَيَّائِهَا إِذْ هُوُوا فِي هَوَاٍ مِنْهَا فَعَارُوا
إِذْ مَنْصُوبَةٌ الْمَوْضِعَ بِهِوَاٍ (٢) .

وَقَالَ أَيْضًا (فِي سِرِّ الصَّنَاعَةِ) : أَشْبَعَ الْفَتْحَةُ فِي بَيْنَا فَحَدَّثَ بَعْدَهَا أَلْفٌ . فَإِنْ قِيلَ : فَإِلَّا أَمْضَا فَبَيْنَ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الظَّرْفَ لَا يُضَافُ مِنَ الْأَسْمَاءِ إِلَّا إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرٍ مِنَ الْوَاحِدِ ، وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ بِالْوَاوِ ، نَحْوُ الْمَالِ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَقَوْلِهِ : نَسُوسُ النَّاسِ جَمْلَةٌ ، وَالْجَمْلَةُ لَا مَذْهَبَ لَهَا بَعْدَ هَذَا الظَّرْفِ ؟ فَالْجَوَابُ : أَنَّ هَهُنَا وَاسِطَةً مَحْذُوفَةٌ ، وَالتَّقْدِيرُ : بَيْنَ أَوْقَاتِ نَسُوسِ النَّاسِ خَدَمْنَا ، أَيْ خَدَمْنَا بَيْنَ أَوْقَاتِ سِيَاسَتِنَا النَّاسِ ، وَالْجَمْلُ مِمَّا يُضَافُ إِلَيْهَا أَسْمَاءُ الزَّمَانِ ، نَحْوُ أَتَيْتَكَ زَمَنَ الْحِجَااجِ أَمِيرٌ . ثُمَّ إِنَّهُ حَذَفَ الْمِضَافَ الَّذِي هُوَ أَوْقَاتٌ ، وَأَوَّلَى الظَّرْفَ الَّذِي كَانَ مِزَاجًا إِلَى الْمَحْذُوفِ الْجَمْلَةَ الَّتِي أُقِيمَتْ مَقَامَ الْمِضَافِ إِلَيْهَا ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاسْتَلِّ الْقَرْيَةَ (٣) ﴾ أَيَّ أَهْلِهَا . هَكَذَا عَلَّقْتُ عَنْ أُنَى عَلَى فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَقَتَّ الْقِرَاءَةَ عَلَيْهِ ، وَقُلُّ مِنْ يَضْبُطُ ذَلِكَ ، إِلَّا مَنْ كَانَ مُتَقَنَّا

(١) الْآيَةُ ٣٦ مِنْ سُورَةِ الرُّومِ .

(٢) بَعْدَهُ فِي إِعْرَابِ الْحَمَاسَةِ ١٧٢ : « وَلَيْسَتْ كَاذُ الزَّمَانِيَةِ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : إِذْ قَمْتُ » .

(٣) الْآيَةُ ٨٢ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ .

أصيلاً في هذه الصناعة . انتهى .

وهكذا كُلُّ من شرح بينا قال : الألف نشأت عن إشباع الفتحة . وزعم القراء أنَّ أصل بينا بينا فحذفت الميم . قال أبو علي : هذا لا يُعرف إلا بوحى أو خبر نبي . كذا نقل ابن جنى في شرح هذا البيت .

وقال زين العرب ^(١) (في أوَّل شرح المصاييح) : وقول الجوهري نشأت الألف من إشباع الفتحة ففيه نظر ، وهو أنَّ الألف إنَّما تتولد من الفتحة في القافية . والحقُّ أنَّ بينا أصله بيناً بالتنوين ، والتنوين فيه للعرض عن المضاف إليه المخنوف . وهو الأوقات ، ثمَّ أُبدل الألف من التنوين في الوصل إجراءً للوصل مجرى الوقف ، فثبتت الألف ثبوتها في الوقف بدل التنوين . وأمَّا بينما فما فيه بمعنى الزمان فلا حذف فيه ، أو ما فيه زائدة [بين المضاف ^(٢)] والمضاف إليه . انتهى .

وعلى هذا فالألف بينا عوض العوض . ومثله غير معروف . ويقضى أيضاً أنَّ يكون بينا غير مضاف إلى الجملة .

وقول الشارح المحقق : « لَمَّا قُصِدَ إلى إضافة بين إلى جملة زادوا عليه ما الكافَّة ، أو أشبعوا الفتحة ^(٣) » . يريد أنَّ ما والألف كفتا بين عن الإضافة إلى المفرد ، وهماها للإضافة إلى جملة . وهذا

(١) اسمه علي بن عبد الله بن أحمد . قال في كشف الظنون : « والذي في شرح على القارى أنه مصرى » . والمصاييح التالية هي مصاييح السنة للبقوى المتوفى سنة ٥١٦ .

(٢) تكلمة ليست في إحدى النسختين .

(٣) هذه العبارة إنجازه شديد لما ورد في شرح الرضى ٢ : ١٠٦ .

شيء غريب ، والمشهور أنَّ الألف من إشباع الفتحة ، وبين مضافة إلى الجملة من غير تعرُّض لكفٍّ وتهئية . وذهب بعضهم إلى أنَّ الألف زائدة من غير إشباع ، وهى كافَّة لبين عن الإضافة . كذا نقل ابن هشام في الألف اللينة (من المغنى) .

وقال أيضا في بحث ما الكافَّة للظروف عن الإضافة : إنَّ « ما » تكون كافَّة لبين عن الإضافة ، كقوله :

بينما نحنُ بالأراكِ معاً إذ أتى ركبٌ على جملة

وقيل : ما زائدة ، وبين مضافة إلى الجملة ، وقيل زائدة وبين مضافة إلى زمنٍ محذوفٍ مضافٍ إلى الجملة ، أى بين أوقات نحنُ بالأراكِ ، والأقوال الثلاثة فى بين مع الألف فى نحو قوله : فبيننا نسوسُ الناسَ ، البيت . انتهى .
أقول : صاحب القول الثانى لأبْدَّ له من تقدير الأوقات ، فلا يباين القول الثالث . ولم يتنبه له شراحه .

وقوله : « والأقوال الثلاثة فى بين مع الألف » . فالأول تكون الألف كافَّة عن الإضافة . والثانى أنَّها زائدة وبين مضافة إلى الجملة . والثالث أنَّها زائدة وبين مضافة إلى الزمن المذكور .

ويَرُدُّ على هذا أيضاً ما ذكرنا ، والصواب أن القولين الأخيرين فيهما قولٌ واحد .

وقال زين العرب : هذه الألف عوض عن الأوقات المحذوفة ، وكذلك ما عوض عنها .

وهذا غير قوله الأول الذى جعله الحقُّ عنده .

والحاصل أنَّ فى ألف بينا خمسة أقوال :

- أحدها : إشباعٌ لثبئة بين للإضافة .
 وثانيها : أنَّها مجتلبة للكف عن الإضافة .
 وثالثها : أنَّها للعوض عن الأوقات المحذوفة .
 ورابعها : أنَّها بدّل من تنوين العوض .
 وخامسها : أنَّها بقيّة ما . وهو أبعد الأقوال .
 والجيد ما ذهب إليه الشارح المحقق .

١٨٠

صاحب الشاهد

والبيتُ أوّل بيتين لحُرقة بنت النعمان بن المنذر ، أوردهما أبو تمام في
 (الحماسة) ، والرواية : « بينا نسوس » بإسقاط الفاء على الحزم . والثاني :
 (فأفّ لَدُنْيا لا يلدومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتِ بنا وتَصَرَّفُ)
 تقول : بينا نستخدّم الناسَ وندبّرُ أمورهم ، وطاعتنا واجبةٌ عليهم ،
 وأحكامنا نافذة ، تَقَلَّبَتِ الأمورُ واتّضعت الأحوال ، وصرنا سُوقَةً تخدمُ
 الناسَ .

و (نَسُوس) من ساسَ زيدَ الأمرِ يسوسه سياسةٌ : دبّره وقام بأمره .
 والسياسة لفظة عربية خالصة ، زعم بعضهم أنَّها معرّب سِهَ يسَا ، وهى لفظة
 مُركّبة من كلمتين ، أولاهما أعجمية ، والأخرى تركية . فسّه بالفارسية ثلاثة ،
 ويسّا بالمُعَلّية الترتيب ، فكأنّه قال : التراتيب الثلاثة .

قال : وسببه (على ما فى النجوم الزاهرة ^(١)) أن جَنَكِرْخان

(١) ش : « ما هو فى النجوم الزاهرة » . وانظر النص التالى فى النجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٨ فى

الملعون ، مِلِكُ الْمُغُل ، قَسَمَ ممالكه بين أولاده وأوصاهم بوصايا أن لا يخرجوا عنها ، فجعلوها قانونًا فسَمَوْها بذلك . ثم غَيَّرَها ^(١) فقالوا : سياسة .

وهذا شيء لا أَصَلَ له ؛ فإنها لفظة عربيَّة متصرفة تكلمت بها العرب قبل أن يُخلَق جنكيزخان ، فإنه كان في تاريخ السُّمَّاتة ، وصاحبة هذا البيت قبله بأربعمائة سنة . نعم لو قيل أفريدون بدل جنكيزخان لكان له وجه ، فإنه قَسَمَ مملكته بين أولاده الثلاث : سَلَم ، وتور ، وإِيرَج ^(٢) ، ورُتَّب لهم قوانين ثلاثة .

وقولها : (والأمر أمرنا) فيه قصر إفراد ، تُريدُ : لا أحد يشاركنا في السلطنة ولا يد فوق أيدينا . و (السُّوقَة) بالضم ، قال الحريري (في درة الغواص) : ومنه أيضًا توهمهم أن السُّوقَة اسم لأهل السُّوق . وليس كذلك ، بل السُّوقَة الرعيَّة . سُمُّوا بذلك لأنَّ الملك يسوقهم إلى إرادته . ويستوى لفظ الواحد والجماعة فيه ، فيقال : رجل سُوقَة وقوم سُوقَة ، كما قالت الحرقة بنت النعمان : فيينا نسوق الناس البيت . فأما أهل السُّوق فهم السُّوقيون ، واحدهم سُوقِيٌّ ، والسُّوق في كلام العرب تذكر وتؤنث . انتهى

والمشهور في رواية البيت : « بينا نسوس » بدل « نسوق » .

ومثله (في لحن العامة للجوالقي) قال : يذهب عوامُ الناس

(١) في النجوم الزاهرة : « وانتشر ذلك في سائر الممالك حتى ممالك مصر والشام ، وصاروا يقولون : سى يسا ، فنقلت عليهم فقالوا سياسة ، على تحريف أولاد العرب في اللغات الأعجمية » .

(٢) في الطبرى ١ : ٢١٢ أنه كان له ثلاثة بنين ، اسم الأكبر سلم ، والثاني طوج ، والثالث أيرج . وانظر بقية الخبر فيه .

إلى أَنَّ السُّوقَةَ أَهْلُ السُّوقِ ، وذلك خطأ ، إِنَّمَا السُّوقَةُ مِنْ لَيْسَ يَمْلِكُ ، تاجراً كان أو غير تاجر ، بمنزلة الرعية . وسُمُّوا سَوَاقَةً لِأَنَّ الْمَلِكَ يَسْوَاقُهُمْ فَيُنْسَاقُونَ لَهُ ، وَيَصْرِفُهُمْ عَلَى مَرَادِهِ . يُقَالُ لِلوَاحِدِ : سَوَاقَةً وَلِلْأَثْنَيْنِ : سَوَاقَةً . وَرُبَّمَا جُمِعَ سَوَاقًا . قَالَ زَهِيرٌ :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَتَيْنِ قَدَّمَا حَسَنًا نَالَا الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوقَا ^(١)

وَأَمَّا أَهْلُ السُّوقِ فَالْوَاحِدُ سَوَاقِيٌّ ، وَالْجَمَاعَةُ سَوَاقِيُونَ . انْتَهَى .

ونقل الصاغاني (في العباب) هذه العبارة ، وزاد : « ويستوى فيه المذكر والمؤنث » .

و (نَتَنَصَّفُ) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ ، أَيْ نَتَخَذُ . قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : نَصَفَهُمْ يَنْصِفُهُمْ وَيَنْصِفُهُمْ بَضْمُ الصَّادِ وَكَسْرُهَا نِصَافًا وَنِصَافَةً بِكَسْرِهَا ، أَيْ خَدَمَهُمْ . وَكَذَلِكَ تَنْصَفُ . وَالنَّاصِفُ : الْخَادِمُ ، وَالْجَمْعُ نَصَفٌ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَكَذَلِكَ الْمَنْصَفُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا : الْخَادِمُ ، وَالْجَمْعُ مَنَاصِفُ . وَظَاهِرُ تَفْسِيرِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ إِتْيَاهُ بِقَوْلِهِ : « أَيْ نُسْتَخَذُ » ، أَنَّهُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ . وَوَقَعَ فِي بَعْضِ نَسَخٍ مَغْنَى اللَّيِّبِ « لَيْسَ تُنْصَفُ » بِدَلِّ نَتَنَصَّفُ ، أَيْ نُعَامَلُ بِالْإِنْصَافِ . وَلَمْ أَرِ مِنْ رَوَى كَذَا .

١٨١

وقولها : « فَاُفَّ لِدُنْيَا » إلخ أَيْ تَحْقِيرًا لِدُنْيَا نَعِيمُهَا يَزُولُ ، وَجَمَاهَا لَا يَدُومُ ، بَلْ تَتَحَوَّلُ وَتَتَقَلَّبُ بِأَهْلِهَا . وَتَقَلَّبُ وَتَصَرَّفُ كِلَاهُمَا مُضَارِعٌ وَالْأَصْلُ : تَتَقَلَّبُ وَتَتَصَرَّفُ ، أَيْ تَتَغَيَّرُ . وَافَّ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِهَا

(١) ط : « وَهَذَا بَلَّةُ السُّوقَا » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَدِيَوَانِ زَهِيرٍ ص ٥١ .

وضمها . وفيها لغات شرحها ابن جنى (فى إعراب الحماسة) .

وحُرقة ، بضم الحاء وفتح الراء المهملتين بعدها قاف ، وهى بنت حرقة بنت النعمان
النعمان بن المنذر اللخمي ، ملك الحيرة بظهر الكوفة . وهى امرأة شريفة
شاعرة . كذا ذكرها الأمدى (فى المؤلف والمختلف ^(١)) . وأنشد لها هذين
البيتين .

ولحرقة هذه أخت اسمها « حريق » مصغر اسمها . قال هانئ بن قبيصة
يوم ذى قار :

أَقْسِمُ بِاللّهِ نُسْلِمُ الحَلَقَه ولا حُرِيقًا وأخته حُرَقَه
حَتَّى يَظُلَّ الرِّيسُ منجدلاً ويقرع السهم طُرَّةَ الدَّرَقَه ^(٢)

كذا ذكرها العسكري (فى كتاب التصحيح) وأنشد لها البيتين
وقال : ولها خبر مع سعد بن أبى وقاص .

وذكرها الجاحظ (فى كتاب المحاسن والمساوى) قال : زعموا أن زياد
ابن أبيه مرّ بالحيرة فنظر إلى دَيرٍ هناك ، فقال لخدامه : لمن هذا ؟ قال : دير
حُرقة بنت النعمان بن المنذر . فقال : ميلوا بنا لنسمع كلامها . فجاءت إلى
وراء الباب فكلّمها الخادم فقال لها : كلّمى الأمير . قالت : أوجِزْ أم أُطيل ؟
قال : بل أوجِزى . قالت : كنّا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على
الأرض أحدٌ أعزّ منا ، فما غابت تلك الشمسُ حتّى رِحِمْنَا علونًا . قال :

(١) المؤلف والمختلف ١٠٣ . وكلمة « والمختلف » ساقطة من ش . وعبرة « ملك الحيرة

بظهر الكوفة » ، ليست فى نصه . كما أن وجهها : « بظاهر الكوفة » .

(٢) ط : « يظل الرئيس » ، صوابه فى ش والتصحيح للعسكري ٣٨٢ .

فأمر لها بأوساق من شعير ، فقالت : أطعمتك يدٌ شَبَعِي جاءت ،
ولا أطعمتك يدٌ جوعِي شَبِعت . فسرَّ زيادٌ بكلامها فقال لشاعِرٍ معه : قُيد
هذا الكلام لا يَنلُرسُ (١) . فقال :

سل الخيرَ أهلَ الخيرِ قَدِماً ولا تسَلْ فتى ذاقَ طعمَ الخيرِ منذُ قريبٍ
ويقال إنَّ فروةَ بنِ إياسَ بنِ قبيصةَ انتهى إلى دَيرِ حُرقةَ بنتِ النعمانِ ،
فألَّفَها وهي تبكى ، فقال لها : ما يُكيكِ ؟ قالت : ما مِن دارٍ امتلأتْ
سروراً إلَّا امتلأتْ بعد ذلكُ ثُبوراً ! ثم قالت :

فبينا نسوسُ النَّاسَ والأمرُ أمرنا البيتَينِ

قال : وقالت حُرقةُ بنتُ النعمانِ لسعدِ بنِ أُمِّ وقَّاصٍ : لا جَعَلَ اللهُ
لكَ إلى لَئيمِ حاجةٍ ، ولا زالتَ لِكريمِ إليك حاجةٌ ، وعَقَدَ لك المِنَنَ في أَعناقِ
الكرامِ ، ولا أزالُ بك عن كَريمِ نعمةٍ ، ولا أزالها عنه بغيرِكَ إلَّا جعلكَ سبباً
لرُدِّها عليه . انتهى .

وأوردَ خيرُ سعدِ بنِ أُمِّ وقَّاصٍ معها باتَمَّ من هذا المعافَى بنُ زكريَّا (في
كتابِ الجليسِ) بسنِّه إلى حَسَّانَ بنِ أبانٍ قال : لَمَّا قَدِمَ سَعْدُ بنُ أُمِّ وقَّاصٍ
القادِسيَّةَ أَميراً أَتَتْهُ حُرقةُ بنتُ النُّعْمانِ بنِ المنذرِ ، في جَوارٍ كُلُّهن مِثْلُ زِيَّها ،
يُطلبن صِلَتَه . فلَمَّا وَقَفْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ قالَ : أَيْتَكُنَّ حُرقةُ ؟ قلن : هِذه . قال لها :
أَنتِ حُرقةُ ؟ قالت : نَعَم ، فما تَكَرَّركَ اسْتَفْهامِي (٢) ؟ إنَّ الدُّنْيا دارُ زوالٍ ،
وإنَّها لا تَدومُ على حالٍ ، إِنَّا كُنَّا مَملوكَ هذا المِصرِ قَبْلَكَ ، يُجَبِّئُ إلينا خِراجَه (٣) .

(١) في المحاسن والأضداد ٨٧ : « ليلرس » ، وما هنا صوابه .

(٢) تعنى سؤاله عنها مرتين .

(٣) ش : « يجيء إلينا خراجه » ، والوجه من ط .

ويطيعنا أهله زمانَ الدولة ، فلما أدبر الأمرُ وانقضى ، صاح بنا صائح الدهر
فصدع عصانا ، وشئتَ ملأنا . وكذلك الدهر يا سعد ، إنه ليس من قوم
بسرور وخبرة إلا والدهر مُعقِبُهُمْ حَسْرَةً ! ثم أنشأت تقول :

١٨٢

فبينما نسوسُ النَّاسَ والأمرُ أمرنا البيتين

فقال سعد : قاتل الله عدىَّ بنَ زيد ، كأنه ينظر إليها ^(١) حيث
يقول :

إنَّ للدهرِ صَوْلَةً فأحذرَها لا تبتِئَنَّ قد أمنت السُّرورا ^(٢)
قد بيت الفتى مُعافى فِيرَزا ولقد كان آمنا مسرورا ^(٣)

وأكرمها سعدٌ وأحسن جائزتها ، فلما أرادت إفراقه قالت له : حتَّى
أحييك بتحية أُملاكنا بعضهم بعضاً : لا جعل الله لك إلى لقيم حاجة ،
ولا زال لكرمك عندك حاجة ، ولا نزع من عبيد صالح نعمة إلا جعلك سبباً
لردّها عليه ! فلما خرجت من عنده تلقّاها نساء المصر فقلن لها : ما صنع
بك الأمير ؟ قالت :

حاط لى ذِمَّتى وأكرم وجهى إنما يُكرم الكريمُ الكريمُ ^(٤)
انتهى نقله من شرح أبيات المغنى للسيوطى ^(٥) .

(١) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٤٦ : « كأنه كان ينظر إليها » .

(٢) فى الديوان ٦٤ : « قد أمنت الدهورا » . وفى شرح شواهد المغنى : « قد أمنت
الشُرورا » .

(٣) فى الديوان : « قد ينم الفتى صحيحاً فيردى » .

(٤) ورد هذا البيت فى النسختين منثوراً ، وإنما هو بيت من بحر الخفيف . وفى شرح شواهد
المغنى للسيوطى : « إنما يُكرم الكريمُ الكريمُ » .

(٥) شرح شواهد المغنى ٢٤٦ - ٢٤٧ .

ونسب ابن الشجرى (فى أماليه) هذين البيتين إلى هند بنت النعمان ابن المنذر . ولعل حرقه يكون لقباً لهند أو أختاً لها . قال : هند بنت النعمان ، لها ديز بظاهر الكوفة باقى إلى اليوم . ولما كان المغيرة بن شعبة الثقفى وآلياً بالكوفة من قبل معاوية - وكان أحد دهاة العرب - أرسل إلى هند بنت النعمان بخطبها ، وكانت قد عميت ، فأبى وقالت : والصليب ما فى رغبة لجمال ، ولا لكثرة مال ، وأنى رغبة لشيخ أعور فى عجوز عمياء ! ولكن أردت أن تفخر بنكاحى فتقول : تزوجت بنت النعمان بن المنذر ! فقال : صدقت والله . وأنشأ يقول :

أدركت ما منيت نفسى خالياً لله درك يا ابنة النعمان
فلقد رددت على المغيرة ذهنه إن الملوك ذكية الأذهان (١)
إنى لحلفك بالصليب مصدق والصلب أصدق حلفة الرهبان !

وكانت بعد ذلك تدخل عليه فيكرمها ويبرها . وسأها يوماً عن حالها فأنشدت :

بيننا نسوسُ الناس والأمر أمرنا البيتين
وروى أن المغيرة هذا آدمى ثمانين بكراً ، ومات بالكوفة وهو أميرها ، بالطاعون سنة خمسين . انتهى .

وأورد هنذا هذه إسماعيل الموصلى (فى كتاب الأوائل) قال : أول امرأة أحببت امرأة فى العرب هند بنت النعمان بن المنذر ، كانت تهوى زرقاء اليمامة ، فلما قتلت الزرقاء ترهبت هند ولبست المسوح ، وبنت

(١) فى الأغاني : « نقيّة الأذهان » ، وفى رواية أخرى عنده : « بطية الإذهان » .

وبنت لها ديرًا يعرف بدير هند إلى الآن ، وأقامت به حتى ماتت .
 كذا ذكر أبو الفرج الأصبهاني (في كتاب الأغاني الكبير) (١) . وفيه
 نظر ، فإنَّ هند بنت النعمان ماتت في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة ،
 وزرقاء اليمامة من جديس ، ولهم خبر مع طسّم ، وكانوا في زمن ملوك الطوائف ،
 وبينهما زمان طويل . فما أعلم من أين وقع لأبي الفرج هذا . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ)

تمامه :

* شَلًّا كَمَا يَطْرُدُ الْجَمَّالَةَ الشُّرْدَا *

على إن إذا فيه زائدة . وقد تقدّم الكلام عليه مفصلاً قريباً (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الخمسمائة :

٥٠٩ (بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْكُمَاةُ وَرَوْعُهُ يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيٌّ سَلْفَعُ) (٣)

على أنَّه يجوز إضافة بينا دون بينا إلى المصدر ، كما في البيت . والأعرف
 الرفع على أنَّه مبتدأ محذوف الخبر ، أي تعنقه حاصل .

أقول : الأولى أن يقول حاصلان ، لأنَّ قوله وروعه معطوف على تعنقه .

وقوله : يجوز إضافة بينا إلى المصدر ، يعنى إلى الأسماء المفردة

(١) الأغاني ٢ : ٣١ .

(٢) انظر الشاهد ٥٠٦ ص ٣٩ .

(٣) جمل الزجاجي ٢٩٤ والخصائص ٣ : ١٢٢ وابن يعيش ٤ : ٣٤ ، ٩٩ والمغني ٣٧١ ،

٥٢٢ والمجم ١ : ٢١١ والفضليات ٢٤٨ والمذللين ١ : ١٨ .

إذا كان فيها معنى الفعل ، حملاً على معنى حين ، كقولك : بينا قيام زيد أقبل عمرو ، أى حين قيام هذا أقبل ذاك . فإن وقع بعدها اسمٌ جوهر لم يكن إلا رفعاً ، نحو : بينا زيد في الدار أقبل عمرو ، لأنها ظرف زمان ، فلا تضاف إلى جثة كما لا تكون خبراً عنها .

والبيت لأبى ذؤيب الهذلي ، من قصيدته المشهورة التي رثى بها أولاده ،
صاحب الشاهد
وكانوا خمسةً وهلكوا في عام واحد ، أصابهم الطاعون ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر .

وقد تقدّم شرح بعض منها في الشاهد السابع والستين (١) .

قال الإمام المازني في شرح هذه القصيدة : روى الأصمعي : « بينا تعثقه وروغه » مجروراً . وكان يقول : بينا يضاف إلى المصادر خاصة . والنحويون يخالفونه ويقولون : بينا وبيننا عبارتان للحين ، وهما مهمتان لا تضافان إلا إلى الجمل التي تبيينها . فإذا قلت بينا أنا جالس طلع زيد ، فالمعنى حين أنا جالس أو وقت أنا جالس طلع زيد . وذكر سيبويه خاصة أن إذ تقع بعدها للمفاجأة تقول : بينا نحن نسير إذ أقبل زيد . وكثير من النحويين والأصمعي ينكرون هذا ويقولون : لا حاجة إلى إذ ، ألا ترى أنك تقول : حين زيد جالس قام عمرو . وبيننا بمنزلة حين . قالوا : وأشعارهم وردت بلا إذ . ومما استشهدوا به بيت أبي ذؤيب هذا وغيره . ومما يستشهد به لسيبويه قوله (٢) :

(١) الخزانة ١ : ٤١٨ - ٤٢٤ .

(٢) هو جميل كما في الخزانة ٤ : ١٩٩ وشرح شواهد المغني ١٢٦ ، وديوان جميل ١٨٨ .

بينما نحن بالكُتَيْب ضَحَى إِذْ أَنَى رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ
فَأَمَّا الْخِلَافُ الْأَوَّلُ فَمَنْ شَرَطَ الْأَزْمَنَةَ أَنْ تَضَافَ إِلَى الْجَمَلِ وَتُشْرَحَ
بِهَا . وَرَوَايَةُ النُّحَوِيِّينَ وَالنَّاسِ : « بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْكِمَاءُ » فَيَرْتَفِعُ تَعْنُقُهُ بِالْإِبْتِدَاءِ ،
وَيَكُونُ خَبَرُهُ مَضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْأَبْطَالُ حَاصِلٌ مَعَهُودٌ ، وَمَعْتَمِدٌ
مَأْلُوفٌ ، أُتِيحَ لَهُ يَوْمًا رَجُلٌ جَرَى . انْتَهَى .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ (فِي إِيضَاحِ الشَّعْرِ) : أَنَشَدَ ثَعْلَبُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَوْلَ
الشَّاعِرِ :

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتِي مَتَلَفَعًا بِالْبُرْدِ فَوْقَ جُلَالَةِ سِرْدَاخٍ ^(١)
أَضَافَ بَيْنَا إِلَى الْكَافِ كَمَا يُضَافُ ^(٢) إِلَى الْمَصْدَرِ فِي قَوْلِهِ :
بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْكِمَاءُ وَرَوْغِهِ الْبَيْتُ
وَكَمَا أُضِيفَتْ مِثْلُ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ :

* فَصِيرُوا مِثْلَ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ ^(٣) *

وَلَا يَكُونُ الْكَافُ حَرْفًا لِأَنَّ الْأِسْمَ لَا يُضَافُ إِلَى الْحَرْفِ ، وَيَنْبَغِي
أَنْ يُجْعَلَ الْكَافُ بِمَنْزِلَةِ مِثْلٍ فِي أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ وَاحِدٍ ، كَمَا
أَنَّ مِثْلًا كَذَلِكَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ^(٤) ﴾ لِأَنَّ بَيْنَ
تَضَافَ إِلَى أَكْثَرٍ مِنْ وَاحِدٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْكَافُ زَائِدَةً

(١) لابن ميادة ، كما في الكامل ٢٩ ليسك والدرر اللوامع ١ : ١٧٩ .

(٢) ش : « كما تضاف » .

(٣) لحميد الأرقط ، كما في سيبويه ١ : ٢٠٣ .

(٤) الآية ١٤٠ من سورة النساء .

كزيادتها في قوله عز وجل : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ^(١) وذاك منجزةً ، والمعنى الإضافة إلى ذاك ^(٢) . وقد أضيفت بين إلى المبهم المفرد في نحو قوله سبحانه : ﴿ عوانٌ بينَ ذلك ﴾ ^(٣) . فإن قلَّرت الإضافة إلى الفعل الذى هو رأيتنى كما أضافه الآخر إليه في قوله :

١٨٤

بيناً أنازعهم ثوى وأجذبهم إذا بُنُو صحيفٍ بالحقِّ قد وردوا
وكما أضيف إلى الجملة الاسمية في قوله :
بيناً نحن نطلبه أتاناً ^(٤) البيت

وفصلت بين المضاف والمضاف إليه بالطرف ، فهو وجه . انتهى .
وهذه القصيدة أوردتها المفضل (في آخر المفضليات) . قال ابن
الأنبارى (في شرحها) : وروى أبو عبيدة :

* فيما تعنقه الكماة ورؤغِه *

جعل ما زائدة صلةً في الكلام ، أى بينا يقتل ويراوغ إذ قُتل . وعلى
هذا لا شاهد في البيت ، ويكون تعنقه مجروراً بـفى . وضمير تعنقه راجع
للمستشعر في بيت قبل هذا بستة أبيات ، وهو :
(والذهر لا يبقى على حَدَثانه مستشعرٌ حلقَ الحديد مُقنَّع)

والذهر مبتدأ ، وجملة لا يبقى إلخ خبر المبتدأ . وعلى بمعنى مع ،
والحدثان ، بالتحريك : مصلرٌ بمعنى الحدث والحادثة ، ومستشعر

(١) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٢) أى في ، بينا كذلك ، في بيت ابن ميادة .

(٣) الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٤) غمامه كما في سيويه ١ : ٨٧ مع نسبته إلى رجل من قيس عيلان :

• معلق وفضة وزنلاد راع •

فاعل يَنْقَى ، أى فارسٌ مستشعر ، وهو اسم فاعل من استشعر الثوب والدرع ، إذا لبسه شعراً . والشُّعار بالكسر : الملبوس الذى يلى شَعْر الجسد . وروى : « متسريل » ، أى يَتَّخِذُهُ سربالاً . وحَلَقَ الحديد مفعول مستشعر ، وأراد به الدرع . والمَقْنَع بفتح النون المشددة : الذى على رأسه المغفر أو بيضة الحديد ، قاله المرزوق . وقال ابن الأنبارى : المَقْنَع : اللابس المغفر . والمغفر : ثوبٌ تُغَطَّى به البيضة . والمَقْنَع : الشاكُّ السلاح التامُّه . وحَلَقَ الحديد : حلق الدرع . ويروى : « سَمِيدَع » ، وهو السيد . انتهى .

وقوله : (بينا تعنُّقه) كذا فى جميع الروايات ، ووقع فى الشرح وفى جمل الزَّجَّاجى ^(١) وغيرهما : « تعانقه » بالألف . قال ابن السَّيِّد واللخمي : هو خطأ ، والصواب تعنُّقه ، لأنَّ تعانق لا يتعدى إلى مفعول ، إنَّما يقال تعانق الرجلان ، والمعانقة والاعتناق . والتعنُّق هى المتعدِّية ، ومعنى الجميع الأخذ بالعنق . والاعتناق : آخر مراتب الحرب ؛ لأنَّ أوَّل الحرب الترامى بالسَّهام ، ثم المطاعنة بالرماح ، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم الاعتناق وهو أن يتخاطف الفارسان فيتساقطا ^(٢) إلى الأرض معاً . وقد ذكر ذلك زهير بن أبى سلمى فى قوله :

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطْعَنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا اعْتَنَقَا
أَرَادَ : أَنَّهُ يَزِيدُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ .

(١) ط : « الزجاج » ، صوابه فى ش . وقد طبع بتحقيق ابن أبى شنب بباريس ١٩٥٧ للمرة

الثانية .

(٢) ش : « فيتساقطان » .

و (الكماة) بالنصب مفعول تعنُّفه ، جمع كَمَى ، وهو الشُّجاع الذى ستر درعه بثوبه . قال أبو زيد (فى نوادره) : الكمى : الشديد الشجاع من كلِّ دابة .

وقوله : (ورؤغه) معطوف على تعنُّفه إن جرأ وإن رفعاً ، وهو بالغين المعجمة ، وهو حيدته عن الأقران يمينا وشمالاً للتحفُّظ . قال اللخمي : ومن روي بالعين المهملة فمعناه الفرع .

وقوله : (يوماً) هو بدل من بينا ، كما قاله ابن جنى فى قوله :
بيننا هُم بالظَّهر قد جلسوا يوماً بحيث تُنزع الذُّبُع^(١)

وقد تقدَّم بيانه قريباً فى شرح البيت الذى قبل هذا . وقال اللخمي : العامل فى يوم تعنُّفه ، ويحتمل أن يكون الروغ ، ويحتمل أن يكون أتيح ، والأول أقوى لترك تكلف التقديم . هذا كلامه . وقوله (أتيح) هو جواب بينا ، وهو العامل فيه بمعنى قُلِّرَ ، مجهول أتاح الله له الشئ أى قُلِّره له ، وهو بالحاء المهملة .

١٨٥

و (جرىء) ، بالهمز : فعيل من الجراءة . و (السِّلْفَع) كجعفر : الجريء الواسع الصدر . ويقال للمرأة إذا كانت جريئة سلفع . وقال المرزوقى : وأكثر من يوصف به النساء ، ويستعمل فيهن بغير هاءٍ ، والمعنى : أن هذا المستشعر الترع حزماً ، وقت معانقته للأبطال ومُراوغته للشُّجعان ، قُلِّر له رجلٌ هكذا ، وقِيضَ له فارسٌ شجاع مثله ، فاقتتلا حتى قتل كل واحد منهما صاحبه . ومراده أن الشجاع لا تعصمه جرائته من الهلاك ، وإن كل مخلوق فالفناء غايته .

(١) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ٥٩ .

وأبو ذؤيب شاعرٌ إسلامي مخضرم ، تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع
والستين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الخمسمائة ^(٢) :
٥١٠ (وكان إذا ما يَسْلُلُ السَّيْفَ يَضْرِبُ)

على أنَّ بعضهم قال : يجازى إذا ما ، فيجزم الشرط والجزاء ، كما جزم
يُسَلِّل ، وكسرة اللام لدفع التقاء الساكنين ، وَجَزَمَ يضرب ، وكسرة الباء
للروى . والرواية : « متى ما » ^(٣) .

قال شارح اللباب : قد نقل عن بعضهم أنَّه جَوَزَ الجزم إذا مكفوفة
بما ، وأنشد للفرزدق :

* وكان إذا ما يَسْلُلُ السَّيْفَ يَضْرِبُ *

ومن منعه قال : الرواية « متى ما يسئل » . انتهى .

ورواية « متى ما » ، هي رواية حمزة الأصهباني (في أمثاله) .
وذهب ابن يعيش (في شرح المفصل) إلى أنَّ الجزم بها في الشعر
قليل . وأنشد هذا الشعر .

وقال أبو علي : كان القياس أنَّ تكفَّ ما إذا عن الإضافة ، كما
كفَّت حيث وإذا لَمَّا جُوزِيَّ بهما ، إِلَّا أنَّ الشاعر إذا ارتكب
الضرورة استجاز كثيراً مما لا يجوز في الكلام . وإنَّما جاز المجازاة إذا ما في

(١) الخزائن ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٣٤ وحامسة البحرى ٢١٦ والدرة الفاخرة ٣٣٨ والأغاني ١٠ : ٢١
وديون الفرزدق ٢٢ .

(٣) الذى في ابن يعيش والديوان : « وكان اذا ما » . لكن في الحماسة والدرة الفاخرة
والأغاني : « متى ما » .

الشعر لأنها قد ساوقت إن في الاستبها ، إذ كان وقتها غير معلوم ، فأشبهت
بجهالة وقتها ما لا يُدرى أن يكون أم لا يكون . فاعرفه . انتهى .

ونقل أبو حيان (في تذكرته) أن الصيمري ذهب إلى أنها تُكف بما
مثل إذ فتجزم ، كبيت الفرزدق . قال : وقد جاء بعدها ولم تجزم ، قال :

* وإذا ما تشاء تبعث منها *

ويجوز دخول الفاء على جوابها ، قال الفرزدق :

إذا ما قيل يا حماة قوم فنحن بدعوة الداعي دُعينا

وذهب أبو علي في مثل هذا إلى أن إذا غير معمولة ، لأنه لما جاءت
الفاء في جوابها صارت بمنزلة إن ، وتلك لا يعمل فيها الفعل . انتهى .

وهذا المصراع من قصيدة للفرزدق . وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد

(لعمري لقد أوفى وزاد وفاءه على كل جارٍ جار آل المهلب
كما كان أوفى إذ ينادى ابن ديهب وصيرمته كالمغنم المنتهب
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم وكان إذا ما يسأل السيف يضرب
وما كان جارٍ غير دلو تعلقت بحبلين في مستحصد القد مكرب^(١)

(١) رواية الديوان :

وما كان جارا غير دلو تعلقت بحبله في مستحصد الحبل مكرب
والحماسة :

وما كان جارا غير حبل تعلقت بدلو به في مستحصد القد مكرب
والأغاني : « وما كان جارا » . وبقية إنشاده كما في الخزنة . ورواية رفع « جار » انفرد بها
البغدادى ، وقيدتها في التفسير التالى بأنها اسم كان .

روى الأصهباني بسنده (في الأغاني) أن الحارث بن ظالم المري لما كان نزيلًا عند النعمان بن المنذر أخذ مصدقًا للنعمان إبلًا لامرأة من بني مرة يقال لها ديهث ، فأنت الحارث فعَلَّقَتْ دلوها بدلوه ، ومعها بُنْيُ لها ، فقالت : ١٨٦ يا أبا ليلى ، إني أتيكت مُضَامَةً ^(١) ! فقال : إذا أورد القوم النعم فنادى بأعلى صوتك :

دعوت بالله ولم تُراعِى ذلك راغيبك فنعم الراعي ^(٢)
وتلك ذود الحارث الكساع ^(٣) يمشى لها بصارم قطعاً
* يشفي به مجامع الصُداع * ^(٤)

وخرج الحارث بن ظالم في إثرها وهو يقول :
أنا أبو ليلى وسيفي المملوب ^(٥) كم قد أجزنا من حرب محروب

(١) كنا في النسخين ، وهو سهو من البغدادى ، استمر فيه أيضا في الشرح التالى . والوجه « مضافة » كما في الأغاني . والمضاف : الخائف والمُلجأ ، والمخرج المتقل ، ومنه المضاف في الحرب في قوله طرفة :

وكرى إذا نادى المضاف محبا كسيد الغضى نهته المتورد

ولا يقال من الضيم أضامه ، بل يقال ضامه يضيئه فهو مضيم .

(٢) ط : « ذلك داعبك » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ومن تصحيحات الشنقيطى للأغاني . وفي النسخين : « نعم الداعى » ، و الصواب من تصحيح الشنقيطى للأغاني .

(٣) الكساع من الكسع ، يقال كسهم بالسيف يكسهم كسعا : اتبع أدبارهم فضرهم . وفي ط : « الكساعى » ومثلها في ش مع تشديد السين ، والوجه ما أثبت من الأغاني .

(٤) مجامع الصداع هى الرأس ، وشفاؤه : أن يضرب ويطاح به .

(٥) المملوب : اسم سيف الحارث بن ظالم ، إنما سماه مملوبا لأنار كانت بمتته ، أو لأنه كان انحنى من كثرة ما ضرب به . وفيه يقول الكميت :

وسيف الحارث المملوب أردى حصينا في الجبارة الردينا

وكم رددنا من سلب مسلوب وطعنة طعنتها بالمضبوب (١)

* ذاك جهيز الموت عند المكروب (٢) *

ثم قال : لا يردن عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذته ! ففعلت ورأت لقوحا لها يحملها حبشي ، فقالت : يا أبا ليلى ، هذه لى . قال الحبشي : كذبت . فقال الحارث بن ظالم : أرسلها وملك ! ففرض الحبشي ، فقال الحارث : « آست الحالب أعلم » فصارت مثلاً . قال أبو عبيدة : ففى ذلك يقول الفرزدق . وأنشد الأبيات . انتهى .

وقوله : « لعمرى لقد أوفى » هو لغة فى وفى بالعهد كوعى ، وفاء : ضد غلر . و (الجار) : الحجير ، والمستجير ، والمجاور الذى أجرته من أن يظلم ؛ فهو ضد . والمراد هنا الأول . وفاعل أوفى الأول ضمير سليمان بن عبد الملك ، فإنه أجار يزيد بن المهلب من الحجاج لما هرب من حبسه وجاء إليه ، فأرسله مع ابنه أيوب إلى أخيه الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يشفع فيه ، فقبل شفاعته .

وفاعل « أوفى » الثانى ضمير ألى لىلى ، تنازعه هو وقام . وابن ديهث فاعل ينادى . وصرفته مبتدأ ، وكالمغنم خبره ، والمنتهب ، صفته ، حال من ابن . والصرمة بالكسر : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين أو إلى الخمسين ، وقيل غير ذلك . والمغنم الغنيمة . والمنتهب : اسم مفعول .

(١) فى الأغاني : « بالنصوب » .

(٢) جهيز : السريع ، ش : جهاز ، تحريف .

(وأبو ليلي) : كنية الحارث بن ظالم ، وهو جاهلي . والقيام هنا هو العزم على الشيء والإتيان به على أكمل هيئاته . والمعنى : قام لينصرو ويأخذ بساعده . وجملة « وكان إذا ما يسئل » إلخ معطوفة على قام ، أو إنها اعتراضية أفاد بها أن شأنه كان كذا . واسم كان ضمير أبو ليلي ، والجملة الشرطية خبر كان .

وجملة « وما كان جار » إلخ حال من أبو ليلي . والجار هنا المستجير ، وهو اسم كان ، وغير دلو خبرها . والقَد بالكسر : السَّير يقْد من جلد غير مدبوغ . والمستحصد اسم مفعول ^(١) من استُحصد الحبل إذا استحکم فتله أو ربطه . والمُكرب : اسم مفعول ، من أكرَب الدلو إذا شدَّها بالكرب ، بفتحين ، وهو حبل يشد في وسط عرقوة الدلو ليلَى الماء فلا يعفن الحبل الكبير . ويقال أيضًا : كَرَبها وكَرَبها ، كما يقال أكرَبها .

والمصدِّق كـمحدث : آخذ الصدقات . ومُضامة : اسم مفعول من الضَّيم ^(٢) وهو الجور . ومجامع الصداع هو الرأس ، لأنه محل الصداع . والمعلوب بالعين المهملة : اسم سيفه .

والحارث بن ظالم المرى جاهلي ، ضُرب المثل بفَتكه ، فقيل : « أفتك الحارث بن ظالم من الحارث بن ظالم » .

فمن خبر فتكه ما رواه حمزة الأصهباني والزنجشري في أمثالهما ،

(١) كذا . والمعروف في المعاجم أنه بزنة اسم الفاعل .

(٢) هذا سهو من البغدادى ، إذ أن اسم المفعول من الضيم « مضيم » ولو قد أراد أن يجعله اسم مفعول من أضامه كان مخطئا أيضا ، فليس في لغتهم أضامه مزيدا بالهمزة « بل يقال ضامه من الثلاثي فحسب . وانظر ما سبق في حواشي ٧٩ .

(٦ : خزانة ج ٧)

١٨٧ أن الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر بن كلاب ، وكان جارا للأسود بن المنذر أخى النعمان بن المنذر وهرب ، ف قيل له : لن تصيبه بشيء كسبى جارات له من بلى (١) ، وهو حى من قضاة ! ففعل فسمع ذلك الحارث ففكر راجعا من مهربه ، وأتى مرعى إيلهم إذا ناقة لهن تدعى « اللفاعة » تحلب ، فقال يخاطب الإبل :
إذا سمعت حنة اللفاع (٢) فادعى أبا ليلي ولا ترتاعى

* ذلك راعيك فنعم الراعى *

فعرفه البائن فحبق خوفا ، وأنكره المستعلي ، فقال الحارث : « آست البائن أعلم » ثم استنقذهن وأموهن ، وأتى أخته سلمى وقد تبنت شرحبيل بن الأسود الملك ، فمكر بها وأخذها منها وقتله ، فضرب به المثل فى الفتك .
وبالبائن : الذى يكون عند يمين الحلوبة . والمستعلي على يسارها . قال الزمخشري : قولهم : « آست البائن أعلم » ، مثل يضرب لمن ولّى أمرا وصلى به ، فهو أعلم به من غيره . وقيل يضرب لكل ما ينكر وشاهد حاصر .
وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين (٣) .

* * *

(١) فى الدرة الفاخرة : « بشيء أشد عليه من جارات له من بلى » .
(٢) الحنة من الحنين ، وهو صوت الناقة إذا اشتاقت إلى ولدها . ومنه قولهم : « ما له حانة ولا آفة » أى ناقة ولا شاة .
(٣) الخزنة ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الخمسمائة ^(١) :

٥١١ (مِنْ أَيْنَ عَشْرُونَ لَهَا مِنْ أُنَى)

على أَنَّ (أُنَى) تجرُّ بمن ظاهرة ، كما فى البيت ، ومقدِّرة كما قدره
الشارح المحقق .

وهذا البيت من أرجوزة رواها أبو الحسن الأخفش (فى شرح نوادر أرجوزة الشاهد
أبى زيد ^(٢)) عن ثعلب ، وهى :

(لِأَجْعَلَنَّ لَابِنَةَ عَظْمٍ فَنَّا مِنْ أَيْنَ عَشْرُونَ لَهَا مِنْ أُنَى
حَتَّى يَصِيرَ مَهْرُهَا دُهِدُنَّا يَا كَرَوَانَا صُكَّ فَاكْبَانَا
فَشَنَّ بِالسَّلْعِ فَلَمَّا شَنَّا بَلَّ الذَّنَائِي عَيْسًا مُبِنَّا
إِلْبِلَى إِلْبِلَى تَأْخُذْهَا مُصِنَّا خَافِضَ سَنٍّ وَمُشِيْلًا سِنًا)

وروى أبو زيد (فى نوادره) البيت الأول والثالث فقط ، وروى :
« زيد » بدل عظم ، وقال : الدُّهْدُنَّ : الباطل . والفَنُّ : العناء . يقال فنتت
الرجل ، إِذَا عَنِيَتْهُ ، أَفْنَتْهُ فَنَّا . انتهى .

فالدُّهْدُنُّ بضم الدالين . والفن فعله من باب نصر . قال الأخفش :
روى المبرد وثعلب :

* لِأَجْعَلَنَّ لَابِنَةَ عَظْمٍ فَنَّا *

قالا : أراد عثمان ، وهذا يدلُّك على أَنَّ الألف والنون فى عثمان

(١) نوادر أبى زيد ٥٠ .

(٢) فى النسختين : « ديوان أبى زيد » ، وهو سهو أو زلة قلم من البغدادى . وكتب
الشنقيطى بخطه فى هامش نسخته : « فالصواب شرح نوادر أبى زيد » .

زائدتان ، فحذفهما لما اضطرَّ ، وفتح أوَّله ليدلَّ على ما حذف . وقال ثعلب :
يريد بقوله فُتَّا ضرباً من الخصومة .

وقوله : « يا كرواناً » قال الأخفش : ترك مخاطبتها ثم أقبل على وليها ،
كأنه قال يا رجلاً كروانا ، أى يا مثل الكروان بضعفه ^(١) ، إنما يدفع عن
نفسه بسلحه إذا صُكَّ أى ضُرب . والاكبتنان : التقبُّض . وشَنَّ : صَبَّ .
والعبس : ما تعلق بذنبه وما يليه من سلحه . والمئين : المقيم ، يقال أبَنَّ
بالمكان ، إذا أقام به . والمُصنُّ : المتكبر .

وقوله : « خافض سنٍّ ومشيلاً » ، أخبرني أبو العباس ثعلب عن
الباهلي عن الأصمعي أنه قال : تأويله أنه إذا أعطاه حقاً طلب منه جَدْعاً ،
وإذا أعطاه سديساً طلب منه بازلاً . وحكى لى من ^(٢) ناحية أخرى عن
الأصمعي ، أنه قال : إذا أخذ وليها ما يدعى كثر ماله واستغنى فأكل بنهم
وشره ، فذلك قوله خافض سنٍّ ومشيلاً سناً ^(٣) . ويقال شال الشيء ، إذا
ارتفع ، وأشلته وشُلْتُ به ، إذا رفعته . وحدثنا أبو العباس ثعلب قال : حدثني
ابن الأعرابي أنه شاهد أبا عبيدة مرة واحدة فأخطأ في ثلاثة أحرف ، هذا
منها . وذلك أنه قال : شُلْتُ الحجر ، والعرب لا تقول إلا أشلته وشُلْتُ به .
قال الأخفش : وقد يكون شُلْتُ به : ارتفعت به . انتهى .

١٨٨

(١) في نوادر أي زيد : « في ضعفه » .

(٢) ط : « عن » ، صوابه في ش ونوادر أي زيد .

(٣) كلمة « سناً » ساقطة من ش ، ثابتة في ط والنوادر .

وقد أورد ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ^(١) الأبيات الخمسة الأخيرة من قوله : « يا كروانا صُلْكٌ » إلخ ، وقال : هى فى مصدِّقٍ هُجِىَ بها ، أى فى عامل الزكاة ، ثم قال : قوله : « خافض سِنٌّ ومُشِيلاً سَنًا » أى تأخذ بنت لبون فتقول ^(٢) : هذه بنت مخاض ، فقد خفَضَها عن سَنِّها التى هى فيها . وقوله : « ومُشِيلاً سَنًا » يقول : تكون له بنتٌ مخاض فيقول : لى بنتُ لبون : فقد رفع السنَّ التى هى له إلى سنٍّ أخرى أعلى منها . وتكون له ابنةُ لبونٍ فأخذ حِقَّةً . انتهى .

وأورد ابن السيرافى (فى شرح أبياته) الأبيات الثلاثة المتقدمة أيضًا وقال :

الرجز لمدرِك بن حُصَيْن ، وقال : قوله فَنَّا ، أى أُمراً عَجَبًا . وقوله : صاحب الشاهد « من أين عِشرون لها » أى من الإبل . والدُّهْدُنُّ : الباطل ، وكذلك الدُّهْنَرُ . وقوله : « يا كروانا » شَبَّهه بالكروان . واكْبَانٌ : تقبُّض واجتمع وسلح من خَوْفه . وشَنَّ : فَرَّقَ سَلَحَه . والمِئِنَّ : الذى لصق بالدُّنَابِى وَيَس عليها . والمُصِنَّ : المتكبرُ والمُنْتَن أيضًا ، واللازم للشئ لا يفارقه أيضًا . والمُشِيل : الرافع ، يقال أَشَالَ يُشِيلُ إِشَالَةً ، إذا رفع . انتهى .

* * *

(١) إصلاح المنطق ٨٣ .

(٢) فى إصلاح المنطق : « أى يأخذ ابنه اللبون فيقول » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر بعد الخمسمائة ^(١) :

٥١٢ (صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهْنُ وَرُقْنَه لَدُنْ شَبِّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَائِبِ)

على أنَّ (لدن) مجرورة بمن مضمرة ، أى من لدن شَبِّ .

وأورده في لدن أيضاً على أنها إن أضيفت إلى الجملة تَمَحَّضَتْ للزمان .

والبيت من قصيدة للقُطامي ، وتقدّمت ترجمته في الشاهد الثالث صاحب الشاهد
أبيات الشاعر والأربعين بعد المائة ^(٢) . وهذه أبيات من أولها :

(نَأْتُكَ بِلِيلِي نَيَّْةٌ لَمْ تَقَارِبْ وما حُبُّ لَيْلِي مِنْ قَوَادِي بِذَاهِبِ
مُنْعَمَةٌ تَجْلُو بِعُودِ أَرَاكَةِ ذُرَى بَرْدِ عَذْبِ شَتِيَّتِ الْمَنَاصِبِ ^(٣)
كَأَنَّ فَضِيضاً مِنْ غَرِيضِ غَمَامَةٍ على ظَمِئاً جَادَتْ بِهِ أُمُّ غَالِبِ
لِمَسْتَهْلِكٍ قَدْ كَادَ مِنْ شِدَّةِ الْهَوَى يَمُوتُ وَمِنْ طَوْلِ الْعِدَاتِ الْكَوَاذِبِ
صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهْنُ وَرُقْنَه لَدُنْ شَبِّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَائِبِ
قُدَيْدِيمةُ التَّجْرِبِ وَالْحَلَمِ ، إِنْنِي أَرَى غَفْلَاتِ الْعَيْشِ قَبْلَ التَّجَارِبِ)

قوله : « نَأْتُكَ بِلِيلِي نَيَّْةٌ » إلخ قال شارح ديوانه : أى بَعَدَتْ عَنْكَ .

وَالنَّيَّةُ فَاعِلٌ نَأَتْ ، وَهِيَ الْوَجْهَةُ الَّتِي يَنْوِيهِ الْإِنْسَانُ ، وَالْمَرَادُ السَّفَرَةُ . وَمِثْلُهَا التَّوَيُّ .

وقوله : « مُنْعَمَةٌ تَجْلُو » إلخ روى الأصمعي : « مُنَاعِمَةٌ » ، أى

(١) أُمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١ : ٢٢٣ والمغنى ١٥٧ وشرح شواهد ١٥٦ والمعنى ٣ : ٤٢٧ والتصریح ٢ : ٤٦ والأشعري ٢ : ٢٦٣ وديوان القطامي ٥٠ .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٧٠ - ٣٧٢ .

(٣) ورد رسم « ذرى » والفرى « في ط بالألف في جميع المواضع . وهما مذهبان صحيحان . وكتابه الألف مذهب البصريين . أما الكوفيون فيستنون ما كان على فعل بضم ففتح ، أو على فعل بكسر ففتح ، يكتبونه بالياء واوياً كان أو يائياً . انظر حواشي قواعد الإملاء ص ٢٤ .

غذيت غذاءً ناعماً . وتجلو ، أراد تستاك . واللّرى : الأعلى . والبرد : حبّ الغمام . شبه أسنانها في شدّة بياضها بالبرد . وإنّما خصّ اللّرى لأنّها صحاح لم تتكسر . وشيت : متفرّق . أراد أنّ في أسنانها فلجاً . والمناصب : حيث رُكبت الأسنان .

وقوله : « كَأَنَّ فُضِيضًا » إلخ فضيض السحابة : ماؤها إذا انفضّ منها . شبه عنوية ريقها بماء سحابة . والغريض : الطرى . وقوله « لمستهلك » ١٨٩ إلخ اللام متعلقة بجادت ، وأراد بالمستهلك نفسه ؛ لأنّه هالك من حبّها ومعرضها للهلاك .

وقوله : (صريع غوان) بالجر بدل من مستهلك ، ويجوز رفعه على إضمّار مبتدأ ضمير المستهلك . والصريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض : يريد أنّه قد أُصيب من حبّهنّ حتى لا حرّاك به . والغوانى : جمع غانية ، وهى التى استغنت بجمالها عن الزينة ، وقيل هى التى غنيت بزوجها عن غيره ، وقيل هى التى غنيت فى بيت أبويها ولم تتزوّج ، أى أقامت . وأنشد أبو عبيدة للقول الثانى :

أزمانَ ليلي كعابٍ غير غانيةٍ وأنتَ أمرؤُ معروفٌ لك الغزلُ (١)

وراق بمعنى أعجب ، أى أعجبت لجماله وشبابه وأعجبته لحسنه . وقوله : (لذنّ شبّ) إلخ أى من عند وقت شبابه إلى وقت شبّه ، فدلّ على إضمّار من بدليل حتّى ، لأنّها بمعنى إلى . و (النوائب) : الضفائر من الشعر ، جمع ذؤابة . وقد لُقّب القطامى صريع الغوانى بهذا البيت ، وهو أوّل من لُقّب به ، وقد ذكر فى الأوّليات ، ثم لُقّب

(١) البيت لنصيب فى ديوانه ١١٦ واللسان (غنى ٣٧٥) .

به مسلم بن الوليد . قال صاحب زهر الآداب ^(١) : لُقّب مسلم صريع الغواني بقوله :

هل العيشُ إلّا أن تروح مع الصِّبا
صريعٌ حُميًّا الكأس والأعين النّجل . انتهى

قال صاحب الأغاني : الذي لُقّب مسلمًا بهذا اللقب هارون الرّشيد ،
لهذا البيت .

وقوله : « قُديمة التجريب » إلخ هو من أبيات سيبويه ، وجُمِل
الزجاجي ^(٢) ، استشهد به على تصغير قدام قديمةً بالهاء . ومثلها ورِيّة .
وإنّما أدخلوا الهاء في تصغير وراء وقدام وإن كانتا قد جاوزتا ثلاثة أحرف ،
لأنّ باب الظروف التذكير ، فلما شدّتا في باهما فرقوا بينهما وبين غيرهما ،
فأدخلوا فيهما علامة التانيث . قاله اللّخمي .

وقديمة منصوبٌ على الظروف ، والعامل فيه راقهنّ ورقنه ، أي أعجبين
وأعجبته . قديمةً التجريب والحلم ، أي أمام التجريب والحلم . ثم قال : أرى
غفلاتِ العيش قبل التجارب ، يقال : إنّما يُستلذُّ بالعيش أيام الغفلة وفي أيام
الشباب قبل التجارب ، والتجارب إنّما هي في الكبر ، وهو وقتٌ أن يزهد
فيهنّ لسنّهنّ وتجربيه ، وأن يزهدن فيه لشبّيه . وقد يحتمل أن يكون

(١) زهر الآداب ٩٩٦ .

(٢) جمل الزجاجي ٢٥١ . وليس من أبيات سيبويه كما ذكر . هنا ، وقد تكلم سيبويه على

تصغير قدام ووراء في ٢ : ٣٥ بولاق ٣ : ٢٦٧ هارون .

العامل في قديمية محذوفاً دلّ عليه سياق الكلام ، كأنّه أراد : تظنّ طيب العيش ولذّته قدام التجربة والحلم ، أى أمام ذلك ، ليس الأمر كذلك ، إنّما يطيب العيش ويحسن قبل التجارب وفي عنقوان الشباب ، وحين الغفلة ، وأما بعد ذلك فلا . فيكون العامل فيها تظنّ المقلتر . قاله اللخمي أيضاً .

وقوله : « إئننى » قال ابن السّيد : يروى بكسر الهمزة على الاستئناف ، ويفتحها ، وهو مفعول من أجله . وقد تكون إنّ مكسورة فيها معنى المفعول من أجله ، كقوله عز وجل : ﴿ وَيُصَلِّي سَعِيرًا ﴾ * إنّّه كان في أهليه مسروراً^(١) . وجاز ذلك لأنّ إنّ داخلة على الجمل ، والجمله قد يكون فيها معنى العلة والسبب موجوداً . كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾^(٢) . ألا ترى أنّ المعنى : ولأنّ هذه أمتكم ولكون ربكم فاتقون . انتهى .

وهذه القصيدة هجوا امرأة من بنى محارب . حكى أبو عمرو الشيباني صاحب الشاهد
أنّ القطامي نزل في بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقرأها ١٩٠
فقلت : أنا من قوم يشتون القد من الجوع . قال : ومن هؤلاء ويحك ؟
قالت : محارب . ولم تقره ، فبات عندها بأشر ليلة^(٣) ، فقال هذه
القصيدة ، ومنها :

(١) الآية ١٢ ، ١٣ من سورة الانشقاق . وقد ضبطت « يصل » في ش بقلم ناسخها بضم الياء وتشديد اللام المفتوحة ، وهى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي ، ووافقهم ابن محيصن والحسن ، وقرأ الباقر بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام . إتحاف فضلاء البشر ٤٣٦ .
(٢) الآية ٥٢ من المؤمنون ، وفي الأنبياء ٩٢ : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ .

(٣) أى بشر ليلة ، وقرئ في الكتاب العزيز : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَنَا مِنْ الْكِتَابِ الْأَشْرُّ ﴾ وهى قراءة أبى حيو . تفسير أبى حيان ٨ : ١٨٠ .

(وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الْمَسَافِرُ نَازِلًا
فَلَا بَدَأَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرٌ مَا رَأَى
لَمَخْبِرِكَ الْأَنْبَاءَ عَنْ أُمِّ مَنْزِلٍ
تَلَفَعْتُ فِي طُلٍّ وَرِيحٍ تُلْفَنِي
إِلَى حَيْزِبُونٍ تُوقِدُ النَّارَ بَعْدَمَا
فَمَا رَاعَهَا إِلَّا بُغَامٌ مَطْيَتِي
تَقُولُ وَقَدْ قَرِئْتُ كُورِي وَنَاقَتِي :
وَجُنْتُ جَنُوتًا مِنْ دِلَالِثِ مُنَاخَةٍ
فَسَلَّمْتُ ، وَالتَّسْلِيمَ لَيْسَ يَسْرُهَا
فَرَدَّتْ سَلَامًا كَارَهَا ثُمَّ أَعْرَضَتْ
فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَفْعَلِي ذَا بَرَائِكِ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُهَا
مِنَ الْمُشْتَوِينَ الْقَدَّ مِمَّا تَرَاهُمْ
فَلَمَّا بَدَأَ حَرَمَانُهَا الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ
وَقَمْتُ إِلَى مَهْرِيَّةٍ قَدْ تَعَوَّدَتْ
ثُمَّ وَصَفَ نَاقَتَهُ بِأَيَّاتٍ وَقَالَ :

(إِلَّا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا شَتَّوْا
لَطَارِقٍ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحُبَابِ)

والعذيب : ماء أسفل الرُّحْبَةِ . وراسب : قريب منه .

والطل : الندى . والطرِمساء ، بالكسر : الظَّلْمَةُ .

والْحَيَزُونَ : العجوز . والبغام ، بالضم : صوت تختلسه النَّاقَةُ ولا تنمُّه .
والمحسور : صوتٌ ضعيف .

وُثْرِج ، بالضم : تستريح . والكور ، بالضم : الرجل بأداته .
والدُّلاث : بالكسر : الناقة . والأشاجع : عروقٌ ظاهر الكف .
والجانب : الغريب .

والناضب ، بالضاد المعجمة ^(١) : البعيد . ومما تراهم ، أى كثيرًا ممَّا تراهم .

ونار الحباحب بالضم : النار التى تظهر من قَرع الحوافِر . أراد أنَّها ضعيفة لا يُشعلونها خوفًا من الضَّيف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيويه ^(٢) :

٥١٣ (فَأَصْبَحْتُ أَنَّى تَأْتِيهَا تُبَيِّنُ بِهَا
كِلَا مَرْكَبَيْهَا تَحْتَ رَجْلَيْكَ شَاجِرُ)

على أَنَّ (أَنَّى) فيه شرطية مجرورة بمن مضمرة ، أى من أَنَّى تأتئها .

قال سيويه : وممَّا جاء بأَنَّى من الجزء قولُ لبيد :

فَأَصْبَحْتُ أَنَّى تَأْتِيهَا البيت

قال الأعلم : الشاهد فيه جزم تأتئها بأَنَّى ؛ لأنَّ معناها معنى أين ومتى ،

(١) ط : « بالضاد المعجم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٤٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٤٨ والجمل ٢٢٧ وابن يعش ٤ : ١١٠ /

٧ : ٤٥ ودِيوان لبيد ٢٢٠ .

وكلاهما للجزاء . وتبتس جزم على جوابها .

١٩١

قال أبو الحسن الطوسي (في شرح ديوان لبيد) قال الأصمعي : لم أسمع أحداً يجازي بأني ، وأظنه أراد أيّاً تأتيا ، يريد أيّ جانبي هذه الناقة أتيت وجدت مركبه تحت رجلك شاجراً . أي ينحيك ويدفعك ، لا يطمئن تحت رجلك . وقال أبو عبيدة : أني تأتيا مجازاة ، يقول : من أيّ جانب أتيت هذه الناقة وجدت كلا مركبيها شاجراً دافعاً لك . وتبتس : يُصيّبك منها بؤس . يقول : كيفما ركبت منها التيس عليك الأمر . وشاجر : ملتبس . يقال : تشاجر ما بين القوم ^(١) ، إذا اختلفوا . ويقال شجره بالرُح ، إذا دفعه به وطعنه . وقال أبو عمرو : الشاجر : المفرق بين رجله . وقد شجر بين رجله ، إذا فرق بينهما إذا ركب . انتهى .

وهذا مبني على إرجاع الضمائر المؤنثة إلى الناقة المفهومة من المقام .

وكذلك قال ابن سيده (في شرح أبيات الجمل) . ولم يرتضه اللّخمى في شرحها . قال : قد غلط ابن سيده شارح الأبيات في البيت وزعم أنه يصف ناقة ، وإنما يصف داهية . ولو علم ما قبله علم الموصوف ما هو . قال لبيد يصف حاله مع عمه ، ويعتب عليه ، ويذكر قبيح ما أسداه إليه :

(لى النصر منكم والولاء عليكم وما كنت فقعاً أنبتته القراقر
وأنت فقير لم تبدل خليفة سوى ولم يلحق بنوك أصاغر
فقلت ازدجر أحناء طيرك واعلمن بأنك إن قدمت رجلك ، عاثر

آيات الشاهد

(١) ط : « شاجر ما بين القوم » ، والوجه ما أثبت من ش .

وإنَّ هَوَانَ الجَارِ للجَارِ مؤلِّمٌ وفارقةٌ تأوى إليها الفواقِرُ
فأصبحت ألى تأتها البيت
فإن تتقلم تغش منها مقدِّمًا غليظًا، وإن أُحرث فالكِفْلُ فاجرٌ

والفارقة : الداهية التى تكسر فقار الظهر ، وهى التى يصف فى البيت .
شبهها بالدابة الشموس التى إذا ركبها رمته عن ظهرها . انتهى .

أقول : البيت الذى فيه الفارقة غير ثابت فى رواية الطوسى ، فيجوز أن
يكون ابن سيده تبعه . على أن هذا لا يسمى غلطاً فإنه تمثيل ، سواء قيل
داهية ^(١) أو ناقة أو مركب . قال ابن السيد (فى شرحه) : العرب تشبه التنشُّب
فى العظام بالركوب على المراكب الصعبة ، فيقولون : ركبت منى أمراً عظيماً ،
ولقد ركبت مركباً صعباً ، وفلان ركب العظام . ونحوه قول الشاعر ^(٢) :
لئن جدَّ أسبابُ التقاطعِ بيننا لترتحلن منى على ظهر شميم . انتهى

وروى : « تشتجر » بدل « تبتس » ، قال ابن السيد : معناه تشتبك .
ويروى : « تلتبس » ، ومعناه كمعنى تشتجر . و (شاجر) : مشتبك . وقال
اللمخى : تشتجر مأخوذ من شجر الراكب ، إذا خالف بين رجله فرفع رجلاً
ووضع أخرى ، وهى ركةٌ متهيئة للسقوط . ويروى : « تبتس » من بُوس الحال .
ويروى أيضاً : « تلتبس » . و (مركبها) : ناحيتها اللتين تُرأى منهما . وشاجر :

(١) ش : « دابة » .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٩٥ . والشميم : القنفذ . وأراد : على ذعر وخوف .

مضطرب . يقول : مَنْ ركبها فرقت بين رجله فهوئ به . ويرى :
« شاعر » ، والمعنى واحد .

يعتب عمه عامر بن مالك ملاعب الأستة ، وكان قد ضرب جازاً للبيد
بالسيف ، فغضب لبيد لذلك فقال الشعر الذى تقدم ، يعدد بلاءه عنده .
وفى الشعر ما يدل على ذلك ، وهو :

(مَنْ يَكْ عَنِّي جَاهِلًا أَوْ مَغْمَرًا فَمَا كَانَ بَدْعًا مِنْ بِلَائِي عَامِرُ)
وفى كُلِّ يَوْمٍ ذِي حِفَاظٍ بِلَوْنِي فَقَمْتُ مَقَامًا لَمْ يَقُمِهِ الْعَوَارُ)

و (كلا) مبتدأ ، والخبر شاجر . و (تحت رجليك) متعلق
بشاجر . وكلا عند سيويه اسم مفرد . انتهى

وقوله : « رجليك » بالثنية ، وروى بالافراد . قال ابن السيد : ويرى :
« رحلك » ، والرَّحْلُ للناقة مثل السَّرج للفرس .

والكِفْل بالكسر : كساء يكون وراء الرَّحْل ، فيركب عليه الرديف .
يقال رحلت البعير واكتفلته ، أى جعلت عليه رَحْلاً ^(١) وكِفْلاً ، وهما
المركبان اللذان ذكرهما .

ومعنى الشعر أنه يقول لعمه : إِنَّكَ رَكِبْتَ أَمْرًا لِاخْلَاصَ لَكَ مِنْهُ ،
فَأَنْتَ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ رَكَبِ نَاقَةٍ صَعْبَةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّزْوِلِ عَنْهَا سَالِمًا ، لِأَنَّ رَجْلِيهِ قَدْ
اشْتَبَكْتَ بِرَكَائِيهَا ^(٢) ، وكلا مركبيها لا يستقرُّ عليه ، إِنْ رَكَبَ عَلَى مَرْكَبِهَا
المقْدَّم ، وهو الرحل ، وجده مركبا صعبا ، وَإِنْ رَكَبَ عَلَى مَرْكَبِهَا الْمُؤَخَّر ، وهو
الكِفْل ، مال به وصرَّعه .

(١) ط : « رجلا » بالجيم ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « بركايتها » ، صوابه فى ش .

والفاجر : المائل غير المستقيم

وكان للبيد جازاً من بنى القَيْن قد لجأ إليه واعتصم به ، فضربه عمه بالسيف ، فغضب لذلك لبيد وقال يعدد على عمه بلاءه عنده ويُشكر فعله بحاره . وأنشد الأبيات السابقة .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : قوله فأصبحت أُنَى تأتها ، أى متى أُتيت هذه التى وقعت فيها تلتبس بها ، أى تلتبس بمكروها وشراً . ويروى « تبتس » ، أى لا يقربك الناس من أجلها . وكلا مركبى الحُطَّة إن تقدّمت أو تأخّرت شاجر ، أى مختلف متفرّق . والشاجر : الذى قد دخل بعضه فى بعض وتغيّر نظامه . وأراد بالمركبين قادمة الرجل وآخرتة . وهذا على طريق المثل ^(١) . يقول : لا تجد فى الأمر الذى تُريد أن تعمله مركباً وطيباً ولا رايّاً صحيحاً ، أى موضعك إن ركبت منه آذاك وفرق بين رجليك ولم تثبت عليه ولم تطمئن . هذا كلامه ، وهذا بحروفه هو كلام بعض فضلاء العجم (على أبيات المفصل) .

ولم يورد أبو الحسن الطوسى سبب هذه القصيدة ، وعدّها عنده ثلاثة وعشرون بيتاً .

ولنذكر ما شرح به الأبيات السابقة : قوله « من يك عني جاهلاً » ، رواه الطوسى : « من كان مني جاهلاً » . وهذا أوّل القصيدة . يقول : من كان يجهلنى فإنّ عمى عامراً يعرف بلائى . وبلاؤه : صنيعه وعمله . وعامر هو ملاعب الأُسنة . والمغمّر : المنسوب إلى الغمر ، بالضم

(١) فى النسختين : « وعلى هذا طريق المثل » ، والوجه ما أثبت .

الجهل . والبِدْع ، بالكسر : كلُّ حديثٍ أُحْدِثَ ، أى ليس عامرٌ يبدع من بلائى ، أى بأول ما عرف ذلك ^(١) .

وقوله : « وفى كل يوم » إلخ هو البيت الرابع عشر من القصيدة .
والعَوَارِير : الجبناء والضُعفاء ، جمع عَوَّار بالضم والتشديد .

وبعده قوله : « لى النصر منكم » إلخ ، والرواية عند الطوسى : « لى النصر منهم والولاء عليكم » بالغية فى الأول والخطاب فى الثانى ، وقال : منهم ، أى من هؤلاء الملوك وأردافهم الذين ذكروا . والولاءُ عليكم ، يقول : يوالونى عليكم ^(٢) . والفَقْع : ضربٌ من الكِنَاة ، وهو شُرْها . والقَرقر كجعفر : الأرض المُستوية . وفى المثل : « أذل من قَعَق بقرقر » . يقول : لم أكن ذليلاً .

وقوله : « وأنت فقير » ، أى محتاج إلى . والخليفة هنا : خَلَفَ يَخْلُفه . يقول : أنا خَلَفُك . ولم يلحق بنوك ، أى لم يكبروا له .

وقوله : « فقلت ازدجر » إلخ الأحناء : جمع جنو بالكسر ، وهى الجوانب ^(٣) . وقولهم : « ازدجر أحناء طيرك » ، أى نواحيه يميناً وشمالاً ، وأماماً وخلفاً . ويريد بالطير الخَفَّة . قاله الجوهري ، وأنشد البيت . وقالوا : أراد بذلك انظر فيما عمله ، أخطيء أنت فيه أم مصيب ؟

وقال الطوسى : ازدجر : ازجر أحناء قولك ^(٤) ، إنما هذا مثل ، يقول : ازدجر : ازجر . أحناء قولك ، أى عن يمين وشمال وعلى أى حال شئت .

(١) أى بأول شيء عرفه بلائى

(٢) هنا من التخفيف بحذف إحدى التونين نون الرفع أو نون الوقاية .

(٣) ط : « وهو الجوانب » ، صوابه فى ش .

(٤) الرواية السائرة : « أحناء طيرك » .

يقول : **إِنْ رَكِبْتَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي قُلْتَ لَكَ فِيهِ ازْدَجِرْ عَثَرْتُ ، أَوْ مَعْنَاهُ انْظُرْ مَا عَاقِبَتُهُ (١) .**

وقوله : **« فَإِنْ تَتَقَدَّمْ »** إلخ قال الطوسي : منها أى من هذه التى ذكر .
يقول : **إِنْ تَقَدَّمْتَ تَقَدَّمْتَ عَلَى غِلْظٍ وَأَمْرٍ صَعْبٍ لَيْسَ يَسْتَهْلُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أُخْزِتْ ، يَقُولُ : إِنْ رَجَعْتَ . وَالْكَفْلُ بِالْكَسْرِ : كَسَاءٌ يَضَعُهُ الرَّجُلُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يَرْكَبُهُ يَتَوَقَّى الْعَرَقَ .** وقال ابن الأعرابي : هو كساء يُرْكَبُ بِهِ ، يَدَارُ حَوْلَ سَنَامِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يَعْقِدُ عَقْدًا مِنْ خَلْفِهِ يَكْتَفِلُ بِهِ الرَّجُلُ فَيُمْسِكُهُ ، وَيَجْعَلُ الْعَقْدَ مِنْ خَلْفِ السَّنَامِ ، وَفَاجِرٌ : مَائِلٌ ، وَقِيلَ فَاتَحَ لِرَجْلَيْكَ يَفْرِجُ مَا بَيْنَهُمَا . يقول : فكيف ركبته لم تجدها كما تريد . وإنما يريد نفسه ، أى إنيك إن فقدتني لم تجد مثلي . وهذا مثل . انتهى .

وترجمة لبيد تقدّمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة (٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد الخمسمائة (٣) :

٥١٤ (شَرِّينَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرْفَعَتْ مَتَى لُجَجٌ تُحْضِرُ لَهْنَ نَتِيجُ)
على أن (متى) عند هذيل حرف جر بمعنى مِنْ أَوْ فِي ، أَوْ اسْمٌ بِمَعْنَى وَسَط .

(١) ط : « عقبته » ، صوابه في ش . وفي اللسان : « وعقب كل شئ وعقباه وعقبانه وعاقبته : خاتمته » .

(٢) الخزائن ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ .

(٣) الخصائص ٢ : ٨٥ والمحتسب ٢ : ١٤ والاقضاب ٤٤٧ وابن يعيش ٢ : ٢٧٠ والمغنى ١٠٥ ، ١١١ ، ٣٣٥ ، والعين ٣ : ٢٤٩ ، ٢٧٣ / ٤ : ٢٢٢ والتصريح ٢ : ٢ والمجمع ٢ : ٣٤ والأشعرون ٢ : ٢٠٥ ، ٢٢١ وديوان الهذليين ١ : ٥١ . (٧ : الخزائن ج ٧)

قال ابن السِّيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : في قوله متى لجج قولان : قيل أراد من لجج ، كما قال صخرُ النَّمي (١) :

* متى أقطارها عَلَّقَ نفيثُ (٢) *

أراد : من أقطارها . وقيل متى بمعنى وَسَط . وحكى أبو مُعَاذٍ الهراء ، وهو من شيوخ الكوفيِّين : جعلته في مَتَى كُمَى . انتهى .

ومتى هنا فيما نقله أبو مُعَاذٍ لا تحتل غير معنى وسط ، بخلاف ما نقله الشارح المحقق عن أبي زيد ، فإنه يحتمله ويحتمل معنى في ، كما قال الشارح .

وقال ابن هشام (في المغني) : إن متى عند هذيل اسمٌ مرادف للوَسَط ، وحرَّفَ بمعنى مِن أو في . يقولون : أخرجها متى كُمَى ، أى منه . واختلف في قول بعضهم : وضعته متى كُمَى ، فقال ابن سيده : بمعنى في ، صاحب الشاهد وقال غيره : بمعنى وَسَط . وكذلك اختلفوا في قول أبي ذؤيب الهذلي ، يصف السحاب :

شربن بماءِ البحر ثم ترفَّعت البيت

فقيل بمعنى مِن ، وقال ابن سيده : بمعنى وَسَط . انتهى

والباء في قوله : (بماء البحر) قيل على بابها ، وشربن مضمَّن معنى رَوَيْن . وقال جماعة : هي للتبعيض ، منهم الأصمعي ، وابن قتيبة (في أدب الكاتب) وأبو علي وغيره . وقال ابن جني (في المحتسب) :

(١) في ديوان الهذليين ٢ : ٢٢٤ وشرح السكري ٢٦٣ أن البيت لأبي المثلم . وما هنا يطابق ما في الاقتضاب .

(٢) صدره في الهذليين وشرح السكري :

* متى ما تكروها تعرفوها *

الباء زائدة ، أى شربن ماء البحر وإن كان قد قيل إن الباء هنا بمعنى فى ، والمفعول مخنوف ، معناه شربن الماء فى جملة ماء البحر . وفى هذا التأويل ضرب من الإطالة والبعد .

وقال (فى سر الصناعة أيضًا) : الباء فيه زائدة ، إنما معناه شربن ماء البحر . هذا هو الظاهر من الحال ، والعدول عنه تعسف . وقال بعضهم : معناه شربن من ماء البحر ، فأوقع الباء موقع من . انتهى .

وسبقه الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ ^(١) ، من سورة الدهر ، قال : يشرب بها ويشربها سواء فى المعنى ، وكأنَّ يشربُ بها يَرَوَى بها ويتنفع . وأما يشربونها ^(٢) فبين . وقد أنشدنى بعضهم :

شربن بماء البحر ثم ترفعت (البيت)

ومثله : إنه ليتكلم بكلام حسن ويتكلم كلامًا حسنًا . انتهى . ١٩٤

والحاصل أن فى هذه الباء أربعة أقوال : أحدها أنها للتعدية . ثانيها : أنها للتبعض بمعنى من . ثالثها : أنها بمعنى فى . رابعها : أنها زائدة .

وهذا على ما فى كتب المؤلفين . وأما الثابت فى شعر أبى ذؤيب من رواية أبى بكر القارئ ^(٣) وغيره فهو :

(١) معانى الفراء ٣ : ٢١٥ . وهى الآية ٩ من سورة الدهر أو الإنسان .

(٢) هنا ما فى ش ومعانى الفراء . وفى ط : « وأما يشربها » .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى القارئ . وقد سبقت ترجمته فى حواشى

٥ : ٤١٤ والإشارة إليه فى ١ : ٢٧٥ .

(تَرَوْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَنَصَّبْتُ عَلَى حَبْشِيَّاتٍ لَهْنٌ نَتِيجُ)

قال القارئ : تَرَوْتُ يعنى الحناتم . وتَنَصَّبْتُ : ارتفعت . وعلى حبشيات : على سحائب سود . ونتيج : مرّ سريع .

وعلى هذه الرواية لا شاهد في الموضعين .

والبيت بعد مطلع قصيدة لأبى ذؤيب الهذلي ، عدتها تسعة وعشرون بيتاً ، وهذا مطلعها عند أبى بكر القارئ وأبى حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) :
(سَقَى أُمُّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَاتُمُ سَوْدَ مَاؤَهْنِ نَجِيجُ)

صاحب الشاهد

قال القارئ : الحناتم : السَّحَابُ فى سَوَادِهِ . والحنَتمَة : الجَرَّةُ الخضراء ، شبه السحاب بها . والحناتم : الجِرار الخُضَر . ونجيج : سائل . انتهى .

وقال الدّينورى : الحنم من السَّحَاب : الأخضر ، وهو الأسود . ونجيج : متدفق .

وقال ابن السّيد : الحناتم : سحابٌ سَوْد ، واحدها حنم ، وأصل الحناتم جرارٌ خُضَر ^(١) ولكنَّ العرب تجعل كُلَّ أخضر أسود ، وإنّما يفعلون ذلك لأنَّ الخضرة إذا اشتدَّت صارت سواداً ، ولذلك قالوا لِلَّيْلِ : أخضر . قال ذو الرِّمَّة :

* فى ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ ^(٢) *

(١) فى الاقتضاب : « جرار خضر » ، وما هنا صوابه . وأنشد فى اللسان لعمر بن شاس :

رجعت إلى صدر كجرة حنم إذا قرعت صفرا من الماء صلت

(٢) ويروى : « فى ظل أغصف » . وصدرة فى الديوان ٥٧٤ :

« قد أعصف النازح المجهول معسفه »

وَأُمُّ عَمْرٍو مَفْعُولٌ مَقْدَّمٌ ، وَحَنَاتِمُ فَاعِلٌ مُؤَخَّرٌ ، وَكُلُّ آخِرِ لَيْلَةٍ ظَرْفٌ .
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يَرِيدُ أَبَدًا . وَمِثْلُهُ : لَا أَكَلِّمُكَ آخَرَ اللَّيَالِي ، أَيْ لَا أَكَلِّمُكَ
 مَا بَقِيَ عَلَى مِنَ الزَّمَنِ لَيْلَةً . وَالتَّجُّجُ وَالتَّجْجِجُ : السَّيْلُ الشَّدِيدُ ، فَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ تَجْجِجٌ بِمَعْنَى تَجَّجٌ ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ ذُو تَجْجِجٍ ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ ،
 وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ أَوْقَعَ الْمَصْدَرُ مَوْقِعَ اسْمِ الْفَاعِلِ مِبَالِغَةً فِي الْمَعْنَى . قَالَ ابْنُ
 السَّيِّدِ .

وَجَعَلَ الْعَيْنِيُّ وَتَبِعَهُ السِّيُوطِيُّ (فِي شَرْحِ آيَاتِ الْمَغْنَى) هَذَا الْبَيْتَ بَعْدَ
 الْبَيْتِ الشَّاهِدِ ، وَقَالَ : أَوَّلُ الْقَصِيدَةِ :

(صَحَا قَلْبُهُ بِلِجٍّ وَهُوَ لَجُوجٌ ^(١) وَزَالَتْ بِهِ بِالْأَنْعَمِينَ حُلُوجٌ)

وَهَذَا الْبَيْتُ غَيْرُ مُوجُودٍ فِي الْقَصِيدَةِ . وَرَوَاهُ الْعَيْنِيُّ :

* صَبَا صَبُوءٌ بِلِجٍّ وَهُوَ لَجُوجٌ *

وَأُورِدَ بَعْدَهُ أَرْبَعَةُ آيَاتٍ أُخِرَ إِلَى قَوْلِهِ سَقَى أُمُّ عَمْرٍو ، الْبَيْتَ الَّذِي
 ذَكَرْنَاهُ مُطْلَقًا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي تِلْكَ الْقَصِيدَةِ ، وَلَا هِيَ مِنْ
 نَسْجِهَا ، وَمَا أَدْرَى مَنْ أَيْنَ أَتَى بِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ : (شَرِبْنِ بِمَاءِ الْبَحْرِ) ، النُّونُ ضَمِيرُ الْخَنَاتِمِ . وَقَالَ الْعَيْنِيُّ :
 ضَمِيرُ السُّحْبِ . مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمَ لِلْسُّحْبِ ذِكْرٌ ، وَلَا فِي الْآيَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا
 أَوَّلَ الْقَصِيدَةِ .

(١) يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ رِوَايَةِ الْأَصْمَعِيِّ ، إِذْ مُطْلَعُهَا عِنْدَهُ هُوَ الْبَيْتُ السَّادِسُ فِي تَرْتِيبِ
 الْقَصِيدَةِ مِنْ رِوَايَةِ السَّكْرِيِّ وَإِغْفَالِ مَا قَبْلَهُ ، وَهُوَ :
 سَقَى أُمُّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَاتِمُ سَوْدٍ مَاؤُهُنَّ تَجْجِجُ

قال ابن السَّيِّد : هذيلٌ كُلُّها تُصَفُّ أنَّ السحاب تستقى من البحر ثم تصعد في الجوِّ . وهذا ما عليه الحكماء من أنَّ السحاب ينعقد من البخار ، أعنى الأجزاء الهوائية المتحللة بالحرارة من الأشياء الرطبة ؛ وذلك أنَّ البخار المذكور إذا تصاعد ولم يتلطَّف بتحليل الحرارة أجزائه المائية حتى يصير هواء ، فإنه إذا بلغ الطبقة الزمهريرية تكاثف فاجتمع سحابًا ، وتقاطر مطرًا ، إن لم يكن البرد شديدًا . و (اللُّجَج) : جمع لُجَّة ، وهو معظم الماء . ووصفها ١٩٥ بخضر لصفائها ؛ يقال ماء أخضر ، أى صافٍ . و (نتيج) على فعيل مهموز العين : المر السريع بصوت ، من نأجت الريح تُنْجِجُ نتيجًا : تحركت ، فهي تؤوج . وللريح نتيج ، أى مرٌ سريع . وجملة « لهنَّ نتيج » في موضع الحال من فاعل ترفعت العائد على حناتم بمعنى سحاب .

وترجمة أئى ذؤيب الهدلى تقدمت في الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد الخمسمائة (٢) :

٥١٥ (أو راعيان لبُعْرانٍ شَرَدْنَ لنا

كئى لا يُحسَّانِ من بُعْراننا أثرًا)

على أنَّ كئى فيه بمعنى كيف ، أو أنَّ أصلها كيف ، فحذفت الفاء لضرورة الشعر .

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ . .

(٢) ابن يعيش ٤ : ١١٠ ومعاني الفراء ٣ : ٢٧٤ .

وهذا البيت أنشده الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْعَتِكَ رَبُّكَ قَتْرَضَى ﴾^(١) كذا :

مِنْ طَالِيْنَ لُبْعَرَانٍ لَنَا رَفَضَتْ كَى لَا يُحْسُونُ مِنْ بُعْرَانِنَا أَثْرَا

قال : هى فى قراءة عبد الله : ﴿ وَلَسَوْعَتِكَ رَبُّكَ قَتْرَضَى ﴾ ، والمعنى واحد ، إِلَّا أَنَّ سَوَفَ كَثُرَتْ فى الكلام وُغِرَ موضعها ، فترك منها الفاء والواو ، والحرف إذا كَثُرَ فرُبما فُعل به ذلك ، كما قيل أَيْشِي تقول ؟ وكما قيل : قم لأبأك ، وقم لابشائيك ، يريدون : لا أبأ لك ، ولا أبأ لشائتك . وقد سمعتُ بيتاً حذف الفاء فيه من كيف ، قال الشاعر :

مِنْ طَالِيْنَ لُبْعَرَانٍ لَنَا رَفَضَتْ البيت

أراد : كيف لا يُحْسُونُ . وهذا كذلك . انتهى ونقلته من نسخة صحيحة بخط الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد .

وأنكر أبو على (فى البغداديات) هذا ، وحتم أن تكون كى فيه بمعنى اللام ، وهذه عبارته : أنشد أبو بكر عن ابن الجهم عن الفراء :

مِنْ طَالِيْنَ لُبْعَرَانٍ لَهُمْ شَرَدَتْ كَيْمَا يُحْسُونُ مِنْ بُعْرَانِهِمْ خَبْرَا

قال الفراء : أراد كيف فرثم . قال أبو بكر : وهذا خطأ ، وهو كما قال وبسطه ، أن كيف اسم^(١) يمتنع ترخيمه ، من غير وجه :

أحدها : أنه اسم ثلاثى ، والثلاثى لم يجرى مرثما إلا ما كان ثالثه تاء تأنيث .

(١) الكلام من هنا إلى « فإن كيف اسم » ساقط من ش .

والآخر : أنه منكور ، والمنكور لا يرثم كما لا يننى ، والترخيم أبعد من البناء ، فإن امتنع بناؤه كان ترخيمه أشدَّ امتناعاً أيضاً ، فإنَّ كيف اسمٌ مبنيٌّ مشابه للحرّوف ، والحذف إنّما يكون في الأسماء المتمكّنة والأفعال المأخوذ منها ^(١) ولا يكون في الحروف . كذلك ينبغي أن لا يكون فيما غلب [عليه] ^(٢) شبهها وصار بذلك في حيّزها . فإن أراد بالترخيم ما يستعمله النحويّون في هذا النوع من المنادى فهو غير منادى ، وإن أراد به الحذف فهو غير سائغ .

فإن قلت : فقد قالوا : لُد ، ولُدُنْ ، فحذفوا منه وهو غير متمكّن ، فكذلك يسوغ الحذف من كيف .

فالجواب أنّه لا يسوغ الحذف من حيث حذف من لدن ، وذلك أنّ لدن لَمَّا فتح ما قبل النون منها وضُمّ ، ونصب الاسم بعدها في قولهم « لدن غلوة » ضارع التنوين الزائد في الاسم ، لاختلاف الحركة قبلها واتصاف الاسم بعدها ، فحسن لذلك حذفها كما يحذف الزائد .

وأيضاً فإنّ هذا الاسم يضاف في نحو قولهم : لُد الصلاة ، ويدخل عليه حرف الجر ، ويضاف إلى المضمر والمظهر . وكل ذلك توسّع فيها ليس في كيف مثله ، فيسوّغ فيه في دخول ذلك ما لا يسوغ في كيف . وأيضاً فإنّ النون شديدة المشابهة بحروف اللّين . ألا تَرَاهَا تُزَادُ في مواضع زيادتها وتلحق علامة الإعراب ، كما يزداد ماهو منها . وحذفوها فاءً في قوله :

١٩٦

(١) كنا في النسختين ، والوجه « المأخوذة منها » .

(٢) تكملة يفتقر الكلام إليها .

* وهل يَعْمَنُ من كان في العَصْرِ الخالي ^(١) * .

وفي نحو : « عَمُوا ظلامًا » ^(٢) . فحذفه أسهل لذلك من حذف غيره . ولو لم يكن في النون من هذه الكلمة ما ذكرنا لما كان لحمل كيف عليه مَسَاغٌ ما وُجد لغيره مجاز .

فإن قلت : فكيف وجه البيت عندك ؟ فالقول أن كى على ضريين : تكون مرة بمعنى اللام ، وذلك في قولهم : كيمه . وتكون في معنى أن في نحو : ﴿ لَكَيْلًا تَأْسَوْا ﴾ ^(٣) فنقول : إن كى في البيت هي التي بمعنى اللام ، فيمن قال كيمه ، دخلتها ما كَأَفَّةً فمنعتها العمل الذي تعمله ، فارتفع الفعل بعدها ، لكف « ما » لها عن الدخول على الفعل ، كما كَفَّتْ رَبٌّ وَمِنْ في قولهم : ممَّا أَفْعَل ، وربما يقوم . ونظير هذا ما أنشدناه عن أبي الحسن من قوله : إذا أنت لم تنفَعْ ففَضَّرْ فإِثْمًا يُرْجَى الفتى كيما يضرُّ وينفَعُ ^(٤)

فعل هذا يُحْمَلُ هذا البيت . انتهى .

وهذا كله تطويل بلا طائل ، فإن رواية الفراء الثابتة عنه : « كى لا ، بلا النافية لا بِنَا ، والتصرف في الحرف بالحذف وغيره ثابت ، مع أنه خلاف الأصل ، فكونه في الاسم أولى وأحق .

ونظير حذف الفاء من كيف حذفها من سَوَفَ ، فإنهم يقولون : سَوُ أَفْعَل ، والأصل سوف أَفْعَل .

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٢٧ . وصدرة :

• ألا عم صباحا أيها الطلل البالي •

(٢) لسمير بن الحارث . والبيت بتمامه كما في ٦ : ١٦٧ .

أتوا نلرى فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

(٤) لقيس بن الخطيم في ديوانه ١٧٠ . وهو الشاهد ٦٥٦ .

وقد حذفت النون من مِنْ حرف الجر فقالوا : م الرجل ، والأصل من الرجل .

وقد حذفت مِنْ « على » الحرفية اللام والألف كما قال الشاعر ، وأنشده سيبويه في آخر كتابه :

* طفت علماء غرلة خالد ^(١) *

والأصل : على الماء .

والمراد بالترخيم في نحو هذا التخفيف بالحذف ، وهو شائع في كلامهم ، فلا وجه للترديد بين ترخيم المنادى وغيره .

على أنَّ الفراء إنما عبّر بالحذف لا بالترخيم ، ومحصل كلامه إنكار مجيء كى مخففاً من كيف . وحمل كى في البيت على أنَّها بمعنى اللام بمعونة ما الكاف لها عن النصب ، على تقدير صحة نقله ، فما يصنع بقول الآخر ، وقد أنشده ابن هشام (في المغنى) في كى وفي كيف :

كى تجنحون إلى سليم وما ثمرت قتلاكم ولظى الهيجاء تضطرم ^(٢)

وليس بعدها ما ، والمعنى على الاستفهام . ولعله يقول إن كى موضوعة للاستفهام عن حال الشيء بمعنى كيف ، إلا أنَّها مخففة من كيف ، كما هو مذهب جماعة ، وحكاها الشارح المحقق عن الأندلسي .

(١) للفرزدق . الشنتمرى ٢ : ٤٣٠ . وصلره :

* فما سبق القيسى من سوء سيرة *

(٢) غير منسوب . وانظر المغنى ١٨٢ ، ٢٠٤ وما سيذكره البغدادى ١٠٧ - ١٠٨ .

وقال ابن يعيش (في شرح المفصل) : وفي كيف لغتان قالوا : كيف
وكى ، قال الشاعر :

أَوْ رَاعِيَانِ لُبْعَرَانٍ لَنَا شَرَدَتْ كَى لَا يُحْسَنَانِ مِنْ بُعْرَانَا أَثَرَا

قالوا : كى . ههنا بمعنى كيف ، استفهام . وقال قوم : أراد كيف ،
وإنما حذف الفاء تخفيفاً كما قالوا : سَوَّ أَفْعَل ، والمراد : سوف أَفْعَل . انتهى .
وعلى هذا الأخير اقتصر صاحب المغنى . والظاهر أنَّ هذا من قبيل
ضرورة الشعر ، إذ لو كانت كى موضوعة للاستفهام لوردت في النثر ،
ولتَوَثَّت في كتب اللغة كسائر الألفاظ الموضوعة .

والبيت الأول غير واضح المعنى ، وقائله غير معروف ، وما قبله مجهول .

١٩٧ و (البعران) بالضم : جمع بعير ، وهو في الإبل بمنزلة الرجل في
الإنسان . والنون في (شردن) للإبل ، لأنها جماعة . ورواه ابن يعيش :
« شَرَدَتْ » بالثاء مع تقديم « لنا » عليه . و (يُحْسَنَانِ) بضم الياء :
مضارع : أَحَسَّ الرجل الشيء إحساساً : علم به . و (أَثَرَا) مفعول به .
ورواية أبى على قريبة من رواية الفراء .

وقوله : « من طالين » هو جمع مجرور بمن . و « رفضت » بالفاء
والضاد المعجمة ، قال في المصباح : رفضت الإبل من باب ضرب : تفرقت
في المرعى . ويتعدى بالألف في الأكثر فيقال أرفضتها ، وفي لغة بنفسه .

وقائل البيت الثاني مجهول أيضاً . وزعم العيني وتبعه خذمة المغنى أنه
من أبيات سيبويه ، وهذا لا أصل له ؛ فإننى قد تصفحت أبياته

مراراً فلم أجذه فيها . وتجنحون : تميلون . والسلم ، بكسر السين وفتحها :
 الصلح . وتُمرت بالبناء للمفعول . وقتلاكم : نائب الفاعل من ثارت القتيل :
 طلبت دمه وقتلتُ قاتله . والثأر مهموز . والهيحاء : الحرب . وتضطرم :
 تلتهب . والجملتان حالان من الواو في تجنحون .

وأتعجب من العيني في قوله : « الشاهد في كى ، فإنه بمعنى كيف
 وهو اسم لا شك فيه ككيف ، لدخول حرف الجر ^(١) عليه » . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الخمسمائة ^(٢) :

٥١٦ (يا أبا الأسود لِمَ أسلمتني لهموم طارقاتٍ وذَكَرٍ)

على (أن) لِمَ مركبة من اللام وما الاستفهامية ، فلما جُرّت باللام
 حذفت الألف وسكنت الميم ، كما أنَّ كم مركبة من الكاف وما الاستفهامية .
 وهذا قول الفراء (في تفسيره) ، أورده في شرح لكن من قوله تعالى :
 ﴿ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ من سورة يونس ^(٣) ، قال : ونرى أنَّ قول
 العرب : كم مآلك ، أنَّها ما وصلت من أولها بالكاف ، ثم إنَّ الكلام كثر بكم
 حتى حذفت الألف من آخرها وسكنت ميمها ، كما قالوا : لِمَ قلت ذاك ؟
 ومعناه : لِمَ قلت ذاك ؟ ولما قلت ذاك ؟ كما قال الشاعر :

(١) ط : « حرف الجار » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح .

(٢) أمالي ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ والإنصاف ٢١١ ، ٢٩٩ وابن يعيش ٩ : ٨٨ وشرح

شواهد الشافية ٢٢٤ والمغنى ٢٩٩ والجمع ٢ : ١١١ .

(٣) معاني الفراء : ١ : ٤٦٦ في الآية ٤٤ من سورة يونس .

يا أبا الأسود لِمَ أَسَلَمْتَنِي (البيت)

وقال بعض العرب في كلامه - وقيل ^(١) : مَذْكَمَ قَعْدَ فُلَانٍ ؟ - فقال : كَمَذْ أَخَذْتَ فِي حَدِيثِكَ . فَرَدُّهُ الْكَافُ فِي مَذْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَافَ فِي كَمَ زَائِدَةٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ فيقول : كَالْخَيْرِ ، وَكَخَيْرِ ^(٢) . وقيل لبعضهم : كَيْفَ تَصْنَعُونَ الْأَقْطَ ؟ فقال : كَهَيْئِ ^(٣) انتهى .

وقوله : « لِمَ » قُلْتُ ، بِسُكُونِ الْمِيمِ ، ظَاهِرُهُ أَنَّهُ جَائِزٌ فِي الْكَلَامِ غَيْرَ مَخْصُوصٍ بِالشَّعْرِ ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ ابْنِ الشَّجَرِيِّ (فِي أَمَالِيهِ) : وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ : لِمَ فَعَلْتُ ؟ بِاسْكَانِ الْمِيمِ . قَالَ ابْنُ مَقْبِلٍ :
أَخْطَلُ لِمَ ذَكَرْتَ نِسَاءَ قَيْسٍ فَمَا رُوعَنَ عَنْكَ وَلَا سِينَا ^(٣)
وقال آخر :

يا أبا الأسود لِمَ خَلَيْتَنِي لَهُمُومَ طَارِقَاتٍ وَذَكَرَ . انتهى .

وكذا (فِي شَرْحِ الشَّافِيَةِ) لِلشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ قَالَ : وَأَمَّا عَلَى مَهْ وَإِلَى مَهْ وَحَتَّى مَهْ ، فَ«مَاهُ» فِيهَا جُزْءٌ مِمَّا قَبْلَهَا ، لَكُنْ مَا قَبْلَهَا حُرُوفًا ، فَلَا تَسْتَقِيلُ ، فَيَجُوزُ لَكَ الْوَقْفُ بِالْهَاءِ ، كَمَا ذَكَرَ ، وَيَسْكُونُ الْمِيمُ أَيْضًا لَكُنْ عِلَامًا مِثْلًا كَقُلَامٍ . قَالَ :

يا أبا الأسود لِمَ خَلَيْتَنِي (البيت) انتهى

فَقَوْلُ ابْنِ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) إِنْ تَسْكِينُ الْمِيمِ بَعْدَ حَذْفِ الْأَلْفِ

(١) فِي مَعَانِي الْفَرَاءِ : « وَقِيلَ لَهُ » .

(٢) انْظُرِ اللَّسَانَ (كُوفَ ٢٢٣) .

(٣) فِي دِيْوَانِ تَمِيمٍ ٣١٢ : « فَمَا رُوعَنَ مِنْكَ » .

مخصوص بالشعر ، غير صحيح . وقد تقدّم في الشاهد السادس والثلاثين بعد الأربعمائة ^(١) ، ما يتعلق بحذف ألف ما الاستفهامية .

وقوله : (أَسْلَمْتَنِي) هو من أسلم أمره لله وسلّم ، بمعنى فوّض ، أو من أسلم الأجير نفسه للمستأجر : مكّنه من نفسه ، وكذلك سلّم بالتشديد . ويجوز أن يكون من أسلمه بمعنى خذله . وروى بدله : « خلّيتني » بمعنى تركتني . وروى أيضاً « خلّفتني » ، قال الدماميني : معناه أخرتني ^(٢) . و (الهموم) : الأحزان . و (الطُروق) : الجيء ليلاً . وإنما جعل الهموم طارقاتٍ لأنّ أكثر ما يُعتزى الإنسان في الليل ، حيث يجمع فكره ويخلو بالله ، فيتذكّر ما هو فيه من الأحوال الموجهة والمصائب المؤلمة . و (ذكر) بكسر ففتح ، قال الشاطبي (في شرح الألفية) : هو جمع ذكّرى على خلاف القياس ^(٣) ، لأنّ شرط الجمع على فَعَل أن يكون مفردة فَعلة مكسور الفاء مؤنثاً بالتاء . وقال الدماميني : هو جمع ذكّرى وهو نقيض النسيان . أو جمع ذكّرة بمعنى ذكّرى . وهو على الأوّل محفوظ ، وعلى الثاني مقيس . انتهى .

قال صاحب المصباح : ذكرته بلساني وبقلي ذكّرى بالتأنيث وكسر الذال ، والاسم ذكر بالضم والكسر ، نصّ عليه جماعة منهم أبو عبيدة وابن قتيبة . وأنكر الفراء الكسر في القلب ، وقال : اجعلني على ذكّرك منك بالضم لا غير . ولهذا اقتصر جماعة عليه . ويتعدّى بالألف والتضعيف ، فيقال أذكرته وذكّرت ما كان ، فتذكّر . انتهى .

(١) الخزانة ٦ : ٩٩ - ١٠٢ .

(٢) كلمة « معناه » ساقطة من ش .

(٣) كلمة « على » ساقطة من ش .

والبيت مع كثرة تداوله في كتب النحو والصرف لا يعرف قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(صَرِيحٌ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرُقْنَه لُدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَانِبِ)

على أنَّ (لدن) إذا أُضيفت إلى الجملة تَمَحَّضَتْ للزمان .

هذا هو التحقيق ، لبقاء حكم المضاف إلى الجمل على وتيرة واحدة .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : ولا يضاف إلى الجمل من ظروف المكان إلا لدن وحيث ، فتضاف إلى جملة الابتداء نحو :

* وتذكر نِعْمَاهُ لَدُنْ أَنْتِ يَا فَعَّ (١) *

وإلى الفعلية ، نحو :

* لَزِمْنَا لَدُنْ سَاءَلْتُمُونَا وَفَاقَكُمُ *

وجاءت أَنْ زائدة بعدها في قوله :

* وَلَيْتَ فَلَمْ تَقْطَعْ لَدُنْ أَنْ وَلَيْتَنَا (٢) *

قال ابن الدّهان : ولا يضاف إلى الجمل من ظروف المكان إلا حيث وحدها . ولَدُنْ شَبَّ ، على إضمار أن ، كما صرّح بأن في قوله :

* أَرَانِي لَدُنْ أَنْ غَابَ رَهْطِي (٣) * انتهى

وتقدّم الكلام على البيت قريباً (٤) .

* * *

(١) عجزه كما في الجمع ١ : ٢١٥ :

• إلى أنت ذو فودين أبيض كالنسر •

(٢) من شواهد الجمع ١ : ٢١٥ والأشعوى ٢ : ٢٦٢ . وعجزه كما في الدرر ١ : ١٨٤ :

• قرابة ذي قرى ولا حق مسلم •

(٣) في الدرر ١ : ١٨٤ : * أَرَانِي لَدُنْ أَنْ غَابَ رَهْطِي وَإِخْوَتِي * .

(٤) انظر الشاهد ٥١٢ من هذا الجزء ص ٨٦ - ٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الخمسمائة (١) :

٥١٧ (فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنَّ أُنَى غُلَامٌ)

على أَنَّ الجملة التي بعد لدن يجوز تصديرها بحرف مصدرى .

وهذا البيت أنشده ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، ونسبه

صاحب الشاهد كالشارح إلى عمرو بن حسان (٢) من بنى الحارث بن همام . وقال شارح

أبياته ابن السيرافى فى قوله : « فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِي » إلخ . أَى طَلَبُ الْغِنَى فى

أَوَّلِ أَمْرِى وَحِينَ شَبَابِى ، فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن

فقيرًا . فلا تأمرنى بطلب المال وجميعه وترك تفرقه ، فإننى لا أبلغ نهاية الغنى

بالمئع ، ولا أفقر بالبذل . انتهى .

قال صاحب الصحاح : الكثر بالضم من المال : الكثير . يقال ماله

قل ولا كثر . وأنشد البيت .

وقال فى (قتر) : وأقتر الرجل : افتقر . وأنشده أيضاً (٣) .

وقال فى (عى) : وعييت بأمرى ، إذا لم تهتد لوجهه . وأعيانى هو .

وأنشده أيضاً ، وقال : يقول كنت متوسطاً لم أفقر فقراً شديداً ولا أمكننى

جمع المال الكثير . ويروى : « أعنانى » أَى أذلنى وأخضعنى . انتهى .

وهذا البيت يدل للشارح المحقق على أَنَّ لدن إذا أضيفت إلى الجملة

تكون ظرف زمان . وهذا ظاهر منه .

(١) إصلاح المنطق ٣٣ ، ١٦٧ ، ٣٦٤ وآمال ابن الشجرى ١ : ٢٢٢ .

(٢) إنما نسبه لرجل من ربيعة .

(٣) ط : « وأنشد أيضاً » ، وأثبت ما فى ش .

وعمر بن حسان : شاعرٌ صحابى ، ذكره ابن حجر فى الإصابة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الخمسمائة ^(٢) :

٥١٨ (طَارُوا عَلَاهُنَّ فِطْرٌ عَلَاهَا وَاشْلُذْ بِمِثْنَى حَقَبٍ حَقَّوْهَا)

على أنه قد حُكى عن قوم من العرب : لَدَاكَ ، وَإِلَاكَ ، وَعَلَاكَ ، فلم يَقلُّوا الألف ياءً مع المضمر فى علانٍ وَعَلَاهَا ، وفى المثنى أعنى حَقَّوْهَا . وكان القياس : عليهن ، وعليها ، وَحَقَّوْهَا .

قال أبو حاتم (فيما كتبه على نواذر أبى زيد) : هذه لغة بنى الحارث ابن كعب ، ولغتهم قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً ، يقولون : أَخَذْتَ الدَّرْهَمَانِ ، وَالسَّلَامَ عَلَاكُمْ . انتهى .

وسياتى بقية الكلام عليه إن شاء الله فى المِثْنَى .

قال أبو زيد (فى نواذره) : قال المفضل : أنشدنى أبو العُؤْلُ لبعض أهل اليمن :

(أَيْ قَلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا طَارُوا عَلَيْنَّ فَشَلَّ عَلَاهَا)

وَاشْلُذْ بِمِثْنَى حَقَبٍ حَقَّوْهَا نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا)

القَلُوصُ مؤنثة . علاها ، يريد عليها ، وهى لغة بنى الحارث بن

(١) الإصابة ٥٨٠٧ وقال : « تقدم ذكره فى ترجمة (سنير) » . وقد ترجم ابن حجر لسنير

فى رقم ٣٥٠٩ .

(٢) نواذر أبى زيد ٥٨ ، ١٦٤ والخصائص ٢ : ٢٦٩ وابن عيمش ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ وشرح

شواهد الشافية ٣٥٥ والعينى ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ . واللسان (طبر ، علا) .

كعب . وأما « أبأها » فيمكن أن يكون أراد أبوها فجاء به على لغة من قال هذا أباك ، في وزن هذا قفاك . وكذا كان القياس . وقال بعضهم : يقال أب وأبان ، مثل يد ويدان ، أراد الاثنين . والناجي : الماضي . انتهى .

وأُنشد أبو زيد البيتين الأولين من الأربعة في أوائل النوادر ، ثم قال : وأما أبأها ، يعنى في البيت الرابع ، فيمكن أن يكون أراد أبوها فجاء به على لغة من قال : هذا أباك في وزن هذه عصاك . وكذا كان القياس . وقال بعضهم : ولكن يقال أب وأبان ، كقولك : يد ويدان ، فأراد الاثنين . انتهى .

قال أبو الحسن الأخفش (في شرح النوادر) : قال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة عن هذه الأبيات فقال : انقُطْ عليها ، هذا من صنعة المفضل . انتهى .

وقوله : « أئى قلوصل راكب » بإضافة قلوصل إلى راكب ، وأئى استفهامية قصد بالاستفهام المدح والتعظيم ، وقد اكتسب التأنيث من قلوصل ، ولهذا أعاد الضمير عليها مؤنثا . أو فيه قلب والأصل قلوصل أئى راكب تراها . وهذا هو الظاهر . وأئى منصوب من باب الاشتغال ، ويجوز الرفع على الابتداء . والقلوصل بالفتح : الناقة الشابة .

وقوله : (طاروا عليهن) كذا في موضعين من النوادر ، ورواه الجوهري : « طاروا علاهن » كالثاني . وطاروا ، يقال طار القوم أى نفروا مسرعين . كذا في المصباح . ورواه ابن هشام (في شرح الشواهد) : « شالوا علاهن » وقال : شال الشيء شولا ، إذا ارتفع . والأمر شُل بالضم . ويتعدى بالهزمة وبالباء ، فيقال أشلته وشُلْتُ به . وقول العامة شِلته بالكسر لحن من

٢٠٠ وجهين ، والمفعول محنوف ، أى برحالمهم وبرحلك . انتهى .
والظاهر أن المراد ارتفعوا على إبلهم فارتفع عليها . ولا حاجة إلى ذكر
المفعول المعدى بالباء . ويؤيده رواية « طاروا » ، فإن المعنى أسرعوا مُحَقِّقِينَ .
ورواية الشارح « فِطْرَ عَلَاهَا » هى رواية صاحب الصحاح . و (الحَقَب)
بفتح الحاء المهملة والقاف ، قال فى الصحاح : هو جبل يُشَدُّ به الرَّحْلُ إلى
بطن البعير مما يلى ثِيْلُهُ ، أى ذَكَرَهُ ، كى لا يَجْتَذِبَهُ التَّصْدِيرُ . تقول منه :
أَحَقَبْتُ البعير . انتهى .

و (المَثْنَى) : مصدر ميمى من ثنيت الشيء ثنيا ومَثْنَى ، إذا عطفته ،
أريد به اسم المفعول ، أى المعطوف ثانيًا . و (حَقَّوْهَا) : مثنى حَقَّوْ بفتح
الحاء المهملة وسكون القاف (١) ، وهو الْخَصْرُ وَمَشْدُ الْإِزَارِ مثلاً . وقول أبى
زيد : إِنَّ أَبَاهَا مَثْنَى أَبْ حذفت النون للإضافة ، أراد أَبَاهَا وَأُمُّهَا فَثْنَى عَلَى
التغليب .

وأنشد الجوهري الأبيات (فى علا) بهذا الترتيب :
أَيَّ قُلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا فَاشْدُدْ بِمَثْنَى حَقَبَ حَقَّوْهَا
نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا طَارُوا عَلَاهُنَّ فِطْرَ عَلَاهَا

(١) ويقال أيضا حقو ، بالكسر ، كما فى اللسان والقاموس وغيرهما .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد الخمسمائة ^(١) :
 ٥١٩ (فلولا ثَبُلَ عَوْضٍ فِي حُطْبَيَّاءٍ وَأَوْصَالِي)

على أَنَّ (عَوْضًا) قد يستعمل لمجرد الزمان فيعرب .

جَعَلَ الشارح المحقق استعماله لمجرد الزمان سببًا لإعرابه ، أى الزمان المجرد عن العموم والاستغراق ، بأن يكون نكرة غير مضمَّن معنى الإضافة . فإن ضُمَّنَّهَا بنى على الضم كما سيأتى فى كلامه . وإن أُضِيفَ لفظًا أعرب . فيكون له ثلاثة استعمالات ^(٢) :

الأول : ما نكَّرَ بأن قُطِعَ عن الإضافة لفظًا ومعنى ، كما فى البيت ، وفى قولهم : من ذى عَوْضٍ ، فيعرب جرًّا بإضافة شيءٍ إليه . ولم يُسَمَّعْ نصبُهُ منوَّنًا على الظرفية .

الثانى : ما حُذِفَ منه المضاف إليه وضُمَّنَ معناه ، فيبنى على الضم أو أحد أخويه ^(٣) نحو : لا أفعله عَوْضُ ، والأصل : عوض العائضين .

والثالث : ما أُضِيفَ لفظًا كعَوْضٍ العائضين .

هذا مقتضى كلامه ، وهو الحقُّ الذى لا ينبغي أن يُحَادَ عنه ، فإنه جمع شَمَلَهَا المتفرق فى كتب النحويِّين بإدخالها فى حكم ظروف الجهات .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وقد يضاف إلى العائضين أو يضاف إليه فيعرب . وأورد هذا البيت ، وقال : وعوض الظرف يبنى على الضم والفتح والكسر .

(١) مع المواع ١ : ٢١٣ والحامسة بشرح المروزوق ٥٣٨ .

(٢) ش : « ثلاث استعمالات » . وهو جائز على مذهب البغداديين ، فإنهم يعتبرون لفظ الجمع . وانظر الأشمونى فى أول باب العدد .

(٣) يعنى الألف والواو .

وقال ابن هشام (في المغنى) : هو معرب إن أضيف كقولهم :
لا أفعله عوض العائضين ، مبنئ على أحد الحركات ^(١) إن لم يضاف .
فالأول يشمل ما قاله الشارح المحقق ، لكن لا بذلك الحكم . والثاني
يقتضى بناء نحو البيت على حركة ، ولا قائل به .

والعجب من ابن المُلّا فإنه شرح كلام المغنى بكلام الشارح المحقق .
وقال ابن جنّى في الكلام على هذا البيت ^(٢) من إعراب الحماسة :
وأما إعرابه فلائّه اضطرّ إليه كما يضطرّ الشاعر إلى صرف ما لا ينصرف . وهو
مبنئ على الضم والفتح . هذا كلامه

فيقال له : أى ضرورة في قولهم : افعلْ ذاك من ذى عَوْض ؟

وأما شراح الحماسة فالفهم من كلامهم أنه مبنئ في البيت . ولم
يتعرضوا لإعرابه بوجه . قال المرزوق : عوض اسمُ الدهر معرفة مبنى ، وكا
يبنى على الفتح قد يبنى على الضم ، والضم فيه حكاة الكوفيين . ويقال
لا أفعله عوضَ العائضين . وإنما يبنى لتضمّنه معنى الألف واللام . انتهى .

وقد سطرها الخطيب التبريزى (في شرحه) من غير زيادة .

وأما الأمين الطبرسى فلم يزد على قوله : عوض من أسماء الدهر .
وهذا كله مما يستغرب منه .

وقول الشارح المحقق : « وعوض في الأصل اسم للزمان والدهر » ،

(١) على أحد الحركات ، ليس من لفظ ابن هشام . والوجه « إحدى الحركات » .

(٢) في النسختين : « على هذا الكلام » ، والوجه ما أثبت .

بل الأصل مصدر عاضنى الله منه عَوْضًا يفتح فسكون ، وعَوْضًا بكسر
ففتح ، وعِياضًا بالكسر . كذا (فى العباب) . فالعوض : كل إعطاء يكون
خلفًا من شئ .

قال ابن جنى فى شرح البيت : إنما سموا الدهر عَوْضًا لأنه من
التعويض ، وذلك أنه كلما مضى جزء من الدهر خلف آخر من بعده ،
فكان الثانى كالعوض من الأول . وقد ذكرت هذا الموضع (فى كتابى الموسوم
بكتاب التعاقب) .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقيل : بل لأن الدهر فى زعمهم
يَسْتَلْب ويعْوَض .

وقوله أيضًا : « ويقال افعَل ذلك من ذى عوض » ^(١) إلخ ، افعَل يقرأ
أمرًا وخبرًا ، والمعنى افعله فى زمانٍ ذى تعويض ، أى فى زمان يكون عوضًا من
هذا الزمان ، وهو المستقبل .

وأَنف ، يضم الألف والنون ، معناه الابتداء الجديد ، أى الإضافى
بالنسبة إلى ما قبله . والمعنى : افعله فى زمان ^(٢) ذى ابتداءٍ متجدد ، وهو
الوقت الذى يتجدد بانقضاء ما قبله ، كالיום والليلة ، والأسبوع ،
والشهر ، والسنة . والفعل منه استأنف استئنافًا . ومنه حديث ابن عمر :
« إنما الأمر أنف » أى يستأنف استئنافًا من غير أن يكون سبق به
سابق قضاء وتقدير . وروضة أنف ، أى مستجدّة لم تطأها الماشية

(١) يشير إلى كلام الرضى فى شرح الكافية ٢ : ١١٦ . وبقية : « كما يقال من ذى أنف » .
ولنا أفاض البغدادى فى شرح لفظ « أنف » فيما سأتى .

(٢) ش : « من زمان » .

ولم ترعها . ومنه حديث أنى مسلم الخولاني : « ووضعها في أنف من الكلاء
وصفوا من الماء » . ورجل مثناف ، أى ترعى ماشيته أنف الكلاء . وكأس
أنف : مستجدة للشرب فيها لم تستعمل ^(١) قبل هذا الوقت . وقولهم : فعله
أنفاً ، بالمد وكسر النون ، من هذا أيضاً ، وهو أول الزمان الذى أنت فيه .
ويقال أيضاً : افعل ذاك من ذى قبل ، بفتح القاف والموحدة ، وهو
اسم مصدر لأقبل إقبالاً . أى فى زمان ذى إقبال . وفى فصيح ثعلب :
لا أكلمك إلى عشرين ذى قبل ، أى إلى عشر ليال من زمان ذى استقبال ،
أى من مستقبل الشهر .

والبيت من أبيات ثمانية للفند الزمانى ، أوردها أبو تمام (فى مختار صاحب الشاهد
أشعار القبائل) و (فى الحماسة) ، وأولها :

(أيا طعنة ما شيخ كبير يقن بالى
تقيم الماتم الأعلى على جهد وإعوال ^(٢)
ولولا نبل غوضي فى حطبائى وأوصالى
لطاقنت صدور الخيى ل طعنا ليس بالآلى)

وقوله : « أيا طعنة » إلخ ، قال الإمام المروزقى : أراد : ياطعنة شيخ ،
وما زائدة ، وهذا اللفظ لفظ النداء والمعنى معنى التعجب والتفخيم ، أراد : ما
أهولها من طعنة ، ويألها من طعنة بدرت من شيخ كبير السن ، فاني القوى

(١) ش : « لم يستعمل » ، صوابه فى ط . والكأس مؤنثة .

(٢) ط : « على عهد » ، صوابه فى ش والحماسة .

بالي الجسم . واليَقَن : الشيخ الهرم . ويجوز أن يكون المنادى محذوفاً وطعنة منصوب بفعل مضمر ، كأنه أراد : يا قوم اذكروا طعنة شيخ . انتهى .

وقد بينَّ الوجهين أبو هلال العسكري (في شرح الحماسة) قال : في ندائه وجهان : أحدهما أن يعجب من فظاعتها ، فكأنه يقول : هلمّي يا طعنة فاعجبي أنت أيضاً من سعتك وهولك . والآخر : أن المنادى غير الطعنة ، كأنه قال : يا هؤلاء اشهدوا طعنة لا يطعن مثلها شيخ . وإنما قال طعنة شيخ ، لأن قبيلة بكر قالت : وما يُغني هذا العشمة ! وذلك أن عِدَادَ زَمَانٍ في بني حنيفة ، وكانوا اعتزلوا حرب بكر وتغلب حتى كتب إليهم الحارث بن عباد يعنفهم ، فسرّحوا إليهم فنداً ، في سبعين راكباً ، وكتبوا إليهم : « إِنَّا أمددناكم بمائة فارس » . قال مؤرّج : « أمددناكم بألف رجل » . فقالت بكر : وما يُغني هذا العشمة ؟ وكان شيخاً ، وله مائة وعشرون سنة . فقال : أما ترضون أن أكونَ لكم فنداً من أُنَافِدِ حَضَنٍ ^(١) ، تلودون بي ؟! فأرسلوه في الطلائع ورجع وليس معه رجه ، فسئل عنه فقال : طعنت به رجلاً فأنفذته وأجرته إياه . قالوا : ما نراك إلا سُلَيْبَةً ! فقال : تقدّمون فتنظرون .

وقال مؤرّج : كان عمرو بن الرّقبان التغلبي حمل على بكر ، فمرَّ على صبيٍّ عند أمّه ، فانتظمه برمحه ، وحمله على رأس الرمح ، وصرخت أمّه ، فقال : « تحتني أمُّ الرّبع » . فحمل عليه الفند فطعنه فأنفذه . وتزعم بكر أنه طعنه وخلفه رديف له ، فانتظمهما . وهذا مشهور في بكر وتغلب ، أعني

(١) الفند : القطعة العظيمة من الجبل . وحضن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد .

طعنة عمرو ، وطعنة الفند ، وقيل فيه شعر مصنوع قديم ، يعنى هذه الأبيات . انتهى .

وقوله : « تقيم المأتم » إلخ قال المرزوق : هذا من وصف الطعنة ، كأنه كان تناولها رئيساً ^(١) ، فلذلك وصف المأتم بالأعلى . والمأتم أصله أن يقع على النساء يجتمعن في الخير والشر ، واشتقاقه من الأتم وهو الضم والجمع ، ومنه الأتوم وهى المرأة التى صار مسلكها مسلكاً واحداً . وأراد بالمأتم هنا الاجتماع للرزقة ، وهو مصدّر وصف به . ويجوز أن يراد به أهل المأتم فحذف المضاف . والأعلى يُراد به الأفظع شأنًا . ووصف الطعنة بأنها تقيم الجمع على مجاهدة بلاء ^(٢) ، وإسراف فى الصياح والعواء ، أى تُديم ذلك له . والتعويل والعولة : صوت الصلر . انتهى .

وقال التبريزي : الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

وقوله : (ولولا تَبَلَّ غَوْض) إلخ أجمعوا فى هذا الموضع على أن عوضاً اسم الدهر ، وقد شدَّ بعضهم فقال : عوضٌ : رجلٌ كان يعمل التَبَالَ جيّدةً ، فشبه ما ناله من نوائب الزمان بإصابة تلك النبال . هذا كلامه . و (حُطْبَيَّ) بالإضافة إلى ياء المتكلم . والحُطْبَيَّ بضم الحاء المهملة وضم الظاء المشالة والمعجمة بعدها موحدة مشددة وألف مقصورة ، قال القالى (فى المقصور والمملود) : هو الظَّهر . قال : ووزنه فُعْلَى ، ولم يأت على هذا الوزن إلا الاسم دون الصفة . وقال ابن ولّاد (فى المقصور والمملود) : هو الصُّلب ،

(١) كذا فى النسخين . والذى فى المرزوق : « كان تناولها رئيساً » .

(٢) فى شرح الحماسة : « على مجاهدة وبلاء » .

يعنى ظهر الرجل . وقال أبو هلال العسكري (فى شرحه) : قال أبو التدى ^(١) : الحُطَّيى : عِرْق فى الظهر . وقال غيره : الحُطَّيى : عِرْق يبتدىء من القلب ويبدو عند السرة ، ثم يتشعب فتفرق شعبه فى الظهر ، يسميه الأطباء : الشريان العظيم ^(٢) ، وقال الصاغاني (فى الباب) : الحُطَّيى : صُلب الرجل ، ويقال إنه عِرْق فى الظهر ، ويقال إن الحُطَّيى الجسم ، وفسر بالمعاني الثلاثة هذا البيت . وقال أبو زيد : الحُطَّيى بالنون قبل الموحدة ، وأنشد البيت « فى حُطْنَبَايَ » . ورواه المرزوقي : « فى حُضْمَاتِي وَأَوْصَالِي » بضمَّتِي الخاء والضاد المعجمتين وتشديد الميم ، وقبل ياء المتكلم مثناة فوقية ، على أنه جمع خُضْمَةٍ . قال : والخُضْمَةُ : ما غلظ من الساق والذراع ، ويبدل من ميمه الباء فيقال خُضْبَةٌ . والمعنى : لولا رَمَيَات الدهر فى مفاصلى ومجامع أعضائى ، ومستغلظ عضدى وذراعى ، لكان تأثيرى ، وبلائى فى الحرب أكثر مما كان ، ولشفعت تلك الطعنة ولم أدعها وترا . انتهى .

٢٠٣

وقال أبو هلال العسكري : ويروى : « فى أعالي » ، يريد انحناء ظهره ، وتشنج جلده ، واضطراب خلقه ، وانحلال قواه .

و (الأوصال) : جمع وصل ، بكسر الواو وسكون الصاد ، وهو المَفَصِل .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة ^(٣)) : الظرف الذى هو قوله فى حُطْنَبَايَ متعلق بنفس النبل ، لما فيها من معنى الجِدَّة والنفوذ ، كقول جرير :

(١) ط : « التدى » ، صوابه فى ش .

(٢) الشريان ، بفتح الشين وكسرها .

(٣) الورقة ٩٢ من مخطوطة أحمد الثالث .

تركت بنا لَوْحًا ولو شئت جادنا بُعِيدَ الكرى ثلج بكرمان ناضح^(١)
 علّق بُعيد الكرى بثلج ، لما فيه من معنى البرد . ولا يجوز أن يكون
 الظرف حالاً من نبل ، لأنّ أبا الحسن منع اشتغال الحال مع لولا ، لأنّها
 ضربت من الخبر ، والخبر هنا محذوف البتة . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ
 محذوف ، أى هى فى حظباى ، فيكون حظباى متعلقاً بمحذوف . وأمّا
 حظباى فإنّه معظم بدنه ، وهو قول أحمد بن يحيى ، وهو من قولهم : رجل
 حَظَبَ^(٢) للجافى الغليظ . وحُظِّي فُعْلَى كالحُكْرَى والثُنْرَى^(٣) . وحظباى
 بالتاء خطأ . انتهى .

وقوله : « لطاعنت صُدور الخيل » إلخ ، هذا جواب لولا . قال
 المرزوقى : أراد بالخيل الفرسان ، أى لولا ما قدّمت من العنبر لدافعت بالطعن
 أوائل الخيل طعنًا لا تقصير فيه ولا قصور . وخصّ الأوائل منهم لتقدّمه . ويجوز
 أن يريد بالصُّلور الرؤساء والأكابر . وهم يتبجّحون بمجاذبة الأشراف^(٤) .
 ألا ترى قول الآخر^(٥) :

من عهد عادٍ كان معروفًا لنا أسرُ الملوك وقتلها وقتالها

(١) وكذا فى إعراب الحماسة بالضاد والمعجمة . وقد سبق فى ٥ : ٢٦٧ برواية « ناصح »
 بالصاد المهملة .

(٢) يقال حظب بفتح فكسر ، وبضمّتين مع تشديد الباء .

(٣) كلمة « والنرى » ساقطة من ش . وفى إعراب الحماسة لابن جنى : « النرى » بالذال
 المهملة . لكن فى اللسان (حظب) عن ابن سيده فى الكلام على الحظي : « وعندى لها نظائر :
 بنرى من البئر ، وحفرى من الحفر ، وغلى من الغلبة » .

(٤) فى المرزوقى : « بمجاذبة العلية » . وفى ط : « بمجاربة » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

(٥) هو بشامة بن حزن ، كما فى الحماسة ٣٩٦ يشرح المرزوقى .

وكما استعملوا الصُّلور في الأمائل والجلَّة ، استعملوا الأعجاز في الأراذل
والسُّفلة ، وهذا كما قالوا : الرُّعوس والأذنان ، وكما قال :
* ومن يسوَّى بأنف الناقة الذُّبَّا * (١)

ويقال ألوت في الأمر آلو ، أى قصُرت . وجعل التَّقْصِير للطَّعن على
المجاز . انتهى .

قال ابن جنِّي : لك في طعنًا وجهان : إن شئت حملته على فعل آخر
دُلَّ عليه طاعت ، كأنه قال طعنًا طعنًا . وإن شئت حملته على أنه مصدر
محذوف الزيادة ، أى طاعت طعنًا (٢) أو مطاعة أو مُطاعًا أو طيعانًا على
ما جاء في مصادر مثله . والآلى : فاعل من ألوت أى فُتِرَتْ وقصُرت . وهذا
من الأفعال التى لا تستعمل إلا في غير الواجب ، يقال ما ألوت أفعل كذا ،
ولا يقال قد ألوت في حاجتك ولا نحو ذلك . وهو في الفعل بمنزلة أحد وكريب
وكَيْبِج ، ونحو ذلك . ومثله (٣) : مازلت ولن أزال ، ومثله في أكثر الأقوال :
مارِئْتُ من موضعى ، أى ما برحت . انتهى باختصار .

والفند ، بكسر الفاء وسكون النون . وزِمَان بكسر الزاى المعجمة
وتشديد الميم . وهو شاعرٌ جاهلى ، تقدَّمت ترجمته في الشاهد الحادى
والأربعين بعد المائتين (٤) .

* * *

(١) للحطية ، وصدره :

• قوم هم الأنف والأذنان غيرهم •

(٢) في النسختين : « طعنًا » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٣) الكلام من هنا إلى « ومثله » التالية ساقط من ش .

(٤) الخزنة ٣ : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

وأنشد بعده :

* هل رأيت الذئب قط *

وقد تقدّم شرحه في الشاهد السادس والتسعين ^(١) على أن قط قد استعملت بدون النفي لفظاً لا معنى

٢٠٤

أما الأول فلأنها وقعت بعد هل الاستفهامية ، والفعل مع الاستفهام غير منفي .

وأما الثاني فلأن المراد من الاستفهام النفي ، أى ما رأيت الذئب قط .

قال أبو حيان (في الارتشاف) : وقال ابن مالك : وربما استعملت دون نفي لفظاً ومعنى ، أو لفظاً لا معنى . واستدل على ذلك بما ورد في الحديث على عادته . انتهى .

أراد حديث البخارى : « قَصَرْنَا الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرَ مَا كُنَّا قَطُّ » .

قال الكرماني (في شرح البخارى) : فإن قلت : شرط قط أن تستعمل بعد النفي . قلت : أولاً لا نسلم ذلك ، فقد قال المالكي ^(٢) : استعمال قط غير مسبوق بالنفي مما خفى على الشحا ، وقد جاء في الحديث بدون ، وله نظائر . وثانياً : أنه بمعنى أبداً على سبيل المجاز ، وثالثاً : يقال إنه متعلق بمحذوف منفي ، أى وما كنا أكثر من ذلك قط . ويجوز أن تكون ما نافية والجملة خبر المبتدأ وأكثر منصوباً على أنه خبر كان ، والتقدير : ونحن

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ - ١١٢ .

(٢) كنا في النسخين . ولعله « الملقى » .

ما كنا قطُّ أكثرُ منا في ذلك الوقت . وجاز إعمال ما بعدها فيما قبلها إذا كانت بمعنى ليس . انتهى ^(١) .

وقال العرناطى : الذى جَوَّزه مراعاة لفظه « ما » ، فى قوله : ما كنا قطُّ وإن كانت غير نافية . وقد تُراعى الألفاظ دون المعانى . انتهى .

وإليه جنَّح ابن هشام (فى المغنى) قال : من إعطاء الشيء ^(٢) حكم المشبه به فى لفظه دون معناه ، قول بعض الصحابة : قصرنا الصلاة مع رسول الله ﷺ أكثرُ ما كنا قطُّ ^(٣) . فأوقع قطُّ بعد ما المصدرية ، كما تقع بعد ما النافية . انتهى .

وقال الكرماني أيضًا فى حديث البخارى : « فصلَّى بأطول قيامٍ وركوع وسجود رأيته قطُّ يفعلُه » ، من حديث أبى موسى فى باب الذكر فى الكسوف : فإن قلت : فى بعض النسخ : « رأيته » بدون كلمة « ما » فما وجهه ؟ قلت : إمَّا أنَّ حرف النفي مقلِّدٌ قبل رأيته كما فى قوله تعالى : ﴿ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ ^(٤) ﴾ . وإمَّا أنَّ أطول فيه معنى عدم المساواة ، أو قطُّ بمعنى حَسَبَ ، أى صَلَّى فى ذلك اليوم فحسب بأطول قيامٍ رأيته يفعل ، أو أنَّه بمعنى أبدًا . انتهى .

وقد استعملها الزمخشري فى المستقبل ، قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ^(٥) ﴾ : إنَّ ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قطُّ ، فأعمل فيه « لا يبقى » ، وهو مضارع .

(١) الكلام بعده إلى « انتهى » التالية ساقط من ش .

(٢) ط : « من أعطى » ، صوابه فى ش . وانظر المغنى (المسألة التاسعة من الباب الثامن)

ص ٦٨١ .

(٣) بعده فى المغنى : « وآمنه » .

(٤) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٥) الآية ٣٢ من سورة لقمان .

قال أبو حيان (في تفسيره) بعد نقله كثرة استعمال الرنخشي قطظ
ظرفا والعامل فيه غير ماض : « وهو مخالف للكلام العرب » . انتهى .

وقال الحريري (في درة الغواص) : قولهم : لا أكلمه قطظ ، هو من
أفحش الخطأ ، لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه . وذلك أن العرب تستعمل
لفظة قطظ فيما مضى من الزمان ، كما تستعمل لفظة أبدا فيما يُستقبل ،
فيقولون : ما كلمته قطظ ، ولا أكلمه أبدا . والمعنى في قولهم ما كلمته قطظ أى
فيما انقطع من عمرى ، لأنه من قططت الشيء ^(١) ، إذا قطعته . ومنه قطظ
القلم ، أى قطع طرفه . وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه ، أنه كان
إذا اعتلى قد ، وإذا اعترض قطظ . فالقد : قطع الشيء طولا ، والقطظ : قطعه
عرضا . انتهى .

وتبعه ابن هشام (في المعنى ، والقواعد ^(٢)) ، قال : والعامّة تقول :
لأفعله قطظ . وهو لحن .

واعترض عليه ابن جماعة (في شرح القواعد) بأنه غير صحيح ،
وغايته استعمال اللفظ في غير ما وُضع له ، فيكون مجازا لا لحنًا . وجعله من
اللحن عجيب ، إذ لا خلل في إعرابه . وليس بشيء ، لأن اللحن بمعنى مطلق
الخطأ . وهم كثيرا ما يستعملونه بهذا المعنى . فإن قلت : إذا استعمل العرب

(١) لفظة « الشيء » ساقطة من ش .

(٢) هو كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب ، وقد طبع عدة مرات ، منها نسخة بتحقيق
رشيد عبد الرحمن العبيدى . ولصديقنا وتلميذنا الدكتور على فوده بحث وتحقيق جيد في هذا الكتاب
من المنتظر أن يرى النور قريبا .

لفظاً في محلٍّ مخصوص كقَطُّ بعد نفى الماضي ، وكأفّة حَالاً منكّرة ؛ أو في معنًى مخصوص كالغزاة للشمس في أوّل النهار ، فهل مخالفتهم في ذلك جائزة أم لا ؟ وعلى تقدير الجواز هل يكون حقيقةً أو مجازاً ؟

وعلى الثاني أجيب بأنّ الذى يظهر من كلامهم وتخطئة من خالفهم أنّه غير جائز . فإن قيل بجوازه فالظاهر أنّه مجاز مرسل ، من استعمال المقيد في المطلق ، إلّا أنّه لا يظهر في كافّة ونحوها كالظروف التى لا تنصرف ، فإن معناها لم يتغير ، وإنّما يتغير إعرابها ، وإن وقع مثله في مكان التقصير . كذا في (شرح الدرة) لشيخنا الخفاجى .

وقول الشارح المحقق : « وقَطُّ لا يستعمل إلّا بمعنى أبداً » ظاهره أنّ أبداً ظرف للماضى ، ولم أره بهذا المعنى . الموجود في الصحاح والعياب والقاموس : الأبد : الدهر ، والأبد : الدائم . بل قال الرّماني كما في المصباح : الأبد : الدهر الطويل الذى ليس بمحدود . فإذا قلت : لا أكلمه أبداً ، فالأبد من لدن تكلمت إلى آخر عمرك .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : وممّا يستعمل ظرفاً في المستقبل أبداً . تقول : ما أصحبك أبداً ، ولا تقول ما صحبتك أبداً . وجعله السمين ظرفاً مطلقاً ، قال : أبداً ظرف زمان يقع للقليل والكثير ، ماضياً كان أو مستقبلاً . تقول : ما فعلته أبداً . وقال الراغب : هو عبارة عن مدة الزمان الممتدّ الذى لا يتجزأ كما يتجزأ^(١) الزمان . وذلك أنّه يقال زمان كذا ، ولا يقال أبد كذا . انتهى .

* * *

(١) ط : : كما يجزأ : وأثبت ما في ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى العشرين بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٢٠ (وَلَوْلَا دِفَاعِي عَنْ عِفَاقٍ وَمَشْهَدِي

هَوْتُ بِعِفَاقٍ عَوْضُ عِنْقَاءَ مُغْرَبُ)

على أَنَّ (عوضًا) المبنى قد يستعمل للمضى ومع الإثبات لفظًا . فإنَّ هَوْتُ ماضٍ مثبت ، وهو عامل في عوض ، لكنَّه منفيٌّ معنًى ، لكونه جواب لولا . ومن المعلوم أنَّ جوابها ينتفى لثبوت شرطها ، نحو : لولا زيد لأكرمتك ، فالإكرام منتفٍ لوجود زيد . وأمَّا عوض في البيت المتقدم في قوله : « ولولا نبل عوض » ، فقد استعملت في الإثبات لخروجها عن الظرفية . ولهذا جرَّت ، وكان عاملها اسمًا .

وكذلك قال أبو حيان (في الارتشاف) : وربما جاءت عوض للمُضَى بمعنى قط ، قال :

* فلم أرَ عامًا عوضٌ أكثرَ هالكًا ^(٢) *

وقال أبو زيد أيضًا (في نوادره) : تقول ما رأيت مثله عوض .

(١) لم أجد له تخریجا . والبغدادی يقول أنه لم ير هذا البيت إلا في هذا الشرح ، كما سيأتي .

(٢) عجزه كما في تصحيف العسكري ٢٩٠ والدرر اللوامع ١ : ١٨٣ واللسان (عوض)

وما سيأتي في ص ١٤٣ :

« ووجه غلام يسترى وغلّامه »

وجاء في اللسان : « يشترى » مصحفا ، والوجه ما ورد في كتاب التصحيف ، حيث أورده المبكرى في سياق تفسير المسترة في قول الأعشى :

فقد أطى الكاعب المسترة في خلدتها وأشيع القمارا

قال : وأنشدنا أبو بكر :

ولكنكم غنم تستسرى ويترك سائرهما للذهب

استريت الشيء : اخترت سرائه . وأنشد البيت .

ومنه تعلم سقوط قول الجوهري في الصحاح : لا يجوز أن تقول عوضُ ما فارقتك .

وقد تبع صاحب الصحاح جماعة منهم الزمخشري ، قال (في المفصل) : وقطُ وعوض ، وهما إزماني المضى والاستقبال على سبيل الاستغراق ، ولا يستعملان إلا في موضع النفي .

ومنهم صاحب اللباب ، وعبارته عبارة المفصل بعينها .

وهذا البيت لم أَرَهُ إلا في هذا الشرح ، ولم أقف على قائله ولا على شعره .

وعِفَاق بكسر العين المهملة بعدها فاء : اسم جماعة ، منهم عِفَاق بن المُسَيِّح ، بضم الميم وفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية ، ابن بشر بن أسماء بن عوف بن رياح بن ربيعة بن غوث بن شَمَخ بن فزارة الفزاري . وكان عِفَاق على شرطة الخميس مع عليّ بن أبي طالب . وكانوا يُعرضون يوم الخميس ، أو يُجمَعون يوم الخميس .

من اسمه عِفَاق

والمشهور من اسمه عِفَاق هو عِفَاق بن مُرَيٍّ - بضم الميم وفتح الراء وتشديد الياء - ابن سلمة بن قُشَيْر القُشَيْرِي . كان جاور باهلة في سنة قحط ، فأخذه الأحلب بن عمرو بن جابر بن عَمَّار ^(١) ابن عبد العزى الباهلي ، فشواه وأكله . وله يقول الشاعر ^(٢) :

عِفَاق بن مري

إِنَّ عِفَاقًا أَكَلَتْهُ بَاهِلَةٌ تَمْشُوا عِظَامَهُ وَكَاهِلَهُ

* وَتَرَكُوا أُمَّ عِفَاقٍ تَأْكُلُهُ *

(١) في جمهرة ابن حزم ٢٤٥ : « عمارة » .

(٢) الرجز ورد ببلون نسبة أيضا في جمهرة ابن حزم واللسان (عفق) .

وعَيرَ الفرزدقَ كَفَهم عن باهلة حين لم يثأروا به ، فقال :

إذا عامرٌ خُصِمَ عِفاقٌ تَقَلَّدَتْ بأعناقها واللؤمُ تحتَ العمائم (١)

وقال غيره :

فلو كان البكاءُ يردُّ شيئاً بكيتُ على بُحيرٍ أو عِفاقٍ
على المرأينِ إذْ هلكا جميعاً لشأنهما بشجورٍ واشتياقٍ (٢)

وهذا من شواهد النحويين ، أورده أبو علي (في المسائل المنثورة)
وقال : « على المرأين » بدل من قوله : « على بحير » .

وأورده صاحب اللباب على أنَّ أو بمعنى الواو ، في قوله : « أو عِفاق »
ولولا أنها بمعنى الواو لقليل على المرء . والمشهد : مصدر شهدت المجلس ، أى
حضرته . وهوت قال صاحب المصباح : هوى يهوى من باب ضرب أيضاً
هُوياً بضم الهاء لا غير ، إذا ارتفع . قال الشاعر (٣) :

* يَهوى مخارمها هُوىً الأجليل (٤) *

و (هوت) العقاب تهوى هُوىً بفتح الهاء وضمها : انقضت على
صيد أو غيره مالم تُرغِه ، فإذا أراغته قيل أهوت له بالألف . والإراغة : ذهاب
الصيد هكذا وهكذا وهى تتبعه . وهوى يهوى من باب ضرب أيضاً هُوىً بضم

(١) ديوان الفرزدق ٧٩٨ .

(٢) في اللسان (عقق) :

هما المرعان إذ ذهبا جميعا . لشأنهما بحزن واحترق

(٣) هو أبو كبير الهذلي . ديوان الهذليين ٢ : ٩٤ وشرح السكري ١٠٧٤ .

(٤) صدره :

• وإذا رميت به الفجاج رأيتَه •

الهاء وفتحها ، وزاد ابن القوطية هَوَاءً بالمد : سقط من أعلى إلى أسفل . قاله أبو زيد وغيره . قال الشاعر ^(١) :

* هَوَى الدَّلْوُ أَسْلَمَهَا الرَّشَاءُ ^(٢) *

وهَوَى يَهْوِي : مات أو سقط في مَهْوَاةٍ من شَرَفٍ ، هَوِيًا وَهَوِيًا ، وهَوَاءً بالمد . والمَهْوَاة بالفتح : ما بين الجبلين ، وقيل الحفرة . والهَوَاة بالضم : الحفرة ، وقيل الوهدة العميقة . انتهى .

و (عنقاء) : مؤنث أعنق ، وهى الطويلة العنق . قال الصاغاني (في العباب) : العنقاء : الداهية ، يقال حُلِّقَتْ به عنقاءٌ مُغْرِبٌ ، وطارَتْ به العنقاء . وأصل العنقاء طائرٌ عظيمٌ معروفٌ الاسم ، مجهول الجسم . وقال أبو حاتم (في كتاب الطير) : وأما العنقاء المُغْرِبَةُ فالداهية ، وليست من الطير التى علمناها . يقال : ضَرَبَتْ عليه العنقاءُ المُغْرِبَةُ ، إذا أصابه بلاء . وقال ابن دريد : عنقاءٌ مغربٌ كلمةٌ لا أصل لها ، يقال إنَّها طائرٌ عظيم لا يُرى إلا في الدُّهُور ، ثم كثر حتى سَمَّوا الداهيةَ عنقاءً مُغْرِبًا . قال : ولولا سليمانُ الخليفةُ حُلِّقَتْ به من يدِ الحجاجِ عنقاءٌ مغربٌ ^(٣) . اهـ

و (مُغْرِبٌ) : اسم فاعل من أغرب الرجلُ في البلاد ، إذا بُعِدَ فيها يامعان ، وهو وصف عنقاء . وإنَّما جاز لأنَّه على النسبة أى ذات إغراب . وقال الصاغاني في هذه المادة : وعنقاء مغربٌ بلا هاء . والعنقاء المغرب : الداهية ، وأصلها طائرٌ معروفٌ الاسم مجهول الجسم ، ويقال لهذا الطائر

(١) هو زهير بن أبى سلمى . ديوانه ٦٧ .

(٢) صدره :

• فشج بها الأماعر وهى تهوى •

(٣) اللسان (عنق ١٤٩) وشرح سقط الزند ٥٥٣ .

بالفارسية « سيمَرغ » ، هكذا يكتبونه موصولاً ، والأصل أن يكتب : « سى مرغ » مفصلاً ، ومعناه ثلاثون طائراً . يقال حَلَّقَتْ به عنقاء مغرب ، ٢٠٧ وطارَت به العنقاء المغرب . أنشد أبو مالك :

وقالوا: الفتى ابنُ الأشعرية حَلَّقَتْ به المغربُ العنقاءُ إن لم يسُدِّ

وقال : العنقاء المغرب فى هذا البيت هى رأس الأكمة . وأنكر أن يكون طائراً . والذى قال العنقاء المغرب طائر قال : هى التى أغرَبَتْ فى البلاد فَنَات ولم تُحَسَّ ولم تُر . وحذفت هاء التانيث كما قالوا : لِحْيَةٌ ناصِل ، وناقَة ضامر ، وامرأة عاشق ، ذهبوا بها إلى النسب ، أى ذات نُصول ، وذات ضَمَر ، وذات عِشق . وأغرب فى البلاد : أمعن فيها . وأغرب الرجل فى منطقته ، إذا لم يُبق شيئاً إلا تكلم به . وأغرب الفرس فى جريه ، وهو غاية الإكثار منه . وأغرب الرجل ، إذا بالغ فى الضحك حتى تبدو غروب أسنانه . انتهى .

وكذلك أجاب الزمخشري (فى أمثاله) عن تذكير الوصف قال : ومُغْرِب كقولهم : لحية ناصل ، وناقَة ضامر ، على مذهبي الخليل وسيبويه .

وبهذا يُجاب ابن هشام فى سؤاله عن صحّة الوصف بمغرب فإنه قال فى بعض تعليقاته : لِيُنْظَر فى عنقاء مغرب ، لم ذكّر الوصف وعنقاء فعلاء ، وفعلاء مؤنث دائما . ويسقط جوابُ عبد الله الدّنوشريّ بأنّه إنّما لم تطابق الصفةُ الموصوفَ فى التانيث اعتباراً بالمعنى ، إذ هى بمعنى الطائر . ووجه السُّقوط أنّ العنقاء أكثر استعمالها بمعنى الداهية ، وهى مؤنثة لفظاً ومعنى .

وقال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : ذكر الفارسي أنه يقال
 عنقاء مغرب ، على الصفة وعلى الإضافة ، حكاه (في التذكرة) . وقال غيره :
 من جعل مغرباً صفة لعنقاء فهي التي لها إغرابٌ ^(١) في الطيران . ويقالُ
 مغربةً ، ذكره أبو حاتم وصاحب العين . ومن أضاف العنقاء إلى المغرب
 فالمغرب الرجل الذي يأتي بالغرائب ، يقال أغرب الرجل ، إذا أتى بالغرائب .
 انتهى .

فتأمل معنى الإضافة .

وفي القاموس : والعنقاء المغرب بالضم ، وعنقاء مغربٌ ومُغربةٌ ومغربٌ
 مضافة ، طائر معروف الاسم لا الجسم ، أو طائر عظيم يُبعد في طيرانه ، أو
 من الألفاظ الدالة على غير معنى ، والداهية ، ورأس الأكمة . انتهى .

فالمغرب ومغرب وصفٌ للعنقاء ، وعنقاء ، تعريفاً وتنكيراً ، بالتأويل
 المذكور . ومغربة وصفٌ لعنقاء منكراً ، والوصف مطابق . وأما عنقاء مغرب
 بإضافة عنقاء إلى مغرب ، فالظاهر أنه من إضافة الموصوف إلى الصفة .
 وينبغي أن يكون هذا بفتح الميم ، فإنه نقل صاحب (حياة الحيوان) عن
 بعضهم أن العنقاء طائر عند مغرب الشمس أبيض ، له بيضٌ كالجبال . وعلى
 هذا لا إشكال ، وتكون الإضافة من قبيل شهيد كربلاء . وأما قوله : « من
 الألفاظ الدالة على غير معنى » ، وهي عبارة الدميري أيضاً ، فقد عسر فهمه
 على بعض الفضلاء ، لأن الجمع بين قوله « الدالة » وقوله على « غير معنى » ،

(١) ط : « غرب » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .

كالجمع بين الضَّبِّ والثُّون . فلو قال من الألفاظ التي لا معنى لها كان واضحاً وأجيب بأنَّ في عبارته صفة مخدوفة ، أى على غير معنى خارجي . وقال الرَّمْخَشْرِي (في أمثاله) عند قولهم : « طارت به عَنقَاء مغرب » : زعموا أنَّها طائر كان على عهد حَنْظَلَة بن صفوان الجِمِيرِي ، نبيُّ أهل الرُّس ، عظيمُ العنق . وقيل كان في عنقه بياض ، ولذلك سَمِيَ عَنقَاء . وكان أحسن طائر خلقه الله ، فاخطف غلاماً فأغرب به ، ولذلك سَمِيَ الْمُغْرِب ، فدعا عليه حَنْظَلَة فَرَمَى بصاعقة . انتهى .

٢٠٨

وقال الدَّمِيرِي (في حياة الحيوان) : هو طائر غريبٌ تبيضُ بيضاً كالجلال ، وتبعد في طيرانها ، سَمِيَتْ بذلك لأنَّه كان في عنقها بياض كالطُّوق .

وقال القزويني : إِنَّه أعظم الطَّيْرِ جَنَّةً ، وأكبرها خَلْقَةً ، تخطف الفيل كما تخطف الحداة الفأر ، وكانت قديماً بين الناس فتأذوا منها إلى أن سَلَبَتْ يوماً عروماً بِحَلِيهَا ، فدعا عليها حَنْظَلَة النَّبِيُّ فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط ، وراءَ خط الاستواء ، وهي جزيرة لا يصل إليها الناس ، وفيها حيوان كثير كالفيل والكركدن ^(١) والجاموس والبيئر والسَّبَاع ، وجوارح الطير . وعند طيرانها يُسمع لأجنحتها دويٌّ كدويِّ الرعد القاصف والسَّيْل ، وتعيش ألفي سنة ، وتزواج إذا مضى لها خمسمائة عام .

وقال العكبري (في شرح المقامات) : كان لأهل الرُّس جبلٌ

(١) وكنا في حياة الحيوان ٢ : ٢٢٩ عن القزويني . وصححها الشنقيطي بخطه « الكركدن » . وضبط صاحب القاموس الكركدن ، بتشديد النال وتخفيف النون وقال : « والعامَّة تشدد النون » . ونحوه في اللسان عن ابن الأعرابي .

شاخ^(١) ، فيه طيور شتى منها العنقاء ، وهى طائر عظيم الخلق ، طويل العنق ، ووجهه وجه إنسان ، من أحسن الطير شكلاً . وكانت تأكل الطير ، فجاءت مرة فأخذت صبيًا ثم جارية ، فاشتكتوها لنييهم حنظلة بن صفوان ، فدعا عليها حنظلة فذهبت وانقطع نسلها . وقيل أصابتها صاعقة فاحترقت . وكان حنظلة فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ^(٢) . وسميت العنقاء لطول عنقها .

وقيل : إنها كانت فى زمن موسى . وقيل : إن النبی الذى دعا عليها خالد بن سنان . وفى المثل : « كالعنقاء تسمع بها ولا تُرى » ، كالفول . والمراد عدم رؤيتها بعد الانقراض المذكور .

وسميت مُقرباً بزنة اسم الفاعل من أغرب ، لأنها كانت تحيىء بالغرائب . وقد وقع استعمالها فى هذا المثل بدون الوصف ، ومنه يُعلم جواز استعمالها بدون الوصف . كقول الشاعر :

لَمَّا رَأَيْتَ بَنَى الرِّمَانِ وَمَا بِهِمْ خِلٌّ وَفِيَّ لِلشَّدَائِدِ أَصْطَفَى
فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ : الْغَوْلُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخِلُّ الْوَفَى

وكان القاضي الفاضل ينشد كثيراً :

(١) فى حيلة الحيوان : « جبل يقال له مخ ، صاعد فى السماء قدر ميل » .
(٢) إلى هنا ينتهى نقل الديميرى عن شرح المقامات للعكرى . وبعده فى الديميرى : « وذكر غيره أن الجبل يقال له فتح . وسميت عنقاء لطول عنقها » . ويبدو أن البغدادى ينقل هنا عن شرح العكرى للمقامات غير متقيد بنقل الديميرى عنه .

وإذا السعادة أحرستك عيونها نَمَ فالخواف كلهنَّ أمانُ (١)
 واصطدَّ بها العنقاءُ فهي جبالٌ واقتدَّ بها الجوزاءُ فهي عنانُ
 وقال غيره :

الخيْلُ والغول والعنقاءُ ثالثةٌ أسماءُ أشياء لم تُوجد ولم تُكنَّ (٢)

وبه يضمحلُّ قول بغضهم : إنَّ هذا الشعر ليس بتركيب صحيح ،
 لعدم وصف العنقاء .

وقال : ظاهر كلامهم انحصار الاستعمال فيما ذكر ، فلا يقال العنقاء
 بلا وصف ، ولا يوصف بغير ما ذكر ، ولا يقال أيضًا عنقاء منكراً
 بلا وصف . هذا كلامه .

ولا يخفى أنَّ الوصف ليس بلازم ، عرِّفت أو نُكرت . وأما عدم
 الوصف بغير الإغراب فلأنَّها لا يعلم من حالها غير هذا ، لكونها مجهولة عند
 الناس . ولو عرف شيء من أحوالها غير الإغراب لوصفت به . والله أعلم .
 وذكر الدِّميرى أنَّ العقاب تسمَّى عنقاء مغرب لأنَّها تأتي من مكانٍ
 بعيد . وبهذا فسرَّ قول أبي العلاء المعري :

٢٠٩

أرى العنقاء تكبر أنَّ تُصادا فعانِد من تُطيق له عنادا (٣)

* * *

(١) كنا في النسخين ، والوجه : « لاحظتكَ عيونها » كما في حياة الحيوان للدِّميرى .
 (٢) في النسخين : « الجود والغول » . وفي حياة الحيوان في رسم (العنقاء) : « الجود
 والعنقاء ثالثة » لكن في رسم (الغول) : « الغول والخل والعنقاء » . فوجه هنا ما أثبت .
 (٣) شروح سقط الزند ٥٥٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٢١ (رضيَ ليانِ ثدى أم تقاسما بأسحَم داجِ عَوْضُ لانتفَرُّقُ)

على أن أكثر ما تُستعمل ^(٢) (عوض) مع القسم ، أى تكون من متعلقات جواب القسم ، فعوض متعلق بـتفَرُّقُ ، أى لا نتفَرِّقُ أبداً .

فإن قلت : لا النافية مع جواب القسم لها الصلر ، تمنع من عمل ما بعدها فيما قبلها ، فكيف تعلق عوض بما بعد لا الواقع جواباً لتقاسما ؟

قلت : أجازهُ ابن هشام فى آخر النوع الثانى عشر من الجهة السادسة من الباب الخامس (من المغنى) : قال : وأما قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ^(٣) فَإِنَّ ^(٤) إِذَا ظَرْفٌ لِأُخْرَجَ ، وإنما جاز تقديم الظرف على لام القسم لتوسُّعهم فى الظروف . ومنه قوله : « عوضُ لانتفَرُّقُ » ، أى لانتفَرِّقُ أبداً . ولا النافية لها الصلر فى جواب القسم . انتهى .

وظاهر كلام الشارح هنا جوازه ، لكنَّه شرط - عند الكلام على حروف القسم من حروف الجر - لجواز تقدُّمه ، أن تكون الجملة القسمية ^(٥)

(١) جمل الزجاجى ٨٧ والخصائص ١ : ٢٦٥ والاعتضاب ٣٩٠ والإنصاف ٤٠١ وابن يعيش ٤ : ١٠٧ ، ١٠٨ والمغنى ١٥٠ ، ٢٠٩ ، ٥٩١ والمجمع ١ : ٢١٣ ودِيوان الأَعشى ١٥٠ .

(٢) فى النسختين : « ما يستعمل » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الآية ٦٦ من مريم .

(٤) فى النسختين : « ان » ، والوجه هنا ما أثبت من المغنى ٥٩٠ .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « القسمية » التالية ساقط من ش .

ولأجل إفادة عوض فائدة القسم قد يقدّم على عامله قائماً مقام الجملة القسمية ، وإن كان عامله مقترناً بحرف يمنع عمله فيما تقدّمه ، كنون التوكيد ، وما . يقال : عوض لآتينك ^(١) لغرض سدّه مسدّد القسم ^(٢) . هذا كلامه .

واعترض الدمامينى كلام ابن هشام بأنّه نصّ فى فصل إذا ، على أنّ التوسّع فى الظرف بالتقديم فى مثل قوله :

* ونحن عن فضلك ما استغنيّا ^(٣) *

خاصّ بالشعر ، فكيف ساغ له تخرج الآية على ذلك ؟

وقال ابن هشام فى الكلام على عوض : قيل إنّها ظرف لتنفّر . واستشكله الدمامينى هناك بأنّ لا مانعة من العمل . ثم نقل كلام الشارح المحقق فى حروف القسم وقال : فيمكن أن يكون لا تنفّر جواب قسم محذوف ، وعوض سدّ مسدّه . لكنه خلاف الظاهر ، لأنّ جملة القسم مذكورة . وأجاز التعلّق ابن يعيش (فى شرح المفصل) من غير شرط ، قال : أكثر استعمال عوض فى القسم ، تقول : عوض لا أفارقك ، أى لا أفارقك أبداً ، وقوله عوض لا تنفّر ، أى لا تنفّر أبداً . انتهى .

وكذلك أجاز ابن جنى وشارح اللباب وغيره . وهو الصحيح ،

(١) فى شرح الرضى ٢ : ٣١٧ : يقال عوض لآتينك وعوض ما آتيك .

(٢) وكلنا فى شرح الرضى . وفى ش : * لعرض سدّه مسدّد القسم * .

(٣) لعامر بن الأكوخ فى السيرة ٧٥٦ وشرح شواهد المغنى ١٠٠ من مقطوعة أولها :

* والله لولا الله ما اعتدينا *

وانظر المغنى ٩٨ ، ٢٦٩ ، ٣١٧ ، ٥٣٩ ، ٦٩٤ .

ويؤيده قول الكرماني (في شرح أبيات الموشح) : اعلم أنه إذا كان معمول جواب القسم ظرفاً ، أو جاراً ومجروراً ، جاز تقديمه عليه كقوله : عوض لانتفرق . وإلا فلا يجوز في : والله لأضربن زيدا ، أن يقال : والله زيدا لأضربن .

وجعل الشارح المحقق عوض ظرفاً في نحو البيت هو الصحيح . وزعم بعضهم أن عوض فيه اسم صنم ، قسم ، وجملة لا تنفرق جوابه .

قال ابن هشام (في المعنى) : واختلف في قول الأعشى :
رضيحي لبان ثدى أم البيت

فقليل ظرف لنتفرق . وقال ابن الكلبي : قسم ، وهو اسم صنم كان لبكر بن وائل ، بدليل قوله :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تُركن لدى السُعير^(١)

والسُعير : اسم صنم كان لعنزة . انتهى »

٢١٠

ولو كان كما زعم لم يتجه بناؤه في البيت . انتهى كلام ابن هشام .

ووجهه أن الشاعر حلف بالدماء المائرات ، أي الجاريات على وجه الأرض حول عوض . ومن عادة المشركين كانوا يذبحون ذبائح لأصنامهم ، فلولا أن عوضا صنم لما ذُبح له شيء ، ولما حُلف بالدماء التي حوله تعظيماً له . ويدل أيضاً على كونه صنماً ذكره مع السُعير ، وهو بالتصغير كما في القاموس

(١) البيت لرشد بن رميض ، كما في اللسان (شعر) . وقد ضبط السعير في اللسان بالقلم بفتح السين وكسر العين ، والصواب أنه بالتصغير كما في معجم البلدان . وقال صاحب التاج : « وغلط من ضبطه كأمر . نص عليه صاحب العباب » .

وغيره ، خلافاً لما يؤهمه كلام الصحاح .

والبيت قائله رُشيد بن رُميُض ، بالتصغير فيهما ، العنزى . كذا فى صاحب التلذذ
العباب للصاعانى . وزاد بعده :

(أَجُوبُ الْأَرْضَ دَهْرًا إِثْرَ عَمْرٍو وَلَا يُلْقَى بِسَاحَتِهِ بَعِيرِي)

وقال : البيت مُسَانِد .

وما نقله ابن هشام عن ابن الكلبي مسطوراً كذلك فى الصحاح فى
عوض . وقد راجعت كتاب الأصنام لابن الكلبي ، وهو أبو المنذر هشام بن
محمد بن السائب الكلبي ، فلم أر فيه ذكر عوض ولا ذَكَرَ صنماً لبكر بن
وائل ، مع أنه ذكر أصنام القبائل وسبب عبادتها ، وكيف أزالها النبي ﷺ -
- وهو كتابٌ جيد فى بابه ، جمع فيه فأوعى . وكذا لم أر له ذِكْراً (فى كتاب
أَيَّان العرب) تأليف أبى إسحاق إبراهيم ^(١) بن عبد الله التَّجِيمِي ، جمع فيه
ألفاظ أيمانهم بأصنامهم وغيرها . وهو أيضاً كتابٌ لعباداتهم ^(٢) جيد فى
بابه .

والمذكور فى كتاب الأصنام إنما هو السُّعَيْر وحده لا مع عوض ،
قال : وكان لعنزة صنم يقال له سُعَيْر ، فخرج ابن أبى حُلاس ^(٣) الكلبي على

(١) ط : « ابن اسحاق بن إبراهيم » ش : « ابن إسحاق إبراهيم » وإنما هو أبو إسحاق إبراهيم
ابن عبد الله ، كما فى معجم الأدباء ١ : ١٩٨ وبغية الوعاة ١٨١ . وكان معاصراً لكافور الإخشيدى
وله معه قصة مشهورة . ونسبته إلى النجيم ، بفتح النون والجيم ، أو بفتحها وكسر الجيم ، مع فتح
الراء فيهما ، وهى بليلة مشهورة دون سواف مما بلى البصرة ، وكتابه « أيمان العرب » مطبوع
بتحقيق محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٣ .

(٢) ط : « لمعايراتهم » ش : « لعباراتهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصنام ٤١ : « فخرج جعفر بن أبى خلاس » . وفى معجم البلدان : « جعفر بن
خلاس » .

ناقته ، فمرّت به وقد عتّرت عنده عترة ^(١) فنفرت ناقته منه فأنشد يقول :

نفرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير تزوره أبنا يقدم ^(٢)
وجموع يذكر مهطعين جنابه ما إن يحير إليهم بتكلم

قال أبو المنذر : يقدم ويذكر ابنا عترة . فرأى بنى هؤلاء يطوفون حول
السعير . انتهى .

وذكر ابن السّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وفى أبيات الجمل)
وتبعه اللخمي وغيره كالصاغاني ، أن عوضا كان صنما لبكر بن وائل . ولم
يسنده إلى أحد ، وقال : أصله أن يكون ظرفا ، ثم كثر حتى أجروه مجرى
ما يقسم به وأحلوه محله . وقال الصاغاني : قال الليث : عوض كلمة تجرى
مجرى القسم ، وبعض الناس يقول : هو الدهر والزمان . يقول الرجل
لصاحبه : عوض لا يكون ذاك أبدا . فلو كان عوض اسما للزمان لجرى
بالتنوين ، ولكنه حرف يراد به القسم ، كما أن أجل ونعم ونحوهما مما لم يتمكن
فى التصريف حمل على غير الإعراب . انتهى .

والقول بأنه حرف لا اسم وإه جدا . وقول ابن هشام لم يتجه بناؤه فى
البيت ، يريد أنه فيه مبنى على الضم بناء الظروف المقطوعة عن الإضافة . ولو
كان اسما للضم كما زعم لأعرب كما أعرب فى قوله :

(١) فى الأصنام : « وقد عترت عترة عنده » . وفى معجم البلدان : « وقد عترت عترة
عنده » . وفى ش مع أثر تصحيح : « وقد عترت عنده عترة » . وما أثبت من ط يقارب ما فى
الأصنام ، ويتلاءم مع نص الشعر .

(٢) أى أبناء يقدم ، بوصل همزة القطع . وفى معجم البلدان : « يزوره » .

* حلفت بمأثرات حول عوض *

وكان الواجب حينئذ جرّه بواو القسم ، لأنه عند هذا القائل مُقسَم به . وجملة لا تتفرق جوابه ، والإعراب منتفٍ ، فينتفى كونه اسماً ويثبت (١) ظرفيته للجواب ، والجوابُ إنَّما هو لتقاسما .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : روى قول الأعشى « عوض لا تتفرق » بالفتح والضم ، أى لا تتفرق أبداً . وذهب الكوفيون إلى أنَّ عوض ههنا قسم ، وأنَّ لا تتفرق إنَّما هو جوابه . وليس الأمر عندنا كذلك ، وإنما قوله لا تتفرق جوابُ تقاسما ، كقوله تعالى : ﴿ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ ﴾ (٢) . أى تحالفا على ذلك . انتهى .

وكذلك قال العسكري (فى كتاب التصحيف) : إنه ظرف ، قال قرأت على أنى بكر بن دريد :

فلم أرَ عاماً عوضٌ أكثرَ هالكاً ووجهَ غلامٍ يُسترى وغلَامَه (٣)

عوض اسم معرفة ، وهو اسمٌ للدهر يضم ويفتح . والبصريون يقولونه بالضم . ومثله قول الأعشى : « عوض لا تتفرق » ... البيت ، أى لا تتفرق الدهر .

وبما ذكرنا من وجوب إعرابه يعرف ضعفُ الوجوه الثلاثة التى قالها ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وأبيات الجمل) . وتبعه اللخمي ،

(١) ش : « وثبت » بنقطتين فوق التاء ونقطتين تحتها لتقرأ بالتاء والياء معا .

(٢) الآية ٤٩ من سورة النمل .

(٣) سبق فى ص ١٢٩ . ويسترى ، هى رواية العسكري فى التصحيف ص ٢٩٠ . وفى

النسختين : « يشترى » تصحيف .

قال : من جعل عوض اسم صنم جاز في إعرابه ثلاثة أوجه :
أحدها أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ، كأنه قال : عوض قسمنا الذي
نقسم به .

وجاز أن يكون في موضع نصب على أن تقدر فيه حرف الجر وتحذفه ،
كقولك : يمين الله لأفعلن .

ويجوز أن يكون في موضع خفض على إضممار حرف القسم . وهو
أضعف الوجوه . ومن اعتقد هذا لزمه أن يجعل الباء في قوله بأسحم بمعنى
في . انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون ^(١) تقدم أبيات من أولها في
الشاهد الرابع بعد المائتين ^(٢) من باب الحال ، وتقدم أيضاً بعضها من أولها
في الشاهد السابع والثمانين بعد الثلاثمائة ^(٣) من باب الضمير .

وهذه أبيات مما يليها ، وهو أول المدح :

أهت الشاهد

(لعمري لقد لاحت عيون كثيرة) إلى ضوء نار في يفاع تحرق
نُشِبُ لمقرووين يصطليانها وبات على النار الندى والحلّق
رضيعي لبان ندى أم تقاسما بأسحم داج عوض لانتفرق
ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهنلوانى رونق
يداه يدا صديق ، فكف مبيدة وكف إذا ماضن بالمال تُنفق

(١) ش : « لأعشى ميمون » ، وإنما الأعشى لقب له .

(٢) الخزاعة ٣ : ٢٥٢ - ٢٥٤ .

(٣) الخزاعة ٥ : ٢٩١ - ٢٩٧ .

وَأَمَّا إِذَا مَا الْمَحْلُ سَرَحَ مَا لَهُمْ ولاح لهم وجه العشيات سَمَلَقُ (١)
 نفى الذَّمَّ عن آلِ الْمُحَلَّقِ جَفَنَةً كجاية الشيخ العراقي تَفَهَّقُ
 ترى القومَ فيها شارعينَ ودونهم من القومِ ولدانٌ من النسلِ دَرَقُ
 يروح فتى صديقٍ ويغدو عليهم بملء جفانٍ من سديفٍ تُدَفِّقُ (٢)

وبقى بعد هذا أكثر من ثلاثين بيتاً (٢) .

روى شارح ديوانه محمد بن حبيب ، وصاحب الأغاني ، والرياشي وغيرهم : أَنَّ الْأَعْشى كَانَ يُوافي سُوقَ عُكَاظٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَكَانَ الْمُحَلَّقُ الْمَمْلُوحُ وَاسمُهُ عَبْدُ الْعَزْزِيِّ بْنِ حَنْتَمَ (٣) بْنُ شَدَادٍ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، مِثْنَاثًا مُمِلِّقًا ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : يَا أَبَا كَلَابِ ، مَا يَمْنَعُكَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِهَذَا الشَّاعِرِ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مَدَحَهُ إِلَّا رَفَعَهُ ، وَلَا هَجَا أَحَدًا إِلَّا وَضَعَهُ ، وَهُوَ رَجُلٌ مَفُوءٌ مَجْلُودُ الشَّعْرِ ، وَأَنْتِ رَجُلٌ كَمَا عَلِمْتَ خَامِلُ الذَّكْرِ ، ذُو بَنَاتٍ ، فَإِنْ سَبَقَتْ النَّاسَ إِلَيْهِ فَدَعُوهُ إِلَى الضِّيَافَةِ رَجُوتُ لَكَ حَسَنَ الْعَاقِبَةِ . قَالَ : وَيَحْكِي مَا عِنْدَنَا إِلَّا نَاقَةً نَعِيشُ بِهَا . قَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ يُخْلِفُهَا عَلَيْكَ . قَالَ : لَا بَدَّ لَهُ مِنْ شَرَابٍ . قَالَتْ : إِنَّ عِنْدِي ذَخِيرَةً لِي ، وَلَعَلِّي أَجْمَعُهَا ، فَتَلْقُهُ قَبْلَ أَنْ تُسَبِّقَ إِلَيْهِ . فَفَعَلَ وَخَرَجَ إِلَى الْأَعْشى . فَوَجَدَ ابْنَهُ يَقُودُ

(١) لم يرد هنا ولا في ديوان الأعشى ١٥٠ بيت يكون فيه جواب «أما» صريحا . وجوابها مفهوم من سياق الشعر بعده ، أى فإنه يكون يبادى الكرم . أو نحو ذلك .

(٢) يعنى بعد ما ذكره في الخزانة من قبل وبعد ما ذكره هنا . والقصيدة علة أبياتها اثنان وستون بيتا .

(٣) في الأغاني ٨ : ٧٧ : « عبد العزيز بن خيثم » تحريف . وما في الخزانة يطابق ما في القاموس (حلق) .

ناقته ، فَأَخَذَ زَمَامَهَا مِنْهُ ، فَقَالَ الْأَعَشَى : مَنْ هَذَا الَّذِي غَلَبْنَا عَلَى خِطَامِ
 نَاقَتِنَا ؟ قِيلَ : الْحَلْقُ . قَالَ : شَرِيفٌ كَرِيمٌ . وَقَالَ لِابْنِهِ : خَلِّهِ يَقْتَادُهَا .
 فَاقْتَادَهَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَفَحَرَ لَهُ نَاقَتَهُ ، وَكَشَفَ لَهُ عَنْ سَنَامِهَا وَكَبِدِهَا ^(١) ، وَوَجَدَ
 أَمْرَاتَهُ قَدْ خَبِزَتْ خَبِزًا وَأَخْرَجَتْ نِخْيَ سَمْنٍ ، وَجَاءَتْ بِوُطْبِ لَبَنٍ ، فَلَمَّا أَكَلَ
 الْأَعَشَى وَأَصْحَابُهُ ، وَكَانَ فِي عَصَابَةٍ قَيْسِيَّةٍ ، قَدَّمَ إِلَيْهِ الشَّرَابَ وَاشْتَوَى لَهُ مِنْ
 كَبِدِ النَّاقَةِ ، وَأَطْعَمَهُ مِنْ أَطَايِيهَا ، فَلَمَّا أَخَذَهُ الشَّرَابُ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَعِيَالِهِ ،
 فَعَرَفَ الْبُؤْسَ فِي كَلَامِهِ ، وَأَحَاطَتْ بِهِ بَنَاتُهُ يَغْمِزْنَهُ وَيَمَسِّخُنَهُ فَقَالَ : مَا هَذِهِ
 الْجَوَارِي حَوْلِي ؟ قَالَ : بَنَاتُ أَخِيكَ ، وَهُنَّ ثَمَانٌ ^(٢) . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لئنْ بَقِيتُ
 لَهْنٌ لَا أَدْعُ شَرِيدَتَهُنَّ قَلِيلَةً ^(٣) . وَخَرَجَ وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ شَيْئًا . وَوَافَى الْحَلْقَ عَكَازَ
 فَإِذَا هُوَ بِسَرَحَةٍ قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهَا ، وَإِذَا الْأَعَشَى يَقُولُ :

* لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونُ كَثِيرَةٍ *

إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْحَلْقُ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِسَيِّدِ قَوْمِهِ :
 وَنَادَى : يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ ، هَلْ فِيكُمْ مَذْكَارٌ يَزُوجُ ابْنَهُ بِنَاتِ هَذَا الشَّرِيفِ
 الْكَرِيمِ ؟ فَمَا قَامَ مِنْ مَقْعَدَةٍ حَتَّى تُحْطِبَتْ بَنَاتُهُ جَمِيعًا .

وَقَوْلُهُ : « لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ » إِنْخِ الْلَامُ لَامُ ابْتِدَاءٍ تَفِيدُ التَّأَكِيدَ ،
 وَعَمْرِي مُبْتَدَأٌ وَحَذَفَ خَبْرُهُ وَجُوبًا ، أَيْ عَمْرِي قَسَمِي . وَمَعْنَى لَاحَتْ :

(١) فِي الْأَغَانِي : « وَكَشَطَ لَهُ عَنْ سَنَامِهَا وَكَبِدِهَا » .

(٢) ط : « وَهِيَ ثَمَانٌ » ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ شِئْنٍ مَعَ أَثَرِ تَصْحِيحٍ يَطَابِقُ مَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي
 الْأَغَانِي : « وَهِيَ ثَمَانُ شَرِيدَتَيْنِ قَلِيلَتَيْنِ » بِسُقُوطِ مَا بَعْدَهَا مِنْ كَلَامٍ إِلَى كَلِمَةٍ « قَلِيلَتَيْنِ » .

(٣) ط : « لِأَدْعُ شَرِيدَتَيْنِ قَلِيلَتَيْنِ » ش : « لِأَدْعُ شَرِيدَتَيْنِ قَلِيلَتَيْنِ » ، وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ .

نظرت وتشوّفت إلى هذه النار . حكى الفراء لُحِت الشيء ، إذا أبصرته .
وأنشد :

وأحمر من ضَرْبِ دارِ الملوك تلوح على وجهه جُعفرًا ^(١)

كذا (فى شرح أبيات الجمل لابن السّيد) . واليَفَاع ، بالفتح :
الموضع العالى . وجعل النار فى يَفَاعٍ لأنّه أشهر لها ، لأنّها إذا كانت فى اليفاع
أصابها الرياح فاشتعلت . وهذه الثّار نارُ الضّيافة ، كانوا يوقدونّها على الأماكن
المرتفعة لتكون أشهر ، وربّما يوقدونّها بالمندلى الرّطب - وهو عطر يُنسب إلى
مَنَدَل ، وهو بلد من بلاد الهند - ونحوه ممّا يتبحّر به ليَهتدى إليها العميان .
وأشعارهم ناطقة بذلك .

ونيران العرب (على ما فى الأوائل لإسماعيل الموصلى) اثنتا عشرة نارا : نيران العرب

إحداها : هذه ، وهى نار القَرى ، وهى نار توقد لاستدلال الأضياف
بها على المنزل . وأوّل من أوقد النار بالمزدلفة حتّى يراها من دَفَع من عرفة قصي
بن كلاب .

الثانية : نار الاستمطار ، كانت العرب فى الجاهلية الأولى إذا احتبس
عنهم المطرُ يجمعون البقر ، ويَعْقِدُون فى أذنانها وعراقيبها السِّلَع والعُشَر ،
ويَصْعَدُون بها فى الجبل الوعر ، ويُشْعَلُون فيها النار . ويزعمون أنّ ذلك من
أسباب المطر .

الثالثة : نار التحالف ، كانوا إذا أرادوا الحلف أوقدوا نارا وعَقَدُوا

(١) رواية السيوطى عن ابن برى فى الأشباه والنظائر ٤ : ٨٧ : « وأصفر » . ثم ساق تخرّيج

ابن برى لروايته « تلوح » و « يلوح » أيضا . وقد نقل الرواية وتخرّيج ابن برى صاحب التاج فى
(لوح) عن السيوطى .

جَلَفَهُمْ عِنْدَهَا ، وَدَعَا بِالْحَرَمَانِ وَالْمَنَعِ مِنْ خَيْرِهَا عَلَى مَنْ يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَيَحُلُّ الْعَقْدَ .

الرابعة : نار الطُّرْد ، كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه .

الخامسة : نار الأهبة للحرب ، كانوا إذا أرادوا حرباً وتوقعوا جيشاً أوقدوا نارا على جبلهم ليلبغ الخبر فيأتونهم .

السادسة : نار الصيد ، وهى نار توقد للطَّيَّاء لتعشى إذا نظرت . ويطلب بها أيضا بيض النعام .

السابعة : نار الأسد ، وهى نار يوقدونها إذا خافوه . وهو إذا رأى النار استهالها ، فشغلته عن السَّابِلَةِ . وقال بعضهم : إذا رأى الأسد النار حدث له فِكْرٌ يصطُّه عن إرادته . والضَّفْدَع إذا رأى النار تحير وترك النقيق .

٢١٣

الثامنة : نار السَّليم ، توقد للمللوغ إذا سهر ، وللمجروح إذا نُزِف ، وللمضروب بالسيَّاط ، ولن عضه الكلب الكلب ، لئلا يناموا فيشتدُّ بهم الأمر ويؤدَّى إلى الهلاك .

التاسعة : نار الفداء ، وذلك أنَّ الملوك إذا سبَّوا القبيلة خرجت إليهم السَّادة للفداء . فكروهوا أن يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن ، وفي الظُّلْمَةِ يخفى قدر ما يحبسون ^(١) لأنفسهم من الصفى ^(٢) ، فيوقدون النار ليعرضن .

(١) ش : « قد ما يحبسون » .

(٢) الصفى : ما يختاره الرئيس لنفسه من المغنم ، والمراد هنا ما يختار من السبايا . ومنه حديث عائشة « كانت صفيّة من الصفايا » ، تعنى صفيّة بنت حى ، كانت من غنيمة خيبر .

العاشره : نار الوسم . قُربَ بعض اللصوص إبلاً للبيع فقبل له :
ما نارك ^(١) ؟ وكان أغار عليها من كل وجه . وإنما سئل عن ذلك لأنهم
يعرفون ميسم كل قوم ، وكرم إبلم من لؤمها . فقال :

تسألنى الباعة أين نأرها إذ زعزعتها فسمنت أبصارها ^(٢)
كل نجارٍ إبلى نجارها وكل نار العالمين نأرها

الحادية عشرة : نار الحرثين ، كانت فى بلاد عيس . فإذا كان الليل
فهى نارٌ تسطع ، وفى النهار دُخانٌ يرتفع . وربما نكّر منها عنق ^(٣) فأحرق من
مر بها . فحفر لها خالد بن سنان فدفنها ، فكانت معجزة له .

الثانية عشرة : نار السعالى ، وهو شئ يقع للمتغرب والمتقفر . قال
أبو المضرب ^(٤) عبيد بن أيوب :

ولله در الغول أى رقيقة لصاحب دو خائف متقفر ^(٥)
أرئت بلحن بعد لحن وأوقدت حوائى نيرانا تبوح وتزهر

(١) فى الحيوان ٤ : ٤٩١ : قرب بعض اللصوص إبلاً من الهواشة ، وقد أغار عليها من كل
جانب وجمعها من قبائل فقربها إلى بعض الأسواق فقال له بعض التجار : ما نارك ؟ .

(٢) الرجز فى الحيوان ٤ : ٤٩٢ : وأمثال الملبانى ٢ : ٧٤ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٠
ونهاية الأرب ١ : ١١٢ .

(٣) ط : « بلر منها عنق » ، صوابه فى ش . وفى الحيوان ٤ : ٤٧٦ : « وربما ندرت منها
العنق » . ندرت : ظهرت وبلدت . والعنق : القطعة أو الطائفة ، والعنق يذكر ويؤنث .

(٤) كنا فى النسختين ، وفى اللآل ٣٨٣ عن القالى : « أبو المطراد » وقال : « والمحفوظ فى
كنيته أبو المطراب بالبلاء » . وقد وردت « أبو المطراب » فى الحيوان ٤ : ٤٨٢ / ٥ : ١٢٣ والشعراء
٧٨٤ واللائل ٣٨٤ .

(٥) فى اللآل : « خائف يتستر » وبذلك ينتفى الإقواء بين البيتين فقط . لكنهما من أبيات
سنة فى الحيوان ٦ : ١٦٥ ، خمسة منها رويها مكسور .

وأما نار الحُجَابِجِ (١) فكلّ نارٍ لا أصل لها ، مثل ما ينقذح (٢) من
نعال الدواب وغيرها .

وأما نار اليراعة فهي طائرٌ صغير إذا طار بالليل حسبته شهابا ،
وضرب من الفَرَّاش إذا طار بالليل حسبته شرارًا .

وأوّل من أورى نازها أبو حُجَابِجِ بن كلب بن وبرة بن تغلب بن
حُلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، فقالوا : نار أئى حُجَابِجِ .

ومن حديثه ما ذكر عن ابن الكلبي قال : كان أبو حُجَابِجِ رجلاً من
العرب في سالف الدهر ، بخيلاً لا تُوقَد له نارٌ بليل ، مخافة أن يُقتبس منها ،
فإن أوقدّها ثم أبصرها مستضيئاً أطفأها . فضربت العربُ به المثل في البخل
والخُلْف فقالوا : « أخلف من نار أئى حُجَابِجِ » .

وقال ابن الشجري (في أماليه) : حُجَابِجِ : رجل كان لا يتنفع
بماله ، لبخله ، فنسب إليه كلُّ نار لا يُنتفع بها ، فقيل لِمَا تقدّحه حوافرُ
الخيّل على الصفا : نار الحُجَابِجِ . قال النابغة في وصف السيوف :

* وَيُوقَدْنَ بِالصَّفَاحِ نَارَ الْحُجَابِجِ (٣) *

وجعل الكميت اسمه كنيةً للضرورة في قوله :

(١) ويقال لها أيضاً « نار أئى الحُجَابِجِ » كما في الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٢) ط : « ما يقتدح » .

(٣) صدره كما في ديوانه ٧ من مجموع خمسة دواوين :

• تقدُّ السلوق المضاعف نسجه •

يرى الرائونَ بالشُّفَرَاتِ منها كَنَارُ أَى الحُبَابِ وَالظُّيُنَا (١)

وقال القطامى :

أَلَا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا اشْتَوُوا

لَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الحُبَابِ (٢) . انتهى

وهذا هو التحقيق ، لا ماذكره الموصلى تبعاً للعسكرى (فى أوائله) .

٢١٤ وزاد الصفدى (فى شرح لامية العجم) : نَارَ الغدر ، قال : كانوا إذا غدر الرجلُ بجاره أَوْقَلُوا له نَارًا بِمَنَى أَيَّامِ الْحَجِّ ثم صاحوا : هذه غَدْرَةُ فلان ! وعدَّ نَارَ المزدلفة ، التى أَوَّلَ من أوقدها قصي ، قسماً مستقلاً . وجعل عِدَّةَ النيرانِ أربع عشرة نَارًا .

وقال ابن قتيبة (فى أبيات المعاني) فى نار التحالف : كانوا يحلفون بالنار ، وكانت لهم نَارٌ يقالُ إِنَّهَا كانت بِأُشْرَافِ الْيَمَنِ (٣) لها سَدَنَةٌ ، فإذا تفاقم الأمر بين القوم فحلِفَ بها انقطعَ يَمْنُهُمْ . وكان اسمها : هَوْلَةٌ وَالْمَهْوَلَةُ . وكان سادنها إذا أَتَى بِرَجُلٍ هَيَّيْهُ من الحلف بها ، ولها قِيمٌ يطرح فيها المِلح

(١) أنشده فى التهذيب واللسان (شفر) بعد أن ذكر أن شفرات السيوف حروف حدها . وهو فى ديوان الكميت ٢ : ١٢٦ عن التهذيب ١١ : ٣٥١ . وعجزه فى جميعها :

• وقود أَى حباب والظيونا •

(٢) ديوانه ٥٣ وأملى ابن الشجرى ٢ : ٦٠ وثمر القلوب ٤٦٣ والمخصص ١١ : ٢٨ وأمثال الميدانى ٢ : ٨٦ واللسان (حبب) . وفى الحيوان ٤ : ٤٨٧ : « إذا اشتوت » . وقيس ثوث باعتبار القبيلة . ويروى : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء ، وقد سبقت فى ص ٩٠ . وهى الرواية الجيدة .

(٣) ط : « بأشواف » ، وأثبت ما فى المعانى الكبير ٤٣٤ . وفى ش : « بأسواق » . والمراد بالأشرف الأعلى .

والكبريت ، فإذا وقع فيها استشاطت وتنقضت ^(١) فيقول : هذه النار قد تهَدَّتْكَ . فإن كان مُرِيئًا نَكَلَ ، وإن كان بريئًا حَلَفَ . قال الكميت :

هُمُ خَوْفُونَا بِالْعَمَى هَوَّةَ الرَّدَى كَمَا شَبَّ نَارَ الْحَالِفِينَ الْمَهُولُ ^(٢)

وقال الكميت ، وذكر امرأة :

فَقَدْ صَرْتُ عَمَّا لَهَا بِالْمَشِيِّ سِبَ زَوْلًا لَدَيْهَا هُوَ الْأَزُولُ ^(٣)

كَهَوْلَةٍ مَا أَوْقَدَ الْمُخْلِفُونَ لَدَى الْحَالِفِينَ وَمَا زُولُوا ^(٤)

وقال أوس :

إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ الشُّسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمَهُولِ حَالِفُ ^(٥)

وقال أيضًا في نار الأهبة : كانوا إذا أرادوا حرباً أو توقعوا جيشاً وأرادوا الاجتماع ، أوقدوا ليلاً على جبل ، لتجتمع إليهم عشائرهم ، فإذا جئوا وأعجلوا أوقدوا نارين .

وقال الفرزدق :

ضَرَبُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ وَأَوْقَدُوا نَارَيْنِ أَشْرَقَتَا عَلَى النَّيِّرَانِ ^(٦) . انتهى

(١) تنقضت ، بالقاف : صوت .

(٢) الهاشميات ٦٩ ونهاية الأرب ١ : ١١١ . وقبله في الهاشميات :

وما ضرب الأمثال في الجور قيلنا لأجور من حكامنا المتمثل

وأراد بالعمى البصيرة والجهل . وفي نهاية الأرب : « هم خوفوني » .

(٣) ديوان الكميت ٢ : ١٤ واللسان (زول) والتهذيب ١٣ : ٢٥١ والزول : العجب .

وزول أزول مبالغة ، أى عجب عجب . وفي النسختين : « زوالا » ، صوابه من اللسان والتهذيب

والمعاني الكبير ٤٣٥ . قال ابن قتيبة : « يقول : صرت في أعين النساء كذلك » .

(٤) المعاني الكبير ٤٣٥ والحيوان ٤ : ٤٧١ والتهذيب واللسان (هول) والبيان ٣ : ٧

وأيمن العرب للنجيري ٣١ .

(٥) ديوان أوس بن حجر ٦٩ واللسان والتهذيب والمقاييس (هول) والبيان ٣ : ٧ وأيمن

العرب للنجيري ٣١ .

(٦) ديوان الفرزدق ٨٨٣ والحيوان ٤ : ٤٧٥ .

وقوله : « تحرق » روى بالبناء للمفعول ، وروى بالبناء للمعلوم والمفعول محذوف ، أى الخطب .

وقوله : « تشب لمقرورين » إلخ أى توقد . والمقروور : الذى أصابه القُر ، وهو البرد . والاصطلاء : افتعال من صَلَّى النارَ وصَلَّى بها ، من باب تعب : وَجَدَ حَرَّهَا . والصَّلاء ككتاب : حَرَّ النار . وقوله : « وبات على النار » إلخ بات له معنيان ، أشهرهما ما قاله الفراء ، بات الرجل إذا سمر الليل كله فى طاعة أو معصية . وهو المراد هنا . والثاني بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواء كان فى ليل أو نهار . والندى : الجود والكرم . والمخلَّق هو المملوح ، واسمه عبد العزى ، من بنى عامر بن صعصعة كما تقدم . وهو جاهلى . كذا فى أنساب ياقوت وغيره .

المخلق

وقال العسكري (فى التصحيح) : المخلَّق الذى مدَّحه الأعشى مفتوح اللام ، هو اسمه ، وهو المخلَّق بن جَزء ، من بنى عامر بن صعصعة . والمخلَّق الضبى ولأه الحكم بن أيوب الثقفى سَفَوَان بفتح اللام أيضاً ، قال فيه بعض الشعراء (١) :

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي ونصحي إذا ما بعثى بالمخلَّق

وذكر أحمد بن حباب الحميرى ، أن فى جُعْفَى فى مَرَّان منهم « المخلَّق » بخاء معجمة ولام مكسورة . انتهى .

وقد خالف الجمهور فى قوله إن المخلَّق اسمه . قالوا : إن اسمه

(١) هو أبو نؤيرة بن الحصين ، وكان الحكم بن أيوب قد أخذه بذنب العطرق . الحيوان ١ : ٢٠ . وانظر تصحيح العسكري .

٢١٥ عبد العزى بن حنم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد ، وهو أبو بكر ، ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وسمى محلقاً لأن فرسه عضه فصار موضع عضه كالحلقة ، فقليل له المحلق ^(١) .

وقال ابن السيد (فى أبيات الجمل) : وسمى المحلق لأن بعيراً عضه فى وجهه فصار فيه كالحلقة . وقيل : بل كوى نفسه بكية شبه الحلقة . وزاد اللخمى : لأنه كان يأتي موضع الحلاق بمنى .

وحكى الموصلى أنه أصابه داء فاكتوى على حلقه فسمى المحلق . وروى أبو عبيدة : المحلق ، بكسر اللام . وروى الأصهباني بفتحها . وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح) ^(٢) .

وقال الجوهري : المحلق بكسر اللام : اسم رجل من بنى أوى بكر بن كلاب ، من بنى عامر . انتهى .

وكسر اللام خلاف الصحيح . وهذا قول الأمير ابن ماكولا ، نقله عن النسابة حسن ، ابن أخى اللبن . قال الأمير : وحنم بجاء مهملة مفتوحة بعدها نون ساكنة ثم مشاة فوقية . والمحلق كان سيّداً فى الجاهلية ، وهو الذى مدحه الأعشى .

وقال الكلبي (فى جمهرة الأنساب) : المحلق هو عبد العزى بن حنم

(١) الكلام بعده إلى كلمة « فى شرح » ساقط من ش .

(٢) إلى هنا ينتهى سقط ش الذى لم يبيض له ، بل الكلام فيها متصل إلى مبدأ قوله : « وقال الجوهري » . وفى المطبوعة بعد كلمة « فى شرح » يياض بقلر سطرين .

ابن شداد بن ربيعة المجنون بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كان سيِّداً وذا بأس فى الجاهلية ، وله يقول الأعشى :

* وبات على النار التندى والمخلَّق *

وله حديث . وكان الأعشى نزل به فأمرته أمه فنحر للأعشى ناقة ولم يكن له غيرها . انتهى .

قال ابن السِّيد (١) : لما كان من شأن المتحالفين أن يتحالفوا على النار ، جعل التندى والمخلَّق كمتحالفين اجتماعاً على نار . وذكر المقرورين لأنَّ المقرور يُعْظَم النار ويُشعلها لشدة حاجته .

وقد أخذ أبو تمام الطائى هذا المعنى وأوضحه فقال فى مدحه الحسَن ابن وهب :

قد أثقَب الحسنُ بن وهب فى الندى ناراً جَلَّتْ إنسانَ عَيْنِ المِجْتَلَى
موسومةٌ للمهتدى ، مأدومةٌ للمُجْتَدَى ، مظلومةٌ للمصطفى (٢)
ما أنت حين تُعَدُّ ناراً مثلها إلا كتالى سورةٍ لم تُنْزَل . اهـ

وقال اللخمي : كان الناس يستحسنون هذا البيت للأعشى ، حتى قال الخطيئة :

(١) فى الاقتضاب ٣٩١ . وقد تصرف البغدادى بعض التصرف فى النقل .

(٢) فى الديوان ٢٣٣ :

مأروثة للمجتلى ، موسومة للمهتدى ، مظلومة للمصطفى
مأروثة : موقلة مذكاة .

متى تأتته تعشو إلى ضوء ناره تجذ خير نار عندها خير مُوقِد
فسقط بيت الأعشى . انتهى .

وهذا مأخوذ من الأوائل للعسكري والموصلي .

وأورد صاحبُ الكشف هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَجْدُ عَلَى
النَّارِ هُدًى ^(١) ﴾ ، واستشهد به على أنَّ معنى الاستعلاء فيها أنَّ أهل النار
يستعلون المكانَ القريب منها ، كما قال سيويه في مررت بزيد : إنه لصوق في
مكان يقرب من زيد . أو لأنَّ ^(٢) المصطلين بها إذا تكنفوها قيامًا وقعودًا كانوا
مشرفين عليها .

وكذلك أورد ابن هشام (في المغنى) قال : أحد معاني على
الاستعلاء ، إمَّا على المجرور وهو الغالب ، نحو : ﴿ عليها وعلى الفلِّك
تَحْمَلُونَ ^(٣) ﴾ أو على ما يقرب منه نحو : ﴿ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ أى
هاديًا ، وقوله :

* وبات على النار الندى والمخلق *

وأورده في الباء الموحدة أيضًا وقال : أقول إنَّ كلاً من الإلصاق
والاستعلاء إنما يكون حقيقياً إذا كان مُفضياً إلى نفس المجرور ، كما مسكت
بزيد ، وصعدت على السطح . فإنَّ أفضى إلى ما يقرب منه فمجازيٌّ ،
كمررت بزيد ، في تأويل الجمهور ^(٤) ، وكقوله :

٢١٦

(١) الآية ١٠ من سورة طه .

(٢) ش : « ولأن » وما أثبت من ط يطابق ما في الكشف ٢ : ٢١ وفيه : « أو لأن »

المصطلين بها والمستمتعين بها .. إلخ .

(٣) الآية ٢٢ من المؤمنون وكذا ٨٠ من غافر . وحذف واو « عليها » للاقتباس ، وهو أمر

جائز . انظر حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص لكاتبه ص ٤٩ .

(٤) في المغنى ص ١٠٠ : « في تأويل الجماعة » .

* وبات على النار التدى والحلق *.

وقوله : (رضيعى لبان) إلخ هو مثنى رضيع ، قالوا : رضيع الإنسان ^(١) : مُراضِعُه . قال التبريزى (فى شرح ديوان أبى تمام) : إذا كانت المفاعلة بين اثنين جاء كل واحد منهما على فعيل كما جاء على مفاعل ، كفعيد للذى يقاعدك وتقاعده ، ونديم بمعنى مُنادم ، ورضيع وجليس ، بمعنى مراضع ومجالس . انتهى .

وإليه أشار الجوهري بقوله : « وهذا رضيعى كما تقول أكيلى » . وكذلك قال صاحب المصباح : راضعته مراضعة ، وهو رضيعى . وفى (عمدة الحفاظ للسمين) : وفلان رضيع فلان أى رضيعٌ معه . وأنشد هذا البيت ونسبه للنابغة . وهو سهو .

وفعيل هذا لا يعمل النصب . قال الشارح المحقق فى أبنية المبالغة : « وأما الفعيل بمعنى الفاعل ، كالجليس ، فليس للمبالغة ، فلا يعمل اتفاقاً ^(٢) » . فإضافة رضيعى إلى لبان ليس من الإضافة إلى المفعول به المصرح ^(٣) ، بل هو مفعولٌ على التوسُّع بحذف حرف الجر ، لأنه يقال رضيعه بلبان أمه ، فحذف الباء فانتصب لبان وأضيف إليه الوصف .

و (تدى) بالجر بدل من لبان ، وعلى رواية النصب بدل أيضاً بتقدير مضافٍ مجرورٍ فيهما ، أى لبان تدى ، فلما حذف المضاف انتصب . أو هو منصوب على نزع الخافض ، أى من تدى أم . ولا يجوز الإبدال على محل

(١) ط : « الأسنان » ، صوابه فى ش .

(٢) شرح الرضى ٢ : ١٨٨ .

(٣) أى المصرح . وفى ش : « المسرح » ، غريب .

لَبَان^(١) لَأَنَّ شَرْطَهُ كَالْعَطْفِ عَلَى الْحَلِّ إِمَّا كَانَ ظَهْوَرُ ذَلِكَ الْحَلِّ فِي الْفَصِيحِ .
لَا يَجُوزُ مَثَلًا : مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمْرًا ، خِلَافًا لِابْنِ جَنَى ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ : مَرَرْتُ
زَيْدًا . فَأَمَّا قَوْلُهُ :

* تَمَرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تُعْوجُوا^(٢) *

فَضْرُورَةٌ .

وَعُغِلَ بَعْضُ مَنْ شَرَحَ (دُرَّةُ الْغَوَاصِ) عَنْ عَدَمِ عَمَلِ فَعِيلِ الْمَذْكُورِ ؛
فَقَالَ فِي شَرْحِهِ : وَتَدَى مَنْصُوبٌ بِرَضِيعِي ، وَلَا حَاجَةَ لِتَقْدِيرِ مَنْ كَمَا قِيلَ ، لِأَنَّ
رَضِيعًا مُتَعَدِّدًا بِنَفْسِهِ . هَذَا كَلَامُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَالَ رَضِيعٌ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَعْنَى
مُرَاضِعٍ .

وَلَا مَانِعَ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ هُنَا بِمَعْنَى رَاضِعٍ ، وَتَكُونُ الْمَشَارَكَةُ مِنَ
التَّشْبِيهِ ، بَلْ هَذَا هُوَ الْجَيِّدُ ، إِذْ لَوْ كَانَ رَضِيعٌ هُنَا بِمَعْنَى مُرَاضِعٍ لَمَا ثَنَى ،
وَلَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ :

* رَضِيعُ التَّدَى مِنْ تَدَى أُمِّ تَقَاسِمًا *

وَعَلَيْهِ يَسْهَلُ إِعْرَابُ الْبَيْتِ ، فَيَكُونُ رَضِيعِي مِضَافًا إِلَى مَفْعُولِهِ لِأَنَّهُ
مَاضٍ ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ الْمَاضِي تَجِبُ إِضَافَتُهُ إِلَى مَا يَجِيءُ بَعْدَهُ مِمَّا يَكُونُ فِي
الْمَعْنَى مَفْعُولًا ، فَيَكُونُ « تَدَى أُمِّ » بَدَلًا مِنْ لَبَانٍ بِتَقْدِيرِ مِضَافٍ مَجْرُورٍ ،
وَالْأَصْلُ رَضِيعِي لَبَانٍ لَبَانٍ تَدَى أُمِّ ، أَوْ يَكُونُ بَدَلًا مِنْ لَبَانٍ عَلَى الْحَلِّ ، عَلَى

(١) ش : « عَلَى الْحَلِّ » .

(٢) مِنَ الشَّوَاهِدِ النُّحْوِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ . وَهُوَ لِحَرِيرٍ ، وَسَيَأْتِي فِي ٦٧١ بَوَاقٍ . وَعَجَزَهُ :

« كَلَامُكُمْ عَلَى إِذْنِ حَرَامٍ » .

قول من لا يشترط المحرز الطالب لذلك المحل . وفعل قد وضع بالاشتراك تارة لفاعل وتارة لمفاعل ، والقرينة تعين ، وهى هنا التثنية .

وقال الأندلسى (فى شرح المفصل) : رضيع فعيل للمبالغة . وعليه فيكون عاملاً عمل فعله .

وقد ذهب ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وأبيات الجمل) إلى ما ذكرنا ، قال : لك أن تجعل الرضيع بمعنى الراضع ، كقولهم قدير بمعنى قادر ، فيكون متعدياً إلى مفعول واحد . وإن شئت جعلته بمعنى مرضع كقولهم : رُبَّ عقيد ، بمعنى مُعَقَّد ، فيتعدى إلى مفعولين . ومن ٢١٧ خفض ثدى أم جعله بدلاً من لبان ^(١) ، ومن نصبه أبدله من موضعه ، لأنه فى موضع نصب . ولابد من تقدير مضاف فى كلا الوجهين ، كأنه قال : لبان ثدى أم . وإنما لزم تقدير مضاف لأنه لا يخلو من أن يكون بدل كل أو بدل بعض أو بدل اشتال ، فلا يجوز الثانى ، لأنَّ الثدى ليس بعض اللبان ؛ ولا الثالث ، لأنَّ الأوّل يشتمل على الثانى ^(٢) ، وذلك لا يصح هاهنا . وقد ذهب قوم إلى أنَّ الثانى ، هو المشتمل على الأوّل ، وذلك غلط ، فلم يبق إلا أن يكون بدل كل ^(٣) . والثدى ليس اللبان ، فوجب أن يقتدر لبان ثدى . ويجوز أن يكون ثدى أم مفعولاً سقط منه حرف الجر ، كقولك : اخترت زينا الرجال . انتهى .

(١) فى الاقتضاب ٣٩٢ : « من لفظ اللبان » .

(٢) فى الاقتضاب : « لأن معنى قولنا بدل اشتال أن يكون الأوّل يشتمل على الثانى » .

(٣) الاقتضاب : « أن يكون بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة » ، فى هذا الموضع

وتعقُّبه اللَّخْمَى بأنَّه قيل : إنَّ اسمَ الفاعل هنا بمعنى المضيِّ ، فلا يعمل عند البصريين ، وإنَّ انتصاب ثدى إنَّما هو على التمييز ، لأنَّه يحسن فيه إدخال من المقدَّرة في التمييز . ويحتمل أن يكون منصوبًا بإضمار فعلٍ دلَّ عليه رضيع ، والتقدير : رَضِعَا ثدى أمِّ ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكْنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ^(١) ﴾ . وهذا إنَّما يكون على أن تجعل رضيعي خبرًا لبات لا حالًا . انتهى كلامه .

وقال بعض فضلاء العجم (في أبيات المفصل) : ثدى بدل من محلِّ لبان ، في تقدير : رضيعين لبانا ثدى أمِّ ، وهو بدل اشتغال . وقيل ثدى أمِّ منصوب على إضمار رضيعا ، بدلالة رضيعي .

وتبعه الكَرَمَانِي (في شرح أبيات الموشح) . وفيه أنَّ الوصف ماضٍ ، وأنَّ بدل الاشتغال لا بدَّ له من ضمير .

والجيد في نصب رضيعي أن يكون على المدح .

وجوز ابنُ السِّيد واللخمي غيرَ هذا : أن يكونَ حالًا من الندى والمخلق ، ويكون قوله « على النار » خبر بات . وأن يكون خبر بات وعلى النار حالًا . وأن يكونا خبرين .

أقول : أمَّا الأول ففيه مع ضعف مجيء الحال من المبتدأ المنسوخ فسادُ المعنى ، لأنَّه يقتضى أن يكونا غير رضيعين في غير بياتهما على النار ، وجودة المعنى تقتضى أنَّهما رضيعان مُدُّ ولدا .

وأما الأخيران ففيهما قبح التَّضمين الذي هو من عيوب الشعر ، وهو توقُّف البيت على الآخر . ويردُّ هذا أيضًا على جعله حالًا من الندى والمخلق ،

(١) الآية ٩٦ من الأنعام . وفي ط : « وجعل » ، وهذه قراءة عاصم وحزمة والكسائي . والباقون : « وجاعل » . إتحاف فضلاء البشر ٢١٤ .

وعلى جعله بدلاً من مقررين ، وعلى جعله صفة له .

حكى هذه الثلاثة بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) .
وجوز هذه الثلاثة شارح أبيات الموشح ، مع تجويز كونه خبراً لبات . قال :
وعلى هذه الأوجه خبر بات قوله تقاسما .

وهذا تعسف ؛ فإن تقاسما جواب مقلتر نشأ من قوله : وبات على النار
الندى والمخلق ، والخبر هو على النار .

و (اللبان) بكسر اللام ، قال الأندلسى : هو لبن آدمى . قيل
ولا يقال له لبن إنما اللبن لسائر الحيوانات . وليس بصحيح ، لأنه قد جاء فى
الخبر : « اللبْنُ للفحل » أى للزوج . نعم اللبان فى بنى آدم أكثر . انتهى .
وكذلك قال ابن السيد : روى عن رسول الله - ﷺ - « أن لبن
الفحل محرم » كما اتفق عليه الفقهاء . وفسروه بأن الرجل تكون له امرأة تُرضع
لبنه ، فكل من أرضعته حرمة عليه وعلى ولده . والصحيح أنه يقال : اللبان
للمرأة خاصة ، واللبن عام .

وقال الحريرى (فى درة الغواص) تبعاً لابن قتيبة (فى أدب الكاتب) :
يقولون لرضيع الإنسان : قد ارتضع بلبنه ، وصوابه ارتضع بلبانه ، لأن اللبن
المشروب ، واللبان مصدر لابنه أى شاركه فى شرب اللبن . وهذا هو معنى
كلامهم الذى نَحَوْا إليه . وإليه أشار الأعشى فى قوله :
* رضيعى لبانِ ثدى أم تقاسما *

البيت . انتهى .

وقد تقدم الكلام على اللبان في الشاهد الثالث والتسعين بعد الثلاثمائة (١) .

وقد أخذ معنى هذا المصراع وبسطه الكميث ، في مدح مخلد بن يزيد ، وقال :

تري الندى ومخلدا حليفين كانا معا في مهده رضيعين

* تنازعا فيه لبان الثديين *

وفيه لطف بلاغة لجعلهما أخوين من جنس واحد .

و (تقاسما) : تفاعلا من القسم ، أى أقسم كل منهما لا يفارق أحدهما الآخر . وروى بدله (تحالفا) من الحلف وهو اليمين . والباء في قوله : (بأسحم) داخلة على المقسم به . وقد اختلف في معناه : قال ابن السيد : فيه سبعة أقوال :

أحدها : هو الرماد ، وكانوا يحلفون به . قال الشاعر (٢) :

حلفت بالملح والرماد وبالد إرئى نسليم الحلقنة
حتى يظل الجواذ . منعفرا وتخضب النبل غرة الدرة (٣)

ثانيها : هو الليل .

ثالثها : هو الرجم .

رابعها : هو الدم ، لأنهم كانوا يغمسون أيديهم فيه إذا تحالفوا .
حكى هذه الأقوال الأربعة يعقوب ، وحكى غيره ، وهو الخامس أنه

(١) الخزانة ٥ : ٣٣٢ .

(٢) البيتان أنشدتهما الجاحظ في البيان ٣ : ٨ مسبوقة بقوله « وقال الأول » . وأنشدتهما ابن

منظور في اللسان (حلق) شاهدا على فتح لام الحلقة المستعملة في حلقة القوم .

(٣) وكنا في البيان . لكنها وردت معرفة في اللسان برواية : « ويخضب القيل عروة

الدرة » .

حلّمه الثدى . وقيل ، وهو السادس : زُق الخمر . وقيل وهو السابع : دماء
الذبائح التى كانت تُذْبَح للأصنام . وجعله أسحَم لأنّ الدم إذا بيس اسودَّ .
وأبعدُ هذه الأقوال قول من قال إنّ الرماد ، لأنّ الرماد لا يُوصَف بأنه
أسحَم ولا داچ ، وإنّما يوصَف بأنه أورك . انتهى .
وقال أحمد بن فارس : الأسحَم : الأسود . والأسحَم فى قول
الأعشى :

* بأسحَم داچ *

هو الليل ، وفى قول النابغة :

* بأسحَم دان^(١) *

هو السحاب ، وقول زهير :

* بأسحَم منود^(٢) *

هو القرن . ويقال بأسحَم داچ ، أى فى الرحم . انتهى .

وقال الحريرى (فى الدرة) : عنى بالأسحَم الداچى ظلمة الرحم
المشار إليها فى قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ
فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ^(٣) 》 . وقيل بل عنى به الليل . وعلى كلا هذين التفسيرين

(١) البيت بتمامه فى ديوان النابغة لابن السكيت ٧٣ :

عفا آيه ربح الجنوب مع الصبا

وأسحَم دان مزنه متصوب

وكنا فى اللسان (سحَم) . وانظر المقاييس (سحَم) . وفيهما : « بأسحَم دان » .

(٢) وكنا فى المقاييس (سحَم) ، وهو بتمامه فى الديوان ٢٢٩ واللسان (سحَم) :

نجاى مجد ليس فيه وتيرة

وتذيبها عنه بأسحَم منود

(٣) الآية ٦ من سورة الزمر .

فمعنى تقاسما فهما أى تحالفا . وقد قيل إنَّ المراد بلفظة تقاسما اقتسما ، وإنَّ المراد بالأسحُم الداجى الدمُ . وقيل المراد بالأسحُم اللبنُ لاعتراض السُّمرة فيه ، وبالداجى الدائم . انتهى .

ولا وجه لتفسير تقاسمًا ، باقتسما ، على تفسير الأسحُم بأحد المعنيين الأخيرين . وكيف يصحَّ تفسير الداجى بالدائم مع أنَّه من الدُّجىة وهو الظلام . وقال الجوهرى : قيل هو الدم ، وقيل الرحم ، وقيل سواد حلمة الثدي ، وقيل زُقُ الخمر .

وقوله : (عوض) هو ظرفٌ مقطوع عن الإضافة متعلق بما بعده . وجملة (لا نتفرق) جواب القسم ، وجاء به على حكاية لفظ المتحالفين الذى نطقا به عند التحالف ، ولو جاء به على لفظ الإخبار عنهما لقال لايفترقان . وزعم ابن السِّيد ، وتبعه اللخمي ، أنَّه يجوز مع كون عوض ظرفا أن يكون عوض مقسما به ، والباء فى أسحُم بمعنى فى . وهذا فاسد ، لأنَّه كان يجب حينئذ إعرابه وجُره بحرف القسم .

قال الأندلسى : لا يجوز أن يكون عوض اسم صنم ، لتقدُّم المقسم به قبله ، ولبنائه ، وأيضًا لا يجوز حذف حرف القسم عند ذكر الفعل .

وعليه اقتصر الخوارزمي ، نقله عنه ابن المستوفى قال : عنى بأسحُم داج الليل ، وهو ليس بالمقسم به ، إثمًا هو ظرف بمنزلة أن تقول : تقاسمًا فى ليل داج يكون تألفهما فيه واستئناسُ كلِّ منهما بصاحبه أكثر . وقال صاحب العين : عوض كلمة تجرى مجرى القسم ، فعوض على هذا القول معناه حلًا بالذَّهر لا نتفرق ، فحذف حرف القسم ونصب المقسم به ، كما فى قولك : الله لأفعلن . هذا كلامه .

وفيه أنَّ حرف القسم لا يحذف مع ذكر الفعل .

وقال ابن السَّيِّد : ومن اعتقد أنَّ عوض اسم صنم لزمه أن يجعل الباء في قوله بأَسْحَم بمعنى في . ويعنى ^(١) بالأسحَم الليل أو الرحم . ولا يجوز أن تكون الباء في هذا الوجه للقسم ، لأنَّ القسم لم يقع بالأسحَم ، إنما وقع بعَوَض ، الذى هو الصَّنم . انتهى .
ويُعرف وجهُ ردِّه ممَّا ذكرنا .

وقوله : « وأَمَّا إذا ما الحل » إلخ المَحْلُ : انقطاع المطر ويُس الأرض من الكَلأ . وسَرَّح مَالَهُمْ ، أى أطلقها وفرَّقها . والمال عند العرب : الإبل والبقر والغنم . والسَّمْلَق ، كجعفر : القاعُ الصَّفَصَف .

وقوله : « نَفَى الذَّمَّ » إلخ هو جواب إذا . والجفنة ، بالفتح : قَصْعة الطعام فاعل نفى . والجابية بالجيم ، قال الجوهري : هى الحوض الذى يُجْبَى فيه الماء للإبل . وأنشد البيت . وتفَهَّق ، قال المبرد (فى أول الكامل) : من قولهم : فَهَقَّ الغدير يَفْهَق ، إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضعُ مزيد . قال الأعشى :

نفى الذم عن رَهط المَحْلُوق جفنة البيت

هكذا ينشده أهل البصرة ، وتأويله عندهم أنَّ العِراقى إذا تمكَّن من الماء ملأ جابيته ، لأنَّه حضرى فلا يعرف مواضع الماء ولا محالَه . وسمعت أعرابية تُنشد « كجابية السَّيِّح » بإهمال الطرفين ، تريد النهر الذى يجرى على جابيته ،

(١) ط : « يعنى » ..

فماؤها لا ينقطع ، لأنَّ النهر يَمُدُّه . انتهى .

وقال ابن السَّيِّد (في حاشيته على الكامل) : كان الأحمر يقول :
الشيخ تصحيف ، وإنَّما هو السَّيِّح بالسَّين والحاء غير معجمتين ، وهو الماء
الجارى على وجه الأرض يذهب ويحىء . والجاية : الحوض ، وجمعه الجوائى .
وكلُّ ما يُحَبَس فيه الماء فهو جاية . وقيل أراد بالشيخ العراقى كسرى ،
وحكاه أبو عبيد في كلام ذكره عن الأصمعى في شرح الحديث . ونخصَّ
بالشيخ على تأويل المبرد ، لأنَّه قد جَرَّب الأمور وقاسى الخير والشر ، وهو
يأخذ بالحزم فى أحواله . انتهى .

« ودرق » بدالين بينهما راء : الأطفال ، يقال : ولدان درق ،
ودَرَّاق . كذا فى العباب .

والسَّدِيف : شحم السَّنَام . وَتَدَفَّقَ أصله تتدفق بتاءين .

والأعشى شاعر جاهلى قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين
من أوائل الكتاب (١) .

وقد روى صاحب الأغانى سبب هذه القصيدة على غير ما ذكرناه
أيضاً .

وقد روى عن التوفلى (٢) أنَّ المخلِّق كانت له أخوات ثلاث ، لم يرغب
أحدٌ فيهن لفقرهن ومحموله . والتزويج إنما كان لهنَّ لا لبناته . والله أعلم .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٢) هو على بن محمد النوفلى . الأغانى ٨ : ٧٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٢٢ (لقد رأيتُ عجبًا مُذْ أُمَسَا)

على أن (أُمَس) غير منصرف ، مجرور بالفتحة ، والألف للإطلاق .
وهذا نصٌ سيبويه في باب تغيير الأسماء المبهمة إذا صارت أعلامًا خاصة (٢) ، أوردته بطوله لكثرة فوائده :

وسألته رحمه الله ، يعنى الخليل ، عن أُمَس اسم رجل فقال :
مصرف ، لأنَّ أُمَس ههنا ليس على الجر (٣) ولكنه لما كثر في كلامهم وكان ٢٢٠
من الظروف تركوه على حالٍ واحدة ، كما فعلوا ذلك بأنَّ وكسروه كما كسروا
غاق ، إذ (٤) كانت الحركة تدخله لغير إعراب ، كما أنَّ حركة غاق لغير
إعراب . فإذا صار اسمًا لرجل انصرف ، لأنه قد نقلته إلى غير ذلك الموضع ،
كما أنَّك إذا سميت بغاق صرفته . فهذا يجرى مجرى هذا ، كما جرى ذا
مجرى لا .

واعلم أنَّ بنى تميم يقولون في موضع الرفع : ذهب أُمَسُ بما فيه ،
وما رأيتُه مُذْ أُمَسُ ، فلا يصرفون في الرفع ، لأنَّهم عدلوه عن الأصل الذى هو
عليه في الكلام ، لا عما ينبغى له أن يكون عليه في القياس . ألا ترى أنَّ أهلَ

(١) في كتابه ٢ : ٤٤ . وانظر نوادر أبنى زيد ٥٧ والجمل ٢٩١ وأمل ابن الشجرى ٢ :
٢٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٠٦ ، ١٠٧ والشنور ٩٩ والعينى ٤ : ٣٥٧ والتصريح ٢ : ٢٦٦ ، ٣١٦
والجمع ١ : ٢٠٩ .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٢ و ٣ : ٢٨٠ من نسختي .

(٣) في سيبويه : « لأنَّ أُمَس ليس هاهنا على الحد » ، أى ليس على حد الأسماء المبهمة .

(٤) كنا في ش وسيبويه . وفي ط : « إذا » .

الحجاز يكسرونه في كل موضع ، وينو تميم يكسرونه في أكثر المواضع في الجر والنصب . فلما عدلوه عن أصله في الكلام ومجراه ، تركوا صرفه كما تركوا صرف آخر حين فارقت أخواتها في حذف الألف واللام منها ، وكما تركوا صرف سحر ظرفاً . لأنه إذا كان مجروراً أو مرفوعاً أو منصوباً غير ظرف لم يكن بمنزلة إلا وفيه الألف واللام ، أو يكون نكرة إذا أخرجنا منه . فلما صار معرفة في الظروف بغير ألف ولام ، خالف التعريف في هذه المواضع ، وصار معدولاً عندهم كما عدلت آخر ، فترك صرفه في هذا الموضع كما ترك صرف أمس في الرفع . وإن سميت رجلاً بأمس في هذا القول صرفته ، لأنه لا بُدَّ لك من أن تصرفه في الجر والنصب ، لأنه في الجر والنصب مكسورٌ في لغتهم ، فإذا انصرف في هذين الموضعين انصرف في الرفع ، لأنك تدخله في الرفع وقد جرى له الصِّرف في القياس في الجر والنصب ، لأنك لم تعدله عن أصله في الكلام مخالفاً للقياس . ولا يكون أبداً في الكلام اسمٌ منصرفٌ في الجر والنصب ولا ينصرف في الرفع . وكذلك سحر اسم رجل تصرفه ، وهو في الرجل أقوى لا يقع ظرفاً ، ولو وقع اسمٌ شيء فكان ظرفاً صرفته وكان كأمس لو كان أمس منصوباً غير ظرف مكسور كما كان . وقد فتح قومٌ أمس في مُدْ لَمَّا رفعوا وكانت في الجر هي التي تُرْفَع ، شبهوها بها . قال :

لقد رأيتُ عجباً مُدْ أَمْسَا . عجائزاً مثل الأفاعي خمسا

وهذا قليل .

انتهى كلام سيبويه ، ونقلته من نسخة معتمدة مقروءة على مشايخ

جَلَّة ، عليها خطوطُ إجازاتهم ، منهم زيد بن الحسن بن زيد الكندى إمام عصره عربيَّةً وحديثاً ، وتاريخُ إجازته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وهي نسخة ابن ولَّاد تلميذ ثعلب والمبرد ، وتوفى بمصر في سنة ثمان وتسعين ومائتين .

فما اعترض به الشارح المحقق على الزَّجَاجي ، في زعمه أنَّ أُمس في البيت مبنية على الفتح ، حقٌّ لا شبهة فيه (١) .

وقد غلَّطه شراحه ، منهم ابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) قال : مذ أُمسا جازَّ ومجور ، ومُذ هنا حرفُ جر ، وهي بمنزلة في ، كأنه قال : لقد رأيت عجباً في أُمس ، والعامل فيها رأيت ، والفتحة فتحة إعراب ، وهي علامة الخفض كما تكون فيما لا ينصرف . وقد غلط أبو القاسم فيها وزعم أنَّها في البيت مبنية على الفتح ، وإنَّما هي في البيت على لغة بعض بني تميم . وليس في العرب من يبنها على الفتح وهي مخفوضة بمذ ، ولكنَّها لا تنصرف عندهم للتعريف والعدل . وإنَّما دخل عليه الوهم من قول

٢٢١

(١) في ش حاشية بخط ناسخها هذا نصها :

« قوله : فما اعترض به الشارح المحقق .. الخ . قلت : ليس بحق ، ولم ينفرد به الزجاجي . وقد أقره عليه جملة من الشروح ، وردوا من رد عليه . قال الخفاف : وقد أخذ على أبي القاسم (في الأصل : ابن القاسم) ذكر بنائها على الفتح ، وقيل إنَّما هو إعرابه إعراب ما لا ينصرف . وليس كذلك ، فقد حكى الثلاثة الأوجه في المنتخب لأبي إسحاق الزجاج (في الأصل : الزجاجي) الذي نقل أبو القاسم منه . انتهى . قلت : نقل الأوجه الثلاثة المروى في الذخائر وأقرها ، وقال : إن البناء على الفتحة لغة لبعض تميم . وذكر الثعلبي في شرح جمل الجرجاني مثله . ومثله في شرح شواهد الجمل للأعلم وابن السيد البطليوسي . فتأمل . فعلم ذكر سيبويه له لا يدل على نفيه ، إذ ليس في كلام سيبويه ما يدل على نفيه . والله أعلم » .

سيبويه : وقد فتح قومُ أمس مع مذ لمَّا رفعوا وكانت في الجر هي التي ترفع ، شبهوها بها . وأنشد البيت على ذلك . فتوهم أنه لما ذكر الفتح الذي هو لقبُ البناء أنه أراد أن أمس مبنئ . ولو تأمل لبان له العذر في ذكر الفتح هنا ، إذ لا يمكن أن تسمى الحركة التي يحدثها عامل الجر نصبًا ، لأنها ليست للنصب ، إنما هي للجر . وسوى بين عمل الجار والنائب دلالة على ضعف الجار فيما لا ينصرف ، ولم يسمها جرًّا استقلالًا لها ، لأنها لمَّا ضُمَّت إلى النصب صارت كأنها غير جرّ البتة . ألا تراه قال : وجميع ما لا ينصرف إذا أُدخلت عليه الألف واللام انجرّ وهو لم يزل مجرورًا ، إلا أنه جعل الجر المحمول على النصب غير جرّ . وإلا فالعوامل في المنصرف وغير المنصرف واحدة . فاعلم ذلك . انتهى كلام اللخمي

وقال النحاس : قال سيبويه : قد فتح قومُ أمس في مذ إلخ . هذا من كلام سيبويه مشكّل يحتاج إلى الشرح . وشرحه عليّ بن سليمان قال : أهل الحجاز على ما حكاه النحويون ، يكسرون أمس في الرفع والنصب والخفض ، وينو تميم يرفعونه في موضع الرفع بلا تنوين ، يجعلونه بمنزلة ما لا ينصرف . وذلك أنه ليس سبيل الظرف أن يرفع لأنّ الأخبار ليست عنه ، فلما أخبروا عنه زادوه فضلةً فأخرجوه من البناء إلى ما لا ينصرف ، فلما اضطر الشاعر أجراه في الخفض مجراه في الرفع ، وقدر مذ هذه الخافضة ، وفتحته لأنه لا ينصرف . انتهى .

وقال الأعلام : الشاهد فيه إعراب أمس ومنعها من الانصراف ، لأنها اسمٌ لليوم الماضي قبل يومك معلول عن الألف واللام . ونظير جرّها بعد مذ ههنا رفعها في موضع الرفع إذا قالوا : ذهب أمسُ بما فيه ، وما رأيته مذ

أُمسٌ ، وهى لغةٌ لبعض بنى تميم . فلما رُفعت بعد مذ لأن مذ يرتفع ما بعدها إذا كان منقطعاً ماضياً ، جاز للشاعر أن يخفضه بعدها على لغة من جرَّ بها فى ما مضى وانقطع ، لأن مذ هذه الخافضة لأُمس هى الرافعة له فى لغة من يرفع . وقد بينت هذا وكشفت حقيقته فى كتاب النكت . انتهى .

٢٢٢

وليس فى كلام سيبويه ما يدل على أنه ضرورة . فتأمل .

وأما ما وهم به الشارح المحقق الزخشرى ، فقد يُمنع بأن يكون الزخشرى ذهب إلى ما حكاه الكسائى عن بعض بنى تميم ، بأنهم يمنعون صرف أُمس رفعاً ونصباً وجرّاً . ونقله أبو حيان (فى الارتشاف) . ويؤيده قول أبى زيد (فى النوادر) : قوله مذ أُمسا ذهب بها إلى لغة بنى تميم ، يقولون : ذهب أُمسُ بما فيه . وقال الجرمى (فيما كتبه على النوادر) : جعل مذ من حروف الجر ولم يصرف أُمس ، فتح آخره فى موضع الجر ، وهو الوجه فى أُمس (١) .

وأبو زيد من مشايخ سيبويه ، وإذا نقل عنه فى كتابه قال : « حدثنى الثقة » .

والشارح مسبوق بالتوهم ، قال أبو حيان : اختلف النحاة فى إعراب أُمس مطلقاً إعراب مالا ينصرف عند بعض تميم ، فذهب إلى إثبات ذلك ابن الباذش ، وهو قول ابن عصفور وابن مالك . وقال الأستاذ أبو على : هذا

(١) فى النوادر ٥٧ : ولم يصرف أُمس ، ففتح آخره وهو فى موضع الجر . والرفع الوجه فى

غلط ، وإثما بنو تميم يعربونه في الرفع ، وبينون في النصب والجر . انتهى .
 والبيتان من رجز في نوادر أبي زيد سمعه من العرب ، وأنشد بعدهما :
 (يَا أَكْلَنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسًا لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهْنٌ ضِرْسًا)
 وقال : الهمس : أَنْ تَأْكُلَ الشَّيْءَ وَأَنْتَ تَخْفِيهِ .

وقوله « عجائزا » نونه لضرورة الشعر ، قيل بيان لقوله عجبا ، وقيل بدّل منه . وهو جمع عجوز . قال ابن السكيت : العجوز : المرأة الكبيرة ، ولا تقل عجوزة ، والعامّة تقول . ومثل صفة لعجائز ، وكذا قوله خمسا . والسَّعَالَى : جمع سِيعَلَاءَ بالكسر ، ويقال أيضا سِيعَلَاءَ بالمد والقصر ، وهي أنثى الغول ، وقيل ساحرة الجن . وروى أبو زيد وسيبويه بدله : « مثل الأفاعى » جمع أفعى ، وهي حية يقال هي رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس ، لا تزال مستديرة على نفسها ، لا ينفع منها ترياق ولا رقية . يقال هذه أفعى بالتؤين لأنه اسم وليس بصفة . كذا في المصباح .

والرَّحْلُ : المأوى والمنزل ، وروى أيضا : « يَا أَكْلَنَ مَا فِي عِكْمِهِنَّ »
 والعِكْمُ : العِثْلُ بكسر أولهما

وجملة « لا ترك الله » إلخ دعائية . وزاد ابن السّيد (في أبيات الجمل)
 بعد هذا :

* وَلَا لَقَيْنَ الدَّهْرَ إِلَّا تَعْسًا *

وقال : التعس : السُّقُوط على القفا . وزاد ابن هشام اللخمي :

(فيها عَجُوزٌ لا تُساوِي فلَسًا لا تَأْكُل الزُّبْدَةَ إِلَّا نَهْسًا)

والبيت الشاهد من أبيات سيبويه الخمسين التي ما عرف قائلها . وقال صاحب الشاهد ابن المستوفى : وجدت هذه الأبيات الثمانية في كتاب نحو قديم ، للعجاج أئى رؤية . وأراه بعيدًا من نمطه .

وقوله : « لا تَأْكُل الزُّبْدَةَ إِلَّا نَهْسًا » ، أى لا أَسْنَنَ لها ، فهي تنهسها . وهو إغراق وإفراط . والتَّهَس : أخذ اللحم بمقدّم الأسنان . انتهى .

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الخمسمائة (١) :

٥٢٣ (لَا إِلَهَ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلَكَ فِي حَسَبِ

عَنَى وَلَا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَحْزُونِي)

على أَنَّ أصل (لَا إِلَهَ ابْنُ عَمِّكَ) : اللَّهُ ابْنُ عَمِّكَ ، فحذف لام الجر لكثرة الاستعمال ، وقُدِّر لام التعريف ، فبقى لاه ابْنُ عَمِّكَ ، فُبْنِيَ لتضمُّن الحرف .

وصريحُه أَنَّ كسرة الهاء كسرة بناء ، وظاهر كلام المفصّل أَنَّها كسرة إعراب ، قال : وتضمّر ، أى باء القسم ، كما تضمّر اللام في : لاه أبوك ؛ فإنّ المضمر يبقى معناه وأثره ، بخلاف المحذوف فإنّه يبقى معناه ولا يبقى أثره . كذا حققه السيّد عند قول الكشف في تفسير : ﴿ يَجْعَلُونَ

(١) مجالس العلماء للزجاجي ٧١ والخصائص ٢ : ٢٨٨ وابن الشجرى ٢ : ١٣ ، ٢٦٩ والإنصاف ٣٩٤ وابن يعيش ٨ : ٦/٥٣ : ١٠٤ والمقرب ٤٢ والمغنى ١٤٧ والعينى ٣ : ٢٨٦ والتصریح ٢ : ١٥ والأشعرى ٢ : ٢٣٣ والفضليات ١٦٠ ، ١٦٢ .

أَصَابِعَهُمْ ^(١) ؛ لِأَنَّ المَحذُوفَ بَاقٍ مَعْنَاهُ ^(٢) وَإِنْ سَقَطَ لَفْظُهُ .

قال ابن يعيش (في شرحه) : اعلم أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَاهُ أَبُوكَ ، وَلَاهُ ابْنُ عَمِكَ ، يَرِيدُونَ : اللَّهُ أَبُوكَ وَلِلَّهِ ابْنُ عَمِكَ . قال الشاعر :

لاهُ ابْنُ عَمِكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ البيت

أَيُّ اللَّهِ ابْنُ عَمِكَ ، فَحُذِفَتْ لَامُ الْجَرِّ وَلَامُ التَّعْرِيفِ ، وَبَقِيَ اللَّامُ الْأَصْلِيَّةُ . هذا رأى سيبويه . وأنكر ذلك المبرد ، وكان يزعم أَنَّ المَحذُوفَ لَامُ التَّعْرِيفِ وَاللَّامُ الْأَصْلِيَّةُ ، وَالْبَاقِيَةُ هِيَ لَامُ الْجَرِّ وَإِنَّمَا فَتَحَتْ لِثَلَاثَةِ تَرْجَعِ الْأَلْفُ إِلَى الْيَاءِ ، مَعَ أَنَّ أَصْلَ لَامِ الْجَرِّ ، الْفَتْحُ . وَرَبَّمَا قَالُوا ، لَهَيُّ أَبُوكَ ، فَقَلَّبُوا اللَّامَ إِلَى مَوْضِعِ الْعَيْنِ وَسَكَّنُوا ؛ لِأَنَّ الْعَيْنَ كَانَتْ سَاكِنَةً وَهِيَ الْأَلْفُ ، وَبَنُوهُ عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّهُمْ حَذَفُوا مِنْهُ لَامَ التَّعْرِيفِ وَتَضَمَّنَ مَعْنَاهَا ، فَبُنِيَ لِذَلِكَ كَمَا بَنِيَ أُمْسُ وَالْآنَ ، وَفُتِحَ آخِرُهُ تَخْفِيفًا لَمَّا دَخَلَهُ مِنَ الْحَذْفِ وَالتَّغْيِيرِ . انتهى .

وقال الأندلسي (في شرحه أيضًا) عند قوله « وتضمّر كما تضمّر اللام »
إلخ : هذا هو الوجه الثالث ، وهو أَنَّ تَحْذُفَ الْحَرْفَ لَفْظًا وَتَقْدَّرُهُ مَعْنَى فَيَبْقَى عَمَلُهُ ، كَمَا تَضْمُرُ رَبٌّ .

٢٢٣

وقال ابن السِّيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : قوله لاه أراد :
لله ، حذف لَامُ الْجَرِّ وَاللَّامُ الْأُولَى مِنَ اللَّهِ ^(٣) . وكان المبرد يرى أَنَّهُ حَذَفَ

(١) الآية ١٩ من سورة البقرة .

(٢) ط : « باق بمعناه » ، صوابه في ش والكشاف .

(٣) في النسختين : « من الله » ، صوابه من الاقتضاب ٤٤٢ .

اللامين من الله ^(١) وأبقى لام الجر وفتحها . وحجته أن حرف الجر لا يجوز أن يحذف . انتهى .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : قوله لاه ابن عمك أصله الله ، فحذف لام الجر وأعملها محذوفة ، كما فى قوله ، الله لأفعلن ، وأتبعها فى الحذف لام التعريف ، فبقى لاه بوزن عال . ولا يجوز أن تكون اللام فى لاه لام الجر ^(٢) وفتحت لجاورتها للألف ، كما زعم بعض النحويين ، لأنهم قالوا : لَهَى أبوك ، بمعنى لله أبوك ، ففتحوا اللام ولا مانع لها من الكسر فى لَهَى لو كانت الجارة ، وإنما يفتحون لام الجر مع المضمرة فى نحو : لك ولنا ، وفتحوها فى الاستغاثة إذا دخلت على الاسم المستغاث به ، لأنه أشبه الضمير من حيث كان منادى ، والمنادى يحل محل الكاف من نحو : أدعوك . فإن قيل : فكيف يتصل الاسم بالاسم فى قوله لاه ابن عمك بغير واسطة وإنما يتصل الاسم بالاسم فى نحو : لله زيد ولأخيك ثوب ، بواسطة اللام ؟ فالجواب : أن اللام أوصلت الاسم بالاسم وهى مقدرّة كما تحمّلت الجرّ وهى مقدرة . انتهى .

فهؤلاء كلهم صرحوا بأن الكسرة إعراب ، وأن لاه مجرور باللام المضمرة .

وكأنه ، والله أعلم ، اختصر كلامه من أمالى ابن الشجرى فوقع فيما وقع ^(٣) . وهذه عبارة ابن الشجرى ^(٤) :

(١) ط : من لله ، صوابه فى ش والاقتضاب .

(٢) ط : الجار ، صوابه فى ش وأملى ابن الشجرى ٢ : ١٤ .

(٣) البغدادى يشير هنا إلى نص الرضى الذى سبق فى أول الشاهد .

(٤) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥ .

أقول : إنَّ الاسم الذى هو لاه على هذا القول تامّ ، وهو أن يكون أصله ليّه على وزن جَبَل ، فصارت ياءؤه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . ومن قال : لَهَى أبوك فهو مقلوب من لاه ، فقدّمت لامه التى هى الهاء على عينه التى هى الياء فوزنه قَلْع . وكان أصله بعد تقديم لامه على عينه : لِلْهَى ، فحذفوا لام الجر ثم لام التعريف ، وضمنوه معنى لام التعريف فبتّوه ، كما ضمّنوا معناها أمسى فوجب بناءؤه ، وحركوا الياء لسكون الهاء قبلها ، واختاروا لها الفتحة لخفتها . انتهى .

وقول الشارح المحقق ، كما هو أحد مذهبيّ سيبويه فى الله ، وهو أنّه من لاه يَلِيّه ، قال ابن الشجرى : أصل هذا الاسم الذى هو الله تعالى مسمّاه إله فى أحد قولى سيبويه بوزن فِعال ، ثم لاه بوزن عال . ولما حذفوا فاءه عوضوا منها لام التعريف ، فصادت وهى ساكنة اللام التى هى عين وهى متحركة ، فادغمت فيها . إلى أن قال : وهذا قول يونس بن حبيب ، وأبى الحسن الأخفش ، وعلى بن حمزة الكسائى ، ويحيى بن زباد الفراء ، وقطرب بن المستنير . وقال بعد وفاقه لهذه الجماعة : وجائز أن يكون أصله لاه ، وأصل لاه ليّه على وزن جبل ^(١) ، ثم أدخل عليه الألف واللام فقليل الله . واستدلّ على ذلك بقول العرب : لَهَى أبوك ، يريد لاه أبوك . قال : فتقديره على هذا القول فَعَل ، والوزن وزن باب ودار . وأنشد للأعشى ^(٢) :

كحَلْفَةٍ من أُنَى رِيّاحٍ يسمعها لاهُ الكُبُرِ

(١) الذى فى الأمالى : على وزن فعل .

(٢) ط : وأنشد الأعشى ، صوابه فى ش وأملى ابن الشجرى .

ولذى الإصبع العنوانى :

لاه ابن عمك لأفضلت في حسب (البيت)

انتهى كلام سيويه . هذا كلامه (١) .

وأقول : هذان البيتان ليسا بموجودين في كتاب سيويه كما نبهنا سابقاً في الشاهد الخامس والعشرين بعد المائة (٢) .

وقد تكلم أبو على الفارسي على قولهم : لهي أبوك (في التذكرة ٢٢٤ القصرية) ، (وفي إيضاح الشعر) فلا بأس بنقل كلامه لمزيد الفائدة والإيضاح :

قال (في التذكرة) : لهي أبوك مقلوب من لاه ، على القول الذى لاه فيه فعل ، أى بفتحتين ، لا على القول الذى لاه فيه عالٍ محذوفة الفاء وهى همزة إله . ومن إشكال هذه المسألة مخالفة وزنها لوزن ما قلبت منه ، لأن الأصل فعل أى بفتحتين ، وهى قلَع أى بسكون اللام . ومن إشكالها أيضاً أن المقلوب منه مُعرب وهو لاه ، والمقلوب مبنى على الفتح وهى لهي . وإنما جعلنا لهي هو المقلوب لأنه أقل تمكناً وأكثر تغييراً ، بدليل أن اسم الله تعالى معرب متصرف في الخبر والنداء ، أى ليس هو مبنياً ؛ ودخول جميع العوامل عليه ، وهى أبوك مبنى لا يزول عن هذا الموضع ، فهو بهذا أكثر تغييراً وأقل تمكناً . ولا يخرج لاه في كلامهم مع ما قد ذكرنا من الدليل على أنه الأصل أنه ليس له أصل اشتق منه ، إذ كان في كلامهم ما العين فيه ياء كثير . فأما مخالفة

(١) الذى في أمالى ابن الشجرى : « انتهى كلامه ، أى كلام سيويه » .

(٢) الخزائن ٢ : ٢٦٨ .

وزن لى الأصل الذى قلبت منه فقد جاء مثله ، قالوا فوق ، فعين الفعل منه ساكنة ، وقال امرؤ القيس :

* وثبلى وفقاها كعراقيب (١) *

فقلب العين إلى موضع اللام وحرك اللام كما سكن اللام فى لى ، وذلك لأن المقلوب بناء مستأنف ، فجائز أن يأتى مخالفا لما قلب منه . يدلك على أنه بناء مستأنف قولهم : قسى ، هى مقلوب من قووس ، وهم لا يتكلمون بقووس البتة ، فتركهم الكلام بالأصل يدلك على أن المقلوب مبنى بناء مستأنفا ، لأنه لو لم يكن مستأنفا وكان هو المقلوب منه لكان المقلوب منه متكلفا به ، وإذا ثبت أنه بناء مستأنف لم ينكر أن يأتى على غير وزن المقلوب منه ، كما أنه لما أن كانت أبنيته مستأنفة لم ينكر أن تحيى على وزن الواحد . وأما وجه بنائه فهو أنه تضمن معنى حرف التعريف كما تضمن أمس ذلك . ألا ترى أنه فى معنى لله أبوك ، وليس فيه حرف التعريف . وحرك بالفتح كراهة للكسر مع الياء . ولا يحكم بأن لاه مبنى وأنت تجد سبيلا إلى الحكم له بالإعراب . ألا ترى أنه اسم متمكن منصرف ، فلا يحكم له بالبناء إلا بدليل ، كما لم يحكم للهى إلا بدليل ، وهو الفتح . انتهى .

(١) فى النسختين : « وتبكى وفقاها » ، والصواب ما أثبت من اللسان (فوق ، فقا) وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ، فى ترجمة (أنى عمرو بن العلاء) من أبيات منسوبة لامرئ القيس بن عابس الكندى ، وتروى أيضا للفند الزماني . ورواها ابن قتيبة فى الشعراء ٨٥ بدون نسبة . والبيت بتمامه :

ونبلى وفقاها كـ عراقيب قطا طحل

وكتب ناسخ ش بخطه : « قوله وتبكى إلخ كنا بخط المؤلف ، وهو تحريف ، والصواب الذى لا محيد عنه :

ونبلى وفقاها كـ عراقيب قطا طحل

والبيت لامرئ القيس بن عابس ، بالباء الموحدة ، الكندى الصحافى .

وصريح كلامه أخيراً يردُّ ما زعمه الشارح من بناء لاه .

وقال (في إيضاح الشعر) : تحذف حروف المعاني مع الأسماء على ضروب :

أحدها : أن يحذف الحرف ويتضمَّن الاسم معناه ، وهذا يوجب بناء الاسم ، نحو أَيْنَ وخمسةَ عشرَ ، وأمس في قول الحجازيين وَمَنْ بناه ، وَلَهَى أبوك .

والآخر : أن يعدل الاسم عن اسم فيه حرف ، فهذا المعلوم لا يجب بناؤه ، لأنه لم يتضمَّن الحرف فيلزم البناء ، كما تتضمَّن الأول ، لأنَّ الحرف يراد في ذلك البناء الذي وقع العدل عنه . وإذا كان هناك مراداً لم يتضمَّن هناك الاسم . ألا ترى أنَّه محال أن يراد ثمَّ (١) ، فيعدل هذا عنه ويتضمَّن معناه ، لأنَّك إذا ثبتَّ الحرف في موضعين فلا يكون حينئذ عدلاً . ألا ترى أنَّ العدل إنما هو أن تلفظ ببناءٍ وتريد الآخر ، فلا بدَّ من أن يكون البناء المعلوم غير المعلوم ومخالفاً له . ولا شيء يقع فيه الخلاف بين سحر المعلوم والمعلوم عنه إلا إرادة لام التعريف في المعلوم عنه وتعرى المعلوم منه . فلو ضمَّنته معناه لكان بمنزلة إثباته ، ولو أثبتَّه لم يكن عدلاً . فإذا كان كذلك لم يجوز أن يتضمَّنه وإذا لم يتضمَّنْه لم يجوز أن يُبنى كما بنى أمس .

٢٣٥

والضرب الثالث : أن تحذف الحرف في اللفظ ويكون مراداً فيه . وإنَّما تحذفه من اللفظ اختصاراً واستخفافاً . فهذا يجري مجرى الثبات . فمن هذا القسم الحذف في جميع الظروف ، حُذفت اختصاراً ، لأنَّ في ذكر الأسماء

(١) ط : « ثم » ، صوابه في ش .

التي هي ظروف دلالة على إرادتها . ألا ترى أنك إذا قلت جلستُ خلفك وقدمت اليوم ، علم أن هذا لا يكون شيئاً من أقسام المفعولات إلا الظرف . فلما كان كذلك كان حذفها بمنزلة إثباتها ، لقيام الدلالة عليها . فإذا كنيت رددت في التي كانت محذوفة للاختصار ، وللدلالة القائمة عليها ، لأن الضمير لا يتميز ولا ينفصل كما كان ذلك في المظهر . ألا ترى أن الهاء في كناية الظرف كالهاء في كناية المفعول به . فإذا رددت الحرف الذي كنت حذفته فوصلته به دل على أنه من بين المفعولات ظرف . فقد علمت بردك له في الإضمار أنك لم تضمّن الاسم معنى الحرف فتبينه ، وأنه مراد في حال الحذف ، لأن في ظهور الاسم دلالة عليه ، فحذفته لذلك . فهذا يشبه قولهم : الله لأفعلن ، في أنهم مع حذفهم ذلك يجرى عندهم مجرى غير المحذوف ، إلا أنه لما حذف في الظرف واستغنى عنه وصل الفعل إليه فانصب . والجاء إذا حذفوه على هذا الحذف الذي ذكرته لك من أن الدلالة قائمة على حذفه ، يجرى على ضربين : أحدهما : أن يوصل الفعل كباب الظروف ، واخترت الرجال زيداً . والآخر : أن يوصل الفعل ولكن يكون الحرف كالمثبت في اللفظ ، فيجرون به كما يجرون به وهو مثبت ، وذلك قولهم : الله ، وكما قام لنا من الدلالة على حذفهم له في « وبلد^(١) » ، وكما ذهب إليه سيبويه في :

* ونارٍ توقد بالليل نارا^(٢) *

(١) إشارة إلى ما أنشده سيبويه في ١ : ٤٦٥ (٣ : ٦٢٨ من نسختي) من قول الراجز :

• وبلد تحسه مكسوحا •

(٢) إشارة إلى قول أبي ذؤاد . سيبويه ٢ : ٣٣ :

أكل امرئ تحسين امرأ ونار توقد بالليل نارا

وكما ذهب بعض المتقدمين من البصريين في قوله : ﴿ واختلاف الليل ^(١) ﴾ إلى أنه على ذلك . ولو قال قائل في إنشاد من أنشد :
 * ولا مستنكر أن تعقرا ^(٢) * .

إلى هذا الوجه لكان قياس هذا القول . فأما تركهم الرد في حال الإضمار في نحو :

ويوم شهدناه سليماً وعامراً قليل سبوى الطعني التّهال نوافلة

فمنهم من يقول : إنما فعل ذلك لأن الإضمار لا يكون إلا بعد مذكور ، فيعلم أنه إضمار ذلك . وهذا إذا أسعوا فيه فجعلوا نصبه نصب المفعول به لم يلزم أن يكون عليه دلالة كما كان في حال كونه ظرفاً . فأما قولهم : لَهَى أبوك ، فإنه تكون هذه اللام الثانية في الاسم إلا التي هي فاء الفعل . والدليل على ذلك أنها لا تخلو من أن تكون الجارة ، أو المعرفة ، أو التي هي فاء . فلا يجوز أن تكون المعرفة لأن تلك تتضمنها الاسم ، وإذا تضمنها الاسم لم تظهر . ألا ترى أن الواو في خمسة عشر لا تثبت ، واللام في أمس في قول من بنى لا تظهر . فلما كان الاسم هنا مبنياً أيضاً على الفتح ، ولم يكن فيه معنى يوجب بناءه على تضمنه لمعنى حرف التعريف ، وجب أيضاً أن لا يظهر كما لم يظهر أيضاً فيما ذكرت لك . فإذا لم يجز ظهور حرف التعريف لم تَحُلْ المحذوفة من أحد أمرين : إما أن تكون الجارة ، أو التي هي فاء

(١) من الآية ١٦٤ من البقرة و ١٩٠ من آل عمران و ٥ من الجناتية .

(٢) هو قول النابغة الجعدي . سيبويه ٢ : ٣٢ :

فليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

(٣) سيبويه ١ : ٩٠ وابن الشجري ١ : ٦ والكامل ٢١ :

الفعل . فلا يجوز أن تكون الجارة لأنها مفتوحة وتلك مكسورة مع المظهرة ، فلا يجوز إذا أن تكون إياها للفتح . فإن قال قائل : ما تُنكر أن تكون الجارة وإنما فتحت لأنها جاورت الألف ، والألف يُفتح ما قبلها ؟ قيل له : الدلالة على أنها في قولهم لاه أبوك هي الفاء وليست الجارة ، أنها لو كانت الجارة في لاه وفتحت لمجاورة الألف لوجب أن تكسر في لاهي ولا تفتح ، لزوال المعنى الذي أوجب فتحه ، وهو مجاورة الألف . فعلمت أن الفتح لم يكن لمجاورة الألف .

فإن قال : ترك في القلب كما كان في غير القلب ، فذلك دعوى لا دلالة عليها ، ولا يستقيم في القلب ذلك . ألا تراهم قالوا جاء في قلب وجه ، وفقاً في فوق . فإذا كانوا قد خصّوه بأبنية لا تكون في المقلوب عنه دل على أنه ليس يجب أن يكون كالمقلوب عنه . على أن ادعاء فتح هذه اللام مع أنها الجارة ، لا يسوغ في اللغة التي هي أشيع وأقضى . ولم تفتح ^(١) في هذه اللغة الشائعة إلا مع المنادى ، وذلك لمضارعتة المضمّر . فإذا لم يجوز ذلك ثبت أنها فاء الفعل ، وإذا ثبت ذلك ثبت أن الجارة مضمرة ، لا بد من ذلك . ألا ترى أنك إن لم تضمّر يتصل الاسم الثاني بالأول ، لأنه ليس إياه . فالمعنى إذا : لله أبوك .

ومما يدل على فساد قول من قال إن هذه اللام هي الجارة أنها إذا كانت إياها كانت في تقدير الانفصال من الاسم ، من حيث كان العامل في تقدير الانفصال عن المعمول فيه ، فإذا كان كذلك فقد ابتداء الاسم أوله ساكن . وذلك مما قد رفضوه ولم يستعملوه . ألا ترى أنهم لم يخففوا الهمزة إذا

(١) ط : ه ولم يفتح ه ، وأثبت ما في ش .

كانت أول كلمة من حيث كان تخفيفها تقريباً من الساكن . فإذا رفضوا التقريب من الساكن في الابتداء - فإن يرفضوا فيه الابتداء بالساكن نفسه أولى .

ويدل على فساد ذلك أنهم لم يخرموا [أول] ^(١) متفاعلين كما خرموا أول فعولن ومفاعلين ونحو ذلك ، مما يتوالى في أوله متحرركات ^(٢) لأن متفاعلين يسكن ثانيه للزحاف ، فيلزم لو خرموه كما خرم فعولن الابتداء بالساكن ^(٣) . وعلى هذا قال الخليل : لو لفظت بالدال من قد ، والباء من اضرب لقلت أد ، وإب ، فاجتلبت همزة الوصل . وقال أبو عثمان : لو أعللت الفاء من عدة وزنة ونحوهما ولم تحذفها للزمك أن تجتلب همزة الوصل فيها فتقول : إعدة ^(٤) . ومن زعم أن الهمزة في أنا كان الأصل فيها ألفاً ^(٥) ثم أبدل منها همزة فقد جهل ما ذكرناه من مذاهب العرب ومقاييس النحويين . فأمّا أمسي فقد جوزت العرب فيه ضربين : ضمّنها قوم معنى الحرف فبنوها في كل حال ، وعدّها آخرون فلم يصرفوه ، فهؤلاء جعلوه بمنزلة سحر في باب العدل وأنهم لم يضمّنوه الحرف . فأمّا أخر والعدل فيه فله موضع آخر يذكر فيه إن شاء الله تعالى .

انتهى كلام أنى على ، ولتعلق جميعه بهذا الباب سقناه برمته ، ليكون كالتيمة له ، وبالله التوفيق .

والبيت من قصيدة لذي الإصبع العلواني ، وهو شاعر جاهلي ، صاحب السند

(١) التكملة من ش .

(٢) ش : « متحركان » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) ش : « لو خرمه كما خرم » فقط .

(٤) ش : « إعدة » ، والوجه ما في ط .

(٥) ط : « ألف » ، صوابه في ش .

وتقدمت ترجمته في الشاهد الخامس والثمانين بعد الثلاثمائة (١) . وعدتها في رواية الفضل (في الفضليات) ثمانية عشر بيتاً ، وفي رواية ابن الأنباري في شرحها عن أبي عكرمة ، ورواية أبي علي القالي في أماليه ، ستة وثلاثون بيتاً . واقتصرنا على رواية الفضل . قالها في ابن عيم له كان ينافسه ويُعاديهِ ، وهي :

(لى ابن عيم على ما كان من خلق
أزرى بنا أننا شالت نعمتنا
يا عمرو ، ألا تدع شتى ومنقصتي
لإبن عمك لأفضلت في حسب
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة
إنني لعمرك ما باى بذى غلق
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق
عف يؤوس إذا ما خفت من بلد
عنى إليك فما أمتى براعية
كل امرئ راجع يوماً لشيئته
إننى أبى أبى ذو محافظة
وأنتم معشر زبد على مائة
فإن عرفتم سبيل الرشد فانطلقوا
ماذا على وإن كنتم ذوى كرم

مختلفان فأقلية وتقلينى
فخالنى دونه وخلته دونى
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى
عننى ولا أنت ديان فتخزوني
ولا بنفسك في العزاء تكفينى
عن الصديق ولا خيري بممنون
بالفاحشات ، ولا فتكى بمأمون
هوناً فلسْتُ بوقاف على الهون
ترعى المخاض وما رأيت بمغبون
وإن تخالق أخلاقاً إلى حين
وابن أبى أبى من أبين
فأجمعوا أمركم كلاً فكيلونى
وإن جهلتم سبيل الرشد فأتونى
أن لا أحبكم إن لم تحبوني (٢)

٢٢٧

(١) الخزائن ٥ : ٢٨٤ .

(٢) ش : ١ : إذ لم تحبوني .

لو تشربون دمي لم يَرَوْ شارِبكم
 الله يَعْلَمْنِي والله يَعْلَمْكُمْ
 قد كنتُ أوتيكم نصحي وأمنحكم
 لا يُخرج الكَرهُ مِنِّي غيرَ مَأْيَةٍ
 ولا دماؤْكُمْ جمعاً تروْنِي
 والله يَجْزِيكُمْ عَنِّي وَيَجْزِينِي
 وَدَّى عَلَى مُثَبِّتِ فِي الصُّدْرِ مَكْنُونِ
 ولا أَلَيْنُ لِمَنْ لا يَتَغْنَى لِينِي)

ومن رواية أبي عكرمة :

(فَإِنْ تُرِدْ عَرْضَ الدُّنْيَا بِمَنْقَصَتِي
 ولا يرى فِي غيرِ الصُّبْرِ مَنْقَصَةٌ
 لولا أياصْرُ قُرْبِي لَسْتُ تَحْفَظُهَا
 إِذَنْ بَرِيَّتْكَ بَرِّيًّا لا انْجَبَارَ لَهُ
 إِنَّ الَّذِي يَقْبِضُ الدُّنْيَا وَيَسْطُهَا
 يَاعْمُرُو ، لو لَنْتَ لِي الْفَيْتَنِي بَشْرًا
 وَاللهِ لو كَرِهْتُ كَفَى مَصَاحِبَتِي
 فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يُشْجِينِي
 وما سِوَاهُ فَإِنَّ اللهَ يَكْفِينِي
 وَرَهْبَةُ اللهِ فِيمَنْ لا يَعَادِينِي
 إِنْ رَأَيْتُكَ لا تَنْفَكُ ثَبْرِي
 إِنْ كَانَ أَغْنَاكَ عَنِّي سَوْفَ يُغْنِينِي
 سَمَحًا كَرِيمًا أَجَازِي مِنْ يَجَازِينِي ^(١)
 لَقَلْتُ إِذْ كَرِهْتُ قُرْبِي لَهَا يَنِينِي)

وقوله : « لِي ابْنِ عَمٍّ ، عُلِمَ مِنْ هَذَا ، أَنَّهُمَا اثْنَانِ . فَقَوْلُهُ مَخْتَلِفَانِ خَيْرٌ
 مَبْتَدَأُ مَضْمَرٍ ، أَيْ نَحْنُ .

وقوله : « مِنْ خَلْقٍ » أَيْ مِنْ تَخَالُفٍ . وَكَانَ تَأَمَّةٌ أَيْ ثَبَتَ ، وَمِنْ بَيَانٍ
 لَهَا .

ومطلع القصيدة على رواية أبي عكرمة والقالِي :

(يَا مَنْ لَقَلْبٍ شَدِيدِ الْهَمِّ مُحْزُونِ أَمْسِي تَذَكَّرَ رِيًّا أُمَّ هَارُونِ)

(١) ط : « لو كنت لِي » ، صوابه فِي ش . وفي المفضليات ١٦٤ : « يَسْرًا » .

أَمْسَى تَذَكَّرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَحَطَتْ وَالدَّهْرُ ذُو غُلْظَةٍ حِينًا وَذُو لِينٍ
فَإِنْ يَكُنْ حُبُّهَا أَمْسَى لَنَا شَجْنَا فَأَصْبَحَ الْوَأَى مِنْهَا لَا يَوَاتِينِي
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمِلَ الدَّهْرُ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا وَرِيًّا لَا تُعَاصِينِي
تَرْمِي الْوَشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوَدِّ مَكْنُونٍ
وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خَلْقٍ إِلَى آخِرِهِ

وَالشَّجْنُ : الْحَزَنُ . وَالْوَأَى : الْوَعْدُ . وَغَنِينَا : أَقْمَنَا .

وَقَوْلُهُ أَزْرَى بَنَّا ، إِخْلُ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : يُقَالُ أَزْرَى بِهِ ، إِذَا قَصُرَ ^(١) ،
وَزَرَّى عَلَيْهِ إِذَا عَابَهُ . وَقَوْلُهُ : « شَالَتْ نَعَامَتُنَا » أَيْ تَفَرَّقَ أَمْرُنَا وَاخْتَلَفَ .
يُقَالُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْقَوْمِ : شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ، وَزَفَّ رَأْلُهُمْ . وَالرَّأْلُ : فَرْخُ
النَّعَامِ . وَقِيلَ يُقَالُ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ، إِذَا جَلَّوْا عَنِ الْمَوْضِعِ . وَالْمَعْنَى : تَنَافَرْنَا
فَصَرْتُ لَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَيَّ ، وَيُقَالُ أَلْقَوْا عَصَاهُمْ ، إِذَا سَكَنُوا
وَاطْمَأْنَنُوا . انْتَهَى .

وَقَالَ الزَّخَّشِيُّ (فِي الْمُسْتَقْصَى) : شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ، أَيْ تَفَرَّقُوا
وَذَهَبُوا . لِأَنَّ النِّعَامَةَ مَوْصُوفَةٌ بِالْخِفَّةِ وَسُرْعَةِ الدَّهَابِ وَالْهَرَبِ . وَيُقَالُ أَيْضًا
خَفَّتْ نَعَامَتُهُمْ وَزَفَّ رَأْلُهُمْ . وَقِيلَ : النِّعَامَةُ : جَمَاعَةُ الْقَوْمِ . وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ مَعَ
أَيَّاتٍ أُخْرَى .

وَقَوْلُهُ : « يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي » إِخْلُ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : قَالَ
الْأَصْمَعِيُّ : الْعَرَبُ تَقُولُ : الْعَطَشُ فِي الرَّأْسِ . وَأَنْشَدَ قَوْلَ الرَّاجِزِ :

قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي مَرُوءِي هَامِيهَا وَمُذْهَبُ الْغَلِيلِ مِنْ أَوَامِيهَا

« إِذَا جَعَلْتُ الدَّلْوَ فِي خِطَامِهَا »

(١) ط : « قصد » ، صوابه في ش .

الغليل : شدة العطش . والأوام : حرَّ تجده في أجوافها . وأنشد أيضاً :

* ستعلم إن متنا صدى أينما الصدى ^(١) *

صدى أى عطشنا . والمعنى : إن لا تدع شتمى اضربك على هامتك حيث نعطش . ويقال إن الرجل إذا قُتل فلم يُدرَك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح : اسقوني اسقوني ! حتى يُقتل قاتله . وأنشد في ذلك : فإن تك هامة بهراً تزقو فقد أزيقت بالمروين هاما ^(٢) . انتهى

قال الشريف المرتضى (في أماليه) بعد نقل هذا : وهذا باطل لا أصل له . ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب .

وقوله : (لا إبن عمك) إلخ أصله : لله ابن عمك ، فحذف لام الجر مع لام التعريف وبقي عمله شذوذاً ، وهو خبر مقدم ، وابن عمك مبتدأ مؤخر ، واللام المحذوفة للتعجب ^(٣) .

ونقل الشريف المرتضى عن ابن دريد أنه قال : أقسم وأراد : لله ابن عمك ، فتكون اللام للقسم ، وجملة لا أفضلت جوابه .

وهذا غير صحيح ، لأنه يبقى قوله ابن عمك ضائعاً .

وقال ابن هشام (في المغنى) : أصله لله درُّ ابن عمك . وهذا تكلف لأنه إجحاف مستغنى عنه بجعل اللام للتعجب ، ويكون جملة لا أفضلت إلخ

(١) لطرفة في معلقته . وصدرة :

• كريم يروى نفسه في حياته •

(٢) لعبد الله بن حازم السلمي ، في الأمالي ٣ : ٣١ والمخصص ٨ : ١٦٢ والحيوان ٢ :

٢٩٩ .

(٣) ما بعدها إلى • للتعجب • التالية في آخر الصفحة ساقط من ش .

بيانا وتفسيراً لجهة التعجب من كمال صفاته ، المقتضى للتعجب منها .

وقال ابن الأنباري : وروى : « لاه ابن عمك » بالخفض ، وهو قسم ،
المعنى : رَبَّ ابن عمك بخفض رَبِّ ، فيكون على هذا رَبَّ تابعا للفظ الجلالة
بالوصفية ، ويكون جملة لا أفضلت إلخ جواب القسم ، واللام المضمة
للقسم ، ولاء مقسم به .

وقد أورد الشارح المحقق هذا البيت (في عن) من حروف الجر ، على
أنها هنا في بابها من المجاوزة ، وأفضلت مضمّن معنى تجاوزت في الفضل .
وأورده ابن هشام (في المغنى) على أن عن فيه بمعنى على ، قال : لأن
المعنى المعروف : أفضلت عليه .

وهذا قول ابن السكيت (في إصلاح المنطق) ، وتبعه ابن قتيبة وغيره .

٢٢٩

قال ابن السيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : ذهب يعقوب بن
السكيت ، ومن كتابه نقل ابن قتيبة هذه الأبواب ، إلى أن عن ههنا بمعنى
على . وإنما قال ذلك لأنه جعل أفضلت من قولهم أفضلت على الرجل ، إذا
أوليته فضلا . وأفضلت هذه تتعدى بعلى ، لأنها بمعنى الإناعام . ومعناه إنك لم
تعم على بأن شرفتنى فتعتد^(١) بذلك على . وقد يجوز أن يكون من قولهم :
أعطى وأفضل ، إذا زاد على الواجب . وأفضل هذه أيضا تتعدى بعلى ، يقال

(١) ط : « فتعتدى » ، صوابه في ش والاعتضاب ٤٤٢ .

أفضل على كذا ، أى زاد عليه فضلة . وقد يجوز أن يكون من قولهم : أفضل الرجل إذا صار ذا فضل فى نفسه ، فيكون معناه ليس لك فضل تنفرد به عني وتحوزه دوني . فتكون عن هنا واقعة موقعها غير مبدلة من على . انتهى .

ومنه أخذ ما نقله ابن الملا بقوله : قيل ضمن أفضل معنى انفرد ، فعدي بعن ، لأنه إذا أفضل عليه فى الحسب أى زاد فقد انفرد عنه بتلك الزيادة . وقيل هى على بابها ، لأنه إذا كان أفضل وكان فوقه فى الحسب فقد زاد عنه وصار فى حيز ، فكأنه يقول : ما زاد قلرك عن قلدى ، ولا ارتفع شأنك عن شأني . انتهى .

هذا وقد روى صاحب الأغاني (١) :
لا إله ابن عمك لأفضلت فى حسب شيئاً

وعليها لا يكون فى البيت عن ، فلا يأتى هذا البحث .

وعلى تلك كان الظاهر أن يقول « عنه » بضمير الغائب ، لكنه التفت من الغيبة إلى التكلم .

قال ابن السيد : ويعنى باین العم المذكور نفسه ، فلذلك رد الإخبار بلفظ المتكلم ولم يُخرجه بلفظ الغيبة ، لئلا يتوهم أنه يعنى نفسه . ولو جاء بالكلام على لفظ الغيبة لكان أحسن ، ولكنه أراد تأكيد البيان ورفع الإشكال .

و (الحسب) : ما يعلّه الإنسان من مآثر نفسه .

و (الديان) : القيم بالأمر المجازى به ، وهو فعّال من الدين وهو الجزء . وفى القاموس : الديان : القهار ، والقاضى ، والحاكم ، والمجازى الذى لا يُضيع عملاً ، بل يجزى بالخير والشر .

و (تمزوني) بالخفاء والزاي المعجمتين : مضارع خزاه خَزَوْا بالفتح :
 ساسه وقهره وملكه . وأما الخَزَى بالكسر وهو الهوان والدُّلُّ فالفعل منه
 كرضى . وأخزاه الله : فضحه . قال الدماميني : يحتمل الرفع والنصب في
 تمزوني ^(١) كما يحتملها نحو : ما تأتينا فتحدثنا ، أى ولا أنت مالكي فأنت
 تسوسني ، أو ليس لك ملك فسياسة . وعلى تقدير النصب فالفتحة مقدّرة
 كما في قوله :

* أَيْيَ اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأَمْ وَلَا أَبِ ^(٢) *

وليس بضرورة . وقد قرئ في الشواذ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي
 يَبِيدُهُ عُقْلَةُ النِّكَاحِ ^(٣) ﴾ ، بإسكان الواو من يعفو الذي . انتهى .

وقال ابن السّيد : وقوله لا أفضلت ، معناه لم تُفضل . والعرب تقرن
 لا بالفعل الماضي فينبوب ذلك مناب لم إذا قرنت بالفعل المستقبل . فمن
 ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ^(٤) ﴾ . معناه : لم يصدق ولم
 يصل . ومنه قول أبي خراش :

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبِيدِ لَكَ لَا أَلْمَا

ومعنى البيت : لله ابن عمك الذي سبائك في الحسب ، ومائلك في

(١) ش : « تمزوني » .

(٢) لعامر بن الطفيل في ديوانه ١٠ . وصدّره كما في الديوان والخزانة ٣ : ٢٥٧ بولاق
 وتفسير أبي حيان ٢ : ٢٣٧ :

« فما سودتنى عامر عن وراثة » .

(٣) الآية ٢٣٧ من البقرة . وهذه قراءة الحسن ، كما في القراءات الشاذة لابن خالويه ١٥
 وتفسير أبي حيان . وقال أبو حيان : « وقرأ الحسن : أو يعفو بتسكين الواو ، فتسقط في الوصل
 لالتقاء ساكنة مع الساكن بعدها » .

(٤) الآية ٣١ من القيامة .

الشرف ، فليس لك فضل عليه فتفتخر به ، ولا أنت مالك أمره فتسوسه وتصرفه على حكمك .

وقوله : « ولا تقوتُ على » إلخ تقوت : تعطى القوت . والمسغبة :

المجاعة . والعزاء بفتح العين المهملة وتشديد الزاى : الضيق والشدة . ٢٣٠

وقوله : « إئنئى لعمرک » إلخ الممنون : المقطوع ، أو من المنة .

وقوله : « عفَّ يؤوس » إلخ أى أعف عما ليس لى ، لست بذى طمع ، آيس مما فى أيدى غيرى فلا تتبعه نفسى . والهون ، بالضم : الدل .

وقوله : « فما أُمى براعية » أى لست باهن أمة . عرض به وكان ابن أمة . وإنما خص رعية المخاض لأنها أشد من رعية غيرها ، ولا يمتهن فيها إلا من لم يُبال به .

وقوله : « إئنئى أبئى » إلخ قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : كسرة النون من أبين حركة التقاء الساكنين ، وهما الياء والنون ، وكسرت النون على أصل التقاء الساكنين إذا التقيا . ولم تفتح كما تفتح نون الجمع ، لأن الشاعر اضطرَّ إلى ذلك لكلا يختلف حركة حرف الروى فى سائر الأبيات .

وقوله : « وأنتم معشر » إلخ زَيْد : زيادة . وأجمع أمره ، بألف ، قال تعالى : ﴿ فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ^(١) ﴾ .

وقوله : « لا يُخرج الكره » هو فاعل يُخرج ، يقول : إذا أُكرهْتُ على الشيء لم يكن عندى إلا الإباء له ، لا أعطى على القسر شيئا . والمأبىة : مصبر ، كالإباء .

(١) الآية ٧١ من يونس .

النكرة والمعرفة

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٢٤ (أَطْبَى كَانَ أُمُّكَ أَمْ حِمَارُ)

على أَنَّ الضمير المستتر في كان نكرة ، لأنَّه عاد على نكرة غير مختصة بشيء ، وهو ظبي .

وقد تكلم الشارح المحقق عليه في باب الأفعال الناقصة ، وسيأتى إن شاء الله الكلام عليه هناك .

ولنشرح هنا الشعر ونعيِّن قائله فنقول :

هو من أبيات أوردها أبو تمام (في كتاب مختار أشعار القبائل) ،

صاحب الشاهد ونسبها لثروان بن فزارة بن عبد يغوث العامري ، وهي :

دعاهم رائد لهم فساروا	(وكائن قد رأيت من أهل دار)	أبيات الشاهد
فلا عين تُحَسُّ ولا أثار	فأصبح عهدهم كمَقْصَرٍ قرن	
فلا عجبٌ بذاك ولا سُخَّار	لقد بدلتُ أهلاً بعدَ أهل	
أَطْبَى كَانَ أُمُّكَ أَمْ حِمَارُ	فإنَّكَ لا يضرُّكَ بعدَ عام	
وماج اللؤم واختلط النجار	فقد لحق الأسافلُ بالأعلى	
وسيق مع المُعلَّهجة العِشَارُ)	وعاد العبدُ مثلَ أَى قُبَيْس	

(١) في كتابه ١ : ٢٣ والمقتضب ٤ : ٩٣ وابن عيمش ٧ : ٩١ ، ٩٤ والمغنى ٥٩٠ وشرح

شواهد السيوطي ٣١٠ .

وقوله : « وكائن » هى خبرية بمعنى كم الخبرية . والرائد : الذى يُرسل فى طلب الكلاء .

وقوله : « فأصبح عهدهم » إلخ العهد بالفتح : المنزل الذى لا يزال القوم إذا بُعدوا عنه رجعوا إليه ؛ وكذلك المعهد . وقوله : « كمقصّ قرن » قال أبو تمام : أى كمقطع قرن . يريد : خلت ديارهم . وقيل : مَقَصُّ قرن : جبل مشرف على عرفات أيضًا . وليس يريد . انتهى .

قال أبو محمد الأعرابى : مَقَصَّ : موضع تقتص فيه الأرض ، أى لا يوجد لهم ولعهدهم أثر ، كما لا يوجد أثر من يمشى على صخرة . وقرن : جبل . انتهى . وتُحَسُّ بالبناء للمفعول ، من أحسَّ الرجل الشيء إحساسًا ، أى علم به . والأثار بالفتح ، هو الأثر . ويقال أثارة أيضًا بالهاء .

وقوله : « لقد بدلت أهلك » إلخ بالبناء للمفعول . والسُّخار بضم السين وكسرهما : اسم للسُّخريّة والاستهزاء .

وقوله : « فإنك لا يضرك » هذه رواية أنى عبدة . ورواه مؤرّج السِّلوسى (فى أمثاله) : « فإنك لا يَضُورك » يقال ضاره يضوره ويضويه بمعنى . وروى : « حول » بدل عام . ولم أر رواية « فإنك لا تبالي » لأحد إلا للنحوين . وقوله : (أظنى كان) إلخ هذه هى الرواية المشهورة التى رواها سيبويه فمنّ دونه من النحاة . وقال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى ردّه على ابن السيرافى فى شرح أبيات سيبويه) : كيف يكون الظبى والحمار أميين وهما ذكرا الحيوان ؟ حتّى إن المثل يُضرب بالحمار فيقال :

« من ينك العير ينك نياكا »

والصواب ما أنشدناه أبو الندى :

* أطبى ناك أمك أم حمار *

وإنما قلبت اللفظة تحرجا^(١) فيما أرى ، ثم استشهد به النحويون على ظاهره . وهذه الأبيات قطعة طريفة أكتبها أبو الندى ، وذكر أنها لثروان بن فزارة بن عبد يغوث بن ربيعة بن عمرو بن عامر . انتهى .

أقول^(٢) : يدفع ما توقّف فيه بأن أم هنا معناه الأصل . وهذا معنى شائع لا ينبغي العدول عنه ، فإن الأم في اللغة تطلق^(٣) على أصل كل شيء ، سواء كان في الحيوان أو في غيره .

وقال الأعلام : وصف في البيت تغير الزمان وأطراح مراعاة الأنساب . ويتصل به ما بينه ، وهو قوله :

* فقد لحق الأسافل بالأعلى *

فيقول : لا تبالي بعد قيامك بنفسك ، واستغنائك عن أبويك ، من انتسبت إليه من شريف أو وضع . وضرب المثل بالطبي والحمار ، وجعلهما أمين ، وهما ذكران ، لأنه مثل لا حقيقة ، وقصد قصد الجنسين ولم يحقق أبوة . وذكر الحول لذكر الطبي والحمار^(٤) لأنهما يستغنيان بأنفسهما بعد الحول ، فضرب المثل بذكره للإنسان لما أراد من استغنائه بنفسه . انتهى .

وقوله : « وماج اللوم » إلخ ماج يموج^(٥) . واللوم : دناءة النفس

(١) ط : « تحرجا » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « وقال » ، صوابه في ط .

(٣) ش : « يطلق » .

(٤) ش : « تذكر الطبي والحمار » ، صوابه في ط .

(٥) ش : « ماج تموج » .

والآباء . والتجار بكسر النون وضمها بعدها جيم : الأصل : أى ذهب السوؤد وغلب على الناس اللوم والدناءة ، واشتبه الأصل والنسب ، حتى لو بقوا على هذه الحالة سنة لا يبالي إنسان أهجينا كان أو غير هجين .

وقوله : « مثل أى قيس » هو مصغر أبو قابوس ، وهو كنية النعمان ابن المنذر ملك الحيرة . وقابوس : معرب كاووس ، اسم ملك من ملوك الفرس القديمة . وقال أبو محمد الأعراني : الذى أنشدناه أبو الندى :

* وعادَ الفندُ مثلَ أى قيس *

ورواية الناس : « العبد » . وذكر أبو الندى أنه تصحيف . والفند بكسر الفاء وسكون النون : قطعة من الجبل طولاً ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قيس : جبل بمكة ، سُمي برجل من مذحج حداد ، لأنه أول من بنى فيه . وفي القاموس : « الملهج كمزعر : الأحمق اللثيم ، والهجين . وحكم الجوهرى بزيادة هائه غلط » . والهجين : اللثيم ، وعربى ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه . وفسر هجين : غير كريم ، كالبرذون . والعشار بالكسر : جمع عشير ، وهو القريب والصديق ، أو جمع عشاء ، والعشاء من التوق : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية ، أو هى كالتفساء . وقال أبو محمد الأعراني : الفند كناية عن الرجل الوضيع . وأبو قيس : الرجل الشريف . والمُلهجة : الفاسدة النسب ، أى تزوجت هذه الملهجة ومهرت مهر الشريفة .

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ نَحْبَتْ مَطْيَتِي مَسَافَةً أَرْبَاعِ ثُرُوحٍ وَتَغْتَدِي

ونسبه صاحب الجمهرة ، وابن حجر (في الإصابة) عنه كذا : ثروان
بن فزارة بن عبد يغوث بن زهير الصّتم بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة
ابن عامر بن صعصعة .

والصّتم بفتح الصاد وسكون التاء المثناة الفوقية : لقب زهير ، ويقال له
زهير الأكبر .

صاحب الشاهد

ونسب سيبويه هذا البيت لخداش بن زهير . وزهير هذا هو زهير الصّتم
المذكور ، وهو أخو عبد يغوث جدّ ثروان الصحاني . قال المرزباني : هو
جاهلي . وأورده ابن حجر (في الإصابة) في قسم المخضرمين الذين أدركوا
 زمن النبي - ﷺ - ولم يجتمعوا به . قال : خداش بن زهير العامري ، شهد
حُتينا مع المشركين ، وله في ذلك شعر يقول فيه :

يا شُدَّةَ ما شَدَدْنَا غَيْرَ كاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

ثم أسلم خداش بعد ذلك بزمان ، ووفد ولده سمساع على عبد الملك
يتنازعون في العِرافة ، فنظر إليه عبد الملك فقال : قد وليتكَ العِرافة . فقام قومه
وهم يقولون : فَلَجَ ابنُ خداش ^(١) ! فسمعهم عبد الملك فقال : كَلَّا وَاللَّهِ
لا يهجون أبوك في الجاهلية ونسودك في الإسلام . وذكر البيت المتقدم . والمراد
بقوله « سَخِينَة » قريش . وذكر المرزباني أنّه جاهلي ، وأنّ البيت الذي قاله في
قريش كان في حرب الفجار . وهذا أصَوَّب . انتهى .

(١) فلج : غلب وفاز . وفي الإصابة ٢٣٢٣ : « فلج » ، صوابه هنا .

ونسب العسكري (في كتاب التصحيف) البيت الشاهد ثرارة
ابن قروان ^(١) من بنى عامر بن صعصعة ، وقال : الفاء في قروان مفتوحة .
ولم أر زارة هذا في الأقسام الأربعة من الإصابة ، ولا في جمهرة
الأنساب لابن الكلبي . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وقد تقدم شرحه في الشاهد الخامس والخمسين ^(٢) :
(ولقد أمرُ على اللّيم يسبني)

على أنه يجوز وصف المعرفة باللام الجنسية بالنكرة كما هنا ، فإن جملة
يسبني نكرة وقعت وصفاً للميم .

وفيه أنهم قالوا : الجُمْل لا تتصف بتعريف ولا تنكير . وقالوا أيضاً :
إن الجملة بعد المعرفة باللام الجنسية يحتمل أن تكون حالاً منه وأن تكون
وصفاً له . ومثلوا بهذا البيت . منهم ابن هشام (في المغنى) وغيره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الخمسمائة ^(٣) :
٥٢٥ (أَرِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا تَزَلُ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ)

(١) في النسختين : « فروان » بالزاي المعجمة في الموضعين ، صوابه من التصحيف للعسكري
٤١٥ . ومادة (فرا) ليست في المعاجم . وأما فروان بالراء المهملة فقد ذكر في القاموس واللسان .
وقال ابن منظور : « فروة وفروان : اسمان » .

(٢) الخزائنة ١ : ٣٥٧ .

(٣) الخصائص ٢ : ٣٦١ / ٣ : ١٣١ وابن عيش ٨ : ٥ ، ١١٠ ، ١٤٨ / ٩ : ١٨ ،
٥٢ والمغنى ١٧١ ، ٣٤٢ ، والعينى ١ : ٨٠ / ٢ : ٣١٤ والتصریح ١ : ٢٦ والمجمع ١ : ١٤٣ وديوان
النابعة ٢٧ من مجموع خمسة دواوين .

على أن (قد) كلمة مستقلة يصلح الوقف عليها .

وهذا الفصل قد أخذه الشارح المحقق من سر الصناعة لابن جنى ،
وهذه عبارته فيه ، قال :

وذهب الخليل إلى أن حرف التعريف بمنزلة قد في الأفعال ، وأن الهمزة
واللام جميعاً للتعريف . وحكى عنه أنه كان يسميها أل ، كقولنا قد ، وأنه لم
يكن يقول الألف واللام كما لا تقول في قد القاف والدال . ويقوى هذا
المذهب قطع أل في أنصاف الآيات ، نحو قول عبيد :

يا خليلي أربعا واستخيرا ال سَنَزِلُ الدارسَ من أهل الحلال
مثل سَخَقِ البُردِ عَفَى بَعْدَكَ ال قَطَّرَ مَغْنَاهُ وتَأَوَّبَ الشَّمَالِ

وهذه قطعة لعبيد مشهورة ، عددها بضعة عشر بيتاً ، يطرد جميعها
على هذا القطع الذي تراه ، إلا بيتاً واحداً من جملتها . ولو كانت اللام وحدها
حرفاً للتعريف لما تجاوز فصلها من الكلمة التي عرّفها ، لاسيما واللام ساكنة ،
والساكن لا يُنَوَى به الانفصال . ويقوى ذلك أيضاً قول الآخر (١) :

عَجَلْ لَنَا هَذَا وَالْحَقْنَا بِذَالِ الشَّحِمِ إِنَّا قَدْ أَجْمَنَاهُ بَجَلْ

فإفراده أل ، وإعادته إيّاها في البيت الثاني يدلّ من مذهبهم على قوّة
اعتقادهم لقطعها ، فصار قطعهم أل وهم يريدون الاسم بعدها ، كقطع
النابغة قد وهو يريد الفعل بعدها . وذلك قوله :

أَفَدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رَكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرَحَالِنَا وَكَانَ قَدِ

(١) هو ذو الرمة ، وليس في ديوانه ولا ملحقاته . وانظر سيبويه ٣ : ٣٢٥ من نسختي .

ألا نرى أنَّ التقدير فيه : وكأنَّ قد زالت ، فقطعُ قد من الفعل كقطع
 أل من الاسم . وعلى هذا أيضًا قالوا في التذكُّر : قام ال ، إذا نويت بعده
 كلامًا ، أى الحارث والعباس ، فجرى هذا مجرى قولك في التذكر : قدى ،
 أى قد انقطع ، أو قد قام ، أو قد استخرج ، ونحو ذلك . وإذا كان أل عند
 الخليل حرفًا واحدًا فقد كان ينبغي أن تكون همزته مقطوعة ثابتة ، كقاف قد
 وباء بل ، إلا أنه لما كثر استعمالهم لهذا الحرف عُرف موضعه ، فحذفت همزته
 كما حذفوا : لم يك ولم أذر ولم أبُل . ويؤكد هذا القول عندك أيضًا أنهم قد
 أثبتوا هذه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل البتة ، وذلك نحو قول الله عز
 وجل : ﴿ اللَّهُ أَذْنٌ لَّكُمْ ^(١) ﴾ و : ﴿ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيْنِ ^(٢) ﴾ ونحو
 قولهم فى القسم : أفاً لله ، ولاها الله ذا . ولم نر همزة الوصل ثبتت فى نحو
 هذا ، فهذا كله يؤكد أن همزة أل ليست بهمزة وصل ، وأنها مع اللام كقد
 وهل ونحوهما . انتهى كلامه .

ثم أخذ فى تأييد المذهب بكون اللام هى المعرفة ، ونقض مذهب
 الخليل فقال : وأما ما يدلُّ على أنَّ اللام وحدها هى حرف التعريف وأنَّ الهمزة
 إنما دخلت عليها لسكونها فهو جَرُّ الجارِّ إلى ما بعد حرف التعريف ، وذلك
 نحو قولهم : عجبت من الرجل ، ومررت بالغلام ، فنفوذ الجرِّ بحرفه إلى ما بعد
 التعريف يدلُّ على أنَّ حرف التعريف غير فاصلٍ عندهم بين الجارِّ والمجرور .
 وإنما كان كذلك ^(٣) لأنَّه فى نهاية اللطافة والاتصال بما عرَّفه . وإنما كان

(١) الآية ٥٩ من يونس .

(٢) الآية ١٤٤ من الأنعام .

(٣) ط : : ذلك .

كذلك لأنه على حرف واحد ولا سيما وهو ساكن (١).

ولو كان حرف التعريف عندهم حرفين كقد وهل لما جاز الفصل به بين الجار والمجرور ، لأنَّ قد وهل كلمتان بائنتان قائمتان بأنفسهما . ألا ترى أنَّ أصحابنا أنكروا على الكسائي وغيره في قراءته : ﴿ ثُمَّ لَيَقْطَعُ ﴾ (٢) بسكون اللام . وكذلك : ﴿ ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ (٣) ؛ لأنَّ ثُمَّ قائمة بنفسها ، لأنها على أكثر من حرف واحد ، وليست كواو العطف وفائه ، لأنَّ تينك ضعيفتان متصلتان بما بعدهما ، فلطفتا عن نية فصلهما وقيامهما بأنفسهما . وكذلك لو كان حرف التعريف في نية الانفصال لما جاز نفوذ الجرِّ إلى ما بعد حرف التعريف . وهذا يدلُّ على شدة امتزاج حرف التعريف بما عرّفه . وإنَّما كان كذلك لقلته وضعفه عن قيامه بنفسه ، ولو كان حرفين لما لحقته هذه القلة ، ولا تجاوز حرف الجرِّ إلى ما بعده .

٢٣٤

ودليل آخر يدلُّ على شدة اتصال حرف التعريف بما دخل عليه ، وهو أنَّه قد حدث بدخوله معنى فيما عرّفه لم يكن قبل دخوله ، وهو معنى التعريف ، فصار المعروف كأنه غير ذلك المنكور وشيء سواه . ألا ترى إلى إجازتهم الجمع بين رجل والرجل ، قافيتين في شعر واحد ، من غير اشتكراه ولا اعتقاد إبطاء . فهذا يدلُّك على أنَّ حرف التعريف كأنه مبنئ مع ما عرّفه ، كما أنَّ ياء التحقير مبنية مع ما حقّره ، وكما أنَّ ألف التفسير مبنية

(١) في النسختين : « ولا سيما ساكن » . وانظر ابن يعيش ٩ : ١٨ س ٢ حيث أرى أن ابن

يعيش إنما يلخص كلام ابن جني .

(٢) الآية ١٥ من الحج .

(٣) الآية ٢٩ من الحج .

مع ما كسّره . فكما جاز أن يجمع بين رَجَلِكُمْ وَرُجُلِكُمْ ^(١) قافيتين ، وبين درهمكم ودرهمكم ، كذلك جاز أيضا أن يجمع بين رجل والرجل ، لأن النكرة شيء سوى المعرفة ، كما أن المكبر غير المصغر ، وكما أن الواحد غير الجميع . فهذا أيضا دليل قوي يدل على أن حرف التعريف مبنئ مع ما عرفه ، أو كالمبني معه . ويزيدك تأنيسا بهذا أن حرف التعريف نقيض التنوين ، لأن التنوين دليل التذكير ، كما أن هذا الحرف دليل التعريف . فكما أن التنوين في آخر الاسم واحد ، فكذلك حرف التعريف من أوله ينبئ أن يكون حرفا واحدا . فأما ما يحتاج به الخليل من انفصاله عنه بالوقوف عليه عند التذكّر ، فإن ذلك لا يدل على أنه في نية الانفصال منه ، لأن لقائل أن يقول : إنه حرف واحد ، ولكنّ الهمزة لما دخلت على اللام فكثرت اللفظ بها ، أشبهت اللام بدخول الهمزة عليها من جهة اللفظ لا المعنى ، ما كان من الحروف على حرفين ، نحو : هل ، ولو ، ومن ، وقد ، فجاز فصلها في بعض المواضع . وهذا الشبه اللفظي موجود في كثير من كلامهم . ألا ترى أن أحمد وبابه مما ضارِع الفعل لفظا ، إنما روعيت به مشابة اللفظ ، فمُنِع ما يختص بالأسماء وهو التنوين . ومن الشبه اللفظي ما حكى سيبويه من صرفهم جَدِلا وذلكلا ^(٢) ، وذلك أنه لما فقد الألف التي في جنادل وذلاذل من اللفظ ، أشبهها الآحاد ، نحو : عَلِيطٌ وَخُرْجِزٌ ، فصُرُفا كما صرفا ، وإن كان الجميع من وراء الإحاطة بالعلم أنه لا يراد هنا إلا الجمع ، فغلب شبه اللفظ بالواحد ، وإن كانت الدلالة قد قامت من طريق المعنى على إرادة الجمع . وهذا الشبه

(١) في النسختين : « ورجليكم » ، صوابه ما أثبت ، فإنه المعبر عن التصغير ، كما أن ما بعده

تمثيل جمع التكسير .

(٢) مخفف الذلاذل ، وهي أسافل القميص الطويل .

اللفظي أكثر من أن أضبطه لك . فكذلك جاز أن تشبه اللام لما دخلت
 همزة عليها فكثرتها في اللفظ ، بما جاء من الحروف على حرفين : نحو بل ،
 وقد ، ولن . وكما جاز الوقوف عليها مع التذكّر ، لما ذكرناه من مشابقتها قد
 وبل ، كذلك جاز أيضًا قطعها في المصراع الأول ومجيء ما تعرّف به في
 المصراع الثاني ، نحو ما أنشدناه لعبيد .

وأما قوله سبحانه : ﴿ اَلذَّكْرَيْنَ حَرَّمَ ﴾ وقوله : ﴿ اَللّٰهُ اُذِنَ لَكُمْ ﴾ ،
 فإنما جاز احتمالهم لقطع همزة الوصل ، مخافة التباس الاستفهام بالخبر . وأيضًا
 فقد يقطعون في المصراع الأول بعض الكلمة وما هو منها أصل ، ويأتون بالبقية
 في أول المصراع الثاني . فإذا جاز ذلك في أنفس الكلم ولم يدلّ على انفصال
 بعض الكلمة من بعض ، فعير منكر أيضًا أن يفصل لأم المعرفة في المصراع
 الأول ولا يدلّ ذلك على أنها عندهم في نية الانفصال ، كما لم يكن ذلك فيما
 هو من أصل الكلمة . قال :

٢٣٥

يا نفسُ أَكْثَلًا واضْطِجَا عَا نَفْسُ لَسْتُ بِخَالِدِهِ (١)

وهو كثير . ومنه قول الأعشى :

حَلَّ أَهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادُوا لِي وَحَلَّتْ غُلُوبَةٌ بِالسُّخَالِ (٢)

وإذا جاز قطع همزة الوصل التي لا اختلاف بينهم فيها ، نحو ما أنشده
 أبو الحسن :

أَلَا لَا أَرَى إِثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْمَةً عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مَتْنٍ وَمِنْ جُمْلٍ (٣)

(١) نسبه ابن يعيش ٩ : ١٨ - ١٩ إلى كثير . وليس في ديوانه .

(٢) ديوان الأعشى ٣ . والبال في كل من درنا وبادول تقال بالفتح وبالضم أيضًا ، وهما

موضعان .

(٣) لجمل في ديوانه ١٨١ . وانظر معجم شواهد العربية .

فأنَّ يجوز قطع الهمزة التي هي مختلف في أمرها ، وهي مفتوحة أيضًا
مشابهة لما لا يكون من الهمز إلا قطعًا ، نحو همزة أحمر ، أولى وأجلر . إلى
آخر ما ذكر ، فإنه أطال وأطاب بضعفني ما نقلنا .

وقد أوردته ^(١) الشارح المحقق في الجواز ، وفي كأن من الحروف
المشبهة بالفعل أيضًا ، على أن الفعل بعد قد مخوف ، أي كأن قد زالت .

وقد أورد ابن هشام على أن الفعل يجوز حذفه بعدها لقريظة ، وفي
التنوين أيضًا على أن دال قد لحقها تنوين الترم ، قال : تنوين الترم ، وهو
اللاحق للقوافي المطلقة بدلًا من حرف الإطلاق ^(٢) ، وهو الألف والواو
والياء ، وذلك في إنشاد بنى تميم . وظاهر قولهم أنه تنوين محصل للترم ^(٣) .
وقد صرح بذلك ابن يعيش . والذي صرح به سيبويه وغيره من المحققين أنه
جاء به لقطع الترم ، وأن الترم ، وهو التغنى ، يحصل بأحرف الإطلاق ،
لقبولها لمد الصوت فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنموا جاءوا بالنون في مكانها .
ولا يختص هذا التنوين بالاسم ، بدليل قوله : وكان قدن ^(٤) البيت . انتهى .

والبيت من قصيدة للنابغة الذبياني ، وهو من أوائل القصيدة ، وهي :
 (أَمِنْ آلِ مِيَّةَ رَائِحٍ أَوْ مَغْتَدَى عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزُودٍ)
 زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحَلَتْنَا غَدًا وَبِذَاكَ تَنْعَابُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ
 لَا مَرْحَبًا بِغَيْدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحْيَةِ فِي غَدٍ

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(١) ط : « أورد » ، صوابه في ش .

(٢) في النسختين : « حروف الإطلاق » ، صوابه في المعنى ٣٧٨ في حرف النون .

(٣) ش : « المترنم » .

(٤) ش : « وكان قد » .

أُرفِ الترحل البيت

قال شارح ديوانه : قوله : « أَمِنْ آل مِية » يخاطب نفسه كالمستثبت ، والنون من أَمِنْ متحركة بفتحة همزة آل الملقاة عليها لتحذف تخفيفاً . قال الأصمعي : تقديره أَمِنْ آل مِية أنت رائج أو مغتدٍ ^(١) . ورائح : من راح يروح رواحا . ومغتد : من اغتدى ، أى ذهب وقت الغداة ، وهو ضدُّ الرواح . وعجلان : من العجلة ، نصبه على الحال . وذا : حال من ضمير عجلان ، وقيل بدل منه . والزاد في هذا الموضع : ما كان من تسليم وردِّ تحية . وتنعاب الغراب : صياحه . والبوارح : جمع بارح ، وهو ماؤلاًك مياسره ، يمرُّ من ميامنك إلى مياسرك . والعرب تتطير بالبارح وتتفاءل بالسائح .

و (أُرِف) من باب فرح ، أى دنا . وروى بدله : « أفد » وهو مثله وزناً ومعنى . و (الترحُّل) : الرحيل . وغير منصوب على الاستثناء المنقطع . و (الرُّكَّاب) الإبل ، واحداً راحلة من غير لفظها . ولَمَّا جازمةً بمعنى لم . وتُرِّل بضم الزاى ، من زال يزول زوالاً ، أى فارق . والباء للمعية . و (الرجال) : جمع رحل ، وهو ما يستصحبه الإنسان من الأثاث . و (كَأَنَّ) مخففة من الثقيلة . قال الشارح المحقق في بابها : الأفصح عند تخفيفها إلغاؤها ، وإذا لم تعملها لفظاً ففيها ضمير شأن مقتر ، فاسمها ضمير الشأن ، والجملة المحذوفة بعد قد خيرها . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله في كَأَنَّ .

٢٣٦

ونقل ابن الملاء (في شرح المغنى) عن ابن جنى (في الخصائص) ،

(١) ش : « مغتدى » .

أنه جَوُزٌ أن يكون قد هنا بمعنى حسبي ، أي وكأن ذلك حسبي ، فقدى وحده هو الخبر . هذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الخمسمائة (١) :

٥٢٦ (يا خليلي أربعا واستخيرا الـ حَمَزِلَ الدَّارِسَ مِنْ أَهْلِ الْجَلَالِ)

على أن الخليل استدلل على أن حرف التعريف أل لا اللام وحدها ، بفصل الشاعر إياها من المعرف بها . ولو كانت اللام وحدها حرف تعريف لما جاز فصلها من المعرف ، لا سيما واللام ساكنة .

وقد تقدّم بيانه ونقضه في البيت قبله .

قال ابن جنى (في المنصف) ، وهو شرح (تصريف المازني المسمى بالملوكي) : قد ذهب بعضهم إلى أن الألف واللام جميعا للتعريف بمنزلة قد في الأفعال ، ولكن هذه الهمزة لما كثرت في الكلام وعُرف موضعها ، والهمزة مستثناة (٢) حذفت في الوصل لضرب من التخفيف . قالوا : والدليل على ذلك أن الشاعر إذا اضطر فصلها من الكلمة كما تفصل قد . من ذلك قوله : عَجَلْ لَنَا هَذَا وَالْحَقِيقَا بِذَا الـ الشَّحْمِ إِنَّا قَدْ مَلَلْنَاهُ بَجَلْ (٣)

فقطّعها في البيت الأول ثم ردّها في أول الكلمة بعد . لأنها مرّت

(١) الخصائص ٢ : ٢٥٥ والمنصف ١ : ٦٦ وابن يعيش ٩ : ١٧٠ وديوان عبيد بن

الأبرص ٥٨ .

(٢) ط : « مستقلة » ، صوابها في ش والمنصف ١ : ٦٥ .

(٣) سبق الكلام عليه في ١٩٨ .

في البيت الأول ، فكأنَّها لَمَّا تباعدت أنسيها ولم يعتدَّ بها ^(١) . وهذا أحد ما يدلُّ عندى على أنَّ ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيتٌ كامل وليس بنصف بيت على ما يذهب إليه أبو الحسن الأخفش ^(٢) . ألا ترى أنَّه ردَّ آل في أول البيت الثاني . لأنَّ الأول بيتٌ كامل قد قام بنفسه وتمَّت أجزاؤه ، فاحتاج في ابتداء البيت الثاني أن يعرف الكلمة التي في أوله ، فلم يعتدَّ بالحرف الذى كان فصله لأنَّهما ليسا في بيتٍ واحد . ولو كان هذان البيتان بيتًا واحدًا كما يقول من يخالف لما احتاج إلى ردِّ حرف التعريف . ألا ترى أنَّ عبيدًا لَمَّا جاء بقصيدة طويلة الأبيات وجعل آخر المصراع الأول آل لم يُعد الحرف في أول المصراع الثاني ، لَمَّا كانا مصراعين ، ولم يكن كلُّ واحد منهما بيتًا قائمًا برأسه . وذلك قوله :

يا خليلي اربعا واستخيرا ال حنزل الدارس من أهل الجلال
فطرده هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتًا على هذا الطرز ^(٣) إلا بيتًا واحدًا وهو :

فانتحينا الحارث الأعرج في جحفل كالليل خطارِ العوالى
فهذا ما عندى في هذا . وقد كان أبو عليٍّ يحتجُّ أيضًا على أنى الحسن بشيءٍ غير هذا . انتهى .

وقال ابن جنى (في باب التطوُّع بما لا يلزم ، من الخصائص) قال :

(١) في النصف ١ : ٦٦ : « أو لم يعتدَّ بها » .

(٢) النصف : « على ما ذهب » .

(٣) النصف : « تطرد هذه القصيدة ، وهي بضعة عشر بيتًا على هذا الطراز » .

وهو أمرٌ قد جاء في الشعر القديم والمولّد جميعاً ، مجيئاً واسعاً ^(١) . وهو أن يلتزم الشاعر ما لا يجب عليه ، ليدلّ بذلك على غزارة ^(٢) وسعة ما عنده . وأورد قصائد إلى أن قال : وعلى ذلك ما أنشدنا أبو بكر محمد بن علي ^(٣) عن أبي إسحاق ^(٤) لعبيد ، من قوله :

٢٣٦

(يا خليلي اربعا واستخيرا ال	سمنزل الدارس من أهل الحلال
مثل سحقي البرد عفى بعدك ال	قطر مغناه وتأويب الشمال
ولقد يغنى به جيرانك ال	ممسكو منك بأسباب الوصال
ثم أودى ودهم إذ أزمعوا ال	بين والأيام حال بعد حال
فانصرف عنهم بعس كالوأي ال	جأب ذى العانة أو شاة الرمال
نحن قذنا من أهاضيب الملا ال	خيل في الأرسان أمثال السعالى
شربا يعسفن من مجهولة ال	أرض وعثا من سهول أو رمال
فانتجنا الحارث الأعرج في	جحفيل كالليل خطار العوالى
ثم عُجنَاهُنَّ خوصا كالقطا ال	قاربات الماء من أين الكلال
نحو قوص يوم جالت جولة ال	خيل قبا عن يمين أو شمال
كم رئيس يقلّم الألف على ال	سأبح الأجرد ذى العقب الطوال ^(٥)

(١) ط : « مجيا واسعا » بالتسهيل والإدغام ، وأثبت ما في ش والخصائص ٢ : ٢٣٤ .

(٢) في الخصائص : « على غزوه » .

(٣) يبدو أنه محمد بن علي بن إسماعيل الملقب بميرمان ، وهو أستاذ أبي علي الفارسي وأبي

سعيد السيرافي .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج . وهو من شيوخ ميرمان

السابق . البغية ٧٥ .

(٥) ط : « الأجود » ، صوابه في ش . والأجرد : القصير الشعرة ، كما سيأتى في تفسير

البغدادى .

قد أباحت جمعه أسيافنا الـ بيضُ في الرُّوعة من حيّ حِلالي (١)
ولنا دارٌ ورثناها عن الـ أقدمِ القُدُموس من عمٍّ وخال
منزلٌ دَمَنه آباؤنا الـ مُورثونا المجدَّ في أوّلَى الليالي (٢)
ما لنا فيها حصونٌ غير ما الـ صفرداتِ الخيلِ تعلو بالرجالِ
في روائى عُذمليّ شاعخ الـ أنف فيه إرثٌ مجد وجمال
فأتبعنا دأبَ أولانا الأولى الـ مُوقدى الحربِ ومروى بالحبال (٣)

وقال القصيدة (٤) كلّها على أنّ آخر مصراع كلّ بيت منها منتهٍ إلى لام التعريف ، غير بيت واحد ، وهو قوله : « فانتجعنا الحارث » إلى آخره ، فسار هذا البيت الذي نقضَ القصيدة أنّ تَمْضَى (٥) على ترتيب واحد هو الجزء . وذلك أنّه دلّ على أنّ هذا الشاعر إنّما تساند إلى ما في طبعه ، ولم يتجشّم إلّا ما في نهضته ووضعه ، من غير اغتصاب [له] (٦) ولا استكراه الجأ إليه (٧) ، إذ لو كان ذلك على خلاف ما حدّدناه وأنّه إنّما صنع الشعر صنعا لكان قميناً أن لا ينقض ذلك بيت واحد يُوهيه ، ويُقدح فيه . وهذا واضح . انتهى .

وقوله : (يا خليلي) مثني خليل . و (أربعاً) باللف التثنية من رّبع

(١) ط : « الأبيض » ، صوابه في ش .

(٢) في النسختين : « منزل في دمنة » ، صوابه من الخصائص ٢ : ٢٥٧ والديوان واللسان (دمن) . دمن القوم المنزل : سودوه وأثروا فيه بالدمن وغيره ، وهو بكسر الدال : البحر .

(٣) كنا ، وفي الخصائص والديوان : « وصوف بالحبال » ، أى : ومنهم موف بالحبال .

(٤) في الخصائص ٢ : ٢٥٨ : « فقاد القصيدة » .

(٥) في النسختين : « أن يمضى » : صوابه في ش .

(٦) التكملة من ش والخصائص .

(٧) ش : « أ جاء إليه » وفي الخصائص : « أ جاءه إليه » .

زَيْدٌ بِالْمَكَانِ يَرْبَعُ بَفَتْحِ الْبَاءِ فِيهِمَا ، إِذَا اِطْمَأَنَّ وَأَقَامَ بِهِ . و (استخيرا) أَمْرٌ
مُسْنَدٌ إِلَى أَلْفِ التَّثْنِيَةِ . و (الْجَلَالِ) : جَمْعُ حَالٍّ بِمَعْنَى نَازِلٍ . وَفِي
الْقَامُوسِ : الْجَلَالِ : جَمْعُ حِلَّةٍ بِكَسْرِ الْمَهْمَلَةِ فِيهِمَا ، وَهَمَّ الْقَوْمُ النُّزُولَ ،
وَجَمَاعَةُ يَبُوتِ النَّاسِ ، أَوْ مَائَةٌ بَيْتٍ ، وَالْمَجْلِسُ ، وَالْمَجْتَمَعُ .

وقوله : « مثل سَخَقِ الْبَرْدِ » إلخ السَّحَقُ بِالْفَتْحِ : الثَّوْبُ الْبَالِي ، وَقَدْ
سَخَقَ كَكَرَمَ سُحُوقَةً بِالضَّمِّ ، كَأَسَخَقَ . وَالتَّرْدُ بِالضَّمِّ : ثَوْبٌ مَخْطُوطٌ : فَهُوَ مِنْ
قَبِيلِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ . وَعَنَى تَعْفِيَةً : غَطَّاهُ تَغْطِيَةً وَمَحَاهُ .
وَالْقَطْرُ ، أَيْ الْمَطَرُ ، فَاعِلُهُ . وَمَغْنَاهُ مَفْعُولُهُ . وَالْمَغْنَى : الْمَنْزِلُ الَّذِي غَنِيَ بِهِ
أَهْلُهُ ثُمَّ ظَعَنُوا ، أَوْ عَامٌّ مِنْ غَنَى بِالْمَكَانِ كَرَضَى ، إِذَا أَقَامَ فِيهِ . وَالتَّأْوَيْبُ :
الرجوع ؛ والمراد تَرَدُّدُ هَبِيبِهَا . وَالشَّمَالُ : الرِّيحُ الْمَعْرُوفَةُ .

٢٣٨

وقوله : « وَلَقَدْ يَغْنَى » هُوَ مِنْ غَنَى الْمَذْكُورِ . وَالْمَسْكُورُ أَصْلُهُ
الْمَسْكُونُ ، حَذَفَتْ نُونُهُ تَخْفِيفًا . قَالَ ابْنُ جَنَى (فِي الْمَنْصَفِ) : قَوْلُهُ
الْمَسْكُورُ أَرَادَ الْمَسْكُونُ ، وَلَكِنَّهُ حَذَفَ النُّونَ لَطَوِيلَ الْاسْمِ لَا لِلْإِضَافَةِ .
وَعِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ الْحَافِظُ عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ حَرْفَ
التَّعْرِيفِ مِنْهُ فِي الْمَصْرَاعِ الْأَوَّلِ ، وَبَقِيَّةُ الْكَلِمَةِ فِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي ، وَالْمَصْرَاعُ
كَثِيرًا مَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَكَادَ يَكُونُ بَيِّنًا كَامِلًا ^(١) ، وَكَثِيرًا مَا تَقْطَعُ هَمْزَةُ
الْوَصْلِ فِي أَوَّلِ الْمَصْرَاعِ الثَّانِي نَحْوَ قَوْلِهِ :

(١) ش فقط : « بيتا كاملا » . وفي حواشي ش بخط الناسخ « قوله بيتا كلاما كذا بخط
المؤلف رحمة الله ، والصواب بيتا كاملا » .

لتسمعن وشيكًا في دياركم : الله أكبر ، يائارات عُثانا (١)

وقد أجاز أبو الحسن الحرم في أول المصراع الثاني ، بخلاف قول الخليل ، وجاء ذلك في الشعر كقول امرئ القيس :

وعين لها حَلَرَةٌ بَلَرَةٌ شَقَّتْ مَاقِيَهُمَا مِنْ دُبُرٍ

فلما كان أول المسكو في المصراع الأول وباقيه في المصراع الثاني ، وهما كاليتين ، ازدادت الكلمة طولًا ، وازداد حذف النون جوازًا . وليس الحافظو كذلك (٢) . فهذا فصل في لطف ، وكلا الاسمين إنما وجب فيه الحذف لطوله .

وقوله : « ثم أودى » أى هلك . وأزمعوا : من أزمعت الأمر وعليه : أجمعت أو ثبت عليه . وقوله « والأيام حال » أى ذات حال وتغير .

وقوله : « بعنسي كالوأي » العنس بالفتح : الناقة الصلبة . والوأي بفتح الواو والهمزة بعدها ألف مقصورة : الحمار الوحشي . والجأب ، بفتح الجيم وسكون الهمزة : الحمار الغليظ . والعانة بالنون : الأتان ، وهو المراء هنا ، والقطيع من حمر الوحش ، والشاة الواحدة من الغنم للذكر والأنثى ، أو تكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحمر الوحش ، والمرأة ، الجمع شاء . كذا في القاموس .

وأهاضيب الملا : اسم مكان . وأهاضيب : جمع هضاب جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، أو جبل تخليق من صخرة

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ٤١٠ . وقيله :

ضحوا بأشخط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحا وقرآنا

(٢) بعده في المنصف : « لأن الكلمة بكاملها في المصراع الأول ، فلم تطل طول المسكو » .

واحدة ، أو الجَبَل . قال أبو عبيد البكري (في المعجم) : الملا : بفتح الميم والقصر : موضعٌ من أرض كلب ، وموضع في ديار طى . والسعالى : جمع سِعالَة ، وهى أنثى الغول .

وقوله : شُرْبًا إلخ ، هو جمع شازب : الضامر اليايس . والعسْف : الأخذ على غير الطريق . ووُعْثًا مفعول يعسفن ، جمع أوعث بمعنى وَعْث . والوَعْث بالفتح : الطريق العسرة كالوَعْث بكسر العين . وقوله : من سهول أو رمال ، بيان لقوله رُعْثًا .

وقوله : « فانتجعنا الحارث » إلخ من انتجع فلانا أى أتاه طالبا معروفا . وهُنا تهكُّم وسُخْرِيَّة . والحارث الأعرج هو من ملوك الشام ، وأمه مارية ذات القُرطين . والجَحْفَل بفتح الجيم : الجيش الكثير . والخَطَّار : المضطرب . والعوالى : الرُماح ، جمع عالية ، والعالية : أعلى القناة ، أو النصف الذى يلي السَّنان .

وقوله : « ثم عجناهن » يقال عاج رأس البعير أى عطفه بالزمام . والخُوص بالضم : جمع أَخَوْص ، وخوصاء ، وهى الغائرة العينين . والقاربات ، من القَرَب بفتحتين ، وهو سير الليل لورد الغد . والأين : الإعياء . والكلال بمعنى أَيْضًا .

وقوله : « نحو قوص » بالضم : موضع ^(١) . وقَبًا : جمع أَقَب ، وصف من القَبِّ بفتحتين ، وهو دقة الخصر وضмор البطن .

وقوله : « كم رئيس يقدِّم الألف » الرئيس : سيِّد القوم وكبيرهم .

(١) في معجم البلدان : « نحو قرص » ، وقال : « بالضم بلفظ القرص من الخبز : تلى بأرض غسان في شعر عبيد بن الأبرص ، وأما قوص ، فهو خطأ ، لأنها مدينة كبيرة كانت قصبة صعيد مصر » .

والسابع : الفرس الحسن الجرى . والأجرد : القصير الشعر . والعقب ، بفتح
المهملة وسكون القاف : الجرى بعد الجرى . والطَّوَال بالضم بمعنى الطويل ،
وجمعهُ مفعول أباحت ، وأسيفنا فاعله .

والقُدُمُوس بالضم : القديم ، والسين زائدة .

والمورثونا المجد : جمع مُورث ، ونا ضمير المتكلم مع الغير ، والمجد
بالنصب مفعول .

وقوله : « مالنا فيها » أى فى تلك الدار . والمفردات ، بفتح الراء : التى
أفردت عن غيرها ، وما زائدة ، والخيل بدل من المفردات .

وقوله : « فى روائى » إلخ جمع رابية ، وهى ماعلا من الأرض . والعُدْمَلَى
بضم العين وسكون الدال المهملتين ، وضم الميم وكسر اللام ، قال
صاحب القاموس : العُدْمَل والعُدْمَلَى والعُدَامِل والعُدَامَلَى مضمومات : كُلُّ
مَسْنٍ قَدِيمٍ ، والضَّخْمُ القديم من الشجر ومن الضَّبَاب . والإرث بالكسر :
الأصل .

وقوله : « فاتبعنا دأب أولانا » إلخ أى دأب عشيرتنا الأولى ، أى آبائنا
الأقدمين . والأولى الثانية بدل من الأولى ^(١) ، وهى اسم إشارة بمعنى
أولئك ^(٢) . والموقدين صفة له ، أو بدل وحذفت نونه للإضافة .

وعبيد هو عبيد بن الأبرص الأسدى ، بفتح العين وكسر الموحدة ، وهو

(١) كنا . ووجه كتابتها « الألى » باعتبارها اسم موصول صفة لأولانا .

(٢) الوجه هنا أيضا أن تكون اسم موصول لا اسم إشارة . لأن أل لا تدخل على أسماء

الإشارة .

شاعرٌ جاهلٌ ، تقدّمت ترجمته في الشاهد السادس عشر بعد المائة ^(١) .

وقوله في البيت الآخر : « عَجَّلْ لَنَا هَذَا وَالْحَقْنَا » البيت ، هو من أبيات سيبويه . وهذا نصّه في المسألة : وزعم الخليل أَنَّ الألف واللام اللتين يعرفون بهما حرفٌ واحد كقَد وَأَنْ ، ليست واحدة منهما منفصلة من الأخرى كانفصال أَلِف الاستفهام في قوله : أَزِيدُ ، ولكن الألف كألف ايم في ايم الله ، وهي موصولة كما أَنَّ أَلِف ايم موصولة . إلى أن قال : وقال الخليل : وممّا يدلّك على أَنَّ تلك مفصولة من الرَّجُل ولم يُبَيّن عليها ^(٢) وَأَنَّ الألف واللام فيها ^(٣) بمنزلة قد ، قول الشاعر :

دَعْ ذَا وَعَجَّلْ ذَا وَالْحَقْنَا بِذَالِ بالشُّحْمِ إِنَّا قَدْ مَلِلْنَاهُ بَجَلِ ^(٤)

قال : هي ههنا كقول الرجل وهو يتذكّر قدى ، ثم يقول قد فعل . ولا يُفَعَّلُ مثْلُ هذا علمناه بشيءٍ ممّا كان من الحروف الموصولة . ويقول الرجل أَلَى ، ثم يتذكّر . فقد سمعناهم يقولون ذلك ، ولولا أَنَّ الألف واللام بمنزلة قد وسوف ، لكانتا بناءً بنى عليه الاسم لا يُفَارِقُهُ ^(٥) ، ولكنهما جميعاً بمنزلة هل ، وقد ، وسوف ^(٦) ، يدخلان للتعريف ^(٧) . انتهى نصّه .

وقال الأعلم : الشاهد في قوله بذال ، وأراد : بذال الشُّحْمِ ، ففصل

(١) الخزائن ٢ : ٢١٥ - ٢١٩ .

(٢) في النسختين : « عليهما » ، صوابه من سيبويه ٢ : ٦٤ .

(٣) في النسختين : « فيهما » ، صوابه في سيبويه .

(٤) سبق الكلام عليه في حواشى ٢٠٥ .

(٥) في النسختين : « لكانتا بنى على الاسم لا تفارقه » ، صوابه وتكملته من سيبويه .

(٦) بعنه في كل من النسختين : « وهل » ، وهو تكرار لم يرد في سيبويه .

(٧) في سيبويه : « تدخلان للتعريف وتخرجان » ، وفي إحدى مخطوطاته : « يدخلان

للتعريف » فقط ، كما هنا .

لام التعريف من الشحم لما احتاج إليه من إقامة القافية ^(١) ثم أعادها في الشحم لما استأنف ذكره بإعادة حرف الجر . ومعنى بجل حَسْب ، يقال بَجَلَى كَذَا ، أَيْ حَسَبِي ^(٢) . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت غُفْل لم يُحَلَّ قائله . وقال العيني ^(٣) : قائله غيلان بن حُرَيْث الرِّبْعِي الرَّاكِز .

وقوله : « وَالْحَقْنَا » في رواية سيبويه : « وَالزَّقْنَا » ، وضبطَ بعضُ شراح أبياته « بِخَلَّ » بالخاء المعجمة ، أراد به الخَلَّ المعهود . والباء فيه حرف جر . وهذا أقرب إلى المعنى . انتهى . ولم أرَ ما ذكره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الخمسمائة ^(٤) :
 (وَبِالنَّسْرِ عَنَدَمَا) ٥٢٧

٢٤٠

هو قطعة من بيت وهو :
 (أَمَا وَالِدَمَاءِ الْمَائِرَاتِ تَخَالُهَا عَلَى قَنَةِ الْعَزَى وَبِالنَّسْرِ عَنَدَمَا)

على أَنَّ لام التعريف قد تزداد في العلم .

قال ابن الشجري (في أماليه) : نَسَرَّ : الصَّنَمَ الذي كان قومُ نوح يعبدونه ، وقد ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سِوَاعًا وَلَا يَعْوْثَ ﴾

(١) ط : « من إقامته القائمة » ، صوابه في الشنتمري وفي ش مع أثر تصحيح .

(٢) في الشنتمري : « أَيْ حَسَبِي رَكْفَانِي » .

(٣) العيني ١ : ٥١٠ .

(٤) النصف ٣ : ١٣٤ وأمالي ابن الشجري ١ : ١٥٤ / ٢ : ٣٤١ والإنصاف ٣١٨

والعيني ١ : ٥٠٠ واللسان (أبيل ٦) .

وَيُعَوِّقُ وَيَسِّرُ^(١) . وأدخل فيه الشاعر الألف واللام زيادة للضرورة في قوله :
« وبالنسر عندمَا » البيت . انتهى .

وقال ابن جنى (في سر الصناعة) : أنشدنا أبو علي هذا البيت
وقال : اللام في النسر زائدة . وهو كما قال ، لأن نسرًا بمنزلة عمرو .

وقال ابن جنى قبل هذا : وأما اللات والعزى فذهب أبو الحسن إلى أن
اللام فيهما زائدة . والذي يدل على مسحة مذهبه أن اللات والعزى علمان ،
بمنزلة يغوث ويعوق ونسر ومناة ، وغير ذلك من أسماء الأصنام . فهذه كلها
أعلام وغير محتاجة في تعريفها إلى اللام ، وليست من باب الحارث والعباس ،
التي نُقلت فصارت أعلامًا وأُقرت فيها^(٢) لأم التعريف ، على ضرب من توهم
روائح الصفة فيها ، فتحمّل على ذلك . فوجب أن تكون فيها زائدة ، ويؤكد
زيادتها فيها أيضًا لزومها إياها كلزوم لام الآن والذي وبابه . فإن قلت : فقد
حكى أبو زيد : لقيته فينة والفينة ، وقالوا للشمس : إلهة والإلهة . وليست
فينة ، ولا إلهة ، بصفتين فيجوز تعريفهما وفيهما اللام كالحارث والعباس .
فالجواب : أن فينة والفينة وإلهة والإلهة ، مما اعتقب عليه تعريفان :
أحدهما بالألف واللام ، والآخر بالوضع والعلمية ، ولم نسمعهم يقولون : لات
وعزى بغير لام^(٣) ، فدلّ لزوم اللام على زيادتها ، وأن ما هي فيه ليس مما
اعتقب فيه تعريفان . انتهى .

(١) الآية ٢٣ من سورة نوح .

(٢) ط : « وفيها » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) في حواشي المطبوعة : « قوله وعزى بغير لام . بل وقد قال أبو سفيان : ولا عزى لكم .

وقال خالد بن الوليد : كفرانك يا عزى . ١ هـ من هامش الأصل .

أقول : أما النص الأول فقد ورد في إمتاع الأسماع ١ : ١٥٨ وفيه أن عمر بن الخطاب قال
حين سمع كلمة أبي سفيان : « لنا العزى ولا عزى لكم » قال : « الله مولانا ولا مولى لكم » .
وأما نص خالد بن الوليد فقد ورد هنا محرفا ، والصواب أن خالد بن الوليد لما بعثه رسول =

ومحصله أنَّ اللام في النسر زائدة بعد وضع العلمية ، وأنَّ اللام في اللات والعزى زائدة فيهما عند وضع العلمية ، وأنَّ اللام في الفينة والإلاهة للتعريف ، وليست زائدة . ولهذا لم ينشد الشارح المحقق البيت بتمامه لتعين الزائد الطارىء للضرورة من الزائد غير المنفك إلا في ضرورة ، كقوله (١) :

عزَّى شُدَى شُدَّة لا تَكْذِبْ على خالدٍ وألقى الخمارَ وشمرى (٢)

ساحب الشاهد البيت الشاهد أول أبيات ثلاثة لعمرو بن عبد الجن ، وبعده :

(وما سبَّحَ الرهبانُ في كلِّ ليلة أَيْلَ الأَيْلِينَ المسيحَ بنَ مريمَا أبيات الشاهد

لقد هَزَّ مَنى عامراً يومَ لعلج حُسَاماً إذا ماهِزّاً بالكفِّ صَمَما

كذا أنشد هذه الأبيات أبو علي (في التذكرة القصرية) عن ابن الأعرابي ، وابن الأنباري (في مسائل الخلاف) ، وابن الشجري (في أماليه) .

وقوله : (ألا والدماء (٣)) إلخ ، ألا : كلمة يستفتح بها الكلام ،

= الله ﷻ ، إلى العزى ، وهى سمرة كانت لغطفان يعبدونها ، وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدة ، قام خالد يهدم هذا البيت ، وأحرق تلك السمرة وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانهك أنى رأيت الله قد أهانك

وانظر ما سأتى في حواشى ص ٢٣٦ .

(١) البيت لدية بن حرمى الشيباني ثم السلمى ، وكان سادنا للعزى . الأصنام لابن الكلبي

. ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ش وكنا أصل الأصنام : « عزى » ، وهى صحيحة مع الحرم ، وأثبت ما فى ط وهامش نسخة الخزانة الزكية من الأصنام . وفى الأصنام : « على خالد ألقى الخمار » .

(٣) كنا وردت « ألا » هنا ، مع أن نص الشاهد هنا : « أما والدماء » . ط : « ألا ودماء » ، صوابه فى ش .

التنبيه ، والواو للقسم والدماء مقسم به ^(١) ، والبيت الثالث جواب القسم .
 و (المائرات) المتردّات ، من مار الدم على وجه الأرض يمور ، إذا تردّد .
 ويروى : « أما ودماء مائرات » بدون لام . و (تخالها) : تظنّها . وعندما المفعول
 الثانى . و (وقته العزى) : أعلاها . وقته الجبل ، بالضم : أعلاه . والعندم :
 البقم . والعندم : دم الأخوين ، رواه أبو على (فى الحجّة) :
 * أما ودماء لا تزال كأنّها *

وقال : انتصاب عندم بأحد شيئين : أحدهما : ما فى كان من معنى
 الفعل ، والآخر : أن يجعل على قنة العزى مستقراً فيكون الحال عنه . فإن
 نصبت بالأول فنو الحال الضمير الذى فى كأنّها ، وإن نصبته عن المستقرّ
 فنو الحال الذكر الذى فى المستقرّ ، والمعنى على حذف المضاف ، كأنّه مثل
 عندم . انتهى .

وقوله : « وما سبّح » إلخ الواو عاطفة على الدماء ، وما مصدرية وسبّح
 بمعنى نزه ، والرهبان فاعله ، وأبيل مفعوله ، وفى كل ليلة متعلق بسبّح .
 وروى : « فى كل بيعة » أى وتسبيح الرهبان ^(٢) أبيل الأيلين . والبيعة بكسر
 الباء : متعبّد المنصارى . وأبيل الأيلين : راهب الرهبان ، قال ابن فارس ،
 والصاغاني (فى العباب) : الأيل : راهب النصارى ، وكانوا يسمّون عيسى
 عليه السلام أبيل الأيلين ، ومعناه راهب الراهبين . وعيسى : بدل أو عطف

(١) ش : « مقسم بها » .

(٢) ط : « وسبح الرهبان » ، صوابه فى ش .

بيان له . والأبيل يفتح الهمزة وكسر الموحدة ، كأمير : الرّاهب ، سَمِي به
لِقَابِهِ عن النساء وترك غِشيانَهُ . والفعل منه أَبْلَ يَأْبُلُ إبالة ، ككتب كتابة ،
إذا تَنَسَّكَ وترَهَّب .

وأورده الجواليقي (في المعربات) قال : الأبيل : الراهب ، فارسي
معرب ، قال الشاعر ^(١) وهو جاهلي :
وما سَبَحَ الرُّهبانُ في كل بيعة البيت
وقال الآخر ^(٢) :

* وما صَكَ ناقوسَ النَّصارَى أبيلها ^(٣) *

وقالوا : أبَيْلَى . قال :
وما أبَيْلَى على هيكِل بَنَاهُ وصلَّب فيه وصاراً ^(٤)

قال أبو عبيدة : أبَيْلَى : صاحب أبيل ، وهي عصا الناقوس . انتهى .
والأبَيْلَى [هو] ^(٥) بتقديم المشاة التحتية الساكنة وتأخير الموحدة
المفتوحة ، ويجوز ضمها ، ويجوز إبدال الألف هاء فيقال هَيْبَلَى ، ويجوز إبدال
الياء التحتية ألفا فيقال آبَلَى . وقد جمع صاحبُ القاموس هذه اللغات فقال :

(١) هو عمرو بن عبد الجن . كما سيأتى ، وكما في حواشي العرب ٣٠ ومعجم الشعراء
للمرزباني ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ١٢٣ .

(٣) صدره في الديوان :

* فإني ورب الساجدين عشية *

(٤) البيت للأعشى في ديوانه ٤٠ ، وكنا وردت الرواية في اللسان (أهل ٦) . وفي
العرب : * وما أبيلي * وكنا في التعليق التلويح : * أبيل : صاحب أبيل * . ولا يستقيم وزن البيت بهذه
الصورة ، كما أنه يتجاف مع التقيد التلويحي للبغدادى .
(٥) التكملة من ش .

الأبيل كأمير : العصا ، والحزبنُ بالسريانية ، ورئيس النصارى ، أو الراهب ،
أو صاحب الناقوس ، كالأبيلي بضم الباء وفتحها ، والهَيْبِلَى والآبِلَى بضم
الباء ، والأبيل بضم الباء وفتحها . انتهى .

وقوله : « وما أبيلي على هيكَل » ، هو من قصيدة للأعشى ميمون .
قال الصاغاني (في العباب) : قيل أراد أبيلي كأميرى ، فلما اضطرَّ قدم الياء
كما قالوا أينق ، والأصل أنوق . قال عدى بن زيد العبادي :
إِنِّي وَاللَّهِ فَأَقْبَلُ حِلْفَتِي بِأَبِيلٍ كُلَّمَا صَلَّى جَارُ
وقال ابن دريد : الأبيل : ضارب الناقوس . وأنشد :

* وما صَكَ نَاقوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا * انتهى

ونقل العيني عن ابن الأثير أنه رَوَى أيضًا :

* أَبِيلُ الْأَيْلِيِّينَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ *

على النَّسَبِ .

وقوله : « هَزَّ مَنِيَّ عَامِر » إلخ هذا من قبيل التجريد ، يريد أن عامرًا
وجدني حُسَامًا في ذلك اليوم . ورَوَى الصاغاني (في العباب) : « لقد ذاق
مَنِيَّ » . ولعلع كجعفر : موضع ، قال ابن ولاد : لَعَلْعٌ من آخر السَّوَادِ إِلَى
الْبَرِّ ، ما بين البصرة والكوفة . وقال غيره : لَعَلْعٌ : بيطن فلج ، وهي لبكر
واثل ، وقيل هي من الجزيرة . كذا في معجم ما استعجم للبكري . وصَمَمَ :
مضى ، يقال صَمَمَ الرجل في الأمر ، إذا جَدَّ فيه .

صاحب الشاهد

عمرو بن
عبد الجن
٢٤٢

والآيات لعمرو بن عبد الجن . كذا قال الصاغاني في العباب وغيره .
وفي جمهرة الأنساب لابن الكلبي أنه تنوخى . وهو عمرو بن عبد الجن بن
عائذ الله بن أسعد بن سعد بن كثير بن غالب بن جرم . وأسد بن ناعصة بن
عمرو بن عبد الجن ، كان فارساً في الجاهلية . قال : ورأيت رجلاً من بني
عبد الجن بالكوفة شجاعاً ، قُطعت رجله فجعلت له من فضة . وتنوخ :
قبيلة من قبائل اليمن .

(تنمة)

العزى فى الأصل : تأنيث الأعز ، وقد يكون الأعز بمعنى العزيز ،
والعزى بمعنى العزيرة . قال فى الصحاح : العزى : اسم صنم كان لقريش
وبنى كنانة ، ويقال العزى : سمرة كانت لطفان يعبدونها ، وكانوا بنوا عليها
عليها بيتاً وأقاموا لها سدة ، فبعث إليها رسول الله - ﷺ - خالد بن الوليد
فهدم البيت وأحرق السمرة وهو يقول :

يا عَزَّ كُفْرانِك لا سُبْحانِك إني رأيتُ الله قد أهانِك

ولا بأس بإيراد شيء من أخبار الأصنام وسبب اتخاذ العرب لها ،
وكيف أزالها النبي - ﷺ .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (فى كتاب
الأصنام) : حدثنى أنى وغيره (١) أن إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليهما
وسلم - لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثيرة حتى ملثوا مكة وتَقَوُّوا من
كان فيها من العماليق ، فضاعت (٢) عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب

(١) بعده فى الأصنام ٦ : « وقد أثبت حديثهم جميعاً » .

(٢) فى الأصنام : « ضاقت » ، وهو الوجه .

بعضهم بعضًا ، ففَسَّحُوا في البلاد والتماسي المعاش . وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة ، أَنَّهُ كان لا يظعن من مكة ظاعنٌ إِلَّا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم ، تعظيمًا للحرم ، فحيثما حلُّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، صباةً بها وحُبًّا ^(١) ، وهم على إرث أبيهم إسماعيل : من تعظيم الكعبة ، والحج ، والاعتبار .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أَن عبدوا ما استحَبُّوا ونَسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبَدُوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كان عليه عليه الأُمم من قبلهم ، كقوم نوح ، وفهم بقايا على دين أبيهم إسماعيل ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكان أول من غيَّر دين إسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسَيَّب السائبة ووصل الوصيلة ، وَبَحَرَ البَحيرة وَحَمَى الحامية : عمرو بن ربيعة ، وهي لُحَيّ ، بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدى ، وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذي تَلَّى أمر الكعبة ^(٢) . فلما بلغ عمرو ابن لُحَيّ نازعَه في الولاية ، وقاتل جرهما بينى إسماعيل ونفاهم من بلاد مكة ، وتولَّى حجابة البيت .

ثم إِنَّهُ مرض مرضًا شديدًا ، فقليل له : إِنَّ بالبلقاء من الشام حَمَّة ^(٣) إِنَّ أَتَيْتْهَا برأت . فَأَتَاهَا فاستَحَمَّ بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : نستسقى بها المطر ، ونستنصر بها على العلو . فسألهم أَن يُعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .
وحَدَّث الكلبى عن أنى صالح عن ابن عباس ، أَنَّ إسافًا رجلًا من

(١) في الأصنام: «وحيا بالحرم» .

(٢) هو الحارث بن مضاض الجرهمي .

(٣) الحمة : عين ماء فيها ماء جار يستشفى بها الأعلاء والمرضى .

جرهم يقال له إساف بن يعلى ، ونائلة بنت زيد من جرهم ، وكان يتعشقه في أرض اليمن ، فأقبلوا حجّاجا فدخلوا الكعبة ، فوجدوا غفلة من الناس وخلوة من البيت ، ففجر بها في البيت ، فمسخا فوجدوها مسيخين ، فوضعهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ، ومن حج البيت من العرب .

٢٤٣

وكان أول من اتخذ تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم ، سمّوها بأسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين إسماعيل - هذيل بن مدركة ، اتخذوا سواعا فكان لهم برهاط من أرض ينبع ، وكانت سدنته بنى ليحيان . واتخذت كلب : وذا بلومة الجندل ، واتخذت مذحج وأهل جرش : يغوث ، واتخذت خيوان : يعوق ، فكان بقرية لهم يقال لها خيوان من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة .

واتخذت حمير : نسرًا فعبدوه بأرض يقال لها بلخع^(١) ، ولم أسمع حمير سمّت به أحدًا^(٢) ، ولم أسمع له ذكرًا في أشعارها ولا أشعار العرب^(٣) . وأظن ذلك كان لانتقال حمير أيام تبع عن عبادة الأصنام إلى اليهودية . وكان لحمير أيضًا بيت بصنعاء يقال له : رثام ، بهمزة بعد الراء

(١) هنا ما في ط والأصنام ١١ ومعجم البلدان . وفي ش : « بكخع » بالكاف ، تحريف .

(٢) قال ياقوت : « يعنى قالوا : عبد نسر » .

(٣) قال ياقوت ، تعليقًا على ذلك : قلت : وقد ذكره الأخطل فقال :

أما ودماء مائرات تخالها	على قنة العزى وبالنسر عندما
وما سبج الرحمن في كل بيعة	أبيل الأيلين المسيح بن مريم
لقد ذاق منا عامر يوم لعلع	حساما إذا ما هز بالكف صمما

المكسورة ، يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح ، وكانوا فيما يذكرون يُكَلِّمون منه . فلما انصرف تُبَّع من مسيره الذى سار فيه إلى العراق ^(١) قَدِمَ معه الحَبْرَانِ اللذان صحباه من المدينة ، فأمراه بهدم رثام . وتهوَّدَ تَبَّع وأهل اليمن ، فمن ثَمَّ لم أسمع بذكر رثام ولا نسرٍ في شيءٍ من الأشعار ولا الأسماء ، ولم تحفظ العرب من أشعارها إلا ما كان قبيل الإسلام .

قال أبو المنذر : ولم أسمع في رثام وحده شعراً ، وقد سمعتُ في البقية .

هذه الخمسة الأصنام التى كان يعبدها قوم نوح ، وذكرها الله في كتابه : ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ^(٢) . فلما صنع هذا عمرو بن لُحَيٍّ دانت العربُ للأصنام ، فكان أقدمها مناة . وسُمِّت العرب عبد مناة وزيد مناة . وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقُديد ، بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعًا تعظمه وتذبح حوله ، وكان أشدَّ إعظامًا له الأوسُ والخزرج ^(٣) . وكان أولاد معدٍّ على بقية من دين إسماعيل ، وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه .

ومناة هى التى ذكرها الله : ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ ^(٤) . وكانت

(١) هذا ما في ش والأصنام . وفي ط : « من العراق » ، ولها وجه إذا روعى أن تبعاً قد سار إلى العراق ، وانصرف أيضاً من العراق .

(٢) الآية ٢٣ من سورة نوح .

(٣) بدله في الأصنام : « ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج » .

(٤) الآية ٢٠ من سورة النجم .

لهذيل وخزاعة . وقريش ^(١) وجميعُ العرب تعظمها ، إلى أن خرج رسول الله - ﷺ - من المدينة سنة ثمان من الهجرة ، وهو عامُ الفتح ^(٢) . فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليًّا فهدمها وأخذ ما كان لها ، فأقبل به إلى النبي - ﷺ - وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهدهما ، أحدهما اسمه مخذم ^(٣) والآخر رسوب ^(٤) ، فوهبهما لعليٍّ ، فيقال إنَّ ذا الفقار سيفٌ عليٌّ أحدهما ، ويقال إنَّ عليًّا وجدَّهما في الفلس ^(٥) : صنم لطيَّ حين بعثه النبي - ﷺ - فهدمه .

ثم اتَّخذوا اللات بالطائف ، وكانت صخرةً مربَّعة ، وكان يهودى يُلْتُ عندها السَّويق ، وكان سدنتها من ثقيف ، وكانوا يتَّوَّع عليها بناء ، وكانت قريشُ وسائر العرب تعظمها . وسُمَّت زَيْدَ اللات وتيم اللات ، وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم . فلم تزل كذلك حتَّى أُسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله - ﷺ - المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

ثم اتَّخذوا العُزَّى وسَمَّى بها عبدُ العزى بن كعب ، وكان الذى اتَّخذها ظالم بن أسعد ، وكانت بوايٍ من نخلة الشامية عن يمين المُصعب إلى

(١) في الأصنام : « وكانت قريش » .

(٢) في الأصنام : « وهو عام فتح الله عليه » .

(٣) ط : « مخزم » ، صوابه في ش . وفي الأصنام ومعجم البلدان : « أحدهما يسمى مخزما » .

(٤) المخذم ، أصل معناه السريع القطع . والرسوب : الذى يمضى فى الضريبة ويغيب فيها ، من الرسوب ، وهو الذهب سفلًا . وبعده فى الأصنام : وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره فقال :

مظاهر سربالى حديد عليهما عقيلا سيوف : مخذم ورسوب

(٥) ضبط فى الأصنام بالفتح ، وفى معجم البلدان بالضم ، وفى القاموس بالكسر .

العراق من مكة فوق ذات عرق بتسعة أميال ، فبنى عليها بيتاً ^(١) ، وكانوا يسمعون فيه الصّوت ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانت تطوف بالكعبة وتقول : « واللّات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، فإنهنّ الغرائق العلى ، وإنّ شفاعتهنّ لثرتجى » . وكانوا يقولون : بنات الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهنّ يشفعنّ إليه . فلمّا بعث الله رسوله أنزل عليه : ﴿ أفرأيتم اللّات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذّكر وله الأنثى ﴾ ^(٢) الآية . وحمت لها قريش شيعباً من وادى حراض يقال له سقام ^(٣) ، يضاھون به حرم الكعبة . وكان لها منحَرّ ينحرون فيه هداياها ، يقال له « الغبب » ، وكانت قريش تخصّها بالإعظام ، فلذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان قد تألّه فى الجاهلية وترك عبادة الأصنام :

تركتُ اللّات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدین ولا ابتغيها ولا صنمى بنى غنم أزور ^(٤)
ولا هُبلاً أزور ، وكان ربّاً لنا فى الدّهر إذ حلّمى صغير

وكان سدنة العزى بنى شيبان ، من بنى سليم ، وكان آخر من سدّنها دُبّية ^(٥) ، فلم تزل كذلك حتّى بعث الله نبيّنا - ﷺ - فعاب

(١) فى الأصنام : « فبنى عليها بُسّاً ، يريد بيتاً » . البس بضم الباء .

(٢) الآيات ١٩ - ٢١ من سورة النجم .

(٣) ش : « سقام » ، صوابه فى ط ومعجم البلدان فى رسمه ، وذكر أنه بضم السين ، وفى شعر أبى خراش المذلى :

أسمى سقام خلاء لا أنيس به إلا السباع ومر الريح بالغرف

(٤) كذا فى النسختين . وفى هامش ش حاشية بخط ناسخها : « هكنا بخط المؤلف : ولا

ابتغيها ، وصوابه : « ولا ابتيها » ، أى كما فى الأصنام .

(٥) فى الأصنام : « دُبّية بن حرمى السلمى » .

الأصنام ونهاهم عن عبادتها ، ونزل القرآن فيها ، فاشتد ذلك على قريش ، فلما كان يوم الفتح دعا خالد بن الوليد فقال : انطلق إلى شجرة بطن نخلة ^(١) فاعضدها . فانطلق فقتل دُبْيَةً .

وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات بطن نخلة ، فلما بعث النبي خالد بن الوليد قال له : « ائت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات ، فاعضد الأولى » . فأتاها فعضدها ، فلما جاء إليه عليه الصلاة والسلام فقال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال : « فاعضد الثانية » . فعضدها ثم أتى النبي عليه السلام فقال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال : « فاعضد الثالثة » . فأتاها فإذا بحبشية نافذة شعرها ، واضعة ثديها على عاتقها ، تصرف بأنيابها ، وخلفها دُبْيَةُ السلمي ، فلما نظر إلى خالد قال :

عَزَايَ شُدَى شَلَّةٍ لَا تُكْذِبِي عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْخِمَارَ وَشَمَرِي ^(٢)
فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَقْتُلِي الْيَوْمَ خَالِدًا تَبَوُّيْ بَذْلًا عَاجِلًا وَتَنْصَرِي

فقال خالد [رضى الله عنه] :

يَا عَزَّ كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانُكَ

(١) في الأصنام : « شجرة بطن نخلة » .

(٢) في الأصنام : « دبية بن حرمي الشيباني ثم السلمي » .

(٣) في ش وأصل الأصنام : « عزى » وأثبت ما في ط .

وقد صححها أحمد زكي إلى « أغزاء » مستندا إلى ما ورد في حاشية نسخه من كتاب

الأصنام ، وكتب في ذلك تحقيقا مسهبا ، فارجع إليه . وفي سورة ابن هشام ٨٢٩ :

أَيَا عَزْ شُدَى شَلَّةٍ لَا تُؤْيِ لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمَرِي
أَيَا عَزْ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا فَبَوُّيْ بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصَرِي

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا حُممة ^(١) ، ثم عضد الشجرة وقتل دُبَّية ،
ثم أتى النبي - ﷺ - فأخبره فقال : « تلك العزى ولا عزى بعدها
للرب » ^(٢) .

قال أبو المنذر : ولم تكن قريش ومن بمكة يعظمون شيئاً من الأصنام
إعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة . فأما العزى فكانت تخصها دون غيرها
بالزيارة والهدية ، وكانت ثقيف تخص اللات ، وكانت الأوس والخزرج تخص
مناة ، وكلهم كان معظماً للعزى ، ولم يكونوا يرون في الخمسة الأصنام التي
رفعها ^(٣) عمرو بن لحي كراهم في هذه .

وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، وكان أعظمها عندهم
« هُبَل » ^(٤) ، وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الإنسان ، مكسور
اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك ، فجعلوا له يداً من الذهب . وكان أول من
نصبه خزيمة بن مدركة ، وكان يقال له « هُبَل خزيمة » ، وكان قدامة سبعة
أقدح ^(٥) مكتوب في أولها : صريح ، والآخر : ملصق . فإذا شكوا في مولود
أهدوا له هدية ، ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج : صريح الحقوه ، وإن كان
ملصقاً دفعوه . وقدحاً على الميت ، وقدحاً على النكاح ، وثلاثة لم تُفسر لى .

(١) الحمة : واحدة الحمم ، وهى الفحم البارد ، والرماد ، وكل ما احترق من النار .

(٢) بعده في الأصنام : « أما إنها لن تعبد بعد اليوم » .

(٣) في الأصنام ٢٧ : « دفعها » بالذال . ورفعها : نصبها للعبادة .

(٤) ط : « وكان أعظمها هبل عندهم » ، وأثبت ما في ش والأصنام .

(٥) ط فقط : « لها » ، تحريف .

(٦) وكنا في الأصنام ، وهو جمع قدح بالكسر . وقدح الميسر يجمع على أقدح وقدح
وأقداح ، وجمع الجمع أقداح .

فإذا اختصموا في أمرٍ أو أرادوا سفرًا أو عملاً ، أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه .

وكان لهم « إساف ونائلة » ، لَمَّا مُسَخَا حَجَرَيْنِ وَضَعَا عِنْدَ الْكَعْبَةِ لِيَتَعَطَّ النَّاسُ بِهِمَا ، فَلَمَّا طَالَ مَكُثُهُمَا وَعُبدَتِ الْأَصْنَامُ عُبدًا مَعَهَا ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا يُلِصِقُ الْكَعْبَةَ وَالْآخَرُ فِي مَوْضِعِ زَمْزَمَ ، فَنَقَلَتْ قَرِيشُ الَّذِي كَانَ يُلِصِقُ الْكَعْبَةَ إِلَى الْآخَرِ . وَكَانُوا يَنْحَرُونَ وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهُمَا ، فَلَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالْأَصْنَامُ مَنْصُوبَةٌ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَجَعَلَ يَطْعُنُ بَسِيَّةِ قَوْسِهِ فِي عَيْنِهَا وَوَجْهِهَا وَيَقُولُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ^(١) ، ثُمَّ أَمَرَ فَكُفِّتْ عَلَى وَجْهِهَا ، ثُمَّ أُخْرِجَتْ مِنَ الْمَسْجِدِ فَحُرِّقَتْ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ رَاشِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ :

قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا يَا أَيُّ الْإِلَهِ عَلَيْكَ وَالْإِسْلَامُ
أَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ حِينَ تُكْسَرُ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتَ نَوَرَ اللَّهِ أَضْحَى سَاطِعًا وَالشِّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

وكان لهم أيضًا منافع ، وسمت به عبد مناف ، ولا أدري أين كان ولا من نصبه .

ولم تكن الحيض من النساء تدنو من أصنامهم ولا تمسح بها ، إنما كانت تقف ناحية منها . وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به ،

(١) الآية ٨١ من سورة الاسراء .

وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به . فلما بعث الله نبيه وآتاهم بتوحيد الله وعبادته قالوا : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ^(١) 〉 ، يعنون الأصنام . واستهترت العرب في عبادتها ، فمنهم من اتخذ بيتًا ، ومنهم من اتخذ صنمًا ، ومن لم يقرر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرًا أمام الحرم وأمام غيره مما استحسَنَ ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ، وسموها الأنصاب . فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان . وسموا طوافهم التَّوَارَ : فكان الرجل إذا سافر منزلًا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فأتخذها ربًا ، وجعل ثلاث أثافي لِقَدْرِهِ ^(٢) ، وإذا ارتحل غَيْرُهُ ^(٣) ، فإذا نزل منزلًا آخر فعل مثل ذلك ، فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلِّها ويتقربون إليها ، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها ^(٤) . وكانت بنو مُلَيْح من خُزَاعَةَ يعبدون الجنَّ ، وفيهم نزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ^(٥) 〉 .

وكان من تلك الأصنام « ذو الخلصة » ، وتقدَّم شرحه في أوائل الكتاب في الشاهد السابع والعشرين ^(٦) .

وكان للمالك ومَلِكَانَ ابْنَي كِنَانَةَ بساحل جُدَّة صنم يقال له سعد ، وكان صخرةً طويلةً ، فأقبل رجلٌ منهم يابِلٌ ليقفها عليه يتبرَّك بذلك فيها ، فلما أدناها منه نَفَرَتْ فذهبت في كلِّ وجه ، فتناول حجرًا فرماه به وقال :

(١) الآية ٥ من سورة ص .

(٢) ط : « الثلاث أثافي » ، وأثبت ما في ش والأصنام ٣٣ .

(٣) في الأصنام ٣٣ : « وإذا ارتحل تركه » .

(٤) بعده في الأصنام : « يحجونها ويعتصرون إليها » .

(٥) الآية ١٩٤ من الأعراف .

(٦) الخزانة ١ : ١٨٩ - ١٩١ .

لا بارك الله فيك ، إنيها ، أنفرت على إيلي ! ثم انصرف وهو يقول :
 أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
 وهل سعد إلا صخرة بتوفة من الأرض لا يدعو لغي ولا رشد^(١) ٢٤٦

وكان للنوس ، ثم لبني مُنهب بن دوس ، صنم يقال له « ذو الكفين »^(٢) ، فلما أسلموا بعث النبي - ﷺ - الطفيل بن عمرو النوسي فحرقه وهو يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا

* إني حشوت النار في فؤادكا *

وكان لبني الحارث بن يشكر من الأزد صنم يقال له : « ذو الشرى » .
 وكان لقضاة ولحم وجذام وعاملة وغطفان ، صنم في مشارف الشام يقال له « الأقيصر » .

وكان لمزينة صنم يقال له « نُهم » ، وبه سميت عبد نُهم^(٥) ، وكان سادنه خزاعي بن عبد نُهم من مزينة ، فلما سمع بالنبي - ﷺ - ثار إلى الصنم فكسره وأنشأ يقول :

(١) في الأصنام ٣٧ : « لا يدعى لغي ولا رشد » ، وما هنا يطابق ما في سيرة ابن هشام ٥٣ جوتجن .

(٢) في القاموس (كفف) : « وذو الكفين : صنم كان للنوس » . وعلق عليه في تاج العروس بقوله : « وذو الكفين كزير : صنم للنوس بن نصر . ومنه قوله :
 • يا ذا الكفين لست من عبادكا •

ونقل السهلي فيه التشديد . وقال : « أنه خفف للضرورة » . وانظر الروض الأنف ١ : ٢٣٥ .

(٣) ط : « عبدتهم » ، صوابه في ش .

ذهبت إلى نُهْم لأذبح عنده عَتِيرَة نُسَلِكْ كالذي كُنْتُ أَفْعُلُ
فقلت لنفسي حين راجعت عقلها أهذا إلهُ أبكم ليس يَعْقُلُ
أُيِّتْ فديني اليوم دينُ محمد إله السماء الماجد المتفضلُ

ثم لحق بالنبي - ﷺ - فأسلم ، وضمن ^(١) إسلام قومه مزينة .

وكان لأزد السراة صنم يقال له « عائم » بالهمزة .

وكان لعنزة صنم يقال له « سُعِير » ، وتقدم شرحه قريباً ^(٢) .

وكان لخلولان صنم يقال له « عُمَيَانِس » ، يَقْسِمُونَ له من أنعامهم
وَحُرُوثِهِمْ قَسَمًا بينه وبين الله تعالى يزعمهم ، فما دخل في حق الله من حق
عُمَيَانِس رُدُّوه عليه ، وما دخل في حق الصنم من حق الله الذي سَمَّوه له
تركوه . وفيهم نزل فيما بلغنا : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
نَصِيبًا ^(٣) ﴾ الآية .

وكان لبني الحارث كعبةً بَنَجْرَانِ يَعْظُمُونَهَا .

وكان أبرهة الأشرم بَنَى بَيْتًا بِصَنْعَاءَ ^(٤) ، سَمَّاهَا « الْقَلِيس » بفتح
القاف وكسر اللام ، وضبطه صاحب القاموس بضم القاف وفتح اللام
المشددة ، بناها بالرُّخَامِ وَجِدَّ الخشب المذهب ، وكتب إلى ملك الحبشة :
إِنِّي قد بنيت لك كنيسةً لم يبن مثلها أحد ، ولست تاركاً العربَ حتَّى أَصْرِفَ

(١) في الأصنام : « وضمن له » . وفي الإصابة ٢٢٤٤ : « وباعه على مزينة لما .

(٢) في الشاهد ٥٢١ من هذا الجزء .

(٣) الآية ١٣٦ من الأنعام .

(٤) المراد بالبيت الكنيسة . والذي في الأصنام : « بيتا بصنعاء كنيسة سماها القليس » .

حَجَّهْم عن الكعبة . فبلغ ذلك بعضَ نساءَ الشَّهْر ، فبعث رجلين من قومه وأمرهما أن يخرجَا حتَّى يتغَوَّظَا فيها . ففعلا ، فلما بلغه ذلك غضب وخرج بالفيْل والحبشة ، فكان من أمره ما كان .

قال أبو المنذر : المعمول من خشبٍ أو ذهبٍ أو فضة صورة إنسانٍ فهو صنم . وإذا كان من حجارة فهو وثن .

هذا ملخص ما ذكره من الأصنام ، وبقي عليه « عَوْض » وتقدّم شرحه قبل هذا بستة شواهد ^(١) . و « اليعوب » ، وهو صنمٌ لجديلة طى ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد فتبدّلوا اليعوب بعده ، قال عبيد :

فَتَبَدَّلُوا الْيَعُوبَ بَعْدَ إلهِهِمْ صَنَمًا فَقَرُّوا ياجدِيلَ وَأَعْدَبُوا ^(٢)

أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا .

و « باجر » بالموحدة وبالجم ، قال ابن دريد : هو صنمٌ كان للأزد في الجاهلية ومن جاورهم من طى وقضاة ، كانوا يعبدونه . وهو بفتح الجيم ، وربما قالوا بكسرهما .

وأنشد بعده :

٢٤٧

(لِحافى لحاف الضيف والبردُ بُردُه)

على أن أل فى (البرد) عوضٌ عن الضمير المضاف إليه ، والتقدير :

« ويردى برده » . وتماه :

(١) فى الشاهد ٥٢١ ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) يقال قر بالمكان بكسر القاف ويقر بفتحها ، والأولى أعلى .

* ولم يُلهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعٌ *

وهو من شعرٍ في الحماسة ، وتقدّم شرحه في الشاهد الثالث والتسعين
بعد المائتين (١) .

* * *

باب العلم

أُنشد فيه ^(١) :

٥٢٧ (سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ وَقَبْلُنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمُودُ)

على أنَّ (سُبْحَانَ) أكثر ما يستعمل مضافاً ، وإذا قطع فقد جاء منوِّناً في الشعر ، كما في البيت ، فلا يكون سُبْحَانَ علماً معرِّفاً بالعلمية ^(٢) بل تعريفه إمَّا بالإضافة لفظاً كسُبْحَانَ اللَّهِ ، أو تقديرًا كما في قوله :

* سُبْحَانَ مَنْ عُلِقَ الْفَاخِرُ ^(٣) *

أى سُبْحَانَ اللَّهِ . وإمَّا باللام ، وهو قليل كقوله :

* سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ ^(٤) *

وإذا قطع عن الإضافة في الشعر نَوْنٌ وتُصَبُّ على المفعولية المطلقة كسائر المصادر . فسُبْحَانَ عنده إمَّا معرف بالإضافة أو باللام ، وإمَّا منكر في الشعر ، ولا علمية .

وقريبٌ منه قول الطَّيْبِيِّ ^(٥) (في حاشية الكشف) : لا يستعمل

(١) علق مصحح طبعة بولاق على هذا الشاهد بأن البغدادى لم يضع له رقما. وقال : « فلعله سهو منه » ، وفي الحق أن البغدادى لم يضع له رقما لأنه سبق ترقيمه في الجزء الثالث ص ٣٨٨ ورقمه الأصيل هو ٢٤٣ . وقد سبق أيضا تخريجى لهذا الشاهد في ٣ : ٣٨٨ .

(٢) ط : « معروفا بالعلمية » ، صوابه في ش .

(٣) للأعشى ، كما سبق في ٣ : ٣٩٧ وكما سيأتى .

(٤) انظر الشاهد ٥٢٨ .

(٥) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣ كما في الدرر الكامنة . ومن حاشيته نسخة بالمكتبة التيمورية باسم « فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب » .

سبحان علماً إلا شاذاً ، وأكثر استعماله مضافاً . فليس بعلم ؛ لأن الأعلام لاتضاف .

وقد رد ابن هشام (في الجامع الصغير) ، بعين ما رد به الشارح المحقق ، إلا أنه قال : لملازمته للإضافة .

هذا محصله ، وهو مخالف لكلام سيويه فمن بعده . والباعث له على المخالفة ما ذكره . قال س في باب ما ينتصب من المصادر على إضمار الفعل المتروك إظهاره :

زعم أبو الخطاب أن سبحان الله كقولك : براءة الله من السوء ، كأنه يقول : أبرأ براءة الله من السوء ^(١) . وزعم أن مثله قول الأعشى :

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر

أى براءة منه . وأما التنوين في سبحان فإنما تُرك صرفه لأنه صار عندهم معرفة ، وانتصابه كانتصاب الحمد لله . وزعم أن قول الشاعر ^(٢) :

سلامك ربنا في كل فجر برئنا ما تغشك الذموم ^(٣)

على قوله برأئك ^(٤) ربنا من كل سوء . فكل هذا ينتصب انتصاب حمداً وشكراً ، إلا أن هذا ينصرف وذلك لا ينصرف . ونظير سبحان الله في البناء من المصادر والمجرى ، لا في المعنى : غفران ، لأن بعض العرب يقول :

(١) انظر سيويه ١ : ٢٣٤ من نسختي .

(٢) هو أمية بن أبي الصلت كما سيأتى . وانظر ديوانه ٥٤ .

(٣) تغشك ، أى تغشك ، بحذف إحدى التاءين ، أى تعلق بك .

(٤) في سيويه : ١ براءةك .

غفرانك لا كُفرانك ، يريد : استغفارًا لا كفرًا . وقد جاء سبحانه منونًا مفردًا في الشعر ، قال الشاعر :

* سبحانه ثم سبحانه نعوذ به *

شبهوه بقولهم : حَجْرًا ، وَسَلَامًا . انتهى كلامُ سيبويه .

وقوله : « سبحانه من علقمة الفاخر » قال الأعلم : الشاهد فيه نصب سبحانه على المصدر ، ولزومها النَّصَب من أَجْلِ قَلَّةِ التَّمَكُّن . وحُذِفَ التنوينُ منها لأنها وضعت عَلَمًا للكلمة ، فجرت في المنع من الصرف مجرى عثمان ونحوه ، ومعناها البراءة والتنزيه .

٢٤٨

وقوله : « سلامك ربنا » إلخ قال الأعلم : الشاهد في نصب سلامك على المصدر الموضوع بدلًا من اللفظ بالفعل ، ومعناه البراءة والتنزيه ، وهو بمنزلة سبحانه في المعنى وقلة التمكن . ونصب بريئا على الحال المؤكدة ، والتقدير : أُبرئكَ بريئًا ^(١) لأنَّ معنى سلامك كمعنى أُبرئكَ ، ومعنى تَعَثَّكَ : تَعَلَّقَ بك ، وهى بالثاء المثلثة . والدُّموم : جمع دَمَ . أى لا تلحقك صفة دَمَ .

والبيت لأمية بن أبي الصلت .

وقوله : (سبحانه ثم سبحانه ^(٢)) إلخ قال الأعلم : الشاهد قوله سبحانه ، وتنكيه وتنوينه ضرورة ، والمعروف فيه أنه يضاف إلى ما بعده ، أو يجعل مفردًا معرفة كما تقدّم في بيت الأعشى . ووجه تنكيه وتنوينه

(١) ش : « أُبرأتكَ بريئا » ، وما في ط يطابق ما في الشنتمري ١ : ١٦٤ .

(٢) ط : « سبحانه سبحانه » بإسقاط « ثم » وهى ثابتة في ش .

أن يشبه ببراءة لأنه في معناها . والجُودى والجُمد بضمتين : جبالان . انتهى .
وقال ابن خلف : قوله : سبحاناً فيه وجهان : يجوز أن يكون نكرة
فصرفه ، ويجوز أن يكون صرفه للضرورة . انتهى .

وهذا من كلام أبى على (في التذكرة القصريّة) قال : سبحاناً يحتمل
وجهين : أحدهما أن يكون هو الذى كان يضيفه في سبحانه . ويجوز أن يكون
معرفة في الأصل ثم نكر ، كزيد من الزيدتين . وجاز إفراد سبحان وإن لم
يستعمل ذلك في الكلام ، فجاء في الشعر كما استعمل العَلَم ، في قوله :
* سُبْحَانَ من علقمة الفاخر * انتهى .

ويكون تنوينه على الأول ضرورة . وإلى الثاني ذهب ابن الشجرى (في
أماليه) ، قال : سبحان في قول الأعشى :

* سَبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةَ الْفَاخِرِ *

لم يصرفه لأن فيه الألف والنون زائدين ، وأنه علمٌ للتسبيح . فإن نكرته
صرفته ، كما قال أمية :

سبحانه ثم سبحاناً نعوذ به البيت . اهـ

وقد تقدم في الشاهد الرابع والستين بعد الأربعمائة ^(٢) النقل عن تذكرة
أبى على ما يتعلق بتتوين سبحان بأبسط من هذا ، فارجع إليه .

(١) : « زائدان » ، وما أثبت من ش يطابق ما في أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٥٠ .

(٢) انظر ما سبق في ٦ : ٢٨٦ .

وقال ابن يعيش (في شرح المفصل) : سبحان علمٌ عندنا واقع على التَّسْبِيح ، وهو مصدر معناه البراءة والتنزيه ، وليس منه فعل وإنَّما هو واقع موقع التَّسْبِيح الذى هو المصدر فى الحقيقة ، جُعل علمًا على هذا الموضع ، فهو معرفة لذلك ولا ينصرف ، للتعريف وزيادة الألف والنون . قال الأعشى :

* سبحانَ من علقمة الفاخرِ *

فلم يَنُونْهُ لما ذكرنا من أنَّه لا ينصرف . فإنَّ أضفته قلت سبحان الله ، فيصير معرفة بالإضافة ، وابْتَرَزَ منه تعريف العلمية كما قلنا فى الإضافة ، نحو : زَيْدُكُمْ وَعَمْرُكُمْ ، يكون بعد سلب العلمية . فأما قوله :

* سبحانه ثم سبحانًا نعوذ به *

ففى تنوين سبحانًا هنا وجهان : أحدهما أن يكون ضرورةً كما يُصرف ما لا ينصرف فى الشعر ، من نحو أحمد وعمر .

والوجه الثانى : أن يكون أراد النكرة . انتهى .

وقد حمل صاحب (الكشف) قولَ الرَّمْضَرى : « سبحان علم للتسبيح » على أنَّه علمٌ مطلقًا سواء أُضِيفَ أو لم يضاف . وكذا قال الفناى (فى حاشية ديباجة المطول) : إِنَّه علمٌ ، أُضِيفَ أو لم يضاف ، وهو غير منصرفٍ للألف والنون مع العلمية .

وهذه طريقة ابن مالك ، وتبعه الشارح المحقق ، وهى أنَّ العلمَ يجوز أن يضاف مع بقاءه على علميَّته من غير قصدٍ تنكير . ولا يردُّ بهذا على الشارح المحقق هنا كما زعمه بعض مشايخنا ، لأنَّه قد نقل أنَّه يَعْرِفُ باللام تارةً وينكُرُ تارةً .

وأما قوله : إنه ممنوعٌ من الصرف مع الإضافة أيضًا ، فلعله مفرّع على القول بأنه إذا لم تُزل إحدى العلتين فهو غير منصرف وإن كان مضافًا . ٢٤٩

وهذه عبارة صاحب الكشف : قوله « سبحان علم للتسبيح » ، الظاهر من إطلاقه ههنا وفي المفصل أنه علم للتسبيح ، أى التنزيه البليغ لا التسبيح بمعنى قول سبحان الله مطلقًا ، مضافًا كان أم لا ، خلاف مانص عليه الشيخ ابن الحاجب أن ذلك في غير حال الإضافة . والوجه ما ذهب إليه العلامة ، لأنه إذا ثبتت العلة بدليلها فالإضافة لاتنافيها ، وليست من باب زيد المعارك لتكون شاذة ، بل من باب حاتم طيء وعنترة عبس ، ولهذا لم يضاف إلا إلى اسم من أسمائه تعالى . ولو لم يحمل على ما ذكرت لم يكن لقوله سبحان علم للتسبيح في هذا الموضع معنى . وأما دلالة على التنزيه البليغ فمن الاشتقاق ، أعنى من التسبيح ، وهو الإبعاد في الأرض . ثم ما يعطيه نقله إلى التفعيل ، ثم العلول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة ، لا سيما وهو علم يشار به إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ، وما فيه من قيامه مقام المصدر مع الفعل . ولهذا لم يجز استعماله إلا فيه تعالت أسماؤه ^(١) وعظم كبريائه . وكأنه قيل : ما أبعد الذى له هذه القدرة عن جميع النقائص ، فلا يكون اصطفاؤه لعبده الخسيس به إلا حكمةً وصوابًا . فالتنزيه لا ينافى التعجب كما توهم واعتراض وجعله مُدَارًا . والتعجب ههنا هو الوجه ، بخلافه في قوله : ﴿ سبحانك هذا بهتانٌ عظيم ^(٢) ﴾ . فافهم . انتهى .

وقد تضمن كلامه جواب من استشكل العلمية بأمرين :

(١) ط : « تعال أسماؤه » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح .

(٢) الآية ١٦ من سورة النور .

أحدهما : أنَّ مدلول التسييح لفظ ، لأنَّه مصدرٌ سَبَّحَ إذا قال سبحان الله ، ومدلول سبحانه التنزيه لا اللفظ ، فلا يصلح جعل سبحان الذى مدلوله معنى على ما مدلوله لفظ .

وثانيهما : ما ذكره البهلوان (فى حاشية الكشف) من أنَّه قد تقرَّر أنَّ العلم لا تجوز إضافته إلَّا بعد تنكيه ، وطريق تنكير العلم أن يؤوَّل بواحد من الأُمَّة المسماة به . وعلم الجنس مسمَّاهُ شَيْءٌ واحد لا متعدّد ، فلا يصلح تنكيه .

وقول صاحب الكشف : وليست من باب زيد المearك ، أى من إضافة العلم إلى ماهو متَّصف به معنى ، قصَّد به ردُّ كلام الطيبي .

وأشار أبو السعود (فى تفسيره) لردِّهما بقوله : وحيث كان المسمَّى معنى لاعينا ، وجنسًا لا شخصا ، لم تكن إضافته من قبيل ما فى زيد المearك أو حاتم طي . وإثما فعل هذا لأنَّ نحو زيد المearك لا يكون إلَّا فى علم الشخص دون علم الجنس .

قال صاحب اللباب : طريق تنكير العلم أن يُتأوَّل بواحدٍ من الأُمَّة المسماة به ، نحو هذا زيد ورأيت زيدًا آخر . أو يكون صاحبه قد اشتهر بمعنى من المعانى فيجعل بمنزلة الجنس الدالَّ على ذلك المعنى ، نحو قولهم : لكلِّ فرعون موسى .

قال شارحه : قوله وطريق تنكير العلم ، أى من أعلام الأشخاص لا من أعلام الأجناس ، فإنَّه لا ينكَّر بالطريق الأوَّل ، لأنَّ من شرطه أن يوجد الاشتراك فى التسمية ، والمسمَّى بعلم الجنس واحد لا تعدُّد فيه ، اللهم إلَّا أن يوجد اسمٌ مشترك أُطلق بحسب الاشتراك على نوعين مختلفين ثم وَرَدَ

الاستعمال فيه مرادًا به واحد من المسمَّى به .

وأما بالطريق الثاني فلا شبهة في إمكان تنكيرها ، مثل أن يقال :
قرئت كل أسامة ، أى بالغ في الشجاعة .

وقوله : « وزيدًا آخر » تأويله المسمَّى يزيد ، وحينئذ يصير اسم جنس متواطئًا يدخل فيه كل من سمي به .

وقوله : لكل فرعون موسى ، أى لكل ظالم مُبْطِلٌ عادلٌ محقٌّ . ويجوز أن ٢٥٠
يبقى العلم في هذا على حاله ، ويكون المضاف محذوفًا ، أى لِمِثْلِ كُلِّ فرعونٍ
مِثْلُ موسى . وليس المراد هنا مسمَّى بموسى ، ولا مسمَّى بفرعون . انتهى .
ويمكن تصوير تنكير العلم الجنسي بطريق آخر ، وهو أن يجردَ عن
ملاحظة التعيين ، ويُراد به مطلقُ الماهية في ضمن أى فردٍ من أفرادهِ .
والحاصل أن القول بالعلمية مطلقًا أضيف أو لم يُضَفْ صعب .

ولله درُّ الشارح المحقق ، تَفَصَّى عن الأمورِ بسلوكه طريقةً وسطى
لا يردُّ عليها ما ذكر ، وإن كانت مخالفةً للجمهور .

بقى بحثٌ في عامل سبحان ، هل يجوز أن يقدر فعلٌ أمرٌ ؟ فيه نزاعٌ .
ذكر السيّد (في شرح المفتاح) في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ
مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) أن قوله وسبحان
بتقدير الأمر ، تنزيهاً له تعالى في مقام المكاملة عن المكان والجهد ، أى وسبحه
تسبيحاً . انتهى .

(١) الآية ٨ من سورة النمل .

وقال القاضى ، فى ﴿ فسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ ^(١) : إخبارٌ فى معنى الأمر بتزبیه الله تعالى والثناء علیه فى هذه الأوقات .

وقال بعض من كتب علیه : لم يجعله أمراً ابتداءً ، لأنَّ سبحان الله على ما يبين فى النحو لزم طريقة واحدة ، لا ينصبه فعلٌ أمر

وجوّز الأمرين أبو شامة فى : ﴿ سبحان الذى أسرى ﴾ ^(٢) ، قال : إن فعله المحذوف إمّا فعل أمر أو خبر ، أى سَبَّحُوا أو سَبَّحَ الذى أسرى بعبدہ ، على أن يكون ابتداءً ثناءً من الله على نفسه ، كقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لورقة بن نوفل الصحابى ، قالها لكفار مكة حين رآهم يُعَذِّبُونَ بلالاً على إسلامه ، تقدّم شرحها مع ترجمته فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائتين ^(٣) . وقبله :

سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ لَا شَيْءَ يَعَادِلُهُ رَبُّ الْبَرِّيَّةِ فَرْدٌ وَاحِدٌ صَمَدٌ
وقوله : (نَعُوذُ بِهِ) يريد كلاً رأينا أحداً يعبدُ غير الله عُدْنَا بعظمته
وسَبَّخْنَا حَتَّى يَعْصِمَنَا مِنَ الضَّلَالِ . وروى الرياشى : (نعوذُ له) بالبدال
المهمل وبالإلام ، أى نعالوده مرةً بعد مرة .

و (الجودى) : جبل بالموصل ، وقيل بالجزيرة . و (الجُمْد) بضم
الجيم والميم : جبلٌ أيضاً بين مكة والبصرة . ومفعول سَبَّحَ محذوف ، أى سَبَّحَهُ
الجودى .

(١) الآية ١٧ من سورة الروم .

(٢) الآية الأولى من الاسراء .

(٣) الخزائن ٣ : ٣٨٨ - ٣٩٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٢٨ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ)

على أن (سبحان) جاء معرفاً باللام فلا يكون علماً ، فلا يأتي فيه ما زعمه بعضهم من أنه عُلِّمَ ولو أضيف . وذا بمعنى صاحب منصوب لأنه تابع للهِمَّ ^(٢) على المحل .

وهذا الرجز أنشده ابن مالك (في شرح الكافية) ، قال في نظمها :

سُبْحَانِ فِي غَيْرِ اخْتِيَارٍ أَفْرِدَا مُلَابِسَ التَّنْوِينِ أَوْ مَجْرَدَا
وَشَذُّ قَوْلٍ رَاجِزٍ رَبَّانِي سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ ^(٣)

وقال في الشرح : من الملتزم الإضافة سبحان ، وهو اسم بمعنى التسييح وليس بعلم ، لأنه لو كان عَلَمًا لم يَضَفْ إلى اسم واحد كسائر الأعلام . وأُخْلِى من الإضافة لفظاً للضرورة ، منونا وغير منون . فالتنوين كقول الشاعر :

سبحانه غم سبحانا نعوذُ به البيت

وغير المنون كقول الآخر :

* سُبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةِ الْفَاحِرِ *

وزعم الزمخشري وأبو علي أن الشاعر ترك تنوين سبحان لأنه علم على التسييح ، فلا ينصرف للعلمية وزيادة الألف والنون .

(١) أمالي ابن الشجرى ١ : ٣٤٨ والمجم ١ : ١١٩٠ وبس ١ : ١٢٥ .

(٢) في السختين : « تابع لا اللهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الكافية الشافية لابن مالك ص ٥٢ .

وليس الأمر كما زعما ، بل ترك التنوين لأنه مضاف إلى محنوف مقدر الثبوت ، كما قال الراجز :

* خالط من سلمى خياشيم وفا ^(١) *

أراد : وفاها . وشذ دخول الألف واللام على سبحان والإضافة إليه ، فيما أنشده ابن الشجري ، من قول الراجز :

* سبحانك اللهم ذا السبحان *

اتهى .

وأورده أبو حيان أيضا (فى الارتشاف) كما يأتى بعد هذا ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(سبحان من علقمة الفاخر)

على أنهم استدلوا به على علمية (سبحان) بمنعه من الصِّرف للعلمية وزيادة الألف والنون كعثمان . وردّه الشارح المحقق بأنه من قبيل المضاف ، أى سبحان الله ، حذف المضاف إليه وأبقى المضاف على حاله من التجرد عن التنوين .

والشارح المحقق مسبوق بهذا الرد ، نقله أبو حيان (فى الارتشاف) قال فيه : معنى سبحان الله براءة من السوء . ويستعمل مفردا منونا وغير منون . فإذا قلت سبحان فهو ممنوع من الصرف عند سيوبه للعلمية وزيادة

(١) للمعاج ، كما سبق فى ٣ : ٤٤٢ .

(٢) هو الشاهد ٢٣٥ فى الخزانة ٣ : ٣٩٧ .

الألف والنون . وقيل : هو مضاف في التقدير ، ترك على هيئته حين كان مضافاً في اللفظ . وهو اسم وضع موضع المصدر الذى هو التسييح ، وأصله الإضافة ثم استعمل مقطوعاً عنها منوناً في الشعر وغير منون . وقيل وضع نكرة جارية مجرى المصادر ، فعرف بالإضافة وبأل . قال :

* سبحانك اللهم ذا السُّبحان * انتهى

وممن حكى ماردّه الشارح ، ابن الحاجب (فى شرح المفصل) قال :
والذى يدل عليه أنه علم قول الشاعر :

قد قلت لما جاءنى فخزه سبحان من علقمة الفاخر

ولولا أنه علم لوجب صرفه ، لأن الألف والنون فى غير الصفات إنما تمنع مع العلمية ، ولا يستعمل سبحان علماً إلا شاذاً . وأكثر استعماله مضافاً . وإذا كان مضافاً فليس بعلم ، لأن الأعلام لا تضاف وهى أعلام ، لأنها معرفة ، والمعرفة لا تضاف . وقيل : إن سبحان فى البيت حذف المضاف إليه وهو مراد للعلم به . انتهى .

وزعم الراغب أن سبحان فى هذا البيت مضاف إلى « علقمة » ومن زائدة .

وهو ضعيف لغة وصناعة .

أما الأول فلأن العرب لا تستعمله مضافاً إلا إلى الله ، أو إلى ضميره ، أو إلى الرب ، ولم يسمع إضافته إلى غيره .

وأما صناعة فلأن من لا تزاد فى الواجب عند البصريين .

و (سبحان) هنا للتعجب ، ومن داخلة على المتعجب منه . والأصل

فيه أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه .

وصاحب الصحاح ، وتبعه صاحب العباب ، نظرا إلى ظاهره فقال :
العرب تقول سبحان من كذا ، إذا تعجبت منه . قال الأعشى يذكر علقمة
ابن عُلَالة :

أقول لَمَّا جاءني فخرُهُ سبحانَ من علقمة الفاجرِ

يقول : العجب منه إذ يفخر . وإنما لم يتوّن لأنه معرفة عندهم ، وفيه
شبه التأنيث . انتهى .

ولا يخفى ضعفه . ووجود الزيادة تغنى عن شبه التأنيث .

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، هجا بها علقمة بن عُلَالة
الصحابي ، وفُضِّل علوُّ الله عامرَ بنِ الطُّفيل عليه .

صاحب الشاهد

٢٥٢

وقد تقدم شرحها وسببها في الشاهد الخامس والثلاثين بعد
المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سَلَمَى خياشيم وفا)

على أن أصله وفاها ، حذف المضاف إليه وبقي المضاف على حاله .
وتقدم شرحه في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين (٢) .

* * *

(١) الخزاعة ٣ : ٣٩٧ - ٤٠٣ .

(٢) الخزاعة ٣ : ٤٤٢ .

وأنشد بعده :

ولأنت أجزاً من أسامة إذ دُعيت نزال ولج في الذعر
تقدم شرحه في الشاهد السابع والستين بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(كَانَ فَعْلَةً لَمْ تَمَلَّأْ مَوَاقِبَهَا دِيَارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ)
وقد تقدم شرح هذا أيضاً في الشاهد السادس والثمانين بعد
الأربعمائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكاً شَدِيداً بِأَحْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ)
وتقدم شرحه أيضاً في الشاهد التاسع عشر بعد المائة (٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ الثَّقَا رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَيُّضَ مَاضِي الشُّفَرَتَيْنِ يَمَانِي)
وهذا أيضاً تقدم شرحه في الشاهد الثامن عشر بعد المائة (٤) .

* * *

(١) الخزائن ٦ : ٣١٦ - ٣٢٧ .

(٢) الخزائن ٦ : ٤٤٧ - ٤٦٥ .

(٣) الخزائن ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٤) انظر ما سبق في ١ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الخمسمائة (١) :

٥٢٩ (سَكَنُوا شَيْبًا وَالْأَحْصَى وَأَصْبَحَتْ

نَزَلَتْ مَنَازِلُهُمْ بَنُو ذِيانٍ

وَإِذَا فَلَانٌ مَاتَ عَنْ أَكْرُومَةٍ

رَقَعُوا مَعَاوِزَ فَقْدِهِ بِفُلَانٍ)

على أنَّ (فلانا) يجوز أن يأتي في غير الحكاية ، خلافاً للمصنّف وابن السّراج ، كما في البيت الثاني ؛ فإنَّ فلاناً الأول وقع فاعلاً لفعل يفسره ما بعده ، وفلاناً الثاني جُرَّ بالباء ، وهما وقعاً في غير حكاية .

والمصنّف ذهب إلى هذا (في شرح المفصل) قال في آخر شرح العلم : ولم يثبت استعمال فلانٍ إلا حكاية ، لأنَّه اسمُ اللفظ الذي هو علم ، لا اسمٌ مدلول العلم ، فلذلك لا يقال جاءني فلان ، ولكن يقال قال زيد جاءني فلان . قال الله تعالى : ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٢) ، فهو إذن اسمُ الاسم . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيتان للمرار الفقعسي ، قد سقط من بينهما بيت .

روى القالي (في أماليه) عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمّه الأصمعيّ قال : بينا أنا بجَمَى ضَرِيَّةٍ إِذْ وَقَفَ عَلَيَّ غُلَامٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فِي أَطْمَارٍ ، مَا ظَنَنْتُهُ يَجْمَعُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، فَقُلْتُ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ : حُرَيْقِيص . فَقُلْتُ : أَمَّا كَفَى أَهْلَكَ أَنْ سَمَّوكَ حُرْقُوصًا حَتَّى حَقَرُوا اسْمَكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ السَّقَطَ يُحْرِقُ الْحَرَجَةَ ! فَعَجِبْتُ مِنْ جَوَابِهِ ، وَاتَّصَلَ الْكَلَامُ بَيْنَنَا فَقُلْتُ : أَنْشَدْنَا شَيْئًا مِنْ أَشْعَارِ قَوْمِكَ . قَالَ : نَعَمْ ، أَنْشَدُكَ لِمُرَارِنَا ؟ قُلْتُ : أَفْعَلْ . فَقَالَ :

٢٥٣

(١) أمال القالي ١ : ٦٦ ومعجم البلدان (شيب) .

(٢) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة الفرقان .

سكنوا شَيْبًا والأحصُ وأصبحت نزلت منازلهم بنو ذبيان
 وإذا يقال أتيتم لم يبرحوا حتى تقيم الحرب سوق طعان^(١)
 وإذا فلان مات عن أكرومة رقعوا معاوز فقده بفلان^(٢) (

قال : فكادت الأرض أن تسوخ في لحسن إنشاده وجودة الشعر .
 فانشدت الرشيد هذه الأبيات فقال : وددت يا أصمعي أن لو رأيت هذا
 الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب : انتهى .

وحمى ضريّة ، بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء المهملة وتشديد المثناة
 التحتيّة : تُسب هذا الحمى إلى ضريّة بنت ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ،
 وهو أكبر الأحماء من ضريّة إلى المدينة ، وهي أرض كثيرة العشب . وأول من
 حماه في الإسلام عمر بن الخطاب لإبل الصدقة وظهر الغزاة ، وكان حماه ستة
 أميال من كل ناحية من نواحي ضريّة ، وضريّة في أوسط الحمى .

والحرقوص بالقاف وبالمهملات ، كعصفور : دويّة كالبُرغوث ، ربّما
 نبت له جناحان فطار .

والسقط قال القالي : هو ما يسقط من الزند إذا قدح . وقال
 أبو عبيدة : في سقط النار وسقط الولد ثلاث لغات^(٣) : الضمّ والفتح
 والكسر . وزناد العرب من خشب ، وأكثر ما يكون من الممرخ والغفار ،
 ولذلك قال الأعشى .

(١) في الأمالي : حتى تقيم الخيل .

(٢) في الأمالي : معاوز فقره .

(٣) ط : ثلاثة لغات ، صوابه في ش وأمالي القالي .

زنادك خيرُ زناد المُلُو كِ صادفَ منهم مَرَحٌ عَفَارًا
وإنَّما يؤخذُ عودٌ قدرُ شبرٍ فيحدُّ طرفه ، فيجعلُ ذلكَ المَحدُّ في ذلكِ
الثَّقبِ وقد وُضِعَ بينَ رجليه ، فيديره ويفتله فيورى نارًا . فالأعلى زند والأسفل
زندة .

والحرَجَة بفتح الحاءِ والراءِ المهملتين بعدهما جيم ، قال القالى : هو
الشجرُ الملتف ، وجمعه حراج . قال العجاج :
عائِنَ حَيًّا كالِجِراجِ نَعْمُهُ يكونُ أَقصى شَلِّهِ مُخَرَّنَجُمُهُ

يقول : عائِنَ هذا الجيشَ الذى أَتانا حَيًّا . ويعنى بالحىِّ قومَه بنى
سعد . والثَّعم : الإبل . وأقصى : أَبْعَدُ . وشَلِّهِ : طَرْدُهُ . ومُخَرَّنَجُمُهُ : مبركته
حيث يجتمع بعضه إلى بعض . والمعنى أَنَّ الناسَ إذا فوجئوا بالغارة وطردوا
إبلهم وقاموا هم يقاتلون ، فإن انهزموا كانوا قد نَجَّوا بها . يقول : فهؤلاء من
عَزَّهم ومنعتهم لا يطردها ، ولكن يكونُ أَقصى طَرْدِهِم أَنَّ ينيخوها فى مبركها
ثم يقاتلوا عنها . انتهى .

وقوله : (سَكَنُوا شَيْبًا) هو بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة وآخره
ثاءً مثلثة : اسم ماءٍ لبني تغلب . قال الجعدى وذكر كليبا لما طعنه
جسَّاس :

فقال لجسَّاسٍ أُغْنِنِي بِشَرِبَةٍ من الماءِ وامْتِنِها عَلَيَّ وَأُنْعِمِ
فقال : تَجَاوَزْتَ الْأَحْصَى وَمَاءَهُ وَبَطْنَ شَيْبٍ وَهُوَ ذُو مَتْرَسَمِ
[مَتْرَسَمٌ ^(١)] أى موضع الماء لمن طلبه ^(٢) . وقال عمرو بن الأهتم :
فقال لجسَّاسٍ أُغْنِنِي بِشَرِبَةٍ وَالْأَفْنَى مِنْ لَقِيَتْ مَكَانِي

(١) التكملة من ش .

(٢) ظ : « لما طلبه » ، صوابه فى ش .

فقال : تجاوزت الأحصَّ وماءه وبطن شُبَيْث وهو غير دِفَانٍ
 كذا في المعجم للبكري . قال السُّكْرَى : يقال ماء دَفَن ومِياة دِفَان ،
 أى مندفنة قد درس مواضعها . والأحصَّ بمهملتين قال البكري (في
 معجمه) : هو على وزن أَفْعَل ، وإِ لَبْنِي تغلب ، كانت فيه بعضُ وقائهم
 مع إخوتهم بكر . قال مهلهل :
 وادى الأحصَّ لقد سَقَاكَ من العِدَى فيض الدُّموع بأهله الدُّعسُ
 والدَّعس من منازل بكر . وقال جرير :
 سادت همومي بالأحصَّ وِسَادِي هيهات من بلد الأحصَّ بلادِي
 وبالأحصَّ قتل جَسَّاسُ بن مرة ، كُليبُ بن ربيعة . انتهى .
 وقوله : « تجاوزت الأحصَّ وشُبَيْثًا » ، صار مثلاً يضرب لطالب الشيء
 بعد فوته ، أورده الزمخشري (في أمثاله) قال : هما ماءَان . وأصله أنَّ جَسَّاسَ
 ابن مُرة لما ركب ليلحق كليباً أُرْدَفَ خلفه عمرو بن الحارث بن ذهل بن
 شيبان ، فلما طعنه وبه رمق قال له :
 أَغْنَيْتَنِي يَا جَسَّاسُ مِنْكَ بَشْرِيَّةٌ تَعُوذُهَا فَضْلًا عَلَيَّ وَأَنْعَمُ ^(١)
 فقال له جَسَّاسُ : تجاوزت الأحصَّ وشُبَيْثًا . أراد : إنك تباعدت عن
 موضع سُقْيَاكَ ! ثم نزل عمرو فحسب أنه يسقيه ، فلما علم أن نزوله
 للإجهاز عليه قال :
 المستجير بعمرو عند كُربتِه كالمستجير من الرَّمضاءِ بالنارِ . اهـ

(١) ش : « عليك » تحريف . وفي معجم البلدان (الأحص) :

• تفضل بها طولا على وأنعم •

وفي جمهرة المسكرى ١ : ٢٧٩ :

• تمن بها فضلا على وأنعم •

و (أَصْبَحْتُ نَزَلْتُ) إلخ بنو ذبيان اسم أصبحت ، وجملة نزلت خبرها ، وتقدم من الشارح أنه يجوز وقوع الماضي خبراً للأفعال الناقصة .

وقوله : (وإذا يقال أتيتم) إلخ هذا البيت هو الذي أعجب الأصمعي والرشيد ، لدلالته على كمال الشجاعة . وأتيتم بالبناء للمفعول يستعمل في المكروه ، أي ذهبتهم بمجىء العدو . ويرح الشيء ، من باب تعب ، برأحا : زال من مكانه . وروى « الخيل » بدل الحرب . والطعان : المطاعنة بالرمح .

وقوله : (عن أكرومة) عن متعلقة بحال محذوفة ، أي منصرفاً عن أكرومة بضم الهمزة ، أي عن ذكر جميل ومنقبة كريمة . والأكرومة من الكرم ، كالأعجوبة من العجب . وقوله : (رقعوا معاوز) إلخ رقعوا بالقاف ، من رقت الثوب رقعا من باب نفع ، إذا جعلت مكان القطع خرقعة ، واسمها رُقعة ، و (المعاوز) قال القالي : هي الثياب الخُلُفان . وفي الصحاح : المعوزة والمعوز بكسر أولهما : الثوب الخلق الذي يتنزل ^(١) ، والجمع معاوز . و (الفقد) : مصنر فقدته فقدًا من باب ضرب ، إذا عُدته . يقول : إذا مات منهم سيد أقاموا موضعه سيدًا آخر .

المرار للفقهي

والمرار الفقهي الأسدي هو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، بفتح الميم وتشديد الراء الأولى . وينسب تارة إلى فقفس وهو أحد آبائه

(١) ط : « الثوب الخلق أي يتنزل » ، صوابه من ش والصحاح (عوز) .

الأقرين ، وتارة إلى أسد بن خزيمه بن مدركة، وهو جدّه الأعلى . وتقدمت ترجمته في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين ^(١) .

والموجود في نسخ الشرح : « المرار العَبَسِي » ، وهو تحريف وتصحيف من الفقْعَسِي ، إذ ليس من الشعراء المرار العَبَسِي ، وكأنه حُرِفَ بالنظر إلى قوله نزلت منازلهم بنو ذبيان ، فإنَّ عَبَسًا وذبيان أخوان أبوا قبيلتين ، وهما ابنا بعيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويدلُّ ٢٥٥ أيضًا لما قلنا حكاية الأصمعي إذ وقف على غلام من بني أسد ، وفيها « أنشدك لمرارنا » . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الخمسمائة :
 ٥٣٠ (أَخَذْتُ بَعِيْنَ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ وَبِالدَّيْنِ حَتَّى مَا أَكَادُ أَدَانُ
 وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي الْغِنَى وَرَدَّ فَلَانٌ حَاجَتِي وَفَلَانُ)
 لما تقدّم قبله ، فإن (فلانًا) فاعل ردّ ، وهو في غير حكاية .

روى أبو الفرج الاصبهاني (في الأغاني ^(٢)) بسنده قال :
 مرَّ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بِمَعْنٍ بن أوس المزني وقد كُفَّ بصره ، فقال له : يامعن كيف حالك ؟ فقال : ضعف بصرى وكثر عيالى ، وغلبنى الدين . قال : وم ديتك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فبعث بها

(١) الخزائن ٤ : ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٢) الأغاني ١٠ : ١٥٧ .

إليه ، ثم مرَّ به من الغد فقال : كيف أصبحت يا معن ؟ قال :

أخذتُ بعينِ المالِ حتَّى نهكتُهُ البيتِين

قال له عُبيد الله : الله المستعان ، إنا بعثنا إليك لقمةً فما لُكَّها حتَّى
انْتَرَعْتَ من يديك ، فأثَى شئٍ للأهل والقراة والجيران ، وبعث إليه بعشرة
آلاف درهمٍ أخرى ، فقال معنٌ يمدحه :

إِنَّكَ فَرَعٌ من قريشٍ وإِنَّمَا يَمِجُّ التَّدَى منها البحورُ الفوارِغُ
تَوَوَّا قَادَةَ للناسِ بطحاءِ مكة لَهُمُ وسقاياتُ الحجيجِ الدوافِعُ
فلما دُعُوا للموتِ لم تُبَكْ منهم على حادثِ الدهرِ العيونُ الدوامُ

قوله : (أخذت بعين المال) إلخ يقال أخذ الخطام وأخذ به ، على
زيادة الباء ، أو أخذت مضمَّن معنى تصرَّفت . وعين المال هنا : نَقْدُهُ ، فإنَّ
العينَ له معانٍ منها النقد . وحتَّى هنا بمعنى الغاية . و (نَهَكَتُهُ) : أَتَلَفَتْهُ
وَمَزَقَتْهُ ، وهو من نهكتَه الحمى ، إِذَا جَهَدَتْهُ وَأَضْنَتْهُ ونقصت لحمه ، جاء من
باب نفع ومن باب فرح ، أو من باب نهكت الثوب من باب نفع : لَيْسَتْهُ
حتَّى خَلَقَتْ . يقول : تَصَرَّفْتُ بالمالِ النقدِ وأسرفت فيه إلى أن فَنِي .

قوله : (وبالدين) معطوف على قوله بعين المال ، أى وأخذت الدين
من هنا ومن هنا حتَّى ما بقى من يُقرضنى . و (أكاد) بفتح الهمزة بمعنى
أقرب . قال فى المصباح : كاد يفعل كذا يكاد ، من باب تعب : قارب

(١) فى النسختين : « فى سقايات الحجيج » ، صوابه من الأغاني .

الفعل . قال ابنُ الأنباري : قال اللغويون : كدتُ أفعلُ معناه عند العرب قاربتُ الفعل ولم أفعل ، وما كدتُ أفعلُ معناه فعلتُ بعد إبطاء . قال الأزهرى : وهو كذلك ، وشاهده قوله تعالى : ﴿ وما كادُوا يَقْعُلُونَ ^(١) ﴾ . وقد يكون ما كدتُ أفعلُ بمعنى ما قاربت . انتهى .

وهذا الأخير هو المراد هنا .

و (أَدان) : مجهول دِنْتَه بمعنى أقرضته ، قال صاحب المصباح ^(٢) : قال جماعة : يُستعمل دان لازماً ومتعدياً ، فيقال دِنْتَه إذا أقرضته فهو مدين ومديون ، واسم الفاعل دائن فيكون الدائن من يأخذ الدَّين على كونه لازماً ، ومن يعطيه على كونه متعدياً . وقال ابن القطاع : دِنْتَه أقرضته ، ودِنْتَه استقرضت منه . وقال ابن قتيبة : لا يستعمل دان إلا لازماً فيمن يأخذ الدين . وقال ابن السكيت أيضاً : دان الرجل إذا استقرض ، فهو دائن . وكذلك قال ثعلب ، ونقله الأزهرى أيضاً . وعلى هذا فلا يقال منه مدين ولا مديون ، لأنَّ اسم المفعول إنَّما يكون من فعل متعدٍّ ، وهذا الفعل لازم ، فإذا أردتُ التَّعْدَى قلتُ أدنْتَه ودائنته . قاله أبو زيد ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وثعلب . انتهى .

وقوله : (وحتى سألتُ القرضَ) إلخ سألتُ هنا بمعنى طلبت ، والقرض بفتح القاف وكسرهما ، وهو ما تعطيه غيرك من المال لتُفَضَّاه . والفرق بينه وبين

(١) الآية ٧١ من سورة البقرة .

(٢) كتب مصحح طبعه بولاق : « قوله قال صاحب المصباح ، إلخ قد تصرف في عبارته بتقديم وتأخير وبعض حذف ، كما يظهر بالوقوف عليه » .

الَّذِينَ أَنَّ الدِّينَ أَعْمُ مِنْهُ ، يكون ثمن مبيع وغيره ، والقرض خاصٌّ بالنَّقد من غير ربح .

وقوله : (وردٌ فلان) إلخ معطوف على سألت ، قال أبو هلال العسكري (في كتاب الفروق في اللغة) : الفرق بين الفقر والحاجة أَنَّ الحاجة هي القصور عن المبلغ المطلوب ، ولهذا يقال : الثوب يحتاج إلى خرقه ، وفلان يحتاج إلى عقل ، وذلك إذا كان قاصراً غير تامٍّ . والفقر خلاف الغنى . فأما قولهم مفتقر إلى عقل فهو استعارة ، ومحتاج إلى عقل حقيقة . والفرق بين النقص والحاجة : أَنَّ النقص سبب الحاجة ، والمحتاج يحتاج لنقصه ، والنقص أعمُّ من الحاجة ، لأنَّه يستعمل فيما يحتاج وفيما لا يحتاج .

وقوله : « فما لُكْتُهَا » من لأك اللقمة يلوکها لوكًا ، إذا مضغها .

وقوله : « إنَّك فرع من قریش » إلخ هو مخروم ، ويروى : « وإنك » بالواو فلا خرم . والفرع مستعار من فروع الشجرة ، وهي أغصانها . وفي الصحاح : هو فرعُ قومٍ للشَّريف منهم . ومَجَّ الماء من فيه : رمى به . والندى : أصل المطر ، ويطلق لمعانٍ ، يقال أصابه ندى من طلٍّ ومن عرقٍ ، وندى الخير وندى الشر ، وندى الصوت . والندى : ما أصاب من بلل . وبعضهم يقول : ما سقط آخر الليل ندىً ، وأمَّا الذي يسقط أوله فهو السَّدى بالسَّدِّ أيضًا . وضمير منها لقریش . وشبه أجوادهم وكرمَاءهم بالبحور . والفوارع : جمع فارع ، وهو العالى .

وقوله : « تَوَرَّأ قَادَةَ لِلنَّاسِ » إغث ثوى هنا متعدٍ بمعنى سكنوا ونزلوا . قال صاحب المصباح : ثوى بالمكان وفيه ، أى أقام ، وربما تعدى بنفسه . وقادة : جمع قائد ، من قاد الأمير الجيش والناس قيادةً . وبطحاء مكة مفعول ثوروا ، ولهم خبر مقدم ، واللواحق مبتدأ مؤخر : جمع دافع ، يقال شاةٌ أو ناقةٌ دافِعٌ ودافعةٌ ومِدْفَاعٌ ، وهى التى تدفع اللبأ فى ضرعها قُبيل التَّاج . وفى بمعنى مع . والسَّقاية بالكسر : الموضع يُتخذ لسقى الناس . والحَجيج : جمع حَاجٍ .

وقوله : « فَلَمَّا دُعُوا لِلْمَوْتِ » بالبناء للمفعول . يصفهم بالشجاعة ، يقول : إن طلبوا للحرب لم تدمع لهم عينٌ خوفاً من القتل .

وعبيد الله بن العباس هو ابن عمِّ رسول الله - ﷺ وهو أخو عبد الله بن العباس حَبْر هذه الأمة . قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) (١) : أجواد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد : عبيد الله بن العباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص .

فمن جود عبيد الله بن العباس أنه أوَّل من فَطَّر جيرانه ، وأوَّل من وَضَعَ الموائد على الطُّرُق ، وأوَّل من حَيَّا (٢) على طعامه ، وأوَّل من أَنهيه . وفيه يقول شاعر المدينة :

وَحُلُّوْا ، وَلَحْمًا تَامِكًا وَمِزْعًا	وَفِي السَّنَةِ الشَّهْبَاءِ أَطْعَمَتْ حَامِضًا
إِذَا الْمَحْلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ تَطَلَّعًا	وَأَنْتَ رِيْعٌ لِلْيَتَامَى وَعِصْمَةٌ
وَعِيْنَا وَنُورًا لِلخَّلَائِقِ أَجْمَعَا	أَبُوكَ أَبُو الْفَضْلِ الَّذِي كَانَ رَحْمَةً

(١) العقد ١ : ٣٣٩ - ٣٤٣ .

(٢) ط : « من حى » ، صوابه فى ش والعقد .

ومن جوده : أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ وَهُوَ بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسَ ، إِنَّ لِي عِنْدَكَ يَدًا وَقَدْ احْتَجْتُ إِلَيْهَا . فَصَعَّدَ فِيهِ بَصْرَهُ وَصَوَّبَهُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا يَدُكَ عِنْدَنَا ؟ قَالَ : رَأَيْتُكَ وَأَقْفًا بِزَمْزِمَ وَغَلَامُكَ يَمْتَحِنُ لَكَ مِنْ مَائِهَا ، وَالشَّمْسُ قَدْ صَهَرَتْكَ ، فَظَلَّلْتُكَ بِطَرْفِ كِسَائِي حَتَّى شَرِبْتَ . قَالَ : إِنِّي لَأَذْكُرُ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ خَاطِرِي وَفِكْرِي . ثُمَّ قَالَ لَقِيْمُهُ : مَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : مَائَتَا دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ . قَالَ : ادْفَعْهَا إِلَيْهِ ، وَمَا أَرَاهَا تَفِي بِحَقِّ يَدِهِ عِنْدَنَا . قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِسْمَاعِيلَ وَلَدٌ غَيْرُكَ لَكَانَ فِيهِ مَا كَفَاهُ ، فَكَيْفَ وَقَدْ وَلَدَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدًا - ﷺ - ثُمَّ شَفَعَ (١) بِكَ وَيَأْيِكَ !

ومن جوده أَيْضًا : أَنَّ مَعَاوِيَةَ حَبَسَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ صِلَاتِهِ حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِ حَالُهُ ، فَقِيلَ : لَوْ وَجَّهْتَ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ قَدِيمٌ بَنَحْوٍ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : وَأَيْنَ تَقَعُ أَلْفُ أَلْفٍ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ هُوَ أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ إِذَا عَصَفَتْ ، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَخَرَ ! ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ مَعَ رَسُولِهِ بَكْتَابٍ ذَكَرَ فِيهِ حَبَسَ مَعَاوِيَةَ عَنْهُ صِلَاتِهِ ، وَضِيقَ حَالِهِ ، وَأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا قَرَأَ عُبَيْدُ اللَّهِ كِتَابَهُ - وَكَانَ مِنْ أَرْقِ النَّاسِ قَلْبًا وَالْيَنِّهِمْ عَطْفًا - انْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا مَعَاوِيَةُ مِمَّا اجْتَرَحْتَ يَدَاكَ مِنَ الْإِثْمِ حِينَ أَصْبَحْتَ لَيْلَ الْمَهَادِ ، رَفِيعَ الْعِمَادِ ، وَالْحُسَيْنُ

(١) فِي الْعَقْدِ : ثُمَّ شَفَعَهُ .

يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال : ثم قال لَقَهْرَمَانِهِ : احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب ، وثوب ودابة ، وأخبره أنني شاطرته مالى ، فإن أقتعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دَلَلْتُكَ على أمر تقيم به حالك . فلما أتى الرسولُ برسالته إلى الحسين قال : إنا لله ، حَمَلْتُ والله على ابن عمى ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله . فأخذ الشطر من ماله . وهو أول من فعل ذلك فى الإسلام .

ومن جوده : أن معاوية أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا الثيروز حللاً كثيرة ، ومِسْكًا ، وآنية من ذهب وفضة ، ووجهها مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها فقال : هل فى نفسك منها شيء ؟ فقال : نعم ، والله إن فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام ! فضحك عُبيد الله وقال : فثأركَ بها فهى لك . قال : جُعِلْتُ فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد على . قال : فاختتمها بخاتمك وادفعها إلى الخازن ، فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلا . فقال الحاجب : والله لهذه الجيلة فى الكرم أكثر من الكرم ، ولوددت أنى لا أموت حتى أراك مكانه ! يعنى معاوية . فظن عُبيد الله أنها مكيدة منه ، قال : دع عنك هذا الكلام فإنما قوم نفى بما وعدنا ، ولا ننقض ما أكدنا .

ومن جوده أيضاً : أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدق ،

فَأُتِيْتُ نُبَيْتٌ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أُعْطِيَ سَائِلًا أَلْفَ دِرْهَمٍ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : وَأَيْنَ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَيْنَ ^(١) أَنْتَ مِنْهُ فِي الْحَسَبِ أَمْ كَثْرَةُ الْمَالِ ؟ قَالَ : فِيهِمَا . قَالَ : أَمَّا الْحَسَبُ فِي الرَّجُلِ فَمَرْوَعَتُهُ وَفَعْلُهُ ، وَإِذَا شِئْتَ فَعَلْتَ ، وَإِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ حَسْبِيَا . فَأَعْطَاهُ أَلْفَى دِرْهَمٍ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : إِنْ لَمْ تَكُنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَإِنْ كُنْتَ هُوَ فَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسَ . فَأَعْطَاهُ أَلْفًا أُخْرَى فَقَالَ السَّائِلُ : هَذِهِ هِزَّةُ كَرِيمٍ حَسِيبٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ نَقَرْتُ حَبَّةَ قَلْبِي فَأَفْرَغْتُهَا فِي قَلْبِكَ فَمَا أَخْطَأْتُ إِلَّا بِاعْتِرَاضِ الشُّكِّ مِنْ جَوَانِحِي ^(٢) .

٢٥٨

وَمِنْ جَوْدِهِ أَيْضًا : أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّهُ وُلِدَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَوْلُودٌ ، وَإِنِّي سَمَّيْتُهُ بِاسْمِكَ تَبَرُّكًا مِنِّي بِهِ ، وَإِنْ أُمُّهُ مَاتَتْ . فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي الْهَبَةِ وَأَجَزَلَ لَكَ الْأَجْرَ عَلَى الْمَصِيئَةِ . ثُمَّ دَعَا بَوَكِيلَهُ وَقَالَ : انْطَلِقِ السَّاعَةَ فَاشْتَرِي لِلْمَوْلُودِ جَارِيَةً تَحْضُنُهُ ، وَادْفَعِي إِلَيْهِ مَائَتِي دِينَارًا لِلنَّفَقَةِ عَلَى تَرْبِيَتِهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْأَنْصَارِيِّ : عُدْ إِلَيْنَا بَعْدَ أَيَّامٍ فَإِنَّكَ جِئْتَنَا فِي الْعَيْشِ يُبَيْسَ ، وَفِي الْمَالِ قَلَّةٌ . قَالَ الْأَنْصَارِيُّ : لَوْ سَبَقَتْ حَاتِمًا يَوْمَ وَاحِدٍ مَا ذَكَرْتُهُ الْعَرَبُ أَبَدًا ، وَلَكِنَّهُ سَبَقَكَ فَصَرْتَ لَهُ تَالِيَا ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ عَفْوَكَ أَكْثَرَ مِنْ مَجْهُودِهِ ، وَطَلَّ كَرَمُكَ أَكْثَرَ مِنْ وَابِلِهِ .

وَأَمَّا مَعْنَى بَنِ أَوْسٍ الْمَزْنِيُّ فَهُوَ ابْنُ لُؤْسٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَسْعَدَ

مَعْنَى بَنِ لُؤْسٍ

(١) ط : قال قال : والثانية منهما مقحمة .

(٢) وكذا في نسخة من نسخ العقد . وفي سائر النسخ : « بين جوانحي » .

ابن أسحم بن ربيعة بن عِدَاءِ بن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عِدَاءِ بن عثمان
ابن عمرو بن أَدَّ بن طابخة بن الياس بن مضر .
ومزينة بالتصغير ، هي أم عمرو بن أَدَّ بن طابخة . كذا في جمهرة
الأنساب للكلبي .

وأسحم بالمهملتين . وعِدَاءُ في الموضعين بالكسر والمد والتخفيف .
وروى في الأول عدى بتشديد الياء .

ومعْنُ شاعر مجيدٌ فعل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، أوردته بن
حجر في المخضرمين من الإصابة ، وله مدائح في أصحاب النبي - ﷺ -
وعُمِّرَ إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم .

وكان معاوية يفضلُ مزينة في الشعر ويقول : كان أشعرُ الجاهلية منهم ،
وهو زهير ^(١) ، وكان أشعرُ الإسلام منهم ، وهو كعب بن زهير .

روى صاحب الأغاني أنَّ معن بن أوس كان مثنائاً ، وكان يحسن
صُحبة بناته وتريتهنَّ ، فولد لبعض عشيرته بنتٌ فكرهها وأظهر جزعاً من
ذلك ، فقال معن :

رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وَفِيهِنَّ لَا تُكَذِّبُ نِسَاءَ صَوَالِحٍ
وَفِيهِنَّ وَالْأَيَّامُ يَعْتَرْنَ بِالْفَتَى نَوَادِبُ لَا يَمْلِكُنَّه وَنَوَائِحُ
والبيت الثاني من أبيات مغنى اللبيب على أنَّ فيه الاعتراض بين المبتدأ
والخبر .

(١) ش : هو ، بلون واو ، في هذا الموضع وتاليه .

قال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) بعد إيراد هذين البيتين : أنشد صاعد بن الحسن لحسان بن العدي ، أحد بني عامر ^(١) شعراً ، فيه الأول من هذين البيتين ، وهي أبيات منها :

أبيات الشاعر (لَأَيَّ زَمَانٍ يَحْبَاُ الْمَرْءُ نَفْعَهُ غَدًا بَلْ غَدٌ لِلْمَوْتِ غَادٍ وَرَائِحُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعَكَ حَيًّا فَنَفْعُهُ أَقْلُ إِذَا رُصِّتْ عَلَيْهِ الصَّفَائِحُ
رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وَهَنُ الْبَوَاكِي وَالْجُيُوبِ النَّوَاصِحُ
وَلِلْمَوْتِ سَوَارَتْ بِهَا تُنْقَضُ الْقَوَى وَتَسْلُو عَنْ الْمَالِ النُّفُوسُ الشَّائِحُ ^(٢)
وَمَا النَّأْيُ بِالْبَعْدِ الْمَفْرُوقِ بَيْنَنَا بَلِ النَّأْيُ مَاضَتْ عَلَيْهِ الضَّرَائِحُ

وروى أن عبد الملك بن مروان قال يوماً وعنده عتّة من آل بيته وولده :
ليقلّ كلّ واحدٍ منكم أحسنَ شعري سَمِعَهُ . فذكروا لامرئ القيس ،
والأعشى ، وطرفة ، حتّى أتوا على محاسن ما قالوا ، فقال عبد الملك ^(٣) :
أشعرهم ، والله ، الذى يقول :

وذى رحيم قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ ، وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ
إِذَا سُمْتُهِ وَصَلَ الْقِرَابَةُ سَامِنِي قَطِيعَتَهَا ، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالظُّلْمُ
فَأَسْعَى لِكَيِّ أُنْبَى ، وَيَهْدِمُ صَالِحِي وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنَى كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يَحَاوِلُ غَيْرِهِ وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ رَغْمُ
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنٍ لَهُ وَتَعَطُّفٍ عَلَيْهِ ، كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ

(١) في سبط اللال ٨٠٤ : « أحد بني عامر بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان » .

(٢) في السختين : « تنقص القوى » ، والوجه ما أثبت من السمت .

(٣) ط : « عبد الله » ، صوابه في ش .

لَأَسْتَلُّ مِنْهُ الضُّعْفَ حَتَّى سَلَّتهُ وإن كان ذا ضغن يضيق به الجِلْمُ
قالوا : وَمَنْ قائلها يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : معن بن أوس المزنى .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الخمسمائة ^(١) :
٥٣١ (اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلاً مِنْ عَطِيَّتِهِ على هُنْ وَهِنْ فِيمَا مَضَى وَهِنْ)
على أَنَّهُ قَدْ يَكْنَى بِهِنَ عَنِ الْعَلَمِ كَمَا هُنَا .

وهذا من شرح المفصل لابن الحاجب ، وعبارته : وقد يكنى بهن عما
لا يراد التصريح به لغرض ، كقول ابن هرمة يخاطب حسن بن زيد :
الله أعطاك فضلاً البيت

يعنى عبد الله وحسنا وإبراهيم ، بنى حسن بن حسن ، كأنهم كانوا
وعده شيئاً فوقى به حسن . ومن ثم قال بعضهم : يكنى به عن الأعلام
أيضاً . انتهى .

وقال أحد شُرَاحِ آيات الإيضاح للفارسي : قال الهروي : هن وهنة
كناية عن الشيء لا تذكره باسمه . ولم يخصّ جنساً من غيره . وقال أبو الحسن
الأخفش (فى الأوسط له) : تقول : هذا فلان بن فلان ، وهذا هن بن هن ،
وهذه هنة بنت هنة ^(٢) ، كأنه قيل : هذا زيد بن عمرو فلم يذكره ، فوضع

(١) مجالس ثعلب ٢٦ والمجمع ١ : ٧٤ .

(٢) ط : هنت بنت هنت ، وتقرأ بسكون النون .

بأنها يكنى بها عن الأعلام . وهو صحيح ، ويدل على ذلك قول ابن هرمة
يمدح حسن بن زيد :

الله أعطاك فضلاً من عطيته البيت

يعنى حسناً وإبراهيم وعبد الله ، بنى حسن بن حسن ، وكأنهم كانوا
وعده شيئاً فوفى به حسن . انتهى . كلامه

وقال الشنواني في (حاشية الأوضح) : الهن يطلق ويراد به الحقير ،
قال الشاعر :

الله أعطاك فضلاً البيت

يعنى على أقوام هم بالنسبة إليك صغاراً محتقرون . انتهى .

والبيت من أبيات ثلاثة رواها أبو العباس أحمد بن يحيى ، الشهير
بشعلب (في أماليه) قال : أخبرنا محمد قال حدثنا أبو العباس : قال حدثني
عمر بن شبة^(١) قال : أخبرني أبو سلمة قال : أخبرني ابن زنج راوية ابن
هرمة قال :

أصاب ابن هرمة أزمة فقال لي في يوم حار : اذهب فتكار لي حمارين
إلى ستة أميال ، ولم يسم موضعاً . فركب واحداً وركبت واحداً ، ثم سرنا حتى
انتهينا إلى قصور حسن بن زيد بيطحاء ابن أزر ، فدخلنا مسجده ، فلما
زالت الشمس خرج علينا مشتملاً على قميصه فقال لمولى له : أذن . فأذن ثم
لم يكلمنا كلمة ، ثم قال له : أقم . فأقام فصلى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة
فقال : مرحباً بك أبا إسحاق ، حاجتك . قال : نعم ، بأى أنت وأمى ،

(١) موضع « شبة » يابض في ش .

أَيَّاتٌ قَلَّتْهَا . وقد كان عبد الله بن حَسَن ، وحَسَن ، وإبراهيم ، بنو حسن بن حسن ، وَعَلَوْهُ شَيْئًا فَأَخْلَفُوهُ ، فقال : هاتِهَا . فَأَنشَد :

٢٦٠

أَمَّا بنو هاشمَ حَوْلَى فَقَدْ قَرَعُوا نَبِيْلَى الصِّيَابِ الَّتِي جَمَعْتُ فِي قَرْنِي
فَمَا يَثِيبُ مِنْهُمْ مَنْ أَعَاتَبْتُهُ إِلَّا عَوَائِدُ أَرْجُوهُنَّ مِنْ حَسَنِي
اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْ عَطِيَّتِهِ عَلَى هَنٍ وَهَنٍ فِيمَا مَضَى وَهَنٍ

قال : حاجتَكَ . قال : لابن أُمَيٍّ مَضْرُوسٌ عَلَى خَمْسُونَ وَمِائَةَ دِينَارٍ .
قال : فقال لِمَوْلَى لَهُ : أبا هَيْثَمٍ ارْكَبْ هَذِهِ الْبَغْلَةَ فَأَتْنِي بِابْنِ أُمَيٍّ مَضْرُوسٍ ،
وَذِكْرِ حَقِّهِ . قال : فما صَلَّيْنَا الْعَصْرَ حَتَّى جَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَرْحَبًا بِكَ
يَا ابْنَ أُمَيٍّ مَضْرُوسٍ ، أَمَعَكَ ذِكْرُ حَقِّ عَلَى ابْنِ هَرْمَةَ ؟ فقال : نعم . قال :
فَامْحُهُ . قال : فَمَحَاهُ ثُمَّ قَالَ : يَا هَيْثَمُ بَعْ ابْنَ أُمَيٍّ مَضْرُوسٍ مِنْ تَمَرِ الْخَانَقَيْنِ بِمِائَةِ
وخمسين دِينَارًا وَزِدْهُ فِي كُلِّ دِينَارٍ رِبْعَ دِينَارٍ ، وَكُلِّ لابنِ هَرْمَةَ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ
دِينَارٍ تَمَرًا ، وَكُلِّ لابنِ زَنْجٍ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا تَمَرًا . قال : فَانصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَهُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ بِالسَّيَالَةِ ، وَقَدْ بَلَغَهُ الشَّعْرُ ، فَغَضِبَ لِأَيِّهِ
وَعُمُومَتِهِ فَقَالَ : أَيَا مَاصٍّ بَطْطِرٍ أُمُّهُ ، أَنْتِ الْقَائِلُ :

* عَلَى هَنٍ وَهَنٍ فِيمَا مَضَى وَهَنٍ *

قال : لا ، وَاللَّهِ بِأَيِّ أَنْتِ ، وَلَكِنِّي الَّذِي أَقُولُ لَكَ :

لَا وَالَّذِي أَنْتِ مِنْهُ نِعْمَةٌ سَلَفَتْ نَرْجُو عَوَاقِبَهَا فِي آخِرِ الزَّمَنِ

(١) وَكُنَّا فِي الْأَغَانِي ٤ : ١٠٥ . وَفِي مَجَالِسِ ثَعْلَبِ ٢٧ : « فَعَلَّ أُمُّهُ » ، عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ .

لقد أُبْنِتُ بأمرٍ ما عَمَدَت له ولا تَعَمِّدُه قولي ولا سَنِي
فكَيْفَ أَمْشِي مع الأَقْوامِ معتدلاً وقد رَمَيْتُ بِرِيءِ العُودِ بالأُبنِ
ما غَيَّرْتُ وَجْهَهُ أُمٌّ مَهْجَنَةٌ إذا القَتَامُ تَغَشَّى أَوْجُهُ الهُجْنِ
قال : وأُمُّ الحَسَنِ أُمٌّ وَلَدَ . انتهى ما رواه ثعلب .

قال صاحب الأغاني : ويروى أن ابن هُرْمَةَ لما قال هذا الشعر في
حسن بن زيد قال عبد الله بن حسن : والله ما أراد الفاسق غيري وغير أخوي
حسني وإبراهيم : وكان عبد الله يُجْرِي عليه رِزْقاً ، فقطعاه عنه وغضب عليه ،
فأتاه يعتذر ، فَنَحَى وطرد ، فسأل رجالاً أن يكلموه فردّهم ، فيئس من رضاه
فاجتنبه وخافه ، فمكث ما شاء الله ، ثم مرَّ عَشِيَّةً وعبدُ الله على زُرِّيَّتِهِ (١)
فلما رآه عبدُ الله تضاعل وتضاغر وأسرع في المشي (٢) ، فرّق له عبد الله وأمر
به فردّوه وقال له : يافاسق ، تقول : على هن وهن ، تفضّل الحسنَ علَيَّ وعلى
أخوي ؟ فقال : بآني أنت وأُمِّي ، وربّ هذا القبر ما عنيثُ إلّا فرعون وهامان
وقارون ، أفغضب لهم ؟! فضحك وردّ عليه جِرايَتَه . انتهى .

وزنّج بفتح الزاي المعجمة وفتح الموحدة وتشديد النون المفتوحة بعدها
جيم . والأزمة : الشَّلَّةُ والضائقة (٣) . وقوله : « فَنَكَار » أمرٌ من تَكَارَى
يتَكَارَى بمعنى اِكْتَرَى يَكْتَرَى ، أى أخذ الدابة بالكِراءِ والأجرة .

(١) الزرية ، مثله الزاي : الطنفسة ، وقيل البساط ذو الحمل . وفي الأغاني : « على زرية في
ممر المنبر ، ولم تكن تبسط لأحد غيره في ذلك المكان » .

(٢) في الأغاني : « فلما رأى عبد الله تضاعل وتقفذ وتضاغر وأسرع المشي » .

(٣) ط : « والمضايقة » صوابه في ش .

وحسن بن زيد ، هو حسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب حسن بن زيد رضى الله عنهم ، ولّى المدينة ، وكان شريفاً فاضلاً . فزيد بن حسن هو أخو حسن بن حسن . فحسن بن زيد يكون ابن عمّ لهؤلاء الإخوة الثلاثة .

وقوله : « أما بنو هاشم حولى » إلخ قرعت : أصابت . ونبلى بالفتح :

سيهامى . والصيّاب بالكسر : جمع صائب ، من صاب السهم يصوب

صَيَّبَ : أى قصد ولم يَجْزْ (١) . وصاب السهم القرطاس يَصِيبه صَيِّباً : لغة ٢٦١ فى أصابه . والقرن بالتحريك : الجعبة . قال الأصمعى : القرن : جعبة من جلود تكون مشقوقة ، ثم تُخَرَزُ حتّى تصل الريح إلى الريش فلا يفسد .

ويثرب هى المدينة المنورة . وقوله : « إلا عوائد » استثناء منقطع ، أى

لكن . وعوائد مبتدأ وأرجوهن خبره ، وحسن هو حسن بن زيد . يقول : ليس فى المدينة من أعاتبه على ترك إحسانه إلّى ، لكننى أرجو العوائد من حسن بن زيد . والعوائد : جمع عائدة ، وهى الصلة والإحسان .

وقوله : « الله أعطاك فضلاً » الفضل هنا : الزيادة . يقول : إن الله

أعطاك فضلاً على أبناء عمك ، أى فضلك عليهم . وقوله : « فيما مضى »

أى فى الأزل . وعبر عن كل واحد منهم بهن الموضوع لما يستقبح ذكره من

أسماء الجنس . وليس هن هنا كناية عن علم كلّ منهم ، ولو كان كناية عنهم

لما غضب على الشاعر محمد بن عبد الله لأبيه وعمّيه ، ولما اشتد غضب عبد

الله لنفسه ولأخويه . ولو كان الغضب لمجرد التفضيل لما بلغ هذا المبلغ منهم ،

(١) كنا فى النسختين بالراء المهملة . والجور : الميل والعلول . وفى اللسان : « لم يجز »

بالزى .

وهم فروغ الإمامة ، وهضاب الحلم والإغضاء .

وقوله : « حاجتك » ، هو منصوب في الموضعين بتقدير اذكر . وقوله : « من تمر الخانقين » ، بالخاء المعجمة والنون والقاف ، هو موضع ، ويعرب إعراب المثني . كذا في معجم ما استعجم للبكري . وكل : أمر من كال يَكِيل كيلا . والسَّيَّالة ، بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة التحتية ، قال صاحب المعجم : هي قرية جامعة ، بينها وبين المدينة تسعة وعشرون ميلا ، وهي لولد حسن بن علي بن أبي طالب ، وهي في الطريق منها إلى مكة .

وقوله : « لا والذي أنت منه نعمة سلفت » إلخ لا نفى لما اتهم به الشاعر ، والواو للقسمة . يعنى ليس الأمر كما توهم والله الذى أنعم بك علينا ، ونرجو حسن عاقبة هذه النعمة عند انقضاء الأجل بأن يُميتنا على حبكم .

وقوله : « لقد أبنت » إلخ هذا جواب القسم ، وأبنت بالبناء للمفعول ، أى ذكرتُ بسوءٍ ، وهو بالألف والباء والنون . يقال فلان يؤن بكذا ، أى يُذكر بقيح . وأبنته يَأبُنه من باب نصر وضرب ، إذا اتهمه به . وعمدت : قصدت . والسَّنن بفتحيتين : الطريقة .

وقوله : « فكيف أمشى مع الأقوام » إلخ المعتدل : المستقيم . وجملة قد رميت من الفعل والفاعل ، حال من فاعل أمشى . ورميت بمعنى قذفت . برىء العود مفعوله ، وبالأبى متعلق برميت . والأبى ، بضم الألف وفتح الموحدة : جمع أبنة بضم الألف وسكون الموحدة ، وهى العقدة فى العود ،

ومتعلّق برىء محذوف ، أى برىء العود من الأبن . يقول : فيكف أكون بين الناس مستقيماً إذا قذفت المستقيم بالعيوب .

وقوله : « ما غَيَّرَتْ وجهه » إلخ غَيَّرَه تغييراً : جعله غَيِّراً . يريد أن أم الحسن بن الحسن ، وإن كانت أم ولد ، ما ولدت ابنها الحسن مغايراً لشكل آبائه ، كما يقال « الولد للخال » ، بل ولدته على صورة آبائه : سيّداً جليلاً شهماً . والمهجنة : بكسر الجيم ، وهى المرأة التى تلد هجيناً . والهجين : الذى تلده أم ليست بعربية . والقَتَام بفتح القاف : الغبار . وغَشَى تغشية أى غطّى تغطية . وأَوْجَه مفعوله جمع وجه . والهجن بضمّتين : جمع هجين . والزُرِّيَّة بكسر الزاء المعجمة وسكون الراء المهملة ، هى الطُنْفَسَة ^(١) وجمعها زَرَّابَى . وابن هَرْمَة بفتح الهاء وسكون الراء بعدها ميم : شاعر مطبوع أدرك الدولتين ، ومات فى مدّة هارون الرشيد . واسمه إبراهيم ، وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والستين ^(٢) .

٢٦٢

* * *

وأنشد بعده :

(يامرحباًو بِحمارِ ناجية)

على أن هاء السكت فى الوصل قد تحرك بالضم وبالكسر .
وتقدّم فى باب المنلوب أن بعضهم يحركها بالفتح بعد الألف .

(١) انظر ما سبق من التعليق فى ٢٢٦ .

(٢) الخزّانة ١ : ٤٢٤ - ٤٢٦ .

ويا : حرفُ نداءٍ ، والمنادى محذوف ، ومرجبا مصدر منصوب بعامل محذوف ،
أى صادف رجبا وسعة ، حذف تنوينه لثنية الوقف ووَصَلَ به هاء السكت ،
ثم عَنْ له الوصل فوصل . والباء متعلِّق به . وحمار مضاف إلى ناجية . وروى
الفراء (فى تفسيره ^(١)) : « ناهية » بدل ناجية ، وهو اسم شخص .
وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الخمسمائة ^(٣) :

٥٣٢ (ياربُّ يا ربَّاهُ إِيَّاكَ أَسَلْ)

على أنَّ الهاءَ فى (ربَّاهُ) للسكت ، وتضم وتكسر .

وتقدَّم فى باب المنلوب أنَّها تفتح أيضا عند بعضهم إذا كانت بعد
ألف كما هنا . ففيها بعد الألف ثلاث حركات .

وذكر هنا أنَّها تزداد فى السَّعة وصلًا ووقفًا فى آخر « هَنِ »
وإخوته ^(٤) . وهى فى نحو هذين البيتين فى حال الضرورة ، وهذا قول الكوفيين
وبعض البصريين . وقلم ^(٥) فى باب المنلوب أنَّ الكوفيين يثبتونها وقفًا وصلًا
فى الشعر وغيره . ففى كلاميه تدافع .

(١) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ .

(٢) الخزائن ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وشرح شواهد الشافعية ٢٢٨ .

(٤) أمثال هناناه وهنانيه وهنوناه وهنتاه وهنتناه وهنتاناه وهنتاناه وهنتاناه . انظر الرضى ٢ : ١٢٩ .

(٥) ش : « تقدم » ، صوابه ما فى ط . وهو يشير إلى ما أورده الرضى فى باب المنلوب من

شرحه على الكافية ١ : ١٤٤ وهو ما ذكره هنا من إثبات الهاء وقفًا وصلًا فى الشعر وغيره .

قال الفراء (في تفسيره) من سورة الزمر ، عند قوله تعالى : ﴿ يا حسرتا ^(١) ﴾ : يا ويلتا مضافٌ إلى المتكلم . تُحوّل ^(٢) العربُ الياءَ إلى الألفِ في كُلِّ كلامٍ كان معناه الاستغاثه : يخرجُ على لفظ الدعاء ^(٣) . وربما أدخلت العرب الهاءَ بعد الألفِ التي في حسرتا ، فيخففونها مرةً ويرفعونها . أنشدني أبو فقّس ، بعضُ بني أسد ^(٤) :

ياربُّ ياربِّ إياك أسل عَفراء ياربِّاه من قبل الأجل
فخَفَض . وأنشدني أيضًا :

يامرحباه بحمار ناهيه إذا أتى قُرْبته للسَّانيه

والخفضُ أكثرُ في كلام العرب ، إلّا في قولهم : ياهناه وباهنتاه ، فالرفعُ في هذا أكثرُ من الخفض ، لأنّه كثر في الكلام ، فكأنّه حرفٌ واحدٌ مدعُو . انتهى .

وظاهره على إطلاقه لا يختصُّ بضرورة عندهم ، وأمّا عند البصريين فلا يجوز تحريكها ، ولا تلحق وصلًا في غير ياهناه .

والبيتان المذكوران وقعا بلا مناسبة (في أوائل إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت) ، قال شارح أبياته يوسف بن السيرافي : لم ينشد يعقوب هذين البيتين ولا الأبيات التي بعدهما شاهدًا لشيءٍ تقلّم ، وإنّما أنشد ذلك لأنّ الهاءَ تُضمُّ وتكسر ، وهذا لا يتعلّق بالباب . وهذه الهاءُ ليست من الكلمة ، وإنّما دخلت للوقف ، ثم احتاج إلى وصلها الشاعرُ فحرّكها بالكسر . ومن

(١) مما يجدر ذكره أن « يا حسرتا » و « يا ويلتا » كتبنا في ش بألفٍ تلوها ياء ، إشارة إلى

جواز الكتبتين . وهي الآية ٥٦ من الزمر .

(٢) في معاني الفراء : « يحول » بالياء .

(٣) ش فقط : « تخرج على لفظ الدعاء » .

(٤) ط : « لبعض بني أسد » ، صوابه في ش ومعاني الفراء .

ضمَّ شبهها بهاءِ الضمير ، وهذا ردىءٌ جدًّا . وعفراء : اسم امرأة سأل ربه أن يُريه إياها قبل أجله ، ويجمع بينهما . انتهى .

وقال الزمخشري (في المفصل) : وحقُّ هاءِ السكت أن تكون ساكنة ، وتحريكها لحنٌ ، نحو ما في (إصلاح المنطق لابن السكيت) ، من قوله :

٢٦٣

* يا مرحباً بحمار عفراء *

و : * يا مرحباً بحمار ناجيه *

مما لا معرَّج عليه للقياس واستعمال الفصحاء . ومَعْدَرَةٌ من قال ذلك أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، مع تشبيه هاءِ الوقف بهاءِ الضمير .

قال شارحه (ابن يعيش) : اعلم أنه قد يؤتى بهذه الهاءِ لبيان حروف المدِّ واللين ، كما يؤتى بها لبيان الحركات ^(١) . ولا تكون إلا ساكنة لأنها موضوعة للوقف ، والوقف إنما يكون على الساكن . وتحريكها لحنٌ وخروجٌ عن كلام العرب ، لأنه لا يجوز ثبات ^(٢) هذه الهاءِ في الوصل فتحرك ، بل إذا وصلت استغنيَتْ عنها بما بعدها من الكلام . فأما قوله :

* يا مرحباً بحمار عفراء *

فإنَّ الشعرَ لَعُرَّةٌ بن حِزام العُدْرَى . وقول الآخر :

* يا مرحباً بحمار ناجيه *

(١) بعده في ابن يعيش : « نحو يا زيدا وعمرا ، وَا غلامُهُ ، وانقطاع ظهريه » .

(٢) كنا في ش وابن يعيش . وفي ط : « إثبات » تحريف .

فضرورة ، وهو ردىء في الكلام . وإنما اضطر الشاعر حين وصل إلى التحريك لأنه لا يجتمع ساكنان في الوصل على غير شرط إلا حرك . وقد رويت بضم الهاء وكسرها . فالكسر لالتقاء الساكنين ، والضم على التشبيه بهاء الضمير . وبعد هذا البيت :

إذا أنى قَرَبته لما شاء من الشعر والحشيش والماء

ومعناه أن عروة كان يحب عفراء ، وفيها يقول :

ياربُّ ياربَّاه إياك أسأل عفراء يا ربَّاه من قبل الأجل

* فإن عفراء من الدنيا الأمل * .

ثم خرج فلقي حمراء عليه امرأة فقيل له : هذا حمار عفراء ! فقال :

* يا مرحباه بحمار عفراء *

فرحب بحمارها لمحبتة لها ، وأعد له الشعر والحشيش والماء .

ونظير معناه قول الآخر :

أحبُّ لحبها السودان حتى أحبُّ لحبها سود الكلاب^(١) . انتهى .

وهذا من رجز أورده أبو محمد الأسود الأعرابي (في ضالة الأديب) ولم

ينسبه إلى أحد ، وهو :

(إليك أشكو عرق دهر ذى خبل وعيلا شعثا صغارا كالحجل

وأمهم تهتف تستكسى الحلل قد طار عنها درعها ما لم يحل

ياربُّ يا ربَّاه إياك أسأل عفراء يا ربَّاه من قبل الأجل

(١) انظر عيون الأخبار ٤ : ٤٣ وجمال الزجاجة ١٩٥ .

فإن عفرَاء من الدُّنيا أَمَلْ لو كَلَّمْتُ رُهْبَان دَيْرٍ فِي قُلْلٍ (١)

* لَزَحَفَ الرُّهْبَانُ يَمْشِي وَزَحَلَ (٢) *

وقد راجعت ديوان عُروة فلم أجِد هذا الرجز .

وعروة تقدّمت ترجمته في الشاهد السادس والتسعين بعد المائة (٣) .

وقوله : « عَرَقَ دَهْرٌ ذِي حَبَلٍ » ، العَرَقُ ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : مصدر عرقت العظم ، من باب نصر ، إذا أَكَلَتْ ما عليه من اللحم . والحَبَلُ : الفساد . والعَيْلُ ، بفتححتين : لغة في العِيَال .

وتتهف : تصوّت . والحُلَلُ بضم ففتح ، قال الصاغاني : هي برود اليمن . والحُلَّةُ : إزارٌ ورداءٌ ، لا تسمّى حلة حتّى تكون ثوبين . والدَّرْعُ بالكسر : ثوب المرأة خاصّة . ويُحْلَلُ بالخاء المعجمة ، أى يتفقد . والخائل : الحافظ للشيء ، يقال فلان يَحُولُ على أهله ، أى يرعى عليهم ويتفقدّهم . ٢٦٤

وَأَسَلْ : أصله أُسَالُ ، مخفّفٌ بحذف همزة . وَزَحَلَ بالراء المعجمة والخاء المهملة : فارق مكانه وجاءَ إليها .

* * *

(١) في اللسان : « في القلّل » .

(٢) ط : « تمشى » ، صوابه في ش . وفي اللسان (رهب) : « يسمى فزل » ، وقد أورده شاهدا لاستعمال الرهبان بمعنى الواحد . قال : « وقد يكون الرهبان واحدا وجمعا » .

(٣) في الخزانة ٣ : ٢١٥ - ٢١٨ .

تتمة

قد حقق الشارح المحقق هنا أنَّ الألف والهاء في (يَاهَنَاه) زائدتان ،
بدليل أنَّهما تلحقان فروعه من الثنية والجمع والتأنيث ، كما نقله عن
الأخفش ، فيكون من المحذوف اللام ، ووزنه فَعَاه . وقصد بهذا البيان الوافي
الردَّ على ابن جنِّي في زعمه أنَّ الهاء لام الكلمة ، وأنَّ وزنها فَعَال ، وشدَّد في
زعمه وخطأً من عدّها للسكوت . فردَّ عليه الشارح بأنَّها قد لحقت مع الألف
آخر المثني والمجموع على حدِّه ، وآخر المؤنث . ولو كانت لاأما لما جاز
تأخيرها . وأجاب عن تحريك الهاء .

وهذه عبارة ابن جنِّي (في سر الصناعة) في إبدال الهاء من الواو ،
قال : أبدلوها من حرف واحد ، وهو قول امرئ القيس :

وقد رآني قولها يا هنا هُ ويحك ألحقت شراً بشر

فالهاء الأخيرة في هَناه بدل من الواو في هنوك وهنوات ، وكان أصله
هناو ، فأبدلت الواو هاء ، قالوا : هناه . هكذا قال أصحابنا . ولو قال قائل
إنَّ الهاء إنَّما هي بدل من الألف المنقلبة عن الواو الواقعة بعد ألف هناه ، إذ
أصله هناو ، ثم صارت هنا بألفين ، كما أنَّ أصل عطاء عطاو ، ثم صار بعد
القلب عطا ، فلما صار هنا التقت ألفان ، كره اجتماع الساكنين فقلبت
الألف الأخيرة هاء فقالوا هناه ، كما أبدل الجميع من ألف عطا الثانية همزة
لئلا يجتمع همزتان ، لكان قولاً قوياً ، ولكان أيضاً أشبه من أنَّ يكون قلبت
الواو في أول أحوالها هاء ، من وجهين :

أحدهما : أَنَّ مِنْ شريطة قلب الواو أَلْفاً أَنْ تَقَعَ طرفاً بعد أَلْف زائدة ،
وقد وقعت هنا كذلك .

والآخر : أَنَّ الهاء إلى الألف أَقْرَبُ منها إلى الواو ، بل هما في الطرفين .
ألا ترى أَنَّ أبا الحسن ذهب إلى أَنَّ الهاء مع الألف من موضع واحد لقرب
مكائنيهما . فقلْبُ الألف إِذَا هاء أَقْرَبُ من قلب الواو هاء .

وكتب إليَّ أبو عليٍّ من حلب ، في جواب شيء سألته عنه فقال : وقد
ذهب أحد علمائنا إلى أَنَّ الهاء من هناء إِنَّمَا لحقت في الوقف لخفاء الألف ،
كما تلحق بعد أَلْف الندبة ، ثم إِنَّمَا شَبَّهت بالهاء الأصلية فحرَّكت . ولم يسمِّ
أبو عليٍّ هذا العالمَ مَنْ هو ؟ فلَمَّا انحدرتُ إليه إلى مدينة السلام وقرأتُ عليه
نوادِر أُنَى زيد ، نظرتُ وإذا أبو زيد هو صاحب هذا القول . وهذا من أُنَى زيد
غير مرضيٍّ عند الجماعة ، وذلك أَنَّ الهاء التي تلحق لبيان الحركات وحروف
اللين إِنَّمَا تلحق في الوقف ، فإذا صرَّتْ إلى الوصل حذفتها البتَّة ، فلم توجد
فيه ساكنة متحركة .

وقد استقصيت هذا الفصل (في كتابي في شعر المتنبي) عند قوله :

* وإحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَيْمٌ ^(١) *

(١) مطلع قصيدة له في ديوانه ٢ : ٢٥٤ بشرح العكبري . وعجزه :

* ومن يجسمى وحالي عنده سقم *

ودللت هناك على ضعف قول أنى زيد وبيت المتنبي جميعاً . انتهى .

وقال ابن جَهْوَر (فى إعراب أبيات الجمل) : واختلف فى أصلها فذهب قومٌ إلى أن هذه الهاء أصل وليست بمبدلة ، وأنها مثل سَنة وعِضة ، التى لامها تارة هاء وتارة حرفُ علة . وهذا القول ضعيفٌ من جهة أن باب قَلَى وسَلَس قليل . وذهب آخرون إلى أن الألف والهاء زائدتان ، وعلى هذا كثيرٌ من البصريين والكوفيين ، بدليل قولهم : هن وهنة ، وأن لام الكلمة محنوفة . وعلى هذا تأتى مسائل الثنية والجمع والمذكر والمؤنث . فالألف والهاء ٢٦٥ فى كونهما زائدتين نظيرتا الألف والهاء فى الندبة ، إلا أن هذه الهاء ليست للسكت كما ذهب إليه بعضهم لتحركها ، وهاء السكت لا تتحرك . ومن جعلها هاء سكت قال : زيدت الألف لبعد الصوت ، وزيدت الهاء للوقف ، ثم كثر فى كلامهم حتى صارت الهاء كأنها أصلية تحركت . فإذا ثنيت على هذا قلت : ياهنانيه أقيلاً . فالألف والنون للثنية ، والياء التى بعد النون هى الألف التى كانت فى هناء ، فانقلبت ياءً لانكسار ما قبلها ، وهو نون الثنية ، وانكسرت الهاء بعد أن كانت مضمومة لمجاورتها الياء . وتقول فى الجمع : ياهنوناه أقبلوا ، الواو والنون للجمع ، والألف بعد النون بقيت على حالها لانفتاح نون الجمع قبلها ، وبقيت على حالها مضمومة . وإنما جاز أن يجمع هذا بالواو والنون من قبل أن هذه الكلمة قد تطرقت عليها التغير بحذف لامها ، فصارت الواو والنون كالعوض من لام الكلمة على حد قولهم : سينون . وتقول فى المؤنث : ياهنتاه أقبلى ، وفى الثنية : ياهنتانيه أقبلا ، وفى الجمع :

يَاهَنَّاؤُهُ أَقْبَلْنَ ، قَلْبَتْ أَلْفَ هِنَاهِ وَأَوَّا لَانْضِمَامِ مَاقْبَلِهَا ، كَمَا قَلْبَتْهَا يَاءٌ لَانْكَسَارِ مَاقْبَلِهَا فِي التَّشْنِئَةِ . وَهَنَاهُ كَلِمَةٌ يُكْنَى بِهَا عَنِ التَّنْكَرَاتِ ، كَمَا يَكْنَى بِفُلَانٍ عَنِ الْأَعْلَامِ . فَمَعْنَى يَاهَنَاهُ : يَا رَجُلَ . وَلَا تَسْتَعْمَلْ إِلَّا فِي النَّدَاءِ عِنْدَ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ . وَقِيلَ : إِنَّهَا كَنَاءَةٌ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْعَوْرَاتِ ، يَكْنَى بِهَا عَمَّا يُسْتَقْبَحُ ذَكَرُهُ . انْتَهَى .

وقوله : فَمَعْنَى يَاهَنَاهُ يَا رَجُلَ ، مَسَاوٍ لِقَوْلِ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ : لِلْمَنَادَى غَيْرِ الْمَصْرُوحِ بِاسْمِهِ .

وإِنَّمَا أوردته في باب العلم استطرادًا بمناسبة هن الذي قد يُكْنَى بِهِ عَنِ الْعِلْمِ . وَلِهَذَا قَالَ : وَمِنْهُ ، أَيْ وَمِنْ هُنِ الْمَذْكُورِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمِائَةِ ^(١) :

٥٣٣ (قُلْ لَابِنِ قَيْسٍ أَخِي الرُّقِيَّاتِ مَا أَحْسَنَ الْعِرْفَ فِي الْمَصِيبَاتِ)

عَلَى أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرُّقِيَّاتِ فِي قَوْلِهِمْ قَيْسَ الرُّقِيَّاتِ بِالإِضَافَةِ ، لَيْسَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّقَبِ ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الإِضَافَةِ لِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ ، لِنِكَاحِهِ لِنِسْوَةِ اسْمِ كُلِّ مِنْهَا ^(٢) رُقِيَّةً . وَقِيلَ : هُنَّ جَدَاتُهُ . وَقِيلَ : شَبَّبَ بِثَلَاثٍ كَذَلِكَ . وَلَوْ كَانَ الرُّقِيَّاتُ لِقَبًّا لَقَيْسٍ لَقِيلَ فِي الْبَيْتِ : قُلْ لَابِنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ ، فَلَمَّا أُضِيفَ « أَخَا » إِلَيْهِ وَأَتْبَعَهُ لَقَيْسُ فِي إِعْرَابِهِ ، عَلِمَ أَنَّهُ غَيْرُ لِقَبٍ لَقَيْسٍ ، وَلَوْ كَانَ لِقَبًّا لَهُ لَقِيلَ قَيْسُ الرُّقِيَّاتِ ، إِمَّا بِتَنْوِينِ قَيْسٍ وَإِتْبَاعِ الرُّقِيَّاتِ لَهُ بِجَعْلِهِ عَطْفَ بَيَانٍ لَهُ ، وَإِمَّا بِإِضَافَتِهِ إِلَى الرُّقِيَّاتِ . فَلَمَّا أَتْبَعَهُ

(١) ديوان أبي دهل ٥٠ بتحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، واللسان (عرف ١٤٣) .

(٢) ط : « مِنْهُمَا » ، صوابه في ش .

بإضافة أخ إلى الرقيات عُلِمَ أنه غير لقب له ، فعرف أنَّ الإضافة إليها في قولهم
قيس الرقيات للملابسة المذكورة .

هذا على تقرير الشارح . وأما على ما سيأتى فأخى الرقيات تابع لابن
لا لقيس .

و (العرف) بكسر العين وسكون الراء المهملتين ، قال صاحب
العباب : هو الصبر . وأنشد البيت عن ابن الأعرابي . يتعجب من الصبر في
المصائب .

و (الأخ) يستعمل في اللغة على خمسة معان :

الأول : أخو النسب من الأبوين ، أو من أحدهما .

الثاني : أخو النسبة إلى القوم ، يقال يا أخا تميم ، لمن هو منهم . وبه
فسر قوله تعالى : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ ^(١) .

الثالث : أخو الصداقة .

الرابع : أخو المجانسة والمشابهة ، كقولهم : هذا الثوب أخو هذا .

الخامس : أخو الملازمة والملابسة ، كقولهم : أخو الحرب ، وأخو
الليل .

فإن كان الرقيات عبارة عن الزوجات أو المعشوقات فالأخ بالمعنى
الأخير . وإن كان أريد بها الجدات فالأخ بالمعنى الثاني .

ولم يذكر الشارح المحقق وجه تلقيبه بالرقيات على تقدير كون الرقيات

(١) الآية ٢٨ من سورة مريم .

لقبًا . فأقول : يكون وجهه ما نقله كراع من أنه إنما لقب بهذا لقوله :
رقية لا رقية لا رقية أيها الرجل^(١)

قال ابن دريد (في الوشاح) : من الشعراء من غلبت عليهم ألقابهم بشعرهم ، حتى صاروا لا يعرفون إلا بها . فمنهم : منبه بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهو أعصر ، وإنما سمي أعصر بقوله :

قالت عميرة ما لرأسك بعدما تفد الشبَابُ أتى بلونٍ منكّرٍ
أعميرُ ، إنَّ أباك غير رأسه مرُّ الليالي واختلاف الأعصرِ

ومنهم : شأس بن نهار العبدى ، سمي الممزق بقوله :
فإن كنت مأكولاً فكن خير آكلٍ وإلا فادركنى ولما أمرق

ثم ذكر أكثر من خمسين شاعراً لقب بشعر قاله .

وتفصيل الشارح المحقق في قيس الرقيات أجود من تفصيل ابن الحاجب (في شرح المفصل) وإن كان مأخوذاً منه ، وهذه عبارته :

وابن قيس الرقيات عبد الله ، قال الأصمعي : نكح قيس نساء اسم كل واحدة رقية . وقيل : كانت له جدات كذلك . وقيل : كان يشب بثلاث كذلك . والاستشهاد على الوجه الضعيف في إضافته على ذلك . فأما إذا جعل الرقيات لقباً لقيس كانت الإضافة من باب قيس قفة ، وإما على الوجوب أو على الأنصح كما تقدم . ورواية تنوين قيس تقوى الوجه الثانى .
وقوله :

(١) ط : « رقية لا رقية أيها الرجل » وتكملة البيت من ش . وهو من مجزوء الوافر . وقد ورد في ملحقات ديوانه بتحقيق الدكتور نجم كما في المطبوعة . والحق أنه ليس شطراً بل هو بيت كامل .

قُلْ لابن قيس أَخَى الرُّقِيَّاتِ مَا أَحْسَنَ الْعِرْفَ فِي الْمُصِيبَاتِ
يَقْوَى الْوَجْهَ الْأَوَّلَ . انتهى .

أَرَادَ بِالْإِسْتِشْهَادِ عَلَى الْوَجْهِ الضَّعِيفِ الْإِضَافَةَ لِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ . وَقَوْلُهُ :
« تَقْوَى الْوَجْهَ الثَّانِي » ، أَيْ كَوْنِ الرُّقِيَّاتِ لِقَبًّا . وَقَوْلُهُ : « يَقْوَى الْوَجْهَ
الْأَوَّلَ » أَيْ كَوْنِ الرُّقِيَّاتِ غَيْرَ لِقَبِّ .

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ ، وَهُوَ أَنَّ الرُّقِيَّاتِ أَسْمَاءُ زَوْجَاتِهِ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ ، نَقَلَهُ عَنْهُ
صَاحِبُ الصَّحَاحِ .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي ، قَالَ ابْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ ، قَالَ : لِقَبِّ بِالرُّقِيَّاتِ لِأَنَّ
جَدَّاتٍ لَهُ تَوَالَيْنَ كُلٌّ مِنْهَا تَسْمَى رَقِيَّةً .

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ (فِي كِتَابِ الشَّعْرَاءِ) . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ
(فِي كِتَابِ النِّسْبِ) : سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَشَبُّ بِامْرَأَتَيْنِ كُلُّ مِنْهُمَا
تَسْمَى رَقِيَّةً . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْجَمْعُ عِبَارَةً عَنْ اثْنَتَيْنِ .

وَعَلِمَ أَنَّ قَوْلَ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ تَبَعًا لْغَيْرِهِ ، إِنَّ الرُّقِيَّاتِ تَابِعٌ لْقَيْسٍ
لَا لِابْنِهِ ، هُوَ قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ ، فَإِنَّهُ قَالَ : قَيْسٌ هُوَ الْمَلْقَبُ بِالرُّقِيَّاتِ ،
لَا اخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ ، لِقَبِّ بِهِ لِأَنَّ لَهُ جَدَّاتِ تَوَالَيْنَ يَسْمَيْنِ الرُّقِيَّاتِ . قَالَ
ابْنُ سَلَامٍ . انتهى .

وَقَوْلُهُ : لَا اخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ ، هُوَ خِلَافُ الْوَاقِعِ ، فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ ذَهَبُوا
إِلَى أَنَّهُ لِقَبِّ لِابْنِهِ : إِمَّا عَبْدَ اللَّهِ وَإِمَّا عُبَيْدَ اللَّهِ .

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ (فِي كِتَابِ الشَّعْرَاءِ) : إِنَّمَا سَمِيَ عَبْدَ اللَّهِ بِنِ قَيْسٍ أَحَدُ

بنى عامر بن لؤى ، الرقيات ، لأنه كان يشب بثلاث نسوة يقال هن كلهن رقية .

وكذا فى الأغاني . ورأيت بخط الحافظ مغلطاي (على هامش كامل المبرد) مانصه : ونقلت من خط الشاطبي : وافق الأصمعي ابن قتيبة على قوله . فعلى هذا يقال عبد الله بن قيس الرقيات بالرفع على الصفة لعبد الله . انتهى .

٢٦٧

وذكر النحاس عن البرق أن فى أجداده ثلاث نسوة كل امرأة منهن تسمى رقية . فعلى هذا يقال عبد الله بن قيس الرقيات على الإضافة . قاله ابن برى .

ونقلت من خط الشاطبي أيضا : رأيت بعض من ألف فى النسب يقول : إن الذى يسمى ابن الرقيات هو قيس أبو عبيد الله وعبيد الله . انتهى . وفى (ألقاب ابن سراقه) أن الذى يقال له الرقيات هو قيس ، وقيل عبد الله بن قيس . انتهى ما أورده الحافظ مغلطاي .

وكذلك قال أبو عبيد (فى النسب) : عبيد الله بن قيس سمي بالرقيات لأنه كان يشب بامرتين كل منهما تسمى رقية . انتهى .

وإذا قيل ابن قيس الرقيات فالمراد ابنه الشاعر ، فإن لقيس ابنين : عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما فقال ابن قتيبة والمبرد (فى الكامل) : هو عبد الله المكبر . وقال المرزبانى (فى معجمه) : هو عبيد الله

بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . انتهى .
وقال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : ذكر المبرد أن اسمه
عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام ، والجاحظ ، وابن قتيبة . وقال
غيرهم : هو عبيد الله ، حكاه أبو عبيد عن الأصمعي وغيره ، ومنهم الكلبي .
وكذلك قال المصعب الزيري (في أنساب قريش) وبين أن له أختا شقيقا يقال
له عبد الله بن قيس ، ويقال فيه نفسه الرقيات لقب له ، ويقال ابن الرقيات .
واختلف في معنى تلقيبه بذلك ، فقال ابن قتيبة : لأنه كان يشب بثلاث
رقيات . وقال ابن سلام : إنما نسب إلى الرقيات لأن له جدات اسمهن
رقيات . وقال كراع : سمي ابن قيس الرقيات لقوله :

رَقِيَّة لَا رَقِيَّة لَا رَقِيَّة أَيُّهَا الرَّجُل (١) . انتهى .

فأنت ترى أن مبنی كلام هؤلاء الأئمة على أن الملقب بالرقيات إنما
هو ابن قيس لا قيس . ولا جائز أن يقال إنه من قبيل تعدى اللقب من الأب
إلى الابن ، لما نقلنا عن هؤلاء الأئمة .

وعلى ما ذكرنا جرى صاحب القاموس ، وخطأ صاحب الصحاح
فقال : « وعبيد الله (٢) بن قيس الرقيات ، لعدة زوجات أو جدات له

(١) ط : « رقية لا رقية أيها الرجل » صوابه في ش . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) ش : « وعبد الله » ، صوابه في ط والقاموس .

أَسْمَاءُ رَقِيَّةَ كَسْمِيَّةَ . ووهم الجوهري « . انتهى .

وهذه عبارة الصحاح : وعبد الله بن قيس الرقيات إنما أضيف قيس إليهن لأنه تزوج عدة نسوة . إلى آخر الأقوال الثلاثة .

ونقل السيوطي عن ابن الأنباري (في فصل معرفة الألقاب وأسبابها ^(١)) أنه كان يختار الرفع في الرقيات ، ويقول : إنه لقب لعبد الله ، لتشبيهه بثلاث نسوة أَسْمَاءُ رَقِيَّةَ . وقال غيره : الرقيات جداته ، فهو مضاف . انتهى .

يعني أن عبد الله مضاف إلى الرقيات على تفسيرها بالجدات ، فيكون مثل حَبِّ رُمَانَ زَيْدٍ ، فإنَّ القصد إلى إضافة الحَبِّ المختص بكونه للرمان إلى زيد . والمتلبس ^(٢) بالرقيات ابن قيس لاقيس . وهذا يوجّه رواية جرّ الرقيات .

وابن قيس الرقيات شاعر قرشي ^(٣) . وهذه نسبته (من الجمهرة لابن الكلبي) : عبيد الله الذي يقال له ابن قيس الرقيات ، هو ابن قيس بن شريح ابن مالك بن ربيعة بن وهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن النضر .

ابن قيس
الرقيات

(١) المزهري ٢ : ٤١٨ وعنوانه فيه « معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب » .

(٢) ش : « والمتلبس » ، صوابه في ط .

(٣) ش : « شاعر قرشي » ، والوجه ما أثبت من ط . وانظر ما سيأتى من نقل البغدادى عن

الزبير بن بكار .

٢٦٨ وَعُبَيْدُ اللَّهِ ، وَشُرَيْحٌ ، وَوُهَيْبٌ ، وَحَجِيرٌ بِتَقْدِيمِ الْمَهْمَلَةِ ، وَلَوْيٌّ ، هَذِهِ
الْخَمْسَةُ بِالتَّصْغِيرِ .

وَضَبَابٌ بِالْفَتْحِ . وَعَبْدٌ بِالْإِفْرَادِ . وَمَعِيصٌ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكسْرِ الْعَيْنِ
الْمَهْمَلَةِ .

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَخُو عُبَيْدِ اللَّهِ الرِّقِيَّاتِ لَهُ عَقَبٌ ، وَلَا عَقَبَ
لِعُبَيْدِ اللَّهِ . وَأَسَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ قُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ ، وَلَهُ يَقُولُ ابْنُ قَيْسٍ
الرِّقِيَّاتِ :

فَنَعَى أُسَامَةَ لِي وَإِخْوَتِهِ فَظَلَلْتُ مُسْتَكًّا مَسَامِيْعِيَّةً (١)

وَرَقِيَّةٌ الَّتِي كَانَ يَشُبُّ بِهَا ابْنُ قَيْسٍ الرِّقِيَّاتِ بِنْتُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي
سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ وَهَبِ بْنِ وَهْبَانَ بْنِ ضَبَابٍ . كَذَا فِي الْجُمُحُورِ وَمَخْتَصَرِهَا
لِيَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ .

قَالَ الزَّيْرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ : سَأَلْتُ عَمِّي مَصْعَبًا ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الضَّحَّاكِ ،
وَمُحَمَّدَ بْنَ حَسَنٍ ، عَنْ شَاعِرِ قُرَيْشٍ فِي الْإِسْلَامِ ، فَكُلُّهُمْ قَالُوا : ابْنُ قَيْسٍ
الرِّقِيَّاتِ .

وَفِي الْأَغْنَى أَنَّ ابْنَ قَيْسٍ الرِّقِيَّاتِ كَانَ زَيْرِيَّ الْهُوِيِّ ، خَرَجَ مَعَ
مَصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَاتَلَ مَعَهُ إِلَى أَنْ قُتِلَ مَصْعَبٌ ،

(١) ط : « مسامعه » ، صوابه في ش والديوان ٩٩ . وهو من قصيدة مطلعها :

ذهب الصبا وتركت غيتيه ورأى الغوال شيب لتيه

فخرج هاربًا حتَّى دخل الكوفة ، فوقف على باب دارِ فرأته صاحبةُ الدارِ
 فعرفتُ أنَّه خائف ، فأدخلته عليه^(١) وجاءت إليه بجميع ما يحتاجه ، فأقام
 عندها أكثرَ من حولٍ وهى لا تسأله من هو ولا يسألها من هى ، وهى تسمع
 الجعل صباحًا ومساءً^(٢) . فبينما هو على تلك الحال وإذا بمنادى عبد الملك
 يُنادى ببراءة الذمة ممن أُصيبَ عنده : فأعلمَ المرأةُ أنَّه راحل ، فقالت :
 لا يروحك ماسمعت ، فإنَّ هذا نداءُ شائع منذ نزلت بنا ؛ فإن أردتَ المقامَ
 فالرحب والسَّعة وإن أردتَ الانصرافَ فأعلمنى . فقال لها : لا بدَّ من الرحيل .
 فلما كان الليل رَقَّتْ إليه وقالت : انزل إن شئت . فنزل وإذا راحلتان على
 إحداهما رَحْلٌ والأخرى زاملة ، ومعهما عبدانِ ونفقةُ الطريق ، فقالت :
 العبدانِ لك مع الراحلتين . فقال لها : من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ أكرم منك ؟
 قالت : أنا التى تقول فيها :

عَادَ لَه مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرْبِ فَعَيْنُهُ بِالْذُمُوعِ تَنْسَكُبُ

وفى رواية الأصمعيَّ أنَّها قالت له : ما فعلتُ بك ما فعلتُ لتكافئنى !
 فسأل عنها فقبل : كثيرة . فذكرها فى شعره . ثم مضى حتَّى دخل مكة فأتى
 أهله ليلا ، فلما دخل عليهم بكوا وقالوا : ما خرَجَ عَنَّا طَلُبُكَ إِلَّا فى هذه
 الساعة فأنجُ بنفسك . فأقامَ عندهم حتَّى أسحر ، ثم نهض ومعه العبدانِ
 حتَّى أتى المدينة . فجاء إلى عبد الله بن جعفر بن أئى طالب عند المساء ،

(١) العلية ، بتشديد اللام والياء مع ضم العين وكسرهما : الغرفة ، وجمعها العلالى .

(٢) الجعل ، بالضم : ما يجعل لقاء عمل ، والمراد هنا : بالمال المعد لمن يدل على مكانه .

وهو يُعَشَّى أصحابه ، فجلس معهم وجعل يتعاجم ، فلما خرج أصحابه كشف عن وجهه وقال : جئت عائداً بك . فكتب ابن جعفر إلى أم البنين بنت عبد العزيز ، وهى زوجة الوليد بن عبد الملك ، لتشفع له ، فشفعها فيه ، وقال لها : مُرِّيهِ يحضر مجلس العشية . فحضر مع الناس ، فأذن لهم وأُخِر الإذن له حتَّى أُخِلُوا مجالسهم ثم أُذن له ، فلما دخل قال عبد الملك : يا أهل الشام ، أتعرفون ^(١) هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا عُبيد الله بن قيس الرقيات ، الذى يقول :

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامُ غَارَةَ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَيْنِهِ وَتُبْدِي عَنْ خَدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعِزَاءُ ^(٢)

قالوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْقِنَا دَمَ هَذَا الْمُنَافِقِ . قال : الْآنَ وَقَدْ أَمِنْتَهُ ٢٦٩
وصار على بساطي ^(٣) وفى منزلى ؟ ! إِنَّمَا أُخِرْتُ الْإِذْنَ لَهُ لِتَقْتُلُوهُ فَلَمْ تَفْعَلُوا .
فاستأذنه فى الإنشاد فأذن له . فأنشده :

* عاد له من كثرة الطَّرب *

حَتَّى وَصَلَ فِيهَا إِلَى قَوْلِهِ :
إِنَّ الْأَغْرَّ الَّذِى أَبُوهُ أَبُو الْ
عَاصِى عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجْبُ
خَلِيفَةُ اللَّهِ فى رَعِيَّتِهِ جَفَّتْ بِذَلِكَ الْأَقْلَامُ وَالْكِتَابُ ^(٤)
يَعْتَدِلُ التَّاجَ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

(١) ط : « تعرفون هذا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) هو من شواهد حذف التنوين للضرورة . وقيل إنه على نية إضافة « خدام » إلى ضمير العقيلة . انظر الإنصاف ٦٦١ وابن يعش ٩ : ٣٧ وما سبأ فى ص ٢٨٩ .

(٣) ش : « وسار على بساطي » ، صوابه فى ط . وفى الأغاني ٤ : ١٥٦ : « وقد أمنتته وصار فى منزلى وعلى بساطي » .

(٤) ط : « بذلك الأقلام » ، صوابه فى ش والديوان .

فقال له عبد الملك : تمدحني بما يُمدح به الأعاجم ^(١) وتقول في مصعب بن الزبير :

إِنَّمَا مَصْعَبٌ شَهَابٌ مِنْ آلِ لَهُ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ
يَتَّقَى اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفَّ لَحَ مِنْ كَانَ هَمَّهُ الْإِثْقَاءُ
أَمَّا الْأَمَانُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ ، لَكِنْ لَا تَأْخُذْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَطَاءُ أَبَدًا !
فقال ابن قيس لابن جعفر : وما ينفعني أمانى ولا آخذ مع الناس عطاء ؟
فقال له ابن جعفر : كم بلغت من السن ؟ قال : ستين سنة . قال : فعمّر
نفسك ^(٢) . قال : عشرين سنة ^(٣) . قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألف درهم .
فأمر له بأربعين ألف درهم ^(٤) .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : لما قُتل مصعب صار إلى ابن جعفر يستشفع به إلى عبد الملك ، فقال له : إذا دخلت معي فكل أكلاً يستشعنه . ففعل فقال : من هذا يا ابن جعفر ؟ قال : هذا أكذب الناس . قال : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا لَأَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدُنُ الْمُلُوكِ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

(١) في الأغاني : « تمدحني بالتاج كأنى من العجم » .

(٢) أى قدر لنفسك عمرا مستقبلا .

(٣) في الأغاني : « قال : عشرين سنة من ذى قبل ، فذلك ثمانون سنة » .

(٤) بعده في الأغاني : « وقال : ذلك على أن تموت على تعميرك نفسك » .

قال : قد عفونا عنه ، ولكن لا يأخذ مع المسلمين عطاء . فكان ابن جعفر إذا خرج عطاؤه يُعطيهِ منه . انتهى .

وفى رواية صاحب الأغاني : قال ابن قيس الرقيات : تسأل أمير المؤمنين عن أمرى ؟ قال : نعم ، فإذا دخلتُ إليه فادخل معى ، وإذا دُعيتُ بالطعام فكل أكلاً فاحشاً . ففعل فقال عبد الملك : من هذا يا ابن جعفر ؟ قال : إنسانٌ قد يجوز أن يكون صادقاً إن استُقيمت ، وإن قُتل كان أكذب الناس . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه الذى يقول :

ما تَقَمُّوا من بنى أُمَيَّةٍ إِلاَّ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

الآيات . فَإِنْ قَتَلْتَهُ لَغَضَبِكَ عَلَيْهِ كَذَّبْتَهُ فِيمَا مَدَحَكُم بِهِ . قال : هو آمن ، ولكن لا أعطيهِ عطاءً من بيت المال . قال : ولم وقد وهبته لى ، فأحبُّ أن تَهَبَ لى عطاءه أيضاً كما وهبت لى دمه ! قال : قد فعلت . قال : وتعطيهِ ما فاتهُ من العطاء . قال : قد فعلت . وأمر له بذلك . انتهى .

وقوله : « كيف نومي على الفراش » البيتين ، أوردهما ابن السِّيد (فى أول أبيات معانيه) وقال : الغارة الاسم ، والإغارة المصدر . والشَّعْواء : الواسعة . والخِدَام : جمع خَدَمَةٍ بالتحريك : الخلخال : وحذف التنوين من خدام للضرورة ، والعقيلة فاعل تبدى ومعناها المرأة التى عُقِلت أى حُصِنَتْ من أن تُتْرَى ، وهى الكريمة . والعنراء ^(١) : البكر .

* * *

(١) ش : « العنراء » بدون واو قبلها .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الخمسمائة (١) :

٥٣٤ (ومن طلب الأوتار ما حَزَّ أنْفَه قَصِيرٌ ورَامَ الموت بالسَّيفِ يَيْهَسُ
نعامةٌ لَمَّا صرَّعَ القومُ رهطَه تبَيَّنَ في أثوابِه كيف يَلْبَسُ)
على أَنَّ الشاعر قد أتبع اللقب الاسم ، فَإِنَّ ييهَسًا اسم رجل ، ونعامةٌ
لقبه ، وهو عطف بيان ليهس .

قال شارح الباب : هذا من الإجراء في المفرد ؛ فَإِنَّ نعامة ويهس :
اسمان لذاتٍ واحدة ، والثاني لقب ، فكان القياس إضافة العلم إلى اللقب ،
وقد أُجْرِيَ عليه .

وكذا قال أبو حيان (في تذكرته) قال : إذا كان الاسم واللقبُ
مفردَيْن بلا آل أُضيف الاسم إلى اللقب . وقد يُجمع بينهما ويُفصل أحدهما
عن الآخر ، وجاء ذلك في الشعر . وأنشد البيتين .

وما في (ما حَزَّ) إمَّا زائلة ، أَى ومن طلب الأوتار حَزَّ أنْفَه قصير ،
وهو إشارة إلى قصَّة قصير مع الزَّيَّاء ، وهى مشهورة . أو مصدرية على أَنَّهُ
مبتدأٌ مع خبره ، والجار والمجرور وهو من طلب خبره مقدما عليه ، أَى حَزَّ
أنْفَه حاصلٌ من جهة طلب الأوتار .

و (نعامة) عطف بيان ليهس ، وهو محل الاستشهاد . ومحل كيف
نصبٌ على الحال ، والعامل يلبس ، والجملة وهى كيف مع ما عمل فيه سادٌّ

(١) ديوان المتلس ٦ مخطوطة الشنقيطى ، والحماصة بشرح المرزوق ٦٥٩ .

مَسَدُ الْمَفْعُولِينَ لَتَبَيْنَ ^(١) . ولا يجوز أن يكون مفعولاً لتَبَيْنَ لِئَلَّا يبطل صدرته .
انتهى .

والبيتان من قصيدة للمتلمس أورد منها أبو تمام (في الحماسة) صاحب الشاهد بعضها . وهذا أول ما أورده :

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ فَلَا تَقْبَلَنَّ ضَيْمًا مَخَافَةَ مِيتَةٍ فَمَنْ طَلَبَ الْأَوْتَارَ مَا حَزَّ أَنْفَهُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَا رَأَوْا وَتَحَدَّثُوا أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجَوْنَ أَصْبَحَ رَاسِيَا عَصَى تَبَعًا أَزْمَانَ أَهْلَكَ الْقُرَى هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أَثِيرَتْ زُرُوعُهَا وَذَاكَ أَوَّانُ الْعَرَضِ حَتَّى ذُبَابُهُ يَكُونُ نَذِيرٌ مِنْ رَوَائِي جُنَّةٍ وَجَمَعَ بَنَى قُرَانَ فَأَعْرِضْ عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَقْبَلُوا بِالْوَدِّ تُقْبَلُ بِمِثْلِهِ وَإِنْ يَكُ عَنَّا فِي حُبَيْبٍ تَنَاقَلَ	صَرِيحٌ لِعَافِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يُرْمَسُ وَمُوتُنْ بِهَا حَرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ الْبَيْتَيْنِ وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ يُضَامُوا فَيَجْلِسُوا تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ يُطَانُ عَلَيْهِ بِالصَّفِيحِ وَيُكَلِّسُ وَعَادَتْ عَلَيْهَا الْمُنْجُونَ تَكْدَسُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَمَلِّسُ وَيَنْصُرُنِي مِنْهُمْ جُلَى وَأَحْمَسُ فَإِنْ تَقْبَلُوا هَاتَا الَّتِي نَحْنُ نُؤَيَّسُ وَالْأُفَّا فَاثْنَا نَحْنُ آبَى وَأَشْمَسُ فَقَدْ كَانَ مِنَّا مِقْنَبٌ مَا يَعْرِسُ)
---	---

هذا ما أورده أبو تمام .

قال ابن الأعرابي : إِنْما قال [هذا] ^(٢) فيما كان بين بني حنيفة وبين
ضبيعة بالجمامة ، فأراد بنو حنيفة ^(٣) ، فنهاهم أن يُقيموا على الدَّلِّ وأن يقبلوا

(١) كلنا في النسختين ، أى قول ساد مسد المفعولين .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كلنا في النسختين ، والمعنى : أرادوا قبول الضيم .

الضَّيْم من قومهم ، وأمرهم ^(١) بقتالهم حتَّى يعطوهم حَقَّهُم .

ومعنى ألم تر : ألم تعلم . يقول : الإنسان مُرْتَهَنٌ بأجل ، فإمَّا أن يموت حتَف أنفه فيدفن ، وأمَّا أن يُقْتَلَ في معركة فيترك لعوافي الطَّير والسَّبَّاع . وهو جمع عافية ، وهو كُلُّ طالب رزقٍ من إنسان أو بهيمة أو طائر . والرَّمس : الدَّفَن .

٢٧١

وقوله : « فلا تقبلن ضيما » إلخ الضيم : الظلم ، والهضم . وميته : فِعْلة من الموت ، تكون للحال والهيئة ، أى لا تقبل الضيْم مخافة حالة من حالات الموت ونوع من أنواعه . وميته مرجع الضمير فى « بها » ، أى مت بتلك الميتة حرًّا لم يستعبدك الحرُّ . وجلدك أملس : نقى من العار سليم من العيب . يريد أن الموت نازل بك على كلِّ حال ، فلا تتحمل العار خوفًا منه .

وقوله : (فمن طلب الأوتار) من للتعليل ، وما إمَّا زائدة وإما مصدرية . والأوتار : جمع وتر بفتح الواو وكسرهما : الثَّار والدَّحْل . وحزَّ بالحاء المهمل والزاء المعجمة : ماضٍ من حززت الخشبة حزا ، من باب قتل : فَرَضْتُهَا . والحزُّ : الفرض . وأنفَه مفعولُه ، وقصير فاعله .

و (صَرَّع) مبالغة صرَّعته صرعا ، من باب نفع ، إذا قتلتَه . والقوم فاعله ، ورهطه مفعوله . والرَّهْط : ما دون عشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ، وقيل من سبعة إلى عشرة . وما دون السَّبعة إلى ثلاثة نفر . وقال أبو زيد : الرهط والتَّفر : ما دون العشرة من الرجال . وقال ثعلب : الرَّهْط والتَّفر والقوم

(١) ط : « أمر » وأثبت ما فى ش .

والمعشر والعشيرة ، معانهم الجمع ، لا واحد لهم من لفظهم ؛ وهو للرجال دون النساء . وقال ابن السكيت : الرَّهْطُ والعِترَةُ بمعنى . ورهط الرجل : قومه وقبيلته الأقربون . كذا في المصباح . و (تَيَّنَ) بمعنى عَلِمَ . وهذا الكلام من المتلَمَّس تحضيضٌ على دفع الضِّيم وركوب الإباء من التزام العار ، فلذلك أخذ يذكر بحال من لم يزل يحتال حتَّى أدرك مَبَاغِيَه من أعدائه .

وفي اليت إشارةٌ إلى قصتين : إحداهما : قصة قصير صاحب جذيمة الأبرش مع الزباء ، والثانية : قصة يَهْس .

أما الأولى فقد رواها صاحب الأغاني عن ابن حبيب قال : كان جذيمة الأبرش من أفضل الملوك رأيًا وأبعدهم مُغارًا ، وأشدَّهم نكايَةً . وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق . وكانت منازلُه ما بين الأنبار ، ورَقَّة (١) ، وهيت ، وعين التمر ، وأطراف البرّ ، والقُطْقُطانة ، والحيرة . فقصده في جموعه عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السَّميدع بن هُوَير العاملي ، من عاملة العماليق ، فجمع عمرو جموعه ولقيَه ، فقتله جذيمةُ وفَضَّ جموعه فانفلوا (٢) وملَّكوا بعده عليهم ابنته الزباء ، وكانت من أحزم النساء ، فخافت أن يغزوها ملوكُ العرب فأتخذت لنفسها نفقًا في حصنٍ كان لها على شاطئِ الفرات ، وسكَّرت الفرات (٣) في وقتِ قَلَّةِ الماء ، وبنّت في بطنه أَرْجًا من الآجر والكِلس ، متَّصلًا بذلك النفق ، وجعلت نفقًا آخر في البرية متَّصلًا

(١) كذا في النسختين ، وصوابها : « وبَقَّة » كما في الخزائن ١١ : ٤٠٩ .

(٢) يقال فل القوم يفلهم فلا : هزمهم فانفلوا . وفي الأغاني ١٤ : ٧١ : « ونفلوا » ، وما

هنا صوابه .

(٣) سكر النهر يسكره سكرًا : سد فاه . وفي الأغاني : « وسكنت الفرات » ، تحريف .

بمدينة أختها ، ثم أجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدواً دخلت الثفق .
فلما استجمع لها أمرها أرادت أن تغزو جذيمة ثائرة بأبيها ، فقالت لها أختها ،
وكانت ذات رأي وحزم : (١) ابعثي إليه فأعلميه أنك قد رغبت في أن
تنزوجه وتجمعي ملكك إلى ملكه ، وسليه أن يجيبك ، فإن اغتر ظفرت به
بلا مخاطرة . فكتبت إليه بذلك ، فاستخفه الطمع ، وشاور أصحابه فكل
صوب رأيهم في قصدها وإجابتها ، إلا قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن
قيس بن هلال بن ثمار بن لحم ، فقال : هذا رأي فاتر ، وغتر حاضر ، فإن
كانت صادقة فلتقبل إليك ، وإلا فلا تملكها من نفسك (٢) . فلم يوافق
جذيمة قوله ورحل إليها ، فلما دخل عليها أمرت بقطع رواهش (٣) ، ونزف
دمه إلى أن مات . فخرج قصير إلى عمرو بن عدى ، ابن أخت جذيمة ،
فقال : هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بدم خالك ؟ فجعل
ذلك له ، فأتى القادة والأعلام فقال : أنتم القادة والرؤساء ، وعندنا الأموال
والكنوز . فانصرف إليه منهم بشر كثير ، وملكوا عمرو بن عدى ، فقال
قصير : انظر ما وعدتني به في الزباء . قال : وكيف وهي أمنع من عقاب
الجو ؟ فقال : إذا أبيت فإني جادع أنفي وأذني ، ومحتال لقتلها ، فأعني
وحلاك ذم . فقال له عمرو : أنت أبصر . فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى
دخل على الزباء فقال : أنا قصير ، لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض

٢٧٢

(١) كنا . والعبارة مسهبة في الأغاني .

(٢) في الأغاني : « فلا تمكنها من نفسك » .

(٣) الرواهش : عروق في باطن اللراع .

أَحَدٌ كَانَ أَنْصَحَ لَجَذِيمَةٍ مَنَى وَلَا أَغَشَّ لَكَ ، حَتَّى جَدَعَ عَمْرُو بْنُ عَدَى أَنْفَى
وَأَذْنَى ، فَعَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ مَعَ أَحَدٍ أَثْقَلَ عَلَيْهِ مِنْكَ . فَقَالَتْ : أَيْ قَصِيرُ ،
نَقَبَلْ ذَلِكَ مِنْكَ وَنَصَرَفْكَ فِي بَضَاعَتِنَا . فَأَعْطَتْهُ مَالًا لِلتَّجَارَةِ ، فَأَتَى بَيْتَ مَالِ
الْحَيَّةِ فَأَخَذَ مِمَّا فِيهِ بِأَمْرِ عَمْرُو بْنِ عَدَى مَا ظَنُّهُ أَنَّهُ يَرْضِيهَا ، وَانصَرَفَ إِلَيْهَا
بِهِ . فَلَمَّا رَأَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَرَحَتْ بِهِ وَزَادَتْهُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى أَنْسَتْ بِهِ ،
فَقَالَ لَهَا يَوْمًا : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مِلْكِي وَلَا مِلْكِ إِلَّا وَيَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَتَّخِذَ نَفَقًا تَهْرُبُ
إِلَيْهِ عِنْدَ حَدُوثِ حَادِثَةٍ . فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ، تَحْتَ سَرِيرِي هَذَا ،
يَخْرُجُ إِلَى نَفَقٍ تَحْتَ سَرِيرِ أُخْتِي . وَأَرَّثَهُ إِيَّاهُ . فَأَظْهَرَ سُرُورًا بِذَلِكَ ، وَخَرَجَ
فِي تِجَارَتِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، وَعَرَفَ عَمْرُو بْنُ عَدَى مَا فَعَلَهُ ، فَركبَ عَمْرُو بْنُ
الْفَقْىَ دَارِعَ عَلَى أَلْفٍ بَعِيرٍ فِي جَوَالِقَ ، حَتَّى إِذَا صَارُوا إِلَيْهَا تَقَدَّمَ قَصِيرٌ وَدَخَلَ
عَلَى الرِّبَاءِ فَقَالَ : اصْعَدِي حَائِطَ مَدِينَتِكَ ، فَاَنْظُرِي إِلَى مَالِكِ ، فَإِنِّي قَدْ
جِئْتُ بِمَالٍ صَامِتٍ . وَقَدْ كَانَتْ أُمْنَتُهُ فَلَمْ تَكُنْ تَتَّهَمُهُ ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى ثِقَلِ
مَشْنِيِّ الْجَمَالِ قَالَتْ - وَقِيلَ إِنَّهُ مَصْنُوعٌ مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا - :

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيهَا وَثِيدًا أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنَ أَمْ حَدِيدًا

الْأَيَّاتُ الْمَشْهُورَةُ . فَلَمَّا دَخَلَتْ الْإِبِلُ خَرَجُوا مِنَ الْجَوَالِقِ فَتَّارُوا بِأَهْلِ
الْمَدِينَةِ ضَرْبًا بِالسَّيْفِ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهَا قَصْرَهَا فَهَرَبَتْ تَرِيدُ السَّرْبَ (١) ،
فَوَجَدَتْ قَصِيرًا قَائِمًا عِنْدَهُ بِالسَّيْفِ ، فَانصَرَفَتْ رَاجِعَةً وَاسْتَقْبَلَهَا عَمْرُو بْنُ
عَدَى فَضَرَبَهَا . وَقِيلَ : بَلْ مَصَّتْ خَائِمَهَا وَقَالَتْ : « بِيَدِي لَا بِيَدِ عَمْرُو ! »
وَخَرِبَتْ الْمَدِينَةَ وَسُبِّيَتِ الدَّرَارِيُّ ، وَغَنِمَ عَمْرُو كُلَّ شَيْءٍ كَانَ لَهَا وَلِأَيِّهَا وَأَخْتَهَا .
انتهى .

(١) السرب ، بالتحريك : الحفير تحت الأرض .

نصه يهس

وأما يهس الذى يلقب « نعامه » فهو رجلٌ من بنى فزارة ، وكان يحمق ، فقتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ، فإذا سئل عن ذلك قال :

البس لكل حالة كبوسها إما نعيمها وإما بوسها (١)

فتوصل بما صورّه من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته .

وقوله : « البس لكل حالة » إلخ قال الزمخشري (فى أمثاله) : قاله يهس حين شق قميصه فغطى به رأسه وكشف استه بعد قتل إخوته . وإنما أراد أنه افتضح بقتلهم ، وإنه إن لم يثأر بهم فهو كالمقنع رأسه واسته مكشوفة . يضرب فى تلقى كل حال بما يليق بها (٢) . انتهى .

وقد أورده (فى الكشف) عند قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ﴾ (٣) على أن أصل لبوس اللباس ، بمعنى ما يلبس .

وقد أخطأ خضر الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين) فى نسبته إلى يهس بن مبيب يهس بن صهيب القضاعى ، وهو شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، وقد ترجمه الأصمهانى (فى الأغانى) بحكايات ونقلها خضر منها ، ونسبها إلى قائل البيت . وقد حصل له اشتباه من اتفاق الاسمين .

وقائل البيت جاهلى ، وقد ضرب به المثل فى الجاهلية .

(١) ط : « بوسها » بالهمز ، صوابه فى ش والأغانى ٢١ : ١٢٣ .

(٢) ط : « يلتقى بها » ، صوابه فى ش .

(٣) الآية ٨٠ من سورة الأنبياء .

وقال أبو عبيد : المدركون الثَّارُ في الجاهلية ثلاثة : بيهس ، وقَصير ، وسيف [بنُ] ذى يزن .^(١)

وبيهس صاحب البيت (كما في الجمهرة) هو بيهس بن خلف بن هلال بن غُرَاب^(٢) . بن ظالم بن فزارة بن ذُبيان . فهو عدنانى ، وذاك قحطانى .

قال ابن الكلبي (في الجمهرة) : بيهس وإخوته التسعة ، منهم : نَفر ، وريع ، وحُصين ، بنو خَلَف ، كانوا من أشطر فتيان العرب . انتهى . والمشهور أنَّهم سبعة .

وهذه قصته (من مجمع الأمثال للميداني) قال : بيهس الفَزَارِيُّ الملقَّب بنعمة كان سابعَ سبعة إخوة ، فأغار عليهم ناسٌ من أشجع بينهم وبينهم حرب ، وهم في إبلهم ، فقتلوا منهم ستَّة وبقى بيهس ، وكان يحمِّق ، وكان أصغرهم ، فأرادوا قتله ثم قالوا : وما تريدون من قتل هذا ، يحسب عليكم برجل ، ولا خير فيه . فتركوه فقال : دعونى أتوصل معكم^(٣) . فلما كان من الغد نزلوا فبحروا جزوراً في يوم شديد الحرِّ فقالوا : ظلَّلوا لحكمكم لا يفسد . فقال بيهس : « لكنَّ بالأثلاث لحمًا لا يظلل » يريد إخوته ، فذهبت مثلاً . فلما قال ذلك قالوا : إنَّه لمُنكَّر ، وهُمُوا أن يقتلوه ، ثم تركوه وظلُّوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون ، فقال أحدهم : ما أطيب يومنا وأخصبه !

(١) التكملة من ش والأغاني ٢١ : ١٢٢ .

(٢) ط : « عزاب » ، صوابه في ش .

(٣) في أمثال الميداني ١ : ١٣٨ : « أتوصل معكم إلى الحى » .

فقال ييهس : « لكن على بَلَدَح قوم عَجَفَى ! » . فأرسلها مثلاً .
ثم انشعب طريقهم فأقَى أُمّه فأخبرها الخبر ، قالت : فما جاءني بك
من بين إخوتك ؟ قال ييهس : « لو خُيِّرْت لاخترت » . فذهبت مثلاً .
ثم إنَّ أُمّه عَطَفَتْ عليه ورَقَّت ، فقال الناس : لقد أَحَبَّتْ أُمُّ ييهس
ييهسا . فقال : « تُكَلِّلُ أَرَامَهَا وَلَدًا ! » أَى أَعْطَفَهَا على ولد . فأرسلها مثلاً .
ثم إنَّ أُمّه جعلت تعطيه ثيابَ إخوته فيلبسها فيقول : « يا حَبْدَا الثَّرَاثُ
لولا الذَّلَّةُ ! » . فأرسلها مثلاً .

ثم إنَّه أتى على ذلك ما شاء الله ! فمرَّ بنسوة من قومه يُصلحن امرأةً
منهنَّ ، يردن أن يُهدينها لبعض قتلة إخوته ، فكشف ثوبه عن استه وعَطَى
رأسه ، فقلن : ويلك ما تصنع يا ييهس ؟ فقال : « البَسْ لكلِّ حالة » البيت .
فأرسلها مثلاً .

ثم أمر نساء من بنى كنانة وغيرها فصنعن له طعامًا ، فجعل يأكل
ويقول : « حَبْدَا كثرة الأيدي في غير طعام ! » . فأرسلها مثلاً ، فقالت أُمّه :
لا يَطْلُبُ هذا بثَّار ! فقال : « لا تأمن الأحمق وفي يده سكين ! » . فأرسلها
مثلاً .

ثم إنَّه أخبر أنَّ أناسا من أشجع في غارٍ يشربون فيه ، فانطلق بخالٍ له
يقال [له] ^(١) أبو حنش فقال له : هل لك في غارٍ فيه ظباءٌ لعلنا نصيبُ
منها ؟ ويروى : « هل لك في غنيمة باردة ؟ » . فأرسلها مثلاً . فانطلق ييهس

(١) التكملة من ش .

بخاله حتَّى أقامه على فم الغار ، ثم دفع أبا حنش في الغار فقال : ضرباً
أبا حنش ! فقال ^(١) بعضهم : إن أبا حنش لبطل ! فقال أبو حنش :
« مُكرّة أخاك لا بطل » . فأرسلها مثلاً ^(٢) .

فقتلهم جميعاً ، وجعل يتتبع قتلة إخوته ويتقصّاهم حتَّى قتل منهم أناساً
كثيراً .

وقوله : « لكنّ على بلدح قومٌ عجفى » يضرب في التحزّن بالأقارب .
وبلدح ، كجعفر : جبلٌ في طريق جُدّة ، على أربعة أميال من مكة .

وقوله : « وما الناس إلّا ما رأوا » إلخ رواه أبو عمرو :
وما البأس إلّا حملٌ نفسٍ على السرى وما العجز إلّا نومةٌ وتشمُّسٌ ٢٧٤

ومعنى الأول : ما الناس إلّا رؤيةٌ وتحدّث ، أى اعتبارٌ بالمشاهدة أو بما
يروى من أخبار الأمم .

وقوله : « ألم تر أنّ الجون » إلخ بفتح الجيم : حصنُ اليمامة . يقول :
لا توعدوننا فإنّ حصننا حصين لا يُوصَل إليه ، ولا يُستباح حِمَاه . وجملة :
« تطيف » إلخ إمّا في موضع خبر ثانٍ لأصبح ، وإمّا صفة لراسياً .
« وما يتأيس » : لا يلين ، في موضع الحال .

وقوله : « عصى تُبعا أزمان » إلخ يقول : إنّ تُبعا لما غزا القرى والمدن ،
لم يصل إلى اليمامة . و « يُطانُ عليه بالصفّيح » ، أى يجعله بَدَل طينه في
الإصلاح والعمارة . ويجوز أن يكون بالصفّيح حالاً ، أى يطان ويكلس
بصفّاحه ، أى هو مبنىٌ بالحجارة . ويكُلس : يُصهرج . والكُلس :

(١) ط : « قال » ، وأثبت ما في ش وأمثال الميداني .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية القصة لم أجده في الميداني .

الصَّارُوجُ ^(١) . والصَّفِيح : الحِجَارَةُ العِرَاض . ومعناه أَنَّهُ يُبْنَى عَلَى المِيَاهِ الَّتِي هِيَ كَالصَّفِيح . والصَّفِيح : السِّیُوف ، وَاحِدُهَا صَفِيحَةٌ . وَيَشْبَهُ الْمَاءَ إِذَا كَانَ صَافِيًا بِالسَّيْف . وَذَكَرَ الْمَاءَ وَأَرَادَ الْعِمَارَةَ ، لِأَنَّهَا بِهِ تَكُون .

وقوله : « هَلُمَّ إِلَيْهَا » إلخ يَخَاطَبُ النِّعْمَانَ . وَهَذَا تَهْكُمٌ وَسُخْرِيَّةٌ . يَقُولُ : إِنْ قَدَرْتُ عَلَيْهَا فَاقْصِدْهَا فَإِنَّهَا أَخْصَبُ مَا يَكُونُ ، مُزْدَرَعُهَا مُثَارٌ ، وَدَوَالِبُهَا تَدُورُ ^(٢) . وَضَمِيرُ إِلَيْهَا لِلْيَمَامَةِ . وَالْمُنْجَنُونَ : الدُّلُوبُ . وَمَعْنَى تَكْدُسُ : يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي الدُّورَانِ . وَيَسْتَعْمَلُ فِي سَيْرِ الدُّوَابِّ وَغَيْرِهَا .

وقوله : « وَذَاكَ أَوَانُ الْعِرْضِ » بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ : وَادٌ مِنْ أَوْدِيَةِ الْيَمَامَةِ . وَحَى أَى عَاشَ بِالْخَصْبِ . وَرَوَى : « جَنَّ » أَى كَثُرَ وَنَشِطَ . وَزَنَايَاهُ بَدَلٌ مِنْ ذَبَايِهِ . وَذَبَابُ الرُّوضِ قَدْ يَسْمَى الزَّنَايِرَ . وَقَوْلُهُ « الْأَزْرَقُ الْمُتَلَمَّسُ » : جَنْسٌ آخَرُ يَكُونُ أَخْضَرَ ضَخْمًا . وَالْمُتَلَمَّسُ : الطَّالِبُ . وَقَدْ سَمَّى الشَّاعِرُ الْمُتَلَمَّسَ بِهَذَا الْبَيْتِ ، وَاسْمُهُ جَرِيرٌ . وَلَكَ أَنْ تَنْصَبَ الْأَوَانَ وَتَرْفَعَ الْعِرْضُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَاسْمُ الزَّمَانِ يُضَافُ إِلَى الْجَمَلِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ هُوَ فِي ذَاكَ الْأَوَانَ .

وقوله : « يَكُونُ نَذِيرٌ مِنْ وَرَائِي » إلخ هُوَ نَذِيرٌ بِنُ بُهَيْثَةَ بْنِ وَهَبٍ . وَقِيلَ أَرَادَ بِالنَّذِيرِ الْمُنْذِرِ . وَالْمَعْنَى : إِنِّي لَمُرْصِدٌ لَهُمْ مَنْ يُنْذِرُنِي بِهِمْ فَأَتَّقِي وَأَتَحَرَّزُ . وَجُلِّيَّ بَضْمَ الْجِيمِ وَفَتْحَ اللَّامِ وَتَشْدِيدَ الْيَاءِ ؛ وَأَحْمَسُ : بَطْنَانٌ مِنْ ضُبَيْعَةٍ

(١) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « الصَّهْرُوج » ، وَصَوَابُهُ مِنَ اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ .

(٢) ط : « تَدُور » ، صَوَابُهُ فِي ش .

ابن ربيعة . يقول : فإذا جاء وقتُ التحارب قام بنصرى هذان البطنان . وقيل نذير وجُلَّى : أخوان ، وأحمس بن ضُبَيْعَة أبوهما . يقول : هم ينصروننى ويكونون لى وقايةً من العدو .

وقوله : « وَجَمَعَ بنى قُرَّان » إلخ جمع منصوب بفعل مضمر ، كأنه قال : سَمَّ جمع بنى قُرَّان . ومعنى البيت : أجرونا مُجرى نظائرتنا ، فإنَّا نرضى بهم قُدوةً ، واعرضوا ما تَسُومُونَا ^(١) على بنى قُرَّان ، فإن التزموه وقبلوه فلنا بهم أسوة ، وإلَّا فالامتناع واجب . وقوله : « هاتا » إلخ أى هذه الخطئة التى نُكْرَهُ عليها . والأبْس : القهر . وقال ابن الأعرابى : أبست الرجل ، إذا لقيته بما يكره ، وأبسته إذا وضعت منه باستخفاف وإهانة .

قوله : « فَإِنْ يُقْبَلُوا بِالوَدِّ نَقْبِلْ بِمِثْلِهِ » إلخ أعاد الشرط وذلك أَنَّهُ قال قبل هذا : فَإِنْ يَقْبَلُوا هاتا ، ولم يأتِ له بجواب ، ثم قال : فَإِنْ يُقْبَلُوا بِالوَدِّ نَقْبِلْ بِمِثْلِهِ ، فاكْتَفَى بجواب واحد لاشتماله على ما يكون جوابًا لهما ، فكأنَّه قال : إِنْ قَبِلُوا مَا نَوَيْسُ بِهِ نَقْبِلْ مِثْلَهُ ، وَإِنْ أَقْبَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَادَّيْنِ أَقْبَلْنَا ، وَإِلَّا فَنَحْنُ أَشَدُّ أَوْ أَبْلَغُ شِمَاسًا ، أى امتناعا . وكان بنو ضُبَيْعَة حلفاء لبني ذُهل بن ثعلبة ابن عكابة ، فوقع بينهم نزاع ، فعاتبهم المتلمس .

وقوله : « وَإِنْ يَكْ عَنَّا » إلخ أراد : حُبِّبْ فخَفَّف ، وهو حُبِّب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . يقول : إِنْ تَكَاسَلْ بَنُو حُبِّبٍ عَنْ إِدْرَاكِ ثَارِنَا فَقَدْ كَانَ مِنَّا مِنْ يَدَآبٍ وَيَسْهَرٍ . والمِقْنَب بالكسر : زهاء ثلثمائة من

(١) ط : « ماتسومونا » ، والصواب من ش .

الخليل . والتعريس : النزول في آخر الليل . وقوله : « ما يعرّسُ » أى ما يستقرّون إذا وتروا ، ولكنهم يعزّون ^(١) ويغيرون أبداً حتى يدركوا بثأرهم .
 والمتلمس شاعر جاهلي ، واسمه جرير بن عبد المسيح ، وسمّى المتلمس بالبيت المذكور . وقد تقدّمت ترجمته مفصّلة في الشاهد التاسع والستين بعد الأربعمئة ^(٢) .

المتلمس

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الخمسمئة ، وهو من شواهد سيبويه ^(٣) :

٥٣٥ (ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبْعانِ)

على أَنَّ (السَّبْعانِ) أعرب بالحركة على النون مع لزوم الألف . وإذا نسب إليه قيل السَّبْعانيّ .

وقال الزمخشريّ (في باب النسب من المفصل) : ومن ذلك قَسْرُ ونَصْبُ ، فيمن جعل الإعراب قبل النون . ومن جعله معتقب الإعراب قال قَسْرِنِي . وقد جاء مثل ذلك في التثنية قالوا : خيلانيّ وجاءني خليلان ^(٤) اسم رجل . وعلى هذا قوله :

* ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبْعانِ *

(١) ط : « يفرون » ، صوابه في ش .

(٢) انظر ما سبق في ٦ : ٣٤٥ - ٣٥٢ .

(٣) في كتابه ٢ : ٣٢٢ . وانظر الخصائص ٣ : ٢٠٣ وإصلاح المنطق ٣٩٤ وابن عيش

٥ : ١٤٤ والاعتضاب ٤٧٢ والمعنى ٤ : ٥٤٢ والتصریح ١ : ٦٩ - ٢ : ٣٢٩ والأشئوني

٤ : ٣٠٩ . والبيت في ديوان تميم ٢٣٥ .

(٤) ط : « وجاءني خيلاني » ، صوابه في ش وابن عيش ٥ : ١٤٤ .

قال ابن المستوفى : وجدت بخط الرَّمْخَشَرِيِّ : ومن جعله مُعْتَقِبَ الإعراب ، بكسر القاف . وقد صَحَّحَ عليه مَرَّتَيْنِ . فالملفُوح القاف مصدر ، والمكسورها اسم فاعل . انتهى .

وقد أورد سيبويه هذا المصراع في أوزان الأسماء قال : ويكون على فَعْلَانٍ وهو قليل ، قالوا : السَّبْعَان ، وهو اسم . قال ابن مقبل :

« أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بالسبعان » انتهى

وأورده ابن قتيبة (في أدب الكاتب) على أنه لم يأت اسم على فَعْلَانٍ إلا حرف واحد .

وكذلك قال أبو عُبيد عبد الله البكري (في شرح أمالي القالي) . وقال (في معجم ما استعجم) : السَّبْعَان بفتح أوله وضم ثانيه على بناء فَعْلَان ، هكذا ذكره سيبويه ، وهو جبلٌ قَبْلَ الفلج . وأنشد هذا البيت . والفلج بفتح الفاء وسكون اللام بعدها جيم : موضعٌ في بلاد بني مازن ، وهو في طريق البصرة إلى مكة .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : السبعان منقول من تشنية السَّبْع بفتح فضم ، قال أبو منصور : هو موضعٌ معروف في ديار قيس . وقال نصر : السَّبْعَان : جبلٌ قَبْلَ فلج ، وقيل واد شمالي سَلَمَ عنده جبلٌ يقال له العبد ، أسود ليس له أركان . ولا يعرف في كلامهم اسم على فَعْلَانٍ غيره . انتهى .

وهذا المصراع وقع صدر بيت هو مطلع قصيدتين لشاعرين أحدهما (١) تميم بن مقبل ، وهو شاعرٌ إسلاميٌّ مخضرم ، وتقدمت ترجمته في

(١) ط : ه أحدهما ، صوابه في ش .

الشاهد الثاني والثلاثين من أوائل الكتاب ^(١) .

والثانية لشاعر جاهلي من بني عُقيل .

أما الأولى وهي ^(٢) المشهورة التي ذكرها شراح الشواهد ، فهذه أبيات من أولها :

(ألا يا ديار الحى بالسبعان	أمل عليها بالبل الملوّن	آيت الشاهد
نهار وليل دائب ملوَاهما	على كل حال الناس يختلفان	
ألا يا ديار الحى لا هجر بيننا	ولكن روعات من الحدّثان	
لدهماء إذ للناس والعيش غرة	وإذ خلّقانا بالصبا عسيران	٢٧٦

وقوله : (ألا يا ديار الحى) إلخ ألا : حرف تنبيه . يتأسّف على ديار قوم بهذا المكان ، ويُخبر أنّ الملوّن ، وهما الليل والنهار ، أبليناها ودرّسناها . والحى : القبيلة . وقوله : (بالسبعان) متعلّق بمحذوف على أنّه حال من ديار .

وقوله : (أمل عليها) فيه التفات ؛ لأنّه لم يقل عليك ، قال الجوالقي (فى شرح أدب الكاتب) : هو من أملت الكتاب أمّله . خاطبها ثم خرج عن خطابها إلى الإخبار عن الغائب . وقيل : ويجوز أن يكون من أملت الرجل ، إذا أضجرتّه وأكثرت عليه ما يؤذيه ، كأنّ الليل والنهار ^(٣) أملاها من كثرة ما فعلا بها من البلى . و (الملوّن) : الليل والنهار ولا يُفرد واحد

(١) الخزّانة ١ : ٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) ط : هـ ، صوابه فى ش .

(٣) الكلام بعده إلى كلمة « الليل والنهار » التالية ساقط من ش .

منهما . يريد أن الليل والنهار أَمَلًا عليها أسباب البلى ، فزاد الباء ^(١) كما قال :
* لا يقرآن بالسُّور * انتهى

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي ^(٢)) : أَمَلٌ بمعنى دأب
ولازم ، ومن هذا قيل للدين مِلَّةٌ ، لأنها طريقةٌ تلازم . وقال الأصمعي : أَمَلٌ
في معنى أَمَلِي ، أى طال . انتهى .

وقال الجوهري : أَمَلٌ وأَمَلٌ عليه ، أى أسامَهُ ، فأراد بأَمَلٍ عليها أسامَهَا
الملوّن بالبلى لكثرة اختلافيهما عليها . والبلى ، بالكسر والقصر مصدر بَلَى
الثوب يَبْلَى ، من باب تعب ، بَلَى وبَلَاءٌ بالفتح والمد ، أى خَلَقَ ، فهو بال .
وبلَى المَيْتَ : أَفْتَنَهُ الأرض .

وأَنشد ابن السكيت هذا البيت (في إصلاح المنطق) على أن الملوّن
فيه بمعنى الليل والنهار .

وقال أبو عبيد البكري ، وابن السكيت (في شرح أبيات أدب
الكاتب) : جعل الشاعر الملوّن هنا بمعنى الغداة والعشي ، ويدل عليه قوله
بعده :

* نهارٌ وليلٌ دائِبٌ ملوَاهُما *

ودأب : اجتهد وبالع في العمل . وقوله : « على كلّ » متعلق بدائب .
والرّوعة : المَرَّة من الرّوع ، وهو الفزع . والحَدَثَانُ : مصدر حدث الشيء ،
من باب قَعَد ، إذا تجَدَّد . أراد حوادث الدهر .

(١) الكلام بعده إلى « طريقة تلازم » ساقط من ش .

(٢) سبط اللآلئ ٥٣٣ .

والغرة بالكسر : الغفلة . وحُلُقانا : مشى حُلُق بضمّتين ، مضاف إلى

نا .

وأما الثانية فقد أورد خمسة أبيات من أولها إبراهيم الحُصْرِيّ (في كتابه
زهر الآداب ^(١)) ، وقال : إنَّها لشاعِر جاهلي من بني عُقيل . وتابعه ياقوت
(في معجم البلدان) ، وهي :

(أَلَا يا ديار الحَيِّ بالسَّبْعانِ عَفَتْ حَجَجًا بَعْدَى وَهْنٌ ثَماني أهدت أخرى
فلم يبق منها غير نُؤْيٍ مَهْمٍ وغيرُ أَثافٍ كالرُّكْيِ دِفانٍ
وآثارٍ هابٍ أورِق اللّون سافرت به الرِّيحُ والأمطارُ كلَّ مكانٍ
قَقارٍ مَرَوْرَةٍ يَحارُ بها الفِطا وَيُضجِي بها الجابانُ يفترقانِ
يُنيرانِ من نسج الغبار ملاءةً قميصين أسمالاً ويرتديانِ)

وقوله : (عَفَتْ حَججا) يقال عفت الدار تعفو ، أى اندرست
وذهب أثرها . والحجج : جمع حِجّة بكسر أولهما : السَّنة . ورَوَى ياقوت :

« خلت حججٌ بعدى لهنَّ ثمانٍ »

وقوله : « فلم يبق منها » إلخ النوى : حُفيرةٌ حول الخباء لئلا يدخله
ماء المطر . والأثافي ^(٢) : جمع أثفية ، وهي ثلاثة أحجار ^(٣) تكون عليها
القدر . والرُكْي : جمع ركية ، وهي البئر . ودِفان بكسر الدال بعدها فاء ،
يقال ركية دفين ودِفان ، إذا اندفن بعضها . والجمع دُفن بضمّتين .

(١) زهر الآداب ٩٢٦ .

(٢) ط : « وأثاف » .

(٣) ط : « ثلاثة أحجارة » ، ش : « ثلاث حجارة » ، والوجه ما أثبت .

وقوله : « وآثار هاب » الهاب : التراب الناعم الدقيق ، وهو اسم فاعل
 من هبا يهبو هَبْوًا ، أى ارتفع . والهَبَاءُ : دقاق التراب . والهَابُ أيضًا : ترابُ
 ٢٧٧ القبر ، وأنشد له الأصمعي :

وهاب كجثمان الحمامة أجفَلْتُ به ريحُ تَرْج والصَّبَا كُلُّ مُجَفِّلٍ ^(١)

والمراد به هنا الرَّمَاد ، لأنَّ الثُّرَّةَ هِيَ لون الرَّمَاد .

وقوله : « قفار مَرَوْرَا » إلخ القفار : جمع قَفَر ، وهو المَنَكان الذى
 لا ماء فيه ولا نبات ، وهو صفة لمكانٍ قبله . والمروراة بفتح الميم والراء قال فى
 الصحاح : هِيَ المَفَاذَةُ التى لا شىء فيها ، وهى فَعْوَعلة ^(٢) والجمع المَرَوْرَى
 والمروريات والمَرَاوِي . والجَابُ ، بفتح الجيم سكون الهمزة : الحمار الغليظ من
 حُمَر الوحش . وأَرَادَ بالِجَائِينَ الذَكَرَ والأنثى ، وإِنَّمَا يَفْتَرِقُ كُلُّ منهما عن
 الآخر لعدم القُوَّة .

وقوله : « يَنْبِرَانِ مِنْ نَسِج » إلخ أى يَحُوكَانِ ، يقال أنرت الثوبَ
 وهَنَرْتَهُ ، أى حَكَمْتَهُ . ويقال أيضًا نَزَرْتُهُ أَنَبَرُهُ نَيْرًا بالكسر . والنَّيرُ : علم الثوب
 ولُحْمَتُهُ . وفى القاموس : النَّيرُ عِلْمٌ للثوب . ونَزَرْتُ الثوبَ نَيْرًا ونَيْرَتُهُ وأنزَرْتُهُ :
 جعلت له نَيْرًا . وهُدِبَ الثوب : لحْمَتُهُ . ومن نَسِجَ ، كَانَ صَفَةً لِقَمِيصَيْنِ ،
 فَلَمَّا قُلِّمَ عَلَيْهِ صَارَ حَالًا مِنْهُ . والمُلَاءَةُ بالضم والمد : الرِّبْطَةُ . وقَمِيصَيْنِ بَدَلِ
 مِنْ مَلَاءَةٍ ، ومَلَاءَةٌ مَفْعُولُ يَنْبِرَانِ ، وعليهما حال من الغبار . وأَسْمَالًا : خَلْقًا ،
 يقال ثوبٌ أَسْمَالٌ أى خَلَقَ . ويرتديان معطوف على يَنْبِرَانِ ، ومعناه يَلْبَسَانِ .

(١) نسب فى اللسان (ترج ، جفل) إلى مزاحم العقيل ، وأنشده فى (هبا) بلون نسبة ، ولم
 يستشهد به ياقوت فى (ترج) .

(٢) ط : « علة » ، صوابه فى ش .

يريد أن الحمارين ، لشدة علوِّهما ، يثور التراب ويعلوُّهما ، فيصير كالثوب عليهما . وإنما اشتدَّ علوُّهما للنَّجاة من هذه المفازة .

قال ياقوت : زعموا أنَّ أول من جعل الغبار ثوبا هذا الشاعر . وكذلك قال الحُصْرَى : هو أول من نظر إلى هذا المعنى ، وتبعته الخنساء في قولها من أبيات ، وقد قيل لها : لقد مدحت أخاك حتَّى هجوت أباك ! فقالت :
جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحُصْرَى

وهذه أبرع عبارة ، وأنصع استعارة . وتبعها عدى بن الرقاع في وصف حمار وأتانه :

يتعاوران من الغبار ملاءةً بيضاء محدثةً هما نَسَجَها
تُطَوَّى إذا وردًا مكائنا جاسيا وإذا السَّنابكُ أسهلتْ نَشْرَها

قال شارح ديوانه : قوله يتعاوران إلخ ، أى تصير الغبرة للغير مرةً ولأُتَان مرةً . ويقال من العارية : قد تعورنا العوارى . والمكان الجاسى : الغليظ ، فإذا جرى فيه لم يكن لهما غُبْرَةٌ ، وإذا أسهلا ، أى صارَا إلى سهولة الأرض ، ثار لهما غبار . فجعل إثارة الغبار بمنزلة ملاءة تنشر عليهما ، وزوال الغبار بمنزلة طى الملاءة . وهذا أحسن ما قيل في وصف الثُّبَار والعَجَاج . وإلى هذا المعنى أشار أبو تمام الطائى في وصف كثرة ظُغنه وقصده الملوك :

يشير عجاجةً في كلِّ يوم يهيم بها عدى بن الرِّقَاع

وقد سلك البحترى طريقة الخنساء وأحسن فيه ، إذ يقول في يوسف ابن أئى سعيد (١) :

جَدُّ كَجَدِ أئى سعيدِ إِنَّه تركَ السَّمَاكَ كَأَنَّهُ لم يُشْرِفِ
قاسمته أخلاقه ، وهى الرَّذَى للمعتدى ، وهى النَّدَى للمُعْتَفَى
فإذا جرى فى غايةٍ وجريئٍ فى أخرى التقى شأوا كما فى المنصِفِ

* * *

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الخمسمائة (٢) :

٢٧٨

٥٣٦ (ولها بالماطرُونَ إذا أَكَلُ التَّمْلُ الذى جَمَعَا)

على أَنَّ أبا على قال : الماطرُونَ مجرور بكسرة على النون .

أقول : قاله فى باب ما جعلت فيه النون المفتوحة اللاحقة بعد الواو والياء فى الجمع حرف إعراب (من كتاب إيضاح الشعر) ، وهذا نصه :
اعلم أَنَّ هذه النون إذا جُعِلت حرف الإعراب صارت ثابتة فى الكلمة ، فلم تُحذف فى الإضافة كما كانت تُحذف قبل (٣) ، كما لا تُحذف نون فرسين وضيّفن ورعشن ونحو ذلك من النونات التى تكون حرف إعراب ، وإن كانت زائدة . ويكون حرف اللين قبلها الياء ولا يكون الواو ، لأنَّ الواو تدلُّ على إعراب بعينه فلم يَجُزْ ثباتها ، من حيث لم يجز

(١) هو يوسف بن أئى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، ولاء المتوكل حرب أرمينية وأذربيجان بعد وفاة أبيه فجأة فى سنة ٢٣٦ .

(٢) الحيوان ٤ : ١٠ والكامل ٢١٧ والأغاني ٦ : ١٥٠ والعينى ١ : ١٤٨ والتصریح ١ : ٢٦ ومعجم البلدان (الماطرُونَ) ، ودويان أئى دهبلى ٨٥ .

(٣) ط : « كما كانت لا تحذف قبل » ، صوابه فى ش . والمراد كما كانت تحذف قبل أن تكون حرف إعراب .

ثبات إعرابين في الكلمة . ألا ترى أنَّهم إذا نسبوا إلى رجلان ونحوه من التشية حذفوا فقالوا : رجلتي ، مع أنَّ الألف قد لا تدلُّ على إعرابٍ بعينه ؛ لأنَّ قوماً يجعلون حرف الإعراب في الأحوال الثلاث ألفاً . فإذا حذفوا ذلك مع أنَّهم قد جعلوها بمنزلة الدالِّ فيه ، لا يكون لإعرابٍ مخصوص ، فإنَّ لا تثبت الواو الدالة على إعرابٍ مختصٍّ أولى . فأمَّا من أجاز ثبات الواو في هذا الضرب من الجمع ، وزعم أنَّ ذلك يجوز فيه ، قياساً على قولهم زيتون ، فقوله في ذلك يبعد من جهة القياس ، مع أنَّنا لم نعلمه جاء في شيءٍ عنهم . وذلك أنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعراباً ولا دالاً عليه ، كما كانت التي في مسلمون . فالواو في زيتون كالتي في منجنون ، في أنَّه لم يكن قطُّ إعراباً كما أنَّ التي في منجنون كذلك . وعلى ما ذهب إليه الناس جاء التنزيل ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ^(١) ﴾ ، لما صارت النون حرف إعراب صار حرف اللين قبله الياء . وقال تعالى : ﴿ لَقِيَ عَلِيَّ بْنَ * وَمَا أدْرَاكَ مَا عَلِيُّ بْنُ ^(٢) ﴾ . فأمَّا قول الشاعر :

ولها بالماطرون إذا أكل الثمل الذي جمعا

فأعجمي ، وليست الواو فيه إعراباً كالتي في سنين . فأمَّا ثبات الياء في سنين وفلسطين وقنسرين فإنَّها لما لم تدلُّ على إعراب ، بعينه ، أشبهت الياء التي في شميل وقنديل ، ولذلك ثبتت في النسب ولم تحذف كما حذف ما يكون في ثباته في الاسم اجتماع علامتين للإعراب . وقد كثر هذا الضرب من

(١) الآية ٣٦ من الحاقة .

(٢) الآيتان ١٨ ، ١٩ من المطففين .

الجمع ، حتى لو جعل قياساً مستمراً كان مذهبا . انتهى
ومثله قول ابن جنى (فى سر الصناعة) : فأما الماطرون فليست النون
فيه بزائدة ، لأنها تعرب . قال :

* ولها بالماطرون إذا *

بكسر النون ، فالكلمة إذا رباعية . انتهى .
وفيه رد لمن جعل الكلمة ثلاثية ، كصاحب القاموس ، فإنه قال (فى
مادة مطر) : وماطرون : قرية بالشام .
وفيه أنه كان يجب أن يقول الماطرون .

وقد خالف الجوهري فرواه « الناطرون » بالنون ، وقال : الناطرون :
موضع بناحية الشام ، والقول فى إعرابه كالقول فى نصيبين ، ويشد هذا البيت
بكسر النون :

ولها بالناطرون إذا البيت

ورد عليه الصاغاني (فى العباب) فقال : الماطرون : موضع قرب
دمشق . وقال بعض من صنف فى اللغة : الناطرون : موضع بناحية الشام .
وكذلك غلطه صاحب القاموس ^(١) . ولم يذكره أبو عبيد البكري (فى
معجم ما استعجم) . وقال العينى ^(٢) كالشارح المحقق : « فى شرح كتاب

٢٢٩

(١) قال فى مادة (مطر) : « ووهم الجوهري فقال : ناطرون بالنون » . وفى مادة (نظر) :
« وغلط الجوهري فى قوله ناطرون موضع بالشام وإنما هو ماطرون بالميم » .

(٢) العينى ١ : ١٤٧ فى شواهد العرب والمبنى ، وهو قول أبى دهل :

طال ليلى وبت كالجحنون واعترتنى الهوم بالماطرون

سيبويه : الماطرون بالميم وطاء مفتوحة ، والمشهور الماطرون بالميم وكسر الطاء .
وقال أبو الحسن القفطي : الماطرون : بستان بظاهر دمشق » . ثم قال :
صاحب الشاهد والبيت من أبيات ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان تغزل بها ^(١) في نصرانية قد
ترهبت في دير خراب عند الماطرون ، وهو بستان بظاهر دمشق يسمى اليوم
الميطور . وأولها :

(آَبَ هذا الليلُ فاكتنعا وأُمِرَ النومُ فامتنعَا
راعِيَا للنَّجم أَرْقُبْه فإذا ما كوكبٌ طَلَعَا
حَالٌ حَتَّى إِنْنِي لَأَرَى أَنَّهُ بِالْفَوْرِ قَدْ رَجَعَا
ولها بالماطرُونَ إذا أَكَلَ الثَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خُرْفَةً ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتَ مِنْ جِلْقِي يَبْعَا
فِي قِيَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا)

أبيات الشاهد

آب : رَجَعَ . واكتنع : افعل من الكنع ، بالكاف والنون ، قال
صاحب العباب : اكتنع الليل : حضر ودنا . وأنشد هذا البيت . وأُمِرَ بالبناء
للمفعول بمعنى جُعِلَ مُرًّا .

وقوله : (ولها بالماطرون) اللام متعلقة بمحذوف على أَنَّهُ خير مَقْلَمٍ
وخُرْفَةٌ مبتدأ مؤخر ، وضمير المؤنث للنصرانية التي تغزل بها ^(١) ، وبالماطرون
فاعل لها ، وإذا ظرف عامله متعلق اللام . والخُرْفَةُ بضم الخاء المعجمة
وبالفاء : الْمُخْتَرَفُ والمُجْتَنَى ، وقيل ما يجتنى . وهذه الرواية رواية المبرد (في
الكمال) ، وروى صاحب العباب في البيت : « خِلْفَةٌ » بالكسر بدل خُرْفَةٍ .

(١) ط : « تنزل بها » ، صوابه في ش .

وقال : خِلْفَةُ الشَّجَرِ : شَجَرٌ يَخْرُجُ بَعْدَ الثَّمَرِ الْكَثِيرِ . وكذا روى العيني عن ابن القوطية أنه قال : الرواية هي الخِلْفَةُ باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيب . والجيد عندى رواية الخِلْفَةُ على أنها اسمٌ من الاختلاف أى التردد . والنمل فاعل أكل ، والذي مفعوله ، والعائد مخدوف أى جَمَعَهُ . وارتبعت : دخلت في الربيع . ويروى : « ربعت » بمعناه . ويروى : « ذكرت » بدل سكنت . وخلق ، بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة : مدينة بالشام . ومن جَلَّقَ كان صفة لقوله ييعا ، فلما قَدِمَ عليه صار حالاً منه . وييعا : مفعول سكنت أو ذكرت ، وهو جمع ييعة بالكسر . قال الجوهري وصاحب (العباب والمصباح) : هي للنصارى . وقال العيني : البيعة لليهود ، والكنيسة للنصارى . وهذا لا يناسب قوله إنَّ الشُّعْرَ في نصرانية .

ومعنى البيتين أنَّ هذه المرأة تردَّدًا إلى الماطرون في الشتاء ، فإنَّ النمل يحزن الحب في الصيف ليأكله في الشتاء ، ولا يخرج إلى وجه الأرض من قريته . وإذا دخلت في أيام الربيع ارتحلت إلى البيع التي بخلق . وقال العيني : « قوله بالماطرون صفة لخرفة » . وهذا مخالف لقولهم إن صفة النكرة إذا تقدَّمت صارت حالاً منه . وقال : إذا للوقت ، والتقدير : لها خرفة وقت أكل النمل ما جمعه .

وقوله : « في قباب حول » إلخ الظرف صفة لقوله ييعا ، وهو جمع قبة . والدسكرة بفتح الدال ، نقل صاحب العباب ، عن الليث أنها بناء يشبه قصرًا حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . ويتنع : لغة في أُنِعَ أى نُضِج واستوى .

قال المبرد (في الكامل) : أُنعت الشجرة إيناعا ، أى أدركت . وَيُنَعَت
يُنَعَا وَيُنَعَا بالفتح والضم . ويقرأ : ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيُنَعِهِ ﴾ ^(١)
(وَيُنَعِهِ) كلاهما جائز . وأنشد هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة وقال : قال
أبو عبيدة : هذا الشعر يُختلف فيه ، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص ، وبعضهم
ينسبه إلى يزيد بن معاوية . انتهى .

وقد سها العينى هنا فى قوله : « الاستشهاد بالمطرون حيث نزل منزلة
الزيتون فى إلزامه الواو وإعرابه بالحروف » ، وصوابه « وإعرابه بالحركات » .
ولو استشهد الشارح المحقق بقوله :

طال ليلي وبث كالجنون واعترتنى الهُموم بالمطرون
كما استشهد به ابن هشام (فى شرح الألفية) لكان أولى ، فإن كسرة
النون صريحة ، لوقوعها فى القافية .

وهو مطلع قصيدة ، وبعده :

صاح حياً إله حياً ودورا	عند أصل القناة من جيرون
عن يسارى إذا دخلت إلى الدا	ر ، وإن كنت خارجاً فيمينى
فلتلك اغتربت بالشام حتى	ظن أهلى مُرجمات الظنون
هى زهراء مثل لؤلؤة الغد	واصي ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتهما لم تجدها	فى سناء من المكارم دون
تجعل المسك واللينجوج والتد	د صلاء لها على الكانون

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضِـراءِ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ
 قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبْتُهَا عِنْدَ حَدِّ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ
 ثُمَّ فَارَقْتُهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ قَرِينٌ مَقَارِبًا لِقَرِينِ
 فَبَكَتْ نَحْشِيَةً التَّفَرُّقِ لِلْيَمِّ نِيْ بَكَاءَ الْحَزِينِ إِثْرَ الْحَزِينِ
 لَيْتَ شَعْرِي أَمِنْ هَوًى طَارَ نَوْمِي أَمْ بَرَانِي رُبِّي قَصِيرَ الْجُفُونِ (١)

وَجَبْرُون : بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ . وَالرَّجَمُ : الْكَلَامُ بِالظَّنِّ . وَالْيَلْنَجُوجُ
 بِجِيمَيْنِ : عَوْدُ الْبَحُورِ ، وَرَوَى بِدَلِهِ « الْأَلْوَةُ » بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّ اللَّامِ ، وَهُوَ الْعَوْدُ
 أَيْضًا . وَالصَّلَاءُ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ : التَّدْفِئُ بِالنَّارِ . وَالْمَخَاصِرَةُ : أَنْ يَضَعَ كُلُّ اثْنَيْنِ (٢)
 يَدَهُ عَلَى خَصْرِ الْآخَرِ . وَالْمَسْنُونُ : الْأَمْلَسُ الْمَجْلُوءُ . وَالْمَرَاجِلُ : جَمْعُ مِرْجَلٍ
 بِالْكَسْرِ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَحْدَهُ : بَفَتْحِ الْمِيمِ ، هُوَ ضَرْبٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ . كَذَا
 فِي الْعَبَابِ . وَأَخْطَأَ الْعَيْنِيُّ فِي قَوْلِهِ : هُوَ الْقِدْرُ مِنَ النُّحَاسِ ، إِذْ لَا مَنَاسِبَةَ لَهُ
 هُنَا . وَالْقَيْطُونُ : الْمُخْدَعُ .

قَالَ الْعَيْنِيُّ : هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لِأَبِي ذَهَبٍ الْجُمَحِيِّ ، وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ
 شَبَّ فِيهَا بِعَاتِكَةَ بِنْتِ مَعَاوِيَةَ ، حِينَ حَبَّتْ وَرَجَعَ مَعَهَا إِلَى الشَّامِ ، فَمَرَضَ بِهَا .
 وَيُقَالُ إِنَّ يَزِيدَ قَالَ لِأَبِيهِ إِنَّ أَبَا ذَهَبٍ ذَكَرَ رَمْلَةً ابْتَنَتْكَ فَاقْتُلْهُ . فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ
 قَالَ ؟ قَالَ :

هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْغَدَا حَواصي البيت

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « أَمْ بَرَانِي رَمِي » ، صَوَابُهُ فِي الْحَمَاسَةِ الْبَصْرِيَّةِ ٢ : ٢٠٧ . وَيُرْوَى أَيْضًا :

« أَمْ بَرَانِي الْبَلَرَى » ، كَمَا فِي الْأَغَانِي ٦ : ١٥٤ .

(٢) الْوَجْهُ « كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ اثْنَيْنِ » .

قال معاوية : لقد أحسن ! قال : فقد قال :

وإذا ما نسبته البيت

قال : صدق ! قال : فقد قال :

ثم خاصرته إلى القبة البيت

فقال معاوية : كذب !

وقال ثعلب : حدّثنا الزبير قال : حدّثني مصعب قال : حدّثني إبراهيم ابن أبي عبد الله قال : خرج أبو دهبيل يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً جميلاً ، فلما كان يجبرون جاءته امرأة فأعطته كتاباً ، فقالت : اقرأ لي هذا الكتاب . فقرأه لها ، ثم ذهبت وخرجت إليه فقالت : لو تبلغت معي إلى هذا القصر فقرأته على امرأة فيه كان لك فيه أجر . فبلغ معها القصر ، فلما دخله فإذا فيه جوار كثيرة ، فأغلقوا عليه القصر ، وإذا امرأة وضيفة تدعوه إلى نفسها ، فأبى ، فحبس وضيق عليه حتى كاد يموت . ثم دعت به إلى نفسها فقال : أمّا الحرام فو الله لا يكون ، ولكن أتزوجك . فتزوجته وأقام معها زمناً طويلاً لا يخرج من القصر حتى يُنْس منه وتزوج بنوه وبناته واقتسموا ماله ، وأقامت زوجته تبكي عليه حتى عميت .

ثم إن أبا دهبيل قال لامرأته : إنك قد أثمت في وفي أهلي وولدي فأذني لي في المصير إليهم ، وأعود إليك . فأخذت عليه العهد أن لا يقيم إلا سنة . فخرج من عندها ، وقد أعطته مالا كثيراً ، حتى قدم على أهله فرأى حال زوجته فقال لأولاده . أنتم قد ورثتموني وأنا حي ، وهو حظكم ، والله لا يشرك

زوجتي فيما قَدِمْتُ به أحد . فتسلَّمْتُ جميعَ ما أتى به .

ثم إنَّه اشتاقَ إلى زوجته الشاميَّة ، وأراد الخروج إليها ، فبلغه موثُّها ، فأقام وقال هذه القصيدة . ويقال إنَّها لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وذهب إليه الجوهري وغيره . وقال ابن برّي : الصحيح أنَّها لأبي دهل . انتهى كلام العيني .

ولم ينسبها أبو الفرج الأصبهاني (في الأغاني) إلا لعبد الرحمن بن حسان قال : حدَّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدَّثنا المدائني ، عن أبي عبد الرحمن المبارك قال :

شَبَّ عبد الرحمن بن حسانُ بأخت معاوية ، فغضب يزيد فقال لمعاوية : اقتل عبد الرحمن بن حسان . قال : ولم ؟ قال : شَبَّ بعمتي . قال : وما قال ؟ قال : قال :

طال ليلى وبْتُ كالحزونِ ومِلْتُ الثَّوَاءَ في جَيرونِ

قال : يابُنِي ، وما علينا من طول ليله وحزنه .

- وهذا هو مطلع القصيدة عند صاحب الأغاني ، وليس فيه ذكر الماطرون -

قال يزيد : إنه يقول :

فلذلك اغتربت بالشام ^(١) البيت

(١) في النسخين : « فلذلك اغتربت » ، تحريف . وفي الأغاني ٦ : ١٥٧ : « فبذاك

اغتربت » .

قال : يا بُنَيَّ وما علينا من ظنِّ أهله ؟ قال : إنَّه يقول :

هـى زهراء مثل لؤلؤة الغـد حَواصـي البيت

قال : صدَّقَ يا بُنَيَّ . قال : وإنَّه يقول :

وإذا ما نسبتهـا لم تجدهـا البيت

قال : صدق ، هـى هـكذا . قال : إنَّه يقول :

ثم خاصرتها إلى القبة البيت

قال : ولا كُلُّ هذا يا بُنَيَّ . ثم ضَحِكَ وقال : أنشدنـى ما قال أيضًا .

فأنشده قوله :

قُبَّة من مراحل نصبوها عند حدِّ الشتاء فى قِيطونٍ

عن يسارى إذا دخلت البيت

تجعل النَّدَّ والألُوة البيت

وقباب قد أشْرِجَتْ وُيُوتُ نُطِّقَتْ بالريحان والزَّرجون^(١)

قال : يا بُنَيَّ ليس يجب القتل فى هذا ، والعقوبة دون القتل ، ولكنَّا

نكفُّ بالصِّلَّة والتجاوز عنه .

ونسخت من كتاب ابن النطَّاح : وذكر الهيثم بن عدى عن ابن دأب

قال : حدَّثنا شعيب بن صفوان ، أنَّ عبد الرحمن بن حسان كان يشبُّب بـابنة

معاوية ويذكرها فى شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلته نكالا . فقال : لا ،

(١) الزرجون : قضبان الكرم .

ولكن أدأويه بغير ذلك . فأذن له وكان يدخل في أنخريات الناس ، ثم أجلسه على سريريه معه ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال : إِنَّ ابنتي الأخرى عاتبة عليك . قال : في أي شيء ؟ قال : في مدحتك أختها وتركت إياها . قال : فلها العتبي وكرامة ، أنا ذاكرها . فلما فعل وبلغ ذلك الناس قالوا : وقد كنّا ^(١) نرى أَنَّ نسيب عبد الرحمن بن حسان بابتنة معاوية لشيء ، فإذا هو على رأى معاوية وأمره . وعلم من كان يعرف أنه ليس له بنت أخرى ، أنه إنما خدعه ليشبب بها ، ولا أصل لها ، ليعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية .

هذا ما أورده صاحب الأغاني . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٥٣٧ (لَيْتَ شِعْرِي وَإِنْ مَتَى لَيْتَ إِنَّ لَوْا وَإِنْ لَيْتَا عَنَاءَ)

على أَنَّ الكلمة المبنية إذا أُريد بها لفظها فالأكثر حكايتها على ما كانت عليه ، وقد تجيء معرفة كما في البيت ، كما أعرب لَيْتَ الأولى بالرفع على الابتداء ، ونصب الثانية مع لو بياناً .

وأورده سيبويه (في تسمية الحروف والكلم) قال : والعرب تختلف

(١) في الأغاني ١٣ : ١٤٢ .

(٢) في كتابه ٣٢ : ٢ . وانظر المقتضب ١ : ٣٢٥ / ٤ : ٣٢ ، ٤٣ والجمهرة ١ : ١٢ /

٢ : ٢٩ وابن يمش ٦ : ٣٠ / ١٠ : ٥٧ وديوان أبي زيد الطائي ٢٤ .

فيها ، يؤنثها بعض ويدكرها بعض . وأما ليت وإن فحركت أواخرها بالفتح ، لأنها بمنزلة الأفعال ، فإذا صيرت واحداً منهما اسماً فهو ينصرف على كل حال . وإن جعلته اسماً للكلمة وأنت تريد لغة من ذكر لم تصرفها ، وإن سميتها بلغة من أنت كنت بالخيار .

إلى أن قال : وأما أو ولو فهما ساكنا الأواخر ^(١) ، فإذا صارت كل واحدة منهما اسماً فقصبتها في التانيث والتذكير ، والانصراف وترك الانصراف ، كقصبة ليت وإن ، إلا أنك تلحق واوا آخر ^(٢) فتثقل . وذلك لأنه ليس في كلام العرب اسم آخره واو قبلها حرف مفتوح . قال أبو زيد :
ليت شعري وأين مني ليت إن ليتا وإن لوأ عناء
وقال آخر :

الأم على لو ولو كنت عالماً بأذنان لو لم تفتني أوائله

انتهى كلام سيويه .

قال الأعلام : الشاهد في تضعيف لو ، لما جعلها اسماً وأخير عنها ، لأن الاسم المفرد المتمكن لا يكون على أقل من حرفين متحركين ، والواو في « لو » لا تتحرك ، فضوعفت لتكون كالأسماء المتمكنة . ويحتمل الواو ^(٣) بالتضعيف الحركة . وأراد بلو ههنا لو التي للتمني في نحو قولك : لو أتيتنا ، لو أقمت عندنا ، أي ليتك أتيت . أي أكثر التمني يكذب صاحبه ويعنيه ، ولا يبلغ فيه مراده . انتهى .

(١) سيويه : « فهما ساكنا الأواخر » .

(٢) سيويه : « واوا أخرى » .

(٣) ط : « اللوا » ، صوابه في ش والشتنمرى .

والبيت من قصيدة لأبي زَيْد الطائي ، أُورد منها الأَعلَم (في باب صاحب الشاهد
النسيب من حماسته) سِتَّةَ أبيات ، وهي :

(ولقد مِتُّ غير أنِّي حَيٌّ يومَ بانَتْ بوَدَّها حَنسَاءُ
من بنى عامر لها شِقُّ قَلْبِي قِسمَةً مثل ما يُشَقُّ الرِداءُ (١)
أُشْرِيتُ لَوْنَ صَفْرَةٍ في بياض وهي في ذاك لَذَنَّةُ غَيداءُ
كُلَّ عَيْنٍ مَتَى تَراها من النَّا سَ إلِها مُدِيمَةٌ حَوَلاءُ
لَيْتَ شَعْرِي وَأَيْنَ مَنى لَيْتَ إِنَّ لَيْتًا وَإِنَّ لَوًّا عَناءُ
أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقطَعَ شِرْبي حينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الجِوزاءُ)

٢٨٣

قوله : « ولقد مِتُّ » إلخ يعني أنا لشِدَّةِ الحزن مِتت ، إلَّا أنِّي في عداد
الأحياء . وبانت : فارقت ، يريد هَجَرَتَنِي .

وقوله : « لها شِقُّ قَلْبِي » بالكسر ، يريد : شَقَّتْ قَلْبِي بِحُبِّها فاستولت
عليه .

وقوله : « أُشْرِيتُ لَوْنَ صَفْرَةٍ » إلخ أي صُبِغَتْ بهذين اللونين . وهذا
أَحْمَدُ الألوانِ عندهم . وفي بمعنى مع . واللَذَنَةُ : الناعمة . والغِداءُ : المشيئة
من التَّعَمَّة ، وهي أيضًا الطويلة العنق .

وقوله : « كُلَّ عَيْنٍ » إلخ كُلُّ مبتدأ ، ومتى اسم استفهام ظرف
لترها ، وجملته تراها صفة لعين ، ومُدِيمَةٌ خبر المبتدأ ، وإلِها متعلق به ، وهو
اسم فاعل من أَدَمْتُ أي واظبت . وحَوَلاءُ خبر ثانٍ . جعلها حَوَلاءَ لِمِثْلِها إلِها
بالنظر ، فكانَ بها حَوَلاءَ .

(١) في الديوان : « لها شق نفسى » .

وقوله : (ليت شعري) إلخ قد شرحه الشارح في ليت ^(١) وقال : التزم حذف الخبر في ليت شعري مردفاً باستفهام ، نحو : ليت شعري أتأتيني أم لا ؟ وهذا الاستفهام مفعول شعري . فجملة « أئى ساع سعى » في البيت بعده مفعول شعري . والشرب بالكسر : النصيب من الماء . والصباح : من صبحت الإبل ، إذا سقيتها في أول النهار ؛ والإبل مصبوحة ، والقوم صابحون . كذا في الجمهرة لابن دريد ، وأنشد هذا البيت .

وقال القائل (في المقصور والمدود) : والجوزاء : برج من بروج السماء . والعرب تقول : « إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء ، وكنتس الأطباء ، وعرفت العلباء ^(٢) ، وطاب الحباء » . وأنشد هذا البيت .

وزاد صاحب الأغاني بعد هذا :

(فاستظل العصفور كرهامع الضَّ
بُ وأوفى في عودِهِ الجرباءُ
ونفى الجندبُ الحصى بكراعيه
ه وأذكت نيرانها المعزاءُ
من سموم كأنها حرُّ نار
شَفَعَتْهَا ظهيرة غراءُ
وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني
عرفتني الدويَّةُ الملساءُ
عرفت نائتي شمائل منى
فهي إلا بُغامها خرساءُ
عرفت ليها الطويلَ وليلى
إنَّ ذا النومَ للعيون غطاءُ)

وأورد سيب القصيدة بسنده عن ابن الأعرابي قال : كان الوليد

سبب القصيدة

(١) ط : « في البيت » صوابه في ش

(٢) العلباء ، بالكسر : عصب العنق . قال اللحياني : « هو مذكر لا غير » ، لكن ورد هنا

بالتأنيث .

ابن عُبَبة قد استعمل الربيع بن مُرَرِّ بن أوس بن حارثة بن لأم^(١) الطائِيّ على البحْمَى ، فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجذبت الجزيرة . وكان أبو زَيْد في تغلب . فخرج لهم لِيرَعِيَهُمْ^(٢) فَأَتَى عليه الأوسِيّ وقال : إن شئتُ أُرْعِكَ وَحَنَكْ فَعَلْتُ . فَأَتَى أَبُو زَيْدٍ الْوَلِيدَ بن عُبَبة ، فَأَعْطَاهُ ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة ، وجعلها له حِمَى وأخذها من الآخر .

قال عُمر بن شُبَّة في خبره خاصَّة : فلما عُزل الوليدُ عن الكوفة وولى سعدُ بن أبي وقَّاص مكانه ، انتزعها منه وأخرجها من يده ، فقال أبو زَيْد :

ولقد مِتُّ غير أُنَى حَيٍّ يوم بانَتْ بوَدَّها خنساءُ

إلى آخر القصيدة .

وأبو زَيْد الطائِيّ : شاعر نصرانيّ كان في صدر الإسلام ، وتقدّمت

ترجمته في الشاهد الثاني والثمانين بعد المائتين^(٣)

...

(١) ط : « حارثة بن لؤى » صوابه في ش مع أثر تصحيح والاشتقاق ٣٨٣ والمعرين ٣٥ وكامل المبرد ١٣٢ . وفيه يقول بشر بن أبي خازم (ديوانه ٣٢٢ والكامل ١٣٣) :
إلى أوس بن حارثة بن لأم ليقيض حاجتي فيمن قضاها

وقال ابن دريد في الاشتقاق : انه كان رأساً لطيفاً ، وعاش مائتي سنة . وفي المعمرين :
« عاش أوس بن حارثة بن لأم بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن لوذان ابن رومان بن خالرجة بن سعد بن جندب بن فطرة بن طيء » ، مائتي سنة وعشرين سنة .

(٢) ش : « بهم ليرعهم » .

(٣) الخزائن ٤ : ١٩٢ - ١٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد المفصل^(١) :

٥٣٨ (بوخش إصمِت)

هو قطعة من يَبِّ للراعى ، وهو :

(أَشْلَى سَلُوقِيَّةً بَاتَتْ وَبَاتَ بِهَا بوخش إصمِتَ فى أصلابها أَوْدُ^(٢))
على أنه^(٣) إذا سُمِّيَ بفعل فيه همزة وصل قُطِعَتْ ، كإصمِتَ بكسر
الهمزة والميم .

وتقدّم عن الشارح المحقق أنه منقول من فعل أمر ، لِبَرِيَّةٍ مَعِيْنَةٍ .
وقيل : هو علم الجنس لكل مكانٍ قفر ؛ تقول : لقيته بوخش إصمِتَ وبيلدِ
إصمِت . والوخش : المكان الخالى . وكسر ميم إصمِتَ ، والمسموع فى الأمر
الضم ، لأنَّ الأعلام كثيراً ما تغيّر عند النقل تبعاً لنقل معانيها ، كما قيل فى
شُمس بن مالك ، بضم الشين . انتهى .

وقوله : « وكسر ميم إصمِت » إلخ جواب عن سؤال مقلّد ، وهو أنه
لو كان منقولاً من فعل الأمر لكانت الهمزة والميم مضمومين ، لأنّه يقال
صمِت يصمُت صمّتاً من باب نصر ، وصموتاً وصمّتاً بضمهما بمعنى
سكت ، واصمُت مثله ، فأجاب بما ذكره .

ومثله للاندلسى (فى شرح المفصل) قال : المشهور فى مضارع

(١) ابن عيش ١ : ٢٩ ، ٣٠ والأشمونى ١ : ١٣٣ ومعجم البلدان (اصمِت) واللسان
(صمِت ٣٦٠) وديوان الراعى ٤٦ .

(٢) فى المعانى الكبير ٢٢٠ :

يشلى سلوقية زلا جواعرها مثل اليعاسيب فى أصلابها أود

(٣) ش : « معنى أنه » .

صمت : يصمَّت بالضم ، فإمَّا أن يكون الكسر لغة فيه ، لم يُنقل ، وإمَّا أن يكون ممَّا غيِّر في التسمية كما قالوا : شمس بن مالك ، بالضم فغيروا لفظ الشمس . وإمَّا أن يكون مرتجلا وافق لفظ الأمر الذي بمعنى اسكت فلا يكون من هذا الفصل . انتهى .

وكذا قال ابن يعيش (في شرح المفصل) .

وأجاب ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) بغير هذا ، قال : وقد أخذ على صاحب المفصل باستشهاده ، فإنَّ العرب تقول صمت يصمَّت ، فالأمر فيه بالضم ، فكيف جاء إصمت ؟ وجوابه أن يقال : إنَّ فَعَلَ يأتي على يفعل ويفعل . ومنهم من يقول : إنَّ سَمِعَ للفعل مضارع أثَّبع وإلاَّ فأنَّت فيه مخيِّر ، إن شئت قلت يفعل أو يفعل . ومنهم من يقول : إن كثر استعمال المضارع أثَّبع ، وإلاَّ كنت فيه بالخيار . انتهى .

وقال في شرح المفصل : واستشهاده بالبيت مستقيم على وجهين : أن يثبت أنَّ فَعَلَ يحىء على يفعل ويفعل .

والوجه الثاني : أن يثبت صمت يصمَّت ، ولا يستقيم على غير ذلك وقول بعضهم : « يجوز أن يكون أصله اصمَّت ثم غيِّر بالتسمية » فغيِّر ثبت .

وأصله أنَّ رجلا قال لصاحبه فيها : اصمت ، تخويفا ، فسميت به . وقد قيل إنَّ وحش إصمت علم على كل مكان قفر كأسامه ، وإن كان وحش في أصله بمعنى خالٍ ، ولا يخرج بذلك عن أن يكون إصمت علما

منقولاً قلتر ، أو مرتجلاً ، كحمارِ قَبَّانٍ ونحوه من المضافات . انتهى .

وهذا كله مبنئ على أنه لم يسمع يصمت بالكسر .

وقد نقله ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصل) عن الجماهرة لابن دريد قال : قال أبو بكر محمد بن الحسن : الصَّمت معروف ، صَمَت يَصِمْتُ صَمْتًا ، إذا سكت ، وَأَصَمْتُهُ أَنَا إِصْمَاتًا ، إذا أَسَكْتُهُ . كذا سمعته على شيخنا أبي الحرم مكِّي بن زيان بكسر الميم (في الجماهرة) . فسقط ما تمحلوه هنا .

وقال ابن جنى (في الخصائص ^(١)) : وأما الفعل المستقبل المنقول إلى العلم فنحو قولهم في اسم الفلاة إصمت ، وإنما هو في الأصل أمر من صمت يصمت إذا سكت . كأنَّ إنسانًا قال لصاحبه في مفازة : إصمت يُسَكِّتُهُ تَسْمَعًا لِنَبَأَةٍ أَوْجَسَهَا ، فسُمِّيَ المكان بذلك . وهذا ونحوه ممَّا ذهب إليه أبو عمرو بن العلاء في قول الهذلي ^(٢) :

على أطرَقًا بالياتِ الحيا م إِلَّا الثَّمَامُ وَإِلَّا العَصَى

ألا تراه قال : إنَّ أصله أنَّ رجلاً قال لصاحبه هناك : أطرَقا ، فسُمِّيَ المكان به فصار علمًا له ، كما صار إصمت علمًا له . وقطعُ الهمزة من إصمت مع التسمية به خاليًا من ضميره ، هو الذي شجَّع النحاة على قطع هذه الهمزات إذا سُمِّيَ بما هي فيه . فإن قيل : فقد قالوا : لقينته بوحشي إصمَّةً ، ولو كان إصمت في الأصل فعلا لما لحقته تاء التانيث ؟ قيل : إنما

(١) لم أعثر على هذا النص في الخصائص .

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين ١ : ٦٥ .

لحقت هذه التاء في هذا المثال على هذا الحد ليزيدوا في إيضاح ما انتحوه من النقل ، ويُعلموا بذلك أنه قد فارقوا موضعه من الفعلية ، من حيث كانت هذه التاء لا تلحق هذا المثال فعلاً ، فصارت إصمته في اللفظ كإجرده وإبردة^(١) . نعم وآنسهم بذلك تأنيثُ المسَمَّى به ، وهو الفلاة . انتهى .

وقال الرمحشري (في أمثاله) : لقيته بوحش إصمت : المكان الوحش : الموحش ، وهو الخالي من الإنس . وإصمت علم للفلاة القفر ، سميت بذلك لأنه لا أنيس بها فينطقوا ، أو لأنها لشدتها تُصمت سالكها . والدليل تشبهه عليه طرقها فلا يتكلم ، لأنه لايتضح له الهدى فيها . ومانعها من الصرف التعريف ووزن الفعل ، لأنه بزنة اضرب ، وهي مجرورة الموضع بإضافة وحش إليها . وقيل : اسم بلدة بعينها . ويروى : « ببلدة إصمت » . ويقال تركنتي ببلدة إصمته وبلد إصمت . يضرب للرجل الذي لا ناصر له ولا مانع . انتهى .

ولم يورد أبو عبيد البكري هذه الكلمة (في معجم ما استعجم) وأوردها ياقوت (في معجم البلدان) وقال : إصمت بالكسر وكسر الميم وتاء مثناة : اسم علم لبرية بعينها . قال الراعي :

* أشلى سَلَوِيَّةً باتت وبات بها * إلخ

وقال بعضهم : العلم هو وحش إصمت ، الكلمتان معاً . وقال أبو زيد : يقال لقيته بوحش إصمت ، وببلدة إصمت ، أى بمكان قفر .

(١) الإجرده ، بتشديد الدال وتخفيفها : نبت يدل على الكمأة . والإبردة بتخفيف الدال :

برد في الجوف . ويجد الرجل بالغداة البرد فيقول : انما هي إبردة الغرى ، وإبردة الندى

وإصمت منقول من فعل الأمر مجرد ^(١) عن الضمير ، وقطعت همزته ليجرى على غالب الأسماء . هكذا جميع ما يسمّى به من فعل الأمر . وكسرُ الهمزة في إصمت ، إمّا لغة لم تبلغنا ، وإمّا أن يكون غير في التسمية به عن إصمت بالضم الذي هو منقول في مضارع هذا الفعل ^(٢) ، وإمّا أن يكون مرتجلاً وافق لفظ الأمر الذي بمعنى اسكت . وربما كان تسمية هذه الصحراء بهذا الفعل للغلبة ، لكثرة ما يقول الرجل لصاحبه إذا سلكها : اصمت لئلا تُسمع قبلك ^(٣) ، لشدة الخوف . انتهى .

فهذه عدة توجيهات لكسر الهمزة والميم ، ولتسمية الفلاة به .

وإصمته غير منصرف أيضاً ، لكن للعلمية والتأنيث .

والقول بأن إصمت مرتجل لا منقول أسلم وأسهل ، وحينئذ لا يحتاج إلى توجيه كسر الميم ، ويكون منع الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي ، وفي إصمته التأنيث اللفظي على طريقة واحدة .

والعجب من ابن يعيش فإنه وجه منع الصرف في إصمت بما ذكرنا مع القول بالنقل . وكونه علم جنس أظهر من كونه علم شخص لبقعة معينة ، كما هو ظاهر من استعمالهم : والصحيح أن العلم إنما هو إصمت وإصمته ، لا مجموع وحش إصمت ووحش إصمته ، بدليل أنه يقال بلد إصمت ، وصحراء إصمت وغير ذلك ، ولم يقل أحد بعلمية المجموع فيه ، وما يضاف

٢٨٦

(١) ط : « مجرد » ، وفي معجم البلدان : « مجرد » ، وأثبت ما في ش .

(٢) وكنا في معجم البلدان . وفي ش « في المضارع لهذا الفعل » .

(٣) في معجم البلدان : « فهلك » بالنون .

إليهما من وحشٍ وبلدٍ وبلدةٍ وصحراءٍ أيضًا ، كما نقله صاحب القاموس ،
إضافته للتخصيص . وقد يجمع إصميت على إصميتين شذوذًا ، كأنهم سموا
كلَّ قطعةٍ منها بإصميت إن كان إصميت علمَ قفرٍ بعينه . وإن كان علمَ جنسٍ
فواضح . وقد رأيته في شعر أمية بن أبي الصلت ، قال من قصيدة :
وثرذى الثَّاب والجمعاء فيه بوحش الإصميتين له ذبابٌ ^(١)

قال شارح ديوانه : ثرذى من الرذية ، أى تُترك ، وقد أرذيت فهي
مُرذاة . والثاب : الناقة المسنة . والجمعاء ^(٢) : الذاهبة الأسنان .
والإصميتين : مكانٌ ليس فيه أحد . وهو مثلٌ للعرب ، يقال تركت فلانًا
بوحش الإصميتين . وله ذبابٌ ذبابَ الحمار ^(٣) . انتهى .

واعلم أنَّ ابن المستوفى استشكل كون إصميت منقولاً من الفعل دون
ضميره وقال : قول النحاة إنَّ إصميت منقول من فعل الأمر مجردًا من
الضمير ، فيه نظر ، لأنَّه جمعٌ بين نقيضين ، وذلك أنَّهم إنَّما سموا به بعد
الأمر للمواجهة ، فلا بدُّ من الضمير فيه . وإذا كان كذلك فهو من باب
المسمى بالجملة المركبة من الفعل والفاعل . اللهمَّ إلا أن يكونوا نزعوه بعد
التسمية تحكما منهم . انتهى .

أقول : لا يردُّ ما ذكره ، فإنَّهم قالوا : إذا سمى بفعل فإن لم يُعتبر
ضميره الفاعلُ فهو مفرد لا ينصرف ، وإن اعتبر ضميره فهو جملةٌ محكيَّةٌ ،

(١) تزدى : تهلك . والجمعاء : الناقة المسنة ، أو التي غابت أسنانها في اللثات . ط وديوان

أمية ١٩ : « والجمعاء » ، وهى الناقة الهرمة أيضا .

(٢) ط : « والجمعاء » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ش : « وله ذباب الحمار » .

سواء كان الضمير مما يجب استتاره أم لا ، بدليل أحمَد المنقول من المضارع للمتكلم ، وتغلب المنقول من المضارع للمخاطب ، فالضمير أمر اعتباري يجوز أن يلاحظ ويعتبر ، ويجوز عدمه ، ولا ينظر إلى مكان تجريده من الفعل حين التسمية .

واستشكل أيضًا قطع الهمزة بعد التسمية بأنه من باب تحصيل الحاصل ، لأنها مقطوعة قبل التسمية ، إذ لم تقع حشوا . قال : وقولهم إنهم قطعوا الهمزة من إصمت مع التسمية به خاليًا من الضمير ، فيه أيضًا نظر ، لأن المكان عندهم إنما سُمي بقول الرجل لصاحبه : إصمت ، يُسَكِّتُهُ ^(١) بذلك من غير أن يكون تقدّمه كلام قبله ، وصلّه به فوصل الهمزة . وكذا كل فعل أمر من يفعل قطعت همزته . انتهى .

أقول : مرادهم التزام قطعها بعد التسمية ذَرْجًا وابتداء ، بخلاف إصمت قبل التسمية ، فإن الهمزة لا تقطع في اللّرج ، وهذا ظاهر . وأمّا ما قاله صاحب القاموس من أن إصمت وإصمته بقطع الهمزة ووصله فمشكل ، ولم أره لغيره ، وكأنّه مأخوذ من مفهوم قول أبي زيد كما نقله ابن مكرم (في لسان العرب) ، وهو أن بعض العرب قطع الألف من إصمت ونصب التاء . ومفهومه أن أكثر العرب يصل الألف ويسكن التاء ، ويكون حينئذ هذا من باب التسمية بالجملة المحكية . ولم أر من قاله . وأمّا وصلها في إصمته فلم أعرف وجهه ، وقد ذكروا همزة الوصل في أسماء معدودة وليس هذا

(١) ش : يسكته ، بالنون .

منها ، اللهمَّ إِلَّا أن يقال توصل بنقل حركتها إلى ساكن قبلها ، كقولك : من اصمتة . والله أعلم .

وَأَمَّا أُطْرُقًا فقد أدرجه صاحب المِفْصَل في المنقول من فعل الأمر مع إصمت . وظاهره أنه كماصمت غير منصرف ، وأنه من التسمية بالفعل دون ملاحظة الضمير البارز الفاعل . ولو لَأَحْظَه لذكره في العلم المركب من جملة أو غيرها ، والصواب ذكره في قسم المركب ، لأنه جملة مركبة من فعل وفاعل قطعًا . ولهذا قال ابن الحاجب (في شرحه) : تمثيله بقوله أُطْرُقًا في غير قسم المركب ليس بمستقيم . وأجاب ابن يعيش بأن أُطْرُقًا لها جهتان : جهة كونه أمرًا ، وجهة كونه جملة . فأبرأه هنا من حيث أنه أمر . ولو أوردته في المركبات من حيث هو جملة لجاز . انتهى .

وفيه نظر ؛ فإن التقسيم يصير حينئذ فاسدًا ، لأن كل تقسيم صحيح ذكرت فيه أنواع باعتبار صفات مصححة للتقسيم يجب أن يكون صفة كل قسم منتفية عن بقية الأقسام ^(١) ، وإلا لم يصح التقسيم باعتبارها ، وههنا التقسيم قد ذكر فيه المركب فيجب أن يكون التركيب منتفياً عن بقية الأقسام .

وأجاب بعضهم بأنه يصح أن يكون أُطْرُقًا أمرًا للواحد ، وتثنيته تثنية الفعل لا الفاعل ، كأنه قال : أُطْرُق أُطْرُق ، كما قيل في : ﴿ الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ ^(٢) ، وفي : ﴿ قفا نبك ﴾ ، تأكيدًا ومبالغة .

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الأقسام » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ٢٤ من سورة ق .

وَأَجَابَ بَعْضُ آخَرِ بَأَنَّ الألفَ يجوزُ أَنْ تكونَ بدلًا من نونِ التوكيدِ الخفيفةِ ، والأصلُ أَطْرَقْنَ ، فَأُبدِلَتِ للوقوفِ أَلْفًا . ويردُّه ما حكوا في وجه التسمية من أَنَّ رجلًا قال لصاحبيه في موضعٍ : أَطْرَقَا ، تخويفًا لهُمَا ، فسُمِّيَ به .

قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : أَطْرَقَا : موضعٌ بالحجاز . قال أبو عمرو بن العلاء : غزا ثلاثة نفرٍ في الدَّهرِ الأولِ ، فلمَّا صاروا إلى هذا الموضعِ سمِعوا نبأَ فقال أحدهم لصاحبيه : أَطْرَقَا ، أَى اسكتنا ^(١) . وقال في موضعٍ آخرٍ : أَى الزما الأرضَ ، فسُمِّيَ به ذلك الموضعُ . قال أبو الفتح بن جنى : دَلَّ قولُ أبي عمرو أَنَّ الموضعَ سُمِّيَ بالفعل وفيه ضميره لم يجرد عنه ، كما يقال : لقيته بوحشٍ إصمَّتْ ، أَى بفلاة يُسكَّتْ ^(٢) فيها المرءُ صاحبه فيقول له . اصمَّتْ ، إلَّا أَنَّهُ جَرَّدَ إصمَّتْ مِنَ الضميرِ ، فأعربه ولم يصرفه ، للتعريفِ والتأنيثِ أو وزن الفعل . انتهى كلامُ أبي عبيد .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : قال أبو عمرو : أَطْرَقَا : اسمٌ لبلدٍ بعينه من فعل الأمرِ ، وفيه ضميرٌ وهى الألفُ . كَأَنَّ سألَكَ سمعَ نبأَ فقال لصاحبيه : أَطْرَقَا . وقال الأصمعيُّ : كان ثلاثة نفرٍ بهذا المكانِ فسَمِعُوا صوتًا فقال أحدهم لصاحبيه : أَطْرَقَا ، فسُمِّيَ بذلك . انتهى .

وقيل إنَّ أَطْرَقَا غيرُ علمٍ لأَرْضٍ ، فلا شاهد فيه . ثم اختلفوا فقال قوم :

(١) وكذا في معجم ما استعجم ١٦٧ . وفي ش « اسكتنا » بالنون .

(٢) ش فقط : « يسكن » بالنون .

هو جمع طريق ، كصديق وأصدقاء ، وقُصر للضرورة . حكاه ياقوت .

وقال أبو عبيد (في المعجم) : قال بعضهم : هو جمع طريق على لغة هذيل ، ويجوز أن يكون مقصوراً من المملود ، نحو نصيب وأنصاء . وعلى هذا استشهد به الحرى . انتهى .

قال ابن يعيش : يكون على هذا حذف الألف الأولى التي للمد ، فعادت ألف التأنيث إلى أصلها ، وهو القصر . وينبغي أن تكتب الألف بالياء . انتهى .

وقال ثعلب ، كما نقله أبو عبيد أيضاً : قوله على أطرقا ، أراد على أطرقة ، فأبدل من تاء التأنيث ياءً كما يقال في شكاعى شكاعة ^(١) كما يبدل أيضاً من الألف تاء . قال الراجز :

من بعدما وبعدمتا وبعدمت صارت نفوسُ القوم عند الغلصمت ^(٢)
انتهى .

وقال بعضهم : الرواية « علا أطرقا » وقال ابن يعيش : رواه بعضهم بضم الراء ، كأنه جعله جمع طريق ، ويجعل علا فعلاً ناصباً له من العلو ، وفيه ضمير ، كأنه قال : السَّيْلُ علا أطرقاً . وعلى هذا يكون قد أثبت الطريق ؛ لأنَّ فِعْلاً وَفَعَالاً إِنَّمَا يَجْمَعَانِ عَلَى أَفْعَلٍ إِذَا كَانَ مَوْثِقًا ، نَحْوُ عَنَاقٍ وَأَعْنَقٍ ،

٢٨٨

(١) وكذا في معجم ما استعجم ص ١٦٨ . وكتب مصحح طبعة بولاق : « كنا بالأصل » ولعل المناسب في « شكاعة شكاعى » .

(٢) الرجز لأبي النجم المعبلى ، كما في مجالس ثعلب ٣٢٦ .

ويكون باليات الخيام من صفة أطرقا . انتهى .

وحكاه أبو عبيد أيضا قال : ويروى : علا أطرقا من العلو . وجمع طريق على أطرق يدل على تانيته ، لأنه تكسير المؤنث كعناق وأعناق وعقاب وأعقب . وقال ياقوت : قال أبو الفتح : ويروى « علا أطرقا » ، فعلا فعل ماض . وأطرقا : جمع طريق . فمن أثث الطريق جمعه على أطرق مثل عناق وأعناق ، ومن ذكره جمعه على أطرقا ، كصديق وأصدقاء ، فيكون قد قصره ضرورة . هذا ، والصحيح أن أطرقا علم أرض ، بدليل قول عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، يخاطب بني كعب بن عمرو ، من نخزاعة ، وكان يطالبهم بدم الوليد بن المغيرة ^(١) ، أبي خالد بن الوليد ، لأنه مرّ برجل منهم يصلح سيهاما فعثر بسهم منها فجرّحه ، فانتقض عليه فمات . :

إني زعيم أن تسبروا وتهربوا وأن تركوا الظهران تعوي ثعالبه
وأن تركوا ماءً بجيزة أطرقا وأن تسلكوا أي الأراك أطايه ^(٢)
وإننا أناس لا نطل دماؤنا ولا يتعالى صاعدا من نحارته

وقالوا في تفسير هذا : الجيزة والجزع بمعنى واحد ، وهو معظم الوادي . وقال ابن الأعرابي : هو ما انثنى منه . وأطرقا هنا وقع مضافا إليه ، وهو علم موضع ، سمي بفعل الأمر كما تقدّم . ولا يتأتى هنا ما تمحلوه في ذلك البيت .

(١) الوليد هنا هو والد خالد بن الوليد ، كما في جمهرة ابن حزم ١٤٧ .

وقد وردت كلمة « بن » مقحمة في النسختين ، بعد « المغيرة » ، والصواب حذفها كما فعل الإمام الشنقيطي في نسخته بالترميم عليها .

(٢) ط : « أصائبه » ، صوابه في ش ومعجم البلدان (أطرقا) .

قال ياقوت : وهذا الشعر يؤذن بأن أطرقا موضع من ضواحي مكة ،
لأن الظهران هناك ، وهى منازل كعب من خزاعة . فيكون أطرقا من منازلها
بتلك التواحي ، وهى من منازل هذيل أيضا ، ولذلك ذكروه فى شعرهم . والله
أعلم . انتهى .

وقد آن لنا أن نرجع إلى المقصود فنقول : البيت الشاهد من قصيدة
للراعى واسمه عُبيد بن حُصين الثُميرى ^(١) ، وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الثالث
والثمانين بعد المائة ^(٢) . وهى من قصيدة مدح بها عبد الله بن معاوية بن أبى
سفيان ، أوها :

طافَ الخيال بأصحاى وقد هجدوا من أمّ علوان لا تحو ولا صدّد
فأرقت فتيةً بأثوا على عجل وأعيننا مسّها الإدلاج والسّهّد ^(٣)
هل تبلغنى عبد الله دوسرةً وجنأ فيها عتيق التى ملتبد
كأنها يوم خمس القوم عن جلب ونحن والأل بالمومة نطرّد
قرم تعداه عادٍ عن طروقة من الهجان على خرطوم الزبد
أو ناشط أسفع الخدين أجاه نفح الشمال فأمسى دونه العقّد

(١) ط : « الثمري » ، صوابه فى ش ، فإن الراعى من بنى ثمر بن عامر بن صعصعة . وأما
التمري فيفتح الميم فهو نسبة إلى - الثمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعى .

(٢) فى الخزاعة ٣ : ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) كنا على الصواب فى النسخين ، وظنها مصحح بولاق « فأرقت » من الفراق ، فعلق
عليها بما يفيد تصحيحها : « قد فأرقت » ، ووقع فى ذلك ناشر ديوان الراعى ٤٤ فجعلها « قد
فأرقت » .

ثم وصف الثور والأطلال فقال :

حَتَّى إِذَا هَبَطَ الْأَجْدَانِ وَانْقَطَعَتْ عَنْهَا سِلَاسُلُ رَمْلِ بَيْنَهَا وَهَذَا
صَادَفَ أَطْلَسَ مَشَاءً بِأَكْلِهِ إِثْرَ الْأَوَايِدِ مَا يَنْمِي لَهُ سَبْدُ
أَشْلَى سَلَوِيَّةً بَاتَتْ وَبَاتَ بِهَا بوحشٍ إِصْبَتَ فِي أَصْلَابِهَا أَوْدُ
يَدْبُ مُسْتَخْفِيًا يُغْشَى الضَّرَاءَ بِهَا حَتَّى اسْتَقَامَتْ وَأَعْرَاهَا جَدَدٌ (١)
فَجَالَ إِذْ رُعْنَهُ يَنَاقِي بِجَانِبِهِ وَفِي سَوَالِفِهَا مِنْ مِثْلِهِ قَدْدُ

٢٨٩

هَجَلُوا : رَقَدُوا . وَالنَّحْوُ : التَّوَجُّهُ . وَالصَّنْدُ : الْقَرَبُ . وَخَبِرَ نَحْوُ
مَحْنُوفٍ ، أَيْ مِنْهَا .

وَالْإِدْلَاجُ : السَّيْرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ . وَالسَّهْدُ بَفَتْحَتَيْنِ (٢) : الْأَرْقُ
وَالسَّهْرُ .

عَدَدُهُ مِنْ مَعَاوِيَةٍ وَعَبْدُ اللَّهِ هُوَ أَخُو يُزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ . فِي الْجُمْهُورَةِ : وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ كَانَ
أَحَقَّ النَّاسِ ، وَأُمُّهُ فَاخْتَهَ بِنْتُ قَرْظَةَ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ .
وَأُمُّ يُزَيْدٍ مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ الْكَلْبِيَّةِ .

وَاللَّوْسُورُ ، بِالْفَتْحِ : النَّاقَةُ الضَّخْمَةُ . وَالْوَجْنَاءُ : الشَّدِيدَةُ . وَالنَّثْيُ ،
بِفَتْحِ النَّونِ : السَّمْنُ وَالشَّحْمُ . وَالْخَمْسُ ، بِالْكَسْرِ مِنْ أَظْمَاءِ الْإِبِلِ : أَنْ
تَرعى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَتَرُدَّ الْيَوْمَ الرَّابِعَ .

وَالْجُلْبُ ، بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ : جَمْعُ جُلْبَةٍ ، وَهِيَ الشُّلَّةُ . يُقَالُ :

(١) كُنَّا وَرَدَ فِي مَتْنِ الْبَيْتِ وَشَرَحَهُ ، لَنَا أَبَقِيَّتُهُ عَلَى خَطِّهِ . وَالصَّوَابُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ : « يَمْشِي
الضَّرَاءُ » . يُقَالُ فَلَانٌ يَمْشِي الضَّرَاءَ ، - بَفَتْحِ الضَّادِ - إِذَا مَشَى مُسْتَخْفِيًا فِيمَا يُوَارِي مِنَ الشَّجَرِ .
قَالَ بَشَرُ :

عَطَفْنَا لَهُمْ عَطْفَ الضَّرُوسِ مِنَ الْمَلَا
بَشَهَاءٍ لَا يَمْشِي الضَّرَاءَ رَقَبِيهَا
(٢) يُقَالُ بَفَتْحَتَيْنِ ، وَبِضْمَتَيْنِ ، وَبِضْمَةٍ أَيْضًا .

أصابتنا جلبةُ الزمان وكُلبتهُ . والآل : السراب بعد الزوال . والمومة ، بالفتح : الفلاة .

وقرّم خبر كأنّها ، وهو بفتح القاف وسكون الراء : البعير المكرّم لا يحمل عليه ولا يذلل ، ولكن يكون للفحلة . وتعدّاه أى تعدّى عليه . وعادٍ من عدا عليه ، أى تجاوز عليه الحدّ . والطّروقة : أنثى الفحل . يقال طرق الفحل الناقة طرّقا ، فهى طروقة ، فعولة بمعنى مفعولة . والهيجان من الإبل ، البيضُ ، يستوى فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع . والخُرطوم : الأنف . والزبد : الرغوة التى تظهر على فم البعير عند هيجانه . شبه ناقته فى حالة جهدها وشدّتها ، وهو سائرٌ فى شدّة الهجير ، بفحل هائج ، حال دون أنثاه حائل . وفيه مبالغاتٌ لا تخفى .

وقوله : « أو ناشط » إلخ ، يعنى أنّها إمّا تشبه ذلك الفحل أو تشبه الناشط ، وهو الثور الوحشى يخرج من أرضٍ إلى أرض . والأسفع : الأسود ، من السفعة بالضم ، وهى سوادٌ مشربٌ حمرة ، يعنى اسودَّ وجهه من شدّة الحر ، أو من شدّة البرد والريج . وألجأه : اضطّره . والنّفح : الهبوب . والشّمال : الريح المعروفة . قال الأصمعى : ما كان من الرياح نفح فهو برد ، وما كان لفح فهو حرّ . والعقد بفتح العين وكسر القاف وفتحها : ماتعقد من الرمل ، أى تراكم ، الواحدة عقدة كذلك . يعنى فهو مسرعٌ ليصل كيناسه ومأواه . والأحدان بالضم : قطع رمل متفرقة ، والأصل وُحْدانٌ جمع أوحد^(١) .

(١) نظيره أسود وسودان .

وَوُهْدَ بضمّتين : جمع وهاد ، وهو جمع وهدة ، وهو المكان المطمئن .

وصادف ، أى ذلك الناشط . وأطلس مفعوله ، يريد به صيادًا وقانصا . والأطلس قال فى القاموس : هو الرجل يُرمى بقيق ، والسارق ، والذئب الأمعط . وفى الصحاح : الأطلس : الخلق ، وكذلك الطّلس بالكسر ، والجمع أطلاس . ورجل أطلس الثوب . قال ذو الرمة يصف قانصًا :

مُقزَّعُ أطلس الأُطمارِ ليس له إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ

ومَشَاءٌ : مبالغةٌ ماشٍ أى كاسب . وأكُلب : جمع كلب . والأوابد : جمع آبدية ، وهى الوحوش .

ويَنمى ، من نَمى المال وغيره يَنمى نماءً : زاد . والسَّبد : الصُّوف ، كنى به عن المال والماشية .

وقوله : « أَشْلَى سلوْقِيَّة » ، فاعل أَشلى ضميرُ أطلس ، المرادُ به القانص . قال أبو زيد : أَشليت الكلب : دَعَوته . وقال ابن السكيت : يقال أوسدت الكلب بالصَّيد وآسدته ، إذا أغريته به . ولا يقال : أَشليته ، إنما الإِشلاء الدُّعاء . يقال أَشليت الشَّاةَ والناقَةَ ، إذا دعوتهما بأسمائهما ٢٨٩ لتحلبهما . وقول زيادٍ الأعجم :

أَتينا أبا عمرو فأشلى كلابه علينا فكدنا بين بيتيه نُؤكلُ

يروى : « فأغرى كلابه » . كذا فى الصحاح . وسلوْقِيَّة أى كلابًا سلوْقِيَّة . قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : سلوق بفتح أوله

وضم اللام : موضعٌ تنسب إليه الكلاب السلوقية والدُّروع^(١) . و (في كتاب العين) : موضعٌ باليمن تنسب إليه الكلاب . وقال أيضاً : السلوقي من الدُّروع والكلاب : أجودها . وقال الأصمعي : إنما هي منسوبة إلى سَلْقِيَّة ، بفتح أوله وثانيه وإسكان القاف وتخفيف الياء ، وهو موضعٌ بالروم . فغيره النسب . هكذا حكى أبو بكر . و (في البارع) عن أبي حاتم : السلوقية من الكلاب منسوبة إلى مدينة من مدائن الروم يقال لها سَلْقِيَّة^(٢) ، فأعربت^(٣) . قال أبو حاتم : وقال أبو العالية : إنما يقال لها سَلوقِيَّة ، وقد دخلتها ، وهي عظيمة ، ولها شأن . انتهى .

وقوله : (باتت وبات بها) قال صاحب المصباح : بات ، له معنيان أشهرهما اختصاص الفعل بالليل ، كما اختصَّ الفعل في ظلُّ بالنَّهار . فإذا قلت : بات يفعل كذا فمعناه فعله بالليل . وقال الليث : من قال بات بمعنى نام فقد أخطأ ، لأنك تقول باتَّ يرعى النجوم ، ومعناه ينظر إليها ، وكيف ينام من يراقب النجوم . والمعنى الثاني تكون بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أي صار به ، سواء كان في ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ^(٤) » . والمعنى صارت ووصلت . انتهى .

(١) ط : « الدرع » ، صوابه في ش ، مع أثر تصحيح ، ومعجم ما استعجم .

(٢) في النسختين : « سلقية » ، صوابه من معجم ما استعجم .

(٣) ط : « فعربت » ، وأثبت ما في ش ومعجم ما استعجم .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد وأحمد والأربعة ، وأوله : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً » . الجامع الصغير ٤٣٥ .

وقال الشارح المحقق : وتجيء بات تامة بمعنى أقام ليلاً ونزل ، سواء نام أو لم ينام . وفي كلامهم : « سِرْ وَبِثْ » . انتهى .

وقوله : (في أصلاها أود) أى في أصلاب الكلاب السلوقية . إذ لكل كلب صلب . ولهذا قلنا موصوف السلوقية جمعاً ، ولقوله : (بأكلية) . وقدر بعضهم تبعاً لابن الحاجب : كلبة سلوقية . ووجه جمع الأصلاب بجعل كل طائفة من الفقير صلباً . وله العذر لأنه لم يقف على ما قبله . والصلب : وسط الظهر من العنق إلى العجز ، وهى فقرات أى خرزات منتظمة . والمتنان يكتفان يميناً وشمالاً . والأود بفتحيتين : الاعوجاج . والجملة حال من ضمير الكلاب ، وهى حال لازمة ، لأن الكلاب السلوقية يكون أوساطها مخروطة الشكل خِلقة . قال الأصمعى : إذا كان في ظهر الكلب احديداً قليل كان أفره له ، وكذلك إذا كان واسع الفمحة كان أسرع لجريه ، وكذلك من الدواب . وكذا إذا اتسع منخراه وشذقاه . فقوله : « أشلى سلوقية » استئناف بعد الإخبار عن الناشط بما ذكره . وأراد : أشلى عليه ، أى أغرى الكلاب على الناشط .

وجملة باتت إلخ استئناف بياني ، كأنه قيل : فما صنعت ؟ قال : باتت . وقيل الجملة صفة سلوقية . وبات هنا تامة كما نقلنا عن الشارح المحقق . وقوله « وبات بها » أى وبات الصياد مع السلوقية ، فالباء بمعنى مع ، والضمير للسلوقية . وقوله : (بوحش إصميت) الباء بمعنى فى ، متعلق بأحد الفعلين . وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : المجرور فى قوله : بوحش ، يتعلق

بأشلى ، وتقديره : أشلى سلوكية بوحش هذه البرية ، باتت السلوكية في هذه البرية . وبات بها ، أى عندها ، والضمير للسلوكية . انتهى .

يريد أن الضمير في قوله « عندها » للسلوكية ، وأما ضمير بها فهو لوحش إصمت . وصرح به (في شرح المفصل) قال : بها ، أى بوحش إصمت . وأضمر لأنه متقدم في المعنى لأشلى أو لباتت الأول . انتهى .

وكذا صنع الأندلسي قال : أعمل الفعل الأول وأضمر الثاني . وروى أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي :

أشلى سلوكية زلاً جوارعها بوحش إصمت إلخ .

والزّل بضم الزاى المعجمة وتشديد اللام : جمع أزل ، وهو المسوح العجز . والجوارع : جمع جاعة ، وهو موضع رقمة است الحمار ^(١) .

وقوله : « يدب مستخفياً » إلخ دب يدب من باب ضرب ، أى مشى مشياً رويدا . وفاعله ضمير الصياد . وكذلك ضمير يُغشى مضارع أغشى ، بمعنى أحاط . والضراء مفعوله ، وهى جمع ضيرة بالكسر ، وهو ولد الكلب . وضمير بها للسلوكية . وجملة يُغشى حال من ضمير يدب . وحتى بمعنى إلى . وأعرأه : كشفه . والضمير للناشط . وجدد فاعله ، وهو بفتحتين : الأرض الصلبة .

وقوله : « فجال » ، من الجولان ، وفاعله ضمير الناشط ، وإذ ظرف لجال ، ورعته من الروع ، وهو الذعر ، والنون ضمير الكلاب السلوكية

(١) ش : رقمة الحمار .

وينأى : يبعد . يريد أن الناشط نجا من يد الكلاب والحال أن في سؤالف الكلاب من جلد مثل هذا الناشط قدداً ^(١) . والسألفة : صفحة العنق . والقدد : جمع قدة ، وهو سير غير مدبوغ .

وأما البيت الثاني فهو لأبي ذؤيب الهذلي ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد السابع والستين ^(٢) من قصيدة عدتها أربعة عشر بيتاً ذكر من أولها دروس الديار وطموسها ، إلى أن رثى ابن عمه نسيبة بخمسة أبيات من آخرها . وأولها :

عرفت الديار كرقم اللوا ة يزورها الكاتب الحميري
إلى أن قال بعد أبيات ثلاثة :

* على أطرقا باليات الخيام *

إلى آخره . يزورها ^(٣) : يكتبها . وذكر الحميري لأن الكتابة أصلها من اليمن . يريد : عرفت رسوم الديار وآثارها خفية كآثار الخط القديم . وقوله : « على أطرقا » قال السكري (في شرحه) : أراد : عرفت الديار على أطرقا . والثمام : شجر يلقى على الخيام . والعصى : خشب بيوت الأعراب . وقوافي هذه القصيدة إن شددتها وصلتها ، وإلا خففتها . انتهى .

والخيمة عند العرب : بيت من عيدان . والثمام : نبث ضعيف يحشى

(١) في النسختين : « قدد » .

(٢) الحزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٣) ط : « يبرها » ، صوابه في ش .

به خصاصُ البيوت ويُستَر به ^(١) جوانبُ الخيمة . فالثام والعصى استثناء من الخيام ، ويكون الاستثناء متصلاً .

قال ابن يعيش : هذه القصيدة تروى مطلقةً مرفوعة ، وتروى مقيدةً ساكنة ، وهى من المتقارب . فمن أطلقها كانت من الضرب الأول ووزنه فعولن عِصْيُ يُو . ومن قيدها كانت من الضرب الثالث ، وهو المحذوف . فِعِلْ عِصْي . وقوله : « على أطرقا » نصبٌ على الحال من الدِّيار ، وكذلك باليات الخيام حال . والمراد : عرفتُ الديار على أطرقا فى هذه الحال . وقوله : « إلا الثام وإلا العصى » يروى برفع الثام ونصبه ، فمن نصب فلا إشكال فيه لأنه استثناء من مُوجب . ومن رفع فبالابتداء والخبر محذوف ، والتقدير : إلا الثام وإلا العصى لم تُبَل . ومن نصب الثام ورفع العصى فإنه يحمله على المعنى ، وذلك أنه لما قال بليت ، إلا الثام ، كان معناه بَقِيَ الثام ، فعطف على هذا المعنى وتوهم اللفظ . ومن قيّد القافية جاز أن تكون العصى مرفوعة كالمطلقة ٢٩٢ على ما ذكرنا ، وجاز أن تكون منصوبةً بالعطف على الثام ، إلا إنه أسكن للوقف . وما فيه أل يكون الوقف عليه كالمرفوع والمجرور . انتهى .

وقال (صاحب المقتبس) : ويروى : « باليات » ، مرفوعاً ومنصوباً على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هى ، وعلى الحال . وقوله : على أطرقا متعلق بعرفت . قال بعض فضلاء العجم : ويجوز أن يكون باليات على رواية الرفع مبتدأ وخبره على أطرقا ، والإضافة كسَحَقَ عِمامة . وعلى هذا كان كلاماً

(١) ط : « ويستتر به » .

منقطعا عن الأول وإخبارا ثانيًا عن اندراس المنازل .

وقال ابن الحاجب (في الإيضاح) : باليات الخيام حال من الديار .
والأ التمام استثناء منقطع . وبعض الناس يُنشد باليات بالرفع ، يجعله مبتدأ .
وبعضهم ينشده « إِلَّا الثَّمَامُ وَإِلَّا الْعَصَى » بالرفع ، وليس بصواب ، وإنما
يجوز بناء الرفع على وجهين : أحدهما على الإلتباع على المعنى دون اللفظ ،
فيكون [مثل ^(١)] : أعجبنى ضربُ زيد العاقل بالرفع . والثاني إنما على
قولهم : ما جاءني أحدٌ إِلَّا حمارٌ على اللغة التيمية . فقوله باليات الخيام ،
الخيام مرفوعة من حيث المعنى ، فكأنه قال : باليات خيامها ، فيكون قوله إِلَّا
الثَّمَامُ على اللغة التيمية ، وإمّا على أَنَّ إِلَّا بمثابة غير . وكلُّ منهما ضعيف . أمّا
أعجبنى ضربُ زيد العاقل فلأنَّ زيدًا معرب ، والتوابع إنما تجرى على متبوعاتها
على حسب إعرابها . وأمّا ما جاءني أحدٌ إِلَّا حمار ، فلأنَّ ذلك إنما يثبت في
النفي ، مع أنَّه فيه ضعيف ، لأنَّ الحمار ليس من جنس الأحد ، فلا يكون
بدلاً ، وأمّا كون إِلَّا بمثابة غير فشرطه في الفصيح أن تكون تابعة لجمع منكر
غير منحصر ، وذلك مفقود . انتهى .

وتوجيه ابن يعيش لرواية الرفع ، أسلم من هذا . فتأمل . فلا يردُّ عليه

ما ذكره .

* * *

(١) بمثل هذه يلتزم الكلام .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٥٣٩ (بَنَاتُ أَلْبِي)

على أنه إذا سُمِّيَ بِأَلْبٍ يَبْقَى الْفُلُّ وَلَا يَدْغَمُ ، وهو بفتح الهمزة وسكون اللام وضمُّ الموحَّدة الأولى .

وهذا قطعةٌ من بيت ، وهو :

* (تَأْنَى لَهُ ذَاكَ بَنَاتُ أَلْبِي) *

قال صاحب الصحاح : وبنات أَلْبٍ : عروقٌ في القلب تكون فيها الرِّقَّةُ . وقيل لأعرابيةٌ تعاتب ابناً لها : مالك لا تدعين عليه ؟ قالت :

* تَأْنَى لَهُ ذَاكَ بَنَاتُ أَلْبِي *

والذي أورده سيبويه :

* قد علمت ذاك بناتُ أَلْبِيَّةِ *

قال : وإذا سميت رجلاً بِأَلْبٍ ، من قولك :

* قد علمت ذاك بناتُ أَلْبِيَّةِ *

تركته على حاله ، لأنَّ هذا اسم جاء على الأصل ، كما قالوا : رجاء بن حيوة^(٢) ، وكما قالوا : ضيُون . فجاءوا به على الأصل . وربما جاءت العرب

(١) في كتابه ٢ : ٣ ، ٦١ ، ٤٠٣ ، والمنصف ١ : ٢٠٠ / ٣ : ٣٤ .

(٢) ش : « كما قالوا بن حيوة » ، وكلمة « رجاء » من ط وسيبويه . ورجاء بن حيوة بن جرجول الكندي الفلسطيني كان ثقة فاضلاً كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ٤ : ١٨٦ .

بالشيء على الأصل . ومجرى بابه في الكلام على غير ذلك . انتهى كلام سيويه .

قال صاحب الصحاح : قال المبرد في قول الشاعر :

* قد علمت ذاك بنات ألبيه *

يريد : بنات أعقل هذا الحي . فإن جمعت ألبيا قلت ألب ، والتصغير ألبب ، وهو أولى من قول من أعلاها . انتهى .

وقال ياقوت (في حاشية الصحاح) : ويرى : « بنات ألبيه » بفتح الباء الأولى . والله أعلم .

ولم يورد أبو جعفر النحاس ولا أعلم الشنتمري هذا البيت في شواهد سيويه ، وكأنهما لم يتنبها لكونه شعرا . والله أعلم .

وأنشد بعده :

(يَعَصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ)

على أنه لو سَمِيَ بضرين^(١) على لغة أكلوني البراغيث ، يجعل النون حرفا دالا على الجمع المؤنث كما في « يعصرن السليط أقاربه » ، فإن النون فيه على قول حرف علامة لجمع المؤنث .

وأقاربه هو الفاعل ، والسليط مفعوله ، وهو الزيت .

وهذا المقدار قطعة من بيت للفرزدق ، تقدم شرحه في الشاهد السادس والسبعين بعد الثلاثئة^(٢) .

(١) ش : « بضرين » ، صوابه في ط . وفي شرح الرضى ٢ : ١٣٤ : « ولو سميت بضرين على لغة يعصرن السليط أقاربه ، جعلت النون معتقب الإعراب ولم تصرفه للتعريف والوزن » .
(٢) الخزائن ٥ : ٢٣٣ - ٢٤١ .

أَسْمَاءُ الْعَدَدِ

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٤٠ (حَتَّى اسْتَأْثَرُوا بِي إِحْدَى الْإِحْدِ)

على أَنَّ إِحْدَى يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَنَفْيِ الْمِثْلِ . فمعنى « هو إِحْدَى الْإِحْدِ » : داهيةٌ هي إِحْدَى الْإِحْدِ .

قال الدماميني (في شرح التسهيل) : إِن قُلْتُ : كيف حمل إِحْدَى الْإِحْدِ مع أَنَّهُ لِلْمُوْتِ عَلَى الْمَذْكُورِ ؟ قُلْتُ : لَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ دَاهِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الدَّوَاهِي ؛ وَمِثْلُهُ يَحْمَلُ عَلَى الْمَذْكُورِ ، فَتَقُولُ : هُوَ دَاهِيَةٌ مِنَ الدَّوَاهِي . وَأَحَدُ الْأَحْدِينَ الْمُرَادُ بِهِ إِحْدَى الدَّوَاهِي ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْمَعُونَ مَا يَسْتَعْظَمُونَهُ جَمْعَ الْعَاقِلِ وَإِن لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا . فَمَنْ قَالَ هُوَ أَحَدُ الْأَحْدِينَ ، فَقَدْ رَاعَى مَطَابَقَةَ لَفْظِ هُوَ فَلِذَلِكَ ذَكَرَ اللَّفْظَيْنِ جَمِيعًا . وَمَنْ قَالَ إِحْدَى الْإِحْدِ رَاعَى الْمَعْنَى ، فَلِذَلِكَ أَتَى بِإِحْدَى ، لَأَنَّ أَلْفَهَا إِمَّا لِلتَّائِيثِ ، أَوْ لِلْإِلْحَاقِ ، وَلَكِنَّهَا تَشْبِهُ فِي اللَّفْظِ أَلْفَ التَّائِيثِ ، فَأُضَافَهَا إِلَى جَمْعِ الْمُؤْتِ وَهُوَ الْإِحْدِ بِكَسْرِ الْأَلْفِ وَفَتْحِ الْحَاءِ . وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى وَهُوَ ضَمُّ الْأَلْفِ وَفَتْحُ الْحَاءِ . وَالْمَشْهُورُ فِي هَذَا الْجَمْعِ أَعْنَى فَعَلَ بِضَمِّ الْفَاءِ ، أَن يَكُونَ مَفْرَدَةً فَعَلَةً مُؤْتًا بِالتَّاءِ ، كَغَرَفَ جَمْعَ غُرْفَةٍ ، لَكِنَّهُ جَمِعَ بِهِ الْمُؤْتُ بِالْأَلْفِ كإِحْدَى ، حَمَلًا لَهَا عَلَى أُخْتِهَا ، أَوْ يَقْتَرَنُ لَهُ مَفْرَدٌ مُؤْتٌ بِهَا ، كَمَا حَقَّقَهُ السُّهَيْلِيُّ (فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ) فِي جَمْعِ ذَكَرَى وَذَكَرَ .

(١) الأغاني ٩ : ١٥١ والميداني ١ : ٢٥٨ واللسان (وحد ٤٦٦) .

وكما أنَّ إحدى الاحد ، معناه إحدى الدواهي ، كذلك معنى أحد الأَحْدِينَ ^(١) لا يختص استعماله بالعقلاء ، لكنهم يجمعون ما يستعظمونه جمع العقلاء .

قال (صاحب اللباب) : ما لا يعقل يُجمع جمع المذكر في أسماء الدواهي ، تنزيلاً له منزلة العقلاء في شدة النكايه . والداهية : الأمر العظيم . ودواهي الدهر : ما يصيب الناس من عظيم نوبه . والدَّهْيُ ، بسكون الهاء : التكر وجودة الرأي . يقال رجلٌ داهيةٌ بينُ الدَّهْيِ والدَّهَاءِ بالمد . وقد يضاف إحدى إلى ضمير الإحد . قال أبو زيد : يقال : لا يقوم لهذا الأمر إلا ابن إحداها ، أي الكريم من الرجال . وهذا تفسيرٌ بالمعنى .

وزعم أبو حيان أنَّ إحدى الإحد خاصٌ بالموث . قال : كما قالوا : هو أحدُ الأَحْدِينَ ، وهي إحدى الإحد ، يريدون التفضيل في الدهاء والعقل ، بحيث لا نظير له . قال :

* استشاروا بني إحدى الإحد * انتهى

وهذا البيت الذي أورده يرد عليه .

ويقال أيضاً : هو واحد الواحدين ، نقله صاحب القاموس . ويقال أيضاً : هو واحد الأَحْدِينَ ، وواحد الآحاد ، حكاهما صاحب العباب .

ولا تختص إضافة إحدى ، وواحد ، وأحد ، إلى الجمع من لفظه . قال صاحب الكشاف ، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبَرِ ^(٢) ﴾ ، أي

(١) ش : « إحدى الأَحْدِينَ » ، صوابه في ط .

(٢) الآية ٣٥ من سورة المثر .

إحدى البلايا ، والنواهي الكُبر . ومعنى كونها إحداهنَّ أنَّها منهنَّ واحدةٌ في العِظَم لا نظير لها ، كما تقول : هي إحدى النساء . وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ ^(١) : من الأُمَّة التي يقال لها إحدى الأمم ، تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة .

قال (صاحب الكشف) : أقول : دلالتها على تفضيلها على سائر الأمم ليس بالواضح ، بخلاف واحد القوم ونحوه . ثم وجَّهها بأنَّه على أسلوب : * أو يرتبط بعض النفوس جِمامها ^(٢) * انتهى .

قال شيخنا الخفاجي : يريد أنَّ واحداً بمعنى منفرد ، ويلزم من انفراده امتيازُه وعظمته ، بخلاف إحدى فإنَّه اسمٌ لجزء الشيء ، فلا دلالة له على التعظيم ، إلَّا أنَّ يقال إنَّ البعض يدلُّ عليه كما في البيت ، لأنَّ فيه إيهاماً ، والإيهام يستعمل للتعظيم . ولك أنَّ تقول : لا حاجة إلى هذا ، لأنَّ الزمخشريُّ أشار إلى أنَّ إحدى هنا بمعنى واحدة . انتهى .

ورَدَّ الدماميني على صاحب الكشف ، بأنَّ الذي ثبت استعماله للمدح أحد وإحدى مضافين إلى جمع من لفظهما ، واستعملوا ذلك أيضاً في المضاف إلى الوصف ، نحو : هو أحد العلماء . أمَّا في أسماء الأجناس مثل الأمم ففيه نظر . انتهى .

(١) الآية ٤٢ من سورة فاطر .

(٢) البيت للبيد في معلقته . وصدده :

* تراك أمكنة إذا لم أرضها *

قال شيخنا : لا حاجة إلى النقل ، لأنه إن كان استفادته من أحد بمعنى واحد ومنفرد فهو معنى حقيقى لا معنى لخصصه . وإن كان لأن إبهام البعض يفيد أنه مجازى ، فهو لا يقتصر فيه على السماع . وفي الحماسة :

يا واحد العرب الذى ما إن لهم من مذهب عنه ولا من مقصير (١)

وقال زهير :

* إذا طرقت إحدى الليالى بمعظم (٢) * انتهى

وقد سمع فى إحدى قطعها عن الإضافة ، سئل ابن عباس رضى الله عنه ، عن رجل تتابع عليه رمضان ، فسكت ، ثم سأله آخر فقال : « إحدى من سبع ، يصوم شهرين ويطعم (٣) » . قال ابن الأثير (فى النهاية) : يريد به إحدى سنين يوسف عليه السلام المجدة . فشبه حاله بها فى الشدة . أو من الليالى السبع التى أرسل الله فيها العذاب على عاد . انتهى .

وهذا يرد على ابن مالك فى قوله (فى التسهيل) : « ولا يستعمل إحدى فى غير تنيف دون إضافة » فإن إحدى قد استعملت بلا إضافة ، إلا أن يزعم أن الأصل أنها إحدى الإحد من سبع ، فحذف المضاف إليه .

والبيتان من رجز للمرار بن سعيد الفقعسى ، أورد بعضه الأصبهاني صاحب النامد

(١) نسب فى الحماسة ١٧٦٢ بشرح المرزوق إلى ابن المولى ، واسمه محمد بن عبد الله بن مسلم . والبيت فى مدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب . والمقصود بفتح الصاد وكسرها : الكف والإمساك .

(٢) من معلقة زهير . وصلته :

لحى حلال يعصم الناس أمرهم .

(٣) وكذا فى الفائق ١ : ١٥ : « يصوم شهرين ويطعم مسكينا » .

(في الأغاني) قال : كان المزار قصيراً مفرط القصر ، ضئيل الجسم . وفي ذلك يقول :

عُثُونِي الثعلب عند العَدَدِ ^(١) حَتَّى اسْتَارُوا بِي إِحْدَى الْإِحْدَى
لَيْثًا هَزْبًا ذَا سِلَاحٍ مُعْتَدٍ يَرْمِي بِطَرْفٍ كَالْحَرِيقِ الْمَوْقَدِ

يقول : حسيبوني من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال ، أروغ عنهم ولا أكافحهم . وحَتَّى بمعنى إلى . و (استاروا) : هيجوا ، من ثار إلى الشر ، إذا نهض ، واستثاره : أنهضه . وثار الفتنه : هاجت . واستارها : هيجها . والباء من (نى) تجريدية . والتجريد (كما في الكشف) هو تجريد المعنى المراد عمن قام به ، تصويراً له بصورة المستقل ، مع إثبات ملاسمة بينه وبين القائم به بأداة أو سياق . والأداة هنا الباء ، كما يقال : لقيت بك أسداً ، و ﴿ اسأل به خبيراً ﴾ ^(٢) . قال صاحب الكشف : ولعل جعلها إصاقية أوجه ، أى كائنا ملصقاً بك . والمراد التصوير المذكور ، لأن الإلصاق هو الأصل ، فقد سلم عن الإضمار وأفاد المبالغة الزائدة . انتهى .

٢٩٥

قال شيخنا الخفاجي : وفيه أن السبب مبدأ أو منشأ للمسبب ، كما أن المنتزع مع المنتزع منه كذلك ، فهو أقرب إلى التجريد ، ومجرد الإلصاق لا يفيد . انتهى .

و (إحدى) منصوب بفتحة مقترنة ، مفعول للفعل قبله ، أى إحدى

(١) في الميداني ١ : ٢٥٨ : « الثعلب فيما علوا » ، وما هنا صوابه .

(٢) الآية ٥٩ من الفرقان . وقد اكتفى في الاستشهاد وحذف الفاء . ونص الآية : ﴿ الرحمن فاسأل به خبيراً ﴾ .

اللَّوَاهِي . قال أبو الهيثم : إحدى الإحد ونحوه أبلغ المدح . وقال صاحب (العباب) ، وتبعه صاحب القاموس : يقال في الأمر المتفاقم : إحدى الإحد ، أى الأمر المشتد ، الصَّعْبُ ؛ مَنْ تفاقم الأمر ، إذا عظم .

و (في أمثال الميداني ^(١)) قال ابن الأعرابي : هذا أبلغ المدح ، كما يقال واحد لا نظير له . التأنيث للمبالغة بمعنى الداهية . وأنشد هذا البيت ، وقال : يضرب لمن لا نهاية لدهائه ، ولا مثل له في نكرائه ^(٢) . ومثله لرجل من غطفان :

إِنَّكُمْ لَا تَنْتَهَوْنَ عَنِ الْحَسَدِ حَتَّى يَدْلِيَكُمْ إِلَى إِحْدَى الْإِحْدِ

وقوله : « ليثا هزبرا » إلخ هذا تفسيرٌ وعطف بيان لإحدى الإحد . والليث : الأسد ، وكذلك الهزبر . و « ذا سلاح » صفة لقوله ليثا . وكذلك قوله « معتدى » ، إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنصوب . وهو من الاعتداء ، قال في الصحاح : والعُدوان : الظُّلم الصُّراح ؛ وقد عدا عليه ، وتعدى عليه ^(٣) واعتدى ، كله بمعنى ^(٤) .

وقوله : « يرمى » إلخ هو صفة أخرى لقوله ليثا . والطَّرْف : نظر العين . والحريق : المُحْرَق . والمُوقَد بفتح القاف . أراد أن عينه في غضبه حمراء كالنار الموقدة الملتهبة .

(١) أورده في باب النال في قولهم : « ذاك أحد الأحدين » .

(٢) إلى هنا ينتهى نص الميداني . وقد أوجزه البغدادى إنجلازا .

(٣) في النسختين : « عدى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) قلت : الأولى أن يكون من قولهم : أعتد الشيء اعتادا : أعده ، كما في قوله :

أعتدت للغرماء كلبا ضلريا عندى وفضل هراوة من أرزن

والمرار بن سعيد : شاعرٌ إسلاميٌّ في الدولة المروانية ، وكان لصًّا من لصوص العرب . وتقدّمت ترجمته في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين ^(١) . وهو بفتح الميم وتشديد الراء الأولى .

تمة

قد ذكر الشارح المحقق بعد هذا البيت إحدى وعشرين كلمة من الكلمات التي تختصُّ بالسفلى ، وهى فى أكثر النسخ محرفة غير منتفع بها ، فرأينا من الإحسان ضبطها وشرحها ، ابتغاءً لوجه الله عز وجل وهى :

الأولى : عَرِيب ، بفتح العين المهملة وكسر الراء ، قال ابن السِّيد : أى ما بها مُعرب يُبين كلامه ويُعرِّبه . وقد قالوا : ما بها معرَّب ، فى هذا المعنى . وكذا قال صاحب القاموس .

الثانية : دِيَّار ، أصله دَيَّوَار ، فيُعال من دار يدور فأدغم . قال ابن السِّيد (فى شرح إصلاح المنطق) : دِيَّار من الدَّار ، إما أن يكون فعلاً من ذلك ، وكان حكمه دَوَّار ، لأن داراً من الواو ، بدليل قولهم فى تحقيرها : دَوِيرَةٌ . قال يعقوب (فى إصلاح المنطق) : وفى جمعها أدور قلبت واوه همزةً لانضمامها كأخوه ^(٢) فى وجوه . وإما أن يكون فيعالاً أصلها ديوار ، فأدغم . وقد غلط يعقوب فى دِيَّار لأنَّ ذا الرمة استعمله فى الواجب فقال :

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) ط : « كأوجه » ، صوابه فى ش .

إلى كُلِّ دِيَارٍ تَعْرِفُنْ شَخْصَهُ من القفر حتَّى تقشعِرَ ذَوَائِبُهُ ^(١)

الثالثة : دَارِيٌّ منسوب إلى الدار . والدَّارِيُّ أيضًا : رَبُّ النِّعَم ، سَمِيَ بذلك لِأَنَّهُ مُقِيمٌ فِي دَارِهِ فَنسب إليها . وإذا أَرَادُوا المبالغة في لزوم الرجل الدار قالوا : دَارِيَّةٌ ، والهَاءُ للمبالغة . والدَّارِيُّ : العَطَّارُ أيضًا ، وهو منسوبٌ إلى دَارِينٍ : فُرْضَةُ بالبحرين ، وفيها سَوْقٌ ، وكان يُحْمَلُ المسكُ من الهند إليها . والدَّارِيُّ أيضًا : نُوتِيٌّ السفينة ومَلَأُهَا ، منسوب إلى دارين أيضًا .

وهذه الثلاثة لا تلتزم النفي . وَأَمَّا تَمِيمٌ الدَّارِيُّ الصَّحَابِيُّ فمنسوب إلى الدار ^(٢) ، أَحَدُ آبَائِهِ .

الرابعة : دُورِيٌّ ، قال يعقوب (في إصلاح المنطق ^(٣)) : ما بها دُورِيٌّ ^(٤) غير مهموز . قال ابن السَّيِّد : هو منسوبٌ ، فكان قياسه دَارِيٌّ ، لِأَنَّ دُورًا جمع دار ، وإذا نسب إلى الجمع فالحكم أن يردَّ ذلك الجمعُ إلى الواحد . وَأَمَّا أَبُو عُمَرَ الدُّورِيُّ فليس منسوبًا . إلى الدُّورِ التي هي جمع دار ، إِنَّمَا هو منسوبٌ إلى موضعٍ بالعراق يقال له دُور . انتهى . وزاد بعضهم : دُورِيٌّ بهمز الواو ، قال القالي ^(٥) (في أماليه) : قال اللحياني :

(١) ديوان ذى الرمة ٤٨ .

(٢) في الإصابة : تميم بن أوس بن حارثة - وقيل خارجة - بن سود - وقيل سواد - بن جذيمة بن ذراع بن عدى بن اللار . و « ذراع » كذا وردت في الإصابة والاستيعاب . لكن في تهذيب التهذيب : و « وداع » ويقال « ذراع » .

(٣) الكلام بعده إلى « قال » التالية ساقط من ش .

(٤) إصلاح المنطق ٣٩١ .

(٥) ط : « قال قال القالي » .

دُورَى بالهمز غلطٌ عندنا . وزاد صاحب القاموس ما بها دُيور ، وهو فيعول .
وهذه الخمسة من مادة واحدة .

الخامسة : طُورَى . قال ابن السَّيِّد : هو منسوبٌ إلى الطُّور ، وهو
الجليل . أى ما بها إنسى ولا وحشى . وقال القالى : هو منسوب إلى الطُّورة ،
وهى فى بعض اللغات : الطَّيرة . انتهى . نقل صاحب (العباب) عن ابن
دريد أَنَّ الطُّورة ، بكسر الطاء (١) ، فى بعض اللغات مثل الطيرة ، بكسرها
وفتح الياء ، أى التطير . وكونه منسوباً إلى هذا بعيد . والصَّواب الأوَّل . ومثله
طُورانى بزيادة الألف والنون . قال صاحب العباب : الطُورَى : الوحشى
والغريب . قال ذو الرمة :

أَعَارِبُ طُورِيُونٍ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ يَحِيدُونَ عَنْهَا مِنْ حِذَارِ الْمَقَادِرِ (٢)

وقال أبو عمرو : وقوله « طُورِيُون » ، واحد هم طُورَى وطُورانى كذلك ،
وهما الوحشَى من النَّاسِ والطير . يقال حمام طُورَى وطُورانى . ويقال ما بها
طُورَى وطُورانى ، أى أحد . قال العجاج :

* وبلدةٍ ليس بها طُورَى * انتهى .

وعلى هذا لا يلزم طُورَى النفى .

السادسة : طاوَى بِالْألف وواو ، نقله القالى عن اللحيانى . وقال : ما
بها طاوَى غير مهموز . وضبطها صاحب القاموس بضم الطاء وفتح الهمة
وهى عين الفعل ، وكسر الواو وهى لام الفعل ، وياء مشددة . ولم أر من

(١) بعده فى ط : « انتهى » وهى كلمة مقحمة رجم عليها فى ش .

(٢) ديوان ذى الرمة ٢٩٧ واللسان (طور) وقال : « يحميدون عن القرى حذار الوباء
والتلف » .

ذكر هذه الكلمة في عداد نظائرها كذا كابن السكيت ، فإنه عقد لها فصلاً (في أواخر إصلاح المنطق) . وكالقالى (في أماليه ^(١)) فإنه ذكر جملة كثيرة منها . وذكر صاحب القاموس فيها لغتين أُخريين ، ذكرهما القالى ولم يذكر الأولى : إحداهما طوئى بتأخير الهمزة عن الواو مع ضم الطاء وسكون الواو . وعلى هذه اقتصر صاحب الصحاح . والثانية طُووئى بضم الطاء وسكون الهمزة وكسر الواو . ولم يذكر ابن السكيت غير هذه ^(٢) . قال ابن السيد (في شرحه) : وطوؤئى من طاء يطوء ، مثل طاع يطوع ، إذا ذهب في الأرض . غير أنه مقلوب ، وكان قياسه طوئى على مثل طوئى ، وعليه قولهم : طوئى . انتهى .

فظهر بهذا التحقيق أنَّ طاوئاً المذكور أولاً في كلام صاحب القاموس مقلوب أيضاً وأصله طوئى ، فتكون ^(٣) الثلاثة من مادة واحدة ، وهى طاء وواو وهمزة . ولو كانت الكلمة معتلة كما زعم صاحب القاموس تبعاً لصاحب الصحاح كيف يصح ^(٤) إيراد طوئى بتأخير الهمزة فيها . وقد ذُكرت هذه الكلمة (في التسهيل) كما في الشرح ، فقال الدمامينى (في شرحه) : هى بطاء مهملة مفتوحة فهيمزة ساكنة فواو فياءٍ نسب . كذا هو مضبوطٌ فى بعض النسخ . وقد قيل إنه من الطئى ، أى ما بها أحد يطوى . قال ابن هشام : هذا لا يصح لاختلاف المادة ، إلا إن قيل إن الهمزة مثلها فى العالم .

٢٩٧

(١) إصلاح المنطق ٣٩١ وأمالي القالى ١ : ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٢) الذى فى إصلاح المنطق : « طوئى » بتأخير الهمزة .

(٣) ش : « فيكون » .

(٤) كذا فى النسختين ، مع وجوب نفي جواب « لو » بلم إذا كان مضارعاً ، كما فى المعنى ، وتصح بالتأويل .

قلت : لا يصح ؛ لأنَّ الطِّيَّ مادته طاء فواو فياء ، بدليل طويت . ووقعت في بعض النسخ لفظة طَاوِيٍّ مضبوطة بفتح الهمزة . ولا يتأتَّى أن يكون من الطِّي أصلا . وقد يقال إنَّه من وطىء ، فقلبت فاء الكلمة إلى موضع اللام . انتهى كلام الدماميني .

والتحقيق ما نقلناه عن ابن السِّيد ، وبه تلثم لغاتها ، ويزول الإشكال . هذا وفي غالب نسخ الشرح : « طاري » بالراء . وقد أثبتته ابن الصائغ على هامش التسهيل ، وقال : هو الغريب الذى طرأ على البلاد . وعليه تكون الكلمة مهموزة اللام ، أبدلت ياء لانكسار ما قبلها وتطرُّفها . لكن يَرِدُ أنَّ هذه الكلمة غير لازمة للتفى .

السابعة : أَرِمَ ، أوردها ثعلب (فى الفصيح) ، قال شُراحه : بفتح الهمزة وكسر الراء . وأما الإَرَم بكسر الهمزة وفتح الراء فهو العَلَم ، وهو حجارة يجعل بعضها على بعض فى المفازة والطريق يُهتدى بها . كذا قال شارحه الهَرَوِيّ .

الثامنة : أَرِمَ ، بزيادة الياء على ما قبلها . وكلاهما وصف ، ويقال أيضًا أَرَم على فاعل . قال ابن السِّيد : أَرِم وآرَم على فَعِل وفاعل ، معناهما آكل . يقال أَرِم يَأَرِم أَرَمًا من باب ضرب ، إذا أكل . والأَرَم : الأضراس ، جمع أَرَم ، لأنَّها تَأَرِم ، أى تأكل . ومنه قيل : فلان يحرقُ عليك الأَرَم ، أى يصرف بأنياه عليك غيظًا ، يعنى يصوت . قال الشاعر (١) :

تُبْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى أَنَّمَا ظَلُّوا غَضَابًا يَخْرُقُونَ الْأَرَمَا

(١) الرجز فى نوادر أنى زيد ٨٩ والمخصص ١٣ : ١٢٦ واللسان (أَرَم) . وكثيرا ما يطلقون اسم الشاعر على الرجز .

ويزاد في آخر الأول ياء النسبة فيقال أَرَمِيَّ ، نقله القاللي عن ابن الأعرابي ، وصاحبُ العباب . وضبطه صاحبُ القاموس بضبطين لم أجد واحدًا منهما لأحد . قال إِرَمِيَّ كعِنْيَ ويَحْرَكُ ، ويقال أيرمِيَّ أيضًا ، نقله القاللي عن ابن الأعرابي أيضًا ، وصاحبُ العباب عن أبي خيرة . وهو في الحقيقة مقلوب أَرَمِيَّ . وزاد صاحب القاموس : كسر أوله .

التاسعة : كَتِيع بفتح الكاف وكسر المشاة الفوقية . قال ابن السَّيد : هو من قولك : أجمع أكتع . وأنشد القاللي عن ابن الأنباري :
أَجَدَّ الحَيُّ فاحتملوا سِرَاعًا فما بالدار إذ ظعنوا كَتِيعُ^(١)

وزاد صاحب العباب عن ابن عبَّاد « كُتَاع » كغراب . وقد جاء الكتيع بمعنى المفرد من الناس ، فالأولى أن يكون منه .

العاشرة : كَرَّاب بفتح الكاف وتشديد الراء ، وهو قَعَال من الكِرَّاب ، يقال كربت الأرض كِرَابًا ، إذا قلبتها للحرث . ولم يذكر هذه الكلمة ابنُ السكيت .

الحادية عشرة^(٢) : دُعَوِيَّ ، بضم الدال وسكون العين وكسر الواو وياء النسبة . قال ابن السكيت : هو من دَعَوْتُ . ووقع عند شارحه دُعَوِيٌّ ، وقال : هو من الدُّعَاء ، نسب على غير قياس ، وكان قياسه دَعَوِيَّ أو دُعَائِي . انتهى ، ولم أره لغيره .

(١) أمالي القاللي ١ : ٢٥١ . ونظيره في اللسان (كتع) والأصمعيات ١٧٦ ، لعمرو بن

معلِكرب :

وكم من غائط من دون سلمى قليل الأنس ليس به كتيع

(٢) ش : « الحادى عشر » ، ولا تلتم مع سبقها بكلمة « العاشرة » .

الثانية عشرة ^(١) : شَفَر ، بفتح الشين وضمها مع سكون الفاء فيهما ،
حكاهما القالى عن اللحياني . قال ابن السَّيِّد : ما بها شَفَر ، أى ما بها قليل
ولا كثير ، من قولك : شَفَّرَ بالتشديد ، إذا قَلَّ . وزاد صاحب العباب عن
الفرَّاء : شَفْرَةٌ بالفتح والهاء ، وأنشد عن شمر :

رَأْتُ إِخْوَتِي بَعْدَ الْجَمِيعِ تَفَرَّقُوا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَاحِدًا مِنْهُمْ شَفَرُ ^(٢)

وقول الشارح المحقق : « وقد لا يصحب نفياً » ، أى يقع في
الإيجاب . وأورد له صاحب العباب قولَ ذى الرمة :

تَمَّرَ لَنَا الْأَيَّامُ مَا لَمَحَتْ لَنَا بَصِيرَةٌ عَيْنٍ مِنْ سِوَانَا إِلَى شَفَرٍ ^(٣)

وقال : أى تَمَّرَ بنا . ويروى : « إلى سَفَر » يريد المسافرين .

الثالثة عشرة : دُبِّي ، بضم الدال وكسر الموحدة المشددة بعدها ياء
نسبة . في العباب : قال الكسائي : هو من دببت ، أى ليس فيها من يدبُّ .
وقال ابن السَّيِّد : هذا على غير القياس ، والقياس ديببى ، لأنه منسوب إلى
الديبب .

الرابعة عشرة : دَبَّيْح بكسر الدال وكسر الموحدة المشددة . قال ابن
السَّيِّد : هو من الدَّبَّح ، وهو النَّقْش والتَّزْيِين . ورواه بعضهم : دَبَّيْح بالحاء
المهملة ، ولا وجه له إلا أن يكون فَعِيلًا من قولهم : دَبَّحَ الرَّجُلُ بالتشديد ، إذا
طَأْطَأَ رَأْسَهُ . انتهى . وقال صاحب (العباب) : شكُّ أبو عُبيد في الجيم

(١) ش : « الثانية عشر » . وكذا يستمر التعداد على هذا النمط الخاطيء فيها إلى « التاسعة
عشر » .

(٢) ط : « رأيت » ، صوابه في ش واللسان (شفر) . والكلام بعده إلى لفظ « المسافرون »
ساقط من ش .

(٣) ديوان ذى الرمة ٢٦٨ . أى ما نظرت منا عين إلى إنسان سوانا ، وذلك لانقطاعهم في
السفر في الفلاة .

والحاء ، وسأل عنه بالبادية جماعة من الأعراب : فقالوا : ما بالدار دُبِّي ، وما زادوا على ذلك . ووُجد بخط أنى موسى الحامض : ما بالدار دُبِّيَّج ، موقع بالجيم ، عن ثعلب . وقال ابن فارس : الحاء فى هذه الكلمة أقيس من الجيم . قال : وإن كان بالجيم كما قيل فليس من هذا ، ولعلّه يكون من دُبِّي من الدَّيب ، ثم حوّلت ياء النسبة جيماً على لغة من يفعل ذلك . انتهى . وقال القائل : أنشد ابن الأعرابي :

هَلْ تَعْرِفُ الْمَنْزَلَ مِنْ ذَاتِ الْهُوجِ ^(١) ليس بها من الأنيس دُبِّيَّج
وهو فَعِيل من الدَّبَج ، وهو النقش والتزيين ، وأصله فارسي مأخوذ من الدَّبِيج .

الخامسة عشرة : وَاَبْرَ ، بالواو وكسر الموحدة . قال ابن السَّيِّد : يجوز أن يكون معناه ذا وَبَرٍ ، أى مالك إبل . ويجوز أن يكون معناه مَخِيْمٌ بخباء من وَبَرٍ . وأنشد القائل عن ابن الأعرابي :

يَمِينًا أَرَى مِنْ آلِ زَبَانَ وَابْرًا فُيْفِلَتْ مَنَى دُونَ مَنْقَطَعِ الْحَبْلِ

والفعل منقَى فى جواب القسم ، أى لا أرى . وأنشد (صاحب العباب) أيضاً :

فَأَبْتُ إِلَى الْحَيِّ الَّذِينَ وَرَاءَهُمْ جَرِيضًا وَلَمْ يَفْلَتْ مِنَ الْجَيْشِ وَابْرُ ^(٢)

وفى غالب نسخ الشرح : « آبر » بدل وابر ، وهو اسم فاعل من

(١) فى النسختين : « المنزل ذات الهوج » ، صوابه من أمالى القائل وسمط اللآلئ ٥٦٥

(٢) اللسان (و بر) .

أُبرت النخلة ، إذا أُصلحت باللقح . ولم أر من ذكرها في هذه الكلمات ، مع أنها لا تلزم النفى . ووقع في التسهيل أيضًا آبر ، قال الدماميني : هو تحريف من التُّسَاخ ، فإنَّ « آبرًا » يستعمل في الإيجاب ، والصواب : وابر ، بالواو .

السادسة عشرة : آبز ، قال الشارح : هو بالزاي ، وهو اسم فاعل من أَبَزَّ الظبى يَأْبِزُ أَبْزًا وأُبُوزًا : وثب أو تطلَّق في عدوه . والآبز أيضًا : الإنسان الذى يستريح في عدوه ثم يمضى . ولم أرها أيضًا في هذه الألفاظ مع أنها لا تلزم النفى . وإن قلنا إنها وابر ، أولها واو ، فليست مادة الواو والباء والزاي موجودة . ولا أشك أنَّ هذه الكلمة تصحفت على الشارح إمَّا من آبن بالنون ومدَّ الهمزة ، وهى في التسهيل ونقلها القالى عن ابن الأعرابى . قال الدماميني : آبن على زنة اسم الفاعل من أبنه ، إذا عابه ، أى ٢٩٩ ما فيها من يعيب ، وذلك جنسُ الإنسان ، وإمَّا من وابن ، نقل القالى عن اللحيانى : ما بها وابن بالواو والموحدة . قال صاحب القاموس : وما فى الدار وابن بالموحدة كصاحب ، أى أحد ، مأخوذ من الوَبْنة وهى الجَوعة .

السابعة عشرة : تأمور : قال ابن السَّيِّد : حكى أبو زيد : ما بها تأمور ، أى أحد ، بالهمز . ويقال أيضًا : ما فى الرَكِيَّة تأمور ، يعنى الماء . وكذا نقل القالى عن أبى زيد . والتأمور ، بلا همز : الدَّم . ويقال دم النَّفس . قال أوس بن حجر يحضض عمرو بن هند على بنى حنيفة فى قتل المنذر بن ماء السماء :

أُنْبِثْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَدْخَلُوا أَيَّائِهِمْ تَامُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ (١)

قال الأصمعي : يعنى مُهَجَّة نفسه . والتامور : الخمر ، والزعفران أيضاً .

الثامنة عشرة : تُوْمُور ، بضم التاء والهمز ، نقل القالى عن اللحياني : ما بها تامور ولا تُوْمُور بالهمز ، أى أحد .

التاسعة عشرة : تُوْمُور ، بضم التاء بلا همز .

العشرون : تُوْمُرِي ، بضم التاء والميم . قال ابن السكيت : وما بها تُوْمُرِي منسوب إلى تامور . وبلاذّ خلأء (٢) : ليس بها تومري . ويقال للمرأة : ما رأيت تومرياً أحسن منها ، للمرأة الجميلة ، أى لم أر خلقاً . وما رأيت تومرياً أحسن منه . انتهى . قال شارحه ابنُ السَّيِّد : تُوْمُرِي منسوب إلى التامور ، وهو دم القلب ، نسبة على غير قياس .

وهذه الكلمات الأربعة من مادة التمر .

الحادية والعشرون : تُمِّي ، بضم النون وتشديد الميم وتشديد الياء . قال صاحب القاموس : وما بها تُمِّي كُفْمِي : أحد . والتُمِّي أيضاً : الخيانة ، والعيب ، والطبيعة ، وجوهر الإنسان وأصله . وقال القالى : هو من نمت ، وهو منسوب على خلاف القياس إلى التَّمَّة بالكسر ، وهى القَمْلَة . فالتُمِّي معناه ذو قمل . وهذه الكلمة ليست موجودة (فى الإصلاح) ، وهى مذكورة (فى التسهيل) . هذا ما ذكره الشارح المحقق . وهو فى هذا تابع لابن مالك .

(١) ديوان أوس بن حجر ٤٧ واللسان (تمر) .

(٢) ط : د خلا ، صوابه فى ش .

وبقيت كلماتٌ أُخرُ أُوردها ابن السكيت ، هي : صافر . قال شارحه : هو اسم فاعل من صَفَرَ الرجلُ يصفِرُ صغيرًا ، إذا صَوَّتَ بِنَفْسِهِ . ونافخ ضَرَمَةٌ بفتح الضاد والراء ، قال شارحه : أى نافخ حَطْبَةٍ فيها نار .

وصَوَّات ، وهو فَعَّالٌ من الصوت .

ولاعى قَرَوٍ ، بالعين المهملة وفتح القاف وسكون الراء بعدها واو . قال شارحه : أمَّا لاعى فَلَاعَقٌ حريص ، يقال رجلٌ لَعَوٌ وَلَعًا ، وكلبة لَعَوَةٌ كذلك . والقَرَوُ : مِيلَغَةُ الكَلْبِ ، فكأنَّ معناه : ما بها كَلْبٌ ولا ذئب . وقال صاحب الصحاح : « يقال ما بها لاعى قَرَوٍ ، أى ما بها مَنْ يلحس عُسًا ، معناه ما بها أحد » .

ومنها : « ما بها ناخر » قال شارحه : ناخر : اسم فاعل من نَخِرَ يَنْخِرُ ، إذا رَدَّدَ نَفْسَهُ فى خيشومه .

ومنها : ما بها نابح ، قال شارحه : يعنى كَلْبًا . يقال تَبَّحَ الكلبُ يَنْبَحُ بكسر الباء وفتحها ، فهو نابح ونَّبَّاح .

ومنها : أنيسٌ . قال شارحه : هو فعيلٌ من أنَسَ بالشيء . غير أنه لا يستعمل إلا فى الجَحْد . قال :

• وبلدٍ ليسَ بها أنيسٌ ^(١) •

(١) لجران العود فى ديوانه ٥٢ . وبعده :

• إلا اليعافير وإلا العيس •

والكلام بعده إلى نهاية البيت التالى ساقط من ش .

ويرد عليه قوله ، كما يأتي قريباً :

أَذْنُبُ الْقَفْرَ أَمْ ذَنْبٌ أَنْيْسُ أَصَابَ الْبَكَرَ أَمْ حَدَّثَ اللَّيَالِي (١)

فهذه ستة أخرى .

وأورد أيضاً : ما بها داع ولا مجيب .

ولا يخفى أن هذا لا يختص بالنفى .

ولم يزد شارحه على قوله : داع من الدعاء ، ومجيب من الإجابة .

وأورد : ما بها راغ ولا تاغ . قال شارحه : قد تستعملان في غير النفي (٢) ؛ لأنَّ الثغاء صوت المعز ، والرغاء صوت الإبل . ومعلوم أنَّهما قد يستعملان في الإيجاب والنفي .

وهذه كلمات أخرى (من أمالي القالي) : ما بها دَوَّى منسوب إلى الدَّوْيَةِ . وقال صاحب الصحاح : ما بها دَوَّى أى أحد ممن يسكن الدَّو وهو أرض من أرض العرب . وربما قالوا : داوِيَّة قلبوا الواو الأولى الساكنة ألفا لانفتاح ما قبلها . ولا يقاس عليه .

ومنها : ما بها عين . وزاد أبو عبيد عن الفراء : ما بها عائن . وزاد اللحياني : ما بها عائنة . قال صاحب الصحاح : عائنة بنى فلان : أموالهم ورُعْيَانِهِمْ . وما بها عائن ، وكذلك ما بها عين ، أى أحد . وبلد قليل العين ، أى قليل الناس . انتهى .

(١) ستأتي نسبه إلى الخطيئة في ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢) ش : « قد يستعملان في الإيجاب والنفي . وما بعده إلى كلمة « النفي » التالية ساقط من ش .

فَعَلِمَ أَنَّ عَيْنًا وَعَائِنَةً لَا يَلْزِمَانِ النَّفْيَ . وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ (فِي
 شَرْحِ الْإِصْلَاحِ) : حَكَى عَنِ الْفَرَّاءِ : مَا بِهَا عَائِنٌ وَمَا بِهَا عَيْنٌ . فَأَمَّا عَائِنٌ
 فَلَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْإِيجَابِ ، وَأَمَّا الْعَيْنُ فَهَمُّ أَهْلِ الدَّارِ ، فَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي
 الْإِيجَابِ . قَالَ الرَّاجِزُ :

* تَشْرَبُ مَا فِي وَطْبِهَا قَبْلَ الْعَيْنِ *

ومنها : مَا بِهَا طَارِفٌ ، أَيْ مِنْ يَطْرِيفُ بَعِينُهُ ، أَيْ يَنْظُرُ بِهَا . فَهَذِهِ
 ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ ، فَالْمَجْمُوعُ تِسْعُ كَلِمَاتٍ .

* * *

وَأَنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِى وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ ^(١) :

٥٤١ (لَهَا ثَنَائَا أُرْبَعٌ حِسَانُ وَأُرْبَعٌ فَتَغْرُهَا ثَمَانُ)

عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَحْذَفُ الْبَاءُ مِنْ ثَمَانِي وَيَجْعَلُ الْإِعْرَابُ عَلَى النَّونِ .

وَأَسْتَشْهَدُ بِهِ صَاحِبُ الْكَشَافِ لِقِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَ : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارُ
 الْمُنَشَّاتُ ^(٢) ﴾ ، بِحَذْفِ الْبَاءِ مِنَ الْجَوَارِ وَرَفْعِ الرَّاءِ كَمَا فِي ثَمَانٍ .

وَأَنْكَرَ الْحَرِيرِيُّ (فِي دُرَّةِ الْغَوَاصِ) حَذْفَ هَذِهِ الْبَاءِ .

وَقَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ فِيمَا كَتَبَ عَلَيْهِ : الْكُوفِيُّونَ يَجِيزُونَ حَذْفَ هَذِهِ الْبَاءِ فِي
 الشَّعْرِ . وَأَنْشَدَ عَلَيْهِ ثَعْلَبٌ قَوْلَهُ :

لَهَا ثَنَائَا أُرْبَعٌ حِسَانُ وَأُرْبَعٌ فَتَغْرُهَا ثَمَانُ . اهـ

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْتَصٍ بِالشَّعْرِ بِدَلِيلِ الْحَدِيثِ الَّذِي أَوْرَدَهُ

(١) التصريح ٢ : ٢٧٤ والأشعرى ٤ : ٧٢ واللسان (ثمن ٢٣١) .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرحمن .

الشارح المحقق ، وهو (في صحيح مسلم ، في باب الكسوف) ، عن ابن عباس أنه قال (١) : « صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ » ، قال شارحه النووي : قوله ثمان ركعات في أربع سجدات ، أى ركع ثمان مرات ، كل أربع في ركعة ، وسجد سجدتين في كل ركعة . وقد صرح بهذا في الكتاب. في الرواية الثانية .

ولا أعرف صاحب هذا الرجز . وأنشد المعري (في شرح ديوان البحتری (٢)) قيل هذين البيتين :

* إِنَّ كُرْيَا أُمَّةً مَيْسَانُ *

وَكُرْيَا ، بضم الكاف وفتح الراء وتشديد المثناة التحتية : اسم أمة . والأمة : خلاف الحرة . وميسان ، بكسر الميم : فيعال من الميس ، وهو مصدر ماس يميس ميساً وميساناً أيضاً ، وهو التبخر . أراد أنها تتبختر في مشيها .

وقوله : (لها ثنایا) إلخ هي جمع ثنية ، وهي أربع من مقدم الأسنان ثنتان من فوق وثنان من تحت . وحذف التاء من أربع لأن المعلوم وهي الثنية مؤنث . وأراد بالأربع الثانی الرباعيات ، بفتح الراء ، وتخفيف الياء ، جمع رباعية على وزن ثمانية . والرباعيات : أربع أسنان ، ثنتان من يمين الثنية ، واحدة من فوق وواحدة من تحت وثنان من شمالها ، كذلك . و (الثغر) : المبسم ، على وزن مجلس ، وهو موضع البسم . يقال بسم بسمًا من باب ضرب ، إذا ضحك قليلاً . وابتسم وتبسم كذلك . والإنسان إذا تبسم فأنما يرى من أسنانه الثنایا والرباعيات ، وهي ثمانية .

٣٠١

(١) كلمة « قال » ليست في ش .

(٢) هو المسمى « عبث الوليد » . وقد طبع بمطبعة الترق بدمشق ١٩٣٦ بعناية محمد عبد الله

المنفى .

واعلم أنَّ أسنان الإنسان أربع وثلاثون سِنًا ^(١) : أربع ثنانيا : وأربع رباعيَّات ، وأربعة أنياب ، وأربعة نواجذ ، وستة عشر ضرسا . وبعضهم يقول : أربع ثنانيا ، وأربع رباعيَّات ، وأربعة أنياب ، وأربعة نواجذ ، وأربع ضواحك ، واثنتا عشرة رَحَى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد الخمسمائة ^(٢) :

٥٤٢ (ثلاثة أنفُس وثلاث ذوِدٍ لقد جَارَ الزمانُ على عِيَالِي)

على أنه يجوز إضافة العدد إلى اسم الجمع ، وهو هنا النُّود .

وأنشده سيويوه شاهداً على تأنيث ثلاثة أنفُس ، وكان القياس ثلاث أنفُس ، لأنَّ النفس مؤنثة ؛ لكن أثَّ لكثرة إطلاق النفس على الشخص . ويأتي نصّه بعد أربعة شواهد .

ذكر الأصبهاني (في الأغاني) بسنده ، أنَّ الخطيئة خرج في سَفَرٍ له حين عمَّ الغلاء ^(٣) ، ومعه امرأته أمامة ، وبنته مُليكة ، فنزل منزلاً وسرَّح ذوداً ثلاثاً ، فلما قام للرَّواح فقد أحدها فقال :

(١) كُنا . والصواب أنها اثنتان وثلاثون ، كما في المخصص ١ : ١٤٦ وكما يقتضيه العد والتفصيل التالى . وقد تبه لذلك مصحح طبعة بولاق . وفي اللسان (ربع ٤٦٥) : قال الأصمعي : للإنسان من فوق ثنتان ، ورباعيتان بعدهما ، ونابان ، وضاحكتان ، وستة أرحاء من كل جانب ، وناجلتان . وكذلك من أسفل . ومجموع ذلك اثنتان وثلاثون سنا .

(٢) فاته أن يذكر هنا أنه من شواهد سيويوه . وانظر سيويوه ٢ : ١٧٥ ومجالس ثعلب ٣٠٤ والخصائص ٢ : ٢١٤ والإنصاف ٧٧١ والعيني ٤ : ٤٨٥ والتصریح ٢ : ٢٧٠ والمجم ١ : ٢/٢٥٣ ، ١٤٩ ، ١٧٠ والأشعوري ٤ : ٦٣ ودويوان الخطيئة ١٢٠ .

(٣) حين عمَّ الغلاء ، ليست في الأغاني ٢ : ٤٧ .

أُذْتُبُ الْفَقْرَ أَمْ ذُتُّبُ أَنْيْسَ أَصَابَ الْبَكْرَ أَمْ حَدَثُ اللَّيَالِي
وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُ ذَوْدٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي

سَرَّحَ الدَّابَّةَ : أَطْلَقَهَا لِتَرْعَى .

و (الذُّود) من الإبل ، قال ابن الأنباري : سمعت أبا العباس يقول :
ما بين الثلاث إلى العشر ذَوْدٌ .

وقال الفارابي : وهى هنا ثلاثة ، وهى مؤنثة .

وقال (فى البارع) : الذُّود لا تكون إلا إناثاً .

ويُرِدُّ عليه قوله أَصَابَ الْبَكْرَ ، بفتح الباء ، وهو الفتى من الإبل .

وَالرُّوَّاح : المسير . وَالْفَقْر : الخلاء والمفاضة . وَأَرَادَ بِالذُّتُّبِ الْأَنْيْسِي
السَّارِقَ . وَحَدَّثَ اللَّيَالِي بفتحيتين : ما يحدث فيها من المصائب ، والمراد مطلق
الحديث لا يَقْيِدُ كونه بالليل . وَأَصَابَ : أدرك ، وفاعله ضمير الذُّتُّبِ ، وَالْبَكْرُ
مفعوله ، أَرَادَ : ما أدرى كيف تلف البكر ، أَصَابَهُ أَحَدُ الذُّتُّبِينَ ، أَمْ حَدَثُ
اللَّيَالِي .

وقوله : (ثلاثة أنفسي) خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن ثلاثة .

و (العيال) بكسر العين : أهل البيت ، ومن يمونه الإنسان ، الواحد عَيْلٌ
كجباد جمع جيد .

وترجمة الحُطَيْيَةِ تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة (١) .

ورأيت (فى أمالى الزجاجي الوسطى (٢)) قال : أخبرنا الأشناداني

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ - ٤١٣ .

(٢) لم ترد فى صلب أمالى الزجاجي . وقد أثبتنا فى ملحقات الأمالى ٢٣٣ .

عن العُتْبِيِّ عن رجلٍ من قریش قال : حضرت مجلسَ عبد الملك وعنده بطنٌ من بنى عامر بن صعصعة ، وكان رجلٌ بينهم معه ابتاه وذودُهُ ، وهنَّ ثلاثٌ ، فراح ذودُهُ يوما ، ففقدَ منها واحدًا ، فنشده - أى سأل عنه وطلبه - فلم يُنشد ، فأوفى على صخرة وأنشأ يقول :

(أَذْتُبُ الْقَفْرَ أَمْ ذْتُبُ أَنْيْسَ سَطَا بِالْبَكْرِ أَمْ صَرَفُ اللَّيَالِي
وَأَنْتُمْ ، لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ عَدُوًّا عَدِيدُ الثَّرْبِ مِنْ أَهْلِ وَمَالِ
وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُ ذُودِ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي ^(١)
لَوْ مَوْلَى ضِيَابٍ عَالٍ فِيهِمْ لَجَرَّ الدَّهْرُ عَنْ حَالٍ لِحَالِ ^(٢)
وَمَوْلَاهُمْ أُمِّي لَا عَيْبَ فِيهِ وَفِي مَوْلَاكُمْ بَعْضُ الْمَقَالِ
هَلُمَّ بَرَاءَةً وَالْحَيُّ ضَااح وَإِلَّا فَالْوَقُوفُ عَلَى إِلَالِ
دَعَا دَاعِيَ الْقُلُوصِ عَلَى ثَبِيرِ أَلَا أَيْنَ الْقُلُوصُ بَنَى قِتَالِ

٣٠٢

فطلبوا له ذودُهُ فردُّوها عليه ، وغرموا له وقالوا : اخرج عنا . انتهى .

وسطا بكذا وعليه : بطش بشدة . والصرف ، بالفتح : حادث . وأنتم مبتدأ ، وعديد خبره ، والجملة دليلٌ لجواب لو . والعُدو : مصدر عدا عليه ، أى ظلمه وتجاوز الحد . وعال الزمان ، بالعين المهملة ، أى جار ، مصدره العَوْل .

والمولى هنا : حليف القوم . وضياب بالكسر : قبيلة . وعال هنا بمعنى افتقر وصار ذا عيلة . وجَرَّ بالبناء للمفعول ، والدهر نائب الفاعل . يُونْخَهُمْ بَأْتُهُ مَوْلَى لَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذُوا بِيَدِهِ .

(١) ش : « لقد عال الزمان » .

(٢) هكذا ضبط البغدادى الدهر بالشرح بعده : ولو نصب « الدهر » على الظرفية لكان أولى .

وَهَلُمَّ هُنَا بِمَعْنَى احْضُرُوا . وَبِرَاءَةٌ : مَفْعُولٌ لَهُ . وَضَاحٌ : بَارِزٌ . وَإِلَالٌ
بِكَسْرِ الِهِمَزَةِ وَلاَمَيْنِ : جَبَلٌ بِعَرَفَاتٍ . يَعْنِي إِنْ لَمْ تَحْضُرُوا لِلْبِرَاءَةِ فِي حَالِ
حَالٍ كَوْنِ الْحَيِّ ضَاحِيًا فَتَحْنُ نَقْفَ مَعَكُمْ عَلَى إِلَالٍ .

وَدَاعِي فَاعِلٌ دَعَا . وَالْقَلُوصُ : النَّاقَةُ الشَّابَّةُ . وَثَبِيرٌ : جَبَلٌ بَيْنَ مَكَّةَ
وَمِنَى . وَقَتَالٌ ، بِالْكَسْرِ : اسْمُ رَجُلٍ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمَائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
أَيَّاتِ الْمَفْصَلِ (١) :

٥٤٣ (ثَلَاثٌ مِثْنَيْنِ لِلْمُلُوكِ وَفِي بَهَا رِدَائِي وَجَلَّتْ عَنْ وُجُوهِ الْأَهَاتِمِ)

عَلَى أَنَّهُ جَاءَ ثَلَاثُ مِثْنَيْنِ فِي ضَرُورَةِ الشُّعْرِ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَفْصَلِ : وَقَدْ رَجَعَ إِلَى الْقِيَاسِ مِنْ قَالَ :

ثَلَاثُ مِثْنَيْنِ الْبَيْتُ

قَالَ ابْنُ يَعِيشَ : هَذَا فِي الشُّعْرِ عَلَى الْقِيَاسِ ، لِأَنَّ الشُّعْرَ يَفْسَحُ لَهُمْ فِي
مَرَاجِعَةِ الْأَصُولِ الْمَرْفُوضَةِ . فَهَذَا ، وَإِنْ كَانَ الْقِيَاسُ ، إِلَّا أَنَّهُ شَاذٌ فِي
الِاسْتِعْمَالِ . وَكَذَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ : إِذَا كَانَ مَفْسَّرُ الثَّلَاثَةِ وَأَخَوَاتُهَا مِائَةً فَيُفْرَدُ ،
نَحْوَ ثَلَاثِائَةٍ . وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَجْمَعَ فَيُقَالُ ثَلَاثُ مِثْنَيْنِ أَوْ مِثْنَيْنِ . إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ

(١) ابْنُ يَعِيشَ ٦ : ٢١ . وَانْظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٢ : ١٧٠ وَأُمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٢ : ٢٤ ، ٦٤

وَالْمَعْنَى ٤ : ٤٨٠ وَالتَّصْرِيعُ ٢ : ٢٧٢ وَالْأَخْمَرِيُّ ٤ : ٦٥ وَالنَّقَائِصُ ٣٧١ وَدِيوانُ الْفَرَزْدَقِ ٨٥٣ .

لا تجمع المائة إذا أضيف إليها عددٌ إلا قليلا ، كقوله :
ثلاث مئين للملوك ... البيت

وكلُّهم من سيبويه ^(١) قال : يقال ثلثمائة ، وكان حقُّه أن يقولوا مئين أو مئآت ، كما تقول ثلاثة آلاف ، لأنَّ ما بين الثلاثة إلى العشرة يكون جماعة نحو : ثلاثة رجال ، وعشرة رجال ، ولكنَّهم شبهوه بأحد عشر وثلاثة عشر . انتهى .

والنون من مئين منوَّنة . قال شارح اللباب ، قالوا : قُتِلَ في معركة ثلاثة من ملوك العرب ، وكانت دياتُهم ثلثمائة بعير ، فرهن رداءه بالديات الثلاث ، وهو دليلُ شرفه . (والأهاتم) بنقطتين من فوق : بنو الأهتم بن سنان بن سُمَيٍّ . وإنَّما سُمِّيَ بذلك لأنَّه كسرت ثنيته يوم الكلاب . . والهتم : كسر الشايبا من أصلها . انتهى .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : قوله ثلاث مئين ، قيل غرم ثلاث ديات فرهن بها رداءه . وكانت الدية مائة إبل ، والمعنى ثلثمائة إبل . وفي بها ردائي حين رهنته بها ، وجَلَّتْ تلك المئوَنُ المرهونُ بها ردائي حين أديتها ، وجَلَّتْ فَعَلَتِي هذه العارَ عن وجوه الأهاتم ، وهم قوم الأهتم ، وهو لقب سنان بن سُمَيٍّ ، لأنَّه هتمت ثنيته يوم الكلاب . وفي البيت وصفٌ لعظم شأنه ، لأنَّه لا يُقدَّم على تحمل الديات والغرامات إلا السيِّد العظيم الشأن . ووصفٌ لنفاسه بُرده وغلاء ثمنه ، حيث رهنه بثلثمائة من الإبل . وفيه تأكيدٌ لعظم شأنه ^(٢) . انتهى .

(١) انظر سيبويه ١ : ١٠٦ - ١٠٧ بولاق و ١ : ٢٠٩ من نسختي .

(٢) ش : ع : بعظم شأنه .

وقوله : « ووصف لنفاسة برده » إلخ ليس رهن البردة لأنها تقاوم ثمن الإبل المذكورة ، بل لأن الشريف إذا رهن شيئاً ولو كان حقيراً فلا بد له من فكأكه لئلا يلزمه العار ، ولو مات فكّه بنوه أو أقاربه . ومصدق ذلك ما قدّمناه في ترجمة أوى تمام من حكاية كسرى مع حاجب بن زُرارة ، في الشاهد الرابع والخمسين (١) .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق مذكورة (في المناقضات) وليست رواية البيت كذا ، وإنما هي :

فَدَى لِسِيُوفٍ مِنْ تَمِيمٍ وَفِي يَهْيَا رَدَائِي وَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الْأَهَاتِمُ (٢)

قال شارح المناقضات : يعنى بالأهاتم الأهتَمَ بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فعُرف أنَّ الأهتَمَ ليس لقباً لسنان بن خالد ، ولا سنان هو ابن سَمَى كما تقدّم . ومثى عليه العيني .

وناقضه جرير بقصيدة مثلها منها :

فَغَيْرِكَ أَدْنَى لِلْخَلِيفَةِ عَهْدُهُ وَغَيْرِكَ جَلَى عَنْ وَجْهِهِ الْأَهَاتِمُ

قال شارحها : قوله فغيرك أدنى إلخ ، يعنى وكيع بن حسان بن قيس ، قتل قتيبة بن مسلم فتكاً ، وبعث برأسه إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان وطاعته (٣) ، لأن قتيبة كان خلع سليمان .

وقصة رداء الفرزدق رواها أبو عبيدة ، قال : كان الفرزدق بالمدينة حين جاءت وقعة وكيع ، وحجّ سليمان بن عبد الملك فبلغه بمكة وقعة وكيع

(١) الخزائن ١ : ٣٥٤ - ٣٥٦ .

(٢) رسمت « فدى » في ط بالألف في هذا الموضع وتاليه .

(٣) في النقائض ٤٠٠ : « وبعث بطاعته مع الرأس » .

بقتيبة ، فخطب الناس بمسجد عرفات : فذكر غدر بني تميم ووثوبهم على سلطانهم ، وإسراعهم إلى الفتن ، وأنهم أصحاب فتن وأهل غدر وقلة شكر ، فقام إليه الفرزدق فقال وفتح رداءه : يا أمير المؤمنين ، هذا ردائي رهن لك بوفاء بني تميم ، والذي بلغك كذب ! فقال الفرزدق في ذلك حيث جاءت بيعة وكيع لسليمان :

(فدى لسيوف من تميم وفى بها
شقين حزازات الصدور ولم تدع
أبانا بهم قتلى وما فى دمائهم
جزى الله قومي إذ أراد خفارقى
هم سمعوا يوم المحصب من منى
ندائى إذا التفّت رفاق المواسم^(١)
ردائى وجلت عن وجوه الأهاتيم
علينا مقالا فى وفاء للائم
وفاء وهن الشافيات الحوائم
قتيبة سعى الأفضلين الأكارم^(٢)

والحوائم : العطاش التى تحوم حول الماء . وخفض الحوائم على معنى الحسن الوجه . انتهى .

وترجمة الفرزدق تقدّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب^(٣) .

وقال العيني : الرداء فى البيت الشاهد بمعنى السيف . وأنشد عليه بيتا^(٤) ثم قال : ثلاث معين مبتدأ ، وجملة وفى بها خبره . وجلت بالتشديد ،

(١) الخفارة : الذمة ، وانتهاكها . والمراد هنا انتهاكها .

(٢) وفيها يقول أيضا (الديوان ٨٥٤) :

فإن فك قيس فى قتيبة أغضبت
وما كان إلا باهليا مجدعا
ويقول لجرير أيضا :

أتغضب أن أذنا قتيبة حزنا
جهارا ولم تغضب ليوم ابن خازم

(٣) الخزنة ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٤) هو قول الشاعر :

ينازعنى ردائى عبد عمرو
روينا يا أخا سعد بن بكر

بمعنى جَلَّتْ بالتخفيف ، من جَلَّ القوم عن البلد يَجُلُّون بالضم ، إذا جَلَّوْا وخرجوا . والمعنى : كَشَفَتْ رِدَائِي حين وفّت بدايات الملوك الثلاثة ، هَمَّ ذلك ، وتَمَادَيْ الحروب عَنْ أَعْيَانِ الْأَهَامِ وكبرائهم . فافهم . ٣٠٤

هذا كلامه ، وهو كلام من لم يصل إلى العُنُقود .

ورَأَيْت مثل البيت الشاهد في شعر قُرَاد بن حَنْش الصَّارِدِيِّ ، وهو :

ونحنَ رَهْنَا القوسِ ثُمْتُ فُودَيْثَ بِالْأَيْفِ على ظهر الفزاريِّ أقرعا
بعشرٍ مئينٍ للملوكِ سَعَى بها ليوفى سَيَّارُ بن عمرو فأسرعا

قال ابن عبد ربه (في العقد الفريد ^(١)) : إِنَّ سيار بن عمرو بن جابر الفَزَارِيَّ احتمل للأسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله الحارث بن ظالم ، أَلَفَّ بعير ، وهي دية الملوك ، ورهنَهُ بها قوسَهُ ، فوفى . وكان هذا قبل قوس حاجب ابن زرارة .

وقال أبو عبيدة (في مقاتل الفُرسَان) : إِنَّ أَخَا سيار لَأُمُّهُ الحارث بن سفيان الصَّارِدِيُّ تكفلها للأسود ^(٢) ، فقام منها بثمانمائة ثم مات ، فرهن سَيَّار قوسه على المائتين الباقيتين لا غير ، فلمَّا مدح قُرَاد بن حَنْش بنى فزارة جعل الحمالة كُلَّهَا لِسَيَّار . انتهى .

وَأَلَفَ أَقْرَعَ ، بِالْقَافِ ، أَيْ تَامَ .

(١) لم أجد هنا النص في العقد بتتبع فهرسه ، فليس في أعلامه سيار بن عمرو ، ولا الأسود

ابن المنذر .

(٢) ش : « كفلها للأسود » .

وقراد بن حنش : شاعرٌ جاهلي من بني صاردة ، بتقديم الراء على قراد بن حنش
الذال ، وهم فخذ من فزارة .

* * *

[وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٤٤ (وحاتمُ الطائي وهَّابُ المِثْي)

على أَنَّ أصله عند الأخفش : المئين ، فحذفت النون لضرورة الشعر .

وهذا البيت من رجز أورده أبو زيد (في نوادره) في موضعين : الموضع الأول قال فيه : هو لامرأة من بني عامر . والموضع الثاني قال فيه : هو لامرأة من بني عُقيل ، تفخر بأخوالها من اليمن ، وهو :

(حَيْدَةَ خَالِي وَلَقِيطٌ وَعَلِي وَحاتمُ الطائي وهَّابُ المِثْي
ولم يكن كخالِكَ العبدُ الدَّعي يأكلُ أزمانَ الهُزال والسَّني
هَنَاتٍ عَيرٍ مَيِّتٍ غيرَ ذَكِي)

قولها : هَنَاتٍ عَيرٍ ، تعني ذَكَرَ العير ، فكنت عنه لأنَّها امرأة . انتهى

وقال في الموضع الأول : حذف التنوين من حاتم الطائي لالتقاء الساكنين . وقال أبو علي فيما كتبه عليه : خَفَّفْتُ ياءاتُ النسب كلها للقافية . فَأَمَّا المِثْيُ والسَّنيُّ فَإِنَّهَا جُمِعَ على فِعْول ، ثم قلبت الواوَات ياءات فصار مِثْيٍ وسَنِيٍّ ، ثم خَفَّفَ بأنَّ حذف إحدى الياءين كما فعل في على والدعي ، فبقى المِثْيُ والسَّنيُّ . انتهى .

(١) نوادر أبي زيد ٩١ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٨٣ والإنصاف ٣٨٨ وشرح شواهد الشافعية ١٦٣ والعينى : ٥٦٥ عرضا واللسان (ماى ١٣٧) .

(٢) هذا الموضع الأول لم أعثر عليه في النوادر .

وقال أبو بكر بن السراج (في الأصول) : ذكر الأخفش سنين ومئين فقال : فيهما قولان . ثم اختار أحدهما وهو الصحيح عندنا ، فقال : وأما سنين ومئين في قول من رفع النون فهو فَعِيل ، ولكن كسر الفاء ككسرة ما بعدها ، وأجمعوا كلهم على كسرها ، فصارت النون في آخر سنين بدلًا من الواو ، لأنَّ أصلها من الواو . وفي مئين النون بدل من الياء ، لأنَّ أصلها من الياء ، كأنَّها كانت مئى ؛ وقد قالوها في بعض الشعر ساكنةً ، ولا أراهم أرادوا إلا التثقيب ثم اضطروا فخففوا ، لأنَّهم لو أرادوا التخفيف لصار الاسم على فِعْل ، وهذا بناء قليل . قال الشاعر :

حَيْدَةُ خَالٍ وَلَقِيطٌ وَعَلَى وَحَاتِمِ الطَّائِي وَهَابِ الْمِئَى

وأما قولهم : ثلاث مئى ، فإنهم أرادوا بمئى جماعة المائة ، كتمرة وتمر ، تقول فيه : رأيت مئيا مثل مِئَيًا . وقولهم : رأيت مِئًا مثل مِئًا خطأً ، لأنَّ المئى إنما جاءت في الشعر . فنقول : ليس لك أن تدعى أنَّ هذه الياء للإطلاق ، وأنت لا تجد ما هو على حرفين يكون جماعةً ويكون واحده بالهاء نحو تمرة وتمر . قال أبو الحسن : وهو مذهب يونس ، يعنى بالياء . قال : والقياس الجيّد عندنا أن يكون سنين فَعِلِينَا مثل غَسَلِينَ مَحْنُوقَةٍ ، ويكون قول الشاعر سِنَى والمئى مَزْحَمًا . فإن قلت : إن فعلينا لم يجرى في الجمع ، وقد جاء فَعِيلٌ نحو كليب وعبيد ، وقد جاء فيه ما لزمه فَعِيلٌ مكسور الفاء نحو مئين ، فإن من الجمع أشياء لم يجرى مثلها إلا بغير أطراد نحو سَفَر ، وقد جاء منه ما ليس له نظير

نحو عَدَى . وأنت إذا جعلت سنيناً ^(١) فصيلاً جعلت النون بدلاً ، والبذل لا يقاس عليه ولا يطرد ، ومخالفة الجمع للواحد قد كثر ، فَأَنْ تَحْمَلَهُ على ما لا بدل فيه أولى . وليس يجوز أن تقول إنَّ الياء في سنين أصلية وقد وجدتها زائدة في هذا البناء بعينه لَمَّا قلتَ فِعْلَيْنِ وفِعْلَوْنَ ، يعنى أنَّكَ تقول سنين يا هذا أو سنون .

ثم قال : قوله :

وحاتم الطائي وهاب المني يأكل أزمان الهزال والسني

فهذا إما أن يكون رُخْم سنين ومئين ، وإما أن يكون بنى سنة ومائة على سنى ومئى ، وكان أصلهما سِنُو ومِئُو ، فلَمَّا حذف النون ورُخْم بَقِيَ الاسم آخره واو قبلها ضمة ، فلَمَّا أراد أن يجعله اسماً كالأسماء التى لم يحذف منها شيء قلب الواو ياءً وكسر ما قبلها ، لأنه ليس فى الأسماء ما آخره واو قبلها ضمة . فمتى وقع من هذا شيء قلبت الواو ياء . ا هـ .

وقولها : (حيدة خالى) مبتدأ وخبر . وحيدة بفتح المهملة وسكون المشاة التحتية . ولَقِيط بفتح اللام معطوف على حيدة . وكذا على وحاتم ، فيكون أخوالها أربعة . وروى هذين البيتين فقط الأخفش سعيد بن مسعدة (فى كتاب المعاياة) لرجل من طيىء ، وذكر خالداً بدل حاتم .

وقولها : « ولم يكن كخالك » إلخ الكاف مفتوحة لأنها خاطبت رجلاً . والدَّعَى : غير خالص النسب .

وقولها : « يأكل أزمان » إلخ هذا بيان لعدم المشابهة بين خالها

(١) ط : « جعلت شيئاً » ، صوابه فى ش .

وبينه . وأزمان : ظرفٌ ليأكل ، وهو جمع زمان . والهزال بالضم : الضعف من الجوع . والسنى : مرَّحَم سنين جمع سنة ، بمعنى الجذب والقحط .

وهناك مفعول يأكل ، منصوب بالكسرة ، جمع هنة مؤنث هن ، وهو كناية عما يُستقبَح التصريحُ باسمه ، وهو هنا أير الحمار . والعير ، بفتح العين المهملة : الحمار الوحشي والأهلي أيضاً ، والأنثى عيرة . وميت : وصف عير ، وكذلك غير ذكي . والدكي : المذبوح ، خففت الياء للضرورة .

وقال أبو الحسن عليُّ الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبي زيد) : قال أبو سعيد (١) : ورَوى الرياشي مرةً أخرى بدل البيت الأخير :

* هَنَاتٍ غَيْرِ مَيْتَةٍ غَيْرِ ذَكِيٍّ (٢) *

قال أبو الحسن : الأولُ أحبُّ إليَّ ، وهو أجود . والميئة بفتح الميم يكون نعتاً للشيء ، فإذا كسرت كانت الشيء بعينه . قال أبو الحسن : الميئة تكون مصدرًا كقولك القعدة والركبة وما أشبهها ، وتكون نعتًا كقولك : مررت بفرس ميئة فتنته بالمصدر ، كما تقول : مررت برجل عدل ، ثم يصير اسماً غالباً كأجل وما أشبهه ، فتقول : هذا ميئة كما تقول : هذا أجل . والميئة بكسر الميم : الحال التي يكون عليها الشيء ، كقولك : كريم الميئة وحسن الصرعة . والكسر مطرَّد في الحالات كلها ، كما أنَّ الفتح مطرَّد في المرة . هذا الحق عندى الذى لا يجوز غيره . انتهى .

(١) أبو سعيد الحسن بن الحسين البصرى ، المعروف بالسكرى .

(٢) في النوادر : هَنَاتٍ عَيْنٌ ، وما هنا صوابه .

تممة

زعم العيني أن البيت الشاهد من هذا الرجز ، وهو :

أُنِّي لَدَى الْحَرْبِ رِخْيُ اللَّيْبِ عِنْدَ تَنَادِيهِمْ بِهَالٍ وَهَبِ ^(١)

أُمَهْتِي يَخْدِفُ وَالْيَاسُ أُنِّي وَحَاتِمُ الطَّائِي وَهَابُ الْمَثِي

وهذا لا أصل له ، فإنَّ الرجز عنده لقصى بن كلاب ، أحد أجداد النبي ﷺ . وكيف يكون حاتم الطائي أباً لقصى مع أنَّه بعده بمدة طويلة . وقافية الرجز أيضاً تأباه ، وليس في هذا اشتباه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س ^(٢) :

٥٤٥ (إذا عاش الفتي مائتين عاماً فقد ذهب اللذاذة والفتاء)

على أنَّه قد يفرد مميّز المائة ويُنصب ، كما في البيت .

وأوردهُ سيبويه في موضعين : الأول (في باب الصفة المشبهة بالفاعل) وذكر أسماء العدد وعملها في الأسماء التي تبيّنُها بالجر والنصب . حتى انتهى إلى قوله : « فإذا بلغت العقد تركت التنوين والنون وأضفت ، وجعلت الذي يعمل فيه وتبيّن به العدد من أيّ صنف هو ، واحداً ، كما فعلت ذلك فيما

(١) ط : « أن لدى الحرب » ، صوابه في ش .

(٢) في كتابه ١ : ١٠٦ ، ٢٩٣ . وانظر المقتضب ٢ : ١٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٢ والمعمرين ٧ وأمالى المرتضى ١ : ٢٥٤ والجمل ٢٤٦ وابن يعيش ٦ : ٢١ والمقرب ٦٦ والاقتضاب ٣٦٩ والعيني ٤ : ٤٨١ والممع ١ : ٢٥٣ والتصریح ٢ : ٢٧٣ والأشعري ٤ : ٦٧ واللسان (فقا ٣) .

نَوْنَتْ . إِلَّا أَنَّكَ تَدْخُلُ فِيهِ الْأَلْفَ وَاللَّامَ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ يَكُونُ بِهِ مَعْرِفَةٌ
وَلَا يَكُونُ الْمُنَوَّنُ بِهِ مَعْرِفَةٌ . وَذَلِكَ قَوْلُكَ : مِائَةُ دِرْهَمٍ وَمِائَةُ الدِّرْهَمِ . وَكَذَلِكَ إِنْ
ضَاعَفْتَهُ ، فَقُلْتَ : مِائَتَا الدِّرْهَمِ وَمِائَتَا الدِّينَارِ ، وَكَذَلِكَ الَّذِي بَعْدَهُ ، وَاحِدًا
كَانَ أَوْ مِثْنِي . وَذَلِكَ قَوْلُكَ : أَلْفٌ دِرْهَمٍ وَأَلْفَا دِرْهَمٍ . وَقَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ
بَعْضُ هَذَا مِثْوَنًا . قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ ضُبَيْعٍ الْفَزَارِيُّ :

* إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتِينَ عَامًا * انتهى .

والموضع الثاني (باب كم) قال فيه : « لَأَنَّهُ لَوْ جَازَ إِذَا اضْطُرَّ
شَاعِرٌ ^(١) فَقَالَ : ثَلَاثَةُ أَثْوَابَا ، كَانَ مَعْنَاهُ مَعْنَى ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتِينَ عَامًا * انتهى .

قَالَ الْأَعْلَمُ : الشَّاهِدُ فِيهِ إِثْبَاتُ النَّونِ فِي مِائَتَيْنِ فِي ضَرُورَةٍ ، وَنَصَبُ
مَا بَعْدَهَا ، وَكَانَ الْوَجْهَ حَذْفُهَا وَخَفْضُ مَا بَعْدَهَا ، إِلَّا أَنَّهَا شَبِهَتْ لِلضَّرُورَةِ
بِالْعَشْرِينَ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَثْبُتُ نُونُهُ وَيَنْصَبُ مَا بَعْدَهُ .

وَصَفَّ فِي الْبَيْتِ هَرَمَهُ وَذَهَابَ مَرُوءَتَهُ وَلَذَّتِهِ ، وَكَانَ قَدْ عُمِّرَ نَيْفًا عَلَى
الْمِائَتَيْنِ فِيمَا يَرُوى . وَرُوى : « أَوْدَى » بَدَلَ ذَهَبٍ ، بِمَعْنَى انْقِطَعِ وَهَلَكَ .
وَالْفَتَاءُ : مُصَدِّرٌ لَفْتَى ^(٢) . وَرُوى : « تَسْعِينَ عَامًا » ، وَلَا ضَرُورَةَ فِيهِ عَلَى
هَذَا . انتهى .

(١) فِي سَبِيحِهِ ١ : ٢٩٣ : « لَأَنَّهُ لَوْ جَازَ فِي الْكَلَامِ أَوْ اضْطُرَّ شَاعِرٌ » .

(٢) ش : « مُصَدِّرٌ الْفَتَى » .

ورواية « تسعين » لا أصل لها كما يعلم مما يأتي . وروى : « التخيّل » بدل « اللذّاذّة » . والتخيّل : التكبر وعُجْب المرء بنفسه . وروى بدله : « المسرة » و « المروءة » أيضًا . والفَتَى : الشاب ، وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتِي بالفتح فَتَى ، فهو فتى السنّ بين الفناء . قال الجواليقي : والفتاء مصدرٌ لَفَتَى (١) .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبيات سِتَّة للرّبيع بن ضُبّع الفزاري ، وهي :

(أَلَا أبلغُ بَنَى بَنَى ربيع) فَأَنْذالُ الْبَنِينِ لَكُمْ فداءً (٢)
 بَأْنَى قَد كَبِرَتْ وَدَقُّ عَظْمِي فَلَا تَشْغَلُكُمْ عَنِّي النِّسَاءُ
 ٣٠٧ فَإِنْ كُنَّا نِسَاءً صِدَقَ وَمَا أَلَى بَنَى وَمَا أَسَاءُوا
 إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَأَدْفُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدُمُهُ الشِّتَاءُ
 فَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ فَسِرْبَالٌ خَفِيفٌ أَوْ رِداءُ
 إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا) الْبَيْت

قوله : « فَأَنْذالُ الْبَنِينِ (٣) لَكُمْ فداء » جملة دعائية معترضة . وروى الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : « فَأَشْرارُ الْبَنِينِ » ، قال : وصفهم بِالْبَرِّ . وقوله : « بَأْنَى قَد كَبِرَتْ » الباء متعلقة بقوله أبلغ في البيت المتقدم . وكَبِرَ من باب تعب . ودَقُّ ، أى صار دقيقا . ودَقُّ يَدُقُّ من باب ضرب دِقَّةً : خلاف غُلْظ ، فهو دقيق . وروى : « وَرَقٌ جَلْدِي » ، أى صار رقيقا بالرّاء ، من الرِّقّة . ولا ناهية . وشغل من باب نفع . وَعَنَى أى عن تفقّد

(١) ش : « مصدر لفتى أيضا » .

(٢) ش : « فانزال » ، صوابه و ط .

(٣) ش : « فانزال » ، صوابه و ط .

أمورى وإصلاحها . والكنائن : جمع كَنَّة بالفتح والتشديد ، وهى امرأة الابن والأخ . يريد أنهن نعم النساء . والى بتشديد اللام ، أى ما أبطأوا وما قصرُوا . وهو من ألوت . يقول : ما أبطأ بنى عن فعل المكارم وما يجب عليهم من القيام بأمرى . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : معنى ألى قصر فى برى . يقال ألا يَألو ، فإذا أَكثرت الفعل قلت : ألى يؤلى تألية . انتهى .

وقال أبو حاتم السَّجِسْتَانِي (فى كتاب المعمرين) : حدَّثنا أبو الأسود التُّوشْجَانِي عن العُمَرَى عن أَبِي عمرو الشَّيْبَانِي قال : سألتُ القاسم بن معن عن قوله :

* وما ألى بنى وما أسأوا *

قلت : أبطأوا . فقال : ما تركت فى المسألة شيئاً .

ونقل صاحبُ الصحاح هذه الحكاية مجملة ثم قال : أبو حاتم : والتألية التقصير ، ومن قال « وما آلى » بالمد فمعناه ما أقسموا ، أى لا يبرؤنى . انتهى .

وقال السِّيد المرتضى (فى أماليه) : ألى بالتشديد هو الصحيح ، ومعناه قصر فى قول بعضهم . واللغة الأخرى ألا مخففاً ، يقال ألا الرجل يَألو ، إذا قصر وفتر . فأما آلى بالمد فى البيت فلا وجه له ، لأنه بمعنى حلف ، ولا معنى له ههنا . انتهى .

وقوله : « إذا كان الشتاء » إلخ هذا البيت من أبيات الجمل وغيره .

ويروى : « إذا جاء الشتاء » . وادفعونى : سَحَنُونِي لَدَفًا . يقول : إذا دخل فصلُ الشتاء فدَثَرُونِي بالثياب . فَإِنَّ هذا الفصل يُضعف قُوَّةَ الشَّيْخ وَيَهْدِم عمره ، وَيُخَاف عليه فيه . ودلَّ على أنه يريد أن يدفأ بالثياب لا بغير

ذلك ، قوله بعد البيت : « فَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قَرْ » . والشتاء في غير هذا
الموضع ، يراد به الضيق وشطَفُ العيش ، كما قال الخطيئة :

إِذَا نَزَلَ الشَّتَاءُ بَدَارُ قَوْمٍ تَجَنَّبَ جَارَ يَتِيمِ الشَّتَاءِ

إِذَا الشَّتَاءُ نَفْسُهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُمْ يَوَاسُونَ
مَنْ جَاوَرَهُمْ فَيَتَجَنَّبُهُ الضَّيْقُ وَسُوءُ الْحَالِ وَالْمَعِيشَةِ . ويهدمه ، من هدمت
البناء ، من باب ضرب ، إِذَا أَسْقَطَتْهُ فَانْهَدَمَ . وروى : « يُهْرِمُهُ » بالراء ^(١) ،
أَيُّ يُضْعِفُهُ ، يقال هَرِمَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ تَعَبٍ ، إِذَا كَبُرَ وَضْعُفٌ .

وَالْقَرْ بَضْمُ الْقَافِ : الْبَرْدُ . وَالسَّرْبَالُ بِالْكَسْرِ : الْقَمِيصُ . قَالَ
الْجَوَالِيقِيُّ : وَأَوْ بِمَعْنَى الْوَاوِ .

وقوله : (إِذَا عَاشَ الْفَتَى) إلخ نصب عامًا على التمييز ، كما ينصب ^(٢)
المفرد بعد العشرين وما فوقها . ولمَّا صرفه عن الإضافة نصبه على التمييز وأعمل
فيه مائتين ، ونصب مائتين على الظرف . قال ابن المستوفى : نُسِبَتْ هَذِهِ ٣٠٨
الْأَبْيَاتُ لِزَيْدِ بْنِ ضَبَّةَ . وَالرَّوَايَةُ : « إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِّينَ عَامًا » فَلَا ضَرُورَةَ
وَلَا شَاهِدَ . انْتَهَى

وقول شارح اللباب : وَرَوَى « إِذَا عَاشَ الْفَتَى خَمْسِينَ عَامًا » ، رَوَايَةٌ
وَاهِيَةٌ ، فَإِنَّ ابْنَ الْخَمْسِينَ لَا يَبْلُغُ مِنَ الضَّعْفِ هَذِهِ الرَّتَبَةَ .

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْأَبْيَاتَ لِلرَّبِيعِ بْنِ ضُبْعٍ الْفَزَارِيِّ ، كَمَا رَوَاهَا لَهُ جَمُّ غَفِيرٍ ، الرَّبِيعُ بْنُ ضُبْعٍ
وَهُوَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، أَوْرَدَهُ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ (فِي كِتَابِ الْمُعَمَّرِينَ) وَقَالَ :

(١) بعده في النسختين : « مِنْ بَابِ تَعَبٍ » . وَالْوَجْهُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ تَوْضِعَ بَعْدَ كَلِمَةِ
« الرَّجُلِ » التَّالِيَةِ كَمَا أَثْبَتَ .

(٢) ش : « كَمَا نَصَبَ » .

قالوا : وكان من أطول من كان قبل الإسلام عمراً : ربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة ، عاش أربعين وثلاثمائة سنة ولم يُسلم . وقال لما بلغ مائتي سنة وأربعين سنة :

أصبح مَنى الشباب قد حَسَرَا	إن يَنَّا عُنَى فقد ثوى عُصْرَا
ودَّعْنَا قَبْلَ أَنْ نودَّعَه	لما قضى من جِماعنا وَطَرَا
ها أنا ذا أَمَلُ الخلودِ وقد	أدرك عقلى ومولدى حُجْرَا
أبا امرئ القيس، هل سمعت به	هيهات هيهات طال ذا عُمْرَا
أصِبحْتُ لا أَحمِلُ السِّلَاحَ ولا	أملكُ رأسَ البعيرِ إن نَفَرَا
والذئبَ أخشاه إن مررتُ به	وحدى، وأخشى الرياحَ والمطرَا
من بعد ما قُوَّةُ أُسْرُ بها	أصِبحْتُ شيخاً أعالجُ الكِبَرَا

وقال لما بلغ مائتي سنة :

ألا أبلغ بَنَى بنى ربيع فأشرارُ البنينَ لكم فداءُ
الآياتِ المتقدمة . هذا ما أورده أبو حاتم .

وأورده ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) فيمن أدرك النبى ﷺ وكان يمكنه أن يسمع منه ، فلم يُنقل ذلك . وقال : هو جاهلى ، ذكر ابن هشام (فى التيجان) أنه كبر وخرِفَ وأدرك الإسلام . ويقال إنه عاش ثلاثمائة سنة ، منها ستون فى الإسلام ، ويقال لم يسلم . انتهى .

وذكره السيد المرتضى (فى فصل المعمرين من أماليه) قال :

ومن المعمرين : الربيع بن ضُبُع الفزاري ، يقال إنَّه بقى إلى أيام بنى أمية وروى أنَّه دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : ياربيع ، أخبرني عمًّا أدركت من العمر والمَدَى ، ورأيت من الخطوب الماضية . فقال : أنا الذى أقول :

ها أنا ذا آمُلُ الخلودَ وقد أدرك عَقْلِي ومولدى حُجْراً

فقال عبد الملك : قد رويْتُ هذا من شعرك وأنا صبيُّ . قال : وأنا القائل :
إذا عاش الفتى مائتين عامًا فقد ذهبَ اللذادةُ والفتاةُ

قال : وقد رويْتُ هذا من شعرك وأنا غلام ، وأبيك يا ربيعُ لقد طار بك جَدُّ غير عائر ، ففصل لي عمرك . قال : عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ، وعشرًا ومائة سنة في الجاهلية ، وستين سنة في الإسلام . قال : فأخبرني : عن فتية من قريش متواطئى الأسماء . قال : سل عن أيَّهم شئت . قال : أخبرني عن عبد الله بن عباس . قال : فهم وعلم ، وعطاء جَذَم ، ومقرئ ضخم . قال : فأخبرني عن عبد الله بن عمر . قال : حلم وعلم ، وطول كظم ، وبعْد من الظلم . قال : فأخبرني عن عبد الله بن جعفر . قال : ريمانه طيبٌ ريحها ، لئن مسَّها ، قليل على المسلمين ضرُّها . قال : فأخبرني عن عبد الله بن الرُّزِير . قال : جبلٌ وعر ، ينحلو (١) منه الصخر .

(١) في النسختين : « يتخذ » . وفي هامش ش : « ب يتحد » ، إشارة إلى نسخة . وأثبت

ما في أمالي المرتضى ١ : ٢٥٤ .

قال : لله درك يا ربيع ما أعرفك بهم ؟ قال : قُرب جوارى ، وكثرة استخبارى .

قال السيد رضى الله عنه : إن كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك إنما كان في أيام معاوية ، لا في ولايته ، لأنَّ الربيع يقول في الخبر : عشت في الإسلام ستين سنة ، وعبد الملك ولى في سنة خمس وستين من الهجرة . فإن كان صحيحاً فلا بدَّ مما ذكرناه . فقد روى أنَّ الربيع أدرك أيام معاوية .

ويقال إنَّ الربيع لمَّا بلغ مائتى سنة قال :

ألا أبلغ بنى بنى ربيع الأبيات المتقدمة .

وقوله : « عطاء جَذَم » ، أى سريع . وكلُّ شيء تسرَّعت به فقد جذمته . وفى الحديث : « إذا أذنت فرثل ، وإذا أقمت فاجذم ^(١) » ، أى أسرع . والمِقْرَى : الإناء الذى يُقْرَى فيه الضيف . انتهى ما ذكره السيد المرتضى .

وقال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : روى الرواة أنَّ الربيع بن ضبُع عاش حتَّى أدرك الإسلام ، وأنَّه قدم الشام على معاوية بن أبى سفيان ، ومعه حَفَدَاتُهُ ^(٢) . ودخل حفيده على معاوية فقال له : اقعد يا شيخ . فقال له : وكيف يقعد من جدِّه بالباب ؟ فقال له معاوية : لعلك من ولد الربيع بن ضبُع ؟ فقال : أجل . فأمره بالدخول ، فلما دخل سأله معاوية عن سنِّه فقال :

(١) ش : « فاجزم » ، صوابه فى ط وأمالى المرتضى ١ : ٢٥٦ .

(٢) الحفدات : جمع حفدة بالتحريك ، وهم أولاد الأولاد .

أَقْفَرُ مِنْ مَيَّةَ الْجَرِيْبِ إِلَى الزُّجَيْنِ إِلَّا الظَّبَاءَ وَالْبَقْرَا
كَأَنَّهَا دُرَّةٌ مَنْعَمَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ كُنَّ قَبْلَهَا دُرَّرَا
أَصْبَحَ مَنَى الشَّبَابِ مَبْتَكِرَا إِنْ يَنَّا عَنْى فَقَدْ ثَوَى عُصْرَا

إلى آخر الأبيات المتقدمة . فقرأ معاوية : ﴿ وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ ^(١) . انتهى .

وقد أورد أبو زيد (فى نوادره) هذه الأبيات كذا . وقال أبو حاتم :
الرُّجَيْنِ ^(٢) بالخاء المعجمة . وقال الأخفش : الذى صحَّ عندنا بالجيم ^(٣) .
وقوله : « أَصْبَحَ مَنَى الشَّبَابِ » إلخ حسر البعير : أعيأ . وروى :
« مَبْتَكِرَا » اسم فاعل من الابتكار . وَإِنْ يَنَّا ، أى يبعد ^(٤) وثوى : أقام .
وعُصْرَا ، بضمين ، أى دهرأ .

وقوله : « فارقنا » أى الشَّبَاب . وهذا البيت أوردته ابن هشام (فى
المغنى) على أن المراد : أراد فارقنا . قال ابن جنى (فى المحتسب) : ظاهر
هذا البيت إلى التناقض ، لأننا إذا فارقنا فقد فارقناه لا محالة ، فما معنى قوله
من بعد : « قبل أن نفارقه » . وهو عندنا على إقامة المسبب مقام السبب ،

(١) الآية ٦٨ من سورة يس .

(٢) الذى فى النوادر ١٥٨ : « وروى أبو حاتم : الرُّجَيْنِ والرُّجَيْنِ » . ش : « الرُّجَيْنِ » .

(٣) الذى فى النوادر : « قال أبو الحسن : الذى صحَّ عندنا الرُّجَيْنِ بالجيم معجمة » .

(٤) ش : « أى إن وجد » .

وهو وضع المفارقة موضع الإرادة ؛ لقرب أحدهما من الآخر ^(١) . وروى بدله ^(٢) :

* ودّعنا قبل أن نودّعه *

والجماع : الاجتماع . والوَطَر : الحاجة . وهاتان الكلمتان هنا قبيحتان .

قال الدماميني (في الحاشية الهندية على المغني) : وقع في حماسة أنى تمام قول ربيع بن مالك ^(٣) يرى مالك بن زهير العبسي :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فليأتِ نسوتنا بوجه نهارٍ
يجِدُ النساءَ حواسِرًا يندبنه بالصُّبحِ قبل تبُلُجِ الأسحارِ

قال المرزوقي : إني لأتَعْجَبُ من أنى تَمَامٍ مع تكلفه رَمَّ جوانِبِ ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله : « فليأتِ نسوتنا » وهي لفظة شنيعة جدًا . وأصلحه المرزوقي بقوله : « فليأتِ ساجتتنا » . قال التفتازاني : وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه ، وحافظ على لفظ الشاعر دراية ، مع زعمه أن القراء يقرءون القرآن برأيهم . وأنا أتعجب من إنشاد

٣١٠

(١) في المحتسب ١ : ١٦٨ : « فوضع المفارقة » ، وهي المسبب . موضع الإرادة لها ، وهي السبب ، وذلك لقرب أحدهما من صاحبه .

(٢) أى بدل رواية ابن جنى ، وهي « فارقتا قبل أن نفارقه » . والرواية التي يشير إليها هي المثبتة في الإنشاد السابق في ص ٣٨٤ .

(٣) في حواشي ش : « كنا بخط المؤلف . والصواب : ربيع بن زياد » . وهو الربيع بن زياد ابن عبد الله بن ناشب العبسي . وهذا الصواب هو الثابت في الحماسة ٩٩٥ من مقطوعة أولها :

أنى أُرقت فلم أغمض حار من سئى النبأ الجليل السارى

صاحب المغنى لمثل هذا البيت ، أوردته هنا مع أنه أشنع من بيت الحماسة وأفحش . ولقد كان في غنية بما أوردته من الكتاب والسنة .

قال ابن نباتة (في مطلع الفوائد وجمع الفرائد) : في قوله : « بالصُّبح قبل تبليج الأسحار » سؤال لطيف ، وهو أن الصُّبح لا يكون إلا بعد تبليج الأسحار ، فكيف يقول قبله ؟ والجواب : أنه أراد بقوله يندبته بالصُّبح ، أنهم يصفونه بالخلال المضئية ، والمناقب الواضحة ، التي هي كالصُّبح . انتهى .

وقوله : « أصبحت لا أحمل السلاح » إلخ أورد (في التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ^(١) ﴾ على أن المَلِك الضبط والتسخير ، كما في قوله : لا أملك رأس البعير ، أى لا أضبطه .

وقوله : « والذئب أخشاه » إلخ أوردته سيبويه (في كتابه) والزجاجي (في جملة) ، وابن هشام (في شرح الألفية ، باب الاشتغال) على أن الذئب منصوب بفعل يفسره أخشاه . يقول : قد ضعفت قواه عن حمل سلاح الحرب ، وصار في حال من لا يقدر على تصريف البعير إذا ركبته ، ويخاف الذئب أن يعدو عليه ، ويتأذى بالريح إذا هبت ، والأمطار إذا نزلت . وحجر بضم الحاء المهملة والجيم هو أبو امرئ القيس الشاعر . وقوله : « طال ذا عمرا » هو تعجب . أى ما أطول هذا العمر .

وقوله : « من بعد ما قوة » إلخ ما زائدة . وأعالج ، أى أقاسى أمراض الكبر ^(٢) .

(١) الآية ٧١ من سورة يس .

(٢) هذا ما في ش . وفي ط : « أى أقاسى في أمراض الكبر » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من أبيات الأصول (١) :

٥٤٦) فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سودًا كخافية الغراب الأسحيم

على أنه يجوز وصف المميز المفرد بالجمع باعتبار المعنى ، كما في البيت ، فإن (حلوبة) مميز مفرد للعدد وقد وصف بالجمع ، وهو سود : جمع سوداء .

قال ابن السراج (في الأصول) : وتقول : عندي عشرون رجلاً صالحاً ، وعشرون رجلاً صالحون ، ولا يجوز صالحين على أن تجعله صفة رجل . فإن كان جمعاً على لفظ الواحد جاز فيه وجهان تقول : عندي عشرون درهماً جياداً وجياد . ومن رفع جعله صفة للعشرين ومن نصب أتبعه التفسير . وهذا البيت ينشد على وجهين :

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سودًا كخافية الغراب الأسحيم

ويرى « سود » بالرفع . وتقول : عندي ثلاث نسوة عجوزان وشابة ، وعجوزين وشابة ، ترد مرةً على ثلاث ، ومرةً على نسوة . انتهى .
فعرّف أن كلام الشارح ليس على إطلاقه ، وينبغي تقييده بأن تكون الصفة على زنة المفرد ، بأن لا تكون جمعاً .

وبالنصب والرفع رواه شراح معلقة عنتره .

قال أبو جعفر والخطيب التبريزي : قوله سودًا نعت للحلوبة ،

(١) يعنى أصول ابن السراج . والبيت من شواهد ابن يعيش ٣ : ٥٥ / ٦ : ٣٤ وشنور الذهب ٢٤١ والأخفوي ٤ : ٧٠ والعيني ٤ : ٤٨٧ .

لأنَّها في معنى الجماعة ، والمعنى من الحلائب . ويروى : « سودَّ » على أن يكون نعتا لقوله اثنتان وأربعون . فإن قيل : كيف جاز أن ينعتهما وأحدهما ٣١١ معطوف على صاحبه ؟ قيل : لأنَّهما قد اجتمعا فصارا بمنزلة قولك : جاء زيد وعمرو الظريفان . انتهى .

قال العيني : الشاهد في قوله سودَّا ، فإنَّها نعتٌ لقوله حلوبة ، وروعى فيها اللفظ . انتهى .

ووجه ما قاله شراح معلقة عنتره : أبو جعفر النحوى ، والأعلم ، والخطيب ، أنَّ الحلوبة تستعمل في الواحد والجمع على لفظ واحد ، يقال ناقة حلوبة وإبل حلوبة .

وقال الزوزنى (في شرح المعلقة) : الحلوبة : جمع الحلوب عند البصريين ، وكذلك قَتوبة وقُتوب ، وركوبة وركوب . وقال غيرهم : هى بمعنى محلوب ، وفِعْولٌ إذا كان بمعنى المفعول جاز أن تلحقه التاء (٢) . انتهى .

وعلى هذا لا شاهد فيه ، ويكون من وصف الجمع بالجمع . ولم يذكر الإمام المرزوقى (في شرح الفصيح) غير هذا الأخير ، قال : وفِعْولٌ إذا كان في معنى مفعول قد تلحقه الهاء ، نحو : رَكوبة وحَلوبة وقَتوبة . وأنشد هذا البيت .

وبما تقدّم يُردُّ قول الأَعلم ، في زعمه أنَّ سودَّا ليس بوصف الحلوبة . قال : قوله سودَّا حال من قوله اثنتان وأربعون ، وهو حال من نكرة .

(١) ط : : يلحقه التاء . .

ويجوز رفعه على النعت . ولا يكون نعتًا لخلوبة لأنها مفردة ، إذا كانت تمييزًا للعدد ، وسودًا جمع ، ولا ينعت الواحد بالجمع . انتهى .
ويُعرف جوابه مما سقناه .

صاحب الشاهد والبيت من معلقة عنتره بن شداد العبسي ، وقبلة :

(ما راعني إِلَّا حَمُولَةٌ أَهْلِهَا وَسَطَ الدَّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْخِمِخِمِ)

راعني : أفرعني . والحمولة ، بفتح الحاء : الإبل التي يُحمل عليها .
ووسطَ ظرف . وتسفُ : تأكل ، يقال سَفَفَتِ الدَّوَاءَ وغيره بالكسر ، أسفه بالفتح . قال أبو عمرو الشيباني : والخمخيم ، بكسر الخاءين المعجمتين : بقلة لها حَبٌّ أَسْوَدُ ، إذا أَكَلَتْهُ الغنم قَلَّتْ ألبانها وتغيّرت . وإثما وصف أنها تأكل هذا لأنها لم تجد غيره . وروى ابن الأعرابي : « الجِمْجِم » بكسر الخاءين المهملتين ، يروى بضمهما . وقال : الجِمْجِمُ أسرع هَيْجًا ، أي يُنسأ ، من الخمخيم . وإثما راعه كون الحملولة وسط الدار لأنها كانت عازية في المرعى ، فلما أرادوا الرحيل ردوها إلى الديار ليتحملوا عليها ، فأفرعَه ذلك .

وقال الخطيب : معنى البيت أنه راعه سفُ الحملولة حَبَّ الْخِمِخِمِ ، لأنه لم يبق شيء إِلَّا الرحيل ، فصارت تأكل حَبَّ الخمخيم ، وذلك أنهم كانوا مجتمعين في الربيع ، فلما يبس البقل ارتحلوا وتفرقوا . يقول : لَمَّا جِئْتُ فَنظَرْتُ إِلَى أَهْلِهَا قَدْ تَحَمَّلُوا أَفْرَعَنِي ذَلِكَ ، لفراق إياها . وقوله : « فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً » إلخ أي في هذه الحملولة من التُّوق التي تُحَلَبُ اثنتان وأربعون حَلُوبَةً .

وقال العيني : الضمير راجعٌ لِلرَّكَابِ ^(١) في بيت قبله .

(١) في النسخين : « لِلرَّكَابِ » ، صوابه من العيني . ونصه : « فِيهَا ، أَى فِي الرِّكَابِ » .

وروى في البيت قبله : « زَمَتِ رُكَابَكُمْ بَلِيلُ مَظْلَمٍ » .

وهذا خلافُ الظاهر مع القرب . وفيها خبر مقدّم ، واثنان مبتدأ مؤخر ، والجملة حال من الحمولة .

وقال أبو جعفر ، والخطيب : اثنان مرفوع بالابتداء ، وإن شئت بالاستقرار . يريد أن فيها حال من حمولة ، واثنان فاعل فيها . وقالوا : ويروى : « خلية » بفتح الخاء المعجمة بدل حلوبة . والخلية : أن يُعطف على الحوار ثلاث من النوق ، ثم يتخلّى الراعى بواحدةٍ منهن . فتلك الخلية . وأوضح منه أن الخلية ناقة تعطف مع أخرى على ولدٍ واحد فتدرآن عليه ، ويتخلّى أهل البيت بواحدةٍ يحلبونها .

٣١٢

وقوله : (كخافية) صفة سودا . وشبه سواد تلك النوق الحلاب بسوادِ خوافي الغراب ، وهى أواخر الرّيش من الجناح مما يلي الظهر ، سميت بذلك لخفائها . و (الأسحم) : الأسود . وإثما خصّ الخوافى لأنها أسبط وأشدُّ بريقاً وألين . وإثما ذكر أن في إبلهم هذا العدد من الحلوبة السود ليخبر بكثرتهم ، وكثرة إبلهم ، لأنه إذا كان في إبلهم هذا العدد من هذا الصنف على غرابته وقلته ، فغيره من أصناف الإبل أكثر من أن يُحصى عدده . وإثما وصفها بالسود لأنها أنفسُ الإبل عندهم وأعزّها .

وترجمة عنترة صاحب المعلقة تقدّمت في الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٤٧ (وكانَ مَجْنَى دُونِ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثلاثُ شُخُوصٍ : كاعبانَ ومُعَصِرُ)

على أنه يجوز اعتبار المعنى فتجرد علامة التانيث من عدد المؤنث المعنوي ، كما هنا ، فإنه جرد ثلاثاً من التاء لكون شخوص بمعنى نساء ، بدليل الإبدال عنه بما بعده .

قال سيبويه : وزعم يونس عن رؤية أنه قال : ثلاث أنفس (٢) على تانيث النفس ، كما تقول : ثلاث أعين للعين من الناس . قال الخطيئة :

ثلاثة أنفسي وثلاثُ ذَوِي لقد جار الزَّمانُ عَلَيَّ عِيَالِي (٣)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

فكان مجنَى دُونِ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثلاثُ شُخُوصٍ : كاعبانَ ومُعَصِرُ

فأثت الشخص إذ كان في المعنى أثت . انتهى

قال أبو جعفر النحاس : قرأت على أبي الحسن علي بن سليمان ، عن أبي العباس المبرد هذا البيت . قال أبو العباس : لما اضطرَّ جعل الشخص بدلاً من امرأة إذ كان يقصدها به ، ولذلك قال : كاعبانَ ومُعَصِرُ ، فأبان .

(١) في كتابه ٢ : ١٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٤٨ والكامل ٣٨٣ وأمل الزجاجي ١١٨ والخصائص ٢ : ٤١٧ والإنصاف ٧٧٠ والمقرب ٦٧ والمعنى ٣ : ٤٨٣ والتصریح ٢ : ٢٧١ ، ٢٧٥ والأفهمي ٣ : ٩٢ ودیوان عمر ٩٢ .

(٢) في النسختين : « ثلاثة أنفس » ، صوابه في سيبويه واللسان (نفس ١٢١) .

(٣) ديوان الخطيئة ١٢٠ .

ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ﴾ ^(١) لأنَّ المعنى واقعٌ على حسنات ، وأمثال نعتٌ لما وقع عليه العدد . وكذلك : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴾ ^(٢) لأنَّ المعنى واقعٌ على جماعات . وعلى هذا تقول : عندي عشرة نَسَابَات ، لأنَّك تريد الرجال ، وإنما نسابات نعت . وتقول إذا عَنَيْتَ المذكَّر : عندي ثلاثة دوابٍّ يا فتى ، لأنَّ الثَّوَابَّ نعت ، فكأنَّك قلت : عندي ثلاثة براذين دوابٍّ . وتقول : عندي خمسٌ من الشَّاءِ ، لأنَّ الواحدة شاةٌ لذكرٍ كان أو أنثى . انتهى .

وما نقله عن المبرِّد هو مسطور (في الكامل) قال فيه : قوله ثلاث شخصوس ، الوجه ثلاثة شخصوس ، ولكنَّه لما قصد إلى نساءٍ أُنْتُ على المعنى . وأبان ما أراد بقوله : كاعبان ومعصر . ومثله قولُ الشاعر ^(٣) :

فإنَّ كلابًا هذه عشرٌ أبطنٍ وأنتَ برىءٌ من قبائلها العشرِ

فقال : عشر أبطنٍ لأنَّ البطن قبيلة ، وأبان ذلك في قوله من قبائلها العشر . وقال الله عز وجل : ﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ﴾ ؛ لأنَّ المعنى حسنات . انتهى .

وكذا قال السكري (في شرح أشعار اللصوص) ، قال : كان يجب أن يقول ثلاثة ، لأنَّ الشخصوس مذكرةٌ ، ولكنَّه ذهب إلى أعيان النساء ، لأنَّهنَّ مؤنثات ، وإنَّ كان سبب اللفظ مذكراً .

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

(٣) هو النواح الكلابي . والبيت من شواهد سيبويه ٢ : ١٧٤ .

وقد أدرج ابن جنى (فى الخصائص) هذا فى فصل سَمَاءَ الحَمَلِ على المعنى ، قال : أعلم أَنَّ هذا الشرح ^(١) غَوْرٌ من العريّة بعيد ، ومذهب نازح فصيح ، قد وردَ به القرآن وفصيحُ الكلام ، منثورًا ومنظومًا ، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ، وتصوّر معنى الواحد فى الجماعة والجماعة فى الواحد . ثم قال : فمن تذكير المؤنث قولُ الحطيئة : ثلاثة أنفُس ، ذهب بالنفس إلى الإنسان فذكر . وقال عمر : « ثلاثُ شخوص » ، أثتُ الشخص لأنه أراد به المرأة . انتهى .

وقال ابن السكيت (فى كتاب المذكر والمؤنث) : أثتُ الشُّخص لأنّها شخوصُ إناث . فلو قلت ثلاثة شخوص كان أجود ، لأنَّ الشخص ذكر وإن كان لأنثى . وممّا اجتمعت عليه العرب لإيثار المضمر على الظاهر قولهم : ثلاثة أنفُس ، وثلاثة أعيان . والخليل يختار : ثلاث أعين . والعين والنفس أنثيان ، فذهبوا إلى أعيان الرجال وأنفُس الرجال . فإذا وجَّهت النفس إلى الرجل أو المرأة ذهبت بهما جميعًا إلى التذكير ، لأنه غير مؤنث ، فتصير النفس تؤدّى عن الإنسان ، ويؤدّى الإنسان عن الذكر والأنثى ، فنقول : ثلاثة أنفُس كما نقول : ثلاثة من الناس وإن عنيّت نساء . فإذا أردت الزَّوج كانت النفس أنثى ، وإذا أفردتها بفعل أو وصفتها به عاملتها معاملة التأنيث ، كما قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ^(٢) ﴾ ولم يقل واحد وهو آدم . وقد يجوز لك أن تذهب إلى المعنى ، فإن كانت أنثى أثتُ ، وإن كان ذكرًا ذكّرت . وليس بالوجه . انتهى .

(١) الشرح ، بالجيم : النوع . وفى النسختين : « الشرح » ، تحريف .

(٢) الآية ٦ من سورة الزمر .

و (المجنّ) بكسر الميم : الثرس . قال العيني : ويروى : « فكان نصيرى » ، بدل مجنّى ، ومعناه مانع وساتر . ويروى : « بصيرى » بالباء الموحدة ، جمع بصيرة ، وهى الثرس . حكاه أبو عبيدة . وقال ابن سيده : يؤيده رواية من روى : « فكان مجنّى » . قال : وأكثر الناس يروونه « نصيرى » ، بالنون . وهو تصحيف . وقال أبو الحجاج : هذا القول فيه إفراط ، ورواية النون غير بعيدة من الصواب ، وإن كان رواية الباء أظهر لقوله « دون » ، ولم يقل « على » المستعملة مع النصير فى مثل هذا النحو . انتهى .

و (الكاعب) قال الجوهري : هى الجارية حين يبدو ثديها للثهود . وقد كعبت تكعب بالضم كعوبًا ؛ وكعبت بالتشديد تكعيبًا مثله . و (مُعَصِر) بضم الميم وكسر الصاد ، هى الجارية أوّل ما أدركت وحاضت . يقال قد أعصرت ، كأنها دخلت عصر شبابها أو بلغته . قال الرازي (١) :

جارية بسفوان دارها يرتج عن مثل الثقا إزارها

قد أعصرت أو قد دنا إعصارها

والبيت من قصيدة طويلة لعمر بن أبى ربيعة تقدّم نقلها فى الشاهد صاحب الشاهد التسعين بعد الثلاثائة (٢) . وهذه أبيات قبله :

أبيات الشاهد

(فلما تقضى الليل إلا أقله وكادت نوالى نجمه تنغور (٣))

(١) هو منظور بن مرثد ، كما فى العقد ٣ : ٤٦٠ ، واللسان (عصر) .

(٢) الخزائن ٥ : ٣١٦ - ٣٢١ .

(٣) ويروى : « وكادت هوادى » .

أشارت بأن الحى قد حان منهم
فلما رأت من قد تنور منهم
فقلت : أباديهم فأما أفوتهم
فقلت : أتحقيقا لما قال كاشح
فإن كان ما لا بد منه فغيره
أقص على أختي بدء حديثنا
لعلهما أن تبغيا لك مخرجنا
فقلت لأختي : أعينا على فتى
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا :
يقوم فيمضى بيننا متنكرا
فكان مجنى دون من كنت ألتقى

هبوب ولكن موعد لك عزور ،
وأيقاظهم قالت : أشير كيف تأمر^(١)
وإما ينال السيف ثارا فيثار
علينا ، وتصديقا لما كان يؤثر
من الأمر أدنى للخفاء وأستر
ومالى من أن تعلمتا متأخر
وأن ترخبا سربا بما كنت أخصر^(٢)
أنى زائرا ، والأمر للأمر يُقدر
أقل على عليك اللوم فالخطب أيسر^(٣)
فلا ميرنا يفسو ، ولا هو يبصر^(٤)
ثلاث شخوص كاعبان ومُعصر

التوالى : التتابع^(٥) . وتتغور : تغور فتذهب ، وهو مأخوذ من الغور .
والهبوب : الانتباه ، يقال هب من نومه ، إذا استيقظ .

وعزور ، بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة بعدها واو

(١) فى الديوان ٩٠ : « من قد تنبه » ، وأشير إلى رواية « من قد تنور » ، بالشاء .

(٢) فى الديوان : « لعلهما أن تطلبا » .

(٣) بين هذا البيت وتاليه فى الديوان :

فقلت لها الصغرى سأعطيه مطرق ودرعى وهذا البرد ، إن كان يحفر

(٤) فى الديوان : « ولا هو يظهر » .

(٥) هذا حق ، ولكن ابن أبى ربيعة لم يرد بقوله « توالى نجمه » ، فتابعها . وإنما أراد توالى : جمع تال ، وهو ما تأخر من النجوم هنا .

وفى اللسان (تلى ١١٢) : « والتوالى : ما تأخر » .

مفتوحة ، قال أبو علي : هي ثنية الجُحفة . وقال السكوني : عزور : جبل بينه وبين جبل رضوى قلتر شوط الفرس . وهما جبلان شاهقان منيعان لا يروهما أحد . ورضوى من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ، ميامنة طريق المدينة ، ومياسرة طريق البر^(١) لمن كان مُصعدًا إلى مكة ، وعلى ليلتين من البحر . كذا (في معجم ما استعجم) للبكري .

وأيقاظ : جمع يُقْظ ، بفتح الياء وضم القاف^(٢) ، بمعنى يقظان .

وقوله : « فقالت أتحقيقًا » من كلام العرب : أكل هذا بخلا . وذلك أنه رآه يفعل شيئًا يكره فقال : أكل هذا تفعلُ بخلا .

وقوله : « أباديهم » يريد أظهر لهم ، غير مهموز . يقال بدا يبدو غير مهموز ، إذا ظهر .

وقوله : « بدءَ حديثنا » يريد أول حديثنا .

وقوله : « وأن ترحبا » ، يريد أن تتسعا ، أي تتسع صدورهما ، من قولك : فلان رحيب الصدر . وقوله « أحصر » أي أضيق به ذرعا ، يقال حَصِرَ صدره ، بمهملات ، من باب فرح ، إذا ضاق . والسَّرب ، بالفتح^(٣) : الطريق .

(١) وكذا في معجم ما استعجم ٦٥٥ . وصوابه « البراء » ، كما في كتاب عرام الذي ينقل عنه البكري . انظر نواذر المخطوطات ٢ : ٣٩٦ .

(٢) وكذا يقظ ، بفتح فـ كسر ، كما في القاموس واللسان .

(٣) الأولى أن يقال بالفتح وبالكسر ، من قولهم : إنه لواسع السرب ، بالكسر ، أي الصدر والرأى والهوى ، كما في اللسان (سرب ٤٧٧) . وفي القاموس : « وبالكسر : القطيع من الظباء والنساء وغيرها ، والطريق ، والبال ، والقلب ، والنفس » ، بعد أن ذكر أن السرب بالفتح الماشية كلها ، والطريق ، والوجهة ، والصدور ، والخرز .

وقوله : (فكان مجئى) إلخ أى وقائتى . ودُونَ بمعنى قدام . ومجئى اسم كان ، وثلاث بالنصب خبرها ، وَمَنْ موصولة والعائد محذوف ، أى أتقىه .
ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجية مسلم بن عقبة إلى المدينة اعترض الناس ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشام ومعه ثُرسٌ قبيح ، فقال : يا أخا أهل الشام ، مجنُّ ابن أئى ربيعة أحسن من مجنك . يشير إلى هذا البيت .
وترجمة عمر بن أئى ربيعة تقدّمت فى الشاهد السابع والثمانين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س ^(٢) :
٥٤٨ (كَأَنَّ حُصْنِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ ظَرْفُ عَجْوِي فِيهِ ثُنْتَا حَنْظَلٍ)
على أنه ضرورة ، والقياس حنظلتان بدون العدد ، لما بيّنه الشارح المحقق .

وأورده سيبويه فى باب تكسير الواحد للجميع بعد باب العدد . قال الأعمش : الشاهد فيه إضافة ثنتا إلى الحنظل ، وهو اسم يقع على جميع الجنس . وحق العدد القليل أن يضاف إلى الجمع القليل . وإنما جاز على تقدير : ثنتان من الحنظل . هذا كما قال : ثلاثة فلوس ^(٣) ، أى ثلاثة من هذا

(١) الخزائة ٢ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٧٧ ، ٢٠٢ . وانظر إصلاح المنطق ١٨٩ والمقتضب ٢ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٠ وابن يميّش ٤ : ١٤٣ ، ١٤٤ / ٦ : ١٨ والمقرب ٨٠ وشرح شذور الذهب ٤٥٨ والعينى ٤ : ٤٨٦ والدرر اللوامع ١ : ٢٠٩ وسيأتى فى ص ٥٢٦ .

(٣) كلمة هـ هذا هـ ليست فى الشتمرى .

الجنس ، على ما بينه في الباب . والتدليل : التعلق والاضطراب . وكان الوجه ٣١٥
أن يقول : حنظلتان ، فبناه على قياس الثلاثة وما بعدها إلى العشرة ^(١) .
وإنما خصّ ظرف المعجوز لأنها لا تستعمل طيباً ولا غيره مما يتصنع به النساء
للرجال ، يأساً منهم ^(٢) ، ولكنها تدخر الحنظل ونحوه من الأدوية . وظرف
المعجوز هو ميزودها الذي تخزن فيه متاعها . انتهى .

وهذان البيتان أوردهما أبو تمام (في باب الملح من الحماسة) . وروى :
« سحق جراب » بدل ظرف عجوز ، قال ابن جنى في إعرابها : أخرج الشنية
عن أصلها ^(٣) ، وذلك أن قياسها على الجمع عندى اثنا رجال ^(٤) ، كقولهم :
عندى ثلاثة رجال ، غير أن الشنية لما أمكنك فيها انتظام العدة وبيان النوع ،
غنيّت بقليل اللفظ عن كثيره ، أى غنيّت برجلان عن اثنا رجال . فلما قال
ثنتا حنظلل علمت بذلك أنه أخرجه على قياس الجمع ^(٥) . ويريد : كأن

(١) يعنى إضافة العدد إلى تمييزه .

(٢) يريد يأساً من الرجال . وفي الشتمرى : « ليأسها منهم » . وبعده وهو ختام ما في
الشتمرى : « وإنما تدخر فيه ما تتعاقى ، من الحنظل وغيره » . فما بعد « منهم » من الكلام هنا لم يرد
في الشتمرى .

(٣) ش : « على أصلها » وكنا في إعراب الحماسة الورقة ٢٤٦ . والوجه « عن أصلها » كما
في ط ، لأن أصل الشنية ألا يذكر معها العدد فيقال رجلان وحنظلتان .

(٤) في إعراب الحماسة : « على الجمع أن يقال : عندى اثنا رجال » .

(٥) في النسختين : « عن قياس الجمع » ، صوابه في إعراب الحماسة ، وذلك لأن الراجز
خرج عن أصل الشنية ، وجرى على قياس الجمع .

خصيه بما عليهما من الصَّفَن ، أو كَأَنَّ ما عليهما منه بهما ، سَحَقُ جِرَاب فيه ثنتا حنظل ، فحذف اختصاراً ، أو عَلِمَا بما يعنيه . انتهى .

وأورده الشارح المحقق في باب التثنية . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله هناك في وجه تثنية تُخْصَى .

و (السَّحَق) بالفتح : الخَلَق . و (الحنظل) واحدها حنظلة . وروى عن أبي حاتم أنه قال : الحنظل ههنا الثوم . وأوردهما الأعلام (في حماسه) برواية : « ظَرْفُ عَجُوز » . وكتب في الهامش : شبه خصيته في استرخاء صَفْنِهما وتجلُّل بيضتهما ، حين شاخ واسترخت جلدة استه ، بظرف عَجُوز ^(١) فيه حنظلتان . وخصَّ العجوز لأنها لا تستعمل الطَّيْب ولا تتزيَّن للزَّجال ، فيكون في ظرفها ما لا تتزيَّن به ، ولكنها تدخر الحنظل ونحوه من الأدوية . ويحتمل أن يكون هذا في وصف شجاع لا يجبن في الحرب فتقلَّص خصيته . ويحتمل أن يكون هجواً . ووجهه أنه يصف شيخاً قد كبر وأسنَّ ؛ ولذلك قال : ظرف عَجُوز ، لأنَّ ظرف العجوز خَلَقَ متقبَّض فيه تشنُّج لِقَدَمه ، فلذلك شبه جلد الخُصية به للغضون التي فيه . والأولى أن يكون هجواً لِذِكْرِ العَجُوز ، مع تصريحه بذكر الخُصيتين . ومثل هذا لا يصلح للمدح . انتهى .

وهذا الكلام هو ما قاله أبو عبد الله التَّمَرِيُّ (في شرح الحماسة) ، وزيفه أبو محمد الأعرابي ، الشهير بالأسود الغندجاني . قال (فيما كتبه على شرح التمرى) : قال أبو عبد الله : هذا يحتمل الثَّم والمدح ، إلا أن يكون له

(١) ش : « كظرف عَجُوز » .

تمام فيُحْمَل عليه ^(١) . فَأَمَّا الذم فهو أن يصف شيخا قد اضطرب جلده
لكبر سنّه وهَرَمه . وَأَمَّا المدح فهو أَنَّ الأبطال يوصفون ، إذا شهلوا الحرب ،
بطُول الحُصَى وقَلّة تَقْلُصها . قال أبو محمد الأعرابي : هذا موضع المثل :

* لَا تَقَعَنَّ الْبَحْرَ إِلَّا سَابِحًا *

قوله : « هذا يحتمل الذم والمدح » يدلُّ على أنه لم يمارس الأشعار
والأراجيز ، ولم يستقرِّ اللواوين . ومثل هذا البيت لا يعرف معناه قياسًا
إلا بمعرفة ما يتقدمه من الأبيات . وقد أثبتُّها لك ههنا لئلا يشتبه عليك من
معنى البيت ما اشتبه على أبي عبد الله ، فتكونا زنديين في مرقعة ^(٢) .

صاحب الشاهد

والأبيات لخطام المجاشعي ، وهي من نوادر الرجز :

أشطار الشاهد

(يَارُبُّ بِيضَاءِ بُوغْسِي الْأَرْمَلِ	شبيهة العين بعيني مُغْزِلِ
فِيهَا طِمَاحٌ عَنْ حَلِيلِ حَنْكَلِ	وهي تُدَارِي ذَاكَ بِالتَّجْمَلِ
قَدْ شَغِفْتُ بِنَاشِئِ هَبْرَكَلِ	يَنْفُضُ عَطْفِي تَحْضِيلَ مَرَجَلِ
يُحْسَبُ مَخْتَالًا وَإِنْ لَمْ يَخْتَلِ	دَسَّ إِلَيْهَا بِرَسُولٍ مُجْمَلِ
عَنْ كَيْفٍ بِالْوَصْلِ لَكُمْ أَمْ كَيْفَ لِي	فَلَمْ تَزَلْ عَنْ زَوْجِهَا الْمُخْتَشِلِ
ابْعَثْ وَكُنْ فِي الرَّائِحِينَ أَوْ كُلِّ	وَكُلِّ مَا أَكَلْتُ فِي مَحْلَلِ

(١) في النسختين : « فيعمل عليه » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في أمثال الميداني ١ : ٢٩٢ : « قال أبو عبيد : نرى المرقعة كثانة أو خريطة قد رقت .

يضرب للرجل المحتقر لا يبغي شيئا » . والمراد هنا أنهما مستويان في الخسة . وانظر المستقصى ٢ :

١١١ وأساس البلاغة (زند) .

وَأَوْقَرَنَّ يَا هُدَيْتَ جَمْلِي حَتَّى إِذَا دَبَّ الرُّضَا فِي الْمِفْصَلِ
وَكَانَ فِي الْقَلْبِ تُحِيَّتَ الْمَسْعَلِ ثُمَّ غَدَا الشَّيْخُ لَهَا بِأَرْفَلِ
مِنَ الرُّضَا جَنْعَلِي التَّكْثُلِ كَأَنَّ خُصِيَّتَهُ مِنَ التَّدْلُلِ
ظَرَفٌ عَجُوزٍ فِيهِ ثَنَّا حَنْظَلِ لَمَّا غَدَا تَبَهَّلَتْ : لَا تَأْتَلِ
عَنْ : رَبِّ يَارَبِّ عَلَيْهِ عَجَلِ بِرَهْصَةٍ تَقْتُلُهُ أَوْ دُمَلِ
أَوْحِيَّةٌ تَعُضُّ فَوْقَ الْمِفْصَلِ)

قال أبو محمد الأعرابي : فقلوه « كَأَنَّ خُصِيَّتَهُ مِنَ التَّدْلُلِ » أَذْمٌ ذَمٌّ
يَكُونُ فِي الشَّيْخِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمَا يَتَدَلِّيَانِ مِنَ الْكِبَرِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ .
قَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَا أُحِبُّهُ أَنْ طَالَ خُصِيَّاهُ وَقَصُرَ زُبُّهُ
يَقَالُ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ : الدُّودَرِيُّ ^(١) . انْتَهَى مَا أَوْرَدَهُ .

وَبِيضَاءُ : امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ . وَالْوُعْسُ : جَمْعٌ وَعَسَاءُ ، وَهِيَ أَرْضٌ لَيِّنَةٌ ذَاتُ
رَمَلٍ . وَالْأَرْمَلُ : جَمْعُ رَمَلٍ . وَمُغْزَلٌ : ظَبْيَةٌ ذَاتُ غَزَالٍ . شَبَّ عَيْنَهَا بَعِينَ الظُّبْيَةِ .
وَالطَّمَّاحُ بِالْكَسْرِ : الْجَمَّاحُ . وَالْحَلِيلُ : الزَّوْجُ . وَرَوَى : « خَلِيلٌ »
بِالْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ الصَّدِيقُ . وَالْحَنْكَلُ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ النُّونِ وَفَتْحِ الْكَافِ :
الْقَصِيرُ ، وَاللَّيِّمُ ، وَالْجَافِي الْغَلِيظُ . كَذَا فِي الْقَامُوسِ . وَتَدَارَى مِنَ الْمُدَارَاةِ .
وَالْتَجَمَّلُ : تَكَلَّفُ الْجَمِيلِ .

وَقَوْلُهُ : « قَدْ شَغَفْتُ » هُوَ جَوَابُ رَبِّ . وَشَغَفَ الْهُوَى قَلْبَهُ ، مِنْ بَابِ
نَفَعَ ، إِذَا بَلَغَ شَغَافَهُ بِالْفَتْحِ ، أَيْ غِشَاءَهُ . وَالنَّاشِئُ ، مَهْمُوزُ الْآخِرِ ، وَهُوَ

(١) فِي اللِّسَانِ (دَر) : الدُّودَرِيُّ : الْعَظِيمُ الْخُصِيَّتَيْنِ ، لَمْ يَسْتَعْمَلْ إِلَّا مَزِيدًا ، إِذْ لَا يَعْرِفُ
فِي الْكَلَامِ مِثْلَ دَر .

الحَدَثَ الَّذِي جَاوَزَ حَدَّ الصَّغَرِ . وَالهَبْرَ كُلَّ ، بفتح الهاء الموحدة وسكون الراء
وفتح الكاف : الشابُّ الحسن الجِسْمِ . وَيَنْفُضُ : يَجْرُكُ . وَالْعِطْفُ ،
بالكسر : الجانب . وَتَفْضُ الْعِطْفُ كناية عن الْعُجْبِ والغرور . وَالْحَضِيلُ ،
بفتح الحاء وكسر الضاد المعجمتين : الرُّطْبُ ، والناعم . أَيْ قَوَامٌ حَضِيلٌ .
والمَرْجُلُ : الموشى والمزِين .

وَيُحَسَّبُ بالبناء للمفعول . والضمير للناشئ . وَانْخِتَالٌ : المعجَبُ
بنفسه . وَإِنْ لَمْ يَخْتَلْ ، أَيْ وَإِنْ لَمْ يُعْجَبْ بنفسه ، وَأَصْلُهُ يَخْتَالُ : حَذَفَتْ
الْأَلْفُ لالتقاء الساكنين بالجزم . وَدَسَّ : أَرْسَلَ بِخَفِيَةٍ . وَالباءُ فِي بِرَسُولٍ
زائدة . وَمُجِملٌ : اسم فاعل من أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ ، إِذَا رَفَقَ .
وقوله : « عَنْ كَيْفِ » إلخ عن لغة في أَنْ ، وهى تفسيرية .
والمُخْتَشِلُ : اسم فاعل من اخْتَشَلَ ، بالحاء والشين المعجمتين ، إِذَا ذَلَّ
وَضَعُفَ .

والمِفْصَلُ ، بكسر الميم وفتح الصاد : اللسان . وَثُجِيَتْ : مصغر
تحت . وَالْمَسْغَلُ : محل السُّعَالِ . وَالْأَزْفَلُ ، بفتح الهمزة وسكون الزاى وفتح
الفاء : الغضب والحدة .

وقوله : « من الرضا ^(١) » إلخ من ابتدائية . وَجَنَعْدَلٌ ، بفتح الجيم
وضمها وفتح النون وسكون العين وفتح الدال : الصُّلْبُ الشديد . وَالتَّكْتُلُ :
الاكتناز . وَتَبَهَّلتُ : تَضَرَّعتُ ، وَدَعْتُ . وَلَا تَأْتَلِي : لَا تَقْصُرُ .
وَعَنْ لُغَةٍ فِي أَنَّ . وَرَبَّ مُنادى . وَالرَّهْصَةُ ، بفتح الراء : أَنْ يَتَلَفَ
بِاطْنُ حَافِرِ الدَّابَةِ مِنْ حَجَرٍ يَطْوُهُ .

وَاللُّؤْدِرِيُّ ، بفتح الدال وسكون الواو وفتح الدال الثانية

(١) كُتِبَتْ « الرضا » فِي الرَّجْزِ وَفِي التفسيرِ هُنَا بِالْبَاءِ فِي ش . وَهِيَ صَحِيحَةٌ . وَفِي اللسان :
« وَتَنْتِيَةُ الرضا رضوان ورضيان ، الأولى عَلَى الْأَصْلِ ، وَالْأُخْرَى عَلَى الْمَعَايَةِ » .

وكسر الراء وتشديد الياء ^(١) . وفيه لغة أخرى : دَرَدَرَى بالراء موضع الواو .
وقال صاحب القاموس : هو الآدَر ، الطويل الحُصَيَّين ، والذي يذهب
ويجىء في غير حاجة .

وقال ابن المستوفى : ويروى قبل الرجز الشاهد قوله :

(تقول : يا رباه ، يارب هَلْ إن كنت من هذا منجى أُحْبِلِ
إِما بتطليقي وإِما بأرحلي أو ارم في وجعائه بدملي)

وقال العيني في هذا : الرجز لجندل بن المشي . وفي (شرح الفصيح)
قال ابن السيرافي : قاله سلمى الهذلية . انتهى .

أقول : شرح ابن السيرافي هذين البيتين (في شرح أبيات إصلاح
المنطق) ولم يذكر هذه الأبيات الأربعة المتقدمة عليهما ، ولا نسب الرجز
لأحد . وهذه عبارته : التدلُّل : تحرك الشيء المعلق واضطرابه . وظرفُ
العجوز : الجراب الذي تجعل فيه تُحَبِّزُها وما نحتاج إليه . وظرف العجوزِ خَلَقَ
متقبَّض ، فيه تشنج لقدمه . شبَّه جلد الحُصَيَّة به ، للغُضُون التي فيه . وشبَّه
الأنثيين في الصَّفْنِ بمنظلتين في جراب . انتهى .

وقال ابن المستوفى : قال ابنُ السيرافي : حكى هذا الشاعر عن امرأةٍ
أنَّها دَعَتْ على زوجها وطلبت الراحةَ منه . وقولها : « هَلْ » أرادت هل تحسنُ

(١) ضبط في اللسان ضبط قلم بفتح الراء المخففة مع القصر ، وفي القاموس : « والودرى
كهبرى : الذى يذهب ويجىء في غير حاجة ، والآدَر والطويل الحُصَيَّين ، كالدردى » . وذلك
يتشديد الراء المفتوحة مع القصر أيضا .

إلى بتفريق ما بيني وبينه من الوصلة وعقد التزويج . والأحبل : جمع حبل ، وهو ما بينهما من العقد . ومنجى : خبر كنت ، وأسكن الياء من أجل القافية . وقوله : « إِمَّا بتطليق » : إِمَّا أَنْ يَطْلُقَ طَلَاقًا بَيْنَا . وإِمَّا أَنْ يَقُولَ ارْحَلْ ، يريد به الطلاق . وحذف المستفهم عنه ^(١) اعتمادًا على فهم السامع . وحذف جواب الشرط ، وهو إِنْ كُنْتَ مَنْجِيًّا لِي مِنْ هَذَا الرَّجُلِ فَافْعَلْ . وقوله : « أَوْ أَرْمِ فِي وَجْعَائِهِ » إلخ هذا البيت أورده العيني بعد الثلاثة وقال : الوجعاء ، بفتح الواو وسكون الجيم والمد : الاست .

وتقدمت ترجمة خطام المجاشعي في الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة ^(٢) .

٣١٨

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س ^(٣) :

٥٤٩ (فَطَاثَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَكَانَ التَّكْيُورُ أَنْ تُضَيَّفُ وَتَجَارَا)

على أَنَّ العدد المميز بمذكّر ومؤنث معًا المفصول بينه وبينهما بلفظ بين أو من ، أو بالمجموع ، إِنْ كَانَ المميزان يَوْمًا وَلَيْلَةً ، فَالغلبة للثانيث ، فَإِنَّهُ اعْتَبِرَ جَانِبَ المؤنث فَذَكَرَ عدده . وَإِنْ كَانَ المميزان غير يوم وَلَيْلَةٍ فَالغلبة للتذكير .

(١) ط : منه ، ، صوابه في ش .

(٢) الخزائن ٢ : ٣١٨ .

(٣) في كتابه ٢ : ١٧٤ . وانظر المقرب ٦٨ والمغنى ٦٦٠ وديوان النابغة الجعدي ٤١ .

وهاتان المسألتان صرَّح بهما سيبويه . وهذا نصه : وتقول : سار خمس عشرة من بين يوم وليلة ، لأنك أَلَقِيتَ الاسمَ على الليالي ثم بَيَّنْتَ فقلت : من بين يوم وليلة . ألا ترى أنَّكَ تقول : لخمس بقين أو خلون ، وَيَعْلَمُ المخاطَبُ أنَّ الأيام قد دخلت في الليالي . فإذا أَلَقِيتَ الاسمَ على الليالي اكْتَفَى بذلك عن الأيام ، كما أنَّكَ تقول : أتيتُه ضَحْوَةً وبُكْرَةً ، فيعلم المخاطب أنها ضحوة يومك وبُكْرَةُ يومك . وأشبه هذا في الكلام كثير . فإِثْمًا قوله : « من بين يوم وليلة » توكيدٌ بعد ما وقع على الليالي ، لأنه قد عُلِمَ أنَّ الأيام داخلةٌ مع الليالي . قال النابغة الجعدي :

فطافت ثلاثًا بين يوم وليلة يكون التَّكْثِيرُ أنَّ تَضْيِيفَ وَتَجَارًا

وتقول : أعطاه خمسة عشر من بين عبدٍ وجارية ، لا يكون في هذا إلا هذا ، لأنَّ المتكلم لا يجوز له أن يقول : خمسة عشر عبدًا فيعلم أنَّ ثَمَّ من الجوارى بعثتهم ، ولا خمس عشرة جارية فيعلم أنَّ ثَمَّ من العبيد بعثتهم ، فلا يكون هذا إلا مختلطًا ، ويقعُ عليهم الاسم الذي يَبَيِّنُ به العدد . وقد يجوز في القياس خمسة عشر من بين يوم وليلة ، وليس بجَدِّ كلام العرب . انتهى .

وقد عَمَّمَ الشارح المحقق في قوله : « الغلبة للتذكير ، نحو اشتريت عشرةً بين عبد وأمة ، ورأيت خمسة عشر من الثوق والجمال » . وفي المثالين أربع صور . والأوَّلُ ممن يعقل ، والثاني ممن لا يعقل ، وفي كُلِّ منهما إمَّا تقديم المذكر وإمَّا تأخيرهُ . والحكم في الصُّور الأربع واحد ، وهو تأنيث العدد .

وهذا صريح قول سيبويه : لا يكون في هذا إلا هذا . وهذا هو الظاهر ، فإن المذكر عاقلاً كان أو غيره لشرفه يغلب على المؤنث ، قدّم أو أخر . وهذا يشمل ما لو كان مع غير عاقل ، نحو : اشتريت أربعة عشر بين عبد وناقة ، أو بين ناقة وعبد . وكذا يغلب مؤنث العاقل على غيره ، فتقول : اشتريت أربع عشرة بين جمل وأمة ، أو بين أمة وجمل . قال أبو حيّان : وهذا هو القياس .

وقد خالف الفراء في الثلاثة ^(١) الأخيرة من الأربع ^(٢) في عموم قول الشارح المحقق ، فأوجب تذكير العدد فيها لتغليب المؤنث ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ^(٣) ﴾ : وتقول : عندي ثلاثة بين غلام وجارية ، ولا يجوز هنا ثلاث . فإن قلت : بين ناقة وجمل غلبت الأنثى ولم تبال أبدأت بالجمل أو بالناقة ، فقلت : عندي خمس عشرة بين جمل وناقة . ولا يجوز أن تقول : عندي خمس عشرة أمة وعبدًا ، ولا بين أمة وعبد ^(٤) ، إلا بالتذكير ، لأن الذكران من غير ما ذكرت لك لا يُجتزأ ^(٥) منها بالإناث ، ولأن الذكر ^(٦) موسوم بغير سمة الأنثى . انتهى .

(١) ط : « في الثلاث » والأوفق ما أثبت من ش .

(٢) كذا في النسختين ، وهو جائز ، فإن المعلوم إذا لم يذكر جاز في العدد المطابقة وعدمها .

(٣) الآية ٢٣٤ من البقرة .

(٤) ط : « بين عبد وأمة » ، وأثبت ما في ش ومعاني القرآن ١ : ١٥٢ .

(٥) ط : « لا تجزأ » ، وأثبت ما في ش ومعاني القرآن .

(٦) في معاني القرآن : « ولأن الذكر منها » .

ونقل ابن السكيت كلامه هذا بحروفه (في كتاب المؤنث والمذكر)
و (في كتاب إصلاح المنطق) .

ووافق أبو حيان الشارح فيمن يعقل وخالفه فيمن لا يعقل . قال (في
الارتشاف) : وإذا ميّزت عددًا مركبًا بمذكر ومؤنث ذوّى عقل فالحكم في
العدد للمذكر ، سواء أقدم التمييز المذكر أم أخر ، أو اتّصل بالمركب أو انفصل
بين ، أو كان المذكر نصفًا أو أقل . تقول : اشتريت خمسة عشر عبدًا وأمة ،
أو أمة وعبدًا ، أو بين عبد وأمة ، أو بين أمة وعبد ، تغلب المذكر ولو كان
واحدًا . فإن عدم العقل منهما فيما أن يتصل التمييزان بالمركب أو يفصل بين .
فإن اتّصل فالحكم للسابق منهما ، فتقول : اشتريت ستة عشر جملًا وناقة ،
وست عشرة ناقة وجملًا . وإن فصلت ^(١) بين فالحكم للمؤنث . تقول :
اشتريت ست عشرة بين جمل وناقة ، وست عشرة بين ناقة وجمل . انتهى .

وقول الشارح المحقق : إذا أبهت الليالي ولم تذكر ^(٢) جرى اللفظ على
التأنيث إن لم يجعله عند الإبهام من باب التغليب موافقةً لسيبويه ، إذ
لا يصدق عليه تعريف التغليب ، وهو أن تعمّ كلاً الصنفين بلفظ أحدهما ،
إذ لم يذكر عند الإبهام شيء من الليالي والأيام حتى يغلب ^(٣) أحدهما على
الآخر . وإنما أراد الشارح أن الليالي مستلزمة للأيام ، والأيام تابعة لها وداخله

٣١٩

(١) ش : فضل .

(٢) في الرضى ٢ : ١٤٦ : « فلهذا إذا أبهت ولم تذكر الأيام ولا الليالي جرى اللفظ على
التأنيث ، نحو قولك : أقام فلان خمسا . »

(٣) ش : حتى تغلب .

فيها ، كما قال سيبويه في : لخمس بقين . قال الزجاج في تفسير الآية المذكورة : معنى قوله عز وجل : ﴿ وَعَشْرًا ﴾ يدخل فيها الأيام . زعم سيبويه أنك إذا قلت لخمس بقين قد علم المخاطب أن الأيام داخله مع الليالي . وزعم غيره أن لفظ التأنيث مغلب في هذا الباب . انتهى .

وأراد بغير سيبويه الفراء ، فإنه زعم في تفسيره عند هذه الآية أنه تغليب . قال : لم يقل وعشرة ؛ لأن العرب إذا أبهت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي ، حتى إنهم ليقولون : صُمْنَا خمسًا من شهر رمضان ، لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام . فإذا أظهروا مع العدد تفسيره كانت الإناث بطرح الهاء ، والذكران بالهاء ، كما قال الله تعالى : ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ^(١) ﴾ . وإن جعلت العدد غير متصل بالأيام كما يتصل الخافض بما بعده غلبت الليالي أيضًا على الأيام . فإذا اختلطا فكانت ليالي وأيامًا غلبت التأنيث فقلت : مضى له سبع ، ثم تقول بعد أيام : فيها برد شديد . وأما المختلط فقول الشاعر :

* أقامت ثلاثًا بين يوم وليلة *

فقال : ثلاثًا وفيها أيام . انتهى

ويرد عليه ما ذكر من أنه ليس من التغليب في شيء ، وهو أول من ذهب إليه . لا الزجاج ، فإنه حاك للمذهبيين . ولا الزجاجي ، فإنه تلميذه .

قال ابن مالك (في فصل التاريخ من شرح الكافية الشافية) . أول الشهر ليلة طلوع هلاله ، فلذلك أُوتِرَ في التاريخ قصدُ الليالي واستُغْنِيَ عن قصد الأيام ، لأنَّ كلَّ ليلة من أيام الشهر يتبعها يومٌ ، فأغناهم قصد المتبوع عن التابع . وليس هذا من التغليب ، لأنَّ التغليب هو أن تعمَّ كلا الصنفين بلفظ أحدهما ، كقولك : الزيدون والهندات خرجوا . فالوَأُو قد عمَّت الزيدين والهندات تغليباً للمذكَّر . وقولك : كُتِبَ لخمس خلون لا يتناول إلا الليالي ، والأيام مستغنى عن ذكرها ، لكون المراد مفهوماً . انتهى .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : التاريخ عدد الليالي والأيام بالنسبة إلى ما مضى من الشهر أو السنة وإلى ما بقى منهما . وفعله أرَّخ وورَّخ ، تأريخاً وتوريخاً ، لغتان . فإن ذَكَرْتَ الليالي والأيام بالنسبة إلى السَّنة أو الشَّهر و ذَكَرْتَ العدد ، كان على جنسِهِ من تذكيرٍ وتأنيثٍ . فتقول : سَيرت من شهر كذا خمسَ ليالٍ ، أو خمسة أيام . وإن لم تذكر المعداد فالعرب تستغنى بالليالي عن الأيام فتقول : كُتِبَ لثلاث خلونَ من شهر كذا ، وليس من تغليب المؤنث على المذكَّر ، خلافاً لقوم منهم الرُّجَّاجِيُّ . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغنى) : قالوا : يغلبُ المؤنث على المذكَّر في مسألتين : إحداهما ضُبَّعان في ثنية ضُبَّع للمؤنث وضُبَّعان للمذكَّر ، إذ لم يقولوا ضُبَّعانان . والثانية التاريخ ، فإنَّهم أرَّخوا بالليالي دون الأيام . ذكر ذلك الرُّجَّاجِيُّ وجماعة . وهو سهوٌ ، فإنَّ حقيقة التغليب أن يجتمع شيان فيجرى حكم أحدهما على الآخر ، ولا يجتمع الليل والنهار . ولا هنا تعبيرٌ عن شيئين

بلفظ أحدهما ، وإنَّما أُرخت العربُ بالليالي لسبقها ، إذ كانت أشهرهم قمريةً ، والقمر إنَّما يطلُّ ليلاً . وإنَّما المسألة الصحيحة قولك : كتبه لثلاث بين يوم وليلة . وضابطه أن يكون معنًا عددٌ ممَّيزٌ بمذكرٍ كلاهما ممَّا لا يعقل ، وفصلاً من العدد بكلمة بين . قال :

« فطافَتْ ثلاثًا بين يوم وليلة » انتهى ٣٢٠

قال الشهاب ابن قاسم العبادي (فيما كتبه على هامش المغنى) : قد يكون الزَّجاجيُّ عدَّ اعتبار أحدِ الأمرين دون الآخر كما هنا نوعًا آخر من التغليب ، لأنَّ في التغليب تقديم أحدِ الأمرين في الاعتبار على الآخر ، فلا يحكم بالسَّهو عليه . فليُتأمل . انتهى .

وقول ابن هشام : قالوا : يغلب المؤنث على المذكر في مسألتين إغ ، مأخوذ من (دَرَّةُ الغَوَاصِّ للحريري) قال فيها : من أصول العربية أنَّه متى اجتمع المذكر والمؤنث غلب حكم المذكر على المؤنث ، إلَّا في موضعين :

أحدهما : أنَّك متى أردت تشنية المذكر والأنثى من الضُّبُع قلت ضُبُعَان ، فأجريت التشنية على لفظ المؤنث الذي هو ضُبُع لا على لفظ المذكر الذي هو ضُبُعَان . وإنَّما فعل ذلك فرارًا مما كان يجتمع من الزوائد لو ثنى على لفظ المذكر .

والموضع الثاني : أنَّهم في باب التاريخ أرخوا بالليالي دون الأيام . وإنَّما فعلوا ذلك مراعاةً للأسبق ، والأسبق من الشهر ليلته . ومن كلامهم : سرنا عشرًا من بين يوم وليلة . انتهى .

وفي كل من المسألتين نظر . أمّا الثانية فقد تقدّم الكلام عليها ، وردّ عليه ابن برّي (فيما كتبه على الدرة) وقال : ليس باب التاريخ ممّا غلب فيه المؤنث كالضبع ، بل هو محمول على الليالي فقط ، كقولك : كتبت لحمس خلون . فإن قلت : سرت خمسة عشر ما بين يوم وليلة فقد غلبت المؤنث على المذكر . انتهى . وأمّا الأولى فقد حكى الضبع المذكر فلا تغليب في تثنيته . حكى الدميمي ^(١) (في حياة الحيوان) عن ابن الأنباري أنّ الضبع يطلق على الذكر والأنثى .

وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوي (في كتاب الإفصاح ، في فوائد الإيضاح للفارسي) عن أبي العباس وغيره . انتهى .

وكذلك حكى الدماميني (في الحاشية المصرية على المغني) عن ابن الأنباري . ونقل الصاغاني (في العباب) عن الوزير صاحب بن عبّاد ، أنّه يقال ضبّعة بالهاء ، وجمعه ضبّع ، فيكون اسم جنس جمع يفرق بينه وبين واحده بالتاء . ويقال أيضاً ضبّعانة مؤنث ضبّعان . وقال الفيومي في المصباح : الضبّع بضم الباء في لغة قيس ، ويسكونها في لغة تميم ، وهي أنثى ، وقيل يقع على الذكر والأنثى . وربما قيل في الأنثى ضبّعة بالهاء ، كما قيل سبّع وسبّعة بالسكون مع الهاء ، للتخفيف . والذكر ضبّعان والجمع ضبّعائين ، مثل سرحان وسراحين . ويجمع الضبّع بضم الباء على ضباع ، ويسكونها على أضبّع . انتهى .

(١) نسبة إلى دميعة ، بفتح الدال . قال صاحب القاموس : « قرنتان بالسملونية » . وهو

كأل الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميمي المتوفى سنة ٨٠٨ . جمع كتابه وهو ابن ثلاثين سنة ودفن في ضريحه بالقاهرة بالحسينية في مسجده المعروف بالصواني . قاموس الأعلام للزركلي .

وقول (صاحب المغنى) : ولا يجتمع الليل والنهار ، أى لفظهما ، عند قصد الإبهام فى التاريخ ، نحو : كتب لخمسي خلون وسرنا خمسا ، وأربعة أشهر وعشرًا ، فإنه لم يذكر واحدًا منهما فضلا عن اجتماعهما كما يتنا . فلا تعبير عن شيئين بلفظ أحدهما .

ونقل بعضهم كلام المغنى (فى شرحه على الدرة) وتعبه بقوله : وفيه نظر لا يخفى ، فإن قوله لا يجتمع الليل والنهار ، إن أراد فى الوجود فمسلم ، لكنه لا يفيد ، لأن المراد بالاجتماع فى التغليب الاجتماع فى الحكم ، وإرادة المتكلم لدلالة اللفظ الواقع فيه التغليب عليهما . انتهى .

وهذه الإرادة واهية ، إذ لا يتوهم أحد اجتماعهما فى الوجود ، وإنما المراد اجتماعهما فى اللفظ . فإذا لم يوجد فيه فلا تغليب . وهذا ظاهر .

وقول ابن هشام : وإنما المسألة الصحيحة ، أى لتغليب المؤنث على ٣٢١ المذكور فى التاريخ . إذ الكلام فيه ، وليس المعنى أنه لا يغلب المؤنث على المذكور إلا فى التاريخ ، إذ ليس الكلام على مطلق تغليب المؤنث على الذكر ، كما فهمه الدمامينى (فى الحاشية الهندية) . وقال معترضًا عليه : أقول لا اختصاص لهذه المسألة بالتاريخ ، فإنه يقال فى غيره : اشترت عشرة بين جميل وناق .

ويريد بالمثل أنه يغلب المؤنث على الذكر فى غير التاريخ كما هو مدلول سياق كلامه . ومثاله جارٍ على مذهب الفراء وأبى حيان . وأما على ما ذكره الشارح المحقق فيجب أن يقول : اشترت عشرة بالتأنيث ، لتغليب الذكر .

وقول ابن هشام : وضابطه أن يكون مَعْنَا إلخ أى ضابط تغليب المؤنث على المذكور فى التاريخ . ولا يردُّ اعتراض الدمامينى بقوله يقع التغليب ، بدون هذا الضابط ، كقوله تعالى : ﴿ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ وَعَشْرًا ^(١) ﴾ ، فإنَّ ابن هشام قد غلَط من قال بالتغليب فى نحوها ، فإنَّ الآية ليست من التغليب فى شىء كما تقدم بيانه .

وحاصل كلام ابن هشام أنَّ التاريخ يكون بلا تغليب ، كما فى نحو الآية ، ويكون بتغليب إذا كان داخلًا فى الضابطة المذكورة . والتغليب ^(٢) يكون فيه وفى غيره كما ذكره الشارح المحقق وغيره فى تلك الأمثلة .

وهذا مما أنعم الله به على من فهم كلام المغنى ؛ فإنَّ شراحه لم يهتلوا لمُراده . والله الحمد على ذلك .

ولنرجع من هنا إلى شرح البيت فنقول : وصف النابغة الجعدى به بقرّة وحشيّة أَكَل السَّبْع وَلَدَهَا فطافت - وروى : (أقامت) - ثلاثة أيام وثلاث ليال تطلّبه ، ولا إنكار عندها ولا غَنَاء إِلَّا الإضافة ، وهى الجزع والإشفاق ، والجوّار وهو الصّياح . والتّكثير : الإنكار ، وهو من المصادر التى أتت على فعيل ، كالنّذير والعذير . وأكثر ما يأتى هذا النوع من المصادر فى الأصوات ، كاهدير والهديل . أى ما كان عندها حين فقدته إِلَّا الشفقة والصّياح ، وتُضيف مضارع أضاف إضافة .

وأورد البيت العسكرى (فى موضعين من كتاب التصحيف)

(١) الآية ٢٣٤ من البقرة .

(٢) ش : • والضابط • .

قال في الموضع الأول^(١) : حدثنا أحمد بن يحيى قال : سمعت سلمة بن عاصم يقول : صَحَّفَ الكِسَائِيُّ في بيت التَّابِغَةِ الجَعْدَى فقال : هو تُصَيِّفُ ، بالصاد غير معجمة ، وتُصَيِّفُ أى تَشْفِقُ . والإضافة : الشَّفَقَةُ . ويروى : « أَنْ تُصَيِّفَ » بفتح التاء ، أى تَعْدِلُ ههنا مرة وههنا مرة . يقول : كان نَكِيرُهَا لَمَّا رَأَتْ الشَّلْوَ ، أَنْ تُشْفِقَ وَتَجَارَ ، لا شَيْءَ عندها غير ذلك . وقال في الموضع الثاني^(٢) : يروى : « تُصَيِّفُ » مضموم التاء والصاد معجمة . ويروى : « تُصَيِّفُ » مفتوح التاء فمن رواه بفتحها وهو الجَيِّدُ ، أراد تُشْفِقُ . ومنه قوله :

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَصْرُوفَةٍ أَشْمُرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِثْرِي^(٣)
وفي الحديث : « حَتَّى إِذَا تَضَيَّقَتْ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ » بضاد معجمة ، أى مالت . ويقال ضاقت تُصَيِّفُ ضَيْقًا ، إِذَا مالت .

وأخبرني ابن الأنباري عن ثعلب قال : سئل ابن الأعرابي عن قوله حين تَضَيَّقَتْ فقال : لا أعرفه ، ولكن إن كان تَضَيَّقَتْ بصاد غير معجمة فهو حين تميل ، كما قال أبو زَيْد :

كُلُّ يَوْمٍ تَرْمِيهِ مِنَّا بِرِشْقٍ فَمَصِيبٌ أَوْضَافٌ غَيْرَ بَعِيدٍ^(٤) ٣٢٢

(١) كتاب التصحيف ١٢٦ .

(٢) كتاب التصحيف ٣٢٧ .

(٣) لأبي جنب الهذلي في ديوان الهذليين ٣ : ٩٢ واللسان (ضيف) . وانظر المحتسب ١ : ٢١٤ وابن يعيش ١٠ : ٨١ والعيني ٤ : ٥٨٨ .

(٤) الصواب : « ترميه منها » ، كما في الديوان ٤٢ واللسان (رشق ، صيف) . وضمير « منها » عائد إلى « النون » في بيت قبله :

غلل المرء بالرجاء ويضحى غرضا للنون نصب العود

يقال : صاف السهم وضاف ، حُكِيَا جميعًا ، أى مال . وحكى
أبو بكر بن الخباز ^(١) عن ثعلب عن ابن الأعرابي : يقال صاف السهم
بصاد غير معجمة ، إذا أخطأ ، لم يقل عربى قطّ ضاف منقوطة . وأنشد
غيره :

* فلما دخلناه أضفنا ظهورنا ^(٢) *

وضِيفْتُ فلانا ، إذا ملتَ إليه . وأضفته ، إذا أملتَه إليك . ومنه قيل
للدعى مضاف ، لأنه مسندٌ إلى قوم ليس منهم . انتهى .
وبعده :

(وألَفْتُ بيانا عند آخر معهد إهابًا ومعبوطًا من الجوف أحمرًا
وخدًا كبرقوع الفتاة ملمعًا ورؤقن لما يغنون أن تقشرا)

أراد أنها وجدت عند آخر معهد عهدته فيه ، ما بين لها وحقق
عندها أن السبع أكله . ثم فسّر ذلك البيان بما ذكره بعد ذلك . والإهاب :
الجلد . والمعبوط : الدّم الطرى . والرؤقان : القرنان . وشبه خدّه لما فيه
من السّواد ، ورذع الدّم والبياض ، ببرقوع فتاة لأنّ الفتيات يزينن براقعهن ،
وبقر الوحش بيض الألوان لا سوادَ فيها إلّا فى قوائمها وخلودها وأكفائها .
وهذه الأبيات من قصيدة طويلة ، نحو مائتى بيت ، للتّابغة الجعدي
الصحابى ، أنشد جميعها للنبي ﷺ . ومنها :

صاحب الشاهد

(١) فى التصحيح ٣٢٧ : « أبو بكر الخباز » .

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ٥٣ . وتماه فى التصحيح :

« إلى كل قبني جديد مقشب » .

وفى الديوان :

« إلى كل حارى جديد مشطب » .

(أتيْتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابًا كالمَجْرَةِ نِيرًا)
وهي من أحسن ما قيل في الفخر بالشجاعة ، وقد أوردنا منها آياتًا
كثيرة في ترجمته في الشاهد السادس والثمانين بعد المائة ^(١) .
ومن أواخرها :

(بلغنا السماءَ مجدنا وسناؤنا وإنا لنرجو بعد ذلك مظهرًا
ولا خير في حليم إذا لم تكن له بوادرُ تحمى صفوه أن يكثرًا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمرُ أصدرًا)

والبيت الأول أوردته شرح الألفية لإبدال مجدنا بدل اشتغال من الضمير
المرفوع في قوله بلغنا . وروى على غير هذه الرواية ، وتقدم هناك . ويروى
بنصب « مجدنا » على أنه مفعول لأجله .

وأنشده صاحب الكشف أيضًا عند قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا
عَلِيًّا ﴾ ^(٢) ، على أن الحسن البصري فسر المكان بالجنة ، كما أن الثابتة فسر
المظهر بالجنة لما سمع النبي ﷺ هذا البيت ، وقال له : إلى أين المظهر
يا أبا ليلى ^(٣) ؟ فقال له النبي ﷺ : « أجل إن شاء الله » .

ولما أنشده البيهقي بعده قال له النبي ﷺ : « لا يفرض الله
فاك ! » . فكان من أحسن الناس ثغرا ، وكان إذا سقطت له ثنية نبتت ،
وكان فوه كالبرد المتهلل ، يتلأل ويبرق .

(١) الخزانة ٣ : ١٦٩ - ١٧١ .

(٢) الآية ٥٧ من سورة مريم .

(٣) حاشية ش : « هكنا بخط المصنف ، وفيه نقص . وفي طبقات ابن قتيبة : فقال إلى
الجنة . والذي في الأغاني : فقال النبي ﷺ : فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقلت : الجنة . فقال : قل إن
شاء الله . فقلت : إن شاء الله » . وانظر الشعراء لابن قتيبة ٢٨٩ والأغاني ٤ : ١٢٩ - ١٣٠ .

المذكر والمؤنث

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :
 ٥٥٠ (فقلتُ لها: أَصَبَتْ حَصَاةً قَلْبِي وَرُبَّتْ رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامِي)

على أَنَّ تاءَ التَّانِيثِ قد تلحق الحَرْفَ كَرَبَّ إذا كان مجرورها مؤنثا ،
 ليدلَّ من أَوَّلِ الأمرِ أَنَّ المجرور مؤنث . والمشهور أَنَّها تزداد في بعض الحروف
 للتَّانِيثِ اللفظي . والبيت قبله :

(رَمَتْنِي يَوْمَ ذَاتِ الْعَمْرِ سَلَمَى بِسَهْمٍ مُطْعِمٍ لِلصَّيْدِ لَامِ)

وذات الغمر : موضعٌ ، كذا ذكره ابن الأثير (في المصنع) . وأنشد
 قول قيس الهذلي :

سَقَى اللَّهُ ذَاتَ الْعَمْرِ وَيْلًا وَدِيمَةً وَجَادَتْ عَلَيْهَا الْبَارِقَاتُ اللَّوَامِعُ

ولم أَرَهُ في معجم البلدان ، ولا في معجم ما استعجم .

وسَلَمَى فاعل رَمَتْنِي ، وهى اسم امرأة ، والباء متعلّقة بِرَمَتْنِي .
 والسَّهْمُ : الثَّشَابُ : ولأم صفته ، أى عليه ريشٌ لَوَامٌ ، بضم اللام مهموز العين
 على وزن فُعَال . قال صاحب الصحاح : واللَّوَامُ : القُدْذُ الملتصمة ، وهى التى
 تلى بطنُ القُدْذِ منها ظهرُ الأخرى ، وهو أجود ما يكون . تقول منه : لَأُمْتُ
 السَّهْمِ لَأُمًا . ومُطْعِمٍ : اسم فاعل من أَطْعَم . وحَصَاةُ القلب : حَبَّتُهُ ^(٢) .
 والبيتان أنشدَهما الزمخشري (في المستقصى) ولم يعرُفهما لأحد ، وقال :

(١) المستقصى للزمخشري ٢ : ١٠٥ .

(٢) ط : ه حبتا ، صوابه في ش .

« رَبِّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ »^(١) : مَثَلُ أَوَّلٍ مِنْ قَالَهُ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثِ
الْمِنْقَرِي ، وَكَانَ مِنْ أَرْمَى النَّاسِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ نَذَرَ لِيَذْحِجَنَّ مَهَاءَةً عَلَى الْعَبَّابِ ،
فَرَامَ صَيْدَهَا أَيَّامًا فَلَمْ يَمَكْنَهُ ، فَكَانَ يَرْجِعُ مُخْفِقًا حَتَّى هَمَّ بِقَتْلِ نَفْسِهِ
مَكَائِهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ مَطْعِمٌ : أَحْيِلْنِي أَرْفُذُكَ . فَقَالَ : مَا أَحْيِلُ مِنْ رَعِشِ
رَهْلٍ جَبَانٍ فَشِيلٍ ! فَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى حَمَلَهُ ، فَرَمَى الْحَكَمُ مَهَائَيْنِ فَأَخْطَأَهُمَا ،
فَلَمَّا عَرَضَتْ الثَّالِثَةُ رَمَاهَا مَطْعِمٌ فَأَصَابَهَا فَعِنْدَهَا قَالَ الْحَكَمُ ذَلِكَ . يُضْرَبُ فِي
فَلْتَةِ إِحْسَانٍ مِنَ الْمَسِيءِ . انْتَهَى .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِى وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ^(٢) :

(يَا صَاحِبَا رُبَّتْ إِنْسَانٍ حَسَنٌ)

٥٥١

عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ مَجْرُورٌ رُبَّتْ مَذْكُورًا عَلَى خِلَافِ الْأَوَّلِ . وَيَجُوزُ أَنْ
يُرِيدَ بِالْإِنْسَانِ الْمُؤَنَّثِ فَيُؤَافِقُ مَا قَبْلَهُ . وَالْإِنْسَانُ مِنَ النَّاسِ اسْمٌ جِنْسِي يَقَعُ
عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَالْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ .

وَهَذَا الْإِتِّزَامُ لَيْسَ بِبَلَاغٍ . عَلَى أَنَّ بَقِيَّةَ الرِّجْزِ يَمْنَعُ مَا أَوَّلُهُ ، كَمَا سَيَأْتِي .
قَالَ أَبُو عَلِيٍّ (فِي كِتَابِ الشَّعْرِ) : وَلَحِقَتْ بَعْضُ الْحُرُوفِ تَاءُ
التَّائِيثِ ، وَذَلِكَ رَبُّ وَرَبَّتْ ، وَثُمَّ وَثُمْتُ ، وَلَا وَلَاتَ . قَالَ :

ثُمْتُ لَا تَجْزُونَنِي عِنْدَ ذَاكُمْ وَلَكِنْ سَيَجْزِينِي إِلَاهُ فَيُعْقِبُنِي^(٣)

وَأُنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

(١) نَصْرُ الْمَثَلِ فِي الْمُسْتَقْصَى : « رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ » . وَعِنْدَ الْمُسْكِرِيِّ ١ : ٤٩ : وَالْمِيدَانِيُّ ١ :

٣٧٣ وَفَصْلُ الْمَقَالِ ٤٣ : « رَبُّ رَمِيَّةٍ » بِزِيَادَةِ « رَبِّ » ، كَمَا هُنَا . وَكَذَلِكَ فِي الْفَاخِرِ ١٤٣ .

(٢) ش : « الْوَاحِدُ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ » . وَانْظُرْ لِلشَّاهِدِ نَوَادِرِ أَبِي زَيْدٍ ١٠٣ وَابْنِ

يَعْنِي ٨ : ٣٢ .

(٣) لِلْأَعْنَى فِي دِيْوَانِهِ ٩٠ . وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ ١ : ٤٢٢ .

يا صاحباً رُبَّتْ إنسانٍ حسن يسألُ عنكَ اليوم أو يسألُ عن
وقياس مَنْ يسكنُ التاء في ثَمْتُ ورُبَّتْ أن يقف عليها بالتاء ، كما يقف
على ضَرَبْتُ . وقياس من حَرَكْ أن يقف بالهاء كما يقف على كَيْت وذيت .
انتهى .

أشطر الشاهد

والبيت من رجزٍ أوردَه أبو زيد (في نوادره) :
(يا صاحباً رُبَّتْ إنسانٍ حسن يسألُ عنكَ اليوم أو يسألُ عن
إِنَّا على طول الكلال والتون مما نقيم الميل من ذات الضنن
نسوقها سنًا وبعض السوق سنَّ حتى تراها وكأنَّ وكانَّ
* أعناقها مشرباتٌ في قرن *)

٣٢٤

قال أبو زيد : ليست التاء ^(١) في رُبَّتْ للتأنيث ، فلهذا جاز أن
يقول ^(٢) رُبَّتْ إنسان ^(٣) . انتهى .

وقوله : « يا صاحباً » أصله يا صاحبي ، فالألف أصلها ياء . ويسألُ
جواب رُبَّ ، وهو العامل في محل مجرورها . وقوله : « أو يسألُ عن » معطوف
على يسألُ عنكَ ، وكلاهما بياء الغيبة . أراد : يسألُ عنى بياء المتكلم .
وقوله : « إِنَّا على » إلخ بكسر الهمزة ابتداء كلام . وعلى بمعنى مع .
والكلال : مصدر كلَّ يَكِلُّ ، من باب ضرب ، إذا تعب وأعيا . والتون ،

(١) ش : « ليس التاء » .

(٢) ط : « أن تقول » بالتاء ، وأثبت ما في ش .

(٣) لم أعثر على هذا التعليق في النواذر المطبوعة .

بفتح التاء والواو ، وهو التوائى . قال صاحب الصحاح : وتوائى فى حاجته ، أى قصر . وقولُ الأعشى :

ولا يدعُ الحمد ، بل يشتري بوشك الظنون ولا بالتون^(١)

أراد بالتوان ، فحذف الألف لاجتماع الساكنين ، لأنَّ القافية موقوفة . والضَّعْن بكسر الضاد وفتح الغين المعجمتين : جمع ضِعْن يسكون الوسط . قال صاحب الصحاح : إذا قيل فى الناقة : هى ذات ضِعْن فإنما يراد نزاعها إلى وطنها .

والسَّن بفتح السين المهملة ، قال الرِّياشِيّ : هو أسرع السير . والقَرَن ، بفتح القاف والراء : حبلٌ يقرن به البعيران . والمشرَّيات ، بفتح الراء المشددة ، قال أبو حاتم والرياشي والمازني : هى المُدَحَلات ، من قوله : ﴿ وأُشْرِبُوا فى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ^(٢) ﴾ . وقال أبو الحسن الأخفش : ومن روى : « مسرَّيات » بالسين المهملة فإنه يذهب الى أنها تُسَرَّبُ فى القَرَن ، أى تذهب فيه وتجيء . من قوله تعالى : ﴿ وسارِبٌ بالنَّهار ^(٣) ﴾ .

وقول الشارح المحقق : وتلحق ، أى التاء ، ثُمَّ أيضًا إذا عطفت بها قِصَّةٌ على قصة ، لا مفردا على مفرد . هذا هو المشهور . وقد رأيت فى شعر رؤية بن العجاج عَطَفَ المفرد بها . قال :

فإن تكن سوائق الحِمام ساقطهم للبلد الشَّام

فبالسَّلام تُمَتَّ السَّلام

(١) فى الديوان ٢١ : « أو يشتريه » . وهو الصواب إن شاء الله . وانظر الصحاح واللسان

(ونى) .

(٢) الآية ٩٣ من البقرة .

(٣) الآية ١٠ من سورة الرعد .

وكذلك استعملها ابن مالك في جموع التكسير من (الألفية) قال :

أَفْعَلَةٌ أَفْعُلْ ثُمَّ فَعَلَهُ تُمِتُّ أَفْعَالُ جَمِوعُ قَلَّ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٢ (لقد أَغْلُوْا على أَشَقَّ رَ يَغْتَالُ الصَّحَارِيَّ)

على أَنَّهُ جمع صحراء ، فلما قلبت الألف بعد الراء في الجمع ياءً قلبت
الهمزة التي أصلها أَلِفُ التَّأْنِيثِ أيضًا .

قال ابن جنى (في سر الصناعة) : قد اطرَّد عنهم قلب أَلِفِ التَّأْنِيثِ
همزة ^(٢) . والقول في ذلك أَنَّ الهمزة في صحراء وبابها إِنَّمَا هِيَ بَدَلٌ مِنْ أَلِفِ
التَّأْنِيثِ ، كالتى في نحو حُبْلَى وسَكْرَى ، إِلَّا أَنَّهَا فِي صَفَرَاءَ وَقَعَتِ الألف بعد
أَلِفِ قَبْلِهَا زَائِدَةً ، فَالْتَقَى أَلِفَانِ زَائِدَتَانِ وَلَمْ يَجْزُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا الحذف .
أَمَّا الأَوَّلَى فَلَوْ حَذَفَتْهَا لَا تَفْرَدُتِ الآخِرَةُ ، وَهَمَّ قَدْ بَنَوْا الْكَلِمَةَ عَلَى اجْتِمَاعِ
أَلْفَيْنِ فِيهَا . وَأَمَّا الآخِرَةُ فَلَوْ حَذَفَتْهَا لَزَالَتْ سَلَامَةُ التَّأْنِيثِ ^(٣) . وَأَمَّا الْحَرَكَةُ
فَقَالَ سَيَبَوِيه : إِنَّهُ لَمَّا انْجَزَمَ الْحُرْفَانِ حَرَكَتِ الثَّانِيَةُ فَانْقَلَبَتْ هَمْزَةً ، فَصَارَتْ :
صَفَرَاءَ وَصَحْرَاءَ .

٣٢٥

(١) سر الصناعة ١ : ٩٧ والإنصاف ٨١٦ وابن يعيش ٥ : ٥٨ والمقرب ١٠٧ وشرح
شواهد الشافعية ٥ .

(٢) بعده في سر الصناعة : ه وذلك نحو حمراء وصفراء وصحراء ، وأربعاء ، وعשרاء ،
ورحضاء ، وقاصعاء ، وما أشبه ذلك ه .

(٣) في سر الصناعة : ه لزالَت علامة التَّأْنِيثِ التى وسَّمت الكلمة بها . وهذا أفحش من
الأول . فقد بطل حذف شيء منهما ه .

فإن قيل : ولم زعمت أنَّ الثانية منقلبة ، وهلاً زعمت أنها زيدت للتأنيث همزة في أول أحوالها ؟ فالجواب من وجهين :

أحدهما : أننا لم نرهم في غير هذا الموضع أنثوا بالهمزة ، إنما يؤنثون بالناء أو بالألف ، فكان حمل همزة التأنيث في نحو صحراء على أنها بدل من ألف التأنيث لما ذكرنا أخرى .

والوجه الآخر : أننا قد رأيناهم لما جمعوا بعض ما فيه همزة التأنيث أبدلوا في الجمع ولم يحققوها البتة ، وذلك قولهم في جمع صحراء وصلفاء : صحارى وصلافى ، ولم نسمعهم أظهروا همزة في شيء من ذلك ، فقالوا صحارى وصلافى . ولو كانت همزة فهين غير منقلبة لجاءت في الجمع . ألا تراهم قالوا : كوكب درىء وكواكب درارىء ، وقراء وقراءىء ، ووضاء ووضائىء ، فجاءوا بالهمزة في الجمع لما كانت غير منقلبة ، بل موجودة في قرأت ودرأت ووضؤت . فهذه دلالة قاطعة .

فإن قيل : فما الذى دعاهم إلى قلبها في الجمع ياءً ، وهلاً تركوها ملفوظاً بها كما كانت في الواحدة فقالوا صحارى وصلافى ؟ فالجواب أنها إنما كانت انقلبت وأصلها الألف ، لاجتماع الألفين ، وهذه صورتها صحراء ، وصلفاً ، فلما التقت ألفان اضطروا إلى تحريك إحداها فجعلوها الثانية ، لأنها حرف الإعراب ، فصارت صحراء وصلفاء .

وحال الجمع ما أذكره ، وذلك أنك إذا صرت إلى الجمع لزمت أن تقلب الأولى ياء لانكسار الراء في صحارى قبلها ، كما تنقلب ألف قرطاس ياء

في قراطيس ، فكذلك تنقلب ألف صحراء الأولى ياء فتصير في التقدير :
 صحارى ١ وصلافى ١ ، فتقع الياء الساكنة قبل الألف الأخيرة الراجعة عن
 الهمزة لزوال الألف [من قبلها ، فتتقلب الألف ياءً لوقوع الياء ساكنة قبلها ،
 وتدغم الأولى المنقلبة عن الألف ^(١)] الزائدة في الياء الأخيرة المنقلبة عن ألف
 التانيث ، فيصير صحارى . أنشد أبو العباس للوليد بن يزيد :

لقد أغلّو على أشقّ رَ يغتال الصحارى

وقال آخر

إذا جاشت حوائيه ترامت ومدته البطاحي الرّغاب ^(٢)

جمع بطحاء . وكذلك ما حكاه الأصمعي من قولهم : صلافي
 وخباري ، جمع صلفاء وخبراء . فهذا استدللنا على أنّ الهمزة في صحراء وبابها
 بدل من ألف التانيث . انتهى .

وهذا أصل كلّ جمع لنحو صحراء ، ثم يخفف بحذف الياء الأولى
 فيصير صحارى ، بكسر الراء وتخفيف الياء ، مثل مدارى ، ثم يبدل من
 الكسرة فتحة فتتقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، كما فعلوا في
 مدارى . وهذان الوجهان هما المستعملان ، والأول أصل متروك يوجد في
 الشعر :

وقوله : (لقد أغلّو) مضارع غدا غلّوا من باب قعد ، إذا ذهب

(١) التكملة من سر الصناعة .

(٢) ش . حواله « مع أثر تصحيح ، وما أثبت من ط يوافق سر الصناعة وابن يعيش » :

٥٨ . وكلمة « ترامت » ماقطة من النسختين ثابتة في سر الصناعة وابن يعيش : ٥٨ .

غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس . و (الأشقر) من الخيل : الذى حمرة صافية . والشُّقْرة فى الإنسان : حمرة يعلوها بياض . و (يغتال) : يُهلك ، يقال اغتاله ، أى أهلكه . وعين الفعل واوٌ . استعار يغتال لقطع المسافة بسُرعة شديدة ، فإنَّ أصل اغتاله بمعنى قتله على غِرة وغفلة . و (الصحراء) : البرِّيَّة . وقال الليث : الصحراء : الفضاء الواسع . وقال النضر : الصُّحراء من الأرض : الملساء ، مثل ظهر الدابة الأجرد ، ليس بها شجرة ولا آكام ولا جبال .

٣٢٦

ولم أقف على تنمة هذا الشعر . وهو للوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان . وتقدّمت ترجمته فى الشاهد التاسع عشر بعد المائة ^(١) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الخمسمائة ^(٢) :

٥٥٣ (مَتَى كُنَّا لِأَمْلِكَ مَقْتُونَا)

على أَنَّ مَقْتُونَا جمع مَقْتَوَى بياء النسبة المشدّدة ، فلما جُمع جمع تصحيّج حذفت ياء النسبة . والمَقْتَوَى بفتح الميم : نسبة إلى المَقْتَى بفتحها ، فقلبت الألف واوًا فى النسبة ، كما تقول مَعْلَوَى فى النسبة إلى مَعْلَى . والمَقْتَى مصدرٌ ميمي . قال صاحب الصحاح : القَتْوُ : الخدمة ، وقد قَتوت أَقْتُو قَتَوًا ومَقْتَى ، أى خدمت ، مثل غزوت أَغْزُو غَزَوًا ومَغْزَى . قال :

(١) الخزانة ٢ : ٢٢٨ .

(٢) نوادر أئى زيد ١٨٨ والخصائص ٢ : ٣٠٢ والنصف ٢ : ١٣٣ والتصرّح ٢ : ٣٧٧

ويس ١ : ٢/٧٣ : ٣٧٧ .

إِنِّي امرؤ من بنى فزارة لا أحسنُ قَتو الملوِكِ والخَبيا^(١)

ويقال للخادم مَقْتَوًى ، بفتح الميم وتشديد الياء ، كأنه منسوب إلى المَقْتَى . ويجوز تخفيف ياء النسبة ، كما قال عمرو بن كلثوم :

* مَتَى كُنَّا لَأُمِّكَ مَقْتَوِينَا * انتهى

قال ابن جنى (فى الخصائص) : كان قياسه إذا جمع أن يقال مَقْتَوِينُ ومَقْتَوِيَّينَ ، كما إذا جمع بَصَرًى وكوفى قيل : كَوْفِيُونِ وبَصَرِيُونِ ، إلا أنه جعل علم الجمع معاقباً لياء النسبة ، فصَحَّت اللام لنية الإضافة إلى النسبة ، ولولا ذلك لوجب حذفها لالتقاء الساكنين ، وأن يقال مَقْتَوُونِ ومَقْتَتَيْنِ ، كما يقال : هم الأعلُون وهم المصطفون . فقد ترى^(٢) إلى تعويض علم الجمع من ياء النسبة . الجميع زائد^(٣) . انتهى .

ثم قال صاحب الصحاح : قال أبو عبيدة : قال رجل من بنى الحرماز : هذا رجل مَقْتَوِيٌّ وهذان رجلان مَقْتَوِيَّانِ ورجال مَقْتَوِيَّانِ ، كله سواء . وكذلك المؤنث . وهم الذين يعملون للناس بطعام بطونهم .. قال سيبويه^(٤) : سألت الخليل عن مَقْتَوًى ومَقْتَوِيَّانِ فقال : هذا بمنزلة الأشعرى والأشعرين . انتهى .

والواو من مقتوين فى رواية أبى عبيد مكسورة ، والنون منونة بالرفع . وزاد عليه أبو زيد (فى نوادره) فتح الواو ، قال : رجل مَقْتَوِيَّانِ ورجال

(١) مجالس ثعلب ٥٣٤ وشرح القصائد السبع ٤٠٣ ويس ٢ : ٣٧٧ واللسان (خب) ،

قتا .

(٢) ط : نرى ، وأثبت ما فى ش والخصائص .

(٣) أى وكلها زائد . وفى النسختين : زائلا ، صوابه فى الخصائص .

(٤) سيبويه ٣ : ٤١٠ هارون .

مَقْتَوَيْنَ ، وكذلك المرأة والنساء ، وهو الذى يخدم القوم بطعام بطنه . وقال عمرو بن كلثوم :

تَهْلِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُويْدَا متى كُنَّا لَأُمِّكَ مَقْتَوَيْنَا

الواو مفتوحة ، وبعضهم يكسرها ، أى متى كُنَّا خدماً لَأُمِّكَ . انتهى .

وقد تكلم أبو على (فى كتاب الشعر) على هذه اللفظة وبين وجوه استعمالها ، مع شرح كلام أبى زيد وغيره ، فلا بأس بإيراد كلامه ، وإن كان فيه طول . قال : أنشد أبو زيد :

* متى كنا لَأُمِّكَ مَقْتَوَيْنَا *

قالوا : رجل مَقْتَوٍ وقالوا فى الجمع مَقْتَوُونَ ، كما قالوا أشعريٌّ وأشعرون ، فحذفوا ياءى النسب مع الجمع بالواو فى هذين الموضعين ونحوهما . فأما تصحيحهم الواو فإن شئت قلت صححوها فى الجمع الذى على حدّ الثنية ، كما صححوها فى جمع التكسير حيث قالوا مَقَاتِوَة ، كما أنهم لمّا حذفوا ياءى النسب فى الجمع على حدّ الثنية حذفوهما فى التكسير ، فقالوا : المهالبة . وإن شئت قلت : بنوا مَقْتَوُونَ على الجمع ، كما بنوا مذروران على حدّ الثنية . ألا ترى أنهم لم يفرّدوا الواحد منه بغير حرف الثنية ، كما لم يفرّدوا واحد مذروران وإنما استعمل واحد بحرف النسب مَقْتَوَى .

وفيه قول آخر ، وهو أنّ الواو صَحَّتْ لَمَّا كانت النسبة مرادة فى الكلمة ، فصَحَّتْ بالواو مع الحذف كما صَحَّتْ مع الإثبات ، ليكون تصحيحها دلالة على إرادة النسب ، كما صَحَّتْ الواو والياء فى عَوْر وصَيْد ،

ليعلم أنَّ الفعل لمعنى ما يلزم تصحيح الواو فيه . وكذلك ازدوجوا واعتوروا .
ألا ترى أنَّك لو بنيت منه افتعلوا ، لا تريد فيه معنى تفاعلوا ، لأعللت .
فأما النون فقد فتحت كما فتحت في مُسلمون ، وقد جعلت حرف الإعراب ،
كما جعلت في سنين ونحوه حرف الإعراب . حكى ذلك عن أبي عبيدة ،
وحكاها أبو زيد ، إلا أنَّ أبا زيد حكى الفتح والكسر فيما قبل الياء فيمن جعل
النون حرف إعراب ، وحكى جميعاً : رجلٌ مقتوٍن ورجلانٍ مقتوٍن ورجالٌ
مقتوٍن . قال أبو زيد : وكذلك المرأة والنساء .

فأما ما انفرد أبو زيد بحكايته من كسر الواو التي قبل الياء وفتحها ،
فالأصل فيه الكسر ، ألا ترى أنَّك لو أثبت ياء النسب لقلت مقتوٍون ، فإذا
حذفتها وأنت تريدها وجب تقدير الكسرة ، كما كانت تقدّر مع الياءين
لو أثبتتهما . فالذى فتح إنما أبدل من كسرة الواو الفتحة ، كما أبدل الكسرة
من الفتحة في قوله :

• ولكنني أريد به الذوينا (٢) •

فأبدل من الفتحة في الواو الكسرة . يدلُّك على أنَّ الأصل فيها الفتحة
قوله تعالى : ﴿ ذَوَاتَا أَفْئَانٍ ﴾ (٢) . وإثما جاز ذلك في الفتحة والكسرة
لأنهما كالثلثين . ألا ترى أنَّهم قد حركوا بالفتح مكان الكسر في جميع
مالا يتصرف ، وجعلوا النصب والجرُّ على لفظ واحد في التثنية وضربَي الجمع
المسلَّم في التأنيث والتذكير . فكما كانت كلُّ واحدة من الكسرة والفتحة في

(١) هو الشاهد ١٦ من الخزانة كما أنه من شواهد سيويه ٢ : ٤٣ بولاق . وصدوره :

• فلا أعنى بذلك أسفليكم •

(٢) الآية ٤٨ من سورة الرحمن .

هذه المواضع بمنزلة الأخرى ، كذلك جاز أن تفتح الواو وتكسر من مقتوين فيما رواه أبو زيد . فأما إجراؤه الكلمة وهي جمع على الواحد فيما اجتمع أبو زيد وأبو عبيدة في حكايته ، فوجهه أنه قد جاء : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ^(١) ﴾ ولم يكن أُمّهات . فكما أجرى الواحد على الجميع ، كذلك في مقتوين وصف الواحد بالجميع . وكان الذي حسن ذلك أنه في الأصل مصدر . ألا ترى أنه مفعول من القَتَو ، والمصدر يكون للواحد والجميع على لفظ واحد ، فلما دخله الواو والنون وكنا معاقين لياء النسب صارنا كأنهما لغير معنى الجمع ، كما كانتا في ثُبَّة وثُرة لَمَّا كانتا عوضاً من اللام المحذوفة لم يكونا على حالهما في غير ما هما فيه عوض . ألا ترى أن نحو طلحة لا يجمع بالواو والنون . فجرى مَقْتُوون على الواحد والجميع كما يجرى المصدر عليهما . وهذا الاعتلال يستمر في قول من لم يجعل النون حرف إعراب وفي قول من جعلها حرف إعراب . ألا ترى أن من قال سنين فجعل النون حرف إعراب فهو في إرادته الجمع كالذي لم يجعلها حرف إعراب . ومن هذا الباب إنشاد من أنشد :

« قَدَيْنِي مِنْ نَضْرِ الْخُبَيْبِ قَدَيْ ^(٢) »

من أنشدّه على الجمع أراد الخُبَيْبِ ونسب إلى أبي خبيب ، يريدّه ويريد شيعته . وعلى هذا قراءة من قرأ : ﴿ سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ ^(٣) ﴾ أراد النسب إلى الياس . وكما جُمع هذا النحو على حدّ التثنية كذلك جمع على

(١) الآية ٧٠ من سورة آل عمران .

(٢) هو الشاهد ٤٠٣ من الخزنة . واختلف في نسبة قائله .

(٣) الآية ١٣٠ من سورة الصافات . وانظر الإتحاف ٣٧٠ .

التكسير في نحو المهالبة والمناذرة . ومن هذا الباب : الأعجمون في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ^(١) ﴾ . ومن زعم أنَّ أعجمين جمع أعجم فقد غلط ، لأنَّ نحو أعجم لا يجمع بالواو والنون ، كما أنَّ عجماء لا تجمع بالألف والتاء إذا كانت صفة . فإثما أعجمون جمع أعجمي ، وحذف ياء النسب . وإثما أعجم وأعجمي مثل أحمر وأحمرى ، يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر . إلا أنَّ حكم اللفظ مختلف .

فأما الألف في قوله مقتونيا فتحتمل ضربين : من قال مَقْتَوِيْنِ فالألف بدل من التثنية كالتي في رأيت رجلا . ومن قال هؤلاء مَقْتَوُونَ وَمَقْتَوِيْنِ فالألف للإطلاق ، كقوله :

* أَقْلَى اللوم عاذِلَ والعتابا ^(٢) * انتهى .

وفيه لغة أخرى وهى ضم الميم ، ولم أر مَنْ ذكرها ومن شرحها غير أنى الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادر أنى زيد) وغير أنى على . قال (فى أواخر البغداديات) : قد كتبنا فى هذه الأجزاء وفى غيرها شرح قوله :

* متى كنا لأَمَكْ مُقْتَوِيْنَا *

ودلنا على صحة قول الخليل فيه ، من أنَّه جمع يراد به النسب على حدِّ الأعجمين والأشعرين ، بتصحيح لام الفعل ، وأنَّ ذلك إثما صحَّ كما صحَّ عَوَرُوا واجتَوَرُوا . وهذا دليلٌ بين على صحة قول الخليل . فأما ما أنشدناه أبو الحسن الأخفش ليزيد بن الحكم ، قوله :

(١) الآية ١٩٨ من سورة الشعراء .

(٢) لجريو ، وهو الشاهد ٤ من الخزانة ١ : ٦٩ . وعجزه :

* وقول إن أصبت لقد أصابا *

تُبْدَلُ خَلِيلًا بِي كَشَكْلِكَ شَكْلُهُ فَإِنِّي خَلِيلًا صَالِحًا بِكَ مُقْتَوِي

فإنه أنشدناه عن أحمد بن يحيى مُقْتَوِي بضم الميم ، وهكذا صَحَّتْهُ .

وَحَدَّثَنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ : الْمُقْتَوِي مِنَ الْخِدْمَةِ . وَهُوَ عِنْدَنَا كَمَا قَالَ . وَشَرَحَهُ أَنَّهُ مُفْعِلٌ ، فَالْوَاوُ الصَّحِيحُ فِي الْكَلِمَةِ لَامُ الْفِعْلِ ، وَالْيَاءُ مَنْقَلَبَةٌ عَنِ اللَّامِ الزَّائِدَةِ وَأَصْلُهُ وَاوُ . وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ مِثْلُ احْمَرَّتْ ، فَأَمَّا الْوَاوُ فَصَحَّتْ كَمَا صَحَّتْ فِي ارْعَوَيْتْ وَنَحْوِهِ ، إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَالَى فِي الْكَلِمَةِ إِعْلَالُ لَامَيْنِ ، وَلَا إِعْلَالُ عَيْنٍ وَلَامٍ ، لَمْ يَوْجَدْ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِيمَا حُكِمَ لَهُ بِالْقَلَّةِ .

وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ حُرُوفٌ أُخْرُ مِثْلُهَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ « مُخَجَرِي » ، وَ « مُدَحَوِي » ، وَهُوَ مِنْ حَجَا وَدَحَا .

وَيَذَلُّكَ أَيْضًا عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّ مُقْتَوِي فِي الْبَيْتِ مُفْعِلٌ ، وَأَنَّ الْمِيمَ لَيْسَ بِمَفْتُوحٍ ، إِنَّمَا هُوَ مِيمٌ مُفْعِلٌ ، تَعْدِيهِ إِلَى قَوْلِهِ خَلِيلًا . وَالْمَفْتُوحَةُ الْمِيمُ لَا تَتَعَدَّى إِلَى شَيْءٍ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِاسْمٍ فَاعِلٌ .

فَإِنْ قُلْتَ : أَرَأَيْتَ مُفْعِلٌ نَحْوَ مُرْعَوٍ مُتَعَدِّيًا فِي مَوْضِعٍ ، فَيَجُوزُ تَعْدِي هَذَا الَّذِي فِي الْبَيْتِ ؟ أَوْ لَيْسَ هَذَا الْبَابُ يَجِيءُ كُلُّهُ غَيْرَ مُتَعَدٍّ ؟ فَالْقَوْلُ فِيهِ أَنَّ هَذَا الْبَابَ مِنْ اسْمِ الْفَاعِلِ كَمَا قُلْتَ غَيْرَ مُتَعَدٍّ ، كَمَا أَنَّ فِعْلَهُ كَذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ لِلضَّرُورَةِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَمَلُ ذَلِكَ عَلَى الْمَعْنَى فَعْدَاهُ . وَالْمَعْنَى : فَإِنِّي خَلِيلًا بِكَ خَادِمٌ . فَحَمَلَهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى وَعْدَاهُ . وَإِنْ شِئْتَ أَضْمَرْتَ شَيْئًا دَلَّ عَلَيْهِ مُقْتَوِي فَتَنْصِبُهُ بِهِ . انْتَهَى .

وتبعه ابن جنى (فى المحتسب) قال : قالوا : ارعوى أفعلاً^(١) ، واقتوى
أى خدّم وساس ، فمقتوى فى بيت يزيد مَفْعَلٌ^(٢) من الفَتَو ، وهو الخدمة .
وخليلاً عندنا منصوب بفعل مضمر ، يدلّ عليه مقتو ، وذلك أنّ أفعلاً^(٣)
لا يتعدى إلى المفعول به ، فكأنّه قال : فإنى أَخْدُمُ أو أُسْوِسُ ، أو أتعهد
أو أستبدل بك خليلاً . ودلّ مقتو على ذلك الفعل . انتهى .

وقد شرحنا قصيدة يزيد بن الحكم فى أول باب المفعول معه ، فى
الشاهد الثمانين بعد المائة^(٤) .

والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ، تقدّم سببها وشرح أبيات
٣٢٩ منها مع ترجمته فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة^(٥) .

وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

تُطِيعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتُزْدَرِينَا	(بَأَىْ مَشِيئَةَ عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ
نَكُونُ لَقَيْلُكُمْ فِيهَا قَطِينَا	بَأَىْ مَشِيئَةَ عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ
مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتُونَا	تَهْدُونَا وَأَوْعِدْنَا رَوِيدَا
عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا	فَإِنْ قَنَاتْنَا يَا عَمْرُو أَعَيْتَ

قوله : « بَأَىْ مَشِيئَةَ » متعلق بتطيع . وعمرو منادى مبنى على الضم .
قال سُرَّاحُ المعلقة : هو منصوب على أنّه إتياع لقوله ابن هند كما قيل مُنْتِن ،
فأتبعوا الميم التاء ، والقياس الضم .

(١) ط : « أفعلى » ، وهو جائز على أصل الوزن قبل الإدغام .

وما أثبت من ش يطابق المحتسب ٢ : ٢٥ .

(٢) فى المحتسب : « مفعلى » ، وما هنا صوابه .

(٣) ط : « أفعلى » ، صوابه فى ش والمحتسب ٢ : ٢٦ .

(٤) الخزانة ٣ : ١٣٢ ، ١٣٩ .

(٥) الخزانة ٣ : ١٨٣ - ١٨٥ .

وعمر بن هند هو ملك الحيرة في الجاهلية ، قتله صاحب هذه المعلقة ، وتقدم سبب قتله هناك .

وتزدرينا : تحتقنا . والمعنى : أى شئ دعاك إلى هذه المشيئة ، ولم يظهر منا ضعف يُطمع الملك فينا حتى يُصغى إلى من يشئ بنا عنده ، ويُغريه بنا فيحقرنا ؟ وتقدير تطيع بنا ، أى فى أمرنا . والقيل بفتح القاف : من هو دون الملك . وفيها ، أى فى المشيئة . والقطين : جمع قاطن ، من قطن بالمكان إذا أقام فيه . يقول : كيف شئت يا عمرو أن نكون خدماً ورعايا لمن وليتموه أمرنا ، أى ما دعاك إلى هذه المشيئة ولم يظهر منا ضعف يُطمع الملك فينا .

وقوله : « تهذنا وأوعدنا رويداً » هذا استهزاء به . وهو بالجزم على أنه أمر ، أى ترفق في تهذنا وإيعادنا ، ولا تبالغ فيهما ، متى كنّا خدماً لأئمة حتى نهتمّ بهديك ووعيدك إيانا ؟! وروى : « تهذنا وتوعدنا » بالمضارع على الإخبار . ثم قال رويداً ، أى دع الوعيد والتهديد وأهمله . قال شراح المعلقة : قالوا : وعدته فى الخير والشر ، فإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته ، وإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته ، وإذا لم تذكر الشر قلت : أوعدته .

وذكر ابن الأنباري أنه يقال وعدت الرجل خيراً وشرّاً ، وأوعدته خيراً وشرّاً . فإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته . وإذا لم تذكر الشر قلت : أوعدته .

وقوله : « فإن قناتنا » إلخ قال الزوزنى : العرب تستعير للعز اسم القناة . يقول : إن قناتنا أبت أن تلين لأعدائنا قبلك . يريد أن عزهم أى أن يزول بمحاربة أعدائهم ، لأن عزهم منيع لا يرام .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٤ (كَسَامَعَتْنِي شَاةٌ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ)

على أنه إذا كان المؤنث اللفظي حقيقياً التذكير جاز في ضميره التذكير والتأنيث . وشاة هنا مؤنثة لفظاً ، ومعناها الثور الوحشي ، وقد رجع إليه ضميره في وصفه وهو مفرد مذكر ، رعايةً لجهة المعنى .

قال ابن السكيت (في كتاب المؤنث والمذكر) : ما جاءك من الجمع مثل الشاء والبقر والحصى فهذا اسمٌ موضوع ، فإذا أرادت العرب أفراد واجده قالوا : شاة ، للمذكر والأنثى .

ولم يُردّ بالهاء ههنا التأنيث المحض ، إنما أرادوا الواحد ، فكبروها أن يقولوا : عندى جراد ، وهم يريدون الواحد من الجراد ، فلا يعرف جمعٌ من واحد ، فجعلت الهاء دليلاً على الواحد . فهذا قياس مطرد . وهذا عجزٌ ، وصدرة :

(مؤللتان تعرف العتق فيهما)

وقبله :

(وصادقتا سمع التوجس للسرى لجرس خفي أو لصوت مندب)

صاحب السند وهما من معلقة طرفة بن العبد المشهورة . وصف ناقته بعدة أبيات إلى أن ٣٣٠ وصف أذنيها فقال : « وصادقتا سمع » إلخ يعني أذنيها ، أى لا تكذبها إذا سمعت شيئاً . والتوجس : الخوف والحذر من شيء يُسمع . وقوله : « للسرى » أى في السرى . والجرس يفتح الجيم : الصوت الخفي . والمندد بفتح الدال المشددة : الصوت المرفوع المبين .

(١) شروح المملكات ، واللسان (شوه) .

وقوله : (مؤلّتان) صفة صادقتا ، أى محدّدتان كتحديد الآلة ، بفتح
الهمزة وتشديد اللام ، وهى الحرّة . ويريد أن أذنيها كالحرّة فى الانتصاب .
و (العتق) : الكرم والتّجابه . أى أنت تتبيّن الكرم فيهما إذا نظرت إليهما ،
لتحديدهما وقلة وبرهما . قال الخطيب التبريزى : العتق هنا فى الأذنين : أن
لا يكون فى داخلهما وبر ، فهو أجود . والسّامعتان : الأذنان .

قال شراح المعلقة : (الشاة) هنا : الثور الوحشى ، ولهذا قال مفرد بلا
هاء . و (حومل) اسم رملة ، لا ينصرف . وشبه أذنى ناقته بأذنى تور
وحشى ، لتحديدهما وصدق سمعهما . وأذن الوحشى أصدق من عينه .
وجعله مفرداً لأنّه أشدّ توجّساً وحذراً ، إذ ليس معه وحش يلهيه ويشغله ،
فانفراده أشدّ لسمعه وارتياحه .

وترجمة طرفه بن العبد تقدّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد
المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده .

(فلا مُزَنَةٌ ودَقَّتْ ودَقَّها ولا أرضٌ أبْقَلُ إِبْقَالِها)

تقدّم شرحه مفصّلاً فى الشاهد الثانى أول الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الخمسمائة (٣) :

٥٥٥ حَلَفْتُ بِهِدْيِ مُشْعَرٍ بِكَرَائِهِ يَحُبُّ بِصَحْرَاءِ الْعَبِيطِ دَرَادِقُهُ)

(١) الخزانة ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥ - ٥٥ .

(٣) الحماسة ١٧٤٦ بشرح المرزوق .

على أَنَّ تَأْنِيثَ نحو الزينبات مجازي لا يجب له تَأْنِيثُ المسند ، بدليل البيت ،
فإن البكرات كالزینبات ولم يؤنث له المسند ، وهو مُشْعَر .
وهذا ظاهر .

وقد خطأً المبرد (في كتاب الروضة) قول أُنَى نواس :
كَمَنَّ الشُّنَّانُ مِنْهُ لَنَا كَكُمُونِ النَّارِ فِي حَجَرِهِ

وقال : كان يجب أن يقول في حجرها ، لأن النار مؤنثة . وأجابوا عنه
بأنَّ أبا نواس أراد : ككُمُونِ النارِ في حجر الكُمُونِ .

والبيت من قصيدة لعارق الطائي ، عدتها في رواية أُنَى تمام في الحماسة
أحد عشر بيتا ، وفي رواية : الأعلم (في حماسه) أربعة عشر بيتا . وبعده
وهو آخر القصيدة :

(لئن لم تَغَيِّرْ بعضَ ما قد صَنَعْتُمْ لَأَتُحَجِّينَ لِلْعَظِيمِ ذُو أُنَى عَارِقُهُ)
وبهذا البيت سُمِّيَ عَارِقًا ، واسمه قيس كما يأتي .

خاطب بها عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقيل أخاه المنذر بن المنذر بن
ماء السماء . كان أحدهما بعث جيشًا للغزو فلم يصيبوا أحدًا وأخفقوا ، فمروا
بجى من طييء في جَمَى الملك فاستاقوهم ، وكان قد أُرْعَاهِم الحمى وكتب لهم
بذلك عهدا ، فلمَّا قَدِمُوا بهم إلى الملك شاورَ فيهم زُرارة بن عُدْس الدارمي ،
فأشار عليه بقتل المقاتلة منهم ، واستعباد ذراريهم ، فقام رجلٌ منهم وقال :
هذا كتابك لنا . فأجرى عليهم الملك رزقًا ، فارتحل عارق هذا الشعر ، فلمَّا
سمعه الملك أحسنَ إليهم وخلَّى سبيلهم .

وقوله : (حلفتُ بهدي) إلخ الهدى : ما يُهْدَى إلى الحرم من النعم .
يقال أهديت الهدى إلى الحرم ، أى سقته إليه . و (مُشْعَر) : اسم مفعول

من الإشعار ، وهو أن يُطعن في السَّنام فيسيل الدم عليه ، فيستدلّ بذلك على كونه هَذِيًّا . وجعل الهَذْيَ دالًّا على الجنس . وما بعده صفته ، وهو مشعرٌ ، وبكراته مرفوع بمشعر ، وهو جمع بَكْرَة ، وهى الشَّابَّة من الإبل . وخَبٌّ يَخْبُ خبيبا ، كطلب يطلب طلبا . والخبب : ضربٌ من العدو ، وهو خَطُو فسيح . والباءُ بمعنى فى . و (الغبيط) بفتح الغين المعجمة وكسر الموحدة : موضعٌ قريب من فلج في طريق البصرة إلى مكة . و (اللِّرَادِق) : جمع دَرْدَق كجعفر ، وهو صغار الإبل . والضمير في بَكَراته ودرادقه للهذى .

وقوله : « لئن لم تَغَيِّرْ » إلخ هذه اللام هى اللام الموطئة ، وطأت الجواب الآتى للقسم الذى قبل الشرط ، سواء كان القسم قبلها موجودا كما هنا أو غير موجود كقوله تعالى : ﴿ لئن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ ﴾ ^(١) . ولا يجوز أن تكون هذه اللام لام جواب القسم بأن يكون الجواب للشرط ، وبمجموع الشرط وجوابه جواب القسم ، إذ لو كانت كذلك لجاز جزم الفعل فى قولك : لئن أكرمتنى أكرمك ، بالجزم ، والتالى باطل والمقدّم مثله . وقد أجمع النحاة على أن الفعل الثانى واجب الرفع . فإن قلت : فما جواب الشرط ؟ قلت : مخوف دلّ عليه جواب القسم . و « تَغَيِّرْ » بالخطاب ، وروى بالغيبة على البناء للمفعول ورفع بعض . وقوله : « لَأُتَحَيِّنَ » اللام لام جواب القسم ، وأنتحين مؤكّد بالنون الخفيفة جوابٌ للقسم فى البيت قبله وهو حلفت . والانتحاء للشيء : التعرّض له ، والاعتماد والميل . وروى : « لَأُتَحَيِّنَ العَظَمَ » بنون التوكيد الثقيلة وبلام

(١) الآية ١٢ من سورة الحشر .

التعريف بعدها . وذو صفة للعظم ، وهو في لغة طييء بمعنى الذى . وجملة « أنا عارق » صلته . وبه أورد الزمخشري (في المفصل) قال : ومن الموصولات ذو الطائية . وأنشد البيت .

وعارق اسم فاعل من عرقت العظم عرقاً ، من باب قتل : أكلت ما عليه من اللحم . جعل شكواه كالعرق ، وجعل ما بعده إن لم يغير ما صنعه تأثيراً في العظم . يقول : حلفت أيها الملك بقرايين الحرم وقد أغلست بكراتها بعلامة الإهداء ، يخب بصحراء ذلك الموضع صغارها ، إن لم تعير بعض ما صنعتها ، ولم تتدارك ما فاتنا من عدلك لأميلن على كسر العظم الذى أخذت ما عليه من اللحم . جعل شكواه وتقبيحه لما أتاه كالعرق ، وجعل ما بعده إن لم يغير تأثيراً في العظم نفسه . وقد أحسن في التوعد ، وفي الكناية عن فعله وعما بهم به ^(١) بعده . ومعناه : أكسر عظمكم بعد هذا التهديد ، إن لم ترجعوا عن هذا الظلم ^(٢) .

وعارق اسمه قيس بن جروة بن سيف ^(٣) بن وائلة بن عمرو بن مالك بن أمان ، ويقال لأولاده الأجيون ، لإقامتهم بأجاً ، وهو أحد جيلي طي . وأمان هو ابن ربيعة بن جرول بن ثعل الطائي . كذا في جمهرة الأنساب . ويقال له الأجيى لما ذكرنا . وهو شاعر جاهلي أورد أبو تمام من شعره في عدة مواضع من الحماسة .

* * *

(١) ط : « وعماهم » ، وأثبت ما في ش .

(٢) ش : « كعب » ، صوابه في ش ومعجم المرزباني ٣١٦ .

(٣) في معجم المرزباني : « بن سيف بن مالك بن عمرو بن أمان » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) : ٣٣٢

٥٥٦ (لو كنت من مازن لم تستبح إيلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا)

على أنَّ (بنون) لتغير مفردة في الجمع أشبه جمع المكسر ، فجاز تأنيث الفعل
المسند إليه ، كما يجوز في الأبناء الذي هو جمع مكسر ، كما أسند في البيت
(لم تستبح) بقاء التأنيث في أوله إلى بنو .

وهذا ظاهر .

والبيت أول أبيات ثمانية ، هي أول الحماسة ، لقريط بن أنيف صاحب الشاهد
العنبري . وبعبارة :

(إذن لقام بنصرى معشر حُشن
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم
لا يسألون أخاهم حين يندبهم
لكن قومي وإن كانوا ذوى عَدَدٍ
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
كأن ربك لم يخلق لخشيتيه
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا
عند الحفيظة إن ذو لؤثة لانا
طاروا إليه زرافات ووحدانا
في النائبات على ما قال برهانا
ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
ومن إساءة أهل السوء إحسانا
سواهم من جميع الناس إنسانا
شنوا الإغارة فرسانا وركبانا)

قال أبو عبيدة : أغار ناس من بنى شيبان على رجل من بنى العنبر ،
يقال له قريط بن أنيف ، فأخذوا له ثلاثين بعيرا ، فاستجد قومه فلم
ينجئوه ، فأتى مازن تميم فركب معه نفر فأتروا لبنى شيبان مائة بعير ،
فدفعوها إليه ، فقال هذه الأبيات . انتهى .

(١) الحماسة ٢٣ بشرح المروزقي ، والمغنى ٢١ ، ٢٥٧ والأشعري ٤ : ٤٣ واللسان (تيم

ومازن هنا هو ابن مالك بن عمرو بن تميم ، أخى العنبر بن عمرو بن تميم . وإذا كان كذلك فمدحُ هذا الشاعر لهم يجرى مجرى الافتخار بهم .

قال المرزوقي : قصد الشاعرُ في هذه الأبيات إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه ، لا إلى ذمهم . وكيف يذمهم ويؤال الذم راجع إليه ؟ لكنه سلك طريقة كبشة أخت عمرو بن معديكرب في قولها :

ودع عنك عمراً إن عمراً مسالمٌ وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمَطْعِمِ

فإنها لا تهجو أخاها ، وعمرو هو الذى كان يُعدُّ بألف فارس ، ولكن مرادها تهيبه .

و (الاستباحة) : الإباحة . وقيل الإباحة : التخلية بين الشيء وبين طالبه ، والاستباحة : اتخاذ الشيء مباحاً . والأصل في الإباحة إظهار الشيء للناظر ليتناوله مَنْ شاء ، ومنه : باح بسرّه . (واللقيطة) إنما ألحق بها الهاء ، وإن كانت فعلاً بمعنى مفعول ، لأنها جعلت اسماً ولم تتبع موصوفا كالذبيحة . كذا في شروح الحماسة . ولا مناسبة للقيطة هنا لأنها فزارية ، لا اتصال لها بذهل بن شيبان . والصواب : (بنو الشقيقة) كما يأتي .

وأوّل من شرح على « اللقيطة » وأتبعوه : أبو عبد الله التمرى ، أوّل من شرح الحماسة . قال : اللقيطة نَبَزَ نَبَزُهُم الشاعر به ، وليس بنسب لهم ، جعل أمهم ملقوطة ، وأخرجها مخرج النطيحة والرمية . هذا كلامه .

وردّ عليه الأسود أبو محمد الأعرابي ، (فيما كتبه على ذلك الشرح)

قال : هذا موضع المثل « أَوَّلُ الدَّنِّ دُرْدِيُّ » . هذا أول بيت من الحماسة
 ٢٢٢ جهل جهة الصَّوَابِ في صحَّةِ متنه واستواءِ نظامه ، فاشتغل بوزن اللَّقِيْطَةِ
 وذكر النطيحة . والصواب إن شاء الله ما أنشدناه أبو الندى ، وذكر أنه
 لقريط بن أنيف العنبري :

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي بنو الشَّقِيقَةِ من ذُهل بن شيبانا

قال : الشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عوف بن ذُهل بن شيبان .
 وهي أمُّ سيار ، وسمير ، وعبد الله ، وعمرو ، أولاد سعد بن همام بن مرة بن
 ذُهل بن شيبان . وهم سيارٌ مرَّدة ، ليس يأتون على شيءٍ إلا أفسدوه .

قال : وأما اللقيطة ، وليس هذا موضعها ، فهي أمُّ حصن بن حذيفة
 وإخوته ، وهم خمسة ، واسمها نُضَيِّرة بنت عُصيم بن مروان بن وهب بن
 بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة . وإنما الحق بها هذا الاسم لأنَّ
 أباهم لم يكن له ولد غيرها ، والعرب ذاك الدهر تمد الجوارى ، فلما رآها
 انتشرت نفسه عليها ورق لها ، وقال لأُمُّها : استرضعيها وأخفيها من الناس .
 فكان أول من فطن لها حمل بن بدر ، فقال لأخيه حذيفة ، وتحتة العنبرية
 ليس له ولد إلا منها ، وهو مسهر ، وبه كان يكتنى : مالك لا تتزوج وتجمع
 النساء تُرزق منك عُضْدًا . قال : ومن لي بالنساء تُشبهُنِي وتلائمنِي ؟ قد
 علمت ما لقيت من العنبرية وطلبها . قال : قد التقطت لك امرأة ترضاهما
 وتشبهك . قال : من هي ؟ قال : بنت لعصيم بن مروان بن وهب . قال :
 وإن له لبنتا ؟ قال : نعم . قال : فإني لم أسمع بها . قال : كانت مُخْفَاة وقد
 خُبرت خبرها . قال : فأنت رسولي إلى عُصيم فيها . قال : فأتاه فزوجه إياها .

وبهذا سُمِّيت اللقيطة . وهى أم حصن ، ومالك ، ومعاوية ، وورد ، وشريك ، بنى حذيفة . وإياهم عَنَى زِيَان بن سَيَّار بقوله :

أَعَدَدْتُهَا لِبْنَى اللَّقِيْطَةِ فَوْقَهَا رُمُحٌ وَسَيْفٌ صَارِمٌ وَشَلِيلٌ^(١)

انتهى كلام الأسود . وما أُورده فى تسمية اللقيطة خلاف ما قاله السَّكْرِيُّ (فى شرح ديوان حسان بن ثابت) قال : اللقيطة : أم حصن بن حذيفة ، كانت سَقَطَتْ منهم فى نُجعة وهى صغيرة ، فأخذت فسميت اللقيطة .

وكذا قال ياقوت (فى أنساب العرب) قال : وحصن بن حذيفة ، هو ابن اللقيطة ، لأنَّ قومها انتجعوا فسقطت وهى طفل ، فالتقطها قومٌ فردوها عليهم . انتهى . والله أعلم .

وقوله : « إِذْنٌ لِّقَامِ بَنَصْرَى » إلخ يأتى إن شاء الله الكلام على إعراب هذا البيت فى إِذْنٍ من نواصب الفعل . وقام بالأمر : تكفل به . وَخُشْنٌ بضمين : جمع خَشْنٍ وقيل أَخَشْنٌ ، وضمة الشين للإتباع . والحفيظة : الغضب فى الشيء الذى يجب عليك حفظه . واللؤة بضم اللام : الضعف ، وهى الرواية الصحيحة ، وبالفتح : القوة والشدة . والأوَّلُ أسدٌ ؛ لأنَّ مراده التعريضُ بقومه ليغضبوا أو يهتاجوا لنصرته .

وقوله : « قوم إذا الشر » إلخ الناجذ بالجيم والذال المعجمة : ضرس الحُلم ، زائد . والناجذ : مثل لاشتداد الشر ، كما يقال : كثر الحربُ عن

(١) الشليل ، بالشين المعجمة : الدرع . ط : « وسليل » ، صوابه فى ش والمفضليات

نابه ^(١) كذا في شرح الطبرسي . وقال غيره : الناجذ : أقصى الأضرار ، كنى بإبدائه عن كشف الحال ورفع المجاملة . واستعمال الناجذ للشر استعارة لا اشتداد أمره . وطاروا : أُسرُوا إلى دَفْعِهِ ولم يتناقلوا ، والزَّرَافَة ، بفتح الزاى ، قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : معناها الجماعة ، سُميت بذلك للزيادة التى فى الاجتماع والتضام ^(٢) . ومنه التزريف ، للزيادة فى الحديث ، يقال زَرَّفَ فى كلامه ، أى زاد فيه . ومنه الزَّرَافَة لطول عنقها وزيادته على المعتاد المألوف فيما قلَّه قُدَّها . ووَحْدَان : جمع واحد ، كصاحب وصُحبان ، بمعنى منفردين .

وقوله : « لا يسألون أخاهم » إلخ قال ابن جنى : ليس يندبهم هنا من الثدبة التى هى التفجُّع ، وإنما هى بمعنى الاستغاثة . غير أنَّ أصلهما واحد ، وهو ما اجتمع فيه من معنى الخصوص والعناية .

والبرهان : الدليل ، فُعَلَّالٌ لا فُعَلَّانٌ ، لقولهم : برهنت عليه ، أى أقيمت الدليل . وأخو القوم : الواحد منهم . واستشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ^(٣) على أَنَّ الأخ يطلق ويراد به الواحد من القوم كما فى البيت . وفى البيت تعريضٌ بقومه . وقوله : « لكنَّ قومى » إلخ يعنى إنَّ قومى وإنَّ كان فيهم كثرةٌ عدد

(١) الحرب ، بمعنى القتال ، مسكن الراء ، مؤنث . وحكى ابن الأعرابى فيها التذكير .

وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابه كره اللقاء تلتظى حرا به

وقد تكون الحرب فتح فكسر ، وهو الغضبان .

(٢) فى إعراب الحماسة الورقة ٥ : « والتضام فيه » .

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الشعراء .

وَعُدَّةٌ لیسوا من دفع الشرِّ فی شیء وإن كان فیہ خفةٌ وقلةٌ . وفیه مطابقةٌ ،
 حیث قابل الشرطَ بالشرط فی الصدر والعجز ، والعدد والكثرة بالهون والخفة .
 ویريد أنهم یؤثرون السلامة ما أمکن ، ولو أرادوا الانتقام لقتلوا یعددهم .

وقوله : « یجزون من ظلم » هذا البیت وما بعده استشهد بهما أهل
 البدیع علی النوع المسمی : « إخراج الذم مُخرج المدح » . ونبه بالیبتین علی
 أنَّ احتمالهم إنما هو لاحتمساب الأجر علی زعمهم ، فكأنَّ الله لم یخلق لخوافه
 غیرهم . وقوله : « سواهم » استثناء مقلَّم من إنسان .

وقوله : « فلیت لی بهم » أورده ابن هشام (فی حرف الباء من المغنی)
 علی أنَّ الباء فی بهم للبدلیة . وقال ابن جنی : لیست الإغارة هنا مفعولاً به ،
 بل هی منتصبه علی المفعول لأجله ، أی شلُّوا للإغارة فرساناً وركبائاً ، أی فی
 هذه الحال .

وقُرِط بن أنیف ، بضم القاف وفتح الراء . وأنیف بضم الهمزة وفتح
 النون . وهو شاعر إسلامی . قاله الخطیب التِّیریزی فی الحماسة .
 وقد تتبَّعتُ كتب الشعراء وتراجهم فلم أظفر له بترجمة .

قرط بن أنیف

وأنشد بعده :

(بَحْوَراًنَ یَعْصِرْنَ السَّلِیْطَ أَقَارِبَهُ)

وتقدّم شرحه مفصلاً فی الشاهد السادس والسبعین بعد الثلاثئة (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الخمسمائة (١) :

٥٥٧ (مع الصُّبْح رَكْبٌ من أَحَاظَةٍ مُجْفِلٌ)

على أَنَّ اسم الجمع بعضه كالركب يجوز تذكيره وتأنينه ، وفي الشعر جاء مذكراً ، فإنه عاد الضمير عليه من مُجْفِل بالتذكير ، ولو أَثَّ لقليل مجفلة . ومجفل صفة ثانية لركب .

وهذا عجز بيت ، وصلره :

(فَعَبْتُ غِشَاشًا ثم مَرَّتْ كَأَنَّهَا)

والبيت من القصيدة المشهورة بلامية العرب ، للشَّنْفَرَى . وهذه أبيات صاحب الشاهد منها متصلة به :

أبيات الشاهد	(وتشربُ أُسَارَى القَطَا الكُدرُ بعدما هممتُ وهمتُ وابتدرنا وأسدلت فوليتُ عنها وهي تُكَبِّرُ لِعَقْرِه كَأَنَّ وَغَاها حَجَرِيَّه وحوله تَوَاقِينَ من شَتَّى إليه فضمُّها فَعَبْتُ غِشَاشًا) البيت	سَرَّتْ قَرِيبًا أَحْنَاؤُهَا تتصلصلُ وشمَّرَ منى فارتط مُتَمَهِّلُ يباشرُ منها ذُقُونٌ وَخَوَصَلُ أَضَامِيمُ من سَفَرِ القِبَائِلِ نُزُلُ كما ضَمَّ أَذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مِنْهُلُ
--------------	---	---

٣٣٥

وقوله : « وتشربُ أُسَارَى » إلخ الأسار بفتح الهمزة : جمع سؤر ، وهو بقية الماء . يريد أَنَّهُ يسبق القطا إذا سايَرها في طلب الماء لسرعته ، فتد بعده وتشرب سؤره ، مع أَنَّ القطا أسرع الطير ورودًا . وأُسَارَى : مفعول تشرب ، والقطا فاعله ، والكُدر صفته .

والقطا ثلاثة أضرب : أحدها كُدريّ ، وهي الغُبْرُ الألوان ، الرُقش
الظهور ، البطون ، والصّفْرُ الخلق .

ثانيها : جُونِيّ بضم الجيم ، وهي سود الأجنحة والبطون ، وهي أكبر
من الكدر ^(١) ، وتُعَلّ جُونِيّة بكثرتين ، وهي منسوبة إلى الجونة ، وهي
الذّمة . والكدريّ منسوبٌ إلى الكُدرة ، وهي الغيبة .

ثالثها : غَطَاطٌ ، وهي غُبْرُ البطون والظهور ، سودُ بطون الأجنحة ،
طوال الأرجل والأعناق ، لطاف الأجسام ، لا تجتمع أسراباً ، أكثرُ ما تكون
ثلاثاً أو اثنين . كذا في (شرح أدب الكاتب) لابن برى ، واللّيلى .
وسرّيتُ ، إذا سِرَتْ في أول الليل ؛ وأسريتُ ، إذا سِرَتْ في آخره .
وقيل : بل هما لغتان .

والقَرَب ، بفتح القاف والراء ، قال الخطيب التّيزيّ (في شرح
القصيدة) : هو ورود الماء . يقال قَرِبْتَ الماءَ أَقْرَبُهُ ، إذا وردته . وليلة القَرَب :
ليلة ورود الماء .

وقال الزمخشريّ (في شرحها) : قَرَباً : حال من ضمير سَرَتْ . والقَرَب :
السير إلى الماء بينك وبينه ليلة . قال الأصمعيّ : قلت لأعرابيّ : ما القَرَب ؟
فقال : سير الليل لورود الغد . وقال الخليل : القارب : طالب الماء ليلاً ، ولا
يقال لطالب الماء نهاراً . انتهى .

والأحناء : جمع حنو ، بكسر المهملة وسكون النون ، هو الجانب .
ويتصلصل : يصوّت . قال الخطيب : وروايتي « أَحشاؤها » وهو أجود
عندى . ويقال لليابس : سمعت صلصلة ، أى صوتاً من يُيسه .

(١) ش : الكدرى .

والصلصال : الفَخَّار . يقول : تَتَصَلَّصِلُ ^(١) أَجَوَافُهَا مِنَ الْعَطَشِ لَيْبِسَهَا .
 وقوله : « هَمَمْتُ وَهَمْتُ » إلخ هَمْتُ أَنَا وَهَمْتُ الْقَطَا . وابتدلنا :
 استبقنا . وَأَسْدَلْتُ : أَرَحْتُ جَنَاحَهَا وَكَفَّتْ عَنِ الطَّيْرَانِ لَتَعِيَهَا . قال
 الخطيب : وَحِظْتُ « وَابْتَدَلْنَا وَقَصَّرْتُ » ، يريد أَنَّ الْقَطَا عَجَزَتْ عَنِ الْعُلُوِّ
 وَهُوَ لَمْ يَكِلْ . وَشَمَّرَ : خَفَّ . وَالْفَارُطُ ، بِالْفَاءِ : الْمُتَقَلِّمُ . وَالْمَتَمَهِّلُ :
 الْمُتَأَنِّي . وَفِيهِ مِبَالِغَةٌ وَتَجْرِيدٌ .

وقوله : « فَوَلَّيْتُ عَنْهَا » إلخ تُكَبِّرُ : تُتَسَاقَطُ الْقَطَا إِلَى غُفْرِ الْحَوْضِ أَى
 تَقْرُبُ مِنْهُ . وَالْغُفْرُ ، بَضْمِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْقَافِ ، هُوَ مَقَامُ السَّاقِ
 مِنَ الْحَوْضِ ، يَكُونُ فِيهِ مَا يَتَسَاقَطُ مِنَ الْمَاءِ عِنْدَ أَخْذِهِ مِنَ الْحَوْضِ . وَالذُّقُونُ :
 جَمْعُ ذُقْنِ فِي الْكَوْثَةِ ، وَأَذْقَانٌ فِي الْقَلَّةِ . وَحَوْصَلُ : جَمْعُ حَوْصَلَةٍ . يَقُولُ :
 وَرَدْتُ وَصَدَرْتُ وَالْقَطَا تَكْرَعُ ثُمَّ تَصَلُّرُ ، وَكُنْتُ أَسْرَعَ مِنْهَا .

وقوله : « كَأَنَّ وَغَاها حَجَرِيَّه » إلخ وَغَاها : أَصْوَاتُهَا . وَالْوَغَى بِالْغَيْنِ
 الْمَعْجَمَةُ وَالْمَهْمَلَةُ : الصَّوْتُ . وَحَجَرِيَّه مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِ ، وَالضَّمِيرُ
 لِلْعُقْرِ ، أَى مَقَامِ السَّاقِ . وَحَجَرَتَاهُ : نَاحِيَتَاهُ ، مِثْلَى حَجَرَةٍ بَفَتْحِ الْمَهْمَلَةِ
 وَسُكُونِ الْجِيمِ : النَّاحِيَةُ . وَحَوْلُهُ ظَرْفٌ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ ، وَالضَّمِيرُ لِلْعُقْرِ أَيْضًا .
 وَأَضَامِيمُ : خَيْرُ كَأَنَّ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ ، أَى كَأَنَّ وَغَاها وَغَى أَضَامِيمُ ، لِأَنَّ
 التَّشْبِيهَ إِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ . وَأَضَامِيمُ : جَمْعُ إِضْمَامَةٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ
 الْقَوْمُ ^(٢) يَنْضَمُّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي السَّفَرِ .

(١) ط : « يتصلصل » .

(٢) كذا في النسختين . يعنى لفظ الأضاميم .

ونُزِّل : جمع نازل صفة أضاميم . أى يُسمع لهذه القطا أصوات كما يسمع
أصوات هؤلاء عند نزولهم .

وقوله : « تَوَافَيْنَ مِنْ شَيْءٍ » إلخ توافين : اجتمعن ، والضمير للقطا .
ومن شَيْءٍ ، أى من طرق مختلفة ، جمع شتيت بمعنى مختلف . وضمير إليه
للعُقر ، وكذلك فاعل ضَمَّهَا ضمير العُقر . وأذواد : جمع ذود ، وهو ما بين
الثلاث إلى العشر من الإبل . والأَصَارِم : جمع أَصْرَام بالفتح ، وهو جمع صِرْم
بالكسر ، وهو القطعة من الإبل . كذا قال الخطيب . وقال غيره : هو أَيْبَات
مجموعة من الأعراب . والمنهل : مورد الماء ، وهو فاعل ضَمَّ ، وأذواد مفعوله .

وقوله : (فَعَبَّتْ غِشَاشًا) إلخ عَبَّت : شربت بلا مصّ . قال ثعلب :
عَبَّ يُعَبُّ ، إذا شرب الماء فصَّبه في الحلق صَبًّا . وقال الخطيب : عَبَّت :
تابعت الشرب ، كأنها تعييه في أجوافها ، فيكون من التعية . وغِشَاشَا
بكسر الغين المعجمة بعدها شينان معجمتان . قال الخطيب : قال بعض أهل
اللغة : معناه على عجلة . وقال غيره : قليلاً أو غير مَرِيءٍ ^(١) . والركب :
رُكْبَانُ الإبل خاصة . يقول : وَرَدَتِ القطا على عَجَلٍ ثم صدرت في بقايا من
الظلمة في الفجر . وهذا يدلُّ على قوَّة سُرْعَتِهَا . ومُجْفِلٌ بالجيم : مسرع ،
صفة ثانية للركب ، ومن أَحَاطَ صفة أُولَى . (وأَحَاطَ) بضم الهمزة بعدها
مهملة وظاء مُشَالَة معجمة ، قال الخطيب : أَحَاطَ فيما ذكر ثعلب : قبيلة

(١) ش : قليلاً أى غير مَرِيءٍ .

من الأزد . وقال غيره : هي قبيلة من اليمن . ولم يعرفها المبرد ، ولم أسمع باسمها إلا في هذا الشعر . انتهى .

وقوله : « وقال غيره » إلخ ، غير جيد ، فإن الأزد من اليمن .

وقيل أحاطة موضع لا قبيلة . قال البكري (في معجم ما استعجم) : أحاطة : بلد . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : وقد قيل إن أحاطة قبيلة من ذى الكلاع من حمير ، وهو الصحيح . انتهى .

وقد ذكره ابن الكلبي (في جمهرة حمير) قال : وأحاطة أخو مَيْتَم بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُثَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر ابن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن حمير بن سبأ . ثم ذكر مَيْتَم وأحاطة وغيرهما . وقال : وقد تكلَّعوا ، وهم رهط سَمِيفَع ، وهو ذو الكلاع الأصغر ، ابن ناكور ابن عمرو بن يعْفَر بن يزيد ، وهو ذو الكلاع الأكبر ، ابن النعمان . ثم ذكر أن قبائل ذى الكلاع ثلاث وعشرون قبيلة ، منهم مَيْتَم وأخوه أحاطة . ثم قال : تكلَّع هؤلاء في الجاهلية على سَمِيفَع . والتكلُّع في لغتهم : التجمُّع . ومَيْتَم بفتح الميم وسكون المشاة التحتية وفتح المشاة الفوقية .

والشَّنْفَرَى : شاعر جاهليُّ تقدَّمت ترجمته في الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين ^(١) .

باب المثنى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٨ (أُحِبُّ مِنْهَا الْأَنْفَ وَالْعَيْنَانَا)

على أَنَّ لزوم الألف المثنى في الأحوال الثلاثة لغة بني الحارث بن كعب ، فإنهم يقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا ، يقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسلام علامكم . قاله أبو حاتم والأخفش (في شرح نوادر أوى زيد) .

٣٣٧

والبيت من رجز مسطور في هذه النوادر ، قال : وأنشدنى المفضل لرجل من ضبة ، هلك مذ أكثر من مائة سنة :

صاحب الشاهد

(إِنْ لَسَعَدَى عِنْدَنَا دِيوانَا يُخْزِي فَلَانَا وَابْنَهُ فَلَانَا
كانت عجوزًا عَمِرَتْ زمانا وهى ترى سِيَّهَا إِحسانا
أعرف منها الأنف والعينانا ومنخرين أشبهًا ظيَّانَا

ظيَّان : اسم رجل . أراد : منخرى ظيَّان ، فحذف ، كما قال :
﴿ واسأل القرية ^(٢) ﴾ ، يريد : أهل القرية . انتهى .

قال ابن جنى (في سر الصناعة) : من العرب من لا يخاف اللبس

(١) نوادر أوى زيد ١٥ وابن يعيش ٤ : ٦٧ ، ١٤٣ ، والمقرب ٨٠ والعينى ١ : ٨١٤ والتصريح ١ : ٧٨ والمصع ١ : ٤٩ والأشمونى ١ : ٩٠ وملحقات ديوان رؤية ١٩٧ .

(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

وُجِرى الباب على أصل قياسه ، فیدعُ الألف ثابتةً فى الأحوال ، فىقول : قام الزیدان ، وضربت الزیدان ، ومررت بالزیدان ، وهم بنو الحارث ووطنٌ من ربيعة . وأنشدوا فى ذلك :

* تزودَ منا بین أذناه ضربةً ^(١) *

وقال آخر ^(٢) :

فأطرقَ إطراقَ الشُّجاع ولو يَرى مساعًا لناباه الشُّجاعُ لصمًا

وقال آخر :

أُعرفُ منها الجيدَ والعینانا ومنخِرینَ أشبا ظنينا

یرید : العینین . ثم إنه جاء بمنخِرین على اللغة الفاشية . ورؤینا عن

قطرب :

* خبَّ الفؤادِ مائلَ الیدانِ *

وقال آخر ^(٣) :

إنَّ أباهَا وأبا أباهَا قد بلغا فى المجد غایتها

وفیها : وعلى هذا يتوجّه عندنا قراءة من قرأ : ﴿ إن هَذَا

لساحران ^(٤) 》 . انتهى .

وقوله :

* إن لسُعدى عندنا دیوانا *

(١) لهُوبر الحارثى فى اللسان (صرع ٦٤ هـ ٢٢٦) . وعجزه :

• دعتهُ إلى هاتى التراب عقیم •

(٢) هو المثلّمس . دیوانه الورقة الأولى من مخطوطة الشنقيطى .

(٣) انظر الشاهد التالى .

(٤) الآية ٦٣ من سورة طه .

سُعدى ، بضم السين : اسم امرأة . قال السكري : الديوان مكسور ، ولذلك قالوا دواوين ، مثل قيراط ودينار . ولو كان ديوان بالفتح لقالوا دياوين ، ولأدغموا الواحد فقالوا دَيَّان ، كما قالوا دَيَّار . انتهى .

قال ابن السَّيِّد : الديوان أصله فارسي معرَّب ، واستعملته العرب ، وجعلوا كلَّ محصِّل من كلام أو شعر ديوانا . وفاعل يُخزِي ضمير الديوان . وقوله : « كانت عجوزًا » ، أى صارت عجوزًا . وعِمِرَتْ ، بفتح العين وكسر الميم . وقوله : « ومنخرين أشبها ظبيانًا » تقدَّم عن أبى زيد أنَّ ظبيان اسم رجل ، وأنَّه على تقدير مضاف ، أى منخري ظبيان .

وزعم بعضهم كما نقله العيني أنَّه مثنى ظبى ، على حذف مضاف ، والتقدير : أشبها منخري ظبين .

وهذا وإن كان فى نفسه صحيحًا إلا أنَّ نقل أبى زيد يدفعه .

والمنخر ، على وزن مسجد : خرق الأنف ، وأصله موضع النخير ، وهو الصَّوت من الأنف ، يقال نخر ينخر من باب قتل ، إذا مدَّ النَّفْسَ فى الخياشيم . والمنخر ، بكسر الميم للإتباع لغة . والمنخور كعصفور : لغة طيِّء .

وعُرف من نقل أبى زيد أنَّ الرواية : « أعرف منها الأنف » لا : « أحبُّ منها » كما هو فى الشرح .

وبنو الحارث بن كعب : قبيلة عظيمة من قبائل العرب من قحطان .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٩ (إنَّ أباهَا وأبَا أبَاهَا قد بلغَا في المجْدِ غَايَتَاهَا)

٣٣٨

لما تقدَّم قبله .

والشاهد في : « غايتها » ، و « أبَا أبَاهَا » . فيجوز أن يكون جاء على لغة القصر ، يقال : هذا أباك ومررت بأباك ، فتكون الحركة مُقْتَرَنَةً على الألف .

والبيتان نسبهما ابنُ السِّدِّ (في أبيات المعاني) لرجل من بني الحارث . صاحب الشاهد وقال العيني ، وتبعه السيوطي (في شرح أبيات المغني) : نسبهما الجوهرى إلى أئى النجم ، وأنشد قبلهما :

(وَاَهَا لَرَيَّا ثُمَّ وَاَهَا وَاَهَا هِىَ الْمُئْنَى لَوْ أَتْنَا نِلْنَاهَا
يَالَيْتَ عَيْنِيَا لَنَا وَفَاهَا بِشْمَنِ تُرْضَى بِهِ أَبَاهَا)
إِنَّ أَبَاهَا ... إلخ .

وقد رجعتُ إلى الصحاح فلم أر فيه إلا البيتين الأولين ، ولم أر فيه ما أنشده الشارح هنا .

وقال العينيُّ أيضًا وتبعه السيوطي : أنشد أبو زيد في نوادره عن المفضل قال : أنشدنى أبو العُؤْلُ ، لبعض أهل اليمن :

(أئى قُلُوصِ رَاكِبٍ تَرَاهَا شَالُوا عَلَاهُنَّ فَشُلْ عَلَاهَا
وَاشْدُ بِمِثْنَى حَقَبٍ حَقَّوَاهَا نَاجِيَةً وَنَاجِيَا أَبَاهَا)

(١) الإنصاف ١٨ وابن يعيش ١ : ٣/٥١ : ١٢٩ والمقرب ٨١ والمغني ١٢٢ ، ٢١٦ والشنور ٤٨ والتصريح ١ : ٦٥ والعيني ١ : ١٣٣ / ٣ : ٣٤٦ والمص ١ : ٣٩ والأشمونى ١ :

إِنَّ أَبَاهَا ...) إلخ .

وقد رجعت إلى النوادر أيضا فلم أر فيها هذين البيتين ، وإنما أورد عن المفضل الأبيات الأربعة من قوله : أئى قلوص إلى قوله : وناجيا أباه . أورها في موضعين من النوادر ^(١) ، ولم يزد على تلك الأربعة . وقد شرحناها في الشاهد الثامن عشر بعد الخمسمائة من باب الظروف ^(٢) .

و (المجد) : الشرف . وكان الظاهر أن يقول : قد بلغا في المجد غايته ، بضمير المذكر الراجع إلى المجد ، لكنه أثبت الضمير لتأويل المجد بالأصالة . والمراد بالغائتين الطرفان من شرف الأبوين ، كما يقال أصيل الطرفين . وقال العيني : المجد : الكرم ، والضمير لرثا . وهذا على ما ذكره الجوهري من أن قبل البيت : « واهأ لرثا » . وأما على رواية أبى زيد فيكون ضمير أباه للقلوص . هذا كلامه .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الخمسمائة ^(٣) :

٥٦٠ (ياربُّ خالٍ لك من عُربته فسوته لا تنقضى شهرته)
شهرى ربيع وجماديينه)

على أن نون الثنية قد تفتح كما في « شهرينه » و « جماديينه » ، وكما في البيت السابق :

* أعرف منها الأنف والعينانا *

(١) نوادر أبى زيد ٥٨ ، ١٦٤ .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٢ - ١١٥ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ١٤٢ والمقرب ١٥٩ والإنصاف ٧٥٥ والمخصص ١٥ : ١١٤ .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : قرأت على أئى على (فى نوادر أئى زيد) :

* أعرف منها الأنف والعينانا ^(١) *

ورويانا عن قطرب لامرأة من ققّس :

ياربّ خال لك من عرينه حَجَّ على قليص جوينه
فسوته لا تنقضى شهرينه شهرى ربيع وجهادينّه

وقد حكى أنّ منهم من ضمّ النون فى نحو الزيدان والعمران . وهذان من الشنوذ بحيث لا يقاس غيرهما عليهما . انتهى .

وقيد ابن عصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) فتح النون بحالة النصب والخفض ، وبحالة النصب فقط فى لغة من ألزم المثنى الألف فى جميع الأحوال .
وقد وجّه أبو على (فى كتاب الشعر) فتح النون على وجوه . قال :
أنشد أبو زيد :

٣٣٩

* أعرف منها الأنف والعينانا *

تحريك النون بالفتح يحتمل غير وجه . منها : أنّ حركتها لما كانت لالتقاء الساكنين ، ورأى التحريك فى التقائهما فى المنفصل والمتّصل لا يحرك بضرب واحد من الحركة ، جعل الثانية مثل ذلك . ألا ترى أنّهم قالوا : رُدّ ، ورُدّ ، ورُدّ . وقالوا : عَوْضٌ ، وعَوْضٌ ^(٢) ونحو ذلك ، فلم يلزموا فى المتّصل ضرباً واحداً من التحريك ، فكذلك جعل نون الثانية بمنزلة .

(١) ط : * أعرف منه * ، صوابه فى ش ونوادر أئى زيد ١٥ .

(٢) كنا فى النسختين . والحق أنّها مثلثة الضاد ، كما فى القاموس واللسان .

ويجوز أن يكون شبه الثنية بالجمع ، لَمَّا رآهم يقولون : مضت سنون ، ويقولون : مضت سنين ، فيجعلون النون في الجمع حرف الإعراب ، جعلها في الثنية كذلك .

ويجوز أن يكون شبه غير العلم بالعلم . ألا ترى أن النحويين قد أجازوا في رجل يسمى بثنية أن يجعلوا النون حرف الإعراب ، فيقولون : هذا زيدان وعمران ، وكان القياس أن لا يُعرى من شيء يدل على الثنية ، كما أنه إذا سمي بجمع بالألف والتاء لم يعرّوه ممّا يدل على حكاية ذلك . إلا أنهم لما قالوا السبعان في الاسم المخصوص فلم يُيقوا شيئاً يدل على حكاية الثنية جاز على ذلك تغيير ما سُمي بثنية .

وقد حكى البغداديون تحريك نون الثنية بالفتح إذا وقعت بعد ياء . وأنشدها :

* على أحوذيين^(١) *

ويشبه أن يكونوا شبهوا الثنية بالجمع . فكما فتحوا النون بعد الياء في الجمع كذلك فتحوا ما بعد الياء في الثنية ، وهذا مما يقوى فتح النون في قوله : « العينانا » . ألا ترى أنه ليس يلزمها على رأيهم وعلى ما أنشده حركة واحدة . وما عليه الجمهور أولى من جهة القياس أيضاً ، وهو الأكثر في الاستعمال . وذلك أن هذه الياء لا تلزم الكلمة .

وقد وجدت من الحروف ما لا يقع به الاعتداد لَمَّا لم يلزم . فالياء في

(١) البيت بتمامه كما في اللسان (حوذ) في وصف جناحي قطاة :

على أحوذين استقلت عليهما فما هي إلا لحظة فتضب

وهو الحميد بن ثور في ديوانه ٥٥ .

هذا الموضع ليست بلازمة . ألا ترى أنَّ منهم من يجعلها في جميع الأحوال ألفاً . وقد حذفوا هذه النون في غير الإضافة ، كما يُحكى عن الكسائي أنَّه أنشد :

يا حبُّ قد أمسينا ولم تنام العينا
أراد : العينان ، فحذف النون .

وقوله : « إِنَّ عَمَى اللذا » أشبهُ شيئاً ^(١) ، لأنَّ الاسم قد طال بالصلة : انتهى .

وقوله : (يا رَبَّ خالٍ) إلخ يا حرف تنبيه ، وربُّ ، والعامل في محلِّ مجرورها حجٌّ . و (عرينة) بضم العين وفتح الراء المهملتين : قبيلة باليمن . وقوله ^(٢) : « حجٌّ على قَلِيصٍ » إلخ حذفه الشارح المحقق لعدم تعلُّق غرضه به . وإثماً ذكر البيت الأوَّل وإن كان مثل الثاني ليعلم منه فتح النون في البيتين الآخرين ، إذ لولا ذكره لرُبما ظُنَّ أنَّ النون فيهما مكسورة ، كقول الراجز :

قل لخليلِكَ وتحسنانِه هل أنتما العيشَ مليثانِه
في دار حىٍّ حيث تعلمانِه إن لا تقولان فتُحسنانِه

وقُلَيْصٌ : مصغر قُلوص ، وهى الناقة الشابة . وجُوَيْنَة : مصغر جون بفتح الجيم . والجون من الخيل ومن الإبل : الأدهم الشديد السواد . وقوله : (فسوته لا تنقضى) إلخ الفسوة بالفتح : ريح يخرج بصوت يسمع . وهو على حذف مضاف ، أى تثنى فسوته لا ينقضى فى هذه المدة ، ففسوته تشبه

(١) ط : « أشبه شيء » . والمراد أشبه قليلا . وهو يشير إلى قول الأخطل (الخزاعة ٢ : ٤٩٩)

بولاق) :

أبنى كليب ان عمى اللذا قتل الملك وفككا الأغلالا
(٢) ش : « وقد » ، صوابه فى ط .

فَسَوْءُ الظَّرْيَانِ . وَالظَّرْيَانُ بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر الراء بعدها
 موحدة ، وهى دُوَيْبَةٌ كالمرة منتنة الريح ، تزعم العرب أنَّها تفسو فى ثوب
 ٣٤٠ أحدهم إذا صاها ، فلا تذهب رائحته حتَّى يلى الثوب . وقد ضُرب بها
 الأمثال ، يقال : « أنتن من ظريان » ، و « أفسى من ظريان » ، و « فسا
 بينهم الظريان » ، إذا تقاطع القوم وتهاجروا . و (تنقضى) : تذهب شيئاً
 فشيئاً . (شهرين) منصوب على الظرف وعامله تنقضى ، وهو مثنى شهر ،
 وفتح النون شذوذاً ، والهاء بعدها للسكت أتى بها لبيان الفتحة ، فإنَّها قد
 يبيِّن بها حركة نون الاثنين مكسورة ومفتوحة ، ويبيِّن بها حركة نون الجمع
 أيضاً ، كقوله :

قد صبَّحت بالأمس ماءً لينة^(٢) يحفُّها م القوم أريعونه

* حاليةٌ كاسيةٌ دهينة *

قوله : (شهرى ربيع) إلخ بدل من شهرينه . و (جماديتنه) معطوف
 على شهرى ، لا على ربيع ، لوجهين : أحدهما : أنَّه لا يقال شهر جمادى فإنَّ
 لفظ شهر لا يضاف إلَّا لما فى أوله راء كشهر ربيع وشهر رجب وشهر
 رمضان ، كما هو المشهور . ثانيهما : لئلا يفسد المعنى ، فإنه لو عطف على
 ربيع لاقتضى أنَّ البدل أربعة أشهر ، والمبدل منه شهران ، وهذا تخلف من
 القول ، فعطفه على البدل يفيد أنَّ عدم الانقضاء فى أربعة أشهر : شهرى

(١) لينة ، بالكسر : بحر من أعذب الآبار بطريق مكة ، وقال السكونى : هو المنزل الرابع
 لقاصد مكة من واسط . قال زهير :

شح السقة على ناجودها شيما
 من ماء لينة لا طرقا ولا رنقا

ربيع وجماديين ، وهو مثنى جمادى بضم الجيم وقصر آخره ، فلما ثنى قلبت
الألف ياء كقولك : قَتَانٍ فى ثنية الفتى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٦١ (لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِى مَحَلِّ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو أَشْرٍ وَمَحَلِّ)

على أَنَّ أصل المثنى العطف بالواو ، فلذلك يرجع إليه الشاعر فى
الضرورة كما هنا ، فَإِنَّ القياس أن يقول ليثان ، لكنه أفردهما وعطف بالواو
لضرورة الشعر .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : التثنية والجمع المستعملان أصلهما
التثنية والجمع بالعطف ، فقولك : جاء الرجلان ومررت بالزبدن أصله جاء
الرجل والرجل ، ومررت بزبد وزبد ، فحذفوا العاطف والمعطوف وأقاموا حرف
التثنية مقامهما اختصاراً . وصحَّ ذلك لاتفاق الذاتين فى التسمية بلفظ
واحد . فَإِنْ اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرير بالعاطف ، كقولك :
جاء الرجل والفرس ، إذ كان ما فعلوه من الحذف فى المتفقين يستحيل فى
المختلفين . ولما التزموا فى تثنية المتفقين ما ذكرنا من الحذف ، كان التزامه فى
الجمع ممّا لا بدّ منه ولا مندوحة عنه ، لأنَّ حرف الجمع ينوب عن ثلاثة
فصاعداً إلى ما لا يدركه الحصر . ويدلك على صحّة ما ذكرته أنهم ربّما رجعوا

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١١٠ والمقرب ٧٩ والممع ١ : ٤٣ .

إلى الأصل في تثنية المتفقيين وما فُويقَ ذلك من العدد ، فاستعملوا التكرير
بالعاطف إمَّا للضرورة ، وإمَّا للتفخيم . فالضرورة كقول القائل :
« كَانَ بَيْنَ فَكَّهَا وَالْفَكِّ »^(١) .

أراد أن يقول : بين فكَّها ، فقاده تسحيح الوزن والقافية إلى استعمال
العطف .

ومثله فيما جاوز الاثنين قول أبى نواس :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسُ

فإن استعملت هذا في السَّعة فإنما تستعمله لتفخيم الشيء الذى
تقصد تعظيمه ، كقولك لمن تعنَّفه بقبيح تكرر منه ، وتنبَّهه على تكرير
عفوك : قد صفحت عن جُرم وجُرم وجُرم وجُرم ، وكقولك لمن يحقر أيادى
أسديتها إليه ، أو يُنكر ما أنعمت به عليه : قد أعطيتك ألفًا وألفًا وألفًا .
فهذا أفخم فى اللفظ ، وأوقع فى النفس ، من قولك : قد صفحت لك عن
أربعة أجرام ، وقد أعطيتك ثلاثة آلاف . انتهى .

٣٤١

وهذا الشعر لوائلة بن الأسقع ، أورده له الكلّاعى (فى السيرة النبوية)
فى وقعة مرج الروم قال : كان وائلة بن الأسقع فى خيل قيس بن
هُبيرة ، فى جيش خالد بن الوليد ، فخرج بطريق من كبارهم ، فبرز له وائلة
وهو يقول فى حملته :

صاحب الشاهد

(لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِى مَجَالِ ضَنْكَ كَلَاهِمَا ذُو أَنْفٍ وَمَحَلِّ)

(١) الرجز لمنظور بن مرثد ، كما فى اللسان (زكك) .

(٢) بين هذا الكلام وتاليه فى أمالى ابن الشجرى : « ومثله :

« لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِى مَكَانِ ضَنْكَ » .

أُجُولُ جَوْلٍ حازِمٍ فى العَرِكِ أو يكشفَ الله قنَاعَ الشكِّ
مَعَ ظَفَرِي بِحَاجَتِي وَدَرْكِي)

ثم حمل على البَطْرِيقِ فقتله .

وأورد الجاحظ تَمَتُّه وقَصَّتَه (فى كتاب المحاسن والمساوى) لجحدر بن مالك الحنفى على غير هذا الوجه ، قال :

كان باليمامة رجلٌ من بنى حنيفة ^(١) يقال له جحدر بن مالك ، وكان لَسْنَا فاتكا شاعرا ، وكان قد أَفحَشَ على أَهلِ هَجَرَ وناحيتهما ، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف ، فكتب إلى عامل اليمامة يُوَبِّخُه فى تَلَاْعِبِ جحدرِ به ، ثم يَأْمُرُه بالتجرُّدِ فى طلبه حتَّى يظفرَ به . فبعث العامل إلى فِتْيَةٍ من بنى يربوع ابن حنظلة ، فجعلَ لهم جُعْلاً عظيماً إن هم قتلوا جحدرًا ، أو أَتَوْا به ، ووَعَدَهُم أَن يوفدهم إلى الحجاج ويُسَنِّى فرائضهم ^(٢) ، فخرج الفتية فى طلبه حتَّى إذا كانوا قريباً منه بعثوا إليه رجلاً منهم يريهِ أَنَّهُم يريدون الانقطاع إليه . فوثق بهم ، واطْمَأَنَّ إليهم . فبيناهم على ذلك إذ شُدُّوه وَثَاقًا ، وقَدِّمُوا به إلى العامل فبعث به معهم إلى الحجاج ، فلما قَدِّمُوا به على الحجاج قال له : أنت جحدر ، قال : نعم : قال : ما حملك على ما بلغنى عنك ؟ قال : جَرَاءُ الْجَنَانِ ، وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ ، وَكَلْبُ الزَّمانِ . قال : وما الذى بلغ من أَمرك فيجترىءَ جنائِكَ ، ويصلِّكَ سلطانك ، ولا يكلِّبُ عليك زمانك ؟ قال :

(١) فى معجم البلدان (حجر) : « من بنى جشم بن بكر » . وفى الموقفيات ١٧٠ : « رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلي » . وما فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٩٦ مطابق لما هنا .

(٢) أصل الإِسَاءَةِ الرِّفْعُ . فالمراد زيادة الفريضة .

لو بَلَانِي الْأَمِيرُ لَوَجَدَنِي مِنْ صَالِحِي الْأَعْوَانِ ، وَبُهُمُ الْفُرْسَانُ ^(١) وَمَنْ أَوْفَى
عَلَيَّ أَهْلُ الزَّمَانِ . قَالَ الْحِجَاجُ : أَنَا قَاذُفُكَ فِي قَبَةِ فِيهَا أَسَدٌ ، فَإِنْ قَتَلْتُكَ
كَفَانَا مَوْتُكَ ، وَإِنْ قَتَلْتَهُ خَلِينَاكَ وَوَصَلْنَاكَ . قَالَ : قَدْ أُعْطِيتَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ
الْمُنِيَّةَ ، وَعَظَّمْتَ الْمِنَّةَ ، وَقَرَّبْتَ الْحَنَّةَ . فَأَمَرَ بِهِ فَاسْتَوْثِقَ مِنْهُ بِالْحَدِيدِ ، وَأُلْقِيَ
فِي السَّجَنِ ، وَكُتِبَ إِلَى عَامِلِهِ بِكَسْكَرٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَصِيدَ لَهُ أَسَدًا ضَارِيَا . فَلَمْ
يَلْبِثِ الْعَامِلُ أَنْ يَبْعَثْ لَهُ بِأَسَدٍ ضَارِيَا ، قَدْ أَبْرَتْ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ^(٢)
وَمَنَعَتْ عَامَّةَ مَرَاعِيهِمْ وَمَسَارِحِ دَوَابِّهِمْ ، فَجَعَلَ مِنْهَا وَاحِدًا فِي تَابُوتٍ يُجَرُّ عَلَى
عَجَلَةٍ ، فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ أَمَرَ فَأُلْقِيَ فِي حَيْزٍ ^(٣) ، وَأُجِيعَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى
جَحْدَرٍ فَأَخْرَجَ وَأَعْطَى سَيْفًا وَدُلِّيَ عَلَيْهِ ، فَمَشَى إِلَى الْأَسَدِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَجَالِ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو أَنْفٍ وَمَحْكٍ
وَصَوْلَةٍ فِي بَطْشِيهِ وَقَتْلِكَ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
وَزَفَرًا بِجَوْجُوٍّ وَبَرْكِ فَهُوَ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكِ
الذُّبِّ يَعْوِي وَالْغُرَابُ يَكِي)

٣٤٢

حتى إِذَا كَانَ مِنْهُ عَلَى قَدَرٍ ^(٤) رَمَحَ تَمَطَّى الْأَسَدُ وَزَارَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ ،
فَتَلَقَّاهُ جَحْدَرٌ بِالسَّيْفِ فَضْرَبَ هَامَتَهُ فَفَلَقَهَا ، وَسَقَطَ الْأَسَدُ كَأَنَّهُ

(١) جمع بهمة : بالضم ، وهو الفارس الذي لا يدرى مقاتله من أين يدخل عليه .

(٢) الإبراء : الغلبة والقهر . وفي المحاسن ٥١ وأمالى ابن الشجري : ٢ : ١٩٦ والموقفيات

١٧٣ : « قد أبرت » . والإبراء : الغلبة أيضا . يقال أبر عليهم إبرايرا : غلبهم .

(٣) كذا في النسختين والمحاسن . وفي الموقفيات : « حور » بالفتح والراء المهملة ، وهو

الوجه . والحير ، كما في القاموس : شبه الحظيرة .

(٤) ط : « قد رمح » ، صوابه في ش . وفي أمالى الشجري : « على قيد رمح » . والقيد ،

بكسر القاف : القدر أيضا .

خيمةً قَوَّضَتْهَا الرِّيحُ . ولم يلبث جحدرٌ لشدَّةِ حملة (١) الأسدِ عليه ، مع كونه مكبلاً ، أن وقع على ظهره (٢) متلطبَّحاً بالدم . وعلت أصواتُ الجماعة بالتكبير ، وقال له الحجاجُ لما رأى منه ما هاله : يا جحدرُ ، إن أُحِبِّتَ أن أُلْحِقَكَ ببلادك وأُحَسِّنَ جائزَتَكَ فعلتُ ذلك بك ، وإن أُحِبِّتَ أن تقيم عندنا أقمتُ فأسنينا فريضتك . فقال : اختار صحبة الأمير . ففرض له ولجماعة أهل بيته ، وأنشأ جحدرٌ يقول :

يا جُمْلُ إِنَّكَ لو رأيتَ بسالتى	فى يوم هَينج مُردَفٍ وعِجاج (٣)
وتقدُّمى لليثِ أرسُفَ نحوه	حتَّى أكابره عن الأُخراج (٤)
جَهْمٌ كانَّ جبينه لما بدا	طبَّقَ الرِّحَا متفجِّرُ الأُتُبا
يرنو بناظرينَ يحسبُ فيهما	من ظنَّ خالهما شعاعَ سِراج (٥)
شَنُّ برائثه كانَّ نيوبه	زُرُقُ المعابلِ أو شدَّةُ زِجاج
وكأُما خِيطُ عليه عِباءةٌ	برِقاءُ أو خَلَقٌ من الدِّيباج
قرنانِ مُحْتَضِرانِ قد رَتبهما	أُمُ المنيةِ غيرَ ذاتِ نتاج
وعلمتُ أنى إن أُنيتُ نزاله	أنى من الحجاجِ لستُ بناج
فمَشَيْتُ أرسُفَ فى الحديدِ مكبلاً	بالموت ، نفسى عند ذاكِ أناجى

(١) ط : « حمل » . والوجه ما أثبت من ش .

(٢) ط : « اذ وقع على ظهره » ، صوابه فى ش .

(٣) فى الأخبار الموفقيات ١٧٤ :

يا جمل أنك لو رأيت كرهتى فى يوم هيج مسدف وعجاج
وبين الأبيات هنا وبينها فى الموفقيات خلاف فى الرواية والزيادة والنقص .

(٤) فى الموفقيات : « كيما أكابره على الأحداج » ، وفى النسختين هنا : « عنى » ، والوجه « حتى » كما فى المحاسن .

(٥) فى الموفقيات : « تحسب فيهما » لما أجالهما .

هذا ما أورده الجاحظ (١) .

وقد أورد ابنُ الشجرى فى أماليه هذه الحكاية مختصرة لجحدر المذكور ، مع أربعة أبيات من الرجز ولم يذكر هذه الأبيات .

وأخرج السيوطى (فى بحث ربّ من شرح شواهد المغنى) هذه الحكاية بنحو ما ذكره ابنُ الشجرى عن المعافى بن زكريا ، وابن عساكر فى تاريخه بسند متصل عن ابن الأعرابى ، وعن الزبير بن بكار (فى الموقفيات) .

ولم يورد السكرى (فى كتاب اللصوص) شيئاً مما أورده الجاحظ ، مع أنه استوعب أحوال اللصوص وأشعارهم فى كتابه ، وأورد له أشعاراً كثيرة جيدة .

وقوله : (ليثٌ وليثٌ (٢)) : إلخ الليث : الأسد . والضئىق : الضيق . و (الأشر) بفتحيتين ، البطر . وروى بدله : « ذو أنف » ، بفتح الهمزة والنون ، بمعنى الاستنكاف . (والمحك) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة : اللجاج .

والحازم من الحزم ، وهو الثبُت والتيقُّظ . والعرك بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الحرب ، والمعركة موضعه . وقوله : « أو يكشف الله » إلخ أو هنا بمعنى إلى . والظفر : الغلبة . والدرك : الوصول .

والجؤجؤ فى شعر جحدر ، بجيمين وهمزتين ، على وزن قنفذ : الصلر . والبرك بفتح الموحدة وسكون الراء : ما حول الصلر .

وقوله : « كأنه خيمة قوّضتها الريح » ، رواه ابنُ الشجرى :

(١) فى المحاسن ٥٢ ستة أبيات بعد السابقة ، كما أن فى الموقفيات أربعة أبيات مع تلك الستة ، أغفل البغدادى روايتها .

(٢) ش : « وليث » ، بسقوط « ليث » .

« كَأَنَّهُ أَطْمَ مَقْوُضٌ » ، وقال : الأَظْمُ بضمّتين : الحِصْنُ . والمَقْوُضُ : من قَوِضَتِ البِنَاءُ ، إِذَا نَقِضَتْهُ من غير هدم . والمَكْبَلُ : المَقِيدُ ، والمَكْبَلُ بفتح الكاف . وكسرها مع سكون الموحدة : القيد الثقيل .

وقوله : « يَا جُمْلُ إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بِسَالَتِي » إلخ جُمْلُ بضم الجيم وسكون الميم : اسم امرأة . والبِسَالَةُ : الشَّجَاعَةُ . وَأَرْسُفُ : أُمِشَى بالقيد ، يقال رَسَفَ فى قَيْدِهِ ، من باب ضرب وقتل . والجَهْمُ : العَبُوسُ . والأَثْبَاجُ : جمع تَبَجٍ بفتح المثلثة والموحدة ، وهو ما بين الكاهل إلى الظَّهْرِ . ويرنو : ينظر . وشَتْنٌ بمعنى خشن . والبراثن : جمع بُرْثَنٍ كقنفذ ، وهو ظُفْر السَّبع . والنيوب : جمع نَابٍ ، وهى السَّنُّ . وزُرْقُ : جمع أَزْرَقُ . والمعابل : جمع مِعْبَلَةٍ بكسر الميم ، وهو نصل طويل عريض . والشَّدَاةُ بفتح الشين والذال المعجمتين : الطَّرْفُ . والزَّجَاجُ بالكسر : جمع زُجْجٍ بضم الزاى ، وهى الحديدة التى فى أَسْفَلِ الرِّمَحِ . والقِرْنَانُ : مثنى قِرْنٍ بالكسر ، وهو المساوى لصاحبه فى الشَّجَاعَةِ وغيرها .

وواثلة بن الأسقع ، بالمثلثة والقاف ، هو من الصحابة ، قال ابن الأثير واثلة بن الأسقع (فى أَسَدِ الغَابَةِ فى أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ) : واثلة بن الأسقع بن عبد العزى الكنانى الليثى ، وقيل : واثلة بن عبد الله بن الأسقع . أبو شَدَادٍ ، وقيل أبو الأسقع ، وقيل أبو قِرْصَافَةَ (١) . أسلم وخدم النبى ﷺ ثلاث سنين . من أصحاب الصُّفَّةِ . وله رواية . مات سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة ، وقيل : مات سنة

(١) بكسر القاف . والقِرْصَافَةُ : الخذروف ، ومن النساء والنوق : التى تتدحرج كأنها

خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة . وتوفى بالمقدس وقيل بدمشق . وكان قد عمى . انتهى .

ووقعة مرج الرّوم كانت بعد سنة خمس عشرة من الهجرة بعد فتح الشام ، في خلافة عمر بن الخطّاب . فلا شك أنّ وائلة أقدم من جحدر ، ويكون جحدر قد أخذ الشعر من وائلة وزاده . والله أعلم .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٦٢ (كَأَنَّ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ قَارَةً مِثْلُكَ ذُبِحَتْ فِي سَكِّ)

لما تقدّم قبله . وكان القياس أن يقول : بين فكِّها ، لكنّه أتى بالمتعاطفين للضرورة .

قال ابن يعيش : الأصل في قولك الزيدان : زيد وزيد . والذي يدلّ على ذلك أنّ الشاعر إذا اضطرّ عاود الأصل ، نحو قوله :

* كَأَنَّ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ *

أراد : بين فكِّها ، فلمّا لم يتّزن له رجع إلى العطف ، وهو كثير في الشعر . انتهى .

والفكّ بالفتح : اللّخى ، بفتح اللام وسكون المهملة ، وهو عظم الحنك ، وهو الذى عليه الأسنان . وهو من الإنسان حيث ينبئ الشعر

(١) إصلاح المنطق ٧ والمخصص ١١ : ٢٠٠ / ١٣ : ٢٩ وأملئ ابن الشجرى ١ : ١٠ وابن

يعيش ٤ : ١٣٨ / ٨ : ٩١ واللسان (زكك) .

وقال (في البارع) : الْفَكَانُ : مُلتقى الشَّدَقَيْنِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ . قال ابن السَّيرافي : وصف امرأة بطيب الفم . يريد أن رِيحَ الْمِسْكِ يخرج من فيها . (وفارة) منصوب اسم كأنَّ ، وبين خبرها . والسُّكُّ : ضرب من الطَّيِّب . انتهى .

(وَذُحِثَ) بالبناء للمفعول . قال يعقوب (في إصلاح المنطق) : قال الأصمعي : الذَّبَحُ : الشَّقُّ . وأنشد البيت . أَيْ شَقَّتْ وَفِثَتْ .

وقال المفضل بن سلمة الضبي (في كتاب الطَّيِّب) : ومن الطَّيِّبِ الْمِسْكُ ، يقال هو الْمِسْكُ ، والأَنْابُ ، واللَّطِيْمَةُ . وقال أبو زيد : اللَّطِيْمَةُ : الْمِسْكُ ، يقال للعبير التي تحمل المسك أيضا لطيمة . ويقال للتي فيها المسك : فارة ونافجة . قال الأحوص :

كَأَنَّ فَارَةَ مِسْكِ فَضَّ خَائِمُهَا صُهْبَاءَ ذَاكِيَّةٍ مِنْ مِسْكِ دَارِينَا

وقال آخر :

كَأَنَّ حَشَوَ الْمِسْكِ وَالْذَّمَالِجِ نَافِجَةً مِنْ أَطْيَبِ النَّوَافِجِ

ويقال : فُثِثَتِ الْفَارَةُ ، وَذُحِثَتْ ، وَلُفِضَتْ ، وَشَقَّتْ . قال الراجز :

كَأَنَّ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ فَارَةً مِسْكِ ذُحِثَتْ فِي سَكِّ

والسُّكُّ ، بضم السين : نوعٌ من الطَّيِّبِ . وقال أبو حنيفة الدينوري

(في كتاب النبات) : الْفَارُ : جمع فارة ، وهي فار المسك ، وهي نوافجه التي يكون المسك فيها ، شَبَّهَتْ بِالْفَارِ وَلَيْسَتْ بِفَارٍ ، إِنَّمَا هِيَ سُرُّ طَبَائِ الْمِسْكِ . قال الشاعر :

إِذَا التَّاجِرُ الْهِنْدِيُّ وَافَى بِفَارَةٍ

من الْمِسْكِ أَضَحَّتْ فِي مَفَارِقِهِمْ تَجْرَى ^(١)

وقال آخر في وصف امرأة :

* كَانَ فَاةً مِسْكٍ فِي مُقْبَلِهَا *

وهي مهموزة فَاةً وفَار . وكذلك الفَار كله مهموز . وبنواحي الهند فَار يجلب إلى أرض العرب أحياناً ، قد تَأَسَّتْ وَالْفَتْ ، تدور في البيوت ، تدخل بين الثياب . فلا تلبس شيئاً ، ولا تدخل بيتاً ولا تخرأ على شيء ، ولا تبول عليه ، إلا فاح طيباً . ويجلب التجار خرءها فيشتريه الناس ، ويجعلونه في صُرُرٍ ، ويضعونها بين الثياب فتطيب . وأخبرني مَنْ رآها أنها نحو بنات مِقْرَض . وفارة الإبل مأخوذة من هذا ، وهي الإبل التي ترعى أفواه البقول الطيبة في العَدَوَات العازنة ^(١) ثم ترد الماء فتشرب ، فإذا رويت ثم صدرت فالتفت بعضها ببعض ، فاحت برائحة طيبة .

قال الأصمعي : قلت لأبي مَهْدِيَّة : كيف تقول : ليس الطيب إلا المسك . وهو يريد أن يعلم كيف يُعْرِيهِ . فقال أبو مَهْدِيَّة له : فأين العنبر ؟ فقال الأصمعي : فقل : ليس الطيب إلا المسك والعنبر . فقال : أين أدهان حَجَر ؟ فقال : فقل ليس الطيب إلا المسك والعنبر وأدهان حَجَر . فقال : فأين فارة إبل صادرة ؟

ومن هذا الجنس والضرب الذي ذكرنا اللُّويَّة التي تسمى الزَّباد ، وهي مثل السُّتُورَة الصغيرة فيما ذكر لي ، تجلب من تلك النواحي ، وقلة تَأَسُّس فتُفْتَنِي وتحتلب شيئاً شبيهاً بالزَّبد يظهر على حَلَمَتِهَا ^(٢) بالعصر ، كما يظهر على آنف الغلمان المراهقين ، فيُجمع وله رائحة طيبة البَنَّة . وقد رأيته يقع في

(١) العناة ، كنفاء : الأرض الطيبة التربة الكريمة المنت . والعازبة : البعوضة النائية .

(٢) ش : حَلَمَتِهِ .

الطَّيْب . وقد بلغنى أَنَّ شحمَه كذلك أيضا .

وقد ذكر بعضُ الشعراءِ القُدُمَ بعضَ هذا وجعله أَمْعَاءَ الدَّابَّةِ ، وظنَّ أَنَّهُ
إِنَّمَا طاب جوفه لأنَّه يأكل الطَّيْبَ ، فقال :
تَكْسُو المَفَارِقَ وَاللُّبَاتِ ذَا أَرْجٍ مِنْ قُصْبٍ مَعْتَلِفٍ الكَافُورِ دَرَجٍ ^(١)

وَالْأَعْرَابُ لَا يُمَيِّزُونَ هَذَا . وفي فارة الإبل يقول الراعى :
لَهَا فَارَةٌ ذَفْرَاءُ كُلِّ عَشِيَّةٍ كَمَا فَتَقَ الكَافُورَ بِالمَسْكِ فَاتَقَهُ
ظَنَّ أَنَّهُ يُفْتَقُ بِهِ . وكان الراعى أَعْرَابِيًّا قُحَّا ، والمسك لَا يُفْتَقُ
بِالكَافُورِ . انتهى كلام الدينورى .

وَالْبَيْتَةُ ، بِالْفَتْحِ لِلْمَوْحَدَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَرَبَّمَا قِيلَتْ
فِي غَيْرِ الطَّيِّبَةِ .

وقال أبو القاسم عليّ بن حمزة البصرى اللغوى (فيما كتبه على كتاب
النبات من تبين أغلاط الدينورى) : قد غلط في همز هذه الفارة ، لأنَّ الفَارَ
كله مهموز إلَّا فارة الإبل . وقد اختلف في فارة المسك وفارة الإنسان وهى
عضلُهُ . والأعلى في فَارِ المسك الهمزُ ، وفي فَارِ الإنسان ترك الهمز . ومن
كلامهم : « أَبْرَزْ نَارَكَ ، وَإِنْ أَهْرَلْتَ فَارَكَ » ، أَى أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَإِنْ أَضْرَرْتَ
بِيدِنَكَ . فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَالمَسْكِ لَا يُفْتَقُ بِالكَافُورِ » ، فَصَحِيحٌ . ولم يقل
الراعى : « كَمَا فَتَقَ الْمَسْكَ بِالكَافُورِ فَاتَقَهُ » ، إِنَّمَا قَالَ : « كَمَا فَتَقَ الكَافُورِ

٣٤٥

(١) للراعى فى ديوانه ٣٥ واللسان (قصب ، كفر) . وفى النسختين : « يكسو » بالياء ،
صوابه بالتاء ، كما فى المراجع السابقة .

(٢) فى اللسان (فور) : « برز نارك » ، بالتضعيف .

بالمسك ، وإن كان المسك لا يُفتق بالكافور فإن الكافور يُفتق بالمسك .
 وجعل الراعى أعزائياً قحاً ونسبه إلى الجفَاء ، وأوهم أنه غلط ، وخطأه
 فى شىء لم يقله ، إلا أن يكون عند أبى حنيفة أن الكافور لا يفتق بالمسك ،
 ويكون هو قد غلط فى العبارة وعكسها ، فيكون فى هذه الحال أسوأ حالاً منه
 فى الأولى ، ويكون قليل الخبرة بالطيب وعمله واستعماله . ولا رائحة أخم من
 الكافور إذا فتق بالمسك ، يشهد بذلك بنو التَّعْمة والعطارون قاطبة . انتهى .
 والرجز الشاهد لمنظور بن مرثد الأسدى . قال ابن برى (فى حاشيته
 على صحاح الجوهري) : وقبله :

صاحب الشاهد

يا حبذا جارية من عكْ تُعقد المرط على مذكْ

* مثل كتيب الرمل غير رك * .

وعكْ بفتح العين المهملة : أبو قبيلة من الأزد فى قحطان . والمرط ،
 بالكسر : كساء من صوف أو خز يُؤتزر به ^(١) وتتلفع به المرأة . وأراد
 بالمذكْ بكسر الميم : العجز . والركْ ، بكسر الراء المهملة : المهزول ، والمكان
 المضعوف ^(٢) الذى لم يمطر إلا قليلا . قاله الصغانى ، وأنشد البيت للمعنى
 الأول . وقال : وذكره بعض من صنّف فى اللغة بالزأى ، فى اللغة وفى الرجز ،
 وهو تصحيف . انتهى .

وأراد به الجوهري . وقد خطأه كذلك ابن برى (فى حاشيته على
 الصحاح) ، وتبعه الصفدى أيضا .

ومنظور بن مرثد تقدم فى الشاهد الثانى والأربعين بعد الأربعمائة ^(٢) .

* * *

(١) ش : ٥ يتزر به .

(٢) انظر الخزانة ٦ : ١٣٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٦٣ (لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتَ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ مَنْزِلِ الدَّامِ)

على أنَّ تعاطف المفردين فيه ليس من قبيل ما تقدّم من كونه للضرورة ، بل لقصد التكثير ، إذ المراد : لو عُدَّت القبور قبرا قبرا . ولم يرد قبين فقط ، وإنما أراد الجنس متتابعًا واحدًا بعد واحد . يعنى : إذا حُصِّلَتْ أنساب الموتى وجدتني أكرمهم نسبًا ، وأبعدهم من الدّم .

والبيت من أبيات أربعة أوردها أبو تمام والأعلم الشنتمري وصاحب صاحب الشاهد الحماسة البصرية (في حماساتهم) ، لعصام بن عُيَيْد الرّماني . ونسبها الجاحظ (في كتاب البيان) لهَمَامُ الرّقاشي ، وهى :

(أبلغ أبا مسمع عني مُغلغلةً وفي العتاب حياةً بين أقوام
أدخلت قبلى قومًا لم يكن لهم فى الحق أن يلجوا الأبواب قدامى
لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتَ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ مَنْزِلِ الدَّامِ
فقد جعلت إذا ما حاجتني نزلتُ بباب دارك أدلوها بأقوام)

قوله : « أبلغ أبا مسمع » إلخ هو بكسر الميم الأولى وفتح الثانية . والمغلغة : الرسالة ، لأنها تُغلَّل إلى الإنسان حتى تصل إليه من بُعد ، من قولهم : تغلغل الماء ، إذا دخل بين الأشجار . وأصل الغلغلة دخول الشيء فى الشيء . وجملة « وفى العتاب حياة » إلخ معترضة بين أبلغ وبين أدخلت . والعتاب : اللوم والتوقيف على الذنب . يعنى ما دام القوم يلوم كل منهم

(١) المقرب ٧٩ والحماسة بشرح المرزوق ١١٢٢ . ونسبه الجاحظ إلى همام الرقاشي فى البيان

صاحبه على ما صَنَرَ منهم من التقصير لصاحبه ، يُرَجَى صلاحُهم وارتباط مَوَدَّاتهم . وإن لم يتعاتبوا انطوت ضمائرهم على الأحقاد .

وقوله : « أَدَخَلْتَ قَبْلِي قوما » إلخ أى قَدَّمْتهم عَلَى فى الإذن وإن لم يكن من حَقِّهم أَنْ يَتَقَدَّمُوا عَلَى إِذَا وَرَدْنَا الأبواب . و يَلْجُوا : يَدْخُلُوا . وَرَوَى : « أَنْ يَدْخُلُوا » . ودخل يتعدى فى الأصل بحرف جر ، ثم يحذف الجار تخفيفا فيقال : دخلت البيت . وقوله : « لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ » إلخ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : لم يُرد لوْعُدَّ قَبْرَانِ اثْنَانِ وإِنَّمَا أراد لو عُدَّت القُبُورُ قَبْرًا قَبْرًا . ولو قال : عُدَّ قَبْرٌ قَبْرٌ فرفع لم يَجُزْ ذلك كما جاز لو عدت القُبُورُ قَبْرًا قَبْرًا . وذلك أَنَّ هذا من مواضع العطف ، فحذف حرفه لضرب من الاتساع . وهذا الاتساع خاصَّةٌ إِنَّمَا جاء فى الحال ، نحو : فَصَّلْتُ حسابَه بابا بابا ، ودخلوا رجلا رجلا ، أى متتابعين . ولو رفعت فقلت : فَصَّلْ حسابَه بابَ بابٍ ، وأدخلوا رجلَ رجلٍ على البدل لم يَجُزْ . وعلى هذا قالوا : هو جارى بَيْتَ بَيْتٍ ، ولقيته كَفَّةً كَفَّةً ^(١) ، فأتسعوا بالبناء على الحال . ونحوها فى ذلك الظَرْفِ نحو قولك : كان يأتينا يومَ يومٍ ، وليلة ليلةً ، وأزمانَ أزمانَ ، وصباح مساءً . فلو خرجت به عن الظرفية لم يَجُزْ فيه هذا البناء . ألا تراك تقول : هو يأتينا كلَّ صباح مساءً ، فى ليلة ليلةً ، فتعرب البتة . انتهى .

وقال الطبرسى : يريد لو عُدَّت القُبُورُ قَبْرًا قَبْرًا ، إِلَّا أَنَّهُ اقتصر ،

(١) انظر سيبويه ٣ : ٣٠٤ . وهو بفتح الكاف ، أى كفاحا ، وذلك إذا استقبلته مواجهة .

اللسان (كفف ٢١٣) .

وحذف القبور ، وجعل القبر فاعلا (١) وأزاله عن سَنِّ الحال . وقيل : معناه لو عُدَّ قبري وقبرُ الداخل قبلي لكنَّ أَكْرَمَ منه مَيِّتا . انتهى .

والذام : لغة في الذمِّ بتشديد الميم .

وقوله : « فقد جعلت إذا » إلخ هو بالتكلم . قال الطبرسي : أى طفقت وأقبلت ، إذا نزلت حاجتى بباب دارك ، يريد إذا أُلْجَأْتُ إِلَيْكَ حاجةً أدلوها أى أَتَجَرَّهَا بغيري (٢) ، واستشفعت أقوامًا فى قضائها ، ولم أَقْرَبِكَ بنفسى . انتهى .

قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) ؛ الدلو : الاستقاء بالدلو من العُمق . يقال أدلى الدلو : إذا حَذَرَهَا للاستقاء ، يُدْلِيهَا إِدْلَاءً . ودَلَّاهَا ، إذا اجتذَبَهَا إِلَيْهِ يَدْلُوها دَلْوًا . قال تعالى : ﴿ فَارْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ (٣) ﴾ ، فهذا من الإدلاء ، وهو إلْقَاؤها فى البئر .

وقال الشاعر فى دَلوت :

فقد جَعَلْتُ إذا ما حاجةً عرضت ... البيت .

أى أَبْتَغَى شُفْعَاءَ يَسْتَخْرِجُون لى حاجتى . انتهى .

وعصام بن عُبيد : شاعر جاهلى . وعُبيد : مصغَّرُ عبد بالتذكير . عصام بن عبد وزمَّان بكسر الزاى وتشديد الميم : أحدُ أجداد الشاعر ، وهو من بنى حنيفة .

(١) فى حواشى ط : « قوله فاعلا يريد نائب الفاعل » . وفى حواشى ش بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف ، والصواب نائب فاعل » والحق أن هذا تجوز فى التعبير بالفاعل عن نائبه .

(٢) ش : « أى أنجزها بغيرى » . والتنجز : طلب إنجاز العدة أو الحاجة ، كالاتنجاز .

(٣) الآية ١٩ من سورة يوسف .

وأنشد بعده :

(هَمَّا نَفْثًا فِي فَيٍّ مِنْ فَمَوِيهِمَا عَلَى النَّابِجِ الْعَاوَى أَشَدَّ رَجَامٍ)

وتقدم شرحه مفصلاً في الشاهد السادس والعشرين بعد الثلاثمائة (١) .

وضمير التثنية لإبليس وابن إبليس (٢) . و (نفثا) أى ألقيا على لسانى . و (النابج) هنا أراد به من يتعرض للهجو والسب من الشعراء ، وأصله فى الكلب . ومثله العاوى . و (الرّجام) : مصدر راجمه بالحجارة أى راماه . وراجم فلان عن قومه ، إذا دافع عنهم . جعل الهجاء فى مقابلة الهجاء كالمراجمة ، لجعله الهاجى كالكلب النابج .

والبيت آخر قصيدة للفرزدق قالها فى آخر عمره تائباً إلى الله تعالى ممّا فرط منه من مهاجاته الناس ، وذمّ فيها إبليس لإغوائه إياه فى شبابه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الخمسمائة (٣) :

٥٦٤ (يَدَيَانِ يَبْضَاوَانِ عِنْدَ مُحَلِّمٍ)

هذا صدرّ ، وعجزه :

(قَدْ يَمْنَعَانِكَ أَنْ تُضَامَ وَتُضْهِدَا)

على أنّه مثنى يداً بالقصر ، فلما تُنَى قلبت ألفه ياء ، كَفَتَيَانِ

(١) الخزاعة ٤ : ٤٥٩ - ٤٦٦ .

(٢) وذلك فى قول الفرزدق قبل هذا البيت :

وان ابن إبليس ألبنا لهم بعذاب الناس كل غلام

(٣) النصف ١ : ٦٤ / ٢ : ١٤٨ وابن يعيش ٤ : ١٥١ / ٥ : ٨٣ / ٦ : ١٠ / ٥٦ :

والمقرب ٨٠ ويس على التصريح ٢ : ٢٣٣ .

في مثني فتي ، لأن أصلها الياء ، فإن الثنية من جملة ما يرد الشيء إلى أصله . وإنما قلبت في المفرد ألفاً لانفتاح ما قبلها . وتقلب واواً في النسبة إليها عند الخليل وسيبويه ، فيقال يدوي . قال صاحب الصحاح : وبعض العرب يقول لليد : يداً ، مثل رحا^(١) . قال الشاعر :

يارب سارٍ بات ما توسداً الأذراع العنس أو كف اليد^(٢)

يديان بيضاوان البيت

وكذا قال ابن يعيش . وفيه رد على من زعم أن يديان^(٣) مثني يد^(٣) ردت لأمه شذوذاً ، كالزخشرى (في المفصل) . قال ابن يعيش : متى كانت اللام الساقطة ترجع في الإضافة فإنها تُردُّ إليه في الثنية ، لا يكون إلا كذلك . وإذا لم ترجع في الإضافة لم ترجع في الثنية كأب وأخ ، تقول أخوان وأبوان ، لأنك تقول في الإضافة : أبوك وأخوك ، فترى اللام رجعت في الإضافة ، فلذلك رددتها في الثنية . وذلك لأننا رأينا الثنية قد تردُّ الذاهب الذي لا يعود في الإضافة ، كقولك في يد : يديان ، وفي دم : دميان . وأنت تقول في الإضافة يدك ودمك ، فلا تردّ الذاهب . فلما قويت الثنية على رد ما لم تردّه الإضافة صارت أقوى من الإضافة . وحمل أصحابنا يديان على القلة والشذوذ ، وجعلوه من قبيل الضرورة .

(١) ش : « رحي » . والرحى تشبهاً في اللسان رحوان ، قال ابن منظور : « والياء أعلى » ، أي رحيان ، فهي يائية واوية ، لأنه يقال رحوت بالرحا ورحيت بها .

(٢) هو الشاهد ٥٦٧ في ص ٤٩٨ .

(٣) ش : « يدان » ، صوابه في ط .

والذى أراه أنَّ بعض العرب يقول فى اليد : يَدًا فى الأحوال كلها ،
يجعله مقصوراً كرحاً . إلى آخر ما ذكره الجوهري .

وكذا صنع ابن الشجرى (فى أماليه) قال : وَيَدٌ أَصْلُهَا يَدَى لظهور
الياء فى تشيتها ، ولقولهم : يَدَيْتُ إِلَيْهِ يَدًا ، أَيْ أُسْدَيْتُ إِلَيْهِ نِعْمَةً . قال :
يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسٍ بِنِ بَدْرِ بِأَسْفَلِ ذِي الْجَذَاةِ يَدَ الْكَرِيمِ ^(١)

فيجوز أن تكون اليد ، التى هى النعمة مأخوذة من التى هى الجارحة
لأنَّ النِّعْمَةَ تُسَدَّى بِالْيَدِ . ويجوز أن تكون الجارحة مأخوذة من النعمة ، لأنَّ
اليَدَ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ ، وَيُدُلُّ عَلَى سَكُونِ عَيْنِهَا جَمْعُهَا عَلَى أُيْدٍ ،
لأنَّ قِيَاسَ فَعِلٍ فِي جَمْعِ الْقَلَةِ أَفْعُلُ ، كَأَكْلِبٍ وَأَكْعُبٍ وَأَجْرٍ ، وَأَنْسَرٍ فِي جَمْعِ
نَسَرَ . وفتح الدال فى الثنية كقوله : « يَدَيَانِ بِيضَاوَانِ » البيت لا يَدُلُّ عَلَى
فتحها فى الواحد ، لما ذكرته من إجراء هذه المنقوصات على الحركة إذا أُعيدت
لاماتها ، وذلك لاستمرار حركات الإعراب عليها فى حال نَقْصِهَا ، وكذلك إذا
نسبت إليها أعدت المحذوف وفتحت الدال ، وأبدلت من الياء واوًا ، كما
أبدلت من ياء قاضٍ . فقلت : يَدَوِيٌّ . هذا قول الخليل وسيبويه فى التَّسْبِ
إلى هذا الضرب .

وأبو الحسن الأخفش ينسب إليه على زنته الأصلية ، فيقول يَدَيْتُ ،
وفى غَيْدٍ : غَلَوِيٌّ ، وَجَرٍ : جَرَحِيٌّ ^(٢) . والخليل وسيبويه يقولون : غَلَوِيٌّ

(١) البيت لمعل بن عامر الأسدي كما فى الحماسة ١ : ١٨٩ بشرح التبريزي . وانظر حواشى
شرح المزدوق ١٩٣ . وفى حواشى نسخة من نسخ أمالي ابن برى أنه لعامر بن مؤالة . وفى ط :
« الجزاء » بالزاي ، صوابه بالنال كما فى ش والحماسة . والجيم مفتوحة ومكسورة . انظر شرح
التبريزي . والرواية فى جميع المراجع : « ابن حسحاس بن وهب » .

(٢) ط : « غلوى وحرعى » ، وتصحيحه وإكمله من ش .

وَجَرَحَى . وجمع اليد التي هي الجارحة في الأكثر على أُيْدٍ ، وقد جمعها على أَيْادٍ في قوله :

٣٤٨

* قُطِنَ سُخَامٌ بِأَيْدِي غَزَلٍ *

سُخَامٌ : ناعم . واليد التي هي النعمة جمعُها في الأكثر الأشهر على أَيْادٍ . وقد جمعوها على الأَيْدِي ، وإنما الأَيْادِي جمع الجمع ، كقولهم في جمع أَكَلَبٍ : أَكَالِب . وقولهم في تشبيها : يَدَانِ ، أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِهِمْ : يَدَيَانِ . فهذا مضادٌ لقولهم : دَمَانِ ^(١) وَدَمَيَانِ . انتهى .

وكذا قال ابن جنى (في شرح تصريف المازني) قال : إذا قالوا في النسب إلى يَدٍ يَتَوَّى تركوا عين الفعل محرّكة بعد الرّدِّ ، لأنَّهُمْ لو حذفوا الحركة عند رد اللام لكانت اللام كأنها لم تردِّ ، لأنَّها قد عاقبت الحركة . وهذا قول أبي عليٍّ فيما أخذته عنه ، وهو يشهد لصحّة قول سيبويه فيما ذهب إليه في بقیة الحركة التي حدثت بعد الحذف ، إذا رُدُّ إلى الكلمة ما حذف منها . وأبو الحسن يذهب إلى ما وجب بالحذف عند رُدِّ المحذوف ، والقول قول سيبويه . ألا ترى أنَّ الشاعر لما رُدَّ الحرف المحذوف بَقِيَ الحركة ^(٢) في قوله :

يَدَيَانِ يَضَاوَانِ البيت

قال أبو علي : فإن قيل : فما تصنع بقوله :

* إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَخَاهُ غَزَلًا ^(٣) *

وقول الآخر ^(٤) :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدَّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمٌ خَلُّوْهَا وَغَنَوْا بِلَاقِعِ

(١) ط : « أدمان » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « أبقي » ط : « وبقي » ، والوجه ما أثبت من النصف .

(٣) اللسان (لا ٢٩٢ غنا ٣٥٢) ومعجم الشواهد ٥٥٨ .

(٤) هو لبيد . ديوانه ١٦٩ .

ألا ترى أنه ردّ اللام وحذف حركة العين . فهذا يشهد لصحة قول أبى الحسن الأخفش . فالجواب : أن الذى قال غَدَوْا ليس من لغته أن يقول غد فيحذف ، بل الذى يقول غد غير الذى قال غدوا . انتهى .

قال ابن المستوفى : الذى قاله ابن جنى غير ما ذكره الجوهري ، فتنبه يدین على ما ذكره ابن جنى صناعية ، وعلى ما ذكره الجوهري لغوية .

وقد تكلم ابن السكيت على « يد » زيادة على ما ذكرنا (فى كتاب المؤنث والمذكر) ، فأحببنا إirاده تميمًا للفائدة . قال : اليد مؤنثة تصغيرها يَدِيَّة ، يردُّ إليها فى التصغير ما نقص منها ، والناقص منها ياء . والدليل على ذلك أن الشاعر قال :

يَدَيَانِ بِيضَاوَانِ عِنْدَ مُحَلِّمٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ مِنْهُمَا أَنْ تَهْضَمَا
وتجمع ثلاث أيدٍ ، ثم جمعوها الأيادي ، ولم يقولوا يَدَيَّ بالضم ، ولا أيداء ، وهو قياس . فاستغنى بأيدي وأيدٍ عنه . قال الشاعر (٢) :
فَلَنْ أَذْكَرَ التُّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَدِيًّا وَأَنْعَمًا

فإن شئت جعلت اليَدَيَّ بالفتح على جهة عَصَى وَعُصَيَّ ، وتركت ضم أولها أو كسره لثقل الضم والكسر فى الياء . وإن شئت جعلته جمعًا مفتعلًا (٢) مثل عبد وعبيد ، وكلب وكليب ، ومغز ومغيز . ويقال قد يَدَيْتُهُ أى أُصِبت يَدَهُ ، وقد يَدَيَّ من يده إذا شلَّ منها . وحذثنى الأثرم عن أبى عبيدة قال :

(١) هو ضمرة بن ضمرة كما فى معجم الشواهد ٣٣٠ . « وينسب إلى الأعشى » ، وليس فى

ديوانه .

(٢) يعنى أنه اسم جمع .

كنت مع أئى الخطاب عند أئى عمرو فى مسجد بنى عدى ، فقال أبو عمرو : لا تجمع أئد بالأىادى ، إئما الأىادى للمعروف . قال : فلما قمنا قال لى أبو الخطاب : أئما إئها فى علمه ولم تحضره ، وهو أروى لهذا البيت منى :

ساءها ما تأملت فى أئادى بنا وإئناقها إلى الأعناق^(١). انتهى

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أئيات المفصل) : المحلم بكسر اللام ، يقال إئنه من ملوك الئمن^(٢) . وصف الئد وهى النعمة بالئباض ، ٣٤٩ عبارة عن كرم صاحبها . وقوله : (عند محلم) أى لمحلم . يقال : عند فلان عطية أو مال ، أى له ذلك . كذا (فى المقتبس) . قلت : وجه التشبيه على ما ذكر غير ظاهر ، والأظهر أن يراد العضوان ، ويراد بئباضئهما نقائهما وطهارئتهما عن تناول ما لا يحسن فى الدئن والمروءة . و (ضامه) : ظلمه ، وكذا هضمه . (وضهده) : قهره . وقوله « أن تضام وتضهدا » مفعول ثان لقوله : تمنعانك ، يقال منعه كذا ومنعه من كذا . وروى : « قد تنفعانك » وعليه فقوله أن تضام فى محل نصب على الظرف ، أى وقت كونك مظلوماً مقهوراً . والمعنى : لهذا الملك يدان طاهرتان عن مؤجبات الذم ، وتمنعانك أئها المخاطب أن تكون مظلوماً بالنصرة على من يظلمك والإعانة عليه . انتهى .

(١) لعدى بن زئد فى دئوانه ١٥٠ .

(٢) وفى الاشتقاق ٢٨٧ : « واشتقاق محلم من قولهم : تحملت يرابع أرض بنى فلان ، إذا

سمئت »

ورواه الجوهري :

يَدَيَانِ بِيضَاوَانٍ عِنْدَ مُحَرَّقٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ مِنْهُمَا أَنْ تَهْضُمَا

ومحرَّق بكسر الراء المشددة ، قال صاحب العُباب : كان عمرو بن هند ملك الحيرة يلقَّب بالمحرَّق ، لأنَّه حرَّق مائة من بنى تميم . ومحرَّق أيضا : لقب الحارث بن عمرو ملك الشَّام ، من آل جُفْنَةَ . وإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ حَرَّقَ الْعَرَبَ فِي دِيَارِهِمْ . وَهُمْ يَدْعُونَ : آلَ مُحَرَّقٍ .

وروى ابن الشجري (١) :

..... عِنْدَ مُحَلَّمٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ أَنْ تَذِلَّ وَتُقَهَّرَا

وأنشده ابن الأعرابي وأبو عُمر الزاهد :

..... عِنْدَ مُحَلَّمٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ بَيْنَهُمَا أَنْ تَهْضُمَا

وروى أيضًا على غير ما ذكر .

ومع كثرة تداوله في كتب اللغة والنحو لم ينسبه أحدٌ إلى قائله ولا ذكر تمة له . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٦٥ (فُلُو أُنَّا عَلَى جُحَرٍ ذُبْحَنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ)

على أَنَّهُ جَاءَ (دَمِيَانِ) فِي تَشْنِيَةِ دَمٍ .

(١) في أماليه ٢ : ٣٥ . وكنا في المقتضب ١ : ٣٣٢ ومجالس العلماء للزجاجي ٣٢٧ .

(٢) المقتضب ١ : ٢٣١ / ٢ : ٢٣٨ / ٣ : ١٥٣ ومجالس العلماء ٣٢٨ والنصف ٢ :

١٤٨ وأمالى ابن الشجري ٢ : ٣٤ والإنصاف ٣٥٧ وابن يعيش ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ / ٥ : ٨٤ /

٦ : ٩ / ٢٤ والمقرب ٨٠ وشرح شواهد الشافعية ١١٢ والأشمونى ٤ : ١١٩ وبس ٢ : ٣٣٢ .

وهو شاذٌ عند الجوهري ، لأنه واوٍ . وما أورده الشارح المحقق هو كلام صاحب الصحاح إلى قوله « فإن قيل » إلخ .

وصدرُ كلامه : الدمُ أصله دَمَوٌ بالتحريك ، وإنما قالوا دَمَى يَدْمَى ، لحال الكسرة التي قبل الياء ، كما قالوا : رَضِيَ يَرْضَى ، وهو من الرضوان . وأنشد البيت .

وقال ابن السراج (في الأصول) : وأما دَمَ فهو فَعَلَ بالتحريك لأنك تقول : دَمَى يَدْمَى دَمًا ، فهو دَمٌ . فهذا مثل فَرَّقَ يَفْرُقُ فَرَقًا ، فهو فَرِقٌ . فدمٌ مصدرٌ مثل بَطَرَ وَحَذَرَ . وهذا قول أبي العباس المبرد ^(١) . وليس عندى فى قولهم دَمَى يَدْمَى حِجَّةٌ لِمَنْ ادَّعى أَنَّ دَمًا فعلٌ ؛ لأنَّ قولهم دَمَى يَدْمَى دَمًا إنما هو فِعْلٌ ومَصْلَرٌ اشتقَّا من الدم ، كما اشتقَّ تَرَبُّ يَتَرَبُّ تَرَبًّا ^(٢) من التراب . فقولهم دَمًا اسمٌ للحدث ، والدمُ : الشيء الذى هو جسم . ولكن قولهم دَمَيَان دَلٌّ على أَنَّهُ فَعَلَ . قال الشاعر لما اضطرَّ :

فلو أنا على جُحْرٍ ذُبَحْنَا البيت

ثم قال : وأما دم فقد استبان أَنَّهُ من الياء ، لقول بعض العرب دَمَيَان . وقال بعضهم : دَمَوَان . فمما دَلٌّ على أَنَّهُ من الواو أكثر ، لأنَّهم قد قالوا هَنَوَانٍ وَأَخَوَانٍ وَأَبَوَانٍ . انتهى كلامه . وهذا مأخذ كلام الصحاح .

وقد ردَّ ابن جنى بعض هذا (فى شرح تصريف المازنى) وأيد مذهب سيبويه ، قال : وزن شاة فَعْلَة ساكنة العين . هذا هو الصواب . وكلمت بعض

(١) ط : « أبى العباس والمبرد » .

(٢) ط : « كما اشتقَّ تَرَبُّ من يتربُّ تَرَبًّا » . وقد رجع على « من » فى ش ليصح الكلام كما أثبت .

الشيوخ من أصحابنا بمدينة السلام في العين منها هل هي ساكنة أو متحركة ؟ فادّعى أنها متحركة ، فسألته عن الدلالة على ذلك فقال : انقلابها ألفا يدل على أنها متحركة ، لأنها لو كانت ساكنة لوجب إثباتها كما ثبتت في حوض وثوب . فقلت له : أنا وأنت مجمعان على أن سكون العين هو الأصل ، وأن الحركة زائدة ، وحكم الزيادة أن لا تثبت إلا بدليل . فأما قولك انقلابها دليل على الحركة فغير لازم ، لأن الحركة التي فيها إنما دخلتها لمجاورتها تاء التانيث ، وقد أجمعنا على أن تاء التانيث يُفتح ما قبلها ، وأن سكون العين هو الأصل حتى تقوم دلالة على الحركة . وأما انقلاب العين فإنما هو لما حدث فيها من الفتح عند مجاورتها تاء التانيث ، فوقف الكلام هناك . وكأنها ^(١) كانت شوهة فلما حذفت الهاء بقيت شوهة ففتحو الواو ^(٢) لتاء التانيث ، فصار شوهة ، فانقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .

فإن قيل : ما تنكر أن تكون فعلة ، لأن اللام لما ردت وأبدلت في شاء همزة بقيت الألف بحالها . ولو كانت إنما انفتحت العين لمجاورتها التاء لوجب إذا رجعت اللام وزالت التاء أن تعود إلى سكونها فيقال شوهة أو شوهة ^(٣) إذا أبدلت الهمزة ؟ قيل : هذا لا يلزم ، لأن العين لما تحركت لمجاورتها التاء ثم

(١) ش : « وأنها » ، صوابها في ط والمنصف ٢ : ١٤٧ .

(٢) في المنصف : « ففتحت الواو » . وما بعده من الكلام إلى « وانفتاح ما قبلها » ساقط من

المنصف .

(٣) ط : « وشوهة » ، وأثبت ما في ش والمنصف .

رُدَّت اللام بعد ذلك ، تركت الفتحة في العين بحالها قبل الردّ . وهذا مذهب سيويوه . ألا ترى أنّه لم يكن عنده في قول الشاعر :

* جَرَى الدَّمِيَانِ بالخير اليقين *

دلالة على تحرك العين من دم ، لأنّها لما أجرى عليها الإعراب في قولهم دمّ ودماً ودم ، ثم رد اللام في الثانية بقيت الحركة ^(١) في العين على ما كانت عليه قبل الردّ ، كما قال الآخر :

* يديانٍ ييضاوان عند محمّد *

وقد أجمعوا على سكون العين من يد . وقد تراه قال يديان ، فحرّكها عند الردّ ، لأنّها قد جرت بحركة قبل الرد ^(٢) . والقول فيه مثله في الدميّان . وغيره من أصحابنا ، وهو أبو العباس ، يذهب إلى ترك العين من دم لأنّه مصلر دميّت دما ، مثل هويت هوى . قال أبو بكر بن السراج : « وليس ذلك بشيء » .

ثم أورد ما نقلناه من كلام ابن السراج . وحاصل كلامه أنّ دما أصله سكون العين ، وأنّ لامه ياء لا واو . وبه جزم الزجاج (في تفسيره) عند قوله : « يسومونكم سوء العذاب » ^(٣) الآية . قال : إنّ الأخفش يختار أن يكون المحذوف من ابن الواو ، لأنّ أكثر ما يحذف الواو لثقلها ، والياء تحذف أيضاً لأنّها تنقل . والدليل على هذا أنّ يدّا قد أجمعوا أنّ المحذوف منه الياء ، ولهم

(١) ش : « بقيت الحركة » ، وما أثبت من ط يطابق النصف .

(٢) في النصف : « متحركة قبل الرد » . وكلمة « محركة » ساقطة من ش .

(٣) من الآيات ٤٩ في البقرة و ٤١ في الأعراف و ٦ من إبراهيم .

دليل قاطع من الإجماع . يقال يَدَيْتُ إِلَيْهِ يَدًا . ودم محذوف منه الياء ، يقال
دَمٌ ودميان . قال الشاعر :

* جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْحَبْرِ اليَقِينِ *

والبنوة ليس بشاهد قاطع في الواو ، لأنهم يقولون الفتوة ، والثنئية
فتيان ، فابن^(١) يجوز أن يكون المحذوف منه الواو والياء ، وهما عندي
متساويان . ا هـ .

وقد حكى الخلاف ابن الشَّجَرِيِّ (في أماليه) في كون العين محرَّكة أو
ساكنة ، وفي كون اللام ياءً أو واوًا ، ورجَّح كونها ياء ، قال : ودم عند بعض
التصنيفيين دَمًى ساكن العين قالوا : لأنَّ الأصل في هذه المنقوصات أن
تكون أعينها سواكن ، حتَّى يقوم دليل على الحركة ، من حيث كان السُّكُون هو
الأصل ، والحركة طارئة . قالوا : وليس ظهور الحركة في دَمِيَان دليلًا على أنَّ
العين متحركة في الأصل ، لأنَّ الاسم إذا حذفت لامه واستمرَّت حركات
الإعراب على عينه ، ثم أُعيدت اللام في بعض تصاريف الكلمة ، أُلزموا العين
الحركة . وقال من خالف أصحاب هذا القول : أصل دَمٍ دَمًى بفتح العين ،
لأنَّ بعض العرب قلبوا لامه أَلْفًا فألحقوه بباب رَحًا ، فقالوا : هذا دَمٌ ودَمًا
كرحا . وقال بعض العرب في تثنيته دَمَانٍ فلم يردُّوا اللام ، كما قالوا في تثنية يدٍ
يدان . والوجه أن يكون العمل على الأكثر . وكذلك حكى قوم دَمَوَان .
والأعرف فيه الياء . وعليه أنشدوا :

٣٥١

* جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْحَبْرِ اليَقِينِ *

(١) في النسختين : « فابن » . وانظر اللسان (بنى ٩٧) .

قال بعض أهل اللغة : من العرب من يقول الدَّمُّ بالتشديد ، كما تلفظ العامة ، وهي لغة رديّة . وأنشدوا لتأبط شراً :

حَيْثُ التَقْتُ بِكَرٍّ وَفَهَّمْتُ كُلُّهَا وَالْدَّمُّ يَجْرِي بَيْنَهُمْ كَالْجَنُولِ

والعامة تفعل مثل هذا في الفم . ومن العرب ^(١) من يشدد الفم أيضاً . وإنما يكون ذلك في الشعر ، قال :

* يَالَيْتَهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِّ * انتهى

والجُحْر ، بضم الجيم وسكون الحاء المهملة : الشقُّ في الأرض . وقوله : (جَرَى الدَّمِيَان) إلخ أراد بالخبر اليقين ما اشتهر عند العرب ، من أنه لا يمتزج دَمُ المتباغضين . وهذا تلميح في غاية الحسن ، أى لما امتزجا وعُرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابي : معناه لم يختلط دمي ودمه ، من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمي يَمَنَةً ودمه يَسْرَةً . ويوضحه قول المتلمس من قصيدة :

أَحَارْتُ إِنَّا لَمَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايِلُنْ حَتَّى لَا يَمِسُ دَمٌ دِمَا

وقال ابن قُتَيْبَةَ في ترجمة المتلمس (من كتاب الشعراء) : هذا البيت من إفراطه . يقول : إِنَّ دِمَاءَهُمْ تَنَازَ مِنْ دِمَائِ غَيْرِهِمْ . وهذا محالٌّ لا يكون أبداً .

وكذا قال ابن عبد ربّه (في العقد الفريد ^(٢)) .

و (تساط) بالسین المهملة ، يعنى تُخَلَطُ . ومنه قول العامة : « لو خُلِطَ دمي بدمه لما اختلط » ، أى لبائنه من شدة العداوة ولم يمازجه .

(١) في أمالي الشجرى ٢ : ٣٥ : « ومن العرب القُرب » ، يعنى الخلف .

(٢) العقد ٥ : ٣٥٩ حيث قال : « وهذا من الكذب المحال » .

وقال الأندلسي : معناه لو ذُبَحْنَا على جُحْرٍ واحد لا مترجت دماؤنا بدمائكم .
يصف ما بينهما من العداوة . وهذا خلاف المعنى ، والصواب : لَمَّا امتزجت
دماؤنا .

ونقل بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) أن معنى
البيت : لو ذُبَحْنَا على جُحْرٍ لَعَلِمَ مِنَ الشُّجَاعِ مَنَّا من الجبان ، بجري دمه
وجموده ^(١) ؛ لِأَنَّ من زعمهم أَنَّ دم الشُّجَاعِ يجري ، ودم الجبان يجمد .
وتحقيقه : جرى دمي ودمك ملتبيين بالخبر اليقين . ولا يخفى أَنَّ هذا المعنى
غير صحيح هنا ، بدليل ما قبله ، وهو :

(لِعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رِيَّاحٍ على حال التكاثر منذ حين
لِيَغْضُنِي وَأُبْعِضُهُ وَأَيْضًا يراني دونه وأراه دوني
فلو أَنَا على جُحْرٍ ذُبَحْنَا) البيت

هكذا روى الأبيات الثلاثة ابنُ دريد ، (في كتابه المجتني ^(٢)) عن
عبد الرحمن عن عمِّه الأصمعي ، ونسبها لعلِّي بن بدَّال بن سليم .
والتكاثر : المباشطة ، من الكثر ، وهو التبسُّم . وروى ابن دريد بدله
(في الجمهرة) : « على طول التجاور » . وعلى بمعنى مع .
وقد أدخل هذه الأبيات الثلاثة صاحبُ (الحماسة البصرية) في
قصيدة المثقَّب العبدِّي . وأنشد بعدها :

(١) أى جمود دم علوه .

(٢) في النسختين : « المجتني » بالباء ، وإنما هو بالنون . والكتاب مطبوع في حيدآباد سنة
١٣٤٢ . يقول فيه ابن دريد في ص ١٢ : « سميناه كتاب المجتني لاجتماعنا فيه طرائف الآثار ،
كما تجتني أطايب الثمار » . فهذا يقطع بأنه بالنون .

٣٥٢

(فَإِذَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصَدِيقٍ فَأَعْرِفْ مِنْكَ غَنًى مِنْ سَمِينِي
وَالْأَفْطَرِخْنِي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَتَّقِنِي)

وتبعه ابن هشام (في شرح شواهد) ، والعينى أيضاً (في شرح
شواهد شروح الألفية) ، ولم يوردها أحد في هذه القصيدة .

وقد رجعت إلى ديوانه فلم أجدها في هذه القصيدة . ورواها المفضل
(في المفضليات) عارية عنها ، ولم ينبه عليها أحد من شراحهم كابن الأنبارى
وغیره .

وقال ابن المستوفى : رأيت ^(١) هذه الأبيات في كتاب نحو قديم
منسوبة للفرزدق . ووجدتها أيضاً في نسخة قديمة ذكر كاتبها أنها زيادات
الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن في ربيع الآخر ، سنة ثمان وتسعين
وثلاثمائة ، ونسبها لمرداس ^(٢) بن عمرو . وقال : وتروى للأخطل . ووجدتها
(في نوادر اللحياني أبي الحسن على بن حازم ^(٣)) قد أنشدها لأوس . انتهى
كلام ابن المستوفى .

وابن دريد هو المرجع في هذا الأمر ، فينبغي أن يؤخذ بقوله . والله
أعلم .

على بن بدال

وعلى بن بدال ، بفتح الموحدة وتشديد الدال ، وآخره لام .

* * *

(١) ط : « في رواية » وأصلح الشنقيطي بقلمه هاتين الكلمتين بلفظ « رأيت » ، وهو
الصواب إن شاء الله .

(٢) ط : « ونسبها لمرداس » ، صوابه في ش .

(٣) في النسختين : « حازم » بالخاء المعجمة ، صوابه من كتب التراجم . وفي البغية : « على
ابن المبارك ، وقيل ، ابن حازم ، أبو الحسن اللحياني » . وفي طبقات الزبيدي ٢١٣ : « اللحياني هو
على بن حازم . وله كتاب في النوادر شريف » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الخمسمائة (١) :

٥٦٦ (فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَذْمَى كُلُّوْمُنَا)

ولكن على أقدامنا يَقْطُرُ الدِّمَاءُ

على أَنَّ المبرّد استدلّ به بأنّ الدّم أصله فَعَلَ بتحريك العين ، ولامه ياء محذوفة ، بدليل أَنَّ الشاعر لما اضطرّ أخرجه على أصله وجاء به على الوضع الأوّل . فقوله الدِّمَاءُ بفتح الدال فاعل يقطر ، والضمّة مقدّرة على الألف ، لأنّه اسمٌ مقصور ، وأصله دَمَى ، تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها فقلت ألفا .

والدليل على أَنَّ اللام ياءٌ قولهم فى التثنية : دميان ، وفى الفعل : دَمِيت يده . هذا محصّل مدّعا ، وهو إنّما يتمّ على أَنَّ فتح الميم قبل حذف اللام ، وعلى أَنَّ الدِّمَاءَ بمعنى الدم ، وعلى أَنَّ يقطرُ بالياء التحتية . وفى كلّ واحد بحث .

أمّا الأوّل فممنوع ، وإنّما فتحة الميم حادثةٌ بعد حذف اللام ، وهو مذهب سيبويه ، وذلك أَنَّ الحركة عنده إذا حدثت لحذف حرفٍ ثم ردّ المحذوف ثبتت الحركة التى كانت قد جرت على الساكن قبل دخولها عليه بحالها . ويشهد له قولهم : يديان ؛ فإنّهم أجمعوا على سكون العين من يد من غير خلاف . وقد نراهم ، قالوا : يديان ، فحرّكوا عند الرّدّ ، لأنّها قد جرت محرّكة قبل رد اللام .

(١) النصف ٢ : ١٤٨ والتصحيح للعسكري ٣٢٥ ومجالس العلماء للزجاجي ٣٢٥ وأمالى

ابن الشجرى ٢ : ٣٤ ، ١٨٧ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ / ٨٤ وشرح شواهد الشافعية ١١٤

والحماسة بشرح المرزوق ١٩٨ .

وأما الثاني فممنوعٌ أيضًا ، لاحتمال أنه مصدر دَمَى دَمًا ، كفرح
يفرح فرحًا . قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) : دَمًا : مصدر
دميت يده ، لا بمعنى الدَّم . وأما قوله ، وأنشدني^(١) أبو على :

* ولكن على أقدامنا يقطرُ الدِّمَا *

فالدِّمَا فى موضع رفع ، وهو مصدر مقصور على فَعَلَ ، وتقديره على
حذف مضاف . وكذا قول الشاعر^(٢) .

كَأَطُومٍ فَقَدْتُ بُرْعُزَهَا أَعْقَبَهَا الْغُبْسَ مِنْهُ عَدَمًا
غَفَلْتُ ثُمَّ أَتَتْ تَرْقُبُهُ فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدَمًا

فإنَّه أوقع المصدر فيهما موقعَ الجواهر ، وتأويله عندى على حذف
المضاف ، كأنَّه قال : يقطر ذو الدِّمَى ، وإذا هى بعظام وذى دَمَى . انتهى .

والأَطُوم ، بفتح الألف وضم الطاء : البقرة الوحشية . والبرغز بضم
الموحدة فالعين المعجمة ، وسكون الراء المهملة بينهما ، وآخره زاي ، هو
ولدها . والغُبْس : جمع أغبس ، وهى الذئاب ، وقيل هى الكلاب . والدِّمَا فى
الموضعين لاختفاء فى كونه بمعنى الدَّم ، والتأويل خلافُ الظاهر .
وأما الثالث فقد روى أيضًا بالنون وبالتاء الفوقية .

أما الأول فقد قال العسكرى (فى كتاب التصحيف^(٣)) : اختلفوا
فى نصب الدم ، ورواه أبو عبيدة :

* على أقدامنا تُقَطِّرُ الدِّمَا *

(١) ط : ١ وأنشد فيه ١ صوابه فى ش والمنصف ٢ : ١٤٨ .

(٢) الشاعر مجهول . وانظر معجم شواهد العربية ٣٣٧ .

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٣٢٥ .

بالنون ، أى نقطر دمًا من جراحنا . انتهى .

فقطر على هذا متعّد ، يقال قطر الدم وقطّرت ، أى سال وأسلته . وأمّا الرواية بالناء الفوقية فقد رواها شراح الحماسة وقالوا : قطر فعل متعّد مسندٌ إلى ضمير الكلوم . فالدمّا على هاتين الروایتين مفعول به ، يحتمل أنّه مقصور كما قال المبرد ، ويحتمل أنّه الدم منقوص وألفه للإطلاق . وحينئذ يسقط الاستدلال على أنّه مقصور . وقال المرزوقى (فى شرح الحماسة) ، وتبعه التبريزى وغيره : وإن شئت جعلت الدم منصوبًا على التمييز ، كأنّه قال : تقطر دما ، وأدخل الألف واللام ولم يعتدّ بهما . وقال (فى شرح الفصيح) : وبعضهم يجعل الدّما تمييزًا ، ولا يعتدّ بالألف واللام ، أراد تقطر كلومنا دمًا ، أى من الدم ، كما فى قوله :

* ولا بفزارة الشعر الرّقابا (١) *

وما أشبهه . ويجوز فى هذا الوجه أن تنصبه على التشبيه بالمفعول به ، كما يفعل بقوله : هو الحسن وجهها . انتهى .

أقول : قد خطأ أبو على الوجه الأول (فى المسائل البصرية) قال : وحمل الدّما على التمييز خطأ . انتهى . وأمّا الوجه الثانى فليس على منوال ما مثل به . وزاد ابن جنى (فى إعراب الحماسة) فقال : روى : « تقطر الدما » ،

(١) ط : « بفزارة » تحريف ، صوابه فى سيبويه ١ : ٥٢ ، ٤٨٩ وأملى ابن الشجرى ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٣ والعينى ٣ : ٩ . والأشعرى ٣ : ١٤ . والبيت للحرث بن ظالم . وصدّره :

بفتح المثناة الفوقية وضَمِّها . أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَأَنَّ قَطَرَ مَتَعَدُّ . وَأَمَّا الثَّانِي فَعَلَى أَنَّهُ
منقول من قَطَرَ الدَّمُ بِالرَّفْعِ ، وَأَقْطَرْتَهُ ، كَقَوْلِكَ : سَالَ وَأَسْلَتَهُ . انْتَهَى .
وقد جاء تَقَطَّرَ الدِّمَاءُ مَتَعَدِّيًا نَاصِبًا لِلدَّمِ ، فِي قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ لِأَبْنَى طَالِبٍ ، حِينَ قَتَلَ خِدَاشَ بْنَ عُلْقَمَةَ بْنِ عَامِرٍ ، مِنْ أُبَيَّاتٍ
عَدَّتْهَا ثَلَاثَةٌ عَشَرَ بَيْتًا ، أَوْرَدَهَا أَبُو تَمَامٍ (فِي آخِرِ كِتَابِ مُخْتَارِ أَشْعَارِ
الْقِبَائِلِ) ، وَهُوَ :

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يَنْصِفُونَا فَأَنْصَفْتُ قَوَاطِعُ فِي أَيْمَانِنَا تَقَطَّرَ الدِّمَاءُ^(١)

وَأَوْرَدَ السَّيُّوطِيُّ (فِي الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ) مَجْلِسَ ثَعْلَبٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ
النَّحْوِيِّينَ ، نَقَلَهُ مِنْ كِتَابِ غَرَائِبِ مَجَالِسِ النَّحْوِيِّينَ لِلزَّجَّاجِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا
أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ فَأَنْشَدَنَا :
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقَطَّرُ الدِّمَاءُ
فَسَأَلْنَا : مَا تَقُولُونَ فِيهِ ؟ فَقُلْنَا : الدَّمُ فَاعِلٌ جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ . فَقَالَ :
هَكَذَا رَوَايَةُ أَبِي عُبَيْدٍ^(٢) . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : هَذَا غَلَطٌ ، وَإِنَّمَا الرِّوَايَةُ :
« تَقَطَّرَ الدِّمَاءُ » مَنقُوطَةٌ مِنْ فَوْقِهَا ، وَالْمَعْنَى : وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرَ الْكُلُومُ
الدِّمَاءُ ، فَيَصِيرُ مَفْعُولًا بِهِ . وَيُقَالُ قَطَرَ الْمَاءُ وَقَطَرْتُهُ أَنَا . وَأَنْشَدَنَا :
« فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدِمَا * الْبَيْتَيْنِ »

(١) البيت أيضا من أبيات ثلاثة في حماسة البحترى ٦٠ . وهو مع قرين له في معجم المرزبانى

(٢) وكذا في الأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ٤٠ لكن في مجالس العلماء للزجاجى ٣٢٥ :

وقال : كان الأصمعى يقول : إنما الرواية بكسر الدال ، ثم قصر المملود . انتهى .

وأما ما ادّعى المبرد أن لام الدم ياء لا واو ، فقد تقدم الكلام عليه في البيت قبل هذا .

وهو من أبيات ثلاثة أوردها أبو تمام (في الحماسة) للحُصَيْن بن صاحب الشاهد

٣٥٤ الحُمَامُ المَرَى ، وأوردها الأَعْلَمُ الشنتمرى (في حماسه أيضًا) ، وهى :

أبيات الشاهد (تأخّرتُ أَسْتَبْقَى الحَيَاةَ فلم أَجِدْ لنفسى حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فلَسْنَا على الأَعْقَابِ نَدْمَى كُلُّوْمُنَا ولكنَّ على أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا
نُفْلِقُ هَامًا من رِجَالِ أَعَزَّةٍ علينا وهم كانوا أَعَقُّ وَأَظْلَمَا)

وقوله : « تأخّرتُ أَسْتَبْقَى الحَيَاةَ » إلخ قال الطبرسى في شرحه : يقول : نكصت على عقبي رغبةً في الحَيَاةَ ، فرأيت الحَيَاةَ في التَقَدُّمِ . وقال المرزوق : يجوز أن يكون هذا مِثْلَ قولهم : « الشُّجَاعُ مُوقَى » ، أى تَهْيِيهِ الأَقْرَانُ فيتحامونه ، فيكون ذلك وقايةً له . وفي طريقته قول الآخر :

يَخَافُ الجَبَانُ ، يُرَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قبل انقضاء الأَجَلِ
وقد تدركُ الحَادِثَاتُ الجَبَانَ وَيَسْلَمُ منها الشُّجَاعُ البَطْلُ
ومثله قوله الآخر :

نُهِنَ النُّفُوسَ وَهَوْنَ النُّفُوسِ سِ يَوْمَ الكَرِيهِةِ أَوْقَى لها

وجوز أن يقول : أَحْجَمْتُ مُسْتَبْقِيًا لَعِيشِي فلم أَجِدْ لنفسى عِيشًا كما يكون في الإقدام ، وذلك لأنَّ الأَحْدُوثةَ الجميلةَ عند الناس إنما تكون بالتَقَدُّمِ لا بالتأخُّر ، وبالاتِّحَامِ لا بالانحراف . ومن ذُكِرَ بالجميل وتُحَدِّثُ عنه بالبلاء

حَيَّ ذَكَرَهُ وَاسْمُهُ ، وَإِنْ ذَهَبَ أَثَرُهُ وَجَسَمُهُ . وَقَوْلُهُ : « حَيَاةٌ مِثْلُ أَنْ
أَتَقَدَّمَ » ، مَعْنَاهُ حَيَاةٌ تَشْبِهُ الْحَيَاةَ الْمَكْتَسِبَةَ فِي التَّقَدُّمِ وَبِالتَّقَدُّمِ

وَقَوْلُهُ : (فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ) إِيْلَ الْأَعْقَابِ : جَمْعُ عَقِبَ بَفَتْحِ
فَكَسْرٍ ، هُوَ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ . وَالْكَلُومُ : جَمْعُ كَلِمٍ يَفْتَحُ فَسْكَوْنٌ ، وَهُوَ
الْجُرْحُ . قَالَ الْمَرْزُوقُ : أَرَادَ : لَسْنَا بِدَامِيَةِ الْكَلُومِ عَلَى الْأَعْقَابِ . وَلَوْ لَمْ يَجْعَلِ
الْإِنْخِبَارَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَكَانَ الْكَلَامُ : لَيْسَتْ كَلُومُنَا بِدَامِيَةٍ عَلَى الْأَعْقَابِ .
فَيَقُولُ : نَتَوَجَّهُ نَحْوَ الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ وَلَا نُعْرِضُ عَنْهُمْ ، فَإِذَا جُرَحْنَا كَانَتْ
الْجَرَاحَاتُ فِي مَقَدِّمِنَا ، لَا فِي مُؤَخَّرِنَا ، وَسَالَتِ الدَّمَاءُ عَلَى أَقْدَامِنَا ، لَا عَلَى
أَعْقَابِنَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْقَطَامِيِّ :

لَيْسَتْ تُجَرِّحُ قُرَارًا ظُهُورَهُمْ وَفِي التَّحُورِ كَلُومٌ ذَاتُ أَبْلَادٍ^(١)

انتهى .

وَقَدْ أورد ابن هشام صاحب السيرة هذا البيت (في سيرته) ، وَتَبِعَهُ
الشَّامِيُّ فَأوردَهُ (في سيرته) أَيْضًا ، قَالَا : إِنْ مِنْ جَهْلَةٍ مِنْ فَرَّ يَوْمَ بَدْرٍ خَالِدٌ
ابْنَ الْأَعْلَمِ ، وَهُوَ الْقَاتِلُ :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَاءُ

فَمَا صَدَقَ فِي ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَرَّ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَدْرَكَ وَأَسْرَ .

انتهى .

فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ قَاتِلُ هَذَا الْبَيْتِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَالَهُ مِثْمَثًا بِهِ .
وَقَوْلُهُ : « نَفْلَقُ هَامًا » إِيْلَ قَالَ الْمَرْزُوقُ : يَقُولُ : نَشَقُّقُ هَامَاتٍ مِنْ

(١) قَبْلَهُ فِي الدِّيَوَانِ ٨٨ :

عِنْدَ الْلِقَاءِ مَسْلُوعٍ إِلَى النَّادِي

ثَابِتٌ لَهُ عَصَبٌ مِنْ مَالِكٍ رَجَعَ

رجالاً يكرمُون علينا ، لأنَّهم منا ؛ وهم كانوا ^(١) أُسْبِقَ إلى العقوق وأوفر ظلماً ، لأنَّهم بدَّعونا بالشرِّ والجُمُونا إلى القتال ، فحنَّ منتقمون ومُجازون . انتهى .

وقال الخطيب التبريزي : أصل العقوق القطع ، يقال عَقِيَ الرَّجِمَ كما يقال قطعها . وجمع العاقُّ أَعْقَةٌ ؛ وهو جمع نادر . انتهى .

وهذه الأبيات الثلاثة من قصيدة عدتها واحد وأربعون بيتاً ^(٢) للحصين صاحب الشاهد

٣٥٥ ابن الحُمَام ، وهو شاعر جاهلي ، أوردَها المفضَّل (في المفضليات) وليس البيتان الأولان من الثلاثة موجودين في رواية المفضَّل ، والبيت الثالث في روايته إنما هو : « يَفْلَحَنَّ » بالنون ، لأنَّه ضمير السُّيُوفِ في بيتٍ قبله ، وهو :
(صَبْرٌ نَاوَكَانَ الصَّبْرُ مَثَا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعَنَّ كِفَاوِ مِغْصَمَا)

وقد تقلَّم أبياتٌ كثيرةٌ منها مشروحةٌ مع ترجمته في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائتين ، من باب الاستثناء ^(٣) .

وقد أورد ابنُ الأنباري (في شرحه) منشأ هذه القصيدة فقال : كانت بنو سعد بن ذبيان قد أَحْلَبَتْ على بنى سهم مع بنى صِرْمَةَ ، وَأَحْلَبَتْ معهم مُحَارِبُ بنِ خَصَفَةَ ، فساروا إليهم ورؤسُهم حُمَيْضَةُ بن حرملة الصُّرْمِي ، ونكصت عن حُصَيْنِ بن الحُمَامِ قبيلتان ، وهما عَنُوان بن وائلة بن سهم ، وعبد غَنَمِ بن وائلة بن سهم ، فلم يكن معه إلا بنو وائلة بن سهم والحُرْقَةُ ،

(١) ط : « وان كانوا » ، وأثبت ما في ش وشرح المزروق ١٩٩ .

(٢) ط : « أحد وأربعون بيتاً » .

(٣) الخزائن ٣ : ٣١٨ - ٣٢٧ .

فسار إليهم فلقبهم الحصين ومن معه بدارة موضوع ، فظفر بهم وهزمهم ،
وقتل منهم فأكثر ، فلذلك يقول الحصين بن الحمام :

ولا غزو إلا يوم جاءت محاربٌ يقودون ألفاً كلهم قد نكبتاً^(١)
موالى موالينا ليسبوا نساءنا أثعلبٌ قد جئتم بتركاء ثعلبا

وإنما سارت إليهم محاربٌ للحلف الذى كان بينهم . فقال الحصين :
أيا أخويننا من أئينا وأئنا إليكم وعند الله والرَّجْمُ العُزْرُ . انتهى
وأُحْلَبَ بالحاء المهملة ، قال (فى الصحاح) : يقال للقوم إذا جاءوا
من كل أوب للنصرة : قد أحلبوا . والمُحْلِبُ : الناصر . ويعجبنى من آخر
هذه القصيدة قوله :

(فلستُ بمبتاع الحياة بسبِّةٍ ولا مبتغى من رهبة الموت سلماً)

يقول : لا أشتري الحياة بما أسبُّ عليه وأُعَيَّرُ به ، ولا أطلب النجاة من
الموت ، لأننى أعلم أن الموتَ لأبدٌ منه . يعنى مَنْ طلب النجاة من الموت
احتملَ الدَّلَّ ، ومن علم أنه ميت لا محالة لم يحتمل المذلة .

والْحُصَيْن ، بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين . والحُمَام ، بضم الحاء ، بضم الحاء
المهملة وتخفيف الميم . والمرى نسبة إلى مرة ، وهو أبو قبيلة ، وهو مرة بن
عوف بن سعد بن ذبيان . وسهم وصرمة أخوان ، وهما ابنا مرة . وواثلة هو
ابن سهم . والحصين من بنى وائلة ، وهو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن

(١) الغزو : العجب . ط : « ولا غزو » ، صوابه فى ش .

مساب بن حرام بن وائلة . وحميضة ، بالتصغير هو ابن حرملة بن الأشعر بن إياس بن مُرَيْطَة بن ضَرَمَة بن صَرَمَة بن مرة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الخمسمائة ^(٢) :
 ٥٦٧ (يَارْبُ سَارِ بَاتَ مَا تَوَسَّدَا إِلَّا ذِرَاعَ الْعَنَسِ أَوْ كَفَّ الْيَدَا)
 على أَنَّ السَّيْرَافِي استدلَّ به على أَنَّ « يَدَا » أصله فَعَلَ بتحريك العين :

قال صاحب الصحاح : بعض العرب يقول لِلْيَدِ يَدًا ، مثل رَحَى .
 وأنشد الشعر . وتشتبها على هذه اللغة يَدَيَانِ مثل رَحِيَانِ . قال الشاعر :
 يَدَيَانِ بِيضَاوَانِ عِنْدَ مَحْرَقٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ مِنْهُمَا أَنْ تُهْضَمَا . انتهى .
 وتبعه ابن يعيش بقوله : « والذي أراه أَنَّ بعض العرب يقول في اليد ٣٥٦
 يَدَا » . إلى آخر ما ذكره صاحب الصحاح .

وقال ابن الأنباري (في كتاب الأضداد) : أنشد الفراء :
 * يَارْبُ سَارِ بَاتَ مَا تَوَسَّدَا * إلخ

أَي كَانَ ذِرَاعُ النَّاقَةِ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَسَادَةِ . وَمَوْضِعُ الْيَدِ خَفَضٌ بِإِضَافَةِ الْكَفِّ إِلَيْهَا ، وَتَبَتِ الْأَلْفُ فِيهَا وَهِيَ مَخْفُوضَةٌ لِأَنَّهَا شَبِهَتْ بِالرَّحَى وَالْفَتَى .
 وَعَلَى هَذَا قَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ : قَامَ أَبَاكَ ، وَجَلَسَ أَخَاكَ ، فَشَبَّهُمَا بِعَصَاكَ وَرَحَاكَ . هَذَا مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا . وَقَالَ غَيْرُهُمْ : مَوْضِعُ الْيَدِ نَصَبٌ

(١) في القاموس (ضرم) : « وضرمه بن صرمه بكسر الصاد المهملة : جد لهاشم بن حرملة » وقد ضبطت « ضرمه » بفتح الصاد والراء . وانظر مختلف القبائل لابن حبيب ٤٥ .
 (٢) رسالة الملائكة ١٦٥ وابن يعيش ٤ : ١٥٢ والمجم ١ : ٣٩ .

بكفّ ، وكفّ فعلٌ ماضٍ من قولك : قد كفّ فلان الأذى عنا . انتهى كلامه . فتأمل كلامه .

و (يا) حرف تنبيه و (ربّ) حرف جر . و (سارِ) : اسم فاعل من سَرى في الليل . واسم بات ضمير سار ، وجملة ما توسّدًا خبرها ، والجملة الكبرى صفة لسارِ . ويجوز أن تكون بات تامة ، وجملة ما توسّدًا حالٌ من ضمير فاعلها . و (توسّد) بمعنى اتّخذ وسادة . و (العنُس) بفتح العين وسكون النون : الناقة الشديدة . ويروى : « العيس » بالكسر وبالمثناة التحتيّة ، وهى الإبل البيض التى يخالط بياضها شيء من الشقرة ، واحدها أعيس والأنثى عيساء . يقول : أكثر من يسير الليل لم يتوسّد للاستراحة إلا ذراع ناقته المعقولة ، أو كفّ يده . وجواب ربّ محذوف ، تقديره لقيته ، أو مذكورٌ في بيت بعده . ولا يصح أن يكون جوابها ما توسّد . فتأمل .

وهذا الرجز لم أقف على قائله ولا تتمّته . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الخمسمائة ^(١) :
 ٥٦٨ (هُمَا حُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ ، وَالْقَتْلُ بِالْحَرْ أَجْدَرُ)
 على أن نون التثنية قد تحذف للضرورة كما هنا ، فإن الأصل : هما خطتان .

(١) الخصائص ٢ : ٤٠٥ والمغنى ٩٩ والعينى ٣ : ٤٨٦ والتصریح ٢ : ٥٨ والمصع ١ :

٤٩ / ٢ : ٥٢ والأصموني ٢ : ٢٧٧ والحماسة بشرح المروزق ٨٩ واللسان (خطط) .

وهذا على رفع إيسار . وأما على جرّه فخطأ مضاف إليه وحذفت النون للإضافة . قال ابن هشام (فى المغنى) : فى رفع إيسار حذف نون المثنى من خطّتان . وفى جره الفصل بين المتضايقين بإمّا . فلم ينفك البيت عن ضرورة . انتهى

وقد تكلم على الوجهين ابن جنّى (فى إعراب الحماسة) بكلام لا مزيد عليه فى الحُسن . قال : أمّا الرّفْع فظريف المذهب ^(١) ، وظاهر أمره أنّه على لغة من حذف نون التثنية لغير إضافة ، فقد حُكى ذلك . ومما يعزى إلى كلام البهائم قول الحَجَلَة للقطة : « ييضُكُ ثنتا ، وييضى مائتا » ، أى ثنتان ، ومائتان . وقول الآخر ^(٢) :

لنا أعزّزُ لُبْن ثلاث فبعضُها لأولادها ثنتا وما بيننا عَزْزُ

وذهب الفراء فى قوله :

لها مَتَتانِ حَظّاتنا كَمَا أَكَبُّ على ساعديه التَّمِرُ ^(٣)

إلى أنّه أراد خطّاتان ، فحذف النون استخفافاً . واستدلّ على ذلك بقول الآخر ^(٤) :

ومتّان خطّاتانِ كزُحْلُوف من الهَضْبِ

وقد تَقَصَّيت القول على هذا الموضع فى كتابى (سر الصناعة) . فعلى هذا يحىء قوله :

هما خطّتا إمّا إيسار ومئة وإمّا دم

(١) . وكنا ورد فى إعراب الحماسة الورقة ٢١ بالظاء المعجمة .

(٢) الخصائص ٢ : ٤٣٠ وشرح القصائد السبع الطوال ٣٠٥ وشرح الحماسة للمرزوق

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٤ .

(٤) هو أبو دؤاد الأبادى . ديوانه ٢٨٨ واللسان (خطا) .

على أنه أراد : خططان ، ثم حذف النون على ما تقدّم .

فإن قلت : فإذا كان بالثنائية قد أثبت شيئين ، فكيف فسرّ بالواحد ، فقال : إمّا وإمّا ، وهما يثبتان الواحد كما تثبته أو ^(١) .

فالجواب : أنه تصوّر أمرين ، واعتقد أنه لا بدّ من أحدهما ، وعلم أن المحصول عليه أحدهما لا كلاهما ، ففسّر ما تصوّره ، وهما شيئان ، بما يُحصل عليه وهو الواحد ، كما يخص بعد العموم في نحو قولك : ضربت زيداً رأسه ، ولقيت بنى فلان ناساً منهم .

فإن قلت : فهلاً حملته على حذف المضاف فكان أقرب مذهبا وأيسر متوهّما ، حتّى كأنه قال : هما إحدى خطّتين ؟

قيل : يمنع من ذلك قوله هما ، وهما لا يكون خبره مفرداً . ألا تراك ^(٢) لا تقول : أخواك جالس ولا نحو ذلك . فلذلك انصرفت عن هذا الوجه إلى الذى قبله .

ويجوز عندى فيه وجهٌ أعلى من هذا ، لإضعف حذف نون الثنية عندنا ، وهو أن يكون على وجه الحكاية ، حتّى كأنه قال : هما خطّتان قولك : إمّا إيسار ومئة وإمّا دم ، فتحذف النون على هذا للإضافة البتّة .

وأما من جرّ إمّا إيسار ومئة ، فأمره واضح ^(٣) . وذلك أنه حذف النون للإضافة ولم يعتدّ « إمّا » فاصلاً بين المضاف والمضاف إليه . وعلى هذا تقول : هما غلاما إمّا زيد وإمّا عمرو ، وهذان ضاربا إمّا زيد وإمّا جعفر .

(١) ش : « كما تثبته أو » . وما فى ط يطابق ما فى إعراب الحماسة .

(٢) فى النسختين : « ألا ترى » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٣) هذا الكلام إلى آخره موضعه فى إعراب الحماسة قبل الكلام السابق .

وأجود من هذا أن تقول : هما إما خطئنا إيساراً ومِنهُ وإما دمٌ . وإن شئت : وإما خُطئنا دم .

فإن قلت : إن إما مثل « أو » في أن كل واحدٍ منهما توجب إحدى الشيئين ، فترجع بك الحال إذن إلى أنك كأنك قلت : هما خطئنا أحد هذين الأمرين . وليس الأمر كذلك ، إنما هما خُطئتان إحداهما كذا والأخرى كذا . وليست أيضاً كل واحدة من الخطئتين للإيسار والدم جميعاً ، إنما أحدهما لأحدهما (١) على ما تقدم .

فالجواب : أن سبب جواز ذلك هو أن كل واحدٍ من الإيسار والدم لما كان معرضاً لكل واحدةٍ من الخطئتين ، يصلح أن يصير بصاحب الخطئة إليه ، أطلقاً جميعاً على كل واحدٍ منهما بأن أضيفاً إليه ، وجعل مُفضًى له ومُظَنَّةً مِنْهُ . ونحو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢) ولم يجعل كل واحدٍ من الليل [والنهار (٣)] لكل واحدٍ من السكون والابتغاء ، وإنما جعل الليل للسكون ، والنهار للابتغاء ، فخلط الكلام اكتفاءً بمعرفة المخاطبين بوقت السكون من وقت الابتغاء . انتهى .

والبيت من أحد عشر بيتاً لتأبط شراً ، أوردها أبو تمام (في الحماسة)

صاحبها

هكذا :

(إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جَدَّ جِدُّهُ أضاعَ وقاسى أمره وهو مُذْبِرٌ
ولكن أخو الحرم الذى ليس نازلاً به الخطبُ إلا وهو للقصد مُبْصِرٌ

أبيات الشاعر

(١) في إعراب الحماسة : « إنما لإحداهما » .

(٢) الآية ٧٣ من سورة القصص .

(٣) التكملة من إعراب الحماسة .

فذاك قَرِيعُ الدَّهَرِ ما عاش حَوْلَ إذا سُدَّ منه مَنخَرٌ جاش مَنخَرُ
أقول لِلْحَيانِ وقد صَفِرَتْ لَهُمُ وطايبي ويومي ضَيِّقُ الْحَجَرِ مُغَوَّرُ^(١)
هما خُطَّتَا إِمَّا إِسَارَ وَمِئِنِ وإِما دمٍ والقتلُ بالحرِّ أَجْدَرُ
وأخرى أَصَادِي النَّفْسِ عنها وإِنَّها لَمَوْرِدُ حَزَمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْنَرُ
فَرَشْتُ لها صدرى فزَلَّ عن الصَّنفا به جَوْجُو عَيْلٍ وَمَتَنٌ مَخْصَرُ
فخالط سهلَ الأرضِ لم يَكْدِج الصَّنفا به كدحَةً ، والموتُ حَزَيَانُ يَنْظُرُ
فَأَبْتُ إِلَى فهِمٍ وما كدْتُ آيَا وَكَمْ مِثْلِها فارَقَتْها وهى تَصْفُرُ

٣٥٨

وأورد صاحب الأغاني أَوَّلَ الأبيات « أقول للحيان » والأبيات الثلاثة قبله ، بعد قوله : فَأَبْتُ إِلَى فهِمٍ ... البيت .

نحو الأبيات

وخبر هذه الأبيات أَنَّ تَأَبَّطَ شَرًّا كان يشتر عسلاً في غارٍ من بلاد هذيل ، وكان يأتيه كُلُّ عام ، وَأَنَّ هذيلاً ذُكِرَ لها ذلك ، فرصدته لوقت ، حتَّى إذا هو جاء وأصحابه تدلَّى فدخل الغار . فأغارت هذيلٌ على أصحابه وأنفروهم ، ووقفوا على الغار فحركوا الحبل ، فأطلع رأسه فقالوا : اصعد . قال : فعلام أُصعد ؟ على الطَّلَاقَةِ والفداء ؟ قالوا : لا شرطَ لك . قال : أَفْتَرَاكُمْ آخِذِيَّ وَقَاتِلِيَّ وآكلي جَنَائِي^(٢) . لا والله لا أَفْعَلُ ! ثم جعل يُسِيلُ العسلَ على فم الغار ، ثم عمد إلى زِقِّ فشَلَّه على صدره ثم لصقَ بالعسل ، ولم يزل يَتَزَلَّقُ عليه حتَّى جاء سليماً إلى أسفل الجبل ، فنهَضَ وفاتَهُمْ ، وبين موضعه الذى وقع فيه وبينهم [مَسِيرَةُ^(٣)] ثلاثة أَيام .

(١) الحجر ، بفتح الحاء : الناحية ، ومثله الحجرة بالفتح . وفي المثل : « يربض حجرة ويرتعى وسطاً » . شرح الحماسة للمرزوقي ٨١ .

(٢) ط : « جنائى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) التكملة من ش .

وقوله : « إذا المرء لم يَحْتَل » إِنْخَ الحِيلَةِ من حال الشيء ، إذا انقلبَ عن جهته ، كأنَّ صاحبها يريد أن يستنبط ما تحوَّل عند غيره ، ولذلك يقال : فلانٌ حَوَّلَ قُلُوبَ . و « جَدَّ جِلُّهُ » : ازداد جِلُّهُ جدًّا . والجَدَّ ، بالكسر : الاجتهاد . وأَضَاعَ : وجد أمره ضائعًا ، أو بمعنى ضيَّع . والمعنى عاجلُ أمره مدبرًا فيه غير مقبل . أى إذا المرء لم يطلب رشده في إصلاح أمره في الوقت الذى يجب أن يفعله آل به أمره إلى الضياع .

وقوله : « ولكنَّ أخو الحَزْمِ » ، يقول : صاحب الحزم هو الذى يستعدُّ للأمر قبل نزوله .

وقوله : « فذاك قَرِيعُ الدَّهرِ » إِنْخَ يجوز أن يكون فى معنى مختار الدهر ، ويكون من قرعت أى اخترته بقرعتى . ويجوز أن يكون من قرعه الدهر بنوائبه حتَّى جَرَّبَ وتَبَصَّرَ . وقوله : « ما عاش » أى مدَّةَ عيشِهِ . وقوله : « إذا سُدَّ منه منخر » إِنْخَ مَثَلٌ للمكروب المضيق عليه . وجاشَ : تحرَّك واضطرب . والمعنى لا يؤخذ عليه طريقٌ إلَّا نفذ فى طريق آخر ، لافتنانه فى الحِيلِ .

وقوله : « أقول لِلْإِحْيَانِ » إِنْخَ لإِحْيَانٍ : بطنٌ من هذيل ، خاطبهم لما كانوا على رأس الغار الذى اشتار منه العسل . وقوله : « صَفَرْتُ وَطائى » الواو للحال . والوطاب هنا : ظُروف العسل ، وهى فى الأصل جمع وَطْبٍ ، وهو سقاء اللبن . وصَفَرْتُ : خَلَّتْ . أشار إلى ظُروف العسل التى صَبَّ العسلُ منها على الجانب الآخر وركبه مترلِّقا حتَّى لحق بالسهل . وقيل : معناه خلا قلبى من وُدِّهم ، يريد وِطَابَ وُدِّى .

وقيل : أشرفت نفسى على الهلاك . فأراد بالوطاب جسمه . ومُعَوَّر ، من أعور لك الشيء ، إذا بدت لك عورته ، وهى موضع الخافة . وكل ما طلبته فأمكنك ، فقد أعورك وأعور لك .

وقوله : « هما خطئنا » إلخ هذا مقول القول . والخطئة : الحالة والشأن . وكأنهم كانوا يريدونه على الحالتين ، فأخذ يتهم عليهما ويحكي مقالتهما . والمعنى : ليس إلا واحدة من خصلتين على زعمكم : إما استسار والتزام متكم إن رأيتم العفو . وإما قتل وهو بالحر أجدر مما يكسبه الذل . فهاتان الخصلتان هما اللتان أشار إليهما بقوله : « هما خطئنا » . وقد ثلثهما بخطئة أخرى ذكرها فيما بعد . وكله تهكم وهزء . وقوله : « والقتل بالحر أجدر » اعتراض بين ما عدّه من الخصال .

وقوله : « وأخرى أصادى النفس » إلخ المصاداة : إدارة الرأى فى تدبير الشيء والإتيان به . يقول : وههنا خصلة أخرى أدارى نفسى فيها ، وإنها هى الموضع الذى يردّه الحزم ويصلّر عنه إن فعلت . وإنما قسم الكلام هذه الأقسام لأنه رآهم يبتون ^(١) أمره عليها ، ولأنه نظر إلى جهتي الجبل ، فعلم أنه إن رضى ما أراد به بنو لحيان كان فيه إحدى الحالتين من الأسر والقتل بزعمهم . وإن احتال للجهة الأخرى فالحزم فيها وخلاصه فيها ، وكان أمراً ثالثاً .

وقوله : « وإنها لمورد حزم » اعتراض أيضا .

وهذه الأبيات الثلاثة من باب التقسيم الذى هو من محاسن الكلام ، وهو أن يقصد وصف شيء يختلف أحواله ، فيقسم أقساماً محصورة لا يمكن

(١) أى يقطعون . وفى ط : « يبنون » ، وأثبت ما فى ش .

الزيادة عليها ولا التقصان ، كما قسم تأبط شرا أحواله مع بنى لحيان أقساما
ثلاثة لا رابع لها . ومنه قول بشر بن أبي خازم :

ولا ينجى من العَمَرَاتِ إِلَّا بِرَأْكَاءِ الْقَتَالِ أَوْ الْفِرَارِ

وليس فى أقسام النجاة للمحارب قسم ثالث .

ونحوه قول زهير :

وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكنتى عن علم ما فى غد عيمى

فقسم الأيام ثلاثة ، ولا رابع لها .

وقوله : « فرشتُ لها صدرى » إلخ بين بهذا كيفية مزاولته لنفسه .

والفرش : البسط . وضمير لها للخطئة التى عبر عنها بقوله : « وأخرى » ، أى
فرشت من أجل هذه الخطئة صدرى على الصفا . وهذا حين صبَّ العسل
فتزلزل به عن الصفا ، أى بصدرة . جَوْجُوْ عُبْل ، أى ضخم . ومتن مختصر ،
أى دقيق . والصدر والمتن : صدره ومثله ، ولكنه أخرجه مخرج قولهم : لقيت
يزيد الأسد ، وزيد هو الأسد عندهم ، ووضع فرشت موضع القيت
ووضعت . ويقال فرشت ساحتى بالأجر . وافرشت الشاة للذبح ، إذا
أضجعتها . كذا قال التبريزى .

وقوله : « فخالط سهل الأرض » إلخ الخلط ، أصله تداخل أجزاء

الشيء فى الشيء . والكذح بالأسنان والحجر : دون الكدم . يقول : وصلت إلى
السهل ولم يؤثر الصفا وهو الصخر ، فى صدرى أثرا ولا نخذشا ، والموت كان
قد طمع فى ، فلما رآنى وقد تخلصت بقى مستحيا . وخزيان ، من الخزاية
وهى الاستحياء ، ويجوز أن يكون من الخزى ، وهو الفضيحة والهوان .

و « ينظر » خبر ثانٍ أو حال من ضمير خزيان . وينظر : يتحير . وقد حُملَ قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينَتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾^(١) على معنى تتحيرون .

وقوله : « فأبى إلى فهم » . إلى آخره ، أبى : رجعت . وفهم : قبيلة تأبط شراً . وقوله : « وكم مثلها » إلخ أى مثل هذه الخطة فارقتها بالخروج منها وهى مغلوقة تصفر وأنا الغالب . وقيل معناه : كم مثل لحيان فارقتها وهى تلهف كيف أفلتت .

وسياتى إن شاء الله تعالى الكلام على هذا البيت فى باب الفعل ، وفى أفعال المقاربة .

وقد تقدّمت ترجمة تأبط شرا فى الشاهد الخامس عشر من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الخمسمائة^(٣) :
 ٥٦٩ (متى ما تلقى فردّين ترجف روائف أليتك وتسطّارا)
 على أنّه يجوز اتفاقاً أن يقال أليتان بقاء التأنيث ، إلى آخر ما نقله عن أبى على .

وقد نقل عنه ابن الشجرى (فى المجلس الثالث من أماليه) خلاف

(١) الآية ٨٤ من الواقعة .

(٢) الخزائن ١ : ١٣٧ - ١٣٩ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨ وإصلاح المنطق ٣٩٩ وابن يعيش ٢ : ٥٥ / ١١٦ /

٦ : ٨٧ وشرح شواهد الشافعية ٥٠٥ والعينى ٣ : ١٧٤ والتصريح ٢ : ٢٩٤ والجمع ٢ : ٦٣ وديوان عترة ١٠٨ .

هذا ، قال : قال أبو على الحسن بن أحمد الفارسي : قد جاء من المؤنث بالتاء حرفان لم يلحق في تثنيتهما التاء ، وذلك قولهم : **خُصَيَانِ** و**أَيَانِ** ، فإذا أفردوا قالوا : **خُصْيَةٌ** و**أَيَةٌ** . وأنشد أبو زيد :

• يَرْجِعُ أَلْيَاهُ ارْتِجَاجَ الْوَطْبِ ^(١) •

وأنشد سيبويه :

كَانَ خُصْيِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ شِتَا حَنْظَلٍ ^(٢)

انتهى .

وقد جاءت في قوله : « **روانف أَلَيْتِكَ** » تاء التانيث كما ترى ، فالعرب إذن مختلفة في ذلك . انتهى كلام ابن الشجري .

وهذا كلام الصحاح ، قال : **الْأَلْيَةُ** بالفتح : **أَلِيَّةُ الشَّاةِ** . فإذا تُثِيَتْ قلت **أَيَانِ** ، فلا تلحقه التاء .

وأنشده الزمخشري (في المفصل) على أن الحال قد تحيىء من الفاعل والمفعول معاً ، كفردين فإنه حالٌ منهما في تلقني .

وكذا أنشده (في الكشف) عند قوله تعالى : ﴿ **أَنْ لَا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا** ^(٣) ﴾ في قراءة من قرأ : ﴿ **رَمَزًا** ﴾ بضميتين ، وهو جمع رموز كرسل جمع رسول . و ﴿ **رَمَزًا** ﴾ بفتحتين ، وهو جمع رامز

(١) نوادر أبي زيد ١٣٠ .

(٢) سيبويه ٢ : ١٧٧ . والرجز لخطام المجاشعي ، أو جندل بن المثنى ، أو سلمى الهذلية ، أو شماء الهذلية . معجم الشواهد .

(٣) الآية ٤١ من آل عمران . وقراءة « رمزا » بضميتين هي قراءة علقمة بن قيس ، ويحيى ابن وثاب . وبفتحتين قراءة الأعمش . وبفتحة سائر القراء . تفسير أبي حيان ٢ : ٤٥٣ .

كخديم جمع خدام . قال : هو حالّ منه ومن الناس دفعة ^(١) كما في البيت ،
بمعنى إلّا مترامزين ، كما يكلّم الناس الأخرس بالإشارة ويكلّمهم .

و (متى) جازمة ، و (تلقنى) شرطها ، و (ترجف) جزاؤها .
وروى : « تُرعد » بالبناء للمفعول . و (روانف) فاعل ترجف .

قال أبو على (في المسائل البصرية) : وتستطارا جزم عطف على
تُرعد ، فحملته على الأليتين أو على معنى الروانف ، لأنهما اثنان في الحقيقة .
وهذا أحسن من أن تحمله على أن في وتُستطارا ضمير الروانف ، وتجعل الألف
بدلاً من النون الخفيفة ، لأنّ الجزاء واجب . وقد جاء :

* ومهما تشأ منه فزارة تمنعا *

إلّا أنّ هذا إن لم يضطرّ إليه وزن كان بمنزلة في الكلام . انتهى .

وتبعه ابن السيّد (في أبيات المعاني) قال : تستطارا جزم بالعطف على
ترعد بحمله على الأليتين ، أو على معنى الروانف ، لأنهما اثنان في الحقيقة ،
وإنّما جمعهما اتّساعاً . وقال قوم : تستطار محمول على الروانف ، وفيه
ضميرها ، وكان الوجه أن يقول : تُستطرّ ، إلّا أنه أتى بالنون الخفيفة فانفتحت
الراء ، فلم تسقط الألف التي هي عين الفعل ، وأبدل من النون ألفا . ومثله
قول الآخر :

(١) ش : « وقفه » ، صوابه في ط والكشاف للزمخشري ١ : ١٤٤ .

* وَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَرَارَةٌ تَمْنَعَا ^(١) *

يريد : تمنعن . والقول الأول اختيار أبى على ، لأنه اضطر في البيت الثاني ولم يضطر في تستطار ، لأن له حملة على معنى التثنية ، فهو بمنزلة في الكلام . انتهى .

وزاد ابن الشجرى (فى أماليه) وقال : معنى تُستطار تستخف . ويحتمل وجهين من الإعراب ، أحدهما : أن يكون مجزوما معطوفاً على جواب الشرط ، وأصله تُستطاران ، فسقطت نونه للجزم . فالألف على هذا ضمير عائد على الروانف ، وعاد إليها وهى جمع ^(٢) ضمير تثنية ، لأنها من الجموع الواقعة فى مواقع التثنية ، نحو قولك : وجوه الرجلين ، فعاد الضمير على معناها دون لفظها ، إذ المعنى رانفتا أليتيك . كما أن معنى الوجوه من قولك : حيا الله وجوهكما ، معنى الوجهين ؛ لأنه لا يكون لواحد أكثر من وجه ، كما أنه ليس للآلية إلا رانفة واحدة .

والجواب الثانى : أن يكون نصباً على الجواب بالواو ، بتقدير : وأن تستطار ، فالألف على هذا لإطلاق القافية ، والتاء للخطاب ، وهى فى الوجه الأول للتأنيث . ويجوز أن تجعل التاء فى هذا الوجه أيضاً لتأنيث الروانف ، وجاء الجواب بعد الشرط والجزاء كما يحىء بعد الكلام الذى ليس بواجب ، كالنهي والنفى . ومثله فى انتصاب الجواب بالواو بعد الشرط والجزاء قوله

(١) لعوف بن عطية بن الخرع ، كما فى سيبويه ٢ : ١٥٢ . وصلره :

* فَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَرَارَةٌ تَمْنَعُكُمْ *

(٢) ط : « هو جمع » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢١ .

عز وجل : ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ^(١) ﴾ ثم قال : ٣٦١
 ﴿ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ^(٢) ﴾ . ومن
 قرأ ﴿ ويعلم ﴾ رفعا ^(٣) استأنفه . ومثله قول النابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
 ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنأ

قد روى : « ونأخذ » جزما بالعطف على جواب الشرط ، وروى نصبا
 على الجواب ، وروى رفعا أيضا على الاستئناف . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في أماليه) : يجوز أن يكون معطوفاً على ترجف
 وألحقت به نون التوكيد الخفيفة فقلبت ألفا في الوقف ، إلا أن إلحاق نون
 التوكيد في جواب الشرط ضعيف . ويجوز أن يكون منصوباً على أحد وجهين :
 أحدهما مذهب الكوفيين بالواو التي يسمونها واو الصرف ، مثلها عندهم في
 قوله تعالى : ﴿ وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ ﴾ في قراءة الأكثرين . والثاني مذهب
 البصريين ، وهو أن يكون معطوفاً على مقلّر مثلها عندهم في قوله ويعلم ، أى
 لينتقم ويعلم . إلا أنه لا يمكن التقدير لفعل منصوب ، لأنه في المعنى سبب ،
 ولو قلّر فعل منصوب لكان مسبباً ، فينبغي أن يكون التقدير لاسم منصوب
 مفعول من أجله ، كأنه قيل : ترجف روائف أليتيك خوفاً واستطارة .

(١) الآية ٣٣ من سورة الشورى .

(٢) الآية ٣٤ ، ٣٥ من سورة الشورى .

(٣) بعده في أمالي ابن الشجري : « وهو نافع وابن عامر » .

فلَمَّا أتى بالفعل موضع استطرارةً وعطفَ على المقتر (١) ، وجب أن يكون منصوبًا مثله في قولك : أريد إتيانك وتحذثنى . والرؤائف : أطراف الأليتين ، واحدته رانفة . وتُستطار بمعنى يُطلبُ منك أن تطير خوفًا وجبنًا . والعرب تقول لمن اشتدَّ به الخوف : طارت نفسه خوفًا . ومنه قوله :

* أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعَا (٢) *

وقال ههنا : وتستطارا ، كأنه طلب منه أن يطير من الخوف . والضمير في وتستطارا للمخاطب لا للرؤائف ، إذ لا تطلب من الرؤائف استطرارة ، وإنما المقصود طلبه من المخاطب . انتهى .

وقوله : « كأنه قيل ترجف رؤائف أليتك خوفًا واستطرارة » ، هو أجود مما نقله العيني ، بأنَّ نصبه بأنَّ في تقدير مصدر مرفوع بالعطف على مصدر ترجف ، تقديره : ليكن منك رَجْفُ الرؤائف والاستطرارة .

وقال ابن يعيش : قوله وتستطارا يحتمل وجوها :

أحدها : أن يكون مجزومًا بحذف النون ، فالضمير للرؤائف ، وعاد إليها الضمير بلفظ التثنية لأنها تثنية في المعنى .

والثاني : أن يكون عائدًا إلى الأليتين .

(١) ش : « عطفًا على المقتر » .

(٢) لقطري بن الفجاءة في الحماسة بشرح التبريزي ١ : ٩٦ والحماسة البصرية ١ : ٩١ وحماسة الخالدين ١ : ١١٦ . وعجزه :

• من الأبطال ويحك لا تراعى •

والآخر : أن يكون الضمير مفردًا عائدًا إلى المخاطب ، والألف بدل من نون التوكيد . انتهى مختصرًا .

ونقله العيني بحروفه ولم يعزه . ولا يخفى اختلاله ، فإنه قال : فيه وجوه . ولم يذكر غير الجزم ، وكان يجب أن يقابله بالنصب كما فعله غيره ^(١) ، ويقول بعده : والضمير للمخاطب والألف للإطلاق ، ويدرج عود الضمير إلى الأليتين في صورة الجزم . أو يقول : وتستطارا مجزوم ، في مرجع ضميره أوجه ثلاثة . وجعله تعدد احتمال مرجع الضمير وجوهًا مقابلة للجزم فاسد ، فإن الثلاثة محتملة في صورة الجزم . فتأمل .

وزاد العيني بعد هذا : ويقال الضمير المفرد عائد إلى الروانف ، تقديره : تستطارن هي . انتهى .

وهذا هو الأول مما ذكره ابن يعيش بعينه ، فذكره تكرارًا له ^(٢) . ٣٦٢ .

والبيت من أبيات عدتها ثلاثة عشر بيتًا لعنترة العبيسي ، خاطب بها صاحب الشاهد عمارة بن زياد العبيسي . قال الأعلام (في شرح شعره في الأشعار الستة) ، وابن السجري (في أماليه) : كان عمارة يحسد عنترة على شجاعته ، إلا أنه كان يظهر تحقيره ويقول لقومه : إنكم قد أكثرتم من ذكره ، ولوددت أنني لقيته خاليًا حتى أريحكم منه ، وحتى أعلمكم أنه عبد . وكان عمارة مع كثرة جوده كثير المال ، وكان عنترة لا يكاد يمسك إبلا ، ولكن يعطيها إخوته

(١) ش : « كما فعل غيره » .

(٢) ش : « تكرارًا له » أي قد ذكره مكررا له . وفي ط : « تكرار » بالرفع على أنه خير لذكره .

وبقسمها فيهم ، فبلغه ما يقول عُمارة فقال الأبيات .

وهذه أبيات ستة منها ، ويأتى إن شاء الله تعالى بقيتها (فى أفعِل التفضيل) :

(أَحُولِي تَنْفُضُ اسْتَكْ مِذْرُوبِهَا لِتَقْتَلَنِي فَهَا أَنَا ذَا عُمَارَا
مَتَى مَا تَلْقَنِي فَرْدِينِ تَرْجُفُ رَوَانِفُ الْيَتِيكَ وَتُسْتَطَارَا
وَسِيفِي صَارِمٌ قَبَضْتُ عَلَيْهِ أَشَاجِعُ لَا تَرَى فِيهَا انْتِشَارَا
حُسَامٌ كَالْعَقِيقَةِ فَهُوَ كِمَعِي سِلَاحِي لَا أَفَلَّ وَلَا فُطَارَا
وَكَالوَرِقِ الْخِفَافِ ، وَذَاثُ غَرْبٍ تَرَى فِيهَا عَنِ الشَّرْعِ ازْوَارَا
وَمُطَرَّدُ الْكَعُوبِ أَحْصُ صَدَقُ تَخَالُ سِنَانُهُ بِاللَّيْلِ نَارَا)

وقوله : « أَحُولِي تَنْفُضُ » إلخ الهمزة للاستفهام الإنكارى التوبيخى .
وحولى : ظرف لتنفُض ، واستك فاعل تنفُض ، ومِذْرُوبِهَا مفعوله . والمعنى :
أَتَوَعَّدُنِي وَتَهْدِدُنِي وَاسْتَكْ تَضِيقُ عَنِ ذَلِكَ . وَتَنْفُضُ مِذْرُوبِهَا مِثْلَ لِحْفَتِهِ
بِالْعِيدِ وَطَيْشِهِ . يقال : جاء فلانٌ يَنْفُضُ مِذْرُوبَهُ ، إِذَا جَاءَ يَتَهَدَّدُ . وقد شرح
السيد المرتضى ، قدس الله روحه ، هذه الكلمة (فى أماليه) أحسن شرح ،
فى كلام نقله للحسن البصرى ، وقع فيه : « تَرَى أَحَدَهُمْ يَمْلُخُ فى الْبَاطِلِ
مَلْحًا ، يَنْفُضُ مِذْرُوبَهُ وَيَقُولُ : هَا أَنَا ذَا فَاعِرِفُونِي » . قال : الْمَلْخُ هُوَ الشُّنَى
وَالْتَكْسُرُ ، يُقَالُ مَلَخَ الْفَرَسُ ، إِذَا لَعِبَ . وَالْمِذْرُوبَانِ : فِرْعَا الْأَيْتَيْنِ . هَذَا قَوْلُ
أَبِي عُيَيْدَةَ ^(١) ، وَأَنْشَدَ بَيْتَ عَنْتَرَةَ . وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ رَأْدًا عَلَيْهِ : لَيْسَ الْمِذْرُوبَانِ

(١) فى أمالى المرتضى ١ : ١٥٦ : « أبى عبيد » . وسيأتى فى النص ص ٥١٧ نقل أبى عبيد
عن أبى عبيدة .

فرعى الأليتين بل هما الجانبان من كل شيء ، تقول العرب : جاء فلان يضرب أصله (١) ، ويضرب عطفه ، وينفض منرويه ، وهما منكباه . وذكر أنه سمع رجلاً من نصحاء العرب يقول : قَنَعَ منرويه ، يريد جانتي رأسه ، وهما فوداه . وإنما سُمِّيَا بذلك لأنهما يَنزِرَانِ أى يَشِيْبَانِ . والنزى (٢) : الشيب . قال : وهذا أصل الحرف ثم استعير للمنكيين والأليتين والطرفين من كل شيء . وقال أمية بن أبى عائذ الهذلي يذكر قوسا :

على عَجَسِي هَتَافَ المِنْرُوِيَّ - من زوراء مضجعة في الشمال

أراد : قوساً ينبض طرفاها . قال : فلا معنى لوصف الرجل الذي كره الحسن ، بأنه يحرك أليتيه ، ولا من شأن من يبدخ وينبه على نفسه ، يقول : ها أناذا فاعرفوني ، أن يحرك أليتيه . وإنما أراد أنه يضرب عطفه ، وهذا مما يوصف به المريح المختال . وربما قالوا : جاءنا ينفض منرويه ، إذا تهدد وتوعد ، لأنه إذا تكلم وحرك رأسه نفَضَ قرون فوديه ، وهما منرواه . قال المرتضى قدس الله روحه : وليس الذي ذكره أبو عبيدة (٣) ببعيد ، لأن من شأن المختال الذي يُزهِى بنفسه أن يهتز ويثني ، فتتحرك أعطافه وأعضائه . ومنرواه من جملة ما يهتز ويتحرك ، لأنهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما

٣٦٣

(١) ط : « بصدره » : صوابه في ش . والأصدران : العطفان ، أى جانبا الإنسان من لدن الرأس إلى الورك . وانظر ما سياتى من الأقوال في شرحه .

(٢) في الأمل : « النزى والنزوة » .

(٣) في النسختين : « أبو عبيد » . وانظر حواشي الصفحة السابقة .

الاهتزاز . وإنما خصَّ المنروان بالذكر مع أنَّ غيرهما يتحرك أيضاً على طريق التقييح على هذا المختال ، والتهجين لفعله ^(١) .

وقول ابن قتيبة : ليس من شأن من يبدخ أن يحرك أليتيه ، ليس بشيء ، لأنَّ الأغلب من شأن البدخ المختال الاهتزاز وتحريك الأعطاف . على أنَّ هذا يلزمه فيما قاله ، لأنه ليس من شأن كل متوعد أن يحرك رأسه وينفض مندرويه . فإذا قال إنَّ ذلك في الأكثر قليل له مثله .

هذا ما أورده السيد المرتضى رحمه الله .

وقوله : جاء فلان يضرب أصله ، قال ابن السكيت (في إصلاح المنطق ^(٢)) بدله : جاء يضرب أزدريه ، إذا جاء فارغاً . قال شارحه ابن السيد : قوله : يضرب أزدريه ، إنما أصله أصله ، فأبدلوا مكان الصاد حرفاً يطابق الدال في الجهر وعدم الإطباق ، وهو الزاى . والأصدران : عرقان يضربان تحت الصدغين ، لا يفرد له واحد . ومعناه أنه جاء فارغاً نادماً خائباً ، يلطم صدغيه ، ويضرب أعلاهما إلى أسفلهما ، ندماً وتحسراً ، خديته ^(٣) . انتهى .

واعلم أنَّ كلام ابن قتيبة مأخوذ من كلام أنى مالك ^(٤) نقله عنه

(١) ط : « بفعله » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح ، وهو المطابق لما في المرتضى .

(٢) إصلاح المنطق ٣٩٩ .

(٣) كنا في النسختين .

(٤) ط : « من كلام مالك » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح . وهذا أبو مالك عمرو بن

كركرة ، ترجم له ياقوت في معجم الأدياء ١٦ : ١٣١ ، ١٣٢ . ونقل عنه السيوطى فى بغية الوعاة قال : كان يعلم فى البادية . وورق فى الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب . قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن منذر يقول : كان الأصمعى يحيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها .

أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على الغريب المصنّف لأبى عبيد القاسم بن سلام) من تبين غلطاته فيه . قال أبو القاسم : وروى عن أبى عبيدة : المِزْرَى : طرف الألية . والرّانفة : ناحيتها . ثم قال إخباراً عن نفسه : يقال المِزْران أطراف الأليتين ، وليس لهما واحد ، وهذا أجود القولين ، لأنّه لو كان لهما واحدٌ فليل مِزْرَى لكان في التثنية مِزْرَيان بالياء . وما كانت في التثنية بالواو . قال أبو القاسم : كان يجب عليه إذ سمّت به نفسه إلى الرّدّ على أبى عبيدة معمر بن المثنى ، أن يضبط ما يروى أولاً ، وإلاّ فهو كالذى لم يُتمّ . والمِزْران والرّانفان بمعنى واحد ، وقد فرق بينهما فجعل المِزْران الطّرفين ، وعبرّ عنهما بالأطراف ، وجعل الرّانفة الناحية ، وليس كذلك قال أبو عبيدة وغيره . وكلام أبى مالك أحكا (١) ، لأنّه أتمّ . المِزْران : أعالي الأليتين وأعالي القرنين أيضاً ، وكذلك أعالي المنكين . وكذلك الرّوانف ، الواحدة رانفة . وأنشد بيت عنترة . ففى هذا القول دليل على أنّ المِزْران ليس باسمٍ لشيءٍ واحد . ومع هذا فقد قال أبو يوسف بن السكيت فى (باب المثنى) : جاء ينفُض مِزْرَويه ، إذا جاء يتوعّد . وجاء يضرب أُرْدَرِيه ، إذا جاء فارغاً ، ويقال بالصاد أيضاً .

وهذا وإن كان غير ما قال أبو مالك فإنّليه يرجع ، لأنّ تحريك المنكين من فعال المتوعدّ ، فيريد أنّه متوعدّد هذا فعّاله ، ومحركٌ منكبيه ، إنّما تتحرّك له فروعهما وأعاليهما ، كما قال أبو مالك . وما حكاه فى واحد المِزْران كلام

(١) من قولهم : حكاً العقدة وحكاها ، أى شدها وأحكمها .

أنى عمرو الشيباني ، فلم ينسبه إليه . انتهى كلامه (١) .

قال ابن الشجرى : وهذا الحرف مما شذَّ عن قياس نظائره ، وكان حقُّه أن تصير واوه إلى الياء كما صارت إلى الياء في قولهم : مَلْهِيَان وَمَغْزَيَان ، لأنَّ الواو متى وقع في هذا النحو طرفاً رابعاً فصاعداً استحقَّ الانقلاب إلى الياء ، حملاً على انقلابه في الفعل نحو يُلْهِى وَيُغْزَى . وإنما انقلبت الواو ياءً في قولك : مَلْهِيَان وَمَغْزَيَان وإن لم تكن طرفاً لأنها في تقدير الطرف ، من حيث كان حرف الثنية لا يحصَّن ما أتصل به ، لأنَّ دخوله كخروجه . وصحَّت الواو في المذكورين لأنَّهم بنَّوه على الثنية ، فلم يُفَرِّدوا فيقولوا مِذْرَى كما قالوا مَلْهَى ، فصحَّت لذلك كما صحَّت الواو والياء في العِلَاوة والنَّهْاية ، فلم يقلبا إلى الهمزة لأنَّهم بنَّوا الاسمين على التانيث . وكما صحَّت الياء في الثَّانِيَيْن من قولهم : عَقَلْتَهُ بَشَائِيْن ، إذا عقلت يديه جميعاً بطرفى حبل ، لأنَّهم صاغوه مثنى . ولو أنَّهم تكلموا بواحده لقالوا ثَنَاء مَهموز ، كرداء ، ولقالوا في تثنيته : ثَنَاءَيْن ، كرداءَيْن . انتهى .

٣٦٤

وقوله : (فها أناذا عُمَارَا) أراد : يا عمارة ، فرَّخِم وألحق ألف الإطلاق .

وعُمَارَة هو أحد بنى زياد العبسى ، وهم : الربيع ، وعمارة ، وقيس ، وأنس ، كلُّ واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشاً . وأُمُّهم فاطمة بنت الخُرْشَب الأُمَّارِيَّة ، وكانت إحدى المُنْجَبات . وهى التى سئلت : أى بنيك أفضل ؟ فقالت : الربيع ، بل عُمَارَة ، بل قيس ، بل أنس . ثم قالت :

(١) كلامه ، ليست في ط .

« ثَكِلْتُهُمْ إِنْ كُنْتُ أَدْرَى أَيْتُهُمْ أَفْضَلُ ، هُمْ كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرَعَةِ لَا يُدْرَى أَيْنَ طَرَفَاها . » . وَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَقَبٌ ، فَكَانَ عُمَارَةُ يُقَالُ لَهُ : الْوَهَّابُ ، وَكَانَ الرِّبِيعُ يُقَالُ لَهُ : الْكَامِلُ ، وَقَيْسٌ يُقَالُ لَهُ : الْجَوَادُ ، وَأَنْسُ يُقَالُ لَهُ : أَنْسُ الْجِفَافُ . وَكَانَ عُمَارَةُ آتَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَسْمَعُ صَوْتَ أُسَيْرٍ يَنَادِي فِي اللَّيْلِ إِلَّا افْتَكَّهُ .

وقوله : (متى ما تلقى فردين) أى منفردين أنا وأنت خاصة ، ليس معى مُعِين وليس معك معين . وما زائدة .

قال ابن الشجرى : والرانفة : طرف الآلية الذى يلى الأرض إذا كان الإنسان قائماً . وروى بدل فردين : « يَخْلَوَيْنِ » بالكسر ، أى خالين . وروى أيضاً : « يَرْزَيْنِ » بالكسر ، أى بارزين .

و « سيفى صارم » إغ الصارم : القاطع . والأشاجع : عصب ظاهر الكف ، واحدها أشجع . قال ابن الشجرى : هى عروق ظاهر الكف ، واحدها أشجع ، وبه سُمى الرجل . وهو قبل التسمية مصروف كما ينصرف أفكل . ويقال : رجل عارى الأشاجع ، إذا كان قليل لحم الكف . انتهى .

وقوله : « لا ترى فيها انتشارا » ، قال الأعلام : يصف أنه سليم العصب شديد الخلق . والانتشار : انتشار العصب ، وهو انتفاخها ، كانتشار الفرس فى يديه (٢) .

(١) المحبر لابن حبيب ٣٩٨ ، ٤٥٨ والاشتقاق ٢٧٧ وجمهرة أنساب العرب ٢٥٠ والأغانى

١٤ : ١٩ والمعارف ٣٧ والمقد ٣ : ٣٥١ .

(٢) كلمة « الفرس » ساقطة من ش .

وقوله : « حسامٌ كالعقيقة » إلخ يقول : هو صافٍ بَرّاق كالقِطعة من البرق ، وهي العقيقة . ويقال العقيقة : السحابة تنشق عن البرق . والكِئَم ، بكسر الكاف وسكون الميم : الضجيع . يقول : هو ملازمٌ لى وإن كنت مضطجعاً . وقوله : « لا أَفْلٌ » أراد سلاحى لا قَلَّ فيه ولا فُطارا . والأَفْل : الذى فيه فلول . والفُطار بضم الفاء : المشقّق . يقول : هو حديد السّلاح تأمّها . وقال ابن الشجرى : العقيقة الشُّقّة من البرق ، وهى ما انعق منه . وانعقاقه : تشقّقه . والكِئَم والكِئَم : الضُّجِيع ، وجاء فى الحديث التّهى عن المُكامة ، والمكامة : أن يضطجع الرجلان فى ثوب واحد ليس بينهما حاجز . والمكامة : أن يقبل الرجل الرجل على فيه .

وقوله : « لا أَفْلٌ ولا فطارا » أى لا قَلَّ فيه ولا فَطَرَ . والفَل : الثلم . والفَطَر : الشق . وموضع قوله كالعقيقة وصفٌ لحسام ، ففى الكاف ضمير عائذ على الموصوف . وانتصاب أَفْلٌ على الحال من المضمر فى الكاف ، والعامل فى الحال ما فى الكاف من معنى التشبيه ، والتقدير : حسامٌ يشبه العقيقة غيرَ منفلٌ ولا منفطر . انتهى .

وقوله : « وكالوَرَقِ الخِفاف » إلخ يعنى سهاماً جعل نصالها بمنزلة الوَرَق فى خِفَّتِها . وأراد : بعضُ سلاحى سِهامٌ مثلُ الوَرَقِ الخِفاف بكسر الخاء ، جمع خفيف ضدّ الثقيل . وقوله : « وذاتُ غرب » يعنى قوساً . وغربها : حدّها بفتح الغين المعجمة وسكون المهملة . والشَّرْعُ ، بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة : جمع شرعة بكسر فسكون ، وهى الأوتار . والازورار : الميلاق .

يقول : هي محنية ففيها ميلٌ عن وترها . وكُلِّما ^(١) مالت عنه وبعدت كان أمضى لسهمها وأنفذ .

وقوله : « ومطرُذُ الكعوب » يعنى رمحاً طويلاً . وكعوبه : رؤوس أنابيبه . واطرادها : تتابعها واستقامتها . والأحص ، بهملتين : الأملس الذى لا لحاء عليه ولا عُقدة . والصَّدق ، بفتح الصاد ، وهو الصُّلب المستقيم . وشبه سنانهُ بالنار لصفائه وحدته . يقول : إذا نظرتُ إليه ليلاً أضاء لك الظلام ، فكأنهُ نار .

وقد تقدّمت ترجمة عنترة في الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الخمسمائة ^(٣) :
 ٥٧٠ (بلى أيرُ الحمار وخُصيتاهُ أحبُّ إلى فزارةٍ من فزارِ)
 لما تقدّم قبله ، وسيأتى ما يتعلّق به قريباً .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات ثلاثة للكُميت بن ثعلبة ، وهى :
 (نَشْدُكَ يَا فَزَارُ وَأَنْتَ شَيْخٌ إِذَا تُخِيرْتَ تَخْطِئُ فِي الْخِيَارِ
 أَصِيحَانِيَّةٌ أَدِمْتَ بِسْمَنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ
 بَلَى أَيْرُ الْحِمَارِ وَخُصِيَّتَاهُ أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةٍ مِنْ فَزَارِ)
 وقوله : « نَشْدُكَ » ، أراد : نَشْدُكَ بِاللَّهِ ، أَيْ ذَكَرْتُكَ بِهِ

(١) فى النسختين : « وكل ما » ، صواب كتابتها بالاتصال .

(٢) الخزائن ١ : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) الدرة الفاخرة لحمة الأصبهانى ٨٧ وجمهرة العسكرى ٢ : ١٦ والميلادى ١ : ١٠٠

والمحسن والأضداد ٨٨ والمحسن والسلوى ١ : ٤٠٧ .

واستعطفتك به ، لتخبرني عما أسألك . ويقال أيضًا نشدتك الله من باب نصر . وجملة « تخطيء » في محل رفع صفة لشيخ ، من الخطأ ضد الصواب . وإذا ظرف له . والخيار هو الاختيار .

وقوله : « أصبحانية أدمت » إلخ الهمزة للاستفهام ، وصيحية صفة لموصوف محذوف ، أي أتمرة صيحية . والصيحياني : تمر معروف بالمدينة . ويقال كان كبش اسمه صيحيان بمهملتين ، شد بنخلة فنسبت إليه وقيل صيحية . وأدمت بالبناء للمفعول من الإدام ، يقال أدمت الخبز ، إذا أصلحت إساغته بالإدام ، وهو ما يؤتدم به ، مائعا كان أو جامدا .

وقوله : (بلى أير الحمار) قد وقعت بلى هنا جوابا للاستفهام المجرد من النفي وشبهه . وهذا يشكل على اتفاقهم بأنها لايجاب بها الإيجاب . وقد وقع مثله في أحاديث من صحيح البخاري ومسلم ، نقلها ابن هشام (في المغني) . وبنو فزارة يؤمنون بأكل أير الحمار .

وقد بين مثله الجاحظ في مساوي البخل (من كتاب المحاسن والمساوي ^(١)) قال : المثل السائر « هو أبخل من مادر » ، وهو رجل من بني هلال . وبلغ من بخله أنه كان يسقي إبله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل ، فسلح فيه ومدر الحوض به ، فسمي مادرا .

وذكروا أن بني فزارة وبني هلال تنافروا إلى أنس بن مدر ، وتراضوا به ، فقالت بنو هلال : يا بني فزارة أكلتم أير الحمار . فقال بنو فزارة : لم نعرفه .

(١) صوابه : « المحاسن والأضداد » . انظر منه ص ٤٤ - ٤٥ .

وكان سبب ذلك أنَّ ثلاثة اصطحبوا : فزاري ، وتغليبي ، وكيلاني ،
فصادفوا حمار وحش ، ومضى الفزاري في بعض حوائجه ، فطبخا وأكلا وخبثا
للفزاري أمير الحمار ، فلما رجع قال له : قد خبأنا لك حصتك فكل . وأقبل يأكل
ولا يُسيفه ، فجعلوا يضحكان ، ففطن وأخذ السيف وقام إليهما وقال : لتأكلان
منه وإلا قتلكما ! فامتنعا فضرب أحدهما فقتله ، وتناوله الآخر فأكل منه !

فقالت بنو فزارة : منكم يا بني هلال من سقى إبله فلما رويث سلح
في الحوض ومكره بُخلًا .

ففرهم أنس بن مدرك على الهلالين ، فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير ،
وكانوا تراهنو عليها .

وفي بني هلال يقول الشاعر :

لقد جللت خزيًا هلال بن عامر بني عامر طرًا لسلحة مادر^(١)
فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها بني عامر ، أنتم شرار العشائر

هذا ما أورده الجاحظ ، ونقله حمزة الأصفهاني ، والميداني ، والزنجشري
في أمثالهم^(٢) .

والكميت بن ثعلبة : شاعر إسلامي فقعي أسدي . ويقال له الكميث بن ثعلبة
الكميت الأكبر . وهو ابن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن حَجَّوان^(٣)
ابن فقعي أسدي . وهو جدُّ الكميث بن معروف بن الكميث الأكبر .
وهو القائل في قصّة ابن دارة وقتله :

(١) في جميع المراجع المتقدمة : « بسلحة مادر » .

(٢) البصرة الفاخرة ٨٦ والميداني ١ : ١٠٠ والمستقصى ١ : ١٣ .

(٣) بتقديم الحاء المهملة . قال ابن دريد : اشتقاقه من حجا بحجو بالمكان ، أي أقام به ،

أو من حج الشيء يحجه حجا ، إذا سحبه . الاشتقاق ١٠٤ وجمهرة ابن حزم ١٧٨ ، ١٩٥ .

فلا تُكثروا فيها الضُّجَّاجَ فَإِنَّهُ مَحَالِيفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا
وَمِنْ شِعْرِ الْكَمَيْتِ ابْنِ ابْنِهِ - وَلَهُ دِيْوَانٌ مُفْرَدٌ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْجَمْحِيُّ
(فِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ) غَيْرَهُ مِمَّنْ اسْمُهُ كَمَيْتٌ ^(١) :-
فَقُلْتُ لَهُ تَاللهُ يَدْرِي مُسَافِرٌ إِذَا أَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ ^(٢)
أَسْلَمَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مَعَهُ ، وَقَدْ أُوْرِدَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي
قِسْمِ الْخَضْرَمِيِّينَ (مِنْ الْإِصَابَةِ) عَنْ أُنَى عَيْلَةِ وَالْمَرْزُبَانِيِّ ^(٣) .
وَأَمَّا الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ مَادِحُ آلِ الْبَيْتِ فَقَدْ تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ
السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَوَائِلِ الْكِتَابِ ^(٤) . وَهُوَ أَسَدِيٌّ أَيْضًا .
وَأَمَّا أُنْسُ بْنُ مَدْرَكَةَ الْخُثْعَمِيِّ فَهُوَ مِنَ الصُّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ^(٥) .

* * *

-
- (١) الحق أنه ذكرهم جميعاً في ١٦٣ وإن يكن قد خص الكميت بن معروف بالغناية .
والنص فيه : « والثالث الكميت بن معروف ، وهو شاعر ، وجده الكميت بن ثعلبة شاعر ،
والكميت بن زيد شاعر ، والكميت بن معروف الأوسط أشعرهم قريحة . والكميت بن زيد أكثرهم
شعرا » ، ثم أنشد أبياتا للكميت بن معروف .
(٢) يدري ، أى لا يدري ، وحذف النفي بعد القسم كثير في كلامهم ، وفي الكتاب
العزيز : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » ، أى لا تفتأ . والرواية في طبقات ابن سلام :
فقلت لها : والله ما من مسافر يحيط له علم بما الله صانع
ومات سنة اثنتين وعشرين ومائة .
(٣) الخزائنة ١ : ١٤٣ - ١٤٧ .
(٤) فات البغدادى أن يبينه على أنه قد سبقت ترجمته في الشاهد ١٧١ . انظر الخزائنة ٣ : ٩١ .
(٥)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٧١ (يرتجُ ألياهُ ارتجاجَ الوطْبِ)

على أنه قيل أليانٍ فى تشية ألية ، من ضرورة الشعر ، والقياس
أليتان .

قال القالى (فى المقصور والمملود) : قال أبو حاتم : ربّما
حذفت العربُ هاء التانيث من ألية فى الاثنين ، فقالوا : أليتان وأليان .
وأنشدونا :

(كأنما عطيةُ بن كعبٍ ظعينةٌ واقفةٌ فى ركبٍ
يرتجُ ألياهُ ارتجاجَ الوطْبِ)

وأورد أبو زيد (فى نوادره) هذه الأبيات الثلاثة ولم يزد عليها شيئاً . قال
الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : الظعينة : المرأة . والركب : أصحاب
الإبل . والارتجاج : الاضطراب . والوطب : سقاء اللبن . ا هـ .

قال ابن السّيد (فى شرحه أيضاً) : وصفه بأنَّ كَفَلَه عظيم رخو
يرتجُ ، لعظمه ورخاوته ، ارتجاجَ الوطْبِ ، وهو زقُّ اللبن . وارتجاجه :
اضطرابه . وهذا كقول الآخر :

فأما الصُّلور لا صلورَ لجعفرٍ ولكنَّ أعجازاً شديداً ضريرها ^(٢)

(١) نوادرأبى زيد ١٣٠ والمقتضب ٤١: ٣ والنصف ١٣١: ٢ والاقتضاب ٣٩٣ وابن الشجرى ١ :

٢٠ وابن يعش ٤: ١٤٣ ، ١٤٥ ، والمقرب ٨٠ .

(٢) ابن يعش ٧: ١٣٤ / ٩: ١٢ واللسان (ضرر ١٥٦) .

يقول : قَوَّتْهُمْ لَيْسَتْ فِي صُدُورِهِمْ ، إِنَّمَا هِيَ فِي أَكْفَالِهِمْ ، فَهَمْ يَلْقَوْنَ
مِنْهَا ضَرِيرًا ، أَيْ ضَرَرًا وَمَشَقَّةً ^(١) . وَالظَّعِينَةُ : الْمَرْأَةُ ، سَمَّيْتُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ
يُظَعِّنُ بِهَا . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُقَالَ ظَعِينٌ بِغَيْرِ هَاءٍ ، لِأَنَّهَا فِي تَأْوِيلٍ مُظْعِنُونَ بِهَا .
وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ صِفَةً لِلْمَوْثُوثِ فِي تَأْوِيلٍ مَفْعُولٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ ، نَحْوُ امْرَأَةٍ قَتِيلٍ
وَجَرِيحٍ ، وَلَكِنَّهَا جَرَتْ بِمَجْرَى الْأَسْمَاءِ حَتَّى صَارَتْ غَيْرَ جَارِيَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ ،
كَالذَّبِيحَةِ وَالنَّطِيحَةِ . وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا وَاقِفَةٌ فِي رُكْبٍ لِأَنَّهَا تَتَبَخَّرُ إِذَا كَانَتْ
كَذَلِكَ وَتَعْظُمُ عَجِيزَتُهَا لِتَرَى حُسْنَهَا . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ الْآخِرِ :
تَخَطَّطَ حَاجِبُهَا بِالْمَدَادِ وَتَرَبَّطَ فِي عَجْزِهَا مِرْفَقُهُ . اهـ

قوله : وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ صِفَةً لِلْمَوْثُوثِ فِي تَأْوِيلٍ مَفْعُولٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ ،
أُقُولُ : هَذَا إِذَا كَانَ جَارِيًا عَلَى مَوْصُوفِهِ كَمَا مَثَلُ . فَأَمَّا إِذَا كَانَ لِمَوْصُوفٍ غَيْرِ
مَذْكُورٍ فَيَجِبُ التَّأْنِيثُ لَمَّا يَلْتَبَسُ بِالْمَذْكُورِ . فَظَّعِينَةٌ هُنَا وَارِدَةٌ عَلَى الْقِيَاسِ .
وَهَذَا الرِّجْزُ مَعَ كَثْرَةِ الِاسْتِشْهَادِ بِهِ لَمْ يُعْلَمِ قَائِلُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ^(٢) :

(كَأَنَّ خُصْيِيَّهِ مِنَ التَّدْلِيلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثَنَاتَا حَنْظَلٍ)

لَمَّا تَقَلَّمَ قَبْلَهُ .

وَمِثْلُهُ ^(٣) قَالَ سَيَبَوِيه : مَنْ قَالَ خُصْيَانٍ لَمْ يَثْنِهِ عَلَى الْوَاحِدِ

(١) الَّذِي فِي اللِّسَانِ أَنَّ الضَّرِيرَ هُوَ الصَّبَرُ عَلَى الشَّيْءِ وَالْمَقَاسَةُ لَهُ .

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي الشَّاهِدِ ٥٨٢ فِي هَذَا الْجُزْءِ ص ٤٠٠ .

(٣) الْكَلَامُ بَعْدَ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ « فَعَلْتُ خُصْيَةً » وَرَدَ فِي شَرْحِ بَيْنِ كَلِمَةٍ « فَسَكَنَهُ » وَكَلِمَةُ
« وَنَقَلَ الْأَمَامُ الْمَرْزُوقِيُّ » التَّالِيَتَيْنِ .

المستعمل فى الكلام ، يعنى أنَّ تُخصَّصين تثنية تُخصَّى لا يستعمل فى الكلام .
ومثله قول ثعلب ، قال (فى فصيحِه) : وتقول . هما الخصيان ، فإذا
أفردت أدخلت الهاء فقلت خصية ^(١)

وهو فى (نوارى أى زيد) . ومن أبيات أدب الكاتب :
قد حلفت بالله لا أحبه أن طال خصياه وقصّر زُبّه
أراد : [قصّر ^(٢)] ، بضم الصاد ، فسكنه .

ونقل الإمام المروزقى (فى شرح الفصيح) عن الخليل أنه قال : الخصية
تؤنث ما دامت مفردة ^(٣) ، فإذا ثنوها أنثوا وذكرها .

ونقل اللبلى (فى شرحه أيضًا) عن ابن خالويه قال : أجمعت العرب
على إثبات الهاء فى واحدها فقالوا خصية ، فإذا ثنوا فمنهم من يقول الخصيان
بغير هاء ، وهى المختارة . ومنهم من يقول خصيتان . قال : فمن أثبت الهاء فى
الاثنين فلا سؤال معه فى الفرع على الأصل . ومن قال : هما الخصيان ، بناءً
على لفظ من قال : هما الأنثيان ، لأنَّ الأنثيين لا واحد لهما من لفظهما ،
فلما لم تلحق العلامة فى الأنثيين فى ذلك أسقطها من هذه .

وقال القالى (فى المقصور والمدود) : قال أبو حاتم : وربما حذفت
العرب هاء التأنيث فى الاثنين من الخصية فقالوا : خصيتان وخصيان . وأنشد

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) التكملة من ش . وانظر أدب الكاتب ٣١٧ .

(٣) ش : ما دامت مؤنثة ، صوابه فى ط .

هذين البيتين عن أبي زيد . ثم قال : قال أبو زيد : لا يقال للواحد خُصِي بغير هاء .

وكذا قال أبو عثمان المازني (في التصريف الملوكي) ، قال :
وأما الصَّلَاة والعَبَاة فلم يجيئوا بهما على الصَّلَاة والعَبَاة ، كما أنهم حين قالوا
خصيان لم يجيئ على الواحد ، ولو جاء على الواحد لقالوا : خصيتان ^(١) .
وقال ابن جنى (في شرحه) : العَبَاة والصَّلَاة بُنيت في أوَّل أحوالها
على التأنيث ولم تجيء على المذكر ، ولو جاءت عليه لقالوا : عَبَاة وصَلَاة ،
كما أنَّ خصيان لو جاء على خصية ل قيل خصيتان ، ولكنه بُني على التثنية في
أوَّل أحواله وإن كانت فرعا ، كما بنيت العباة على التأنيث في أوَّل أحوالها وإن
كانت فرعا .

٣٦٨

قال أبو العباس : يقال خصية وخصي . فمن قال خصية قال
خصيتان . ومن قال خُصِي قال خُصيان . ومثله آية وآلى . فمن قال آية قال
آيتان . ومن قال آلى قال آليان . قال الزجاج :

* يرتج آياه ارتجاع الوطب *

وقال آخر ^(٢) :

أُخْصِي حمارٍ بات يكِدِم نَجْمَةً ^(٣) أتؤخذ جاراقى وجارك سالم

(١) وكذا في المنصف ٢ : ١٣١ . وفي ش : الخصيتان .

(٢) هو الحارث بن ظالم المري ، كما في المفضليات ٣١٣ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٦٨

واللسان (نجم ٤٥) .

(٣) في جميع المراجع : « أخصى حمار » بالتثنية . وفي ط : « أخصى » بالإفراد تحريف ،

وصححت في ش بالتثنية . و « نجمة » هي في ط : « لحة » وقد صححت بذلك في ش . والنجمة :
واحدة النجم من النبات ، وهو هنا نبت بعينه ، وهو الثيل الذي ينبت على شطوط الأنهار .

وقال آخر :

* يا بأى حُصياك من حُصى وزُبْ *

وقال آخر :

كَانَ حُصِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ البيت

فثنى الحُصَى عَلَى حُصَيْن . اهـ

وإلى هذا ذهب أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على إصلاح المنطق) . قال ابن السكيت فى (إصلاحه) : تقول : ما أعظم حُصِيَّته وحُصِيَّته ، ولا تكسر الخاء . قال الراجز :

* كَانَ حُصِيَّهِ مِنَ التَّدْلِيلِ *

الواحدة حُصِيَّة . وقالت امرأة من العرب (١) :

لَسْتُ أَبَالِى أَنْ أَكُونَ مُحْمِقَةً إِذَا رَأَيْتُ حُصِيَّةً مَعْلَقَةً

وقال أبو القاسم المذكور : هذا قولٌ أصاب فى بعضه وسها فى بعضه .

الواحدة من الحُصِيَّتَيْنِ حُصِيَّة ، ومن الحُصَيْنِ حُصَى . قال الراجز :

يا بأى أَنْتَ وَيَافُوقَ الْبَيْتِ يَا بِأَى حُصِيَاكَ مِنْ حُصَى وَزُبْ (٢)

وقال الفرزدق :

أَتَانِى عَلَى الْقَعَسَاءِ عَادِلٌ وَطِيْهِ بِحُصَى لَيْمٍ وَاسْتِ عَيْدِ تُعَادِلُهُ (٣)

(١) مجهولة . وانظر معجم شواهد العربية ٥٠٧ .

(٢) لآدم مولى بلعبر ، فى البيان ١ : ١٨٢ واللسان (أبا) .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٣٧ . وانظر سيبويه ١ : ٨٤ . ولم يرد فيما طبع من كتاب التنبهات .

وانظر منه ص ٢٩١ .

والسابق إلى هذا المذهب أبو الحسن على اللحياني (في نوادره) كما نقله عنه اللبلى (في شرح الفصيح) قال : حكى اللحياني فيما جاء مثنى من كلام العرب : ألى وخصنى ، وألية وخصية ، وفي التثنية أليان وأليتان ، وخصيان وخصيتان ، قال : هما لغتان . ا هـ

ونقل ابن السكيت (في إصلاح المنطق) عن أبي عمرو الشيباني أنه قال : الخصيتان : البيضتان . والخصيان : الجلدتان اللتان فيهما البيضتان . وأنشد البيت الشاهد .

قال شارح أبياته ابن السيرافي : التدلُّل : تحرك الشيء المعلق واضطرابه . وظرف العجوز : الجراب الذي تجعل فيه تحبزها وما تحتاج إليه . وظرف العجوز خلق في تشنج لقدمه . شبه جلد الخصية به للعضون التي فيه ، وشبه الأنثيين في الصفن بمنظلتين في جراب . اهـ

وكذا قال المرزوقي : هذا البيت ^(١) أن يكون شاهداً للصفن أولى ، لأنه شبه موضع البيضتين بظرف جراب ، والبيضتين بالحنظلتين . ا هـ . وهذا التأويل وإن أمكن حمله في البيت هنا فلا يمكن حمله في الأبيات السابقة .

وقد تقدّم في الشاهد الثامن والأربعين بعد الخمسمائة من باب العدد ^(٢) أنهما من رجز لخطام المجاشعي . ونسبهما أبو سهل الهروي (في شرح الفصيح) إلى جندل . وقيل قائلهما دكين . وأنشد قبلهما :
رِخْو يد اليمنى من الترسل من الرضا جَنَعْلِل التَّكْثِيل

صاحب الشاهد

(١) ش : « هذا البيت يحتمل » ، وكلمة « يحتمل » مقحمة .

(٢) انظر ما سبق في ص ٤٠٣ من هذا الجزء .

ويقال : مرّ فلان يتكتّل ، إذا مرّ وهو يقارب الخطو ويحرك منكبّه . اهـ

وقال اللّبي (١) (فى شرحه) : قال السّيرافى : هذان البيتان لشمّاء الهذلية . وأنشد الشعر هكذا :

تقول ياربّ وياربّ هلّ هل أنت من هذا مُحلّ أحبلى
إمّا بتطليقي وإلا فاقتل (٢) أو أزم فى وجعائه بدمل
كانّ خصيه من التّدليل ظرف عجور فيه ثثا حنظل

شبه خصيه فى استرخاء صَفْنهما ، حين شاخ واسترخت جلدة استه بظرف عجور فيه حنظلتان . وخصّ العجوز لأنها لا تستعمل الطّيب ولا تتزيّن للرجال فيكون فى ظرفها ما تتزيّن به ، ولكنها تدّخر الحنظل ونحوه من الأدوية . ويحتمل الشعر أن يكون مدحاً فى وصف شجاع لا يجبن فى الحرب فتقلّص خصيتا . قال : ويحتمل أن يكون هجواً . ووجهه أن يصف شيئاً قد كبر وأسنّ ، ولذلك قال : ظرف عجوز ، لأنّ ظرفها خلق منقبض (٣) ، فيه تشنّج لقدمه ، فلذلك شبه جلد الحُصيّة به ، للعضون التى فيه . والأولى أن يكون هجواً ، لذكره العجوز والحنظلتين ، مع تصريحه بذكر الحُصيتين .

قال التّدميرى (٤) : ويروى : « من التهّل » ، وهو استرخاء جلدة

(١) سبقت ترجمته فى ١ : ١٩ .

(٢) رسمت فى ش بالباء والتاء معا لتقرأ بالوجهين .

(٣) كذا وردت بالنون فى النسختين .

(٤) نسبة إلى تدمير ، بضم التاء وفتحها ، مع سكون الدال وكسر الميم ، وهى كورة بالأندلس شرق قرطبة ، وينسب إليها جماعة . والذى يعنيه هنا هو شارح الفصيح أحمد بن عبد الجليل ابن عبد الله التدميرى ، كما فى بغية الوعاة ١٣٨ وكشف الظنون . توفى بفاس سنة ٥٥٥ . وفى ط : التدميرى . تحريف .

الخصية . قال : وظرف العجوز : مزودها الذى تخزن متاعها فيه . والحنظل نبات معروف ، ويقال العلقم . ورؤى عن أبى حاتم أنه قال : الحنظل ههنا : الثوم . ١ هـ

وتقدم ما فيه . وقوله إن الشعر لشماء الهدلية ينافيه أوله :

* تقول ياربُّ وياربُّ هل *

وقوله :

* لستُ أبالى أن أكون مُحِمِّقه *

يقال أحمقت المرأة ، إذا ولدت ولداً أحمق . قال التدميرى ^(١) : معنى الشعر أن هذه المرأة كانت تلاعب ابناً لها صغيراً وترقصه ، وتنظر فى أثناء ذلك إلى خصيتيه ^(٢) فتفرح بكونه ذكراً ، فقالت : لست أبالى إذا ولدت الذكور أن يكون أولادى حمقى ، وأن أكون أنا محمقة أى ألد الحمقى . وذلك كله فراراً من البنات وكراهية لهن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الخمسمائة ^(٣) :

(كَأَنَّهُ وَجْهٌ تُرْكِيَّينِ إِذْ غَضِبَا)

٥٧٢

على أنه إذا أضيف الجُزْءَانِ لفظاً ومعنى إلى متضمّنهما المتّحدّين بلفظ واحد ، فلفظ الإفراد فى المضاف أولى من لفظ التثنية ، كما فى

(١) ش : ٥ الدميرى ، صوابه فى ط . وانظر ما سيأتى فى ص ٥٣٣ .

(٢) ط : ٥ خصيته ، صوابه فى ش .

(٣) ابن يمشى ٤ : ١٥٧ وديوان الفرزدق ٣٧١ . وجاء غير منسوب وباقية « تذيب » فى

معاني الفراء ١ : ٣٠٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢ .

البيت ، فإن تركيين متضمَّنان ولفظهما متَّحد ، لجزأيهما ، وهما الوجهان ، فإنَّ وجه كلِّ أحدٍ جزء منه ، فلما أُضيف إليهما أُضيف بلفظ المفرد ، وهو الوجه . وهذا أولى من أن يقول : كأنَّه وجها تركيَّين . وجمعه أولى من الإفراد . فلو قال : كأنَّه وجوه تركيَّين كان أولى من وجَّه تركيَّين . هذا محصَّل كلامه . وإيضاحه أن كل ما في الجسد منه شيء واحد لا ينفصل كالرأس والأنف واللسان والظهر والبطن والقلب فإنَّك إذا ضمت إليه مثله جاز فيه ثلاثة أوجه :

(أحدها) : الجمع ، وهو الأكثر نحو قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا ^(١) ﴾ . وإنما عبَّروا بالجمع والمراد الثنية لأنَّها جمع . وهذا لا يلبس . وشبَّهوا هذا النوع بقولهم : نحن فعلنا . قال سيبويه ^(٢) : وسألت الخليل عن : ما أحسن وجوههما فقال : لأنَّ الاثنين جميع ، وهذا بمنزلة قول الاثنين : نحن فعلنا ذاك ، ولكنَّهم أرادوا أن يفرِّقوا بين ما يكون منفردا وبين ما يكون شيئا من شيء ! اهـ

يريد أنَّهم قد استعملوا في قولهم : ما أحسن وجوه الرجلين الجمع موضع الاثنين ، كما يقول الاثنان : نحن فعلنا ، ونحن إنما هو ضمير موضوع للجماعة . وإنما استحسِنوا ذلك لما بين الثنية والجمع من التقارب ، من حيث كانت الثنية عددا تركَّب من ضمَّ واحد إلى واحد . وأول الجمع وهو الثلاثة تركَّب من ضمَّ واحد إلى اثنين ، فلذلك قال : لأنَّ الاثنين جميع .

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٨ من نسختي .

وقوله : « وَلَكِنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَفْرُقُوا » إلخ ، معناه أَنَّهُمْ أَعْطَوْا الْمَفْرَدَ حَقَّهُ من لفظ التثنية فقالوا في رَجُلٍ رَجُلَانِ ، وفي وَجْهِ وَجْهَانِ ، ولم يفعل ذلك أَهْلُ اللغة العليا في قولهم : مَا أَحْسَنَ وَجْوهَ الرَّجُلَيْنِ ، وذلك أَنَّ الوجه المضاف إلى صاحبه إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ . فَإِذَا ثَبَّتِ الثَّانِي مِنْهُمَا عِلْمَ السَّامِعِ ضَرُورَةً أَنَّ الْأَوَّلَ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ وَقَفَهُ فِي الْعِدَّةِ (١) فَجَمَعُوا الْأَوَّلَ كِرَاهَةً أَنْ يَأْتُوا بِثَنِيَّتَيْنِ مُتَلَاصِقَتَيْنِ فِي مِزَاجٍ وَمِزَاجٍ إِلَيْهِ . وَالتَّضَايِفَانِ يَجْرِيانِ بِمَجْرَى الْأَسْمَاءِ الْوَاحِدَةِ ، فَلَمَّا كَرِهُوا أَنْ يَقُولُوا مَا أَحْسَنَ وَجْهَيْ الرَّجُلَيْنِ ، فَيَكُونُوا كَأَنَّهُمْ قَدْ جَمَعُوا فِي اسْمٍ وَاحِدٍ بَيْنَ ثَنِيَّتَيْنِ ، غَيَّرُوا لَفْظَ التَّثْنِيَةِ الْأَوَّلَى بِلَفْظِ الْجَمْعِ ، إِذِ الْعِلْمُ مُحِيطٌ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ لِلثَّنِيَّتَيْنِ أَكْثَرُ مِنْ وَجْهَيْنِ ، فَلَمَّا أَمْنُوا اللَّبْسَ فِي وَضْعِ الْوَجْهِ مَوْضِعَ الْوَجْهِينِ اسْتَعْمَلُوا أَسْهَلَ اللَّفْظَيْنِ . كَذَا فِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ .

وهذا علّة البصريين .

وقال الفراء : إِنَّمَا خَصَّ هَذَا النَّوعَ بِالْجَمْعِ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ مِنْهُ يَقُومُ مَقَامَ الشَّيْئَيْنِ ، حَمَلًا عَلَى الْأَكْثَرِ ، فَإِذَا ضُمَّ إِلَى ذَلِكَ شَيْءٌ مِثْلُهُ كَانَ كَأَنَّهُ أَرْبَعَةٌ ، فَأَتَى بِلَفْظِ الْجَمْعِ .

وهذا معنَى حَسَنٌ مِنْ مَعَانِي الْفَرَاءِ .

قال ابن يعيش : وَهَذَا مِنْ أُصُولِ الْكُوفِيِّينَ . وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ مَا فِي الْجَسَدِ مِنْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَفِيهِ الدِّيةُ كَامِلَةٌ كَاللِّسَانِ وَالرَّأْسِ . وَأَمَّا مَا فِيهِ شَيْئَانِ كَالْعَيْنِ فَإِنَّ فِيهِ نِصْفَ الدِّيةِ .

(١) ط : « العدد » ، وأثبت ما في ش . وفي أمالي ابن الشجرى ١ : ١٣ : « في جميع العدة » .

وهذه عبارة الفراء ، نقلناها تبرُّكا . قال في تفسيره ، عند قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ^(١) ﴾ : وفي قراءة عبد الله : ﴿ وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا ﴾ وإِنَّمَا قال أَيْدِيَهُمَا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُوحَّدٌ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ إِذَا ذُكِرَ مضافاً إِلَى اثْنَيْنِ فصاعداً جمع ، فقليل : قد هُشِّمَتْ رُعُوسُهُمَا ، وملأت ^(٢) ظهورهما وبطنهما ضرباً . ومثله : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ^(٣) ﴾ . وإِنَّمَا اختير الجمع على التثنية لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ الْجَوَارِحُ اثْنَيْنِ فِي الْإِنْسَانِ : اليدين ، والرجلين ، والعينين ^(٤) فلما جرى أَكْثَرُهُ عَلَى هَذَا ذُهِبَ بِالوَاحِدِ ^(٥) مِنْهُ مَذْهَبُ التَّثْنِيَةِ . وقد يجوز هذا فيما ليس مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، وذلك أَنَّ تَقُولَ لِلرَّجُلَيْنِ : خَلِيَّتَا نِسَاءً كَمَا ، وَأَنْتَ تَرِيدُ امْرَأَتَيْنِ ، وَخَرَقْتُمَا قُمَصَكُمَا . وإِنَّمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ النَّحْوِيِّينَ مَنْ كَانَ لَا يَجِيزُهُ إِلَّا فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ . وكلُّ سواء . اهـ

وكذا قال ابن الشجري في هذا ، قال : وَجَرَوْا عَلَى هَذَا السَّنَنِ فِي الْمُنْفَصِلِ عَنِ الْجَسَدِ ، فَقَالُوا : مَدَّ اللَّهُ فِي أَعْمَارِكَا ، وَنَسَأَ اللَّهُ فِي آجَالِكُمَا . ومثله في المنفصل فيما حكاه سيبويه : ضَعَّ رَحَاهُمَا ^(٦) . اهـ
أقول : كذا ^(٧) في الشرح أيضاً . وحكاه سيبويه (في أوائل

(١) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) ط : « وملئت » ، صوابه في ش ومعاني الفراء ١ : ٣٠٦ .

(٣) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٤) هذا ما في ش ومعاني القرآن ١ : ٣٠٧ . وفي ط : « اليدين والرجلان والعينان » .

(٥) في معاني القرآن : ذهب بالواحد منه إِذَا أُضِيفَ إِلَى اثْنَيْنِ .

(٦) سيبويه ٣ : ٦٢٢ من نسختي وكذا ٢ : ٢٠١ بولاق .

(٧) ش : « أقول كهذا » .

كتابه ^(١) : وَضَعَا رَحَالَهُمَا بِالْمَاضِي لَا بِالْأَمْرِ . قَالَ : وَقَالُوا : وَضَعَا رَحَالَهُمَا ،
يريد رَحَلَيَّ راحلتين . وَحَدَّ الْكَلَامِ أَنَّ يَقُول : وَضَعْتَ رَحْلَى الرَّاحِلَتَيْنِ .
وقال (في أواخر كتابه) : زعم يونس أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : ضَعَّ رَحَالَهُمَا وَغَلَمَانِهِمَا ،
وَأَمَّا هُمَا اثْنَانِ .

٣٧١

هذا حكم ما كان منه في الجسد شيء واحد ، فإن كان اثنين كاليد
والرجل فتثنيته إذا ثنيت المضاف إليه واجبة ، لا يجوز غيرها . تقول : فَقَاتَ
عَيْنَيْهِمَا ، وقطعت أذنيهما ، لَأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ أَعَيْنَهُمَا ، وَأَذَانَهُمَا لَا لَتَبَسَ بِأَنَّكَ
أَوْقَعْتَ الْفِعْلَ بِالْأَرْبَعِ .

فإن قيل : فقد جاء في القرآن : ﴿ فَاقْطِعُوا أُيُدَيْهِمَا ^(٢) ﴾ فجمع اليد
وفي الجسد يدان ، فهذا يوجب بظاهر اللفظ إيقاع القطع بالأربع . فالجواب
أَنَّ الْمُرَادَ فَاقْطِعُوا أَيْمَانَهُمَا . وكذلك هي في مصحف عبد الله بن مسعود
[رضى الله عنه ^(٣)] . فَلَمَّا عَلِمَ بِالَدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ أَنَّ الْقَطْعَ مُحَلُّهُ الْيَمِينِ وَلَيْسَ
فِي الْجَسَدِ إِلَّا يَمِينٌ وَاحِدَةٌ ، جَرَتْ مَجْرَى آحَادِ الْجَسَدِ ، فَجُمِعَتْ كَمَا جُمِعَ
الْوَجْهَ ، وَالظَّهْرَ ، وَالْبَطْنَ .

(الثاني) من الوجوه الثلاثة ^(٤) : الإفراد . ولم يذكر سيبويه هذه

(١) ش : « في كتابه » فقط . وهو يشير إلى ما ورد في سيبويه ١ : ٢٤١ كما أن قوله التالي
« في أواخر كتابه » ، يشير به إلى ما ورد في ٢ : ٢٠١ .

(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٣) التكملة من ش . وفي أمالي ابن الشجري : « في مصحف عبد الله » فقط . ومما هو
جدير بالذكر أن هذا الحوار مأخوذ من أمالي ابن الشجري . ولم يصرح البغدادى هنا بالأخذ .

(٤) انظر ما سبق في أول الكلام على الشاهد من قول البغدادى : « جاز فيه ثلاثة أوجه :
أحدهما الجمع » . فهذا هنا استمرار ذكر هذه الأوجه .

المسألة ، وذلك نحو قولك : ما أحسن رأسهما ، وضربت ظهر الزيدين ، وذلك لوضوح المعنى ، إذ لكل واحد شيء واحد من هذا النوع ، فلا يشكل ، فأتى بلفظ الأفراد إذ كان أخف .

قال الفراء في تفسير تلك الآية : وقد يجوز أن تقول ^(١) في الكلام : السَّارِق والسَّارِقَة فاقطعوا يمينهما ، لأنَّ المعنى اليمين من كل واحد منهما ، كما قال الشاعر ^(٢) :

كُلُوا فِي نَصِفِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِصُ
وقال الآخر ^(٣) :

السَّارِقُونَ وَتَيْمٌ فِي ذُرَا سَبِيلٍ قَدْ عَصَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ
من قال « ذُرَا » بالضم جعل سبأ جبلا ، ومن قال « ذُرَا » بالفتح أراد موضعاً ^(٤) .

ويجوز في الكلام أن تقول : اثْنَيْنِ برأس شاتين ورأسَي شاة ^(٥) .

(١) ط : « يقول » ، وأثبت ما في ش ومعاني الفراء ١ : ٣٠٧ .

(٢) البيت مجهول القائل . وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٠٨ كما أنه هو الشاهد ٥٧٥ من شواهد الخزائن .

(٣) هو جرير . ديوانه ٣٢٥ ومعجم الشواهد ٢٠٠ .

(٤) لم يذكر في معاني القرآن ١ : ٣٠٨ الضبط بالضم في الأولى وبالفتح في « ذرا » الثانية . وقد وجهه محققا معاني القرآن على هذا الوجه : « من قال ذرى جعل سبأ جبلا » مع ضبط « ذرى » هنا في الفتح وقراءة « جبلا » بالياء ، بمعنى القبيلة ، أى إن تيمنا يحتمون بسبأ ويمتنعون بها . ثم أتبع ذلك بقراءة « من قال ذرى أراد موضعاً » مع ضبط « ذرى » هنا بضم النال .

(٥) في معاني القرآن : « ورأس شاة » . وبعده : « فإذا قلت برأس شاة » .

فإذا قلت : رَأْسِي شاةٌ فَإِنَّمَا أَرَدْتُ رَأْسَ هَذَا الْجِنْسِ . وإذا قلت برأس شاتين فَإِنَّكَ تَرِيدُ بِهِ الرَّأْسَ مِنْ كُلِّ شاةٍ . قال الشاعر في ذلك :
كَأَنَّهُ وَجْهُ تَرْكُيْنِ قَدْ غَضِبَا مُسْتَهْدَفٌ لَطْعَانٍ غَيْرِ تَذْيِيبٍ . اهـ
وقوله : « رَأْسِي شاةٌ » هذه مسألة زائدة على ما ذكروا في هذا الباب ، استفيد جوازها منه .

قال ابن خلف : وقراً بعض القراء : ﴿ فَبَدَّتْ لهما سَوَاءُهُمَا ^(١) 〉
بالأفراد ^(٢) . والعَجَبُ من ابن الشجريّ في حمله الأفراد على ضرورة الشعر ،
فإنّه لم يقل أَحَدٌ إِنَّهُ من قبيل الضرورة . قال : ولا يكادون يستعملون هذا إلّا
في الشعر . وأنشدوا شاهداً عليه :
كَأَنَّهُ وَجْهُ تَرْكُيْنِ قَدْ غَضِبَا البيت

وقال في آخره : ذَبَّ فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ ^(٣) : دفع عنه . وذَبَّبَ في الطعن
والدَّفْع ، إذا لم يبالغ فيهما . اهـ

وتبعه ابن عصفور (في كتاب ضرائر الشعر) ، والصحيح أنّه غير
مختص بالشعر .

(الثالث) : التثنية . وهذا على الأصل وظاهر اللفظ . قال
سيبويه ^(٤) : وقد يثنون ما يكون بعضاً لشيء . زعم يونس أنّ رؤية كان يقول :

(١) الآية ١٢١ من طه . وفي الأعراف ٢٢ : « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما »
بدون فاء .

(٢) هي قراءة الحسن . إتحاف فضلاء البشر ٢٢٢ .

(٣) ط : « على فلان » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، وأمالى ابن الشجري ١ : ١٢ .

(٤) سيبويه ٢ : ٤٨ من نسختي .

ما أحسن رأسيهما . وقال الراجز ^(١) :

* ظهراهما مثل ظهور الترسين *

قال الفراء في تفسير تلك الآية ^(٢) : وقد يجوز تشبيها . قال أبو ذؤيب الشاعر :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العُبط التي لا تُرَقع . اهـ

وقال ابن الشجري : ومن العرب من يُعطى هذا حقّه كلّهُ من الشّنية ، فيقولون : ضربت رأسيهما ، وشققت بطنيهما ، وعرفت ظهريكما ، وحيا الله وجهيكما . فمما ورد بهذه اللغة قول الفرزدق :

* بما في فؤادينا من الشّوق والهوى ^(٣) *

وقول أبي ذؤيب :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ البيت

أراد : بطعنات نوافذ كنوافذ العُبط : [جمع العبيط ^(٤)] ، وهو البعير الذي يُنحر لغير داء . اهـ

والجمع في هذا الباب هو الجيد المختار ، وبه نزل القرآن العظيم ^(٥) .

(١) هو خطام المجاشعي ، كما في سيويه .

(٢) يعنى آية « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » . انظر معاني القرآن ١ : ٣٠٧ .

(٣) ديوان الفرزدق ٥٥٤ والنقائض ٥٥٣ . ونماه :

« فيبرأ منهاض الفؤاد المشعف »

(٤) التكملة من ش وأمالى ابن الشجري ١ : ١٢ .

(٥) اقتبس البغدادى من قول ابن الشجري : « والجمع في هذا ونحوه هو الوجه ، كما جاء في

التنزيل : قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا » .

والبيت الشاهد قافيته رائية لا بائية

وهو من قصيدة عدتها ستة عشر بيتاً للفرزدق ، هجا بها جريراً تهكم به وجعله امرأة . وهذه عشرة أبيات بعد ستة من أولها :

صاحب الشاهد

(ما تأمرون عباد الله أسألكم
لئن طلبتم به شأوى لقد علمت
ولا يحامى على الأنساب منفلق
هدرت لما تلقنتى بجونتها
ثم اتقتنى بجهم لا سلاح له
معلنكس الكين مجلوم مشافره
كأنه وجه تركيين قد غضبا (٣)
كأن رمانة في جوفه انفلقت
هل يغلين بظرها أيرى إذا اطعنا
إني لقومى سنان يطعنون به
بشاعري حوله دُرْجان مختمر (١)
أنى على العقب خراج من القتر
مقنع حين يلقى فاتر النظر (٢)
وحشخشنت لي حفيف الريح في العشر
كمنخري الثور معكوساً من البقر
ذى ساعدين يسمى دارة القمر
مستهدف لطعان غير منحجر
يكاد يوقد ناراً ليلة القرر
والطاعن الأول الماضي من الظفر
وأنت أخت كليب عيبة الكمر

أبيات الشاهد

قوله : « ما تأمرون عباد الله » إلخ ما استفهامية ، وعباد الله منادى ، والباء من قوله « بشاعر » متعلق بقوله « تأمرون » ، أو هو بمعنى عن متعلق بأسألكم . وأراد بالشاعر جريراً . ومختمر صفة ثانية له ، اسم فاعل من اختمرت المرأة ، أى ليست الخمار بالكسر ، وهو ثوب تغطي به المرأة رأسها . وجملة « حوله دُرْجان » صفة أولى لشاعر . نسبه إلى أنه امرأة :

(١) ديوان الفرزدق ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٢) في الديوان : على الأحساب . . وستأتى هذه الرواية في التفسير .

(٣) حورت في ش إلى : إذ غضبا ، . وهى رواية الديوان .

والدُّرج بالضم ، وهو وعاء الطَّيب ، كالحُقَّة والعُلبَة .

وقوله : « لئن طلبتم به شأوى » إلخ به أى بهذا الشاعر . والشَّأْوُ : بفتح الشين وسكون الهمزة : الغاية والسُّبْق . يقول : إن أردتم منه أن يبلغ غايته ، أو يسبقنى . واللام فى لئن موطئة للقسم ، وجملة لقد علمت : جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه جواب القسم . وفاعل علمت ضمير شاعر ، والمراد به امرأة ^(١) . وعلى بمعنى مع . والعَقْبُ بفتح العين وسكون القاف : جرىُّ الفرس بعد جريه الأوَّل . والخَرَجُ : مبالغة خارج . والقَتْرُ بفتح القاف والمثناة الفوقية : العُبار . يقول : لا يمكن أن تبلغ شأوى فضلاً عن السُّبْق ، فإنَّها تعلم أنَّى كثيراً ما خرجت من العُبار ، أى إذا كان أحدٌ سابقاً شققت غباره فسبقتَه وخرجتُ من غباره . وهذا بعد التعب والجرى الكثير ، فكيف أكون فى أوَّل جري .

وقوله : « ولا يحامى على الأحساب ^(٢) » ، أراد بالمنفلق : ذات لها انفلاق ، وهو كناية عن ذات الفرج . والانفلاق : الانشقاق . ومقنَّع : ذات قناع . وحين متعلِّق بمقنَّع . ويُلقَى بالبناء للمفعول ، من اللُّقَى . وفاتر النَّظَر ، أى ضعيف النظر . وهذه الأوصاف الثلاثة من أوصاف النساء .

وقوله : « هذرتُ لما تَلَقَّتْنى » إلخ الجُونة ، بضم الجيم : العُلبَة ،

٣٧٣

(١) ش : « المراد به امرأة » بإسقاط الواو .

(٢) هى رواية الديوان . وإن كان البغدادى قد رواه : « على الأنساب » فى الإنشاد المتقم .

وَدُرْج الطَّيِّب . والحشخشة : صوت السِّلَاح ونحوه . وحَفِيف مفعول مطلق ، أى خَشِخَشْتُهُ كحَفِيف الرِّيح . والحَفِيف ، بالخاء المهملة وفاءين ، وهو صوتُ الرِّيح إذا مَرَّتْ على الأشجار . والعُشْر بضم ففتح : شجر عَظِيمٌ له شوك . والهدير : صوت شِقْشِيقَةِ الجمل . يقول : لما بَرَزْتُ لمحاربتى وكان سلاحها جُوتنها ، وكان صوتها مؤنثاً ضعيفاً كصوت الرِّيح المارّة بالأشجار ، هَدَرْتُ عليها كالْفَحْل الهائج فَادْهَشْتُهَا .

وقوله : « ثُمَّ اتَّقَنْتِي بِجَهْمٍ لَا سِلَاحَ لَهُ » إلخ الجهم : الغليظ الثخين ، وهو هنا كناية عن فرجها . وأَرَادَ بالسِّلَاح الشعرَ النَّابت حوله ، وشَبَّهَ بمنخر الثَّور حالة كونه معكوساً . والعكس : أَنْ يَشْدَّ حَبْلٌ فِي مَنْخَرِهِ إِلَى رُسْغِ يَدَيْهِ لِيَذَلَّ ، وَحِينَئِذٍ يُرَى شَقُّهُ أَوْسَعَ . وَأَصْلُهُ فِي الْبَعِيرِ .

وقوله : « مَعْلَنَكِسِ الْكَثِينِ » المعلنكس : الكثيف المجتمع . وقال شارح ديوانه : هو الكثير اللَّحْم . وَالْكَثِينُ بِالْفَتْحِ : لَحْمُ الْفَرْجِ مِنْ دَاخِلٍ . وَالْمَسَافِرُ : جَمْعُ شَفْرٍ بِالضَّمِّ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ ، وَشَفْرٌ كُلُّ شَيْءٍ : حَرْفُهُ . وَالْمَجْلُومُ : الْمَقْصُوصُ شَعْرُهُ بِالْجَلَمِ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ ، وَهُوَ الْمَقْصُوعُ وَنَحْوُهُ . وَمَعْلَنَكِسٌ وَمَجْلُومٌ كِلَاهُمَا بِالْجَزْرِ صِفَتَانِ لِلْجَهْمِ ، وَكَذَا قَوْلُهُ : « ذِي سَاعِدَيْنِ » ، وَجَمَلُهُ يُسَمَّى إِنْخ . وَأَرَادَ بِالسَّاعِدَيْنِ الْأُسْكُتَيْنِ ، أَيْ حَرْفِيهِ ، وَسَمَّاهُمَا سَاعِدَيْنِ لِفَلْظِهِمَا وَطَوْلِهِمَا .

وقوله : (كَأَنَّهُ وَجْهُ تَرْكِيْن) إلخ أى كَأَنَّ ذَلِكَ الْجَهْمَ ، الْمُرَادُ بِهِ الْفَرْجُ . شَبَّهَ كُلَّ فِلَقَةٍ مِنْهُ بِوَجْهِ تَرْكِيٍّ . وَالْأَتْرَاكُ غِلَاظُ الْوُجُوهِ عَرَاضُهَا

حُمْرَهَا . وَإِذَا ظُرِفَ عَامِلُهُ مَا فِي كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى التَّشْبِيهِ . وَعِنْدَ غَضَبِهِمْ تَشْتَدُّ
وَجُوهُهُمْ حُمْرَةً . وَرَوَى الْفَرَاءُ وَغَيْرُهُ : « قَدْ غَضِبَا » فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ حَالًا مِنْ
تَرْكِيبَيْنِ ، عَلَى طَرَزِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مَيْتًا ^(١) 》 . وَمُسْتَهْدَفٌ صِفَةٌ لَوَجْهِهِ ، وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ اسْتَهْدَفَ . قَالَ
صَاحِبُ الْعَبَابِ : وَاسْتَهْدَفَ ، أَيُّ انْتَصَبَ . قَالَ النَّابِغَةُ فِي صِفَةِ فَرَجٍ :
وَإِذَا طَعْنَتْ طَعْنَتْ فِي مُسْتَهْدِفٍ رَأَى الْمَجَسَّةَ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمِدٍ

وَشَيْءٌ مُسْتَهْدَفٌ ، أَيُّ عَرِضٌ . ١ هـ

(وَالطَّعْنَانِ) بِالْكَسْرِ : مُصْدَرُ طَعْنَهُ بِالرَّحِمْ طَعْنًا وَطَعْنًا . وَغَيْرُ بِالرَّفْعِ
صِفَةٌ لِمُسْتَهْدَفٍ . وَ (الْمُنْجَحَرُ) : اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ انْجَحَرَ ، أَيُّ دَخَلَ جُحْرَهُ ،
بِضْمِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْمَهْمَلَةِ ، يُقَالُ أَجْحَرْتُهُ ، أَيُّ أَلْجَأْتُهُ إِلَى أَنْ دَخَلَ جُحْرَهُ ،
فَانْجَحَرَ .

وَقَوْلُهُ : « كَأَنَّ رَمَانَةً » إِنْخَ ، يُرِيدُ أَنَّ دَاخِلَ ذَلِكَ الْفَرَجِ مُحَرَّمٌ شَدِيدُ
الْحَرَارَةِ . وَيُوقَدُ : يُشْعِلُ . وَالْقُرُورُ : جَمْعُ قُرَّةٍ بِالضَّمِّ : الْبُرْدُ ، كُغْرِفَةٌ وَغُرْفٌ .
وَقَوْلُهُ : « هَلْ يَغْلِبِينَ بَظْرُهَا » إِنْخَ يَغْلِبِينَ مُؤَكَّدٌ بِالنُّونِ الْخَفِيفَةِ . وَالبَّظَرُ :
لَحْمَةٌ بَيْنَ شُفْرَى الْفَرَجِ تَقْطَعُهَا الْخَاتَنَةُ . وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَمْ يَخْتَنِ بَظْرَهَا يُقَالُ لَهَا
بَظْرَاءٌ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الشَّتَمِ : يَا ابْنَ الْبَظْرَاءِ ! وَاطَّعْنَا أَصْلَهُ ، تَطَاعْنَا ، وَالْأَلْفُ
ضَمِيرُ الْبَظَرِ وَالْأَثَرِ . وَقَوْلُهُ : « وَالطَّاعِنُ الْأَوَّلُ » إِنْخَ ، أَيُّ مِنْ يَطْعَنُ أَوَّلًا هُوَ

(١) الْآيَةُ ١٢ مِنْ سُورَةِ الْحَجَرَاتِ .

الذى يذهب بالظفر ويغلب . ومعلوم أنَّ الذكر هو الذى يبدأ بالطعن
للأنثى .

وقوله : « إني لقومى سنان » إلخ يقول : إني لقومى كالسنان يطعنون بى
نحو الأعداء . ويطعنون بضم العين . وقوله : « وأنت أخت » إلخ هذا
التفات من الغيبة إلى الخطاب . وأنت مبتدأ ، وعيبة خبره . وأخت منادى .
لما جعل جريراً امرأة قال له : يا أخت كليب ، أى يا امرأة من قبيلة
كليب . والعيبة بالفتح : خرج صغير توضع فيه الثياب . والكرم : جمع
كمر بفتحتين ، كقصب جمع قصبة ، وهو الذكر والأير ، وأصله الحشفة ،
ويطلق عليه مجازاً ، تسمية للكل باسم الجزء .

٣٧٤

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الخمسمائة ، وهو من
شواهد س (٢) :

٥٧٣ (ظهراهما مثل ظهور الترسين)

على أنه قد جمع بين اللغتين ، فإنه أتى بشية المضاف فى ظهراهما ،
وبجمعه فى ظهور الترسين .

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٤١ / ٢ : ٢٠٢ . وانظر البيان ١ : ١٥٦ والجمال ٣٠٣ وإعراب
القرآن المنسوب للزجاج ٧٨٧ والمخصص ٩ : ٧٠ وابن يعيش ٤ : ١٥٥ ، ١٥٦ وشرح شواهد
الشافعية ٩٤ والعينية ٤ : ٨٩ والممع ٢ : ٦٢ والمغنى ٣١٦ والأصموني ٣ : ٧٤ ويس ٢ : ١٢٢ .

واستشهد به سيبويه على تثنية المضاف على الأصل ، في موضعين من كتابه

الموضع الأول : في الرُّبْع الأول ، في باب ما جرى من الأسماء التي من الأفعال وما أشبهها ، من الصفات التي ليست بفعل . وتقدّم نقل كلامه في البيت الذي قبل هذا .

والموضع الثاني : أوّل الرُّبْع الرابع بين أبواب جموع التكسير ، في باب ترجمته : هذا باب ما لُفِظَ به مما هو مُشْتَبِهٌ كما لُفِظَ بالجمع . قال : وهو أن يكون كُلُّ واحدٍ منهما بعضُ شيءٍ مفرد من صاحبه ، وذلك قولك : ما أحسن رؤوسَهُما وأحسن عوَالِيَهُما . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ تَثْوِيَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(١) ، ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ ^(٢) . فرقوا بين المُشْتَبِهِ الذي هو شيءٌ على حدة وبين ذا . وقال الخليل : نظيره قولك : فعلنا ، وأنتمَا اثنان ، فَتَكَلَّمُ بِهِ كَمَا تَكَلَّمُ بِهِ وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةٌ . وقد قالت العرب في الشَّيْئَيْنِ اللَّذَيْنِ كُلُّ واحدٍ منهما اسْمٌ على حِدَةٍ وليس واحدٌ منهما بعضُ شيءٍ ، كما قالوا في ذا ، لِأَنَّ التثنية جمعٌ ، فقالوه كما قالوا : فعلنا . زعم يونس أنهم يقولون : ضَعَّ رَحَاهُمَا وَغَلَمَانَهُمَا ، وَإِنَّمَا هُمَا اثنان ^(٣) . إلى أن قال : وزعم يونس أنهم يقولون : ضَرَبْتُ رَأْسَيْهِمَا . وزعم أنه سمع ذلك من رؤية أيضًا ، أَجْرُوهُ عَلَى الْقِيَاسِ . قال هُمَيَانُ بْنُ قُحَاةٍ :

(١) الآية ٤ من التحريم .

(٢) الآية ٣ من المائدة .

(٣) ط : هـ وأنهما هـ ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، وكتاب سيبويه ٢ : ٢٠٢ .

* ظهراهما مثلُ ظهورِ الترسينِ *

وقال الفرزدق :

* هما نقتا في فئى من فَمَوِيهما (٢) *

وقال أيضاً :

بما في فؤادينا من الشوقِ والهوى فيُجبرُ مُنْهاضُ الفؤادِ المعذبِ (٢)

انتهى كلامه .

قال الأعلام : الشاهد فيه تشنية الظهريْن على الأصل ، والأكثرُ في كلامهم إخراجُ مثل هذا إلى الجمع ، كراهةً لاجتماعِ تشنيتين في اسم واحد ، لأنَّ المضاف إليه من تمام المضاف ، مع ما في التشنية من معنى الجمع ، وأنَّ المعنى لا يشكّل ، ولذلك قال : مثل ظهورِ الترسين ، فجمع الظُّهر .

قال الزجاج (في تفسير آية السارق) : قال بعض النحويين : إنَّما جُعِلَتْ تشنية ما كان في الإنسان منه واحدٌ جمعاً لأنَّ أكثرَ أعضائه فيه منه اثنان ، فحُمِلَ ما كان فيه الواحد على مثل ذلك . قال : لأنَّ للإنسان عَيْنين ، فإذا ثَنِيَتِ العَيْنين قُلَّتْ عَيُونهما ، فُجِعِلَتْ « قلوبكما » و « ظهوركما » في القرآن كذلك ، وكذلك « أيديهما » . وهذا خطأ ، إنَّما ينبغي أن يفصل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيء منه اثنان . وقال قوم : إنَّما فعلنا

(١) عجزه :

• على النابح العاوى أشد رجاء •

(٢) صوابه « المشغف » كما أشار إلى ذلك الشنتمرى . وانظر ما سبق من التعليق في

ذلك للفصل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيء منه اثنان ، فجعل ما في الشيء منه واحدًا تثنيته جمعًا ، كقول الله : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(٢) . قال أبو إسحاق : حقيقة هذا الباب أنَّ ما كان في الشيء منه [واحد ^(٢)] ، لم يثنَّ وَلِفِظَ به على لفظ الجمع ^(٣) لَأَنَّ الإضافة تبيّنه . فإذا قلت : أَشْبَعْتُ بَطُونَهُمَا عَلِمَ أَنَّ لِلْأَثْنَيْنِ بَطْنَيْنِ فَقَط . وأصل التثنية الجمع ، لأنَّك إذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدًا إلى واحد . وكان الأصلُ أن يقال اثنا رجال ، ولكن رجلاين لا يدلُّ على جنس الشيء وعدده ، فالتثنية يحتاج إليها للاختصار فإذا لم يكن اختصارٌ رُدَّ الشيء إلى أصله ، وأصله الجمع ، فإذا قلت قلوبهما فالتثنية فيهما قد أغتكت عن تثنية قلب ، فصار الاختصار ههنا تركً تثنية قلب . وإن ثنَّي ما كان في الشيء منه واحدٌ فذلك جائز عند النحويين . قال الشاعر :

* ظهراهما مثلُ ظُهورِ التُّرسين *

فجاء بالتثنية والجمع في بيتٍ واحد .

وحكى سيبويه أنَّه قد يجمع المفرد الذي ليس من شيء إذا أردت به التثنية . وحكى عن العرب : وضعا رجالهما ، يريد : رحلي راحلتيهما . انتهى .

وأنشده الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ ^(٤) قال : ذكر المفسرون أنَّهما بستانان من بساتين الجنة . وقد يكون في العربية جنَّة تثنيها العرب في أشعارها . أنشدني بعضهم :

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) ط : « لم يثن لفظ به على الجمع » ، وصوابه في ش .

(٤) الآية ٤٦ من سورة الرحمن .

ومهمهين قَذَفِين مَرَّتَيْنِ قَطَعْتُهُ بِالسَّمْتِ لَا بِالسَّمْتَيْنِ (١)

وَأَنْشَدَنِي آخِر :

يَسْعَى بِكِبْدَاءٍ وَلَهْذَمِينَ قَدْ جَعَلَ الْأَرْطَاةَ جُتَيْنِ

وذلك أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَوَافٍ تَقِيْمُهَا الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ ، فَيَحْتَمِلُ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ .

قال الفراء : الْكِبْدَاءُ (٢) : الْقَوْسُ . وَيُقَالُ لَهْذَمٌ وَلِهْذَمٌ ، لَغْتَانُ (٣) ، وَهُوَ السَّهْمُ . انْتَهَى .

والصحيح أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ رَجَزٍ لِخِطَامِ الْمُجَاشَعِيِّ ، وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ ، لَا لَهْمِيَّانِ بْنِ قَحَافَةَ . كَمَا تَقَدَّمَ نَقْلُ أَبِيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الرَّجَزِ فِي الشَّاهِدِ الْخَامِسِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ (٤) . وَالرَّوَايَةُ الصَّحِيْحَةُ كَذَا :

(وَمَهْمِهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرَّتَيْنِ ظَهَرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ الثَّرْسَيْنِ) أَنْطَلِ الشَّاهِدِ
جُبَّتُهُمَا بِالثَّعَتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ عَلَى مُطَارِ الْقَلْبِ سَامَى الْعَيْنَيْنِ)

وَالْوَاوُ فِي مَهْمِهَيْنِ وَآوُ رَبٍّ . وَالْمَهْمَةُ : الْقَفَرُ الْمُخَوِّفُ . وَالْقَذْفُ ، بَفَتْحِ الْقَافِ وَالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ بَعْدَهَا فَاءٌ : الْبَعِيدُ مِنَ الْأَرْضِ . وَقَالَ الْعَيْنِيُّ :

(١) لِخِطَامِ الْمُجَاشَعِيِّ ، أَوْ هَمِيَّانِ بْنِ قَحَافَةَ . مَعْجَمُ الشُّوَاهِدِ ٥٤٣ .

(٢) فِي مَعَانِي الْفَرَاءِ ٣ : ١١٨ : « الْكِبْدَاءُ » ، وَكَذَا فِي الرَّجَزِ « بِكِبْدَاءٍ » ، وَمَا هُنَا صَوَابُهُ . وَفِي اللِّسَانِ : « وَقَوْسٌ كِبْدَاءٌ : غَلِيْظَةُ الْكَبْدِ شَدِيدَتَا . وَقِيلَ قَوْسٌ كِبْدَاءٌ ، إِذَا مَلَأَ مَقْبَضُهَا الْكَفَّ » . وَكَبَدَ الْقَوْسُ : فُوتِقَ مَقْبَضُهَا حَيْثُ يَقَعُ السَّهْمُ .

(٣) ضَبَطَ فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ بِوَزْنِ جَعْفَرٍ فَقَطْ .

(٤) الْخَزَائِنَةُ ٢ : ٣١٣ - ٣١٨ .

هو المكان المرتفع الصُّلب . قال : ويروى « فَذَفْدِين » . والفَدَفْد : الأرض المستوية . قاله الجوهري .

والمرت ، بفتح الميم وسكون الراء المهملة بعدها مثناة فوقية : الأرض التي لا ماء فيها ولا نبات . والظُّهر : ما ارتفع من الأرض . شَبَّهه بظهر ثُرس في ارتفاعه وتعرّيه من النبات . كما قال الأعشى :
وفلاة كأنها ظهر ثُرس ليس إلا الرجيع فيها علاق
وقال الأعمى : وصفَ فلاتين لا نبتَ فيهما ولا شخصَ يُستَدلُّ به ، فشَبَّههما بالثُرسين .

وقال العيني : مثل ظهرى الثُرسين في الاستواء والاملاس ، وعدم المرافق فيهما ، من نبتٍ للرّاعية ، أو علمٍ هادٍ للناس . وجتبعهما : قطعتهما ، وهو جواب ربِّ المقدرة . يقال جاب الوادى يجوبه جوبا ، إذا قطعَه بالسَّير فيه . وروى : « قطعته » بإفراد الضمير .

نقل العيني عن أبي على أنّه قال : أفرد الضمير وهو يريد المهمين ، كما قال تعالى : ﴿ تُسْفِيكُم مِّمَّا فِي بَطُونِهِ ﴾^(١) . ويقال التقدير : قطعت ذلك . ويقال : إنما أفرد الضمير لأنّه أراد المهمة ، وإنّما ثناه تنبيهاً على طولهِ واتصال المشى لراكبه فيه ، كما قال رؤبة :

* ومهمه أطرافه في مهمه * انتهى

وهذا يؤيد ما قاله الفراء . وقوله : « بالنعت لا بالنعتين » أى نُعتا لى مرّة واحدة ، فلم أحتج إلى أن يُنعتا لى مرّة ثانية . وصفَ نفسه بالحذق والمهارة . والعربُ تفتخر بمعرفة الطُّرق ، وتعيّر الجاهل بها .

(١) الآية ٦٦ من سورة النحل .

وأما رواية « قطعته بالسَّمت لا بالسَّمتين » فهو من رجزٍ لشاعر آخر ،
 أنشده الفارسي (في تذكرته) ، وذكر قبله :
 ومهمه أعورٍ إحدى العينين بصيرٍ الأخرى وأصمَّ الأذنين
 * قطعته بالسَّمت لا بالسَّمتين * .

قال : كانت في هذا الموضع بئران ، فعُورَت إحداها وبقيت الأخرى ،
 فلذلك قال : أعورٍ إحدى العينين . وقوله : « وأصمَّ الأذنين » يعني أنه ليس
 به جبل فيسمع صوت الصدى .

وقوله : « بالسَّمت » إلخ أى قيل لى مرةً واحدة فاكثفت . انتهى
 وقال : السَّمت : السَّير بالحدس . وقال ابن يسعون : يريد بالسَّمت
 إلخ بإشارةٍ واحدة^(١) ، ولم أحتج إلى تكرير النظر ، لحذقي ومعرفتي بالطريق .
 وقوله : « على مُطارٍ القلب » متعلقٌ بجُبتِهما . أراد : على فرسٍ جيّد
 هذه صفته .

وترجمة خطام المجاشعي تقدّمت في الشاهد الخامس والثلاثين بعد
 المائة^(٢) .

* * *

(١) ط « بإشارةٍ واحد » ، وأثبت ما في ش مع أثر تغيير .

(٢) الخزائن ٢ : ٣١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٧٤ (وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ)

على أنه قريبٌ من وقوع المفرد موقع المثنى ^(٢) ، فيما يصطحبان ولا يفترقان ، كقولك : عيني لا تنام ، أى عيناى ، وإنما قال « قريب منه » لأنّ المثال وقع فيه المفرد فى موقع المثنى ، والبيت وقع فيه المثنى وهو عيناى فى موضع المفرد ، لأنّ خبره ترتع ، وليس فيه ضمير اثنين .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : قال أبو عمرو : وإذا كان الاثنان لا يكاد أحدهما ينفرد من الآخر مثل اليدين والرجلين والخُفَّين ، فإن تقدّم مثناه جاز لك فى الشعر والكلام ، أن تؤخِّد صفته فتقول : خُفَّان جديدٌ وجديدان ، وعينان ضخمةٌ وضخمتان ، لأنّ الواحد يدلُّ على صاحبه إذا كان لا يفارقه . وأنشد الفراء :

سأجزيك خذلانًا بتقطيعي الصِّفا إِيَّاكَ وَخُفًّا وَاحِدٍ يَقْطُرُ الدِّمَا
فقال : يقطر ، ولم يقل : يقطران . انتهى .

والمصراع عجزٌ ، وصدْرُهُ :

(حشَايَ عَلَى جَمْرِ ذَكِيٍّ مِنَ الْغُصَا)

والبيت من قصيدة لأبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِيّ ، مطلعها :

(حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَدْرِ أَيُّ الظَّاعِنِينَ أُشِيعُ)

صاحب الشاهد

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٠ ، ١٢١ وديوان المنتبى بشرح العكبرى ١ : ٣٨٤ .

(٢) ط : « الشيء » ، صوابه فى ش .

قال الواحدى فى شرحه : الحشا : ما فى داخل الجوف ، ويريد به القلب ههنا . يقول : قلبى على جمر شديد التوقد من الهوى ، أى لأجل توديعهم وفراقهم . وعينى ترتع فى وجه الحبيب فى روضى من الحسن .

والبيت من قول أبى تمام :

أبى الحق أن يضحى بقلبى مأتم من الشوق والبلوى ، وعينائى فى غمرى ٣٧٧
وإنما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، ولا تكاد تفرد إحداها برؤية دون الأخرى ، فاكفى بضمير الواحدة ، كما قال الآخر (١) :

* بها العينان تنهل (٢) * انتهى

وقال صلر الأفاضل ، عند قول المعرى (٣) :

كان أذنيه أعطت قلبه خبراً عن السماء بما يلقي من الغير

فإن قلت : كيف لم يبرز الضمير فى أعطت مع إسناده إلى ضمير الاثنين ؟ قلت : إما لأنه قد نزل العضوين منزلة عضو واحد ، لأن المقصود بهما منفعة واحدة . وعليه قول امرئ القيس :

وعين لها حدره بدره شقت ماقيهما من آخر (٤)

ألا ترى أنه عنى بالعين العينين ، حتى صرف إلى ضمير الاثنين . وقول أبى الطيب :

(١) هو امرؤ القيس . ملحقات ديوانه ٤٧٢ . وانظر ما سأتق فى ص ٥٥٦ .

(٢) صدره :

• لمن زحلوقة زل •

(٣) شروح سقط الزند ١٤٦ .

(٤) ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

وتكرّمت رُكْبائُها عن مَبْرِكٍ تقعانٍ فيه وليس مِسْكًا أذفرا
لأنّه جعل كلَّ رُكْبَتَيْنِ كركبةٍ واحدةٍ حتّى قال : تقعان . وإمّا لأنّه قد
عامل المثنى معاملة الجمع . ومنه قول عنتره :
متى ما تلقنى فردين تُرْجُف روانفُ أَلَيْتِكَ وتُستطارا
وقال آخر (٢) :

* أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْفِي الْخَيْلَ رُمَاجَ (٣) *

ألا ترى أنّه قد سُمّي الرّانفتين والقُرَيْنِ روانف وأقربا .

ومثله في احتمال الوجهين قوله (٣) :

كَأَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرْنُفِلٍ أَوْ سُنْبَلًا كَجِلَّتْ بِهِ فَانْهَلَتْ

وقول الفرزدق :

* وَلَوْ بَخِلْتُ يَدَايَ بِهَا وَضَنْتُ (٤) *

هذا وقول أبي الطيّب :

* وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحَسَنِ تَرْتَعُ *

مع تمكّنه من أن يقول : وعيني - دليل على أنّه لا في مقام الضرورة .

انتهى .

(١) هو أوس بن حجر . ديوانه ١٥ .

(٢) ط : « سعى الخيل » ، صوابه في ش والديوان . وصلته :

* كَأَنَّ رَيْقَهُ لَمَّا عَلَا شَطْبًا *

(٣) هو سلمى بن ربيعة ، كما في الحماسة ٥٤٦ بشرح المرزوق . ونسب في الأصمعيّات

١٦١ إلى علياء بن أرقم .

(٤) عجزه كما في الديوان ٣٦٤ :

* لَكَانَ لَهَا عَلَى الْقَدْرِ الْخِيَارُ *

وقد تكلم ابن الشجرى (فى أماليه) على البيت ، وجعل المسألة رباعية ، فلا بأس بنقل كلامه تكميلاً للفائدة . وقال بعد إنشاد البيت : الحشا : ما بين الضلع التى فى آخر الجنب إلى الورك ، والجمع أحشاء . وذكت النار تذكو : اتقدت وارتفع لهبها . والرؤضة : موضع يتسع ويجمع فيه الماء ، فيكثر نبتة . ولا يقال لموضع الشجر روضة . والرتوع فى الأصل للماشية ، وهو ذهابها ومجيئها فى الرعى . وكثر ذلك حتى استعمل للآدميين . وفى التنزيل : ﴿ نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ ^(١) ﴾ . ومن قرأ : ﴿ نَرْتَعُ ﴾ بكسر العين فهو نفع من الرعى . وأصل رتع : أكل ما شاء . ومنه قول سويد بن أبى كاهل :
وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهْجِي رَتْعُ ^(٢)

وإنما قال عيناى فنى ثم قال ترتع فأخبر عن الاثنين بفعل واحدة ، لأنَّ العضوين المشتركين فى فعل واحد مع اتفاقهما فى التسمية يجرى عليهما ما يجرى على أحدهما . ألا ترى أنَّ كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية دون الأخرى . فاشتراكهما فى النظر كاشتراك الأذنين فى السمع ، والقدمين فى السعى . ويجوز أن يعبر عنهما بواحدة ، تقول : رأيته بعينى ، وسمعته بأذنى ،

٣٧٨

(١) الآية ١٢ من سورة يوسف . وهذه قراءة أبى عمرو ، وابن عامر ، بالنون وسكون العين . وأما قراءة « نرتع » بالنون وكسر العين فهى قراءة البزى ، كما قرأ قبل : « نرتعى » بإثبات الياء . وقراءة عاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف : « يرتع ويلعب » بالياء وسكون العين من الرتوع . وقرأ نافع وأبو جعفر : « يرتع ويلعب » من الارتعاء . إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢ .

(٢) المفضليات ١٩٨ .

وما سَعَتْ في ذاك قدمي . فَإِنْ قَلْتُ بَعِيْنِي وَأُذِنِّي وَقَدَمِي فَتَنَيْتُ ، فهو حَقُّ الكلام ، والأوَّلُ أَخَفُّ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا .

ولك في هذا الباب ^(١) أربعة أوجه من الاستعمال :

أحدها : أَنْ تستعمل الحقيقة في الخبر والمخبر عنه ، وذلك قولك : عيناى رأته ، وأذناى سمعناه ، وقدمائى سَعَتْنا فيه .

والثاني : أَنْ تعبِّر عن العضوين بواحد وتفرد الخبر ، حملاً على اللفظ تقول : عيناى رأته ، وأذنى سمعته ، وقدمي سَعَتْ فيه . وإنَّما استعملوا الأفراد في هذا تخفيفاً ، وللعلم بما يريدون . فاللفظ على الأفراد والمعنى على التثنية . فلو قيل على هذا :

* وَعَيْنَاى فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ *

كان جيِّداً .

والثالث : أَنْ تُثَنِّي العضو وتفرد الخبر ، لأنَّ حكم العينين أو الأذنين أو القدمين حكمٌ واحدٌ ، لاشتراكهما في الفعل ، فتقول : أذناى سَمَعْتُهُ ، وعيناى رأته ، وقدمائى سَعَتْ فيه ، كما قال :

* وَعَيْنَاى فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ *

ومنه قوله سُلَمَى بن ربيعة السَّيْدِي ^(٢) :

فَكَأَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ حُبَّ قَرْنَفَلٍ أَوْ سُنْبِلًا كُحِلَتْ بِهَا فَا نَهَلَتْ ^(٣)

(١) كذا في النسختين ، وهو الوجه . والذي في أمالي ابن الشجرى ١ : ١٢١ : « في هنا

البيت » .

(٢) نسبة إلى بنى السيد بن ضبة ، كما في شرح التبريزي للحماسة ٢ : ١١٩ . وفي ش :

« السدى » تحريف .

(٣) كذا في النسختين ، وإن كان الشنقيطي قد جعلها بقلبه « كحلت به » ، وهي رواية

أبى تمام ، كما في شرح التبريزي والمرزوقي ٥٤٧ .

ومنه قول امرئ القيس :

لمن زُحْلُوفَةٌ زُلُّ بها العينان تنهَلُّ

وللفرزدق :

ولو بخلت يدائى بها وضئت لكان على للقلبر الخيارُ

والرابع : أن تُعَبَّرَ ^(١) عن العضوين بواحد وتُثْنَى الخبر ^(٢) ، حملاً على المعنى ، كقولك : أذنى سَمِعْتَاه ، وعينى رَأَتْاه . ومنه قول امرئ القيس ، وهذا قليل ^(٣) :

وعينٌ لها حَذْرَةٌ بئرة شُقَّتْ مآقيهما من أخر

وقول الآخر :

إذا ذكرت عيني الزمان الذى مضى بصحراءٍ فليج ظلتنا تكفان

فأما ما أنشده ابن السكيت من قول الراجز :

* والسَّاقُ منى باردات الرِّيرِ ^(٤) *

فكان الوجه أن يقول باردة حملاً على لفظ الساق ، أو باردتان ؛ لأنَّ المراد بالساق الساقان ، ولكنه جمع فى موضع التشية . ويشبه ذلك قولك : ضربت رُعُوسهما . ويمكن أن تكون الألف فى باردات إشباعاً ، كقول القائل :

(١) ط : هـ أن يعبر هـ ، وما أثبت من ش يطابق أمالى ابن الشجرى .

(٢) ط : هـ ويشئ الخبر هـ ، وأثبت ما فى ش وأملى ابن الشجرى .

(٣) والبيت فى ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

(٤) قبله فى اللسان (رير) :

أقول بالسبت قُويق الدير إذا أنا مغلوب قليل الغير

وَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمَنْتَرَجٍ ^(١)
أَرَادَ : بِمَنْتَرَح ، فَأَشْبَعَ الْفَتْحَةَ فَنَشَأَتْ عَنْهَا الْأَلْف . وَيُقَالُ مَخَّ رَأَّرَ
وَرِيرَّ ، لِلرَّقِيقِ مِنْهُ .

وقوله : (من الغضى ^(٢)) مفسر للجمر . وكذلك قوله : (من
الحسن) مفسر للروض ، فمن متعلقة بمحذوف وصف للمفسر . وقال
(حشائى) والمراد ما جاور الحشا ، وهو القلب . والعرب تعبّر عن الشيء
بمجاورِهِ ، فالمعنى : قلبى على جمرٍ من الغضى ، شديد التوقّد ، لفرافهم ،
وعينى ترتع من وجه الحبيب فى روضٍ من الحسن . واستعار الرُتُوعَ للعين
لتصويب النظر وتصعيده فى محاسن المنظور إليه . واستعارَ لحسنه روضاً تشبيهاً
لعينيه بالنرجس ، ولخذه بالشقيق ، ولثغره بالأفحوان .

ومعنى البيت ناظرٌ إلى قول أبى تمام :
أَفَى الْحَقِّ أَنْ يَمْسَى بِقَلْبِي مَاتَمَّ مِنْ الشَّقِّ وَالْبَلَوِّ ، وَعَيْنَايَ فِي عُرْسِ
وَأَنْشِدْتُ لِلرُّضَى .

* فالقلب فى مَاتَمَّ والعين فى عُرْسِ ^(٣) *

(١) لإبراهيم بن هرمة فى ديوانه ٨٧ وشرح شواهد الشافى ٢٥ .

(٢) الذى فى أمالى ابن الشجرى فى نص البيت وتفسيره : « من الهوى » ، ولكن البغدادى
ذكر رواية « الغضى » هنا وفى متن البيت .

(٣) صدره فى ديوانه ١ : ٤٢٥ :

• تلذ عيني وقلبي منك فى ألم •

وقبله :

كم نظرة منك تشفى النفس عن عرض وترجع القلب منى جد متكس

واستعمال المأثم لجماعة النساء فى المناحة خاصة مما لم تُرده العرب ،
ولكنه عندهم لجماعة فى المناحة وغيرها . قال أبو حية :
رمته أناة من ربيعة عامرٍ ثُوم الضحى فى مأثم أى مأثم

وقول امرئ القيس فيما ذكرته شاهداً وصَف به عين فرس . ومعنى
حذرة : مكتنزة ضخمة . وبذرة : تبذر النظر . وشقت مأقيهما من آخر ، أى
اتسعت من آخرهما .

والبيت من ثالث البحر المسمى بالمتقارب ^(١) ، عروضه سائلة وضربه
محذوف ، ووزنه فَعْل ، وقد استعمل فيه الحرم الذى يسمى التلم فى أول
النصف الثانى ، وقلما يوجد الحرم إلا فى أول البيت .

وقوله : « لمن زحلوفة » الزحلوفة ^(٢) : الزلاقة التى يتزلج فيها الصبيان
فيزلقون . ويروى : « زحلوفة » بالقاف . انتهى كلام ابن الشجرى .
وترجمة المتنبي قد تقدمت فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة ^(٣) .

* * *

(١) كتب مصصح طبعة بولاق : « قوله عروضه سائلة ، فيه أن العروض محذوفة مثل
الضرب » . وقد فات البغدادى أن ينبه هنا على هذا الخطأ الذى وقع فيه ابن الشجرى فى أماليه ١ :
١٢٣ .

(٢) كلمة « الزحلوفة » ساقطة من ش .

(٣) الخزائن ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٥٧٥ (كَلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ نَحْمِصُ)
على أَنَّ فيه قيام المفرد مقام الجمع ، وهو « بطونكم » ، لأنَّه يريد :
بطن كل واحد منهم .

وظاهره أنَّه غير ضرورة . ونصَّ سيويه على أنَّه ضرورة .

قال سيويه (في مسائل التمييز من باب الصفة المشبهة من أوائل الكتاب) :

قال بعضهم في الشعر ما لا يستعمل في الكلام^(٢) . قال علقمة بن
عَبْلَة :

بِهَ جَيْفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَيَيْضُ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ^(٣)
وقال :

لَا تُنْكِرُوا الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي خَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا^(٤)

(١) في كتابه ١ : ١٠٨ . وانظر معاني الفراء ١ : ٣٠٧ والمقتضب ٢ : ١٧٢ والمختضب ٢ : ٨٧ وأمالى ابن السجري ١ : ٣١١ / ٢ : ٢٥ ، ٣٨ ، ٢٤٣ وابن يعيش ٥ : ٨ / ٦ : ٢١ ، ٢٢ والجمع ١ : ٢٥ .

(٢) في كتاب سيويه : « وليس بمستكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم في الشعر ما لا يستعمل في الكلام » .

(٣) الرواية في سيويه والشتمرى والمفضليات ٣٩٤ ودويان علقمة ١٣٢ : « بها جيف الحسرى » . وما قبله من الأبيات يميز الروایتين ، فإن فيها : « فأوردتها ماء » ، وفيها : « بمشبهات هولن مهيب » .

(٤) الرجز للمسيب بن زيد مناة الغنوى ، كما في الشتمرى واللسان (شجا) . ونسب في المختضب ٢ : ٩٧ إلى طفيل . وفي ش : « لا تنكر » في جميع المواضع ، وكذا في أصول سيويه ، وصوابه ما أثبت . وانظر حواشي سيويه ١ : ٢٠٩ من نسختي .

إلى أن قال : ومما جاء في الشعر على لفظ الواحد يراد به الجمع :

كلوا في بعض بطونكم تعفوا البيت

وقوله : « به جيف الحسرى » إلخ ، هو جمع حسير ، وهى الناقة التى أعيت ، من الإعياء والكلال .

قال الأعلم : وصف طريقاً بعيداً شاقاً على من سلكه . والصليب : اليابس ، وقيل هو الودك . أى قد سال ما فيه من رطوبة لإحماء الشمس عليه . يقول : أكلت السباع ما عليها من اللحم فتعرت ، وبدا وضح العظام .

وقوله : « لا تنكروا القتل » إلخ قال الأعلم : وصف أنهم قتلوا من قوم كانوا قد سبوا من قومه ، فيقول : لا تنكروا قتلنا لكم وقد سييتم منا ، ففى حلوقكم عظم بقتلنا إياكم ، وقد شجينا نحن ، أى غصصنا بسييكم لمن سييتم منا . والبيت للمسيب بن زيد مناة الغنوى .

وقوله : (كلوا فى بعض) إلخ قال الأعلم : وصف أنهم قتلوا من شدة الزمان وكلية (١) ، فيقول : كلوا فى بعض بطونكم ولا تملقوها حتى تعتادوا ذلك تعفوا عن كثرة الأكل وتقنعوا باليسير ، فإن الزمان ذو مخمصة وجذب . والشاهد أنه وضع الجلد موضع الجلود ، والحلق موضع الحلوق ، والبطن موضع البطون ؛ لضرورة الشعر .

٣٨٠

ونقل ابن السراج كلام سيبويه فى باب التميز ، وتبعهما ابن عصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) .

(١) الذى فى الشتمرى : « وصف شدة الزمان وكلية » فقط .

وذهب الفراء (في تفسيره) إلى أنه جائز في الكلام غير مختص بالشعر . وقد تقدّم النقل عنه قبل هذا بيّتين . وقال أيضاً في تفسير سورة النحل عند قوله تعالى : ﴿ يَتَفَيَّوْا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ ^(١) ، قال : وَحَدَّ الْيَمِينِ وَجَمَعَ الشَّمَائِلِ ، وكلُّ ذلك جائز في العربية . قال الشاعر :
 يَفِي الشَّامِتِينَ الصَّخْرَ إِنْ كَانَ هَدْنِي رِزْيَةً سَبَلِي مُخْلِدٍ فِي الضَّرَاعِمِ ^(٢)
 ولم يقل بأفواه الشامتين . وقال الآخر ^(٣) :
 * قد عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ ^(٤) *

ولم يقل جلود . وقال آخر ^(٥) :
 فَبَاسَتْ بَنَى عَبْسٍ وَأَسْتَاهِ طَيْئٌ وَبَاسَتْ بَنَى دُودَانَ حَاشَا بَنَى نَصْرِ
 فَجَمَعَ وَوَحَّدَ . وقال آخر :
 كُلُوا فِي نَصِيفِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِصُ
 وجاز التوحيد ^(٦) لأنَّ أكثر الكلام يواجه به الواحد ، فيقال : خذ عن يمينك وعن شمالك ؛ لأنَّ المكلم واحد والمتكلم كذلك ، فكأنه إذا وحَّد ذهب إلى واحدٍ من القوم . وإنَّ جمع فهو الذي لا مسألة فيه . انتهى .

(١) الآية ٤٨ من سورة النحل .

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ٧٦٤ يرثي ابنين له . وفي الديوان « إن كان معنى » .

(٣) هو جرير . ديوانه ٣٢٥ .

(٤) صدره كما في معاني الفراء ٢ : ١٠٢ ، وما سبق في ٥٣٧ :

« الواردون وتيم في ذرى سباً » .

(٥) في معاني القرآن : « الآخر » ، والكلام بعده إلى « آخر » التالية ساقط من ش .

(٦) في معاني القرآن : « فجاء التوحيد » .

وتبعه جماعة منهم ابن جنى (فى المحتسب) قال فى سورة المؤمنين : قرأ
﴿ عَظَمًا ﴾ واحدًا ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ ﴾ جماعة : السُّلْمَى ، وقتادة ،
والأعرج ، والأعمش ، واختلف عنهم . وقرأ : ﴿ عِظَامًا ﴾ جماعة ﴿ فَكَسَوْنَا
الْعِظَمَ ﴾ واحدًا : مجاهد . قال أبو الفتح : أمّا من وحّد فإنه ذهب إلى لفظ
إفراد الإنسان والتُّطفة والعَلقة . ومن جمع فإنه أراد أنّ هذا أمر عامٌّ فى جميع
الناس (١) .

وقد شاع عنهم وقوع المفرد فى موضع الجماعة ، نحو قول الشاعر :

* كلوا فى نصفِ بطنكمُ تعفوا *

وقال آخر (٢) :

* فى خلقكم عَظَمٌ وقد شَجِينَا *

وهو كثير ، وقد ذكرناه . إلّا أنّ من قدّم الأفراد ثم عَقَّب بالجمع أشبهه
لفظًا ، لأنّه جاورَ بالواحد لفظ الواحد الذى هو إنسان ، وسُلالة ، ونطفة ،
وعَلقة ، ومُضغة ، ثم عَقَّب بالجماعة ، لأنّها هى العَرَض . ومن قدّم الجماعة
بادر إليها ، إذ كانت هى المقصود ، ثم عاد فعامل اللفظ المفرد بمثله . والأوّل
أجرى على قوانينهم . ألا تراك تقول : من قامَ وقعدوا إخوتك ، فيحسنُ
لانصرافه عن اللفظ إلى المعنى . وإذا قلت : من قاموا وقعد إخوتك : ضعُف ،
لأنّك قد انتحيت بالجمع على المعنى ، وانصرفت عن اللفظ . فمعاودة اللفظ

(١) انظر لتوضيح هذا المحتسب ٢ : ٨٧ .

(٢) هو طفيل ، أو المسيب بن زيد مناة . وانظر ما سبق فى حواشى ٥٥٩ .

بعد الانصراف عنه تراجع ، وانتكاث ^(١) . فاعرفه وابن عليه ، فإنه كثير جدًا . انتهى .

ومنهم الزمخشري (في كشَّافه) قال عند قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ^(٢) ﴾ : فإنه وَحَدَّ السَّمْعَ مع جمع القلوب ، كما وَحَدَّ الشاعر البطنَ مع جمع كُلوأ . ومقتضى الظاهر أسماعهم وبطونكم ، لكن لما كان المراد سمع كل واحد منهم وبطن كل واحدٍ مع أمن اللبس جاز ، فإنه من المعلوم أنَّ لكل واحدٍ منهم سمعًا واحدًا وبطنًا .

وقد أورد البيت في عدَّة مواضع (من الكشاف) ، وأورده أيضًا (في المفصل) في باب التمييز ، ولم يقل شُرَّأحه كابن يعيش : إنَّه ضرورة .

ومنهم صاحب اللباب قال : وقد يقع الواحد موقع الجمع نحو قوله ٣٨١ تعالى : ﴿ فَإِنْ طِبَّنْ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ^(٣) ﴾ . ونظيره : * كُلوأ في بَعْضِ بطنكمُ تَعَفُّوْا *

وقوله : (كُلوأ في بعض بطنكم) ، قال صاحب الكشَّاف : أكل في بعض بطنه ، إذا كان دون الشَّبع ، وأكل في بطنه إذا امتلأ وشبع . وأراد بعض بطونكم . وقوله : (تَعَفُّوْا) مجزوم بحذف النون في جواب الأمر . قال ابن السيرافي : الخميص : الجائع . والخميص ^(٤) : الجُوع . أراد بوصفه الزَّمن

(١) في ش والمحسب ٢ : ٨٨ : « والانتكاث : الانصراف عن الشيء » ، وفي اللسان : « وطلب فلان حاجة ثم انتكث لأخرى أى انصرف إليها . » وفي ط : « وانتكاب » بالباء ، ولا وجه له ، فإن الانتكاب إلقاء الكتانة أو القوس على المنكب .

(٢) الآية ٧ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٤ من سورة النساء .

(٤) الخمص ، بالفتح وبالتحريك أيضا .

بخميص أنه جائع من فيه ، فالصفة للزمن والمعنى لأهله . يقول لهم : اقتصروا على بعض ما يُشبعكم ولا تملثوا بطونكم من الطعام فينفد طعامكم ، فإذا نفذ احتجتم إلى أن تسألوا الناس أن يُطعموكم شيئاً . وإن قدرتم لأنفسكم جزءاً من الطعام عَفَفْتُمْ عن مسألة الناس . انتهى .

قال شارحُ اللُّباب ، وبعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) تعفوا : من العِفَّة . ويروى : « تعيشوا » . كانوا يتلصصون ويتغاورون ، لأنهم في زمن قحط ، فقال لهم ذلك . والمعنى : كلوا قليلاً تكونوا أَعْفَاء لا يصدر منكم فعلٌ قبيح كالإغارة والتلصص . أو تعيشوا ، ولا تموتوا ، فإنَّ زمانكم زمنٌ قحط أهله جائعون . انتهى .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعلم قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الخمسمائة (١) :

٥٧٦ (لنا إبلانٍ فيهما ما عَلِمْتُم)

على أنَّه يجوز ثنية اسم الجمع على تأويل : فرقتين ، وجماعتين .

قال ابن يعيش (في شرح المفصل) : القياس يأبى ثنية الجمع . وذلك أنَّ الغرض من الجمع الدلالة على الكثرة ، والثنية تدلُّ على القلة ، فهما معنيان متدافعان ، ولا يجوز اجتماعها في كلمةٍ واحد . وقد جاء شيء من ذلك عنهم على تأويل الإفراد ، قالوا : إبلانٍ ، وَغَمَّانٍ ، وجمالان . وحكى سيبويه :

(١) انظر الأصمعيات ١٦٧ .

لقاحان سوداوان ، وإنما لقاح جمع لِقحة . هذا كلامه .

أقول : المراد من تثنية الجمع تضعيفه بجعله مثلين من نوعين ، فلا تدافع بين التثنية والجمع ، إلا إذا توجَّها إلى مفرد . وقد تقدم ما يتعلق به في الشاهد الثلاثين (١) .

وأنشده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءَانِ ﴾ (٢) من سورة القمر في قراءة التثنية (٣) ، على أنَّ المراد نوعان : ماء السماء وماء الأرض ، كما يقال : تمران وإبلان .

وهذا المصراع وقع في شعرين : أحدهما ما أنشده أبو زيد (في نوادره (٤)) ، وهو المشهور في كتب النحو والتفسير ، وتمأته :

* فعن آية ما شئتُم فتَنكَّبُوا (٥) *

وهو بيت مفرد لم يذكر غيره ولا قائله .

ونسبه الصَّاغاني (في العباب) لشُعبه بن قُمير - وهو شاعر شعبة بن قمر

(١) الخزانة ١ : ٢٠٥ .

(٢) الآية ١٢ من سورة القمر .

(٣) قراءة « الماءان » لم ينسبها الزمخشري ، وقد نسبها أبو حيان ٨ : ١٧٧ إلى علي ، والحسن ، ومحمد بن كعب ، والجحدري . وقرئ بالتثنية مع الواو « الماوان » وهي قراءة ثانية للحسن كما في الكشف وتفسير أبي حيان ، وعن الحسن أيضا : « المايان » بالياء ، كما في تفسير أبي حيان .

(٤) نوادر أبي زيد ١٤٣ . وإيراده فيها يوهم أو يرجح أنه لشعبة بن قمر ، لأن أبا زيد أورده بعد أبيات لشعبة بن قمر ، مماثلة في الوزن والروى .

(٥) أشير في النوادر وشرحها إلى رواية : « فعن أبيه » بإضافة أى الى الماء .

مخضرم ، أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يره . ذكره ابن حجر (في الإصابة ، في قسم المخضرمين) ، وقال : الإبل لا واحد لها من لفظها ، وهى مؤنثة ، لأنَّ أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، والجمع آبال . وإذا صغرتها أدخلتها الهاء فقلت أُيَّلة ، كما تقول غنيمة . وإذا قالوا ^(١) : إبلان فإنما يريدون قطعتين من الإبل . انتهى .

ومثله ما أنشده أبو تمام (فى الحماسة) من شعرٍ للمساور بن هند ، وهو :

إذا جارة شلت لسعد بن مالك لها إبل شلت لها إبلان ^(٢)

أراد : إذا جارة لسعد بن مالك شلت إبل لها شلت من أجلها قطيعان من الإبل . والشَّلَّ : الطرد .

٣٨٢

قال ابن المستوفى : قالوا فى نحوه : إبلان وعَثمان ولقاحان . ونحوه أنَّهم أرادوا به قطعتين : قطعة فى جهة ، وقطعة فى أخرى ، أو قطعتين من الإبل والغنم ، أو إبلا موصوفة بصفة غير الإبل الأخرى لتفيد التثنية معنى ما . وقوله : (عن آية) بالتونين ، والأصل عن أُيَّتهما ، فلما حُذف المضاف إليه عوض عنه التونين . والمشهور فى الكتب « فعن أيَّها » بتأنيث الضمير ، على أنَّه راجع إلى فرقة وقطعة . وروى : « وعن أيَّهما » بضمير التثنية مع تخفيف

(١) ط : « أرادوا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى الحماسة ١٦٦٣ بشرح المرزوق : « شلت بها » أى بسببها ولمكانها .

أَيَّ . وهذه الرواية واضحة . قال صاحب العباب : وانتكَب الرجل كنانته أو قوسه ، إذا ألقاها على منكبيه ؛ وكذلك تنكبها . وتنكَّبهُ : تجنَّبَهُ . انتهى .

قال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : الإبلان : جماعتان من الإبل . ولفظ الإبل في عُرفهم عبارة عن مائة بعير ، وإن جاز استعماله في أكثر منه . وقوله : (فيهما ما علمتم) قال صاحب الكتاب ، يعنى الزَّخْشَرى : أى ما علمتم من قرى الأضياف وتحمل الغرامات والديات . والتنكَّب : التجنَّب . وتنكَّب القوس : ألقاها على منكبيه . ولا يدرى مم أخذ ما في البيت (١) . نقله كله (٢) عن المقتبس .

قلت : أخذه من الثانى ، وضمَّنه معنى الأخذ . والمعنى : لنا قطيعان من الإبل فيهما ما علمتم من قرى الأضياف وتحمل الغرامات ، فخذوا عن أيَّهما ما شئتم وأردتم ، فإنَّها مباحة غير ممنوعة . ولا يبعد أن يريد : فتجنَّبوا عن أيَّهما ما دام لكم مشيئة أى أبداً . فتجنَّبوا فإنَّها محفوظة بنا . وفي هذا الوجه يكون البيت مشتقاً على السَّماحة والحماسة والقصد إلى وصف أربابها بالعزة والقوة ، وإنَّ أحداً لا يقدر على التعرُّض لإبلهم . هذا كلامه .

وقال خَضْرُ الموصلى (في شرح شواهد التفسيرين) : تنكَّبوا : اجعلوه فى منكبيكم . وعن للمجاوزه ، لأنَّ القطعة المتكَّبة (٣) قد انفصلت عن الباقي ، مِن تنكَّب القوس : ألقاها على منكبيه ، أو من نكَّب عن الطريق :

(١) أى من أى المعنيين . ش : « مم أخذها فى البيت » .

(٢) ط : « نقل كله » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ط : « المتكَّبة » ، بتقديم النون ، والوجه ما أثبت من ش .

عدل عنه ، أى اعدلوا عن أيها شتم . وما زائدة ، على معنى أن فى كل طائفة منها ما يدل على أنها للأجواد ، فانصرفوا عن أيها شتم ، خائبين عاجزين عن مجاراتنا ^(١) . انتهى .

والظاهر أن المعنى هو هذا الأخير . ويمنع المعنى الأول شيان : أحدهما : لفظي وهو تعدية تنكب بعن ، فإن المعنى على الانصراف والمجازة عنهما . والثانى : معنوي ^(٢) وهو أن الإبل لا يمكن حملها على المنكب عادة . والله أعلم .

ثم رأيت (فى شرح أبيات إيضاح الفارسي ، لابن برّي) المصراع الثانى : « فَعَنَ أَيُّهَا » ، بإفراد الضمير وتانيته . وقال : قبله :

(غداة دعا الداعى فكان صريحه نحيحا إذا كرّ الدعاء المثوب
بكلّ وآة ذات جد وباطل وطرف عليه فارس متلبب
وجمع كرام لم تمز سرّتهم حسى الذل لا دُرْد ولا متأشب ^(٣))

الصريح : الإجابة ، وهو فى معنى مُصرخ الذى هو مصدر ، كالإصراخ . يقال أصرخته ، إذا أغثته . ونحيحا : مُنحِحا . والمثوب : المنادى . والوأة ، بفتح الواو وهمزة ممدودة فهاء : الفرسُ السريعة المقتدرة الخلق ، كأنها تضمن لحاق المطلوب وتعذيه لسرعتها وقوتها . والطرف : الحصان الكريم .

٣٨٣

(١) ط : « مجازاتنا » بالزاي ، صوابه بالراء كما فى ش .

(٢) ش : « والثانى معنى » .

(٣) لم تمز ، من التمز ، وهو الشرب قليلا قليلا . ومثله التمز . وفى نوادر أنى زيد ١٤٣ : « والتمز وهو الشيء الذى تجزأ به » . وفى النسخين : « لم يزر » ، وصوابه من النوادر . والحسى : جمع حسوة ، بالضم ، وهى الشيء القليل من الشراب ، أو ما كان ملء الفم . وفى النسخين : « حشى » بالشين ، صوابه من النوادر . والدرد : جمع أدر ، وهو الذى لا أسنان له . والمتأشب :

والمُتَلَبِّبُ : المتحرِّمُ المشمِّر . وقوله : « فعن أيُّها » أعاد الضمير على مجموع الإبلين لأنَّها جماعة . وأراد بقوله « ما علمتم » المنية ، ويجوز أن تكون الهاء تنبيهاً ، والتقدير : فعن أيُّها شئتم فتتكبَّوا . وعدى تنكبَّوا بعن ، لأنَّه بمعنى اعدلوا ، ومعناه التحذير والإرشاد ، أى تنكبوا ما شئتم من ذلك فهو خير لكم . انتهى كلامه .

وقال شارح آخر لأبيات الإيضاح ^(١) : الهاء من أيُّها راجعة إلى الأصناف الثلاثة التى ذكرها قبل ، وهى راکب كلِّ واة ، وراكب كل طرف ، والجمعُ الكرام . ومراده الإيعادُ والتَّهْدِيدُ ، لا صريح الاستفهام ، كأنَّه قال : فعن أيُّها ما شئتم فتتكبَّوا هذه الإبل إن استطعتم ، أى إنَّكم لا تقدرون على ذلك . هذا كلامه .

والشعر الثانى هو شعر عوف بن عطية [بن ^(٢)] الحريص التيمي . والمصراع أوَّل قصيدة عدَّتْها سبعة عشر بيتاً . وهذه أربعة أبياتٍ من أوَّلها :

فأدوهما إن شئتم أن نُسالِما	(هما إبلانٍ فيهما ما علمتُم)
وإن شئتم عينا بعين كما هما	وإن شئتمُ القحتم وتنجتم
بناتِ المَحَاضِ والبَكَارِ المَقَاحِما	وإن كان عقلاً فاعقلوا لأخيكما
كرامِ المَحَاضِ واللِّقَاحِ الرِّوائِما	جزيتُ بنى الأعشى مكانَ لبونهم

قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى (فى شرح ديوانه) : أقبل أهل بيتٍ من ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وهم بنو الأعشى ، حتَّى نزلوا وسطَ الرُّباب ، فأغار عليهم بنو عَبدِ مناة بن بكر بن سعد بن ضبة ،

(١) ط : « وقال شارح آخر أبيات الإيضاح » ، صوابه فى ش .

(٢) التكملة من ش .

فَأَخَذُوا إِبْلَهُمْ ، فَقَالَ بَنُو الْأَعْشَى : انظُرُوا رَجُلًا مِنَ الرِّبَابِ لَهُ مَنَعَةٌ وَعِزٌّ فَادْعُوا عَلَيْهِ جَوَارِكُمْ لَعَلَّهُ يَمْنَعُكُمْ ، وَتُلَبِّسُوا بَيْنَ الْقَوْمِ شَرًّا ! فَاتُوا عَوْفَ بْنَ عَطِيَّةَ بْنِ الْخُرْعِ فَقَالُوا : يَا عَوْفُ ، أَنْتَ وَاللَّهِ جَارُنَا ، وَقَدْ أَخْبَرْنَا قَوْمَنَا أَنَّا نَزِيدُكَ . فَانْطَلَقَ عَوْفٌ إِلَى عَبْدِ مَنَاةَ فَقَالَ : أَتَدُّوا إِلَى هَؤُلَاءِ إِبْلَهُمْ . فَأَخَذُوا يَضْحَكُونَ بِهِ ، وَقَالُوا : إِنْ شِئْتَ جَمَعْنَا لَكَ إِبِلًا ، وَإِنْ شِئْتَ عَقَلْنَا لَكَ . قَالَ : أَمَّا عِنْدَكُمْ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالُوا : لَا . فَانصَرَفَ عَنْهُمْ فَقَالَ لِبَنِي الْأَعْشَى : اتَّبِعُوا مَصَادِرَ النَّعَمِ . حَتَّى إِذَا أُورِدُوا قَالَ : يَا بَنِي الْأَعْشَى لَا تَقْصُرُوا ، خَذُوا مِثْلَ إِبْلِكُمْ . فَأَخَذُوا ثُمَّ انْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا مَعَهُ عَلَى أَهْلِهِ ، فَجَاءَهُ بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ فَقَالُوا : يَا عَوْفُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : الَّذِي صَنَعْتُمْ حَمَلَنِي . فَأَخَذَ يَلْعَبُ بِهِمْ وَقَالَ : إِنْ شِئْتُمْ جَمَعْنَا لَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ عَقَلْنَا لَكُمْ . فَقَالَ عَوْفٌ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ

وقوله (١) : (هُمَا إِبِلَانِ) إِنْخَ أَيِ إِبِلِ بَنِي الْأَعْشَى وَإِبْلِكُمْ . وَأَدَّى الْأَمَانَةَ إِلَى أَهْلِهَا ، إِذَا أَوْصَلَهَا . وَالْأَسْمُ الْأَدَاءُ (٢) وَالتَّادِيَةُ .

وقوله : « وَإِنْ شِئْتُمْ أَلْقَحْتُمْ » إِنْخَ قَالَ السَّكْرِيُّ : يَقُولُ : إِنْ شِئْتُمْ فَرَدُّوْهَا ، أَوْ تَلْقَحُونَهَا وَتُنْتِجُونَهَا وَتَرُدُّونَهَا بِأَوْلَادِهَا . وَ « عَيْنُ بَعِينٍ » أَيِ رَدُّوْهَا بِأَعْيَانِهَا حَتَّى نَرُدَّهَا بِأَعْيَانِهَا . وَيُقَالُ قَدْ نَتَجَتِ الْفَرَسَ وَالنَّاقَةَ فَهِيَ مُنْتَوِجَةٌ . وَفَرَسٌ نَتَوُجٌّ : فِي بَطْنِهَا وَلَدٌ . انْتَهَى

ويقال أَلْقَحَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ إِلْقَاحًا : أَحْبَلَهَا . وَالتَّاجُ : اسْمٌ يَشْمَلُ

(١) بدله في ش : « وما » !

(٢) ط : « الأدي » ش : « الادا » ، والوجه ما أثبت كما في المعاجم .

وضَعُ البَهايم من الغنم وغيرها . وإذا وَلَّى الإنسان ناقةً أو شاةً ماخضًا حتَّى تضع قَيْلًا : نتجها نتجًا ، من باب ضرب . فالإنسان كالقابلة ، لأنَّه يتلقَّى الولدَ ويُصلح من شأنه ، فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة .

٣٨٤

وقوله : « وإن كان عقلاً فاعقلوا » إلخ يقال عَقَلَتْ عنه : غرمت عنه مالزمه من دية وجناية . وابن مَحَاضٍ : ولد الثاقة يأخذ في السنة الثانية ، والأنثى بنتُ مَحَاضٍ ، والجمع فيهما بنات مَحَاضٍ . والبكار : جمع بكرة ، ككلاب جمع كلبة . والبكرة : الصَّغيرة الشابة من الثوق ، والذكر بَكَر . والمَقاحم : جمع مُقَحَّم بضم الميم وفتح الحاء : البعير الذي يُربَّع ويُثنى في سنة واحدة ، فَيُقَحَّم ^(١) سنًا على سنٍّ . قال الأصمعي : وذلك لا يكون إلَّا لابن الهرميين . قال السكري : يقول : إن صار الأمر إلى عقل أخيكم الذي أخذت إبله فاعقلوا بناتِ المَحَاضِ والبكارَ المَقاحِمَ ، أى اجمعوا له الرذالة فادَّووها إليه . وهذا هزءٌ بهم ^(٢) .

وقوله : « جَزَيْتُ بنى الأعشى » إلخ يريد أنَّه عَوَّضَهُمْ إِبِلًا خيرًا من إبلهم . قال السكري : والمَحَاضُ : الحوامل ، وأحدثها خَلْفَةٌ . واللِّقَاح : ذوات الألبان ، وأحدثها لِقْحَةٌ بكسر فسكون . ويقال أيضًا لِقُوح ، والجمع لُقُح بضمَّتَيْن . والرَّوَّامُ : جمع رَأم ، وهى التى أَحَبَّت ولدها وعُطِفَتْ عليه . يقال قد رَئِمَتْهُ أُمُّهُ رِئَمًا . ورَأمُها : ما عُطِفَتْ عليه من ولد غيرها أو بَوٍّ . انتهى .

(١) فى النسختين : « فحقهم » ، ووجهه ما أثبت .

(٢) رسمت فى ش : « هزؤ بهم » .

وعوف بن عطية بن الخرع تقدّمت ترجمته في الشاهد الحادى
والسبعين بعد الأربعمائة (١) .

تَمَّة

من أمثلة تثنية اسم الجمع : قومان . قال الفرزدق :
وكلُّ رفيقٍ كلُّ رحلٍ وإنّهما تعاطى القنا قوماًهما أخوان
واستشهد به ابن عصفور (فى شرح الجمل الكبير) على تثنية قوم .
وكذا ابن مالك (فى شرح التسهيل) . فقوماهما فاعل تعاطى ، وحذف نون
التثنية للإضافة إلى هما .
وفيه شاهدٌ أيضاً على تثنية المضاف إلى اثنين المرجوحة ، فيكون من
قبيل :

« ظهراهما مثل ظهورِ الترسين (٢) »

ومعنى البيت أنّ كل رفيقين فى السّفر أخوان وإن تعادى قوماهما
وتعاطوا المطاعنة بالقنا . ورخّل الشخص : مأواه فى الحضر ، ثم أطلق على
أمتعة المسافرين ، لأنّها هناك مأواه .

وهذا البيت مع وضوح معناه قد حرّفه أبو علىّ الفارسي (فى المسائل
البغداديات) بتنوين قوم ، وزعم أنّه مفرد منصوب ، فاختلّ عليه معنى البيت
وإعرابه ، فاحتاج إلى أن صحّحه بتعسّفات وتمحّلات كان غنياً عنها ،

(١) ش : « الواحد » بدل « الحادى » . وانظر الخزانة ٦ : ٣٧٠ .

(٢) انظر ما سبق فى ٥٤٤ .

ومقامه أعلى وأجل من أن يُنسب إليه مثل هذا التحريف ، ولكن هو كما قيل :
 * كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معاييه (١) *

وقد تبعه على هذا التحريف والتخريج ابن هشام (في معنى اللبيب)
 ولخص كلامه من غير أن يعزوه إليه . وأنقل لك كلامهما حتى لا تقضى
 العجب منهما .

قال أبو علي (في البغداديات) : ينشد بيت الفرزدق وهو :-
 وكل رفيق كل رجل البيت

وفيه غير شيء من العربية . فمنه : قال تعاطى وقد تقدّمه اثنان ولم يقل
 تعاطيا . فإن قلت : إنه حذف لام الفعل من تعاطى لالتقاء الساكنين ولم يردّه
 إلى أصله للضرورة فيقول تعاطيا ، فهو قول . وهذه الضرورة عكس ما في قول
 امرئ القيس :

* لها متنتان خطاتا (٢) *

لأن هذا البيت اللام في موضع وجب حذفها ، مثل رَمَتَا ، لأن الحركة
 للقاء في رَمَتَا غير لازمة ، والفرزدق حذفه في موضع وجب إثباته ، لأنك تقول

(١) البيت ليزيد بن محمد المهلب ، كما في زهر الآداب ٥٥ ونهاية الأرب ٣ : ٩٤ والتمثيل
 والمحاضرة للثعالبي ٩٣ . وورد في جمهرة الأمثال للعسكري ٢ : ٢٨٣ والتبيه على أمالي القائل ص
 ١٥ بلون نسبة . وصلره :

• ومن ذا الذي ترضى سجايه كلها •

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ١٦٤ . وقد سبق في ص ٥٠٠ . والبيت بتمامه :

لها متنتان خطاتا كما أكب على ساعديه النمر

تعاطيا وتراميا . وإن قلت تعاطى تفاعل ، والألف لام الفعل ليست بضميره ، وفي الفعل ضمير واحد وإن كان في اللفظ مثنى ، فهو في المعنى كناية عن كثرة ، وليس المراد بالتثنية هنا اثنين فيحمل الكلام عليها ، ولكنه في المعنى يرجع إلى كل ، فحملت الضمير على كل ، فهو قول ^(١) . ويقوى هذا : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ^(٢) ﴾ . ألا ترى أَنَّ الطائفتين لَمَّا كانتا في المعنى جمعا لم يرجع الضمير إليهما مثنى لكنه جمع على المعنى . وكذلك تعاطى ، أفرد على المعنى إذ كان لكل ، ثم حمل بعد الكلام على المعنى فقال : هما أخوان . فالقول فيهما أَنَّهُ مبتدأ في موضع خبر الابتداء الأول وهو كل ، وثناؤه وإن كان في المعنى جمعا للدلالة المتقدمة أَنَّ المراد بهذه التثنية الجمع . ألا ترى أَنَّ قوله كل رقيق كل رجل ، جمع ؟ ونظيره قوله ﴿ بَيْنَهُمَا ﴾ بعد : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ .

٣٨٥

فإن قال قائل : إنَّ هُما يرجع إلى رقيقين على قياس قولهم في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ ^(٣) ﴾ فهو عندنا مخطيء ، لأنَّ الاسم الأول يبقى متعلقا بغير شيء . وهذا القول ينتقض في قول من يقول به ، لأنَّه عندهم يرتفع بالثاني ، أو بالراجع إليه ، فإذا لم يكن له ثاني كان إيَّاه في المعنى ولم يعد إليه شيء ، وجب أن لا يجوز ارتفاعه به عندهم . والجملة التي هي هما أخوان رفع خبر لكل . ولا أستحسن أن يكون هما فصلا

(١) فهو قول ، ساقط من ش .

(٢) الآية ٩ من الحجرات .

(٣) الآية ٢٣٤ من البقرة .

لو كان المبتدأ والخبر معرفتين ، لأننى وجدت علامة ضمير الاثنين يُعنى به الجمع في البيت والآية ، وفي قول الآخر ^(١) :

إِنَّ المنيَّةَ والخُتوفَ كلاهما يُوفى المَخارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي

وقوله : ﴿ إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(٢) ، ونحو هذا . ولم أجد الاثنين المظهرين يُعنى بهما الجمع والكثرة . فإن كان كذلك جعلت هما مبتدأ وجعلت أخوان خبره ، وحملته على لفظ هما دون معناه . ولو جعلت هما فصلاً وكان الاسمان معرفتين وما قرب منهما ، وجعلت أخوان خير كل لم يمتنع ، لأن الاثنين المظهرين قد عني بهما الكثرة أيضاً . ألا ترى أنَّ في نفس هذا البيت : وكل رفيقى كل رجل ، وليس الرفيقان باثنين فقط ، وإنما يراد بهما الكثرة . فكذلك يراد بأخوان الكثرة . إلا أنَّ قوله : « وكل رفيقى » في الحمل على الجمع أحسن من حمل أخوان على الجمع ، لأنَّ المعنى في قوله : وكل رفيقى كل رجل : كل الرفقاء ، إذا كانوا رفيقين رفيقين فهما أخوان . وإن تعاطى كُلُّ واحد مغالبة الآخر ، لأجتماعهما في السفرة والصحبة . فالقول الأوَّل في هذا هو الوجه . ومثل هذا قولهم : هذان خير اثنين في الناس ، وهذان أفضل اثنين في العلماء . فيدلُّك على أنَّ الاثنين في قولنا : هذان خير اثنين في الناس ، والرفيقين في هذا البيت ، ما يذهب إليه سيويوه ، من أنَّ المعنى : إذا كان الناس اثنين اثنين فهذا أفضلهم ، وإضافة رفيقين في هذا البيت إلى كل رجل ، لو كان المراد بهما اثنين فقط لكانت هذه

(١) هو الأسود بن يعفر النهشلي . المفضليات ٢١٦ .

(٢) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

الإضافة مستحيلة ، لأنَّ رفيقين اثنين لا يكونان لكلَّ رجل . ففى هذا البيت دليلٌ على أنَّ رفيقين يراد بهما الكثرة . وفيه أنَّ حملهما على معنى كلٍّ ، وفيه الوجهان اللذان حملناهما تعاطى .

فأما قوله قوماً فيحتمل ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون بدلا من القنا ، لأنَّ قومهما من سببهما وما يتعلَّق بهما . ويحتمل أن يكون مفعولاً له ، وكأنه قال : وإن هما تعاطيا القنا للمقاومة ، أى لمقاومة كلِّ واحد منهما صاحبه ومغالبيته . ويحتمل أن يكون مصدراً من باب ﴿ صُنِعَ اللَّهُ ^(١) ﴾ و ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ^(٢) ﴾ لأنَّ تعاطى القنا يدلُّ على مقاومة . فتحمل قوماً على هذا كما حملت ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ﴾ على ما تقدَّم فى الكلام ، مما فيه وعدٌ . هذا آخر كلامه .

٣٨٦

وقال ابن هشام (فى المغنى) : هذا البيت من المشكلات لفظاً ، وإعراباً ، ومعنى . فلنشرحه .

قوله : كلَّ رجل ، كلَّ هذه زائدة ، وعكسه حذفها فى : ﴿ على كلِّ قلبٍ متكبرٍ ^(٣) ﴾ فيمن أضاف . وتعاطى أصله تعاطيا ، فحذفت لامه للضرورة . وعكسه إثبات اللام للضرورة فيمن قال :
* لها مَثْنَتَانِ خطاتا *

إذا قيل إنَّ خطاتا فعل وفاعل ، أو أَلْف تعاطى لامُ الفعل ووحد الضمير لأنَّ الرفيقين ليسا باثنين معيّنين ، بل هما كثير ، كقوله تعالى :

(١) من الآية ٨٨ فى سورة النمل .

(٢) من الآية ١٢٢ فى سورة النساء ، وآيات أخرى .

(٣) من الآية ٣٥ من سورة غافر .

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ^(١) ﴾ ، ثم حمل على اللفظ إذ قال : هما أَخَوَانٌ ، كما قِيلَ : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ^(٢) ﴾ . وجملة هما أَخَوَانٌ خبر كَلِّ . وقوله : قَوْمًا إِمَّا بَدَلٌ مِنَ الْقَنَا لِأَنَّ قَوْمَهُمَا مِنْ سِبْهِمَا إِذْ مَعْنَاهُ تَقَاوُمُهُمَا ، فحذفت الزوائد فهو بدل اشتغال . وإِمَّا مفعول لأجله ، أى تعاطيا القنا لمقاومة كُلِّ منهما للآخر ، أو مفعول مطلق من باب ﴿ صُنِعَ اللَّهُ ﴾ لِأَنَّ تَعَاطَى الْقَنَا يَدُلُّ عَلَى تَقَاوُمِهِمَا . ومعنى البيت : أَنَّ كُلَّ الرَّفَقَاءِ فِي السَّفَرِ ، إِذَا اسْتَقْرُوا رَفِيقَيْنِ رَفِيقَيْنِ فَهُمَا كَالْأَخَوَيْنِ ، لاجتماعهما فِي السَّفَرِ وَالصُّحْبَةِ ، وَإِنْ تَعَاطَى كُلُّ مَنَّهُمَا مَغَالِبَةَ الْآخَرِ . انتهى كلامه .

وهذا كله كما ترى فاسدٌ لفساد أساسه . وقد تنبّه له الدماميني (في الحاشية الهندية) إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى كَلَامِ أُنَى عَلَى ، وقال : أطال المصنف ، يعنى ابن هشام ، في تقرير ما يزيل الإشكال الذى ادّعاه ، وكله مبني على حرف واحد ، وهو ثبوت تنوين قَوْمًا من جهة الرواية ، ولعلها ليست كذلك . وإنما هي « قوماهما » تننية قوم ، والمثنى مضاف إلى ضمير الرفيقين . ولا إشكال حينئذٍ لا لفظًا ، ولا إعرابًا ، ولا معنى . وقد رأيت في نسخة (من ديوان الفرزدق) هذا البيت مضبوط الميم من « قوماهما » بفتحة واحدة ، وملكت هذه النسخة في جلددين . وضبط هذا البيت هو الذى كان باعثًا على شرائها . والله الحمد والمثنة . انتهى .

(١) من الآية ٩ في سورة الحجرات .

(٢) من الآية السابقة .

وقد نقل العيني^(١) كلام ابن هشام بعينه (في شرح شواهد الألفية)
من غير غزوٍ إليه .

صاحب الشاهد
والبيت من قصيدة للفرزدق خاطب فيها ذئبًا أتاه وهو نازلٌ في بعض
أسفاره ، وكان قد أوقد نارا ، ثم رمى إليه من زاده . وقال له : تعش ، وينبغي
أن لا يخون أحدٌ منا صاحبه حتى نكون مثل الصّاحبين .

وقال أبو عبيدة (في كتاب الضيفان ^(٢)) : ضاف الفرزدق
ذئب^(٣) ، ومعه مسلوخ ، فألقى إليه رُبع الشاة ، وأراد أصحابه طرده
فنهاهم ، ثم ألقى إليه الرُبع الآخر فشبع ، فقال الفرزدق هذه القصيدة ، وهذه
أبيات منها ^(٤) :

أبيات الشاهد
(وأطلس عسّالٍ وما كان صاحبًا دعوتُ لنارى موهنا فأتاني ^(٥)
فلما أتاني قلتُ دونك إنني وإياك في زادي لمُشتركان
فبتُ أقدُ الزادَ بيني وبينه على ضوءِ نارٍ مرّةً ودُخان
فقلتُ له لما تكشّر ضاحكًا وقائمُ سيفي في يدي بمكان ^(٦)
تعشّ فإنّ عاهدتني لا تخونني نكنّ مثل من ياذئبُ يصطحبان ^(٧)
وأنت امرؤُ يا ذئبُ والغدرُ كنتما أخيين كانا أرضعنا يلبان

(١) العيني : ٤٦٣ عرضا .

(٢) هذا النص نقله أيضا في العيني ١ : ٤٦١ .

(٣) يقال ضافه وتضيفه : نزل به وصار له ضيفا .

(٤) ديوان الفرزدق ٩٧٠ والعيني ١ : ٤٦٢ .

(٥) في الديوان : دعوت بنارى .

(٦) الديوان : من يدي .

(٧) في الديوان : فإن واثقتي لا تخونني .

ولو غَيْرَنَا نَبِهَتْ تَلْتَمِسُ الْقِرَى رماك بسهم^(١) أو شِباة سِنَانِ
وكلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحِلٍ وَإِنْ هَا تعاطَى القنا قوماهُما أَخَوَانِ

والأطلس : الأغبر من الذئاب . والواو واو رب . وعَسَّال : صفة مبالغة من الْعَسْلَان ، وهو مَثْنَى الذئب باضطراب وسرعة . والمَوْهَن ، بفتح الميم وكسر الهاء : ساعة تمضي من الليل . وأَقْدُ : أقطع طولا . والتكشُر : ظهور الأسنان عند الضحك . وتعشَّ : أمر من تعشَّى . والبيت شاهد لإطلاق مَنْ على اثنين ، لقوله يصطحبان . وأُخَيَيْن : مصغَّر أخوين . واللِّبَان بالكسر : لبن الآدمي . وشِباة كُلِّ شَيْء : حُدّه ، وهو بفتح الشين المعجمة والموحدة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الخمسمائة^(٢) :
٥٧٧ (لَأَصْبَحَ الْحَيُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجِئُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ)
على أَنَّهُ يَجُوزُ تَثْنِيَةُ الْجَمْعِ الْمَكْسَرِ ، فَإِنَّ جِمَالَيْنِ مَثْنَى جِمَالٍ ، أَيْ قَطِيعَيْنِ مِنَ الْجِمَالِ .

وأورده صاحبُ الكشف عند قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾^(٣) على تثنية الضمير مع أَنَّ المرجع السموات والأرض ، بإرادة ما بين الجنسين .

(١) في الديوان : : أذاك بسهم .

(٢) مجالس ثعلب ١٧١ والأغاني ١٨ : ٤٩ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ والمقرب ٨٠ والممع ١ :

٤٢ .

(٣) الآية ٦٥ من سورة مريم و ٢٤ من الشعراء و ٥ من الصافات و ٦٦ من ص و ٧ من الدخان و ٣٧ من النبأ .

وقال (فى المفصل) : وقد يُثنى الجمع على تأويل الجماعتين والفريقين .
أنشد أبو زيد :

* لنا إبلاّن فيهما ما علمتم ^(١) *

وفى الحديث : « مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين ^(٢) » . وأنشد
أبو عبيد :

لأصبحَ الحى أوبادًا ولم يجلوا البيت

وقالوا : لقاحانِ سوداوانِ . وقال أبو النجم :

* بين رماحى مالك ونهشل ^(٢) * انتهى

والحديث رواه نافع عن ابن عمر ، والمروى فيه : « مثل المنافق مثل
الشاة العائرة بين غنمين ، تُعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة ، لا يُدرى أيهما
تتبع » . والعائرة بالعين المهملة : المترددة ، مِنْ عار الفرس ، إذا ذهبَ هنا
وهنا . شبه المنافق فى تردده وعدم ثباته على جانب بالشاة المترددة بين قطيعين
من الغنم ، لا تستقرُّ فى قطع . ويقال : سهم عائر وحجر عائر ، إذا لم يُعلم
من أين هو ، ولا مَنْ رماه .

ولم يقيّد الجمع بالمكسر ^(٣) كما قيّده الشّارح المحقق به ، احترازًا من
الجمع المصحّح ، لئلاّ يجتمع فيه إعرابانِ بالحروف ، وهو ممتنعٌ لوضوحه .

(١) انظر الشاهد السابق .

(١) رواه النسائى فى كتاب الإيمان وشرائعه ٨ : ١٢٤ ، كما رواه أحمد فى ٢ : ٣٢ ، ٤٧ ،
٦٨ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٤٣ ، ٢٨٣ أولى ، من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) شرح شواهد الشافعية ٣١٢ وابن يعين ٤ : ١٥٥ . وانظر الخزانة ٢ : ٣٩٤ .

(٣) يعنى الرمحشرى فى المفصل .

واللِّقَاح : جمع لَقُوح ، وهى النَّاقَةُ ذاتُ اللَّبَنِ ، مثل قِلَاصٍ وَقِلُوصٍ .
وقال ثعلب : اللِّقَاح جمع لِقْحَةٍ بالكسر ، وإن شئتَ لَقُوح ، وهى التى
تُنتَجُ ، فهى لَقُوحُ شهرين أو ثلاثة ، ثم هى كَبُونٌ بعد ذلك . وتقدّم شرح قوله :
* بين رماحى مالك ونهشل *

فى باب الندبة ^(١) .

وقوله : (لأصبح الحى أوياداً) البيت ، قبله :
سعى عقلاً فلم يترك لنا سيّداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين)
أنشدهما أبو عبيد القاسم بن سلام البغداديّ (فى أمثاله) وقال :
استعمل معاوية بن أبى سفيان ابن أخيه عمرو بن عبّة ^(٢) بن أبى سفيان ،
على صدقات كلب ، فاعتدى عليهم ، فقال عمرو بن العَدَاء الكلبىّ هذا صاحب الشاهد
الشعر .

و (سعى) فى الموضعين ، من سَعَى الرجلُ على الصدقة ، أى الزكاة
يسعى سعيّاً : عمل فى أخذها من أربابها . وعقلاً وعقالين منصوبان على
الظرف ، أراد : مدّة عقّال ، ومدّة عقالين . والعقّال : صدقة عام . قال
٣٨٨ الأصمعى : بُعث فلانٌ على عقّال بنى فلان ، إذا بُعث على صدقاتهم . قال
أبو عبيد : هذا كلام العرب المعروف عندهم . فأما ما روى أنّ عمر كان
يأخذ مع كل فريضة عقلاً وروءاً ، فإذا دخلت إلى المدينة باعها ثم تصدّق

(١) هو الموضع الذى سبقت الإشارة إليه من الخزنة ٢ : ٣٩٤ .

(٢) ش : « عمرو بن أبى عبّة » تحريف . وقد كتب ناسخ ش تعليقا بخطه : « كذا بخط
المؤلف ، وصوابه عمرو بن عبّة » . وانظر لعمرو بن عبّة جمهرة ابن حزم ١١٢ ، وقد ذكر أنه قتل
مع ابن الأشعث ، وأن عقبه بالبصرة . منهم العتبى الشاعر . وانظر المعارف ١٥١ .

بتلك العقل والأروية ؛ فالعقال : الحبل الذى يُعقل به البعير ، والرّواء : الحبل الذى يُقرن به البعيران .

وقالوا فى قول أبى بكر : « لو منعونى عقلاً ممّا أدّوا إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » : يعنى بالعقال صدقة عام ، وقيل أراد الحبل الذى كانت تُعقل به الفريضة المأخوذة فى الصدقة . وهو بالحبل أولى فى هذا الموضع ، لأنّ الإنسان إنما يذكر فى مثل هذا الموضع الأقلّ لا الأكثر ، بناء على قوّة العزّة فى الأدنى ، فكيف فى الأعلى . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل ^(١)) ، بعد نقل كلام أبى بكر ، رضى الله عنه : قوله : « لو منعونى عقلاً » على خلاف ما تتأوله العامة . ولقول العامة وجه قد يجوز ، فأما الصحيح فإنّ المصدّق إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمناً قيل : أخذ عقلاً . وإذا أخذ الثمن قيل : أخذ نقداً .

وقال الشاعر :

أتانا أبو الخطاب يضرب طبله فردّ ولم يأخذ عقلاً ولا نقداً ^(٢)

والذى تقول العامّة تأويله : لو منعونى ما يُساوى عقلاً فضلاً عن غيره . وهو وجه . والأوّل هو الصحيح ، لأنّه ليس له عليهم عقال يُعقل به البعير فيطلبه فيمنعه ، ولكن مجازه فى قول العامّة ما ذكرنا . وهو من كلام

(١) الكامل ٢٢٢ ليسك .

(٢) بعده فى حواشى الكامل : « كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول » .

العرب (١) : أَنَا بَجْفَنَةٍ يَقَعْدُ عَلَيْهَا ثَلَاثَةٌ ، أَيُّ لَوْ قَعْدَ عَلَيْهَا ثَلَاثَةٌ لَصَلَحَ .
انتهى .

وقال ثعلب (في أماليه) : الْعِقَالُ : صَدَقَةٌ سَنَةٍ فِي خَيْرِ أُنَى بَكَرٍ :
« لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا » . وَأَنشُدَ الْبَيْتَيْنِ .

وَالسَّبْدُ ، بَفَتْحَتَيْنِ ، الشَّعْرُ وَالْوَبَرُ .

وقال ابن السَّيِّدِ (في شرح أدب الكاتب) : إِذَا قِيلَ : مَا لَهُ سَبْدٌ
وَلَا لَبْدٌ ، فَمَعْنَاهُ مَا لَهُ ذُو سَبْدٍ ، وَهُوَ الْإِبِلُ وَالْمَعَزُ ، وَلَا ذُو لَبْدٍ ، وَهُوَ الْغَنَمُ .
ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ مَثَلًا مَضْرُوبًا لِلْفَقْرِ ، فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ لَا مَالَ لَهُ أُنَى
شَيْءٍ كَانَ . فَمِنْهُ مَجَازٌ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : إِيقَاعُهُمُ النَّفْسَ عَلَى السَّبْدِ وَاللَّبْدِ ، وَهُمْ يَرِيدُونَ نَفْسَ مَا لَهُ
السَّبْدُ وَاللَّبْدُ .

وَالثَّانِي : اسْتِعْمَالُهُمْ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ فِي
الْإِبِلِ وَالْمَعَزِ وَالْغَنَمِ خَاصَّةً . انْتَهَى .

وقوله : « فَكَيْفَ » هُوَ ظَرْفٌ مَعَ عَامِلِهِ الْمَحْذُوفِ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ
خَيْرٌ لِمَبْتَدَأِ مَحْذُوفٍ ، أَيُّ كَيْفَ حَالُنَا . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ دَلِيلُ جَوَابِ لَوْ . يَقُولُ :
تَوَلَّى هَذَا الرَّجُلُ عَلَيْنَا سَنَةً فِي أَخْذِ الزَّكَاةِ مَتْنًا فَلَمْ يَتْرِكْ لَنَا شَيْئًا لَظَلَمَهُ إِيَّانَا ،
فَلَوْ تَوَلَّى سَتَيْنِ عَلَيْنَا عَلَى أَيِّ حَالٍ كُنَّا نَكُونُ ؟

وقوله : « لِأَصْبَحَ الْحَيُّ » إِنْخٍ ، اللَّامُ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ (٢) . وَزَعَمَ

(١) كلمة « هُوَ » لَيْسَتْ فِي الْكَامِلِ .

(٢) ط : « جَوَابُ الْقَسَمِ » ، صَوَابُهُ فِي ش. مَعَ أَثَرِ تَصْحِيحٍ .

خضر الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين ^(١)) أن اللام فى جواب « لو » المتقدمة . وهو ذهول عما قبله . والحنى : القبيلة . والأوياد : جمع وبَد بفتحين ، قال الجوهري : الوبد بالتحريك : شدة العيش وسوء الحال ، مصدرٌ يوصف به فيستوى فيه الواحد والجمع ، ثم يجمع فيقال أوياد ، كما يقال غلَّ وغلول ، على توهم النعت الصحيح . وأنشد البيت .

وقال ابن برّى (فى شرح أبيات الإيضاح للفارسي) : الوجه أن يكون جمع وبَد ، وهو السيئ الحال ، كفخذ وأفخاذ . انتهى .

والهيجاء : الحرب ، قال ابن ولاد (فى المقصور والمدود) : الهيجاء ثمَّ وثَقَصَر . قال الشاعر ^(٢) :

* يا رُبَّ هَيْجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا *

وقال آخر ^(٣) :

* إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا ^(٤) * انتهى .

وهي مؤنثة كما فى البيتين .

(١) ط : « التفسير » ، صوابه فى ش . والتفسيران هما تفسير الزمخشري المسمى بالكشاف ، وتفسير البيضاوى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل .

(٢) هو لبيد . ديوانه ٣٤٠ والأغاني ٤ : ٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والجمع ٢ : ٢٥ .

(٣) البيت مجهول القائل . وانظر ابن يعيش ٢ : ٤٨ ، ٥١ والمغنى ٥٦٣ .

(٤) عجزه كما فى المراجع المتقدمة ، والمقصود والمدود لابن ولاد ١١٧ :

« فحسبك والضحاك سيف مهند »

وهذه الكلمة مع شهرتها لم يوردها القالى (فى المقصور والممدود) مع أنه استقصى النوعين ^(١) فى كتابه .

وثنى الجمال لأنه جعلها صنفين : صنفًا لترحلهم يحملون عليها أثقالهم ، وصنفًا لحربهم يركبونه إذا جنّبوا خيلهم . ويؤيده رواية أبى الفرج : « يوم الترحل والهيجا ^(٢) » . و (أوبادًا) : خبر أصبح إن كانت ناقصة ، وحال من القوم إن كانت تامة . وروى أبو الفرج : « لأصبح الحى أوقاصًا » ، وهو جمع وقص بفتححتين ، وقد تسكن القاف : ما بين الفريضتين من نصب الزكاة مما لا شىء فيه . فعلى هذه الرواية حذف مضاف ، أى لأصبح مال الحى أوقاصًا ، أى لا يوجد عندهم فى العام الثانى ما يجب فيه الصدقة .

وعَمَرُو بن عَدَاءِ الكلّبي : شاعرٌ إسلاميٌّ .

عمرو بن عداء

* * *

تم بعون الله تعالى وحسن تيسيره الجزء السابع
من خزانة الأدب بتقسيم محققها

(١) ش : مع استقصاء النوعين .

(٢) ط : « والهيجا » ، صوابه بالقصر كما فى ش والأغاني ١٨ : ٤٩ . ولا يستقيم الوزن بمد

الهيجا .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

٢٩٦	« قصة يهس »	٣٤	قيس بن الخطيم
٢٩٦	يهس بن صهيب	٣٧	الأخس بن شهاب
٣٣٦	عبد الله بن معاوية	٤٩	عبد مناف بن ريع
٢٥٣	« الكلمات المختصة بالنفى »	٦٧	حرقة بنت النعمان
٣٨٣	الريبع بن ضبع	٨١	الحارث بن ظالم
٤٤٠	عارق الطائي	١٣٠	من اسمه عفاق
٤٤٦	قريط بن أنيف	١٣٠	عفاق بن مري
٤٦٧	واثلة بن الأسقع	١٤٧	« نيران العرب »
٤٧٥	عصام بن عبيد الزماني	١٥٣	المخلق بن جزء
٤٨٩	على بن بدال	١٩٦	خدش بن زهير
٤٩٧	الحصين بن الحمام	٢٥٢	المرار الفقعى
٥١٨	عمارة بن زياد العيسى	٢٥٧	عبيد الله بن العباس
٥٢٣	الكميت بن ثعلبة	٢٦٠	معن بن أوس
٥٢٤	أنس بن مدركة	٢٦٧	حسن بن زيد
٥٨٥	عمرو بن عداء الكلبي	٢٨٤	ابن قيس الرقيات
٢٩٣	« قصدة قصيرة »		

(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الظروف

- ٥٠١ أما تَرَى حَيْثُ سُهَيْلٌ طالعا ٣
- ٥٠٢ فشدَّ ولم تَفْزَعْ بيوتٌ كثيرةٌ لدى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعِمَ ٨
- ٥٠٣ للفتى عَقْلٌ يعيش به حيث تَهْدِي سَاقَهُ قَدُمُهُ ١٩
- ٥٠٤ ترفعُ لى حِندَفٌ واللهُ يرفعُ لى نَارًا إذا حَمَدَتْ نيرانهم تَقِدُ ٢٢
- ٥٠٥ إذا قَصُرَتْ أسيافنا كان وصلُّها خطانا إلى أعدائنا فنضاربُ ٢٥
- ٥٠٦ حتَّى إذا أسلَّكوهم فى قُتائِدَةٍ شَلًّا كما تَطْرُدُ الجمَّالة الشُّردا ٣٩
- ٥٠٧ فأضحى ولو كانت خراسان دُونَهُ رآها مكانَ السُّوقِ أوهى أَقربا ٥٠
- ٥٠٨ فبينما نَسوقُ النَّاسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهم سُوقةً نَتَنَصَّفُ ٥٩
- ٥٠٩ بينا نَعْتَقِهِ الكِماءَ ورَوِّغِهِ يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرَى سَلَفُغِ ٧١
- ٥١٠ فقام أبو لَيْلى إِلَيْهِ ابنُ ظالمٍ وكان إذا ما يَسْتَلُّ السَّيْفَ يضربُ ٧٧
- ٥١١ من أينَ عشرونَ لها مِن أنى ٨٣

- ٥١٢ صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهْنٌ وَرُقْنَه
لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ النَّوَابِ ٨٦
- ٥١٣ فَأَصْبَحَتْ أَنَّى تَاتِيهَا تَبْشُرُهَا
كَلَا مَرْكَبِيهَا تَحْتَ رَجْلِكَ شَاجِرُ ٩١
- ٥١٤ شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ
مَتَى لَجِجَ خُضْرُ لَهْنٍ نَتِيجُ ٩٧
- ٥١٥ أَوْ رَاعِيَانِ لُبْعَانِ لَنَا شَرِبَتْ
كُنَى لَا يَحْسُنَانِ مِنْ بُعْرَانَا أَثَرَا ١٠٢
- ٥١٦ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ لِمَ أَسْلَمْتَنِي
لَهْمُومَ طَارِقَاتٍ وَذِكْرَ ١٠٨
- ٥١٧ فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمَا
وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أَنَّى غَلَامُ ١١١
- ٥١٨ طَارُوا عَلَاهُمْ فِطْرُ عَلَاهَا
وَاشْدُدْ بِمَنْتَى حَقَبٍ حَقَوَاهَا ١١٣
- ٥١٩ فَلَوْلَا نَبْلٌ غَوْضِي فِي
حُطْبَيَّائِي وَأَوْصَالِي ١١٦
- ٥٢٠ وَلَوْلَا دِفَاعِي عَنْ عِفَاقٍ وَمَشْهَدِي
هَوَتْ بِعِفَاقٍ عَوْضُ عَنَقَاءِ مُغْرَبُ ١٢٩
- ٥٢١ رَضِيعَتِي لِبَانٍ ثَدْيِي أَمْ تَقَاسِمَا
بِأَسْحَمِ دَاجٍ عَوْضُ لَا تَنْفَرُقُ ١٣٨
- ٥٢٢ لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مُذْ أَمَسَا
١٦٧
- ٥٢٣ لَا إِلَهَ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ
عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخْزُونِي ١٧٣

باب النكرة والمعرفة

- ٥٢٤ فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ عَامٍ
أُظْهِرِي كَانَ أُمُّكَ أَمْ حَمَارُ ١٩٢
- ٥٢٥ أَرِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رَكَابَنَا
لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَانَ قَدِ ١٩٧
- ٥٢٦ يَا خَلِيلِي أَرْبَعًا وَاسْتَحْبِرَا الْ
حَمَزِلَ الدِّرَاسِ مِنْ أَهْلِ الْحَلَالِ ٢٠٥
- ٥٢٧ أَمَّا وَالْذَّمَاءِ الْمَائِرَاتِ تَخَالُهَا
عَلَى قَنَةِ الْعَزَى وَبِالنَّسْرِ عِنْدَمَا ٢١٤

باب العلم

- ٥٢٧ سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمُودُ ٢٣٤
- ٥٢٨ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ ٢٤٣
- ٥٢٩ سَكَنُوا شُبَيْثًا وَالْأَحْصَى وَأَصْبَحْتُ نَزَلْتُ مَنَازِلَهُمْ بَنُو ذِيانٍ
- وَإِذَا فَلَانٌ مَاتَ عَنْ أَكْرُومَةٍ رَقَعُوا مَعَاوِرَ فَقْدِهِ بِفَلَانٍ ٢٤٨
- ٥٣٠ أَخَذْتُ بَعِينَ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ وَبِالَّذِينَ حَتَّى مَا أَكَاذُ أَدَانُ
- وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي الْغَنَى وَرَدَّ فَلَانٌ حَاجَتِي وَفَلَانٌ ٢٥٣
- ٥٣١ اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْ عَطِيَّتِهِ عَلَى هَنٍ وَهَنٍ فِيمَا مَضَى وَهَنٍ ٢٦٣
- ٥٣٢ يَا رَبِّ يَا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسْأَلُ
- ٥٣٣ قُلْ لَابْنِ قَيْسٍ أَخِي الرُّقِيَّاتِ مَا أَحْسَنَ الْعِرْفَ فِي الْمَصِيبَاتِ ٢٧٨
- ٥٣٤ وَمِنْ طَلَبِ الْأُوتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَرَامَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ يَمْسُ
- نِعَامَةً لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ ٢٩٠
- ٥٣٥ أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ أُمِّلْ عَلَيْهَا بِالْبَلَى الْمَلَوَانِ ٣٠١
- ٥٣٦ وَلَهَا بِالْمَاطِ—رُونِ إِذَا أَكَلَ التَّمْلُ الذِي جَمَعَا ٣٠٩
- ٥٣٧ لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتَ إِنَّ لَوْا وَإِنْ لَيْتَا عَنَاءَ ٣١٩
- ٥٣٨ أَشْلَى سَلُوقِيَّةً بَاتَتْ وَبَاتَ بِهَا بُوْحَشٍ إِصْمِتَ فِي أَصْلَابِهَا أَوْدُ ٣٢٤
- ٥٣٩ تَأْنِي لَهُ ذَاكَ بَنَاتُ الْبَيْتِ ٣٤٥

أسماء العدد

٣٤٧	حَتَّى اسْتَأْزَمُوا بَنِي إِحْدَى الْإِخْوَةِ	٥٤٠
٣٦٥	لَهَا ثَنَائًا أَرْبَعُ حِسَانُ وَأَرْبَعُ فَتَحْرُهَا ثَمَانُ	٥٤١
٣٦٧	ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ وَثَلَاثُ ذَوْدٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي	٥٤٢
٣٧٠	ثَلَاثُ مِثْقَالٍ لِلْمَلُوكِ وَفِيهَا رَدَائُ وَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِ الْأَهَاتِمِ	٥٤٣
٣٧٥	وَحَاتَمُ الطَّائِي وَهَابُ الْمِثْقَالِ	٥٤٤
٣٧٩	إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاءُ	٥٤٥
٣٩٠	فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ خَلُوبَةً سَوْدًا كَخَافِيَةِ الْغَرَابِ الْأَسْحَمِ	٥٤٦
٣٩٤	وَكُنْ مِجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَقَى ثَلَاثَ شَخْصٍ : كَاعْبَانٍ وَمُعَصِرٍ	٥٤٧
٤٠٠	كَأَنَّ خُصْمِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا خَنْظَلٍ	٥٤٨
٤٠٧	فَطَافَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَكَانَ التَّكْبِيرُ أَنْ تَضِيفَ وَتَجَارًا	٥٤٩

باب المذكر والمؤنث

٤٢٠	فَقُلْتُ لَهَا : أَصَبْتُ خَصَامَةً قَلْبِي وَرُبَّتْ رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ	٥٥٠
٤٢١	يَا صَاحِبًا رُبَّتْ إِنْسَانٍ حَسَنٍ	٥٥١
٤٢٤	لَقَدْ أَغْدُو عَلَى أَشَقِّ رَ يَغْتَالِ الصَّخَارِيَّاءُ	٥٥٢
٤٢٧	تَهْدَدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتُونِيَا	٥٥٣

- ٥٤٤ مؤلَّتانِ تُعرِف العِتقَ فيهما كسامعتني شاةً بحوملٍ مُفردٍ ٤٣٦
 ٥٥٥ حَلَفْتُ بِهَدْيٍ مُشَعَّرٍ بِكَرَاتِهِ يَحُبُّ بِصَحراءِ الغَيْطِ درادقه ٤٣٧
 ٥٥٦ لو كنت من مازنٍ لم تَسْبِخْ إيلي بنو اللقيطة من ذهلٍ بنِ شيبانا ٤٤١
 ٥٥٧ فَعَبْتُ غِشاشًا ثم مَرَّتْ كأنها مع الصُّبحِ ركبٌ من أحاطةٍ مُجِفِلٍ ٤٤٧

باب المشي

- ٥٥٨ أُحِبُّ مِنْهَا الْأُنْفَ والعينانا ٤٥٢
 ٥٥٩ إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَّغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا ٤٥٥
 ٥٦٠ يَارُبُّ خَالٍ لَكَ مِنْ عُرْبَتِهِ فَسَوَّيْتَهُ لَا تَنْقُضِي شَهْرِيَّهَ
 ٤٥٦ شَهْرِيَّ رَيْعٍ وَجَمَادِيَّتِهِ
 ٥٦١ لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَجَالٍ ضَنْكَ كِلَاهُمَا ذُو أَشْرٍ وَمَحَلِّ ٤٦١
 ٥٦٢ كَانَ بَيْنَ فَكَّهَا وَالْفَكِّ فَارَةً مِسْلِكٍ ذُبِحَتْ فِي سَكِّ ٤٦٨
 ٥٦٣ لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ مَنْزِلِ الدَّامِ ٤٧٣
 ٥٦٤ يَدَيَانِ يِضَاوَانِ عِنْدَ مَحَلِّ قَدْ يَمْنَعَانِكَ أَنْ تُضَامَ وَتُضْهِدَا ٤٧٦
 ٥٦٥ فَلَوْ أَنَا عَلَى جُحْرِ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ ٤٨٢
 ٥٦٦ فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمَى كُلُّوْنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمَا ٤٩٠
 ٥٦٧ يَارُبُّ سَارٍ بَاتَ مَا تَوَسَّدَا إِلَّا ذِرَاعَ الْعَنَسِ أَوْ كَفَّ الْيَدَا ٤٩٨
 ٥٦٨ هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ ٤٩٩
 ٥٦٩ مَتَى مَا تَلْقَيْنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ رَوَانِفُ الْيَتِيكِ وَتُسْتَطَارَا ٥٠٧

- ٥٧٠ بَلَى أَيْرُ الْحِمَارِ وَخُصِيَّتَاهُ أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةٍ مِنْ فَزَارٍ ٥٢١
- ٥٧١ يَرْتَجُّ أَلْيَاهُ ارْتِجَاجَ الْوَطْبِ ٥٢٥
- ٥٧٢ كَانَتْ وَجْهَهُ تَرْكِيئِينَ إِذْ غَضِبَا مُسْتَهْدِفٌ لَطْعَانٍ غَيْرُ مُنْجَحِرٍ ٥٣٢
- ٥٧٣ ظَهَرَا مِثْلَ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ ٥٤٤
- ٥٧٤ حَشَايَ عَلَى جَمْرِ ذِكْيٍ مِنَ الْهَوَى وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ ٥٥١
- ٥٧٥ كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعْفُوا فَإِنْ زَمَائِكُمْ زَمَنْ مَحْيَصُ ٥٥٤
- ٥٧٦ لَنَا إِبْلَانٍ فِيهِمَا مَا عَلِمْتُمْ فَعَنْ آيَةٍ مَا شِئْتُمْ فَتَكْبُوا ٥٦٤
- ٥٧٧ لِأَصْبَحَ الْحَى أَوْبَادًا وَلَمْ يَجْلُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جَمَالَيْنِ ٥٧٩

رقم الإيداع : ١٦٨٢/٢٣٠٩

خزانة الأندلس

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثامن

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع
٩٩/١٥١٨٩
الترقيم الدولي I.S.B.N.
977 - 5046 - 60 - 2

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
ت : ٣٣٨٢٤٠ - ٣٣٨٢٤١ - ٣٣٨٢٤٢ / ٠١١

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب المجموع

(أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الخمسمائة) :

٥٧٨ (لنا جاملٌ لأهدأ الليلَ سامِرُهُ)

على أن (جاملاً) ليس بجمع ، بدليل عود الضمير عليه من (سامرُهُ) مفرداً .

قال صاحب الكشاف في (سورة الأعراف) : الأناس اسم جمع غير مكسّر ، بدليل عود الضمير المفرد إليه ، وتصغيره على لفظه .

والسابق إلى هذا أبو علي ، قال (في البغداديات) : فإن قال قائلٌ : فهلاً جاز تكسيه ، أي اسم الجمع ، كما جاز تحقيره ، فيما حكاه سيبويه من قولهم : رَجُلٌ^(١) ورُجَيْلٌ ؟ قيل له : لا ينبغي أن يجوز . وذلك أنَّ هذا الاسم على بناء الآحاد ، والمراد به الكثرة ، فلو كسّر كما صغر لكان في ذلك إجرأؤه مُجرى الآحاد ، وإزالته عما وضع له من الدلالة على الكثرة ، إذ كان يكون في ذلك مساوئه له من جهة البناء والتكسير والتحقيق ، والحديث عنه كالحديث عن الآحاد ، نحو ما أنشد أبو الحسن :

(١) رجل هنا ، بالفتح وسكون اليم : اسم جمع للراجلين الذين يمشون على أرجلهم لا يركبون .

* لهم جاملٌ لا يهدأ الليلَ سامرُهُ *

وهذا كلُّ جهاته أو عامته ، فيجب إذا صغر أن لا يكسر ، فيكون بترك تكسيره منفصلاً مما يراد به الآحاد دون الكثرة . انتهى .

صاحب الشاهد والمصراع من قصيدة للحطيئة هجا بها الزُّبرقان بن بدر الصُّحافي التميمي ، ومدح فيها ابن عمه بغيض بن شمس ، وفضله عليه .

وتقدم السبب في هذا مفصلاً في باب ما لا ينصرف ^(١) . والرواية : « ذُوو جامل » بدل : « لنا جامل » .

وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد	فدغ آل شمس بن لأيٍ فإنهم أنحصر أقواماً يحدوا بمالهم فلا المال إن جادوا به أنت مانع فإن تك ذا عزٌ حديثٍ فإنهم فإن تك ذا شأٍ كثيرٍ فإنهم	مواليك أو كاثربهم من تُكاثره فلولا قبيل الهرمزان تحاصره ^(٢) ولا العز من بنيانهم أنت عاقره لهم إرثٌ مجد لم تخنه زوافره ^(٣) ذُوو جامل لا يهدأ الليلَ سامرُهُ
--------------	--	--

(١) هذا سهو منه ، والصواب أنه تقدم في باب التمييز في الشاهد الرابع عشر بعد المائتين ، عند قول الحطيئة :

سيرى أمام فإن الأكثرين حصى
انظر الخزانة ٣ : ٢٩٠ - ٢٩٢ .

(٢) وكذا فيما سيأتي في الشرح . والوجه ما في الديوان ١١ : « أنحصر قوماً أن يحدوا » . وفي الديوان أيضاً : « فهلا قتيل الهرمزان » . قال السكري : « يقوم : أمتنع الناس أن يحدوا بأموالهم في الحقوق ، فهلا تمت عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين يعطى الأموال في وجوهها . والهرمزان : دهقان تستر . وإنما نسب الهرمزان إلى قتل عمر لأنهم رأوا أبا لؤلؤة غلام المنيرة ابن شعبة وهو يعرض على الهرمزان السكين التي قتل بها عمر . فلذلك السبب وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان قتلته ، متبهاً له أن يكون مالا أبا لؤلؤة على أبيه عمر بن الخطاب » .

(٣) في الديوان : « فإنهم ذوو إرث مجد لم تخنهم زواجره » .

وقوله : «مَوَالِيكَ» أى أبنائك عمك . والمكاثرة : المفاخرة . أى فاخِر بهم ٣٩٠
إذا لم يكن عندك من الفخر ما تفاخر به .

وقوله : «أَتَخْصِرُ أَقْوَاماً» إلخ ، أى أتمنع وتمجس ؟! يقول : دع هؤلاء
الذين يجودون بمالهم ، وعليك بالهرمزان فامنعه . أى إنك لا تقدر
إلا على العجم^(١) . ولولا بمعنى هلاً . والهرمزان كان والى مدينة تُسْتَر ،
فلما فتحت جاءوا به إلى عمر بن الخطاب .

وقوله : «فَإِنْ تَكَ ذَا عِزٍّ» إلخ الحديث : الحادث . يريد أن عزّه حادث
بتوليته النبي صلى الله عليه وسلم صدقات بني تميم^(٢) . والإرث بالكسر :
الأصل والمجد والشرف . وزوافره : مواده وروافده ، يقال : هو زافرتهم
عند السلطان ، أى يقوم بأمرهم ويُعينهم . ويقال : هو فى زافرة قومه ،
أى فى عددهم وكثرتهم . ويقال : زوافره : معظمه .

وقوله : «فَإِنْ تَكَ ذَا شَاءٍ كَثِيرٍ» إلخ ، الشاء : جمع شاة . قال صاحب
المصباح : الشاة من الغنم يقع على الذكر والأنثى ، فيقال : هذا شاة
للمذكر ، وهذه شاة للأنثى ، وشاة ذكر وشاة أنثى ، وتصغيرهما شُوْبة .
والجمع شَاءٌ وشَاءٌ بالهاء رجوعاً إلى الأصل ، كما قيل شفة وشِفاه .
ويقال أصلها شَاهَةٌ مثل عاهة . انتهى .

والجامل : اسم جمع بمعنى جماعة الإبل مع رُعَاتِهَا . والهُدْمُ مهموز
الآخر : السكون . والليل ظرف ، وسامره : فاعله ، والضمير للجامل .
أى لا يسكن ولا ينام الذى يحفظ الإبل ، وهو السامر . يعنى أن
الرعاة يسهرون ليلهم لحفظ إبلهم . قال صاحب الصحاح : السمر : المسامرة ،

(١) كذا . وانظر ما أسلفت من الرواية والتحقيق فى الحاشية .

(٢) إضافة المصدر إلى مفعوله ثم الإتيان بالفاعل قليل . الأشمونى ٢ : ٢٨٩ .

وهو الحديث بالليل، وقد سَمَرِيسْمُر، فهو سامرٌ. والسَّامِرُ أيضاً : السَّامَرُ، وهم القوم يَسْمُرُونَ . انتهى .

وترجمة الحطيثة تقدمت في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة^(١).

* * *

وأنشد بعده :

(مع الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاظَةِ مُجْفِلٍ)

على أَنَّ (ركباً) ليس جمعاً بدليل عود الضمير إليه من صفته بالافراد ، ولو كان جمعاً لقليل مجفلون .

والمصراع من لامية العرب للشنفرى ، تقدّم الكلام عليه قبل باب المثني ، في الشاهد السابع والخمسين وبعد الخمسمائة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الخمسمائة^(٣) :

٥٧٩ (عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبَنَى أَبِيهِ وَأَنكَرْنَا زَعَانِفَ آخِرِينَ)

على أَنَّ نون الجمع قد تُكسَرُ في ضرورة الشعر كما في آخرين . وقد يمكن أن تكون كسرة النون كسرة إعراب كما تقدّم النقل عن أبي على في باب التثنية . وسيأتى في آخر هذا الباب ، فلا ضرورة حينئذ .

قال الشارح المحقق فيما سيأتى : إذا كسرت النون فلا يكون ما قبلها إلاّ الياء .

(١) الخزائن ٢ : ٤٠٦ - ٤١٣ .

(٢) انظر الخزائن ٧ : ٤٤٧ - ٤٥١ .

(٣) طبقات ابن سلام ٥٩ واليعنى ١ : ١٨٧ والتصريح ١ : ٧٩ والمجموع ١ : ٧٩ والأشعشع ١ : ٨٩ وديوان جرير ٥٧٧ .

وكذلك نصّ ابن عصفور (في كتاب الضرائر) أنّ كسرنون الجمع لا يكون إلّا في حال النصب والخفض ، كما أنّ فتح نون التثنية لا يكون إلّا كذلك . فلكسرها شرطان : أحدهما الشعر ، وثانيهما الياء .

وبهذا يعرف سقوط قول ابن هشام (في شرح الشواهد) : إنّ الشرط الثاني قد أهمله النحويون ، وإنّ الشرط الأوّل أهمله ابن مالك (في منظومته) دون التسهيل .

قال ابن عصفور : ووجه كسر النون تحريكها على أصل التقاء الساكنين . وقال العيني : ويقال إن كسر نون الجمع ليس بضرورة ، ٣٩١ وإنّما هو لغة لقوم بنى الشاعر كلامه على هذه اللغة .

والبيت آخر أبيات أربعة لجريز ، خاطب بها فضالة العُرى^(١) صاحب الشاهد وأوردها محمد بن حبيب (في المناقضات) ، وهي :

(أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصّرني يداك دُوني
فَنِعَم الوَفْدُ وفْدُ بني رياح ونعم فوارسُ الفزعِ اليقينِ
عَرِينٌ من عُرِينةٍ ليس مِنّا برئتُ إلى عُرِينةٍ من عَرِينِ
عَرَفْنَا جَعْفَرًا وبني عُبيدٍ وأنكرنا زعانف آخرين)

وزاد العيني في روايته بعد هذا بيتاً ، وهو :

(قُبِيلَةٌ أَنَاخَ اللُّؤْمُ فيها فليس اللُّؤْمُ تاركهم لحين)

وسبب هذا ، على^(٢) ما حكاه محمد بن حبيب : أنّ جريراً لما هجا

(١) في حاشية ش : « قوله العرى هكذا وجد بخط المؤلف ، وصوابه العرى ، . ولا وجه له فإن حذف الياء في مثل هذا قياس . انظر سيويه ٣ : ٣٣٩ والأشرفي ٤ : ١٨٦ .
(٢) على ، ساقطة من ش .

غَسَّانُ السَّلِيلِيَّ ، وهو سَلَيْطُ بن الحارث بن يربوع ، وكان خَالَ فَضالة^(١) أَحَدِ بنِي عَرِين بن ثعلبة بن يربوع ، قال فَضالةُ لجَرِيرٍ : أَتَهْجُو خَالِي ، أَمَّا وَاللَّهِ لَا قَتْلَنَكَ ! فقال جَرِيرٌ هذه الأبيات .

وقوله : « أَتَوَعِدُنِي » الخ ، الحمزة للإِنْكَار ، ووراء بمعنى ، خَلْفَ . ورياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ، هورِياح بن يربوع بن حَنْظَلَة بن مالك ابن زيد مناة بن تَمِيم . وبنوه هم : هَمَامٌ ، وَهْرَمِيٌّ^(٢) ، وَجَمِيرِيٌّ ، وزيد ، وعبد الله ، وَمُنْقِذٌ ، وجابر .

وقوله : « فنعم الوفد » الخ . الوفد : الجماعة . والفرع : الخوف ، وإنَّما وصفه باليقين لأنَّ المدح إنما يكون لمن يُغَيِّثُ عند الخوف المتيقن ، لا الخوف المتوهم أو المظنون .

وقوله : « عَرِين من عُرِينَة » الخ : عَرِين بفتح العين وكسر الراء : هو عَرِين ابن ثعلبة بن يربوع ، وهو مبتدأ وخبرُهُ من عُرِينَة . وهو بضم العين وفتح الراء ، وهو بطن من بَجِيلَة ، من قبائل اليمن ، وهو عُرِينَة بن قَسْر بن عَبْقَر بن أَمَّار بن إِرَاش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد ابن كَهْلان . وبجيلة هي أُمُّ عَبْقَر ، وهي بجيلة بنت سَعْد العشيْرة ، وهي أُمُّ جماعةٍ كُلِّ منهم بطن ، بها يعرفون . وجملة ليس منا ، خبر ثان ، أو مستأنفة . يريد إنَّ عَرِيناً قحطاني لا عدناني ، وإنَّما نفاه عن نسبه وجعله قحطانياً نكايَةً في فَضالة ، فإنَّه من ولد عَرِين .

وقوله : « برئت إلى عُرِينَة » الخ . قال ابن هشام (في شرح الشواهد) :

(١) ش : « وكان خاله » فقط .

(٢) ضبطه في الاشتقاق ٢٢١ بقوله : « منسوب إلى الهرم ، والواحدة هرمة ، وهو ضروب من الحمض » .

الأصل برئت إليه منه ، فأَنَابَ الظَاهِرِينَ عَنِ الضَّمِيرِينَ لِإِيضَاحِ الْمَتَبَرِّأِ مِنْهُ مِنَ الْمَتَبَرِّأِ إِلَيْهِ ، وَلَأنَّ إِيْقَاعَ الْبَرَاءَةِ عَلَى صَرِيحِ اسْمِ عَرِينٍ أَبْلَغُ .

وقال العيني : يقال برئ إليه بمعنى برئ له ، لأنَّ إلى تجيء مرادفة للآم . ويجوز أن تكون إلى للغاية ، والمعنى برئت من عَرِينٍ مُنْتَهِيَاً إِلَى عُرِينَةٍ ، فيكون إلى عُرِينَةٍ حال . هذا كلامه .

وقوله : «عرفنا جعفرأ وبني أبيه» أي إخوته ، وهم جعفر وجهُورٌ وعبيد . وكذا عَرِينٌ أخوهم لكنَّه نفاه عنهم ، وجميعهم أولاد ثعلبة بن يربوع . وثعلبة^(١) هو أخو كليب بن يربوع . وجريير من أولاد كليب ، فرياح وثعلبة وكليب إخوة . وروى :

* عرفنا جعفرأ وبني عُبيد *

وقوله : «وأنكرنا زعانف» إلخ . نا فاعل ، وزعانف مفعوله . وهذا تعريض بفضالة من بني عَرِينٍ بآَنِهِ مِنَ الْمُلْحَقِينَ وَالْأَتْبَاعِ ، لَا مِنْ الصَّرِيحِ الْخَالِصِ النَّسَبِ . وزعانف : جمع زِعْنِفَةٍ بكسر الزاى والنون ٣٩٢ وسكون العين بينهما . قال محمد بن حبيب : الزَّعَانِفُ : الأَتْبَاعُ ، واحده زِعْنِفَةٌ ، وهو من زعانف الثوب : أهْدَابُهُ الَّتِي تَنْوُسُ مِنْهُ . وكذلك لثام الناس ورْدَالُهُمْ إِنَّمَا هُمْ مِنْ أَطْرَافِ الْأَدِيمِ وَأَخْبِثِهِ . وآخرين : صفة لموصوف محذوف ، أي قوم آخِرين ، كذا قال الشارح المحقق . وترجمة جريير تقدّمت في الشاهد الرابع من أوّل الكتاب^(٢) .

* * *

(١) ط : «وثعلب» ، صوابه في ش .

(٢) الخزائن ١ : ٧٥ - ٧٧ .

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الخمسمائة^(١)) :

٥٨٠ (نَضَرَ اللهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ)

على أَنَّ السماع والاستعمال في نحو طلحة ، وهو كلُّ علمٍ مذكَّرٍ مختوم بالهاء ، جمعه بالالف والتاء ، ولم يسمع جمعه بالواو والنون .

وقد بسط ابنُ الأنباريُّ الكلامَ على هذه المسألة (في مسائل الخلاف) فلا بأس بإيراده ، قال :

ذهب الكوفيُّون إلى أَنَّ الاسم الذي آخره تاءُ التانيث إذا سُمِّيَ به رجلٌ يجوز أن يجمع بالواو والنون ، نحو : طلحة وطلحون . وإليه ذهب ابن كيسان إلاَّ أَنَّهُ يفتَحُ اللام^(٢) فيقول : طَلَحُون بالفتح ، كما قالوا أرضون حملاً على أرضات . واحتجَّ الكوفيُّون بأنَّه في تقدير جمع طلح ، لأنَّ الجمع قد تستعمله العرب على تقدير حذف حرفٍ من الكلمة ، قال الشاعر :

* وعقبة الأعقابِ في الشهر الأصمّ *

فكسَّره على مالاهاء فيه . وإذا كانت الهاء^(٣) في تقدير الإسقاط جاز جمعه بالواو والنون . ويدلُّ لنا أَنَّا أجمعنا على أَنَّهُ لو سُمِّيَ رجلٌ بحمراء أو حُبلى جمع بالواو والنون . ولا خلافَ أَنَّ ما في آخره ألفُ التانيث أَشدُّ تمكناً في التانيث مما في آخره تاءُ التانيث ، لأنَّ ألفَ التانيث صيغت الكلمة عليها ولم تُخرج الكلمة من التذكير إلى التانيث ، وتاءُ

(١) الإنصاف ٤١ ، وابن يمش ٤٧ : ١ ، والمص ١٢٧ : ٢ ، وديوان ابن قيس الرقيات ٢٠ .

(٢) ش : « يفتح اللام » ، وأثبت ما في ط والإنصاف .

(٣) ط : « وإذا كان » ، وأثبت ما في ش والإنصاف .

التأنيث ما صيغت الكلمة عليها وأخرجت الكلمة من التذكير إلى التأنيث. ولهذا المعنى قام التأنيث بالألف في منع الصرف مقام شيئين، بخلاف التأنيث بالتاء. فإذا جاز أن يُجمع بالواو والنون ما في آخره أَلَفُ التأنيث، وهي أوكد من التاء، فَلَاَنْ يجوز فيما آخره التاء كان ذلك من طريق الأولى.

وَأَمَّا ابن كيسان فاحتجَّ على ذلك بأنه إِنَّمَا جَوَزْنَا جمعه بالواو والنون لِأَنَّ التاء تسقط في الطلحات، فإذا سقطت وبقي الاسم بلا تاء جاز جمعه بالواو والنون كقولهم: أَرْضُ وَأَرْضُونَ. وكما حُرِّكت العين في أَرْضُونَ بالفتح حملاً على أَرْضَاتٍ، فكذلك حركت العين من الطَّلَحُونَ حملاً على الطَّلَحَاتِ، لِأَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ ما كان على فعلة من الأسماء دون الصفات، على فَعَلَاتٍ بالتحريك.

وقال البصريون: لا يجوز هذا الجمع. والدليل على امتناعه أَنَّ نحو طلحة فيه علامة التأنيث، والواو والنون علامة التذكير، فلو قلنا إِنَّهُ يجوز الجمع بالواو والنون لَأَدَّى إِلَى أَن يُجْمَعَ في اسم علامتان متضادتان، وذلك لايجوز. ولهذا إذا وصفوا المذكر بالْمَوْثُوثَ فقالوا رجل رُبْعَةٌ جمعه رُبْعَاتٍ بلا خلاف، ولم يقولوا رَبْعُونَ. والذي يدلُّ على صِحَّةِ هذا القياس أَنَّهُ لم يسمع من العرب في جمع هذا الاسم ^(١) إِلَّا بِالْأَلْفِ والتاء كقولهم في طلحة: طَلَحَاتٍ، وهُبَيْرَةُ: هُبَيْرَاتٍ ^(٢). ولم يسمع عن أَحَدٍ من العرب أَنَّهُمْ قالوا الطَّلَحُونَ. فإذا كان هذا الجمع

(١) في جمع هذا الاسم، ساقط من ش. وبعده في الإنصاف: «أو نحوه».

(٢) ط فقط: «وهبيرات».

مدفوعاً^(١) من جهة القياس ، معدوماً من جهة النقل ، وجب أن لايجوز .
وأما قولهم إنه في التقدير جمع طَلَح ففساد ، لأنَّ الجمع إنما وقع
على جميع حروف الاسم ، وتاء التأنيث من جملته ، فلم ننزعها عنه
قبل الجمع وإن كان اسماً للذكر ، لئلا يكون بمنزلة ما سُمي به ولا علامة
فيه . فالتاء في جمعه مكان التاء في واحده .

وأما ما استشهدوا به من قولهم :

* وعُقبة الأعقاب في الشهر الأصم * .

فهو مع شذوذه وقلة لا تعلق له بما وقع الخلاف فيه ، لأنَّ جمع
التصحيح ليس على قياس جمع التكسير ليُحمَل عليه .

وأما قولهم : إنا أجمعنا على جمع نحو حمراء وحُبلى علمين بالواو
والنون . قلنا : إنما جاز لأن ألف التأنيث يجب قلبها إلى بدل ، لأنها
صيغت الكلمة عليها ، فتنزَّلت منزلة بعضها ، فلم يفتقر لعلامة
تأنيث الجمع^(٢) بخلاف التاء فإنه يجب حذفها إلى غير بدل ، لأنها
ما صيغت عليها الكلمة ، وإنما هي بمنزلة اسمٍ ضُمَّ إلى اسم ، فجعلت علامة
تأنيث الجمع عوضاً منها .

وأما قول ابن كيسان : إنَّ التاء تسقط في الطلحات فإذا سقطت
جاز الجمع ، ففساد ، لأن التاء وإن كانت محذوفةً لفظاً إلا أنها ثابتة
تقديراً ، لأنهم لما أدخلوا تاء التأنيث في الجمع حذفوا هذه التاء التي
كانت في الواحد ، لأنهم كرهوا أن يجمعوا بين علامتي تأنيث . وكان

(١) ط فقط : « مدفوعاً » بالراء .

(٢) ش : « فلم يفتقر بعلامة تأنيث الجمع » ، والذي في الإنصاف : « فلم يفتقر إلى أن
تعرض بعلامة تأنيث الجمع » .

حذف الأولى أَوَّلَى لَأَنَّ في الثانية زيادةً معنى ، فَإِنَّ الأولى تدلُّ على التَّأْنِيثُ فقط ، والثانية تدلُّ على التَّأْنِيثُ والجمع ، وهى حرف إعراب ، فعُذِفَ الأولى بمنزلةٍ ما حُذِفَ لالتقاء الساكنين ، فَإِنَّهُ وإن كان محذوفاً لفظاً إِلَّا أَنَّهُ ثابتٌ تقديرًا .

والذى يدلُّ على فساد ما ذهب إليه من فتح العين من الطَّلَحون أَنَّ هذا الجمع يسلم فيه نظم الواحد في حروفه وحركاته ، والفتحُ يُدْخِلُ في جمع التصحيح تكسيراً .

فأَمَّا قوله : إِنَّ العين حرَّكت من أَرْضون بالفتح حملاً على أَرْضَات. قلنا : لا نسلم ، وإِنَّمَا غُبِرَ فيه لفظ الواحد ، لَأَنَّهُ جمعٌ على خلاف الأصل ، لَأَنَّ الأصل في هذا الجمع أن يكون لمن يعقل ، ولكنَّهم لما جمعوه بالواو والنون غُبِرُوا فيه نظمَ الواحد تعويضاً عن حذف تاء التَّأْنِيثِ فيه ، تخصيصاً له بشيء لا يكون في سائر أخواته ، مع أَنَّ هذا التعويض تعويضٌ جواز لا تعويضٌ وجوب . أَلَا ترى أَنَّهُم لا يقولون في جمع شمس شَمْسُونَ ولا في جمع قَدَرٍ قَدَرُونَ ؟ فلمَّا كان هذا الجمع في أرض على خلاف القياس أُدْخِلَ فيه ضربٌ من التَّغْيِيرِ (١) ، فأما إذا جُمِعَ من يعقل بالواو والنون فلا يجوز أن يجعل بهذه المثابة ، لَأَنَّ جمعه بحكم الأصل ، فلا يجوز أن يخلطه تغيير .

ويخرج على هذا حذف التاء وفتح العين من طلحات . أَمَّا حذف التاء فَلَأَنَّ التاء الثانية صارت عوضاً عنها لَأَنَّهَا للتَّأْنِيثُ . وأما أنتم فعُذِفْتُمْ من غير عوض ، فبان الفرق .

وأما فتح العين فلاجل الفصل بين الاسم والصفة ، فَإِنَّ ما كان

(١) ش فقط : « فإذا جمع » .

على فَعْلَةٍ من الأسماء فَإِنَّهُ يَفْتَحُ مِنْهُ الْعَيْنُ ، نَحْوُ : جَفَنَاتٍ وَقَصَعَاتٍ .
وما كَانَ صِفَةً فَإِنَّهُ لَا يُحْرَكُ مِنْهُ الْعَيْنُ نَحْوُ صَغَبَاتٍ . وَأَمَّا جَمْعُ التَّصْحِيحِ
فَلَا يَدْخُلُهُ [شَيْءٌ ^(١)] مِنْ هَذَا التَّغْيِيرِ ، سِوَاءٍ كَانَ اسْمًا أَوْ صِفَةً . فَبَانَ
الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

انتهى كلام ابن الأنباري مختصراً .

واعلم أَنَّ فَتْحَ عَيْنِ فَعْلَةٍ الْإِسْمِ فِي الْجَمْعِ وَاجِبٌ ، وَيَجُوزُ تَسْكِينُهُ
فِي الضَّرُورَةِ كَمَا يَأْتِي فِي بَابِهِ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ ^(٢) :

وَكَيْفَ يَسُوغُ لَكُمْ جَعْدُهُ وَطَلْحَتُكُمْ بَعْضُ طَلْحَاتِهِ ^(٣)

٣٩٤

خِلَافاً لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ (فِي شَرْحِهِ) فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ غَيْرُ ضَرْورَةٍ .

وقوله : (طَلْحَةُ الطَّلِحَاتِ) رَوَى بِالْجَرِّ وَالنَّصْبِ . قَالَ أَبُو حِيَانٍ (فِي
تَذَكُّرَتِهِ) : حَكَى الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ عَنِ الْعَرَبِ هَذَا الْبَيْتَ بِخَفْضِ طَلْحَةٍ
عَلَى تَكْرِيرِ الْأَعْظَمِ ، أَيْ أَعْظَمُ طَلْحَةِ الطَّلِحَاتِ . وَمَا اخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ نَصْبِ
طَلْحَةٍ بِالرَّدِّ عَلَى الْأَعْظَمِ وَالْحَمْلِ عَلَى إِعْرَابِهَا . انْتَهَى .

وجعل ابن عصفور (فِي كِتَابِ الضَّرَائِرِ) الْجَرَّ مِنَ الضَّرُورَةِ . قَالَ :
وَمِنْهُ حَذْفُ الْمُضَافِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَامَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مُقَامَهُ ، نَحْوُ قَوْلِهِ :

* بَسَجَسْتَانِ طَلْحَةُ الطَّلِحَاتِ *

فِي رِوَايَةٍ مِنْ خَفْضِ طَلْحَةٍ ، يُرِيدُ أَعْظَمَ طَلْحَةِ الطَّلِحَاتِ ، فَحَذَفَ

(١) التَّكْمِلَةُ مِنْ شِ ، وَالْإِنْصَافُ ٤٤

(٢) دِيَوَانُ الْبَحْتَرِيِّ ٩٨ : ١ هُنْدِيَّةٌ وَ ٤٧٥ : ١ الصِّيرْفِيُّ . يَقُولُهُ فِي عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ

(٣) يُرِيدُ بِطَلْحَةِ الْأَوَّلِ طَلْحَةَ بَنِي طَاهِرٍ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَزَاعِيِّ أَمِيرِ خُرَاسَانَ . وَيُشِيرُ بِالطَّلِحَاتِ
إِلَى طَلْحَةِ الطَّلِحَاتِ ، وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ .

المضاف الذى هو أعظم ، لدلالة أعظم المتقدم الذكر عليه ، ولم يُقَمِّ المضاف إليه وهو طلحة مقامه ، بل أبقاه على خفضه . انتهى .

وقال ابن برّيّ (فى شرح أبيات الإيضاح) : والأشبه عندى أن تخفضه ^(١) بإضافة سجستان إليه ، لأنّه كان أميرها . انتهى .

وقول أبى حيان : نصب طلحة بالرد على الأعظم يعنى البدليّة . وزعم بعضهم أنّه بدل كل من بعض ، وزاد هذا القسم فى الأبدال . والصحيح أنّه بدل كل من كل ، يجعل أعظم من قبيل ذكر البعض وإرادة الكل ، بدليل المعنى .

وقال ابن السيد البطليوسى (فى أبيات المعانى) : من نصب طلحة فعلى إضمار أعنى ، لأنّه نبّه عليه بضرب من المدح لما تقدّم من الترخّم عليه . وذهب آخرون فى نصبه إلى حذف حرف الجر ، كأنه أراد رحم الله أعظماً دفنوها لطلحة ^(٢) ، فلما حذف الجار نصب . وقد دفع ^(٣) قومُ النصب ، وأنشدوه بالجر على تقدير مضاف ، كأنه فى التقدير : أعظم طلحة الطلحات ، ثم حذف الثانى لدلالة الأول عليه . وهذا شاذّ ، يقلّ فى كلامهم حذف الجار مع بقاء عمله . انتهى .

وظلحة الطلحات هو أحد الأجواد المشهورين فى الإسلام ، واسمه طلحة الطلحات . وظلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى . وأضيف إلى الطلحات لأنّه فاق فى الجود خمسة أجواد اسم كل واحد منهم طلحة ، وهم طلحة الخير ،

(١) ط : « يخفضه » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ط : « بطلحة » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « رفع » بالراء ، صوابه من ش .

وطلحةُ الفياضُ ، وطلحةُ الجودِ ، وطلحةُ الدَّراهمِ ، وطلحةُ النَّدَى .
وقيل كان في أجداده جماعةٌ اسمُ كلُّ طلحة . كذا قال ابن الحاجب
(في شرح المفصل) .

وقال إبراهيمُ الوَطواطُ (في كتاب الغرر والخصائص الواضحة ^(١)) :
قيل سُمِّيَ بذلك لَأَنَّهُ كان أجودَهم ، وقيل لَأَنَّهُ وهب في عامٍ واحدٍ ألفَ
جارية ، فكانت كلُّ جاريةٍ منهن إذا ولدت غلاماً تسميه طلحة على
اسم سيدها . وذكر الطَّلَحَاتُ الخمسة ، وهم طَلْحَةُ بن عبيد الله التميمي ،
وهو طلحةُ الفياض ، وطلحة بن عُمر بن عبيد ^(٢) الله بن مَعْمَرِ التميمي
أيضاً ، وهو طلحةُ الجود . وطلحة بن عبد الله بن عَوْفِ الزُّهري ، أخى
عبد الرحمن بن عوف ، وهو طلحةُ النَّدَى . وطلحة بن الحسن بن على
ابن أبي طالب ، وهو طلحةُ الخير . وطلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق ، ويسمى طلحةُ الدَّراهم . وطلحة بن عبد الله بن خَلَفِ الخُزاعي
وهو سادسهم المشهور بطلحة الطَّلَحَاتِ . انتهى .

وقال ابن بَرِّي (في شرح أبيات الإيضاح) : سُمِّيَ طلحةُ الطَّلَحَاتِ
بسبب أمه ، وهى صفية بنت الحارث بن طَلْحَةَ بن أبي طلحة ، وأخوها
طلحة بن الحارث ، فقد تكتفاه الطَّلَحَاتُ كما ترى ، ففصل هذه
الإضافة من غيره من الطَّلَحَاتِ . وكانوا ستة . انتهى .

(١) كذا في النسختين ، وإنما هو « غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضلة » .
(٢) ط : « طلحة بن عمرو بن عبد الله » . وفي غرر الخصائص ١٦٨ : « طلحة بن عمر
ابن عبد الله » . وأثبت ما في جهرة أنساب العرب ١٢٧ والأغاني ٤ : ١٠٧ / ١٠ : ٥٦ . وبه
صح في نسخة ش . وفي الأغاني ١٠ : ٥٥ أن رملة بنت عبد الله بن خلف كانت تحت عمر بن عبيد الله
ابن معمر وولدت منه ابنة طلحة الجود . وانظر نواذر المخطوطات ١ : ٧٨ وجمهرة أنساب
العرب ١٤٠ .

وكان والى سجستان ، وبها مات .

قال الزمخشري (في أمثاله) : قال سحبان بن وائل البليغ المشهور
في طلحة الطلحات :

باطلحُ أَكْرَمَ من مَشَى حسباً وأعطاهُ لثَالِدُ^(١)
منك العطاءُ فَأَعْطِنِي وعلىَ حمدُكَ في المشاهد^(٢)

فحكّمه فقال : فرسك الورد ، وقصرُك بزرنج ، وغلارك الخباز^(٣)
وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أف لك ، لم تسألني على قدرى وإنما
سألتنى على قدرك ، وقدر قبيلتك باهلة ! والله لو سألتني كل فرس
وقصر وغلار لي لأعطيتك ! ثم أمر له بما سأل وقال : والله ما رأيت مسألة
محكم ألام منها .

قال ياقوت (في معجم البلدان) : سجستان : ناحية كبيرة وولاية
واسعة . ذهب بعضهم إلى أن سجستان اسمٌ للناحية ، وأن اسم مدينتها
زرنج ، بتقديم المعجمة على المهملة ، وبينها وبين هراة عشرة أيام ، ثمانون
فرسخاً^(٤) وهي جنوبى هراة . وأرضها كلها رملة سبخة ، والرياح فيها
لا تسكن أبداً ، ولا تزال شديدة تدير رُجِيهم ، وطحنهم كله على تلك
الرُجى . وهي من الإقليم الثالث ، وفيها نخل كثير وتمر .

(١) في بعض نسخ الزمخشري : « وأعطاهم » . المستقصى ١ : ٢٨ .

(٢) في بعض نسخ المستقصى : « وعلى مدحك » .

(٣) المراد بالخباز : الطاهى الذى يجمع بين الخبز والتهوى . وانظر حواشى الحيوان ٥ :
٤٥٧ - ٤٥٨ من الطبعة الثانية .

(٤) ط فقط : « وثمانون فرسخاً » ، وما أثبت من ش يطابق ما في معجم البلدان .

(٢ - خزائن الأدب - ج ٨)

(ونَضَرَ) بمعنى حَسَنَ . والمشهور : (رحم الله أعظما) .

صاحب الشاهد
والبيت أول قصيدة عدتها أربعة عشر بيتاً لقيس الرقيات ^(١) ،
رثى بها طلحة الطلحات وبعده :

(كَانَ لَا يَحْرِمُ الْخَلِيلَ وَلَا يَغْدُو
سَبَطَ الْكَفَّ بِالنَّوَالِ إِذَا مَا
كَانَ جَوْدُ الْبَخِيلِ حَبْسَ الْعِدَاتِ
مَثَلٌ بِالْبُخْلِ ، طَيَّبَ الْعَذِرَاتِ

(في الزاهر) لابن الأنباري ، قال الأصمعي : العذرة : فناء الدار .
والعذرات : أفنية الدور . وكانوا فيما مضى يطرحون النجاسات في
أفنية دورهم ، فسموها باسم الموضع ، وكذلك الغائط هو عند العرب
ما اطمأن من الأرض ، وكانوا فيما مضى إذا أراد الرجل قضاء حاجته
طلب الموضع المطمئن من الأرض ، فكثُر هذا ، حتى سُمِيَ الحدث باسم
الموضع . وكذلك الكنيف في كلام العرب : الحظيرة التي تعمل للإبل
فتكنفها من البرد ، فسموها ما حظروه وجعلوه موضعاً للحدث بذلك
الاسم ، تشبيهاً به . انتهى .

وقد تقدّمت ترجمة قيس الرقيات ^(٢) في الشاهد الثالث والثلاثين
بعد الخمسمائة ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(فَمَا وَجَدَتْ بَنَاتُ ابْنِي نَزَارَ
حَلَالِنَ أَسُودِينَ وَأَحْمَرِينَ)

(١) في حواشي ش بخط ناخنها : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه ابن قيس الرقيات » .

(٢) كذا في ط . وفي ش : « ترجمة الرقيات » . وانظر الحاشية السابقة .

(٣) الخزائن ٧ : ٢٨٤ - ٢٩٠

على أن ابن كيسان استدلل بهذا البيت على جواز جمع أحمر وأسود بالواو والنون ، وهو عند غيره شاذ .

والبيت قد تقدم شرحه مفصلاً فى الشاهد الرابع والعشرين من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

* (وقائلة خولان فانكح فئاتهم) *

على أن (فانكح) عند الأنخفش خبر المبتدأ الذى هو خولان ، والفاء زائدة فى الخبر ، وعند سيبويه غير زائدة ، والأصل عنده : هذه خولان فانكح فئاتهم .

والمصرع صدر وعجزه :

٣٩٦

* وأكرمة الحيين خلوا كماها *

وتقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد السابع والسبعين من باب المبتدأ ^(٢) .

وخولان : حى من أحياء اليمن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س ^(٣) :

(١) الخزانة ١ : ١٧٨ - ١٨١ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٥ - ٤٥٧ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٦ . وانظر سيرة ابن هشام ٥٥ والمقتضب ٧٢ : ٢ وابن الشجرى ٧٤ : ١ والإنصاف ٦٢٣ وابن يمين ١٥٧ : ٨ والمقرب ٥٩ والمغنى ٥٣٣ والحق ٤٤٣ : ٤ والتصريح ٢ : ٣٤٩ والمع ١ : ٧٢ / ٢ : ٦١ والأشعوى ١٨ :

٥٨١ (إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ)

على أَنَّ إلغاء الشرط المتوسط بين المبتدأ والخبر ضرورة ، فإنَّ جملة (تصرع) خبر إنَّ ، والجملة دليلُ جزاء الشرط ، وجملة الشرط معترضة بين المبتدأ والخبر .

ويأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى الجواز (١) .

صاحب الشاهد

والبيت من رجز لعمر بن خثارم البجليّ ، وهو :

أشعار الشاهد

(يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إني أخوك فانظرون ماتصنعُ
إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ إني أنا الداعي نزاراً فاسمعوا
فى باذخ من عزٍّ مجدٍ يفرعُ به يضرُّ قادرٌ وينفعُ
وأدفع الضيمَ غداً وأمنعُ عزُّ ألد شامخٍ لا يُقمعُ
يتبعه الناس ولا يُستتبعُ هل هو إلاّ ذنبٌ وأكرعُ
وزمّعُ مُؤْتَشَبٌ مجمّع وحسبٌ وغُلٌّ وأنفٌ أجدعُ)

قال ابن الأعرابي (فى نوادره) : كان جرير بن عبد الله البجليّ تنافراً هو وخالد بن أوطاة الكلبيّ إلى الأقرع بن حابس ، وكان عالم العرب فى زمانه .

والمنافرة : المحاكمة ، من النَّفَر ، لأنَّ العرب كانوا إذا تنازع الرجلان منهم وادعى كلُّ واحدٍ أَنَّهُ أعزُّ من صاحبه تحاكما إلى عالم ، فمن فضّل منهما قدّم نفره عليه ، أى فضّل نفره على نفره .

فقال الأقرع : ما عندك يا خالد ؟ فقال : ننزل البراح ، ونطعن بالرماح ، ونحن فتیان الصباح^(١) .

فقال : ما عندك يا جرير ؟ فقال : نحن أهل الذهب الأصفر ، والأحمر المتصر^(٢) ، نخيف ولا نخاف ، ونطعم ولا نستطيع . ونحن حتى لقاح ، نطعم ما هبت الرياح . نطعم الدهر ، ونصوم الشهر^(٣) ونحن ملوك القسر^(٤) .

فقال الأقرع : واللات والعزى ، لو نافرت قيصر ملك الروم ، وكسرى عظيم الفرس ، والنعمان ملك العرب ، لنفرت عليهم . وروى : « لنصرت عليهم » .

فقال عمرو بن خثارم البجلي هذه الأرجوزة في تلك المنافرة .

وقوله : (يا أقرع بن حابس) هو من الصحابة رضى الله عنهم ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه . والصراع : الهلاك .

ونزار هو أبو قبيلة ، وهو نزار بن معد بن عدنان .

والباذخ : العالى ، يقال جبل باذخ بمعجمتين . والمجد : العظمة والشرف . ويفرع ، أى يعلو كل عز ومجد . يقال : فرعت قومي ، أى علوتهم بالشرف ونحوه . وهو بالفاء ومهملتين .

(١) الصباح ، بالباء الموحدة : الغارة . وهى أكثر ما تكون في الصباح . وفي النسختين : « الصباح » بالياء ، تصحيف . وهم ينسبون فرسانهم إلى الصباح ، ومنه قول لبيد في رثاء عمه :
يا عامراً ياعامر الصباح ومسدرة الكتيبة الرداح

(٢) في النسختين هنا : « المتصر » . ، وسيأتى بمد قليل بلفظ « المتصر » . والأحمر : النبيذ ، والخمر . وفي تفسير البغدادى التالى : « والأحمر المتصر هو الخمر » .

(٣) في رواية أخرى ستأتى : « نظم الشهر ، ونصن الدهر » . انظر ٣٦٨ بولاق .

(٤) القسر : القهر والغلبة . ط : « ونحن الملوك لقسر » . والوجه من ش .

والأَلْدُ: الأَشَدُّ . وَلَدَّهُ يُلِدُّهُ : غلبه في الخصومة . والشامخُ : المرتفع .
ويُقَمِّعُ : أى يُقَهِّرُ وَيُدَلِّ ، يقال قمعه بالقاف والميم فانقمع .

وقوله : « هل هو » الضمير لخالد بن أُرطاة الكلبي . والأَكْرُعُ : جمع
كُرَاع بالضم ، وهو مُسْتَدَقُّ الساق ، استعاره لأسفل الناس ، كالذَّنَبِ .

والزَّمَعُ بفتح الزاى والميم ، هو رُذَال الناس . يقال هو من زَمَعَ الناس ،
أى مآخِر . هم والمؤتَشَبُ ، بفتح الشين ، قال (فى الصحاح) : وفلان
مؤتَشَبٌ ، أى مخلوط غير صريح فى نسبته . ٣٩٧

والوَعْلُ بفتح الواو وسكون المعجمة . قال (فى الصحاح) : والوغل :
النَّذْل من الرجال . وأَجْدَعُ بالجيم والذال المهملة : مقطوع الأنف .

وقوله : « نَنَزَلَ البَرَّاحُ » بفتح الموحدة والحاء المهملة : المكان الذى
لا سِتْرَة فيه من شجر وغيره ، وهو منزل الكرماء .

وقوله : « والأحمر المعتَصِر » هو الخمر .

وقوله : « حى لَقَّاح » بفتح اللام بعدها قاف ، قال (فى الصحاح) : يقال
حى لَقَّاح للذين لا يَدِينُونَ للملوك ، أو لم يصَبْنَهُم فى الجاهلية سِباء .

وجريز بن عبد الله البجلي صحابى ، وكان جميلاً . قال عمر [رضى
الله عنه] : هو يوسف هذه الأمة . وقَدَّمَهُ عمر فى حروب العراق على
جميع بَجِيلَة ، وكان لِم أثرٌ عظيم فى فتح القادسية . ثم سكن جريزُ
الكوفة ، وأرسله على [رضى الله عنه] رسولاً إلى معاوية ، ثم اعتزل
الفريقين وسكن قرقيساء حتى مات ، سنة إحدى ، وقيل أربع وخمسين .

جريز بن
عبد الله البجل

وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى ذى الخَلَصَة فهدمها .

وفيه قال: «ما حَجَبَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمتُ ، ولا رَأَى إلَّا تَبَسُّمٌ» . كذا (فى الإصابة) لابن حجر .

وخالد بن أَرطاة الكلبيُّ جاهليٌّ .

والأقرع بن حابسٍ صحابىٌّ . قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو الأقرع بن حابس الأقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سُفيان التَّميميُّ المُجاشِعيُّ الدَّارِمى . قال ابن إسحاق : وفد على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مَكَّةَ وَحُنيناً والطَّائِفَ ، وهو من المؤلِّفة قُلُوبِهِمْ . وقد حَسُنَ إسلامه . وقال الزُّبَيْر (فى النسب) : كان الأقرع حَكَمًا فى الجاهليَّة ، وفيه يقول جرير ، وقيل غيره ، لَمَّا تنافَرَ إليه ^(١) هو والفُرافصة أو خالد بن أَرطاة :

يا أقرعَ بن حابس يا أقرع إنَّكَ إنْ يُصرغَ أخوك تُصرغُ

قال ابن دُرَيْد : اسم الأقرع بن حابس فِرَاس ، وإنَّما قيل له الأقرع لِقرع كان برأسه . وكان شريفًا فى الجاهلية والإسلام .

وروى ابن شاهين أنَّه لما أصاب عُيينَةُ بنُ حصنِ بنى العنبر ، قَدِمَ وفدُهُمْ . فذكر القصة وفيها : فكلَّم الأقرع بن حابس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى السَّبى . وكان بالمدينة قبلَ قدوم السَّبى . وفى ذلك يقول الفرزدق يفخر بعَمِّه الأقرع :

وعندَ رسول الله قام ابنُ حابس بِخُطَّةٍ أُسوار إلى المجد حازم ^(٢)

(١) فى الإصابة : « لما سافر إليه » ، وما هنا صوابه .

(٢) وكذا فى الإصابة . والأسوار ، بكسر الهززة وضمها : الجيد الرى بالسهام ، ولأوجه له هنا ولا يستقيم مع قوله « إلى المجد » والوجه : « سوار إلى المجد » كما فى ديوان الفرزدق ٨٦٢ أى متوثب إليه .

له أطلق الأسرى التي في قيودها مُغَلَّةً أعناقها في الشكائم^(١)

عمرو بن خثام وأما عمرو بن خثام البجلي فهو جاهلي ، والله أعلم :

هذا على وجه الاختصار ، وأما على وجه البسط فهو مأورده أبو محمد الأعرابي (في فرحة الأديب) قال : أملئ علينا أبو الندى قال :

منافرة جرير
البجل وخالد
بن أوطاة

كان سبب المنافسة بين جرير بن عبد الله البجلي وبين خالد بن أوطاة بن خُشَيْن بن شَبَث الكلبِي ، أَنَّ كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بَجيلة يقال له مالك بن عتبة ، من بني عادية بن عامر بن قُداد^(٢) ، فوافوا به عكاظ ، فمرَّ العاديُّ بابن عمِّ له يقال له القاسم بن عَقِيل بن أبي عمرو بن كعب بن عُريج بن الحويرث بن عبد الله بن مالك بن هلال بن عادية بن عامر بن قُداد ، يأكل تمرأ ، فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرَّم به ، فجذبه الكلبِي ، فقال له القاسم : إنه رجلٌ من عشيرتي ! فقال : لو كانت له عشيرةٌ منعتهُ ! فانطلق القاسم إلى بني عمِّه بني زيد بن الغوث ، فاستتبَّعَهُمْ ، فقالوا : نحنُ منقطعون في العرب ، وليست لنا جماعة نقوى بها ، فانطلقَ إلى أَحْمَس^(٣) فاستتبَّعَهُمْ . فقالوا : كلُّما طارت وَبَرَّة من بني زيد في أيدي العرب أردنا أن نتبعها !

٣٩٨

(١) ش « مغللة » ، وصححها الشنقيطي « مغلة » كما في الإصابة والديوان . ورواية الديوان :

له أطلق الأسرى التي في حباله مغللة أعناقها في الأدهام والأدهام : القيود ، لسوادها . أما الشكائم فهي لجم الحديد المترعة في أفواه الخيل .
(٢) هو عامر بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار . بجمرة أنساب العرب ٤٧٤ ، والاشتقاق ٥١٩ .

(٣) في النسختين : « إلى آخر » ، والصواب ما أثبت ، وهم بنو أحس بن الغوث بن أنمار ، من بطون بجيلية . الجهمرة ٤٧٤ . وسيأتي ذكرهم في الخبر . وفي حواشي ش : « هكذا بخط المؤلف : آخر ، والصواب أحس » .

فانطلقَ عند ذلك إلى جرير بن عبد الله البجلي فكلمه ، فكان القاسم يقول : إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ أُرِيتُ فيه الثيابَ المصبغة والقبابَ الحُمْرَ ، اليومُ الذى جئتُ فيه جريراً فى قَسْر ، وكان سيِّدَ بنى مالك بن سعد بن زيد ابن قَسْر ، وهم بنو أبيه . فدعاهم فى انتزاع العادى من كلب ، فتبعوه فخرج يمشى بهم ، حتَّى هجم على منازلِ كلبٍ بعكاظ ، فانتزع منهم مالك بن عُتبة العادى ، وقامت كلبٌ دونه ، فقال جرير : زعتم أن قومهم لا يمنعونه . فقالت كلب : إِنَّ رجالنا خلوفٌ : فقال جرير : لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً . فقالوا : كأنك تستطيل على قضاة ، إِنَّ شئت قايستناكم المجدد ! وزعيم قضاة يومئذ خالد بن أرطاة بن خُشَيْن ابن شَبَث . قال : ميعادنا من قابلٍ سوقُ عكاظ .

فجمعت كلبٌ وجمعت قَسْرٌ ووافوا عكاظ من قابل ، وصاحبُ أمر كلب خالد بن أرطاة ، فحكّموا الأقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع ، حكّمه جميعُ الحيّين ، ووضعوا الرُّهون على يديّ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فى أشرافٍ من قريش . وكان فى الرُّهْن من قَسْر : الأصرمُ بن عوف بن عُوف بن مالك بن ذُبْيَان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشْكِر بن على بن مالك بن سعد بن نذير بن قَسْر . ومن أحْمَس^(١) : حازمُ ابن أبى حازم ، وصخر بن العُلبة . ومن بنى زيد بن الغوث بن أَمّار رجلٌ . ثم قام خالد بن أرطاة فقال لجرير : ما تجعل ؟ قال : الخطر فى يدك . قال : أَلْف ناقة حمراء فى أَلْف ناقة حمراء . فقال جرير : أَلْف قينة عذراء فى أَلْف قينة عذراء ، وإن شئت فألّف أوقية صفراء لألّف أوقية صفراء . قال : من لى بالوفاء ؟ قال : كفيّلك اللات والعزى ،

(١) ط : « أحر » ، صوابه فى ش . وانظر الحاشية السابقة .

وإسافٌ ونائلة ، ويعوقُ وذو الخلصة ونسر ، فمن عليك بالوفاء ؟ قال: ودٌ ومناة، وقلنس ورُضا . قال جرير : لك بالوفاء سبعون غلاماً مُعِماً مُخولاً ، يوضعون على أيدي الأَكفَاء من أهل الله^(١) . فوضعوا الرهن من بَجيلة ومن كلب على أيدي مَنْ سَمِينا من قريش ، وحكّموا الأقرع بن حابس ، وكان عالم العرب في زمانه ، فقال الأقرع : ما عندك ياخالد ؟ فقال : ننزل البراح ، ونطعن بالرماح ، ونحن فتیان الصّباح^(٢) ! فقال الأقرع : ما عندك يا جرير ؟ قال : نحن أهل الذهب الأصفر ، والأحمر المعتصر^(٣) ، نخيف ولا نخاف ، ونُطعم ولا نستطعم . ونحن حيّ لقاح ، نُطعم ما هبّت الرّياح ، نُطعم الشّهر ، ونضمن الدّهر ، ونحن ملوك القسر^(٤) ! فقال الأقرع : واللات والعزى لو فاخرت قيصر ملك الروم ، وكسرى عظيم فارس ، والنعمان ملك العرب ، لنفرتك عليهم ! وأقبل نعيم بن حجة النمرى ، وقد كانت قسرٌ ولدته ، بفرسٍ إلى جرير ، فركبه جرير من قِبَل وحشيّه ، فقيل : لم يحسن أن يركب الفرس ! فقال جرير : الخيل ميامن ، وإنّا لا نركبها^(٥) إلّا من وجوها .

وقد كان نادى عمرو بنُ خُثارم أحد بني جُشمَ بن عامر بن قُداد فقال :

(١) أهل الله ، هم قريش ، كانوا يسون بذلك في الجاهلية . انظر أول ثمار القلوب للشّاعري .

(٢) ش : « الصياح » صوابه بالباء ، كما في ط .

(٣) ش : « المصفر » ، صوابه في ط . وانظر ماسياً من تفسير البغدادى .

(٤) ط : « الملوك لقسر » ش : « الملوك قسر » ، والتوجه ما أثبت . وانظر ماسبق في ص ٢١ .

(٥) ط : « لا نركب » ، وأثبت ما في ش .

لا يُغْلَبُ اليومَ فتى وَالْأَكْمَا
 إِنَّ أبى وجدته أباكمَا
 غَيْثُ ربيعٍ سَبَطَ نداكمَا
 أنتم سرورُ عَيْنٍ من رآكمَا
 قد فاز يومَ الفخر من دعاكمَا
 وإن بنوا لم يدر كوا بناكمَا
 ذاك وَمَنْ ينصره مثلاكما
 وقال أيضاً :

يا لَنَزَارٍ قد نَمَى في الْأَخْشَبِ
 يا لَنَزَارٍ ثُمَّ فَاسَعَى وَاكِسِي
 إِنَّ أباكم هو جدى وأبى
 يا لَنَزَارٍ إِنِّى لم أَكْذِبْ
 ومن تكونوا عِزُّه لا يَغْلِبُ
 دعوة دَاعِ دعوةَ المَثُوبِ^(١)
 يا لَنَزَارٍ لَيْسَ عنكم مَذْهَبِي
 لم يُنْصَرِ المولى إِذَا لم تَغْضَبِي
 أَحْسَابُكُمْ أَخْطَرْتُهَا وَحَسْبِي^(٢)
 ينمى إلى عِزِّ هِجَانٍ مُصْعَبِ
 كَأَنَّهُ في البُرْجِ عِنْدَ الكَوْكَبِ^(٣)

وقال أيضاً :

يا أَقْرَعَ بَنَ حَابِسٍ يا أَقْرَعُ
 إِنِّى أَخْوَكُ فَانْظُرْ نَ ماتِصْنَعُ

(١) الْأَخْشَبَانِ : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهه على قيعمان . قال ياقوت : « وقد تفرد هذه الثنية فيقال لكل واحد منهما : الْأَخْشَبِ » .
 (٢) أَخْطَرْتُ فَلَانٍ : صار مثلى فى الخطر والشرف .
 (٣) بعده فى ش مع علامة إلحاق ، حاشية نصها : « هذان الشطران هما أورداه أبو محمد الأعرابي ، ولم يوردهما المؤلف » . والعبارة الملحقه هى :

« وقال أيضاً :

يا لَنَزَارٍ دعوةٌ صَبَاحاً
 قد فاضح الأمرُ بنا فِضاحاً »

إِنَّكَ إِنْ يُصْرِعْ أَخُوكَ تُصْرِعُ إِنْ أَنَا الدَّاعِي نَزَارًا فَاسْمَعُوا
 لِي بِأَذْخٍ مِنْ عِزِّهِ وَمَقَرَعُ^(١) بِهِ يَضُرُّ قَادِرٌ وَيَنْفَعُ
 وَأَدْفَعُ الضِّيمَ غَدًا وَأَمْنَعُ عِزُّ اللَّهِ شَامِخٌ لَا يُقَمَّعُ
 يَتَّبِعُهُ النَّاسُ وَلَا يُسْتَتَبَعُ هَلْ هُوَ إِلَّا ذَنْبٌ وَأَكْرَعُ
 وَزَمَعَ مُؤْتَشَبٌ مَجْمَعُ وَحَسَبُ وَغُلٌّ وَأَنْفٌ أَجْدَعُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ تَصْرَعَ أَخَاكَ تُصْرِعُ^(٢)
 إِنْ أَنَا الدَّاعِي نَزَارًا فَاسْمَعُوا فِي بِأَذْخٍ مِنْ عِزِّهِ وَمَقَرَعُ^(٣)
 قُمْ قَائِمًا ثُمَّتْ قُلُوبُ فِي الْمَجْمَعِ لِلْمَرْءِ أَرْطَاةٌ أَيَا ابْنَ الْأَفْدَعِ^(٤)
 هَا إِنْ ذَا يَوْمٌ عَلَاءٌ وَمَجْمَعُ وَمَنْظَرٌ لِمَنْ رَأَى وَمَسْمَعُ
 فَنفَرَهُ الْأَقْرَعُ بِمَضَرٍ وَرَبِيعَةٍ ، وَلَوْلَاهُمْ^(٥) نَفَرُ الْكَلْبِيِّ .

وكانت القرابة بين بجيلة وولد نزار : أن إراش بن عمرو بن العوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، خرج حاجًا ، فتزوج سلامة بنت أنمار بن نزار ، وأقام معها في الدار بغور تهمامة ، فأولدها أنمار بن إراش ورجالا ، فلما توفي إراش وقع بين أنمار بن إراش وإخوته اختلاف في القسمة ، فتنحى عن إخوته ، وأقام إخوته^(٦) في الدار مع أخوالهم . وتزوج أنمار بن إراش بهند

(١) المقرع بالراء ، من فرع فلان فلاناً : علاه : ط : « ومفرع » صوابه في ش .

(٢) رسمت هذه الكلمة في ش لتقرأ بالياء والتاء معاً في الموضعين .

(٣) ط : « ومفرع » . وانظر ما سبق من تحقيق . وفي الشطر وما بعده إقواء .

(٤) ش : « الأقرع » ، وأثبت ما في ط . وقد سبق في الخبر أن صاحب أمر كلب هو

خالد بن أرتاة .

(٥) ط : « ولولاه » .

(٦) ط : « عن أخويه وأقام أخويه » ، تحريف ما أثبت من ش .

بنت مالك بن غافق بن الشاهد ، فولدت أفتل وهو خشم ، ثم توفيت
فتزوج بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، فولدت له عبقر^(١) ،
فسمته باسم جدّها وهو سعد ولقب بعبقر ، لأنّه ولد على جبل يقال له
عبقر . وولدت أيضاً الغوث ، ووادعة ، وصهبية ، وحزيمة ، وأشهل ،
وشهلاء ، وسنية ، وطريفاً ، وفهماً ، وخدعة ، والحارث . انتهى
ما أورده أبو محمد الأعرابي .

وظهر أنّهما أرجوزتان على قافية العين ، أولاهما مرفوعة والثانية
مجرورة .

والشاهد إنّما يتأتّى على الأولى . وقد روى أيضاً :

* إِنَّكَ إِنْ نَصَرَ أَخَاكَ تُنْصَرَعُوا *

بالجمع ، يريد الأقرع وقومه . وعلى هذا لاشاهد فيه كالرجز الثانى .
* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأنّهم من ورائنا وكفّ)

على أنّه تحذف نون الجمع للضرورة كما هنا ، والأصل : الحافظون
عورة العشيرة .

وهذا على رواية نصب عورة . أمّا على رواية خفضها فالنون حذفت
للإضافة .

وقد تقدّم الكلام عليه مفصلاً فى الشاهد الثامن والتسعين بعد
المائتين^(٢) .

(١) ط : « عبقر » .

(٢) الخزائن ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .

والو كف ، بفتح الواو والكاف ، وروى بدله : « نَطَفُ » بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العَيْبِ .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتمُ الطائيُّ وهَّابُ المثنى)

على أنه حذف تنوين (حاتم) لالتقاء الساكنين . والمثنى أصله المثنين حذفت النون لضرورة الشعر ، كحذف التنوين .

وقد تقدّم الكلام عليه مستوفى في الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد الخمسمائة^(٢) .

٥٨٢ (زَعَمْتَ ثَمَاضِرُ أَنْتَى إِمَّا أُمْتُ يَسْدُدُ أَبِينُوهَا الْأَصَاغُرُ خَلَّتِي)

على أن جمع (أبينوها) شاذٌّ ، كما بيّنه الشارح المحقق .

وملخصه : أنه إِمَّا جَمْعُ أَبِينِ مصغرُ أَبْنَى كَأَعْمَى^(٣) .

وإِمَّا جَمْعُ أَبِينِ مصغرُ أَبْنَى بفتح الهمزة^(٤) ، وهو جمع ابن بكسرهما .

وإِمَّا جَمْعُ أَبِينِ مصغرُ ابن ، بجعل همزة الوصل قطعاً .

وإِمَّا مصغرُ بَنِينِ على غير قياس . فهذه أقوال أربعة .

(١) الخزائن ٧ : ٣٧٥ - ٣٧٩ .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ٤٣/٢ : ٦٩ والقال ١ : ٨١ وابن يعيش ٩ : ٥ ، ٤١ والمص ٢ : ٦٣ والحامسة بشرح المرزوقي ٥٤٧ ، وبشرح التبريزي ٢ : ١٢١ والأصمعيات : ١٦ .

(٣) ابن الشجري : « فهو اسم سوا به الجمع ولم ينطقوا به ، ولكن لما سمع تصغيره دل على أن المكبر أفضل » .

(٤) في الرضي ٢ : ١٧٠ : « كأدل جمع دلو » .

قال أبو علي (في باب من الجمع بالواو ^(١) والنون ، من كتاب الشعر) :
قال الشاعر ^(٢) :

إِنْ يَكْ لَا سَاءَ فَقَدْ سَاءَ فِي تَرْكُ أَبْيْنِيكَ إِلَى غَيْرِ رَاغٍ ^(٣)

لا يخلو قولهم أبينون في تحقير أبناء من أن يكون مقصوراً من أفعال ،
أو يكون تحقير أَفْعُل ، أو يكون اسماً صيغ في التحقير .

ولا يجوز أن يكون مقصوراً من أفعال ، لَأَنَّ أَفْعَالاً لَمْ يُقْصَرْ فِي
مَوْضِعٍ غَيْرِ هَذَا ، فَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَدْعَى فِيهِ شَيْءٌ وَلَا نَظِيرٌ لَهُ وَقَدْ خُولِفَ
فِيهِ . وَلَمْ يَجِءْ فِي شَيْءٍ كَمَا جَاءَ أَسَدٌ وَأُسْدٌ وَنَحْوُهُ .

ولا يستقيم أن يكون تحقير أَفْعُل ، وإن كان أَفْعُل مثل أفعال في
أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْعَدَدِ الْقَلِيلِ .

فإن قلت : أو ليس قد قالوا : صَبِيٌّ وَصَبِيَّةٌ ، وَغِلَامٌ وَغِلْمَةٌ ، وقالوا في
التصغير : أَصْغَبَةٌ وَأَغْصِمَةٌ ، وَأَفْعَلَةٌ مِنْ فِعْلَةٍ كَأَفْعُلٍ مِنْ أَفْعَالٍ فِي أَنَّ كُلَّ
وَاحِدٍ جَمْعٌ أَدْنَى الْعَدَدِ ، جَاءَ التَّكْبِيرُ عَلَى أَحَدِهِمَا وَوَقَعَ التَّحْقِيرُ عَلَى الْآخَرِ .
وكَذَلِكَ أَبِينُونَ ، وَإِلَى هَذَا يَذْهَبُ بَعْضُ الْبَغْدَادِيِّينَ .

فالجواب : لا يستقيم أن يكون هذا على أَفْعُل وإن كان ما ذكرت
من أدنى العدد يقوم مقام الآخر للدخول الواو والنون وهما في أَنَّهُ لِلْعَدَدِ
الْقَلِيلِ ، مِثْلُ الْبِنَاءِ الْمَبْنِيِّ لَهُ ، فَلَا يَسْتَقِيمُ ، إِذْ لَمْ يُنْقَلْ لِحَاقِ الْوَائِ وَالنُّونِ
لَهُ ، كَمَا لَا يَجْتَمِعُ الْحُرَفَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي الْكَلِمَةِ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ ٤٠١

(١) ط : « من الجمع الواو » ، صوابه في ش .

(٢) هو السفاح بن بكير اليربوعي . المفضليات ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) في المفضليات : « من يك لا ساء » .

اسماً فيه علامة التأنيث بالألف والتاء أزلتها بالحذف أو القلب . فكما أزلت العلامة فلم تجمع بينهما ، كذلك لا يستقيم أن تجمع بين الواو والنون وبين بناء أدنى العدد ، لاجتماع شيئين لمعنى واحد في الكلمة . فإذا لم يستقم ذلك علمت أنه صيغ في التحقير ، كما قال ، كأنك حقّرت أبني^(١) مثل أعمى .

فإن قلت فمن أبيات الكتاب :

قد شربتُ إلاّ دهيدِهيْنا قُلَيْصَاتٍ وَأُبَيْكِرِينَا^(٢)

فالقول في ذلك أنه ضرورة . وكان الذي استهواه أن أفعل جمع من أبنية الجموع القليلة ، وقد جاء ضربان منه بالتاء فهو أفعلة وفعلة ، فلماً وافقتها أفعل في القلة وكان تأنيث الجمع قائماً فيه قدر أن التاء فيه تلزم ، فقدر فيها التأنيث كما جاء في البناءين الآخرين^(٣) ، فلماً لم تثبت عوض منها كما عوض من العلامة التي ينبغي أن تثبت فيها ، فقال أبَيْكِرِين كما قيل أَرْضُون . فإذا كان كذلك لم تجتمع علامتان لمعنى . ألا ترى أن الياء كأنها عوض من علامة التأنيث ، كما أنها في أرضين كذلك . وأما أبينون فإذا لم تكن فيه ضرورة وكان التصغير قد يصاغ فيه الأسماء التي لا تكون في التكبير نحو عُشِيْشَة وَأُنَيْسَان^(٤) كذلك تحمل أبني^(٥) على هذا النحو دون أفعل ، فيلزم فيه اجتماع

(١) في النسختين : « ابنا » . وانظر سيبويه ٢ : ١٢٥ بولاق و ٣ : ٤٥٦ هارون .

(٢) سيبويه ٢ : ١٤٢ بولاق و ٣ : ٤٩٤ هارون .

(٣) ش : « أن التاء فيه تلزم الآخرين » فقط .

(٤) إذ أن المكبر إنما هو عشية وإنسان ، والمصغر منها عشيشية وأنيسيان .

(٥) في النسختين : « ابنا » كما سبق .

شيئين بمعنى . وأما الدهيدينا فيشبه أن يكون لمّا حذف حرف اللين الذي كان يجب إثباته شُبّه ذلك بعلامة التانيث من حيث الحذف ، فجعل الواو والنون عوضاً من ذلك كما جعلها عوضاً من علامة التانيث . انتهى كلامُ أبي عليّ .

وقال ابن جني (في إعراب الحماسة) : ذهب سيويوه إلى أن الواحد المكبر من هذا الجمع أبني على وزن أفعل مفتوح العين ، بوزن أعمى ، ثم حَقَّرَ أيضاً^(١) فصار أبين كاعيم ، ثم جمع بالواو والنون فصار أبينون ، ثم حذف^(٢) النون للإضافة فصارت أبينوها .

وذهب الفراء إلى أنه كُسِّرَ ابناً^(٣) على أفعل مضموم العين ، ككلب وأكلب .

ويذهب البغداديون في هذه المحذوفات إلى أنها كلها سواكن العين . فأبين عندهم كأذيل ، كما أن أبني ذلك المقدر عندهم كأذل . وكان سيويوه إنما عدل إلى أن جعل الواحد من ذلك أفعل اسماً واحداً مفرداً غير مكسر لأمرين :

أحدهما : أن مذهبه في ابن أنه فعل ، بدلالة تكسيرهم إياها على أفعال ، وليس من باب فعل أو فُعل .

والآخر : أنه لو كان أفعل لكان لثال القلة ، ولو كان له لقبح جمعه بالواو والنون . وذلك أن هذا الجمع موضوع للقلة فلا يُجمع بينه

(١) أيضاً ، ليست في ش ولا في تنبيه ابن جني .

(٢) في التنبيه : « ثم حذف » .

(٣) هذا ما في التنبيه لابن جني . وفي النسختين : « ابني » ، تحريف .

وبين مثال القلّة ، لثلاً يكون ذلك كاجتماع شيئين لمعنى واحد ، وذلك مرفوضٌ في كلامهم . ورأى مع هذا أنّه قد جاء في أسماء الجموع المفردة غير المكسرة ما هو على أفعل مفتوح العين ، وهو ما أنشده أبو زيد من قوله :

ثم رآني لا أكوئن ذبيحةً وقد كثرت بين الأعْمُ المضائضُ^(١)

كذا رواه الأعْمُ بفتح العين، ومثله أثابة وأثاب، وأضحاة وأضحى . وهذه أسماء مفردة غير مكسرة . وكذلك أرؤى ، وله نظائر . واعتصم الفراء فيما ذهب إليه بقول الشاعر :

قد رويت إلاّ دهيدينا قليصاتٍ وأبيكرينا

فهذا تحقير أبكر ، وهو مثال القلّة كما ترى ، وقد جمع بالواو والنون . وكان يروى « الأعْمُ » بضم العين ، فهذا عنده كصكّ وأصلك ، وضبّ وأضبّ . وكيف تصرّفت الحال فرواية أبي زيد في النفوس بحيث لا ريب^(٢) .

وأما قوله :

من بك لا ساء فقد ساعني ترك أبنيك إلى غير راع^(٣)

فيحتمل أمرين : أحدهما أن يكون الياء فيه علم الجمع ، كالواو

(١) في النسختين : « ثم واني » ، تصحيحه من النوادر ٦٣ . وقيله :

فلان أباسها مقسم يمينه لأن نبضت كنى وإني لنابض

(٢) بين هذا الكلام وتاليه كلام طويل في تنبيه ابن جني .

(٣) انظر نسبة البيت والكلام عليه فيما سبق . وفي ط : « راعي » . صوابه في ش . البيت من قصيدة مقيدة بالسكون ، مظلما :

صل على يحيى وأشياعه رب غفور وشفيع مطاع

في قوله أبينوها . والآخر : أَنَّهُ واحدُ الأَبْنَيْنِ^(١) على ماتقدم من الخلاف فيكون على قول صاحب الكتاب تحقير ابْنِي كأعمى ، وعلى قياس قول الفراء تحقير أبْنِي كأدلي ، فيكون اللام ياء^(٢) . انتهى .

واقْتصر ابن الشجري (في أماليه) على مذهب سيوييه ، قال : وأشكُلُ ما في هذا الاسم وهو أبْنٍ قولهم في جمع مصغره أبينون في هذا البيت . لا يجوز أن يكون أبينون جمعاً لمصغَر ابن ، لأنَّه لو كان كذلك لقليل بُنيُون . ولا يجوز أن يكون جمعاً لمصغَر أبناء ، لأنَّه لو كان كذلك لقليل أبيناءون . ولو أرادوا هذا لاستغنوا بقولهم أبيناء عن جمعه بالواو والنون . وإذا بطل الأول والثاني فإنَّ قولهم : أبينون جمعٌ لتصغير اسم للجمع ، وليس بجمع ، ولكنَّه كَنَفَرٍ ورَهْط ، وهو مما قدروه ولم ينطقوا به . ومثاله أبْنِي مقصور بوزن أعشى ، ثم حَقَّر فصار إلى أبينٍ مثل أعيش ، ثم جمع فقليل أبينون ، وأصله أبينيون ، ففعل به ما فعل في القاضون . انتهى .

وبقي مذهبُ خامسٍ نقله الخطيب التبريزي (في شرح هذا البيت من الحماسة) عن أبي الغلاء المعري قال : زعم أبو الغلاء أنَّ أبينوها تصغير أبناء . ولما ذكر سيوييه هذا الجمع عبَّرَ بعبارة تُوهم أَنَّهُ جمع أبْنِي على أفعل ثم صَغَّر ، كما يقال أعشى وأعيش والجمع أعيشون . وإنما أراد أن الألف التي في أبناء وبعدها الهزة تحذف ، فيصير تصغيره كتصغير أفعل . كأنَّ أبا الغلاء يريد أنَّ مكبَّر هذا الجمع أبْنِي على وزن أفعل مفتوح العين بوزن أعمى ، ثم حَقَّر فصار أبينٍ كأعيم ، ثم جمع بالواو

(١) هذا ما في التنبيه . وفي ط : « الأبينين » ، وفي ش : « الأبينين » .

(٢) في التنبيه : « فتكون الياء لاماً » .

والنون فصار أبينون ، ثم حذفت النون للإضافة . وكان الأصل أبيناء على أفعال ، فاهمزة لام الكلمة ، وهي منقلبة من واو ، فلما حذفت الألف من أفعال رجعت اللام إلى ما كانت فصار ت ألفاً في آخر الكلمة ، فصار أبني كاعى ، ثم صغر على ما تقدم .

قال : ويحسن أن يقال : جمع ابناً على أفعل ، لأن أصله فَعَلَ كما يقال زَمَنْ وَأَزَمَنْ ، ثم صغره وجمعه . وقال قوم : إنما أراد بنيون ، وابن من ذوات الواو ، فنقلها إلى أول الاسم ، ثم همزها للضمّة ، كما قالوا وجوه وأجوه . فقوله أبينوها على هذا تصغير أبني مقصوراً عند البصريين ، وهو اسم صيغ للجمع كأروى وأضحى ، فهو على أفعل بفتح العين . انتهى .

صاحب الشاهد والبیت من قصیدة عدتها أحد عشر بيتاً لسلمی بن ربیعة^(١) من بنی السید بن ضبة ، أوردها أبو تمام (في الحماسة) وهي :

أبيات الشاهد (حَلَّتْ تَمَاضِيرُ غَرَبَةٍ فَاحْتَلَّتْ فَلَجاً وَأَهْلُكَ بِاللَّوَى فَالْحِلَّةِ
وَكَاَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ حَبٌّ قَرْنَفُلٍ أَوْ سُنْبُلًا كُحِلَتْ بِهِ فَانْهَلَتْ
زَعَمْتُ تَمَاضُرُ أَنْتَى إِمَّا أُمْتُ يَسُدُّ أَبِينُوهَا الْأَصَاغُرُ خَلَّتِي
تَرِبْتُ يَدَاكِ وَهَلْ رَأَيْتَ لِقَوْمِهِ مِثْلِي عَلَى يُسْرَى وَحِينَ تَعَلَّتِي^(٢)
رَجُلًا إِذَا مَا النَّائِبَاتُ غَشِيَنَهُ أَكْفَى لِعَضْلَةٍ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
وَمُنَاحُ نَازِلَةٍ كَفَيْتُ ، وَفَارِسٍ نَهَلْتُ قَنَايَ مِنْ مَطَاهِ وَعَلَّتْ
وَإِذَا الْعَذَارَى بِالْذُّخَانِ تَقَنَّنَتْ وَاسْتَعْجَلْتُ نَصْبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتْ

(١) انظر ما كتبت في تحقيق اسمه وفي نسبة هذه الأبيات في حواشي شرح الحماسة للمرزوقي

دارت بأرزاق العفا مغالِقُ بيدى من قمع العشار العجلة
ولقد رأبت شأى العشيرة بينها وكفيت جانيتها اللتيا واللى^(١)
وصفحت عن ذى جهلها ورقدتها
نُضحى ولم تُصب العشيرة زلتى^(٢)
وكفيت مولاي الأحم جريرتى وحبيت سائمتى على ذى الخلّة^(٣)

وقد روى هذه القصيدة القالى (فى أماليه) ، وأبو الحسن الأنخس
(فى شرح نوادر أبي زيد) كما نقلناها .

قوله : « حلت تماضر غربة » الخ . قال الإمام المرزوق : تماضر : امرأته ،
وكانت فارقت عاتبة عليه فى استهلاكه المال ، وتعريضه النفس للمعاطب ،
فلحقت بقومها ، فأخذ هو يتلهف عليها ويتحسر فى أثرها وأثر أولاده
منها ، فيقول : نزلت هذه المرأة بعيدة منك فاحتلت فلجاً وأهلك
نازلون بين الموضعين . وهذا الكلام توجع . وقلج : على طريق البصرة .
والحلة : موضع من الحزن ببلاد ضبة . واللوى : رمل متصل به رقيق^(٤) .
وبين المواضع التى ذكرها تباعد . فإن قيل : لم قال حلت ثم قال احتلت^(٥) ؟
قلت : نبه بالأول أنها اختارت البعد منه والتغرب عنه ، وبالثانى
الاستقرار ، فكأنه قال : نزلت فى الغربة^(٥) فاستوطنت فلجاً . وقلج
بفتح اللام : بلد ، وقلج بسكون اللام : ماء . انتهى .

(١) سيأتى فى الشرح ص ٤٦ جواز ضبط « جانيتها » بفتح الياء وإسكانها .
(٢) تضحي ، كذا وردت ، وسيتكلم فيها البغدادى . وقد جعلت فى ش « نصحي » . ومع أنه
تصحیح لكنه ليس يريد البغدادى . والبغدادى سينص فى س ٦ على أنها رواية القالى ، لكن
الثابت فى الأمالى : « نصحي » بالنون ، وأراه تغييراً لرواية القالى لتساير الرواية المعروفة .
(٣) كذا بالراء فى النسختين وشرح المرزوق .
(٤) بعده فى المرزوق : « وهلا اكفى بأحدهما » .
(٥) المرزوق : « نزلت فى هذه الغربة » .

وقال الأسود أبو محمد الأعرجي (في شرح الحماسة) : هذه المرأة فارقت إماً بطلاق وإماً مغاضبة ، فأسِف عليها . والجِلَّة بفتح المهملة وكسرهما : موضعُ حزن وصخورٌ ببلاد ضَبَّة . واللوى هنا : موضعٌ بعينه . والغربة ، بفتح الغين المعجمة : الأرض البعيدة . وفَلَج بالفتح والسكون : وادٍ بطريق البصرة إلى مكَّة ، ببطنه منازلٌ للحاج ، وبينه وبين فلَج ، زعموا ، مسيرةٌ عشر . انتهى .

وقال التبريزي : قوله غربة أى دار بعيدة^(١) . والجِلَّة : موضعٌ في بلاد بني ضَبَّة . وقالوا : هى حَزَنٌ ببلاد ضبة . انتهى .

وتماضر من أسماء النساء ، قال ابن جنِّي (في إعراب الحماسة) : التاء في تماضر عندنا فاء ، وإنَّما لم يصرف عندنا هذا الاسم لما فيه من التعريف والتأنيث ، [لا] لأنَّه بوزن فُعاعِل^(٢) . فتماضر إذا كثر أقر وعُذافر . وكذا القياس في تاء جَمَل تُرامِز^(٣) . انتهى .

والظاهر أنَّ تماضر تفاعل ، والتاء زائدة لا أصل ، إذ هو من مَضَر . وإليه ذهب أبو العلاء المعري (في شرح ديوان البحترى) قال : تماضر بضم التاء وكسر الضاد ، وهو منقول من فعل مضارع ، كما سُميت المرأة تُكْتَم وتُكْنَى . وكان في النسخة (أى من ديوان البحترى) قال :

(١) التبريزي : « أى داراً بعيدة » .

(٢) سقطت كلمة « لا » من النسختين ، وإثباتها من إعراب الحماسة الورقة ٩٣ . وفي ط : « فاعل » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة . وابن جنِّي يبنى أن يكون الوزن « تفاعل » بالتاء فتفتح الكلمة من الصرف العلمية ووزن الفعل ، ويعنى أن منها الصرف العلمية والتأنيث .

(٣) في اللسان (ترمز) : « الترامز من الإبل : الذى إذا مضغ رأيت دماغه يرتفع ويسفل ، وقيل هو القوى الشديد » .

تَمَاضِرُ بفتح التاء وضم الضاد . وهذا غلط ، والمعروف في أسماء النساء ما ذكرنا .

وذكر ابن السراج عن قومٍ من النحويين أَنَّهُم جعلوا تَمَاضِرُ في الأبنية التي أغفلها سيبويه . وهذا وهم ، لأنَّ تَمَاضِرُ تفاعل من قولك ماضرتُ تَمَاضِرُ . فإمَّا أن يكون مأخوذاً من اللبن الماضر ، وهو الحامض ^(١) وقيل الأبيض ، فكأنه من ماضرت الرجل ، إذا سقيته وسقاك اللبن . ٤٠٤ وإمَّا أن يكون من مُضِر ، كأنه من ماضرته إذا ناسبته إلى مضر . انتهى .

وقد تبعه تلميذه الخطيب التبريزي هنا ، وقال : تماضر من أسماء النساء . وقد ذكرها بعض الناس فيما أغفله سيبويه من الأبنية . وليس الأمر كذلك ، لأنَّ تماضر مسمّاة بالفعل المضارع الذي هو مأخوذ من اللبن الماضر ، وهو الحامض ^(٢) ؛ أو من قولهم : عيش مَضر أي ناعم ؛ وقيل : المضر : الأبيض . انتهى .

وقوله : « وكأنَّ في العينين » إلخ ، قال المرزوقي : يقول : ألفتُ البكاء لتباعدِها ^(٣) ، فجادت العينان بإسالة دمعهما غزيراً متحلباً منهما ، فكأنَّ في عينيَّ أحدَ هذين المهيَّجين الحالبيين للعيون . وقوله : « كحلت » إخباراً عن إحدى العينين ، وساغ ذلك لما في العلم من أنَّ حالتيهما لا يفترقان ^(٤) [ومتى اجتمع شيئان في أمر لا يفترقان فيه] اجتزئ بذكر أحدهما عن الآخر . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الحامض » التالية ، ساقط من ش .

(٢) إل هنا ينتهي السقط الذي بدأ من موضع التنبيه السابق .

(٣) وكذا في شرح المرزوقي . وفي ط : « وتبعاها » .

(٤) هذا ما في المرزوقي ، وفي التسخين : « من أن حالتيهما لا يفترقان فيه » ، تحريف . والكلام بعده إلى « فيه » التالية ساقط من ش .

والقَرْنَفُل والسُّبُل من أخلاط الأدوية التي تُحْرِق العين وتُسِيل
الدَّمْع . وانْهَل واستَهَلَّ ، إذا سال .

وقوله : « زعمت تماضر أننى » إلخ . قال المرزوق في زعمت ^(١) :
يتردد بين الشك واليقين ، وههنا يريد به الظن . وأننى مع معموليها ^(٢)
نائب عن مفعوليها . يقول : ظننت هذه المرأة أنه إن نزل بي حادث قضاء
الله تعالى ، سدّ مكافئ ورمّ ما يتشعث من حالها بزوالى ، أبناؤها الأصاغر .
ويريد بهذا الكلام التوصل إلى الإبانة عن محلّه ، وأنه لا يغنى غناءه
من الناس إلّا القليل . يقال سدّ فلان مسدّ فلان وسدّ خلّته ، وناب
منايه ، وشغل مكانه ، بمعنى واحد ^(٣) . فإن قيل : كيف ساغ أن يقول
يسدّد خلّتى وإذا مات لم تكن له خلّة ؟ قلت : أضافها إلى نفسه لما كان
يسدّها أيام حياته ، فكأنه قال : الخلّة التي كنت أسدّها . وهذا من
إضافة الشيء إلى الشيء [على ^(٤)] المعتاد فيهما . ومثله قولهم : شهاب
القذف ، فأضيف الشهاب إلى القذف لما كان من رمى الرامى . ووجوه
الإضافات واسعة كثيرة ، وكذلك متعلقاتها . انتهى .

وقال الأسود : أرته الاستغناء عنه بأطفالها . وهذا يدلّ على أنها
غاضبة وهي في حباله . والخلّة بفتح المعجمة : الفُرجة ، والثلمة التي
يتركها بموته . والخلّة : الضعف والوهن ، والخلّة : الفقر . والخليل :
الفقير ، والخلّة : الخلّة .

(١) كلمة « فى » ليست فى ش ولا فى المرزوق . وفى المرزوق : « زعم » .

(٢) المرزوق : « وأننى مع الجزاء والجواب » .

(٣) كلمة « واحد » ليست فى المرزوق .

(٤) التكلفة من شرح المرزوق .

وقوله : « تربت يدك » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى خطاياها . قال
المرزوقي في ترب : يستعمل في الفقر والخيبة لا غير . وأترب يستعمل في
الغنى والفقر جميعاً ، فإذا أريد به الغنى فالمعنى صار له من المال بعدد
التراب ، وإذا أريد به الفقر فالمعنى : صار في التراب ، كما يقال : أسهل
إذا صار في السهل . وقد يجوز أن يكون مثل أقل ، والمعنى صار مالك
قليلاً من المال . وقوله : « حين تعلت^(١) » : المعنى : وحين اعتمدت على
إقامة العلة لحصول الفقر^(٢) . وعلى هذا قوله :

* قليل أدخار الزاد إلا تعلت^(٣) *

أى قدر ما يقام به العلة . أقبل عليها يوبئها ويخطئ رأيها ،
ويكذب ظنها . ويقبّح اختيارها ، في إفاتة نفسها الحظ منه ، ويدعو
عليها بالفقر^(٤) والخيبة في الرجاء^(٥) فقال : صار في يدك التراب ،
وهل رأيت لقومه من يماثلني في حالتي السراء والضراء حتى تعلت مثل
رجائك في بغيري إذا أخليت مكاني . انتهى .

وقال الأسود : أى خاب رجائك حين تعدلين بي أطفالاً ، وقد رأيت الرجال
أعيامهم مكاني . وتربت يدك معناه صار في يدك التراب ، أى لك الخيبة
مما أملت . وهى كلمة ثقيل للمخطئ وجه القصد . وقوله « حين تعلت » :
يريد العسر ، تعتل حاله وتختل . وقال التبريزي : التعلت من عللت ،
كأنه أراد حين أفترق فاحتاج إلى العلل ، أى الحُجج ، أو إلى أن أُعَلَّل

٤٠٥

(١) ط : « تعلت » ، صوابه في ش والمرزوقي .

(٢) المرزوقي : « بحصول الفقر » .

(٣) لتأبط شراً في الحاسة بشرح المرزوقي ٤٩٤ . وعجزه :

* فقد نثر الشرسوف والتصق المعاء *

(٤) المرزوقي : « بالفقر والبأساء » كما هو عادته في السجع .

(٥) ط : « الرخاء » ، صوابه في ش والمرزوقي .

نفسى كما يعلل العليل . قال ابن جنى : قوله « وحين تعلتّى » معطوف على موضع قوله يُسرى ، أى على وقت يُسرى وحين تعلتّى .

ومثلى يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون مفعول رأيت ، فينتصب رجلاً فى البيت بعده على التمييز ، كقولك : لى مثله عبداً أى من العبيد، فيكون تقديره : مثلى من الرجال الذين إذا غشوا كفّوا . والآخر : أن يكون أراد هل رأيت رجلاً مثلى ؟ فلما قدم مثلى وهو وصف نكرة نصبه على الحال منها . واللام فى قوله لقومه متعلقة بنفس رأيت ، كقولك : رأيت لبنى فلانَ نعماً وعبيداً . وإن جعلت مثلى مفعول رأيت كانت الهاء فى قومه له . وإن جعلته حالاً مقدّمة فاهاء لرجل .

وقوله : « رجلاً إذا ما النائبات » إلخ ، قال المرزوقى : رجلاً بدل من مثلى ، كأنه قال : هل رأيت لقومه رجلاً أكفى للشّدائد وإن عظمت عند طروق النوائب وغشيان الحوادث منى ؟ فحذف منى لأنّ المراد مفهوم . والمعضلة : الداهية الشديدة . يقال أعضل الأمر ، إذا اشتدّ . ويروى : « للمضليعة » وهى التى تضم^(١) الأضلاع بالزّفرات وتنفس الصّعداء ، حتى تكاد تخطمها^(٢) .

وقوله : « ومُناخ نازلة » إلخ . قال المرزوقى : أخذ يعدّد ما كانت كِفائِته مقسومةً فيه ، ومصرفةً إليه . ومُناخ : مصدر أنخت . وكفّيت يتعدّى إلى مفعولين ، وقد حذفهما ، كأنه قال : كفّيته العشيرة . يقول : ربّ نازلة أناخت ، أنا دفعت شرّها ، وكفّيت قوى الاهتمام بها ، وربّ فارس سقيت رمحى من دم ظهره ، العلل بعد التّهل . وخصّ الظّهر ليُعلم أنّه أدبر عنه وولى .

(١) فى النسختين : « تقيم » ، صوابه فى المرزوقى .

(٢) ط : « تخطمها » ، صوابه فى ش و المرزوقى .

وقوله: « وإذا العذارى بالدخان » إلخ . قال المرزوقي : أقبل يعدد الخصال المجموعة فيه من الخير^(١) بعد أن نبه على أنه لا يقوم مقامه أحد ، فكيف من طمعت^(٢) في نيابته عنه . يقول : وإذا أبكارُ النساء صَبَرَت على دُخان النار حتَّى صار كالقِنَاع لوجْهها ، لِتأثيرِ البرد فيها ، ولم تصبر لإدراك القُدور^(٣) بعد تهيئتها ونصبها ، فَشَوَتْ في المَلَّة قَدَرٌ ماتعلِّلُ به نفسَهَا من اللحم ، لتمكُّن الحاجة والضَّرَّ منها ، ولإجذاب الزمان واشتداد السَّنة على أهلها - أحسنت^(٤) . وجواب إذا في البيت بعده . وخَصَّ العذارى بالذكر لفرط حيائهنَّ ، ولتصوُّنهنَّ عن كثير مما يَتَبَذَّل فيه غيرهنَّ^(٥) . وجعل نصبَ القُدورِ مفعولاً استعجلت على المجاز والسعة . ويجوز أن يكون المراد به : استعجلتْ غيرَهَا بنصبِ القُدور ، أو في نصبِ القُدور ، فحذف الجار . انتهى .

وقال الأسود : ويروى « تَلَفَّعت » . واللَّفَاع : المِلْحَفَة . والقِنَاع : المِقْنَعَة . أى غَشِيَن الدخان حتَّى صار لهنَّ كاللَّفَاع أو القِنَاع من شِدَّة البرد . واستعجلت نصبَ القُدور فملَّت ، أى أَلْقَت اللحم في المَلَّة جَوْعاً وضَرّاً^(٦) ، لم تصبر إلى إدراك القِدَر . قال التبريزي : وعلى هذا يكون وملَّت بالواو ، وغير أبي تمام يرويه :

(١) من الخير ، ليست في المرزوقي .

(٢) المرزوقي « طمع » ، وتقرأ بالبناء للمجهول .

(٣) المرزوقي : « ولم تصبر على إدراك القُدور » .

(٤) هو جواب « إذا » السابقة في السطر الثالث .

(٥) ش : « فهن غيرهن » ، صوابه في ط والمرزوقي .

(٦) في النسختين : « وضر ألم » والوجه ما أثبت . والضرى ، بفتحين : مصدر ضرى بالشيء ضرّاً وضراوة : طهح به واعتاده ولم يكده يصبر عنه .

« واستبطأت نصبَ القسود فملت »

وقال ابن جنى : ملّت هنا من مَلَّة النار ^(١) لا من الملالة ، أى بادرت للضرورة الخبزَ قبل القدر .

٤٠٦

وهذا البيت أورده البيضاوى عند قوله تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ^(٢) ﴾ ، واستشهد به على جواز جمع الصفة وإفرادها فى مطهرة . وقرأ زيد بن على : ﴿ مطهرات ^(٣) ﴾ ، وهما لغتان فصيحتان .

وقوله : « دارت بأرزاق العُفاة » إلخ هو جمع عاف ^(٢) ، وهو كل طالب رزق من الناس وغيرهم . ومغالق : فاعل دارت ، وهى قِداح الميسر جمع مِغْلَق ومِغْلَاق بكسرهما ، مأخوذ من غَلِق الرُّهُنُ ، لَأَنَّهُ مَنْ فَازَ سَهْمَهُ غَلِقَ نَصِيبُهُ فذهب به غير منازعٍ فيه . قاله الأسود . وقال المرزوقى : وإِنَّمَا سُمِّيت القِداح مغالق لَأَنَّ الجُزْرَ تَغْلِقُ عندها وتَهْلِكُ بها . والقَمْع ، بفتحيتين : قِطْع السَّنام ، الواحدة قَمْعَةٌ . والعِشَار : جمع عُشْرَاء ، وهى الناقة التى قد أتى عليها من حملها عشرة أشهر ، وتستصحب هذا الاسمَ فتسمى به بعد وضعها الحملَ بِأشهر . والجِلَّة بكسر الجيم : المَسَانُ ، الواحدة جليلة . ومنه : « ماله دقيقةٌ ولا جليلة » أى شاة ولاناقة .

قال المرزوقى : قوله أرزاق العُفاة كلامٌ شريف ، يقول : وإذا صار الزمان كذا ، دارت القِداح فى الميسر بيدي ، لإقامة أرزاق الطُّلاب من أسنمة النوق المسانِّ الكبارِ الحوامل ، التى قُرب عهدُها بوضع الحمل . وكلُّ ذلك يُضَنُّ به ويُتنافس فيه .

(١) ط : « من ملت » ، صوابه فى ش وإعراب الحامسة الورقة ٩٧ .

(٢) الآية ٢٥ من سورة البقرة .

(٣) ش : « عافى » .

وقال الأسود : قوله « بيدى » فيه قولان : أحدهما : أن ذواتِ الأنصباء من القداح سبعة ، وعدد الأيسار سبعة ، فإذا نقص منهم واحد أخذ أحد الستة قدحه وأخرج من ثمن الجزور نصيبه ، ثم جعل إحدى يديه ضاربةً بقدح نفسه ، والأخرى بقدح صاحبه . وإنما أراد بذلك التمدح بأنه يضرب بقدحين ، لا أنه ^(١) يفرد لهذا يداً ولهذا أخرى . وإياه أراد متمم بن نويرة بقوله :

بمثنى الأيادي ثم لم تُلَفِ مالكا من القوم ذا قاذورة متزيعاً ^(٢)
والآخر : أنه أراد : يقرع بين إبله أيها ينحر ؟ فقال : بيدى
ليعلم أنه لم يرد مقارعة إنسان غيره . انتهى .

وقال بعضهم : في البيت مبالغات : إحداها قوله دارت ، فإنه يدل على أنه أمر متكرر مرة بعد أخرى . ثانيها : جمع الرزق والعافى . ثالثها : الدلالة على أنه غارم لا فائز . رابعها : قوله يدى بالثنية . خامسها : إيثار السنام الذى هو أطيب ما فى الإبل . سادسها : العِشَار ، وهى أنفُسُ الإبل عند العرب . سابعها : قمعها وتعريفها ^(٣) . ثامنها : أن العفاة مالههم مؤنث غير . وفيه غير ذلك .

وقوله : « ولقد رأبت ثأى العشيرة » إلخ . قال الأسود : رأبت رأباً : أصلحت . والثأى كالعصا : الصّدع . وقد ثأى الخرزُ ، إذا انخرمت خرزتان فصارتا واحدة ^(٤) ، أى ما كان بينهما من نائرة أطفأت ، أو جناية

(١) ط : « إلا أن » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « لم يلف » ، تحريف . ورواية المفضليات ٢٦٦ :

وإن تلقه فى الشرب لا تلق فاحشاً على الكأس ذا قاذورة متزيعاً

(٣) ش : « جمها وتعريفها » .

(٤) فى اللسان : « ثأى الخرز ثأى ، وذلك أن يتخرم حتى يصير خرزتان فى موضع » .

غَرِمْتُ ، وكفيت جانبها اللتيا والتي ، وهما من أسماء الدواهي ، واللتيا أصغر من التي ، وهي في الأصل تصغيرها ، ثم هما من الأسماء الموصولة وحذفت صلتها . وذلك في عِظَم الأمر وشِدَّتِه ، كأنه قال ^(١) : كَفَيْتُهُ التي عَظُمْتُ شِدَّتُهَا ، وتناهتْ بَلِيَّتُهَا . وكأنه يريد باللتيا صِغَارَ المغارم . أَيْ غُرْمُهَا في ماله . وبألتي عَظَامَهَا ، كالدَّم يعقله عن القتال ونحوه . انتهى .

وقال المرزوقي : يقول : وكما ظهر غَنَائِي في تلك الأبواب فلقد سَعِيت في إصلاح ذات البين من العشيرة ، وكفيت مَنْ جَنَى منها الجناية الصغيرة والكبيرة ، بالمال والنفس ، والجاه والعز . وقوله «جانيها» إن فتحت الياء كان واحداً وإنْ أَدَّى معنى الجمع . وإن سَكَنْت الياء جاز أن يكون جمعاً سالماً ، وأن يكون واحداً حذف فتححتها ^(٢) .

٤٠٧

وقال ابن جني : بينها متعلقٌ بنفس الثأى ، أى أصلحت الفساد بينها . والهاء في جانيها ضمير العشيرة ، أى كفيت جاني العشيرة الداهية التي جناها على نفسه . ولا يجوز أن يكون ها ضمير اللتيا أى جاني الداهية ، وذلك أن الجاني هو المفعول الأول وهو مقدّم في موضعه ، فلا يجوز أن يتعلّق به ضمير المفعول الثاني ؛ لأنّه إنما يتقدّم ضمير الشيء عليه إذا كان رتبته أن يكون بعده ، فأما أن يتقدم ضمير الشيء عليه متعلقاً بما رتبته التقديم على صاحب الضمير فذلك تقديم الضمير على مُظْهَره لفظاً ومعنى ، وهذا عندنا غير جائز البتّة ، وإنّما المتجوّز من ذلك أن يتقدّم الضمير على مُظْهَره لفظاً على أن يكون متأخراً عنه معنى .

(١) قال ، ساقطة من ش .

(٢) المرزوقي : « قد حذف فتححتها » .

فَأَمَّا تَقَدُّمُهُ عَلَيْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى فَلَا . أَلَا تُرَى : لَانَقُولُ ضَرْبَ غَلَامُهَا هِنْدًا ، وَلَكِنْ نَقُولُ ضَرْبَتْ غَلَامَهَا هِنْدُ : فَكَذَلِكَ لَا يَكُونُ « هَا » مِنْ جَانِبِهَا ضَمِيرًا لِلتَّبَا ، كَمَا لَا تَجِيزُ أُعْطِيتُ مَالَكِهِ دَرَهْمًا ، وَلَا كَسَوْتُ صَاحِبَهَا جَبَّةً ، وَلَكِنْ نَقُولُ : أُعْطِيتُ دَرَهْمَهُ زَيْدًا ، وَكَسَوْتُ ثَوْبَهُ عَمْرًا . وَقَدْ يَجُوزُ مَعَ هَذَا كُلُّهُ أَنْ تَكُونَ هَا مِنْ جَانِبِهَا ضَمِيرًا لِلتَّبَا عَلَى حَدِّمَا يَجِيزُهُ مِنْ : أُعْطِيَ الدَّرَهْمُ زَيْدًا ، وَأَدْخَلَ الْقَبْرُ عَمْرًا عَلَى الْقَلْبِ . وَعَلَى هَذَا أَجَازُوا : مَرَرْتُ بِالمَكْسُوتَةِ جَبَّةً ، وَلَقِيتُ المَعْطَاهُ دَرَهْمًا . فَكَأَنَّ اللَّتْبَا وَالتِّي عَلَى هَذَا هِيَ المَكْفِيَّةُ جَانِبِهَا ، كَمَا أَنَّ الجَبَّةَ هِيَ المَكْسُوتَةُ زَيْدًا فَهُوَ عَلَى قَوْلِكَ : كَفَيْتُ اللَّتْبَا جَانِبِهَا . فَاعْرِفْهُ . انْتَهَى ، وَلِنَفَاسَتِهِ سُقْنَاهُ بَرْمَتَهُ .

وقوله : « وصفحت عن ذى جهلها » إلخ ، قال الأسود : أَكْمَلَ مَكْرَمَةً صِلَاحَ ذَاتِ البَيْنِ بِمَا أَرَدَفَهُ مِنَ الإِغْضَاءِ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْ جَاهِلِهَا . أَيْ مِنْ جَهْلٍ مِنْهُمْ عَلَى صَفْحَتِهِ عَنْهُ وَلَمْ أَجْهَلْ عَلَيْهِ . وقوله : « نُضْحِي » أَرَادَ نُضْحِي وَنُمْسِي ^(١) ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا مِنَ الْآخِرِ . وَوَجْهُ آخِرُ : خَصَّ الغَدَاةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ جُنَاةَ الشَّرِّ يَتَوَخَّوْنَ بِهِ ظِلَامَ اللَّيْلِ لِإِرَادَةِ أَنْ يَخْفَى ذَلِكَ . انْتَهَى .

وقد صحَّفَ هذه الكلمة وحرَّفَهَا ، وَإِنَّمَا هِيَ نُضْحِي بِالصَّادِ المَهْمَلَةِ ^(٢) . قال المرزوقي : يَصِفُ نَفْسَهُ بِالحِلْمِ مَعَهُمْ وَمَعَ سَفَاهَتِهِمْ ^(٣) ، يَقُولُ : عَفَوْتُ عَنْ

(١) ش : « نُضْحِي ، أَرَادَ نُضْحِي وَنُمْسِي » .

(٢) يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى رِوَايَةِ القَالِي . انْظُرْ تَعْقِيبَ البَغْدَادِيِّ عَلَى الْآيَاتِ السَّابِقَةِ ص ٣٧ .

(٣) ط : « سَفَاهَتِهِمْ » ، صَوَابُهُ فِي ش . وَفِي المَرْزُوقِيِّ : « يَصِفُ نَفْسَهُ بِالحِلْمِ مَعَهُمْ » ، وَكَلَّمَ النِّيْظَ فِيهِمْ ، وَمَنْعَ سَفَاهَتِهِمْ » .

جاهلها فلم أُوَاخِذْهُ بما بدر منه من هفوة أو زلَّة ، ثم بذلتُ نصحي لعشيرتي بمقدار جهدي ، ولم أَجِرَّ عليه جريرتي^(١) .

وقال الأسود : المعنى أَنَّهُ ليس من أهل السَّفَه وجُنَاة الشر .

وقوله : « ولم تصب العشيرة زلتى » ، أى إنْ زَلَّ ، ولا عصمة ، كفى نفسه ولم يشتدَّ عليه الأمر فيفتقرَ إلى من يكفيه أو يُعينه .

وقوله : « وكفيت مولاي الأحمَّ » إلخ . قال الأسود : الأحمَّ بالمهملة هو الأَخْصُ الأَدْنَى ، من الحميم . وهو تفسيرُ لقوله : « ولم تصب العشيرة زلتى » وتأكيدهُ للإكمال . يقول : إنْ جررت جريرةً أغْنيت فيها نفسى عن ابن عمِّ الأَدْنَى ، فضلاً عن الأبعد ، وحبستُ سائمتى ، يريد السَّوام ، وهو المال الراعى . وقد سامت الماشية : دخل بعضها فى بعض فى الرُّعى . وهذا إغراقٌ بعد التأكيد ، أى حبستُها عن المرعى على ذى الخلَّة بالفتح ، أى الفقر ، ليختار منها على عينه ، كما قال :

« يخيَّرُ منها فى البوازل والسُّدُسِ »^(٢) * انتهى .

قال ابن جنِّي : اعلمْ أَنَّ هذا الشاعر لزم اللام قبل هذه التاء فى هذه الأبيات ، وليست بواجبةٍ من حيث كان الروىُ إِنَّمَا هو التاء . ووجه ذلك فيما ذهب إليه قطرب : أَنَّ هذه التاء فى الفعل نظيرةُ الهاء فى الاسم ، فكما يلزم ما قبلها فى نحو قائمة وسائمة^(٣) فكذلك التزم^(٤) ما قبلها فى

٤٠٨

(١) المرزوق : « ولم أجِر عليهم جريرتى » .

(٢) لمصور بن مسباح الضبى فى الحماسة ١٦٧٥ بشرح المرزوق . صدره :

* فطاف كما طاف المصدق وسطها *

(٣) فى إعراب الحماسة : « وسائلة » .

(٤) فى النسختين : « ألزم » ، وأثبت ما فى إعراب الحماسة .

نحو: ضَنْتَ وَحَنْتَ. نَعَمْ، وقد يلتزم الشاعر المدلُّ ما لا يجب عليه، ثقةً بنفسه، وشجاعةً في لفظه. وقد ذكرت من هذا الطرز (في كتاب المغرب^(١)) ما يتجاوز قدر الكفاية .

وسلمى بن ربيعة روى بوجهين : أحدهما : بضم السين وتشديد الياء التحتية ، قال ابن جنى (في المبهج) : هو اسمٌ مرتجل .

وثانيهما : سَلَمَى بفتح السين والقصر ، قال أبو الحسن الأَخفش : وقع في نسختي من نوادر أبي زيد بهذا الضبط ، وحفظي^(٢) بالوجه الأول . والسيد بكسر السين ، قال ابن جنى : السيد : الذئب ، الأنثى سيدانة بزيادة الألف والنون .

وضبة أيضاً : اسم منقول من ضبة الحديد ، ومن أنثى الضب ونحوه .

وسلمى شاعرٌ جاهلي ، وهذه نسبته (من جمهرة ابن الكلبي) : سلمى بن ربيعة سلمى بن ربيعة بن زبَّان ، بفتح الزاي وتشديد الموحدة ، ابن عامر ابن ثعلبة بن ذئب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ابن أدد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ومن ولد سلمى في الإسلام : يعلى بن عامر بن سالم بن أبي سلمى بن ابن ربيعة ، كان على خراج الرمي وهمدان .

ومن ولده أيضاً : المفضل الرواية بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم المذكور .

* * *

(١) في إعراب الحاشية : « المغرب في تفسير قوافي أبي الحسن » .

(٢) ط : « وحفظ » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، وكذلك نوادر أبي زيد ١٢١ .

(٤ - خزنة الأدب - ج ٨)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو
من شواهد سيبويه ^(١) :

٥٨٣ (قد شَرِبْتَ إِلَّا الدُّهْدِيَّهِنَا قُلَيْصَسَاتٍ وَأُبْيَكِرِينَا)

على أَنَّ جَمَعَ مُصَغَّر (دهداه) وجمعَ مُصَغَّر (بكر) على مافى البيت : شاذٌّ.

أنشد سيبويه هذا الرجز وقال : والدَّهْدَاهُ : حاشية الإيل ، فكأنه
حَقَّرَ دَهَادَه ^(٢) فَرَدَّه إلى الواحد وهو دَهْدَاهُ ، وأدخل الياء والنون كما
تُدْخَلُ في أَرْضَيْنِ وسنَيْنِ ، وذلك حيث اضْطُرَّ في الكلام إلى أَنْ يُدْخَلَ ياءُ
التنصغير . وأما أُبْيَكِرِينَا فإنه جمع الأَبْكَرُ ، ولكنه أدخل الياء والنون
كما أدخلها على الدُّهْدِيَّهِنِ . انتهى .

وقد تقدم عن أبي علي في البيت قبله مايتعلّق به .

وقال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : وأما أُبْيَكِرِينِ فقد يمكن
على قول سيبويه أَنْ يُقَالَ إِنَّ واحداً أَبْكَرَ ، بفتح العين في هذا الموضع .
ألا ترى أَنَّكَ لم تسمع العين في هذا البيت مفتوحة ولا مضمومة . فإن
قلت : فقد سمعت في غير هذا الموضع أَبْكَرَ بضم العين ؟ قيل : أجل قد
سَمِعَ هذا بضم عينه ، وغير منكَرَ أَنْ يكون الخروج عن الواحد مرةً إلى
جمع مكسّر ، وأخرى إلى اسمٍ للجمع ^(٣) مفرد غير مكسّر . ألا تراهم
قالوا : رَجُلٌ وَرَجُلٌ فَكَسَّرُوهُ ، ثم قالوا رَجُلَةٌ فَصَاغُوا للجمع اسماً مفرداً .
وكذلك الجمال والأجمال ، هذا مع قولهم الجامل . فكذلك لا ينكر أَنَّ

(١) في كتابه ٢ : ١٤٢ والمختصر ٧ : ٦١ ، ١٣٧ واللسان (بكر ١٤٦ من ٣٥٢

دهداه ٣٥٣) .

(٢) هذا الصواب في ط وكتاب سيبويه . وفي ش : « دهده » ، تحريف .

(٣) ش : « اسم الجمع » صوابه في ط وإعراب الحماسة ٩٥ .

يكون أبكر بضم العين جمعاً مكسراً ، أو يكون واحد أبكرين المكبر أبكر بفتح العين وإن لم يسمع مكبراً ، لكن يدل عليه ما انحرف عند سيبويه^(١) من اعتقاد جمع أمرين لمعنى واحد . وهذا واضح . وكذلك ينبغي أن يقال في قول الآخر :

أشكو إلى مولاي من مولاي تربط بالحبل أكبر عاتي

وذلك أن الألف والتاء موضوعان للقلّة وضع الواو والنون لها ، فلا يحسن ٤٠٩ أن يكون الواحد المكبر من أكبر عات أكبر عة ولا أكبر عاً^(٢) بضم العين لأنهما مثالا قلّة . فعلى قياس قوله في أبينون^(٣) ما يجب أن يقال في الواحد المكبر من أكبر عات إنه أكبر ع ، على وزن أفعل بفتح العين ، كالأعمى والأروى . انتهى .

وقال (في سر الصناعة) أيضاً ، عند سرد ما جمع بالواو والنون من كل مؤنث معنوى كأرض ، أو مؤنث بالتاء محذوف اللام كئبة ، ما نصه :

فإن قلت : فما بالهم قالوا :

* قد رويت إلاّ الدهيد هينا * إلخ

فجمعوا تصغير دهاد ، وهو الحاشية من الإبل ، وأبكرأ وهو جمع بكر ، بالواو والنون ، وليسا من جنس ما ذكرت ؟

(١) في إعراب الحاشية : « ما انحرف سيبويه عنه » .

(٢) ط : « والأكرعة » ش : « ولا كربة » ، صوابها ما أثبت من إعراب الحاشية لابن جني ٩٥ .

(٣) كلمة « قوله » ساقطة من ش ثابتة في إعراب الحاشية . وما بعد هذا إلى نهاية نص ابن جني ساقط من ش .

فالجواب : أَنَّ أَبْكَرًا جمع بَكَر ، وكلُّ جمع فتأنيثه سائغٌ مستمرٌ ،
لأنَّه جماعةٌ في المعنى . وكأنَّه قد كان ينبغي أَنْ يكون في أَبْكَر وأَكْلَب
وَأَعْبُد هاءٌ ، فيكون تقديرها أَكْلَبَةٌ وَأَبْكَرَةٌ وَأَعْبُدَةٌ ، كما قالوا في
غير هذا : فِحَالَةٌ : جمع فحل ، وذِكَارَةٌ : جمع ذَكَر . فكما جاز أَنْ تأنَّثَ
الهاءُ في هذه الجموع كذلك جاز أيضاً أَنْ تقدَّرَ^(١) في أَبْكَرِ الهاءُ ، فيصير
كأنَّه أَبْكَرَةٌ . وقد جاءت الهاءُ في أَفْعُلٍ نفسها . قال :

بأَجْرِيَّةٍ بُقِعَ عِظَامُ رُءُوسِهَا لَهْنٌ إِذَا حَرَّكَنَ فِي الْبَطْنِ أَرْمَلُ^(٢)
فهذا جمع جَرَوْ . وَأَجْرِيَّةٌ أَفْعُلَةٌ ، فآلحق الهاءُ في أَفْعُل .
ويدلُّك على أَنَّهُ أراد أَفْعُل قولُ الآخر^(٣) :

وتَجَرُّ مُجْرِيَّةٌ لَهَا لَحْمِي إِلَى أَجْرِ حَوَاشِبِ

وجاز أَنْ تجمع فِعْلاً على أَفْعُل ، وَأَفْعُلَةٌ^(٤) ، وَأَفْعُل ، لفْعَل مفتوحة
الفاء ، من حيث كان فَعْل وفِعْل ثلاثيين ساكني العينين ، وقد اعتقبا
أيضاً على المعنى الواحد ، نحو حَجَّ وَحِجَّ ، وَفَصَّ وَفِصَّ ، وَنَفَطَ وَنِفَطَ .
وإذا ثبتَ أَنَّ أَفْعُل من أمثلة الجموع يجوز في الاستعمال والقياس تأنيثه ،
لم يُنْكَرْ أَنْ يعتقد في أَنَّ أَبْكَرًا قد كان ينبغي أَنْ يكون فيها هاءٌ تأنيث
الجماعة ، فصار إذن جمعهم إِيَّاهَا بالواو والنون في قوله « أَبْيَكِرُونَا »
إنَّما هو عوض من الهاءِ المقدَّرة في أَبْكَر ، فجرى ذلك مجرى أرض في
جمعهم إِيَّاهَا بالواو والنون في قولهم : أَرْضُون .

(١) ش : « يقدر » .

(٢) الأزملي : الصوت .

(٣) هو حبيب بن عبد الله ، المعروف بالأعظم الهذلي . ديوان الهذليين ٢ : ٨ وشرح
السكري ٣١٤ ، واللسان (ج ١٥١) .

(٤) في النسختين : « على أفعل ، وأفعل » ، وأرى الصواب فيما أثبت .

فَأَمَّا دُهَيْدِهَيْنَا فَإِنَّ واحده دَهْدَاه ، وهو القطعة من حاشية الإبل ، فهو نظير الصَّرْمَةِ وَالْهَجْمَةِ : فكأنَّ الهَاءَ فيها لتأنيث الفرقة والقطعة ، كما أَنَّ الهَاءَ فِي عَصْبَةٍ وَطَائِفَةٍ لتأنيث الجماعة ، فكأنَّه كان في التقدير : دَهْدَاهُ ، فلمَّا حذفت الهَاءَ فصار دَهْدَاهَا جمع تصغيره بالواو والنون تعويضاً من الهَاءِ الْمُقَدَّرَةِ . قال أبو علي : وحسنَ أيضاً جمعه بالواو والنون أَنَّهُ قد حذفت أَلَفَ دَهْدَاهُ في التحقير ، ولو جاء على أصله لقليل دهيديه ^(١) بوزن صلصال وصليصيل ، فواحد دهيدينا إنما هو دهيده ، وقد حذفت الألف من مكبره ^(٢) فكان ذلك أيضاً مسهلاً للواو والنون ، وداعياً إلى التعويض بهما . انتهى كلامه .

وهذا مخالفٌ لكلامه السابق تبعاً لأبي علي وغيره ، من أَنَّ أببيكرينا جمع أبكر بفتح الكاف . وإليه ذهب يوسف ^(٣) بنُ السَّيرافي (في شرح شواهد الغريب المصنف) ، قال : أببيكرينا جمع أببكر ، وأببكر تصغير أبكر ، وأبكر جمع بكر ، وهو في الإبل بمنزلة الشاب في الناس . وهذه العلامة لا تكون إلا لجمع المذكر العاقل في الكلام ، وربما أدخلها الشاعرُ إذا احتاج . وتدخل على كثير من الأسماء النواقص .

والبيتان من رجز أورده أبو عبيد القاسم بن سلام (في الغريب المصنف) قال : الحاشية صغار الإبل ، والدَّهْدَاهُ مثل ذلك . قال الراجز :

(١) ش : « دهيدة » ، صوابه في ط .

(٢) ش : « إنما هو دهيدة » ، وقد حذف الألف من مكبره .

(٣) ش : « أبو يوسف » ، وإنما هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٨٥ . وأبوه الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي ، المتوفى سنة ٣٦٨ . والذي شرح شواهد الغريب المصنف هو ولده أبو محمد ، كما في البنية .

(يا وهبُ فابدأُ ببني أبنينا ثُمَّتَ ثَنُ بِنِي أَخِينَا
وجيرة البيت المجاورينا قد رَوَيْتَ إِلَّا الدَّهْدِينَا
إِلَّا ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ قُلَيْصَاتٍ وَأَبْيَكْرِينَا)

قال ابنُ السِّيرافي : نَصَبَ الدَّهْدِينَا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ . وَقَوْلُهُ : «إِلَّا ثَلَاثِينَ»
بَدَلٌ مِنَ الدَّهْدِينَا . وَقُلَيْصَاتٍ بَدَلٌ مِنْ ثَلَاثِينَ . انْتَهَى .

وَجَعَلُهُ قُلَيْصَاتٍ بَدَلًا مِنَ الْبَدَلِ جَائِزٌ مَشْهُورٌ ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ بَدَلًا مِنَ
الدَّهْدِينَا لِأَنَّهُ لَمْ يُعْرِفْ تَعَدُّدَ الْبَدَلِ فِي غَيْرِ بَدَلِ الْبَدَاءِ ، كَمَا قَالَ
أَبُو حَيَّانَ وَابْنُ هِشَامٍ (فِي بَحْثِ إِذْ مِنْ الْمَغْنَى) .

وَكَذَا أَعْرَبَ شَيْخُنَا يَاسِينَ الْحَمَصِيُّ قَوْلَ ابْنِ مَالِكٍ أَوَّلَ الْأَلْفِيَةِ :

* أَحْمَدُ رَبِّي اللَّهُ خَيْرَ مَالِكٍ *

فَجَعَلَ خَيْرَ بَدَلًا مِنَ الْجَلَالَةِ لَا مِنَ الرَّبِّ^(١) قَالَ : وَأَمَّا دَعْوَى
الدَّمَامِينِيِّ الْجَوَازَ ، أَخَذًا مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْحَاجِبِ (فِي الْأَمَالِي) فَاسْتَبَاهُ ؛
لِأَنَّ ابْنَ الْحَاجِبِ قَالَ فِي الْكَلَامِ عَلَى آيَةِ غَافِرٍ : الْأَحْسَنُ أَنَّ ذِي
الطَّلُولِ^(٢) بَدَلُ ثَانٍ مِنَ الْمَبْدَلِ الْأَوَّلِ . فَقَالَ الدَّمَامِينِيُّ : فِيهِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ
عَلَى جَوَازِ تَعَدُّدِ الْمَبْدَلِ مِنْهُ . انْتَهَى .

وَابْنُ الْحَاجِبِ لَمْ يَقُلْ مِنَ الْمَبْدَلِ مِنْهُ ، بَلْ قَالَ مِنَ الْمَبْدَلِ ، يَعْنِي
الْبَدَلِ . انْتَهَى .

(١) ط : « رب » ، وأثبت ما في ش .

(٢) في الآية الثالثة من سورة غافر .

وقوله: « يا وهب » هو اسم راعٍ يسقى الإبل . وأبيننا وأخينا كلاهما جمع آب وأخ . (وقليصات) بكسر الياء المشددة جمع مصغّر قلوبص ، وهي الناقة الشابّة . وقد روى بدل « شربت » : « رويت » ، و« نهلت » . وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يعرف قائله . والله أعلم .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٨٤ (ولى دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسُ

وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جِيَالُ)

على أَنَّ أَهْلًا وَإِنْ كَانَ غَيْرِ عِلْمٍ لِمَذْكُرٍ عَاقِلٌ وَلَا صِفَةً لَهُ ، لَكِنَّهُ جَمْعُهُ هَذَا الْجَمْعُ لِنَتْنِيزِلِهِ هَذِهِ الْوَحُوشَ الثَّلَاثَةَ ، مَنْزِلَةَ الْأَهْلِ الْحَقِيقِيِّ . وكذلك ما بعده ، وهو :

(هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لِدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذَّلُ)
وقبلهما :

(لَعْمُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى أَمْرِي سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ)

والأبيات من قصيدة الشنفرى ، المشهورة بلامية العرب ، وقد تقدم صاحب الشاهد شرح أبيات منها ^(٢) .

وقوله: « لعمرك » الخ اللام لام الابتداء للتأكيد . وعمرك بفتح العين مبتدأ مضاف إلى الكاف ، وخبره محذوف تقديره : قسمي . والعمر ، بضم العين وفتحها : مدة الحياة ، خُصَّ المفتوح بالقسم . وقوله : « ما بال أرض »

(١) المنصف ٣ : ٦ ، والمحتسب ١ : ٢١٨ وابن يعيش ٥ : ٣١ . وهو البيت الخامس من لامية العرب للشنفرى .

(٢) انظر الخزانة ٣ : ٣٤٠ - ٣٤٤ .

ما نافية وبالأرض خبر مقدم ، وضيق مبتدأ مؤخر ، والجملة جواب القسم ^(١) وجملة « سرى » إلخ صفة لامرئ . وراغباً : حال من ضمير سرى ، وجملة « وهو يعقل » حال ثانية . يعنى أن من فارق أهله وسافر رغبة في أمرٍ يطلبه ، أو خوفاً من شئٍ يجتنبه ، يرى سعةً في حاله إن كان ممن يعقل ، فإنه يدبر نفسه بعقله ، ولا يضيع في الغربة .

٤١١ وقوله : (ولى دولكم أهلون) الخ ، التفات من الغيبة إلى الخطاب ، خاطب به أهله . وأهلون مبتدأ ، ودونكم ظرف كان في الأصل صفة لأهلون فلما قدّم عليه صار حالاً منه . ودون هنا بمعنى غير ، ولى خبر مقدّم لأهلون . وقوله : (سيدٌ عملّس) خبر لمبتدأ محذوف ، أى هم سيد وأرقط وعرفاء . يقول : اتخذت هذه الوحوش أهلاً بدلاً منكم ، لأنها تحمى من الأعداء ، ولا تعذّلنى في حالة الضيق . وهذا تعريضٌ بعشيرته ، فى أنهم لا حماية لهم كهذه الحيوانات ، ولا غيرة لهم على من جاورهم فضلاً عن الحميم القريب ، مثل هذه الوحوش . والسيد ، بكسر السين المهملة : مشترك بين الأسد والذئب ، ومراده الثانى ، ولهذا عينه بالوصف . وكذلك فعل بأرقط وعرفاء . والعملّس ، بفتح العين المهملة والميم واللام المشددة ، القوي على السير السريع . وأرقط : مافيه نقط بياضٍ وسواد ، مشترك بين حيوانات ، منها النمر والحيّة . وأراد الأوّل ، ولهذا وصفه بزهلول بضم الزاى ، وهو الأملس ، وقيل الخفيف وهو من أوصاف النمر . والعرفاء : مؤنث الأعرف . قال صاحب العباب : يقال للضبع عرفاء لكثرة شعر رقبتها . وأنشد هذا البيت .

وقال الخطيب التبريزى (فى شرح القصيدة) : العرفاء : الضبع التى

(١) كلمة « القسم » ساقطة من ش .

تكون طويلة العُرف، ليست ههنا بنعت ، ولكنها في الأصل نعت ، فغلب
فصار بمنزلة الأسماء غير النُّعوت ^(١) حتى إنه يقال : «جاءتكم العُرفاء»
فيفهم من هذا القول أنَّ الضبع جاءت . وجيأً بفتح الجيم وسكون
المثناة التحتية بعدها همزة مفتوحة ، بدل من عرفاء . قال صاحب
العياب : جيأً على وزن فيعل : اسمٌ للضبع وهي معرفة بلا ألف ولام .
وأنشد هذا البيت .

وقوله : « هم الأهل » إلخ لما نزل هذه الوحوش منزلة الأهل ذكرهم
بضمير العقلاء ، وعرف الخبر لإفادة الحصر ، أى هم الأهل لا غيرهم .
وبيّن وجهه بقوله « لا مستودع السر » إلخ يعنى أنَّ السر المستودع عندهم
غير ذائع بل مصون . « ولا الجاني بما جرَّ يُخذَل » عندهم ، بل يُحمى .
والجاني : الذى فَعَلَ جنائية من قتل أو نهب ونحوهما . وجرَّ : أى فعل
جريرة بفتح الجيم ، وهي التُّبعة والذُّنب . ويُخذَل : يُترك نصره ، يقال
خذلت وخذلت عنه من باب قتل ، والاسم الخِذلان ، إذا تركت نصره
وإعانتته وتأخّرت عنه .

وقد تقدّمت ترجمة الشنفرى ، وهو شاعرٌ لصٌّ جاهلى ، فى الشاهد
السادس والعشرين بعد المائتين ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

* ولسكنى أريدُ به الدَّوينا *

تقدّم شرحه مفصلاً فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب ^(٣) .

(١) حورت فى ش إلى « المنعوتة » ، والوجه ما فى ط .

(٢) الخزائن ٣ : ٣٤٣ - ٣٤٨ .

(٣) الخزائن ١ : ١٣٩ - ١٤٦ .

وَأَرَادَ بِالذَّوَيْنِ مَلُوكَ الْيَمَنِ ، كَذَى نُوَّاسٍ ، وَذَى رُعَيْنَ ، وَذَى
أَصْبَحَ .

وهو عَجَزٌ وَصَدْرُهُ :

* فَلَا أَعْنَى بِذَلِكَ أَسْفَلِيكُمْ *

والمشار إليه بذلك ، هو الهجو .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَامِسُ وَالْثَمَانُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ ^(١) :

٥٨٥ (ذَرَانِيْ مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سَيْنِيْهِ لَعَبْنُ بَنَا شِيْبًا وَشِيْبِنَنَا مُرْدًا)

على أن نون الجمع الذي جاء على خلاف القياس قد يجعلُ مُعْتَقَبَ
الإعراب ، أى محلَّ تعاقبه ، أى تجرى عليها الحركات واحداً بعد
واحد ، ولا تحذف للإضافة كما في قوله (سَيْنِيْهِ) ، فالنون لما جرى عليها
الإعراب لم تحذف مع إضافة الكلمة إلى ضمير نجد .

٤١٢

وفي كلامه شيْثان : أحدهما أنه غيرُ خاصٍّ بالضرورة .

والثاني : أنه لا يجوز هذا فيما حقه هذا الجمع .

والأوَّلُ موافقٌ لكلام أبي على (في إيضاح الشعر) دون الثاني . قال

في باب ما جعلت فيه النون المفتوحة اللاحقةً بعد الواو والياء في الجمع
حرفَ إعراب ، بعد أن أنشد جميع الأبيات الآتية :

اعلم أنَّ هذه النون إذا جُعِلَتْ حرفَ الإعراب صارت ثابتة في
الكلمة فلم تُحذف في الإضافة ، كما لا تحذف نون فِرْسِينَ وَرَعَشَنَ

(١) معاني الفراء ٢ : ٩١ وأمالى ابن السجى ٢ : ٥٣ وابن يعيش ٥ : ١١ والنبى

١٦٩ : ١ والتصريح ١ : ٧٧ والأشموفى ١ : ٨٦ واللسان (سنة ٣٩٥) .

ونحوه وإن كانت زائدة ، ويكون حرف اللين قبلها الياء ولا يكون الواو ، لأنَّ الواو تدلُّ على إعراب بعينه ، فلم يَجْزُ ثباتها من حيث لم يَجْزُ ثباتُ إعرابَيْن في الكلمة . فأمَّا من أجاز ثبات الواو في هذا الضرب من الجمع وزعم أنَّ ذلك يجوز فيه قياساً على قولهم زيتون ، فقوله بعيد^(١) من جهة القياس ، مع أننا لا نعلمه جاء في شيء منهم . وذلك أنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعراباً كما في مسلمون . وعلى ما ذهب إليه جاء التنزيل : ﴿ في عِلِّيِّين ^(٢) ﴾ . انتهى .

وما ذهب إليه الشارح المحقق هو ظاهر كلام الفراء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين جعلوا القرآنَ عُضِينَ ^(٣) ﴾ قال : العضون في كلام العرب : السحر . ويقال عضوه أى فرَّقوه كما تُعَضَّى الشاة والجذور ، وواحد العضون عِضَّة ، ورفعها عضون ، ونصبها وخفضها عُضِينَ . ومن العرب من يجعلها بالياء على كلِّ حالٍ ويُعرب نونها ، فيقال هذه عُضِينُك ومررت بعُضِينِكَ وسنينك . وهى كثيرةٌ فى أسد وتيم وعامر ، أنشد في بعضهم من بنى عامر :

ذرائى من نجدٍ فإنَّ سنينه ... البيت

ثم قال بعد أبيات مثلها : وإنما جاز ذلك في هذا المنقوص الذى كان على ثلاثة أحرف فنقصت لاه ، فلما جمعه بالنون وتوهَّموا أنَّه فِعُول إذ جاءت الواو وهى واو جمع ، فوقعت في موقع الناقص ، فتوهَّموا أنَّها الواو الأصلية وأنَّ الحرف على فِعُول . ألا ترى أنَّهم لا يقولون ذلك

(١) ط : « يبعد » ، وأثبت ما في ش .

(٢) من الآية ١٨ في سورة المطففين . ونصها : « لى عليين » ، وحذف هذه الأحرف عند الاقتباس من القرآن جائز . انظر ما كتبت في حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص ٤٩ .

(٣) الآية ٩١ من سورة الحجر .

في الصالحين والمسلمين وما أشبهه . وما كان من حرفٍ نقص من أوله ، مثل زنة ودية وكَلِدة ، فإنه لا يقاس على هذا . فما كان منه مؤنثاً أو مذكراً فاجره على التمام مثل الصالحين . انتهى كلامه .

وكذلك قال ابنُ الشجري (في أماليه) قال : ومنهم من جعل النون في جمع سَنَة حرف الإعراب وألزمها الياء وأثبت النون في الإضافة ، ورفعها وخفّضها ونوّنُها ، تشبيهاً لها بنون غَسَلين ، فقالوا : أقمّت عنده سنيناً ، وعجبت من سَنين زيد ، وأعجبتني سَنيْنُك . وأنشد البيت .

وهذا مخالف لصنيع ابن جني (في سر الصناعة) فإنه خصّه بالضرورة وجوّزه في الجمع الحقيقي .

وتبعه ابن عصفور في (كتاب الضرائر) قال : ومن العرب من يجعل الإعراب في النون من جمع المذكر السالم . وذلك كلّهُ لا يحفظ إلّا في الشعر ، نحو قول الفرزدق :

ماسدٌ حيٌّ ولا ميتٌ مسدّهما إلّا الخلائفُ من بعد النَّبِيِّينَ^(١)

وقوله :

وإنّ أنتم ثمانيناً رأيْت له شخصاً ضيّلاً وكلّ السَّمْع والبصرُ

وقوله :

وأنّ لنا أبا حَسَنٍ عليّاً أبٌ برٌّ ونحن له بنين^(٢) ٤١٣

(١) الكامل ٢٩٢ ، وابن يعيش ٥ : ١٤ ، والممع ١ : ٤٩ . وليس في ديوان الفرزدق .

(٢) لسعيد بن قيس الهمداني كما سيأتي في الشاهد ٥٨٨ . و « أن » تقرأ بفتح الهمزة ، كما سيأتي .

وقوله :

وماذا يدري الشعراء مني البيت^(١)

ووجه ذلك إجراء جمع السلامة وما يجري مجراه مجرى المفرد ،
ولذلك ثبتت النون في حال الإضافة ، كقوله :

ولقد ولدتَ بنينَ صدق سادةً ولأنتَ بعد الله كنتَ السيدا^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

سنيي كلها لاقيتُ حرباً أعدُّ مع الصلادمة الذكور
وقوله :

ذرائي من نجد فإن سنييه ... البيت . انتهى

ومن إعراب الجمع بالحركة قولُ الشاعر :

ربَّ حيٍّ عَرَنَدَسْ ذِي طَلَالٍ لا يزالون ضاربينَ القِبابِ^(٤)

فضاربينَ منصوبٌ بالفتحة على أنه خبر يزالون ، وهو مضاف
للقياب . والحيُّ : القبيلة . والعرنَدَسْ ، كسفرجل : الشديد . والطلالُ
بفتح المهملة : الحالة الحسنّة ، والهيئة الجميلة .

(١) لسحيم بن وثيل الرياحي في الأسمعيات ١٩ . وعجزد :

• وقد جاوزت حد الأربعين •

(٢) ابن يميّش ٥ : ١٢ .

(٣) هو قطيب بن سنان الهجيمي . وانظر نوادر أبي زيد ١٦٢ ، ومجالس ثعلب ٣٢١ ،
وابن يميّش ٥ : ١٢ .

(٤) ش : « القبابا » ، تحريف . وانظر المغني ٦٤٣ والعيني ١ : ١٧٦ والممع ١ : ٤٧
والتصريح ١ : ١٧ والأشئوني ١ : ٨٧ والممع ١ : ٦١

ومثله قول الزمخشري (في المفصل) : وقد يجعل إعراب ما يجمع
بالواو والنون في النون ، وأكثر ما يجيء ذلك في الشعر ، ويلزم الياء
إذ ذلك ، قالوا : أتت عليه سنين . وقال الشاعر :

دعاني من نجد فإن سنينه . . . البيت

وقال سحيم :

وماذا تدرى الشعراء مني ... البيت . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : اعلم أنَّ من العرب من يجعل إعراباً
هذا الجمع في النون بشرط أن يلحقه نقص كسنيين . والشيخ قد أطلق
هنا ، والحق ما ذكرته . انتهى .

والبيت من قصيدة للصَّمتة بن عبد الله القُشَيْرِي ، وبعده :

صاحب الشاهد

(لحا الله نجداً كيف يتركُ ذا الندى

أبيات الشاهد

بخيلاً وحرَّ الناس تحبُّه عبداً^(١)

على أنَّ نجداً قد كسائي حُلَّةً

إذا مارآني جاهلُ ظنني عبداً

سواداً وأخلاقاً من الصُّوف بعدما

أراني بنجداً ناعماً لابساً بُرداً

على أنَّه قد كان للعين قُرَّةً

وللبيض والفتيان منزله حمداً

سقى الله نجداً من ربيع وصيف

وجوِّدَ وتُشكَّاب سقى منزله نجداً)

قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : وكان من خبره ، أى الصمة ، أنه خطب ابنة عمه ، فاشتطَّ عمه في المهر عليه ، وبخل عليه أبوه بالجمال ، فزوّجت من غيره ، فغضب من عمه وأبيه ، وخرج إلى طبرستان ، وهى مقرُّ الديلم ، فأقام به ^(١) مدّة حياته إلى أن مات فيها . فلهذا تارة يحنُّ إلى نجد ، وتارة يذمه . انتهى .

وقوله : (ذرائع من نجد) ويروى أيضاً : (دعائى من نجد) وهما بمعنى ، أى اتركائى من ذكر نجد . ونجد من بلاد العرب . وهو خلاف الغور ، والغور هو تهامة . وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وهو مذكّر ، كذا في الصحاح .

والسنين : جمع سنة ، وهى هنا إمّا بمعنى العام وإمّا بمعنى القحط . ويقال : أرض بنى فلان سنة ، إذا كانت مجذبة . (وشيئاً) حال من نا في « بنا » ، وهو بالكسر جمع أشيب : وهو الذى ابيضَّ شعره . (ومرداً) : حال أيضاً من نا في شيبنا ، وهو جمعُ أمرَد وهو الذى لا شعر بعارضيه .

وقوله : « لحا الله نجداً » إلخ في الصحاح لحاه الله ، أى قبّحه ولعنه . ٤١٤ والندى : الجود . وروى بدله : « الغنى » . « وحرّ » معطوف على ذا الندى ، وجملة تحسبه في موضع المفعول الثانى . وهذا البيت تعريضٌ بأبيه وعمه .

ونقل ابن المستوفى عن ثعلب ، أن المراد من هذا البيت أن عيش نجدٍ عيشٌ شديد ، لا بدّ أن يقوم بالمال فيه وإلاً ضاع . ونقل عن ابن الأعرابي أيضاً أنه ذمَّ نجداً لثنائه وقبيظه . وهذا إنما يصحُّ مع قطع النظر عن

(١) الوجه « بها » ، كما عند الميثى .

سَبَب الشعر . ونقل أيضاً عن أبي زيد البيتين المذكورين ، وأنه قال :
ذمَّ نجدًا لشدة شتائه وقيظه .

ولم أَر في ديوان أبي زيد ^(١) إلا البيتَ الشاهد غير مشروح بهذا الشرح ،
ونقله أبو علي عن أبي زيد (في التذكرة القصيرية) ثم قال : [قال ^(٢)]
ابن الهيصم ، هذا الشيخُ الكوفيُّ الذي يجلس إلى أبي حاتم : قال :
أنشدني أعرابيُّ بالشام هذا البيت وقبله بيتاً آخر ، وهو :

(لحا الله نجدًا كيف يتركُ ذا الغنى فقيراً وحرَّ القوم تحسُّبه عبداً)

وهذا إنشاد طريف ^(٣) . وسمعت أيضاً هذا البيت بقصر ابنِ هُبيرة
من أعرابيٍّ . انتهى .

وكأنه لم يقف على هذه القصيدة ولا على شيء من خبرها .

وقوله : « على أنَّ نجدًا » إلخ ، على هنا للاستدراك والإضراب ، وكذلك
« على » الآتية . يريد أنه لما تغرَّبَ وفارق نجدًا افتقر ، ولبسَ الثيابَ
الأخلاقَ السودَ من الصوف ^(٤) . وناعماً : متنعماً مترفعاً .

وقوله : « وللبيض والفتيان » الجارَّ والمجرور خبر مقدم ، ومنزله
مبتدأ مؤخر ، وهو مضاف لضمير نجد . والبيض : النساءُ الحسنات .
والفتيان : جمع الفتى ، وهو الشاب . والحمد هنا بمعنى المحمود . وهذا
تشويقٌ منه إلى وطنه وتحزُّنٌ على مفارقتِه منه . ثم دعا له على طريقة

(١) قد يكون عن نوادر أبي زيد . على أن الشاهد لم يرد في نوادر أبي زيد .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « طريف » ، وأثبت ما في ش مع أثر تنغير .

(٤) كلمة « من » ساقطة من ش .

العرب بقوله : « سقى الله نجداً » إلخ ، وقوله : « من ربيع » أى من مطر ربيع ، وجود معطوف عليه ، وهو بفتح الجيم : المطر الغزير . والمُزَن : السحاب . والصَّمة شاعرٌ إسلاميٌّ في الدولة المروانية ، وهو بدويٌّ ، ولجده مرة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم . وتقدم الكلام عليه وعلى نسبه في الشاهد الخامس والستين بعد المائة ^(١) .

وذكره الآمدي (في المؤتلف والمختلف) فقال : هو الصَّمة بن عبد الله من اسمه الصمة إلى آخر نسبه ، ثم أورد له ثلاثة أبيات من شعره ، وأوردَ صِمتين من الشعراء لبني جُثَم : أحدهما صِمةُ الأكبر ، وهو مالك بن الحارث . وثانيهما : صِمةُ الأصغر ، وهو معاوية بن الحارث ، أخو مالك بن الحارث ابن الصمة الأكبر . وهذا الأصغر هو أبو دريد بن الصَّمة ، وكلاهما شاعر فارس جاهلي .

والصَّمة بالكسر للصاد المهمله وتشديد الميم .

وقد أورد ابن الأعرابي (في نوادره) البيت الشاهد فقط ، ونسبه إلى محجن بن مزاحم الغنوي . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الخمسة ^(٢) :

٥٨٦ (وماذا يدري الشعراء مني وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين)

لما تقدم قبله من أنه معرب بالحركة على النون .

قال المبرد (في الكامل) عند قول الفرزدق :

(١) الخزانة ٣ : ٦٢ .

(٢) ابن سلام ٥٩ ، والمقتضب ٣ : ٤/٣٣٢ ، والكامل ٢٩٣ وابن يعيش ٥ : ١١ ، ١٣ ، والعي ١ : ١٩١ والتصريح ١ : ٧٩ ٧٧ والمص ١ : ٤٩ والأشعري ١ : ٨٩ والأصمعيات ١٩ .

إِنِّي لَبَاكَ عَلَى ابْنِي يَوْسُفَ جَزَعًا وَمِثْلُ فَقْدِهِمَا لِلدَّيْنِ يُبْكِينِي
مَا سَدَّ حَيًّا وَلَا مَيِّتٌ مَسَدَّهُمَا إِلَّا الْخَلَائِفُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينِ^(١)

٤١٥ وابننا يوسف هما محمد أخو الحجاج السفّاك ، ومحمد ابنه ، فإنّه جاءه نعي أخيه يوم مات ابنه .

قال : أمّا قوله : « من بعد النبيين » فخفض هذه النون وهى نون الجمع ، وإنّما فعل ذلك لأنّه جعل الإعراب فيها لا فيما قبلها ، وجعل هذا الجمع كسائر الجمع ، نحو أفليس ومساجد وكلاب ، فإنّ إعراب هذا كإعراب الواحد . وإنّما جاز ذلك لأنّ الجمع يكون على أبنية شتى ، وإنّما تلحق منه منهاج التثنية^(٢) ما كان على حدّ التثنية ، لا يكسر الواحد عن بنائه^(٣) ، وإلا فإنّ الجمع كالواحد لاختلاف معانيه ، كما تختلف معانى الواحد ، والتثنية ليست كذلك ، لأنّها ضرب واحد لا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع .

فمّا جاء على هذا المذهب قولهم : هذه سنين فاعلم ، وهذه عشرين فاعلم ، قال العدوّاني^(٤) :

إِنِّي أَبِيُّ أَبِيُّ ذُو مَحَافِظَةٍ وَابْنُ أَبِيُّ أَبِيُّ مِنْ أَبِيِّينِ
وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ زَيْدٍ عَلَى مَائَةٍ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ كُلًّا فَكِيدُونِي^(٥)
وقال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ :

(١) رواية الكامل : « بعد النبيين » بالهمز .
(٢) الكامل : « وإنّما يلحق منه منهاج التثنية » .
(٣) ش : « على بنائه » ، صوابه في ط والكامل .
(٤) ذو الإصبع . وانظر المفضليات ١٦٠ ، ١٦٣ .
(٥) الذى فى الكامل والمفضليات : « طرا فكيدينى » .

(وماذا يدرى الشعراء مني وقد جاوزتُ رَأْسَ الأربعينِ
أخو خمسينَ مجتمعٍ أَشَدِّي ونَجَدْنِي مداورةَ الشُّونِ)

وفي كتاب الله [تعالى ^(١)] : ﴿ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ ^(٢) ﴾ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنْ غَسْلَيْنِ واحد. فجوابه أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ عَلَى بِنَاءِ الْجَمْعِ فَأِعْرَابُهُ إِعْرَابُ الْجَمْعِ .
أَلَا تَرَى أَنَّ عَشْرِينَ لَيْسَ لَهَا وَاحِدٌ مِنْ لَفْظِهَا ، فَأِعْرَابُهَا ^(٣) كإِعْرَابِ مُسْلِمِينَ ،
وواحدُهم مُسْلِمٌ . وكذلك جميع الإِعْرَابِ .

ويقولون : هذه فَلِسْطُونُ يافْتَى ، ورَأَيْتَ فَلِسْطِينَ يافْتَى ، وهذا القولُ
الأَجُودُ . وكذلك يَبْرِينُ وَيَبْرُونُ يافْتَى . وكلُّ ما أَشْبَهَ هذا فهو بِمَنْزِلَتِهِ ،
تقول : هذه قَنْسَرُونَ ، ورَأَيْتَ قَنْسَرِينَ . والأَجُودُ فِي هذا البيت :

وشاهدُنَا الجُلُّ واليَاسْمُو نَ والمُسْمِعاتُ بِقَصَابِهَا ^(٤)

وفي القرآن ما يَصْدُقُ ذلك ، قول الله عز وجل : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ . وما أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ^(٥) ﴾ . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أَنَّ تلك الكسرة للضرورة ، والإِعْرَابُ إِنَّمَا هو
بالياء . قال (في سر الصناعة) : فَأَمَّا قول سُحَيْمِ بْنِ وَثِيل :

* وقد جاوزتُ حَدَّ الأربعينِ *

فليست النون حرف إعراب ، ولا الكسرة فيها علامة جر الاسم ،

(١) هذه من ش . وفي الكامل : « عز وجل » .

(٢) من الآية ٣٦ من الحاقة .

(٣) في الكامل : « وإِعْرَابُهَا » .

(٤) للأعشى في ديوانه ١٢١ والسان (قصب ١٦٩ جلد ١٢٨) .

(٥) الآية ١٨ ، ١٩ من سورة المطففين .

وإنما هي حركة التقاء الساكنين ، وهما الياء والنون ، وكسرت على أصل حركة التقاء الساكنين ، ولم يفتح كما يفتح ^(١) نون الجمع ، لأنَّ الشاعر اضطرَّ إلى ذلك لثلاً تختلف حركة الروى في سائر الأبيات . ويدلك على أنَّ الحركة التي هي الكسرة ليست جراً قول الشاعر :

* وابنُ أبي أبي من أبيين *

فأبيون جمع أبي ، مثل ظريفون من ظريف . فكما لا شك ^(٢) أنَّ كسر نون أبيين إنما هي لالتقاء الساكنين ، لأنَّه جمع تصحيح ، فكذلك ينبغي أن تكون كسرة نون الأربعين . وكذلك قول الفرزدق :

* إلاَّ الخلائفُ من بعد النبين *

وهذا أيضاً جمع نبي على الصحة لا محالة ، فكسرة نون الجمع في هذه الأشياء ضرورة ، وأجريت في ذلك مجرى نون التثنية . انتهى .

وكذلك قال (في إعراب الحماسة) ، عند قول الشاعر ^(٣) :

أقول لما أرى كعباً ولحيته لا بارك الله في بضع وستين ^(٤) ٤١٦
من السنين تملأها بلا حسب ولا حياء ولا عقلي ولا دين

قال : كان أبو العباس يذهب في قول سُحيم :

* وقد جاوزت حدَّ الأربعين *

إلى أنَّه أخرجه على أصل التقاء الساكنين ، وهو الكسرة ضرورة . ويؤكد ذلك ههنا أيضاً قوله بعده : « من السنين » فجاء بمن المرادة في

(١) ش : « كما تفتح » .

(٢) ش : « كما لا شك » .

(٣) الشاعر مجهول . وانظر إعراب الحماسة لابن جني الورقة ٢١٤ - ٢١٥ .

(٤) في الحماسة وإعراب الحماسة : « أقول حين أرى » . وش : « أقول أني » .

جميع التفاسير من أحد عشر إلى تسعة وتسعين . ألا ترى أنَّ أصل حركة عشرين درهماً^(١) إنّما هو عشرون من الدراهم ، فمجيئه بالتمييز على أصله يؤنسك بأنَّ كسر نون السنين من قبلها هو أيضاً خروجٌ فيها عن الأصل^(٢) ، غير أنَّ النون في السنين الثانية مفتوحة على الاستعمال ولم يضطر إلى كسرها ، كما يضطرُّ في القافية قبلها^(٣) . انتهى .

وأراد بأبي العباس المبرّد، وقد نقلنا كلامه ، وليس فيه مانقله عنه ، وكلامه بعده غير واضح . انتهى أيضاً فتأمّله .

وسحيم بن وثيل شاعرٌ إسلامي ، تقدّمت ترجمته في الشاهد الثامن والثلاثين من أوائل الكتاب^(٤) مع شرح عدّة أبياتٍ من هذه القصيدة . وهذا البيت قبل البيتين اللذين أوردهما المبرّد :

(عذرتُ البُزْلَ إنْ هِيَ خاطرتني فما بالي وبألْ ابْنَى لبون)

البُزْل : جمع بازل ، وهو المسنُّ من الإبل . وضربه مثلاً . يقول : عذرت المسانَّ من الشعراء إذا تعرّضوا لي وهاجوني ، فكيف بغلامين حديثين ؟ ! يعني الأبيرد^(٥) والأخوص^(٦) ، وكانا تعرّضا له .

(١) في إعراب الحماسة : « أن أصل عشرين درهماً » .

(٢) إعراب الحماسة : « على الأصل » .

(٣) إعراب الحماسة : « ولم يضطر في كسرها كما اضطر في القافية قبلها » .

(٤) الخزائن ١ : ٢٥٥ - ٢٧٠ .

(٥) ط : « الأبرد » ، صوابه في ش والأصمعيات والأغاني ١٠ : ١٣ : ١٧ . والأبيرد ، بهيئة التصغير ، وهو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن حنظلة . الأغاني والمؤتلف ٢٤ .

(٦) الأخوص هذا بالغاء المعجمة كما في ش . وجاء في ط « الأخوص » بحاء مهملة خطأ . والأخوص لقب له ، واسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع . وقد سبقت ترجمته في ٤ : ١٦٤ .

وقوله : (وماذا يَدْرِي الشعراءُ) إلخ ، يَدْرِي بالبدال المهملة ، يقال أدراه يَدْرِيه ، إذا ختله وخدعه . يقول : كيف يطمع الشعراءُ في خديعتي وقد جاوزت أربعين سنة وقاربت الخمسين ، وقد اجتمع أشدّي وجَرَّبْتُ وعرفت الخديعة والمكر ، فلا يتم على شيء . و «الشئون» : جمع شأن . ومداورتها : التقلب فيها والتصرف . و«نجدّه» بالذال المعجمة ، أى أحكم ، يقال رجل منجدّ ، إذا كان قد جَرَّبَ الأمور ، ونجدّته الأمور ، إذا أحكمته ، كما يقال حنكته التجارب . والناجد : آخر الأضراس ، ويقال له ضرس الحُلم . ومن ذلك قولهم : ضحك حتى بدت نواجذه .

واجتماع الأشدّ عبارة عن كمال القُوَى وتامِ العقل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الخمسمائة^(١) :

(غِراثُ الوُشَحِ صامِتَةُ البُرَيْنِ) ٥٨٧

لما تقدّم قبله ، من أنّه معرب بالحركة على النون .

وهو جمع بُرة بضم الباء ، قال فى الصحاح : كلُّ حلقةٍ من سِوار وقُرط ، وخلخال ، وما أشبهها بُرة . قال :

* وقعقن الخلاخلَ والبُرينا^(٢) *

والبُرة أيضاً : حلقة من صُفَر تجعل فى لحم أنف البعير . وقال الأصمعى : تُجعل فى أحد جانبي المنخرين . قال : وربما كانت البرة من شعر ، فهى الخزامة .

(١) ديوان الطرماح ١٧٧ .

(٢) ش : « والبُرَيْن » ، صوابه فى الصحاح واللسان (برا) .

قال أبو علي : أصل البرة بَرَوَة لَأَنَّهَا جمعت على بُرَى مثل قرية وُقُرَى ، ويجمع بُراتٍ وبُرين . انتهى .

والصواب أَنَّ أصلها بَرَوَة بضم الباء لا بفتحتها ، نحو غرفة وغرف ، وخُصْلَة وخُصِّل .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(حسانُ مواضعِ الثُّقَبِ الأعلى)

وقد أورده أبو علي (في كتاب الشعر) مع أبياتٍ أخر على طرز ٤١٧
الْبُرَيْنِ ، من قصيدة هذا البيت وغيرها ، ثم قال : وقد كثر هذا
الضرب من الجمع ، حتَّى لو جُعِلَ قياساً مستمراً كان مذهباً . انتهى .

والبيت من قصيدة للطِّرِمَّاح ، عدَّتْها سبعون بيتاً كلَّها غزلٌ ونسيب . صاحب الشاهد
وقبله :

(ظعائنُ كنتُ أعهدُهُنَّ قِدماً وهنَّ لدى الأمانةِ غيرُ خُونِ)

وبعده :

(طِوالٌ مثل أعناقِ الهوادي نواعمُ بين أبكارٍ وعُونِ ^(١))

والظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج . والعهد :
الحفظ بالبال . وقِدماً بكسر القاف وسكون الدال ، قال فى الصحاح :
يقال قِدماً كان كذا وكذا ، وهو اسم من القِدم جُعل اسماً من أسماء
الزمان . وخُون : جمع خائنة . وجملة « وهنَّ لدى الأمانة » إلخ حال
من مفعول أعهدهنَّ .

(١) فى الديوان : « مشك أعناقِ الهوادي » ، وصوابها جيماً « مثل » بالميم المكسورة بعدها
تاء مشناة فوقية فلام مشددة . وانظر ما سيأتى من تحقيق .

وقوله : « حِسَانُ مواضع » إلخ ، جمع امرأة حَسَنَة بمعنى حسناء . والنَّقَب ، بضم ففتح : جمع نُقْبَة بسكون الثاني ، هو اللون والوجه . كذا في الصحاح ^(١) . وأراد بالأعلى ما يظهر للشمس من الوجه والعنق وأطرافه فإنها مع ظهورها للشمس والهواء والحر والبرد ، إذا كانت في غاية الحسن والصفاء ونهاية اللطف ، فغيرها يكون أحسن . وغلث : جمع غلثان ، بمعنى الجوعان ، وأراد لازمه وهو الهزيل ، اللازم من الجوع . والوشح بالضم : جمع وشاح بالكسر والضم ، وهو شيء ينسج عريضاً من أديم ويرصع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . قال في الصحاح : وامرأة غرثى الوشاح ، أى دقيقة الخصر لا يملأ وشاحها ، فكأنه غرثان .

وصامته أى ساكنة . وسكوت البرة كناية عن امتلاء ساقبها لحماً ، بحيث لا يتحرك لسمع له صوت . والبرة هنا : الخخال .

وقوله : « طوال مثل » إلخ ، هو جمع طويل وطويلة . والمثل ^(٢) : الشبه . أراد تشبيه أعناقهن بأعناق الأطباء . ورواه المولى خسرو (فى حاشيته على البيضاوى) بفتح الميم والشين المعجمة وتشديد اللام ، على إضافة طوال إليه . قال : والمثل : مفعّل من شللت الثوب ، أى خطته ، والمراد به مايستر الأعناق . هذا كلامه ، وتبعه خضر الموصلى (فى شرح شواهد

(١) تفسير الجوهري هذا لا علاقة له بالبيت ، وإنما هو تفسير عام . ولا يصح هنا . وأراه يعنى بمواضع النقب ما يقابل الوشح والبرين فى عجز البيت ، أى ما يلقى عليه النقاب والوشاح والبرة . فالنقب : هنا بضمين جمع نقاب ، وهو قناع المرأة تنتقب به ، ولكن هكذا قيده البغدادى وفسره بهذا القيد .

(٢) ش : « ومثل » .

التفسيرين) ، ولا يخفى أن هذا تعسفٌ من تصحيف^(١) . والهوادي :
الطُّبَاءُ وبقر الوحش المتقدِّمة . والنواعم : جمع ناعمة ، وهي اللينة في
اللِّمَس . والعُون : جمع عَوَان ، قال الجوهري : العَوَان : النَّصْفُ في سَنِّهَا
من كل شيء ، أي المتوسطة .

وقد أورد هذا البيت (في التفسيرين) شاهداً على أَنَّ العَوَان في قوله
تعالى : ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(٢) بمعنى النَّصْفِ ، بينَ الحديثةِ والمسنَّة . قال
خضر الموصلي : وتوقَّف بعضهم في الاستشهاد ، لأنَّ بين يوصف بها
الوسط وتضاف إلى متعدِّدٍ ، هما الطرفانِ لذلك الوسط ، وفي البيت
الموصوفُ ببينَ هو النواعم ، والمتعدِّد الذي أُضيفت هي إليه الأَبْكَارُ والعُونُ
فلزم^(٣) أَنَّ يكونا طَرَفًا ، والنواعمُ وسطًا ، فلم يدلَّ على أَنَّ العَوَان النَّصْفُ ،
بل على ضده وهو الطَّرَف .

وأجاب عنه بعض الفضلاء بأنَّ بين هنا مستعملةٌ للتنويع ، كما يقال :
مركوبُ فلان مابين البغل والفرس ، أي مركوبه نوعان : بغل وفرس ،
فيكون المعنى أَنَّ الممدوحاتِ نواعمُ بعضها أَبْكَارٌ وبعضها عُونٌ . ولاشكَّ ٤١٨

(١) أقول : هاتان الصورتان « مثل » و « مثل » والصورة الثالثة التي وردت في الديوان
« مشك » من السير قبولها . والذي أرى أن توجه إليه الرواية والتفسير هو « طولال مثل » بكسر
الميم بعدها تاء مشناة فوقية كما أسلفت في الحاشية رقم (١) وبإضافة طولال إلى « مثل » . ونظيره
من الشعر القديم قول عمرو بن عمار النهدي ، وأنشده سيبويه في كتابه ١ : ٨١ يولاق و ١٦٢ :
من نسخي :

طويل مثل العتق أشرف كاهلا أشق رحيب الجسوف معتدل الجرم
قال ابن منظور : « عني ما انتصب منه » . وقال الشنترى بعد أن ذكر أن البيت في وصف
فرس : « والمثل : العتق الطويل ، الغليظ المفرز . وأضافه إلى العتق لتبيين نوع المثل ، فكأنه
قال : طويل الشيء المثل الذي هو العتق » .

(٢) من الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٣) ش : « فلزما » ، والوجه ما أثبت من ط .

أَنَّهَا هِيَ الْمُتَوَسُّطَاتُ فِي السَّنِّ ، وَأَمَّا الصَّغَارُ اللَّاتِي فِي سَنِّ الطُّفُولِيَّةِ فَلَا يَمِيلُ
الطَّبْعُ إِلَيْهِنَّ ، وَكَذَا الْمُسْنَتَاتُ . فَالْمُتَوَسُّطُ مَعْلُومٌ مِنَ الْمَقَامِ .

أَقُولُ : إِنَّمَا يَتِمُّ الْجَوَابُ أَنَّ لَوْ اسْتَعْمَلَ بَيْنَ التَّيِّ لِلتَّنَوُّعِ بِغَيْرِ مَا ،
وَالِاسْتِعْمَالِ يَشْهَدُ أَنَّهُ لَا بَدَأَ مِنْهَا ، فَيُقَالُ مَرْكُوبُ فَلَانٍ مَابِينُ بَغْلٍ وَفَرَسٌ ،
وَتِيَابَهُ مَابِينُ خَزٌّ وَحَرِيرٌ ، وَلَا يُقَالُ بَيْنَ ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ النَّحَاسُ . انْتَهَى .

الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ وَالطَّرِمَاحُ هُوَ الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ الطَّائِي ، شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فِي الدَّوْلَةِ
الْمُرَوَّانِيَّةِ ، وَمَوْلَدُهُ وَمَنْشُؤُهُ بِالشَّامِ . ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكُوفَةِ مَعَ مَنْ وَرَدَهَا
مِنْ جِيُوشِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَاعْتَقَدَ مَذْهَبَ الشُّرَاةِ الْأَزَارِقَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَهَا
نَزَلَ عَلَى تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَفِيهِمْ شَيْخٌ مِنَ الشُّرَاةِ لَهُ سِمَةٌ وَهَيْئَةٌ ،
فَكَانَ يَجَالِسُهُ وَيَسْمَعُ مِنْهُ ، فَدَعَاهُ إِلَى مَذْهَبِهِ فَقَبِلَهُ مِنْهُ ، وَاعْتَقَدَهُ
أَشَدَّ اعْتِقَادٍ حَتَّى مَاتَ عَلَيْهِ .

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ ^(١) : كَانَ الْكَمِيْتُ بْنُ زَيْدٍ صَدِيقًا لِلطَّرِمَاحِ لَا يَتَفَارِقَانِ
فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، فَقِيلَ لِلْكَمِيْتُ : لَأَشْيَاءٌ أَعْجَبُ مِنْ صَفَاءِ مَا بَيْنَكُمَا
عَلَى تَبَاعُدِ مَا بَيْنَكُمَا مِنَ النِّسْبِ وَالْمَذْهَبِ وَالْبِلَادِ ، وَهُوَ شَأْيٌ قَحْطَانِيٌّ
خَارِجِيٌّ ، وَأَنْتَ كُوفِيٌّ نِزَارِيٌّ شَيْعِيٌّ ^(٢) ، فَكَيْفَ اتَّفَقْتُمَا مَعَ تَبَايُنِ الْمَذْهَبِ
وَشِدَّةِ الْعَصْبِيَّةِ ؟ ! فَقَالَ : اتَّفَقْنَا عَلَى بُغْضِ الْعَامَّةِ .

وَالطَّرِمَاحُ بِكَسْرِ الطَّاءِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ ، وَآخِرُهُ حَاءٌ
مَهْمَلَةٌ وَوَزْنُهُ فِعْعَالٌ ، فَالْمِيمُ زَائِدَةٌ ^(٣) .

(١) لَمْ أَجِدِ النَّصَّ التَّالِيَ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ، فَلَمَعْتُ مِنْ كِتَابٍ لَهُ آخِرُ .

(٢) ط : « وَأَنْتَ نِزَارِيٌّ كُوفِيٌّ شَيْعِيٌّ » .

(٣) أَقُولُ : مَعَ زِيَادَةِ الْمِيمِ لَمْ لَا يَكُونُ وَزْنُهُ فَعْلَالٌ ؟ مِنْ قَوْلِهِمْ : طَرِمَحُ الْبِنَاءِ وَغَيْرُهُ :

عَلَاهُ وَرَفَعَهُ .

ولم نذكر بقية نسبه لأنَّ في ألفاظها غرابية وغموضاً يحتاج إلى ضبط يطول به الكلام ، ولا فائدة فيه .

والشُّرَاة بضم الشين : الخوارج ، الواحد شار ، كقضاة جمع قاض ، سَمُّوا بذلك لقولهم : إِنَّا شَرَيْنَا أَنفُسَنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، أَى بعناها بالجنة ، حين فارقنا الأئمةَ الجائرة . يقال منه تَشَرَّى الرجل . كذا في الصحاح .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الخمسمائة^(١) :

٥٨٨ (وَأَنَّ لَنَا أَبَا حَسَنَ عَلِيًّا أَبُ بَرٍّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ)

لما تقدّم قبله ، فإنه رفع (بنينُ) بالضمّة على النون مع لزوم الياء .
وأورده ابن عصفور (في كتاب الضرائر) وقال : إِنَّهُ ضَرْوَةٌ لِيُحْفَظَ إِلَّا فِي الشَّعْرِ .

وجعله خطأ أبو العباس المبرد (في كتاب الروضة) ، وخطأ قول أبي نواس :

شَمُولُ تَخْطَأُهَا الْمَنُونُ فَقَدْ أَتَتْ سَنِينَ هَا فِي دَنِّهَا وَسَنِينَ^(٢)
ولحنه في قوله بعد هذا :

* تَخْيِرُهَا بَعْدَ الْبَنِينَ بَنُونَ^(٣) *

(١) الضرائر ٢١٩ المعنى ١ : ١٥٦ ، والتصريح ١ : ٧٧ .

(٢) ديوان أبي نواس ٣٣٨ من قصيدة مطلعها :

لَمَنْ طَلَلْ عَارَى الْهَلْ دَفِين عَفَا عَهْدَهُ إِلَّا خِوَالِدُ جُيُونَ

(٣) البيت بتمامه في الديوان :

تَرَاثَ أَنَاسُ عَنْ أَنَاسٍ تَخْرَمُوا تَوَارَثُوا بَعْدَ الْبَنِينَ بَنُونَ

لأنَّه جمع في الكلمة إعرابين: إعراباً بالحرف ، وإعراباً بالحركة .
وهو غير مسموع في كلام العرب .

وتقدّم الكلام على مثله قريباً ، وهو قوله :

ذرائي من نجد فإنّ سنينه . . . البيت

وقوله : (وأنّ لنا) بفتح الهمزة ، لأنّّه معطوف على قوله :

* بأنّا لا نزال لكم عدوّاً *

في بيت قبله كما سيأتي .

ورواه ابن عقيل وابن هشام في شرح الألفية :

(وكان لنا أبو حسن عليّ أباً برّاً ونحن له بنين)

ولنا كان في الأصل نعتاً لقوله أب ، فلما قدّم عليه صار حالاً منه .
ونحن مبتدأ وبنين خبره ، وصفته محذوفة بدليل ما قبله ، والتقدير :
ونحن له بنين أبرار ، ولولا هذا التقدير لخلا الحملُ من فائدة .
وروى أيضاً :

ألم تر أنّ والينا عليّاً أبٌ برٌّ . . . إلخ

والوالى : من ولى الأمر يليه ولاية ، بكسر اللام فيهما وكسر الواو ^(١) .
والبرُّ بالفتح ، قال صاحب المصباح : برّ الرجلُ يبرُّ برّاً وزان علم يعلم
علماً فهو برٌّ بالفتح ، وبارٌّ أيضاً ، أى صادق أو تقيّ ، وهو خلاف الفاجر ،
وجمع الأوّل أبرار ، وجمع الثانی بررة ، مثل كافر وكفرة ^(٢) . وبررت

(١) وقيل الولاية ، بالفتح : المصدر . وبالكسر : الاسم مثل الإمارة والنقابة ، وقيل بكسر
الواو وفتحها في الولاية مصدراً .

(٢) بعده في المصباح : « ومنه قوله للمؤذن : صدقت وبررت ، أى صدقت في دعواك
إلى الطاعات ، وصرت بارّاً . دعاء له بذلك ، ودعاء له بالقبول . والأصل : برعملك » .

والدى أَبْرَهُ بِرًّا وَبُرُورًا : أَحَسَنَتِ الطَّاعَةَ إِلَيْهِ ، وَرَفَقَتْ بِهِ ، وَتَحَرَّيْتُ
مَحَابَّهُ وَتَوَقَّيْتُ مَكَارِهِه . وَبِرَّ الْحَجِّ وَالْيَمِينِ وَالْقَوْلِ بِرًّا أَيْضًا فَهُوَ بِرٌّ
وَبَارٌّ أَيْضًا . وَيَسْتَعْمَلُ مُتَعَدِّيًا أَيْضًا بِنَفْسِهِ فِي الْحَجِّ ، وَبِالْحَرْفِ فِي الْيَمِينِ
وَالْقَوْلِ ، فَيُقَالُ بَرَّ اللَّهُ الْحَجَّ يَبْرُهُ بِرُورًا أَيْ قَبْلَهُ . وَبَرَرْتُ فِي الْقَوْلِ
وَالْيَمِينِ أَبْرُّ فِيهِمَا بُرُورًا أَيْضًا ، إِذَا صَدَقْتَ فِيهِمَا ، فَأَنَا بَرٌّ وَبَارٌّ . وَفِي
لُغَةٍ يَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَبْرَّ اللَّهُ الْحَجَّ ، وَأَبَرَرْتُ الْقَوْلَ وَالْيَمِينَ .
وَالْبِرُّ بِالْكَسْرِ : الْخَيْرُ وَالْفَضْلُ ، وَالْمَبْرَةُ مِثْلُهُ . انْتَهَى .

وَالْبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ لَسَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ قَالَهَا فِي أَحَدِ أَيَّامِ صَفَيْنَ صاحب الشاهد
وَذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَعَا أَهْلَ الشَّامِ فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا يَخْرُجُ فِي سَرَّعَانَ الْخَيْلِ
فَمَنْ يَنْتَدِبُ لَهُ ؟ فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ فَقَالَ : أَنَا لَهُ . فَقَالَ لَهُ
مُعَاوِيَةُ : اقْعُدْ فَلَمْ أَعْهَدْكَ خَفِيفًا . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَكِّيُّ : أَنَا لَهُ .
فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَنْتَ لَهُ لَوْلَا عَجَلْتُكَ فِي الْحَرْبِ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ
الْحُصَيْنِ السَّكُونِيُّ : أَنَا لَهُ . فَقَالَ : أَنْتَ لَهُ حَقًّا ! فَخَرَجَ فِي عَكٍّ
وَالصَّدْفِ ، وَخَرَجَ عَلِيُّ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ كَعَادَتِهِ ، فَتَرَقَّبَهُ السَّكُونِيُّ وَحَمَلَ
عَلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ ، فَلَمَّا كَادَ أَنْ يَطْعَنَهُ اعْتَرَضَهُ سَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ
فَطَعَنَهُ طَعْنَةً قَصَمَ بِهَا صُلْبَهُ ، فَالْتَفَتَ عَلِيُّ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ فَرَأَى السَّكُونِيَّ
صَرِيحًا . ثُمَّ قَتَلَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ رَجُلًا مِنْ ذِي رُعَيْنَ ، فَجَزَعَ عَلَيْهِمَا مُعَاوِيَةُ
جَزْعًا شَدِيدًا ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ^(١) :

(لَقَدْ فُجِعْتُ بِفَارِسَهَا رُعَيْنٌ كَمَا فُجِعْتُ بِفَارِسِهَا السَّكُونُ
غَدَاةً أَتَى أَبَا حَسَنٍ عَلِيًّا وَأُمُّ النَّقْعِ مُشْبِلَةٌ طَحُونُ

(١) الْأَبْيَاتُ لَمْ تَرُدْ فِي وَقْعَةِ صَفَيْنَ .

ليطعنَه فقلت له خذنها مُسَوِّمَةً يَخِيفُ لها القَطِينُ
أقول له ورُمحي في صَلَاةُ وقد قَرَّتْ بِمصرعه العيونُ
ألا ياعَمرو عمرو بنى حُصَيْن وكلُّ قَتَّى ستدركه المنونُ
أترجو أن تنال إمامَ حِديق أبا حسن، وذا ما لا يكونُ
لقد بكت السُّكونُ عليك حتَّى وهت منها النواظرُ والجفونُ
ألا أبلغ معاويةَ بنَ حرب ورَجِمُ الغيب يكشِفُه اليقينُ
بأنَّا لا نزال لكم عدوًّا طَوَالَ الدَّهر ماسِيع الحنينُ
ألم تر أنَّ والينا عليًّا أبُ برٍّ ونحن له بنينُ
وأنا لا نريد سواه يومًا وذاك الرُّشدُ والحقُّ المبينُ
وأنَّ له العراقَ ، وكلُّ كبش حديد القرن ترهبُه القُرونُ

والعكَّى : نسبةٌ إلى عكٍّ بفتح المهملة : أبو قبيلة من اليمن ، وهو
عكٌّ بن عدنان بن عبد الله بن الأزد .

والسُّكوني : نسبة إلى السُّكون بفتح السين المهملة ، أبو قبيلة عظيمة
من اليمن ، وهو السُّكون بن أشرسَ بن ثور . ويقال لثور : كِنْدَة ،
وإليه ينتسب امرؤ القيس .

٤٢٠ والصَّدِف ، بفتح المهملة وكسر الدال : بطنٌ من كندة ينسبون
اليوم إلى حضرموت . وإذا نسبت إليه فقلت صَدَفٌ فتحت الدال .

وهمدان ، بسكون الميم : أبو قبيلة عظيمة باليمن .

وذو رُعَيْن بالتصغير : بطن من حمير ، وهو ذو رعين بن سهل بن
زيد . كذا في الجمهرة ^(١) . وقد تجرَّز الشاعر في حذف ذى منه

(١) يعني جمهرة ابن الكلبي . لكن في جمهرة ابن حزم ٤٣٣ : « بن زيد بن سهل بن عمرو

ابن قيس » .

وَفُجِّعَتْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، مِنْ فَجَعَهُ ، فِي مَالِهِ وَأَهْلِهِ ،
أَيَّ أَصَابِهِ بِالرِّزْيَةِ . وَالْفَجِيعَةُ : الرِّزْيَةُ ، وَفَعَلَهُ مِنْ بَابِ نَفَع . وَأُمُّ النَّقْعِ
أَرَادَ بِهَا الْحَرْبَ . وَالنَّقْعُ بِالنُّونِ وَالْقَافِ : الْغُبَارُ . وَمُثْبَلَةٌ : اسْمُ فَاعِلٍ
مِنْ أَشْبَلَ عَلَيْهِ أَيَّ عَظْفٍ . وَأَشْبَلَتِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ بَعْلِهَا : صَبِرَتْ عَلَى
أَوْلَادِهَا فَلَمْ تَتَزَوَّجْ . وَلَبَوءُ مُثْبَلٌ ، إِذَا مَشَى مَعَهَا أَوْلَادُهَا . وَالشَّيْلُ
بِالْكَسْرِ : وَلَدُ الْأَسَدِ . وَطَحُونُ : مِبَالِغَةُ طَاحُنَةٍ ، أَيَّ مَهْلِكَةٍ .

وَالضَّمِيرُ فِي « خُذْنَهَا » رَاجِعٌ إِلَى الطَّعْنَةِ الْمَفْهُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ لِيَطْنُهُ .
وَالْمُسَوِّمَةُ : الْمُرْسَلَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : سَوَّمْتُ فِيهَا الْخَيْلَ ، إِذَا أَرْسَلَهَا . وَمِنْهُ
السَّائِمَةُ . وَيَخِيفُ : يَرْحَلُ وَيُسَافِرُ . وَالْقَطِيطِينَ : جَمْعُ قَاطِنٍ ، وَهُوَ الْمَقِيمُ .

وَالصَّلَا ، بِفَتْحِ الصَّادِ وَالْقَصْرِ : الْعَجْزُ ، وَفِي الْأَصْلِ هُوَ مَغْرَسُ
الذَّنَبِ مِنَ الْفَرَسِ ، وَمِنْهُ ، قِيلَ : أَخَذَتِ الصَّلَاةُ . وَالْمَصْرَعُ ^(١) : الْمَهْلِكُ .
وَوَهَتْ : ضَعُفَتْ . وَقَوْلُهُ : ﴿ رَجَمًا بِالْغَيْبِ ^(٢) ﴾ ، أَيَّ ظَنًّا مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ
وَلَا بَرَهَانٍ .

وَقَوْلُهُ : « بَأَنَّا » ، مُتَعَلِّقٌ بِأَبْلَغَ . وَالْعَدُوُّ : خِلَافُ الصَّدِيقِ ، يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ
الْمَذْكُورِ وَالْمُنُونُ وَالْمَجْمُوعُ . وَطَوَالَ الدَّهْرُ بِفَتْحِ الطَّاءِ ، أَيَّ طَوَّلَهُ .
وَالْحَنِينُ هُنَا : حَنِينُ النَّاقَةِ ، وَهُوَ صَوْتُهَا فِي نَزَاعِهَا إِلَى وَلَدِهَا . وَالْقَرْنُ
فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، بِفَتْحِ الْقَافِ ^(٣) . وَجُمْلَةُ تَرْهَبُهُ حَالِيَّةٌ .

(١) ط : « المصراع » ، صوابه في ش .

(٢) كذا في التسخين ، ولعله أراد أن يفسر الشعر على ضوء تفسير الآية الكريمة ، وما ورد
في نص الشعر في البيت الثامن « ورجم الغيب » . وهي الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) القرن الأول : روق الكباش ونحوه . وواحد القرون ، بالضم ، قرن أيضاً بفتح
القاف ، وهو سيد القوم ورئيسهم . فهذا ما أراد ولم يفسره .

سعيد بن
قيس الهمداني

وسعيد بن قيس الهمداني من أصحاب علي رضي الله عنه ، ولم أر له
ذكراً في كُتُب الصحابة ^(١) ، وإنما هو تابعي .

قال ابن الكلبي : السَّبِيع : بطنٌ من همدان . ومن السَّبِيع : سَعِيد ^(٢)
ابن قيس بن زيد بن مَرَب بن معديكرب بن أسيف بن عمرو بن
سَبْع بن السَّبِيع . انتهى .

وهمدان بسكون الميم : قبيلةٌ عظيمة باليمن ، وهو لقب ، واسمه
أوسلة .

والسَّبِيع بفتح السين المهملة وكسر الموحدة .

ومَرَب بفتح الميم وكسر الراء المهملة بعدها موحدة .

ولمَّا لم يقف العينيُّ على ما قبل البيت الشاهد ولا على ما بعده ظنَّ
أنَّ البيت لأحدِ أولادِ علي رضي الله عنه .

* * *

وأنشد بعده :

(متى كنَّا لأمك مقتوينَا)

على أنَّه حُكي عن أبي عبيدة وأبي زيد جعلُ نونِ مقتوينَا محلًّا
تعاقب الإعراب بالحركة . فالألف هنا بدل من التنوين .

وهذه عبارة أبي زيد (في نوادره) : رجلٌ مقتوَيْنٌ ورجالٌ مقتوَيْنٌ ^(٣) ،
وكذلك المرأة والنساء ، وهو الذي يخدم القومَ بطعامِ بطنه . وقال عمرو
ابن كلثوم :

(١) ط : « في كتاب الصحابة » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « سعد » ، صوابه في ش وجهرة ابن حزم ٤٣٦ .

(٣) في نوادر أبي زيد ١٨٨ : « رجلٌ مقتوَيْنٌ ورجلانٌ مقتوَيْنٌ ورجالٌ مقتوَيْنٌ » .

تَهْدَدُنَا وَأَوْعِدُنَا رَوِيدًا مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مَقْتَوَيْنَا
الواو مفتوحة وبعضهم يكسرها ، أَى مَتَى كُنَّا خَدَمًا لِأَمِّكَ . هذا
كلامه .

وقد شرحه^(١) أبو علي (في كتاب الشعر)^(٢) وقال : النون حرف
الإعراب . ونقله عنه وعن أبي عبيدة . وضبط الميم بالفتح والضم .
وتقدم كلامه منقولاً بتمامه في الشاهد الثالث والخمسين بعد الخمسائة
من باب المذكر والمؤنث^(٣) .

وقال أبو الحسن الأخفش في شرحه لها : هذا القياس^(٤) وهو
مسموع من العرب أيضاً ، فتح الواو من مُقْتَوَيْن ، فتقول مُقْتَوَيْنَ ،
فيكون الواحد مُقْتَوًى ، فاعلم^(٥) ، مثل مصطفًى فاعلم^(٦) ، ومصطفين
إذا جمعت . ومن قال مُقْتَوَيْن فكسر الواو فإنه يفرد في الواحد والتثنية
والجمع والمؤنث ، لأنَّه عنده مصدر ، فيصير بمنزلة قولهم : رجل عدلٌ
وفطر وصوم ورَضاً^(٧) وما أشبهه . ويقال مَقَّتَ الرَّجُلُ ، إذا خَدَمَ .
فهذا بينٌ في هذا الحرف . انتهى .

وهذا مبنيٌّ على أَنَّ الميم مضمومة ، إِلاَّ أَنَّ قوله مَقَّتَ الرَّجُلُ ، فجعل
الميم أَصْلِيَّةً ، لا وجهَ له . فتأمل .

(١) ش : « وقد جره » ، وأثبت ما في ط .

(٢) يعني كتاب إيضاح الشعر ، ويسمى أيضاً : « الإيضاح الشمرى » ، و « إعراب
الشعر » .

(٣) الخزانة ٧ : ٤٢٩ .

(٤) ط : « هنا القياس » ، وأثبت ما في ش .

(٥) ط : « فاعل » صوابه في ش ونوادير أبي زيد .

(٦) ليست في النوادر . وفي ش : « فاعلم » .

(٧) رسمت في ش : « ورَضى » بالياء .

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ . وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالْثَمَانُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمِائَةِ ، وَهُوَ
مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبُويَه (١) :

٥٨٩ (إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا)

عَلَى أَنَّ الْأَخْفَشَ حَكَى : بَنُو عَرَسٍ وَبَنُو نَعَشٍ ، اعْتِبَاراً لِلْفَرْقِ ابْنِ
وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عَاقِلٍ ، كَمَا فِي الْبَيْتِ . كَأَنَّهُ جَعَلَهَا جَمْعاً لِابْنِ نَعَشٍ وَإِنْ
لَمْ يَسْتَعْمَلْ .

قَالَ سَيَبُويَه : وَأَمَّا ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ ﴾ (٢) ، وَ﴿ رَأَيْتَهُمْ لِي
سَاجِدِينَ ﴾ (٣) ، وَ﴿ يَا أَيُّهَا النَّملُ أَذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ (٤) ، فَرَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّهُ
جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَعْقِلُ وَيَسْمَعُ ، لَمَّا ذَكَرَهُمْ بِالسُّجُودِ ، وَصَارَ النَّملُ
بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ حِينَ حَدَّثَ عَنْهُ مَا يَحْدُثُ عَنِ الْإِنْسَانِ (٥) . وَكَذَلِكَ ﴿ فِي
فَلَكَ يَسْبُحُونَ ﴾ ، لِأَنَّهَا جَعَلَتْ فِي طَاعَتِهَا ، وَفِي أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ
يَقُولَ : مُطَرْنَا بَنُو كَذَا ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدَ شَيْئاً مِنْهَا ، بِمَنْزِلَةِ
مَا يَعْقِلُ (٦) مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَيُبْصِرُ الْأُمُورَ . قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ :

شَرِبْتُ بِهَا وَالذِّبْكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا
فَجَازَ هَذَا حَيْثُ صَارَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ عِنْدَهُمْ تُؤْمَرُ وَتَطِيعُ ، وَتَنْفَعُهُمُ
الْكَلَامُ ، وَتَعْبُدُ ، بِمَنْزِلَةِ الْإِنْسَانِ . انْتَهَى .

(١) فِي كِتَابِهِ ١ : ٢٤٠ . وَانْظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٢ : ٢٦٦ وَالْمَعْدَةَ ٢ : ٢١٧ وَدَلَالِ
الْإِعْجَازِ ١ : ٦١ وَابْنُ عِيْشٍ ٥ : ١٠٥ وَالْمُنْفَى ٣٦٥ وَشَرْحُ شَوَاهِدِ السَّيُوطِيِّ ٢٦٥ وَالْأَزْمَنَةُ
وَالْمَكْنَةُ ٢ : ٢٧٣ وَدِيَوَانُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ ٤ .

(٢) الْآيَةُ ٣٣ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ . وَفِي سُورَةِ يَس ٤٠ : « وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ » بِالْوَاوِ .

(٣) الْآيَةُ ٤ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ .

(٤) الْآيَةُ ١٨ مِنْ سُورَةِ النَّملِ .

(٥) فِي سَيَبُويَه : « حِينَ حَدَّثَ عَنْهُ كَمَا تَحْدُثُ عَنِ الْإِنْسَانِ » .

(٦) فِي سَيَبُويَه : « مَنْ يَعْقِلُ » .

قال الأعلم : الشاهد فيه تذكير بنات نعش لإخباره عنها بالدنو والتصوب كما يُخبر عن الآدميين ، على ما بيّنه سيبويه . وصف خمراً باكرها بالشرب عند صباح الديك . وتصوبُ بنات نعش : دنوها من الأفق للغروب . والباءُ في قوله « بها » زائدة مؤكدة . وكثيراً ما تزيدها العرب في مثل هذا . قال تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ^(١) ﴾ . انتهى .

أقول : الباءُ في البيت والآية للتبويض . وقال (ابن خلف) : الشاهد أنه جمع ابناً من غير ما يعقل جمع العقلاء المذكّرين ، وكان ينبغي أن يقول : بنات نعش ، وواحدها ابن نعش . وحمل بنو نعش على ما يعقل لما كان دورها على مقدار لا يتغيّر ذلك الدور ، وتعلّقه . وقال : « دنوا فتصوبوا » وكان ينبغي أن يقال دنون فتصوبون . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغني) : والذي جرّاه على استعمال الواو في غير العقلاء قوله بنو لابنات . والذي سوّغ ذلك أن ما فيه من تغيير نظم الواحد شبهه بجمع التكسير ، فسهل مجيئه لغير العاقل . ولهذا جاز تأنيث فعله ، نحو : ﴿ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ^(٢) ﴾ ، مع امتناع قامت الزيدون . انتهى .

وبنات نعش من منازل القمر الثمانية والعشرين ، قال صاحب الصحاح : اتَّفَقَ سيبويه والفرّاء على ترك صرف نعش ، للمعرفة والتأنيث .

قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : الظاهر أنه جائز لا واجب ، لأنه ساكن الوسط .

(١) الآية ٢٨ من المطففين .

(٢) الآية ٩٠ من سورة يونس .

وقال صاحب العباب : بنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاث بنات . وكذلك بنات نعش الصغرى . وذكر أبو عمر الزاهد (في فائت الجمهرة) عن الفراء أنه يقال بنات نُعْشَ في ميزانٍ عُمَر ، لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة . قال : وليس بينهم خلاف ، تقول : هذه بناتُ نعش مقبلةٌ ، ومعها بناتُ نعشٍ أخرى مقبلة . وقد جاء في الشعر بنو نعش ، وأنشد أبو عبيدة للنابغة الجعدي :

٤٢٢

(وصهباء لا تُخفى القذى وهي دونه تُصَفَّقُ في رَأْووقها ثم تُقَطَّبُ
تمزّزتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوّبوا)

وقال ابن دريد : سميت بنات نعش تشبيهاً بحمالة النعش^(١) في تربيعها . وقال الليث : يقال للواحد منها ابن نعش ، لأن الكواكب مذكرة ، فيذكرونه على تذكيره . وإذا قالوا ثلاث وأربع ذهبوا إلى مذهب التثنية ، لأن البنين إنما يقال للآدميين . وعلى هذا القياس يقولون : ابن آوى ، وابن عرس ، فإذا جمّعوا قالوا : بنات آوى وبنات عرس ، قال الخليل : هذا شيء لم يسم بالابن لحال الأب والأم كما قيل بنون وبنات . وإذا ذكروا ابن لبون وابن مخاض قالوا : هذا ابن لبون وابن مخاض . وإذا ثنّوا قالوا : ابنا لبون وابنا مخاض . وإذا جمّعوا تركوا القياس ولم يقولوا بنون ، ولكنهم يقولون بنات مخاض ذكوراً . هذا كلام العرب . ولو حملة النحوى على القياس فذكر المذكر وأنث

(١) ط : « بحملة النمش » بالجيم ، وصوابها بالحاء كما في ش ، واللسان (نعش ٢٤٨) ، وجمهرة ابن دريد ٣ : ٦٢ .

المؤنث لكان صواباً . وبعضهم يقول : لا يجوز لِمَا كان من غير الآدميين ^(١) أن يقال في جمعه إلا بالتأنيث ، إلا أن يُضطرَّ شاعر فيخرجه مخرج الآدميين ، إذا حمل على غير الآدميين ، على مثال ما يجمعون عليه . قال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ^(٢) ﴾ لَمَّا فعلوا فعل الآدميين جمعهم كما يُجمعون ، وخاطبهم بما يخاطبون . انتهى كلام العباب .

وقال القالي (في المقصور والممدود) : قال أبو حاتم : يقال ابن آوى لهذا السبع ، وللاثنتين : ابنا آوى ^(٣) ، والمجمع : بنات آوى وإن كنَّ ذكوراً ، ولا يصرف آوى . ويجمعون كلَّ جماعة من غير الإنس على بنات ، كما قالوا بنات نعش لهذه الكواكب ، ولم يقولوا بنو نعش ، فإن اضطرَّ شاعرُ قاله مستكراً . قال الشاعر :

فباكرتها والدَّيك يدعو صباحه . . . البيت

والصواب : بنات نعش دَنَتْ فتصوّبت ، أو دنون فتصوّبن . فهذا على الاضطرار . وأمّا ما لا يعرف ذكره من إنائه فمحمولٌ على اللفظ ، يقال للذكر والأنثى ابن عرس وابن قِترَة ^(٤) لضربٍ من الحيات ، وابن دأية غير معروف للغراب . فإذا جمعت على هذا النحو قلت : بنات آوى ، وبنات عرس ، وبنات قِترَة ، وبنات دأية ، للذكور والإناث . وكلُّ جمع من غير الإنس والجن والشیاطين والملائكة فيقال فيه بنات . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى « غير الآدميين » ساقط من ش .

(٢) من الآية ٤ في سورة يوسف .

(٣) ش : « أبناء آوى » ، صوابه في ش .

(٤) ابن قِترَة ، بكسر القاف : ضرب من الحيات خبيث إلى الصغر ما هو ، لا يسلم من لدغها ، وهو نحو من الشير ، ينزو ثم يقع .

صاحب الشاهد والبیتان من قصيدة للنابعة الجعدى أورد أبياتاً منها السُّيوطى (في شرح شواهد المغنى)^(١) .

وقوله : « وصهباء » إلخ ، أى ربَّ صهباء ، وهى الخمر . لا تُخفى : لا تستر . والقذى : ما يقع فى الماء والشراب والعين إذا هبت الريح . ودون هنا بمعنى قُدام . يقول : إنَّ القذى إذا حصل فى أسفل الزجاجه رآه الرائي فى الموضع الذى هو فيه ، لصفائها . والخمر أقرب إلى الرائي من القذى ، وهى فيما بين الرائي وبين القذى ، يريد أنَّها يُرى ما وراءها لصفائها . وتصفق بالبناء للمفعول . والتصفيق : إدارتها من إناء إلى إناء لتصفو . والراووق : المصفاة . وتُقَطَّب : تمزج .

وقوله : (شربت بها) إلخ روى أيضاً : (تمزَّتها والديك) . والتمزُّز : تمصُّص الشراب قليلاً قليلاً . ومزَّه يمزّه أى مصَّه . وقوله (يدعو صَبَاحَه) أى فى وقت صَباحه^(٢) .

٤٢٣

قال ابن رشيق (فى باب السرقات الشعرية من العمدة) :
قد اجتلب الفرزدقُ هذا البيت واستلحقه بشعره ، فقال :
وإِجَانة رِيًّا السُّرور كأنَّها إذا غُمست فيها الزجاجَةُ كوكب^(٣)
تمزَّزُتها والديكُ يدعو صَباحَه
... البيت

والنابعة الجعدى شاعر صحابى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة^(٤) .

* * *

(١) وهى فى ديوان النابعة الجعدى ٣ - ١١ فى ٣٢ بيتاً .
(٢) ش : « أى وقت صباحه » بإسقاط « فى » . وفى ط : « فى أى فى وقت صباحه » ، و « فى » الأولى مقحمة .

(٣) الخزائن ٣ : ١٦٧ - ١٧٣ .

(٤) فى ديوان الفرزدق ١٥ : « رياء السُّروب » ، و « إذا اغتمست » .

جمع المؤنث السالم

أُنشد فيه ، وهو الشاهد التسعون بعد الخمسائة ^(١) :

٥٩٠ (أَتَتْ ذِكْرُ عَوْدَنْ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ

خُفُوقاً وَرَفَضَاتُ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ)

على أَنَّ (رَفَضَات) كان يستحقُّ أَنْ يفتحَ فاؤه ، فسكُنَ للمضروبة ، لأنَّ رَفَضَات جمع رَفَضَةٍ ، وفعلته بفتح الفاء وسكون العين إذا كان اسماً لا صفة كَصَعْبَةٍ ، يجب فتحها إذا جمعت بالألف والتاء . ورفضة هنا اسمٌ لأنَّه مصدر محض ليس فيه من معنى الوصفية شيء ، ولو كان مؤوَّلاً بالوصف كرجل عدل لكان للتسكين وجه .

قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : حُكِمَ لرفضات وهو اسمٌ بحكم الصفة . ألا ترى أَنَّ رفضات جمع رَفَضَةٍ ، ورَفَضَةُ اسم ، والاسم إذا كان على وزن فعللة وكان صحيح العين فإنه إذا جمع بالألف والتاء لم يكن بدُّ من تحريك عينه إتباعاً لحركة فائه ، نحو جفنة وجفنات . وإن كان صفةً بقيت العين على سكونها ، نحو ضخمة وضخمات . وإنما فعلوا ذلك فرقاً بين الاسم والصفة ، وكان الاسم أولى بالتحريك لخفته ، فاحتمل لذلك ثقل الحركة ، فكان ينبغي أن يقول رَفَضَات بالتحريك ، إلاَّ أَنَّهُ لما اضطرَّ إلى التسكين حَكَمَ لها بحكم الصفة فسكُنَ . وما يبيِّن لك صحة ما ذكرته من الحمل على الصفة أنَّ أكثر ما جاء من

(١) المقتضب ٢ : ١٩٢ وإصلاح المنطق ١٥٤ والمختب ١ : ٥٦ / ١٧١ : ٢ وابن يعيش ٥ : ٢٨ واللسان (سب ٤٥٧) وديوان ذي الرمة ٤٩٤ .

ذلك في الشعر إنما هو مصدر ، لقوة شبه المصدر باسم الفاعل الذي هو صفة . ألا ترى أنَّ كل واحد منهما يقع موقع صاحبه . والمعتل اللام من فعلة بمنزلة الصحيح اللام ، في أنَّ العين لا تسكن في جمع الاسم منه إلا في ضرورة ، حكى أبو الفتح عن بعض قيس : ثلاث ظبيات بإسكان الباء . وروى أيضاً عن أبي زيد عنهم : شربة وشريات . انتهى باختصار .

وقد تكلم ابن جني (في موضعين من المحتسب) على هذا الجمع في أول سورة البقرة ، وفي سورة لقمان . ولما كان الأول أجمع للفوائد اقتصرنا عليه .

قال : وقد سكَّنتو المفتوح ، وهو ضرورة . قال لبيد :

رَحَلْنَ لِشِقَّةٍ وَنَصَبْنَ نَصْباً لوغرات المسجواجر والسُّموم^(١)

وقال ذو الرمة :

أبت ذكر عودن أحشاء قلبه . . . البيت

ورويانا أيضاً أنَّ بعض قيس قال : ثلاث ظبيات ، فأسكن موضع العين . ورويانا عن أبي زيد أيضاً عنهم شربة وشريات ، وهو الحنظل . والتسكين عندي في هذا أسوغ منه في نحو : رفضات ووغرات ، من قبل أنَّ قبل الألف ياء محرَّكة مفتوحاً ما قبلها . وهذا شرط اعتلاها بانقلابها ألفاً . ويحتاج أن نعتذر من ذلك فنقول : لو قلبت ألفاً لوجب حذفها لسكونها وسكون الألف بعدها ، وليس في نحو رفضات ما يوجب الاعتذار

(١) ديوان لبيد ١٠٢ . والوغة : شدة حر النهار . والسوم ، بالفتح : الريح الحارة .

من الحركة . وكان رفضات أقرب مأخذاً من تمرات ، من قبل أن رفضة
 ٤٢٤ حدث ومصدر ، والمصدر قوى الشبه باسم الفاعل الذى هو صفة ،
 والصفة لا تحرك في نحو هذا^(١) . ويدل ذلك على قوة شبه المصدر بالصفة
 وقوع كل واحد منهما موقع صاحبه . فكذا سهل شيئاً إسكان نحو
 رفضة ووغرة ، لسكونهما حدثين ومصدرين ، لشبههما بالصفة . ويزيد في
 أنسك تسكين عين ما لأمه حرف علة^(٢) ، لما يعقب من الاعتذار
 من تحريك [عينه^(٣)] ، امتناعهم من تحريك العين في فعلة إذا كانت
 حرف علة ، وذلك نحو جَوَزَات ، ألا ترى لو حرك لوجب أن يعتذر
 من صحة العين مع حركتها وانفتاح ما قبلها ، بأن يقولوا لو أعلت
 لوجب القلب ، فيلتبس بما عينه في الواحد ألف منقلبة نحو قارة
 وقارات^(٤) . وإذا جاز إسكان العين الصحيحة نحو تمرات صار المعتل
 أخرى بالصحة . انتهى باختصار .

والبيت من قصيدة طويلة لذي الرمة كلها غزل ونسيب . وقبله :
 صاحب الشاهد
 (إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تُخلّق حبالاً الوسائل)
 يخاطب نفسه . ويقول : إذا قلت ودّع يا ذا الرمة وصل خرقاء ،
 وخرقاء لقب محبوبته مية ، وتُخلّق مجزوم في جواب أحد الأمرين
 المتقدمين ، وفاعله ضمير المخاطب ، وهو من أخلقت الثوب ، إذا أبلينته

(١) بعده في المحتسب : « نحو صبة وصبات ، وخدلة وخدلات » .

(٢) أى في نحو ظبية وغزوة .

(٣) التكلة من المحتسب ١ : ٥٧ .

(٤) في النسختين : « قارة وقارات » بالفاء ، وصوابهما بالقاف ، كما في المحتسب
 وما سيأتى في الشاهد ٥٩٣ . والقارة ، بتخفيف الراء : الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود ،
 والجمع قارات ، وقار ، وقور ، وقيران ، كما في اللسان (قور) .

والجبال : جمع جَبَل بمعنى السَّبَب ، استُعير لكلِّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى
أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ . والوسائل : جمع وسيلة . قال شارح ديوانه : الوسيلة
القُرْبَة والمنزلة .

وقوله : (أَبَتِ ذِكْر) إلخ ، هذا جوابٌ إِذَا فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ . (وَأَبَتِ)
بمعنى امتنعت . وفي بعض نسخ الشرح (أَنْتِ) بالثناة على أَنَّهُ مِنْ
الْإِثْنَانِ . ولم أَرَهُ فِي نَسْخِ الدِّيَوَانِ ، وَعِنْدِي مِنْهُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ أَرْبَعُ نَسَخٍ ،
وَذِكْرٌ بِكسر الذال وفتح الكاف : جمع ذَكَر ، والذَكَرُ بالكسر والضم :
اسمٌ لَذَكَرْتُهُ بِلِسَانِي وَبِقَلْبِي ذِكْرِي بالكسر والقصر ، نص عليه جماعةٌ
منهم أَبُو عبيدة ، وابن قتيبة . وَأَنْكَرَ الْقِرَاءَةَ الكسر فِي الْقَلْبِ وَقَالَ :
اجْعَلْنِي عَلَى ذِكْرِ مَنْكَ بِالضَّمِّ لَا غَيْرِ . ولهذا اقتصر عليه جماعة . والنون
من (عَوَّذَن) ضمير الذَّكَرِ . وعودته كذا فاعتاده وتعوّده ، أَيْ صَيَّرْتَهُ
لَهُ عَادَةً . و (الْأَحْشَاءُ) : جمع حَشَى بالقصر ، وهو مَا فِي الْبَطْنِ مِنْ
مَعْيٍ وَكَرَشٍ ^(١) ، وغيرهما . والخفوق مفعول ثانٍ لِعَوَّذَ ، وهو مصدر
خَفَقَ ، وخَفَقَانًا أَيضاً إِذَا اضْطَرَبَ . و (رَفَضَات) بالرفع معطوف على
ذِكْر . قال شارح ديوانه : رَفَضَاتُهُ : تَفَرُّقُهُ وَتَفَتُّحُهُ فِي الْمَفَاصِلِ ، وهو
بِالْفَاءِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ . وهذا من قولهم : رَفَضْتَ الْإِبِلَ تَرْفِضُ كَضَرْبٍ
يَضْرِبُ ، رُفُوضاً ، إِذَا تَبَدَّدَتْ فِي الْمَرْعَى حَيْثُ أَحْبَبْتَ . ورفضات الهوى
من إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ .

وقال ابن برى : يقول : إِنْ تَجْتَنِبُ زِيَارَتَهَا تُخْلِقُ جِبَالَ الْوَسَائِلِ
لِبَعْدِ الْعَهْدِ بِهَا ، وَتَقَادُمُ الْوَصْلِ الَّذِي يَشُوقُ إِلَيْهَا . يريد أن يهون على

(١) المي والمي ، بكسر الميم وفتح العين فيهما : واحد الأُمَاءِ . وفي ش :
« مِنْ أُمَاءِ » .

نفسه السلو عنها ، ثم أجاب نفسه فقال : أبت ذكر جمع ذكرة .
وأحشاء قلبه : جمع حشئ ، كأنه أراد مابين الجنبين ، لاشتغال الخفقان
على جميع ذلك . ورفضات : جمع رَفْضَة ، يعنى الكسر والحطم . انتهى .
وترجمة ذى الرمة تقدّمت فى الشاهد الثامن^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الخمسائة^(٢) :

٥٩١ (وأهله وُدُّ قد تبرّيتُ ودهمُ
وأبليتُهُم فى الحمد جهدى ونائلى)

على أَنَّ أهلاً الوصف يؤنث بالتاء كما فى البيت . ٤٢٥

وقوله : (وأهله وُدُّ) صفة لموصوف محذوف ، أى جماعة مستأهلة
للود ، أى مستحقّة له .

وفى البيت ردُّ على الخليل فى زعمه أنّه لا يقال أهله . قال سيبويه :
قلتُ للخليل : هلّا قالوا أرْضُون أى بسكون الراء ، كما قالوا أهْلون ،
قال : إنّها لما كانت تدخلها التاء أرادوا أن يجمعوها بالواو والنون
كما جمعوها بالتاء . وأهل مذكر لاتدخله التاء ولا تغيّره الواو والنون
كما لا تغيّر غيره من المذكّر نحو صعب . انتهى .

وقد أنكر بعضهم استأهل بمعنى استحق . نقل صاحبُ العباب عن
تهذيب الأزهري أنّه قال^(٣) : خطأ بعضهم قول من يقول فلان يستأهل
أن يكرم أو يهان ، بمعنى يستحق . قال : ولا يكون الاستئصال إلّا من

(١) الخزائن ١ : ١٠٦ - ١١٠ .

(٢) المحتسب ١ : ٢١٧ ، واللسان (أهل ٢٨) .

(٣) النص فى تهذيب الأزهري ٦ : ٤١٨ مقارب لما هنا ، وليس مطابقاً له ، وهو : « وقد
سعت أعرابياً فصيحاً من بني أسد يقول لرجل أولى كرامة : أنت تستأهل ما أوليت » .

الإِهالة ، وهو أخذ الإِهالة أو أكلها ، وهي الآلية المذابة . قال الأزهرى :
وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَنْكَرُهُ وَلَا أُخْطِئُ مِنْ قَالِهِ ؛ لِأَنِّي سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا فَصِيحًا
مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَقُولُ لِرَجُلٍ شَكَرَ عِنْدَهُ يَدًا أُولِيهَا : « تَسْتَأْهِلُ يَا أَبَا حَازِمٍ
مَا أُولَيْتُ ^(١) » . وحضر ذلك جماعةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَمَا أَنْكَرُوا قَوْلَهُ . قال :
وَيَحَقِّقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ^(٢) ﴾ . انتهى .

وقول الشارح المحقق « وَأَهْلٌ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ دَخَلَهُ مَعْنَى الْوَصْفِ »
قال الراغب (فِي مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ) : أَهْلُ الرَّجُلِ : مَنْ يَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ
نَسَبٌ أَوْ دِينٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، مِنْ صِنَاعَةٍ وَبَيْتٍ وَبَلَدٍ . فَأَهْلُ الرَّجُلِ فِي
الْأَصْلِ : مَنْ جَمَعَهُ وَإِيَّاهُمْ مَسْكَنٌ وَاحِدٌ ، ثُمَّ تَجَوَّزَ بِهِ فَقِيلَ أَهْلُ بَيْتِهِ
مَنْ يَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ نَسَبٌ أَوْ مَا ذُكِرَ . وَعَبَّرَ عَنْ أَهْلِهِ بِامْرَأَتِهِ ^(٣) . وَفُلَانٌ
أَهْلٌ لِكَذَا ، أَيْ خَلِيقٌ بِهِ . وَالْآلُ ، قِيلَ مَقْلُوبٌ مِنْهُ لَكِنْ خَصَّ بِالْإِضَافَةِ
إِلَى أَعْلَامِ النَّاطِقِينَ دُونَ النُّكْرَاتِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ ، فَيُقَالُ : آلُ فُلَانٍ
وَلَا يُقَالُ آلُ رَجُلٍ ، وَلَا آلُ زَمَنِ كَذَا ، وَلَا آلُ مَوْضِعٍ كَذَا ، كَمَا يُقَالُ
أَهْلُ بَلَدٍ كَذَا وَمَوْضِعٍ كَذَا . انتهى .

وقال صاحب العباب : الْأَهْلُ : أَهْلُ الرَّجُلِ ، وَأَهْلُ الدَّارِ ، وَكَذَلِكَ
الْأَهْلَةُ . قال أَبُو الطَّامِحَانِ الْقَيْنِيُّ :

وَأَهْلَةٌ وَدٌّ قَدْ تَبَرَّيْتُ وَدَّهْمٌ وَأَبْلِيَّتُهُمْ فِي الْجَهْدِ بِنْدِي وَنَائِلِي
أَي رَبٍّ مِنْهُ هُوَ أَهْلٌ لِلْوَدِّ ، وَقَدْ تَعَرَّضْتُ لَهُ ، وَبَذَلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ طَاقَتِي

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) مِنَ الْآيَةِ ٥٦ فِي سُورَةِ الْمَدَّثِرِ .

(٣) الْوَجْهَ مَا فِي مَفْرَدَاتِ الرَّائِغِ ٢٨ : « وَعَبَّرَ بِأَهْلِ الرَّجُلِ عَنْ امْرَأَتِهِ » .

من نائل . والجمع أهلات وأهلون . وكذلك الأهالى زادوا فيه
الياء على غير قياس ، كما جمعوا ليلاً على ليال . وقد جاء فى الشعر
آهال ، مثل فرخ وأفراخ . وأنشد الأخفش :

* وبلدة ما الإنس من آهالها^(١) *

وقال ابن عبّاد : يقولون هو أهله لكل خير ، بالهاء . وفلان أهله
لكذا ، أى مستحق له . انتهى .

والواو فى «وأهلة» واو رب ، وصفة مجرورها محذوف ، أى رب أهلي
وُدّ ملتبس ومُبهم . وتبرّيت جوابها العامل فى محل مجرورها . قال ابن
السكيت (فى إصلاح المنطق) : قد تبرّيت لمعروفه تبرّياً ، إذا تعرّضت
له . أنشد الفراء :

وأهلة ود البيت

يقال أهل وأهلة . انتهى .

ورواية البيت للشارح المحقق هى رواية ابن السكيت (فى إصلاح
المنطق^(٢)) ، وفى كتاب المذكر والمؤنث . وكذا رواه السخاوى (فى
سفر السعادة) وقال^(٣) : ومعنى تبرّيت تعرّضت له وأودّه ، وبذلت له
فى ذلك طاقتى .

(١) ابن يعيش ٥ : ٧٣ ، واللسان (بلا ٩٦) وفى اللسان :

* بل بلدة ما الإنس من آهالها *

شاهد على استعمال « بل » فى استئناف الكلام . ونظيره أيضاً :

* بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا *

(٢) ش : « فى الإصلاح » .

(٣) ط : « قال » بدون واو .

وقال ابن السَّيرافي (في شرح أبيات الإصلاح) : ويروى : « في الجهد بذل ونائل » أي ربَّ أهل وُدِّ قد تعرَّضت لأن يعلموا أنني أودهم وبذلت لهم مالى فى العسر واليسر ، ولم أبخل عليهم بشيء . يصف نفسه بالوفاء والبذل . وتفسير تبريت : كشفت وفتشت . يريد أنه فتش عن صحَّة وُدِّهم له ليعلمه فيجيزهم به . وأبليتهم : أوصلتهم ومنحتهم . والبليَّة بمعنى المنحة تارة والمِحنة ^(١) أخرى . ومنح يتعدَّى إلى مفعولين . قال زهير :

جَزَى اللهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو ^(٢)
أَيَّ خَيْرِ الصَّنِيعِ الَّذِي يَخْتَبِرُ بِهِ عِبَادَهُ . والجُهد بالضم فى لغة الحجاز ، وبالفتح عند غيرهم : الوُسع والطاقة . والنائل : النوال ، كلاهما بمعنى العطاء .

صاحب الشاهد والبيت نسبه ابن السيرافي وصاحب العباب إلى أبي الطمحن القينى ، وهو شاعرٌ إسلامي .

أبو الطمحن قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو حنظلة بن الشَّرْقِ . وكان فاسقاً . وقيل له : ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل : وماليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَّيرِ نصرانيَّة فأكَلْتُ عندها طَفِيشَلاً بلحم خنزير ^(٣) وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كأسها ومضيت .

(١) فى التسخين : « والهبة » ، والوجه ما أثبت . يقال بلى فلان وابتلى ، إذا امتحن بمنحة .

(٢) ديوان زهير ١٠٩ .

(٣) ضبطه صاحب القاموس بوزن سميع ، وذكر أنه نوع من المرق . وجمله البغدادي فى كتاب الطبخ ٥٥ ضرباً من التنويرات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى كتاب منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطاني ، أعنى الجبوب ، كالمس والجلبان وما أشبه ذلك » . وفهره استينجاس فى المعجم الفارسى الإنجليزى ٣١٣ بأنه ضرب من القم يعالج بالبيض والجزر والعمل . وانظر الحيوان ٣ : ٥/٢٤ . ويقال له أيضاً طفشيل بكسر الطاء والشين كما فى كتاب الطبخ وحواشيه . وهو مرعب « تقشله » أو « نفشيله » الفارسية .

وكان نازلاً على الزُّبير بن عبد المطلب ، وكان ينزل عليه الخلاء .

وهو القائل لقوم أغاروا على إبله وكانوا شربوا من ألبانها :
 وإني لأرجو ملحها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبراً^(١)
 يقول : أرجو أن يعطفكم^(٢) على ذلك اللبن أن تردوها . والملح :
 اللبن . انتهى .

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) : إنه كان نديماً
 للزُّبير بن عبد المطلب في الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام .

وقال الآمدي (في المؤلف والمختاف) : أبو الطمّحان القيني اسمه
 حنظلة بن الشرق . كذا وجدته في كتاب بني القين بن جسر . ووجدت
 نسبه (في ديوانه المفرد) : أبو الطمّحان ربيعة بن عوف بن غنم بن
 كنانة بن القين بن جسر ، شاعر محسن مشهور ، وهو القائل :

أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم
 دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه^(٣)

(١) وكذا جاءت الرواية في الحيوان ٤ : ٧٣ والكامل ٢٨٤ والغريب المصنف
 ٤٩٤ والاشتقاق ٢٦٧ والمختصر ١ : ٢٦ واللسان (ملح) . وصوابها : « أغبر » بكسر الروى .
 كما في الشعراء ٣٨٩ والآل ٤٠٥ ومانيه عليه ابن برى . والقصيدة مخفوضة الروى أولها :
 ألا تحت المرقال واشتاق ربها تذكر أرماما وأذكر معشري
 ومنها أبيات في الأغاني ١١ : ١٢٨ / ١٦ : ٦٧ . كما أن ابن الأعرابي أنشد هذا البيت
 في نوادره برواية :

* وما بسطت من جلد أشعث مقتر *

وبعد البيت كما في السبط :

جزاء سمار جزوها ورهبسا وبالله والنعمى جزاء المكفر

(٢) ط : « يطفكم » ، صوابه في ش والشعراء .

(٣) الجزع ، بفتح الجيم وكسرهما : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض . والبيت في مصون
 العسكري ٢٢ ، ٥٨ ، والكامل ٣٠٣ والنبي ١ : ٥٦٧ والحماسة بشرح المرزوقي ١٥٩٨ . ونسب
 في الحيوان ٣ : ٩٣ إلى لقيط بن زراراة .

ثم أورد اثنين من الشعراء يقال لهما أبو الطمّحان أحدهما أبو الطمّحان النّهشلى . ثانيهما : أبو الطمّحان الأسديّ .

وقال أبو حاتم (فى كتاب المعمرين ^(١)) : هو من بنى كنانة بن القين بن جسر بن شيع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة . عاش مائتى سنة ، وقال فى ذلك :

حَنَنْتِى حَانِيَاْتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّى خَاتِلٌ يَدْنُو لَصِيدِ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مَقِيدًا أَنِّى بِقِيدِ

انتهى .

وأورده ابن حجر (فى الإصابة) فى قسم المخضرمين الذين أدركوا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يَرَوْه .

وذكره المرزبانى فقال : هو أحد المعمرين ، وهو القائل :

وَلَأَنِّى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
أَضَاعَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعَ ثَاقِبُهُ
ويقال هو أمدح بيتِ قَيل فى الجاهلية .

والطمّحان بفتح الطاء والميم بعدها حاءٌ مهملة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الخمسائة ، وهو

٤٢٧

من شواهد س ^(٢) :

٥٩٢ (وَهُمْ أَهْلَاتُ حَوْلَ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ
إِذَا أَدْلَجُوا يَدْعُونَ بِاللَّيْلِ كَوَثَرًا)

(١) كتاب المعمرين ٥٧ . وانظر الأغاني ٢ : ١٢٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ١٩٦ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٩١ . وانظر ابن يعيش ٥ : ٣٣ واللسان (أهل ٢٩) .

على أنه جمعُ أهلة ، جُمع باعتبار اسميته ، ولهذا فتح عينه .

وفيه ردُّ على سيبويه في زعمه أنه جمع أهل . قال : وقد يجمعون المؤنث الذى ليست فيه هاء التأنيث بالتاء ، كما يجمعون مافيه الهاء ، لأنه مؤنثٌ مثله : وذلك قولهم : عُرُسات وأَرْضَات ، وعِيرات ، حَرَكُوا الياء وأجمعوا فيها على لغة هذيل ، لأنَّهم يقولون : بَيْضَات وجَوَزَات . وقد قالوا عِيرات وقالوا أَهْلَات فحَفَفُوا ، شَبَّهُوا^(١) بصَغَبَات حيث كان أهل مذكراً تدخله الواو والنون ، فلما جاء مؤنثاً كمؤنث صَغَب فُعل به كما فعل بمؤنث صَغَب . وقد قالوا أَهْلَات^(٢) كما قالوا أَرْضَات . قال المخبل :

وهم أَهْلَاتٌ حَوْلَ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ... البيت . انتهى

قال الأعلم : الشاهد فيه جمع أهل على أهلات وتحريك الثاني^(٣) . ووجه دخول الألف والتاء فيه حمل أهل على معنى الجماعة ، لأنه يؤدَّى عن معناها وإن لم تكن فيه الهاء ، فجمع بالألف والتاء كما تجمع الجماعة . ووجه تحريك الثاني تشبيهه بأَرْضَات ، لأنه في الجمع مؤنثٌ مثلها ، ولأنَّ حكم ما يجمع بالألف والتاء من باب فَعْلَة ، وكان من الأسماء ، تحريكُ ثانيه ، كجَفْنَة وجَفْنَات . انتهى .

(١) سيبويه : « شَبَّهَهَا » .

(٢) سيبويه : « وقد قالوا أَهْلَات ثَقُلُوا » .

(٣) الشنترى : « بالألف والتاء وتحريك الثاني » .

وقد تبع الزمخشري (في مفضّله) سيبويه فقال : وحكم المؤنث الذى لا تاء فيه كحكم الذى فيه التاء ، قالوا : أرّضات وأهّلات فى جمع أرض وأهل . قال : « فهم أهّلات » البيت .

قال شارحه ابن يعيش : أهّلات : جمع أهّلة ، وليس بجمع أهل كما ظنه المصنف^(١) . ألا ترى أنّ أهّلاً مذكر يجمع بالواو والتون ، لأنّهم لمّا وصفوا به أجروّه مجرى الصّفات فى دخول تاء التانيث ، للفرق ، فقالوا : رجل أهّله وامرأة أهّلة ، كما يقولون ضارب وضاربة . قال الشاعر :

* وأهّلة وُدٌ قد تبرّيت ودهم *

ولمّا قالوا فى المذكّر أهل وأهلون وفى المؤنث أهّلة وأهّلات ، أشبه فعله من المصنّف فجعموه^(٢) بالآلف والتاء ، وأسكنوا الثانى منه كما فعلوا ذلك بسائر الصفات . ومن العرب من يقول أهّلات ، فيفتح الثانى كما فتحوا فى أرّضات ، لأنّه اسمٌ مثله وإن كان أشبه الصّفة . قال المخبل :

فهم أهّلاتٌ حول قيس بن عاصم ... انتهى

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للمخبل السعدى . قال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : وقبله :

أبيات الشاهد (ألم تعلمى يا أمّ عمّسرة أنّى تخاطباني ريبُ الزّمان لأكبراً
وأشهد من عوفٍ خلولاً كثيرة يحجّون سببَ الزّبرقان المزعفرا)

(١) الذى فى ابن يعيش : « كما ظنه صاحب الكتاب » ، يعنى سيبويه ، لا الزمخشري كما يتبادر إلى الذهن من عبارة « كما ظنه المصنف » .
(٢) فى النسختين : « جمعه » والصواب ما أثبت من ابن يعيش .

فهم أهلاتٌ حولَ قيس بن عاصم ... البيت)

وقوله : « أَلَمْ تَعْلَمِي » إلخ ، قال أبو محمد الأسود الأعرابي : معناه أَنَّهُ كره أن يعيش ويعمرَ حتَّى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحجُّ بنو سعد عِصَابَتَهُ ^(١) . انتهى .

وتخاطباني بمعنى تخطأني وفاتني . و « ريب الزَّمان » : حوادثه . وكبر في السنَّ ، من باب فرح .

وقوله : « وأشهد » بالنصب عطف على لَأَكْبَر . وعوف : أبو قبيلة ، وهو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والحُلُول : القوم النُّزُول ، من حلَّ بالمكان إذا نزل فيه . ويحجُّون : يقصدون . قال ابن دريد (في الجهرة) : الحجُّ : القصد . وأنشد هذا البيت . ٤٢٨

والسَّبُّ بكسر السين المهملة : العمامة ، قال ابن دريد (في الجهرة) : السَّبُّ بالكسر : الشَّقَّةُ البيضاء من الثياب ، وهي السَّيْبَةُ أيضاً . وأنشد هذا البيت وقال : يريد العمامة ههنا . وكانت سادات العرب تصبغ العمامم بالزَّعفران . وقد فسَّر قومُ هذا البيت بما لا يذكر . انتهى .

أقول : من جُملة من فسَّره بالقبيح الأصمعي ، قال (في كتاب الفرق بين ما للإنسان والوحوش) : قالوا في الدُّبُر من الإنسان دون البهائم : اسْتُ وِسْتُ وَسَّه بالهاء ، ويسمى أيضاً السُّبَّة بالضم ، والسُّبَّة بالفتح ، والسُّبَّة بالكسر . قال المخبل :

* يحجُّون سِبَّ الزبرقان المزعفرا *

(١) العصاية : العمامة ، وكل ما يعصب به الرأس .

قال ابن السيرافي (في شرح أبيات الإصلاح) : قال بعضُ الناس : إنَّ الشاعرَ قصدَ بهذا البيتَ معنىً قبيحاً وكفى بهذا اللفظَ عنه . وإنَّما أراد أنَّ الزبرقان كان به داءُ الأُبنة يؤتى من أجله . انتهى .

ويدفعه قوله « يزورون » ، فإنَّ الزيارة لا تستعمل في مثل هذا ، إلا أن يدعى التهمك .

وقال أبو محمد الأسود : من زعم أنَّ المخبلَ كنى ههنا عن قبيح فقد أخطأ ، وإنما قصد^(١) بسبَّ الزبرقان أنَّ بني سعد بن زيد مناة كانوا يحبُّون عصابته إذا استهلُّوا رجلاً في الجاهلية ، إجلالاً له وإعظماً لقدره . وذكر ذلك ربيعةُ بن سعد التَّمري يمدح الزبرقان :

كانت تحجُّ بنو سعد عصابته إذا استهلُّوا على أنصابه رجلاً
سبُّ يزغفره سعدٌ ويعبده في الجاهلية ينتابونه عُصبا^(٢)

والعصابة : ما يعصب به الرأس . انتهى .

الزبرقان بن بدر والزبرقان هو ابن بدر الصحابي ، ولأه النبي صلى الله عليه وسلم صدقات بني تميم .

قال صاحب (زهر الآداب) : سمي الزبرقان لجماله . والزبرقان : القمر قبل تمامه ، وقيل لأنَّه كان يزبرق عمته في الحرب ، أي يصفرُّها . انتهى .

واسمه حُصين بن بدر . وإيَّاه عنى المخبل بقوله من هذه القصيدة :

(١) ش : « أراد » .

(٢) ينتابونه : يقصدونه مرة بعد مرة . وفي ش : « بيتا يومه » . تحريف .

تَمْنَى حَصِينٌ أَنْ يَسُودَ جِذَاعُهُ فَأَمْسَى حَصِينٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَقْهَرَا^(١)
والجِذَاعُ^(٢) ، بكسر الجيم بعدها ذال معجمة : أولاد السَّعْفَاءِ .
قال صاحب جمهرة الأنساب : ولد عوفُ بن كعب بن سعد عَطَارِدًا ،
وَبَهْدَلَةً ، وَجُثَمَ ، وَبِرْنِيقًا^(٣) . وأمهم السَّعْفَاءُ بنت غَنَمٍ من بني باهلة ،
ويقال لبنيها : الجِذَاعُ . وأنشد هذا البيت .

وقال السَّخَاوِي (في سفر السَّعَادَةِ) : وإنما سُمِّيَ الزَّبْرَقَانُ لصفرةِ
عمامته . وزبرقت الثوب أى صفَّرتَه . وقال « المزعفر » لأنَّ السَّبَّ مذكَرٌ
وإن كان المراد به العمامة .

وقوله : (وهم أهلات) إلخ ، الظاهر أنَّ هذا البيت غير متصل بما قبله ،
لسقوط أبياتٍ بينهما . يقول : هم أهلات وأقاربٌ حول قيس بن عاصم .
يعنى أَنَّهُ سَيِّدُهُمْ ، وهم قد أحاطوا به . وأدلج القوم إدلاجاً
كأكرم إكراماً : ساروا الليل كله . فإن ساروا من آخر الليل قِيلَ أدلجوا
أدلاجاً بتشديد الدال . قال الأَعْلَمُ : وصف اجتماعَ أحياء سعد من بني
مِنْقَرٍ وغيرهم إلى قيس بن عاصم المنقرى سيِّدِهم ، وتعويلهم عليه في

(١) ط : « جذاعة » ، صوابه في شمع أثر تصحيح ، واللسان (جذع ، قهر) ، والاقطصاب
٤٠٥ والتبذيب ٥ : ٣٩٥ .

(٢) في النسختين : « والجذاعة » ، والوجه ما أثبت كما يقتضيه السياق وما تؤيده المراجع
السابقة . وفي اللسان (جذع) أن جذاع الرجل قومه ، لا واحد له . ثم قال بعد إنشاد البيت : « وخص
أبو عبيد بالجذاع رهط الزبرقان » .

(٣) ط : « وبرنيق » ، صوابه في ش وجمهرة ابن حزم ٢١٨ والاشتقاق ٢٥٤ واللسان
(برنق) . وقال ابن منظور : « وبنو برنيق : بطين من العرب » . وذكروا أن البرنيق : ضرب
من الكمأة يكون لها شبيه الأقماع يكون فيها سم قاتل .

أُمُورِهِمْ . والكُوثر : الجواد الكثير العطاء . أى إن أدلجوا حَدُّوا الإبل
بِمَدِّهِ وَذَكَرَهُ . انتهى .

وقيل إنَّ كُوثرًا كان شعاراً لهم عند نداء بعضهم بعضاً في اللَّيل
وفي الحرب .

٤٢٩

قيس بن عاصم قيس بن عاصم صحابي ، وهو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد
ابن منقر بكسر الميم ، ابن عُبيد بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم .

وفدَّ قيسُ بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هذا
سيدُ أهلِ الوبر » .

وترجمة المخبَّل السعدى تقدَّمت في الشاهد الرابع والثلاثين بعد
الأربعمئة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الخمسمئة ^(٢) :

٥٩٣ (أَخُو بَيَّضَاتٍ رَائِحُ مَتَاوَبٌ)

على أَنَّ هذِيلاً تَفْتَحُ عَيْنَ فَعْلَةٍ الاسْمَى في الجمع بالآلف والتاء ،
كَبَيَّضَاتٍ ، بفتحات .

(١) الخزانة ٦ : ٩٣ - ٩٥ .

(٢) المقتضب ١ : ٥٨ والخصائص ٣ : ١٨٤ والمنصف ١ : ٣٤٣ وابن يعيش ٥ : ٣٠
وشرح شواهد الشافية ١٣٢ والعينى ٤ : ٥١٧ والتصريح ٢ : ٢٩٩ والمجمع ١ : ٢٣
والأشئوف ٤ : ١١٨ .

صرَّح به ابن جنى (فى الخصائص) بأنَّ فتح حرف العلة فى بَيَضَات وجَوَزَات لغة هذيل ، فلا يكون من قبيل ضرورة الشعر .

ولهذا لم يورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

قال أبو عُمر^(١) محمد بن عبد الواحد الزاهد (فى كتاب اليواقيت) :
قال أبو العباس : وأخبرنى سلمة عن الفراء قال : أنشدنى بعض بنى
هذيل « أخو بيضات » البيت .

وكذا قال الزمخشريُّ (فى المفصل) : إذا اعتلَّت عين فعلة سكنت
إلا فى لغة هذيل . فعند غير هذيل يكون الفتح ضرورة .

وقد أطلق ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) فقال : وقد جاء
فى الشعر تحريك مثل هذا . قال الشاعر : « أخو بيضات » البيت .
وهذا ليس بجيد ، ولا بدَّ من التقييد .

قال (فى المحتسب) : امتنعوا من تحريك العين فى فعلة إذا
كانت حرف علة ، كجَوَزَات وبيضات . ولو حرَّك لوجب أن يُعْتذر من
صحة العين مع حركتها وانفتاح ما قبلها بأنَّ يقال : لو أعلَّت لوجب
القلب فيصير جازات وباضات ، فيلتبس ذلك بما عينه فى الواحد ألف
منقلبة ، نحو قارة وقارات ، وجارة وجارات . وإذا جاز إسكان العين
الصحيحة نحو تمرات وشفرات صار المعتلُّ أخرى بالصحة . وربما جاء
الفتح فى العين ، كما قال الهذليُّ^(٢) :

(١) ش : « أبو عمرو » ، صوابه فى ط ، كما هو معروف فى ترجمته .

(٢) البيت لم يرد فى ديوان الهذليين ولا شرح أشعارهم . وأوله فى رواية ابن جنى فى كتبه
كلها : « أبو بيضات » ، لا « أخو بيضات » .

* أَخُو بَيَضَات رَائِحٌ مُتَأَوِّبٌ *

وعذره في ذلك أَنَّ هذه الحركة إِنَّمَا وجبت في الجمع ، وقد سبق العلم بكونها في الواحد ساكنة ، فصارت الحركة في الجمع عارضة فلم تُحْفَلْ . وفي هذا بعد هذا ضعفٌ . ألا ترى أَنَّ هذه الألف والتاء تبنى الكلمة عليهما وليستا في حكم المنفصل . يدلُّك على ذلك صحَّة الواو في خُطُوات . ولو كانت الألف والتاء في حكم المنفصل لوجب إعلال الواو ، لأنَّها لام وقبلها ضمة . قال أبو علي : يدلُّك على أَنَّ الكلمة مبنية على الألف والتاء أطراد إتباع الكسر للكسر في سِدِرَات وكِسِرَات مع عِزَّة فِعِل في الواحد بكسرتين^(١) . إِلَّا أَنَّ ممَّا يؤنس بكون حركة العين غير لازمة ، قولُ يونس في جِرْوَة إذا قلت جِرَوَات . فصحَّة الواو وهى لامٌ بعد كسرة تدلُّك على قلة الاعتداد بها . أو يقال : إِنَّ هذا شاذ ، يدلُّ على شذوذه امتناعهم أَن يحركوا عين كُليَّة ومُذنية في هذا الجمع^(٢) ، لما كان يعقب ذلك من وجوب قلب الياء إلى الواو . فدلَّنا ذلك على أَنَّ نحو جِرَوَات شاذ . فهذه أشياء تراها متكافئة . وعلى كل حال فالاختيار خُطُوات بالإسكان . انتهى .

والمصراع صدرٌ . وعجزه :

(رفيقٌ بمسح المنكبين سبوح)

والبيت مع كثرة وجوده في كتب النحو والصرف لم أُطَّلِع على قائله ، ولا على تتمته . قال شارح اللباب : يصف ذكراً من النعام ، أى هو أَخُو بَيَضَات يرجع ويسرع إلى بيضاته .

٤٣٠

(١) الذى في المحتسب : « مع عزة فعل في الواحد . وإنما حكى سيبويه منه إبل لاغير » .

(٢) بدله في المحتسب : « أن يحركوا عين كلية ومذنية ، وأن يقولوا : كليات ومذيات » .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : الرائح : الذى يسير ليلاً . والتأوب : الذى يسير نهاراً ، يصف ظليماً وهو ذكر النعام ، شبه به ناقته ، فيقول : ناقتى فى سرعة سيرها كظليم^(١) له بيضات يسير ليلاً ونهاراً ليصل إلى بيضاته . رفيق بمسح المنكبين : عالم بتحريكهما فى السير . سبوح : حسن الجرى . وإنما جعله أخا بيضات ليدل على زيادة سرعته فى السير ، لأنه موصوف بالسرعة . وإذا قصد بيضاته يكون أسرع . انتهى .

وقال الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) : رائح من الرواح ، أى راجع . والسبوح من السبح ، وهو شدة الجرى . والمراد برفيق بمسح المنكبين : التحرك يميناً وشمالاً ، وذلك من عادة الطير . والمنكب : مجتمع ما بين العضد والكتف . وقد خطأ العيني فخر الدين الجاربردى فى قوله : البيت فى صفة النعامة ، بأن البيت فى مدح جملة شبهه بالظليم^(٢) . والتخطئة لا وجه لها ، وكونه فى وصف نعامة أو ظليم أمر سهل مع أنه متوقف على الوقوف على ما قبل هذا البيت .

قال صاحب المصباح : يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون إلا فى آخر النهار ، وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان فى المسير أى وقت كان ، من ليل أو نهار . قاله الأزهري وغيره . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « من راح إلى الجمعة فى أول النهار فله كذا » ، أى من ذهب .

والتأوب : تفعل من الأوب ، وهو الرجوع من السفر . والرفيق من الرفق ، وهو ضد العنف .

(١) ط : « ظليم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ش : « يشبه » ، وأثبت ما فى ط .

جمع التكسير

أُشْد فيه ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٥٩٤ (لنا الحَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا) على أَنَّهُ إِنْ ثَبِتَ اعْتِرَاضُ النَّابِغَةِ عَلَى حَسَّانَ بِقَوْلِهِ : « قَلَّلْتُ حِفَانَكَ وَسُيُوفَكَ » لَكَانَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَجْمُوعَ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ جَمْعُ قَلَّةٍ . وَهَذَا طَعْنٌ مِنْهُ عَلَى هَذِهِ الْحِكَايَةِ .

ثُمَّ اسْتَظْهَرَ أَنَّ جَمْعِي السَّلَامَةِ لِمَطْلُوقِ الْجَمْعِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْقَلَّةِ وَالكَثْرَةِ ، فَيَصْلِحَانِ لَهَا . انْتَهَى .

وَقَدْ نَظَّمَهُ أَبُو الْحَسَنِ الدَّبَّاجُ ^(٢) ، مِنْ نَحْوَةِ إِشْبِيلِيَّةٍ ، ذِيلاً لِمَجْمُوعِ الْقَلَّةِ مِنَ التَّكْسِيرِ فِي بَيْتٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَهَمَا :

بِأَفْعُلْ وَبِأَفْعَالٍ وَأَفْعَلَةٍ وَفِعْلَةٍ يُعْرِفُ الْأَدْنَى مِنَ الْعَدَدِ
وَسَالِمِ الْجَمْعِ أَيْضاً دَاخِلٌ مَعَهَا فَهَذِهِ الْخَمْسُ فَاحْفَظْهَا وَلَا تَنْزِدْ
وَقَدْ صَرَحَ سَيْبُويَةُ بِأَنَّ الْجَمْعَ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ لِلْقَلَّةِ . وَأَوَّلَ بَيْتٍ
حَسَّانَ عَلَى أَنَّهُ لِلكَثْرَةِ ، وَهَذَا نَصُّهُ :

وَأَمَّا مَا كَانَ عَلَى فَعْلَةٍ فَإِنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَدْنَى الْعَدَدِ جَمَعْتَهَا بِالتَّاءِ وَفَتَحْتَ
الْعَيْنَ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : قَصْعَةٌ وَقَصْعَاتٌ ، فَإِذَا جَاوَزْتَ أَدْنَى الْعَدَدِ كَسَرْتَ
الاسْمَ عَلَى فِعَالٍ ، وَذَلِكَ قَصْعَةٌ وَقِصَاعٌ .

(١) فِي كِتَابِهِ ٢ : ١٨١ وَالْمُقْتَضَبُ ٢ : ١٨٨ وَالْمَعْنُونَ ٣ وَالْخَصَائِصُ ٢ : ٢٠٦ وَالْمَحْتَسَبُ ١ : ١٨٧ ، ١٨٨ وَالْمَوْشِحُ ٦٠ ، وَالْأَغَانِي ٨ : ١٨٨ وَابْنُ يَعِيشَ ٥ : ١٠ وَالْعَيْنُ ٤ : ٥٢٧ وَالْأَشْمُوفِيُّ ٤ : ١٢١ وَدِيوانُ حَسَّانَ ٣٧١ .

(٢) الدَّبَّاجُ ، بِالْدَالِ الْمَهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْبَاءِ الْمَهْمَلَةِ الْمَشْدُودَةِ وَآخِرُهُ جِيمٌ . وَوَرَدَ فِي النُّسَخَتَيْنِ مُحَرَّفاً « الذِّيَّاحُ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْبَقِيَّةِ ٢ : ١٥٣ . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنِ جَابِرِ بْنِ عَلَى الْأَشْبِيلِيِّ الْغَنِيِّ النَّحْوِيُّ . تَصَدَّرَ لِإِقْرَاءِ النَّحْوِ وَالْقُرْآنِ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً وَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٤٦ .

ثم قال : وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير ، قال حسان :

لنا الجَنَاتُ الغُرُّ البيت .

فلم يرد أدنى العدد . انتهى .

٤٣١ قال الأعلم : الشاهد في وضع الجففات وهي لما قل من العدد في الأصل ، لجريها مجرى الثلاثة ، موضع الجفان التي هي للكثير. و(الغر) البيض ، يريد بياض الشحم. و(الأسياف) جمع لأدنى العدد ، فوضعه موضع الكثير . وصف قومه بالندى والبأس ، يقول : جفاننا معدة للأضياف ومساكين الحي بالغداة ، وسيوفنا يقطرن دماً ، لنجدتنا وكثرة حروبنا . انتهى .

وإلى مذهب سيبويه ذهب الزجاج ، قال في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ^(١) ﴾ قالوا: هي أيام التشريق . ومعدودات يستعمل كثيراً في اللغة للشيء القليل . وكل عدد قل أو كثر فهو معدود ، ولكن معدودات أول على القلة ، لأن كل قليل يجمع بالآلف والتاء ، نحو درهيمات وحمّامات . وقد يجوز ، وهو حسن كثير ، أن يقع الآلف والتاء للتكثير . وقد روى أنه عيب على القائل : « لنا الجففات الغر » البيت ، فقليل له : قللت ^(٢) الجففات ولم تقل الجفان ! وهذا الخبر عندي مصنوع ، لأن الآلف والتاء قد تأتي للكثرة ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ^(٣) ﴾ ، وقال : ﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾

(١) الآية ٢٠٣ من سورة البقرة .

(٢) ط : « قلت » ، وأثبت ما في ش .

(٣) الآية ٣٥ من الأحزاب .

وقال : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾^(١) فالمسلمون ليسوا في غُرَفَات قليلة ، ولكن إذا خصَّ القليل في الجمع بالآلف والتاء دلَّ عليه ، لأنَّه يلي التثنية . وجائز حسن أن يراد به الكثير ، ويدلُّ المعنى الشاهد على الإرادة ، كما أنَّ قولك جمع يدل على القليل والكثير . انتهى .

وكذلك قال ابن جنى (في المحتسب) عند قراءة طلحة من سورة النساء : ﴿ صَوَّالِحٌ قَوَّائِتٌ حَوَافِظٌ لِلْغَيْبِ ﴾^(٢) . قال أبو الفتح : التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى ، وذلك أنَّه إنَّما يراد هنا معنى الكثرة لا صالحات من الثلاث إلى العشر . ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلَّة بمعنى الكثرة ، والآلف والتاء موضوعتان للقلَّة ، فهما على حدِّ التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كانوا على حدِّ الزيدان^(٣) . هذا موجب اللغة على أوضاعها ، غير أنَّه قد جاء لفظ الصَّحَّة^(٤) والمعنى الكثرة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ والغرض في جميعه الكثرة لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة ، وكان أبو على ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرَّض عليه حسن شعره ، وأنَّه لما صار إلى قوله لنا الجفنات الغر ، البيت ، قال له النابغة « لقد قللت جفانك وسيوفك ! قال أبو على : هذا خبر مجهول لا أصل له ، لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ ولا يجوز أن تكون الغرف كلُّها التي في الجنَّة من الثلاث إلى العشر . وعُذر ذلك عندى أنه قد كثر عنهم وقوع الواحد على معنى الجمع جنساً ، كقولنا : أهلك

(١) الآية ٣٧ من سورة سبأ .

(٢) من الآية ٣٤ في سورة النساء . وقراءة الجماعة : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب » .

(٣) في المحتسب : « إذا كان على حد الزيدان » .

(٤) أى الجمع الصحيح للمؤنث والمذكر ، وهما للقلَّة :

الناسَ الدينارُ والدرهم ، وذهب الناسُ بالشاة والبعير ، فلما كثر ذلك جاءوا في موضعه بلفظ الجمع الذي هو أدنى إلى الواحد أيضاً ، أعني جمعَ السَّالم^(١) ، وعُلم أيضاً أنه إذا جيء في هذا الموضع بلفظ جمع الكثرة لا يتدارك معنى الجنسية ، فلهوا عنه وأقاموا على لفظ الواحد تارة ولفظ الجمع المقارب للواحد تارة أخرى ، إراحة لأنفسهم من طلب ما لا يدرك ويأساً منه . فيكون هذا كقوله :

رَأَى الْأَمْرَ يُفْضَى إِلَى آخِرٍ فَصِيرَ آخِرَهُ أَوَّلًا^(٢)

ومثل هذين الجمعين مجيئهم في هذا الموضع بتكسير القلة^(٣) كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾^(٤) ، وقول حسان : وأسيافنا يقطرن ، ولم يقل عيونهم ولا سيوفنا . وقد ذكرنا هذا ونحوه في كتاب الخصائص^(٥) . انتهى .

قال شيخنا ياسين الحمصي (في شرح ألفية ابن مالك) : اعلم أنهم قالوا : إذا قرن جمع القلة بآل التي للاستغراق ، أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة . وعلى هذا الإيراد ما قاله النابغة على حسان ، ويقال إنَّ حسان أجاب بذلك ، لكن قوله أسيافنا لم يُضَفْ إلى ما يدل على الكثرة . وعليك بحفظ هذه القاعدة ، فكثيراً ما يُغفل عنها . ومن غفل عنها العلامة ، والقاضي ، وصاحب المغني^(٦) في تفسير قوله

(١) لفظ المحتسب : « أعني الجمع بالواو والنون ، والألف والتاء » .

(٢) في الخصائص ١ : ٢٠٩ / ٢ : ٣١ ، ١٧٠ وابن يعيش ٥ : ١٢٠ وفي بعض أصول الخصائص : « فصير غايته » .

(٣) ط : « بتكثير القلة » ، صوابه في ش والمحتسب .

(٤) من الآية ٩٢ في سورة التوبة .

(٥) انظر الحاشية ١ .

(٦) ط : « وصاحب المغني » بزيادة واو ، وفي ش : « والمغني » فقط . والوجه ما أثبت .

تعالى: ﴿مَا نَفَذَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(١) حيث وجهوا التعبير بجمع القلة بما ذكروه . ورد عليهم الكوراني بأن الجمع في الآية مضاف . واعلم أيضاً أن أبا حيان استشكل انصراف جمع القلة إلى الكثرة بما حاصله أنه وضع للقلة وهي من ثلاثة إلى عشرة فإذا دخل أداة الاستغراق ينبغي أن يكون الاستغراق فيما وضع له ، لا فيما زاد ، لأنه ليس مما وضع له . ثم أجاب بما حاصله أنه وضع بوضع آخر مع أداة الاستغراق للكثرة . انتهى .

وقال أيضاً (في حاشيته على التصريح للشيخ خالد) : اعلم أن ما ذكره النحاة من أن جموع القلة للعشرة فما دونها لا ينافي تصريح أئمة الأصول بأنها من صيغ العموم ، لأن كلام النحاة ، كما قال إمام الحرمين ، محمول على حالة التجرد عن التعريف . انتهى .

وهذا الجواب فيه نظر ، فإن غالب ما وقع فيه النزاع معرّف بآل . وقد نقل جماعة اعتراض النابغة على حسن في هذا البيت ، منهم أبو عبد الله المرزباني (في كتاب الموشح) من عدة طرق ، قال : كتب إلى أحمد بن عبد العزيز ، أخبرنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو بكر العليمي قال : حدثنا عبد الملك بن قُريب قال : كان النابغة الذبياني تُضربُ له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها . قال : فأول من أنشده حسن بن ثابت الأنصاري^(٢) :

لنا الجففاتُ الغُرُّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً
ولدنا بني العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنماً^(٣)

(١) الآية ٢٧ من سورة لقمان .

(٢) الذي في الموشح ٨٢ : « فأول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير ، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري » في الكلام سقط .

(٣) ط : « وابن محرق » صوابه فيش والحيوان ٧ : ١٤٨ والموشح وديوان حسان ٣٧١ .

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » .

وحدثني علي بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال : أنشد حسان نابغة بني ذبيان قصيدته التي يقول فيها : « لنا الجففات الغر » فقال له : « ما صنعت شيئاً ، قللت أمركم فقلت : جففات وأسياف » .

وآخرني الصولي قال : حدثني محمد بن سعيد ، ومحمد بن العباس الرياشي ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان النابغة الذبياني تضرب له قبة بسوق عكاظ من آدم ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فاتاه الأعشى فكان أول من أنشده ، ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدته التي منها : « لنا الجففات الغر » وذكر البيهقي ، فقال له النابغة : « أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » .

قال الصولي : فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة وديباجة شعره ، لأنه قال : وأسيافنا ، وأسياف جمع لأدنى العدد ، والكثير سيوف . والجففات لأدنى العدد ، والكثير جفان . وترك الفخر بابائه وفخر بمن ولد نساؤه .

٤٣٣

قال : ويروى أن النابغة قال له : « أقللت أسيافك ولمعت جفانك ^(١) » . يريد قوله « لنا الجففات الغر » والغرة : لمعة بياض في الجفنة . فكان النابغة

(١) في التسخين : « أجفانك » ، صوابه في الموشح ٦٠ . وإنما تجمع الجفنة على جفان ، كما تجمع على جفن بكسر ففتح ، كهضبة وهضب .

عابَ هذه الجفان ، وذهب إلى أَنَّهُ لو قال لنا الجفنان البيض فجعلها
بيضا ، كان أحسن . فلعمري إِنَّه حسنٌ في الجفان ، إِلَّا أَن الغرَّ أَجَلٌ
لفظاً من البيض .

قال أبو عبد الله المرزباني : وقال قومٌ ممن أنكر هذا البيت : في
قوله يلمعن بالضحي ولم يقل بالدجى . وفي قوله وأسيافنا يقطرن ولم
يقول يجرين ، لأنَّ الجرى أكثر من القطر . وقد ردَّ هذا القول واحتجَّ
فيه قومٌ لحسان ، بما لا وجهَ لذكره في هذا الموضع .

فأما قوله : « فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » فلا عذر عندي
لحسان فيه على مذهب نقاد الشعر . وقد احتسب من مثل هذا الزلل
رجلٌ من كلب فقال يذكر ولادتهم لمُصعبِ بن الزبير وغيره ممن ولده
نساؤهم :

وعبد العزيز قد ولدنا ومُصعباً وكتبُ أبٌ للصالحين وكُودُ
فإنَّه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضَّل رجالهم ، وأخبر أنهم يلدون
الفاضلين ، وجمع ذلك في بيت وأجاد . انتهى ما أورده المرزباني .

ومن نقلها أيضاً أبو الفرج الأصبهاني (في الأغاني) قال بعد إيراد
سنده : إِنَّ النابغة كانت تُضرب له قبةٌ في سوق عكاظ ، وتُنشد الشعراءُ
أشعارها ، فأنشده الأعشى شعراً فاستحسنه ، ثم أنشدته الخنساء قصيدةً
حتى انتهت إلى قولها :

وإنَّ صخرًا لَوَالينا وسيِّدنا وإنَّ صخرًا إذا نشئوا لنحارُ
وإنَّ صخرًا لتأتئم الهداةُ به كأنَّه علمٌ في رأسه نارُ

فقال : لولا أَنَّ أبا بصيرٍ الأعشى أنشدني قبلك لقلت إِنَّكَ أشعرُ الناس : أنتِ والله أشعرُ من كلِّ ذاتِ مَثَانَةٍ^(١) . فقالت : إى والله ومن كلِّ ذى خُصيين . فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها ومن أبيك . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول : لنا الجففات الغُرَّ ... البيتين . فقال : إِنَّكَ شاعر لولا أَنَّكَ قلَّلتَ عددَ جفنانك ، وفخرتَ بمن ولَدَتَه . وفي رواية أخرى : قال له : إِنَّكَ قلتَ الجففات فقلَّلتَ العدد ، ولو قلتَ الجفان لكان أكثر ، وقلتَ يلمَعَنَّ بالضُّحى ، ولو قلتَ يبرقَنَّ بالدُّجى لكان أبلغ في المديح ، لأنَّ الضيف في الليل أكثر . وقلتَ يقطُرُن من نجدة دمًا فدلَّلتَ على قلةِ القتل ، ولو قلتَ يعجرين لكانَ أكثر لانصباب الدم . وفخرتَ بمن ولدتَ ولم تفتخرَ بمن ولدك . فقام حسان منكسراً منقطعاً . انتهى مارواه .

وقال أسامة بن منقذ (في باب التفريط من كتاب البديع) : اعلم أَنَّ التفريط هو أن يُقدِّم على شيءٍ فيأتى بدونه ، فيكون تفريطاً منه إذ لم يكمل اللفظ أو يبالغ في المعنى . وهو بابٌ واسع يعتمد عليه النقاد من الشعراء ، مثل قول حسان بن ثابت الأنصارى : « لنا الجففات الغُرَّ » البيت .

وفرَّط في قوله الجففات لأنها دون العشرة ، وهو يقدر أن يقول : « لدينا الجفان » ، لأنَّ العدد القليل لا يُفتخر به وكذلك قوله « وأسيافنا » لأنها دون العشرة ، وهو قادرٌ أن يقول : « وبيضُ لنا » .

(١) أصل المَثَانَة مستقر البول وموضعه من الرجل والمرأة ، لكن المراد بها هنا مهبل المرأة . قال الأزهري : « والمثانة عند عوام الناس موضع البول ، وهو عنده - يعنى ابن الأعرابي - موضع الولد من الأنثى » .

وفرط في قوله « الغر » لأنَّ السُّود أمدح من البِيض ، لأجل الدهن وكثرة القِرَى فيهن .

٤٣٤

وفرط في قوله بالضُّحَى وهو قادر على أن يقول في الدجى ، لأنَّ كلَّ شَيْءٍ يلمع في الضُّحَى . وفرط في قوله يقطرن ، وهو قادرٌ على أن يقول يجرين ، لأنَّ القطر قطرة بعد قطرة . وقال قُدَّامة : أراد بقوله الغر المشهورات . وقال بالضُّحَى لأنَّه لا يلمع فيه إلَّا عَظِيمٌ ساطع الضوء : والدجى يلمع فيه يسير النور . وأما أسياف وجفنت فإنَّه قد يوضع القليل موضع الكثير ، كما قال سبحانه : ﴿ لَمْ جَنَّاتٌ ^(١) ﴾ و﴿ درجات ^(٢) ﴾ . وقوله يقطرن دماً هو المعروف والمألوف ، فلو قال يجرين لخرج عن العادة . وينوب قطر عن جرى . ٥١ .

وقال ابن أبي الإصبع (في كتابه تحرير التحبير) : في باب الإفراط في الصفة ، وهو الذى سَمَّاهُ قدامة المبالغة ، وسَمَّاهُ مَنْ بعده التبليغ : وحدَّ قدامة المبالغة بأن قال : هى أن يذكر المتكلم حالاً من الأحوال لو وقف عندها لأجزأت ، فلا يقف حتَّى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده ، كقوله ^(٣) :

ونكرمُ جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامة حيث مالا

وأنا أقول : قد اختلف في المبالغة ، فقوم يرون أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، ويحتجون بما جرى بين النابغة الذبياني وبين

(١) في آيات كثيرة منها الآيتان ٢٥ ، ١٩٨ من البقرة و ١١٩ من المائدة .

(٢) لم درجات في الآية ٤ من الأنفال .

(٣) في تحرير التحبير ١٤٧ : « كقول عمرو بن الأهمم التغلبي » . وانظر معاهد التنصيص

حَسَّانَ فِي اسْتِدْرَاكَ النَّابِغَةِ عَلَيْهِ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ ، فِي قَوْلِهِ : «لَنَا الْجَفْنَاتِ
الْغُرَّ» .. الْبَيْتُ ؛ فَإِنَّ النَّابِغَةَ إِنَّمَا عَابَ عَلَى حَسَانٍ تَرْكَ الْمِبَالِغَةَ . وَالْقِصَّةُ
مَشْهُورَةٌ ، وَإِنْ رُؤِيَ عَنْهُ انْقِطَاعُهُ فِي يَدِ النَّابِغَةِ . وَقَوْمٌ يَرَوْنَ الْمِبَالِغَةَ
مِنْ عِيُوبِ الْكَلَامِ . وَالْقَوْلَانِ مُرْدُودَانِ .

وَقَدْ بَيَّنَّ وَجْهَ الرَّدِّ فِيهِمَا ^(١) .

وَنَقُلُ الْعَيْنِيُّ عَنْ ابْنِ يَسْعُونَ نَقَدَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ ، سَاقِطٌ ،
لَأَنَّ الْجَمْعَ فِي الْجَفْنَاتِ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ ^(٢) .
وَأَمَّا الْغُرَّ هُنَا فَلَيْسَ جَمْعُ غُرَّةٍ ، بَلِ الْبَيْضُ الْمَشْرِفَاتُ مِنْ كَثْرَةِ الشُّحُومِ
وَبَيَاضِ اللَّحُومِ . وَهِيَ جَمْعُ غَرَاءَ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهَا الْمَشْهُورَةُ الْمَنْصُوبَةُ
لِلْقِرَى . وَكَذَلِكَ « يَلْمَعَنَّ » هُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي هَذَا النَّحْوِ الَّذِي يُدَلُّ بِهِ
عَلَى الْبَيَاضِ ، كَمَا تَقُولُ : لَمَعَ السَّرَابُ ، وَلَمَعَ الْبَرْقُ ، وَكَذَلِكَ الضُّحَى
وَالضَّحَاءُ ، لِأَنَّهُمَا بِمَعْنَى . عَلَى أَنَّ الضُّحَى أَدَلُّ عَلَى تَعْجِيلِهِمُ الْقِرَى .
وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنْ يَبْرَقَنَّ فِي الدُّجَى أَبْلَغُ فَسَاقِطٌ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُطْعِمَهُمْ
مَوْصُولٌ ، وَقِرَاهِمُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَبْذُولٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَ قَبْلَ هَذَا قِرَاهِمَ
بِالْإِلِيلِ حَيْثُ قَالَ :

وإِنَّا لَنَقْرِى الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقاً

مِنْ الشَّحْمِ مَا أَضْحَى صَحِيحاً مُسَلِّماً

وَيُرْوَى : « مَا أَمْسَى » . وَأَمَّا قَوْلُهُ يَقْطُرْنَ فَهُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي مِثْلِ هَذَا ،
يُقَالُ سَيْفُهُ يَقْطُرُ دَمًا . وَلَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ يُقَالَ : يَجْرِي دَمًا ، مَعَ أَنَّ

(١) انظر تحرير التمهيد ١٤٨ - ١٥١ .

(٢) من الآية ٣٧ في سورة سبأ .

يقطر أمدح ، لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مِضَاءِ السَّيْفِ وَسُرْعَةِ خُرُوجِهِ عَنِ الضَّرْبِيَّةِ
حَتَّى لَا يَكَادُ يَعلُقُ بِهِ دَم . ١ هـ .

صاحب الشاهد البيت من قصيدة افتخارية لحسان بن ثابت الصحابي ، عدتها
خمسة وثلاثون بيتاً . وهذه أبيات منها بعد أن ذكر منازل حبيسته :

لَنَا حَاضِرٌ فَعَمُّ وَبَادٍ كَأَنَّهُ شَارِيخُ رَضْوَى عَزَّةً وَتَكْرُمًا
مَتَى مَاتَزْنَا مِنْ مَعَدٍّ بَعْصَبَةٍ وَغَسَّانٌ نَمْنَعُ حَوْضَنَا أَنْ يَهْدِمَا
بِكُلِّ فِتْنَى عَارَى الْأَشَاجِعِ لَاحَهُ قِرَاعُ الْكَمَاةِ يَرْشَحُ الْمَسْكَ وَالْدِّمَا
إِذَا اسْتَدْبَرْتَنَا الشَّمْسُ دَرَّتْ مَتُونُنَا

٤٣٥

كَأَنَّ عُرُوقَ الْجُوفِ يَنْضَخْنَ عِنْدَمَا
وَلَدْنَا بَنِي الْعِنَقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمَ بَنَا خَالًا وَأَكْرَمَ بَنَا ابْنَمَا
نَسُودُ ذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ إِذَا بَدَتْ مُرُوءَتُهُ فِينَا وَإِنْ كَانَ مُكْرَمًا
وَلِنَّا لِنَقْرِى الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا
مِنْ الشَّحْمِ مَا أَمْسَى صَحِيحًا مُسْلِمًا
أَلَسْنَا نَرُدُّ الْكَبْشَ عَنْ طِيَّةِ الْهَوَى

وَنَقْلِبُ مُرَّانَ الْوُشَيْجِ مُحْطَمًا
وَكَائِنَ تَرَى مِنْ سَيِّدِ ذِي مَهَابَةٍ أَبُوهُ أَبُونَا وَابْنُ أَخْتٍ وَمَحْرَمًا
لَنَا الْجَفْنَاتُ الْغَرَّ
أَبِي فَعَلْنَا الْمَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الْخَنَسَا .

وَقَاتِلُنَا بِالْعُورِ إِلَّا تَكَلَّمَا
فَكُلٌّ مَعَدٌّ قَدْ جَزِينَا بِصَنْعِهِ فَبُؤْسَى بَبُؤْسَاهَا وَبِالْتَّعْمِ أَنْعُمَا^(١)

(١) وكذا في الديوان ٣٧٢ . وفي ش : « وكل معد » بالواو . وبين هذا البيت وسابقه في

الديوان :

أبي جاهنا عند الملوك ودفننا وملء جفان الشين حتى تهزما

وهذه آخر القصيدة .

وقوله : « لنا حاضر فعم » الخ ، قال في الصحاح : الحاضر : الحيُّ العظيم . وأنشد البيت . والفعم : الكثير الممتلئ . والبادى : النازل بالبادية ، يقال بدا بَدَاوة ، بالفتح والكسر ، وهى الإقامة بالبادية . والشمراخ بالكسر : رأس الجبل . ورَضوى ، بالفتح : جبلٌ بالمدينة .

وقوله : « متى مائزنا » إلخ تزيُّناً بالخطاب من الوزن . ومعد : أبوقبيلة . والواو فى قوله « وغسان » للقسم ونمنع جواب الشرط . وهذه عبارةٌ عن العزِّ والمنعة .

وقوله : « بكل فتى » إلخ متعلق بمنمنع . والأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، الواحد أشجع . وأراد بعُرْيها كونها عاريةً من اللحم غير غليظة . ولاحه بالمهملة بمعنى غيره . وقراع مصدر قارعة . ومقارعة الأبطال : قرع بعضهم بعضاً . والكمأة : الشجعان . وقوله : « يرشح المسك » إلخ أراد أنهم ملوك ، فإذا جرح أحدهم سال دمه برائحة المسك .

وقوله : « إذا استدبرتنا الشمس » إلخ . المتون : الظهور . والعندم : البقم ، وقيل دم الأخوين . قال شارح ديوانه : يريد أنهم إذا عرقوا [عرقوا^(١)] برائحة الطيب .

وقوله : « ولدنا بنى العنقاء » إلخ ، العنقاء : ثعلبة بن عمرو مزيقية

(١) التكملة من ش .

ابن عامر بن ماء السماء . ومحرق : هو الحارث بن عمرو مزريقياً^(١) وكان أول من عاقب بالنار . وقوله : « فأكرم بنا » هو تعجب ، أى ما أكرمنا خالاً ، وما أكرمنا ابناً ، وما زائدة .

وقوله : « وإنا لنقرى » إلخ . نقرى : نُضيف . والطروق : المجيء ليلاً . وما مفعول نقرى لثضمته معنى نطم . يريد أنهم يذبحون للضيف الإبل السالمة من علة ومرض .

وقوله : « ألسنا نردُّ الكبش » إلخ . الكبش : سيد القوم . والطية بالكسر : النية . والهوى : هوى النفس . والمران بالضم : جمع مارن ، وهو الرَّمج اللين المَهز . أى نقاتل بها حتى تنكسر .
و « ها » فى البيت الأخير للتنبيه .

وترجمة حسان تقدمت فى الشاهد الحادى والثلاثين من أوائل الكتاب^(٢) .

(١) مزريقياً : لقب لعمرو هذا . وهو عمرو بن عامر ماء السماء ، بن حارثة النطريف ، ابن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، بن الأزد . الاشتقاق ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٧٨ .

والمحرق هذا ، وهو الحارث بن عمرو ، كان يلقب بالحارث الأكبر ، كما كان يكنى أبا شمر . ويعنى بابنى محرق هنا ولدين من نسله من الفساسة ، هما ابنه الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات القرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث . وحفيده الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ، وكان يقال لهذا أبو شمر الأصغر ، واسمه عمرو بن الحارث ، وله يقول النابغة :

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وفى ملوك العرب من ملوك الحيرة من لقب بمحرق : امرؤ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة النخعي . وله يقول الأسود بن مفرق :

ماذا أوئل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعده إيراد

وفهم : عمرو بن هند ، وهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى . وفى اللسان : « قال ابن سيده : محرق لقب ملك ، وهما محرقان : محرق الأكبر وهو امرؤ القيس النخعي ، ومحرق الثانى وهو عمرو بن هند مضطرب الحجارة » . العمدة ٢ : ١٧٧ - ١٧٩ وانظر اللسان والقاموس (حرق ، مرق) والعمدة ٢ : ١٧٧ - ١٧٩ والخبير لابن حبيب ٢٤٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٢ والأغاني ٢١ : ١٢١ وسرح العيون ٢ : ٢٠٢ .

(٢) الخزائن ١ : ٢٢٧ - ٢٢٨

المصدر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الخمسائة ^(١) :

٥٩٥ (وما الحربُ إلا ما علمتمْ وذقتمْ وما هوَ عنها بالحديثِ المرجَّم)

على أنَّ الظرف والجار والمجرور يعمل فيهما ما هو في غاية البعد من

العمل ، كحرف النفي والضمير كما في البيت ، فإنَّ قوله عنها متعلق بهو . ٤٣٦
أى ما حديثي عنها .

والبيت من معلَّقة زهير بن أبي سُلمي الجاهلي . قال الصاغاني (في صاحب الشاهد العباب) : الحرب مؤنَّث ، يقال وقعت بينهم حرب . قال الخليل : تصغيرها حريب بلا هاءٍ رواية عن العرب : قال المازني : لأنَّه في الأصل مصدر . وقال المبرِّد : الحرب قد تذكَّر . وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابُه مرَّجُمُ حربٍ تلتقى حِرابُه ^(٢)

وقد جعل الشارح المحقق الضمير كنايةً عن الحديث الذي هو قولٌ وفاقاً لأبي الحسين الزَّوزني شارح المعلَّقات ، قال : الضمير كناية القول لا العلم ، لأنَّ العلم لا يكون قولاً . وفيه ردٌّ على سائر شرَّاح المعلَّقات ، في أنَّ الضمير راجع إلى العلم . قال أبو جعفر النحاس ، وتبعه التبريزي واللفظ له : قوله وما هو عنها ، أى ما العلم عنها بالحديث ، أى ما الخبر عنها بحديث يُرَجَّم فيه بالظنِّ ، فقوله هو كناية عن العلم ، لأنَّه

(١) مع المواع ٢ : ٩٢ ويس على التصريح ٢ : ٦٢ .

(٢) ش : « ملجم » ، صوابه في ط وشرح شواهد الشافية ٩٨ . والرواية فيها وفي اللسان (حرب ٢٩٣) : « تلتظي حرابه » . وفي اللسان أيضاً : « كره اللقاء تلتظي حرابه » .

لَمَّا قَالَ : إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ ، دَلَّ عَلَى الْعِلْمِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا ^(١) ﴾ ، الْمَعْنَى : أَنَّهُ لَمَّا قَالَ يَبْخُلُونَ دَلَّ عَلَى الْبَخْلِ ، كَقَوْلِهِمْ : مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، أَيْ كَانَ الْكَذِبَ شَرًّا لَهُ .

وَقَالَ الْأَعْلَمُ الشَّنْتَمَرِيُّ : هُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ الْعِلْمِ ، يُرِيدُ : وَمَا عَلِمْتُمْ بِالْحَرْبِ . وَعَنْ بَدَلٍ مِنَ الْبَاءِ . هَذَا كَلَامُهُ .

وَقَالَ صَعُودَا (فِي شَرْحِ دِيْوَانِهِ) : هُوَ ضَمِيرٌ رَاجِعٌ عَلَى مَا ، وَكَأَنَّهُ قَالَ : وَمَا الَّذِي عَلِمْتُمْ . ثُمَّ كُنِيَ عَنِ الَّذِي . ١٠١ .

وَالْمَرْجَمُ : الَّذِي يُرْجَمُ بِالظُّنُونِ ، وَالتَّرْجِيمُ وَالرَّجْمُ : الظَّنُّ ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ رَجِمَا بِالْغَيْبِ ^(٢) ﴾ أَيْ ظَنَّا . وَالذَّوْقُ أَصْلُهُ فِي الْمَطْعُومِ ، وَاسْتُعِيرَ هُنَا لِلتَّجَرُّبَةِ . يَقُولُ : لَيْسَتْ الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَاهَدْتُمُوهَا وَجَرَّبْتُمُوهَا وَمَارَسْتُمْ كِرَاهَتَهَا ، وَمَا هَذَا الَّذِي أَقُولُهُ بِحَدِيثِ مَظْنُونٍ . وَهَذَا مَا شَهِدْتُ بِهِ الشَّوَاهِدُ الصَّادِقَةُ مِنَ التَّجَارِبِ ، وَلَيْسَ مِنْ أَحْكَامِ الظُّنُونِ . خَاطَبَ زُهَيْرٌ بِهَذَا الْكَلَامِ قَبِيلَةَ ذُبْيَانَ وَأَحْلَافَهُمْ ، وَهُمْ أَسَدٌ وَغُطْفَانٌ ، وَيَحْرَضُهُمْ عَلَى الصُّلْحِ مَعَ بَنِي عَمِهِمْ بَنِي عَبَسَ ، وَيَخَوْفُهُمْ مِنَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا شِدَائِذَهَا فِي حَرْبِ دَاخَسَ ^(٣) .

وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ الْقِصَّةِ مَعَ شَرْحِ أَبْيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعْلُوقَةِ مَعَ تَرْجُمَةِ زُهَيْرٍ فِي الشَّاهِدِ الثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ ^(٤) .

• • •

(١) الْآيَةُ ١٨٠ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ .

(٢) الْآيَةُ ٢٢ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ .

(٣) ط : « قَدْ تَقَدَّمَ » .

(٤) الْخَزَانَةُ ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الخمسة (١) :

٥٩٦ (أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرَبِعٌ وَمَصِيفٌ . لِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّونِ وَكَيْفُ)
على أَنَّ رَسْمَ دَارٍ مصدر مضاف إلى مفعوله ، وَمَرَبِعٌ فاعله .

ورسم هنا : مصدر رَسَمَ المطرُ الدارَ ، أى صَيَّرَهَا رَسْمًا ، بَأَنَّ عَفَاها .
ولا يراد بالرَّسْمِ هنا ما شخص من آثار الدار ، لِأَنَّ ذَلِكَ عَيْنٌ لَامَعْنَى
والذى يعمل معنى لاغير . كذا فى (شرح الإيضاح لأبى البقاء الفارسى) .

وقال شارح أبياته ابن برى : ومعنى رَسَمَ أَثَرَ ، ولم يُبْقِ منها إلَّا
رسومًا وآثارًا . وقيل معناه غير أثرها بشدَّة الاختلاف عليها ، ومنه قيل :
رسمت الناقة رسيماً ، إذا أَثَرَتْ فى الأرض شِدَّةً وطئها . وقيل الرَّسْمُ بمعنى
المرسوم ، فعلى هذا يكون اسماً لا مصدرًا ، فلا يجوز أَنْ يعمل . والتقدير
أَلِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّونِ وَكَيْفُ مِنْ أَجْلِ مَرَسُومِ دَارٍ هُوَ مَوْضِعُ الْحُلُولِ
فى الربيع والصيف . انتهى كلامه .

٤٣٧

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدة للحطيئة علَّتها ثمانية عشر بيتاً ، مدح بها سعيد
ابن العاص الأموى لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان ، وبَعْدَهُ بَيْتَانِ (٢) :

(تَذَكَّرْتُ فِيهَا الْجَهْلَ حَتَّى تَبَادَرَتْ

دموعى وأصحابى على وقوف)

(١) أُمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥١ ، وابن يعيش ٦ : ٦٢ ، وديوان الحطيئة ٣٩ .

(٢) هما قوله فى الديوان ٤٠ :

رشاش كثرى هاجرى كلاهما له داجن بالكرتين عليف
إذا كر غرباً بعد غرب أعاده على رغبة وفى السبال عتيف

وفى ط : «وبعد بيت » ، والوجه ما أثبت من ش .

ومنها :

(إليك سعيد الخير جبت مَهايمها
يقابلني آلُها وتَنُوفُ^(١))

وقوله : (أمن رسم دار) إلخ الهمزة للاستفهام التقريرى ومن تعليلية متعلّقة بوكيف ، وهو مصدر وكف البيت بالمطر ، والعينُ بالدمع ، وكُفًا من باب وعد ، ووكوفًا ووكيفًا : سأل شيئاً فشيئاً . قال شارح ديوانه : التّأويلُ : أمن أن رسم داراً مربعٌ ، أى أثر فيها آثاراً . والرسم : الأثر بلا شخص . والشُّنون : مجارى الدَّمع من الرأس إلى العين ، واحداً شأن . وقوله : (لعينيك) جارٌّ ومجرور متعلّق بمجنوف خبر مقدّم على المبتدأ وهو وكيف ، يُروى بالثنائية ويروى بالإنفراد . و(مربع) : فاعل المصدر ، وهو رسم ، وهو على حذف مضاف ، والتقدير : مطره ونحوه . وهو ومابعده اسمان لزمان الربيع والصَّيف ، ويأتیان اسمى مكان أيضاً ، ومصدرين أيضاً . وهذه الصيغة يشترك فيها هذه المعاني الثلاثة ، وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيون . والمذكور فى كتب اللغة إنّما هو المربع بمعنى منزل القوم فى الربيع خاصّة .

وقد استعمل الحريرى فى المقامة الأولى المربع بمعنى الرّبع ، وهو المنزل حيث كان ، فى قوله : « ويسرّب من يتبعه ، لكن يُجهل مربّعه^(٢) » . ولم يصب ابنُ الخشّاب فى تخطّئه الحريرى (فيما كتبه على المقامات) فى قوله : ماأصاب فيه ، لأنّ الربع منزل القوم فى الرّبيع خاصّة ، وقد

(١) التنوف ، بالفتح : جمع تنوفة ، وهى ، التى لأماء بها من الفلوات ولا أنيس وإن كانت

ممشية .

(٢) مقامات الحريرى ١٥ .

استعمله بمعنى الأوَّل وهو خطأ ، لأنَّه كالمصيف والمشتى ، وتلك منازلهم في هذه الأزمنة خاصة .

وقد أجاد ابن برى في الردِّ عليه فقال : يقال ربيع بالمكان ، أى أقام به الربيع ، ويقال أيضاً ربيع بالمكان : أقام به حيثما كان . واسم المكان منهما مربع قياساً مطرداً عند النحويين ، كالمصنع والمصرع . والشاهد على قولهم : ربيع بالمكان ، إذا أقام به حيثما كان ، قول الحادرة :

بكرت سُمَيَّةُ غُدُوَّةً فتمتَّعَ . وغدت غُدُوَّ مفارقٍ لم يَرِيعَ ^(١)
فسره المفضل (في المفضليات) فقال : يقال ربيع بالمكان إذا أقام به . ولم يشترط ربيعاً ولا غيره . فعلى هذا يصحَّ أن يكون المربع لمنزل الإنسان . من بيته وداره ونحو ذلك ، وعليه يصحُّ قول يزيد بن الصَّعِقِ :

* يُشَنُّ عَلَيْكُمْ بِالْقَنَا كُلَّ مَرِيعٍ ^(٢) *

أى كلَّ مكان تقيمون فيه . وأما قول أهل اللغة إنَّ المربع اسمٌ للمنزل في الربيع خاصة فإنَّما يريدون به الأكثر ، وهو الأصل ، ثم اتَّسع فيه فجعل لكلِّ مكان أقام به الرجل . ألا ترى أنَّهم لا يكادون يذكرون المربع في اسم الزمان ، وهو أيضاً قياس مطَّرد مثل اسم المكان . وشاهده قول الحطيئة :

* أَمِنْ رَسْمِ دَارِ مَرِيعٍ وَمَصِيفٍ *

فالربيع والمصيف على هذا : اسمٌ لزمان الربيع والصَّيف ، وكذلك قول جرير :

(١) المفضليات ٤٣ .

(٢) أنشده في اللسان (قدد) والتهذيب ٨ : ٢٦٩ يقوله لبنى أسد . وصدده فيما :

* فرغتم تمرين السياط وكنتم *

وإنما أوردنا هذا البيت في غير مواده ليدكر أن بعض بنى أسد أجابه بقوله :

أعبتم علينا أن نمرن قدننا — ومن لم يمرن قدنه يتقطع

رَدُّوا الجمال بذى طُلُوحٍ بعدما هاج المصيفُ وقد تَوَلَّى المربعُ^(١)

أَي رَدُّوا الجمال من موضع رعيها إلى الحَيِّ حين أرادوا التحمُّل ، وقد أتى المصيف وتَوَلَّى المربع . وإذا أَقْبَلَ زَمَنُ الصَّيْفِ وتَوَلَّى زَمَنُ الرَّبِيعِ يبس العشبُ في الأرض . وكذلك المربع قد يكون اسماً للمصدر في نحو قولهم : ربعت بالمكان مربعاً . ولا يكاد يذكرون المربع إلَّا في اسم المنزل بالرَّبيع ، وإنَّما يَذكر هذا مَبِيناً أَهْلُ النُّحُو ، ويجعلون له باباً مفرداً وقياساً مطَّرداً . وما خرج عن القياس في بناء ذكره . انتهى كلامه .

٤٣٨

وقوله : « تَذَكَّرْتُ فِيهَا الْجَهْلُ^(٢) » ، أَي جَهِلَ الشَّبَابُ وَالصَّبَا .

وقوله : « إِلَيْكَ سَعِيدَ الْخَيْرِ » إلخ . إِلَيْكَ متعلق بِجُبْتُ ، قَدَّمَ عَلَيْهِ لإِفَادَةِ الْحَصْرِ . وَجُبْتُ : قَطَعْتُ ، يُقَالُ جَابَ الْوَادِي بِجُوبِهِ ، إِذَا قَطَعَهُ ، وَسَعِيدٌ : مُنَادَى مُضَافٌ إِلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَهَرَ بِهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ خَيْرٌ بِالتَّشْدِيدِ ، فَخُفِّفَ . وَالْمَهْمَةُ : الْفَقْرُ . وَالْآلُ : السَّرَابُ . وَتَنَوَّفَ : جَمَعَ تَنَوُّفَةً ، وَهِيَ الْفَلَاةُ .

رَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ (فِي الْأَغَانِي) بِسَنَدِهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : لَقِيتُ إِيَّاسَ بْنَ الْحَظِيثَةِ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَثْمَانَ ، مَاتَ أَبِي وَفِي كِسْرِ بَيْتِهِ عَشْرُونَ أَلْفًا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا أَبُوكَ وَقَالَ فِيهِ خَمْسُ قَصَائِدَ ، فَذَهَبَ وَاللَّهِ مَا أَعْطَيْتُمُونَا ، وَبَقِيَ مَا أَعْطَيْنَاكُمْ ! فَقُلْتُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ .

(١) تَوَلَّى المربع : أَدْبَرَ وَتَوَلَّى . وَفِي ط : « تَوَالَى » صَوَابُهُ فِي ش ، وَدِيوَانُ جَرِيرِ ٣٤١ .

(٢) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « تَذَكَّرْتُ فِيهَا الْجَهْلُ » .

وروى أيضاً بسند متصل إلى خالد بن سعيد قال : كان سعيد بن العاص بالمدينة زمن معاوية ، وكان يُعشى الناس ، فإذا فرغ من العشاء قال الآذن : ليذهب إلّا مَنْ كان من أهل سَمَرِه . قال : فدخل الحطيثة فتعشى مع الناس ثم لم ينصرف ، فلما ألح عليه الآذن قال سعيد : دعه ^(١) وأخذ في الشعر والحطيثة مطرق لا ينطق ، فقال الحطيثة : والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر الشعراء . قال سعيد : من أشعر العرب ياهذا ؟ قال : الذي يقول :

لا أعدُّ الإقتارَ عُدماً ولسكنُ	فقدُ من قد رزِئته الإعدامُ
من رجالٍ من الأقارب بانوا	من جُدامٍ هم الرُّعُوسُ الكرامُ
سلَّطَ الموتُ والمنونُ عليهم	فلهمُ في صدَى المقابر هامُ
وكذاكم سبيلُ كلِّ أناسٍ	سوف حقا تبليهمُ الأيامُ

قال : ويحك من يقول هذا الشعر ؟ قال : أبو دُوَادٍ الإيادي . قال : ومن الثاني ؟ قال : الذي يقول :

أفلح بما شئت فقد يُبلغ بالـ ضَعْفٍ وقد يُخدعُ الأريب ^(٢)

قال : ومن يقول هذا الشعر ؟ قال : عَبِيد . قال : ثم من ؟ قال : والله لحسبك بي عند رهبةٍ أو رغبةٍ ، إذا وضعتُ إحدى رجلِي على الأخرى ، ثم رفعت صوتي بالشعر ^(٣) ثم عَوَيْت على إثر القوافي عواءَ الفصيل الصادر عن الماء ! قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيثة . قال : ويحك قد علمت

(١) العبارة هنا بتصرف من الأغاني ١٦ : ٣٨ .

(٢) ط : « يخادع الأريب » ، صوابه في ش وشرح المعلقات للتبريزي ٧ : ٤ . وقال التبريزي : « و يروى : أفلح بالجيم » ، وأفلح بالخاء من الفلاح وهو البقاء . أى عش كيف شئت فلا عليك ألا تبالح ، فقد يدرك الضعيف بضعفه مالا يدرك القوى ، وقد يخدع الأريب العاقل عن عقله . و يروى : فقد يدرك بالضمف .

(٣) في الأغاني : « ثم رفعت عقيرتي بالشعر » . والعقيرة : الصوت .

تشوقنا إلى مجلسك ، وأنت تكتئبنا نفسك منذ الليلة ، فأنشدني . فأنشده
من أبيات :

سعيدٌ فلا يغررك قِلَّةُ لحمه تخذد عنه اللحمُ وهو صليبُ
إذا غبتَ عنا غاب عنا ربيعنا ونُسقى الغمامَ الغرَّ حين يثوبُ^(١)
فنعم الفتى تعشوا إلى ضوء ناره إذا الريح هبت والمكان جديبُ

فقال له : أنت لعمر الله أشعر عندي منهم . فأمر له بعشرة آلاف
درهم . ثم عاد فأنشده :

* أمن رسم دار مربعٌ ومصيفٌ *

إلى آخر القصيدة ، فأعطاه عشرة آلاف أخرى .

وروى أيضاً هذا الخبر عن أبي عبيدة وقال : قال أبو عبيدة في
هذا الخبر : وأخبرني رجلٌ من بني كنانة قال : أقبل الحطيثة في ركب
من بني عبَّس حتى قدم المدينة^(٢) ، فقالوا له : إنا قد أردينا^(٣) وأخيلنا^(٤)
فلو تقدمت إلى رجل شريف من أهل المدينة فقمَرنا وحَمَلنا . فأقى خالد
ابن سعيد بن العاص فسأله ، فاعتذر إليه وقال : ما عندي شيء . فلم
يُعِدْ عليه الكلامَ وخرج من عنده ، فارتاب به خالد فبعث يسأل عنه ،

٤٣٩

(١) في الأغاني : « إذا غاب عنا » .

(٢) بعده في الأغاني : « فأقام مدة » .

(٣) أردينا : صارت ركابنا رذية هزيلة من كثرة السير . ط والأغاني : « أردينا »
بالدال المهملة ، صوابه بالذال المعجمة كما في ش .

(٤) المراد أنهم قد نفد زادهم ، يقال أخل عن الطعام ، أى خلا عنه . وفي النسختين :
« أجيلنا » بالجيم ، والوجه ما أثبت من الأغاني .

فأخبر أنه الحطيثة ، فردّه واعتذر إليه ؛ فأراد خالد أن يستفتح الكلام فقال : من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول ^(١) :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ
فقال خالد لبعض جلسائه : هذه بعض عقارب ! وأمر له بكسوة وحُمْلان ^(٢) فخرج بذلك من عنده . ١ هـ .

وترجمة الحطيثة قد تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الخمسائة ، وهو من شواهد سيويه ^(٤) :

٥٩٧ (ضَعِيفُ النَّكَايَةِ أَعْدَاءُهُ يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاخِي الْأَجَلَ)
على أن سيويه والخليل جوّزاً إعمال المصدر المعرف باللام مطلقاً كما في البيت .

قال سيويه : وتقول : عجبت من الضرب زيداً ، كما تقول ^(٥) :
عجبت من الضارب زيداً ، يكون الألف واللام بمنزلة التنوين ، قال الشاعر :

ضعيف النكايه أعداءه البيت

(١) يعنى زهير بن أبي سلمى . والبيت التالى من معلقته .

(٢) الحُمْلان ، بالضم : ما يحمل عليه من الثواب ، في الهبة خاصة .

(٣) الخزائن ٢ : ٤٠٦ - ٤١٣ .

(٤) في كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المصنف ٣ : ٧١ والمقرب ٢٥ وشنور الذهب ٣٨٤

والتصريح ٢ : ١٣ والمجع ٢ : ٩٣ والأشعرى ٢ : ٢٨٤ .

(٥) في سيويه : « كما قلت » .

وقال المرار :

لقد علمت أولى المغيرة ... البيت . ٥١ .

وقال الأعلم : الشاهد فيه نصب الأعداء بالنكابة لمنع الألف واللام الإضافة^(١) ومعاقبتهم للتنوين الموجب للنصب . ومن النحويين من ينكر عمل المصدر وفيه الألف واللام ، لخروجه عن شبه الفعل ، فينصب ما بعده بإضمار مصدر منكور فيقدره : ضعيف النكابة نكابة أعداءه . وهذا يلزمه مع تنوين المصدر ، لأنَّ الفعل لا يُنَوَّن ، فقد خرج المصدر عن شبه الفعل بالتنوين ، فينبغي على مذهبه أن لا يعمل^(٢) . يقول : هو ضعيف عن أن ينكى عدوه وجبان أن يثبت ، ولكنه يلتجئ إلى الفرار^(٣) ويخاله مؤخرًا لأجله . ٥١ .

وأراد ببعض النحويين أبا العباس المبرد .

وجعل السيراني نصب أعداءه على حذف الخافض ، أى ضعيف النكابة فى أعدائه .

وقوله : (يخال) بمعنى يظن . و (يراخى) : يباعد ، وفاعله ضمير الفرار ، وفاعل يخال ضمير المهجو . وجملة يراخى فى موضع المفعول الثانى ليخال . و (ضعيف) خبر مبتدأ محذوف ، أى هو ضعيف . و (النكابة) : مصدر نكيت فى العدو ، إذا أثرت فيه . وجاء معدى بنفسه . قال أبو النجم :

(١) فى الشتمرى : « من الإضافة » .

(٢) الشتمرى : « أن لا يعمل عمله » .

(٣) الشتمرى : « هو ضعيف أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ، ولكنه يلجأ

إلى الفرار » .

* ينكى العدى ويكرم الأضيافاً ^(١) *

وقال عدى بن زيد :

إذا أنت لم تنفع بودك أهله ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعد
من بعد ، من باب فرح ، إذا هلك .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الخمسائة ، وهو
من شواهد س ^(٢) :

٥٩٨ (لقد علمت أولى المغيرة أننى

كررت فلم أنكل عن الضرب مسمعا)

لما تقدم قبله . ويروى : (لحقت فلم أنكل) .

٤٤٠

قال الأعلم : الشاهد في نصب مسمع بالضرب على نحو ما تقدم .
ويجوز أن يكون بلحقت ، والأول أولى ، لقرب الجوار ، ولذلك
اقتصر عليه سيبويه . يقول : قد علم أولى من لقيت من المغيرين أننى
صرفتهم عن وجههم هازماً لهم ، ولحقت سيدهم ^(٣) مسمعا ، فلم أنكل عن
ضربه بسيفي . والتكول : الرجوع عن القرن جُبنا . ١ هـ .

وقال ابن خلف : وكان بعض البصريين المتأخرين لا ينصب
بالمصدر إذا كان فيه الألف واللام ، وينصب مسمعا بلحقت لا بالضرب

(١) كذا في النسختين . والذي في اللسان (نكى) :

نحن منعا وادي لمسافا ننكى المدى ونكرم الأضيافا

(٢) في كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المقتضب ١ : ١٤ والجمل ١٣٦ وابن يعيش ٦ : ٩ ،

٦٤ والعي ٣ : ٤٠ ، ٥٠١ ، والهمع ٢ : ٩٢ والأشعرى ٢ : ١٠٠ ، ٢٨٤ .

(٣) الشنمري : « عميدم » .

وحجته أَنَّ أَل تَبْعِد المصدر عن شبه الفعل . قال أبو الحجاج ^(١) :
ومن أَعْمَل الضرب فيه فهو عندى على قول من أَعْمَل الثانى ، وهو أحسن
عند أصحابنا . أَلَا ترى أَنَّ المعنى لحقت مسمعا فلم أنكل ^(٢) عن ضربه
فحذف المفعول من الأوّل لدلالة الثانى عليه . ومن أَعْمَل لحقت أراد :
لحقت مسمعا فلم أنكل ^(٣) عن الضرب إيّاه ، أو عن ضربه ، إِلَّا أَنَّهُ
حَذَفَ لِأَنَّ المَصَادِرَ يحذف معها الفاعل والمفعول . ولا يجوز على هذا
القياس ضربت وشتت زيدا ، حتّى تأتى بعلامة الضمير فى شتت .
يعنى إذا أَعْمَلت ضربت . قال : لِأَنَّ الفعل لا يحذف معه هذا المفعول
كما يحذف مع المصدر . وقد أجاز السّيرافي حذف الضمير فى هذا النحو
مع الفعل أيضاً ، لِأَنَّ المفعول كالفضلة المستغنى عنها . قال أبو على :
ومن أنشد « كررت » كان مسمع مفعول الضرب لا غير ، لِأَنَّ كررت
يتعدّى بالحرف وهو على ، ولا حرف ههنا . فَإِنْ جعلت على مرادة كما جاء
فى قوله : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٤) ، وقول الشاعر ^(٥) :

تحنُّ فتبدي ما بها من صباية وأخفى الذى لولا الأسى لقضائى ^(٦)

(١) أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنترى شارح أبيات سيويه . ولد سنة ٤١٠ وتوفى
سنة ٤٧٦ . معجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ . وهذا النص ليس فى شرح أبيات سيويه فلمله فى شرح
أبيات الجمل له .

(٢) الكلام بعده إلى « أنكل » التالية ساقطة من شر .

(٣) هنا ينتهى السقط السابق .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

(٥) هو عروة بن حزام . وانظر المغنى ١٤٢ ، ٥٧٧ وشرح شواهد السيوطى ١٤١ واللبنى
٢ : ٥٥٢ والممع ٢ : ٢٩ . والبيت لم يرد فى ديوانه المخطوط .

(٦) الأسى هنا ، بالضم والكسر ، جمع أسوة بالضم والكسر ، وهو ما يتأبى به الخزين ،
أى يتعزى . ومثله فى اللسان لحريث بن زيد الحيل :

ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعة ولكن إذا ما شئت جاوبنى مثل

فلما حُذِفَ أوصلت الفعل^(١) فهو وجه . قال أبو الحجاج :
وهذا خلاف لما (في الإيضاح) لأنه قال هنالك : إِنَّ ذلك لا يعمل
عليه ما وُجِدَ مندوحة عنه . وليس يُنكَرُ على العالم أَنْ يرجع عن قول إلى
ما هو خير منه . ٥١ .

قال ابن برى (في شرح أبيات الإيضاح) : وأجاز السيرافي هذا
الذي منعه أبو علي ، وكذلك أجاز أبو علي في غير الإيضاح نصب مسمع
بكررت على إسقاط حرف الجر كالأية . ٥١ .

ولو أعمل كررت لكان التقدير : كررت فلم أنكل عن الضرب
إياه ، على مسمع ، فحذف على وأوصل الفعل .

وقال ابن السيرافي : لا يحسن أَنْ يُنْصَبَ مسمع بكررت على تقدير
كررت على مسمع فلم أنكل عن الضرب . وعلى الرواية الثانية ينتصب
أيضاً بالضرب ، إِلَّا أَنَّهُ على إعمال الثاني الأقرب إليه . ولو أعمل
الأوّل لأضمر ، وكانَ التقدير : لحقت مسمعاً فلم أنكل عن الضرب
إياه مسمعاً .

وقد أورده ابن قاسم المرادي (في باب التنازع من شرح الألفية)
بلفظ « لقيتُ ولم أنكل عن الضرب مسمعاً » ، شاهداً على التنازع في
مسمع .

وأورده ابن الناظم وابن هشام (في شرح الألفية) في باب إعمال
المصدر ، كالشارح المحقق .

(١) في النسختين : « فلما حذف الفعل أوصلت » ؛ وهو خطأ . كتب في حاشية ش :
« هكذا بخط المؤلف أوصلت ، والصواب أوصل بحذف التاء » . وأرى الصواب فيما أثبت .
والمراد أنه لما حذف « على » أوصلت الفعل وعديته إلى المفعول .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لمالك بن زُغبة الباهلي، وبعده :

آيات الشاهد (ولو أن رمحي لم يخنني انكساره لغادرت طيراً تَعْتَفِيهِ وَأَضْبُعاً^(١))
 ٤٤١ وفرّ ابن كدراء السدوسي بعدما تناول مني في المكرّة منزعاً
 [وما كنتُ إلّا السيفَ لآقي ضريبةً]

فقطّعها ثم انثنى فتقطّعها
 وإنّي لأعدى الخيلَ تعرُّ بالقنا حفاظاً على المولى الحرّيد ليمنعنا
 ونحنُ جَنَبْنَا الخيلَ من سَرَوِ حميرٍ
 إلى أن وَطِئْنَا أرضَ خَنَمَ نَزْعاً^(٢)]
 أَجِثْمْ لَكَيْمًا تَسْتَبِيحُوا حَرِمْنَا فصادقتم ضرباً وطعنأ مجدعأ
 فَأَبْتُمْ خَزَايَا صَاغِرِينَ أَذْلَةً شريعة أرماح لأكتافكم معا)

قال أبو محمد الأعرابي (في فرحة الأديب) : مِسمَعُ بن شيبان :
 أحد بني قيس بن ثعلبة ، كان خرج هو وابن كدراء يطلبان بدماء من
 قتله باهلة ، من بني بكر بن وائل ، يوم قُتل أبو الأعشى قيسُ بن
 جَنْدَل ، فبلغ ذلك باهلة فلقوهم فقاتلوا قتالاً شديداً ، فانهمزمت
 بنو قيس ومن كان معهما من بني ذهل ، وضُرب مِسمَعُ وأُفلت جريحاً اهـ .
 وقوله : (لَقَدْ عَلِمْتُ أُولَى المَغِيرَةِ) إلخ ، يعني أولها . والمغيرة : الخيل ،
 يُريد مقدّمة العسكر .

(١) تعتفيه بالعين ، كما في ش ، ويؤيده تفسير البغدادى فيها سياق . وفي اللسان (عفا) :
 وفلان تعفوه الأضياف وتعفيه الأضياف ، وهو كثير العفاة ، وكثير العافية ، وكثير العفو .
 وفي ط : « تفتيته » بالقاف في هذا الموضع وفي التفسير التالى ص ١٣٣ . والوجه ما أثبت من ش .
 (٢) الأبيات الثلاثة ساقطة من ط ثابتة في ش . والملاحظ أن البغدادى لم يفسر شيئاً منها .

نقل أبو حيان (في تذكرته) عن ابن خالويه أنه قال : سألت أبا عُمر^(١) عن قوله : « لقد علمت أولى المغيرة » ... البيت ، فقال : أولى كل شيء : أوله .

وقال ابن المستوفى : المغيرة يجوز أن تكون وصفاً للخيال المحذوفة ، وهو أجود لأن استعمالها معه^(٢) أكثر . ويجوز أن يكون وصفاً للجماعة المغيرة أو نحوها . وعلى أي الحالين فهو اسم فاعل ، من أغار على العدو إغارة . ١٥ .

وذكر ابن السيد (في شرح أبيات الجمل) : أنه يقال « المغيرة » بضم الميم وكسرهما .

وتبعه ابن خلف ، وتعقبه اللخمي بأنه يقال في اسم الرجل المغيرة بكسر الميم ، لأنهم^(٣) إنما يغيرون الأسماء الأعلام ، ولا يكادون يغيرون الصفات الجارية على الأفعال ، لثلاً يخرجوها عن الباب .

والنكول : الرجوع جُبناً . قال ابن خلف : من ضم الكاف في المضارع فتحها في الماضي ، ومن كسرهما^(٤) في الأول فتحها في الثاني . ومسمع بكسر الميم الأولى وفتح الثانية .

وقوله : « لغادرت طيراً » الخ . غادرت : تركت . وفلان تعتفيه الأضياف أي تأتبه . وأضبع : جمع ضبع . يريد أنه لو لم يخنه رمحه لقتله .

(١) أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، المعروف بفلام ثعلب .

(٢) ش : « استعماله معها » .

(٣) ط : « لأنهما » ، صوابه في ش .

(٤) ش : « ومن كسر » .

وقوله « لغادرت طيراً الخ . غادرت : تركت . وفلان تعنفه الأضياف^(١) »
 أى تأتبه . وأضيع : جمع ضيع . يريد أنه لو لم يخنه رمحه لقتله
 وكانت تأتبه الطيور والسباع ، تأكله . وسدوس بالفتح : أبو قبيلة .
 والمكرّة بالفتح : موضع الحرب . والمنزع ، بكسر الميم وسكون النون
 وفتح الزاى : السهم .

وقوله : « أجتّم لكىما » الهمزة للاستفهام التوبيخى . والاستباحة :
 النهب والأسر . والمجدّع ، بكسر الدال المشددة : مبالغة جادع ، من جدّع
 أنفه وأذنه وشفته ، من باب نفع ، إذا قطعها .

وقوله : « فأبتم خزياً » إلخ . أى رجعت ، من الأوب وهو الرجوع .
 وخزايا : جمع خزيان ، وصف من خزى خزيّاً من باب علم ، أى ذلّ
 وهان . وأخزاه الله : أذلّه وأهانّه . وصاغرين ، من صَغَرَ صَغْراً ، من باب
 تعب ، إذا ذلّ وهان .

مالك بن زغبة ومالك بن زغبة ، بضم الزاى وسكون الغين المعجمتين بعدها موحدة ،
 شاعر جاهليّ .

* * *

وأنشد بعده :

(طلبُ المعقَّبِ حقُّه المظلومُ)

على أن المظلوم ارتفع بقوله حقّه ، أى غلبه المظلوم بالحق .
 وهذا غير ما وجهه به فى باب المناهى فإنه قال هناك : إن فاعل المصدر وإن
 كان مجروراً بإضافة المصدر إليه محلّه الرفع ، فالمُعقَّب فاعل المصدر ، وهو
 طلب وقد جر بإضافته إليه ، ومحلّه الرفع بدليل رفع وصفه ، وهو المظلوم .
 وهذا التخريج هو المشهور .

والمعقَّب اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقَّه مرةً بعد مرة . يقال عَقَّبَ فى الأمر تعقيباً ، إذا تردَّد فى طلبه مُجِداً . وطلبُ بالرفع فاعل لِهاجَته فى المصراع قبله ، وهو :

٤٤٢

* حتَّى تهجَّر فى الرُّواح وهاجَته *

أى حتَّى سار الحمار فى الهاجرة وحثَّه على المسير طلبُ كطلب المعقَّب المظلوم حقَّه ، فحقه مفعول المصدر . وما ذكره الشارحُ هنا هو تخريج ابن جنى (فى المحتسب) ، إلَّا أنَّه فسَّرَ حقَّه المظلوم بغير هذا ، قال : أى عازَّة ومنعه المظلوم . فحقَّه على هذا فعلٌ ، حقَّه يحقُّه ، أى لواه حقَّه . انتهى .

ولم أر فى كتب اللغة حقَّه يحقُّه بهذا المعنى .

ونقل ابن المستوفى عن الخوارزمى أنَّه قال : إن رفعت طلب فحقَّه حينئذ فعل ، يقال حقَّه يحقُّه : لواه حقَّه وصَدَّه . والمظلوم نعت المعقَّب وفاعل حقَّه مضمرٌ . هذا كلامه .

والذى ذكره الأندلسى أنَّ حاقَّه بمعنى خاصمه وادَّعى كلُّ واحد منهما الحقَّ ، فإذا غلبه قيل حقَّه . انتهى ما أورده ابن المستوفى .

فظهر من هذا أنَّ مأخذ الشارح المحقق كلامُ الأندلسى .

وقد تقدَّم الكلام مفصَّلاً على هذا البيت مع جملة أبيات من القصيدة ، وهى للبيدِ الصبحاني ، مع ترجمته ، فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة ^(١) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالتَّسْعُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمِائَةِ ^(١) :

٥٩٩ (أَكْفُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرَّتَاعَا)

على أَنَّ العطاء هنا بمعنى الإِعْطاء ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثاني محذوف ، أى بعد إعطائك المائة الرَّتَاعَ إِيَّايَ . ورد ^(٢) : مصدر مضاف إلى المفعول ، وفاعله محذوف ، أى بعد رَدِّكَ الموت عني .

وأورده شراح الألفية على أَنَّ العطاء اسم مصدر .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للقُطامي ، تقدّم شرح أبياتٍ من أوّلها مع ترجمته في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة ^(٣) : وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد (وَمَنْ يَكُنْ اسْتِلَامَ إِلَى ثَوِيٍّ فَقَدْ أَكْرَمْتَ يَا زُفْرُ الْمَتَاعَا
أَكْفُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي البيت
فلو بيدى سواك غداة زلّتْ بي القدمانِ لم أَرْجُ اِطْلَاعَا
إِذَا هَلَكْتُ لَوْ كَانَتْ صِغَارُ من الأخلاق تُبْتَدَعُ ابْتِدَاعَا
فلم أَرِ مُنْعِمِينَ أَقْلَ مَنَّا وَأَكْرَمَ عِنْدَنَا اصْطَنَعُوا اصْطِنَاعَا
مِنَ الْبَيْضِ الْوَجُوهَ بَنَى نُفَيْلٍ أَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ إِلَّا اتِّسَاعَا)

وهي قصيدة طويلة مدح بها زفر بن الحارث الكلابي ، وحضّ قيساً وتغلب على الصلح .

(١) الشعراء ٧٢٣ والخصائص ٢ : ٢٢١ وابن الشجري ٢ : ١٤٢ وابن يعيش ١ : ٢٠ وشذور الذهب ١٢ والعيى ٣ : ٥٠٥ والتصريح ٢ : ٦٤ والمع ١ : ١٨٨ / ٢ : ٩٥ والأشونى ٢ : ٨٨ وديوان الطرمح ٤١ .

(٢) في النسختين : «وردك» ، ولا يستقيم مع الكلام بعده . والذي في النص أيضاً : «ردالموت»

(٣) الخزائن ٢ : ٣٦٨ - ٣٧٢ .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : كان القطامي أسره زُفرُ في الحرب التي كانت بين قيس وتغلب ، فأرادت قيسُ قتله ، فحالَ زفر بينهم وبينه ومنَّ عليه ، وأعطاه مائةً من الإبل وأطلقه ^(١) ، فقال :
* أكفراً بعد ردِّ الموت عني *

إلى آخر الأبيات التي أوردناها

قوله : « ومن يكن استلام » إلخ . قال شارح ديوانه : أي من أتى إلى ضيفه ما يُلام عليه فأنَّت أتيتَ إلى ضيفك أمراً تستوجب فيه الثناء والمدح ، والدَّكَرَ الحسن . والثَّوِيُّ : الضَّيفُ ، وهو فعيل من الثواء ، قال : وهو الإقامة . والمتاع : الزَّاد . ومتَّعته : زودته . أخبر أنه زوده وأعطاه .

وقوله : (أكفراً بعد ردِّ الموت) إلخ ، الهمة للاستفهام الإنكاري : وكفراً مفعول مطلق عامله محذوف ، أي أكفر كفراً . و (الرُّتاع) : جمع راتعة . قال شارح ديوانه : الرُّتاع : الراعية . يقول : أخونك بعدَ هذا وقد مننتَ عليَّ وأطلقتني ؟ ويقال : كان زفر اشتراه من قيس ابن وهب ، ووهب له مائةً من الإبل .

وقوله : « فلو بيدئ » إلخ ، الباء متعلِّقة بمحذوف كما أشار إليه شارح ديوانه بقوله : يقول لو كنتُ في يدئ غيرك لم أرجُ اطلاعاً ، أي نجاة ، وارتفاعاً من صرعتي ، ولم أرجع إلى أهلي .

وقوله : « إذن هلكت » إلخ . قال شارح ديوانه : تبتدع : تُستحدث

(١) في الشعراء : « ووهب له مائة ناقة وورده إلى قومه » .

يقال شيءٌ بِدَعٍ وبديع ، إذا كان بديعاً ، قال : لو ابْتَدَعْتَ صِغَارُ^(١)
لهلكت أنا . انتهى .

وصغار بالرفع ، وتبتدع بالبناء للمفعول . قال العيني : معناه
لو ابْتَدَعْتَ في أموراً صعباً لهلكت . هذا كلامه .

وقوله : « فلم أرَ منعمين » إلخ . قال شارح ديوانه : يقول : لم أرَ مثلهم
لا يمتنون بما صنعوا . يريد الذين أنعموا عليه .

وقوله : « من البيض الوجوه » . قال شارح ديوانه : نُفيل بن عمرو
ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، رهط زفر .

* * *

وأنشد بعده :

(دَارٌ لِسُعْدَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكَ)

على أَنَّ المصدر يجوز استعماله بمعنى اسم المفعول كما هنا ، فَإِنَّ هَوَى
مصدر هَوَيْتُهُ من باب تعب ، إِذَا أَحْبَبْتَهُ وَعَلَّقْتَ بِهِ . والمراد به هنا اسم
المفعول ، أَى من مَهْوِيَّتِكَ .

وبهذا الوجه أوردته سابقاً في باب المفعول المطلق في الشاهد الثالث
والثمانين^(٢) . وتقدم الكلام عليه هناك مفصلاً .

وقوله : « إِذْهِ » أصله إِذْ هِيَ فَحُذِفَت الياء ضرورة وبقيت الهاء من هِيَ .

وبهذا الوجه أوردته أيضاً (في باب الضمير) بعد الشاهد الثمانين
بعد الثلاثمائة ، وتقدم الكلام عليه أيضاً مستوفى هناك^(٣) .

(١) ط : « صغارا » . صوابه في ش . وانظر ما سيأتى .

(٢) الخزائن ٢ : ٥ - ٦ .

(٣) الخزائن ٥ : ٢٦٤ - ٢٦٦ .

اسم الفاعل

أنشد فيه :

(لَيْبُكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخِصُومَةٍ)

على أن قوله ضارع فاعل لفعل محذوف ، أى يبكيه ضارع .

وهذا على رواية « لَيْبُكَ » بالبناء للمفعول ، ويزيد نائب الفاعل .

وقد تقدم الكلام عليه مفصلاً مشروحاً في الشاهد الخامس والأربعين من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للستائة ^(٢) :

٦٠٠ (فَبِتُّ وَالْهَمُّ تَغَشَانِي طَوَارِقُهُ مِنْ خَوْفِ رَحْلَةِ بَيْنِ الظَّاعِنِينَ غَدًا)

على أن (غَدًا) يحتمل أن يكون منصوباً بأحد عوامل ثلاثة ، وهى رحلة ، وبين ، والظاعنين ، فلا يتم ما ادّعاه المبرد من جواز عمل اسم الفاعل الماضى ^(٣) . مع أن الكلام فى اسم الفاعل الذى ينصب مفعولاً به لا ظرفاً .

وأورد أبو على فى (إيضاح الشعر) هذا البيت وقال : فيه حذف ، صاحب الشاهد والتقدير من خوف الارتحال وخوف الفراق . ونسب البيت لجبرير .

وقوله : (فَبِتُّ وَالْهَمُّ) إلخ . بات هنا تامة ، قال ابن الأثير (فى النهاية) : كل من أدركه الليل فقد بات يبيت ، نام أو لم ينم . والواو هى واو

(١) الخزائن ١ : ٣٠٣ - ٣١٣

(٢) ديوان جرير ١٥٨ . والرواية فيه :

باتت هموى تنشأها طوارقها من خوف روعة بين الظاعنين غدا

(٣) الذى فى الرضى ٢ : ١٨٧ : « وجوز المبرد وغيره عمله بمعنى الماضى والحال والاستقبال ، استدلووا بقوله : فبت والهم تغشاني طوارقه » . والذى قيد عمل اسم الفاعل المحلى بأل بأن يكون ماضياً هو أبو على فى كتاب الشعر ، وكذا الرمانى .

الحال ، والهم مبتدأ ، وَجُمْلَةُ تَغْشَانِي طَوَارِقَهُ خَبْرُهُ ، والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ
 حال^(١) من التَّاءِ فِي بَتُّ . قال ابن الأثير : غَشِيَهُ يَغْشَاهُ غَشْيَانًا ، إِذَا
 جَاءَهُ . وَغَشَاهُ تَغْشِيَةً ، إِذَا غَطَّاهُ . وَغَشِيَ الشَّيْءُ ، إِذَا لَابَسَهُ . والطوارق
 هنا : الدَّوَاهِي . قال ابن الأثير : كُلُّ آتٍ بِاللَّيْلِ طَارِقٌ . وقيل أصل
 الطُّرُوقِ مِنَ الطَّرْقِ ، وَهُوَ الدَّقُّ . وَسُمِّيَ الْآتِي بِاللَّيْلِ طَارِقًا لِحَاجَتِهِ
 إِلَى دَقِّ الْبَابِ . وَجَمَعَ الطَّارِقَةُ طَوَارِقَ . ومنه الحديث : « أَعُوذُ بِاللَّهِ
 مِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ » . ومن متعلِّقة بقوله تَغْشَانِي
 بِرَحْلَةٍ مُضَافٍ إِلَى بَيْنَ ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ مُضَافٍ إِلَى مَا بَعْدَهُ ، فَهُمَا مَجْرُورَانِ
 بِالْكَسْرِ . وَالرَّحْلَةُ بِالْكَسْرِ : اسْمُ مَصْدَرٍ بِمَعْنَى الْارْتِحَالِ . وَالْبَيْنَ هُنَا مَصْدَرٌ
 بَيَانٌ يَبِينُ بَيْنًا ، أَيْ فَارِقٌ وَبَعْدٌ . وَالظَّاعِنِينَ مِنْ ظَعْنٍ يَظْعَنُ بِفَتْحٍ
 عَيْنُهُمَا ظَعْنًا ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِهَا ، أَيْ سَارَ وَذَهَبَ .

وترجمة جرير تقدّمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب^(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد بعد السّمتائة^(٣) :

٦٠١ (فِيالْكَرَّامِ رَشَّحُوا بِي مَقْدَمًا عَلَى الْحَرْبِ خَوَاضًا إِلَيْهَا الْكَرَائِبَا)

عَلَى أَنَّ (خَوَاضًا) صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ ، حُوِّلَ مِنْ اسْمِ الْفَاعِلِ الثَّلَاثِي وَهُوَ خَائِضٌ .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : في هذا البيت شاهدٌ على جواز

عمال اسم الفاعل . ألا تراه كيف نصب الكرائب بخوَّاض^(٤) .

(١) ش : « في محل حال » ، فقط .

(٢) الخزائن ١ : ٧٥ - ٧٧ .

(٣) الحماسة بشرح المرزوقي ٧٢ والتبريزي ١ : ٧٣ وإعراب الحماسة الورقة ٢٠ .

(٤) في إعراب الحماسة : « كيف نصب بخوَّاض الكرائب » .

وهو من أبيات تسعة لسعد بن ناشب المازني ، أوردها أبو تمام (في صاحب الشاهد
أوائل الحماسة) ، وهي :

(سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِباً وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْثَنْتُ فَإِنْ تَهْدَمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَأَيُّهَا أَخُو غَمَرَاتٍ لَا يَرِيدُ عَلَى الَّذِي إِذَا هَمَّ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ فِي الْكَرْزَامِ رَشُّحُوا بِي مَقْدَمًا إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ	عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِباً لِعَرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِباً يَمْنِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِباً تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَ يَهُمُّ بِهِ مِنْ مُفْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِباً ^(١) وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِباً إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضِعاً إِلَيْهَا الْكَرَائِبُ ^(٢) وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِباً وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِباً
--	--

قال شراح الحماسة : سبب هذه الأبيات أنه كان أصاب دماً ، فهدم :
بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ دَارَهُ بِالْبَصْرَةِ وَحَرَّقَهَا . وقيل : إِنَّ الْحَجَّاجَ هُوَ الَّذِي
هَدَمَ دَارَهُ .

وقال ابن هشام (في شرح الشواهد) : ويقال إنه قُتِلَ لَهُ حَمِيمٌ ،
وإنه أوعده بهدم داره إن طالبَ بشاره .

وقوله : « سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ » إلخ . قال التبريزي : أصل القَضَاءِ
الْحَمُّ ، ثُمَّ يَتَوَسَّعُ فِيهِ فَيُقَالُ قُضِيَ قَضَاؤُكَ ، أَيْ فُرِغَ مِنْ أَمْرِكَ . فَاسْتَعْمَلَ
فِي مَعْنَى الْفَرَاغِ مِنَ الشَّيْءِ . ويروى : « قَضَاءُ اللَّهِ » بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ . فإِذَا

(١) في الحماسة بشرح التبريزي : « أخى غمرات » . وبشرح المرزوق :

أخى غمرات لا يريد على الذي يهم به من مقلع الأمر صاحباً

(٢) في الحماسة بشرحها : « خواضاً إليها الكتابات » .

رفعته يكون فاعلاً لجالباً على ، وما في موضع المفعول ، ويكون القضاء بمعنى الحكم . والتقدير : سأغسل العارَ عن نفسي باستعمال السيف في الأعداء ، في حال جلبِ حكمِ الله على الشيء الذي يجلبه . وإذا نصب القضاء يكون مفعولاً وفاعله ما . ويكون القضاء الموت المحتوم ، كما يقال للمخلوق خلق . والمعنى : جالباً الموت على جالبه . وقيل : إن كان في قوله « ما كان » في معنى صار . انتهى .

٤٤٥

وقال ابن جني : أراد جالبه ، أى جالباً إيّاه ، فحذف الضمير مع اسم الفاعل كما يحذف مع الفعل نفسه . ومثله ما أرانا أبو علي من قول الله تعالى : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ^(١) ﴾ أى قاضيه ، في معنى قاضٍ إيّاه . وعليه البيت الآخر فيه ، وهو :

* بإدراك الذي كنتُ طالباً *

أى إيّاه ، أو طالبه أو طالباً له . وأن يكون المحذوف ضميراً متصلاً أولى من أن يكون ضميراً منفصلاً .

وقوله : « وأذهل عن داري » إلخ . الذهول : ترك الشيء متناسياً له . يقول : إذا نبا المنزل بي حتى يصير دارَ الهوان انتقلتُ عنه ، وأجعل خرابه وقايةً لنفسي من العار الباقي . وهذا قريبٌ من قوله :

* وإذا نبا بك منزلٌ فتحول ^(٢) *

(١) الآية ٧٢ من سورة طه .

(٢) لعبد قيس بن خفاف البرجعي في المفضليات ٣٨٥ وحماة البحري ١٧٩ . وصدده

في الأولى :

* واركحل السوء لا تحلل به *

* احذر محل السوء لا تحلل به *

وفي الثانية :

وقافيته في الأولى : « فتجمل » ، وفي الثانية مطابقة لما هنا .

وقوله: « ويصغر في عيني » إلخ. أراد بقوله يصغر صِغَرَ القَدَر. وخص التلاد، وهو المال القديم، لأنَّ النفس به أَضْنُ. ونَبَّه هذا الكلام على أَنَّهُ كما يخفُّ على قلبه تركُ الدار والوطن خوفاً من التزام العار الباقي، كذلك يقلُّ في عينه إنفاقُ المال عند إدراك المطلوب. وانثنت: انعطفت ومالت. وهذا البيت أورده ابن الناطم (في شرح الألفية) شاهداً على جواز حذف العائد المجرور بالإضافة. إن كان المضاف وصفاً بمعنى الحال أو الاستقبال، فإنَّ الأصل كنت طالبه فحذف الضمير.

وقوله: « فإنَّ تَهدُّمُوا بالِغدر » إلخ. الغدر: ترك الوفاء. يقول: إنَّ تُخْرِبُوا دارى بالِغدر منكم فإنَّها تراثٌ كريم. يعنى نفسه. وسَمَّى ملكه ميراثاً وهو حى باعتبار ما يثول إليه. والكرم: التنزه عن الأقدار^(١).

وقوله: « أخو عَمَرَات » إلخ، بفتحيتين، هي الشدائد. ويروى: « أخو عَزَمَات ». والعزم: عقد القلب على ما يرى فعله. ومُفْطَع، من أَفْطَعَ الأمرُ إِفْطاعاً. وكذلك فَطَعَ فِطاعةً، أى عَظُم. أو من أَفْطَعْنِي الأمرُ ففَطَعَتْ به، أى أَعْيَانِي ففِضِقَتْ به ذَرْعاً. يصف نفسه بأنَّه صاحب هم وأخو عَزَمَات^(٢)، مستبداً برأيه فيها، غير متَّخذ رفيقاً.

وقوله: (فيالرزام رَشَّحُوا) إلخ. هو فعل أمر من الترشيح، وهو التربية. ومنه رَشَّحت المرأة ولدها، إذا دَرَجَتْه في اللبن، ثم قيل: رَشَّح فلان لكذا توسُّعاً. أى رَشَّحُوا به بترشيحكم إِيَّاي رجلاً كذا صفته. وأقام الصفة مقام الموصوف. قال التبريزى: قوله فيالرزام، النية بالفاء استئناف ما بعدها وإن نسق بها جملةً على جملة. واللام

(١) ش: « والكرم: المتنزه عن الأقدار ».

(٢) ش: « وأخو عمرات ».

من يالرزام لام الاستغاثة ، ورزام مجرورٌ بها ، وهو قبيلة ، وهم المدعوون وأصل حركة اللام مع الظاهر الكسر ، وفتحت مع المستغاث لكونه في موقع الضمير ، ومُقْدِماً بكسر الدال بمعنى متقدماً ، كما يقال ^(١) وجهٌ وتوجهٌ ، ونَبَّهَ بمعنى تنبَّه ، ونكَّبَ بمعنى تنكَّب . والكرائب : جمع كريبة وهي الشدة من شدائد الدهر . والأصل في الكرب الغمُّ الذي يأخذ بالنفس . ويروى بدله (الكتائب) جمع كتيبة ، وهي الجيش .

وقوله : « إذا همَّ ألقى » إلخ ، أى جعله بمرأى منه لا يغفل عنه . وقد طابق فيه لما قبله بقوله : « ونكَّبَ عن ذكر العواقب جانباً » . وسُمِّيَ المعزوم عليه عزماً . ونكَّبَ إن كان بمعنى حرَّفَ فجانبياً مفعول به له ، وإن كان بمعنى انحرف فجانبياً ظرف له .

قال ابن جنى : لك في جانباً وجهان : أحدهما أن يكون مفعولاً به أى نكَّبَ جانباً منه عن ذكر العواقب . والآخر : أن يكون ظرفاً ^(٢) ، أى نكَّبَ عن ذكر العواقب في جانب . ويؤكد هذا رواية من رواه :

* وأعرضَ عن ذكر العواقب *

وقوله : « ولم يستشر » إلخ ، نبَّه على الرأى به وعلى الفعل بقوله : « ولم يرص » . وقائم السيف : مَقْبِضُهُ . وانتصب لأنه مستثنى مقدَّم .

وقال ابن جنى : إن شئت نصبتَ صاحباً على أنه مفعول به ونصبت قائم السيف على الاستثناء ، أى لم يرص صاحباً إلا قائم السيف . وإن شئت نصبت قائم السيف نصبَ المفعول به وجعلت صاحباً بدلاً منه ،

(١) ط : « كما يقال له » .

(٢) في شرح ابن جنى : « أن يكون انتصابه على انتصاب الظرف » .

كقولك : لم أضرب إلا زيدا قائماً ، أى لم أضرب أحداً إلا زيدا في حال قيامه . ومن نصب زيدا في قولك : مارأيت أحداً إلا زيدا على البديل لم ينصب قائم السيف في القول الأول إلا على الاستثناء المقدم دون البديل ، وذلك لتقدمه على صاحبه ، والبديل لا يجوز تقدمه على البديل منه . انتهى .

وزاد ابن هشام (في شرح الشواهد) بيتين بعد هذه الأبيات وهما :

(فلا توعِدْنِي بالأمير فإنِّي لى جَنَاناً لَأَكْنُفِ المَخَافِ رَاكِبَا
وَقَلْباً أَبِياً لَا يُرْوَعُ جَاشُهُ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى بِالنَّهَارِ كَوَاكِبَا)

وسعد بن ناشب شاعرٌ إسلاميٌّ في الدولة المروانية . قال سراح سعد بن ناشب الحماسة : هو من بني مالك^(١) بن عمرو بن تميم .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : هو من العنبر ، وكان أبوه ناشب^(٢) أعور ، وكان من شياطين العرب ، وله يومٌ الوقيط^(٣) وكان في الإسلام بين تميم وبكر . وكان سعدٌ من مَرَدَةِ العرب ، وفيه يقول الشاعر^(٤) :

وَكَيْفَ يُفَيِّقُ الدَّهْرَ سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ وَشَيْطَانُهُ عِنْدَ الْأَهْلَةِ يُصْرَعُ^(٥)
وَسَعْدٌ بَفَتْحِ السَّيْنِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ ، وَنَاشِبٌ بِكُسرِ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ .

* * *

(١) في النسختين : « بنى مالك بن مالك » تحريف . وانظر شرح التبريزي والجمهرة ٢١١ .

(٢) ط : « ناشبا » ، صوابه في ش .

(٣) انظر له العقد ٥ : ١٨٢ - ١٨٥ .

(٤) هو دعلج بن الحكم ، كما في الحيوان ٦ : ٢٤٣ والشعراء ٦٧٧ .

(٥) انظر للصرع عند الأهلة ماورد في الحيوان ٥ : ٤٧٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد السمتانة ، وهو من شواهد
سيبويه^(١) :

٦٠٢ (ضَرُوبٌ بَنَضِلِ السَّيْفِ سَوْقَ سِمَانِهَا
إِذَا عَدِمُوا زَادًا فَإِنَّكَ عَاقِرٌ)

على أَنَّ (ضروباً) صيغة مبالغة اسم الفاعل ، محوّل عن ضارب ، ولهذا
عمل عمله . و (سوق) نصب به على المفعولية .

ولهذا أورده سيبويه .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لآبى طالب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، رثى بها
أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم^(٢) ، وكان أبو أمية
زوج أخته عاتكة بنت عبد المطلب ، فخرج تاجراً إلى الشام فمات
بموضع يقال له سَرَوْ سُحيم ، فقال أبو طالب هذه الأبيات يرثيه :

أبيات الشاهد (أَلَا إِنَّ زَادَ الرِّكْبِ غَيْرَ مُدَافِعٍ بِسَرَوْ سُحيمِ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ^(٣)
بَسَرَوْ سُحيمِ عَارِفٌ وَمُنَاكِرٌ وَفَارُسٌ غَارَاتِ خَطِيبٌ وَيَاسِرٌ
تَنَادَوْا بَأَنَّ لَا سَيِّدَ الْحَيِّ فِيهِمْ وَقَدْ فُجِعَ الْحَيَّانِ كَعْبٌ وَعَامِرٌ
فَكَانَ إِذَا يَأْتِي مِنَ الشَّامِ قَافِلًا بِمَقْدَمِهِ تَسْعَى إِلَيْنَا الْبَشَائِرُ)

(١) في كتابه ١: ٥٧ . وانظر المقتضب ٢: ١٤ . والجمل ١٠٤ وابن السجري ٢: ١٠٦
وابن يمش ٢: ٦٩ ، ٧٠ والخزانة ٢: ١٧٥ ، وشنور الذهب ٣٩٣ والعينى ٣: ٣٥٩ والتصريح
٢: ٦٨ ، والممع ٢: ٩٧ ، والأشموقي ٢: ٢٩٧ وديوان أبي طالب مخطوطة الشنقيطى ١١ .
والملاحظ أنه تكرر عددي للشاهد ٢٩٢ فيما سبق في ٤ : ٢٤٢ مع التزام البغدادى بعدم تكرار
العدد إذا تكرر الاستشهاد .

(٢) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه في ط . وانظر جهمرة ابن حزم ١٤٤ - ١٤٥
وديوان أبي طالب .

(٣) السرو من الجبل : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . وسحيم ،
سيفره البغدادى . وفي الديوان : « بوادى أثنى » . وأثنى : موضع بالوشم ، والوشم : واد بالجماعة .
والأبيات الثلاثة بعد هذا البيت لم ترد في الديوان .

فَيُصْبِحُ أَهْلُ اللَّهِ بَيْضاً كَأَنَّمَا كَسَتْهُمْ حَبِيرًا رَيْدَةً وَمَعَاظِرُ
 ترى دَارَهُ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ عِنْدَهَا مَجْجَعَةً كَوْمٌ سِمَانٌ وَبَاقِرُ
 إِذَا أَكَلْتُ يَوْمًا أَتَى الدَّهْرَ مِثْلُهَا زَوَاهِقُ زُهْمٌ أَوْ مَخَاضٌ بِهَازِرُ^(١)
 ضَرْوبٌ يَنْصُلُ السَّيْفَ سُوقَ سِمَاتِهَا البيت
 وَإِلَّا يَكُنْ لَحْمٌ غَرِيضٌ فَإِنَّهُ تُكَبُّ عَلَى أَفْوَاهِهِنَّ الْغَرَائِرُ
 فَيَالِكَ مِنْ نَاعٍ حُبَيْتَ بَالَّةً شِرَاعِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَظْفَرُ

قوله : « أَلَا إِنَّ زَادَ الرِّكْبِ » قَالَ ابْنُ بَكَّارٍ (فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ) :
 كَانَ أَزْوَادُ الرِّكْبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثَلَاثَةً :

الأول : مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس .

الثاني : زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى .

الثالث : أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٢) بن مخزوم .
 وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ أَزْوَادُ الرِّكْبِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَافَرُوا لَمْ يَتَزَوَّدْ مَعَهُمْ أَحَدٌ .
 وَلَمْ يَسْمَعْ بِذَلِكَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ . وَكَانَ عِنْدَ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ أَرْبَعُ
 عَوَاتِكَ : عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهِيَ أُمُّ زَهِيرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَهُوَ
 الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا
 مِنَ الْأَرْضِ يَنْبوعاً ﴾^(٣) . وَعَاتِكَةُ بِنْتُ جَذَلِ الطَّعَانِ ، وَهِيَ أُمُّ أُمِّ سَلْمَةَ
 وَالْمُهَاجِرِ . وَعَاتِكَةُ بِنْتُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ . وَعَاتِكَةُ بِنْتُ قَيْسٍ ، مِنْ
 بَنِي نَهْشَلِ بْنِ دَارِمِ التَّمِيمِيَّةِ . انْتَهَى .

(١) هذا البيت وكذا آخر الأبيات لم يردا في الديوان .

(٢) ش : « عمرو » . وانظر ما سبق من تحقيق . ولأزواد الركب أيضاً الأغاني ٨ : ٤٦٠ .

(٣) الآية ٩٠ من سورة الإسراء .

وقوله : « غير مُدافع » بالنصب . وجملة « غيبته المقابر » خبر إن .
 والباء من قوله بِسَرَوْ سَحِيم متعلق به . وسُحِيم بضم السين وفتح الحاء
 المهملتين : موضع في طريق الشام من مكة . وسَرَوْ على لفظ الشجر بمعنى
 أعلى . فسَرَوْ سَحِيم : أعلاه . وقوله : « بسرو سحيم » تأكيد للأول . وقوله
 عارفٌ خبر مبتدأ محذوف ، أى هو ذو معرفة بالأمر . ومُناكر اسم
 فاعل ، من ناكِرُهُ بمعنى قاتله .

والياسر : اللاعب بالميسر ، وهو قمار العرب بالأزلام ، وهو ممَّا
 يُفْتَحَر به عندهم ، كانوا يقامرون بها في أيام الغلاء والقحط ، ويفرق
 الغالب لحمَ الجزور على الفقراء .

وقوله : « تَنَادَوْا » أى تَنَادَى جماعة الركب . وأن مخففة من الثقيلة ،
 وجملة لاسيد الحي فيهم من المبتدأ والخبر خبر أن المخففة . وفُجِعَ
 بمعنى أصيب بالرزية . والقافل : الراجع من السفر .

وعنى بأهل الله قريشاً . وكانت العرب تسميهم أهلَ الله لكونهم
 أرباب مكة . والجبير ، بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة : ثياب ناعمة
 كانت تصنع باليمن . ورَيْدَة بفتح الراء المهملة وسكون المثناة التحتية :
 بلدة من بلاد اليمن ، وأراد أهل ريدة . ومَعَا فِر بفتح الميم بعدها عين
 مهملة وكسر الفاء : قبيلة من قبائل اليمن .

ومجمعجة : اسم فاعل من جمعجت الإبل ، إذا صوتت ، وإنما تصوّت
 لذبح أولادها ، وكان في الأصل صفة لكوم ، وقد قَدِمَ عليه ^(١) صار

(١) ط : « لما قد قدم عليه » .

حالاً منه . والكُوم : جمع كَوْماء ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . والباقر : اسمُ جمع بمعنى البقر .

وقوله : « إذا أَكَلْتُ » أى إذا أَكَلَهَا الأضياف يريد أَنَّهُ يُدْنِي^(١) من موضعه الذى ينزله قطعةً من الإبل للنحر والقرى ، فكلَّمَا فنيت قطعةً أَحْضَرَ قطعةً أُخْرَى . والزواحق : جمع زَاهِقَة ، وهى السمينة المفرطة السَّمَن . والزُّهْم^(٢) : جمع زَهْمَة بفتح فكسر ، وهى الكثيرة الشحم . والمَخَاض : الحوامل من الإبل ، واحداً خَلِيفَة من غير لفظها . والبهازر : جمع بَهْزَرَة ، بتقديم المعجمة ، على وزنَ حيدرة ، وهى الناقة الجسيمة . ٤٤٨

وقوله : « ضروبٌ بنصل السيف » أى هو ضروبٌ . ونصل السيف : شَفْرته ، فلذلك أَضافه إلى السيف . وقد يسمَّى السَّيْفُ كُلُّهُ نصلاً . مدحه بأنَّه كان يُعْرَقَب الإبل للضَّيْفَان عند عدم الأزواد . وكانوا إذا أَرَادُوا نحر الناقة ضَرَبُوا ساقها بالسَّيْف فخرَّت ، ثم نحروها ، وقوله : « إذا عَدِمُوا زَادًا » إلخ ، الجملة الشرطية التفاتٌ إلى الخطاب من الغيبة . والسُّوق : جمع ساق .

وقوله : « وإلَّا يَكُنْ لحم غريض » ، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء وآخره ضاد معجمة ، هو الطرِيُّ من اللَّحْم . وتُكَبُّ : تُصَبُّ . والغرائر : الأعدال ، جمع غِرارة بالكسر ، وهى وعاءٌ يجعل فيه الدَّقِيق وغير ذلك . وقوله : « فيا لك من ناع » مجرورٌ مِنْ تمييزٍ للكاف . والناعى : المخبر بموت إنسانٍ . دعا عليه ، لكونه أَخْبَرَ بموت المرتضى . وحُبِيت : خُصِمَتْ . والآلة بفتح الهمزة وتشديد اللام : الحَرْبَة . والشَّرَاعِيَة ، بكسر الشين

(١) ط : « أَنَّهُ يَرى » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « والزُّهْم » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

المعجمة : الطويلة ، وقيل التي قد أُشْرِعت للطَّعن أى مُدَّت نحوه .
وصفرة الأظفار كناية عن الموت ، فإنَّ الميِّت تصفرُّ أظفاره .
وترجمة أبي طالب تقدَّمت في الشاهد الواحد والتسعين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الستائة ، وهو من شواهد
سيبويه :

٦٠٣ (شُمُّ مَهَاوِينِ أَبْدَانِ الْجَزُورِ مَخَا

مِيصِرِ الْعَشِيَّاتِ لَا خُورٍ وَلَا قَزَمٍ)

على أن (مهاوين) جمع مهوان من أهان ، وبناء مفعال من أفعل
قليل نادر ، والكثير من فَعَلَ .

وقد أورده الزمخشري (في المفصل) على أن ما جمع من اسم الفاعل
يعمل عمل المفرد .

والأوصاف جميعها مجرورة في البيت ، لأنَّ قبله :

(يَأْوِي إِلَى مَجْلِسٍ بَادٍ مَكَارِمُهُمْ لَا مُطْمَعِي ظَالِمٍ فِيهِمْ وَلَا ظَلَمٍ)

والبيت إنما وردَ (في كِتَاب سيبويه والمفصل وغيرهما) على إعمال
مفعال عمل فِعْلِهِ ، وليس فيهما ما يدلُّ على أنَّ الأوصاف مرفوعة
أو مجرورة .

ولا وجه لقول ابن خلف : البيت في الكتاب رويُّه مرفوع ، وهو
مخفوضٌ كما يدلُّ عليه ما قبله . وكذا قول ابن المستوفى : قد أنشده
سيبويه في كتابه كما أنشده الزمخشريُّ بالرفع ، وهو مجرور . انتهى .

(١) الخزانة ٢ : ٧٥ - ٧٦ .

(٢) في كتابه ١ : ٥٩ . وانظر ابن يعيش ٦ : ٧٤ ، ٧٦ واليعنى ٣ : ٥٦٩ والممع

ولم يقف ابن الحاجب (في آماليه على المفصل) على البيت الأول فظنّه مرفوعاً وقال : شَم خبر مبتدأ محذوف وما بعده أخبارٌ وأوصاف . وكذلك قال العيني .

وقوله : « يأوى إلى مجلس » إلخ فاعل يأوى ضمير مستتر . يقال أوى إلى منزله يأوى ، من باب ضرب ، أويّاً على وزن فُعول ، إذا أقام فيه . والمجلس : موضع الجلوس ، وقد أطلق هنا على أهله ، تسميةً للحال باسم المحلّ ، يقال انفضّ المجلس ، بدليل الأوصاف الآتية ، ولهذا عاد الضمير إليه من « مكارمهم » بجمع العقلاء ، كما يطلق المقامة بالفتح على محلّ القيام ، وعلى الجماعة من الناس . وبإد : اسم فاعل من بدا يبدو بدواً ، إذا ظهر . والمكارم : جمع مكرمة بفتح الميم وضمّ الراء ، قال صاحب المصباح : المكرمة ، بضم الراء : اسمٌ من الكرم ؛ وفعلٌ الخير مكرمة ، أى سببٌ للكرم أو التكريم . وبإد صفة سببيةً لمجلس . وقوله : « لا مطمعى ظالم » صفة ثانية لمجلس ، وأصله مطمعين ، حذفت نونه للإضافة . وقوله : « ولا ظُلم » بضمّتين : جمع ظُلوم صفة ثالثة لمجلس . يريد إنّ الناس قد عرفوا أنّه من ظلمهم انتصفوا منه ، فليس أحدٌ يطمع في ظلمهم ، ولا هم يظلمون أحداً .

٤٤٩

وقوله : « شَم » صفة رابعة لمجلس ، وهو جمع أشم ، وصفٌ من الشَّم ، وهو ارتفاعٌ في قِصبة الأنف مع استواء أعلاه^(١) ، فإن كان فيها احديدابٌ فهو القَنى ، يقال أفنى الأنف . جعل الشَّم كنايةً عن العِزة والآنفة . يقال للعزیز شامخ الأنف ، وللذليل خاشع الأنف . وقال ابن الحاجب : وصفهم بالارتفاع إمّا في النسب والكرم ، أو القدر ، أو العِزة^(٢) ، وهو

(١) ش : « من استواء أعلاه » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « أو عِزة » ، صوابه في ش .

مأخوذ من الشَّم المذكور . وهذا كلامه ، ولا حاجة إليه . وقوله : « مهاوين » صفة خامسة لمجلس ، وهو مجرور بالفتحة لأنَّه على صيغة منتهى الجموع ، وهو جمع مِهوان ، وهو مبالغة مُهين ، من أهانه أى أدَّله .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب أبدان الجزور بقوله مهاوين ، لأنَّه جمع مِهوان ، ومِهوان تكثيرُ مِهين ، كما كان منحار ومضرب تكثير ناجر وضارب ، فعمل الجمع على واحدِه . يريد أنَّهم يُهينون للأضياف والمساكين أبدانَ الجزور ، وهو جمع بدنة ، وهى الناقة المتخذة للنحر المسمنة . وكذلك الجزور .

هذا كلامه ، وتبعه ابن يعيش وقال : الأبدان : جمع بدنة وهى الناقة المتخذة للنحر . يريد أنَّهم يسمِّنون الإبل فينحرونها للأضياف . وعليه يقتضى أن يكون من إضافة أحد المترادفين إلى الآخر ، مع أنَّه لم يُسمع جمع بدنة على أبدان ، وإنَّما ورد جمعها على بدنات وبدن بضميتين وإسكان الدال تخفيفاً . والصواب أنَّه جمع بدن ، وهو من الجسد ما سوى الرأس واليدين والرجلين . وإنَّما أثر ذكره على غيره لإفادة زيادة وصفهم بالكرم ، فإنَّهم إذا فرقوا أفضلَ لحم الجزور فتفريق ما سواه يكون بالطريق الأولى ، والإضافة حينئذٍ من إضافة البعض إلى الكل . والبدنة : ناقة أوبقرة ، زاد الأزهرى : أو بعير . قالوا : ولا تقع على الشاة .

و (الجزور) ، بفتح الجيم من الإبل خاصّة ، يقع ^(١) على الذكر والأنثى ، والجمع جُرر بضمّتين ، وتجمع أيضاً على جُررات ^(٢) ، ثم على جزائر . ولفظ الجزور أنثى ، فيقال رعت الجزور . قاله ابن الأنبارى .

(١) ط : « تقع » بالتاء ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى اللسان (جزر ٢٠٤) أن جزرات جمع الجمع ، كطرق وطرقات .

وزاد الصّغاني : وقيل الجزور الناقة التي تنحر ، وجزرت الجزور وغيرها من باب قتل ، إذا نحرتها . كذا في المصباح .

واللام في الجزور لاستغراق الأفراد . وقال ابن خلف : أراد أن يقول الجُزْر فاكتنى بالواحد عن الجمع . وروى : « مهاوين أبدأء الجزور » ، وهو جمع بدء^(١) بفتح الموحدة وسكون الدال بعدها همزة ، قيل هو بمعنى النصيب ، وقيل بمعنى المَفْصِل . وقال الأَعلَم : أبدأء الجزور أفضل أعضائها ، واحداً بدء^(٢) ، ومنه السَّيد بدءاً لفضله . وقوله : « مخاميص العشيّات » صفة سادسة لمجلس ، وهو مجرور بالكسرة لأنّه مضاف ، وهو جمع مخماص مبالغة خميص ، من خَمَصَ الشخصُ خُمُصاً فهو خميص ، إذا جاع ، مثل قُرْب قريباً فهو قريب . والمخمصة : الجماعة .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصّل) : هو جمع مخموص ، من خمصه الجوع خمصاً ، أي جعله ضامراً البطن .

والعشيّات : جمع عشيّ ، والعشيّ والعشاء بالكسر : من صلاة المغرب إلى العتمة . والعشيّ قيل بمعنى العشيّة ، وقيل جمعها . ومخاميص العشيّات ، كقولهم : نهاره صائم . وقال ابن الحاجب : هذه الإضافة اتّساع ، والأصل : في العشيّات .

قال الأَعلَم : يريد ، أنهم يؤخّرون العشاء لأجل ضيفٍ يطرق ، فبطونهم خميصة في عشيّاتهم لتأخّر الطعام عنهم .

(١) الكلام بعده إلى « بدء » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهي السقط الذي نهت عليه قريباً .

٤٥٠

وليس المعنى على قول ابن خلف : المخاميص : الذين ليسوا بعظام البطون. يعنى أَنَّهُمْ لا يأكلون حتَّى تعظم بطونُهُمْ ، وإنَّما يكتفون بأخذ ما يحتاجون إليه من الطعام ، ليس فيهم نَهْمٌ .
هذا كلامه ، وفيه أَنَّهُ يَبْقَى العشيَّاتُ لغوًا .

وقوله : « لاخور » بالجر صفة سابعة لمجلس ، والخور : الضَّعْفَاءُ عند الشَّدَّةِ . قال صاحب الصحاح : الخَوَرُ بفتح الخاء : الضَّعْفُ ، رجلٌ خَوَّارٌ ورُمحٌ خَوَّارٌ ، وأرضٌ خَوَّارةٌ ، والجمع خَوَرٌ بتخفيف الواو . وقال العيني : هو جمع أَخَوَرٍ ، وهو الضَّعِيفُ . وقوله هو القياس .

وقوله : « ولا قَزَمَ » بالجر صفة ثامنة لمجلس ، وهو بفتح القاف والزاي . قال صاحب الصحاح : القَزَمَ بالتحريك : الدناءة والقَمَاءة . والقَزَمَ : رُذَالُ الناس وسَفِلَتُهُمْ ، يقال رجل قَزَمٌ ، والذكر والأنثى والواحد والجمع فيه سواءٌ ، لَأَنَّهُ في الأصل مصدر .

صاحب الشاهد والشعر نسبه سيبويه إلى الكيث بن زيد الأسدي ، وتقدَّمت ترجمته في الشاهد السادس عشر^(١) .

وقال ابن المستوفي كابن خلف : رواه سيبويه للكيث . ولم أَرِه في ديوانه .

وأنشده ابن السيرافي لتميم بن مقبل^(٢) ، ولم أَرِه فيما كتبه ، من شعره . والله أعلم .

(١) الخزانة ١ : ١٤٣ - ١٤٧ .

(٢) ط : « ابن أبي مقبل » ، صوابه « ابن أبي بن مقبل » . وأثبت ما في ش . يقال تميم بن مقبل ، و تميم بن أبي بن مقبل . نسبة إلى جده أو إلى أبيه ثم جده . وأبي ، هيئة التصغير .

وترجمة تميم بن مُقبل تقدّمت أيضاً في الشاهد الثاني والثلاثين^(١).
وكلاهما شاعر إسلامي .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد السّاتّة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

٦٠٤ (حَتَّى شَاَهَا كَلِيلٌ مَوْهِنًا عَمِلُ

بانت طِرَاباً وباتَ اللَّيْلَ لم يَنَمْ)

على أن سيبويه قال : إذا حُوِّلَ فاعلٌ إلى فاعيلٍ أو فَعِلَ عَمِلَ أيضاً .
وأنشد هذا البيت ، فإنَّ كايلاً قد عمل في قوله مَوْهِنًا . وَرُدُّ بَأَنَّ مَوْهِنًا
ظرف لشَاَهَا ، ولو كان لكَلِيلٍ أيضاً فلا استدلال فيه ، لأنَّه ظرف
يكفيه رائحةُ الفعل . واعتذر لسيبويه بَأَنَّ كايلاً بمعنى مُكَلِّلٍ فمَوْهِنًا
مفعوله على المجاز ، كما يقال أَتَعَبْتَ يَوْمَكَ ، ففَعِيلٌ مبالغةٌ مُفَعِّلٌ
لا فاعل . وفيه أنَّه قليل نادر ولا يصحُّ الاستدلال بالمحتمل مع أنَّ
هذا الاعتذار بعيد . هذا كلامه .

قال التبريزي (في شرح الكافية) : أنشد سيبويه هذا البيت على
إعمال فَعِيلٍ ، فإنَّ كايلاً بمعنى مُكَلِّلٍ ، ومَوْهِنًا منصوب على أنَّه مفعول به ،
أى يُكَلِّلُ أوقاتَ الليل من كثرة العمل . وطعنوا في هذا البيت من جهة
استشهاده . وقيل كَلِيلٌ بمعنى كَانٍ ، من كلِّ يَكِلُّ فَإِنَّه لازم ، ومَوْهِنًا
منصوب على الظرف . وهذا التأويل ليس بقوى ، لأنَّ صدر البيت

(١) الخزانة ١ : ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٢) في كتابه ٥٨ : ١ . وانظر المقتضب ١١٥ : ٢ والنصف ٧٦ : ٣ وابن يعيش
٧٢ : ٦ والمقرب ٢٤ والغنى ٣٤٥ ويس على التصريح ٦٨ : ٢ والمذلين ١٩٨ : ١ وشرح
السكري ١١٢٩ .

وعجزه ينافيه ، فإنه قال : « وباتَ الليل لم ينم » فلا يمكن أن يوصف بأنه قال في بعض أوقات الليل ، وقال عَمِلَ وهو يدلُّ على كثرة العمل .

وقال ابن مالك : إِنَّمَا أَنشَدَ سيبويه هذا البيت لِيُعْلَمَ جوازُ العدول من فاعل إلى فاعيل ، لَأَنَّ أَصْلَهُ كَال . ولم يتعرض للإعمال .

وهذا أيضاً ضعيفٌ ، بما نقل السيرافي أَنَّهُ قال سيبويه : كليل في معنى مُكِلٍّ ، مثل أليم ، وداءٌ وجيع ، بمعنى مؤلم وموجع . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغنى) : رُدُّ عَلَى سيبويه في استدلاله على إعمال فاعيل بهذا البيت . وذلك أَنَّ مَوْهناً ظرف زمان ، والظرف يعمل فيه روائح الفعل ، بخلاف المفعول به . ويوضح كون الموهن ليس مفعولاً به أَنَّ كليلاً من كلِّ ، وفعله لا يتعدى . واعتذر عن سيبويه بأن كليلاً بمعنى مُكِلٍّ ، وكانَّ البرقَ يُكِلُّ الوقتَ بدوامه فيه ، كما يقال أتعبتَ يومك . أو بآئنه إِنَّمَا استشهد به على أَنَّ فاعلاً يُعَدِّلُ عنه إلى فاعيل للمبالغة ، ولم يَسْتَدِلَّ به على الإعمال . وهذا أقرب ؛ فإنَّ في الأول حملَ الكلام على المجاز مع إمكان حمله على الحقيقة . اهـ .

٤٥١

ونحن ننقل لك كلام سيبويه هنا ليظهر لك حقيقة الحال ، قال (في باب ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين ، من أوائل الكتاب) : وأجروا اسمَ الفاعل إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَبَالِغُوا فِي الْأَمْرِ مُجْرَاهُ ، إِذَا كَانَ عَلَى عَلَى بِنَاءِ فاعل ، لَأَنَّهُ لَا يَرِيدُ بِهِ مَا أُرِيدَ بِفَاعِلٍ مِنْ إِيقَاعِ الْفِعْلِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَرِيدُ ^(١) أَنْ يَحْدُثَ عَنِ الْمَبَالِغَةِ . فمِمَّا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ هَذَا الْمَعْنَى : فَعُولٌ ، وَفَعَالٌ ، وَمِفْعَالٌ ، وَفِعْلٌ . وقد جاء فاعيل كرحيم وقدير ، وسميع وبصير ، يجوز فيهن ما جاز في فاعل من التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ ،

(١) في سيبويه : « لأنه يريد » .

والإضمار والإظهار . لو قلت : هذا ضروبُ رؤوسِ الرجال وسوقِ الإبل ،
على : ضروبٌ^(١) سوقِ الإبل جاز ، كما تقول : ضاربُ زيدٍ وعمراً^(٢)
نُضمير : وضاربُ عمراً . ومما جاء مقدماً ومؤخراً على نحو ما جاء في
فاعل قول ذى الرمة :

هجومٌ عليها نفسه غير أنه متى يرم في عينيه بالشبح ينهض
وقال القلاخ :

* أنا الحرب لبأساً إليها جلاها^(٣) *

وقال أبو طالب :

* ضروبٌ بنصل السيف سوقَ سائنها *

وقد جاء في فعلٍ وليس في كثرة ذلك ، قال :

* أو مسحلٌ شنج عِصادة سَمحج^(٤) *

ومما جاء في فعلٍ قوله :

* حذِرُ أموراً لا تُخافَ وآمن^(٥) *

ومن هذا الباب قول رؤبة :

* برأس دماغ رؤوس العِزِّ *

(١) سيبويه : « على : وضروب » .

(٢) ط : « ضارب زيد عمراً » ، صوابه في سيبويه وش أيضاً مع أثر تصحيح .

(٣) عجزه في سيبويه :

* وليس بولاج الخوالم أعقلا *

(٤) لعمرو بن أحر ، كما في سيبويه ، أو هو للبيد في ديوانه ١٢٥ . وعجزه :

* بسراته ندب لها وكلوم *

(٥) عجزه في سيبويه :

* مائس منجيه من الأقدار *

ومنه قول ساعدة :

حتى شآها كليلٌ موهناً عمل . . . البيت

وقال الكميت :

شمٌ مهاوينَ أبدانَ الجزور . . . البيت

ومنه : قدير وعليم ورحيم ، لأنه يريد المبالغة وليس بمنزلة قولك حسنٌ وجه الأخ ، لأن هذا لا يقلب ولا يضم^(١) ، وإنما حده أن يتكلم به في الألف واللام^(٢) ولا تعني أنك أوقعت فعلاً سلف منك إلى أحد . ولا يحسن أن تفصل بينهما فتقول : هو كريمٌ فيها حسب الأب . هذا نصه بحروفه ، مع حذف بعض أمثلة .

قال الأعلم : الشاهد في نصب الموهن بكليل ، لأنه مغيرٌ عن بنائه للتكثير . وقد رُدَّ هذا التأويل على سيبويه لما قدّمنا : أن فعلاً وفعلاً بناءً لما لا يتعدى في الأصل . وجعل الرادُّ نصبَ موهن على الظرف ، والمعنى عنده أن البرق ضعيفُ الهبوب كليلٌ في نفسه . وهذا الردُّ غير صحيح ، إذ لو كان كليلاً كما قال لم يقل عمِلٌ وهو الكثير العمل ، ولا وصفه بقوله : وبات الليل لم ينم . والمعنى على مذهب سيبويه أنه وصّف حماراً وأتناً نظرت إلى برق مُستمطر دالٌّ على الغيث يُكِلُّ الموهن بدُموهيه وتوالي لمعانه ، كما يقال أتعبت ليلك ، أي سرت فيه سيراً حثيثاً مُتعباً متوالياً . والموهن : وقتٌ من الليل . فشآها البرق أي ساقها وأزعجها إلى مهبة ، فباتت طربةً إليه ، منتقلة نحوه . وفعل في معنى

(١) انظر ما كتبت على هذا من تعليق في نسختي من سيبويه ١ : ١١٥ .

(٢) بعده في سيبويه : « أو نكرة » .

مُفْعِلٌ موجودٌ كثير . يقال بصير في معنى مبصر ، وعذاب أليم بمعنى مؤلم ، وسميع بمعنى مسمع . وكذلك كليل في معنى مُكِلٌّ . وإذا كان بمعناه عمل عمله ، لَأَنَّهُ مَغْيَرٌ منه للتكثير كما تقدّم . ٥١ .

وقال ابن خلف أيضاً^(١) : الشاهد نصب موهناً بكليل نصبَ المفعول به ، لَأَنَّهُ بمعنى مُكِلٌّ فيعمل عمله .

وقال المبرد : موهناً ظرف وليس بمفعول . ولا حجة له فيه . وجعل ٥٢
كليلاً من كل يكل ، وكل لا يتعدى إلى مفعول به فكيف يتعدى
كليل .

قال أبو جعفر : لا يجوز عند الجرمي والمازني والمبرد أن يُعملوا فعيلًا . قال : وما عَلِمْتُ^(٢) إِلَّا أَنَّ النحويّين مجمعون على ذلك . ولا يجوزون هو رحيمٌ زيداً ، ولا عليمٌ الفقه . والعلة فيه أَنَّ فعيلًا في الأصل من فَعَلَ فهو فعيل ، وهذا لا ينصب بإجماعهم ، وهو معهم على ذلك . وفعيل هذا بمنزلة ذاك ، لَأَنَّهُ إِنَّمَا يُخْبَرُ به عَمَّا في الهيئة ، فهو ملحق به لا يعمل كما لا يعمل . وفَعِلَ عند المبرد بمنزلة . واحتج بقولهم رجل طَبُّ وطبيب .

قال أبو إسحاق (في الحجة) ، في إعمال فعيل^(٣) : إِنَّ الأصل كان أَنَّ لا يعمل إِلَّا ما جرى على الفعل ، فلما أعرّبوا ضروباً لَأَنَّهُ بمعنى ضارب وجب أن يكون فعيل مثله . قال : ومنه قدير . وسيبويه أورد هذا على أَنَّهُ للمبالغة في كَالٍ ، وكال يتعدى إلى مفعول على تقديره . وكان الذي عند سيبويه أَنَّ كَلَّتْ يتعدى ، ويكون معناه أَنَّ

(١) نص ابن خلف هذا سهب مینتهی فی آخر صفحة ١٦٠ .

(٢) ط : « عملت » ، صوابه فی ش مع أثر تصحيح .

(٣) فی النسختين « ليس فی إعمال فعيل » ، وكلمة « ليس » مقحمة .

كَلَّلَ الموهن ، أى جعل يبرق فيه برقاً ضعيفاً . وزعم أنَّ كليلاً بمعنى مُكِلٍّ .
وليس هذا من مذهب سيبويه فى شىءٍ لَّأنَّ سيبويه غرضه ذكر
فعل الذى هو مبالغة فاعل ، وما عَرَضَ لفعلٍ الذى بمعنى مُفْعِلٍ .

وقد روى أبو الحسن اللحياني (فى نوادره) أنَّ بعض العرب يقول
فى صفة الله عز وجل : هو سميعٌ قولك وقولٌ غيرك ، بتنوين سميع ونصب
قولك . وهذا يشهد لصحة مذهب سيبويه . وقال أبو نصر هارون
ابن موسى : زعم الراذ على سيبويه أنَّ موهناً ظرف . وهو على ما ذكرنا
من فساد المعنى . والكليل ههنا : البرق . والموهن : وقتٌ من الليل ،
ولو كان ظرفاً لوصف البرق بالضعف فى لمعانه ، وإذا كان بهذه الصفة
فكيف يسوقها وهو لا يدلُّ على المطر ؟ ولكنَّ البرق إذا تكرر فى لمعانه
واشتدَّ ودام دلَّ على المطر ، وشاق^(١) ، وأتعب الموهن فى ظلمته ، لأنَّه
كلَّمًا هبَّ ذهبَت الظلمة ثم يرجع إذا فترَّ البرق ، ثم يذهب إذا لمع .
فلذلك عدى الشاعر الكليل إلى الموهن .

وقوله : (شأها) أى شأى الإبل ، أى ساقها . قال الأخفش : تبعها .
يقال شاعنى الأمر وشأتى ، أى ساقنى . ويقال أيضاً شأتى : حزنتى . و (كليل)
أى برق ضعيف . وإنَّما ضعَّفه لأنَّه ظهر من بعيد . و (الموهن) بفتح
الميم وكسر الهاء : قطعة من الليل . و (العَمِل) : الدائب المجتهد فى أمره
الذى لا يفتُر . و (باتت طراباً) يعنى البقر الوحشية طراباً إلى السير إلى
الموضع الذى فيه البرق ، وبات البرق الليل أجمع لا يفتُر . فعبّر عن البرق
بأنَّه لم ينم لاتصاله من أول الليل إلى آخره . انتهى ما أورده ابن خلف .

(١) ط : « وساق » بالسين المهملة ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال النحاس : شأها يعنى الإبل . وكليل : برق خفي . طراباً : طربت للبرق وشاقها^(١) . وبات البرق لم ينم لشدة دوامه . قال ابن حبيب : طراباً من الطرب تحنُّ إلى أولادها . قال الجمحي : تنزع إلى أوطانها .

والصحيح أنه عنى بها البقر لا الإبل ، خلافاً للشارح المحقق وغيره . قال السكري (في شرح أشعار الهذليين) : حتى شأها يعنى شأى البقر ، يقال شؤته ، فكان ينبغى أن يقول شاءها ، فقلب فقدم الهمزة . ومعنى شؤته شؤته^(٢) وهيئته وسررته . يقول : حتى شاء البقر كليل ، وهو البرق الضعيف ، موهناً : بعد هذاء من الليل . عملٌ ، أى ذو عمل ، لا يفتر البرق . وباتت طراباً ، يعنى البقر . وبات الليل ، يعنى البرق . وعمل : دائب ، يقال للرجل إذا دأب : قد عمل يعمل . انتهى .

٤٥٣

والبيت من قصيدة طويلة لساعدة بن جُوَيْة ، رثى بها من أصيب يوم مَعِيط^(٣) ، وهو أرض ، منهم سُرَاقَة بن جُعْثَم من بنى مُدَلَج ، كان يرسل إليهم الأخبار . وهذا مطلعها :

(يا ليتَ شِعْرى ولا مَنْجَى من الهَرَمِ أم هل على العيش بعد الشَّيبِ من نَدَمِ)

قال السكري^(٤) : ويروى :

(١) ط : « وساقها » بالسين ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « سبقتة » ، ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . وفي شرح السكري ١١٢٩ : « شأها : شاقها فاشتقت » . وفي اللسان تعليقاً على هذا البيت : « شأها ، أى شاقها وطربها بوزن شاعها » .

(٣) بفتح الميم وسكون العين وفتح الياء ، كما في ش ومعجم البلدان .

(٤) لم أعر على هذا النص في شرح السكري .

* ياللرجال ألا منجى من الهرم *

يقول : هل يندم أحدٌ على أن لا يعيش بعد أن يشيب . وقوله « على العيش » ، أى على فوت العيش . ومثله : « المال يُزرى بأقوام^(١) » يريد فقد المال اهـ .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى المغنى) على أن زيادة أم فيه ظاهرة . إلى أن قال :

(تالله يبقى على الأيام ذو حيد أدق صلود من الأوعال ذو خدم)

يريد : تالله لا يبقى ، فحذف لا النافية فى جواب القسم . وروى : « الله يبقى » واللام للقسم والتعجب معاً . ولأجله استشهد ابن هشام (فى المغنى) بهذا المصراع . وذو حيد هو الوعل . والحيد بكسر ففتح : جمع حيد ، بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهى العقدة فى قرن الوعل . والأدق بالقصر : الذى يميل قرنه إلى نحو ذنبه . وصلود : صفة أدق . والصلود : الذى يقرع بظلفه الجبل . والخدم بفتح الخاء المعجمة والدادل : جمع خدمة ، وهى الخلخال ، ويجمع على خدام أيضاً بالكسر . والخدم : خطوط بيض فى قوائمه تشبه الخلاخيل .

ثم وصف تحصنه فى رؤوس الجبال فى ثمانية أبيات ، فلما جاءه أجله لم يسلم من الصياد ، فهلك على يديه ، وقال :

(فكان حتفاً بمقدار وأدركه طول النهار وليل غير مُنصرم)

(١) كذا وردت هذه القطعة للاستشهاد بها ، وأنا فى ريب من صحتها بدليل اقتضاها المخل . وفى ديوان حسان ٣٢٧ :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب ويقتدى بلثام الأصل أنذال

أراد: أدركه طولُ النهار وليلٌ غير منقطع . يقول : لم يفلت من طول الأيام والليالي . وبعده :

(ولا صِوارٌ مذرَّةٌ مناسِجُها مثلُ الفريد الذي يجرى من النُّظْمِ^(١))

هذا معطوفٌ على ذوحيدٍ في جواب القسم السابق. أى تالله لا يبقى على الأيام ذوحيد ولا صِوارٌ ، وهو بكسر الصاد المعجمة : جماعة البقر . يقال نعجة مذرَّةٌ وكبش مذرٌّ بالذال المعجمة ، إذا جُرَّ وترك بين كتفيه صوف لم يجرَّ . فهى الذُّرَّة بكسر الذال وضمتها . والنُّظْمُ بضمّتين : جمع نظام ، وهو الخيط الذى فيه اللؤلؤ . يقول : الصَّوار مثل اللؤلؤ في الحسن والبياض .

(ظَلَّتْ صوافنَ بالأرزان صاويةٌ في ماحقٍ من نهار الصَّيفِ مُحْتَدِمٌ^(٢))

أى قدرفن إحدى قوائمهِنَّ . والصوافن : التى تفرِّج بين رجلَيْها . والأرزان : جمع رِزْن ، بكسر الراء المهملة وسكون الزاى ، وهو الموضع الغليظ الذى فيه الماء . وصاوية بالصاد المهملة : اليابسة من العطش . والماحق : شدة الحر . والمحتدم : المحترق ، بالحاء والذال المهماتين . أى كان ذلك اليوم محترقاً من شدة الحر .

(قد أُوْبِيَتْ كلُّ ماءٍ فهى صاويةٌ مهما تُصِيبُ أفقاً من بارقٍ تَشِمُ^(٣))

(١) في شرح السكرى : « ولاصوار مذرَّة » بالذال المهملة . وقال في تفسيره : « يقول : كأن مناسجها دريت بالمدرى ، أى ضربتها الريح كما يدري الشعر بالمدارى » . وفى ديوان الهذليين ١ : ١٩٧ : « مذرَّة » بالذال المعجمة . وفى تفسيره : « يقول : كأن مناسجها ذريت بالمدرى ، أى ضربتها الريح كما يدري الشعر بالمدارى » .

(٢) صاوية ، هنا ، بالواو فى التسخين وشرح السكرى . قال : « والساوى اليابس ومن قال طاوية فإنه يريد خاص » .

(٣) ط : « صادية » بالذال ، وأثبت ما فى ش وهو ما يقتضيه التفسير التالى . وفى شرح السكرى : « فهى طاوية » ، أى ضامرة .

٤٥٤

(حتى شأها قليلٌ موهناً عَمِلٌ
 كأنما يتجَلَّى عن غواربه
 حَسِيرَانُ يركب أعلاه أسافله
 فأسادتْ دَلَجاً تُحِبُّ لموقعه
 حتَّى إذا ماتجَلَّى ليلُها فزِعَتْ
 فافتنَّها في فضاء الأرض يَأْفِرُها
 أنحى عليها شُرَاعِيَا فغادرَها
 وبعد هذا شَرَعَ في الرثاء .

باتت طراباً وباتَ اللَّيْلَ لم ينم
 بعدَ الرُّقَادِ تَمَشَّى النَّارِ في الضَّرَمِ (١)
 يَخْفَى تُرابَ جَدِيدِ الأَرْضِ مِنْهَزِمٌ (٢)
 لم تَنْتَشِبْ بِوُعُوثِ الأَرْضِ وَالظُّلَمِ
 من فارِسٍ وحليفِ الغربِ ملتئمٍ
 وأصحرتْ في قِفَافِ ذاتِ مُعْتَصِمٍ
 لدى المَزَاحِفِ تَلَى في نَضُوحِ دمٍ

قوله : « قد أوبيت كلَّ ماءٍ » البيت إلخ أورده أبو حنيفة (في كتاب
 النبات) مع أبيات أربعة بعده وقال : وصف بها ساعدةُ بن جَوْيَّةَ
 حميراً . وقال : أوبيت : مُنعت . وقال السكري : يقول : مُنعت
 كلَّ ماء ، أى قطع عنها ، يقال طعام وشراب لا يُؤْبَى : لا ينقطع . وقال
 شارح اللباب : أى جعلت تأبى كل ماء وتكرهه . وصاوية بالصاد المهملة .
 قال أبو حنيفة : الصاوى : اليابس ، أى يبست من العطش . وقوله :
 « مهما تصب أفاقاً » قال السكري أى ناحية من بارق ، أى من سحابٍ
 فيه برق . وتَشِم : تنظر إليه ، والضمير في الجميع ضمير الصَّوَار .

وهذا البيتُ أورده ابن هشام (في المغنى) على أَنَّ ابن يسعون
 استدلَّ به على مجيء مهما حرف شرط كإِنْ . قال : واستدلَّ ابن
 يسعون تبعاً للسُّهيلي ، على أَنَّ مهما تأبى حرفاً بقوله : قد أوبيت كل ماء ،

(١) في شرح السكري : « يخفى جديد تراب الأرض » ، وكذلك في ديوان الهذليين .
 (٢) وكذا في شرح السكري . وقال : « أى أحيت ليلها . يريد لتبلغ ذلك المطر » .
 وفي ش : « يحيى » تصحيف .

البيت . قال : إذ لا تكون مبتدأ لعدم الربط من الخبر وهو فعل الشرط ، ولا مفعولاً لاستيفاء فعل الشرط مفعوله ، ولا سبيل إلى غيرهما ، فتعيّن أنّها لاموضع لها . والجواب أنّها مفعول تصب وأفقاً ظرف ، ومن بارق تفسير لهما أو متعلّق بتُصب ، فمعناها التبويض . والمعنى أى شئ تُصبّ فى أفق من البوارق تَشْم . وقال بعضهم : مهما ظرف زمان ، والمعنى أى وقت تصب بارقاً من أفق . فقلب الكلام . أو فى أفق بارقاً فزاد من واستعمل أفقاً ظرفاً . ١٥ .

ثم ذكر أنّها لاتأتى ظرفاً ، خلافاً لابن مالك .

وإلى الظرفية ذهب صاحب اللباب ، قال : وقد تستعمل مهما للظرف ، نحو :

* مهما تصب أفقاً من بارق تَشْم *

قال شارحه : أى مهما تصب بارقاً فى جهة فى أفق^(١) وناحية من من الجهات تَشْم الناقة ذلك البارق . من شِمت البرق ، أى نظرت إلى سحابه أين يُمطر . والبارق : السحاب ذو البرق . ومهما فى البيت ظرف ، لأنّ الفعل بعده تسلّط على مفعوله فلا يتسلّط عليه تسلّط المفعول به ، لأنّه لايتعدّى إلا إلى واحد ، فهو ظرف ، أى فى أى جهة تصب . ١٥ .

وقال أبو حيان (فى تذكرته) : قال الفارسي : هذا على القلب ، والمعنى : مهما تصب بارقاً من أفق . فإن جعلت أفقاً ظرفاً كانت من

(١) ش : « بارقاً فى أفق فى جهة » .

زائدة لأنها غير واجبة ، فهي مثل إن تصب عندى من درهم . فلا قلب .
وأجاز أن تكون من غير زائدة ، ومن بارق في موضع نصب بتشم .
ومفعول تصب محذوف ، وهو ضمير منصوب يعود على أفق أو على
بارق . قلت : الذى ذكره الفارسي من إعمال الفعلين والمعمول متوسط
غريب ، قلماً يذكره النحويون . وقد ذكرنا في باب كونه تقدّم على
الفعلين ، نحو أى رجل ضربت أو شتمت ويجب أن يكون الأول أولى
بالعمل بلاخلاف ، كما كان ذلك في قولك أى رجل ضربت أو شتمت ،
لأنه في هذه المسألة أقرب . وفي مسألة أبى على وإن لم يكن أقرب الفعلين
فليس بأبعد الفعلين ؛ لأن النسبة في التلاصق واحدة ، إلا أن عمل
الفعل مقدماً أولى من عمله مؤخراً بلا خلاف . ابن يسعون : يجوز أن
يقدر إنارة أفق فلا قلب . ويحتمل أن يكون مهما مفعولاً بتصب .
أى أى شئ تجد في أفق من البرق تشم . وفي رواية الجمحي :

٤٥٥

* مهما يُصب بارقُ آفاقها تشم *

وهذا سهل^(١) الإعراب ؛ ومهما ظرفُ العامل فيه يُصب ، ولا يحتاج فيه
إلى ضمير . والظرف في مهما قليل ، ويتصور أن يكون بمعنى إن على
ما ذكروا ، إلا أن هذا أولى . انتهى ما أورده أبو حيان .

وقوله : « حتّى شأها » إلخ ضمير المؤنث للصّوار ، وهى البقر ،
لا للحمير الوحشية ، خلافاً لأبى حنيفة ، ولا للإبل خلافاً للشارح
وغيره ، ولا للناقة خلافاً للشارح اللّباب . قال أبو حنيفة : شأها : شاقها
بالشين المعجمة . قال : قدّم همزة شاء ، يقال شاءنى يشوئنى ويشيشنى
أيضاً ، أى شاقنى . قال الشاعر^(٢) :

(١) في النسختين : « أمهل » ، تحريف .

(٢) هو الحارث بن خالد الخزومي ، كافي اللسان (شأى ١٤٥) .

مَرَّ الحُمُولُ فما شَأُونُكَ نَقْرَةً ولقد أَرَاكَ تُشَاءُ بالأَظْغَانِ
 أَى تُشَاقُ ، فجاءَ باللغتين . والكيليل : البرق الضعيف ، وقد يستحبُّ
 أن يكون قليلاً . والعَمِيلُ : الدَّائِبُ^(١) لايفتر . والطَّرَابُ : التى قد استخفَّها
 الفرح . والمَوْهَنُ : بعد ساعةٍ من نصف الليل ، وضمير بات للبرق
 الكليل .

وقوله : « كَأَنَّمَا يَتَجَلَّى » إلخ ، أَى البرق الكليل . والغوارب : أعالى
 السَّحاب . والضَّرَمُ : مَادَقٌ من الحطب ، فالنار تُسرِعُ فيه .

وقوله : « حَيْرَانُ يركبُ أَعْلَاهُ » إلخ ، قال السكرى : يعنى هذا
 السحابُ لا يَمْضِى على جهته قد حار ، فهو يتردَّد . وقوله : « يخفى ترابُ
 الأرض »^(٢) أَى يُظْهِرُهُ^(٣) ، من خَفَاهُ : أظْهَرَهُ ، يعنى المطر يُظهر التراب .
 وجَدِيدُ الأرض ، بالجيم : أَرْضٌ صلبة لم تُحْفَر . وقوله « منهزم » يقول :
 هذا السحاب قد انخرق بالماء ، يقال انشَقَّ سحاب الماء . هذا مثلٌ .
 ويقال للدابة : انشَقَّ سِقَاؤُهُ بالعَدُو . ٥١ .

وقال أبو حنيفة : قوله حيران ، أَى لاجهة له فهو ما كَث . وخفاه :
 أظْهَرَهُ . يعنى أَنَّ سَيْلَهُ يَشَقُّ الأرض فيُظْهِرُ باطنها . ومنهزم : منشَقٌّ
 بالماء .

وقوله : « فَاسَّادَتْ دَلَجًا » إلخ ، قال أبوجنيفة : الإسَادُ سير الليل
 كَلَّةً . وكذلك الدَّلَجُ . وتُحَيِّى لموقعه يريد تُحَيِّى الليلَ لموقع هذا الغيث ،
 تسير إليه . لم تنتشب : لم تتَحَبَّسْ ، أى لم يعقها وعوْثُ الأرض .

(١) ط : « الدائم » بالميم .

(٢) كذا فى النسختين . والذي فى النص : « تراب جديد الأرض » .

(٣) ط : « يظهر » ، وأثبت ما فى ش .

وقال السكرى : قوله تُحْيِي لموقعه ، يعنى هذه البقرة تحيى ليلتها
جمعاء لموقع ذلك السحاب لتبلغه . والوَعْتُ : اللين ؛ وهو يحبس .

وقوله : « حَتَّى إِذَا مَا تَجَلَّى لَيْلَهَا » إلخ : قال السكرى : يعنى بحليف
الغرب رُمحاً حديدَ السَّنان . وغرب كلُّ شَيْءٍ : حُدَّه . وملتئم : يشبه
بعضه بعضاً لا يكون كعب منه رقيقاً^(١) والآخر غليظاً . وقيل يعنى
بحليف الغرب فرسه ، والغرب : النشاط .

وقوله : « فافتنَّها » يريد انشقت بها فى ناحية ، من فتن^(٢) ، بالفاء
والمثناة فوق والنون . وقيل افتنَّها : طرحها . ويأفؤها : يسوقها من
الآفر بالفاء والراء المهملة ، وهو عدو فيه قَفَز . وقوله : وأصحرت ، أى
صارت فى صَحَار^(٣) ، وقوله : « فى قفاف » القَفْ بالضم : ما غلظ من
الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً . والمعتصم بفتح الصاد : الملجأ .

وقوله : « أنحى عليها » إلخ ، أى أهوى إليها الفارس بالرمح . والشراعى
بضم الشين المعجمة : الرمح الطويل . وغادرها : تركها وخلفها . وتلَّى :
صرعى . ولدى المراحف : جمع مَرَحَف ، أى حيث زاحفها فيه ، أى
قاتلها . والنضخ : ما أصابك [من^(٤)] الشئ على غير عمد ، يقال
أصابه نضخ من الدَّم والزعفران والبُول ما لم تتعمد به ، فإذا أنت
تعمدته قلت : نضخته بالماء ، بالحاء المهملة . يقال نضخ ينضح إذا مارشح .

٤٦٢

(١) ش : « دقيقا » .

(٢) فى النسختين : « فتن » بالناء ، انسياقاً وراء الضبط التالى ، والصواب أن الضبط التالى
إنما هو ضبط لافتنها . وأن « فتن » إنما هو بيان للمادة اللغوية .(٣) ش : « فى صحارى » . يقال فى جمع الصحراء الصحارى والصحارى ، بكسر الراء
وفتحها .

(٤) التكلة من ش .

وترجمة ساعدة بن جؤية الهذلي قد تقدمت في الشاهد التاسع والستين
بعد المائة^(١).

وأنشده بعده، وهو الشاهد الخامس بعد الستائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

٦٠٥ (حَذِرْ أُمُورًا لَا تُخَافُ وَآمِنْ مَالِيَسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ)
على أَنَّ سيبويه استدللَّ به على عمل فَعِلَ بهذا البيت ، ومنعه غيره
وقال : إِنَّ البيت مصنوع . يُروى عن اللاحقَى أَنَّ سيبويه سألني عن شاهدٍ
في تعدَّى فَعِلَ ، فعملتُ له هذا البيت .

أقولُ : إِنَّ طُعِنَ على سيبويه بهذا البيت فقد استشهدَ ببيتٍ آخر لا مطعنَ
عليه فيه ، وهو قولُ لبيد الصَّحَابِي :

أَوْ مِسْحَلُ شَنِجٍ عِضَادَةٌ سَمَحِيحٍ بِسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومٌ
وقال الأَعْلَمُ ، وتبعه ابن السَّيِّد (في شرح أبيات الجمل) : قد
وجدنا في شعر زيد الخيل الطائي الصحابي بيتاً آخر لا مطعنَ فيه ، وهو :
أَلَمْ أُخْبِرْكُمْ مَا خَبَرًا أَتَانِي أَبُو الْكَسَّاحِ جَدًّا بِهِ الْوَعِيدُ^(٣)
أَتَانِي أَنَّهُمْ مَرْقُونٌ عِرْضِي جِحَاشُ الْكَرْمَلَيْنِ لَهَا فَدِيدُ

أَمَّا البيت الأوَّل فقد قال ابن خلف : الشاهد فيه أَنَّهُ نصبَ عِضَادَةً
بشَنِجٍ نصبَ المفعول به ، لَأَنَّهُ تكثيرُ شَنِجٍ ، وشَنِجٌ في معنى ملازم ،

(١) الخزائن : ٣ : ٨٦ - ٨٧ .

(٢) في كتابه ١ : ٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ١١٦ والجمل ١٥٥ وابن الشجري

٢ : ٥٤٣ وابن يعيش ٦ : ٧١ والعينى ٣ : ١٠٧ والأشموني ٢ : ٢٩٨ .

(٣) انظر التعليق التالي .

وفعله شَنِجَتْهُ كَلِمَتُهُ ، على ما حكاه البصريون . وذلك غير مشهور . قال أبو نصر هارون بن موسى : وردَّ عليه هذا القول بعضُ النحويِّين وزعم أنَّ عضادة ظرف . وهذا من الذين يتهاونون بالخلف إذا عرفوا الإعراب ، وهو إذا جعله ظرفاً كان المعنى فاسداً ، وذلك أنَّ الشاعر شبه ناقته في نشاطها وصلابتها بحمارٍ وحشيٍّ ملازمٍ لِأَتَانٍ يضربُها ، فلشدته وصلابته قد لازمها ، وقبض الناحية التي بينها وبينه ، ولم يحجزه عن ذلك رَمَحُها وعضُّها اللذان بسرَّاته منها ندبٌ وكلوم . ولو كان ظرفاً لكان المعنى أنَّ المسحل شَنِجٌ متقبِّضٌ في ناحية السَّمْحَجِ مَهِينٌ، قد شعفه عضُّها ورَمَحُها ، فكيف يشبه أحدُ ناقته بمسحل هذه صفته .

والذي يحتجُّ لسيبويه أيضاً أنَّ العضادة ليست من الظروف، لأنَّه يريد بالعضادة جنبها وأعضادها . ألا ترى أنَّه لا يجوز أن يقول هو شَنِجٌ رَجُلٍ سَمْحَجٍ ولا يدِ سَمْحَجٍ . ومسحل معطوف على « مُسَدَّمٌ » قبله ، وهو :

حَرَفٌ أَضَرَّ بِهَا السَّفَارُ كَأَنَّهَا بَعْدَ الْكَلَالِ مُسَدَّمٌ مَحْجُومٌ

وصفَ لبيد ناقته . والحرف : الضَّامِرُ . وأَضَرَّ بِهَا السَّفَارُ : أنضأها وهزلها . والكَلَالُ : التعب . والمُسَدَّمُ : الفحل من الإبل الذي قد حُبِسَ عن الضَّرَبِ . والمحجوم : المشدود الفم . والمسحل : حمار الوحش . والسَّمْحَجُ : الأتان الطويلة . وسرَّاته : أعلاها . والندب : الأثر . والكلوم : الجراحات . يريد أنَّ هذه الأتان بها آثارٌ من عضِّ الحمار ، كأنها جراحات . وعضادة : جنب . والشَنِجُ : المتقبِّض في الأصل ، ويراد به في البيت الملازم ، كأنَّه قال : أو مسحل ملازمٌ جنبَ أتانٍ لا يفارقها . يقول : كأن هذه الناقة بعد ما كلَّتْ بغيرٍ مُسَدَّمٍ ، أو مسحلٌ موصوفٌ بما ذكر .

وأما البيت الثاني فمزقون : جمع مَزَق مبالغة مازق ، من المَزَق وهو شقُّ الشيء . وعرض الرجل ، بالكسر : جانبه الذي يَصُونُه ، من نفسه وحَسَبِه . وجحاش ، أى هم جحاش ، فهو تشبيه بليغ كما حقّقهُ السعد ، لا استعارة كما زعمه العينى . وهو جمع جَحَش ، وهو ولد الحمار . والكَرْمَلَيْنِ ، بكسر الكاف وفتح اللام^(١) : اسم ماءٍ في جبل طَيْيٍّ . والفديدُ : الصوت ، يريد أَنَّهُمْ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْجَحَاشِ الَّتِي تَنْهَقُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَاءِ ، فَلَا أَعْبَأُ بِهِمْ . وتخصيص الجحاش مبالغة في التحقير .

والبيت استشهد به شراح الألفية .

وأما ما روى عن اللاحق في البيت الأوّل فقد حكاه المازني قال : أخبرني أبو يحيى اللاحق قال : سألت سييويه عن فَعِلٍ يتعدّى ، فوضعت له هذا البيت . وإذا حكى أبو يحيى مثلاً هذا عن نفسه ورضى بآن يخبر أَنَّهُ قَلِيلُ الْأَمَانَةِ ، وَأَنَّهُ اتَّخَذَ عَلَى الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ فُخَانَ ، لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ يُقْبَلُ قَوْلُهُ وَيُعْتَرَضُ بِهِ عَلَى مَا قَدْ أَثْبَتَهُ سَيِّوِيهِ . وَهَذَا الرَّجُلُ أَحَبُّ أَنْ يَتَجَمَّلَ بِآنٍ سَيِّوِيهِ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَخَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِآنِهِ فَعَلَّ مَا يَبْطُلُ الْجَمَالُ . وَمِنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ بَعْدَ فِي النُّفُوسِ أَنْ يَسْأَلَهُ سَيِّوِيهِ عَنْ شَيْءٍ . وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ هَارُونَ بْنُ مُوسَى : وَهَذَا^(٢) ضَعِيفٌ فِي التَّأْوِيلِ ، وَكَيْفَ يَصْلُحُ أَنْ يَنْسُبَ الْلاحقُ إِلَى نَفْسِهِ مَا يَضَعُ مِنْهُ وَلَا يَحِلُّ ، أَوْ كَيْفَ يَجُوزُ هَذَا عَلَى سَيِّوِيهِ ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ فِي دِينِهِ وَعِلْمِهِ وَعَقْلِهِ وَأَخْذِهِ عَنْ

(١) وكذا ضبط ياقوت « الكرمل » بالكسر ثم السكون وكسر الميم . وقال في مادة (الكرملين) : « اسم ماء في جبل طي » ، في قول زيد الخيل ، وثناه ثم أفرده في شعر واحد :
ألم أخبر كما خبراً أتاني أبو الكساح يرسل بالوعيد
أتاني أنهم مزقون عررضي جحاش الكرملين لها فديد
فسيري يا عدي ولا تراعي فحل بسين كرمل فالوحيد .
(٢) ط : « هذا » بغير واو .

الثقات الذين لا اختلاف في علمهم وصحة نقلهم . وإنما أراد اللأحق بقوله : « فوضعتُ له هذا البيت » : فرويته . والحذر : مبالغة حاذر ، من الحذر وهو التحرز . وجملة « لا تُخاف » بالبناء للمفعول صفة قوله أموراً . وروى بدله « لا تضير » بمعنى لا تضرّ ، يقال ضاره يضيره ، وضره يضره بمعنى واحد ، كما يقال ذامه يذمه وذمه يذمه بمعنى .

قال ابن السّيد (في شرح أبيات الجمل) : معنى البيت يحتمل أمرين :

أحدهما : أنه يصف إنساناً بالجهل وقلة المعرفة ، وأنه يضع الأمور في غير موضعها ، فيأمن من لا ينبغي أن يؤمن ، ويحذر من لا ينبغي أن يحذر .

والوجه الثاني ، وهو الأشبه عندي : أن يكون أراد أن الإنسان جاهل بعواقب الأمور ، يدبر فيخونه القياس والتدبير . ونحوه قول أبي العتاهية :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر
وزعم قوم أن البيت لابن المقفع لا للأحق . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمي : الظاهر من البيت أنه ذم . ويحتمل أن يكون مدحاً ، يمدحه بكثرة الحذر ، فيخرج هذا المعنى إنني^(١) لأعدّ للأمر عسى أن لا يكون أبداً . وحذر وآمن بمعنى الاستقبال ، لأن الحذر والأمن إنما يكونان فيما يأتى ، وأما ما مضى فقد علم . والهاء في

« منجيّه » عائدة على الضمير الذى فى ليس . ومنجيّه بمعنى المضارع لا الماضى ، والدليل عليه وقوعه خبر ليس ، والنقّ إنّما يقع على الأخبار ، وليس إنّما تنقّى المضارع . انتهى كلامه .

وقال العيني : إنّ منجيّه اسم فاعل مضاف إلى الهاء ، والهاء فى موضع ٤٥٨ نصب لأنّ اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال وأضيف كانت إضافته غير محضة ، وكانت النية بها الانفصال . هذا كلامه .

واللاحقّ هو أبان بن عبد الحميد اللاحقّ . هو من شعراء هارون أبان اللاحق الرّشيد . وهو شاعر مطبوع بصريّ ، لكنّه مطعون فى دينه .

قال صاحب الأغاني : هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عُفَيْر^(١) مولى رقاش . قال أبو عبيدة : بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل .

أخبرنى الصّولى قال : حدّثنى محمد بن سعيد قال : حدّثنا يحيى ابن إسماعيل^(٢) قال : جلس أبان بن عبد الحميد ليلة فى قوم فثلبّ أبا عبيدة فقال : يقدح فى الأنساب ولا نسب له ! فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال : لقد أغفل السّلطان كلّ شيء ، حتى أغفل^(٣) أخذ الجزية من أبان اللاحقّ ؛ هو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس

(١) فى الأغاني ٢٠ : ٧٣ : « بن عفّر » .

(٢) فى الأغاني ٢٠ : ٧٨ : « عن عيسى بن إسماعيل » .

(٣) فى الأغاني : « حين أغفل » .

فيها مصحف ، وأوضح الأدلة على تهوؤهم^(١) أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَدَّعَى حِفْظَ التَّوْرَةِ وَلَا يَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَصِلُ بِهِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَانًا فَقَالَ :

لَا تُنَمِّنَنَّ عَنْ صَدِيقٍ حَدِيثًا وَاسْتَعِذْ مِنْ تَشْرِيرِ النَّمَامِ^(٢)

وَاخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلٍ

والتفت بالنهار قبل الكلام.

وكان المعدل بن غيلان صديقاً لأبان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان^(٣) بالهجاء ، ويهجوهُ المعدل بالكفر وينسبه إلى الثنوية ، ويهجوهُ أبانُ بالفُسَاءِ الذي يُهَجِّى بِهِ عَبْدُ الْقَيْسِ ، وَالْقِصَرُ ، وَكَانَ الْمَعْدَلُ قَصِيرًا . وَمِنْ هَجْوِهِ :

رَأَيْتُ أَبَانًا يَوْمَ فَطْرِ مَصْلِيًّا فَتَقَسَّمَ فِكْرِي وَاسْتَفَزَّنِي الطَّرْبُ
وَكَيْفَ يَصِلُ مَظْلَمُ الْقَلْبِ دِينُهُ عَلَى دِينِ مَائِي ، إِنْ هَذَا مِنَ الْعَجَبِ
وَهَجَاهُ أَبُو نُوَّاسٍ بِقَوْلِهِ :

جَالَسْتُ يَوْمًا أَبَانًا لَا دَرَّ دَرُّ أَبَانٍ
حَتَّى إِذَا مَا صَلَاةُ الْـ أَوَّلَى دَنْتُ لَأَوَانٍ^(٤)
فَقَامَ ثُمَّ بِهَا ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ
فَكُلُّ مَا قَالَ قَلْنَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَذَانِ
فَقَالَ كَيْفَ شَهِدْتُمْ بَذَا بَغِيرِ عِيَانٍ

(١) في الأغاني : « وأوضح الدلالة على يهوديتهم » .

(٢) كذا في النسختين . وفي الأغاني : « تسرر » .

(٣) ط : « يتعاقبان » ، ش : « يتعاقبان » . والأخيرة محرفة ، وأثبت ما في الأغاني .

(٤) في النسختين : « لأذان » ، صوابه في الأغاني والحيوان ٤ : ٤٤٩ .

لا أشهدُ الدهرَ حتَّى تُعَايِنَ العَيْنَانِ
فقلتُ : سبحانَ ربِّي فقال : سبحانَ ماني

وأخبرني الصولي قال : حدثنا أبو العيناء قال : حدثني الجرمazy قال : خرج أبان بن عبد الحميد اللاحق من البصرة طالباً للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائباً ، فأقام ببابه لما قصده مُديدة لا يصلُ إليه ، فتوسَّل بمن أوصل له شعراً إليه ، وقيل إنَّه توسَّل إلى بعض بني هاشم ممن شخص مع الفضل ، فقال له :

ياغزيرَ الندى وياجوهرَ الجو هَرِّ من آل هاشم بالبطاحِ
إِنَّ ظَنِّي وليس يُخلفُ ظَنِّي بأنَّ في حاجتي سبيلُ النجاحِ (١)
إِنَّ مِنْ دُونِهَا لمصمتَ بابٍ أنت من دون قفله مفتاحي
تاقت النفسُ يا جليلَ السَّماحِ نحو بحرِ الندى مُجَارِي الرِّياحِ (٢)
ثم فكرتُ كيف لي واستخرتُ الـ له عندَ الإمساء والإصباحِ
فامتدحتُ الأميرَ أصلحه اللـ هُ بِشعْرِ مشهرِ الأوضاحِ
فقال له : هات مديحك . فأعطاه شعراً في الفضل في هذا الوزن وقافيته :

أنا من بُغية الأمير ، وكنزُ من كنوز الأمير ذو أرباحِ
كاتبُ حاسبُ خطيبُ أديبُ ناصحُ زائد على النصَّاحِ
شاعرُ مُفلقُ أخفُ من السريِّ شة فيما يكون تحتَ الجَناحِ (٣)

(١) ط : « أن » ، وأثبت ما في ش . وفي الأغاني : « بك » .

(٢) في الأغاني : « يا خليل السباح » .

(٣) في الأغاني ٢٠ : ٧٥ : « عند الجناح » .

وهي ضويلة ، ومنها :

إِنْ دَعَانِي الْأَمِيرُ عَايِنَ مَنِي شَمَرِيًّا كَالْبُلْبُلِ الصِّيَّاحِ
قال : فدعا به ووصله ، ثم خُصَّ بالفضل وقَدِمَ معه ، فقرب من
قلب يحيى بن خالد ، وكان صاحب الجماعة وذا أمرهم .
أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي ،
أَنَّ أَبَانَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَاتَبَ الْبِرَامِكَةَ عَلَى تَرْكِهِمْ إِيصَالَهُ إِلَى الرَّشِيدِ
وإِيصَالَهُ مَدَحِهِ إِلَيْهِ ، فقالوا له : وما تريد بذلك ؟ فقال : أريد أَنَّ أَحْظَى
منه بمثل ما حَظِّي به مروان بن أَبِي حَفْصَةَ . فقالوا له : إِنَّ لِمَرْوَانَ مَذْهَبًا
فِي هِجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ بِهِ يَحْظَى ، وَعَلَيْهِ يُعْطَى ، فَاسْلُكْهُ حَتَّى نَفْعَلَ !
قال : لَا أَسْتَحِلُّ ذَلِكَ . قالوا : لَا تَجِءْ أُمُورَ الدُّنْيَا ^(١) إِلَّا بِفِعْلٍ مَا لَا يَحِلُّ .
فقال أَبَانُ :

نَشَدْتُ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا أَعْمُ بِمَا قَدْ قَلَتِ الْعُجَمُ وَالْعَرَبُ
أَعْمُ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لديه ، أَمْ ابْنُ الْعَمِّ فِي رُتْبَةِ النَّسَبِ
وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِعَهْدِهِ وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبَ
فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقُّ بِتِلْكَكُمْ وَكَانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى سَبَبِ
فَأَبْنَاءِ عَبَّاسٍ هُمْ يَرِثُونَهُ
كما العمُّ لابن العمِّ في الإرث قد حَجَبَ

وهي طويلة قد تركت ذكرها لما فيه [من] تنقيص ^(٢) . فقال
الفضل : ما يَرِدُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْءٌ أَعْجَبُ إِلَيْهِ مِنْ أَبِياتِكَ . فركب
فَأَنشَدَهَا الرَّشِيدَ ، فَأَمَرَ لِأَبَانَ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ اتَّصَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ
خِدْمَتُهُ لِلرَّشِيدِ وَخُصَّ بِهِ . انتهى مانقلته من الأغاني .

(١) في الأغاني : « قالوا : لا يجيء طلب الدنيا » .

(٢) في الأغاني : « لما فيه » فقط . وقد زدت كلمة « من » ليستقيم الكلام .

وأما ابن المقفّع فاسمه عبد الله ، وهو كاتبٌ بليغٌ لكنّه زنديق . عبد الله بن المقفّع
قال السيد المرتضى قدّس سرّه (في آماليه) : قال جعفر بن سليمان :
روى عن المهديّ أنّه قال : ما وجدت كتابَ زندقة قطّ إلّا أصله ابنُ
المقفّع .

وروى ابن شبة قال : حدثني من سمع ابنَ المقفّع وقد مرّ ببيتِ
نارِ المجوس بعد أن أسلم ، فلمحه وتمثّل :

يا بيتَ عاتكة الذي أتعرّضُ حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ موكّلُ
إِنِّي لَأَمْتَحَكَ الصّدودَ وإِنِّي قسماً إليك مع الصّدودِ لَأَمْتِئِلُ

وكان الخليل بن أحمد يحبُّ أن يرى عبد الله بن المقفّع ، وكان
ابن المقفّع يحبُّ^(١) ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبى ، فتحدثا ثلاثة
أيام ولياليهنّ ، ف قيل لل خليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : ما رأيتُ
مثله ، وعلمته أكثرُ من عقله . وقيل لابن المقفّع : كيف رأيت الخليل ؟
قال : ما رأيتُ مثله ، وعقله أكثر من علمه . قال المغيرة : صدقاً^(٢) ،
أدّى عقلُ الخليل إلى أن مات وهو أزهدُ الناس^(٣) ، وجهلُ ابن المقفّع
أدّاه إلى أن كتب أماناً عن المنصور لعبد الله بن عليّ فقال فيه : « ومتى
غدر أميرُ المؤمنين بعمره عبد الله فنساؤه طوالقُ ، ودوابّه حبّس ، وعبيده
أحرار ، والمسلمون في حلٍّ من بيعته » . فاشتدَّ على المنصور جداً ، وخاصّة
أمر البيعة^(٤) ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبى ، وهو أمير البصرة مِنْ
قبيلة ، بقتله ، فقَتَله .

(١) وكذا في آمالي المرتضى ١ : ١٣٦ . وفي ش : « يحب أن يرى ذلك » .

(٢) في آمالي المرتضى : « فصدقا » .

(٣) في الأمال : « إلى أن مات أزهد الناس » .

(٤) في النسختين : « وخصاص أمر البيعة » ، صوابه من المرتضى .

وكان ابن المقفّع مع قلة دينه جيّد الكلام فصيح العبارة له حكمٌ وأمثال .

ثم أورد السيد المرتضى نثفاً من حكمه وأمثاله .

قال الصغاني (في العباب) : عبد الله بن المقفّع كان فصيحاً بليغاً ، وكان اسمه رَوْزبة ، وكان قبل إسلامه يكتنى بأبي عمر ، فلما أسلم تسمى بعبد الله وتكنى بأبي محمد . والمقفّع اسمه المبارك ، ولُقّب بالمقفّع لأنّ الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقفّعت يده . ورجل مقفّع اليدين أي متشنّجهما . انتهى .

وقيل هو المقفّع بكسر الفاء لعمله القفّعة ، بفتح القاف وسكون الفاء . والقفعة : شيءٌ شبيه بالزنبرك^(١) بلا عروة ، وتعمل من خوص ، ليست بالكبيرة . وقال الليث : القفعة تُتخذ من خوص ، مستديرة ، يجتنى فيها الرطب ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الستائة^(٢) :
٦٠٦ (أمن ريحانة الداعي السميعُ يورّقني وأصحابي هُجوعُ)
 على أنّ فعيلا قد جاء لمبالغة مفعلي على رأي .

وهو رأي الجمهور ، منهم ابن الأعرابي (في نوادره) أنشد لنُغبة الغنوى :

(١) في القاموس : « والزليل كأمير وسكين وقنديل ، وقد يفتح : القفة أو الجراب ، أو الوعاء » . ش : « بالزليل » .

(٢) الكامل ١٤٤ ليبسك والشعراء ٣٣٢ ، ٣٣٤ والأغاني ١٤ : ٣١ وابن الشجري ١ : ٦٤ / ٢ : ١٠٦ وابن يمش ١ : ٧٣ والأصمعيات ١٧٢ .

إِنِّي تَوَدُّكُمْ نَفْسِي وَأَمْنَحُكُمْ حُبِّي، وَرُبَّ حَبِيبٍ غَيْرُ مُحَبِّبٍ
حَبِيبٌ فِي مَعْنَى مُحِبٍّ، مِثْلُ أَلِيمٍ فِي مَعْنَى مُؤْلِمٍ، وَسَمِيعٌ فِي مَعْنَى
مَسْمُوعٍ. وَأَنْشُدْ هَذَا الْبَيْتَ.

وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ، قَالَ (فِي الْكَامِلِ) : قِيلَ خَصِيبٌ وَأَنْتَ
تَرِيدُ مَخْصَبٌ، وَجَدِيدٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُجْدَبٌ^(١)، كَقَوْلِكَ : عَذَابُ أَلِيمٍ
وَأَنْتَ تَرِيدُ مُؤْلِمٍ. وَيُقَالُ رَجُلٌ سَمِيعٌ أَيْ مُسْمِعٌ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ :

* أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعُ * . . . الْبَيْتِ

وَمِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ قَالَ (فِي تَفْسِيرِهِ) مِنْ الْبَقْرَةِ، عِنْدَ قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٢) مَعْنَى أَلِيمٌ مُوجِعٌ يَصِلُ وَجَعُهُ إِلَى قُلُوبِهِمْ. وَتَأْوِيلُ
أَلِيمٍ فِي اللَّغَةِ مُؤْلِمٌ. قَالَ الشَّاعِرُ. وَأَنْشُدْ هَذَا الْبَيْتَ.

وَمِنْهُمْ الْبَيْضَاوِيُّ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣)
قَالَ : أَيْ مُبْدِعُهُمَا. وَنَظِيرُهُ السَّمِيعُ فِي قَوْلِهِ :
* أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعُ *

وَيُقَابِلُ قَوْلَ الْجُمْهُورِ قَوْلُ صَاحِبِ (الْكَشَافِ) عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ بَدِيعُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : هُوَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ إِلَى فَاعِلِهَا، أَيْ بَدِيعُ
سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ. وَقِيلَ الْبَدِيعُ بِمَعْنَى الْمُبْدِعِ، كَمَا أَنَّ السَّمِيعَ فِي قَوْلِ
عَمْرُو :

* أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعُ *

(١) وَكَذَا فِي الْكَامِلِ. وَخَالَفَتْ شَ هُنَا فُورْدُ فِيهَا «مَجْدَبًا» بِالتَّصْبِ.

(٢) فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكِتَابِ أَوَّلُهَا الْآيَةُ ١٠ مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ.

(٣) مِنَ الْآيَةِ ١١٧ مِنَ الْبَقْرَةِ وَ ١٠١ مِنَ الْأَنْعَامِ.

بمعنى المسمع . وفيه نظر . انتهى .

قال السعد (في حاشيته) : اعترض المصنف بأنه لم يثبت فاعل بمعنى مفعول ، ولا استشهد في البيت ، لأنّ داعي الشوق لمّا دعا القائل صار سميعاً لدعوته فتسبّب لكونه سميعاً ، فأوقع على الداعي اسم السميع لكونه سبباً فيه . على أنّ الشاذ لا يصحّ القياس عليه إن ثبت . انتهى . ٤٦١

وقال السفاقي في إعرابه بعد ما نقل كلام السعد : قال ابن عطية : بديع مصروف من مُبدع ، كبصير من مبصر ، ومثله سميع بمعنى مسمع في البيت . وعلى هذا يكون من إضافة اسم الفاعل لمفعوله . إلا أنّ الزمخشري ذكر هذا الوجه وقال : إنّ فيه نظراً . ولم يبيّنه ، فلعله يريد أنّ فاعلاً بمعنى مفعول لا ينقاس ، مع أنّ بيت عمرو محتمل للتأويل . انتهى .

وما تأوله السعد يدفعه البيت الذي بعده ، وهو :

(يُنادي من براقش أو معين فأسمع واتلّاب بنا مليع)

فإنّ^(١) فاعل ينادي وأسمع وهو فعل ماض : ضمير الداعي ، فيكون الداعي مُسمِعاً لا سامعاً .

وبراقش ومعين ؛ بفتح أولهما : بلدتان كانتا متقابلتين باليمن . كذا (في معجم ما استعجم) .

واتلّاب بمعنى استقام . والمليع ، بفتح الميم : الأرض الواسعة .

والبيتان أولاً قصيدة لعمر بن معديكرب الزبيدي الصحابي . قال
جامع ديوانه أبو عبد الله بن الأعرابي : قالها عمرو في أخته ، ريحانة
بنت معديكرب ، وهي أم دريد بن الصمة ، وكان الصمة غزا
بني زبيد فسباها ، فغزا عمرو مراراً فلم يقدر عليها .

وقوله : (أمن ريحانة) إلخ ، الهزة للاستفهام ، ومن للتعليل متعلق
بقوله يؤرقني . وريحانة : اسم أخت عمرو . والداعي : مبتدأ بتقدير
موصوف ، والتقدير : الشوق^(١) الداعي . و (السميع) صفة الداعي
وجملة (يؤرقني) خبر المبتدأ ، وجملة (وأصحابي هجوع) حال من
الياء . وهجوع : جمع هاجع ، أي نائم ، كقعود جمع قاعد .

ولصاحب الأغاني في ريحانة روايتان :

إحداهما أنها أخته . قال : إن هذه القصيدة قالها عمرو في أخته
ريحانة لما سبها الصمة بن بكر ، وكان أغار على بني زبيد في قيس ،
فاستاق أموالهم وسبى ريحانة ، وانهمزت زبيد بين يديه ، وتبعه عمرو
وأخوه عبد الله ابنا معديكرب ، ثم رجع عبد الله وأتبعه عمرو .
فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام ، أن عمراً أتبعه يناشده أن
يخلى عنها ، فلم يفعل ، فلما يئس منه ولّى وهي تناديه بأعلى صوتها :
يا عمرو ! فلم يقدر على انتزاعها ، وقال :

* أمن ريحانة الداعي السميع *

وعنه الرواية فالداعي فعل الظرف ، وهو بمعنى الذي يدعو
وينادي . بمعنى الشوق الداعي ، والسميع بمعنى المسمع . أو الداعي

(١) في النسختين : « والتقدير والشوق » ، والواو الثانية مقحمة .

مبتدأ والظرف قبله خبره ، ومن عليهما للابتداء لا للتعليل ، والجملتان في المصراع الثاني حالان متداخلتان .

والرواية الثابتة : أن ربحانة امرأة المطلقة ، قال : أخبرني الحسين ابن يحيى قال : [قال ^(١)] حماد : قرأت على أبي : وأما قصة ربحانة فإن عمرو بن معديكرب تزوج امرأة من مرادٍ وذهب مُغبراً قبل أن يدخل بها ، فلما قدم أخبر أنه قد ظهر بها وَضَح ، وهو داءٌ تحذره العرب ، فطلقها وتزوجها رجلٌ آخر من بنى مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأن الذى قيل فيها باطل ، فأخذ يشبب بها ، فقال قصيدته ، وهى طويلة :

* أمن ربحانة الداعى السميع * انتهى .

فإعرابه على هذا هو الإعراب الأول . وهذه الرواية هى القريبة إلى الصواب ، والقصيدة تدلُّ عليها .

وقال الطيبي ^(٢) : ربحانة امرأة ، وقيل موضع .

وقد رجعتُ إلى كتب البلدان والأماكن فلم أجِدْ هذا الاسم فيها .

وقال صاحب (الكشف) ^(٣) : عَلِمُ حَبِيبَةُ عمرو ، وهى أخت دريد ابن الصُّمَّة ، تعلّق بها عمرو وأغار عليها ، ثم التمس من دُرَيْد أن يتزوجها فأجاب .

٤٦٢

(١) التكلة من ش .

(٢) الطيبي : أحد شراح الكشف ، وهو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي . المتوفى سنة ٧٤٣ . بنية الوعاة ٢٢٨ ، أولى و ١ : ٥٢٢ ثانية . وقال صاحب الكشف عند الكلام على كشف الزمخشري ، وقد سرد أسماء أصحاب الحواشى عليه ، وذكر حاشيته على الكشف فقال : « وهى أجل حواشيه ، فى ستة مجلدات ضخام » .

(٣) صاحب الكشف عن مشكلات الكشف هو عمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ . كشف الظنون .

وهذه الرواية لا أصل لها .

ثم نقل صاحب الكشف عن ابن قتيبة أنها أخت عمرو ، وكانت تحت الصَّمة فولدت له دريد بن الصمة . واعترضه بأن دريداً قُتل يوم هوازن وهو شيخ هم^(١) يُنِيف على المائة ، لا يُنتَفَع إلا برأيه . وعمرو أسلم في زمن عمر وهو على جلده . هذا كلامه .

والأول حق لا شبهة فيه ، ولهذا صوبنا أنها امرأته لا أخته . وأما عمرو فقد أسلم على يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من الصحابة كما يشهد به كتب الصحابة .

(تمة)

وأما فعيل بمعنى مُفَعَّل بالفتح ، اسم مفعول ففيه خلاف أيضاً . فأخذه من المزيد المتعدى لم يرتضه الزمخشري .

وقال ابن مالك (في التسهيل) : وربما استُغْنِيَ عن فاعل بمفعِل أو مُفَعَّل .

قال ابن عقيل (في شرحه) قالوا : عمَّ الرجلَ بمعروفه ، ولمَّ متاع البيت ، فهو مَعَمٌّ ومُعَمٌّ ، ومُلِمَّ ومُلِمٌّ . ولم يُقَلَّ بهذا المعنى عامٌ ولا لأمٌ ، ولا نظير لهما ، حكاه ابن سيده .

وقال ابن بري (في حاشية صحاح الجوهري) : قد جاء ذلك كثيراً نحو مُسَخَّنٍ ومُسَخِّنٍ ، ومُقَعَّدٍ وقَعِيدٍ ، ومُوقِنَعٍ وقَنِيعٍ ، ومُحَبَّبٍ وحَبِيبٍ ومُطَرَّدٍ وطَرِيدٍ ، ومُقَصِّى وقَصَى ، ومُهْدَى وهَدَى ، ومُوصَى ووَصَى^(٢) ، ومُبْرَمٍ

(١) هم ، بالكسر : شيخ كبير . وفي ش : « هرم » بمعناه .

(٢) ط : « ومقص وقصى ، ومهد وهدى ، وموص ووصى » ، صوابه في ش .

وبريم ، ومُخَكَّم وحكيم ، ومُبَدَّع وبديع ، ومُفَرَّد وفريد ، ومُسَمَّع وسميع ،
ومُونَقْ وأنيق ، ومؤلم وأليم ، في أخواتٍ له . انتهى .

قصيدة عمرو بن معديكرب عدتها اثنان وثلاثون بيتاً ، كلها
تغزل بالنساء وحماسة .

وبعد البيتين الأولين :

يَعْلُ بعينها عندي شفيعُ	(وربَّ محرَّشٍ في جَنبِ سلمى
يُسَفَّ بحيث تَبْتَدِرُ الدُّمُوعُ ^(١)	كَأَنَّ الإِثْمَدَ الحِصَارَى منها
نواعمَ في أَسْرَتِهَا الرُّدُوعُ	وأبكارٍ لهوتُ بهنَّ حِيناً
وتعجبني المَحَاجِرُ والفُرُوعُ ^(٢)	أَمْشَى حَوْلَهَا وَأَطُوفُ فِيهَا
بدا بَرْدُ أَلَحٍّ به الصَّقِيعُ	إِذَا يَضْحَكُنْ أَوْ يَبْسِمُنْ يَوْمًا
يُفَضُّ عَلَيْهِ رُؤْمَانُ يَنْبِيعُ	كَأَنَّ عَلَى عَوَارِضِهِنَّ راحاً
ومِقْدَحُ صَحْفَةٍ فِيهَا نَقِيعُ ^(٣)	تَرَاهَا الدَّهْرَ مُقْتَرَةً كِبَسَاءَ
بجَلَّتْهَا كَمَا احْمَرَّ النَجِيعُ	وَصِيعُ ثِيَابِهَا فِي زَعْفَرَانٍ
تَفَرَّعَ لَمَى شَيْبُ فَطِيعُ ^(٤)	وَقَدْ عَجِبْتُ أَمَامَهُ أَنْ رَأَتْنِي

وهذا آخر الغزل . ومن أبيات الحماسة :

وَهُمْ مَا تَبَلَّغُهُ الضَّلُوعُ ^(١)	(أَشَابَ الرَّأْسَ أَيَّامُ طَوِيلٍ
كَأَنَّ زُهَاءَهَا رَأْسُ صَلِيعُ	وَزَحَفُ كَتِيبَةٍ لِلْقَاءِ أُخْرَى
وَحُلَى بَيْنَهُمْ إِلَّا الْوَرِيعُ	دَنَتْ وَاسْتَأْخَرَ الْأَوْغَالُ عَنْهَا

(١) ش : « يبتدر » ، وأثبت ما في ط والأصمعيات .

(٢) ش : « ويعجبني » .

(٣) الأصمعيات : « وتقْدَحُ صحفة » .

(٤) ط : « ما تبله » بالعين المهملة .

فِدَى لَهُمْ مَعاً أُمِّي وَخَسَالِي وَشَرَحَ شَبَابَهُمْ إِنْ لَمْ يَضْيَعُوا
وإِسْنَادُ الْأَسْنَةِ نَحْوَ نَحْرِي وَهَزُّ الْمَشْرِفِيَّةِ وَالْوَقُوعُ^(١)
فَإِنْ تَنَبَّ النَّوَائِبُ آلَ عُضْمٍ تَجَدَّ حَكَمَاتُهُمْ فِيهَا رَفُوعُ^(٢)
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْنِي وَجَسَاوَزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَصِدْلُهُ بِالزَّمَامِ فَكُلُّ شَيْءٍ سَمَا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْ
وَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلَمِي قَلِيلَ الْإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعُ
بِهِ السَّرْحَانُ مَفْتَرِشاً يَدِيهِ كَأَنَّ بَيَاضَ لَبَّتِهِ الصَّدِيعُ

٤٦٣

وقوله: «وَرَبُّ مَحْرُشٍ» الخ. التحريش: الإغراء بين القوم. وَيَعْلُ
من العلال مَرَّةً بعد مَرَّةً. والحارِى: نسبة إلى الحيرة. وَيُسْفُ: يُذَرُّ.
والأَسِيرَةُ: جمع سِرَارَةٍ بالكسر، وهو، الخطوط في الكف. والردوع:
جمع رَدَعٍ، يقال به رَدَعٌ من زعفرانٍ أودم، أى لَطُخٌ وأثر. يريد أنهم
يصبغون ثيابهم بالزَّعفران.

وقوله: «أُمِّى حَوْهَا» هو جواب رَبِّ المَقْدَرَةِ فى وَأَبْكَار. والمحاجر:
جمع مَحْجِرِ العين كمجلس، وهو ما يبدو من النَّقَاب. والفُرُوع:
جمع فرع، وهو الشَّعْرُ التَّامُّ. والْبَرْدُ بَفَتْحَتَيْنِ: حُبُّ الغمام. والصَّقِيع:
الجليد. والعارض: الناب، والضَّرْسُ الذى يليه. والراح: الخمر.
وينيع: يانع، أى بالغ. ومُقْتَرَةٌ: اسم فاعل من القُتَار بضم القاف، وهو
هنا اللُّخْنَةُ. والكِبَاء، بالكسر والمد: العود. والمِقْدَح، بكسر الميم:
المغرفة. والنَّقِيع يُبَرِّدُ لها فتشربه. والنجيع: الدم. وتفرَّع: علا.
واللِّمَّة بالكسر: شعر الرأس الذى يُلَمُّ بالملكيب.

(١) فى ش مع أثر تصحيح: «والرفوع».

(٢) ش: «فها رقوق» بالقاء.

وقوله : أشاب الرأس . إلخ . وتبلَّغهُ أى تَسَّعهُ .

وزُهاءُها ، بالضم والمد ، أى مقدارها . والرأس الصليح : الذى انحسر شعر مقدمه .

والأوغال : جمع وَغْل ، وهو النَّذل من الرجال . والوريع ، بالراء المهملة ، وكذلك الورع بفتحتين ، وهو الصَّغير الضعيف الذى لا غناء عنده .

والوقوع : الواقعة والقتال .

وآل عصم مفعول تَنَّب أى [تُصِيبُ^(١)] ، من النائية . والحَكَمَات ، بالتحريك : جمع حكمة بفتحتين ، وهى ما أحاط بالحنك من اللُجَام . والرُّفُوع بالضم : مصدرٌ بمعنى الارتفاع .

وقوله : « إذا لم تستطع » إلخ . هذا من شواهد تلخيص المفتاح ، فيه الإِرْصَاد .

وقوله : « وِرْصَلُهُ » أى وِصْلُ الشَّىء الذى لم تستطعه . والزَّمَاع بالفتح : العَزْم والتصميم . والوَلُوع بالفتح : مصدر وَلَعْتُ بالشَّىء ، إذا لزمته . والغائِط : المَطْمِئُنُّ من الأرض الواسع . وكتيع ، أى أَحَدٌ ، ملازم للنفى .

والسَّرْحَان : الذئب . واللَّبَّة بالفتح : موضع القِلادة من الصَّدر . والصَّديع بالدال : الصُّبح .

وما أثبتناه هو رواية ابن الأعرابى (فى ديوان عمرو بن معديكرب) .

وروى صاحبُ الأغاني الشعر على غير ما ذكرنا ، وتبعه الناسُ عليه ،

وهو :

(أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُوَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
سَبَاها الصُّمَّةُ الْجَشْمِيُّ غَضَبًا كَأَنَّ بَيَاضَ غَرَّتْهَا صَدِيعُ^(١)
وَحَالَتْ دُونَهَا فُرْسَانُ قَيْسٍ تَكْشَفُ عَنْ سَوَاعِدِهَا الدُّرُوعُ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعِهِ الْبَيْتِ)

وزاد الناس في هذا الشعر وَغْنَى فِيهِ :

(وَكَيْفَ أَحَبُّ مَنْ لَا أَسْتَطِيعُ وَمَنْ هُوَ لِلذَّيْ أَهْوَى مَنُوعُ
وَمَنْ قَدْ لَامَنِي فِيهِ صَدِيقُ وَأَهْلِي ثُمَّ كُلاًَّ لَا أُطِيعُ
وَمَنْ لَوْ أَظْهَرَ الْبَغْضَاءَ نَحْوِي أَتَانِي قَابِضُ الْمَوْتِ السَّرِيعُ
فِدَى لَهُمْ مَعَا عَمِّي وَخَالِي وَشَرَحُ شَبَابِهِمْ إِنْ لَمْ يَطِيعُوا)

٤٦٤

هذا ما رواه ، وليس في الديوان بعض هذه الأبيات^(٢) ، والله أعلم .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدمت في الشاهد الرابع والخمسين

بعد المائة^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السّائة ، وهو من شواهد

سيبويه^(٤) :

(١) ط : « غَضَبًا » ، صوابه في ش والأغاني .

(٢) وكذلك لم يرد مظهرها في الأسميات .

(٣) الخزائن ٢ : ٤٤٤ - ٤٤٦ .

(٤) في كتابه ١ : ٥٨ . وانظر نوادر أبي زيد ١٠٦ والجل ١٠٦ وابن عيش ٦ : ٧٤ ، ٧٥

والمنبى ٣ : ٤٥٨ والتصريح ٢ : ٦٩ والجمع ٢ : ٩٧ والأشرفي ٢ : ٢٩٩ وديوان

طرفة ٦٨ .

٦٠٧ (ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غُفِرَ ذُنُوبُهُمْ غَيْرُ فُحْرٍ)

على أَنَّ مَثْنَى المبالغة ومجموعها يعمل ، كما في البيت ؛ فَإِنَّ ذُنُوبَهُمْ مفعول لُغْفِرَ ، وهو جمع غُفُور ، مبالغة غافِرٍ ، وفُحْرٌ بضمتين أيضاً : جمع فُحُور^(١) .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة طويلة عدتها أربعة وسبعون^(٢) بيتاً لطرفة ابن العبد ، وهو شاعر جاهلي تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني والخمسين بعد المائة^(٣) . وقبله :

أبيات الشاهد (وَلِيَ الْأَصْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرَغَ الْمُؤْتَبِرِ^(٤)
طَبِيبُ الْبَاءَةِ سَهْلٌ ، وَلَهُمْ سُبُلٌ إِنْ شِئْتَ فِي وَحْشٍ وَعِزٌّ
وَهُمْ مَا هُمْ إِذَا مَالِبَسُوا نَسَجَ دَاوُدَ ، لِبَاسٍ مُحْتَضَرٌ
وَتَسَاقَى الْقَوْمُ كَأَسَا مُسَرَّةً وَعَلَا الْخَيْلَ دِمَاءٌ كَالشُّقْرِ
ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ ... (البيت)

قال الأعلم (في شرحه) : وقوله : « وَلِيَ الْأَصْلُ » إلخ ، يقول : لِيَ الْأَصْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يَتِمُّ المعروف والاصطناع . والآبر : المصلح للشيء القائم عليه . المؤتبر : المستدعى إلى الإصلاح ، وأكثر ما يستعمل الإبار في النخل ، ثم هو عام في كل شيء . وضربه هنا مثلاً لإتمام الصنعة .

والباءة : السّاحة والفناء ، أى ساحتهم طيبة سهلة لمن أراد معرفتهم ،

(١) ش : « أربعة وستون بيتاً » ، والصواب كما في ط أنها أربعة وسبعون . ديوان طرفة ٦٣ - ٧٥ قازان ٦٧ - ٨٧ نشرة على الجندى .

(٢) الخزائن ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

(٣) ويروى أيضاً : « غير فجر » بالميم كما في سيويه ، وهو جمع فجور ، وكذلك الأنثى فجور بغير هاء ، كما في اللسان .

(٤) ط : « ذرع » ، صوابه في ش والديوان .

وهى وعرة خشنة لمن أرادهم بسوء . وهذا مثل . والوخش : المتوخش ، وهو كناية عن خشونة الجانب وشدته .

وقوله : « وهم مأهم » إلخ ، هذا تفضيمٌ وتعجُّبٌ ، كأنه قال : أى رجالٍ هم ! وقوله : « نسج داود » يعنى الدروع . والنسج : عملها وسردها وأوّل من عملها داود عليه السلام ، فلذلك تنسب إليه . والبأس : شدة الأمر . والمحتضر : المحضور المجتمع إليه . يقول : إذا لبسوا الدروع وتسلّحوا للقتال فأى رجالهم ! ويروى « محتضر » بالكسر ، أى حاضر .

وقوله : « تساقى القوم » إلخ ، هذا مثلٌ ضربه ، أى سقى بعضهم بعضاً كأسَ الحتوف ، أى قتل بعضهم بعضاً . والكأس : الإناء فيه الشراب ، والشراب فى الإناء يقال له كأسٌ أيضاً . والشقّر : شقائق النعمان . وقال الأصمعى : هو شجرٌ له ثمر أحمر .

وقوله : « ثم زادوا أنهم » إلخ ، لما وصفهم بالإقدام والجرأة والصبر فى الحرب ، وغير ذلك من أفعال البر ، بيّن أنّ لهم مزيداً على ذلك ، وهو أخذهم بالعفو والصفح عن الذنب وترك الفخر بذلك ، لأنّ الفخر إعجابٌ وخفة . انتهى .

وقال اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : قوله : « ثم زادوا أنهم » ، أراد : بأنّهم ، فحذف الباء . وقوله « فى قومهم » فى بمعنى عند ، والظرف متعلق بزادوا ، والتقدير : ثم زادوا عند قومهم بأنّهم غفر ذنبهم غير ٤٦٥ فخر . وغير فخر خبر بعد خبر ، ويروى : « غير فُجر » بالميم ، يعنى أنّهم لا يكذبون . والفُجور : الكذب . والمشهور رواية الخاء ، وهى أوجه . انتهى .

وقال ابن خلف : يريد زادوا على الفضائل التي ذكرها فيهم أنهم إذا جنى عليهم بعض قومهم غفروا لهم ذنبهم مع قدرتهم على الانتصاف. وقد يكون زادهم بمعنى شرفهم ورفعهم ، فتكون أن على هذا فاعلة بزاد ، أى زادهم المجد شرفاً ورفعاً . هذا كلامه ، وهو سبق قلم منه ، فإن فاعل زاد هو الواو . وقوله : « والمراد زادوا على الفضائل » إلخ ، هو تقدير ابن السيرافي (في شرح أبيات الكتاب) .

قال ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) : للفتح في أن وجهان : أحدهما أن يكون في موضع المفعول ، والآخر : أن يكون المعنى ثم زادوا على ما تقدم [من الخصال ، أو على من تقدم ^(١)] ، ثم فتح أن على معنى اللام ، لأنهم على صفة كذا وكذا . وللكسر وجهان : أحدهما التعليل على ما ذكر في الوجه الثاني . والثاني : أن يكون على الحكاية [وهو ضعيف ^(٢)] ؛ لأنه ليس موضع الحكاية . ٥١ .

وبعد هذه الأبيات بقليل :

(نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر
حين قال الناس في مجلسهم أفتار ذاك أم ريح قطر
بجفان تعترى نادينا من سديف حين هاج الصنير)

قال الأعلم : قوله : « نحن في المشتاة » يريد في الشتاء والبرد ، وذلك أشد الزمان . والجفلى : أن يعم بدعوته إلى الطعام ولا يخص أحداً . والآدب : الذي يدعو إلى المأدبة ، وهى كل طعام يدعى إليه . والانتقار :

(١) التكلة من ش .

(٢) هذه التكلة أيضاً من ش .

أَنْ يَدْعُو النَّقْرَى ، وَهُوَ أَنْ يَخْصَّصَهُمْ وَلَا يُعْمَهُمْ . يَقُولُ : لَا يَخْصُّونَ الْأَغْنِيَاءَ وَمَنْ يَطْعَمُونَ^(١) فِي مَكَافَأَتِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْمُونَ طَلِباً لِلْحَمْدِ ، وَلَا كِتْسَابَ الْمَجْدِ . وَالْقُتَارُ ، بِالضَّمِّ : رَائِحَةُ اللَّحْمِ إِذَا شُوِيَ . وَالْقُطْرُ ، بَضْمَتَيْنِ : الْعُودُ الَّذِي يَتَبَخَّرُ بِهِ . يَقُولُ : نَحْنُ نَطْعَمُ فِي شِدَّةِ الزَّمَانِ إِذَا كَانَ رِيحُ الْقُتَارِ عِنْدَ الْقَوْمِ بِمَنْزِلَةِ رَائِحَةِ الْعُودِ ، لِأَنَّ هُمْ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ وَالْحَاجَةِ إِلَى الطَّعَامِ .

وقوله : « بِجَفَانٍ تَعْتَرِي » إلخ ، أَيْ نَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَفَانِ . وَمَعْنَى تَعْتَرِي : تُلْمُّ بِهِ وَتَنَاتِيهِ . وَالنَّادَى : مَجْلِسُ الْقَوْمِ وَمُتَحَدِّثُهُمْ . وَالسَّدِيفُ : قَطْعُ السَّنَامِ .

وَالصَّنْبِيرُ : أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَرْدِ . هـ . قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ : صُنَابِرُ الشِّتَاءِ : شِدَّةُ بَرْدِهِ ، وَكَذَلِكَ الصَّنْبِيرُ ، بِتَشْدِيدِ النُّونِ وَكَسْرِ الْبَاءِ وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : وَالصَّنْبِيرُ بِتَسْكِينِ الْبَاءِ : يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَجُوزِ ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى وَإِنَّمَا حَرَكْتَ الْبَاءَ لِلضَّرُورَةِ . انْتَهَى .

وَجَزَمَ ابْنُ جَنِّي (فِي الْخَصَائِصِ) بِأَنَّ الْبَاءَ سَاكِنَةً ، وَقَالَ : كَانَ حَقُّ هَذَا إِذَا نُقِلَتِ الْحَرَكَةُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ مَضْمُومَةً ، لِأَنَّ الرَّاءَ مَرْفُوعَةً لَكِنَّهُ قَدَّرَ الْإِضَافَةَ إِلَى الْفِعْلِ ، يَعْنِي الْمَصْدَرُ . كَأَنَّهُ قَالَ : حِينَ هَبَّجَ الصَّنْبِيرُ ، يَعْنِي أَنَّهُ نَقَلَ الْكُسْرَةَ مِنَ الرَّاءِ إِلَى الْبَاءِ السَّاكِنَةِ وَسَكَنَتِ الرَّاءُ . وَهَذَا مِنَ الْغَرَائِبِ فَإِنَّ الصَّنْبِيرَ فَاعِلٌ بِهَاجٍ ، لَكِنَّهُ أَعْرَبَهُ بِالْكَسْرِ نَظَرًا إِلَى أَنَّ الْفِعْلَ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ الْمُضَافِ إِلَى هَذَا الْفَاعِلِ ثُمَّ نَقَلَ الْكَسْرَ^(٢) .

(١) ط : « يَطْعَمُونَ » بِتَقْدِيمِ الْعَيْنِ ، صَوَابُهُ فِي شَرْحِ أَثَرِ تَصْحِيحِ .

(٢) الْخَصَائِصُ ١ : ٢٨١ وَهَذَا تَصَرُّفٌ مِنَ الْبَغْدَادِيِّ .

قال الدماميني في الجملة المضاف إليها (من الحاشية الهندية على المغني) : وعلى ذلك يتنزل اللغز الذي نظمته قريباً ، وهو :

أيا علماء الهند إني سائلُ فَمُنُوا بتحقيقٍ به يظهر السرُّ
أرى فاعلاً بالفعل أعرب لفظه بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
وليس بمَحْكِيٍّ ولا بمجاور
لدى الخفض ، والإنسان للبحث يُضطرُّ

فهل من جواب عندكم نستفيده
فمن يحركم ما زال يُستخرج الدرُّ

قال الشُّمْنِي : سبقه إلى هذا اللغز أبو سعيد فرج بن قاسم المعروف بابن لبّ النحوى الأندلسي (في منظومته النونية في الألفاظ النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكن جرُّه مع السكون فيه ثابتان
وفي شرحها : يعنى الصنبر ، من قول طرفة . انتهى .

* * *

وأنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن بعد السمتة ، وهو من شواهد سيويه^(١) :

٦٠٨ (ممن حملن به وهن عواقدُ حُبكِ النطاقِ فشَبَّ غيرَ مهبلٍ)
على أن (حُبكِ النطاق) مفعول لعواقد . وهو جمع عاقدة^(٢) .

(١) في كتابه ١ : ٥٦ . وانظر الشعراء ٦٧١ والكامل ٧٩ والإنصاف ٤٨٩ وابن يعيش ٧٤ : ٧٤ والمغني ٦٨٦ والمعنى ٣ : ٥٥٨ والأشوقي ٢ : ٢٩٩ والهامية ٨٥ بشرح المرزوقي ١ : ٨٤ شرح التبريزي وديوان الهذليين ٢ : ٩٢ .

(٢) ش : « عاقد » ، وإنما يقال عاقد لأنثى من الإبل التي تمقد بذنبها عند القاح .

قال سيبويه : ومما يجرى مجرى فاعل من أسماء الفاعلين فواعل ،
أَجْرُوهُ مُجْرَى فاعلة ، حيث كان جمعه ، وكسروه عليه كما فعلوا ذلك
بفاعلين وفاعلات . فمن ذلك قولهم : « هُنَّ حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ » .
قال أبو كبير :

* ممن حملن به وهن عواقدُ * ... البيت

قال الأَعلَمُ : الشاهد في نصب حبك النطاق بعواقد ؛ لأنَّه جمع عاقدة
وعاقدة تعمل عمل الفعل المضارع لأنَّها في معناه ، فجرى جمعها في
العمل مَجْراها . ونوَّنَ عواقدُ للضرورة . وصفَ رجلاً شَهْمَ الفؤاد ماضياً
في الرجال ، فذكر أَنَّهُ ممن حملتْ به النساءُ مُكْرهاتٍ ، فغلب عليه
شَبَه الآباء وخرج مذكراً . وكانت العرب تفعل ذلك : يُغْضِب الرجلُ
منهم امرأته ويُعْجِلها حلَّ نطاقها ويقع عليها ، فيغلب ماؤه على ماها
فينزع الولدُ إليه^(١) في الشَّبه . وحُبُّك النطاق : مشدَّة ، واحداً حَباك،
وهو من حبكت الشيء ، إذا شددته وأحكمته . والنطاق : إزار تحبكت
به المرأة في وسطها وترسل أعلاه على أسفله ، تقيمه مَقَامَ السَّراويل .
والمهبلُ : الثَّقل ، ويقال هو الذي يُدْعَى عليه بالهَبَل ، فيقال : هبلته
أُمُّه ، أي فقدته . انتهى .

والبيت من قصيدة لأبي كبير الهذلي ، عدتها سبعة وأربعون بيتاً صاحب الشاهد
أوردها السُّكْرَى (في أشعار الهذليين) ، واقتصر منها أبو تمام على أبيات
أوردها (في أوائل الحماسة) ، وكذلك اقتصر عليها ابن قتيبة (في
كتاب الشعراء) ، فلنقتصر على ما أورده ، وهو :

(١) ط : « الوليد إليه » ، وأثبت ما في ش والشنترى .

(ولقد سرّيتُ على الظلامِ بمغشمٍ
ممن حملن به وهن عواقدُ
حملت به في ليلة مزعودة
فأتت به حوشَ الفؤادِ مبطنًا
ومبرأ من كلِّ غُبرِ حَيْضَةٍ
وإذا نبذت له الحصاة رأيتَه
وإذا يهبُّ من المنسامِ رأيتَه
ما إنْ يمسُّ الأرضَ إلَّا منكبٌ
وإذا رميت به الفِجَاجَ رأيتَه
وإذا نظرتَ إلى أسرةٍ وجهه
يَحِمِّي الصَّحَابَ إذا تكونُ كريهةٌ
وإذا همُّ نزلوا فماوى العُيِّلِ)

٤٦٧

سبب الأبيات قال التبريزي (في شرح الحماسة) : كان السبب في هذه الأبيات أنَّ أبا كبير تزوج أمَّ تَابَطَ شراً ، وكان غلاماً صغيراً ، فلما رآه يُكثِر الدخول على أمِّه تنكَّر له ، وعرف ذلك أبو كبير في وجهه إلى أنْ ترعرع الغلام ، فقال أبو كبير لأُمِّه : ويحك ، قد والله رابني أمرُ هذا الغلام ، ولا آمنُه ، فلا أَقْرُبُكَ ! قالت : فاحتلَّ عليه حتَّى تقتله . فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو ؟ فقال : ذلك من أَمْرِي . قال : فامض بنا . فخرجا غازيَّين ولا زادَ معهما ، فسارا ليلتهما ويومهما من الغدِ حتَّى ظنَّ أبو كبير أنَّ الغلام قد جاع ، فلما أمسى قصد به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء فلما رأيا نارهم^(١) من بُعد قال له أبو كبير : ويحك قد جُئنا ، فلو

(١) ش : « فلما رأهم » . وفي التبريزي : « فلما رأى نارهم » .

ذهبت إلى تلك النار فالتصمت منها لنا شيئاً ! فمضى تائباً شراً فوجد على النار رجلين من الصّ من يكون من العرب ، وإنما أرسله إليهما أبو كبير ليقتلاه^(١) ، فلما رآياه قد غشي نارهما وثبا عليه ، فرمى أحدهما وكرّ على الآخر فرماه ، فقتلتهما^(٢) ، ثم جاء إلى نارهما فأخذ الخبز منها فجاء به إلى أبي كبير ، فقال : كل لا أشبع الله بطنك ! ولم يأكل هو ، فقال : ويحك أخبرني قصّتك . فأخبره فازداد خوفاً منه ، ثم مضى في ليلتهما فأصابا إبلا ، وكان يقول له أبو كبير ثلاث ليالٍ : اختر أي نصف الليل شئت تحرس فيه وأنام ، وتنام النصف الآخر . فقال : ذلك إليك ، اختر أيهما شئت . فكان أبو كبير^(٣) ينام إلى نصف الليل ويحرسه تائباً شراً ، فإذا نام تائباً شراً نام أبو كبير أيضاً لا يحرس شيئاً حتى استوفى الثلاث ، فلما كان في الليلة الرابعة ظنّ أنّ النعاس قد غلب على الغلام ، فنام أوّل الليل إلى نصفه وحرسه تائباً شراً ، فلما نام الغلام قال أبو كبير : الآن يستثقل نوماً وتمكنني فيه الفرصة . فلما ظنّ أنّه قد استثقل^(٤) أخذ حصاةً فحذف بها ، فقام الغلام كأنّه كعبٌ فقال : ماهذه الوجبة^(٥) ؟ قال : لا أدري . قال : والله صوتٌ سمعته في عرض الإبل . فقام فعسّ وطاف فلم ير شيئاً ، فعاد فنام ، فلما ظنّ أنّه استثقل أخذ حصيةً صغيرةً فحذف بها ، فقام كقيامه الأوّل فقال : ما هذا الذي أسمع ؟ قال : والله ما أدري ، لعل

(١) التبريزي : « وإنما أرسله إليهما أبو كبير على معرفة » .

(٢) التبريزي : « وثبا عليه ، وكر ساعياً واتبعاه ، فلما كان أحدهما أقرب إليه من الآخر عطف عليه فرماه فقتله ، ورجع إلى الآخر فرماه فقتله » .

(٣) يستمر نقل البغدادى عن التبريزي يتصرف كبير .

(٤) المستثقل ، بالبناء للمفعول : الذي أثقله النوم .

(٥) الوجبة : السقطة مع الهدية ، أو صوت ما يسقط .

بعض الإبل تحرك . فقام وطاف فلم ير شيئاً فعاد فنام ، فأخذ حصية^(١) أصغر من تلك فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه فقال : يا هذا ، إني قد أنكرتُ أمرك ، والله لئن عدتُ أسمع شيئاً من هذا لأقتلنك ! قال أبو كبير : فبتُ والله أحرسهُ خوفاً أن يتحرك شيئاً من الإبل فيقتلني . فاماً رجعا إلى حيّهما قال أبو كبير : إنَّ أمَّ هذا الغلام لا أقربُها أبداً . وقال هذه الأبيات . انتهى .

وزعم بعضُ الرواة أنَّ هذه القصيدة لتأبّط شراً قالها في ابن الزرقاء .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : وبعضُ الرواة ينحلُّ هذا الشعر تأبّط شراً ، ويذكر أنَّه كان يتبع امرأةً من فهم ، وكان ابنُ لها من هذيل ، وكان يدخل عليها تأبّط ، فلما قارب الغلامُ الحلم قال لأمّه : من هذا الرجل الداخلُ عليك ؟ قالت : صاحبٌ كان لأبيك . قال : فلا أزيّنهُ عندك ! فلما رجع تأبّط أخبرته وقالت : هذا الغلام مفرقُ بيني وبينك فاقتله . قال : سأفعل ذلك . فمرّ به وهو يلعبُ مع الصبيان فقال له : هلمَّ أهبَّ لك نبلاً . فمضى معه فتذمّم من قتله ووَهَبَ له نبلاً ، فلما رجع تأبّط إلى أمِّ الغلام أخبرها فقالت : إنَّه والله شيطانٌ من الشياطين والله ما رأيته مُستثقلاً نوماً قطُّ ، ولا ممتلئاً ضحكاً قطُّ ، ولا همَّ بشيء إلاّ فعله . ولقد حملته فما رأيتُ عليه دمأً حتّى وضعته . ولقد وقع على أبوه في ليلةٍ هرب وإني لتوسّدةٌ سرّجاً ، وإنَّ نطاقاً لمشدود ، وإنَّ على أبيه لدرعاً ، فاقتله فأنّت والله أحبُّ إليّ منه . قال : سأغزو به . فمرّ فقال : هل لك في الغزو ؟ قال : إذا شئت . فخرج به غازياً فلم يجد منه غيرةً ، حتّى مرَّ في بعض الليالي بنار لابنَي قُترة الفزاريين ، وكانا

٤٦٨

في نُجعة ، فلما رأى تَأَبَّطُ^(١) النارَ عرفها وعرف أهلها ، فأكبَّ على رجله ينادى : نُهَشْتُ نِهَشْتُ ، أَبْغَى ناراً ! فخرج الغلامُ يَهْوِي نحوَ النارِ ، فصادف عندهما الرَّجْلَيْنِ^(٢) فواثباه فقتلهما ، وأخذ جَذْوَةً من النارِ واطَّردَ إبِلَ القومِ ، وأقبلَ نحوَ تَأَبَّطُ ، فلما رأى تَأَبَّطُ النارَ تهوى نحوه ظَنَّ أَنَّ الغلامَ قُتِلَ وأنه دَلَّ عليه ، فمرَّ يسْعَى . قال : فما كان إِلَّا أَن أدركني ومعه النار يطرد إبِلَ القومِ ، فلما وصل إلىَّ قال : ويلك لقد أتعبتني ! ثم رمى بالرأسين فقلت : ما هذا ؟ قال : كلبان هَارَانِي على النار فقتلتهما . فقلت : الهربُ الآنَ فَإِنَّ الطلبَ من ورائنا . فَأَخَذْتُ به على غير الطريق ، فما سرنا إِلَّا قليلاً حتَّى قال : أَخْطَأْتُ والله الطريق ، وما تستقيم الريح فيه ، فما لبثَ أَن استقبلَ الطريق وما كان والله سلكها قطُّ . قال : فسرْتُ به ثلاثاً حتَّى نظرت إلى عينيه كأنهما خيطان ممدودان ، وأدركَ اللَّيْلُ فقلت : أُنِخْ فقد أَمِنَّا . فَأَنخنا فنام في طرفٍ منها ونمتُ في الطَّرَفِ الآخرِ ، فما زلت أَرْمُقُهُ حتَّى ظننت أَنَّهُ قد نام ، فقممت أُرِيدُهُ فإذا هو قد استوى وقال : ماشأُنْكَ ، فقلت : سمعتُ حِسًّا في الإبلِ . فطاف معي بها فلم ير شيئاً فقال : أتخاف شيئاً ؟ قلت : لا . قال : فمَن ولا تُعَدُّ فَإِنِّي قد ارتبتُ بك . فنمت وأمهله حتَّى لم أشكَّ في نومه فقذفتُ له بحصاةٍ نحوَ رأسه فإذا هو قد وثب ، وتناوَمَت فأقبل نحوي حتَّى ركضني برجله وقال : أَنائِمُ أَنْتَ ؟ قلت : نعم . قال : أَسَمِعْتَ ما سمعتُ ؟ قلت : لا . فطاف في الإبل وطُفَّت معه فلم نر شيئاً ، فأقبل علىَّ تتوقَّد عيناه ، قال : قد أرى ما تصنعُ منذُ الليلة ، والله لئن أنبهنى شيءٌ لأَقْتُلَنَّكَ ! قال : فليئت

(١) وكذا في الشعراء ٦٧٣ . وفي ش : « تأبط شرأ » في هذا الموضع والموضعين التاليين .

(٢) ش : « رجلين » ، وأثبت الصواب من ط والشعراء .

والله أَكَلُوهُ مخافةً أَنْ يَنْبِيَهُ شَيْءٌ فَيَقْتَلَنِي ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قُلْتُ : أَلَا تَنْحَرُ
جزوراً ؟ قال : بلى . قال : فنحرننا ناقةً فأكل ، ثم احتلب أخرى فشرب ،
ثم خرج يريد المذهب^(١) وكان إذا أراد ذلك أبعد وأبطأ على ، فاتَّبَعْتَهُ
فإذا أنا به مضطجعاً على مذهبه ، وإذا يده داخله في جُحْرٍ أَفْعَى فانترعها ،
فإذا هو قابضٌ على رأس أَفْعَى وقد قتلها وقتلته . فذلك قولي :

ولقد غدوتُ على الظَّلامِ بِمِغْشَمٍ جَلَدٍ من الفَتِيانِ غيرِ مثْقَلٍ
انتهى ما أورده ابن قتيبة .

والمشهور : « ولقد سریت على الظلام » ، أى فى الظلام . والمغشم ،
بالكسر : الغشوم ، من الغَشْم وهو الظلم . والجَلْد بالفتح ، وهو من له
الجلادة ، وهى قوَّة القلب . وقوله : « غير مثْقَل » قال التبريزى : أى كان
حسنَ القبول محبباً إلى القلوب . ٤٦٩

وقوله : « ممَّن حملنَ به » النون ضمير النساء ولم يعجرهن ذكر ، ولَمَّا
كان المراد مفهوماً جاز إضمارها . وقال « به » فردَّ الضمير على لفظ مَنْ ،
ولو ردَّ على المعنى لقال بهم . وروى السكرى وغيره : « ممَّا حملنَ به » قال
التبريزى ، تبعاً لشارح الهدليين : أى هو من الحمل الذى حملن به .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : عدَّى حمل فى البيت بالباء وحقُّه
أَنْ يصل إلى المفعول بنفسه ، كما جاء فى التنزيل : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ^(٢) ﴾
ولكنَّه عدى بالباء لأنَّه فى معنى حَبَلْتُ .

(١) المذهب ، قال الكسائى : « يقال لموضع الغائط : الخلاء » ، والمذهب ، والمرفق
والمرحاض .

(٢) الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

وأورده ابن هشام (في المغنى) وقال : ضمّن حمل في الموضعين معنى علق ، ولولا ذاك لعدّى بنفسه .

وقوله : (وهنّ عواقدُ حُبك) إلخ ، بتنوين عواقد . واستشهد به ابن الأنباريّ على أنّ الأصل في الأسماء عند البصريّين الصرف ، وإنّما يُمنع بعضها من الصّرف لأسباب عارضة ، فإذا اضطرّ الشاعر ردّها إلى الأصل ولم يعتبر تلك الأسباب العارضة ، كما صرف عواقد في البيت ، وهو جمع عاقدة ، وأعمله في حُبك حكايةً للحال وإن كان ذلك فيما مضى ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَلَبُهُمْ بِأَسِطُ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ^(١) ۝ وَحُبُّكَ بضمّتين . قال ابن قتيبة (في أبيات المعاني) ، وأورد فيها بعض هذه الأبيات : هو جمع حبّاك ، والحبّاك بالكسر : ما يُشدُّ به النّطاق مثل التّكّة . والنّطاق : شقّة تلبسها المرأة وتشدُّ وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الرّكبة ، والأسفلُ ينجرُّ على الأرض ليس له حُجرة ولا نيفق ولا ساقان ؛ والجمع نُطق . والحُجرة بالضم : موضع التّكّة . والنيفق : الموضع المتّسع من السراويل ، والعامّة تكسر النون .

وقال ابن خلف : قال أبو جعفر : وسألت عن هذا البيت على ابن سليمان فقال : حملن به من الحبّل ، إى إنّهن حملن به وهن يخذمن . وكانت العرب تستحبّ أن تطأ النساء وهنّ متعبات أو فزعات ، ليغلب ماء الرجل فيخرج الولد مذكراً . فوصف أنّها حبّلت به وهي عاقدة حُبك النطاق . والحُبك : الطرائق ، وقيل الحبك الإزار الذي تأتزر به المرأة ، وقيل الحُبكة : حُجرة الإزار . والنّطاق : المِنْطَقَة . انتهى .

(١) الآية ١٨ من سورة الكهف .

وقال ابن المستوفى: الحُبْكُ من قولهم: حَبَكَ الثوبَ يَحْبِكُهُ بالكسر حَبْكًا ، إذا أجاد نسجه ، كَأَنَّهُ جَمَعَ المَصْدَرَ على حَبَاكَ ، وجمع حَبَاكَ حُبْكًا . وقيل الحُبْكُ: جمع الحَبِيك والحَبِيكَة ، وهو ما تَكَسَّر من ثوبٍ وما . وقيل جمع الحَبَاكَ ، وهو الإِزَار . والأوَّلُ بعيد ، لأنَّ الحَبِيكَة جمعها حَبَاتِكَ ، وإذا صَحَّ إنَّ الحَبَاكَ الإِزَار فهو جمعه ، مثل كتاب وكتب . انتهى . وما نقله هو كلام التبريزي .

وروى السُّكْرِي: (حَبَكَ الثَّيَاب) . وقال شارحه القاري^(١): حُبْكُ الإِزَار : طرائقه . وحَبَكَة الإِزَار : استدارته وشُدُّه . والنَّطَاق : الإِزَار يعنى حملت به وعليها مِنْطَقُهَا ، وأراد أنها متَحَزِّمَة . يقول : لم تُمَكِّنْ من نفسها . انتهى .

وقال التبريزي ، وتبعه العيني : الرواية : (حُبْكُ الثَّيَاب) ؛ لأنَّ النطاق لا يكون له حُبْك وهو الطرائق . هذا كلامه .

والمُهْبَلُ ، قال القاري : المَثْقَلُ باللَّحْمِ ، يقال هَبْلُهُ اللحم : كَثُرَ عليه وغلظ . وكذلك قال أبو جعفر: المُهْبَلُ : الكثير اللحم ، يقال: هَبْلَتِ المرأةُ وعَبْلَتِ . وفي حديث الإفك حرفٌ ربَّما صحَّفه أصحاب الحديث ، وهو: « والنِّسَاءُ إذ ذاك لم يَهْبِلْنَ » ، أى لم يحملن الشحم . وقيل المُهْبَلُ : الذى يُدْعَى عليه بقولهم : هَبِلَتْهُ أُمُّهُ ، كما يقال لمن يُسْتَرْدَل ، أى ثكلته .

٤٧٠

(١) القاري ، راوى أشعار الهذليين عن السكري ، سبقت ترجمته في حواشي ١ : ٢٧٥ .
وفي النسختين هنا: « الفارسي » ، تحريف .

وقول العيني : أو ^(١) هو الذى حملت به أمّه وهى مُكرّهة ، فاسدٌ .
فتأمل .

وقال التبريزى : ذكر بعضهم أنّ المهبلّ المعتوه الذى لا يتماСК . فإنّ
صحّ ذلك فكأنّه من الإسراع ، يقال جمل هبلٌ . ومعنى البيت أنّه من
الفتيان الذين حملتهم أمّهنّ وهنّ غير مستعدّات للفراش ، فنشأ محموداً
مرضياً لم يُدعّ عليه بالهبلّ والثكل . وحكى عن بعضهم : إذا أردتَ
أن تنجب المرأة فأغضبها عند الجماع . ولذلك يقال فى ولد المدعورة :
إنّه لا يطاق . قال :

تسئمّتها غضبى فجاء مسهداً وأنفعُ أولادِ الرجال المسهدُ ^(٢)

وقال المبرد (فى الكامل) : يقال أنجبُ الأولاد ولدُ الفارك ، وذلك
لأنّها تُبغض زوجها فيسبقها بمائه فيخرجُ الشبّهُ إليه فيخرج الولد ذكراً .

وقال بعضُ الحكماء : إذا أردتَ أن تنجب المرأة فأغضبها ثم
قَع عليها فإنّك تسبقها بالماء . وكذلك ولدُ الفزعة كما قال أبو كبير .
وأنشد البيهقي .

وقوله : « حملتُ به فى ليلة مزعودة » هى مفعولة من زأدته أزأده زأداً ،
أى أفزعته ؛ وزُئِدَ فهو مزعُودٌ ، أى مدعور ، وهو بالزأى والهمزة والدال .

قال المبرد (فى الكامل) : مزعُودة ذات زُؤد ^(٣) وهو الفزع . فمن نصب مزعُودة

(١) ط : « أى » ، صوابه فى ش والعينى ٣ : ٥٥٩ .

(٢) وكذا جاء البيت غير منسوب فى شرح المازوقى للحماسة ٨٦ .

(٣) الزؤد ، بضمّتين وبضمّ أيضاً . وضبطت فى الكامل بضمّة واحدة .

فإنَّما أرادَ المرأةَ، ومن خفضَ أرادَ الليلةَ . وجعلَ الليلةَ ذاتَ فرعٍ لأنَّه يُفزعُ فيها قال اللهُ تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ^(١) ﴾ ، والمعنى بل مكرُكم في الليل والنهار . وقال جرير :

* ونمتِ وما ليلُ المطىٰ بنائِم ^(٢) *

وقال آخر :

* فنام ليلي وتجلَّى همي ^(٣) *

وقال ابن جني (في إعراب الحماسة) بعدما قال مثلَ كلام المبرد : هذا ونحوه إنَّما يتسع فيه بأن يسند الفعلُ إلى الوقت الذي وقع فيه ، ومجيئه مجيء الفاعل . ألا ترى إلى قوله : « فنام ليلي » ، وإلى نفيه وهو قوله « وما ليل المطىٰ بنائِم » . وبيت أبي كبير إنَّما جعل الوقت الذي هو الليلة بلفظ اسم المفعول ، وهو قوله مزعومة . فأكثر ما يقولون إذا اتَّسعوا في نحو هذا : يومٌ ضارب ، أي كثر فيه الضرب ، ولا يقولون يوم مضروب . غير أنَّ مزعومة إنَّما جاز لأنَّهم قد ينصبون الظرف نصبَ المفعول به ، نحو قوله :

* ويوم شهدناه سليماً وعامراً ^(٤) *

فلما كانوا يأخذونه في هذا الشق ^(٥) جاءوا به أيضاً مسنداً إليه الفعل

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٢) من شواهد الخزانة ، وهو الشاهد الثامنون في ١ : ٤٦٥ . وصدره :

* لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى *

(٣) لرؤبة في ديوانه ١٤٢ .

(٤) لرجل من بني عامر . وأنشده سيبيويه في كتابه ١ : ٩٠ ، والمبرد في المقتضب ٣ : ١٠٥

والكامل ٢١ . ونجده :

* قليل سوى الطعن النبال نوافله *

(٥) في إعراب الحماسة الورقة ٢٤ : « في هذا الشق وهذا الفور » .

إِسْنَادَهُ إِلَى مَا لَمْ يَسَمِّ فاعله . تقول : رَبَّ يَوْمَ مَقُومٍ ، وَرَبَّ سَاعَةٍ مَضْرُوبَةٍ ، عَلَى قَوْلِكَ : قُمْتَ يَوْمًا وَضَرَبْتَ سَاعَةً ، وَأَنْتَ تَنْصِبُ الْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ نَصْبَ الْمَفْعُولِ بِهِ . فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي لَيْلَةِ مَرْغُودَةٍ عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ : زُنِدْتَ اللَّيْلَةَ ، وَعَلَى قَوْلِكَ قَبْلَ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَيْهَا هَذِهِ لَيْلَةُ زُنْدِهَا زَيْدٌ ، كَقَوْلِكَ هَذِهِ جَبَّةٌ كُسِيَهَا عَمْرُو ، ثُمَّ تَقُولُ : هَذِهِ لَيْلَةُ مَرْغُودَةٍ كَقَوْلِكَ : جَبَّةٌ مَكْسُوءَةٌ . هَذَا عَلَى رِوَايَةِ الْجَرِّ . وَأَمَّا مَنْ نَصَبَ فَعَلَى الْحَالِ ، وَمَرْغُودَةً لِلْمَرْأَةِ الْحَامِلِ . وَفَائِدَةُ ذِكْرِ اللَّيْلَةِ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّ تَكُونَ بَدَأَتْ بِحَمْلِهِ لَيْلًا ، وَهُوَ أَنْجَبُ لَهُ ، وَصَاحِبُهُ يُوصَفُ بِالشَّجَاعَةِ . وَقَدْ دَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ وَصَلُوا أَنْسَابَهُمْ بِاللَّيْلِ تَحَقُّقًا بِهِ . قَالَ :

أَنَا ابْنُ عَمِّ اللَّيْلِ وَابْنُ خَالِهِ إِذَا دَجَا دَخَلْتُ فِي سِرْبِ الْهَلِ
* لَسْتُ كَمَنْ يَفْرَقُ مِنْ خِيَالِهِ *

٤٧١

انتهى .

وبه يُدْفَعُ قَوْلُ ابْنِ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) : مَرْغُودَةٌ مَذْعُورَةٌ ، وَيُرْوَى بِالْجَرِّ صَفَةً لِلَّيْلَةِ وَبِالنَّصْبِ حَالًا مِنَ الْمَرْأَةِ ، وَلَيْسَ بِقَوًى مَعَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ ، لِأَنَّ ذِكْرَ اللَّيْلِ حِينَئِذٍ لَا كَبِيرَ فَائِدَةٍ فِيهِ . انْتَهَى .

وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ (فِي أَبْيَاتِ الْمَعَانِي) : مَرْغُودَةٌ : فِيهَا زُؤْدٌ وَذُعْرٌ ، كَذَلِكَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ . وَيُرْوَاهُ بَعْضُهُمْ بِالنَّصْبِ وَيَجْعَلُهُ حَالًا مِنَ الْمَرْأَةِ . وَيُقَالُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَمَلَتْ وَهِيَ مَذْعُورَةٌ فَأَذْكَرَتْ جَاءَتْ بِهِ لَا يُطَاقُ . انْتَهَى .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ جَنِّي : الْغُرْضُ مِنْ ذِكْرِ الزُّؤْدِ فِي الرِّوَايَتَيْنِ جَمِيعًا أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَمَلَتْ بَوْلَدِهَا وَهِيَ مَذْعُورَةٌ كَانَ أَنْجَبَ لَهُ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ :

* فَاتَتْ بِهِ حُوشَ الْجَنَانِ مَبْطُنًا * ... الْبَيْتِ

وقال التبريزي : ويجوز أن يكون جرّ مزعودة على الجوار وهو في الحقيقة للمرأة، كما قيل: جُحر ضبٌ خربٍ ، وهذا لميلهم إلى الحمل على الأقرب ، ولأنهم الالتباس . ومزعودة بالرفع صفة أُقيمت مقام الموصوفة^(١) . وانتصب كُرْهاً على أنه مصدرٌ في موضع الحال ، أى كارهة . وكذلك جملة « وعقد نطاقها لم يحلل » حال . والنطاق : ما تنتطق به المرأة تشدُّ وسطها للعمل . والمنطقة أُخذت من هذا . والمعنى أنها أكرهت ولم يُحلَّ نطاقها .

وقوله : « فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ » إلخ حوش الفؤاد : حالٌ من الضمير في به ، والإضافة لم تفد شيئاً من التعريف . وبه استشهد ابن هشام (في شرح الألفية) عليه . و [أيضاً^(٢)] استشهد به صاحب الكشف في سورة المزمل لشيء آخر^(٣) . وكذلك مبطناً وسُهداً حالان منه .

قال ابن السِّيد (في شرح الكامل) : حُوشُ الفؤاد ، أى مجتمع الذهن جيد الفهم .

وقال القاري وابن قتيبة : يعنى وحشى الفؤاد .

وقال التبريزي : حُوشُ الفؤاد وحُوشى الفؤاد : وحشيّه . لحدّته وتوقّده . ورجلٌ حُوشىٌ : لا يخالط الناس . وليلٌ حُوشىٌ : مظلم هائل ، كما يقال ليلٌ سخامٌ وسُخامىٌّ للأسود . وكذلك إبلٌ حُوشٌ وحُوشيةٌ ، أى وحشيةٌ . وقيل الحوشية بلاد الجن .

(١) وكذا النص في التبريزي ، ومى صحيحة .

(٢) التكلة من ش .

(٣) أتى به شاهد فى الآية الأولى من المزمل ، على إيقاظ الرسول صلى الله عليه وسلم ليتلقى الأمر الخطير بالقيام بالليل ، وترتيل القرآن .

و (في الأساس) : رجلٌ حوش الفؤاد: ذكىٌ كيّس ، وأصله من الإبل الحوشية ، وهى التى يزعمون أنّ فحولَ نَعَمَ الجَنِّ قد ضربتُ فيها . ومبطناً : ضامر البطن .

والسُّهْدُ بضمّتين : قليل النوم . وإذا ظرف لِسُهداً . قال التبريزى : قوله نامَ ليلِ الهوجل جعل الفعلَ للَّيلِ لوقوعه فيه ، أى نام الهوجل فى ليله . والهوجل : الثَّقِيلُ الكسلان ، وقيل الأحق لا مُسكة به . وبه سمّيت الفلاة التى لا أعلامَ بها ولا يُهتدى فيها : الهوجل . أى أنت الأمُّ بهذا الولد ذكياً حديد الفؤاد ، يسهر إذا نام الهوجل .

قال العينى : ما زائدة ، ويحتمل أن تكون مصدرية ، أى حين نوم ليلِ الهوجل . انتهى .

والصواب الأوّل ، لأنّ إذا لا تضاف إلى مفرد .

وقوله : « ومبرأً من كلّ » إلخ ، هو معطوف على حوش الفؤاد ، وقد وقع فى الحماسة قبل البيتين قبله^(١) . وقال التبريزى : ويروى بالنصب والجَر ، فالنصب عطفٌ على غير مهبل ، كأنه قال : شبَّ فى هاتين الحالتين . وإذا جرّته كان عطفاً على قوله : جلدٍ من الفتيان .

وغيّرُ الحيض ، بضم المعجمة وتشديد الموحدة المفتوحة : بقاياه ، وكذلك غيِّره بسكون الموحدة ، وكذلك غيّر اللبن : باقيه فى الضَّرْع . والحيضة بالكسر : الاسم ، وبالفتح المرّة . وكلّ للتأكيد ، كأنه نفي

(١) ط : « على البيتين قبله » ، صوابه فى ش . والواقع أن البيت الذى أوله « ومبرأ » وقع فى الحماسة سابقاً ترتيبه فى الحماسة للأوّل منهما ، وبليه بيت « حملت به فى ليلة مزودة » ، ثم بيت « فانت به حوش الفؤاد » ، .

٤٧٢

قليلَ ذلك وكثيره . وأضاف الفساد إلى المرضعة لآنَّه أراد الفساد الذي يكون من قبلها . وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى ملاسة . والمُغِيل ، بضم الميم وكسر الياء ، من الغِيل ، وهو أن تُغشى المرأة وهي تُرضع ، فذلك اللبن الغِيل . يقال أغالت المرأة ، إذا أرضعته على حَبَل . ويروى بدله : « معضل » ، وهو الذي لا دواء له ، كأنَّه أعضل الأطباء وأعياهم . وأصل العَضل المنع . يقول : إنَّها حملت به وهي ظاهرٌ ليس بها بقيةٌ حيض ، ووضعتُه ولا داءَ به استصحبه من بطنها فلا يقبلُ علاجاً ، لأنَّ داءَ البطن لا يفارق . ولم تُرضعه أمه غيلاً ، وهو أن تسقيه غيلاً وهي حُبلى بعد ذلك

وقوله : « وإذا نبذت له » إلخ ، نبذتُ الشيء من يدي ، إذا طرحته . وروى السكري : « وإذا قذفت » يعني أنك إذا رميته بحصاة وهو نائمٌ وجدته ينتبه انتباهً من سمع بوقعها هدَّةً عظيمةً ، فيطمر طموراً الأخیل ، وهو الشقيراق . وانتصاب طمور بما دلَّ عليه قوله : « فزعاً لوقعها » كأنَّه قال : رأيته يطمر طموره ، لأنَّ الخائف المتيقظ يفعل ذلك . والطُمور : الوثب . وقال بعضهم : الأخیل : الشاهين ، ومنه قيل تخيَّل الرجل ، إذا جَبَنَ عند القتال فلم يشبث . والتخيُّل : المضيُّ والسرعة والتلون .

وقوله : « وإذا يهبُّ من المنام » أي يستيقظ . ورأيتَه ، أي رأيتُ رُتوبه فحذف المضاف . ورُتوب الكعب : انتصابه وقيامه . يقول : إذا استيقظ من منامه انتصب انتصاب كعب الساق . وكعب الساق منتصبٌ أبداً في موضعه . والزَّمَل بضم الزاى : الضَّعيف النَّوْم .

وقوله : « ما إن يمسُّ الأرضُ » إلخ . إن زائدة . قال القارِى : يقول إذا اضطجع لم يندلق بطنُه ، إنّما يمسُّ منكبه الأرض وهو خميص البطن . ولَمَّا قال لا يمسُّ الأرضُ إلا منكبٌ عُلِمَ أَنَّهُ خميص البطن ، فاكتفى بمعناه عن ذكره . يقول : مِنْ ضَمِرِ بطنه وخُصِّصه إذا اضطجع لا يمسُّ الأرضُ منه شَيْءٌ إلاَّ منكبُهُ . ثم جعله لطيفاً مثل محمّلٍ فى طيِّه .

وقوله : « طَيَّ المحمّل » يريد حمائل السِّيف ، بكسر الميم الأولى . أراد أَنَّهُ مدمج الخلق كطى المحمّل ، كَأَنَّهُ قال : طَوَّى طَيَّ المحمّل . وقال التبريزى : انتصب على المصدر بما دلَّ عليه ما قبله ، لأنَّه لَمَّا قال : يمسُّ الأرضُ منه إذا نام جانبُه وحرفُ الساق ، عُلِمَ أَنَّهُ مطوى غير سمين . والمعنى إذا نام لا ينبسط على الأرض ولا يتمكّن منها بأعضائه كلّها حتّى لا يكاد يتشمرّ عند الانتباه بسرعة .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى شرح الألفية) على أَنَّ طَيَّ المحمّل نصب بتقدير : يطوى طَيَّ المحمّل .

وقوله : « وإذا رميت به الفِجَاج » إلخ . قال القارِى : أى حملته عليها . والفِجَجُ : الطريق الواسع فى قُبَلِ جبل ونحوه . قال التبريزى : الهوى بضم الهاء هو القصد إلى أعلى ، وبفتحة الهاء إلى أسفل . وعلى ذلك قول زهير .

* هوىّ الدّلُو أسلمها الرّشاء ^(١) *

(١) صدره فى ديوان زهير ٦٧ :

* فشح بها الأماز وهى تهوى *

فلا تخيّر^(١) في رواية البيت على الضم ، وإن كان قد قيل غير ذلك .
انتهى .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾^(٢)
من سورة إبراهيم ، على أن تهوى بمعنى تسرع إليهم وتطير شوقاً ، كما في البيت .
والمخارم : جمع مخرم كجعفر ، وهو منقطع أنف الجبل . والخرم :
أنف الجبل . والأجلد : الصقر .

وقوله : « وإذا نظرتَ إلى أسرة وجهه » قال التبريزي : الخطوط التي
في الجبهة الأغلب عليها سرار ، وتجمع على الأسرة . والتي في الكف
الأغلب عليها سيرر وسُرر ، وتجمع على الأسرار . وقد قيل الأسرة الطرائق .
والعارض من السحاب : ما يعرض في جانب من السماء . وتهل الرجل
مرحاً واهتلاً ، إذا افتّر عن أسنانه في التبسم . يقول : إذا نظرتَ في وجهه
رأيتَ أسارير وجهه تُشرق إشراق السحاب المتشقق بالبرق . يصفه بحسن
البشر وطلاقة الوجه .

٤٧٣

قال السيوطي (في شرح أبيات المغني) : أخرج أبو نعيم (في الدلائل)
والخطيب ، وابن عساكر ، بسند حسن عن عائشة قالت :

كنت قاعدةً أغزل ، والنبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ،
فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً ، فبهت فقال : مالك
بهت ؟ فقالت : جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ، ولو
راك أبو كبير الهدى لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول :

(١) ط : « فلا تختّر » .

(٢) الآية ١٣٧ من سورة إبراهيم .

* ومبرأً أَمِنْ كُلِّ غَبْرٍ حَيْضَةٍ * ... البيت

* وإذا نظرت إلى أسرة وجهه * ... البيت

وقوله: « يحمى الصُّحَابَ » إلخ ، العَيْلُ ، بضم العين وتشديد المثناة التحتية : جمع عائل ، وهو الفقير .

وأبو كبير الهذلي : شاعرٌ صحابي ، اشتهر بكنيته . واسمه عامر بن أبو كبير الهذلي الحُلَيْس ، أحد بني سهل بن هذيل . كذا قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) وغيره .

والحُلَيْس : مصغر الحِلْس ، بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وآخره سين مهذلة . والحلس للبعير : كساءٌ رقيق يكون تحت البرذعة .

وأبو كبير ، بفتح الكاف وكسر الموحدة ، على وزن خلاف الصَّغير . وقد أورده ابن حجر (في القسم الأول من الإصابة) ولم يذكر اسمه فقال : أبو كبير ، بالموحدة ، الهذلي ، ذكره أبو موسى وقال : ذكر عن أبي اليقظان أنه أسلم ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : أحلَّ لي الزَّنى . فقال : «أتحبُّ أن يؤتى إليك مثلُ ذلك؟» قال : لا . قال : « فارضَ لأخيك ما ترَضَى لنفسك » . قال : فادعُ الله لي أن يُذهبَ عني . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظُ عورةَ العشيرةِ لا يأتِيهمُ من ورائهم وكَفُ)

على أنَّ الأصل : الحافظون عورةَ العشيرة ، فحذفت النون تخفيفاً .

وهذا على رواية نصب عورة . وأمَّا على رواية جرّها فالنونُ حذفت

لِلإِضَافَةِ .

وقد تقدّم الكلام عليه مفصّلاً في الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين^(١).

والوكف ، بفتح الواو والكاف : العيب والعار .

* * *

وأنشد بعده :

(أَبْنَى كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَى اللَّسَا قَتَلَ الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَا)
على أَنَّ أصله اللذان قتلا الملوك ، فحذفت النون من الموصول تخفيفاً.
وتقدّم الكلام عليه أيضاً في الشاهد الثالث والعشرين بعد الأربعمئة^(٢)

* * *

وأنشد بعده :

(وإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ)
على أَنَّ أصله إن الذين حانت ، فحذفت النون منه تخفيفاً .
وتقدّم الكلام عليه أيضاً في الشاهد السادس والعشرين بعد الأربعمئة^(٣).
وحانت : هلكت ، من الحَيْن ، وهو الهلاك . وفلج ، بفتح الفاء
وسكون اللام وآخره جيم : موضعٌ في طريق البصرة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الستمائة ، وهو من شواهد
سبيويه^(٤) :

٦٠٩ (وَكَرَّارٌ خَلَفَ الْمُجَحَّرِينَ جَوَادِهِ
إِذَا لَمْ يُحَامِ دُونَ أَنْشَى حَلِيلُهَا)

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .

(٢) الخزانة ٦ : ٦ ، ١٣ .

(٣) الخزانة ٦ : ٢٥ ، ٣٤ .

(٤) في كتابه ١ : ٩٠ . وانظر ديوان الأخطل ٢٤٥ ومعاني الفراء ٢ : ٨١ .

على أنّه قد فُصل اسم الفاعل المضاف إلى مفعوله عنه بظرفٍ ،
والأصل : وكرّارُ جَوَادِهِ خَلْفَ الْمُجَحَّرِينَ .

وهذه رواية الفراء ، قال (في تفسيره) : إذا اعترضت صفةً بين
خافض وما خَفَضَ جاز إضافته ، مثل قولك : هذا ضاربٌ في الدار
أخيه ، ولا يجوز إلّا في شعر ، مثل قوله :

مُؤَخَّرٌ عَنْ أَنْيَابِهِ جِلْدِ رَأْسِهِ فَهِنَّ كَأَشْبَاهِ الزَّجَاجِ خُرُوجُ^(١)
بخفض جلد . وقال الآخر :

* وكرار دون المجحرين جواده * . . . البيت

بخفض جواده .

وزعم الكسائي أنّهم يُؤثرون النصب إذا حالوا بين الفعل والمضاف
بصفة^(٢) ، فيقولون : هو ضاربٌ في غير شيء أخاه ، يتوهّمون إذْ
حالوا بينهما^(٣) أنّهم نَوَّنوا . انتهى .

والصفة عند الكوفيين : الجار والمجرور والظرف .

وتقدّم نقلُ كلامِ الفراء برُمّته في الشاهد الحادى والتسعين بعد
المائتين^(٤) .

وأما عند سيبويه فهو مضافٌ إلى خلفٍ ، وجواده منصوب . وهذا
نصّه :

(١) في معاني الفراء : « لمن » موضع « فهن » .

(٢) في معاني الفراء : « بين الفعل والمضاف بصفة » ، وما هنا صوابه .

(٣) ط : « إذا حالوا » ، وأثبت ما في ش ومعاني الفراء .

(٤) الخزائن ٤ : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

ولا يجوز : يا سارق الليلة أهل الدار إلا في الشعر ، أى بنصب الليلة وجر أهل ، كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور^(١) . وإذا كان منوناً ، فهو بمنزلة الفعل الناصب ، تكون الأسماء فيه منفصلة . قال الشماخ :

رب ابن عم لسليمي مُشمعلٌ طبّاخ ساعات الكرى زاد الكسل^(٢)
وقال الأخطل :

* وكرار خلف المجحّرين جواده * . . . البيت »

قال الأعلم في البيت الأول : الشاهد فيه إضافة طبّاخ إلى ساعات ونصب زاد على التعدّي ، والتقدير : طبّاخ ساعات الكرى ، على تشبيه الساعات بالمفعول به ، لا على الظرف . ولا يجوز الإضافة إليها وهي مقدّرة على أصلها من الظرف ، لأنّ الظرف يقدر فيه حرف الوعاء ، وهو في ، والإضافة إلى الحرف غير جائزة ، وإنّما يضاف إلى الاسم . ولما أضاف الطبّاخ إلى الساعات على هذا التأويل اتّساعاً ومجازاً عدّاه إلى الزاد لأنّه المفعول به في الحقيقة . انتهى .

وتقدّم شرحه في الشاهد المذكور .

وقال في البيت الثاني : الشاهد فيه إضافة كرار إلى خلف ونصب الجواد ، والقول فيه كالبيت الذي قبله ، إلا أنّ الإضافة إلى خلف أضعف ، لقلة تمكّنها في الأسماء . ويجوز فيه من الفصل ما جاز في الأول ، والأوّل أجود . انتهى .

(١) يعنى المضاف والمضاف إليه .

(٢) ديوان الشماخ ١٠٩ . وقد نسب فيه إلى جبار بن جزء بن ضرار ، ابن أخى الشماخ .

وقال ابن خلف : الشاهد إضافة كَرَّارٍ إلى خلف وهو ظرف ، فإذا نُصِبَ نصبَ المفعول به على السَّعة جاز أن يضاف إليه كما يضاف إلى المفعول به ، وهذا هو الوجه . وقد أنشد^(١) بعضهم بجراً جواده ، فهذا مثل التفسير الذي في :

* طباخ ساعاتِ الكرى زاد الكسل *

وهو في كَرَّارٍ خلف أحسن ، لأنَّ خلفَ أقلَّ تمكُّناً وأضعف من ساعات . انتهى .

وكَرَّارٌ بالرفع معطوف على عروفٌ في بيت قبله كما يأتي . وهو فعَّال من كَرَّ الفارس كَرَّاً من باب قتل ، إذا فرَّ للجَوْلان ثم عاد للقتال . وضمَّته معنى العطف والدفع ، ولهذا تعدَّى إلى المفعول . والمجحرين^(٢) اسم مفعول من أجحره ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، أى ألجأه إلى أن يدخل جُحره فأنجحره ، أى يكرُّ كَرّاً كثيراً جواده خلف المجحرين ، وهم الملجئون المغشئون ، ليحامي عنهم ويقاتل في أدبارهم . والجواد : الفرس الكريم . (لم يحام) : لم يدافع ، بإشباع كسرة الميم للوزن . ودون بمعنى أَمَامَ وقَدَّام . وأراد بالأنثى أعمَّ من الزوجة والبنت والأخت والأم . و(الحليل) : الزوج . والحليلة : الزوجة ، سمياً بذلك لأنَّ كلَّ واحد منهما يحلُّ للآخر دون غيره ، أو لأنَّه يحلُّ من صاحبه محلاً لا يحلُّه غيره . ووصفه بالشجاعة والإقدام . يقول : إذا فرَّ الرجال عن نسايمهم وأسلموهنَّ للعدوِّ قاتل عنهم وحماهم .

ورواية البيت في ديوان الأخطل كذا :

(١) ش : « أنشده » ، مع أثر تغيير .

(٢) ما بعده إلى كلمة « خلف » التالية ساقط من ش .

وَكَّرَّارُ خَلْفِ الْمَرْهَقِينَ جَوَادَهُ حِفَاطًا إِذَا لَمْ يَحْمَرْ أُنْثَى حَلِيلُهَا

و (المرهق) : اسم مفعول من أرهقته ، إذا أعسرته وضيقته عليه .
وقال السكري (في شرح ديوانه) : المرهق : الذي قد غشيه السلاح .
و (الحفاظ) : الحماية ، علة لقوله كرّار . وإذا ظرف لكرّار .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للأخطل النصرائي ، مدح بها همام بن مطرف التغلبي . وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد (رأيتُ قُروم ابنتي نزارٍ كليهما إذا خطرت عندَ الإمام فحوطها
يَرَوْنَ لَهُمْ سَامَ عَلَيْهِمْ فُضَيْسِلَةٌ إذا ما قُروم الناس عُدَّتْ فضولها
فتى الناسِ هَمَّامٌ وموضعُ بيته برابيةٍ يعملو السَّروابي طولها
فلو كان هَمَّامٌ من الجنِّ أصبحت سجوداً له جنُّ البسلاد وغولها)
إلى أن قال :

(جوادٌ إذا ما أمحلَّ الناسُ مُمرَعٌ كريمٌ ، لجَوَعَاتِ الشَّتَاءِ قَتُولُهَا^(١)
إذا نَائِبَاتُ الدَّهْرِ شَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَفَاهُمْ أَذَاهَا وَاسْتُخِفَّ ثَقِيلُهَا^(٢)
عَرُوفٌ لِإِضْعَافِ الْمَرَايِزِ مَالُهُ إذا عَجَّ مَنَحُوتُ الصَّفَاةِ بَخِيلُهَا^(٣)
وكرر خلف المرهقين جواده)
... البيت

القروم : الأشراف والسادة . وابنا نزار هما ربيعة ومضر . وأمحلَّ
النَّاسُ : أقحطوا . ومُمرِعٌ : ذو خِصْبٍ ونَعْمَةٍ . وشَقَّتْ من المشقَّة .

(١) في الديوان ٢٤٤ : « لجوَعَاتِ النساء » .

(٢) في الديوان : « شفت عليهم » بالفاء ، يقال شف عليه ثوبه يشف شفوفاً ، وشفيقاً ،
أي رق حتى يرى ما خلفه . وفي الديوان أيضاً : « فاستخف ثقيلاً » ، مبدوءاً بالفاء .
(٣) ش : « لأصناف » ، تحريف . وفي الديوان : « لأصناف » بالهمزة المفتوحة .

والعروف : الصُّبور هنا ، ومبالغة العارف . وإضعاف مصدر أضعف يضعف ، وهو من الضَّعْف ضدَّ القوَّة . والمرأى : جمع المرزأ ، بفتح الميم فيهما ، مصدرٌ بمعنى المصيبة ، وهو حدوث أمرٍ يذهب به المالُ . قال (في المصباح) : «الرَّزِيَّةُ : المصيبة ، وأصلها الحمز ، يقال رزأته ترزؤه^(١) مهموز بفتحيتين^(٢) ، والاسم الرُّزْءُ كقفل . ورزأته أنا ، إذا أصبته بمصيبة . وقد يخفَّف فيقال رزَيْته أرزأه » . وماله فاعل عروف ، أى هو عروفٌ ماله . وعَجَّ : صاح . والصَّفَاة ، بالفتح : الصَّخرة . قال السكري : ومنحوت الصَّفَاة : الذى إذا سئل لم يُعطِ ، كما لا يبضُّ الحجر إذا نُحِت .

وقال ابن خلف : المنحوت الذى يؤخذ منه شيء بعد شيء بشدَّة . يقول : هذا الرجل يُعطى إذا ضجَّ من السؤال الرجل الذى يُعطى اليسير بعد شدَّة ، ويكون ما يؤخذ^(٣) منه بمنزلة ما ينحت من الصَّخر . وبخيلها يريد بخيل النفس ، فأضمر .

وترجمة الأخطل تقدّمت فى الشاهد الثامن والسبعين^(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد السّائة ، وهو من شواهد سيبويه^(٥) :

٦١٠ (هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتنا أَوْ عبدَ ربِّ أخوا عونِ بنِ مخراقِ)
على أنَّ سيبويه أنشده بنصب عبد ربِّ ، ونصبه بتقدير اسم الفاعل
أولى من تقدير الفعل ، ليوافق المقدّر الظاهر .

(١) ط : « ترزأه » ، صوابه فى ش والمصباح . يريد : رزأته المصيبة ترزؤه .

(٢) يريد فتح عين الماضى وفتح عين المضارع .

(٣) ط : « ما يأخذ » ، صوابه فى ش .

(٤) الخزائن ١ : ٤٥٩ - ٤٦٢ .

(٥) فى كتابه ١ : ٨٧ . وانظر المفتض ٤ : ١٥١ والجمل ٩٩ والعينى ٣ : ٥٦٣ .

والمع ٢ : ١٤٥ والأشونى ٢ : ٣٠١ .

وفيه أَنَّ الأوَّلَى عند سيبويه تقدير الفعل ، فَإِنَّه قَبْلَ أَنْ قال :
«وزعم عيسى أَنَّهُمْ يَنْشُدُونَ هذا البيتَ بنصب عبد ربّ» قال أبو الحسن:
سمعتُه من عيسى^(١) - قال :

وتقول في هذا الباب: هذا ضاربُ زيدٍ وعمرو، إذا أَشْرَكَ بين
الآخر والأوَّل في الجارِّ ، لأنَّه ليس في العربية شيءٌ يعمل في حرف فيمتنع
أَنْ يُشْرَكَ بينه وبين مثله . وإن شئتَ نصبتَ على المعنى ، تضمير له ناصباً
فتقول: هذا ضاربُ زيدٍ وعمراً، كأنه قال : ويضرب عمرواً، أو وضاربُ
عمراً . انتهى .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بإضمار فعل ، كأنه
قال : أو تبعث عبدَ ربّ . ولا يجوز أَنْ يضمَّر إلَّا الفعل المستقبل ،
لأنَّه مستفهم عنه ، بدليل قوله « هل » . ويجوز أَنْ ينتصب عبد ربّ
بالعطف على موضع دينار ، لأنَّه مجرورٌ في اللفظ منصوبٌ في المعنى .
انتهى .

ولم يُصِب الأَعلَمُ في قوله : الشاهد فيه نصب عبد ربّ حملاً على
موضع دينار ، لأنَّ المعنى هل أنت باعثُ ديناراً أو عبدَ ربّ . انتهى .
وإلى تقدير الوصف ذهب ابن السَّراج (في الأصول) قال : أراد
بباعث التنوين ، ونصب الثاني لأنَّه أَعْمَل فيه الأوَّل ، كأنه قال :
أو باعث عبد ربّ . ولو جرَّه على ما قبله كان عربياً ، إلَّا أَنْ الثاني
كلَّمَا تباعد من الأوَّل قوَّى النصب . انتهى .

وإلى تقدير الفعل لا غير ذهب الزَّجاجيُّ^٢ (في الجمل) .

(١) من عيسى ، ساقط من ش . على أن عبارة « قال أبو الحسن : سمعته من عيسى » ليست في
صلب كتاب سيبويه ، وهي بلا ريب من تعليقات الأخفش .

قال ابن هشام اللخمي : الشاهد فيه نصب عبد رب بفعل مضممر وهو مذهب سيبويه . وقد خطأ بعضهم الزجاجي في قوله : تنصبه بإضمار فعل ، وقال : لا يحتاج هنا إلى الإضمار ؛ لأن اسم الفاعل بمعنى الاستقبال وموضع دينار نصب ، فهو معطوف على الموضع ، ولا يحتاج إلى تكلف إضمار ، وإنما يحتاج إلى تكلف الإضمار إذا كان اسم الفاعل بمعنى المضي لأن إضافته إضافة محضة لا ينوي بها الانفصال . والذي قال الزجاجي هو الذي قال سيبويه ، وتمثله يشهد لما قلناه ، وإن كان جائزاً أن يعطف عبد رب على موضع دينار ، ولكن ما قدمنا هو الذي نص عليه سيبويه .
والدليل على أن المراد بباعث في البيت الاستقبال دخول هل ، لأن الاستفهام أكثر ما يقع عما يكون في الاستقبال ، وإن كان قد يستفهم عما مضى ، كقولك : هل قام زيد ؟ لكنه لا يكون إلاً بدليل . والأصل ما قدمنا . انتهى .

وقد نقل العيني كلام اللخمي برؤيته ولم يعزه إليه .

والبيت أورده الزمخشري ، عند قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾^(١) قال : هو استبطاء لهم في الاجتماع ، وحث على مبادرتهم إليه ، كما يقول الرجل لغلame إذا أراد أن يحثه على الانطلاق : هل أنت منطلق ؟ وهل أنت باعث ديناراً ، أي ابعثه سريعاً ولا تبطل به .

قال ابن خلف : ومعنى باعث موقظ ، كأنه قال : أوقظ ديناراً^(٢) أو عبد رب . وهما رجلان .

(١) الآية ٣٩ من سورة الشعراء .

(٢) كذا وردت في النسختين ، والمعروف « أيقظ » بالياء .

وقال اللخمي : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعثوا
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ^(١) ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله
تعالى : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدْنَا ^(٢) ﴾ . غير أنَّ الأحسن هنا أن يكون بمعنى
الإرسال ، إذ لا دليل على النَّومِ في البيت .

٤٧٧

قال الأعلام : يحتمل دينار هنا وجهين : أحدهما أن يكون أراد
أحد الدنانير ، وأن يكون أراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمي : دينار وعبد رب : رجُلان ، وقيل : أراد بدينار
واحد الدنانير ، كما قال بعض الشعراء :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مَرْسَلًا وَأَنْتَ بِهِيَ كَلْفٌ مَغْرَمٌ
فَأَرْسَلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ وَذَاكَ الْحَكِيمُ هُوَ الدَّرْهَمُ ^(٣)

وقال ابن خلف : عبد رب الاسم إنما هو ربّه ، لكنه ترك الإضافة
وهو يريد بها . وأخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أو عبد رب أخى ،
بالجر . وزعم عيسى بن عمر أنه سمع العرب تنشده منصوباً .

وقال العيني : أخا عون بدل من عبد رب ، بدل الشيء من الشيء ، وهما
لعين واحدة .

وقال خضر الموصلي : أخاغون إما عطف ببيان لعبد ربّه أو نعت له على
رواية النصب ، أو منادى عليهما . انتهى .

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .

(٣) أى الحكيم مستغن بحكته عن الوصية . ويقال فى أمثالهم أيضاً : « أرسل حكيمًا
وأوصه » ، أى إنه وإن كان حكيمًا فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك . الميداني ١ : ٢٧٧ والمستقصى
للزنجشیری ١ : ١٤٠ . والبيتان لابن فارس صاحب المقاييس فى ترجمته فى معجم الأدباء ٤ : ٨٧
والثعالبي ، وابن خلكان ، والياقنى ، وابن العماد . وانظر حواشى المقاييس ١ : ١٣ من
مقدمة الناشر .

وعلى النداء يكون أخا عون هو المخاطب في قوله : هل أنت . وكان
هذا الوجه لبعض من شرح الكشاف . ولم أر لخضر الموصلي في تأليفه
بنت فكر . والله أعلم .

و (مخراق) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة : اسم .

والبيت من أبيات سيويه الخمسين التي لم يعرف قائلها . وقال
ابن خلف : وقيل هو لجابر بن رألان السِّنِّي . وسنيس : أبو حي من
طَبَّي .

ونسبه غير خدمة سيويه إلى جرير ، وإلى تأبط شراً ، وإلى أنه
مصنوع . والله أعلم بالحال .

اسم المفعول

أنشد فيه :

(أَدْنُو فَنَنْظُرُ^(١))

هو قطعة بيتٍ تقدّم شرحه في باب الإعراب من أوّل الكتاب ، وهو :

(وَأَنْتَى حَيْثُمَا يَنْثَنِي الْهَوَى بَصْرِي

من حَيْثُمَا سَلَكُوا أَدْنُو فَنَنْظُرُ)

الصفة المشبهة

أنشد فيها :

(أَقَامَتُ عَلَى رُبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَا كُفَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا)

تقدّم شرحه بما لا مزيد عليه في الشاهد الموفى الثلاثة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(رَوَانِفُ أَلَيْتِيكَ وَتُسْتَطَارَا)

هذا عجز ، وصلده :

(مَتَى مَا تَلَقَّنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ)

والروانف : جمع رانفة ، وهي طرف الألية ، فالألّيتان لهما رانفتان.

وإنّما قال روانف باعتبار ما حول كلّ رانفة ، فتكون الألف في تستطارا

ضمير الروانف ؛ لأنّها بمعنى رانفتين .

وهذا قول أبي علي (في المسائل البصرية) .

(١) الشاهد الحادى عشر في الخزانة ١ : ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٩٣ - ٣٠٣ .

وقد تقدّم شرح هذا البيت أيضاً مستوفى مفصّلاً فى الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من شواهد باب المثنى ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد السّائة ^(٢) :

٤٧٨

٦١١ (أَنْعْتُهَا إِنِّىَ مِنْ نُعَاتِهَا كُومَ الذُّرَى وَادَقَّةُ سُرَاتِهَا)

على أن وادقة صفة مشبهة ، وفاعلها ضمير مستتر فيها . و (سُرَاتِهَا) منصوب بالكسرة على التشبيه بالمفعول للصفة المشبهة .

قال أبو على (فى المسائل البصرية) : أنشد الفراء عن الكسائى ، وقد رويناه عن ثعلب عنه (فى نوادر ابن الأعرابى) :

أَنْعْتُهَا إِنِّىَ مِنْ نُعَاتِهَا مُدَارَةَ الْأَخْفَافِ مُجْمَرَاتِهَا
غُلَبَ الذَّفَارَى وَعَفَرَتِيَّاتِهَا كُومَ الذُّرَى وَادَقَّةُ سُرَاتِهَا

قال أبو على : هذا على : هند حسنة وجهها . ففى وادقة ذكر من الإبل وليست للسُّرَاتِ . فافهم . انتهى .

وعدّ ابن عصفور هذا من ضرورة الشعر ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنه نصب معمول الصّفة المشبهة باسم الفاعل فى حال إضافته إلى ضمير موصوفها ، نحو قولك : مررت برجل حسن وجهه بنصب الوجه ، ولا يجوز ذلك إلّا فى ضرورة نحو قوله :

أَنْعْتُهَا إِنِّىَ مِنْ نُعَاتِهَا كُومَ الذُّرَى وَادَقَّةُ سُرَاتِهَا

(١) الخزانة ٧ : ٥٠٧ - ٥٢١ .

(٢) ابن يعيش ٦ : ٨٣ ، ٨٨ والمقرب ٢٨ والضرائر ٢٨٦ والبنى ٣ : ٨٣ والدرر اللوامع ٢ : ١٣٥ عرضاً والأشعشع ٣ : ١١ والأصمعيات ٣٤ .

ألا ترى أَنَّهُ قد نوَّن وادقة ونصب معمولها وهي مضافة إلى ضمير موصوفها ، وكان الوجه أن ترفع السُّرَات^(١) ، إِلَّا أَنَّهُ اضطرَّ إلى استعمال النصب بدل الرفع ، فحمل الصفة ضميراً مرفوعاً عائداً على صاحب الصفة ، ونصب معمول الصِّفة إجراءً له في حال إضافته إلى ضمير الموصوف مُجره إذا لم يكن مضافاً إليه . وكذلك أيضاً لا يجوز خفض معمولها في حال إضافته إلى ضمير الموصوف إِلَّا عند الاضطرار ؛ لَأَنَّ الخفض لا يكون إِلَّا من نَصَب . ومن ذلك قولُ الأعشى :

فقلتُ له هذه هاتِها إلينا بأدماءٍ مقتادِها^(٢)

ألا ترى أَنَّهُ أَضاف الصِّفة ، وهي أدماءٌ ، إلى معمولها وهو مقتاد في حال إضافته إلى ضمير موصوفه . وقولُ الآخر في الصَّحيح من القولين :

أقامتُ على ربيعهما جارتا صَفَاً

كُمتَا الأعالي جَوْنَتَا مُصْطَلاهما^(٣)

ألا ترى أَنَّهُ أَضاف الصفة وهي جونتَا إلى معمولها وهو مُصْطَلَى في حال إضافته إلى ضمير موصوفه . انتهى .

ونقل ابنُ الناطم (في شرح الألفية) عن سيويه أَنَّ الجرَّ في هذا النحو من الضرورات ، وَأَنَّ النصب من القسم الضعيف . وأنشد البيت . ولم يصب العينيُّ في قوله : الاستشهادُ عند ابن الناطم في نصب سُرَاتِها ، لَأَنَّ فيه شاهداً على جواز زيد حسن وجهه بالنصب . انتهى .

(١) ط : « السراة » ، خطأ كتابي ، صوابه في ش والضرائر .

(٢) ديوان الأعشى ٥١ . والرواية فيه :

* بأدماء في حبل مقتادها *

(٣) للشاخ في ديوانه ٨٦ . وانظر الخزاعة ٤ : ٢٩٣ وهو الشاهد الموفق الثلاثمائة .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : قوله وادقة سرّاتها نظير حسن وجهه . وسرّاتها بالكسر فى موضع النصب على التمييز . انتهى .

وهذا إنّما هو على مذهب الكوفيين ، والبصريون يقولون : منصوب على التشبيه بالمفعول .

ثم نقل عن صاحب المقتبس أنّ عبد القاهر قال : الأصل وادقة السرّات ^(١) ، فنابت الإضافة عن اللام كما تنوب اللام عن الإضافة . انتهى .

ولا يخفى أنّ المعهود عند النحاة هو الثانى لا الأوّل .

[قال ^(٢)] : والرجز المذكور أنشده ابن الأعرابي (فى نوادره) على ذلك الترتيب . وبعد البيت الشاهد :

* حَمَلْتُ أَثْقَالِي مَصْمَمَاتِهَا *

ثم سبعة أبيات أخر لا حاجة لنا بإيرادها . وإنّما جمعوا فى الاستشهاد بين البيت الأوّل والبيت الرابع للاختصار ، ولظهور المعنى إجمالاً .

وقوله : (أنعتها) إلخ ، الضمير للإبل ، فإنّ النعوت الآتية إنّما هى لها . نَعَتَهُ نعتاً من باب نفع : وصفه . و(نُعَات) بالضم والتشديد : جمع ناعت . وقوله : « مُدَارَةُ الْأَخْفَافِ » منصوب بتقدير أعنى ونحوه على المدح ، وكذا الحال فى الأوصاف الآتية . والمعنى أنّ أخفافها مدوّرة . مُجْمَرَاتُهَا ، أى مجمرات الأخفاف . والمُجْمَر بضم الميم وسكون الجيم

(١) ط : « السراة » ، تحريف .

(٢) التكلّة من ش .

وفتح الميم الثانية قال صاحب الصحاح^(١) : حافر مُجَمَّر ، أى صلب .
 وقوله : « غلب » إلخ الغَلَبُ بفتح الغين المعجمة واللام : غِلْظُ الرِّقْبَةِ ،
 والوصف أغلب والجمع غُلْب . والذَّفَارَى ، بفتح الذال المعجمة بعدها
 فاء آخره ألف مقصورة : جمع ذَفْرَى بكسر الأوّل وسكون الثانى والقصر ،
 قال صاحب الصحاح^(٢) : الذَّفْرَى من القفا هو الموضع الذى يعرق من
 البعير خلف الأذن ، والألف للتأنيث وقيل للإلحاق بدرهم . وأراد بالذَّفْرَى
 العنق ، من قبيل المجاز المرسل . وعَفْرَنِيَّاتُهَا : جمع عَفْرَنَاءَ بفتح العين
 المهملة والفاء وسكون الراء والنون ، والألف للإلحاق بسفرجل ، والتاء
 للتأنيث . قال صاحب الصحاح : وناقَة عَفْرَنَاءَ أى قويّة . وأنشد هذا
 البيت .

وقوله : (كَوْمَ الذُّرَى) منصوب على المدح كالذى قبله كما تقدّم .
 وهو بضم الكاف : جمع كَوْمَاءَ بفتحها وبالمد ، وهى الناقة العظيمة السنام .
 والذُّرَى بضم الذال : جمع ذِرْوَةٍ بكسرها^(٣) ، وهى أعلى السنام . و(وادقة)
 منصوب أيضاً ، من ودق ، إذا دنا ، لأنها إذا سمت دنت إلى
 الأرض من سمنها . يقال بغير وديق السُرّة ، أى سمينها . ووادقة صفة
 مشبهة ، لأنه أريد به ثبات معناه ودوامه ، وإن كان بزنة اسم الفاعل
 الموازن يفعل ، لأنه لا يرد به تجدد معناه وانقطاعه . وقال الخوارزمى :
 ودق : دنا ، والمراد به السَّمَن ههنا ، لأنها متى سمت خرجت من
 السَّمَن سُرَّتْهَا ودنت إليك . وسُرَّتْهَا بضم السين وتشديد الراء : جمع
 سُرّة ، وهى موضع ما تقطعه القابلة من الولد .

(١) الكلام بعده إلى « صاحب الصحاح » الثانية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهى السقط الذى نهت عليه .

(٣) الحق أنها بكسر الذال وضمتها أيضاً ، كما فى المعاجم .

قال التبريزى (فى شرح الكافية الحاحية) بعد إيراد هذا البيت :
ولا يجوز تقديم المنسوب على العامل لأنّه مرفوع فى المعنى . ويجوز فى
هذه المسألة وفى مررت بزيد الحسن وجهه ، بنصب وجهه ، أن تُثنى ^(١)
الصفة فيهما وتجمع وتؤنث وتذكّر : بحسب المعنى . انتهى .

وقوله : « حملت » إلخ ، هو بتشديد الميم يتعدّى إلى مفعولين ، الأوّل
أثقال وهو جمع ثقل بفتح حتين ، وهو المتاع ، كسبب وأسباب . والثانى :
مصمّماتها ، جمع مصمّمة ، بكسر الميم المشدّدة ، من صمّم فى الأمر ، إذا
مضى فيه .

وجميع القوافى ما عدا الأولى منصوبة بالكسرة ، لأنها جمع مؤنث
سالم .

والزّمخشى إنما أورد البيت الشاهد . وزعم بعض شراح أبياته من
فضلاء العجم أنّه عجز ، وصدره :

« رعت كما شاءت على غراتها *

وقال : الغرة بالكسر : الغفلة . وكوم الذرى بالرفع : فاعل رعت .
وهذا من عدم تمييزه بين الرجز والشعر ، مع أنّ الذى ضمّه ليس من
الرجز ^(٢) .

وهذا الرجز لم ينسبه ابن الأعرابى إلى أحد ، وإنما قال : هو لبعض
الأسديين يصف إبلاً . وقال العينى : قائله عمير بن لَحَا ، بالحاء المهملة ، التيمى .

٤٨٠

(١) ش : « يثنى »

(٢) يعنى بالذى ضمه السبعة الأبيات التى أشار إليها البغدادى فى ص ٢٢٣ بقوله « ثم سبعة
أبيات آخر لا حاجة لنا بإيرادها » . وقد ظن مصحح طبعة بولاق أن البغدادى يشير إلى الشعر
الأسير هنا وهو « رعت كما شامت على غراتها » . وقال مترضاً « بل هو رجز كما هو ظاهر » .
فأخطأ هو فى تحطّته للبغدادى .

ولم أعرف شاعراً كذا ، وإنما المعروف عُمر^(١) بن لجأ التيمي .
وعُمر^(٢) مكبر لا مصغر . ولجأ بفتح اللام والجيم مهموز الآخر . والله
أعلم بحقيقة الأمر .

والبيت الذى أنشده ابن عُصفور لأعشى بكر إنما الرواية فيه :

فقلتُ له هذه هاتِها بأدماء في جبل مُقتادها

فلا ضرورة فيه . وقبله :

فقمنا ولما يصبحُ ديكنا إلى جونةٍ عند حدادِها

ويعنى بالحداد الخمار ، لأنه يمنع من الخمر ويحفظها . وكلُّ
من حفظ شيئاً ومنع منه فهو حداد . وهذه إشارة إلى الجونة المذكورة ،
وهى الخابية ، جعلها جونة لاسودادها من القار . والمعنى : هات هذه
الخابية وخُذْ هذه الناقة الأدماء ، أى البيضاء ، بحبل قائدها . والأدمة
فى الإبل : البياض ، وفى الناس : السُمر ، وفى الأطباء : سمرَةٌ فى ظهورها
وبياضٌ فى بطونها . وضمير له للحداد . وبأدماء حال ، كأنه قال :
مشتراة بأدماء . وفى حبل صفة لأدماء ، كأنه قال : بأدماء مشدودة فى
حبل قائدها ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أى وهى فى حبل قائدها ، والجملة
حال . والجونة بفتح الجيم ، معناه السوداء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد السائة ، وهو من شواهد

سيبويه^(٣) :

(١) ط : « عمرو » ، صوابه فى ش . وقد تقدمت ترجمته فى ٢ : ٢٩٩ - ٣٠٢ .
وانظر الشعر والشعراء ٦٨٠ - ٦٨١ .

(٢) ط : « عمرو » ، صوابه فى ش .

(٣) فى كتابه ١ : ١٠٣ . وانظر العيني ٣ : ٦١٧ وديوان رؤبة ١٥ .

٦١٢

(الحَزْنُ باباً والعَقُورُ كَلْباً)

على أنّه كناية عن البخل ، كما أنّ جبان الكلب كناية عن الجود .
وأنشده سيبويه على أنّ نصب باب و كلب على حَدِّ الحسن وجهاً .

والبيت من رجز لرؤبة بن العجاج . وقبله :

* فذاك وخمٌ لا يبالي السِّبَا *

والوخم : الثقيل . يقول : ذاك من الرجال وخمٌ ثقيل لا يرتاح
لفعل المكارم ، ولا يَهْشُّ للجود ، ولا يبالي أن يُسَبَّ ، ويرى المال أحبَّ
إليه من عرضه .

(الحزن) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي : صفة مشبهة ، وهو
خلاف السَّهْل . وكذلك (العقور) صفة مشبهة . قال الأزهري : الكلب
العقور : هو كلُّ كلب يَعْقِرُ ، من الأسد والفهد والنمر والذئب . يقال
عَقَرَ النَّاسَ عَقْراً ، من باب ضرب ، أي جرحهم ، فهو عقور ، والجمع
عُقُرٌ مثل رسول ورُسُل . و (باباً) و (كلباً) تمييزان .

وصف رؤية رجلاً بشدة الحجاب ومنع الضَّيْف ، فجعل
بابه حزناً وثيقاً لا يُسْتَطَاع فتحه ، وكلَّبه عقوراً لمن حلَّ بفنائه
طالباً لمعروفه . يقول : إنّ من أتاه لقي قبل الوصول إليه مايكره من حاجب
أو بوابٍ أو صاحب . وجعل له كلباً على طريق الاستعارة ، كما يكون
في البادية .

وترجمة رؤية تقدّمت في الشاهد الخامس من أول الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(لحافى لحافُ الضَّيفِ والبُرْدُ برْدُه)

على أَنَّ اللام في قوله و « البرد » بدل من الضمير ، والتقدير :
وبردى برده .

وهذا صدرٌ وعجزه :

(ولم يُلْهِنِي عنه غزالٌ مَقْنَعٌ)

وقد تقدّم شرحه في الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(رحيبٌ قطابُ الجيبِ منها)

تمامه :

(. رفيقةٌ بجسِّ النداءى بضّة المتجرّد)

على أن رحيبٌ مضاف إلى قطاب ، وقطاب مضاف إلى الجيب .

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد الحادى بعد الثلاثمائة من باب الإضافة^(٢) .
والرواية الصحيحة تنوين رحيبٌ ورفع قطابٌ على الفاعلية . وضمير
منها لقينة في بيت قبله .

و (الرحيب) : الواسع . و (قطاب الجيب) : مجتمعه حيث قُطِب ،
أى جُمع ، وهو مخرج الرأس من الثوب . وإنما وصف قطاب جيبها
بالسعة لأنها كانت توسّعه ليلبّس صدرها فيُنظر إليه ويُتلذذ به . ورفيقة

(١) الخزانة ٤ : ٢٥١ - ٢٥٥ .

(٢) الخزانة ٤ : ٣٠٣ - ٣٠٧ .

بالفء ثم القاف : الملائمة والليونة . (والجس) بفتح الجيم : اللبس .
و (بضّة) : ناعمة رقيقة . والمراد بالمتجرد حيث يتجرد من بدنّها ، أى
يُعرى من الثوب ، وهو الأطراف . وخصّه بالذكر مبالغةً فى نعومتها ،
لأنّه إذا كان ما تصيبه الرّيحُ والشمس والبرد من اليدين والرجلين
بضّاً ناعماً رقيقاً ، كان المستتر بالثياب أشدّ بضاضة ونعومة . وهذا هو
المعنى الجيّد بخلاف ما أسلفناه هناك تبعاً لشرّاح المعلقات ، وهو قولنا
المتجرد : ما ستره الثياب من الجسد ، أى هى بضّة الجسم عند التجريد
من ثيابها . ولا يخفى ضعفه وركاكته . وهذا المعنى لاح لنا والله الحمد .

والبيت من معلّقة طرفة بن العبد ، وتقدّمت ترجمته فى الشاهد
الثانى والخمسين بعد المائة^(١) .

أفعل التفضيل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد السّائة^(١) :

(أبيضُ من أختِ بني أباضِ)

على أنَّ الكوفيَّين أجازوا بناءً أفعل التفضيل من لفظي السّواد والبياض كما هنا ، وهو شاذٌّ عند البصريين .

قال شارح اللباب : أجاز الكوفيون التعجّب من السّواد والبياض لأنّهما أصول الألوان . وأنشدوا :

إذا الرجالُ شتَوْا واشتدَّ أكلهمُ فأنْتَ أبيضهمُ سربالَ طبَّاخٍ^(٢)
وأنشدوا أيضاً :

جاريةٌ في درعها الفَضْفاضِ أبيضُ من أختِ بني أباضِ
وجاء في شعر المتنبي :

* لأنْتَ أسودُ في عيني من الظُّلمِ^(٣) *

وقالوا : لما جاء منهما أفعل التفضيل جاء بناءً التعجب . والاستشهادات ضعيفة ، لأنّها من ضرورة الشعر لا في سعة الكلام ، فيكون نادراً .

(١) أمالي المرتضى ٢ : ٣١٧ والإنصاف ١٤٩ والجل ١١٥ وابن يميث ٦ : ٩٣ / ٧ : ١٤٧ وملحقات ديوان روضة ١٧٦ .

(٢) لطرفة بن العبد في ديوانه ١٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) من قصيدته التي مطلعها في الديوان ٢ : ٣٠٠ :

ضيف ألم برأسى غير محتمم والسيف أحسن فعلا منه باللمم
وهو التالي لهذا المطلع . وصدده :

* أبعد بمدت بياضاً لا بياض له *

والبيت هو الشاهد ٦١٤ فيما سيأتى .

وقولهم : إنَّهما أصْلان للألوان ممنوع ، وبعد تسليمه فدلِيلُ المنع قائمٌ فيهما وإن كانا من أصول الألوان .

وقال أيضاً في آخر الكتاب : هذه الأبيات ليست بحجّة للشذوذ ، مع أنَّه يحتمل أن يكون أبيض في البيتين أفعال الذي مؤنثه فعلاء : فلا يكون للتفضيل ، فكأنَّه قال : أنت مبيضُّهم . وانتصب سربال على التمييز . وكذا البيت الآخر لا يكون بالتفضيل ^(١) أيضاً ، بل معناه مبيضة هي من أخت بنى أباض . انتهى .

٤٨٢ وهذا محصل كلام ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) وقال : الأبيات ضرورة ، أو أبيض فيهما أفعال الذي مؤنثه فعلاء ، لا الذي يراد به المفاضلة ، فكأنَّه قيل في الأول : مبيضُّهم ، وفي الثاني : جسدٌ مبيضٌّ من أخت بنى أباض ، ويكون من أخت في موضع الصفة ^(٢) .

وقال ابن يعيش (في باب التعجب) : فإن قيل : لو كان الأمر كما قلّم لقليل بيضاء ، لأنَّه من صفة الجارية . قيل : إنّما قال أبيض لأنَّه أراد في درعها الفضا فض جسدٌ أبيض ، فارتفاه بالابتداء ، والجار والمجرور قبله الخبر ، والجملة من صفة الجارية . انتهى .

وكذا صنيع الشريف المرتضى (في أماليه الغرر والدرر) وزاد في البيت الأوّل أن أبيض وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل ، فحمل لفظ التعجب على المعنى دون

(١) ش : « للتفضيل » .

(٢) في الإنصاف : « ويكون من أخت هنا في موضع رفع ، لأنها صفة لأبيض ، كأنه قال : أبيض كائن من أخت ، كقولهم : أنت كريم من بنى فلان » .

اللفظ . ولو أنه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظ أفعل . فالذى جوز تعجبه هذه اللفظة ما ذكرناه .

هذا كلامه ، ولا يخفى أن البياض لم يُستعمل قط في اللؤم والبخل ، وإنما استعماله في المدح ، وإنما كان هنا ذماً بالنسبة إلى الطباخ . والكلمة في البيت أفعل تفضيل لا تعجب . وهذا ظاهر . ولما كان الظاهر باقتضاء المعنى أن أفعل في الأبيات الثلاثة للتفضيل لم يتعسف الشارح المحقق في تأويلها بإخراجها عن التفضيل ، بل أجاب بأنّها من قبيل الشذوذ وضرورة الشعر . فله دَرُه ما أبعد مرماه ، وما أحكم مغزاه !

وأغرب ما رأيته قول بعضهم : شبه كثرة أولادها لغير رِشدة بالبَيّض . وأبيض بمعنى كثير البيض جائز . هذا كلامه ولا وجه له .

وقال ابن يعيش (في باب أفعل التفضيل) : من اعتلّ بأنّ المانع من التعجب من الألوان أنّها معانٍ لازمة كالأعضاء الثابتة ، نحو اليد والرجل ، فهذان البيتان شاذان قياساً واستعمالاً عنده . ومن علّل بأنّ المانع من التعجب كونُ أفعالها زائدة ، فهما شاذان عند سيويه وأصحابه من جهة القياس والاستعمال . أمّا القياس فإن أفعالها ليست ثلاثية على فعل ولا على أفعل ، إنّما هو أفعلّ وأفعال . وأمّا الاستعمال فأمّره ظاهر . وأمّا عند أبي الحسن الأخفش والمبرد فإنّهما ونحوهما شاذان من جهة الاستعمال ، صحيحان من جهة القياس ، لأنّ أفعالهما بزيادة ، فجاز تقدير حذف الزوائد . انتهى .

صاحب الشاهد قال ابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : البيت الشاهد من رجز لرؤبة بن العجاج . وقبله :

لقد أتى في رمضانَ الماضي جاريةً في درعها الفَضْفَاضِ
تُقَطِّعُ الحديدَ بالإِمَاضِ أبيضُ من أختِ بني أباضِ
قال : كذا أنشده ابن جني . انتهى .

ولم أره في ديوانه . ورأيت (في نوادر ابن الأعرابي) ، ولم ينسبه إلى
أحد :

يالبِتْنَى مثلكِ في البياضِ أبيضُ من أختِ بني أباضِ
جاريةً في رمضانَ الماضي تُقَطِّعُ الحديدَ بالإِمَاضِ
قال ابن السِّدِّ واللخمي : وزاد غير ابن الأعرابي على هذا :

مثلُ الغزالِ زينَ بالخِضَاضِ قَبَاءُ ذاتِ كَفَلٍ رضراضِ ٤٨٣
قال ابن الأعرابي بعد الإنشاد : إذا أومضتُ تركوا حديثهم ونظروا
إليها من حُسْنِها . وقوله « في رمضان الماضي » كان الربيع جمعهم في
ذلك الوقت .

وأورده الفراء (في كتاب الأيام والليالي) شاهداً على أنه يقال
رمضان بدون شهر ، كما يقال معه .

وقال أبو عُمر الزاهد المطرزي ، الشهير بغلام ثعلب (في كتاب
اليوم والليلة) بعد إنشاد الأبيات عن ابن الأعرابي وعن الفراء ، قالا :
يقال هذا شهر رمضان ، وهذا رمضان ، بلا شهر . وأنشد فيمن قال
بلا شهر :

* جاريةً في رَمَضانَ الماضي *

وأخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي ، قال : كان

الرُّؤَاسِيُّ يَكْرَهُ أَنْ يُجْمَعَ رَمَضَانُ ، ويقول : بلغني أَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تعالى . انتهى .

وقال اللَّخْمِيُّ : قال أبو عمرو : والعرب تركوا الشُّهُورَ كُلَّهَا مَجْرَدَةً إِلَّا شَهْرَ ربيع وشهرَ رَمَضَانَ . وَيَرِدُ عَلَيْهِ أَنَّ رُؤْبَةَ أَتَى بِرَمَضَانَ هُنَا مَجْرَدًا مِنْ الشَّهْرِ ، وهو مِنْ فُصَحَاءِ الْعَرَبِ . وجاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : « مِنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ^(١) » . ولكنَّ إِيْثَابَاتِ الشَّهْرِ أَفْصَحَ ، كما نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ . انتهى .

وَالدَّرْعُ : الْقَمِيصُ . وَالْفَضْفَاضُ : الْوَاسِعُ . وَ (أَخْتُ بَنِي أَبَا ض) بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا مَوْحَدَةً ، قَالَ اللَّخْمِيُّ : مَعْرُوفَةٌ بِالْبَيَاضِ . وَقَالَ ابْنُ السَّيِّدِ : وَبَنُو أَبَا ضٍ قَوْمٌ . وَالْخَضَاضُ بِكَسْرِ الْمَعْجَمَةِ ^(٢) : الْيَسِيرُ مِنَ الْحَلِيِّ وَقِيلَ هُوَ نَوْعٌ مِنْهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ أَشْرَفْتَ مِنْ كُفَّةِ السَّتْرِ عَاطِلًا

لَقُلْتَ : غَزَالٌ مَا عَلَيْهِ خَضَاضٌ ^(٣)

وَالْقَبَاءُ : الضَّامِرَةُ الْبَطْنِ ، فَعَلَاءٌ مِنَ الْقَبَبِ ، وَهُوَ دَقَّةُ الْخَضَرِ . وَالرَّضْرَاضُ ، بِالْفَتْحِ : الْكَثِيرُ اللَّحْمِ :

وَقَوْلُهُ : « تَقَطَّعَ الْحَدِيثُ » . إلخ أوردته ابن هشام (في المغني) مع قوله :

* جارية في رمضان الماضي *

(١) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . الجامع الصغير

٨٧٧٥ .

(٢) ضبط في القاموس كسحاب . ونحوه في اللسان .

(٣) بدون نسبة في تهذيب اللغة ٢ : ١٦٥ / ٦ : ٥٤٩ واللسان (خضض ، عطل) . وهو من إنشاد القتاني . وفي ط : « لو أشرفت » بالخرم وبالقف ، صوابه في ش وتهذيب واللسان .

وقال : إِنَّ نَقْطَعَ حِكَايَةَ لِلْحَالِ الْمَاضِيَةِ . وقال الفراء : إِنَّهَا إِذَا تَبَسَّمت وكان الناس على حديثٍ قطعوا حديثهم ونظروا إلى حُسْنِ ثَغْرِهَا . وكذلك قال ابن السِّيد : الإِيْمَاضُ ما يبدو من بياض أسنانها عند الضَّحْك والابتسام . وشَبَّهه بوميض البرق . وقد بيَّن ذلك ذو الرمة بقوله :

وَتَبَسُّمٌ لِمَحِّ الْبَرْقِ عَنْ مَتَوَضِّحٍ

كَلَوْنِ الْأَقَاخِي شَافٍ أَلْوَانَهُ الْقَطْرُ^(١)

وقال آخر :

كَأَنَّ وَمِيضَ الْبَرْقِ بَنَى وَبَيْنَهَا

إِذَا حَانَ مِنْ بَعْضِ الْبُيُوتِ ، ابْتِسَامُهَا^(٢)

وقال اللَّخْمِي : معنى الإِيْمَاضُ أَنَّهُمْ إِذَا تَحَدَّثُوا فَأَوْمَضَتْ إِلَيْهِمْ ، أَيْ نَظَرَتْ ، شَغْلَهُمْ حَسْنُ عَيْنِيهَا فَقَطَّعُوا حَدِيثَهُمْ . وقيل : الإِيْمَاضُ هُنَا التَّبَسُّمُ . شَبَّهَ ابْتِسَامَهَا بوميض البرق في لمعانه ، فيكون معناه كمعنى القول الأوَّل . ويحتمل أَنْ تكون هِيَ المَحْدُثَةُ وَأَنَّهَا تَقْطَعُ حَدِيثَهَا بِالتَّبَسُّمِ . يصفها بطلاقة الوجه وسَمَاحَةِ الْخَلْقِ ، كما قال ذو الرمة :

يُقْطَعُ مَوْضُوعَ الْحَدِيثِ ابْتِسَامُهَا تَقْطَعُ مَاءَ الْمِزْنِ فِي نَزْفِ الْخَمْرِ^(٣)

واقْتَصَرَ الدَّمَامِينِي (فِي الْحَاشِيَةِ الْهِنْدِيَّةِ) فِي تَفْسِيرِ الإِيْمَاضِ عَلَى

(١) فِي الدِّيَوَانِ ٢١٣ : « كَنُورُ الْأَقَاخِي شَافٍ أَلْوَانُهَا الْقَطْرُ » . شَافَهُ : جَلَّاهُ .

(٢) نَحْوُهُ قَوْلُ ذُو الرِّمَةِ فِي دِيَوَانِهِ ٦٤٢ :

أَسِيلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ هِيَفَاءُ طِفْلَةٍ شَمُوسٌ كَالْإِيْمَاضِ الْغَامِ ابْتِسَامُهَا

(٣) الْمَوْضُوعُ : الْخَافَتِ الْمُنْخَفِضُ . وَالنَّزْفُ : الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ وَالْخَمْرُ ، وَاحِدَتُهُ نَزْفَةٌ بِالضَّمِّ . ط : « تَرَفٌ » بِالتَّاءِ ، صَوَابُهُ فِي شَيْءٍ مَعَ أَثَرٍ تَصْحِيحٍ ، وَالدِّيَوَانُ ٢٦٤ وَاللِّسَانُ (نَزْفٌ) . وَفِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ : « فِي نَظْفِ الْخَمْرِ » .

٤٨٤

قول اللخمى أولاً ، ولكن قوله : يجوز رفع جارية على أنها خبر مبتدأ محذوف ، أى محبوبتى جارية ، ويجوز جرّها بربّ محذوفة . انتهى غير جيد .

قال اللخمى : جارية فاعل يأتى الواقع فى البيت الذى قبل هذا ، والفضفاض نعت للدرع ، وأبيض نعت للجارية . انتهى .

والعجب من غلام ثعلب حيث قال بعدما نقل تفسير الفراء للإيماض : هذا خطأ لأنّ الإيماض لا يكون فى الفم ، إنّما يكون فى العينين ، وذلك أنّهم كانوا يتحدثون ، فنظرت إليهم واشتغلوا بحسن نظرها عن الحديث ومضت . انتهى .

ويرد عليه ما تقدّم ، وقول المبرد (فى الكامل) عند قول الشاعر ^(١) :

لا أحبّ النديمَ يومض بالعيـ
ن إذا ما انتشى لِعرسِ النديمِ

قال : الإيماض تفتح البرق ولمحه ، يقال : أومضت المرأة ^(٢) إذا ابتسمت . وإنّما ذلك تشبيه للمع ثناياها بتبسم البرق . فأراد أنّه فتح عينه ثم غمضها بغمز . انتهى .

وأما قوله : « إذا الرجال شتوا » إلخ فهو من أبيات لطرفة بن العبد ، هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند . ويروى كذا :

أنت ابنُ هندٍ فأخبر من أبوك إذن
لا يُصلح الملك إلا كلُّ بدّاخ

(١) الكامل ٧٣ ليسك والعقد ٦ : ٣٤٤ . وفى البيان ٣ : ٣٤٧ : « وقال بعضهم لزائر له ورآه يرمى إلى امرأته ، وهو أبو عطاء السنى » . وفى الأغاني ١٦ : ٨٤ مع هذه النسبة أيضاً أن الزائر كان يلاحظ جاريته .

(٢) ط : « البرق » ، صوابه فى ش والكامل .

إن قلت نصرٌ فنصرٌ كان شرفي
 قدماً وأبيضهم سربال طباخ
 ما في المعالي لكم ظلٌ ولا ورقٌ
 وفي المخازي لكم أسناخُ أسناخ
 مع أبيات^(١) أخر .

قال ابن الكلبي : هذا الشعر منحول .

وقوله : « واشتدُّ أكلهم » أراد بالأكل القوت ، وهو مضموم الهمزة ،
 أى غلت أسعارهم . ومن روى « أكلهم » بفتح الهمزة جعل الأكل بمعنى
 المأكول ، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون الطعام إلا بعد
 جهد وشدة وجوع ، فإذا وجدوه بالغوا في الأكل . ومن روى : « أكلهم »
 بضم الهمزة وتشديد الكاف فهو جمع آكل ، وهو راجع إلى المعنى الذى
 قدمت أنفاً . والسربال : القميص . يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذى
 يمنع من التصرف ، وانقطعت الميرةُ وغلت الأسعار ، واشتدَّ القوت
 فسربال طباخك نقيٌّ للؤمك . ولو كنت كريماً لاسودَّ لكثرة طبخه ،
 على ما عهد من سربال الطباخين . وهذا ضدُّ قول مسكين الدارمى :

كَأَنَّ قَدُورَ قَوْمِي كُلِّ يَوْمٍ قِبَابُ التُّرْكِ مُلْبَسَةَ الْجِلَالِ
 كَأَنَّ الْمُوقِدِينَ لَهَا جِمَالٌ طَلَاهَا الزُّفْتُ وَالْقَطِرَانُ طَالِ
 بِأَيْدِيهِمْ مَغَارِفٌ مِنْ حَدِيدٍ أَشْبَهَهَا مَقِيرَةَ الدَّوَالِ

وأنشد ابن السكيت (فى أبيات المعاني) بيت طرفه .

ومثله قول الآخر :

(١) الأبيات كلها خمسة فى ديوان طرفه ١٥ قازان .

ثِيَابُ طُهَاتِكَ عِنْدَ الشُّتَا ۚ بَيْضٌ تَلَالًا لَا تَدْنَسُ
 وَقَدْرُكَ لَمْ يَغْرِهَا طَارِقٌ وَكَلْبُكَ مَنَجَّرٌ أَخْرَسُ
 قَالَ : كَلْبُهُ يَنْجَحِرُ لِأَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ طَارِقٌ ، وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ
 يَأْتِيهِ فِيهِ .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ عَشَرَ بَعْدَ السُّتَمَانَةِ ^(١) :

٦١٤ (لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ)

لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ ، مِنْ أَنَّ أَسْوَدَ أَفْعَلَ تَفْضِيلَ مِنَ السَّوَادِ ، جَاءَ عَلَى
 الشَّدُوذِ .

وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْغَرَضَ كَوْنُ بَيَاضِ الشَّيْبِ فِي نَظَرِهِ أَشَدَّ مِنْ سَوَادِ
 الظُّلَمِ ، مِبَالِغَةً فِي كِرَاهَةِ الشَّيْبِ .

٤٨٥

وَهُوَ عَجْزٌ ، وَصَلَرُهُ :

(اِبْعَدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ)

وَالْبَيْتُ ثَانِي بَيْتٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ ، قَالَهَا فِي صَبَاهٍ .
 وَقَبْلَهُ وَهُوَ مَطْلَعُهَا :

(ضَيْفٌ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فَعَلًا مِنْهُ بِاللَّمِّ)
 وَتَقْدَمُ بَيْتٌ مِنْهَا فِي بَابِ الْحَالِ .

قَالَ الْإِمَامُ الْوَاحِدِيُّ (فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّئِيِّ) : جَمِيعٌ مِنْ فُسْرٍ هَذَا
 الشَّعْرُ قَالَ فِي قَوْلِهِ :

(١) ! إل إلى ٢ : ٣١٧ ودرة الفواص ١٨ والمغنى ٥٤٣ وديوان المتنبي ٢ : ٣٠٠ .

* لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ *

إِنَّ هَذَا مِنَ الشَّاذِّ الَّذِي أَجَازَهُ الْكُوفِيُّونَ ، مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ :

* أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي أَبَايَضِ *

وَسَمِعْتُ الْعَرُوضِي^(١) يَقُولُ : أَسْوَدُ هَهُنَا : وَاحِدُ السُّودِ . وَالظُّلْمُ : اللَّيَالِي الثَّلَاثُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ ، الَّتِي يُقَالُ لَهَا « ثَلَاثُ ظُلْمٍ » . يَقُولُ لِبَيَاضٍ شَبِيهِ : أَنْتَ عِنْدِي وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي . عَلَى أَنَّ أَبَا الْفَتْحِ قَدْ قَالَ مَا يُقَارِبُ هَذَا . وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ « لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي » كَلَامًا تَامًا ، ثُمَّ ابْتَدَأَ يَصِفُهُ فَقَالَ : « مِنَ الظُّلَمِ » ، كَمَا يُقَالُ هُوَ كَرِيمٌ مِنْ أَحْرَارِ . وَهَذَا يُقَارِبُ مَا ذَكَرَهُ الْعَرُوضِي ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ الظُّلْمَ اللَّيَالِي فِي آخِرِ الشَّهْرِ . انْتَهَى .

وهذا التأويل محصل للمبالغة المذكورة بجعل الأسود من أفراد الليالي الحنادس ، مع تفصيله من الشذوذ .

وقد مثني على هذا التأويل جماعة ، منهم الشريف المرتضى (في أماليه) ، قال : لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي كَلَامٌ تَامٌ ، ثُمَّ قَالَ مِنَ الظُّلَمِ ، أَيْ مِنْ جُمْلَةِ الظُّلَمِ ، كَمَا يُقَالُ حُرٌّ مِنْ أَحْرَارٍ ، وَلَثِيمٌ مِنْ لَثَامٍ ، أَيْ مِنْ جَمَلَتِهِمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شَهَابٌ بَدَأَ ، وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَاكِرُهُ

(١) العروضي هذا شيخ الواحدي ، وهو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي الصفار الشافعي ، حدث عن الأصم وأبي منصور الأزهرى ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدي . وأنفق عمره على مطالعة العلوم وتدريس مؤدبي نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٠ . بغية الوعاة ١٦٠ وتمة اليتيمة ٢ : ٢٣ .

كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَبْيَضُ كَأَنَّ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ . فَقَوْلُهُ « مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ » وَصَفُ الْأَبْيَضِ ، وَلَيْسَ يَتَّصِلُ بِهِ كَاتِصَالٌ مِنْ بِأَفْضَلُ فِي قَوْلِكَ : هُوَ أَفْضَلُ مِنْ زَيْدٍ ، وَكَذَلِكَ مِنَ الظُّلَمِ فِي بَيْتِ الْمُتَنَبِّئِ .

وَمِنْهُمْ الْحَرِيرِيُّ (فِي دُرَّةِ الْغَوَاصِ) قَالَ : وَقَدْ عِيبَ عَلَى الْمُتَنَبِّئِ هَذَا الْبَيْتَ . وَمَنْ تَأَوَّلَ لَهُ فِيهِ جَعَلَ أَسْوَدَ هُنَا مِنْ قَبِيلِ الْوَصْفِ الْمُحْضِ الَّذِي تَأْنِيثُهُ سُودَاءُ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ حَيْزِ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا قَدْ تَمَّ الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ : لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي ، وَتَكُونُ مِنْ [الَّتِي ^(١)] فِي قَوْلِهِ مِنَ الظُّلَمِ لِتَبْيِينِ جِنْسِ السُّودِ ، لَا أَنَّهَا صِلَةٌ أَسْوَدَ .

وَمِنْهُمْ ابْنُ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) قَالَ : عَلَّقَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَأَسْوَدَ ، وَهَذَا يَقْتَضِي كَوْنَهُ اسْمَ تَفْضِيلٍ ، وَذَلِكَ مِمْتَنِعٌ فِي الْأَلْوَانِ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ مِنَ الظُّلَمِ صِفَةً لِأَسْوَدَ ، أَيْ أَسْوَدَ كَأَنَّ مِنْ جَمَلَةِ الظُّلَمِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضاً :

يَلْقَاكَ مَرْتَدِيًّا بِأَحْمَرٍ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطَّلَى وَالْأَكْبَدُ ^(٢)
مِنْ دَمٍ إِمَّا تَعْلِيلٌ ، أَيْ أَحْمَرُ مِنْ أَجْلِ التَّبَاسَةِ بِالدَّمِ ، أَوْ صِفَةٌ . كَأَنَّ السَّيْفَ لِكَثْرَةِ التَّبَاسَةِ بِالدَّمِ صَارَ دَمًا .

وقوله : (أَبْعَدُ) هُوَ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ أَمْرٌ مِنْ بَعْدَ يَبْعَدُ ، مِنْ بَابِ فَرَحٍ ، بِمَعْنَى هَلَكٍ وَذَلٍّ . قَالَ الْوَاحِدِيُّ : وَعَنَى بِالْبَيَاضِ الْأَوَّلِ الشَّيْبَ . يَقُولُ : يَا بَيَاضًا لَيْسَ لَهُ بَيَاضٌ ! يَعْنِي بِهِ مَعْنَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضٌ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

(١) زيادة من ش لم ترد في درة الغواص ١٨ .

(٢) البيت للمتنبى في ديوانه ١ : ٢١٠ . يقول : ذَهَبَتْ بِسُودِ حَلِيدِهِ دِمَاءُ الْأَعْنَاقِ وَالْأَكْبَادِ .

٤٨٦

وقال الشريف المرتضى قُدَّس سرُّه : المعنى الظاهر للناس فيه أَنَّهُ أراد لا ضياءَ له ولا نورَ ولا إشراق ، من حيث كان حلوله محزناً مؤذناً بتقصي الأجل . وهذا لعمري معنى ظاهر ، إلا أَنَّهُ يمكن فيه معنى آخر وهو يريد : إِنَّكَ بياضٌ لا لونَ بعده ، لأنَّ البياض آخر ألوان الشعر ، فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده . وإنما سوَّغ ذلك له أَنَّ البياض هو الآتي بعد السَّواد ، فلما نفى أَن يكون للشيب بياضٌ كان نفياً لأنَّ يكون بعده لون . انتهى .

وببياضاً : تمييز محوّل عن الفاعل ، والعرب تكنى بالبياض عن الحُسْن ومنه يد بيضاء . أى أهلك الله مَنْ لا بياضَ له . والظلم : جمع ظُلْمة بمعنى الظلام ، ويكون اسماً لثلاثِ ليالٍ من آخر الشهر .

وقوله : « ضيفُ ألمٍ برأسى » إلخ ، قال الواحدى : عنى بالضيف الشَّيب ، كما قال الآخر :

أهلاً وسهلاً بمَضِيفٍ نَزَلَ أَسْتودِعُ الله أليفاً رَحَلَ

يريد الشَّيب والشباب . والمحتشم : المتقبض والمستحج . يريد أَنَّ الشَّيب ظهر في رأسه شائعاً دفعةً من غير أَن يظهر في تراخ ومُهْلة . وهذا (١) معنى قوله : « غير محتشم » . ثم فضَّلَ فعلَ السَّيفِ بالشعر على فعلِ الشَّيب لأنَّ الشَّيب يبيّضه ، وذاك أقبح ألوان الشعر ، ولذلك سُنَّ تغييره بالحُمْرة ، والسَّيفُ يكسبه حمرة . على أَنَّ ظاهر قوله : « أحسن فعلاً منه باللَّمَم » يوجب أَنَّ الشعر المقطوع بالسَّيف أحسن من الشعر الأبيض بالشَّيب ، لأنَّ السَّيف إذا صادفَ الشَّيب قطعه ، وإنما يكسبه حمرةً إذا قَطَعَ اللَّحْم . وقد قال البحتري :

(١) ش : « هذا » بدون واو .

وَدِدْتُ بِيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بِيَاضِ الشَّيْبِ حَلَّ بِمَفْرِقِي
 فجعل نزول السيف برأسه أحبُّ إليه من نزول الشيب . انتهى .
 وقد ضَمَّنَ البوصيريُّ ، صاحبُ البردة ، مطلعَ المتنبيِّ فقال وأَجَادَ :
 وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى
 ضَيْفِ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ
 وقد تقدَّمت ترجمة المتنبي في الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة ^(١)
 * * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد السَّمانَةِ ^(٢) :
 ٦١٥ (إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعْزُ وَأَطْوَلُ)
 على أَنَّهُ يجوزُ أَنْ يَكُونَ حُذِفَ مِنْهُ الْمَفْضُولُ ، أَيَّ أَعْزُ مِنْ دَعَائِمِ
 كُلِّ بَيْتٍ أَوْ مِنْ دَعَائِمِ بَيْتِكَ .
 وعليه اقتصر صاحب المِفْصَلِ واللُّبَابِ .
 وقدَّره بعضهم : أَعْزُ مِنْ سَائِرِ الدَّعَائِمِ . وقال ابنُ المستوفى : قالوا
 أَعْزُ وَأَطْوَلُ مِنَ السَّمَاءِ ، على مبالغة الشعراءِ .
 ونقل التَّبْرِيزِيُّ (في شرح الكافية) عن الطَّرِمَّاحِ أَنَّهُ قَالَ لِلْفَرَزْدَقِ :
 يَا أَبَا فِرَاسٍ ، أَعْزُ مِمَّ وَأَطْوَلُ مِمَّ ؟ فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فقال
 الْفَرَزْدَقُ : بِالْكَعِ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ ، أَكْبَرُ مِمَّ ذَا ؟ فقال :
 مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . فقال : أَعْزُ مِنْ كُلِّ عَزِيزٍ ، وَأَطْوَلُ مِنْ كُلِّ طَوِيلٍ .
 انتهى .

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

(٢) ابن يبيش ٦ : ٩٧ ، ٩٩ ، والعيني ٤ : ٤٣ ، ومعاذ التنخيص ٢ : ٣٧ ، والأشْمُونِي

٣ : ٥١ ، وديوان الفرزدق ٤١٧ .

ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه : أى أعزُّ دِعامَةً وأطولُها .
 وبقي احتمال ثالث : وهو أن يكون أفعَل فيه بمعنى فاعل . قال المبرد
 (فى الكامل) : وجائز أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة وطويلة .
 وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) .

قال العيني : الاستشهاد فيه أنهما على وزن أفعَل التفضيل ، ولكن
 لم يُقصد بهما تفضيل ، فَإِنَّهُمَا بمعنى عزيزة وطويلة .

وعَمَّ الخُلُخَالَى (فى شرح تلخيص المفتاح) فقال : أى من كلِّ شَيْءٍ ،
 ٤٨٧ أو من بيتك يا جرير ، أو من السماء ، أو عزيزٍ طويل .

ونقل أبو حيان (فى تذكرته) عن أبي عبيدة أنه قال : يكون أفعَل
 بمعنى فاعِل وفاعل ، غيرَ موجب تفضيلَ شَيْءٍ على شَيْءٍ ، كقوله تعالى :
 ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ^(١) ﴾ ، ويقول الأحوص :

* قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأَمِيلُ ^(٢) *

وبقول الفرزدق :

* بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ *

وبقول الآخر :

تَعْنَى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ^(٣)

(١) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٢) صدره فى ديوانه ١٥٣ :

* إِنِّى لِأَمْنَعُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّى *

(٣) البيت من أبيات ثلاثة فى أمالى القالى ٣ : ٢١٨ . وانظر شرح المازوقى للحماسة ١٠١ ،
 ٩٧٢ . وأشار الميمنى فى الجزء الثالث من سبط اللال ص ١٠٤ إلى أنها منسوبة فى كتاب الاختيارين
 للأخفش إلى مالك بن القين الخزرجى . قلت : وهى فى النسخة المطبوعة منه بتحقيق فخر الدين
 قباوة ص ١٦١ .

قال أبو حيان : وزرَى النحويون عليه هذا القول ، ولم يَسْلَمُوا له هذا الاختيار وقالوا : لا يخلو أفعل من التفضيل . وعارضوا حججه بالإبطال ، وتأولوا ما استدلل به . انتهى .

ونقل الخلاف ابن الأنباري (في الزاهر) ، قال : قولهم الله أكبر ، سمعت أبا العباس يقول : اختلف أهل العربية فقالوا : معناه كبير ، واحتجوا بقول الفرزدق :

* دعائمه أعزُّ وأطولُ *

أراد : دعائمه عزيزة طويلة . واحتجوا بقول الآخر :

* لستُ فيها بأوحدٍ *

وبقول معن :

* لعمرِكَ ما أدري وإنِّي لأوَجَلُ *

أراد : لوَجَلُ . وبقول الأحمص :

* قسماً إليك مع الصدود لأَمِيلُ *

أراد : لمائل . واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ^(١) ﴾ قالوا : معناه هين عليه . وقال الكسائي والفراء وهشام : الله أكبر معناه أكبر من كل شيء ، فحذفت مِن لَّأنَّ أفعل خبر . واحتجوا بقول الشاعر :

إذا ما سُتُورُ البيتِ أُرْحِينِ لم يكنْ

سِرَاجٌ لَنَا إِلَّا وَوَجْهُكَ أَنْوَرُ ^(٢)

(١) مجزؤه كافي الديوان : * على أينَا تعدو المنية أول *

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٦٧ و الأزهية للهروي ٢٤٨ .

أراد : أنور من غيره . وقال معن :

ولا بلغ المهذون نحوك مدحة

ولو صدقوا إلا الذي فيك أفضل

أراد : أفضل من قولهم . انتهى .

وقال المبرد (في الكامل) في تفسير قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(١) تقديره في العربية : وأخفى منه . والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل : مررت بالفيل أو أعظم ، وإنه كالبقعة أو أصغر^(٢) . فأمّا قوله تعالى : ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ففيه قولان : أحدهما وهو المرضى عندنا إنما هو : وهو عليه هين ، لأن الله جلّ وعزّ لا يكون شيء أهون عليه من شيء آخر . وقال معن بن أوس :

* لعمرك ما أدري وإنّي لأوجلّ *

أراد : وإنّي لوجلّ . وكذلك يكون^(٣) ما في الأذان : «الله أكبر الله أكبر» ، لأنّه إنما يفاضل بين الشيئين إذا كانا من جنس واحد ، فيقال : هذا أكبر من هذا ، إذا شاكله في باب . فأمّا : الله أجود من فلان والله أعلم بذلك منه ، فوجه بين^(٤) لأنّه من طريق العلم والمعرفة ، والبذل والإعطاء . وقوم يقولون : الله أكبر من كل شيء . وليس يقع هذا على

(١) الآية ٧ من سورة طه .

(٢) في الكامل ٤٢٣ : « وإنه كالبقعة أو أصغر » ولو قال : رأيت زيدا أو شبيهاً لجاز ، لأن في الكلام دليلاً . ولو قال : رأيت الجمّل أو راكباً وهو يريد عليه ، لم يجز ، لأنه لا دليل فيه . والأول إنما قرب شيئاً من شيء ، وها هنا إنما ذكر شيئاً ليس من جنس ما قبله .

(٣) في الكامل : « وكذلك يتأول » .

(٤) الكامل : « فوجه بين » .

محض الرؤية^(١) لَأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وكذلك قول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ . . . الْبَيْتَ

جائز أن يكون^(٢) قال للذي يخاطبه : مِنْ بَيْتِكَ ، فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة . وجائز أن يكون^(٣) دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال الآخر :

قُبِّحْتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا أَلَامَ قَوْمٍ أَصْغَرًا وَأَكْبَرًا^(٤)

يريد صغاراً وكباراً . فأمّا قول مالك بن نويرة في ذؤاب^(٥) بنِ رُبَيْعَةَ^(٦) حيثُ قَتَلَ عُتَيْبَةَ بنِ الْحَارِثِ بنِ شِهَابٍ وَفَخِرَ بِنِي أَسَدٍ بِذَلِكَ مع كثرة من قتل بنو يربوع منهم :

فَخَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ صَدَقَتْ بَنُو أَسَدٍ ، عُتَيْبَةُ أَفْضَلُ فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَفْضَلُ مِمَّنْ قَتَلُوا . على ذلك يدلُّ الكلام . وقد أبانَ ما قلنا في بيته الثاني بقوله :

فَخَرُّوا بِمَقْتَلِهِ وَلَا يُوفِي بِهِ مَنَّى سَرَاتهمُ الَّذِينَ نَقَلُوا

والقول الثاني في الآية : وهو أهون عليه عندكم ، لَأَنَّ إِعَادَةَ الشَّيْءِ عِنْدَ النَّاسِ أَهْوَنُ مِنْ ابْتِدَائِهِ حَتَّى يُجْعَلَ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ . انتهى

(١) ط : « الرؤية » ، صوابه في ش والكامل .

(٢) ط : « يقول » ، صوابه في ش والكامل .

(٣) ط : « تكون » ، وأثبت ما في ش والكامل .

(٤) هو الشاهد ٦٢١ فيا سيأتي ص ٢٧٦ .

(٥) ط : « ذؤاد » ، ش : « ذؤاد » ، صوابها في الكامل وجمهرة ابن حزم

١٩٤ - ١٩٥ والمهجر ٢٢٠ .

(٦) ربيعة ، بهيئة التصغير ، كما في الجمهرة ، وضبط بالقلم في الكامل : « ربيعة »

بفتح الراء .

وقوله : (سَمَكُ السَّمَاءِ) إلخ سَمَكٌ بمعنى رفع ، وأراد بالبيت بيت العزّ والشرف . وقال الخلخالي : المراد بالبيت هو الكعبة ، وقيل هو العزّة . وتبعه العيني والعباسي (في المعاهد) . قال ابن يعيش : « وأطول » ههنا من الطُّول بالفتح الذي هو في الفضل ، لا من الطُّول بالضم الذي هو ضدُّ القِصر . ودلّ على إرادةٍ مِنْ امتناعه من التصريف .

وهذا البيت أوردته علماء المعاني على أَنَّ فيه جعلَ الإيماء إلى وجه الخبر وسيلةً إلى التعريض بالتعظيم لشأنه . وذلك في قوله إن الذي سَمَكٌ، ففيه إيماء إلى أَنَّ الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرُّفعة ، بخلاف مالمو قيل إنَّ الله ، ونحوه . ثم فيه تعريضٌ بتعظيم بنائه ، لكونه فعلَ من رفع السماء التي لا أرفع من بنائها ولا أعظم . قال الخلخالي : وإدراك مثل ذلك يحتاج إلى لطفٍ طبع .

والبيت مطلع قصيدةٍ عدُّها تسعة وتسعون بيتاً للفرزدق^(١) يفخر بها صاحب الشاهد على جرير ويهجوّه . وبعده :

(بيتاً بناه لنا المليك، وما بنى حَكَمُ السماء فإنه لا يُنْقَلُ
بيتاً زُرارةً محتبٍ بفنائِه ومُجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ
يلجونَ بيتَ مجاشعٍ وإذا احتبوا برزوا كأنَّهم الجبالُ المُشَلُّ
لا يَحْتَبِي بفناء بيتِكَ مثلهم أبداً إذا عُدَّ الفَعَالُ الأَفْضَلُ)

وتقدّم بعضُ أبيات منها في باب الظروف في الشاهد السابع والتسعين بعد الأربعمئة^(٢) .

(١) في ديوانه ٧١٤ - ٧٢٥ وعدتها مائة وخمسة أبيات ، لا تسعة وتسعون كما ذكر البغدادى هنا ، وما ذكره سابقاً في ٦ : ٥٣٤ .

(٢) الخزّانة ٦ : ٥٣٤ - ٥٣٩ .

و (بيتاً) في البيتين بالتنوين بدل من الأول . وزرارة بالضم هو زرارة بن عُدُس بالضم أيضاً ، ابن زيد بن عبد الله بن دارم . ومجاشع : ابن دارم . ونهشل : ابن دارم . ومُحتَبٍ : اسم فاعل من الاحتباء . أراد أنَّهم متمكنون في بيت العزِّ كتمكَّن المحتبى .

روى صاحبُ الأغاني بسنده عن سلمة بن عيَّاش قال : دخلتُ على الفرزدق السجن وهو محبوس فيه ، وقد قال قصيدته :

إِنَّ الذى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا . . . البيت

وقد أنفجهم وأجبل ، فقلت له : ألا أرفدك ؟ فقال : وهل ذلك عندك ؟ فقلت : نعم . ثم قلت :

بيتاً زُرارة محتبٍ بفنائه . . . البيت

فاستجاده ، وغاظه قولى فقال لى : ممن أنت ؟ قلت : من بنى عامر ابن لؤى . فقال : لئام والله ، جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم . فقلت : ألام والله منهم قومك ، جاءك رسولُ مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم فأخذ يَأْذُنُكَ يقودك حتى حبسك ، فما اعترضه أحدٌ ولا نصرك . فقال : قاتلك الله ما أمكرك^(١) ! وأخذ البيت فأدخله في قصيدته . انتهى .

و « يلجئون » من الولوج ، وهو الدُّخُول . والمثل : جمع مائل ، كركع جمع راع . والفعل ، بالفتح : الجميل .

وقد عارضه جريرٌ بقصيدةٍ مثلها ، عدتها اثنان وستون بيتاً ، منها^(٢) :

٤٨٩

(١) في الأغاني ٢١ : ٨٥ : « ما أمرك » .

(٢) المألوف في المناقضات أن تكون المناقضة مطابقة لأختها في الوزن والقافية . والروى هنا مكسور لا مضموم كروى الفرزدق . والقصيدة في ديوان جرير ٤٤٢ - ٤٤٨ . وعدتها ثلاثة وستون ، لا اثنان وستون .

أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مَجَاشِعَا
وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ^(١)

إِلَى أَنْ قَالَ :

وَقَضَتْ لَنَا مَضْرُوعًا عَلَيْكَ بِغَضَلِنَا وَقَضَتْ رِبِيعَةً بِالْقَضَاءِ الْفَيْصِلِ
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا عِزًّا عِلَاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مَنَقِلِ
وترجمة الفرزدق وجريز قد تقدّمت في أوائل الكتاب^(٢)

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ عَشَرَ بَعْدَ السَّيِّئَةِ^(٣) :

٦١٦ (سَتَعْلَمُ أَيُّنَا لِلْمَوْتِ أَدْنَى إِذَا دَانَيْتَ لِي الْأَسْلَ الْجِرَارَا^(٤))

على أَنَّ المفضول محذوف ، والتقدير أدنى من صاحبه . ويجوز أن يكون أفعل بمعنى اسم الفاعل . أى قريب . ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه ، والتقدير : أقربنا وأدنانا ، أو أقرب رجلين منا .

والبيت من قصيدة لعنترة العبسيّ ، خاطب بها عُمارة بن زياد صاحب الشاهد العبسيّ ، وتقدّم شرح أبياتٍ منها قبل البيت في الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من باب المثني^(٥) . وما بعده من الأبيات لا تعلق لها به^(٦) فلذا تركناها .

(١) في الديوان : « في الحضيض » .

(٢) الخزائن ١ : ٧٥ - ٧٨ و ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) أمالي ابن الشجرى ١ : ٢٢ وديوان عنترة ١٠٩ .

(٤) ش : « قبله إليه » ، ومعها تعليق للناسخ : « كذا بخط المؤلف ، ولم يظهر معناه وصحح عليه . فتأمل » .

(٥) الخزائن ٧ : ٥٠٧ - ٥٢١ .

(٦) ط : « لنا به » ، صوابه في ش .

و (أَدْنَى) و (دانيت) فاعَلْتُ ، كلاهما من الدنوُّ وهو القُرب .
قال ابن الشَّجَرِي (في أماليه) : أراد إلى الموت أدنى ، وإذا دانيت^(١)
إلى الأسَل . فوضع اللام في موضع إلى ، لأنَّ الدنوَّ وما تصرف منه أصله
التعدُّى إلى . ومثله في إقامة اللام مقام إلى قولُ الله سبحانه : ﴿ بَانَ رَبُّكَ
أَوْحَى لَهَا^(٢) ﴾ ، أى أوحى إليها . ٥١ .

و (الأسَل) بفتححتين : أطراف الرِّمَاح ، وقيل هى الأسنة ، الواحدُ
أسلة بزيادة الهاء . و (الحرار) بكسر المهملة : جمع حرَّى ، كعطاشٍ جمع
عَطَشَى وزناً ومعنى .

يقول لُعْمارة العبسى : ستعلم إذا تقابلنا ودانيت الرماحَ بيننا أينا
أقرب إلى الموت . أى إنك زعمت أنك تقتلنى إذا لقيتني ، وأنت
أقربُ إلى الموت عند ذلك مني .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد السَّمائة^(٣) :

٦١٧ (وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًّا وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَائِرِ)
على أَنَّ (من) فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أى لست من
بينهم بالأكثر حصًّا ، إلى آخر ما ذكره .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، فضِّل فيها عامر بن الطفيل
عدوَّ الله على علقمة بن علاثة الصحابي قبل إسلامه . وتقدَّم شرح أوائل

(١) ط : « إذا » بدون واو . وأثبت ما في ش وابن الشجرى .

(٢) الآية ٥ من سورة الزلزلة .

(٣) (نوادر أبي زيد ٢٥ ، والخصائص ١ : ٣/١٧٥ : ٢٣٤ ، وابن يعيش ٣ : ٦/٦ :
١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، والخزانة ١ : ٢٣٠ بولاق عرضاً ٢ : ١١ ، هارون والمغنى ٥٧٢
والتصريح ٢ : ١٠٤ ، والأشونى ٣ : ٤٧ ، وديوان الأعشى ١٠٦ .

هذه القصيدة وسبب تفضيله على علقمة ، في الشاهد الخامس والثلاثين والثلاثين بعد المائتين^(١) .

وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(إنْ تُرجِعِ الحقَّ إلى أهله
ولستَ في السُّلمِ بذى نائلٍ
ولستَ بالأكثرَ منهم حصاً
ولستَ في الأثرينَ من مالكٍ
هم هامةُ الحيِّ إذا ما دُعُوا
سُدَّتْ بنى الأحوصِ لم تَعُدْهم
سادَ وألنى قومه سادةً
فاصبرِ على حظِّك مما تسرى
فلمستَ بالمُسدى ولا النائرِ
ولستَ في الهيجاءِ بالجاسرِ
وإنما العزة للكاثرِ^(٢)
ولا أبى بكرُ أولي الناصرِ
ومالكُ في السُّودِّ القاهرِ
وعامرُ سادَ بنى عامرِ
وكابراً سادوك عن كابرِ^(٣)
فإنما الفُلجُ مع الصَّابرِ

٤٩٠

المسدى، من السدى بالفتح والقصر، وهو ما مدّ من الثوب . يقال
أسدى الثوب ، وسدّاه ، وتسدّاه . والنائر : اسم فاعل من نيرت الثوب
نيرًا بالفتح ، ونيرته وأنترته : جعلت له نيرًا بالكسر، وهو علمٌ للثوب،
وهُدبه ولُحِمته . وهذا هو المراد هنا . وهذا مثلٌ يضرب في التبرّي من
الشيء، كقولهم : « لا في العير ولا في النفير » . وهذا خطابٌ مع علقمة
ابن علاثة .

والسُّلم، بالكسر : خلاف الحرب . والنائل بمعنى النوال ، وهو العطاء

(١) الخزائن ٣ : ٣٩٨ - ٤٠٣ .

(٢) هذه هي الرواية المشهورة ، وحوّرت في ش إلى « منه حصاً » . وكلتاها صحيحة ،
فإنه بصدد تفضيل على الرجل أو على قبيلته .

(٣) ط : « مكابر » ، صوابه في ش والديوان .

والهيجاء : الحرب . والجاسر ، بالجيم ، من الجسارة ، وهى الجراءة^(١) والشجاعة .

و (الحصى) : العدد ، والمراد به هنا عدد الأعوان والأنصار ، وإنما أطلق الحصى على العدد لأنَّ العرب أميون لا يعرفون الحساب بالقلم ، وإنما كانوا يعدُّون بالحصى ، وبه يحسُّبون المعدود . واشتقُّوا منه فعلا فقالوا : أحصيت . و (العِزَّة) : القوة والغلبة . قال الدماميني : بهذا المعنى فسرها الجوهري فى البيت ، ولا مانع من جعلها بمعنى خلاف الدلَّة . أقول : الجوهريُّ لم يذكر البيت هنا ، والمعنى الذى ذكره لازم للقوة والغلبة . و (الكاثر) بمعنى الكثير ، كذا فى الصحاح . ويجوز أن يكون اسم فاعل من كَثَرَتْهُمْ ، إذا غلبَتْهُمْ فى الكثرة . قال صاحب القاموس : وكاثروهم : غالبوهم فى الكثرة فغلبوهم . وعليه اقتصر بعضُ شراح شواهد المفصل ، قال : الكاثر : الغالب ، من كاثرت فكثرته .

و « الأثَرَيْن » جمع أثرى جمع تصحيح ، بمعنى ذى ثروة وذى ثراء ، أى ذى عدد وكثرة مال . قال الأصمعى : ثرا القومُ يَثْرُونَ ، إذا كَثُرُوا ونَمُوا .

ومالك هو جدُّ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأبو بكر : عمُّ جدِّه ، واسمه عُبيد بالتصغير ابن كلاب بن ربيعة المذكور . فأبو بكر أخو جعفر بن كلاب . والأحوص هو جدُّ والدِ علقمة بنِ ثلاثة ، لأنَّ علقمة هو علقمة بن عوف ابن الأحوص بن جعفر المذكور . فالأحوص ومالكُ أخوان ، والطفيل وعوف ابنا عمِّ .

« والفُلج » بضم الفاء: اسمٌ من فلج الرجلُ على خصمه يَفْلُجُ فَلْجاً، من باب نصر، وهو الظفر والفوز. وهذا من قبيل التهكم.

وقوله: (ولست بالأكثر منهم حصاً) ظاهره الجمع بين آل بين من في أفعل التفضيل. وجوزَه أبو عمر^(١) الجَرْمِيُّ في الشعر. رأيت (في نوادر أبي زيد) عند الكلام على هذا البيت، قال أبو عمر^(٢): هذا يجوز في الشعر، يقال أنت أكثر منه مالاً وأنت الأفضل، إذا لم تأت بمن، فإذا اضطرَّ الشاعر قال: أنت الأفضل منهم. ولا يجوز إلا في اضطرار. ولو قال: أنت الأكبر من هؤلاء، وهو منهم، لكان معناه أنت أكبر منهم. انتهى.

ونسب ابن جنِّي جواز الجمع بينهما إلى الجاحظ (في موضعين من الخصائص) قال في أوائله، في باب الردِّ على من اعتقد فسادَ علل النحويِّين: يُحكى عن الجاحظ أنه قال: قال النحويُّون إنَّ أفعل الذي مؤنَّثه فعلى لا تجتمع فيه الألف واللام ومن، وإنما هو بمن، أو بالألف واللام. ثم قال: وقد قال الأعشى:

ولستَ بالأكثرِ منهم حصّاً . . . البيت

رحم الله أبا عثمان، أما إنَّه لو علم أنَّ من في هذا البيت ليست التي تصحب أفعل للمبالغة، لضرب عن هذا القولِ إلى غيره، مما يعلو فيه قوله، ويعنو لسدادِهِ وصحَّتْه خَصْمُهُ.

(١) في النسختين: «أبو عمرو»، صوابه «أبو عمر»، وهي كنية صالح بن إسحاق الجرمي البصري، كما في كتب التراجم.

(٢) في النسختين: «أبو عمرو»، وانظر ما سبق. على أن هذا النص لم يرد في نوادر أبي زيد.

وكذلك نسب ابن هشام (في المغنى) هذا القول إلى الجاحظ ووهمه .
ومنَع النحاة الجمعَ بينهما .

وبين ابن جنّي وجهَ المنع (في أواخر الخصائص) في باب الامتناع
من نقض الفرض ، ومثّل له أمثلة ثم قال :

ومن ذلك امتناعُهم ، أى امتناع العربِ ، من إلحاقِ مِن بأفعل إذا
عرّفته باللام ، نحو الأحسن منه . وذلك أن (مِن) تُكسب ما يتصل
به من أفعل هذا تخصيصاً ما . ألا تراك لو قلت دخلت البصرة فرأيت
أفضلَ من ابن سيرين ، لم يسبق الوهمُ إلّا إلى الحسن . وإذا قلت
الأحسن أو الأفضل أو نحو ذلك فقد استوعبت اللامُ من التعريف أكثرَ
مما تفيده من حصّتها من التخصيص . وكرهوا أن يتراجعوا بعدما
حكموا به من قوّة التعريف إلى الاعتراف بضعفه إذا هم أتبعوه من
الدالة^(١) على حاجته إليها ، وإلى قدر ما تفيده من التخصيص المُفاد
منه . فأما ما ظنّ أبو عثمان الجاحظُ من أنّه يدخل على قول أصحابنا في
هذا من قول الشاعر :

ولستَ بالأكثر منهم حصاً . . . البيت

فساقطُ . وذلك أنّ مِن هذه ليست هى التى تصحب أفعلَ هذا
لتخصيصه . انتهى .

ووجهُ الشارحُ المحقّق ، تبعاً لغيره ، ما فى هذا البيت من ظاهر الإشكال
بثلاثة أجوبة :

أحدها : أنّ من فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أى لست
من بينهم بالأكثر حصاً .

(١) وصف لمن ، وفي النسختين : « الدالة » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٣٤ .

يُحتمل من هذا التقرير^(١) أَنَّ يكون مراده أَنَّ الظرف حالٌ من التاء في لستَ ، كما قال ابن جنى (في الموضع الثاني من الخصائص) ، وعبارته : وَمِنْ إِنَّمَا هِيَ حَالٌ مِنْ تَاءِ لَسْتُ ، كَقَوْلِكَ : لَسْتُ فِيهِمْ بِالْكَثِيرِ مَالًا ، أَيْ لَسْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَفِي جَمَلَتِهِمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، كَقَوْلِكَ : أَنْتَ وَاللَّهُ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ حُرٌّ ، وَزَيْدٌ مِنْ جَمَلَةِ رَهْطِهِ كَرِيمٌ . هَذَا كَلَامُهُ .

ويحتمل أَنَّ يكون متعلِّقاً بليس كما قال بعضهم ، ونقله ابن هشام (في المغنى) . ويردُّ عليه شيثان : أحدهما أَنَّ ليس لا تدلُّ على الحدث^(٢) ، فلا تعمل في الظرف . وثانيهما : لزوم الفصل بين أفعل وتمييزه بالأجنبي .

وأجاب ابن هشام (في المغنى) عن الأوَّل بِأَنَّ الظرف يجوز تعلُّقه بما فيه رائحةُ الفعل ، وفي ليس رائحةُ النفي . وعن الثاني بِأَنَّ الفصل قد جاء للضرورة في قوله :

* ثلاثون للهجر حولاً كميلاً^(٣) *

وأفعل أقوى في العمل من ثلاثون . انتهى .

وزاد ابن يعيش (في شرح المفصل) قال : ويجوز أَنَّ يكون متعلِّقاً بالأكثر على حدٍّ ما يتعلق به الظرف ، لاعلى حدٍّ : هو أفضل من زيد ، كأنه قال : ولست بالأكثر فيهم ، لأنَّ أفعل بمعنى الفعل أظهر منه في ليس ، يدلُّ على ذلك نصب الظرف في قوله :

(١) ط : « التقدير » .

(٢) ط : « الحديث » ، صوابه في ش :

(٣) هو الشاهد ٢١٦ في الخزانة ٣ : ٢٩٩ . صدره :

* على أننى بعد ما قد مضى *

فإنَّنا رأينا العرضَ أحوجَّ ساعةً

إلى الصَّوْنِ من ربطٍ يمانٍ مسهمٍ^(١)

ألا ترى أنَّ الظرف هنا لا يتعلَّقُ إلَّا بأحوج ، وتعليق الظرف
بليس ليس بالسَّهل ، لجريه مجرى الحروف . انتهى .

ولو جعل الظرف حالاً من الضمير في أكثر لاستغنى عن هذا .

٤٩٢ والأكثرُ على أن من هنا للبيان . قال أبو حيان : من في البيت
للبيان لا للتفضيل ، والمفضَّل عليه معلومٌ من العهد . وبيان ذلك :
أنَّكَ تقول لمخاطبك : زيدُ أفضل من عمرو ، ثم تقول له بعد ذلك :
زيدُ الأفضل من تميم ، فَمِنْ هنا للبيان ، أى إنَّ زيدا الذى هو أفضل من
عمرو هو من تميم . ولك أن تجمع بينهما فتقول : زيدُ أفضل من عمرو
من تميم . انتهى .

وعلى هذا فالظرفُ حالٌ لا غير .

وقال بعضهم : من هنا بمعنى (فى) ، ويتعلَّقُ بالأكثر . نقله شارح
أبيات الموشح .

وهذا كُلُّه جوابٌ واحدٌ لإخراجٍ من التفضيل ، لا أجوبةٌ متعدِّدة
كما زعم العيني . غاية ما فى الباب الذاهبون إلى إخراجها من التفضيل
اختلفوا فى معناها .

(١) لأوس بن حجر . وهو الشاهد ٦١٩ فى ص ٢٩٣ .

الجواب الثاني : أنَّ اللام زائدة ، ومن تفضيلية . وهذا الجواب
لأبي زيد (في نوادره) .

الثالث : أنَّ من تفضيلية لكنَّها متعلِّقة بأفعلٍ آخر عارياً من اللام ،
أى بالأكثر أكثر منهم . فأكثر المنكر المحذوف بدلٌ من الأكثر المعرف
المذكور . وإنَّما ضَعَفَه بقوله « على ما قيل » ، لما ذكره في باب البدل من
أنَّ النكرة إذا كانت بدل كلٍّ من معرفة يجب وصفها ، وليس هنا
وصف .

هذا والراوية الصحيحة في هذا البيت ، كما رواه أبو زيد (في
نوادره) ، وهى ثابتة في ديوانه ، ويدلُّ عليها سياق الأبيات ، إنَّما هى :
« ولست بالأكثر منه » ، أى من عامر . وعليها فيسقط الجوابُ
الأوَّل ، ويجاب بأحد الجوابين الأخيرين .

ولما وصلتُ إلى هنا رأيتَ شرحَ المنافرة التى بين علقمة وبين عامر
بأبسط مما مرَّ ، (في أوَّل شرح المقامات الحريَّة للشَّريشى) ، فلا
بأس بإيراده ، قال :

نافر : حاكمٌ فى النَّسب . وكانوا فى الجاهلية إذا تنازع الرَّجُلان فى
الشرف تنافراً إلى حكمائهم ، فيفضُّلون الأشرف . وسميتَ منافرة لأنَّهم
كانوا يقولون عند المفاخرة : أنا أعزُّ نفرأ .

وأشهر منافرة فى الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن
جعفر بن كلاب^(١) مع علقمة بنِ علاثة بن عوف بن الأحوص

منافرة عامر
وعلقمة

(١) ش : « مالك بن كلاب » ، صوابه فى ط وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٤٨ .
(١٧ - خزنة الأدب - ج ٨)

ابن جعفر ، حين قال له علقمة : الرِّياسة لِجَدِّي الْأَحْوَص ، وَإِنَّمَا صَارَتْ إِلَى عَمِّكَ أَبِي بَرَاءٍ مِنْ أَجْلِهِ ، وَقَدْ اسْتَسَنَّ عَمُّكَ ^(١) وَقَعَدَ عَنْهَا فَأَنَا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ نَافَرْتُكَ .

فقال له عامر : قَدْ شِئْتُ وَاللَّهِ ، لَأَنَا أَشْرَفُ مِنْكَ حَسَبًا ، وَأَثَبْتُ نَسَبًا ، وَأَطُولُ قَصَبًا .

فقال علقمة : أَنَا فَرَكُ وَإِنِّي لَبَرٌّ وَإِنَّكَ لَفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلُودٌ وَإِنَّكَ لَعَاقِرٌ ^(٢) ، وَإِنِّي لَوَافٍ وَإِنَّكَ لَغَادِرٌ .

فقال عامر : أَنَا فَرَكُ إِنِّي أَسَمَى مِنْكَ سُمَةً ^(٣) وَأَطُولُ قِمَةً ، وَأَحْسَنُ لِمَةً ، وَأَجْعِدُ جُمَةً ، وَأَبْعِدُ هِمَةً .

فقال علقمة : أَنَا جَمِيلٌ وَأَنْتَ قَبِيحٌ ، وَلَكِنْ أَنَا فَرَكٌ ، وَإِنِّي أَوْلَى بِالْخَيْرَاتِ مِنْكَ .

فخرجت أُمُّ عامر فقالت : نَافِرُهُ أَيُّكُمَا أَوْلَى بِالْخَيْرَاتِ . ففعلوا على أَنْ جَعَلُوا مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ يَعْطِيهَا الْحَكَمَ الَّذِي يُنْفَرُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ . فخرج علقمة ببنى خالد بن جعفر وبنى الأحوص ، ومعهما القباب والجزر والقُدُور ^(٤) ، يَنْحَرُونَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَطْعَمُونَ . وخرج عامرُ ببنى مالك وقال : إِنَّهَا الْمَقَارَعَةُ ^(٥) عَنْ أَحْسَابِكُمْ ، فَاشْخَصُوا بِثَلْثِ مَا شَخَصُوا

(١) في شرح المقامات : « وقد أسن عمك » .

(٢) بعده في شرح المقامات : « وإنى لعمى وإنك لعمى » .

(٣) السمة ، بضم السين وتشديد الميم : الخاصة من القوم ، كالسامة أيضاً مقابل العامة . وفي شرح المقامات : « أسنى منى سنة » ولا تستقيم مع الجمع . وانظر اللسان (سم ١٩٥) .

(٤) في شرح المقامات : « والجزور والقدر » ، وما هو صوابه .

(٥) ط : « لقارعة » ، صوابه في شرح الشريشي .

به . وقال لعمه أبي براء : أعنى . فقال : سبني . فقال : كيف أسبك وأنت عمي ؟ فقال : وأنا لا أسب الأحوص وهو عمي ! ولم ينهض معه .

فجعلاً منافرتهم إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ثم إلى أبي جهل بن هشام ، فلم يقولوا بينهما شيئاً .

ثم رجعا إلى هرم بن قطبة بن سنان ^(١) الفزاري فقال : نعم لأحكم بينكما ، فأعطيني موثقاً أطمئن به أن ترضيا بحكمي وتسلمما لما قضيت بينكما ^(٢) .

ففعلاً فأقاما عنده أياماً . ثم أرسل إلى عامر فأتاه سرّاً فقال : قد كنت أحسب أن لك رأياً وأن فيك خيراً ، وما حبستك ^(٣) هذه المدة إلا لتنصرف عن صاحبك . أتنافر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه ، فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة ، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجزها واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بد فاعلاً فسو بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى من آرائي ^(٤) .

فانصرف عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه . ثم أرسل إلى علقمة

(١) كذا في ط وأصل ش ، وفي هامش ش : « بخط المؤلف : سنان ، والصواب سيار » . لكن أبقيت ماثبت أنه بخط المؤلف حفاظاً على حقه ، مع ظهور الخطأ فيه ، فالصواب « سيار » بالراء ، كما في شرح الشريشي . ويؤيده ما في الاشتقاق ٢٨٣ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٥٨ . وسبب الالتباس في هذا مشابته لهرم بن سنان بن أبي حارثة مدوح زهير ، فهذا بنونين .

(٢) الشريشي : « وتسلمما ما قضيت بينكما » .

(٣) هذا ما في الشريشي والأغاني ، وفي النسختين : « وما حبستك » ، تحريف .

(٤) الشريشي والأغاني : « فسوف أرى رأيي » .

سرّاً فقال له ما قال لعامر وقال : أتفاخر رجلاً هو ابن عمّك في النسب وأبوه أبوك ، وهو مع ذلك أعظم منك غناءً ، وأحمد لِقَاءً ، وأسمح سباحاً ، فما الذي أنت به خير منه ؟ فردّ عليه علقمة ما ردّ به عامر ، وانصرف وهو لا يشكُّ أنّه ينقُرُ عامراً عليه .

فأرسل هرمٌ إلى بنيه وبنى أخيه وقال لهم : إنني قاتلُ فيهم غداً مقالةً ، فإذا فرغتُ فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة ، وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر ، وفرّقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة^(١) .

ثم أصبح هرمٌ فجلس مجلسه ، وأقبل عامر وعلقمة حتّى جلسا ، فقال هرم : « إنكما يا ابني جعفر قد تحاكمتما عندي ، وأنما كركبتني البعير الآدمر الفحلّ تقعان الأرض^(٢) » ، وليس فيكما واحدٌ إلّا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيّد كريم . ولم يفضل واحداً منهما على صاحبه لكيلا يجلب بذلك شراً بين الحيين . ونحرَ الجُزر وفرّق الناس^(٣) .

وعاش هرمٌ حتّى أدرك خلافة عمر ، فقال : يا هرم ، أيّ الرجلين كنتَ مفضّلاً لو فعلتَ ؟ قال : لو قلت ذلك اليومَ عادت جدّةٌ ، ولبلغتْ شَعَفَاتِ هَجَر ! فقال عمر : نِعَمْ مُستودعُ السرِّ أنت يا هرم ، مثلكَ فليستودعِ العشيرةُ أسرارهم !

(١) الشريشي : « لا يكون بينهم جماعة » . الأغاني : « لا تكون لهم جماعة » .

(٢) الشريشي : « تقعان على الأرض » ، الأغاني : « تقعان إلى الأرض » .

(٣) في الأغاني : « وفرّقوا الناس » ، وأثبت ما في ش . لكن في ط والشريشي : « وفرّق على الناس » ، ولا إدخالها مصححة .

والحكاية طويلة قد اختصرناها^(١) .

وقال فيه الأعشى :

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أبلجَ مثلَ القَمَرِ الباهرِ
لا يأخذُ الرِّشوةَ في حكمه ولا يبالي غَبْنَ الخاسِرِ

انتهى كلام الشريشي .

وقد شرحها بأكثر من هذا مرتين أو ثلاثاً الأصبهاني (في الأغاني) ،
ومن أراد بسطَ الكلام فليَنظرهُ في الجلد الخامس عشر من تجزئة
عشرين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد السّائة^(٣) :

٦١٨ (ورِثْتُ مُهْلَلاً والخيرَ منه زُهيراً نِعَمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا)

على أن اللام في (الخير) زائدة ، ومن في منه تفضيلية . ويجوز
أن يقدر أفعَل آخر عارياً من اللام يتعلّق به منه ، والتقدير : والخيرَ
خيراً منه .

وقال الإمام البيضاوي (في لب اللباب) : ولا يستعمل ، أى اسم
التفضيل : إِلَّا بِمِنْ ، أو اللام ، أو الإضافة . و « الخيرَ منه » قليل . وهذه^(٤)
إشارة إلى البيت .

وأجاب شارحه السيّد عبد الله بما أجاب به الشّارح المحقّق ، من
التخريجين .

(١) الشريشي : « والحكاية طويلة » ، فقط .

(٢) انظر الأغاني ١٥ : ٥٠ - ٥٥ .

(٣) لم أجد له تخريجاً في الشواهد .

(٤) ط : « وهذا » .

ولم يقل إنَّ من ليست فيه تفضيلية كما قال في البيت الذي قبله ،
لأنَّه لم يتأتَّ ذلك هنا .

صاحب الشاهد ٤٩٤ شرح أبياتٍ منها في الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة ^(١) ، وبعده :

(وعتَّاباً وكلثوماً جميعاً بهم نِلنا ثِراثَ الأكرمينَا)

وقوله : (ورثتُ مهلهلاً) إلخ ، هو بالتكلم . ومهلهل : اسم جدِّ الشاعر من قَبْل أُمِّه . وهو أخو كليب بن وائل ، وصاحب حرب البسوس أربعين سنة . وتقدَّمت ترجمته مع سبب تسميته بمهلهل في الشاهد العاشر بعد المائة ^(٢) .

وقوله : (والخيرِ مِنْه) أى ورثت خيراً من مهلهل . و (زهيراً) عطف بيان للخير ، وإنَّما كان زهير خيراً من مهلهل لأنَّه جدُّه من قبل أبيه ، فإنَّ صاحبَ المعلِّقة كما تقدَّمت ترجمته ، هو عمرو بن كلثوم ابن عتَّاب بن مالك بن ربيعة بن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

والمخصوص بالمدح في (نعم ذخر الذاخرينا) زهير على حذف مضاف ، يريد : ورثتُ مجدَّ مهلهل ومجدَّ زهير ، فنعم ذخر الذاخرين زهير ، أى مجده وشرفه ، للافتخار به .

وقوله : « وعتَّاباً وكلثوماً » إلخ . عتَّاب جدُّ الشاعر . وكلثوم أبوه . يقول : ورثنا مجدَّ عتَّاب وكلثوم ، وبهم بلغنا ميراثَ الأكارم ، أى حُزناً مآثرهم ومفاخرهم فشرُّفنا بها وكَرَّمنا .

* * *

(١) الخزائن ٣ : ١٧٧ - ١٨٥ .

(٢) الخزائن ٢ : ١٦٤ - ١٧٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد السّائة ، وهو من أبيات الإيضاح للفرسي^(١) :

٦١٩ ﴿فَإِنَّا رَأَيْنَا الْعِرْضَ أَحْوَجَ سَاعَةً إِلَى الصَّوْنِ مِنْ رَيْطٍ يَمَانٍ مُسَهَّمٍ﴾

على أنه يجب أن يلى أفعَلَ التفضيل إمّا من التفضيلية ، كما في قولهم : زيد أفضل من عمرو ، وإمّا معموله كما في البيت ، فإنّ ساعة ظرف لأحوج .

ومثله قوله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(٣) .

وقد يفصل بالنداء أيضاً . قال جرير :

لَمْ أَلْقَ أَحَبُّتَ يَافِرْزَدَقُ مِنْكُمْ لَيْلًا وَأَحَبُّتَ بِالنَّهَارِ نَهَارًا^(٤)

قال أبو البقاء (في شرح الإيضاح) : رأينا هنا بمعنى علمنا . وأحوج اسمٌ يراد به التفضيل ، وهو منقول ثانٍ لرأينا ، وساعة منصوب بأحوج وإلى الصّون متعلّق به أيضاً ، وكذلك « من رَيْط » . وجاز أن يتعلّق حرفاً الجرّ بأفعل لأنّ معناهما مختلف ، ومن هي التي يقتضيها^(٥) أفعل . والاقوى أن يقدّم من على إلى ، لأنّ تعلّق من بأفعل يوجب معنى في أفعل وهو التخصيص ، فإذا فصلت بينهما ضعفت علّفته به ، ومع هذا فهو

(١) ابن يعيش ٢ : ٦١ / ٦ : ١٦٤ وشذور الذهب ٤١٥ وديوان أوس بن حجر ١٢١ .

(٢) الآية ٦ من سورة الأحزاب .

(٣) الآية ٣٣ من سورة يوسف .

(٤) ديوان جرير ٢٣٢ والمجع ٢ : ١٠٤ .

(٥) ش : « تقتضيها » .

جائزُ وردَ القرآنُ به . قال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ^(١) ﴾
وقال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ^(٢) ﴾ . وهو أكثر من أن أحصيه .
وإنما ذكره أبو علي ليبين لك أن عمل أحوج في ساعة ليس على حدِّ
عمله في من التي للمفاضلة ، كما أن قوله بالأكثر منهم لا يتعلّق من
بالأكثر على هذا الحدِّ ، بل على حدِّ تعلّق ساعةً بأحوج . وأما إلى ، ومن
رِيط ، فيتعلّقان بأحوج لا محالة . فإن قيل : لم لا تعلّق ساعة برأينا ؟
قيل : يمتنع من وجهين : أحدهما أن المعنى ليس على هذا ، بل المعنى على
شدة حاجة العرض إلى الصّون في أيّ ساعةٍ كانت . والثاني : أنك
لو نصبتهما برأينا لفصلتَ بها بين أحوج وما يتعلّق به وهو أجنبيٌّ ، فلم
يجز . انتهى كلام أبي البقاء .

٤٩٥

والبيت من قصيدة طويلة جداً لأوس بن حجر ^(٣) ، وقبلة :

(ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يثر مرم
فإنّا وجدنا العرض البيت
أرى حرباً أقوامٍ تدبُّ وحربنا تجلُّ فتعروّري بها كلّ مُعظم
تري الأرضَ منّا بالفضاء مريضةً
معضلةً منّا بجمع عرمرم)

(١) الآية ١٦ من سورة ق .

(٢) الآية ٨٥ من سورة الواقعة .

(٣) في ديوانه ١١٧ - ١٢٤ وليست طويلة جداً فإنها في ٤٨ بيتاً فقط .

وقوله: «مستعجبٍ ممّا» إلخ^(١) الواو واوُ ربّ، ومستعجب: اسم فاعل.
قال صاحب العباب: واستعجبت منه: تعجّبت منه. وأنشد هذا البيت.

والأناة بالفتح: اسمٌ للثأني، يقال ثأني في الأمر: تمكّث ولم يعجل.
وزينته: دفعته، يقال زينت الناقة حالبها زيننا، من باب ضرب:
دفعته برجلها، فهي زبونٌ. وحربٌ زبونٌ أيضاً، لأنها تدفع الأبطال
عن الإقدام خوف الموت. ومنه الزبانية، لأنّهم يدفعون أهل النار
إليها. قال صاحب الصحاح: وترمرم، إذا حرّك فاه للكلام. وأنشد
هذا البيت.

وقوله: «فإنّا وجدنا العِرض» إلخ العِرض، بالكسر، قال الشريف
(في أماليه): هو موضع المدح والذم من الإنسان. فإذا قيل ذكّر عرضُ
فلانٍ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويُمَدَح أو يذمُّ
به. وقد يدخل بذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه؛ لأنّ
كلّ ذلك مما يمدح به ويذمُّ. والذي يدلُّ على هذا أنّ أهل اللغة لا يفرقون
في قولهم شتم فلانُ عِرضَ فلانٍ، بين أن يكون ذكره في نفسه بقبيح
أو شتم سلفه وآبائه. ويدلُّ عليه قولُ مسكينٍ الدارميّ:

رُبَّ مهزولٍ سمينٍ عِرضُهُ وسمينٍ الجسمِ مهزولٍ الحسبُ

فلو كان العِرض نفسَ الإنسان لكان الكلام متناقضاً، لأنّ السمين
والهزول يرجعان إلى شيء واحد. إلى آخر ما فصله^(٢).

(١) في النسختين: «منا»، صوابه ما أثبت:

(٢) أمال المرتضى ١: ٦٣٢ - ٦٣٣.

وردَّ على ابن قتيبة في زعمه أَنَّ العِرض هو النَّفس ، ونَقَضَ ما استدلَّ به .

وقد أَحْكَمَ الكلامَ على معنى العِرض ابنُ السَّيِّدِ البَطْلَيْوْسِيُّ أيضاً (في أوائل شرح أدب الكاتب لابن قتيبة) . وكذلك حَقَّقَ المراد من العِرض ابنُ الأَنْبَارِيِّ (في كتابه الزاهر) ، ولولا خوفُ الإطالة لأوردتُ كلامَهُما .

ويؤيِّدُ كلامَ الشَّريف المرتضى قولُ ابن السكيت في شرح هذا البيت (من شرح ديوان أوس) يقول : العِرض يحتاجُ سُويعَةً إلى أَنْ يُصان . فَإِنْ سَفِهَ الرجلُ عليه قطعَ عِرْضَهُ ومزَّقَهُ إن لم يحتمل فيصونه . انتهى . وقوله : « أَحوج » قال ابن جنِّي (في إعراب الحماسة) : هذا خلاف القياس ، لأنَّه أَفْعَلُ تفضيلٍ من المزيْد ، قالوا : ما أَحوجُّه إلى كذا ، وقياسُه : ما أَشَدُّ حاجته ، أو ما أَشَدُّ احتياجه . وأنشد هذا البيت .

وفيه نظر ، فَإِنَّ الثَّلَاثِيَّ المجرَّد منقول ثابت . قال صاحب الصحاح وغيره : وحاجٌ يحُوجُّ حَوْجاً ، أى احتاج ، قال الكيث ^(١) :

غَنَيْتُ فلم أَرْدِدْكُمْ عند بُغْيَةٍ وَحُجَّتْ فلم أَكْذُبْكُمْ بالأَصَابِعِ ^(٢)

وأحوجه إليه غيره . وأحوج أيضاً بمعنى احتاج . انتهى .

وروى بدله : « أَفْقَرُ سَاعَةً » وهذا عند الجوهريَّ شاذٌّ . قال : وقولهم : فلانٌ ما أَفْقَره وما أَغْناه ، شاذٌّ لأنَّه يقال في فعلهما افتقر واستغنى ، فلا يصحُّ التعجُّبُ منه . انتهى .

٤٩٦

(١) هو الكيث بن معروف ، كافي اللسان (حوج) ، وفي اللسان (كدد) : « وأنشد الكيث » . وانظر ملحقات ديوان الكيث ١ : ٢٥١ .
(٢) وروى أيضاً : « حجت » بكسر الحاء ، من قولهم : حاج يحيج .

وفيه نظرٌ أيضاً؛ فإنَّ ثلاثيه مسموعٌ أيضاً . قال صاحب المصباح:
الفقير فعيل بمعنى فاعل ، يقال فَقِرَ يَقْفِرُ ، من باب تعب ، إذا قلَّ
ماله . قال ابن السَّراج : ولم يقولوا فَقَرَ أَى بالضم ، استغنوا عنه بافتقر .
انتهى .

وتنوين ساعةً للتكثير والتقليل ، كما فهم من كلام ابن
السَّكَيْت . وقال ابن بَرَى : قال أبو الفتح بن جنى : قوله ساعة يريد
ساعة الغضب ، فاستغنى عن الإضافة لدلالة اللفظ عليه . انتهى .

والمعنى أَنَّ العرضَ يُصان عند ترك السَّفه في أَقلِّ من ساعة إذا ملك
نفسه ، فكيف لا يصان إذا داومَ عليه . والعرض أكثر احتياجاً إلى
الصُّون من الثياب النفيسة ، فإنَّ عرض الرجلِ أَحوجُ إلى الصَّيانة عن
الدَّنَس والرَّين من الثوب الموشَّى المزِين . وعنى بالساعة ساعة الغضب
والأنفة ، فَإِنَّه كثيراً ما أَهلك الحلمَ . وأتلفه . وفي المثل السائر : « الغضبُ
غُولُ الحِلْمِ » .

والرَّيْطُ واحدُه رِيْطَة ، قال صاحب المصباح : الرَّيْطَة بالفتح :
كلُّ ملاءة ليست لِفَتَّين ، أَى قطعَين ، والجمع رِباط ورَّيْطُ أيضاً ، مثل
تمرة وتمر . وقد يسمَّى كلُّ ثوبٍ رقيقٍ رَّيْطَة . انتهى .

والمعنى الأخير هو المراد هنا . قال ابن السكيت : ومُسَهَّمٌ : فيه وشئٌ
مثل أفواق السَّهام^(١) . وقال الجوهري : المسَهَّم : البرد المخطَّط .

وقوله : « أرى حربَ أقوام » إلخ . قال صاحب المصباح : الدَّقِيق :

(١) الأفواق : جمع فوق ، بالضم ، وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وفي ط :
«أفراق» صوابه في ش .

خلاف الجليل . ودَقَّ يَدَقُّ من باب ضرب دَقَّةً : خلاف غَلِظَ ، فهو دَقِيقٌ . ودَقَّ الأمرُ دَقَّةً أَيْضاً ، إذا غَمَضَ وخَفِيَ معناه ، فلا يكاد يفهمه إِلَّا الأَذَكِيَاءُ . وَجَلَّ الشَّيْءُ يَجِلُّ بالكسر : عَظُمَ فهو جَلِيلٌ . قال ابن السكيت : يقول : نحن نَسْرَعُ إلى هذه الحربِ كما يَعَجَلُ الرجلُ إلى فرسه فيَغْرَوِرِيه ، أى يركبُه عرياناً . ويقال : قد اعرورَى فرسَه ، إذا ركبَه عُرياً ، بالضم . انتهى .

وقوله : « ترى الأرض منَّا » إلخ ، فى الصحاح : وعَضَلْتُ الشَّاةُ تعضيلاً إذا نَشِبَ الولد فلم يسهل مخرجه ، وكذلك المرأة ، وهى شاةٌ معضلةٌ ومعضَلٌ أَيْضاً بلا هاءٍ . وعَضَلْتُ الأرضُ بأهلها : غَصَّتْ بهم . وأنشد هذا البيت .

والعَرَمَرَم : الجيش الكثير . قال ابن السكيت : هذا مثَلٌ ضربه ، شَبَّه الأرضَ بالجبلِ التى تتمخَضُ وقد نَشِبَ ولدُها فى بطنها . فيقول : قد نَشَبْنَا بالأرض من كثرتنا .

وأوس بن حجر شاعر جاهلى ، تقدّمت ترجمته فى الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثمائة ^(١) .

وحَجَرَ ، بفتح الحاء والجيم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للعشرين بعد الستمائة ^(٢) :

٦٢٠ (واستنزلَ الزُّبَاءَ قَسْراً وهى مِنْ

عُقَابٍ لُسوحِ الجوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى)

(١) الخزانة ٤ : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٢) من مقصورة ابن دريد .

على أَنَّ تَقَدُّمَ (من) على أَفْعَلِ التفضيل إذا لم يكن مجروراً اسم استفهام خاصٌّ بالشعر .

وهذا مذهبُ الجمهور ، وهو قليلٌ عند ابن مالك لا ضرورة .
وأما تَقَدُّمُها على المبتدأ نحو : من زيد أنت أفضل : فضرورةٌ اتِّفاقاً .

وقال ابن هشام اللخمي في شرح هذا البيت : من عقاب متعلق بأعلى وإنَّما قَدَّمه ضرورة ، لأنَّ أَفْعَلَ لا يقوى قوَّةُ الفعل فيعملَ عمله فيما قبله فلا يجوز . من زيد أنت أفضل ، فتقدَّم الجارُّ عليه ، لضعفه ، إلَّا أَنَّهُ جازئٌ هنا للضرورة ، كما قال الفرزدق :

٤٩٧

وقالت لنا أهلاً وسهلاً وزودت

جَنَى النَّحْلِ أَوْ مَا زَوَّدَتْ مِنْهُ أَطِيبٌ^(١)

انتهى . ولا يخفى أَنَّ المثالَ مخالفٌ للبيتين ؛ فإنَّه مما تقدَّمت من فيه على المبتدأ والخبر ، والبيتان مما تقدَّمت من فيه على الخبر فقط .

والبيت من مقصورة ابن دريد المشهورة . وقبله :

صاحب الشاهد

(وقد سَمَّا عَمَرُو إلى أوتاره فاحتطَّ منها كلُّ عالى المستمى)

سما يسمو سموًا : ارتفع . والأوتار : جمع وتر بكسر الواو وفتحها وهو طلبُ الإنسان بجناية . واحتطَّ : افتعل من الحَطَّ بالمهملتين : أنزل . وعالٍ : مرتفع . ومستمى : مفتعلٌ من سما يسمو .

وعمرُو هو عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عبد الحارث بن عمرو بن عدى معاوية بن مالك بن غنم بن غارة بن لَحْم ، ملك الحيرة . ملكَ بعد خاله

(١) ديوان الفرزدق ٣٢ والعمي ٤ : ٤٣ وابن يعيش ٢ : ٦٠ .

جَذِيمَةٌ مائة وثمانِ عشرة^(١) سنة . وهو أَوَّلُ مَنْ ملك من ملوك لَحْمٍ .
وكان مدَّةُ ملك لَحْمٍ بالحيرة خمسَ مائة سنة .

وكان من حديث عديٍّ أَن جَذِيمَةَ قال ذات يوم لندمائه : لقد ذُكِرَ
لي غلامٌ من لحمٍ في أخواله من بني إِيَاد ، له ظَرْفٌ وأَدَبٌ ، فلو بعثتُ
إليه وولَّيتُهُ كأسى ، والقيَامَ على رأسى ، لكَانَ الرَّأى . فقالوا : الرَّأى
مارآه الملكُ فليبعثْ إليه . ففعلَ ، فلمَّا قدِمَ عليه قال : من أنت ؟
قال : أنا عديُّ بن نصر . فوَلَّاهُ مجلسَه ، فعشِقتَه رَقَاشُ بنتُ مالك ،
أخت جَذِيمَةَ ، فقالت له : يا عديُّ إذا سقيتَ القومَ فامزُجْ لَهم وعَرِّقْ
للملك ، أى امزُجْ له قليلاً كالعَرِّق ، فإذا أخذتِ الخمر منه فاخطبني
إليه فإنَّه يزوِّجُك ، فأشهدِ القومَ إنَّ^(٢) فعل . ففعل الغلامُ وخطبها ،
فزوَّجه وأشهد عليه ، وانصرف إليها فعرفها ، فقالت : عُرْسٌ بأهلك .
فلمَّا أصبحَ غداً متضمِّحاً بالخلُوق ، فقال له جَذِيمَةُ : ما هذه الآثار
يا عديُّ ؟ قال : آثارُ العُرْس . قال : وأى عُرْس ؟ قال : عُرْسُ رَقَاش .
فنخر وأكبَّ على الأرض ، ورفع عديُّ جراميزه^(٣) فأسرع جَذِيمَةُ في
طلبه فلم يجدْه ، وقيل بل قتله وبعث إليها :

حدَّثينى وَأَنْتِ لَا تَكْذِيبينى أَبِحُرِّ زَنِيتِ أَمْ بِهِجِينِ^(٤)
أَمْ بَعْدِي فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدِي أَمْ بَدُونِ ، فَأَنْتِ أَهْلٌ لُدُونِ
فأجابته رَقَاش :

(١) ط : « : » وثمان عشرة » ، وهى لغة جائزة . انظر اللسان (ثمن ٢٣١) .

(٢) فى الأغاني « إن هو فعل » .

(٣) أى استفد للفرار . والجراميز : اليدان والرجلان .

(٤) الأغاني ١٤ : ٧٠ والشريشى ٢ : ٤ .

أَنْتَ زَوْجَتْنِي وَمَا كُنْتُ أَدْرِي
وَأَتَانِي النِّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ^(١)
ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ الْمُدَامَةِ صِرْفًا
وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَا وَالْمَجُونِ

فنقلها جذيمةُ إليه وحصَّنها في قصره ، فاشتملتُ على حَمَلٍ وولدت
غلاماً فسَمَّته عمراً ، حتى إذا ترعرَعَ حَلَّتْهُ وعَطَّرَتْهُ^(٢) ثم أزارته خالَه
فأعجبَ به ، وألْقِيَتْ عليه محبةٌ منه . ثم إِنَّ جذيمةَ نزل منزلاً وأمر
الناس أن يجتنوا له الكمأة ، فكان بعضهم إذا وجد شيئاً منها يعجبه
آثر به نفسه على جذيمة ، وكان عمرو بن عدى يأتيه بخير ما يجد ،
فعندها يقول عمرو :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

ثم إِنَّ الجَنَّ استهوته فطلبه جذيمة [في آفاق الأرض^(٣)] فلم يسمع
له خبراً ، إِذْ أَقْبَلَ رجلان من بنى القَيْنِ ، يقال لأحدهما مالك وللآخر
عقيل ابنا فالج^(٤) ، ويروى فارج ، من الشَّام ، وهما يريدان الملك بهديَّة ،
فنزلا على ماءٍ ومعهما قينة يقال لها أُمُّ عمرو ، فنصبت لهما قدراً وهيأت
لهما طعاماً ، فبينما هما يأكلان إِذْ أَقْبَلَ رجلٌ أشعثُ الرأس قد طالت
أظفاره ، وساءت حاله ، ومدَّ يده فناولته القينةُ طعاماً فأكله ، ثم مدَّ
يده فقالت القينةُ : « أُعْطِيَ الْعَبْدُ كُرَاعاً فَطَلَبَ ذِرَاعاً^(٥) » ، فأرسلتها

(١) البيتان أغفلهما أبو الفرج ، وهما عند الشريشي برواية : « فَأَتَانِي » .

(٢) بدمه في الأغاني والشريشي : « وَأَلْبَسَتْهُ كِسْوَةً مِثْلَهُ » .

(٣) التكملة من ش . وفي الأغاني : « فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه » .

(٤) ط : « ابنا فالج » ، ويروى : فارج « بالخاء المهملة فيها ، والصواب في ش والأغاني
والشريشي ، حيث ذكر الأول « فالج » والآخر « فارج » .

(٥) في الأغاني : « إن يعطى العبد كراعاً يتسع ذراعاً » . وانظر بجمهرة الأمثلة ١ : ١٠٧ .

مثلاً . ثم ناولت صاحبها من شرايها ، وأوكت سقاءها ، فقال عمرو
ابن عدى

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمين
وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذى لا تصبَحينا

ويروى هذا الشعر لعمرو بن كلثوم التغلبي . ويقال إن عمرو بن
كلثوم أدخله في معلقته . والله أعلم .

وهما من شواهد سيبويه . ومجراها بدلٌ من الكأس ، واليمين
خبر كان . وإن شئت جعلت مجراها مبتدأً واليمين ظرفاً ، كأنه قال :
ناحية اليمين ، وهو خبر عن مجراها ، والجملة خبر كان .

فقال له الرجلان : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن عدى . فقاما
إليه وسلما عليه ، وقلما أظفاره وقصرا من شعره ، وألبسا من طرائف
ثيابهما وقالا : ما كنَّا نهدى إلى الملك هديةً هى أنفسُ عنده ولا هو
عليها أحسنُ عطاءً من ابن أخيه ، قد رده الله عليه . فلما وقفا بباب الملك
بشراه فسرَّ به ، وصرفه إلى أمه وقال : لكما حكمكما . فقالا : حُكْمنا
مُنَادِمَتُكَ ما بقيتَ وبقينا . قال : ذلك لكما .

فهما ندمانا جذيمة المعروفان . وإيأهما عنى متمم بن نويرة بقوله في
مرثيته لأخيه مالك بن نويرة :

وكُنَّا كَنَدِمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا^(١)
فلما تفرَّقنا كَأَنِّي ومالكَا لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا

وقال أبو خِراش الهذلي يرثي أخاه عروة :

ألم تعلمي أنّ قد تفرّق قبلنا نديماً صَفَاءُ مالِكٌ وعَقِيلٌ^(١)

وروى أنّ جذيمة كان لا ينادم أحداً كبيراً وزهواً . وكان يقول :
أنا أعظم من أن أنادم إلا الفرقدين . فكان يشرب كأساً ويصبُّ لكلٍّ
واحدٍ منهما كأساً ، فلما أتى مالك وعقيل نادماه أربعين سنة ما أعادا
عليه حديثاً .

ثم إنّ أمّ عمرو جعلت في عنقه طوقاً من ذهبٍ لنذيرٍ كان عليها ،
ثم أمرته بزيارة خاله ، فلما رأى لحيته والطّوقَ في عنقه قال : « شبَّ
عمرو عن الطّوق ! » . فذهبت مثلاً .

وأقام عمرو مع خاله جذيمة قد حمَل عنه عامّة أمره ، إلى أنّ قُتل .
وقوله : (فاستنزل الزَّبَاءَ قَسْراً) البيت ، أى أنزل الزَّبَاءَ . وفاعله
ضمير عمرو المذكور في البيت قبله ، والزَّبَاءُ مفعوله .

والزَّبَاءُ ملكة اسمها نائلة ، وقيل فارعة ، وقيل ميسون . وكانت
زرقاء . ومن النساء الموصوفات بالزَّرَقِ زرقاء البمامة . وكانت البسوس
أيضاً زرقاء .

والزَّبَاءُ تمدّ وتقصّر . فمن مدّ جعل مذكرها أزب ، ومن قصر جعل
مذكرها زبّان .

وكان لها شعرٌ ، وإذا مشت سحبتة وراءها ، وإذا نشرته جلّلتها فسميت
الزَّبَاءَ . والأزب : الكثير الشعر .

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١١٧ وشرح السكري ١١٩٠ .

واختلف في نسبها ، ففيل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية ،
ومدائنهما على شاطئ الفرات من الجانب الشرق والغرب . وقيل إنها بنت
عمرو بن ظرب بن حسان ، من أهل بيت عاملة من العماليق ، ملكت^(١)
الشام والجزيرة .

وقيل إن الزباء بنت مليح بن البراء ، كان أبوها ملكاً على الحضرم ،
وهو الذي ذكره عدى بن زيد بقوله :

وأخو الحضرم إذ بناه وإذ دج لمة تُجَبَّى إليه والخابور^(٢)

قتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام فلحقت بالروم ، وكانت عربية
اللسان ما رُئِيَ في نساء زمانها أجمل منها . وكانت كبيرة الهمة ، وبلغت
من همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال ، وعادت إلى مملكة أبيها
فأزالت جذيمة عنها ، وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين ، وجعلت
بينهما أنفاقاً تحت الأرض ، وتحصنت ، وهادنت جذيمة مدة ، ثم خطبها
فاستدعته وقتلته ، كما تقدم شرحه في الشاهد الرابع والثلاثين بعد
الخمسمائة من باب العلم^(٣) .

وقوله : (من عقاب لُوح) الخ ، العُقَاب بالضم : طائر معروف .
واللُوح بالضم : الهواء ، والجو ما بين السماء والأرض . ونظم ابن دريد
قول عمرو بن عدى لقصير : « كيف أقدر على الزباء وهى أَمْنَعُ من
عُقَاب لُوح الجو » كما يأتى .

ومنتمى : مرتفع ، في القاموس : وانتمى البازى : ارتفع من

(١) ش : « ملكة » .

(٢) ديوان على بن زيد ٨٨ .

(٣) الخزانة ٧ : ٢٩٣ - ٢٩٥ .

موضعه إلى آخر . ويروى : « أعلى منتهى » أى أعلى ما يُنتهى إليه . قيل قد غلط فيه ، لأنَّ العرب لا تقف بالتنوين ، ومنتمى هنا منصوب على التمييز ، والوقف فيه عند سيبويه على الألف المبدلة من التنوين .

وقد حَقَّقَ الشارح المحقق في باب الوقف (من شرح الشافية) أنَّ هذا ليس مذهب سيبويه ، وأنَّ هذه الألف لام الكلمة لا الألف المبدلة من نون التنوين .

وَقَسْرًا : قهراً ، إمَّا مفعول مطلق وإمَّا حال . أى فاستنزل الزبَاءَ كارهةً . يريد أنَّ عمرأ أخذ ثأره منها فقتلها ، وإنَّما قَدَّرَ عليها بإعانة قصير بن سعد ، من أصحاب جذيمة ، فإنَّه قال لعمر بن عدى بعد قتل جذيمة : ألا تطلبُ بثأر خالك ؟ فقال : وكيف أقدر على الزبَاءِ وهى أَمْنَعُ من عقاب لُوحِ الجَوِّ ! فأرسلها مثلاً . فقال له قصير : « اطلبُ الأمرَ وخَلَاكَ ذمُّ ! » ، فذهبت مثلاً أيضاً .

ثم إنَّ قصيراً جدع أنفه وقطع أذنه بنفسه ، وفيه قيل : « لأمر ما جدع قصيرُ أنفه » . ثم لحق بالزبَاءِ زاعماً أنَّ عمرو بن عدى صنع به ذلك ، وأنَّه لجأ إليها هارباً منه ، ولم يزل يتلطَّفُ بها بطريق التجارة وكسب الأموال ، إلى أن وثِّقَتْ به وعلم خفايا قصيرِها وأنفاقه . فلما كان في السَّفرة الثالثة اتَّخذ جُوالقات كجِوالق المال ، وجعلَ رُبُطَها من داخل الجِوالق في أسفلها ، وأدخل فيها الرجال بالأسلحة ، وأخذ عمرو بن عدى معه ، وقد كان قصيرٌ وصفَ لعمر بن عدى النَّفق ، ووصف له الزبَاءُ ، فلما دخلت الجمالُ المدينة جاء عمرو بن عدى على فرسه فدخل الحصن بعقب الإبل ، وبركت الإبلُ ، وحلَّ الرجالُ الجِوالقات

وَمَثَلُوا بِالْمَدِينَةِ ، وَوَقَفَ عَمْرُو عَلَى بَابِ النِّفْقِ ، فَلَمَّا جَاءَتْ الزُّبَاءُ هَارِبَةً
جَلَّلَهَا بِالسَّيْفِ وَاسْتَبَاحَ بِلَادَهَا .

وقد تقدّم شرح هذه القصة ببساطة من هذا في شرح الشاهد المذكور .
وترجمة ابن دريد تقدمت في الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة ^(١) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْوَاحِدُ وَالْعَشْرُونَ بَعْدَ السِّمَاءَةِ ^(٢) :

٦٢١ (قُبِحْتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا أَلَامَ قَوْمٍ أَصْغَرًا وَأَكْبَرًا) ٥٠٠

على أن أفعل قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة قياساً عند
المبرّد ، سماعاً عند غيره . وهو الأصحُّ كما في البيت فإنّهما بمعنى صغير
وكبير .

وهذا البيت أورده المبرّد (في الكامل) عند شرح قول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

قال : وجائز أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال
الآخر :

* قُبِحْتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا * البيت

قال : يريد صغاراً وكباراً .

و (في التسهيل وشرحه لابن عقيل) : واستعماله عارياً دون من

(١) الخزائن ٣ : ١١٩ - ١٢١ .

(٢) المقرب ٣ : ٣٤٧ والكامل ٤٢٣ .

مجرداً عن معنى التفضيل مؤولاً باسم الفاعل : ﴿هو أعلم^(١) بكم﴾ أى عالمٌ أو صفةٌ مشبهة : ﴿وهو أهون عليه^(٢)﴾ أى هيِّن - مطَّردٌ عند المبرد . وعليه المتأخرون . وحكى ابن الأنبارى الجوازَ عن أبى عبيدة ، والمنع عن النحويين . والأصحُّ قصرُدهُ على السَّماع . قيل لقلَّة ما وَرَدَ^(٣) من ذلك . وفيه نظر ظاهر ، ولعلَّ وجهه أنَّ الوارد قابلٌ للتأويل ، إلا أنَّ فى بعضِ التأويل تكلفاً ، وموضع التكلُّف قليل ، ومنه : ﴿بناتى هنَّ أطهرُ لكم^(٤)﴾ أى طاهرات ، ﴿لا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى^(٥)﴾ أى الشَّقَى . والوجه ، أنَّ ذلك . مطَّرد ، ولزومُ الأفراد والتذكير فيما ورد كذلك أكثر من المطابقة . فالأفراد : ﴿خيرٌ مستقراً وأحسنُ مقيلاً^(٦)﴾ ، ﴿نحن أعلمُ بما يستمعون^(٧)﴾ والمطابقة :

إذا غاب عنكم أسودُ العين كنتمُ كراماً وأنتم ما أقامُ الأئيم^(٨)
فالأئيم جمعُ الأُم بمعنى لئيم . وإذا صحَّ جمعُ أفعالِ العارى المجرد عن معنى التفضيل إذا جرى على جمع ، جاز تأنيثه إذا جرى على مؤنث . وعلى هذا يكون قول الحسن بن هانئ :

كأنَّ كبرى وصُغرى من فقاقعها حصباءَ درٍ على أرضٍ من الذهبِ
صحيحاً ، لأنَّه تأنيثُ أصغر وأكبر ، بمعنى صغير وكبير ، لا بمعنى التفضيل . انتهى .

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) ط : « أورد » .

(٤) الآية ٧٨ من سورة هود .

(٥) الآية ١٥ من سورة الليل .

(٦) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .

(٧) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .

(٨) نسب إلى الفرزدق فى المعنى ٤ : ٥٧ وليس فى ديوانه .

وقال الشاطبي عند قول ابن مالك :

وأفعلَ التَّفضيلَ صَلَتهُ أَبَدًا تقديرًا أو لفظًا بمن إن جُرِّدا

قوله : « أبدا » فيه تنكيته^(١) وتنبيه على أَنَّ المجرد لا يأتي بمعنى اسم الفاعل مجرداً من معنى من قياساً أصلاً ، خلافاً للمبرِّد القائل بأنَّه جائز قياساً ، فيجوز عنده أَنَّ تقول : زيد أفضل ، غير مقصود به التفضيل على شيء ، بل بمعنى فاضل . وزعم أَنَّ معنى قولهم في الأذان وغيره : الله أكبر : الله الكبير ، لأنَّ المفاضلة تقتضي المشاركة في المعنى الواقع فيه التفضيل ، والمفاضلة في الكبيرياء هنا تقتضي المشاركة إن قَدَّرَ فيه : من كل شيء . ومشاركة المخلوق للخالق في ذلك أو في غيره من أوصافِ الرَّبِّ مُحالٌ ، بل كلُّ كبير بالإضافة إلى كبيرائه لا نسبة له ، بل هو كلا شيء . وكذلك قال في قوله : ﴿ وهو أهونُ عليه ﴾^(٢) تقديره معنى : وهو هينٌ عليه ، لأنَّ جميع المقدورات متساوية بالنسبة إلى قدرة الله ، فلا يصحُّ في مقدورٍ مفاضلةُ الهونِ فيه على مقدورٍ آخر . ومنه قوله تعالى : ﴿ هو أعلمُ بكم ﴾ إذ لا مشاركة لأحدٍ بين علمه وعلم الله تعالى . ومن ذلك قول الفرزدق :

إن الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً . . . البيت

أى عزيزة وطويلة . فهذه مواضع لا يصحُّ فيها معنى المفاضلة ،

٥٠١

(١) المراد بالتنكيته هنا الإشارة . وفي اللسان : « ونكت في العلم بموافقة فلان أو مخالفة فلان : أشار » . والفعل فيه ثلاثي لا مضعف ، ومثل في تاج العروس . والنكته أصل معناها النقطة ، وفي الأساس : « ومن الهجاز : جاء بنكته وبنكت في كلامه . . . ونكت نكت في قوله ، ورجل منكته ونكاته » . وفي تاج العروس عن الفناري : « النكته هى اللطيفة المؤثرة في القلب من النكت ، كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل ، المؤثرة في القلب ، التي يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الإصبع » .

(٢) سبق تخريج هذه الآية وتالياتها .

فثبت أنَّها صفات مجردة عن ذلك ، مساوية لسائر الصفات . ومثل ذلك كثير .

فماس المبرّد على ذلك ما فى معناه . فالناظم نكّث عليه ^(١) ، وارتضى مذهب سيويه ومن وافقه ، وأنّ أفعل التفضيل لا يتجرّد من معنى من إذا كان مجرداً أصلاً . وما جاء ممّا ظاهره خلاف ذلك فهو راجع إلى تقدير معنى من ، أو إلى باب آخر . فأما المفاضلة فيما يرجع إلى الله تعالى فهى بالنسبة إلى عادة المخلوقين فى التخاطب ، وعلى حسب توهمهم العادى . فقوله : الله أكبر ، معنى ذلك أكبر من كلّ شىء يُتوهم له كبر ، أو على حسب ما اعتادوه فى المفاضلة بين المخلوقين ، وإن كان كبرياء الله تعالى لا نسبة لها إلى كبر المخلوق .

وكذلك قوله : ﴿ وهو أهون عليه ﴾ يريد على ما جرت به عادتكُم ؛ أنّ إعادة ما تقدّم اختراعه أسهل من اختراعه ابتداءً .

وقوله : ﴿ هو أعلم بكم ﴾ أى منكم ، حيث تنوّهون أنّ لكم علماً والله تعالى علماً ، أو على حدّ ما تقولون : هذا أعلم من هذا .

وهى طريقة العرب فى كلامها ، وبها نزل القرآن . خُوطبوا بمقتضى كلامهم ، وبما يعتادون فيما بينهم .

وقد بينّ هذا سيويه فى كتابه حيث احتاج إليه . ألا ترى أنّه حين تكلم على لعلّ فى قوله تعالى : ﴿ لعلّه يتذكّر ﴾ أو يخشى ^(٢) صرف

(١) انظر التعليق السابق .

(٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

مقتضاها من الطَّمَع إلى المخلوقين فقال : والعلم قد أتى من وراء ما يكون ولكن اذهبا على طَمَعكما ورجائكما وميلغكما من العلم . قال : وليس لهما إلا ذاك^(١) ما لم يعلما .

وهذا من سبويه غاية التحقيق . وكثيراً ما يذكر أمثال هذا في كتابه .

وأما بيت الفرزدق فغير خارج عن تقدير من ، فقد رُوِيَ عن رؤية ابن العجاج أنَّ رجلاً قال له : يا أبا الجحَّاف ، أخبرني عن قول الفرزدق : « أطول » ، من كل شيء ؟ فقال له : رويداً ، إن العرب تجتزئ بهذا . قال : وقال المؤذن : الله أكبر ، فقال رؤية : أما تسمع إلى قوله : الله أكبر ، اجتزأ بها من أن يقول من كل شيء . هذا ما قال ، وهو ظاهر في صحة التقدير ، وأنه مراد العرب .

ثم إنَّ الذي يدلُّ على أنَّ المراد معنى من ، أنَّ أفعل في هذه المواضع ونحوها لا يشئ ولا يجمع ، ولا يؤنث ، وما ذاك إلا لمانع تقدير من ، كقوله تعالى : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾^(٢) وقوله : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ ﴾^(٣) ونحو ذلك .

والذي جاء من ذلك على الجمع شاذٌّ ، نحو ما أنشده الفارسي من قول الشاعر :

إذا غابَ عنكم أسودُ العين . . . البيت

أنشده المؤلف في الشرح على أنه جمع ألأم مجرداً عن تقدير من .

(١) الذي في سبويه ١ : ١٦٧ بولاق ٣٣١ من نسختي : « وليس لهما أكثر من ذا » .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .

(٣) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .

وحمله الفارسي على أنه جمع لثيم ، كقطيع وأقاطيع ، وحديث وأحاديث وحذف الزيادة . انتهى كلام الشاطبي .

ولم يذكر البيت الذي أنشده الشارح المحقق .

والتفضيل فيه غير مراد ، فإن (أصغر) حال من الضمير في الأَم ، والمعنى نسبتهم إلى أشد اللؤم في حال صغرهم وفي حال كبرهم ، والتفضيل لا وجه له إلا بتكلف ، وهو أن يكون التقدير : أصغر من غيره وأكبر منه . وهذا معنى سخيف . ويجوز أن يكون أصغر صفة للأَم للتعميم ، فيرجع إلى معنى الحالية . ولا وجه لجعله صفة لقوم . فتأمل .

و (الأَم) منصوب على الذم ، ويجوز أن يكون صفة لقوله نفرأ ، ويجوز أيضاً رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : أنتم الأَم قوم ، والقطع للذم أيضاً . واللؤم بالهمز : ضد الكرم ، يقال لؤم على وزن كرم ، لؤماً ، فهو لثيم ، وهو الشحيح ، والدنيء النفس ، والمهين . وقوله : (قُبَحَ) هو بالبناء للمفعول وتشديد الباء . يقال قَبَحَ الله يَقْبَحُهُ بفتح الباءين المخففتين ، أى نحاه عن الخير . وفي التنزيل : ﴿ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾^(١) أى المبعدين عن الفوز . وقَبَحَ الله بتشديد الباء للمبالغة . والجملة دعائية . ويُقرأ بضم التاء والميم للوزن .

و (نفرأ) : تمييزٌ محوّل عن الفاعل ، والتقدير : قُبَحَ نفرُكم يا آل زيد . والنفر بفتححتين : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى سبعة . ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة . قاله صاحب المصباح . وفي ذكر نفر ذم أيضاً .

والبيت لم أقف له على خبر . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد الستائة ^(١) :

٦٢٢ (ملوك عظام من ملوك أعظم)

على أن (أعظم) بمعنى عظام ، وهو جمع أعظم بمعنى عظيم ، غير مراد به التفضيل . ولو كان مراداً للزم الأفراد والتذكير .

ويأتى فيه ما نقله الشاطبي عن الفارسي من أنه جمع عظيم مع حذف الزيادة ^(٢) .

والمصراع من أبيات لأعرابي . والرواية كذا :

أبيات الشاهد (توسمته لما رأيت مهابة عليه وقلت : المرء من آل هاشم
ولاً فمن آل المرار فإنهم ملوك عظام من كرام أعظم
فقلت إلى عنز بقية أعز لأذبحها فعل امرى غير نادم
فموضني عنها غنأى ، ولم تكن تساوى عنزى غير خمس دراهم
فقلت لأهلى فى الخلاء وصيبتى أحقأ أرى أم تلك أحلام نائم
فقالوا جميعاً : لا بل الحق هذه تحبها الركبأن وسط المواسم
بخمس مئين من دنائير عؤضت

من العنز ما جادت به كف حاتم)

رؤى أن عبید الله بن العباس ، رضى الله عنهما ، خرج مرة من المدينة يريد معاوية فى الشام ، فأصابته سماء ، فنظر إلى نؤيرة عن يمينه ^(٣) ، فقال لغلّامه : مل بنا إليها . فلما أتياها إذا شيخ ذو هيئة

(١) لم أجده له تخريجاً .

(٢) انظر نهاية نص الشاطبي السابق فى ٢٨١ س ٢ .

(٣) النؤيرة : مصفر النار .

رثّة ، فقال له : أَنْخِ انْزِلْ حَيِّتْ ! ودخل إلى منزله فقال لامرأته : هَبِّي شَاتَكَ أَقْضِي بِهَا ذِمَامَ هَذَا الرَّجُلِ ، فَقَدْ تَوَسَّمتُ فِيهِ الْخَيْرَ ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ مُضَرٍّ فَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنَ الْيَمَنِ فَهُوَ مِنْ بَنِي آكَلَ الْمُرَارِ . فقالت له : قد عرفتَ حَالَ صَبِيَّتِي وَأَنَّ مَعِيشَتَهُمْ مِنْهَا ، وَأَخَافُ الْمَوْتَ عَلَيْهِمْ إِنْ فَقَدُوهَا . فقال : موتهم أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللَّؤْمِ . ثم قبض على الشاة فَأَخَذَ الشُّفْرَةَ وَأَنشَدَ :

قَرِيبَتِي لَا تُوقِظِي بَنِيَّسَهُ إِنْ يُوقِظُوا يَنْسَحِبُوا عَلَيْهِ
وَيَنْزِعُوا الشُّفْرَةَ مِنْ يَدَيْهِ أَبْغِضْ هَذَا أَنْ يُرَى لَدَيْهِ

ثم ذَبَحَهَا وَكَشَطَ جِلْدَهَا وَقَطَّعَهَا أَرْبَاعاً وَقَذَفَهَا فِي الْقِدْرِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ أَثَّرَدَ فِي جَفْنَةٍ فَعَشَّاهُمْ ثُمَّ غَدَّاهُمْ ، فَأَرَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ الرَّحِيلَ فَقَالَ لَغُلَامِهِ : ارْمِ لِلشَّيْخِ مَا مَعَكَ مِنْ نَفَقَةٍ . فقال : ذَبَحَ لَكَ الشاةَ فَكَافَأْتُهُ^(١) بِمِثْلِ عَشْرَةِ أَمْثَالِهَا ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُكَ ؟ فقال : وَيَحْكُ ، إِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ هَذِهِ الشاةِ ، فَجَادَ لَنَا بِهَا وَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُنَا ، فَأَنَا أَعْرِفُ ٥٠٣ نَفْسِي ، ارْمِ بِهَا إِلَيْهِ . فرماها إِلَيْهِ فَكَانَتْ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ . فارتحل عُبَيْدُ اللَّهِ فَأَتَى مَعَاوِيَةَ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ ، حَتَّى إِذَا قَرُبَ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْخِ قَالَ لَغُلَامِهِ : مَنْ بَنَى إِلَيْهِ نَنْظُرُهُ فِي أَيِّ حَالَةٍ هُوَ ؟ فانتَهياً إِلَيْهِ فَإِذَا بِرَجُلٍ سَرِيٍّ عِنْدَهُ دُخَانٌ عَالٍ وَرَمَادٌ كَثِيرٌ ، وَإِبِلٌ وَغَنَمٌ ففرح بذلك وقال له الشَّيْخُ : انْزِلْ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ . وقال : أَتَعْرِفُنِي ؟ فقال : لَا وَاللَّهِ فَمَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أَنَا نَزِيلُكَ لَيْلَةً كَذَا وَكَذَا . فقام إِلَيْهِ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَقَالَ : قَدْ قَلْتُ أَبْيَاناً أَتَسْمَعُهَا مِنِّي ؟

(١) ط : « فكَافَتْ » ش : « فكَافَتْ » ، كلاهما محرف عما أثبت .

فقال : هات . فأتشد هذه الأبيات ، فضحك عبید الله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا ، يا غلام أعطه مثلها !
فبلغت فعلته معاوية فقال : لله در عبید الله ، من أي بيضة خرج ،
وفي أي عش درج ، وهي لعمرى من فعلاته !
وقوله : « توسمته » بمعنى تفرسته ، من التوسم ، يقال توسمت فيه الخير
أي طلبت سيمته .

وقوله : « وإلا فمن آل المار » أي إن لم يكن من آل هاشم فهو من
آل المار ، على حذف مضاف أي آل آكل المار ، وهم ملوك اليمن .
قال صاحب القاموس : والمار بالضم : شجر من أفضل العشب وأضخمه ،
إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها فبدت أسنانها ، ولذلك قيل لجد
امريء القيس : « آكل المار » ؛ لكثير كان به .

وقال الشريف الجواني : إن في آكل المار خلافاً ، هل هو الحارث
ابن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن
ثور بن مُرتع^(١) ؟ أم هو حُجر بن عمرو بن معاوية ؟ وإن الحارث إنما
سُمي آكل المار لأن عمرو بن الهُبولة الغساني أغار عليهم ، وكان الحارث
غائباً ، فغنم وسبي ، وكان فيمن سبي أم أناس بنت عوف بن محلم
الشيبي امرأة الحارث ، فقالت لعمرو بن الهُبولة في مسيره : لكائي
برجل أدلم أسود ، كأن مشافره مشافرُ بعير آكل المار ، قد أخذ برقبتك !
تعني الحارث . فسُمي آكل المار . والمُمار ، كغراب : شجر مر إذا
أكلت منها الإبل تقلصت مشافرها . ثم تبعه الحارث في بكر بن وائل
فلحقه فقتله ، واستنقذ امرأته وما كان أصاب .

(١) ابن الأنباري في شرح القصائد ٤ : « وإنما سمي مرتعاً لأنه كان من أتاه من قومه
تمه ، أي جمل له مرتعاً لماشيته » .

وقال ابن دريد (في كتاب الاشتقاق) : إِنَّ آكلَ المَرَارِ الحارثُ
جَدُّ امرئِ القيسِ الشاعرِ ابنِ حُجرٍ .

وقوله : « مُلوْكُ عَظَامٍ » إلخ ، بتنوين ملوك ، وعَظَامٌ وُصِفَهُ ، وكذلك
ما بعده .

وقوله : « فَعَوَّضْنِي » إلخ ، فاعله ضمير المَرءِ من آل هاشم ، المراد به
عبيد الله بن عباس . و « غَنَى » المفعول الثاني لِعَوَّضَ . والغنى : ضد
الفقر ، وضمير عنها للعنز .

وقوله : « تُساوَى » بضم الياء للضرورة ، أورده ابن عصفور (في
كتاب الضرائر ^(١)) وقال : أجرى حرف العلة مجرى الحرف الصحيح
فأظهر الضمة عليه .

وكذا أورده المرادى (في شرح الألفية) .

وقوله : « فقلت لأهلى » إلخ ، الخلاء بالفتح والمد : الفضاء . وصيبة :
جمع صبي ، أى قلت لزوجتى وأولادى .

وقوله : « أَحَقَّأ ^(٢) أرى » إلخ . يقول : من شدة سرورى بالدنانير دهشت
فقلت لهم مستفهماً : أما أراه حقاً ، أم تلك الدنانير أضغاث أحلام ؟
وقوله : « تحبُّ بها » أى بذكرها ، أى بذكر الدنانير . وتحبُّ ،
تسرع من الحبِّ ، وهو ضربٌ من العلوِّ ، وفعله من باب نصر . ورُكيان
جمع راكب . والمواسم : جمع مَوَاسِمِ الحج .

وقوله : « بخمس مئين » إلخ ، هو بدلٌ من قوله بها . ومئين بالكسر
والتنوين لغةٌ ، أو ضرورة جمع مائة . وعَوَّضْتُ : جُعِلْتُ عوضاً من العنز . ٥٠٤

(١) الضرائر ٤٦ ، ٢٧٣ .

(٢) ط : « أحق » ، صوابه فى ش .

وقوله : « ما جادت » إلخ . ما نافية ، أى لم تجدْ كَفَّ حاتم بهذا الجود . ويحتمل أن تكون ما موصولة خبر مبتدأ محذوف ، أى هى ما جادت به كَفَّ حاتم . المراد به عُبَيْد الله بن العباس بالتصغير ، وهو أخو عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ، حَبْرُ هذه الأمة . والأوّل مشهورٌ بالجود معدودٌ من الأجواد ، والثانى مشهورٌ بالعلم ، وإن كانا فى العلم والجود مشتركين .

وقد أورد ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) بعض ما يتعلّق بجود عُبَيْد الله ^(١) .

منها : أنّه أول من فطّر جيرانه فى رمضان ، وأوّل من وضع الموائد على الطُّرُق ، وأوّل من حيّا على طعامه ^(٢) ، وأوّل من أنبهه .

ومن جوده : أنّه أتاه رجلٌ وهو بفناء داره ، فقام بين يديه فقال يا ابن عباس ، إنّ لى عندك يداً وقد احتجتُ إليها . فصعد فيه بصّره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفاً بباب زمزم ^(٣) وغلّامُك يمتح لك من مائها ، والشمسُ قد صهرتك ، فظللّلتك بطرف كسانى حتّى شربت . قال : إنّى لأذكر ذلك ، وإنّه يتردّد بين خاطرى وفكرى . ثم قال لقيّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه وما أراها تفى بحقّ يده عندنا . قال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ، فكيف

(١) المقد ١ : ٣٤٠ - ٣٤٣ .

(٢) أى قال حى على الطعام ، أى هلموا إليه وأقبلوا .

(٣) فى العقد ، « بززم » .

وقد وَلَدَ سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ شَفَعَ^(١) بِأَبِيكَ وَبِكَ .

ومن جوده أيضاً : أَنَّ معاوية حَبَسَ عن الحسين بن عليٍّ صَلَاتِهِ حَتَّى ضَاقَتْ حَالُهُ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ^(٢) : لَوْ وَجَّهْتَ إِلَى ابْنِ عَمِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ قَدِيمٌ بِنَحْوِ أَلْفِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : وَأَيْنَ تَقَعُ أَلْفُ أَلْفٍ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَجُودُ مِنَ الرِّيحِ إِذَا عَصَفَتْ ، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَخَرَ . ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ مَعَ رَسُولِهِ بَكْتَابٍ ذَكَرَ فِيهِ حَبْسَ معاويةَ عَنْهُ صَلَاتِهِ وَضِيقَ حَالِهِ ، وَأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . فَلَمَّا قَرَأَ عُبَيْدُ اللَّهِ كِتَابَهُ وَكَانَ مِنْ أَرْقَى النَّاسِ قَلْبًا انْهَلَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا معاويةَ مَا اجْتَرَحْتَ يَدَاكَ مِنَ الْإِثْمِ حِينَ أَصْبَحْتَ لَيْلِنَ الْمَهَادِ ، رَفِيعَ الْعِمَادِ ، وَالْحُسَيْنُ يُشْكُو ضِيقَ الْحَالِ ، وَكَثْرَةَ الْعِيَالِ ! ثُمَّ قَالَ لِقَهْرْمَانِهِ : احْمِلْ إِلَى الْحُسَيْنِ نَصْفَ مَا أَمْلَكَهُ مِنْ فَضَّةٍ وَذَهَبٍ ، وَثُوبٍ وَدَابَّةٍ ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي شَاطِرْتُهُ مَالِي ، فَإِنْ أَقْنَعَهُ ذَلِكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ وَاحْمِلْ إِلَيْهِ الشَّطْرَ الْآخَرَ . فَقَالَ لَهُ الْقِيمُ : فَهَذِهِ الْمُونُ الَّتِي عَلَيْكَ مِنْ أَيْنَ تَقُومُ بِهَا ؟ قَالَ : إِذَا بَلَّغْنَا ذَلِكَ دَلَّلْتُكَ عَلَى أَمْرٍ يُقِيمُ حَالَكَ . فَلَمَّا أَتَى الرَّسُولُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ، حَمَلْتُ وَاللَّهُ عَلَى ابْنِ عَمِّي ، وَمَا حَسْبَتُهُ يَتَسَّعُ لَنَا هَذَا كُلُّهُ . فَأَخَذَ الشَّطْرَ مِنْ مَالِهِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ .

ومن جوده : أَنَّ معاويةَ أَهْدَى إِلَيْهِ وَهُوَ عِنْدَهُ بِالشَّامِ مِنْ هَدَايَا النَّيِّرُوزِ حُلَلًا كَثِيرَةً ، وَمِسْكًَا ، وَآنِيَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ ، وَوَجَّهَهَا مَعَ حَاجِبِهِ ، فَلَمَّا وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَى الْحَاجِبِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَقَالَ : هَلْ فِي

(١) فِي الْعَقْدِ : « ثُمَّ شَفَعَهُ » .

(٢) الْعَقْدُ : « فَقِيلَ لَهُ » .

نفسك منها شيء؟ فقال : نعم ، والله إنَّ في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام ! فضحك عبید الله وقال : فشأنك بها فهي لك . قال : جُعِلْتُ فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجِدَ عليَّ . قال : فاخْتِمْها بخاتَمك ، وارفعها إلى الخازن ، فإذا حان خروجُنا حملها إليك ليلاً . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم ، ولودِدْتُ أنِّي لا أموت حتى أراك مكانه ، يَعي معاوية ، فَظَنُّ عبید الله أنها مكيدة منه . قال : دع عنك هذا الكلام فإنَّا قومٌ نفى بما وعدنا ، ولا ننقض ما أَكَّدنا .

٥٠٥

ومن جوده أيضاً : أنه أتاه سائلٌ وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدَّقْ فإنِّي نَبِئْتُ أَنَّ عبید الله بنَ العباس أعطى سائلاً ألفَ درهمٍ واعتذرَ إليه . فقال له : وأين أنا من عبید الله ؟ قال : أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله ، وإذا شئتَ فعلتَ ، وإذا فعلتَ كنتَ حسيباً . فأعطاه ألفي درهمٍ واعتذرَ إليه من ضيق الحال ، فقال له السائل : إن لم تكن عبید الله بنَ عباس فأنت خيرٌ منه ، وإن كنته فأنت اليوم خيرٌ منك أمس ! فأعطاه ألفاً أخرى ، فقال السائل : هذه هزّة كريم حسيبٍ ، والله لقد نقرتَ حبةَ قلبي فأفرغتَها في قلبك فما أخطأتُ إلاّ باعتراض الشدِّ من جوانحي^(١)

ومن جوده أيضاً : أنه جاءه رجلٌ من الأنصار فقال : يا ابن عمِّ رسول الله ، وُلِد لي في هذه الليلة مولودٌ وإنِّي سميتُه باسمك تبرُّكاً منِّي به ، وإنَّ أمّه ماتت . فقال عبید الله : بارك الله لك في الهبة ، وأجزل لك

(١) المقد : « إلا باعتراض الشك بين جوانحي » .

الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفع إليه مائتي دينارٍ للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصارى : عد إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفي العيش يُبس ، وفي المال قلة ! قال الأنصارى : لو سبقت حاتماً بيومٍ واحد ما ذكرته العرب أبداً ولكنه سبقك فصرت له تالياً ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ^(١) وطلّ كرمك أكثر من وابله .

هذا ما اخترناه من العقد ، وفيه كفاية ، وقصدنا بتسطيره الثواب وإن كنا أطلنا به الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السّمائة ^(٢) :

٦٢٣ (لَعَبْرُكَ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَأَوْجَلُ

على أَيْنَا تَعْدُو المنيّةُ أوّلُ)

على أن (أوّلُ) بنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه . والأصل : أوّل أوقات عَنوِها .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : إنما بنيت أوّل هنا لأن الإضافة مرادة فيها ، فلما اقتطعت منها وهى مرادة فيها بنيت كقبّل وبعد ، فكأنه قال : تعدو المنيّة أوّل الوقت . وأصلها قبل الإضافة أن

(١) العفو : ما كان يغير مسألة .

(٢) المقتضب ٣ : ٣٤٦ ، والكامل ٣٥٧ ، ٤٢٣ ، والمنصف ٣ : ٤٥ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٨ / ٢ : ٢٦٣ وابن يمشى ٤ : ٦/٨٧ : ٩٨ وشنور الذهب ١٠٣ والعينى ٣ : ٤٣٩ والأشونى ٢ : ٢٦٨ ٢ : ٢٦٨ ويس على التصريح ٢ : ٥٢ وديوان معن ٥٦ . وشرح الحماسة للمرزوق ١١٢٦ والتبريزى ٣ : ١٣٢

تكون معها مِنْ لِيَتِمَّ بها قبل الظرفية صفة ، فتكون كقديم وحديث^(١) لم تنقل عن الوصف إِلَّا إلى الظرفية^(٢) . فإذا صحَّ فيها مذهب الصَّفة فلا بدَّ فيها من معنى مِنْ قبل الإضافة ، فإذا تصوَّرت صفةً قبل ذلك أمكن حينئذ نقلها إلى الظرف كسائر ما نقل إلى الظروف من الصفات ، نحو قديم وحديث ، ومَلَى وطويل . وأَوْجَلُ ممَّا جاء على الصفات على أفعل لا فعلاء له . ألا تراهم لا يقولون وَجَلَاء ، استغنوا عنها بِوَجَلَةٍ اهـ . وظنَّه العيني فعلاً مضارعاً فقال : قوله : لأَوْجَلُ أى لَأَخَافُ ، من وَجَلَ يَوْجَلُ .

و (عمر ك) ، بفتح العين : مبتدأ محذوف الخبر ، أى قسمي ، وجملة ما أدرى جواب القسم . والمصراع الثاني في محل نصب على أَنَّهُ سَادُّ مَسَدٍّ مفعولاً دَرَى ، معلق عن العمل في لفظه بسبب الاستفهام ، وعلى متعلقة بتعدُّو . وأخطأ العيني في قوله : مفعول أدرى محذوف تقديره : ما أدرى ما يُفعل بنا أو ما يكون ، ونحو ذلك . ولم يتعرَّض لجملة على أَيُّنَا تعدُّو إلخ . وهو بالعين المهملة مِنْ عدا عليه يعدو غَدَوًا ، بمعنى ظلم وتجاوز الحد . وروى بالغين المعجمة ، من غدا غَدَوًا^(٣) ، أى ذهب غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصُّبح وطلوع الشمس . هذا أصله ، ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق أى وقت كان . والمنية : الموت . وأوَّلُ : ظرفٌ مبنيٌّ ، وموضعه النصب بتعدُّو ، وجملة وإنِّي لأَوْجَلُ جملة معترضة بين أدرى وبين السادِّ عن مفعوليهما . وأَوْجَلُ معناه خائف . والعنى :

٥٠٦

(١) في إعراب الحماسة : « كلى وقديم وحديث » .

(٢) في إعراب الحماسة : « ثم تنقل عن الوصف إلى الظرفين » .

(٣) يقال غدا يغدو غَدَوًا ، وغدواً أيضاً على فمُول .

أقسم ببقائك ما أعلم أينما يكون المقدم في عدو الموت عليه . وهذا كما قال الآخر :

فأكرم أخاك الدهر ما دتما معاً كفى بالممات فرقةً وتنائيا
والبيت مطلع قصيدة لمعن بن أوس المزني، أورد بعضها أبو تمام
(في الحماسة) . ونحن نقتصر عليه .

قال شراحها : وسبب هذا الشعر أنه كان لمعن بن أوس صديق ، سبب الشعر
وكان معن متزوجاً بأخته ، فاتفق أنه طلقها وتزوج بأخرى ، فحلف
صديقه أن لا يكلمه أبداً . فقال معن هذه القصيدة يستعطف بها
قلبه ويسترقه له . وفيها ما يدل على القصة ، وهو قوله :

فلا تغضبن أن تستعار ظعينة وترسل أخرى ، كل ذلك يفعل
والأبيات التي أوردها أبو تمام بعد المطلع هي هذه :

(وإنني أخوك الدائم العهد لم أحل
إن أبراك خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذي عداوة
وأحبس مالى إن غرمت فأعقل
كأنك تشفى منك داء مساعتي
وشخطى ، وما في ريشي ما تعجل
وإن سؤتي يوماً صبرت إلى غد
ليعقب يوماً منك آخر مقبل^(١))

(١) في الحماسة والديوان ٣٦ : « صفحت » . وفي الديوان أيضاً : « ليعقب يوم » .

وإِنِّي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكَ تَرِيئِي
 قَدِيمًا لَذُو صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مُجِئِلُ
 سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا ، إِذَا مَا قَطَعْتَنِي
 بِمِئْنِكَ ، فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ
 وَفِي النَّاسِ إِنْ رَأَيْتَ حِبَالَكَ وَاصِلُ
 وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلْبِ مَتَحَوِّلُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ
 عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
 وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيغَهُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ
 وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامٍ ظَنَّنِي
 وَبَدَّلَ سُوءِي بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ^(١)
 قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ وَلَمْ أَدُمُ
 عَلَى ذَاكَ إِلَّا رِيثَمَا أَتَحَوَّلُ
 إِذَا انْصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْدُ
 إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تَقْبِلُ^(٢)

وقوله : « وَإِنِّي أَخُوكَ » إلخ . يقول : إِنِّي أَخُوكَ الَّذِي يَدُومُ عَهْدُهُ
 وَلَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ إِنْ أَبْزَاكَ خَصْمٌ ، أَيَّ غَلْبِكَ وَقَهْرِكَ . يُقَالُ بَزَوْتُ
 الْخَصْمَ بَزَوًّا ، وَأَبْزَيْتَهُ إِبْزَاءً ، بِالْبَاءِ الْمُوحَّدَةِ وَالزَّايِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 أَبْزَاكَ مِنْ بَزَى يَبْزِي بَزًى فَهُوَ أَبْزَى ، وَهُوَ دَخُولُ الظَّهْرِ وَخُرُوجُ الْبَطْنِ

(١) هذا ما في ش . وفي ط والحامسة والديوان : « سوءاً » .

(٢) في الديوان : « عليه بوجه » .

ويكون المعنى : إِنْ حَمَلْتُكَ خَصْمٌ مِنَ الثَّقَلِ مَا يَبْزِي لَهُ ظَهْرُكَ فَلَا تَطِيقِ الثَّبَاتَ تَحْتَهُ وَالنَّهْوضَ بِهِ .

وقوله : « أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ » إلخ ، هذا تفسير دوام عهده ، أَيْ تَجِدُنِي ذَاباً عَنْكَ ، وَإِنْ أَصَابَكَ غُرْمٌ حَبَسْتُ مَالِي عَلَيْكَ . وَأَعْقَلَ عَنْكَ ، يُقَالُ عَقَلْتُ عَنْهُ إِذَا غَرِمْتُ مَا لَزِمَهُ فِي دَيْتِهِ . وَعَقَلْتُهُ ، إِذَا أَعْطَيْتُ دَيْتَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى فَأَعْقَلَ : أَشَدُّهَا بَعْقُلَهَا بِفَنَائِكَ لَتُدْفَعَهَا فِي غِرَامَتِكَ . وَالْمَالُ إِذَا أُطْلِقَ يَرَادُ بِهِ الْإِبِلُ . ٥٠٧

وقوله : « كَأَنَّكَ تَشْفِي » إلخ ، يريد : إِسَاءَتَكَ إِلَيَّ وَسَخَطَكَ عَلَيَّ ، فَأَضَافَهُمَا إِلَى الْمَفْعُولِ . وَالْمَعْنَى : إِنَّكَ تَسْتَمِرُّ فِي إِسَاءَتِكَ إِلَيَّ حَتَّى كَأَنَّ بَكَ دَاءً ذَاكَ شِفَاؤُهُ . وَالرَّيْثَةُ : ضِدُّ الْعَجَلَةِ . يَقُولُ : لَيْسَ فِي أَنَاثِي وَتَرْكِي مَكَافَأَتِكَ مَا يَجِبُ أَنْ يَتَعَجَّلَ عَلَيَّ بِمَا يَسُوغُنِي .

وقوله : « وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا » إلخ ، أَيْ إِنْ فَعَلْتَ مَا يَسُوغُنِي تَجَاوَزْتُ إِلَى غَدٍ لِيَجِيءَ يَوْمٌ آخِرُ مَقْبَلُكَ مِنْكَ بِيَوْمٍ يَسْرُنِي .

وقوله : « سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا » إلخ ، يقول : أَنَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ يَدِكَ الْيَمْنَى ، فَإِذَا قَطَعْتَنِي فَإِنَّمَا تَقْطَعُ يَمِينَكَ .

وقوله : « وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثْتُ » إلخ ، يقول : إِذَا انْقَطَعَتْ حِبَالُ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَرَثْتُ فِي النَّاسِ وَاصِلٌ غَيْرُكَ . وَإِذَا نَبَا بِي جَوَارُكَ فَنِي جَوَانِبِ الْأَرْضِ مَتَحَوَّلٌ عَنْ دَارِ الْبُغْضِ .

وقوله : « إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصَفْ » إلخ ، أَيْ إِذَا لَمْ تُنْصَفْ أَخَاكَ وَلَمْ تُوفَّهُ حَقُّوَ إِخَائِهِ وَجَدْتَهُ هَاجِراً لَكَ مُسْتَبْدِلاً بِكَ إِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ ، ثُمَّ لَا يَبَالِي أَنْ يَرْكَبَ مِنَ الْأُمُورِ مَا يَقْطَعُهُ تَقْطِيعُ السِّيفِ ، وَيُؤْثِّرُ فِيهِ نَاقِثِهِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَصِيبَهُ ضَيْمٌ مَتَى لَمْ يَجِدْ عَنْ رُكُوبِهِ مَعْدِلاً .

وقوله : « من أن » أى بدلاً من أن . وشَفَرَة السَّيْف بالفتح : حدُّه . ومَزَحَل ، بالزاي والحاء المهملة : مصدر زَحَلَ عن مكانه ، إذا تنَحَّى عنه وتباعد .

وقوله : « وكنت إذا ما صاحبٌ » إلخ ، رام ظَنَنِي بالكسر : عرَضَنِي لَاتِّهَامٍ عَقْدَه والارتياح بوَدِّه ، بأنَّ عَدَّ إحسانِي إليه إِسَاءَةً . ومعناه : رام إيقاعَ التُّهْمَةِ عَلَيَّ .

وقوله : « قلبتُ له ظهر » إلخ ، أى اتَّخَذْتَهُ عَدُوًّا وقلبتُ له ظهر التُّرس متَّحِيًّا منه ، ولم أَدُمُ على الحال المذكورة معه إِلَّا قَدَرٌ ما أَتَحَوَّلُ ، وبُطْءٍ ما أَتَنَقَّلُ .

قال المبرد (فى الكامل) : دخلَ عبد الله بن الزَّبير^(١) يوماً على معاوية فقال : اسمعُ أبياتاً قُلْتُهَا . وكان واجداً عليه . فقال معاوية : هاتِ . فأنشده :

إذا أنت لم تُنصفْ أخاك وجدته على طَرَفِ المِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
مع البيت الذى بعده . فقال له معاوية : قد شَعَرْتُ بعدنا يا أبا بكر !
ثم لم ينشَب معاوية أن دَخَلَ عليه معنُ بن أوسِ المِزَنِيُّ فقال : أقلتَ
بعدنا شيئاً ؟ فقال : نعم . فأنشده :

لعمرك ما أدرى وإني لأَوْجَلُ على أيُّنا تَعْدُو المِنيَّةُ أوَّلُ
حتى صار إلى الأبيات التى أنشدها ابنُ الزَّبير ، فقال له معاوية :
يا أبا بكر ، أَمَا ذَكَرْتَ آنفاً أَنَّ هذا الشعرَ لك ؟ قال أصلحتُ المعاني
وهو أَلَفَ الشعرَ ، وهو بعدُ ظُئِرَى ، فما قال من شئٍ فهو لى . وكان
عبد الله مُسْتَرْضِعاً فى مِزِينَةٍ . انتهى .

(١) عبد الله بن الزبير ، بفتح الزاي وكسر الباء ، ترجم فى ١ : ٢٦٤ - ٢٦٦ .

والظُّثْرُ ، بكسر الظاء المعجمة بعدها حمزة ساكنة : المرأة الأجنبية
تحضُن ولد غيرها . ويقال للرجُل الحاضن ظُثْر أيضاً . وهذا هو مراد
ابن الزبير .

وقال الحُصْرِيُّ (في زهر الآداب) بعد إيراد هذه الحكاية : أراد
ابنُ الزبير معاتبة معاوية بشعرٍ معن ، وليس ادّعاؤه على حقيقةٍ منه .
وهذان البيتان قد أوردتهما صاحب تلخيص المفتاح في السرقات
الشعرية .

وترجمة معن بن أوس المزني تقدّمت في الشاهد الثلاثين بعد
الخمسمائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا ناعب إلاّ ببين غُرَابُهَا)

هو عَجْزٌ ، وصدّره :

(مشائِمُ ليسوا مصلِحِينَ عشيرةً)

على أَنَّ (ناعبا) عَطَفَ بالجَرِّ على مصلِحِينَ المنصوب على خبر لَيْسُوا ،
لِتَوَهُّمُ الباءُ ، فإنها تزداد في خبر ليس .

وقد تقدّم الكلام على هذا البيت في الشاهد الثامن والسبعين بعد
المائتين ^(٢) .

(١) الخزائن ٧ : ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٢) الخزائن ٤ : ١٥٨ - ١٦٥ .

ومشائيم : جمع مشئوم ، من شئم عليهم بالبناء للمفعول ، فهو مشئوم ،
إذا صار شئوماً . يقول : لا يُصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ،
ولا يأتَمرون بخير ، فغرائبهم لا ينعب إلا بالتشتيت والفراق . وهذا مثلٌ
للتطير منهم والتشاؤم بهم . والنعيب : صوتُ الغراب ومدُّ عنقه عند ذلك .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السمائية ^(١) :

٦٢٤ (في سعي دنيا طالما قد مُدَّتِ)

على أن (دنيا) قد جُرِّدت من اللام والإضافة لكونها بمعنى العاجلة .
يريد أن الاسمية غلبت عليها لكثرة استعمالها ، ولهذا لم تجر على
موصوف غالباً ، كما غلبت الاسمية على نحو الأجرع والأبطح .

قال ابن يعيش : القياس في دنيا أن يكون بالآلف واللام ، لأنه
صفة في الأصل على أنه فُعلِي ومذكره الأدنى ، مثل الأكبر والكبرى .
وهو من دنوت ، فقلبت الواو في الأدنى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ،
وذلك بعد أن قُلبت ياءً لوقوعها رابعة . وقد تقدّم أن الآلف واللام تلزم
هذه الصفة ، إلا أنهم استعملوا دنيا استعمالَ الأسماء ، فلا يكادون يذكرون
معه الموصوف ، ولذلك قلبوا اللام منه ياءً لضربٍ من التعادل والعوض ^(٢) ،
كأنهم أرادوا بذلك الفرقَ بين الاسم والصفة ^(٣) ، فلما غلب عليها حكم

(١) الكشف ٢ : ٣٠ وابن يعيش ٦ : ١٠ وديوان العجاج ٥ .

(٢) أي لتلا يجمع ثقل الضمة في أول الكلمة والواو في آخرها ، فقلبت الواو ياء ليتحقق
التبادل والخفة .

(٣) أي إنهم إنما أجروا التعديل في الاسم لأنه أسبق من الصفة وأولى بالتعديل والتخفيف
فقلبت واوه ياء في نحو : الدنيا والعليا والقصيا . وأما الصفة التي على فعل بالضم ، فقد بقيت
على ثقلها ، بضم أولها وبالواو في آخرها ، وذلك نحو : الغزوى والقصوى . وانظر شرح الشافية

الْأَسْمَاءُ أَجْرُوهَا مجرى الأسماء . وكانت الألف واللام لا تلزم الأسماء فاستعملوها بغير ألف ولام ، كسائر الأسماء . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ ﴾^(١) من سورة طه . قال : إن تنكير ساحر مع كونه معلوماً معيناً لأجل تنكير المضاف ، وهو كَيْدٌ ، كما نكّر الشاعر دنيا ، لأجل تنكير سعى . والمراد كَيْدٌ سحرى وسعىً دنيوى . ولو عرّف السحر والدنيا لصار الكيد والسعى معرفتين ، والمراد تنكيرهما ، إذ الغرض كَيْدٌ مَّا وسعىً مَّا .

وقال أبو حيان : البيت محمولٌ على الضرورة ، إذ دنيا تأنيث الأدنى ، لا يستعمل إلا بالألف واللام أو بالاضافة . وأمّا قول عُمر : « إِنِّى لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة » ، فيحتمل أن يكون من تحريف الرواة . انتهى .

ولا يخفى أنه ورد فى الحديث الصحيح : « فإن كانت هجرته إلى دنيا يُصيّها » . ولم يقل غيره إن دنيا ضرورة . نعم تنوينه ضرورة^(٢) ، ذكره ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند^(٣) قول المثلّم بن رباح المرى :

إِنِّى مَقْسَمٌ مَا مَلَكْتُ فَجَاعِلٌ أَجْرًا لِآخِرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ^(٤)

قد استعملت العرب فى غير هذا دنيا نكرة كما ترى ، قال العجاج :

(١) الآية ٦٩ من سورة طه .

(٢) فى هامش ش : « أقول : أى ضرورة تدعو إلى صرف دنيا والوزن مستقيم بالألف كما هو ظاهر . فليتأمل . وكذلك أثبت فى هامش ط على أنه ثابت فى هامش أصلها .

(٣) ط : « عن » ، صوابه فى ش .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٣٥ والحماسة بشرح المرزوق ١٦٥٧ .

* في سَعَى دُنْيَا طالما قد مُدَّت *

وروى ابنُ الأعرابي «دنيا» بالصَّرف ، وقال أيضاً في ذلك ^(١) : إنهم شبهوها بفُعْلَل فنونوها .

وهذا نادرٌ غريب ، ولم نعلم شيئاً مما في آخره ألف التانيث مفرداً مصروقاً غير هذا الحرف . ولو قال قائلٌ إن دنيا هذه المصروفة تكون ملحقة في قول أبي الحسن بجُخْدَبٍ ، وكالْألف في بُهْمَا ^(٢) لم أر بأساً .

فإن قلت : فلو كانت ألف دنيا للإلحاق لوجب فيها دُنُوًا ، وذلك أنَّ اللام في نحو هذا إذا كانت واوًا فإنَّها إنَّما تبدل ياءً في فعلٍ التي ألَّفها للتانيث ، وجاءت هذه للإلحاق ؟ فالجواب : أنَّ هذا النحو لما غلب عليه مثال فعلى التي ألَّفها للتانيث ، وجاءت هذه للإلحاق، أجزوها على المعتاد من القلب فيها . وأيضاً فإنَّ ألف الإلحاق قد تجرى مجرى ألف التانيث . ألا تراها زائدةً مثلها ، وذات معنى مثلها . نعم ، وإذا جعلت ما فيه ألفُ الإلحاق علماً لم ينصرف ، لمشابتها حينئذ ألف التانيث .

فإن قلت : فأجز أيضاً أن يكون دنيا فُعْلَل كسُودَد؟ قيل : يمنع من هذا أنَّ حرف الإلحاق من حيث ذكرنا أشبه بحرف التانيث من لام الفعل ، فإذا كان إنَّما لتشبيهه الملحق بحرف التانيث على ضعف وضرب من التأول لم يتجاوز ذلك إلى تشبيه الأصل بحرف التانيث ، لإفراط تباعدهما . فلو كانت دنيا على هذا فُعْلَلًا لكانت دُنُوًا . ولو قال قائل :

(١) ط : « في غير ذلك » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة الورقة ٢٢٦ .

(٢) البهامة : واحدة البهي بالقصر ، لضرب من النبات . وفي ط : « بهمات » ، صوابه في وإعراب الحماسة .

إنّ دنيا فيمن صرف فُعِيلُ بمنزلة عُليْبٍ لكان له وجهٌ من التصريف ،
ولكنّه يبقّى عليه شيْتان : أحدهما قَلَّةُ عُليْبٍ فلا يقاس عليه . والآخر :
أنّ دنيا تأنِثُ الأدنى . وهذا أشدُّ شَيْءً تبايناً من ^(١) حديث فُعِيلٍ
وفعلل ، وهو أيضاً أحداً يَضِعُفُ كونها ألفُ إلحاق. فاعرف ذلك .
انتهى .

والبيت من رجز للعجاج ، أوّلُه :

أشعار الشاهد	(الحمدُ لله الذي استقلّتْ	بإذنه السَّماءُ واطمأنّتْ
	بإذنه الأرضُ فما تَعَنّتْ ^(٢)	وَحَيّ لها القَرارَ فاستقرّتْ
	وشدّها بالراسياتِ الثُّبّتِ	والجاعلُ الغيثَ غياثَ المُسْنِتِ
	والجامعُ الناسَ ليومِ المَوْقِيتِ	بعد المماتِ ، وهو مُحيي المَوْتِ
	يومَ ترى النفوسُ ما أعدّتِ	من نُزُلٍ إذا الأمورُ غَبّتِ
	في سَعْيِ دنيا طالما قد مُدّتِ	حتّى انقضى قضاؤها فأدّتِ

قال أبو القاسم الزجاجي (في أماليه الوسطى والصّغرى) : أخبرنا
أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال : أخبرنا أبو الفضل الرياشي
عن الأصمعيّ ، عن عبد الله بن رؤية بن العجاج ، عن أبيه عن جدّه
قال : أنشدتُ أبا هريرة قصيدتي التي أولها :

* الحمد لله الذي استقلّتِ *

حتى أتيتُ على آخرها ، فقال : أشهد إنك لمؤمن . انتهى .

(١) ش : « تبايناً عن » ، وفي إعراب الحماسة « تباعداً عن » مع إثبات « تباينا » في هامش المخطوطة تصحيحاً لها .

(٢) وهكذا ضبطت بالنون في تفسير البغدادي . ورواية الديوان ٢٦٦ ، والتهذيب ٣ : ١٤٣ ، واللسان (عتا) : « وما تَعَنّتِ » بالتاء . وفي شرح الديوان : « وعنت : عصت ، يقال عتا فلان على فلان ، إذا عصى عليه » .

وقوله «استقلَّت»، أى ارتفعت . والسماء فاعله . واطمأنت ، أى سكنت ، والأرض فاعله . و«تعنت» بالنون : تعبت . فى الصحاح : وَعَنَى بالكسر عناءً أى تعب ونَصِب، وَعَنَيْتَه تعنية فتعنى . والوحى : الإشارة والإلهام : قال صاحب الصحاح : والكلام الخفى وكلُّ ما ألقىته إلى غيرك . يقال : وَحَيْتُ إليه الكلام وأوحيت ، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه^(١) . وأنشد هذا البيت .

و«الراسيات» ، هى الجبال الثوابت والرواسخ . و«الثَّبَّت» : جمع ثابت و«الغيث» : المطر . وفى المصباح : أغاثه : أعانه ونصره . وأغاثنا الله بالمطر ، والاسم الغيث . و«المُسْنِت» : اسم فاعل من أسنت القوم أى أجذبوا ، وأصله من السنة^(٢) وهو القحط . و«الموت» : جمع مائت . و«أعدَّت» ، أى هيأت وجعلته عُدة . و«من نُزِل» بالضم بيان لما . والنزل : ما يهبط للنزول ، أى الضيف . وغبَّت بالغين المعجمة والموحدة ، أى بلغت غيبتها وعاقبتها . وفى الصحاح : وقد غبَّت الأمور ، إذا صارت إلى أواخرها . وفى سعى متعلّق بغبَّت . و«مُدَّت» بالبناء للمفعول أى امتدّت وتطاولت . و«أدَّت» بتشديد الدال . يقال أدَّت فلاناً داهية تؤذّه أدّا بالفتح ، من الإدّ ، والإدّة ، بكسر أولهما ، وهى الداهية والأمر الفظيع .

٥١٠

وترجمة العجاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب^(٣) .

* * *

(١) ش : « أن يكلمه بكلام يخفيه » ، وأثبت ما فى ط والصحاح .

(٢) ش : « السنة » ، صوابه فى ط .

(٣) الخزانة ١ : ١٧٠ .

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ بَعْدَ السَّهَانَةِ ^(١) :

٦٢٥ (وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيٍّ وَمَكْرُمَةٍ

يَوْمًا سَرَاةً كِرَامٍ النَّاسِ فَلَفِغِينَا)

على أَنَّ (الْجُلِّيَّ) قد تجرد من اللام والإضافة لكونها بمعنى الخطئة العظيمة .

وَالْخُطَّةُ بِالضَّم : الشَّأْنُ وَالْحَالَةُ وَالْخَصْلَةُ ، فَتَكُونُ الْجُلِّيُّ ^(٢) اسماً للشَّأْنِ وَالْحَالِ ، كَمَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (فِي الْمِفْصَلِ) .

وَقَالَ ابْنُ يَعِيشَ (فِي شَرْحِهِ) : الْجَيِّدُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرًا كَالرُّجْعَى بِمَعْنَى الرُّجُوعِ ، وَالْبُشْرَى بِمَعْنَى الْبُشَارَةِ . وَلَيْسَ بِتَنَائِيثِ الْأَجَلِّ ، عَلَى حَدِّ الْأَكْبَرِ وَالْكُبْرَى ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَصْدَرًا جَازَ تَعْرِيفُهُ وَتَنْكِيرُهُ .

وَالِإِذَا هَذَا ذَهَبَ الْحَرِيرَى (فِي دُرَّةِ الْغَوَاصِ) قَالَ : وَأَمَّا طَوْبِي فِي قَوْلِهِمْ : طَوْبِي لَكَ ، وَجُلِّيُّ ^(٣) فِي قَوْلِ بَشَامَةَ النَّهْشَلِيِّ :

وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيٍّ وَمَكْرُمَةٍ الْبَيْتِ

فَإِنَّهُمَا مَصْدَرَانِ كَالرُّجْعَى ، وَفُعْلَى الْمَصْدَرِيَّةُ لَا يَلْزَمُ تَعْرِيفُهَا .

وَالْبَيْتُ وَقَعَ فِي شَعْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا لِلْمَرْقُوشِ الْأَكْبَرِ رَوَاهُ الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّبِّيُّ لَهُ ، وَكَذَلِكَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ (فِي نَوَادِرِهِ) ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ (فِيمَا كَتَبَهُ عَلَى شَرْحِ الْحِمَاسَةِ لِلنَّمَرِيِّ) ، وَهُوَ :

(يَا دَارَ أَجْوَارِنَا قُومِي فَحْيِينَا وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا)

(١) الْمُؤْتَلَفُ ٦٦ وَابْنُ يَعِيشَ ٦ : ١٠٠ ، ١٠١ وَيَسْ عَلَى التَّصْرِيحِ ٢ : ٣٨١ وَالْحِمَاسَةُ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِ ١٠١ وَبِشَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ ١ : ٩٩ وَالْمُفْضِلِيَّاتُ ٤٣١ .

(٢) ش : « الْجَلَّةُ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٣) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « وَجَلِي لَكَ » ، صَوَابُهُ مِنْ دُرَّةِ الْغَوَاصِ ٢٦ .

وإن دعوتِ إلى جُلِّي ومكرُمةِ يوماً سَراةِ خِيارِ النَّاسِ فادعينا
 شُعْتُ مَقادِمُنَا نُهَيِّ مَراجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوالِنا آثَارَ أَيْدِينَا^(١)
 المَطْعُمُونَ إِذا هَبَّتْ شاميةٌ وخيرُ نادٍ رآهُ النَّاسُ نادِينا

قوله : « يادار أجوارنا » إلخ ، قال في العباب : الجارُ يجمع على
 جيران ، وجيرة ، وأجوار . وأنشد الليث :

* ورسم دارِ دارسِ الأَجْوار *

وروى : « يا ذات أجوارنا » .

وقوله : « شُعْتُ مَقادِمُنَا » إلخ ، رُوى أيضاً :

* بيضُ مفارقنا تغلى مَراجِلُنَا *

قال أبو محمد الأعرابي : سألتُ أبا النَّدَى عن هذه الرواية قال :
 هذه روايةٌ ضعيفةٌ ، فإنَّ بِيضَ المَفارِقِ قُرْعٌ ، ومرجلُ الحائكِ يغلى كما
 يغلى مِرْجُلُ المَلِكِ . قال : والرُّوايةُ الصَّحيحةُ الأولى ، ومعناها إِنَّا أَصْحابُ
 حُرُوبٍ وقِرَى . انتهى .

والشعر الثاني لبشامة بن حَزَنٍ النهشلي ، رواه المبرِّدُ (في الكامل)
 وأبو تمام (في الحماسة) ، وهو :

(إِنَّا مَحْبُوكٌ يَاسْلَمَى فَحَيِّينَا وإن سَقَيْتِ كِرامَ النَّاسِ فاسقِينَا
 وإن دعوتِ إلى جُلِّي ومكرُمةِ يوماً سَراةِ كِرامِ النَّاسِ فادعِينَا
 إِنَّا بَنى نَهشلَ لا نَدْعى لأبٍ عنه ، ولا هو بالأَبْناءِ يَشْرِينَا
 إن تَبْتَدِرْ غايَةً يوماً لمَكرُمةِ تَلَقَّ السَّوابِقَ مِنَّا والمُصلِّينَا
 وليس يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إلَّا افْتَلِينَا غُلَماً سَيِّداً فِينَا

(١) ط : « نهي مَراجِلُنَا » ، صوابه في ش وسائر المراجع .

نكفيه إن نحن مِنّا أَنْ يُسَبَّ بنّا

وهو إذا ذُكر الآباءُ يكفينّا

إِنّا لَنُرخِصُ يومَ الرّوعِ أَنفُسنا ولو نُسأَمُ بها في الأمنِ أغلينا

بيضٌ مفارقنا تغلي مَراجِلنا نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا

إِنّا لمن مَعشِرٍ أفنى أوائلهم قولُ الكماةِ ألا أينَ المُحامونا

لو كان في الألفِ مِنّا واحدٌ فدعوا

مَنْ فارسٌ خالهم إِيّاهُ يَعنونا

إذا الكماةُ تَنَحَّوا أَنْ يُصيبهم حَدُّ الطُّبّاتِ وصلناها بأيدينا^(١)

ولا تَراهمُ وإنْ جَلَّتْ مصيبتهم مع البُكاةِ على مَنْ مات يَبكونا

ونركب الكَرهَ أحياناً فيفِرُّجُه عَنّا الحِفاظُ وأسيافُ ثَوائنا

قوله: «إنا محيوك يا سلمى» إلخ، قال التبريزي: أي إنا مسلمون

عليك أيتها المرأة فقابلينا بمثله، وإن سقيت الكرامَ فأجرينا مجراهم،

فإنّا منهم. والأصل في التحية أن يقال عند اللقاء، ثم استعمل في غيره

من الدعاء. وقيل في سقيت معناه إن دعوت لأمثال الناس بالسُّقيا

فادعى لنا أيضاً. والأشهر في الدعاء أن يقال فيه سقيت فلاناً بالتشديد.

والحجة بالتخفيف قول أبي ذؤيب الهذلي:

* سَقَيْتُ بِهِ دَارَهَا إِذْ دَنَتْ^(٢) *

وقوله: «وإن دعوت إلى جُلّي» إلخ، جُلّي: فعلى أجراها مجرى الأسماء

ويراد بها جليلة، كما يراد بأفعل فاعل وفعليل. يقول: إن أشدتِ بذكر

(١) في النسختين: «الطباة»، والوجه ما أثبت.

(٢) لم يرد في ديوان الهذليين، لكنه في شرح السكري ٢٠١. وعجزه.

* صدقت الخال فيه الأنوحا *

خيار الناس بجليلة نابت ، أو مكرمة عرضت ، فأشيدى بذكرنا أيضاً . وهذا الكلام ظاهرة استعطاف لها ، والقصد به التوصل إلى بيان شرفه واستحقاقه ما يستحقه الأشراف . ولاسقى ثم ولا تحية . قاله التبريزي ^(١) .

و (المكرمة) ، بفتح الميم وضم الراء : اسم من الكرم . وفعل الخير مكرمة ، أى سبب للكرم أو التكريم . قاله صاحب المصباح .

و (السراة) بالفتح : اسم مفرد بمعنى الرئيس ، وقيل اسم جمع ، وقيل جمع سري ، وهو الشريف . وقد تقدم الكلام عليه مشروحاً في الشاهد السبعين بعد الأربعمائة ^(٢) .

ولم يتكلم ابن جني (في إعراب الحماسة) على هذا البيت إلا من جهة القافية . قال : يروى فادعينا ، بإشمام الضم في كسرة العين . ويروى بإخلاص الكسرة . فأما من أخلص الكسرة فلا سؤال في إنشاده من جهة الرّدْف . وأما من رواه بإشمام الضم ففيه السؤال . وذلك أن الحركة قبل الردف ، وهى التى يقال لها الحذو ، لم تأت عنهم مُشَمَّة ولا مَشُوبَة ، وإنما هى إحدى الحركات مُخلَصَة البتة . ولم يذكر الخليل ولا أبو الحسن ولا أبو عمرو ، ولا أحد من أصحابنا ^(٣) ، حال هذه الحركة المشوبة كيف اجتماعها مع غيرها . فدلّ ذلك على أن الحركة فى نحو هذا ينبغى أن تكون مُخلَصَة . ومذهب سيوبه فى هذا النَّحو ، [مثل ^(٤)] : ادعى واغزى الإمالة وإشمام الكسرة شيئاً من الضمة . ولم يستثن رِدْفاً من غيره . ووجه

(١) ش : « قال التبريزي » صوابه فى ط .

(٢) الخزائن ٦ : ٣٥٣ - ٣٥٤ حيث سبق تحقيق السرى .

(٣) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٦ : « ولا واحد من أصحابنا » .

(٤) التكلة من إعراب الحماسة .

٥١٢

جواز هذه الحركة المشوبة مع الكسرة والضمة الصريحتين : أنَّ ما فيها من الإشمام لا يعتدُّ به ، ولا يُنظر إلى قدره ، وإنَّما هو كإمالة الفتحة إلى الكسرة في نحو سالم وحاتم . وأنت تجيزهما في شعر واحد مع قادم وغانم ، ولا تحفل بما بين الحركتين ، بل إذا جاز سالم مع قادم ، وسلاح مع صباح ، وقنا مع فتى ، كان اجتماع ادعينا مع يشرينا ونحو ذلك أسهل وأسوغ . وإنَّما كان أسهل من قَبْلِ أَنَّ الفتحة إذا نُحِىَ بها قَبْلَ الألف نحو الكسرة انتحيت أيضاً بالألف بعدها نحو الياء لا بدَّ من ذلك ، من حيث كانت الألف ناشئة عن الحركة قبلها على احتذاء ، وموازنة اتباع^(١) . فإذا^(٢) أملت الفتحة والألف فهناك عملان في الحركة والحرف جميعاً كما ترى . وأمَّا الياء في ادعينا وقيل وبيع ، فإنَّها وإن شِيبَت الحركة قبلها خالصة البتة ، وغير مشوبة شوبَ ما قبلها ، وجاز ذلك فيها من حيث كانت الطاقة حاملة ، والقدرة ناهضة بالنطق بالياء الساكنة ، بعد الضمة الناصعة ، فكيف بها بعد الكسرة التي إنَّما اعتلَّت بأن انتحى بها نحو الضمة . والعملُ في ذلك خلُص خفيٌّ . وأمَّا الألف الخالصة فليس في الطوق أن يُنطق بها بعد غير الفتحة الخالصة ، ففي سالم إذن تغييران ، وفي قيل وبيع واغزى وادعى تغيير واحد . فإذا جاز اجتماع ما فيه تغييران نحو سالم وسلاح ، مع قادم وصباح ، كان اجتماع ما فيه تغيير واحد مع ما لا تغيير فيه نحو قيل واغزى وادعى ، مع قيل وبيع ، وحيينا واسقينا ، أحجى بالجواز ، فاعرف ذلك . وإذا جاز اجتماع هذا الخلاف في المجزى ، وهو أغلظ حُرمة وأمس مذمة من

(١) ط : « موازنة إتياع » ، بدون واو ، وأثبت ما في ش وإعراب الحماسة .

(٢) ش : « فإن » .

الحدو. أعنى اجتماع قتي مع عتّا^(١) والروى التاء ، كان ذلك في الحدو أسهل ، وأخف وأدون . وقد كان يجب أن نودع هذا الموضع كتابنا في تفسير قوافي أبي الحسن ؛ لامتزاجه به ومماسته إيّاه ، لكنه لم يحضرنا حينئذ ، والخاطر أجول ممّا نذهب إليه ، وأشدّ ارتكاضاً وذهاباً في جهات النظر من أن يقف بك على انتهائه ، أو يُطّيك ذروة أجواله وأقصائه^(٢) . انتهى .

وقوله : « إنا بني نهشل » إلخ ، قال المبرد (في الكامل) : من قال إنا بنو فقد خبرك وجعل بنو خبر إن . ومن قال بنى فإنما جعل الخبر إن تُبتدر غاية إلخ . ونصب بنى على فعلٍ مضمير للاختصاص ، وهو أمدح . وأكثر العرب ينشد :

إنا بني منقر قوم ذوو حسبٍ فينا سراة بني سعد وناديا^(٣)

وكتب أبو الوليد الوقشي (فيما كتبه على الكامل) بعد بيت « إنا بني منقر » إلخ : هذا وإن وافق الأول بوجه فإنه يخالفه بوجهٍ أخص منه وأليق به في قانون النحو ، لأنّ هذا نصب على المدح ، والأول نصب على الاختصاص ، والمسمى مُضارع النداء . ألا ترى أنّه يرفع هنا ما يرفع في النداء ، كقولهم : اللهم اغفر لنا آيئها العصابة . ا هـ .

وقال التبريزي : بنى نصب على الاختصاص والمدح ، وخبر إن لا ندعى ، ولو رفع وقال بنو كان خبراً ولا ندعى في موضع الحال .

(١) ط : « غنى » صوابه في ش وإعراب الحماسة .

(٢) رسمت في إعراب الحماسة بدون نقط للقف .

(٣) لسرو بن الأهم المنقري ، كما في حواشي الكامل ٦٥ .

والفرق بين أن يكون اختصاصاً وبين أن يكون خبراً صراحاً : هو أنه لو جعله خبراً لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان لا يخلو فعله لذلك من خمولٍ فيهم^(١) أو جهل بشأنهم^(٢) . فإذا جعل اختصاصاً فقد أمّن الأمرين جميعاً . وإنّما قلت خبراً صراحاً لأنّ لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص ، لكنّه يُستدلّ على المراد منه بقرائنه . وعلى هذا قوله :

* أنا أبو النّجم . وشِعْرى شِعْرى^(٣) *

وقوله : « لا ندعى لأبٍ عنه » ندعى نفتعل ، وعنه تعلّق به . يقال ادعى فلانٌ في بنى فلان ، إذا انتسب إليهم . وادعى عنهم ، إذا عدل نسبهم عنهم . وهذا كقولهم : رغبت في كذا ورغبت عنه . وقوله لأبٍ ، أى من أجل أب . ومعناه إنّنا لا نرغب عن أبينا فنتنسب إلى غيره ، وهو لا يرغب عنا ، قد رضى كلّ منّا بصاحبه . وقوله : « يشرينا » قال المبرد : يريد يبيعنا . يقال شراه يشريه ، إذا باعه . فهذه اللغة المعروفة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ^(٤) ﴾ ، ويكون شريت في معنى اشتريت ، وهو من الأضداد .

وقوله : « إن تبتدر غايَةً إلخ » ، يقال بادرت مكان كذا وإلى مكان كذا وكذلك ابتدرنا^(٥) الغايَةَ وإلى الغايَةِ . وقوله : « لمكرمة » أى لاكتساب مكرمة . ويجوز أن تكون اللام مُضيفة للغاية إلى المكرمة ، كأنه يريد

(١) ط : « فهم » ، صوابه في ش وشرح التبريزي ١٠٠ .

(٢) التبريزي : « أوجهل من عند المخاطب بشأنهم » .

(٣) واضح أنه لأبٍ النجم . وانظر الخزانة ١ : ٤٣٩ .

(٤) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

(٥) ط : « يتتدرون » ، وأثبت ما في ش .

تسابقهم إلى أقصاها . وإنما قال المصلِّين ولم يقل المصلِّيات مع السوابق لأنَّ قصده إلى الآدميين وإنَّ كان استعارهما من صفات الخيل . ويجوز أن يكون أخرج السابق لانقطاعه عن الموصوف في أكثر الأحوال ، ولنيابته عن المجلِّي ، وهو اسم الأوَّل من خيل الحلبة ، إلى باب الأسماء فجمعه على السوابق ، كما يقال كاهل وكواهل . والمصلِّي : الذى يتلو السابق فيكون رأسه عند صَلَاة . والصَّلوان : العظماء الناتئان من جانبي المعجز . وقال ابن دريد : هو العظم الذى فيه مَغْرَزَ عَجَبِ الذَّنْب . وقال بعض أهل اللغة : هما عِرْقَانِ في موضع الرَّدْف .

وأسماء خيل الحلبة عشرة ، لأنَّهم كانوا يرسلونها عشرةً عَشْرَةً . وسُمِّي كلُّ واحد منها باسم . فالأوَّل : المجلِّي ، والثاني : المصلِّي ، والثالث : المسلِّي ، والرابع : التالى ، والخامس : المرتاح ، والسادس : العاطف ، والسابع : المؤمِّل ، والثامن : الحظي ، والتاسع : اللطيم ، والعاشر : السكيت بالتصغير ، ويقال سَكَيْت بالتشديد .

وقوله : « إِنْ لَا افْتَلَيْنَا » الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأمِّ ، ومنه القُلُو . قال المبرد : مأخوذ من فلوت القُلُو ، إذا أَخَذَتْهُ عَنْ أُمِّه . وأخذ هذا المعنى من قول أبي الطَّمَحَانِ :

• إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ ^(١) •

وقوله : « إِنَّا لَنُرْخِصُ » إلخ ، قال المبرد : أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْهَمْدَانِيِّ ،

(١) صدره كما في الكامل ٣٠ والحيوان ٣ : ٩٣ مع نسبه في الحيوان إلى لقيط بن زرارَة :

• وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ •

وهو الأجدع ، أبو مسروق بن الأجدع الفقيه^(١) :

لقد علمت نِسوانَ همدانَ أننى لهنَّ غداةَ الرّوعِ غيرُ خَذولٍ
وأبذل في الهيجاءِ وجهى وإننى له في سِوى الهيجاءِ غيرُ بذولٍ

ومن القتال الكلابيّ حيث يقول :

أنا ابن الأكرمينَ بنى قشير وأخوالى الكرامِ بنو كلاب^(٢)
نُعْرضُ للسيوفِ إذا التقينا نفوساً لا تُعْرضُ للسّبابِ

وقوله : « ولو نسام بها » أى نحمل على أن نسام بها . ويقال سامَ بسلعته كذا ، وأسّمته أنا ، أى حملته على أن يُسام . ويحتمل أن يكون من سُمّته خسفاً . وأغلينا ، الألف للإطلاق ، والنون ضمير الأنفس ، ومعنى أغلينا^(٣) وجِدَتْ غالية . وقوله : « بيضُ مفارقنا » إلخ ، قال التبريزى : ويروى : « بيض مفارقنا » وهى الوجوه ، والمراد به نقاء العرض وانتفاء الذم ، جمع مَعْرِفٍ ، بفتح الرّاء وكسرهما : سَمَّى الوجهُ به لَأَنَّ معرفة الأجسام وتمييزها به . والأشهرُ « مفارقنا » . والمراد ابيضّت مفارقنا من كثرة ما نقاسى الشّدائد ، كما يقال أمرٌ يُشيب الذّوائب . وتغلى مراجلنا ، أى حروبنا ، كقول الآخر^(٤) :

٥١٤

(١) مسروق هذا هو الفقيه مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن ميمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة الهمداني الكوفي العابد ، وكنيته أبو عائشة . كان من كبار التابعين ، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وابن مسعود وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع ، وإبراهيم النخعي ، وأبو إسحاق السبيعي ، وغيرهم . مات سنة ٥٦٣ وله ثلاث وستون سنة . وفي النسختين هنا : « قول الأجدع بن مسروق بن الأجدع » ، صوابه وتكملته ما أثبت من الكامل ٦٧ . وانظر تهذيب التهذيب في ترجمته وتاج العروس (جدع) .

(٢) ديوان القتال ٣٧ عن الكامل والخزانة .

(٣) ط : « أغلينا » .

(٤) هو النابغة الجعلى ، كما في اللسان (فتأ ، جيش) . وأنشده في (دوم) بدون نسبة . ونسب في التهذيب كما في اللسان إلى الكيت . ولم أجده بهذه النسبة في التهذيب ١٤ : ٢١١ بل هو مجرد من النسبة . والبيت في ديوان النابغة ١١٨ .

تغسور علينا قِدرُهم فنُدِيعُها وَنَفْثُها عَنَّا إِذَا حَمِيْهَا غَلًا^(١)
 ويجوز: ابِيضَّتْ مفارقُنَا من كثرة استعمال الطيب ، كقول الآخر :
 « جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرَقَهُ »^(٢) *

فقوله : « تغلى مراجلنا » أى قدورنا للضيافة . ويجوز أن يريد :
 مَشِينَا مَشِيبُ الْكِرَامِ لَا مَشِيبَ اللَّثَامِ . كقوله :

وَشَيْبُ مَشِيبِ الْعَبْدِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا

وَشَيْبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ^(٣)

فالمرجل : قدور الضيافة . وقوله : « نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا » ، يريد تَرْفَعُهُمْ
 عَنِ الْقَوْدِ^(٤) وَدَفَعَ أَطْمَاعَ النَّاسِ عَنْ مَقَاصَّتِهِمْ^(٥) . وَالْأَسُو : المداواة ،
 أى نَقْتُلُ وَنَدِي .

وقوله : « لو كان في الألف » إلخ ، قال المبرد : أخذه من قول طرفة :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خَلْتُ أَنَّنِي

عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدْ

ومن قول متمم :

(١) في اللسان (جيش) : « تجيش علينا » .

(٢) البيت من أبيات بدون نسبة في الحيوان ٣ : ٤٨٦ والبيان ١ : ٣٩٦ والكامل ١٠٣
 والمقدمة ٥ : ٦/٣٤٣ .
 وعجزه كما في تلك المراجع :

* « وطيب الدهان رأسه فهو أنزع »

(٣) البيت في شرح الحماسة للتبريزي عن نوادر ابن الأعرابي .

(٤) القود ، بالتحريك : القصاص وقتل القاتل بالقتيل . وفي ش : « ندفعهم » ، وفي ط :

« ترفعهم » ، صوابهما ما أثبت من التبريزي في شرح الحماسة ١ : ١٠٤ .

(٥) ط والتبريزي : « ورفع أطماع الناس عن مقاصتهم » ، ووجهه : « دفع » بالذال
 كما أثبت من ش .

إذا القوم قالوا مَنْ فتى لعظيمة
فما كُلُّهم يُدعى ولكِنَّه الفتى

وقوله : « إذا الكماة تنحوا » إلخ ، قال المبرد : الطُّبَّة : الحدُّ بعينه ،
يقال أصابته طُبة السَّيف وطُبة النَّصل . وأراد بالنَّصل هنا موضع الضرب
وأخذ هذا من قول كعب بن مالك :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا
قُدُّمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ^(١)

وقوله : « ولا تراهم وإن جَلَّتْ » إلخ ، يعنى أَنَّهُمْ لا يموتون إِلَّا بالقتل
فقد صار لهم عَادَةٌ ، وَإِنَّ كُلَّ مَنْ يولد منهم يكون سَيِّدًا ، فلا يجوزون على
من مات منهم .

وقوله : « ونركب الكَرَّة » إلخ ، يَفْرجه : يَكشفه . وقوله : « أسياف
تواتينا » يجوز أن يكون كقولهِ^(٢) :

* فحالفنا السُّيُوفَ على الدهر^(٣) *

ويجوز أن يكون أراد بالسُّيُوف رجالاً كأنَّهُم السُّيُوف مضاء .
والأوَّلُ أولى . قاله التبريزى .

وهذه الأبيات قد اختلفت فى قائلها ، والصحيح أَنَّها لبشامة
ابن حَزَن النهشلى . وعليه الأمدى (فى كتابه المُوْتَلَف والمُخْتَلَف)

(١) ديوان كعب ٢٤٥ والبيان ٣ : ٢٦ .

(٢) هو يحيى بن منصور الذهلى ، أو موسى بن جابر الحنفى ، انظر الحماسة ٣٢٦ وما أثبت
فى حواشينا من تحقيق .

(٣) البيت بتمامه ، كما فى الحماسة :

فلما نأت عنا العشرة كلها
أنحنا فحالفنا السُّيُوف على الدهر

ونسبها المبرد (في الكامل) لأبي مخزوم النهشلي . وقال ابن السِّيد البطليوسي (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأبيات لبشامة بن حزن النهشلي . وقال السكري : هو بشامة بن حرّى . والأول قول أبي رياش . ويقال لبشامة بن جزء . وقال ابن الأعرابي : هو لحُجر بن خالد^(١) بن محمود القيسي . وزعم ابن قتيبة أنَّها لابن غلفاء التميمي . انتهى .

أقول : الذي قاله ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) أنَّ الأبيات لنهشل بن حرّى .

وقال النمرى : هي لرجل من بني قيس بن ثعلبة .

قال أبو محمد الأعرابي : لم يفرق النمرى بين بني نهشل الذين هم مضرية ، وبين بني قيس بن ثعلبة الذين هم ربعية ، فلزهما في قرن . والبيت الذي فيه « إنا بني نهشل » لبشامة بن حزن النهشلي . والأبيات الأخر الأربعة للمرقش الأكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . انتهى .

وتقدّمت الأبيات الأربعة أولاً .

قال التبريزي : من قال إنَّ الشعر للقيسي ، روى « إنا بني مالك » .

أما المرقش فهو شاعر جاهلي . قال صاحب الأغاني : المرقش لقبُ غلب عليه بقوله :

المرقش

(١) في النسختين : « لحجى بن خالد » . وإنما هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . شاعر جاهلي كان معاصراً لعمرو بن كلثوم ، كان أنشد شعراً بين يدي الملك النعمان بن المنذر فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ثم اقتصر منه حجر ، وأجار الملك حجراً ، فقال حجر أبياتاً يمدح بها النعمان ، رواها الجاحظ في الحيوان ٣ : ٥٨ وأبو تمام في الحماسة ١٦٤٠ بشرح المرزوقي . كما روى له أبو تمام مقطوعات في الحماسة ٣٥١ ، ٥١٢ ، ٥١٧ بشرح المرزوقي .

الدار وحشٌ والرُّسومُ كما رَقَّشَ في ظهر الأديم قلم^(١) ٥١٥

وهو أحدُ من قال شعراً فلقَّب به ، واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشَّيباني عمرو . وقال غيره : عوف بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وهو أحد المُتَمَيِّمين ، كان يهوى ابنة عمِّه أسماء بنتَ عوف بن مالك بن ضُبَيْعة . ويقال له المرقَّش الأكبر ، لأنَّه عمُّ المرقَّش الأصغر . والمرقَّش الأصغر عمُّ طرفة ابن العبد .

وكان للمرقَّشين معاً موقعٌ من بكر بن وائل في حروبها مع بني تغلب وبأسٌ وشجاعة ونجدة ، وتقدَّم في الحروب ، ونكاية في العدو .

وأما ابن غلفاء ، بالغين المعجمة والفاء ، فهو أوس بن غلفاء ، من أوس بن غلفاء بنى الهُجيم^(٢) بن عمرو بن تميم وهو شاعر جاهلي ، وهو القائل :

أَلَا قَالَتْ أَمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ تَقَطَّعَ يَا ابْنَ غَلْفَاءِ الْجِبَالُ^(٣)
ذَرِينِي إِنَّمَا خَطُّنِي وَصَوْنِي عَلَى ، وَإِنَّ مَا أَنْفَقْتُ مَالُ

يقول : إن الذي أهلكْتُ مَالُ ، ولم أُنَلِفْ عرضاً . والمال يستخلف . كذا (في كتاب الشعراء لابن قتيبة) .

وأما بشامة بن حَزَن النهشلي ، فهو بفتح الموحَّدة وتخفيف الشين بشامة بن حزن المعجمة . قال ابن جني (في المبهج) : معناه عودُ شجر يُستاك به . قال جرير :

(١) الفضليات ٢٣٧ وسمط اللاتي ٨٧٤ .

(٢) ط : « الهُجيم » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . وانظر للهجيم جمهرة ابن حزم ٢٠٩ والاشتقاق ٢٠١ .

(٣) غول ، بالفتح : جبل للضباب حذاء ماء ، فيسمى الجبل هضب غول ، وكانت في غول وقمة لضبة على بني كلاب . معجم البلدان عند إنشاد هذا البيت .

أَتَنْسَى إِذْ تَوَدُّعَنَا سُلَيْمَى بَعُودَ بَشَامَةٍ سَقِيَّ الْبَشَامِ
والْحَزْنَ ، بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى بعدها نون ، ومعناه
الموضع الغليظ .

وذكره الآمدي (في المؤلف والمختلف) ولم يزد في نسبه على قوله :
بشامة بن حزن النهشلي ، نهشل بن دارم .

ولم أر له ترجمة ، وليس له ذكر في ترجمة الأنساب ، والظاهر
أنه إسلامي . وكذا أبو مخزوم النهشلي كما يظهر من شرح المبرد لأبياته .
وذكر الآمدي شاعراً آخر اسمه بَشَامَةٌ . قال : بشامة بن الغدير ،
والغدير اسمه عمرو بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن
ذبيان . شاعر مُحْسِنٌ مقدَّم ، وهو خال زهير بن أبي سلمى المزني . وله
أشعارٌ جَيَادٌ طوال . انتهى .

بشامة بن
الغدير

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد السَّتَاة^(١) :

٦٢٦ (وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ سُوءَى وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظِ بَلِيْنِ)

على أَنَّ (سُوءَى) مصدرٌ كالرُّجْعَى والبشرى وليس مؤنَّثٌ أسوأ .

والبيت من أبياتِ لَأَبِي الْغُولِ ، مذكورة في أوائل الحماسة ، وتقدم
شرحها في الشاهد الثالث والثمانين بعد الأربعمئة^(٢) .

قال شَرَّاحُ الحماسة : وقد روى « سُوءَى » في البيتِ رِوَايَتَيْنِ أُخْرِيَيْنِ :
إحداهما : « بِسَى » بفتح السين وسكون المثناة التحتية بعدها همزة ، وهو

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ٢٠٠ والحماسة ٤٠ بشرح المرزوقي .

(٢) الخزائن ٦ : ٤٣٤ - ٤٣٨

مُخَفَّفٌ سَيِّئٌ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ ، كَمَا يَخَفَّفُ هَيْنَ وَلَيْنَ فَيَكُونُ وَصْفًا .
والثانية : « بَيْئٌ » بِكسر السين وتشديد الياء بلا همزة . والسِّيُّ :
المثل . ومعناه أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ فِي الْجَزَاءِ عَلَى قَدْرِ الْإِبْتِدَاءِ . قَالَ الطَّبْرَسِيُّ ^(١)
وهذا ليس بشيء ، لَأَنَّهُ إِخْلَالٌ بِالمطابقة الَّتِي حُسِّنَ الْبَيْتُ بِهَا ، لَأَنَّهُ
جَعَلَ سَيِّئًا فِي مُقَابَلَةِ حَسَنٍ ، وَاللَّيْنُ فِي مُقَابَلَةِ الْغَلْظِ . وهذا من المطابقة
الصحيحة ، لَأَنَّهُ قَابِلُ الْأَسْمِ بِالْأَسْمِ ، وَالْمَصْدَرُ بِالْمَصْدَرِ . انتهى .

وروى شُرَّاحُ الْمَفْصَلِ رَوَايَةً أُخْرَى وَهِيَ : « بَسَوْءٌ » وَهُوَ مَصْدَرٌ أَيْضًا
كَالرَوَايَةِ الْأُولَى . قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : الَّذِي اسْتَشْهَدَ بِهِ الزَّمَخْشَرِيُّ هُوَ
بَعْضُ الرُّوَايَاتِ ، لَكِنَّهُ اخْتَارَهُ لِمَكَانِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ . وَالْمَعْنَى وَاضِحٌ . وَضَدُّهُ
قَوْلُ قُرَيْطِ بْنِ أُنَيْفٍ الْعَنْبَرِيِّ :

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً

وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا ^(٢)

وروى ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) البيت هكذا :

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بَلِينٍ

تَمَّةٌ

خَطَأً الزَّمَخْشَرِيُّ (فِي الْمَفْصَلِ) أَبَا نُوَّاسٍ فِي قَوْلِهِ :

كَأَنَّ صُغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فِقَاقِعِهَا

حَصْبَاءُ دَرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

لِكُونِهِ اسْتَعْمَلَ صُغْرَى وَكَبْرَى نَكْرَةً . وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الصِّفَاتِ

(١) الطبرسي ، سائق ترجمته في ص ٣٨٥ . ونسبته إلى طبرستان . وفي ط : « الطبرسي »

صوابه في ش .

(٢) البيت هو السادس من المقطوعة الأولى في حماسة أبي تمام .

لا يستعمل إلا معرفاً ، وإنما يجوز التنكير في فعلى التى لا أفعل لها نحو حُبلى . قال الأندلسى : لم يقل إنه ضرورة لأن المولد لا يسوغ له استعمال شىء على خلاف الأصل للضرورة إلا أن يرد به سماع فيتوقف فيه على محل السماع ، ولا يقاس عليه . وصغرى ما ورد فيه سماع ، وقد حاولوا له أجوبة :

أحدها : أن صغرى قد غلبت عليها الاسمية كما تقدم فى قوله :

* فى سغرى دنيا طالما قد مُدَّت^(١) *

قال ابن يعيش : والاعتذار عنه : أنه استعمله استعمال الأسماء لكثرة ما يجىء منه بغير موصوف ، نحو صغيرة وكبيرة ، فصار كصاحب والأبطح فاستعمله نكرة لذلك .

ثانيها : أن فعلى فيه ليست مؤنث أفعل بل بمعنى فاعلة ، كأنه قال : صغيرة وكبيرة من فقاقتها ، على حد قوله تعالى : ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٢) قاله^(٣) ابن يعيش أيضاً .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) ، قال فيه : ربّما استعمل أفعل التفضيل الذى لم يرد به المفاضلة مطابقاً^(٤) . مع كونه مجرداً ، كقوله : « وأنتم ما أقام الأئمة » . . . البيت ، أى لثام . فعلى هذا يخرج بيت أبى نواس ، وقول النحويين : جملة صغرى وجملة كبرى ، وكذلك

(١) الشاهد ٦٢٤ فى ص ٢٩٦ من هذا الجزء .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) ط : « قال » ، ضوابه فى ش .

(٤) ط : « مطابقة » ، « ، ضوابه فى ش .

(٥) للفرزدق . وقد سبق فى ٢٧٧ ، ٢٨٠

قول العروضيين: فاصلة صغرى وفاصلة كبرى . انتهى .

ثالثها : قال الأندلسي : قيل إنّ من المذكورة زائدة ، وكبرى مضافة ، وحذف مضاف الأوّل كما في قوله :

* ياتيمَ تيمَ على^(١) *

لكنّ حذف من في الواجب لا يجوز إلّا عند الأخفش . والأجود أن يقال حذف المفضّل الداخل عليه من ، اكتفاءً بذكره مرّة ، أى كأنّ صغرى من فقاعها وكبرى منها . انتهى .

ولا يخفى أنّه كان يجب أن يقول : وزيادة من في الواجب لا تجوز إلّا عند الأخفش بدل قوله : « لكنّ حذف من في الواجب » إلخ . وقد ردّ ابن هشام (في المغنى) هذا الجواب فقال : وقول بعضهم إنّ من زائدة وإنّهما متضايقان ، يرده أنّ الصحيح لا تُقَمَّ^(٢) من في الإيجاب ولا مع تعريف المجرور . انتهى .

والبيت في صفة الخمر . والفقاع : جمع فُقَاعَة . ويروى : « من فواقعا » جمع فاقعة ، ومعناها النُّفَاحَات التي تكون على وجه الماء . وصف الخمر وما يعلوها من الحَبَاب فشبه الحَبَاب بالدرّ ، وهو اللؤلؤ الكبير ، والخمرة^(٣) التي تحته بأرض من ذهب .

(١) لجرير . وانظر الخزانة ٢ : ٢٩٨ - ٣٠٢ .

(٢) في ش : « لايقم » . والذي في المغنى : « أن الصحيح أن من لاتقم في الإيجاب » .

(٣) ط : « والخمر » ، وأثبت ما في ش . يقال خمر وخمرة . وفي اللسان : « والأعراف في الخمر التأنيث ، يقال خمرة صرف ، وقد يذكر » .

وقال اللخمي : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعثوا
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ^(١) ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله
تعالى : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ^(٢) ﴾ . غير أَنَّ الأَحْسَنَ هنا أَنْ يكون بمعنى
الإرسال ، إذ لا دليل على النَّومِ في البيت . ٤٧٧

قال الأَعلَمُ : يحتمل دينار هنا وجهين : أحدهما أَنْ يكون أراد
أحد الدنانير ، وَأَنْ يكون أراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمي : دينار وعبد رب : رجُلان ، وقيل : أراد بدينار
واحدَ الدنانير ، كما قال بعض الشعراء :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مَرْسَلًا وَأَنْتَ بِهَا كَلْفٌ مَغْرَمٌ
فَأَرْسَلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ وَذَاكَ الْحَكِيمُ هُوَ الدَّرْهَمُ ^(٣)

وقال ابن خلف : عبد ربَّ الاسمِ إِنَّمَا هو رَبُّهُ ، لكنه ترك الإضافة
وهو يريد بها . وأخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أَوْ عَبْدِ رَبِّ أَخِي ،
بالجر . وزعم عيسى بن عمر أَنَّهُ سمع العرب تنشده منصوباً .

وقال العيني : أَخَا عون بدل من عبد رب ، بدل الشيء من الشيء ، وهما
لعين واحدة .

وقال خضر الموصلي : أَخَاغون إِمَّا عطف بيان لعبد ربِّه أَوْ نعت له على
رواية النصب ، أَوْ منادى عليهما . انتهى .

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .

(٣) أَيْ الحكيم مستغن بحكته عن الوصية . ويقال في أمثالهم أيضاً : « أَرْسَلْ حَكِيمًا
وَأَوْصِهِ » ، أَيْ إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ حَكِيمًا فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ غَرَضِكَ . الميداني ١ : ٢٧٧ والمستقصى
للزنجشیری ١ : ١٤٠ . والبيهقي لابن فارس صاحب المقاييس في ترجمته في معجم الأدباء ٤ : ٨٧
والثعالبي ، وابن خلكان ، والياقني ، وابن الهادي . وانظر حواشي المقاييس ١ : ١٣ من
مقدمة الناشر .

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ بَعْدَ السَّيِّئَةِ ^(١) :

٦٢٧ (وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا)

عَلَى أَنَّ (الْقَوَانِس) مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ لَا بِأَضْرَبَ .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : القوانس منصوب عندنا بفعل مضمر يدلُّ عليه أَضْرَبَ ، أَيْ ضَرَبْنَا أَوْ نَضْرِبُ الْقَوَانِسَ . فلا يجوز أن يتناوله أَضْرَبَ هذه في البيت ، لِأَنَّ أَفْعَلَ هذه للمبالغة تجري مجرى فعل التعجب . وأنت لا تقول ما أَضْرَبَ زَيْدًا عمراً حتى تقول لعمرو ، وذلك لضعف هذا الفعل وقلة تصرفه . فإن تجشمت ما أَضْرَبَ زَيْدًا عمراً فإِنَّمَا نصبت عمراً بفعل آخر ، على ما تقدّم . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) : القوانس منصوب بفعل مقدّر ، كَأَنَّهُ سئلَ عَمَّا يَضْرِبُونَ فقال : نَضْرِبُ الْقَوَانِسَ . انتهى . واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ أَيْ الْحَزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ^(٢) ﴾ عَلَى أَنَّ أَمَدًا مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ دَلَّ عَلَيْهِ أَحْصَى الَّذِي هُوَ أَفْعَلٌ تَفْضِيلٌ ، كَمَا نَصَبَ الْقَوَانِسَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ أَضْرَبَ .

وقال بعض من شرح أبيات المفصل : المراد بالبيت أَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَ ، فحذف اللام لضرورة الشعر . فَمِنْ لابتداء الغاية متعلّق بِأَضْرَبَ تَعَلَّقَ الظرف ، وبالسُّيُوفِ تَعَلَّقَ الآلة ، واللام تَعَلَّقَ المفعول به . وهذا التقدير أولى من الأوّل لوجهين : الأوّل أَنَّ إضمار :

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٥ ، ١٠٦ والمغني ٦٧٨ والتصريح ١ : ٣٣٩ والأشعري ٣ : ٥٦ والأصمعيات ٢٠٥ والحماسة بشرح المازوقي ٤٤١ وبشرح التبريزي ٢ : ١٦ .

(٢) الآية ١٢ من سورة الكهف .

نضرب ، يفسد معنى البيت ، إذ مراد الشاعر أَنَّهُم ضاربون ونحن أَضربُ منهم ، فيحصل التفضيل . ولو قال نضرب القوانس لم يكن فيه تفضيل . والثاني : أَنَّ أَضربَ لا ينصب المفعول به ، فكيف يدلُّ عليه والدال على عامل هو الذى يصحُّ أَن يعمل في معموله . وإذا لم يصحَّ عمله فيه لم يدلَّ عليه . انتهى .

وقد ردَّ عليه الجاربردى (فى رسالة ألفها على مسألة الكحل) قال : كلا الوجهين فاسد . أما الأول فلأنَّ التفضيل إنما يفوت لو لزم تقدير فعل ناصب للمفعول ، إذ لا يكون لاسم التفضيل تعلق معنى بذلك المنسوب ، لكنَّه ممنوع لجواز أَن يكون أَضرب متعلقاً بالقوانس من حيث المعنى ، مع أَن يكون انتصابها بفعل مقدَّر . وإذَن تعلق به معنى يحصل مراد الشاعر وهو التفضيل .

٥١٨

وقال المصنف (فى أماليه) فى قولنا مررت بزيد قائماً : إنَّ العامل فى زيد فى اللفظ هو الباء ، ومن حيث المعنى هو مررت ، وفى قائماً بالعكس . يعنى أَنَّ الفاعل فيه من حيث المعنى هو الباء ، ومن حيث اللفظ هو مررت . هذا كلامه .

فأقول : لا يبعد فيما نحن فيه أيضاً أَن يكون نضرب عاملاً لفظاً فى القوانس ، ويكون لأضرب تعلقٌ بها من حيث المعنى ، فحيثُ يتم ما ذكرنا .

وأما الوجه الثانى فلأنَّ الدالَّ على عامل مقدَّر لا يلزم أَن يكون مما يعمل عملَ ذلك العامل . ألا ترى أَنَّ الدال على العامل المقدَّر فى

قولنا: زيد مررت به هو مررت، مع أنه لا ينصب زيداً. ونظائره كثيرة. فإن قلت: مررت مع الباء يصح أن ينصب زيداً، فلذلك يدل على الناصب المقدّر. قلت: فكذا أضرب فيما نحن فيه مع اللام المقدّرة يصح أن تنصب القوانس، لأنكم ذهبتم إلى أن القوانس تعلق بأضرب تعلق المضروب به، وإذا صح أن يكون ناصباً لها مع اللام صح أن يكون دالاً على عاملها. وإذا ثبت فساد الوجهين فلا يكون التقدير الثاني أولى من التقدير الأول، بل الأمر بالعكس؛ لأنّ تقدير الفعل أكثر من تقدير حرف الجر. وأيضاً التفصيل الذى ذكره للخوافض الثلاث مخالف لما يفهم من كلام المحققين على ما لا يخفى على الأذكياء. انتهى كلام الجاربردى.

وأقول: لم يبيّن الفساد الذى ادّعاه على وجهين من تقدير اللام، وغاية ما أورده تصحيح تقدير الفعل على زعمه. فتأمل وأنصف. والله تعالى أعلم.

والمصراع من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابى، قالها فى الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها:

(لأساء رسم أصبح اليوم دارساً وأفقر إلا رخرحان فراكساً^(١))

واختار منها أبو تمام فى الحماسة أربعة أبيات، وهى:

(فلم أر مثل الحى حياً مصبّحاً ولا مثلنا يوم التقينا فوارساً
أكرّ وأحمى للحقيقة منهم وأضرب منا بالسيف القوانساً
إذا ما حملنا حملة نصّبوا لنا صدور المذاكى والرماح المداعساً)

(١) القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً فى الأسميات ٢٠٤ - ٢٠٧.

إذا الخيل جالت عن صريح نكرها

عليهم فما يرجعن إلا عابسا

قال أبو عبيدة (في كتاب أيام العرب) : غزت بنو سليم ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معديكرب فالتقوا بثلاثين من أرض اليمن ، بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل من كبار مراد ستة ، وقتل من بنى سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه ، فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السنين ، وهي إحدى المنصفات . انتهى .

وقوله : « فلم أر مثل الحي » إلخ ، أراد بالحي المصباح بنى زبيد بن مراد . قال المرزوقي : لم أر مغاراً عليه كالذين صبحناهم ، ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم ، فقسم الشهادة قسم السوء بين أصحابه وأصحابهم وتناول بالمدح كل فرقة منهم . وانتصب حياً مصباحاً على التمييز ، وكذلك فوارساً تمييز وتبيين ، ويجوز أن يكونا في موضع الحال . فإن قيل : لم قال فوارس والتمييز يؤتى به مفرد اللفظ ؟ قلت : إذا لم يتبين كثرة العدد واختلاف الجنس من المميز يؤتى بالتمييز مجموع اللفظ ، متى أريد التنبيه على ذلك . وعلى هذا قول الله تعالى : ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ^(١) ﴾ ، كأنه لما كانت أعمالهم مختلفة كثيرة نبه على ذلك بقوله : « أعمالا » . ولو قال عملاً كان السامع لا يبعد في ذهنه أن خسره كان لجنس واحد من أجناس العصية ، أو لعمل واحد من الأعمال الذميمة . وكذلك قوله : « فوارس » ، جمعه حتى يكون فيه إيذان بالكثرة . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في الأمالي) : إن أُريد بالرؤية العلم فحياً منصوب بها مفعول أوّل ، ومثل مفعول ثان . وإن أُريد رؤية العين فيحتمل أن يكون حياً مصبّحاً هو المفعول ، ومثل الحيّ صفة قدّمت فانتصب على الحال . ويجوز أن يكون مثل الحيّ هو المفعول ، وحياً مصبّحاً إما عطف بيان لقوله مثل الحيّ وإما حال من الحيّ ، كأنه قال : مثل الحيّ مصبّحاً ، وأتى بحيّ للتوطئة للصفة المعنوية ، كقولهم : جاءني الرجل الذي تعلم رجلاً صالحاً . وصحّ الحال من المضاف إليه لأنّه هنا في معنى المفعول ، أي لم أر ممثلاً للحيّ في حال كونهم مصبّحين . والمضاف إليه إذا كان في معنى فاعل أو مفعول صحّ منه الحال كغيره . ويجوز أن يكون تمييزاً كقولك : عندي مثله تماًراً أو قمحاً ، لما في مثل من إبهام الذات ، فصحّ تمييزها كتمييز ما أشبهها ، وكلّ ما ذكر في ذلك فهو جارٍ في قوله مثلنا فوارساً ، ففوارساً مثل قوله مصبّحاً ، ومثلنا مثل قوله مثل الحيّ . انتهى كلام ابن الحاجب .

ونقله [الجاربردي^(١)] في تلك الرسالة وقال : على تقدير أن يراد بالرؤية العلم يجوز أن يجعل مثل الحيّ مفعولاً أوّل وحياً مصبّحاً مفعولاً ثانياً . فإن قلت : لا يجوز أن يكون مثل الحيّ مفعولاً أوّل ، لأنّه في أفعال القلوب حكمه حكم المبتدأ ، فيجب أن يكون معرفة أو نكرة مخصّصة بوجه ما . وهنا ليس كذلك ، لأنّ المثل كما لا يتعرّف بالإضافة فلا يتخصّص أيضاً ، فلا يصلح لأن يكون مفعولاً أوّل .

(١) التكلة من ش . يعني رسالته في مسألة الكحل .

فالجواب بعد تسليم ذلك أن يقال : المثل هنا إما تخصص بالإنضافة أو لا ، بل بقى على ما كان ، يصلح لأن يكون مفعولاً أول . أمّا على التقدير الأول فظاهر ، وأمّا على التقدير الثانى فلأنّه إذا كان نكرة وقد وقع فى سياق النفى فيعمّ ، ولا شكّ أنّه يصح الابتداء به ، فيصحّ أن يكون مفعولاً أول . انتهى .

وقوله : « أكرّ وأحمى » إلخ ، قال المروزقى : المصراع الأوّل ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زُبَيْدٍ ، والثانى إلى عشيرته وأصحابه . والمراد لم أر أحسنَ كراً وأبلغ حمايةً للحقائق منهم ، ولا أضربَ للقوانس بالسيوف مِنّا . وانتصب القوانس من فعل^(١) دلّ عليه قوله : وأضربَ مِنّا . ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أضربَ ، لأنّ أفعل الذى يتمّ بمن لا يعمل إلّا فى النكرات ، كقولك : هو أحسنُ [منك^(٢)] وجهاً . وأفعل هذا يجرى مجرى فعل التعجب ، ولذلك تعدى^(٣) إلى المفعول الثانى باللام فقلت : ما أضربَ زيداً لعمرى . قال الدُّرَيْدِيُّ : القونس هو أعلى البيضة . وقال غيره : قونس الفرس : ما بين أذنيه إلى الرأس . ومثله قونس البيضة من السّلاح . انتهى .

وقال ابن الحاجب : قوله : « أكرّ وأحمى » إلخ ، تبين لما ادّعاه فيما تقدّم ، فيجوز أن ينتصب بفعل مقدّر لا صفة لما تقدّم ، لئلا يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تمييزاً . ويجوز أن يكون صفةً لما تقدّم ، كأنّها صفة واحدة . وإذا جعل غير تمييز كأنّه

٥٢٠

(١) وكذا فى المروزقى . وفى ش : « عن فعل » .

(٢) هذه التكلة الضرورية من المروزقى .

(٣) ش فقط : « يعدى » بالباء .

قال : جاءني زيدٌ وعمرو العاقل والعالم . وذلك جائز . فأكرّ وأحمى
صفةً لحياً مصبّحاً ، وأضرب منّا صفةً لِفِوارساً . انتهى .

ونقله الجاربردى فى تلك الرسالة وقال : كلامه مشعرٌ بأنّه على
تقدير كون مائقم على أكرّ وأحمى تمييزاً لو جعل أكرّ وأحمى صفةً
يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبيّ ، وأما على تقدير
كون المتقدم غير تمييز لو جعل أكرّ وأحمى صفةً لا يلزم ذلك . والفرق
مشكلٌ جداً . انتهى .

و (أكرّ) من كرّ عليه ، إذا صالّ عليه . (وأحمى) من الحماية .
وحقيقة الرجل : ما يحقّ عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار .

وقوله : « إذا ما حملنا حملة » إلخ ، قال المرزوقى : يروى : « إذا
ماشدنا شدة » . يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا فى وجوهنا ونصبوا
صُدورَ الخيل القُرَحَ والرِّماحَ المَعْدَةَ للدِّفع . والدَّعْسُ : الدفع فى الأصل ،
ثم يستعمل فى الطَّعن وشدة الوطء والجماع . والدِّكَاءُ : ضد الفتاء ،
يقال فرسٌ مُدَلِكٌ إذا تَمَّ سنُّه وكُمِّلَ قوَّته . وفى المثل : « جَرَى المَذَكِّيَاتِ
غِلَابٌ ^(١) » . ويقال « غِلَاءٌ » . ويقال فتاء فلانٍ كذكاء فلانٍ وكتذكية فلانٍ ،
أى حَزَامَتِهِ على نقصان سنِّه كحزامة ذاك مع استكمالهِ . قال زهير :

يفضُّله إذا اجتهدا عليه تمامُ السنِّ منه والدِّكَاءُ

انتهى .

وقال بعض شراح الحماسة : المذاكى : المُسِنَّات من الخيل . والمذكى
من الخيل بمنزلة المُخْلِيف من الإبل .

(١) أمثال الميدانى ١ : ١٤٣ ، وجمهرة السكرى ١ : ٢٩٩ .

وقوله : « إذا الخيلُ جالت » قال المرزوقي : أى إذا الخيل دارت عن مصروع منّا كرّرنا عليهم لنصرعَ مثل ما صرّعوا منّا . ويجوز أن يريد : إذا جالت الخيل عن صريع منهم لا يُقنعنا ذلك فيهم ، بل نكرّها عليهم لئله وإن كرهت الكرّ لشدة البأس ، فلم ترجع إلّا كوالج . والعامل فى إذا نكرّها ، وهو جوابه . وعوايس حال ، والخيل فاعل فعل يفسّره ما بعده . انتهى .

وقال شارح آخر : جالت : انكشفت . جال القومُ جولة : انكشفوا ثم كرّوا . ولم ترجع الخيل إلّا عابسةً لما وجدت من مسّ السلاح .

وقد ردّ على العباس عمرو بن معديكرب ، واعتذر بأنّ خيلهم لم تكن سماناً ، وأنّه لولا ذلك لم تنالوا الذى نلتم ، فى قصيدة يقول فيها :

أعبّاس لو كانت شياراً جيادنا

بتثليث ما ناصيت بعدى الأحامسا^(١)

لُدسناكم بالخيل من كلّ جانبٍ

كما داسَ طبّاخُ القدور الكرادسا

يقال ناصيتُ الرجل ، إذا أخذت بناصيته . والكردوس : كلّ ملتحق عظيمين ، كالمنكبّين والركبتين والوركين . ودسناكم : وطئناكم . انتهى .

قال الطبرسى (فى شرحه أبيات العباس من باب المنصفات) : وهو

(١) يقال فرش شير وخيل شيار ، مثل جيد وجياد ؛ من الشارة والشورة ، بالفتح ، وهو السمن . والبيت فى اللسان (شور ١٠٤) .

من باب التناصف . وللعرب قصائدٌ قد أنصف قائلوها أعداءهم [فيها^(١)]
وصدّقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطَلَوْهُ من حرِّ اللّقاء ، وفيما وصَفوه
من أحوالهم في إِمحاض الإخاء ، قد سَمَوْها المنصفات . ويروى أَنَّ أَوَّلَ
من أنصف في شعره مُهلِهُلُ بن ربيعة حيث قال :

كَأَنَّا غُدُوَّةٌ وَبَنَى أَبِينَا بَجَنِبِ عُنِيزَةِ رَحِيًّا مُدِيرِ^(٢)

ومن التناصف في الإخاء قول الفضل بن العباس رضي الله عنهما ٥٢١
في أبي لُهب :

لَا تَطْمَعُوا أَنْ تَهَيِّنُونَا وَنُكْرِمَكُم
وَأَنْ نَكْفِيَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتَوْذُونَا

انتهى .

والعباس وعمر بن معد يكرب صحابيَّان ، تقدّمت ترجمة الأول
في الشاهد السابع عشر^(٣) ، وترجمة الثاني في الشاهد الرابع والخمسين
بعد المائة^(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد السّمائة ، وهو من
شواهد سيبويه^(٥) :

٦٢٨ (مررتُ على وادي السَّبَاعِ ولا أرى
كوادي السَّبَاعِ حين يُظْلِمُ وادِيَا)

(١) التكلة من ش .

(٢) ط : « فانا غُدوة » ، صوابه في ش ، وأمال القائل ٢ : ١٣٣ ، والبلدان (عيزة)
والأصمعيات ١٥٥ .

(٣) الخزانة ١ : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) الخزانة ٢ : ٤٤٤ - ٤٤٦ .

(٥) سيبويه ١ : ٢٣٣ ، والعين ٤ : ٨٨ ، ومعجم البلدان (وادي السباع) .

أَقْلَ به ركبٌ أَتَوْه تَثِيَّةٌ

وَأَخَوْفَ إِلَّا مَا وَقَى اللهُ سَارِيَا

على أن أفعل فيه من قبيل: ما رأيتُ كعينِ زيدٍ أحسنَ فيها الكُحْلُ .
قال سيبويه : إنما أراد أَقْلَ به الرُّكْبُ تَثِيَّةٌ منهم ، ولكنه حذف
استخفافاً ، كما تقول : أنتَ أفضل ، ولا تقول من أحد . وتقول :
الله أكبر ، ومعناه الله أكبر من كل شيء . انتهى .

قال ابن خلف : حذف منهم وبه اختصاراً ، لعلم السامع . والهاء في
به الأولى ضمير (واديا) ، والهاء في به التي بعد منهم ضميرُ وادى السَّبَاعِ .

وقال الجاربردى (فى رسالة ألفها لمسألة الكُحْل) على عبارة
الكافية : ولوقوع التغيير الكثير فى العبارة الثالثة من الحذف والتقديم
والتأخير ، ربّما يتوهم أنّها غير جائزة ، فلذلك احتاج إلى إيراد نظيرٍ
لها جاء فى كلام العرب ، وقد أنشدَه سيبويه ، وهو قوله :

مَرَرْتُ عَلَى وادى السَّبَاعِ . . . البيتين

والاستشهاد إنما يحصل من البيتين بقوله : ولا أرى كوادى السباع
أَقْلَ به ركبٌ أَتَوْه تَثِيَّةٌ فى وادى السباع . فافْعَلْ ههنا وهو أَقْلَ ، جَرَى
لشئٍ وهو فى المعنى مسببٌ هو الرُّكْبُ مفضَّل باعتبار مَنْ هوله ؛ وهو قوله
به ، على نفسه ، باعتبار وادى السباع . انتهى .

وقد شرح الشارح المحقق البيتَين بما لم يُسبقَ به .

وقوله : « الواو فى ولا أرى اعتراضية » هذا بالنظر إلى مايتأتى بعد

البيت الثانى .

وجعل العيني جملة « ولا أرى » حالية . وقوله : « وهو بمعنى المفعول »
يعنى أَنَّ أَخَوْفَ فى البيت مأخوذ من الفعل المبني للمجهول ، أى أَشَدَّ
مُخَوِّفَةً ، كما أَخِذَ أَشْهَرُ وَأَحْمَدُ من المبني للمجهول ، أى أَشَدَّ مشهوريةً
ومحموديةً . وقوله : « وهو منصوب على التمييز من أَقْلَ » ، هذا هو الظاهر
وعليه اقتصر شارح اللباب قال : التثية : التوقُّف والتثبُّت . وتثية
تمييز ، من قوله أَقْلَ ، أى أَقْلَ توقُّفاً . فَأَقْلَ : أَفْعَلَ من القلة منصوب
لأنَّه صفة لمفعول أرى . وقال الجاربردى : تثية إمَّا مصدر على أَصْلِهِ ،
لأنَّ الإتيان قد يكون تَثِيَةً أى بتوقُّف ، وقد يكون بغيره . وإمَّا مصدرٌ
فى تأويل المشتقِّ ، أى متوقِّفين ، فيكون حالاً . وَأَخَوْفَ عطف على أَقْلَ
أو على تَثِيَةٍ إن جعلت حالا . وإلَّا ماوقى الله : استثناءً مفرغٌ ، أى فى كلِّ
وقت إلَّا وقتَ وقاية الله السَّارى . انتهى .

ومحصِّل المعنى أَنَّ ثبوت الرِّكب فى وادى السباع أَقْلُ من ثبوته فى

غيره .

والشعر لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيل ، وهو شاعرٌ عصرىُّ الفرزدق ، وقد تقدَّمت

ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين^(١)

ووادى السَّباع : اسم موضع بطريق البصرة . قال أبو عُبَيْدٍ

البكرى (فى معجم ما استعجم) : وادى السباع جمع سبع ،

بالبصرة معروف ، وهو الذى قُتل فيه الزُّبير بن العوام ، سَمَّى

بذلك لِأَنَّ أَسْمَاءَ - بنتَ عمران بن الحاف بن قضاعة . وقال

أسماء بنت دريم الكلبي : هي أسماء بنت دُرَيْم بن القَيْن بن أَهْوَد^(١) بن بهراء - كانت تنزلُهُ . ويقال ، لها أُمُّ الْأَسْبُع ، لَأَنَّ وَلَدَهَا أَسَد ، و كلب ، والذئب ، والدَّبَّ ، والفهد ، والسَّرْحَان . وأقبل وائل بن قاسط فلَمَّا نظر إليها رآها امرأة ذات جمال ، فطَمِعَ فيها ، ففطنت له فقالت : لو هَمَمْتُ بِى لَأَتَاكَ أَسْبُعِي ! فقال : ما أرى حولك أَسْبُعًا . فدَعَتْ بَنِيهَا فَأَتَوْا بِالسُّيُوفِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ . فقال : والله ما هذا إِلَّا وادى السَّبَاع : فسَمَّى بِهِ . انتهى .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : وادى السَّبَاع جمع سَبْع . والسَّبْع يقال على ما له نابٌ وَيَعْدُو عَلَى النَّاسِ والدوابَّ فيفترسُها ، مثلُ الْأَسَد ، والذئب ، والنمر ، والفهد . فَمَّا الثعلب فإنه وإن كان له ناب فإنه ليس بسبعٍ لَأَنَّهُ لَا عُدُونَ لَهُ . وكذلك الضَّبْع . ووادى السَّبَاع هو الذى قتل فيه الزبير بن العوام بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال^(٢) . كذا ذكره أبو عبيدة . ووادى السَّبَاع من نواحي الكوفة ، سَمَّى بِذلِكَ لما أذكره لك ، وهو : أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ دُرَيْمَ بنِ القَيْنِ بنِ أَهْوَد^(٣) بن بهراء كان يقال لها أُمُّ الْأَسْبُع . وولدها بنو وَبَرَةٍ بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، يقال لهم السَّبَاع ، وهم : كلب ، وأسد ، والذئب ، والفهد ، والثعلب ، وسِرْحَان . ونَزَكَ ، بفتح النون

(١) ط : « أهود » ، صوابه بالبدال المهملة كما فى ش معجم البلدان ومعجم ما استعجم والاشتقاق ونهاية الأرب ٢ : ٢٩٢ والقاموس (هود) .

(٢) فى النسختين : « خمسة أجبل » ، صوابه من معجم البلدان . وفى هامش المطبوعة مانصة : « قوله بينه وبين البصرة إلخ . المعروف الآن أن قبر الزبير يقرب البصرة ، بينهما أربعة أميال أو خمسة ، ولا يعرف جبل هناك ، فلعل أجبل مصحفة عن أميال . انتهى من هامش الأصل » . ولم ترد هذه الحاشية فى ش . وقد صح توقع ناشر الطبعة الأولى بما صححته به .

(٣) ط : « أهود » . وانظر ماسلف من تحقيق .

وسكون الزاي ، وهو الحريش ويقال له الكركدُن ، له قرنٌ واحد يحمل الفيلَ على قرنه على ما قيل . وجُعْم^(١) ، وهو الضبع . والفِرَز ، وهو البُبر : نوع من الضباع دون جرم الفهد إلاّ أنّه أشدّ وأجرأ منه . وعَنْزَة وهي دابةٌ طويلة الخَطْم يُعَدُّ من رُغُوس السباع ، يأتي الناقة فيدخل خطمه في حياؤها ويأكل ما في بطنها ، ويأتي البعير فيمتلخ عينيه . وهرّ ، وضع . والسَّع بالكسر ، وهو ولد الذئب من الضبع . ودَيْسَم ، وهو الثعلب ، وقيل ولد الذئب . ويُمَس ، وهو دويبة فوق ابن عرس يأكل اللحم ، وهو أسود مدمع ببياض . والعِفْر : جنس من البير . وسيد^(٢) . والدُّلدل . والظَّربان : دويبةٌ منتنة الفُساء . ووَعَوْع ، وهو ابن آوى الضخم . وكانت تنزل مع أولادها بهذا الوادي فسمي وادي السباع بأولادها .

قال ابن حبيب : مرَّ وائل بن قاسط بأسماء هذه أمّ ولد وبّرة وكانت امرأة جميلة ، وبنوها يرعون حوّلها ، فهمّ بها فقالت له : لعلك أسررت في نفسك مني شيئاً ؟ فقال : أجل . فقالت : لئن لم تنته لأستصرخنّ عليك ! فقال : والله ما أرى بالوادي أحداً . فقالت : لو دعوتُ سباعه لمنعتني منك وأعانتني عليك . فقال : أو تفهم السباع عنك ؟ قالت : نعم . ثم رفعت صوتها : يا كلبُ ، يا ذئبُ ، يا فهدُ ، يا دبُ ، يا سرحانُ ، يا أسد^(٣) . فجاءوا يتعادون ويقولون : ما خيرك يا أمّاه ؟ قالت : ضيفكم هذا أحسنوا قِراه . ولم تر أنّ تفضح نفسها عند بنيتها ، فذبحوها له وأطعموه ، فقال وائل : ما هذا إلاّ وادي السباع ! فسمى بذلك . انتهى .

(١) في معجم البلدان : « خُعم » .

(٢) السيد ، بالكسر : الذئب . وفي ش : « سليع » .

(٣) في معجم البلدان : « يا أسد ياسيد » .

الفعل الماضي

أَنشُد فيه ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الستمائة ^(١) :

٦٢٩ (وَاللّٰهُ لَا عَذَابَتْهُمْ بَعْدَهَا سَقْرٌ)

٥٢٣ على أَنَّ الماضي المنقَّى بلا في جواب القسم ينصرف إلى الاستقبال كما في البيت . وهو عجزٌ وصدره :

(حَسْبُ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا عَذَابُهُمْ)

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للمؤمل بن أميل المحاربي ، قالها في امرأة كان يهواها من أهل الحيرة يقال لها « هند » ، وهي قصيدة مشهورة ، ومنها :
(شَفَّ الْمُؤْمَلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ لَيْتَ الْمُؤْمَلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصْرُ)
ومنها :

(قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَرْضَىٰ بِذَا مُضَرٍ)

روى الأصبهاني (بسنده في الأغاني) عن علي بن الحسن الشيباني قال : رأى المؤمل في نومه قائلاً يقول : أَنْتَ الْمَتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَعَذِّبُ الْمُحِبِّينَ ، حَيْثُ تَقُولُ :

يَكْفِي الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا عَذَابُهُمْ وَاللّٰهُ لَا عَذَابَتْهُمْ بَعْدَهَا سَقْرُ

فقال : نعم . فقال : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! ثُمَّ أَدْخَلَ إصْبِعِيهِ فِي عَيْنِيهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْقَاتِلُ :

شَفَّ الْمُؤْمَلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ ... الْبَيْت

(١) الأغاني ١٩ : ١٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٢٨ بولاق ، والمغنى ٢٤٣ .

هذا ما تمنيت ! فانتبه فزعاً فإذا هو قد عمى^(١) .

وروى بسنده أيضاً عن مُصعب الزُبيري أنه قال : أنشد المهدي :

قتلت شاعرَ هذا الحي من مُضِرٍ . . . البيت

فضحك وقال : لو علمنا أنها فعلت لما رضىنا ، ولغضبنا له وأنكرنا .

انتهى .

و (شَفَّ) بالشين المعجمة والفاء بمعنى أرقه وأهزله ونقصه . والمتألى

بمعنى الحالف : اسم فاعل من تألى من الآلية وهي اليمين . ويقال منها
آلى إيلاءً ، واثنتلى أيضاً : افتعل من الآلية .

والمؤمل : ابنُ أميل بن أسيد المحاربي . والمؤمل بصيغة اسم المفعول ،
والثاني بالتصغير ، وكلاهما مأخوذان من الأمل ، والثالث بفتح الهمة
وكسر السين المهملة .

وهذه ترجمته من الأغاني قال : هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي ،
محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر . شاعر كوفي من مخضري
الدولتين الأموية والعباسية . وكانت شهرته في العباسية أكثر ، لأنه
كان من الجند المرتزقة معهم ، ومن يخصهم ويخدمهم من أوليائهم .
وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعده . وهو صالح المذهب في شعره ،
ليس من المبرزين الفحول ولا المردولين . وفي شعره لين^(٢) . وله طبع صالح .

وروى عنه بالسند أنه قال : قدمت على المهدي وهو بالرئ ، وهو إذ
ذاك ولي عهد ، فامتدحته بأبيات فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فكتب

(١) انظر معجم المرزبانى ٣٨٤ .

(٢) ش : « ولا المردولين في شعره » فقط .

بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور وهو بمدينة السلام ، يُخبره
 أَنَّ الأمير المهديَّ أمر لشاعرٍ بعشرين ألفَ درهم ، فكتب إليه يعذُّله
 ويلومه ويقول له : إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي [له ^(١)] أَنْ تَعْطِيَهُ بَعْدَ أَنْ يَقِيمَ
 بِبَابِكَ [سنة ^(٢)] أَرْبَعَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ . وَكَتَبَ إِلَى كَاتِبِ الْمَهْدِيِّ أَنْ
 يُوَجِّهَ إِلَيْهِ بِالشَّاعِرِ . فَطَلَبَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ : إِنَّهُ
 قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ . فَأَجْلَسَ قَائِدًا مِنْ قَوَّادِهِ عَلَى جِسْرِ النَّهْرَوَانِ
 وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَصَفَّحَ النَّاسَ رَجُلًا رَجُلًا . فَجَعَلَ لَا تَمُرُّ بِهِ قَافِلَةٌ إِلَّا تَصَفَّحَ مِنْ
 فِيهَا حَتَّى مَرَّتِ الْقَافِلَةُ الَّتِي فِيهَا الْمُؤَمِّلُ ، فَتَصَفَّحَهُمْ فَلَمَّا سَأَلَهُ مَنْ أَنْتَ ؟
 قَالَ : أَنَا الْمُؤَمِّلُ بْنُ أُمَيْلٍ الْمَحَارِبِيِّ الشَّاعِرِ ، أَحَدُ زَوَّارِ الْأَمِيرِ الْمَهْدِيِّ .
 فَقَالَ : إِيَّاكَ طَلَبْتُ . قَالَ الْمُؤَمِّلُ : فَكَادَ قَلْبِي يَنْصَدِعُ خَوْفًا مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ
 الْمَنْصُورِ . فَقَبِضَ عَلَيَّ وَأَسْلَمَنِي إِلَى الرَّبِيعِ ^(٣) ، فَأَدْخَلَنِي إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ
 وَقَالَ لَهُ : هَذَا الشَّاعِرُ الَّذِي أَخَذَ مِنَ الْمَهْدِيِّ عَشْرِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، قَدْ ظَفِرْنَا
 بِهِ . فَقَالَ : أَدْخُلُوهُ إِلَيَّ ^(٤) . فَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ مَذْعُورٍ مَرُوعٍ ^(٥)
 فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَقَالَ : لَيْسَ هَهُنَا إِلَّا خَيْرٌ ، أَنْتَ الْمُؤَمِّلُ بْنُ أُمَيْلٍ ؟
 قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَتَيْتَ غُلَامًا غِرًّا فَخَدَعْتَهُ . قُلْتُ :
 نَعَمْ ، أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَيْتُ غُلَامًا غِرًّا كَرِيمًا فَخَدَعْتَهُ فَانْخَدَعَ .
 قَالَ : فَكَأَنَّ ذَلِكَ أَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : أَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ لَهُ . فَأَنْشَدْتُهُ :

٥٢٤

(١) هذه من ش فقط .

(٢) التكملة من ش ، والأغاني ١٩ : ١٤٧ .

(٣) في ش : « وَسَلَّمَنِي مِنَ الرَّبِيعِ » ، وفي حواشيها : « كَذَا خَطَّ الْمُؤَلِّفُ » ، والصواب :
 وَأَسْلَمَنِي إِلَى الرَّبِيعِ . وما أثبت من ط والأغاني .

(٤) ط : « قَالَ أَدْخَلَهُ إِلَيَّ » ، وأثبت ما في ش والأغاني .

(٥) في الأغاني « تَسْلِيمَ مَرُوعٍ » .

هو المهدي إلا أن فيه
تشابه ذا وذا ، فهما إذا ما
فهذا في الظلام سراج ليل
ولكن فضل الرحمن هذا
وبالملك العزيز فذا أمير
وبعض الشهر ينقص ذا ، وهذا
فيا ابن خليفة الله المصفي
لئن فت الملوك وقد توافوا
لقد سبق الملوك أبوك حتى
وجئت مصلياً تجرى حثيثاً
فقال الناس : ما هذان إلا
لئن سبق الكبير فأهل سبق
وإن بلغ الصغير مدى كبير

مشابهة من القمر المنير^(١)
أنارا مشكلان على البصير
وهذا في النهار ضياء نور
على ذا بالناير والسريير
وما ذا بالأمير ولا الوزير
منير عند نقصان الشهر^(٢)
به تعلق مؤخره الفخور
إليك من السهولة والوعور
بقوا من بين كاب أو حسير
وما بك حين تجرى من فتور
كما بين الخلق إلى الجدير
له فضل الكبير على الصغير
فقد خلق الصغير من الكبير

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟ قلت : ها هو هذا . قال : يا ربيع امض معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ منه الباقي . قال المؤمل : فخرج معي الربيع فحط ثقل ووزن لي من المال أربعة آلاف درهم ، وأخذ الباقي . فلما ولي المهدي الخلافة ولي ثوبان^(٣) المظالم ، فكان يجلس للناس بالرصافة ، فإذا ملأ كساءه رقاعاً رفعها إلى المهدي ، فرفعت إليه رقعة فلما دخل بها

(١) الأغاني والطبري ٨ : ٧٤ : « مشابه صورة القمر » .

(٢) الأغاني : « ونقص الشهر ينقص ذا » ، وفي الطبري : « ونقص الشهر يجتذا » .

(٣) في النسختين « أبو ثوبان » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في الأغاني ١٩ : ١٤٨ ،

والطبري ٨ : ٤٧ .

ابن ثوبان جعل المهدي ينظر في الرقاع ، حتى إذا وصل إلى رقعة ضحك ، فقال له ابن ثوبان : أصلح الله أمير المؤمنين ، ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه الرقعة . فقال : هذه رقعة أعرف سببها ، ردُّوا إليه عشرين ألف درهم . فردُّوها إليَّ وانصرفت .

وروى بسنده أيضاً عن أبي محمد اليزيدي عن المؤمل بن أميل قال : صرت إلى المهدي بجرجان ، فمدحته بقولي :

تعزَّ ودع عنك سلمى وسِرَّ حثيثاً على سائراتِ البغالِ
وكلَّ جوادٍ له مِيعَةٌ يخبُّ بسرِّجك بعد الكلالِ
إلى الشَّمسِ شمسِ بنى هاشم وما الشَّمسُ كالبدنِ أو كالهلالِ
ويُضحكه أن يدومَ السؤالُ ويتلفُّ من ضحكِهِ كلَّ مالٍ^(١)

٥٢٥

فاستحسنها المهدي وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

وشاع الشعر ، وكان في عسكره رجلٌ يغني ، فغني في الشعر لرفقائه وبلغ ذلك المهدي فبعث إليه سرّاً فدخل عليه فغناه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور . ثم ذكر باقي الخبر نحو ما تقدّم ، وزاد فيه أن المنصور قال له : جئت إلى غلامٍ غرُّ فخدعته حتى أعطاك من مال الله عشرين ألف درهم ، لشعرٍ قُلْتَه غير جيّد ، وأعطاك من رقيق المسلمين مالاً يملكه ، وأعطاك من الكُراع والأثاث ما أسرف فيه ، ياربِّيعُ خذ منه ثمانية عشر ألف درهم وأعطه ألفين ، ولا تعرِّضْ لشيءٍ من الأثاث والدواب والرقيق ، فني ذلك غناه^(٢) . فأخذتُ مني والله بخواتمها . فلما ولي المهدي

(١) الأغاني : « أن يدوم السؤال ويتلف في ضحكة » .

(٢) الأغاني : « غناه » . والغنى يمد ويقصر .

دخلتُ عليه في المتظلمين ، فلما رآني ضحك وقال : مظلمةٌ أعرفها ولا
أحتاج إلى بينةٍ عليها . وجعل يضحك ، وأمر بالمال فردَّ عليَّ بعينه ،
وزادني فيه عشرة آلاف درهم . انتهى .

ومن شعره :

حَلَمْتُ بِكُمْ فِي نَوْمِي فغَضِبْتُمْ
وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ كُنْتُ فِي النَّوْمِ أَحْلَمُ
سَاطَرْدُ عَنِّي النَّوْمُ كَيْلَا أَرَاكُمْ
إِذَا مَا أَتَانِي النَّوْمُ وَالنَّاسُ نَوْمٌ
تُصَارِمُنِي ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّي
أَبْرُءُ بِهَا مِنَ الدَّيْثِهَا وَأَرْحَمُ^(١)
وَقَدْ زَعَمُوا لِي أَنَّهَا نَذَرْتُ دَمِي
وَمَا لِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ
بَرَى جَبْهًا لَحْمِي وَلَمْ يُبْقِ لِي دَمًا
وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّي صَحِيحٌ مُسَلِّمٌ^(٢)
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَبِّ صَحَّ سَقِيمُهُ
وَلَا مِثْلَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْحَبَّ يَسْقَمُ^(٣)
سَقَتْلَ جِلْدًا بِأَلْيَا فَوْقَ أَعْظَمِ
وَلَيْسَ يُبَالَى الْقَتْلَ جِلْدٌ وَأَعْظَمُ

(١) الأبيات بعده لاتصل به مباشرة ، بل هي صوت خاص من القصيدة كما في الأغاني .

(٢) ش : « ولم يبق لي دم » .

(٣) الأغاني : « ولا مثل من لم يعرف » .

روى صاحب الأغاني بسنده إلى حذيفة بن محمد الطائي قال :
 حدثني أبي قال : رأيت المؤمل شيخاً كبيراً نحيفاً^(١) أعمى ، فقلت له
 لقد صدقتَ في قولك :

وقد زعموا لي أنَّها نذرتُ دمي . . . البيت

فقال : نعم فديتُك ، لا أقول إلاَّ حقاً^(٢) !

(١) الأغاني : « شيخاً مصنراً نحيفاً » .
 (٢) الأغاني : « وما كنت أقول إلاَّ حقاً » .

الفعل المضارع

أَنشُد فيه ، وهو الشاهد الثلاثون بعد السائمة^(١) :

٦٣٠ (أَبَيْتُ أُسْرِي وَتَبَيَّتِي تَدْلِكِي جِلْدَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الدَّكِي)
على أَنَّ النون من الأفعال الخمسة قد يندُر حذفها لا للأشياء المذكورة
نظماً ونشراً . والأصل تبين تدلكين .

قال ابن جنى (فى باب ما يردُّ عن العربى مخالفاً لما عليه الجمهور ،
من كتاب الخصائص) : سألت أبا على رحمه الله عن قوله :

أَبَيْتُ أُسْرِي وَتَبَيَّتِي تَدْلِكِي وَجْهَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الدَّكِي
فخُضْنَا فيه ، واستقرَّ الأمرُ فيه على أَنَّهُ حذف النون من تبيتين ، كما
حذف الحركة للضرورة فى قوله :

* فالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ^(٢) *

٥٢٦ كذا وَجَّهته معه . فقال لى : فكيف تصنع بقوله : « تدلكي » ؟ قلت :
نجمله بدلاً من تبيتى أو حالا ، فنحذف النون كما حذفها من الأوَّل
فى الموضعين^(٣) . فاطمأنَّ الأمرُ على هذا . وقد يجوز أن يكون تبيتى فى
موضع النصب بإضمار أن فى غير الجواب ، كما جاء بيت الأعشى :
لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الدَّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فَيَعَصِمَا^(٤)

(١) الخصائص ١ : ٣٨٨ والمحتسب ٢ : ٢٢ والتصريح ١ : ١١ والهمع ١ : ٥١
ويعنى على التصريح ١ : ٧٦ ، ٣٣٢ .

(٢) لا مرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ .

وعجبت :

* إِيْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلْ *

(٣) أى أول الموضعين ، وهو قوله : « تبيتى » .

(٤) الصحيح نسبته إلى طرفة . وانظر معجم الشواهد .

انتهى . وأورده ابن عصفور أيضاً (في كتاب الضرائر) قال :
ومنه حذف النون الذي هو علامة للرفع في الفعل المضارع لغير ناصب
ولا جازم ، تشبيهاً لها بالضممة ، من حيث كانتا علامتي رَفْع ، نحو
قول أيمن بن خُرَيْم :

وَإِذْ يَغْضَبُوا النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ إِذَا مَلَكَوهُمْ وَلَمْ يُغْضَبُوا
وقول الآخر :

أَبَيْتَ أُسْرَى . . . الْبَيْتِ

وقول الآخر ، أنشده الفارسي :

وَالْأَرْضَ أَوْرَثْتَ بَنِي آدَامَا مَا يَغْرُسُهَا شَجَرًا أَيَّامًا^(١)
أَلَا تَرَى أَنَّ النُّونَ قَدْ حُذِفَتْ مِنْ يَغْضَبُونَ ، وَتَبَيَّنَتْ ، وَتَدْلُكِينَ ،
وَيَغْرُسُونَ ، لغير ناصب ولا جازم كما فعل بالحركة في أَشْرَبُ من قوله :
* فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبِ *

ولا يحفظ شيء من ذلك في الكلام إلا ما جاء في حديث خرَّجه
مسلم^(٢) في قتلى بدر ، حين قام عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فناداهم . . . الحديث . فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
« يارسول الله ، كيف يسمعون ، وَأَنَا يَجِيبُوا وَقَدْ جِئُوا^(٣) ! » ، فحذف
النون من يسمعون ويجيبون . انتهى .

(١) كذا في ش وضرائر ابن عصفور ١٠ ، وفي ط : « إذا ما » .

(٢) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، في باب عرض مقعد الميت من الجنة عليه وإثبات
عذاب القبر . ج ٨ ص ١٦٣ . وقد أخرجه كذلك النسائي في كتاب الجنائز ، كما أخرجه أحمد
١ : ٣/٤٧٢ ، ١٠٤ ، ١٧٢ ، ٢٢٠ ، ٦/٢٦٢ ، ١٧٠ .

(٣) ط : « أحيقوا » ، صوابه في ش وصحيح مسلم . وتام الحديث : « قَالَ : وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجِيبُوا . ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَحُجِبُوا فَالْتَقُوا
فِي قَلْبِ بَدْرِ » . وفي نسخة من مسلم كما في الحواشي : « كيف يسمعون وَأَنَا يَجِيبُونَ » . لكن حذف
النون هو الوارد في معظم النسخ المتعدة ، كما في الحواشي .

وهذا البيت لم أقف على قائله :

وقوله : « أبيت أسرى » إلخ ، أبيت مضارع بات بيتوته ومبيتاً ومباتاً ، ومعناه اختصاص الفعل بالليل ، كما اختص الفعل في ظلّ بالنهار . فإذا قلت بات يسرى ، فمعناه فعل السرى بالليل ، ولا يكون إلاّ مع سهر الليل . وأسرى : مضارع سريت الليل وسريت به سرياً ، والاسم السراية ، إذا قطعته بالسير . وجملة أسرى خبر بات . و (تدلّكى) دلكت الشيء دلّكاً من باب قتل ، إذا مرسته بيدك . ودلكت النعل بالأرض : مسحتها بها . وروى : (وجهك) بدل جلدك . والذكى : الشديد الرائحة . قال أبو القاسم البصرى (فى كتاب أغلاط الدينورى فى كتاب النبات) : يستعمل الذكاء أيضاً فى حدة الرائحة ، فيقال مسك ذكى بين الذكاء . ويستعمل أيضاً فيما أنتن فيقال منهما : رائحة ذكية ، وقد ذكت الرائحة تذكو ذكواً وذكاءً ، وهى فى الطيب أشهر ، وهم لها أكثر استعمالاً . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون^(١) بعد الستمائة^(٢) :

٦٣١ (كجوارى يلعبن بالصّحراء)

على أن ظهور الجرّ والتنوين على الياء ضرورة .

وقال فى شرح الشافية : وقوم من العرب يُجرّون الياء والواو مُجرى

(١) ش : « الواحد والثلاثون » والأفصح القلب ، أى إلحادى . وفى التصريح ٢ : ٢٧٧ : « وحكى الكسائى عن بعض العرب واحد عشر على الأصل ، فلم يلتزم القلب كل العرب » . وفى الأثنوى ٤ : ٧٧ : « وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم واحد عشر فشاذ نبه به على الأصل المرفوض . قال فى شرح الكافية : ولا يستعمل هذا القلب فى واحد إلا فى تنييف ، أى مع عشرة أو مع عشرين وأخواته » .

(٢) ابن عيش ١٠ : ١٠١ وشرح شواهد الشافية ٤٠٣ وأمالى الزجاجى ٨٣ .

الحرف الصحيح في الاختيار ، فيحركون ياء الرامى رفعاً وجراً ، وياء يرى رفعاً ، وكذا واو يغزو رفعاً . وأنشد هذه الأبيات وغيرها . والمشهور ما هنا .

قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : فيه ضرورتان : إحداهما إثبات الياء وتحريكها ، وكان حقّه أن يحذفها فيقول : كجوارٍ . والثانية أنّه صرف مالا ينصرف ، وكان الوجه لما أثبت الياء إجراء لها مجرى الحرف الصحيح أن يمنع الصرف فيقول كجوارى . انتهى . وهذا المصراع عجزٌ ، وصدّره :

* ما إن رأيتُ ولا أرى في مُدَّتِي * .

وإن زائدة مؤكّدة لما النافية ، وجملة (ولا أرى في مُدَّتِي) أى في عمرى ، معترضة بين أرى البصرية وبين مفعولها ، وهو الكاف من قوله كجوارٍ ، فإنّها اسميّةٌ ولا يصحّ جعلها حرفية ، فإنّ التقدير حينئذ ما رأيت نساء كجوارى ، وحذف الموصوف من مثل هذا لا ينطبق عليه ضابطه ، فإنّ الصّفة إذا كانت جاراً ومجروراً فلا بدّ لجواز حذف الموصوف أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، كما هو المعروف . ومفعول لا أرى محذوف ، أى مثلهن . والجوارى : جمع جارية ، وهى الشّابة . قال صاحب المصباح : الجارية السّفينة ، سمّيت بذلك لجريها في البحر ، ومنه قيل للأمة جارية على التشبيه ، لجريها مستسخرة في أشغال مواليتها . والأصل فيها الشّابة لخفتها . ثم توسّعوا حتّى سمّوا كلّ أمة جارية وإن كانت عجوزاً لا تقدر على السّعى ، تسميةً بما كانت عليه . والصحراء : البريّة والخلاء .

وقال ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصل) : والعامل^(١) في في والكاف على الاختلاف في توجيه العاملين (رأيت) الواقع ، دون أرى المتوقع . وإن جاز إعمال كل واحد منهما على الخلاف فيه ، لكن الأولى ما ذكرته ، لوجود الرؤية متحققة مع إعمال الأول ، وعدمها متوهمة مع إعمال الثاني . ويقوى ذلك زيادة إن مع ما . وموضع الكاف نصب ، وكذا موضع في أيضاً . هذا كلامه .

والبيت مع كثرة تداوله في كتب النحو واللغة لم أقف على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد السمائة^(٢) :

٦٣٢ (أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بَأْمٌ وَلَا أَبِ)

على أَنَّ النصب على الواو يقدر كثيراً لأجل الضرورة .

وأورده أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش (في كتاب المعايه) وقال : إنما جاز ذلك للشاعر لأنَّ الحركات مستثقلة^(٣) في حروف المدِّ واللين ، فلمَّا جاز إسكانها في الاسم في موضع الجرِّ والرفع أجرى عليه في موضع النصب أيضاً لمَّا أخبرتك به . انتهى .

وأورده ابن عصفور أيضاً (في كتاب الضرائر) وقال : حذف الفتحة من آخر أسمو إجراءً للنصب مجرى الرفع .

(١) ش : « العامل » .

(٢) كامل المبرد ٩٣ والمحتسب ١ : ١٢٧ وابن يعيش ١٠ : ١٠٠ ، ١٠١ والمفنى ٦٧٧ والبينى ١ : ٢٤٢ والأشموني ١ : ١٠١ وديوان عامر بن الطفيل ١٠ .

(٣) ط : « مستقلة » ، صوابه في ش .

صاحب الشاهد

والمصراعُ من أربعة أبياتٍ لعدوِّ الله عامر بن الطفيل ، على ما في ديوانه . وكانت كنيته في السُّلم أبو على ، وفي الحرب أبو عقيل ، وهي :

أبيات الشاهد

(وما سوَّدتني عامرٌ عن وِراثةِ أبى الله أن أسمو بأُم ولا أبِ
ولا شَرَفَتني كُنيَّةُ عربيَّةٍ ولا خالفتَ نفسى مكارمَ منصبي
ولكننى أحمى حِمَاها وأتقى أذاها ، وأرمى من رَمَاها بمنكبِ
وأتركها تسمو إلى كلِّ غايةٍ وتَفْخُرُ حيَّيْ مشرق بعد مغربِ)

قال جامع ديوانه : أراد تغلبُ حىَّ المشرق وحيَّ المغرب .

٥٢٨

وقوله : « وما سوَّدتني عامر » أى جعلتني سيِّد قبيلة بني عامر بالإرث عن آبائهم ، بل سُدَّتْهم بأفعالى . وقوله : « أبى الله » إلخ ، أبى له معنيان : أحدهما بمعنى كِرَّة ، وهو المراد هنا . والثانى بمعنى امتنع . و (أن أسمو) مفعوله . والسُّمُو : العلُو .

وهذا المصراع أورده ابن هشام (فى الباب الثامن من المغنى) قال فى القاعدة الأولى : قد يُعطى الشئُ حكمَ ما أشبهه فى معناه أو لفظه أو فيهما . فأمَّا الأوَّلُ فله صور كثيرة . إلى أن قال منها : العطف بولاً بعد الإيجاب ، فى نحو قوله :

* أبى الله أن أسمو بأُم ولا أبِ *

لما كان معناه قال الله لى : لا تسمو بأُم ولا أبِ . انتهى .

وقال العينى : الإباء : شدة الامتناع ، وأن أسمو مفعوله ، والتقدير : أبى الله سُمُوى وسيادتى بأُم ولا أبِ . وقوله (ولا أبِ) عطفٌ على قوله بأُم . وزاد كلمة لا تأكيداً للنفى . هذا كلامه فتأمله .

وأورده جامعُ ديوانه كذا :

• أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمِّي وَالْأَبِ •

فلا شاهد فيه على ما ذكره ابن هشام . واللام في الأب عوض عن المضاف إليه ، أى بأُمِّي وأبى .

وأورد المصراع أبو العباس المبرّد (في الكامل) في أبيات ثلاثة كذا :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ فَارِسٍ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْذَبِ
فَمَا سَوَّدَنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاقَةٍ أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ
وَلَكِنِّي أَحْمَى حِمَاها وَأَتَقَى أَذَاها وَأَرْمَى مَنْ رَمَاهَا بِمِقْنَبِ
قال أبو الحسن الأَخْفَشُ (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأبياتُ

الثلاثة أولها :

تقول ابنةُ العَمْرِىُّ مالكَ بعدما أراك صحيحاً ، كالسَّليمِ المَهْذَبِ
فقلتُ لها : هُمَّى الَّذِي تَعْلَمِينَهُ مِنَ الثَّأْرِ فِي حَيِّ زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ
إِنْ أَغْزُ زُبَيْدًا أَغْزُ قَوْمًا أَغْزَا مُرَكَّبِهِمْ فِي الْحَيِّ خَيْرَ مُرَكَّبِ
وإِنْ أَغْزُ حَيِّ خَشْعَمٍ فَمَاؤُهُمْ شِفَاءً ، وَخَيْرَ الثَّأْرِ لِلْمَتَاوَبِ
فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ بِأَجْرَدِ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمَشْدَبِ
وَأَسْمَرَ خَطًى وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ وَزَغَفَ دَلَاصٍ كَالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلَاحُ امْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ طَلُوبٌ لثَارَاتِ الرِّجَالِ مُطْلَبِ

فإني وإن كنتُ إلى آخر الأبيات الثلاثة .

قال الأَخْفَشُ : السَّليمُ : المَلْدُوغُ ، وقيل له سَلِيمٌ تَفَاوُلًا له بِالسَّلَامَةِ .
وَزُبَيْدٌ وَأَرْحَبٌ : قَبِيلَتَانِ مِنَ الْيَمَنِ . وَالثَّأْرُ : مَا يَكُونُ لَكَ عِنْدَ مَنْ
أَصَابَ حَمِيمَكَ مِنَ الثَّرَةِ . وَالمَتَاوَبُ : الَّذِي يَأْتِيكَ لَطْلُبُ ثَأْرِهِ عِنْدَكَ ،

يقال: آب يثوب، إذا رجع. والتأوب في غير هذا: السَّير بالنهار بلا توقُّف. والأوتار والأحقاد واحدُهما وتر وحِقد. والأجرد: الفرس المتحسّر الشعر^(١)، والضامر أيضاً. والعسيب: السَّعْفَة. والمشدَّب: الذي قد أخذ ما عليه من العَقْد والسَّلاء والخُوص. ومنه قيل للطَّويل^(٢) مشدَّب. وخطي: رمحٌ نسب إلى الخط، وهي جزيرة بالبحرين يقال إنَّها تنبت الرماح. وقال الأصمعي: ليست بها رماح ولكن سفينة كانت وقعت إليها فيها رماح وأرقيشت بها في بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح الخطيَّة: ثم عمَّ كلَّ رمح هذا النسب إلى اليوم. والزَّغف: الدُّروع الرقيقة الدقيقة النسيج^(٣). والمثوب: الذي تصفقه الرياح فيذهب ويحجى. وهو من ثاب يثوب إذا رجع. وإنما سمى الغدير غديرًا لأنَّ السيل غادره. ٥٢٩

وقد أورد العيني رواية الأَخفش وفسَّر جميع الأبيات وقال: الأوتار جمع وتر بالكسر: الجناية. والطاوى: ضامر البطن. والأسمر: الرُّمَح. والأبيضُ: السَّيف. والباتر: القاطع. والزَّغف، بفتح الزاي وسكون الغين المعجمة: جمع زَغَف بفتحيتين، وهي^(٤) الدرع الواسعة. ومَنكَب، بفتح الميم وكسر الكاف: أعوان العرفان، وقيل رأس العرفاء

(١) تحسر الوبر عن البعير، والشعر عن الحمار، إذا سقط. ومنه قوله:

تحسرت عقبة عنه فأنسلها
واجتاب أخرى حديدًا بعد ما ابتلا
وفي النسختين: «المتحسر» صوابه في الكامل.

(٢) في الكامل: «للطويل المرق».

(٣) الذي في الكامل: «والزَّغف: الدرع الرقيقة النسيج». والزَّغف لفظ مشترك بين المفرد والجمع، كما في اللسان. وفي القاموس: «درع زغف ودرع زغف أيضاً». ومثله «الفلك» مشترك بين المفرد والجمع أيضاً للسفينة والسفائن، وكذلك «الجنب» للواحد والجمع.

(٤) ش: «وهو».

مِن النُّكابة ، وهى العِرافة والنُّقابة . وروى بدله : « بمقنب » بكسر الميم
وفتح النون : جماعة الخيل والفرسان . انتهى المراد منه .
وترجمة عامر بن الطفيل تقدّمت فى الشاهد الثامن والستين بعد
المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد السائة ^(٢) :

٦٣٣ (كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرَقَ

أَيْدَى جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرَقَ)

على أَنَّ تسكين الياء من (أَيْدِيَهُنَّ) ضرورة ، والقياس فتحها .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة الحسن : ﴿ أَوْ يَعْفُو الَّذِي ﴾
ساكنة اللام : وسكون الواو من المضارع فى موضع النصب قليل ، وسكون
الياء فيه أكثر . وأصل السكون فى هذا إنما هو للألف لأنها لا تحرك
أبداً ، ثم شبهت الياء بالألف لقربها منها ، فجاء عنهم مجيئاً كالمستمر ،
نحو قوله :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَةِ أَيْدَى جَوَارٍ يَتْنُ نَاعِمَاتِ

وقال الآخر :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرَقَ *

وقال الآخر :

* يَا دَارَ هَنْدٍ عَفَتْ إِلَّا أَثَافِيهَا ^(٣) *

(١) الخزائن ٣ : ٨٠ - ٨٢ .

(٢) الخصائص ١ : ٢/٣٠٦ : ٢٩١ والمحتسب ١ : ١٢٦ ، ٢٨٩ والممددة

٢ : ١٩٣ وأمال المرتضى ١ : ٥٦١ وابن الشجرى ١ : ١٠٥ وشرح شواهد الشافعية ٤٠٥
وملحقات ديوان رؤية ١٧٩ .

(٣) البيت للحطيفة فى ديوانه ١١١ . وعجزة :

* بين الطوى فصارات فوادها *

وكان أبو العباس المبرّد يذهب إلى أَنَّ إِسْكَانَ هذه الياءِ في موضع النَّصْبِ من أَحْسَنِ الضَّرُورَاتِ ، وذلك لِأَنَّ الألفَ ساكنةً في الأَحْوَالِ كُلِّهَا ، فكذلك جُعِلَتْ هذه ، ثم شَبَّهَتْ الواوُ في ذلك بالياءِ ، فقال الأَخْطَلُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْهُوَ بِبَعْضِ حَدِيثِهَا
رَفَعْنَ وَأَنْزَلْنَ الْقَطِينَ الْمَوْلِدَا^(١)

وقال الآخر :

* أَبَى اللَّهُ- أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبٍ *

فعلى ذاك ينبغي أَنْ تُحْمَلَ قراءةُ الحسنِ : ﴿ أَوْ يَغْفُو الَّذِي ^(٢) ﴾ فقال ابن مجاهد : وهذا إِنَّمَا يكونُ في الوقف . فَأَمَّا في الوَصْلِ فلا يكون . وقد ذكرنا ما فيه . وعلى كُلِّ حالٍ فالفتحُ أَعْرَفُ . ١٥ .

وقال ابن الشجري (في أَماليه) : قال المبرّد : هذا من أَحْسَنِ الضَّرُورَاتِ لِأَنَّهُمْ أَلْحَقُوا حالةَ بحالَتَيْنِ ، يعني أَنَّهُم جعلوا المنصوبَ كالمجرور والمرفوع ، مع أَنَّ السكونَ أَخْفُ الحركات . ولذلك اعترضوا على إِسْكَانِ الياءِ في ذوات الياءِ من المركَّباتِ نحو مَعْدِيكَرْبَ وقالى قلا . ١٥ .

والبيتان من الرِّجْزِ نسبهما ابن رشيْق (في العمدة) إلى رُوْبَةِ بن العجَّاج ، ولم أَرهما في ديوانه .

وضمير أَيْدِيهِن لِلإِبِلِ . والقاع هو المكان المستوي . والفرق ، بفتح القاف الأولى وكسر الراء : الأَمْلَسُ . وجوار : بفتح الجيم : جمع جارية .

(١) ديوان الأَخْطَلِ ٩١ . رَفَعْنَ : أسرعن السير . أَنْزَلْنَ القَطِينَ ، أى أَنْزَلْنَ خَدَمَهُنَّ لئلا يَسْمُوا كلامهن .

(٢) من الآية ٢٣٧ في سورة البقرة .

ويتعاطين ، أى يناول بعضهنّ بعضاً . والورق : الدراهم . وفى التنزيل : ﴿ فابعثوا أحدكم بوريقكم هذه ^(١) ﴾ : كذا فى أمالى ابن الشجرى .

وقال الشريف المرتضى رحمه الله تعالى (فى أماليه) : القرق : ٥٣٠ الخشن الذى فيه الحصى . وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوار ^(٢) يلعبن بدرأهم . وخصّ الجوارى لأنهنّ أخفّ يداً من النساء . وقال آخرون : القرق هنا المستوى من الأرض الواسع . وإنما خصّ بالوصف لأنّ أيدي الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمداً لها ، وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها ^(٣) .

تتمّة

أورد الشّارح المحقق بعد هذا الشعر المثلّ المشهور : « أعط القوسَ باربها » ، وقال : قد يقدر نصب الياء فى السّعة أيضاً . وذكر المثل ، فإنّ باربها مفعول أعط ، وهو ساكن الياء . وهو فى هذا تابع للزمخشريّ (فى المفضل) . قال الميدانى (فى أمثاله) : أى استعنّ على عملك بأهل المعرفة والجدق فيه . ويُشدد :

يا بارى القوس برياً لست تحسّنها لا تُفسدنها وأعط القوسَ باربها
قال شارح أبياته ابن المستوفى : قرأته على شيخنا أبى الحرم مكّيّ
ابن ريان (فى الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى) : أعط
القوس باربها بفتح ، وكان فى الأصل « ليس يُحسنه » فأصلحه وجعله

(١) من الآية ١٩ فى سورة الكهف .

(٢) وكذا فيما نقل عنه البغدادى فى شرح شواهد الشافية . لكن الذى فى أمالى المرتضى : « شبه حذف مناسمهن له بخذف جوار » بالخاء المعجمة فى الموضعين ، وكلاهما صواب وإن كان استعمال الخاء المعجمة فى سير الإبل هو الأكثر فى الاستعمال .

(٣) أى أشدّ إجهاداً . وفى أمالى المرتضى : « فهو أحمداً لها » ، وما هنا صوابه .

« برياً لست تحسنها » وهو كذلك في نسخ كتاب الميداني . ولعلّ الزمخشري إنما أراد بالمثل آخر هذا البيت المذكور ، فأورده على ما قاله الشاعر ، لا على ما ورد من المثل في النثر ، فإنه ليس بمحلٍّ ضرورة .
ويُروى :

يابارِىَ القوسَ برياً ليس يصلحُه لا تظلمِ القوسَ وَاَعْطِ القوسَ بارِيا
والأوّلُ أصحّ . ويجوز أن يسكن ياء باريا وإن كان مثلاً برأسه ، على ما تقدّم تعليقه . ٥١ .

والمشهور تسكين يائه .

وقد أورده الزمخشري (في أمثاله) وقال : قيل إنّ الرواية عن العرب : « باريا » بسكون الياء لا غير . يُضْرَبُ في وجوب تفويض الأمر إلى من يحسنه ويتمهر فيه . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السّمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٦٣٤ (فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مَسْتَحْبِبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِغِلْ)
على أنّه يقدر في الضرورة رفع الحرف الصحيح ، كما في أَشْرَبُ
فإنّ الباء حرفٌ صحيحٌ وقد حذف الضمة منه للضرورة .

قال سيبويه : وقد يسكن بعضهم في الشعر ويُسَمَّى ، وذلك قول امرئ القيس :

(١) في كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر النوادر ٣١٣ والخصائص ١ : ٢/٧٤ : ٣١٧ ،
٣/٣٤٠ : ٩٦ والمختصّب ١ : ١٥ ، ١١٠ وابن عيش ١ : ٤٨ والمقرب ١١٦ وشدور
الذهب ٢١٢ والتصريح ١ : ٨٨ والجمع ١ : ٥٤ وديوان امرئ القيس ١٢٢ ، ٢٥٨ .

فاليوم أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ . . . البيت

قال الأعلم : الشاهد فيه تسكين الباء من قوله أَشْرَبُ في حال الرفع والوصل . ٥١ .

وقال ابن جنى (في المحتسب) : اعتراض أبي العباس المبرّد هنا على الكتاب إنّما هو على العرب لا على صاحب الكتاب ، لأنّه حكاه كما سمعته ، ولا يمكن في الوزن أيضاً غيره . وقول أبي العباس : إنّما الرواية : فاليوم فاشرب ، فكأنّه قال لسيبويه : كذبت على العرب ولم تسمع ما حكيتّه عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحدّ من السّرف فقد سقطت كلّفة القول معه . وكذلك إنكاره عليه أيضاً قول الشاعر :

* وقد بدا هنك من المئزر^(١) *

فقال : إنّما الرواية :

* وقد بدا ذاك من المئزر *

و « ما أطيب العرس لولا النّفقة^(٢) » . ولو كان إلى الناس تخير

ما يحتمله الموضع لكان الرجل أقوم من الجماعة به ، وأوصل إلى ٥٣١ المراد منه . ٥١ .

ووقع في نسخ الكامل للمبرّد :

* فاليوم أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ *

فلا شاهد فيه على هذا . ورواه أبو زيد (في نوادره) كرواية المبرّد :

(١) للأقشير . وقد سبق في الشاهد ٣٣٠ .

(٢) وكذا في المحتسب . وسبق في ٤ : ٤٨٥ : « ما أطيب العروس » . والعرس بالكسر والعروس : الزوجة . والعرس ، بالضم : طعام الوليمة في الإملاك .

« فاليوم فاشرب » قال أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادره) :
 الرواية الجيدة « فاليوم فاشرب » و « اليوم أسقى » . وأما رواية من روى
 « فاليوم أشرب » فلا يجوز^(١) عندنا إلا على ضرورة قبيحة ، وإن كان
 جماعة من رؤساء النحويين قد أجازوا . اهـ .

وهو في هذا تابع للمبرد .

وأورده ابن عصفور (في كتاب الضرائر) مع أبيات مثله وقال :
 ومن الضرورة حذف علامتى الإعراب : الضمة والكسرة ، من الحرف
 الصحيح تخفيفاً ، إجراءً للوصول مجرى الوقف ، أو تشبيهاً للضمة
 بالضمة من عَضُدٍ ، وللكسرة بالكسرة من فخذ وإِبِلٍ ، نحو قول امرئ
 القيس في إحدى الروايتين :

• فاليوم أشرب غير مستحب •

إلى أن قال : وأنكر المبرد والزجاجي التسكين في جميع ذلك ، لما فيه
 من إذهاب حركة الإعراب ، وهى لمعنى ، وروياً موضع فاليوم أشرب :
 « فاليوم فاشرب » . والصحيح أن ذلك جائز سماعاً وقياساً .

أما القياس فإن النحويين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الإعراب
 للإدغام ، لا يخالف فى ذلك أحد منهم . وقد قرأت القراء : ﴿ مالك
 لا تَأْمَنَّا ﴾^(٢) بالإدغام ، وخط فى المصحف بنون واحدة فلم ينكر ذلك
 أحد من النحويين . فكما جاز ذهابها للإدغام فكذلك ينبغى أن لا يُنكَر
 ذهابها للتخفيف .

وأما السماع فثبوت التخفيف فى الأبيات التى تقدمت ، وروايتها

(١) وكذا فى ملحقات نوادر أبى زيد ٣١٤ . وفى ش : « فلا تجوز » بالتاء .

(٢) الآية ١١ من سورة يوسف .

بعض تلك الآبيات على خلاف التخفيف لا يُقدح في رواية غيرهما .
 وأيضاً فإن ابن محارب قرأ : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾^(١) بإسكان التاء .
 وكذلك قرأ الحسن^(٢) : ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾^(٣) بإسكان الدال . وقرأ
 أيضاً مسلمة ومُحارب : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾^(٤) بإسكان الدال . وكان الذي
 حسن مجيء هذا التخفيف في حال السَّعة شدة اتصال الضمير بما قبله
 من حيث كان غير مستقل بنفسه : فصار التخفيف لذلك كأنه قد
 وقع في كلمة واحدة . والتخفيف الواقع في الكلمة نحو عَضُدٍ في عَضُدٍ
 سائغ في حال السَّعة ، لأنه لغة لقبائل ربيعة : بخلاف ما شبه به من
 المنفصل ، فإنه لا يجوز إلا في الشعر . فإن كانت الضمة والكسرة اللتان
 في آخر الكلمة علامتي بناء اتَّفَقَ النحويون على جواز حذفهما في الشعر
 تخفيفاً . انتهى ما أردنا منه .

وما نقله عن الزجاج مذكور (في تفسيره) عند قوله تعالى :
 ﴿ فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾^(٥) من سورة البقرة قال : والاختيار ما روى عن
 أبي عمرو أنه قرأ : ﴿ إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ بإسكان الهمزة . وهذا رواه سيبويه
 باختلاس الكسر ، وأحسب أن الرواية الصحيحة ما روى سيبويه فإنه
 أضبط لما روى عن أبي عمرو . والإعراب أشبه بالرواية عن أبي عمرو ،
 ولأن حذف الكسر في مثل هذا وحذف الضم إنما يأتي باضطرار من
 الشعر . وأنشد سيبويه وزعم أنه مما يجوز في الشعر خاصة :

(١) الآية ٢٢٨ من البقرة .

(٢) ط : « أبو الحسن » صوابه في ش . على أني لم أجد من نسب هذه القراءة إلى الحسن .
 بل هي قراءة الأعشى ، في المحتسب ١ : ١٩٩ وشواذ القرآن لابن خالويه ٢٩ وتفسير أبي حيان
 ٣ : ٣٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٤ .

(٣) الآية ١٢٠ من سورة النساء و ٢٧ من سورة الإسراء .

(٤) الآية ٧ من سورة الأنفال .

(٥) الآية ٥٤ من سورة البقرة .

* إذا اعوجَجْنَ قلتُ صاحبُ قومٍ^(١) *

بإسكان الباء . وأنشد أيضاً :

* فاليوم أشربُ غيرَ مستحَقِّبِ *

فالكلام الصحيح . أن يقول : يا صاحبُ أَقبل ، أو يا صاحبِ أَقبل ،
ولا وجه للإسكان . وكذلك : اليوم أشربُ يا هذا . وروى غير سيوييه
هذه الأبيات على الاستقامة ، وما ينبغي أن يجوز في الكلام والشعر .
روَوْا هذا البيت على ضربين :

٥٣٢

* فاليوم أُسْقَى غيرَ مُستحَقِّبِ *

ورَوْوا :

* إذا اعوجَجْنَ قلتُ صاحِ قومٍ^(٢) *

ولم يكن سيوييه ليروى إلا ما سمع ، إلا أن الذي سمعه هؤلاء
هو الثابت في اللغة . وقد ذكر سيوييه أن القياس غير الذي روى . اهـ .
والبيت من قصيدة لامرئ القيس . قال عبد الرحمن السَّعْدِيُّ (في
كتاب مساوى الخمر) :

غزا امرؤ القيس بنى أسدٍ ثائراً بآبيه ، وقد جمع جموعاً من حِميرَ
وغيرهم من ذُوبان العرب وصعاليكها ، وهربَ بنو أسدٍ من بين يديه
حتى أنصوا الإبل وحسروا الخيل ، ولحقهم فظفر بهم ، وقتل بهم

(١) لأبي نخيلة الأعرابي . معجم الشواهد ٥٤٠ . وفي النسختين هنا وفي الموضع التالي :
« قومي » ، صوابه من سيوييه .

(٢) في النسختين : « قومي » . وانظر ما سبق .

مقتلة عظيمة ، وأَبَار^(١) حُلْمَةَ بنِ أَسَد^(٢) ، ومَثَل في عمرو وكاهل ابني أَسَد .

وذكر الكلبي عن شيوخ كندة أَنَّهُ جعل يسْمَلُ أَعْيَنَهُم ، ويُحِمِّي الدُرُوعَ فيلبسهم إِيَّاهَا .

وروى أَبُو سعيد السكريُّ مَثَلَ ذلك ، وَأَنَّهُ ذبحهم على الجبل ، ومزج الماءَ بدمائهم إلى أَنْ بلغ الحضيض ، وأصاب قوماً من جُذَامٍ كانوا في بني أَسَد . وفي ظَفَرِهِ ببني أَسَد يقول :

قولا لدودان عبيد العصا	ما غرَّكم بالأسدِ الباسِلِ
لا تسقيني الخمر إن لم يروا	قتلى فتاماً بأبي الفاضل ^(٣)
حتى أُبِيرَ الحي من مالك	قتلاً ومن يشرف من كاهل
ومن بنى غنم بن دودان إذ	يُقَذَفُ أعلامهم على السافل ^(٤)
نعلوهم بالبييض مسنونة	حتى يروا كالخشب الشائل
حلَّت لي الخمرُ وكنت امرأ	من شربها في شغلٍ شاغلٍ
فاليومَ أشرب غير مستحقب	إثماً من الله ولا واغل ^(٥)

قوله : « لدودان عبيد العصا » دودان بالضم ، هو ابن أَسَد بن خزيمة ، وأراد القبيلة . وكان أَبُو امرئ القيس إذا غَضِبَ على أحدٍ منهم ضربوه

(١) ش : « وأباد » . والإبارة والإبادة سيان ، كلاهما بمعنى الإهلاك . وانظر البيت الثالث من المقطوعة التالية .

(٢) حلمة ، بضم الحاء ، كما في مختلف القبائل لابن حبيب ٢٤ . وانظر جهرة ابن حزم ١٩٠ والمقد ٣ : ٣٤٠ . وهم حلمة بن أَسَد بن خزيمة .

(٣) في الديوان ٢٥٧ : « لا تسقي الخمر إن لم يروا » .

(٤) في الديوان : « إذ تقذف أعلامهم » .

(٥) في الديوان : « فاليوم فاشرب » .

بالعصا ، فَسُمُوا عبيد العصا: أى يُعْطُونَ على الضَّرْب والهُوان . وأَرَادَ
بالأسد الباسل أباه . والفِثَام: بكسر الفاء بعدها همزة ممدودة: الجماعة^(١) .

وأبِير : أَفْنَى . ومالك هو ابن أسد . وأَرَادَ بِنَ يَشْرَف من كاهل
عِلْبَاءِ بَنِ الحارث ، من بنى كاهل بن أسد .

وقوله : يُقَذَّف ، أى يُرْمَى بعضهم على بعض إذا قُتِلُوا . والمسنونة :
المحددة . والشائل : الساقط .

وقوله : « حَلَّتْ لى الخمر » إلخ قال السعدى (فى مساوى الخمر) :
إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَاضِرَ قَتْلِ أَبِيهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَقْصَاهُ لِأَنَّهُ كَرِهَ
مِنْهُ قَوْلَ الشَّعْرِ ، وَإِنَّمَا جَاءَهُ الْأَعْوَرُ الْعَجَلَى بِخَبْرِهِ وَهُوَ يَشْرِبُ فَقَالَ :
« ضَيْعَنَى صَغِيرًا ، وَحَمَلَنَى ثِقْلَ الثَّأْرِ كَبِيرًا . الْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ .
لَا صَحْوَ الْيَوْمِ وَلَا سُكْرَ غَدًا » . ثُمَّ شَرِبَ سَبْعًا ، ثُمَّ لَمَّا صَحَا حَلَفَ أَنْ
لَا يَغْسَلَ رَأْسَهُ وَلَا يَشْرَبَ خَمْرًا حَتَّى يَدْرِكَ ثَأْرَهُ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « حَلَّتْ لى
الخمر » . وَهَذَا مَعْنَى مَا زَالَتِ الْعَرَبُ تَطْرُقُهُ . قَالَ الشَّنْفَرَى يَرْتَى خَالَه تَابِطَ
شَرًّا^(٢) ، وَيَذْكُرُ إِدْرَاكَهُ ثَأْرَهُ ، مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

فَادْرَكْنَا الثَّأْرَ فِيهِمْ وَلَمَّا يَنْجُ مِنْ لِحْيَانِ إِلَّا الْأَقْلُ
حَلَّتْ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبِلَايٍ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ^(٣)

وَأَفْهَمَ أَنَّهِمْ إِنَّمَا حَرَمُوا الْخَمْرَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي مَدَّةٍ طَلِبَهُمْ ، لِأَنَّهَا
مَشْغَلَةٌ لَهُمْ عَنْ كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الشُّهْرَةِ^(٤) . ٥١ .

٥٣٣

(١) لا واحد له من لفظه .

(٢) عند التبريزى فى شرح الحماسة . « قال ابن أخت تابط شرأ » . وروى هذا الشعر أيضاً
لخلف الأحمر . انظر التبريزى ٢ : ٣١٣ والمرزوق ٨٢٧ .

(٣) بلاى : أى بعد جهد ومشقة . ط : « وبلاى » ، صوابه فى ش والحماسة . وفى ط
أيضاً : « يحلى » صوابه بالتاء كما فى ش والحماسة وأمال المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٤) ش : « وإقبال على الشهرة » .

قال إسماعيل بن هبة الله الموصلي (في كتاب الأوائيل) أول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس في هذا الشعر . . وأما قول أبي نواس :
 في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر
 فكان نذر لا يشرب حتى يظفر بمن يهوى ، فلما ظفر به وشرب قال هذا البيت . وكذا أيضاً قول البحتري :

حتى نحل ، وقد حلّ الشراب لنا جنات عدن على الساجور ألفافاً^(١)
 فإنه نذر أن لا يشرب خمراً حتى يصير إلى بلده ، فلما صار إليه حلّ
 له الشراب . ١٠ هـ .

وبيت أبي نواس ، قبله :

ظلت حمياً الكاس تبسطننا حتى تهتك بيننا السر

قال السيد المرتضى ، قدس الله روحه (في أماليه) : قوله : « وحلت الخمر^(٢) » يحتمل أن ما وصف به من طيب الموضع^(٣) وتكامل السرور به وحضور المأمول فيه^(٤) ، صار مقتضياً لشرب الخمر ، وملجئاً إلى تناولها ، ورافعاً للخرج فيها ، على مذهب الشعراء في المبالغة . وتكون فائدة وصفها بأنها حلت ، المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب . ويحتمل أيضاً أن يكون عقد على نفسه وآلى أن لا يتناول الخمر إلا بعد

(١) من قصيدة له في ديوانه ١٣٨٢ تحقيق الصيرفي ، يمدح بها أبا جعفر الطائي . وضمير « تحل » عائده إلى « الخيل » في بيت سابق ، وهو :

أزاجر أنا جرد الخيل أجشمها سيراً إلى الشام لغذاذاً وإيجافاً
 جنات ألفاف يلتف : بعض شجرها ببعض . والساجور : نهر ينبع من الشام .

(٢) ط : « حلت لي الخمر » ، صوابه في ش ، وذلك لأن المرتضى إنما يعلق على بيت أبي نواس : « في مجلس ضحك السرور » . وانظر أمال المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٣) ط : « الموضع » ، صوابه في ش وأمالي المرتضى .

(٤) في بعض أصول الأمالي : « وحصول المأمول فيه » .

الاجتماع مع محبوبه ، فكان الاجتماع معه مُخرجاً عن يمينه ، على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بشأْرهم . ويحتمل أيضاً أن يريد بحلَّت : نزلت وأقامت ، من الحلول الذي هو المُقام لا من الحلال ، فكأنَّه وصف [بلوغ^(١)] جميع آرابه ، وحضور فنون لذاته ، وأنها تكاملت بحلول الخمر التي فيها جماع اللذات . وهذا الوجه وإن لم يُشر إليه^(٢) فالقول يحتمله . ولا مانع من أن يكون مراداً . وقد قيل إنه أراد : إذا استحللنا الخمر سكرنا^(٣) ، وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام . والوجه المتقدم أشبه وأقرب إلى الصواب . ١ هـ .

وقوله : « فاليوم أشرب » إلخ غير حال من ضمير أشرب . (والمستحب) : المكتسب ، وأصله من استحب : أى وَضَعَ في الحقيبة ، وهي خُرْج يُربط بالسرج خلف الراكب . (وإثما) مفعول مستحب . كأن شربها بعد وفاء النذر لا إثم فيه بزعمه . و (واغل) معطوف على مستحب ، والواغل : الذي يأتى شراب القوم من غير أن يدعى إليه ، وهو مأخوذ من الوغول وهو الدخول . ومعناه أنه وَغِل في القوم وليس منهم . وترجمة امرئ القيس تقدمت في الشاهد التاسع والأربعين^(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الستمائة^(٥) :

(١) التكلة من آمالي المرتضى فقط .

(٢) في الأمالي : « وإن لم يشر إليه أحد من تقدم » .

(٣) ش : « أنا استحللنا الخمر » ، صوابه في ط . على أن الذي في الأمالي : « إنه أراد

استحللنا الخمر لسكرنا » .

(٤) الخزائن ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٥) الخصائص ١ : ٣٠٧ والمنصف ٢ : ١١٥ وسر الصناعة ١ : ٨٩ والمختص

١٣ : ١٤/٢٥٨ ٩ : والإنصاف ٢٦ وابن يعيش ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٦ والمتع ٥٣٨ وشرح

شواهد الشافية ٤٠٩ : والتصريح ١ : ٨٧ والعين ١ : ٢٣٦ والمجمع ٢ : ٥٢ وملحقات ديوان

رؤبة ١٧٩ .

٦٣٥ (وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلِّقِ)

على أَنَّ حرف العلة قد لا يحذف للجازم في الضرورة .

قال أبو علي (في إيضاح الشعر) في باب ما كان لامه من الأفعال حرف علة : قال الشاعر :

هجوت زَبَانَ ثم جئتَ معتذراً من هجو زَبَانَ لَمْ تهجو ولم تدع
وقال :

* أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي ^(١) *

وقال آخر :

* مَا أَنَسَ لَا أَنَسَاهُ آخِرَ عِشْيَ ^(٢) *

هذه الحروف قد تحذف في موضع الجزم في الاختيار ، كما تحذف ^(٣) هذه الحروف قد تحذف في موضع الجزم في الاختيار ، كما تحذف ^(٣) النون في التثنية والجمع وفعل المؤنثة المخاطبة . وربما لم تحذف في الشعر . فقدّر الشاعرُ في الواو والياء الحركة كالآبيات التي قدّمناها ، فتشبه الألف بالياء في نحو لا أنساه في البيت ، ونحو قوله :

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِ وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلِّقِ

ويدلُّ على تقدير الشاعر الحركة في الياء والواو وحذفها في الضرورة أَنَّ سيبويه ^(٤) زعم أَنَّ أعرابياً أفصحَ الناس من كُليب ، أنشد لجربير :

فِيَوْمًا يُؤَافِقِينَ الْهُوَى غَيْرَ مَاضِيٍّ وَيَوْمًا تَرَى مِنْهُمْ غَوْلًا تَغُولُ

هـ . وكذا قال ابن جني (في سر الصناعة ، وفي الخصائص) ، وشرحه

(١) لقيس بن زهير ، وهو الشاهد التالي .

(٢) أمالي ابن السجري ١ : ٨٦ . وفي ش : « عيشي » تحريف .

(٣) ط : « كما حذفت » ، وأثبت ما في ش .

(٤) في كتابه ٢ : ٥٩ .

شرحاً واضحاً (في شرح تصريف الماضي) . وزاد (في سر الصناعة) أن بعضهم رواه على الوجه الأعرف :

* ولا ترضَّها ولا تملِّقِ *

قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : ينبغي أن تجعل لا في قوله « ولا ترضَّها » نافية ، والواو فيه للحال ، مثلها في قُنتُ وأصكُ وجهه ، فيكون المعنى إذا ذاك : فطلَّقتها غير مترَضٍّ لها ، ويكون قوله ولا تملِّقِ جملةً نهي معطوفةً على جملة الأمر التي هي طلَّقْ . ولا ينبغي أن تجعل لاحرف نهي ، لأنها لو كانت للنهي لوجب حذف الألف من ترضَّها . اهـ . وينبغي أن يكون على هذا جملة « لا ترضَّها » خبر مبتدأ محذوف ، أي وأنت لا ترضَّها .

صاحب الرجز والبيتان من رجز لرؤبة بن العجاج . وبعده :

واعمِدْ لأخرى ذاتِ دلٍّ مونقٍ لينقِ المسَّ كمسَّ الخرنقِ

هكذا أورده أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) .

وقوله : « إذا العجوزُ غضبت » روى أيضاً : « كبرت » بدل غضبت . والترضى والاسترضاء بمعنى . قال الجوهري : يقال تملَّقه وتملَّق له تملُّقا وتِمْلَاقاً ، أي تودد إليه وتلطَّف له . واعمِد بمعنى اقصد . والدَّلُّ بفتح الدال ، بمعنى الدلال والغُنَج . ومونق : اسم فاعل من أنق الشيء أنقاً من باب تعب ^(١) ، أي راع حسنه وأعجب . والخرنق بكسر الخاء المعجمة والنون وسكون الراء بينهما : ولد الأرنب .

وترجمة رؤبة تقدِّمت في الشاهد الخامس من أول الكتاب ^(٢) .

* * *

(١) كذا . والصواب أنه من أنق الشيء إيناقاً ، أي أعجبى .

(٢) الخزائن ١ : ٨٩ - ٩٣ .

وَأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ السِّتَائَةِ [وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س^(١)] :

٦٣٦ (أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْجِي)

لَمَّا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ .

وَأُورِدَهُ سَبِيوِيهِ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ عَلَى أَنَّهُ أَثْبَتَ الْبَاءَ فِي حَالِ الْجَزْمِ ضَرُورَةً ، لِأَنَّهُ إِذَا اضْطُرَّ ضَمَّهَا فِي حَالِ الرِّفْعِ تَشْبِيهًا بِالصَّحِيحِ .
قَالَ الْأَعْلَمُ : وَهِيَ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ ، فَاسْتَعْمَلَهَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ . هـ .

وَهَذَا قَوْلُ الزَّجَاجِيِّ (فِي الْجَمَلِ) ، وَتَبِعَهُ الْأَعْلَمُ .

قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ (فِي شَرْحِ أَبْيَانِهِ) : وَقَوْلُهُ إِنَّهُ لُغَةٌ خَطَأٌ .

وَمِثْلُهُ لِلصَّفَّارِ (فِي شَرْحِ الْكِتَابِ) قَالَ : إِثْبَاتُ حُرُوفِ الْعِلَّةِ فِي الْمَجْزُومِ ضَرُورَةٌ ، نَحْوُ : أَلَمْ يَأْتِيكَ . وَقِيلَ إِنَّهُ لُغَةٌ ؛ يَعْرَبُ بِحُرُكَاتٍ مَقْدَرَةٍ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَيْسَ لُغَةً ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ قَالِهِ غَيْرُ الزَّجَاجِيِّ ، وَلَا سَنَدٌ لَهُ فِيهِ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَعْرَبٍ بِحُرُكَاتٍ مَقْدَرَةٍ أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ لَمْ أَخْشَى^(٢) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ فِيهِ حُرُوكَةٌ بِوَجْهِ ، بِخِلَافِ الْبَاءِ . فَإِنْ قُلْتَ : أَنَّهُ سَمِعَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى^(٣) ﴾ ، وَقَوْلُهُ :

٥٣٥

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِ الْبَيْتِ

(١) التَّكْلَةُ مِنَ الشَّنْقِيطَةِ ، وَانْظُرْ سَبِيوِيهِ ١ : ٢/١٥ : ٥٩ : وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ٢٠٣ وَالْجَمَلُ ٣٧٣ وَالْخَصَائِصُ ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٧ وَالمَحْتَسَبُ ١ : ٦٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ وَالْمَنْصَفُ ٢ : ٨١ ، ١١٤ ، ١١٥ وَسِرُّ الصَّنَاعَةِ ١ : ٨٨ وَأَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١ : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٥ وَالْإِنْصَافُ ٣٠ وَابْنُ عَيْشٍ ٨ : ١٠/٢٤ : ١٠٤ وَالْمَقْرَبُ ٤ : ٤٣ وَالْمَغْنَى ١٠٨ ، ٣٨٧

(٢) ش : « لَمْ أَخْشَى » .

(٣) الْآيَةُ ٧٧ مِنْ سُورَةِ طه . وَهَذِهِ هِيَ قِرَاءَةُ حِزَّةٍ وَالْأَعْمَشُ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى . تَفْسِيرُ

أَبِي حَيَّانٍ ٦ : ٢٦٤ وَإِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ٣٠٦ .

قلت : لا دليل فيه كما زعمت ، لأنَّ الأول مقطوع ، أى وأنت لا تخشى ، أى فى هذه الحال . وكذا ولا ترضّاها ، أى طلقها وأنت لا تترضّاها ، ثم قال ولا تملّق ، فلا دليل فيه . ١ هـ .

وقال ابن خلف: هذا البيت أنشده سيبويه فى باب الضّرورات ، وليس يجب أن يكون من باب الضّرورات ، لأنّه لو أنشد بحذف الياء لم ينكسر ، وإنّما موضع الضرورة ما لا يجد الشاعر منه بداً فى إثباته ولا يقدر على حذفه لثلاً ينكسر الشعر ، وهذا يسمّى فى عروض الوافر المنقوص ، أعنى إذا حذف الياء من قوله : « ألم يأتيك » .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنّ ما فسرّ به الضرورة مذهب مرجوح . والتحقيق عند المحققين أنّها ما وقع فى الشعر سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا .

وقال ابن جنى (فى فصل الهزة من سرّ الصناعة) : رواه بعض أصحابنا : « ألم يأتك » على ظاهر الجزم ، وأنشده أبو العباس عن أبي عثمان عن الأصمعيّ :

* ألا هل أتاك والأنباء تنمى * ١ هـ .

فالأول فيه الكفّ ، والثانى فيه نقل حركة الهزة من أتاك إلى لام هل وحذفها . ورواه بعضهم :

* ألم يبلغك والأنباء تنمى *

فلا شاهد فيه على الروايات الثلاث .

والبيت أورده ابن هشام (فى موضعين من المغنى) :

أحدهما : فى الياء قال : الياء فى قوله بما زائدة فى الضرورة . وقال

ابن الضائع : الباء متعلّقة بتَنَمَّى وإنَّ فاعلَ يأتى مضمر ، والمسألة من باب الإعمال^(١) .

وثانيهما : فى الجملة المعترضة من الباب الثانى ، قال : جملة والأنباء تنمى معترضة بين الفعل والفاعل ، على أَنَّ الباء زائدة فى الفاعل . ويحتمل أَنَّ يأتى وتنمى تنازعا ، فاعل الثانى وأضمر الفاعل فى الأوّل ، فلا اعتراض ولازيادة . ولكن المعنى على الأوّل أوجه ، إذ الأنباء من شأنها أن تنمى بهذا وبغيره . ١٠ هـ .

يريد أن يأتى وتنمى تنازعا قوله بما ، والأوّل يطلبه للفاعلية ، والثانى يطلبه للمفعولية ، فاعل الثانى على المختار ، وأضمر الفاعل فى الأوّل وهو ضمير ما لاقت .

وقال الأعم ، وابن السجى (فى أماليه) : الباء زائدة بمنزلتها فى : ﴿ كَتَبَ بِاللّهِ شَهِيداً^(٢) ﴾ . وحسن دخولها فى ما أَنَّها مبهمّة مبنية كالحرف ، فأدخل عليها حرف الجر إشعاراً بأنّها اسم ، والتقدير : ألم يأتىك مالاقت . ويجوز أن تكون متصلة بياتيك على إضمار الفاعل ، فيكون التقدير : ألم يأتىك النبأ بما لاقت . ودلّ على النبأ قوله : «والأنباء تنمى» أى تشيع . وأصله من نعى الشئ ينمى ، إذا ارتفع وزاد . ١٠ هـ .

وعلى هذا لاتنازع . وفيه الاعتراض بالجملة . وقول ابن هشام إنَّ زيادة الباء هنا ضرورة هو قول ابن عصفور ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة حرف الجر فى المواضع التى لاتزاد فيها فى سعة الكلام ،

(١) يعنى باب التنازع .

(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء .

نحو: أَلَمْ يَأْتِيكَ . البيت فزاد الباء في فاعل يَأْتِي ، وزيادتها لا تنقاس في سعة الكلام إِلَّا في خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى ومفعوله ، وفاعل أَفْعِلْ بمعنى ما أَفْعَلَهُ . وما عدا هذه المواضع لا تُزاد فيه الباء إِلَّا في ضرورة ، أو شاذٍ مِنَ الكلام يُحْفَظ ولا يقاس عليه . ١٥٠ .

وقال ابن جنى (في المحتسب) : زاد الباء في « بما لاقت » لَمَّا كان معناه : أَلَمْ تسمع ما لاقت لبونهم .
هذا كلامه ، وكأنه على التضمين . وفيه بعد .

وقال ابن المستوفى ، وابن خلف : ويجوز أن يكون « لبون » فاعل يَأْتِي على تقدير مضاف ، أى أَلَمْ يَأْتِيكَ خبر لبونهم ، ويكون في لاقت ضميرٌ يعود إلى لبون ، ويكون لبون في نيّة التقديم . وعلى هذا تكون الباء متعلّقة بيأتى ، وفيه التنازع على إعمال الأوّل على خلاف المختار . وفيه تعسف لتقدير المضاف في الأوّل وعدمه في الثانى . والكاف في يَأْتِيكَ لمخاطب غير معيّن ، أى يا من يصلح للخطاب . و (الأنبياء) : جمع نبأ وهو خبرٌ له شأن . و (اللّبون) قال أبو زيد : هى من الشاء والإبل^(١) : ذات اللبن ، غزيرة كانت أم بكيسة . فإذا قَصَدُوا قَصَدَ الغزيرة قالوا لبنة . وقال ابن السّيد ، وتبعه ابن خلف : اللّبون : الإبل ذوات اللبن ، وهو اسمٌ مفرد أراد به الجنس .

وبنو زياد هم الكملة : الربيع ، وعمارة ، وقيس ، وأنس ، بنو زياد ابن سفيان بن عبد الله العبسى . وأمهم فاطمة بنت الخُرْشُب الأثماريّة . والمراد لبون الربيع بن زياد : فإنّ القصّة معه فقط كما يأتى بيانها .

(١) ش : « هى من الإبل والشاء » .

كما يقال: بنو فلان فعلوا كذا ، إذا كان الفاعل بعضهم ، وأسند الفعل إلى الجميع لرضاهم بفعل البعض .

ومثل هذا البيت قول عُفَيْف بن المنذر ^(١) :

ألم يأتيكَ والأنباءُ تنعى بما لاقت سَراةُ بني تميم
تَداعَى من سَرَاتهمُ رجالٌ وكانوا في النوائِرِ والصِّمِ ^(٢)

والبيت أول أبيات لقيس بن زهير بن جَذِيمَة بن رَوَاحَة العبسي ، وكان سَيِّدَ قومه ، ونشأت بينه وبين الربيع بن زياد العبسي شَحْناء في شأن درعٍ ساومه فيها ، ولَمَّا نظر إليها وهو على ظهر فرسه وضعها على القَرَبُوس ثم ركض بها فلم يردّها عليه ، فاعترض قيسُ بنُ زهير أمَّ الربيع : فاطمة بنت الخُرشب المذكورة ، في ظعنٍ من بني عبس ، فاقتاد جملها ، يريد أن يرتنها بدرعه ، فقالت له : ما رأيتُ كالיום قطُّ فِعْلَ رجل ! أين ضلَّ جِلمك ياقيس ؟ أترجو أن تصطَلح أنت وبنو زياد أبداً وقد أخذتَ أمهم فذهبتَ بها يميناً وشمالاً ، فقال الناسُ في ذلك ماشاءوا أن يقولوا ؟ وحسبك من شرِّ سماعه ! فأرسلتها مثلاً . فعرف قيسُ ما قالت فخلّى سبيلها ، ثم طرد إبلأ له ، وقيل إبله وإبل إخوته ، فقدم بها مكّة ، فباعها من عبد الله بن جُدعان التيمي ، معاوضةً بأدراعٍ وسيوف . ثم جاورَ ربيعة بنَ قُرط بن سلمة بن قُشَير ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى أبا هلال .

(١) أحد بني عمرو بن تميم ، ذكره سيف في الفتوح ، وأنه شهد مع العلاء بن الحضرمي في قتال الحطم ، وأبلى فيه بلاءً حسناً . الإصابة ٦٤٢٩ . وانظر الطبري ٣ : ٢٦٩ في خبر بني تميم وأمر سمحاح بنت الحارث بن سويد . وكان الحطم بن ضبيعة قد أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتد . (٢) الطبري : « وكانوا في النوائب » ، وهو الوجه . والنوائب : الرؤساء ، وذؤابة كل شيء : أعلاه . ومنه قول الأحنس بن شهاب في المفضليات ٢٠٨ :

أرى كل قوم ينظرون إليهم وتقتصر عما يفعلون الذوائب

وفاطمة الأنمارية هي إحدى المنجيات . وسئلت عن بنيتها : أيهم أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل قيس ، لا بل أنس ، شكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها .

آيات الشاهد وكانت امرأة لها ضيافة وسودد . والآيات هذه بعد الأول :

(ومحبسها على القرشي تُشرى بأدراع وأسيافٍ حدادٍ
كما لا قيتُ من حَمَلِ بنِ بدرٍ وإخوته على ذاتِ الإصَادِ
همُ فخرُوا عليَّ بغيرِ فخرٍ وردوا دونَ غايته جَسَوا دِ
وكنْتُ إذا مُنيتُ بخَصمٍ سوءٍ دلفتُ له بداهيةً نَادِ
بداهية تَدُقُّ الصُّلبَ منهمُ بقَصمٍ أو تَجوبُ على الفَوَادِ^(١)
أطوِّفُ ما أطوِّفُ ثم آوِي إلى جَارٍ كجارِ أبي دُوَادِ
منيعٍ وسطَ عِكرمةَ بنِ قيسٍ وهُوبٍ للطَّريفِ وللتَّلَادِ
تظَلُّ جِياذه يَغْسِلُنْ حولى بذاتِ الرِّمْتِ كالجِدْلِ العَوَادِ
كفاني ما أخافُ أبو هلالٍ ربيعةُ فانتَهت عَنِّي الأَعَادِ
كَأَنِّي إِذْ أَنَخْتُ إلى ابنِ قُرْطِ أَنَخْتُ إلى يَكَلِّمَ أَوْنَضَادِ)

٥٣٧

وقوله : « ومحبسها » بالرفع معطوف على فاعل يأتيك ، وهو ما لاقت ، أو لبون ، وبالجذر عطفاً على مدخول الباء إن كان الفاعل ضمير النبأ .
والمحبس : مصدر ميمي .

والقرشي هنا هو عبد الله بن جُدعان ، بضم الجيم ، ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي . وعبد الله من أجواد قريش في

(١) ط : « عن الفواد » ، وأثبت ما في ش والأغاني ١٥ : ٢٨ .

الجاهليّة . وشذّ ابن السّيد في قوله : إنّ قيساً لمّا قدِم مكة بإبلِ الربيع باعها لحرب بن أُميّة وهشام بن المغيرة ، بخيلٍ وسلاح .

وتُشرى ، بالبناء للمفعول ، الجملة حال من ضمير المؤنث في مَحْبَسها . وقالوا : هو بمعنى تباع . ويجوز أن يكون المعنى يشتريها القرشيُّ ، فالجملة حالٌ من القرشي .

وفي هذا البيت بيانٌ لما لاقته لبُونُ بني زياد ، وافتخارٌ وتبجحٌ بما فعله مِنْ أَخَذِ إبله وبيعها بمكة .

وقوله : « كما لاقيتُ » قال ابن الشجري : العامل فيه محذوف تقديره : لاقيتُ منهم كما لاقيت من حَمَل بن بدر .

ومثله في حذف الفعل منه للدلالة عليه ، قول يزيد بن مفرّغ الحميريّ :
لا دَعَرْتُ السَّوَامَ في وَضَحِ الصُّبِّ حِجْ مَغِيرًا ولا دُعَيْتُ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ من المَخَافَةِ ضَمِيمًا والمَنَايا يَرْصُدُنِي أَن أَحِيدًا^(١)
طَالَعَاتٍ أَخَذْنَ كُلَّ سَبِيلٍ لا شَقِيًّا ولا يَدْعُنَ سَعِيدًا
أَرَادَ : لا يدعن شقيًّا ، فحذف . انتهى .

وذات الإِصَاد ، بكسر الهمزة : موضع .

وهذا البيت وما بعده إشارةٌ إلى حرب داحس والغبراء ، وهذا إجمالها (من كتاب الفأخر للمفضل بن سلمة) قال : داحسٌ : فرسٌ قيس بن زهير العبسي ، والغبراء : فرسٌ حذيفة بن بدر الفزاري . وكان من حديثهما أَنَّ رجلاً من بني عبس يقال له قِرواش بن هُنيّ ، مارى حملَ

(١) ط : « يوم أعطى من النخافة » ، صوابه في ش مع أثر تغيير . وفي ديوانه ٧٢ والأغاني ١٧ : ٥١ : « من نخافة الموت » .

ابن بدر أخا حذيفة، في داحس والغبراء، فقال حمل : الغبراء أجود .
وقال قرواش : داحس أجود . فتراها عليهما عشرة في عشرة^(١) . فأتى
قرواش إلى قيس بن زهير فأخبره ، فقال له قيس : راهن من أحببت
وجنّيت بني بدر فإنهم يظلمون ، لقدرتهم على الناس في أنفسهم ، وأنا
نكيد أباؤا ! فقال قرواش : فإنني قد أوجبت الرهان . فقال قيس : وملك ،
ما أردت إلى أشأم أهل بيت ؟ والله لتتغلن علينا شراً^(٢) . ثم إن قيساً أتى
حمل بن بدر فقال : إنني أتيتك لأوضّعك الرهان عن صاحبي . قال
حمل : لا أوضّعك أو تجيء بالعشر ، فإن أخذتها أخذت سبقي ، وإن
تركتها تركت حقاً قد عرفته لي وعرفته لنفسى . فأحفظ قيساً فقال :
هي عشرون . قال حمل : ثلاثون . فتزايدتا حتى بلغ به قيس مائة ،
وجعل الغاية مائة غلوة - والغلوة بفتح المعجمة : مقدار رمية سهم - فضمروهما
أربعين يوماً ، ثم استقبل الذي ذرع الغاية من ذات الإصا، وهي رذّة
في ديار عيس وسط هضب القليب - قال الأصمعي : هضب القليب
بنجد جبال صغار ، والقليب في وسط هذا الموضع ، يقال له ذات
الإصا ، وهو اسم من أسمائها . والرذّة : نقيرة في حجر يجتمع فيها
الماء - فانتهى الذرع إلى مكان ليس له اسم . فقادوا الفرسين إلى
الغاية وقد عطشوهما وجعلوا السابق الذي يرد ذات الإصا وهي
ملاى من الماء . ولم يكن ثم قصبة^(٣) . ووضع حمل حيساً في دلاء ،
وجعله في شعب من شعاب هضب القليب على طريق الفرسين ، وكمّن
معه فتيناً وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية
وأرسلوهما من منتهى الذرع ، فلما دنوا وقد برز داحس وثب الفتیان

٥٣٨

(١) في الفاخر ٢١٩ : « عشر إلى عشر » . فالتذكير لثوق ، والتأنيث للإبل .

(٢) التنفيل : الزيادة . وفي الفاخر : « لتغلن » بالعين المعجمة ، وما هنا صوابه .

(٣) في الفاخر : « ولم يكن ثم قصبة ولا شيء غير هذا » .

فلطموا وجهَ داحس فردّوه عن الغاية . فقال قيس : يا حُذيفة أعطني سَبَقِي . وقال الذي وُضِعَ عنده السَّبَقُ : إنَّ قيساً قد سبق ، وإنّما أردتُ أن يقال سبق حذيفة ، وقد قيل ^(١) : فأمره أن يدفعه لقيس . ثم إنَّ حذيفة ندّمه الناس فبعث ابنه يأخذ السبق من قيس ، فقتله قيس ، فاجتمع الناس فاحتملوا دينه مائةَ عَشْرَاءَ ، فقبضها حذيفةُ وسكن النَّاسُ . ثم إنَّ حذيفة استفرد أخا قيس ، وهو مالك بنُ زهير ، فقتله . وكان الربيع ابن زياد يومئذٍ مجاورَ بني فزارة عند امرأته ، وكان مشاحناً لقيس بن زهير في درعه التي اغتصبها من قيس ، كما تقدّم ذكرها ، فلما قُتل مالك بن زهير ارتحلَ الربيع بن زياد ولحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فصالحه ونزل معه ، ثم دسَّ قيسُ أُمَّةً له إلى الربيع تنظر ما يعمل ، فأتته امرأته تعرّضُ له وهي على طُهر ، فزجرها ^(٢) وقال :

منَعَ الرُّقَادَ فما أغمَضُ حَارِ جَلَلُ من النَّبَاِ المهمِّ السَّارِ
مَنْ كَانَ مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهارِ
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِراً يندُبُهُ يندُبُن بين عَوَانِسٍ وَعَدَارِ
أفبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زهيرٍ ترجو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الأَطْهَارِ ^(٣)
فأخبرت الأُمَّةَ قيساً بهذا فأعتقها .

ثم إنَّ بني عيس تجمعوا ورئيسهم الربيع بن زياد ^(٤) ، وتجمع بنو ذبيان ورئيسهم حذيفة بن بدر ، وتحاربوا مراراً .

(١) بعده في الفاخر : « أفادفع إليه سبقه » .

(٢) وكذا في النسختين والفاخر ، وفي حواشي ش : « كذا بخط المؤلف : فزجرها ، والرواية : فذرّها ، أي طردها » .

(٣) في هذا البيت الإتيان بعروض الكامل مقطوعة ، وهي في سائر الأبيات تامة . وانظر العمون الغامزة للداميني ٢٧٤ والعقد ٥ : ٥٠٧ واللسان (قوى ٧٠) . وهو ما يسميه بعضهم الإقواء ، كأن عروض البيت نقصت قوة من قواه . وقال ابن عبد ربه : « والخليل يسمى هذا : المقعر » .

(٤) وذلك في يوم الهبادة . وهو في الفاخر ٢٢٦ .

ثم إِنَّ الربيع بن زياد أظفَره الله في جفَر الهبَاءة على حُذيفة بن بدر وأخويه : حمل بن بدر ومالك بن بدر ، فقتلهم ومثّلوا بحذيفة فقطعوا ذكّره فجعلوه في فيه ، وجعلوا لسانه في دُبْره .

وقال الربيع بن زياد يرثي حمل بن بدر :

تَعَلَّمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُرًّا	على جَفَر الهبَاءة ما يَريْمُ
ولولا ظَلَمُهُ ما زِلْتُ أَبْكِي	عليه الدَّهْرُ ما طَلَعَ التَّجُومُ
ولكنَّ الفتى حمل بن بدرٍ	بَغَى ، والبغى مرتعُه وخِجَمُ
أَظُنُّ الحِلْمَ دَلًّا على قَوْمِي	وقد يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الحَلِيمُ
أَلَاقِي من رجالٍ منكراتٍ	فأنكرُها وما أنا بالظَلُومِ ^(١)
ومارستُ الرِّجالَ وما رسوني	فمعوَجَّ على ومستقيمُ

ودامت الحربُ بينهم أربعين سنة إلى أن ضعف قيسُ بن زهير ،
فحالفَ ربيعةَ بن قُرط بن سَلَمَةَ بن قُشَيْر ، وهو ربيعة الخير ، ويكفي
أبا هلال . وقيل هو ربيعة بن قُرط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب .
فنزل قيسُ مع بني عبس عنده وقال :

أُحاول ما أُحاولُ ثم آوِي إلى جارٍ كجارِ أبي دُوادٍ
إلى آخر الأبيات المذكورة .

وقوله : « وكنت إذا مُنيت » الخ ، أي بُليت . ودَلَّفت : أسرع .
والنَّادُ بهمزة ممدودة قبلها نون وبعدها دال : الشديدة من الدَّوَاهِي .
وتَقَصِّمُ^(٢) : تكسر . وتَجُوب : تشق .

وقوله : « كجارِ أبي دُواد » الجار هنا : الناصر والحليف .

(١) في هذا البيت إقواء كما ترى .

(٢) ط : « وانقصم » ، صوابه في ش .

كان أبو دُواد الإياديُّ في الجاهلية جاورَ الحارث بن هَمَّام بن مُرّة ابن ذُهل بن شيان ، فخرج صبيّانُ الحيّ يلعبون في غدير ، فغمَسوا ابن أبي دُوادٍ فقتلوه ، فقال الحارث بن هَمَّام : لا يبق في الحيّ صبيٌّ إلّا غُرِّق في الغدير ! فوَدِيَ ابنُ أبي دُواد تسعَ دياتٍ أو عشرًا .

وَيَعْسِلُن ، من العَسَلان ، وهو اهتزاز الذي يعدو . والجِدَا : جمع حِدَاة كعنب جمع عنبة : طائر معروف . ويللم ونَضاد^(١) : جبلان .

وقول الربيع بن زياد :

مَنْ كان مسروراً بمقتلِ مالك . . . الخ
يقول : من شِيت من الأعداء بمقتلِ مالك فليعلم أنّا قد أدركنا ثأره .
وكانت العرب لا تندب قتلاها حتّى تدرك ثأرها . وكان قيسُ قتل ابنَ حذيفة كما تقدّم ، فقتل حذيفة مالكاَ أخا قيس . والمراد فليحضر ساحتنا في أوّل النهار ، ليعلم أنّ ما كان محرماً من البكاء قد حلّ ، ويجد النساء مكشوفاتِ الرُؤوس يندبنه . وروى :

يجدِ النساء حواسراً يندبنه يَلَطُن أوجههنّ بالأسحار
وروى أيضاً :

* قد قُمنَ قبل تبليجِ الأسحارِ *

وروى أيضاً :

* بالصُّبح قبل تبليجِ الأسحارِ *

قال ابن نباتة (في سرح العيون ، في شرح رساله ابن زيدون) :
لبعض الأدباء اعتراضٌ في قوله :

* بالصُّبح قبل تبليجِ الأسحارِ *

(١) قال ياقوت في (نضاد) : « يبنى عند أهل الحجاز على الكسر ، وبنو تميم ينزلونه بمنزلة ما لا ينصرف » .

فَإِنَّ الصُّبْحَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ .
 أُجِيبَ بِأَقْوَالٍ مِنْهَا : أَنَّ الصُّبْحَ هُنَا الْحَقُّ الْوَاضِحُ ، مِنْ وَصْفِهِ ^(١)
 الَّذِي هُوَ كَالصُّبْحِ ، لِأَنَّهَا تَنْدِبُهُ بِخِلَالِهِ الْحَسَنَةِ الْوَاضِحَةِ . انْتَهَى .
 وَقَيْسُ بْنُ زَهِيرٍ جَاهِلِيٌّ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحُرُوبِ بَيْنَ عَبَسَ وَذُبْيَانَ
 بِسَبَبِ الْفَرَسَيْنِ : دَاحِسٍ وَالْغَبْرَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَكَانَ فَارِسًا شَاعِرًا دَاهِيَةً ،
 يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فَيَقَالُ : « أَدْهَى مِنْ قَيْسٍ » .
 وَلَمَّا طَالَ الْحَرْبُ ^(٢) وَمَلَّ ، أَشَارَ عَلَى قَوْمِهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى قَوْمِهِمْ
 وَمَصَالِحِهِمْ فَقَالُوا : سِرْ نَسِرْ مَعَكَ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا نَظَرْتُ فِي وَجْهِ
 دُبْيَانِيَّةٍ قَتَلْتُ أَبَاهَا أَوْ أَخَاهَا ، أَوْ زَوْجَهَا أَوْ وَلَدَهَا .
 وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الصُّلْحِ فِي شَرْحِ مَعْلَقَةِ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ .
 ثُمَّ خَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالنَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ
 وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَدَّةً ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى عُثْمَانَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ . وَقِيلَ إِنَّهُ
 خَرَجَ هُوَ وَصَاحِبُهُ لَهُ مِنْ بَنِي أَسَدٍ عَلَيْهِمَا الْمَسُوحُ يَسِيحَانِ فِي الْأَرْضِ
 وَيَتَقَوَّتَانِ مِمَّا تُنْبِتُ ، إِلَى أَنْ دَفَعَا ^(٣) فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ إِلَى أَخْبِيَةِ لِقَوْمٍ ،
 وَقَدْ اشْتَدَّ بِهِمَا الْجُوعُ ، فَوَجَدَا رَائِحَةَ شَوَاءٍ فَسَعَا يُرِيدَانِهِ ، فَلَمَّا
 قَارَبَا ^(٤) أَدْرَكَتْ قَيْسًا شَهَامَةً النَّفْسِ وَالْأَنْفَةِ فَرَجَعَ وَقَالَ لِمُصَاحِبِهِ :
 دُونَكَ وَمَا تُرِيدُ ، فَإِنَّ لِي لُبْنًا عَلَى هَذِهِ الْأَجَارِعِ ، أَتَرَقَّبُ دَاهِيَةَ الْقُرُونِ
 الْمَاضِيَةِ . فَمَضَى صَاحِبُهُ وَرَجَعَ مِنَ الْغَدِ فَوَجَدَهُ قَدْ لَجَأَ إِلَى شَجَرَةٍ بِأَسْفَلِ
 وَادٍ فَنَالَ مِنْ وَرْقِهَا شَيْئًا ثُمَّ مَاتَ .

* * *

(١) فِي سِرْحِ الْعَيُونِ ١٥٨ : « مِنْ وَصْفِ الْقَتِيلِ » .

(٢) الْحَرْبُ ، مُؤَنَّثَةٌ ، وَحُكِيَ فِيهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ التَّذْكِيرَ ، وَأُنْشِدَ :

وَهُوَ إِذَا الْحَرْبِ هَفَا عَقَابَهُ كَرِهَ الْقِيَاءَ تَلْتَظِي حِرَابِهِ

(٣) دَفَعَ إِلَى الْمَكَانِ ، وَدَفَعَ أَيْضًا بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ، كَلَاهُمَا بِمَعْنَى انْتَهَى إِلَيْهِ .

(٤) شَ : « قَارِبًا » .

وأنشد بعده :

(فأنظورُ)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(وأنتى حيثما يثنى الهوى بصرى

من حوثما سلكوا أذنو فأنظورُ)

أى فأنظر . وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى عشر من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(ينباعُ)

وهذا أيضاً قطعة من بيت تقدم فى الشاهد الثانى عشر ^(٢) بعد بيت فأنظور ، وهو :

(ينباعُ من ذفرى غضوب جَسرةِ

زِيَافَةٍ مثلِ الفنيقِ المُقرَمِ)

أى ينبع . والذفرى : الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن . والغضوب : الناقة العبّوس الصعبة الشديدة الرأس . والجَسرة : الجاسرة فى السير . والزِيَافَة : المتبخثرة . والفنيق : الفحل المكرم لا يركب لكرامته عند أهله . والمُقرَم ، بضم الميم وفتح الراء : البعير الذى لا يُحمَل عليه ولا يذلّل ، وإنما هو للفحلة .

وتقدم الكلام هناك مفصلاً عليه .

* * *

(١) الخزائن ١ : ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) الخزائن ١ : ١٢٢ - ١٢٩ .

وَأُتَشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ السِّتَائَةِ ^(١) :

٦٣٧ (وَمَا كِدْتُ آيِبًا)

هُوَ قِطْعَةٌ مِنْ بَيْتٍ ، وَهُوَ :

(فَأُبَيْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيِبًا)

وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِيرٌ

عَلَى أَنَّ أَصْلَ خَبَرِ كَادِ الْأِسْمِ الْمَفْرَدِ كَمَا فِي الْبَيْتِ .

قَالَ ابْنُ جَنَى (فِي إِعْرَابِ الْحِمَاسَةِ) : اسْتَعْمَلَ الْأِسْمَ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ الْمَرْفُوضُ الْاسْتِعْمَالِ مَوْضِعَ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ فَرَعٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَكَ : كِدْتُ أَقُومُ ، أَصْلُهُ كِدْتُ قَائِمًا ، وَلِذَلِكَ ارْتَفَعَ الْمَضَارِعُ . أَيْ لَوْقُوعِهِ مَوْضِعَ الْأِسْمِ ^(٢) ، فَأَخْرَجَهُ عَلَى أَصْلِهِ الْمَرْفُوضِ كَمَا يُضْطَرُّ الشَّاعِرُ إِلَى مَرَاجَعَةِ الْأُصُولِ عَنْ مُسْتَعْمَلِ الْفُرُوعِ ، نَحْوِ صَرْفٍ مَا لَا يَنْصَرِفُ ، وَإِظْهَارِ التَّضْعِيفِ ، وَتَصْحِيحِ الْمَعْتَلِّ ، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ . وَنَحْوُ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْهُمْ مِنْ اسْتِعْمَالِ خَبَرِ عَمَى عَلَى أَصْلِهِ :

أَكْثَرَتْ فِي الْعَدْلِ مَلْحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنْ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمًا ^(٣)

وهذه [هي ^(٤)] الرواية الصحيحة في هذا البيت ، أعنى قوله « وَمَا كِدْتُ آيِبًا » . وكذلك وجدتها في شعر هذا الرجل بالخطِّ القديم ، وهو عتيْدٌ عندي إلى الآن . والمعنى عليه البتة . ألا ترى أَنَّ معناه فُأْبَيْتُ

(١) الخصائص ١ : ٣٩١ والإنصاف ٥٥٤ وابن يعيش ٧ : ١٣ ، ١١٩ ، ١٢٥ والخزانة ٤ : ٩٠ بولاق والعيني ٢ : ١٦٥ والتصريح ١ : ٢٠٣ والممع ١ : ١٣٠ والأشئوني ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقي ٨٣ .

(٢) كلمة « أَيْ » ساقطة من إعراب الحماسة الورقة ٢٢ .

(٣) لرؤبة في ملحقات ديوانه ١٨٥ .

(٤) التكملة من ش وإعراب الحماسة .

وما كدت أئوبُ ، كقولك : سلّمت وما كدت أسلّم . وكذلك كُلُّ ما يلي هذا الحرف من قبله ومن بعده يدلُّ على ما قلنا . وأكثر الناس يروى : « ولم أك آئباً » ، ومنهم من يروى : « وما كنت آئباً » . والصواب الرواية الأولى ، إذ لا معنى هنا لقولك : وما كنت ، ولا لِمَ أك . وهذا واضح . انتهى .

وقال مثله (في الخصائص في باب امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس) قال : وإنما يقع ذلك في كلامهم إذا استغنت بلفظ عن لفظ ، كاستغنائهم بقولهم : ما أجودَ جوابه عن قولهم : ما أجوبه . ٥٤١ أو لأنَّ قياساً آخر عارضه فعاق عن استعمالهم إيَّاه ، كاستغنائهم بكاد زيد يقوم عن قولهم : كاد زيد قائماً أو قياماً . وربما خرج ذلك في كلامهم . قال تَابَّطُ شراً :

* فَأُبْتُ إِلَى فُهِمٍ وَمَا كَدْتُ آئِباً *

هكذا صحّة رواية هذا البيت . وكذلك هو في شعره . فأما رواية من لا يضبطه : « وما كنت آئباً » و« لم أك آئباً » فليُبعده عن ضبطه . ويؤكد ما روينا نحن مع وجوده في الديوان ، أنَّ المعنى عليه . ألا ترى أنَّ معناه فَأُبْتُ وما كدت أئوب . فأما « ما كنت » فلا وجه لها في هذا الموضع . انتهى .

ومراده من هذا التأكيد : الردُّ على أبي عبد الله النَّمري (في شرح الحماسة) ، وهو أول شارح لها ، وقد تحرّفت عليه هذه الكلمة ، وهذه عبارته : أبْت : رجعت . وفهم : قبيلة . والهَاءُ في قوله : « وكم مثلها » راجعةٌ إلى هذيل . وقوله : « وهى تصفير » قيل معناه أى تتأسّف على فوقى . هذا كلامه . وقد ردَّ عليه أبو محمد الأعرابي أيضاً فيما كتبه على شرحه

قال : سألت أبا الندى عنه قال : معناه كم مثلها فارققتها^(١) وهي تتلهف كيف أفلت . قال : والرواية الصحيحة « وما كدت آثباً » .
والهاء راجعة في فارققتها إلى فهم . قال : ورواية من روى « ولم أك آثباً » خطأ . وفهم : ابن عمرو بن قيس عيلان . انتهى كلامه .

قال التبريزي : قد تكلم المرزوقي على اختيار ابن جنى هذه الرواية ردّاً عليه ولم يُنصفه ، وقال : قوله ولم أك آثباً ، أى رجعت إلى قبيلتي فهم وكدت لا أئوب لمشارفتي التلف . ويجوز أن يريد : ولم أك آثباً في تقديرهم وظنهم . ويروى : « ولم آل آثباً » بمد الهمزة واللام ، أى لم أدع جهدي في الإياب . والأول أحسن . انتهى .

وقد أورد ابن عصفور هذا البيت (في كتاب الضرائر) قال : ومنه وَضَعَ الاسم موضعَ الفعل الواقع في موضع خبر كاد ، وموضعَ أن والفعل الواقع في موضع خبر عسى ، نحو قول تَابَّطُ شراً :
فأبَّت إلى فهم وما كدت آثباً . . . البيت
وقول الآخر :

* لا تُكثِرْنِ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِماً *

كان الوجه أن يقول^(٢) : وما كدت أئوب وإِنِّي عَسَيْتُ أَنْ أَصُومَ ، إِلَّا أَنْ الضَّرُورَةُ مَنَعَتْ مِنْ ذَلِكَ . وقولهم في المثل : « عسى الغويرُ أبُوساً » شاذٌّ ، يُحْفَظُ ولا يقاس عليه . انتهى .

وقال ابن المستوفى وغيره : قوله إلى فهم ، أى إلى عقل . وقيل إلى قبيلتي التي هي فهم . وهذا أولى . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى « فارققتها » التالية ساقط من ش .

(٢) ش : « أن يقال » .

ورجوع الضمير من مثلها إلى فهم غير مناسب ، والمناسب رجوعه إلى لحيان ، وهي قبيلة من هذيل ، في قوله :
أقول لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وطأى ويومى ضيقُ الحَجَرِ مُغَوَّرُ
ويجوز أن يرجع إلى الحالة التي صدرت منه حين أحاط به بنولحيان وأرادوا قتله ، فتحيل ونجا منهم . وعبر عنه ابن المستوفى بقوله : أى المحنة أو الخطة أو المنة . وكم مبتدأ وجملة فارقتها هو الخبر ، وجملة وهى تصغيرُ حاليَّة ، ومثلها بالجر : مميزكم الخبرية .

قال ابن المستوفى : قرأت على شيخنا أبى الحرم مكِّي : « وكم مثلها » بجرّ مثلها ورفعها ونصبها . فالجر على الإخبار . والرفع على معنى كم مرة وقع مثلها فارقتها . والنصب على أن تكون ^(١) كم مبهمه بالاستفهامية ، ويكون مثلها صفة لنكرة محذوفة تقديرها : كم مرة مثلها فارقتها . هذا كلامه فتأمل .

٥٤٢

وقد أنث مثلاً لإضافته إلى ضمير المؤنث ، بدليل عود الضمير إليه من فارقتها مؤنثاً . قال ابن جنى : أنث المثل حملاً على المعنى لما كان المراد به الحال والصورة التى ذكرها . وقد جاء فى التنزيل : ﴿ فله عَشْرُ أمثالها ^(٢) ﴾ لما كان المراد عشر حسنات أمثالها ، وتأنيث المذكر أغلط من تذكير المؤنث ، لأنّه مفارقة أصل إلى فرع ، وفى ما ورد من تأنيث نحو هذا دليل على قوة إقامة الصفة مقام الموصوف ، حتى كأن الموصوف حاضر . ولولا أن ذلك كذلك لما جاز تأنيث المثل ، لكن دلّ جواز تأنيثه على قوة إرادة موصوفه . فاعرف ذلك فإنّه هو غرض هذا الفصل . انتهى .

(١) ش : « يكون » .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

وقوله : « تصفيرٌ » قال ابن هشام (في شرح الشواهد) أراد بالصفير النفخ عند الندم . ونقل ابن المستوفي عن أبي محمد القاسم بن محمد الديمرقي^(١) أَنَّ المعنى لما أعجزتها جعلت تصفير خجلاً . قال : ومن عادة العرب إذا فاتهم^(٢) أَن يقولوا : هو هو ! ثم يصفروا وراءه ، يريدون به البعد . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لتأبط شراً ، تقدّم شرحها في الشاهد الثامن
والستين بعد الخمسمائة^(٣) .

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا عليه طريق جبل وجدوه فيه يشتر عسلاً ، لم يكن له طريق غيره ، وقالوا : استأسر أو نقتلك ! فكره أَن يستأسر ، فصب ما معه من العسل على الصخر ووضع صدره عليه حتّى انتهى إلى الأرض من غير طريق ، فصار بينه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام ونجا منهم . فتحكى الحكاية في الأبيات . وأولها :

أبيات الشاهد (إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جدَّ جدُّه)
أضاعَ وقاسى أمره وهو مدبرٌ
ولكن أخواله الحزم الذى ليس نازلاً
به الخطبُ إلا وهو للقصد مبصرٌ

(١) ذكره ياقوت في معجم البلدان (ديمرت) وقال : من نواحى أصهان . وينسب إليها أبو محمد القاسم بن محمد الديمرقي الأديب . وذكره كذلك في معجم الأدباء ١٦ : ٣١٩ ، وترجم له أيضاً ابن النديم في الفهرست ١٢٨ . ومن تأليفه كتاب تفسير الحماة فيما نقل ياقوت عن ابن النديم ، وإن لم أعر عليه في الفهرست . وفي حواشى ش : « كذا بخط المؤلف ، وصوابه الذي عوفى بالذال والنون » . ولا وجه لهذه الحاشية .

(٢) في حاشية ش : « كذا بخط المؤلف بغير بيان ، وفيه حذف لفساد المعنى دونه » . وكتب مصحح ط : « قوله إذا فاتهم ، هكذا بالأصل . ولعله إذا فاتهم فارس أو نحو ذلك ، فليحرر » .

(٣) الخزائن ٧ : ٥٠٢ - ٥٠٧ .

فذاك قريعُ الدَّهرِ ما عاشَ حَوَّلَ
إِذا سُدَّ منه مَنخِرُ جاشِ مَنخِرُ

قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : ومن محاسن أهل الأدب أَنَّ
محيي الدين بن قُرْناس قال بحضرة شرف الدين الحلِّي ، ملغزاً في
الشَّبابَةِ ^(١) :

وناطقة خرساء باد شجونها تكنفها عَشْرٌ ومنهنَّ تُخِيرُ
يَلْذُّ إلى الأسماع رجُعُ حديثها إذا سُدَّ منها مَنخِرُ جاشِ مَنخِرُ
فأجابه في الحال :

نهاني النُّهى والشَّيبُ عن وَصْلِ مثليها
وكم مثليها فارقَتْها وهي تصفِرُ
وفي الموضعين تضمين .

تتمة

ما أورده الشارح المحقِّق على البصريَّين في قولهم : رفع المضارع
لوقوعه موقع الاسم ، قد أجاب عنه صاحب اللباب ، قال فيه : وأمّا
مرفوع الفعل فهو المضارع الواقع بحيث يصحُّ وقوع الاسم ، إمّا مجرداً
أو مع حرف لا يكون عاملاً فيه ، في نحو زيد يضرب ، وسيضرب ،
ويضرب الزيدان . لأنَّ مبدأ الكلام لا يتعيَّن للفعل دون الاسم ،
ونحو : كاد زيد يقومُ ، الأصل فيه الاسم ، وقد عُدل إلى لفظ الفعل
لزوماً لغرض . وقد استعمل الأصل المرفوض فيمن روى قوله : « وما كدت
آتياً » . انتهى .

(١) الشَّبابَةُ ، قال الخفاجي في شفاء الغليل ١١٢ : « بالتشديد : قصبة الزمر المعروفة ،

مولد » .

واحترز بقوله لا يكون عاملاً عما إذا كان مع حرفٍ عاملٍ نحو: زيد لم يضرب ، أو لن يضرب . وقوله: لأنَّ مبدأ الكلام . إلخ ، هذا جواب عن سؤالٍ مقدَّر ، وهو أنَّ يضرب في يضرب الزيدان مرفوع ، مع أنَّه ليس بواقعٍ موقعٍ الاسم ، إذ لا يجوز ابتداء ضاربٍ الزيدان من غير اعتمادٍ على شيء .

فأجاب بأنَّ هذا الكلام من حيث هو كلامٌ لا يتعيَّن أن يكون فعلاً دون اسم ، بل جاز أن يكون ابتداءً الكلام اسماً على الجملة ، فصدق أنَّه واقعٌ موقعٍ الاسم على الإطلاق ، أي موقعاً كان يصحُّ أن يُوقع فيه اسمٌ من الأسماء وإن لم يقع اسمٌ مخصوص .

وقوله: ونحو كاد زيد يقوم إلخ ، هذا أيضاً إيرادٌ وجوابٌ. أمَّا لإيراد فهو أنَّ خبر كاد يلزم أن يكون فعلاً ، وهو أنَّ كاد موضوع لمقاربة وقوع فعلٍ ، فحقُّ خبره أن يكون فعلاً مضارعاً ، فلا يكون خبره اسماً ، فينبغي أن لا يرتفع لأنَّ ارتفاعه لوقوعه موقعٍ الاسم ، والاسم لا يقع خبراً لكاد .

وأجاب بأنَّ أصل خبر كاد أن يكون اسماً كما في خبر كان ، ولذلك استعمل ذلك الأصل المرفوض في البيت ، فالفعل واقعٌ موقعٍ الاسم نظراً إلى الأصل .

وقد بسط الكلام على مذهب الفريقين ابنُ الأنباري (في مسائل الخلاف) فلا بأس بإيراده قال : اختلف مذهبُ الكوفيَّين في رفع المضارع ، فذهب الأكثرون إلى أنه يرتفع لتعريبه من العوامل الناصبة والجازمة .

وذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بالزائد في أوله . وذهب البصريون إلى أنه يرتفع لقيامه مقام الاسم .

واحتج الكوفيون بأن المضارع إذا دخل عليه ناصب نصبه ، أو جازم جزمه ، وإذا خلا منهما ارتفع ، فعلمنا أنه بدخولهما يُنصب ويجزم ، وبسقوطهما عنه يُرفع . قالوا : ولا يجوز أن يكون مرفوعاً لقيامه مقام الاسم ، لأنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يُنصب إذا كان الاسم منصوباً نحو كان زيد يقوم . ثم كيف يأتيه الرفع لقيامه مقام الاسم ، والاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضاً ؟ ولو كان كذلك لوجب أن يُعرب بإعراب الاسم ، ولوجب أن لا يرتفع في كاد زيد يقوم ، لأنه لا يجوز كاد زيد قائماً .

واحتج البصريون بوجهين : أحدهما أن قيامه مقام الاسم عاملٌ معنوي يشبه الابتداء ، والابتداء يوجب الرفع . وكذا ما أشبهه .

وثانيهما : أن بقيامه مقام الاسم قد وقع في أقوى أحواله ، فوجب أن يُعطى أقوى الإعراب وهو الرفع . وإنما لم يرفع الماضي مع جواز قيامه مقام الاسم لأنه ما استحق أن يكون معرباً بنوع من الإعراب ، فصار قيامه بمنزلة عدمه . وأما قول الكوفيين إنه يرتفع بالتعري من العوامل الناصبة والعازمة فهو فاسد ، لأنه يؤدي إلى أن يكون الرفع بعد النصب والجزم ، ولا خلاف بين النحويين أن الرفع قبلهما ، وذلك أن الرفع صفة الفاعل ، والنصب صفة المفعول ، فكما أن الفاعل قبل المفعول ينبغي أن يكون الرفع قبل النصب . وإذا كان الرفع قبل النصب فلأن يكون قبل الجزم من طريق الأولى . وأما قولهم : لو كان مرفوعاً^(١) لقيامه مقام الاسم إلخ ، فنقول : إنما لم يكن منصوباً أو

(١) ط : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً » ، وأثبت ما في ش والإنصاف ٥٥٣ .

مجروراً إذا قام مقام الاسم المنصوب والمجرور، لأنَّ عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال . وأما قولهم : « وجدنا نصبه وجزمه بناصب وجازم لا يدخلان على الاسم فعلمنا أنَّه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم » ، قلنا : وكذلك نقول فإنَّه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم ، لأنَّ ارتفاعه لقيامه مقام الاسم ، والقيام مقام الاسم ليس بعامل للرفع في الاسم .

وأما قول الكسائي إنَّه يرتفع بالزائد في أوَّله ، فهو فاسد من وجوه : أحدها : أنَّه كان ينبغي أن لا يدخل عليه عوامل النصب والجزم^(١) لأنَّهما لا يدخلان على العوامل .

الثاني : كان ينبغي أن لا ينتصب ولا يجرم بدخولهما ؛ لوجود الزائد في أوَّله أبداً .

الثالث : أنَّ هذه الزوائد بعضُ الفعل لا تنفصل منه في لفظ ، بل هي من تمام معناه ؛ فلو عملت لزم أن يعمل الشيء في نفسه .

وأما قولهم : « لو كان مرفوعاً لقيامه مقام الاسم لكان ينبغي أن لا يرتفع في كاد زيد يقوم » إلخ ، قلنا : هذا فاسد ، لأنَّ الأصل كاد زيد قائماً . ولذلك ردَّه الشاعر في الضرورة إلى أصله في قوله : « وما كدت آتياً » ، إلَّا أنَّه لما كانت كاد موضوعاً للتقريب من الحال ، واسم الفاعل ليسَ دلالتُه^(٢) على الحال بأولى من دلالتِه على الماضي ، عدلوا عنه إلى يفعل ؛ لأنَّه أدلُّ على مقتضى كاد ، ورفعوه مراعاة للأصل . فدلَّ على صحة ما ذهبنا إليه .

انتهى كلامه باختصار ، وفيه مواضع تحتمل المناقشة لا تخفى على المتأمل .

(١) ط : « أن لا يدخل عليه عامل النصب والجزم » ، وأثبت ما في ش والإنصاف .

(٢) وكذا في الإنصاف ٥٥٥ بترك التأنيث .

النواصب

أُنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الستمائة^(١) :

٦٣٨ (وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَنْتَى

بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ)

على أَنَّ (أَنَّ المفتوحة^(٢)) يجوز أن تقع بعد فعل غير دالٍّ على العلم واليقين كما في البيت ، خلافاً للزمخشري (في مفصله) ، فإنَّ وددت بمعنى تمنيت .

قال ابن درستويه (في شرح فصيح ثعلب) : وددته بالكسر أودّه بالفتح ، بمعنى وَمَقَّتْهُ أَمَقَّهُ . وكذلك وددتُ أَنَّهُ كَذَّاءٌ ، إذا تمنَّيته ، لأنَّه أيضاً من المِقَّةِ والمحبة . انتهى .

والزمخشري قاله^(٣) في الحروف المشبهة بالفعل ، وهذا نصه :

فصل : والفعل الذي يدخل على المفتوحة مشددة أو مخففة يجب أن يُشاكلها في التحقيق . فإن لم يكن كذلك نحو : أطمع ، وأرجو ، وأخاف ، فليدخل على أن الناصبة للفعل . وما فيه وجهان كظننت وحسبت وخِلت فهو داخلٌ عليهما^(٤) جميعاً . انتهى بحذف الأمثلة .

وقد جراه ابن يعيش (في شرحه) ولم ينتقده بشيء ، قال : قد تقدّم أَنَّ أَنَّ المفتوحة معمولَةٌ لما قبلها ، وَأَنَّ معناها التأكيد والتحقيق ، مَجْرَاهَا في ذلك مجرى المكسورة ، فيجب لذلك أن يكون الفعل الذي

(١) الحاشية ١٢٨٧ ، ١٥٧٠ بشرح المرزوق وديوان كثير ٢ : ٣٦ .

(٢) ش : « على أن المفتوحة » .

(٣) ط : « قال » ، وأثبت ما في ش :

(٤) أي على أن وأن ، المشددة والمخففة .

تُبْنَى عليه مطابقتها في المعنى ، بأن يكون من أفعال العلم واليقين ونحوهما بما معناه الثبوت والاستقرار ، ليتطابق في المعنى العامل والمعمول ولا يتناقضا^(١) . وحكم المخففة من الثقيلة في التأكيد والتحقيق حكمُ الثقيلة ، لأنَّ الحذف إنما يكون لضربٍ من التخفيف ، فهي لذلك في حكم الثقيلة ، فلذلك لا يدخل عليها من الأفعال إلا ما يدخل على المثقلة . هذا كلامه

والبيت أول أبيات أربعة أوردها أبو تمام (في الحماسة) لكثير عزة . وهي بعد الأول :

(فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّيْ وَعِلْمَتِهِ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمَنِ اللِّوَانُ
وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ)

٥٤٥

فريقين : منها عاذرٌ لى ولانم
فريق أبى أن يقبل الضيمَ عنوةً
وآخرٌ منها قابلُ الضيمِ راغمٌ

وقوله : (وما تُغْنِي الْوَدَادَةُ) أى تنفع ، جملة معترضة بين وددت وبين معموله وهو أَنَّنِي إلخ . و (الحاجبية) هى عزةٌ محبوبةٌ كثيرٌ ، واشتهر بالإضافة إليها فيقال كثيرٌ عزةً ، بفتح العين المهملة وتشديد الزاى . والحاجبية : نسبةٌ إلى أحد أجدادها ، قال ابن الكلبي : عزة بنت حُمَيْل ، بضم المهملة ، ابن حَفْص ، بفتحها ، من بنى حاجب ابن غِفَار ، بكسر المعجمة . وتقدم الكلام عليها في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلاثئة^(٢) .

(١) في ابن يمش ٨ : ٧٧ : « ليتطابق معنياً العامل والمعمول ولا يتناقضا » .

(٢) الخزائن ٥ : ٢٢١ - ٢٢٣ .

قال الطَّبْرَسِيُّ^(١) (في شرح الحماسة) : يقول : تَمَنَّيْتُ أُنِّي عَالِمٌ
بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ قَلْبُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ لِي . وَالْوِدَادَةُ بِكُسْرٍ الْوَائِي وَفَتْحُهَا^(٢) .

وقوله : « فَإِنْ كَانَ خَيْرًا » إلخ ، أَيْ فَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرَهُ لِي وَدًّا صَافِيًا
سَرَّنِي ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرَهُ إِعْرَاضًا وَجَفَاءً قَتَلْتُ نَفْسِي وَأَرْحَتَهَا مِنْ
لَوْمِ اللَّائِمَاتِ . أَوْ يُرِيدُ : سَلَوْتُ فَاسْتَرَحْتُ مِمَّا أَلَامَ فِيهِ مِنْ حَبٍّ مِنْ
لَا يُحِبُّنِي . وَهَذَا الْأَخِيرُ عَنِ الْبِيَارِيِّ^(٣) . وَعَلِمْتَهُ بِمَعْنَى عَرَفْتَهُ ، وَلِذَلِكَ
اِكْتَفَى بِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ .

وقوله : « وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ » إلخ ، أَيْ مَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا تَفَرَّقْتُ نَفْسِي
فَرِيقَيْنِ : فَرِيقٍ يَعْزِرُنِي ، يَقُولُ : إِنَّ مِثْلَهَا فِي جَمَالِهَا وَكَمَالِهَا يُحِبُّ .
وَفَرِيقٍ يَلُومُنِي ، يَقُولُ : لِمَ تَحِبُّ مِنْ لَا يُحِبُّكَ وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ ؟ وَالضَّمُّ
الظُّلْمُ . وَالْعَنُودُ بِالْفَتْحِ : الْقَهْرُ . وَرَاغِمٌ : ذَلِيلٌ مُلَصَّقٌ أَنْفُهُ بِالرَّغَامِ
وَهُوَ التُّرَابُ .

وترجمة كثيرٌ قد تقدَّمت في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة^(٤)

(١) ط : « الطبرسي » ، صوابه في ش . والطبرسي هذا هو أمين الدين أبو علي الفضل بن
الحسن بن الفضل الطبرسي ، مفسر لغوي من أعيان الشيعة الإمامية . توفي سنة ٥٤٨ هـ . انظر إنباء
الرواة ٣ : ٦ ، ٧ ، ومجمع المؤلفين ٨ : ٦٦ . ومن شرحه للحماسة نسخة في مكتبة فيض الله التي
أدرجت ضمن مكتبة مللت بتركيا برقم ١٦٤٢ . ويسمى هذا الشرح « الباهر في شرح الحماسة » .
وانظر ما سبق في ٣١٥ .

(٢) ش : « يفتح الواو وكسرها » .

(٣) نسبة إلى بيار ، بالكسر ، وهي مدينة من أعمال قومس . وهو علي بن الحارث البيارى
الخراساني ، ترجم له القفطي في الإنباء ٢ : ٢٧٤ وذكر من تصانيفه كتاب شرح الحماسة .
وانظر دمية القصر ٣٠٢ . وشرحه للحماسة يعد مفقوداً وإن كانت قد بقيت منه بقية في نقول
أبي الرضا الراوندي ، ونقول الطبرسي . انظر تحقيق حماسة أبي تمام للدكتور عبد الله عسيلان .
وفي النسختين : « البياسي » ، تحريف .

(٤) الخزائن ٥ : ٢٢١ - ٢٢٤ .

وكان مُشوّه الخلق دميماً مفطر القِصر، كان يقال له «زُبُّ الذُّباب»
وهجاه بعض الشعراء بقوله :

* يَعْصُ القِرَادُ باسته وهو قائم^(١) *

روى صاحب الأغاني بسنده ، أنَّ عمر بن أبي ربيعة المخزومي قديم
المدينة لأمرٍ ، فأقام شهراً ثم خرج إلى مكة ، وخرج معه الأحوص معتمراً .
قال السائب راوية كثير : : فلما مرَّ بالروحاء استلباني^(٢) ، فخرجت
أتلوهما حتَّى لحقتهما بالعرج ، فخرجنا جميعاً حتَّى وَرَدْنَا وَدَّانَ ،
فحبَّسَهُمَا نُصِيبُ وَذَبَحَ لهما وأكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا نُصِيبُ ،
فلما جئنا إلى منزلٍ كثيرٍ فقيل لنا : قد هبط قديداً . فجئنا قديداً فقيل
لنا : إنَّه في خيمةٍ من خيامها ، فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهب فادعه
لي . فقال نُصِيبُ : هو أحقُّ أشدُّ كبيراً^(٣) من أن يأتيتك . فقال لي
عمر : اذهب كما أقول^(٤) . فجئتُه فهشَّ لي وقال : « اذكرُ غائباً تره »
لقد جئتُ وأنا أذكرك . فأبلغته رسالة عمر ، فحدَّد لي نظره ثمَّ قال :
أما كان عندك من المعرفة بي ما كان يردُّعك عن إتياني بمثل هذا ؟
فقلت : بلى ، ولكن سترتُ عليك فأبى الله إلَّا أن يَهْتِكَ سترك . قال :
إنَّك والله يا ابن ذُكَّوانَ ما أنت من شكلي ، قل لابن أبي ربيعة : إنَّ

(١) لعزيز الكنانى . الأغاني ٨ : ٢٩ والجماسة ١٨٨٠ بشرح المروزوق ومحاضرات
الراغب ٢ : ١٢٩ وحواشي الحيوان ٥ : ٤٣٩ . ومصدره :

* يكاد خليل من تقارب شخصه *

(٢) أى طلباً منه أن يتلوها ويتبينها .

(٣) الأغاني ١١ : ١٧ : « أحقُّ وأشدُّ كبيراً » .

(٤) الأغاني : « كما أقول فادعه لي » .

كنتَ قرشيًّا فَإِنِّي قرشي ! فقلت : ألا تترك هذا التلصُّقَ ^(١) ؟ فقال :
والله لَأَنَا أَثْبِتُ فِيهِمْ مِنْكَ فِي دَوْسٍ ^(٢) . ثم قال : وقل له إِنْ كنتَ
شاعراً فَأَنَا أشعرُ مِنْكَ . فقلت : هذا إِذَا كَانَ الْحُكْمُ إِلَيْكَ . قال : وَإِلَى
مَنْ هُوَ؟ وَمَنْ أَوَّلَى بِهِ مِنِّي ؟ فرجعتُ إِلَى الْقَوْمِ فَأَخْبَرْتَهُمْ فَضَحِكُوا ثُمَّ
نَهَضُوا مَعِيَ إِلَيْهِ ، فدخلنا عَلَيْهِ فِي خِيَمَةٍ فوجدناه جالِساً عَلَى جِلْدِ كَبِشٍ
فَوَالله مَا أَوْسَعَ لِلْقُرَشِيِّ ، فَتَحَدَّثُوا مَلِيًّا ثُمَّ أَفْضَوْا فِي ذِكْرِ الشَّعْرِ . فَأَقْبَلَ
عَلَى عَمْرِ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ تَبِيعْتَ امْرَأَةً فَتَنْسَبُ بِهَا ، ثُمَّ تَدْعُهَا فَتَنْسَبُ
بِنَفْسِكَ . أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

قالت : تصدَّيْ لَهُ لِيَعْرِفَنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتُ فِي خَفَرٍ
قالت لها : قد غمزته فَأَبَيَّ ثُمَّ اسْبِطْرَتِ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي
وقولها والدموع تسبقها لِنُفْسِدَنَّ الطَّوْفَ فِي عُمُرٍ ^(٣)

أُتْرَاكَ لو وصفت بهذا الشعر هِرَّةً أَهْلَكَ أَلَمْ تَكُنْ قد قَبِيعَتْ ،
وَأَسَأَتْ لها وقلتَ الْهُجْرُ ! إِنَّمَا تَوْصِفُ الْحَرَّةَ بِالْحَيَاءِ وَالْإِبَاءِ ، وَالْبَخْلِ
وَالامْتِنَاعِ ، كما قال هذا - وَأَشَارَ لِلْأَحْوَصِ :

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ
بِأَبْيَاتِكُمْ مَا دَرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
وما كنتَ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى
إِذَا لَمْ يُزَرَ لَابِدًا أَنْ سِيْزُورُ

(١) بعده فِي الْأَغَانِي : « وَأَنْتَ تَفْرُقُ عَنْهُمْ كَمَا تَفْرُقُ الصِّفَّةَ » ، وَصَوَابُ هَذِهِ
« تَقْرَفُ » ، وَ« كَمَا تَقْرَفُ » . وَقَرَفَ الصِّفَّةَ : قَشَرَهَا وَاقْتَلَعَهَا .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « سِلُوسٌ » .

(٣) وَكَذَا فِي الْأَغَانِي ١١ : ١٧ . وَفِي الْدِيْوَانِ ١٣٧ : « قَالَتْ لَتَرْبِ لَهَا مَلَاظِفَةً لِنَفْسِدَنَّ » .

لقد منعتُ معروفها أم جعفر
 وإني إلى معروفها لفَقِيرٌ
 فدخلتِ الأحوصَ الأُبَّهةَ وعُرفتِ الخيلاءَ فيه ، فلما عرف كثيرٌ
 ذلك منه قال له : أَبْطِلْ أَخْزَاكَ اللهُ وَأَذْلُكَ . أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :
 فَإِنْ تَصَلَّى أَصْلَكَ وَإِنْ تَبَيَّنَى بَصْرْمَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ لَا أَبَالِي
 وَلَا أَلْفَى كَمَنْ إِنْ سِيمَ خَسَفًا تَعَرَّضَ كَى يُرَدَّ إِلَى الْوَصَالِ^(١)
 أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ فَحَلًّا لِبَالَيْتَ ، أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ هَذَا الْأَسُودُ
 - وَأَشَارَ إِلَى نَصِيبٍ - :

بَزِينَبَ أَلَمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ
 وَقُلْ إِنْ تَمَلُّنَا فَمَا مَلَكُ الْقَلْبُ
 فَانْكَسَرَ الْأَحْوَصُ وَدَخَلَتْ نَصِيبًا الْأُبَّهةَ ، فَلَمَّا فَهَمَ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ :
 وَأَنْتَ يَا أَسُودَ أَخْبِرْنَا عَنْ قَوْلِكَ :
 أَهَيْمُ بَدْعِدِ مَا حَيِّتُ وَإِنْ أُمْتُ فَوَا كَبْدَى مِنْ ذَا يَهْمُ بِهَا بَعْدَى
 أَهْمَّكَ مِنْ يَنْيَكُهَا بَعْدَكَ ؟ فَأَبْلَسَ نَصِيبٌ . فَلَمَّا سَكَتَ كَثِيرٌ أَقْبَلَ
 عَلَيْهِ عَمْرُ فَقَالَ : قَدْ أَنْصَتْنَا لَكَ فَاسْتَمِعْ ، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ لِنَفْسِكَ
 وَتَخْيِيرِكَ لِمَنْ تَحِبُّ حَيْثُ تَقُولُ :
 أَلَا لَيْتَنَا يَا عَزَّ مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ بَعِيرَانِ نَرَعَى فِي الْخَلَا وَنَعَزَبُ^(٢)

(١) الأغاني : « إِنْ سِيمَ صَرْمًا » . وفي ديوان الأحوص ١٦٩ : « إِنْ سِيمَ ضِيَا » .
 (٢) نَعَزَبَ ، بِالزَّيْ ، مِنَ التَّعْزِيبِ ، وَهُوَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْإِبِلِ إِلَى الْمَرْعَى الْبَعِيدِ . ط :
 « وَنَعَزَبَ » بِالذَّالِ ، صَوَابُهُ فِي شِ وَدِيَّانٍ كَثِيرٍ ١ : ٥٩٩ . لَكِنْ رَوَاةُ الدِّيَّانِ : « نَرَعَى فِي
 الْخَلَاءِ وَنَعَزَبَ » ، نَعَزَبَ : تَبَعَدَ وَتَغَيَّبَ .

كِلَانَا بِهِ عَرَّ فَمَنْ يَرِنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبِي تُعَدِّي وَأَجْرِبُ^(١)
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَلًا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ
 وَدِدْتَ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ بَكْرَةٌ هِجَانٌ وَأَنْتَى مُصْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ
 نَكُونُ بِعَيْرِي ذِي غِنَى فَيُضِيعُنَا

فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ

وَيْلَكَ تَمَنَيْتَ لَهَا وَلِنَفْسِكَ الرِّقَّ وَالْجَرَبَ ، وَالرَّيِّ وَالطَّرْدَ وَالْمَسْخَ ،
 فَأَيُّ مَكْرُوهِ لَمْ تَتَمَنَّ لَهَا وَلِنَفْسِكَ ! وَلَقَدْ أَصَابَهَا مِنْكَ قَوْلُ الْأَوَّلِ : « معادة
 عاقِل خير من مودة أحمق » . فجعل يختلج جسد كثير كله ، ثم أقبل
 عليه الأحوص فقال : أخبرني عن قولك :

وَقَلَنْ ، وَقَدْ يَكْذِبُنْ : فَيْكَ تَعَقُّفُ

وَشَوْمُ إِذَا مَا لَمْ تُطِيعْ صَاحَ نَاعِقُهُ

فَأَعْيَيْتَنَا لَا وَاحِيَا بِكِرَامَةِ

وَلَا تَارَكََا شَكْوَى الَّذِي أَنْتَ صَادِقُهُ

وَأَدْرَكَتَ صَفْوَةَ الْوَدِّ مِنَّا فَلَمَتْنَا

وَلَيْسَ لَنَا ذَنْبٌ فَنَحْنُ مَوَازِقُهُ^(٢)

وَأَلْفَيْتَنَا سِلْمًا فَصَدَعْتَ بَيْنَنَا

كَمَا صَدَعْتَ بَيْنَ الْأَدِيمِ خَوَالِقُهُ^(٣)

٥٤٧

(١) في هامش ش : « كذا بخط المؤلف وشكله بقلبه جري بالقصر ، وتعدى : وهو
 خلاف السماع والقياس ، والصواب جرياء تعدى ، بالمد ، وتعدى من أعدى » . وهذا الصواب
 الذي أشير إليه هو الثابت في الأغاني وديوان كثير .

(٢) أي مواضع لودك نمذقه لا نخلص لك فيه .

(٣) صدعت ، أي شقت . والخوالق ، من قولهم : خلق الأديم خلقاً : قدره لما يريد
 قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة ، أو خفاً ، أو نحو ذلك .

والله لو احتفل عليك مازاد على ما بؤت به على مافى نفسك ! ثم
أقبل عليه نصيبٌ فقال : أقبل علىَّ يازُبُّ الدُّباب ، فقد تَمَنَّيتَ معرفة
غائب عنك علمُه حيث تقول :

وددت وما تغنى الودادة أننى بما فى ضمير الحاجبيَّة عالمٌ
انظر مافى مرآتك واعرف صورة وجهك، تعرف ما عندها لك !
فاضطرب اضطراب العصفور ، وقام القومُ يضحكون .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد السبائة ، وهو من
شواهد سيوبه^(١) :

٦٣٩ (أن هالك كلُّ من يحفَى وينتعلُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فى فتية كسيوف الهند قد علموا^(٢))

على أنَّ أن مخففةٌ من الثقيلة ، واسمها ضمير شأن محذوف ،
وهالك خبر مقدم ، وكلُّ مبتدأ مؤخر ، والجملة خبرها .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، على أنَّ أن مخففة واسمها ضمير شأن كما
فى البيت .

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٢ ، ٤٤٠ ، ٤٨٠/٢ : ١٢٣ والخصائص ٢ : ٤٤١ والنصف
٣ : ١٢٩ والمختب ١ : ٣٠٨ وابن الشجرى ٢ : ٢ والإنصاف ١١٩ وابن يعيش ٨ : ٧٤ ،
٨١ والخزانة ٤ : ٣٥٦ بولاق والمعنى ٢ : ٢٨٧ والمجمع ١ : ١٤٢ وديوان الأعشى ٤٥ .
(٢) رواية البيت فى الديوان :

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذى الحيلة الحيلة

(٣) الآية ١٠ من سورة يونس .

قال السيرافي : وفي كتاب أبي بكر مَبْرَمَان^(١) : هذا المصراع معمول ،
أى مصنوع ، والثابت المروى :

* أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحَيْلَةِ الْحَيْلُ *

قال : والشاهد في كلتا الروايتين واحد ، لأنّه في إضمار الهاء في
أَنْ ، وتقديره ، أَنَّهُ هَالِكٌ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يَدْفَعُ . انتهى .

قال ابن المستوفى : والذي ذكره السيرافي صحيح ، ولا شك أَنَّ
النحويّين غَيَّرُوهُ لِيَقَعَ الْأَسْمُ بَعْدَ أَنَّ الْمُخَفَّفَةَ مَرْفُوعًا ، وَحَكَمَهُ أَنَّ يَقَعُ
بَعْدَ أَنَّ الْمُثَقَّلَةَ مَنْصُوبًا ، فَلَمَّا تَغَيَّرَ اللَّفْظُ تَغَيَّرَ الْحُكْمُ . انتهى .

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون^(٢) ، وقبلة :
صاحب الشاهد

(وَقَدْ غَلَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَبَعُنِي شَاوُ مِثْلُ شَلُولٍ شُلُّلُ شُولُ)

وَعَدُوتُ : ذَهَبَتْ غُدُوهُ ، وَهِيَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ
هَذَا أَصْلُهُ ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتُعْمِلَ فِي الذَّهَابِ وَالْإِنْطِلَاقِ أَيْ وَقْتُ كَانَ .
كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ .

وَالْحَانُوتُ : بَيْتُ الْخَمَارِ ، يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ . وَجُمْلَةُ « يَتَبَعُنِي » حَالٌ
مِنَ التَّاءِ فِي غَدُوتُ . وَالشَّأْوَى : الَّذِي يَشْوَى اللَّحْمَ . وَالْمِثْلُ بِكَسْرِ الْمِيمِ
وَفَتْحِ الشَّيْنِ : الْمُسْتَحِثُّ وَالْجَيْدُ السُّوقُ ، وَقِيلَ الَّذِي يَشْلُ اللَّحْمَ فِي
السُّفُودِ ، مِنْ شَلَلْتُ الثَّوبَ ، إِذَا خِطَّتْهُ خِيَاطَةُ . كَذَا قَالَ ابْنُ السِّرَافِيِّ .
وَالشَّلُولُ ، بَفَتْحِ الشَّيْنِ ، مِثْلُ الْمِثْلِ ، وَيُرْوَى : « نَشُولُ » بَفَتْحِ النَّونِ ،

(١) هو محمد بن علي بن إسماعيل ، أبو بكر المعروف بمبرمان ، تلميذ المبرد والزجاج ،
وأستاذ الفارسي والسيرافي . شرح كتاب سيبويه ولم يتمه ، وشرح شواهد . توفي سنة ٣٤٥ .
البنية ٧٤ وإنباه الرواة ٣ : ١٨٩ وياقوت ١٨ : ٢٥٤ .

(٢) ش : « لأعشى ميمون » .

وهو الذى يأخذ اللحم من القِدر ، يقال منه نَشَلْ يَنْشُلُ . والشَّلْشُلُ ، بضم الشينين كقنفذ : الخفيف اليدِ فى العمل ، والمتحرَّك . والشَّوْلُ ، بفتح فكسر ، مثل الشَّلْشُلُ ، وقيل هو الذى عادته ذلك .

وقال الخطيب التبريزى فى شرح هذه القصيدة : الشَّوْلُ هو الذى يحمل الشيء ، يقال شُلْتُ به وأشَلْتَه . وقيل هو من قولهم : فلانُ يَشُولُ فى حاجته ، أى يُعْنَى بها ويتحرَّك فيها . ومن روى : « شُولُ » بضم الشين وفتح الواو فهو بمعناه ، إلا أنه للتكثير . وروى بدله : « شَمِلُ » أيضاً بفتح فكسر ، وهو الطيبُ النَّفْسِ والرائحة . يقول : بكرت إلى بيت الخمار ومعى غلامٌ شَوَّاءٌ طبَّاخٌ ، خفيف فى الخدمة .

ويشبه هذا البيت قولَ أبى الطَّيِّبِ المتنِّبِ وهو :

فقلقت بالهمِّ الذى قلقلَ الحشا قلاقلَ عيسٍ كلهن قلاقلُ

٥٤٨

قلقلت : حرَّكت . والقلاقل : جمع قَلَقَل ، كجعفر : الناقة الخفيفة .

وقوله : « فى فتية » إلخ ، متعلِّقٌ بغدوت فى البيت المتقدم . وفى بمعنى مع . وقال العيني : حالٌ من شاوٍ ، أو حالٌ من الباء فى يتبعنى . والفتية : جمع فتى ، وهو الشابُّ . وقوله : (كسيوف الهند) فى محل الصِّفة لفتية ، وكذلك جملة (قد علموا) يريد أنهم كالسيوف فى المضاء والعزم ، أوفى صَبَاحَةِ الوجه تبرق كالسيوف . وخصَّها بالهند لحسن صقاتها^(١) . وجملة المصراع الثانى فى محل نصب على أنه ساد^(٢) مسدّدٌ مفعولى علموا .

(١) لم أجد الصقالة فى اللسان أو القاموس وسائر المعاجم المتداولة ، والمعروف الصقل والصقال بالكسر .

(٢) ط : « سادة » ، صوابه فى ش .

(ويحقّ) بالحاء المهملة من الحفاء ، وهو المشى بلا نعل ولا خفّ .
وأراد به الفقير . (ويتنعل) : يلبس النعل ، وأراد به الغنى . يريد
قد علم هؤلاء الفتيان أنّ الموت يعمّ فقيرهم وغنيهم ، فهم يبادرون إلى
اللذات قبل أن يحول الموت بينها وبينهم ، كما قيل :

خُذُوا بنصيب من نعيم ولذّة فكلّ وإن طال المدى يتصرّم

والبيتان من قصيدة جيّدة للأعشى ، وهى أحسن شعره ، وقد ألحقت
بالمعلّقات السّبع . وقد شرحها الخطيب التّبريزى مع المعلقات ، وأولها :

(ودّع هُريرة إنّ الرّكبَ مرتحلٌ وهل تُطيق وداعاً أيّها الرّجلُ)

نقل الخطيب عن أبى عبيدة أنّه قال : هُريرة : قينةٌ كانت لرجل
من آل عمرو بن مرثد ، أهداها إلى قيس بن حسان بن ثعلبة بن عمرو
ابن مرثد ، فولدت له خليداً . وقد قال فى هذه القصيدة :

* جهلاً بأُمّ خليلٍ حبلَ من تَصِلُ^(١) * انتهى

وقيل إنّ هُريرة وخليدة أختان كانتا قيتتين لبشر بن عمرو ،
وكانتا تغنيانه ، وقدم بهما إلى اليمامة لما هرب من النّعمان بن المنذر .
وقيل إنّ أمّ هُريرة كانت أمةً سوداء لحسان بن عمرو ، كان الأعشى
يشبّب بها . وقيل إنّ الأعشى سئل عن هُريرة فقال : لا أعرفها ، وإنّما
هو اسمٌ أتى فى رُوى .

ونقل صاحب الأغاني^(٢) عن الشّعبي أنّه قال : الأعشى أغزل النّاس

(١) صدره فى ديوان الأعشى ٤٢ :

* صدت هُريرة عنا ما تكلمنا *

(٢) الأغاني ٨ : ٧٦ .

في بيت ، وأخضتُ النَّاسُ في بيت ، وأشجع الناس في بيت ، والكلُّ من
هذه القصيدة .

أما الأول فقوله :

(غراءُ فرعاء مصقولٌ عوارضُها تمشى الهوينى كما يمشى الوجي الوحلُ)

وأما الثاني فقوله :

(قالت هريرةٌ لما جئتُ زائرَها ويلي عليك وويلي منك يارجلُ)

وأما الثالث فقوله :

(قالوا الطُّرادُ فقلنا تلك عادتُنا أو تنزلون فإنَّا معشرٌ نُزلُ^(١))

والغراءُ : البيضاء الواسعة الجبين . والفرعاء : الطويلة الفرع ،
أي الشعر . والعوارض : الرباعيات والأنياب . والوجي ، بكسر الجيم :
الذي يشتكي حافره ولم يحف . والوحل بكسر الحاء المهملة : الذي
يتوَحَّل في الطين .

وقوله : « قالوا الطُّراد » يقول : إن طاردتم بالرماح فتلك عادتُنا ،
وإن نزلتم تجالدون بالسُّيوف نزلنا .

وروى صاحب الأغاني^(٢) بسنده قال : حدث جرير بن عبد الله البجلي
الصحابيُّ قال : سافرت في الجاهلية ، فأقبلت ليلةً على بعيري أريد أن
أسقيه ماءً ، فلما قربته من الماء تأخر فعقلته ، ودنوت من الماء ، فإذا
قومٌ مشوهون عند الماء ، فبينما أنا عندهم إذ أتاهم رجلٌ أشدَّ تشويهاً

٥٤٩

(١) التفسير التالي من كلام البغدادى .

(٢) الأغاني ٨ : ٩٧ .

منهم فقالوا : هذا شاعر^(١) . ثم قالوا : يا أبا فلان أنشد هذا فإنه ضيف . فأنشد :

* ودّع هريرة إنَّ الركبَ مُرتحلُ *

فوالله ما خرم منها بيتاً حتى أتى على آخرها^(٢) ، فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا أقولها . قلت : أولا ما تقول لأخبرتكَ أن أعشى قيس بن ثعلبة أنشدنيها عامَ أوَّلَ بنجران . قال : إنَّكَ صادق^(٣) ، أنا الذي ألقيتها على لسانه ، وأنا مسحلٌ [صاحبه^(٤)] ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس .

وروى صاحبُ الأغاني عن الأعشى قال : حدَّث الأعشى عن نفسه قال : خرجت أريد قيسَ بنَ معديكرب بحضرموت ، فضللْتُ في أوائل أرض اليمن لأنِّي لم أكن سلكت ذلك الطريق قبْلُ ، فأصابني مطرٌ ، فرميت ببصرى أطلب مكاناً أَلجأُ إليه ، فوقعتُ عيني على خباءٍ من شعرٍ ، فقصدتُ نحوه ، وإذا أنا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه ، فردَّ على السلام وأدخل ناقتي خباء آخرَ كان بجانب البيت ، فحططتُ رجلي وجلست فقال : من أنت ؟ وأين تقصِد ؟ قلت : أنا الأعشى ، أقصِد قيسَ بن معديكرب . فقال : حيَّاكَ الله ، ، أظنُّكَ امتدحتَه بشعر ؟ قلت : نعم . قال : فأنشدنيهِ . فابتدأت مطلعَ القصيدة :

رحلتُ سُميَّةً غُدوةً أجمالها غَضباً عليكَ فما تقولَ بدًا لها

(١) في الأغاني : « شاعرم » .

(٢) الأغاني : « حتى انتهى إلى هذا البيت » :

تسمع لللى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

(٣) الأغاني : « فإنَّكَ صادق » .

(٤) التكلة من الأغاني ، وهي ضرورة ليستقيم الكلام بعدها .

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك ، أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم . قال : مَنْ سَمِيَّةُ التي تَنَسَّبُ بِهَا ؟ قلت : لا أعرفها ، وإنما هو اسمٌ أَلْقِيَ في رُوعِي . فنَادَى : يَا سَمِيَّةُ اخْرُجِي . وإذا جاريةٌ خماسيَّةٌ قد خرجت ^(١) ، فوقففت وقالت : ما تريد يا أبت ؟ قال : أنشدني عمك قصيدتي التي مدحتُ بها قيسَ بن معديكرب ونسبتُ بكِ في أولها . فاندفعتُ تُنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفاً ، فلما أتممتها قال : انصرفي . ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم ، كان بيني وبين ابن عمٍّ لي يقال له يزيد بن مُسَهَّر ، ويكنى ^(٢) أباً ثابت ، ما يكون بين بني العمِّ ، فهجاني وهجوته فأفحمتُه . قال : ماذا قلتَ فيه ؟ قال : قلت :

* ودّع هريرة إنَّ الركبَ مرتحلٌ *

فلما أنشدته البيتَ الأول قال : حسبك ، مَنْ هريرةُ هذه التي نسبتَ فيها ؟ قلت : لا أعرفها ، وسبيلُها سبيلُ التي قبلها . فنَادَى : ياهريرة . فإذا جاريةٌ قريبة السنِّ من الأولى خرجتُ ، فقال : أنشدني عمك قصيدتي التي هجوتُ بها أباً ثابت يزيدَ بنَ مسهر . فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفاً . فسقطَ في يدي وتحيرت ، وتغشّيتني رعدة . فلما رأى ما نزل بي قال : ليُفْرِخْ رُوعَكَ يَا أَبَا بَصِير ^(٣) أنا هاجسُك مسحل بن أثانة الذي ألقى على لسانك الشعر . فسكنتُ نفسي ورجعتُ إلى ، وسكن المطرُ ، فدلتني على الطريق وأراني سمتَ مقصدي وقال : لا تُعْجِ يميناً ولا شمالاً حتى تقع ببلاد قيس .

(١) الخماسية من الوصائف : ما كان طولها خمسة أشبار .

(٢) ط : « يكنى » بلون واو .

(٣) في هامش كل من ط ، ث : « هاجس الأعشى مسحل بن أثانة ، وابنتاه سمية وهريرة

هما اللتان شهب بهما » .

وروى صاحبُ الأغاني^(١) أيضاً أنَّ الأعشى قال هذه القصيدة ليزيد ابن مسهر أبي ثابت الشيباني .

قال أبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أنَّ رجلاً من بني كهف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، يقال له ضبيع ، قتل رجلاً من بني همام ، يقال له زاهر بن سيَّار بن أسعد ابن همام ، وكان ضبيع مطروقاً^(٢) ، ضعيف العقل ، فنهاهم يزيد ابن مسهر ، وهو من بني ثعلبة بن أسعد بن همام ، أن يقتلوا ضبيعاً بزاهر ، وقال : اقتلوا به سيِّداً من بني سعد بن مالك بن ضبيعة . فحضر بني سيَّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به ، فبلغ بني قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه القصيدة في ذلك ، يأمره أن يدع بني سيَّار وبني كهف ، ولا يعين بني سيَّار ، فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كهف . وحذره أن يلتقي بنو سيَّار منهم ما لقوا يوم العَيْن عَيْن مُحَلَّم بهجر .

وكان من حديث ذلك اليوم كما زعم عمر بن هلال ، أحد بني سعد ابن قيس بن ثعلبة ، أنَّ يزيد بن مسهر كان خالِعَ أصرمَ بن عوف ابن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، فلما خلع يزيد بن مسهر أصرمَ من ماله خالعه على أن يرهنه ابنه : أَقْلَبَ^(٣) وشهاباً ابني أصرم ، وأُمهما فطيمة بنت شُرْحِيلَ بن عَوْسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس . وأنَّ يزيد قَمَرَ أصرم^(٤) ، فطَلَبَ إليه أن يدفع إليه ابنه رهينة ، فأبَتْ

(١) الأغاني ٨ : ٩٦ .

(٢) المطروق : الذي فيه رخوة وضعف .

(٣) في الأغاني : « أفلت » .

(٤) قره : غلبه .

أُمُّهُمَا ذَلِكَ فَنَادَتْ قَوْمَهَا ، فَحَضَرَ النَّاسَ وَاشْتَمَلَتْ فُطَيْمَةَ عَلَى ابْنَيْهَا
بَثْوَبَا ، وَدَافَعَ قَوْمُهَا عَنْهُمَا وَعَنْهَا . فَذَلِكَ قَوْلُ الْأَعْشى :
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْعَيْنِ ضَاحِيَةً جَنَيْ فُطَيْمَةَ لَا مِيلٌ وَلَا عَزْلُ
قال : فانهزم بنو سيار .

فَحَذَّرَ الْأَعْشى يَزِيدَ بْنَ مَسْهَرٍ مِثْلَ تِلْكَ الْحَالَةِ .

قال أبو عبيدة : وَذَكَرَ عَامِرٌ وَمَسْعُومٌ ، عَنْ قَتَادَةَ الْفَقِيهِ أَنَّ رَجُلَيْنِ
مِنْ بَنِي مَرْوَانَ تَنَازَعَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، فَجَرَّدُوا^(١) رَسُولًا فِي ذَلِكَ إِلَى
الْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ فُطَيْمَةَ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ ،
وَأَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سِيَّارٍ وَلَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُهَا مِنْ قَوْمِهِ ، فَتَغَايَرَتَا
فَعَمِدَتِ السِّيَّارِيَّةُ فَحَلَقَتْ ذَوَائِبَ فُطَيْمَةَ ، فَاهْتَجَّ الْحَيَّانُ فَاقْتَتَلُوا ،
فَهَزِمَتْ بَنُو سِيَّارٍ يَوْمَئِذٍ . انْتَهَى .

وإِنَّمَا نَقَلْتُ هَذَا الْفَصْلَ لِأَنَّ شُرَاحَ الْقَصِيدَةِ أَخْطَؤا فِي شَرْحِهِمْ بِهِذِهِ
الْأُمُورَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَتَرْجُمَةُ الْأَعْشى تَقْلَمَتْ فِي الشَّاهِدِ الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ^(٢) .

• • •

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْأَرْبَعُونَ بَعْدَ السِّتَائَةِ^(٣) :

٦٤٠ (وَلَا تَدْفِنَنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي

أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقُهَا)

عَلَى أَنْ (أَنْ) مَخْفُفَةٌ لَوْقُوعِهَا بَعْدَ الْخَوْفِ بِمَعْنَى الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ ،

(١) فِي الْأَعْيَانِ : « فَجَرَّدَ رَسُولًا » .

(٢) الْخَزَائِنُ ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٣) الْمَنَى ٣٠ وَالْمَع ٢ : ٢ وَالْأَشْهُونَ ٣٠ : ٢٨٣ وَدِيَّوَانَ أَبِي عَجْجَنِ ٨ .

واسمها ضميرُ شأنٍ محذوفٌ ، أو ضميرٌ متكلمٌ . وجملة لا أذوقها في محل رفع خبرها^(١) .

وقبله :

(إذا متُّ فادفني إلى جنبِ كَرَمَةٍ
تروى عظامي بعد موتي عروقها)

وأصل الخوف الفزع وانقباض النفس عن احتمال ضرر ، وإذا اشتدَّ الخوف التحق بالمتيقن كما قال الشارح المحقق .

قال ابن خطيب الدهشة^(٢) وهو ابن مؤلف المصباح (في كتاب التقريب^(٣) ، في علم الغريب) : يقال خاف الشيء : علمه وتيقنه . انتهى .

وذلك لأنَّ الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أنَّه مما يُخاف منه ، فهو من التعبير بالمسبب عن السبب ، وليس إطلاقه عليه لأنَّه من لوازم اليقين كما قال الشُّمْنِيُّ ، فكم من يقينٍ لا خوف منه .

وقال بعض المحققين : الخوف والخشية يُستعملان بمعنى العلم ، لأنَّ الخوفَ عبارة عن حالة مخصوصة متولدة من ظنٍّ مخصوص ، وبين

(١) كلمة « رفع » ساقطة من ش .

(٢) أي ابن خطيب جامع الدهشة ، وخطيب جامع الدهشة هو صاحب « المصباح المنير ، في غريب الشرح الكبير » ، وهو أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ المتوفى سنة ٧٨٠ . وقد سبق ترجمته في حواشي الخزانة ١ : ٢٥ . واسم ولده هذا هو محمود بن أحمد بن علي الحموي الفيومي ، وهو من فقهاء الشافعية كوالده . وأصله من الفيوم ، ومولده ووفاته بجدة (٧٦٠ - ٨٣٤) .

(٣) ذكر صاحب كشف الظنون أنه لغة تتعلق بالموطأ والصحيحين . وفي ش : « التعريب » ، صوابه في ط . وما يجدر ذكره أن كتاب والده « المصباح المنير » هو شرح للغات التي وردت في غريب الشرح الكبير للرافعي ، وهو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الشافعي المتوفى سنة ٦٢٣ وهو أحد شرحين ألفهما علي كتاب « الوجيز في الفروع » للإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ . وهو في فقه الشافعية .

الظن والعلم مشابهة في أمور كثيرة ، فلذلك صحَّ إطلاق كلٍّ منهما على
على الآخر .

وفي تخصيصه التولد بالظن نظر ، لأنَّ الخوف كما يتولد عن
الظن يتولد عن العلم أيضاً .

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ ﴾^(١)
فمن توقَّع وعَلِمَ . وهذا في كلامهم شائع ، يقال أخاف أن تُرسل السماء ،
يريدون التوقُّع والظنَّ الغالب ، الجارى مجرى العلم^(٢) .

وقال الدماميني (في الحاشية الهندية) عند قول ابن هشام (في
المغني) : « الخوف في هذا البيت يقين » : قد يقال لا يلزم من تعقُّل
العقلاء أنَّه لا ينوقها بعد الموت ، حملُ الخوف على اليقين عند هذا
الشاعر ، لأنَّ استهتاره بشربها ، ومغالاته في محبَّتها ، أمرٌ مشهور ، فلعلَّ
ذلك حمله على أنَّه خاف ولم يقطع بما تيقَّنه غيره ، ولذلك أمر بدفنه
إلى جنب الكرمه ، رجاء أنَّه ينال منها بعد الموت . ومن ثمَّ قيل إنَّ هذا
أحمقُ بيت قالته العرب . انتهى .

قال المُلَّا أحمد الحلبي (في شرحه) بعد نقل هذا الكلام : وهذا
مَبْنِيٌّ كما قال شيخنا على أنَّه كان إذ ذاك متردداً بين ذوقها بعد الموت
بتقدير دفنه إلى جنب الكرمه ، أو لا بتقدير دفنه في الفلاة . فلا علم
ولا ظنَّ . قال : وهذا احتمال ، لأنَّ التعليل بقوله فَإِنِّي أَخَافُ ، إن
كان لمجموع الأمر والنهي^(٣) على معنى فَإِنِّي أَخَافُ أن لا أذوقها غداً

(١) الآية ١٨٢ من سورة البقرة .

(٢) تفسير الكشاف ١ : ٨٧ .

(٣) في ش : « لمجموع » ، والوجه ما أثبت من ط .

فلا علم ولا ظن : فهي الناصبة أهملت . ففي (شرح الكافية للحديثي)
 أَنَّ الخفيفة بعد فعل الخوف والرجاء ناصبة ، لَأَنَّهُ يحتمل أن يقع وَأَنَّ
 لا يقع ، وبعد الظنَّ تحتملُها والمخففة ، نظراً إلى الرُّجحان وعدمه ،
 أو على معنى فَإِنِّي أَخَافُ الْآنَ ، بتقدير : أَن لا تدفني إلى جنبها بل في
 الفلاة : أَن لا أذوقها إِذَا مَا مِتُّ ، أو فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ ، بهذا
 التقدير : أَن لا أذوقها . فالخوف هنا علمٌ و يقين ، فهي المخففة .
 وكذا إِن جُعل تعليلًا للنهي وحده ، لَأَنَّهُ الذي قارنه في هذا البيت ،
 على معنى فَإِنِّي أَخَافُ الْآنَ أو إِذَا مَا مِتُّ ، بتقدير أَن تدفني في الفلاة
 لا إلى جَنْبِهَا ، أَن لا أذوقها . انتهى .

قال ابن المُلَّا : وههنا بحثٌ ، وهو أَنَّ الشاعر وإن كان من المغرمين
 بالصَّهْبَاءِ ، المتهتكين بها ، لكنَّه من ذوى العقول الكاملة ، والأنظار
 الصائبة ، فكيف يظنُّ به أَنَّهُ غير قاطع بما يتيقنه غيره من عدم الذوق
 بعد الموت ؟ بل هو أمرٌ مركوز في الأذهان ، غنى عن البيان وإنما جرى
 في كلامه هذا على مذهب الشعراء في تخييلاتهم ، ورامَ سلوكَ جادةِ
 تمويهاتهم ، فَإِنَّهُمْ سحرة الكلام ، ومخترعو صُور الإيهام . فَأَمْرٌ أَوَّلًا
 بدفنه بعد الموت بجانب كرامة ، وأبدى عذره في ذلك بوصفها بقوله :

* تروى عظامي بعد موتي عروقها *

ليستفاد من ذلك علَّة الأمر بالدفن المذكور ، إشارة إلى أَنَّ ما لا
 يُدرك كُله لا يترك كُله . وإذا تعذَّرت التروية الحقيقية فلا
 أقلُّ من حصول التروية المجازية . ثمَّ نهي ثانياً تأكيداً للأمر الأوَّل
 عن دفنه لا بجانب كرامة ، وعلَّل ذلك بأنَّه لا يذوقها إِذَا مات فلا
 يتروَّى بها حقيقة . فدفنُه إلى جانبها مفوَّت للتروية المجازية . ولمزيد

شَغَفَهُ بِهَا آثَرُ التَّعْبِيرِ عَنْ هَذَا الْيَقِينِ بِالْخَوْفِ إِلَيْهِمَا ؛ لِأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَقْطَعُ بَعْدَمَ الذُّوقِ . وَجَعَلَ رَفَعَ الْفِعْلَ بَعْدَ أَنْ مَعَهُ دَلِيلًا عَلَى مَا قَصَدَهُ مَعْنَى . وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ تَرْوِيَةَ الْعِظَامِ مُجَازِيَّةٌ لِأَنَّ الرَّوْيَ ^(١) حَقِيقَةٌ لَذَوَاتِ الْأَكْبَادِ عَنْ عَطَشٍ ، وَلَيْسَتْ الْعِظَامُ مِنْهَا . عَلَى أَنَّهُ لَا عَطَشَ بَعْدَ الْمَوْتِ . أَوْ لِمَا [لَيْسَتْ] لَهُ قُوَّةٌ نَامِيَّةٌ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : رَوَى النَّبَاتُ مِنَ الْمَاءِ . وَالْعِظَامُ جَمَادٍ . انْتَهَى كَلَامُهُ ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ .

٥٥٢

ويؤيد هذا رواية ابن السكيت :

وَلَا تَدْفَنُنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي يَقِينًا إِذَا مَا مِتُّ لَسْتُ أَذُوقُهَا وَعَلَيْهَا لَا شَاهِدٌ فِي الْبَيْتِ .

صاحب الشاهد والبيتان أولاً قصيدة لأبي مِجْنَنٍ الثَّقَفِي ، رواها ابنُ الأعرابي وابن السكيت (في ديوانه) ، وبعدهما :

أَيَاتُ الشَّاهِدِ (أَبَاكِرْهَا عِنْدَ الشُّرُوقِ وَتَارَةً يُعَاجِلُنِي عِنْدَ الْمَسَاءِ غَبُوقُهَا^(٢) وَلِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ حَقٌّ مَعْظَمٌ فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ لَا تُضَاعَ حَقُوقُهَا أَقْوَمُهَا زَقَا بِحَقِّ بَذَاكُمُ يُسَاقُ إِلَيْنَا فَجَرُّهَا وَفُسُوقُهَا^(٣) وَعِنْدِي عَلَى شُرْبِ الْمَدَامِ حَفِيزَةٌ إِذَا مَا نِسَاءُ الْحَيِّ ضَاقَتْ حُلُوقُهَا

(١) الروي ، بكسر ففتح : الرى ، كما في اللسان . وفيه : « روى من الماء بالكسر ، يروى رياً وروى أيضاً مثل رضا ، وتروى وارتوى ، كله بمعنى » . وفي ش مع أثر تصحيح : « التروى » ولا داعي له .

(٢) في الديوان ٢٤ : « يعاجلني بعد العشي » .

(٣) ط : « يداكم » ، صوابه في ش وديوان أبي مجنن ٢٤ . ورواية الديوان أيضاً ، وهي الوجه : « تجرها ونسوقها » . وقال أبو هلال العسكري في تفسير البيت : « الحق من الإبل : ابن ثلاث سنين ، والأنثى حقة ، وسمى ذلك لأنه استحق أن يحمل عليه . يقول : أشتري زقاً بحق ، ولهذا يحمل إلينا الخمر ، لأننا نزج حاملها . والتجر : جمع تاجر ، مثل صحب وصاحب » .

وَأَعْجَلْنَ عَنْ شَدِّ الْمَآزِرِ وَلَهَّأَ مَفْجَعَةَ الْأَصْوَاتِ قَدْ جَفَّ رِيْقُهَا
وَأَمْنَعُ جَارَ الْبَيْتِ مِمَّا يَنْوِبُهُ وَأَكْرَمُ أَضْيَافاً قِرَاهَا طُرُوقُهَا

قال ابن السكيت: قوله: (إِذَا مِتُّ فادفني) هذا خطابٌ مع ابنه يأمره بذلك ، وفيه مبالغة على حبه للخمر وتعطشه إليها ، إذ أظهر الرغبة إليها وهو ميت . وقوله: (ولا تدفني في القلاة) الخ . قال ابن السكيت: القلاة: الأرض المهلكة التي لا علم بها ولا ماء . والمعنى أَنَّ القلاة لا يُغرسُ فيها كرم^(١) فلا تدفني إلاَّ بمكان ينبت فيه العنب حتى أكون قريباً منه ، فالتذُّ بذلك .

وقوله: « أَبَاكِرْهَا عِنْدَ الشُّرُوقِ » الخ . قال ابن السكيت: أي إِنِّي أَصْبَحُهَا عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وَمَرَّةً أَشْرَبُهَا عِشَاءً ، إِلَّا أَنِّي أَقْدِمُ شَرِبَهَا عَلَى الْعِشَاءِ فَيَعَايِلُنِي الْغَبُوقُ . وَالصُّبُوحُ : شَرِبَ الْغَدْوُ . وَالْغَبُوقُ : شَرِبَ آخِرَ النَّهَارِ . وَأَبَاكِرُهَا : أَبَادِرُ إِلَيْهَا فِي بَكْرَةِ النَّهَارِ .

وقوله: « وَلِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ » الخ . قال ابن السكيت: حقُّها: كونها تسرُّ القلب وتذهب الهمَّ ، وتُسَخِّي البخيل وتشجِّع الجبان ، إلى غير ذلك من فعلها ، وهذا حقُّ لها . وإذا كان هذا دأبها فمن حقِّها أن تعظم ولا تضيع حقوقها . انتهى .

وقال ابن المَثَلَا: فَإِنْ قُلْتَ: حَقُّ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ: وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ لَا يَضَاعَ حَقُّهُمَا ، لِادِّعَائِهِ أَنَّ الْحَقَّ الْمَعْظَمَ لِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ . قُلْتَ: نَعَمْ ، إِلَّا أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْكَأْسَ وَالصَّهْبَاءَ وَإِنْ كَانَا شَيْئَيْنِ فَهُمَا بِمِثَابَةِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ . وَاسْتَلَمَحَ قَوْلُ الْقَائِلِ^(٢) :

(١) ط: « لا يعرش فيها كرم » ، وأثبت ما في ش .

(٢) أي لمح وأخذ منه . والوجه أن تقرأ: « واستلمح » بصيغة المضارع ، أو « استلمح »

بصيغة الأمر ، ويأخذ هاتين القرامتين ينتفى اعتراض البغدادى عليه فيها سيأتى .

رَقَّ الزجاجُ وراقت الخمر وتشاكلا فتشابه الأمرُ
فكأنَّما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنَّما قدحٌ ولا خمرٌ
انتهى . وفيه أَنَّ هذين البيتين لأبي إسحاق الصَّابي ، وهو متأخِّر
عن أبي مخجن بأكثر من ثلاثمائة سنة . وكان ينبغي أن يعكس^(١)

وقوله : « أقومها زقا » إلخ . قال ابن السكيت : الزُّقُّ بالكسر : ظرف
الخمر . والحقُّ بالكسر من الإبل : ابن ثلاث سنين ، وكذلك الحقيقة ،
وسُمِّيَ بهذا الاسمَ لأنَّهما استحقَّا أن يركبا . وفَجَرها : فجورها^(٢)
والفاجر : المائل عن الطاعة . والطاعة : الوقوف على الأوامر . والفسوق
توسيع ما ضيقه الله من أمر الدين .

٥٥٣

وقوله : « وعندي على شرب » إلخ . قال ابن السكيت : الحفيظة
كل شيء يُغَضَّب لأجله . يعنى وإن كنت سكران لا أهملُ الحفاظ إذا
استغاثت بي نساء الحي وصيحن لنازلة نزلت بهن .

وقوله : « وأعجلن عن شد » إلخ . قال ابن السكيت : أى دَهِمهنَّ
من البلاء ما أعجلهنَّ عن شد المآزر في أوساطهن . وولَّها : مفعول من
أَجَله ، أى للولِّه الذى نزل بهن . والواله : الذَّاهب العقل . والمفجعة :
التي نزل بها ما أخافها وأفرعها . وجفَّ ريقها ، أى يبس . انتهى .
والصواب أن « ولَّها » حال لا مفعول من أَجَله .

وقوله : « وأمنع جار البيت » إلخ . قال ابن السكيت : قرأها : أطعمها
يقول : إذا طرقتنا الضيفان ليلاً أعجلنا لها القرى ، فكأنَّ طروقها هو
الذى قرأها . انتهى .

(١) ش : « أن لا يعكس » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « وفجورها » ، والوجه طرح الواو كما في ش .

أبو محجن الثقفي : شاعر صحابي ، له سماعٌ ورواية . كذا في الاستيعاب كما يأتي .

وإنّما أثبت له السيوطي (في شرح أبيات المغني) رواية ، ولم يذكر أنّ له سماعاً . ونفاها أيضاً الذهبي (في تاريخ الإسلام) . وقال (في التجريد) : أبو محجن الثقفي عمرو بن حبيب ، وقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبدالله . كان فارساً شاعراً من الأبطال ، لكنّ جلده عمرٌ في الخمر مرّات ، ونفاه إلى جزيرة في البحر ، فهرب ولحق بسعد وهو يحارب الفُرسَ فحبسه . وله أخبارٌ . روى عنه أبو سعد البقّال . انتهى . ورواية أبي سعد البقّال عن أبي محجن إنّما هي بتدليس ، لأنّه لم يدرك عصره . وقد ذكروه في الضعفاء .

وقيل إنّ اسمه أبو محجن ، وهي كنيته أيضاً . وهو بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم .

وهذه ترجمته (من الاستيعاب ، تأليف أبي عمر يوسف الشهير بابن عبد البر) قال : أبو محجن الثقفي اختلف في اسمه ، فقيل مالك ابن حبيب ، وقيل عبدالله بن حبيب بن^(١) عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عميرة بن عوف بن قسيّ ، وهو ثقيف ، الثقفي . وقيل اسمه كنيته . أسلم حين أسلمت ثقيف . وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه . حدّث عنه أبو سعد البقّال قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ثَلَاثٌ : إِيمَانٌ بِالنُّجُومِ ، وَتَكْذِيبٌ بِالْقَدَرِ ، وَحَيْفُ الْأُمَّةِ » .

(١) هذا يطابق ما في الاستيعاب ٣١٦١ والإصابة ١٠٠٧ من باب الكنى . وفي ش : « وقيل » موضع « بن » هذه .

وكان أبو محجن هذا من الشُّجْعان الأبطال في الجاهلية والإسلام ، من أولى البأس والنجدة ، ومن الفُرسان البُهم^(١) . وكان شاعراً مطبوعاً كريماً إلا أنه كان منهمكاً بالشراب لا يكاد يُقْلِعُ عنه^(٢) ولا يردُّعه حَدٌّ ولا لومٌ لائم . وكان أبو بكر الصَّدِّيق يستعين به . وجلده عمر ابن الخطاب في الخمر مراراً ، ونفاه إلى جزيرة في البحر ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ، ولحق بسعد بن أبي وقاص بالقادسية وهو محارب للفرس . وكان قد همَّ بقتل الرجل الذي بعثه عمر معه ، فأحسَّ الرجلُ بذلك ، وخرج فاراً ولحق بعمْر ، وأخبره خبره ، فكتب عمر إلى سعد بحبس أبي محجن ، فحبسه .

حدثنا إسحاق ابن إبراهيم قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن جُريج قال : بلغني أنَّ عمر بن الخطاب حَدَّ أبا محجن الثَّقَفِيَّ سبعَ مرَّات . ذكر ذلك عبدُ الرزاق في باب من حَدَّ من الصحابة في الخمر . قال : وأخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : كان أبو محجن الثَّقَفِيَّ لا يزالُ يُجْلَدُ في الخمر ، فلما كثر عليهم^(٣) سَجَنَوْه وأوثقوه ، فلما كان يوم القادسية رأهم يقتتلون فكأنَّه رأى أنَّ المشركين قد أصابوا من المسلمين ، فأرسل إلى أمِّ ولد سعد ، أو إلى امرأة سعد ، يقول لها : إنَّ أبا محجن يقول لك : إن خُلِّيت سبيلَه وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحاً ليكوننَّ أول من يرجع إليك ، إلَّا أن يُقتل . وأنشد يقول :

٥٥٤

كفَى حزنًا أن تلتقي الخيلُ بالقنصا
وأتركُ مشدودًا على وثاقها

(١) البهم ، بضم ففتح : جمع بهمة بالضم ، وهو الشجاع الذي لا يهتدى من أين يوقى .

(٢) وكذا في الاستيعاب ، وفي ش : « يقطع عنه » .

(٣) في الاستيعاب : « أكثر عليهم » .

إِذَا قَمْتُ عَنَّاىَ الْحَدِيدُ وَغُلَّقْتُ
 مَصَارِعُ دُونِي قَدْ تُصِمُّ الْمَنَادِيَا^(١)
 وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ
 فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا^(٢)
 وَقَدْ شَفَّ نَفْسِي أَنَّنِي كُلَّ شَارِقٍ
 أَعَالَجَ كَيْلًا مُصْمِتًا قَدْ بَرَانِيَا
 فَلِلَّهِ دَرَى يَوْمَ أَتْرَكَ مُوثِقًا
 وَتُذْهَلُ عَنِّي أُسْرَى وَرَجَالِيَا
 حُبِسْتُ عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَقَدْ بَدَتْ
 وَإِعْمَالُ غَيْرِي يَوْمَ ذَاكَ الْعَوَالِيَا^(٣)
 وَلِلَّهِ عَهْدٌ ، لَا أَخِيْسُ بَعْدَهُ
 لَنْ فُرِجَتْ أَنْ لَا أَزُورَ الْحَوَانِيَا

فذهبت الأخرى فقالت ذلك لامرأة سعد ، فحلت عنه قيوده ،
 وحمل على فرسٍ كان في الدار ، وأعطى سلاحاً ، ثم خرج يركض حتى
 لحق بالقوم ، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدق صلبه . فنظر
 إليه سعد فجعل يتعجب ويقول : مَنْ ذلك الفارس ؟ قال : فلم يلبثوا
 إلا يسيراً حتى هزمهم الله ، ورجع أبو محجن وردّ السلاح ، وجعل

(١) ط : « غنائى الحديد » ، وأثبت ما في ش والديوان ١٧ والاستيعاب وابن سلام . والمصارع :
 جمع مصرع كمنبر ، وهو لغة في مصراع انبأ . وما بعد هذا البيت من أبيات المقطوعة لم يرد في
 الاستيعاب ، وأورد ابن سلام الثلاثة الأولى ، وزاد عليها رابعاً لم يرد في ديوانه ، وهو :
 أرىنى سلاحى لا أبالك أنسى أرى الحسب ما تزداد إلا تماديا
 (٢) وكذا في ابن سلام والأغانى ٢١ : ١٣٩ . وفي الديوان : « فأصبحت منهم واحداً » .
 وما بعد هذا البيت لم يرد في الاستيعاب ولا الديوان ولا ابن سلام ، وإنما ورد في الأغاني
 ٢١ : ١٣٩ .

(٣) في الأغاني : « حبساً عن الحرب العوان » . والعوان : التي قوتل فيها مرة بعد مرة .

رجليه في القيود كما كان ، فجاء سعد فقالت له امرأته أو أمُّ ولده :
كيف كان قتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، حتى بعث
الله رجلاً على فرسٍ أبلقٍ لولا أنَّى تركت أبا محجنٍ في القيود لظننتُ
أنَّها بعض شبائل أبي محجن ؟ فقالت : والله لأبو محجن كان من أمره
كذا وكذا . فقصَّت عليه قصَّته . فدعا به وحلَّ قيوده وقال : لا نجلدك
على الخمر^(١) أبداً . قال أبو محجن : وأنا والله لأشربها أبداً . كنت
آنف أن أدعها من أجل جلدكم . قال : فلم يشربها بعد ذلك .

وروى صاحب الاستيعاب بسنده إلى إبراهيم بن محمد بن سعد بن
أبي وقاص عن أبيه قال :

لما كان يوم القادسية أتى سعد بأبي محجن وهو سكرانٌ من الخمر ،
فأمر به إلى القيد ، وكان سعدُّ به جراحة فلم يخرج يومئذ إلى الناس ،
واستعمل على الخيل خالد بن عُرْفُطَة ، ورفَّع سعدُّ فوق العذيب^(٢)
لينظر إلى الناس^(٣) ، فلما التقى الناسُ قال أبو محجن :

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا^(٤) . . . الأبيات السابقة

فقال لابنة خَصَفَة^(٥) امرأة سعد : ويحكِ خليئي ولكِ على^(٦) إن

(١) انظر ما سيأتى من كلام ابن حجر في هذا في ص ٤١١ - ٤١٢ .

(٢) العذيب ، هيئة التصغير : ماء بين القادسية والمغيثة .

(٣) ش : « ينتظر إلى الناس » ، صوابه في ط والاستيعاب .

(٤) في الاستيعاب : « أن تلتقى » وفي ط ، ش : « أن تردد » ، وصواب هذه ما أثبت
من الأغاني . ردت الخيل تردى ردياً : رجعت الأرض بمحاورها .

(٥) كذا في الاستيعاب والإصابة . وفي النسختين : « حفص » ، تحريف . وفي الأغاني :

« سلمى بنت أبي حفصة » ، تحريف أيضاً . وانظر الطبري ٣ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٤٢ ،

٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ .

(٦) هذا ما في ش . وفي ط : « ولك » فقط . وفي الاستيعاب : « ولكِ على عهد الله » .

سَلَّمَنِي اللَّهُ أَنْ أَجِيءَ حَتَّى أَضْعَ رَجُلِي فِي الْقَيْدِ ، وَإِنْ قَتِلْتُ اسْتَرَحْتُمْ مِنِّي . فَخَلَّتْهُ فَوْثُبٌ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ يُقَالُ لَهَا الْبَلْقَاءُ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّمْحَ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى النَّاسَ ، فَجَعَلَ لَا يَحْمِلُ فِي نَاحِيَةٍ إِلَّا هَزَمَهُمْ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : هَذَا مَلِكٌ : وَسَعْدٌ يَنْظُرُ ، فَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ : الضَّبْرُ ضَبْرُ الْبَلْقَاءِ ، وَالطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مُحَجَّجٍ ، وَأَبُو مُحَجَّجٍ فِي الْقَيْدِ ! فَلَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ رَجَعَ أَبُو مُحَجَّجٍ حَتَّى وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْقَيْدِ ، فَأَخْبَرَتْ ابْنَتُهُ خَصْفَةَ^(١) سَعْدًا بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَبْلَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَبْلَى فِي هَذَا الْيَوْمِ ! لَا أَضْرِبُ رَجُلًا أَبْلَى فِي الْمُسْلِمِينَ مَا أَبْلَى ! قَالَ : فَخَلَّى سَبِيلَهُ .

وَقَالَ أَبُو مُحَجَّجٍ : كُنْتُ أَشْرِبُهَا إِذْ يَقَامُ عَلَى الْحَدِّ وَأَطْهَرُ مِنْهَا ، فَأَمَّا إِذْ بَهَرَجَتْنِي^(٢) فَوَاللَّهِ لَا أَشْرِبُهَا أَبَدًا .
وَمِنْ رَوَايَةِ أَهْلِ الْأَخْبَارِ أَنَّ ابْنًا لِأَبِي مُحَجَّجٍ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ :

٥٥٥ إِذَا مِتُّ فَادْفَنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةِ . . . الْأَبْيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ

فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : لَوْ شِئْتَ ذَكَرْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا مِنْ شِعْرِهِ . قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : قَوْلُهُ :

لَا تَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ وَسَائِلُ النَّاسِ عَنْ حَزْمِي وَعَنْ خَلْقِي^(٣)

(١) كَذَا فِي الْإِسْتِيعَابِ وَالْإِصَابَةِ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ هُنَا : « حَفْصَةُ » تَحْرِيفٌ .

(٢) هَذَا مَا فِي الْإِسْتِيعَابِ وَاللَّسَانِ (يَهْرَجُ) . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « إِنْ بَهَرَجَتْنِي » . وَبَهْرَجَ الشَّيْءُ : أَبْطَلَهُ ، كَمَا تَبَهَّرَجَ الدَّنَانِيرُ وَالْدَّرَاهِمُ . أَرَادَ أَهْدِرَتْنِي بِإِسْقَاطِ الْحَدِّ عَنْهُ . كَأَنَّهُ فِي اللِّسَانِ .

(٣) وَكَذَا فِي الْإِسْتِيعَابِ . لَكِنْ رَوَايَةُ الْدِيَوَانِ ص ٣ :

لَا تَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ وَسَائِلُ الْقَوْمِ عَنْ دِينِي وَعَنْ خَلْقِي
وَقَالَ أَبُو هِلَالٍ فِي تَقْسِيرِهِ : « إِنَّهُ خَاطَبَ امْرَأَتَهُ . وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَخَاطَبُوا نِسَاءَهُمْ فِي ابْتِدَاءِ قِصَصِهِمْ إِذَا حَضَرُوا ، وَيَخَاطَبُوا خَلِيلَهُمْ إِذَا سَافَرُوا ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَسَافِرُ مِنْهُمْ أَقْلٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ » .

قد يَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي مِنْ سَرَاتِهِمْ
 إِذَا تَطِيشُ يَدَ الرَّعْدِيدَةِ الْفَرَقِ^(١)
 قد أَرْكَبُ الْهَوَلَ مَسْدُولاً عَسَاكِرُهُ
 وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعَنْقِ
 أُعْطِيَ السَّنَانَ غَدَاةَ الرَّوْعِ حِصَّتَهُ
 وَعَامِلُ الرُّمَحِ أَرْوِيهِ مِنَ الْعَلَقِ^(٢)
 وزاد بعضهم في هذه الأبيات :
 وَأَطْعُنُ الطُّعْنَةَ النَّجْلَاءَ قَدْ عِلْمُوا
 تَنْفِي الْمَسَابِيرِ بِالْإِزْبَادِ وَالْفَهَقِ^(٣)
 عَفُّ الْمَطَالِبِ عَمَّا لَسْتُ نَائِلَهُ
 وَإِنْ ظَلَمْتُ شَدِيدُ الْحَقْدِ وَالْحَنْقِ
 وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي قَنَعٍ
 وَقَدْ أَكْرُهُ وَرَاءَ الْمُجَحَّرِ الْبَرَقِ^(٤)

- (١) في الاستيعاب : « القوم أعلم » . وفي الديوان :
 قد يعلم الناس أنا من سراتهم إذا سما بصير الرعديدة الفرق
- (٢) ط : « عامل » ، صوابه في الديوان وش مع أثر تصحيح . وفي الاستيعاب : « وحامل
 الرمح » تحريف . ورواية الديوان أيضاً « نخلته » موضع « حصته » . قال المسكوي : « أصل النحلة
 أن يعطى الرجل الرجل ناقة ينتفع بمنافعها ثم يردّها ، ثم سمي كل عطية نحلة . وجعل أبو عجين
 ما نال السنان من الدم نحلة . وروى : حصته . ومجاز هذا الكلام مجاز قولهم : فلان يوفى هذه
 الصناعة حقها ، إذا قام بها حق القيام . وعامل الرمح وعاملته : على قدر ذراع من السنان .
 وسافلته : على قدر ذراع من الزج » .
- (٣) في الاستيعاب : « لو علموا » . وفي الديوان : « عن عرض » . والمسابير : جمع
 مسبار ، وهو الميل الذي يسير به غور الجراحات . ط ، والديوان : « بالآزباد » صوابه في ش .
- (٤) الفنع : الكثرة . ط : « قنع » صوابه في ش والديوان . والمجهر ، بتقديم الجيم :
 المضيئ عليه كأنه في جهر . وفي ط : « المجهر » بتقديم الحاء ، صوابه في الاستيعاب وش مع أثر
 تصحيح . والبرق : الشاخص البصر ، كما في شرح الديوان . وفي الاستيعاب : « الفرق » .

قد يُقْتَر المرء يوماً وهو ذو حسب
وقد يثوبُ سوامُ العاجزِ الحَمِقِ^(١)
ويكثرُ المال يوماً بعد قَلَّتْه
ويكتسبُ العودُ بعد الجذبِ بالورقِ
فقال له معاوية : لئن أسأنا القول لَنُجْزِلُ العَطِيَّةَ^(٢) . ثم أَجْزَلَ جائزته
وقال : إذا وَلَدَتِ النساءُ فلتلدْ مثْلَكَ !
وزعم الهيثم بن عدي أَنَّهُ أَخْبِرَهُ مَنْ رَأَى قَبْرَ أَبِي مُحَجَّنِ الثَّقَفِيِّ
بِأَذْرَبِيجَانَ ، أَوْ قَالَ : فِي نَوَاحِي جُرْجَانَ ، وَقَدْ نَبَتَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثُ
أَصُولٍ كَرَّمٍ وَقَدْ طَالَتْ وَأَثْمَرَتْ ، وَهِيَ مَعْرُشَةٌ عَلَى قَبْرِهِ ، مَكْتُوبٌ عَلَى
القَبْرِ : « هَذَا قَبْرُ أَبِي مُحَجَّنٍ » ٢ قَالَ : فَجَعَلْتُ أَتَعَجَّبُ وَأَذْكَرُ قَوْلَهُ :
* إِذَا مِتُّ فَادْفَنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ *

هذا ما اخترته من الاستيعاب

وروى ابن الأعرابي (في شرح ديوان أبي محجن) عن ابن الكلبي
أَنَّهُ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَوَانَةُ قَالَ : دَخَلَ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي مُحَجَّنٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ :
* إِذَا مِتُّ فَادْفَنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ *

فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكن أبي الذي يقول :
لاتسأل القومَ عن مالي وكثرته . . . إلى آخر الأبيات المذكورة .
ونقل ابن حجر (في الإصابة) عن ابن فتحون (فيما كتبه على

(١) يثوب : يكثر ، من قولهم : ثاب إليه قومه ، أي نهضوا إليه وكثروا حوله .

(٢) في الاستيعاب : : « لئن كنا أسأنا القول لنحسن لك الصغد » .

أوهام الاستيعاب) أنه عاب أبا عمر على ما ذكر في قصة أبي مِحنَن أنه كان منهُمكاً في الشَّرَاب ، فقال : كان يكفيه ذكر حدِّه عليه ، والسكوتُ عنه أليق . والأولى في أمره ما أخرجه سَيْف (في الفتوح) : أَنَّ امرأةً سَعِدٍ سَأَلَتْهُ فِيمَا حُبِسَ^(١) ؟ فقال : والله ما حُبِسْتُ على حرامٍ أَكَلْتَهُ وَلَا شَرِبْتَهُ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ صَاحِبَ شَرَابٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَرَى كَثِيرًا عَلَى لِسَانِي وَصَفُّهَا ، فَحَبَسَنِي بِذَلِكَ ، فَأَعْلَمْتُ بِذَلِكَ سَعِدًا فَقَالَ : اذْهَبْ فَمَا أَنَا بِمُؤَاخِذِكَ بِشَيْءٍ تَقُولُهُ حَتَّى تَفْعَلَهُ .

قال ابن حجر : وسيفٌ ضعيف ، والروايات التي ذكروها أقوى وأشهر . وأنكر ابن فتحون قولَ من روى أَنَّ سَعِدًا أَبْطَلَ عَنْهُ الْحَدَّ وقال : لَا يُظَنُّ هَذَا بِسَعِدٍ ! ثُمَّ قَالَ : لَكِنْ لَهُ وَجْهٌ حَسَنٌ وَلَمْ يَذْكُرْهُ . وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ سَعِدًا أَرَادَ بِقَوْلِهِ لَا يَجْلُدُهُ فِي الْخَمْرِ^(٢) بِشَرَطِ أَضْمَرِهِ ، وَهُوَ إِنْ ثَبَتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَشْرِبُهَا . فَوَفَّقَهُ اللَّهُ أَنْ تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا فَلَمْ يَعُدَّ إِلَيْهَا ، كَمَا فِي بَقِيَّةِ الْقِصَّةِ .

وقوله في القصة : « الضَّبْرُ ضَبْرُ الْبَلْقَاءِ » هو بالضاد المعجمة والباء الموحدة : عَنُو الْفَرَسِ . وَمِنْ قَالَهُ بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ فَقَدْ صَحَّفَ . نَبَّهَ عَلَيْهِ ابْنُ فَتْحُونِ .

٥٥٦

تتمة

سَمَاءُ الْآمِدِيِّ (فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ) عَلَى خِلَافِ مَا تَقَدَّمَ مَعَ بَعْضِ تَغْيِيرِ فِي أَسْمَاءِ آبَائِهِ . قَالَ : هُوَ حَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غَيْرَةَ الثَّقَفِيِّ . وَهُوَ شَاعِرٌ فَارِسٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

(١) وكذا في الإصابة بإبقاء الألف ، وهي لغة قرى بها : « عما يتساءلون » . وفي ش :

« فِيمَ حُبِسَ » .

(٢) ط : « لَا يَجْلُدُهُ » ، صوابه في ش والإصابة . وانظر ما سبق في ص ٤٠٨ .

لَمَّا رَأَيْنَا خَيْلًا مَحْجَلَةً وَقَوْمَ بَغْيٍ فِي جَحْضٍ لَجِبٍ ^(١)
 طَرْنَا إِلَيْهِمْ بِكُلِّ سَلْهَبَةٍ وَكُلِّ صَافِي الْأَدِيمِ كَالذَّهَبِ
 وَكُلِّ عَرَّاصَةٍ مَثْقَفَةٍ فِيهَا سِنَانٌ كَشُعْلَةِ اللَّهَبِ
 وَكُلِّ عَضْبٍ فِي مَتْنِهِ أُثْرٌ وَمَشْرِفٌ كَالْمَلْحِ ذِي شُطْبٍ ^(٢)
 وَكُلِّ فَضْفَاضَةٍ مُضَاعَفَةٍ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ غَيْرِ مُؤْتَشَبِ
 لَمَّا التَقِينَا مَاتَ الْكَلَامِ وَدَا رَ الْمَوْتُ دَوْرَ الرَّحَى عَلَى الْقُطْبِ
 فَكُلُّنَا يَسْتَكِيصُ صَاحِبَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَالنَّفُوسُ فِي كُرْبٍ ^(٣)
 إِنْ حَمَلُوا لَمْ نَرِمْ مُوَاضِعَنَا وَإِنْ حَمَلْنَا جَثَوْا عَلَى الرُّكْبِ

انتهى . وهذا الشعر لم يروه ابن الأعرابي وابن السكيت (فى ديوانه) .

وحَبِيبُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، أوردته الأمدى مكبراً اسماً لخمسة شعراء ، أحدهم أبو محجن . ثم قال : وأما حُبِيبٌ بالتصغير فهو حُبِيبُ ابنِ تميم المجاشعى . وأورد له شعراً .

وبعد أن نقل العيني الخلاف فى اسمه هل هو مالك بن حَبِيبٍ أو عبد الله بن حبيب قال : وضُبطَ عن أبي عُمر « حُبِيبٌ » مصغراً . وتبعه السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) على هذا الضبط . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الستمائة ^(٤) :

(١) المؤلف للامدى ٩٥-٩٦ .

(٢) الأثر بضمين ، وبضمة ، وبفتحتين وبفتحة ، وبالكسر أيضاً ، وهو فرند السيف وماؤه .

(٣) يقال كاص يكيص كيصا وكيصا ، وكيرصا : كع وجبن وضعف . وفى المؤلف : « يستليس » .

(٤) ديوان النابغة ٤٨ من مجموع خمسة دواوين . وانظر لقصة الشعر ديوانه ، والحيوان ٤ : ٢٠٣-٢٠٥ والشعراء ١١٢-١١٣ والمحسن والمساوى ٢ : ١٣٤ وأمثال الميداني ٨٢ : ١ ومرج الذهب ٢ : ١٢٩ وحياة الحيوان للدميرى ١ : ٤١٦ .

٦٤١ (فلما رأى أن ثمر الله ماله

وأثّل موجوداً وسدّ مفارقة)

على أن الفراء وابن الأنباري جوّزا وقوع أن المصدرية بعد فعل علم غير مؤوّل بالظن ، كما في البيت ، فإنّ رأى فيه علمية . ويجوز أن تكون فيه مخفّفة ، من غير فصل بينها وبين ثمر على الشذوذ . فإنّ وما بعدها في تأويل مصدر سادّ مسدّ مفعولى رأى ، إلّا أنّها في القول الثانى مخفّفة واسمها ضمير شأن محذوف ، وجملة ثمر الله خبرها .

ولم يتعرّض لكون رأى بصريّة فتكون أن هي المصدرية الداخلة على الفعل ، لأنّ ذلك لا يجوز ، لأنّ التثمير أمر معنويّ غير مُدرك بحاسة العين ، ومعناه التكثير .

قال صاحب الصحاح : وأثمر الرجل بالمثلثة ، أى كثر ماله . وثمر الله ماله ، أى كثره .

ففاعل رأى ضمير الحليف ، أى المعاهد في بيت قبله .

(وأثّل) أى أصّل وثبّت . والتأثيل : التأصيل والتثبيت .

قال صاحب الصحاح : يقال سدّ الله مفارقة ، أى أغناه وسدّ وجوه فقره . انتهى . فيكون جمع مَفْقَر كجعافر جمع جعفر . والمفقر : مكان الفقر وجهته .

وجواب لمّا في بيت بعده .

والبيت من قصيدة للنابعة الذبيانيّ يعاتب بها بنى مرة فيما كان بينه وبين يزيد بن سنان بن أبي حارثة ، واجتماع قومه عليه ، وطواعيتهم

له ، وطلبه بحوائجهم عند الملوك . وكان النابعة يُحسد كثيراً ، وكان
عفيفاً شريفاً فى قومه . وهذا أولها :

٥٥٧

(ألا أبلغا ذبيان عني رسالة
فقد أصبحت عن منهج القصد جائره
أجدكم لم تزجروا عن ظلامة
سفيهاً ، ولن ترعوا لذى الود آصره
فلو شهدت سهم وأفناء ممالك
فتعذرني من مرة المتناصرة^(١))

إلى أن قال بعد بيتين :

(فإن يك مولانا تجانف نصره
وأسلمنا لمرة المتظاهره
فإنى لألقى من ذوى الضغن منهم
بلا عشرة ، والنفس لا بد عاثره
كما لقيت ذات الصفا من خليفها
وكانت تديه المال غباً وظاهره
تذكر أنى يجعل الله جنة
فيصبح ذا مالٍ ويقتل واثره
فلما رأى أن ثمر الله ماله
وأثل موجوداً وسد مفاقره
أكب على فأسٍ يحد غرابها
مذكورة من المعاول باتره

(١) وكذا فى الديوان . وفى الحيوان « أليس لنا مول يجب سراحنا فيعذرنا » .

فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَأُسِـهِ
 وَلِلْبَرِّ عَيْنٌ مَا تَغْمُضُ نَاطِرَهُ
 تَنْدَمُ لَمَّا فَاتَهُ الدَّحْلُ عِنْدَهَا
 وَكَانَتْ لَهُ إِذْ خَاسَ بِالْعَهْدِ قَاهِرَهُ
 فَقَالَ تَعَالَى نَجْعَلِ اللَّهَ بَيْنَنَا
 عَلَى مَالِنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ
 فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ ، إِنَّنِي
 رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِرَهُ
 أَبِي لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي
 وَضَرْبَةُ فَأَسَ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ

وهذا آخر القصيدة .

والآصرة : القرابة . يقال : فلانٌ ما تأصره على آصرة ، أى لا تعطفه على رَحِمٍ . وسهمٌ هو ابن مُرَّة بن عوفِ الدُّبَيَّانِي . ومالك هو أخو سهم ، قبيلتان . ولهذا قال « المتناصره » أى التى ينصُر بعضها بعضاً . وتجانف : تمايل . والمتظاهرة : التى صار كلُّ منهم ظهيراً ومعيناً للآخر . والضغن : الحقد . وذاتُ الصِّفا هى الحيَّة كما يأتى شرحها . والحليف : المُعَاهِد . وقوله : « وكانت تديه المال » إلخ روى الأصمعي بدله :

* وما انفكت الأمثالُ فى الناس سائره *

وقال : تلك الرواية منحولة ، لأنك تقول وديت فلاناً ، للمقتول نفسه ، ولا تقول وديت وليه ولا أهله . وودى فلانٌ فلاناً : أعطى ديتَه . وغياً ، أى تعطيه من الدِّية فى يوم ولا تعطيه فى اليوم الثانى . والغِبُّ

بالكسر : فَصَلُ الفعل وتركه بيوم^(١) بين فعلٍ يومين . ومنه حُمَيَّ الغِبَّ ، إذا أَتَتْ يوماً وتركت يوماً . والظاهرة : البارزة غير مخفية^(٢) ، وقيل الظاهرة التى تشرب كلَّ يوم .

وروى أبو عبيدة بدل البيت :

(فَوَاتَّقَهَا بِاللَّهِ حِينَ تَرْضَايَا فَكَانَتْ تَدِيهِ الْمَالَ غِبًّا وَظَاهِرَه)

وقوله : « تذكر » فاعله ضمير الحليف . وأننى بمعنى كيف . والجُنَّة بضم الجيم : الوقاية . والواتر : الذى عنده الثَّأر ، من الوتر بفتح الواو عند قوم وكسرها عند آخرين ، وهو الذَّحْل والثَّأر . وقوله : « فلما رأى » فاعله ضمير الحليف . وقوله : « أَكَبَّ » هو جوابُ لَمَّا . يقال أَكَبَّ عَلَى كَذَا ، أى لازمه . ويُحَدُّ : مضارع أَحَدَه ، أى جعله حديدًا قاطعًا . ٥٥٨ والغُرَاب ، بضم المعجمة : رأس الفأس القائم ؛ ولها رأسان ، فالرأس العريض يقال له قَدُوم ، والآخر يقال له غُرَاب . قال صاحب الصحاح : الذَّكْر من الحديد : خلاف الأنثى . وسيف ذَكَرٌ ومُذَكَّرٌ ، بفتح الكاف المشدودة ، أى ذو ماء . وقال أبو عبيد : هى سيوفٌ شَفَرَاتُهَا حديدٌ ذَكَرٌ ومتونها أنثى . قال : ويقول الناس إنَّها من عمل الجنِّ . انتهى .

والذكر هو الفولاذ والصلب . والأنثى ، هو الحديد المعروف . والمعاول : جمع مِغُولٍ يكسر الميم وفتح الواو ، وهى الفأسُ العظيمة التى يُنْقَرُ بها الصَّخر . والباترة : القاطعة . والذَّحْل ، بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة : الثَّأر والحقْد . وكانت ، أى الحية .

(١) ط : « يقوم » .

(٢) كذا فى النسختين .

وخاس بالعهد بإعجام الأول وإهمال الآخر ، بمعنى غَدَرَ به . وأراد بقهرها إيَّاه قطع العطية من الدية . أو تنجزى : إلى أن تنجزى .

وقوله : « يمينَ الله أفعل » أى أقسم يميناً بالله لا أفعل ، أى لا أعطى . كما كنت أعطيك . أو بمعنى لا أقبل عهدك بعد هذا . والمسحور : المخدوع ، يقال سحره أى خدعه وعلَّله . وأرادت : إنَّك إنسانٌ خادعٌ غدار . وفاقرة : قاطعة ، يقال فقر الحبلُ أنفَ البعير ، إذا حزه وأثر فيه .

وهذه الأبيات موقوفةٌ على سماع حكايةٍ هى من أكاذيب العرب قال أبو عمرو الشَّيبانى وابنُ الأعرابى : ذكروا أنَّ أخوين كانا فيما مضى فى إبلٍ لهما ، فأجذبت بلادُهما وكان قريباً منهما وادٍ يقال له عُبيدَانُ فيه حيَّةٌ قد أَحمته ^(١) فقال أحدهما لصاحبه : هل لك فى وادى الحيَّةِ فإنَّه ذو كَلٍّ ؟ فقال أخوه : إننى أخاف عليك الحيَّةَ ، ألا ترى أنَّ أحداً لم يهبط ذلك الوادى إلَّا أهلكته ؟ فقال : والله لأفعلنَّ ! فهبط ذلك الوادى فرعى فيه إبله ، فبينما هو ذات يومٍ فى آخر الإبل نائمٌ إذ رفعت الحيَّةُ رأسها فأبصرته ، فأتته فقتلته ثم دخلت جحرها ، وأبطأت الإبلُ على أخيه فعرف أنَّه قد هلك ، فقال : ما فى الحياة بعد أخى خيرٌ ، ولأطلبنَّ الحيَّةَ ولأقتلنها أو لأتبعنَّ أخى . فهبط ذلك الوادى فطلب الحيَّةَ ليقتلها فقالت له : أَلست ترى أنَّى قد قتلت أخاك ، فهل لك فى الصُّلح فأدعك ترعى الوادى فتكونَ فيه ، وأعطيك ما بقيتُ ديناراً يوماً ويوماً لا ؟ قال : أو فاعلةٌ أنتِ ؟ قالت : نعم . قال : فإننى أقبل . فحلف لها وأعطاها الموائيق لا يضرُّها ، وجعلت تعطيه ما ضمنتُ له ، فكثر ماله ونبتت إبله حتَّى صار من أحسن

(١) كذا فى النسختين ، ويقال أحمى المكان : جعله حى لا يقرب .

الناس حالاً . ثم إنه ذكر أخاه ذات يوم فدمعت عيناه وقال : كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخى ؟ فعمد إلى فأس فأحدها ثم قعد ، فمرت به فتبعها وضربها فأخطأها ، ودخلت جحرها ، ووقعت الفأس فوق جحرها فأثرت فيه ، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذى كانت تعطيه ، فلما رأى ذلك تخوف شرها وندم ، فقال لها : هل لك أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقالت : « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك » ، وأنت ترى قبر أخيك ، وأنت فاجر لا تبالي بالعهد .

وكان حديث الحية والفأس من مشهور أمثال العرب .

قال أبو عبيدة : لما حجَّ عبد الملك بن مروان أول حجة حجها في خلافته قديم المدينة فخطب ، فقال : يا أهل المدينة ، والله لا تحبونا ولا نحبكم أبداً وأنتم أصحاب عثمان ، إذ نفيتمونا عن المدينة ونحن أصحابكم يوم الحرة ، فإنما مثلنا ومثلكم كما قال النابغة . وأنشد ٥٥٩
هذه الأبيات من صفة الحية .

ثم قال : إنه كانت حية مجاورة رجلاً فوكعته فقتلته ، ثم إنَّها دعت أخاه إلى أن يصالحها على أن تدي له أخاه ، فعاهدها ، ثم كانت تعطيه يوماً ولا تعطيه يوماً ، فلما تنجّر عامة ديتة قالت له نفسه : لو قتلتها وقد أخذت عامة الدية فيجتمعان لك ! فأخذ فأساً فلما خرجت لتعطيه الدينار ضربها على رأسها وسبقته فأخطأها وندم ، فقال : تعالِ نتعاقد ولا نغدر وتنجزي آخر ديتي . فقالت : أبى الصلح القبر الذى بين عينيك ، والضربة التى فوق رأسى ، فلن تحبني أبداً ما رأيت قبر أخيك ، ولن أحبك ما كانت الضربة برأسى . إننا لن نحبكم ما ذكرنا ما صنعتم بنا ، ولن تحبونا ما ذكرتم ما صنعنا بكم . انتهى .

والنابغة شاعرٌ جاهليٌّ تقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع بعد المائة^(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد الستمائة^(٢)

٦٤٢ (أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا
مِنِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا)

على أَنْ (أَنْ الخفيفة المصدرية) قد لا تنصب المضارع كما في البيت ،
إمّا للحمل على ما المصدرية أو على المخففة . ولو نصبت لحذفت النون
من تقرأن .

قال ابن جني (في الخصائص) : سألت أبا علي رحمه الله عنه
فقال : هي مخففة من الثقيلة ، كأنه : قال أنكما تقرأن ، إلا أنه
خفف من غير تعويض .

وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال :
شبه أن بما ، فلم يعملها كما لا يعمل ما . انتهى .

وزاد (في سر الصناعة) : وهذا مذهب البغداديين . وفي هذا بُعد .
وذلك أن (أن) لا تقع إذا وُصِلت حالاً أبداً ، إنما هي للمضي أو للاستقبال
نحو : سرّني أن قام ، ويسرّني أن يقوم . ولا تقولُ يسرّني أن يقوم وهو
في حال القيام . (وما) إذا وُصِلت بالفعل وكانت مصدرأ فهي للحال أبداً
نحو قولك : ماتقوم حسن ، أي قيامك الذي أنت عليه حسن ، فيبعد
تشبيه واحدةٍ منهما بالأخرى وكلّ واحدةٍ منهما لا تقع موقع صاحبتها .
قال أبو علي : وأوّلَى أَنْ المخففة من الثقيلة الفعل بلا عوض ضرورة .

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) مجالس ثلث ٣٩٠ والخصائص ١ : ٣٩٠ والمنصف ١ : ٢٧٨ والإنصاف ٥٦٣
وابن يعيش ٧ : ١٥ / ٨ : ١٤٣ ومعنى اللبيب ٣٠ ، ١٩٧ ، والمعنى ٤ : ٣٨٠ والتعريض
٢ : ٢٣٢ والأشونى ٣ : ٢٨٧ .

وهذا على كلّ حال وإن كان فيه بعضُ الضعف ، أسهلُ مما ارتكبه الكوفيون . انتهى .

وكذلك قال (في شرح تصريف المازني) : سألت أبا علي عن إثبات النون في تقرأن بعد أن ، فقال : أن مخففة من الثقيلة ، وأولها الفعل بلا فصلٍ للضرورة . فهذا أيضاً من الشاذّ عن القياس والاستعمال جميعاً ، إلّا أن الاستعمال إذا ورد بشيء أخذ به وترك القياس ، لأنّ السماع يُبطل القياس . قال أبو علي : لأنّ الغرض فيما ندوّنه من هذه الدواوين ، ونقننه^(١) من هذه القوانين ، إنّما هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ، ويستوى من ليس بفصيح ومن هو فصيح . فإذا ورد السماع بشيء لم يبق غرضٌ مطلوب ، وعُدل عن القياس إلى السماع . انتهى .

وذهب إلى هذا ابن عصفور (في كتاب الضرائر) قال : ومنه مباشرة الفعل المضارع لأن المخففة من الثقيلة وحذف الفصل ، نحو قول الشاعر ، أنشده الفراء عن القاسم بن معنٍ قاضي الكوفة :

إني زعيمٌ يأنوي قمةً إن سلمت من الرّزّاح^(٢)

أن تهبطين بلاد قو م يرتعون من الطّلاح^(٣)

وقول الآخر :

أن تقرأن على أسماء ويحكما . . . البيت

(١) في المنصف ١ : ٢٧٩ : « ونشبهه » .

(٢) الرّزّاح ، كسحاب : شدة الضعف في الإبل حتّى تكاد تلتصق بالأرض ولا يكون بها نهوض . وفي معاني الفراء ١ : ٣٦ : « من الرّزّاح » كما في اللسان (زوج) .

(٣) الطّلاح : جمع طلحة ، وهو الواحدة من الطلح ، شبهوه بقصعة وقصاع . والطلح أعظم المعشاء وأكثره ورقاً وأشدّه خضرة .

وقول الآخر :

إذا كان أمرُ الناس عند عجزهم
فلا بدَّ أن يلقَوْا كلَّ يبابٍ^(١)

وقول ابن الدُّمينة^(٢) :

ولى كبدٌ مقروحةٌ من يبيعُني
بها كبدًا ليست بذاتِ قُروح
أبى النَّاسُ ويَح النَّاسُ أن يشترونها
ومن يشتري ذا علةٍ بصحيحٍ^(٣)

وقول الآخر^(٤) :

وإنى لأختار القِرَى طاوىَ الحشا
محاذرةً من أن يُقالَ لئِمُ

قال أبو بكر بن الأنبارى : رواه الكسائى والفراء عن بعض العرب برفع يقال . ولا يحسن شيء من ذلك فى سعة الكلام حتى يفصل بين أن والفعل بالسین أو سوف أو قد فى الإيجاب ، وبلا فى النفى . فإن جاء شيء منه فى الكلام حفظ ولم يُقَس عليه ، نحو قراءة ابن مجاهد : ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾^(٥) برفع يتم . ومن النحويين من زعم أن أن فى جميع ذلك هى الناصبة للفعل ، إلا أنها أهملت حملاً على المصدرية

(١) فى حواشى ش : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه : كل تباب » .

(٢) ديوان ابن الدمينة ٢٧ .

(٣) فى الديوان : « ويب الناس » .

(٤) هو حاتم الطائى . ديوانه ١١٤ .

(٥) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

فلم تعمل لمشابتها لها في أَنَّها تقدّر مع ما بعدها بالمصدر . وما ذكرت^(١) قبل من أَنَّها مخفّفة أولى ، وهو مذهب الفارسيّ وابن جنّي ، لأنَّها هي التي استقرّ في كلامهم ارتفاعُ الفعل المضارع بعدها . انتهى .

وذهب الزمخشريّ إلى أَنَّ الرفع بعد أن لغة . قال (في المفصل) : وبعض العرب يرفع الفعل بعد أن تشبيهاً بما . قال :

أَن تَقْرَأَنَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكَمَا

البيت . . .

وعن ابن مجاهد : ﴿ أَن يَتِمَّ الرِّضَاعَةُ ﴾ بالرفع . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : قال ابنُ جنّي : قرأتُ على محمد بن الحسن ، عن أحمد بن يحيى قولَ الشاعر :

يَا صَاحِبِي فَدَتْ نَفْسِي نَفُوسَكُمَا وَحَيْثُمَا كُنْتُمَا لَاقِيْتُمَا رَشْدَا
أَن تَحْمَلَا حَاجَةً لِي خَفَّ مَحْمَلُهَا وَتَصْنَعَا نِعْمَةً عِنْدِي بِهَا وَيَدَا

أَن تَقْرَأَنَ البيت

فقال في تفسير أَن تَقْرَأَنَ : وَعِلَّةُ رَفْعِهِ أَنَّهُ شَبَّهَ أُنْ بِمَا فَلَمْ يُعْمَلْهَا فِي صَلَاتِهَا . ومثله الآية ، وهو رأى السّيرافي . ولعلَّ صاحب هذا الكتاب نقله من الشّرح . وهذا رأى البغداديين ، ولا يراه البصريّون . وصحّة مَحْمَلِ البيت عندهم على أَنَّها المخفّفة من الثّقيلة ، أي أَنكُمَا تَقْرَأَنَ . وَأَن وما بعدها في موضع البدل من قوله حاجة ، لأنَّ حاجته قراءة السلام عليها . وقد استبعدوا تشبيهه أَن بما ، لأنَّ ما مصدرٌ معناه الحال ، وَأَن وما بعدها مصدرٌ إمَّا ماضٍ وإمَّا مستقبل ، على حَسَبِ الفعل الواقع بعدها ، فلذلك لا يصحُّ أَحَدُهُمَا بمعنى الآخر^(٢) . انتهى .

(١) ش : « وما ذكرته » .

(٢) في ابن يعيش ٨ : ١٤٣ : « حمل إحداهما على الأخرى » .

ونقل ابن هشام (في المعنى) خلافَ هذا ، قال في بحث أن المخففة وقد^(١) يرفع الفعل بعدها كقراءة ابن مُحَيِّصين : ﴿ لمن أَرَادَ أَنْ يَتَمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾ ، وكقول الشاعر :

* أن تقرأن على أسماء ويحكما *

وزعم الكوفيون أن أن هذه هي المخففة من الثقيلة شدَّ اتصاها بالفعل . والصَّواب قولُ البصريين ، أنَّها أن الناصبة أَهْمِلْتُ حملاً على أختها ما المصدرية . هذا كلامه .

وقوله : « أن تحملا حاجة » في موضع نصب بفعل مضمر دلَّ عليه ما تضمَّنه البيت الأوَّل من النداء والدعاء . والمعنى : أسالكما أن تحملا . وقول ابن جني : التقدير أنكما تقرأن ، إشارة إلى أن اسم أن ضميرٌ محذوف ، وهو ضمير التثنية .

٥٦١

وقد ذهب ابن هشام (في موضعين من المعنى) كالشارح المحقق . إلى أنَّها في البيت هي الخفيفة الناصبة للمضارع ، قال في القاعدة الحادية عشرة من الباب الثامن : من مُلَح كلامهم تقارُضُ اللفظين في الأحكام ، ولذلك أمثلة منها إعطاء أن المصدرية حكمَ « ما » في الإهمال كقوله :

أن تقرأن على أسماء ويحكما . . . البيت

الشاهد في أن الأولى^(٢) وليست مخففة من الثقيلة ، بدليل أن المعطوفة عليها . وإعمالُ « ما » حملاً على « أن » كما روى من قوله عليه

(١) ش : « قد » .

(٢) ش : « ليست » بطرح الواو .

الصلاة والسلام : « كما تكونوا يوئى عليكم » ، ذكره ابنُ الحاجب .
والمعروف فى الرواية : « كما تكونون » . انتهى .

قال الدمامينى معترضاً على دليله فى الأول : لا مانع من عطف أن
الناصبية وصلتها على أن المخففة وصلتها ، إذ هو عطفُ مصدر على مصدر
ولا يمنعه أحد ، كما تقول : عندى أن لا تسيء إلى أحد وأن تحسن
إلى عدوك ، برفع تسيء .

واعتذر عنه الشُّمْنَى بأنَّ المراد بالدليل هنا ما يُفيد الظنَّ والرُّجْحان
وليس المراد أنَّ ذلك دليلٌ من جهة امتناع عطف أن الناصبة وصلتها
على أن المخففة وصلتها ، ومن جهة أنَّ الظاهر أنَّ الثانية من نوع الأولى ،
والثانية ليست خفيفةً ، فكذا الأولى .

وقال الدمامينى فى دليله بالحديث : لا حاجة إلى جعل ما ناصبه
حملاً على أختها أن ، فإنَّ فيه إثباتَ حكمٍ لها لم يثبت فى غير هذا المحلِّ ،
بل الفعل مرفوع ونون الرفع محذوفة . وقد سُمع ذلك نظماً ونثراً .
قال الشاعر :

* أبيت أسرى وتبىقى تدلكى ^(١) *

أى : وتبىتين تدلكين . وخرَّج على ذلك ماروى عن أبى عمرو :
﴿ قالوا ساحران تَظَاهَرَا ^(٢) ﴾ بتشديد الظاء ، أى أنتما ساحران تتظاهران ،

(١) رجز مجهول القائل . انظر معجم شواهد العربية ٥١٥ .

(٢) الآية ٤٨ من القصص . والمراد بالساحرين : موسى وهارون ، أو موسى ومحمد ،
أو عيسى ومحمد . ونسبة هذه القراءة إلى أبى عمرو لم ترد فى الإتحاف أو تفسير أبى حيان ،
وإنما نسبت فى تفسير أبى حيان ٧ : ١٢٤ إلى محبوب عن الحسن ، ويحيى بن الحارث النهمارى ،
وأبى حيوة ، وأبى خلاد عن البزيدى . ونسبت فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١١٣ إلى
يحيى النهمارى . وقال ابن خالويه : « تشديده لحن لأنه فعل ماض ، وإنما تشدد فى المضارع »
ورد عليه أبو حيان بقوله : « وله تخريج فى اللسان ، وذلك أنه مضارع حذفت منه النون ،
وقد جاء حذفها فى قليل من الكلام وفى الشعر » .

فحذف المبتدأ أو أُدغمت التاء في الظاء وحذفت نون الرفع . وفي الحديث : « لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا » ، فحذف النون من الفعلين المنفيين . فعليه يخرج « كما تكونوا » إن ثبت . ولا حاجة إلى ارتكاب أمرٍ لم يثبت .

ولم يهتد أبو البقاء لمراد الزمخشري في تشبيه أن بما .

قال تلميذه الإمام الأندلسي (في شرح المفصل) : قال أبو البقاء : إن أراد تشبيه أن بما النافية فهو تشبيه بعيد ، لَأَنَّ أن تقرأ في الشعر إيجاب فهو ضد للنفي . وتشبيه الإثبات بالنفي بعيد خصوصاً في باب العمل والإلغاء . وإن أراد بما الزائدة فهو أقرب ، ويؤيد ذلك قراءة ابن مجاهد : ﴿ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةُ ^(١) ﴾ .

ثم قال : قلت ما ذكره شيخنا خالٍ عن التحقيق ، بل المشبه بها ههنا ما المصدرية ، في أَنَّها تطلب [صلة ^(٢)] وتقدر معها تقدير المفرد ، فتقسم الشيخ ضائع . ومن أراد إبطال شيء بالتقسيم فطريقه أن يحصر الأقسام بأسرها ، ثم يبطل قسماً قسماً . والشيخ لم يفعل ذلك . واستدلّاه أيضاً بقراءة ابن مجاهد على أَنَّها زائدة عجيب ، والأجود أن يقال : إِنَّها في البيت مفسّرة بمعنى أي ، وتكون تفسيراً للحاجة المذكورة في البيت المتقدم . انتهى كلام الأندلسي .

وهذا تخريج ثالث للبيت ، تبعه جماعة ، فجعلوا أن تقرأ تفسيراً لحاجة .

قال الشارح المحقق في آخر الكتاب أن لا تفسر إلا مفعولاً مقدراً

(١) الآية ٢٣٣ من البقرة .

(٢) تكلة يفتقر إليها الكلام .

اللفظ ، دالاً على معنى القول مؤدباً معناه . وقد تفسر المفعول به الظاهر كقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ . أَنْ اقْذِيفِيهِ ^(١) 〉 . انتهى . ولا يخفى أنَّ الحمل ليس فيه معنى القول ، فلا يجوز جعل أنَّ تفسيرية . فتأمل .

وقوله: «باصاحبي فذت نفسي» إلخ الجملة الدعائية - وهي فذت نفسي إلخ ، والجملة الشرطية المراد بها الدعاء أيضاً وهي المصراع الثاني - وقع الاعتراضُ بهما بين قوله ياصاحبي وبين قوله « أن تحملا » . وأنَّ تحملا في تأويل مصدرٍ إمَّا منصوبٌ بفعلٍ مقدَّر هو المقصود بالنداء ، تقديره: أسألكما أن تحملا ، أي حَمَلَ حاجة لي . وإمَّا مجرور بلام محذوفة مع فعلٍ يدلُّ على النداء ، أي أناديكما أو أدعوكما لأنَّ تحملا . ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله وعامله محذوفٌ يدلُّ عليه الدعاء لهما ، وتقديره: أدعو لكما لأجل حملكما حاجة لي . وعلى هذا لا اعتراض في الكلام ، ويكون المقصود بالنداء هو الجملة الدعائية .

و « المَحْمَل » بفتح الميمين: مصدر ميمي بمعنى الحمل . وعطف اليد على النعمة تفسيري .

وروى شارح اللباب وغيره :

• تستوجبا مِنَّةً عندي بها وَيَدَا •

وهذا يقتضي أن يكون قوله: « أن تحملا » شرطاً ، و « تستوجبا » جوابه . فإنَّ على هذا إما مكسورة وإمَّا مفتوحة وهي حرف شرط كالمكسورة ، وهو مذهب الكوفيَّين ، وتبعهم الشارح المحقق وابن هشام (في المغني) .

وقوله : « أَنْ تَقْرَأَنْ » هو إمّا بدل من قوله حاجة ، وإمّا خبر مبتدإ محذوف ، أى هي أَنْ تَقْرَأَنْ . والجملة استثنافٌ بيانيٌ . كذا في شرح اللباب وغيره . وقال ابن المستوفى : هو بدلٌ من قوله أَنْ تحملا . وإن كان أَنْ تفسيريةً فلا محلٌ لما بعدها من الإعراب .

قال الزمخشريُّ (في أساس البلاغة) : يقال : اقرأ سلاحي على فلان ، ولا يقال : اقرأه منى السلام . انتهى .

ووجهه أَنْ قرأً يتعدى إلى مفعول واحدٍ بنفسه ، وإلى المبلغ إليه بعلًى . وهذا مذهب الأصمعيّ ، قال صاحب المصباح : قال الأصمعيّ : وتعديته بنفسه خطأ ، فلا يقال اقرأه السلام ، لأنّه بمعنى اتل عليه . وحكى ابن القطّاع أنّه يتعدى بنفسه رباعياً فيقال : فلان يُقرئك السلام . انتهى .

وما في البيت جارٍ على كلام الأصمعيّ ، ولا مانع من تعلق منى بتقرآن كما فهمه ابنُ المُلّا من نقل كلام الزمخشريّ ، فإنّ مراده أَنْ قرأً لا يتعدى إلى مفعولين بنفسه ، ولا يمنع من تعلق « منى » به إذا كان مستعملاً على ما قاله . ويجوز أن يكون « منى » حالاً من السلام .

و (أسماء) من أعلام النساء ، ووزنه فعلاء لا أفعال ، لأنّه من الوسم^(١) وهو الحُسن ، فهزته بدل من الواو .

وجملة (ويحكما) معترضة . وويح : كلمة ترحم ورأفة ، وهو مصدرٌ منصوب بفعل واجب الحذف .

وهذه الأبيات الثلاثة قلّما خلا عنها كتابٌ نحو ، ومع كثرة الاستعمال لم يعزّها أحدٌ إلى شاعر . والله أعلم .

* * *

(١) كذا في النسختين . والوجه « الوسام » أو « الوامة » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد السّائة^(١) :

٦٣٤ (كَانَ جَزَائِي بِالْعَصَا أَنْ أُجْلَدَا)

على أَنَّ الفراء استدل به على جواز تقديم معمول معمولٍ أَنَّ المصدرية عليها^(٢) ، فَإِنَّ قوله (بالعصا) يتعلّق بقوله أُجلدا ، و (أُجلدَ) معمول أَن .

وقال البصريون : معمولُ الصلة من تمام الصلة ، فكما لا يجوز ٥٦٢ تقديم الصّلة على أَن ، كذلك لا يجوز تقدّم معمولها عليها . وأجابوا عن هذا كما قال الشارح المحقق بأنّه نادر ، أو هو متعلّق بأجلد مقدراً ، يُريد : بأن أُجلد . فاختصر .

وزاد الشارح المحقق بأنّ قوله بالعصا خبرٌ مبتدأٌ مقدّر ، وتقديره ذلك الجزاء بالعصا ، والجملة اعتراضية .

وقال التبريزي^(٣) (في شرح الحاجبية^(٤)) : لم يتعلّق بالعصا بأن أُجلد ، بل إمّا بأعنى للتبيين ، أو بمثل المؤخر ، أو بجعل كان تامةً

(١) المحتسب ٢ : ٣١٠ والمنصف ١ : ٢٩ ، ١٣٠ / ٣ : ٢٠ وابن عيش ٩ : ١٥١ والعيني ٤ : ٤١٠ والهمع ١ : ٨٨ / ٢ : ٣ والأشئوني ٣ : ٢٨٤ وملحقات ديوان المجاج ٧٦ ليسك .

(٢) ش : « تقديم معمول أن المصدرية عليها » ، والصواب ما أثبت من ط ، فإن « بالعصا » معمول لأجلد الذي هو معمول أن المصدرية في هذا الشاهد .

(٣) هذا التبريزي غير التبريزي المشهور ، أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، المتوفى سنة ٥٠٢ . بل هو تاج الدين أبو محمد علي بن عبد الله بن أبي الحسن الأردبيلي التبريزي المتوفى سنة ٧٤٦ . قال صاحب كشف الظنون ٢ : ٢٥٣ عند الكلام على شرحه : « وهو شرح كبير كشرح الرضى » . وانظر بقية الوعاة ٣٣٩ .

(٤) أي الكافية في النحو لابن الحاجب .

وبالعصا متعلّقاً بها ، وأن أُجلّد في موضع رفع على أنّه بدل من الجزء .
انتهى .

وقال أبو علي (في الإيضاح الشعري) : لا يمتنع أن يتقدّم على وجه
التبيين ، ليس على أنّه متعلق بالصلة ، لم يجعلوا بالعصا متعلقاً بالجلّد ،
ولكن جعلوه تبييناً للجلّد ، كقوله :

* أَبْعَلَى هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعَسُ ^(١) *

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ ^(٢) .

قال ابن جني عند قول الحماسي ^(٣) :

ولا يحمل القومُ الكرامُ أخاهم إل عتيدَ السّلاحِ عنهم أن يُمارِسَا
أراد : في تَرْكِ أن يمارِسَ ، فحذف « في » أولاً ، ثم « تَرْك » ، ومعناه
أن يمارِسَ عنهم . إلّا أن إعرابه الآن يمنع من حمله عليه ، لما في ذلك
من تقديم بعض الصّلة على الموصول . فإذا كان كذلك أضمر لحرف
الجرّ ما يتناوله ودلّ عليه يمارِس . ومثله قول العجاج :

* كان جزائي بالعصا أن أُجلّدا *

وقال أيضاً بعده ، عند قول الحماسي من بيت :

* والله أعلم بالصّمانِ ماجشِموا ^(٤) *

(١) للهللول بن كعب العبدي ، كما في الحماسة ٦٩٦ بشرح المرزوقي . وانظر معجم
شواهد العربية ١٩٧ . وصدّره :

* تقول وصكت صدرها يمينها *

(٢) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

(٣) هو حليل بن مجيع ، كما في الحماسة ٥٧١ بشرح المرزوقي .

(٤) لهرز بن المكبر لفضي ، كما في الحماسة ٥٧٣ بشرح المرزوقي . وصدّره :

* حتى أتى علم الدهن يواعه *

المعنى والله أعلم : ما جِثِمُوا بالصَّمَان . فَإِنْ حملته على هذا كان لحنًا ، لتقديم ما في الصَّلَة على الموصول . لكنّ تجعله تبينًا فتعلّقه بمحذوف يدلُّ عليه الظاهر . وهو بابٌ فاعرفه .

وقد تكلم على التبيين بأبسط من هذا (في شرح تصريف المازني) قال : إن كان على تقدير أن أجلد بالعصا خطأ ، لأنّ الباء في صلة أن ، ومحالٌ تقديم شيء من الصلة على الموصول ، ولكنه جعل الباء تبينًا ومثله قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾^(١) فلما قدّم جعل تبينًا فأخرج عن الصلة . ومعنى التبيين أنّ تعلّقه بما يدلُّ عليه معنى الكلام ، ولا تقدّره في الصلة ، لأنّ معنى البيت جلدى بالعصا . فإذا فعلت هذا سلم لك اللفظ والمعنى ، ولم تقدّم شيئاً عن موضعه الذي هو أخصُّ به ، ولا يجوز إزالته عنه . وليس يمتنع أن يكون تفسير المعنى مخالفاً لتقدير الإعراب . ألا ترى أن معنى قولهم : « أَهْلَكَ وَاللَّيْل » ، معناه الحقُّ بأهلك قبل الليل ، وإنّما تقديره في الإعراب : الحقُّ بأهلك وسابق الليل . فكذلك أيضاً يكون معنى الكلام كان جزائي أن أجلد بالعصا ، وتقديره في الإعراب غير ذلك . وسيبويه كثيراً ما يميل في كلامه على المعنى ، فيتخيّل من لا خبرة له أنّه قد جاء بتقدير الإعراب ، فيحمّله في الإعراب عليه وهو لا يدرى ، فيكون مخطئاً وعنده أنّه مصيب ، فإذا نوزع في ذلك قال : هكذا قال سيبويه وغيره . فإذا تفتّنت لهذا الكتاب وجدته كثيراً . وأكثر ما يستعمله في المنصوبات في صدر الكتاب ، لأنّه موضعٌ مشكلٌ وقلّما يُهتدى له . انتهى .

والبيت للعجاج ، كما قاله ابن جنى . وقبله :
رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَعَّدَا وَأَضَّ نَهْدًا كَالْحِصَانِ أَجْرَدَا
كان جزائى . . . إلخ .

قال ابن جنى (فى شرح التصريف) : تَمَعَّدَ من لفظ مَعَدَّ بن عدنان
وإنما كان منه لأنَّ معنى تَمَعَّدَ تَكَلَّمَ بكلام مَعَدَّ ، أى كبر وخطب^(١) . هكذا ٥٦٤
قال أبو على . ومنه قول عمر : « اخشَوْشِنُوا وَتَمَعَّدُوا » . قال أحمد بن
يحيى : تَمَعَّدُوا ، أى كونوا على خُلُق مَعَدَّ . انتهى .
وأورده الجوهري فى (عدد) ، ونقل الخلاف فى ميمه وقال : تَمَعَّدَ
الرجل أى تزيًا بزيئهم ، أو تنسب إليهم ، أو تصبر على عيش مَعَدَّ .
وقال أبو عبيد : فى أثر عمر قولان : يقال هو من الغلظ ، ومنه قيل للغلام
إذا شبَّ وغلظ : قد تَمَعَّدَ . قال الراجز :

* رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَعَّدَا *

ويقال معناه تشبَّهوا بغيث مَعَدَّ . وكانوا أهل قَشَف وغلظ فى المعاش .
يقول : فكونوا مثلهم ودعوا التنعُّم وزى العجم . قال : وهكذا هو فى
حديث آخر : « عليكم باللُّبْسَةِ المَعَدَّة » . اهـ .

وقال ابن دريد (فى الجمهرة) : التَمَعَّدُ : الشَّدَّة والقُوَّة . وأنشد
هذا الرجز ثم قال : والمَعْدَةُ من هذا اشتقاقها . ومَعْدَان : اسم رجلٍ أحسب
اشتقاقه من المَعْدَةِ . اهـ .

وقوله : « وَأَضَّ نَهْدًا » إلخ ، آض بمعنى صار . والنَّهْدُ ، بفتح النون
وسكون الهاء : العالى المرتفع . والحِصَان ، بكسر الحاء ، هو الذكر من
الخيول . والأَجْرَدُ ممَّا تُمَدَّح به الخيل ، ومعناه القصير الشعر .

(١) فى المصنف ٣ : ٢٠ : « خطب وكبر » .

والعجّاج تقدّمت ترجمته في الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب^(١).

* * *

وأُتشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد السّائة^(٢) :

٦٤٤ (وشفاء غيّكِ خابراً أن تسألِ)

على أن تقدّم خابراً على أن نادر ، أو هو منصوب بفعل يدلُّ عليه المذكور ، والتقدير : تسألين خابراً .

ولم يذكر التخرّيج الثانى فى البيت الذى قبله ؛ لأنّه لا يتأتّى هنا ، فإنّ خابراً منصوب .

قال ابن السّراج (فى الأصول) : ولا يجوز عند الفراء إذا قلت أقوم كى تضرب زيدا : أقوم زيدا كى تضرب . والكسائى يُجيزه ، وينشد :

* وشفاء غيّكِ خابراً أن تسالى *

وقال الفراء : خابراً حالٌ من الغى . ا هـ .

ونقله صاحبُ اللباب فقال : ولا يجوز : قمتُ زيدا كى أضرب ، كما لا يجوز : أريد زيدا أن أضرب ، خلافاً للكسائى . وقوله :

* وشفاء غيّكِ خابراً أن تسالى *

(١) الخزّانة ١ : ١٧٠ . وفى ش : « الواحد والعشرين » .

(٢) الحماسة البصرية ٢ : ٣٧ مع نسبه إلى امرأة من سليم . وفى الأغانى ١٩ : ٩٣ قصيدة طويلة منسوبة إلى ربيعة بن مقروم منها هذا الشاهد . وهناك أبيات من الروى والعروض ، ليس منها هذا البيت فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦١ - ٦٧ .

مما يعضد مذهبه . والفراء يجعل المنصوب حالاً من الغنى على ما حكاه ابن السراج . اهـ .

وقول الفراء في البيت لا وجه له ، فإنَّ خابراً اسمُ فاعلٍ من خبرته أَخْبَرَهُ ، من باب نصر ، خُبراً بالضم ، إذا عَلِمْتَهُ . وهو بالخاء المعجمة والباء الموحدة . فالخاير : العالم . و (الغنى) بفتح الغين المعجمة : مصدر غوى غيًّا ، من باب ضرب ، أى انهمَكَ في الجهل ، وهو خلاف الرُّشد ، والاسم الغَوَاية بالفتح .

والمصراع عجزٌ وصدره :

(هَلَّا سَأَلْتُ وَخُبْرُ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ وَشَفَاءُ غَيْكِ خَابِراً أَنْ تَسْأَلِي^(١))

وبعده :

(هَلْ نَكْرُمُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا وَنَسُودُ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ تَنْحُلِ)

فلا يمكن تخريج البيت إلا على ما ذكره الشارح المحقق أو الكسائي .

ولا يصحُّ جعل خابراً حالاً من الغنى ولا من الكاف ، فإنَّ الغنى لا يتَّصف بالخبر ، إذ هو ضده . وكذلك المخاطبة لا تتَّصف به لأنها متَّصفة بالغنى ، ولعدم قوله خابرة بالتأنيث .

وقد تصحَّف على شارح اللباب لفظتان منه : الأولى : الغنى تصحَّفت

٥٦٥

عليه بالعين المهملة المكسورة . والثانية : قوله خابراً ، تصحَّفت عليه بجابر بالجيم ، فإنه قال بعد عبارة اللباب : هكذا ذكره المصنِّف ، وفيه نظر :

أَمَّا أَوَّلًا فَلأنَّه يتعلَّق بالقصة ، فإن كان جابراً اسمَ رجل فالحقُّ ما ذكره

(١) البيت شديد التحريف في الحماسة البصرية . والبيت الذي بعده ، وهما بيتان اثنان فقط ، سيأتى قريباً في ص ٤٣٥ .

الكسائي ، وإن لم يكن اسم رجل جاز أن يكون فاعلاً من الجبر ، فالحق ما ذكره الفراء . وإن كان مجهول الحال احتمل الوجهين .

وأما ثانياً فلأن وصف الشفاء بالجبر كان أولى من وصف العي به ، فإن العي والعجز ليس سبب الجبر والصّلاح ، بل هو سبب الاختلال ، والشفاء والخلاص عن العي هو الجابر للاختلال . فلعل تأويله أن العي سبب السؤال والحامل عليه ، والسؤال سبب الشفاء والجبر . فجاز أن يجعل العي شافياً ، إسناداً للأثر إلى سبب السبب .

هذا كلامه ، وهو في هذا معذور ، لأنه لم يقف على أصل الشعر . وقد أورد البيت بمصراعيه ابن الأنباري والقالبي (في تأليفهما في المقصور والممدود) . شاهداً للممدود المكسور أوله ، وهو الشفاء .

ورأيت (في الحماسة البصرية) : قالت امرأة من بني سليم :

هلاً سألت خبير قوم عنهم وشفاء علمك خابراً أن تسأل
يبدى لك العلم الجلي بفهمه فيلوح قبل تفكر وتأمل
ومثل البيتين الأولين في المعنى وغالب اللفظ ، قول سعية بن عريض^(١)

من يهود خيبر :

إن تسألني فاسألني خابراً فالعلم قد يلقى لدى السائل
يُنْبِئُكَ من كان بنا عالماً عنّا ، وما العالم كالجاهل

(١) في النسختين : « سعيد بن العريض » ، تحريف . وهو يفتح العين المهملة والياء المشناة التحتية ، كما في الروض الأنف للسيوطي ١ : ١٤٢ وابن الأثير في أسد الغابة ١ : ٦٩ - ٧٠ . ٢٤١ . وانظر ما أثبتناه في شرح الأسمعيات ٨٢ - ٨٣ . وسعية هذا هو أخو السموذ المشهور بالوفاء . وسعية لم يدرك الإسلام ، ولكن أدركه ولداه : ثعلبة وأسد ، وأسلما وحسن إسلامهما وتوفيا في حياة رسول الله .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من قصيدة لربيعة بن مقروم . وبعد ذينك البيتين :

أبيات الشاهد

(ونَحَلُّ بِالثَّغْرِ المخوفِ عدوهُ
ونُعِينُ غارِمَنَا ونَمْنَعُ جَارَنَا
وإذا امرؤُ منَّا جَنَى فكَأَنَّهُ
ومتى يَقْمُ عند اجتماعِ عشيرَةٍ
وإذا الحَمَالَةُ أثْقَلَتْ حُمَالَهَا
ويحقُّ في أَمْوَالِنَا لِحَرِيبِنَا

ونردُّ خَالَ العارضِ المتَهَلِّلِ
ويزينُ مولَى ذِكرُنَا في المحفَلِ
مما يَخَافُ على مَنَاجِبِ يَذْبُلِ
خطباؤُنَا بين العشيرةِ يَفْصَلِ^(١)
فعلى سوائِمِنَا ثَقِيلُ المَحْمِلِ
حقُّ نَنوؤُ به وإن لم نُسألِ^(٢)

ومن هذه القصيدة :

(ولقد شهدتُ الخيلَ عند طرادها
متقاذِفِ شَنَجِ النِّسَاءِ عَبلِ الشوى
لولا أَكْفَكِفُهُ لكاد إذا جرى
وإذا جرى منه الحميمُ رأيته
وإذا تُعَلَّلُ بالسَّيَاطِ جِياذُها
ودعوا نَزَالٍ فكننتُ أَوَّلَ نازلِ
ولقد جمعتُ المَالَ من جمعِ امرئٍ
ودخلتُ أبنيةَ الملوكِ عليهمُ
وَأَلَدُّ ذِي حَنِيٍّ على كَأَنَّمَا

بسليمٍ أَوْظَفَةَ القوائِمِ هيكَلِ
سَبَّاقِ أُنْدِيَةِ الجِياذِ عَمِيثِلِ^(٣)
منه الشَّكِيمُ يَدُقُّ فأسَ المِسْحَلِ
يَهْوَى بفارسه هَوًى الأَجْدَلِ
أَعْطَاكَ نائِبَةً ولم يتعلَّلِ
وعلامُ أَرْكَبُهُ إذا لم أَنزَلِ
ورفعتُ نَفْسِي عن لثيمِ المَأْكَلِ
ولشرُّ قولِ المرءِ ما لم يَقْعَلِ
تغلى عداوةُ صدره في مِرْجَلِ

٥٦٦

(١) ط : « خطباونا » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح والأغاني .

(٢) في الأغاني : « ونحق في أموالنا لحليفنا حقاً يبرء به » . والحريب هنا : المسلوب

ماله .

(٣) في الأغاني : « أبدية الجياد » .

أَوْجَيْتُهُ عَنِ فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكُوَيْتَهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ عَلِيٍّ^(١)
وَأَخَى مَحَافِظَةً عَصَى عُدَّالَهُ وَأَطَاعَ لَذَّتَهُ مُعِمِّمْ مُخَوِّلِ
هَشَّ يَرَّاحُ إِلَى النَّدَى نَبَّهْتُهُ وَالصُّبْحُ سَاطِعُ لَوْنِهِ لَمْ يَنْجَلِ
فَاتَّيْتُ حَانُوتًا بِهِ فَصَبَّحْتُهُ مِنْ عَاتِقٍ بِمَزَاجِهَا لَمْ تُقْتَلِ
صَهْبَاءُ صَافِيَةِ الْقَنْدَى أَغْلَى بِهَا يَسَّرُ كَرِيمُ الْخِيَمِ غَيْرَ مَبْخَلِ
وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَيْنَهَا وَأَصَابَنِي مِنْهُ الزَّمَانُ بِكُلِّ كِلِ
فَإِذَا وَذَاكَ كَأَنَّهُ مَالِمٌ يَكُنْ إِلَّا تَذَكَّرُهُ لِمَنْ لَمْ يَجْهَلِ
وَلَقَدْ أَتَتْ مَائَةٌ عَلَى أَعْدُهَا حَوْلًا فَحَوْلًا لَوْ بَلَاهَا مَبْتَلِي^(٢)
فَإِذَا الشَّبَابُ كَمِيدَلٍ أَنْضَيْتُهُ وَالْدَّهْرُ يُبْلِي كُلَّ جِدَّةٍ مَبْدَلِ

ومن هذه القصيدة في وصف امرأة ، روى صاحب الأغاني بسنده إلى الهيثم بن عدي ، عن حماد الراوية قال :

دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبج ، وبين يديه معبد ، ومالك ، وابن عائشة ، وأبو كامل ، وحكم الوادي ، وعمر الوادي ، يغنونه ، وعلى رأسه وصيفة تسقيه ، لم أر مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً ، فقال لي : يا حماد ، إني أمرت هؤلاء أن يغنوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتها لمن وافق صفتها نحلة^(٣) ، فما أتاني واحد منهم بشيء ،

(١) في الأغاني : « أوجيته » بالراء . وقال المرزوقي : « ذكر بعض المتأخرين ، في أوجيته ، أن الرواية الصحيحة : أوجيته ، وما عدها تصحيف . قال : وهو أفعلته من الوجي . وإنما أوجب ذلك ليكون لفق قوله بزعمه : وكويته » .

(٢) بلاها : اختبرها ففرها . وفي ط : « لا بلاها » ، تحريف . صوابه في ش . وفي الأغاني : « إن بلاها » .

(٣) النحلة ، بالكسر : : الهبة والمطية .

فَأَنشِدُنِي أَنْتَ مَا يُوَافِقُ صِفَتَهَا وَهِيَ لَكَ . فَأَنشَدْتَهُ قَوْلَ رَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومِ الضَّبِّيِّ :

شَاءَ وَاضِحَةُ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ كَالْبَدْرِ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ الْمُنْجَلِي
وَكَانَ فَاهَاً بَعْدَ مَا طَرَقَ الْكُرَى كَأَسُّ تُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ فِي رَأْسِ مَشْرِقَةِ الذُّرَى ، مُتَبَتِّلٍ ^(١)
لَصَبَا لِبَهْجَتِهَا وَطِيبَ حَدِيثِهَا وَلَهْمٌ مِنْ نَامُوسِهِ يَنْتَزِلُ
فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَصَبْتَ وَصَفَهَا فَاخْتَرَهَا أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ . فَاخْتَرْتُ
الْأَلْفَ الدِّينَارَ ^(٢) .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده . فمن مختارها ونادرها قوله :

بَلْ إِنْ تَرَى شَمَطًا تَفَرَّعَ لَمَّى وَحَنَى قَنَايَ وَارْتَقَى فِي مِسْحَلٍ ^(٣)
وَدَلَفْتُ مِنْ كَبِيرِ كَأَنِّي خَاتِلٌ قَنَصًا وَمَنْ يَذِيبُ لَصِيدٍ يَخْتَلِلُ
وَلَقَدْ أَرَى حَسَنَ الْقَنَاةِ قَوْمِهَا كَالنَّصْلِ أَخْلَصَهُ جِلَاءُ الصَّيْقَلِ ^(٤)

ربيعه بن مقروم وربيعه هو ابن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن غَيْظَ بن السَّيِّدِ بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّةَ بن أَدَّ بن طابِخَةَ ابن الياس بن مضر بن نزار .

(١) بين هذا البيت وتاليه في الأغاني ١٩ : ٩٢ :

جَارَ سَاعَاتِ النِّيَامِ لِرَبِّهِ حَتَّى تَحْدُدَ لَحْمَهُ مُسْتَمْعِلُ

(٢) في النسختين : « الألف دينار » ، صوابه في الأغاني ، لعدم جواز إضافة ما فيه أل إلى ما هو نكرة . وانظر الأشموني ٢ : ٢٤٥ والجمع ٢ : ٤٨ .

(٣) في ط والأغاني : « شمْطًا تفرع » صوابه في ش . والشمط : بياض الرأس يخالط سواده . تفرعها : علاها . والمسحل : واحد المسحلين ، وهما جانباً الحية . وفي النسختين والأغاني أيضاً : « مسحل » ، ووجه كتابتها بالياء كما أثبت .

(٤) الأبيات من أصوات الأغاني ١٩ : ٩٢ ولها رابع في الأغاني :

أُزْمَانُ إِذْ أَنَا ، وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلِي تَصْبِي الْعَوَانِي مِيعَى وَتَنْقَلُ

وهو شاعرٌ مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممّن أصفقَ عليه كسرى^(١) ثم عاش في الإسلام زماناً^(٢) . كذا في الأغاني .

وزاد على هذا ابن الأنباري (في شرح المفضليات) : وهو مُسلمٌ وشهد القادسية .

وزاد ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : شهد القادسية وجُلّولاء . وهو ٥٦٧ من شعراء مضر الملعودين .

وقد ذكره ابن حجر (في قسم المخضرمين من الإصابة) ونقل عن المرزبان^(٣) أنّه قال : كان ربيعة بن مقروم أحدَ شعراء مضر في الجاهلية والإسلام ، ثم أسلم وشهد القادسية وغيرها من الفتوح ، وعاش مائة سنة .

وأما البيتان الأخيران فهما من قصيدة جيّدة أيضاً لسَعِيّة^(٤) بن عُريض اليهودي الخبيري ، وهو أخو السمّوع بن عُريض بن عدياء ، الذي يضرب به المثل في الوفاء . وأوّل القصيدة :

لُبَابُ يَا أُخْتَ بَنِي مَالِكٍ لَا تَشْتَرِي الْعَاجِلَ بِالْآجِلِ
لُبَابُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ نَائِلٍ لِعَاشِقٍ ذِي حَاجَةٍ سَائِلِ
عَلَّلْتِهِ مِنْكَ بِمَا لَمْ يَنْلُ يَا رُبُّمَا عَلَّلْتَ بِالْبَاطِلِ

(١) إشارة إلى يوم الصفقة الذي نكل فيه كسرى ببني تميم ، فأخذ أموالهم وسبي ذراريهم بمدينة هجر من أرض البحرين ، لأنهم كانوا قد أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . وانظر خبر اليوم في ياقوت (الصفقة) والمقد ٣٢٤ : ٥ والأغاني ١٦ : ٧٥ / ٢٠ : ١٣٥ والمعدة ٢ : ١٦٩ والميداني ٢ : ٣٥٣

(٢) ش : « ثم عاش زماناً » .

(٣) ط ، ش : « المرزبان » ، صوابه في الإصابة .

(٤) في النسختين : « لسعيد » ، صوابه ما أثبت . وانظر ماسبق في حواشي ٤٣٥ .

لُبَابُ دَاوِيْنِي وَلَا تَقْتُلِي قَدْ فَضَّلَ الشَّافِي عَلَى الْقَاتِلِ
 إِنْ تَسْأَلِي بِي فَاسْأَلِي خَابِرًا فَالْعِلْمُ قَدْ يُلْفَى لَدَى السَّائِلِ
 يُنْبِيكَ مَنْ كَانَ بِنَا عَالِمًا عَنَّا ، وَمَا الْعَالَمُ كَالْجَاهِلِ
 إِنَّا إِذَا جَارَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّمْعُ لِلْقَاتِلِ
 وَاعْتَلَجَ الْقَوْمُ بِالْبَاهِمِ فِي الْمُنْطَقِ الْقَاتِلِ وَالْفَاصِلِ^(١)
 لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلِيطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
 تَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا فَنُخْمِلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

روى صاحب الأغاني بسنده إلى العتبي قال : كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر :

* إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى *

الآبيات الأربعة :

روى أيضاً بسنده إلى يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الملك ابن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّمْعُ لِلْقَاتِلِ
 وَاصْطَرَعَ الْقَوْمُ بِالْبَاهِمِ نَقَضَى بِحُكْمٍ فَاصِلٍ عَادِلِ
 مع البيتين الآخرين ، ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد السّائة^(٣) :

٦٤٥ (يرجى المرء مالا أن يُلاقى وتعرض دون أدناه الخطوب)

(١) القاتل : الخاطئ الضعيف . قال يفيل فيولا وفيالة وفيلولة .

(٢) الأغاني ١٩ : ١٠١ .

(٣) نوادر أبي زيد ٦٠ ومغنى اللبيب ٢٥ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والتصريح ٢ : ٢٣ .

على أَنَّ الخليل قال : أَصْلُ لَنْ : لا أَنْ ، كما جاءت في البيت ، على أصلها ، بدليل أَنَّ المعنى فيهما واحد ، فحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، كما حذفت من قولهم : وَيُلْمُهُ ، والأصل ويلُ أمّه ، فلما حذفت الهمزة التقى ساكنان : أَلْفٌ لا ونون أَنْ ، فحذفت الألف لدفع التقاء الساكنين ، فصار : لَنْ .

وهذا مذهب الكسائي أيضاً . وردّه سيبويه بما ذكره الشارح المحقق .
والشهور في رواية البيت :

* يَرْجَى المرء ما إن لا يلاقى *

بتقديم إن المكسورة الهمزة على لا ، وهي زائدة .

وبه استشهد صاحب الكشف والقاضي البيضاوي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي مَآ إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ ^(١) ﴾ على أَنَّ إِنْ فِي الآية صلة كما في البيت .

ومثله لابن هشام (في المغنى) قال : وقد تزايد إِنْ بعد « ما » الموصولة الاسمية . وأنشد البيت .

ولم يذكر الزمخشري (في المفصل) زيادة إِنْ هذه إلا بعد ما النافية ثم قال : وقد يقال : انتظرني ما إِنْ جلس القاضي ، أى مُدَّة جلوسه .
وصرح ابن الحاجب بقلتها بعدها .

وهذه الرواية هي رواية أبي زيد وابن الأعرابي (في نوادرهما) ، وأنشدها بين بيتين ، والأصل :

(فَإِنْ أَمْسِكَ فَإِنَّ الْعَيْشَ حَلَوٌ إِلَى كَأَنَّهُ عَسَلٌ مَشُوبٌ)

يَرْجَى الْعَبْدُ مَا أَنْ لَا يَرَاهُ وَتَعَرِّضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْخُطُوبُ
وَمَا يَدْرِي الْحَرِيصُ عَلَامَ يُلْقَى شَرَّاشِرُهُ أَيَخْطِئُ أَمْ يَصِيبُ
قال أبو زيد : قوله : إِلَى فِي مَعْنَى عِنْدِي . وَالشَّرَّاشِرُ : الثَّقُلُ ثِقَلُ
النَّفْسِ . انْتَهَى

وقال [أبو] الحسن الأَخْفَشُ (في شرح نوادر أبي زيد) : وروى
أبو حاتم : « مَا لَا إِنْ يِلَاقِي » بِتَأْخِيرِ إِنْ الْمَكْسُورَةِ الِهْمْزَةِ . وَرَوَايَةٌ « مَا إِنْ
لَا يِلَاقِي » بِتَقْدِيمِ إِنْ الْمَكْسُورَةِ غَلَطَ ، وَالصَّوَابُ : « مَا أَنْ لَا يِلَاقِي » ،
بِفَتْحِهَا ، وَهِيَ زَائِدَةٌ ، تَزَادُ فِي الْإِيجَابِ مَفْتُوحَةٌ ، وَفِي النَّفْيِ مَكْسُورَةٌ^(١) .
تَقُولُ : لَمَّا أَنْ جَاءَنِي زَيْدٌ أَعْطَيْتَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ
الْبَشِيرُ^(٢) ﴾ . وَتَقُولُ فِي النَّفْيِ : مَا زَيْدٌ مُنْطَلَقًا ، فَإِذَا زِدْتَ إِنْ قُلْتَ مَا إِنْ
زَيْدٌ مُنْطَلَقًا ، فَإِنْ كَافَّةً لَمَّا عَنِ الْعَمَلِ . وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُكَ : إِنْ زَيْدًا
مُنْطَلَقًا ، ثُمَّ تَقُولُ : إِنَّمَا زَيْدٌ مُنْطَلَقًا ، فَكُفْتُ مَا الزَّائِدَةُ إِنْ عَنِ الْعَمَلِ
كَمَا كُفْتُ إِنْ مَا النَافِيَةِ . وَهَذَا تَمَثِيلُ الْخَلِيلِ . فَلَمَّا قَالَ « مَا أَنْ لَا يِلَاقِي »
فَنَظَرَ إِلَى مَا ، الَّذِي رَوَى هَذِهِ الرِّوَايَةَ ، ظَنَّنَهَا^(٣) النَافِيَةَ . وَهَذِهِ بِمَعْنَى الَّذِي
فَلَا تَكُونُ أَنْ بَعْدَهَا إِلَّا مَفْتُوحَةٌ . وَرَوَايَةُ أَبِي حَاتِمٍ : « مَا لَا إِنْ يِلَاقِي »
صَحِيحَةٌ ، لِأَنَّ لَا فِي النَّفْيِ بِمَنْزِلَةِ مَا ، وَإِنْ كَانَتْ إِنْ لَا تَكَادُ تَزَادُ بَعْدَ
لَا . انْتَهَى .

وهذا خلاف ما نقله الشارح المحقق عن الخليل ، وهو المخطئ في
النقل والتخطئة . ودعواه أَنَّ إِنْ الْمَكْسُورَةُ لَا تَزَادُ بَعْدَ مَا الْمُوصُولَةُ مُرْدُودَةٌ

(١) في النواذر : « وَإِنْ زَائِدَةٌ ، وَهِيَ تَزَادُ فِي الْإِيجَابِ مَفْتُوحَةٌ وَفِي النَّفْيِ مَكْسُورَةٌ » .
وكلمة « تَزَادُ » سَاقِطَةٌ مِنْ ش .

(٢) الْآيَةُ ٩٦ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ .

(٣) ط : « فَظَنَّهَا » صَوَابُهُ فِي ش وَالنَّوَادِرُ ٦١ .

فإنّها تزداد بعد ما المصدرية وغيرها أيضاً . قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومن زيادة إن المكسورة الهمزة فى الضرورة قولُ الشاعر ، أنشدّه سيّويه :

ورجّ الفتى للخير ما إن رأيته على السنّ خيراً لا يزالُ يزيدُ^(١)

فزاد إن بعد ما المصدرية وليست بنافية ، تشبيهاً لها بما النافية . ألا ترى أنّ المعنى : ورجّ الفتى للخير مدّة رؤيتك إيّاه لا يزالُ يزيدُ خيراً على السنّ . لكن لما كان لفظها كلفظ ما النافية زادها بعدها ، كما تزداد بعد ما النافية ، فى نحو قولك : ما إن قام زيد . وقول الآخر أنشدّه أبو زيد :

يرجى المرء ما إن لا يلاقى البيت

فزاد إن بعد ما ، وهى اسم موصول ، لشبهها باللفظ بما النافية ، وقول النابغة فى إحدى الروايتين .

إلاّ الأوارى لا إن ما أبينها البيت

فزاد إن بعد لا لشبهها بما من حيث كانتا للنفي . وزعم الفراء أنّ لا وإن وما حروف نفي ، وأنّ النابغة جمع بينها على طريق التأكيد . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقد تزداد بعد ما الموصولة الاسمية وبعد ما المصدرية ، وأورد البيتين المتقدمين ، ثم قال : وبعد ألا الاستفتاحية :

ألا إن سرى ليلي فبت كئيباً أحاذر أن تنأى النوى بغضوباً^(٢)

(١) كتاب سيّويه ٢ : ٣٠٦ ومعجم شواهد العربية ١٠٣ وهو المملوط بن بدل .

(٢) المغنى ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والمجم ١ : ١٢٤ .

وَقَبْلَ مَدَّةِ الْإِنْكَارِ ، سَمِعَ [سِيْبُوِيَه ^(١)] رَجُلًا يَقَالُ لَهُ : أَتُخْرِجُ
إِنْ أَخْصَبْتَ الْبَادِيَةَ ؟ فَقَالَ : أَنَا إِنِّيهِ ! مُنْكَرًا أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُ عَلَى غَيْرِ
ذَلِكَ ^(٢) . انْتَهَى

وقوله : « فَإِنْ أُمْسِكَ فَإِنَّ الْعَيْشَ حُلُوٌّ » إلخ ، أُمْسِكَ مُضَارِعُ أَمْسَكَ . قَالَ
صَاحِبُ الْمَصْبَاحِ : أَمْسَكَتْهُ بِيَدِي إِمْسَاكَ : قَبَضْتُهُ بِالْيَدِ . وَأَمْسَكَتُ عَنْ
الْأَمْرِ : كَفَفْتُ عَنْهُ . وَأَمْسَكَ اللَّهُ الْغَيْثَ : حَبَسَهُ وَمَنَعَ نَزْوُلَهُ . انْتَهَى .

وَلَمْ يَذْكُرِ الشَّاعِرُ صَلَاةَ أُمْسِكَ ، فَمَعْنَاهُ مُتَوَقِّفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ . وَقَوْلُهُ
« مُشَوَّبٌ » أَيْ مُخْلُوطٌ بِالْمَاءِ . قَالَ صَاحِبُ الْمَصْبَاحِ : شَابَهُ شَوْبًا :
خَلَطَهُ ، مِثْلَ شَوْبِ اللَّبَنِ بِالْمَاءِ ، فَهُوَ مُشَوَّبٌ . وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْعَسْلَ
شَوْبًا ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ مَزَاجٌ لِلْأَشْرِبَةِ .

وقوله : « يَرْجِي الْمَرْءُ » إلخ ، رَوَى بَدَلُ الْمَرْءِ (الْعَبْدُ) وَهُوَ عَبْدُ الْخَلْقَةِ .
وَيَرْجِي بِمَعْنَى يَأْمُلُ ، وَهُوَ مُبَالِغَةٌ رَجَاهُ يَرْجُوهُ رُجُوءًا عَلَى فَعُولٍ ، وَالْإِسْمُ
الرَّجَاءُ بِالْمَدِّ . وَرَجِيَّتُهُ أَرْجِيهِ مِنْ بَابِ رَمَى ، لُغَةٌ . كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ .

وَقَدْ حَذَفَ الْعَائِدُ إِلَى مَا الْمُوصُولَةُ مِنْ قَوْلِهِ (لَا يَلَاقِي) ، وَالْأَصْلُ
لَا يَلَاقِيهِ ، وَرَوَى بِدَلُهُ : (لَا يَرَاهُ) ، فَالْهَاءُ هِيَ الْعَائِدُ .

و (تَعَرَّضَ) إِمَّا مِنْ عَرَضَتْ لَهُ بَسُوءٌ أَيْ تَعَرَّضْتُ ، مِنْ بَابِ ضَرْبٍ ،
وَبَابُ تَعَبٍ لُغَةٌ . وَفِي النِّهْيِ : لَا تَعَرَّضْ لَهُ بِكُسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا ، أَيْ
لَا تَعْتَرِضْ لَهُ فَتَمْنَعُهُ بِاعْتِرَاضِكَ أَنْ يَبْلُغَ مَرَادَهُ ؛ لِأَنَّهُ يَقَالُ سِرْتُ فَعَرَّضَ
لِي فِي الطَّرِيقِ عَارِضٌ مِنْ جَبَلٍ وَنَحْوِهِ ، أَيْ مَانِعٌ يَمْنَعُ مِنَ الْمَضِيِّ . وَاعْتَرِضَ

(١) التكملة من المغني . وانظر سيبويه ١ : ٤٠٦ و ٢ : ٤٢٠ من نسختي .

(٢) في سيبويه : « مُنْكَرًا لِرَأْيِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى خِلَافِ أَنْ يُخْرِجَ » .

لى بمعناه . ومنه اعتراضات الفقهاء ، لأنها تمنع من التمسك بالدليل .
وإمّا مِنْ عَرْضَ له أمرٌ ، إذا ظهر ، من باب ضَرْبٍ أيضاً . ويحتمل أن
تكون « تَعْرِضُ » بضم الراء ، من عَرَضَ الشيء بالضم عَرَضاً كعنب
وعَرَاضة^(١) بالفتح : اتسع عَرَضُهُ وتباعد حاشيته ، فهو عريض .

و (أَدْنَاهُ) : أقربه ، أفعل تفضيل من الدنو وهو القرب .

(والخطوب) : جمع خطب . قال صاحب المصباح : والخطب :
الأمر الشديد ينزل ، والجمع خطوب ، مثل فلس وفلوس . انتهى .

وقيل الخطب هو الشأن والأمر ، عَظُمَ أو صَغُرَ . وقال اللدّاميني (في
الحاشية الهندية) : هو سَبَبُ الأمر ، يقال : ما خطبك ؟ أى ما سببُ أمرك
الذى أنت عليه . وغلب استعمال الخطوب في الأمور الشاقة الصعبة . انتهى .

وهذه الأبيات الثلاثة نسبها أبو زيد إلى جابر بن رُلان الطائي ، جابر بن رُلان
قال : وهو شاعر جاهلي . وكذا نسبها ابن الأعرابي (في نوادره) ثم
قال : ويقال إنها لإيَّاس بن الأَرْت .

ورُلان بالراء المهملة بعدها همزة ساكنة . وإيَّاس بكسر الهمزة بعدها
مثناة تحتية . والأَرْت بالثناة ، قال صاحب الصحاح : الرُّتَةُ بالضم :
العُجْمة في الكلام . ووجلُّ أَرْتٌ بَيْنَ الرُّتَتِ ، وفي لسانه رُتَةٌ ، وأَرْتَهُ الله .

* * *

وَأَنشُدْ بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الستائة^(٢) :

٦٤٦ (إِذَنْ لِقَامَ بِنَصْرَى مَعْشَرُ خُشْنٍ)

على أن (إِذَنْ) تدخل في الماضي كما في البيت .

(١) ط : « وإعراسة » ، صوابه في ش والمغني وابن يعيش ١ : ٨٢ / ٩ : ١٣ ، ٦٩ -

(٢) الخصائص ٢ : ٢٧ وأمالى ابن السجري ٢ : ٢٨٨ وابن يعيش ١ : ٩ / ٢ : ٦٩ ، ١٣ -

والحماسة بشرح المرزوقي ٢٥ .

والمصرع من أبيات في أول الحماسة ، وقبله :

(لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذن لقام بنصرى معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا)

قال الشارح المحقق بعد أسطر : إن إذن متضمنة لمعنى الشرط على ما حققه . وإذا كانت بمعنى الشرط الماضى جاز إجراؤها مجرى لو فى إدخال اللام فى جوابها كما فى البيت . فجملة لقام إلخ جواب إذن ، كأنه قيل : ولو استباحوا إبلى مع كوفى من بنى مازن لقام بنصرى إلخ .

٥٧٠

وهذا مختار الشارح المحقق ومذهبُه فى إذن . وفيه ردُّ على الإمام المرزوقى فى زعمه أن قوله « لقام » جوابُ قسمٍ مقدَّر . قال : اللام فى لقام جوابُ يمينٍ مضمر ، والتقدير : إذن والله لقام بنصرى . وفائدة إذن هو أن هذا البيت الثانى أُخرجَ مُخرجَ جوابِ قائلٍ قال له : ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن ؟ فقال : إذن لقام بنصرى إلخ . وإذا كان كذلك فهذا البيت جوابٌ لهذا السائل ، وجزءٌ على فعلٍ المستبجح . انتهى .

وفيه ردُّ أيضاً لما قاله ابن جنى (فى إعراب الحماسة) قال : قوله : « إذن لقام » إلخ هو جوابُ قوله : « لو كنت من مازن » . فإن قلت : فقد أجاب لو هذه بقوله لم تستبح إبلى . قيل : قوله إذن لقام إلخ بدل من قوله لم تستبح إبلى ، وهذا كقولك : لو زرتنى لأكرمك ، إذن لم يضع عندى حق زيارتك . انتهى .

وتبعه جماعة ، منهم ابن يعيش (فى شرح المفصل) قال : فإذا جوابُ لقوله : لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ، على سبيل البدل

من قوله لم تستبج^(١) إبلى ، وجزاءً على فعل المستبج . انتهى .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال : الأكثر أن تكون إذن جواباً
لإن ، أو لو ، ظاهرتين أو مقدرتين .
فالأوّل كقوله^(٢) :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها وأمكنى منها إذن لا أقبلها
وقول الحماسى : « لو كنتُ من مازن » البيتين . فقوله « إذن
لقام » بدل من لم تستبج ، وبدل الجواب جواب .

والثانى : [فى^(٣)] نحو أن يقال آتيتك ، فتقول : إذن أكرمك ، أى
إن آتيتنى إذن أكرمك . وقال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ
مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ^(٤) ﴾ .
قال الفراء : حيث جاءت بعدها اللام فقبلها لو مقدرة ، إن لم تكن
ظاهرة . انتهى .

وجوز الإمام المرزوق أن تكون إذن لقام إلخ ، جواباً ثانياً للو ، لأعلى
البديّة . قال : ويجوز أن تكون أيضاً إذن لقام جواب لو ، كأنه أجيب
بجوابين . وهذا كما تقول : لو كنت حُرّاً لاستقبحت ما يفعله العبيد
إذن لاستحسن ما يفعله الأحرار . انتهى .

وزعم ابن المُلّا (فى شرح المغنى) أن هذا عين ما قاله ابن هشام
أو قريب منه .

ولا يخفى أنه قريب منه لآينه .

(١) ش : « لم يستبج » ، صوابه فى ط وابن يعيش ٩ : ١٤ .

(٢) هو كثير عزة . كما سيأتى فى ٤٧٣ . والبيت هو الشاهد ٦٥١ .

(٣) التكملة من ش .

(٤) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .

وَجَعَلَ ابْنُ هِشَامٍ إِذْنَ لَا أَقِيلُهَا فِي الْبَيْتِ جَوَاباً لِإِنَّ الشَّرْطِيَّةَ دُونَ الْقِسْمِ الْمَقْدَّرِ مُخَالَفٌ لِلْقَاعِدَةِ ، كَمَا يَأْتِي بَيَانُهُ قَرِيباً عِنْدَ إِنْشَادِ الشَّارِحِ الْبَيْتَ . وَإِنْ أَرَادَ تَقْدِيرَ إِنْ وَلَوْ صِنَاعَةً يَرُدُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَمْتَنِعُ النَّصْبُ فِي الْمِثَالِ الَّذِي أَوْرَدَهُ ، لَوُقُوعُهَا حُشْوَاً ، وَهُوَ قَوْلُهُ : آتِيكَ ، فَتَقُولُ : إِذْنَ أَكْرَمُكَ ، أَيْ إِنْ آتَيْتَنِي إِذْنَ أَكْرَمُكَ .

وما نقله عن الفراء فيه تفصيل كما يظهر من نص عبارته ، قال (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ^(١) ﴾ : وَإِذَا رَأَيْتَ فِي جَوَابِ إِذْنَ اللّامِ فَقَدْ أَضْمَرْتَ لَهَا لَيْتَنَ أَوْ يَمِينًا ، أَوْ لَوْ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ وَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ : لَوْ كَانَ [مَعَهُ ^(٢)] إِلَهٌ لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ . وَمِثْلُهُ : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيُفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ^(٣) ﴾ ، وَمَعْنَاهُ لَوْ فَعَلْتَ لَا تَأْخُذُوكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ كَدَّتْ تَرْكَنٌ ^(٤) ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ﴾ مَعْنَاهُ : لَوْ رَكَنْتَ لَأَذَقْنَاكَ . انْتَهَى كَلَامُهُ .

٥٧١

وقوله : (معشر خشن) : جَمْعُ خَشْنٍ أَوْ أَخْشَنَ ، وَضَمَّةُ الشَّيْنِ لِلِإِتْبَاعِ ، بِمَعْنَى الشَّدِيدِ . وَأَرَادَ بِهِمْ بَنِي مَازَنَ . وَ (اللَّوْثَةُ) بِالضَّمِّ : الضَّعْفُ . وَأَرَادَ بِهِ قَوْمَهُ . قَالَ ابْنُ جَنَى : إِنْ قُلْتَ أَيْنَ جَوَابُ قَوْلِهِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَأَنَا ؟ قِيلَ : مُحذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ خُشْنٌ ، أَيْ إِنْ لَانَ ذُو لَوْثَةٍ خَشِنُوا هُمْ أَوْ يَخْشِنُوا ، وَدَلَّ الْمَفْرَدُ الَّذِي هُوَ خُشْنٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ خَشِنُوا

(١) الآية ٥٣ من سورة النساء . وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) التكملة من معاني القرآن .

(٣) الآية ٧٣ من سورة الإسراء .

(٤) من الآية ٧٤ في سورة الإسراء .

أو يخشونوا ، وذلك لمشابهة اسم الفاعل وما يجرى مجراه الجملة ، بما فيه من الضمير ^(١) . انتهى .

والمشهور في مثل هذا أَنَّ المتقدِّم دليلُ الجواب المحذوف ، فيقدَّر قام بنصرى معشر خشن . وصنيع ابن جنِّي أبلغ . فتأمل .

والاستباحة : أخذ الشيء مباحاً للنفس . و (قام) من القيام بالشيء والتكفل به . و (المعشر) : اسمٌ لجماعةٍ أمرهم واحد .

وتقدِّم شرحهما في شرح الأبيات بأوفى من هذا في الشاهد السادس والخمسين بعد الخمسائة ^(٢)

* * *

وأنشد فيه بعده :

(نَهَيْتُكَ عَنْ طَلَابِكَ أُمَّ عَمْرٍو بِعَاقِبَةٍ وَأَنْتَ إِذْ صَحِيحٌ)

وتقدِّم شرحه مفصلاً في الشاهد الثامن والتسعين بعد الأربعمائة من باب الظروف ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الستائة ^(٤) :

٦٤٧ (مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ

إِذَنْ فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي ^(٥)

إِذَنْ .. فَعَاقَبَنِي رَبِّي بِعَاقِبَةٍ قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ)

(١) بعده عند ابن جنِّي في شرح الحماسة الورقة ٧ : « وذلك نحو قولك : مروت برجل محسن إذا سئل ، شجاع إذا لقي . أى إذا سئل أحسن ، وإذا لقي شجع . وهو كثير . »

(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤١ - ٤٤٦ .

(٣) الخزانة ٦ : ٥٣٩ - ٥٥٠ .

(٤) مجالس ثعلب ٣٦٦ والمغنى ٢٥ .

(٥) ط : « صوب » ، صوابه في شروحيج المراجع الأخرى .

على إنَّ إذن إذا كانت للشرط في المستقبل جاز دخول الفاء في جزائها ، كما في جزاء إنَّ ، كما في البيت ، كأنَّه قال : إنَّ أتيتُ بشيءٍ فلا رفعتُ . فجملة فلا رفعت الخ ، جملة دعائية وقعت جزاء واقترنت بما يقترن به جزاء الشرط ، لما في إذن من معنى الشرط . وكذا الحال في البيت الثاني .

صاحب الشاهد وهما من قصيدة طويلة للنابغة الذبياني مدح بها النعمان بن المنذر ، وتنصّل بها عما قذفوه به ، حتّى خاف وهرب منه إلى بني جفنة ملوك الشام . وهي من القصائد الاعتذاريات ، ولحسّنها ألحقها أبو جعفر النحاس ، والخطيبُ التبريزيُّ وغيرُهما ، بالمعلقات السبع .

وتقدّم شرح أبيات كثيرة منها في (باب الحال) ، وفي باب (خبر كان) ، وفي (النعت) ، وفي (البدل) ، وفي (أسماء الأفعال) وفي غير ذلك . وقبلها :

(والمؤمن العائذات الطير يمسحها رُكبانُ مكة بين الغيل والسند)
وبعدهما :

(هذا لأبرأ من قولٍ قذفتُ به طارت نوافذه حراً على كبدي)
قال ابن رشيّق (في العمدة) : وأجلُّ ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب ، قصائد النابغة الثلاث ، إحداها^(١) :

* يادار مئة بالعلياء فالسند *

يقول فيها :

فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد

٥٧٢

والمؤمن العائذات الطير . . . إلى آخر الأبيات الثلاثة :
والثانية :

* أرسماً جديداً من سُعادَ تجنَّبُ *

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجاً بإحسانهم إليه :
حلفتُ فلم أتركْ لنفسكِ ريبَةً وليس وراءَ الله للمرءِ مطلبُ
الأبيات المشهورة . والثالثة :

* عفا حُسمٌ من أهله فالفَوارعُ^(١) *

يقول فيها بعد قَسَمَ قدمه على عادته :
لكلَّفَتْنِي ذَنْبَ امرئٍ وتركتَه كَذَى العُرِّ يُكوى غيرهُ وهو راتعُ
انتهى . وقد شرحنا القصائد الثلاث برُمُتها في المواضع التي استشهد
بأبياتها .

وقوله : « والمؤمن العائذاتِ الطيرِ » قد شُرح هو وما قبله في الشاهد
السابع والأربعين بعد الثلاثئة من باب النعت^(٢) .

وقوله : « ما إنْ أتيتِ » إلخ ، هذه الجملة جواب القسم الذي هو قوله :
* فلا لَعَمْرُ الذي مَسَّحتُ كعبته * .

مع البيت الذي بعده . وما نافية وإنْ زيدت بعدها للتوكيد . وبه
استشهد ابن هشام (في المغني) .

وقوله : « فلا رفعتُ سَوَطِي^(٣) إلى يدي » ، أراد به : شَلَّتْ يدي ولم

(١) الذي في العدة :

* عفا ذو حى من فرتنسا فالفوارع *

(٢) الخزائن ٥ : ٧١ - ٧٤ .

(٣) ط : « صوت » ، صوابه في ش .

تقدر على رفع السَّوط^(١). وهذا دعاءٌ على نفسه على تقدير صحَّة ما نسبته أعداؤه إليه .

وقوله : « إِذْنُ فَعَاقَبَنِي رَبِّي » إلخ ، هذا دعاءٌ آخر على نفسه . وجملة « قَرَّتْ بِهَا » إلخ ، صفة مُعَاقَبَةٍ . والمعاقبة : العذاب . وقَرَّتْ العين قُرَّةً وقُرُوراً بضمها ، من باب تعب ، أى بردت سروراً . والحسد هو تمنى زوالِ نعمة الغير .

وقوله : « هذا لأَبْرَأ » إلخ ، أى هذا القسم لأَجْل أَنْ أَتَبَرَّأَ مما اتُّهَمْتُ به . والنوافذ تمثيلٌ ، من قولهم جُرِحَ نافذ . أى قالوا قولاً صارَ حرُّه على كبدي ، وشَقِيتُ به .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ :

(والمرءُ عند الرُّشَا إِنْ يَلْقَاهَا ذَيْبٌ)

وهو عَجْزٌ ، وصدْرُهُ :

(هذا سُرَاقَةٌ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ)

وتقدِّم شرحه في الشاهد الثاني والثمانين من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد السَّائِة ، وهو من شواهد س^(٣) :

٦٤٨ (.... فَإِنَّ بِحَبِّهَا أَخَاكَ مُصَابُ الْقَلْبِ)

(١) ط : « الصوت » ، صوابه في ش .

(٢) الخزائن ٢ : ٣ - ٤ .

(٣) سيويه ١ : ٢٨٠ والمقرب ١ : ١٠٨ والمفني ٦٩٣ وشرح شواهد المفني ٣٢٧ والمفني ٢ : ٣٠٩ والممع ١ : ١٣٥ والأشعوني ١ : ٢٧٢ .

على أنّه إنّما جاز الفصل بالجار والمجرور بين إنّ واسمها لقوّة شبه إنّ بالفعل .

قال سيّويه (فى باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده) : وتقول : إنّ بك زيداً مأخوذ ، وإنّ لك زيداً واقف . إلى أن قال : ومثل ذلك إنّ فيك زيداً لراغب . قال الشاعر :

فلا تَلْحَنِي فيها فَإِنَّ بِحَبِّهَا أَخَاكَ مَصَابُ الْقَلْبِ جُمٌ بِلَابِلُهُ
كَأَنَّكَ أَرَدْتَ : إنّ زيداً راغب ، وإنّ زيداً مأخوذ ، ولم تذكر «بك» ولا «فيك» ، فَأَلْغَيْتَنَا هُنَا كَمَا أَلْغَيْتَنَا فِي الْإِبْتِدَاءِ . انتهى .

قال الأَعلَم : الشاهد فيه رفع مصابُ على الخبر وإلغاء المجرور لأنّه من صلة الخبر ومن تمامه ، ولا يكون^(١) مستقراً للأخ ولا خبراً عنه . انتهى .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : الظرف قد استُجِزَ فيه من الاتساع ما لم يُسْتَجِزْ فى غيره . ألا ترى أنّه قد جاء : « فلا تَلْحَنِي فيها » البيت . ففصل بقوله « بِحَبِّهَا » بين إنّ واسمها . ولو كان مكانَ الظرف غيره لم يجز ذلك . والظرف متعلّق بالخبر ، كأنّه قال : إنّ أَخَاكَ مَصَابُ الْقَلْبِ بِحَبِّهَا .

وأورده أيضاً فى موضعين (من التذكرة القصّرية) قال فى الأوّل : مسألة : إن قال قائل لم لا يكون المحذوف فى التقدير مؤخراً ، كأنّه قال : [إنّ^(٢)] فى الدار زيداً ، فلا يسقط بذلك حكم ما تعلّق به الظرف ؟

(١) ط فقط : « لا يكون » ، وأثبت ما فى ش والشنترى .

(٢) ساقطة من النسختين .

قِيلَ : يقبح هذا للفصل ، كما [في ^(١)] : كانت زيدا الحمى تأخذ .
فإن قيل : فقد قال : « فإنَّ بحبها أخاك مصاب القلب ^(٢) » قيل : قد روى
البغداديون هذا « مصاب القلب » . فذا يدلُّك على استكراهم الرفع ،
لما فيه من الفصل ، فعدَّكوا عنه إلى النصب . ويجوز أن تقول : إنَّ
الظرف قد فصل به في أماكن ، فيجوز أن يكون هذا مثلها .

وقال في الموضع الثاني : مسألة : « ما كان فيها أحد خير منك » ، فيها
متعلِّقة بكان إذا نصبت خيراً منك ، ومتعلِّقة بمحذوف إذا كانت
مستقرّاً . ويجوز أن تنصبها بخيراً منك وإنَّ تقدّم عليه ، لشبهه بالفعل .
وليس الفصلُ بفيها إذا علَّقتها بخير منك بقبيح ، لأنَّ أبا الحسن
قد أنشد (في المسائل الصغير) : فإنَّ بحبها أخاك مصاب القلب ^(٣) ، ورواه
الكوفيون : « مصاب القلب » . وأظنُّهم هربوا من الفصل فنصبوا ، مخافة
أن يجرى مجرى : كانت زيدا الحمى تأخذ . وأقوى أبو الحسن بمسائل
هناك يُفصل فيها بالظرف المتعلِّق بالخبر . انتهى .

وقد فصل ابن السَّراج (في الأصول) مذهب الكوفيين في هذه
المسألة قال : إذا كان الظرف غير محلٍّ للاسم ^(٤) سمَّاه الكوفيون الصِّفة
الناقصة ، وجعله البصريون لغواً ولم يجز في الخبر إلَّا الرفع ، وذلك
قولك : فيك عبدُ الله راغب ، ومنك أخواك هاربان ، وإليك قومك
قاصدون ، لأنَّ منك وفيك وإليك لا تكون محلاً ، ولا يتمُّ بها الكلام .

(١) هذه التكملة ليست في الأصل ، والكلام يفتقر إليها .

(٢) بعده في النسختين : « قد » ، وهي مقحمة لاوجه لها .

(٣) ط : « مصاب بالقلب » ، صوابه في ط .

(٤) في الأصول ١ : ٢٤٧ : « للأسماء » .

وقد أجاز الكوفيون : فيك راغباً عبدُ الله ، شَبَّهها الفراءُ بالصفة التامّة لتقدّم راغب على عبد الله . وذهب الكسائي إلى أَنَّ المعنى : فيك رغبةً عبدُ الله . واستضعفوا أَن يقولوا : فيك عبد الله راغباً ، وأنشدوا بيتاً جاء فيه مثل هذا منصوباً .

فلا تلحنى فيها فإنَّ بحبِّها البيت

فنصب « مصاب القلب » على التشبيه بقولك : إِنَّ بالدار أخاك واقفاً ، إلى آخر ما فصله .

وقوله : « فلا تلحنى » هو نهى ، أى لا تلمنى فى حبِّ هذه المرأة فقد أصيب قلبي بها واستولى عليه حبُّها ، والعَدَل لا يصرفنى عنها . يقال لَحَيْت الرجل ، إذا لُمْتَه . قال صاحب الصحاح : ولحيت الرجل ألحاه لحياً ، إذا لُمْتَه ، فهو ملحى ، ولأحيتهُ مُلاحاةً ولحاءً ، إذا نازعته . وفى المثل : « مَنْ لا حاك فقد عاداك » . وتلاحَوْا ، إذا تنازعوا ، وأصله من لَحَيْت العصا ألحيتها لحياً إذا سلخت لِحاءها وجلدها . وكذلك لَحَوْتُها ألحوها لحواً . واللِّحاء بالكسر والمد : قشر الشجر . وفى المثل : « لاتدخل بين العصا ولحائها » . كذا فى الصحاح .

وقال صاحب المصباح : اللِّحاء بالكسر والمد ، والقصر لغة : ما على العود من قشره . ولحوت العود لحواً من باب قال ، ولحيتة لحياً من باب نفع ، إذا قشرته .

و (المصاب) : اسم مفعول من أُصِيبَ بكذا ، من المصيبة وهى الشدّة النازلة . (والجَمِّ) بالجيم : الكثير . و (البلابل) : الأحزان وشغل البال ، واحداً بَلْبال . وهو مبتدأ وجُم خبره ، والجملة خبر ثانٍ لِأَنَّ .

وزاد العيني: «أو هي بدل من قوله مصاب القلب» فتأمل. وقال:
 البلابل: الوسوس ، وهو جمع بلبله وهي الوسوسة .
 والبيت من الأبيات الخمسين التي هي في كتاب سيبويه ولم يُعرف
 لها قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الستمائة^(١) :

٦٤٩ (لَا تَتْرُكْنِي فِيهِمْ شَطِيرًا إِنِّي إِذَنْ أَهْلِكَ أَوْ أَطِيرًا)^٢
 على أَنَّ الفعل جاء منصوباً بإذن مع كونه خبراً عما قبلها ، بتأويل
 أَنَّ الخبر هو^(٢) مجموع إذن أهلك ، لا أهلك وحده ، فتكون إذن
 مصدرّة .

وقال الأندلسي : يجوز أن يكون خبر إن محذوفاً ، أي إِنِّي لا أحتمل .
 ثم ابتداء فقال : إذن أهلك . والوجه رفع أهلك وجعل أو بمعنى إلّا .
 أمّا التخريج الأول فهو للشارح المحقق . وقد ردّه الدماميني (في
 الحاشية الهندية) بأن مقتضاه جواز قولك : زيد إذن يقوم ، بالنصب ،
 على جعل الخبر هو المجموع ، إذ الاعتماد المانع منتفٍ ، إذ هو ثابت
 للمجموع ، وصريحُ كلامهم يأباه . وأجيب عن الرضى بأن تخريجه
 إنما هو لبيان وجه ارتكاب الشذوذ في هذا المسموع ، فلا يكون مقتضاه
 جواز النصب في كل ما سواه مما لم يتحقق فيه شذوذ . هذا كلامه .
 ولا يخفى أَنَّ مراد الرضى تخريجُه على عملها المألوف قياساً ، وهو
 أن لا يعتمد ما بعدها على ما قبلها ، بدليل مقابله لقبول الأندلسي .

(١) معاني الفراء ١ : ٢٧٤ / ٢ : ٣٣٨ والإنصاف ١٧٧ وابن يعيش ٧ : ١٧ والمغرب
 ١ : ٢٦١ والمغني ٢٢ والعيني ٤ : ٣٨٣ والتصريح ٢ : ٢٣٤ والجمع ٢ : ٧ واللسان
 (شطر ٧٦) . ومع نسبته إلى رؤية لم يوجد في ديوانه .
 (٢) ش : « بتأويل الخبر » .

وأما قول الأندلسي ، وعليه اقتصر ابن هشام (في المغني) ، فهو تخريجُ السّيرافي . قال (في شرح الكتاب) : هذا البيت شاذٌّ ولا يُحتجُّ به ، لأنَّ قائله مجهول لا يُحتجُّ بقوله . فإنَّ صحَّ فيما أن يقال إنَّه لغةٌ حُمِلَ فيها إذن على لن ، وهي لا تُلغى بحال . أو نقول : خبر إنَّ مقدَّر ، أي إنَّي لا أقدر على ذلك ، وجملة إذن أهلك مستأنفة ، وإذن فيها مصدرة . انتهى .

وفيما قاله تخريجان آخران ، فصارت التخاريغ أربعة .

وسلك نحوه ابن يعيش (في شرح المفصل) فقال : البيت شاذٌّ . وإنَّ صحَّت الرواية فهو محمول على أن يكون الخبر محذوفاً . وساغ حذفُ الخبر لدلالة ما بعده عليه وابتداء إذن بعد تمام المبتدأ بخبره . أو يكون شبه إذن ههنا بلن فلم يبلغها ، لأنَّهما جميعاً من نواصب الأفعال المستقبلية . وتشبه^(١) إذن من عوامل الأفعال بأفعال الشك واليقين ، لأنَّها أيضاً تُعمل وتُلغى ، لأنَّ أفعال الشك إذا تأخَّرت أو توسَّطت يجوز أن تعمل . وإذن إذا توسَّطت بين جزأي كلام أحدهما محتاجٌ إلى الآخر لم يجوز أن تعمل ، لأنَّها حرف ، والحرف أضعف في العمل من الأفعال . انتهى .

وقد نقل ابن الحاجب تخريجاً خاصاً (في شرح المفصل) قال : وقد أوَّلُ إنَّي إذن أهلك على معنى إنَّي أقول . والقولُ يحذف كثيراً . وقد ناقشه الإمام الحديثي^(٢) (في شرح الكافية) ، بأنَّه إنَّما يتخلَّص

(١) ش : « ويشبه » .

(٢) في كشف الظنون ٢ : ٢٥٤ : « ومن شروح الكافية شرح الإمام ركن الدين الحديثي ، وهو مثل شرح الرضي مجافاً وجمعاً ، بل أكثر منه » .

عنه به إذا كان الموضع للحكاية فقط^(١) . وفيه نظر . وألا يكون حينئذ معتمداً على أقول . وتوضيحه : أنَّ المحكوم عليه بأنَّه خبر وأنَّه في موضع رفع حينئذ إمَّا الحكاية فقط ، أعنى جملة أقول ، وبه يتحقَّق الخلاص عن هذه الورطة . أو الحكاية أو المحكيُّ ، أعنى مجموع أقول إذن أهلك . لا سبيل إلى الأوَّل لاقتضائه قطع كلِّ من القول والمقول عن صاحبه ، واستثناؤه ما حقَّه أن لا يستأنف . ولا إلى الثاني لبقاء الإشكال لتحقُّق النصب مع الاعتماد ، فإنَّ أهلك معتمدٌ على أقول لكونه جزءً معموله الذي هو إذن أهلك .

وأجاب عنه ابن الحنبلي (فيما كتبه على المغني) ، كما نقله عنه تلميذه ابن المُلَّا ، بأنَّه لا نسلم أنَّ جزء المتمد معتمد . ولئن سلَّمناه فلا نسلم أنَّ كلَّ معمولٍ لشيء يكون معتمداً عليه ، فهم قد حصَّروا صور الاعتماد في ثلاث صور ليس إلَّا ، بحكم الاستقراء ، فدلَّ ذلك على أنَّ ما عداها لا يتحقَّق فيه اعتماد ؛ وإن تحقَّقت معموليته بوجه ما .

٥٧٥

ثم قال : ولعلَّ ابن الحاجب قدَّر أقول ليكون إذن أهلك أو أظير مقولاً وقعت فيه إذن مصدرٌ وإن توهم أنَّها بتقدير أقول غير مصدرٌ . ألا ترى أنَّ القائل إذا قاله بعدُ كما سبق به الوعد أظهرت صدارتها فيه . انتهى .

وهذا بحثٌ جيِّد ، إلَّا أنَّه يردُّ على تخريجه بإضمار القول ما ورد على تخريج الشارح المحقِّق وقول الأندلسيَّ : « والوجه رفع أهلك » .

وقال الحديثيُّ : الحقُّ رفع أهلك ، وجعل أو بمعنى إلَّا أن ، كما في

(١) مابعده إلى كلمة « فقط » التالية ، ساقط من ش .

قولك : لألزمناك أو تقضيني حقّي ، أى إلّا أن تقضيتني حقّي . أراد أن الرفع فيه وفي مثله هو القياس ، جرياً على القاعدة . وتعسف ابن المُلّا في قوله إن أراد أنه الوجه والحق في مثل هذا التركيب إذا صدر من متكلم فله وجه ولكن غير نافع لنا بوجه . وإن أراد أنه الوجه والحق في قول هذا الشاعر فممنوع . فإنه كيف يسلم لهما ذلك حيث ثبت أن الرواية عن القائل بنصب الفعلين . انتهى .

وقال العيني : إعمال إذن في البيت ضرورة ، خلافاً للفراء . أراد بالضرورة ما هو المذهب الصحيح ، وهو ما أتى في النظم دون النثر ، سواء كان عنه مندوحة أم لا .

ولم يصب ابن المُلّا في قوله : هذا إنما يتجه بالنسبة إلى نصب أطير دون أهلك ، فإنه إن كان ثم ضرورة فهي قصد التوفيق بينه وبين « شطيراً » ، حذراً من عيب الإقواء . اللهم إلّا أن يدعى أن هذه الضرورة ألجأت إلى نصب أهلك ، لئلا يعطف منصوب على مرفوع .

هذا كلامه . وأى مانع من العطف بالنصب بأن ، بعد أو التي بمعنى إلّا ، كما نقله عن الأندلسي والحديثي .

هذا . وقد نقل الفراء عن العرب (في تفسيره) أن النصب في مثل البيت لغة ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ^(١) ﴾ : إذا وقعت إذن على يفعل وقبله اسم بطلت فلم تنصب ، فقلت : أنا إذن أضربك . وإذا كانت في أول الكلام

« إِنَّ » نصبَتْ يَفْعُلُ ورفعتَ فقلت: إني إِذَنْ أُؤْذِيكَ. والرفع جائز .
أنشدني بعضُ العرب :

لا تتركُنِّي فيهِمْ شطيْرا إِنِّي إِذَنْ أَهْلَكَ أَوْ أَطِيرا
وقال أيضاً (في تفسير سورة الأحزاب) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا
لَا تُمْتَعُونَ ﴾^(١) : وقد تنصب العرب بإِذَنْ وهي بين الاسم وخبره في
إِنَّ وحدها، فيقولون : إِنِّي إِذَنْ أَضْرِبُكَ . قال الشاعر :

لا تتركُنِّي فيهِمْ شطيْرا البيت

والرفع جائز . وإنما جاز في إِنَّ ولم يَجْزْ في المبتدأ بغير إِنَّ لَأَنَّ
الفعل لا يكون مقدماً في إِنَّ ، وقد يكون مقدماً لو أسقطت .

هذا كلامه ، وأنت ترى أنه إمام ثقة ، وقد نقل عن أهل اللسان ،
فينبغي جواز النصب في الفعل الواقع خبراً لاسم إِنَّ لا غير ، حسبما
نُقِلَ^(٢) . وحينئذ يسقط ما تكلفوا من التخريج .

وأفاد الفراء أن البيت حجةٌ يصح الاستدلال به ، لقوله : « أنشدني
بعض العرب » ، فيكون جواز النصب والرفع فيه مع إِنَّ ، مثل ما إذا اقترن
الفعل بعاطف ، في جواز الوجهين .

وقد أطلق الشارح المحقق في العاطف ولم يمثل إلا لما اقترن بالواو
والفاء . وقد صرح الفراء في تعميم العاطف ، قال : إذا كان في الفعل
فاءٌ، أو واوٌ، أو ثم ، أو أوْ، أو حرفٌ من حروف النسق، فإن شئتَ كان معناها

٥٧٦

(١) الآية ١٦ من سورة الأحزاب .

(٢) حسبما ، بفتح السين وإسكانها . وفي اللسان (حسب ٣٠٢) : « والحسب والحسب
قدر الشيء ، كقولك : الأجر بحسب ما عملت وحسبه » .

ومعنى الاستئناف فنصببت بها أيضاً ، وإن شئت جعلت الفاء أو الواو إذا كانتا منها منقولتين عنها إلى غيرها^(١) . والمعنى فى قوله . فإذا لا يؤتون [على : فلا يؤتون^(٢)] الناس نقيراً إذاً . وبدللك على ذلك أنه فى المعنى ، والله أعلم ، جوابٌ لجزاء مضمّر ، كأنك قلت : ولئن كان لهم ، أو لو كان لهم نصيب لا يؤتون الناس إذاً نقيراً^(٣) . وهى فى قراءة عبد الله منصوبة . وإذا رأيت الكلام تاماً مثل قولك : هل أنت قائم ، ثم قلت : فإذا^(٤) أضربك ، نصبت بإذن ونصبت بجواب الفاء ونويت النقل . وكذلك الأمر والنهى ، يصلح فى إذن وجهان : النصب بها ، ونقلها . ولو شئت رفعت الفعل إذا نويت النقل فقلت : انته فإذا يكرمك زيد ، فهو يكرمك إذن ، ولا تجعلها جواباً .

هذا كلامه ، وقد أجاز الجزم والنصب والرفع فى جواب الشرط ، قال : وإذا كان قبلها جزاء وهى له^(٥) جوابٌ قلت : إن تأتني إذن أكرمك ، وإن شئت : إذن أكرمك . . فمن جزم أراد أكرمك إذن ، ومن نصب نوى فى إذن فاء تكون جواباً فنصب الفعل بإذن ، ومن رفع جعل إذن منقولة إلى آخر الكلام ، كأنه قال : فأكرمك إذن . اهـ .

وهذا خلاف مذهب البصريين ، وليس عندهم إلا الجزم .

وقوله : « لا تتركنى » إلخ ، الترك يستعمل بمعنى التخلي ، ويتعدى

(١) فى حواشى معانى القرآن ١ : ٢٧٣ : « يريد بنقل حرف العطف عن إذا تقديره مقروناً بالفعل بعدها ، وتقدير إذا فى آخر الجملة ، وبذلك تتأخر عن الصدر فتلقى » .

(٢) الكلمة من معانى الفراء . وقد أثبتنا الشنقيطى بخطه على هامش نسخته .

(٣) فى معانى الفراء : « لا يؤتون الناس نقيراً إذاً » .

(٤) ط : « إذن » ، وأثبت ما فى ش ومعانى القرآن .

(٥) فى النسختين : « لها » صوابه فى معانى القرآن .

لمفعول واحد وبمعنى التصيير ، وهنا محتملٌ لكلٍّ منهما ، فشطيرا على الأول حال من الياء ، وعلى الثاني هو المفعول الثاني ، و (فيهم) عليهما متعلقٌ بالترك ، أو هو المفعول الثاني . و (شطيرا) حالٌ من ضمير الظرف ، ويجوز أن يكون مفعولا آخر مكرراً ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ^(١) ﴾ إِنَّ فِي ظُلُمَاتٍ مفعول ثانٍ وجملة لا يبصرون مفعول آخر مكرّر .

وقال العيني : فيهم يتعلق بشطيراً ، وشطيراً نصب على الحال ، والتقدير : لا تتركني حال كوني شطيراً كائننا فيهم .

هذا كلامه ، ولا يخفى أن ذكر كائناً مع قوله متعلق بشطيراً لا وجه له .

و (الشطير) : الغريب . وأهلك بكسر اللام ، والماضي بفتحها . والشعر لم ينسبه أحدٌ إلى قائله . والله أعلم .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد السماتة ، وهو من شواهد من ^(٢) :

٦٥٠ (ازجُرْ حِمَارَكَ لَا يَرْتَعُ بِرَوْضَتِنَا

إِذَنْ يَرُدُّ وَقِيدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبُ)

على أنه يجوز على مذهب الكسائي أن يكون (لا يرتع) مجزوماً بكون لا فيه للنهي ، لا أنه جواب الأمر .

ويرد مجزوماً لا منصوباً بكونه جواباً للنهي ، كما هو مذهبه في

(١) الآية ١٧ من سورة البقرة .

(٢) سيوريه ١ : ٤١١ والمقتضب ٢ : ١٠ وابن عيش ٧ : ١٦ والحامسة بشرح الرزوق

نحو : لا تكفرُ تدخل النار ، أى إن تكفر تدخل النار . فيكون المعنى لا يرتع ، إن يرتع يُرد . وعند غيره : يرد منصوب ، وإذن منقطع عما قبله مصدر^(١) ، كأنَّ المخاطب قال : لا أزجره^(٢) . فأجاب بقوله : إذن يرد .

أقول : [يكون^(٣)] لا يرتع على قول الكسائي بدلاً^(٤) من أزجر ، وهو أوفى من الأول في تأدية المعنى المراد ، كقوله :

* أقول له ارحل لا تقيمنَّ عندنا^(٥) *

وإذن تكون مؤكدة للشرط المقدَّر ، وهو إن يرتع ، ويرد جواب الشرط المقدَّر . وهو مجزوم بسكون مقدَّر ، والفتحة لدفع التقاء الساكنين . ويجوز ضم الدال وكسرها أيضاً للدفع المذكور ، والأصل بُردد ، فلما أَدغم سكنت الدال الأولى ، والثانية ساكنة أيضاً للجزم ، فالتقى ساكنان فلما أن تدفع التقاءهما بإحدى الحركات الثلاث^(٦) .

وقوله : « بكونه جواباً للنهي » متعلق بقوله مجزوماً . وقوله : « وعند غيره يرد منصوب » ، أى عند غير الكسائي يرد منصوب بإذن ، فالفتحة

(١) مصدر ، ساقطة من ش ثابتة في شرح الرضى ٢ : ٢٢٢ .

(٢) ط : « لا أزجر » ش : « لا تزجر » ، وفي شرح الرضى : « لا تزجره » ، والصواب ما أثبت من إحدى نسخ الشرح المسجلة في حواشيه .

(٣) هذه التكملة من ش .

(٤) ط : « بدل » .

(٥) تمامه كما في المعنى ٤٢٦ ، ٤٥٦ والمعنى ٤ : ٢٠٠ والتصريح ٢ : ١٦٢ وحواش

الاشموني ٣ : ١٣٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ :

* وإلا فكن في السر والظهر مسلماً *

(٦) في النسختين : « بأحد الحركات الثلاث » ، والوجه ما أثبت .

فتحة إعراب وإذن هنا ليست متضمنة للشرط وإنما هي متضمنة للنهي ، وهو لا تزجره .

وعبر (التبريزي في شرحه) عن هذا بأنَّ إذن هنا على بابها ؛ لأنها جوابُ كلامٍ مقدرٍ ؛ لأنه قدّر أنَّ المأمور بالردِّ قال : لا أَرُدُّ . فأجابه بذلك ، وحذفه لفهم المعنى . ١٨ .

وهذا من غير الغالب كما قال الشارح المحقق : الغالب في إذن تضمن الشرط . وهذا الوجه هو مذهب سيويه ، قال في الكتاب : واعلم أنَّ إذن إذا كانت بين الفعل وبين شيء الفعل [معتمداً] عليه ^(١) فإنها ملغاة لا تنصب البتة ، كما لا تنصب أرى إذا كانت بين الفعل والاسم في قولك : كان أرى زيداً ذاهباً ^(٢) . فإذا لا تصل في ذا الموضع إلى أن تنصب ، كما لا تصل أرى هنا إلى أن تنصب . فهذا تفسير الخليل . وذلك قولك : أنا إذن آتيك ، فهي هنا بمنزلة أرى حيث لا تكون إلا ملغاة . ومن ذلك : إن تأتني إذن آتيك ، لأنَّ الفعل ههنا معتمداً على ما قبل إذن . وليس هذا كقول ابن عَنَمَةَ الضَّبِّي :

أرَدُّ حمارَكَ لا تُنَزِّعْ سويَّتهُ إذن يردُّ وقيدُ العيرِ مكروبُ

من قبل أنَّ هذا منقطع من الكلام الأوَّل وليس معتمداً على ما قبله لأنَّ ما قبله مستغن . انتهى .

(١) في النسختين : « وبين شيء الفعل عليه » ، مع ترك بياض في ط بين كلمتي « شيء » و « الفعل » ، والصواب ما أثبت مع التكملة من سيويه ١ : ٤١١ .

(٢) بعده في سيويه : « وكا لاتعمل في قولك : إن أرى ذاهباً » .

وأجاز الأَعلم هنا رفع يُرَدُّ ، قال : الشاهد فيه نصب ما بعد إذن
لأنّها مبتدأة . والرفع جائزٌ على إلغائها وتقديرِ الفعل واقعاً للحال ،
لأنّ حروف النصب لا تعمل إلّا فيما خلص للاستقبال . ٥١ .

والبيت من أبياتِ ستّةٍ لعبد الله بن عَمّة ، أوردها المفضل (في صاحب الشاهد
المفضّليات) ، وأبو تمام (في الحماسة) ، وهى :

(ما إن تَرى السَّيِّدُ زِيداً في نفوسِهِمْ
كما تَراه بنو كُوز ومرهوبُ
إن تَسألوا الحقَّ نُعطِ الحقَّ سائلَهُ
والدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ والسَّيْفُ مقروبُ
وإن أبيتُمْ فإنّا معشرُ أنفُ لا نَظعمُ الخَسْفَ إنَّ السَّمَّ مشروبُ
فازجرُ حمارك لا يرتع البيت
إن تدعُ زِيدُ بنى ذُهَلٍ لمغْضِبَةٍ نَغْضَبُ لَزُرْعَةٍ إنَّ الفضلَ محسوبُ^(١)
ولا يكوننَ كمُجرى داحس لَكمُ
في غَطفانَ غداةِ الشَّعبِ عُرقوبُ)

قوله : « ما إن تَرى السَّيِّدُ » إلخ ، إن زائدة مؤكّدة لما النافية . والسَّيِّدُ
بالكسر ، وزيد ، وكوز ، ومرهوب ، كلٌّ من الأربعة : أبو حىٍّ من
بنى ضَبّة . وزيد وكوز أخوان ، ابنا كعب بن بَجالة بن ذهل بن مالك
ابن بكر بن سعد بن ضَبّة بن أدّ بن طابخة . والسَّيِّدُ هو أخو ذهل المذكور .

(١) ويروى : « إن القيص محسوب » ، كما في المفضّليات والحماسة ، وسيشير إليه
البغدادى في التفسير .

ومرهوب هو ابنُ عبيد بن هاجر^(١) بن كعب بن بَجَالَة المذكور .

وقد روى الضبي (في الفضليات) كُرُز ، بالرءاء المهملة بدل الواو^(٢) .
قال المرزوقي : يقول : بنو السَّيد لا يَقسِمون لزيد من التعظيم ، ولا يوجبون
له في نفوسهم من الحرمة والتبجيل ، ما يوجب ويقسمه بنو كوز
ومرهوب . والضمير على هذا في نفوسهم للسَّيد . ولا يمتنع أن يكون
لزيد ، لأنَّه قبيلة . وهذا كما يقال : لك في نفسك حقٌّ ومنزلة ،
كَأنَّ زيدا كان له إذا رجَعَ نفسه من التوجُّه والإدلال والتخصيص
والاعتزاز في بني كوز ومرهوب ، ما لا يكاد يجده في بني السَّيد .

٥٧٨

وقوله : « إن تسألوا الحقَّ » إلخ ، قال ابن الأنباري : قال الضبيُّ :
قوله محقبة أي تكون الدرع في حقيبة البعير . وكذلك كانت العرب
تفعل بالدرع إذا هموا بالقتال ، استخرجوا الدروع من الحقائق
فلبسوها . وقوله : « مقروب » أي في قرابه . يقال قرَّبت السيف : أدخلته
في قرابه ، وهو غمده . يقول : إن أردتم الصُّلح أجبنناكم والسلاحُ مستور ،
وإن أبيتم أظهرناه لكم .

وقوله : « وإن أبيتم » إلخ ، الأنف ، بضمين : جمع أنوف ، وهو الذي
به أنفةٌ ونخوة . والخسف : حمل الإنسان على ما يكرهه ، ثم استعمل
في معنى الذلِّ . يقال سُمته الخسف ، إذا حملته على الهوان . وأصل
الخسف أن تبيت الدابة على غير علف . يقول : إن اقتصرتم على أخذ
حقكم أعطيناكموه والحربُ موضوعةٌ بيننا وبينكم ، وإن طلبتم أكثر

(١) هاجر ، بكسر الجيم ، كما في القاموس (هجر) ، قال : « وهاجر : قبيلة . وفتح الجيم :
أم إسماعيل صلى الله عليه وسلم » . وانظر الاشتقاق ١٠٠ وجمهرة ابن حزم ٢٠٤ .

(٢) الذي في الفضليات : « كوز » .

منه أبينا أَنْ نعطيكُم إِيَّاهُ . واستعارَ الطَّعمَ والشُّربَ لتجرُّعِ الغَصَّةِ وتوطِينِ النفسِ على المشقَّةِ عندِ إزالةِ المذلَّةِ وردَّ الكريهةِ . قال المرزوقي : لا نطعم الخسف وإن شربنا السمَّ .

وقال أبو محمد الأعرابي (في شرحه) : لا نطعم : لا نذوق . وطَعِمَتِ الشَّيْءُ : ذقته ، وطعمته : أَكلته أيضاً . والمعنى وإنَّ أبَيْتُمُ الحقَّ فَإِنَّا لا نقرُّ بالخسف^(١) أى الهوانِ ، ونؤثِّرُ عليه شربَ السمِّ ، كما قال :

* ويركب حدَّ السيفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ^(٢) *

وقال التبريزي : معناه نحن نأبئ الذلَّ وإن كان غيرنا يقرُّ بما هو أبلغ في الهوان . أو يريد : إِنَّ السُّمَّ مشروبٌ ، وإنَّ احتجنا إلى شربه شربناه ولم نقبل ضيماً ، لأنَّ الإنسان يصبر على شرب السمِّ ويكون ذلك أيسرَ عليه من صبره على الضيِّم .

وقال أبو عبد الله النمرى (في شرحه) : يريد بالسمِّ الموت لا السمَّ المعروف . وقوله : مشروب ، أى كُلُّ أَحَدٍ يشربه^(٣) ولا يُعْفَى منه ، كقولك : إِنَّ الحوضَ مَورود ، يريد به الموت [أيضاً] . يقول : فعَلَامَ نحمل الضَّيِّمَ ومصيرُنَا إلى الموت ؟

ورده أبو محمد الأعرابي فيما كتبه عليه وقال : إِنَّمَا أَرَادَ : إِنَّا نخوض الموت ونحتمل الشدائد ولا ننزل تحت الضيِّم .

(١) في ش : « فَإِنَّا نقر بالخسف » ، وكتب في حاشيتها : « كذا بخط المؤلف . والصواب لانقر » .

(٢) لمن بن أوس في ديوانه ٣٧ والحماسة ١١٢٩ بشرح المرزوقي . وعجزه :

* إِذَا لم يكن عن شفرة السيف مزحل *

(٣) ط : « يشرب » .

قال التبريزي بعدما نقل هذا الكلام : هذه الأقوال يقرب بعضها من بعض ، وكلُّها ترجع إلى معنى واحد ، وليس فيها ما يُردُّ .

وقوله : « فازجر حمارك » إلى آخره ، هكذا في جميع الروايات بالفاء ، وقد سقطت من رواية الشارح المحقق تبعاً لرواية سيويه : « اردد حمارك » في إسقاط الفاء .

و (رتعت) الماشية رتعاً ، من باب نفع ، ورُتوعاً : رعت كيف شاءت .

و (الرّوضة) : الموضع المعجب بالزهور . قيل سُمِّيَ بذلك لاستراضة المياه السائلة إليها ، أي لسكونها بها . وأراضَ الوادي^(١) واستراض ، إذا استنقع فيه الماء . كذا في المصباح . وروى سيويه هذا المصراع :

* اردد حمارك لا تنزع سويته *

والردّ : الإرجاع . والنزع : السلب . قال الأعلام . والسوية : شيء يُجعل تحت البرذعة للحمار ، كالجلس للبعير .

وكذا أورده الجوهري وقال : السوية : كساءٌ محشوٌّ بثمام ونحوه كالبرذعة ، والجمع سَوَايا . وكذلك الذي يُجعل على ظهر الإبل ، إلّا أنّه كالخلقة لأجل السنام ، وتسمى الحويّة . والجِمار والعير بفتح العين المهملة ، هما الذكّر من الحمير . وكان الظاهر أنّ يقول وهو مكروب ، لكنّه أعاد الحمار باسمه الظاهر المرادف له للضرورة . وحسنه وقوعه في جملة مستقلة .

٥٧٩

(١) ش : « وأراد الوادي » ، صوابه في ط .

قال المرزوقي قوله (ازجُرَّ حمارك) : هذا مثلٌ ، والمعنى انقبضُ عن التعرُّضِ لنا والدُّخولِ في حريمنا ، ورَغِي سَوَامِكِ بروضتنا ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ دَمَمْتَ عَاقِبَةُ أَمْرِكَ ^(١) . وجعل إرسال الحمار في حماهم كنايةً عن التحكُّك بهم والتعرُّض لمساءتهم ، ولا حمارَ ثَمَّ ولا رَوْضَ . وقال ابن الأعرابي : « اكفف لسانك » . وقوله إِذْنٌ ، قال سيويه : هو جوابٌ وجزاءٌ ، فالابتداء الذي هو جوابُه وجزاؤُه محذوفٌ مستدلٌّ عليه ممَّا في كلامه ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَإِنَّهُ إِنْ رَتَعَ رَجَعَ إِلَيْكَ وَقَدْ ضُيِّقَ قَيْدُهُ ، أَيْ مُلِيَ قَيْدُهُ فَتَلَّا حَتَّى لَا يَمْشِيَ إِلَّا بِتَعَبٍ . كَأَنَّهُ يُضْرَبُ أَوْ يُسْتَعْمَلُ حَتَّى يَرِمَ جِسْمُهُ وَيُودِّيَ الْوَجْعُ مِنْهُ إِلَى مَوْضِعِ حَافِرِهِ ، فَيُضِيقُ عَلَيْهِ الْقَيْدَ . اهـ .

وكذا قال ابن الأنباري عن الضُّبِّيِّ : إِنَّ الْمَكْرُوبَ الشَّدِيدَ الْفَتْلَ ، يُقَالُ قَدْ كَرَبَ حَبْلَهُ ، إِذَا شَدَّ فَتْلَهُ ^(٢) ؛ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَانَ مَكْرُوبٌ أَيْ مَمْتَلِئٌ غَمًّا . وكذلك الجبل ممتلئٌ فتلاً . والمعنى : انتهِ عَنَّا وَازْجُرْ نَفْسَكَ عَنِ التَّعَرُّضِ لَنَا ، وَإِلَّا رَدَدْنَاكَ مُضِيقًا عَلَيْكَ مَمْنُوعًا مِنْ إِرَادَتِكَ . اهـ .

وقال التبريزي : يقول اكفف شركَ عَنَّا . وجعل الحمارَ كنايةً عن الأداة ، أَوْ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ هَذَا الْمَخَاطَبِ يَتَعَرَّضُ لَهُمْ بِالْمَكَارِهِ . وهذا نحوُ من قول النابغة :

سَأَمْنَعُ كُلِّي أَنْ يَرِيْبِكَ نَبِيْحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَرَعِي مُسْحُلَانَ فَحَامِرًا
والعرب تَكْنِي بِالْحِمَارِ وَالْعَيْرِ فِي أَنْحَاءِ الْكَلَامِ ، فيقولون : قد

(١) بعده في المرزوقي : « وعدت خاسر الصفقة ، وخيم الرتبة » .

(٢) ش : « إذا اشتد فتله » .

حَلَّ حمارُهُ أو عَيْرُهُ بِمَكَانٍ كَذَا ، إِذَا أَقَامَ فِيهِ وَتَمَكَّنَ . وقوله : « وقيدُ العَيْرِ » إلخ ، أى مُدَانَتِي مُضَيِّقٌ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى الْخَطْوِ . اهـ .

ونقل النَّمْرِيُّ (فى شرحه) عن الباهلى صاحب (كتاب المعانى) أَنَّ المَكْرُوبَ من كَرِبَتِ الشَّيْءُ ، إِذَا أَحْكَمْتَهُ فَأَوْثَقْتَهُ . ومعنى البيت إِنَّا نَرُدُّ الحِمَارَ مَمْلُوءًا قَيْدَهُ فَتَلَا ، كما يَمْتَلِئُ الْإِنْسَانُ كَرْبًا . وحكى ثعلبٌ عن ابن الأعرابى فى قوله : « فَازْجُرْ حِمَارَكَ » أى اكْفِفْ لِسَانَكَ . وقال يعقوب : هَذَا مَثَلٌ ، يَقُولُ : رَدُّ أَمْرِكَ وَشَرْكَ عَنَّا وَلَا تَعْرِضْ لَنَا ، فَإِنْ لَا تَفْعَلْ يَرْجِعُ عَلَيْكَ أَمْرُكَ مُضَيِّقًا . هذا كلامه .

ورَدَّ عَلَيْهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ فِيمَا كَتَبَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا مَوْضِعُ الْمَثَلِ « عَى نَاطِقُ أَعْيَا مِنْ عَى سَاكِتٌ ^(١) » . لو سَكَتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْبَيْتِ لَكَانَ . أَوَّلَى بِهِ . سَأَلْتُ أَبَا النَّدَى رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مَعْنَاهُ فَقَالَ : قَوْلُهُ أَزْجُرُ حِمَارَكَ ، يَعْنِي فَرَسَ زَيْدِ الْفَوَارِسِ ، وَاسْمُهُ « عَرْقُوبٌ » فَكُنِّي عَنْهُ بِالْحِمَارِ عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ وَالْهَزْءِ . قَالَ : وَبَعْدَ الْبَيْتِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ ، وَهُوَ :

وَلَا يَكُونُنْ كَمَجْرَى دَاخَسَ لَكُمْ الْبَيْتِ

قَالَ : وَقَوْلُهُ : « وَقَيْدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبٌ ^(٢) » ، أَيْ إِنَّهُمْ يَعْقِرُونَهُ . وَالْعَقْرُ أَضْيَقُ الْقَيْودِ . وَجَعَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَطِيَّةِ الْبَاهِلِيُّ الْعَقْرَ عِقَالًا فَقَالَ :
فَخَرَّ وَظِيفُ الْقَرَمِ فِي نَصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عِقَالٌ لَا يَنْشُطُ عَاقِلُهُ
انْتَهَى . وَقَوْلُهُ : « إِنْ يَدْعُ زَيْدُ بَنِي ذَهْلٍ » إلخ ، قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : يَقُولُ
إِنْ غَضِبَ بَنُو ذَهْلٍ لَزِيدٍ وَامْتَعْضُوا مِنْ ضِيمٍ يَرْكَبُهَا فَأَغَاثُوهَا إِذَا

(١) العى ، بالفتح : مخفف العي ، كالمين يسكون الياء مخفف المين .

(٢) ط : « مكرب » ، صوابه فى ش .

استجارت بهم ، غضبنا نحنُ لزرة وانتقمنا له ممن يهتضمه ، إِنَّ الفضل
معدود . والمعنى : إِنَّه لا فضلَ لكم علينا ، فقد عددنا مآلكم ولنا فلم
نجد زيادةً لكم توجب لكم التعلّي والتغلب . وإذا كان الأمرُ بيننا على
التساوى فلا استبداد ولا احتكام . وروى : « إِنَّ الْقَبِيضَ محسوب » بكسر
القاف وسكون الموحدة . وآخره صاد مهملة ، وهو العدد الكثير ،
ويكون الكلام مثلاً . ويقال : إِنَّهم لفي قَبِيضِ العددِ وفي قَبِيضِ الحصا :
في أكثر ما يستطاع عدده من كثرته . والمراد أَنَّ الأعداد الكثيرة تُضَبِّطُ
وتُحصَر ، فكيف ما بيننا من تقارب أو تفاضلٍ ، أو تساوي وتعادل .

وقوله : « ولا يكوننْ كُمُجْرَى داحس » إلخ ، قال المرزوقي : كان
التنازع بينهم في رهانٍ وقع على عُرْقوب ، وهو فرسٌ لهم ، فيقول :
لا يكوننْ جَرَى عُرْقوبٍ عليكم في الشؤم . كمجرى داحس في غَطْفَان ،
غداة شِعْبِ الْحَيْسِ^(١) . فقوله « عُرْقوب » ارتفع على أَنه اسمٌ ولا يكوننْ ،
وقد حذف المضاف منه ، أي لا يكوننْ مجرى عُرْقوب كمجرى داحس .
وغداة ظرفٌ لمُجْرَى . وجَعَلَ النّهي في اللفظ اعُرْقوب وهو في المعنى لهم .
حذّرهم استعمالَ اللَّجَاج ؛ لئلا يتأدّى الأمرُ إلى مثل ما تأدّى في رهان
داحس والغبراء . ومثلُ هذا في النّهي قولهم : لا أَرَيْتَكَ ههنا . انتهى .
ولم يذكر أحدٌ قصّة هذه الأبيات .

وعبد الله بن عَنَمَة ، بفتح العين المهملة والنون والميم . والعَنَمَة في عبد الله بن عَنَمَة
اللغة : واحدة العَنَم ، وهي قضبانٌ حمراءُ تنبتُ في جوف السَّمرة تُشَبّه
بها البنان المخضوبة . وقيل : هي أطراف الخروب الشامي . ويقال :

هو دودٌ أحمر يكون في الرَّمْل يشبه به . ويقال : بل هو شيءٌ ينبتُ ملتفًا على الشجر يبدو أخضر ثم يحمر .

وعبد الله هذا شاعرٌ إسلاميٌّ مخضرمٌ ، وذكره ابن حجر (في القسم الأول ، في ترجمة عبد الله بن عَنَمَة المزني ^(١)) ، وهو صحابيٌ ؛ ولم يفرد الضَّبِّيُّ بترجمة في قسم المخضرمين من الإصابة ^(٢) . والظاهر أنه من المخضرمين . وهذه عبارته في ترجمة المزني :

وفي الشعراء مَن له إدراكٌ : عبد الله بن عَنَمَة الضَّبِّيُّ . قال ابن ماكولا شهد القادسية . انتهى .

وهو من بني غَيْظ بن السَّيد ، بكسر السين المهملة .

وهذا نسبه (من الجمهرة) : عبد الله بن عَنَمَة بن حُرْثان بن ثعلبة ابن ذُؤَيْب بن السَّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة .

وأما زيد الفوارس الذي ذكره أبو محمد الأعرابيُّ فهو شاعرٌ فارسٌ جاهليٌّ من بني ضَبَّة ، وقد ذكرنا ترجمته في الشاهد السابع والثمانين

(١) الإصابة ٤٨٥٩ .

(٢) هنا حاشية بخط ناسخ الشنيطية هذا نصها : « هذا خطأ ، بل أفردة في قسم المخضرمين وذكر أن المرزباني أفرده في معجم الشعراء ، وساق نسبه إلى ضبة ، وقال إنه أتى بسطام بن قيس الشيباني . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً ، وفي هامش المطبوعة : « هذا سهو ، بل أفردة في قسم المخضرمين . وذكر أن المرزباني ذكره في معجم الشعراء وساق نسبه إلى ضبة ، وقال : إنه رثى بسطام بن قيس . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً . ١ هـ بتصرف من هامش الأصل . وكتب عليه به : لم أجده في نسختي من الإصابة . فلعله في بعض النسخ دون بعض . فالشارح معذور . لك . ١ هـ » .

وقد أصاب صاحب هذه الحاشية ، فإن ما ذكره وارد في الإصابة برقم ٦٣٣٤ . أما « أتى بسطام بن قيس » في هامش الشنيطية فصوابها : « رثى بسطام بن قيس » . وتجده نص المروثية ، وهي ثمانية أبيات في الحماسة ١٠٢١ - ١٠٢٧ . وأورد ابن حجر في الإصابة منها ثلاثة أبيات فقط .

بعد المائة^(١) . وهو ابن حُصَيْن بن ضِرَار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بَجَالَة . إلى آخر النسب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الستائة ، وهو من شواهد س^(٢) :

٦٥١ (لئن عادلى عبد العزيز بمثلها وأمكننى منها إذن لا أقبلها)

على أن (إذن) لا تعمل فى المضارع الذى يقع جواباً للقسم الذى قبلها ، كما فى البيت .

فإذن مهملة لعدم التصدر ، ولا أقبلها مرفوعٌ ، وهو جواب القسم المذكور فى بيت قبله ، وهو :

(حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى منى يُغولُ الفياقِ نصُّها وزميلُها)

واللام فى لئن هى اللام المؤذنة ، ويقال لها الموطئة ، لأنها آذنت أى أعلمت ووطأت أن الجواب للقسم المذكور ، جرياً على المألوف المشهور فى اجتماع الشرط والقسم ، أن يكون الجواب للسابق منهما ، وجواب المؤخر محذوف لشد المذكور مسده .

قال سيويه : ومن ذلك : والله إذن لا أفعل ، من قبل أن أفعل معتمد ٥٨١ على اليمين وإذن لغو . وقال كثيرٌ عزة :

لئن عاد لى عبد العزيز بمثلها والبيت

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ .

(٢) سيويه ١ : ٤١٢ والبيان والتبيين ٢ : ٢٤١ والجل ٢٠٥ وابن يعيش ٩ : ١٣ ، ٢٢٤ والخزانة ٤ : ٢٨٠ عرضاً وشذور الذهب ٢٩٠ والمغنى ٢١ ، والمغنى ٤ : ٣٨٢ والتصريح والتصريح ٢ : ٤٣٤ والمص ٢ : ٧ والأشع ٣ : ٢٨٨ وديوان كثير ٢ : ٧٨ .

قال الأعلم : الشاهد فيه إلغاء إذن ورفع لا أقيلها اعتماداً على القسم المقدّر في أول الكلام . والتقدير : والله لئن عادَ لى بمثلها لا أقيلها .

وكذا صنع الشاطبي (في شرح الألفية) وقال : إنَّ جملة لا أقيلها جوابُ القسم . وقال : مثله قولُ الآخر^(١) :

لئن نائباتُ الدهرِ يوماً أدلنَ لى على أمِّ عمرو دولةً لا أقيلها
وهذا البيت من الحماسة . قال ابن جني (في إعرابها) : رفعه
لا أقيلها يدلُّك على أنَّه معتمد لليمين ، وأنَّ اللام في لئن ليست الجوابُ
للقسم في البيت الذي قبله . ٨١ .

ولا يصحُّ هنا جعل الجملة جواباً للشرط ، وإلا قيل لا أقيلها بالجزم
فإنَّ المضارع المنقَّى بلا ولم ، يُجزَم شرطاً وجواباً ولم يفتقر إلى الفاء .
وزعم ابن هشام (في المغني) أنَّ جملة لا أقيلها جواب إن . قال فيه :
والأكثر أن تكون إذن جواباً لأنَّ أو لو ، ظاهرتين أو مقدّرتين . فالأوّل
كقوله :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها البيت

واعترض عليه اللّماميني (في الحاشية الهندية) بأنَّه مخالفٌ للقاعدة
المشهورة ، وهى أنَّ القسم والشرط متى اجتماعا فالجواب للسَّابق منهما ،
واللام مصاحبة لقسمٍ مذكور في بيتٍ قبلها ، فالجواب للقسم السابق
لا للشرط اللاحق ، ولهذا لم يُجزَم الفعل . وإلا فلو كان^(٢) للشرط
لُجزِم . انتهى .

(١) الحماسة ١٢٣٧ بشرح المرزوق ، بدون تعيين للقاتل .

(٢) ش : « وإلا لو كان » .

وما ذكره من القاعدة فى اجتماعهما هو ما نظمه ابن مالك (فى الألفيّة) وقال :

واحذف لدى اجتماع شرطٍ وقسمٍ جواباً ما أخرتَ فهو مُلتزمٌ

ولم يذكر الشاطبى (فى شرحه) خلافاً فى هذا . وبه تعلم سقوط قول ابن المَلّا (فى شرح المغنى) : إطلاقاً أَنَّ إذن جوابٌ مجاز ، فلا يردُّ أَنَّ رابط هذا الشرط إنما هو الفاء أو إذا الفجائية ليقال أراد بكونها حرفَ جوابٍ أَنَّها تختصُّ به وإن لم تكن رابطةً له بالشرط . والاعتراضُ بأنَّ ما ذكره مخالفٌ للقاعدة ، فالجواب أَنَّ التمثيل هنا ليس على المشهور ، بل على رأى ابن مالك كما هو مذهب الفراء ، مِنْ جعلِ الجواب للشرط المتأخّر . هذا كلامه إن كان له .

وقد عرفتَ أَنَّ الجواب لو كان للشرطٍ لجزم ولم يُحتجَّ للفاء أو إذا . وأغربُ من هذا قول العينى : لا أقيلها فى موضع جزم على جواب الشرط ، وعملتُ إن فى الموضع دُونَ اللفظ . والاستشهادُ فى إذن حيث أُلغيت لوقوعها بين القسم والجواب ، وهما : حلفت ، ولا أقيلها . انتهى .

تتمّة

قال أبو على (فى المسائل البغدادية) : ذكر سيويه لثن أتيتنى لأفعلن ، وما أشبهه نحو قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(١) ﴾ ، فزعم أَنَّ الذى يعتمد عليه اليمين اللام الثانية . فاعتلَّ أبو إسحاق لذلك (فى كتابه فى القرآن) عند قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ^(١) ﴾ بآن قال : إِنَّ اللام الثانية هي لام القسم في الحقيقة ، لأنَّك إنما حلفت على فعلك لا على فعل غيرك في قولك : والله لئن جئتني لأُكرمنك . وهذا الذي اغتُلَّ به فاسدٌ جداً ضعيف ، وذلك أَنَّهُ لو قال : لئن جئتني ليقومنَّ عمرو ، لكان الذي يعتمد عليه القسم اللام الثانية مع أَنَّ الحالف لم يحلف على فعل نفسه ، وإنَّما حلف على فعل غيره . فهذا عندى بيِّن الفساد . ولكن ممَّا يدلُّ على أَنَّ الاعتماد على اللام الثانية أو ما يقوم مقامها مما يُتلقَّى به القسم قولٌ كثيرٌ :

٥٨٢

لئن عادَ لي عبد العزيز بمثلها البيت

فلو كان الاعتماد على اللام في لئن دون لا لوجب أن ينجزم الفعل بعد لا في الجزاء ، فلما ارتفع الفعل الذي هو لا أقيلها علمت أن معتمد اليمين إنما هو على اللام الثانية أو ما أشبه اللام . فمن هنا تعلم أن الاعتماد على الثانية لا من حيث ذكر . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لكثير عزة ، يمدح بها عبد العزيز بن مروان . ويتصل به من قبل أبيات ، وهي :

(وإن ابن ليلى فاة لي بمقالة
عجبت لتركي خطّة الرشد بعدما
وأُمّي صعبات الأمور أروضها
حلفت برّب الراقصات إلى منى
لئن عاد لي عبد العزيز البيت
فهل أنت إن راجعتك القول مرّة
بأحسن منها ، عائد فمقيلاًها)

قال ابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : ذكر أهل الأخبار أَنَّ كُثِيرًا لَمَّا دخل على عبد العزيز فأنشده قصيدته التي ألحق فيها البيتَ المستشهد به مع الأبيات المتقدمة ، أعجب بقوله فيها :

إذا ابتدرَ النَّاسُ المكارِمَ بذُّهُمُ عُرَاضَةُ أَخلاقِ ابنِ لَيْلى وطُولُها

فقال : حكمتك يا أبا صخر . قال : فإنِّي أَحْكُمُ أَنْ أَكونَ مكانَ ابنِ رُمَّانة . وكان ابن رُمَّانة كاتبَ عبدِ العزيز وصاحبَ أمره . فقال له عبد العزيز : تَرَحَّأُ لَكَ ^(١) ! ما أردتَ ويلك ولا علمَ لك بخراجٍ ولا كتابة ؟ اخرج عني ! فخرج كثيرٌ نادماً على ما حكم ، ثم لم يزل يتلطف حتى دخل عليه ، فأنشده :

عجبتُ لتركى خُطَّةَ الرُّشد الأبيات

فلما أتى إلى قوله :

فهل أنت إن راجعتك القولَ مرَّةً البيت

قال له عبد العزيز : أمَّا الآن فلا ، ولكن قد أمرنا لك بعشرين ألفَ درهم .

فقوله في البيت : (لئن عادَ لي عبدُ العزيز بمثلها) ، أي بمقالةٍ مثلها ، وهى قول عبد العزيز له : حكمتك . وقوله : (إذن لا أقبلُها) أى أطلبُ منه ما لا اعتراضَ علىَّ فيه ولا قدَح . هكذا فسره العلماء ، وهو الصحيح . وما قاله ابن سيده ، أَنَّ عبد العزيز بن مروان كان أعطاه جاريةً فأبى كثيرٌ من قبولها ، ثم ندِمَ بعد ذلك فيقول : لئن عاد لي بجاريةٍ مثلها مرَّةً أخرى لا أقبلُها ، غلط . وهو قياسٌ منه ، والصَّحيح ما تقدَّم . اهـ .

ومن حكى هذا ابنُ السَّيِّد (في شرح أبيات الجمل) قال : وقيل بل عرضَ عليه أن يهبَ له جارية ويترك التغزلَ بعزَّة ، فأبى من ذلك ، ثم ندم على ما فعلَ فقال هذا الشعر . ٥٨٣

ولم يذكر الجاحظ (في البيان والتبيين) إلَّا الوجهَ الأوَّل ، قال فيه : ومن الحمقى كثيرٌ عزَّة . ومن حُقمه أنَّه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحَه بمديحٍ استجاده ، فقال له : سلني حوائجك . قال : تجعلني في مكان ابن رُمَّانة . قال : ويلك ذاك رجلٌ كاتب وأنت شاعر ! فلمَّا خرج ولم ينل شيئاً قال في ذلك :

* عجبت لتركى خُطَّة الرشد^(١) * الأبيات المتقدمة

وقوله : « وإنَّ ابنَ ليلى فاه لي بمقالة » الخ ، قال السيرافي : أراد بمثل المقالة المذكورة في هذا البيت . والمعنى ممن يُنيلُها^(٢) . والعائد إلى من هو ضمير المذكور المنصوب المحذوف ، وضمير المؤنث للمقالة . وفي ينيلها ضمير فاعل لابن ليلى ، والمعنى ينيله ابنُ ليلى إيَّاهَا . أى لو سرتُ في طلبها .

وقال الأندلسي : فإن قلت : كيف ينيله المقالة ؟ قلت : يريد المقولة فيه .

قال ابن المستوفي : وهذا قولٌ غير مشكل ، لأنَّ عبد العزيز حكَّمه ، ولا نيلَ أوفى من أن يحكِّمَ المسئولُ سائله . أى لو طلبتها من عبد العزيز لعادَ لي بمثلها مُحكِّمًا ، فكنت ممن ينيله عبد العزيز إيَّاهَا ، على ما ذكره السيرافي .

(١) في البيان : « لأخذي خُطَّة النى » ، ومؤداهما واحد .

(٢) ط : « ممن ينيلوها » ، صوابه في ش . وانظر الأشموني ١ : ١٢٢ .

وقوله : « ولو سرتُ فيها » أى لو رحلتُ لأجلها ، أى لطلبها .

وقوله : « عجبت لتركى » إلخ ، الخطّة ، بالضم : الأمر والقصة .
وأراد بخطّة الرشد تحكيم عبد العزيز إياه فيما يطلب . وفسرها العيني
وتبعه السيوطى بخصلة الهداية . وهذا معناها اللغوى ، ولم يذكر
المراد منها .

عبد العزيز
بن مروان

وعبد العزيز هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن
عبد العزيز أمير مصر ، وولى العهد بعد أخيه عبد الملك من أبيهما مروان .
وقول الدمامينى : أحدُ الخلفاء الأمويين ، ينبغى حمله على ولاية العهد ،
والأفوهو لم يلِ الخلافة أصلاً . لكن يبقّى عليه أنّ الصحيح أنّ خلافة
مروان غير صحيحة ، وأنّه خارجُ على ابن الزبير باغٍ عليه ، فلا يصحُّ
عهدهُ إلى ولديه .

ولمّا ملك مروانُ الشّام سارَ إلى مصر ، وغلب عليها ، واستخلف عليها
ولده عبد العزيز ، فبقى أميرها إلى أن مات سنة خمس وثمانين ، عند
الأكثر .

حكى عنه أنّ رجلاً دخل عليه يشكو صهراً له ، فقال : إنّ ختنى فعل
بى كذا وكذا . فقال له : ومن ختنك ؟ وفتح النون . فقال : ختنى
الختان الذى يختن الناس . فقال عبد العزيز لكاتبه : ما هذا الجواب ؟
فقال : إنّ الرجل يعرف النحو ، وكان ينبغى أن تقول : من ختنك ؟
بضم النون . فقال : والله لا شاهدتُ الناس حتّى أعرف النحو ، وأقام
فى بيته جمعةً لا يظهر ، ومعه من يعلمه العربية ، ثم صلّى بالناس الجمعة
الأخرى وهو من أفصح الناس .

وقوله : « وَأَمَّى صَعْبَاتِ » إلخ ، الأَمْ بفتح الهمزة وتشديد الميم : القصد ، مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، ومفعولُهُ الصَّعْبَاتِ بسكون العين . وأروضُها : أذللها . والذَّلُول ، بالفتح : السَّهْل المنقاد .

وقوله : « حلفتُ بربِّ الراقصات » إلخ ، قال ابن السيرافي : الرَّقَص : ضربٌ من الخبيب في العَدُو . وحلف بربِّ الإبل التي يُسار عليها إلى الحجِّ . و « تغول البلاد » : تقطعها . والنَّصُّ والذَّمِيل : ضربان من العَدُو .

وقوله : « لئن عاد لي عبد العزيز » ، الضمير في قوله بمثلها راجعٌ لمقالة عبد العزيز ، وهى : حُكْمك ، أو سَلَنى حوائجك . ويجوز أن يرجع لخُطَّة الرشد التي هى عبارةٌ عن مقالة عبد العزيز . ولم يذكر غيره العينى . ويؤيده قول الزمخشري : منها أى من الخُطَّة . لا أقيلها ، أى العثرة . ٥٨٤

والعثرة غير مذكورة في الكلام ، وإنما أعاد الضمير عليها لفهمها من المقام . والإقالة : الرَّدُّ . وفي الدعاء يقال : لا أقال الله عثرته !

قال ابن المستوفى وبعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : ويروى : « لا أقيلها » بالفاء ، أى لا أقيل رأيه فيها ، أو فى التأخر عنه والتشبُّط عن تنجيز ما وَعَدَنى به . يقال : فالَ يَفِيل فَيْلُولَة ، إذا ترك الرأى الجيد وفعلَ ما لا ينبغى للعقلاء أن يفعلوه . فالفيلولة : ضعف الرأى . وهذه الرواية هى المناسبة . والله أعلم .

وترجمة كثير عزة تقدّمت في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد الستائة ، وهو من شواهد المفصل^(١) :

٦٥٢ (فَقَالَتْ : أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مَانِحاً
لِسَانَكَ كَيْمَا أَنْ تُعَرَّ وَتَخْدَعَا)

على أَنَّ (كى) عند الأخفض حرف جرٌ دائماً ، ونصبُ الفعل بعدها بأن مضمرة ، وقد تظهر كما فى البيت .

نقل ابن المستوفى عن صاحب المفصل ، أَنَّهُ قال فى الحواشى : لما دخل عليها حرف الجرّ تَعَيَّنَتْ أَنَّهَا حرفٌ ناصبٌ للفعل . فإذا جاءت كى ومعها أَنَّ كان شاذاً ، للجمع بين المنُوب والنائب ، كالجمع بين العَوَض والمعوَّض عنه . ٥١ .

وهذا عند ابن عصفور ضرورة ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة أَنَّ ، كقولك :

* أَرَدْتُ لَكَيْمَا أَنْ تَطِيرَ بِقَرَبَتِي *

أَنَّ فيه زائدة غير عاملة ، لأنَّ لَكَيْمَا تنصب الفعل بنفسها ، ولا يجوز إدخال ناصب على ناصب . وأمَّا قول حَسَّان :

فَقَالَتْ أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مَانِحاً البيت

فَأَنَّ فيه ناصبة لا زائدة ، أظهرت للضرورة ، لأنَّ كَيْمَا إذا لم تدخل عليها اللام كان الفعل بعدها منتصباً بإضمار أَنَّ ، ولا يجوز إظهارها فى فصيح الكلام . ٥١ .

(١) ابن عيىش : ٩ : ١٤ - ١٦ والمفتى ١٨٣ وشذور الذهب ٢٨٩ والعينى ٣ : ٢٤٤ -
٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ والممع ٢ : ٥ والأشئوى ١ : ٢٧٩ / ٢ :
٢٠٤ وديوان جميل ٢٥ .

ومثله لابن هشام ، قال (في المغني) : ولا تظهر أن بعد كي بلا لام
إلا في الضرورة . وأنشد البيت ثم قال : وعن الأخفش أن كي جارة
دائماً ، وأن النصب بعدها بأن ظاهرة أو مضمرة . ويردّه نحو : ﴿ لَكَيْلًا
تَأْسُوا ﴾^(١) . فإن زعم أن كي تأكيد للام كقوله :

* ولا للما بهم أبداً دواءً^(٢) *

ردّ بأنّ الفصيح المقيس لا يخرج على الشاذّ . اهـ .

وقال ابن يعيش : ويروى :

* لسانك هذا كي تغرّ وتخدعا *

وقال السيوطي : رأيت في ديوان جميل كما قال ابن يعيش ،
فلا شاهد ولا ضرورة .

وكذا قال ابن المستوفي : هكذا هو في شعره ، ولعلّ ما أورده الزمخشري
رواية أخرى . والمغني أنّها قالت له : أهكذا منحت لسانك هذا ليتغرّهم
كما تغرّني ، وتخدعهم كما تخدعني .

صاحب الشاهد والصحيح أن البيت من قصيدة لجميل العذريّ صاحب بُشينة ،
لا لحسان بن ثابت . وهذا مطلع القصيدة :

(عرفت مصيف الحى والتربعا	كما خطت الكف الكتاب المرجعا
معارف اطلال لبثنة أصبحت	معارفها قفراً من الحى بلقعا
معارف للخود التي قلت أجمل	إلينا فقد أصفيت بالود أجمعا
فقلت : أفق ما عندنا لك حاجة	وقد كنت عنا ذا عزاء مشيعا

(١) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

(٢) لمسلم بن عبد الوالي . وانظر معجم شواهد العربية ٢١ . وصدّره :

* فلا والله لا يلقي لما بي *

فقلت لها: لو كنت أعطيتُ عنكم عزاءً لَأَقَلَّتْ الغداةُ التضرُّعاً
فَقالت: أَكَلَّ النَّاسُ أَصَبَحَتْ مانحاً
لسانك هذا كى تَغُرَّ وتخدعاً^(١)

المصيف: موضع الإقامة في الصيف. والمتربّع: موضع الإقامة في الربيع.
وقوله: «كما خَطَّتْ» إلخ، حال منهما. أراد أن الآثار قد انمحت كالخطِّ
القديم الذي قد رُوجع للقراءة فيه مرّاتٍ كثيرة^(٢).

والمعارف: الأماكن المعروفة. والبلقع: الخالي من الأنيس. والخود،
بالفتح: الجارية الناعمة، والجمع خُود بالضم. وأجملى: أمرٌ من الإجمال
وهو المعاملة بالجميل. وأُصِفِتِ مجهول أُصِفِيته الودّ، أى أخلصته
له. والعزاء: الصبر. والمشيع، بفتح المثناة التحتية المشددة، يقال قلبٌ
مشيعٌ أى مشجعٌ، أى ذو شِيعَة، وهم الأنصار والأنبياء.

وقوله: «فَقالت أَكَلَّ النَّاسُ» إلخ، الهزمة للاستفهام، وكلٌّ مفعول
ثانٍ لمانحاً، وفيه تقديم مفعول معمولٍ أصبح عليه، لأنّ مانحاً خبر
أصبح. والمنح: الإعطاء، يتعدّى لمفعولين. يقال مَنْحَه كذا بفتح
النون في الماضي، وتفتح وتكسر في المستقبل. و (لسانك) مفعوله
الأوّل. ومنح اللسان عبارة عن التلطف والتودّد. وقال بعض فضلاء
العجم (في شرح أبيات المفصل): روى: «مانحاً» بالمشناة من فوق،
من منح الماء من البشر إذا استقى منها. وجعله هنا بمعنى سقى فعذاه إلى

(١) بعده في الديوان، وهما تمة الأبيات الثمانية:

فما نعمة أدماء ترعى مهارقاً تزجى لها طفلاً يروح مرضعاً
بأحسن منها يوم قالت: ألا أرى جيلاً غداً لم ينتظر أن يمنّا

(٢) هذا تفسير ساذج. وإنما المرجع من الكذب الذي أعيد عليه السواد مرة بعد أخرى.
يقال رجع النقش والوشم ترجيعاً: ردد خطوطه. وانظر اللسان (رجع ٤٧٣).

مفعولين . ويصح أن يكون لسانك منصوباً بنزع الخافض ، أي بلسانك .
هذا كلامه . وما في كيما زائدة .

وزعم العيني أنها مصدرية أو كافة . ولا وجه لهما . فتأمل .
وغرته الدنيا غروراً ، من باب قعد : خدعته بزيتها . فمفعوله
محذوف ، أي تغرهم . وكذا ما بعده . وخدعه : مكر به ، بفتح الدال في
الماضي والمستقبل ، والألف للإطلاق .
وترجمة جميل العذري تقدمت في الشاهد الثاني والستين من أوائل
الكتاب ^(١) .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الستائة ^(٢) :

٦٥٣ (أردت لكيما أن تطير بقربتي فتركها شئاً ببيداء بلقع)

لما تقدم قبله . وقال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون
إلى أنه يجوز إظهار (أن) بعد كي توكيداً لكي . وذهب بعضهم
إلى أن العامل في جئت لكي أن أكرمك ، اللام ، وكي وأن توكيدان
لها . وقالوا : يدل على جواز إظهارها النقل ، كقوله :

* أردت لكيما أن تطير بقربتي *

والقياس على تأكيد بعض الكلمات لبعض ، فقد قالوا : لا ، ما ، إن ^(٣)
رأيت مثل زيد . فجمعوا بين ثلاثة من أحرف الجحد ؛ للمبالغة .

(١) الخزائن ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) معاني الفراء ١ : ٢٦٢ والإنصاف ٥٨٠ وابن يعيش ٧ : ١٩ / ٩ : ١٦ والمنى
١٧٢ وشرح شواهد السيوطي ١٧٣ والعيني ٤ : ٤٠٥ والتصريح ٢ : ٢٣١ والأشموني ٣ : ٢٨٠ .

(٣) ط : « لا ما إن » ، وأثبت ما في شرح الإنصاف وإن كان مؤداهما واحداً .

وقال البصريّون : لا يخلو إظهار أن بعد كي إمّا لأنّها كانت مقدّرة فظهرت ، وإمّا لأنّها زائدة . والأوّل باطل ، لأنّ كي عاملةٌ بنفسها ، ولو كانت تعمل بتقدير أن لكان ينبغي إذا ظهرت أن يكون العمل لأنّ ، فلمّا أُضيف العمل إلى كي دلّ على أنّها العامل . وكذا الثاني باطل ، لأنّ زيادتها ابتداءً ليس بمقيس ، فوجب أن لا يجوز إظهار أن بحال . ومنهم من قال : إنّما لم يجرّ إظهار أن بعد كي وحتى لأنّهما صارتا بدلاً من اللفظ بأنّ ، كما صارت ما بدلاً عن الفعل في قولهم : أمّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك ، والتقدير : أن كنت منطلقاً ، فحذف الفعل وجُعِل ما عوضاً عنه . وأمّا قوله :

* أردت لكيا أن تطير بقربتي *

فلا حجة فيه ، لأنّ قائله مجهول . وإن علّم فإظهار أن بعد كي لضرورة الشعر ، أو لأنّ أن بدلٌ من كي ، لأنّهما بمعنى واحد^(١) . اهـ .

والجيد هو الجواب الثاني . وأمّا الأوّل والثالث ففاسدان .

والذهاب إلى أن العامل اللام ، وكى وأن مؤكّدان لها ، هو الفراء ، قال ٥٨٦ (في تفسيره) ، عند قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ^(٢) ﴾ : مثله في موضع آخر : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ^(٣) ﴾ . والعرب تجعل اللام التي على معنى كي في موضع أن ، في أردت وأمرت ، فتقول : أردت أن تذهب وأردت لنذهب ، وأمرت أن تقوم وأمرتك لتقوم . قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٤) ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ

(١) تصرف البغدادي في هذا النص تصرفاً كبيراً .

(٢) الآية ٢٦ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢٧ من سورة النساء .

(٤) الآية ٧١ من سورة الأنعام .

أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ^(١) وقال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا^(٢)﴾ و﴿أَنْ يُطْفِئُوا^(٣)﴾. وإنما صلحت اللام في موضع أَنْ في أمرت وأردت ، لأنهما يطلبان المستقبل ولا يصلحان مع الماضي . ألا ترى أَنَّكَ تقول : أمرتك أَنْ تقوم ، ولا يصلح أمرتك أَنْ قمت ، وكذلك أردت . فلما رأوا أَنْ في غير هذين تكون^(٤) للماضي والمستقبل ، استوثقوا لمعنى الاستقبال بكى^(٥) وباللام التي في معنى كى . وربما جمعوا بينهما ، وربما جمعوا بين ثلاثهنَّ . أنشدني أبو ثروان :

أردتَ لكِما أَنْ تُرى لى عشرة ومَنْ ذا الذى يُعطى الكَمالَ فيكُمُ^(٦)
فجمع بين اللام ، وكى وأن . وقال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا^(٧)﴾ . وقال الآخر في الجمع بينهما :

* أردتَ لكِما أَنْ تطيرَ بقربتي * البيت

وإنما جمع بينهما لاتفاقهنَّ في المعنى واختلاف لفظهنَّ . قال رؤبة :

* بغير لا عصفٍ ولا اصطرافٍ *

وربما جمعوا بين ما ولا وإن التي على معنى الجحد ، أنشدني الكسائي في بعض البيوت :

* لا ما إن رأيت مثلك *

(١) الآية ١٤ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٨ من سورة الصف .

(٣) الآية ٣٢ من سورة التوبة .

(٤) ش : « يكون » .

(٥) ط : « لكى » ، صوابه في ش ومعاني القرآن ١ : ٢٦٢ .

(٦) ورد أيضاً في همع الموامع ٢ : ٥ والدرر ٢ : ٥ .

(٧) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فجمع بين ثلاثة أحرف . وربما جعلت العرب اللام مكان أن فيما أشبه أردت وأمرت . مما يطلب المستقبل . أنشدني أبو الجراح الأنثى ، من بنى أنف الناقة ، من بنى سعد :

ألم نسأل الأنثى يوم يسوقني ويزعم أنني مُبطل القول كاذبه
أحاول إعناني بما قال أم رجا ليضحك مني أو ليضحك صاحبه^(١)

والكلام : رجا أن يضحك . ولا يجوز ظننت لتقوم ، وذلك أن أن التي تدخل مع الظن تكون مع الماضي نحو : أظن أن قد قام زيد ، فلم تجعل اللام في موضعها ولا كي^(٢) إذ لم تطلب المستقبل وحده . وكلما رأيت أن تصلح مع المستقبل والماضي فلا تدخل عليها كي ولا اللام .

هذا كلام الفراء . وظهر منه أن أن لا تكون إلا مع كي المسبوقه باللام مع تقدم أحد الفعلين من أمر وأراد، وما أشبههما ، وأن لام كي لا تكون إلا مسبوقه بأحد هذين الفعلين .

وقال ابن هشام (في المغني) : كي تكون بمنزلة أن المصدرية معني وعملا ، نحو : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا ﴾^(٣) ، يؤيده صحة حلول أن محلها ، وأنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل . ومن ذلك : جثتك كي تكرمني ، إذا قدرت اللام قبلها ، فإن لم تقدّر فهي تعليلية جارة ، ويجب حينئذ إضمار أن . ومثله في الاحتمالين قوله :

* أردت لكيا أن تطير بقربتى *

(١) ش : « أودجا » .

(٢) معاني الفراء : « ولا كي في موضعها » .

(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فكى إمّا تعليلية مؤكّدة للام ، أو مصدرية مؤكّدة بأن . ولا تظهر
أن بعد كى إلّا فى الضرورة ، كقوله :
* كما أن تغرّ وتخدعا^(١) *

وقوله : « أردت لكيا » إلخ ، ما صلة وزائدة . والطيران هنا مستعار
للذهاب السريع . و (القربة) بكسر القاف معروفة . و (تتركها) منصوب
بالعطف على تطير . والترك يستعمل بمعنى التخليّة ويتعدّى لمفعول واحد ،
وبمعنى التصيير ويتعدّى لمفعولين ، وهنا محتمل لكل منهما . فشنا
على الأول حال من الهاء ، وعلى الثانى هو المفعول الثانى ، و « ببیداء »
عليهما متعلّق بالترك ؛ أو هو المفعول الثانى ، وشنا حال . وبلقع بالجر
صفة بيداء .

٥٨٧

وقال العيني : شنا حال بتأويل متشنّة ، من التشنّ^(٢) وهو اليبس
فى الجلد . والباء فى ببیداء تتعلّق بمحذوف ، تقديره شنا كائنة
ببیداء . هذا كلامه .

والشنّ ، بفتح المعجمة وتشديد النون : القربة الخلق . والبیداء :
الفلاة التى يبید من يدخلها ، أى يهلك . والبلقع : القفر .
وهذا البيت قلماً خلا منه كتاب نحوى ، ولم يعرف قائله . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الستمائة^(٣) :

٦٥٤ (كى لتقضيني رقية ما وعدتني) البيت ..

(١) هو الشاهد ٦٥٢ المنسوب جميل . انظر ما سبق ص ٤٨١ .

(٢) ط : « التشنين » ، صوابه فى ش والعينى .

(٣) العينى ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٢٣١ والمجم ١ : ٥٣ والأشعرونى ٣ : ٢٨١

وديوان ابن قيس الرقيات ١٦٠ .

على أَنَّ الْأَخْفَشَ يَعْتَذِرُ لِتَقَدُّمِ اللَّامِ عَلَى كَيِّ فِي (لَكَيْمَا) وَتَأَخُّرِهَا عَنْهَا فِي (كَيِّ لِتَقْضِي) أَنَّ الْمَتَأَخَّرَ بَدَلٌ مِنَ الْمَتَقَدِّمِ .

وهذا يَرُدُّ عَلَى الْكُوفِيِّينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ كَيَّ نَاصِبَةٌ دَائِمًا ، لِأَنَّ لَامَ الْجَرِّ لَا تَفْصِلُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَنَاصِبِهِ . كَذَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) .

وَقَالَ الدِّمَامِيُّ : هَذَا الرَّدُّ عَلَى الْكُوفِيِّينَ ظَاهِرٌ . أَمَّا إِذَا جُعِلَ النَّصْبُ بِأَنَّ مَضْمَرَهُ كَمَا يَقُولُ الْبَصْرِيُّونَ ، وَكَيَّ جَارَةٌ تَعْلِيلِيَّةٌ أَكَّدَتْ بِمَرَادِفِهَا وَهِيَ اللَّامُ ، انْتَفَى هَذَا الْمَحْذُورُ . نَعَمْ يَلْزَمُ الشُّذُوزُ مِنْ جِهَةِ هَذَا التَّأْكِيدِ ، وَلَكِنَّهُ سُمِعَ فِي كَلَامِهِمْ ، بَلْ هُوَ أَحَقُّ ، مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ :

* وَلَا لِيْلِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً ^(١) *

لَاخْتِلَافِ الْحَرْفَيْنِ لَفْظًا .

هَذَا كَلَامُهُ ، وَهُوَ خِلَافُ مَا (فِي التَّذَكِيرَةِ) لِأَنَّ عَلَى ، قَالَ فِيهَا : كَيِّ هُنَا بِمَعْنَى أَنَّ ، وَلَا تَكُونُ الْجَارَةُ ، لِأَنَّ حَرْفَ الْجَرِّ لَا يَتَعَلَّقُ . وَإِذَا كَانَتْ الْأُخْرَى كَانَتْ زَائِدَةً ، كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ :

* كَأَنَّ طَبِيْعَةً تَعْطُو إِلَى وَارِقٍ السَّلَمِ ^(٢) *

وَقَالَ النَّبِيلِيُّ (فِي شَرْحِ الْكَافِيَةِ) : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : لَكَيِّ تَقْضِي ، فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ .

وَالْبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ لَابِنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ ، مَحْذُوفُ الْآخِرِ ، وَقَبْلَهُ : صَاحِبُ الشَّاهِدِ

(١) انظر ما سبق في ص ٨٢٤ م ٥ .

(٢) لابن صريم اليشكري . وهو الشاهد ٨٧٤ . وصدوره :

* وَيَوْمًا تَوَافَيْنَا بِوَجْهِ مَقْصَمِ *

(لَيْتَنِي أَلْتِي رُقِيَّةً فِي خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا أَنْسَ
 كَيْ لَتَقْضِيَنِي رُقِيَّةٌ مَا وَعَدْتَنِي غَيْرَ مُخْتَلَسٍ ^(١))

ورُقِيَّةٌ : اسم محبوبته . والأَنْسُ ، بفتحيتين ، بمعنى الإنس ، بكسر
 الهمزة وسكون النون . وما زائدة ، وفيه مضاف محذوف تقديره من
 غير حضور أَنْس .

وقوله : « لَتَقْضِيَنِي » علة لقوله أَلْتِي . والقضاءُ : الأداءُ ، يقال
 قضيت الحجَّ والدين . أى أدَّيْتُهما . فهو متعدُّ لمفعول واحد . فما
 في البيت بدل اشتمال من الياء . وكون ما موصوفةً أحسنُ من كونها
 موصولة . فتأمل .

وقال العيني : مفعول ثانٍ لتقضي . وهي يجوز أن تكون موصولة
 والعائد محذوف ، أى وَعَدْتَنِي إِيَّاه . ويجوز أن تكون مصدرية ، أى
 لتقضيني وعدّها لي . اهـ .

وهو في هذا محتاجٌ إلى أن يثبت قَصَى متعدِّياً إلى مفعولين ،
 ولا سبيل إليه إلا بتضمين ، وهو غير مقيس .

و (المختلس) بفتح اللام : مصدر ميمي ، يقال خلست الشيء
 خلساً ، من باب ضرب ، واختلسته اختلاساً ، أى اختطفته بسرعة على
 غفلة . و (غير) مفعول مطلق ، أى لتقضيني قضاءً غير اختلاس .
 والمراد : لِأَنَالَ مِنْ وصلها في أَمِنْ من الرُّقْبَاء .

(١) الشاهد من بحر المديد . قال العيني : « وفيه الخن والخذف والكف » ، صوابه « الخن
 والخذف » فقط .

وقد تقدّمت ترجمة ابن قيس الرقيات في الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسائة^(١).

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الستائة^(٢) :

٦٥٥ (فُتْمٌ إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيًا)

على أن الحرف قد يُبدل من مثله الموافق له في المعنى ، كما في البيت ،
فإنَّ ثُمَّ بدلٌ من الفاء .

وذهب ابن جني (في سر الصناعة) ، وتبعه ابن هشام (في المغني)
إلى أنَّ الفاء زائدة . قال : لأنَّ الفاء قد عُهد زيادتها .

وكذا (في كتاب الضرائر) لابن عصفور ، قال : ومن زيادة الفاء
قوله :

يَمُوتُ أَنَاسٌ أَوْ يَشِيبُ فَتَاهُمْ وَيَحْدُثُ نَاسٌ وَالصَّغِيرُ فَيَكْبُرُ^(٣)

يريد : والصغير يكبر . وقول أبي كبير :

فَرَأَيْتُ مَا فِيهِ فُتْمٌ رَزِئْتُهُ فَلَبِثْتُ بَعْدَكَ غَيْرَ رَاضٍ مَعْمَرِي^(٤)

يريد : ثم رزئته . وقول الأسود بن يعفر :

فَلَنَهْشَلُ قَوِي وَلِي فِي نَهْشَلٍ نَسَبٌ لِعَمْرِ أَبِيكَ غَيْرِ غِلَابٍ^(٥)

(١) الغزاة ٧ : ٢٨٤-٢٨٩ .

(٢) سر الصناعة ١ : ٢٦٦ وابن السجري ٢ : ٣٢٦ وابن يمين ٨ : ٦٩ والمغني ١١٧
والمع ٢ : ١٣١ والأشعري ٣ : ٩٥ وديوان زهير ٢٨٥ .

(٣) المع ٢ : ١٣١ والدرر ٢ : ١٧٢ بدون نسبة . ط : « أَوْ يَشِبُ فَاهُمْ » ، صوابه
في ش والمع .

(٤) ديوان المهذلين ٢ : ١٠١ وشرح السكري ١٠٨٢ . وقبله :

وبياض وجه لم تحلل أسرارَه مثل الوديلة أو كشت الأنضر

(٥) ط : « نَسَبٌ » ، صوابه في ش .

زاد الفاء في أول الكلام لأن البيت أول القصيدة . اهـ .

وقال النيلي (في شرح الكافية) : الذي أراه أن الفاء للترتيب المتصل في الحكم ، ، وكان الشاعر أخبرنا بالحكم الثاني عقب إخباره بالحكم الأول .

ونقل السيوطي (في شرح أبيات المغني) : عن السيرافي أنه قال : الأجود فثم ، بفتح المثناة ، لكراهة دخول عاطف على عاطف .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى ، وهي :

أبيات الشاهد (ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى

من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا
بدا لي أن الناس تفنى نفوسهم
وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا
وأني متى أهبط من الأرض تلعأ
أجد أثراً قبلي جديداً وعافيا
أراني إذا ما بتت على هوى
فثم إذا أصبحت أصبحت غاديا
يحث إليها سائق من ورائيا
إلى حفرة أهوى إليها مقيمة
خلعت بها عن منكبي ردائيا
كانني وقد خلقت تسعين حجة
تباعاً ، وعشراً عشتها ، وثمانيا
بدا لي أني عشت تسعين حجة
من الحق تقوى الله ماقد بدا ليا
ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائيا^(١)
تذكرني بعض الذي كنت ناسيا
وما إن أرى نفسي تقيها كريمي

(١) في ديوان زهير ٢٨٧ : « ولا سابق شيء » . وفي الشرح : « ويروى : « ولا فاتني » .

ألا لا أرى على الحوادث باقياً
 وإلا السّماء والبلاد وربّنا
 ألم تر أنّ الله أهلك تّبعا
 وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى
 إذا أعجبتك الدّهر حال من امرئ
 ألا لا أرى ذا إمّة أصبحت به
 ألم تر للنّعمان كان بنجوة
 فغير عنه ملك عشرين حجة
 فلم أر مسلوباً له مثل ملكه
 فأين الذين كان يُعطى جياده
 وأين الذين كان يُعطيهم القرى
 وأين الذين يحضرون جفانه
 رأيته لم يُشركوا بنفوسهم
 سوى أنّ حياً من راحة حافظوا
 فساروا له حتّى أناخوا ببابه
 ولا خالداً إلّا الجبال الرّواسيا
 وأيامنا معدودةً والليالي
 وأهلك لقمان بن عاد وعاديا
 وفرعون أردى كيدُهُ والنّجاشيا
 فدعهُ وواكل حالهُ والليالي
 ٥٨٩ فتتركهُ الأيّامُ وهى كما هيا
 من الشرّ لو أنّ امرأً كان ناجيا
 من الدّهر يومٌ واحدٌ كان غاويا^(١)
 أقلّ صديقاً معطياً أو مواسيا^(٢)
 بأرسانهنّ والحسان الغواليا^(٣)
 بغلاتهنّ والمثين العواديا^(٤)
 إذا قدّمت ألقوا عليها المراسيا
 منيته لما رأوا أنّها هيا
 وكانوا أناساً يتّقون المخازيا^(٥)
 كرام المطايا والهجان المتاليا^(٦)

(١) فى الديوان ٤ : « رُشد عشرين حجة » .

(٢) فى الديوان : « مثل قرصه » .

(٣) فى الديوان : « الهواليا » ، جمع حالية .

(٤) فى الديوان : « والمثين الغواليا » . قال : « ويروى الغواديا » .

(٥) فى الديوان : « أقبلوا وكانوا قديماً » .

(٦) فى الديوان :

فقال لهم خيراً وأثنى عليهم . وَودَّعَهُمْ وداعَ أن لا تلاقيا
وأجمعَ أمراً كان ما بعده له . وكان إذا ما اخلولجَ الأمرُ ماضياً
قال صعوداءُ ، والأعلمُ الشتمريُّ (في شرحيهما لديوان زهير) : هذه
القصيدَةُ قالها زهير يذكر النعمانَ بن المنذر ، حيثُ طلبه كسرى لِيَقْتُلَهُ ،
ففرَّ فَأَثَى طَيْثاً ، وكانت ابنةُ ^(١) أوس بن حارثة بن لأم عنده ، فَأَتَاهُم
فسألهم أن يدخلوه جبلهم فَأَبَوْا عليه . وكانت له يدٌ في بني عيس
في مروان بن زنباع ، وكان أسير فكلَّم فيه عمرو بن هند عمه وشفَّعَ
له فشَفَّعه ، وحَمَلَه النعمان وكساه . فكانت بنو عيس يشكرون ذلك
للنعمان . فلما هرب من كسرى ولم تُدْخِلْهُ طَيْثُ جَبَلَهَا لَقِيَتْهُ بنو رَوَاحَةَ
مِن عيس ، وهم رهطُ مروان بن زنباع ، فقالوا له : أَقِمْ فِينَا ^(٢) فَإِنَّا
نَمْنَعُكَ مَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا . فقال لهم : لا طاقة لكم بكسرى وجنوده .
فَأَثَى وسارُوا معه ، فَأَثَى عليهم خيراً وودَّعَهُمْ .

وقال الأصمعيُّ : ليست لزهير ، ويقال هي لصِرْمَةُ الأنصاريِّ .
ولا تشبه ^(٣) كلام زهير .

وقوله : « ولا أرى الدهرَ فانيَا » ، قال صعوداءُ : يقال إنَّ الدهرَ هو الله
جلٌّ وعزٌّ ثناؤه ، وإنَّما يراد بذلك أنَّ الذي يُحدثه الدهرُ إنّما هو من
تقدير الله ، فلا ينبغي أن يُسَبَّ الدهرُ ، لأنَّه يرجع إلى سبِّ ما قدرَ
الله .

وقوله : « وأننى متى أهبطُ » إلخ ، قال الأعمى : التلعة : مجرى الماء إلى

(١) ط : « وكان ابن » ، صوابه في ش وشرح ثعلب ص ٢٨٣ .

(٢) ط : « قم فينا » ، صوابه في ش وشرح ثعلب .

(٣) ط : « ولا يشبه » .

الرَّوْضَةُ ، وتكون فيما علا عن السَّيْلِ وفيما سَفَلَ عنه . ودُونَ التَّلْعَةِ الشُّعْبَةُ .
والعافى : الدارس . يقول : حيثما سار الإنسان ^(١) من الأرض فلا يخلو
من أن يجد فيه أثراً قديماً أو حديثاً ^(٢) .

وقوله : « أَرَانِي إِذَا مَا بَتُّ » إلخ . مع البيت بعده ، قال صعوداء : على
هوى ، أى على أمر . يقول : أَرَانِي إِذَا مَا بَتُّ عَلَى أَمْرٍ أَوْ حَاجَةٍ أُرِيدُهَا
ثُمَّ أَغْدُو وَأَدْعُ .

وقال الأَعْلَمُ : أى لى حاجةٌ لا تنقضى أبداً ، لأنَّ الإنسان ما دام
حيّاً فلا بدَّ من أن يهوى شيئاً ويحتاج إليه .
ولم يتعرض كلُّ منهما إلى قوله فتمَّ .

وفى جميع النسخ : « غَادِيَا » بالغين المعجمة . وروى البيت (فى معنى
اللييب) كذا :

أَرَانِي إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ ذَا هَوًى فُتْمٌ إِذَا أَمْسَيْتُ أَمْسَيْتُ عَادِيَا
قال ابن المَلَأَ : أَرَانِي مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهَا
ومفعولها الأوَّلُ ضَمِيرَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ مُتَّحِدِي الْمَعْنَى . والهوى : إرادة النفس
أى أصبح مريداً لشيءٍ وأمسي تاركاً له متجاوزاً عنه . يقال عدا فلان
الأمر ، إذا تجاوزه .

٥٩

قال الشُّمْنِيُّ : وهذا يدلُّ على أنَّ عَادِيَا بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ . وهو مضبوطٌ
فى بعض نسخ المغنى وغيره بالمعجمة .

(١) فى النسخين : « سار الإنسان » ، وأثبت ما فى الشنترى ٨٧ .

(٢) عند الأَعْلَمِ الشنترى : « من أن يجد فيه أثراً قبل أثره قديماً وحديثاً » .

قال ابن القطّاع : غدا إلى كذا : أصبح إليه . ورواية الإعجام أنسب بالبيت بعده ، إذ يقال غدا إلى كذا بمعنى صار إليه . وإن صحَّ أن يقال المعنى متجاوزاً إلى حفرة . ووصف الحفرة بكونها مقيمةً إما على مُعتقد الجاهلية من أنه لا فناء للعالم ولا بعث ، أو المقيمة عبارة عن ذات المدّة الطويلة . والسائق : الذي يحثُّ على العدو إلى تلك الحفرة ، وهو الزمان^(١) ، فإنه المفضي المبيدُ عندهم . اهـ .

وقوله : « كائنٌ وقد خلّفت » إلى آخره . قال الأعلم : أي لا أجد مَسَّ شيءٍ مضى ، فكأنما خلّفت^(٢) به ردائي عن منكبّي .
وقوله :

* بدا لي أنني لستُ مدركٌ ما مضى *

يأتى إن شاء الله شرحه في الجوازم^(٣) .

وقوله : « أراي إذا ما شئت^(٤) » إلخ ، أي إذا غفلتُ عن حوادث الدهر من موت وغيره ونسيتها رأيتُ آيةً مما تصيبُ غيري ، فذكرتني ما كنتُ نسيته . والآية : العلامة .

وقوله : « وما إن أرى » إلخ ، قال صعوداء : كريمة ماله : أهله وخاصته . وروى الأعلم : « كريهتي » ، وقال : لا تبقى نفسي من الموت كريهتي ، أي شدتي وجراحتي ، ولا تقيها كرائمُ مالي .

وقوله : « ألم تر أن الله أهلك تُبَعًّا » إلى آخره ، تُبَعٌ : ملكُ اليمن .

(١) ش : « هو الزمان » بطرح الوار .

(٢) ش : « خلّفت » ، صوابه في ط والشنترى .

(٣) هو الشاهد ٧٠٤ في ٦٤٦ بولاق .

(٤) ط : « إذا ما نسيته » ، صوابه في ش ونص الشعر .

وعادياً أبو السموءل^(١) ويقال السموءل^(٢) بن حيا بن عاديا . وكان له حصنٌ بتيمة . وهو الذى استودعه امرؤ القيس أدراعه . وقال صعوداء : عاديا ابنُ عاد . وأوّل من سنّ الدّية لقمان بن عاد . وأوّل من تكلم بالعربية العمالقة بمكة ، ملوك كان يقال لهم العمالقة ، ولا يدرى لأى شئ سُموا بذلك . ا هـ .

والنجاشي : ملك الحبشة . والإمة بالكسر : النعمة والحالة الحسنة ، أى من كان ذا نعمةٍ فالأيام لا تتركه ونعمته كما عهدت ، أى لا بدّ من أن تغيرها الأيام . وقوله : « كان بنجوة من الشر » ، أى كان بمعزل منه . يقال فلانٌ بنجوةٍ من السّيل ، إذا كان بموضع مرتفع حيث لا يدركه السّيل . وروى صعوداء : « بنجوة من العيش » وقال : أى كان بمرتفع من السلطان والملك .

وقوله : « فغير عنه ملك » إلخ ، الحجّة بالكسر : السنّة . والغاوى هنا : الواقع في هلكة . وقال صعوداء : نسب اليوم إلى الغي لأنّ الغي كان فيه .

وقوله : « فلم أر مسلوباً » إلخ ، يقول : لم أر إنساناً سلب النعم والمُلْك ، وله عند الناس أياذٍ ونعم كثيرة فلم يف له أحدٌ ولم يواسِه ، كالنعمان حين لم يُجرّه من استجار به . والباذل : المعطى . وقوله : « والمثين الغواديا » ، أى كان يهبُ المثين من الإبل فتغدو عليهم .

وقوله : « ألقوا عليها المراسيا » أى ثبتوا عليها آكلين منها . والمراسي :

(١) ش : « عادياً » بالقصر ، في هذا الموضع وتاليه .

(٢) ط : « ويقال أبو السموءل » ، صوابه في ش .

جمع مَرَسَى ، وهو من رسا يرسو ، إذا ثبت وأقام ، ومنه مَرَسَى السفينة .
والجفان : القصاع .

وقوله : « لم يُشْرِكوا بنفوسهم » أى لم يواسوه فى الموت ، ومعناه
لم يَخْلِطُوهُم بِأَنفُسِهِمْ حين استجار بهم من كسرى .

والهجان : البيض من الإبل ، وهى أَكْرُمُهَا . والمَتَالَى : التى تتلوها
أولادها ، جمع مُتَلِيَةٍ .

وقوله : ^(١) « فقال لهم خيراً » أى قال النعمان لبنى رَوَاحَةَ خيراً لما دَعَوَهُ
إلى مجاورتهم وودَّعَهُمْ ودَاعَ مَنْ يَتَيْقَنُ بالموت .

وقوله : « وأجمع أمراً » إلخ ، ما بعده أى من ثنائه . وأَخْلَوَلَجَ : التَوَى
ولم يستقم . والماضى : النافذ فى الأمر العازم عليه .

٥٩١

وترجمة زهير تقدّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الستائة ^(٣) :

٦٥٦ (إذا أنتَ لم تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا
يُرَادُّ الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ)

على أَنَّ (يَضُرُّ) بالرفع ، وما كافّةٌ وقيل مصدريةٌ ، وكى جارة ،
أى لمضرتّه ومنفعته .

وهذان الوجهان أجازهما أبو على (فى التذكيرة القصصية) و (فى
البغداديات) كما ننقله فى البيت بعده .

(١) ما بعده إلى « قوله » التالية ساقط من ش .

(٢) الخزائن ٢ : ٣٢٢ - ٣٣٦ .

(٣) المغنى ١٨٢ والعينى ٣ : ٢٤٥ / ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ والأشموقى ٢ :

٣ / ٢٠٤ : ٢٧٩ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٠ .

وكذا قال ابن هشام (في المغنى) .

وقال العيني : إن دخول كي على المصدرية نادر .

ورأيت (في طبقات النحاة) لأبي بكر محمد الشهير بالتاريخي عند ترجمة يونس بن حبيب ، أن يونس قال : كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فصيحاً ، وهو الذي يقول :

إذا أنت لم تنفع فضرراً فإنما يرجى الفتى كيا يضر وينفعا

فعلى هذه الرواية ما زائدة ويضر منصوب بكى واللام مقدرة ، وأنت فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ، أى إذا لم تنفع الصديق فضرراً العدو . وإنما قدر الفعل واقعاً على هذا المفعول لأن العاقل لا يأمر بالضرر مطلقاً ، وحسن المقابلة اقتضى تعيين الأول .

و (يرجى) بتشديد الجيم المفتوحة ، أى إنما يرجى الكامل فى الفتوة لضرره من يستحق الضرر ، ونفع من يستحق النفع .

وقيل : يمكن حمل البيت على أن المراد الحث على النفع بالأمر بالضرر ، لا على أنه مراد ، ولا يقدر للفعل متعلق ، بملاحظة أن الإنسان إنما يقصد ويكثر رجاؤه لوصفه فيه لا لذاته .

وروى : « يراد » بدل « يرجى » .

قال العيني : البيت للناطقة الذبياني ، وقيل للناطقة الجعدى . والأصح أن قائله قيس بن الخطيم . ذكره البحرى (فى حماسه) . ١ هـ .

ولم نسمع أن للبحترى حماسة^(١) .

ونسبه الإمام الباقلاني (في كتاب إعجاز القرآن) لقيس بن الخطيم
بنصب يضر وينفع . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائة^(٢) :

٦٥٧ (لا تظلموا الناس كما لا تظلموا)

على أن المبرد والكوفيّين جَوَّزُوا نصب المضارع بعد (كما) على
أن أصلها كيما ، حذفت الياء تخفيفاً ، فإن لا تظلموا منصوب بحذف
النون بها ، وقيل بل نصبه بما المصدرية حملاً على أن المصدرية كما أن
أن تُهمَل حملاً على ما . وهذا من باب التقارض .

فالكاف حينئذ للتشبيه .

والبصريون يمنعون ذلك ، وينشدون :

* لا نظلم الناس كما لا تظلم *

بالتوحيد ، فالفعل مرفوع على هذا بعد لا النافية ، والكاف للتشبيه ،
وما كفاة .

(١) هكذا يقول البغدادى . والواقع أن هناك نسخة وحيدة من حماسة البحترى مودعة
في مكتبة ليدن برقم ٨٨٩ كما نص عليه بروكلمان . وقد طبعت حماسة البحترى عدة طبعات أولاها
سنة ١٩٠٩ بمطبعة بريل . وهي من رواية أبي العباس أحمد بن محمد ، المعروف بابن أبي خالد الأحول ،
عن أبيه عن البحترى اختارها من شعر العرب ، وأهداها للفتح بن خاقان ، ورتبها على ١٧٤ باباً .
وقد عني الأب لويس شيخو بطبعها مضبوطة بالشكل الكامل ووضع لها فهرساً : للشراء ،
وقوافيهم ، مع مقدمة باللغة الفرنسية . وذلك في المطبعة الكاثوليكية ببغروت سنة ١٩١٠ . وقد استعان
فيها بطبعة ليدن المصورة سنة ١٩٠٩ .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ١٨٦ والإنصاف ٥٨٧ ، ٥٩١ والخزانة ٤ : ٢٧٦ بولاق
وملحقات ديوان روضة ١٨٣ .

قال سيبويه : سألت الخليل عن قول العرب : انتظرني كما آتيك
فزعم أنَّ ما والكاف جُعِلتا بمنزلة حرف واحد وصيرت للفعل كما صيرت
للفعل ربّما ، والمعنى لعلّي آتيك . فمن ثمّ لم ينصبوا به الفعل كما لم
ينصبوا برّبما . قال :

* لا تشتم الناس كما لا تُشتم ^(١) *

وقال أبو النجم :

قلت لشيبان ادن من لقائه كما تُغذى القوم من شوائه

انتهى .

٥٩٢ قال الأعم : الشاهد وقوع الفعل بعد كما لأنّها كاف التشبيه
ووصلت بما ، لوقوع الفعل بعدها ، كما فعل برّبما ، ومعناها هنا لعلّ ،
أى لا تشتم الناس لعلك لا تشتم إنّ لم تشتمهم . ومن النحويين من
يجعلها ^(٢) بمعنى كى ويجيزُ النصب بها ، وهو مذهب الكوفيين .

وقال النحاس : هذا قول الخليل وسيبويه . وحكى ابن سعدان
النصب بكما إذا كانت بمعنى كى ، وقد حكاه الأخفش سعيد .

وقوله : « قلت لشيبان » إلخ يأمر ابنه شيبان باتّباع ظليم والدنو
منه ، لعلّه يصيده فيطعم أصحابه من شوائه .

وقال أبو على (فى البغداديات) بعد أن نقل عبارة سيبويه : جعل
سيبويه (كما) فى هذا البيت كالتى فى البيت الأوّل . وأنشده أبو بكر

(١) هو الشاهد ٨٣٨ . وانظر سيبويه ١ : ٤٥٩ بولاق .

(٢) يعنى « كما » . وفى ش : « من يجعلها » تحريف .

عن يعقوب أو غيره من أهل الثبت في اللغة : « كما تغدَّى القوم » . وقال :
 شيبان : ابنه ، أى قلت له اركب في طلبه كما تصيده فتغدَّى القوم به
 مشوياً . يصف ظلياً . وأقول : إنَّ ما على هذا الإنشاد تحتل وجهين :
 يجوز أن تكون زائدة كالتى في قوله : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ^(١)﴾ والفعل منصوب .
 بإضمار أن ، إلاَّ أنه ترك على الإسكان ، وذلك مما يستحسن في الضرورات .
 ويجوز أن تكون ما بمعنى المصدر ، في موضع جرٍّ بكى ، وتغدَّى صلته
 وموضعه رفع . ونظير ذلك قول الآخر ، أنشده أبو الحسن :
 إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنما يُرجى الفتى كما يضرُّ وينفعُ
 كأنه قال : لِلضَّرَرِ والنفع . ويحتمل عندى أن تكون ما كAFFة
 لكى ، كما كانت كAFFة لربٍّ . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغنى) : اختلف في نحو قوله :
 وطرفك إمَّا جئتنا فاجبستهُ كما يحسبوا أنَّ الهوى حيثُ تنظرُ^(٢)
 فقال الفارسي : الأصل كما ، فحذف الياء . وقال ابن مالك : هذا
 تكلف ، بل هى كاف التعليل وما الكافَّة ، ونُصب الفعل بها ، لشبهها
 بكى في المغنى . وزعم أبو محمد الأسود (في كتابه المسمى نزهة الأديب)
 أنَّ أبا على حرَّف هذا البيت ، وأنَّ الصواب فيه :

إذا جئت فامنح طرفَ عينك غيرنا
 لكى يحسبوا . . . البيت^(٣) انتهى

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٢) لعمري بن أبي ربيعة في ديوانه ٧٣ . وانظر الإنصاف ٣٤٤ والمغنى ١٧٠ .

(٣) هنا ينتهى نص المغنى . والنص فيه : « طرف عينك » بالثنية .

والبيت الذى أوردته الشارح المحقق لرؤية بن العجاج ، ويأتى إن شاء الله بقيّة الكلام عليه فى الشاهد الأربعين بعد الثمانمائة .

والمشهور فى الاستعمال ما أوردته سيبويه ، وهو :

* لا تشتمّ الناس كما لا تشتمّ *

وهو لرؤية بن العجاج أيضاً . وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أول الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السّائة ، وهو من شواهد (س)^(٢) :

٦٥٨ (ولُبِسُ عباءةٍ وتَقَرَّرَ عيني)

هذا صدرٌ وعجزه :

(أحبُّ إلى من لُبِس الشُّفوفِ)

على أن (تقرّر) منصوب بأن مضمرة بعد الواو ، وأنّ تقرّر فى تأويل مصدر معطوف على مصدر وهو لُبِس .

وسياقى الكلام عليه إن شاء الله فيما بعد الشاهد الثانى والسبعين بعد السّائة .

والبيت من أبيات ليسون بنت بحدل الكلبية ، وهى :
(لَبِيتُ تخفّقُ الأرواحُ فيه أحبُّ إلى من قصيرٍ مُنيفِ أبيات الشاهد

(١) الخزائن ١ : ٨٩ - ٩٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٧ والجمل ١٩٩ والمختب ١ : ٣٢٦
وسر الصناعة ١ : ٢٧٥ ودرة الفواص ٢٤ وابن الشجرى ١ : ٢٨٠ وحاسة ابن الشجرى ١٦٦
وابن يعيش ٧ : ٢٥ والمفنى ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٦١ ، ٤٧٩ ، ٥٥١ وشذور الذهب ٣١٤
والعنى ٤ : ٣٩٧ والتصريح ٢ : ٢٤٤ والممع ٢ : ١٧ والأشمونى ٣ : ٣١٣ .

وَبَكْرٌ يَتَّبِعُ الْأَظْعَانَ سَقْبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَغْلٍ زَفُوفٍ
وَكَلْبٌ يَنْبَحُ الطَّرَاقَ عَنِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِطٍّ أَلُوفٍ
وَلُبْسٌ عِبَاءَةٌ وَتَقَرُّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ
وَأَكْلُ كُسَيْرَةٍ فِي كِسْرِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الرَّغِيفِ
وَأَصْوَاتُ الرِّيحِ بِكَلٍّ فَجٌّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفُوفِ
وَخِرْقٌ مِنْ بَنِي عَمِّي نَحِيفٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِلْجٍ عَلِيفٍ
خُشُونَةٌ عِشْتِي فِي الْبَدْوِ أَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ الْعِيشِ الطَّرِيفِ
فَمَا أَبْغَى سِوَى وَطَنِي بَدِيلًا فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطَنِ شَرِيفٍ

الخفق : الاضطراب ، وفعله من باب ضرب . والمنيف : العالى .
وأورد الحريرى هذه الأبيات (فى درة الغواص) لأجل هذا البيت على
أنه يقال فى جمع ربح أرواح ، وقول الناس : أرياح ، قياساً على رباح خطأ .
والبكر بفتح الموحدة : الفتى من الإبل . والأظعان : جمع ظعينة ،
وهى المرأة ما دامت فى الهودج . والسقب : الذكر من ولد الناقة ، وهو
حالٌ مؤكدة . وروى : « صعب » فهو صفة لبكر . والزفوف بالزاء
المعجمة ^(١) والفائين ، أى مسرع .

والطَّرَاق : جمع طارق ، وهو الذى يأتى ليلاً .

وقوله : « وَلُبْسٌ عِبَاءَةٌ » فى غالب كتب النحو « للبس » بلامين ،
وهو خلاف الرواية الصحيحة . والعِبَاءَةُ ، وكذا العِبَايَةُ : العِجَّةُ من
الصُّوف ونحوها ، وقيل كساءٌ مَخْطُوطٌ . وَتَقَرَّرَ بفتح القاف ، من قولهم :

عين قريره ، أى باردة من البرد ، الذى هو النوم ، وقيل من البرد الذى هو ضد الحر ، أو من القرار وهو السكون ، لأن العين إذا قرّت سكنت عن الطموح إلى شىء . والشفوف : جمع شِف بكسر الشين وفتحها ، وهو الثوب الرقيق ، سَمِيَ بذلك لأنه يُستشف ما وراءه ، أى يُبصر . ومثله قول بعض الأعراب :

لَعَمْرِي لأعرابيسةٌ فى عَبَاعةٍ تحلُّ دماناً من سُوَيْقةٍ أو فَرْدَا
أحبُّ إلى القلب الذى لجَّ فى الهوى من اللابساتِ الخزِّ يُظهِرَنه كَيْداً
والكُسيرة ، بالتصغير : القطعة من الخبز . والكسر ، بكسر الكاف : طرف الخباء من الأرض ^(١) .

والخرق ، بكسر الخاء المعجمة : الكريم . والعليج بالكسر ، قال ابن زريق : هو الصُّلب الشديد ، وبه سَمِيَ حمار الوحش عِلجاً . ويحتمل أن تريد : إنَّ الأَمردَ أحبُّ إلى من ذى اللحية . قال أبو زيد : يقال لكل ذى لحية عليج ، ولا يقال للغلام إذا كان أَمردَ عليج . واستعلاج الرجل ، إذا خرجت لحيته . والأوّل أنسبُ لقولها عليف أى مسمنٌ بالعلف . قال الأَعلم : تعنى به معاوية لقوته وشدته ، مع سمنه ونعمته .

وقال العيني : الغليف بالغين المعجمة ، وهو الذى يغلف لحيته بالغالية . ويجوز بالعين المهملة .

وميسون قال اللخمي : هي زوج معاوية بن أبي سفيان وأم ابنه يزيد ، وكانت بدويّة فضاعت نفسها لما تسرى عليها ، فعذّلها على

(١) الأوضح منه ما فى اللسان : « أسفل الشقة التى تلى الأرض من الخباء » وفى حواشى ش : « من الأرض هكذا بخط المؤلف ، ولا يستقيم » .

ذلك وقال لها : أنتِ في مُلكٍ عظيمٍ وما تدرين قدره ، وكنتِ قبلَ اليومِ في العبادة : فقالتُ هذه الأبياتُ ، فلَمَّا سمعها قال لها : ما رضىتِ يا ابنةَ بَحْدَلٍ حتَّى جعلتِنى علجاً عليفاً ، فالحتى بأهلكِ ! فطلَّقها وألحقها بأهلها وقال لها : كنتِ فبنتِ ! فقالت : لا والله ما سُررنا إذ كنَّا ولا أسفنا إذ بنَّا ! ويقال أنَّها كانت حاملاً بيزيد ، فوضعتْه في البريةَ ، فمِنَ ثَمَّ كان فصيحاً .

وقال الشريف (في حماسته) : وروى الكلبي عن عَوانة قال : لما زُفَّتْ ميسونُ بنتُ بَحْدَلٍ من باديةِ كلبِ إلى معاوية وهو بِرِيفِ الشَّامِ ثَقُلَ عليها الغربةُ والبعدُ عن قومها ، فسمعها ذاتَ ليلة تقول هذه الأبيات فقال : أنا والله العليج : وازداد بها عُجْباً ، وإليها ميلاً .

قال ابن الكلبي (في الجمهرة) : كان معاوية بن أبي سفيان بعث رسولاً إلى بهدلة بن حسان بن عدى بن جبلة بن سلامة بن عبد الله بن عُلَيم بن جَنَابٍ يخطب إليه ابنته ، فأخطأ الرسول فذهب إلى بَحْدَلِ بن أنيف ، من بني حارثة بن جناب ، فزوجه ابنته ميسون بنت بحدل ، فولدت له يزيد . انتهى .

ذكره في جمهرة قضاة ، وهى من قبائل اليمن .

وميسون : فَيَعْمَلُ ، مِنْ مَسَنَةٍ ^(١) بالسوط إذا ضربه ، أو فَعْلَوْنَ ^(٢) من ماسٍ يَمِيس ، إذا تبختر ، ولا نظير له إلا زَيْتُون ، استدللَّ به بعض النحويين على زيادة النون بالزيت المعصور . وحكى أرض زينة ، إذا كان فيها الزيتون . وبَحْدَلٍ ، بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة .

* * *

(١) ط : « ميسنه » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « أو من فملون » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح وترميم بخط الشنقيطي .

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَغَى)

على أَنَّ (أَحْضَرَ) منصوب بأن مضمرة ، بدليل تمامه :

(وَأَنَّ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي)

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد العاشر من أوائل الكتاب ^(١).

وهذه رواية الكوفيّين ، والرفع رواية البصريّين . قال سيّويه :
وقد جاء في الشعر :

* أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَغَى *

قال الأعلّم : الشاهد فيه رفع أَحْضَرَ بحذف الناصب وتعرّيه منه .
والمعنى لِأَنَّ أَحْضَرَ الْوَغَى . وقد يجوز النّصب بإضمار أَنَّ ضرورة ، وهو
مذهب الكوفيّين . انتهى .

وفي التذكرة القصريّة ، وهي أسئلة من أبي الطيّب محمد بن طوسي ^(٢)
المعروف بالقصري ، وأجوبة من شيخه أبي علي الفارسي قال : سألت
أبا علي عن أَحْضَرَ الْوَغَى ، أي شيء موضعه ؟ فقال : نصب ، وهو يريد
حاضراً . فقلت : كيف يجوز أن يكون حالا وإنّما الحضور مزجور
عنه لا عن غيره ؟ فقال : قد يجوز أن يكون لم يذكر المزجور عنه .
فقلت : قد فهمنا من قوله :

* أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَغَى *

قد نهاه عن حضور الوغى . قال : صَيَّرَ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ هَذَا وَإِنْ

(١) الخزائن ١ : ١١٩ - ١٢١ .

(٢) وكذا في معجم البلدان في رسم (قصر ابن هبيرة) ، وإنباه الرواة ٣ : ١٥٤ . وفي البنية
في طبعتها : « طوس » . وفي معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٦ : « طويس » .

كان ذلك لا يفهم منه إذا قُدِّرته بقولك حاضرا . قلت : فإنَّ الحضور لم يقع ، ونحن نعلم أنَّه ما نهاه وقد حضر . قال : هذا مثلُ قولك : هذا صاحبُ صقر صائداً به غداً . قلت : فما الحاجة إلى أن قُدِّرته حالا . قال : ليتعلَّق بما قبله ، وإلاَّ فلا سبيل إلى تعلُّقه بما قبله إلاَّ على هذا الوجه . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الستمائة^(١) :

٦٥٩ (لَوْ بغيرِ الماءِ حَلَقِي شَرْقُ)

على أنَّ الجملة الاسمية بعد (لو) وضعت موضع الجملة الفعلية شذوذاً ، كما قاله في باب الاشتغال .

٥٩٥

وهذا مذهبُ ابن جني . ونسبه أبو حيَّان إلى أبي بكر بن طاهر^(٢) . وهذا صلر ، وعجزه :

(كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالماءِ اعتصارى)

والباء من (بغير) متعلِّقة بالخبر ، وهو شرق ، (وحلَقِي) هو المبتدأ . وهذا أحد تخاريج ثلاثة في البيت .

ثانيها لبدر الدين (في شرح ألفية والده) قال : كان الشَّائِنية محذوفة بعد لو ، فهي على بابها من دخولها على الجملة الفعلية ، فتكون

(١) سيويه ١ : ٤٦٢ والاشتقاق ٢٦٩ والخزانة ٤ : ٤٦٠ ، ٥٢٤ بولاق والمغني ٢٦٨ والمعنى ٤ : ٤٥٤ والتصريح ٢ : ٢٥٩ والجمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٠ والسان (عصر ٢٥٦) ودويوان على بن زيد ٩٣ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصارى الإشبيلي ، المعروف بالحدب . والحدب ، بكسر الحاء وفتح الدال وتشديد الباء الموحدة : الرجل الطويل . أخذ عنه ابن خروف ومصعب الخشني ، وعبد الحق بن خليل ، وأطنبوا في الثناء عليه واشتهر بتدريس الكتاب . توفي في عشر الثمانين وخمسمائة . بقية الوعاة ١٢ .

الجملة الاسمية خبراً لكان المحذوفة . ونسبه أبو حيّان إلى البصريين .
ولم يذكر ابن هشام هذا التخريج (في المغنى) .

ثالثها : لأبي على الفارسي (في الإيضاح الشعريّ) قال فيه : موضعُ
« حلقى » رفعٌ بأنّه فاعل ، والرافع له فعل مضمر يفسّره « شَرِق » كأنّه
قال : لو شَرِقَ حلقى بغير الماء . ولا يكون شَرِقَ خبر حلقى . هذا الظاهر .
لأنّ ما بعد « لو » لا يكون مبتدأً كما أنّ ما بعد « إن » وما بعد « إذا » لا يكون
كذلك . فإذا لم يجز أن تجعله خبر حلقى الواقع بعد لو ، لأنّه يرتفع
بفعل مضمر ، وجب أن تضمر له مبتدأً ، والتقدير هو شَرِق ، فيكون
هو شَرِقُ ، بمنزلة شَرِقَ ، تفسيراً للفعل المضمر بعد لو ، ويكون ذلك بمنزلة
ما يحمل على المعنى . ألا ترى أنّ هو شَرِقَ بمنزلة شَرِقَ في المعنى . وقوله :
« بغير الماء » يتعلّق الجارّ فيه بالفعل الواقع لحلقى ، وهو أسهل من أن
تعلّقه بشرق هذا الظاهر . وإن لم تقدّر هذا المضمر لزم أن تكون لو قد
ابتدأ بعدها الاسم ^(١) فإذا ثبت في هذا الموضع إضمارُ الفعل فحكمُ
سائر ما أشبهه مثله . انتهى مختصراً .

واختصره ابن هشام (في المغنى) بقوله : وقال الفارسي : الأصل
لو شَرِقَ حلقى هو شَرِق ، فحذف الفعل أولاً والمبتدأً آخرًا . انتهى .

ونسب أبو جعفر النحاس هذا التخريجَ لأبي الحسن الأخفش ،
وأنشد البيت (في أبيات سيويه) وقال : أنشده سيويه في باب من
أبواب أنّ في نسخة أبي الحسن وحده . انتهى .

وقد راجعتُ الكتاب وهو من رواية المبرّد فلم أجده فيه .

وبتقدير المبتدأ تعرف أنّ ما نقله ابن جني عن شيخه الفارسي

(١) ش : « قد ابتدأ بعدها الاسم » .

(٢) الحق أنّه من صميم كتاب سيويه . انظر ١ : ٦٢ بولاق و ٣ : ١٢١ هارون .

عند الكلام على البيت الآتي خلاف الواقع . قال : سألتنا يوماً أبا علي عن بيت عدى فأخذ يتطَلَّب له وجهاً وتعسَّف فيه ، وأراد ^(١) أن يرفع حلقى بفعل مضمر يفسِّره قوله شرق . فقلنا له : فيم يرتفع إذن شرق ؟ فقال : هو بدلٌ من حلقى . فأطال الطريق وأعورَ المذهب ^(٢) . ولو قال إنَّ الجملة الاسميَّة وقعتْ موقع الفعلية لكان أقرب مأخذاً وأسهل متوجَّهاً . انتهى .

وقوله : « بالماء اعتصارى » قال أبو علي : موضعه نصبٌ بأنَّه خبر كنتُ ، والعائد إلى الاسم الياء في اعتصارى ، وكالفصَّان في موضع حال والعامل فيه كنت ، ولا يكون الخبر لأنَّ الحال إذا تقدَّمت لم يعمل فيها معنى الفعل كما يعمل في الظرف إذا تقدَّمه . ولا تكون الباء في قوله بالماء كالجار في قوله : ﴿ إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ^(٣) ولكنه يتعلق بمحذوف في موضع خبر المبتدأ ، ألا ترى أنَّك لو قلت إِنِّي من الناصحين لكما ، لتعلقت اللام بالناصحين ^(٤) . ولو قلت : كنت مرورى بزيد لم تتعلَّق الباء بالمرور ، إنَّما تتعلَّق بمحذوف . ا هـ .

وقوله : « ولا يكون الخبر » ، أى لا يكون العامل في الحال الخبر ، وهو قوله بالماء الواقع خبراً لقوله اعتصارى . والجملة خبر كنت . وزعم العيني أنَّ قوله كالفصَّان خبر كنت . ولم يذكر موقع الجملة التى بعده من الإعراب . ويجوز على هذا أن تكون خبراً ثانياً .

٥٩٦

وشرق فلانٌ بريقه أو بالماء ، إذا غصَّ به ولم يقدر على بلعه ،

(١) ش : « ورام » مع أثر تبديل .

(٢) ط : « وأغور » بالعين المعجمة ، صوابه في ش . يقال عوره تعويراً ، وأعوره إعوأراً ، وعاره أيضاً ، أى صيره أعور . اللسان (عور ٢٩١) .

(٣) الآية ٢١ من سورة الأعراف .

(٤) ش : « بالنصح » .

وهو من باب تعب . والغَصَّان ، مِنْ غَصَّ فُلَانٌ بالطَّعام غَصَصاً من باب تعب ، ومن باب قتل لغة ، إذا لم يقدر على بلعه . والغُصَّة بالضم : ما غَصَّ به الإنسان من طعام ، أو غِيْظٌ على التشبيه به ، ويتعدَّى بالهمزة نحو : أَغَصَصْتُهُ بِهِ .

قال الجوهري : الاعتصار : أَنْ يَغْصَّ الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أَنْ يَشْرِبَهُ قليلاً قليلاً لِيُسَيِّغَهُ . وأنشد هذا البيت .

وتحقيقه أَنَّ الاعتصار معناه الالتجاء ، كما قاله أَبُو القاسم على ابن حمزة البصري (فيما كتبه على كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري) وهذا نصُّ كلامه ، وفيه فوائد .

وأنشد أَبُو حنيفة للبعيث :

وذى أَشْرٍ كالأَقْحُوَانِ تَشُوفُهُ ذَهَابُ الصَّبَاوَالْمُعْصِرَاتُ الدَّوَالِحُ^(١)

وقال : الدوالح : الثُّقَالُ الَّتِي تَدْلَحُ بالماء . وَيُرَى^(٢) أَنَّهُ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً^(٣) ﴾ . وقال : قوم : إِنَّ الْمُعْصِرَاتِ الرِّيحُ ذَاتِ الْأَعَاصِيرِ ، وَهُوَ الرَّهَجُ وَالْغُبَارُ . قال الشاعر :
وَكَأَنَّ سُهْكَ الْمُعْصِرَاتِ كَسَوْنَهَا تَرْبَ الْفِدَافِدِ وَالنَّقَاعِ بِمُنْخَلٍ^(٤)

النَّقَاعُ : جَمْعُ نَقَعَ ، وَهُوَ الْقَاعُ مِنَ الْقَيْعَانِ . وَزَعَمُوا أَنَّ مَعْنَى مِنْ مَعْنَى الْبَاءِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِرَاتِ . وقال بعضهم : بل الْمُعْصِرَاتِ الْغَيُومُ أَنْفُسُهَا ، ذَهَبَ إِلَى مَعْنَى الْبَعِيثِ . وَلَا يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ

(١) اللسان (دلح ، عصر) .

(٢) ط : « و يروى » .

(٣) الآية ١٤ من سورة النبأ .

(٤) السبك : جمع سهوك ، وهى العاصف الشديدة المرور . وفى النسختين : « سهل »

صوابه فى اللسان والمقاييس (عصر) .

غير السحاب لقوله : « الدوالج » ، فتكون المعصرات التي أمكنت الرياح من اعتصارها واستنزال قطرها ، كما يقال أمضغ النخل وآكل^(١) وأطعم ، وأفرك الزرع ، إذا أمكن ذلك فيه . قال أبو القاسم : ألم أبو حنيفة بالصواب ثم حاد عنه . المعصرات : السحابات بعينها ، ولكنها إنما سميت بذلك بالعصر بفتحيتين ، والعصرة بالضم ، وهما الملجأ . قال الشاعر^(٢) :

فارسٌ يستغيث غير مُغاثٍ ولقد كان عَصْرَةُ المنجودِ
أى ملجأً المكروب . ونقول : أعصرني فلانٌ ، إذا ألجأك إليه .
واعصرت أنا اعتصاراً . قال عدى بن زيد :

لو بغير الماء خلق شرقُ . . . البيت

فمعنى المعصرات المنجيات من البلاء ، المعصمات من الجذب بالخصب ، لا ما قال أبو حنيفة ، ولا ما قال من قال : إنها الرياح ذات الأعاصير . فلا تلتفتن إلى القولين معاً . انتهى كلامه .

وكذا قال أبو عبيد : الاعتصار : الملجأ . والمعنى : لو شرقت بغير الماء أسغت شرقى بالماء ، فإذا غصصت بالماء فبم أسيفه ؟

وقد صار البيت مثلاً للتأذى ممن يرجى إحسانه . قال ابن عبد ربه (في العقد الفريد) : هذا البيت أول ما قيل في معناه . وقال آخر :

إلى الماء يسعى من يغصُّ بريقه فقل أين يسعى من يغصُّ بماء
وقال الأحنف بن قيس : « من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء » . وقال العباس بن أحنف :

(١) ط : « وأكل » ، صوابه في ش .

(٢) هو أبو زيد الطائي . ديوانه ٤٤ ، واللسان والمقاييس (عصر) والمخصص ٩ : ٩٦ .
والبيت من قصيدة يرثى بها ابن أخته الجلاج ، وكان قد مات عطشاً في طريق مكة .

قلبي إلى ما ضرّني داعي يُكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوّي إذا كان عدوّي بين أضلاعي

وقال آخر :

كنتُ من كُربتي أفرُّ إليهم فهم كُربتي فلّين الفرارُ ٥٩٧
والبيت من قصيدة لعدّي بن زيد ، يخاطب بها النّعمان بن المنذر ، صاحب الشاهد
وكان قد حبسه النّعمان . وقبله وهو أول القصيدة :

أبلغ النّعمان عني مألُكاً أنه قد طال حبسي وانتظاري
وأبلغ فعلُ أمر . والمألُك ، بسكون الهمزة وضم اللام : الرّسالة .
وقال الزجاج (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا ^(١) ﴾ : ومألُك : جمع مألُكة ، وأنشد هذا البيت .
وبقية القصيدة مذكورة (في العقد الفريد) و (في الأغاني)
وغيرهما .

وقد استعطفه عدوٌّ بعدّة قصائد فلم تنفعه شيئاً ، ثم قتله بعد مدّة
طويلة في الحبس . وقد ذكرنا سبب حبسه وكيفية قتله مع ترجمته
في الشاهد الستين ^(٢) .

* * *

(وأنشد بعده) :

يَقُولُونَ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَى فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
لما تقدّم في البيت قبله . وفيه التخريجان الآخران أيضاً .

(١) من الآية ٣٤ من البقرة ، و ٦١ من الإسراء ، و ٥ من الكهف ، و ١١٦ من طه .

(٢) الخزائن ١ : ٣٨١ - ٣٨٦ .

وقد تقدّم شرحه في الشاهد الخامس والستين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الستمائة ^(٢) :

٦٦٠ (تُرِيدِينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا

وَهَلْ يُجْمَعُ السِّيفَانِ وَيَحْكُ فِي غَمْدٍ)

على أَنَّ (كى) جاءت من غير سببية بعد فعل الإرادة . (وما) بعدها زائدة ، والفعل منصوب بحذف النون ، والنون الموجودة للوقاية .

قال التبريزي (في شرح الكافية) : فجوّز الفصلُ بين كى وبين الفعل بلا النافية بالاتفاق ، كقوله تعالى : ﴿ كَيْلًا يَكُونُ دُولُهُ ^(٣) ﴾ وبلا الزائدة كقول قيس بن سعد بن عبادة :

أردت لكيلا يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

وقد فصل بينهما بما الزائدة ولا النافية ، كقول الآخر :

أرادت لكيلا لا تراني عشيرتي ومن ذا الذي يُعطى الكمال فيكمل ^(٤)

ولا يجوز الفصل بينهما بغير ما ذكر . اهـ .

صاحب الشاهد والبيت أول أبيات خمسة لأبي ذؤيب الهذلي ^(٥) . وبعده :

أبيات الشاهد (أخالد ما راعيت من ذى قرابة فتحفظنى بالغيب أو بعض ما تبدى

دعاك إليها مقلتها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد

(١) الخزانة ٣ : ٦٠ - ٦٢ .

(٢) مع الهوامع ٢ : ٥ وديوان الهذليين ١ : ١٥٩ وشرح السكري ٢١٩ .

(٣) الآية ٧ من سورة الحشر .

(٤) انظر ما سبق في ٤٨٦ . وصواب روايته : « أردت لكيلا لا ترى لى عشرة » . كافي

الجمع ومعاني الفراء ١ : ٢٦٢ .

(٥) الهذلي ، ساقطة من ش .

فكنتَ كرقراق السّراب إذا جرى لقوم وقديبات المطيُّ بهم تَخْدِي^(١)
فآليتُ لا أنفكُ أحدُو قصيدةً تكون وإياها بها مثلاً بعدى^(٢))

وسبب هذه الأبيات أنّ أبا ذؤيب كان يَعشَق امرأةً اسمها أمُّ عمرو ،
وكان رسوله إليها خالدًا ، وهو ابنُ أخت له وقيل ابن عمٍّ له ، وكان
جميلاً ، فعشِقته أمُّ عمرو ، فلما أيقن أبو ذؤيب بغدير خالد صرَمَها ،
فأرسلت تترضّاه فلم يفعل ، وقال هذه الأبيات .

٥٩٨

وكان أبو ذؤيب فعَل كذلك برجل يقال له مالك بن عُويمٍ ،
وكان رسوله إليها .

وتقدّم شرح هذه القصّة مبسوطاً بأبسط من هذا في الشاهد الثامن
والأربعين بعد الثلثمائة^(٣) .

وجرى بين أبي ذؤيب وبين خالدٍ أشعارٌ مذكورةٌ في أشعار الهذليّين ،
منها قول خالدٍ يجيبه ، قصيدةٌ على هذا الرويِّ والوزن :

فلا تجزَعَنَّ من سُنَّةٍ أنتَ سِرَّتَها فأولُّ راضٍ سُنَّةٌ من يَسِيرُها
وقوله : (تريدان كما تجمعينى وخالدًا) هكذا رواه السّكريُّ وغيره .

ورواه ابن السّكّيت (في إصلاح المنطق) وصاحب الصحاح :

* تريدان كما تَضْمِدِينِي وخالدًا *

وقال : الضمّد : أن تتخذ المرأة خليلين ، وفعله من باب ضرب .

و (هل) للاستفهام الإنكارى . و (الغمد) بالكسر : قراب

(١) في شرح السّكري : « يَخْدِي » بالياء .

(٢) في ديوان الهذليّين وشرح السّكري : « فأقسمت » . وفي ديوان الهذليّين : « أدعك

وإياها بها مثلاً » .

(٣) الخزائن ٥ : ٨٣ - ٨٦ .

السَّيْف . وفي أمثال العرب : « لَا يُجْمَعُ سَيْفَانِ فِي غَمَدٍ ، وَلَا فَحْلَانِ فِي دَوْدٍ » .

وقد استعمل هذا المصراعُ مثلاً ، قال الزَّمخشرى (في أمثاله) : هو من قول أبي ذؤيب . يُضْرَبُ فِي قَلَّةِ الْإِتِّفَاقِ . اهـ .

ومنه قول يزيد بن خُذَّاق^(١) الشَّئِيَّ ، من قصيدة مذكورة في المفضليات :

لَنْ تَجْمَعُوا وَدِّي وَمَعْتَبِي أَوْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ فِي غَمَدٍ^(٢)
وقول العُدَيْلِ بْنِ الْفُرْخِ الْعِجْلِيِّ^(٣) ، من قصيدة مذكورة في الحماسة :

وَعَلَّ النَّوَى بِالْدارِ تَجْمَعُ بَيْنَنَا وَهَلْ يَجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيُحْكُ فِي غَمَدٍ
وقوله : « أَخَالَ مَا رَاعَيْتَ » إلخ ، الحمزة للنداء . قال السكري : أراد فتحفظني بالغيب ، أو في بعض ما تُظْهِرُ لِي مِنَ الْإِخَاءِ وَالْمُودَةِ . وَالْقَيْبُ : السَّرُّ .

وقوله : « فَكُنْتُ كَرَقْرَاقٍ » إلخ ، قال السكري : يقول^(٤) : ظَنَنْتُ أَنَّ

(١) خُذَّاق ، بالذال المعجمة المشددة . قال ابن دريد في الاشتقاق ٣٣١ : « فعال من قولهم : خَذَقَ الطَّائِرُ وَخَزَقَ ، إِذَا رَمَى بِذَرْقِهِ » . وفي النسختين : « خُذَّاق » بالحاء المهملة ، تصحيف . ويزيد هذا شاعر جاهلي من شعراء عبد القيس . قال أبو عمرو بن العلاء : ليزيد بن خُذَّاق هذا أول شعر قيل في ذم الدنيا ، وهو :

هَلْ لَفَتِي مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقٍ أَمْ هَلَلْ لَهْ مِنْ حَمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقٍ
(٢) المفضليات ٢٩٦ ، والمعتبة : الموجدة ، والمعاداة .

(٣) سبقت ترجمته في ٥ : ١٦٠ - ١٦١ ، وهو بضم العين على هيئة التصغير . والفُرْخُ بضم الفاء ، كما قيده البندادي . وقيده التبريزي بالفتح ، إذ قال : « الفُرْخُ أصله في ولد الطائر » .
(٤) القصيدة في الحماسة ٧٢٩ بشرح المروزقي ٢ : ٢٤٩ بشرح التبريزي . وليس في أبيات هذا البيت . ويقول أبو رياش : « ليست هذه الأبيات للعديل ، وهي قصيدة طويلة لأبي الأخيل العجلي ، قالها في آخر أيام بني أمية » .

لك أمانة ، فكنت كالسراب الذى يكذب من رآه ، يظن أنه ماء وليس بماء ، وكذلك أنت .

وقوله : « فآليت » إلخ هذا البيت من شواهد النحويين فى باب المفعول معه . وآليت : حلفت . ولا أنفك : لا أزال . وأحدو^(١) ، رواه السكرى بالدال المعجمة لا غير ، بمعنى أطابق . قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى أحدو : أصنع وأهيئ كما تُحدى النعل على العِثال ، إذا سُويت عليه . ومن روى « أحدو » بدال غير معجمة فهو من قولهم : حدوت البعير إذا سقته وأنت تتغنى فى أثره ، لينشط فى السير .

ونقل العيني عن ابن يسعون أنه قال على هذه الرواية : عندى فى « أحدو » ثلاثة أوجه :

الأول : أن يريد أحدو قصيدة إليك ، أى أسوقها حادياً ، كما يفعل الحادى بالإبل عند سوقها ، لأنه يتغنى ، وإنما أراد بذلك الشهرة .

الثانى : أن يريد أحدو غدرتك لى قصيدة أبلغ بتخليدها فيك أملى . فحذف المفعول للحال الدالة عليه ، ونصب قصيدة نصب المصدر ، أى حدو قصيدة ، فلما حذف المضاف أقام المضاف إليه مقامه .

الثالث : أن يريد : أتحدى لها وأتبعها ناظماً لها ، حتى كأنه قال : أوالى قصيدة .

ثم قال العيني : وقال السكرى : أحدو معناه أغنى ، فعلى هذا ينبغي أن يكون قوله قصيدة مفعولاً بإسقاط حرف الجر ، وهو الباء . ١٠٨ .

(١) ش : « وأحدو » بالدال المهملة .

أقول : إِنَّ السَّكْرَى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا ، بدال مهملة ، فكيف يفسرها بما ذكر . وإنما أحذو معناه أسوق ، فلا حذف^(١) .

٥٩٩

وقوله : « تكون وإياها » إلخ قال ابن السَّيِّد : تكون في موضع الصفة لقصيدة ، وهي صفةٌ جَرَتْ على غير من هي له ، ولو جعلتها صفةً محضة لبرز الضمير الفاعل المستتر فيها ، وكنت تقول : كائناً بها أنت وإياها . والضمير في قوله (وإياها) يعود على المرأة ، كأنه قال : حلفت لا أزال أصنع قصيدةً تكون مع هذه المرأة مثلاً بعدى ، أى إنها تبقى ما بقى الدهر .

قال العيني : فإن قلت : كيف يكون مثلاً خبراً والتطابق شرط ؟ قلت : هو مفرد وقع موقع التثنية ، وكذلك قد يقع موقع الجمع لما فيه من العموم المقتضى للكثرة . هذا كلامه فتأمل .

قال أبو عليّ : نَصَبَ وإياها على المفعول معه بتوسطِ الواوِ لما لم يمكنه العطف ، فيقول : « تكون وهي » ، لأمرين : أحدهما كسر البيت لو فعل ذلك ، والثاني قبح العطف على الضمير المرفوع وهو غير مؤكَّد . وقال ابنُ بَرِّي (في شرح أبيات الإيضاح لأبي علي) : لما لم يمكنه العطف على الضمير في تكون من غير تأكيد نصب على معنى مع . وكان أبو الحسن يذهب إلى انتصابه على الظرف كما كانت مع ، فلما حذفت وقامت الواو مقامها انتصب الاسم على ذلك المعنى ، ودخلت مهيةً لعمل الفعل فيه ونصبه على الظرف . ومعنى العطف قائمٌ فيها وجائزٌ فيها ، ولذلك لم تعمل الجرُّ كما لا تعمله حروف العطف ، بخلاف

(١) الحق والإنصاف أن السَّكْرَى رواها « أحذو » بالذال المعجمة ، ثم إنه قال في الشرح : « من قال أحذو قال أقول ، ومن قال أحذو قال أغنى » . فقد أتى بالروايتين .

واو القسم لَأَنَّ معنى العطف معدومٌ فيها . والصواب مذهبُ الجمهور لأنَّ وجود معنى العطف فيه يناقِ الظرفية ، لأنَّ العطف في التقدير من جملة أخرى والظرف من الجملة الأولى ، ولأنَّ تقديره بني بعيدٌ ، إذ لا يجوز تقديرها قبل الواو لفصلها بين الجار والمجرور ، ولا بعدها لفصلها بين الفعل وما تعلّق به . انتهى كلامه .

وقال السكري : روى الباهليُّ : « أَذَعَكَ وَإِيَّاهَا » ، ويروى ^(١) : « أَذْرَكَ وَإِيَّاهَا » فجزم لكثرة الحركات . وروى أيضاً .

* تكونان فيها للملأ مثلاً بعدى ^(٢) *

وعلى هذه الروايات الثلاث لا شاهد فيه .

وترجمة أبي ذؤيب ، وهو شاعر إسلامي ، تقدّمت في الشاهد السابع والستين ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والستون بعد السّائة ^(٤) :

٦٦١ (ولا صَلَحَ حَتَّى تَضْبَعُونَ وَنَضْبَعَا)

على أَنَّ (حَتَّى) فيه ابتدائية والفعل بعدها مرفوع بثبوت النون ، ونصب (نضبع) بالعطف على توهم نصب ما قبله .

وهذا على رواية ثعلب (في أماليه) عن ابن الأعرابي ، قال : والمعنى : تملّون ^(٥) أيديكم إلينا بالسيوف ونمُدُّ أيدينا . وكذا قال ابن السكيت (في إصلاح المنطق) : أي تملّون إلينا أضباعكم بالسيوف ونمُدُّ

(١) ط : « ويرى » ، صوابه في ش .

(٢) الذي عند السكري ٢١٩ : « ويروى : أَذْرَكَ وَإِيَّاهَا . الأصمعي : أَذَعَكَ » ، فقط .

(٣) الخزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٤) مجالس ثعلب ٥٠ وإصلاح المنطق ١٩٦ ثالثة واللسان (ضج ٥٨) .

(٥) في النسختين : « حتى تملّون » تحريف . والذي في المجالس : « قال تملّون » .

إليكم أظباعنا بالسيوف. قال : وقد صَبَعَت الخيلُ والإبلُ تَضْبَع ، بفتح الباءِ فيهما ، ضَبْعاً بسكونها ، إذا مَدَّتْ أظباعها في عَدْوِها ، وهي أعضادُها . ومنه هذا البيت . لكنَّه رواه بالنصب .

وتبعه صاحب الصحاح هكذا :

* ولا صلَحَ حتَّى تَضْبَعُونَا ونَضْبِعَا *

فحتَّى فيه جارة ، وتضْبَعُونَا منصوب بأنَّ على حذف النون ، ونَا ضميرُ المتكلم مع الغير مفعوله ، والفعل مستقبل ، ولا حاجة لتأويله بالحال ، ويكون نصب نضبع بالعطف عليه ظاهراً من غير ادعاء توهم .

وفسره أبو عمرو بن العلاء ، كما نقله صاحب الصحاح : بقوله : أى حتَّى تضْبَعُونَ للصلح والمصافحة^(١) . وقد جاء نظائره بالنصب منها ما أنشده صاحب العباب ، قال : وضَبَعَت الرجلَ : مَدَدَتْ إليه ضَبْعِي للضرب ، قال عمرو بن الأسود ، أحد بني سُبَيْع ، وكانت امرأة اسمها غُضُوبٌ هَجَتْ مِرْبَعَ بنِ سُبَيْع ، فقتلها مِرْبَع ، فعرض قومٌ مِرْبَع الدَّيَّةَ فَأَبَى قَوْمُهَا :

كذبتُم وبيتَ الله نَرَفَعُ عَقْلَهَا عن الحقِّ حتَّى تَضْبَعُوا ثم نَضْبِعَا
أى حتَّى تَمْدُدُوا إلينا أظباعكم بالسيوف ونَمْدُ أظباعنا إليكم . وقال أبو عمرو : أى حتَّى تَضْبَعُوا للصلح والمصافحة . انتهى

والضَّبْعُ ، بسكون الموحدة وفتح الضاد المعجمة : العضد ، وقيل من العضد : وَسَطُهُ بلحمه ، يقال أَخَذْتُ بِضَبْعِي فلانٍ فلم أَفَارِقْهُ . ومَدَدْتُ

(١) كلمة « حتَّى » ليست في الصحاح .

(٢) البيت من شواهد سيويه ١ : ٢٢ بولاق ١ : ٤٧ هارون .

بضْبُعِيهِ ، إِذَا قَبِضْتَ وَسَطَ عَضْدِيهِ . ومنها قول عمرو بن شَأْسِ الجاهلى
من قصيدة :

بَنَى أَسَدٌ هَلْ تَعْلَمُونَ بِلَاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا
إِذَا كَانَتْ الْحَوُ الطُّوَالُ كَأَنَّمَا كَسَاهَا السَّلَاحُ الْأَرْجُوانَ الْمُضْلَعَا
نَذُودَ الْمُلُوكَ عَنْكُمْ وَتَذُودَنَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَضْبِعُوا ثُمَّ نَضْبَعَا^(١)
والبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الثَّلَاثَةِ اسْتَشْهَدَ بِهِ سَبْيُوهُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الشَّاعِرُ
إِذَا كَانَ الْيَوْمُ يَوْمًا . وَأَضْمَرَ لِعَلِّمِ الْمَخَاطِبَ ، وَمَعْنَاهُ إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِى
يَقَعُ فِيهِ الْقِتَالُ . قَالَ سَبْيُوهُ : وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَنْشُدُهُ :
* إِذَا كَانَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبَ أَشْنَعَا *

ومعنى كان فى الوجهين معنى وقع ، ويوماً منصوب على الحال ،
وأشنعاً حال أيضاً مؤكدة على الرواية الثانية . وزعم المبرد أنه خبر كان ،
ورُدُّوا عليه بأنه لا فائدة فى هذا الإخبار^(٢) .

وَالْحَوُ : جَمْعُ أَحْوَى ، أَرَادَ بِهِ أَنَّ الْخَيْلَ السُّودَ قَدْ صُبِغَتْ بِدَمِ
الْأَعْدَاءِ حَتَّى صَارَتْ كَالْأَرْجُوانِ .

وتضبعون هنا ظاهرٌ فيما فسره أبو عمرو بن العلاء .

والبَيْتُ الشَّاهِدُ لَمْ أَقِفْ عَلَى تَمَتُّهِ ، وَلَا عَلَى قَائِلِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣) .

* * *

(١) لم يرو سبويه هذا البيت ، بل روى سابقيه فقط .

(٢) رواية البيت عند المبرد فى المقتضب ٤ : ٩٦ تخالف ما هنا . وفيه :

فَلدى لَبْنَى ذَهْلٍ بَنَ شِيَانَ نَاقَتِي إِذَا كَانَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبَ أَشْنَبِ

وهو بيت آخر لقائل آخر هو مقاس المائذى ، ولكن موضع الكلام فى « إِذَا كَانَ يَوْمًا » .

(٣) سبويه ١ : ٤٢٣ ، ٤٤٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٤ والمقتضب ١ : ١٩٧ .

وابن عيش ١ : ٢٧٩ والمقرب ١ : ٢٦٣ والمغنى ١٧٥ وشرح شواهد المغنى ١٦٩ والشذور

٢٢٢ والعينى ٤ : ٤٩٠ والهمع ١ : ٧٧/٢ : ١٠ ، ١٦ ، ٧٣ والأشعرون ٣ : ٣٠٥ .

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد السثمائة ، وهو من شواهد سيويه :

٦٦٢ (سَأَتْرُكَ مَنْزِلَ لِبْنِي تَمِيمٍ وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا)

على أَنَّ (أَسْتَرِيح) جاء منصوباً بعد الفاء في ضرورة الشعر ، فيما ليس فيه معنى النقي أصلاً .

قال سيويه : وقد يجوز النصب في الواجب في اضطرار الشعر ، ونصبه في الاضطرار من حيث انتصب في غير الواجب ، وذلك لأنك تجعل أَنَّ العاملة . فمما نُصِب في الشعر اضطراراً قوله :

سَأَتْرُكَ مَنْزِلَ لِبْنِي تَمِيمٍ البيت

وهو ضعيف في الكلام . انتهى

قال الأعلام : ويروى : « لأَسْتَرِيحَا » ، ولا ضرورة فيه على هذا .

وقال ابن السراج (في الأصول) : جعل لحاقه بالحجاز سبباً لاستراحته ، فتقديره لما نُصِبَ كأنه قال : يكون لحاقاً فاستراحة . وقد جاء مثله في الشعر لقوم فصحاء ، إلاَّ أَنَّهُ قبح النصب في العطف على الواجب الذي على غير شرطه ، لأنَّه قد جُعِل لهذا المعنى آلاتٌ ، وكان حقُّ الكلام أن يقولَ : لو كان في غير شعر : وألحقُ بالحجاز فإذا لحقتُ استرحت ، أو وإن ألحقُ أسترخ . ومع ذلك فإنَّ الإيجاب على غير شرط أصلُ الكلام ، وإزالة اللَّفظ عن جهته في الفروع أحسن منها في الأصول ، لأنَّها أدلُّ على المعاني . انتهى

ونقل أبو على هذه العبارة بعينها (في التذكرة) .

وأورد ابن عصفور (في كتاب الضرائر) لهذا البيت نظائر ثم قال :

لَمَّا اضْطُرَّ إِلَى استعمال النصب بدلَ الرفع حُكِمَ لها حُكْمُ الْأَفْعَالِ الواقعة بعد الفاء في الأجوبة الثّانية ، فنُصِبَ بِإِضْمَارِ أَنْ ، وتَوَوَّلَتِ الْأَفْعَالُ التي قبلها تأويلاً يوجب النصب ، فحُكِمَ لقوله وألحق بالحجاز بحُكْمِهِ : ويكون ^(١) مني لحاقُ بالحجاز فاستراحة ، فعُطِفَتْ بالفاء على المصدر المتوهم . انتهى .

فقول الدماميني (في الحاشية الهندية) : النصب على حدّ :

* وَلُبْسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي *

غير جيّد . وقال أيضاً : للقائل أن يقول : لا نَسْلَمُ ^(٢) أَنَّ أَسْتَرِيح منصوب ، بل هو مرفوع مؤكّد بالنون الخفيفة موقوفاً عليها بالألف ، وتأكيّد مثل هذا جائز في الضرورة . قال سيّويه : يجوز للمضطرّ : أَنْتَ تَفْعَلَنَّ . ولا شكَّ أَنَّ التّخريج على هذا متّجه ، بخلاف التّخريج على النصب مع فقد شرطه .

هذا كلامه ، وهو من باب غسل الدم بالدم ، لأنّه تَفَصَّى من ضرورة ولجأ إلى ضرورة ، وشرط كلّ من النصب والتأكيّد مفقود .

ونقل الدماميني أَنَّ بعضهم رام تخريجه على النصب في جواب النفي المعنويّ المستفاد من قوله : « سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي » ، إذ معناه : لا أقيم به . ثمّ تعقّبه بأنّه غير متّجه ، لأنّ جواب النفي منفيٌّ لا ثابت ، نحو : ما جاء زيد فأكرمه ، بالنصب ، والاستراحة ثابتة لا منفية .

والبيت لم يعزه أحدٌ من خدّمة كتاب سيّويه ^(٣) إلى قائلٍ معيّن .

(١) ويكون ، ساقطة من ش ثابتة في ضراثر ابن عصفور ص ٢٨٥ .

(٢) ش : « أن يقول لأنّ » وكتب في حواشيا : « كذا بخط المؤلف والصواب لا نسلّم » .

(٣) في النسختين : « كلام سيّويه » وكتب في حواشيا ش : « كذا بخطه ، والصواب :

خدّمة كتاب » . وانظر ما كتبت في مقدّمة سيّويه ١ : ١١ من نسختي .

المغيرة بن حَبْنَاء ونسبه العيني وتبعه السيوطي (في أبيات المغني) إلى المغيرة بن حَبْنَاء ابن عمرو بن ربيعة الحنظلي التيمي . وقد رجعتُ إلى ديوانه وهو صغير فلم أجده فيه .

والمغيرة شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وغالب شعره^(١) هجوٌ في أخيه صخر .

وقال صاحب الأغاني : وَحَبْنَاءُ : لقبٌ على أمه غلب على أبيه ، واسمه حُبَيْن . هاجى زياداً الأعجم . وَحَبْنَاءُ ، بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها نون وألف ممدودة . وَحُبَيْن بضم المهملة وفتح الموحدة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الستائة ، وهو من شواهد سيبويه^(٣) :

٦٦٣ (أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ)

هذا صدرٌ وعجزه .

(وَهَلْ تُخْبِرُنَا الْيَوْمَ بَيِّدَاءَ سَمَلَقُ)

على أن ما بعد فاء السببية قد يبقى على رفعه قليلاً وهو مستأنف .

وأنشد سيبويه هذا البيت وقال : لم يَجْعَلِ الأوَّلَ سببَ الآخر ، ولكنه جعله ينطق على كلِّ حال ، كأنه قال : وهو ممَّا ينطق ، كما قال : ائتنى وأحدثك ، فجعل نفسه ممن يحدثه على كلِّ حال . وزعم

(١) ط : « وقال شعره » ، صوابه في ش .

(٢) سيبويه ١ : ٤٢٢ . وانظر معاني القرآن ١ : ٢٧/٢ : ٢٢٩ والجمل ٢٠٤

والأغاني ٨ : ١٤٥ وابن يعيش ٧ : ٦٣ والشذور ٣٠٠ والمغني ١٦٨ والعيني ٤ : ٤٠٣

والتصريح ٢ : ١١ ، ١٣١ وديوان جميل ١٤٤ .

يونس أنه سمع هذا البيت باللم . وإنما كتبت ذا لثلاً يقول انسان فلعل
الشاعر قال : ألا . انتهى .

قال أبو جعفر النحاس عن أبي إسحاق قال : إنه تقرير ، معناه
إنك سألته . فيقبح النصب لأن المعنى يكون : إنك إن تسأله ينطق .
ويمنع سيويه أن يروى : « ألا تسأل الربع » لأنه لو رواه كذا حسن
النصب ، لأن معناه فإنك إن تسأله ينطق . قال أبو الحسن : ألم تر أن
الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة^(١) . والقواء : التي لا تنبت .
والسملق : الخالية . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع ينطق على الاستثناف والقطع ، على
معنى فهو ينطق ، وإيجاب ذلك له . ولو أمكنه النصب على الجواب لكان
أحسن . والربع : المنزل . والقواء : القفر . وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه
وتغيره . ثم حقق أنه لا يجيب ولا يخبر سائله ، لعدم القاطنين به .
والبيداء : القفر . والسملق : التي لا شيء بها . انتهى . ٦٠٢

وأورده الفراء عند هذه الآية (من تفسيره) قال : رفعت فتصبح
لأن المعنى في ألم تر معناه خبر ، كأنك قلت في الكلام : أعلم أن الله
ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض . وهو مثل قول الشاعر^(٢) :

* ألم تسال الربع القديم فينطق *

أي قد سألته فنطق . ولو جعلته استفهاماً وجعلت الفاء شرطاً لنصب ،
كما قال الآخر :

(١) الآية ٦٣ من سورة الحج . وكذا ورد الكلام في النسخين .

(٢) هو جميل . ديوانه ١٤٤ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* وهل تخبرنك اليوم بيدا سملق *

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الدِّيارَ عَنْ الْحَيِّ الْمَضَلَّلِ حَيْثُ سَارَا^(١)
وَالْجَزْمُ فِي هَذَا الْبَيْتِ جَائِزٌ ، كَمَا قَالَ :

فَقُلْتُ لَهُ صَوِّبْ وَلَا تُجْهِدْنَهُ فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى الْقَطَاةَ فَتَبْزَنْقِ^(٢)
فَجَعَلَ الْجَوَابَ بِالْفَاءِ كَالْمَسْوُوقِ عَلَى مَا قَبْلَهُ . انْتَهَى .

وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : قَصَدَ الشَّاعِرُ نَفْيَ السُّؤَالِ فَرَفَعَ . وَقَدْ جَوَّزُوا فِيهِ
النَّصْبَ وَالْجَزْمَ لَوْلَا أَنَّ الرُّوْيَ مَرْفُوعٌ .
وَهَذَا هُوَ مَا نَقَلْنَاهُ عَنِ الْفَرَاءِ .

وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) : الْفَاءُ فِيهِ لِلِاسْتِثْنَاءِ ، أَيْ فَهُوَ
يَنْطَقُ ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ لِلْعُطْفِ لَجَزِمَ مَا بَعْدَهَا ، وَلَوْ كَانَتْ لِلْسَّبَبِيَّةِ لَنْصَبَ ،
فَقَدْ قَالَ شُرَاحُهُ : الْمُلَازِمَةُ الثَّانِيَّةُ مَمْنُوعَةٌ ، فَقَدْ تَتَحَقَّقُ^(٣) السَّبَبِيَّةُ مَعَ
رَفْعِ الْفِعْلِ ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴾^(٤) . نَعَمْ
الْأَكْثَرُ مَعَ السَّبَبِيَّةِ النَّصْبُ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْمُلَازِمَةَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى
الْأَكْثَرِ .

وَهَذَا الْإِعْتِرَاضُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ هُنَا .

وَالْبَيْتُ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ لَجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ الْعُذْرِيِّ . وَبَعْدَهُ :

صاحب الشاهد

(١) ويروى : « حيث سارا » . معاني الفراء ٢ : ٢٢٩ .

(٢) نسب في اللسان (ذرا ٣٠٩) إلى امرئ القيس ، وليس في ديوانه طبعة هندية ولكنه
في ديوانه ١٧٤ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ونسبه سيويه في كتابه ٣ : ١٠١ إلى
عمرو بن عمار الطائي . ط : « فيدرك » ، صوابه بالذال المعجمة كما في ش والديوان .

(٣) ط : « يتحقق » .

(٤) الآية ٥٦ من سورة المرسلات . ونصها : « ولا يؤذن لهم » .

(بمختلف الأرواح بين سويقة وأحذب كادت بعد عهدك تُخلق^(١) أبيات الشاهد
 أضرت بها النكباء كل عشيّة ونفح الصبا والوابل المتبع^(٢)
 وقفت بها حتى تجلّت عماتي وملّ الوقوف الأرحي المنوق^(٣)
 وقال خليلي إنّ ذا لصّابة ألا تزجر القلب اللجوج فيلحق^(٤)
 تعزّ وإن كانت عليك كريمة لعلك من أسباب بثنة تعتق
 فقلت له إنّ البعاد يشوقني وبعض بعاد البين والنأي أشوق
 روى صاحب الأغاني عن الهيثم أنّ جميلًا طال مقامه بالشام ، ثم
 قدّم وبلغ بشينة خبره ، فراسلته مع بعض نساء الحيّ تذكّر شوقها إليه
 ووجدّها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها وحادثها طويلا
 وأخبرها بحالهِ بعدها ، وقد كان أهلها رصّدوها ، فلما فقدوها تبعها
 أبوها وأخوها حتّى هجما عليها ، فوثب جميلٌ فسلّ سيفه وشدّ عليهما
 فاتّقياهُ باذرب ، وناشدته بشينةً بالانصراف وقالت : إنّ أقمت
 فضحّنتي ، ولعلّ الحيّ أن يلحقسوك ! فأبى وقال : أنا مُقيمٌ وامضى أنتِ
 وليصنعوا ما أحبّوا ! فلم تزل به تناشده حتّى انصرف. وقال في ذلك وقد
 هجرته مدّةً طويلة ولم تلقه^(٥) ، هذه القصيدة وهي طويلة .

قوله : (ألم تسأل الربع) الخ قال اللخميّ (في شرح أبيات الجمل)
 الربع : الدار بعينها حيثما كانت . والمربع : المنزل في الربع خاصة .

(١) الأحذب : جبل في ديار بني فزارة ، أو هو موضع كما سيأتي في الشرح .

(٢) ط : « ونفح » ، صوابه في ش والديوان .

(٣) الديوان : « المنتريس المنوق » .

(٤) الديوان : « إنّ ذا لسفاهة » .

(٥) ش : « فلم تلقه » .

٦٠٣ والقَوَاءُ : القفر . يقال رُبِعُ قَوَاءٌ ودارٌ قَوَاءٌ ، أى خالية . والبيداءُ : القفر الذى يُبِيدُ مَنْ سَلَكَه ، أى يُهْلِكُه . والسَّمْلَقُ : الأرض التى لا تنبتُ شيئاً ، وقيل هى السَّهْلَةُ المستوية . ومفعول تَسَّالَ الثانى محذوف ، والتقدير : ألم تَسَّالَ الربع عن أهله فينطق . انتهى .

وقال ابن السِّيد : ومعنى نُطِقَ الربع ما يتبين من آثاره . والعرب تسمي كلَّ دليل نُطْقاً وقولاً وكلاماً . قال الله تعالى : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ^(١) ﴾ : ومنه قول زهير :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

أى لم يكن بها أثر يُسْتَبان لقدم عهدِها بالنزول فيها ونحوه . انتهى . وقوله (وهل تُخْبِرُنكَ ^(٢) اليوم) إلخ ردٌّ على نفسه بأن مثله لا ينطق فيجيب . وهذا رجوعٌ إلى الحقيقة بعد المجاز . ومثله ما أنشده أبو الفرج الأصبهاني (فى الأغاني) لمحمد بن عبدالله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار ، من مخضرمى الدولتين ، يمدح المهدي :

سَلَا دَارَ لَيْلَى هَلْ تُبَيِّنُ فتنطقُ وَأَنْتَى تردُّ القولَ ببداءِ سَمْلَقٍ ^(٣)
وَأَنْتَى تردُّ القولَ دَارٌ كَأَنَّهَا لِطَوْلِ بِلَاها والتَّقَادُمِ مُهَرَّقُ
وقوله (فينطق) الفاء للاستئناف ، وجملة ينطق خبر مبتدأ محذوف ، أى فهو ينطق . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وهو الله فى السمواتِ وفى الأرضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ^(٤) ﴾ : يعلم جملة مستأنفة أى هو يعلم سرَّكم .

(١) الآية ٢٩ من سورة الجاثية .

(٢) ط : « وهل يخبرنك » .

(٣) الأغاني ٣ : ٨٥ .

(٤) الآية ٣ من سورة الأنعام .

قال التفّازانى : جرت عادته فى مثل هذا بتقدير المبتدأ ، ولا يظهر له وجهٌ يعتدُّ به . وقال (فى التلويح) فى قوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ^(١) ﴾ هكذا قال جار الله (فى الكشف والمفصل) ، فيقدّر المبتدأ فى جميع ما هو من هذا القبيل . وفيه نظرٌ لأنّ الجملة الفعلية صالحة للابتداء من غير احتياج إلى تقدير مبتدأ .

وفى شرح التسهيل (للدّمامينيّ) : النحويون يقدّرون فى الاستثناف مبتدأ ، وذلك إمّا لقصد إيضاح الاستثناف ، وإمّا لأنّه لا يستأنف إلّا على هذا التقدير . وإلّا لزم العطف الذى هو مقتضى الظاهر . انتهى .

قال شيخنا الشهاب الخفاجى فى بعض رسائله : حاصله أنّ الجملة المضارعية المستأنفة يقتضى كلامُ المفسرين والنُّحاة أنّه لا بدّ فيها من تقدير ضمير مبتدأ . واستشكله المتأخرون بأنّه لا ضرورة تدعو إليه ، فإنّه يجوز الاستثناف بدونه . ولم يدفعه أحد ، فظنّوا أنّه واردٌ غير مندفع . ولما تأملت ما قالوه حقّ التأمل ظهر لى أنّ الحق ما قالوه ، وأنّه لا بدّ من هذا التقدير ، لأنّك إذا وقفت على قوله : فى الأرض) من غير تقدير لم يقع موقعه ، إذ لم يُفدّ ما يحسن السكوت عليه . والضمير المستتر حقّ لا يظهر بادى الرأى . فإذا قلت يعلم لم يُعلم من العالم . فإذا كان المبتدأ ظاهراً أو [فى] ^(٢) حكمه علم المراد . ونظيره النعت المقطوع إذا رفع ، يقدّر قبله ضمير لأنّه مفرد لا يفيد إلّا على ذلك التقدير . وبهذا تبين أنّ الاعتراض من الغُفول ، عمّا قصده هؤلاء هؤلاء الفحول . وهو معنى قوله (فى شرح التسهيل) : وإلّا لزم العطف ،

(١) الآية ٧ من آل عمران .

(٢) تكلّة يفتقر إليها الكلام .

أى بطل الاستثناف وكان خبراً ثانياً . وكيف يُتردّد في مثله بعد اتفاق النحاة عليه .

إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَبَيِّنُوا أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ وَاجِبٌ أَوْ لَا . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَاجِبٌ . وَهَذَا مِنْ مَهْمَاتِ الْمَقَاصِدِ . انْتَهَى كَلَامُ شَيْخِنَا .

وما ذكره بحثاً هو كلام الشارح المحقّق عند كلامه على قول الشاعر :
غير أَنَّا لَمْ تَأْتِنَا بَيِّقِينَ فَنَرَجَّى وَنَكْثَرَ التَّأْمِيلَا^(١)

٦٥٤

بعد نحو ورقة من هذا الموضع .

وقول شيخنا : « أى بطل الاستثناف وكان خبراً ثانياً » فيه أَنَّ الخبر المتعدّد يجوز فيه العطف ولم يجب كما بين في محله .

وقوله : « بِمُخْتَلَفِ الْأَرْوَاحِ » إلخ الباء للسببية . وَالْمُخْتَلَفُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي تَهَبُّ فِيهِ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ . وَسُؤْيُقَةٌ بِالتَّصْغِيرِ ، وَأَحْدَبُ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ لَا بِالمثلثة : مَوْضِعَانِ . وَتَخَلَّقَ : تَبَلَّى ، يُقَالُ خَلَقَ الثَّوْبَ بِالضَّمِّ ، إِذَا بَلَى ، فَهُوَ خَلَقَ بِفَتْحَتَيْنِ . وَأَخْلَقَ الثَّوْبُ بِالْأَلْفِ لَفَةً .

وقوله : « أَضَرَّتْ بِهَا النُّكْبَاءُ » إلخ . النُّكْبَاءُ : كُلُّ رِيحٍ تَهَبُّ بَيْنَ مَهَبِّ رِيحَيْنِ ، لِأَنَّهَا نَكَبَتْ عَنْ مَهَبِّهَا ، أَيْ عَدَلَتْ . وَنَفَحَتْ الرِّيحُ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، أَيْ هَبَّتْ ، مِنْ بَابِ نَفَعَ . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الْعَظِيمُ الْقَطْرُ . وَالتَّبَعُّقُ ، بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ الْمَكْسُورَةِ : الشَّدِيدُ الْمَطَرُ . يُقَالُ تَبَعَّقَ الْمُزْنُ ، إِذَا سَالَ بِشِدَّةٍ .

والْعَمَاية بفتح المهملة بعدها ميم : الضَّلالة ، وهي من عَمَى القلب .
 وروى : « غياقتي » بالغين المعجمة . والغيابة : الظُّلْمَة ، وقعرُ البئر ونحوها .
 والأَرْحِيُّ : الجمل النجيب ، منسوبٌ إلى أَرْحَبٍ بالحاء المهملة : قبيلة ،
 وقيل فحل ، وقيل موضع . وروى بدله : « العنتريس » ، وهو الجمل
 الشَّدِيد الصلب . والمنوَّق : المذلل كالنَّاقَة .

وقوله : « لعلك من أسبابِ بَثْنَةٍ » روى بدله « لعلك من رِقِّ لبثنة » .
 وجميل بن معمر شاعرٌ إسلاميٌّ ، تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني
 والستين من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد السّائة ^(٢) :

٦٦٤ (لم تَدْرِ ما جَزَعُ عليك فَتَجَزَعُ)

لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ . وهو عَجْزٌ وصدره :

(ولقد تركتِ صَبِيَّةً مَرْحُومَةً)

قال ابن هشام (في المغني) : وللاستثناف وجه آخر ، وهو أن يكون
 على معنى السببية وانتفاء الثاني لانتفاء الأول ، وهو أحد وجهي النَّصَب
 وهو قليل ، وعليه قوله :

ولقد تركتِ صَبِيَّةً مَرْحُومَةً لم تَدْرِ ما جَزَعُ عليك فَتَجَزَعُ

أَي لو عَرَفْتَ الجَزَعَ لَجَزَعْتَ ، ولكنها لم تعرفه فلم تجزع . إلى آخر
 ما ذكر من نظائره من الآيات القرآنية .

(١) الخزائن ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) المحتسب ١ : ١٩٣ والمغني ٤٨١ والمجاسة ٩٠٣ بشرح المرزوق .

وقد تكلم ابن جني على هذا البيت (في إعراب الحماسة) فلا بأس بإيراده قال : هذا البيت طريفٌ غريب الحديث ، وذلك أنه ليس بجواب لأنه مرفوع كما ترى ، ولو كان منصوباً جواباً لكان أوفق معنى : وأسلب طريقاً^(١) ، ولا قبله أيضاً فعلٌ مرفوع فيعطف عليه كما عطف في قوله :

* فما تحلُّ على قوم فترتحل^(٢) *

فلهذا كان غريباً . غير أنَّ وجهه عندى أن يكون قوله فتجزع صفةً لقوله مرحومة أو صغيرة ، ويكون معطوفاً على جملة قوله : « لم تدر ما جزعُ عليك » ، لأنَّ هذه الجملة صفة لقوله صغيرة أو مرحومة ، فكأنَّه قال : فلقد تركتِ صغيرةً جاهلةً بالجزع فجازعةً مع ذلك . فلما وقع تجزع موقع الاسم ارتفع فجرى مجرى قولك : مررت برجل من أهل العلم ويُقرئُ الناس . فتعطف يقرئُ على من أهل العلم ، حتَّى كأنَّكَ قلت : عالم ومقرئُ . وإن شئت جعلت الفاء زائدة في جميع ذلك فكان . فلا أم تبكيه ولا أخت تفقده^(٣) . و : فما تحلُّ على قوم ترتحل ، [أى]^(٤)

(١) ش : « طريق » ، صوابه في ط وإعراب الحماسة . وأسلب ، من السلب وهو الخفيف السريع .

(٢) لأب تمام في ديوانه ٢٢٩ من قصيدة في مدح المعتصم ويمتاز بمدحته فيه . والبيت بتمامه مع ما قبله :

لقد لبست أمير المؤمنين بها حلياً نظاماً بيت سار أو مشعل
غريبة تونس الآداب وحشها فا تحمل على قوم فترتحل
(٣) إشارة إلى بيت سابق في الحماسة ٨٩٨ بشرح المرزوقي ، تعرض له ابن جني في إعراب الحماسة الورقة ١٣١ . ونصه :

فلا أم فتبكيه ولا أخت فتفتقه
(٤) التكلة من ش وإعراب الحماسة .

٦٠٥ معتقده للارتحال ، ولم يكن بيننا شرٌ نصطلح من أجله ^(١) ، ولم تدر ما جزعٌ عليكِ جازعة ، أى تركت صبية جازعةً وإن لم تعرف الجزع ، أى صورتها صورة الجازعة .

فإن قلت : فهل هناك أمٌ غير باكية ، أو أخت غير مفتقدة ؟ قيل : ليس نفيُ الشيء عندنا إثباتاً لصدّه . ألا ترى لو قلت ^(٢) : إن زيدا لم يُعزنى ^(٣) لم يكن في هذا دليل على أنه قد أهانك .

وقال أبو الحسن في قوله تعالى : ﴿ يا ليتنا نُردُّ ولا نكذبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين ﴾ ^(٤) قال : هو في اللفظ معطوفٌ وفي المعنى جواب ، قال : وذلك أنهم إذا تمنّوا ^(٥) الردَّ ولم يتمنّوا ترك التكذيب ولا الإيمان ، بل أوجبوه ^(٦) على أنفسهم عند الردَّ ، فكان يجب النصب ، أى إن رُدِّدنا آمناً ولم نكذب . قال : ولكنه جرى في اللفظ معطوفاً ، والمعنى معنى الجواب . وشبهه في الحمل على اللفظ والمعنى مخالف لقراءة من قرأ : ﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ﴾ ^(٧) بالجر ، فهذا يقتضى مسح الرجلين .

(١) هذا إشارة إلى بيت أنشده ابن جني في إعراب الحاسة الورقة ١٣٢ وهو للبحر في ديوانه ١١٦ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد . ونصه :

يرغب كاتبه صلحى لينقصنى ولم يكن بيننا شر فنصطلح

(٢) في إعراب الحاسة لابن جني : « ألا تراك إذا قلت » .

(٣) في إعراب الحاسة : « لم يكرمنى » .

(٤) الآية ٢٧ من سورة الأنعام .

(٥) في إعراب الحاسة : « لما تمنّوا » .

(٦) إعراب الحاسة : « بل أوجبوها » .

(٧) الآية ٦ من سورة المائدة . وهى قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحزرة وأبي بكر وأنس وعكرمة والشعبي والباقر وقتادة وعلمة والضحاك . وقرأ الحسن : « وأرجلكم » بالرفع . تفسير أبي حيان ٣ : ٤٣٧ - ٨٣٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٨ . وفي النسختين : « فامسحوا بالفاه » وهو تحريف قرآنى .

وإنَّما المفروض فيهما النَّسْلُ^(١) ولكنه جَرى في اللفظ على الجرّ ، والمعنى معنى النصب . وهذا لعمري متوجّه في قوله :

* فما تحلُّ على قومٍ فترتحلُّ *

لأنَّ هناك مرفوعاً قبله . فأما قوله :

* لم تدر ما جزعٌ عليك فتجزع *

فليس في قوله قبله مرفوع فيعطف عليه . وقد يجوز أن يكون أراد فهي تبكيه وهي تفتقده^(٢) على أنَّه وضع الجملة المركبة من المبتدأ والخبر موضع الفعل المنصوب على الجواب . ومثله قوله تعالى : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ [أى]^(٣) فتستووا . ومثله : ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾^(٤) أى فيرى . فاعرف تفصيل ذلك .

هذا كلام ابن جنى .

وأورده (فى المحتسب) أيضاً عند قراءة الحسن ويزيد النخوى :
﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزُ فَوْزاً عَظِيماً ﴾^(٥) بالرفع ، قال رَوْح^(٦) : لم

(١) ط : « المسح » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٢) ط : « تفتقده » ش : « مفتقدة » ، صوابهما فى إعراب الحماسة .

(٣) الآية ٢٨ من سورة الروم .

(٤) التكلة من إعراب الحماسة .

(٥) الآية ٣٥ من سورة النجم .

(٦) الآية ٧٣ من النساء .

(٧) هو روح بن عبد المؤمن البصرى النخوى ، مقرأ جليل ثقة ضابط مشهور ، روى عنه البخارى فى صحيحه . توفى سنة أربع أو خمس وثلاثين مائة . طبقات ابن الجزرى برقم ١٢٧٣ .

يجعل لِلْبَيْتِ ^(١) جواباً . (أقول) : محصوله ^(٢) أنه يتمنى الفوز ، فكأنه قال : ياليتني أفوز فوزاً عظيماً . ولو جعله جواباً لَنْصَبِهِ ، أى إن أكن معهم أفز . هذا إذا صرّحت بالشرط ، إلا أن الفاء إذا دخلت جواباً للتمنى نصب الفعل بعدها بإضمار أن ، وعطف أفوز على كنت معهم لأنهما جميعاً متمنيان ، إلا أنه عطف جملة على جملة ، لا الفعل على انفراده على الفعل ، إذ كان الأول ماضياً والثاني مستقبلاً . وعليه قول الآخر :

* لم تدرِ ما جزعُ عليك فتجزعُ *

والقوافى مرفوعة ، أى هى تجزع . ولو كان جواباً لقال فتجزعاً . وقد ذكرنا هذا ونحوه (فى كتابنا تفسير مشكل أبيات الحماسة) . انتهى .

والبيت لم يعرفه شراح مُغْنِي اللبيب ، وهو من أبيات أوردها صاحب الشاهد أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) لمُوَيْلِكَ المزموم ، فى امرأته أمّ العلاء . وأوردها الأعلام الشنتمرى أيضاً فى حماسته ، وهى :

أمرُّ على الجدث الذى حلَّتْ به	أمّ العلاء فنادها لو تسمعُ	أبيات الشاهد
أننى حللتِ وكنتِ جدُّ فروقةٍ	بلداً يمرُّ به الشجاع فيفزعُ	
صَلَّى عليكِ اللهُ من مفقودةٍ	إذ لا يلائمُكَ المكانُ البلقعُ	
فلقد تركتِ صغيرةً مرحومةً البيت	
فقدتِ شمائلَ من لزامِكِ حُلوةٍ	فتبیتُ تسهرُ ليلها وتَفجّعُ	
فإذا سمعتُ أنينها فى ليلها	طَفِقْتُ عليكِ شئونُ عيني تَدْمَعُ	

(١) ط : « البيت » ، صوابه فى المختبب وش مع أثر تصحيح .

(٢) فى المختبب : « قال أبو الفتح : محصول ذلك كله » .

وزاد الأعلام بعد هذا ستة أبيات أخر .

وقوله : « امرر على الجدث » إلخ . هو بفتح الجيم : القبر . وروى « فحيها » بدل « فنادها » . و « هل » بدل « لو » .

قال الطبرسي^(١) (في شرحه) : يقول : امرر على القبر الذي دفنت فيه وسلم عليها إن كانت تسمع . وهذا توجع وتلهف . وروى : « هل تسمع » . والفرق أن لو فائدته الشرط ، وهل من حيث كان استفهاماً كلام راجع لسماعها ، فكأنه قال : وانظر هل تسمع .

وقوله : « أنى حللت » إلخ : قال ابن جني : الهاء في فروقة مع المؤنث مثلها مع المذكر ، لا فرق بينهما في الحال . وإن المراد فيهما معنى الغاية والمبالغة . وكذلك رجل راوية وامرأة راوية ، وكذا علامة ونسابة ، لم تدخل هذه الهاء على المؤنث ، لأنها لو كانت كذلك لما لحقت المذكر . وهذا قاطع . انتهى .

وقوله : « جد فروقة » أي كنت فروقة جداً لا هزلاً ، وحققاً لا باطلاً . والبلدة : القطعة من الأرض . يقول : كيف أقمت في بلد قفر إذا مر به الرجل الشجاع استولى عليه الفزع ، وعهدى بك أنك كنت أشد الناس خوفاً وأضعفهم قلباً .

وقوله : « صلى عليك الله » إلخ . الصلاة من الله الرحمة ، ومن العبد الدعاء . ولا يلائمك : لا يوافقك . والبلقع : الخالي . ومن مفقودة : تمييز

(١) في النسختين : « الطبرسي » ، تحريف . وهو أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، مفسر لغوى من أعيان الشيعة الإمامية . من أشهر كتبه مجمع البيان لعلوم القرآن ، ومختصر الكشاف . توفي سنة ٥٤٨ هـ . إنباه الرواة ٣ : ٦ ، ٧ وروضات الجنات ٥١٢ - ٥١٤ هـ وأعيان الشيعة ٤٢ : ٢٧٦ - ٢٨٢ ومجمع المؤلفين ٨ : ٦٦ . وقد طبع كتابه مجمع البيان في صيدا بمنأى عن محسن الحسيني العالمي .

وقوله : (فلقد تركتِ صغيرةً) إلخ. قد تقدّم أنّ ابن جني جوز وجهين : أن يكون فتجزع صفة لصغيرة ، وأن يكون استثناءً . واختار المرزوقي الاستثناء وقال : أراد أنّها من صغرها لا تعرف المصيبة ولا الجزع لها ، فهي على حالها تجزع ، لأنّ ما تأتيه من الضجر والبكاء وتتركه من النوم والقرار فعل الجازعين .

وقوله : « فقدت شائل » إلخ ، جمع الشّمال بالكسر ، وهي الطبيعة . يقول : كانت قد اعتادت منك أخلاقاً جميلة ففقدتها ، فبقيت لاتنام ولا تنيم^(١) بل تفجع وتوجع ، فإذا سمعت شكواها وبكاءها أقبلت شئون رأسي تسح بالبكاء ولها عليك . وطفقت : شرعت . والشئون : جمع شأن ، وهو الشعب الذي يجمع بين القبيلتين من قبائل الرأس ، وهي القطعة المشعوب بعضها إلى بعض . ويقال إنّ الدمع يجري من الشّان .

ومؤيلك : مصغر مالك . والمزوم : اسم مفعول من زمت الناقة ، مؤيلك المزوم أي وضعت عليها الزمام .

والظاهر أنّه شاعر إسلامي . ولم أقف على نسبه حتّى أكشف عنه (في الجمهرة) ، ولا على ترجمته . والله أعلم .

* * *

(١) ش : « ولا تقيم » ، صوابه في ط . وهو مثل معروف أورده المفضل وسلمة في الفاخر ٤٢ والمسكرى في الجمهرة : ٤١٨ . وأنشد في اللسان (نوم) لفخفاء . :

كما من هاشم أقررت عيني وكانت لا تنام ولا تنيم
وأورده المفضل أيضاً في الفاخر ٢٠٢ ، وكذا الميداني في ١ : ٣١٠ بلفظ : « السليم لا ينام ولا ينيم » . والسليم هنا : المددوغ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الستائة وهو من شواهد س^(١) :

٦٦٥ (غير أنا لم يأتنا بيقينٍ فرجى ونكثر التأميلا)

على أن ما بعد الفاء هنا على القطع والاستثناف ، أى فنحن نرجى .

قال سيبويه عند توجيه النصب فى : ما^(٢) تأتينا فتحدثنا : وإن شئت رفعت على وجه آخر ، كأنك قلت : فأنت تحدثنا . ومثل ذلك قول بعض الحارثيين :

غير أنا لم تأتنا بيقين البيت

كأنه قال : فنحن نرجى . فهذا فى موضع مبنى على المبتدأ . انتهى .

فالإتيان منى وحده ، والرجاء مثبت ، وهو المراد . ولا يجوز نصب نرجى ، لأنه يقتضى نفية إما مع نى الإتيان وإما مع إثباته ، كما هو مقتضى النصب ، وكلاهما عكس المراد .

ويدل لهذا قول أبى على (فى التذكرة) : هو بالرفع ، وكذلك الصواب ، لأنهم إنما رجوا وأملوا ما لم يأتهم بيقين ؛ ولو أتاهم بيقين لآل إلى الترجى والتلهيل بيقينه .

ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : المعنى أنه لم يأت باليقين فنحن نرجو خلاف ما أتى به ، لانتفاء اليقين عما أتى به . ولو جزمه

٦٠٧

(١) فى كتابه ١ : ٤١٩ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٦ والمقرب لابن عصفور ١ : ١٦٥ والمغنى ٤٨٠ وشرح شواهد السيوطى ٢٩٥ والتصریح ٢ : ٢٠٤ .
(٢) كتبت فى النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت .

أو نصبه لفسد معناه ، لأنّه يصير منتفياً على حدّته كالأوّل إذا جزم ،
ومنفياً على الجمع إذا نصب . وإنّما المراد إثباته . انتهى .

وقوله : « ومنفياً على الجمع إذا نُصب » أراد بالجمع نفي الإتيان
والرجاء كليهما . ولم يذكر الشقّ الثاني من النصب ، لأنّه لم يتصور
نفي الرجاء مع ثبوت الإتيان بيقين . ومنه يظهر لك فساد تجويز الأعم
نصبه بمرتبتين ، وقوله : ولو أمكنه النصبُ على الجواب لكان أحسن .

وتبعه ابن يعيش (في شرح المفصل) ولم يتنبّه لفساده .

ومقتضى كلام أبي عليّ وابن هشام أنّ قوله « لم يأتنا » بالمشناة
التحتيّة لا الفوقية ، فيكون فاعله مستتراً فيه . والمشهور بالفوقية على
الخطاب .

ومشى على الأوّل شارحُ شواهد المفصل أيضاً فقال : المعنى أأتانا آت
بخبير إخوتنا ، غير أنّا أيّ لكنا لم يأتنا الآتي بخبير يقين يوجب اليأس ،
فنحن نرجى خلاف ما آتى به ، لانتفاء اليقين عما آتى به ، فنكثر
التأمّل لخلاف خبره ، ونقول : لعلّه يكون كذباً . ولا يجوز في قوله
فترجّى إلّا الرفع . اهـ .

وكون اليقين هو خبر الإخوة إنّما هو حدس وتخمين ؛ فإنّ البيت
من أبيات سيبويه الخمسين التي ما عرف قائلها ولا تتمّها . والله أعلم به .

فيقين صفةٌ موصوف محذوف ، أي بخبير يقين . ونكثر بالرفع
عطفٌ على نرجّى . و (التأمّل) : مصدر أمّلته ، إذا رجوته .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٦٦٦ (وما قامَ مِنَّا قائِمٌ في نديِّنا فينطقُ إلَّا بالتي هي أعرفُ)
على أنَّ النفي بالمعنى الثانى ، وهو أن يرجع النفي لما بعد الفاء ، كثيرُ الاستعمال كما فى البيت ؛ فإنَّ النفي منصبٌ على ينطق فى المعنى ، و (قام) مثبتٌ فى تأويل المستقبل ، لمناسبة المعطوف . ولهذا قال الشارح المحقق : أى يقومُ ولا يقومُ إلَّا بالتي هي أعرف . وإنما جعل النفي هنا بالمعنى الثانى لأجل الاستثناء ، فإنَّ الاستثناء المفرغ لا يكون إلَّا مع النفي ، فلما اعتُبر فى ينطق صَحَّ التفرغ .

وجوز صاحب اللباب أن يكون النفي فى البيت على ظاهره من القسم الأول . قال فى باب الاستثناء : والمفرغ لا يكون إلَّا فى الإثبات . إلى أن قال : ويجوز فيما هو جوابُ النفي . وأنشد هذا البيت .

قال الفال فى (شرحه) : لا يقال ينبغى أن لا يجوز ، لأنَّ قولك فينطق مثبت ، ولا يصحُّ المفرغ فى مثبت ، لأنَّ قوله فينطق بالنصب بأنَّ مضمرة ، والتقدير فأن ينطق ، وهذا المصدر معطوفٌ على مصدر منتزع من الأول وهو قام ، أى ما يكون قيام فنطق . فحكم النفي منسحبٌ على القيام والنطق . فالنطق فى المعنى منى فيصحُّ الاستثناء المفرغ فيه . ونظيره : ما تأتينا فتحدثنا ، بالنصب ، أى ما يكون منك إتيان فتحدثت تحديث على نفي المركب ، أى ما يكون منك إتيان كثير ولا تحديث عقيبهِ . هـ .

(١) سيبويه ١ : ٤٢٠ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٩٢ والعينى ٤ : ٣٩٠ والأشعري ٣ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ وديوان الفرزدق ٥٦١ .

وهذا نصُّ سيوييه في باب الفاء ، قال : وتقول ما أتيتنا فتحدّثنا ، والنصبُ فيه كالنصب في الأوّل ، وإن شئت رفعتَ على معنى فأنّت تحدّثنا الساعة . والرفع فيه يجوز على ما . وإنّما اختير النصب لأنّ لوجه ههنا وحدّ الكلام أن تقول : ما أتيتنا ^(١) فحدّثتنا ، فلمّا صرفوه عن هذا الحدّ ضعُفَ أن يضمُّوا يفعل إلى فعلتَ ، فحملوه على الاسم ، كما لم يجرْ أن يضمُّوا إلى الاسم في قولهم : ما أنت منّا فتنصرنا يعنى أنت ونحوه . وأمّا الذين رفعوه فحملوه على موضع أتيتنا ، لأنّ أتيتنا ^(٢) في موضع فعل مرفوع ، وتحدّثنا ههنا في موضع حدّثتنا . وتقول : ما تأتينا فتكلّم إلّا بالجميل . فالمعنى إنك لم تأتينا إلّا تكلمت بجميل . ونصبه على إضمار أن كما كان نصب ما قبله على إضمار أن . وإن شئت رفعت على الشّرْكة ، كأنه قال : وما تكلم إلّا بالجميل . ومثّل النصب قولُ الفرزدق :

وما قام منّا قائمٌ في ندينا فينطق إلّا بالتّي هي أعرفُ

وتقول : لا تأتينا فتحدّثنا إلّا ازددنا فيك رغبة ، فالنصب ههنا كالنصب في ما تأتيني فتحدّثني ، إذا أردتَ معنى ما تأتيني محدّثاً ، وإنّما أراد معنى ما أتيتني محدّثاً إلّا ازددتُ فيك رغبة . ومثّل ذلك قول اللّعين :

وما حلّ سعدىً غريباً ببلدة فيُنسب إلّا الزُّبرقان له أب ^(٣)

وتقول : لا يسعني شيءٌ فيعجزَ عنك ، أي لا يسعني شيءٌ فيكون

(١) الكلام بعده إلى « أتيتنا » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينهى سقط ش الذي أشرت إليه قريباً .

(٣) هو الشاهد ١٩٤ ، في المزاينة ٣ : ٢٠٦ هارون .

عاجزاً عنك ، ولا يسعني شيءٌ إلاّ لم يعجز عنك . هذا معنى الكلام .
فإن حملته على الأوّل قُبِحَ المعنى ، لأنّك لا تريد أن تقول إنّ الأشياء
لا تسعني ولا تعجز عنك . فهذا لا ينويه أحد . انتهى كلام سيويه .

ومنه تعرف وجه جعل الشارح المحقق هذا المثال من النفي بالمعنى
الثاني ، وأن الرواية ينصب فينطق .

قال الأعلم : الشاهد في نصب ما بعد الفاء على الجواب مع دخول
إلاّ بعده للإيجاب ، لأنها عرّضت بعد اتّصال الجواب بالنفي . ونصبه
على ما يجب له ، فلم يغيّره . والندى : المجلس ، أي إذا نطق منّا
ناطق في مجلس جماعة عرف صواب قوله فلم تردّ مقالته . انتهى .

ومثله لابن السراج ، قال (في الأصول) : وتقول ما قام زيد
فيحسن إلاّ حميد ، وما قام زيد فيأكل إلاّ طعامه بالنصب . قال الشاعر :
* وما قام منّا قائمٌ في نديّنا *

ويجوز رفع (فينطق) كما جاز في : ما^(١) أتينا فتكلّم إلاّ بالجميل ،
فتكون الفاء للعطف .

وبه استشهد ابن النازم والمرادى (في شرح الألفية) . قال العيني :
الشاهد فيه رفع ينطق لأنّ من شرط النصب بعد النفي أن يكون النفي
خالصاً ، وههنا ليس كذلك . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق ، يفتخر بها على جرير ، وعدّها
مائة بيت وخمسة عشر بيتاً ، تقدّم منها بيتان ، أحدهما في باب النعت وهو :

(١) في النسختين : « فيا » ، ووجه كتابته ما أثبت .

فَأَصْبَحَ فِي حَيْثُ التَّقِينَا شَرِيدُهُمْ البيت^(١)

وثانيهما في باب العطف ، وهو :

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدَعْ . . . البيت^(٢)
وهي قصيدة جيدة من غُرر قصائده .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ :

(وَمَا حَلَّ سَعْدَى غَرِيباً بَبِلْدَةٍ فَيُنْسَبَ إِلَّا الزَّبْرَقَانُ لَهُ أَبٌ)
لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ ، أَى يَحُلُّ وَلَا يَنْسَبُ .

والكلام فيه كما تقدّم قبله . قال الأعلم : الشاهد فيه نصب ما بعد
الفاء على الجواب . والرفع جائز ، والقول فيه كالقول في الذي قبله .
يقول : الزبرقان سيّد قومه وأشهرهم ، فإذا تغرّب رجلٌ من سعد وهم
رَهط الزبرقان فسئل عن نسبه انتسب إليه لشرفه وشهرته . انتهى . ٦٠٩

وقد تقدّم الكلام على هذا البيت مفصّلاً في الشاهد الرابع والتسعين
بعد المائة من باب الحال^(٣) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الستائة ، وهو
من شواهد س^(٤) :

(١) تمامه في الخزائن ٥ : ٣٦ ، وهو الشاهد ٣٣٩ :

* طليق ومكتوف اليمين ومرهف *

(٢) تمامه في الخزائن ٥ : ١٤٤ ، وهو الشاهد ٣٥٧ :

* من المال إلا مسحاً أو مجلف *

(٣) الخزائن ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٩ .

(٤) في كتابه ١ : ٤٢٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٨ والجلد ١٩٧ والخصائص

١ : ٢٣٦ وابن يمينش ٧ : ٢٢ ، ٢٣ والأشعري ٣ : ٢٩٥ وديوان امرئ القيس ٦٦ .

٦٦٧

(نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتُ)

وهو قطعة من بيت ، وهو :

(فقلتُ له لا تبكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذِرَا)

على أَنَّ سيبويه جوّز الرفع في قوله (نموت) إمّا بالعطف على نحاول ، أو على القطع ، أى نحن نموت .

وهذا نصُّ سيبويه : واعلم أَنَّ معنى ما انتصب بعد (أو) على
إِلَّا أَنْ ، كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء . تقول : لَأَلْزِمَنَّكَ أَوْ
تَقْضِيَنِي حَقِّي ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ أَوْ تَسْبِقَنِي . فالمعنى لَأَلْزِمَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَقْضِيَنِي ،
وَلَأَضْرِبَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَسْبِقَنِي . هذا معنى النصب . قال امرؤ القيس :

فقلتُ له لا تبكِ عينك البيت

والقوافي منصوبة ، فالتمثيل على ما ذكرت لك ، والمعنى على إِلَّا أَنْ
نَمُوتَ فَنُعْذِرَا . ولو رفعتَ لكان عربياً جيداً^(١) على وجهين : على أَنْ
تشرك بين الأوّل والآخِر ، وعلى أَنْ يكون مبتدأً مقطوعاً من الأوّل ،
يعنى أَوْ نحن ممّن يموت . وقال تعالى : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾^(٢) ، إِنَّ شئتَ كان على الإِشْرَاق ، وَإِنْ شئتَ
كان على : أَوْ وَهم يسلمون . انتهى كلامه .

وقال صاحب التكميل : ويحتمل أَنْ يكون أَوْ هنا للغاية ، أى نحاول
الملك إلى أَنْ نموت . وأمّا نصب قوله فَنُعْذِرَا فبالعطف على نموت على

(١) في كتاب سيبويه : « جائزاً » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الفتح .

رواية النصب ، وأما على رواية الرفع فحقى . ولهذا حذفه الشارح المحقق من المصراع .

ووجه نصبه الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) بأنّ الفاء للسببية ، وبعدها أن مضمرة فى جواب النفى الضمنى ، بتأويل « نموت » بلانبقى . فتأمل .

و (نعدرا) بالبناء للمفعول ، وروى « نُعذر » من أعذر الرجل إذا أتى بعذر .

وقال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : وروى : فنَعذر ، بكسر الذال ، أى نبليغ العذر .

والبيت من قصيدة لامرئ القيس مشتملة على جمل من يواقيت صاحب الشاهد الفصاحة ، وجواهر البلاغة ، قالها لما دخل بلاد الروم مستجيراً بقيصر ، لأنّ أباه كان قد وليّ بنى أسد فظلمهم ، فتعاونوا على قتله ، كما تقدّم فى ترجمته ، فخرج امرؤ القيس إلى قيصر يستمده .

قال أبو القاسم السّعدى (فى كتاب مساوى الخمر) : وممن بلغ به إفشاء سرّه حتفه امرؤ القيس بن حُجر الكِنْدَى . وذلك أنّ المنذر بن ماء السماء عهد ما ملك على الحيرة عندما ولّاه أنو شروان ذلك بعدمقتل حجر ، وزوال ملك بنى آكل المُرار ، أرسل جيشاً من بكر وتغلب فى طلب بنى آكل المُرار ، فجىء إليه منهم بستة عشر رجلاً ، فضرب أعناقهم فى بيوت بنى مَرِينَا . وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

أَلَا يَا عَيْنَ بَكِّي لِي شَنِينَا وَبَكِّي لِي الْمُلُوكَ الذَّاهِبِينَا^(١)

(١) فى التسخين : « شبيها » ، صوابه من الديوان ٢٠٠ . وفى شرحه : « وهو فعيل من الشن ، وهو الصب » .

ملوكاً من بني حُجر بن عمرو يُساقون العشيّة يُقتلون
فلو في يوم معركة أُصيُّوا ولكن في بيوت بني مَرينا

٦١٠

وفي ذلك أيضاً يقول عمرو بن كلثوم في معلقته :

فآبوا بالنَّهَابِ مع السَّبايا وأبناء الملوك مصفِّدينا^(١)

فهرب منه امرؤ القيس ، قيل : كان معهم فأقلت ، وقيل سمع
بخبرهم فذهب على وجهه يستجيرُ بالعرب ، فبعضُ يقبله وبعضُ
يردُّه . فخرج إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني ، المعروف بابن مارية ،
وحال الحارث يومئذ بالشَّام كحال المنذر بن ماء السماء بالعراق ، فسأله
الجوار والنُّصرة ، وتوسَّل إليه بالخُولة . وذلك أنَّ مارية ذات القُرطين
اللذين يضربُ العربُ بهما المثل هي أخت هند امرأة حُجر والد امرئ
القيس . فأكرمه ، وسأله النُّصرة على المنذر فاعتذر إليه ، وقال له :
إنني لست أقدر على المسير إلى العراق في هذا الوقت ، ولكنني أسيرُ معك
إلى الملك قيصر فهو أقوى مني على ما سألت . وكانت للحارث وفادة
على الملك ، فأوفده معه . وهذا قبل أن يغزو المنذرُ بن ماء السماء إلى
الحارث بن أبي شَمِر وقبل أن يقتله .

وقيل إنَّ سبب ما هيج ما بين المنذر والحارث هذا الحرب^(٢) إنما
هو إجارة الحارث لامرئ القيس ، فتوجَّه معه امرؤ القيس إلى بلد
الروم . وفي ذلك قال هذه القصيدة ، ذكر فيها استجارته وخلوصه إلى
التوجُّه إلى بلد الروم :

(١) هذه الرواية الغريبة اتفقت فيها النسختان ، ولم أجدها في روايات المعلقات عند كل
من ابن الأنباري ، وابن النحاس ، والزوزني ، والتبريزي ، وكذلك جمهرة أشعار العرب
والرواية المعروفة : « وأبنا بالملوك مصفِّدينا » .

(٢) الحرب تذكر وتؤنث . ووردت في النسختين مذكرة . وفي ش : « هكذا بخط المؤلف » .

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظُبِيٍّ فَعَرَعَرَا^(١)
 فَدَعَّهَا وَسَلَّ الِهْمُّ عَنْهَا بَجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا^(٢)
 عَلَيْهَا فَتَى لَمْ تَحْمِلِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِمِشَاقٍ وَأَوْفَى وَأَصْبَرَا
 إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلَتْ آخَرَا
 كَذَلِكَ جَدَى لَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا خَانِي وَتَغَيَّرَا
 تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَتَتْ عَلَى جَمَلٍ بَنَى الرُّكَّابَ وَأَعْفَرَا^(٣)
 وَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ وَالْآلُ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بَعَيْنِيكَ مَنْظَرَا^(٤)
 تَقَطَّعَ أَسْبَابُ اللَّبَانَاتِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا
 بِكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا
 فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبِكْ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

- (١) في ديوانه ٥٦ : « بطن قو » . وبين هذا البيت وتاليه في الديوان ٢٣ بيتاً .
 (٢) في الديوان ٦٣ : « فدع ذا » . وبين هذا البيت وتاليه في الديوان خمسة أبيات .
 وهكذا نجد الأبيات هنا مختزلة من قصيدة الديوان ، مع الخلاف في الرواية والترتيب أيضاً .
 (٣) في الديوان ٦١ : « على خلى خوص الركاب وأوجرا » . وفي الشرح : « حمل وأوجر : موضعان قبل الشام . ولم يرسم ياقوت لهما الموضعين ، لكن ذكرهما البكري في رسم (أعفر) استطراداً ، كما أفرد رسماً خاصاً للموضع (أوجر) وقال : « موضع بأرض بلقين من الشام قد تقدم ذكره في رسم أعفر » . وكلاهما لم يرسم لخملي ، وانفرد البكري في (أعفر) بذكر (خلى) قال : « وروى الأصمعي :

* على خلى خوص الركاب فأوجرا *

بالهاء المعجمة على وزن فعل » .

- أما رواية « جل » بالجيم المعجمة فقد ذكرها ياقوت في رسم (جل) عرضاً ، إذ قال :
 « العمراني : جل بالشام في شعر امرئ القيس . ورواه السكري عن الكلبي بالجيم » . كما ذكر البكري
 « جل » بالحاء المهملة في رسم (أعفر) عرضاً ولم يفردها برسم ، وسكت عن رواية « جل » بالجيم .
 (٤) أي لم أر شيئاً أسره به ، فكان كل ما أراه غير مرئي ، لحقارته وقبحه في عيني .

وبعد هذا سبعة أبيات في وصف فرسه وفي بعض ما مرَّ له في بعض المنازل .

وصاحبه الذى بكى هو عمرو بن قميئة الضُّبَعِيّ الشاعر المشهور ، وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع عشر بعد الثلاثمائة^(١) . كان صاحب امرأ القيس لماً مر ببيكر بن وائل يطلب منهم النصرة ، فسألهم عن شاعر محسن فيهم ، فأتوه به وقد أسنَّ ، فاستنشد فاعجبه ، ثم شكّا إليه حاله فقال له : اصحبني . فصحبّه وكان معه حتّى سلك الطريق إلى بلد الروم ، فلما توسّط الدّرب بكى عمرو بن قميئة وقال : غرّرت بنا .

- والدّرب : كلّ مدخل إلى الروم ، أو النافذ منه ، وباب السكة الواسع ، والباب الأكبر . كذا في القاموس -

ثم إنَّ عمرًا مات في الطّريق فكان يسمّى عمرًا الضائع . فلما وصل امرؤ القيس إلى بلد الروم أمر ملك الروم بإدخاله عليه ، وكان لا يدخل على قيصر أحد إلاّ سجد له . فقبل له إنّ امرأ القيس لا يسجد لك . وكان لقيصر بابان أحدهما صغير والآخر كبير ، فقال أدخلوه من الباب الصغير ليضع رأسه لى . فلما رأى امرؤ القيس صغر الباب ولّى ظهره فدخل مؤلّياً حتّى قام بين يديه . قالوا : فنظر إليه قيصر فاعجبه ، وكان وسيماً جميلاً ، وأعلمه أنّه جاءه يستمده على العرب . فرحبّ به وألطفه وقال له : أيما أحبُّ إليك : ستمائة من أولاد الملوك أو ستة آلاف من الجند ؟ فاختر ستمائة من أبناء الملوك . وخفّ على قلب قيصر حتّى نادمه ، ففى ذلك يقول :

ونادمتُ قيصَرَ في مُلكه فأوجهنى ورَكِبتُ البريدا^(١)
إذا ما ازدحمتنا على سَكَّةٍ سَبَقْتُ الفُرانقَ سَبْقاً بعيداً

— والفُرانق بضم الفاء وكسر النون : الذي يدلُّ صاحبَ البريد على الطريق . والبريد : دابةُ الرسولِ المستعجلِ —

ثم إنَّ امرأَ القيسِ لطفَ محلّه من قيصِر ، فأدخله الحمامَ معه ،
فرأى غُلْفَ قيصِر فقال :

لقد حلفتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ إِنَّكَ أَغْلَفُ إِلَّا ما جَنَى القمرُ^(٢)
— وخِتانَةُ القمرِ مثلُ تضربُهُ العربُ للأغلف ، لأنَّ القمرَ لا يَخْتِنِ
أحدًا —

وفي مدّةٍ منادمته لقيصرَ رَأَتْهُ ابنةُ قيصِر فعشِقَتْهُ وراسلته ، وصار
إليها ، وفيها يقول من قصيدة :

سموتُ إليها بعد ما نامَ أهلُها سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالِ^(٣)
فقالَتْ سَباكَ اللهُ إِنَّكَ فاضِحِي أَلَسْتَ تَرى السُّمَارَ والنَّاسَ أحوالى
فقلتُ لها باللهِ أبرحُ قاعداً ولو قطعُوا رأسيَ لَدَيْكَ وأوصالى

وسياتى شرح هذا إن شاء الله في حروف القسم وغيرها .

قالوا : ولم يزل يصير إليها ، ثم أَخْبَرَ بذلك أصحابَه ، وفيهم
الطَّمَّاحُ بن قيسِ الأُسدي ، فقال له : اتنا بأَمارةٍ . فأتاه بقارورة من

(١) ديوان امرئ القيس ٢٥٢ . أوجهه : جعل له وجهاً عند الناس فكان وجيهاً .

(٢) البيت مع قرين له في الديوان ٢٨٠ .

(٣) الديوان ٣١ - ٣٢ .

طبيب الملك ، وذلك كان عند سُكره . وكان أبو امرئ القيس قد قُتل قيساً أبا الطَّمَّاح أيام أوقع ببني أسد ، فتحيل الطَّمَّاح حتَّى أَخَذَهَا فَأَنفَذَهَا إِلَى قَيْصِر وَأَخْبَرَهُ بِالْحَدِيث ، فعرفه وعلم صحته . ففي ذلك يقول من قصيدة :

لقد طمَّح الطَّمَّاحُ من بُعد أرضه ليُلبسني من دائه ما تلبساً^(١)
وقال أيضاً من قصيدة :

إذا المرء لم يُخزن عليه لسانه فليس على شيءٍ سِوَاهُ بخزانٍ^(٢)
فلما نَفَذَ امرؤ القيس بالجيش^(٣) ، أتى الطَّمَّاحُ ملك الروم فقال له :
أيُّها الملك أهلكَ جيشاً بعثته مع المطرود الذي قُتل أبوه وأهل بيته ،
وما تريد من نصره ، وكلَّمنا قَتَلَ بعضُ العرب بعضاً كان خيراً لك !
قال : فما الرأي ؟ قال : أن تتداركَ جيشك وتردَّه ، وتبعثَ إلى امرئ
القيس بِخُلَّةٍ مسمومة . ففعل وعزم على امرئ القيس أن يلبسها ، فدخل
امرؤ القيس الحمامَ فاطلى ولبسها وقد رقَّ جلده لقروح كانت به ،
فتساقط لحمه . وردَّ قيصراً جيشه . وقدم امرؤ القيس أنقرة^(٤) ، وهي
التي يقال لها الآن أنكورية ، فأقام بها مُدْنَفاً يعالج قروحَه ، ونزل إلى
جنب جبلٍ يقال له عَسِيب ، وإلى جنبه قبرٌ لابنة بعضِ الرُّوم ، فسأل
عن القبر فأخبر به فقال :

٦١٢

(١) الديوان ١٠٨ .

(٢) الديوان ٩٠ . وكفى باللسان عن السر الذي يحفظه ويذيعه .

(٣) نقد ، بفتح الفاء وآخره دال مهملة ، أى جاز .

(٤) أنقرة ، بكسر القاف ، كما في اللسان والقاموس ومعجم البلدان . وفي اللسان :
« وهو أيضاً : جمع تقيير ، مثل رغيث وأرغفة ، وهو حفرة في الأرض » .

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَنُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(١)
 أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهْنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
 فلما أيقنَ بالموْت قال :

كَمْ طَعْنَةً مُثْعَنْجِرَةً وَخُطْبَةً مُسْحَنْفِرَةً^(٢)
 وَجَفْنَةً مُدْعَثِرَةً قَدْ غُودِرَتْ بِأَنْقَرَةٍ
 وكان هذا آخرُ ما تكَلَّمَ به ومات .

هذا ما نقلته من كتاب مساوى الخمر^(٣) .

والثعنجرة : السَّائِلَةُ . والمسحنفرة : الواسعة ، فى الصحاح يقال اسحنفر فى خطبته ، إذا مضى واتَّسع فى كلامه . والجفنة بفتح الجيم : القصعة . والمُدْعَثَرَةُ : المتثلثة والمتكسرة^(٤) .

وقوله : « بطن ظبي وعرعرا » هما موضعان .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين^(٥) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد السّمانّة ، وهو من شواهد سيبويه^(٦) :

(١) فى الديوان ٣٥٧ : « إن المزار قريب » . وعسيب : جبل بعلية نجد معروف .

(٢) ديوانه ٢٤٩ .

(٣) وكذا ورد ذكره فى الجزء الأول من الخزائنة ١ : ٢١ . وفى ٥ : ٣٣٠ : « مساوى الخمرة » . وذكر أن مؤلفه هو أبو القاسم عبد الرحمن السمدى الأندلسى المتوفى بمصر سنة ٥٥٥ . وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين » .

(٤) ط : « والمتكسرة » بالنون .

(٥) الخزائنة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٦) سيبويه ١ : ٤٢٩ . وانظر المحتسب ١ : ١٩٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠ والمئى ٦٩٣ ، والجمع ٢ : ٦٠ وديوان الأعشى ٤٨ .

٦٦٨ (إِنْ تَرْكَبُوا فَرَكَوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا

أَوْ تَنْزَلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُنْزَلُ)

على أَنَّ (تنزلون) عند الخليل معطوفٌ على إِنْ تَرْكَبُوا على المعنى ، وهو المسمَّى عطف التوهم . وقال يونس : هو على القطع ، أى بل أنتم نازلون ، وأَوْ بمعنى بل .

وكلُّ من الخليل ويونس شيخ سيويه ، وهذا نصُّه في الكتاب :

وسألت الخليل رحمه الله عن قول الأعشى :

إِنْ تَرْكَبُوا فَرَكَوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا البيت

فقال : الكلام ههنا على قوله يكون كذا أو يكون كذا ، لما كان موضعه ما لو قال فيه أتركبون لم ينقص المعنى ، صار بمنزلة ولا سابق شيئاً^(١) . وأمَّا يونس فقال : أرفعه على الابتداء ، كأنه قال : أو أنتم نازلون . وقول يونس أسهل . وأمَّا قول الخليل فجعله بمنزلة قول زهير :

بدا لي أنّي لستُ مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً

والإشراك على هذا التوهم بعيدٌ كبعد : ولا سابق شيئاً . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد في رفع تنزلون حملاً على معنى إِنْ تَرْكَبُوا ، لأنَّ معناه ومعنى أتركبون متقارب . وكأنه قال أتركبون فذلك عادتنا ، أو تنزلون في مُعْظَمِ الحرب فنحن معروفون بذلك . هذا مذهب الخليل وسيويه . وحمله يونس على القطع ، والتقدير عنده : أو أنتم تنزلون . وهذا أسهل في اللفظ ، والأوّل أصحُّ في المعنى والنظم ، وال خليل ممن يأخذ بصحّة المعاني ولا يبالي باختلال الألفاظ . انتهى .

وكذا نقل ابن هشام (في المغنى) .

فأنت ترى أنّهم حملوه على إضمار المبتدأ بالنقل عن يونس ،
ولم يقل أحدٌ منهم إنّ أو بمعنى الإضراب كما قال الشارح المحقق .
ولا ضرورة تلجئه إليه .

واقصر ابن عصفور (في كتاب الضرائر) على مذهب الخليل ،
وخصّه بالضرورة ، قال : ألا ترى أنّ تنزلون حكمه أن يحذف منه
٦١٣ النون للجزم ، لأنّه معطوف على الفعل المجزوم بأداة الشرط وهو تركبوا
لكنّه اضطرّ إلى رفعه بالنون فاستعمل الرفع بدلَ الجزم ، حملاً على
أتركبون المضمنّ معنى إن تركبوا ، لأنّ الفعل المستفهم عنه جائز فيه
أن يضمنّ معنى الشرط إلّا أنّ ما حمّل عليه رفع تنزلون لا يُحوّج إلى
اللفظ . انتهى .

والبيت من قصيدة الأعشى ميمون ، التي أوّلها :
ودّع هُريرة إنّ الركبَ مُرتحلٌ وهل تطيق وداعاً أيّها الرجلُ
وتقدّم شرح أبيات منها . وهذه القصيدة ملحقة بالمعلقات السبع .
وروى البيت كذا أيضاً :

قالوا الطّرادُ فقلنا تلك عادتُنا أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزلُ
وعليه لا شاهد فيه .

ولم يذكر الخطيب التبريزي في شرح القصيدة غيرَ هذه الرواية ،
وقال في شرحه : يقول : إن طاردتم بالرّماح فتلك عادتُنا ، وإن نزلتم
تُجالدون بالسُّيوف نزلنا . انتهى .

وَنُزِلَ بَضْمَتَيْنِ : جمع نازل . ونزولهم عن الخيل يكون عند ضيق
المعركة ، ينزلون فيقاتلون على أقدامهم ، وفي ذلك الوقت يتداعون :
نزال .

وقد تقدّم الكلام على شرح النزول مفصلاً في الشاهد الواحد والأربعين
بعد الأربعمائة^(١) .

والأعشى شاعر جاهلي تقدّمت ترجمته في الشاهد الثالث والعشرين
من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا ناعبٍ إلّا ببينٍ غرابها)

وهذا عجزٌ وصدره :

(مشائيمٌ ليسوا مُصلِحينَ عشيرةً)

على أَنَّ ناعب عطف بالجرّ على مُصلِحين الواقع خبراً لليس على
توهم الباء فيه ، فإنّها يجوز زيادتها في خبر ليس .

ومشائيم : جمع مشئوم كمنصور ، وهو من به الشؤم ، نسبهم إلى
الشؤم وقلة الصّلاح والخير . يقول : لا يُصلِحون أمر العشيرة إذا
فسد ما بينهم ولا ياتَمرون بخير ، فغرابُهم لا ينعبُ إلا بالتشتيت
والفراق . وهذا مثلٌ للتطير منهم والشؤم بهم . والعرب تتشاءم بصوت
الغراب .

(١) كذا في النسختين . والصواب أنه الحادي والأربعون بعد الثلاثمائة . الخزانة ه :

٤٩ - ٥٠ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

وقد تقدّم شرحه مفصّلاً في الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين^(١)

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد السهائة ، وهو من من شواهد سيبويه^(٢) :

٦٦٩ (عَلَى الْحَكَمِ الْمَاتِيَّ يَوْمًا إِذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لَا يَجُورَ وَيَقْصِدُ)

على أَنَّ القطع قد يجيء بعد الواو غير الجمعية . وقد شرحه الشارح المحقق .

قال سيبويه : ومما جاء منقطعاً قولُ الشاعر :

على الحكم الماتِيَّ البيت

كأنّه قال : عليه غير الجور ، ولكنه يقصد أو هو يقصد أو هو قاصد ، فابتدأ ولم يحمل الكلام على أَنَّ ، كما تقول : عليه أَنَّ لا يجور وينبغي له كذا وكذا . فالابتداء في هذا أسبق وأعرف . فمن ثم لا يكادون يحملونها^(٣) على أَنَّ . انتهى .

وقال النحاس (في شرح شواهد) : سألت عنه أبا الحسن فقال : ويقصد مقطوع من الأوّل ، وهو في معنى الأمر وإن كان مضارعاً ، كما تقول : يقوم زيد ، فهو خبرٌ وفيه معنى الأمر . انتهى

ومثله للأعلم قال : قطعته لأنّ المعنى وينبغي له أَنَّ يقصد . ولم يحمله على أوّل الكلام لأنّ فيه معنى الأمر ، فكأنّه قال : وليقصد في حكمه .

(١) الخزانة ٤ : ١٥٨ - ١٦٥ .

(٢) في كتابه ١ : ٤٣١ . وانظر المختص ١ : ١٤٩ / ٢ : ٢١ ، وابن يعيش ٧ : ٣٨ ،

٣٩ والمغني ٣٥٩ واللسان (قصد) .

(٣) ط : « يحملون » ، وأثبت ما في ش وسيبويه .

ونظيره مما جاء على لفظ الخبر ومعناه أمرٌ قوله تعالى : ﴿ والوالداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ^(١) ﴾ أى ليرضعن أولادهن ، وينبغي لمن أن يرضعهم . انتهى .

ونقله الجوهري في الصحاح وقال : قال الأخفش : أراد : وينبغي أن يقصد ، فلما حذفه وأوقع يقصد موضع ينبغي رفعه ، لوقوعه موقع المرفوع .

وإليه ذهب ابن جني (في المحتسب) . وهذا توجيهٌ لانقطاعه واستثناؤه ، وليس المراد أن « يقصد » كان منصوباً بأن فارتفع لما حذفت ، كما ذهب إليه اللدمايني (في الحاشية الهندية) وقال : ويحتمل أن يكون يقصد منصوباً في الأصل بإضمار أن ، والمعنى : عليه أن لا يجور وعليه أن يقصد ، ثم حذفت أن وارتفع الفعل كما في : « تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه » . انتهى .

وهذا المعنى وإن كان جيداً إلا أنه لا يحسن التخريج على حذف أن ، فإنه غير مقيس . فالصحيح الاستثناف .

قال ابن الحاجب (في الإيضاح) : العطف على يجور غير مستقيم لأنَّ غرضه ^(٢) أن ينفي الجور ويثبت القصد ليحصل المدح ، وإذا أشرك بينه وبين الجور دخل في النفي ، فيصير نافياً للجور ونافياً للقصد ، فلا يحصل مدح ، بل يتناقض . فوجب أن يُحمل على أنه مستأنف ليكون مثبتاً فيكون الجور منفيّاً والقصد مثبتاً ، فيحصل المقصود ، ويرتفع التناقض . انتهى .

(١) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

(٢) ش : « لأنه غرضه » .

وقوله (على الحَكَم) ظرف وقع في موقع الخبر المقدّم . وروى :

* على الحَكَم الماتِي حقٌّ إذا قضى ^(١) *

فيكون حقٌّ هو الخبر ، وعلى متعلقة به .

وقوله : (أن لا يجور) في تأويل مبتدأ مؤخر ، والمعنى واجبٌ على كلِّ حَكَم بين الناس يؤتى لفصل الخصومات أن لا يجور في حُكْمه إذا قضى قضيتَه وحَكَم حُكْمَه ، وهو يقصد ويعدل في قضاياه . وهذا منه إرشادٌ للحاكم إلى العدل في الحُكَم ، وحثٌّ على النّصفَة . والحَكَم بفتحيتين : وصفٌ من حكمت بين القوم : فصلت بينهم ، فأنا حاكم وحَكَم بفتحيتين . والحُكَم بالضم : القضاء ، وأصله المنع ، يقال حكمت عليه إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك .

و (الماتِي) : اسم مفعول من أتيته ، يكون متعدّياً بنفسه ويجيء لازماً يتعدّى بإلى . وعلى ^(٢) الأول يكون اسم المفعول منه بدون إلى بلا حاجة إلى قول ابن الملا (في شرح المغنى) : الماتِي معناه الماتِي إليه ، فهو على الحذف والإيصال ، كقولهم المشترك . وقضى : حكم . وقضية فعيلة بمعنى مفعولة . وجار في حكمه ، أى ظلم . والقصد : العدل ، يقال قصد في الأمر من باب ضرب ، إذا توسّط وطلب الأسدَّ ، ولم يجاوز الحدَّ .

والبيت من قصيدة عدتها تسعة عشر بيتاً لأبي اللّحَام التغلبي ^(٣) صاحب الشاهد

(١) هذه رواية غير التي صدر بها الشاهد ، فإنها في الشاهد : « يوماً إذا قضى » وكذا في جميع المراجع المذكورة في تحريجه . ويبدو أنها رواية أبي تمام في مختار أشعار القبائل كما سيأتي .

(٢) ط : « وقال » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « اللّجام » بالجيم ، صوابه في ش .

أوردها أبو عمرو الشيباني (في أشعار تغلب له) ، وانتخبها أبو تمام فأورد منها خمسة أبيات (في مختار أشعار القبائل) وهذا أولها :

(عَمِرْتُ وَأَطَوَلْتُ التَّفَكُّرَ خَالِيًا وَسَاءَلْتُ حَتَّى كَادَ عُمْرِي يَنْفَدُ
فَأَضَحْتُ أُمُورَ النَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِمًا بِمَا يُتَّقَى مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ
جَدِيرٌ بَأَنَّ لَا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُدْبِرًا أَتَبَلَّدُ
عَلَى الْحَكَمِ الْمَائِي حَقٌّ إِذَا قَضَى ) البيت

عمرت ، أى عشت عمراً طويلاً ، من باب فرح ، والمصدر العَمر بفتح العين وضمها مع سكون الميم فيهما . وسألت : فاعلت من السؤال أى أكثرت السؤال . وينفد : ينفى .

وَيَغْشَيْنَ : يَأْتَيْنِ . وَالْغَشْيَانِ : الْإِثْيَانِ . وَأَرَادَ بِالْعَلَمِ نَفْسَهُ .
وَالْفَعْلَانِ بَعْدَهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَبِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ .
وَيُتَعَمَّدُ بِمَعْنَى يُقَصَّدُ .

٦١٥

وجديرٌ خبر مبتدأ محذوف ، أى أنا جدير بأن لا أستكين ، أى لا أخضع ولا أذل . وأرى بالبناء للمفعول . ورؤى المصراع الثانى هكذا :
* إِذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاعَى أَتَبَلَّدُ *

أى أتَحِيرُ^(١) كالبليد .

ومن هذه القصيدة :

(وليس الفتى كما يقولُ لسانه إذا لم يكن فعلٌ مع القولِ يُوجَدُ

(١) في النسختين : « أتخبر » ، صوابه ما أثبت .

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إنْ منعتَه من اليوم سؤلاً أن يكون له غد
وإنّك لا تدري بإعطاء سائلٍ أنّت بما تُعطيه أم هو أسعدُ
وأبو اللّحّام شاعرٌ جاهليّ ، اسمه حُرَيْثٌ مصغر حارث^(١) . واللّحّام أبو اللّحّام التغلبي
بفتح اللام وتشديد الحاء المهملة .

وهذا شيءٌ من أخباره ، أورده أبو عمرو الشيباني قال :

كان أبو اللّحّام خرج في ناس من بني تغلب ، فأغار على قرى
من قرى السّواد وأقام يَجْبِيهِمْ^(٢) ويأخذ منهم ، فبعث إليهم كسرى
النّخِيجان^(٣) في خيلٍ من الأساورة ، فهزم ذلك الجيش وأخذ أبا اللّحّام
فحمّله على بعير ، وعدّله بفراشٍ وهو مغلولٌ ، فقال : انظروا إلى هذا
الخبِيث الذي جاء يُغيّر على الملك وهو عدلٌ فراشٍ في الخفّة ! ثم إنّه
نزل في ناحية الفرات على شاطئه الغربي فبعث خيلَه إلى العرب فلم
يُصِبْ أحداً إلّا قتله . وجعل مع أبي اللّحّام رجلاً من أهل الحيرة عربياً
كان من أعوانه يقال له بَرِيم ، في سلسلة ، شمالُ أبي اللّحّام بيمينه ، وهو
يريد أن يقدّم الحيرة ليصلّيه بها فيراه من يقدّم الحيرة من العرب .
فلقى رجلاً نبطياً كان يعرفه في بعض السّواد إلى جنب أجمة ، فأخذ

(١) ط : « حارث » ، وكلاهما صحيح . فإنّ تصغير حارث على حريث ، هو تصغير
ترخيم كما يقال في حامد وحمدان وحماد وعمود : حميد . انظر الأشرفي ٤ : ١٦٩ . وحمله على
المألوف في التسمية وهو « حارث » أولى من حمله على غير المألوف ، فإنهم لم يسموا حارثاً .
(٢) ط : « بجيهم » ، صوابه في ش . وجباية الخراج : جمعه وتحصيله .

(٣) النخِيجان كان عاملاً على الحيرة هو وإياس بن قبيصة الطائي ، أمضيا في العالة تسع
سنين في زمن كسرى بن هرمز . ولسته وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بعث النبي صلى
الله عليه وسلم . الطبري ٢ : ٢١٣ . وقد استمر النخِيجان عاملاً من قبل الفرس إلى سنة ١٥ من
الهجرة حيث هزم بعد يوم القادسية . الطبري ٣ : ٦١٩ . ثم كان على بيت مال كسرى .
ونجده بعد وقعة نهاوند خيراً عنه في كنوز آل كسرى التي كان فيها عليها . الطبري ٤ : ١١٦ .

منه دراهم ، فجعل إذا مشى ينطلق ببريم فيسقيه ويُدهنه^(١) ويُطعمه من تلك الدراهم . فلما كان ذات ليلة أَظلمت السماءُ بغيمٍ ومطر ، وجعل يُلحُّ عليه بالشراب ، ثم جعلاً يمشيان في الأجمة فتناول سيفَ بريمٍ فاستلَّه ثم ضرب السلسلة فقطعها ، ثم خرج إلى البرية فأتى رجلاً من الأعراب من بكر بن وائل فأخبره الخبر ، وأخذ منه نجبيةً فلحق بالشام .

* * *

وأنشد بعده :

(فترجى ونكثرت التأميلاً)

على أن نرجى مقطوع بعد الفاء . وهذا عجزٌ ، وصدده :

(غير أننا لم يأتنا بيقين)

وتقدم شرحه قريباً^(٢) . والفاء استثنائية لا سببية ، بدليل القطع . وجوز هناك أن تكون سببية . وإنما لم ينصب نرجى لعدم اللبس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه^(٣) :

٦٧٠ (وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبْهَتَ حَتَّى ما أكادُ أُجِيبُ)

على أنه يروى بنصب (أبْهَتَ) ورفع على القطع ، أى فأنا أبْهت .

(١) يريد : يطعمه اللبن ، نظير قولهم : ألحمه : أطعمه اللحم ، وأشحمه : أطعمه الشحم . لكنني لم أجِدْ يدهن هذا المعنى في المعاجم المتداولة .

(٢) هو الشاهد ٦٦٥ .

(٣) في كتابه ١ : ٤٣٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٨ وديوان عروة بن حزام مخطوطة

الشنقيطى الورقة ٥ .

قال سيبويه : وسألت الخليل رحمه الله عن قول الشاعر :

* وما هو إلّا أن أراها فجاءةً * البيت

فقال : أنت في أبهت بالخيار ، إن شئت حملتها على أن ، وإن شئت لم تحملها عليه فرفعت ، كأنك قلت : ما هو إلّا الرأى ^(١) فأبتهت . انتهى .

وقوله (هو) ضمير يفسره خبره ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ^(٢) ﴾ . قال الزمخشري : هذا ضمير لا يُعلم ما يُعنى به إلّا بما يتلوه . وأصله : إن الحياة إلّا حياتنا الدنيا ، ثم وضع هي موضع الحياة ، لأنّ الخبر يدلّ عليها ويبينها . انتهى .

٦١٦

وليس هو في البيت ضمير الشأن والحديث كما زعمه شارح أبيات المفصل ، لأنّ ضمير الشأن لا بدّ أن يفسّر بجملة ، ولا جملة هنا ، وأمّا أن أراها ففي تأويل المفرد كما صرح به سيبويه ، لأنّ أن هي الناصبة للمضارع ، وليست مخففة من الثقلية لأنّها تقع بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته ، وحينئذ يكون اسمها ضميراً وخبرها جملة مفصولة عنها بقدر ، أولو ، أو السين ^(٣) ، أو النني ، على ما فصل في محله . وقد غلط [في ^(٤)] ذلك الشارح فزعم أنّها المخففة ، قال : والتقدير إلّا أنّه أراها أي إنّ الشأن . وهذه غفلة منه ، فإنّها لو كانت المخففة ما كان وجهه لنصب أبهت بالعطف على مدخولها .

(١) الرأى هنا بمعنى الرؤية ، يقال رأى رأياً ورؤية ورأه مثل راعة أيضاً . وفي الكتاب العزيز : « يرونهم مثليهم رأى العين » .

(٢) الآية ٢٩ من الأنعام و٣٨ من المؤمنون .

(٣) ط : « بقدر والواو والسين » ، صوابه في ش .

(٤) تكلّة يفتقر إليها القول .

و (أراها) بفتح الهمزة من رؤية العين تتعدى إلى مفعول واحد ، وهو ضمير الحبيبة . ورأيته في بعض النسخ بضم الهمزة على أنه من أرى المتعدى بالهمزة إلى مفعول ثان ، فيكون المفعول الأول نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، والثاني ضمير الحبيبة .

و (الفجأة) بالضم والمد : البغته ، يقال فَجِثَ الرجلَ أَفَجُوهُ ، مهموز ، من باب تعب ، وفي لغة بفتحيتين ، إذا جِثَّته بغته . والاسم الفَجَاءَةُ . وفجاءةٌ : مفعول مطلق ، أى رؤية فجأة . وقال ذلك الشارحُ : هو مصدرٌ في موضع الحال من الفاعل أو المفعول ، أى مفاجئاً أو مفاجأة .

وقوله : (فَأَبْهَتْ) ^(١) إن روى بالنصب فالفاء عاطفة ، عطفت أبْهَتْ على أراها ، وهو عطف مفرد على مفرد ، وهو في تأويل مصدر ، أى إلاَّ الرأى فالبَهِتُ . وإن روى بالرفع فالفاء استثنائية ، وجملة البهت خبر مبتدأ محذوف ، أى فأننا أبْهَتْ بفتح الهمزة وضم الهاء وفتحها ، لأنه جاء من بابي قُرْبُ وتعب ، بمعنى أدهشُ وأتَحَيَّرُ . وأما أبْهَتْ بالبناء للمفعول فغير مراد هنا . يقال بهته يَبْهَتْه بفتحيتين ، فَبْهَتْ بالبناء للمفعول ، فهذا متعديٌّ وذاك لازم .

و (حتى) هنا ابتدائية ، ومعناها الغاية ، و (ما) نافية . و (أكاد) بمعنى أقرب . وجملة (أُجِيب) في محل نصب خبرها ، ومفعول أُجِيب محذوف أى أُجِيبها إنْ كَلَّمْتَنِي . ومثله قول الآخر :

عَلَامَةٌ مَنْ كَانَ الْهَوَى فِي فُؤَادِهِ إِذَا لَقِيَ الْمَحْبُوبَ أَنْ يَتَحَيَّرَا

والبيت من قصيدة لعروة بن حزام العُدريّ : تقدّمت مع ترجمته صاحب الشا-
في الشاهد السادس والتسعين بعد المائة^(١) . وقبله وهو مطلع القصيدة :

(وإِنِّي لتعروفي لذكركِ رَوْعَةً لها بينَ جِلْدِي والعِظَامِ دَبِيبٌ)

وقد وقع البيت الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة في قصيدة
لكثير عزة ، أورد ستة أبيات منها (في حماسته) الشريف ضياء الدين
هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسيني ، وهي^(٢) :

(أَبَى القلبُ إِلَّا أُمَّ عمرو وبَغِضْتُ إِلَى نِسَاءٍ مَاهِنٌ ذُنُوبُ

وليس على شَحْطِ النوى أَكْثَرَ البكا لقد كنت أَبكى والمزارُ قَرِيبُ

لَعَمْرُ أَبيها إِنَّ دَهْرًا يَرُدُّها إِلَى عَلَى شَحْطِ النوى لَطَلُوبُ

وما هو إِلَّا أَنْ أراها البيت)

وقد وقع البيت الشاهد بقافية رائية في قصيدة لأبي صخر الهذليّ منها :

وإِنِّي لآتيها أريدُ عتابَها وأوعِدُها بالهَجْرِ ما برقَ الفجرُ^(٣)

فما هو إِلَّا أَنْ أراها فجاءة فآبَهْتَ لا عَرَفُ لَدَيَّ ولا نَكُرُ^(٤)

(١) الخزاعة ٣ : ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) حاسة ابن الشجرى ١٥٣ .

(٣) لم ترد الأبيات ولا قصيدتها في ديوان الهذليين ، ووردت في شرح السكري ٩٥٦ -
٩٥٩ وأمالى القالى ١ : ١٤٨ - ١٥٠ . وأبيات من القصيدة في الأغاني ٥ : ١٥ - ١٦ والحماسة
١٢٣٠ - ١٢٣٢ بشرح المازوني

(٣) بدله في شرح السكري ٩٥٨ :

وإِنِّي لآتيها لكىما تتيينى أو اودنها بالصرم ما وضع الفجر

وفى الأمالى :

لقد كنت آتيا وفى النفس هجرها بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر

(٤) فى شرح السكري : « أن أراها بخلوة » .

وَأَنسَى الَّذِي فِيهِ أَكُونُ هَجَرْتُهَا كَمَا قَدِ تَنَسَّى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ^(١)
وعلى هذا فضمير هو عائد على العتاب .

وأبو صخرٍ الهذلي تقدّمت ترجمته في الشاهد الخامس بعد المائتين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الستائة ، وهو
من شواهد س^(٣) :

٦٧١ (لَا تَنَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ)
على أَنَّ (تَأْتِي) منصوب بَأَنَّ مضمرة بعد واو الجمعِية^(٤) الواقعة
بعد النهى .

قال سيبويه : واعلم أَنَّ الواو وإن جرت هذا المجرى فَإِنَّ معناها
ومعنى الفاء مختلفان . ألا ترى الأخطل قال :

لَا تَنَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ البيت

فلو دخلت الفاء ههنا لَافْسَدَتِ المعنى . وإنّما أراد: لا تجمعنَّ النهى
والإتيان ، فصار تَأْتِي على إضمار أَن . انتهى .

(١) السكرى :

وَأَنسَى الَّذِي قَدْ جِثَّتْ كَيْمَا أَقُولُهُ كَمَا تَتَنَسَّى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ

(٢) الخزائن ٣ : ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٣) في كتابه ١ : ٤٢٤ . وانظر المقتضب ٢ : ١٦ والجمل ١٩٨ وحاسة البحترى ١٧٤
والمؤتلف ١٧٩ ومعجم الشعراء للمرزباني ٤١٠ وابن يعيش ٧ : ٢٤ والمفنى ٣٦١ والشفور
٢٣٨ ، ٣١٢ وأدب الدنيا والدين ٢٨ والعينى ٤ : ٣٩٣ والتصريخ ٢ : ٢٣٨ والأشمونى
٢ : ٢٠٧ وملحقات ديوان أبى الأسود ١٣٠ .

(٤) هذا تعبير الرضى في شرح الكافية ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ . والمألوف في اصطلاح النحاة ،
هو واو المعية ، وتعبيره أدق ، وذلك للفصل بين واو المعية الخاصة بالمفعول معه ، والواو التي
تضمير بعدها أَن .

ويجوز رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى وأنت تأتى . ولا يجوز جزؤه ، لفساد المعنى . وعار خبر مبتدأ محذوف ، أى هو عارٌ . وعظيم صفته . وهذه الجملة دليلٌ جوابٍ إذا . ومعنى البيت من قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾^(١) . وقال الحاتمي : هذا أَشَرُّ بَيْتٍ قِيلَ فِي تَجَنُّبِ إِيْتِيَانِ مَا نُهِىَ عَنْهُ^(٢) . والبيت وُجِدَ في عدة قصائد . ومنه اختلف في قائله ، فنسبه الإمام أبو عبد الله القاسم بن سلام (في أمثاله) إلى المتوكل الكِنَانِي . وأورده في باب تعيير الإنسان صاحبه بعيب هو فيه .

والمتوكل من شعراء الإسلام ، وهو من أهل الكوفة ، وكان في عصر معاوية ويزيد ، ومدحهما .

ونسبه إليه أيضاً الآمدي (في المؤتلف والمختلف) ، وقال فيمن يقال له المتوكل : منهم المتوكل الليثي ، وهو المتوكل بن عبد الله بن نهشل ابن وهب بن عمرو بن لقيط بن يَعمَرَ الشَّذَّاح بن عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، الشاعر المشهور ، القائل :

* لَا تَنَهَ عَنْ خُلُقٍ * البيت

ونسبه إليه أيضاً أبو الفرج الأصبهاني (في الأغاني)^(٣) وذكر بإسناده

(١) الآية ٤٤ من سورة البقرة .

(٢) الشرود هنا بمعنى الشهرة والذِيع ، من قولهم : قافية شرود ، أى عائرة سائرة في البلاد ، تشرد كما يشرد البعير . قال الشاعر :

شرود إذا الرءاون حلوا عقابها

محملة فيها كلام مجمل

(٣) الأغاني ١١ : ٣٧ .

والمشهور أَنَّهُ من قصيدة لأبى الأسود الدؤلى . قال اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : الصَّحِيح أَنَّهُ لأبى الأسود . فَإِنْ صَحَّ ما ذكر عن المتوَكَّل فَإِنَّمَا أَخَذَ البيت من شعر أبى الأسود . والشعراءُ كثيراً ما تفعل ذلك . وهذه هى قصيدة أبى الأسود ، سُقناها بِرُمَّتْها لجودتها :

(حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ	فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضُرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوْجُوهَهَا	حَسِداً وَبَغِيّاً إِنَّهُ لِلدِّمِ (١)
وَالْوَجْهُ يَشْرِقُ فِي الظَّلَامِ كَأَنَّهُ	بَدْرٌ مَنِيرٌ وَالنِّسَاءُ نَجُومُ (٢)
وَتَرَى اللَّيْبَ مُحَسِّداً لَمْ يَجْتَرِمْ	شَتَمَ الرِّجَالَ وَعَرَضَهُ مَشْتُومُ
وَكَذَاكَ مَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ	حُسَادُهُ سَيْفٌ عَلَيْهِ صَرُومُ
فَاتَرَكَ مُحَاوَرَةَ السَّفِيهِ فَإِنَّهَا	نَدَمٌ وَغَبٌّ بَعْدَ ذَاكَ وَخَيْمُ
وَإِذَا جَرِيتَ مَعَ السَّفِيهِ كَمَا جَرَى	فَكَلَاكِمَا فِي جَرِيهِ مَذْمُومُ
وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى السَّفِيهِ وَلِمَتَهُ	فِي مِثْلِ مَا تَأْتِي فَأَنْتَ ظَلُومُ (٣)
لَا تَنَنْ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ	عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
أَبْدَأْ بِنَفْسِكَ وَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا	فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ (٤)
فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى	بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
وَيَلِ الْخَلْلَ مِنَ الشَّجَى فَإِنَّهُ	نَصِيبُ الْفَوَادِ بِشَجْوِهِ مَغْمُومُ (٥)

(١) ط : « قلنا لوجهها » ، صوابه فى ش والديوان . وفى الديوان : « حسداً وبنفساً » .

(٢) فى الديوان : « واليون نجوم » .

(٣) فى سمط اللاتى ٦٠٦ :

وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى اللَّيْمِ وَلِمَتَهُ فى بعض ما يأتى فَأَنْتَ مَلُومُ

(٤) فى حاسة البحرى ١٧٤ : « فَأَنْتَ عِلِمُ » .

(٥) فى ش مع تصحيح الشنقيطى بقلمه : « ويل الشجى من الخلل » ، وهو الوجه .

وهو نص المثل المشهور ، وقائله أكرم بن صيفى . الفاخر ٢٤٨ وجهرة العسكرية ٢ : ٣٣٨

والميدانى ٢ : ٢٩١ - ٢٩٢ . وقالوا أيضاً : « ما يلقى الشجى من الخلل » . الميدانى ٢ : ٢٠٣ .

وترى الخلى قريرَ عينٍ لاهياً وعلى الشجى كآبةً وهمومٌ
ويقول : مالك لا تقولُ مقالتي ولسانُ ذا طلقٍ وذا مكظومٌ
لا تكلمنَ عرضَ ابنِ عمِّك ظالماً فإذا فعلتَ فعرضُك المكلومُ
وحريمُهُ أيضاً حريمُك فاحميه كى لا يُباعَ لديكَ منه حريمٌ
وإذا اقتصصتَ من ابنِ عمِّك كلمةً

فكلومه لك إن عقلتَ كلومٌ^(١)

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً فلقاؤه يكفيكَ والتسليمُ
فإذا رآكَ مسلماً ذكرَ الذى كلَّمته فكأنَّه مملومٌ
ورأى عواقبَ حملي ذاك وذمه للمرءَ تبقيَ والعظامُ رميمٌ
فارجُ الكريمَ وإن رأيتَ جفاهه فالعتبُ منه والكرامُ كريمٌ^(٢)
إن كنتَ مضطراً وإلاً فاتخذْ نفقاً كأنَّكَ خائفٌ مهزومٌ
واتركه واحذر أن تمرَّ ببابه دهرأ وعرضُك إن فعلتَ سليمٌ
فالناسُ قد صاروا بهائمَ كلُّهم ومن البهائمِ قائلٌ وزعيمٌ^(٣)
عمى وبكم ليس يُرجى نفعهم وزعيمهم فى النائباتِ مُليمٌ^(٤)
وإذا طلبتَ إلى لثيمٍ حاجةً فالحُجَّ فى رفيقٍ وأنتَ مُديمٌ
والزُّمُ قبالةَ بيتهِ وفناءه بأشدَّ مالزمَ الغريمَ غريمٌ^(٥)
وعجبتُ للدنيا ورغبة أهلها والرزقُ فيما بينهم مقسومٌ
والأحمقُ المرزوقُ أعجبُ من أرى من أهلها والعاقِلُ المحرومُ

٦١٩

(١) الكلمة ، بالفتح : المرة من الكل بالفتح أيضاً ، وهو الجرح ، كلمة يكلمه ، من بابي ضرب وقتل .

(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان : « والكريم كريم » .

(٣) ش : « قابل وزعيم » . والقابل : الكفيل ، وفى الديوان : « قائد وزعيم » .

(٤) ألام : فعل ما يلام عليه . وفى الديوان : « كلم » .

(٥) فى الديوان : « واسكن قبالة بيته وفناؤه » ، والوجه ما هنا .

ثم انقضى عجبى لعلّى أنّه رزق موافٍ وقته معلوم)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد السّائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٦٧٢ (وما أنا للشيء الذى ليس نافعى ويغضب منه صاحبي بقول) على أن سيويه جوز في (يغضب) النصب والرفع .

وهذا نص سيويه : وسمعتنا من يُنشد هذا البيت من العرب ، وهو لكعب الغنوى ، بالنصب . والرفع أيضاً جائز حسن . ويغضب معطوف على الشيء ، ويجوز رفعه على أن يكون داخلاً في صلة الذى . انتهى .

قال النحاس : قال محمد بن يزيد : الرفع الوجه ، لأنّ يغضب في صلة الذى ؛ لأنّ معناه الذى يغضب منه صاحبي . قال : وكان سيويه يقدّم النصب ويثنى بالرفع ، وليس القول عندي كما قال ، لأنّ المعنى الذى يصحّ عليه الكلام إنّما يكون بأن يقع يغضب^(٢) في الصلة كما ذكرت لك . ومن أجاز النصب فإنّما يجعل يغضب معطوفاً على الشيء ، وذلك جائز ولكنه بعيد . وإنّما جاز لأنّ الشيء منعوته ، فكان تقديره : وما أنا للشيء الذى هذه حاله ولأنّ يغضب صاحبي . وهو كلام محمول على معناه ، لأنّه ليس يقول الغضب . ومثل هذا تجوز . تقول : إنّما جاء بك طعام زيد . والمعنى إنّما جئت من أجله . قال أبو إسحاق : النصب بمعنى وغضب ، أى دون غضب صاحبي . والرفع على أن يكون

(١) في كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ١٩ والمنصف ٣ : ٥٢ والقال

٢ : ٢٠٤ وخامسة ابن الجرى ١٣٧ وابن يمش ٧ : ٣٦ والأصمعيات ٧٦ .

(٢) ش : « بأن يغضب » .

داخلاً في صلة الذي ، كأنه قال : والذي يغضب منه صاحبي . وسألت عنه أبا الحسن فقال : يجوز عندي أن يكون جواباً لما . انتهى .

أي يكون يغضب منصوباً بعد الواو في جواب النفي الأول الذي هو : وما أنا ، دون الثاني الذي هو : ليس نافع . وهو المسمى في الشرح بالصَّرف^(١) . وهو مختار الشارح ، تبعاً لصاحب الباب .

وفيه ردُّ على ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) من وجهين :

أحدهما : أنه زعم أنَّ الواو في ويغضب ليست واو الجمع ، وإنما هي واو العطف . وذكرها الزمخشريُّ وإن لم يكن بابها^(٢) لموافقتها لواو الجمع من وجهين ، الرفع والنصب . وكذلك فعل في الفاء .

ثانيهما : في أتباعه لسيبويه في زعمه أنَّ يغضب معطوف على قوله للشيء .

بقي احتمال آخر لعطف يغضب المنصوب ، قال ابن الحاجب : ولا يستقيم أن يكون معطوفاً على نافعٍ لأمرٍ معنويٍّ ، وهو أنه يصير المعنى : لا ينفعني ولا يُغضب صاحبي . وليس الغرض كذلك ، بل الغرض نفي النفع عنه وإثبات الغضب للصاحب . وأورد على مختار الشارح بأنه يلزم منه تقدُّم المعطوف وهو يغضب ، على المعطوف عليه وهو قَوْل . وأجاب بأنَّ قوله ويغضب في نية التأخير ، إذ التقدير : وما أنا بقَوْل للشيء الذي لا ينفعني ويغضب صاحبي بالنصب ، أي مع

٦٢٠

(١) في شرح الرضى على الكافية ٢ : ٢٣٢ : « وإذا نصبته فهو على الصرف » . وتسمية هذه الواو بواو الصرف اصطلاح كوفي ، كما في المغني ٣٦١ عند الكلام على الواو المفردة . وانظر الصبان ٣ : ٣٠٦ .

(٢) ط : « تكن بابها » .

غضب صاحبي . فيغضب وإن كان مقدماً لفظاً على قَوْل فهو متأخراً
معنى ، لأنَّ بقَوْل خبر ما ، فهو مقدّم في التقدير . ونظيره تقدّم الفاء
في قولك : متى فأكرمك تكرمنى . والتقدير متى تكرمنى فأكرمك .

وقول الشارح المحقق : « وقال أبو علي في كتاب الشعر : بل هو
عطف على نافعى » ، أراد بكتاب الشعر كتابه المسمى بإيضاح الشعر
وإعراب الشعر .

وهذه عبارته فيه : في قولك يغضب ضربان ^(١) : إن جعلتها داخلة
في الصلة كانت مرفوعة ، لأنّه لا شيء يحمل عليه فينصب ، فإذا عطّف
لم يخرجها من الصلة وحمل الكلام على المعنى ، كأنه قال : وما أنا
للذى لا ينفعنى ويغضب منه صاحبي بقَوْل . فإذا دخل يغضب في
الصلة عطّف المضارع على اسم الفاعل ، وكلُّ واحد من المضارع واسم
الفاعل يُعطّف على الآخر لتشابههما . وموضع المضارع الذى هو يغضب
نصبٌ للعطف على خبر ليس ، والضمير الذى هو منه ، يعود على اسم
ليس ، والمقول حينئذٍ هو الشيء ، والقول يقع عليه لعمومه ^(٢) ، واحتماله
أن يكون القول وغيره . وليس كالغضب . فإذا أخرج يغضب من الصلة
أضمّر أن يعطفه إياها على الشيء ، كأنه قال : وما أنا للشيء الذى
ليس نافعى ويغضب ^(٣) صاحبي بقَوْل . فالغضب لا يقال ، ولكن
التقدير ولقول غضب صاحبي . فتضيف القول الحادث عنه الغضب

(١) ط : « ضرباب » ، صوابه في ش .

(٢) يعنى عموم الشيء .

(٣) ط : « ولغضب » ، صوابه في ش .

إلى الغضب، كما تقول: ضرب التلف، فتضيف الضرب إلى ما يحدث عنه. هذا كلامه.

ونظرَ صاحبُ اللباب في تقدير القول المضاف، وبينه شارحه الفالائي^(١) بأنَّ القول المقدر إما من باب إضافة المصدر إلى المفعول، أو من باب إضافة الشيء للشيء للملابسة. وهما فاسدان.

أما الأول فلأنه يلزم منه وقوعه على ما هرب منه، إذ يلزم أن يكون الغضب مقولا.

وأما الثاني فلأن لفظة منه تدفعه^(٢)، إذ إضافة الملابس مغنية عن ذكر منه، إذ قولك قول غضب صاحبي بمعنى الملابس، معناه قول يصدر ويتولد عنه غضب صاحبي. فلا حاجة إلى ذكر منه، كما تقول: رأيتك يوم خرجت، فإن الإضافة مصححة لكون الخروج في اليوم، فلا حاجة إلى أن تقول يوم خرجت فيه.

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي، أوردها أبو تمام (في مختار أشعار القبائل) وأورد بعضها القالي (في أماليه)، والشريف (في حماسه)، وهي:

(لقد أنصبتني أم عمرو تلومني وما لوم مثلي باطلاً بجميل
ألم تعلمي أن لا يراخي منيتي قعودي، ولا يئدني الحمام راحلي^(٣))

(١) في النسختين: «القال». بالقاف، صوابه بالقاف كما سبق التنبيه في أكثر من مرة. نسبة إلى مدينة «قال» قرية من أيلج من بلاد خوزستان، وذكر الميمى أن من هذا الشرح نسخة بميدرا آباد كتبت سنة ٧٧٥ وأنه يوجد كثير من نسخه بالهند.

(٢) ش: «يلغمه».

(٣) الأسمعيات ٧٤: «ولا يئدني الوفاة». والأبيات كلها في الأسمعيات.

فإنَّكَ واللومَ الذى ترَجِّعِينِه على ، وما لَوَّامَةٌ بِعَقُولِ^(١)
 كداعى هَدِيلٍ لا يُجَابِ إِذَا دَعَا ولا هو يَسْلُو عَنْ دُعَاءِ هَدِيلٍ
 وذى نَدَبٍ دَامِيَ الْأَظْلُ قَسَمْتُهُ محافظةً ، بينى وبينَ زَمِيلِي^(٢)
 وزادِ رَفَعْتُ الكَفَّ عَنْهُ عَفَافَةٌ لأُوْثِرَ فى زَادِي عَلَى أَكْبِيلِي^(٣)
 وَمَنْ لا يَنْلُ حَتَّى يَسُدَّ خِلَالَهُ يَجِدُ شَهَوَاتِ النَّفْسِ غَيْرَ قَلِيلِ
 وَعَوْرَاءٌ قَدْ قِيلَتْ فَلَمْ أَلْتَفِتْ لَهَا وما الْكَلِمُ الْعَوْرَاءُ بَلْ بِقَبُولِ^(٤)
 وما أَنَا لِلشَّيْءِ الذى لَيْسَ نَافِعِي . . . البيت ٦٢١
 وَلَنْ يَلْبَثَ الْجُهَّالُ أَنْ يَتَهَضَّمُوا أَخَا الْحَلَمِ مَالِمْ يَسْتَعِزُّ بِجَهْلِهِ^(٥)
 وهذا ما أورده أبو تمام .

وأنصبه : أوقعه فى النَّصَبِ بفتحِ تين ، وهو التعب . والحِمام
 بالكسر : الموت . والهديل : فرخ كان على عهد نوح عليه السلام ،
 فصاده جارحٌ من جوارح الطير . قالوا : فليس من حمامةٍ إلَّا وتبكي
 عليه . قال الكيث :

وما مَنْ تَهْتَفِينَ بِهِ لِنَصْرِ بِأَقْرَبَ جَابَةٍ لَكَ مِنْ هَدِيلِ^(٦)

(١) فى الأصمعيات :

فإنَّكَ والموت الذى ترهينسه على وما عذالة بغفول

(٢) هذا البيت مع تاليه والبيت التاسع ثلاثة فى أمالى القالى .

(٣) فى أمالى القالى : « عنه تجملا » . وهذا البيت مع التاسع والعاشر ثلاثة فقط فى حماسة

ابن الشجرى .

(٤) فى الأصمعيات : « فلم أستمع لها » .

(٥) حماسة ابن الشجرى : « أخا الحكم » .

(٦) الجابة : الجواب ، ومنه المثل : « أساء سمعاً فأساء جابة » . وفى ط : « جامة » ،

صوابه فى ش وديوان الكيث ٢ : ٥٨ واللسان (هدى) وجمهرة المسكرى ١ : ٢٥ .

والنَّدَبُ بفتحيتين ، قال القالي : هو الأثر ، وجمعه نُدوبٌ وأنداب .
والأَظْلُ بالمعجمة قال القالي : هو باطنُ خفِّ البعير . والزَّمِيل : الرفيق .
يريد أنه قَسَمَ ظهرَ بعيره بينه وبين رفيقه في الركوب ولم يتركه
ماشياً . والعَفَافَة : العِفَّة . والأَكِيل : المؤكِّل . والخلال بالكسر :
جمع خَلَّةٍ بالفتح : الحاجة والفقر . والعوراء : الكلمة القبيحة .
وتهَضَّمه وهَضَّمه ، إذا دَفَعَهُ ^(١) عن موضعه .

كعب بن
سعد الغنوي

وكعب بن سعد الغنويُّ هو شاعرٌ إسلامي ، وهو أحد بني سالم بن
عُبَيْد بن سَعْد بن عوف بن كعب بن جَلَّان ، بكسر الجيم وتشديد
اللام ، ابن غُثَم يسكون النون ، ابن غنى بن أعصُر . كذا قال أبو عبيد
البكري (في شرح أمالي القالي) في موضعين منه .

وقد راجعتُ كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة ، وكتاب
الأغاني وغيرها ، فلم أجد ترجمته في أحدها إلا ما قاله أبو عبيد المذكور .
والظاهر أنه تابعي .

* * *

وأنشد بعده :

(وَلُبْسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ ^(٢))

على أن (تقرُّ) منصوب بأن بعد واو العطف .

قال سيبويه : لما لم يستقم أن تحمل وتقر وهو فعل ، على لبس

(١) ط : « رفعه » ، صوابه في ش .

(٢) في النسختين : « لما لم يستقم له أن يحمل » ، صوابه ما أثبت من كتاب سيبويه

١ : ٤٢٧ و ٣ : ٤٦ من نسختي . والكلام كله على الخطأ عند سيبويه .

وهو اسم ، ولما ضُمَّتْهُ إِلَى الاسمِ وجعلتْ أَحَبَّ لهما ، ولم ترد قَطْعَهُ ^(١) لم يكن بدٌّ من إضمار أَن .

قال النحاس : قال أبو الحسن : أئى لم ترد ^(٢) لُبِسَ عِبَاءَةٌ أَحَبُّ إِلَى وَأَن تَقَرَّ عَيْنِي ، لِأَنَّ هَذَا يَبْطُلُ الْمَعْنَى ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنَّ لِبِسَ عِبَاءَةٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ . هَذَا سَخَفٌ ، إِنَّمَا أَرَادَ قُرَّةَ الْعَيْنِ ^(٣) ، فَلِهَذَا نَصَبَ .

وقال الأَعلَمُ : نَصَبَ تَقَرَّ بِإِضْمَارِ أَن لِيُعْطَفَ عَلَى اللَّبْسِ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ وَتَقَرَّ فَعَلَ ، فَلَمْ يُمْكِنْ عَطْفُهُ عَلَيْهِ فَحُمِلَ عَلَى إِضْمَارِ أَن لِأَنَّ أَن وَمَا بَعْدَهَا اسْمٌ ، فَعُطِفَ اسْمًا عَلَى اسْمٍ ، وَجُعِلَ الْخَبَرُ عَنْهُمَا وَاحِدًا ، وَهُوَ أَحَبُّ . وَالْمَعْنَى : لِبِسَ عِبَاءَةً مَعَ قُرَّةَ الْعَيْنِ وَصَفَاءَ الْعَيْشِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبِسِ الشُّفُوفِ مَعَ سُخْنَةِ الْعَيْنِ وَنَكْدِ الْعَيْشِ . وَالْعِبَاءَةُ : جَبَّةُ الصَّوْفِ . وَالشُّفُوفُ : ثِيَابٌ رَقَاقٌ تَصِفُ الْبَدْنَ ، وَاحِدُهَا شِفٌّ . انْتَهَى .

فإن قلت : ما الفرق بين واو الجمع وواو العطف ، وهل هما إلا شيء واحد؟ قلت : واو الجمع في الأصل للعطف ، لكنّه خصّ ببعض أحواله ، وذلك أَنَّ المعطوف قد يكون قَبْلَ المعطوف عليه في الوجود ، وقد يكون بَعْدَهُ ، وقد يكون مَعَهُ ، نحو : جاء زيد [وعمرؤ ^(٤)] قَبْلَهُ أو بَعْدَهُ أو مَعَهُ . فَخَصَّ واو الجمع بما يكون بمعنى مع ، فهو باعتبار أصل معنى العطف احتاج إلى تقدير مصدرٍ منتزِعٍ مِنَ الْأَوَّلِ . وباعتبار اختصاصه العارض بحال المعية صار كأنّه قسيمٌ للعطف المطلق الذى لا يتقيّد . فواو الجمع عطفٌ مقيّد بالمعية ، وواو العطف غير مقيّد بها . فهذا هو الفرق .

(١) ط : « لفظه » ، صوابه في سيبويه وش مع أثر تصحيح .

(٢) كذا بالتاء هنا ، وبالياء فيما سأتى : « لم يرد » .

(٣) في النسختين : « قرت العين » ، والوجه ما أثبت ، لأنه يريد المصدر . وانظر ما سأتى من كلام الشنتمرى .

(٤) تكملة يستقيم بها الكلام .

وقال اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : ولو رفعت وتقرّ لجاز ،
على أن ينزل الفعل منزلة المصدر ، ونحو قولهم : « تسمع بالمعيدي » ، فتسمع
منزل منزلة سماعك . وكقول جرير يعني الفرزدق :

نفاك الأغرُّ بنُ عبد العزيز وحَقُّكَ تُنفَى من المسجد^(١)

وقول امرئ القيس :

فدمعُهما سحٌّ وسكبٌ وديمة ورشٌ وتوكافٌ وتَنهملان^(٢)

قال : يريد وحَقُّكَ التَّنْفَى وانهمالٌ .

واستشهد صاحب الكشف بالبيت على قراءة : (أو آوى^(٣)) بالنصب
على إضمار أن ، كأنه قيل : لو أن لي بكم قوة أو أويًا ، كما في : لبس
عباءة وقرّة عيني .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لميسون بنت بحدل الكلبية ، وتقدّمت مشروحة في
الشاهد الثامن والخمسين بعد السّمانّة^(٤)

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد السّمانّة^(٥) :

(أو أن يلومَ بحاجة لُوأمها) ٦٧٣

على أن (أن) قد ظهرت بعد (أو) في الشعر .

(١) الخصائص ٢ : ٤٣٤ والأغاني ١٩ : ٢١ ، ٥٢ وديوان جرير ١٢٨ .

(٢) ديوان امرئ القيس ٨٨ .

(٣) الآية ٨٠ من سورة هود . ونصها : « قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » .
وهذه قرأة شيبة وأبي جعفر كما في تفسير أبي حيان ٥ : ٢٤٧ .

(٤) ش : « الثاني والخمسين بعد السّمانّة » ، صوابه ما أثبت من ط . وانظر ما سبق في

هذا الجزء من الخزائن ص ٥٠٣ - ٥٠٦ .

(٥) الشاهد من معلقة لييد ، ولم أجد مستشهداً به لهذا غير الرضى .

وهذا عجزٌ ، وصدّره :

(أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرَطُ رِيبَةً)

صاحب الشاهد والبيت من معلّقة لببّد الصحابي رضى الله عنه . قال شارح المعلقات القاضي أبو الحسين الزوزنى : يقول : أقضى وطرى ولا أفرط في طلب بُغيتى ، ولا أدع ريبَةً إِلَّا أَنْ يَلُومَنِي لَائِمٌ . وتحرير المعنى أَنَّهُ لَا يَقْصُرُ ، لكنّه لا يمكنه الاحتراز عن لوم اللوام . وأو في قوله : « أَوْ أَنْ يَلُومَ » بمعنى إِلَّا أَنْ يَلُومَ . ومثله قولهم : لَأَلْزِمَنَّهُ أَوْ يُعْطِيَنِي دَيْنِي ، معناه إِلَّا أَنْ يُعْطِيَنِي حَقِّي . انتهى كلامه .

يقال قضيت وطرى ، أى بلغت وبلغته . واللّبانة بضم اللام : الحاجة . ويقال فرطته ، أى تركته وتقدّمته . كذا في الصحاح . وفرط في الأمر تفريطاً : قصر فيه وضيّعه . والريب : الحاجة ، ومثله الريب . قال الشاعر ^(١) :

* قضينا من تهامة كلّ ريبٍ *

هذا المناسب ، وهو المفهوم من كلام الزوزنى السابق .

وقال أبو جعفر النحوى ، والخطيب التبريزى ، وأبو الحسن الطوسى (فى شروحه) : الريب : الشك . ورووا :

* أَقْضَى اللَّبَانَةَ ، أَنْ أَفْرَطَ رِيبَةً *

بنصب ريبة ورفعها . قالوا : فمن رفع جعله خبر ابتداءً ، والمعنى تفريطى ريبةً . ومن نصب فالمعنى مخافة أن أفرط ، ثم حذف مخافة .

(١) لكعب بن مالك فى السيرة ٨٧٠ واللسان (ريب ٤٢٧) . وعجزة :

* وخير ثم أجمنا السيوف *

هذا قول البصريين . وقال الكوفيون : لثلا مضمرة ، والمعنى لثلاً أفرط ريبة . يريد إنني أتقدم في قضاء حاجتي لثلاً أشك وأقول إذا فاتتني : ليتني تقدمت ، أو يلومني لائم على تقصيري . والمعنى إنني لا أدع ريبة تنفذني^(١) حتى أحكمها . والتفريط : الإنفاذ والتقديم .

هذا كلامهم ، وفي حلهم المعنى قلاقة وعقادة^(٢) . وليست «أو» على كلامهم بمعنى إلا . ومعنى البيت على شرح الزورني واضح لا خفاء فيه . واللوام : مبالغة لائم ، فاعل يلوم .

وترجمة لبيد تقدمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد السائة^(٤) :

٦٧٤ (لقد عدلتني أم عمرو ولم أكن مقالتها ما كنت حياً لأسمعا)

على أن مقالتها مفعول مقدم لأسمع عند الكوفيين كما نقله الشارح المحقق وغيره . وعند البصريين منصوب بفعل^(٥) محذوف يفسره المذكور ، والتقدير : ما كنت أسمع مقالتها . ثم بين ما أضمر بقوله لأسمعا .

٦٢٣

وهذا البيت قد أورده ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) ، وابن يعيش (في شرح المفصل) ، ولم أقف على تتمته ولا على قائله . والله أعلم بذلك .

(١) في النسختين : « تنفذني » بالقاف ، صوابه بالفاء كما أثبت من الشروح .

(٢) يريد التعقيد . ولم أجدها هذا المصدر في المعاجم المتداولة .

(٣) الخزاعة ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ .

(٤) ابن يعيش ٧ : ٢٩ والإنصاف ٥٩٣ والتصريح ٢ : ٢٣٦ .

(٥) ط : « لفعل » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح .

وما مصدرية ظرفية ، وحياً خبر كنت ، أى مدة كوني حياً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد السائة ^(١) :

٦٧٥ (وَحُقَّ لِمَثَلِي يَا بُشَيْنَةَ يَجْزَعُ)

على أَنَّ أصله : أَن يَجْزَعُ ، فحذفت أَن وارتفع الفعل ، وهو نائب فاعلُ حَقَّ .
قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وقد حملهم كثرة حذف أَن
مع غير الفاعل على أَن استجازوا ذلك مع اسم مالم يُسمَّ فاعله وإن كان
جارياً مجرى الفاعل وقائماً مقامه ، وذلك قول جميل :

(جَزَعْتُ حِذَارَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا وَحُقَّ لِمَثَلِي يَابُشَيْنَةَ يَجْزَعُ)

أراد : أَن يَجْزَعُ . على أَنَّ هذا قليل . والمفعول قد يكون غير اسمٍ
صريح نحو : ظننت زيداً يقوم ، والفاعل لا يكون إلا اسماً صريحاً
محضاً ، وهم على إمحاضه اسماً أشدَّ محافظة من جميع الأسماء . ألا ترى
أَنَّ المبتدأ قد يقع غير اسم محض ، وهو قولهم : « تسمع بالمُعَيْدِى
خيرٌ من أَن تراه » ، فتسمع كما ترى فعل ، وتقديره أَن تسمع ،
فحذفهم أَن ورفعهم تسمع يدلُّ على أَنَّ المبتدأ قد يمكن أَن يكون
عندهم غير اسمٍ صريح . فإذا جاز هذا فى المبتدأ على قوة شبهه بالفاعل
فهو فى المفعول الذى يبعد عنهما أجوز . فمن أجل ذلك ارتفع الفعل
فى قول طرفة :

* أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرَى أَحْضَرُ الْوَغَى *

(١) الخصائص ٢ : ٣٤٥ وسر الصناعة ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٩ وابن يعيش ٤ : ٨/٢٧ :

٤٣ وضرائر ابن عصفور ٢٦٤ وديوان جميل ١١٨ .

عند كثير من الناس ، لَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ أَحْضُرَ . وَأَجَازَ سَ فِي قَوْلِهِمْ :
«مُرَّهُ يَحْفِرُهَا» أَنْ يَكُونَ الرَّفْعُ عَلَى قَوْلِهِ مُرَّهُ أَنْ يَحْفَرَهَا ، فَلَمَّا حَذَفْتَ أَنْ
ارْتَفَعَ الْفِعْلُ بَعْدَهَا . انْتَهَى كَلَامُهُ .

وقال (في الخصائص) عندما أنشد هذا البيت : أَى وَحُقَّ لِمَثْلَى
أَنْ يَجْزَعَ . وَأَجَازَ هَشَامٌ : يَسْرَتْنِي تَقَوْمٌ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جَائِزاً
عِنْدَهُ فِي الشَّعْرِ لَا فِي النَّثْرِ . انْتَهَى .

وقد عدَّ ابن عصفور (في كتاب الضرائر) جميعَ هذا من الضَّرورة .
قال : ومنه وضع الفعل موضعَ المصدر على تقدير حذف أَنْ وإرادة
معناها من غير إبقاء عملها ، نحو قوله :

وَمَا رَاعَنِي إِلَّا يَسِيرُ بِشُرْطَةٍ وَعَهْدِي بِهِ قَيْنًا يَفُشُّ بِكِيرٍ^(١)

يريد : وما راعني إِلَّا أَنْ يَسِيرَ بِشُرْطَةٍ . فحذف أَنْ وأبطل عملها
وهو يريد معناها . والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ الْمُضَارِعَ يُحْكَمُ لَهُ بِحَكْمِ مَا هُوَ
مَنْصُوبٌ بِأَنَّ وَإِنْ كَانَ مَرْفُوعاً قَوْلُهُ :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضُرُ الْوَعْيِ وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(٢)

في رواية من رفع أحضر . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَطَفَ أَنْ أَشْهَدَ عَلَى أَحْضُرَ ،
فدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ أَحْضُرَ . ومثله قولُ أسماءَ بنِ خارجةَ :

أَوَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَسْأَلُكُمْ مَا خَطَبْتُ عَاذِلَتِي وَمَا خَطَبَنِي^(٣)

(١) سِيَاقُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الشَّاهِدِ فِي التَّمَةِ الْمَلْحَقَةِ بِالشَّاهِدِ ٦٧٥ .

(٢) مِنْ مَعْلَقَةِ طَرْفَةِ . وَانْظُرْ سِرَ الصَّنَاعَةِ ١ : ٢٨٦ وَالْمُقْتَضِبَ ٢ : ٨٥ ، ١٣٦
وَالْمَحْتَسِبَ ٢ : ٣٣٨ وَالشُّذُورَ ١٥٣ .

(٣) مِنَ الْأَصْمِيَةِ ١١ . انْظُرِ الْأَصْمِيَّاتِ ٤٩ .

٦٢٤

يريد ، أن أسألكم . وقول علي بن الطفيل السعدي :
وأهلكني لكم في كل يوم تعوُّجكم عليَّ وأستقيم^(١)
يريد : وأن أستقيم ، أي واستقامتي لكم . وقوله :
جزعتُ حِذارَ البين يومَ تحمّلوا وحقُّ لمثلي يا بشينة يَجزَعُ^(٢)
يريد : أن يجزع . وقوله :
نفاك الأعزُّ بنُ عبد العزيز وحقُّك تُنفَى عن المسجد^(٣)
يريد : وحقُّك أن تنفي عن المسجد . وقول الآخر ، أنشده يعقوب :
* لولا يرائي النَّاسَ لم يصل^(٤) *
يريد : لولا أن يرائي النَّاسَ .

وقد يجيء مثلُ هذا في الكلام ، نحو قولهم : « تسمع بالمُعَيَّدي خيرٌ من أن تراه » ، إلَّا أنَّ ذلك يقلُّ في الكلام ، ويكثرُ في الشعر . انتهى .
وجزع الرجل جَزَعًا ، من باب تعب ، فهو جَزِعٌ وجَزَوْعٌ مبالغة ،
إذا ضَعُفَتْ مُنْتَهَى حَمَلٍ ما نَزَلَ به ولم يجدْ صبرًا . وأجزعه غيره ،
والغداة : الضَّحوة . والبَيْن : الفراق ، مصدر بانَ يبين ، إذا فارقَ وانفصل .
ولمَّا ظرفٌ بمعنى حين ، بدلٌ من غداة^(٥) . والواو في ترحَّلوا ضمير أهل

(١) نوادر أبي زيد ١٦١ والمختص ٢ : ٣٢ .

(٢) هو الشاهد المفقود له هذا الفصل .

(٣) لجرير في ديوانه ١٢٨ من نقائض مع الفرزدق . وانظر النقائض ٧٩٧ والخصائص

٣٤٢ : ١٩ والأغاني ١٩ : ٢١ ، ٥٢ .

(٤) الضرائر لابن عصفور ٢٦٥ وتهذيب الألفاظ ١٣٢ .

(٥) لم يرد نص البيت هنا على هذه الرواية : « جزعت غداة البين لما تحمّلوا » ، وإنما هي رواية ديوان جميل ١١٨ كما أنها رواية الأغاني في نسخة البغدادى ، تبناها فانطلق في تفسيرها سهوًا منه .

بشيئة . وكان الظاهر أن يقول تَرَحَّلْتُ بالتأنيث ، لَأَنَّ جَزَعَهُ إِنَّمَا كَانَ لِرَحِيلِهَا ، لكن لَمَّا كَانَ رَحِيلُ أَهْلِهَا مُوجِباً لِرَحِيلِهَا جَمَعَ .

وقوله : (وَحُقَّ لِمَثَلِي) إلخ ، وهو بالبناء للمفعول . في الصحاح : قال الكسائي : يقال حُقَّ لَكَ أَنَّ تَفْعَلَ كَذَا وهو حقيق به ومحقوق ، أى خليق له . وقال الفراء : حُقَّ لَكَ أَنَّ تَفْعَلَ كَذَا وَحُقَّ عَلَيْكَ أَنَّ تَفْعَلَ كَذَا . فإذا قلت حُقَّ بِالضَم قلت : لك ، وإذا قلت حَقَّ بِالْفَتْح قلت : عليك . وهذا من باب قولهم : مثلك لا يبخل ، وهو أَنَّهُ اسْتَعْمَلَهُ كَنَاءَةً مِنْ غَيْرِ تَعْرِيفٍ ، مِمَّا لَا يَرَادُ بِلَفْظِ (مِثْل) غَيْرُ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ ، لكن أُريدَ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا كَانَ مُقْتَضَى الْعُرْفِ أَنَّ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ . فعلى هذا ليس المراد في البيت أَنَّ مثله حقيقٌ بالجزع ، بل المراد بالمثل نفسه . لكن كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ فِرَاقِ الْأَحَبَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُهُ مِثْلَ حَالِهِ فِي الْجَزَعِ .

وجملة « حُقَّ لِمَثَلِي » إلخ ، إمَّا حال من التاء في جَزَعْتُ بإِضْمَارِ قَدْ ، وإمَّا معطوفة على جَزَعْتُ .

وروى الأصبهاني (في الأغاني) :

« وما كان مثلي يا بشيئةٌ يعجزُ ^(١) » .

فعلى هذا لا شاهد فيه .

وبشيئة : محبوبة جميل قاتل الشعر . وقد نَسَبَ بعض الشعراء بنساءً مخصوصة ، واشتهر كُلُّ واحدٍ منهم بِمَنْ تَغَزَّلَ بِهَا ، منهم جميل اشتهر ببشيئة ، ومنهم كثير اشتهر بعزة ، ومنهم عروة بن حزام اشتهر

(١) لم أجد هذا البيت في نسخة الساسي من الأغاني .

بعفراء ، ومنهم مجنونُ بنى عامر اشتهر بليلي ، ومنهم قيس بن ذريح اشتهر بلُبْنى ، ومنهم المرقش اشتهر بفاطمة ، ومنهم ذو الرمة اشتهر بمَيَّة وهى الخرقاء كما تقدّم ، ومنهم العباس بن الأحنف نَسَبَ بفَوْز . وبعض الشعراء لا يلتزم التغزلَ بامرأةٍ مخصوصة كما مرى القيس .

و (بثينة) مصغرُ بثنة . قال صاحب الصحاح : البثنة بالتسكين : الأرض اللينة ، وبتصغيرها سميت بثنة .

والبيت من قصيدة طويلة لجميل بن مَعْمَرٍ العُدْرى . صاحب الشاهد

روى صاحب الأغاني بسنده ^(١) قال : اجتمع جميل مع جماعةٍ من رهطه يتحدثون فقال بعضهم : بالله حدثنا أعجبَ يومٍ لك مع بثينة . قال : نعم ، مُنَعْتُ من لقائى مُدَّةً ، وتعرّضْتُ لها جَهْدِي فلم أَصِلْ إليها . فبينما أنا ذاتَ ليلةٍ جالسٌ بين شجراتٍ بالقرب من حَيِّها ، وقد أَقْمْتُ فيها ثلاثاً أَنتظرُها ، إذا شخصٌ قد أَقْبَلَ إلىَّ ، فجلستُ وانتضيتُ سيفي فلم أَلبِثُ أَنْ غَشِيَنِي الشخصُ ، فإذا هى بُثِينَةُ قد أَكْبَتْ عَلَى ، فَأَدْهَشَنِي ذلك وبقيتُ متحيراً لا أُجِرُ جواباً ولا أراجعُها ، حتّى بَرَقَ الصبحُ وما استطعتُ أَنْ أَكَلِمَها . قالوا : فهل قلتَ فى ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قصيدةً طويلةً . وهذه أبياتٌ من أولها :

أَهاجَكَ أَم لا بالتَّناضُبِ مَرَبَعٌ ورسمٌ بأَجْراغِ الغَدِيرينِ بَلْقَعٌ ^(٢)
ديارٌ ليلي إذ نَحَلُ بها معاً وإذ نحنُ منها فى المودَّةِ نَطْمَعُ ^(٣)

(١) هذا الخبر لم يرد فى نسخة الساسى من الأغاني .

(٢) التناضب بكسر الصاد : موضع . وفى الديوان : « بالداخل مربع ودار » وهو موضع كذلك .

(٣) فى حواشى المطبوعة : « قوله ليلي ، لا يخفى أن جيلا ينسب لبثينة ، كما تقدم قريباً . وسيأتى فى هذه الأبيات يقول : يابثينة يجزع . إلا أن يقال إنه قد يعبر عن محبوبته تارة ببثينة وتارة بليلي . فليحذر » .

فياربَّ حَبْنِي إِلَيْهَا وَأَعْطِنِي الـ
وإِلَّا فَصِيرْنِي وَإِنْ كُنْتُ كَارَهَاً
فَإِنْ يَكْ قَدْ شَطَّتْ نَوَاهَا وَقَدْ نَأَتْ
جَزَعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا
تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَانُوا بِنَظَرَةٍ
سُودَةٌ مِنْهَا أَنْتَ تُعْطِي وَتَمْنَعُ
فَإِنِّي بِهَا يَا ذَا الْمَعَارِجِ مُوَلِّعٌ^(١)
فَإِنَّ النُّوَى مِمَّا تُشِتُّ وَتَجْمَعُ^(٢)
وَمَا كَانَ مِثْلِي يَا بَثِينَةَ يَجْزَعُ
وَهَلْ عَاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ

وتقدمت ترجمة جميل العُدْرَى في الشاهد الثاني والستين من أوائل الكتاب^(٣).

تتمة

قد وقع (في مغنى اللبيب) و (في بعض شروح الألفية) الاستشهاد بقوله :

وما راعنى إِلَّا يَسِيرُ بِشُرْطَةٍ وَعَهْدِي بِهِ قَيْنًا يَفُشُّ بِكَبِيرٍ
ولم يقف على قائله ولا على تتمته السيوطي ولا العيني ، وهو مذكور
(في نوادر ابن الأعرابي) قال : أنشدني الدُّبَيْرِيُّ لرجلٍ من بني أَسَدٍ
يقال له معاوية بن خليل النَّصْرِيُّ^(٤) ، في إبراهيم ذى الشَّقر . وكان
إبراهيم أطردَه عَنْ بلاده ، فأقام في رمل بني حِجْلٍ ، فقال يهجو إبراهيم

(١) المعارج : جمع معرج ، وهو الدرجة والسلام ، واستعير للرتب والفواصل والصفات الحميدة والنعيم ، كما جاء في تفسير قتادة وابن عباس . وقال ابن عباس أيضاً : المعارج : السموات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء . وقال الحسن : هي المراق والمصاعد إلى السماء . وقال الفراء : ذى المعارج من نعت الله ، لأن الملائكة تعرج إلى الله ، فوصف نفسه بذلك . تفسير أبي حيان ٨ : ٣٣٣ والسان (عرج) ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ : ٢٠٥ في تفسير الآية ٣ من سورة المعارج .

(٢) في الديوان : « وإن تك قد شطت نواها ودارها » .

(٣) الخزائن ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٤) نسبة إلى بني نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وانظر بجمهرة ابن حزم ١٩٤ ، ٤٦٦ .

يلقب « فروخاً » وربما قالوا «^(١) فروجاً » . وهو إبراهيم بن حوران :
يَعْرِضُ فَرُوحُ بْنُ حَوْرَانَ بِنْتَهُ كَمَا عُرِضَتْ لِلْمَشْتَرِينَ جَزُورُ^(٢)
فَأَمَّا قَرِيشٌ فَهِيَ تُعْرِضُ رَغْبَةً وَأَمَّا الْمَوَالِي حَوْلَهَا فَتَدُورُ^(٣)
وَمَا رَاعِنَا إِلَّا يَسِيرُ بِشُرْطَةٍ وَعَهْدِي بِهِ قَيْنًا يَفُشُّ بِكَبِيرِ
لِهَا اللَّهُ فَرُوحًا وَخَرَّبَ دَارَهُ وَأَخْزَى بَنِي حَوْرَانَ خِزْيَ حَمِيرِ

* * *

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَى)

هو صدر ، وعجزه :

(وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي)

على أنه روى : (أَحْضَرُ) بالرفع ، وأصله أَنْ أَحْضَرَ ، فلما حُذِفَتْ
(أَنْ) ارتفع الفعل . وروى أيضاً بالنصب بإبقاء عملها بعد الحذف .

وقد تقدّم الكلام على هذا البيت مستوفى فيما بعد الشاهد الثامن
والخمسین بعد الستمائة^(٤) ، وفي الشاهد العاشر من أوائل الكتاب^(٥) .

نهاية الجزء الثامن من تقسيم محققه

(١) ش : « قال » .

(٢) في البيت خرم ، بإسقاط حرف في أوله . و « فروخ » كتبت في ش بنقطة لليم في وسطها وأخرى فوقها لتقرأ بالوجهين .

(٣) أي رغبة عنها وزهداً فيها .

(٤) انظر هذا الجزء الثامن ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٥) الخزائن ١ : ١١٩ - ١٢١ .

فهرس التراجم

٢٧٣	الزباء	١٥	طلحة الطلحات
٢٨٦	عبيد الله بن العباس	٢٢	جرير بن عبد الله البجلي
٣١٣	المرقش الأكبر	٢٣	الأقرع بن حابس
٣١٣	المرقش الأصغر	٢٤	عمرو بن خثارم
٣١٣	بشامة بن حزن النهشلي		(منافرة جرير البجلي وخالد
٣١٤	بشامة بن الغدير	٢٤	ابن أرطاة)
٣٢٩	أسماء أم الأسع	٤٩	سلمى بن ربيعة
٣٣٣	المؤمل بن أميل المحاربي	٦٥	الصمة القشيري
٣٦٦	فاطمة الأنمارية	٦٥	(من اسمه الصمة)
٣٦٧	(حرب داحس والغبراء)	٧٤	الطرماح بن حكيم
٣٧٢	قيس بن زهير	٨٠	سعيد بن قيس الهمداني
٣٩٧	(يوم عين محلم)	٩٤	أبو الطمحنان القيني
٤٠٥	أبو محجن الثقفي	١٠٠	الزبرقان بن بدر
٤٣٨	ربيعة بن مقروم الضبي	١٣٤	مالك بن زغبة للباهلي
٤٤٥	جابر بن رألان	١٤٥	سعد بن ناشب
٤٧٢	عبد الله بن عنمة المزني	١٧٣	أبان اللاحقي
٤٧٢	عبد الله بن عنمة الضبي	١٧٧	عبد الله بن المقفع
٥٠٥	ميسون بنت بحدل	١٨١	ريحانة بنت معديكرب
٥٣٧	مويلك الزموم	٢٠٩	أبو كبير الهذلي
٥٥٩	أبو الحام التغلبي	٢٥٧	(منافرة عامر وعلقمة)
٥٦٥	المتوكل الليثي	٢٧٠	(حديث عدى بن نصر)

فهرس الشواهد

باب المجموع

الشاهد	صفحة
٥٧٨	لنا جاملٌ لا يهدأ الليلَ سامره ٣
٥٧٩	عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبَنِي أَبِيهِ وَأَنْكَرْنَا زَعَانِفَ آخِرِينَ ٦
٥٨٠	نَضَرَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ ١٠
٥٨١	إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ ٢٠
٥٨٢	زَعَمْتَ تُمَاضِرُ أَنْتَى إِمَّا أُمْتُ يَسْدُذُ أُبَيْنُوهَا الْأَصَاغُرُ خَلَّتِي ٣٠
٥٨٣	قَدِ شَرِبْتُ إِلَّا الدَّهْيِدِيهِنَا قَلِيَصَاتٍ وَأَبْيَكِرِينَ ٥٠
٥٨٤	وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدُ عَمَلَسُ وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ وَعَرْفَاءُ جِيَالُ ٥٥
٥٨٥	ذَرَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سَيْنِيَهُ لِعَيْنَ بَنَا شَيْبًا وَشَيْبِنَا مُرْدًا ٥٨
٥٨٦	وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ ٦٥
٥٨٧	غِرَاثُ الْوُشَحِ صَامِتَةُ الْبُرَيْنِ ٧٠
٥٨٨	وَأَنْ لَنَا أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا أَبُّ بَرُّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ ٧٥
٥٨٩	إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا ٨٢

جمع المؤنث السالم

٥٩٠	أَنْتِ ذِكْرٌ عَوْدَنَ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خُفُوقًا وَرَفَضَاتُ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ ٨٧
٥٩١	وَأَهْلَةً وَدَّ قَدْ تَبَرَّيْتُ وَدَّهَمَ وَأَبْلَيْتُهُمْ فِي الْحَمْدِ جَهْدِي وَنَائِلِي ٩١
٥٩٢	وَهُمْ أَهْلَاتُ حَوْلِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ إِذَا أَدْلَجُوا يَدْعُونَ بِاللَّيْلِ كَوَثَرًا ٩٦
٥٩٣	أَخُو بَيْضَاتٍ رَائِحٌ مَتَاوِبٌ ١٠٢

جمع التذكير

٥٩٤	لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا ١٠٦
-----	---

المصدر

- ٥٩٥ وما الحربُ إلا ما علمتم ودُقمُ وما هو عنها بالحديثِ المرَّجمِ ١١٩
 ٥٩٦ أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرَبَّعٍ وَمَصِيفُ لَعِينِكَ مِنْ مَاءِ الشُّثُونِ وَكَيْفُ ١٢١
 ٥٩٧ ضَعِيفُ النَّسْكَايَةِ أَعْدَاءُهُ يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاحِي الْأَجَلَ ١٢٧
 ٥٩٨ لَقَدْ عَلِمْتُ أَوْلَى الْمَغِيرَةِ أَتْنَى كَرَرْتُ فَلَمْ أَنْكِلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا ١٢٩
 ٥٩٩ أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرُّتَاعَا ١٣٦

اسم الفاعل

- ٦٠٠ فَبِتُّ وَالْهَمُّ تَغْشَانِي طَوَارِقُهُ مِنْ خَوْفِ رَحْلَةٍ بَيْنَ الظَّاعِنِينَ غَدَا ١٣٩
 ٦٠١ فَيَا لِرِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدَّمًا عَلَى الْحَرْبِ خَوَاضًا إِلَيْهَا الْكَرَائِبَا ١٤٠
 ٦٠٢ ضَرُوبٌ بَنْضَلِ السَّيْفِ سَوْقَ سِمَانِيهَا

- إِذَا عَدِمُوا زَادًا فَإِنَّكَ عَاقِرُ ١٤٦
 ٦٠٣ شُمُّ مَهَاوِينَ أَبْدَانَ الْجَزُورِ مَخَا مِيصِ الْعَشِيَّاتِ لَأُخَوِرُ وَلَاقَزِمُ ١٥٠
 ٦٠٤ حَتَّى شَاها كَلِيلُ مَوْهِنًا عَمِلُ بَاتَتْ طِرَابًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَنْمُ ١٥٥
 ٦٠٥ حَذِرُ أُمُورًا لَا تُخَافُ وَآمِنُ مَا لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ ١٦٩
 ٦٠٦ أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُورِقُنِي وَأَصْحَابِي هُمُجُوعُ ١٧٨
 ٦٠٧ ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غُفَرُ ذَنْبِهِمْ غَيْرُ فُخْرٍ ١٨٨
 ٦٠٨ مَمَّنْ حَمَلَنَ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ حُبُّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مَهْبِلٍ ١٩٢
 ٦٠٩ وَكَرَّارُ خَلْفِ الْمُجَحَّرِينَ جَوَادُهُ إِذَا لَمْ يُحَامِرْ دُونَ أَنْثَى حَلِيلُهَا ٢١٠
 ٦١٠ هَلْ أَنْتَ بَاعَتْ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا أَوْعَبَدَ رَبُّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقٍ ٢١٥

اسم المفعول

٢٢٠ أَدْنُو فَاَنْظُوْرُ

الصفة المشبهة

٦١١ اَنْعَتْهَا اِنْنَى مِنْ نَعَاتِهَا كَوْمَ الذرى وادِقةً سُرَاتِهَا ٢٢١

٦١٢ الحزنُ باباً والعقورُ كلباً ٢٢٧

أفعل التفضيل

٦١٣ أبيضُ من أختِ بنى أباضِ ٢٣٠

٦١٤ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِى عَيْنِى مِنَ الظُّلَمِ ٢٣٨

٦١٥ إِنَّ الذى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ٢٤٢

٦١٦ سَتَعْلَمُ أَيْنَاَ لِلْمَوْتِ أَدْنَى إِذَا دَانَيْتَ لى الأَسْلَ الجِرَارَا ٢٤٩

٦١٧ وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصاً وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَائِرِ ٢٥٠

٦١٨ وَرِثْتُ مُهْلِهْلاً وَالْخَيْرَ مِنْهُ زَهيراً نِعَمَ ذُخْرُ الذَاخِرِينَا ٢٦١

٦١٩ فَإِنَّا وَجَدْنَا الْعِرْضَ أَحْوَجَ سَاعَةً إِلَى الصَّوْنِ مِنْ رِبِطِ يَمَانٍ مَسْهَمِ ٢٦٣

٦٢٠ وَاسْتَنْزَلَ الرَّبَّاءَ قَسْراً وَهَى مِنْ عُقَابِ لُوحِ الْجَوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى ٢٦٨

٦٢١ قُبْحُكُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرَا أَلَّامَ قَوْمٍ أَصْغَرَا وَأَكْبَرَا ٢٧٦

٦٢٢ مُلُوكٌ عَظَامٌ مِنْ مُلُوكِ أَعَاظِمِ ٢٨٢

٦٢٣ لَعَمْرِكَ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو النِّيَّةُ أَوَّلُ ٢٨٩

٦٢٤ فِى سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مُدَّتْ

٦٢٥ وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جَلِّى وَمَكْرُمَةٍ يَوْمَا سَرَاةٍ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا ٣٠١

٦٢٦ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنَ بِسُوءَى وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بِلِينِ ٣١٤

٦٢٧ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا ٣١٩

٦٢٨ مَرَرْتُ عَلَى وَادِي السَّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَادِي السَّبَاعِ حِينَ يُظْلِمُ وَادِيَا ٣٢٧

الفعل الماضي

٦٢٩ وَاللَّهِ لَا عَذَّبْتُهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ ٣٣٢

الفعل المضارع

٦٣٠ أَبَيْتُ أُسْرِي وَتَبَيْتِي تَذُلُّكِي جِلْدَكَ بِالْعَنْبِرِ وَالْمِسْكِ الذَّكِي ٣٣٩

٦٣١ كَجَوَارِي يَلْعَبْنَ بِالصَّحَرَاءِ ٣٤١

٦٣٢ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ ٣٤٣

٦٣٣ كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقَ ٣٤٧

٦٣٤ فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ ٣٥٠

٦٣٥ وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمْلِكُ ٣٥٩

٦٣٦ أَلَمْ يَأْتِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي ٦٣١

النواصب

٦٣٧ وَمَا كَدْتُ آيِبًا ٣٧٤

٦٣٨ وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَنَّنِي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالَمٌ ٣٨٣

٦٣٩ أَنَّ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ ٣٩٠

٦٤٠ وَلَا تَدْفِنَنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقَهَا ٣٩٨

٦٤١ فَلَمَّا رَأَى أَنْ ثَمَرَ اللَّهُ مَالَهُ وَأَثَّلَ مَوْجُودًا وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ ٤١٣

٦٤٢ أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَخْكُمَا مِنِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا ٤٢٠

٦٤٣ كَانَ جَزَائِي بِالْعَصَا أَنْ أَجْلَدًا ٤٢٩

- ٦٤٤ وشفاء غيكِ خابراً أن تسألي ٤٣٣
- ٦٤٥ يرجي المرء مالا أن يُلاقى وتعرض دون أدناه الخطوب ٤٤٠
- ٦٤٦ إذن لقام بنصرى معشر خشن ٤٤٥
- ٦٤٧ ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إلى يدي ٤٤٩
- ٦٤٨ إذن فعاقبني ربى مُعاقبة قرّت بها عين من يأتيك بالחסد ٤٤٩
- ٦٤٨ فلا تلحنى فيها فإن بحبها أخاك مُصاب القلب جم بلبله ٥٢
- ٦٤٩ لا تتركنى فيهم شطيرا إني إذن أهلك أو أطيرا ٥٦
- ٦٥٠ ازجر حمارك لا يرتع بروضتنا إذن يردّ وقيد العير مكروب ٦٢
- ٦٥١ لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وأمكّنني منها إذن لا أقبلها ٧٣
- ٦٥٢ فقالت أكل الناس أصبحت مانحا لسانك كما أن تغرّ وتخدعا ٨١
- ٦٥٣ أردت لكما أن تطير بقربتي فتتركها شنا ببيداء بلقع ٨٤
- ٦٥٤ كى لتقضي رقيّة ما وعدتني غير مختلس ٨٨
- ٦٥٥ فثم إذا أصبحت أصبحت غاديا ٩١
- ٦٥٦ إذا أنت لم تنفع فضرر فائد يراؤ الفتى كما يضر وينفع ٩٨
- ٦٥٧ لا تظلموا الناس كما لا تظلموا ٥٠٠
- ٦٥٨ ولُبس عباءة وتقر عيني أحب إلى من لبس الشفوف ٥٠٣
- ٦٥٩ لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري ٥٠٨
- ٦٦٠ تريدن كما تجمعينى وخالدا وهل يُجمع السيفان ويحك في غمد ٥١٤
- ٦٦١ ولا صلح حتى تضبعون ونضبعا

- ٦٦٢ سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبْنِي تَمِيمٍ
وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَاسْتَرْيَحَا ٥٢٢
- ٦٦٣ أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ
وَهَلْ تُخَيِّرُنَا الْيَوْمَ بِيَدَاءِ سَمَلِقُ ٥٢٤
- ٦٦٤ وَلَقَدْ تَرَكْتُ صَبِيَّةً مَرْحُومَةً
لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعُ عَلَيْكَ فَتَجَزَعُ ٥٣١
- ٦٦٥ غَيْرَ أَنَّا لَمْ يَأْتِنَا بَيِّقِينَ
فَنُرْجَى وَنَكْثُرُ التَّأْمِيلَا ٥٣٨
- ٦٦٦ وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِينَا
فَيَنْطِقُ إِلَّا بِالسَّيِّئِ هِيَ أَعْرِفُ ٥٤٠
- ٦٦٧ فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا
نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُغْذَرَا ٥٤٤
- ٦٦٨ إِنْ تَرَكِبُوا فَرَكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا
أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نُزُلُ ٥٥٢
- ٦٦٩ عَلَى الْحَكَمِ الْمَأْتِي يَوْمًا إِذَا قَضَى
قَضِيَّتَهُ إِنْ لَا يَجُورَ وَيَقْصِدُ ٥٥٥
- ٦٧٠ وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً
فَأَبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ ٥٦٠
- ٦٧١ لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ ٥٦٤
- ٦٧٢ وَمَا أَنَا لِلشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي
وَيَغْضَبُ مِنْهُ صَاحِبِي بِقَوْلِ ٥٦٩
- ٦٧٣ أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرِطُ رَيْبَةً
أَوْ أَنْ يَكُونُ بِحَاجَةٍ لَوَائِمُهَا ٥٧٦
- ٦٧٤ لَقَدْ عَذَلْتَنِي أُمُّ عَمْرٍو وَلَمْ أَكُنْ
مَقَالَتَهَا مَا كُنْتُ حَيًّا لِأَسْمَعَا ٥٧٨
- ٦٧٥ جَزَعْتُ حَذَارَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا
وَحَقُّ لِمَثَلِي يَا بَثِينَةَ يَجْزَعُ ٥٧٩

خزانة الأندلس

ولب لباب لسان العرب

تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الجزء التاسع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

○ الطبعة الثالثة ○

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجوازم

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الستائة^(١) :

٦٧٦ (لولا فوارسٌ مِنْ ذُهلٍ وَأَسْرَتْهُمْ يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُوفُونَ بِالْجَارِ)
على أَنْ (لم) قد جاءت في الشعر غيرَ جازمة .

وكذلك قال ابن عصفور : إنَّ رفع المضارع بعد لم ضرورة . وأنشد مع هذا البيت قولَ الشاعر :

وَأَمْسُوا بِهَالِيلَ لو أَقْسَمُوا على الشَّمْسِ حَوْلِينَ لَمْ تَطْلُعْ
يرفع (تطلع) . وقال : حَكَمَ لَمْ بدلاً من حُكِمَ بحكم ما ، لَمَّا كانت نافيةً مثلها . فرفع المضارع بعدها كما يرفع بعد ما .

وقال التبريزي (في شرح الكافية) ، تبعاً لابن جني (في سر الصناعة) :
وقد لا تجزم لم ، حملاً على لا .

وقال ابن مالك : إنَّ رفع المضارع بعدها لغة لا ضرورة . كذا في معنى اللبيب .

وفوارس : جمع فارس ، شاذٌ . وذُهلٌ ، بضم الذال المعجمة : اسمٌ لقبيلتين ، إحداهما : ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، والأخرى^(٢) :

(١) المحتسب ٤٢:٢ وابن يعيش ٨:٧ وضرائر ابن عصفور ٣١٠ والمغني ٢٧٧ ، ٣٣٩ والميني ٤ : ٤٤٦ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والمص ٢ : ٥٦ والأشئوفى ٤ : ٦ واللسان (صلف) .

(٢) ط : « والآخر » ، صوابه في ش . وما يجدر ذكره أن « ذهل » اسم لعدة قبائل لا لقبيلتين . انظر فهارس جمهرة ابن حزم ٥٦٣ ، فقد عد منهم ثمانى قبائل .

ذُهل بن ثعلبة بن عكابة، وهما من ربيعة. وروى بدله: «من جرّم»
بفتح الجيم، وهو قبيلة أيضاً. وروى: «نعم» أيضاً بضم النون، وهو
اسم امرأة، وهو تحريف.

(من ذُهل وأسرهم) يروى بالرفع عطف على فوارس، ويروى بالجر
عطف على ذهل.

وأسرة الرجل، بضم الهمزة: رهطه. والصُّلفاء: مصغر صُلَفَاء،
وهي الأرض الصُّلبة، والمكان أَصْلَف. ويقال صُلَفَاء، بوزن جرباء.
وقال الأصمعي: الْأَصْلَف والصُّلَفَاء: ما اشتدَّ من الأرض وغلظ وصلب،
والجمع الْأَصَالف والصَّلَاقِي. كذا (في العباب للصَّغاني). ويوم الصُّلَفَاء
هو يومٌ من أَيَّام العرب^(١)، لكنَّ الشاعر صغَّره. قال ابن رشيقي (في العمدة):
يوم الصُّلَفَاء لهوازن على فزارة وعَبْسٍ وأشجع، وفيه قتل دُرَيْد بأخيه
ذؤاب بن أسماء^(٢). انتهى.

والواو في (يوفون) ضمير القوم الذين هجَّاهم الشاعر. و (الجارُ)
له معان: منها المجاور في السَّكَن، ومنها المستجير وهو الذي يَطْلُبُ
الآمان، ومنها الحليف. وأحد هذه الثلاثة [هو المناسب^(٣)]، وعليه
ففيه حذف مضاف، أي لم يوفون بنمَّة الجار.

وهذا البيت أنشده الأَخْفَشُ والفارسيُّ وغيرهما، ولم أجد من عَرَّاه
إلى قائله، ولا مَنْ ذكر له تنمَّة. والله أعلم به.

(١) لم يذكره ياقوت. وإنما ذكر «الصلعاء» و «الصليعاء» أيضاً بالتصغير؛ ذكرها
بالعين المهملة، مشتقين من قولهم: رجل أصلع وامرأة صلاء، وقال: إنه موضع كانت به
وقعة لهم.

(٢) العمدة ٢: ١٦١ حيث ذكر الموضع بالفاء أيضاً.

(٣) التكلفة من ش.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد السائة^(١) :

٦٢٧ (فَأَضَحَتْ مَغَانِيهَا قِفَارًا رَسُولُهَا

كَأَنَّ لَمْ سِوَى أَهْلِ مِنَ الْوَحْشِ تُوَهَّلِ)

على أَنَّ (لم) قد فصلت في الضرورة مِنْ مجزومها ، فَإِنَّ الْأَصْلَ :
كَأَنَّ لَمْ تُوَهَّلِ سِوَى أَهْلِ مِنَ الْوَحْشِ .

وقيّد ابنُ عصفور الفصلَ في الضَّرورة بالمجرور والظرف ، وأنشد :
نَوَائِبِ مِنْ لَدُنِ ابْنِ آدَمَ لَمْ تَزَلْ تَبَاكِرُ مَنْ لَمْ بِالْحَوَادِثِ تَطْرُقِ
وأنشد بعده قوله : (فَأَضَحَتْ مَغَانِيهَا) البيت . وقد فصل في الأوّلِ
بين لَمْ ومجزومها وهو تطرق ، بالمجرور ، وفصل في الثاني بالظرف بينهما .
وكذلك صنع ابن هشام (في المغني) ، قال : وقد تُفَصَّلُ مِنْ مجزومها
في الضَّرورة بالظرف ، كقوله :

فَذَاكَ وَلَمْ إِذَا نَحْنُ امْتَرَيْنَا تَكُنْ فِي النَّاسِ يُدْرِكُكَ الْمِرَاءُ

وقوله : (فَأَضَحَتْ مَغَانِيهَا) البيت . وقد يليها الاسم معمولاً لفعلٍ
يفسّره ما بعده ، كقوله :

٦٢٧ ظَنَنْتُ فَقِيرًا ذَا غِنًى ثُمَّ نَلْتُهُ فَلَمْ ذَا رَجَاءٍ أَلْقَهُ غَيْرَ وَاهِبٍ^(٢)

انتهى .

(١) الشاهد لذى الرمة في ديوانه ٥٠٦ . وانظر الخصائص ٢ : ٤١٠ والنرائر ٢٠٣ .
والمغني ٢٧٨ والعيني ٤ : ٤٤٥ والجمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٥
(٢) المغني ٢٧٨ .

وقوله (إذا نحن امترينا) متعلق بيدرؤك ، الأصل : ولم تكن في الناس يدركك المراء إذا نحن امترينا ، والامتراء : الشك . والميراء : الجدال .

وقوله : « ظُنِنْتُ فقيراً » الخ . هو بالبناء للمجهول والتكلم . وفقيراً حال من نائب الفاعل ، وذا غنى : مفعول ثانٍ لظُنِنْتُ ، وضمير نلتُهُ للغنى ، وذا رَجاء : مفعول لفعل محذوف مفسرً بِالْقَى المذكور . وغير واهب : حال من فاعله ، يعنى أَنَّهُ فى حال فقره كان متعففاً ، فكفى عن ذلك بظنِّه ذا غنى ، وَأَنَّهُ حين صار غنياً يعطى كلَّ راجٍ لقيهُ ما يرجو .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لِيَذَى الرُّمَّة . وقبله :

(فيا كَرَمَ السَّكَنِ الذين تحمَّلوا عن الدار والمستخلفِ التبدُّلِ)
وبعده :

(كَأَنَّ لَمْ تَحُلَّ الزُّرْقَى ولم تطأُ بجرعاء حُرُوى نِيرِ مِرْطٍ مَرَحَلِ
إلى مَلْعَبٍ بين الحِوَاءِ مَنَصَفٍ قَرِيبِ المزارِ طَيْبِ التُّرْبِ مُسْهَلِ)

وقوله : « فيا كرم السَّكَنِ » إلخ . هو نداءٌ تعجُّبى ، أى يا صاح ، انظر كرمَ السَّكَنِ ، وهو أهل الدار ، جمع ساكن كصَحْب جمع صاحب . وتحملوا : أرتحلوا . والمستخلف معطوف على الدار ، وهو والتبدُّل رُويَا على صيغة اسم الفاعل واسم المفعول . يريد : الدار تبدَّلت بالسَّكَنِ الوحوشَ والطُّبَاءَ والبَقَرَ . يعنى أَنَّ الدار استخلفت واستبدلت الوحش .

وبهذا البيت استشهد صاحب (الكشاف) على أن التبدُّل فى قوله

تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ بِالطَّبِيبِ ^(١) ﴾ بمعنى الاستبدال ، كالتعجّل والتأخّر ، بمعنى الاستعجال والاستثخار .

وقوله : (فَأُضْحِتْ مَغَانِيهَا) أى صارت ، والمغنى . جمع مغنى ، وهو المَقَام ، مِنْ غَنَى بِالْمَكَانِ كَرَضِي ، إِذَا أَقَامَ فَهُوَ غَانٍ . والقِفَار : جمع قَفَرٍ . فى المصباح : القفر : المفازة لا ماء فيها ولا نبات . ودار قفر : خالية من أهلها . والرَّسْم : الأثر . ورسومها فاعل قفار . والروى فى ديوانه كذا :

* فَأُضْحِتْ مَبَادِيهَا قَفَارًا بِلَادُهَا * .

قال شارحه : مباديها : حيث تبلو فى الربيع . والبلاد : جمع بلدة ، وهى القِطعة من الأرض . وأهل المكان أهولاً من بابٍ قعد : غير بأهله فهو آهل ، وقرية آهلة : وأهلّت بالشئ : أنست به . قال شارح الديوان : تُوْهِلُ : تُنْزَلُ . يقال بلدٌ مأهولٌ : ذو أهل .

وقال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) : أهل هذا المكان . وسمعتُ يقال مكان آهل أى ذو أهل . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : وبنو عامر يقولون : أهلّت به آهلٌ به أهولاً ، أى أنستُ به .

وقوله : « كَانَ لَمْ تَحُلْ الزُّرْقُ » هو جمع أزرق . قال شارح الديوان : الزُّرْقُ : أكثبةٌ بالدَّهْنَاءِ . والجَزَاءُ من الرمل . وحُزْوَى بضم المهملة : موضع : والمِرْطُ ، بالكسر : الإزار . ونيره : علّمه . والمرحّل يفتح الحاء المهملة المشددة : الموشى على لون الرِّحَال ^(٢) .

وقوله : « إِلَى مَلْعَبٍ » ، الجَوَاعِين بكسر المهملة : أبياتٌ مجتمعة . يريد :

(١) الآية ٢ من سورة النساء .

(٢) فى الديوان : « الرجل » بالجيم . وفى شرحه : « والمرجل : المعلم » .

ملعباً بين الجوّاعين . وَمَنْصَفٌ : بفتح الميم والصاد ، يقول : هو بين
الجوّاعين وسط . ومسهلٌ : سهلٌ قد انجدرَ عن الغلظ .

وترجمة ذى الرمة تقدمت في الشاهد الثامن من أول الكتاب^(١) .

• • •

وأنشد بعده :

(أَزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزُلُ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ)
على أَنَّ الفعل بعد (قد) محنوف اختياراً، أى وكأن قد زالت.
وَأَزِفَ : دنا . والركاب : الإبل . ولَمَّا نافية جازمة ، وتَزُلُ مجزوم وأصله
تزول . والرحال : جمع رَحْل ، وهو ما يستصحبه الإنسان من الأثاث في
السفر . وكان مخففة .

٦٢٨

وتقدّم شرح هذا البيت مفصّلاً في الشاهد الخامس والعشرين
بعد الخمسمائة^(٢) .

• • •

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الستائة^(٣) :

٦٧٨ (احْفَظْ وَدِيعَتَكَ الَّتِي اسْتَوْدِعْتَهَا

يَوْمَ الْأَعَارِبِ إِنْ وَصَلْتَ وَإِنْ لَمْ)

على أَنَّ حذف مجزوم (لم) ضرورة ، والأصل : وإن لم تصل^(٤) .

كذا قدره أبو حيان ، فيكون وصلت مثله بالبناء للمعلوم .

(١) الخزائنة ١ : ١٠٦ .

(٢) الخزائنة ٧ : ١٩٧ - ٢٠٤ .

(٣) ديوان ابن هرمة ٢٠١ والمغنى ٢٨٠ والمعنى ٤ : ٤٤٣ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والمجمع

٥٦ : ٥٦ والأشياء والنظائر ٢ : ٧٣ والأشموقي ٤ : ٦ .

(٤) ط : « والأصل أن لم تصل » . وإثبات الواو من ش .

وقدره أبو الفتح البعلی : وإن لم تُوصَلْ ، فيكون إن وُصِلت مثله
بالبناء للمفعول .

وأنشد ابن عصفور (في الضرائر الشعرية) قول ابن هرمة :
وعليك عهدُ الله إنَّ بـيـابـه أهلَ السَّيالة إن فعلت وإن لم^(١)
يريد : وإن لم تفعل . ومثله قول الآخر :
ياربَّ شيخٍ من لُكيز ذى غَنَمٍ في كَفِّهِ زَبْغٌ وفي الفَمِّ فَقَسَمُ^(٢)
أَجْلَحَ لَمْ يَشْمَطْ وقد كان ولم

يريد : وقد كان ولم يجلح . ثم قال : وإنما لم يَجْزُ الاكتفاء بلم
وحذف ما تعمل فيه إلَّا في الشعر ، لأنَّها عاملٌ ضعيف ، فلم يتصرفوا
فيها بحذف معمولها^(٣) في حال السَّعة ، بل إذا كان الحرف الجار - وهو
أقوى في العمل منه ، لأنَّه من عوامل الأسماء ، وعواملُ الأسماء أقوى من
عوامل الأفعال - لا يجوز حذف معموله^(٤) ، فالأحرى أن لا يجوز ذلك
في الجازم . فإنَّ قال قائل : فلم جاز الاكتفاء بلمَّا وحذف معمولها في
سعة الكلام وهي جازمة ، فقالوا : قاربت المدينة ولمَّا ، أي ولمَّا أدخلها
ولم يَجْز ذلك في لم ؟ فالجواب أن تقول : إنَّ الَّذِي سَوَّغَ ذلك فيها
كونُها نفيًا لِقَدْ فعل . ألا ترى أنَّكَ تقول في نفي قد قام زيد : لم يَقم ،
فحُمِلت لذلك على قد ، فكما يقال لم يأت زيد وكأَنَّ قد ، أي وكأَنَّ

(١) ديوان ابن هرمة ٢١٩ والضرائر ١٨٣ . وفي الديوان : « إن أنباته » .

(٢) كذا ورد في الضرائر وابن يعيش ٨ : ١١١ بدون نسبة . وفي ابن يعيش : « وفي فيه » .

(٣) ط : « معمولها » ، صوابه في ش والضرائر .

(٤) في النسختين : « معمولها » ، صوابه من الضرائر .

قد أتى ، فيُكْتَفَى بقَد ، فكذلك أيضاً قالوا : قاربت المدينة ولماً ، أى ولماً
أدخلها ، فاكتفوا بلماً . هذا كلامه .

وقوله : (احفظ) أمرٌ . و (استودعتها) على بناء المجهول . و (يوم
الأعراب) لم أقف عليه في كتب أيام العرب ، وقال العيني : هو يوم
صاحب الشاهد معهود بينهم . ونسب البيت إلى إبراهيم بن هرمة . وتقدمت ترجمته في
الشاهد الثامن والستين ^(١) والله أعلم .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد السائة ^(٢) :

٦٧٩ (أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَ)

على أَنَّ الهمزة الداخلة على لَمَّا للاستفهام التقريرى ، أى ألم تعرفوا
مِنَّا إلى الآن الجِدِّ في الحربِ عِرْفَانًا يَقِينًا . أى قد علمتم ذلك فلم
تتعرضوا لنا .

وهذا عجزٌ وصلده :

(إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ)

والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ، يخاطب بني عمه بكر
ابن وائل .

وإليكم ^(٣) : اسم فعل ، أى : ابعُدوا وتَنَحَّوْا عَنَّا إلى أقصى ما يمكن من
البُعد . وكرّر إليكم تأكيداً للأولى . وبعده :

٦٨٠ (أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كَتَائِبَ يَطْعَنَ وَيَرْتَمِينَا)
و (أَلَمَّا) مثل الأولى . والكتيبة : الجماعة من الجيش ، سُمِّيَتْ كتيبة

(١) الخزانة ١ : ٤٢٤ .

(٢) معلقة عمرو بن كلثوم .

(٣) ط : « وإليك » ، صوابه في ش .

لاجتماع بعضها إلى بعض؛ ومنه كتبت الكتاب، أى جمعت بعض حروفه إلى بعض. ويَطْعَنُ: يفتعلن من الطَّعْنِ، وكذلك يرتمين^(١): يفتعلن من الرَّمْيِ، والألف للإطلاق. أراد التَّطَاعُنَ بالرمح، والتراعى بالسَّهْمِ مِنَّا ومنكم.

وتقدمت ترجمة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة مع شرح أبيات منها في مواضع في الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة^(٢).

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثمانون بعد السائة، وهو من شواهد سيبويه^(٣):

٦٨٠ (مُحَمَّدٌ تَفَدٍ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ

إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالَا)

على أنه جاء في ضرورة الشعر حذف لام الأمر في فعل غير الفاعل المخاطب، والتقدير: يا محمد لتفد نفسك كل نفس.

قال سيبويه: واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرّة، كأنهم شبهوها بأن إذا عملوها مضمرّة. وقد قال الشاعر:

محمد تُفَدٍ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ البيت .

وإنما أراد: لَتَفَدٍ. وقال مُتَمِّمٌ بْنُ نُوَيْرَةَ:

(١) ش: « يرتمين ».

(٢) الخزانة ٣: ١٨٣. وفي ش: « الثامن والثلاثين بعد المائة »، صوابه ما أثبت من ط.

(٣) سيبويه ١: ٤٠٨ والمقتضب ٢: ١٣٢ والأصول لابن السراج ٢: ١٨٢ وأما

ابن الجبلى ١: ٣٧٥ والإنصاف ٥٣٠ وابن يمين ٧: ٣٥، ٦٠، ٦٢ / ٩: ٢٤

والمقرب ١: ٢٧٢ ورصف المبانى ٢٥٦ وشفور الذهب ٢١١ والمغنى ٢٢٤، ٦٤١ والعين

٤: ٤١٨ والتصريح ٢: ١٩٤ والجمع ٢: ٥٥ والأشمونى ٤: ٥.

على مثل أصحاب البعوضة فاحمِشِي

لك الويل حُسرَ الوجه أو يبكِ مَنْ بَكَى^(١)

أراد : لِيَبْكِ . انتهى .

قال الأَعلم : هذا من أقبح الضرورة ، لأنَّ الجازم أضعف من الجارِّ ، وحرف الجرِّ لا يُضمر . وقد قيل إنَّه مرفوعٌ حُذفت لامُهُ ضرورةً واكْتُنِيَ بالكسرة منها . وهذا أسهلُّ في الضَّرورة وأقرب .

وقال النحَّاس : سمعت عليَّ بن سليمان يقول : سمعت محمد بن يزيد ينشد هذا البيت ويلحِّن قائله ، وقال : أنشده الكوفيون ، ولا يُعرف قائله ، ولا يُحتجُّ به ، ولا يجوز مثله في شعرٍ ولا غيره ، لأنَّ الجازم لا يُضمر ؛ ولو جاز هذا لجاز يَقمُ زيد ، بمعنى ليقم . وحروف الجزم لا تُضمر ، لأنَّها أضعف من حروف الخفض ، وحرف الخفض لا يضمر .

فبعد أنْ حكى لنا أبو الحسن هذه الحكاية ، وجدتُ هذا البيت في كتاب سيبويه يقول فيه : وحدَّثني أبو الخطَّاب أنَّه سمع هذا البيت ممن قاله .

قال أبو إسحاق الزجاج احتجاجاً لسيبويه : في هذا البيت حذف اللام ، أى لتفد . قال : وإنَّما سماه إضماراً لأنَّه بمنزلة . وأمَّا قوله أو يبكِ من بكى فهذا البيت لِفَصِيح ، وليس هذا مثل الأوَّل ، وإن كان سيبويه

(١) سيبويه ٣ : ٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ وأصول ابن السراج ٢ : ١٦٣ ، ١٨١ وابن الشجرى ١ : ٣٧٥ وابن يميث ٧ : ٦٠ ، ٦٢ والإنصاف ٥٣٢ ورصف اللباني ٢٢٨ والمغنى ٢٢٥ والبلدان (البعوضة) .

قد جمع بينهما . وذلك أَنَّ المعطوف يُعْطَفُ على اللفظ وعلى المعنى . فعطف الشاعر على المعنى ، لِأَنَّ الْأَصْلَ في الأمر أن يكون باللام ، فحذفت تخفيفاً والأصل : فلتخمشي ، فلما اضطرَّ الشاعر عطف على المعنى ، فكأنه قال : فلتخمشي وَيَبْكُ ، فيكون ^(١) الثاني معطوفاً على معنى الأول . والبعضة : موضع بعينه قُتل فيه رجالٌ من قومه فحضرَ على البكاء عليهم .

وحذا ابن هشام (في المعنى) هذا الحذو وقال : وهذا الذي منعه المبردُ أجازه الكسائي في الكلام ، بشرط تقدُّم قُلْ ، وجعل منه : (قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) ^(٢) ، أى ليقيموا .

ووافقه ابن مالك (في شرح الكافية) وزاد عليه أَنَّ ذَلِكَ يقع في النشر قليلاً بعد القول الخبري ، كقوله :

قُلْتُ لِبُشَّابٍ لَدَيْهِ دَارُهَا تَيْذَنُ فَإِنِّي حَمَوُهَا وَجَارُهَا ^(٣)

أى لتيذن ، فحذف اللام وكسر حرف المضارعة .

٦٣٠

وأما ابن عصفور فلم يَزِدْ (في كتاب الضرائر) على قوله : إضمار الجازم وإبقاء عمله أقبح من إضمار الخافض . ثم أنشد خمسة أبيات حذف فيها اللام .

و (محمدٌ) منادى . و (تفدي) أمرٌ من الفداء . و (كلٌّ) فاعله . و (نفسك) مفعوله . و (التَّبَالُ) بفتح المثناة بعدها موحدة . قال الأعلم ، وتبعه ابن هشام : هو سوءُ العاقبة ، وأصله وَبَالٌ ، فتأوّه مبدلة من الواو .

(١) ش : « ويكون » .

(٢) الآية ٣١ من سورة إبراهيم .

(٣) لنظور بن مرثد ، في المعنى ٢٢٥ والعين ٤٤٤ : ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٥٤ .

والبيت لا يُعرف قائله ، ونسبه الشارح في الباب الذي بعد هذا
لحسنان ، وليس موجوداً في ديوانه .

صاحب الشاهد وقال ابن هشام (في شرح الشنور) : قائله أبو طالب عم النبي
صلى الله عليه وسلم .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفضل) : هو للأعشى .
والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الستمائة ^(١) :

٦٨١ (لَتَقُمْ أَنْتَ يَا ابْنَ خَيْرٍ قُرَيْشٍ

فَلْتَقْضَى حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ)

على أَنَّ أمر المخاطب جاء فيه باللام ، وهو في الشعر أكثر منه في
النثر ، أراد قم . وكذا اللام في قوله (فَلْتَقْضَى) لأمر المخاطب ، والياء
إشباع الكسرة .

والبيت أورده الكوفيون . وهو مجهول لا يعلم تتمته ولا قائله .
والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الستمائة ^(٢) :

٦٨٢ (قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلَمَى وَإِنْ

كَانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنْ)

(١) المقد ٣ : ٤٩٦ والإنصاف ٥٢٥ والغنى ٢٢٧ ، ٥٥٢ والتصريح ١ : ٥٥ / ٢ :

(٢) المقرب ١ : ٢٧٧ والضرائر ١٨٥ ووصف المبانى ١٠٦ والغنى ٦٤٩ والعينى

١ : ١٠٤ / ٤ : ٣٣٦ والتصريح ١ : ١٩٥ والمع ٢ : ٦٢ والأشموى ١ : ٣٣ / ٤ :

على أَنَّ فيه حذف الشرط والجزاء معاً لضرورة الشّعْر ، والتقدير : وإن كان كذلك رضيته أيضاً .

وكذا قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر^(١)) : إِنَّ حذفهما خاصٌّ بالشعر .

وأورده ابن هشام (في فصل الحذف من المغني) ولم يخصّه بالشعر .
وأما إن الأولى فإنّما حذف منها جوابُها ، والتقدير : وإن كان فقيراً
أترضين به ، لأنّ كان شرطها ، واسمها مستتر فيها يعود إلى بعلٍ في
بيت مقدّم ، وهو :

(قالت سليمي ليت لي بعلاً يَمُنَّ يَغْسِلُ جلدِي وَيُنَسِّنِي الحَزْنَ
وحاجة ما إن لها عندي ثمن ميسورة قضاؤها منه ومن
قالت بناتُ العمِّ ياسلمي وإن كان فقيراً مُعديماً ، قالت وإن)

وهذا الرجز منسوب إلى رؤية بن العجاج ، وسليمي : مصغر سلمي صاحب الشاهد
الآتية . والبعل : الزوج . ويَمُنُّ فعل مضارع من المِنَّة ، وخفف النون
للضرورة ، والمِنَّة : النعمة يقال منّ عليه ، أي أنعم عليه . والمراد هنا : يحصل
منه المنُّ والإنعام ، سواء كان عليها أو على غيرها ، فهو مطلق .
وقال : العيني : هو بتقدير يَمُنُّ على .

وقوله : « يغسل جلدِي » إلخ تفسيرٌ لقولها يَمُنُّ . وقولها : « حاجة ،
منصوب بتقدير : ويقضى لي حاجة ، وهي قضاء شهوة النوم . وقال
العيني : حاجة معطوف على بعلاً ، وما نافية ، وإن زائدة . وكون هذه الحاجة

(١) ط : « الضرورة » ، وأثبت ما في ش .

لا ثمن لها عندها لغلائها وعزتها . وميسورة صفة حاجة . وأرادت : قضاؤها
من البعل ومنى ، فحذفت الياء مع نون الوقاية ضرورة .

وروى : (قالت بنات الحي) بدل بنات العم . وروى (وإن) بزيادة
نون في الموضعين ، وبها استشهد شُراخ الألفية على أن هذه النون هي
تنوين الغالي ، وبها يخرج الشعر عن الوزن ولا يستقيم إلا بحذفها .
ورؤية تقدمت ترجمته في الشاهد الخامس من أول الكتاب ^(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد السمائة ^(٢) :

٦٨٣ (أماوى مهمن يستمع في صديقه

أقاويل هذا الناس ماوى يندم)

على أن الكوفيين حكوا عن العرب مجيء (مهمن) بمعنى من كما
في البيت .

قال ابن يعيش عند الكلام على مهما : وقال آخرون هي مركبة
من مة بمعنى اكفف وما الشرطيّة . والمعنى عندهم : اكفف عن كل شيء ،
ما تفعل أفعّل . ويؤيده قول الشاعر :

أماوى مهمن يستمع في صديقه البيت

فركب مه مع من ، كما ركبها مع ما . فاعرفه . انتهى .

وقال (صاحب تهذيب اللغة) : مهمن استفهام ، وأصلها من من
فأبدلت النون هاء . وأنشد هذا البيت .

والهمزة في قوله : (أماوى) للنداء . و (ماوى) مرخم ماوية ، وهي
من أسماء النساء ، منها ماوية امرأة حاتم طي .

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) السبع الطوال ٤٥ وابن يعيش ٤ : ٨ والتهذيب ٥ : ٣٨٥ والسان (مه ٤٤٠) .

وهذا البيت شبيهٌ بشعره ، لكنني لم أقف عليه منسوباً إليه .
قال في الصحاح : المِراة كأنّها منسوبةٌ إلى الماء . وماويّة :
اسم امرأة . قال طرفة :

* ليس هذا منكِ ماويّ بحر^(١) *

واسم امرأةٍ حاتم طي ، وتصغيرها : مُويّة . قال حاتمٌ يخاطبُها :
فصارتُ مُويّ ولم تَصِرْني ولم يعرف مُويّ لها جَبيني
يعني الكلمة العوراء . انتهى .

ومهمن اسم شرط يجزم فعلين ، الأوّل يسمعن ، والنون هي نون
التوكيد الخفيفة . وروى (يستمع) بدله ، يفتعل من السّماع . والثاني :
يندم ، وكسر للقافية . و (ماويّ) الثاني منادى ، وحرف النداء محذوف ،
وكرر المنادى للتّلقّذ به . وروى المصراع الثاني هكذا أيضاً :
* أقاويلَ هذا الناس يُصْرَم وَيَنْدم *

فيكون يُصْرَم جزاء الشرط . والصّرم : الهجر والقطع .
ورأيت في قصيدةٍ لذي الرّمة هذا المعنى مع المصراع الثاني بعينه ،
وهو قوله :

وَمَنْ يَكْ ذَا وَصَلٍ فَيَسْمَعُ بِوَصْلِهِ

أَقَاوِيلَ هَذَا النَّاسِ يَصْرِمُ وَيُصْرِمُ^(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد السّائة^(٣) :

(١) صدره في ديوان طرفة ٦٣ :

* لا يكن حبك داء داخلا *

(٢) ديوان ذي الرمة ٦٢٩ .

(٣) نوادر أبي زيد ٦٢ والأزمية ٢٦٥ وابن عيش ٧ : ٤٤ والمغني ١٠٨ ، ٣٣٢

والجمع ٢ : ٥٨ .

(٢ - خزنة الأدب - ج ٩)

٦٨٤ (مَهْمَا لِيَ اللَّيْلَةَ مَهْمَا لِيَهْ أَوْدَىٰ بِنَعْلِيَّ وَسِرْبَالِيَهْ)
على أَنَّ (مهما) فيه بمعنى الاستفهام .

قال أبو على الفارسي (في تذكرته) : هذا عندي مثل قول الخليل
في مهما في الجزاء : إِنَّهُ مَا مَا ، فقلب الألف هاء . وذلك لَأَنَّهُ يريد :
مالى الليلة . وما تستعمل في الاستفهام على حَدِّ استعمالها في الجزاء ، أى
غير موصولة فيهما . وَإِنَّمَا غَيَّرَ كَرَاهِيَةَ التَّقَاءِ الْأَمْثَالَ . ألا ترى أَنَّ
قوله تعالى : ﴿ فِي مَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ^(١) ﴾ ولم يقل : مامكناكم فيه ،
فعدَّلَ إِلَى (إِنْ) لثَلَا تَلْتَقِ الْأَمْثَالُ فِي اللَّفْظِ . ومن قال مهما هى مَهْ ما
غَيْرُ مُغْيِرَةٍ ، فَإِنْ كَانَ يَرِيدُ أَنَّهَا مَهْ الَّتِي لِلْأَمْرِ فَلَيْسَ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَجْزِمَ
بِهَا أَوْ لَا يَجْزِمُ . فَإِنْ كَانَ يَجْزِمُ فَإِنَّمَا قَالَ مَهْ ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ : مَا تَفْعَلُ
أَفْعَلُ ، لم يَجْزِ . أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ :

* وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِ الْقَلْبَ يَفْعَلُ ^(٢) *

ليس يريد به : وَأَنْتَ اكْفَى ، مَا تَأْمُرِ الْقَلْبَ يَفْعَلُ ، وَإِنْ كَانَ
لَا يَجْزِمُ الْفِعْلَ بِهَا ^(٣) ، كَأَنَّهُ قَالَ : لتكفُفْ أفعَلُ ، لم يكن لذكر فعل
الشرط وجه . وَإِنْ كَانَ لَا يَرِيدُ الْأَمْرَ بِهَا وَلَكِنَّمَا حَرْفٌ يُوَافِقُ الَّتِي لِلْأَمْرِ
فِي اللَّفْظِ وَيُخَالِفُهُ فِي الْمَعْنَى ، فَيَكُونُ حَرْفًا لِلشَّرْطِ يَجْزِمُ ، بِمَنْزِلَةِ إِنْ ،
جاز ذلك . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في أماليه) : إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَهْ فِي « مَهْمَا
لِيَ اللَّيْلَةَ » ، اسم فعل بمعنى اسكتْ واكفُفْ عما أنت فيه من اللُّومِ ، كَأَنَّهُ

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحقاف . وكلمة « فيه » ليست في ش .

(٢) لامرئ القيس في معلقته . وصدده :

* أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حَبَكَ قَاتِلُ *

(٣) ش : « وَإِنْ كَانَ جَزَمَ الْفِعْلَ بِهَا » ، صوابه في ط .

يخاطب لائماً على ما يراه من الوَلَه . ثم قال : مالى الليلة ، تعظيماً للحال التى أصابته ، والشدة التى أدركته . ثم ذكر الأمر الذى يحقق تعظيم الأمر فقال :

* أودى بنعلٍ وسرباليه *

يعنى ذهب بنعلٍ وسرباليه ، كقوله تعالى : ﴿ هلك عَنى سُلْطَانِيَه ^(١) ﴾ . وإذا ذهب عنه نعله وسرباله دلٌّ على أنَّ حاله بلغت مبلغاً أذهلته عما لا يُذهَل متيقِّظ عن مثله . وصورة الاستفهام للتعظيم ثم مَجىء ما يحقق ذلك التعظيم بجملة أخرى بعد ذلك ، من فصيح كلام العرب وبديعه . قال تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ * وما أدراك ما الْحَاقَّةُ ^(٢) ﴾ ثم قال : ﴿ كَذَّبَتْ ثمودُ ^(٣) ﴾ . ويجوز أن يكون مهماً أصله ماما ، كرَّرت ما الاستفهامية للتأكيد اللفظي ، فقلبت الألف الأولى هاءً كما قلبت ألف الشرطية فى قولهم : مهما . وهى عند الأكثرين : ما ما . وليس ذلك بقياس وإنما هو حَمَل لفظ العربى على ما يحتمله ، ممَّا هو من جنس كلامهم ، وليس من القياس المختلف فيه فى شىء . ويجوز أن تكون ما الأولى قَدَّر الوقف عليها ، فقلبت ألفها هاءً ، ثم أُجرى الوصلُ مجرى الوقف . والوجه الأوَّل أوجهٌ وأوضح . انتهى .

واختار ابن هشام التوجيه الأوَّل (فى المغنى) فى ردِّ ما قاله الشارح المحقق . قال : ذكر جماعةٌ منهم ابن مالك أنَّ مهماً تأتى للاستفهام ، واستدلُّوا بهذا البيت ، ولا دليلَ فيه ؛ لاحتمال أنَّ التقدير : مه اسم فعل

(١) الآية ٢٩ من سورة الحاقة .

(٢) الآية ١ ، ٢ من سورة الحاقة .

(٣) الآية ٤ من سورة الحاقة .

بمعنى اكفف ، ثم استأنف استفهاماً بما وَحَدَّهَا . هذا كلامه ، وكأنه يريد به تقليل الأقسام مهما أمكن. وعلى أى تقدير كان ، مهما ههنا مبتدأً ، ولِىَّ هو الخبر ، والليلة ظرف معمول إمَّا لمُتَعَلِّق الجارِّ فى لى ، والتقدير : ما حصل لى ، وإمَّا بما تَضَمَّنَه معنى الجملة الكبرى ، لأنَّ معناها ما أصنع وما ألبس . وأودى : هلك وتَلَف . والنعلان : مشى نعل ، وهو ما وقَّيت به الرَّجُلَ من الأرض . والسَّربال ، بالكسر : القميص ، وقيل الدُّرع ، وقيل كل ما لبس على البدن . والباء فى قوله (بنعل) : زائدة فى الفاعل . قال أبو على (فى كتاب الشعر) : يجوز أن تكون الباء زائدة ، كأنه قال أودى نعلاي ، فلحقت الباء كلما لحقت فى : ﴿ كفى بالله ﴾^(١) . فإن قلت : فلم لا تجعل الباء زائدة فى المفعول به ، ويكون الفاعل مضمرًا ، كأنه قال أودى مُودِ بنعلٍ ، فتضميره للدلالة عليه كما أضمر فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ ﴾^(٢) ؟ فالقول أنَّ هذا أضعف ، لأنَّه ليس فى مودٍ الذى تضميره زيادةٌ على ما استفدته فى قوله أودى ، وليس قوله سبحانه : ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ ، كذلك ، لأنَّ البدأ والبداء قد صارًا بمنزلة المذهب فى قولك ذهب به مذهبٌ وسُلك به مسلك . فإن قلت : فلم لا تجعل فاعل أودى ذِكْرًا يعود إلى ما فى قوله : مهما لى الليلة ؟ فإنَّ ذلك أيضاً ليس بالقوى ، لأنَّ المعنى يصير كأنه أودى شيء بنعلٍ . فإذا جعلت الباء لاحقة للفاعل كان أشبه ، ولا تزيد مع الفاعل من الحروف الجارة غير الباء فى قول سيبويه فى الإيجاب ، كما لم تزد فيه غير الباء فى المبتدأ . انتهى كلام أبى على .

وذهب ابن الحاجب (فى أماليه) إلى أنَّ الباء للتعدية . قال : والباء

٦٣٣

(١) فى آيات متعددة ، أولها الآية ٦ من سورة النساء .

(٢) الآية ٣٥ من يوسف .

باءُ التعدية ، يعنى أَذْهَبَهُمَا وَأَضَلَّهُمَا عَنِ . يقال أَذْهَبْتَهُ وَذَهَبَتْ بِهِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . هَذَا كَلَامُهُ .

واختار ابن هشام (فى المغنى) مذهبَ أبى على ، لكنَّهُ جَعَلَ زِيَادَةَ الْبَاءِ فِي الْفَاعِلِ مُخْتَصًّا بِالضَّرُورَةِ ، تَبْعًا لِابْنِ عُصْفُورٍ (فى كتاب الضرائر) . ثم نقل كلام ابنِ الحاجب وتَعَقُّبَهُ بِقَوْلِهِ : وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لشرحِ الْفَاعِلِ ، وَعَلَامٌ يَعُودُ إِذَا قُدِّرَ ضَمِيرًا فِى أَوْدى . وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ : أَوْدى هُوَ ، أَى مُودٍ ، أَى ذَهَبَ ذَاهِبٌ .

وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ هَذَا التَّوْجِيهَ قَدْ رَدَّهُ أَبُو عَلِيٍّ وَبَيَّنَّ ضَعْفَهُ .

وهذا البيت مطلع قصيدة لعنرو بن ملقط الطائى ، عدتها اثنا عشر صاحب الشاهد بيتاً ، أوردها أبو زيد وابن الأعرابى (فى نوادرهما) .

أبيات الشاهد

وما بعده على رواية أبى زيد :

(إِنَّكَ قَدْ يَكْفِيكَ بَغَى الْفَتَى	وَدَرَّهٗ أَنْ تَرَكُضَ الْعَالِيَهٗ
بطعنة يجرى لها عاندٌ	كالماء من غائلة الجابيه
يا أوسُ لو نالتك أرمأخنا	كنت كمن تهوى به الهاويه
ألفيتنا عيناك عند القفا	أولى فأولى لك ذا واقيه
ذاك سنانٌ مُخْلِيبٌ نصره	كالجمل الأوطف بالراويه ^(١)
يا أيها الناصر أخواله	أأنت خيرُ أم بنو جاريه
أم أحتكم أفضلُ أم أختنا	أم أختنا عن نصرنا وانيه
والخيل قد تُجشِمُ أربابها الـ	شَقٌّ وَقَدْ تَعْتَسِفُ الدَّأْوِيَهٗ
يبأى لى التَّلْبَتَانِ الذى	قال ضراطُ الأمة الراعيه

(١) فى النوادر : « بالجمل الأوطف » .

ظَلَّتْ بِوَادٍ تَجْتَنِي صَمْغُهُ وَاحْتَبَلَتْ لِقَحْتَهَا الْآتِيَهُ^(١)
ثُمَّ غَدَّتْ تَنْبِذَ أَحْرَادُهَا إِنَّ مُتَغَنَّاَةً وَإِنْ حَادِيَهُ^(٢)

قوله: «أَنْ تَرْكُضَ الْعَالِيَةَ»، فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرِ مَرْفُوعٍ فَاعِلٍ يَكْفِيكَ،
أَيُّ يَقِيكَ^(٣)، وَبَغَى الْفَتَى مَفْعُولُهُ الثَّانِي، وَدَرَّعَهُ مَعْطُوفٌ عَلَى بَغَى.
وَالْبَغَى: التَّعَدَّى. وَالْدَّرُّ: الْعَوَجُ. يُقَالُ أَقَمْتُ دَرَّةً فَلَانَ أَيُّ اعْوَجَّاجِهِ.
وَرَوَى بَدَلَهُ: «وَشَغَبَهُ» بِالسَّكُونِ، وَهُوَ تَهْيِيجُ الشَّرِّ. وَالْعَالِيَةُ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ:
اسْمُ فَرَسٍ الشَّاعِرِ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ مَلْقُطٍ، كَذَا قَالَ أَبُو زَيْدٍ.

وَزَعَمَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ أَرَادَ عَالِيَةَ الرُّمَحِ، وَغَلَّطَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ
(فِيمَا كَتَبَ عَلَى نَوَادِرِهِ).

وَقَدْ خَاطَبَ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ. وَأَرَادَ بِالْفَتَى أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ
ابْنَ لَأْمَ الطَّائِي كَمَا يَأْتِي.

وَقَوْلُهُ: «بَطْعَنَةُ» الْخِمْتُ مَتَعَلِّقٌ بِبَيْكْفِيكَ. وَالْعَانِدُ بِالْمَهْمَلَةِ وَالنُّونُ، هُوَ
الْعِرْقُ الَّذِي لَا يَخْرُجُ دُمُهُ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ. وَالْغَائِلَةُ
بِالْمَعْجَمَةِ: مَا غَالَ مِنَ الْمَاءِ وَسَرَقَ. وَالْجَابِيَةُ، بِالْجِيمِ: الْحَوْضُ. كَذَا
قَالَهُمَا أَبُو زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: «يَا أَوْسُ» هُوَ أَوْسُ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ جَاهِلِيٌّ. وَرَوَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

(١) ط والنوادر: «صمغة»، صوابه في ش.

(٢) وكذا في ط والنوادر. وجعلها الشنقيطي في نسخته: «جاذية». والجاذية: التي
تقوم على أطراف أصابعها. قال النعمان بن نضلة:

إذا شئت غنتي دهاقين قرية وصناجة تجذو على حد منم

لكن شرح البغدادى يقتضى «حاديه» بالخاء والبدال المهملتين.

(٣) ش: «أى يكفيك»، وأثبت ما في ط.

«ياعمرو» وغلطه أبو محمد الأعرابي. وتهوى : تقع من فوق إلى أسفل .
والهاوية : المهواة .

وقوله : « أَلْفَيْتَا عَيْنَاكَ » إلخ أَلْفَيْتَا بالبناء للمفعول ، أى وَجِدْنَا .
وهذا على لغة أكلوني البراغيث .

وأورده ابن هشام (فى المغنى ، وفى شرح الألفيَّة) على أَنَّ الألف فيه علامة لاثنين .

وكذا أورده ابن الأعرابي ، وقد غلطه أبو محمد الأعرابي وقال : ٦٣٤
إنما هو : « أَفْلَيْتَا عَيْنَاكَ عند القفا » . ولم يظهرلى معناه ، مع أَنَّهُ قد وافق أبا زيد فى الرواية .

والعجب من شارحه ابن المُلَّا لقوله هنا : إن هذا البيت لم يسمَّ قائله ،
مع أَنَّ هذه القصيدة بتمامها فى شواهد العينى فى باب الفاعل ، ولم يتذكر
ما أسلفه فى شرح قوله :

* مَهْمَا لَى اللَّيْلَةَ مَهْمَالِيهِ *

فى حرف الباء (من المغنى) من قوله : هذا البيت مطلع قصيدة
لعمر بن ملقط الطائي ؛ وسيورده المصنّف فى الكلام على مهما . واستشهد
ببيت من أبياتها أيضاً فى الحرف الهاوى . ويأتى الكلام عليه هناك . ا هـ .
وقال أيضاً (عند الكلام على متى) : تقدّم الكلام عليه مستوفى فى
الباء الموحدة .

وقوله : « أَوَّلَى لَكَ » ، كلمة وعيد وتهديد قد شرحها الشارح المحقّق فى
أفعال المقاربة . وقوله : « ذا واقية » ، حالٌ من الكاف ، وصحَّ مجىء الحال
من المضاف إليه لكون المضاف جزءاً منه . والواقية : مصدرٌ بمعنى الوقاية

كالكاذبة بمعنى الكذب . يصفه بالهروب ، ويقول : أنت ذو وقاية من عينيكَ عند فِرارك تحترس بهما ، ولكثرة تَلَفُّتِكَ حينئذٍ صارت عيناك كأنَّهما في قفّاك .

وقوله : « ذاك سنان » إلخ : قال أبو زيد : سنان : اسم رجل . والمُحَلِّب ، بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام : المُعِين ، من الإعانة . والأَوْطَف : الكثير شعر الأذنين وهُدْب العينين . اهـ . والرَّأْوِيَة : البعير ، أو البغل ، أو الحمار الذي يُسْتَقَى عليه . ونَصْرُهُ مبتدأ ومُحَلِّبٌ خبره . ووانية من الوَنَى^(١) وهو الفتور والإبطاء .

وقوله : « والخيل قد تُجْشِم » إلخ ، الإِجْشَام بالجيم : التكليف ، وفاعله ضمير الخيل ، وأربابُها مفعوله الأول . والشَّقُّ بفتح الشين وكسرها بمعنى المشقَّة ، مفعوله الثاني . والاعتساف : المشي على غير الطريق المسلوكة ، وفاعله ضمير الخيل . والداويَّة : المفاز ، وخَفَّفَت الياء للضرورة .

وقوله : « يَأْبَى لى الثعلبتان » إلخ يَأْبَى من الإِبَاء ، أى يَكْره . والثَّعْلَبَتَان فاعل يَأْبَى . قال صاحب الصحاح : الثعلبتان : ثعلبة بن جُدعان بن ذُهَل بن رُومان بنِ جندب بن خارجة بن سعد بن فُطْرَة بن طيئ ، وثعلبة ابن رُومان بن جندب . وأنشد هذا البيت .

والذى : مفعول يَأْبَى ، وقال صلة الذى ، والعائد محذوف ، أى قاله . وضُرَاط فاعل قال ، وأراد به أَوْسًا المذكورَ ، سَمَاهُ به استهانةً به وتحقيراً له . وروى : « خُبَاج » بدل ضراط ، بضم الخاء المعجمة بعدها موحدة ثم جيم ، وهو بمعنى الضُّرَاط .

وقوله : « ظَلَّت » ، أى استمرت . واللَّقْحَة بالكسر : الناقة ذات اللبن .

(١) يقال : ونى ينى ونياً وونى ووناء وونياً .

والآنية قال أبو زيد : هي المبطئة بلبنها. وفسرها بعضهم على هامش النوادر بالمُدْرَكَة .

وقوله : « تَنْبِذُ أَحْرَادُهَا » إلخ. تنبذ: تطرح، وفاعله ضمير الأمة . والأحراد : جمع حَرَدَ بفتح المهملتين ، قال أبو زيد : هو الغيظ والغضب. ورواه ابن الأعرابي : « ثَمَّ غَدَتِ تَنْبِذُ أَحْرَادُهَا » ، وقال: تنبض تضطرب . أَحْرَادُهَا : أَمَعَاوُهَا . قال أبو محمد الأعرابي : الصواب « ثَمَّ غَدَتِ تَنْبِذُ أَحْرَادُهَا » أى تضطرب ، يدلُّك على هذا قوله سابقاً : ضُرَاطُ الْأَمَّةِ الرَّاعِيَةِ . ١ هـ . وروى العيني : « تحرد أَحْرَادُهَا » وما أدرى من أين نقلها .

وقوله : « إِنْ مُتَغَنَّا » إلخ ، قال أبو الحسن فى شرحه : أراد متغنية يقلبون الياء ألفاً . وحادية من حُدَاءِ الإبل ، وهو سَوْقُهَا بالغناء . وإن هنا للتقسيم بمعنى إِمَّا المكسورة . قال ابن هشام (فى المغنى) : إِمَّا المكسورة المشددة مركبة عند سيويه من إِنْ وما . وقد تحذف ما ، كقوله :

٦٣٥

سَقَتُهُ الرِّوَاعِدُ مِنْ صَيِّفٍ وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَمَا^(١)

أى إِمَّا من خريف وإِمَّا من صَيِّف . ويدلُّ لما قلناه رواية الجرمي وأبى حاتم :

* إِمَّا مُتَغَنَّا وَإِنْ حَادِيهِ *

وعمر بن مَلِيقِطِ الطائى شاعرٌ جاهلى . ومَلِيقِط بكسر الميم وسكون عمرو بن مَلِيقِط اللام وفتح القاف . ١ هـ . والله أعلم .

* * *

(١) للنمر بن تولب . وهو الشاهد الحادى بعد التسعمائة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الستائة ^(١) :

٦٨٥ (وَمَهْمَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاه)

على أَنَّ (مهما) اسمٌ ، بدليل رجوع الضمير إليه ، وهو الهاء من كفاه ،
والضمير لا يرجع إلّا إلى الاسم ، وأمّا الضمير في إليه فراجع إلى المدح.

كذا استدللّ به ابن يعيش (في شرح الكافية) . وكذا الضمير في
به راجع إلى مهما في الآية ^(٢) .

وقال الزمخشري وغيره : عاد عليها ضمير به وضمير بها ، حملاً
على اللفظ وعلى المعنى .

قال ابن هشام (في المغنى) : والأولى أَنَّ يعود ضمير بها لإية .
وفيه أَنَّ عَوَدَ الضمير إلى المبيّن أولى من عوده إلى البيان ^(٣) . وزعم
السّهيلي أَنَّ مهما تأتى حرفاً بدليل قول زهير :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

قال : هي هنا حرفٌ بمنزلة إن ، بدليل أَنَّها لا محل لها . وتبعه ابن
يسعون واستدلّ بقوله :

قَدْ أُوبِيتَ كُلَّ مَاءٍ فِيهَا ضَاوِيَةٌ
مَهْمَا تُصِيبُ أَفْقًا مِنْ بَارِقٍ تَشِمُ ^(٤)

(١) ابن يعيش ٧ : ٤٣ وديوان الهذليين ٢ : ٣٠ .

(٢) الآية ١٣٢ من سورة الأعراف : « مهما تأتتا به من آية لتسحرنا بها » .

(٣) المغنى ٣٣١ .

(٤) لساعدة بن جوبة في ديوان الهذليين ١ : ١٩٨ واللسان (أبي ٤) .

قال : إذ لا تكون مَبْتَدَأً لعدم رابط من الخبر^(١) وهو فعل الشرط ، ولا مفعولاً لاستيفاء فعل الشرط مفعوله . ولا سبيل إلى غيرهما ، فتعيّن أنها لا موضع لها .

قال ابن هشام : والجواب أنها في الأوّل إمّا خبر تكن ، وخليقة اسمها ، ومن زائدة ، لأنّ الشرط غير موجب عند أبي علي ، وإمّا مبتدأ واسم تكن ضمير راجع إليها والظرف خبر ، وأنّث ضميرها لأنّها الخليفة في المعنى ، ومن خليفة تفسير للضمير ، كقوله :

* لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ^(٢) *

وفي الثاني مفعول تُصَبُّ وأفقا ظرف ، ومن بارق تفسير لهما ، أو متعلّق بتُصَبُّ ، فمعناها التبويض ، والمعنى : أيّ شيء تُصَبُّ في أفق البوارق تَشِمُّ .

وقول الشارح المحقّق : إنّ مهما تأتّى ظرف زمان إلخ ، هو في هذا تابع لابن مالك ، زعم أنّ النحويّين أهملوا هذا المعنى . وأنشد لحاتم :

وإنّك مهما تُعطِ بطنك سُؤْلَهُ وفرجك نالاً منتهى الذّمّ أجمعا^(٣)

وأبياتاً أخر. قال ابن هشام : ولادليل في ذلك ، لجواز كونها للمصدر بمعنى أي إعطاء كثير أو قليلاً .

وابن مالك مسبوق بهذا القول . وشدّد الزمخشري الإنكار على من قال بها فقال : هذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في

(١) الذي في المعنى : « لعدم الرابط من الخبر » .

(٢) لامرئ القيس في معلقته . وصدّره :

* فتوضح فالمقراة لم يمف رسمها *

(٣) ديوان حاتم ١١٤ والجمع ٢ : ٥٧ والأشمونى ٤ : ١٢ .

علم العربية ، فيضعها في غير موضعها ، ويظنُّها بمعنى متى ، ويقول :
 مهما جئتني أعطيتك . وهذا مِنْ وضعه ، وليس من كلام واضح العربية ،
 ثم يذهب فيفسِّرُ بها الآية ، فيُلحد في آيات الله تعالى .

قال ابن هشام : والقول بذلك في الآية ممتنع ، لتفسيرها بمن آية ،
 وإنَّ صحَّ ثبوته في غيرها كما ذهب بعضهم في : مهما تُصِبُّ أفقاً
 البيت السابق ، قال : مهما فيه ظرف زمان ، والمعنى أىَّ وقتٍ تُصِبُّ بارقاً
 من أفق ، فقلب الكلام . أوفى أفقٍ بارقاً ، فزاد مِنْ واستعمل أفقاً ظرفاً .
 والمصراعُ الشاهد وقع في شعر شاعرين أحدهما المتنخل الهذلي ،
 وهو عجز ، و صدره :

(إذا سُدتَّه سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ)

والآخر : ذو الإصبع العدواني ، و صدره :

(فَإِنْ سُسَّتْهُ سُسَّتْ مِطْوَاعَةٌ)

وتقدَّم شعرهما مشروحاً في الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين^(١)
 وقوله : « إذا سُدتَّه » هو من المساوذة التي هي المسارَّة ، والسَّواد كالسَّرار
 بكسرهما لفظاً ومعنى . قال : إذا سارَرْتَه طاوَعَكَ وساعدَكَ . وقال قوم :
 هو من السَّيادة فكأنَّه قال : إذا كنت فوقه سيِّداً له أطاعَكَ ولم يحسُدَكَ ،
 وإنَّ وَكَلْتَ إليه وفوَّضْتَه شيئاً كفاك . والمطواع : الكثير الطَّوع والانقياد ،
 والتناء لتأكيد المبالغة . وقوله في الرواية الأخرى : « إذا سُسَّتْهُ » هو من
 سُسَّتِ الرَّاعِيَّةُ^(٢) سياسةً ، إذا دبَّرتهم وقمتَ بأمرهم . ووكلت^(٣) إليه الأمر
 وكلا من باب وَعَد ، ووَكولاً : فوَّضْتَه إليه واكتفيت به .

• • •

(١) الخزائن ٤ : ١٤٦ - ١٥٢ .

(٢) بمعنى الدواب التي ترعى . وفي ط : « الرعية » .

(٣) ط : « ووكل » ، وأثبت ما في ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد السائة ، وهو
من شواهد س^(١) :

٦٨٦ (إِذَا دَخَلْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ
حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ)

على أن سيويه استشهد به لإذما .

وهذا نصٌ سيويه في باب الجزاء : فِيمَا يَجَازَى بِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ غَيْرِ
الظُّرُوفِ : مَنْ وَمَا وَأَيُّهُمْ . وما يَجَازَى بِهِ^(٢) من الظُّرُوفِ : أَيْ حِينَ^(٣)
ومَتَى ، وَأَيْنَ ، وَأَنَّى ، وَحَيْثُما . ومن غَيْرِهِما : إِنْ وَإِذَا . ولا يكون
الجزاء في حيثٌ ولا في إذ حتَّى يَضُمَّ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ما ، فيصير
إِذْ مع ما بمنزلة إِنَّمَا وَكَأَنَّمَا ، وليست ما فِيهِمَا بِلُغْوٍ ، وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُمَا مع ما بمنزلة حرفٍ واحد . فِيمَا^(٤) كان من الجزاء بِإِذَا قولُ
العبَّاس بنِ مُرداس :

إِذَا أَتَيْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ البيت .

وقال الآخر ، وهو عبد الله بن همام السَّلُولي :

إِذَا تَرَيْتَنِي الْيَوْمَ مُزَجِّجِي ظِعِينِي البيت الآتي

سمعنهما مَن يرويهما عن العرب ، والمعنى إمَّا . ا هـ .

(١) في كتابه ١ : ٤٣٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٤٧ والكامل ١٦٤ والمجلد ٢٢٢
والخصائص ١ : ١٣١ والمحاسب ٢ : ٨٤ وابن يعيش ٤ : ٩٧ / ٧ : ٤٦ ووصف المباني ٦٠ .

(٢) ش : « وما يَجَازَى بِهِ » . وفي سيويه : « ما يَجَازَى بِهِ » ، في هذا الموضع وسابقه .

(٣) ط : « حين » فقط ، صوابه في ش وسيويه .

(٤) ط : « فإ » ، وأثبت ما في ش وسيويه .

قال ابن يعيش: إن قيل: إذ ظرفُ زمانٍ ماضٍ ، والشرط لا يكون إلاَّ بالمستقبل ، فكيف يصحُّ المجازاةُ بها ؟ فالجواب ^(١) من وجهين : أحدهما أنَّ إذ هذه التي تستعمل في الجزاء مع ما ، ليست الظرفية ، وإنما هي حرف غيرها ضُمَّت إليها ما ، فرُكِّباً دلالةً على هذا المعنى كما ^(٢) . والثاني : أنَّها الظرفية ، إلاَّ أنَّها بالتركيب غُيِّرَتْ ونُقلت ، وغُيِّرَتْ عن معناها بلزوم ما إِيَّاهَا إلى المستقبل ، وخرجت بذلك إلى حيزِ الحروف . ولذلك قال سيبويه : ولا يكون الجزاء في حيث ولا في إذ ^(٣) حتَّى يضمَّ إلى كلٍّ واحدةٍ منهما ما ، إلخ . ١ هـ .

ورواه أهل السير ، منهم ابن هشام ^(٤) :

* إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ *

وعليه لا شاهد فيه ، وأصله إنَّ ما ، وهى إن الشرطية وما الزائدة .

والبیت من قصيدة للعباس بن مرداس الصَّحَابِي ، قالها في غزوة حُنين
يخاطب بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ويذكر بلاءه وإقدامه مع قومه
في تلك الغزوة وغيرها من الغزوات ، وعدتها ستة عشر بيتاً ، وأولها :

صاحب الشاهد

(يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهَوَّى بِهِ وَجَنَاءُ مُجَمَّرَةِ الْمُنَاسِمِ عِزْمِسُ
إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطمَنَّ الْمَجْلِسُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَى وَمَنْ مَشَى فَوْقَ الثَّرَابِ إِذَا تُعَدُّ الْأَنْفُسُ
إِنَّا وَفَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْتَنَا وَالْخَيْلُ تُقَدِّعُ بِالْكُمَاةِ وَتُضْرَسُ)

آيات الشاهد

٦٣٧

(١) في النسختين : « والجواب » . والوجه ما أثبت من ابن يعيش ٧ : ٤٧ .

(٢) في ابن يعيش : « كما » .

(٣) ط فقط : « إذا » تحريف ، صوابه في ش وسيبويه وابن يعيش .

(٤) سيرة ابن هشام ٨٦٣ . وانظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .

قوله : « يَأْيُهَا الرجل » إلخ تهوى بكسر الواو : تُسرع . والوَجْنَاءُ : الناقة الغليظة الوَجَنَات ، قال السَّهْلِيُّ (في الروض الأنف) : وَجْنَاءُ : غليظةُ الوَجَنَات بارزُها ، وذلك يدلُّ على غُور عينها ، وهم يصفون الإبل بغُور العينين عند طول الأسفار . ويقال من الوَجَنَةِ في الآدميين : رجلٌ موجِّن وامرأة موجَّنة ، ولا يقال وجناء . قاله يعقوب . ومُجْمَرَةٌ بالجمع : اسم مفعول من أَجَمَرَ البعيرُ ، إذا أَسْرَعَ في سيره . والمناسم : جمع مَنْسِم كمجلس ، وهو مقدَّم طرفٍ خُفَّ البعير . قال السَّهْلِيُّ : مُجْمَرَةُ المناسم ، أى نَكَبَتْ مناسمها الجمار ، وهى الحجارة . وقد يريدُ أيضاً أنَّ مناسمها مجتمعة منضمة ، فذلك أقوى لها . وقد حُكِيَ : أَجمرت المرأة شعرها ، إذا ضَفَرته . وأَجمر الأميرُ الجيشَ ، أى حبَسَه عن القُفُول . والعِرْمِس ، بكسر العين وسكون الراء المهملتين وكسر الميم ، قال السَّهْلِيُّ : هى الصخرة الصُّلبة ، ويشبَّه بها^(١) الناقة الجلدة .

وقوله : (إِذَا دَخَلْتَ) إلخ جملةٌ « دخلت » وجملةٌ « أتيت » فى الرواية الأخرى فى محلِّ جزمٍ شرطٌ لإِذَا أو لِإِيمًا ، وجملةٌ فقل كذلك جوابٌ إِذَا وجزاؤه . وأراد بالرَّسُول والنبيَّ نبيَّنَا محمدًا صلى الله عليه وسلم . وقوله : (حَقًّا عَلَيْكَ) قال اللخمي : قيل إِنَّهُ منصوبٌ بِقُلْ ، والصوابُ أَن يكون منصوباً على المصدر المؤكِّد به ، أو نعتاً لمصدر محذوف ، لأنَّ المقول ما بعد البيت ، وهو « يا خَيْرَ من ركب المطى » إلخ . وعليك متعلِّقٌ بحَقًّا . وإذا ظرفٌ لَقُلْ . واطمأنَّ : سَكَنَ . والمجلس ،

(١) فى الروض الأنف ٤ : ٢٩٨ : « وتشبه بها » .

قيل يريد أهل المجلس فحذف المضاف . وحكى أبو علي البغدادي^(١)
أن المجلس الناس . وأنشد :

ذهب الخيار من المعاشير كلهم واستبَّ بعدك يا كليب المجلس^(٢)
ويجوز أن يكون المعنى : إذا اطمأنَّ جلوسك .

وقوله : « يا خير من » إلخ ، هذا مقول القول . وقد تعسف بعض
أفاضل العجم (في شرح أبيات المفصل) بقوله : يا خير من ركب بيان
لقوله حقاً أو بدل منه . ويجوز أن يكون واقعاً موقع القسم ، تأكيداً للأمر ،
والمعنى : قل له قولاً حقاً صدقاً واجباً عليك ، أو قل له والله يا خير
الراكبين . هذا كلامه .

والمطى : جمع مطيئة : البعير ، لأنه يُركب مطاه أي ظهره . وقوله :
« ومن مشى » هو معطوف على من ركب ، أي ويا خير من مشى . وقوله :
« إذا تُعدُّ الأنفس » إذا متعلقة بخير ، أي أنت خير الناس إذا عدُّوا
نفساً نفساً ، أي واحداً واحداً . ورواه ابن المستوفى (في شرح أبيات
المفصل) : « إذا يُعدُّ الأنفس » بالمشناة من تحت . وقال : الأنفس
بفتح الفاء ، على أنه أفعل تفضيل من النفاسة .

وقوله : « إنا وقينا » إلخ هذا جواب النداء . وقوله : « والخيْلُ تُقدَعُ »
إلخ بالبناء للمفعول أي تُكفُّ . وقيل تُقدَع بمعنى تُضرب بالمقدعة^(٣)
وهي العصا . والكُماة : جمع كمي ، وهو الشجاع . وتُضرس بالبناء للمفعول
أيضاً أي تُخرج . وقال السهيلي : أي تُضرب أضراسها باللجم ، تقول :
ضرسته أي ضربت أضراسه ، كما تقول : رأسته ، أصبت رأسه .

(١) يعني أبا علي القالي في أماليه ١ : ٩٥ .

(٢) البيت لهلhel ، كما في الأمالي . وانظر نوادر أبي زيد ٢٩ ومجالس ثعلب ٤٦ ، ٥٦٢ .

وابن الشجري ١ : ٥٢ ، ١٨٤ ، ٣٢٤ .

(٣) ط : « بالمقدعة » ، صوابه في ش .

٦٣٨ والعباس بن مرداس السُّلَمي ، من بني سُلَيْم بضم السين : صحابيٌّ
رضي الله عنه . وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع عشر من أوائل
الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد السّائة ، وهو من
شواهد سيبويه^(٢) :

٦٨٧ (إذْما تَرِئِنِي اليَوْمَ أَزْجِي ظَعِينَتِي أَصْعَدُ سِيراً فِي الْبِلَادِ وَأُفْرِغُ)
لما تقدّم قبله . فتريني مجزوم بإذما بحذف النون ، والأصل ترينني ،
فحذفت الأولى للجزم ، والثانية نون الوقاية ، والياء ضمير المتكلم
وجزاء الشرط هو الثاني .

وقد أنشدهما سيبويه معاً ، فكان ينبغي للشارح المحقق إنشادهما
كذلك ، وهو :

(فَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ سِوَاكُمْ وَإِنَّمَا رَجَالِي فَهَمٌّ بِالْحِجَازِ وَأَشْجَعُ)
فجملة إنني من قوم سواكم في محل جزم جزاء الشرط ، والفاء للربط .
والبيتان لعبد الله بن هَمَّام السَّلُولي .

صاحب الشاهد

والإزجاء : السَّوْق ، بالزاء المعجمة والجيم . يقال أزجيت الإبل ، إذا
سقتها . وظعيتني مفعول أزجى . و (الظعينة) : المرأة ما دامت في الهُودَج .
وروى بدله : « مطيتي » . والمطية : البعير .

وزعم بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفضل) أنَّ ظعيتني
منادى ، ومفعول أزجى محذوف تقديره : ركائي .

(١) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٢) سيبويه ١ : ٤٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٦٥ والأزهية ٩٨ وابن السجري

٢ : ٢٤٥ وابن يعيش ٧ / ٣٧ ، ٩ : ٦ .

(٣ - خزنة الأدب - ج ٩)

وروى سيويوه : « مزجى ظعيتى » بصيغة اسم المفعول ، فيكون ظعيتى نائب الفاعل ، وذكر مُزجى والأصل مزجاة بالهاء ، قاله ابن المستوفى .
وجملة أزجى حال من الياء من ترينى لا مفعول ثانٍ لترى ، لأنها هنا بصرية . وكذلك مزجى حال .

وجملة أصد وأفرع تفسير لأزجى وبيان له . وقال ابن المستوفى : أصد موضعه النصب على الحال ، ولو جعل بدلاً من مُزجى على رواية من روى مطيتى ، جاز ؛ لأن معنى يُزجى مطيته معنى يصعد فى البلاد ويُفرع . قال صاحب الصحاح : وأصد فى الوادى وصعد فى الوادى تصعيداً ، أى انحدر فيه . وأنشد هذا البيت ، فيكون أفرع بفتح الهمزة مقابلاً له . قال صاحب الصحاح : وفرعت الجبل : صعدته ، وأفرعت فى الجبل : انحدرت . قال رجلٌ من العرب : لقيت فلاناً فارعاً مُفرعاً ، يقول : أحدنا مُصعد والآخر منحدر . وسيراً : مصدر فى موضع الحال . وأنشد الزمخشري (فى المفصل) المصراع الأول كذا : « فإما ترينى اليوم » على أن ما تزداد بعد إن للتأكيد .

وقوله : « فإنى من قوم سواكم » .

فإن قيل : كيف قال سواكم ، وهو يخاطب امرأة ؟ فالجواب أنه للتعظيم ، وربما خوطبت المرأة الواحدة بخطاب جماعة الذكور مبالغة فى سترها ، فيعدل عن الأفراد والتأنيث إلى الجمع والتذكير ، فيبعد عن الضمير لها بمرتبين . ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى : ﴿ فقال لأهله امكثوا ^(١) ﴾ . وقال عمر بن أبى ربيعة مخاطباً لامرأة :

كم قد ذكرتك لو أجزى بذكركم

يا أشبه الناس كل الناس بالقمر^(١)

وفهم بالميم لا بالراء ، وأشجع : قبيلتان . قال الأعلم^(٢) : انتهى
الشاعر في النسب إلى فهم وأشجع ، وهو من سلول بن عامر ، لأنهم
كلهم من قيس عيلان بن مضر .

وقائل هذين البيتين كما قال سيويو وغيره : عبد الله بن همام
السلولي .

وهذا نسبه (من الجمهرة) : عبد الله بن همام بتشديد الميم ، ابن
نبيشة بضم النون ، ابن رياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ، ابن مالك
ابن الهجيم بالتصغير ، ابن حوزة بالحاء المهملة ، ابن عمير بن مرة بن
صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وكان يقال لعبد الله من حسن شعره : « العطار » .

وسلول هي بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة ، كانت امرأة مرة بن
صعصعة ، وأولادها منه ينسبون إليها .

وعبد الله بن همام شاعر إسلامي من التابعين . قال ابن قتيبة (في عبد الله بن همام
كتاب الشعراء) : هو من بني مرة بن صعصعة من قيس عيلان .
وبنو مرة يعرفون ببني سلول ، وهي أمهم ، وهي بنت ذهل بن شيان
من ثعلبة ، وهم رهط أبي مريم السلولي ، وكانت له صحبة^(٣) . وعبد الله
هو القائل في عريفهم :

(١) ديوان عمر ١١٦ . ونسب في المني ٤ : ٨٨ إلى كثير . انظر ديوانه ٥٣١ .

(٢) ش : « قال الشاعر » ، تحريف . وانظر الشتري ١ : ٤٣٢ .

(٣) واسمه مالك بن ربيعة ، وهو مشهور بكنته . الإصابة ٧٦٢٥ .

وَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُ نَجُوتُ وَأَرْهَنْتُهُ مَالَكَا^(١)

عَرِيفًا مَقِيمًا بِنَدَارِ الْمَوَا نِ أَهْوَنَ عَلَيَّ بِهِ هَالَكَا^(٢)

وهو القائل في الفُلافس^(٣) :

أَقْلَى عَلَيَّ اللَّوْمُ يَا ابْنَةَ مَالِكِ^(٤) وَدُمِّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ الْفُلَافِسُ

وساعٍ من السلطان ليس بناصح ومحترس من مثله وهو حارس^(٥)

وكان الفُلافس هذا على شرطة الكوفة ، من قبل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، أخى عمر بن أبي ربيعة . وخرج الفُلافس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

وعبد الله هو القائل ليزيد بن معاوية^(٦) :

اصبرْ يزيد فقد فارقتَ ذا مِقَّةٍ

واشكرْ جِباءَ الذى بالملك ردَّاكا^(٧)

(١) أنشدتهما في اللسان (رهن) وبعدهما بيتان ، هما :

وأحضرت عذرى عليه الشهو د إن عاذرا لى وإن تاركا

وقد شهد الناس عند الإما م أنى عدو لأعدائكما

وفي اللسان وإصلاح المنطق ٢٣١ ، ٢٤٩ .

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنتهم مالا

(٢) في اللسان : « غريباً » .

(٣) في الحيوان ١ : ٢١٦ وعيون الأخبار ١ : ٥٧ أن الفلافس هذا كان على شرطة

الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، أخى عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، كما سيأتى . وفي ش : « الفلافس » ، تحريف .

(٤) في المحاسن والمساوى للبيهقي ١ : ٢٦٦ : « يأم مالك » .

(٥) في الحيوان وعيون الأخبار والشراء : « وساع مع السلطان » . وفي المحاسن والمساوى

للبهقي : « كساع إلى السلطان » ، مع نسبة البيتين إلى البردخت الشاعر .

(٦) يميزه عن أبيه معاوية . الشعراء ٦٥٢ والكامل ٧٨٥ .

(٧) في الكامل : « ذا ثقة » . والمقّة : المحبة ، ومقّه بمقه . وفي الكامل أيضاً : « واشكر

بلاء الذى بالملك أصفاك » . وكذا نجد بقية الأبيات برواية أخرى في الكامل .

لا رُزْءَ أَعْظَمُ بِالْأَقْوَامِ قَدْ عِلِمُوا
 مِمَّا رُزِئْتَ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
 أَصْبَحْتَ رَاعِيَ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمْ
 فَأَنْتَ تَرَعَاهُمُ وَاللَّهُ يَرَعَاكَ
 وَفِي مَعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ
 إِذَا نُعِيتَ وَلَا نَسَمَعُ بِمَنْعَاكَ
 . . .

وأنشد بعده :

(كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ)
 عَلَى أَنْ قَوْلُهُ (مُزْمَلٌ) جُرَّ لِمَجَاوَرَتِهِ الْمَجْرُورَ ، وَهُوَ أَنْاسٌ ، أَوْ بَجَادٌ ،
 وَلَوْلَاهُ لَرُفِعَ ، لِأَنَّهُ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ كَبِيرٌ .
 وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ مَفْصَلًا مُسْتَوْفَى فِي الشَّاهِدِ الْخَمْسِينَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ^(١)
 وَهُوَ عَجْزٌ ، وَصَدْرُهُ :

(كَانَ أَبَانًا فِي عِرَانِينَ وَبَلِّهِ)
 وَالْبَيْتُ مِنْ مَعْلُوقَةِ أَمْرِ الْقَيْسِ .
 . . .

وأنشد بعده :

(فَمَتْنِي وَاغْلُ يَزُرُّهُمْ يُحْيَوُ هُ وَتُعْطَفُ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِ)
 عَلَى أَنَّهُ فَصْلٌ اضْطِرَّارًا بَيْنَ مَتْنِي وَمَجْزُومِهِ فَعَلِ الشَّرْطُ بِوَاغِلٍ ،
 فَوَاغِلُ فَاعِلٌ فَعَلِ مَحْذُوفٌ يَفْسِّرُهُ الْمَذْكُورُ ، أَيْ مَتْنِي يَزُرُّهُمْ وَاغْلُ يَزُرُّهُمْ .
 وَالْوَاغِلُ : الَّذِي يَدْخُلُ عَلَى مَنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَلَمْ يَدْخَعْ إِلَيْهَا ، وَهُوَ فِي
 الشَّرَابِ بِمَنْزِلَةِ الْوَارِثِ فِي الطَّعَامِ ، وَهُوَ الطُّفَيْلُ .

وقد تقدّم الكلام على هذا البيت في الشاهد الحادى والستين
بعد المائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(أَيْنَا الرِّيحُ تُمِيلُهَا تَمِيلُ)

لما تقدّم قبله ، فتكون الرّيحُ فاعلةً لفعل محذوف يفسّره المذكور ،
أى أَيْنَا تَمِيلُهَا الرّيحُ تَمِيلُهَا .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت أيضاً في الشاهد الثانى والستين
بعد المائة^(٢) . وهو عجز وصدرة :

(صعدة نابتة فى حائر)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد السّائة^(٣) وهو من
شواهد سيويه :

٦٨٨ (وَمَنْ نَحْنُ نُوْمِنُهُ يَبِتْ وَهُوَ آمِنْ)

لما تقدّم قبله ، فنحن فاعل لفعل محذوف يفسّره المذكور ، فلمّا حُذِفَ
الفعل برز الضمير وانفصل ، والتقدير : فمن نُؤْمِنُهُ نُؤْمِنُهُ .

قال سيويه (فى باب الحروف التى لا تقدّم فيها الأسماء الفِعل) :
اعلم أنّ حروف الجزاء يقبح أن تتقدّم الأسماء فيها قبل الأفعال ، وذلك
أنّهم شبهوها بما يَجْزِمُ ممّا ذكرنا ، إلّا حروف الجزاء ، قد جاز ذلك فيها

(١) الخزائن ٣ : ٤٦ - ٤٧ .

(٢) الخزائن ٣ : ٤٧ - ٥١ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٥ والإنصاف ٦١٩ والمغنى ٤٠٣

والجمع ٢ : ٥٩ .

في الشعر، لأنَّ حروف الجزاء يدخلها فعل ويفعل، ويكون فيها الاستفهام فيُرفع فيها الأسماء، وتكون بمنزلة الذي، فلما كانت تصرّف هذا التصرّف وتُفارق الجزم، ضارعت ما يجرُّ من الأسماء التي إن شئت استعملتها غير مضافة، نحو ضاربٌ عبد الله، فلذلك لم تكن مثل لم ولا في النهي، واللام في الأمر، لأنَّهنَّ لا يفارقن الجزم. ويجوز في الكلام في (إن) إذا لم تجزَم في اللفظ، نحو قوله:

• عاودَ هَرَاةَ وإنَّ معمورُها خرباً^(١) •

فإن جزمت ففي الشعر، لأنَّه يشبه بلم. وإنما جاز في الفصل ولم يشبه لأنَّ (لم) لا يقع بعدها فعل. وإنما جاز هذا في إن لأنها أصل الجزاء، ولا تفارقه، فجاز هذا كما جاز إضمار الفعل فيها حين قالوا: إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشر. وأما سائر حروف الجزاء فهذا فيه ضعف في الكلام، لأنها ليست كإن، فلو جاء^(٢) في إن وقد جزمَت كان أقوى، إذ جاز فيها فعل. ومما جاء في الشعر مجزوماً في غير إن قولُ عدى بن زيد:

فمَنى واغْلُ يثْبُهُم يحيوُ هُ . . . البيت

وقال:

• أَيْنَمَا الرِّيحُ تَمِيلُهَا تَحِلُّ^(٣) •

ولو كانت فعل كان أقوى؛ إذ كان ذلك جائزاً في إن في الكلام. واعلم أنَّ قولهم في الشعر: إنَّ زيدٌ يَأْتِيكَ يَكُنْ كذا، إنما ارتفع على فعلٍ

(١) لشاعر من أهل هراة، قاله عند ما افتتحها عبد الله بن خازم سنة ٦٦. انظر ما كتبت في حواشي سيبويه ٣: ١١٣. وعجزه:

• وأسد اليوم مشغوقاً إذا طربا •

(٢) في سيبويه: «فلو جاز».

(٣) لكعب بن جميل، كما في سيبويه ١: ٤٥٨. وصلده:

• صمدة نابضة في حائر •

هذا تفسيره ، كما كان ذلك في قولك : **إِنْ زَيْدًا رَأَيْتَهُ** ^(١) يكن ذلك ، لأنها لا يبتدأ بعدها الأسماء ثم يبنى عليها . فإن قلت : **إِنْ تَأْتِي** زيدٌ يقل ذلك ، جاز على قول من قال : زيداً ضربته . وهذا موضع ابتداء . ألا ترى أنك لو جئت بالفاء فقلت : **إِنْ تَأْتِي** فأنا خيرٌ لك ، كان حسناً . وإن لم تجعله على ذلك ^(٢) رُفع وجاز في الشعر ، كقوله :
 * الله يشكرها ^(٣) *

ومثل الأول قول هشام المرِّي :

(فمن نحنُ نؤمنه بيتٌ وهو آمنٌ ومن لأنجره يُمنس منّا مفرّعا)

انتهى كلامُ سيويه ، ولنفاسته سُقناه بتمامه .

وقد أورد ابن هشام هذا البيت (في المغني) قال : قولنا الجملة المفسرة لا محلّ لها ، خالف فيه الشلويين ، فزعم أنها بحسب ما تفسره ، فهي في نحو : زيداً ضربته لا محلّ لها ، وفي نحو : **﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾** ^(٤) ونحو زيدٌ الخبز يأكله ، ينصب الخبز ، في محلّ رفع . ولهذا يظهر الرفع إذا قلت آكله . قال :

* فمن نحن نؤمنه بيتٌ وهو آمنٌ *

فظهر الجزم . وكانت الجملة المفسرة عنده عطف بيان أو بدلاً .

٦٤١

(١) في النسختين : « إن زيداً رأيت » ، وأثبت ما في سيويه :

(٢) في سيويه : « وإن لم يحمله على ذلك » .

(٣) قطعة من بيت هو الشاهد ٦٩١ ص ٤٩ . وتمامه .

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلاًن

(٤) الآية ٤٩ من سورة القمر .

ولم يُثبت الجمهور وقوع البيان والبدل جملةً . وقد بيّنت ^(١) أنَّ جملة الاشتغال ليست من الجمل التي تسمى في الاصطلاح جملةً مفسّرة وإن حصل فيها تفسير .

ولم يثبت جواز حذف المعطوف عليه عطف البيان ، واختلّف في المبدل منه .

(وفي البغداديات) لأبي عليّ أنَّ الجزم في ذلك بأداة شرط مقدّرة فإنّه قال ما ملخصه أنَّ الفعل المحذوف والفعل المذكور في نحو قوله :
 • لا تجزعي إن منفساً أهلكته ^(٢) .

مجزومان في التقدير ، وأنَّ انجزام الثاني ليس على البدليّة ، إذ لم يثبت حذف المبدل منه ، بل على تكرير إن ، أي إن أهلكت منفساً إن أهلكته ، وساغ إضمار إن لاتّساعهم فيها . ١ هـ .

والبيت لهشام المرّى كما قاله سيّويه ^(٣) وغيره ، وهو منسوب إلى صاحب الشاهد مرّة بن كعب بن لؤي القرشيّ ، وهو شاعر جاهليّ .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الستائة ^(٤) :

٦٨٩ (يُثْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَائِهِ وَلَدَيْكَ إِنْ هُوَ يَسْتَزِدُّكَ مَزِيدٌ)
 على أنَّ مجيء الشرط المفصول باسمٍ من أداة الشرط مضارعاً شاذّ ، وحقّه أن يكون ماضياً ، سواءً كان لفظاً ومعنى ، نحو : إن زيد قام قمت ، أو معنًى فقط نحو قوله ^(٥) :

(١) ش : « وقد ثبت » ، وما أثبت من ط يطابق ما في المعنى .

(٢) للنسر بن تولب في سيّويه ١ : ٦٧ والمقتضب ٢ : ٧٦ والخزانة ١ : ١٥٢ ، ٤٥٠ : ٤ / ٤١٠ .

(٣) ش : « كما قال سيّويه » .

(٤) المجمع ٢ : ٥٩ والأشمونى ٤ : ٣٠ والحامسة بشرح المروزقى ١٠٤١ .

(٥) هو السهول بن عاديا . المجمع ١ : ٦٣ / ٢ : ٥٩ والحامسة بشرح المروزقى ١١١ .

وإن هو لم يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضِيَمَهَا
فليس إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

وفيه نظر من وجهين :

الأول : أَنَّهُ عَمَّ فِي أَدَاةِ الشَّرْطِ ، وَسَيُوبِهِ خَصَّهُ بِإِنْ كَمَا تَقَدَّمَ ،
وتبعه مَنْ بَعْدَهُ .

الثاني : أَنَّ مَجِيءَ الْمُضَارَعِ ضَرُورَةٌ لَا شَاذٌ ، سَوَاءٌ كَانَتْ الْأَدَاةُ إِنْ
أَوْ غَيْرَهَا ، كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ سَيُوبِهِ . وَهُوَ فِي هَذَا الثَّانِي تَابِعٌ لِابْنِ مَالِكٍ
(فِي التَّسْهِيلِ) . وَرُويَ :

• وَلَدَيْكَ إِمَّا يَسْتَرْذُكَ مَزِيدٌ •

فلا شاهد فيه . فإمّا هي إن الشرطية وما الزائدة .

صاحب الشاهد والبيت من أبياتِ سَتَّةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَنَمَةَ الضَّبِّيِّ ، أَوْرَدَهَا أَبُو تَمَّامٍ
(فِي بَابِ الْمَرَاتِي مِنَ الْحَمَاسَةِ) ، وَهِيَ :

أبيات الشاهد (أأبِي لَا تَبْعَدْ وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَيٌّ وَمَنْ تُصِيبِ الْمَنُونُ بَعِيدُ
أأبِي إِنْ تُصِيبُ رَهْمِينَ قَرَارَةً زَلَجَ الْجَوَانِبِ قَعْرُهَا مَلْحُودٌ^(١)
فَلَرَبُّ مَكْرُوبٍ كَرَرَتْ وَرَاءَهُ فَمَنْعَتُهُ وَبَنُو أَبِيهِ شُهُودُ
أَنْفًا وَمَحْمِيَّةً وَأَنْتَ ذَائِدُ إِذْ لَا يَكَادُ أَخُو الْحِفَازِ يَذُودُ
فَلَرَبُّ عَانٍ قَدْ فَكَكَتْ وَسَائِلِ أَعْطَيْتُهُ فَعَدَا وَأَنْتَ حَمِيدُ
يُثْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَائِهِ وَلَدَيْكَ إِمَّا يَسْتَرْذُكَ مَزِيدُ)

وقوله : « أأبِي » إلخ الهمزة للنداء ، وأبى منادى . ولا تَبْعَدْ : لا تهلك

(١) الزلج ، بالفتح وبفتحتين : الزلق . ويروى : « زلج » بالفتح وكفح ، وهو بمعنى
السابق . وفي ط : « ذلج » ، تحريف .

وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِكَائِنٍ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ ذُو حَيَاةٍ .
وَالْمَنُونُ : الْمَنِيَّةُ . وَبَعِيدُ خَيْرٍ مُبْتَدِلٌ مَحْذُوفٌ ، أَيْ فَهُوَ بَعِيدٌ .

وقوله : « تَصْبِحُ رَهِينٌ » ، إلخ أَيْ إِنَّ خَلَيْتُ مَكَانَكَ وَصَرْتَ رَهِينَ
قَبْرِ زَلَقِ الْجَوَانِبِ ^(١) لَا يُتَعَشَّ صَرِيْعُهُ وَلَا يَفُكُّ رَهِيْنُهُ ، فَلَرَبُّ مَكْرُوبٍ ،
أَيْ رَبُّ مُضَيَّقٍ عَلَيْهِ ، تَعَطَّفَتْ عَلَيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ .

وقوله : « أَنْفَاءٌ وَمَحْمِيَّةٌ » مَفْعُولٌ لِأَجَلِهِ ، أَيْ فَعَلْتَ ذَلِكَ حَمِيَّةً وَأَنْفَةً ،
وَلِأَنَّ مِنْ سَجِيَّتِكَ الدِّيَادَ ، أَيْ الْمَنْعَ ، حِينَ لَا ذَائِدَ ، لَشِدَّةِ الْأَمْرِ .

والعاني : الْأَسِيرُ ، مِنْ عَنَا يَعْنُو إِذَا خَضَعَ . أَيْ وَرَبُّ أَسِيرٍ أَطْلَقْتَهُ مِنْ
إِسَارِهِ ، وَرَبُّ سَائِلٍ أَعْطَيْتَهُ فَأَغْنَيْتَهُ ، فَانْصَرَفَ عَنْكَ وَأَنْتَ مَحْمُودٌ
مَشْكُورٌ ، وَهُوَ يَثْنِي عَلَيْكَ وَيَشْكُرُ نِعْمَتَكَ . وَلَوْ عَادَ إِلَيْكَ لَوَجَدَ مَعَادًا ،
إِذْ لَا تَضْجُرُ وَلَا تَسَامُ مِنَ الْإِفْضَالِ وَالْجُودِ .

وعبد الله بن عنمة شاعرٌ إسلاميٌّ مخضرمٌ ، تقدّمت ترجمته في
الشاهد الخمسين بعد السّائة ^(٢) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :

(أَيْنَمَا الرِّيحُ تَمِيلُهَا تَمِيلُ)

لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ . وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ قَرِيبًا وَبَعِيدًا ^(٣)

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :

(إِنَّ مِنْفَسُ أَهْلِكْتُهُ)

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « رَتَقَ الْجَوَانِبَ » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) الْخَزَانَةُ ٨ : ٤٧١ - ٤٧٢ .

(٣) الْخَزَانَةُ ٣ : ٤٧ - ٥١ ، كَمَا سَبَقَ هُنَا قَرِيبًا فِي ص ٣٨ .

هو قطعة من بيت ، وهو :
 (لا تجزعي إنْ مِنْفَسُ أَهْلَكْتُهُ وإذا هَلَكْتُ فعند ذلك فاجزعي)
 وتقدّم الكلام عليه مفصّلاً في الشاهد السادس والأربعين من أوائل
 الكتاب^(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد السّائة^(٢) :

٦٩٠ (وللخيلِ أَيّامٌ فمن يَصْطِيرُ لها
 وَيَعْرِفُ لها أَيّامَهَا الخيرَ تُعْقِبِ)

على أَنَّ (الخير) مفعولٌ مقدّمٌ لتُعْقِبِ ، وتعقب مجزومٌ جواب الشرط ،
 وإنّما كسرت الباء لأنّ القصيدة مجرورة .

وإنّما جاز الكسر في المجزوم دون المرفوع والمنصوب لوجهين :
 أحدهما أَنَّ الجزم في الأفعال نظير الجرّ في الأسماء ، فلمّا وجب
 تحرّكه للقافية حرّكوه بحركة النظير .

والثاني: أَنَّ الرفع والنصب يدخلان هذا الفعل ولا يدخله الجرّ ،
 فلو حرّكوه بالضم أو الفتح لالتبس^(٣) حركة الإعراب بحركة البناء ،
 بخلاف الكسر فإنّه ليس فيه لبس .

صاحب الشاهد قال يعقوب بن السكيت (في شرح ديوان طفيل) : أراد تُعْقِبِهِ الخيلُ
 الخيرَ ؛ فقدّم وأخر . ١ هـ .

وأجاب الدماميني عن الكوفيين بأنّ الخيرَ صفةٌ أَيّامَهَا ، أي أَيّامَهَا
 الطيّبة ، فلا فصلَ لأنّه ليس بمفعول للجزاء ؛ فجزم تعقب لعدم الفصل .

(١) الخزّانة ١ : ٣١٤ - ٣٢٢ .

(٢) الإنصاف ٦٢١ . وانظر ديوان طفيل ١٦ كرنكو ، و ٣٥ محمد عبد القادر .

(٣) ش : مع تصحيح : « لالتبس » ، وهما سواء .

وفيه نظر من وجهين :

أحدهما أَنَّ الأَيَّامَ هنا عبارةٌ عن الشَّدائدِ المتعلقة برياضة الخيل ، ومقاساةِ أهوالها ، فلا طيب بالشَّدائدِ على النفس ، والقرينة استعمال الصَّبْر .

ثانيهما: أَنَّ تُعْقِبَ فعل متعَدٍّ ، فلا بدَّ له من مفعول ، وليس هنا منزلاً منزلة الفعل اللازم . فإذا كان الخير صفة أيامها ، لا يعلم ما الذى تُعقبه الخيل . ويشهدُ لما قلنا ما أنشدَه ابن قتيبة (فى أبيات المعاني) ، وهو قول الشاعر :

* وكلَّ مُفَدَّاة العُلالة صِلِمْ^(١) *

قال : أى أعقبهم خيلهم هذه^(٢) خيراً ، ممَّا قاموا عليها وصنعوها . والأهوج : الذى يركب رأسه . والمِهْرَج ، بكسر الميم : الكثير الجرى . وقوله : مفدَّاة العُلالة ، يقال لها إذا طُلِبَ علالتُها وهى بقيَّة جريِّها : ويهاً فِداً لك ، ومثله قولُ طفيل : « وللخيل أَيَّام » البيت . والعربُ لكثرة انتفاعها بالخيل تسميها الخير ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾^(٣) . ذكرُوا أَنَّهُ لَهَا بالخيل وبالنَّظر إليها ، حَتَّى فاتته صلاةُ العصر . وقال أبو ميمون العِجَلِيُّ :

* والخيلُ والخيراتُ كالقرنينِ^(٤) *

(١) المعاني الكبير ٨٤ برواية : « كل أهوج مرج » . وفى ديوان أوس بن حجر ١٢٠ : « مهرج » ، وكذا فى الأمالى ١ : ١٨٩ .

(٢) ط : « هذا » ، صوابه فى ش والمعاني الكبير .

(٣) الآية ٣٢ من سورة ص .

(٤) المعاني الكبير ١٧٦ ، ٨٥ وعيون الأخبار ١ : ١٥٦ . وفى عيون الأخبار : « فى قرنين » .

وقوله : « وللخيل أيام » مبتدأ وخبر ، وقوله : « ويعرف لها » معطوف على يصطبر ، ولهذا جزم . وتُعقب ، أى تحدث الخير في العاقبة . والماضي أعقب بالهمزة ، وهو متعد لفعلولين كما فهم من ابن السكيت .
والبيت من قصيدة طويلة عدتها ستة وسبعون بيتاً ، قالها في غارة أغارها على طيئ أكثرها في وصف الخيل . وبعده :

آيات الشاهد

وقد كان حيّاناً عدوين في الذي
خَلا ، فعلى ما كان في الدهر فارتبي^(١)
إلى اليوم لم تحدث إليكم وسيلة^(٢)
ولم تجدوها عندنا في التنسب^(٣)
جزيناها أمس العظيمة إننا
متى ما تكن منا الوسيقة نطلب^(٤)

قال ابن السكيت : قوله فارتبي ، يريد فاثبتى أيتها العداوة . وقوله :
« إلى اليوم » إلخ يقول : لم تكن بيننا مودة ولا نسب فيستعطف به .
والوسيقة : الطريدة . والعظيمة : الفطيمة^(٤) .

طفيل الغنوى طفيل الغنوى شاعر جاهلي ، وهو طفيل بن عوف بن خلف بن
ضبيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلال ، بكسر الجيم
وتشديد اللام ، ابن غنم بفتح فسكون ، ابن غني بن أعصر . كذا في
الجمهرة .

(١) ويروى : « فارتب » بخطاب المذكر ، أى اثبت أيها الأمر .

(٢) ويروى : « لم تحدث إليكم » بالنون .

(٣) ويروى : « الفطيمة » ، وهى ما فطهم وحرهم ما أرادوه من الوقائع . وفى ط :

« الوثيقة » بالثاء هنا وفى الشرح . صوابه فىش والديوان .

(٤) ش : « القطيمة » .

قال الصولي (في كتاب الكتاب^(١)) في خلال وصف الجبر : وسموا
 طفيلاً الغنوى محبباً ، لتحسينه شعره . وقيل سمى بذلك لقوله يصف
 بُرداً :

سماوته أسالُ برِدٍ محبِّرٍ وسائره من أتحمي مُعَصِّبٍ^(٢)

وسماوة البيت : سقفه . والأتحمي : ضرب من البرود . ١٠١ هـ .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : كان طفيلُ الغنويُّ من أوصاف
 العرب للخييل ، فقال عبد الملك : من أراد ركوب الخيل فليرو شعرَ
 طفيل . وقال معاوية : دعوا لي طفيلاً ، وسائرُ الشعراء لكم . ١٠١ هـ .

وقال الأصمعي : كان طفيلٌ أحدُ نعات الخيل ، وكان أكبر من
 النابتين^(٣) ، وليس في قيسٍ فحلٌ أقدمُ منه ، وكان يسمى طفيلُ
 الخيل لكثرة وصفه إياها ، والمحبّر لحسن وصفه لها .

وقد أورد الآمدي (في المؤلف والمختلف) أربعة شعراء . كلُّ منهم
 اسمه طفيل ، أحدهم هذا .

* * *

وأنشد بعده :

(يا أقرع بن حابسٍ يا أقرعُ إنك إن يُصرع أخوك تُصرعُ)

(١) كذا . وصوابه « أدب الكتاب » ، وهو لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، وقد طبع
 في المطبعة السلفية ١٣٤١ بتحقيق محمد بهجة الأثرى . والنص فيه ص ١٠٥ .

(٢) البيت أيضاً في ديوان طفيل ١٩ والكامل ٨٧ والأغاني ١٤ : ٨٦ ، ٨٧ والعين
 ٣ : ٢٤ . ويروي : « من أتحمي مشرب » . وما بعد هذا البيت من تفسير ساقط من النسخة
 المطبوعة من أدب الكتاب .

(٣) أي النابتة الذياني والنابتة الجمدي . وفي الأغاني ١٤ : ٨٥ عن الأصمعي قال : « كان
 طفيل أكبر من النابتة » . وفي الأصل هنا : « من النابتين » ، والتصحيح بقلم الشنيطي في نسخته .

على أَنَّ الكوفيين استدلُّوا به على أَنَّ رتبة الجزاء التقديمُ، فرفع
(تصرُّع) مراعاةً لأصله، ولو كان رتبته التأخير لجزم.

وأجاب الشارح عنه بأنَّه ضرورة، كما بيَّنه.

وهذا مأخوذٌ من كلام سيويهِ، وهذا نصُّه : وقد تقول : إن أتيتني
آتيك، أى آتيك إن أتيتنى . قال زهير :

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالى ولا حريمُ
ولا يحسنُ إن تأتيني آتيك، من قِيلَ أَنَّ إنْ هى العاملة . وقد جاء
فى الشعر، قال جرير بن عبد الله البجلي :

يا أقرعَ بنَ حابسٍ يا أقرعُ إنَّك إن يُصرعَ أخوك تُصرعُ
أى إنَّك تصرع إن يُصرعَ أخوك . ومثل ذلك قوله :

هذا سراقَةٌ للقرآن يدرسه والمرءُ عند الرُّشا إن يلقَها ذيبٌ^(١)

٦٤٤

أى والمرءُ ذئبٌ إن يلقَ الرُّشا . قال الأصمعى : هو قديم أنشدنيهِ
أبو عمرو . وقال ذو الرمة :

ولئنّى، متى أشرفَ على الجانب الذى

به أنتِ من بين الجوانب، ناظر^(٢)

أى إننى ناظر متى أشرفَ . فجاز هذا فى الشعر، وشبهه بالجزاء
إذا كان جوابه منجزماً ؛ لأنَّ المعنى واحد، كما شبهه «الله يشكرها» ،

(١) هو الشاهد ٨٢ فى الخزانة ٢ : ٣ - ٤ . وانظر سيويهِ ١ : ٤٣٧ وابن الشجرى
٣٣٩ : ٢ والممع ٢ : ٣٣ .
(٢) هو الشاهد ٦٩٢ . وسيأتى فى ص ٥١ .

جعلَه بمنزلة يشكرها الله، وكما قالوا فى اضطرار : إن تَأْتَنِي أَنَا صاحبك،
تريد معنى الفاء، فتشبهه ببعض ما يجوز فى الكلام حذفه وأنت تعنيه .
وقد يقال إن أَتَيْتَنِي آتِكَ ، وإن لم تَأْتَنِي أَجْزَكَ ، لَأَنَّ هذا فى موضع
الفعل المجزوم ، وكأنَّه قال : إن تفعل أفعل. وتقول : إن تَأْتَنِي فَأُكْرِمُكَ ،
أى فإِنَّا أَكْرَمُكَ ، فلا بُدَّ من رفع فَأُكْرِمُكَ إذا سكت عليه ^(١) لَأَنَّهُ
جواب . وإنَّما ارتفع لَأَنَّهُ مبنى على مبتدأ . انتهى كلام سيوييه .

فتخريج الشارح المحقق فى البيت خلاف ما خرَّجه سيوييه ، فإنَّ
الشارح جعل تصرع جواب الشرط مع مبتدأ محذوف مع الفاء الرابطة ،
والتقدير : فأنَّت تصرع ، والجملة الشرطية خبر إنَّ . وسيوييه جعل
تصرع خبر إنَّ ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه ما قبله .

والرجز لعمر بن الخُثَارِم ، وتقدَّم شرحه فى الشاهد الحادى صاحب الشاهد
والثمانين بعد الخمسمائة ^(٢) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد السّمائة ، وهو من
شواهد س ^(٣) :

٦٩١ (مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا)

على أن الفاء الرابطة محذوفة من جواب الشرط ضرورة ، أى فالله يشكرها.

(١) وكذا فى سيوييه ١ : ٤٣٧ . وفى س : « إن أسكت عليه »

(٢) الخزائن ٨ : ٢٠ - ٢٩

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٥ ، ٤٥٨ . وانظر نواذر أبى زيد ٣١ والمقتضب ٢ : ٧٢
والأصول ٢ : ٢٠٤ ومجالس العلماء ٤٣٢ والخصائص ٢ : ٢٨ والمنصف ٣ : ١١٨ والمحاسب
١ : ١٩٣ وسر الصناعة ١ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ وابن يعيش ٩ : ٢ ، ٣ والمقرب ١ : ٢٧٦
والغنى ٥٦ ، ٩٨ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٥١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٤٧
والغنى ٤ : ٤٢٣ والتصريح ٢ : ٢٥٠ .

فالنحَّاس : أبو العباس المبرِّد يجيز حذف الفاء في الشعر .
ونقل العيني عنه خلافه ، قال : وعن المبرد أنه منع ذلك حتى
في الشعر .

ثم قال النحاس : وقال أبو الحسن : هو عندى جائزٌ في الكلام إذا
علم ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وما أصابكم من مُصيبةٍ فيما كَسَبَتْ
أيديكم ^(١) ﴾ وقرئ : ﴿ بما كَسَبَتْ ^(٢) ﴾ فاستدل بهذا على أن الفاء محذوفة .
ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ ^(٣) ﴾ . وكذلك جوزَه ابنُ
مالك ، قال : ومنه حديث اللُّقطة : « فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا وَإِلَّا اسْتَمْتَعَ بِهَا » .
ثم قال النحاس : قال أبو الحسن : حدَّثني محمد بن يزيد قال :
حدَّثني المازني أَنَّ الْأَصْمَعِي قال : هذا البيت غيَّره النحويون ، والرواية :
* من يفعل الخير فالرَّحْمَنُ يشكرُهُ * ا هـ

وأبو الحسن قال هذا فيما كتبه على نوادر أبي زيد ، قال : أخبرنا
أبو العباس عن المازني عن الأصمعي أَنَّهُ أنشدَهم : « فالرحمنُ يشكره » .
قال : فسألته عن الرواية الأولى فذكر أَنَّ النحويين صنعوها . ولهذا
نظائر ليس هذا موضعَ شرحها . ا هـ .

وهذا مردودٌ ؛ لأنَّه طعنٌ في الرواة العُدول .

وأغرب منه ما نقل ابن المستوفى قال : وجدت في بعض نسخ

(١) الآية ٣٠ من سورة الشورى .

(٢) هي قراءة نافع وابن عامر من السبعة ، وأبي جعفر يزيد بن القمقاع من العشرة .
تفسير أبي حيان ٧ : ٥١٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٣ . وهي أيضاً قراءة شيبة ، كما في
تفسير أبي حيان .

(٣) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

الكتاب في أصله : قال أبو عثمان المازني : خَبَّرَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ يُونُسَ قَالَ :
نحن عملنا هذا البيت .

وكذلك نقله الكرماني (في الموشح) .

والبيت نسبه سيبويه وخدمته لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت صاحب الشاهد
رضي الله عنه ، ورواه جماعة لكعب بن مالك الأنصاري . وقبله بيتان وهما ^(١) :

٦٤٥ (إِنْ يَسْلَمُ الْمَرْءُ مِنْ قَتْلِ مَنْ هَرَمَ لِلذِّقِّ الْعَيْشِ أَفْنَاهُ الْجَدِيدَانِ ^(٢))
فَإِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا كَالزَّادِ ، لَا بَدَّ يَوْمًا أَنَّهُ فَانٍ

وترجمة كعب بن مالك تقدّمت في الشاهد السادس والستين ^(٣) .

وعبد الرحمن بن حسان يعرف نسبه من ترجمة والده رضي الله عنه ،
وقد تقدّمت في الشاهد الحادي والثلاثين من أوائل الكتاب ^(٤) .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد السبائة ، وهو من
شواهد سيبويه ^(٥) :

٦٩٢ (وَأَنْتَى مَتَى أَشْرِفَ عَلَى الْجَانِبِ الَّذِي

به أَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِبِ نَاضِرُ)

على أَنَّ قوله (ناظر) جواب الشرط ، بتقدير مبتدأ محذوف مع
الفاء الرابطة ، أى فَأَنَا نَاضِرُ ، وتكون الجملة الشرطية خبر أن .

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ١٣٣ . والحديث أخرجه البخاري في كتاب
اللقطة ، يقوله صلوات الله عليه وسلامه لأبي بن كعب .

(٢) ديوان كعب بن مالك ٢٨٨ وحاشية البحري ١٣٥ .

(٣) الخزائن ١ : ٤١٧ .

(٤) الخزائن ١ : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٥) في كتابه ١ : ٤٣٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٧١ وديوان ذي الرمة ٢٤١ .

وهذا خلاف ما ذهب إليه سيويه ، فإنَّ ناظراً عنده خبر إنَّ ،
والجملة دليل جواب الشرط المحذوف .

قال ابن السَّراج (في الأصول) : هذا عند سيويه على تقديم الجزاء ^(١) :
وإنَّي ناظر متى أشرف . وأجاز أيضاً أن يكون على إضمار الفاء . والذي عند
أبي العباس وعندى فيه وفي أمثاله ، أنَّه على إضمار الفاء لا غير ، لأنَّ
الجواب في موضعه ، فلا يجوز أن يُنَوَّى به غير موضعه إذا وُجد له
تأويل . ومثله :

* إنَّك إن يصرع أخوك تصرع ^(٢) *

فهذا على ما ذكرْتُ لك . وكذلك قوله :

. إنَّها مطبَّعةٌ من يأتها لا يضيرها ^(٣)

أراد : لا يضيرها من يأتها ، وإنَّك تصرعُ إن يصرع أخوك ، وهو
عندنا على إضمار الفاء . فأما قوله :

* من يفعل الحسناتِ الله يشكرها *

فعلى إضمار الفاء في كلِّ قول . ا هـ .

وسياقُ نقل كلام المبرد في الشاهد السادس والثمانين ^(٤) بأبسط

من هذا .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لذي الرمة ، وهذا مطلعها :

(١) ش : « تقديم الخبر » ، صوابه في ط . والمراد ما تضمن معنى الجزاء أى جواب الشرط .

(٢) هو الشاهد ٥٨١ وقد سبق في ٨ : ١٩ - ٢٩ .

(٣) هو الشاهد ٦٩٤ فيما سأتى ص ٥٧ .

(٤) ش : « الشاهد السادس والثلاثين » . وكلاهما خطأ . وأرى أنه يشير إلى ما سأتى في الشاهد السابع والتسعين بعد السهائة فيما سأتى .

(لَمِيَّةٌ أَطْلَالٌ بِحُزْوَى دَوَائِرُ
 كَأَنَّ فَوَادِي هَاضَ عِرْقَانُ رُبْعَهَا
 عَشِيَّةٌ مَسْعُودٌ يَقُولُ وَقَدْ جَرَى
 أَفَى الدَّارِ تَبْكِي أَنْ تَفَرَّقَ أَهْلُهَا
 فَلَا ضَمِيرَ أَنْ تَسْتَعِيرَ الْعَيْنُ لِنَتْنِي
 فَيَأْمِي هَلْ يُجْزَى بِكَائِنِي بِمَثَلِهِ
 وَأَنْتِي مَنِي أَشْرَفَ عَلَى الْجَانِبِ
 (. . . .) البيت

قوله : « لَمِيَّةٌ أَطْلَالٌ » الخ حُزْوَى : اسم مكان . والدوائر : التي قد انمحت . وعَفَّتْهَا : محتها . والسَّوْفَى : الرياح التي تَسْفِي التراب .

وقوله : « كَأَنَّ فَوَادِي » الخ الْهَيْضُ : الكسر بعد الجبر ، وضمير به للفؤاد . والْوَعَى : الجبر . وأَسْلَمْتُهَا : خَذَلْتُهَا . والإِسْلَامُ : التخلية والخِذْلَانُ . والجبارة بالكسر : ما شددت به الكَسْرَ من الأعواد . وعِرْقَانُ فاعل هَاضَ ، ووَعَى مفعوله .

وقوله : « عَشِيَّةٌ مَسْعُودٌ » هو أَخُو ذِي الرِّمَةِ . وقوله : « فِي الدَّارِ » الخ هو مقول مسعود ، وَأَنْ تَفَرَّقَ مجرور باللام المقدرة ، و« أَنْتِ امْرُؤُ » الخ جملة حالية . وَحَلَمْتُكَ : وصَفْتُكَ بالحلم .

وقوله : « فَلَا ضَمِيرَ » إلخ الضَّمِيرُ : الضَّرَرُ . وصابر : خبر لِنَتْنِي ، يريد : لِنَتْنِي صابر على ذلك الوجود إِلَّا جَوْلَةَ الدَّمْعِ ، أَيْ يَجُولُ فِي الْعَيْنِ ^(١) .

وقوله : « فَيَأْمِي » إلخ هو مرخم مَيَّة . وَيُجْزَى ببناء المفعول ، يريد :

(١) ط : « تَجُولُ فِي الْعَيْنِ » .

هل تبكين مثل ما أبكى مراراً . والزفير : إدخال النفس إلى الجوف .
والشهيق : إخراج .

وقوله : (وأنى متى أشرف) الخ ، هو بفتح الهمزة معطوف على
المستثنى ، وهو جولة الدمع . قال شارح ديوانه : يريد : إننى على ذاك
صابر إلا جولة الدمع وأنى متى أشرف . والأقرب أن يكون معطوفاً
على بكائى ، أى هل يُجزى نظرى إليك فى كل جهة كنت فيها^(١) ، أى
هل تنظرين إلىّ كذلك . أو المعنى : هل تجزىنى على هذه المحبة . والتاء
من أنتِ مكسورة .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت فى الشاهد الثامن من أوّل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(فأنتِ طلاقٌ والطلاقُ أليّةٌ)

على أنّ جملة (والطلاقُ أليّةٌ) اعتراضية ، وقعت بين المصدر وهو
طلاق ، وبين عدده وهو ثلاثاً فى المصراع الثانى ، وهو :

(ثلاثاً ومن يخرقُ أعقُ وأظلمُ)

وتقدّم الكلام عليه بما لا مزيدَ عليه فى الشاهد الخامس والأربعين
بعد المائتين^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السمائة^(٤) :

(١) ط : « فيه » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٣) الخزانة ٣ : ٤٥٩ - ٤٧١ .

(٤) ديوان المتنبي بشرح المكبرى ٢ : ٤٦٩ وتحرير التعبير ٣٦٠ .

٦٩٣

(يَرَى كُلَّ مَنْ فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا)

على أَنَّ جملة (وحاشاك) اعتراضية وقعت بين مفعولى يرى ،
أولهما كلَّ ، وثانيهما فانيا .

وهذا عجزٌ ، وصدده :

(وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مَجْرُبٍ ^(١))

والبيت فيه من أنواع البديع التكميلُ ، وهو أن يأتى الشاعرُ أو
المتكلمُ بمعنى من معانى المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه ، ثم يرى
مدحه بالافتقار على ذلك المعنى فقط غيرَ كامل ، فيكملُ بمعنى آخر ،
كمن أراد مدح إنسانٍ بالشجاعة ، ورأى مدحه بالافتقار عليها دون
الكرم مثلاً ، غير كامل ، فيكمّله بذكر الكرم ، أو بالبأس دون
الحلم وما أشبهه .

قال ابن أبي الإصبع (فى تحرير التحبير) : ومما وهِمَ فيه المؤلفون
فى هذا الموضع أَنَّهُمْ خَطُّوا التكميل بالتميم ، إذ ساقوا فى باب التميم
شواهد التكميل ، لأنَّهُمْ ذَكَرُوا قول عَوْف :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

من شواهد التميم . ومعنى البيت تامٌ بدون لفظة وبُلِّغَتْهَا . وإذا
لم يكن المعنى ناقصاً فكيف يسمّى هذا تتميماً ؟ وإنما هو تكميل . وما غلطهم
إلاَّ من كونهم لم يَفَرِّقُوا بين تميم الألفاظ وتميم المعانى . وكذلك
أتوا بقول المتنبي :

* وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مَجْرُبٍ * البيت .

(١) ط : « ويحتقر » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابهما فى ش والديوان .

في باب التتميم ، وهو مثل الأول وإن زاد على الأول أدنى زيادة^(١) لما في لفظة حاشاك^(٢) بعد ذكر الفناء من حُسْن الأدب مع الممدوح . وربما سُمِعَ بأن يُجعل هذا البيت في شواهد التتميم بهذه اللفظة . وأما الأول فمحض التكميل ، ولا مدخل له في التتميم . ١ هـ .

وقد ذكر التتميم في أول كتابه^(٣) وقال : سمّاه ابن المعتز اعتراضَ كلامٍ في كلامٍ لم يتمّ معناه ، ثم يعودُ المتكلمُ فيتمّمه . وشرح حدّه أنّه الكلمة التي إذا طُرحت من الكلام نقص حُسْنُ معناه أو مبالغته ، مع أنّ لفظه يؤهم بأنّه تامّ . ومجيئه على وجهين : للمبالغة ، والاحتياط . ويجيء في المقاطع كما يجيء في الحشو . هذا كلامه .

٦٤٧

ولا يخفى أنّ هذا الحدّ منطبقٌ على البيت .

وأما أنا فالبيت عندي من الاحتراس ، وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجّه عليه دَخَلٌ ، فيفطِنُ له فيأتى بما يخلّصه من ذلك .

قال ابن أبي الإصبع : والفرق بين الثلاثة أن المعنى قبل التكميل صحيح تامّ ، ثم يأتي التكميل زيادةً يكمل بها حُسْنه ، إمّا بضمّ زائد أو بمعنى . والتتميم يأتي ليتّمَمَ نقص المعنى . والاحتراس لاحتمالِ دَخَلٍ على المعنى وإن كان تاماً كاملاً .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمتنبى مدح بها كافوراً الإخشيديّ . وقبل هذا البيت :

(١) وكذا في تحرير التعبير . وفي ش : « أوفى زيادة » .

(٢) ش : « حشاك » ، تحريف .

(٣) تحرير التعبير ١٢٧ . وفيه : « باب التمام ، وهو الذي سمّاه الخاتمي : التتميم » .. الخ .

(وقد تهبُ الجيشَ الذى جاءَ غازیاً لسانك الفرد الذى جاءَ عافياً)

يقول : إذا غزاك جيشٌ أخذته فوهبته لسائلٍ واحد أذاك يسألك .

وقوله : « وتحتقرُ الدنيا » إلخ هو بالخطاب . وجملة يرى إلخ صفة لمجرب . يقول : أنت تحتقر الدنيا احتقارَ مَنْ جربها فَعَرَفَهَا ، وعلمَ أَنَّ جميع ما فيها يفنى ولا يبقى ، أى فلذلك تهبُّها ولا تدنُّها . وقوله : (وحاشاك) استثناءٌ ممَّا يفنى . وذكر هذا الاستثناء تحسیناً للكلام واستعمالاً للأدب فى مخاطبة الملوك ، وهو حسنُ الموقع .

وترجمة المتنبي تقدّمت فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد السائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(٢) :

٦٩٤ (فقلتُ تحمّلُ فوقَ طَوْقِكَ إِنِّهَا

مُطَبَّعَةٌ مَنْ يَأْتِيهَا لَا يَضِيرُهَا)

على أَنَّ التقدير عند سيبويه : لا يضرُّها من يأتها ، فهو مؤخر من تقديم .

وهذا نصُّ سيبويه : وقد يجوز فى الشعر : آتَى من يأتنى . وقال الهذلى :

فقلت تحمّل فوق طوقك . . . البيت

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ . وفى ش : « الواحد » بدل « الحادى » .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٧٢ والأصول ٢ : ٢٠٢ وابن يميّش

٨ : ١٥٨ والتصريح ٢ : ٢٤٩ والمعنى ٤ : ٤٣١ والأشموفى ٤ : ١٨ وديوان الهذليين

١ : ١٥٤ والسكرى ٢٠٨

هكذا أنشدناه يونس، كأنه قال : لا يضيرها مَنْ، كما كان وأنى متى أشرف ناظرٌ على القلب . ولو أريد به حذف الفاء جاز فجعلت كأن . ١٠ هـ .

قال الأعلام : وهذا عند المبرد على إرادة الفاء ، لأنَّ يضير إذا تقدمت على مَنْ ارتفعت مَنْ به . ويلزم منه أن يبطل عملها من الجزم ، لأنَّ حرف الشرط لا يعمل فيه ما قبله . والحجة لسيبويه أنه يقدر الضمير في يضير على ما هو عليه في التأخير . ومن مبتدأة على أصلها ، فلا يلزم أن ترتفع مَنْ به ، وتبطل من عمل الجزم . هذا كلامه .
وستنقل كلام المبرد في الشاهد الثالث والثمانين ^(١) .

وقد تكلم أبو علي (في كتاب الشعر) على فاعل يضير على التقديرين فقال : من قدر فيه التقديم كان فاعل لا يضيرها ضير ، فأضمر الضير له لدلالة يضير عليها . والضير قد استعمل استعمال الأسماء في نحو لا ضير ، كأنه قد صار اسماً لما يُكره ولا يراد . ومن قدر الفاء محذوفة أمكن أن يكون الفاعل عندنا أحد شيئين : أحدهما الضير كقول من قدر التقديم . ويجوز أن يكون فاعل يضير ضميراً من الذي تقدّم ذكره . ١١ هـ .

أراد بما تقدّم التحمل فوق الطاقة .

صاحب الشاهد ٦٤٨
والبيت من قصيدة عدتها سبعة عشر بيتاً لأبي ذؤيب الهذلي ، قالها في ابن أخته خالد بن زهير ، وكان خاله أبو ذؤيب في صغره رسولاً من وهب بن جابر إلى امرأة من هذيل كان يتعشقها وهب ، وكان أبو ذؤيب

(١) انظر ما سبق في حواشي ص ٥٢ . وانظر أيضاً الشاهد ٦٩٧ .

جَمِيلاً فَرغبت فيه واطَّرحت وَهَباً ، ففشا أمرُهما في هذيل ، فكان يُرسل إليها ابنُ أخته خالد بن زهير ، وعاهده على أن لا يخونه فيها ، فلم تلبث أن عشقت خالداً وتركته أبا ذؤيب ، فجرى بين أبي ذؤيب وبين خالد أشعارٌ كثيرة منها هذه القصيدة ، وأجابه خالدُ بقصيدةٍ على رويِّها ، منها :

فلا تجزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا
فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

وقد شرحنا حالهما وما لهما في الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلاثمائة وفي الشاهد الستين بعد الستمائة^(١) .

وهذه أبياتٌ من أوَّل قصيدة أبي ذؤيب :

(ما حُمِّلَ البُخْتَى عامَ غيارِهِ عليه الوُسوقُ بُرُّها وشَعيرُها
أنى قريةً كانت كثيراً طعامُها كَرَفَعَ التُّرابِ كُلُّ شَيْءٍ يَمِيرُها^(٢)
فَقِيلَ تَحْمَلْ فوقَ طَووقِكَ إِنَّها مُطَبَّعةٌ مِنْ يَأْتِها لا يَضِيرُها
بِأَكْثَرِ مِمَّا كُنْتَ حَمَلْتُ خالداً وبعضَ أماناتِ الرجالِ غُرُورُها)

قوله : « ما حُمِّلَ البُخْتَى عامَ غيارِهِ » ما نافية . والبُخْتَى نائب فاعل حُمِّلَ ، وهو واحد البُخْت ، وهو نوع من الإبل . والغيار ، بكسر المعجمة ، مصدر غارهم يَغِيرُهُمْ ، إذا مارهم ، أى أتاهم بالميرة بالكسر ، وهى الطعام . والوسوق : جمع وَسَق ، وهو حِمْلٌ بعيرٍ ، وجملة عليها الوسوقُ تفسير لقوله : حُمِّلَ البُخْتَى . وَبُرُّها وشَعيرُها بدلٌ من الوسوق ، بَدَلُ مَفْصَلٍ مِنْ مَجْمَلٍ . وإضافة البُرِّ والشَعيرِ إلى ضمير الوسوق لأدنى ملابسة ، لأنَّهما

(١) الخزائن ٥ : ٨٣ - ٨٦ و ٥١٥ .

(٢) البيتان التاليان ساقطان من ش

يصيران وسوقاً . واختار البختي على البعير لأنه أشد منه وأقوى على زيادة التحمل . ولهذا قال : « عليها السوق » . يعني أن هذا البختي حمل أضعاف ما يحمله غيره من الإبل .

وقوله : « أتى قرية » إلخ فاعل أتى ضمير البختي . والجملة حال من البختي . وقوله : « كرفع التراب » أي ككثرة التراب ، وأصل الرفع اللين والسهولة ، وهو بالفاء والغين المعجمة . وقوله : « يميها » هو على القلب ، أي كل شيء تمير هذه القرية ، فقلب ، فجعل الفاعل وهو ضمير القرية مفعولاً وأسند الفعل إلى ضمير كل شيء . والنكتة فيه أن كل شيء يعطي هذه القرية الميرة ، حتى اجتمع فيها الطعام ككثرة التراب . وقال القاري (في شرحه) : قوله يميها ، يريد يمتار من القرية . قال الباهلي : كل شيء يميها .

أقول : الوجه الأول معنى الكلام قبل القلب ، والثاني معناه بعد القلب ، كما قلنا فيها .

وقوله : (فقلت تحمل) إلخ رواية السكري : « فقبل تحمل » وهي الجيدة ، أي وقيل للبختي تحمل فوق طاقتك ، وقوله : (إنها) أي إن هذه القرية مطبوعة ، أي مختومة بالطابع . يعني أن هذه القرية مملوءة بالطعام ، لأن الختم إنما يكون غالباً بعد الملء . وفيه مبالغة لا تخفى . وجملة إنها مطبوعة استئناف بياني ، كأنه سأل البختي هل يدعوني أن أتحمل فوق طاقتي من هذه القرية . فهو سؤال عن السبب الخاص للحكم ، لا عن سبب الحكم مطلقاً ، فلهذا أكد بأن . والجملة الشرطية خبر ثان لأن . وضاره ضيراً ، من باب باع : أضرب به .

وقوله : (بأكثر مما كنت) إلخ يقول : ما حُمِّلَ هذا البختي من الطَّعام بأكثر ممَّا كنتُ حَمَلْتُ خالداً من الأمانة . والغرور بالضم : الغفلة ، والضمير للرُّجال .

وترجمة أبي ذؤيب الهذلي تقدمت في الشاهد السابع والستين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(والمرءُ عند الرُّشَا إنْ يَلْقَهَا ذِيبٌ)

على أنَّ التقدير عند سيبويه : والمرءُ ذِئْبٌ ، فأخَّر خبر المبتدأ بعد الشرط ، وتكون الجملة دليلَ الجواب المحذوف .

وعند المبرِّد « ذيبٌ » هو الجزاء ، بتقدير المبتدأ مع الفاء ، أى : فهو ذيب ، وتكون الجملة الشرطية خبر المبتدأ .

وهذا عجزٌ وصدره :

(هذا سُرَاقَةٌ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ)

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الثانی والثمانين ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السّائة ، وهو من شواهد س ^(٣) :

٦٩٥ (على حِينٍ مَنْ تَلَبَّثَ عَلَيْهِ ذَنْوِيهِ

يَجِدُ فَقْدَهَا إِذْ فِي الْمَقَامِ تَدَابُرٌ)

(١) الخزاعة ١ : ٤٢٢ .

(٢) الخزاعة ٢ : ٣ - ٤ .

(٣) في كتابه ١ : ٤٤١ . وانظر الإنصاف ٢٩١ والمجم ٢ : ٦٢ وديوان لبيد ٢١٧ .

على أنَّ جزم أدوات الشرط المضاف إلى جملتها ظرف ، خاصٌّ بالشعر كما في البيت ، فإنَّه جازى بمنَّ مع إضافة حين إلى جملة الشرط ضرورةً ، وحكمها أن لا تضاف إلَّا إلى جملة خبرية ، لأنَّ المبهمة إنما تفسر وتوصل بالأخبار ، لا بحروف المعاني وما ضُمِّنت معناها . وجاز هذا في الشعر [تشبيهاً^(١)] لجملة الشرط بجملة الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل.

قال سيبويه : وقد يجوز في الشعر أن يُجازى بعد هذه الحروف فتقول : أتذكر إذ من يأتنا نأته ، فإنما أجازوه لأنَّ إذ^(٢) لا تغير مادخلت عليه عن حاله^(٣) قبل أن تجيء بها^(٤) ولا تغير الكلام ، كأنَّا قلنا : من يأتنا نأته ، كما أنَّ إذا قلنا : إذ عبد الله منطلق ، فكأنَّا قلنا : عبد الله منطلق ، لأنَّ إذ لم تُحدث شيئاً قبل أن تذكرها . قال لبيد :

على حين من تلبث عليه . . . البيت .

ولو اضطرَّ شاعر فقال : أتذكر إذ إن تأتنا نأتك ، جاز له كما جاز في مَنْ^(٥) . وتقول : أتذكر إذ نحن من يأتنا نأته ، فنحن فصلت^(٦) بين إذ ومن . وتقول : مررت به فإذا من يأتبه يعطيه ، وإن شئت جزمت ؛ لأنَّ الإضمار يحسن هنا . ألا ترى أنك تقول : مررت به فإذا أجملُ الناس ، ومررنا به فإذا أيُّما رجلٍ . فإذا أردت الإضمار فكأنك قلت : فإذا هو من يأتبه يعطيه ، فإن لم تضمرفه بمنزلة إذ ، لايجوز فيها الجزم .

(١) التكلة من ش

(٢) في سيبويه : لأنَّ إذ وهذه الحروف .

(٣) ط : « من حالة » ، صوابه في ش وسيبويه .

(٤) ش : « أن يجيء بها » .

(٥) ط : « فيمن » ، صواب كتابته في ش وسيبويه .

(٦) ط : « فصلنا » ، صوابه في ش وسيبويه .

والبيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصّحابي ، وكان له في الجاهلية صاحب الشاهد جارٌ من بني القَيْن قد لجأ إليه ، فضربه عمه عامرٌ بالسيف ، فغضب لذلك لبيدٌ وقال هذه القصيدة ، يعدّد على عمه بلاءه عنده ، ويُنكر فعله بجاره .

وقد تقدّم شرحُ أبياتٍ منها في الشاهد الثالث عشر بعد الخمسائة^(١) .

وقبل هذا البيت :

أبيات الشاهد

(ودافعتُ عنك الصَّيْدَ مِنْ آلِ عامِرٍ
ومنهم قَبِيلٌ فِي السُّرَادِقِ فَاخِرُ^(٢)
وُذِذْتُ مَعَدًّا وَالْعِبَادَ وَطِيئًا
وَكَلْبًا كَمَا ذِيذَ الْخُمَاسُ الْبَوَاكِرِ)

على حين مَنْ تلبث البيت

الصَّيْدُ : الرؤساء المتكبرون . يقال للصَّيْدِ المتعاطم أَصِيدٌ ؛ لميله^(٣) رأسه من الكبر والعظمة ، تشبيهاً بالجمال الأصيد ، وهو الذي به داءٌ يأخذ البعيرَ فَيَرِمُ أنفه فيشمخ ويميل رأسه لذلك الوجع . والقبيل : الجماعة من قوم شتى . والسُّرَادِقُ : ما يُدار حولَ الخيمة من شُقُقٍ بلا سَقْفٍ ، وقيل هو الفسطاق ، وقيل هو كلُّ بيت من قُطُنٍ . وفاخرٌ ، يريد يفخرون عليك .

٦٥٠

(١) الخزائن ٧ : ٩١ - ٩٧ .

(٢) في الديوان ٢١٦ : « من آل دارم » ، وهو الصواب ، لأن بعد هذا البيت في الديوان :

فقيم وعبد الله في عز نهشل بيثتل ، كل حاضر متناصر
وققيم هم بنو فقيم بن دارم بن مالك . وكذلك نهشل ، بنون نهشل بن دارم وعبد الله أيضاً ، بنو عبد الله بن دارم .

(٣) في هامش ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب تعيله » .

وقوله : « وَذُذْتُ مَعْدًا » إلخ . الذَّوْذُ : الطرد . ومعدٌ : أبو قبيلة ، أراد من ينسب إليه من أولاده . والعباد بالكسر : قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة ، والنسبة إليهم عبادى . وطئى بهمزة الآخر على وزن فيعل ، وهو القبيلة المشهورة بلا همز . وكلبٌ أيضاً : قبيلة . والخماس ، بالكسر : الإبل التى لا تشرب أربعة أيام . والبواكر : التى تُبَكِّرُ غداة الخمس .

وقوله : (على حينَ مَنْ تَلَبُّثُ) على متعلقة بقوله ذدت ، وحين يجوز جرُّها بالكسرة ويجوز بناؤها على الفتحة ، لأنَّ الظروفَ المضافة إلى الجمل يجوز إعرابها وبناؤها على الفتحة . والتَّلَبُّثُ : البطء . والذَّنُوبُ ، بفتح الذال المعجمة ، قال صاحب المصباح ^(١) : هى الدلو العظيمة . قالوا : ولا تسمى ذنوباً حتى تكون مملوءة ماءً . وتذكروتنوث ^(٢) . وقال الزجاج : مذكَّر لا غير . ا هـ . ويردُّ عليه حصَّره هذا البيت ، فإنَّ الضمير فى « فَقَدْهَا » مؤنَّث ، وهو عائد إلى الذَّنُوبِ . و (التَّدَابُّرُ) : التقاطع . وأصله أن يولَّى كلُّ واحد من المتقاطعين صاحبه دُبْرَهُ . يقول لعمَّه عند قيامه فى مقام الثَّعْمَانِ بن المنذر ملك الحيرة مع خصومه : أنا دافعتُ عنك بلسانى فى مجمع . يقول : قمتُ بفخرِكَ وأَيَّامِكَ على حين من لا يقوم بحجَّتِهِ . وهذا على المثل . يعنى أَنَّهُ نصرَه فى وقت إن تبطئ فيه الحجَّة عن المحتجِّ يَهْلِكُ ولا يمكنه أن يتلافى ما فرط منه . وقوله : (يجِدُ فقدها) معناه يؤلِّه فقدها ، كما يقال وجَدَ فلان فَقَدَ فلان ، إذ انقطع عنه نفعه فأثر ذلك فى حاله . وروى : (تدابر)

(١) ط : « الصَّحاح » ، صوابه فى ش . وانظر المادة فى المصباح المنير .

(٢) بعده فى المصباح : « يقال هو الذَّنُوبُ ، وهى الذَّنُوبُ » .

بالمثلثة بدل (تدابر) بالموحدة ، وهو التزام والتكاثر . جعل الجمع الذين عند الملك بمنزلة المزدحمين على الماء ليسقوا إبلهم . وأصل الدثر المال الكثير . وأراد بالمقام المجلس الذي جمّعهم للخِصام ، ورؤى في ديوانه :

* يجد فقدها وفي الذّئاب تدائر *

بالمثلثة . والذّئاب ، بالكسر : جمع ذنوب المذكورة . قال شارح ديوانه : يقول : ذُذت عنك في ذلك الوقت . تلبث : تبطئ . والذنوب : الدلو . يجد فقدها إذا لم تخرج إليه . وإنما هذا مثل ضربته . وفي الذّئاب تدائر ، يقول : وفي ذلك تكاثر . وإنما هذا مثل ، أراد الألسن التي كثرت عليه . ١ هـ .

وروى سيويه المصراع الثاني كذا :

* يرث شربه إذ في المقام تدابر *

قال الأعلم : وصف مقاماً فاخر فيه غيره وكثرت^(١) المخاصمة والمخاجة فيه . وضرب الذنوب ، وهي الدلو مملوءة ماء ، مثلاً لما نزل به من الحجّة . والشرب بالكسر : الحظ من الماء . والرّيث : الإبطاء . انتهى . وترجمة ليبد تقدّمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة^(٢) .

* * *

وأنشده بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السّائة^(٣) :

(١) ط : « وكثرة » بالمعطف على « مقاماً » ، وهو يطابق ما في شرح الديوان ٢١٧ نقلاً عن الخزائن . لكن في ش ونسخة الأعلّم على هامش سيويه : « وكثرت » عطفاً على « فاخر » .

(٢) الخزائن ٢ : ٢٤٦ .

(٣) فاتة أن ينص على أنه من شواهد سيويه ١ : ٤٤٢ . وانظر الموشح ٧٣ والمغني ٦٠٦ وشذور الذهب ١٣٥ والعيني ٤ : ٤٢٢ .

٦٩٦ (ولست بِحَلَالِ التَّلَاعِ مخافةً
ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ)

على أَنَّ وقوع الجملة الشرطية بعد (لكن) لكونها لا تغيّر معنى الجملة .
قال سيبويه : وتقول : ما أنا ببخيلٍ ولكن إن تَأْتَنِي أُعْطِكَ .
٦٥١ جاز هذا وَحَسُنَ لَأَنَّكَ قد تضمّر ههنا كما تضمّر في إذا . ألا ترى أَنَّكَ
تقول : ما رأيَتِكَ عاقلاً ولكن أحمقَ . وإن لم تضمّر تركت الجزاء
كما فعلت ذلك في إذا . قال طرفة :

ولست بحلّال التلاع مخافة البيت

كَأَنَّهُ قال : أنا . ولا يجوز في متى أن يكون الفعل وصلاً لها كما
جاز في مَنْ . والذي سمعناهم ينشدون قولَ العُجَيْرِ السَّلُولِي :
وما ذاك أن كان ابن عمّي ولا أخى
ولكن متى ما أملك الضّرَّ أَنْفَعُ

والقوافي مرفوعة ، كَأَنَّهُ قال : ولكن أَنْفَعُ متى ما أملك الضّر ،
ويكون أملك على متى في موضع جزاء ، وما لغوٌ . ولم تجد سبيلاً إلى
أَن تكون بمنزلة مَنْ فتوصل ، ولكنها كمها . انتهى كلام سيبويه .

فشرط جواز وقوع أداة الشرط بعد لكن تقدير الضمير بينهما ،
وحينئذ لا ضرورة فيه ، بل هو حسن للفصل كما قال سيبويه .

ولم يُصَبِّ الأَعلم في قوله : الشاهد في هذا البيت حذف المبتدأ بعد
لكن ضرورة ، والمجازاة بعدها ، والتقدير : ولكن أنا متى يسترفد
القوم أرفد . اهـ .

ولم يقدّر الضمير ، فلا يجوز وقوع الأداة بعد لكن إلا في الشعر .

والشارح المحقق أَخْلَ بهذا التّفصيل ولم يذكره ، وقد أَخَذَ به أَبُو عَلِيٍّ
(في التذكرة القصرية) وقال فيها : قال سيبويه في قوله :

* ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ *

تقديره : لكن أنا إنْ . قيل : هلا لم يحتج إلى هذا الضمير لأنَّ
لكن إنَّما تُشَبِّه الفعل إذا كانت ثقيلة ، فإذا خَفَّتْ زال عنها شَبِّه
الفعل ، وإذا كان كذلك صَلَحَتْ للجملتين ، وإذا صَلَحَتْ لهما لم
تحتج إلى ضمير ؟ قيل : لكن لما فيها من معنى الاستدراك لَمْ يَزُلْ عنها
معنى الفعل ، فاحتيج إلى الضمير فيها . وهذا عندى إنَّما يجب إذا
دخل حرف العطف عليه ، نحو ولكن ، التي في البيت ، لأنَّ حرف العطف
إذا دخل عليها خَلَصَتْ لمعناها وخرجت من العَظْف . وإذا لم يدخل
عليها حرف العطف كانت للعطف ، فلم يُحتج^(١) في وقوع الجزاء بعدها
إلى إضمار ، كما لا يُحتاج في حروف العطف إلى ذلك . ا هـ .

وقد نقل ابن هشام (في المغني) عن أَبِي عَلِيٍّ خلافَ هذا . قال : وزعم
سيبويه في قوله :

* ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ *

أنَّ التقدير : ولكن أنا . ووجَّهوه بأنَّ لكن تشبه الفعل فلا تدخل
عليه . وبيان كونها داخلَةً عليه أنَّ متى منصوبة بفعل الشرط ،
فالفعل مقدَّم في الرتبة عليه . وردَّه الفارسيُّ بأنَّ المشبه للفعل هو لكنَّ
المشددة لا المخففة ، ولهذا لم تعمل المخففة لعدم اختصاصها بالأسماء .
وقيل : إنَّما يُحتاج إلى التقدير إذا دخل عليها الواو ، لأنَّها حينئذ تَخْلُصُ
لمعناها وتُخْرُجُ عن العَظْف . ا هـ .

(١) ط : « فلم تحتج » .

وهذا كما ترى مخالف لكلام أبي علي من وجوه، ولا أدري من أين نقله .

وقوله : (ولست بحلّال) إلخ الحلال : مبالغة الحال ، من الحلول وهو النزول . والأحسن أن يكون فعّالاً للنسبة ، أي لست بذى حلول . و (التلاع) : جمع تلعة ، وهو مجرى الماء من رؤوس الجبال إلى الأودية . قال ابن الأنباري : والتلعة من الأضداد ، تكون ما ارتفع ، وما انخفض . والمراد هنا الثاني ، وهو سيل ماء عظيم . و (مخافة) مفعول لأجله . و (أرفد) بكسر الفاء ، لأنه مضارع رَفَدَه رَفْدًا من باب ضرب ، أي أعطاه أو أعانه . والرّفْد بالكسر اسمٌ منه . وأرْفَدُهُ بالآلف مثله . وترافدوا : تعاونوا . واسترفدته : طلبت رفده . قال الزوزني : المعنى إنني لست ممن يستتر في التلاع مخافة الضيف^(١) أو غدر الأعداء إِيَّاي^(٢) ، ولكن أظهر وأعينُ القوم إذا استعانوا بي ، إمّا في قري الضيف ، وإمّا في قتال الأعداء .

٦٥٢

صاحب الشاهد وهذا البيت من معلّقة طرفة بن العبد . وقد عابه المرزباني (في كتاب الموشح) وقال : المصراع الثاني غيرُ مشاكِلٍ للأوّل .

وبعده :

(فإن تبغني في حلقة القوم تلقني
وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد)

(١) في النسختين : « الضيق » ، والوجه ما أثبت . والذي في شرح الزوزني : « مخافة حلول الأضياف أو غزو الأعداء إِيَّاي » .
(٢) انظر الحاشية السابقة .

الحَلَقَةُ بسكون اللام : ما استدار من الناس ومن الحديد ، وتُجَمَعُ على الحَلَقِ بفتح الحاء واللام ، وهذا من الشواذ . وقد تجمع على الحَلَقِ بكسر الحاء مثل بَذَرَةٍ وبِدَرٍ^(١) . والاقتناص : الاصطياد . يقول : وإن تطلبني في مَحْفِلِ القوم وجدتنى هناك ، وإن تطلبني في بيوت الخَمَّارين صِدْتَنِي . والبُغَاءُ هو الطَّلَبُ ، والفعل بغى يبغى . يريد أنه يجمع بين الجِدِّ والهزل . كذا في شرح الزوزنى . وقال أبو جعفر النحوى^(٢) : المعنى إن تطلبُنِي في موضع يجتمع القوم فيه للمَشُورَةِ وإِجَالَةِ الرَّأْيِ تَلَقَّنِي ، لما عِنْدِي مِنَ الرَّأْيِ ، لا أَتَخَلَّفُ عَنْهُمْ ، وإن تَطَلَّبْتَ صَيْدِي في حَوَانِيتِ الخَمَّارين تجدُنِي أَشْرَبُ وَأَسْقَى مَنْ حَضَرَنِي . والحانوت : بيت الخَمَّار ، يذكَرُ ويؤنث . ١ هـ .

وقال ابن السكيت : يقول : أَبَدًا تجدُنِي في مجلس القوم للمفاخرة وفي بيوت الخَمَّارين مع الشَّرْبِ ، يعنى أَنَّهُ من وجوه قومه لا يُبْرَمُ أَمْرٌ إِلَّا بِحَضْرَتِهِ ، وَأَنَّهُ صاحبُ شرابٍ وهو . ١ هـ .

وترجمة طرفة تقدمت في الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة^(٣) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد السّائة ، وهو من شواهد س^(٤) :

(١) في النسختين : « بردة وبرد » ، والصواب ما أثبت . والبذرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ . والنص في شرحه للقصاصد التسع ١ : ٢٥٦ .

(٣) الخزائنة ٢ : ٤١٩ .

(٤) في كتابه ١ : ٤٤٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ٢٠٣ والأغاني ١٤ : ١٥١ .

٦٩٧ (وما ذاك أن كان ابن عمي ولا أخى
ولكن متى ما أملك الضر أنفع)

على أن (أنفع) مرفوع ، وهو مؤخر من تقديم لضرورة الشعر ،
كما في قوله :

* إِنَّكَ إِنْ يُصْرِعَ أَخُوكَ تُصْرِعُ *

والأصل فيهما : ولكن أنفع متى أملك الضر ، وإنك تُصرع إن
يصرع أخوك ، ويكون هذا المقدم تقديرًا لدليل الجزاء المحذوف .

قال سيبويه : والذي سمعناهم ينشدون قول العجير السلولي : «وما ذاك
إن كان ابن عمي» البيت. والقوافي مرفوعة ، كأنه قال : ولكن أنفع
متى ما أملك الضر. ١ هـ.

والضرورة عند المبرد إنما هي في حذف الفاء من أنفع وتصرع ،
وقد ردّ على سيبويه دعواه تقدير التقديم في هذا وفيما تقدم ، ونقله
ابن السراج (في الأصول) ، فلا بأس علينا إن نقلناه . وهذا كلامه :
قال أبو العباس محمد بن يزيد : أمّا قوله آتيك إن أتيتني فغير
مُنْكَر ولا مدفوع ، استغنى عن الجواب بما تقدّم ، ولم تجزم إن شيئاً فتحتاج
إلى جواب مجزوم أو شيء في مكانه ، وأمّا قوله :

وإن أتاه خليلٌ يوم مسغبةٍ يقول لا غائبٌ مالى ولا حريمٌ^(١)

يقول على القلب ، فهو محال ، وذلك لأنّ الجواب حذّه أن يكون
بعد إن وفعلها الأول ، وإنما يُعْنَى بالشئ موضعه إذا كان في غير موضعه ،

(١) في الأصول لابن السراج : « يوم مسألة » . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٣٤٦
لزهير بن أبي سلمى . وانظر معجم الشواهد .

نحو ضرب غلامه زيداً ، لأنَّ حدَّ الغلام أن يكون بعد زيد . وهذا قد وقع في موضعه من الجزاء ، فلو جاز أن تعني به التقديم لجاز أن تقول : ضرب غلامه زيداً ، تريد ضرب زيداً غلامه . وأمّا ما ذكره من مَنْ ومتى ، وسائر الحروف فإنّه يستحيل في الأسماء منها والظروف من وجوه في التقديم والتأخير ، لأنّك إذا قلت : آتى من أتانى ، وجب أن تكون مَنْ منصوبة بقولك آتى ونحوه ، وحروف الجزاء لا يعمل فيها ما قبلها ، فليس يجوز هذا إلا أن تريد بها معنى الذى ومتى ، إذا قلت آتىك متى أتيتنى ، فمتى للجزاء وهو ظرف لأتيتنى ، لأنَّ حرف الجزاء لا يعمل فيه ما قبله ، ولكن الفعل الذى قبل متى أغنى عن الجواب ، كما قلت فى إن فى قولك : أنت ظالم إن فعلت . فأنت ظالم منقطع من إن وقد سدَّ مسدَّ الجواب . وكذلك آتىك قد سدَّت مسدَّ الجواب فى متى وإن لم يكن منها فى شيء ، لأنَّ متى منصوبة بأتيتنى ^(١) ، لأنَّ حروف الجزاء من الظروف والأسماء إنّما يعمل فيهما ما بعدهما ، وهو الجزاء الذى يعمل فيه الجزم . والباب كلّهُ على هذا ، لا يجوز غيره . ولو وُضع الكلام فى موضعه لكان تقديره : متى أتيتنى فأتيتك ، أى فأنا آتىك . وأمّا قوله :

* . . . من يأتها لا يضيرها *

إنّما هو مَنْ يضيرها لا يأتها ، فمحال أن ترتفع مَنْ بقولك لا يضيرها ومن مبتدأة ، كما لا تقول زيد يقوم فترفعه يقوم . وكلُّ ما كان مثله فهذا قياسه . وهذه الأبيات التى أنشدّها كلّها لا تصلح إلا على إرادة الفاء فى الجواب ، كقوله : «الله يشكرها» ، لا يجوز إلا ذلك . هـ .

(١) ش : «لأن آتى» ، صوابه فى ط وأصول ابن السراج .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للعجير السلولى . قال الأصفهاني (في الأغاني) ،
وابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : قال ابن الأعرابي :
كانت للعجير بنتُ عمٍّ كان يهاها وتهواه ، فخطبها إلى أبيها فوعده
وقاربَه ، ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ مُوسِرٌ ، فخيرها أبوها بينه وبين
العجير ، فاختارت العامريَّ ليساره ، فقال العجير في ذلك :

أبيات الشاهد

(أَلَمَّا عَلَى دَارٍ لَزِينَبَ قَدْ أَتَى)
لَهَا بِاللَّوَى ذَى الْمَرْجِ صَيْفٌ وَمَرْبَعٌ ^(١)
وقولا لها : قد طال ما لم تكَلِّمِي
وراعَكَ بِالغَيْبِ الْفَوَاذُ الْمَرْوَعُ ^(٢)
وقولا لها : قال العجير وَخَصَّنِي
إِلَيْكَ ، وَإِرْسَالُ الْخَلِيلِينَ يَنْفَعُ
أَأَنْتِ الذِي أَوْدَعْتُكَ السَّرَّ وَانْتَحَى
بِكَ الْخَوْنَ مَزَّاحٌ مِنَ الْقَوْمِ أَفْرَعُ
إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صَنْفَانِ : شَامِتُ
وآخر مُثْنٍ بِالذِي كُنْتُ أَصْنَعُ
وَلَكِنْ سَتَبْكِينِي خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ
وَشُعْتُ أَهْيَنُوا فِي الْمَجَالِسِ جُوعٌ ^(٣)
وَمُسْتَلَحِمٌ قَدْ صَكَّهُ الْقَوْمُ صَكَّةً
بَعِيدُ الْمَوَالِي نَيْلٌ مَا كَانَ يَمْنَعُ

(١) في الأغاني : « ذى المرخ » . والمرخ من المضاء ، وهو ينفرش ويطول في السماء حتى
يستظل فيه ، وهو كثير الورى سريعه .

(٢) في الأغاني : « بالعين » .

(٣) في الأغاني : « ستبكي خطوب ومجلس » .

رددتُ له ما فرط القيلُ بالضحي
وبالأمس حتى آبنَا وهو أضلع^(١)
وما ذاك أن كان ابن عمي ولا أخي
ولكن متى ما أملك الضر أنفع^(٢)

وهي قصيدة طويلة .

والإلمام : النزول ، وضمنه معنى الإشراف . واللوى : ما التوى
من الرمل . والمرج : الموضع الذي ترعى فيه الدواب . وأراد بالمرجع
الربيع .

وراعك : أفزعك . وانتحي : اعتمد وقصد . والخون : الخيانة .
وقوله : « إذا متُّ كان الناس » إلخ هو من شواهد سيبويه على أن كان
فيها ضمير الشأن ، وهو اسمها . وجملة الناس صنفان خبرها .

وروى ابن الأعرابي البيت كذا :

إذا متُّ كان الناس صنفين شامت
ومثنى ينيرى بغض ما كنت أضنع^(٣)

فكان على أصلها . والتَّيران : العَلَمَانِ في الثوب . وإنما يريد أنه
يُثنَى عليه بحسن فعله ، الذي هو في أفعال الناس كالعلم في الثوب .
وخطأه أبو محمد الأسود وقال : الصواب الرواية الأولى في المصراع
الثاني .

(١) في الأغاني : « حتى اقتاله فهو أضلع » ، تعريف .

(٢) في الأغاني : « ولست بمولاه ولا بابن عمه » .

(٣) سيبويه ١ : ٣٦ ومعجم الشواهد .

وقوله : « ولكن ستبكي في خطوب » الخطوب هنا : الأمور العظام .
 وروى بدله : « خصوم » جمع خَصَم ، وهو معروف . والشعث : جمع
 أشعث وشعثاء ، وهو المتلبّد الرأس . وقال أبو محمد الأسود : الصواب :
 * بلى سوف تأتيني خطوب كثيرة * .

ولم يظهر لي وجهه . ورويًا^(١) : « أهينوا حضرة الدار » ، بدل : « أهينوا
 في المجالس » ، وحضرة ظرف . وجوع : جمع جائع .

وقوله : « ومُستلجِمٌ قد صكّه » بالرفع معطوف على ما قبله . والمستلجِم
 بكسر الحاء ، المستلجِقُ في القرابة وفي الجوار ، من اللّحمة بالضم ،
 وهي القرابة . والصكّة : الضربة . والمولى هنا الناصر والمعين . وبعيد :
 حال من المفعول . ورويًا : « ذليل الموالى » بدل : « بعيد الموالى » . وقوله : « نبيل »
 أى أخذ منه ما كان يمنعه . ورويًا المصراع الأوّل هكذا :
 * ومضطهدٌ قد صكّه الخضم صكّة * .

والمضطهد بفتح الهاء : المقهور والمضطَرّ .

وقوله : « ردّدتُ له ما فرط القَيْل » أى ما نحاه القيل . قال في
 الصحاح : قال الخليل : فرط الله عنه ما يكره^(٢) أى نحاه ، وقلما
 يستعمل إلا في الشعر . والقَيْل بفتح القاف : المَلِك . قال ابن خلف
 ويحتمل أن يكون القَيْل هنا شرب نصف النهار . وآبنا : رجّع إلينا .
 والأضلع ، بالمعجمة : المطبق للشيء القائم به . وروى ابن الأعرابي :

(١) كذا في النسخين : « ورويًا » يعنى ابن الأعرابي ، وأبا محمد الأسود الأعرابي .
 وذلك في مقابل الرواية الأخرى التي أثبتتها البغدادى عن أبي الفرج في أغانيه .
 (٢) في النسخين : « ما فرط الله عنه ما يكره » ، والصواب حذف « ما » كما هو في الصحاح .

رَدَدْتُ لَهُ مَا سَلَفَ الْقَوْمُ بِالضُّحَى وبِالْأَمْسِ حَتَّى اقْتَالَهُ وَهُوَ أَخْضَعُ
 وقال : سَلَفَ الْقَوْمُ ذَلَالًا وَهُوَ أَخْضَعُ ، أَرَادَ أَنَّ مَفْعُولَ سَلَفَ مَحْذُوفٌ
 وجُمْلَةُ « وَهُوَ أَخْضَعُ » حَالٌ . واقْتَالَهُ ، أَيْ اقْتَالَ عَلَيْهِ أَيْ تَحَكَّمَ . قال
 صاحب الصحاح : واقْتَالَ عَلَيْهِ : تَحَكَّمَ . ومادته القول . وروى أَبُو مُحَمَّدٍ
 الْأَسْوَدُ الْمَصْرَاعَ الثَّانِي كَذَا :

* حَتَّى نَالَهُ وَهُوَ أَضْلَعُ *

وقال : أَيْ أَخَذَ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ .

وقوله : « وما ذاك أن كان » إلخ اسم الإشارة راجع لما صنعه ^(١) من
 الجميل مع المستلجم ، وهو ردُّ ما أخذ من ماله إليه قهراً ، وهو مبتدأ
 وخبره محذوف ، أَيْ صَنَعْتُهُ . وَأَنْ مَصْدَرِيَّةٌ مَجْرُورَةٌ بِاللَّامِ . واسم كان
 ضمير المستلجم . وابن خبر كان ، والتقدير : وما ذاك الجميلُ فعلته
 معه لكونه ابن عمي ، ولكونه أخني ، ولكن من شأني إذا قَدَرْتُ عَلَى
 الضَّرِّ وَالْبَطْشِ نَفَعْتُ .

وروى أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَسْوَدُ الْمَصْرَاعَ الْأَوَّلَ كَذَا :

* وَلَسْتُ بِمَوْلَاهُ وَلَا بِابْنِ عَمِّهِ *

وَالْعُجَيْرُ السَّلُولِي : شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ
 الثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ^(٢) .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ :

(إِنْ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بَنْتٍ حَسَا نَ أَلْمُهُ وَأَعَصِيهِ فِي الْخُطُوبِ)

(١) ش : « إِلَى مَا صَنَعَهُ » .

(٢) الْخَزَانَةُ ٥ : ٣٥ - ٣٦ . وَكَرَّرَ الْبَغْدَادِيُّ تَرْجُمَتَهُ فِي الشَّاهِدِ ٣٨٠ فِي الْخَزَانَةِ ٥ : ٢٦٣ .

على أَنَّ ضمير الشأن وهو اسم إنَّ محذوف ، والجملة الشرطية خبرها .
وتقدم شرح هذا البيت مفصلاً في الشاهد السابع بعد الأربعمئة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الستمئة ^(٢) :

٦٩٨ (مَنْ يَكِدْنِي بِسِيٍّ كُنْتُ مِنْهُ

كَالشَّجَا بَيْنَ حَلْقِهِ وَالْوَرِيدِ)

على أَنَّ مجيء الشرط مضارعاً مجزوماً والجزاء ماضياً خاصاً بالشعر
عند بعضهم .

٦٥٥

قال ابن مالك : الصحيح الحكم بجوازه ، لثبوته في كلام أفصح
الفصحاء ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُمُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا
غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ^(٣) .

والبيت من قصيدة لأبي زبيد الطائي النصرائي ، رثى بها ابن أخته
اللاجلاج . وقبله :

(كَانَ عَنِّي يَرُدُّ دَرُوكَ بَعْدَ اللَّهِ شَغَبِ الْمُسْتَضْعَبِ الْوَرِيدِ ^(٤))

من يَكِدْنِي البيت .

الدرء : الدفع . وفي الحديث : « ادركوا الحدود بالشبهات » ^(٥) . والشغب

(١) الخزائن ٥ : ٤٢٠ - ٤٢٥ .

(٢) ديوان أبي زبيد الطائي ٥٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٥٩ والمقرب ١ : ٢٧٥ ورصف
المباي ١٠٥ والعيني ٤ : ٤٢٧ والأشموني ٤ : ١٧ وجهرة القرشي ٢٦٣ .

(٣) من حديث أبي هريرة في صحيح البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن
ماجه . وانظر الألف المختارة الحديث ١٦٣ .

(٤) الدرء : الدفع . ط : « درأك » ، صوابه في ش والديوان .

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل . الجامع الصغير ٣١٤ .

بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين : تهيج الشر . والعريد : مبالغة المارد .

وقوله : (من يَكِنِّي) يقال كاده كيداً من باب باع ، إذا خدعه ومكر به . والسيئ : فيعل ، وصف من سوء . و (كنت) بالخطاب . و (الشجاء) : ما يعترض في الحلق كالعظم . و (الوريد) : عرق قيل هو الودج ، وقيل بجذبه . وقال الفرأء : عرق بين الحلقوم والعلباوين ، وهو ينبض أبداً ، فهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجري فيها دم ، بل هي مجارى النفس بالحركات . وهذا مطلع القصيدة :

(إِنَّ طُولَ الْحَيَاةِ غَيْرُ سَعْدٍ وضلالٌ تأمِلُ نِيلَ الْخَاوِدِ)

وعدها تسعة^(١) وخمسون بيتاً ، وهي من القصائد الجياد في المرائي وقد جمعها محمد بن العباس اليزيدي ، عن ابن حبيب ، وهي عندي بخط محمد بن أسد بن علي القاري ، وتاريخ خطه سنة ثمان وستين وثلثمائة .

وترجمة أبي زبيد الطائي تقدّمت في الشاهد الثاني والثمانين بعد المائتين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا)

وتقدّم شرحه قريباً^(٣) :

* * *

(١) ط : « تسع » ، صوابه في ش . والقصيدة بهذا العدد في ديوانه .

(٢) الخزائن ٤ : ١٩٢ .

(٣) هو الشاهد ٦٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد السمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٦٩٩ (أَتَغَضَبُ إِنْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ حُرَّتَا)

على أنه قد يستعمل الماضي في الشرط متحقق الوقوع ، وإن كان يغير لفظ كان ، لكنه قليل . وهو هنا محذوف مفسر بالفعل المذكور ، والتقدير : إِنْ حُرَّتْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ . فحزُّ أَذْنَيْهِ قد وقع فيما مضى من الزمان وتحقق معناه .

وقدّر المصنف (في شرح المفصل) بما نقله الشارح عنه ، وردّه . ويشهد لما قاله الشارح المحقق ما نقله سيبويه عن الخليل ، قال : سألتُ الخليل رحمه الله عن قول الفرزدق :

أَتَغَضَبُ إِنْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ حُرَّتَا جِهَارًا وَلَمْ تَغَضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ
فقال : لَأَنَّهُ قَبِيحٌ أَنَّ تَفْصِيلَ بَيْنِ أَنْ وَالْفِعْلِ ، كَمَا قَبِحَ أَنْ تَفْصِيلَ بَيْنَ كَيِّ وَالْفِعْلِ ، فَلَمَّا قَبِحَ ذَلِكَ وَلَمْ يَجْزُ حَمْلُوهُ عَلَى إِنْ ، لَأَنَّهُ قَدْ يَقْدَمُ فِيهَا الْأَسْمَاءُ قَبْلَ الْأَفْعَالِ . ١ هـ .

يريد الخليل أَنَّ إِنْ فِي الْبَيْتِ لَا يَصِحُّ فَتَحْ هَمْزَتَهَا لِلْقَبِيحِ الْمَذْكُورِ ، وَإِنَّمَا هِيَ إِنْ الْمَكْسُورَةُ الْهَمْزَةُ ، لَجَوَازِ الْفَصْلِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفِعْلِ بِاسْمٍ عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾^(٢) . و (في المسائل القصيرية لأبي علي) : اعترض أبو العباس المبرّد على إنشاد هذا البيت بالكسر فقال : قتل قُتَيْبَةَ قد مضى وإن للجزء ، والجزاء

٦٥٦

(١) في كتابه ١ : ٤٧٩ . وانظر المص ٢ : ١٩ والمغني ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٦ وشرح شواهد السيوطي ٣٢ والأزهية ٦٩ وديوان الفرزدق ٨٥٥ .
(٢) الآية ٦ من سورة التوبة .

يكون لِمَا يَأْتِي ، فلا يستقيم أَنْ تقول : إِنْ قَمَتَ قَمْتُ ، وقد مضى قيامه .
قال أبو علي : إنما يريد : أَفْتَغْضِبُ كلما وقع هذا الفعل ، أَى مثلُ هذا
الفعل ، وإِنْ كان التأويل على هذا صحَّ الكسر . ١ هـ .

وأراد بتقدير المِثْل كَوْنُ الفعل مستقبلاً .

وظاهر نقل أبي علي أَنَّهُ لا يجوز الكسر عند المبرد ، ولكنَّ صريح
كلام ابن السِّيد أَنَّ المبرِّد يجوزُه ، قال (في شرح كامل المبرد) : وأجاز
أبو العباس فتحَ أَنْ في هذا البيت ، وجعلها إِنْ المخففة من الثقيلة وأضمر
اسمها ، كأنه قال : أَنَّهُ أَذْنا قَتِيبة حُزْنا . ومن روى إِنْ بكسر الهمزة ،
وهو رأى سيويه ، فوجهه أَنَّهُ وضع السبب موضع المسبب ، كأنه قال :
أَتَغْضِبُ إِنْ افْتَخَرُ مَفْتَخِرٌ بحِزِّه أَذْنِي قَتِيبة ، كما قال الآخر ^(١) :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ عَارًا عَلَيْكَ ، وَرُبَّ قَتْلِ عَارٍ

المعنى : إِنْ افْتَخَرُوا بِقَتْلِكَ . فذكر القتل الذي هو سبب ذلك . ١ هـ .

وقد صَرفه ابن هشام (في المغني) إلى المستقبل بتأويلين : أحدهما :
ما ذكره ابن السِّيد من إقامة السبب مقام المسبب . والثاني : أَنَّهُ على
معنى التبيين ، أَى أَنَغْضِبُ إِنْ تَبَيَّنَ في المستقبل أَنَّ أَذْنِي قَتِيبة حُزْنا فيما
مضى .

ثم قوله : وقال الخليل والمبرِّد : الصواب «أَنْ أَذْنا» بفتح الهمزة ، أَى
لأنَّ أَذْنا ، هو خلاف ما نقله سيويه عن الخليل ، وخلاف ما نقله
ابن السِّيد عن المبرد . وذهب الكوفيون إلى أَنَّ أَنْ في هذا البيت ليست
للشَّروط ، لمضيّه ، وإنَّما هي بمعنى إِذْ . قال إمامهم ^(٢) (في سورة الزخرف .

(١) هو ثابت قنطه ، وهو الشاهد ٧٩٨ .

(٢) يعني الفراء .

من تفسيره) عند قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا إِنَّ كُنتُمْ﴾^(١)
 قرأاً الأعمش بالكسر ، وقرأ عاصم والحسن بفتح أن ، كأنهم أرادوا
 شيئاً ماضياً . وأنت تقول في الكلام : أَسْبُكُ أَنْ حَرَمْتَنِي ، تريد إذ
 حرمتني . وتكسر إذا أردت : أَسْبُكُ^(٢) إِنْ تَحَرَمْتَنِي . ومثله : ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾
 شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ^(٣) ﴿ تَكْسِرُ إِنْ وَتَفْتَحُ . ومثله ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾
 نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا^(٤) ﴿ و (أَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا) . والعرب تنشد
 قول الفرزدق :

* أَتَجْزَعُ إِنْ أَدْنَا قَتِيبةَ حُرَّتَا *

وَأُنْشِدُونِي :

وَتَجْزَعُ إِنْ بَانَ الْخَلِيطُ الْمَوْدَعُ

وَحَبْلُ الصِّفَا مِنْ عَزَّةٍ الْمُتَقَطَّعِ^(٥)

وفي كل واحدٍ من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح .
 انتهى كلامه .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق مدح بها سليمان بن عبد الملك ،
 وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

(١) الآية ٥ من سورة الزخرف .

(٢) في النسختين : « لَأَسْبُكُ » . صوابه من معاني الفراء ٣ : ٢٦ .

(٣) الآية ٢ من المائدة . وقرأ الفتح هي قراءة الجمهور . وقرأ بالكسر ابن كثير وأبو عمرو ، ووافقهما ابن محيصن واليزيدي . إتحاف فضلاء البشر ١٩٨ .

(٤) الآية ٦ من الكهف . وقد نص الزخرفي في الكشاف على القراءتين ولم يمين صاحبهما ، ونقل عنه ذلك أبو حيان في تفسيره ، وجاء فيه النص محرفاً على هذه الصورة : « بكسر الميم وفتحها » والصواب « بكسر الهمزة وفتحها » . والواضح أن قراءة الكسر هي قراءة الجمهور . ووجدت في مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٧٨ نسبة قراءة الفتح إلى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم . وانظر معاني الفراء ٢ : ١٣٤ .

(٥) يبدو أنه لكثير . ولم أجده في ديوانه .

والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق مدح بها سليمان بن عبد الملك ،
وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

فإنّ تك قيسٌ في قتيبة أغضبتُ
فلا عطستُ إلاّ بأجدعٍ راغمٍ .

وهل كان إلاّ باهلياً مجدعاً
طغى فسقيناها بكأس ابن خازم .

لقد شهدت قيسٌ ، فما كان نصرها
قتيبة إلاّ عضها بالأباهم
فإنّ تقعدوا تقعدوا لئامٌ أذلّة
وإنّ عدتمُ عدنا بأبيض صارم .

أنغضب إنّ أذنا قتيبة البيت

(فما منهما إلاّ بعثنا برأسه
إلى الشام فوق الشاحجات الرّواسم .

تذبذبٌ في المخلّة تحت بطونها
محفّفة الأذنان جُلح المقادم .

ستعلم أيّ الواديين له ثرى
قديماً وأولى بالبحور الخضارم .^(١)

وما أنت من قيسٍ فتنبّح دُونها
ولا من تميمٍ في الرّؤوس الأعظم^(٢)

(١) في الديوان ٨٥٥ : « له الثرى » .

(٢) بين هذا البيت وسابقه في الديوان ٢١ بيتاً .

قوله : « فَإِنْ تَكْ قَيْسٍ » إلخ ، قيس : أبو قبيلة ، وهو قيس بن عيلان ابن مضر . وقبيلة باهلة : فخذٌ من قيس بن عيلان . وأراد القبيلة . ولجربير خثولةٌ في قيس . وقتيبة هو ابن مسلم الباهلي ، وستأني حكايته . وأغضببت بالبناء للمفعول ، وقوله « فلا عَطَسْتُ » إلخ جملة دعائية : وقعت جزاءً للشَّرط ، فلذا قرنت بالفاء . وأجْدَع صفة موصوفٍ محذوف أي أنف أجْدَع . والراغم : الدَّلِيل أو الكاره^(١) ، وهو على النسبة ، أي ذى الرِّغام وهو التُّراب^(٢) ، يقال أرغم الله أنْفَه ، أي ألصقه بالرِّغام ، وهو التُّراب ، وهو كناية عن الإذلال .

وقوله : « وهل كان إلَّا باهلياً » اسم كان ضمير قُتيبة ، ومجدعاً يُدعى عليه بالجدع ، وهو قَطْع الأنف . وباهلة : قبيلةٌ منحطة بين العرب . ولذا قيل :

وما يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلِهِ
رُؤِيَ أَنَّ قُتَيْبَةَ هَذَا مَازَحَ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا فَقَالَ : أَيْسْرُكَ أَنْ تَكُونَ
بَاهِلِيًّا ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : فَتَكُونَ بَاهِلِيًّا خَلِيفَةً ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ
وَلَوْ أَنَّ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ : قَالَ : فَيْسْرُكَ أَنْ تَكُونَ بَاهِلِيًّا وَتَكُونَ
فِي الْجَنَّةِ ؟ فَاطَّرَقَ ثُمَّ قَالَ : بِشَرِّطٍ أَنْ لَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنَّي بَاهِلِي !
فَضَحِكَ مِنْ قَوْلِهِ .

وقوله : (أَتَغْضِبُ إِنْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ) إلخ . فاعل تغضب قيس المتقدم ، وأنت فعله لأنَّه أراد به القبيلة . والاستفهام للتعجب والتوبيخ . ويجوز أن يكون فاعله مستتراً فيه تقديره أنت ، وهو خطابٌ مع جربير

(١) ط : « والكاره » .

(٢) ط : « أي ألصقه بالتراب » فقط .

بدليل ما بعده من البيتين . والحز ، بالحاء المهملة والزاي المشددة : القطع .
وحز الأذنين كناية عن القتل ، لأن القتل قد تُقَطَّعُ أذنه للتشويه .
(جهاراً) أى حزاً جهاراً . و(ابن خازم) بالحاء والزاء المعجمتين . يريد أن
قيسا غضبت من أمر يسير ولم تغضب لأمر عظيم . وقد أنكر هذا منها .

وأما قتيبة بالتصغير فهو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن
ربيعه بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قُضَاعِي بن هلال
الباهلي . نشأ في الدولة المروانية ، وترقى وتولّى الإمارة ، وفتح
الفتوحات العظيمة ، وعبر ما وراء النهر مراراً وأبلى في الكفار . وكان
شجاعاً جواداً دمث الأخلاق ذا رأى ، افتتح بخارى ، وخوارزم ،
وسمرقند ، وفرغانة ، والتürk . وولى خراسان ثلاث عشرة سنة .

وهذا خبر مقتله (من تاريخ النويري ^(١)) قال : قُتِلَ قتيبة بن
مسلم الباهلي في سنة ست وتسعين في خراسان . وكان سبب ذلك أنه
أجاب الوليد إلى خلع سليمان ، فلما أفضت الخلافة إلى سليمان خشي قتيبة
أن سليمان يستعمل يزيد بن المهلب على خراسان ، فكتب قتيبة إلى سليمان
كتاباً يهنئه بالخلافة ، ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه له
على مثل ذلك إن لم يعزله عن خراسان . وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه
فيه بفتوحه ونكايته ، وعظيم قدره عند ملوك العجم ، وهيبته في
صدورهم ، ويذم آل المهلب ويحلف بالله : لو استعمل يزيد على
خراسان ليخلعه . وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه . وبعث الكتب مع رجل
من باهلة وقال له : ادفع الكتاب الأول إليه ، فإن كان يزيد حاضراً

(١) هو نهاية الأرب ، ويعني القسم التاريخي منه ، ويبدأ في الجزء الثالث عشر من نهاية

فقرأه ثم ألقاه إليه^(١) . فادفع إليه الثاني . فإن قرأه ودفعه إليه فادفع إليه الثالث . وإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه . فقديم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع إليه الكتاب الأول فقرأه وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فأعطاه الثالث فقرأه وتمعر لونه وختمه ، وأمسكه بيده . ف قيل : كان فيه « إن لم تُقرني على ما أنا عليه وتؤمنني^(٢) لأخلعنك ، ولأملأنها عليك خيلاً ورجلاً » ثم أمر سليمان بإنزال رسول قتيبة وأحضره ليلاً^(٣) وأعطاه دنانير وعهد قتيبة على خراسان ، وسيّر معه رسولاً . فلما كانا^(٤) بحلوان بلغهما خلع قتيبة ، فرجع رسول سليمان فلما خلعه قتيبة دعا الناس إلى خلعه فلم يجبه أحد ، فغضب وسبهم طائفة طائفة ، وقبيلة قبيلة ، فغضب الناس واجتمعوا على خلع قتيبة . وكان أول من تكلم في ذلك الأزدي ، فأتوا حُضَيْن بن المنذر^(٥) فقالوا : إن هذا قد خلع الخليفة ، وفيه فساد الدين والدنيا ، وقد شتمنا فما ترى ؟ فأشار أن يأتوا وكيع بن حسان بن قيس الغدافي . وغدانة هو ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم . وكان وكيع مقدماً ، لرياسته على بني تميم ، وكان قتيبة عزله ، فحقد عليه وكيع . فلما أتوه وسألوه أن يلي أمرهم فعل ، فبلغ أمره لقتيبة ، فأرسل إليه يدعوه ، فلبس

(١) ط : « ثم دفعه إليه » ، وأثبت ما في ش مطابقاً لابن الأثير ٥ : ١٢ في حوادث سنة ٩٦ .

(٢) كذا في التسخين . والإتيان بنون التوكيد بعد « لم » قبل نادر .

(٣) ش : « ثم أحضره ليلاً » .

(٤) ط : « كان » ، صوابه في ش .

(٥) هو الحُضَيْن بن المنذر بن الحارث بن ولة الرقاشي ، من كبار التابعين ، وكان فارساً شاعراً ، وكانت معه راية على بن أبي طالب يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . مات على رأس المائة . المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب ٢ : ٥٩٥ . وانظر ما سبق في ٤ : ٣٨ .

وكيع سلاحه ونادى في الناس فَأَتَوْهُ ، وركب فرسه وخرج ، وأتاه الناس أرسالاً ، واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواص أصحابه ، فكَبَرُوا وهاجوا ، فقتل عبد الرحمن أخو قتيبة ، وجاء الناس حتى بلغوا فُسْطَاطَ قتيبة ففقطعوا أطنابه ، وجرح قتيبة جراحات كثيرة . ثم نزل سعد^(١) وشقَّ الفُسْطَاطَ واحتزَّ رأس قتيبة وقتل معه من أهله وإخوته أحد عشر رجلاً . فأرسل وكيع إلى سليمان برأسه ورؤوس أهله .

وأما ابن خازم فهو عبد الله بن خازم السُّلَمِيُّ^(٢) . وينتهي نسبُ سليمٍ إلى قيس عيلان . وهو أحدُ غُربان العرب في الإسلام . وكان من أشجع الناس ، وقتلته بنو تميم بخراسان في سنة اثنتين وسبعين ، وكان الذي وَلِيَ قتلَه وكيعُ بن الدَّورْقِيَّةِ القُرَيْعِيِّ . وكان ابنُ خازم أمير خراسان من قبل ابن الزُّبَيْرِ ، وكان أَوَّلًا استعمله ابنُ عامرٍ على خراسان في أَيَّامِ عثمان . وكان أحدَ الأبطال المشهورين ، وقد حضر مواقفَ مشهورةً وأبلى فيها .

وهذا جبرٌ مقتله (من تاريخ النويري) قال : ولَمَّا قُتل مصعب ابن الزبير كان ابن خازم يقاتل بُجَيْرَ بن وَرْقَاءَ التَّمِيمِيِّ^(٣) بنيسابور ، فكتب عبد الملك بن مروانَ إلى ابن خازم يدعوه إلى البيعة ويُطعِمه خراسان سَبْعَ سنين ، فامتنع وأطعم كتابه لرسوله . وكتب عبد الملك إلى

(١) سعد هذا لا يعرف من خبره إلا أنه قاتل قتيبة ، وقد سجل حُضين بن المنذر أن اسمه سعد بن سعد ، بقوله في شعره وهو يعنيه :

وإن ابن سعد وابن زحر تماورا بسيفيهما رأس الهمام المتوج

انظر تاريخ الطبري ٦ : ١٧٧ في حوادث سنة ٩٦

(٢) ط : « السليمي » ، صوابه في ش .

(٣) انظر خبره في نوادر المخطوطات ٢ : ١٧٦ - ١٧٧ .

بُكَيْرُ بْنُ وَسَّاجٍ^(١) وَكَانَ خَلِيفَةَ ابْنِ خَازِمٍ عَلَى مَرَوْ ، وَتَعَهَّدَهُ^(٢) عَلَى خِرَاسَانَ ، وَوَعَدَهُ وَمَنَّاهُ ، فَخَلَعَ بُكَيْرٌ ابْنَ خَازِمٍ ، وَدَعَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاجَابَهُ أَهْلُ مَرَوْ . وَبَلَغَ ابْنَ خَازِمٍ فَخَافَ أَنْ يَأْتِيَهُ بُكَيْرٌ ، فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَرَوْ وَأَهْلُ نَيْسَابُورَ ، فَتَرَكَ بُجَيْرًا وَأَقْبَلَ إِلَى مَرَوْ فَاتَّبَعَهُ بِجَيْرٍ فَلَحِقَهُ بِقَرْيَةٍ عَلَى ثَمَانِيَةِ فَرَاسَخٍ مِنْ مَرَوْ فَقَاتَلَهُ ، فَقُتِلَ ابْنُ خَازِمٍ وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ وَكَيْعُ بْنُ عَمْرِو الْقُرَيْبِيُّ ، اعْتَوَرَهُ وَكَيْعٌ وَبُجَيْرُ بْنُ وَرْقَاءَ ، وَعَمَّارُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَطَعَنُوهُ فَصَرَعُوهُ ، وَقَعَدَ وَكَيْعٌ عَلَى صَدْرِهِ فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَ بِشِيرًا بِقَتْلِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَبْعَثْ بِرَأْسِهِ ، وَأَقْبَلَ بِكَيْرٍ فِي أَهْلِ مَرَوْ فَوَافَاهُمْ حِينَ قَتَلَ ابْنَ خَازِمٍ ، فَأَرَادَ أَخْذَ الرَّأْسِ وَإِنْفَاذَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَمَنَعَهُ بِجَيْرٌ .

٦٥٩

كَذَا قَالَ التَّوَيْرِيُّ . وَهُوَ خِلَافُ قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَعَثْنَا بِرَأْسِهِ إِلَى الشَّامِ الْبَيْتِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ بَيْنَ قَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ وَقَتْلِ قَتِيْبَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً^(٣) .

وَقَوْلُهُ : « فَوْقَ الشَّاحِجَاتِ » يَعْنِي الْبَغَالَ . وَالرَّسْمُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ ، وَإِنَّمَا عَنَى هَهُنَا بَغَالَ الْبَرِيدِ بِقَوْلِهِ :

* مُحَذِّفَةُ الْأُذْنَابِ جُلُحَ الْقَوَادِمِ *

وَتَرْجُمَةُ الْفَرَزْدَقِ تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ الثَّلَاثِينَ^(٤) .

* * *

(١) ط : « وشاح » ، وأثبت ما في ش مطابقاً في القاموس (وسج) وتاريخ الإسلام للذهبي ٣ : ١١٢ ، وجهرة ابن حزم ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) المراد أعطاه عهداً بها . وفي ش : « تعهده » بلا واو .

(٣) في النسختين : « أربعة وعشرون سنة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) في الخزائنة ١ : ٢١٧ .

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :

(لَمْ تَذَرِ مَا جَزَعُ عَلِيَّتَ فَتَجَزَعُ)

تَقْدِمُ شَرْحَهُ فِي هَذَا الْبَابِ قَرِيباً^(١) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْمَوْفَى السَّبْعَمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س^(٢) :

٧٠٠ (وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُوا نَزَاوِلُهَا

فَكُلُّ حَتْفٍ امْرِئٍ يَجْرِي بِمَقْدَارٍ)

عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ : (نَزَاوِلُهَا) اسْتِثْنَاءٌ وَلِهَذَا وَجِبَ رَفْعُهُ .

قَالَ سَيَبَوِيه : وَتَقُولُ : ائْتِنِي آتِيكَ ، فَتَجْزِمُ عَلَى مَا وَصَفْنَا ، وَإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَ عَلَى أَنَّ لَا تَجْعَلُهُ مَعْلَقاً بِالْأَوَّلِ ، وَلَكِنْ تَبْتَدِئُهُ وَتَجْعَلُ الْأَوَّلَ مُسْتَغْنِياً عَنْهُ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : ائْتِنِي أَنَا آتِيكَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

* وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُوا نَزَاوِلُهَا * الْبَيْت . ١ هـ

وَأَجَازُ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ كَوْنِ نَزَاوِلُهَا حَالاً .

فَإِنْ قُلْتَ : الْحَالُ قَيْدٌ لِعَامِلِهَا ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْإِرْسَاءُ فِي حَالِ الْمَزَاوِلَةِ وَالْمَزَاوِلَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ الْإِرْسَاءِ ؟

قُلْتَ : أَوَّلُ الْمَزَاوِلَةِ مَقَارِنٌ لِلْإِرْسَاءِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَتِمُّ إِلَّا بَعْدَهُ . وَهَذَا الْمَقْدَارُ كَافٍ .

(١) انظر الخزانة ٨ : ٥٣١ . ومن الجدير بالذكر أنه هذا الشاهد ليس في هذا الباب ، بل هو في باب النواصب .

(٢) في كتابه ١ : ٤٥٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٥٠ ، ٥١ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٢ .

وهذا البيت أُورِدَ في علم المعاني مثلاً لكمال الانقطاع باختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى ، ولهذا لم يتعاطفا . فإنَّ أرسُوا إنشاءً لفظاً ومعنى ونزاولُها خبرٌ كذلك ، فوجب تركُ العطف . ولم يُجعل نزاولها مجزوماً جواباً للأمر ؛ لأنَّ الغرض تعليلُ الأمر بالإرساء بالمزاولة ، والأمر في الجزم بالعكس . أعنى يصير الإرساء علّة المزاولة كما في «أسلم تدخل الجنة» . كذا قرّره التفتازاني . وبه يُعرف ما في قول الأعلام ، وتبعه ابن يعيش : «ولو أمكنه الجزم على الجواب لجاز» - من الضعف .

وتبعه أيضاً ابن المستوفى فقال : ويجوز أن يُجزم إذا جعلته علّة للأول ومحتاجاً إليه .

وإنما استشهدوا به لأنّه لا يمكن جزم نزاولها .

و (الرائد) : الذى يتقدّم القوم ليطلب الماء والكلأ ، من الرّود وهو التردّد فى طلب الشيء برفق . و (أرسُوا) بفتح الهمزة أمرٌ من الإرساء ، أى أقيموا ، من أرسيت السفينة إرساءً ، أى حبستها بالمرساة . ولم يُصب العبّاسيّ (فى معاهد التنصيص) فى قوله : وهو من رست السفينة ترسو رُسوا ، إذا وقفت على الأنجر^(١) معرب لنكر ، وهو مرساة السفينة ، وهى خشبات يُفرغ بينها الرصاص المذاب ، فتصير كصخرة ، إذا رست رست السفينة . أو هو من رست أقدامهم فى الحرب ، أى ثبتت . (نزاولها) : مضارع زاول الشيء ، أى حاول وعالجه . و (الحتف) : الهلاك . قال السعد : الضمير فى نزاولها للحرب ، أى

(١) وكذا فى معاهد التنصيص . وفى ش : «النجر» ، تحريف . وانظر القاموس واللسان والمغرب للجوالق ٢٦ . وفى التهذيب : هو اسم عراقى ، وهو خشبات يخالف بينها وبين رموسها ، وتشد أوساطها فى موضع واحد ثم يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كأنها صخرة ، ورموس الخشب ناتئة تشد بها الحبال وترسل فى الماء ، فإذا رست رست السفينة فأقامت .

قال رائدُ القوم، ومقدمهم : أقيموا نقاتل . فإنَّ موت كلِّ نفسٍ يعجرى بمقدار الله وقدره ، لا الجبنُ يُنْجيه ، ولا الإقدامُ يُرْديه . وقيل الضمير للسَّفينة ، وقيل للحَمر . والوجه ما ذكرنا . اهـ .

٦٦٠

ويشهد لما اختار ما أورده الكرمانى (فى الموشَّح) ، وتبعه العباسى من بيتٍ بعده ، وهو :

(إِمَّا نَمُوتُ كَرَامًا أَوْ نَفُوزُ بِهَا لنسلم الدَّهرَ من كَدِّ وَأَسْفَارِ)
والعجب من الكرمانى فى قوله : وصف الشاعر جماعة اللصوص ، لما رأوا السَّفينة طمعوا فى أخذها ، فأمر سيِّدُ القوم الملاحين بإرساء السفينة . ويعضد هذا الوجه ما بعده : إِمَّا نَمُوتُ كَرَامًا البيت .

وقال الأَعلم ، وتبعه ابن يعيش : وصف شرباً قدَّموا أحدهم يرتاد لهم خمراً فظفر بها فقال لهم : أرسُوا ، أى انزلوا ، نشربها . ومعنى (نزلوها) : نخاتل صاحبها عنها . وقوله : (فكلَّ حتف) إلخ أى لا بدَّ من الموت ، فينبغى أن نبادر ، بإنفاق المال فيها وفى نحوها ، إلى اللذات . هذا كلامه .

والبيت قد نسبَه إلى الأَخطل ، وراجعتُ ديوانه مراراً فلم أَظفر به فيه . والله أعلم به .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى ^(١) والثانى بعد السبعائة ، وهو من شواهد س ^(٢) :

(١) وفى ش : « الشاهد الواحد » . وانظر ما كتبت فى حواشى الجزء الثامن ص ٣٤١ ، كما أن الحق أن هذا الإنشاد يتضمن شاهدين لا شاهداً واحداً كما سيأتى فى ص ٩٦ .
(٢) فى كتابه ١ : ٤٤٦ . وانظر المقتضب ١ : ٦٦ والإنصاف ٥٨٣ وابن يعيش ٧ : ٥٣ / ١٠ : ٢٠ ورصف المباني ٣٢ ، ٣٣٥ والجمع ٢ : ١٢٨ والأشمونى ٣ : ١٣١ ويس ٢ : ١٦٢ .

٧٠١ (مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ

تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجَا)

على أَنَّ جملة (تعشوا) جاءت حالاً بعد صريح الشرط وهو تأتیه وصاحب الحال الضمير المخاطب في الشرط . والمعنى : متى تأتیه عاشياً، أى في الظلام .

قال الشارح المحقق : « ويجوز في مثله البدل » . أراد ما أنشده [سيبويه^(١)] ، وهذا نصه (في باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما) : أما ما يرتفع بينهما فقولك : إن تأتني تسألني أعطك ، وإن تسألني تمشي أمشي معك . وذلك لأنك أردت أن تقول ، إن تأتني سائلاً يكن ذلك وإن تأتني ماشياً فعلت . وقال زهير :

وَمَنْ لَا يَزِلُّ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ

وَلَا يُغْنِيهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَسَامُ

إنما أراد : من لا يزل مستحماً يكون من أمره ذلك . ولو رفع يغنيها جاز وكان حسناً ، كأنه قال : من لا يزل لا يغني نفسه . وما جاء أيضاً مرتفعاً قول الحطيئة :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجَا

وَسَأَلْتُ الْخَلِيلَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ^(٢) :

مَتَى تَأْتِنَا تَلْمَسُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجَا

قال : تلمس بدل من الفعل . ونظيره في الأسماء : مررت برجل عبد الله

(١) التكملة من س . وانظر سيبويه ١ : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) ط : « عبد الله بن الحر » ، صوابه في ش . وقد سبقت ترجمته عبید الله هذا في ٢ :

فأراد أن يفسر الإتيان بالإلمام ، كما فسر الاسم الأول بالاسم الآخر .

ومثل ذلك قوله ، أنشدنيهما الأصمعي عن أبي عمرو لبعض بنى أسد^(١) :

إِنْ يَبْخَلُوا أَوْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدُرُوا لَا يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مَرْجَلِي نَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا^(٢)

فقوله : يَغْدُوا بدلٌ من لَا يَحْفَلُوا . وغدوهم مرجلين يفسر أنهم لم يحفلوا .

وسأله رحمه الله : هل يكون إن تأتينا تسألتنا نعطك ؟ فقال : هذا يجوز على غير أن يكون مثل الأول ، لأنَّ الفعل الآخر تفسيرٌ له ، وهو هو . والسؤال لا يكون الإتيان ، ولكنه يجوز الغلط والنسيان ممن يتدارك كلامه . ونظير ذلك في الأسماء : مررت برجل حمار ، كأنه نسي ثم تدارك كلامه . ١ هـ .

وعلم من هذا أن ما أنشده الشارح مركب من بيتين سهواً . فصدره للحطيثة ، وعجزه لابن الحر .

ورفع يستحمل الناس في البيت الأول لأنه خبر زال الناقصة .

وقوله : « تلثم بنا » في البيت الثالث بدل من تأتينا وتفسيرٌ له ، لأنَّ الإلمام إتيان . ولو أمكنه رفعه على تقدير الحال لجاز .

وقوله : « يغدوا عليك » في البيت الرابع بدلٌ من قوله : لَا يَحْفَلُوا ، لأنَّ غدوهم مرجلين دليل على أنهم لم يحفلوا بقبيح ما أتوه ، فهو

(١) في الحيوان ٣ : ٤٧٧ أن هذا الشعر من الشوارد التي لا أرباب لها .

(٢) بعده في الحيوان والبيان ٣ : ٣٣٣ وأمالى القالى ٣ : ٨٣ وعيون الأخبار ٢ : ٢٩ والصناعتين ١٠٣ :

تفسير له وتبيين . والترجيل : مَشَط الشعر وتليينه بالدهن . وحَفَلت بكذا ، أى بَالَيْتُ به .

وقوله : (متى تَأْتِيهَ تعشو) إلخ . قال المرزوقي (فى شرح الفصيح) : يقال عشا يعشو ، إذا سار فى ظلمة تسمى عشوة مثلثة العين . وأنشد هذا البيت . وقال ابن يعيش : يقال عَشَوْتُهُ أى قصدته فى الظلام ، ثم تُسَعِّع فقيلاً لكل قاصدٍ : عاشٍ .

وقال اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : قوله تعشو إلى ضوء ناره ، قال الأصمعي : تَأْتِيهَ على غير هداية . وقال غيره : تجئُ على غير بصر ثابت فتتهدى بناره . وقال القُتَيْبِيُّ : يقال عشوت إلى نارك أعشو عُشُواً ، إذا قَصَدْنَاهَا بلبيل ، ثم سَمَّى كُلُّ قاصدٍ عاشياً . قال صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ^(١) ﴾ إذا حَصَلَت الآفةُ فى البصر قيل عَشِيَ كفرح ، وإذا نظر نظر العُشى ولا آفة به قيل عَشَا يَعْشُو . ونظيره : عرج ، لمن به الآفة ، وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج . قال الحطيئة :

* متى تَأْتِيهَ تعشو إلى ضوء ناره ^(٢) *

أى تنظرُ إليها نظر العُشى لِمَا يضعفُ بصرُك من عِظَمِ الوقود ، واتساع الضوء . وهو بيِّنٌ فى معنى قول حاتم :

أَعْشَوْ إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ ^(٣) . هـ .

(١) الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

(٢) عجزه كما فى الديوان ٢٥ ، وهو من شواهد سيويه ١ : ٤٤٥ :

* تجد خير نار عندها خير موقد *

(٣) لم يرد البيت فى ديوان حاتم من مجموع خمسة دواوين ، والحق أنه لمسكين الدارمي فى ديوانه ٤٥ وحاسة الخالدين ١ : ٦٦ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٤ والخزاة ٣٦٩١٣ . ونسبته إلى حاتم فى الكشف للزغشرى وتفسير أبى حيان . وانظر ديوان حاتم ٣١٣ تحقيق عادل سليمان .

وقول العيني : تعشو من عشا إذا أتى ناراً يرجو عندها خيراً أو هُدًى ،
ليس معنا ما ذكره .

وكذلك قول ابن المستوفى : يقال عشا إلى النار يعشُو إذا استدلَّ
عليها ليُبصر - ضعیف .

قال عبد اللطيف البغدادي (في شرح نقد الشعر لقدامة) : وصفه
بأنَّ ناره موقدة بالليل ، وهذا عند العرب غاية المدح بالكرم وقرى
الضيَّفان . ثم دلَّ بقوله تعشو إلى ضوء ناره أنَّ السَّابِلة تستضيء بها وتَقْصِد
نحوها . وهذا صفة النَّار إذا كانت على نَشز ، ولا يفعل ذلك إلاَّ السَّيِّدُ
الجوادُ المطعام . وقوله :

* تجدُ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدٍ *

أى متى أتيتَه عاشياً إلى ضوء ناره وجدتَ خيرَ نارٍ ، أى أنفعَ نارٍ
للدَّفءِ والأكل ، عندها خير موقد يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد
بمن عندها مَنْ يوقدها من العِلَّمان والخوَل . ويريد بقوله خير موقد كثرة
كرمهم واحتفالهم بالوارد عليهم ، وحُسن القيام عليه بجميع ما يحتاج إليه .

والثانى : يريد به المدح ، ووصفه بالإيقاد وإن كان سيِّداً لأنَّه
أمرٌ به ، فكأنه فاعله . ويريد بقوله خير موقد أكرم موقد ، وأسخى
موقد ، وأفضل موقد .

فعلى هذا يكون قد وصفه فى هذا البيت بجماع الفضائل ^(١) . وعلى

(١) ش : « بجمع الفضائل » .

التأويل الأول إِنَّمَا وصفه بالسَّخَاءِ فقط ، لكن ذكره أولاً مفصلاً وهنا مجملاً ، فاعرف ذلك . ا هـ .

ويروى أَن هذا البيت لما أَنشَدَ لِعَمْرَ بنِ الخطَّابِ قال : كذب ، ٦٦٢
تلك نار موسى صلوات الله عليه وسلامه .

والبيت من قصيدة طويلة للحطيئة مدح بها بغيض بن عامر بن
شَّاس بن لَأَى بن أَنف الناقة التميمي . وهذه أبيات من آخرها ،
وهو أول المديح :

(فما زالت الوجناء تجرى ضفورها
إليك ابن شَّاسٍ تروح وتغتدي
تزورُ امرأً يُؤتي على الحمد ماله
ومن يُعطِ أثمَانَ المحامدِ يُحمَدُ^(١)
تَرى البخل لا يُبقي على المرء ماله
ويعلم أَنَّ الشَّحَّ غير مخلصٍ
كسوبٌ ومِتلاف إذا ما سألته
تهلَّلَ واهتزَّ اهتزازَ المهْنَدِ
مَتى تَأْتِه تعشو البيت

تزور امرأً إن يُعطِكَ اليوم نائلاً
بكفِّه لا يَمْنَعُكَ من نائل الغدِ^(٢)
هو الواهبُ الكُومُ الصَّفَايَا لجارِهِ
يُروِّحُهَا العَبْدَانُ في عازِبِ نَدَى^(٣)

(١) ط : « يرقى على الحمد » ، صوابه في ش وديوان الحطيئة ٢٤ .

(٢) في الديوان : « وذلك امرؤ » .

(٣) في الديوان : « يروح بها العبدان » .

وهذا آخر القصيدة .

وقوله : « فما زالت الوجناء » إلخ . الناقة الوجناء : الغليظة . وضفورها : أنساعها ، وإنما تجرى لأنّها قلقت من الضمر . وابن شماس : منادى .

وقوله : « تزور امرأ » إلخ ، قال عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدماء) : فيه صنفان من المدح : أحدهما : أنه يؤتى ماله لاكتساب الحمد ، فخلص به ^(١) من رذيلة التبذير الذى هو إنفاق لا لغرض صحيح . والثانى : أنه ينفق ماله لطلب الحمد ، لا لغرض ^(٢) آخر فخلص به من رذيلة التقدير ، وهو أخذ العوض المحسوس فيما ينفقه . فحينئذ تمخض الوسط للفضيلة .

وقوله : « ومن يعط » إلخ ، أتى بقضية كلية مشهورة تقتضى استحقاقه للحمد .

وقوله : « يرى البخل لا يبقى » إلخ . دلّ به على أن كرمه ليس لمجرد الطبع فقط ، بل عن فكرة وروية واعتقاد صحيح ، ونظر فى العواقب مستقيم . قال أفلاطون فى هذا المعنى : « نعم البخل لو كان المال لا يؤتى عليه إلا من جهة البذل . ولكن لما كان المال معرضاً للتلف بالحوادث الخارجة التى لا يمكن الاحتراس منها ، كان إتلافه على يدئ ماله أفضل ، لأنه يحوز به الحمد » .

وقوله : « كسوب وميتلاف » إلخ . قال عبد اللطيف : وصفه بالشجاعة والسخاء جميعاً . فبالشجاعة يكتسب ، وبالسخاء يبذل ويتلف . ويجوز

(١) ش : « فتخلص به » .

(٢) ش : « لا لغرض آخر » .

أن يريد بكسوب أنه يكتسب الحمد ، ويقول متلاف البذل ، فلا يخرج إذن عن وصفه بالسَّخاء ، بل يصحُّ أن يقال إنه وصفه مع السَّخاء بالعقل ؛ لأنَّ السَّعى في كسبِ الحمد من أفعال العقلاء . وقوله : « إذا ما سألتَه تهلَّل » أى استبشَّر واستنار مُحيَّاهُ . وهذا إنما يكون عند تناهي الجُود . وقوله : « اهتَزَّ اهتزازَ المَهْد » وصفه مع البشاشة بالجمال والشَّهامة ، واعتدال الحركات ، فإنَّ اهتزاز المَهْد ممَّا يوصف به الشَّهم الشجاع . وأمَّا اهتزاز القضيب والغُصن الرَّطيب ، فمما يُوصف به النِّساء والمُتَرْفون .

وقوله : « هو الواهبُ الكُوم » إلخ الكُوم : جمع كُوماء ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . والصفايا : جمع صفية ، وهى الناقة الغزيرة اللَّبن . والعبدان بالكسر : جمع عبد . والعازب : النَّبت البعيد عن الناس فلم يُرْعَ ، فهو أتم^(١) له . وهو بالعين المهملة والزَّاي المعجمة . وقد حرَّف العيني هذه الكلمة لفظاً ومعنى فقال : والغارب ، بالغين المعجمة والراء : ما بين السَّنام والعنق .

٦٦٣

والحطيئة تقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة^(٢)

وأما البيت الآخر وهو :

(متى تَأْتُنَا تلمم بنا فى ديارنا تجِدُ خطباً جَزْلاً وناراً نَأْجِجاً)

فإنَّ تُلْمَم فيه بدلٌ من تَأْتُنَا ، لأنَّ الثانى - من جنس الأوَّل ، فإنه يقال : ألَمَّ الرجلُ بالقوم إلماً : أتاهاهم فنزلَ بهم . ومنه قيل ألَمَّ بالمعنى ،

(١) ط : « فهو اسم له » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزائن ٢ : ٤٠٦ .

إذا عَرَفَهُ ، وأَلَمَّ بالذنب : فعله . كذا في المصباح . كما أَنَّ تعشو من جنس الإتيان ، فلولا أَنَّهُ في شعرٍ لجاز جزمه . ويدلُّ عليه كلامُ سيبويه المتقدم وكلامُ الشارح المحقق ، فَإِنَّهُ لو كان مراده بالمِثْلِيَّة في قوله : « ويجوز في مثله البدل » وقوعَ المضارع بين الشرط والجزاء فقط ، لقال : إذا كان الثاني من جنس الأوَّل ، ولم يقل لَأَنَّ الثاني إلخ .

وكذا قال اللَّخْمِيُّ (في شرح أبيات الجمل) ، [قال ^(١)]: ولو كان تعشو في موضع يقوم بالجزم فيه وَزَنُ الفِعْلِ ^(٢) ، لجاز أن يبدل من تَأْتِيهِ ، لَأَنَّ معناه واحد . لَأَنَّهُ كثر في كلامهم حتَّى صار كلُّ قاصدٍ عاشياً . والحطْبُ الجَزْلُ ، بفتح الجيم : الغليظُ منه . يريد أَنَّهُم يوقدون الجَزْلَ من الحطب لتقوى نارهم فينظُرَ إليها الصُّيُوفُ على بُعْدٍ وَيَقْصِدُونَهَا . والتَّاجُّجُ : توقُّدُ النار . وتَاجَّجَا في البيت ماضٍ ، والألف للإطلاق وفاعله ضمير النار .

وقال أبو حنيفة (في كتاب النبات) : النارُ تذكَّرُ وهو قليل ، وأنشد هذا البيت . ويشهد له قول الشَّمرِذِلِ ^(٣):

أَنَاخُوا فَصَالُوا بالسيفِ وَأَوْقَدُوا بعلياءَ نَارِ الحَرْبِ حتَّى تَأْجَّجَا
وقال بعضهم : النَّارُ مؤنَّثَةٌ لا غير ، وإنَّما رَدُّ الضميرِ مذكَّراً لَأَنَّهُ أراد بها الشَّهَابَ وهو مذكَّر . وقيل لَأَنَّ تَأْنَيْتِ النار غير حقيقي ، فيكون على طريقة :

(١) التكلة من ش.

(٢) يريد وزن الشعر .

(٣) كذا في النسختين ؛ والمعروف « الشمرذل » بالذال المهملة ، وهو اسم لعدة شعراء في المؤلف ١٣٩ - ١٤٠ . لكن في القاموس وتاج العروس : « الشمرذل بالذال المعجمة أهمله الجوهري وصاحب اللسان . وقال الليث : لغة في الشمرذل بالهملة كما في العباب » .

* ولا أرض أبقل^(١) *

وقيل: الضمير راجع للحطب، لأنه أهم، إذ النار إنما تكون به .
وقيل: ليست الألف للإطلاق وإنما هي ضمير الاثنين: الحطب والنار ،
وإنما ذكر الضمير لتغليب الحطب على النار . وكذا في قوله :

مَنْ يَأْتُنَا يَوْمًا يَقْصُ طَرِيقَنَا يَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَّجَا
قال أبو علي : قال أبو الحسن : يعنى النار والحطب . وقال بعضهم :
تَأْجَّجَا فعلٌ مضارعٌ محذوفٌ من أوله التاء ، والألف مبدلةٌ من نون
التوكيد الخفيفة ، والأصل تَتَأْجَّجَن ، فالضمير المستتر للنار المؤنثة ،
ولهذا أنث الفعل .

والبيت من قصيدة تزيد على ثلاثين بيتاً لعبيد الله^(٢) بن الحر ، قالها
وهو في حبس مُصْعَب بن الزُبَيْر في الكوفة .

وكان ابنُ الحرِّ لشهامته لا يُطِيع أحداً ، فقال الناس لمصعب : إنَّ
عبيد الله بنَ الحرِّ كان قد أبى على المختار غير مرة ، وخالفه وقاتله ،
وفعل مثل ذلك بعبيد الله بن زيادٍ من قَبْل ، فليس لأحدٍ عليه طاعة ، ونحن
نتخوَّف أن يثور في السَّواد فيكسِرَ عليك الخراج كما كان يفعل ،
وقد أظهر طَرَقاً من الخلاف ، فألطفَ له حتَّى تحبسه . فلم يزل مصعبُ
يتلطف به ويَعِدُّه بمنِّه الأمانى حتَّى أتاه ، فلما أتاه أمر به فحبس ، فقال في
ذلك قصائد ، وقال هذه القصيدة وهو في السَّجن لرجل من أصحابه ، وكان

(١) قطعة من الشاهد المشهور ، وهو الشاهد الثاني في الخزانة لعامر بن جوين الطائي :

فلا مزنة ودقت ودقهها ولا أرض أبقل إبقالها

(٢) في النسختين : « لعبد الله بن الحر » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . وانظر ترجمته

حُبِسَ معه ، يقال له عطية بن عمرو البكرى ، وذلك أَنَّ عطيةَ جَزَعَ
في السَّجْنِ . ومطلعها :

(أَقُولُ له صَبْرًا عَطِيٌّ فَإِنَّمَا هو السَّجْنُ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا)
إلى أَن قال :

(ومنزلةُ يا ابن الزُّبَيْرِ كَرِهِيَّةُ شَدَدْتُ لها من آخر الليل أَسْرُجًا
لَفْتَيَانِ صَدَقَ فوق جُرْدٍ كَأَنَّهَا قِدَاحُ براها الماسخِيُّ وَسَحَّجًا
إِذَا خَرَجُوا من غَمْرَةٍ رَجَعُوا لها بِأَسْيَافِهِم والطَّعْنِ حَتَّى تَفَرَّجًا
مَتَى تَأْتِنَا تَلَمُّمٌ بنا في ديارنا . . . البيت)

والقصيدة بتمامها (في كتاب اللصوص) . وَعَطِيٌّ : منادى مرخم
عطية . والواو في قوله « ومنزلة » واو رُبٍّ . وابن الزبير هنا مُصْعَبٌ .
وَأَسْرُجٌ : جمع سَرْج . والجُرد : جمع أَجْرَد ، وهو القصير الشعر من
الخيال . والقِدَاح : جمع قِدَح بكسر القاف فيهما ، وهو عُود السهم قبل
أَن يُجْعَلَ له نَصْل . والماسخِيُّ ، بالخاء المعجمة : الذي يصنع السَّهَامَ .
وَسَحَّجًا بتشديد الحاء المهملة وقبلها سين مهملة ، أَي نَحْتَهُ وَمَلَّسَهُ .

والغمرة ، بفتح المعجمة : الشُّدَّة . والطعن معطوف على الأسياف ،
وتَفَرَّجًا أصله تَتَفَرَّجُنْ بنون توكيد خفيفة ، فقلبت أَلْفًا ، وحذفت
التاء من أوله ، ومعناه تتكشَّف . والفُرْجة : الثُّلْمة . وفاعله ضميرُ الغمرة .

وقوله : (متى تَأْتِنَا) فاعله مستتر فيه راجعُ لفتيان . وكذلك الحال
في (تَلَمُّمٍ) و (تجد) ، وليست التاء فيها للخطاب . ورواه صاحب كتاب
اللصوص :

مَتَى تَأْتِنِي في منزل قد نزلته تجد حطباءً جزلاً . . . البيت

وترجمة ابن الحرّ تقدّمت مفصّلة في الشاهد التاسع بعد المائة^(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد السبعمئة^(٢) .

٧٠٣ (دَعْنِي فَأَذْهَبَ جَانِبًا يَوْمًا وَأَكْفِكَ جَانِبًا)

على أَنَّهُ عطف (أَكْفِكَ) مجزومًا على جواب الأمر المنصوب بآن بعد الفاء السببية . وهو فَأَذْهَبَ ، على توهم سقوط الفاء وجزم أَذْهَبَ في جواب الأمر .

قال صاحب المفصّل : وسأل سيوييه الخليل عن قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٣) ، فقال : هذا صاحب الشاهد كقول ابن معديكرب^(٤) :

دَعْنِي فَأَذْهَبَ جَانِبًا يَوْمًا وَأَكْفِكَ جَانِبًا
وكقوله :

بدا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى

ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائئًا^(٥)

أى كما جرّوا الثانى ، لأنَّ الأوّل تدخله الباء^(٦) فكانها ثابتة فيه .
فكذلك جرّموا لأنَّ الأوّل يكون مجزومًا ولا فاء فيه ، فكانه مجزوم . اهـ .
أقول : بيت ابن معديكرب لم يورده سيوييه في كتابه البتّة ،

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) ابن يعيش ٧ : ٥٦ .

(٣) الآية ١٠ من سورة المنافقين .

(٤) في النسختين : « معديكرب » في هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .

(٥) هو الشاهد التالى .

(٦) ط : « يدخله الباء » .

لا هنا ولا في موضع آخر ، كما يظهر لك من نقل كلامه بعد هذا .
وقد خَبَطَ ابن المستوفى هنا خَبَطَ عشواء من وُجوه^(١) فقال بعد أن نقل
عبارة المفصل : الأول من المسألتين كثيرٌ فصيح ، كقوله تعالى :
﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ^(٢) ﴾ . والثاني لحنٌ لا يأتى إلا في
ضرورة شعر ، لأنَّ الأول محقق فيه الجزم موضعاً لوجود الفاء ، والثاني
مُتَوَهِّمٌ فيه الجرُّ لعدم الباء . هذا إذا ثبت أنه روى بفتح الباء في قوله :
فَأَذْهَبَ ، ولو روى بسكونها كان معطوفاً عليه لفظاً ، وإذا فتحت الباء
كان وأكفك معطوفاً على محل الفاء ، لأنها واقعة موقع الجزاء المجزوم . اهـ
أحدها : أن الآية لا مناسبة لإيرادها هنا .

ثانيها : أن بيت زهير لم يقل أحدٌ إنه من قبيل اللحن . وكيف
يسوغ تلحين أهل اللسان لاسيما زهير .

ثالثها : قوله : « هذا إذا ثبت أنه روى بفتح الباء » إلخ ، كأنه
لم يثبت عنده فتح الباء ، مع أنه ثابتٌ عند جميع الرواة .

رابعها : قوله : « ولوروى بسكونها » إلخ ، يعنى أنه يكون عطفَ أمرٍ
على أمر . وفيه أنه يخرج حينئذ عن كونه شعراً .

خامساً : قوله : « كان أكفك معطوفاً على محلّ الفاء » إلخ عبارة قلقة ،
وحقُّ التعبير : على توهم سقوط الفاء وجزم أذهب ، وهو المسمى عطفَ
التوهم ، والعطف على المعنى .

(١) ط : « من وجده » ، صوابه في ش .

(٢) الآية ١٨٦ من الأعراف . وقراءة الجزم هي قراءة حمزة ، والكسائي ، وخلف .
إنحاف فضلاء البشر ٢٣٣ .

هذا: وقال ابن الحاجب (في أماليه): يجوز أن يكون المعنى اتركني
أتصرف فأذهب إلى جهة فأكفيك جانباً تحتاج إلى كفايته بتصرفي
وذهابي . ويجوز أن يريد : دعني يوماً وأكفك جانباً يوماً . أي : إذا
تصرفت لنفسى يوماً كفيئتكَ جهةً تخشاها يوماً آخر . ٥١ .

وقال بعض فضلاء العجم : انتصب جانباً الأول على الظرف ، والثاني
على أنه مفعول ثانٍ لأكفك ، كأنه خطاب لمن عذله على السفر والبعد ،
أي اتركني أذهب في جانب من الأرض وأكفيك جانباً من الجوانب التي
تنوجه إليها .

وهذا البيت لم أجده في ديوان عمرو بن معد يكرب ، فإني تصفحت
ديوانه مراراً فلم أره فيه ، كما أنَّ غيري تصفح ديوانه فلم يجده فيه .
والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد السبعمئة ، وهو من شواهدس ^(١) :

٧٠٤ (بدالي أني لستُ مدرك ما مضى

ولا سابقي شيئاً إذا كانَ جاثياً)

على أنَّ قوله : (سابق) بالجر معطوف على مدرك على توهم الباء فيه ،
فإنه يجوز زيادة الباء في خبر ليس ، كقوله تعالى : ﴿ أليسَ الله بكافٍ
عَبْدَهُ ﴾ ^(٢) .

(١) في كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٢٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٥٢ / ٢ : ٢٧٨ وانظر
المقتضب ٢ : ٣٢٩ / ٤ : ١٩١ ، والأصول ١ : ٣٠٦ والجمل ٩٦ والخصائص ٢ : ٣٥٣ ،
٤٢٤ ومختصر القوافي لابن جني ٢٦ والإنصاف ١٩١ ، ٣٩٥ ، ٥٦٥ وابن يعيش ٢ : ٥٢ /
٧ : ٥٦ / ٨ : ٦٩ والمغني ٩٦ ، ٢٨٨ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥١ ، ٦٧٨ والعيني
٢ : ٣٦٧ / ٣ : ٣٥١ والمجم ٢ : ٢٤١ وديوان زهير ٢٨٧ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الزمر .

قال سيبويه (في باب الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي ، لأنَّ فيها^(١) معنى الأمر والنهي) : وسألت الخليل عن قول الله عز وجل : ﴿ فَاصْدَقْ وَأكُنْ^(٢) ﴾ فقال : هو كقول زهير :

بدالى أننى لستُ مدرك ماضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائيها
فإنما جرؤا هذا لأنَّ الأول تدخله الباء ، فجاءوا بالثاني وكأنَّهم
قد أثبتوا فى الأول الباء . وكذلك هذا لما كان الفعل الذى قبله قد
يكون جزماً ولا فاء فيه تكلموا بالثاني وكأنَّهم قد جزموا قبله . فعلى
ذلك توهموا هذا . ا هـ .

وهذا كما ترى ليس فيه البيت السابق . وبيان الآية وأولها : ﴿ رَبِّ
لولا أخرتنى إلى أجلٍ قريبٍ فاصَّدَقْ وَأكُنْ من الصَّالحين ﴾ : أن لولا
معناها الطلب والتخصيص ، فإذا قلت لولا تعطينى ، معناه أعطنى ، فإذا
أتى لها بجواب كان حكمه حكم جواب الأمر ، إذ^(٣) كان فى معناه وكان
مجزوماً بتقدير حرف الشرط ، فإذا أجبت بالفاء كان منصوباً بتقدير
أن ، فإذا عطفت عليه فعلاً آخر جاز فيه وجهان : النصب بالعطف على
ما بعد الفاء ، والجزم على موضع الفاء لو لم تدخل وتقدر سقوطها .

٦٦٦

وقد ذكر سيبويه هذا البيت فى ثلاثة مواضع أخر من كتابه^(٤) .

أحدها : فى باب الفاء عند ذكر نواصب الفعل ، قال فيه بعد أن
أنشده : لما كان الأوَّل يُستعمل فيه الباء ولا تغيَّر المعنى ، وكانت

(١) فى النسختين : « فيه » ، صوابه فى سيبويه ١ : ٤٥٢ .

(٢) الآية ١٠ من سورة المنافقين .

(٣) ط : « إذا » صوابه فى ش .

(٤) هى ست مواضع أخر ، كما سبق فى تخريج الشاهد .

مما يلزم الأوّل نَوُوها في الحرف الآخر، حتّى كأنّهم قد تكلموا بها في الأوّل.

ثانيها: قُبيلَ باب يضمرون فيه الفعل لُقبح الكلام، أنشده فيه كذلك.

ثالثها: وهو أول موضع وقع في كتابه، أنشده في باب اسم الفاعل يعمل عمل فعله، بنصب سابقٍ قال: إذا كان اسم الفاعل منوّنًا ينصب المفعول به.

وأنكر المبرّد رواية الجر وقال: حروف الخفض لا تُضمر وتعمل. والرواية عنده: «ولا سابقًا» بالنصب، «ولا سابقى شيء» بالإضافة إلى الياء ورفع شيء على أنّه فاعل سابق. وروى أيضاً: «ولا سابق شيئاً» بالرفع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: ولا أنا سابق شيئاً.

قال اللخمي (في شرح أبيات الجمل): وفي هذا البيت شاهد آخر وهو إضافة اسم الفاعل المعمل، وذلك قوله: «مدرّك ما مضى». والدليل على أنّه مُعْمَلٌ أنّه خبر ليس، وليس لا تنفي ماضياً، وإنّما تنفي المضارع، وعطف سابق عليه. وفيه تقديرُ المصدر على المعنى، إذ لم يكن للفعل الواقع بعدها مصدر، فيكون التقدير: بدا لي امتناع إدراك ما مضى. وإنّما قدّر المصدر من غير اللفظ، لأنّ ليس لا مصدر لها. بدا: ظهر. وأنّي بالفتح. وجملة لست إلخ في محلّ خبر أنّ، وأنّ ومعمولاها في تأويل مصدرٍ مرفوعٍ فاعل بدا. وما موصولة ومضى صلتها، أو ما نكرة ومضى في محل الصّفة. وإذا شرطيةٌ حذف جوابها، ويدلّ عليه ما قبلها. ولا يصحّ أن تكون ظرفيّة، لأنّ الشيء لا يسبق وقت مجيئه، وإنّما

يسبق قبل مجيئه ، والعامل في إذا الشرطية هنا خبر كان ، أو نفس كان إن قلنا بدلالتها على الحدث .

والبيت نسبه سيويه تارةً إلى زهير بن أبي سلمى ، وتارة إلى صرمة صاحب الشاهد الأنصارى . وقال ابن خلف : وهو الصحيح . ويروى لابن رَوَاحَةَ الأنصارى وقد تقدم إنشأه في قصيدة زهير في الشاهد الخامس والخمسين بعد الستائة^(١) .

باب الأمر

أنشد فيه :

(لتقم أنت يا ابن خير قريش)

تقدم شرحه في الجوازم في الحادى والثمانين بعد السائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

* محمد تفد نفسك كل نفس *

تقدم شرح هذا أيضاً هناك^(٢) .

(١) انظر ما سبق في ص ١٤ .

(٢) يعنى الشاهد الثمانين بعد السائة . وقد سبق في ص ١١ - ١٤ .

المتعدى وغير المتعدى

٦٦٧

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس بعد السبعمئة^(١) :

٧٠٥ (يقرأ بالسُّورِ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(تلك الحرائرُ لا ربَّاتُ أحمره

سُودِ المحاجرِ لا يقرأ بالسُّورِ)

على أنَّ الباءَ زائدةٌ في المفعول به .

قال ابن هشام (في المغنى) : وقيل ضمَّن يقرأُ معنى يرقين ويتبرَّكن ، وأنه يقال : قرأت بالسُّورة ، على هذا المعنى ، ولا يقال قرأت بكتابك ، لفوات معنى التبرُّك . قاله السهيلي .

وقال أيضاً (في أوَّل الباب الثامن) : قد يُعطى النَّفْيُ حكم ما أشبهه في معناه ، ومنه إدخال الباءِ في لا يقرأُ بالسُّور ، لما دخله من معنى لا يتقرَّبُ بقراءة السُّور . ولهذا قال السُّهيلي : لا يجوز أن تقول : وَصَلَ إِلَى كِتَابِكَ فقرأتُ به ، على حدِّ قوله : لا يقرأُ بالسُّور ، لأنَّه عارٍ عن معنى التقرب . ١٠٥ .

ولا يخفَّاك أنَّ ما نقله عن السهيلي في الموضعين مختلف ، وكأنَّه أشار إلى أنَّ مدار التضمين لفظٌ يجوز أن يتعدَّى بالحرف المذكور ، أي لفظ كان . وكلُّ من هذه الألفاظ المذكورة يتعدَّى بالباء ، ولكنَّ كلام السُّهيلي مبنيٌّ على أنَّ التضمين قياسي .

(١) مجالس ثعلب ٣٦٥ والمخصص ١٤ : ٧٠ وابن يعيش ٨ : ٢٣ والمغنى ٢٩ ، ١٠٩ ، ٦٧٥ وديوان الراعي ٨٧ والقتال الكلابي ٥٣ . واللسان (قرأ) .

صاحب الشاهد والبيت وقع في شعرين : أحدهما للرأعي النميري ، والثاني للقتال الكلابي .

أَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

(يَا أَهْلُ مَا بَالُ هَذَا اللَّيْلِ فِي صَفَرٍ
يزداد طولاً وما يزداد في قِصَرٍ
في إثرٍ من قُطِعَتْ عَنِّي قَرِينَتُهُ
يومَ الحَدَالَى بِأَسْبَابٍ مِنَ الْقَدَرِ
كَأَنَّمَا شُقَّ قَلْبِي يَوْمَ فَارَقَهُمْ
قسامين : بين أخى نَجْدٍ وَمِنْحَلِرٍ
هُمُ الْأَحَبَّةُ أَبْكَى الْيَوْمَ إِثْرَهُمْ
قد كنتُ أَطْرَبُ إِثْرَ الْجَبْرِ الشُّطْرِ
فقلتُ وَالْحَرَّةُ الرَّجُلَاءُ دُونَهُمْ
وَبَطْنُ لَجَانَ لَمَّا اعْتَادَنِي ذِكْرِي
صَلَّيْ عَلَى عِزَّةِ الرَّحْمَنِ وَابْنَتِهَا
ليلى ، وَصَلَّيْ عَلَى جَارَاتِهَا الْأَخَرِ
هن الحرائرُ لا رَبَّاتٍ أَحْمَرَةٍ (البيت)
وهي قصيدة طويلة تزيد على الخمسين .

قوله : « في صفر » هو اسم الشهر ، قالوا : خَصَّهُ لِأَنَّ الهم فيه أصابه .
وقيل كان صفرُ صيفاً ، وليل الصيف قصير ، فقال : كيف طال على
الليل في الصَّيف ؟ ! وإنَّما ذلك لما هو فيه من الغم ، فلذلك طال عليه
الليل . كذا قال ابن المستوفى .

وقوله : « في إثر » متعلقٌ بيزداد . وأراد بالقرينة الحبيبة ، لأنها تشبه القمر . والحدائي بفتح المهملة والقصر : موضع .

والجيرة : جمع جار بالجم . والشطُرُ بضمّتين : جمع شطير ، وهو البعيد .

والحرّة الرّجلاء : موضعٌ في ديار جُذام ، الأوّل بالمهملة والثاني بالجم . ويروى : « والحرّة السّوداء » . ولجّان ، بفتح اللام وتشديد الجيم : وادٍ قبَلَ حرّة بني سليم .

وقواه : « صُلّي على عزّة » إلخ الصّلاة : الرحمة . وعزّة بفتح المهملة وتشديد المعجمة : محبوبة كثيرٍ الشاعر .

وقوله : (تلك الحرائر) إلخ ، الإشارة بتلك إلى النساء المذكورة . وإيثار اسم الإشارة لتمييزهنّ أكملَ تمييز ، وكونه بالبعيد للتعظيم . وروى : « هنّ الحرائر » . وتلك مبتدأ ، والحرائر خبره ، وقال بعض أفاضل العجم : الحرائر صفته . وقوله (لا ربّات) هو الخبر . ويبطله رواية هنّ الحرائر ، وهو جمع حرّة ، ومعناها الكريمة والأصيلة ، وضدّ الأمة . والربّات : جمع ربة بمعنى صاحبة . ولا نافية عاطفة على هنّ أو على تلك . قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : والأحمرّة : جمع حِمَار بالحاء المهملة جمع قِلّة . وخَصَّ الحِمير لأنّها رُدّالُ المالِ وشُرّه . يقال « شرُّ المال مالا يَزَكّي ولا يُدَكّي »^(١) . ا هـ .

وكذا ضبط هذه الكلمة صاحبُ (كتاب اللصوص) وابن المستوفى . وقد صحّف الدّمامينيُّ (في الحاشية الهندية) هذه الكلمة بالخاء المعجمة

وقال : والأخمرة : جمع خِمار ، وهو ما تستر به المرأة رأسها . وفي القاموس : « وكلُّ ما ستر شيئاً فهو خِمار » . هذا كلامه ^(١) ، وتبعه من بعده .

وقوله : (سُود المحاجر) صفة رَبَّات ، لأنَّ إضافة ما بمعنى اسم الفاعل المستمر تخفيفية ^(٢) لا تفيد تعريفاً ، كقولهم : ناقة عُبرُ الهواجر ^(٣) ، أى عابرة فيها . وكذلك سُود المحاجر ، أى مسودة محاجرها ، وهو جمع محجر كمجلس ومنبر . قال الجواليقي : هو من الوجه حيث يقع عليه النُّقاب ، وما بدا من النُّقاب أيضاً . ا هـ . وأراد بهذا الوصف الإمام السُّود .

قال (صاحب أشعار اللصوص) : سود المحاجر من سواد الوجه ، وخصَّ المحاجر دون الوجه والبدن كله لأنه أولُّ ما يُرى . ومن هذا قولُ النابغة :

• ليست من السُّودِ أعقاباً إذا انصرفت ^(٤) •

ولمَّا أراد سواد الجسدِ كله .

وجملة (لا يقرأن) صفة ثانية لربَّات . قال الجواليقي : يقول : هنَّ خَيْرَاتٌ كريماتٌ ^(٥) ، يتلون القرآن ، ولسنَّ بإمائه سُود ذواتِ حُمُرٍ يسقينها . ا هـ .

(١) ش : « وهذا كلامه » ، بزيادة الواو .

(٢) في النسختين : « تخفيفه » ووجهه ما أثبت . والمراد أنها إضافة لفظية .

(٣) في النسختين : « عبرة » ، صوابه ما أثبت . والكلمة مثلثة الفاء مع سكون العين ، كما في اللسان والقاموس . وفي القاموس أنها بلفظ واحد المذكر والمؤنث والواحد والجمع .

(٤) عجزه في ديوانه ٦٥ من مجموع خمسة دواوين :

• ولا تبيع بجذى نخلة البرما •

(٥) ط : « هن من خيرات كريمات » ، وأثبت ما في ش والجواليقي .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : إِنَّ تلك
الحرائر ليست أربابَ أخمرة ولا يتسترن بها ، سوْدُ المحاجر لهذاها
أو لكِبَرِ أسنانها ، جاهلاتٌ لا يقرأن القرآن . هذا كلامه . وهذا
لا يُقْضَى منه العجب .

وعنده أن أخمرة بالمعجمة ، وهو تصحيف كما مرّ .

وترجمة الراعي تقدّمت في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة ^(١) :

وأما الشعر الثاني فهو للقتال الكلابي . قال صاحب (كتاب اللصوص) :
أخبرنا أبو سعيدٍ حدّثني أبو زيد ، حدّثني حميد بن مالك ، أنشدني
شدّاد بن عُقبة ، للقتال في ابنه عبد السلام :

(عبدَ السَّلامِ تَأَمَّلْ هَلْ تَرَى ظُغْنًا
إِنِّي كَبِرتُ وَأَنْتَ اليَومَ ذُو بَصَرٍ
لا يُبْعِدُ اللهَ فتيانًا أَقولُ لَهُم
بالأَبْرِقِ الفَرْدِ لَمَّا فاتَنِي نظري
يا هَلْ تُروْنَ بأَعلى عَسمٍ ظُغْنًا
نَكَبْنِ فَحَلَيْنِ واستَقْبَلنِ ذا بَقَرٍ
صَلَّى على عَمْرَةَ الرَّحْمَنِ وابْنَتِها
لِلي ، وصلَّى على جارِاتها الأَخَرِ
هُنَّ الحرائِرُ البيت)

وعبد السلام منادى . وظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج .
والأبرق الفرد : موضع ، وكذلك عاسم ، بالمهملتين ، وفحلين بإعراب
المثنى ، وذو بقر : أسماء مواضع . وأراد بهذه الظعن نساءه وحريره .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : فحلين بلفظ التثنية : موضع
فى جبل أحد . وأنشد هذه الأبيات .

والقتال الكلابى اسمه عبد الله بن مجيب بن المضر حى بن عامر القتال الكلابى
ابن كعب بن عبد بن أبى بكر بن كلاب . وقيل اسمه : عبادة بن
المجيب . وقيل اسمه : عبید بن مجيب ، وكنيته أبو المسيب . كذا (فى
كتاب اللصوص) .

وهو شاعر إسلامي كان فى الدولة المروانية فى عصر الراعى والفرزدق
وجريز ، ولقب بالقتال لتمرده وفتكه . وكان شجاعاً شاعراً . وكان
فى دناءة النفس كالحطيئة ، وكانت عشيرته تبغضه لكثرة جنائاته ،
وما يلحقها من أذاه ، ولا تمنعه من مكروه يلحقه .

وأورد له صاحب كتاب اللصوص جنائات كثيرة ، وله فيها أشعار .

* * *

وأنشد بعده :

(إذا لم تجد من دون عدنان والدًا
ودون معدي فلتزعك العواذل)

على أن (دون) معطوف على محل الجار والمجرور ، أعنى « من دون »

وكانه قال : فإن لم تجد دون عدنان والدًا ودون معدٍّ . وقوله : (فلتزَعَكْ)
بفتح الزاى : أمرٌ من وزعته أزعه وزعاً ، إذا كَفَفَتْه .

وقد تقدّم شرحه مستوفى فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد السبعائة ^(٢) :

٧٠٦ (أشارت كُليب بالأكُفِّ الأصابع)

على أن بقاء عمل حرف الجر بعد حذفه شاذٌّ . وعند ابن عصفور
ضرورة ، والتقدير : أشارت إلى كليب ، وكان القياس النَّصَبَ بعد
حذف الجار .

وقد رأيتُه (فى ديوانه) و (فى المناقضات) منصوباً . وأنشده أبو على
الفراسى (فى التذكرة القصيرية) بالرفع . وكذا رأيتُه (فى شرح
المناقضات) ، قال شارحها : أراد : أشارت الأصابع : هذه كليبٌ . ويروى :
« أَشَرَّتْ كَلِيباً » ، أى رَفَعَتْ .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدوره :

(إذا قيل أىُّ النَّاسِ شرُّ قبيلة)

والبيت من قصيدة عدتها خمسة وأربعون بيتاً للفرزدق ، ناقض بها
قصيدةً لجرير هجاه بها على هذا الروى ، وغالب أبياتها فى كتب النحو .
وهذا مطلعها :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(مِنَّا الذى اختيرَ الرِّجالَ سَمَاحَةً)

وخيراً إذا هبَّ الرِّياحُ الزَّعْازُعُ

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ - ٢٥٩ .

(٢) النقاظ ٧٠٢ والمثنى ١١ ، ٦٤٣ والعينى ٢ : ٥٤٥٢ / ٣ : ٣٤٥ والتصريح

٢١٢ : ٢ والمبع ٣٦ ، ٨١ والأشوفى ٢ : ٩٠ ، ٢٣٣ وديوان الفرزدق ٥٢٠ .

(م ٨ - خزانة الادب - ج ٩)

وَمَنَا الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَى
 لِنَجْرَانٍ حَتَّى صَبَّحَتْهَا النَّزَائِعُ^(١)
 وَمَنَا الَّذِي أَعْطَى الرَّسُولَ عَطِيَّةً
 أَسَارَى تَمِيمٍ وَالْعَيُونَ دَوَامِعُ
 وَمَنَا الَّذِي يُعْطِي الْمَثِينَ وَيَشْتَرِي أَلْ
 غَوَالِي وَيَعْلُو فَضْلُهُ مَنْ يُدَافِعُ
 وَمَنَا خَطِيبٌ لَا يُعَابُ وَحَامِلُ
 أَغْرُ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَجَامِعُ
 وَمَنَا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ ، وَغَالِبُ
 وَعَمْرُو ، وَمَنَا حَاجِبُ الْأَقَارِعُ
 أَوْلَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ
 إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ
 بِهِمْ أَعْتَلَى مَا حَمَلْتَنِي مَجَاشِعُ
 وَأَضْرَعَ أَقْرَانِي الَّذِينَ أَصَارِعُ
 فَيَاعَجِبَا حَتَّى كَلِيبُ تَسْبِي
 كَانَ أَبَاهَا نَهْشَلُ أَوْ مَجَاشِعُ
 تَنَحَّ عَنْ الْبَطْحَاءِ إِنَّ قَدِيمَهَا
 لَنَا ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ الْفَوَارِعُ
 أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
 لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ
 أَتَعْرِيلُ أَحْسَابًا لِثَامًا أَدِقَّةُ
 بِأَحْسَابِنَا ، إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

(١) ترتيب هذا البيت هو السابع في كل من النقائص والديوان .

وَكُلُّ فَطِيمٍ يَنْتَهَى لِفَطَامِهِ

وَكُلُّ كَلْبِيٍّ وَلَوْ شَابَ رَاضِعٌ^(١)

تَزِيدُ يَرْبُوعٌ بِهِمْ فِي عَدِيدِهِمْ

كَمَا زَيْدٌ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعِ^(٢)

٦٧٠

إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسُ شَرُّ قَبِيلَةٍ

أَشَارَتْ كَلْبِيًّا بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعِ

وقوله : « منّا الذى اختير الرّجالَ سَمَاحَةً » ، يأتى شرحه إن شاء الله فى

بيتٍ بعد هذا .

وقوله : « ومنّا الذى قاد الجياد » إلخ ، هذا هو الأقرع بن حابس ،

وعمر بن كلثوم ، كلاهما غَزَوْا نَجْرَانَ .

وقوله : « ومنّا الذى أعطى الرّسولُ » إلخ هذا يومُ بنى عمرو بن

جُندب ، حين ردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَبِيَهُمْ . وقال أبو عبيدة :

كَلَّمَ الْأَقْرَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِ الْحُجُرَاتِ ، وَهُمْ

بنو عمرو بن جندب ، فردّ سَبِيَهُمْ .

وقوله : « ومنّا خطيبٌ » إلخ الخطيب هو عطارد بن حاجب بن زُرارة ،

حين وفدَ إلى النّبىِّ صلى الله عليه وسلم فى وفدِ بنى تميم . والحامل :

عبد الله بن حكيم ، الذى حَمَلَ الْحَمَالَاتِ يَوْمَ الْمِرْبَدِ ، يَوْمَ قُتِلَ مَسْعُودُ

ابن عمرو العَتَكِيُّ .

(١) فى كل من الديوان والنقائض : « وإن شب » .

(٢) الديوان والنقائض : « فى عدادهم » .

وقوله: «ومنا الذى أحيا الوئيد» هو جدُّه صعصعة بن ناجية، كان يشتري البنت ممن يريد وأدها، فأحيا ستاً وتسعين مؤودةً إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: فيا عجباً حتى كليب، البيت، يأتى شرحه إن شاء الله تعالى في حتى الجارة.

وقوله: «إذا قيل أىُّ الناس» إلخ إنما بنى قيلَ بالبناء للمفعول لأنه أراد التعميم، أى إذا قال قائل. وجملة أىُّ الناس شرُّ قبيلةٍ من المبتدأ والخبر نائب الفاعل، ونيابة الجملة مختصةً بالقول نحو: ﴿ثم يُقالَ هذا الذى كُنتُمْ بِهِ تُكذِّبون^(١)﴾ لأنَّ الجملة التى يراد بها لفظها تنزل منزلة الأسماء المفردة. و (شرُّ) أفعل تفضيل حذفت منها الهزمة. و (أشارت) جواب إذا. وروى أبو على (في تذكرته): «أشرت» بدله، وقال: يريد أشارت إليها بأنَّها شر الناس، يقال لا تُشرَّ فلاناً، أى لا تُشرِّ إليه بشرَّ. وإنَّما قال أشارت للإيماء إلى أنَّ حال هذه القبيلة في الشر قد صار أمراً محسوساً يُشار إليه. و(الأصابع) فاعل أشارت، وإنَّما جمع للتنبيه على كثرة المشيرين^(٢)، كلُّ واحدٍ منهم يُشير إليهم^(٣) بإصبعٍ واحدةٍ كما هو المعتاد.

قال اللّمامينى: وبالأكفِّ حال من الأصابع، أى أشارت الأصابع في حالة كونها مع الأكفِّ. يعنى أنَّ الإشارة وقعت بالمجموع. قال:

(١) الآية ١٧ من سورة المطففين.

(٢) ط: «المشير من»، صوابه في ش.

(٣) ط: «لا يشير إليهم»، وأثبت ما في ش. والمألوف أن يشار بإصبع واحدة فقط. وقد يكون عني أن الإشارة وقعت على خلاف المعتاد، فيكون إثبات «لا» مقبولا.

وفيه مزيدٌ ذمٌ لهذه القبيلة ، فالباءُ على هذا للمصاحبة . وقيل هذا من قبيل القلب المقبول ، لتضمُّنه معنىً لطيفاً ، وهو المبالغة في هَجْوِ هذه القبيلة ، لإيهامه أَنَّهُ صار يُشار إليها حال السؤال عن حالها على خلاف المعتاد ، لمزيدٍ شَرِّها . والأصل : أشارت الأَكْفُ إلى كليب بالأصابع ، فالباءُ للاستعانة . قال ابن الحنبلي : ويقوَّى الأوَّل أَنَّهُ يقال : فلانٌ يشار إليه بالأصابع ، ولا يقال بالكف ، فلتكن الأصابع هنا هي المشيرة ظاهراً وباطناً ، على التجوُّز في الإسناد ، من دون قلب .

ورد ابن المُلَّا على شيخه بأنَّه إنَّما يقال ذلك حيث يُطوى ذكر الفاعل ، وما في البيت ليس كذلك ، على أَنَّ ما يقال إنَّما يقوَّى وجه القلب ، لدخول الباء فيه على الأصابع .

والناس : اسمٌ جمعٌ للإنسان ، أصله أناس حذفت همزته تخفيفاً . وفي القاموس : الناس يكونُ من الإنس ، ومن الجن .

والقبيلة : واحدة قبائل العرب ، وهي الطبقة الثانية من الطبقات الست التي عليها العرب ، وهي الشَّعب بالفتح ، والقبيلة ، والعمارة^(١) والبطن ، والفخذ ، والفصيلة . فالشَّعب يجمع القبائل ، وهي تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ يَجْمَع الفصائل . وإنَّما قيل لها قبيلة أخذًا من قبيلة الرأس وقبائله : القِطْع المَشْعوبُ بعضها إلى بعض ، وذلك لتقابلها وتناظرها في الشَّعب كما قيل له شَعْب لتَشْعُب القبائل إليه أو منه .

(١) العمارة بكسر العين وفتحها ، كما في اللسان والقاموس . وما بعده إلى «العمارة» التالية ساقط من ش .

وكليب ، بالتصغير : أبو قبيلة جرير ، وهو كليب بن يربوع بن حَنْظَلَة .

وردَّ عليه جريرٌ في مناقضته بمثل هذا البيت فقال :
إذا قيل أىُّ الناس شرُّ قبيلة وأعظمُ عاراً قيل : تلك مُجاشع^(١)
وقبيلةٌ في البيتين بالنصب على التمييز .
وتقدّمت ترجمة الفرزدق في الشاهد الثلاثين^(٢)

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السبعمائة^(٣) :

٧٠٧ (تَمْرُونَ الدِّيارَ وَلَمْ تَعُوجُوا)

على أن حذف الجار منه على سبيل الشذوذ ، والجارُّ المحذوف إمّا الباء ، وإمّا على ، فإنَّ المرور يتعدَّى بهما .

قال ابن هشام (في المعنى) : وعن الأخفش في مررت بزید ، أنَّ المعنى مررت على زيد ، بدليل ﴿ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٤) . وأقول : إنَّ كلاً من الإلصاق والاستعلاء إنما يكون حقيقياً إذا كان مُفَضِّياً إلى

(١) ديوان جرير ٣٧٣ والنقائض ٦٩٥ . وما يجدر ذكره أن الذى بدأ المناقضة هو جرير ، وأن الفرزدق صنع نقيضته جواباً على جرير . على أن جريراً كرر هذا المعنى في قوله لعبد العزيز ابن الوليد مادحاً :

إذا قيل أى الناس خير خليفة أشارت إلى عبد العزيز الأصابع

ديوان جرير ٣٥٧ والنقائض ٣٥١ .

(٢) الخزائن ١ : ٢١٧ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٨ / ٩ : ١٠٣ ، والمقرب ١ : ١١٥ ووصف المبانى ٢٤٧ ، والمعنى ١٠٢ ، ٤٧٣ والمعنى ٢ : ٥٦٠ ، والمجمع ٢ : ٨٣ ، والأشباه والنظائر للسيوطى ١٩٤ : ٤ / ٢٢٤ ، وديوان جرير ٥١٢ .

(٤) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

نَفْسُ المَجْرور ، كَأَمْسَكَتْ بَزِيدَ ، وَصَعِدَتْ عَلَى السَّطْحِ . فَإِنْ أَفْضَى إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنْهُ فَمَجَازَى كَمَرَّتْ بَزِيدَ ، فِي تَأْوِيلِ الْجَمَاعَةِ ، أَيْ أَلْصَقْتُ مَرُورَى بِمَكَانٍ يَقْرُبُ مِنْهُ . وَكَقَوْلِهِ :

* وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحْلَقُ ^(١) *

فَإِذَا اسْتَوَى التَّقْدِيرَانِ فِي الْمَجَازِيَّةِ فَالْأَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً أَوَّلَى بِالتَّخْرِيجِ عَلَيْهِ ، كَمَرَّتْ بِهِ وَمَرَّتْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ كَمَا فِي : ﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ ^(٢) ﴾ ، ﴿ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ^(٣) ﴾ .

* وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّثِيمِ بِسُبْنَى ^(٤) *

إِلَّا أَنْ مَرَّتْ بِهِ أَكْثَرَ ، فَكَانَ أَوَّلَى بِتَقْدِيرِهِ أَصْلًا . وَيتَخَرَّجُ عَلَى هَذَا الْخِلَافِ خِلَافٌ فِي الْمَقْدَرِ فِي قَوْلِهِ :

* تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا *

أَهْوِ الْبَاءَ أَوْ عَلَى . ا هـ .

يَعْنَى : فَمَنْ سَاوَى بَيْنَ التَّقْدِيرَيْنِ قَدَّرَ أَيُّهُمَا شَاءَ ، لِصِحَّةِ الْمَعْنَى بِهِمَا . وَمَنْ رَجَّحَ الْبَاءَ لَكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ قَدَّرَهَا ، لِأَنَّهُ مَتَى أَمَكْنَ الْمَصِيرُ إِلَى الْأَصْلِ لَمْ يُتَجَاوَزْ عَنْهُ .

وَعَدَّ ابْنُ عَصْفُورٍ حَذْفَ الْجَارِّ وَإِصْصَالَ الْفِعْلِ إِلَيْهِ ضَرُورَةً . وَالصَّحِيحُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ ، بِدَلِيلِ مَا أوردَهُ مِنَ الْآيَاتِ .

(١) للأعشى في ديوانه ١٥٠ والأغاني ٨ : ٧٧ ، والمغنى ١٠١ . وصدده :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

(٢) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة يوسف .

(٤) لرجل من بني سلول . وعجزه كما في سيويه ١ : ٤١٦ والخزانة ١ : ٣٥٧ :

* فضيت ثم قلت لا يعنيني *

وقول الشارح المحقق : والأخفش الأصغر يجيز حذف الجار مع غيرهما أيضاً قياساً إذا تعيّن الجار ، أى مع غير أن وأن . والأخفش الأصغر هو تلميذ أبي العباس ، وهو أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش . وليس ما نسب إليه مذهبه ، وإنما مذهبه أن يكون الفعل متعدّياً بنفسه إلى مفعول واحد ، وإلى آخر بحرف جرّ . فحينئذ يجوز حذفه .

وهذا كلامه (فيما كتبه على كامل المبرد) ، قال : فأما قوله :

* وأخفى الذى لولا الأسى لقضاني ^(١) *

فإنما يريد : لقضى على الموت ، كما قال الله تعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ^(٢) ﴾ فالمتّ في النية ^(٣) ، وهو معلوم بمنزلة ما نطقت به . ومثله : ﴿ واختار موسى قومه ^(٤) ﴾ أى لقومه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ^(٥) ﴾ والمعنى : إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، أى كالوا لهم الشيء ووزنوه لهم . والمكيل والموزون معلوم بمنزلة ما ذكر في اللفظ . ولا يجوز مررت زيدا وأنت تريد بزيد ، لأنّه لا يتعدّى إلّا بحرف ، وذلك أنّه فعلٌ الفاعل في نفسه ، وليس فيه دليلٌ على مفعول ^(٦) ، وليس هذا بمنزلة ما يتعدّى إلى مفعولين فيتعدّى إلى أحدهما بحرف الجرّ وإلى الآخر بنفسه ؛ لأنّ قولك : اخترت الرجال

٦٧٢

(١) صدره كما في الكامل ٢١ ، وهو لأعرابي من بني كلاب :

* تحن فتبلى ما بها من صباية *

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ .

(٣) أى في نية الشاعر .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٥) الآية ٣ من سورة المطففين .

(٦) في الكامل ٢٢ : « على المفعول » .

زيداً، قد عُلِمَ بذكرك زيداً أَنَّ حرف الجرِّ محذوفٌ من الأوَّل . فأمَّا قولُ
جرير وإنشادُ أهل الكوفة له ، وهو قوله :

تمرُّونَ الدِّيَّارَ ولم تُعْوجُوا كلامُكمُ عليَّ إذا حرامٌ
ورواية بعضهم له :

• أَمْضُونَ الدِّيَّارَ ولم تُحَيَّا ^(١) •

فليستَ بشيءٍ لما ذكرتُ لك . والسَّماعُ الصحيح والقياسُ المطرَّد
لا تعترضُ عليه الروايةُ الشاذة . أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال :
قرأتُ على عُمارة بن عَقِيل بن بِلَال بن جرير :

• مررتُم بالدِّيَّار ولم تُعْوجُوا •

فهذا يدلُّك على أَنَّ الروايةَ مغيَّرة . ٥١ .

والبيت من قصيدة لجرير هجا بها الأخطلَ النَّصراني . وهذا مطلعُها : صاحب الشاهد

(مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بَذَى طُلُوحِ	سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْخِيَامُ
تَنَكَّرَ مِنْ مَعَالِمِهَا وَمَسَالَتْ	دَعَائِمُهَا وَقَدْ بَلَى الثُّمَامُ
أَقُولُ لَصُحْبَتِي لَمَّا ارْتَحَلْنَا	وَدَمَعُ الْعَيْنِ مُنْهَجِرٌ سِجَامُ
تَمْرُونِ الدِّيَّارِ وَلَمْ تُعْوجُوا	كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَا حَرَامُ

ومنها

(لَقَدْ وَلَدَ الْأُخْيِطِلَ أُمُّ سَوءٍ على بابِ اسْتِهَا صُلْبٌ وَشَامُ)

قوله : « متى كان الخيام » الخ . أورد ابن هشام عجزه (في المغني)

(١) كذا بالتاء في « تحيا » بالنسختين ، يعود الضمير إلى « الديار » . والذي في الكامل :
« أَمْضُونَ الديار » فقط . وفي ديوان جرير : « أَمْضُونَ الرسوم ولا تحيا » .

على أَنَّهُ قد تولَّدتْ وأوَّ من إشباع ضمة الميم . والخيمة عند العرب : كلُّ بيتٍ يُبنى من عيدان الشَّجر . وذو طلوح^(١) بمهملتين : مكان . والطلح : شجرٌ عظيم له شوك .

والمعالم : جمع معلَّم كمقعد : مَظَنَّةُ الشيء وما يُستدلُّ به . والدَّعامة بالكسر : عماد البيت . والثَّمام بضم المثلثة : نبتٌ ضعيف له خوص رُبَّما حُشِيَ به الوسائد ، ويسدُّ به خصاصُ البيوت . والمنهمر : المنسكب . والسَّجام بالكسر : مصدر سجم الدمع إذا سال .

وقوله : (ولم تَمُوجوا) يقال عاج رأسَ البعير ، إذا عطفَه بالزَّمام . (وكلامكم) مبتدأ ، وهو مصدرٌ مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف أى كلامى إياكم . و (حرام) خبره وعلى متعلق بالخبر .

وقوله : « لقد ولدَ الأُخَيْطَلُ » أورده صاحب الكشاف ، شاهداً لقراءة إبراهيم النَّخَعِيّ : ﴿ ولم يكن له صاحِبَةٌ^(٢) ﴾ بالمشناة التحتية ، على أَنَّهُ لم يؤنث الفعل المسند إلى المؤنث الحقيقي للفصل .

والأُخَيْطَل : مصرع الأُخْطَل . والصُّلْب : جمع صليب . وشامٌ : جمع شامة ، وهى العلامة . يريد أَنَّهُ أمَّهُ فعلتْ فعلَ الموشَّمات ، نقشتْ صورة الصَّليب فى ذلك الموضع .

وفى القاموس أَنَّ الأُخْطَل كان يلقَّب بذى الصليب .

(١) ط : « وذى طلوح » .

(٢) الفنى ٣٦٨ . وانظر معجم شواهد العربية . وقد كتبت القافية فى الفنى « الخيامو » إظهاراً للإشباع .

(٣) من الآية ١٠١ من سورة الأنعام . وانظر تفسير أبى حيان ٤ : ١٩٤ .

والشام : النقوش . وفي بعض حواشي المِفْصَل : صُلب وشام :
نبتان ، يصفها بخشونة ذلك الموضع .

وترجمة جرير تقدّمت في الشاهد الرابع من أوّل الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد السبعائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

٧٠٨ (ومِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً)

٦٧٣ على أَنَّ (الرجال) منصوبٌ بنزع الخافض ، والأصل : من الرجال ،
وهو المفعول الثاني المقيّد بحرف الجرِّ لاختار ، فَإِنَّهُ يتعدّى إلى الأوّل
بنفسه ، وإلى الثاني بحرف الجرِّ . والمفعول الأوّل هنا نائب الفاعل ،
وهو الضمير العائد إلى الذي في اختيار .

وهذا الحذف كثير الاستعمال ، ولهذا قال الشارح المحقّق : « وكذا^(٣)
يحذف من المفعول الثاني » . والإشارة لقوله سابقاً .

وأما كثرة الاستعمال ، قال سيبويه في باب الفاعل الذي يتعدّاه
فعله إلى مفعولين : إن شئت اقتصرت على المفعول الأوّل ، وإن شئت
تعدّى إلى الثاني ، ومن ذلك : اخترت الرّجالَ عبدَ الله . ومثل ذلك قوله
تعالى : ﴿ واختار موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ^(٤) ﴾ ، وسمّيته زيدا . ومنه
قول الشاعر :

(١) الخزائن ١ : ٧٥ .

(٢) في كتابه ١ : ١٨ . وانظر المقتضب ٤ : ٣٣٠ والأصول ١ : ٢١٥ ومجالس
العلماء ١٩٣ وابن الجوزي ١ : ١٨٦ ، ٣٦٤ وابن يعيش ٥ : ١٢٣ / ٨ : ٥٠ ، ٥١ ،
والجمع ١ : ١٦٢ والأشباه والنظائر ١ : ٢٨٥ وديوان الفرزدق ٥١٦ .

(٣) ط : « كذا » ، وأثبت ما في ش وشرح الرضی ٢ : ٢٥٤ .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

* أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ^(١) *

وقال عمرو بن معديكرب :

* أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ ^(٢) *

وهذه أفعالٌ توصل بحروف الإضافة ، فتقول : اخترت من الرجال ، وسميته بفلان ، كما تقول : عرفته بهذه العلامة ، وأستغفر الله من ذلك . فلما حذفوا حرف الجرّ عمل الفعل . وليس أستغفر الله ذنباً وأمرتك الخير أكثر في كلامهم جميعاً ، وإنما يتكلّم به بعضهم . فهذه الحروف كان أصلها في الاستعمال أن تُوصل بحروف الإضافة . ومنه قول الفرزدق :

مَنَا الَّذِي اخْتِيرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً

وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازُعُ . ٥١ .

صاحب الشاهد والبيت مطلع قصيدة للفرزدق تقدّم أبياتٌ منها قبل هذا بشاهد .
قال صاحب المصباح : سَمَحَ بكذا يَسْمَحُ ، بفتحيتين ، سَمُوحًا وَسَمَاحًا وَسَمَاحَةً : جاد وأعطى ، أو وافق على ما أُريدَ منه . و (الجود) : الكرم . وروى بدله : (وخيراً) بكسر المعجمة ، وهو الكرم . (والزّعازع) : جمع زعزع كجعفر ، وهى الريح التى تهبُّ بشدة . وعنى بذلك الشتاء ، وفيه ثقلُ الألبان ، وتُعدمُ الأزواد ، ويبخلُ الجواد . فيقول : هو جوادٌ فى مثل هذا الوقت الذى يقلُّ فيه الجود . وسماحةٌ وجوداً مصدران منصوبان على المفعول لأجله ، كأنه قيل : اختير من الرجال لسماحته وجوده .

(١) عجزه : رب العباد إليه الوجه والعمل *

(٢) عجزه : فقد تركتك ذا مال وذا نسب *

ويجوز أن يكونا تمييزين أو حالين ، أى سَمَحًا وَجَوَادًا^(١) . قاله ابن خلف ولم يذكر ابن المستوفى غير الأخيرين .

وقال ابن السيد (فى أبيات المعاني) : ونصب ساحةً على المصدر ممّا دلّ عليه اختيار ، لأنّه لا يُختار إلاّ الكرام . وأراد بقوله : « ومنّا الذى اختير » أباه غالباً ، وكان جواداً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد السبعمئة^(٢) :

٧٠٩ (خَرَجْتُ إِلَى أَقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ

على طَرَفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ)

على أنّه يجوز أن يَجْتَمِعَ على فعلٍ واحد عدّة من حروف الجرّ إذا كانت مختلفة ، فإنّ الفعل الواحد قد يتعدّى بعدّة من حروف الجرّ على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل ، لأنّ هذه المعاني كامنة في الفعل ، وإنّما يُظهرها حروف الجرّ ، فإنّك إذا قلتَ : خرجتُ فأردت أن تبين ابتداء خروجك قلتَ : خرجت من الدار . فإنّ أردت أن تبين انتهاء قلتَ : إلى المسجد . وإن أردت أن تبين طَرَفَهُ قلتَ : في ثيابه . وإن أردت أن تبين أنّه مقارنٌ للاستعلاء قلتَ : على الفرس . وإن أردت أن تبين الملابس والصُّحبة : قلت بحسامي . ويجوز أن يكون بعضُ هذه المجرورات في موضع الحال .

٦٧٤

وهذا البيت يوجد في بعض النسخ قبل قوله : « وإلى اثنين كأعطى وعلم » بسطري ، بعد قوله : خرجتُ من الكوفة إلى البصرة لإكرامك .

(١) ط : « جوداً » ، صوابه في ش .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٧٦ ، وديوان المتنبي ٢ : ٢٧٩ .

صاحب الشاهد والبيت من مقطوعة عدتها ستة أبيات ، للمتنبي ، قالها لما ودّع سيف الدولة بن حمدان ، وأراد التوجّه إلى أقطاعه التي أقطعه إيّاها .

قال ياقوت الحموي (في معجم البلدان) : السّبع هو بلفظ العدد : قريةٌ بباب حلب كانت إقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة . وإياها عني بقوله :

أسير إلى أقطاعه . . . البيت

وأوله الثابت في جميع نسخ ديوانه ، هو كما أنشده ياقوت بلفظ : « أسير » .

والأبيات هذه وشرحها للواحدى :

أبيات الشاهد (أيا رامياً يُصمى فؤادَ مَرامه تُربى عِداهُ ريشها لِسهامِه)
الإصماء : إصابة المقتل في الرّمي . والمعنى أنّه إذا طلب شيئاً أصاب خالص ما طلبه ، كالرامي يصيب فؤادَ ما يطلبه بِرُمِيهِ . وقوله : تُربى عِداهُ ، مثلٌ ، وذلك أنّ السّهام إنّما تنفذ بَرِيشها ، وأعداؤه يجمعون العدَد والأموال له ، لأنّه يأخذها فينتقوى بها على قتالهم ، فكأنّهم يربّون الرّيش لِسهامه ، حيث يجمعون المال له . فالرّيش مَثَلُ الأموال والسّهامُ مَثَلُ له ^(١) .

(أسير إلى أقطاعه في ثيابه) البيت ، يريد أنّ جميع ما يتصرّف فيه من ضروب مملوكاته إنّما هو من جهته وإنعامه . وكأنّ هذا تفصيلٌ ما أجمله النابغة في قوله :

وما أغفلتُ شكرى فانتصحنى وكيف ومن عطائك جُلٌّ مالى ^(٢)

(١) في شرح المكبرى وكذلك في شرح الواحدى ٥٧٦ - ٥٧٧ : « فالرّيش مثل لأموالهم »

(٢) ديوان النابغة ٦٥ من مجموع خمسة دواوين ، وشرح المكبرى للمتنبي ٢ : ٢٨٠ .

وقد فصله النابغة أيضاً فقال :

وإنّ تлады إن نظرتُ وشيكتي ومُهرى وما ضُمتْ إليه الأنامل^(١)
 حباؤك والعيسُ العِناقُ كأنّها هيجان المَهّا تردى، عليها الرّحائل^(٢)
 وهذا كما قال أبو نواس :

* وكلُّ خيرٍ عندنا من خيره^(٣) *

(وما مطرّنتيه من البيض والقنا ورؤم العبدى هاطلات غماميه)
 الروم : جمع روميّ ، كما يقال زنج وزنجى . والعبدى : العبيد .
 يعنى وما أنعم علىّ من أنواع نعمه ، من الأسلحة والعبيد الروميّة .
 (فتى يهبُ الإقليمَ بالمال والقرى ومن فيه من فرسانه وكراميه
 ويجعلُ ما خولته من نواله جزاء لما خولته من كلاميه)
 أى يُجازينى بنواله إذا مدحته بما استفدته من الأدب من كلامه .
 (فلا زالت الشمسُ التى فى سمائه مطالعة الشمسِ التى فى لثاميه)
 أى لا زالت شمسُ السماء تطالع وجهه الذى هو كالشمس . وأضاف
 السماء إليه مبالغةً فى المدح ، كما قال الفرزدق :

(١) ديوان النابغة ٦١ ، وشرح المكبرى ٢ : ٢٨٠ . وفى الديوان : « إن ذكرت » .
 وفى الديوان وشرح المكبرى : « وما ضمت إلى الأنامل » . و « ضمت » على هذه الرواية بالبناء
 للفاعل .

(٢) فى الديوان : « تحدى » بمعنى تساق ، كما نص عليه فى شرحه و « العيس » بالنصب
 عطف على تлады ، وبالرفع على الاستئناف وتقدير الخبر بعده ، أى حباؤك .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى التبيان للمكبرى ٢ : ٢٨٠ وديوان أبي نواس ٢٠٦ :

* وكلُّ خيرٍ عندنا من عنده *

لكن فى الديوان : « عندهم » . وقبله فى الديوان :

أنتم كلبا أهله من كده . قد سعدت جلودهم بجدّه

* لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ ^(١) *

وقال ابن جني : أضاف السماء إليه لإشرافها عليه ، كما قال الآخر :

إِذَا كَوَكَبُ الْخِرْقَاءِ لَاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٍ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ ^(٢)
أضاف الكوكب إليها لجِدِّها في عملها عند طلوعه .

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع ، أوله أفعال القلوب .

(١) صدره في الديوان ٥٠٩ ، وانظر الخزانة ٤ : ٣٩١ :

* أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ *

(٢) ط : « أَزَاعَتْ » ، صوابه في ش . ويروى : « أَشَاعَتْ » ، ويروى : « فِي الْقَرَائِبِ »

وانظر ابن يعيش ٣ : ٨ والمختضب ٢ : ٢٢٨ والمقرب ١ : ٢١٣ والعين ٣ : ٣٥٩ واللسان

(غرب) . وهو الشاهد ١٧٦ في الخزانة ٣ : ١١٢ .

أفعال القلوب

أول الجزء
الرابع من
التقسيم القديم

أنشد فيها ، وهو الشاهد العاشر بعد السبعائة^(١) :

٧١٠ (تَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ الْغَى رَشْدًا)

على أَنَّ (تَعْلَمُ) التي بمعنى اعلمُ أمرًا ، لا تنصب المفعولين بل تردُّ الاسمِيَّةُ مصدرًا بأنَّ السَّادَةَ مع معموليها مسدَّ المفعولين . ويقلُّ نصبها للمفعولين ، كقول زياد بن سَيَّار الجاهلي :

تَعْلَمُ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا فَبَالِغَ بَلُطَفٍ فِي التَّحِيلِ وَالْمَكْرِ^(٢)

وهذا المصراع من قصيدة طويلة جدًا للقُطامي ، وقبله : صاحب الشاهد

وَأَمَّا يَوْمَ قَلْتُ لِعَبْدِ قَيْسٍ كَلَامًا لَا أُرِيدُ بِهِ خِدَاعًا^(٣) آيات الشاهد
تَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ الْغَى رَشْدًا وَأَنَّ لَهُذِهِ الْغُبَرَ انْقِشَاعًا^(٤)
وَلَوْ تُسْتَخْبَرُ الْعُلَمَاءُ عَنَّا وَمَنْ شَهِدَ الْمَلَا حَمَ وَالْوِقَاعَا^(٥)
بِتَغْلِبَ فِي الْحُرُوبِ أَلَمْ يَكُونُوا أَشَدَّ قِبَائِلِ الْعَرَبِ امْتِنَاعَا

وتقدّم ، في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة ، ما تقدّم من أول القصيدة إلى هذه الأبيات مع ترجمته^(٦) .

(١) مع الموامع ١ : ٧٥ وديوان القطامي ٤٠ .

(٢) شذور الذهب ٣٦٢ والمغني ٥٩٤ والميني ٢ : ٣٧٤ والتصريح ١ : ٢٤٧ والجمع ١ : ١٤٩ والأشعري ٢ : ٢٤ .

(٣) في الديوان : « ما أردت به خداعا » ، وفي الديوان نسخة الشنقيطي : « ما أريد له خداعًا » .

(٤) في الديوان : « لهذه النعم » .

(٥) في الديوان نسخة الشنقيطي : « ولو يستخير » بالياء .

(٦) الخزائن ٢ : ٣٦٣ - ٣٧٢ .

وتقدّم أيضاً إيراد أبيات بعد هذه الأبيات في الشاهد التاسع والتسعين بعد الخمسمائة^(١) .

وقوله : « وأما يوم قلت لعبد قيس » ، هو أخو القطامي .

وقوله : (تعلم أن بعد الغي) إلخ الغبر : جمع غبرة وهي القتمة ، يريد ما أظلم^(٢) من الأمور الشداد المظلمة . والانقشاع : الانكشاف .

وأورد اللبّي المصراع الثاني (في شرح الفصيح) برواية :

* وَأَنَّ لَتَالِكَ الْغُبْرِ انْقِشَاعًا *

وقال : (تالك) بكسر اللام لغة في تلك ، في الإشارة إلى المؤنثة البعيدة . ويريد القطامي بهذا تسليّة أخيه ، فإنّ بنى أسد كانوا أوقعوا ببني تغلب في نواحي الجزيرة ، والقطاميّ منهم ، فأسره بنو أسد وأرادوا قتله ، فحال زُفر بن الحارث الكلبيّ بينه وبينهم ، وحماه وكساه ، وأعطاه مائة ناقة كما تقدّم . ٤ : ٣

وقوله : « ولو تُستخبر العلماء » إلخ هو بالبناء للمفعول . والملاحم : جمع ملحمة ، وهي موضع الحرب . والوقاع : المواقعة .

وقوله : « بتغلب » أي عن تغلب ، كقوله :

* واسأل بمصقلة البكرى ما فعلا^(٣) *

أي عن مصقلة . وتغلب : قبيلة القطامي ، وهو تغلب بن وائل .

(١) الخزائن ٨ : ١٣٦ - ١٣٨ .

(٢) ط : « ما أظلم » ، صوابه في ش .

(٣) للأخطل في ديوانه ١٤٣ وسيبويه ٢ : ٢٩٩ . وصدّره :

* دع المغمّر لا تسأل بمصرعه *

ثم أخذ بعد هذا يذكر مآثر قومهِ فى الجاهلية .

* * *

وأُشِدَّ بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد السبعائة^(١) :

٧١١ (الله مُوفٍ لِلنَّاسِ مَا زَعَمَا)

على أَنَّ (زعم) قد يستعمل فى التحقيق .

رأيت (فى شرح الكتاب للسيرافى) : الزَّعْمُ : قولٌ يقترب به اعتقاد ،

وقد يصحُّ ذلك أو لا يصحُّ . فأمَّا قول الجعدى :

(نودى قُمْ واركبْنِ بأهلكِ إِ نَّ اللهَ مُوفٍ لِلنَّاسِ مَا زَعَمَا)

فقليل الزَّعمُ ههنا بمعنى القول ، وقيل بمعنى الضَّمان . ومنه قول عمرو ابن شاس :

تقولَ هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ ، وَإِنَّمَا عَلَى الله أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ^(٢)

قليل معناه كَمَا ضَمِنَ ، وقيل كما قال . وشاهد الزَّعمُ بمعنى القول قول أبى زُبَيْد :

يَالْهَفَ نَفْسِي إِنْ كَانَ الَّذِي زَعَمُوا

حَقًّا ، وماذا يَرُدُّ الْيَوْمَ تَلْهِينِي^(٣)

أى الذى قالوه . وذلك أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ يَقُولُ : حُمِلَ عُثْمَانُ عَلَى النُّعْشِ إِلَى قَبْرِهِ . وهذا ليس فيه معنى ظنٍّ ولا ضمان . ا هـ .

(١) ديوان النابتة الجعدى ١٣٦ والسان (زعم ١٥٧) .

(٢) مع الهوامع ١ : ١٤٩ والسان (زعم) .

(٣) ديوان أبى زبىد ١٢٠ والتصریح ١ : ٢٥ والسان (أمر ٩٢ نجف ٢٣٦) .

وبجهرة ابن دريد ٢ : ٤١٧ .

وقال ابن بَرى (في حاشية الصحاح) : الزعم يَأْتِي في كلام العرب على أربعة أوجه : يكون بمعنى الكفالة والضَّمان ، شاهده قول عمر بن أبي ربيعة :

قلتُ : كَفَيْ لكَ رهنٌ بالرضا وازعُمِي يا هِنْد قالت : قد وجب^(١)

وقال النابغة يصف نوحاً :

نُودَى قُمْ وارْكَبْ بَأْهْلَكَ البيت

زعم هنا فُسر بمعنى ضَمَن ، وبمعنى قال ، وبمعنى وَعَد . ويكون بمعنى الوعد ، قال عمرو بن شأس :

وعاذلة تخشى الردى أن يصيبي

تَرْوَح وتغدو باللامة والقسم

تقول هلكننا إن هلكت البيت

زعم هنا بمعنى وَعَد ، وبمعنى قال . ويكون بمعنى القول والذكر . قال أبو زبيد الطائي :

يا لهف نفسي إن كان الذي زعموا البيت

المعنى : إن كان الذي قالوه حقاً ، لأنه سمع من يقول : حُمِلَ عثمانُ على النعش إلى قبره .

وقال المثقَّب العبدِيُّ :

(١) رواية الديوان ٣٧٨ لهذا البيت وما قبله :

قلت حلاً فاقبل معذرتي ما كذا يحزى محب من أحب
إن كفى لك رهن بالرضا فاقبل يا هند ، قالت : قد وجب

وكلام سيى قد وقِرتْ أذنى عنه وما بى من صَمَم^(١)
فتصامت لكى ما لا يرى جاهلُ أنى كما كانَ زعم^(٢)

ويكون بمعنى الظنّ ، قال عبّيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود :
فدقّ هجرها إن كنت تزعمُ أنه رشادُ ، ألا يا ربّما كذبَ الزعمُ^(٣)
فهذا البيت لا يحتمل سوى الظن ، وبيت عمر لا يحتمل سوى
الضّمان ، وبيت أبى زبيد لا يحتمل سوى القول ، وما سوى ذلك على
ما فسرّ .

وبيت النابغة روى لأمية بن أبى الصلت ، وبيت عمرو بن شأس
روى لمضرّس . ١ هـ .

وما أورده الشارح قطعة من قوله :

نودى قُم واركنْ بأهلك إ نَّ الله الخ .

و (زعم) فيه على ما فسّروه متعدّ إلى مفعول واحد ، وهو الضمير
المحذوف العائد إلى ما الموصولة .

والبيت من قصيدة للنابغة الجعدى الصّحابي ، أوّلها :

(الحمد لله لا شريك له مَنْ لم يَقُلْها فنفسه ظلّما)

فالألف فى قوله « زعما » للإطلاق . قال ابن خالويه (فى كتاب ليس) :

(١) ديوان المثقب ٢٣٠ : « عنه أذناى » ، وفى ط : « أذنى منه » ، وأثبت ما فى ش واللسان
(زعم) وأساس البلاغة (وقر) والفضلّيات ٢٩٤ . وأوله فى أساس البلاغة : « كم كلام سيى » .

(٢) فى الديوان والفضلّيات : « فتعزيت خشاة أن يرى » . وفى اللسان (غشى) :
« فتعديت خشاة أن يرى ظالم » ، وفيه تحريف .

(٣) فى اللسان (زعم ١٥٧) : « قد كنت تزعم أنه رشاد » .

قال بعض المفسرين: إن الزعم زاملة الكذب^(١). وليس في كلام العرب وأشعارهم زعم محموداً إلا في بيتين، قال أمية بن أبي الصلت، وقيل للنابعة الجعدى، في قصيدة أولها:

نودى قم واركن . . . البيت .

فهذا على الحق. وسمعت الزاهد^(٢) يقول: زعم في هذا البيت بمعنى قال ووعد، كما يقال: زعم الشافعى، أى قال. اهـ.

نسبة أخرى والقصيدة التى هى لأمية بن أبي الصلت طويلة ذكر فيها صنع الله وعظم قدرته. وقبله:

أبيات الشاهد (عرفت أن لن يفوت الله ذو قدم
وأنه من أمير السوء ينتقم^(٣)
المُسبحُ الخشب فوق الماء سخرها
خلال جريتها كأنها عوم
تجرى سفينة نوح في جوانبه
بكل موج مع الأرواح تفتح
نودى قم واركن بأهلك
ن الله موف للناس ما زعموا^(٤))

(١) أصل الزاملة البعير يستظهر به الرجل، يحمل عليه طعامه ومتاعه. وهذا النص بأكله ليس موجوداً في النسخ المطبوعة من كتاب ابن خالويه.

(٢) الزاهد هذا هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المطرز اللغوى، غلام ثعلب. ولد سنة ٢٦١. وتوفى سنة ٣٤٥. بغية الوعاة وإنباه الرواة ٣: ١٧١ - ١٧٧ وفيه بيان مراجع ترجمته.

(٣) ذو قدم، أى من عمر طويلا. وفي الديوان ٥٧: «وأنه من عبيد السوء».

(٤) وكذا في الديوان. وقد أدرك مصحح طبعة بولاق أن هذا البيت من بين أخواته ينتمى إلى المنسرح، والقصيدة كلها مبنية على البسيط.

مشحونةٌ ودُخانُ الموجِ يرفعُها
مَلَأَى وقد صُرِّعَتْ من حَوْلها الأُممُ^(١)
حَتَّى تَسُوَّت على الجُودى راسيةً
بكلِّ ما اسْتُوْدِعَتْ كأنَّها أُطْمُ^(٢)

قال شارح ديوانه : يقال سَبَح الرَّجُلُ وَأَسْبَحَهُ اللهُ . والعُومُ : جمع العُومة ، كأنَّها حية تكون بُعْمان . والعامَّة : شبه الطَّوفُ إِلَّا أَنَّهُ أَصْغَرُ منه ، يُرْكَبُ فيه البحرُ . فى جوانبه : جوانب الماء . ومشحونة : مملوءة ، يقال اشْحَنَ سَفِينَتَكَ ، أى املأها . والجودى فيها سوقٌ يقال له سوق الثُّمانين ، لثمانين رجلاً كانوا مع نوحٍ فى السفينة . والأُطْمُ بضمَّتَيْن : القصر ، والجمع آطام .

وترجمة أمية تقدَّمت فى الشاهد السادس والثلاثين^(٢) .

قال ابن خالويه . وقصيدة النابغة :

(يا مالِكَ الأرضِ والسماءِ ، وَمَنْ يَفْرُقُ من اللهِ لَا يَخَفُ أَثَمًا^(٣)
إِنِّى امرؤٌ قد ظَلَمْتُ نَفْسِى وإِ لَا تَعْفُ عَنِّى أَغْلَى دَمًا كَثَمًا^(٤)
أُطْرَحَ بالكافرين فى الدَّرَكِ ا لْأَسْفَلِ يا رَبِّ أَصْطَلَى الضَّرَمًا^(٥)

(١) فى الديوان : « يدفعها » بالدال .

(٢) الخزائنة ١ : ٢٤٧ .

(٣) ديوان الجعدي ١٣٥ ، ١٣٤ حيث وردت فيه الأبيات الثلاثة الأولى بعد الأبيات الثلاثة الأخيرة على خلاف هذا الترتيب . والأثم ، بالتحريك : لعله مقصور الأثم كسحاب ، وهو جزاء الإثم . ولم أجده له سنداً .

(٤) عنى ، ساقطة من ش ثابتة فى الديوان . وأغلا ، كتبت فى النسختين والديوان بالألف فى آخرها . والكثم : الغليظ ، من قولهم : حاة كائمة وكثة : غليظة .

(٥) بالكافرين ، أى معهم . والدرك الأسفل : أنقى القمر .

يَأْيُهَا النَّاسُ هَلْ تَرَوْنَ إِلَى فَارَسَ بَادَتْ وَخَرَّ مِنْ دَعَمَا^(١)
 أَمَسُوا عَيْدًا يَرَعُونَ شَاءَكُمْ
 كَأَنَّمَا كَانَ مُلْكُهُمْ حُلْمًا^(٢)
 رَأَوْا سَبَاَ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ
 يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا (هـ).

• • •

وأنشد بعده :

(وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَظْنِيْ غَيْرُهُ مِنْنِيْ بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ)
 على أَنَّ (ظَنْ) يقلُّ فيها نصب المفعول الواحد ، فَإِنَّ معناه هنا
 لَا تَظْنِيْ شَيْئًا غَيْرَ نَزُولِكَ . وصحة هذا المعنى لَا تَقْتَضِيْ^(٣) تقدير
 مفعول آخر .

وفيه ردُّ للنحويين ، فَإِنَّهُمْ قالوا : المفعول الثاني لظن محذوف
 اختصاراً لا اقتصاراً .

وبه استشهد شُراح الألفية وقالوا : تقديره : فَلَا تَظْنِيْ غَيْرِهِ
 واقعاً ، أو حقاً . وجملة (فَلَا تَظْنِيْ غَيْرِهِ) معترضةٌ بين نزلت وبين
 متعلِّقِهِ ، وهو مِنْنِيْ .

وهذا البيت من معلِّقة عنتره ، وتقدم شرحه في الشاهد الموفى
 المائتين^(٤) .

• • •

(١) في الديوان : « وخذها رغما » . رغم : ذل . وخر : سقط .

(٢) كذا والرواية المعروفة كما في الديوان : « أو سبأ الحاضرين مأرب » .

(٣) ط : « لا يقتضى » .

(٤) الخزائن ٣ : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر بعد السبعائة^(١) :

٧١٢ (بَأَى كِتَابٍ أُمَ بَأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَى وَتَحْسِبُ)
على أَنَّهُ قد حذف مفعولاً (تحسب) للقرينة ، والتقدير : وتَحْسِبُ
حُبَّهُمْ عَارًا عَلَى .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول حَكِيم بن قَبِيصَة^(٢) :

فَمَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ هَاجَرَتْ تَبْتَغِي

وَلَكِنْ دَعَاكَ الْخُبْزُ أَحْسَبُ وَالتَّمْرُ^(٣)

نصب جنة الفردوس بتبتغى ، وهى حال من التاء فى هاجرت .
وجاز تقديم ما انتصب بتبتغى لجواز تقديم الفعل نفسه ، حتى كأنه
قال : فما مبتغياً جنة الفردوس هاجرت ، على حدِّ قوله تعالى : ﴿ خُشَعَا
أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾^(٤) ولم يعمل أَحْسَبُ على اللفظ ،
وأراد مفعوليهما فحذفهما ، كبيت الكُمَيْت :

بَأَى كِتَابٍ ... البيت

أى وتحسب ذلك كذلك . ولا يحسن أن تجعلها هنا لَعْوًا ، من
قَبْلِ أَنَّهَا لم تقع بين المبتدأ وخبره ولا بعدهما ، نحو : زيد قائم أَحْسَبُ ،

(١) المحتسب ١ : ١٧٣ والمقرب ١ : ١١٦ والعيى ٢ : ٤١٣ والتصريح ١ : ٢٥٩
والمع ١ : ١٥٢ ويس ١ : ١٦١ والهاشميات ٣٨ .

(٢) ط : « قيصَة » ، صوابه فى ش ، والحماسة ١٨٢٥ بشرح المرزوق وإعراب الحماسة
الورقة ٢٤٥ .

(٣) فى النسختين : « دعاك الخبز والتمر أحسب » ، صوابه ما أثبت من الحماسة وإعرابها .
وقبل البيت :

لعمري أبى بشر لقد خانه بشر على ساعة فيها إلى صاحب فقر

(٤) الآية ٧ من سورة القمر .

وإنَّما كان اعتبارُ عملها أو إلغائها هناك، لأنَّها لو كانت عاملةً لعمات
فيهما ، وأمَّا ههنا فلا سبيلَ إلى الخبز والتَّمَر ونحوهما . ا هـ .

وقوله : (بَأَى كِتَاب) متعلق بقوله (ترى) .

صاحب الشاهد والبیت من قصيدة طويلة للكثير بن زيد الأسدي ، ، مدح بها
آل النبي صلى الله عليه وسلم . وبعده :

أبيات الشاهد (إذا الخيلُ وَاَرَاها العَجاجُ وتحتَه
غُبَارُ أَثَارَتِه السَّنابِكُ أَصْهَبُ ^(١)
فمالي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةَ
ومالي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ ^(٢))

وَاَرَاها : غَطَّاهَا . وَالْمَشْعَبُ : الطريق .

وتقدَّمت مع ترجمته في الشاهد الثاني بعد الثلثائة ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تَخْلُنَا على ، غَرَائِكُ إِنَّا طالما قد وشى بنا الأعداءُ ^(٤))

على أَنَّهُ قد حذف المفعول الثاني من تَخْلُنَا ، وتقديره كما قال
الشارح المحقق : لا تَخْلُنَا أَذْلَّةً على إغرائك الملك بنا .

والبيت من معلِّقة ابن حِلْزَة ، تقدَّم شرحُه مع ترجمته ، في الشاهد
الثامن والأربعين من أوائل الكتاب ^(٥) .

* * *

(١) هذا البيت لم يرد في ديوانه ولا في الهاشميات .

(٢) ويروي : « إلا مذهب الحق مذهب » . انظر معجم شواهد العربية .

(٣) الخزائن ٤ : ٣٠٧ - ٣٢٠ .

(٤) وروي : « على غرائك » بالتاء كما سبق في الجزء الأول .

(٥) الخزائن ١ : ٣٢٤ - ٣٢٦ .

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّالِثُ عَشَرَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ^(١) :

٧١٣) كَذَاكَ أَذِّبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي

إِنِّي وَجَدْتُ مَلَاكَ الشَّيْمَةِ (الْأَدَبُ)

على أَنَّ وَجَدْتُ قَدْ أُلْفِيَ عَنِ الْعَمَلِ مَعَ تَقَدُّمِهِ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَبِيحٌ .

وخرَّجَه الشارح المحقق تبعاً لسيبويه على تقدير لام الابتداء ، أو على

تقدير ضمير الشأن تبعاً لابن جني ، فتكون وَجَدَ عاملةً على التقديرين .

أَمَّا عَلَى الْأَوَّلِ فَتَكُونُ مَعْلُوقَةً عَنِ الْعَمَلِ فِي اللَّفْظِ بِلَامِ الْإِبْتِدَاءِ الْمَقْدَّرَةِ ،

وَيَكُونُ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى أَنَّهُمَا سَادَّانِ

مَسَدَّ مَفْعُولٍ وَجَدَ . وَأَمَّا عَلَى الثَّانِي فَيَكُونُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ الْمَحذُوفِ هُوَ

المفعول الأول ، والجمله بعده في محل المفعول الثاني .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة ^(٢)) : أَرَادَ : وَجَدْتُهُ مَلَاكَ الشَّيْمَةِ

الْأَدَبِ ، كَقَوْلِكَ : ظَنَنْتُهُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ، أَيْ ظَنَنْتُ الْأَمْرَ وَالشَّأْنَ زَيْدٌ

مُنْطَلِقٌ ، إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ الضَّمِيرَ فِي وَجَدْتُ لِلضَّرُورَةِ ، كَمَا حُذِفَ أَيْضًا

فِي بَيْتِ الْكِتَابِ :

إِنَّ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بَنْتٍ حَسًّا نَ الْبَيْتِ

أَرَادَ : إِنَّهُ مِنْ لَامَ . أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ هُنَا شَرْطٌ ، فَلَا يَنْصَبُهَا مَا قَبْلُهَا

كَالْإِسْتِفْهَامِ . وَعَلَى هَذَا تَقُولُ : ظَنَنْتُ أَبُوكَ أَخُوكَ ، أَيْ ظَنَنْتُهُ .

فَاعْرِفْهُ . ١ هـ .

(١) المقرب ١ : ١١٧ والعيني ٢ : ٤١١ والتصريح ١ : ١٥٨ واللمع ١ : ١٥٣
والأشعري ٢ : ٢٩ ، والحماسة ١١٤٦ بشرح المازني . رواية « الأدب » .

(٢) إعراب الحماسة الورقة ١٦٧ .

والفرق بين الإلغاء والتعليق أَنَّ الأول : إبطال العمل لفظاً ومحلاً
والثاني : إبطاله لفظاً لا محلاً لمجيء ماله صدر الكلام . وكأنَّ العينيَّ
لم يفرق بينهما ، لقوله : أُلغى عملٌ وجدتُ لكون لام الابتداء مقدَّرة^(١) ،
والصواب علَّق وجدَّت عن العمل لفظاً ، لكون لام الابتداء مقدَّرة .
ولا يخفى أَنَّ هذا التخريجَ على كلام ابن جنِّي يكون من باب غَسَل
الدَّم بالدم . والصَّحيح أَنَّ حذف ضمير الشَّان لا يختصُّ بالشعر . ومنه
الحديث : « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ^(٢) » ، وحكاية
الخليل : إِنَّ بِكَ زَيْدٌ مَاخُودٌ .

ولم يورد ابن عصفور هذا (في كتاب الضرائر) .

والبيت أورده أبو تمام (في الحماسة) مع بيت قبله ، ونسبه إلى
بعض الفزاريين ، وهو :

أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ وَلَا أَلْقِيَهُ وَالسَّوْءَةُ اللَّقْبُ

لكن روايته بنصب القافيتين ، ولا تحتاج إلى ما ذكر من التوجيه
ويكون اللقب على روايته مفعول أَلْقِيَهُ . والسَّوْءَةُ منصوبة أيضاً . قال
ابن جنِّي : نصب السَّوْءَةُ لِأَنَّهُ جَعَلَهَا مَفْعُولاً مَعَهُ ، أَيْ لَا أَلْقِيَهُ مَعَ السَّوْءَةِ
اللقب ، مَقْتَرِناً بِالسَّوْءَةِ^(٣) . أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَجِدُ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْمَفْعُولِ مَعَهُ ،
تَقُولُ : قَمْتُ وَزَيْدًا ، فَتَجِدُ مَعْنَاهُ قَمْتُ مَقْتَرِناً بِزَيْدٍ . ١ هـ .

قال ابن النازم ؛ تقديم المفعول معه على مصحوبه ، الجمهورُ على
منعه ، وأجازه أبو الفتح (في الخصائص) واستدلَّ بقوله :

(١) ما بعده إلى « مقدرة » التالية ساقط من ش .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (اللباس) من حديث عبد الله ، وكذا أخرجه مسلم في
(اللباس) عن ابن عمر ، والنسائي في (الزينة) عن أحمد بن حرب من حديث عبد الله . وانظر
الألف المختارة ٧٥٦ .

(٣) في إعراب الحماسة : « أَيْ مَقْتَرِناً بِالسَّوْءَةِ » .

* جمعت وفحشاً غيبةً ونميمة^(١) *

وقول الآخر :

* ولا ألقبه بالسوءة اللقبا *

على رواية نصب السوءة واللقب ، أراد : ولا ألقبه اللقبَ والسوءة أى مع السوءة ، لأنَّ من اللقب ما يكون لغير سوءة ، كتلقيب الصديق عتيقاً لعتاقة وجهه ، فلهذا قال الشاعر : ولا ألقبه اللقب مع السوءة ، أى إنَّ لقبته لقبته بغير سوءة . قال الشيخ - يعنى والده - ولا حجة لابن جنى في البيتين ، لإمكان جعل الواو فيهما عاطفةً قدّمت هي ومعطوفها ، وذلك في البيت الأوّل ظاهر ، وأمّا في البيت الثانى فعلى أن يكون أصله ولا ألقبه اللقبَ وأسوءه السوءة ، ثم حذف ناصب السوءة كما حذف ناصب العيون من قوله :

* فزجّجن الحواجبَ والعيونا^(٢) *

ثم قدّم العاطف ومعمول الفعل المحذوف . اهـ .

وأما على رواية رفع القافية فالسوءة مرفوعة على الابتداء واللقب الخبر ، والجملة حال من الهاء . والسوءة بالفتح : اللَّفْظَةُ القبيحة . وقال العيني على رواية نصب القافيتين : ويجوز أن يكون انتصاب السوءة على المعنى ، يعمل فيه معنى لا ألقبه ، فيكون على هذا من باب :

(١) هو الشاهد ١٨٠ من الخزانة ٣ : ١٣٠ . وعجزه :

* ثلاث خلال لست عنها بمرعوى *

(٢) للرأى في ديوانه ١٥٦ . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* إذا ما الغانيات برزن يوماً *

والرواية المعروفة : « وزججن » ، لكن هكذا ورد في النسختين .

يَالَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ أَغْدَا متقلداً سيفاً ورُمحاً^(١)

وإن رُفِعَ فارتفاعة يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمراً ،
كأنه قال : والسوءة ذاك . يعنى إن لَقَبْتَهُ والفحشُ فيه . ويجوز أن
يكون مبتدأ وخبره اللَّقْبَا ، يكون مصدرًا كالجَمْزَى . ويجوز أن يكون
خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لا أَلْقَبُهُ اللَّقْبَا ، وهو السوءة . ١ هـ .

وهذه الاحتمالات لا فائدة فيها سوى تسويدِ الورق . على أن اللَّقْبَا
بالألِف مقصوراً غير موجود .

وقوله : « أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ » العربُ إذا أرادت تعظيمَ المخاطب
خاطبته بالكُنية وعدلتُ عن التصريح باسمه . وصفَ الشاعرُ نفسه
بحُسن العشرة مع صاحبه .

وقوله : (كَذَاكَ أَدَّبْتُ)^(٢) هو بالبناء للمفعول ، والكاف هنا اسمٌ
مفعول مطلق ، أى أَدَّبْتُ تَأْدِيبًا مِثْلَ ذَلِكَ ، والإشارة إلى البيت الأول .
وَحَتَّى ابْتِدَائِيَّة كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾^(٣) ، واسم صَارَ الضميرُ
المستتر فيها العائدُ إلى الأَدَبِ المفهوم من أَدَّبْتُ . (ومن خُلِقَ) خبر صار .
وقوله : (إِنِّى وَجَدْتُ) بكسر الهمزة استئناف ، أَرْسَلَهُ مِثْلًا . وقال
العينى : الكاف للتشبيه ، أى كمثل الأَدَبِ المذكور . وحقٍ للغاية
بمعنى إلى . ومن متعلِّقٌ بـ صَارَ . وقوله (أَنِّى وَجَدْتُ) بفتح الهمزة فاعل
صار . هذا كلامه ، وفيه خللٌ من وجوه .

(١) لعبد الله بن الزبعرى فى الكامل ١٨٩ ، ٢٠٩ والمقتضب ٢ : ٥١ . وانظر معجم

الشواهد .

(٢) فى النسختين : « كَذَاكَ أَدَّبْتُ » ، صوابه ما أثبت ، لئلا يتركس الوزن .

(٣) الآية ٩٥ من سورة الأعراف .

قال الجوهري : مِلَاكُ الأَمْرِ وَمَلَاكُهُ ، أَيْ بالكسر والفتح : ما يقوم به . والشَّيْمَةُ ، بالكسر : الخُلُق . والأَدَبُ الذي تَعْرِفُهُ العَرَبُ ، هو ما يَحْسُنُ من الأخلاقِ وفعلِ المكارم ، مثل ترك السَّفَه ، وبَذْلُ المجهود ، وحُسْنُ اللقاء .

والنَّصَبُ والرفْعُ في قافيتي البيتين رواهما ابن جنى والطَّبْرسي ، من شَرَّاح الحماسة .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ عَشَرَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ^(١) :

٧١٤ (أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتْهَا

وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ)

على أَنَّهُ قَدْ أَلْغَى (إِخَال) عَنِ الْعَمَلِ مَعَ تَقْدُّمِهِ .

وقال ابن هشام (في شرح بانث سعاد) : وجه إلغاء إخال هنا عدم تصدُّرها ، فَإِنَّ حَرْفَ النِّفَى لَمَّا تَقَدَّمَهَا أَزَالَ عَنْهَا التَّصَدُّرَ الْمُحْضَ ، فَسَهَّلَ إِلْغَاءَهَا كَمَا سَهَّلَ إِلْغَاءَ ظَنَنْتَ تَقَدُّمُ مَتَى وَإِنِّي فِي : مَتَى ظَنَنْتَ زَيْدٌ مُنْطَلَقٌ ، وَقَوْلِ الْحَمَاسِيِّ :

* إِنِّي وَجَدْتُ مِلَاكُ الشَّيْمَةِ الْأَدَبُ ^(٢) *

أَوْ يَكُونُ الْإِلْغَاءُ عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ النِّفَى دَاخِلًا عَلَى الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ ، وَتَقْدِيرِ إِخَالٍ مُعْتَرِضَةً بَيْنَهُمَا . هـ .

(١) العيني ٤ : ٤١٢ ، والتصريح ١ : ٢٥٨ والمصع ١ : ٥٣ ، ١٥٣ والأشعري

٢ : ٢٩ وديوان كعب بن زهير ٩ وشرح بانث سعاد ٤٠ وسيرة ابن هشام ٨٩٠ وابن سيد الناس ٢ : ٢١٠ .

(٢) انظر الشاهد السابق .

ويجوز أن يخرج أيضاً كالذى قبله إمّا على تقدير لام الابتداء ،
أو على تقدير ضمير الشأن ، فيكون على الأوّل معلّقاً عن العمل في
اللفظ ، ويكون جملة «لدينا منك تنويل» في موضع المفعولين . وعلى
الثاني تكون عاملةً لفظاً ويكون مفعولها ضمير الشأن المحذوف ، أى
ما إخاله ، وجملة «لدينا منك تنويل» في موضع المفعول الثاني . وقد تقدّم
الفرق بين الإلغاء والتعليق^(١) . ويظهر كون التعليق هو العمل في محلّ
الجملة من عطف شيء على الجملة المعلقة ، فإنه يُعرب بإعرابها المحلّي ،
كقول كثير :

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكا

ولا موجعات القلب حتى تولّت

فعطف موجعات بالنصب على محلّ ما البكا ، وهذا على تقدير اسميّة
ما . فإن كانت حرفاً زائداً فأدري بمعنى أعرف ، والبكا مفعوله ،
ولا يكون ممّا نحن فيه .

قال ابن هشام (في المغني) : رأيت بخط الإمام بهاء الدين بن النحاس :
أقمت مدة أقول : القياس جواز العطف على محلّ الجملة المعلق عنها
بالنصب . ثم رأيت منصوصاً . ٥١ .

ومن نصّ عليه ابن مالك ، ولا وجه للتوقّف فيه مع قولهم إنّ المعلق
عامل في المحلّ . ٥١ .

وخرّجها ابن إياز على الأعمال من غير تعليق بتكليف ، بجعل
ما موصولة اسمية . حكاه عنه أحمد بن محمد بن الحداد البجلي

(١) انظر ما سبق في ص ١٤٠ .

(٢) ديوان كثير ٩٥ ، والمغني ٢ : ٤٠٨ ، والمغني ٤١٩ .

البغدادى (فى شرح قصيدة بانث سعاد) . وكان تاريخ شرحه فى بغداد سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال فى شرحه ^(١) : وقال ابن إياز ^(٢) الرومى : يجوز فيه وجه آخر . وهو أن تكون ما موصولة وموضعها رفع بالابتداء ومفعول إخال الأوّل محذوف ، وهو العائد إلى ما ، ومنك المفعول الثانى ، وتنوّل خبر المبتدأ . انتهى كلامه .

قلت : (ولدينا) فى هذا الوجه والذى قبله ، وهو تقدير ضمير الشأن : ظرفٌ لإخال . ومعنى البيت على هذا الوجه : إنّ الذى أظنّه وإخاله من وصالها المقدّر يجرى عندى مجرى الوصل المحقّق ، من فرط المحبة . وقد أبان التهامى عن هذا المعنى فبالغ وأحسن بقوله :

أهتزّ عند تمنّى وصلها طرباً ورُبّ أمنيّة أحلى من الظفر ^(٣)
وابنُ الخياط الدمشقى عكّس هذا المعنى وردّه على معتقده ، بقوله :
أمنى النفسَ وصلًا من سعادٍ وأين من المنى دُرّك المُرَادِ ^(٤) .
وهذا قولٌ من لا يقنع بدون الوصال ، ولا يسوّف نفسه بالمحال .
وأين هو من قناعة الآخر بالنير ^(٥) ، حين بالغ بقوله :

ألستُ أرى النجم الذى هو طالعٌ عليها وهذا للمُحِبِّينَ مَقْنَعُ

(١) ط : « شارحه » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٢) ابن إياز هو الحسين بن بدر بن إياز . ولى مشيخة النحو فى المستنصرية . وقال الشرف الديماطى : رأيتُه شاباً فى زى أولاد الأجناد يقرأ النحو على سعد بن أحمد البينافى . وقال أبو حيان : ابن إياز أبو تعاليل . توفى سنة ٦٨١ . بغية الوعاة ٢٣٢ .

(٣) ديوان التهامى ٤١ . وبعده :

تجنّى على وأجنى من مرافقها فو الجنى والجنيات انقضى عمرى
(٤) ط : « من سعاد » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

(٥) يعنى النجم المضى .

انتهى كلام البغدادى .

وهذا البيت (من قصيدة بانث سعادة المشهورة) فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أورد الشارح بيتاً آخر منها فى حروف الشرط فى أواخر الكتاب . وقد اعتنى بشرحها أجلة العلماء ، والذى يحضرنى من شروحها الآن شرحُ أبى العباس الأحول مع شرح جميع ديوانه ، وهو عندى بخطه . وشرحُ أبى عبد الله نِفْطَوِيهِ النُّحَوِى . وشرحُ أبى بكر بن الأنبارى ، وهو شرحُ صغيرٍ قليل الجدوى . وشرح البغدادى المذكور ، وشرح ابن هشام الأنصارى ، وهما أجلُّ الشُّروح . لكنَّ شرح البغدادى أكثر استنباطاً لمعانى الشعر ، وأدقُّ تفتيشاً للمزايا والنُّكْت . وشرح ابن هشام أوعى منه للمسائل النحويَّة وتفسير الألفاظ اللغويَّة ، وكلُّ منهما فى حجم الآخر ، ، وعصر تأليفهما متقارب .

وهذا البيت لم يردِّ فى رواية نِفْطَوِيهِ ، ورواه أبو العباس الأحولُ كذا :

أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ يَعْجَلَنَّ فِي أَبَدٍ وَمَالَهُنَّ طَوَالَ الدَّهْرِ تَعْجِيلُ

وعليه لاشاهد فيه . قال الأحول : فى أبَد : فى دهرٍ . ويروى :

• وَمَالَنَا عِنْدَهُنَّ الْيَوْمَ تَعْجِيلُ •

أى لا يُعَجَّلَنَّ وصلنا فى الرواية الأولى . يقول : آمِلُ وأَرْجُو وما أظنُّ ذلكِ يكون أبداً . انتهى كلامه .

وضبط بخطه «يَعْجَلَنَّ» بفتح الباء والعجم ، على أنَّه مبنى للفاعل . وطَوَالَ بفتح الطاء على أنَّه ظرف بمعنى طَوَلَ الدَّهْر ، ولكن لم يتقدَّم لضمير جمع المؤنث مرجع . فَإِنَّ قُلْنَا إِنَّ المَرَجَّعَ سَعَادَ ، وَإِنَّ جَمَعَ الضمير

للتعظيم ، وَرَدَ أَنَّ إِرْجَاعَ ضَمِيرِ الْجَمْعِ إِلَى الْوَاحِدِ إِنَّمَا هُوَ فِي التَّكْلُمِ
وَالْخُطَابِ ، وَقَدْ وَرَدَ تَعْظِيمُ الْغَائِبِ قَلِيلاً . قَالَ الْبَيْضاوِيُّ ، فِي تَفْسِيرِ
قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ^(١) ﴾ مِنْ سُورَةِ يُنُسَ : وَالضَّمِيرُ لِفِرْعَوْنَ ،
وَجَمَعَهُ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْتَادُ فِي ضَمِيرِ الْعُظَمَاءِ . لَكِنْ اسْتَشْكَلَهُ شُرَّاحُهُ .
قَالَ سَعْدِيُّ : أَيْ قَدَّرَ لِفِرْعَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى يَعْبُرَ عَنْهُ بِصِغَةِ التَّعْظِيمِ .
نَعَمْ لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ كَلَامِ مَنْ يَعْظُمُ فِرْعَوْنَ لَكَانَ لَهُ وَجْهٌ .
وَكَذَا قَالَ الْكَازِرُونِي .

وَأُورِدَ الْبَغْدَادِيُّ ^(٢) هَذِهِ الرَّوَايَةَ ^(٣) وَقَالَ : الضَّمِيرُ فِي يَعْجَلْنَ وَلَهْنَ
لِمَوَاعِيدِهَا فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُوَ :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عَرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا

وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

وَيَعْجَلْنَ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَهُوَ خِلَافُ الْبُطْءِ ، يُقَالُ عَاجَلَهُ وَأَعَجَلَهُ ،
إِذَا سَبَقَهُ . وَعَجِلَ هُوَ يَعْجَلُ مِنْ بَابِ فَرَحَ . وَالْأَبْدُ : الدَّهْرُ . يَقُولُ :
أَرْجُو أَنْ تَسْبِقَ مَوَاعِيدُهَا وَيُسْرِعَ إِنْجَازُهَا فِي دَهْرٍ مِنَ الدَّهْرِ ، وَلَا يَحْصُلُ
ذَلِكَ . وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَشْهَرُ . ١ هـ .

وَرَوَاهُ ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ (فِي سِيرَتِهِ) ، تَبَعًا لِسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ :

أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ يَعْجَلْنَ فِي أَمْدٍ وَمَالِهِنَّ إِخْصَالُ الدَّهْرِ تَعْجِيلُ

وَقَوْلُهُ : (أَرْجُو وَأُمِّلُ) الْخِ أَرْجُو مَعَ فَاعِلِهِ الْمُسْتَتَرِّ جُمْلَةً اسْتِثْنَائِيَّةً ،

(١) الآية ٨٣ من سورة يونس .

(٢) هو شارح بانت سعاد ، أحمد بن محمد بن الحداد ، السابق الذكر .

(٣) ط : « فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ » ، صَوَابُهُ فِي ش .

لا تَعَلَّقْ لها ^(١) بما قبلها ، وهو البيت الذى نقلناه . وآمل معطوف عليه ، وهو بمعناه ، وَحَسَّنَ العطفَ لتغاير اللفظين ، وعطف المترادفين لا يكون إلا بالواو . وقال البغدادى : وبعضهم فَرَّقَ بينهما بأنَّ الرجاء توقُّع حصول مطلوب فى المستقبل مع خوفٍ عدم وقوعه . والآمل : طلب حصول ما يَغْلِبُ وقوعه فى ظنِّ الطالب لتعلُّقه به . وإن لم يقارنه خوف عدم الوقوع . وقال صاحب المصباح : أَمَلْتُهُ آملاً من باب طَلَب ، وهو ضدُّ اليأس . وأكثر ما يُستعمل الآملُ فيما يُستبعدُ حصوله . قال :

* أَرْجُو وآمِلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا *

ومن عزم على سفرٍ إلى بلد بعيد يقول : أَمَلْتُ الوصولَ ، ولا يقول طَمِعْتُ إلا إذا قُرِبَ منها ، فإنَّ الطمع لا يكون إلا فيما قُرِبَ حصوله . وقد يكون الآملُ بمعنى الطَّمَع . والرجاء بين الآمل والطمع ، فإنَّ الرَّاجِيَ ^(٢) قد يَخَافُ أَنْ لا يحصل ماؤمؤه ، فلهذا يستعمل بمعنى الخوف . فإنَّ قَوَى الخوفِ اسْتُعْمِلَ استعمال الآمل ، وعليه بيت كعب : وإِلَّا اسْتُعْمِلَ بِمَعْنَى الطَّمَعِ ، فَأَنَا آمِلٌ وَهُوَ مَأْمُولٌ . وَأَمَلْتُهُ تَأْمِيلاً مَبَالِغَةً وَتَكْثِيرًا ، وَهُوَ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا مِنَ الْمَخْفَفِ . ١ هـ .

وفى المجلس الثامن والخمسين (من أمالى ابن السجرى البغدادى) أنه اسْتَفْتِيَ عَنْ مسائل ، منها : هل يَأْمُلُ ومَأْمُولٌ وما تَصَرَّفَ منها جائز؟ فَأَجَابَ عنها أَوَّلًا الحسنُ بن صافى المكنى أبا نزار ، المتلقَّب بملك النجاة بأنَّ أَمْلَ يَأْمُلُ لا يجوز ، لأنَّ الفعل المضارع إذا كان على يفعل بضم العين كان بابه أَنَّ ماضيه على فَعَلَ بفتح العين ، وآمِلٌ لم أَسْمَعْهُ فَعَلًا

(١) ط : « لا تعلق لها » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « الرجاء » ، صوابه فى المصباح وش مع أثر تصحيح فيها .

ماضيًا . فإن قيل : فقدّر أنّ يأمل مضارع ولم يأت ماضيه ، كما أنّ يذر ويدع كذلك . قلت : قد عُلِمَ أنّ يذر ويدع على هذه القضية قد جاءا شاذّين ، فلو كان معهما كلمة أخرى شاذّة لنقلتهما^(١) ولم يجوز أنّ لا تنقل . وما سمعنا أنّ ذلك ملحق بما ذكرنا ، فلا يجوز يأمل ولا مأمول ، إلا أن يُسمِعني الثقة أمل خفيفة الميم . كتبه أبو نزار النحوى .

قال ابن الشجرى : وأجاب عنه الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد :
وَأَمَّا أَمَلٌ يَأْمُلُ ، فهو آمل ، والمفعول مأمول . فلا ريبَ في جوازه عند العلماء
وقد حكاه الثقات ، منهم الخليل وغيره ، والشاهد عليه كثير . قال
بعض المعمرين^(٢) :

المسرءُ يَأْمُلُ أنّ يعي شَ وطولُ عيشٍ قد يضرُّه
وقال الآخر^(٣) :

ها أنا ذا آمِلُ الخلودَ وقد أدركَ عَقْلِي ومَوْلِدِي حُجْرًا
وقال كعب بن زهير :

* والعفو عند رسول الله مأمولٌ *

وقال المتنبي ، وهو من العلماء بالعربية :

* حُرِّمُوا الذى أَمَلُوا^(٤) *

كتبه موهوب بن أحمد .

(١) في النسختين : « لم تنقل نقلهما » ، صوابه من أمالي الشجرى ٢ : ١١٧ .

(٢) هو النابغة الجعفى ، ديوانه ١٩١ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) هو الربيع بن ضيع . المعمرين ٧ ونوادر أبي زيد ١٥٩ .

(٤) يبدو أنه صدر بيت له ، فإن لم أجده في قوافي اللام .

وكتب على هامش الأمالى هنا أبو اليُمن الكندى البغدادي : قد جاء
أمل مخففاً ماضياً في شعر ذى الرمة ، وهو قوله :

إذا الصيفُ أجلى عن تَشَاءٍ من النَّوى

أَمَلْتُ اجْتِمَاعَ الحَيِّ في صيفِ قَابِلٍ^(١)

ولا غَرَوْ أَنْ لا يحضر الشاهد للإنسان وقتَ طلبه .

وهذا البيت ذكره أبو حنيفة الدينورى (في كتابه في الأنواء) ،
وذكره ابن جني (في الخاطريات) . وهو في ديوان ذى الرمة مشهور . اهـ .

وأجاب ابن الشجرى بقوله : وأما قوله في أمل وآمل ، أنهما لا يجوزان
عنده ، لأنه لم يُسمع في الماضى منهما أمل خفيف الميم ، فليت شعرى
ما الذى سَمِعَ من اللغة ووعاه حتى أنكر أن يفوته هذا الحرف ،
وإنما يُنكر مثلَ هذا مَنْ أنعم النظر في كتب اللغة كلها^(٢) ، ووقف
على تركيب أمل^(٣) (في كتاب العين للخليل) ، و (كتاب الجمهرة لابن
دريد) ، و (المجمل لابن فارس) ، و (ديوان الأدب للفارابى) ،
و (كتاب الصحاح للجوهري) ، وغير ذلك من كتب اللغة . فإذا وقفَ
على أمّهاتِ كتبِ هذا العلم التى استوعبَ كلُّ كتاب منها اللُّغة أو
مُعظمها ، فرأى أن هذا الحرف قد فات أولئك الأعيان ، ثم سَمِعَ قول
كعب بن زهير :

(١) التشاءى : التفرق والاختلاف . ومنه قوله :

لعمري لقد أبقت وقيعة راھط لروان صدعاً بيننا متشائياً
وفى ط : « عن شتاء » ، وفى ش : « تناء » ، وصواب الرواية من الديوان ٤٩٤ .
ورواية الديوان أيضاً : « أملنا » بضمير الجماعة .

(٢) ط : « فى كتب العربية كلها » ، وأثبت ما فى ش وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٢٢ .

(٣) هذا رسم ش وأمالى ابن الشجرى ، ورسمت فى ط : « أمل » .

* والعضو عند رسول الله مأمول *

سَلَّمَ لكعب وأذعنَ له صاغراً ، فكيف يقول من لم يتولَّج سمعه عشرة أسطرٍ من هذه الكتب التي ذكرتها : لم أسمع أَمَل ، ولم أَسَلِّمْ أَنْ يقال مأمول . وأَمَّا قوله : إِنَّهُ لا يجوز يَأْمُل ولا مأمول إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي الثقة أَمَل ، فقولُ من لم يعلم بأنَّهم قالوا فقير ولم يقولوا في ماضيه فَقَر ولم يأت فعله إِلَّا بالزيادة ، أَفْتَرَاهُ يُنْكَرُ أَنْ يقال فقير ، لَأَنَّ الثقة لم يُسمعه فَقَر ؟ ! ولعلَّه يجحد أن يكونوا نطقوا بفقير وقد ورد به القرآن في قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتُ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾^(١) . وهل إنكار فقير إِلَّا كإنكار مأمول ، بل إنكار فقير عنده أوجب ، لَأَنَّهُمْ لم يقولوا في ماضيه إِلَّا افتقر ، ومأمول قد نطقوا بماضيه بغير زيادة . انتهى كلام ابن السجري .

وقد نقل ابن هشام (في شرح هذه القصيدة) السؤال والجوابين باختصار ، ثم قال : ومن الغريب أَنَّ هذين الإمامين لم يستدلَّا على مجيء آمل بالبيتين في هذه القصيدة ، أحدهما البيت الشاهد ، وثانيهما قوله :

* وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آملُهُ^(٢) *

بل تكلف ابن الجواليقي وأنشد قولَ شاعرٍ آخر .

وقول ابن السجري إِنَّهُ لم يسمع فقر اعتمد فيه على كلام سيبويه والأكثرين . وذكر ابنُ مالكٍ أَنَّ جماعة من أئمة اللغة نقلوا مجيء

(١) الآية ٢٤ من سورة القصص .

(٢) مجزه كما في ديوان كعب وشرح بانث سعاد ٧١ :

* لا أَلْفَيْتُكَ إِنِّي عَنْكَ مشغول *

ويروى : « لا ألْهَيْتُكَ » .

فقرٌ وفقرٌ، بالضم والكسر ، وَأَنَّ قولهم في التعجب ما أفقره مبنًى على ذلك، وليس بشاذٍ كما زعموا . ١٠ هـ .

وقوله : (أن تدنو) سكنت الواو للضرورة، أو أهملت أن حملاً على « ما المصدرية » وهي مع مدخولها في تأويل مفرد منصوب، تنازعه الفعلان، فأعمل الثاني وحذف مفعول الأول كما هو الأولى عند البصريين . و (مودتها) فاعل تدنو ، والضمير لسعاد . والمودة : مراعاة الصُّحبة . ١١

وقوله : (وما إخال) الواو للاستئناف، وكسرُ همزة إخال فصيحٌ استعمالاً شاذٌ قياساً ، وفتحها لغة أسد . وقوله : (لدينا منك تنويل) قال البغدادى : تنويل مبتدأ ولدينا خبره ، ومنك : حال من تنويل ، وكان صِفته فلماً تقدّمه صار حالاً منه . ومن فيه لابتداء الغاية . ولدى : ظرف مكان غير متمكّن بمنزلة عند ، لا يُجرُّ إلا بمن . وتنويل : تفعيل من النوال ، وهو العطاء ، وكأنّه كنى به عن وصلها . وفي منك التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . ١٠ هـ .

وجوّز ابن هشام ارتفاع تنويل بأحد الظرفين ، لاعتماده على النفي ، وتكون جملة إخال معترضة كقوله :

* ما خِلْتُنى زلتُ بعدكم ضَمِيناً ^(١) *

ولم يبيّن ما موضع الظرف الآخر من الإعراب، وجوّز أيضاً أن يكون كلّ منهما أو كلاهما خبراً عن تنويل، والمسوّغ إمّا تقدّم النفي ^(٢) ، أو

(١) في النسختين : « ظمناً » ، صوابه في شرح ابن هشام لبانت سعاد ٤٢ والعين ٢ : ٣٦٨ والتصريح ١ : ٢٤٩ ، واللسان (ضمن ١٢٩) . وعجزه :

* أشكو إليكم حوة الألم *

والضمين كالزمن بكسر الميم، وزناً ومعنى .

(٢) ط : « ما تقدم النفي » ، صوابه في ش .

تقدّم الخبر . وإذا قدر الطرفان خبرين قدر لكل منهما متعلق يخصّه .
 وإذا قدر الخبر الأول فالطرف الثاني إمّا متعلق به أو بمتعلّقه المحذوف
 على الخلاف المشهور في أنّ العمل للطرف أو للاستقرار . وإمّا حالٌ
 فيتعلّق بمحذوف ، وصاحبُ الحال إمّا الضمير المستتر في الطرف الأوّل ،
 لأنّ الصحيح أنّ الطرف يتحمّل ضميراً منتقلاً إليه من الاستقرار
 المحذوف . وإمّا نفس التنويل ، وعامله على هذا الاستقرار المقدّر
 لا الابتداء ، لأنّ الحال إنّما يعمل فيها الفعل أو شبهه أو معناه .
 وإذا قدر الخبر الطرف الثاني كان الطرف الأوّل متعلّقاً به ، وجاز تقديمه
 عليه للتّساع في الطّرف .

وكعب بن زهير صحابيٌ تقدّم نسبه في ترجمة والده في الشاهد كعب بن زهير
 الثامن والثلاثين بعد المائة^(١) .

وقال ابن عبد البر (في الاستيعاب) : كان كعبُ بن زهير شاعراً
 مُجوداً كثير الشعر ، مقدّماً في طبقة هو وأخوه بُجير ، وكعبُ أشعرهما ،
 وأبوهما زهير فوقهما . قال خلف الأحمر : لولا قصائدُ لزُهير ما فضّلتَه
 على ابنه كعب . ولكعب ابنٌ شاعر اسمه عُقبة ولقبه المضرب ، لأنّه
 شَبّبَ بامرأةٍ فضربه أخوها بالسيف ضرباتٍ كثيرة ، فلم يمت . وله
 ابنٌ أيضاً يقال له العوّام ، شاعر .

ومما يُستجاد لكعب قوله :

لو كنتُ أعجبُ من شيءٍ لأعجِبني

سَعَى الفتي وهو مخبوءٌ له القـَـبـلُ^(٢)

(١) الخزائن ٢ : ٣٣٢ .

(٢) ديوان كعب ٢٢٩ ، والشعراء ١٥٢ ، ومجموعة المعاني ٥ .

يسعى الفتي لأُمور ليسَ يُدرِكُها
 فالنفس واحدةٌ والهَمُّ منتشرٌ
 والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملٌ
 لا تنتهي العينُ حتَّى ينتهي الأثرُ
 ومما يُستجاد له أيضًا :

إن كنتَ لا ترهبُ ذمِّي لِمَا
 تعرفُ من صفحي عن الجاهل^(١)
 فاخشَ سُكوتي إذ أنا منصتٌ
 فيك لمسموعٍ خنا القائل
 والسَّامعُ الذمُّ شريكٌ له
 ومُطعمُ المأكولِ كالآكل
 مَقالةُ السَّوءِ إلى أهلِها
 أسرعُ من مُنحدرِ سائلٍ
 ومن دعا النَّاسَ إلى ذمِّه
 ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل

وسببُ إسلامِ كعبٍ وخبرُ هذه القصيدة مذكورٌ في كتب السِّيرِ
 والأخبارِ ، لا سيَّما في شرحِها للبغدادى وابن هشام .

١٢

(١) هذه الأبيات لم ترد في ديوانه . ونسبت في الأغاني ١٢ : ١٠ ولباب الآداب لأسامة
 ٣٦٠ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٥٥ إلى العتابي . ووردت في الحيوان ١ : ١٥ وجمع الجواهر ٤
 بدون نسبة . ووردت نسبتها إلى كعب هنا نقلا عن شرح بانت سعاد لابن هشام ٣ . ونسبت إلى
 محمد بن حازم الباهلي في زهر الآداب ٤٩٧ .

وملخصه على ما نقله البغدادى عن أبى عمرو بن العلاء : أَنَّ زهيراً قال لبنيه : إِنِّى رَأَيْتُ فى منامى سبباً دُلِّى من السماء إلى الأرض ، فمددت يدى لَأَتَنَاوَلَهُ ففَاتَنِى . فَأَوَّلْتَهُ بالنَّبِىِّ الذى يُبْعَثُ فى هذا الزَّمانِ وَأَنْنى لا أُدْرِكُهُ ، فمن أَدْرَكَه منكم فليؤمنْ به . فلَمَّا بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم آمن بُجَيْر بن زهير ، وأقام كعبٌ على الكفر والتَّشبيب بنساء المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن وَقَعَ كعبُ ابنِ زهير فى يَدِى لَأَقْطَعَنَّ لِسَانَهُ » .

وكتب كعب أبياناً أرسلها إلى بُجَيْر يوبِّخه على إسلامه ، فكتب بجير إلى كعب : إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَهْدَرَ دَمَكَ ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ وَلَقِيْتَهُ مُسْلِماً طَمِعْتَ لك فى النِّجَاةِ ، وَإِلَّا فَإِنِّى أَحْسِبُكَ لا تنجو ! فَاسْلَمْ كعبٌ وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأَنشَدَهُ هذه القصيدة ، فَأَمَّنَهُ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم وَأَجَازَهُ بُرْدَتَهُ الشَّرِيفَةَ التى بِيَعَتْ بالثَّمَنِ الجَزِيلِ ، حَتَّى بِيَعْتَ فى أَيَّامِ المنصور الخليفة بمبلغ أربعين أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وبقيت فى خزائن بنى العَبَّاسِ إلى أَنْ وَصَلَ الْمُغُولُ وجرى ما جرى . والله أعلمُ بحقيقة الحال .

• • •

وَأَنشُدْ بعده :

(إِنَّ من يَدْخُلُ الكِنِيسَةَ يَوْماً يَلْقَ فيها جَازِراً وَظِيَاءً)

على أَنَّ اسمَ إِنَّ ضمير الشَّانِ ، حذف لضرورة الشعر ، والتقدير إِنَّه من يَدْخُلُ إلخ .

وهذا البيت قد تقدَّم شرحه فى الشاهد الثامن والسبعين ^(١) .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد السبعمئة^(١) :

٧١٥ (ولستم فاعلين إخال حتى ينال أقاصي الحطب الوقود)

على أن إخال الملقاة وقعت مُعْتَرِضًا بها بين اسم الفاعل وهو فاعلين ، وبين معموله وهو حتى ، فإنها جارة بمعنى إلى متعلقة به . وينال منصوب بأن مضمرة بعدها .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات ستة لعقيل بن علفة ، أوردها أبو تمام (في الحماسة) ، وهي :

أبيات الشاهد (تنَاهَوْا وَاَسْأَلُوا ابْنَ أَبِي لَبِيدٍ

أَأَعْتَبَهُ الصُّبَارِمَةَ النُّجَيْدُ^(٢)

ولستم فاعلين إخال حتى

ينال أقاصي الحطب الوقود

وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعَتْ إِلَيَّ فِيهِ

لساني ، مَعَشَرٌ عَنْهُمْ أَذُودُ

ولست بسائل جاراء بيتي

أَغْيَابُ رِجَالِكِ أَمْ شُهُودُ

ولست بصادرٍ عن بيت جاري

صُدُورَ الْغَيْرِ غَمْرُهُ الْوُرُودُ

ولا مُلْتَمِئٌ لِدَى الْوَدَعَاتِ سَوَطِي

أَلَا عُبُهُ وَرَيْبَتُهُ أُرِيدُ^(٣))

(١) الحماسة ٤٠١ بشرح المازني و ١ : ٣٧٧ بشرح التبريزي ، واللاي ١٨٥ .

(٢) في هذا البيت إقواء في التصريح . وانظر العمدة ١ : ١١٦ .

(٣) في السمط : « ولا ألقى » . ويروي : « لأليه » . ويروي : « وربته أريد » . أي ربة ذي الودعات ، يعني أمه .

(في شرح التبريزي) : البيتان الأخيران لابن أبي نُمير القتالي ، من بني مُرة ، جاء بهما أبو تمام ضَلَّةً في هذه الأبيات وليستا منها . وكذا قال أبو عبيد البكري (في اللآلي شرح أمالي القتالي) . نقلنا عن أبي [الفضل ^(١)] الرياشي . قوله : « تناهَوْا واسألوا » الخ ، كلاهما فعل أمر من النَّهى والسُّؤال . والضُّبارمة ، بضم المعجمة بعدها موحدة ، هو الجريء على الأعداء . ويسمى الأسد ضُبارمة . ويقال : هو الأسد الوثيق الخلق الكثير اللحم . والتَّجيد : ذو النجدة ، وهو البأس والشدة . وأعتبه بمعنى أرضاه . وليس يريد الرضا ، ولكن يريد : هل جازيته بما فعل لي ؟ لأنه لما جنى عليه فكأنَّه استدعى شره كما يستدعى الرجلُ العُتبي من صاحبه . يقول : كفُّوا عَمَّا أنتم عليه من تهيج الشرِّ ، واسألوا هذا الرجل هل أرضاه الأسد القويُّ الشَّدِيدُ لَمَّا تحكَّك به ، وهل وفَّاه ما استحقَّه عليه ، كابن أبي لبيد ، كان أجدرَ منهم بأن ينال البُغية منه ، لشدة شكيمته وقوته فأخفق . يقول : سلوه عن وتره عنده هل نقضه ؟ ثم لينهكم ذلك عن الجرأة على مثلي .

وقوله : « ولستم فاعلين » الخ ، حذف مفعول فاعلين ، وهو ما دلَّ عليه في البيت قبله « تناهَوْا » كأنه قال : ولستم فاعلين التناهي . والوقود بالضم : إيقاد النار ، وبالفتح : الحطب . والأقصى : الأبعد . وهذا مثلٌ تمثَّل به في انتهاء الشر . يقول : لستم متناهين عَمَّا أكرهه منكم حتَّى يعمَّكم الشرُّ ويبلغَ البلاء أقصى المبلغ ، فيتعلَّى من الأقارب إلى الأبعد ، ومن السَّقيم إلى البرى . وذكر الحطب والوقود هنا مثلاً لتفاقم الشرِّ واتساع المكروه .

(١) ساقطة من النسختين ، وهو العباس بن الفرغ الرياشي ، تلميذ المازني في النحو وأستاذه في اللغة ، وروى عنه المبرد وابن دريد . توفي مقتولا سنة ٢٥٧ . إنباه الرواة ٣ : ٣٦٧ - ٣٧٣ وبغية الوعاة ٢٧٦ .

وقوله : « وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ » إلخ ، فيه تقديمٌ وتأخيرٌ ، وأصله :
وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ إِلَىٰ مَعْشَرٍ أَذُوْدُ عَنْهُمْ ، أى أَبْغَضُ الْأَشْيَاءَ
إِلَىٰ أَنْ أَهْجُوَ مَعْشَرَ الَّذِينَ يَلْزِمُنِي الذَّبُّ عَنْهُمْ ، فمن هنا نكرة موصوفة ،
وصفته الجملة التى هى وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ ، وقد فصل بينهما بقوله « إِلَىٰ »
وهو أَجْنَبِيٌّ مِنْهَا . وهذا فى الصَّنْفة أَقْرَبَ مِنْهُ فى الصَّلَة .

وقوله : « وَلَسْتُ بِسَائِلٍ » إلخ ، كنى فى البيت عن عِفَّتِهِ . يقول :
لَا أَكْلَمُ جَارِقِي لِأَنِّى أَصَوْنُهَا عَنِ الْكَلَامِ . ويجوز أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفاً
لِلَّذِى يَهْجُوهُ ، أى لَا أَغْنِمُ الْخُلُوةَ لِجَارَاتِ بَيْتِي فَاتَطَلَّبَ غَيْبَةَ رَجَالِهِنَّ
عَنْهُنَّ .

وقوله : « وَلَسْتُ بِصَادِرٍ » إلخ ، يقول : إِذَا دَعَانِى الْجَارُ إِلَىٰ بَيْتِهِ يَكْرَمُنِى
بِبِرِّهِ لَا أَصْدُرُ عَنْ بَيْتِهِ وَالطَّمْعُ فِى مَالِهِ بِحَالِهِ ، كما يصدر الْغَيْرُ عَنِ الْمَاءِ
وَقَدْ غَمَّرَهُ الْوَرُودُ . وَالتَّغْمِيرُ ^(١) كَالْتَصْرِيدِ ، وَهُوَ شَرِبٌ دُونَ الرِّىِّ ، وَمِنْهُ
الْغَمَرُ لِلْقَدَحِ الصَّغِيرِ . وَقِيلَ فِى غَمَرِهِ إِنَّهُ بِمَعْنَى أَرْوَاهُ مِنَ الْغَمْرِ وَهُوَ الْمَاءُ
الكَثِيرُ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : لَا أَتَهَالِكُ عَلَى طَعَامِهِ كَالْمَنْهُومِ الْخَسِيسِ الْهَمَّةِ ،
لَكِنِّى آكُلُ آكُلًا كَرِيماً . وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَوْجَهُ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ إِنِّى
لَا أَصْدُرُ عَنْ بَيْتِهِ وَنَفْسِى تَدْعُونِى إِلَىٰ صَاحِبَةِ الْبَيْتِ ، لِأَنِّى رَجَعْتُ
مُسْرِعاً حِينَ عَلِمْتُ بِمَكَانِ جَارِى عَنْهُ ^(٢) ، كَمَا يَفْعَلُ الْغَيْرُ إِذَا أَحْسَّ
بِالْقَانَصِ .

وقوله : « وَلَا مُلْقٍ لِّذِى الْوَدَعَاتِ » إلخ ، الْوَدَعَةُ : الْخَرَزَةُ تُعْلَقُ فِى
عُنُقِ الصَّبِيِّ ، أَى لَا أَشْغَلُ الصَّبِيَّ ذَا الْوَدَعَاتِ بِسَوْطِى ^(٣) وَأَنَا أُرِيدُ

(١) ط : « وَالتَّغْمِيرُ » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا فى النسختين ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى رَجَعْتُ مُسْرِعاً عَنِ الْبَيْتِ .

(٣) ط : « بِسَوْطِى » ، صوابه فى ش .

رَبِّتَهُ ، أَى رَبِيبَةً أُمَّهُ . وَيُرْوَى : « وَرَبَّتُهُ أُرِيدَ » وَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ أُمُّهُ
لَأَنَّهَا تَرَبُّهُ وَتَمْلِكُ أَمْرَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِذِي الْوُدَعَاتِ ابْنَ أُمِّهِ وَيُرِيدُ
بِرَبِّتِهِ مَوْلَاتِهِ . وَجُمْلَةُ أَلَاعِبِهِ حَالٌ .

وَعَقِيلُ بْنُ عَلْفَةَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُرَوَّانِيَّةِ ،
تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ^(١) .

• • •

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ عَشَرَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
شَوَاهِدِ سَيُوبِيهِ ^(٢) :

٧١٦ (وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَاتَيْنِ مَنِيتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطْطِشُ سِهَامُهَا)

عَلَى أَنَّ عِلْمَ نَزْلِ مَنْزِلَةِ الْقِسْمِ ، فَيَكُونُ جُمْلَةً لَتَاتَيْنِ جَوَابَ الْقِسْمِ
الَّذِي هُوَ عَلِمْتُ ، وَحِينَئِذٍ تَخْرُجُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ فَلَا تَقْتَضِي مَعْمُولاً
١٤ وَلَا تَنْصِفُ بِعَمَلٍ وَلَا تَعْلِقُ وَلَا إِغَاءَ .

وَهَذَا مَاخُودٌ مِنْ كَلَامِ سَيُوبِيهِ ؛ فَإِنَّهُ أَوْرَدَ هَذَا الْبَيْتَ فِي بَابِ
أَفْعَالِ الْقِسْمِ وَقَالَ : كَأَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ لَتَاتَيْنِ ، كَمَا قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ
لِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ . ا هـ .

وَيَجُوزُ أَنْ تَبْقَى عِلْمٌ هُنَا عَلَى بَابِهَا ، وَتَكُونُ مَعْلُوقَةً بِكَلَامِ الْقِسْمِ ،
فَيَكُونُ جُمْلَةً لَتَاتَيْنِ مَنِيتِي جَوَاباً لِقِسْمٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ : وَلَقَدْ
عَلِمْتُ وَاللَّهِ لَتَاتَيْنِ مَنِيتِي . وَجُمَلَتَا الْقِسْمِ وَالْجَوَابُ فِي مَوْقِعِ نَصْبٍ
بَعَلِمْتُ الْمَعْلُوقِ .

(١) الْخُرَازْمِيُّ ٤ : ٤٨١ - ٤٨٣ .

(٢) فِي كِتَابِهِ ١ : ٤٦٥ . وَانْظُرِ الْمُفْتَى ٤٠١ ، ٤٠٧ وَشَذُورُ الذَّهَبِ ٣٥٦ ، وَالْمَعْنَى

٢ : ٤٠٥ ، وَالتَّصْرِيحُ ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، وَالْمَعْمُوعُ ١ : ١٥٤ ، وَالْأَشْمُوفُ ٢ : ٣٠ .

وإلى هذا ذهب ابن النازم (في شرح الألفية) قال : ومنها ، أى من
المعلقات ، لام الابتداء والقسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾^(١) ، وكقول الشاعر :

ولقد علمتُ لَتَاتَيْنِ منبئى البيت

وقرّره ابن هشام (في شرح شواهد) ، وجوّز الوجه الأوّل أيضاً فيه ،
ثم قال : ويأتى الوجهان فى الآية الكريمة أيضاً .

والسابق إلى تجويز الوجهين فى الآية والبيت ابنُ جنى (فى سر
الصناعة) قال فيه : وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾^(١) الآية
فاللام فى لقد لامُ القسم ، وهو محذوف ، والتقدير : والله لقد علموا .
واللام فى لمن اشتراه لام الابتداء ، ومن بمنزلة الذى مبتدأ ، وصلته
اشتراه ، وماله فى الآخرة خبره ، والجملة فى موضع نصب بعلموا ،
كما تقول : قد علمت لزيد أفضل منك ، فلام الابتداء وهمزة
الاستفهام فى التعليق سواء . وهذا مذهب سيبويه . وذهب غيره إلى
جعل من شرطاً وجعل اللام فيه كالتى تعترض زائدة بين القسم والمقسم
عليه ، فالتقدير : والله لقد علموا لئن أخذتُ اشتراه ماله فى الآخرة من
خلاق . وفى جعل من للشرط بعض الضعف ، وذلك أنّ علموا تقتضى
مفعولها ، فإذا أوقعت القسم بعدها صار التقدير : ولقد علموا أحلف
بالله لئن اشتراه أحد . وإذا تأدّى الأمر إلى هذا قبّح أن تلى علمتُ
فعل القسم ، لأنّها وأخواتها إنّما يدخلن على المبتدأ والخبر .

فإن قلت : فعلام تجيز كون من شرطاً وقد قدّمت قبّح ذلك ؟

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

فالجواب أَنَّ جواز ذلك على أَنَّ تجعل علموا نفسها قَسَمًا . وقد استعملتها العرب بمعنى القسم . ومن أبيات الكتاب :

• ولقد علمت لتأتين مني •

فكأنه قال : والله لتأتين مني .

فإن قلت : فإذا جعلت علموا جارياً مجرى القسم ، وعندك أَنَّ اللام في لقد دالة على القسم المحذوف ، فكأنه عندك : والله لقد علموا ، وقولك لقد علموا جارٍ مجرى القسم ، فكيف يجوز على هذا دخول القسم على القسم ؟ أو لا ترى أَنَّ الخليل وسيبويه ذهبا في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا • وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ^(١) ﴾ أَنَّ جميع ما بعد الواو الأولى من الواوات إنما هو حرف عطف ، لئلا يدخل قسم على قسم فيبقى الأول منهما غير مجاب . فالجواب : أَنَّ ذلك إنما جاز في علموا من حيث كان إنما هو في معنى القسم ، وإيس قسماً صريحاً ، وإنما هو بمنزلة أشهد لقد كان كذا . فلاجل هذا جاز أن تكون ^(٢) (مَنْ) في ﴿ لَمَنْ اشتراه ﴾ شرطاً ، واللام في أولها مؤكدة للشرط . فاعرف ذلك . ا هـ .

والبيت نسه سيبويه (في كتابه) للبيد ، والموجود في معلقته إنما هو المصراع الثاني ، وصدره :

• صادفن منها غرة فأصبته •

والنون من صادفن ضمير الذئاب ، وضمير منها ضمير البقرة الوحشية ، والهاء في «أصبته» ضمير ولد البقرة . والمنية : الموت . وطاش السهم عن الرمية ، إذا وقع يمينه أو شماله ولم يصبه .

(١) الآية الأولى والثانية من سورة الشمس .

(٢) ط : « يكون » .

ولم يوجد للبيد في ديوانه شعر على هذا الرؤى غير المعلقة .
والله أعلم .

وأنشد بعده :

(..... وإننى قَسَمًا إليك مع الصُّدودِ لِأَمِيلُ)

على أن (لقد علمتُ) في البيت السابق منزل منزلة القسم ، فصار
كقوله : « قسما » في هذا البيت ، وهو بتقدير أقسم قسماً . وقوله : « لِأَمِيلُ » خبر
مبتدأ محذوف ، أى لأننا أميل ، والجملة جواب القسم .

وقد تقدّم مشروحاً في الشاهد التسعين^(١) . وأصله :

لِنِّى لِأَمْنَحَكَ الصُّدودَ وإننى قَسَمًا إليك البيت

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد السبعمئة ، وهو من
شواهد سيويه^(٢) :

٧١٧ (لقد عَلِمْتُ أَيَّ يَوْمٍ عُقْبَتِي)

على أنه يجوز رفع (أَيَّ) على الابتداء ، ونصبها على الظرفية .

قال سيويه (في باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذى يتعدى) :
وتقول : عرفت أَيَّ يوم الجمعة ، فتنصب على أنه ظرف لا على عرفت .
وإن لم تجعله ظرفاً رفعت . وبعض العرب يقول : لقد علمت أَيَّ يوم عقبتى .
وبعضهم يقول : أَيَّ يوم عقبتى . ٥١ .

(١) الخزانة ٢ : ٤٧ - ٥٥ حيث نسب البيت إلى الأحوص .

(٢) أورده سيويه في كتابه ١ : ١٢٢ ، وساقه مساق النثر لا الشاهد ، مسبوقة بقوله :

« وبعض العرب يقول » . وانظر المخصص ٧ : ١١٩ .

وظاهر سياقه إِنَّ هذا كلامٌ لا شعر ، ولهذا لم يشرحه أكثر شراح
شواهد ، ولم يورده أحد منهم في الأبيات إلا أبو جعفر النحاس ،
وقال بعده : لا أنشده ، قال بعضهم : أى حين ، إذا رُفِعَ فلانُ الاستِفهام
لا يفعل فيه ما قبله فيكون مبتدأ وخبره عقبتى . فإذا نصبت جعلته
ظرفاً ولم يعمل فيه علمت . ٥١ .

يعنى أن أياً اكتسبت الظرفية من حين ، لإضافتها إليه .
وأورده أيضاً ابن السيرافى (فى شرح أبياته) وقال : هو من رجز
الراجز ، وهو :

أَأَنْتِ يَا بَسِيطَةُ الَّتِى الَّتِى هَيَّيْنِيكِ فِي الْمَقِيلِ صُحْبَتِي ^(١)
لَقَدْ عَلِمْتُ أَيْ حِينَ عَقْبَتِي هِى الَّتِى عِنْدَ الْهَجِيرِ قَالَتْ
إِذَا النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ وَلَّتْ
وَبَسِيطَةُ : اسم أرض بين الكوفة وحزن بنى يربوع .

قال أبو محمد الأعرابي (فى فرحة الأديب) : وفيها يقول عدى
ابن عمرو الطائي :

لَوْلا تَوَقُّدُ مَا يَنْفِيهِ خَطُوهُمَا عَلَى الْبَسِيطَةِ لَمْ تُدْرِكْهُمَا الْحَدَقُ ^(٢)

(١) أنشد ياقوت هذا الشطر وسابقه فى رسم (البسيطة) بالتصغير ، ولكن مقتضى التفسير
التالى أن تضبط هيئة المكبر . وكذلك أنشده فى اللسان (بسط) مع تصريحه بأن اسم هذا المكان
فى الرجز يحتمل التصغير والتكبير . ورواية ياقوت : « قد هيئتك فى المقييل » . ورواية ابن منظور :
ما أنت يا بسيط التى التى أنذرنيك فى المقييل صحبتي
قال ابن سيده : « أراد يا بسيطة ، فرخم » . فهاتان لغتان فى اسم المكان « بسيطة »
بالتصغير مع التخفيف ، و « بسيطة » بالتصغير مع تشديد الياء ، ولغة ثالثة فى اللسان هى
« بسيطة » بلفظ المكبر ، وأنشد أيضاً فى تلك اللغة :

إنك يا بسيطة التى التى أنذرنيك فى الطريق إخوتي
(٢) أنشد ياقوت هذا البيت فى رسم (البسيطة) المكبر ، ولعله فى صفة الأتان والعير ،
أو النعامة والظلم .

وخطأ ابن السَّيرافي في قوله : البسيطة : الأرض المنبسطة الممتدة .
ثم رأيت ابن خلف أورد هذا الرجز ، وقال في مثال سيبويه :
أما نصبه فعلى قولك : في أيِّ الأوقات الاجتماعُ للصلاة ؟ ورفعهُ جيِّدٌ ، كأنه
قال : أيُّ الأيام يوم الجمعة ، والسَّبت مثل الجمعة . وإنما جاز النصبُ
في ذلك لأنَّ الجمعة فيها معنى الاجتماع ، والأصل في السَّبت الراحة ،
وهو فعل واقع في اليوم . [ولو قلت : اليوم^(١)] الأحدُ والاثنان ، إلى
الخميس لم يجز إلا الرفع . وليس للأحد معنى يقع في اليوم .

ثم قال سيبويه : وبعضُ يقول : لقد علمت أيَّ يوم عقيبى ، أنشدَه
نصباً ، وهذا البيت من الشعر ، وقد خلط بالكلام في الكتاب .

والشاهد فيه نصب أيَّ على الظرف . وعُقبى مبتدأ وأيُّ حين خبره ،
كأنه قال : أيُّ الأحيان اعتقاني ، يريد ركوب عُقبته . ورفعهُ جائزٌ
على ما قدمته . والبسيطة : الأرض المنبسطة الممتدة . « هَيَّيْنِيكِ صُحْبَتِي » :
هيَّبوني من ركوبكِ والسَّير فيكِ . والهجير : الهجرة . وولَّت النجوم
يعنى النجوم التي كانت في أوَّل الليل مرتفعة ، ولَّت : انحطَّت لتغيب .
يريد أن له عقتين : عُقبةً بالليل ، وعُقبةً بالنَّهار . انتهى كلامه .

وذهب بالبسيطة إلى معناها اللغوى . وقد ردَّه أبو محمد الأعرابي
وقال : إنها علمٌ لأرضٍ بعينها ، وعلمت بالبناء للمعلوم والتكلم . والعُقبة
بضم العين المهملة وسكون القاف ، وهو مضاف إلى الياء . قال صاحب
العباب : العُقبة بالضم : النَّوبة بالنون . تقول : تَمَّتْ عُقْبَتُكَ ، أي
نَوْبَتُكَ .

ولم أقف عليه بأكثر من هذا والله أعلم .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد السبعائة ^(١) :

(غَادَرْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ)

٧١٨

وهو قطعة من بيت ، وهو :

(غَادَرْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ مَا بَيْنَ قُلُوعِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ)

على أَنَّ (غَادَرَ) ملحق بصيَّر في العمل والمعنى ، إذا كان ثانياً المنصوبين معرفةً كما في البيت .

والمشهور في روايته : « وتركتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ » .

وقد استشهد به (في التفسيرين ^(٢)) على أَنَّ ترك في قوله : « وَتَرَكَهُمْ

فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ^(٣) » ، كما في البيت .

وترك في الأصل يتعدى إلى مفعول واحد لأنه بمعنى طَرَحَ و خَلَّى ، ثم ضُمَّنَ معنى صار ، إلا أن ما في البيت متعدي قطعاً إلى مفعولين ، لكون الثاني معرفة ، بخلاف الآية فإنَّ تَرَكَ فيها يحتمل أن تكون بمعنى الأصل متعدياً إلى مفعول واحد ، ويكون « في ظلماتٍ لا يبصرون » حاليين مترادفتين كما قاله ابن الحاجب .

والبيت من معلقة عنترة العبسي . وقبله :

أبيات الشاعر	لا مُعْنِي هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمَ	(وَمُدْجَجٍ كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ
	بِمَثْقَفِ صَدَقِ الْكُؤُوبِ مَقُومَ	جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
	لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمَ	فَشَكَّكَتُ بِالرُّمَحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ

(١) البيت من معلقة عنترة ، ولم أجد من استشهد به في النحو غيره .

(٢) انظر ما سبق في حواشي ٧ : ٤٨٥ .

(٣) الآية ١٧ من سورة البقرة .

وتركته جَزَرَ السَّبَاع (البيت

وقوله : « ومُدَجَّجٌ » أى ربّ مدجّج ، وهو التام السّلاح ، بكسر الجيم وفتحها .
والكُمَاةُ : الشُّجْعَان . والنِّزَالُ : المنازلة فى الحرب . وقوله : « لا مَعْن »
إلخ صفة ثانية لمدجّج . والإِمْعَانُ : المبالغة ، ومعناه لا يَمَعْنُ هرباً فيبْعُدُ ،
ولا هو مستسلم فيؤَسَّرُ ، ولكنه يُقَاتِلُ . ويقال معناه لا يفرّ فراراً بعيداً ،
إنما هو منحرفٌ لرجعةٍ أو كُرّةٍ يكرّها إذا طَرَدَ لِقَرْنِهِ . وأراد وصفه بالحزم
فى الحرب . وأراد أنّه وإن كان ^(١) بهذه الصّفة ، وكان ممّن تُكره منازلته ،
فإنّى ^(٢) لم أجبن عنه ولا هبته ، ولكننى أقدمت عليه .

وقوله : « جادت يداى » إلخ أى سبقت به الطعن ، لأننى كنتُ أحذقُ
منه . والثَّقَفُ : الرمح المقوّم . والصّدق ، بالفتح : الصّلب . وما بين
كلّ أنبوبتين كعب .

وقوله : « فشككت بالرّمح » إلخ . أى انتظمت ثيابه بالرّمح ،
يريد أنّ الرّماح مَوْلَعَةٌ بالكِرام ، لجرحهم على الإقدام . وقيل : معناه
كرمه لا يخلّصه من القتل المقدّر له .

وقوله : (وتركته جَزَرَ السَّبَاع) إلخ ، الجَزَرُ : جمع جزرة يفتح
الجيم والزى ، وهى الشّاة أو الناقة تنحر وتذبح . أى تركته لِحِمّاً
للسّبَاع . والنّوشُ : التناوُل . و (قُلّة رأسه) : أعلاه . و (المِعَصَم) :
موضع السّوار من الذراع . وكان الوجه أن يقول : ما بين قُلّة رأسه
والقَدَم ، فلم يمكنه للقافية . ويحتمل أنّه استعار المعصم لما فوق القدم
من السّاق ، لتقاربهما فى الخلقة .

(١) ط : « وأراد أنه كان » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « وإنى » ، صوابه فى ش .

وترجمة عنتره تقدّمت في الشاهد الثاني عشر من أوائل الكتاب^(١)

• • •

١٧

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد السبعائة^(٢) :

٧١٩ (سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِيَصِيدَحَ انْتَجَمِي بِلَالًا)

على أَنَّ الفعل التالى لاسم العين بعد سمع ، يجوز أن لا يكون بمعنى
النطق كما في البيت ، فَإِنَّ الانتجاع الترددُ فى طلب العُشب والماء ،
وليس قولاً ، والمسموع مطلقُ الصّوت سواء كان قولاً أو حركة ، فَإِنَّ
المشئ فيه صوتٌ تحريك الأقدام . وكذا الانتجاع ، هو طلب النّجعة ،
وهى مكان المطر إذا أجذبوا . والطلبُ إمّا بالسؤال وهو قول ، أو بالتردد
ذهاباً ومجيئاً وفيه حركات مسموعة .

والشارح المحقق مسبوق بهذا الاختيار .

وقال ابن مالك (فى التسهيل) : ألحقوا برأى العلميّة الحُلُميّة وسَمِعَ
المعلّقة بعين ، ولا يُخبر بعدها إلّا بفعلٍ دالٍّ على صوت . ٥١ .

وقال شيخنا الخفاجى (فى شرح درّة الغواص) و (فى أماليه) :
ذهب الرضى إلى أَنَّهُ لا يشترط ذكر مسموع بعد سمع ، وأنَّ اشتراطه
أكثرى . وهذا من القليل الوارد على خلافه . ٥١ .

وهذا مخالفٌ لصريح كلام الرضى . وقوله (فى أماليه) إنَّ قياس
سمعتك تمشى ، على سمعت أنك تمشى ، قياسٌ مع الفارق ، لأنَّه بتقدير
الباء ، وليس من هذا القبيل الذى يدخل على المبتدأ والخبر .

(١) الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) المقتضب ٤ : ١٠ والكامل ٢٥٩ والمقدّم ٣٣٣ والجمل ٣١٥ والموشح ٢٨١ ،
٢٨٢ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ وشرح درّة الغواص ٢٢٥ والتصریح ٢ : ٢٨٢ والأشعرونى
٤ : ٩٣ واللسان (صدح ٣٤٠ نجح ٢٢٥) وديوان ذى الرمة ٤٤٢ .

أقول : مراده أَنْ سَمِعَ في المثالين متعلّقه مطلقُ الصَّوت ، سواء كان من استعمالٍ واحد أو من استعمالين . فإنَّ سَمِعَ في أكثر استعمالاته متعلّقه الصَّوت ، ولا يُستعمل^(١) في غير مسموع ؛ فإنَّ اللفظة موضوعة له ، ولا يلزم الدّلالة على الصَّوت وضعاً ، بل يكفي الدّلالة عليه ولو التزاماً .

وقول الشارح المحقّق : « بنصب الناس » فيه ردٌّ على الحريري بإنكاره النصب ؛ فإنّه قال (في درّة الغوّاص) : ومن أوهامهم في هذا المعنى أنّهم ينشدون بيت ذي الرمة :

• سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا •

فينصبون لفظ النَّاسَ على المفعول ، ولا يجوز ذلك لأنَّ النصب يجعل الانتجاع ممّا يسمع ، وما هو كذلك . إنّما الصواب أن يُنشد بالرفع على وجه الحكاية . ١ هـ .

وقد تبع في هذا المبرد ، فإنّه قال (في الكامل) : قوله سمعت الناس ينتجعون غيثاً حكاية ، والمعنى إذا حُقِّقَ إنّما هو : سمعت هذه اللفظة ، أي قائلاً يقول : الناس ينتجعون غيثاً ، ومثل هذا قوله :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ : أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمُعَارُ^(٢)

فمعناه وَجَدْنَا هذه اللفظة . فقوله : « أَحَقُّ الْخَيْلِ » ابتداءً ، والمعار خبره . وكذلك الناس ابتداءً وينتجعون خبره . ومثل هذا في الكلام : قرأتُ : الحمد لله رب العالمين ، إنّما حكيت ما قرأت ، فهذا لا يجوز سواء .

(١) ش : « ولا تستعمل » .

(٢) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد .

وقد روى النصب في البيت جماعة ثقات ، منهم ابن السيد (في أبيات المعاني) ، ومنهم الفارقي (في شرح أبيات الإيضاح) ، ومنهم الزمخشري وغيره . وقد أوردته بالرفع الزمخشري أيضاً في أول سورة البقرة ، على أن جملة الناس ينتجعون محكي والحكاية إما بقول مقدر على مذهب من اشترط في الحكاية القول ، أو بسمعت على خلاف . وتقديره كثير . واعلم أن نحو سمعت زيدا يقول كذا ، اختلِف فيه : فعند الأخفش وأبي على الفارسي (في الإيضاح) وابن مالك ، وصاحب الهادي ^(١) ، وجَم غفير ، أنه يتعدى إلى مفعولين : الأول الذات والثاني الجملة المذكورة بعد .

١٨

قال البعلی (في شرح الجمل) : وأما سَمِعَ فَإِنَّ وَلِيَهُ مَا يُسَمِعُ تَعَدَّى إلى مفعول واحد ، تقول : سمعت الحديث ، وسمعت الكلام . وإن وليه مالا يسمع تَعَدَّى إلى مفعولين ، كقولك : سمعت زيدا يقول كذا . ولم يُجَزَّ بعضهم سمعت زيدا قائلاً ، إِلَّا أَنْ يعلِّقه بشيء آخر ، لأنَّ قائلاً من صفات الذات ، والذات لا تسمع . وأما قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ^(٢) ﴾ فعلى حذف المضاف ، تقديره : هل يسمعون دعاءكم . ولو جعل المضاف إلى الظرف مُغْنِياً عن المضاف جاز . ١ هـ .

قال (في شرح الهادي) : وفيه نظر ، فإنَّ الثاني من قولنا سمعت زيدا يقول ، جملة ، والجملة لا تقع مفعولاً إلا في الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر ، نحو ظننت ، وسمعت ليس منها ، بل الحقُّ أنه مما

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني ، صاحب تصريف العزى ، المتوفى سنة ٦٥٥ . وكتابه الهادي في النحو والصرف ، وشرحه وسمى شرحه الكافي . وقد قام بدراسة وتحقيقه محمود فجال سنة ١٣٩٨ في رسالة دكتوراه .

(٢) الآية ٧٢ من سور الشعراء .

يتعدَّى إلى مفعول واحد ولا يكون إلَّا ممَّا يسمع . فَإِنَّ عَدْيَتَهُ إِلَى غَيْرِ مَسْمُوعٍ فَلَا بَدْءَ مِنْ قَرِينَةٍ بَعْدَهُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مَا يَسْمَعُ فِيهِ . فَإِنَّ قُلْتَ : سَمِعْتَ زَيْدًا يَقُولُ ، فزَيْدًا مَفْعُولٌ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ ، أَيْ سَمِعْتَ قَوْلَ زَيْدٍ ، وَيَقُولُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . ٥١ .

وهذا النَّظَرُ غَيْرُ وَارِدٍ ، وَفِي كَلَامِهِمْ مَا يَدْفَعُهُ . كَذَا فِي التَّسْهِيلِ ، وَقَدْ نَقَلْنَا عِبَارَتَهُ .

فَعُلِمَ أَنَّ مَنْ قَالَ بِنَصْبِهَا مَفْعُولَيْنِ جَعَلَهَا مِمَّا يَدْخُلُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ، لِأَنَّ الْحَوَاسَّ الظَّاهِرَةَ لَمَّا أَفَادَتِ الْإِدْرَاكَ وَالْعِلْمَ ، إِذْ كَانَتْ طَرِيقًا لَهُ ، أَجْرَوْهَا مُتَجَرِّي رَأْيٍ وَعِلْمٍ لَذَلِكَ ، فَأَعْمَلُوهَا عَمَلَهَا .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى جَعْلِ الْجُمْلَةِ حَالًا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ ، وَصِفَةً بَعْدَ النِّكْرَةِ . قَالَ الْقَاضِي فِي تَفْسِيرِ : ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ^(١) ﴾ : صِفَةٌ مُصَحَّحَةٌ لِأَنَّ يَتَعَلَّقُ بِهِ السَّمْعُ ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي نِسْبَةِ الذِّكْرِ إِلَيْهِ . وَوَجْهُ كَوْنِهِ أَبْلَغُ إِيقَاعُ الْفِعْلِ عَلَى الْمَسْمُوعِ مِنْهُ ، وَجَعَلَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَسْمُوعِ مِبَالِغَةً فِي عَدَمِ الْوَاسِطَةِ بَيْنَهُمَا ، لِإِفْيَادِ التَّرَكِيبِ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهُ بِالذَّاتِ . وَضَمِيرٌ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى التَّعَلُّقِ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ فِي تَفْسِيرِ : ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ^(٢) ﴾ حَيْثُ قَالَ : أَوْقَعَ الْفِعْلَ عَلَى الْمُسْمِعِ وَحَذَفَ الْمَسْمُوعَ ، لِدَلَالَةِ وَصْفِهِ عَلَيْهِ . وَفِيهِ مِبَالِغَةٌ لَيْسَتْ فِي إِيقَاعِهِ عَلَى نَفْسِ الْمَسْمُوعِ ^(٣) .

وَقَالَ الْفَاضِلُ (فِي حَوَاشِي الْكَشَافِ) : فِي مِثْلِ هَذَا يُجْعَلُ مَا يُسْمَعُ صِفَةً لِلنِّكْرَةِ وَحَالًا لِلْمَعْرِفَةِ ، فَأَغْنَى عَنْ ذِكْرِ الْمَسْمُوعِ . لَكِنْ لَا يَخْفَى أَنَّهُ

(١) الْآيَةُ ٦٠ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ .

(٢) الْآيَةُ ١٩٣ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ .

(٣) ش : « عَلَى نَفْسِ الْمَسْمُوعِ » ، صَوَابُهُ فِي ط وَتَفْسِيرُ الْبَيْضَاوِيِّ ١ : ٢٥٢ .

لا يصح إيقاع فعل السماع على الرجل إلا بإضمار أو مجاز ، أى سمعت كلامه . وأنَّ الأوفق بالمعنى فيما جعل وصفاً أو حالاً أن يُجعل بدلاً بتأويل الفعل ، على ما يراه بعض النحاة : لكنه قليل في الاستعمال ، فلذا أثر الوصفية والحالية . ١ هـ .

وإنما كان البدل أوفقَ لأنَّه يستغنى عن التجوُّز والإضمار ، إذ هو حينئذٍ بدل اشتمال ، ولا يلزم فيه قصد تعلق الفعل بالمبدل منه حتَّى يحتاج إلى إضمار أو تجوُّز ، كما فى : سُلِبَ زيدُ ثوبه ، إذ ليس زيد مسلوباً . ولم يؤوِّله أحد لأنَّه غير مقصود بالنسبة ، بل توطئة لما بعده . وإبدال الجملة من المفرد جائز نحو : ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ﴾^(١) .

وفى شرح المغنى : المحققون على أنَّها متعدية إلى مفعول واحد ، وأن الجملة الواقعة بعده حال . وقال التفتازانى : أو بدل أو بيان بتقدير المصدر . ويلزم عليه حذف أن ورفع الفعل ، وجعله بمعنى المصدر بدون سابك ، وليس مثله بمقيس . وهذا ليس بوارد لأنَّه إشارة إلى أن بدل الجملة من المفرد باعتبار محصل المعنى ، لأنَّه سبكٌ وتقدير .

بقى لسميع استعمالات غير ما تقدّم ، وهى ثلاثة :

- ١٩ أحدها : أن تتعدّى إلى مسموع . وقد حقق السهيلي أن جميع الحواس الظاهرة لا تتعدّى إلا إلى مفعول واحد ، نحو : سمعت الخبر ، وأبصرت الأثر ، ومسست الحجر ، وذقت العسل ، وشممت الطيب .

ثانيها : تعليتها بإلى أو اللام ، وهى حينئذٍ بمعنى الإصغاء ،

والظاهر أنَّه حقيقة لا تضمين ، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴾^(١) . فان قلت : أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدث ، وسمعت إليه يتحدث ، وسمعت حديثه ، وإلى حديثه^(٢) ؟ قلت : المعدى بنفسه يفيد الإدراك ، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك . قال الجوهري : استمعت له ، أي أصغيت ، وتسمعت إليه ، وسمعت إليه وسمعت له . وأما قوله : سمع الله لمن حمده ، فإنه مجاز عن القبول .

ثالثها : تعديتها بالياء ، وهو معروف في كلام العرب ، ومعناه الإخبار ونقل ذلك إلى السامع . ويدخل حينئذ على غير المسموع ، وليست الباء فيه زائدة ، تقول : ما سمعت بأفضل منه . وفي المثل : «تسمع بالمعدي خير من أن تراه» : قابله بالرؤية لأنه بمعنى الإخبار عنه المتضمن للغيبة . وقال الحماسي^(٣) :

فإذا سمعتَ بهالكِ فتيقنَنَّ أنَّ السَّيْلَ سبيلُهُ فتزوِّد^(٤)
وقال آخر^(٥) :

صاح هل ريتَ أو سمِعتَ براع^(٦)
ردَّ في الضرع ما قرى في العِلاب

(١) الآية ٨ من سورة الصافات .

(٢) وإلى حديثه ، ساقطة من ش ، ثابتة في ط وتفسير الزمخشري ٢ : ٢٦٠ .

(٣) لم أعثر على هذا البيت في حاسة أبي تمام بشرح الرزوقي ، ولكنه ثاني بيتين في الحماسة بشرح التبريزي في أواخر باب المراتي ٣ : ١٢٤ ، وقبله :

إن المساءة للمرة موعِد
أختان رهن العثية أو غد

(٤) في النسختين : «فتيقن» ، والوجه ما أثبت من الحماسة .

(٥) هو إسماعيل بن يسار . الأغاني ٤ : ١١٩ وشرح شواهد الشافية ٣١٦ . والبيت

في اللسان (رأى ٤) بدون نسبة ، وكذلك في (علب ١١٩) ، وقال : « ويروى في الحلاب » ، وبذلك ورد في اللسان (حلب ٣١٩) .

وقال رببعة بن مقروم :

وقد سمعتُ بقوم يُحَمِّلُون فلم

أَسْمَعُ بِمَثَلِكَ لَا حِلْمًا وَلَا جُودًا^(١)

وإنما أطلتُ الكلامَ في هذه الكلمة لأنَّ الشارحَ المحقِّقَ أوجزَ فيها
كلَّ الإيجاز .

والبيت من قصيدة لذى الرِّمَّة ، مدح بها بلالَ بنَ أَبِي بُرْدَةَ بنِ صاحبِ الشاهد
أبي موسى الأشعري . وبعده :

(تُنَاخِي عِنْدَ خَيْرِ فِتْيِ إِمَانِ)

أبيات الشاهد

إِذَا النُّكْبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمَالَا^(٢)

نَدَى وَتَكَرَّمَا وَلُبَابَ لُبِّ

إِذَا الْأَشْيَاءُ حَصَلَتِ الرَّجَالَا^(٣)

وَأَبْعَدِهِمْ مَسَافَةً غَوْرَ عَقْلِ

إِذَا مَا الْأَمْرُ ذُو الشُّبُهَاتِ عَلَا)

وهي قصيدة طويلة جداً ، وسيأتى إن شاء الله بيتٌ منها أيضاً في
أفعال المدح والذم .

وقوله : (سمعت النَّاسُ) الخ الغيث : المطر ، وأراد به ما يحصلُ
بسببه من الكلالِ والخِضْب . و (صَيَدَحَ) بإهمال الطرفين : اسم ناقةٍ
ذى الرِّمَّة . و (بلال) هو المدح ، وتقدَّمت ترجمته في الشاهد الستين
بعد المائة^(٤) . قال المبرد (في الكامل) : وكان بلالٌ داهيةً لقيناً أديباً .

(١) الفضليات ٢١٤ والأغاني ١٩ : ٩١ من قصيدة يمدح بها مسعود بن سالم بن أبي سلمى .
وربعة هذا من مخضرمي الجاهلية والإسلام . (٢) ديوان ذى الرمة ٤٤٢ .

(٣) والأساس (حصل) : « أى ميزت خيارها من شرارها » .

(٤) الخزائن ٣ : ٣٥ .

ولما سَمِعَ قوله « سمعت الناس » البيت قال لغلّامه : مُرْ لها بقتْ ونَوَى .
أراد أَنَّ الرِّمَّةَ لا يُحسِنُ المَدَحَ . ١ هـ .

وروى المَرْزِبَانِي (فى المَوْشَح) عن أَبِي عبيدة أَنَّ بلالا قال : يا غلام
اعْلِفْ ناقته فَإِنَّه لا يُحسِنُ أَنْ يَمْدَحَ . فلما خرج ذو الرِّمَّةَ قال له أبو عمرو
وكان حاضراً : هَلَّا قُلْتَ له إِنَّمَا عَنَيْتُ بِانتِجَاعِ النّاقَةِ صاحبَهَا كما
قال الله عز وجل : ﴿ واسأل القرية التى كُنَّا فيها ^(١) ﴾ يريد أهلها . وهَلَّا
أَنشَدْتَهُ ^(٢) قول الحارثي :

وقفتُ على الدِّيارِ فكلَّمْتَنِي فما مَلَكْتَ مدامعَهَا القَلُوصُ ^(٣)
يريد صاحبها ، فقال ذو الرمة : يا أبا عمرو ، أنت مفردٌ فى
عِلْمِكَ ، وأنا فى عِلْمِي وشعرى ذو أشباه . ١ هـ .

وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : ولما أَنشد هذا الشعرَ
بلالاً قال : يا غلامُ مُرْ لصيدحَ بقتْ وعلفْ ، فَإِنَّمَا هِيَ انتَجَعَتْنَا . وهذا
من التّعَنُّتِ الذى لا إِنْصَافَ معه ، لِأَنَّ قوله انتَجَعِي إِنَّمَا أراد نفسه .
ومثله فى كتاب الله تعالى : ﴿ واسأل القرية التى كُنَّا فيها والعيرَ التى
أَقْبَلْنَا فيها ^(٤) ﴾ ، وإِنَّمَا أراد أهل القرية وأهل العير .

٢٠

وقوله : « إِذَا النُّكْبَاءُ » إلخ قال المبرد (فى الكامل) : النُّكْبَاءُ : الريح
التي تَأْتِي من بين ريحين ، فتكون بين الشمال والصبأ ، أو الشَّمال والدَّبُور ،
أو الجنوب والدَّبُور ، أو الجَنُوب والصبأ . فإذا كانت النُّكْبَاءُ تناوَحُ

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

(٢) ط : « وقد أَنشَدْتَهُ » ، صوابه من ش والمَوْشَح ٢٨٢ .

(٣) ط : « القلوصا » ، صوابه فى ش والمَوْشَح .

(٤) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

الشَّامَلُ فَهِيَ آيَةُ الشَّاءِ . ومعنى تَنَاوَحَ تُقَابِلُ ، يقال تَنَاوَحَ الشَّجَرُ ،
إِذَا قَابَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا . وزعم الأصمعيُّ أَنَّ النّاتحة بهذا سُمِّيَتْ ، لِأَنَّهَا
تَقَابِلُ صَاحِبَتَهَا . ٥١ .

يريد ذو الرمة أَنَّهُ يُعْطَى فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ الْجَدْبُ وَالْقَحْطُ
وَيُبْسُ وَجْهَ الْأَرْضِ .

وقوله : « نَدَى وَتَكَرَّمَا » تمييز لقوله : خَيْرَ فِتَى . وَحَصَلَتْ بِمَعْنَى مَيَّزَتْ
الشَّرِيفَ مِنَ الْوَضِيعِ .

والمسافة : الغاية . وعال : غلب . وذو الشبهات : ما اشتبه ولا
يُهْتَدَى لَهُ .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت في الشاهد الثامن من أول الكتاب^(١) .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد السبعائة^(٢) :

٧٢٠ (إِذَا أَقْبَلْتَ قُلْتَ دُبَّاءَةً)

على أَنَّ (دُبَّاءَةً) ليست وحدها محكيّة بالقول ، بل هي خبر مبتدأ
محذوف ، أي هي دُبَّاءة ، والمجموع هو المحكيّ .

وهذا صلرٌ ، وعجزه :

(من الخَضِرِ مغموسةٌ في الغُدُرِ)

والبيت من قصيدة لامرئ القيس في وصف فرس . وقبله :

(لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ سِدْرُكْبَ فِيهِ وَظِيفٌ عَجِرٌ)

صاحب الشاهد

آيات الشاهد

(١) الخزائن ١ : ١٠٦ .

(٢) المعاني الكبير ٦٠ ، ١٦٧ وتصنيف العسكري ٢٢٣ والعمدة ٢ : ٢٠ ومجالس

العلماء ٩٥ وديوان امرئ القيس ١٦٦ .

لها تُنَنِّ كخوافي العُقا بِ سُوْدُ يَفِيْنِ إِذَا تَزِيْثُرُ^(١)
لها ذَنْبٌ مَثْلُ ذَيْلِ العُروس تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرِ
لها مَتْنَتَانِ خَطَايَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرُ
لها كَفَلٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيْلِ أَبْرَزَ عَنْهَا جُحَافٌ مُضِرُّ
لها مَنَجْرٌ كَوِجَارِ السَّبَاعِ فَمِنْهُ تُرِيحُ إِذَا تَنْبَهَرُ
وعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بَذْرَةٌ وَشَقَّتْ مَآقِيَهَا مِنْ أُخْرٍ^(٢)
إِذَا أَقْبَلْتُ قُلْتُ دُبَّاءَةٌ مِنْ الْخُضْرِ مَغْمُوسَةٌ فِي الْغُدْرِ
وإنْ أَدْبَرْتُ قُلْتُ أَثْفِيَّةٌ مُلْمَلَمَةٌ لَيْسَ فِيهَا أَثَرُ^(٣)
وإنْ أَعْرَضْتُ قُلْتُ سُرُوفَةٌ لَهَا ذَنْبٌ خَلْفَهَا مُسَبْطَرٌ

قوله: « مثل قعب الوليد » إلخ ، القَعْب بفتح القاف : قدح من خشب مقعر . وحافر مقعب مشبه به . والوليد : الصبي . يريد أن جوف حافرها واسع . وبيته عوف بن عطية بقوله :

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوليدِ لِي يَتَّخِذَ الْفَأْرُ فِيهِ مَقَارًا^(٤)

والمَقَار بالفتح : المَسْكَن . والوظيف من الحيوان : ما فوق الرُّسْغ إلى الساق ، وبعضهم يقول : مُقَدَّم الساق . وَعَجِرٌ ، بفتح المهملة وكسر الجيم ، قال في الصحاح : ووظيف عجرٌ ، بكسر الجيم وضمها ، أى غليظ .

(١) في الديوان ١٦٣ : « يَفْنُ بِالْهَمْز ، وفسره بقوله : « يعنى يرجعن بعد ازبترارهن إلى مواضعها » . ثم قال : « و يروى : يَفِيْن ، بلا همز ، من الوفاء » .

(٢) في الديوان ١٦٦ : « شَقَّتْ مَآقِيَهَا » بالحرم والإضافة إلى ضمير المثني .

(٣) الأثر ، بضمتين وبضمة واحدة : الأثر من الجراح ونحوها . ولم يفسره البغدادى .

(٤) الفضليات ٤١٤ وسمط اللام ٦٣٣ .

وقوله: « لها ثنن » الخ هو جمع ثُنَّة بضم المثناة وتشديد النون ، وهي
الشعرات التي في مؤخر رُسغ الدابة . وَيَفِينَ غير مهموز ، أى يكثرن . ٢١
يقال وَفَى شعره ، إذا كثر . يقول : ليست بمنجدة لا شعرَ عليها . وتزبِيرُ
تنتفش . والخوافي : ما دون الرِّيشات العَشْر من مقدّم الجناح .

وقوله : « لها ذنب مثل ذيل » إلخ دُبِرَ كلُّ شَيْءٍ : خَلْفُهُ ، وهو هنا حشَوُ
يغنى عنه ذكر الفَرْج . وقال الآملى عند قول البحتري :
ذَنْبٌ كَمَا سَجِبَ الرُّدَاءُ يَذِبُ عَنْ

عُرْفٍ ، وعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ^(١)
هذا خطأ من الوصف ، لَأَنَّ ذَنْبَ الفرس إذا مَسَّ الْأَرْضَ كان عَيْبًا ،
فكيف إذا سَحَبَهُ . وإنَّمَا الممدوح من الْأَذْنَابِ ما قَرُبَ من الْأَرْضِ ولم
يَمَسَّهَا ، كما قال امرؤ القيس :

كَمِيتٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ
بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ
وَالْأَعْزَلُ مِنَ الْخَيْلِ : الَّذِي يَقَعُ ذَنْبُهُ فِي جَانِبٍ ، وهو عادةٌ لَا خِلْقَةَ ،
وقد عِيبَ قَوْلُ امرئ القيس :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ الْبَيْتِ
وما أرى العيب يلحقه ، لَأَنَّ الْعُرُوسَ وإنْ كَانَتْ تَسْحَبُ أَذْيَالَهَا ،
وكان ذَنْبُ الْفَرَسِ إِذَا مَسَّ الْأَرْضَ عَيْبًا ، فليس بمنكر أَنْ يُشَبَّهَ بِهِ
الذَّنْبُ وإنْ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى أَنْ يَمَسَّ الْأَرْضَ ؛ لَأَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يُشَبَّهُ الشَّيْءَ إِذَا

(١) ديوان البحتري ١٧٤٦ تحقيق الصيرفي والموازنة ١٨٦ . وفي ط : « يذب عن
غوف » ، صوابه في ش وديوان البحتري والآملى .

قاربه ، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صحَّ التشبيه . وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة . ألا ترى أنه قال « تسدُّ به فرجها من دبر » . وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يمسُّ الأرض ولا يكون كثيفاً فلا يسدُّ فرج الفرس . فلما قال تسدُّ به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول . فإذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة وكان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب ، وإنما العيب في قول البحرى : « ذنبٌ كما سحِبَ الرِّداءُ » . فأفصح بأنَّ الفرس يسحب ذنبه . ومثل قول امرئ القيس قول خدّاش بن زهير :

لها ذنبٌ مثل ذيلِ الهدى إلى جُجُجٍ أَيْدِ الزَّافِرِ^(١)
والهدى : العروس التي تُهدى إلى زوجها . والأيد : الشديد . والزافر : الصدر ، لأنها تزفر منه ، فشبه الذنب الطويل السَّابِغَ بذيل الهدى وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمسَّ الأرض . ١ هـ .

وقوله : « لها متنتان » إلخ ، قال ابن قتيبة (في أبيات المعاني) ، عند قول أبي دُوَاد :

وَمَتْنَانِ خَطَّاتَانِ كَزُحْلُوفٍ مِنَ الْهَضْبِ^(٢)

يقال لحمه خطّاً بَطّاً ، إذا كان كثير اللحم صُلْبَةً . والزُحْلُوف : الحجر الأملس . قال امرؤ القيس : « لها متنتان خطّاتا » ، البيت . يقال هو خاظي البضيع ، إذا كان كثير اللحم مُكَنِّزَهُ . وقوله خَطَّاتَا ، فيه قولان :

(١) المعاني الكبير ١٤٩ .

(٢) ديوان أبي دواد ٢٨٨ والمعاني الكبير ١٤٥ والخيل لأبي عبيدة ١٥٨ والأصمعيات ٤١ .

أحدهما : أنه أراد خطانان ، كما قال أبو دُوَاد ، فحذف نون التثنية .
يقال مَتَنُ حَظَاةٍ ومَتْنَةُ حَظَاةٍ . والآخر : أنه أراد حَظَّتَا ، أى ارتفعتا ،
فاضطرَّ فزاد ألفاً . والقول الأول أجود . وقوله « كما أكبَّ على ساعديه
النمر » ، أراد : كأنَّ فوق مَتْنِهَا نَمْرًا بَارَكًا ، لكثرة لحم المتن . ١ هـ .

ولا يخفى أنَّ هذا لا وجهَ له ، والصَّوابُ ما قاله ثعلب ، أى فى صلابته
ساعد النمر إذا اعتمد على يده .

وقوله : « لها كفل » إلخ الصِّفَاةُ بِالْفَتْحِ : الصَّخْرَةُ الْمَلْسَاءُ . وَالْمَسِيلُ :
مَجْرَى السَّيْلِ ، شَبَّهَ كَفْلَهَا فى مَلَاستِهِ بِصِفَاةٍ فى مَسِيلٍ أَبْرَزَهَا السَّيْلُ
وَكَشَفَ مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنَ التُّرَابِ . وَالْجُحَافُ ، بضم الجيم بعدها مهملة :
السَّيْلُ الشَّدِيدُ . وَالْمُضَيَّرُ : الَّذِى يَضُرُّ بِكُلِّ شَيْءٍ يَمُرُّ عَلَيْهِ ، أَى يَهْدِمُهُ
وَيَقْلَعُهُ .

وقوله : « لها منخر كوجار » الخ الوجار بفتح الواو وكسرهما بعدها
جيم : جُحْرُ الضَّبِّ ، شَبَّهَ [به ^(١)] منخرها لسَعَتِهِ . وتُرِيحُ : تَسْتَنَشِقُ
الرَّيْحَ تَارَةً وتُرْسِلُهَا ، مِنْ أَرَاخَ . وَالْبُهْرُ بِالضَّمِّ : ضَيْقُ النَّفْسِ عِنْدَ الْجَرَى
والتَّعَبُ .

وقوله : « وعين لها حذرة » الخ بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين ، فى
الصَّحاحِ : وَعَيْنٌ حَذْرَةٌ ، أَى مَكْتَنَزَةٌ صُلْبَةٌ . وَعَيْنٌ بَذْرَةٌ أَى تَبْدُرُ
بِالنَّظَرِ ، وَيُقَالُ تَامَّةٌ كَالْبَدْرِ . وَأُخْرُ بِضَمَّتَيْنِ ، فى الصَّحاحِ : وَشَقٌّ ثَوْبِهِ
أُخْرًا وَمِنْ أُخْرَ ، أَى مِنْ مُؤَخَّرِهِ . وَأَنشَدَ الْبَيْتَ .

وقوله : (إذا أقبلت قلت دُبَّاءة) هي بضم الدال وتشديد الموحدة بعدها ألف ممدودة . قال أبو حنيفة (في كتاب النبات) : الدُّبَّاءُ : القرع ، واحده دُبَّاءة وقرعة . وأنشد البيت ، ثم قال : وإنما شبهها بالدُّبَّاءة لدقة مقدمها وفعامة مؤخرها . وقيل كذلك خلق الإناث من الخيل . وهذا في الإناث والذكور سواء ، يستحب من الخيل أن تطول ^(١) وتكون مآخبرها أعظم من مقاديمها . وامرؤ القيس وإن كان وصف فرساً أنثى هذا الوصف فقد وصف ابن مقبل ذكراً من الخيل ^(٢) . ١ هـ .

وقال المرزوقي (في شرح الفصيح) : يشبهون إناث الخيل بالدُّبَّاء ، وهي القرع ، والسَّلَاء وهو الشوك ، لأنها يُستحبُّ منها دقة المقدم وكثافة المؤخر ، وعلى هذا خلقة القرع والشوك . وأنشد البيت ثم قال : ويستحب من الذكور غلظ المقدم ودقة المؤخر ، ولهذا يشبهونها بالذئاب لكونها زلاً جمع أزل . ١ هـ .

وقال ابن قتيبة (في أبيات المعاني) : يقول : كأنها من بريقها قرعة ، وليس يريد أنها مغموسة في الماء ، ولكنه أراد أنها في رى ، فهو أشد للملاستها . وهذا كقولك : فلان مغموس في الخير . وقال بعضهم : إناث الخيل تكون في الخلقة كالقرعة ، يدق مقدمها ويعظم مؤخرها . ١ هـ . وقال العسكري (في كتاب التصحيف) عند قول امرئ القيس :

* مداك عرويس أو صراية حنظل *

(١) ط : « لطول أعناقها » ، صوابه في ش .

(٢) لم يذكر بيت ابن مقبل . وقد وجدته في ديوانه ٩٩ والمعاني الكبير ٦١ ، وهو :

كان دبابة شد الحزام بها في جوف أهوج بالتقريب والمضمر

وبعده :

فوج اللبان ولم تقعد تمامه معمرى القلادة من ربو ولا بهر

رواه الأصمعي : « صَراية » الصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان ، وهي الحنظلة الخَضراء ، وقيل هي التي اصْفَرَّت ، لأنها إذا اصْفَرَّت بَرَقَتْ ، وهي قبل أن تصفّر مغبرة . قال : ومثله .

* إذا أقبلت قلت دُبَاءة ^(١) *

أى من بريقها ^(٢) ، كأنها قرعة . ٥١ .

والأنثية : الحجر الذي يُنصب عليه القِدر . والسُرْعوفة ، بضم المهملتين ، قال الصاغاني (في العباب) : هي الجرادة ، ويشبه بها الفرس . وأنشد هذا البيت .

وقد أورد ابن رشيق (في العمدة) هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة في باب التقسيم ، قال : زعم الحاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأسعر الجعقي يصف فرساً ^(٣) :

أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يُكفِّف أن يُطيرَ وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٍ قَمَوْصُ الوقع عاريةُ النساءِ
أما إذا استعرضته مُتمطِّراً فتقول : هذا مثلُ سرحان الغصَا

(١) الذي في التصحيف : « إذا أعرضت » .

(٢) في أصل التصحيف : « من يرقها » ، وما هنا صوابه لا ما كتبه المحقق : « من يراها » .

(٣) في النسختين : « الأشمر » بالشين المعجمة ، وهو تحريف يقع كثيراً في الكتب القديمة ، صوابه بالسين المهملة . والأسمر لقب له ، واسمه مرثد بن أبي حمران الجعقي ، وهو شاعر جاهلي ، لقب بالأسمر لقوله :

فلا يدعى قومي لسعد بن مالك لأن أنا لم أسمر عليهم وأنقصب
المؤتلف ٤٧ والوسط ٧٤ والاشتقاق ٤٠٨ والمزهر ٢ : ٣٤٨ واللسان والتاج (سمر) . وسمر النار والحرب يسمرها سمرأ ، وأسمرها إسمارأ ، وسمرها تسميراً : أوقدها وهيجها . وانظر الأسمعيات ١٤٠ - ١٤٣ .

واختاره أيضاً قدامة ، وليس عندي بأفضل من قول امرئ القيس
إلا بشرف الصفات^(١) :

إذا أقبلت قلت دُبَاءَةً الأبيات الثلاثة

ولو لم يكن إلا بنسق هذا الكلام ببعضه على بعض ، وانقطاع ذلك
بعضه من بعض . ٥١ .

٢٣

وتقدمت ترجمة امرئ القيس في الشاهد التاسع والأربعين من
أول الكتاب^(٨) .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد السبعمائة^(٣) :

٧٢١ (تنادوا بالرحيلُ غداً وفى ترحالهم نفسى)

على أن جملة (الرحيلُ غداً) من المبتدأ والخبر محكية بقول محذوف
عند البصريين ، والتقدير : تنادوا بقولهم : الرحيلُ غداً . وعند الكوفيين
محكية بتنادوا ، فإنه يجوز عندهم الحكاية بما فى معنى القول ؛ فإن
تنادوا معناه نادى كلٌ منهم الآخر ورفع صوته بهذا اللفظ ، وهو :
الرحيلُ غداً .

وهذا البيت أنشده ابن جنى (فى سر الصناعة) وقال : أجاز أبو على
فى الرحيل ثلاثة أوجه : الجرُّ ، والرفع والنصب على الحكاية .
فكأنهم قالوا : الرحيلُ غداً ، أو نرحل الرحيلُ غداً ، أو نجعل الرحيلُ^(٤)
غداً ، أو أجمعوا الرحيلُ غداً . فحكى المرفوع والمنصوب . ٥١ .

(١) فى ط : « إلا شرف الصفات » ، صوابه فى ش والعمدة .

(٢) الخزائن ١ : ٣٣٠ .

(٣) المختص ٢ : ٢٣٥ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ والمقرب ١ : ٢٩٣ ودرة الفواص
١٠٩ والأشباه والنظائر ٤ : ١٦٦ .

(٤) فى التسخين : « ترحل الرحيلُ غداً ، أو تجعل الرحيلُ غداً » بالتاء فى الفعلين ،
صوابهما بالنون كما أثبت من سر الصناعة .

ونقله القايم بن علي الحريري (في درة الغواص) عن ابن جني ولم يَزده شيئاً^(١). والترحال: مصدرٌ جاء على التفعال بالفتح ، بمعنى الترحُّل. والنفس بسكون الفاء .

ولم أقف على هذا البيت بأكثر من هذا . والله أعلم .
ومثله ما أنشده الزمخشري (في الكشاف) ، قول الشاعر :
رجلان من ضبّة أخبرانا إنّنا رأينا رجلا عريانا^(٢)
قال : إنّنا بالكسر بتقدير القول عندنا ، وعندهم يتعلّق بفعل الإخبار .
* * *
وأنشد بعده :

(جاءوا بِمَذْقٍ هل رأيت الذئبَ قَطْ)
على أنّ جملة (هل رأيت الذئبَ قَطْ) محكية بقول محذوف ، تقديره
بمذقٍ مقول فيه : هل رأيت النخ .
وقد تقدّم شرحه في الشاهد السادس والتسعين من أوائل الكتاب^(٣)
وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد السبعائة ، وهو من
شواهد س^(٤) :

٧٢٢ (أَجْهَلًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ لَعَمْرُ آبِيكَ أَمْ مُتَجَاهِلِينَ)

(١) ط : « ولم تَزده شيئاً » ، والوجه ما أثبت من ش .
(٢) أنشده في الخصائص ٢ : ٣٣٨ شاهداً على إسكان ضمة الجيم في « رجلان » . وانظر معجم الشواهد .
(٣) الخزائن ٢ : ١٠٩ - ١١٢ .
(٤) في كتابه ١ : ٦٣ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٤٩ وابن يميّش ٧ : ٧٨ وشنور .
الذهب ٣٨١ والمعنى ٢ : ٤٢٩ والتصرّيح ١ : ٢٦٣ والمجم ١ : ١٥٧ والأشعشوني ٢ : ٣٧
وملحقات ديوان الكيت ٣ : ٣٩ .

على أنه فصل بالمفعول الثاني بين الهمزة وبين تقول :

قال سيبويه : واعلم أنَّ قلت إنَّما وقعت في كلام العرب على أنَّ يحكى بها ، وإنَّما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً ، نحو : قلت زيد منطلق ، لأنَّه يحسن أن تقول زيد منطلق ، وتقول : قال زيدُ إنَّ عمرًا خيرُ الناس . وكذلك ما تصرَّف من فعله ، إلَّا تقول في الاستفهام شبهوها بتظنَّ ولم يجعلوها كيظنَّ وأظنَّ في الاستفهام ، لأنَّه لا يكاد يُستفهمُ [المخاطبُ ^(١)] عن ظنِّ غيره ، ولا يُستفهمُ هو إلَّا عن ظنه . فإنَّما جعلت كتظنَّ كما أنَّ ما كليس في لغة أهل الحجاز ما دامت في معناها ، فإذا تغيَّرت عن ذلك أو قدَّم الخبرُ رجعت إلى القياس وصارت اللغات فيها كلغة بني تميم . ولم تُجعل قلتُ كظننت ، لأنَّها إنَّما أصلُها عندهم أن يكون ما بعدها محكيًا ، فلم تدخل في باب ظننت بأكثر من هذا . وذلك قولك : متى تقول زيدًا منطلقًا ، وأتقول ^(٢) عمرًا ذاهبًا وأكلَ يومٍ تقول عمرًا منطلقًا ، لا تفصل بها كما لم تفصل في أكلَ يومٍ زيدًا نضربه . وتقول : أأنت تقول زيدُ منطلق ، رفعت لأنَّه فُصل بينه وبين حرف الاستفهام ، كما فُصل في قولك : أأنت زيدًا مررت ^(٣) به ، فصارت بمنزلة أخواتها ، وصارت على الأصل ، كما قال الكميّ :

٢٤

أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ البيت

(١) التكلة من سيبويه .

(٢) ش : « وأقول » ، صوابه في ط .

(٣) في سيبويه : « أأنت زيد مررت به » برفع « زيد » . وهما وجهان جائزان ، والأرجح عند الفصل الرفع .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أَمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غِدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا^(١)

وإن شئت رفعت بما نصبت فجعلته حكاية . وزعم أبو الخطاب وسألته عنه غير مرة . أن ناساً يؤثق بعربيتهم ، وهم بنو سليم ، يجعلون باب قلت أجمع مثل ظننت . انتهى كلام سيويه .

قال الأعمى : الشاهد فيه على أنه أعمل تقولُ عملَ تظنُّ لأنها بمعناها ولم يُردَّ قولَ اللسان ، وإنما أراد الاعتقاد بالقلب . والتقدير : أتقول بني لؤى جهلاً ، أى أتظنُّهم كذلك وتعتقدُ فيهم ؟ فبني لؤى المفعول الأول ، ومتجاهلينا المفعول الثاني . وأراد بني لؤى جمهور قريش كلها .

وهذا البيت من قصيدة يفخر فيها على اليمن ، ويذكر فضل مضر عليهم فيقول : أتظنُّ قريشاً جاهلين أو متجاهلين حين استعملوا البانين في ولاياتهم ، وآثروهم على المضريين ، مع فضلهم عليهم . والمتجاهل : الذى يستعمل الجهل وإن لم يكن من أهله . ٥١ .

وقال ابن المستوفى : أنشده سيويه للكُميت ، ولم أره في ديوانه . والذى في ديوان شعره :

أَنوَاماً تَقُولُ بَنِي لؤى لَعَمْرُ أبِيكَ أَمْ مَتَنَاوَمِينَا
عَنِ الرَّأْيِ الْكِتَانَةِ لَمْ يُرْذَهَا وَلَكِنْ كَادَ غَيْرُ مُكَايَدِينَا

يقول : أتظنُّ أن قريشاً تغفل عن هجاء شعراء نزار ، لأنهم إن هجؤا مضرَ والقبائل التى منها هؤلاء الشعراء فقد تعرضوا لسب قريش ، فهم^(٢)

(١) ديوان عمر ٣٩٤ ، والعينى ٢ : ٤٣٤ .

(٢) ط : « فيهم » ، صوابه في ش .

بمنزلة من رمى رجلاً ف قيل : لم رميته ؟ فقال : إنما رميت كنانته ولم أرميه ، وكان غرضه أن يصيب الرجل . فيقول : من هجا بني كنانة وبني أسد ومن قرب نسبهم من قريش فقد تعرض لسب قريش . يحرض الخلفاء عليهم والسُّلطان . ٥١ .

وقول سيبويه : وإن شئت رفعت بما نصبت فجعلته حكاية ، قال المازني : غلط سيبويه فيه ، لأنَّ الرفع بالحكاية ، والنَّصَبُ بإعمال الفعل . وأجيب بأنَّ مراده : وإن شئت رفعت في الموضع الذي نصبت ، أو أنَّ الباء زائدة في المفعول .

وأقول : هذه القصيدة تقدَّم أبياتٌ منها في عدَّة مواضع ، وأوَّل ما مرَّ في الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب مع ترجمة الكميث^(١) وتقدَّم هناك سببُ نظمها . وهجا فيها الأعورَ الكلبيَّ فإنَّه هجا مضر ومدح أهل اليمن .

وتقدَّم بيتٌ منها في الشاهد الرابع والعشرين^(٢) .

وقوله : (لعمر أبيك) مبتدأ مضاف ، وخبره محذوف أي قسمي ، وجواب القسم محذوف أيضاً ، والتقدير : أجهلاً تقول بني لؤي أو متجاهلين ، لعمر أبيك لتخبرني . إلاَّ أنَّه قدَّم القسم واعترض به بين الفعل ومفعوله ، وحذف الجواب لدلالة الاستفهام عليه ، إذ معلوم أنَّ المستفهم يطلب من المستفهم منه أن يخبره عما استفهمه [عنه^(٣)] .

* * *

(١) الخزائن ١ : ١٣٩ - ١٤٧ .

(٢) الخزائن ١ : ١٧٨ - ١٨١ .

(٣) التكملة من ش .

الأفعال الناقصة

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السبعمئة^(١) :

٧٢٣ (فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالِ)

٢٥ على أَنَّ (صار) تامةٌ ونا فاعلها ، أَيْ رجعنا وانتقلنا . يقال : صار الأمرُ إلى كذا ، أَيْ رجَعَ . والحسنَى إمَّا اسمٌ مصدرٍ بمعنى الإحسان ، وإمَّا صيغة مؤنثٍ أحسن ، أَيْ إلى الحالة الحسنَى . و (رَقَّ) بمعنى لَطَفَ . و (رُضْتُ) فعل وفاعل مِن رُضت الدابة رياضة : ذَلَّتْهَا . وَصَعْبَةً مفعول رَضت . وَذَلَّتْ مِن ذَلَّت الدابة ذَلًّا بالكسر : سَهَلَتْ وانقادت ، فهي ذلول : وَذَلَّتْهَا بالثقليل في التعديّة وكذلك أَذَلَّتْهَا بالهمزة . وقوله (أَيْ إِذْلالِ) مفعول مطلق ، عامله رُضْتُ . قال الزجاج عند تفسير قوله تعالى ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ^(٢) ﴾ : منصوب على التوكيد ، محمولٌ على المعنى ، لِأَنَّ معنى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ^(٣) ﴾ : كتب الله عليكم هذا كتاباً ، كما قال الشاعر :

* وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالِ *

لأنَّ معنى رُضْتُ أَذَلَّتْ . ٥١ .

وهذا البيت من قصيدةٍ لامرئ القيس تقدّم بعضٌ منها في الشاهد صاحب الشاهد الثالث من أوّل الكتاب ، وبعضٌ منها في التاسع والأربعين . وقبله :

(١) المقتضب ١ : ٧٤ والمحتجب ٢ : ٢٦٠ وديوان امرئ القيس ٣٢ .

(٢) الآية ٢٤ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء .

(فلَمَّا تنازَعْنَا الحديثَ وَأَسْمَحَتْ

هَضَرْتُ بَغْضَنٍ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ)

وتنازعنا : تعاذبنا . وَأَسْمَحَتْ : وافقتْ على ما أريد منها . وهَضَرْتُ : جذبت وأملت . والباءُ في « بغضن » زائدة في المفعول . وأراد بالغضن قامتها . والشَّمارِيخُ ، إمَّا جمع شِمراخ بالكسر ، وإمَّا جمع شُمرُوخ كعصفور ، فإنَّهما يجمعان على شَمَارِيخ ، وهو ما يكون فيه الرُّطَب .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت في الشاهد التاسع والأربعين^(١)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السبعمئة^(٢) :

٧٢٤ (أَيْقَنْتُ أَنِّي لَأَمَحًا لَّةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ)

على أَنَّ (صار) فيه تامةٌ ، أى أَيْقَنْتُ أَنِّي منتقل حيث انتقل القوم . فصائرٌ خبر أَنَّ ، وصار بمعنى انتقل ، والقومُ فاعله .

و (لَأَمَحَالَةً) بفتح الميم : لا تغيير ولا تبديل ، وأنَّى بفتح الهمزة .

آيات الشاهد و (أَيْقَنْتُ) جوابٌ لَمَّا في البيت قبله ، وهو :

(فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَا بَى وَلَا مِنْ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيْقَنْتُ أَنِّي) البيت

(١) الخزائن ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٢) البيان ١ : ٣٠٩ والأغاني ١٤ : ٤٠ .

والقرون : جمع قرن بالفتح ، قال الزجاج : هو أهل كلِّ مَدَّةٍ كان فيها نبيٌّ أو طبقة من أهل العلم ، سواء قلَّت السُّنُونُ أو كَثُرَتْ .
 والوارد : جمع مورد ، وهو محلُّ الورود ، أى الإتيان . والمصادر : جمع مصدر ، وهو موضع الصُّدُور ، أى الانصرافُ والرُّجُوع . وغابر ، بالمعجمة : اسم فاعل من غَبِرَ بمعنى مَكَثَ وبَقِيَ ، وبمعنى مضى أيضاً فهو ضَدٌّ .

وهذه الأبياتُ لقُصِّ بن ساعدة . روى أهلُ السِّيرِ والأخبار ، بسندٍ صاحب الشاهد متصل إلى ابن عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ قال : قدم وفدٌ إِيَادٍ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَيُّكُمْ يعرفُ القُصَّ بنَ ساعدةِ الإِيَادِيَّ ؟ قالوا : كلُّنا نعرفه يا رسولَ الله . قال : فما فعل ؟ قالوا : هَلَكَ . قال : ما أنساهُ بعكاظَ على جملٍ أحمر وهو يقول : أَيُّهَا النَّاسُ ، اجتمعوا واستمعوا وعُوا . مَنْ عاش مات ، وَمَنْ مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ . إِنَّ في السَّمَاءِ لَخَبْرًا ، وَإِنَّ في الْأَرْضِ لَعِبْرًا . مهادٌ موضوع ، وسَقْفٌ مرفوع ، ونجومٌ تَمُورُ ، وبحارٌ لا تَغُورُ . أَقَسَمَ قُصٌّ قَسْمًا حَتْمًا ، لئن كان في الأمرِ رضا لَيَكُونَنَّ سَخَطًا . إِنَّ لِلَّهِ لَدِينًا هو أَحَبُّ إِلَيَّ من دينكم الذي أَنْتم عليه . مالى أرى النَّاسَ يذهبون ولا يرجعون ؛ أرضوا بالمقام فاقاموا ، أم تتركوا فناموا !

ثم قال : أَيُّكُمْ يروى شعره ؟ فأنشدوه :

في الداهيين الأوليـ ن من القرون لنا بصائرُ

إلى آخر الأبيات الخمسة .

وتقدِّمت ترجمة قُصٍّ في الشاهد الثاني والتسعين من أوائل الكتاب^(١)

• • •

وَأَشْدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ^(١) :

٧٢٥ (غَدَا طَاوِيًّا يِعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًّا)

على أَنَّ ابن مالك قال : (غَدَا) فعلٌ تامٌّ يكتفى بفاعله ، والمنصوب بعده حالٌ كما في البيت .

قال (في التسهيل) : والأصحُّ أن لا يُلحق بها غَدَا وراح .

قال شارحه ابن عقيل : خلافاً للزمخشري وأبي البقاء ، فالمنصوب بعدهما حالٌ لا خبر ، لالتزام تنكيره ، ومنه قوله عليه السلام : « تَغْلُو خِمَاصًا وَتَرْوِحُ بِطَانًا » ^(٢) . وبحث معه الشارح المحقق . وهذا صدرٌ وعجزه :

(يَخْوَتُ بِأَذْنَابِ الشُّعَابِ وَيَغْسِلُ)

صاحب الشاهد والبيت من القصيدة المشهورة بلامية العرب ، للشنفرى ، وقد تقدّم شرح أبياتٍ من أولها مع ترجمته في باب الاستثناء ، وفي باب الجمع . وقبله :

أبيات الشاهد (أَدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتِهِ)

وَأَضْرَبُ عَنْهُ الذُّكْرَ صَفْحًا فَاذْهَلْ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَى لَا يَرَى لَهُ

عَلَى مِنْ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مَتَطَوَّلٌ

وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّامِ لَمْ يُلَفَّ مَشْرَبٌ

يَعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَى وَمَا كُلُّ

وَلَكِنْ نَفْسًا مُرَّةً لَا تَقِيمُ بَسَى

عَلَى الذَّامِ إِلَّا رِيثَمَا أَتَحَوَّلُ

(١) لامية العرب وشروحها .

(٢) في نهاية ابن الأثير واللسان (خصص ، بطن) : « كالطير تغدو خصاصاً وترويح بطاناً » .
أى تغدو بكرة وهى جياح ، وترويح عشاء وهى مثلثة الأجواف .

وَأَطْوَى عَلَى الْخُمْصِ الْحَوَايَا ، كَمَا انْطَوَتْ
خُيُوطُهُ مَارِيٌّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ
وَأَغْدُو عَلَى الْقُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا
أَزْلُ تَهَادَاهِ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ

غدا طأويا (البيت

قوله : « أُدِيمُ مِطَالَ الْجُوعِ » إلخ المطال : مصدر ما طَّله بمعنى مطله
مِطْلُهُ مِطْلًا ، من باب قتل ، إذا سَوَّفه بوعده الوفاء مرَّةً بعد مرَّة . وضرب
عن كذا وأضرب عنه أيضًا : أعرض عنه تركًا أو إهمالًا . وصفحت عن
الأمْر : أعرضت عنه وتركته . وذَهَلَ عن الشيء يَذْهَلُ ، بفتحيتين ، ذُهِلَا
بمعنى غفل ، وقد يتعدى بنفسه فيقال ذَهَلْتُهُ ، والأَكْثَرُ أَنْ يَتَعَدَّى
بِالْأَلْفِ فيقال : أَذْهَلْنِي فَلَانٌ عَنِ الشَّيْءِ . وقال الزمخشري : ذَهَلَ عَنِ
الأمْرِ : تناساه عمدًا وسُغِلَ عنه . وفي لغة : ذَهَلَ يَذْهَلُ من باب تعب .
وجملة أُدِيمُ مُسْتَأْنَفَةٌ ، وَحْتَى بمعنى إلى متعلقة بأديم . وأضرب معطوفة
على أُدِيمُ ، وَأَذْهَلَ مَعْطُوفٌ عَلَى أَضْرَبُ لَا عَلَى أُدِيمُ ، لِأَنَّ الْفَاءَ لِلتَّرْتِيبِ
وَالْتَعْقِيبِ . وَالذَّكْرُ مَفْعُولٌ أَضْرَبُ وَصَفْحًا تَمْيِيزُ ، أَوْ مُصَدِّرٌ فِي مَوْضِعِ
الْحَالِ ، أَيْ مُعْرَضًا . يَقُولُ : أَقْوَى عَلَى رَدِّ نَفْسِي عَمَّا تَهْوَى وَأَغْلِبُهَا ،
وَأَذْهَلُ عَنِ الْجُوعِ حَتَّى أَنْسَاهُ .

٢٧

وقوله : « وَأَسْتَفُّ تَرْبَ » إلخ ، يقال سَفَفْتُ الدَّوَاءَ وَغَيْرَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
يَابَسِي أَسْفَهُ ، مِنْ بَابِ تَعَبٍ ، سَفًّا ، هُوَ أَكَلُهُ غَيْرَ مُلْتَوَتٍ . وَهُوَ سَفُوفٌ
مِثْلَ رَسُولٍ . وَاسْتَفَفْتُ الدَّوَاءَ مِثْلَ سَفَفْتِهِ . وَالطَّوْلُ : مُصَدَّرٌ طَالَ عَلَى
الْقَوْمِ يَطُولُ مِنْ بَابِ قَالَ ، إِذَا أَفْضَلَ عَلَيْهِمْ . وَتَطَوَّلَ : تَفَضَّلَ . وَكَيْ
إِمَّا بِمَعْنَى اللَّامِ حَرْفِ جَرٍ وَأَنْ مَضْمُورَةٌ ، أَوْ بِمَعْنَى أَنْ وَاللَّامُ مُقَدَّرَةٌ . وَفَاعِلٌ

يرى امرؤ ، وله متعلقة بيري ، ومفعول يرى محذوف أى شيئاً ، ومن الطَّوْل بيانٌ له ، وقيل نعت له . وعند الأَخفش المفعول هو الطَّوْل ومن زائدة ، وعلى متعلق بيري . ولا يجوز أن يتعلق بالطَّوْل ، لأنَّ المصدر لا يتقدّم معموله عليه . ويجوز عند الشارح المحقّق تعلُّقه به لأنّه ظرف .

وقوله : « ولولا اجتناب الدّام » الخ ، الدّام : العيب ، يُهمز ولا يهمز . ويُلفّ : يُوجد ، يتعدّى إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر . ومَشْرَبٌ نائب الفاعل ، وهو المفعول الأوّل في الأصل ، ويعاش به صفته . ولدى ظرف بمعنى عندي ، وهو متعلق بمحذوف على أنّه المفعول الثاني ووقع الحصر فيه . ومأكل معطوف على مَشْرَب ، أى لم يوجد مَشْرَبٌ يُعاش به ومأكل كذلك إلّا حاصلين لدى .

وأخطأ معرب هذه القصيدة^(١) في قوله : « ويعاش به نعتٌ لمَشْرَب ، والتقدير : إلّا هو لدى ، محذوف المبتدأ للعلم به ، ولدى خبره ، ومأكل معطوف على هو . ا هـ .

وخطؤه من وجهين ظاهرين للمتأمل .

وقوله : « ولكنّ نفساً » إلخ ، لكنّ هنا للتأكيد ، فإنّ ما بعدها مؤكّد لما قبلها من الصّفات ، وخبرها محذوف تقديره لى . ومُرّة صفة نفس بمعنى أبيّة كالمرّة ، فى أنّ كلّاً منهما ممتنع على مُتناوله . وروى : « حُرّة » بدل مُرّة . وجملة لا تقيم بى صفة ثانية لنفس ، أو استثنائية جواب سؤال مقدّر .

(١) لم يعين البغدادى اسم هذا المعرب هنا وكذلك فيما سأتى فى ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ بولاق .

وزعم مُعرب هذه القصيدة أَنَّ الجملة خبر لكنَّ . وتقيم ، من الإقامة في المكان وهو اللَّبْث فيه ، والباء في بي للمصاحبة على أَنَّها في موضع الحال . وقال مُعرب هذه القصيدة : بي متعلق بتقيم ، والمعنى تقيمني فهو مفعول به . ا هـ .

وهذا لا وجه له . وعلى متعلِّقة بتقيم . والاستعلاء هنا معنويٌّ نحو : ﴿لَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ^(١)﴾ ، ويجوز أن تكون للمصاحبة . ورِيثَ في الأصل مصدرُ راث ، أى أبطأ ، استعمل هنا للظرف الزماني ، أى إلّا بمقدار تحوُّل . فما مصدرية ، وقيل ما زائدة ، وقيل كافة . وقيل نصب ريثَ على الحال .

وقوله : « وأطوى على الخُصص » إلخ ، الخمص بالضم : مصدر خُمِصَ الرجلُ خُمُصًا فهو خميص ، إذا جاع ، مثل قَرُبَ قُرْبًا فهو قريب . كذا في المصباح . وقيل : الخُصص بالضم : الضمر ، وبالفتح : الجوع . وعلى هنا للمصاحبة ، متعلق بأطوى . والحوايا مفعول أطوى ، جمع حَوِيَّةٍ ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، وهي الأمعاء في الجوف . والخيوطة : جمع خيط ، والتاء لكثرة الجمع نحو : حجار وحجارة . وقال التبريزي : أتى بالهاء للتأنيث ؛ إذ كان بمعنى الجماعة . والماري : القتال ، وهو الذي يَقْتِلُ الحبال . وتُعَارُ : يُحْكَمُ قَتْلُهَا . يقال أغار القتل ، أى أبرمه وأحكمه . ومراده تُقْتَلُ وتغار . ولا يضرُّ التأخير ، فإن الواو لا تبدلُ على الترتيب . وقوله : « كما انطوت » الكاف نعتٌ لمصدرٍ محذوف ، وما مصدرية . ومصدر انطوت الانطواء ، وليس بمصدر أطوى ، وإنما المعنى أطوى الحوايا فتنطوى كأنطواء خيوطة القتال .

(١) الآية ١٤ من سورة الشعراء .

وقوله : « وأغدو على القوت » إلخ . غدا غُدُوًّا من باب قعد : ذهب غُدوة ، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في الذَّهاب أي وقت كان . كذا في المصباح . والغداة والغُدوة واحد ، كما في القاموس . وعلى هنا للتعليل بمعنى اللام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ^(١) ﴾ . والزهيد : القليل الذي يُزهد فيه . والكاف نعت لمصدر محذوف ، أي غدوا كغدوا الأزل ، والأزل : الذنب الأرسح ، بالمهمات ، أي القليل لحم الفخذين . والأزل لا ينصرف للوصف ووزن الفعل ، وكذلك أطحل . والذنب الأزل : الخفيف الوركين ، وهذه صفة لازمة له . قال التبريزي : الأزل : الأرسح ، وبه يوصف الذنب . ومن أمثالهم :

* لا أنسَ في الذنب الأزلَّ الجائع *

وقال بعضهم : قلت لأعرابي : ما الأرسح ؟ فقال : الذي لا أست له . ووصف رجل فارساً فقال : قاتله الله ، أقبل يزبرة الأسد ، وأدبر بعجز ذئب . وذلك أنه يُحمد من الفارس أن يكون أشعر الصدر ، وأن يكون ممسوح الاست كالذئب .

والتنائف : جمع تنوفة ، وهي الفلاة . ومعنى تهاده : تتخذ هدية ، كلما خرج من تنوفة ودخل في أخرى . وهو مضارع محذوف من أوله التاء ، وأصله تتهاداه . ويجوز أن يكون ماضياً ، وإنما لم يقل تهادته ^(٢) بالتأنيث لأنَّ التنائف مؤنث مجازي ، وجملة تهاده صفة أزل ، وكذلك

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة . أما الآية ٣٧ من الحج ففيها : « لتكبروا الله على ما هداكم » ، غير مسبوقة بالواو .

(٢) ط : « تهاده » ، صوابه في ش .

أطحل. وذنب أطحل وشاة طحلاء. والطحلة بالضم : لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل . وقال التبريزي : الأطحل : الذى لونه لون الطحجال .

وقوله : « غدا طاوياً » إلخ ، غدا يحتمل أن يكون بمعنى ذهب غدوة ، ويحتمل أن يكون بمعنى دخل فى الغدوة ، ويحتمل أن يكون بمعنى ذهب أى وقت كان مجازاً ، من باب استعمال المقيّد فى المطلق . فغدا على هذه الوجوه تكون تامّة ، وطاوياً يكون حالاً من ضمير غدا الراجع إلى أزل . ويحتمل أن يكون بمعنى يكون فى الغدوة ، فيكون غداً من الأفعال الناقصة ، وطاوياً يكون خبرها ، وغدا مع فاعلها المستتر استثنائية منقطعة عما قبلها ، ويجوز أن تكون الجملة صفة أخرى لأزل ، أو حالاً منه بتقدير قد . وطاوياً يحتمل أن يكون من طوى المتعدية المتقدمة ، أى طاوياً أحشاه على الجوع ، فالمتفعل محذوف بقرينة ما قبله ، يقال طوى الشيء طياً فهو طاوٍ . ويحتمل أن يكون من طوى يَطْوَى طَوًى من باب فرح ، أى جاع ، فهو طاوٍ وطوٍ وطَيَّانٌ ، والأنثى طياً وطاوية . وبهذا يضمحل قول المُعرب : وليس من قولك طوى يَطْوَى إذا جاع ، لأنَّ الاسم منه طوٍ مثل عمٍ وشجٍ ، مع أنَّه قال قبل هذا : وطاوياً يجوز أن يكون من طوى المتعدية . فنقض بكلامه الأخير ما قدّمه .

وقال التبريزي : يقول غدا طاوياً ، وطواه من الجوع ، كأنه طوى أمعاه عليه ، يقال رجل طاوٍ وطَيَّانٌ والأنثى طاوية وطياً^(١) ، والمصدر الطَوًى ، وهو خُمص البطن من أى شيء كان .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّه تخليط بين المعنيين .

(١) ط : « وطياء » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش .

« ويعارض الريح » أى يستقبلها فى عَرْضِها ، ويصادِمُها ؛ ومنه المعارضة بمعنى المخالفة . و« هافيا » يحتمل أن يكون من هفا الطائر بجناحه يهفو ، أى خَفَقَ وطار . ويحتمل أن يكون من هفا الظبي يهفو ، إذا اشتدَّ عذُوهُ ، ومصدره الِهْفُو على فعول . ويحتمل أن يكون من الِهْفُو وهو الجُوع ، يُقال رجل هافٍ أى جائع . وقال التبريزى : هافياً : يذهب يميناً وشمالاً من شدة الجوع . ويَخُوت ، بالخاء المعجمة والتاء المثناة أى يختل ويختلس ، يقال خات البازى واختات أى انقضَّ على الصيد ليأخذه . وقال القراء : يقال ما زال الذئبُ يختات الشاة ^(١) بعد الشاة ، أى يختلها فيسرقها . وإنَّهم يختاتون الليل ، أى يسرون ويقطعون الطريق . فجملة يعارض ويخوت وهافياً ، أخبارٌ أخر لغدا إن كانت ناقصة ، أو أحوال من ضمير طاويا ^(٢) ، أو أحوال متداخلة ، أو الجملتان صفتان للنكرة قبلهما . وتجاوز هذه الأوجه كلها ما عدا الأول ، إن كانت غدا تامة ، ويجوز حينئذ أيضاً أن يكون ^(٣) طاوياً مع ما بعده أحوالاً من الضمير فى غدا .

والباء فى قوله : « بأذئاب » بمعنى فى . وأذئاب : جمع ذئب بفتحيتين ، وذئب كل شئ : مؤخره . وذئابة الوادى ، بالكسر : الموضع الذى ينتهى إليه سبيله ، وكذلك ذئبه ، وذئابته أكثر من ذئبه . و« الشعاب » بالكسر : إمّا جمع شعب بالكسر أيضاً ، وهو الطريق فى الجبل ، وإمّا جمع شعبة بالضم ، وهو المسيل الصغير . وقال التبريزى : الشعاب : مسایل صغار . وأذئابها : أواخرها . ويعسل معطوف على يَخُوت ، بكسر السين من باب فرح . فى

(١) فى النسختين : « يختال » ، صوابه ما أثبت . وانظر اللسان (خوت) .

(٢) ش : « طاوى » ، وأثبت ما فى ط .

(٣) ش : « تكون » .

الصباح : والعسل والعسلان : الخَبَب . يقال عَسَلَ الذئب يَعْسِلُ عَسَلًا وَعَسَلَانًا ، إذا أَعْنَقَ وأسرع . وكذلك الإنسان . والذئب عاسل والجمع العُسل والعواسل . وعسل الرُمحُ عَسَلَانًا : اهتزَّ واضطرب ، والرمح عَسَالٌ . وقال التبريزي : وَيَعْسِلُ ، إذا مَرَّ مرًا سهلاً في استقامة . ومن ذلك يقال للرمح عَسَالٌ ، إذا تتابع عند الهزِّ ولم يكن كَرْأً . ومتعلَّق يَعْسِلُ محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبله ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد السبعائة ^(٢) :

٧٢٦ (يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ)

على أنَّ (يروح ويغدو) وإن كانا بمعنى يدخل في الرِّوَّاح والغداة فهما تَامَنان ، والمنصوب حال . وإن كانا بمعنى يكون في الرِّوَّاح والغداة فهما ناقصان .

وقد تقدَّم الكلام على يغدو . وأمَّا الرِّوَّاح فقد قال صاحب الصحاح : والرِّوَّاح : نقيض الصُّباح ، وهو اسمٌ للوقت من زوالِ الشَّمسِ إلى الليل . وقد يكون مصدرٌ قولك راح يروح رَوَّاحًا ، وهو نقيض قولك : غدا يغدو غَدُوًّا . هـ .

قال أبو سهل الهَرَوِيُّ : الصواب الرِّوَّاح : نقيض الغَدُوِّ . وقال صاحب المصباح : راح يروح رَوَّاحًا ، وتروَّح مثله ، يكون بمعنى الغَدُوِّ ، وبمعنى الرجوع . وقد طابق بينهما في قوله تعالى : ﴿ غَدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ﴾ أى ذهابها ورجوعها . وقد يتوهم بعض الناس أنَّ الرِّوَّاح لا يكون

(١) أى ويمسل بأذنان الشاب .

(٢) لامية العرب وشروحها .

إِلَّا فِي آخِرِ النَّهَارِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ الرِّوَّاحُ وَالْغَدُوُّ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْمَسِيرِ أَيْ وَقْتِ كَانَ ، مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ . وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مِنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ أَوَّلَ النَّهَارِ ^(١) فَلَهُ كَذَا » ، أَيْ مَنْ ذَهَبَ . ٥١ .

فقوله يروح إن كان بمعنى يرجع في الرِّوَّاح أو يرجع مطلقاً أي في أي وقت كان ، من باب استعمال المقيّد في المطلق مجازاً ، أو يدخل في هذا الوقت الذي هو الرِّوَّاح ، فالفعل تامٌّ . وإن كان بمعنى يكون في الرِّوَّاح فالفعل ناقصٌ ؛ لقوله ^(٢) يروح ويغدو . وإن كانا تامين فداهنًا حالٌ من فاعل أحدهما ، وهو ضميرٌ مستتر ، وتكون حال الآخر محذوفة . والأوّل أن يكون حالاً من فاعل يغدو . ولا يقدر ليروح حال . وداهن : اسم فاعل من الدَّهَن ، يقال دَهنت الشعر وغيره دَهْنًا من باب قتل . والدَّهْن : استعمال الدَّهْن بالضم ، وهو ما يُدَهَّن به من زيت أو طيب . وجملة « يتكحلّ » حال أيضًا إمّا من فاعل يغدو ، وإمّا من فاعل داهنًا . ويجوز أن يكون صفة لداهنًا . وإن كانا ناقصين فداهنًا خبر يغدو ، ويكون خبر يروح محذوفاً ، وجملة يتكحلّ إمّا خبر بعد خبر ، أو حال من ضمير داهن ، أو صفة له . ويجوز أن يكون داهنًا خبر يروح ، وجملة يتكحلّ خبر يغدو ، فلا حذف . وهذا أولى على تقدير النقص .

ويجوز أن يكون أحد الفعلين تاماً والآخر ناقصاً . فتأمل .

وهذا المصراع عجزٌ وصلُّه :

(ولا خالفٍ داريّة متغزل)

(١) في المصباح : « من أول النهار » .

(٢) ش : « فقوله » ، صوابه في ط .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أيضاً من لامية العرب . وقبله :

ولست بمهياف يعشئ سوامه مُجدعة سقبانها وهي بهل
ولا جباً أكهى مُربٌ بعريسه يطالِعها في شأنه كيف يفعل
ولا خرقٍ هينى كأن فؤاده يظلُّ به المُكائم يعلو ويسفل
ولا خالف دارية متغزلٍ يروح ويغثو داهناً يتكحل

قوله : « ولست بمهياف » إلخ. قال التبريزى : المهياف الذى يبعد بإبله طلب الرعى على غير علم ، فيعطشها ويئسها . و (فى العباب) : قال الأصمعى : رجلٌ مهياف : سريع العطش . وأنشد هذا البيت . (وفيه أيضاً) : وقال الليث : المهياف الذى قد هافت إبله . ويعشئ سوامه : يُطعمها عشاءها ، والعشاء : الطعام بعينه ، وهو خلاف الغداء ؛ وكلاهما بالفتح والمد . والسوام : المال الراعى ، اسم جمع لسائمة . ومجدعة بالجم والدال المهملة : اسم مفعول من جدعت الصبي تجديعاً ، إذا أسأت غذاءه . ويقال جدعته بالتخفيف من باب منع . وفيه لغة أخرى أجذعت الصبي إجداعاً . وجدع الصبي من باب فرح ، إذا ساء غذاؤه . وقيل المجدعة هنا : المقطعة أطراف الأذان ليُصرف عنها العين . وقال التبريزى : والمجدع : السيئ الغذاء ، والأصل فيه أن يطرح الراعى ولد الناقة على الضرع لتلد الناقة ، فإذا مَصَّ شيئاً واجتمع اللبن نحاه وحلب اللبن . والسقبان بالكسر : جمع سقب بالفتح . فى الصحاح : السقب : الذكر من ولد الناقة ، ولا يقال للأنثى سقبة ولكن حائل^(١) . والضمير المؤنث يرجع إلى السوام . قال التبريزى : وروى ثعلب : « سقباتها » بجمع المؤنث السالم . والمحفوظ الأول .

(١) هذا قول ، وفى قول آخر أن الأنثى سقبة ، كما فى اللسان والقاموس ، وفيها أيضاً أن الجمع سقبان بضم السين .

و «بُهَل» : جمع باهل . في العباب : وناقة باهلٌ : لاصرارَ عليها .
 وأنشد هذا البيت . وقال التبريزي : البُهَل : جمع باهلة وباهل ، وهى
 المخلاة لا يتعهدها راعيها . ويقال بهَل الرجلُ ، إذا مضى لا قيَمَ عليه .
 وأهلته ، إذا تركته مخلى . والباهلة أيضا : التى لا صرارَ عليها ، لترضعها
 أولادها فتكون أَسَمَن وأحسن . والباءُ فى قوله « بمهياف » زائدة فى خبر
 ليس . ويعشى صفة له ، وسوامه مفعول يعشى ، ومجدعة حال سبيبة
 لسوامه . وسبقانها نائب فاعل مجدعة ، وجملة وهى بُهَل حال من سوامه .
 وصَفَ الشَّنْفَرى نفسه بالجلادة وحسن التعهد لماله وجوده القيام عليه .

وقوله : « ولا جُبًّا أكهى » إلخ . الجُبًّا ، بضم الجيم وفتح الموحدة
 المشددة بعدها همزة ، على وزن سُكَّر : هو الجبان ، والخائف . والأكهى
 بالقصر ، قال التبريزي : هو الكدير الأخلاق الذى لا خيرَ فيه . وقال
 ثعلب : هو البليد ، مثل الكَهَام . والمُرب : اسم فاعل من أَرَبَّ بالمكان
 أى لزمه وأقام فيه ، والعرس ، بالكسر : الزوجة . يقول : لست أَسىءُ
 الرعية ولا أجبن ، ولا أقيمُ مع النساءِ وأشاورهنَّ فى أمورى . وجُبًّا بالجر
 معطوف على مهياف ، ولو عطف بالنصب على موضعه لجاز . وأكهى
 ومُرب وصفتان لجُبًّا . قال المُعرب : الباءُ فى بعُرسه بمعنى فى ، أى مقيم
 فى بيت عرسه . ويجوز أن تكون بمعنى على ، أى مقيم على عرسه .
 وجملة يطالها حال من الضمير فى مُرب ، وفى شأنه متعلق بيطالها .

وقوله : « ولا خَرَقٍ هَيْتِ » إلخ . هذا أيضا بالجر معطوف على مهياف .
 والخَرَق بفتح المعجمة وكسر المهملة بعدها قاف ، قال الزمخشري : هو
 المذهوش من الخوف . والهَيْتِ ، بفتح الهاء وسكون المثناة التحتية ،
 هو الظلم ، أى النعام فى نِفاره عند حدوثِ مروء . والمُكَّاء ، بالضم

والتشديد والمدة : طائر ، أى كأنَّ فؤاده على جناح طائر . وهذا تحقيق لجُبْنِه وتحيرُه .

وقوله : « ولا خالف داريَّة » ، هذا أيضاً بالجر للعطف على مهياف . والخالف ، بالخاء المعجمة : من لا خير فيه . وداريَّة بالجر صفة لخالف ، وهو المقيم في داره لا يفارقه . والتاء زائدة للمبالغة . والداري أيضاً : العطار . منسوب إلى دَارِيْن : فُرْضة بالبحرين ، فيها سوق كان يحمل إليها مسكٌ من ناحية الهند . قال الزمخشري : ويحتملها كلاهما : لأنَّ العطار يكتسب من ربح عطره فيصير بمنزلة المتعطر ، فالمعنى لست ممن يتشاغل بتطييب بدنه وثوبه . أو يلازم زوجته فيكتسب من طيبها . والمتغزل : الذى يغازل النساء . في الصحاح : مغازلة النساء : محادثتهن ومراودتهن . نقول : غازلْتُها وغازلْتُني ، والاسم الغزل . وتغزل ، أى تكلف الغزل . وجملة يروح صفة متغزل أو حال من ضميره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد السبعائة ^(١) :

٧٢٧ (بَتَيْهَاءٌ قَفْرٍ وَالْمَطْيُ كَأَنَّهَا

قَطَا الْحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فَرَاخًا بُيُوضُهَا)

على أَنَّ (كان) فيه بمعنى صار .

والتَّيْهَاءُ : المغازاة التى لا يُهْتَدَى فيها ، فَعْلَاءٌ من التَّيْه ، وهو التَّحْيِير . يقال تاهَ في الأرض يتيه تَيْهًا وتَيْهَانًا ، أى ذهبَ متحيرًا . والقفر : المكان الخالي . يصف المطيَّ بِسُرْعَةِ السَّيْرِ ، كأنَّها ^(٢) بمنزلة قَطَا تركت

(١) المعاني الكبير ٣١٣ وأسرار العربية ١٣٧ وابن يعيش ٧ : ١٠٢ والأشئوني ٢٣٠ : ١ واللسان (عرض ٤٩) ودبوان ابن أحر ١١٩ .

(٢) ط : « فليها » ، صوابه في ش .

بَيُوضًا صارت أفراخًا، فهي تمشى بسرعة إلى أفراخها . ومعنى كانت : صارت ، لَأَنَّ البَيُوضَ صارت أفراخًا ، لا أَنَّها كانت فراخًا . والقطا : طائر سريعُ الطَّيْران . والحَزَنُ بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غُلُظ من الأرض ، وهو ضدُّ السَّهْل ، وأضاف القطا إليه لَأَنَّهُ يكون قليلَ الماء ، فتكون قطاه أكثرَ عطشًا ، فإذا أراد الماء كان سريعَ الطَّيْران . قال الأصمعي ، ونقله ابن قتيبة (في كتاب أبيات المعاني) : أراد أَنَّها شربت من الغُدُر في الرَّبيع ، فإذا فرَّخت ودخلت في الصَّيف احتاجت إلى طلب الماء على بُعْد ، فيكون أسرعَ لطيرانها . وإنما تفرَّخ بيضها إذا جاء الحرَّ . فَأَرَادَ أَن يخبر عن سُرعة طيرانها عند حاجتها إلى الماء ^(١) .

٣٢

ووجب تقدير كان بصار هنا ليصحَّ المعنى ، ولو قدر بكان لفسد ، لكونه محالا .

ومثله قول شَمْعَلَةُ بن أَخْضَر ، من شعراء الحماسة

فخرَّ على الألاءة لم يُوسَّدْ وقد كان الدِّماءُ له خِماراً ^(٢)

قال ابن جنى (في إعرابه للحماسة) : كان هنا بمنزلة صار . أنشد أبو عليّ : بتيهاء قفر والمطى البيت ، أى صارت . وهذا وجهٌ من وجوه كانَ خفيٌّ . ا هـ .

ومثله قول رؤبة :

* والرأس قد كان له قَتِيرٌ ^(٣) *

(١) هذا النص مخالف لألفاظه في المعاني الكبير ، ولا يبدو أن يكون ترجمة وتعبيراً عن ألفاظ ابن قتيبة .

(٢) الحماسة ٥٦٧ بشرح التبريزي ، والمؤتلف ١٤١ .

(٣) ديوانه ١٧٤ وابن يميّش ٧ : ١٠٣ . ويروى : « شكير » .

أى صار .

وبقى وجه آخر لم يرتضه الشارح المحقق ، ولهذا لم يذكره ، وهو أن تكون كان على بابها ويُدْعَى القلب في الكلام ، ويكون الأصل : قد كانت فراخها بيوضاً ، كقول الآخر :

..... كما كان الزناء فريضة الرّجْم^(١)

أراد : كما كان الرّجْم فريضة الزنى .

وما اختاره الشارح المحقق هو مذهب ثعلب ، وأبى على ، وابن جني ؛ وهو الجيد ، لأن القلب لا يُصار إليه إذا وُجد وجه آخر .

وأما قوله : (بيوضها) فقد رواه ثعلب بضم الباء . ومثى عليه (في الإيضاح) مستشهداً به على أنه جمع بيض ، كبيت وبيوت ، وخالفه (في التذكرة) وجزم بأن بيوضها بفتح الباء بمعنى ذات البيض ، واستبعد رواية الضم ، وقال : فإن قلت ما تنكر أن يكون بيوضها بضم الباء ؟ فالقول في ذلك أنه يبعد وإن كانوا قد قالوا التّمور ، لاختلاف الجنس ، لأنّ البيض هنا ضرب واحد وليس بمختلف ، فلا يجوز أن يجمع . وهذا الاستبعاد مبني على أن يكون جمع بيض ، والصحيح أنه جمع بيضة ، كما أن مُثُوناً جمع مائة وهي السُرّة وما حولها ، لا أنه جمع بيض لعدم الاختلاف المسوّغ للجمع . وهذا أولى من الطعن في رواية ثعلب .

ويؤيد روايته قول بعض بني نمير :

يُضِلُّ القِطَا الكُنْزِي فيها بيوضه وَيَعْوِي بها من خيفة الهلك ذبيها^(٢)

(١) للناطقة الجعدى في ديوانه ١٣٥ ، وانظر معجم الشواهد . والبيت بتمامه :

كانت فريضة ما أتيت كما كان الزناء فريضة الرجم

(٢) في ط : « ويعدى بها » ، صوابه في ش .

وقول الجعدي :

* لهن أداحي به وبَيُوضُ ^(١) *

فإن قال قائل: هذا جعل بيوضاً جمع بيضة، كما جعل سخلاً جمع سخلة، ومثوئاً جمع مائة. فالجواب أن نقول: إنَّما جعل سخلاً جمع سخلة لا سخل، وإن كان باب كل واحد منهما أن لا يكسر، لأنَّ امتناع التكسر في أسماء الأجناس أقوى. ألا ترى أن أسماء الأجناس كلها لا يجوز تكسير شيء منها بقياس. وقد نصَّ على ذلك سيبويه في باب جمع الجمع. والآحادُ المخلوقة كلها يجوز تكسيرها بقياس، فيما عدا هذا الباب، فكان جعلُ سخال جمع سخلة أولى من جعلها جمع سخل لذلك. وأما بَيُوض فالذي أوجبَّ عليه أن يجعلها جمع بَيَض لا بيضة أنَّه رأى أن فُعولاً في جمع فَعَلَ مقيس، نحو فَلَسَ وفلوس؛ وفُعول في جمع فعلة، نحو بَذَرَة وبُدُور، غير مقيس، فيرجح عنده جعلُ بيوض جمع بيض لذلك. ومن ذلك صخور وتمر وأشباهه. وليس كذلك فَعَال فإنه جمع لفعلة وفَعَلَ بقياس، نحو جَنَان وكِلَاب. وجعل مثوئاً جمع مائة لما لم يُسمع مَان. وأما على قول أبي عليٍّ فلا بدَّ من تقدير مضاف، والتقدير: كانت بيوضها ذات أفراخ، ولا قلبَ في الكلام حينئذ، كما في صورة جَعَلَ كان بمعنى صار مع رواية الباء. وإنَّما يدعى القلب في صورة جَعَلَ كان على بابها مع رواية ضمَّ الباء.

٣٣

والقطا: ضربٌ من الطَّيْرِ، وهو نوعان: كُدْرِيٌّ وجَوْفِيٌّ. فالكُدْرِيٌّ غُيْرُ الْأَلْوَانِ رُقَشُ الظُّهُورِ والبُطُونِ، صُفْرُ الحُلُوقِ، قِصَارُ الْأَذْنَابِ.

(١) لم يرد في ديوان النابتة الجعدي.

والجَوْفِيُّ سُودُ البطونِ سُودُ بطونِ الأجنحةِ والقوادمِ ، بيضُ الصدورِ
غُبَرُ الظُّهورِ ، وفي عنقِ كُلِّ واحدٍ منها طَوْقَانِ : أصفرٌ وأَسودُ .

وقوله : (بتيهاء قَفَر) الجارُّ يتعلَّقُ بقوله : « والعيسُ تجرى غُرُوضُها »
في بيت قبله .

والبيت من أبيات لابن أحمَرَ ، وهى : صاحب الشاهد

(لَعَمْرِي لئن حَلَّتْ قُتَيْبَةٌ بِلَدَةٍ شَدِيدًا بِمَالِ الْمُقَحِّمِينَ عَضِيضُهَا
فَلَلِهَ عَيْنَا أُمَّ فَرَعٍ وَعَبْرَةٍ تُرْقِرُهَا فِي عَيْنِهَا أَوْ تُفِيضُهَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً صَحِيحَ السُّرَى وَالْعَيْسُ تُجْرَى غُرُوضُهَا
بَتِيهَاءَ قَفَرٍ وَالْمَطِيُّ كَأَنَّهَا قَطَا الْحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فَرَاخًا بَيُوضُهَا)

وفي شرحها : قُتَيْبَةٌ : بطنٌ من باهلة . والمُقَحِّمُونَ : الذين أقمحتهم
السَّنة ، وهى القَحْمَةُ بالضم ، أى القحط . وعَضِيضُهَا : عَضُّهَا . وصَحِيحُ
السُّرَى ، أى غير جائزٍ عن القَصْدِ ، فيكون أسرعَ لقصده لصحة سراه .
فتمنى أن يصحَّ سراه ويستقيمَ ليعجلَ إلى مقصده . وغُرُوضُهَا : أنساعها .
أى إنها قد أضمرت حتى قد كانت ، أى قد صارت . بيوضُهَا : جمع
البيض . انتهى .

ومعنى البيت أَنَّ المَطِيَّ براها السَّيْرَ وحملها على المتاعب ، حتَّى صارت
كالفرّاخِ فى الضَّعْفِ والهزالِ ، بعد ما كانت قويَّةً سِمَانًا كالذَّجَاجِ
البَيُّوضِ ، بإضافة الفِراخِ إليها . انتهى .

وهذا كلامٌ مَنْ لم يقف على الرواية . والتى فى عامة نسخ شعره :

أَرِيهِمْ سُهَيْلًا وَالْمَطِيَّ كَأَنَّهَا قَطَا الْحَزْنَ إلخ

قال شارحه : قوله أريهم سهيلاً ، يعنى أصحابه وإن لم يعجر له ذكر ،
لدلالة الحال عليه ، أى يريهم مَطْلَعَه الذى ببلاد أحبابه التى يقصدها ،
فهو يتمنى أن يصحَّ سُرَّاه إلى مقصده ليرىهم مطلعَ سهيلٍ ببلاد أحبابه^(١)
وتكون^(٢) المطى على الحال التى وصَّفها من قلق غروضها وأنساعها . لحثه
إيَّاهها على السرى الذى أهزلها^(٣) فقلقت أنساعها^(٤) . وشبَّهها بسُرعة القطا
التي فارقت فراخها لتحمل إليها الماء فتسقيها ، فهو أسرع لطيرانها .
وذلك كلام الشاعر على أنه أراد : يريهم سهيلاً من آخر الليل ، لأنَّ القطا
إنَّما تصير كما ذكر فى الصَّيف . وطلوع سهيل بالحجاز يكون عند
فتور الحرِّ ، فى عِشْرِى آب^(٥) من شهور الروم .

وقوله : (والمطى كأنَّها) حال من فاعل تجرى فى البيت المتقدِّم ،
على الرواية الأولى ، وصاحب الحال فى الرواية الثانية ضمير الجمع فى
أريهم سهيلاً . والعامل أرى ، كقولك : جئتكَ والشمس طالعة . وقوله :
(قد كانت) إلخ حالٌ من القطا ، والعامل ما فى كان من معنى التشبيه .
و (فراخاً) خبر مقدم لكان ، و (بيوضها) اسمها المؤخر .

وابن أحمر شاعر إسلامي مخضرم ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين
بعد الأربعمائة^(٦) .

* * *

(١) الكلام من « أحبابه » السابقة إلى هنا ساقط من ش .

(٢) ش : « وتقول » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « التى هزلتها » . والسرى تذكر وتؤنث ، بل لم يعرف ألحياني فيها إلا التأنيث .

(٤) ط : « فقلقت » ، صوابه فى ش .

(٥) ط : « فى عشر آب » . والمراد فى اليوم العشرين من آب .

(٦) الخزائن ٦ : ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ^(١) :

٧٢٨ (سَرَاةُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَافَى عَلَى كَانِ الْمَسْوْمَةِ الْعِرَابِ)

عَلَى أَنَّ (كَانِ) فِيهِ زَائِدَةٌ بَيْنَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ .

وزيادتها عند الشارح قسمان :

أحدهما : زيادة حقيقية ، تزداد غير مفيدة لشيء إلا محض التوكيد ،
يكون وجودها في الكلام وعدمها سواء ، لا تعمل ولا تدل على معنى .

ثانيهما : زيادة مجازية ، تدل على معنى ولا تعمل .

ومثّل للأوّل بهذا البيت وبالآية الشريفة ^(٢) ، وبقولهم : لم يوجد
كان مثلهم . ومثّل للثاني بما كان أحسن زيدياً ، وبقولهم : إن من أفضلهم
كان زيدياً ، وبالبيت أيضاً ، فجعله متردداً بينهما .

وما ذكره أحد مذاهب ثلاثة :

الأوّل : مذهب ابن السّراج ، واختاره ابن يعيش ، قال : والذي
أراه أن تكون زائدة دخولها كخروجها ، لا عمل لها في اسم ولا خبر ،
ولا هي لوقوع شيء . وإليه ذهب ابن السّراج ، قال (في أصوله) : وحق
الزائد أن لا يكون عاملاً ولا معمولاً ، ولا يحدث معنى سوى التأكيد .
ويؤيد ذلك قوله تعالى : (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) أن كان في

(١) سر الصناعة ١ : ٢٩٨ والأزهية ١٩٧ وابن يعيش ٧ : ٩٨ ، ١٠٠
والضرائر ٧٨ ورصف المباني ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ . والعين ٢ : ٤١
والتصريح ١ : ١٩٢ ، والهمع ١ : ١٢٠ والأشباه والنظائر ٢ : ٣١١ والأشموقي

١ : ٢٤١ ، ويس ١ : ١٩١

(٢) يعني قوله تعالى : « مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا » ، وهي الآية ٢٩ من سورة مريم .
وانظر شرح الرضى ٢ : ٢٧٢ .

الآية زائدة ، وليست الناقصة ، إذ لو كانت الناقصة لأفادت الزمان ، ولو أفادت الزمان لم يكن لعيسى عليه السلام في ذلك مُعْجِزَةٌ ، لأنَّ الناس كلَّهم في ذلك سواء ، فلو كانت الزائدة تفيد معنى الزَّمان لكانت كالناقصة ، فلم يكن للعدول إلى جعلها زائدةً فائدة . ومن مواضع زيادتها قولهم : إنَّ من أفضلهم كان زيدا ، فكان مزيديَّةً لضرب من التأكيد ، إذ المعنى أنَّه في الحال أفضلهم وليس المراد أنَّه كان فيما مضى ، إذ لا مَدْحَ في ذلك . ولأنَّك لو جعلت لها اسماً وخبراً لَكَانَ التقدير : إن زيدا كان من أفضلهم ، وكنت قد قدَّمت الخبر على اسم إنَّ وليس بظرف ، وذلك لا يجوز . وقولُ الشاعر :

* على كان المسوِّمةِ العِرابِ * . . . البيت

كان فيه زائدة . وعند هذا القائلِ دَلَالَتُها على الزَّمان يستدعى كونها ناقصة .

الثاني : مذهب السيرافي ، قال : لسنا نعني أنَّ دخولها كخروجها في كلِّ معنى ، وإنما نعني بذلك أنَّها ليس لها عمل ، ولا هي لوقوع شيء مذكور ، ولكنها دالَّةٌ على الزمان الماضي ^(١) وفاعلها مصدرها ، وذلك كقولك : زيد كان قائم ، تريد كان ذلك الكون ، وقد دلَّلت على الزمان الماضي ، ولو خلا منها الكلامُ لوجب أن يكون ذلك في الحال . وقول الشاعر :

* على كان المسوِّمةِ العِرابِ *

كان ذلك الكون . وإذا قدَّر هذا التقدير كانت كان واقعة لوقوع شيء مذكور ، وهو ذلك الكون .

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الماضي » التالية ساقط من ش .

ثالثها : قال ابن يعيش : ذهب قومٌ إلى أنَّ كان زيدت على وجهين : أحدهما أنَّ تلغى عن العمل مع بقاء معناها ، والآخر أنَّ تلغى عن العمل والمعنى معاً . وإنما تدخلُ لضربٍ من التأكيد . والأوّل نحو قولهم : ما كان أحسن زيدا ، المراد أنَّ ذلك كان فيما مضى ، مع إلغائها عن العمل ، ومعناه ما أحسن زيدا أمس ، فهي في ذلك بمنزلة ظننت ، إذا أُلغيت بطل عملها لا غير ، نحو قولك : زيد ظننتُ منطلق . ألا ترى أنَّ المراد : في ظننى . وأما الثانى فنحو قوله :

* على كان المسومة العراب ^(١) *

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ . ولو أريد فيها المضى لم يكن لعيسى عليه السلام في ذلك معجزة ، لأنَّه لا اختصاص له بذلك الحكم دون سائر الناس .

وقوله : (سَرَاة بنى أبى بكر) الخ ، قيل هو جمع سَرَى ، وقيل اسم جمع له ، وهو الشَّريف . قيل : ويحتمل أن يكون بالضم ، جمع سَارٍ كقضاة جمع قاض . و (تَسَامَى) أصله تتسامى بتاءين ، من السمو ، وهو العلو . و (المسومة) : الخيل التى جُعِلَتْ عليها سومة بالضم ، وهى العلامة ، وتُرِكَت في المرعى . (والعِراب) : الخيل العربية ، وهى خلاف البراذين . والمعنى أنَّ سادات بنى أبى بكر يركبون الخيول العربية . وروى : (المطهمة) بدل المسومة ، وهو التامُّ الخلقة من كلِّ حيوان . وروى : (جياذ بنى أبى بكر) إلخ ، وهو جمع جَوَاد ، وهو الفرس السريع العدو . والمعنى على هذه الرواية أنَّ خيل هؤلاء تفضل على خيول غيرهم .

(١) ش : « وعليه » ، وما أثبت من ط يوافق ابن يعيش .

وقال ابن هشام (في شرح الشواهد) : السَّرَى : ذو السخاء والمروءة ، وروى : (جِيَاد) فإن كان جمع جيِّد فهما متقاربان ، أو جواد ، فالممدوح خيلهم ، والمعنى حينئذ : على المسومة العراب من جِيَادٍ غيرهم .

وهذه الرواية وهذا التفسير أظهر ، إذ ليس بمعروف تفضيلُ النَّاسِ على الخيل ؛ وكأنَّه فهم أنَّ تَسَامَى بمعنى التفاضل ، وليس كذلك كما ذكرنا . ثم قال : وتَسَامَى إمَّا مضارع ، أو ماضٍ على حَدِّ : الرُّكْب سَارَ . ويؤيده أنه روى : « تَسَامَوْا » . وروى الفراء : « المطهَّمة الصَّلاب » ، أى ذوات الصَّلابَةِ أى الشَّدَّة .

وهذا البيت مع شهرته وتداوله لم أقف على خبر له . والله أعلم .

تتمة

ذهب ابن عصفور (في كتاب الضرائر) إلى أنَّ زيادة كان في الشعر ، وأنها تكون دالة على المضي دائماً . وكلاهما خلاف المرضى . قال : ومنها زيادة كان للدلالة على الزَّمان الماضي ، نحو قول الفرزدق :
* في الجاهلية كان والإسلام ^(١) .

وقول الآخر ، أنشده الفارسي :

في غُرَفِ الجنةِ العليا التي وجبت لهم هناك بسعى كان مشكور ^(٢)

يريد : بسعى مشكور ، وقول الآخر ، أنشده الفراء :

* على كان المسومة العراب .

(١) هو الشاهد التالي لشاهدنا هذا ، وصدده :

* في لجة غمرت أبالك بحورها .

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ١٦٥ والضرائر ٧٧ .

وقول غيلان بن حُرَيْث :

* إلى كِنَاسٍ كَانَ مُسْتَعِيدِهِ ^(١) *

يريد إلى كِنَاسٍ مُسْتَعِيدِهِ . وقول امرئ القيس ، في الصَّحِيح من القولين :

أرى أُمَّ عَمْرٍو دُمُعُهَا قَدْ تَحَلَّوْا بكاءً على عَمْرٍو وما كَانَ أَصْبِرًا ^(٢)
يريد : وما أَصْبِر ، أَى وما أَصْبِرُهَا .

وقد تَزَادَ في سَعَةِ الكلام ، ومنه قول قيس بن غالب البدرى ^(٣) : «ولدت فاطمة بنتُ الخُرْشُبِ الكَمَلَةِ من عبس ، لم يوجَدْ كَانَ مِثْلُهُمْ» . إِلَّا أَنَّ ذلك لَا يَحْسُنُ إِلَّا في الشعر . وإنما أوردت زيادتها في فعلٍ دون زيادة الجملة لَأَنَّهَا في حال زيادتها غير مسندة إلى شيء . وسبب ذلك أَنَّهَا لما زيدت للدلالة على الزمان الماضي أَشْبَهَتْ أَمْسٍ ، فحكم لها بحكم أَمْسٍ . هذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد السبعائة ^(٤) :

٧٢٩ (في لُجَّةٍ غَمَرَتْ أَبَاكَ بِحُورُهَا في الجاهليَّةِ كَانَ وَالْإِسْلَامِ)

على أَنَّ (كَانَ) زائدة بين المتعاطفين لا عملَ لها ، ولا دلالة على مضيٍّ .

(١) مجاز القرآن ٢ : ٧ . ونسب في مجاز القرآن ٢ : ١٤٠ إلى المعاج .

(٢) ديوان امرئ القيس ٦٩ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٧٧ والأشئوني ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٥٠ والنقائض

أَمَّا الْأَوَّلُ فظاهر . وَأَمَّا الثَّانِي فَلأنَّ المعنى أَنَّ الغَمْرَ ثابتٌ في زمن الجاهليَّة وفي زمن الإسلام ، لأنَّه كان في الجاهليَّة وانقطع ؛ لأنَّ المعطوف يَأْبَى هذا المعنى . وكذا (كان) في قولهم : لم يوجد كان مثلهم ، فإنَّها لو كانت دالَّةً على المضى لاقتضى أَنَّهُ يوجد مثلهم الآن . وهذا خلاف المقصود .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريراً . وقبله يخاطبه :
أَيَاتُ الشاهد (أَشْبَهْتَ أُمِّكَ إِذْ تَعَارَضَ دَارِمًا بِأَدَقَّةٍ مُتَقَاعِسِينَ لثَامِ
وَحَسِبْتَ بَحَرَ بَنِي كَلِيبٍ مُصْدِرًا فغَرِقْتَ حِينَ وَقَعْتَ فِي الْقَمَقَامِ
٣٦ في حومة غمرت أباك بحورها) . إلخ .

قوله : « أَشْبَهْتَ أُمِّكَ » إلخ ، يريد : أشبه عقلك عقل أُمِّكَ حين تُفاخر بكليب دارمًا . وكليب : رهط جرير ، ودارم : فخذٌ شريف من قبيلة تميم . وأدقة : جمع دقيق ، يريد به الضعيف الضئيل . والمتقاعس : المتأخَّر عن المجد والشرف . ولثام : جمع لثم .

وقوله : « وحسبت بحر » إلخ ، ويروى : « وحسبت حبل بني كليب » يقول : ظننت أَنَّ بني كليب ينجُّونك مما قد وقعت فيه حين تعرَّضتَ لي . ومُصْدِر : اسم فاعل من أصدرته ، بمعنى رَجَعْتَهُ . والقَمَقَام : البحر .

وقوله : (في لُجَّةٍ غَمَرَتْ) إلخ ، اللَّجَّة : معظم الماء . وروى بدله : (في حَوْمَةٍ) بمعناه . قال شارح المناقضات : « حَوْمَةُ الْمَاءِ : مجتمعه ومُعْظَمُهُ »^(١) ، وهو بدل من القمقام . و (غَمَرَتْ) : غَطَّت . والغمر : الماء الكثير . وقد غمره الماء يغمره ، أى علاه . و (البحر) : الماء الكثير ، وكلُّ نهر عظيم . (والجاهلية) : الزمان الذي كثر فيه الجهال ، وهى ما قبل

(١) الذى فى النقائض ٢٦٤ : « مجتمعه وكثرته » .

الإسلام . وقيل أيام الفترة . وقد تُطْلَق على زمن الكفر مطلقاً ، وعلى ما قبل الفتح .

وترجمة الفرزدق تقدّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده : وهو الشاهد الثلاثون بعد السبعمائة ^(٢) :

٧٣٠ (بَدَا لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوصِ بَدَاءُ)

على أَنَّ (بَدَاءُ) فاعل بدا ، وهو مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل ، والتقدير : بدا لك رأيٌ بادٍ ، ولَمَّا كان ظاهر هذا الشعرِ على طَبَقِ « ثَبَتَ الثُّبُوتُ » بجعل المصدر فاعلاً لفعله ، وهو مما لا معنى له ، أجاب عنه بما ذكر .

ولا يخفى أَنَّهُ تكلف . والجيد ما قاله أبو علي (في كتاب الشعر) قال : أضمر البداء في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّةٌ ^(٣) ﴾ لَأَنَّ البداء الذي هو المصدر قد صار بمنزلة العلم والرأي . ألا ترى أَنَّ الشاعر قد أظهره في قوله :

لَعَلَّكَ وَالْمَوْعُودُ حَقٌّ لِقَاؤُهُ بَدَا لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوصِ بَدَاءُ ^(٤)

وكذلك صنع ابن الشجري في الآية والبيت ، وقال : أَلَسُنُ الْعَرَبِ متداولة في قولهم : بدالى في هذا الأمرِ بَدَاكَ ، أى تغيّر رأيي عما كان عليه . ويقال فلان ذو بَدَوَات ، إذا بدا له الرَّأْيُ بعد الرَّأْيِ . انتهى .

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٢) الأغاني ١٤ : ١٥١ وأمالى القالى ٢ : ٧١ والخصائص ١ : ٣٤٠ وابن الشجري ١ : ٣٠٦ والروض الأنف ١ : ١٧١ والمغنى ٣٨٨ وشنور الذهب ١٦٧ ، والتصريح ١ : ٣٦٨ ، والمجم ١ : ٣٤٧ ، واللسان (بدا ٧١) .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) في النسختين : « حقاً لقَاؤُهُ » ، صوابه بالرفع كما في معظم المراجع . وفي الخصائص : « صدق لقَاؤُهُ » . وفي الروض الأنف : « حق وقَاؤُهُ » .

وقد وقع هذا التركيب (في سيرة ابن هشام) ونُصّه : قال ابن إسحاق : ظنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ قد بدا لِعَمِّه بَدَاءٌ .

قال السَّهيلي (في الروض) : أَى ظَهَرَ له رأى ، فسمي بَدَاءً لَأَنَّهُ شَيْءٌ يَبْدُو بعدما خَفِيَ ، والمصدر البُدُو^(١) ، والاسم البَداء . ولا يقال في المصدر بدا له بُدُوً ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأنَّ الذى يظهر ويبدا ههنا هو الاسم نحو البَداء . ومن أجل أنَّ البُدُو هو الظُّهور كان البَداء في وصف البارئ سبحانه محالاً ، لَأَنَّهُ لا يبدو له شَيْءٌ كان غائباً عنه . والنَّسخ للحُكْم ليس يَبْدُو^(٢) كما توهَّمه جماعة من الرافضة واليهود ، وإنَّما هو تبديل حُكْم بحكم ، بقدر قدره ، وعلم قديم عِلْمِهِ . وقد يجوز أن يقال بدا له أنَّ يفعل كذا ويكون معناه أراد . وهذا من المجاز الذى لا سبيل إلى إطلاقه إلَّا بإذن من صاحب الشرع ، وقد صحَّ في ذلك ما خرَّجه البخارى في حديث الثلاثة : الأعمى والأقرع والأبرص^(٣) ، وأَنَّهُ عليه السلام قال : « بَدَأَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ » . فبدا ههنا بمعنى أراد .

وابن أعين ومن اتبعه يُجيزون البَداء على الله^(٤) ، ويجعلونه والنَّسخ

(١) في الروض الأنف : « والمصدر البدء والبدو » . والبدو ، يقال بالفتح ، ويقال بضم الباء والداد مع تشديد الواو .

(٢) ط : « يبدو » ، صوابه في ش والروض .

(٣) انظر الحديث وتخريجه في الألف المختارة من صحيح البخارى . وهو الحديث رقم ٤٦٥ .

(٤) الذى في الروض : « وذكرنا الرافضة لأن ابن أعين ومن تبعه منهم يجيزون البدء على الله » . وابن أعين هذا هو زرارة بن أعين الكوفى ، مولى بنى أسعد بن همام ، وكان رئيس الشيطانية أتباع أحر بن شमित . انظر الحيوان ٢ : ٢٦٨ / ٧ : ١٢٢ . وكان أحر بن شमित هذا من أمراء المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان يقول بالبداء أيضاً . وعندما انهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم أحر بن شमित رجع فلولهم إلى المختار وقالوا له : ألم تعدنا بالنصر على عدونا ؟ فقال : إن الله تعالى كان قد وعدنى ذلك لكنه بدا له . الفرق بين الفرق ٣٦ . فالقول بالبداء عند هؤلاء الإمامية انتقل من المختار إلى أتباعه وأتباع أتباعه ، وفي جمهرة ابن حزم ٥٩ أن عبد الله بن محمد =

شيئاً واحداً . واليهود لا تجيز النسخ ، يحسبونه بداءً . ومنهم من أجاز البداء .

وروى الأصبهاني (في الأغاني) أنَّ رجلاً وعدَّ محمد بن بشير الخارجي صاحب الشاهد بقلوصٍ ، وهي الناقة الشابة ، ومطله ، فقال فيه يذمه ويمدح زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب :

(لعلك والموعودُ حقُّ لقاءه بدًا لك في تلك القلوصِ بداء^(١))
 فإنَّ الذي ألقى إذا قال قائلٌ من الناس : هل أحسستها لعناء^(٢)
 أقول الذي يُبدي الشَّمات وإنَّها على وإشبات العدوِّ سواء^(٣)
 دعوتُ وقد أخلفتني الوعدَ دعوةً بزيد فلم يضلَّ هناك دُعاء^(٤)
 بأبيضٍ مثلِ البدر عَظَمَ حقُّه رجالٌ من آلِ المصطفى ونساء^(٥)
 فبلغت هذه الأبياتُ زيد بن الحسن ، فبعث إليه بقلوصٍ من جواد إليه ، فقال بمدحه :

إذا نزلَ ابنُ المصطفى بطنَ تَلعةٍ نفي جَدبها واخضرَّ بالنبتِ عودُها^(٦)
 وزيدُ ربيعُ النَّاسِ في كلِّ شتوةٍ إذا أخلفتُ أنوؤها ورُعودها

ابن علي بن الحسين ، وهو الملقب بالأفطح ، كانت له شيعة تدعى إمامته ، منهم زرارة بن أعين الكوفي ، محدث ضعيف ، فقدم زرارة المدينة فلقى عبد الله فسأله عن مسائل من الفقه فآلفاه في غاية الجهل ، فرجع عن إمامته ، فلما انصرف إلى الكوفة أتاه أصحابه فسألوه عن إمامه وإمامهم ، وكان المصحف بين يديه ، فأشار لهم إليه وقال لهم : هذا إمامي ، لا إمام لي غيره !

(١) في الأغاني ١٤ : ١٥١ : « حق وفاءه » .

(٢) في الأغاني : « هل للواعدين وفاء » .

(٣) في الأغاني :

أقول لمن تبدي الشمات وقولها على به بين الأنام عناء

(٤) في الأغاني : « وقد أخلفتني الرأي » .

(٥) لم يرد هذا البيت في الأغاني .

(٦) الأغاني : « بالغيث عودها » .

حَمُولٌ لِأَشْتَاتِ الدِّيَاتِ كَأَنَّهُ سَرَاجُ الدَّجَى إِذْ قَارَنْتَهُ سَعُودُهَا^(١)
انتهى .

وقوله : (لعلك والموعود) إلخ ، أوردته ابن هشام (فى المغنى) فى الجملة
المعتزضة من الباب الثانى ، على أَنَّ قوله (والموعود حق لقائه) جملة
اعتراضية بين ما أصله المبتدأ وبين خبره .

وَأَحْسَسَتْهَا : استغدتها . وَأَحْسَسْتُ الشَّيْءَ : وجدت حسه . وقوله
لُعْنَاءُ خَيْرٌ إِنَّ الذى أَلْتَى . يقول : إِنْ قُلْتُ لِلْسَّائِلِ الشَّامِتِ إِنِّى أَفْدَتُهَا
فقد كذبت ، وكذبنى وإشباتُ العدوِّ سوءٌ .

وقوله : « بزيد » الباءُ زائدة ، أى ناديته مرّة . وجملة وقد أَخْلَفْتَنِى
الوعد اعتراضية .

ومقابل هذه الأبيات محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجى ،
من بنى خارجة بن عثوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ،
ويكنى أبا سليمان . وهو شاعرٌ فصيحٌ حجازىٌ من شعراء الدولة الأموية ،
وكان منقطعاً إلى [أبى^(٢)] عبدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى ، أحد بنى
أسد بن عبد العزى . وله ترجمةٌ طويلة فى الأغانى .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد السبعمائة [وهو
من شواهد س^(٣)] :

(١) الأغانى : « لأسنان الديات » . وفى النسختين هنا : « إذ قاربتة » ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) التكلة من الأغانى .

(٣) التكلة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٢٨٩ والمقتضب ٤ : ١١٦ والجل ٦٢ والأزهرية

١٩٧ والمغنى ٢٨٧ والمعنى ٢ : ٤ والتصريح ١ : ١٩٢ والأشياء والنظائر ١ : ٤٩ ، ٦٩

والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٣٥ .

٧٣١) فكيف إذا مررتُ بدارِ قومٍ وجيرانِ لنا كانوا كرامٍ (على أن (كان) فيه ناقصة كما ذهب إليه المبرد ، الواو اسمها ، ولنا خبرها ، وليست زائدة كما قال سيبويه : وقال الخليل : إن من أفضلهم كان زيدا على إلغاء كان . وشبهه بقول الشاعر :

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيران لنا كانوا كرام . هـ .

قال الأعمى : الشاهد فيه إلغاء كان وزيادتها ، توكيدا وتبيينا لمعنى المضى ، والتقدير : وجيران لنا كرام كانوا كذلك . وقد رد المبرد هذا التأويل وجعل قوله «لنا» خبرا لها ، والصحيح ما ذهب إليه الخليل وسيبويه من زيادتها ، لأن قوله لنا من صلة الجيران ، ولا يجوز أن تكون خبرا لكان إلا أن تريد معنى الملك ، ولا يصح الملك ههنا ، لأنهم لم يكونوا لهم ملكا ، إنما كانوا لهم جيرة . انتهى .

٣٨

ولا يخفى أن هذا تعسف منه ، ولا فرق بين قولك : جيران لنا وبين كانوا لنا ، فإن الواو في كانوا ضمير الجيران ، واللام للاختصاص لا للملك .

وقد نسب الزجاج (في تفسيره) زيادة كان في البيت إلى المبرد ، ونقل عنه غلطة لم يغلطها أصغر الطلبة ، قال عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا ^(١) ﴾ : قال محمد بن يزيد : جائز أن تكون كان زائدة فالمعنى على هذا إنه فاحشة ومقت . وأنشد في ذلك قول الشاعر :

فكيف إذا حلت ديار قوم وجيران لنا كانوا كرام ^(٢)

(١) الآية ٢٢ من سورة النساء .

(٢) في المقتضب : « إذا رأيت ديار قوم » .

وهذا غلطٌ من أبي العباس لأنَّ كان لو كانت زائدة لم تنصب خبرها^(١) . انتهى .

وهذا نقلٌ شاذٌ ، وكلهم أجمعوا على أنَّ زيادة كان في البيت إنما قال به سيويه . لكنَّ الزجاج تلميذ المبرد ، وهو أدري بمذهب شيخه . والله أعلم .

وتجوز المبرد زيادة كان في الآية مع نصب خبرها خطأً ظاهر^(٨) .

قال ابن السِّيد (في أبيات المعاني) : وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرد يمتنع من زيادة كان في البيت ، ويقول : : إنما تلغى إذا كانت مجردة لا اسم لها ولا خبر ، وأما في البيت فالواو اسمها ، ولنا الخبر ، وكرام صفة لجيران . وقد ردَّ الناس هذا وقالوا : يجوز أن تكون^(٣) الواو حرفاً دالاً على الجمع يؤكِّد به الجيران ، كالواو في أكلوني البراغيث . وهذا مذهب كثير من البصريين وبعض الكوفيين . ولأنَّه يقدَّر بلنا التأخير ، وهو صفة لجيران وقد حلَّ محله من حيث تبع الموصوف ، ولا حاجة تدعو إلى انتزاعه من موضعه وتقديره مؤخراً . وهذا حجة أبي علي . انتهى .

أقول : هذا التوجيه ضعيفٌ جداً ، فإنَّ القول بحرفية واو الجمع إنما هو إذا كان بعدها جمع مرفوع كما في المثال ، وأما إذا لم يأت بعدها جمع مرفوع فلم يقل أحدٌ إنَّها تأتي حرفاً دالاً على الجمع . والصواب

(١) هذا تجن من الزجاج على المبرد ، فإن المبرد إنما حكى قول النحويين ، من زيادة كان ، ولم يرتضه ، بل رد عليه قائلاً : « وهو عندي على خلاف ما قالوا من إلغاء كان ، وذلك أن خبر (كان) (لنا) ، فتقديره : وجيران كرام كانوا لنا . انظر المقتضب ٤ : ١١٧ وما نقله البغدادى فيما ساقى عن ابن السيد .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) ش : « يكون » .

ما وجَّه به الشارح المحقق ، وهو أنَّ كان زيدت مع الفاعل لأنَّه كالجزء منها ، لأنَّهم قالوا : والفاعل كالجزء من الفعل .

واستدلَّ صاحب اللباب على أنَّهما كالكلمة الواحدة بائى عشر وجهاً ، منها زيادة الفعل مع الفاعل فى نحو هذا البيت . قال شارحه (القالى^(١)) : تقريره أنَّهم حكموا بأنَّ «كانوا» زائدة وإن كان الفعل وهو «كان» وحده زائداً ، ولكن لما كان الفاعل كالجزء لم يَفْكُوهُ عن الفعل ، فحكموا بزيادتهما جميعاً . انتهى .

وأبو على لم يجعل الواو فاعل كان ، وإنما جعلها ضميراً مؤكِّداً للضمير المستتر فى الظرف الواقع صفة لجيران ، أعنى قوله لنا ، قال : لنا فى موضع الصِّفة لجيران ، وفيه ضميرهم مستتر على ما عهِد من حكم الجارِّ والمجرور إذا وقع صفة ، والضمير المتَّصل بكان تأكيد له ، ولم يكن بُدُّ من اتصاله لأنَّه لا يقوم بنفسه . واستدلَّ على ذلك بقول الشاعر^(٢) :

نحنُ بغريسِ الودىِّ أعلمنا مِنَّا بطغنِ الكُماةِ فى السُدْفِ

قال : فنَّا من أعلمنا لا حاجة إليه ، لأنَّ أعلم أفعال ، وأفعل إمَّا أن يضاف ، وإمَّا أن يتصل بمن ويُمْنَع^(٣) من إضافته . وإذا كان كذلك فلا بُدَّ من تخريج يصحُّ عليه الاعراب ، وذلك أنَّه تأكيد للضمير فى مِنَّا . ولقوَّة تناوله قدَّموه ليدلُّوا على شدَّة اتصاله . وإذا جاز ذلك فى أعلم [مع^(٤)] ما بعده كان فى كان أولى وأحسن .

هذا كلامه ، ونقله عنه اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) .

(١) فى النسختين : «القالى» بالقاف ، تصحيف سبق التنبيه عليه فى مواضع كثيرة .

(٢) هو سعد القرقر ، أو قيس بن الحطيم . وانظر معجم الشواهد .

(٣) فى النسختين : «يمنع» ، والوجه إثبات الواو قبلها .

(٤) التكلة من ش .

وقد جمع ابن هشام (في شرح الشواهد) جميع ما للعلماء من التخارج في هذا البيت قال :

« لنا » قيل خبر مقدّم ، ثم اختلف على قولين :

أحدهما : أنه خبر مبتدأ ، والأصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما فصار لنا كان هم ، ثم وصل الضمير إصلاحاً للفظ ، لأنه لا يصح وقوعه منفصلاً إلى جانب فعلٍ غير مشغول بمعمول .

والثاني : أنه خبر لكان وأنها ناقصة ، وهو قول المبرّد وجماعة ، وعليه فالجملة صفة لجيران ، وتقدّمت على الصفة المفردة ، والأكثر في الكلام تقديم المفردة .

وقيل لنا صفة لجيران ، ثم اختلف على قولين أيضاً :

أحدهما : أن كان تامة والضمير فاعل ، أي وُجد . وردّ بآنه لا فائدة في الكلام على هذا القول .

والثاني : أنها زائدة ، ثم اختلف في الاعتذار عن الضمير على قولين : أحدهما أن الزيادة لا تمنع العمل في الضمير كما لم يمنع إلغاء ظن عملها في الفاعل مطلقاً . قاله ^(١) ابن السّيد وابن مالك . وفيه نظر ، لأنّ الفعل الملقى لم ينزل منزلة الحروف حتّى لا يليق الإسناد إلى الفاعل ، وإنّما هو فعلٌ صحيح وُضع لقصد الإسناد . والثاني : أن الأصل : كان هم ، على أنّ الضمير توكيدٌ للضمير المستتر في لنا ، ثم زيدت كان بينهما ، ووُصل الضمير للإصلاح . انتهى .

وقد لخصه (في المغنى) في بحث لعل .

وقوله : على تقدير كونها تامة مع فاعلها أنه لا فائدة في الكلام^(١) - ممنوع ، فإنها صفة لجيران بمعنى ثبتوا وحصلوا . وما أورده أولاً من أن الأصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما ، فاتصل بها الضمير ، هو قول صاحب الكشف ، قال في قوله تعالى : ﴿ وإن كانت لكبيرة^(٢) ﴾ : وقرأ اليزيدى : (لكبيرة) بالرفع ، ووجهها أن تكون كان مزيدة ، كما في قوله : « وجيران لنا كانوا كرام » الأصل : وإن هي لكبيرة ، كقولك : إن زيداً لمنطلق ، ثم وإن كانت لكبيرة . انتهى .

قال أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى (في كتاب التنبيه على أغلاط أبي زياد^(٣) الكلابى في نوادره) : روى أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى بن يزيد الجلودى ، في أخبار الفرزدق ، بإسناد متصل ذكره ، أن الفرزدق حضر عند الحسن البصرى ، فأنشده :

أقولُ إذا رأيتُ ديارَ قومي وجيرانٍ لنا كانوا كرامٍ

فقال له الحسن : كراماً يا أبا فراس . فقال الفرزدق : ما ولدتنى إلا ميسانية ، إن جاز ما تقولُ يا أبا سعيد . قال : وأُمُّ الحسن من ميسان . فهذا ردُّ الفرزدق عن نفسه . وقد أصاب ، وتقدير قوله : وجيران كرام كانوا لنا . انتهى .

(١) انظر ما مضى في الصفحة السابقة س ١١ - ١٢

(٢) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة : « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » .

(٣) ط : « أبي زيد » ، صوابه في ش . واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن ابن ربيعة بن عمرو بن نفاعة . انظر حواشي الحيوان ٦ : ١٢٨ . قال ابن النديم ٦٧ : قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعراً من بني كلاب بن عامر . وأقول : إن هذا القسم من التنبيهات قد باد فيها باد من نصوص التنبيهات .

وميسان : قرية من قرى العراق . يريد إننى لم أكن من العرب العرباء
بل من المولدين إن صح ما لحنتنى فيه .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها هشام بن عبد الملك ويهجو
جربراً ، وأولها :

آيات الشاهد (أَلَسْتُ عَائِجِينَ بِنَا لَعْنًا نَرَى الْعَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الْخِيَامِ
فَقَالُوا إِنَّ عَرَضْتَ فَأَغْنِ عَنَّا دُمُوعاً غَيْرَ رَاقِئَةِ السَّجَامِ^(١)
فَكَيْفَ إِذَا مَرَرْتُ بَدَارُ قَوْمٍ وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ^(٢)
أَكْفَكُفُ عِبْرَةَ الْعَيْنَيْنِ مِنِّى وَمَا بَعْدَ الْمَدَامَعِ مِنْ لِمَامِ^(٣))

قوله : « أَلَسْتُ عَائِجِينَ » إلخ ، الهزمة للاستفهام التقريرى ، وروى
« هَلْ أَنْتُمْ » بدله . وعائجون : جمع عائج ، اسم فاعل من عُجَت البعير
أَعُوْجُهُ عَوْجًا ، إذا عطفَ رأسه بالزمام . والباء فى بنا بمعنى مع . وروى
العينى فقط : « عالجون » باللام ، وقال : أى داخلون فى عالج ، وهو اسم
موضع . ولم أره لغيره . وليس فى الصحاح عَالَجٌ بمعنى دخل فى عالج .
ولَعْنَا أى لعلنا . ولَعَنَّ لغة فى لَعَلَّ . وعَرَصَة الدار : ساحتها ، وهى
البقعة الواسعة التى ليس فيها بناء ، وسميت عَرَصَةً لَأَنَّ الصَّبِيَّانِ
يَعْرِصُونَ فيها ، أى يلعبون ويمرحون .

وقوله : « إِنَّ عَرَضْتَ » كذا رواه محمد بن المبارك (فى منتهى الطلب
من أشعار العرب) : قال صاحب الصحاح : وعَرَضَ الرجلُ ، إذا أتى

(١) فى ديوان الفرزدق ٨٣٥ : « فقالوا إن فعلت » .

(٢) فى الديوان : « فكيف إذا رأيت ديار قومى » وفى التفاض ١٠٠٤ : « وكيف إذا
رأيت ديار قوم » .

(٣) فى الديوان : « من ملام » . وفى التفاض : « من كلام » .

العَرُوض، وهي مَكَّة والمدينة وما حولَهُمَا . قال :

* فِيا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْنِ^(١) *

وقول الكميّ :

* فَبَلِّغْ يَزِيدَ إِنْ عَرَضْتَ وَمُنْذِرًا^(٢) *

يعنى إِنْ مررت به . انتهى .

وما هنا يحتمل كلاّ منهما . وروى أيضًا : « إِنْ فعلتَ » بدلَه ، أى فعلت العَوَج وهو عَطَفُ رَأْسِ الناقة بالزمام . وقوله : « فَأَغْنِ عَنَّا » هو أمرٌ من قولهم : أَغْنَيْتَ عَنْكَ ، أى أَجْزَأْتَ مَجْزَأَةً . يريد أن أَصْحَابَه لم يوافقوه على عَطْفِ الزِّمَامِ . وقوله : « دُمُوعًا » أصله بدموع ، فلما حذفت الباء نصب . وراقنة بالهمز ، من رَقَبًا الدمع رَقْنًا ورُقُوعًا ، إذا سَكَن . والسجام : مصدر سَجَمَ الدمع سُجُومًا وسِجَامًا ، أى سال .

وقوله : (فكيف إذا مررت) إلخ ، كيف استفهام وفيها معنى التعجب ، وهى هنا ظرف ، والعامل فيها فعلٌ محذوف دلٌّ عليه الكلام ، وهو أَكُون ، وهو مقدّر بعدها ، لأنَّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله . والتقدير : على

(١) صدر بيت مشترك بين شاعرين أحدهما عبد يفيث بن وقاص الحارثي الجاهلي ، وبيته :

فِيا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْنِ
ندامى من نجسران أن لا تلاقيا
والآخر مالك بن الريب المازني ، وبيته :

فِيا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْنِ
بنى مالك والريب ألا تلاقيا

(٢) مجزء ، كافى اللسان (عرض ٣٥ نفس ١٣٠) وتكلمة الصاغاني ٣ : ٤٤١ ،

* وعيمها والمستسر المناسا *

وانظر ديوان الكميّ ١ : ٢٤٥ . وفى التكلمة :

« هكذا وقع : وعيمها على الثنية . والصواب : وعيمها على التوحيد . ويزيد هو يزيد بن خالد بن عبد الله . ومنذر هو منذر بن أسد بن عبد الله . وعيمها هو إسماعيل بن عبد الله . والمستسر هو خالد بن عبد الله » .

أَيَّ حال أكون إذا مررت بدار قوم إلخ ، وجواب إذا محذوف لدلالة ما تقدّم عليه ، وهو العامل فيها . كذا قال اللخمي .

وقال ابن هشام : كيف ظرفٌ لأُكْفِكف^(١) . وفيه نظر . والتاء في مررتُ للمتكلم ، بدليل لنا ، وأُكْفِكف . وروى بدله : «رَأَيْتُ» . وقوله : أُكْفِكف : أحبس . والعبرة ، بالفتح : الدِّمعة . واللَّمام بكسر اللام بعدها ميم . كذا في منتهى الطلب ، والمشهور « من ملام » .

وترجمة الفرزدق تقدمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد السبعمئة ، وهو من شواهد س^(٣) :

٧٣٣ (كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ^(٤))
على أَنَّ أبا البقاء جَوَّزَ زيادةَ (يَكُونُ) بلفظ المضارع ، وادَّعى
أَنَّها هنا زائدة على رواية رفع مزاجها على المبتدئ وعسل خبرها .

وكذلك قال ابن السِّيد (في أبيات المعاني) : تكون^(٥) زائدة لا اسمَ لها ولا خبر ، فيكون قوله (مزاجها عسلٌ) جملةً من مبتدئ وخبر . وقد عطف ماءً على الخبر فرفع .

(١) ش : « كيف لأُكْفِكف » ، صوابه في ط .

(٢) الخزائن ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) في كتابه ١ : ٢٣ . وانظر سيرة ابن هشام ٨٢٩ والروض ٢ : ٢٨٠ والكمال ٧٣ والمقتضب ٤ : ٩٢ والأصول ١ : ٧٣ ، ٧٤ والجل ٥٨ والمختب ١ : ٢٧٩ وابن عيش ٧ : ٩١ ، ٩٣ وتسهيل الفوائد ٣٦ والمغني ٤٥٣ ، ٦٩٥ والهمع ١ : ١١٩ والأشباه والنظائر ١ : ٢٧١ ، وديوان حسان ٣ .

(٤) ط : « كأنه » ، صوابه في ش وسائر المراجع .

(٥) كذا في النسختين ، وهي رواية صحيحة في البيت ستأتي في الصفحة التالية .

وذهب ابن النازم أيضاً (في شرح الألفية) إلى أَنَّ زيادتها بلفظ المضارع نادر . كقول أمّ عقيل رضى الله عنه :

أَنْتَ تَكُونُ مَاجِدٌ نَبِيلٌ إِذَا تَهَبُّ شَمَالٌ بَلِيلٌ^(١)

وارتضاه ابن هشام (في شرح شواهد) ، لكنه أنكر زيادتها (في المغني) ، قال : ويروى برفعهن . أى برفع « مزاجها عسل وماء » على إضمار الشأن . وأما قول ابن السيد : إِنَّ كان زائدة ، فخطأ ؛ لأنها لا تزداد بلفظ المضارع بقياس . ولا ضرورة لدعوى ذلك هنا . انتهى .

وهذا التخريج مشهور ، وذكره^(٢) ابن خليف وغيره ، فيكون اسمها ضمير الشأن والأمر ، وجملة « مزاجها عسل » من المبتدأ والخبر خبرها . وذكر ابن هشام اللخمي تخريجاً آخر بعد ذلك ، قال : اسم يكون ضمير سبيته ، وجملة « مزاجها عسل » في موضع الخبر ، أو إِنَّ^(٣) خبرها مقدم عليها ، وهو قوله من بيت رأس ، وجملة تكون من بيت رأس صفة لسبيته ، وجملة مزاجها عسل صفة ثانية لها . قال : وعلى هذين القولين يقال « تكون » بالتاء . والسابق إلى هذا التخريج ابن السيد (في أبيات المعاني) .

ثم قال : والأحسن أن تقول^(٤) على هذا الوجه : تكون بالتاء ؛ لأنَّ السُّلَافَةَ مؤنثة ، ولو قلت بالياء جاز ، لأنَّ التانيث غير حقيقى ، وليس بالجيد .

(١) العيني ٢ : ٣٩ والتصریح ١ : ١٩١ والمص ١ : ١٢٠ والأشونى ١ : ٢٤١ وأم عقيل بن أبى طالب هى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم جميع ولد أبى طالب . انظر جمهرة ابن حزم ١٤ وما سأتى .

(٢) ش : « ذكره » يلون سبق للواو .

(٣) ط : « وإن » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « يقول » ، وأثبت ما فى ش .

أقول : إذا أسند الفعل إلى ضمير المؤنث المجازي « فالتأنيث واجب إلا في الضرورة ، وإنما جواز التأنيث في الإسناد إلى ظاهره .

وأما بيت أم عقيل فلم أر من خرّجه . وأقول بعون الله تعالى : إن اسم تكون ضمير المخاطب المستتر فيها ، وخبرها محذوف ، وماجد خبر أنت ، والتقدير : أنت ماجد نبيل تكونه ، أو تكون ذلك ، والجملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر .

وأم عقيل هي أم على بن أبي طالب رضى الله عنهما ، واسمها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

وهذا الرجز كانت ترقص به عقيلاً لما كان طفلاً . وقبله :

إن عقيلاً كاسمه عقيل وببي الملقف المحمول

وآخره :

* يُعطى رجالَ الحيّ أو يُنيلُ *

وعقيل كلُّ شيء : أفضله . وببي : بآبي ، أى يفدى بآبي أو مفدى به .

ورواه الأزدى (فى كتاب الترقيص) :

أنت تكونُ السيّدُ النبيلُ إذا تهبُّ الشمالُ البليلُ^(١)

ورواية سيويوه . فى البيت المتقدم بنصب مزاجها ، على أنه خبر مقدم ، ورفع عسل على أنه اسم مؤخر . وإن شاء الله يأتى الكلام عليها فى آخر الباب .

(١) ط : « شمال بليل » ، وأثبت ما فى ش .

وروى أيضاً برفع مزاجها ونصب عسلٍ على الاسم والخبر ، ويكون ارتفاع ماء بفعل محذوف تقديره : ومازجها ماءً : لأنَّ الشيء إذا خالط شيئاً فقد خالطه ذلك الشيء أيضاً . وهذه رواية أبي عثمان المازني ومختارُه ، نقله عنه ابن السَّيد وابنُ خلف وغيرُهما .

وخبر كأنَّ المشدَّدة في بيتٍ يليه ، وهو :

(على أنيابها أو طعمَ غَضٍ من التُّفَّاحِ هَضْرُهُ اجتناءً)

فقوله « على أنيابها » هو الخبر . والأنياب أربعة أسنان : ثنتان من يمين الثنايا : واحدة من فوق وواحدة من أسفل ، وثنتان من شِمالها كذلك . شبه طعم ريقها بطعم خمرٍ قد مُزجت بعسلٍ وماءً ، أو بطعم تُّفَّاحٍ غَضٍ قد اجتنى . فطعم بالنصب معطوفٌ على سبيئة . وهَضْرُهُ : أماله . والاجتناء : أخذ الثمر من الشجر . ويروى بدله : « جناء » بكسر الجيم ، وهو الثمر بعينه .

والبيت الثاني ثابتٌ في ديوان حسان ، وهو عندي نسخةٌ قديمةٌ تاريخ كتابته سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وكذا رواه من تكلم في شعره . وقد أنكره السهيلي (في الروض) وقال : قوله : « كأنَّ سبيئة » خبر كأنَّ في هذا البيت محذوف ، تقديرُه : كأنَّ في فيها^(١) . ومثله في النكرات حسن^(٢) كقوله :

* إنَّ محلاً وإنَّ مرتحلاً^(٣) *

(١) في الروض ٢ : ٢٨٠ : « كأنَّ في فيها خبيثة » .

(٢) في الروض : « ومثل هذا المحذوف في النكرات حسن » .

(٣) صدر بيت للأعشى في ديوانه ١٥٥ . ومجزه :

* وإن في السفر ما مضى مهلاً *

أَيَّ إِنَّ لَنَا مَحَلًّا . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ^(١) :

* وَلَكِنْ زَنْجِيًّا طَوِيلًا مَشَافِرُهُ^(٢) * .

٤٢

وزعم بعضهم أَنَّ بعده بيتاً فيه الخبر ، وهو « على أنيابها » البيت .
وهو مصنوع لا يشبه شعر حسان ولا لفظه . انتهى .

والسبيئة : فعيلة معنى مفعولة . وهى الخمر التى تُسبأ ، أى تُشترى
بالهمز . قال المبرد (فى الكامل) وأنشد البيت : يقال سبأت الخمر
سبأً ، إذ اشتريتها . والسبأ : الخمار . قال ابن السيد : إنما
السبأ مُبتاع الخمر لا بائعها . وهذا منه غلط . وفى القاموس :
سبأ الخمر كجعل ، سبأً وسبَاءً وَمَسْبَأً : شَرَاهَا كاستبأها . وبياعها
السَّبَاءُ . والسبيئة . ككريمة : الخمر . ثم قال فى المعتل : سبى العدو :
أَسْرَهُ . والخمر سبياً وسبَاءً ، وَوَهْم الجوهري : حملها من بلد إلى
بلد . انتهى .

والجوهري قيّد السَّبء بِشَرَاهَا لِلشُّرْب . قال : فأما إذا اشتريتها
لتحملها إلى بلد آخر قلت : سَبَيْتُ الخمر . فشراؤها للتجارة يكون عنده بالياء .

وردد عليه الصفدى (فى نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهري من الوهم) .
قال : هذا تحكُّم منه ، ودَعَوَى بلاد ليل . وقول ابن هرمة :

(١) هو الفرزدق من قصيدة فى الأغاني ١٩ : ٢٤ . يهجو بها أيوب بن عيسى الضبى . وليست
فى ديوانه .

(٢) صدره :

* فلو كنت قيساً إذن ما حبستنى *

وهو الشاهد ٨٧٩ فيما سأتى . وروى : « فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى » .

خَوْدُ تَعَاطِيكَ بَعْدَ رَقْدَتِهَا إِذَا تَلَاهَا الْعَيُونُ مَهْدُهَا^(١)
كَاسًا فِيهَا صَهْبَاءٌ مُعْرِقَةٌ يَغْلُو بِأَيْدِي التَّجَارِ مَسْبُؤُهَا

يشهد بخلاف هذا الفرق الذي أبداه^(٢) . ولا يجوز سبيت الخمر
بالباء إلا على قول من يرى تحويل الهمزة . انتهى .

وروى : « كَأَنَّ سُلَافَةً » ، والسلافة : الخمر ، وقيل خلاصة الخمر ،
وقيل ما سأل من العنب قبل العصر ، وذلك أَخْلَصُهَا . واشتقاقها من
سَلَفَ الشيء ، إذا تَقَدَّمَ . وروى أيضاً : « كَأَنَّ خَبِيئَةً » ، وهى الخمر
المَخْبِيَّةُ المَصُونَةُ المَضْنُونُ بها . وقوله : (من بيتِ رأسٍ) متعلقٌ بمحذوف
على أَنَّهُ صِفَةٌ أُولَى لِسَبِيئَةٍ ، وجملة (يكون) إلخ صفة ثانية لها ؛ كَأَنَّهُ
قال : سَبِيئَةٌ مُشْتَرَاةٌ من بيتِ رأسٍ مَمْزُوجَةٌ بِعَسَلٍ وَمَاءٍ . وبيتِ رأسٍ :
موضع ، قال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال عبيد الله^(٣)
ابن عبد الله^(٤) بن خُرْدَاذْبَةَ : بيتِ رأسٍ : اسمُ قريةٍ بالشام من ناحية
الأردن ، كانت الخُمُورُ تُبَاعُ فيها ، وبه ماتت حَبَابَةُ^(٥) جارية يزيد بن

(١) فى ديوان ابن هرمة ٤٩ واللسان والتاج « سبأ » : « إذا يلاق العيون » . وما فى شرح
شواهد المغنى يطابق ما هنا .

(٢) هكذا فى النسختين بالهمز . أبداه : ابتدعه .

(٣) ش : « أبو عبيد الله » ، صوابه فى ط . وهو الجغرافى المشهور أبو القاسم عبيد الله بن
عبد الله بن خرداذبه ، صاحب كتاب المسالك والممالك الذى نشره دى غويه سنة ١٣٠٦ فى ليدن .
وكان خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة ، فتولى أبو القاسم هذا البريد والخبر بنواحى الجبل .
الفهرست ٢١٢ ودائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٤٩ .

(٤) ويقال « ابن أحمد » أيضاً .

(٥) حبابة هذه بتخفيف الباء . وفيها يقول يزيد :

أبلغ حبابة أسقى ربها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
الأغاني ١٣ : ١٥٤ . ويقول القمعاق بن خلود العيسى مخاطباً لابن هبيرة :

هلم فقد ماتت حبابة سامى بنفسك يقدمك الذرى والكواهل
أغرك أن كانت حبابة مرة تمحك فانظر كيف ما أنت فاعل

ابن الأثير ٥ : ٩٩ - ١٠٠ ، وكان ابن هبيرة يهذى لها ويبرها تملقاً منه ليزيد .

عبد الملك ، فمات يزيدُ بعد بضعَ عشرةَ جزءاً عليها . انتهى . وقيل : بيتٌ : موضع الخمر ، ورأسٌ : اسمٌ للخمار . وقصد إلى بيت هذا الخمار لأنَّ خمره أطيبُ الخمر . وقيل الرأس هنا بمعنى الرئيس ، أى من بيت رئيس . قال اللخمي : وهذا أحسن الأقوال ؛ لأنَّ الرؤساء إنما تشرب الخمر ممزوجةً . وإنما اشترط أن يمزجها لأنها خمرٌ شاميةٌ صليبية ، فإن لم تُمزج قُتلت شاربها . وخصَّ العسلَ والماءَ لأنَّ العسل أحلى ما يخالطها ، وأنه يذهبُ بمرارتها ، وأمَّا الماءُ فيبردُها ويلينها . وقيل : إنما عني شرابَ الرؤساء والملوك على قول من جعلَ رأساً : بمعنى رئيس ، لأنها إذا مُزجت لا يشربها إلاَّ الرؤساء وأشرافُ الناس ، كراهية أن تُخرجهم عن عقولهم . ألا ترى إلى قول عدى بن زيد :

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزلال^(١)

وقد عابت على جذيمةَ الأبرش أخته شربَ الخمرِ صرفاً لأمرٍ لحقها من ذلك ، فقالت له :

ذاك من شربك المدامةَ صرفاً وتماديك في الصِّبا والمُجونِ

وقد مدح الله خمرَ الجنةَ لما لم يكن الشاربُ يزوى وجهه لها ، فقال عزَّ من قائل : ﴿وأنهارٌ من خمرٍ لَذَّةٌ للشاربين^(٢)﴾ ، أى إنَّ الشارب إذا شربها لم يقطب وجهه ، ولم تُخرجهُ عن عقله .

٤٣

وبيتُ حسان مع ما بعده مأخوذٌ من قول امرئ القيس ، وإن كان في قول امرئ القيس زيادةٌ أحسنَ فيها ما شاء ، وأتبع دَلَوهُ في الإجابة الرُّشاء ، فقال :

(١) ديوان عدى بن زيد ٨٢ . وانظر تحريجه فيه .

(٢) الآية ١٥ من سورة محمد .

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْعَمَامَ وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشَرَ الْقَطْرُ^(١)
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ

والزيادة التي زادها قوله « إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ » يعنى عند تغير
الأنفواء . فشبه حسان ريقَ هذه المرأة بخمرٍ ممزوجةٍ بعسل وماء ، أو بطعم
غَضٍّ من التفاح .

والبيت من قصيدة لحسان بن ثابت قالها قبل فتح مكة ، مدح بها صاحب الشاهد
النبي صلى الله عليه وسلم وهجا أبا سُفْيَانَ ، وكان هجا النبي صلى الله
عليه وسلم قبل إسلامه ، وهى هذه :

(عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ^(٢)
دِيَارٍ مِنْ بَنَى الْحَسْحَاسِ قَفْرُ تُعَفِّيْهَا الرُّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وكَانَتْ لَا يَزَالُهَا أَنْيْسُ خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ
فَدَعُ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفُ يُورِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّنَتْهُ فَلَيْسَ لِقَابِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسِ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ^(٣)
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِنَّ لَطِيبِ الرَّاحِ الْقِدَاءُ
نَوَلَّيْهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَغْتٌ أَوْ لِحَاءُ
وَنَشْرِبُهَا فَتَتْرَكُنَا مَلُوكًا وَأَسَدًا مَا يُنْهِنُنَا اللَّقَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

(١) ديوان امرئ القيس ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) ديوان حسان ٣ - ١٠ ، والسيرة ٨٢٩ - ٨٣٠ .

(٣) فى الديوان : « كَأَنَّ سَيْتَةً » . وبعد هذا البيت فى الديوان فقط :

عَلَّ أَنْيَابُهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنْ التَّفَاحِ هَصْرُهُ الْجَنَاءُ

يُبَارِينَ الْأَسِنَّةَ مَصْنِيَاتٍ عَلَى أَكْثَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ^(١)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ
فَإِذَا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وِلَا فَاصْبِرُوا لَجَلَادٍ يَوْمٍ يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَن يَشَاءُ^(٢)
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جَنَدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِّنْ مَّعَدٍّ قِتَالٌ أَوْ سِبَابٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحَكِّمُ بِالْقَوَائِي مَن هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِن نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ وَقَوْمِي صَدَّقُوهُ فَقَلَّمْ مَا نُحِيبُ رُومًا نِشَاءُ
وَجِبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ^(٣)
أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ^(٤)
بِأَنَّ سَيُوفَنَا تَرَكْنَا عَبْدًا وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الْإِمَاءُ
هَجُوتُ مُحَمَّدًا فَاجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ^(٥)
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرُّكُمْمَا لَخِيرُكُمْمَا الْفِدَاءُ
هَجُوتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهِ شِمَّتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَّنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَفَاءُ
لِسَانِي صَارُمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تَكْذُرُهُ الدَّلَاءُ

٤٤

(١) في الديوان : « يبارين الأعنة مصعدات » . وفي السيرة : « ينازعن الأعنة مصفيات » .

(٢) في الديوان : « يعز الله فيه » .

(٣) موقع هذا البيت في كل من الديوان والسيرة قبل بيت : « وقال الله قد أرسلت عبدا » .

(٤) في الديوان : « فأنت مجوف نخب هواه » .

(٥) في السيرة : « وأجبت عنه » .

وهذه رواية ابن هشام (في السيرة) . وفي الديوان ثلاثة أبيات آخر من آخرها زيادة على هذا .

قال ابن هشام : قالها حسّان قبل يوم الفتح . ويروى : « لسانى صارم لا عتب فيه » بالتاء . وبلغنى عن الزهرى أنّه قال : لمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطّمن الخيل بالخُمُر تبسّم إلى أبى بكر . انتهى .

وقوله : « عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ » إلخ عفت بمعنى درست . وذات الأصابع : موضع بالشام . والجِواء بكسر الجيم كذلك . قال السهيلي : وبالجِواء كان منزلُ الحارث بن أبى شَمِير . وكان حسّان كثيرًا ما يردُّ على ملوك غَسَّان بالشام يمدحُهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل . وعَذْرَاء ، قال السكرى (في شرح ديوانه) : قرية على بريدٍ من دمشق ، وبها قَتَلَ معاوية حُجْرَ بْنَ عَدَى وأصحابه .

وقوله : « ديارٌ من بنى الحَسْحَاسِ » ، بمهمات ، قال السكرى : الحسحاس بن مالك بن عدى بن النجار . وقال السهيلي : بنو الحسحاس حى من بنى أسد . قال السكرى : والرّوامس : الرياح التى ترمى الآثَارَ وتغطّيها . وقال السهيلي : يعنى بالسَّاء المطر . والسَّاء لفظٌ مشتركٌ يقع على المطر وعلى السماء التى هى السَّقْفُ . ولم نعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقط السَّاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(١)

لأنّه يحتمل أن يريد مطر السماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنَّما عرفناه من قولهم فى جَمِيعِهِ : سُمِىَ وَأَسْمِيَّةٌ ، وهم يقولون فى جمع السَّاءِ سَمَاوَاتٍ ، فعلمنا أنّه اسم مشترك بين شيئين .

وقوله: « وكانت لا يزالُ بها » إلخ خلالَ ظرفٍ بمعنى بَيْنَ، خبرٌ مقدَّم . ونَعَمْ مبتدأ مؤخر . قال السهيلي : النَّعَمْ : الإبل ، فإذا قيل الأنعام دخل فيها البقر والغنم ، . والشَّاءُ والشَّوِيُّ : اسمٌ للجمع ، كالضَّانَّ والضَّئِين ، والإبل والأبيل ، والمَعَزُ والمَعِيز . فلَمَّا الشَّاءُ فليست من لفظ الشاء ، لَمْ الفعل منها تاء .

وقوله: « فدع هذا » إلخ ، الطَّيفُ : الخيال . ويؤرَّقنى : يُسهرنى . فإن قيل : كيف يسهره الطيفُ والطيف حُلُمٌ في المنام ؟ فالجواب أنَّ الذى يؤرِّقه لوعةٌ يجدها عند زواله ، كما قال الطائي ^(١) :

ظَبْيٌ تَقْنَصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ من آخر الليل أَشْرَاكَ من الحُلُمِ
ثُمَّ انْثَى وَبَنَّا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ باقٍ وإن كان معسولاً من السَّقَمِ ^(٢)

وقوله: « لشعناء التى » إلخ، شعناء: بنت سَلَامٍ بنِ مِشْكَمٍ اليهودى .

وبيت

* على أنيابها أو طَعَمَ غَضٌّ *

إلخ لم يورده ابن هشام (فى السيرة) ، ولهذا أنكره السهيلي .

وقوله : « نُؤَلِّيْهَا الْمَلَامَةَ » إلخ ، يقال ، أَلَامَ ، إذا أَلَى بما يُلَامُ عليه ^(٣) .
يعنى إن أتينا بما نُلَامُ عليه صرفنا اللوم إلى الخمر ، واعتذرنا بالسُّكْرِ .
والمَغْثُ ، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة بعدها مثلثة : الضَّرْبُ باليد .
وَاللَّحَاءُ : المُلَاحَاةُ باللسان ، يروى أَنَّ حسان مرَّ بِفَتِيَةٍ يشربون الخمرَ

٤٥

(١) هو أبو تمام . ديوانه ٢٦٨ من قصيدة فى مدح مالك بن طوق التغلبى .

(٢) فى الديوان : « ثُمَّ اغْتَدَى » و « وإن كان معسولاً » .

(٣) ط : « بِالْمَلَامِ عَلَيْهِ » ، وأثبت ما فى ش .

في الإسلام فنهاهم فقالوا : والله لقد هممنا بتركها فزيّنها لنا قولك :

ونشربها فتركنا ملوكًا البيت

فقال : والله لقد قلتها في الجاهليّة ، وما شربتها منذ أسلمت :

ولذلك قيل : إنّ بعض هذه القصيدة قالها في الجاهليّة وقال آخرها في الإسلام .

وقوله : « غدينا خيلنا » إلخ النقع : الغبار . وكذاء بالفتح والمد : الثنيّة التي في أصلها مقبرة مكة ، ومنها دخل الزبير يومئذ ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من شعب أذاخر .

وقوله : « يبارين الأسنة » ، إلخ مباراتها الأسنة : أن يَضْجَع الرجل رُمَحَه ، فكان الفرس يركض لِيَسْبِقَ السَّنان . والمُصْغِيات : الموائل المنحرفات للطعن . والأسل : الرماح . ورواية ابن هشام : « ينازعن الأعنة مصغيات » .

وقوله : « تظلّ جياذنا » إلخ المُسَمَّطَرَات : الخوارج من جمهور الخيل . قال ابن دريد (في الجمهرة) : كان الخليل يروى : « يَطْلُمُهِنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ » ، وينكر يَطْلُمُهِنَّ ، ويجعله بمعنى يَنْفُضُنَ النَّسَاءُ بِخُمُرِهِنَّ ما عليهنّ من غبارٍ أو نحو ذلك^(١) . قال : والَطْلَمُ : ضَرْبُكَ خُبْزَةِ الْمَلَّةِ بِيَدِكَ لتَنْفُضَ ما عليها من الرَّمَادِ . والَطْلَمَةُ : الخُبْزَةُ .

(١) الكلام بعد « يطلمن » إلى هنا لم يرد في نسخة الجمهرة المطبوعة . انظر الجمهرة ٣ : ١١٦ . ولكنه في نقل الروض الأنف ٢ : ٢٨١ وفيه : « ينفض النساء » بدل : « ينفضن النساء » التي وردت على لغة أكلوني البراغيث .

وقوله : « فَنُحَكِّمُ بِالْقَوَا فِي » ، أَحْكَمَهُ : كَفَّهُ وَمَنَعَهُ . ومنه سَمَّى الْقَاضِي حَاكِمًا لِأَنَّهُ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمِ . قال جرير :

أَبْنَى حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سُفْهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا^(١)

وقوله : « أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي » إلخ الْمُغْلَقَةُ : الرِّسَالَةُ الذَّاهِبَةُ إِلَى كُلِّ بَلَدٍ ، مِنْ تَغْلَقَلْ ، إِذَا ذَهَبَ . وروى غير ابن هشام مصراعه الثاني كذا :

* فَأَنْتَ مَجُوفٌ نَخِيبٌ هَوَاءٌ *

وَالنَّخِيبُ ، بَفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْمَعْجَمَةِ : الْجَبَانُ .

وقوله : « هَجَوْتُ مُحَمَّدًا » ، قال اللخمي : قال ابن دريد : أَخْبَرَنَا السَّكَنُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا انْتَهَى حَسَّانٌ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جَزَاؤُكَ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةُ يَا حَسَّانَ » .

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ .

* أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ *

قَالَ مَنْ حَضَرَ : هَذَا أَنْصَفُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ .

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي « قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَقَاكَ اللَّهُ يَا حَسَّانَ حَرَّ النَّارِ » .

(٣) ديوان جرير ٥٠ واللسان (حكم) ، والكامل ٤٤٣ . ويعلو :

أَبْنَى حَنِيفَةً إِنِّي أَنْجِيكُمْ أَدْعُ الْيَمَامَةَ لَا تَوَادِي أَرْبَابًا

وقوله : « فشرُّكما لخيركما الفداء » . قال السَّهيلي :

في ظاهر هذا اللفظِ شناعة^(١) لَأَنَّ المعروفَ أَنْ لا يقال هو شرُّهما
إِلَّا وفي كليهما شرٌّ^(٢) . وكذلك شرٌّ منك^(٣) . ولكنَّ سيويوه قال : تقول
مررت برجل شرٌّ منك . إذا نَقَصَ عن أَنْ يكون مثله . وهذا يدفع
الشَّناعة عن الكلام الأوَّل . ونحوُ منه قَوْلُهُ عليه السلام : « شرُّ صفوفِ
الرَّجالِ آخرُها » . يريد نقصانَ حَظِّهم عن حظِّ الصفِّ الأوَّل ، كما قال
سيويوه . ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشرِّ . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد السبعائة^(٤) :

٧٣٣ (فَالَا وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةٌ)

على أَنَّهُ قد فصل بالجارِّ والمجرور ، أعنى الجملة القسميَّة ، وهو
« وَأَبِي دَهْمَاءَ » بين لا النافية وبين زالت .

وهذا الفصل شاذٌّ . وإليه ذهب ابن هشام (في المغني) ، إِلَّا أَنَّهُ
لم يقيده بالشذوذ ولا بالقِلَّةِ . وكأنَّه مطرِدٌ عنده . قال (في بحث
الجملة المعترضة) : ويفصل بين حرف النفي ومنفيِّه ، كقوله^(٥) :

٤٦

* ولا أراها تزالُ ظالمةً *

(١) في الروض : « بشاعة » .

(٢) في النسختين : « كلاهما شر » ، والوجه ما أثبت من الروض .

(٣) في النسختين : « شر مثله » ، صوابه من الروض .

(٤) المقرب ١ : ٩٤ والضرائر ١٥٦ والمغني ٣٩٣ والجمع ٢ : ١٥٦ .

(٥) لابن هزمة في ديوانه ٤٨ ومعاني القرآن ٢ : ٥٤ ، ١٥٤ والكامل ٣٨٠ ،

٦٨٠ . وعجزة :

* تحدث لي نكبة وتتكؤها *

ويروى : « تحدث لي قرحة » و « تظهر لي قرحة » .

وقوله :

* فلا وأبى دَهْمَاء زالت عزيزة *

قال شارحه ابن المُلَّا الحلبي : ويجوز أن تكون لا ردًا وحرفُ
النفي محذوفًا ، ولا اعتراض . انتهى .

وقد ردَّ الشارح المحقق هذا الجوازَ فقال : وليس مِمَّا حُذِفَ منه
حرف النّفى إلخ .

ومراده الرّدُّ على الفراء ، فإنه ذهب في موضعين (من تفسيره)
إلى أنَّ حرفَ النّفى منه محذوف :

الأوّل في سورة يوسف عند قوله تعالى : ﴿ تَاللّٰهِ تَفْتُنُوْهُ تَذَكَّرْ يُوْسُفُ ﴾^(١)
قال : أى لا تزال تذكر يوسف . ولا قد تُضَمَّر مع الأيمان ، لأنها إذا
كانت خبرًا لا يضمّر فيها لا ، لم تكن إلّا بلام . ألا ترى أنّك تقول :
والله لا آتينك . ولا يجوز : والله آتيك ، إلّا أنّ تكون تريدُ لا . فلما
تبين موضعها وفارقت الخبر أضمرت . قال امرؤ القيس :

فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعدًا البيت^(٢)

وأنشدنى بعضهم :

فلا وأبى دَهْمَاء زالت عزيزة على قومها ما قتل الزند قادحُ

يريد : لا زالت .

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) مجزه في ديوانه ٣٢ ومعاني الفراء :

* ولو قطعوا رأى لديك وأوصال *

والموضع الثاني في سورة الكهف . عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ ﴾^(١) قال : لا يَكُونُ^(٢) تَزَالُ وَأَبْرَحُ وَأَفْتَأُ إِلَّا بِجَحْدٍ ظَاهِرٍ أَوْ مَضْمَرٍ . فَأَمَّا الظاهر فقد تراه في القرآن : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾^(٣) . والمضمر فيه الجحد قولُ الله تعالى : ﴿ تَفْتَوُا ﴾ معناه لا تفتؤ . ومثله قول الشاعر :

فلا وأبى دَهْمَاءُ زالتْ عَزِيزَةٌ البيت

وكذلك قول امرئ القيس :

فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعدًا البيت . انتهى

وقد جعله ابنُ عُصفور من باب حذف الناقى ، وهو ما ، لكن روى صدره على خلاف هذا : قال : ومنه حذف ما النافية وهو قليلٌ جداً وهو قوله :

لعمري أبى دَهْمَاءُ زالتْ عَزِيزَةٌ على قومها ما قَتَلَ الزَّندَ قَادِحُ

يريد : ما زالت عزيزة . انتهى .

وكذا رواه المرادى (في شرح التسهيل) وخرجه . إلا أنه قال : أى

لا زالت عزيزة . انتهى .

وقوله : (فلا وأبى دَهْمَاءُ) الخ الفاء في التقدير داخلة على واو القسم ، أى فَوَ أَبى دَهْمَاءُ لا زالت عزيزة . أَقَسَمَ الشاعرُ بوالدِ هذه المرأة . فأبى مضافٌ إلى دَهْمَاءُ وهى اسم امرأة ، واسم زالت الضميرُ الراجع إلى دَهْمَاءُ ، وعزيزة خبرها ، وهى من العِزَّة بالعين المهملة وبالألف المعجمة ، وج لة

(١) الآية ٦٠ من سورة الكهف .

(٢) ش : « لا تكون » ، وأثبت ما في ط ومعاني القرآن .

(٣) الآية ١١٨ من سورة هود .

لا زالت جواب القسم ، وعلى قومها متعلقٌ بعزيزة ، وما مصدريةٌ ظرفية .
وفُتِّلَ بالفاء بعدها مشناةٌ فوقية ، روى بشدّها وتخفيفها ، وهو فعلٌ
ماضٍ ، والزَّنْدَ مفعوله ، وقادح فاعله .

وقد ذكر أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) صفةَ الزَّند
والزَّنْدة ، وكيفيَّةَ الفَتْل ، فلا بأس بإيراده هنا ، قال :

أفضلُ ما اتَّخِذْتَ منه الزَّنَادَ شَجَرَتَا المَرِّخِ والعَفَّارِ، بفتح العين
المهملة بعدها فاءٌ ، فتكون الأنثى وهي الزَّنْدة السُّفلى مَرِّخًا ، ويكون
الذكر وهو الزند الأعلى عَفَّارًا. أخبرني بعضُ علماء الأعراب أنَّ العَفَّارَ
شجرٌ يشبه صغارَ شجر الغُبيرةِ ، منظرُهُ من بعيدٍ كمنظره . وأمَّا المَرِّخُ
فقد رأيتُهُ يَنْبُتُ قُضْبَانًا سَمْحَةً طَوَالًا لا وِرْقَ لها . ولَفَضْلُ هَاتينِ
الشجرتين في سُرْعَةِ الِوَرَى، وكثَرَةِ النارِ، سارَ قولُ العربِ فيهما مثلاً ،
فقالوا: « في كُلِّ الشَّجَرِ نارٌ، واستَمَجَدَ المَرِّخُ والعَفَّارُ »^(١)، أي ذهبَا بالمجد
فكان الفضلُ لهما . ولذلك قال الأعشى :

زنادُك خيرُ زنادِ المَلُو لِـ خالطَ فيهن مَرِّخٌ عَفَّاراً^(٢)

٤٧

ويختار أن تكون الزَّنْدة من المَرِّخِ ، والزَّندُ من العَفَّارِ .

ومن فضيلة المَرِّخِ في كَثَرَةِ النارِ وسُرْعَةِ الِوَرَى ، ما ذكرَ أبو زيادٍ
الكَلابيُّ فإنه قال : ليس في الشجرِ كُلُّهُ أَوْرَى زِنَادًا من المَرِّخِ ، قال :
وربَّما كان المَرِّخُ مجتمعاً ملتقاً وهبَّت الريحُ فحكَّ بعضُهُ بعضاً فأوَرَى ،
فاحترق الوادى كُلُّهُ . ولم نر ذلك في شيءٍ من الشجرِ .

(١) الحيوان ٤ : ٤٦٦ والعقد ٣ : ٣٢ وجهرة المسكوى ٢ : ٩٢ وفصل المقال
٢٠٢ والميداني ٢ : ١٨ والزنجشري ٢ : ١٨٣ والسان (عفر ٢٦٦) .
(٢) ديوان الأعشى ٤١ .

ثم بعد أن ذكر الأشجار التي تتخذ منها الزناد قال : وصِفَةُ الزَّندَةِ :
عود مُرَبَّعٌ في طول الشَّبرِ أو أكثر ، وفي عَرْضِ إصبعٍ أو أَشْفَ ، وفي
صفحاتها فُرْصٌ ، وهي نُقْرٌ ، الواحدة منها فُرْضة ، وتجمع فِرَاضاً
أيضاً . والزَّندُ الأعلى نحوها غير أنَّه مُستدير وطرفه أدقُّ من سائرِهِ .
فأما وصفُ الاقتداح بها فإنَّ المقتدِح إذا أراد أن يقتدِح بالزَّناد وضع
الزَّندَةَ ذاتَ الفِرَاضِ بالأَرْضِ ، ووضع رجلَيْهِ على طرفيها ، ثم وضع
طَرَفَ الزَّندِ الأعلى في فُرْضةٍ من فِرَاضِ الزَّندَةِ ، وقد تقدَّم فهمياً في
الفُرْضة مجرى للنار إلى جهة الأرض بحزٍّ ، وقد حَزَّهُ بالسَّكِّين في جانب
الفُرْضة ، ثم قتل الزَّندَ بكفِّهِ كما يُقْتَلُ المُنْقَب ، وقد أَلْقَى في الفُرْضة
شيئاً من التُّراب يسيراً يبتغى بذلك الخُشْنة ^(١) ، ليكون الزَّندُ أَعْمَلَ في
الزَّندَةِ ، وقد جَعَلَ إلى جانب الفُرْضة عند مُفْضَى الحَزِّ رِيَّةً ^(٢) تأخذ فيها
النَّارَ ، فإذا قُتِلَ الزَّندُ لم يلبث الدُّخَانُ أن يظهرَ ثم تتبعه النارُ ^(٣) فتتحلر
في الحَزِّ ، وتأخذ في الرِّيَّةِ . وتلك النَّارُ هي السَّقْطُ . انتهى كلامُهُ باختصار
كثير .

وقد صحَّفَ بعضهم قوله : « ما قَتَلَ الزَّندَ قَادِح » وروى : « ما قِيلَ
للزَّندِ قَادِح » ، على أنَّه فعل مجهول من القَوْلِ . وجَرَّ الزَّندَ باللام .

وهذا البيت لم أقف له على تنمة ولا قائلٍ . والله أعلم .

* * *

(١) الخُشْنة ، بالضم : الخشونة . يقال خشن خشنة وخشانة وخشونة وخُشْنة .

(٢) الريَّة من الوري ، كالعدة من الوعد . ورت النار ترى ورياً وريَّة حسنة . وقد
كتبت الكلمتان في الأصل كلمة واحدة برسم « الحزورية » ، وإنما هما كلمتان .

(٣) كتبت « تتبعه » في ش بنقطتين فوق التاء الأولى ، ونقطتين تحتهما ، لتقرأ بالقراءتين
جيماً .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السبعمئة ^(١) :

٧٣٤ (تَنْفَكُ تَسْمَعُ مَا حَيِّبَ مَ بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُونَهُ)

على أن حرف النفي محذوف ، والتقدير : لا تنفك .

وظاهره أن حذف النافي أي حرف نفي كَانَ ، يجوز حذفه من هذه الأفعال ، سواء وقعت جواب قسم كآلية والبيت الذي بعده ^(٢) ، أم لا كهذا البيت ، فإنه لم يتقدمه شيء . وهو الظاهر أيضا من كلام الزمخشري (في المفصل) ، ومن كلام ابن هشام (في شرح الشواهد) . لكن ابن يعيش قيّد حرف النفي بكونه لا ، وأنه لا يحذف من هذه الأفعال إلا إذا وقعت جواب قسم . قال : إن حرف النفي قد يحذف في بعض المواضع ، وإنما يسوغ حذفه إذا وقع في جواب القسم ، وذلك لأن اللبس ، كقوله :

تزال جبال مبرمات أعدها البيت ^(٣)

ولا يجوز أن يحذف من هذه الحروف غير لا ، لأنه لا يجوز حذف لم وما ، لأن « لم » عاملة فيما بعدها ولا يجوز أن تحذف وتعمل ، وكذلك « ما » قد تكون عاملة في لغة أهل الحجاز . انتهى .

ويؤخذ منه أنه لا يجوز حذف إن أيضا ، لأنها قد تعمل عمل ليس . وفي كلامه نظر : أمّا أولاً فلأنه قد مثل بهذا البيت تبعا لصاحب المفصل ، وتنفك فيه ليس جواب قسم .

(١) الإنصاف ٨٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٩ والعيني ٢ : ٧٥ والمجم ١ : ١١١ .

(٢) أي بعد هذا الشاهد وهو الشاهد ٧٣٥ .

(٣) هو الشاهد التالي ٧٣٥ .

وَأَمَّا ثَانِيًا فَلَأَنَّ الْكَلَامَ فِي حُرُوفِ النَّفْسِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْأَفْعَالِ ،
وما الحجازية داخلة على المبتدأ والخبر ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ ؟ وهل هو
إِلَّا اشْتِبَاهٌ .

٤٨ وقد تبعه المرادى (فى شرح التسهيل) فى الثانى قال : وينقاس
الحذف فى المضارع جوابَ قسم ، وشذُّ فى الماضى جوابَ قسم ، كقوله :
* لعمر أبى دهماء زالت عزيزة *

أى لا زالت . وشذُّ فى المضارع غيرَ جواب ، كقوله :
وأبرحُ ما أدامَ الله قومى بِحَمْدِ اللَّهِ مُنْتَطِقًا مُجِيدًا^(١)
أى لا أبرح ، وقيل لا حذف ، والمعنى : أزول عن أن أكون منتطقاً
مُجِيدًا ، أى صاحبَ نطاقٍ وجوادٍ ، ما أدامَ الله قومى ، فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَنِي
ذلك . انتهى .

ودعوى عدم الحذف تعسُّفٌ وقع فى أشدَّ ممَّا فرَّ منه^(٢) .
وأغربُ من قول المرادى ما ذهب إليه ابن عصفور ، من أنه
ضرورة ، قال : ومنه إضمار لا النافية فى غير جواب القسم ، كقوله :
تنفك تسمعُ ما حييتَ . . . البيت . انتهى .
فَلِلَّهِ دُرُّ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ بِمَا أَجَوَدَ اخْتِيَارَهُ ، وما أَرَصَنَ سَبْكَهُ .

وقوله : (تنفك تسمع) إلخ ، جملة تسمع مع فاعله الضمير خبرٌ
لا تنفكُ ، وما مصدرية ظرفية . و(حَيِّتَ) بالخطاب ، أى مدَّة حياتك .

(١) لخدائش بن زهير فى معجم الشواهد .

(٢) فى النسختين : « فى أشدَّ ما فر منه » ، والوجه ما أثبت .

ولا وجه لقول بعض أفاضل العجم (في شرح أبيات المفصل) : وقوله ما حبيبت بياناً لقوله تنفك تسمع، وتأكيده . انتهى

(بهالك) متعلق بتسمع على تقدير مضاف ، أى بخبر هالك . وسَمِعَ هنا ليست مما يتعدى لمفعولين ، وتعدّيها بالباء أحد استعمالاتها كما تقدّم ، كقولهم : « تسمع بالمعيدي » . ويجوز أن تكون الباء زائدة فتكون متعدية إلى مفعول واحد ، كقولك : سمعت الخبر . وهذا أيضاً أحد استعمالاتها . و (حتى) حرف جر بمعنى إلى ، والهاء في (تكونه) ضمير الهالك . والأكثر في خبر كان إذا كان ضميراً أن يكون منفصلاً . وهذا من القليل .

وقد استشهد صاحب اللباب لقلته بهذا البيت . قال ابن هشام : أى لا تزال تسمع : مات فلانٌ ، حتى تكون الهالك . والخطاب لغير معين ، مثله في : « بشر ماله البخل بحادث أو وارث » . وتسمع خبر ، والباء [وحتى^(١)] متعلقتان به ، وما ظرف له ، والهاء من (تكونه) راجعة للهالك باعتبار لفظه دون معناه ، لأنّ السامع غير المسموع . ومثله مسألة التنازع : ظننى وظننت زيدا قائماً إياه . وقد غمضَ هذا المعنى على ابن الطراوة فمنع المسألة ، وخالف الأئمة . وبعده :

(والمرء قد يرجو الرجا ء مؤملاً والموت دونَه)

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كثيراً ما يتمثل بهما . انتهى . وكذا رواه العيني .

والذى رواه ابن المستوفى وغيره :

• والمرء قد يرجو الحياة •

ومؤملاً حال من ضمير يرجو . وقال العيني : مؤمّل إن كان اسم فاعل فهو حالٌ من المرء ، وإن كان اسمٌ مفعول فهو مفعول ليرجو . هذا كلامه . فتأمله .

ودونَ هنا بمعنى أمام أو خلف ، لأنه من الأضداد . وجملة « والموت دونه » حالٌ إمّا من ضمير مؤمّل ، أو من ضمير يرجو .

والبيتان نسبهما أبو عبيد القاسم بن سلام (في كتاب الأمثال)
لخليفة بن برّاز^(١) ، وهو جاهلي . وقد أخذ البيتَ بعضهم فقال :

صاحب الشاهد
خليفة بن برّاز

يُقال فلان مات في كلّ ساعةٍ ويوشك يوماً أن تكونَ فلانا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد السبعائة^(٢) :

٧٣٥ (تزالُ جبالُ مبرماتٍ أُعِدّها لها ما مَشَى يوماً على خُفِّهِ جَمَلٌ)

على أن (تزال) جواب قسم وحذف منه حرف النفي . أي لا تزال . والقسم ٤٩
في بيت قبله ، وهو :

(حَلَفْتُ يميناً يا ابنَ قُحْفانٍ بالذي تكفّل بالأرزاقِ في السَّهْلِ والجَبَلِ

تزال جبالُ مبرماتٍ البيت

فأعطِ ولا تبخلْ إذا جاءَ سائلٌ فعنْدِي لها عُقْلٌ وقد زاحَتِ العِلَلُ)

وروى أيضاً :

• وتُقَسِّمُ ليلي يا ابنَ قُحْفانٍ بالذي •

(١) انظر فصل المقال ٦٤ حيث أنشد البيت الشاهد منسوباً إليه برواية : « وتزال تسمع » .

وفي القاموس (برز) : « وكسحاب : اسم » .

(٢) ابن عييش ٧ : ١٠٩ والحجاسة ١٧٢٧ بشرح المرزوقي وسمط اللالي ٦٣١٠ وفصل

المقال ٦٤ .

إلخ . فجملة لا تزال بتقدير لا ، جواب القسم الذى هو تقسم لىلى .
 ومُبرمات : محكمات . وأعدّها : أهيّئها . وضمير لها للإبل فى شعرٍ قبل
 هذا يأتى آنفاً . وما مصدرية ظرفية . وجَمَل فاعل مَشى وسكَن للقافية .
 وعُقِل : جمع عِقال ، وهو ما يربط به رُكبة البعير . وزاحت ، بإعجام
 الأوّل ، بمعنى زالت .

صاحب الشاهد وكان من حديث هذه الأبيات ما رواه أبو تمام (فى الحماسة) :
 أنّ سالم بن قُحطان جاء إليه أخو امرأته زائراً فأعطاه بعيراً من إبله
 وقال لامرأته : هاكى حَبلاً يَقْرَن به ما أعطيناه إلى بعيره . ثم أعطاه
 بعيراً آخر وقال مثل ذلك ، ثم أعطاه مِثْلَ ذلك ، فقالت : ما بقى عندى
 حَبْل ! فقال : « علىّ الجمالُ وعليك الحبالُ » . وأنشأ يقول :

أبيات الشاهد لقد بَكَرْتُ أمَّ الوليدِ تَلومُنِي ولم أَجَرمَ جُرمًا فقلتُ لها مَهلاً^(١)
 فلا تَغْذِلْنِي بِالْعِطاءِ وَيَسْرِي لكلِّ بعيرٍ جاء طالِبُهُ حَبْلاً
 فَإِنِّي لا تَبْكِي عَلَى إِفْالِها إِذا شَبَعَتْ من رَوْضِ أوطانها بَقْلاً
 فلم أَرْ مِثْلَ الإِبِلِ مالاً لِمُقْتَنِي ولا مِثْلَ أَيّامِ الحُقُوقِ لها سُبْلاً
 فرمَتْ إليه خِمَارَها وقالت : صيرْه حَبْلاً لِبَعْضِها . وأنشأت تقول :

حلفت يميناً يا ابن قحطان الأبيات الثلاثة . انتهى .

ولم يتكلم الخطيب التبريزى بشيء (فى شرحه) على هذه الأبيات .

والإفال : أولاد الإبل . قال ابن المستوفى فى قوله :

* فَإِنِّي لا تَبْكِي عَلَى إِفْالِها *

(١) انظر الحماسة ١٥٨١ ثم ١٧٢٦ بشرح المروزق ؛ فقد أنشدت الأبيات فيها مرتين مع
 خلاف فى الترتيب والنص .

قولين : أحدهما أَنَّ الإبلَ بَهَائِمٌ لَا تَهْتُمُّ بِى إِذَا مِتَّ ، بَلْ تَرَبَّعُ
وَتَشْبَعُ . والثانى : مَوْتى عِنْدَهَا وَأَنَا أَنْحَرُهَا أَحَبُّ إِلَيْهَا ، فَلَعَلَّهُ يَأْخُذُهَا
مَنْ لَا يَنْحَرُهَا ، وَلَا يَغْنُمُهَا مَوْتى لِأَنِّى جَوَادٌ . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أُمالى القالى) : إِنَّ هَذَا
مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ :

أَرَأَيْتَ إِنْ صَرَخْتَ بِلَيْلٍ هَامَتِى وَخَرَجْتَ مِنْهَا بَالِيًّا أَثَوَابِى^(١)
هَلْ تَخْمِشُنِ إِبِلِى عَلَى وَجُوهِهَا وَتُعَصِّبُنِ رُءُوسَهَا بِسِلَابِ^(٢)
وَالسِّلَابِ : عَصَائِبُ سُود . يُقَالُ امْرَأَةٌ مُسَلَّيَةٌ ، إِذَا لَبَسَتْ السَّوَادَ
حَدَادًا .

وسالم بن قُحْفَانٍ بضم القاف وسكون المهملة بعدها فاء : لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى سَالِمِ بْنِ قُحْفَانٍ
خَبِيرٍ ، وَلَا عَلَى زَوْجَتِهِ لَيْلَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ، وَهُوَ
مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ^(٣) :

(حَرَّاجِيجُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مَنَاخَةٌ عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرِمِ بِهَا بَلَدًا قَفْرًا)
عَلَى أَنَّهُ خَطِيءٌ ذُو الرِّمَّةِ فِيهِ ، لِأَنَّ مَا تَنْفَكُ وَأَخَوَاتِهِ بِمَعْنَى الْإِيجَابِ
مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ، لَا يَتَّصِلُ الْاسْتِثْنَاءُ بِخَبَرِهَا ، كَمَا بَيَّنَّهُ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ .

٥٠

(١) السط ٦٣١ ، ٦٦١ . وفى ط : « إِنْ سَرَحْتَ بَلِيلَ هَمَتِ » ، لموايه فى السط فى
الموضعين . وفى ش مع أثر تصحيح ، ويروى : « صَدَحَتْ » .

(٢) فى السط : « أَوْ تُعَصِّبُنِ رُءُوسَهَا » .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٢٨ . وانظر معاني الفراء ٣ : ٢٨١ والمختضب ١ : ٣٢٩ والموشح
٢٨٦ ، ٢٨٧ وان الشجرى ٢ : ١٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٦ والضرائر ٧٥ ، والإنصاف
١٥٦ . والمغنى ٧٣ والممع ١ : ١٢٠ ، ٢٣٠ . والأشباه والنظائر ٣ : ٧٠ والأشموئى ١ : ٢٤٦
ويس ١ : ١٨٥ ، وديوان ذى الرمة ١٧٣ .

وذكر عنه جوابين :

أحدهما : أنَّ تنفكُ تامةٌ ومناخةٌ حال ، وعلى الخسف متعلق بمناخة ،
ونرمى معطوف على مُناخة .

وثانيهما : أنَّها ناقصة ، وعلى الخسف خبرها ، ومناخة حال . وذكر
ما وردَ على هذا الجواب .

والمخطئ هو أبو عمرو بن العلاء^(١) . قال المرزباني (في كتاب الموشح) :
أخبرني محمد بن يحيى ، حدثنا الفضل بن الحُبَاب ، حدثنا بكر بن
محمد المازني ، حدثنا الأصمعي ، سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول :
أخطأ ذو الرمة في قوله :

حَرَّاجِيحُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ البيت

في إدخاله إِلَّا بعد قوله « ما تنفك » .. قال الصُّولي : وحدثنا محمد
ابن سعيد الأصم ، وأحمد بن يزيد ، قالا : حدثنا يزيدُ المهلبُ
عن إسحاق الموصليُّ أنَّه كان يُنشد هذا البيت لذي الرمة :

• حَرَّاجِيحُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ •

والآل : الشَّخص . ويحتجُّ ببيته الذي ذكر فيه الآل في غير هذه
القصيدة ، وهو قوله :

فَلَمْ نَهِيْطْ عَلَى سَفَوَانَ حَتَّى طَرَحْنَ سِيْخَاهُنَّ وَصِرْنَ آلا^(٢)

وعلى هذا يكون « آلا » خبر تنفكُ ، ومناخة صفته ، وأنت الصفة

(١) الكلام بعده إلى « العلاء » التالية ساقط من ش .

(٢) وكذا في الموشح ، وفي ضرائر ابن عصفور : « فابلغت بنا سفوان » ، و : « فصرن آلا » .
والبيت في ديوان ذي الرمة ٤٣٩ برواية :

فَلَمْ نَهِيْطْ عَلَى سَفَوَانَ حَتَّى طَرَحْنَ سِيْخَاهُنَّ وَإِضْنِ آلا

لأنَّ الشخص ممَّا يؤنَّث ويذكَّر . فرواية « إلَّا » بالتشديد غلطٌ من الرَّاوى لا من القائل . ويردُّ عليه أنَّ ذا الرِّمَّة لما قرأ البيت عند أبي العلاء غلَّطه فيه بما ذكره النحويُّون .

وقال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : إنَّ ذا الرِّمَّة لما عيبَ عليه قوله ما تنفكُ إلَّا مناخة فطِنَ له فقال : إنَّما قلت : « آلاُ مناخة » أى شخصاً .

وكذا قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) قال ابن الأنبارى (فى الإنصاف) : الآل : الشَّخص . يقال هذا آلٌ قد بدا ، أى شخصٌ . وبه سُمِّيَ الآلُ ؛ لأنَّه يرفع الشخص أولَ النهار وآخره .

وبه يضمحلُّ توقُّف ابنِ المُلَّا الحلبي (فى شرح المغنى) ، فى قوله : بقى شيءٌ ، وهو أنَّ صاحب القاموس على تبخُّره لم يذكُرْ معنى الآل بمعنى الشَّخص ^(١) . انتهى .

وخرَّجه المازنى (كما قال ابن يعيش) على زيادة إلَّا ، وتبعه أبو على (فى القُصَريَّات) وقال : إلَّا ههنا زائدة ، لولا ذلك لم يجرُ هذا البيت ، لأنَّ تنفكُ فى معنى تزال ، ولا يزال ^(٢) لا يُتكلَّم به إلَّا منفياً عنها . انتهى .

ونسب ابن هشام (فى المغنى) هذا التخريجَ إلى الأصمعى وابن جنى ، قال : وحملَ عليه ابنُ مالكٍ قوله :

* أرى الدَّهرَ إلَّا منجنوناً بأهله ^(٣) *

ولمَّا المحفوظ : « وما الدَّهرُ إلَّا » . ثمَّ إنَّ ثبوتَ روايته فتتخرَّج على

(١) هذا غير صحيح ، فإن صاحب القاموس ذكر الآل بمعنى الشخص فى مادة (أول) .

(٢) ش : « ولا تزال » بالتاء .

(٣) مجهول القائل كما فى معجم الشواهد . وعجزه :

* وما صاحب الحاجات إلا معذبا *

أَنْ أَرَى جَوَابُ لِقَسَمٍ مَقْدَرٌ ، وحذفت لا كحذفها في : ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَنُ ﴾^(١) ودلَّ على ذلك الاستثناء المفرغ . انتهى .

ولم يذكر ابن عصفور غيره وغير احتمال التمام ، لكنَّه جعله من الضرائر . قال : ومنها زيادة إلا في قوله :

أَرَى الدَّهْرَ إِلَّا مَنْجُونًا البيت

هكذا رواه المازني ، يريد : أَرَى الدهر منجونا . وكذلك جعلها في قول الآخر :

ما زال مُذْوجَفَّتْ في كُلِّ هَاجِرَةٍ بِالْأَشْعَثِ الْوَرْدِ إِلَّا وَهُوَ مَهْمُومٌ^(٢)
يريد : هو مهموم ، فزاد إلا والواو في خبر زال .

وفي قول الآخر :

وَكُلُّهُمْ حَاشَاكَ إِلَّا وَجْدَتُهُ كَعَيْنِ الْكَذُوبِ جَحْدُهَا وَاحْتِفَالُهَا^(٣)
يريد : وكلُّهم حاشاك وجدته .

وفي قول ذى الرمة :

حراجيج ما تنفكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ البيت
يريد : ما تنفكُ مُنَاخَةٌ .

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) لذى الرمة في ديوانه ٥٨٤ ، واللسان (شعث ٤٦٦) . وجفت : أسرع ، يعنى الرياح . وجفت الرياح بالاشعث ، أى جرت ذيلها عليه . والأشعث الورد هو الصغار ، وهو شوك البهي إذا يبس ، وإنما اهتم الحمار لما رأى البهي حاجت ، وقد كان رعى البال وهى رطبة . من شرح الديوان واللسان . وروى : « في كل ظاهرة » ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) وكذا ورد بدون نسبة في معاني الفراء ١ : ١٤٠ .

ويحتمل أن يُجعل زال وتنفك تامّتين وتكون إلا داخلة على الحال.
وكذلك تجعل إلا في قوله :

٥١

* وكلّهم حاشاك إلا وجدته *

إيجاباً للنفي الذي يُعطيه معنى الكلام ، أى ما مِنْهم أحدٌ حاشاك
إلا وجدته . وعليه حمّله الفراء . وأمّا « أرى الدهر إلا منجنونا » فلا
تكون إلا فيه إلا زائدة . انتهى .

وقد رأيت تخريج ابن هشام بيت المنجنون .

وأول من ذهب إلى أن تنفك في بيت ذى الرمة تامّة هو الفراء (في
تفسيره) ، عند قوله : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين
مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ ^(١) : قد يكون الانفكاك على جهة يزال
ويكون على الانفكاك الذى تعرفه . فإذا كانت على جهة يزال فلا بدّ لها
من فعل وأن يكون معها جحد ، فتقول : ما انفككت أذكرك ، تريد :
ما زلت أذكرك . فإذا كانت على غير معنى يزال قلت : قد انفككت
منك ، وانفك الشيء من الشيء ، فيكون بلا جحد وبلا فعل . وقد قال
ذو الرمة :

قلانص لا تنفك إلا مُناخَةً البيت

فلم يدخل فيها « إلا » إلا وهو ينوى بها التمام وخلاف يزال ، لأنك
لا تقول : ما زلت إلا قائما . انتهى كلامه .

ونسبه ابن الأنبارى (فى الإنصاف) إلى الكسائى ، قال : وهذا
الوجه رواه هشام عن الكسائى .

وبما ذكرنا يُعَلِّمُ أَنَّ قول المُرادى (فى شرح التسهيل) : وخرَّجَه قومٌ منهم على أَنَّها ناقصة ، خلافُ الواقع . وتنفكُّ على هذا مطاوع فكَّه ، إذا خلَّصه أو فصله .

قال الزمخشري (فى حواشى المفصل) : وفى تصحيح البيت وَجِيهٌ ، وهو أن يريد لا تنفك عن أوطانها ، أى لا تنفصل عنها ، إلّا ولها بعد الانفصال هاتان الحالتان : إمّا الإناخة على الخسف فى المراحل ، أو السير فى البلد القفر . انتهى .

وبهذا يظهر قول الشارح المحقّق : مناخَةٌ حال ونرمى معطوف عليه .

وقال ابن عقيل والمُرادى (فى شرحيهما للتسهيل) : كأنّه قال : ما تتخلّص أو ما تنفصل عن السير إلّا فى حال إناختها على الخسف ، وهو حبسها على غير علف . يُريد أَنَّها تُناخ مُعدّة للسير عليها ، فلا تُرسل من أجل ذلك فى المرعى . وأو بمعنى إلى ، وسكنّ الياء للضرورة . انتهى .

والوجه الأوّل أوجهٌ . و (الخسف) بفتح المعجمة : النقيصة ، يقال رَضِيَ بالخسف ، أى بالنقيصة . وبات على الخسف أى جائعاً . وربطت الذابة على الخسف ، أى على غير علف . و (على) بمعنى مع . وقال الشارح المحقق : جعل الخسف كالأرض التى يُناخ عليها ، كقوله :

* تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ ^(١) *

يريد أن الإناخة إنّما تكون على العلف ، فجعل الخسف بدلاً منه ، كما جُعِلَ الضربُ الوجيعُ بدلاً من التحية . و (نرمى) بالنون مع البناء للمعلوم ، ويروى (يُرمى) بالثناة التحتية مع البناء للمفعول . و (بها)

(١) لعمرو بن معديكرب ، وهو الشاهد التالى برقم ٧٣٧ .

نائب الفاعل ، وبلداً ظرف للرَّمى ، وهو بمعنى المكان والأرض لا بمعنى المدينة . و (الحُرْجُوج) كعصفور : الناقة الضامر^(١) ، قاله أبو زيد . وقد روى (مُناخَةٌ) بالرفع أيضاً . قال ابن المستوفى : قال أبو البقاء : رَوَى مُنَاخَةٌ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدَأَ مَحذُوفٍ ، وموضع الجملة حال ؛ وبالنَّصَبِ عَلَى الْحَالِ ، وتكون تنفكُ تامة .

وكذا رواه ابنُ الأنباريُّ (في الإنصاف) .

وأما التخريج الثاني من التخريجين اللذين ذكرهما الشارح المحقق فهو للأخفش أبي الحسن سَعِيدِ بْنِ مَسْعَدَةَ المجاشعي ، قال (في كتاب المعايضة) : أراد : لا تنفكُ على الخسف أو نرعى بها بَلَدًا قَفَرًا إِلَّا وَهِيَ مُنَاخَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ ، كما لا تقول : لا تزال^(٢) إِلَّا مُنَاخَةٌ . انتهى .

وقد تبعه على هذا جماعةٌ منهم الزَّجَّاج . قال ابنُ جُنِّي في بعض أجزاءه : وقد قال فيه بعض أصحابنا قولاً ، أَرَاهُ أَبَا إِسْحَاقَ ، وَرَأَيْتُ أَبَا عَلِيٍّ قَدْ أَخَذَ بِهِ ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ خَبِرَ مَا تَنْفَكُ الظَّرْفُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : مَا تَنْفَكُ عَلَى الْخَسْفِ ، وَنَصَبَ [مُنَاخَةٌ^(٣)] عَلَى الْحَالِ ، وَقَدَّمَ إِلَّا عَنْ عَنْ مَوْضِعِهَا . وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالشَّعْرِ نَقْلُ إِلَّا عَنْ مَوْضِعِهَا . انتهى .
ومنهم أبو البقاء ، قال : يجوز أن تكون تنفكُ الناقصة ، ويكون على الْخَسْفِ الْخَبِرَ ، أَيْ مَا تَنْفَكُ عَلَى الْخَسْفِ إِلَّا إِذَا أُنِخَتْ . وعليه المعنى . انتهى .

(١) كذا في النسختين . يقال ناقة ضامرة وضامر أيضاً بغير هاء ، ذهبوا إلى النسب ، أَيْ ذَاتِ ضَمْرٍ ، كَمَا قَالُوا : لَابِنٌ وَتَامِرٌ . وانظر القاموس واللسان (ضمير) .

(٢) ط : « لا تزال » ، صوابه في ش .

(٣) تكملة يفتقر الكلام إليها .

وقد رَدَّه جماعةٌ منهم صاحب (اللُّباب) ، وهو محمد بن محمد بن أحمد الأسفَرَائِني المعروف بالفاضل ، قال فيه : وَخُطِيَّ ذُو الرِّمَّةِ فِي قَوْلِهِ : حَرَّاجِيحٌ لَا تَنْفِكُ إِلَّا مَنَاخَةً ، وَالْإِعْتِذَارُ بِجَعْلِهِ حَالًا وَعَلَى الْخُسْفِ خَبِيرًا ضَعِيفٌ ، لِمَا أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ الْمَفْرُغَ قَلَمًا يَجِيءُ فِي الْإِثْبَاتِ ، وَيَقْدَرُ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ بَعْدَهُ . وَتَقْدِيرُ الْتَّامِ فِي تَنْفِكَ أَحْسَنُ مِنْهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . انْتَهَى .

قال شارحه الفالِي^(١) : معناه أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ الْمَفْرُغَ فِي الْإِثْبَاتِ قَلِيلٌ . وَبَعْدَ تَسْلِيمِهِ إِنَّمَا يَأْتِي إِذَا قَدَّرَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ قَبْلَهُ لَفْظًا وَهَهُنَا يَقْدَرُ بَعْدَهُ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ إِلَّا مَنَاخَةً مُسْتَثْنَى مِنْ^(٢) أَحْوَالِ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي عَلَى الْخُسْفِ أَيْ مَا تَنْفِكُ مَهَانَةً مَظْلُومَةً فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، إِلَّا فِي حَالِ الْإِنَاخَةِ . وَذَلِكَ غَيْرُ مَعْنُودٍ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ الْمَفْرُغِ ، فَإِنَّ أَعْمَ الْعَامِّ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ الْمَفْرُغِ يَقْدَرُ قَبْلَهُ لَا بَعْدَهُ ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبْتُ إِلَّا رَاكِبًا ، فَالتَّقْدِيرُ : مَا ضَرَبْتُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالِ الرُّكُوبِ . وَلِذَا جَازَ فِي الْإِثْبَاتِ نَحْوَ قَرَأْتُ إِلَّا يَوْمَ كَذَا ، التَّقْدِيرُ : قَرَأْتُ فِي جَمِيعِ الْأَيَّامِ إِلَّا يَوْمَ كَذَا . فَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ يَقْدَرُ قَبْلَ الْإِسْتِثْنَاءِ لَا بَعْدَهُ . انْتَهَى .

وَمِنْهُمْ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ كَمَا حَرَّرَهُ .

وَمِنْهُمْ ابْنُ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) قَالَ فِيهِ : قَالَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ : هِيَ نَاقِصَةٌ ، وَالْخَبَرُ عَلَى الْخُسْفِ ، وَمَنَاخَةٌ حَالٌ . وَهَذَا فَاسِدٌ لِبَقَاءِ الْإِشْكَالِ ، إِذْ لَا يَقَالُ : جَاءَ زَيْدٌ إِلَّا رَاكِبًا . انْتَهَى .

وَقَوْلُ أَبِي الْبَقَاءِ : « وَعَلِيهِ الْمَعْنَى » مُرَدُّدٌ ؛ فَإِنَّ الْحَالِيَّةَ سِوَاءَ نَصَبَتْ مَنَاخَةً أَوْ رَفَعَتْهَا كَمَا رُوِيَ ، بِتَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ ،

(١) الفالِي ، بالفاء . وقد جاء في النسختين بالقاف ، وهو تصحيف نبت على صوابه مراراً . انظر فيها حواشي ٤ : ٣٣٨ .

(٢) ط : « عَنْ » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

يكون التقدير فيها : هي مستمرة على الخسف في كل حال إلا حال
الإناخة ، فإنها تكون حينئذ ذات راحة . وهذا غير مراد الشاعر ، إذ
مراده وصف هذه الإبل بأنها لا تتخلص من تعب إلا إلى مثله ،
فليس لها حال راحة أصلاً .

وسيبويه قد أورد هذا البيت في باب أو التي ينتصب بعدها المضارع
بإضمار أن ، قال : ولو رفعت لكان عربياً جائزاً على وجهين : على أن
تشرك بين الأول والآخر ، وعلى أن يكون مقطوعاً من الأول . قال تعالى :
(سَتَذْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ^(١)) ﴿١﴾ إن شئت
كان على الإشراك ، وإن شئت كان على : أو وهم يُسلمون . وقال ذو الرمة :

حراجيج لا تنفكُ إلا مناخة البيت

فإن شئت كان على لا تنفكُ نرى ، أو على الابتداء . انتهى .

يريد بالأول العطف على خبر تنفكُ ، وبالثاني القطع .

قال النحاس : سألت عنه علياً ، يعني الأخفش الصغير ، فقال : لك
أن تجعل نرى معطوفاً ، ولك أن تقطعه ، ولك أن تقدّر أو بمعنى إلى أن
وتسكن الباء في موضع نصب .

والبيت من قصيدة طويلة لذي الرمة ، يُقال لها أحجية العرب . وأولها :
(لقد جَشَّاتْ نَفْسِي عَشِيَّةً مُشْرِفِ

وَيَوْمَ لَوَى خُزَوَى فَقُلْتُ لَهَا : صَبْرًا^(٢))

تَحَنُّنٌ إِلَى مَيٍّ كَمَا حَنَّ نَازِعٌ

دَعَاهُ الْهَوَى فَارْتَادَ مِنْ قَيْدِهِ قَصْرًا)

(١) الآية ١٦ من سورة الفتح .

(٢) ديوان ذي الرمة ١٦٩ - ١٧٣ .

جَشَأَتْ : نهضت . ومُشْرِفٌ وحُزْوَى : موضعان . واللَّوى : منقطع
الرَّمْل . وصبراً : اصبرى ^(١) . والنازع : البعير يحنُّ إلى وطنه . فارتاد من
قيده قصرًا ، أى طلب السَّعة فوجده مقصوراً . ويقال : ارتاد جَدْبًا وارتاد
خيرًا ، أى طلب الخِصْب فوقع على جَدْب . إلى أن قال :

(فَيَأْتِ مَا أَدْرَاكِ أَيْنَ مُنَاخِنَا

مُعَرِّقَةَ الْأَلْحَى بِمَانِيَةِ سُجْرَا

قَدْ اكْتَفَلْتَ بِالْحَزَنِ وَاَعْوَجَ دُونَهَا

ضَوَارِبُ مِنْ خَفَانٍ مَجْتَابَةٍ سِدْرَا

حَرَاجِيجُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَا البيت

أَنْحَنَ لِتَعْرِيسٍ قَلِيلٍ فَصَارَفُ يَغْنَى بِنَابِيهِ مُطْلَحَةٌ صُغْرَا)

مُعَرِّقَةُ الْأَلْحَى : قليلة لحم الأَلْحَى ، جمع لَحَى . وإذا كَثُرَ لَحْمُ
لَحِيهَا فَهُوَ عَيْبٌ . يقال : نَاقَةٌ سَجْرَاءُ : تضرب إلى الحمرة .

وقوله : « قَدْ اكْتَفَلْتَ بِالْحَزَنِ » أى صَيَّرْتَ الناقَةَ الْحَزْنَ خَلَقَهَا ،
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَرْكَبُ الْكِفْلَ فَإِنَّمَا يَرْكَبُ عَلَى أَقْصَى الْكِفْلِ ، كَمَا
تَقُولُ : اكْتَفَلْتَ النَّاقَةَ ، أى رَكِبْتَ مَوْضِعَ الْكِفْلِ مِنَ النَّاقَةِ . وَالْحَزَنُ :
مَا غُلِظَ مِنَ الْأَرْضِ . وَالضَّارِبُ : مَنْخَفِضٌ كَالْوَادِي . وَخَفَانٌ : مَوْضِعٌ .
وَمَجْتَابَةٌ سِدْرًا ، أى لَا بَسَةَ سِدْرًا ^(٢) . وَاَعْوَجَ ، يَغْنَى : الضَّوَارِبُ لَيْسَتْ
عَلَى جِهَةِ النَّاقَةِ .

وَالْحَرَاجِيجُ : الضُّمَرُ . وَالْخَسْفُ : الْجُوعُ ، وَهُوَ أَنْ تَبَيَّتَ عَلَى غَيْرِ
عَلَفٍ ، وَالتَّعْرِيسُ : النَّزُولُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ . وَصَارَفُ : أى فَبِعَضُّهَا صَارَفُ

(١) ش : « واصبرى صبرا » .

(٢) في شرح الديوان أن « سدر : مكان » . وفي بعض نسخ الديوان أن المراد بالسدر هنا

هو شجر النبق . انظر تحقيق عبد القدوس صالح ص ١٤١٨ .

يَصْرِفُ بِنَابِيهِ مِنَ الضُّجْرِ وَالْجَهْدِ . وَمُطْلَحَةٌ : مُعْيِيَةٌ . وَصُغْرٌ : فِيهَا مَيْلٌ مِنَ الْجَهْدِ وَالْهَزَالِ .

وهذا نقلته من شرح ديوانه .

وترجمته تقدّمت في الشاهد الثامن من أوّل الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد السبعمئة ، وهو من شواهد سيبويه^(٢) :

٧٣٧ (تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ)

على أَنَّهُ جَعَلَ الضَّرْبَ الْوَجِيعَ كَالْتَحِيَّةِ ، كَمَا جُعِلَ الْخَسْفُ كَالْأَرْضِ
الَّتِي يَنَاقُ عَلَيْهَا .

يريد أَنَّ الْخَسْفَ جُعِلَ بَدَلًا مِنَ الْأَرْضِ ، كَمَا أَنَّ الضَّرْبَ جُعِلَ
بَدَلًا مِنَ التَّحِيَّةِ ، وَلَا يَرِيدُ أَنَّهُمَا مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ ، فَإِنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ
فِيهِمَا ؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَيْسَ فِيهِ مِنْ أَرْكَانِ التَّشْبِيهِ غَيْرُ الْخَسْفِ ، وَلَا يُقَالُ
لِمِثْلِهِ إِلَّا اسْتِعَارَةٌ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ التَّشْبِيهِ . فَإِنْ كَانَ الْمِثْلُ بِهِ مَذْكُورًا
وَالْمِثْلُ غَيْرُ مَذْكُورٍ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ ، وَإِنْ كَانَ بِالْعَكْسِ
فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ . وَالْخَسْفُ وَإِنْ أَمَكَّنَ أَنْ يُجْعَلَ مِنَ الْاسْتِعَارَةِ
بِالْكِنَايَةِ ، لَكِنَّهُ لَمَّا شُبِّهَ بِمَا بَعِيدُهُ عُلِمَ أَنَّ مَرَادَهُ أَنَّهُ مِنْ بَابِ
التَّنْوِيعِ ، كَمَا يَأْتِي بَيَانُهُ . وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ لَيْسَ مِنَ التَّشْبِيهِ قَطْعًا ،

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٦٥ ، ٤٢٩ . وانظر النوادر ١٥٠ والمقتضب ٢ : ٤/٢٠ : ٤١٣
والخصائص ١ : ٣٦٨ والعمدة ٢ : ٢٢٤ وابن يمين ٢ : ٨٠ والتصريح ١ : ٣٥٣ ويس
١ : ٣٥٣ ٣٥٤ والحامسة بشرح المرزوقي ٢٤٦ ، ٦٤١ ، ١٣٨٧ ، ١٤٨١ ، ١٧٦٥ .
(م ١٧ — خزانة الأدب — ج ٩)

إذ المعهود في مثله أَنَّ يشبّه الأوّل بالثاني لا العكس ، إذ لا يقال في زيد أسدٌ : إِنَّ أسداً مشبّه بزيد . ولم يجيزوا أيضاً أَنَّ تشبّه التحية بالضرب ، لأنّه من باب التنويع ، وهو من خلاف مقتضى الظاهر ، وهو ادّعاء أَنَّ مسمّى اللفظ نوعان : متعارف وغير متعارف ، على طريق التخيل ، بأن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلاً عنه . منزّلته بدون تشبيه ولا استعارة ، سواء كان بطريق الحمل ، كقوله :

* تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ *

٥٤

أو في الاستثناء المنقطع ، كقوله :

وبلدة ليس بها أنيسٌ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيسُ^(١)

على معنى أنيسها اليعافير . أى إن كان يعدُّ أنيساً فلا أنيس إلاّ هو . أو بلونهما كقوله :

غضبت حنيفة أن تُقتلَ عامرٌ يومَ النَّسَارِ فَأَعْقَبُوا بالصَّيْلَمِ^(٢)

أى إنهم لما طلبوا إلينا العُتْبَى وضعنا لهم السَّلاح مكانها . وهذا نهكم . والصَّيْلَم : الذّاهية .

وحيث أطلق التنويع فالمراد به [هذا^(٣)] ، كما تراهم يقولون :

من باب :

* تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ *

(١) لجران العمود في ديوانه ٥٣ ، وهو الشاهد ٨٠٤ فيما سأتى .

(٢) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٨٤ ، والمفضليات ٣٤٦ . وفي النسختين : « عامرا » صوابه بالرفع كما في الديوان والمفضليات واللسان (عتب ، صلم) . ويروى أيضاً : « فأعقبوا » و « فأغضبوا » ثلاث روايات .

(٣) التكلة من ش .

فيجعلون المثال أساساً وقاعدة ، وليس من المجاز في شيء ؛ لأنَّ طرفيه مستعملان في حقيقتهما ؛ ولا تشبيهاً كما صرَّحوا به ، بل التشبيه يعكس معناه ويُفسِّده .

قال الشيخ (في دلائل الإعجاز) : اعلم أنَّه لا يجوز أن يكون سبيل قوله :

« لعابُ الأفاعى القاتلاتِ لعابه^(١) » .

سبيل قولهم : « عتابه السَّيف » . وذلك لأنَّ المعنى في بيت أبي تمام على أنَّك تشبه شيئاً بشيءٍ لجامعٍ بينهما في وصف . وليس المعنى في عتابك السيف على أنَّك تشبه عتابه بالسيف بدلاً من العتاب . ألا ترى أنَّه يصح أن تقول مدادُ قلمه قاتلُ كسمِّ الأفاعى ، ولا يصحُّ أن تقول عتابك كالسَّيف ، اللهمَّ إلا أن تخرجَ إلى باب آخر وشيءٍ ليس هو غرضهم بهذا الكلام ، فتريد أنَّه قد عاتب عتاباً خشناً مؤلماً . ثم إنَّك إذا قلت السَّيف عتابك ، خرجتَ به إلى معنى ثالث^(٢) ، وهو أن تزعم أنَّ عتابه قد بلغ في إيلامه وشدة تأثيره مبلغاً صار له السيفُ كأنه ليس بسيف . انتهى .

وليس هذا من قبيل التشبيه الذى ذكر معه ما يُحيلُ دخولَ أداة التشبيه كقوله :

« أسدُ دُمِّ الأسدِ الهزيرِ خضابُه » .

(١) مجزؤه في ديوان أبي تمام ٢٥٧ ، ودلائل الإعجاز ٢٣٨ :

« وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل » .

(٢) في النسختين : « حادث » ، صوابه من دلائل الإعجاز .

فإنَّه لا سبيلَ إلى التصريح بأداة التشبيه : لدلالة التشبيه على أنَّه دون الأسد ، ودلالة الوصف على أنَّه فوقه . فالوصف مانعٌ . وأمَّا هنا فالتشبيه يعكس المعنى المراد . وأيضاً فإنَّ المقصود نفي ما صدرَ به ، يعنى لا تحيةَ بينهم . والتشبيه لا يفيد هذا المعنى .

وليس الشيخ أباً عُذرةً هذا ، بل صرَّح به النحاة . منهم سيبويه ، وقد فصله في باب الاستثناء من كتابه ، ونقله ابن عصفور وابن الطراوة قالوا : إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين إمَّا أن تكون إحداهما قائمةً مقام الأخرى ، أو مشبهةً بها ، أو هي نفسها . فإن كانت قائمةً مقامها كان الخبر ما تريد إثباته ، نحو قول عبد الملك بن مروان : « كان عقوبتك عزَّلك » ، وكان زيندٌ زهيراً . فالعزلُ ثابتٌ لا العقوبة . والتشبيه بهزير ثابت . ولو قلتَ : كان عزُّك عقوبتك كان معاقباً لا معزولاً . ولو قلتَ : كان زهير زينداً ، أثبت التشبيه لزهير بزيد .

قال ابن الطراوة : وقد ^(١) غلط في هذا أجلةً من الشعراء ، منهم المتنبي في قوله :

ثيابُ كريمٍ ما يصُصونُ حِسَانَهَا إذا نُشِرتْ كان الهباتُ صَوَانَهَا ^(٢)
فدَمَّه وهو يرى أنَّه مدحُه . ألا ترى أنَّه أثبت الصَّونَ ونفى الهبات ، كأنَّه قال : الذي يقوم لها مقام الهبات أن تصان . وقد أُجيب عن المتنبي .

(١) في ط : « قد غلط » مجردة من الواو .

(٢) مطلع قصيدة له في ديوانه ٢ : ٣٩٠ يمدح بها سيف الدولة وقد أهدى له ثياب ديباج ، وريحاً ، وفرساً ، ومهراً . قال العكبري : « رفع ثياب على تقدير : عندي ثياب ، أو أنتنى ثياب » . وفي الشرح أيضاً : « يقول : أنتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، ولكن يهبها ، فليس لها صوان إلا الهبات ، فلا يتركها في التخت ، بل يهبها . قال الواحدي : ويجوز أن يكون ما يصونها من منديل ونحوه يكون هبة أيضاً » .

فإذا لم يكن في شيء من أطرافه تجوُّز ولم يُقصد التشبيه فهو حقيقة ،
 يجعل بدل الشيء القائم مقامه فرداً منه ادعاءً . فالتصرف في النسبة . ألا ترى
 ٥٥ لو قلت إن كان الضرب تحيةً فهو تحيتهم ، كان حقيقة قطعاً . فجعل
 الغرض المقدّر كالظاهر ، وهو نوعٌ على حدة ، من خلاف مقتضى
 الظاهر .

وأما وجه بلاغته وعلى ماذا يدلُّ ، فقد حقّقه صاحب (الكشاف)
 في مواضع : منها أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
 وَلَا بَنُونَ ﴾^(١) الآية : هو من باب :

* تحيةً بينهم ضربٌ وجيعٌ *

وما ثوابه إلا السيف . وبيانه أن يقال : هل لزيد مال وبنون ،
 فتقول : ماله وبنوه سلامةً قلبه . تريد نفى المال والبنين عنه ، وإثبات
 سلامة القلب له بدلاً عن ذلك .

وقال في موضع آخر : إنه يدلُّ على إثبات النفي^(٢) ، فمعنى : « ليس
 بها أنيسٌ إلاّ اليعافير » : أي إنه لا أنيسَ بها قطعاً . لأنه جعل
 أنيسها اليعافير دون غيرها . وهي ليست بأنيسٍ قطعاً . فدلَّ على أنه
 لا أنيسَ بها . وهو قريبٌ مما لو قلت : إن كانت اليعافير أنيساً فإنها
 أنيس . ووجه دلالة على إثبات النفي^(٣) أنه استعملته العرب مراداً به
 الحصر ، فإنّ الكلام قد يدلُّ عليه ، نحو : الجواد زيد ، والكرم في

(١) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

(٢) ط : « ثبات النفي » .

(٣) ط : « ثبات النفي » .

العرب، وشرَّ أهرَّ ذا ناب. ولذا ذكره النحاة في باب الاستثناء. والحصرُ الملاحظُ فيه جارٍ على نهج الاستثناء المنقطع، لأنَّه من التنويع عند الخليل. فعلى هذا وضح إفادته ثبات النفي^(١). وظهر عدم التجوُّز في مفرداته وأنَّه لا يتصوَّر فيه التشبيه.

وأما قوله في المائدة في تفسير: ﴿يَشِرُّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً^(٢)﴾ فَإِنْ قُلْتُ : المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت في الإساءة ، قلت : وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله :

* تحية بينهم ضربٌ وجيع *

ومنه : ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ^(٣)﴾ . انتهى .

فمراده أَنَّ الآية من باب الإيجاز ، وأنَّ في الكلام تنويعاً مقدَّراً . وهذا تفريعٌ مبنى عليه . والتقدير : إِنْ نَقَمْتُمْ مِنْهُمْ وادَّعَيْتُمْ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ فَعُقُوبَتُهُمُ الْمَثُوبَةُ . وقد صرَّح في سورة مريم ، وهذا دأبه ، يُجْمَلُ في محلٍّ ويفصَّلُ في آخر .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً^(٤)﴾ : فَإِنْ قُلْتُ : كيف قيل خيرٌ ثواباً ، كَأَنَّ لفافخرااتهم ثواباً حتَّى يجعل ثوابُ الصالحات خيراً منه ؟ قلت : كَأَنَّهُ قيل : ثوابهم النار ، على طريقة قوله :

(١) اتفقت النسختان هنا على « ثبات النفي » .

(٢) الآية ٦٠ من سورة المائدة .

(٣) من الآية ٢١ من آل عمران و ٢٤ من التوبة ، كما أنها الآية ٢٤ من الانشقاق .

(٤) من الآية ٤٦ من سورة الكهف و ٧٦ من مريم . والكلام بعده إلى « قلت » الثانية

ساقط من ش .

• فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ •

وقوله :

• تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ •

ثم بُنِيَ عليه خير ثواباً . وفيه ضربٌ من التهكم الذى هو أَغْيَظُ للمتهدّد من أن يقال له : عقابك النار . انتهى .

والمراد أن بعض التنويع قد يُستعمل فى مقام التهكم . وقد صرح به ابن فارس (فى فقه اللغة الصاجي^(١)) فى باب ما يجرى مجرى التهكم والهُزء ، فقال : ومن هذا الباب أتانى فقرّيته جَفَاءً ، وأعطيته جِرْمَانًا . وقولُ الفرزدق :

• قَرِينَاهُمُ الْمَأْثُورَةُ الْبَيْضُ^(٢) • انتهى .

وقد يستعمل بلدونه كما فى قوله : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ^(٣) ﴾ الآية . وفى الحديث : « من كان له إمامٌ فقراءة الإمام قراءة له » وقد فسر بهذا المعنى ، ولا يمكن فيه التهكم .

وهذا المصراع عَجْزٌ ، وصدره :

(وَحَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِحَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ)

(١) كذا فى النسختين . والمعروف أنه « الصاجي فى فقه اللغة » .

(٢) كذا اقتصر ابن فارس على هذا الجزء من بيت الفرزدق . وقد وجدته فى ديوانه ٥٦٢ ، والتقايف ٥٦٥ . وهو بتمامه :

قَرِينَاهُمُ الْمَأْثُورَةُ الْبَيْضُ ، قَبْلَهَا يَشِجُ الْعُرُوقُ الْأَزْأَى الْمُثْقَفُ
وَالْمَأْثُورَةُ : السيوف التى قد صقلت حتى ظهر أثرها ، أى فرندها وحسبها الذى تراه فى
السيف كأنه أرجل نمل . والأزأى : الرماح المنسوبة إلى ذى زن . والمثقف : المقوم بالثقاف .
يريد : طاعنهم بالرمح ثم صرنا إلى التضارب بالسيوف .

(٣) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

و (الخيل) : اسمُ جمعِ الفرس لا واحدَ له من لفظه . والمراد به
الفرسان كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « يا خيلَ الله اركبي » . وأراد
بالخيل الأول خيلَ الأعداء . وبالثاني خيلَه ، والضمير في بينهم للخيلين .
ودلّفتُ : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ من باب ضَرَبَ ، إذا مَشَى
مشياً ليئناً . والباءُ للتعدي ، أى جَعَلْتُهَا دالفةً إليها . فاللام بمعنى إلى .
وتحيّة مضاف : وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنّه ظُرف
متصرّف ، ولو فتح كان مبنياً لإضافته للمبنى .

٥٦

وزعم ميربادشاه (في حاشية البيضاوى) أنّ معناه إنّ ضربهم الوجيعَ
كتحية بينهم ، على التشبيه البليغ المقاب . وقد بيّنا بطلانه .

ووصف الضربَ بالوجيع مجازاً . ويجوز أن يكون وجيع بمعنى
مُوجع ، والمعنى ربّ خيلٍ للأعداء أقبلتُ عليهم بخيلٍ أخرى كان
التحيةُ بينهم ضرباً وجيعاً ، أى كان مكانَ التحية هذا النوعُ من
الضرب .

وقد أوردّه^(١) سيويوه في باب الاستثناء وقال : جَعَلُوا الضَّرْبَ تحيةً
كما جعلوا اتِّباعَ الظنِّ علمهم .

وأوردّه ثانياً في باب (أو) وقال : العرب تقول : تحيتك الضربُ ،
وعتابك السيف ، وكلامك القتل^(٢) .

قال الأعلم : الشاهد فيه جعل الضرب تحيةً على الاتِّساع المقدم
ذكره . وإنّما ذكر هذا تقويةً لجواز البدل فيما لم يكن من جنس الأول .

(١) ط : « أورد » ، صوابه في ش .

(٢) سيويوه ٢ : ٤٢٩ .

يقول : إذا تلاقوا في الحرب جعلوا بدلاً من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع .

وهذا البيت نسبه شراح أبيات الكتاب وغيرهم ، إلى عمرو بن معد يكرب الصَّحاني ، ولم أره في شعره . والعجب من شيخنا الشَّهاب الخفاجي أنه نسبه إليه (في حاشية البيضاوي) وقال : هو من قصيدة مَسْطُورَةٍ له في المفضليات ، مع أنه غير موجود شعره في المفضليات لا من كثيره ولا من قليله .

قال ابن رشيقي (في العمدة ، في باب السرقات الشعرية) : وما يعدُّ سرِّقاً وليس بسرِّق اشتراك اللفظ المتعارف ، كقول عنترة :

وخيل قد دلفت لها بخيل عليها الأسدُّ تهتَصِرُ اهتصاراً^(١)

وقول عمرو بن معد يكرب :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ

وقول الخنساء تَرثِي أَخَاهَا صَخْرًا^(٢) :

وخيل قد دلفت لها بخيل فدارت بين كبشيتها رحاها

وقول الأعرابي^(٣) :

وخيل قد دلفت لها بخيل ترى فرسانها مثلَ الأسودِ

وأمثال هذا كثير . انتهى^(٤) .

(١) ديوان عنترة ١١٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ .

(٢) ديوان الخنساء ١٤٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ . وفي ديوانها : « بجول خيل » .

(٣) الذي في العمدة : « ومثله » .

(٤) وردت هذه الأبيات في العمدة على النسق الذي أثبتته من ط . وقد سقط البيت الثاني من ش وقدم فيها البيت الأخير على الذي قبله . وورد البيت الأول لعنترة مشوهاً إذ جعل عجزه تكرر أ سابقاً لمعجز بيت الخنساء .

وإن يكن البيت لعمر بن معديكرب فقد تقدّمت ترجمته في
الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة ^(١).

* * *

وأنشد بعده :

(إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ الْكَرَامُ لَيْسَى)

على أن (ليس) لتقصان فعليتها جاز ترك نون الوقاية معها . و صدره :

* عددت قومي كعديدي الطيّس *

وتقدّم شرحه في الشاهد الثاني والتسعين بعد الثلاثمائة ^(٢).

* * *

وأنشد بعده :

(فَأَنْتِ طَلَّاقُ وَالطَّلَاقُ إِلَيَّ)

وهذا صدر وعجزه :

* ثَلَاثًا وَمَنْ يَخْرَقُ أَعْقُ وَأَظْلَمُ *

على أن جملة (والطلاق أليّة) من المبتدأ والخبر اعتراضية .

وتقدّم شرحه مفصلاً في الشاهد الخامس والأربعين بعد المائتين ^(٣)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد السبعمئة ^(٤) :

(وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكْرِي)

٧٣٨

٥٧

على أنّه جاء خبر كان جملة طلبية . وهذا مختص بالشعر .

والمعنى : كوني مذكّرة بالمكارم ، وليس يريد كوني بالمكارم . يقوّى

ذلك قوله قبله :

(١) الخزاعة ٢ : ٤٤٤ .

(٢) الخزاعة ٥ : ٣٢٤ - ٣٢٧ .

(٣) الخزاعة ٣ : ٤٥٩ - ٤٧١ .

(٤) نوادر أبي زيد ٣٠ ، ٥٨ وضرائر ابن عصفور ٢٥٨ والنقى ٥٨٥ والممع

١ : ١١٣ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣٦ .

(أَلَا يَا أُمَّ فَارِعَ لَا تَلُومِي عَلَى شَيْءٍ رَفَعْتُ بِهِ سَمَاعِي
وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكْرِي وَدَلِّي دَلَّ مَاجِدَةٍ صَنَاعِ)
فالمعنى : لا تلوميني على شيء رفعتُ به صيتي وذكري . وذكريني
به ^(١) .

والبيتان أوردتهما أبو زيد (في نوادره) ، ونسبهما إلى بعض بني
نهشل ، وقائلهما جاهلي .

قال ابن عصفور (في كتاب الضرورة) : جعل ذكريني في موضع
مذكّرة ، وهو قبيح . لأنَّ فعلَ الأمر لا يقوم مقامَ الخبر في باب كان .
وإنما فعل ذلك لأنَّ كوني أمرٌ في اللفظ ، ومحصول الأمر منه لها إنما وقعَ
على التذكير ، فلما كان في المعنى أمراً لها بتذكيره استعمل فيه لفظَ
الأمر . انتهى .

وقال انسكري (فيما كتب على نوادر أبي زيد) : المعنى : وصيري
مذكّرة لي بالمكارم . وتقديره في العربية رديء ، لو قلت : كن بغيلاً
بشرني لم يجز . وهو يريد يا أُمَّ فَارِعَةَ ، فحذف ، وذلك شاذٌّ لأنَّه ليس
بمنادى إنما المنادى الأُم . والصَّنَاع ، بفتح الصاد : الرفيقة الكف .
والماجدة : الكريمة . يقول : اضبطي دلالك ^(٢) بمنفعة وصنعة ، ولا تكوني
خرقاء لا تنفع أهلها . انتهى .

وقال أبو زيد : قوله سماعي ، أي ذكري وحسن الثناء علي . ودلّي
بفتح الدال ، من دلّيتُ تدلّ ، ودلّيتُ أنا أدلّ ، مثل خجلتُ أخجل . انتهى .

(١) كلمة « به » ساقطة من ش .

(٢) في النوادر : « اغلطي ذلك » .

قال ابن عقيل : الدَّلُّ قريبُ المعنى من الهدى . وهما من السَّكينة والوقارِ في الهيئة والمنظر^(١) والشَّماثل وغير ذلك . قاله أبو عبيدة . والصَّنَاع : الماهرة الحاذقة بعمل اليدين . وقال الأخفش (في حواشيه على النوادر) : قوله : كوفى بالمكارم ذكرَّني . تقديره : كوفى ممَّن أقول له ذكَّرتني^(٢) إذا سهوت . فجرى هذا على الحكاية . كما قال :

* سمعتُ النَّاسَ ينتجعون غيثاً *

أراد : سمعت قائلاً يقول : النَّاسُ ينتجعون ، فحكى . هذا كلامه . وقال ابن هشام (في المغنى) : جملة ذكَّرتني مؤوَّلة بالجملة الخبرية ، أى وكوفى تذكَّرتني^(٣) . انتهى .

وإنما أوَّله لِمَا عُرِفَ من أنَّ شرط خبر كان إذا كانت جملة أن تكون خبرية . وقال السَّخاوى : يجوز أن يكون الخبر محذوفاً وذكَّرتني أمراً مستأنفاً . أى كوفى بالمكارم مذكَّرة ذكَّرتني .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد السبعمئة^(٤) :

٧٣٩ (قَنَافِذُ هَدَاجُونَ حَوْلَ بِيوتِهِمْ بما كان إِيَّاهم عَطِيَّةُ عَوْدًا)

على أنَّ (كان) في البيت عند البصريين إمَّا شائِنة وإمَّا زائدة ، فيكون عطية في الأوَّل مبتدأً وعوداً فعل ماضٍ ، وألفه للإطلاق ، وفاعله ضمير عطية ، ومفعوله إِيَّاهم المتقدم على المبتدأ ، والأصل عَوَّدهم ، فلَمَّا

(١) في النسختين : « النظر » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسختين : « ذكرَّني » ، صوابه من النوادر ٣٢ .

(٣) في النسختين : « تذكَّرتني » ، صوابه من المغنى .

(٤) المقنَّب ٤ : ١٠١ والتبَّيِّل ١٠٧ والعِيق ٢ : ٣٤ والمُجْع ١ : ١١٨ والتصرُّح

١٩٠ : ١ والأشْمُونى ١ : ٢٣٧ وديوان الفرزدق ٢١٤ والنقائض ٤٩٣ .

تقدّم انفصل ، وجملة عودهم خبر المبتدأ ، والجملة الكبرى ، أغنى عطية عودهم ، في محل نصب خبر كان ، واسمها ضمير الشأن .

قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : يجوز أن يكون اسمُ كان ضميراً مستتراً فيها عائداً على ما الموصولة . أى بسبب الأمر الذي كان هو عطية عودهم إياه . وجملة عطية عودهم خبر كان ، وحذف العائد لأنه ضميرٌ منصوب . ويجوز أيضاً أن يكون عطية اسم كان . وتقديم معمول الخبر للضرورة . وهذا الجوابُ عندى أولى لأطراده في نحو :

باتت فؤادى ذات الخال سالبة

فالعيش إن حم لي عيش من العجب^(١)

إذ الأصل : باتت ذات الخال سالبة فؤادى . ولا يجوز تقدير ذات مبتدأ ، لنصب سالبة . واعترض على هذه الأوجه بأن الخبر الفعلي لا يسبق المبتدأ ، فكذا معموله . والجواب : أن المانع من تقديم الفعل خشية التباس الاسمية بالفعلية ، وذلك مأمونٌ مع تقدّم معمول . انتهى

وأوضحه (في المغنى) بقوله : ولانتفاء الأمرين ، وهما تهيئة العامل للعمل مع قطعه ، وإعمال الضعيف مع إمكان القوى ، جاز عند البصريين وهشام تقديم معمول الخبر على المبتدأ في نحو : زيدٌ ضرب عمراً ، وإن لم يجز تقديم الخبر . وقال البصريون في نحو قوله :

• بما كان إياهم عطية عوداً •

إن عطية مبتدأ ، وإياهم مفعول عود ، والجملة خبر كان ، واسمها

(١) مجهول القائل . وانظر المبنى ٢ : ٢٨ والتصريح ١ : ١٩٠ والأشئوفى ١ : ١٣٨ .

ضمير الشأن . وقد خفيت هذه النكتة على ابن عُصفورٍ فقال : هَرَبُوا
من محذور وهو أَنَّ يفصلوا بين كان واسمها بمعمول خبرها ، فوقعوا
في محذور آخر ، وهو تقديم معمول الخبر حيث لا يتقدّم الخبر .
وقد بيّنّا أَنَّ امتناع تقدّم الخبر في ذلك لمعنى مفقود في تقدّم معموله ^(١) .
انتهى .

وبهذه الأجوبة يُردُّ على الكوفيّين قولهم : يجوز أَن يليَ كان أو
إحدى أخواتها معمولٌ خبرها غير الظرف . واحتجّوا بهذين البيتين .
قال ابن الناظم ، وبِقوله :

فأصبحُوا والنّوى على مُعرّسِهِمْ وليس كلّ النّوى يُلقيّ المساكين ^(٢)
وقد خطّاه ابن هشام فيه بأنّه لو كان المساكين [اسماً ^(٣)] لِكَانَ
يجب أَن يقال يلقون أو تلقى ^(٤) ، وإنّما كان فيه عند الفريقين مسندةٌ
إلى ضمير الشأن .

صاحب الشاهد
والبيت من قصيدةٍ للفرزدق (مذكورة في النقائض) ، هجاءها جريراً .
وقوله : (قنافذ مدّاجون) : جمع قُنْفَذ بالذال المعجمة والمهملة ، وهو
حيوانٌ معروف ، يُضْرَبُ به المثلُ في سُرَى اللَّيْلِ ، يقال « أُسْرَى مِنْ
قُنْفَذٍ » ^(٥) . وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى هم قنافذ . وهذا تشبيهٌ بليغٌ كما

(١) ش : « تقديم معموله » .

(٢) حميد الأرقط . وانظر معجم الشواهد .

(٣) تكلة يفتقر إليها الكلام . والمعنى أَن تكون المساكين اسماً ليس ويلقى خبراً لها ،
وفصل معمولها وهو « كل » بينها وبين اسمها .

(٤) ش : « أو تلقى » ، صوابه في ط .

(٥) وقالوا أيضاً : « أُسْرَى مِنْ أَنْقَذ » ، وهو القنفذ ، لا ينام ليله أجمع . يشبه النمام نخيشه

وتقلبه في ليله . جهرة المسكوى ١ : ٥٢٥ .

حَقَّقَهُ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِي ، لَا اسْتِعَارَةً بِالْكُنْيَةِ كَمَا تَوَهَّمُ الْعَيْنِي ، مَعَ اعْتِرَاضِهِ بِأَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدِئًا كَمَا ذَكَرْنَا . وَهَذَا جَوْنٌ : فَعَالُونَ مِنَ الْهَدَجِ ، بِالْإِسْكَانِ ، وَالْهَدَجَانِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ السَّيْرُ السَّرِيعُ . وَفَعْلُهُ كَضَرْبٍ . وَيُرْوَى : (دَرَّاجُونَ) مِنْ دَرَجِ الصَّبِيِّ وَالشَّيْخِ ، وَفَعْلُهُ كَدَخَلَ ، وَمَعْنَاهُ تَقَارُبُ الْخَطْوِ بِمَنْزِلَةِ مَشْيِ الصَّبِيِّ ^(١) .

وعطية : أَبُو جَرِيرٍ . يَقُولُ : إِنَّ رَهْطَ جَرِيرٍ كَالْقَنَافِذِ ، لَمِثْلِهِمْ فِي اللَّيْلِ لِلسَّرْقَةِ وَالْفَجْورِ . وَإِنَّ أَبَا جَرِيرٍ هُوَ الَّذِي عَوَّدَهُمْ ذَلِكَ . وَقَدْ هَجَاهُ الْأَخْطَلُ بِمِثْلِ هَذَا أَيْضًا ، قَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَمَّا كَلِيبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهَا
عِنْدَ التَّفَاخُرِ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرُ ^(٢)
مُخْلَفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ
وَهُمْ بَغِيبٍ وَفِي عَمْيَاءَ ، مَا شَعَرُوا
مِثْلُ الْقَنَافِذِ هَذَا جَوْنٌ قَدْ بَلَغَتْ
نَجْرَانٌ أَوْ بَلَغَتْ سُوءَاتِهِمْ هَجَرُ ^(٣)

وَتَرْجُمَةُ الْفَرَزْدَقِ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ الثَّلَاثِينَ مِنْ أَوَائِلِ الْكِتَابِ ^(٤) .

* * *

(١) رَوَايَةُ التَّقَائِصِ : « قَنَافِذُ دَرَّاجُونَ خَلْفَ جِحَاشِهِمْ لَمَّا كَانَ » .

(٢) فِي دِيوَانَ الْأَخْطَلِ ١٠٩ : « فَلَيْسَ لَمْ عِنْدَ التَّفَارُطِ » . وَالتَّفَارُطُ : التَّقَدُّمُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ . وَمِنَهُ الْحَدِيثُ : « أَنَا قَرَطُكُمْ إِلَى الْحَوْضِ » .

(٣) فِي الدِّيَوَانِ :

عَلَى الْعِيَارَاتِ هَذَا جَوْنٌ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانٌ أَوْ حَدَّثَتْ سُوءَاتِهِمْ هَجَرٌ
وَالْعِيَارَاتُ : جَمْعُ عَيْرٍ ، وَهُوَ الْحِمَارُ .

(٤) الْخَزَنَةِ : ١ : ٢١٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد السبعمئة ، وهو من شواهد
سيبويه ^(١) :

٧٤٠ (ما دامَ فيهنَّ فصيلُ حياً)

على أنه يجوز في باب كان الإخبار عن النكرة المحضة إذا حصلت
الفائدة كما هنا . فإنَّ قوله فصيلُ اسم دام ، وحياً خبرها ، وحصلت
الفائدة من تقديم فيهنَّ وهو متعلِّق بالخبر ، ولو حذفت فيهنَّ انقلبَ
المعنى ، لأنَّك إذا قلت ما دام فصيلُ حياً فالمراد أبداً ، كما تقول :
ما طلعتْ شمس ، وما ناح قُمرى . فلما لم تتمَّ الفائدة إلَّا به حُسنَ تقديمه
لمضارعه الخبر في الفائدة .

ومثله قوله تعالى : ﴿ ولم يكن له كفواً أحدٌ ^(٢) ﴾ فإنَّ قوله له وإن
لم يكن خبراً فإنَّه به يتم المعنى ، لأنَّ سقوطها يُبطلُ معنى الكلام ،
لأنَّك لو قلت : لم يكن كفواً أحدٌ ، لم يكن له معنى ، فلما أحوَجَ
الكلامُ إلى ذكر « له » صار بمنزلة الخبر الذي لا يُستغنى عنه ، وإن لم يكن
خبراً . ولم يكن بمنزلة قوله : ما كان فيها أحدٌ خيراً منك ، لأنَّك
لو حذفت فيها كان كلاماً صحيحاً .

وهذا البيت أورده سيبويه في باب الإخبار عن النكرة بالنكرة
وأمثله في كان وأخواتها ؛ قال فيه : وتقول : ما كان فيها أحدٌ خيراً
منك ، وما كان أحدٌ مثلك فيها ، وليس أحدٌ فيها خيراً منك ، إذا جعلتْ

(١) في كتابه ١ : ٢٧ . وانظر النوادر ١٩٤ والمقتضب ١ : ٩٤ وابن يعيش
٤ : ٧/٢٣ ، ٩٦ ، ١١٥ وشرح أدب الكاتب لجواليقي ٦٥ واللسان (جلد ١٣ دوم
١٠٨ هـ ٢٥٣) .

(٢) الآية ٤ من سورة الإخلاص .

فيها مستقراً ولم تجعله على قولك : فيها زيد قائم ، أجريت الصفة على الاسم . فإن جعلته على قولك : فيها زيد قائم ، نصبتها ، تقول : ما كان فيها أحدٌ خيراً منك ، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها ، إلا أنك إذا أردت الإلغاء فكلما أخرت الذي تلغيه كان أحسن . وإذا أردت أن يكون مستقراً مكتنفاً [به ^(١)] فكلما قدمته كان أحسن ، لأنه إذا كان عاملاً في شيء قدمته ، كما تقدم أظن وأحسب . وإذا ألغيت أخرته ، كما تؤخرهما ، لأنهما ليسا يعملان شيئاً . والتقديم ههنا والتأخير ، والإلغاء والاستقرار ، عربي جيدٌ كثير . فمن ذلك قوله عز وجل : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . وأهل الجفاء يقولون : ولم يكن كفواً له أحد ، كأنهم أخروها حيث كانت ، غير مستقرة . قال الشاعر :

(لتقرين قَرَباً جُلدياً ما دامَ فيهنَّ فصيلُ حيّا
وقد دجا الليلُ فهبّا هبّا)

انتهى كلام سيويه .

قال ابن يعيش : سيويه يسمي الظرف الواقع خبيراً : مستقراً ، لأنه يقدر باستقر وإن لم يكن خبيراً سماً لغواً . وتقديم الظرف وتأخيرها إذا كان مستقراً جائز عنده ، وإنما يختار تقدمه . فإن قيل : فما تصنع بقوله سبحانه : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ قدم الظرف مع أنه لغو ؟ قيل : لما كانت الحاجة ماسة والكلام غير مستغن عنه ، كأنه خبر مقدم لذلك . ألا ترى أن قوله تعالى : ﴿ الله الصمد ﴾ مبتدأ وخبر . وقوله : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ معطوف عليه ، وما عطف على الخبر

(١) التكلة من ش وسيويه . لكن في سيويه : « تكتن به » .

كان في حكم الخبر ، فلذلك لم يكن من العائد في قوله له بُدُّ ، لأنَّ الجملة إذا وقعت خبراً افتقرت إلى العائد . قال : وأهل الجفاء يقولون : ولم يكن كُفُوًا له أحد^(١) . أراد بأهل الجفاء الأعراب الذين لم يبالوا بخط المصحف ، ولم يعلموا كيف هو . فأمَّا قوله :

• ما دام فيهنَّ فصيلٌ حيًّا •

فإنَّه قدَّم الظرف ههنا وإن لم يكن مستقرًّا ، فإنَّه متعلِّق بالخبر وذلك لجواز التقديم عنده^(٢) مع أنَّه قد تدعو الحاجة إليه ولا يسوغ حذفه ، إذ حذفه يغيِّر المعنى^(٣) ، ويصير بمعنى الأبد ، كقولك : ماطلعت الشمس . فلمَّا كان المعنى متعلِّقاً به صار كالمستقرِّ فقدَّمه لذلك . انتهى . وقد أورد الشارح المحقِّق هذا الكلام في آخر البحث (في الحروف المشبهة بالفعل) وقال : يجوز الإخبار عن النكرة في باب إنَّ وفي باب كان ، بالنكرة والمعرفة .

وجوزَّه أبو حيَّان في الأوَّل دونَ الثَّاني ، قال (في تذكرته) : نصبُ إنَّ وأخواتها للنكرات لا ينحصر ، وقد أخبر بالمعرفة ، وهذا غريب ، ولا يجوز في الابتداء ولا في كان . حكى سيبويه : إنَّ قريباً منك زيد ، وإنَّ بعيداً منك زيد . وأنشد سيبويه :

• وإنَّ شفاءً عبْرَةً مُهَرَّاقَةٌ^(٤) •

(١) ط : « ولم يكن له كفواً أحد » ، صوابه في ش وابن عيمش . وانظر الصفحة السابقة . وبعده في ابن عيمش : « فيؤخرون الجار والمجرور لقوة التأخير في الملئى عندهم » .
(٢) ط : « وذلك يجوز التقديم عنه » ، ش : « وذلك يجوز التقديم عنده » ، صوابه من ابن عيمش ٧ : ١١٥ .

(٣) ابن عيمش : « إذ لو حذف تغير المعنى » .

(٤) لامرئ القيس في معلقته ، وتماهه :

• وهل عند رسم دارس من ممول •

وحكى : إن ألفاً في دراهمك بيض ، وإن بالطريق أسداً رابض .

وجاز عندى أن يكون المعرفة خبراً عن النكرة هنا لما كان المعنى واحداً ، وأنه لما كان فضلةً فكأنه غير مسند إليه ، فجاز تنكيره ، ولما كان الخبر مرفوعاً صار كأنه مسند إليه فكان معرفة .

وذكر الجرمي هذه المسألة (في الفرخ) وقال : إنه يبتدأ بالنكرة ويخبر بالمعرفة عنها في هذا الباب . وقال : جائز ذلك ، لأنهم لا يقدمون خبر إن كما يتسعون في ذلك ، فأعطوا إن ما منعوا في كان . وقد منعوا خبر كان ، ومنعوا أن يكون خبرها معرفة واسمها نكرة ، فأعطوا كل واحد منهما ما منعه صاحبه . انتهى .

والشارح تابع في ذلك لابن مالك . وكثرة السماع يشهد لصحة قولهما .

وهذه الأبيات الثلاثة نسبها ابن السيرافي وابن خلف لابن ميادة . صاحب الشاهد وتقدمت ترجمته في الشاهد التاسع عشر من أوائل الكتاب^(١) .

وقوله : « لتقربين » قال ابن السيرافي : هو جواب قسم محذوف ، وهو بضم الراء وكسر الباء . قال الجوهري : قربت أقرب قرابة ، مثل كتبت أكتب كتابة ، إذا سرت إلى الماء وبينك وبينه ليلة . والاسم القرب بفتحيتين . وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما القرب ؟ قال : سير الليل لورد الغد . قلت : ما الطلق ؟ قال : سير الليل لورد الغب . وقال : أقرب القوم فهم قاربون ، ولا يقال مقربون . قال أبو عبيد : هذا الحرف شاذ .

أقول : قد سُمع ثلاثيُّه فلا شذوذ . وقال أبو الحسن الأخفش :
لتقرين : لتَرِدَنَّ . وليلة القَرَب : ليلة الورد . وهذا خطابٌ لناقته . يقول :
لتسيرنَّ إلى الماء سيراً حثيثاً^(١) . والجلذَى بضم الجيم وسكون اللام بعدها
ذال معجمة ، ومعناه السريع الشديد ، فهو وصفُ القَرَب . وقيل منادى
مرحّم . جلذية : اسم ناقته . والضمير في فيهن عائد على الإبل ، ودلَّ
عليه سياق الكلام . وذكرُ الناقة ، فأضمر وإن لم يجر لها ذكر . والفصيل :
ولد الناقة ، وإنما ذكره لأن ناقته من جملة الإبل يسوقها إلى الماء سوقاً
حثيثاً . فيقول : لا أعذرك ما دام فيهنَّ فصيلٌ يطبق السير . ودجأ الليلُ :
أظلم . وهياً هياً زجرٌ لها وتصويتٌ حتى تيسير ، أى مبادرة . وليس منه
فعل ، وهى مكسورة الأول . وقد حكيت بالفتح . قاله ابن خلف . [وقوله^(٢)]:
وليس منه فعلٌ ، يناقضه قول الجواليقي (فى شرح أدب الكاتب) : يقال
هوى هوى هياً وهوىاً وهوىانا ، إذا سقط . وأنشد هذا الرجز^(٣) ثم قال :
يريد اهوى واعجلى . انتهى .

ومقتضاه أنه بالفتح لا بالكسر ، وأنه مصدرٌ لا اسمُ فعل ، إلا أن
يكون هذا هو الأصل ثم نُقل إلى اسم الفعل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد السبعمائة ، وهو
من شواهد سيبويه^(٤) :

(١) ط : « حبياً » ، صوابه فى ش . (٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) رواية الرجز فى شرح الجواليقي :

لتقرين قرباً جلدياً ما دام منهن فصيل حيا

فقد دنا الليل فهيا حيا

ولا ريب أن « جلدياً » بالدال المهملة تصحيف .

(٤) فى كتابه ١ : ٢٨٤ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٩١ والمنصف ٣ : ٤٠ وسر الصناعة

١ : ٢٥٨ وأسرار البلاغة ١٦٠ والمغنى ٣٥١ ، ٤٨٣ والمجع ٢ : ٧٧ ، ١٤٠ والأشئوفى

٢ : ١٢٢ ، واللسان (هـ) . وهو من معلقة امرئ القيس .

(وَإِنْ شَفَاءَ عِبْرَةٍ مُهَرَّاقَةٌ) ٧٤١

على أَنَّهُ يجوز أن يُخْبَرَ فى بابِ إِنَّ أيضاً عن النكرة كما هنا ، فإنَّ شَفَاءَ وقع اسمَ إِنَّ منكراً ، وأُخْبِرَ عنه بَعْبَرَةٍ .
قال الشارح المحقق : وكذا أنشدته سيبويه .

أقول : هذا نصُّه (فى باب ما يحسُن عليه السُّكُوت فى هذه الأحرف الخمسة إِنَّ وأخواتها) ، قال : وتقول : إِنَّ قريباً منك زيداً ، إذا جعلتَ قريباً منك مَوْضِعاً . وإنَّ جعلت الأول هو الآخر قلت : إِنَّ قريباً منك زيدٌ ، وتقول : إِنَّ بعيداً منك زيد . والوجهُ إذا أردتَ هذا أن تقول : إِنَّ زيداً قريبٌ أو بعيدٌ منك . لأنَّه اجتمع معرفةٌ ونكرة . وقال امرؤ القيس :

وَإِنْ شَفَاءَ عِبْرَةٍ مُهَرَّاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
فهذا أَحْسَنُ لأنَّه نكرة . وإن شئتَ قلت : إِنَّ بعيداً منك زيداً .
وقلما يكون « بعيداً منك » ظرفاً ، لأنَّك لا تقول : إِنَّ بُعْدَكَ وتقول :
إِنَّ قُرْبَكَ ^(١) ؛ فالذَّنْوُ أَشَدُّ تَمَكُّيْنًا فى الظرف من البُعْد . انتهى كلامه .

والرواية المشهورة فى البيت : « وَإِنْ شَفَائِي » ، بالإضافة إلى ياء المتكلم .
وهذا هو المشهور المعروف .

والبيت من أولٍ معلقة امرئ القيس ، ولم يذكر شُرَاحُهَا تلك الرواية ، صاحب الشاهد
إلاَّ أَنَّ الخطيبَ التبريزى قال : روى سيبويه هذا البيت « وَإِنْ شَفَاءَ
عِبْرَةٍ » ، واحتجَّ فيه بأنَّ النكرة يُخْبَرَ عنها بالنكرة . ويروى :
• وَإِنْ شَفَائِي عِبْرَةٌ لَوْ سَفَحْتُهَا •

(١) فى كتاب سيبويه : « لأنك لا تقول إن بعدك زيداً ، وتقول إن قربك زيداً » .

أى صببْتُها . ولوْ للْتَمَنَى لا جوابَ لها . والعبرة ، بالفتح : الدِّمعة ، وجمعها عِبَرٌ ، كَبَدْرَةٌ وبِدْرٌ . ومُهْرَاقَةٌ بفتح الهاء ، أى مصبوبة . قال ابن السيد (فى شرح أدب الكاتب) : قد ذكر ابنُ قتيبة فى باب فعلت وأفعلت هَرَقَتِ الماءَ وأهرقته . وقد قال مثله بعضُ اللغويين ممن لا يُحسن التصريف ، وتوهم أنَّ هذه الهاء فى هذه الكلمة أصل . وهو غلطٌ ، والصَّحيح أنَّ هَرَقَتِ وأهرقتِ فعلان رباعيانِ معتلان ، أصلهما أَرَقَتِ^(١) . فمن قال هَرَقَتِ فالهاءُ عنده بدلٌ من همزة أفعلت ، كما قالوا : أَرَحَتِ الماشية وهَرَحَتِها ، وأنرت الثوب وهَنَرْتُهُ . ومن قال أهرقت فالهاءُ عنده عوضٌ من ذهاب حركة عين الفعل عنها ، ونقلها إلى الفاء ؛ لأنَّ الأصل أَرَيَقْتُ أو أَرَوَقْتُ ، بالياء أو بالواو ، على الاختلاف فى ذلك ، ثم نُقلت حركة الواو أو الياء إلى الراء ، فانقلب حرفُ العلة أَلْفًا لانفتاح ما قبلها ثم حُذف لسكونه وسكون القاف^(٢) . والساقط من أَرَقَتِ يحتمل أن يكون واوًا فيكون مشتقًا من راق الشيء يروق ، ويحتمل أن يكون ياءً لأنَّ الكسائيَّ حكى راق الماء يريق ، إذا انصب . والدليل على أنَّ الهاء فى هَرَقَتِ وأهرقتِ ليست فاء الفعل على ما توهم من ظنِّها كذلك ، أنَّها لو كانت كذلك للزم أن يُجرى هَرَقَتِ فى تصريفه مُجرى ضَرَبَتِ ، فيقال هَرَقَتِ أهرِقَ هَرَقًا ، كما تقول ضَرَبَتِ أَضْرِبَ ضَرْبًا ، أو مُجرى غيره من الأفعال الثلاثية التى يجىء مضارعها بضمِّ العين وتجيء مصادرها مختلفة . وكان يلزم أن يُجرى أهرقتِ فى تصريفه مُجرى أَكْرَمَتِ ونحوه من الأفعال الرباعية المصحَّحة ، فيقال أهرقتِ أهرِقَ

(١) ط : « أَرَيَقْتُ » ، صوابه فى ش والاقضاب لابن السيد ٢٢٧ .

(٢) ش : « الفاء » ، صوابه فى ط والاقضاب ٢٢٧ .

٦٢ إهراقاً ، كما تقول : أكرمت أكرماً إكراماً . ولم تقل العرب شيئاً من ذلك ، وإنما يقولون في تصريف هَرَقْتُ أَهْرِيقُ ، يفتحون الهاء ، وكذلك يفتحونها في اسم الفاعل فيقولون مُهْرِيقُ ، وفي اسم المفعول مُهْرَاقُ ، لأنها بدل من همزة لو ثبتت في تصريف الفعل لكانت مفتوحة . ألا ترى أنك لو صرَّفت أَرَقْتُ على ما ينبغي من التصريف ولم تحذف الهمزة منه لقلت في مضارعه يُؤَرِّيقُ ، وفي اسم فاعله مُؤَرِّيقُ ، وفي اسم مفعوله مُؤَرِّيقُ . وقالوا في المصدر : هِرَاقَةٌ كما قالوا إِرَاقَةٌ . وإذا صرَّفوا أَهَرَقْتُ قالوا في المضارعُ أَهْرِيقُ وفي المصدر إِهْرَاقَةٌ ، وفي اسم الفاعل مُهْرِيقُ وفي اسم المفعول مُهْرَاقُ ، فأسكنوا الهاء في جميع تصريف الكلمة . فهذا يدلُّ على أنه رباعيٌّ معتلٌّ وليس بفعل صحيح ، وأنَّ الهاء فيه بدل من همزة . أَرَقْتُ أو عوضٌ كما قلنا . قال العُدَيْلُ بنُ الْفُرَخِ (١) :

فكنت كمهريق الذي في سِقائه لرقراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدٍ (٢)
وقال ذو الرمة :

* فلما دنت إهراقَةُ الماءِ أَنْصَتَتْ (٣) *

وقال الأعشى في أَرَاكِ :

في أَرَاكِ مَرْدٍ يَكَادُ إِذَا مَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ سَاعَةً يُهْرَاقُ (٤)

(١) سبقت ترجمته في ٥ : ١٩٠ . والفرخ بضم الفاء وآخره خاء معجمة ، وفي الاقتضاب

٢٢٨ : « الفرخ » ، تحريف .

(٢) في الاقتضاب : « رابية جلد » ، وكذا في اللسان (هرق ٢٤٦) .

(٣) تمامه كما في الاقتضاب ٢٢٨ وديوان ذي الرمة ٦٤٥ واللسان (هرق) :

* لأعزله عنها وفي النفس أن أثنى *

وهو من لغز له في بكرة البئر من أبيات ثلاثة ، وقبلة :

وجارية ليس من الإنس تستحي ولا الجن قد لاعتبها ومعى ذهني
فأدخلت فيها قيد شبر موفر فصاحت ولا والله ما وجدت تزي

(٤) ديوان الأعشى ١٤١ .

انتهى كلامه ، ولجودته سقناه بتمامه .

وقوله : (فهل عند رسم) إلخ ، الرِّسْمُ : الأثر . والدَّارِسُ : المنطِيس .
والفاءُ في جواب شرط مقدر ، قال ابن جنى (في سر الصناعة) : ومن
ذلك قول امرئ القيس :

وإن شفائي عبْرَةٌ البيت

ففي قوله معوّل مذهبان : أحدهما أنّه مصدرٌ عوّلت بمعنى أعولت ،
أى بكيت . أى فهل عند رسم دارسٍ من إعوَالٍ وبكاءٍ . والآخر : أنّه
مصدر عوّلت على كذا ، أى اعتمدت عليه ، كقولهم : إنّما عليك معوّلٌ ،
أى اتكّالى . وعلى أى الأمرين حملت المعوّل فدخل الفاء على : فهل عند
رسمٍ ، حسنٌ جميل ، أمّا على الأوّل فكأنّه قال : إنّ شفائي أن أسفحَ
عبرتي . ثم خاطب نفسه أو صاحبيه فقال : إذا كان الأمر على ما قدّمتُ
من أنّ في البكاء شفاءً وجدي ، فهل من بكاء أشفى به غليلي ؟ فهذا
ظاهره استفهامٌ لنفسه ، ومعناه التحضيض لها على البكاء ، كما تقول :
قد أحسنت إلىّ فهل أشكرُك ؟ أى فلاشكرُك . وقد زُرْتَنِي فهل أكافئك ؟
أى فلاكافئتُك . وإذا خاطب صاحبيه فكأنّه قال : قد عرّفْتُكما سببَ
شفائي ، وهو البكاء والإعوَال ، فهل تُعوّلان وتبكيان معي لأشفيّ وجدي
ببكاكما . فهذا التفسير على قول من قال إنّ معوّلٍ بمنزلة إعوَالٍ . والفاءُ
عقّدتْ آخرَ الكلام بأوّلِهِ ، لأنّه كأنّه قال : إن كنتم قد عرّفتم ما أوثره
من البكاء فابكيا معي . كما أنّه إذا استفهم نفسه فكأنّه قال : إذا
كنتُ قد علمتُ أنّ في الإعوَال راحةً لي فلا عذرَ لي في ترك البكاء .
وأمّا مَنْ جعل معوّلٍ بمعنى تعويلٍ على كذا ، أى اعتمادٍ واتكّالى عليه ،
فوجه دخول الفاء على (فهل) في قوله : أنّه لما قال : إنّ شفائي عبْرَةٌ

مهرقة فكأنه قال : إنما راحتي في البكاء ، فما معنى اتكالى في شفاء غليلي على رسم دارس لاغناء عنده عنى . فسبيلي أن أقبل على بكائى ولا أعول في برد غليلي^(١) على مالا غناء عنده . وهذا أيضا معنى يحتاج معه إلى الفاء لتربط آخر الكلام بأوله ، فكأنه قال : إذا كان شفائى إنما هو في فيض دمعى فسبيلي أن لا أعول على رسم دارس في دفع حزنى ، وينبغى أن أجد في البكاء ، الذى هو سبب الشفاء . انتهى كلامه .

ووقع في رواية ابن هشام « وهل » بالواو : قال (في المغنى ، في بحث هل ، وفي عطف الإنشاء على الخبر من الباب الرابع) : إن هل فيه للنفي ، ولذا صحَّ العطف ، إذ لا يُعطف الإنشاء على الخبر .

وقد تقدّم في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائة عن الباقلاني (في إعجاز القرآن) أن هذا البيت مناقض لما قبله ، فراجع^(٢) .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين^(٣) .

* * *

وأنشد بعده

(يكون مزاجها عسل وماء)

على أنه يجوز أن يخبر في بابى (كان) و (إن) بمعرفة عن نكرة في الاختيار كما هنا ، فإن مزاجها روى بالنصب على أنه خبر مقدّم وهو معرفة ، وعسل اسم كان مؤخر وهو نكرة .

(١) رسمت في ط « غلى لى » خطأ ، صوابه في ش وسر الصن : ١ : ٢٥٩ .

(٢) الخزائن : ٣ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) الخزائن : ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

وقال الزَّمَحْشَرِيُّ : لا يجوز هذا إلا في ضرورة الشعر .

وهذا مذهب ابن جنِّي ، قال (في المحتسب) : روى عن عاصم أنه قرأ : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت ﴾ نصباً ﴿ إلا مَكَاءً وتصديةً ^(١) ﴾ رفعا . ولحنه الأعمش . وقد روى هذا الحرف أيضا عن أبان بن تغلب أنه قرأه كذلك ^(٢) . ولسنا ندفع أن جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح ، فإنما جاءت منه أبيات شاذة ، وهو في ضرورة الشعر أعذر ^(٣) ، والوجه اختيار الأَفْصح الأَعْرَب ، ولكن وراء ذلك ما أذكره . اعلم أن نكرة الجنس تُفيد مُفاد معرفته . ألا ترى أنك تقول : خرجت فإذا أسدٌ بالباب ، فتجد معناه معنى قولك : خرجت فإذا الأسدُ بالباب ، لا فرق بينهما . وذلك أنك في الموضعين لا تريد أسداً واحداً معيناً ، وإنما تريد خرجت فإذا بالباب واحدٌ من هذا الجنس . وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في « مَكَاءً وتصديةً » جوازاً قريباً ، حتى كأنه قال : وما كان صلاتهم عند البيت إلا المَكَاءُ والتَّصْدِيَةُ ، أي إلا هذا الجنسُ من الفعل . وإذا كان كذلك لم يجر هذا مجرى قولك : كان قائمٌ أخاك وكان جالسٌ أباك ، لأنه ليس في جالس وقائم من معنى الجِنْسِيَّةِ التي تُلَاقِ مَعْنِيَا نَكْرَتِهَا ومعرفتها ^(٤) . وأيضاً فإنه يجوز مع النفي من جعل اسم كان وإخواتها نكرة ما لا يجوز مع الإيجاب ^(٥) ، فكذلك هذه القراءة ، لَمَّا

(١) الآية ٣٥ من سورة الأنفال ، وانظر المحتسب ١ : ٢٧٩ .

(٢) ط : « أنه قراءة كذلك » ، صوابه في ش والمحتسب .

(٣) في النسختين : « عذر » ، وأثبت ما في المحتسب .

(٤) بعده في المحتسب : « على ما ذكرنا وقدسنا » .

(٥) بعده في المحتسب : « ألا تراك تقول : ما كان إنسان خيراً منك ، ولا تجيز : كان إنسان خيراً منك » .

دخلها النفي قَوِيَّ وَحَسَنَ جَعْلُ اسْمٍ كَانَ نَكْرَةً . هذا إلى ما ذكرنا من مشابهة نكرة اسم الجنس لمعرفته . ولهذا ذهب بعضهم في قول حسان :

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ

أَنَّهُ إِنَّمَا جاز ذلك من حيث كان عسل وماء جنسين ، فكأنه قال : يكون مزاجها العسل والماء . فبهذا تسهل هذه القراءة ، ولا تكون من القُبْح واللَّعْن [الذى ^(١)] ذهب إليه الأعمش . انتهى .

وإليه أيضاً ذهب ابن السِّيد (في أبيات المعاني) قال : هذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر ، فأما في الكلام فلا يجوز .

وقال اللخمي : حَسَنَ ذلك أَنَّ مَزَاجًا مضاف إلى ضمير نكرة . قال السِّيرافي عندما أنشد سيبويه :

* أَظْبِيَّ كَانَ أُمَّكَ أَمَّ حِمَارُ ^(٢) *

إنَّ ضمير النكرة لا تستفيد منه إلا نكرة . ألا ترى إذا قلت مررت برجلٍ فكلمته ، لم تكن الهاء بموجبة تعريفًا لشخصٍ بعينه ، وإن كانت معرفة من حيث علم المخاطب أنها ترجع إلى ذلك المنكور . انتهى .

وقال ابن خلف : في هذا أربعة أقوال : قيل هو على وجه الضرورة ، وقيل أراد مزاجًا لها فنوى بالإضافة الانفصال فأخبر بنكرة عن نكرة . وقال أبو علي : نصب مزاجها على الظرف السَّادِّ مسدَّ الخبر ، كأنه قال : يكون مستقيمًا في مزاجها . فإذا كان ظرفًا تعلّق بمحذوف يكون

(١) التكلة من المحتسب .

(٢) هو الشاهد ٥٢٤ في الخزانة ٧ : ١٩٢ .

الناصبَ له ، وقُدِّمَ على غسل وماءٍ كعادتهم في الظروف إذا وقعت أخباراً
عن التكرات ، لثلاث تلتبس بالصفات^(١) .

ثم نقل توجيه ابن جني . وكذا نقل اللخمي عنه قال : وعن
أبي عليٍّ أنَّ مزاجها ينتصب على الظرف ، تقديره على المعنى : يكون
مكانَ مزاجها غسلٌ وماءٌ .

قال ابن هشام (في المغني) : وتأولُه الفارسيُّ على أنَّ انتصاب
المزاج على الظرفية المجازية .

وزعم شارحه ابن الملاء أنَّ كان على تأويل أبي عليٍّ تكون تامةً .
وذهب الزمخشري (في المفصل) إلى أنَّ هذا ونحوه من القلب
الذي شجَّع عليه أَمْنُ الإلباس .

ولإليه جنح ابن هشام (في المغني) قال في الباب الثامن : من فنون
كلامهم القلبُ ، وأكثر وقوعه في الشعر . وأنشد البيت . وقال في الباب
الرابع منه : إنَّه ضرورة . ولم يذكر القلب .

وروى في البيت رفع مزاجها ونصب غسل ورفع ماءً ، ويرفع الجميع .
وقد تقدم كلُّه مشروحاً مع القصيدة في الشاهد الثاني والثلاثين
بعد السبعمئة^(٢) .

• • •

وأنشد بعده :

(ولا يَكُ موقفٌ مِنْكَ الوَدَاعَا)

(١) ط : « يلتبس بالصفات » ، وأثبت ما في ش .

(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٢٢٤ - ٢٣٧ .

لما تقدّم قبله ، من أنّه يجوز في الاختيار أن يُخبر عن نكرة بمعرفة في ذينك البابين .

قال ابن مالك (في التسهيل) : وقد يُخبر هنا وفي باب إن بمعرفة عن نكرة اختياراً .

وقال (في شرحه) : لَمَّا كان المرفوع هنا مشبهاً بالفاعل ، والمنصوبُ مشبهاً بالمفعول ، جاز أن يُغنيَ هنا تعريفُ المنصوبِ عن تعريفِ المرفوع ، كما جاز في باب الفاعل ، لكن بشرط الفائدة وكونِ النكرة غيرَ مَحْضَةٍ . من ذلك قولُ حسان :

* يكون مزاجها عسلٌ وماءٌ *

وليس بمضطرّ ، إذ يمكنه أن يقول مزاجُها بالرفع فيجعل اسم يكون ضمير الشأن . وقولُ القطامي :

* ولايك موقفٌ منك الوداعا *

وليس بمضطرّ ، إذ له أن يقول : ولايك موقفي . والمحسن لهذا شبه المرفوع بالفاعل والمنصوب بالمفعول . وقد حُمِلَ هذا الشبه في باب إن ، كقول الفرزدق :

وإنّ حراماً أن أسبَّ مجاشعاً بآبائي الثمِّ الكرامِ الخضارم^(١) . انتهى .

وهذا مبنيٌّ على تفسير الضرورة بما لا مندوحة للشاعر عنه . وهذا

(١) ديوان الفرزدق ٨٤٤ والمقتضب ٤ : ٧٤ والمجم ١ : ١١٩ . وفي الديوان : « وليس يعدل أن سببت مقاعسا » . ورواية « مجاشعا » خطأ ، فإن « مجاشع بن دارم » من أجداد الفرزدق في نسبه ، وهو دائم الاعتزاز به . و « مقاس » هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم .

فاسدٌ من وجوهٍ تقدّم بيانها في شرح أوّل شاهد . وعند الجمهور هو من الضّرورة ، ومعناها ما وقع في الشعر سواء كان عنه مندوحة أم لا .

قال اللخمي : جَعَلُ مَوْقِفًا وهو نكرة اسم يَكُ ، والوداع وهو معرفة الخبر ، ضرورة لإقامة الوزن . وحَسَّنَ الضّرورة فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أَنَّ النكرة^(١) قد قربت من المعرفة بالصّفة .

والثاني : أَنَّ المصدر جنسٌ ، فمُقَاد نكرته ومعرفته واحد .

والثالث : أَنَّ الخبر هو المبتدأ في المعنى .

وقال صاحب اللباب : وهما ، أى المرفوع والمنصوب بكان ، على شرائطهما في باب الابتداء . وزعم بعضُ المنتهين إلى هذه الصّنعَة أَنَّ بناء الكلام على بعضيهما^(٢) من غير تقدير دخول على المبتدأ والخبر سائغ ، بدليل قوله :

• ولايكُ موقف منك الوداعا •

وليس بمحمول على الضّرورة ، إذ لا يتمّ المعنى المقصود إلا هكذا ، إذ لو عرّفهما لم يؤدّ أنّه لم يرخص أن يكون ما سوى ذلك من المواقف وداعًا . ولو نكرهما لم يؤدّ أَنَّ الوداع قد كرهه إليه حتّى صار نُصَب عينيه . ولو عرّف الأوّل ونكر الثاني لجمع بين الهُجنتين . والجواب بعد تسليم جميع ما ذكره أنّه لو أراد إبراد هذا المعنى بطريق النفي دون النهي ، لا بدّ أن يقول : ما موقف منك الوداع ، بعين ما ذكره . على أَنَّ

(١) ط : « النكرات » ، وأثبت ما في ش .

(٢) أى بعض النكرات والمعارف دون تقييد بالنوع .

المقصود أن لا يكون الوداعُ موقفاً منها^(١) فيكون من باب القلب ، مثل ما فى قول الآخر :

* يكون مزاجها عسلٌ وماءٌ * انتهى .

أراد بالهجتين ترخيص كون ما سوى هذا الموقف المعين موقف وداع ، وفوات النكته المستفادة من تعريف الوداع . وحاصله أنه لما اختار أن وجود شرائط المبتدئ والخبر فى هذه الأفعال لازم ، ذهب إلى أن البيت محمول على الضرورة ، لأنها دعت إلى القلب .

وأجاب عن استدلال المخالف بوجهين :

الأول : أن يقال : لا نسلم أنهما إن كانا معرفتين يلزم قبح ، لأن مبناه أن اللام فى الموقف للعهد ، وهو ممنوع لجواز أن تكون للجنس ، أى لا يك جنس الموقف الوداع . وفيه عموم سلّمناه ، لكن لا نسلم أنهما إن كانا منكّرين يلزم قبح ، لأنه مبنى على أن اللام فى الوداع للعهد إلى الشيء المكروه عنده ، وهو ممنوع لجواز كونه للجنس . سلّمناه لكنه منقوض بنقض إجمالى ، وتوجيهه لو صح ما ذكرت لكان الواجب أن يقال عند إرادة هذا المعنى بطريق التنى دون النهى : ما موقف منك الوداع بعين ما ذكرت . لكن التالى باطل ، لأن تنكير المبتدئ وتعريف الخبر بعد التنى ليس حدّ الكلام الذى يجب أن يكون عليه الاتفاق^(٢) .

الثانى : أن مقصود الشاعر أن لا يكون موقف الوداع موقفاً من مواقفها بأن لا يكون وداعاً أصلاً . وعلى هذا كان الوداع اسم كان ،

(١) ش : « على أن المقصود لا يكون الوداع موقفاً منها » .

(٢) ط : « بالاتفاق » .

والموقف خبره ، فقلب بأن جعل الاسم خبراً والخبر اسماً ، والقلب ممّا^(١) يشجّع عليه عند أمن الالتباس .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدْرُهُ :

(قفى قبل التفرُّق يا ضُباعا)

صاحب الشاهد والبَيْت مطلعٌ قصيدةٌ للقطاميّ تقدم الكلام عليه في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد السبعمئة ، وهو من شواهد س^(٣) :

٧٤٢ (أَسْكُرَانُ كَانَ ابْنُ الْمَرَاغَةِ إِذْ هَجَا نَمِيماً بِجَوْفِ الشَّامِ أَمْ مُتْسَاكِراً)
على أن سيويوه مثل به للإخبار عن النكرة بالمعرفة .

وهذا نصُّه : اعلم أنّه إذا وقع في الباب نكرةٌ ومعرفة فالذي تُشغَلُ به (كَانَ) المعرفة ؛ لأنّه حَدَّ الكلام ، ولأنّهُما شيءٌ واحدٌ^(٤) ، وليس بمنزلة قولك : ضرب رجلٌ زيداً ، لأنّهُما شيئان مختلفان ، وهما في كان بمنزلةتهما في الابتداء . فإذا قلت : كان زيدٌ فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك ، وإنّما ينتظر الخبر . فإذا قلت حليماً فقد أعلمته مثل ما علمت . فإذا قلت كان حليماً فإنّما ينتظر أن تعرّفه صاحب الصّفة ، فهو مبدوءٌ به في الفعل وإن كان مؤخراً في اللفظ . فإن قلت : كان حليمٌ ،

(١) ط : « ما » ، وأثبت ما في ش .

(٢) الخزائن ٢ : ٣٦٧ .

(٣) في كتابه ١ : ٢٣ ، ٣١٤ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٥ والمغنى ٤٩٠ والمجم

١ : ٦٧ وديوان الفرزدق ٤٨١ .

(٤) في كتاب سيويوه : « لأنّهُما شيءٌ واحدٌ » بدون سبق للواو .

أو رجل . فقد بدأت بنكرة ، فلا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور .
ولا يُبدأ بما فيه يكون اللبس ، وهو النكرة . ألا ترى أنك لو قلت كان
٦٦ حليماً أو كان رجل منطلقاً ، كنت تلبس ، لأنه لا يُستنكر أن يكون
إنسان هكذا . فكرهوا أن يبدؤوا باللبس ويجعلوا المعرفة خبراً لما يكون
فيه هذا اللبس . وقد يجوز في الشعر في ضعف من الكلام . حملهم على
ذلك أنه فعل بمنزلة ضرب ، وأنه قد يُعلم إذا ذكرت زيلاً وجعلته
خبراً أنه صاحب الصفة ، على ضعف من الكلام . وذلك قول خدّاش
ابن زهير :

فإنك لا تُبالي بَعْدَ حَوْلٍ أَظْيُ كَانَ أُمَّكَ أَمَ حِمَارُ
وقال حسان :

كَأَنَّ سَبِيثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري :

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ حَسَّانَ عَنِّي أَسَحَرُ كَانَ طَبَّكَ أَمَ جُنُونُ
وقال الفرزدق :

أَسْكَرَانُ كَانَ ابْنُ الْمَرَاغَةِ إِذْ هَجَا تَمِيمًا بِجَوْفِ الشَّامِ أَمَ مِتْسَاكِرُ
فهذا إنشاد بعضهم . وأكثرهم ينصب السكران ويرفع الآخر على
قطع وابتداء . انتهى كلام سيبويه .

وقوله : « وأكثرهم ينصب السكران » ، أي ويرفع ابن المراغة على
أنه اسم كان ويكون الخبر مقدماً وهو سكران . وعلى هذا لا قبح .
وقوله : « ويرفع الآخر » هو متساكر ويكون رفعه على القطع يجعله خبراً
(م ١٩ — خزائن الأدب — ج ٩)

مبتدأ محذوف ، أى أم هو متساكر ، فتكون أم منقطعة . وإذا رفع سكران ونصب ابن المراغة ، وهذه مسألتنا ، ففيه قبحٌ لضرورة الشعر لأنه جعل اسم كان ضمير سكران وهو نكرة ، ويكون ابن المراغة خبر كان ، فيكون قد أخبر بمعرفة عن نكرة ، ويرتفع سكران حينئذ بكان محذوفة كما يأتى بيانه ، ويكون متساكر معطوفاً عليه ، وعلى هذا أم متصلة ، ويكون العطف من عطف مفرد على مفرد ، والجملة واحدة . وعلى الأول جملتان .

وإنما قال الشارح المحقق : « وأورد ^(١) سيبويه للتمثيل بالإخبار عن النكرة بالمعرفة » ، ولم يقل : استشهد للإخبار ، لأن سيبويه لم يذهب إلى أن هذا جائز في الاختيار حتى يستشهد له ، وإنما هو قبيحٌ خاصٌ بالشعر لم يرتضه في الكلام . فأورد هذه الأبيات أمثلة لما استقبله في الشعر .

وقد روى رفع ابن المراغة مع رفع سكران ، فيكون المعرّف على هذا مبتدأ والمنكر خبراً وكان زائدة .

وجوز ابن خلف أن يضمّر في كان ضمير الشأن . وهذا خطأ تبع فيه يوسف بن السيرافي (في شرحه لشواهد سيبويه) .

قال ابن هشام : وضمير الشأن يعود على ما بعده لزوماً ، ولا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدّم هي ولا شيء منها عليه . وقد غلط يوسف ابن السيرافي إذ قال في قوله :

* أسكران كان ابن المراغة إذ هجا * . . البيت

(١) ش : « وأورده » ، صوابه في ط وشرح الرضى للكافية ٢ : ٢٧١ .

فيمَن رفع سكرانُ وابنُ المِراغة : ^(١) إنَّ كانَ شائِنةً ، وابنُ المِراغة وسكران مبتدأ وخبره . والجملة خبر كان . والصَّواب أنَّ كانَ زائدة . والأشهر في إنشاده نصبُ سكران ورفع ابنِ المِراغة ، فارتفاع متساكر على أنَّه خبر هو محذوفاً . ويروى بالعكس فاسم كان مستتر فيها . انتهى .

٦٧ وقال أبو علي (في المسائل العسكرية) : قوله أسكرانُ رفع بفعل مضمَر تكون كان تفسيراً له ، ودليلاً عليه . وحسنُ الرفع في هذا الموضع لأنَّ التقدير : أكانَ سكرانُ ابنَ المِراغة ؟ فاستفهم عن سُكره لا عنه في نفسه . وإذا كان كذلك كان الأولى أن يرفع ، لأنَّ النكرة لما دخلها هذا المعنى من أنَّ القصد إنما وقع اليها . وجب أن يكون الرفعُ ، فترفع بكان . وكذلك قول الآخر :

• أَطْبِيَّ كَانَ أَمْلَكُ أَمْ حِمَارُ • انتهى

ومثله لابن جني (في الخصائص) قال : وقد حُذِفَ خبرُ كان في قوله :

• أَسْكَرَانُ كَانَ ابْنُ الْمِراغة • البيت

ألا ترى أنَّ تقديره : أكانَ سكرانُ ابنَ المِراغة ، فلما حذف الفعل فسره بالثاني ، وابن المِراغة المذكور خبر كان الظاهرة ، وخبر كان المضمر محذوفٌ معها ، لأنَّ كان الثانية دلَّت على الأولى . وكذلك الخبر الثاني الظاهر دلَّ على الخبر الأول المحذوف . انتهى .

وزعم ابن الملا الحلبي (في شرح المغني) أنَّ سكران مبتدأ . قال :

(١) ط : « وإن » ، صوابه في ش .

وصحَّت ابتدائيَّته مع نكارتِه^(١) لوقوعِه في حِيْز الاستفهام ، وأنَّ جملة كان ابن المِراغة خبره . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريراً . وأراد بابن المِراغة جريراً ، وكان الفرزدق قد لُقِبَ أُمُّهُ بالمِراغة ونسبها إلى أنَّها راعية حَمِير . والمِراغة : الأتان التي لا تمتنع من الفحول . وإذ ظرف يتعلق بكان ، وفاعل هجا ضمير ابن المِراغة . وأراد بتميم ههنا بنى دارم بن مالك بن حنظلة ، وهم رهط الفرزدق ، وجريرٌ من رهط كُليب بن يربوع بن حنظلة . فلم يعتدَّ الفرزدقُ برهط جرير في تيمم ، احتقاراً لهم . وأراد بجوف الشام داخلها . وروى أبو علي وابنُ جنِّي وغيرُهما : « ببطن الشَّام » وهو بمعناه . وروى : « بجوَّ الشام » ، وهذا تحريف .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب^(٢)

* * *

وأنشد بعده :

(فَإِنَّكَ لَا تُبَالِي بَعْدَ حَوْلٍ أَظْبَىٰ كَانَ أُمْلَكَ أَمْ حِمَارٌ)

لما تقدَّم قبله ، فاسم كان ضمير ظبي وهو نكرة ، وأُمْلَكَ بالنصب خبرها وهو معرفة ، وظبي اسمٌ لكان المضمر المدلول عليها بكان المذكورة ، وهو نكرة أيضاً ، وخبر المحذوفة محذوف أيضاً مدلولٌ عليه بخبر المذكورة ، كما تقدَّم عن ابن جنِّي .

وقيل : ظبي مبتدأ وجملة كان أُمْلَكَ خبره .

قال ابن هشام (في المغنى) الأوَّل أولى ، لأنَّ همزة الاستفهام بالجمل

(١) في اللسان أن المنكر ضد المعروف ، وقد نكر نكارة .

(٢) الخزائن ١ : ٢١٧ .

الفعلية أولى منها بالاسمية . وعليهما فاسم كان ضميرٌ راجع إليه .
وقول سيويوه إنه أجبر عن النكرة بالمعرفة واضح على الأول ، لأنَّ
طبيباً المذكور اسم كان ، وخبره أمك ، وأمّا على الثاني فخبر طبي إنما هو
الجملة والجمل نكرات ، ولكن يكون محلّ الاستشهاد قوله : كان أمك
على أنَّ ضمير النكرة عنده نكرة ^(١) . انتهى .

وذهب صاحب (المفتاح) إلى أنَّ تنكير المسند إليه غير موجود
بالاستقراء . وأمّا هذا البيت ونحوه فتنكير المسند إليه إنما هو في طبي
إذا ارتفع بالمضمر ، لا في ضمير كان العائد عليه . وهو واردٌ على القلب ،
والأصل : أظبياً كان أمك أم حماراً . قال : إنَّ كون المسند إليه نكرة
والمسند معرفة سواء . قلنا : يمتنع عقلاً أو يصحُّ عقلاً ليس في كلام العرب ،
وأمّا ما جاء من نحو قوله :

• ولايك موقفٌ منك الوداعا ^(٢) •

٦٨

وقوله :

• يكون مزاجها عسلٌ وماء ^(٣) •

وبيت الكتاب :

• أظبي كان أمك أم حمار •

(١) في الفسختين : « أعيدت نكرة » ، صوابه من المغنى ٥٩٠ . وبعده : « لا على أن
الاسم مقدم » .

(٢) هو الشاهد ١٤٣ في الخزانة ٢ : ٣٦٧ .

(٣) هو الشاهد ٧٣٢ في هذا الجزء الثامن ، كما سبق الاستشهاد به بعد الشاهد ٧٤١ .
وما يقده من الكلام إلى « وماء » التالية ساقط من ش .

فمحمولٌ على مِوال : عرضتُ الناقَةَ على الحوض . وأصل الاستعمال :
ولايك موقفاً منك الوداعُ ، ويكون مزاجُها عسلاً وماءً ، وأظبياً كان أمك
أم حماراً . ولا تظننَّ بيتَ الكتاب خارجاً عما نحن فيه ، ذهاباً إلى
أن اسم كان هو الضمير ، والضمير معرفة ، فليس المراد كان أمك ، إنما
المراد ظبي ، بناءً على أن ارتفاعه بالفعل المفسر لا بالابتداء . ولذلك
قدّرنا الأصل على ما ترى . انتهى .

واختار السعد (في المطول) هذا الأخير ، فليس فيه قلبٌ لفظي
وإنما يكون فيه قلب معنوي . قال : قيل إنه قلبٌ من جهة اللفظ ،
بناءً على أن ظبي مرفوع بكان المقدرة لا بالابتداء ، فصار الاسم نكرة
والخبر معرفة . والحق أن ظبي مبتدأ ، وكان أمك خبره ، فحينئذ^(١)
لا قلب فيه من جهة اللفظ ، لأن اسم كان ضمير ، والضمير معرفة .
نعم فيه قلبٌ من جهة المعنى ؛ لأن المخبر عنه في الأصل هو الأم . انتهى .
ويشهد للقلب ما رواه ابن خلف ، قال : وقد يُنشد :

• أظبياً كان أمك أم حمار •

على أنه جعل اسم كان معرفة وخبرها نكرة . فهذا جيد ، إلا أنه
كان يجب أن ينصب حمار ، لأنه معطوف على ظبي . فيجوز رفعه على
إضمار مبتدأ . قال المبرد (في كتابه الجامع) : والأجود في هذه الأبيات
نصب الأخبار المقدمة ورفع المعارف ، ورفع القوافي على قطعٍ وابتداء . انتهى .

والبيت من أبياتِ لشروانَ بنِ فزارة العامريّ الصحابي ، وقد تقدم
الكلام عليها مفصلاً في الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة^(٢) .

* * *

(١) ش : « فع » بدل « فحينئذ » ، وهي كتابة رمزية اختزالية .

(٢) الخزائن ٧ : ١٩٢ - ١٩٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٧٤٣ (أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ حَسَّانَ عَنِّي أَطِيبٌ كَانَ سِحْرَكَ أَمِ جُنُونُ)

لما تقدّم قبله ، والكلام فيه كما تقدّم .

والطَّبُّ بالكسر ، قال الأعلم : هو هنا العِلَّةُ والسَّبَبُ ، أى أُسْحِرْتَ فكان ذلك سببَ هجائك أَمِ جُنِنْتَ . وسِحْرٌ هنا مصدرُ سَحَرِ المبنى للمفعول ، وهو مضافٌ للمفعول .

والبيت لأبي قيس بن الأسلت الأنصارى . وقد اختلف في إسلامه . صاحب الشاهد وحسّان هو ابن ثابتٍ شاعرُ النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أبو قيسٍ من الأوس ، وحسّان من الخزرج ، وكانا يتهاجيان ، فقال أبو قيسٍ لحسان : أَذْهَبَ عَنْكَ عَقْلُكَ بِسِحْرِ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى هَجَائِي ، أَمْ أَصَابَكَ جُنُونٌ فَلَمْ تَدْرِ مَا صَنَعْتَ . يُعْظِمُ فِي نَفْسِ حَسَّانَ مَا يَأْتِي مِنَ هَجَاءِ الأوسِ وشُعْرَائِهَا ، ويتوعَّده بالمقارضة .

ورواه ابن دريد (في الجمهرة) كذا :

* أَطِيبٌ كَانَ دَاءُكَ أَمْ جُنُونُ *

وقال : الطَّبُّ هنا : السَّحَرُ . وروى أيضاً :

* أَطِيبٌ كَانَ شَأْنُكَ أَمْ جُنُونُ *

وهما أحسنُ من الرواية الأولى . وبعده :

(فَلَسْتَ بُزَائِلِي أَبَدًا تَمْنَى بِصَدْرِكَ مِنْ وَحَاوِحِهِ فُنُونُ^(٢))

(١) في كتابه ١ : ٢٣ ، واللسان (طب ٤٢) .

(٢) ش : « لصدرك » .

والواحاح بواوين ومهملتين : الحزازات .

وأبو قيسٍ تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين ^(١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد السبعمئة ، وهو

من شواهد س ^(٢) :

٦٩

٧٤٤ (إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ)

هذا عجزٌ وصدره :

(وَإِذَا أَقْرَضْتَ قَرْضاً فَاجْزِهِ)

على أَنَّ (ليس) يجوز حذف خبرها كثيراً كهذا البيت ، أي ليس
الجمال جازياً أو يجزى . وقيل إِنَّ الجمَلَ هو الخبر ، وسكُن للقفائية ،
واسمها ضمير اسم الفاعل المفهوم من يَجْزِي ، أي ليس الجازي الجمَلَ ،
فلا حذف فيه . وقيل : إِنَّ ليس فيه عاطفة ، وقد ذكره الشارح في
لا العاطفة ، وسيأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله .

هذا ورواية البيت عند سيويه :

* إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى غَيْرُ الْجَمَلِ *

وكذا رواه الطوسي في شرح ديوان لبّيد .

وأنشده سيويه على أَنَّ الفتى وهو معرفة قد نعت بغير ، وهي نكرة ،
والذي سوّغه أَنَّ التعريف باللام يكون للجنس ولا يخصّ واحداً بعينه ،
فهو مقاربٌ للنكرة ؛ وَأَنَّ غيراً مضاف إلى معرفة فقاربت المعارف لذلك .

(١) الخزائن ٣ : ٤٠٩ - ٤١٣ .

(٢) في كتابه ١ : ٢٧٠ . وانظر مجالس ثعلب ٥١٥ والمقتضب ٤ : ٤١٠ ،

والأصول ١ : ٣٤٨ ، ٣٦٨ والأزهية ١٩٢ ، ٣٠٥ ودلائل الإعجاز ٢٩٩ والمبني ٤ : ١٧٦

والتصريح ١ : ٢٩١ / ٢ : ١٣٥ وديوان لبّيد ١٧٩ .

وكذا أورده ابن السَّرَّاج (في الأصول) قال : إِنَّ غيراً لا تدخل في الاستثناء إلا في الموضع الذي ضارعت فيه إلا . ألا ترى أنك تقول مررت برجلٍ غيرِكَ ولا تقع إلا في مكانها ، لا يجوز أن تقول : جاءني رجل إلا زيد ، تريد غير زيد على الوصف . فالاستثناء هنا محال . ولكن تقول : ما يحسنُ بالرجل إلا زيدُ أن يفعل كذا ، لأنَّ الرجل جنسٌ ، ومعناه : بالرجل الذي هو غير زيد ، كما قال :

* إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى غَيْرَ الْجَمَلِ * انتهى

وهذا البيت من قصيدة طويلة للبيد بن ربيعة الصَّحَابِي ، وقد تقدَّم صاحب الشاهد بعضُها في الشاهد الثامن والعشرين بعد المائتين ^(١) . وهذه أبياتٌ منها ^(٢) :

(اعْقِلِي إِن كُنْتَ لَمَّا تَعْقِلِي	وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلٌ	أبيات الشاهد
إِنْ تَرَى رَأْسِي أَمْسَى وَاضِحاً	سُلِّطَ الشَّيْبُ عَلَيْهِ فَاشْتَعَلَ	
فَلَقَدْ أَغْوَصُ بِالْخَصْمِ وَقَدْ	أَمَلْتُ الْجَفَنَةَ مِنْ شَحْمِ الْقُلُلِ	
وَلَقَدْ تَحَمَّدُ لَمَّا فَارَقْتَ	جَارِي، وَالْحَمْدُ مِنْ خَيْرِ الْخَوْلِ	
وَعِلَامٍ أَرْسَلْتُهُ أُمِّهِ	بِأَلْوَكٍ فَبَذَلْنَا مَا سَأَلَ	
أَوْ نَهْتَهُ فَاتَّاهُ رِزْقُهُ	فَاشْتَوَى لَيْلَةَ رِيحٍ وَاجْتَمَلَ	
مِنْ شَوَاءٍ لَيْسَ مِنْ عَارِضَةٍ	بِيَدَيَّ كُلِّ هَضُومٍ ذِي نَزَلٍ	
فَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجِزِهِ	إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ	
أَعْمِلِ الْعَيْسَ عَلَى عِلَاتِهَا	إِنَّمَا يُنْجِحُ أَصْحَابُ الْعَمَلِ	
وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلاً فَارْتَحِلْ	وَاعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيمُ الْكَسَلِ	

(١) الخزاعة ٣ : ٣٦٨ - ٣٧٣ .

(٢) ديوان لبيد ١٧٧ - ١٨٠ .

واكذب النفس إذا حدَّثتها إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزِرُّ بِالْأَمَلِ
غيرَ أنْ لا تكذِّبَها في التَّسَيُّ واخزُها بالبرِّ لله الْأَجَلُ ()

قوله : « اعقلى إن كنت » إلخ يخاطب عاذلته ، وقيل نفسه .
وعقَلت الشيء عقلاً ، من باب ضرب ، إذا تدبَّرتَه . ولَمَّا نافية .

وقوله : « إن تَرَى رأسى » إلخ وَضَحَ الشيء وضوحاً ، إذا بَرَقَ بياضه .
وشبَّه انتشارَ الشَّيْبِ باشتعال النار ، في سُرعة الانتهاب .

وقوله : « فلقد أُعَوِّضُ » إلخ أُعَوِّضَ بالخصم ، إذا لَوَّى عليه أمره .
وقال الطوسي : أُعَوِّضُ : أَرَكَبَ به الأمرَ العويص ، أى الشَّدِيد . ويقال
أُعَوِّضُ به ، أى أَثْبِتَهُ بالعويص ^(١) . ويقال : أُعَوِّضُ [به ^(٢)] ، أى احمله
على العَوِّضَاءِ ، وهى الشَّدَّة . والجَفَنَةُ ، بفتح الجيم : القَصْعة . وأراد
بالقُلُلِ الأَسْنة : جمع سَنَام ، والواحد قُلَّة . وقُلَّة كلُّ شيء : أعلاه وأرفعُه .
يقول : إِنِّى وَإِنْ شِئْتُ فَإِنِّى أَنْفَعُ وَأَضَرُّ .

وقوله : « ولقد تَحَمَّدَ » إلخ جارتى فاعل تَحَمَّدَ . والخَوْلُ بفتح
الخاء المعجمة : العطية .

وقوله : « وغلّامٍ أَرْسَلْتَهُ » إلخ ، الواو واو ربّ . والألوك ، بفتح الهمزة :
الرسالة ، ومنه أَلَكْنِ السَّلَامِ إِلَى فُلَانٍ ، أى أَبْلِغْ عَنِّي السَّلَامَ .

وقوله : « أو نهته فأتاه » إلخ معطوف على أَرْسَلْتَهُ ، أى ربّ غلامٍ نَهْتَهُ
أُمُّهُ عَنِ السُّؤَالِ مِنَّا حَيَاءً أَوْ قُنُوعاً فَبِعَثْنَا إِلَيْهِ بِمَا اشْتَوَى واجتمَلَ . يريد

(١) ط : « أى آتاه بالعويص » على أنه تفسير للمضارع . وإنما المراد هنا تفسير الأمر
كما فى ش .

(٢) التكلة فى ش .

إِنَّا نُنْعِمُ عَلَى الْفَقِيرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، سواءَ جَاءَ يَطْلُبُ أَوْ مُنْعٍ مِنَ الطَّلَبِ .
يَقَالُ شَوَيْتُ اللَّحْمَ ، وَاشْتَوَيْتُهُ . وَإِذَا شَوَيْتَهُ فَنَضِجَ قَلْتُ قَدْ انشَوَى
بِالنُّونِ لَا غَيْرَ . وَاجْتَمَلَ : اتَّخَذَ الْجَمِيلَ ، بَفَتْحِ الْجِيمِ ، وَهُوَ الشَّحْمُ
الْمَذَابُ . يَقَالُ اجْتَمَلَ ، أَيْ أَذَابَ الشَّحْمَ . وَفِي الْحَدِيثِ : « لَعَنَ اللَّهُ
الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا »^(١) : وَقَالَ الطُّوسِيُّ :
وَيَقَالُ اجْتَمَلَ اللَّحْمَ أَيْ طَبَخَهُ بِالشَّحْمِ لَيْسَ مَعَهُ مَاءٌ ، وَذَلِكَ إِذَا قَلَاهُ
بِهِ . وَقَوْلُهُ : « لَيْلَةُ رِيحٍ » أَيْ لَيْلَةُ بَرْدٍ مِنَ الشَّتَاءِ . وَهَذَا غَايَةُ الْكَرَمِ ،
فَإِنَّ شِدَّةَ الْعَرَبِ وَبُؤْسَهُمْ فِي الشَّتَاءِ ، لَعَدَمِ النَّبَاتِ .

وهذا البيت استشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ
مَا يَدْعُونَ ﴾^(٢) عَلَى أَنَّ يَدْعُونَ افْتَعَالٌ مِنَ الدُّعَاءِ ، أَيْ يَدْعُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ،
كَمَا فِي اشْتَوَى وَاجْتَمَلَ ، أَيْ شَوَى لِنَفْسِهِ وَجَمَلَ لِنَفْسِهِ . وَمِثْلُهُ (فِي
الصَّحَاحِ) قَالَ : اشْتَوَيْتُ : اتَّخَذْتُ شَوَاءً . وَأَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ .

وقوله : « مِنْ شَوَاءٍ » إلخ مِنْ متعلقة بِاشْتَوَى فِي الْبَيْتِ الْمُتَقَدِّمِ .
قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ ، شَوَيْتُ اللَّحْمَ شَيْئًا ، وَالاسْمُ الشَّوَاءُ . وَالْعَارِضَةُ :
النَّاقَةُ الَّتِي أَصَابَهَا كَسْرٌ أَوْ عَرَضَ فَنُحِرَتْ . وَالْهَضُومُ ، بَفَتْحِ الْهَاءِ وَضَمِّ
الْمَعْجَمَةِ : الْفَتَى الَّذِي يُهْتَضَمُ مَالُهُ يُقَطَّعُ مِنْهُ وَيُكْسَرُ . وَالنَّزَلُ ، بَفَتْحِ
النُّونِ وَالزَّايِ : الْمَعْرُوفُ وَالْخَيْرُ .

وقوله : فَإِذَا أُقْرِضْتَ^(٣) « إلخ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، يَقَالُ : أَقْرِضْنِي

(١) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْبَخَارِيِّ (الْمَغَازِي وَالتَّفْسِيرُ) وَمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ
وَالنَّسَائِيِّ (الْبَيُوعِ) وَأَبْنِ مَاجَةَ (التَّجَارَاتِ) . وَانْظُرِ الْحَدِيثَ ٦٣٨ مِنْ أَلْفِ الْمُخْتَارَةِ .
وَالْفَرْقُ فِيهَا : « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ، لَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ شَحْمُوهَا جَمَلُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا فَأَكَلُوهَا » .

(٢) الْآيَةُ ٥٧ مِنْ سُورَةِ يَسَ .

(٣) هَذِهِ الرِّوَايَةُ غَيْرُ الرِّوَايَةِ الَّتِي أُثْبِتَتْ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ وَالِدِيَّانِ ، وَهِيَ الرِّوَايَةُ الْآخَرَى
الَّتِي أُثْبِتَتْهَا الْبَغْدَادِيُّ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ عَلَى الشَّاهِدِ .

فلان، أى أعطاني قرضاً . والقرض : ما تُعطيه من المال لتُقضاه ^(١) . والقرض هنا : ما سلف من إحسان أو إساءة . قال أمية بن أبي الصلت :

لا تَخْلِطَنَّ خَبِيثَاتٍ بِطَيِّبَةٍ وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَأَنْجُ عَرِيَانَا ^(٢)
كُلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى قَرْضَهُ حَسَنًا
أَوْ سَيِّئًا وَمَدِينَا كَالَّذِي دَانَا

وزعم العيني أن قرضاً هنا مفعول مطلق . وقال الزجاج عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ^(٣) : معنى القرض في اللغة : البلاء السيئ والبلاء الحسن . العرب تقول : لك عندى قرضٌ حسنٌ وقرضٌ سيئٌ . وأصل القرض ما يُعطيه الرجل ليجازى عليه . وأنشد بيت لبید وبيت أمية .

وقوله : (فاجزه) أمرٌ من الجزاء . قال صاحب المصباح : جَزَى يَجْزِي مثل قضى يقضى وزناً ومعنى . وفى الدعاء : جزاه الله خيراً ، أى قضاه له وأثابه عليه ، وَجَزَيْتَ الدَّيْنَ : قضيتُهُ . وَرَوَى :

* فَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْزِهِ *

قال العيني : هما بمعنى واحد . وليس كذلك ، لأنَّ الجزاء لا يكون إلا بعد الإقراض ، لا على الجزاء .

وقوله (إِنَّمَا يَجْزَى الْفَتَى) إلخ بالبناء للمعلوم ، والفتى فاعله . وزعم

٧١

(١) ط : « لتقضاه » ، صوابه فى ش .

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ٦٣ .

(٣) الآية ٢٤٥ من البقرة ، وكذلك الآية ١١ من سورة الحديد .

العيني أنه بالبناء للمجهول ، والفى نائب الفاعل . وكأنه لم يتصور
 المعنى . ومعناه أن الذى يَجْزَى بما يُعامل به من حَسَن أو قبيح هو الإنسان
 لا البهيمة . قال الزمخشري (فى المستقصى) وقيل : الفى السيد اللبيب .
 والعرب تقول للجاهل : يا جمل . أى إنما يَجْزَى اللبيب من الناس
 لا الجاهل . يُضْرَب فى الحث على مجازاة الخير والشر . انتهى .

وعلى هذا فيكون للجمل هنا موقع ، لا أنه جاء للقافية فقط كما
 زعم الطوسي .

والجمل كنيته عند العرب أبو أيوب . قال ابن الأثير (فى المصنع)
 كُنِيَ الجملُ به لصبره على المسير والأحمال ، تشبيها بصبر أيوب
 عليه السلام ^(١) .

والى هذا لَمَحَ على بن العباس ، الشهير بابن الرومى ، فى شعر لبيد وقد
 ضَمَّنَه فى شعره هاجياً به وزير المعتضد ، أبا أيوب سليمان بن عبد الله فقال :

يا أبا أيوب هذى كنيةً	من كُنِيَ الأنعام قديماً لم تزلْ
ولقد وفق من كُنَّا كها	وأصاب الحق فيها وعدلْ
أنت شبه للذى تُكنى به	وليبعض الخلق من بعض مثل ^(٢)
لست ألك على ما سُمِنى	من قبيح الردّ أو منع النفل ^(٣)
قد قضى قول لبيد بيننا	إنما يَجْزَى الفى ليس الجملْ

(١) إلى هنا ينتهى النص فى المصنع لابن الأثير ٥٧ . وفيه : « تشبه بصبر أيوب عليه السلام » .

(٢) ط : « من بعض بطل » صوابه فى ش وديوان ابن الرومى ١٩٠٢ .

(٣) النفل ، بالتحريك : العطية والهبة ، ومثله النافلة والنوفل . كما أن النوفل الكثير المعطاء .

كم حَدَوْنَاكَ لِتَرْقَى فِي الْعِلَّا وَأَبَى اللَّهِ ، فَلَا تَعْلُ هُبَلٌ^(١)

ولم أرَ ذكرَ أَيُّوبَ واشتقاقَه في كتب اللغة المدوَّنة ، كالقاموس ،
والعباب ، والصُّحاح مع كثرةِ دورانيه في الألسنة ، ولا في مفردات
القرآن مع أَنَّهُ مذكور فيه .

وفي المعرَّبات للجواليقي : قال أبو علي : وقياس همزة أَيُّوب أن
تكون أصلاً غير زائدة ، لأنَّه لا يخلو أن يكون فيعولا أو فَعْلولا . فإن
جعلته فيعولا كان قياسه لو كان عربياً أن يكون من الأوب مثل قَيَّوم ،
ويمكن أن يكون فَعْلولا مثل سَفُود و كَلُوب ، وإن لم يعلم في الأمثلة هذا ،
لأنَّه لا يُنكَرُ أن يجيء العجميُّ على مثال^(٢) لا يكون في العربي . ولا يكون
من الأوب وقد قلبت الواو فيه إلى الياء ، لأنَّ من يقول صَيِّمٌ في صَوْمٍ لا يقلب
إذا تباعدت من الطَّرَف ، فلا يقول إِلَّا صُبَّام . وكذلك هذه العين إذا
تباعدت من الطرف وحجز الواو بينه وبين الآخر لم يجز فيه القلب^(٣) .
انتهى .

فأجاز أن يكون من مادة (أوب) ومن مادة (أيب) ، والمادتان
مذكورتان في القاموس ، وفي غيره الأولى فقط .

(١) إشارة إلى ما كان من قول أبي سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد : « اعل هبل » ،
أي اعل يا هبل دينك ، وقال السهيلي : « معناه زد علواً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اقله اعل وأجل » . انظر الحديث رقم ٥٥٢ من الألف المختارة ، والروض الأنف ٢ : ١٤٣
والسيرة ٥٨٢ جوتنجن .

(٢) ط : « على لسان » ، صوابه في ش والمعرَّب للجواليقي ١٥ .

(٣) في النسختين : « إلا القلب » ، وهو عكس المراد ، صوابه من المعرَّب ١٥ ، وإن
كان في بعض أصوله « إلا القلب » بزيادة « إلا » . وقد تنبه إلى هذا الخطأ الذي نهت عليه مصحح
نسخة بولاق من الخزانة .

وقوله : « أَعْمِلِ الْعِيسَ » إلخ أَعْمِلْ : أمرٌ من الإعمال ، وهو الإشغال .
والعيس : الإبل البيض . وروى « العنَس » بالنون ، وهى الناقة الشديدة .
والعالات ، بالكسر : الحالات ، جمع عِلَّة بمعنى الحالة .

وقوله : « وَإِذَا رُمْتَ رَجِيلاً » إلخ توصيم فاعل يأمر ، والمفعول محذوف
أى يأمره . والتوصيم ، بالصاد المهملة ، هو فى الجسد كالتكسير والفترة ؛
ووصمته الحمى بالتشديد ، إذا أحدثت فيه فترة وتكسيراً . وهو من الوصم ،
وهو الصدع فى العود من غير بينونة . والوصم أيضاً : العيب والعار .

٧٢ وقوله : « وَأَكْذِبِ النَّفْسَ » إلخ ، اكذب فعل أمر ، والنفَس مفعول ،
وحدثتها بالبناء للفاعل . قال الزمخشري (فى المستقصى) : هذا المصراع
مثلٌ يضرب فى الحث على الجسارة ؛ أى حدثها بالظفر وبلوغ الأمل
إذا هممت بأمر ، لتنشطها للإقدام ؛ ولا تناغها ^(١) بالخيبة فتنبطها .
انتهى .

وقوله : « إِنَّ صِدْقَ » إلخ ، يعنى إذا حدثت نفسك بالموت لم تُعمر
شيئاً ولم تؤثّر مالأً ، وفسد عليك عيشك ، فأزرى ذلك بأملك . والإزراء
بتقديم المعجمة على المهملة : النقص . قال بعضهم :

وَإِذَا صَدَقَتِ النَّفْسَ لَمْ تَتْرَكْهَا أَملاً وَيَأْمُلُ مَا اشْتَهَى الْمَكْذُوبُ

وأورد هذا البيت صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وَنَعْلَمُ
مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ^(٢) ﴾ على أَنَّ ما مصدرية ، فإنه يقال : حدث نفسه
بكذا ، كما يقولون حدثته به نفسه ^(٣) .

(١) المناغة : المحادثة ، ومنه مناغة الصبي . وفى النسختين هنا : « ولا تنازعها » ،

سوابه من المستقصى ١ : ٢٨٩ .

(٢) الآية ١٦ من سورة ق .

(٣) ش : « فإنه يقال حدث به نفسه » فقط .

وقوله «غير أن لا تكذبنها» ، هو استثناء من قوله أكذب النفس .
 واخزها بالمعجمتين : أمرٌ من خزاه يخزوه خزواً ، إذا ساسه وقهره . والباء
 متعلقة به ، والله متعلق بالبر . والأجل : أفعل تفضيل .
 وترجمة لبيد تقدّمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد السبعمئة ^(٢) :
 ٧٤٥ (لم يَكُ الحقُّ على أنْ حاجَه رَسْمُ دارٍ قد تَعَفَّى بالسَّرَرِ)
 على أنْ حذف نون (يكن) المجزوم الملاقى للسّاكن ، جائزٌ عند يونس .
 وقال السيرافي : هذا شاذٌ .

والبيت أنشده أبو زيد (في نوادره) مع بيت آخر بعده ، وهو :
 (غَيْرَ الجِدَّةِ من عِرْفَانِهِ خِرَقُ الرِّيحِ وطُوفان المَطَرِ)

وقال بعدهما : لا أعرف بيتاً حُذفت منه النون من يكن مع الألف
 واللام غير هذا البيت . وهذا الحصر غير صحيح ، فقد سُمِعَ في غيره ،
 قال ابن صخر الأسدي ^(٣) :

فإنْ لَاتِكَ المِراةُ أَبَدَتْ وَسَامَةً فقد أَبَدَتْ المِراةُ جَبْهَةً ضَيْغَمَ
 قال ابن السّراج (في الأصول) : قالوا : لم يكن الرّجل ، لأنّ
 هذا موضعٌ تحرّك فيه النون ، والنون إذا وليها الألف واللام للتعريف

(١) الخزانة ٢ : ٢٠٤٦ .

(٢) نوادر أبي زيد ٧٧ والخصائص ١ : ٩٠ والمنصف ٢ : ٢٢٨ والمج ١ : ١٢٢ .

(٣) اسمه الخنجر بن صخر الأسدي . وانظر تخريج هذا الشاهد في معجم الشواهد .

لم تحذف إلاَّ أَنْ يُضطرَّ إليه شاعر ، فيجوز ذلك على قُبْح واضطرار .
وأنشد هذين البيتين .

وكذلك ذهب إلى أَنَّهُ ضرورةُ أبو علي (في كتاب الشعر) ، وابنُ
عصفور (في الضرائر) .

وقال ابن جنى (في سر الصناعة) : أنشد قطربُ وقرأناه على بعض
أصحابنا يرفعه إليه :

* لم يك الحقَّ سوى أَنَّ هاجه * البيت

أى لم يكن الحقَّ . وكان حكمه إذا وقعت النون موقعاً تحرَّك فيه
فتنقوى بالحركة أَنْ لا يحذفها ، لأنَّها بحركتها قد فارقت شبهَ حروفِ
اللَّين ، إذ كُنَّ لا يكنَّ إلاَّ سَوَاكِن . وحذفُ النُّون من يكنُّ أقبح من
حذف التنوين ونون التثنية والجمع ، لأنَّ النون في يكنُّ أصلٌ ، وهى
لام الفعل ، والتنوين والنون زائدتان^(١) ، فالحذف فيهما أسهل منه في
لام الفعل . وحذفُ النون من يكنُّ أيضاً أقبح من حذف نون مِنْ
في قوله :

* غيرَ الذى قد يُقالُ مِـرَ الكذبِ^(٢) *

٧٣ أى من الكذب ، لأنَّ يكنُّ أصله يكونُ ، حُذِفَتْ منه الواو لالتقاء
الساكنين ، فإذا حذفتْ منه النون أيضاً لالتقاء الساكنين أجحفتْ به
لتوالى الحذفين ، لا سيَّما من وجه واحد عليه . هذا قول أصحابنا في

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « الزائدتان » .

(٢) صدره في اللسان (ألك) ، والخصائص ١ : ٣١١ / ٣ : ٢٧٥ :

* أبلغ أبا دختنوس مألوفة .

(م ٢٠ — خزنة الادب — ج ٩)

هذا البيت . وأرى أنا شيئاً آخر غير ذلك ، وهو أن يكون جاءَ بالحقِّ بعد ما حذف النون من يكن ، فصار يك ، مثل قوله : ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ^(١) ﴾ فلماً قدره يك ، جاءَ بالحق بعد ما جاز الحذف في النون وهي ساكنة تخفيفاً ، فبقى محذوفاً بحاله ، فقال : لم يك الحق . ولو كان قدره يكن ثم جاءَ بالحق لوجبَ أن يكسِرَ نونه لالتقاء الساكنين .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ تعليله يقتضى قياس هذا الحذف . وهذا الذى ادَّعاه لنفسه هو لشيخه أبى على (فى المسائل العسكرية) قال فى آخرها ، بعد إنشاد البيت : إن قلت فيه إنَّ الجزم لحقه قبل لحاق الساكن واجتماعه معه ، فكأنَّ الساكنَ الثانى قد مضى فى الحرف . ونظير هذا إنشادُ مَنْ أنشد :

* فغُضَّ الطرفَ إنَّك من نُميرٍ ^(٢) *

حرَّكَ الساكن الأولَ فلحقَ الساكن الثانى وقد مضى الحذف ^(٣) بالفتح للساكن الأول ، فكَذلكَ لحقَ الساكن وقد مضى الحذفُ فى الحرف . وإن شئت قلت إنَّ الحركة هنا كانت لالتقاء الساكنين لم يعتدَّ بها ، وكان الحرفُ فى نيَّة سكون ، فكما كان يحذفها ساكنة كذلك يحذفها إذا كانت فى نيَّة السكون . انتهى كلامه .

وقوله : (على أن حاجه) ظرف مستقرٌّ فى موضع الخبر لكان . و (الحق) يطلق على معانٍ منها وهو المراد هنا : الموجودُ بحسب مقتضى

(١) الآية ٩ من سورة مريم .

(٢) لجرير فى ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد . وعجزة :

* فلا كميّاً بلغت ولا كلاباً *

(٣) فى النسختين : « الحرف » ، وانظر ما سأتى .

الحكمة ، أى ليس بلائقٍ بالعاشق أن يَهيج حزنه الرسمُ الدائر . وهاج هنا متعدُّ بمعنى أثار . والهاءُ مفعولٌ مقدَّم ضميرُ العاشقِ في بيتٍ قبله ، وهو على حذفٍ مضافٍ أى هاج حُزنه ووجده . ورسمُ فاعلٌ هاج ، وهو أثر الدار ، وجملة (قد تعفَى) في موضع الصِّفة لرسم . وتعفَى : مبالغةٌ عفاً الرسمُ ، أى دثرَ ودرس . وقوله : (بالسَّرَر) ظرفٌ مستقرٌّ في موضع الصِّفة لدار ، فقد وصف المضاف والمضاف إليه . والسَّرَر هنا ضبطه أبو حاتم بفتح السين والراء المهملتين ^(١) وقد يكسر الأول ^(٢) ؛ وكلُّ منهما اسم موضع . قال ياقوت (في معجم البلدان) : قال نصر : السَّرَر بالتحريك : وادٍ يدفع من اليمامة إلى أرضٍ حضرموت . والسَّرَر بكسر أوله ، قال السُّكْرى في قول أبي ذؤيب :

بآيةٍ ما وقفتُ والركا بُ بين الحَجُونِ وبين السَّرَر ^(٣) :

هو موضعٌ على أربعة أميال من مكة حرسها الله تعالى ، عن يمين الجبل بطريق منى . وكان عبد الصَّمَد بن علي اتَّخذ عنده مسجداً كان به شجرةٌ ، ذُكرَ أنه سُرَّ تحتها سبعون نبياً ، أى قطعت سُرُّهم . انتهى .

وكذا قال ياقوت ناقلاً عن الأزهرى : عن ابن عمر أنه سُرَّ تحتها سبعون نبياً ، سمى سُرراً لذلك .

ثم قال ياقوت : وروى المغاربة : « السَّرَر » : وادٍ على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل ، قالوا : هو بضم السين وفتح الراء الأولى ، قالوا :

(١) انظر النوادر ٧٧ .

(٢) ط : « وقيد بكسر الأول » ، صوابه في ش .

(٣) شرح السُّكْرى ١١٣ .

كذا رواه المحدثون بلا خلاف . قال الرياشي : المحدثون يضمُّونه ، وهو إنما هو السَّرَر بالفتح . وهذا الوادى هو الذى سُرَّ فيه سبعون نبياً ، أى قطعت سِرُّهم بالكسر . وهو الأصح . انتهى .

وروى : « ودَثِر » بدل قوله « بالسَرَر » أى دَرَس ولم يبق منه شيء . وعلى هذا يكون معطوفاً على نَعْفَى ، فيكون صفةً لرسم أيضا .

وقوله : « غَيَّرَ الجِدَّة » إلخ هذه الجملة صفةً لرسم أيضا . والجِدَّة بكسر الجيم : مصدر جَدَّ الشيءُ يعجد بالكسر جِدَّة ، هو خلاف القديم . والعِرْفان بالكسر : مصدر عَرَفَتْه عِرْفَةً بالكسر وعِرْفَاناً ، إذا علمته بحاسةٍ من الحواس الخمس ، فهو مصدر مضاف لمفعوله ، والهاء ضمير الرسم ، وفاعله محذوف . وخِرَّقَ فاعل غَيَّرَ ، وهو بكسر الحاء المعجمة وفتح الراء المهملة ، أى القِطْع من الرِّيح ، جمع خِرْقَة . وروى الأصمعي : « خُرَّقَ » بضمّتين جمع خَرِيق ، وهى الرِّيح التى تتخرَّق فى الجبال وغيرها . و « طُوفان المطر » : كثرته . كذا قال أبو حاتم فيما كتبه على النوادر . يقول : غَيَّرَتْ كثرةُ الرِّيحِ والأمطار ما استجدَّدناه من معرفتنا لهذا الرسم .

٧٤

والبيتان نسبهما أبو زيد لحُسَيْل بن عرفة قال : وهو شاعر جاهلي . وحُسَيْل : مصغر حَسَل ، بكسر الحاء وسكون السين المهملة بعدهما لام ، وهو ولد الصَّبِّ . قال أبو العباس ^(١) : هو حَسِيل بفتح الحاء وكسر السين . وقال أبو حاتم : وحُسَيْن : مصغر حسن بالنون . وغلَّطه الأخفش فيه . والله أعلم .

حسيل بن
عرفة

(١) أبو العباس هذا هو محمد بن يزيد الأزدي المبرد ، شيخ أبي الحسن على بن سليمان الأخفش .

أفعال المقاربة

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد السبعائة ^(١) :

٧٤٦ (إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ)

على أَنَّ بعضهم قال : إِنَّ النفي إذا دخل على (كاد) تكون في الماضي للإثبات ، وفي المستقبل كالأفعال ، مستمسكاً بالآية وهذا البيت .

وهذا الفصل في (كاد) هنا هو بعينه عبارة الباب بتغيير كلمه .

قال (صاحب الباب) : وإذا دخل النفي على كاد فهو كسائر الأفعال على الصحيح ، وقيل يكون للإثبات ، وقيل يكون في الماضي دون المستقبل ، تمسكاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ^(٢) ﴾ ، ويقول ذي الرمة :

* إِذَا غَيَّرَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ * إلخ

والجواب أنه لنفي مقاربة الذبح ، وحصول الذبح بعد لا ينافيها ، ولم يؤخذ من لفظ : وما كادوا ، بل من لفظ : فذبحوها . انتهى .

قال شارحه الفالي : قوله : « وإذا دخل النفي » إلخ معناه نفى مادخل عليه ، إدراجاً له في الأمر العام المعلوم من اللغة ، وهو أنه إذا دخل النفي على فعلٍ أفاد نفي مضمونه . وقيل يكون للإثبات ، أى لإثبات الفعل الذي دخل عليه كاد في الماضي وفي المستقبل . أمّا في الماضي ، فللقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ^(٢) ﴾ ، والمراد أنهم قد فعلوا الذبح . وأمّا في المضارع فلأنَّ الشعراءَ خَطُّوا ذا الرمة في قوله :

(١) الموشح ٢٨٣ ودلائل الإيجاز ١٨٩ ، ١٩٠ وابن عيش ٧ : ١٢٤ ، ١٢٥ والتسهيل

٨٠ والعنى ٣ : ٣٧٨ والأشونى ١ : ٢٦٨ وديوان ذي الرمة ٨٦ .

(٢) الآية ٧١ من سورة البقرة .

..... لم يكذب رسيس الهوى من حُبِّ مَيَّةَ يبرحُ

وهو أنه يؤدِّي إلى أنَّ المعنى إنَّ رسيس الهوى يبرح ويَزُول وإنَّ كان بعد طول عهد . فلولا أنهم فهموا في اللغة أنَّ النفي إذا دخل على المضارع من كاد أفاد إثبات الفعل الواقع بعده لم يكن لتخطئتهم وجه . وقيل : يكون في الماضي للإثبات دون المستقبل ، تمسُّكا بقوله تعالى : ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ إذ المعنى قد فعلوا كما ذكرنا . ويقول ذى الرمة : « إذا غيَّر الهجر » البيت ، إذ المعنى : وما برح حبُّها من قلبي . فهذا القائل تمسك بقول ذى الرمة ، والقائل الأول تمسك بتخطئة الشعراء ذا الرمة . والجواب أنه لنفي مُقَارَبَةِ الذَّبْح ، وحصولُ الذَّبْح بعد ، أى بعد أن نفى مقاربة الذبح ، لا يُنافيها . ولم يؤخذ من لفظ : كادوا ، بل من لفظ : فذبحوها .

٧٥

وهذا جوابٌ عن القولين المذكورين ، فإنَّ^(١) لا نسلَم أنَّ النفي الداخل على كاد يفيد الإثبات لا في الماضي ولا في المستقبل ، بل هو باقٍ على وضعه^(٢) ، وهو نفي المقاربة . وليس ما تمسكوا به بشيء ؛ أمَّا في الآية فهو أنَّ معناه أنَّ بنى إسرائيل ما قاربوا أن يفعلوا للإطناب في السُّؤالات ، ولَمَّا سَبَقَ في قولهم : ﴿ اتَّخِذْنَا هُزُوءًا^(٣) ﴾ وهذا التعذُّت دليلٌ على أنهم كانوا لا يُقَارِبُونَ فعله فضلاً عن نفيس الفعل . ونفى المقاربة قد يترتب عليه الفعل وقد لا يترتب ، وهو قوله : « وحصولُ الذَّبْح بعد لا ينافيها » . وأمَّا إثبات الذَّبْح فَمَاخُذٌ من الخارج ، وهو قوله : ﴿ فذبحوها ﴾

(١) ط : « بأننا » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « وصفه » .

(٣) الآية ٦٧ من سورة البقرة .

وأما البيت فكذلك معناه ، أن حبَّها لم يقارب أن يزولَ فضلاً عن أن يزول . وهو مبالغة في نفي الزوال ؛ فإنَّك إذا قلت : ما كاد زيدُ يسافر فمعناه أبلغُ من : ما يسافر زيد ، أى لم يسافر ، ولم يقرب من أن يسافر أيضاً . فالبيت مستقيم ، ولا وجه لتخطئة الشعراء إياه . انتهى .

وقد بيَّنَ الشارحُ المحققُ فسادَ هذين القولين في آخر الباب . وقوله كغيره : « إنَّ الشعراءَ خطئوا ذا الرِّمَّةَ » المخطئُ إنما هو عبد الله بن شبرمة .

قال المرزباني (في الموشح) : : حدَّثني أحمد بن محمد الجوهري ، وأحمد بن إبراهيم الجمال ، قالا : حدثنا الحسن بن عَلِيل العنزي قال : حدثنا يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة بن حبيب بن أبي صُفرة قال : حدثنا عبد الصمد [بن ^(١)] المذلَّ عن أبيه ، عن جدِّه غيلان بن الحكم ، قال :

قديم علينا ذو الرِّمَّة الكوفة فوقفَ على راحلته بالكُناسة ينشدنا قصيدته الحائيَّة ، فلماً بلغ إلى هذا البيت :

إذا غيَّرَ النَّأىُ المحبِّينَ . . . إلخ

فقال له ^(٢) ابن شبرمة : ياذا الرِّمَّة ، أراه قد برحَ . ففكر ساعة

ثم قال :

إذا غيَّرَ النَّأىُ المحبِّينَ لم أجِدْ ^(٣) رسيسَ الهوى إلخ

قال : فرجعتُ إلى أبي الحكم بن البختريِّ بن المختار ، فأخبرته

(١) التكلة من ش والموشح .

(٢) وكذا في الموشح : « فقال له » بزيادة الفاء .

(٣) الكلام بعده إلى « لم أجِد » في الصفحة التالية بالسطر ٩ ساقط من ش .

الخبر فقال : أخطأ ابنُ شُبْرَمَةَ حيثُ أنكرَ عليه ، وأخطأ ذو الرمة حيث رجع إلى قوله . إنما هذا كقول الله عز وجل : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا ﴾ ، أى لم يرها ولم يكذب . انتهى .

وقال السيد المرتضى (فى أُماليه) : روى عبدُ الصمد بن المعدّل عن غَيْلَانَ عن أبيه عن جدّه غَيْلَانَ قال : قديم علينا ذو الرمة الكوفة فأنشدنا بالكُنَاسَة ، وهو على راحلته ، قصيدته الحائِثَة التى يقول فيها :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ إِلَخ

فقال له عبد الله بن شبرمة : قد برّح يا ذا الرمة . ففكّر ساعة ثم قال :

* إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ ^(١) * إِلَخ

قال : فأخبرتُ أبى بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه ، فقال : أخطأ ذو الرمة فى رجوعه عن قوله الأوّل ، وأخطأ ابن شبرمة فى اعتراضه عليه . وهذا كقول الله تعالى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا ﴾ ^(٢) . انتهى .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لذى الرمة مطلعها :

(أَمْنَزَلَتْنِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ عَلَى النَّأْيِ وَالنَّائِي يَوَدُّ وَيَنْصَحُ)

وبعده :

(فَلَا الْقُرْبُ يُبْدِي مِنْ هَوَاهَا مَلَالَةً وَلَا حُبُّهَا إِنْ تَنَزَّحَ الدَّارُ يَنْزَحُ ^(٣))

(١) هنا ينتهى السقط الذى نهت عليه فى الصفحة السابقة .

(٢) الآية ٤٠ من سورة النور .

(٣) ط : « من هواها ملالة » ، صوابه فى ش والديوان ٧٨ ومجموعة المعاني ٢١ . وفى الديوان أيضاً : « يدنى » موضع « يبدى » .

أَتَقْرَحُ أَكْبَادُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ كما كبدي من ذكر مية تَقْرَحُ^(١)
 وقوله : « إذا غيَّر النَّأْيُ » إلخ ، النَّأْيُ فاعل غيَّر ، ومعناه البُعد .
 و (رسيس الهوى) : مَسَّهُ . و (يبرح) : يزول ، وهو فعل تامٌ لازم .
 و (مية) : اسم معشوقته . يقول : إِنَّ الْعِشَاقَ إِذَا بُعِدُوا عَمَّنْ يُحِبُّونَ دَبَّ
 السَّلَوُ إِلَيْهِمْ ، وَزَالَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُقَاسُونَ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَمْ يَقْرُبْ زَوَالِ
 حُبِّهَا عَنِّي ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَزُولَ .

٧٦

وزاد على هذا المعنى قوله في هذه القصيدة :

(أَرَى الْحُبَّ بِالْهَجَرِ أَنْ يُمَحِّيَ فَيَنْمَحِيَ وَحُبُّكَ مِثْلًا يَسْتَجِدُّ وَيَرْبَحُ^(٢))
 أى يزيد الحبُّ كما يزيد الرِّيحُ .

وقوله : « فَلَ الْقُرْبُ يُبْدِي » إلخ نزحت الدار : بَعُدَتْ . يقول :
 حُبُّهَا إِنْ بَعُدَتْ الدَّارَ لَمْ يَتَغَيَّرْ ، هُوَ لَازِمٌ ثَابِتٌ .
 وقوله : « أَتَقْرَحُ » الْقَرَحُ : الْجُرْحُ .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت في الشاهد الثامن من أول الكتاب^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد السبعائة^(٤) :

٧٤٧ (ظَنَنْتُ بِهِمْ كَعَسَى وَهُمْ بَتَنُوفَةٍ يَتَنَازَعُونَ جَوَائِزَ الْأَمْثَالِ)

على أَنَّ أَبَا عبيدة قال : إِنَّ (عَسَى) تَأْتِي بِمَعْنَى الْيَقِينِ كَمَا فِي الْبَيْتِ .

(١) هذا البيت لم يرد في الديوان ، ونقله كارليل هنرى عن الخزانة في حواشى الديوان ،
 لكنه في نسخة عبد القدوس مثبت عن بعض النسخ .

(٢) في الديوان ٧٩ : « فَيَمْتَحِي » ، وفي نسخة عبد القدوس : « فَيَمْحِي » .

(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٤) ابن يعيش ٧ : ١٢٠ والأضداد للأصمعي ٣٥ وابن السكيت ١٨٨ والسجستاني ٩ وابن
 نباري ١٨ ، واللسان (جوز ، عسى) ، وديوان ابن مقبل ٢٦١ .

ونقله عنه عبد الواحد أبو الطَّيِّب اللغوى (فى كتاب الأضداد)
قال فيه : قال أبو حاتم وقطرب : عسى تكون شكاً مرّةً وبقيناً أخرى ،
كما قال تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم ۖ ﴾^(١) وعسى فى القرآن واجبةٌ .
قال ابن عباس رضى الله عنهما : هى واجبةٌ من الله . وكل ما فى القرآن
من ذلك فهو واجبٌ من الله . قال أبو عبيدة : ومنه قول ابن مقبل :
« ظَنُّى بِهِمْ كَعَسَى » ، البيت ، أى ظنُّى بِهِمْ كيقين . انتهى .

واعترض عليه الشارح المحقق بأنّه لا يعرف عسى فى غير كلام
الله لليقين ، ويجوز أن يكون معنى ظنُّى بِهِمْ كعسى ، أى رجاءٌ مع طمع .
ويؤيّد توقّفه ما ذهب إليه ابن السكّيت (فى كتاب الأضداد) قال
فيه : الظَّنُّ يقين ، والظَّنُّ شك ، ومن اليقين قولُ ابن مقبل :
ظَنُّ بِهِمْ كَعَسَى وهم بتنوفةٍ . يتنازعون جوائزَ الأمثال^(٢)
ويروى : « جوائِب » أى تجوب البلاد . يقول : اليقينُ منهم
كعسى ، وعسى شك . انتهى .

فجعل اليقين للظَّنِّ^(٣) وعسى للشك على أصلها . والرواية عنده :
« ظَنُّ بِهِمْ كَعَسَى » ، بتنوين ظنٍّ من غير إضافةٍ إلى الياء . والباء متعلقة
بمحذوف على أنّه صفة لظنٍّ ، وهو مبتدأ وخبره كعسى ، أو خبره
محذوف ، أى للناس ظنُّ بِهِمْ ، فالباء متعلقة بظنٍّ ، والكاف اسمُ

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .

(٢) ش : « ظنُّ بِهِمْ » ، صواب النص فى ط وأضداد ابن السكّيت . على أنه يروى أيضاً :
« ظنونا بِهِمْ » كما عند الأصمى ، و « عهدي بِهِمْ » كما فى الجمهرة ١ : ٢٣٣ .

(٣) ط : « معنى الظن » ، وأثبت ما فى ش .

صفةً لظنٍّ ، وجملة وهم بتنوفاً حاليّةً ، وجملة يتنازعون حالً من ضمير الظرف المستقرّ . والتَّنوفاً : الفلاة . ويتنازعون : يتجادبون . وجوائز الأمثال ، أى الأمثال السائرة فى البلاد . وبمعناه « جوائب الأمثال » من جاب الوادى أو المكانَ يَجُوبُه جَوْبًا ، إذا سلكه وقطعه . وأمّا على رواية « ظنى » بالإضافة فهو مبتدأ وخبره كعسى ، أى يقينى بهم كشكٍّ فى حالِ كونهم فى الفلاة ، إذ لَسْتُ أعلمُ الغيب . يريد أنه لا يقينَ له بهم . وهذه الرواية فسر أبو حاتم الظنَّ فى البيت باليقين ، نقله عنه عبد الواحد المذكور ، قال (فى كتابه الأضداد) : قال أبو حاتم : وأمّا قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾^(١) فَأَظَنَّهُ يَسْتَيْقِنُ . قال الشاعر فى الظنِّ بمعنى اليقين : « ظنّنى بهم كعسى » . . . البيت . والجوائز : التى تجوز البلادَ ، أى تقطعها . يقول : يقينى بهم كعسى . انتهى .

ولم أقف على تنمة هذا البيت ، وهو لابن مقبل^(٢) ، وهو شاعر إسلاميٌّ صاحب الشاهد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين^(٣) .

ثم رأيت (فى كتاب الأضداد لأبى بكرٍ محمد بن القاسم بن بشار الأنباري) قال : عسى لها معنيان متضادّان : أحدهما الشكُّ والطَّمَعُ ، والآخر اليقين . قال تعالى : ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾^(٤) معناه ويقينٌ أن ذلك يكون . وقال بعض المفسرين : عسى فى جميع

(١) الآية ٢٨ من سورة القيامة .

(٢) ط : « لابن أبي مقبل » ، صواب هذه : « لابن أبي بن مقبل » و « أبى » فيه هيئة التصغير . وأثبت ما فى ش فهو المعروف المتداول . وتصح رواية ط بإضافة « ابن » قبل « مقبل » . والبيت من قصيدة طويلة له فى ديوانه ٢٥٥ - ٢٦٤ .

(٣) الخزانة ١ : ٢٣١ .

(٤) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

كتاب الله واجبة . وقال غيره : عسى في القرآن واجبة إلا في موضعين في سورة بني إسرائيل : ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ ^(١) يعني بني النضير ، فما رحمهم ربهم بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوقع العقوبة بهم . وفي سورة التحريم : ﴿ عسى ربّه إن طلقك أن يبدله أزواجاً ﴾ ^(٢) فما أبدله الله بهنّ أزواجاً ولا بن منهن ^(٣) . وقال تميم بن أبي [بن] مقبل في كون عسى إيجاباً :

ظنُّ بهم كعسى وهم بتنوفةٍ يتنازعون جوائز الأمثال
أراد : ظنُّ بهم كيقين . ويروى : « سائر الأمثال » ^(٥) . ويروى : « جوائز الأمثال » . وأنشدنا أبو العباس :

* عسى الكرب الذي أمسيت فيه * البيت

فعسى في هذا الباب على معنى الشك . انتهى كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد السبعمئة ^(٦) :

٧٤٨ (لا تلحني إنني عسيت صائماً)

على أن المتأخرين استدّلوا بهذا ، وبالمثل ، وهو : « عسى الغوير أبوساً »
بوقوع المفرد منصوباً بعد مرفوع ، على أن أن والفعل في قولهم : عسى

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٥ من سورة التحريم .

(٣) من البينة ، والمراد الطلاق .

(٤) التكلة من ش . والذي في أصداد ابن الأنباري : « تميم بن أبي » فقط . وانظر ما سبق قريباً في الحواشي .

(٥) ط : « سائر الأمثال » ، صوابه في ش وأصداد ابن الأنباري .

(٦) الخصائص ١ : ٩٨ وابن الشجري ١ : ١٦٤ وابن يعيث ٧ : ١٤ ، ١٢٢

والمقرب ١ : ١٠٠ والمغني ١٥٢ والجمع ١ : ١٣٠ والمزهر ١ : ٢٢٨ والأشعرى ١ : ٢٥٩
وملحقات ديوان روضة ١٨٥ .

زيد أن يفعل ، في موضع نصب على أنه خبرٌ لعسى ، وهي تعمل عمل كان .
قال ابن هشام (في شرح أبيات الناظم) : طعن في هذا البيت
عبد الواحد الطَّراح^(١) (في كتابه بغية الآمل ، ومُنية السائل) فقال :
هو بيتٌ مجهولٌ ولم ينسبه الشَّراح إلى أحد ، فسقط الاحتجاج به .
ولو صحَّ ما قاله لسقط الاحتجاجُ بخمسين بيتاً من كتاب سيبويه ،
فإنَّ فيه ألفَ بيت قد عُرِف قائلوها ، وخمسين بيتاً مجهولة القائلين .
انتهى .

أقول : الشاهد الذي جهل قائله إن أنشده ثقةً كسيبويه وابن السَّراج
والبرِّد ونحوهم فهو مقبولٌ يُعتمد عليه ، ولا يضرُّ جهلُ قائله ، فإنَّ
الثقة لو لم يعلم أنه من شعرٍ مَنْ يصحُّ الاستدلال بكلامه لَمَّا أنشده .
ومرادُ عبد الواحد أنه لم ينسبه الشَّراح إلى أحدٍ من أنشده من الثقات
أو إلى قائلٍ معيَّن يُحتجُّ بكلامه .

ثم قال ابنُ هشام : وقد حرَّف ابنُ الشعريُّ هذا الرجزَ فأنشده :

قُمْ قائماً قم قائماً إني عسيتُ صائماً

وإنما قُمْ صدرُ رَجَزٍ آخر يأتى في باب الحال ، ولا يتركَّب قوله
إني عسيتُ صائماً ، عليه ؛ بل أصله :

أكثرتُ في العَدْلِ مُلْحاً دائماً لا تُكثِرُنْ إني عَسَيْتُ صائماً

فإنَّ معناه : أيُّها العاذلُ الملحُّ في عَدْلِهِ ، إنَّه لا يمكنُ مقابلةُ كلامِكَ
بما يناسبُه من السَّبِّ ، فإنَّني صائمٌ . وهو مقتبسٌ من الحديث : « فليقلْ

(١) في كشف الظنون : « الطواح » بالواو .

لِإِنِّي صَائِمٌ^(١) .. ويروى « لَا تَدْحَنِي » مكان « لَا تُكْثِرُنِي » ، وهو بفتح التاء . يقال لحبته ألحاه لحيًا ، إذا لُمته .

والشاهد في قوله صائماً ، فإنه اسمٌ مفرد جيء به خبراً لعسى .

كذا قالوا ، والحقُّ خلافه ، وأنَّ عسى هنا فعلٌ تامٌّ خبريٌّ ، لا فعلٌ ناقصٌ إنشائيٌّ . يدلُّك على أنَّه خبريٌّ وقوعه خبراً لإنَّ ، ولا يجوز بالاتِّفاق : إنَّ زيدا هل قام ، وأنَّ هذا الكلام يقبل التصديق والتكذيب . وعلى هذا فالمعنى : إِنِّي رجوتُ أن أكونَ صائماً . فصائماً^(٢) خبرٌ لكان ، وأنَّ والفعل مفعولٌ لعسى . وسيبويه يُجيز حذف أنَّ والفعل إذا قويت الدلالة على المحذوف . ألا ترى أنَّه قدَّرتُ في قوله : « مِنْ لَدُ شَوْلَا^(٣) » : من لَدُ أَنْ كَانَتْ شَوْلَا .

ومن وقوع عسى فعلاً خبرياً قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا^(٤) ﴾ ألا ترى أنَّ الاستفهام طلبٌ ، فلا يدخل على الجملة الإنشائية ، وأنَّ المعنى قد طمِعتم أن لا تقاتلوا إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ .

وممَّا يحتاج إلى النظر قولُ القائل : عسى زيد أن يقوم ، فإنَّك إِنْ قدَّرتَ عسى فيه فعلاً إنشائياً كما قاله النحويون أشكلَ ، إذْ لَا يُسْنَدُ

(١) تمام الحديث : « إذا دعي أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل إلى صائم » . الجامع الصغير ٦٠٨ . وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، عن أبي هريرة .

(٢) ط : « وصائماً » .

(٣) قطعة من شطر من الرجز في سيبويه ١ : ١٣٤ ، وهو من شواهد الخزائن فيما سبق ١ : ٢٤ ، وهو بتمامه :

• من لد شولا فإلى إتلائها •

(٤) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

فعلُ الإنشاءِ إلَّا إلى مُنشئه وهو المتكلمُ ، كُبعثُ واشتريتُ ، وأقسمتُ ، وقبلتُ ، وحررتُكَ . وأيضاً فمن المعلوم أنَّ زيْدًا لم يترجَّ وإِنَّمَا المترجَّى المتكلمُ . وإنَّ قُدْرَتَهُ خبراً كما في البيت والآية فليس المعنى على الإخبار ولهذا لا يصحُّ تصديق قائله ولا تكذيبه .

فإن قلتُ : يُخلَّص من هذا الإشكال أَنَّهُمْ نَصُّوا على أنَّ كان وما أشبهها أفعالٌ جارية مَجْرَى الأدوات ، فلا يلزم فيها حكمُ سائر الأفعال .

قلت : قد اعترفوا مع ذلك بأنَّها مسندة ، إذ لا ينفكُّ الفعل المركَّب عن الإسنادِ إلَّا إنَّ كان زائداً أو مؤكِّداً ، على خلافٍ في هذين أيضاً . وقالوا : إنَّ كان مسندةً إلى مضمون الجملة . وقد بيَّنَّا أنَّ الفعلَ الإنشائيَّ لا يمكنُ إسنادُه لغير المتكلم . وإِنَّمَا الذي يخلَّص من الإشكال أنَّ يُدَّعى أَنَّها هنا حرفٌ بمنزلة لعلَّ ، كما قال سيبويه والسَّيرافي بحرفيّتها في في نحو عسى ، أَيْ^(١) وعَسَاكَ وعَسَاه . وقد ذهب أبو بكر وجماعةٌ إلى أَنَّها حرفٌ دائماً . وإذا حملناها على الحرفيّة زال الإشكال ، إذ الجملة الإنشائيّة حينئذٍ اسميّة لا فعلية ، كما تقول : لعلَّ زيْدًا يقوم . فاعرف الحقَّ ودع التقليد ، واستفتِ نفسك وإنَّ أفتاك الناس .

هذا كلام ابن هشام ، وهو خلاف مَسلك الشارح المحقِّق .

وقال ابن هشام في شرح المثل : إنَّ عسى للإشفاق ، والغُوير : ماءٌ لكلب معروف . قال ابن الكلبي . وهو في الأصل مُصَغَّر غَوْر أو غار . والأبؤُس : جمع بُؤُس ، وهو الشدة . وأصل المثل أنَّ الزَّبَاءَ لَمَّا قَتَلَتْ جَذِيمةً جاء قصيرٌ إلى عمرو بن عدى فقال : أَلَا تَأْخُذُ ثَارَ خَالِكَ ؟ فقال :

(١) كلمة « أَيْ » ساقطة من ش .

كيف السَّبِيلُ إلى ذلك . فعَمَدٌ قصيرٌ إلى أَنفِهِ فجَدَعَهَا ، فقيل : « لَأَمْرِ ما جَدَعَ قصيرٌ أَنفَهُ » وأَتَى الزَّبَاءَ وزعم أَنَّهُ فرَّ إِلَيْهَا ، وَأَنَّهُمْ آذَوْهُ بسببها . وأقام في خدمتها مَدَّةً يَتَجَرَّ لها ، ثم إِنَّهُ أَبْطَأَ عنها في السَّفَرِ فسألت عنه ، فقيل : أَخَذَ في طريق الغُوبِرِ ، فقالت : « عسى الغُوبِرُ أَبُوسًا » . ثم لم يلبثُ أَن جاءَ بالجِمالِ عليها صناديقُ ، في جوفها الرِّجالُ ، فلمَّا دخلوا البلدَ خرجوا مِنَ الصَّنَادِيقِ ، وانضافَ إِلَيْهِمُ الرِّجالُ الموكِّلون بالصَّنَادِيقِ فقتلوا في الناس قتلًا ذريعًا ، وقتلوا أَهلَ الزَّبَاءِ ، وأسروها وفقشوا عينيها وأتوا بها عَمْرًا فقتلها . وقيل إِنَّها امتصَّتْ خاتماً كان معها مسمومًا . ومعنى المثل : لعلَّ الشرَّ يأتى من قِبَلِ الغُوبِرِ . يُضْرَبُ للرَّجُلِ يَتَوَقَّعُ الشرَّ من جهةٍ بعينها .

٧٩

وجاءَ رجلٌ إلى عمرَ رضى الله عنه يحمل لقيطًا فقال له عمر : « عسى الغُوبِرُ أَبُوسًا » . قال ابنُ الأَعرابي : عَرَّضَ به ، أى لعلَّكَ صاحبُ اللَّقِيطِ . ووهب ابنُ الخُبَّازِ في أصل المثل فقال : قالته الزَّبَاءُ حينَ أَلْجَأَها قَصِيرٌ إلى غارها . انتهى .

وفي الصحاح : « قال الأصمعي : أصله أَنَّهُ كان غارٌ فيه ناسٌ ، فانهارَ عليهم ، أو أَناهم فيه عدوٌّ فقتلهم ^(١) » ، فصار مثلاً لكلِّ شَيْءٍ يُخَافُ أَن يأتى منه شرٌّ .

قلت : وتكون الزَّبَاءُ تكلمت به تمثلاً . وهذا حسنٌ لأنَّ الزَّبَاءَ فيما زعموا روميَّةٌ ، فكيف يحتجُّ بكلامها ، وقد يقال : وجهُ الحجَّةِ أَنَّ العربَ تمثَلَتْ به بعدها .

واختلِفَ في ناصبِ أَبُوسًا ، فعند سيبويه وأبي علي أَنَّهُ (عَسَى) ،

(١) في الصحاح (غور) : « فقتلهم » .

وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَرَاجَعَةِ الْأَصُول . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : (يَصِيرُ) مَحْذُوفَةٌ .
وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ : التَّقْدِيرُ : أَنَّ يَكُونُ أَبُوسًا ، كَقَوْلِهِ :

* لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانُ ^(١) *

وَمَنْعَ سَبِيوِيهِ أَنْ يَكُونَ إِضْمَارٌ فِيهِ لِأَنَّ فِيهِ إِضْمَارَ الْمُوصُول ، وَقَدَّرَ
إِلَّا صِفَةً . وَقِيلَ التَّقْدِيرُ : يَكُونُ أَبُوسًا ، وَفِيهِ مَجِيءُ الْفِعْلِ بَعْدَ عَسَى
بِغَيْرِ أَنْ ، وَإِضْمَارُ كَانَ غَيْرِ وَاقِعَةٍ بَعْدَ أَدَاةٍ تَطْلُبُ الْفِعْلَ . وَقِيلَ التَّقْدِيرُ :
عَسَى الْغَوِيرُ يَأْتِي بِأَبُوسٍ ، وَفِيهِ تَرْكُ أَنْ وَإِسْقَاطُ الْجَارِ تَوْسَعًا . وَلَكِنْ
يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ الْكَمِيتِ :

قَالُوا أَسَاءَ بَنُو بَكْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ عَسَى الْغَوِيرُ بِإِبْيَاسٍ وَإِغْوَارٍ ^(٢)

وَتَلَخَّصَ أَنَّ أَبُوسًا خَبِرَ لَعَسَى ، أَوْ لَكَانَ ، أَوْ لَصَارَ ، أَوْ مَفْعُولٌ بِهِ .
وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ أَنَّ يَقْدَرُ يَبْأُسُ أَبُوسًا ، فَيَكُونُ مَفْعُولًا مُطْلَقًا ،
وَيَكُونُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا ^(٣) ﴾ أَيْ يَمْسَحُ مَسْحًا ، وَقَوْلِ
أَبِي ذَهَبٍ الْجَمْحِيِّ :

لَاوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقَ بَيْنِنَا وَلَا يَسْتَقِمُ الدَّهْرُ وَالدَّهْرُ أَعْوَجُ ^(٤)

أَيْ لَاوْشَكَ يَفْرُقُ بَيْنِنَا تَفْرِيقًا ، ثُمَّ حُذِفَ الْفِعْلُ وَأُقِيمَ الْمَصْدَرُ
مَقَامَهُ وَأَضِيفَ إِلَى ظَرْفِهِ .

(١) هُوَ الشَّاهِدُ ٢٤٠ فِي الْخَزَانَةِ ٣ : ٤٢١ . وَصَدْرُهُ :

* وَكُلُّ أَخٍ مَفَارِقَهُ أَخُوهُ *

(٢) دِيْوَانُ الْكَمِيتِ ١ : ١٨٦ وَالْمُسْتَقْبَى ٢ : ١٦١ وَاللَّسَانُ (بِأَسْ ٣٢١ غُورَةُ ٣٤٤) .

(٣) الْآيَةُ ٣٣ مِنْ سُورَةِ ص .

(٤) دِيْوَانُ أَبِي ذَهَبٍ ٥٥ وَالشُّعْرَاءُ ٦١٧ وَالْأَغَانِي ٦ : ١٥١ . وَفِي الدِّيْوَانِ وَالْأَغَانِي :

« يَفْرُقُ بَيْنِنَا » . وَفِي الدِّيْوَانِ فَقَطْ : « وَهَلْ يَسْتَقِمُ الدَّهْرُ » .

انتهى كلام ابن هشام ، وهذا خلاف ما اختاره (في المغنى) قال فيه : الصواب أنَّهما أى البيت والمثل ممَّا حُذِفَ فيه الخبر ، أى يكون أبوساً ، وأكون صائماً ، لأنَّ في ذلك إبقاءً لهما على الاستعمال الأصلي ، ولأنَّ المرجوَّ كونه صائماً لا نفس الصائم . انتهى .

واعترض عليه بأنَّه إنَّما يكون ذلك إبقاءً على الاستعمال الأصلي أن لو جعل التقدير أن يكون وأن أكون ، لأنَّ الأصل في خبر عسى أن يكون بأنَّ ، وعدمها قليل كما نصَّ هو عليه . وقد ذكر جميع أوجه عسى في الاستعمال ، ومذاهب النحويين فيها (في مغنى اللبيب) .

وقول الشاعر : « أكثرت في العذل » إلخ ، يجوز أن يكون بيتاً مصرعاً من تامِّ الرجز^(١) من ضربه الأوَّل ، وأن يكون بيتين من مشطوره . وقد نسب إلى رؤبة بن العجاج ، ولم أجده في ديوان رجزه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(لعمر أبيك إلاَّ الفرقدانِ)

هذا عجز ، وصدوره :

(وكلُّ أخ مفارقُه أخوه)

وتقدَّم شرحُه مفصَّلاً في الشاهد الأربعين بعد المائتين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد السبعمائة^(٣) :

(١) ط : « من تمام الرجز » ، صوابه في ش .

(٢) الخزائن ٣ : ٢٤١ .

(٣) كامل المبرد ٢١٧ ، ٢٢٠ والشراء ٣٥١ وتاريخ الطبري ٤ : ٤٠٢ .

٧٤٩ (هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلَهُ) ٨٠

على أن خبر (كدت) فيه محذوف ، والتقدير : وكدت أفعل .

كذا قدّره أبو علي (في كتاب الشعر) وأورد له نظيراً . والمراد : همت بقتله ولم أفعله وكدت أقتله .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ^(١) ﴾ على أَنَّ الهمَّ القصدُ ، مِنْ هَمَّ بِالْأَمْرِ : قَصَدَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ ، كما في البيت . ومنه الهمام للملك ، لَأَنَّهُ إِذَا قَصَدَ شَيْئًا أَمْضَاهُ .

(والحلائل) : جمع حليلة ، وهي الزوجة . والمعنى : قصدتُ قتل عثمان ابنِ عثمان رضى الله عنه ولم أفعل ما قصدته ، وقاربته ، وليتنى تركت زوجاته يبكين عليه .

والبيت من أبيات سبعة لضبانٍ البرجمي ، قالها في الحبس ومات صاحب الشاهد فيه ، أوردها أبو تمام (في كتاب مختار أشعار القبائل) ، وهي :

(مَنْ قَافِلٌ أَدْنَى الْإِلَهِ رِكَابَهُ	يُبْلَغُ عَنِ الشَّعْرِ إِذْ مَاتَ قَائِلُهُ	أبيات الشاهد
فَلَا يَقْبَلُنْ بَعْدِي أَمْرٌ سِيمَ خُطَّةٍ	حِذَارَ لِقَاءِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ نَائِلُهُ	
وَلَا تُتَبِعْنِي إِنْ هَلَكْتُ مَلَامَةً	فَلَيْسَ بَعَارٍ قَتْلُ مَنْ لَا تَقَاتِلُهُ	
فإِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ	كَمَا يَرْضَى مَاءٌ لَمْ تُطْفِئْهُ أَنْامِلُهُ	
هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي	تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهُ	
وَقَائِلُهُ لَا يَبْعَدُنْ ذَلِكَ الْفَتَى	إِذَا احْمَرَّتْ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ أَصَانِلُهُ ^(٢)	
وَقَائِلُهُ لَا يُبْعَدُ اللَّهُ ضَابِئًا	إِذَا الْكَبْشُ لَمْ يُوجَدْ لَهُ مَنْ يَنْزِلُهُ	

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف .

(٢) في الكامل ٢٢٠ : « ولا تبعدن أخلاقه وشماله » .

وقوله : « مَنْ قَافِلٌ » استفهام ، أَيْ مَنْ رَاجِعٌ ، وجملة « أدنى الإله ركابه » دعائية ، أى قَرَّبَ الله إِبْله إلى وطنه .

وقوله : « سِيمَ خُطَّةٍ » أى كُلفَ أمراً . ومفعول يَقْبَلْنَ محذوف .

وقوله : « وَلَا تُتْبِعْنِي » خطابٌ لامرأته . وقوله : « فليس بعارٍ » إلخ أى قتلٌ من لا تقدر على مقاتلته ، لأنه مات فى حبس الإمام .

وقوله : « وَ قَائِلَةٌ » أى رُبَّ قَائِلَةٍ . وَلَا يَبْعَدَنَّ ، أى لَا يَهْلِكَنَّ ، من بَعَدَ من باب فرح ، إِذَا هَلَكَ . وقوله : « إِذَا احْمَرَّ مِنْ بَرْدٍ » إلخ يريد أنه مضيافٌ فى الشَّتَاءِ ، وهو زمن القحط عند العرب ، لعدم نبات الأرض .

وقوله : « لَا يُبْعَدُ اللَّهُ » من أَبْعَدَهُ أى أَهْلَكَه : وضائى آخره همزة بعد موَحَّدة وأوله ضاد معجمة ، وهو قائل الشعر . والكبش : السيد الشجاع .

ضائى
البرجمى

وضائى هذا هو ضائى بن الحارث بن أرطاة ، من بنى غالب بن حنظلة التميمى البرجمى ، بضم الموحدة وسكون المهملة وضم الجيم ، نسبة إلى البراجم ، وهم ^(١) ست بطون من أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم ، وهم : قيس ، وعمرو ، وغالب ، وكلفة ، والظلم ، ومكاشر ^(٢) ، لقبوا بالبراجم لأن رجلاً منهم اسمه حارثة بن عامر قال لهم : تعالوا فلنجتمع ^(٣) مثلَ براجم يدى هذه ! ففعلوا فسُموا بالبراجم ، وهى عُقد الأصابع . وفى كل إصبع ثلاثُ براجم .

(١) هذا ما فى ش ، وفى ط : « وهى » .

(٢) فى الاشتقاق ٢١٨ : أنهم خمسة ، بإسقاط « مكاشر » . وكذا فى اللسان (برجم) والمعارف ٣٥ . وهناك براجم من عبد القيس بن أفضى ، وهم عبد شمس ، وعمرو ، وحى : بنو معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديمة بن لكيز بن أفضى بن عبد القيس . جهرة ابن حزم ٢٩٥ - ٢٩٦ ونهاية الأرب للتويرى ٢ : ٣٤٤ .

(٣) ط : « فلتجتمع » ، وأثبت ما فى ش .

وضابني^١ أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يَقْنِصُ الوحشَ ،
 فاستعار من بعض بني جرول بن نهشل كلباً اسمه قُرْحَان ، بضم القاف
 وسكون المهملة بعدها حاء مهملة ، وكان يَصِيدُ به البقرَ والطَّيَّاءَ والضَّبَاعَ ،
 فطال مُكْنُهُ عنده ، فطلبوه فامتنع ، فركبوا يطلبون كلبهم ، فقال لامرأته :
 ٨١ اخلطي لهم في قِدْرِكَ من لحوم البقر والطَّيَّاءِ والضَّبَاعِ ، فإن عافوا بعضاً
 وأكلوا بعضاً تركوا كلبك لك ، وإن هم لم يفرِّقوا فلا كلب لك .
 فلما أطعمهم أكلوه ثم أخذوا كلبهم ، فغضب ضابني^٢ ورمى أمهم بالكلب
 وقال :

تَجَشَّمْ نَحْوِي وَفَدُ قُرْحَانُ سَرَبَحَاً

تَظَلُّ بِهِ الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسِيرٌ^(١) .

فَارْدَفْتُهُمْ كَلْباً فَرَاخُوا كَأَنَّمَا

حَبَاهُمْ بَتَاجُ الْهُرْمَزَانِ أَمِيرٌ^(٢)

وَقَلَّدَتْهُمْ مَا لَوْ رَمَيْتُ مُتَالِعاً

بِهِ وَهُوَ مُغْبِرٌ لِكَادَ يَطِيرُ

فِيَارَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ

أَمَامَةَ مَنِيٍّ ، وَالْأُمُورُ تَدُورُ^(٣)

(١) الحيوان ١ : ٣٦٩ - ٣٧٠ والنقائض ٢١٩ والشعراء ٣٥٠ وتاريخ الطبري ٤ : ٤٠٢ ومعاهد التنخيص ١ : ٦٦ . وفي الحيوان والشعراء والنقائض : « وفد قرحان شقة . تظل بها الوجناء » .

(٢) الطبري : « فباتوا شباعاً ناعمين كأنما » ، وفي النقائض والطبري : « بيت المرزبان أمير » .

(٣) في النقائض والشعراء : « ثمالة غني » .

فَأَمُّكُمْ لَا تَنْرُكُوهَا وَكَلْبَكُمْ
فَإِنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرٌ

فَإِنَّكَ كَلْبٌ قَدْ ضَرَبْتَ بِمَا تَرَى
سَمِيعٌ بِمَا فَوْقَ الْفَرَاشِ بِصِيرٌ
إِذَا عَثْنَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً

يَبِيتُ لَهُ فَوْقَ الْفَرَاشِ هَرِيرٌ^(١)

فلما بلغهم الشَّعْرُ وَأَنَّهُ رَمَى أُمَّهُمْ بِالْكَلْبِ اسْتَعْدَوْا عَلَيْهِ عُثَانَ بْنِ
عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يَحْبِسُ عَلَى الْمَجَاءِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَنشَدَهُ
الشَّعْرَ ، فَقَالَ لَهُ عُثَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أَعْرِفُ فِي الْعَرَبِ أَفْحَشَ وَلَا أَلَامَ
مِنْكَ ، فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ أَحَدًا رَمَى أَحَدًا بِكَلْبٍ غَيْرِكَ ، وَإِنِّي لِأَظُنُّكَ
لَوْ كُنْتُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَزَلَ فِيكَ وَحْيٌ . فَحَبَسَهُ فِي
السَّجْنِ ، فَقَالَ فِي الْحَبْسِ أَبْيَاتًا مِنْهَا :

وَمَنْ يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارُ بِهَا لَغَرِيبُ
وَسِيأُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ الْأَبْيَاتِ فِي إِنْ الْمَشْدَدَةِ .

فَلَمَّا سَمِعَهَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْحَبْسِ ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَجَعَلَهَا فِي أَسْفَلِ
نَعْلِهِ لِيَقْتِكَ بَعْمَانُ ، فَأَعْلَمَ بِذَلِكَ فَضْرَبَهُ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْحَبْسِ إِلَى أَنْ مَاتَ
فِيهِ . وَفِي ذَلِكَ قَالَ الْأَبْيَاتُ الَّتِي مِنْهَا :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي الْبَيْتُ

وَلَمْ يَزَلْ فِي الْحَبْسِ حَتَّى أَصَابَتْهُ الدُّبَيْلَةُ^(٢) فَانْتَنَ ، فَمَاتَ فِي الْحَبْسِ .

(١) الحيوان : « يبيت له فوق السرير » . الشعراء : « يبيت لها فوق الفراش » .

(٢) الدبيلة ، بالتصغير : داء يجتمع في الجوف ، وهو خراج ودمل كبير ، تقتل صاحبها غالباً . ولعله ما يدعى بالسرطان .

ولمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ جَاءَ عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائٍ فَرَفَسَهُ بِرِجْلِهِ ، فَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ وَقَالَ : حَبَسْتَ أَبِي حَتَّى مَاتَ !

ولمَّا كَانَ زَمَنُ الْحِجَّاجِ ، وَاسْتَعْرَضَ أَهْلَ الْكُوفَةِ لِيُوجِّهَهُمْ إِلَى الْمَهْلَبِ ، عُرِضَ عَلَيْهِ فِيهِمْ عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائٍ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ يُرْعَشُ كِبَرًا ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي مِنَ الضَّعْفِ عَلَى مَا تَرَى ، وَلِي ابْنٌ أَقْوَى عَلَى الْأَسْفَارِ مِنِّي ، أَتَقْبَلُهُ بَدِيلًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَلَمَّا وَلَّى قَالَ قَائِلٌ : أَتَدْرِي مَنْ هَذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَذَا عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائٍ الْبَرَجَمِيُّ الَّذِي يَقُولُ أَبُوهُ :

هممت ولم أفعل البيت

وَحَكَى الْقِصَّةَ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : رُدُّوهُ عَلَيَّ . فَلَمَّا رُدَّ قَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، هَلَّا بَعَثْتَ إِلَى عُثْمَانَ بَدِيلًا يَوْمَ الدَّارِ ، إِنَّ فِي قَتْلِكَ لَصَلَاحًا لِلْمُسْلِمِينَ ، يَا حَرَسِيَّ اضْرِبْ عُنُقَهُ ! وَسَمِعَ ضَوْضَاةً^(١) فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : الْبَرَاكِمُ جَاءَتْ لَتَنْصُرَ عُمَيْرًا . قَالَ : أَتَحْفُوهُمْ بِرَأْسِهِ ! فَوَلُّوْا هَارِبِينَ .

* * *

وَأَنشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَمْسُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيِّوِيهِ^(٢) :

(١) الضَوْضَاةُ وَالضُّوْضَاءُ : أَصْوَاتُ النَّاسِ وَجَلْبَتِهِمْ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ ضَوْضَى ضَوْضَاةً وَضِيضًا بِالْكَسْرِ . اللَّسَانُ (ضَوَا) . وَفِي ش : « ضَوْضَاءٌ » بِالْهَمْزِ .

(٢) فِي كِتَابِهِ ١ : ٤٧٨ . وَانْظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٣ : ٧٠ وَالْكَامِلَ ١١١ وَأَمَّا الْقَائِلُ ١ : ٧١ وَالْجَمْلَ ٢٠٩ وَمَعْجَمُ الْمَرْزَبَانِي ٤٨٣ وَحَمَاسَةُ ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٦٠ وَابْنُ يَمِينٍ ٧ : ١١٧ ، ١٢١ وَالْمُقَرَّبُ ١ : ٩٨ وَالضَّرَائِرُ ١٥٣ ، وَالْحَمَاسَةُ الْبَصْرِيَّةُ ١ : ٤٤ وَالْعَيُونُ الْفَائِزَةُ ١٦٣ وَالْمُفْتَى ١٥٢ ، ٥٧٩ وَشَرْحُ شَوَاهِدِ السَّيُّوِيَّ ١٥٢ وَالْعَيْنِي ٢ : ١٨٤ وَالْمَعْمُورُ ١ : ١٣٠ وَالتَّصْرِيحُ ١ : ٢٠٦ وَالْأَشْهُونِيُّ ١ : ٢٦٠ ، ٢٦٤ .

٧٥٠ (عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ

يَكُونُ وِرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ)

على أنه حذف (أَنْ) من خبر عسى ، وهو قليل ، والتقدير : أَنْ
يَكُونُ وِرَاءَهُ إلخ .

٨٢

وكذا قال ابن هشام (في المغني) . وهو ظاهر كلام سيبويه ، قال
سيبويه : واعلم أَنَّ من العرب من يقول عسى يَفْعَلُ يشَبَّهُها بكاد يفعل ،
فيفعل حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله « عسى الغوير أبوساً » .
فهذا مثلٌ من أمثال العرب ، أَجْرُوا فِيهِ عَسَى مجرى كان . قال هُدْبَةُ :
عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وِرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ
وقال :

عَسَى اللَّهُ يُغْنِي عَنْ بِلَادِ ابْنِ قَادِرٍ بِمَنْهَمِرِ جَوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبٍ
وقال :

فَأَمَّا كَيْسٌ فَنَجَا وَلَكِنْ عَسَى يَغْتَرُّ بِحَمِيقٍ لَثِيمٍ ١٠٥

قال الأعمى : الشاهد في هذه الأبيات إسقاط أَنْ ضرورةً ورفع الفعل .
والمستعمل في الكلام أَنْ يكون كما قال تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ
رَبُّكَ ^(١) ﴾ و ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ ^(٢) ﴾ . والمنهمر : السائل . والجَوْنُ :
الأسود . والرَبَابُ : السَّحَابُ . والحَمِيقُ : بكسر الميم : الأحمق .

(١) الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٥٢ من سورة المائدة . ولفظها : « فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ » . وترك الفاء
والواو ونحوها في مثل هذا جائز في الاستشهاد . انظر حواشي الحيوان ٤ : ٥٧ .

وكذا قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) ، وبعد أن أورد هذه الأبياتَ وغيرها قال : وما ذكرته من أن استعمال الفعل الواقع في موضع خبر عسى بغير أن ضرورة هو مذهبُ الفارسيِّ وجُمْهُورِ البصريِّين . وظاهرُ كلامِ سيبويه يُعطى أنَّه جائزٌ في الكلام ، لأنَّه قال : « واعلم أنَّ من العرب من يقول : عسى يفعل ، تشبيهاً بكاد »^(١) . فأطلق القول ولم يقيّد ذلك بالشعر . إلاَّ أنَّه ينبغي أن لا يُحمل كلامه على عمومهِ ، لما ذكره أبو عليٍّ من أنَّها لا تكاد تجيءُ بغير أن إلاَّ في ضرورة . وأيضاً فإنَّ القياسَ يقتضى أن لا يجوز ذلك إلاَّ في الشعر ، ولأنَّ استعمالها بغير أن إنما هو بالحمل على كاد ، لشبهها بها من حيثُ جمعتهما المُقارَبة . وكادَ محمولة في استعمالها بغير أن على الأفعال التي هي للأخذ^(٢) في الشروع ، من جهة أنَّها لِمُقارَبةِ ذاتِ الفعل ، فقربت لذلك من الأفعال التي هي للأخذ في الفعل ، وليست عسى كذلك لأنَّ فيها تراخياً . ألا ترى أنَّك تقول : عسى زيد أن يحجَّ العام [الآتي^(٣)] . وإنَّما عُدت في أفعال المقاربة مع ما فيها من التَّراخي من جهة أنَّها تدخُل على الفعل المرجوِّ ، والفعلُ المرجوُّ قريبٌ بالنظر إلى ما ليس بمرجوِّ . فلما كانت محمولةً في استعمالها بغير أن على ما هو محمول على غيره ، ضعف الحمل فلم تجيءُ إلاَّ في الضرورة . انتهى .

والبيت من قصيدةٍ لهذبة بن خَشْرَمٍ ، قالها في الحبس ، وهي : صاحب الشاهد

(١) الذي في الضرائر وسيبويه : « يشبهها بكاد » . وانظر ما سبق أيضاً ، ولكن هكذا وردت في النسختين .

(٢) الكلام بعده إلى « للأخذ » التالية ساقط من ش ونسخة الضرائر .

(٣) التكلة من ضرائر ابن عصفور .

أبيات الشاهد

(طَرِبْتَ وَأَنْتَ أَحْيَانًا طَرُوبُ

وَكَيْفَ وَقَدْ تَعَلَّكَ الْمَشِيبُ^(١)

يُجِدُّ النَّأَى ذِكْرَكَ فِي فُؤَادِي

إِذَا ذُهِلْتَ عَلَى النَّأَى الْقُلُوبُ^(٢)

يُورِّقُنِي اكْتِثَابُ أَبِي نُمَيْرٍ

فَقُلِّي مِنْ كَاتِبَتِهِ كَثِيبُ^(٣)

فَقُلْتُ لَهُ : هَذَاكَ اللَّهُ مَهْلًا

وَخَيْرُ الْقَوْلِ دَوِ اللَّبِّ الْمَصِيبُ^(٤)

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ

يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

فِيَأْمَنَ خَائِفٌ وَيُقَمِّكَ عَانٍ

وَيَأْتِي أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ^(٥)

أَلَا لَيْتَ الرِّيحَ مُسَخَّرَاتٍ

بِحَاجَتِنَا تَبَاكُرُ أَوْ تَثُوبُ^(٦)

(١) ابن الشجري : « وقد تغشاك المشيب » ، وكذلك في شرح شواهد المغنى للسيوطي .

(٢) القالي والمعنى والسيوطي : « عن النأى » .

(٣) ابن الشجري : « وأرقى » .

(٤) هذا البيت لم يرد في حاشية ابن الشجري .

(٥) القالي وابن الشجري : « النأى الغريب »

(٦) هذا البيت لم يرد في حاشية ابن الشجري . وفي صمط اللالك ٢٤٩ : « وبخط أبي علي :

تصبح أو تثوب » .

فتخبرنا الشمالُ إذا أتتْنا
فإننا قد حللنا دارَ بلوى
فإن يك صدرُ هذا اليومِ ولى
وقد علمتْ سُلَيْمَى أَنَّ عُودى
وَأَنَّ خَلِيقَتِى كَرُمٌ وَأَنْنى
أَعِينُ عَلَى مَكَارِمِهَا وَأَغْشَى
وقد أبقي الحوادثُ منك ركننا
على أَنَّ المنبئةَ قد تُوافى

وتخبرَ أهلنا عَنَّا الجنوبُ^(١)
فَتُخْطِئُنَا المَنايا أَوْ تصيبُ
فإنَّ غداً لناظره قَريبُ
على الحَدَثانِ ذُو أَيْدٍ صَليبُ
إذا أَبَدَتْ نَواجِذُها الحُرُوبُ
مَكَارِهُها إذا كَمَعَ الهَيُوبُ^(٢)
صَليباً ما تَوَبَّسَه الخُطوبُ^(٣)
لوقتٍ ، والنوائِبُ قد تنوبُ^(٤)

هذا ما أورده القالى (فى أماليه) ، وزاد بعده الشريف الحسينى (فى حماسته) :

(وإِنِّى فى العِظامِ ذُو غَنا
وإِنِّى لا يَخافُ الغَدَرَ جارى
وكم من صاحِبٍ قَدْ بَانَ عَنِّى
فَلَمَّ أَبَدِ الذِّى تَحْنُو ضَلُوعِى
مَخافَةً أَن يَرانى مُستَكِيناً
وَيَشْمَتَ كاشِعٌ وَيَظُنُّ أَنِّى
فبعْدَكَ سَدَّتْ الأَعْداءُ طُرُقاً

وَأَدْعَى لِلْفَعَّالِ فَاسْتَجِيبُ^(٥)
ولا يَخْشى غَوائِلِ القَريبُ
رُمِيتُ بِفَقْدِهِ وهو الحَبِيبُ
عليه ، وإِنِّى لَأَنَا الكُثِيبُ
عَدُوٌّ أَوْ يُساءَ بِهِ قَريبُ
جَزوعٌ عِندَ نائِبَةٍ تَنوبُ
إِلَى ورابى دَهْرٍ يَريبُ

(١) فى الحماسة البصرية : « إذا هاب الميوب » .

(٢) هذا البيت والبيتان بعده لم يردا فى حماسة ابن الشجرى .

(٣) هذا البيت ورد عند ابن الشجرى تالياً للبيت التالى .

(٤) عند القالى : « ما تَوَبَّسَه الخُطوب » بالياء . وقد قيده البغدادى فى شرحه بأنه بالوحدة .
ومدلولها واحد .

(٥) الحماسة البصرية : « وأدعى للسلاح » .

وَأُنْكَرْتُ الزَّمَانَ وَكُلَّ أَهْلِي وَهَرَّتَنِي لَغَيْبَتُكَ الْكَلِيبُ
وَكُنْتُ تَقْطَعُ الْأَبْصَارُ دُونِي وَإِنْ وَغِرْتُ مِنَ الْغَيْظِ الْقَلُوبُ

الطرب : خَفَّةُ تُصِيبُ الْإِنْسَانَ لِفَرَحٍ أَوْ حُزْنٍ . وَالنَّأْيُ : الْبُعْدُ .
وَيُورِّقُنِي : يُسَهِّرُنِي . وَالْاِكْتِثَابُ : افْتِعَالٌ مِنَ الْكَآبَةِ ، وَهِيَ الْحُزْنُ .
وَأَبُو نَمِيرٍ ، قَالَ اللَّخْمِيُّ : هُوَ ابْنُ عَمِّهِ ، وَكَانَ مَسْجُونًا مَعَهُ . وَقَالَ ابْنُ
هَشَامٍ (فِي شَرْحِ شَوَاهِدِهِ) : هُوَ رَجُلٌ كَانَ مَسْجُونًا مَعَهُ ، فَجَالَسَهُ يَوْمًا
وَأَظْهَرَ لَهُ التَّائِبَ . وَقَالَ الْعَيْنِيُّ : هُوَ رَجُلٌ مِنْ قَرَابَتِهِ زَارَ هُدْبَةَ أَيَّامَ حَبْسِهِ
فَأَظْهَرَ الْحُزْنَ وَالْكَآبَةَ . وَقَوْلُهُ : « وَخَيْرُ الْقَوْلِ ذُو اللَّبِّ » أَيْ قَوْلِ
ذِي اللَّبِّ . وَرَوَاهُ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى :

* وَخَيْرُ الْقَوْلِ ذُو الْعَيْنِجِ الْمَصِيبُ *

بِالْمُثَنَّاةِ التَّحْتِيَةِ وَالْجِيمِ ، وَقَالَ : وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ مَا عَجَبْتُ بِهِ ،
أَيْ لَمْ أَرْضَ بِهِ . وَإِنْ رَوَى « الْعَنْجِ » بِالنُّونِ فَهُوَ الْأَسْمُ مِنْ عَنَجَتْ الْبَعِيرُ
أَعْنِجَهُ عَنْجًا ، وَهُوَ أَنْ يَجْذِبَ الرَّكَّابَ خَطَايَاهُ فَيُرْدِّهِ عَلَى رَجْلَيْهِ ،
ضَرْبٌ مِنْ رِيَاضَةِ الْبَعِيرِ . قَالَ ابْنُ السِّيرَافِيِّ : وَالْعَيْنِجُ مِنَ الْقَوْلِ : مَا يَنْتَفِعُ
بِهِ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : مَا عَجَبْتُ بِكَلَامِهِ أَيْ مَا انْتَفَعْتُ . كَذَا
وَجَدْتُهُ الْعَيْنِجُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْيَاءِ .

وقوله : (عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ) إِخِجَ الْكَرْبُ : الْهَمُّ . قَالَ
ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : رَوَى بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّهَا مِنْ (أَمْسَيْتُ) . وَالنَّحْوِيُّونَ إِذَا
يُرْوُونَهُ بِالضَّمِّ ، وَالْفَتْحُ عِنْدِي أَوَّلَى ، لِأَنَّهُ يَخَاطَبُ ابْنَ عَمِّهِ أَبَا نَمِيرٍ ،
وَكَانَ مَعَهُ فِي السَّجْنِ . وَقَوْلُهُ هَذَا لِابْنِ عَمِّهِ لَيْسَلِيَّةٌ بِهِ ، لِمَا رَأَاهُ مِنْ
خَوْفِهِ ، أَجُودُ مِنْ أَنْ يَكُونَ يَرِيدُهُ بِهِ نَفْسَهُ ، لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ لِابْنِ عَمِّهِ زَجْرًا

له : مهلاً ، أى امهل ، يدلُّ على ما ذكرته . ولا يجوز أن يقال إنَّ اكتئاب ابن عمِّه إنّما كان حذراً على هُدبة ، لأنَّه لو كان كذلك لما قال له مهلاً ، ولأنَّ الإنسان أكثرُ عنايةً بنفسه من عنايته بغيره . ولا يمتنع ضمُّ التاء على أن يريد به : لا يضقُّ صدرك بشيء ، فإنَّ الكرب الذى أمسيت فيه يكون له فرج قريب ، فيزول ما عندك . انتهى .

وعين اللخمى فتح التاء ، قال : الرواية عن أبي القاسم الزجاجي ضمُّ التاء ، وإنَّما هى تاء المخاطب ، لأنَّ ما قبل البيت يدلُّ عليها ، لأنَّه يخاطب أبا نخير ، وهو ابن عمه ، وكان مسجوناً معه .

وقوله : (يكون وراءه) اسم يكون ضمير الكرب ، وخبره الظرف ، وفرج فاعل الظرف . وقال ابن هشام : وراء ظرف مؤنَّث تصغيره على وريثة ، وظهور الهزمة فى تصغيره دليل على أنه ليس من وارىت كما قال بعضهم . والأظهر أنَّه بمعنى أمام كقوله تعالى : ﴿ من ورائه جهنم ﴾^(١) ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأخذ كلَّ سفينة غصباً ﴾^(٢) . والفرج : انكشاف الهم . وفى يكون ضمير الكرب ، ويجوز أن تكون ناقصة وتامة ، وعلى الأوَّل يكون فرج مبتدأ وقريبٌ صفته ، والظرف خبر ، والجملة الاسمية خبر يكون . وعلى الثانى تكون الجملة حالا . ويجوز على الوجهين أن يكون فرج فاعلاً بالظرف على أنَّه خبرُ الناقصة وحالٌ من فاعل التامة . وهذا أرجح من تقديره مبتدأ . وإنَّما لم أقدر فرجُ اسمَ يكون على أنَّها الناقصة ووراءه الخبر ، أو فاعلاً ليكون على أنَّها التامة ووراءه متعلق

(١) الآية ١٦ من سورة إبراهيم :

(٢) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

بيكون كما فعل بعضهم ، لأنَّ فاعل الفعل الواقع في باب كاد لا يكون إلاَّ ضميراً راجعاً للاسم السابق ، فلا يجوز كاد زيد يموت أبوه . وما خرج عن ذلك نادر ، فلا يحمل عليه مع وجود مندوحة عنه . وكذلك لا يكون اسم يكون ضمير الشأن كما قدَّره جماعة ، لِمَا ذكرنا . انتهى كلامه .

وعانٍ : أسير . وأراد بدار بلوى : السَّجن . والناظر هنا : المنتظر .
والأَيْد : القوَّة . وكعج : جبن وخاف . وما توبُّسه : ما تذللَّه وما تؤثر به ،
بالموحدة بعد الهزمة . وباقى ألفاظ القصيدة ظاهرة .

وهديبة هو هديبة بنُ خشرم بن كُرْز بن أبي حَيَّة بن الكاهن ،
وهو سلمة ، ابن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن دُبَيان بن
الحارث بن سعد بن هُذَيْم ، وسعد : ابنُ أسلمَ بن الحاف بن قضاة ، ويقال
بل هو سعد بن أسلم بن هذيم ، وهذيمُ عبدٌ لأبيه ربَّاه ، فقل سعد
ابن هذيم ، يعنى سعداً هذا .

هديبة بن
خشرم

وهديبة شاعر فصيح متقدِّم من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ،
وكان يروى للحطيثة ، والحطيثة يروى لكعب بن زهير . وكان جميل
راوية هُديبة ، وكثير راوية جميل .

وكان لهديبة ثلاثة أخوة كلُّهم شاعر ، وأُمُّه كانت شاعرة أيضاً .
كذا في الأغاني .

وهديبة ، بضم الهاء وسكون الدال بعدها موحدة . وخَشْرَم ، بفتح الخاء
وسكون الشين المعجمتين . وكُرْز ، بضم الكاف وسكون المهملة . وأبو حَيَّة ،
بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية .

وسبب حبسه على ما رواه الأصمبهاى بسنده فى الأغاني^(١) : أَنَّ هُدْبَةَ
ابن خشرم وزيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّة بن حنيس^(٢) بن
عمرو بن ثعلبة بن عبدالله بن ذُبْيَان بن الحارث بن سعد بن هذيم
المذكور^(٣) اصطحبا وهما مُقْبِلَان من الشام فى ركب من قومهما ، فكانا
يتعاقبان السَّوق بالإبل ، ومع هُدْبَةَ أُخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال :

٨٥

عُوجَى عَلَيْنَا وَارْبَعَى يَا فَاطِمَا	مَا بَيْنَ أَنْ يُرَى الْبَعِيرُ قَائِمَا
أَلَا تَرَيْنَ الدَّمَعَ مَنَّى سَاجِمَا	حِذَارِ دَارٍ مِنْكَ أَنْ تَلَاثِمَا ^(٤)
فَعَرَجْتُ مَطْرَدًا غُرَاهِمَا	فَعَمَّا يَبْذُ الْقُطْفَ الرُّوَاسِمَا
كَأَنَّ فِي الْمُنَاةِ مِنْهُ عَائِمَا	إِنَّكَ وَاللَّهِ لَأَنْ تُبَاغِمَا
خَرَدًا كَأَنَّ الْبُوصَ وَالْمَاكِمَا	مِنْهَا نَقَّا مَخَالَطُ صَرَائِمَا
خَيْرٌ مِنْ اسْتِقْبَالِكَ السَّمَائِمَا	وَمِنْ مُنَادٍ يَبْتَغَى مُعَاكِمَا ^(٥)

وقوله : « ما بين أن يرى البعير » أى ما بين مُناخ البعير إلى قيامه .
ومطرد : متتابع السير ، غراهم : شديد . وفعم : ضخم . والرَّسيم : سير فوق
العنق . والرَّواسم : الإبل التى تَسِير هذا السير . والمُنَاة : الزَّمام ،
وعائم : سابح . وتباغم : تكلم . والبُوص : العَجْز . والمَاكِمَتَان : ما عن يمين
العَجْز وشماله . والنَّقَا : ما عَظُم من الرمل . والصرائم دونه . ومُعَاكِمَا ، أى
يُعِينِكَ عَلَى عِصْمِكَ حَتَّى تَشُدَّهُ .

(١) الأغاني ٢١ : ١٧٠ .

(٢) كذا فى النسختين ، وليس فى أعلام قبائلهم . وفى الأغاني : « خنيس » ، صواب هذه
« خنيس » . وفى معجم المرزبانى ٤٨٣ : « خنيس » ، تحريف أيضاً .

(٣) ط : « هذيم بن المذكور » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) كذا فى النسختين . ولعله نوى حذف لا ، كما فى قوله تعالى : « بين الله لكم أن

تفصلوا » . وفى الأغاني : « لن تلاثما » .

(٥) ويروى : « ومن نداء يبتغى » . وفى النسختين : « مناد يبتغى » ، صوابه من الأغاني .

فغضب هُدبة حين سمع زيادةَ يرجز بأخته ، فنزل فرجَزَ بأخت
زيادة ، وكانت تُدعى أم خازم ، وقيل أم قاسم ، فقال :

لقد أَرَانِي وَالْغِلَامَ الْحَازِمَا	نُزَجِي الْمَطْيَّ ضُمْرًا سَوَاهِمَا
مَتَى تَقُولُ الْقُلُوصَ الرُّوَاسِمَا	وَالْجِلَّةَ النَّاجِيَةَ الْعِيَاهِمَا
يُبْلِغُنِ أُمَّ خَازِمٍ وَخَازِمَا	إِذَا هِيطُنَ مُسْتَحِيرًا قَاتِمَا
وَرَفَعَ الْحَادِي لَهَا الْهَمَاهِمَا ^(١)	أَلَا تَرَيْنَ الْحُزْنَ مَنَى دَائِمَا
حِذَارَ دَارِ مِنْكَ أَنْ تَلَايِمَا ^(٢)	وَاللَّهِ لَا يَشْقَى الْقَوَادِ الْهَائِمَا
تَمْسَاكُ اللَّبَاتِ وَالْمَاكِمَا ^(٣)	وَلَا اللَّامُ دُونَ أَنْ تَلَازِمَا ^(٤)
وَلَا اللَّثَامَ قَبْلَ أَنْ تُفَاكِمَا ^(٥)	وَتَعْلُوَ الْقَوَائِمُ الْقَوَائِمَا ^(٦)

وقوله : « تقول القُلُوص » الخ أوردته النحويون شاهداً على إعمال
القول لإعمال الظن . والعِيَاهِم : الشُّداد .

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتساباً طويلاً ، فصاح بهما
القوم : اركبا لا حَمَلَكُمَا اللَّهُ ، فَإِنَّا قَوْمٌ حُجَّاج . وخشوا أن يقع بينهما
شر ، فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه ، وهُدبة
أشدُّهما حَنَقًا ، لَأَنَّهُ رَأَى أَنْ زِيَادَةً قَدْ ضَامَهُ إِذْ رَجَزَ بِأَخْتِهِ وَهِيَ تَسْمَعُ

(١) في الأغاني : « ورجع الحادي » .

(٢) في الأغاني : « لن تلايما » .

(٣) في نوادر المخطوطات ٢ : ٢٥٦ : « تمسأك » .

(٤) في نوادر المخطوطات : « دون أن تفاغما » .

(٥) الأغاني : « ولا اللزام » ، وفي نوادر المخطوطات : « ولا اللام » . وبمده في الأغاني :

• ولا الفقام دون أن تفاغما •

• وتركب القوائم القوائما •

(٦) الأغاني :

قوله ، وكانت أخت زيادة غائبة ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجَّهما ، ورجعا إلى عشائرهما . وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار . ولم يزل هُدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها ، فقتله وهرب ، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص ، فأرسل إلى عم هُدبة وأهله فحبسهم بالمدينة ، فلما بلغ هُدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه ، وتخلَّص عنه وأهله ، فلم يزل محبوساً حتى شخض عبد الرحمن أخو زيادة إلى معاوية ، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يُقَيِّده منه إذا قامت البيئة ، فكره سعيد الحكم بينهما ، فحملهما إلى معاوية فلما صاروا بين يديه ^(١) قال له معاوية : قل يا هُدبة . قال : إن شئت أن أقصَّ عليك قصتنا كلاماً وشعراً فعلت . قال : بل شعراً . فقال هُدبة ارتجالاً :

٨٦

ألا يا لقومٍ لِلنَّوائِبِ والدَّهْرِ وللمرءِ يُرِدِي نَفْسَهُ وهو لا يدرى
وللأَرْضِ كم من صالحٍ قد تَأَكَّمْتَ عليه فوارثه بِلَمَاعَةٍ قَفَرِ
فلا تَتَّقِي ذا هَيْبَةٍ لجلالِهِ ولا ذا ضِيَاعٍ هُنَّ يتركن للفقرِ
حتى قال :

رُمِينَا فرامِينَا فصادفَ رَمِينَنَا مَنَايَا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ
وأنتَ أَمِيرُ المؤمنينَ فما لَنَا وراءَكَ مِن معدى ولا عنكَ من قَصْرِ
فإنَّ تَكُ في أموالنا لم نَضِقْ بها ذراعاً وإن صَبِرُ فنصبرُ للصَّبْرِ
وهذا البيت الأخير من شواهد النحويين . وتأكَّمت : صارت أكمة .
وروى بدله : « قد تَوَأَّدت » ، « قد تَلَمَّأت » و « تَلَأمت » ، أى وارتته .

(١) وكذا في الأغاني ٢١ : ١٧٩ . وكثيراً ما يعبر بالجمع عن المفرد . كما في قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » . وفي ط فقط : « فلما صاروا بين يديه » .

(٢) ش : « ألا يا لقوم » .

فقال له معاوية : أراك يا هذبة قد أقررتَ بقتل صاحبهم. ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولد ؟ فقال : نعم ، المِسُور ، وهو غلام لم يبلغ ، وأنا عمُّه ووليُّ دم أبيه . فقال : إنَّكَ لا تُؤمِّن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حقٍّ ، والمِسُورُ أحقُّ بدم أبيه . فردَّه إلى المدينة ، فحبس ثلاث سنين حتَّى بلغ المِسُورُ ، وذهب عبدُ الرحمن بالمِسُور وقد بلغَ إلى والي المدينة ، وهو سعيد بن العاص ، وقيل : مَرْوان بن الحكم ، فأخرج هذبة ، فلما مُضِيَ به من السجن للقتل التفتَ فرأى امرأته ، وكانت من أجمل النساء ، فقال :

أَقْلَى عَلَى اللُّومِ يَا أُمَّ بُوَزَعَا
وَلَا تَعْجَبِي مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
وَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهَ ، لَيْسَ بِأَنْزَعَا
كَلِيلًا سِوَى مَا كَانَ مِنْ حَدِّ ضَرْسِه
أُعْيِدَ مِيطَانَ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا^(١)
ضُرُوبًا بِلَحْيَيْنِهِ عَلَى عَظْمِ زُورِه
إِذَا النَّاسُ هَشُّوا لِلْفَعَالِ تَقْنَعَا
وَحُلَّى بِذِي أَكْرُومَةٍ وَحَمِيَّةٍ
وَصَبِرَ إِذَا مَا الدَّهْرُ عَضَّ فَأَسْرَعَا

(١) في النسختين : « من جد ضربه » ، صوابه في الأغاني ، وفي ش بخط ناسخها تعليقاً على « أعيد » : « كذا بخط المؤلف ، والصواب : « أكيد » . وفي الأغاني أيضاً : « أكيد » ، وهو تصغير الأكيد ، وهو الضخم الوسط ، ولا يكون إلا بعلو السير .

فمالت زوجته إلى جزأٍ وأخذت شَفَرَتَه فجذعت به أنفَهَا ،
وجاءته تَدْمَى مجدوعةً ، فقالت : أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح ؟
قال : فرسَفَ في قيوده وقال : الآن طاب الموتُ ؟ فإذا هو بأبويه يتوقَّعان
التُّكُلَ ، فهما بسوء^(١) حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبلياني اليومَ صبراً منكما
إنَّ حزننا إنَّ بَدَا بادی شَرُّ
لا أراي اليومَ إلَّا ميتاً
إنَّ بعد الموت دارَ المستقرِّ
اصبراً اليومَ فإنِّي صابرٌ
كلُّ حى لقضاءٍ وقَدَرُ

قال النَّوفلي : حدثني أبي عن رجلٍ من عُدرة عن أبيه قال : إنِّي
لَقِى بلادنا يوماً في بعض المياہ ، فإذا أنا بامرأة تَمْشِي أَمَامِي وهى مُدْبِرَةٌ
ولها خَلْقٌ عجيب من عَجْزٍ وهَيْئَةٍ ، وتَمَامِ جِسْمٍ وتَمَامِ قَامَةٍ ، وإذا صَبِيَّانِ
قد اکتنفاهما بِمَشِيَّانِ ، فتقدَّمتُها والتفتُ إليها ، وإذا أقبح منظر ،
وإذا هى مجدوعة الأنف مقطوعة الشَّفتين ، فسألتُ عنها فقبل : هذه
امرأة هدية تزوّجت بعده رجلاً أولدها هذين الصبيَّين .

قال ابن قتيبة : فسأل سعيدُ بن العاص أخا زيادة أن يقبل عنه^(٢) ،
فقال : أعطيك ما لم يُعْطَ أَحَدٌ من العرب : مائة ناقة حمراء ، ليس فيها
ذاتُ داءٍ^(٣) . فقال : والله لو نقبتُ لى قُبْتُكَ هذه ، ثم ملأتها ذهباً

(١) وكذا في الأغاني ٢١ : ١٧٥ .

(٢) ش : « فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة عنه » .

(٣) الأغاني : « ليس فيها جداء ولا ذات داء » . والجداء من الغم والإبل : المقطوعة الأذن .

ما رَضِيتُ^(١) بها . ولم يزل سعيدهُ يسأله حتى عرض عليه سِتَّ دِيَّاتٍ فَأَبَى ،
فدفعه إليه حينئذٍ لقتله بأخيه ، فاستأذن هديةً في أن يصلي ركعتين ،
فأذن له فصلأهما وخفف ، ثم التفت إلى مَنْ حضر فقال : لولا أن
يُظَنَّ بي الجزعُ لأَطلتُهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما . ثم قال لأهله :
إنه بلغني أن القَتِيلَ يَعْقِلُ ساعةً بعد سقوط رأسه ، فإن عَقَلْتُ فإني
قابضٌ رجلٍ وباسطُها ثلاثاً . ففعل ذلك حين قُتِلَ .

وقال قبل أن يقتل :

إن تقتلوني في الحديد فإنني قتلْتُ أخاكم مطلقاً لم يقيِّدِ
فقال أخو زيادة : والله لا قَتَلْتُهُ^(٢) إلّا مطلقاً من وثاقه . فأطلق له
وتولَّى قتلَه ابنُه المسور ، دفعَ إليه عمُّه السيف وقال : قم فاقتل قاتل
أبيك . فقام فضربه ضربتين قتلَه فيهما .

وهدية أول من سنَّ ركعتين عند القتل^(٣) . هذا ما اختصرته
من الأغاني .

* * *

(١) في الأغاني : « ما رَضِيتُ بها من دم هذا الأجدع » .

(٢) هذا ما في الأغاني . وفي التسخين : « لا أَقتله » .

(٣) في حواشي ش بخط الناسخ : « أول من سن ركعتين عند القتل خبيب لا هدية » . وهذا
حق . وجاء في ترجمته من صفة الصفوة ١ : ٢٥٤ . أن المشركين لما خرجوا به من الحرم ليقتلوه
في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصل ركعتين . فتركوه فركع ركعتين وقال : « والله لولا أن
تحسبوا أن ما بي جزعاً لزدت . اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بديداً ، ولا تبق منهم أحداً » ، وقال :
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزوع
ثم قال : « وكان خبيب هو [أول من] سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة » . وانظر الإصابة ٢٢١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد السبعائة^(١) :

٧٥١ (عسى طيئ من طيئ بعد هذه
ستطفي غلات الكلى والجوانح)

على أن السين فى قوله « ستطفي » قائمة عند المتأخرين مقام أن ،
لكونهما للاستقبال .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : ولما انحرف الشاعر فى هذا البيت
عمّا عليه الاستعمال جاء بالسين التى هى نظيرة أن ، يعنى لما لم يأت الشاعر
بما حقه أن يحىء به مع عسى فى الخبر ، وهو أن ، أتى بما يقوم مقامه
فى الدلالة على الاستقبال . وهو السين . على أن ذلك شاذ . وكما دخل
أن فى خبر لعل حملاً على عسى . دخل السين فى خبر عسى حملاً على لعل .

والبيت آخر أبيات أربعة ، أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من صاحب الشاهد
الحماسة) ، وعزاها لقسام بن راحة السبسى . وقبله :

(لبئس نصيب القوم من أخويهم
طراد الحواشى واستراق النواضح

وما زال من قتلى رزاح بعالج
دم ناقع أو جاسد غير ماصح
دعا الطير حتى أقبلت من ضريبة

دواعى دم مُهراقه غير بارح)

عسى طيئ من طيئ البيت

يريد بأخويهم : صاحبيهم ، يقال يا أخا بكر ، يراد : يا واحداً

(١) ابن يعيش ٨ : ١١٨ ، ١٤٨ والمغنى ٥٣ وشرح شواهد السيوطى ٩٦
ويس ١ : ١٠٦ ، والهامة ٩٥٨ بشرح المرزوق .

منهم . والحاشية : صغار الإبل ورُذالها . والنواضح : جمع ناضح ، الإبل التي يُستسقى عليها الماء ، جعلت كأنها تنضح الزرع والنخل . وطراد وما عطف عليه بدلٌ من نصيب . يقول : إنهم لا يُقدمون على القوم ، ويُغيرون على حواشيها دون جلَّتْها ، لأنَّ الصبيان يرعونها . يعنى بلغ من جُبْنهم أن لا يتعرّضوا للرعاة إلا سرقةً ، يسرقون النواضح ويطردون الحواشي ، فيرضون بذلك من طلب الثأر . فبئس العوض ذلك من دم أخويهم . يهزأ بهم . وهذا تعريضٌ بمن^(١) وجب عليه طلبُ الدّم فاقْتَصَرَ على الغارة وسرقة الإبل . وفيه بعثٌ على طلب الدم . وأكّد ذلك بقوله : « وما زال من قتلى رزاح إلخ » وهو براءٌ مفتوحة وزاى ومهملة : قبيلة من خولان . وقتلى : جمع قتيل . وعالج بالجم : موضعٌ بالبادية فيه رمل . والدّم الناقع ، بالنون والقاف . قيل : الثابت ، وقيل : الطرى . والدّم الجاسد ، بالجم ، قيل : القديم ، وقيل : اليابس . والماصح بالصاد المهملة ، من مصح كمنع مُصوحاً : ذهب وانقطع . يقول : لا يزال من مقتولى هذه القبيلة بهذا المكان دمٌ طرىً ويابس غير زائل . يعنى أنّ دماءهم باقيةٌ بحالها مالم يثأروا بها ، لأنّ غسل تلك الدماء إنّما يكون بما يُصبُّ من دماء أعدائهم . ولم يكتف بهذا الإغراء حتى قال : « دعا الطير » إلخ يقول : دعا دواعى دمائم طيور الأماكن البعيدة والجبال المُطَلَّة ، حتى أتت سباعها وطيورها ، وقَعَتْ عليها تأكل منها . ومهراقه ، الهاء ضمير الدم . يعنى أنه مصبوبٌ فى موضعه لم يزل ولم يحل . قال الطبرسى : ويجوز أن يريد بالمهراق الموضع المصبوب فيه الدم . وفيه حثٌ على طلب الثأر . وضريّة : اسم بلادٍ تشتمل على بلادٍ سميت باسم ضريّة بنت ربيعة بن نزار ، كما قيل للماء الذى بين

٨٨

(١) ط : « بمن » ، صوابه فى ش .

البصرة ومكة الحوَّاب ، كجعفر بالحاء المهملة ، سُمِّيَ ^(١) بالحوَّاب بنت كلب بن وبرة .

وقوله : (عسى طيئ) إلخ قال المرزوقى : عسى لفظة وُضعت للترجى والتأميل ، إلّا أنها تؤذن بأنَّ الفعل مستقبلٌ مطموع فيه . ووضع السين بدل أنْ فى خبر عسى لاشتراكهما فى الدلالة على الاستقبال ، مع أنَّ السين أشهر فيها . ومعنى « عسى طيئ » : لعلَّ البطن المغلوب من هذه القبيلة فى القتال ينتصف من البطن الغالب منها فيه . وقوله « بعد هذه » إشارة إلى الحالة الحاضرة بالتذكير ، الجامعة لكلِّ ما ذكره . والغلات : جمع غَلَّة بالضم : حرارة الجوف . والمعنى : المرجوُّ من أولياء الدم أنَّ يطلبوا الثأر فى المستقبل وإنْ كانوا آخروه إلى هذه الغاية ، فتسكن نفوسٌ وتبرد قلوب ^(٢) .

وكانت القبيلتان معاً من طيئ ، لأنَّ طيئاً قبائل يكون أبداً بينهم قتال . وطيئ بالهمزة على وزن السيّد ، وقد تحذف الهمزة فىبقى كحى .

(والكلى) : جمع كُلية أو كُلوَّة . (والجوانح) : الضلوع ، جمع جانحة . قال بعضهم : الغلة إنّما تكون فى القلب ، ولكنه أراد المبالغة أى تجاوز القلب والكبد إلى الكلية .

وقال الخوارزمى : إن سئل أىُّ غَلَّةٍ للكلى حتى أُضيفت إليها ، أجيب بأنَّ المزاج عند ورود الهموم والأحزان عليه ، ممّا ينفعل ويسخن ، فإذا سخن المزاج حمى البول واحتدَّ ، والبول ممرُّه على الكلى ، فكأنَّه قال : ستطيق الغلل التى يظهر أثرها فى البول . هذا كلامه .

(١) ش : « سميت » .

(٢) ش : « وتبرد قلوب » ، صوابه فى ط وشرح المرزوقى .

صاحب الشاهد

وقائل هذه الأبيات شاعرٌ جاهليٌّ وهو (في بعض نسخ الحماسة) :
 قَسَامُ بْنُ رَوَاحَةَ ، وفي بعض آخر منها : قَسَامَةُ بْنُ رَوَاحَةَ ، بزيادة الهاء . وهو
 بفتح القاف وتخفيف السين المهملة . وفي كلٍّ منهما رُوى ابن رَوَاحَةَ
 السُّنْبُسي والعنْبُسي .

قسام بن رواحة

وقد أوردته الآمدي (في المؤلف والمختلف) فيمن يقال له ابن رَوَاحَةَ
 قال : ومنهم قسام بن رَوَاحَةَ العنْبُسي . ليس له عندى في شعراء طيِّ
 ذكر . وأنشد له الطائي (في الحماسة) : لبئس نصيب القوم ، الأبيات
 الأربعة ~~ههنا~~ اذكره . ولم يرفع نسبه ^(١) .

٨٩

وهذا نسبه (من جمهرة الأنساب) قال : قسامة الشاعر ابن رَوَاحَةَ
 ابن جُلٍّ بضم الجيم وتشديد اللام ، ابن حِقٍّ ، بكسر الحاء المهملة وتشديد
 القاف ، ابن ربيعة بن عبد رُضَى ، بضم الراء المهملة وفتح الضاد المعجمة
 بعدها ألف مقصورة ، ابن وَدٍّ بفتح الواو وتشديد الدال ، ابن وَدٍّ بضبط
 ما قبله أيضاً ، ابن مَعْنٍ بن عَتود ، بفتح المهملة بعدها مثناة فوقية مضمومة
 ابن عُثَيْنٍ ^(٢) بضم المهملة وبين النونين مثناة تحتية ، ابن سَلَامَانَ
 ابن ثَعْلَ ، بضم المثناة وفتح العين المهملة ، ابن عمرو بن الغوث بن
 طيِّ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .
 ولم أر في نسبه لاسنيسا ولا عنبسا ، والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد السبعمائة ^(٣) :

(١) المؤلف للآمدی ١٢٧ . وانظر أيضاً معجم المرزبانى ٣٤٠ ، وما كتبت في حواشى
 الحماسة .

(٢) ش : « حنين » ، صوابه في ط وجمهرة ابن حزم ٤٠١ . وفي الاشتقاق ٣٨٧ :
 « عنين : فعيل من عن ين ، إذا اعترض » .

(٣) مع الموامع ١ : ١٢٨ والمقاييس ٦ : ١٤١ واللسان (ولى ٢٩٣) .

٧٥٢ (فعادى بين هاديتين منها وأولى أن يزيد على الثلاث)

على أن (أولى) من مرادفات كاد ولا تستعمل إلا مع أن .

كذا قال ابن مالك (في التسهيل)؛ ومثل له شراحه بهذا البيت .

قال ابن عقيل : عادى من العدا ، بكسر العين ، وهو الموالاة بين الصيدين بصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد ، ومنه قول امرئ القيس :

فعادى عداً بين ثورٍ ونعجةٍ دراكاً ولم ينضج بماء فيغسل
والهادية : أول الوحش ، ومنه قول امرئ القيس :

كان دماء الهاديات بنحره عصاره جناء بشيب مرجل
وقال صاحب الصحاح : أنشد الأصمعي هذا البيت وقال : أى قارب أن يزيد . قال ثعلب : ولم يقل أحد في أولى أحسن مما قال الأصمعي . ٥١ .

واستظهر الشارح المحقق أن يكون أولى المستعمل مع أن فعلاً تاماً متعدياً ، وأن مع منصوبه مفعولاً لأولى ، فإنه بمعنى قارب وهو فعل متعد . وإنما استظهره للزوم أن مع الفعل ، وهذا خلاف شأن أفعال المقاربة . وأما أولى المستعمل مع اللام في قولهم : أولى لك ، وأولى له ، وأولى لى ، فهو اسم للوعيد غير منصرف للعلمية ووزن الفعل^(١) . لا أفعل تفضيل لأفعل ، بدليل قولهم : أولاة الآن^(٢) . وهو من الولى ، وهو القرب . قال المبرد (في الكامل) عند إنشاد قول الخنساء :

(١) ط : « للوعيد لا أفعل تفضيل غير منصرف للعلمية ووزن الفعل » ، صوابه في ش .
(٢) في اللسان (ولى ٢٩٤) : « وحكى ابن جنى : أولاة الآن ، فأنت » . قال : وهذا يدل على أنه اسم لا فعل .

هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الْهُمُومِ فَأَوَّلَى لِنَفْسِي أَوَّلَى لَهَا^(١)
يقول الرجل ، إذا حاول شيئاً فأفْلَتَهُ من بعد ما كاد يُصِيبُهُ : أَوَّلَى
له . وإذا أَفْلَتَ من عَظِيمَةٍ^(٢) قال : أَوَّلَى لِي . ويروى عن ابن الحَنَفِيَّةِ
رحمة الله عليه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِذَا مَاتَ مَيِّتٌ فِي جَوَارِهِ أَوْ فِي دَارِهِ :
أَوَّلَى لِي ، كَدَتِ أَكُونَ السَّوَادَ الْمُخْتَرَمَ^(٣) . وَأَنشَدَ لِرَجُلٍ يَقْتَنَصُ الصَّيْدَ
فَإِذَا أَفْلَتَهُ الصَّيْدُ قَالَ : أَوَّلَى لَكَ . فَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ :
فَلَوْ كَانَ أَوَّلَى يُطْعَمُ الْقَوْمَ صِدَّتْهُمْ

وَلَكِنْ أَوَّلَى يَتْرُكُ الْقَوْمَ جُوعاً^(٤) اهـ

وقال الفارسي (في كتاب الشعر) : أَوَّلَى اسْمٌ مُبْتَدَأٌ ، وَلَكَ الْخَبَرُ .
ولا يجوز أَنْ يَكُونَ أَفْعَلٌ مِنْ كَذَا ، لِأَنَّ أَبَا زَيْدٍ حَكِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَوْلَاةُ
الآن ، إِذَا أَوْعَدُوا . فَدْخُولُ عَلَامَةِ التَّأْنِيثِ عَلَى أَفْعَلٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ
بِأَفْعَلٍ مِنْ كَذَا : وَأَنَّهُ مِثْلُ أَرْمَلَةٍ وَأَضْحَاةٍ ، فِي أَنَّهُ عَلَى أَفْعَلٍ ، لَا يَرَادُ
بِهِ اتِّصَالُ الْجَارِ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْمُؤَنَّثَ فِيهِ أَيْضاً مَعْرِفَةً ، كَمَا
جَعَلُوا الْمَذْكَرَ كَذَلِكَ ، فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ سَمَى بِأَضْحَاةٍ فَلَمْ يَنْصَرَفْ .
فَأَمَّا فِي قَوْلِهِ : « أَوَّلَى فَأَوَّلَى يَا امْرَأَ الْقَيْسِ » فَالْخَبَرُ مِنْهُ مَحْذُوفٌ لِلْعِلْمِ بِهِ .
أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَلِمَةَ اسْتَعْمَلْتَ كَثِيراً فِي الْوَعِيدِ حَتَّى صَارَتْ عَلَماً لَهُ ،
فَحُذِفَ الْخَبَرُ لِذَلِكَ .

فإن قلت : أيجوز أن يكون أَوَّلَى اسماً للفعل وفيه ضمير المخاطب
كَأَفٍّ وَوَشْكَانٍ ، وَيَكُونُ « لَكَ » فِي أَوَّلَى لَكَ لَا يَكُونُ الْخَبَرُ وَلَكِنَّهُ

(١) الكامل ٧٤٠ ، وديوان الخنساء ١٢١ . وفي ط : « وأولى لها » خلافاً لما في ش
والكامل والديوان .

(٢) ط : « عظمة » ، صوابه في ش والكامل .

(٣) في الكامل : « كدت والله أكون السواد المخترم » . السواد : الشخص . والمخترم :
الذي اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته .

(٤) في اللسان : أصدت فلانا صيداً ، إذا صدته له ، كقولك : بغيته حاجة ، أي بغيتها له .

بمنزلة قولهم « لك » في : هلم لك ، للتبيين ، وفي سقياً لك ونحو ذلك ،
ويكون امتناع التنوين من الدخول عليه كامتناعه على وشكان ونحوه ،
لا كما امتنع من الدخول على غير المنصرف ؟

فالجواب ما قدمناه ، من أن موضع أولى رفع بالابتداء . ويدل على
صحة ذلك أن أبا زيد حكى أنهم يقولون : أولاة الآن بالرفع ، وهذا
تأنيث أولى ، ولو كان اسماً للفعل لم يرفع . ألا ترى أنك لا تجد فيما
سمي به الفعل شيئاً مرفوعاً ، فيجعل أولى مثله . والآن في قولهم أولاة
الآن متعلق بمحذوف : كما تقول : الوعيد الآن . انتهى كلامه .
* * *

وأنشد بعده :

(وما كدتُ آيباً)

على أنه استعمل (كاد) في الضرورة مثل كان ، فجاء خبرها مفرداً
في قوله : « وما كدتُ آيباً » ، كما يجيء خبر كان مفرداً .

وهذا قطعة من بيت ، وهو :

(فأبْتُ إلى فهمٍ وما كدتُ آيباً)

وكم مثلها فارقتها وهي تصفّر

وتقدم الكلام عليه مشروحاً في الشاهد السابع والثلاثين بعد الستمائة ^(١) .
* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد السبعائة ، وهو

من شواهد س ^(٢)

(قد كادَ من طولِ الليْلِ أنْ يَمْصَحَا)

٧٥٣

(١) الخزانة ٨ : ٣٧٤ - ٣٨٢ . وفي ط : « السادس والثلاثين بعد الستمائة » ، صوابه فيش .

(٢) في كتابه ١ : ٤٧٨ وانظر المقتضب ٣ : ٧٥ والجمل ٢١٠ والإنصاف ٦٦ .

وابن يعيش ٧ : ١٢١ والمقرب ١ : ٩٨ والضرائر ٦١ واللسان (مصح) وملحقات

ديوان رؤية ١٧٢ .

على أنه جاز اقتران خبر كاد بأن لما ذكره .

قال سيبويه : وقد جاء في الشعر كاد أن يفعل ، شبهوه بعسى . قال
رؤبة :

* قد كاد من طول البلى أن يمصحاً *

وقد يجوز في الشعر أيضاً لعلّي أن أفعل ، بمنزلة عسيت أن أفعل . ١ هـ .
ومثله لابن عصفور (في الضرائر) قال : ومن ذلك عند بعض
النحويين دخول أن في خبر كاد . نحو قول رؤبة :

* قد كاد من طول البلى أن يمصحاً *

وقول الآخر :

كادت النفس أن تفيظ عليه

إذ ثوى حشوّ ربطة وبرود^(١)

والصحيح أن دخولها في خبر كاد ضرورة ، إلا أنها ليست مع ذلك
بزائدة ، لعملها النصب . والزائدة لا تعمل ، بل هي مع الفعل الذي

(١) انفرد ابن السيد في الاقتصاب ٣٨٩ بنسبة هذا البيت إلى أبي زيد الطائي ، في رثاء
ابن أخته الحلاج الحارثي ، وكان قد مات عطشاً في طريق مكة . وقصيدة البيت طويلة في ٥٩ بيتاً
نجدتها في ديوان أبي زيد ٤٢ - ٥٦ ، والاختيارين للأخفش ٥١٨ - ٥٣٥ ، وأمالى اليزيدي
٧ - ١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٣٨ - ١٤١ . ولم أجد فيها هذا البيت . ووجدت في هامش
شرح شواهد المغني للسيوطي ٢٣١ أن البيت لمحمد بن مناذر شاعر البصرة . وأجدر به أن يكون
لأبي زيد الطائي المخضرم الذي يكثر الاستشهاد بشعره ، وقد جاء على لغة طيية الذين ينطقون
فاضت بالطاء المعجمة كما في اللسان (فيظ) . وسبب اللبس أن لمحمد بن مناذر قصيدة أخرى طويلة
جداً يعارض بها قصيدة أبي زيد ويرثي بها عبد الحميد بن عبد الوهاب الثقفي ، وكان قد علق به
حتى انتهك ستره ، كما ذكر ابن المعتز في الطبقات ١١٩ - ١٢٦ . وانظر الأغاني ١٧ :
٩ - ٣٠ ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ - ٦٠ . والبيت بدون نسبة في أدب الكاتب ٣١٤ ،
وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٩٧ وتأويل مشكل القرآن ٤٠٧ واللسان (فيظ) .

نصبته بتأويل مصدر . وذلك المصدر في موضع خبر كاد ، على حد قولهم : زيد إقبال وإدبار . ١ هـ .

قال علي بن حمزة البصري (فيما كتبه على نوادر أبي عمرو الشيباني) وكان أبو عمرو والأصمعي يقولان : لا يقول عربي : كاد أن ، وإنما يقولون : كاد يفعل . وهذا مذهب جماعة النحويين ، والجماعة مخطئون ، وقد جاء في الشعر الفصيح منه ما في بعضه مقنع . فمن ذلك ما أنشده ابن الأعرابي :

* يكاد لولا سيره أن يُملِصا ^(١) *

وأنشد هو وغيره ^(٢) :

حتى تراه وبه إكداره يكاد أن ينطحه إمجاره
لو لم ينفس كربه هُراؤه

وأنشد أبو زيد وغيره في صفة كلب :

يرثم أنف الأرض في ذهابه يكاد أن ينسل من إهابه ^(٣)
وقال بعض الرُّجَّاز :

* يكاد من طول البلي أن يَمصحا ^(٣) *

(١) أي يكاد أن يفلت لولا جذب سير الحمام له . والظاهر أنه في صفة فرس .

(٢) من أرجوزة طردية لأبي نواس في ديوانه ٢١٠ - ٢١١ . والشر الأول مع نسبته إلى أبي نواس في الحيوان ٢ : ٦٦ ، ويرثم : يكسر ، عني أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه . وفي الديوان ٢١١ : « يترك وجه الأرض في إهابه » ، تحريف . ورواية الشطر الثاني هي كذلك في الحيوان ٢ : ٦٧ ، لكن في الديوان ٢١٠ : « يكاد أن يخرج من إهابه » .

(٣) لرؤبة في ملحقات ديوانه ١٧٢ . وانظر معجم الشواهد .

وقال ذو الرُّمَّة :

وجدت فؤادى كاد أن يستخفه

رجيعُ الهوى من بعض ما يتذكَّر^(١) اهـ .

أقول : مرادهما بقولهما : « لا يقول عربى كاد أن » : أنه لا يقول ذلك فى الكلام ، وأما الشعر فهو محلُّ الضرورة . فلا خطأ فى قولهما .

وأما ما ورد فى صحيح البخارى : « وكاد أميةُ بن أبى الصلت أن يسلم^(٢) » ، وجاء فى الحديث أيضاً : « كاد الفقر أن يكون كفراً^(٣) » ، فنادر .

صاحب القامد

وهذا الرجز نُسب إلى رؤية . وقبله :

(ربع عفا من بعد ما قد اتمحى)

وأنشده ابن يعيش :

(ربع عفاه الدهر طولاً فامحى)

ورواه اللخمي :

(ربع عفاه الدهر دأباً وامتحى)

ولم أر هذا الرجز فى ديوان رؤية .

وكذلك قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب^(٢)) ، واللخمي

(فى شرح أبيات الجمل) بأنهما لم يرياها فى ديوانه .

والرَّبع : المنزل حيث كان . وروى بدله : (رسمٌ) . والرسم : أثر الدار .

وعفا يكون لازماً كالرواية الأولى ، يقال عفا المنزل يعفو عفواً ، وعُفواً ،

(١) ديوان ذى الرمة ٢٢٤ ، ودرة القواص ١٣٣ .

(٢) الاقتضاب ٣٩٦ .

وعفاء ، بالفتح والمد ، أى درس . ويكون متعدياً كالرواية الثانية .
يقال عَفَتَه الرِّيحُ أى مَحَتَه . وَاَمَحَى أَصْلَهُ اَنَمَحَى ، مطاوع محوته
محوًا ، أى أزلته ، فَاَمَحَى ، أى زال وذهب أثره . ويقال محيته محياً
بالباء ، من باب نفع .

وزعم العيني أَنَّ (مِنْ) فى قوله « من بعدِ » زائدة وما مصدرية ،
واسم كاد ضمير راجعُ إلى ربيع . وَمِنْ تعليلية متعلّقة بكاد لا يمتصح ،
لأنَّ صلةَ أَنْ . و(الِى) بالكسر والقصر : مصدر بلى الثوبَ يَبْلَى ، إذا
أَخْلَقَ . وبِلَى المنزلُ ، إذا دَرَسَ . فَإِنْ فَتَحَتِ الباء مدته . و(يَمْصَح)
بفتح الباء والصاد : مضارعُ مَصَحَ ، بفتح الصاد أيضاً . قال الجوهري :
مصَحَ الشَّيْءُ مُصَوِّحًا : ذهب وانقطع . قال : ومصح الثوبُ : أَخْلَقَ .
وللهِ دُرُّ القائل :

يا بدرُ إِنَّكَ قد كُتِيتَ مَشَابَهًا من وجه أُمِّ محمدِ ابنةِ صالحٍ
وَأَرَاكَ تَمْصَحُ فى المَحَاقِ ، وَحُسْنُهَا باقى عَلَى الأَيَّامِ ليسَ بِمَاصِحٍ

وهو فى الأشهر فعلٌ لازم ، ولم يذكره متعدياً . وفى كثير من كتب
اللغة ما يخالفه . فقد ذكره الهَرَوِيُّ ، وابنُ شُمَيْلٍ ، والصَّاغَانِي ، متعدياً .
وفى القاموس : مصَحَ اللهُ مَرَضَكَ ، أى أَذْهَبَهُ ، كَمَسَحَهُ . و(فى الذيل
والصلة للصاغانى) : يقال للمريض : مَصَحَ اللهُ ما بك ، ومسح ، والصاد أعلى .

وقال ابن برى (فيما كتبه على دُرَّة الغَوَاصِ) : هذا غلطٌ لأنَّ مسح
لا يتعدى إلَّا بالباء ، يقال مسحت بالشئِ أى ذهبت به . فلو كان بالصاد
قيل مصَحَ اللهُ بما بك ، أى أَذْهَبَهُ ، فَتَعَدَّيْهِ بالباء أو بالهمزة ، فيقال أَمْصَحَ
الله ما بك ، إذ لا يقال مصحه بدون باء . اهـ .

وهذا مأخوذٌ من الجواليقي، قال (في تكملة إصلاح المنطق) : ما تغلط فيه العامة. ويقولون في الدعاء للمريض : مَسَحَ اللهُ ما بك . وكان النضر ابن شميل يقول : مَصَحَ اللهُ ما بك ، أى أذهبهُ ، وغيره يجيز : مَسَحَ اللهُ ما بك . ١ هـ .

وقال اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : سئل أبو بكر الزبيدي عن قول القائل : مَصَحَ اللهُ عنك بيمينه الشافية ، أبالسين يكتب أم بالصاد ؟ فقال : الذى أقوله وأعتقدهُ وأرويه أَنَّهُ بالسين لا بالصاد فَإِنَّ من كتبه بالصاد فَإِنَّمَا ذهب إلى قولهم مَصَحَ الظلُّ ، إذا ذهبَ . وهو قولُ النضر بن شميل . ولا يُلتفتُ إليه ، لأنَّ الصاد إِنَّمَا استعملت في الظلِّ خاصَّةً .

٩٢

* * *

وَأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد السبعمئة ^(١) :

٧٥٤ (وقد جَعَلْتُ قَلُوصَ ابْنِي زِيَادٍ من الأَكْوَارِ مَرْتَعُهَا قَرِيبُ)
على أَنَّهُ قد جاءَ نادرًا خَبرَ جَعَلَ جملةً اسميةً ، وهو قوله : (مرتعا قريب) .

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : أوقع الجملة من المبتدأ والخبر موقعَ الجملة من الفعل والفاعل ، أراد : وقد جعلت قَلُوصَ ابْنِي سهيل ^(٢) يَقْرُبُ مرتعها من الأكوار ، كما قال :

(١) التسهيل ٧٩ والمغنى ٢٣٥ وشرح شواهد السيوطى ٢٠٦ والعينى ٢ : ١٧٠ ، والتصريح ١ : ٢٠٤ والأشموني ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٣١٠ .
(٢) كذا في إعراب الحماسة الورقة ٦٢ . وهذا مبنى على رواية البيت : « قَلُوصَ ابْنِي سهيل » طبقاً لرواية أبي تمام في الحماسة .

فقد جعلت نفسي على النَّأْيِ تنطوى

وعني على فقد الحبيب تنام^(١) . ١ هـ

أقول : الصواب في التقدير : تقرب من المرتع ، بإسناد الفعل إلى ضمير القلوص ، فإن جميع أفعال المقاربة لا يكون فاعل خبرها الفعلي إلا ضمير اسمها كما نص عليه الشارح المحقق .

وقال الخطيب التبريزي (في شرح الحماسة) : وقد جعلت قلوص ابني سهيل يقرب مرتعها من الأكوار ، أي لم تتباعد في الرعى لما حط رحلها ، لما بها من الإعياء ، فبركت مكانها . وجعلت ههنا بمعنى طفقت وأقبلت ، ولذلك لا يتعدى . و « مرتعها قريب » في موضع الحال . أي أقبلت قلوص هذين الرجلين قريبة المرتع من رحالهم .

وهذه غفلة من الخطيب ، فإنه بعد أن قال : إن جعلت بمعنى طفقت ، كيف يسوغ له أن يجعل الجملة حالية .

وسبقه إلى جعل الجملة حالية الإمام المرزوقي ، وتبعهما خضر الموصلي (في شرح شواهد التفسيرين) .

ثم قال الخطيب : قال أبو العلاء : ويروى : « فقد جعلت قلوص ابني سهيل » بنصب قلوص . وكثير من الناس يرفع القلوص ، وهو وجه ردي ، لأن القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن بد من إتيانه بالفعل ، كما قال :

جعلت وما بي من جفاء ولا قلى أزورك يوماً وأهجركم شهراً

(١) في حاشية إعراب الحماسة : « الصديق » إشارة إلى رواية أخرى هي : « عل فقد الصديق » . وانتظر ما كتبت في تحقيق الحماسة بشرح المرزوقي .
(م ٢٣ — خزانة الادب — ج ٩)

وعلى ذلك جميع ما يرد ، فإذا قال القائل جعل زيد فعله جميل ، ولم يأت بلفظ الفعل ، وإنما يحمله على المعنى ، كأنه قال : جعل زيد يجمل . وأحسن من هذه الرواية أن تنصب قلوصلاً ويكون في جعلت ضميرٌ يعود على المذكورة ، وليست جعلت في هذا القول في معنى المقاربة ، وإنما هي صيرت ، فلا تفتقر إلى فعل ، ويكون قوله : «مرتعا قريب» في موضع المفعول الثاني ، كما يقال : جعلت أخاك ماله كثير . ١ هـ .

وذكر الشلوبين (فيما كتب على الحماسة) أن بعض الناس أجاز أن يكون جعل بمعنى صير وحذف من جعلت ضمير الشأن ، والتقدير : وقد جعلته أى جعلت الأمر والشأن^(١) مرتعا قريباً من الأكوار . وأن آخر^(٢) أجاز أن يكون على إلغاء جعلت مع تقدمها ، على حد إجازة أبي الحسن : ظننت عبد الله منطلق . ١ هـ .

فإن أراد ببعض الناس أبا العلاء فلا يصح نسبة حذف ضمير الشأن إليه ، فإنه روى بنصب القلوصل على أنه مفعول أول لجعل بمعنى صير ، والفاعل ضمير المرأة . ويرد على القول الآخر أن الإلغاء لا يكون في أفعال التصيير ، وإنما يجوز في أفعال القلوب . ٩٣

وقد أخطأ العيني في هذه الكلمة من وجهين .

الأول أنه قال : جعل هنا من أفعال المقاربة ، وإنما هي من أفعال الشروع .

والثاني : أنه قال : وجعلت هنا على صيغة المجهول ، أسندت إلى

(١) ش : « وقد جعلت الأمر والشأن » ، وما أثبت هو رواية ط .

(٢) في النسختين : « آخرأ » ، ووجه ما أثبت .

قلوص . وإنما جعلتُ بالبناء للمعلوم وقلوص اسمها ، وجملة مرتعها قريبٌ من الأكوار في محل نصب على أنه خبرها . والقلوص : الناقة الشابة . ويروى : « ابني سهيل » بدل « ابني زياد » . والأكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرّحل بآدائه . والمرتع : موضع الرتوع ، وهو أكل الماشية ما شاءت . تقول : رتعت الماشية رتوعاً .

وهذا البيت أحد أبيات ثلاثة في الحماسة ، تقدّمت مشروحة في الشاهد الثاني والخمسين بعد الثلاثمائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد السبعائة ^(٢) :

٧٥٥ (وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يثقلني ثوبى فأنهضُ نهضَ الشاربِ الثملِ)

على أنه قد يجيء خبر جعل جملةً شرطيةً مصدريةً بإذا . فجملة (إذا ما قمتُ يثقلني ثوبى) في محل نصب ، على أنه خبر جعل .

وهذا كقول همام الرقاشي :

وقد جعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضتُ

بباب دارك أدلوها بأقسوام ^(٣)

أى أوصلها إليك بأقسوام . وكقول عبد الله بن عباس رضى الله

(١) الخزانة ٥ : ١١٩ - ١٢٢ .

(٢) المقرب ١ : ١٠١ ، والمغنى ٥٧٩ وشرح شواهد السيوطى ٣٧١ والمغنى ٢ : ١٧٣

والتصريح ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، والمجمع ١ : ١٢٨ ، ١٣١ والأشعوى ١ : ٢١٣ .

(٣) انظر البيان ٢ : ٣/٣١٦ ، ٤/٣٠٢ : ٨٥ فقد أنشد الجاحظ البيت مع أبيات منسوبة إلى همام الرقاشي . على حين وردت في الحماسة ١١٢٠ بشرح المرزوق و ٣ : ١٢٩ تبريزي منسوبة إلى عصام بن عبيد أو ابن عبيد الله الزماني .

عنهما : « فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً^(١) » .
وعلى هذا يكون ثوبى فاعل يُثقلنى ، ويكون وقوع الجملة الشرطية
خبراً لجعل موقع الفعل المضارع نادراً .

وقد تبع الشارح المحقق فى هذا ابن مالك (فى التسهيل) ، قال فيه :
وربما جاء خبر جعل جملة اسمية وفعلية ، مصدرية بإذا^(٢) . ولا يخفى
أنه إذا جاز تخريجها على ما ثبت لها لا ينبغى العدول عنه إلى ادعاء
النُدرة ، فإنه لا مانع من جعل يثقلنى خبراً لها ، ويكون ثوبى بدل
اشتمال من التاء فى جعلت ، وذلك بتقدير إذا ظرفية لا شرطية . وكذا
الحال فى البيت الثانى ؛ وفى الأثر ، ولكن فيه شذوذ وهو مجىء الماضى
خبراً ، فلا يخرج هذا عن قوله سابقاً : « ويتعين فى جميع أخبار أفعال
المقاربة أن يكون فاعل أخبارها ضميراً عائداً إلى اسمها » .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) قال : اشترطوا الإضمار فى بعض
المعمولات . ومن ذلك مرفوع خبر كاد وأخواتها إلا عسى . ومن الوهم
قول جماعة فى قول هُدبة :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه البيت^(٣)

إنَّ فرج قريب اسم يكون . والصواب أنه مبتدأ خبره الظرف ، والجملة
خبر يكون^(٤) واسمها ضمير الكرب ، وأما قوله :

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الشعراء . قال ابن عباس : « لما نزلت :
وأندر عشيرتك الأقربين ، صدق النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر ،
يا بنى عدى ، يابطون قريش . حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر
ما هو » .

(٢) التنزيل لابن مالك ٥٩ - ٦٠ ، والنص فيه : « مصدرية بإذا أو كذا » .

(٣) هو الشاهد رقم ٧٥٠ فى هذا الجزء التاسع .

(٤) ش : « كان » ، تحريف .

وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني ثوبى البيت

فثوبى بدل اشتِمال من تاء جعلتُ لا فاعل يثقلنى . ١٠٨ .

إِلَّا أَنْ ما استثناه ابنُ هشامٍ فى عسى لم يذكره الشارح المحقق .
قال ابن هشام : تقول كاد زيد يموت ، ولا تقول يموت أبوه . ويجوز
عسى زيد أن يقوم أبوه ، فترفع السبى . ولا يجوز رفعها الأجنبى ،
نحو : عسى زيد أن يقوم عمرو عنده . ١٠٩ .

وما استثناه الشارح المحقق فى كاد ، نحو : كاد زيد تخرج نفسه
لم يذكره ابن هشام . فأفاد كلُّ منهما فائدة ليست عند الآخر . ولقد
صدق القائل فى قوله :

ما حوى العلمُ جميعاً أحداً لا ولو مارسه ألفَ سنة

لكنَّ ابن مالك جَوَّزَ بَقْلَةً فى خبر جميع هذه الأفعال أن يرفعَ
غير ضمير الاسم : قال (فى التسهيل) : ويتعين عود الضمير من الخبر
إلى الاسم . وكونُ الفاعل غيره قليل . ١١٠ .

تتمة

وقع فى بعض نسخ التسهيل : وربَّما جاء خبر جعل جملة اسمية
وفعلية ، مصدرة بإذا أو كلما ، ونادر إسنادها إلى ضمير الشأن ودخولُ
النفي عليها . ١١١ .

قال شارحة المرادى : ولم يتعرَّض المصنَّف^(١) لهذه الزيادة فى شرحه .
ومثال تصدُّره بكُلِّما : جعل زيدُ كُلِّما جاء عمرو ضربَه . ويحتاج إلى
سماع ، إِلَّا أَنْ فى صحيح البخارى : « فجعل كُلِّما جاء ليخرج رعى فى

(١) ش : « المص » ، وهو اختصار لكلمة « المصنَّف » ، وانظر تحقيق النصوص ص ٥٨ .

فيه بحجر^(١) . ويمكن تمثيل المسألة الثانية بما حكاه الزاهد غلام ثعلب :
أنَّه يقال : عسى زيد قائم ، برفع المبتدأ والخبر بعد عسى . فيتخرج^(٢)
على أنَّ في عسى ضمير الشأن . هذا إن جعلنا الضمير في إسنادها إلى
أفعال الباب . وإن جعلناه عائداً إلى جعل احتاج إلى سماع .

ومثال المسألة الثالثة : ما جعل زيد يتكلم ، وقول أنس : « فما جعل
يُشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت^(٣) » . ولا ينبغي أن يعود
الضمير إلى أفعال الباب ، إذ لم يندُر دخول النفي عليها . اهـ .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات خمسة لعمر بن أحمَر الباهلي ، إلا أنَّ قافيتها
رائية ، لا لامية كما وقع في إنشاد النحويين .

والأبيات رواها لعمر المذكور المرزباني (في الموشح^(٤)) ، ورأيتها
كذلك بخط ابن نُبانة السعدي البغدادي صاحب الخطب النباتية ،
كتبها في آخر ديوان محمد بن بشير الخارجي ، ورواها عن أبي سعيد
عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، وقد أقوى في بيتين منها نصاً عليهما
المرزباني ، وهي :

(ما للكواعب يا عيساء قد جعلتُ

تَزَوَّرُ عَنِّي وَتَطْوِي دُونِي الْحَجَرُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز (باب ما قيل في أولاد المشركين) ، وهو حديث
طويل عن سمرة بن جندب .

(٢) ش : « فيخرج » .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء ، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحية .

(٤) موشح المرزباني ١١٨ . والأبيات لم ترد في صلب ديوان ابن أحر ، وإنما وردت
في ملحقات ديوانه ١٨١ .

قد كنتُ فَرَّاجَ أَبْوَابٍ مغلَّقةٍ
 ذَبَّ الرِّيَادِ إِذَا مَا خُولِسَ النَّظْرُ^(١)
 فقد جعلت أرى الشخصين أربعةً
 والواحدَ اثنين ممَّا بُورِكَ النَّظْرُ^(٢)
 وكنتُ أمشي على رجلين معتدلاً
 فصرت أمشي على رجلٍ من الشَّجَرِ^(٣)
 وقد جعلتُ إِذَا مَا قُمْتُ يُثْقِلُنِي
 ثوبِي فأنهضُ نهضَ الشاربِ السَّكِرِ^(٤)

قوله : « ما للكواعب » استفهامٌ إنكارى ، أنكر إعراض الكواعب عنه ، وهى جمع كاعب ، وهى الشابة التى نتأ ثديها وظهر . وعيساء : اسم امرأة . وازورَّ عن الشيء وتزاور عنه : مال عنه . وتطوى بالبناء للمفعول . ودونى : أمامى . والحجر ، بضم ففتح : جمع حجرة . يريد أنهم لا يقبلن على ويسدُّنْ أَبْوَابَ الحجر أمامى .

وفرَّاج : مبالغة فارح ، من فرجت الباب من باب ضرب ، إِذَا فتحتَه . وذَبَّ الرِّيَادِ ، بالنصب : خبرٌ آخر لكان ، وهو بالذال المعجمة ، أى كثير الحركة والدخول والخروج . يقال فلان ذَبَّ الرِّيَادِ ، إِذَا كان لا يستقرُّ فى موضع . والرِّيَادِ : مصدر راود يراود . وخُولِسَ : مجهول خالس الشيء : فاعَلَ من خلست الشيء ، إِذَا اختطفته بسرعة على غفلة .

(١) هذا البيت لم يرد فى الموشح .

(٢) فى الموشح : « لما بورك البصر » .

(٣) فى الموشح : « متثداً فصرت أمشى على أخرى من الشجر » .

(٤) فى الموشح : « يثقلنى ردئى » .

يريد أن النساء كُنَّ^(١) يتسارقن النظر إلى لحسن وشبابي ، عندما كنت خفيف الحركة . وجعلتُ من أفعال الشروع . وإنما رأى الشخصين أربعة لضعف بصره من شيخوخته وسِنِّه . وقوله : « مما بُورِكَ النظر » تهكم واستهزاء ببصره ، جعل ضعف بصره بركة ، لأنه يُريه الشيء مضاعفاً . ٩٥

وقوله : « على رجل من الشجر » أراد العصا ، فإنَّ الشيوخ يعتمدون عليها في المشي . ويروى : « على أخرى من الشجر » أى على رجلٍ أخرى من الشجر .

وقواه : « إذا ما قمت » ما زائدة وزيادتها بعد أداة الشرط جازماً أو غير جازم مطردة ، حتى نظمها بعضهم بقوله :

خُذْ لَكَ ذِي الْفَسَائِدِ « ما » بعد إذا زائده

وزعم العيني أن ما مصدرية ، وأنَّ التقدير حين قيامي . وقوله : « يثقلني » من أثقله الشيء : أجهده وأتعبه بجعله ثقيلاً . وقوله : « فأنهض » معطوف على يثقلني ، فهو خبر بعد خبر ، لا على جعلت كما زعم العيني ، لوجهين : أحدهما أنَّ النهوض على هذا الوجه مسبَّب عن إثقاله الثوب لا عن الشروع في القيام . وثانيهما : تناسُب المتعاطفين في المضارعة^(٢) وفي السببية : فإنَّ كلا منهما سببٌ للآخر .

وزعم العيني أنَّ التحقيق فيه أنَّه أقام السبب ، وهو الإثقال ، مقامَ المسبَّب ، وهو النهوض نهضَ الشَّارب . هذا كلامه .

(١) ط : « كانوا » ، ش : « كانوا كن » مع وضع خط فوق « كانوا » إشارة إلى خطأ النسخة .

(٢) ش : « في المضارعة » .

وأنهض : أقوم ، وله مصدران أحدهما ما في البيت . والثاني النهوض . ونهض الشارب صفةً مفعولٍ مطلق نائبٍ عنه ، أى فأنهض نهضاً كنهض الشارب . وقال العيني : نهض الشارب منصوبٌ على الإطلاق وهذا لا معنى له ، وكأنه يريد على المفعول المطلق . والسُّكْرُ ، بكسر الكاف : صفة مشبهة من السُّكْر . وكذلك الثَّجِلُّ بكسر الميم صفة مشبهة ، وهو الذى أخذ منه الشراب قواه .

وقافية هذا البيت والذى قبله فيهما إقواء ، بخلاف ما قبلهما ، فإن قافيته مرفوعة .

وعمر بن أحمد الباهلي شاعرٌ إسلاميٌّ تقدّمت ترجمته في الشاهد الستين بعد الأربعمائة ^(١) .

وقال العيني : قائل البيت الشاهد أبو حية النمرى . وقد نسب للحكم بن عبدل الأعرج الأسدي . وليس بصحيح لأنّه لا يوجد في ديوانه .

ويروى الشطر الثاني : « فقامت قيام الشارب السُّكْر » . ومن رواه هكذا الجاحظ (في باب العُرجان من كتاب الحيوان له ^(٢)) ، ونسبه لأبي حية النمرى هكذا ^(٣) :

(١) الخزائن ٦ : ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) الحيوان ٦ : ٤٨٣ - ٤٨٤ . وكلمة « له » ساقطة من ط .

(٣) ط : « لأبي حية النمرى » له هكذا ، تحريف .

وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يوجعني
ظهري فقامتُ قيامَ الشاربِ السكرِ
وكنتُ أمشي على رجلٍ معتدلاً
فصرتُ أمشي على أخرى من الشجرِ^(١)

(١) في الحيوان والموشح : « على رجلين معتدلاً » .

فعل التعجب

أنشد فيه :

(يا ما أَمِيلِحْ غَزَلَانَا شَدَنَّا لَنَا)

تمامه :

(من هَوْلِيَايَكُنَّ الضَّالِّ وَالسَّمْرِ)

وتقدّم الكلام عليه في خواصّ الاسم من أول الكتاب ^(١) :

قيل إنّ هذا البيت من أبياتِ لعلّ بن محمد المغربي ^(٢) . وهو متأخّر ، له قصيدة في مدح علي بن عيسى وزير المقتدر ^(٣) . وقيل المقتدر في شوال سنة عشرين وثلثمائة .

وإنّما أراد التشبّه بكلام العرب . فلا يصحّ الاحتجاجُ به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد السبعائة ^(٤) :

٧٥٦ (وَنَاخُذْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرُ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ)

على أنّ نصب (الظهر) على التشبيه بالمفعول به . ٩٦

أقول : روى ابنُ الناظم وغيره (الظهر) في هذا البيت على ثلاثة أوجه :

(١) الخزانة ١ : ٩٣ - ٩٩ .

(٢) في الخزانة ١ : ٩٨ : « العربي » .

(٣) ط : « ابن المقتدر » ، صوابه في ش ، وما سبق في ١ : ٩٨ .

(٤) التكلة من ش . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ١٠٠ والمقتضب ٢ : ١٧٩ وابن

الشجري ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٤ وابن يمش ٣ : ٤/٥٧٩ : ٤/٥٣٤ : ٦/٨٣ : ٨٥ ،

والأشباه والنظائر ٣ : ١٣٦ والأشئوفى ٣ : ١١ ويس ٢ : ٨٠ وديوان النابغة ٧٥ .

الأول بالنصب ، وهو ضعيف كما قال الشارح المحقق . وقال ابن الحاجب (في أماليه) : ونصب الظهر كنصب الوجه في : مررت برجل حسن الوجه ، وهي لغة فصيحة على التشبيه بالفعل . ومنهم من جعله نصباً على التمييز ، ولا حاجة إليه لكونه معرفة ، والتمييز المنصوب إنما يكون بالنكرة . وفيه ردٌ على من قال إنه تمييز ، كالبيضاوي ، فإنه استشهد به عند قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾^(١) قال : نفسه منصوب على التمييز ، كالظهر في البيت .

الثاني : رفع الظهر على الفاعلية .

الثالث : خفضه بإضافة أجَبَ إليه .

وأما (أجَبَ) فهو مجرور لا غير . قال ابن الحاجب : وأجَبَ مخفوضٌ علامةُ خفضه الفتحة ، صفةٌ لذنبٍ أو عيش . والفتح إنما هو على رفع الظهر ونصبه ، وأما على جرِّه فأجَبَ مجرور بالكسرة للإضافة . وأما قطعه إلى الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أو إلى النصب بتقدير أعنى ، فلا يجوز ، لأنَّ قطع النكرة غير الموصوفة نادر .

وقد خلط العيني ونسب إلى ابن الناظم ما لم يُقله . قال : الاستشهاد في قوله أجَبَ الظهر ؛ فإنه يجوز فيه ثلاثة أوجه : الأول : أجَبَ الظهر برفع أجَبَ ونصب الظهر . وهذا من أقسام الضعيف ، وهو على تقدير : هو أجَبَ .

الثاني : نصب أجَبَ على الحالية ورفع الظهر .

والثالث : جرَّ أجَبَ على الصفة لعيش ، وجرَّ الظهر على الإضافة .

(١) الآية ١٣٠ من سورة البقرة .

هذا كلامه ، وتبعه على هذا خَصْرُ الموصلي (في شرح أبيات التفسيرين) .
وأنشده سيبويه بنصب الظهر بأجب على أَنَّ في أجب تنويناً مقدراً
ولم يظهر ، لأنه لا ينصرف .

والبيت من أبيات النابغة الذبياني ، وهي :

(أَلَمْ أَقِمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرُنِي أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّعْشِ الْهُمَامُ أبيات الشاهد
فَأِنِّي لَا أَلُومُكَ فِي دُخُولٍ وَلَكِنْ مَا وَرَاءَكَ يَاعَصَامُ
فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ
وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذِنَابٍ عِيشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ)

ومن حديث هذه الأبيات أَنَّ النابغة كان عند النعمان ملك العرب
بالحيرة ، كبيراً عنده ، خاصاً به ، وكان من نُدَمائه وأهل أُنسِهِ ، فحُصِدَ
على منزلته منه ، فاتَّهَموه بأمْرِ ذِكْرِنَاهُ في مواضع من هذا الكتاب ^(١) ،
فغضب عليه النعمان وأَرَادَ البطش به . وكان للنعمان بَوَابٌ يقال له
عِصَامُ بن شَهْبَرِ الجَرْمي ، قال للنابغة : إِنَّ النُّعْمَانَ مَوْقِعُ بكَ فَانْطَلِقْ !
فهرب النابغة إلى ملوك غَسَّانَ ملوكِ الشَّامِ ، فكان يمدُّهُمْ وترك النُّعْمَانَ ،
فاشتدَّ ذلك عليه ، وعَرَفَ أَنَّ الذي بلغه كَذِبٌ . فبعث إليه : إِنَّكَ لَمْ
تعتذر من سَخَطِي إِنْ كَانَتْ بِلَغَّتِكَ ، وَلَكِنَّا تَغَيَّرْنَا لَكَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا كُنَّا
لَكَ عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِكَ مَمْتَنَعٌ وَحِصْنٌ ، فَتَرَكْتَهُ ثُمَّ انْطَلَقْتَ إِلَى
قَوْمٍ قَتَلُوا جَدِّي ، وَبَنِي وَبَيْنَهُمْ مَا قَدْ عَلِمْتَ . وَكَانَ النُّعْمَانُ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ
قَدْ أَكْرَمُوا النَابِغَةَ وَشَرَّفُوهُ وَأَعْطَوْهُ مَالاً عَظِيماً . وَبَلَغَ النَابِغَةَ أَنَّ
النُّعْمَانَ ثَقِيلٌ مِنْ مَرَضٍ أَصَابَهُ حَتَّى أُشْفِقَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَأَتَاهُ النَابِغَةُ
فَأَلْفَاهُ مَحْمُولاً عَلَى رَجُلَيْنِ يُنْقَلُ مَا بَيْنَ الْغَمْرِ وَقَصُورِهِ الَّتِي بَيْنَ الْحِيرَةِ ،

(١) انظر منها الخزائنة ٢ : ١٣٦ .

فقال لِبَوَّابِهِ عصام :

ألم أقسم عليك لتخبرنني الأبيات المذكورة .

قال أبو عبيدة : كانت ملوك العرب إذا مريض أحدهم حملته الرجال على أكتافها ، يتعاقبونهم ، لأنه عندهم أوطأ من الأرض . فعافاه الله وعفا عن النابغة .

قال حسان بن ثابت : وفدتُ إلى النعمان فحسدتُ النابغة على ثلاث لا أدرى على أيّتهنَّ كنتُ أحسدُ : أعلى إدناء النعمان له بعد المباحة ومسايرته له وإصغائه إليه ^(١) ، أو على جودة شعره ، أو على مائة بغير من عصافيره أمر له بها ؟

قال أبو عبيدة : قيل لأبي عمرو : أَمِنْ مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه ، أم لغير ذلك ؟ قال : لا لعمر الله ، ما لمخافته فعل ، إن كان إلاّ آمناً من أن يوجّه إليه النعمان جيشاً . وما كان النابغة يأكل ويشرب إلاّ في آتية الذهب والفضّة ، من عطايا النعمان وأبيه وجده ، ولا يستعمل غير ذلك .

وقوله : « ألم أقسم عليك » ^(٢) إلخ هو استفهام تقريرى ، وقوله « لتخبرنني » جواب القسم وقوله : « أمحمول » إلخ خبر مقدّم والهّمam مبتدأ مؤخر ، والجملة في موضع المفعول لتخبرنني . والتحقيق أنّ الواقع مفعولاً محذوف مضاف إلى هذا الاستفهام ، والتقدير : جواب هذا الاستفهام . والنعش : السرير ، كان الرّجال يحملونه على سريرهم في مرضه .

(١) ش : « وإصغاه » ، تحريف .

(٢) في النسختين : « ألم أخبرك » ، والوجه ما أثبت .

وقال العيني : وقيل معنى أمحمول على النعش ، أى هل مات فحُمِلَ على النعش أم لا ؟ انتهى .

(أقول) : هذا كلامٌ من لم يصل إلى العنقود .

والهُمام : الملك العظيم الهمة .

وقوله : « فَإِنِّى لَا أَلُوْمُكَ » إلخ : لا أَلُوْمُكَ فى تركك الإِذْنَ لى فى الانتهاء إلى الملك ، ولكن أَخْبِرْنِى بِكُنْه أَمْرِهِ . ورواه العيني :

* فَإِنِّى لَا أَلَامُ عَلَى دُخُولِ *

وقال : أى لا أَلَامُ على ترك الدخولِ عليه ، لأنِّى محجوب لا أَصِلُ إليه لغضبه على . وهذا خلاف ما رَوَاهُ الناس .

وقوله : « ما وراءك يا عصام » صار مثلاً عند العرب ، وأورده الزمخشري (فى أمثاله ^(١)) قال فيه : هو من قول النابغة ، يضرب فى الاستخبار عن الشيء ، وهو عِصَام بن شَهَبَر الباهلى حاجبُ النُّعْمَان . ومن شعر عصام هذا :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

وَجَعَلَتْهُ مُلْكًا هُمَامَا

والبيت الأول من هذا مثلٌ أيضاً ، يضرب لمن شُرِفَ بنفسه لا بآبائه .

وفى الأمثال أيضاً : « كُنْ عِصَامِيًّا وَلَا تَكُنْ عِظَامِيًّا » ، أى افتخرْ بنفسك لا بعظام آبائك البالية .

قال الزمخشري : وهو عصامُ الخارجي ، وإنما سمته العرب
خارجياً لأنه خرج عن غير أولية كانت له .

ويحكي أن الحجاجَ ذُكرَ عنده رجلٌ بالجهل ، فأراد اختباره فقال :
أعظامي أم عصامي ؟ أراد : أشرُفتَ بآبائك الذين صاروا عظاماً أم
بنفسك ؟ فقال الرجل : أنا عصاميُّ عظامي . فقال الحجاج : هذا أفضلُ
الناس ، فقضى حوائجه ومكث عنده ، ثم فتشه فوجده أجهلَ الناس ،
فقال له : تصدقني أو لأقتلنك ، كيف أجبتني بما أجبتني حين سألتك
عما سألتك ؟ قال : لم أعلم أعصاميُّ خيرٌ أم عظاميُّ ، فخشيت أن أقول
أحدهما ، فقلت كليهما ، فإن ضررتني أحدهما نفعتني الآخر . فقال الحجاج
عند ذلك : « المقاديرُ تُصيرُ العبيَّ خطيباً » .

وقوله : « فأن يهلك أبو قابوس » إلخ هو كنية النعمان ، وقابوس :
معربٌ كاووس ، كطاوس ، اسم أحد ملوكِ الفرس . وقوله : « ربيع
الناس » إلخ يريد أنه كان كالربيع في الخصب لمجتهديه ، وكالشهر
الحرام لجاره ، أي لا يُوصل إلى مَنْ أجاره كما لا يوصل في الشهر
الحرام إلى أحدٍ . والمعنى : إن يمت النعمان يذهب خيرُ الدنيا عنها ،
كانت تعمُرُ به ، وبجوده وعدله ونفعه للناس . ومن كان في ذمته وسلطانه
فهو آمنٌ على نفسه مُحققون الدم ، كما يأمن الناس في الشهر الحرام
على دماهم وأموالهم . وروى بدله : « والنعمُ الرُّكام » بالضم ، أي المتراكمة .

٩٨

وقوله : « وناخذبعده » إلخ الذناب والذنابة بكسرهما ، والذُنَابِي بالضم
والقصر : الذنَب . قال الشنمري : المستعمل للبعير ونحوه الذنَب ،
وللطائر الذُنَابِي ، وللعين ونحوها الذنابة ولما لا خير فيه . والأجَبُّ بالجم :
الجميل المقطوع السنام ، والسنام : حذبة البعير ، يقول : إن مات بقينا

في طرفٍ عيشٍ قد مضى صدره ومُعظمه وخيره ، وقد بقي منه ذنبه ،
ويكون العيش كبعيرٍ قد جُبَّ سَنَامُهُ . يريد : صار الناسُ بعده في أسوأ حالٍ
وأضيق عيشٍ وذُلٍّ ، وتمسَّكوا منه بمثل ذنبٍ بعيرٍ أجَبَ الظَّهْرُ . والسَّنامُ
يستعار كثيراً للعزِّ ، حتى كأنه غلب فيه .

وقد أوردَ أبو القاسم الزجاجيُّ هذه الأبيات الثلاثة (في أماليه
الصُّغرى والوسطى ^(١)) وقال فيهما : أمَّا عصامٌ فحاجب النعمان . يقول :
لا أُلومك إن منعتني من الوصول إليه ، ولكن عرَّفني خبره . وكان الملكُ
إذا مرض يُجْعَل في سريرٍ ويُحْمَل على أكتاف الرجال ، يعلَّل بذلك ^(٢)
ويقولون : هو أرفه له . وأمَّا قوله : ونأخذُ بعده ، فيجوز فيه الرفع والنصب
والجزم . أمَّا الجزم فعلى العطف على قوله يهلك ربيعُ الناس . والرفع على
القطع والابتداء ، والنصب بالصرف على إضمار أن . وكذلك كلُّ معطوفٍ
بعد جواب الجزاء من الأفعال المستقبلية ، تجوز فيه هذه الأوجه الثلاثة .
وقوله « أجَبَ الظهر » يعنى مقطوع الظهر . وهذا تمثيلٌ تشبيه . ويروى :
« أجَبَ الظهر » بخفضهما جميعاً على إضافة أجَبَ إلى الظهر ، ويروى :
« أجَبَ الظهر » بفتح أجَبَ ونصب الظهر على أن يكون موضع أجَبَ
خفضاً ولكنّه لا ينصرف ، وينصب الظهر على التشبيه بالمفعول به
ويضمّر في أجَبَ الفاعل ، كأنه قال : أجَبَ الظهر بالتنوين ، ثم منعه
من التنوين لأنّه لا ينصرف ، وهو في تقدير قولك : مررت برجلٍ
حسن الوجه ، وكثير المال ، وطيب العيش . ويروى : « أجَبَ الظهر » على أنّه
في موضع خفض ورفع الظهر به ، كأنه قال : أجَبَ ظهره ، فأهل الكوفة

(١) انظر ملحقات أمالي الزجاجي ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢) التعليل : الترفيه والتلهية .

يجعلون الألف واللام عقيب الإضافة ، وأهل البصرة يضمرون ما يعلق
الذكر بالأول ، وتقديره عندهم : أجبَّ الظهر منه . انتهى .

وتقدّمت ترجمة النابغة الذبياني في الشاهد الرابع بعد المائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد السبعمئة ، وهو
من شواهد س^(٢) :

٧٥٧ (ولله عينا حَبْتَرٍ أَيْمًا فتي)

على أنه قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب كما هنا فإن فيه
معنى التعجب من الفتوة كما تقول : أي رجل زيد ؟ وقد تضمّنت
أي معنى المدح والتعجب الذي تضمّنته زعمَ وجبًا .

وأي إذا أضيفت إلى مشتق من صفة يمكن المدح بها كانت للمدح
بالوصف الذي اشتق منه الاسم الذي أضيفت إليه . فإذا قلت : مررت
بفارسٍ أي فارس ، فقد أثبتت عليه بالفروسيّة خاصّة^(٣) . وإن أضيفت
إلى غير مشتق فهي للثناء عليه بكل صفة يمكن أن يثنى عليه بها^(٤) ،
فإذا قلت مررت برجلٍ أي رجلٍ فقد أثبتت عليه ثناءً عامًّا في كلّ
ما يُمدح به الرجل .

قال سيبويه : وسألته - يعني الخليل - عن قوله :

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٠٢ . وانظر الكامل ٧٣٥ والعين ٣ : ٤٢٣ والمجم ١ : ٩٣ والدرر

١ : ٧١ والأشموقي ١ : ١٦٨ / ٢ : ٢٦٢ والحامسة بشرح الرزوقي ١٥٠٢ وبشرح التبريزي

٧٥ : ٤ .

(٣) ط : « الخاصة » .

(٤) ط : « يثنى عليها » .

فَأَوْمَاتُ إِمَاءٍ خَفِيًّا لِحَبْتِرٍ وَلِلَّهِ عَيْنَا حَبْتِرٍ أَيُّمَا فَتَى

فقال : أَيُّمَا تكون صفة للنكرة ، وحالاً للمعرفة ، وتكون استفهاماً مبنياً عليها ومبنية على غيرها ، ولا تكون لتبيين العدد ، ولا في الاستثناء نحو قولك : أتونى إلا زيدا . ألا ترى أنك لا تقول له : عشرون أَيُّمَا رجلٍ ولا أتونى إلا أَيُّمَا رجل . والنصبُ في مثله رجلاً كالنصب في عشرين رجلاً . فأَيُّمَا لا تكون في الاستثناء ، ولا يختص بها نوعٌ من الأنواع ، ولا يفسر بها عدد . وأَيُّمَا فتى استفهامٌ . ألا ترى أنك تقول : سبحان الله مَنْ هو وما هو ؟ فهذا استفهامٌ فيه معنى التعجب . ولو كان خبراً لم يجز ذلك ، لأنه لا يجوز في الخبر أن تقول من هو وتسكت . انتهى .

قال النحاس : قد فسر الخليل أَيُّمَا بقوله تكون صفة للنكرة ، كقولك مررت برجل أَيُّمَا رجل ، وحالاً للمعرفة ، أى إن شئت رويت : * فله عينا حبتِرَ أَيُّمَا فتى * .

بالنصب ، أى كاملاً^(١) . ومبنياً عليها ، كقولك أَيُّمَا رجل ، ومبنية على غيرها ، نحو زيد أَيُّمَا رجل ، ولا تكون لتبيين العدد ولا في الاستثناء ، لأنها لم تقو في الصفات . على أن الأخفش قد أجاز ذلك . انتهى .

وقال الأعلم : رفع أَيُّمَا بالابتداء والخبر محذوف ، والتقدير : أى فتى هو ، وما زائدة مؤكدة . وفي أى معنى المدح والتعجب . وصف أنه أمر ابن أخت له يقال له حبتِر ، بنحر ناقة من أصحابه ، لأنه كان في غير محله ليُخْلِيفها عليه إذا لحق بأهله ، وأوماً إليه بذلك حتى لا يشعر به أحد ، ففهم عنه وعرف إشارته لذكائه وحدة بصره . والإيماء . الإشارة بعين أو يد . انتهى .

(١) يعنى فتى كاملاً .

وروى المبرد (في الكامل) الرفع والنصب في أيما فتى في البيت ، قال
عند الكلام على قول ليلي الأنخيلية :

نظرتُ وركنُ من بُوانة دُوننا وأركان حِسْمَى أَيُّ نظرة ناظرٍ

قولها : « أَيُّ نظرة ناظرٌ » يصلح فيه الرفع والنصب على قوله : نظرتُ أَيُّ
نظرة وأَيَّة نظرة ، وأَيُّما نظرة وأَيُّما نظرة ، كما تقول : مررت برجل
أَيُّما رجل . وتَأَوَّلْه : برجل كامل . فَأَيُّما في موضع كامل ، وتقول :
مررت بزيدٍ أَيُّما رجل على الحال . ومن قال أَيُّ نظرة هي فعلى القطع
والابتداء ، والمخرج مخرج استفهام ، وتقديره أَيُّ نظرة ؟ كما تقول :
سبحان الله أَيُّ رجل زيد .

وهذا البيتُ ينشدُ على وجهين :

فأومأتُ إيماء خفياً لحبترٍ ولله عينا حَبْتَرٍ أَيُّما فتى

و « أَيُّما » إن شئتَ على ما فسرنا . انتهى كلامه .

وقد أنشده ابن مالك (في باب الموصول من شرح التسهيل) بنصب
أَيُّما على أَنَّهُ حال من حبتر . وأنكره أبو حيان (في شرحه) وقال :
أصحابنا أنشدوه بالرفع على أَنَّهُ مبتدأ أو خبر مبتدأ ، وقدَرُوهُ أَيُّ
فتى . ولم يذكر أصحابنا كون أَيُّ تقع حالا ، وإنَّما ذكروا لها خمسة
أقسام : موصولة ، شرطية ، واستفهامية ، وصفة لنكرة ، ومنادى .

١٠٠

هذا كلامه على ما ذكره العيني ، وما نقلناه من كلام الأئمة يردّ عليه .

وقول المرادى (في شرحه) تبعاً لأوّل كلام أبي حيان : أنشده المصنف
بنصب أَيُّ على الحال ، وأنشده غيره بالرفع ، يردّه رواية المبرد وغيره .

ولا أكاد أقضي العجب من قول العيني : الاستشهاد فيه أن أياً فيه صفة ، وقد عُلِمَ أنه صفة لمعرفة وحال من نكرة ^(١) ، ولا يضاف إلا إلى نكرة . انتهى .

وهذا من نمط اختراع الخراع ^(٢) الذي صنعه الصفدي ^(٣) وقصد به التحميص ^(٤) .

والبيت من قصيدة للراعي النميري ، وأورد منها أبو تمام (في الحماسة) ثلاثة عشر بيتاً ، وكان نزل بالراعي رجل من بني كلاب في ركب معه ليلاً في سنة مُجدبة ، وقد عَزَبَتْ عن الراعي إبله ، فأشار إلى حبتر بخفية ، فنحر لهم ناقة وأحلَّهم ، وصَبَّحت الراعي إبله فأعطى ربَّ الناقة ناقةً مثلها ، وزاده ناقةً ثنيةً ، فقال هذه القصيدة في هذه القضية .

وهجاه بعضهم في نحر ناقة ضيفه بأبيات ، وأجاب عنها الراعي بقصيدة ، والجميع مذكور في باب الهجاء من الحماسة .

قال الطبرسي (في شرح الحماسة) : حبتر بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وفتح المثناة من فوق هو ابن أخي الراعي ، ومعناه في اللغة القصير من الناس ، وإنما رَسَمَ له عَرَقَتَها في السَّرِّ بعد أن اختارها ، مخافة أن يمتنع صاحبها بما همَّ به فيها . وقوله : والله عينا حبتر ، اعتراض . وإذا عَظَّمُوا الشئ نسبوا إليه إلى الله تعالى . وأيما فتى

(١) في النسختين : « عن نكرة » ، وأثبت ما في العيني .

(٢) كذا في النسختين .

(٣) ش : « الصفدي » ، بالعين المعجمة .

(٤) التحميص ، من الإحماض ، وهو الأخذ في ملح الكلام والحكايات ، ويقال أحض القوم إحماضاً ، إذا أفاضوا فيها يؤنسهم .

ينشد بالرفع والنصب ، فالرفع على تقدير أيما فتى هو . والنصب على الحال . انتهى .

وترجمة الراعي تقدّمت في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السبعمائة ^(٢) :

٧٥٨ (وقد وجدت مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ

فإنْ وجدتَ لسانًا قائلًا فَقُلِ)

لما ذكره من معنى أحسن ، أى صفه بالحسن كيف شئت . فإن فيه منه كلّ ما يمكن أن يكون في شخص . كالبيت : فإن معناه وجدت مكاناً للقول بكثرة ما فيه من المناقب ، فإن كان لك لسان قائل فَقُلْ ما شئت ، أى فليست تحتاج في شيء غائب إلى مدحه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للمتنبّي مدح بها سيف الدولة . وقبله :

(والمدحُ لابن أبي الهيجاء تُنجدُه

بالجاهليّة عَيْنُ العَيِّ والخطَلِ ^(٣))

تُنجدُه : تعينه . والخطَل : اضطراب القول . وهذا تعريضٌ بأبي العباس التّاميّ ^(٤) ، فإنّه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

(٢) ديوان المتنبي بشرح المكبري ٢ : ٦٩ .

(٣) الرواية في الديوان : « عين الغي » بالعين المعجمة المفتوحة ، وهو الضلال .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي ، المعروف بالنّامي ، شاعر رقيق الشعر من أهل المصيصة ، ثغر قريب من طرسوس ، اتصل بسيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة . وله آمال أملاها بحلب . وكانت له مع المتنبي معارضاة اقتضاها اجتماعهما في حلب وقربهما من سيف الدولة . مات في حلب سنة ٣٩٩ . وفيات الأعيان ١ : ٣٨ - ٣٩ .

كانوا في الجاهلية . يقول : إذا مدحته وأعنته بذكر آبائه الجاهليين
كان ذلك عين العي ، ثم وضح ^(١) هذا المعنى وتممه بقوله :

(ليت المدائح تستوفي مناقبه فما كليب وأهل الأعصر الأول)

أى ليت ما مدح به من الشعر استوفى ذكر مناقبه ، ومتى يتفرغ
الشعر لذكر كليب وأهل الدهور السابقة ^(٢) .

(خُذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به

في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَلِ)

يقول : امدحه بما تشاهده واترك ما سمعت ، فإن الشمس تغنيك
عن زُحَل . وجعله كالشمس وآبائه كزُحَل . والمعنى : فيما ^(٣) قُرب منك
عوض عما بعد عنك ، لا سيما إذا كان القريب أفضل من البعيد .

(وقد وجدت مكان القول ذا سعة البيت)

وترجمة المتنبي تقدّمت في الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة ^(٤) .
وهذا البيت إنما أورده لتنظير معنى بمعنى .

(١) وضح ، سقطت من ش ، وكتب الشنقيطى فى هامشها بدلا منها « أكد » مع وضع
علامة إلحاق .

(٢) المكبرى : « أدخل ما عل من يعقل لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه »
ثم قال : « فإ كليب وسائر الملوك الأولين عند ما خلده من الفخر وأبقاه من المكارم » .
وكليب بن ربيعة مضرب المثل فى العزة عند العرب ، يقولون : « أعز من كليب وائل » .

(٣) فى النسختين : « فإ » ، والوجه ما أثبت من شرح المكبرى .

(٤) الخزائن ٢ : ٣٤٧ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » .

أفعال المدح والذم

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد السبعمائة ^(١) :

٧٥٩ نَعِمَ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمُبِيرِ

على أَنَّ طَرَفَةَ استعمل نَعِمَ على الأصل ، بفتح النون وكسر العين .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة يحيى بن وثاب : ﴿ فَنَعِمَ عُقْبَى الدَّارِ ^(٢) ﴾ : أصل قولنا : نَعِمَ الرجلُ زيدٌ : (نَعِمَ) كَعَلِمَ . وكلُّ ما كان على فِعْلٍ وثانيه حرفٌ حلقى فلهم فيه أربع لغات ، وذلك نحو فَخَذَ وَنَغِرَ ^(٣) بفتح الأول وكسر الثانى على الأصل . وإن شئتَ أسكنتَ الثانى وأقررت الأول على فتحه . وإن شئتَ أسكنتَ ونقلت الكسرة إلى الأول . وإن شئتَ أتبعْتَ الكسرَ الكسرَ . وكذلك الفعلُ ، نحو ضَحِكَ ، وإن شئتَ ضَحِكْ ، وإن شئتَ ضَحِكْ ، وإن شئتَ ضَحِكْ ، وفى هذا القول نَعِمَ الرجل ، وإن شئتَ نَعِمَ ، وإن شئتَ نَعِمَ . وفى شئتَ نَعِمَ . فعليه جاء : ﴿ فَنَعِمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ : وأنشدنا أبو على لطرَفَةَ :

(فَفَدَاءُ لِبْنَى قَيْسٍ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ سُرٍّ وَضُرٍّ

مَا أَقْلْتُ قَدَمِي إِنَّهُمْ نَعِمَ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمُبِيرِ)

ورويانا عن قطرب : نَعِمَ الرجلُ زيدٌ ، بإشباع كسرة العين وإنشاء

(١) المقتضب ٢ : ٣٠ والمحتسب ١ : ٣٥٧ والإنصاف ١٢٢ وابن يعيش ٧ : ١٢٧

والجمع ٢٠ : ٨٤ ، وديوان طرفة ٧٣ .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرعد .

(٣) فى النسختين : « ومز » ، تحريف . وليس فى المزملة بهذا الضبط وإنما المزم ، بالفتح ، وبالتحريك فقط ، كما يقال المزمى والمزماء والمميز والأعموز والمغاز ، كما فى اللسان والقاموس . ونص المحتسب : « نحو فخذ ومحك ونغر » . والنفر : الغضببان والغضببان : وهو من نغرب القدر تنفر ، إذا غلت .

بإء بعدها ، كالمطافيل والمساجيد^(١) . ولا بدَّ من أن يكون الأمر على ما ذكرنا لأنه ليس في أمثلة الأفعال (فَعِيلَ) البتة ، انتهى .

وقد بسط القول على نعم وبئس ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) ، وابن الشجري (في المجلس الستين من أماليه) ، وقيد قراءة يحيى بن وثاب بفتح الفاء وسكون العين .

وقوله : « ففداء لبني قيس » إلخ قال شراح أبيات المفصل وغيره :
أى أنا فداء لهذه القبيلة . والسرُّ والضُرُّ بضمهما : السرَّاء والضَّرَّاء .
وما : دَوَامِيَّة . والإقلال : الرِّفْع . وقَدَمِي فاعل أَقَلَّتْ . وروى : « قدمائى »
بالتثنية . وعليهما فمفعول أَقَلَّتْ محذوف ، التقدير أَقَلَّتْنِي . و « إِنَّهُمْ »
تعليل لقوله ففداء . وروى أيضاً :

* ما أَقَلَّتْ قَدَمُ نَاعِلَهَا *

والناعل : لابس النعل ، أى ساتر القدم بالنعل . وروى أيضاً :

* ثم نادوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ *

أى قالوا : هؤلاء القوم هم الذين قال النَّاسُ في حقِّهم : نعم الساعون
هم في الأمر المبرِّ . فالمخصوص بالمدح محذوف . والمبرِّ : اسم فاعل من
أَبَرَّ فلانٌ على أصحابه ، أى غلبهم . أى هم نعم السَّاعُونَ في الأمر الغالب
الذى عَجَزَ النَّاسُ عَنْ دفعه :

هذا ما قالوا ، والمروئى في ديوان طرفة في عدَّة نسخ البيت الأول
كما رواه ابن جني . والبيت الثاني كذا :

(خاليتي والنفسُ قَدِماً إِنَّهُمْ نِعَمَ السَّاعُونَ فِي الْقَوْمِ الشُّطْرُنِ)

(١) في النسختين : « والمساعيد » ، صوابه من المحتسب .

١٠٢

قال شارح ديوانه الأعلم الشنتمري : يقول : نفسي فداءً لبني قيس
على ما أصاب الناس من أمر يسرهم أو يضرهم . والسر والضر : السرّاء ،
والضراء . وقوله : « في القوم الشطر » يعني البعداء من الناس الغرباء . وواحد
الشطر شطير . وأصل الشطير : الناحية ^(١) . وكلُّ من بعد عن أهله فقد أخذ
في ناحية من الأرض . يقول : سعيهم في الغرباء أحسن سعي . انتهى .

وفهم من كلامه أنّ قوله خالتي مبتدأ والنفس معطوف عليه .
وقوله فداءً خبر لهما مقدّم . لكن يُنظر : ما وجه ذكر الخالة ههنا ^(٢) ؟
وقدماً بالكسر : ظرف متعلّق بنعم ، ولا يمنع منه ذكر إنّ المكسورة لأنّه
ظرف اغتفر فيه التقديم .

وقيس : أبو قبيلة الشاعر ، وإثماً جعل نفسه فداءً لبنيه لأنهم .
يتبادرون في إغاثة الملهوف .

وهذا نسب طرفة الشاعر : طرفة بن العبد بن سُفيان بن سعد بن
مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن
بكر بن وائل .

والبيتان من قصيدة طويلة لطرفة تقدّم بعض أبيات منها في باب
اسم الفاعل في الشاهد السابع بعد السّمانّة ^(٣) . وهذه أبيات قبل البيت
الشاهد :

صاحب الشاهد

(١) كذا في النسختين . والمعروف في المعاجم هو الشطر ، بالفتح للناحية . وأما الشطير ،
فهو الغريب والبعيد ، كما يقال لشطر الشيء أي نصفه شطير أيضاً .

(٢) أقول ، أزل الخالة منزلة الأم لأمر ما . وهم ما يفدون بأبائهم وأمهاتهم .

(٣) ط : « الشاهد السادس بعد السّمانّة » ، وعلق ناشرها بقوله : « بهامش الأصل :
السادس صوابه السابع » . وقد وردت الكلمة على الصواب في صلب ش . وانظر الخزانة ٨ :

أبيات الشاهد

(نحنُ في المشتاة ندعو الجفلى
حين قال الناس في مجلسهم
بجفانٍ تعترى ناديتنا
كالجوابي لاتنسى مُترعةً
ولقد تعلم بكرُّ أننا
ولقد تعلم بكرُّ أننا
يكشفون الضرَّ عن ذى ضرهم
فُضِّل أحلامهم عن جارهم
ذُلِق في غارة مسفوحة
نُمسِك الخيل على مكروها
حين نادى الحى لما فزعوا
أيُّها الفتيان في مجلسنا
لا ترى الآدبَ فينا يَنْتَقِرُ^(١)
أُقْتَارُ ذاك أم ريحُ قُطْرُ
من سديفٍ حين هاج الصَّبِرُ
لِقِرَى الأضيافِ أولمُخْتَضِرُ^(٢)
آفةُ الجُزُرِ مساميحُ يُسُرُ
فاضِلُو الرأيِ وفي الرُّوعِ وقُرُ
ويُبرُّون على الآبى المبرُّ
رُحْبَ الأذرعِ بالخيرِ أُمُرُ
ولدى البأسِ حُماةُ ما نَفِرُ
حين لا يُمسكها إلا الصَّبِرُ
ودعا الدَّاعى وقد لجَّ الذُّعُرُ
جَرَّدُوا منها وِراداً وشُقُرُ

ثم وصف الخيل بأبيات تسعة وقال :

(فقداء لبنى قيسٍ على
خالتي والنفسُ قِدمًا إنَّهم
ما أصابَ الناسَ من سُرٍّ وضرٍّ
نِعِمَ السَّاعونَ في القومِ الشُّطُرُ)

قوله : « نحن في المشتاة » إلخ قال شارحه الأعلم الشنتمري :
يريد زمنَ الشتاء والبرد ، وذلك أشدُّ الزمان . والجفلى : أن يعم بدعوته
إلى الطعام ولا يخصَّ واحداً دون آخر . والآدب : الذى يدعو إلى المادبة

(١) ط : « لا ترى الآداب » ، صوابه في ش .

(٢) بعده في الديوان ٦٩ :

ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يخزن لحم المدخر
يخزن كينصر : يفسد ويتغير ، ومثله « يخنز » ، وهى رواية أخرى . وتقبط أيضاً
« يخزن » بالبناء للمجهول ، أى يحفظ ويحرز .

وهي كلُّ طعام يُدعى إليه . والانتقار : أن يدعُو النَّقَرَى : وهو أن يخصَّهم ولا يُعَمِّهم . يقول : لا يُخَصُّ الأَغْنِيَاءُ ومن يَطْمَعُونَ في مكافاته ، ولكنَّهم يُعْمُونَ ، طلباً للحمد ولاكتسابِ المجد .

وقوله : « حين قال الناس » إلخ القُتَار بالضم : رائحة اللحم إذا شُوِيَ . والقُطْر ، بضمّتين : العود الذي يتبخَّر به . يقول : نحن نطعم في شدَّة الزمان إذا كان ريح القُتَارِ عند القوم بمنزلة رائحة العود ، لما فيه ^(١) من الجَهْد والحاجة إلى الطعام . ١٠٣

وقوله : « بجفانٍ تعترى » إلخ أى ندعوهم إلى الجفان . ومعنى تعترى : تليِّمُ به وتأتّيه . والنادى : مجلس القوم ومتحدّثهم . والسَّدِيف : قطع السنام . والصَّنْبِيرُ أشدُّ ما يكون من البرد . قال ابن جني (في الخصائص) الصَّنْبِيرُ بنون مشددة وباء ساكنة . وكان حقُّه إذا نُقِلَت الحركة أن تكون الباء مضمومة ، لأنَّ الراء مرفوعة ، ولكنَّه قدَّر الإضافة إلى الفعل ، يعنى المصدر ، كأنَّه قال حين هَبَج الصَّنْبِيرُ : يعنى أنَّه نقل الكسرة في الوقف إلى الباء الساكنة وسكنت الراء ^(٢) .

قال الدماميني (في الحاشية الهندية) بعد أن نقل هذا الكلام : وهذا من الغرائب ؛ فإنَّ الصَّنْبِير لا شك في كونه فاعلاً بهاج ، لكنَّه أعربه بالكسرة نظراً إلى أنَّ الفعل في معنى المصدر المضاف إلى هذا الفاعل ، ثم نقل الكسرة . وقد نظمتُه لغزاً فقلت :

أيا علماء الهند إنَّي سائلٌ فمُنُّوا بتحقيقٍ به يظهر السرُّ

(١) أى في الشتاء وشدَّة الزمان .

(٢) انظر الخصائص ١ : ٢٨١ . وقد تصرف البغدادى في نقله . وانظر كذلك الخصائص

أرى فاعلاً بالفعل أعربَ لفظه
 بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
 وليس بمحكى ولا بمجاورٍ
 لئذى الخفض والإنسان للبحث يضطرُّ
 فهل من جوابٍ منكم أستفيده
 فمن بحرِكم مازال يُستخرج الثَّرُّ

وقد استشهد الجوهري ببيت طرفه على أنَّ الصَّنْبِرَ بكسر الباء :
 شدَّة البرد ، فجعل الكسرة أصليةً ، وجوز أن تكون الباء ساكنة في الأصل
 ولكن حُرِّكت بالكسر للضرورة . وعلى هذا لا يلغز . انتهى كلامه .
 قال الشُّمْنِي : وقد سُبِقَ الدَّمَامِيَّةُ إلى اللغز في ذلك بِأبي سعيد فرج ،
 المعروف بابن لُبِّ النحوى الأندلسي (في منظومته النونية ، في الألفاظ
 النحوية) فقتال :

ما فاعلٌ بالفعل لكن جرُّه مع السُّكون فيه ثابتان

وفي شرحها : يعنى الصَّنْبِرُ من قول طرفه . ا هـ .

وقوله : « كالجوابى لآتى » إلخ الجوابى : جمع جابية ، وهو الحوض
 العظيم يُجْبَى فيه الماء ، أى يُجْمَع . شَبَّه الجفان بها في سَعَتها وعِظَمها .
 والمترعة : المملوءة . وقوله لا تنى : أى لا تفتقر ولا تزال . والقرى :
 القيام بالضيِّف . والمُحتَضِر : النازل على الماء ، اسم فاعل من احتَضَرَ .
 والمحاضر : المياه ، واحداها مَحْضَر كجعفر . يقول : لا تزال جفاننا
 مترعة لمن جاءنا ضيفاً أو لمن كان حاضراً معنا نازلاً على مائنا .

وقوله : « ولقد تعلم بكر » إلخ ، الجُزُر : جمع جَزور . والمساميح :
 الأسخِيَاء . واليُسُر : الداخلون في اليُسُر . يريد : تفضل آراؤنا وسياستنا

رأى غيرنا ، ولا نخفُّ عند الرُّوع بل نثبُت ونتوقَّر . وقوله : « ويبرُّون »
أى يَغلبون ويظهرون . على الآبى ، أى الممتنع . أى نحن نغلب الآبى
الغالب .

وقوله : « فُضِّلُ أَحْلَامُهُمْ » يقول : إن جهل جارهم حلموا عنه حلماً
فاضلاً ، ولم يكافئوه على جهله . وقوله : « رُحِبُ الأذرع » أى واسع الصدر^(١)
بالمعروف . وأمر : جمع أمُورٍ ، وهو الكثير الأمر .

وقوله : « ذُلِقَ فى غارة » أى مُسرعون إلى الغارة متقدِّمون فيها . وأصله
من ذَلِقَ السَّيْفُ ، إذا كان يخرج من غمده . والمسفوحة : المصبوبة ،
ويقال هى الكثيرة . والحُماة : جمع حامٍ ، وهو الذى يحمى حريمه
وعشيرته .

وقوله : « نمسك الخيل » يقول : نصبر على ارتباط الخيل والقيام
عليها . وقوله : « على مكروها » أى نُمسِكها على شدة الزمان وجُوع الناس
ونؤثرها على أنفسنا . ويحتمل أن يريد نُمسك الخيل على ما نلقاه من
شدة الحرب وجُهدا ، ولا ننهزم . وإنما ذكر مكروه الخيل ، لأنَّها
إذا أصابها مكروه فى الحرب فهم أجدرُّ أن يصيبهم . والبيت الذى
بعده يدلُّ على هذا التفسير الثانى .

١٠٤

وقوله : « وقد لجَّ الذُّعر » أى دام الذُّعر فى القلب واشتدَّ . والذُّعر :
الفرع ، وحرك العين إتباعاً لحركة الذال .

وقوله : « أيُّها الفتيان » إلخ جرّدوا منها وِراداً ، أى ألقوا عنها جلالها

(١) ش : « الصدور » .

وأَسْرَجُوهَا لِلْقَاءِ . وقيل ^(١) الجريدة من الخيل ، وهي التي تُخْتَارُ فَتُجَرَّدُ
أَي تُكْمَشُ فِي مَهْمِّ الْأُمُورِ . وَالْوِرَادُ : جَمْعُ وَرْدٍ . وَشُقْرٌ : جَمْعُ أَشْقَرٍ ،
وَحَرَكُ الثَّانِي إِتْبَاعاً لِلأَوَّلِ .

وتقدّمت ترجمة طرفة بن العبد في الشاهد الثاني والخمسين بعد
المائة ^(٢) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :

(العاطفون تحين ما من عاطفٍ)

تقدّم شرحه مستوفى عليه الكلام ، في الشاهد الحادى والثمانين
بعد المائتين ^(٣) :

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :

(فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَغْنِينِي)

على أَنَّ (ثُمَّ) إِذَا لَحِقَتْهَا التَّاءُ اخْتَصَصَتْ بِعَطْفِ قِصَّةٍ عَلَى قِصَّةٍ .
تقدم هذا من الشارح المحقق في باب المذكر والمؤنث أيضاً . وهو
المشهور . وقد وقع في شعر رُؤْبَةَ عَطْفُ المَفْرَدِ بِهَا ، قال :
فَإِنْ تَكُنْ سَوَاتِقُ الْجِمَامِ ^(٤) سَاقَتَهُمُ لِلْبَلَدِ الشَّامِ
فَبِالسَّلَامِ ثُمَّتَ السَّلَامِ .

(١) ش : « وهى » .

(٢) الخزائن ٢ : ٤١٩ .

(٣) الخزائن ٤ : ١٧٥ - ١٨٢ في الشاهد ٢٨١ ، وعجزه :

* والمطمعون زمان أين المظم *

(٤) ملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ . وفي ط : « فإن يكن » ، صوابه في ش والملحقات .

وقبله :

يا هال ذات المنطق التمام وكفك الخضب البنام

وقول الشارح المحقق: « وقد جَوَّزه ابن الأنباري ولا أدري ما صحته ،
أقول : تجويزه مأخوذ من شعر رؤبة . وحينئذ صحته واضحة .
والمذكور عجز ، وصدْرُهُ :

(ولقد أمرُّ على اللثيم يسْبُقِي)

وتقدم الكلام عليه مراراً ، وأوَّلُ ما ذكر في الشاهد الخامس
والخمسین ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد السبعائة ^(٢) :

٧٦٠ (ماوئى يا ربَّتْما غارةِ شعواء كاللذعةِ بالميسمِ)

على أَنَّ التاءَ لِحِقَتْ (رُبَّ) للإيذان بَأَنَّ مجرورها مؤنثٌ ، وما زائدة
بين ربٍّ ومجرورها ، كما قاله الشارح المحقق في ربٍّ من حروف الجر .
والبيت أوَّلُ أبياتِ أربعةٍ لضمرة بن ضمرة النهشلي ، أوردها
أبو زيد (في نوادره) . وبعده :

(ناهبتها الغنمُ على طيِّعِ أجرد كالقدح من السَّاسِمِ
ماوئى بل لستُ برعيدةِ أبلغ وجَّادِ على المُعْدِمِ
لا وآلتُ نفسُك خلَّيتها للعامريِّينَ ولم تُكَلِّمْ ^(٣)
وماوئى : منادى مرخَّمِ ماوئية ، اسم امرأة . ويا في قوله : (ياربَّتْما)

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ - ٣٥٩ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) نوادر أبي زيد ٥٥ والأزهية ٢٧١ وابن الشجري ٢ : ١٥٣ والإنصاف ١٠٥

وابن يعيش ٨ : ٣١ والمعنى ٣ : ٣٣٠ والمصع ٢ : ٣٨ والأشياء والنظائر ٢ : ٨٥ .

(٣) ضبطت كاف : « نفسك » في النوادر بالكسر ، وكأن الخطاب لماوية المتقدمة الذكر .
ولكن البغدادي قد ضبطها في تفسيره بالفتح ، وجعله دعاء على رجل .

للتنبيه لا للنداء : وفي رواية أبي زيد : « ماوئى بَلْ رَبَّما » ، قال أبو زيد :
الشَّعواءُ : الغارة المنتشرة ، وهى بالعين المهملة . واللَّذعة ، بالذال المعجمة
والعين المهملة ، من لذعته النَّارُ ، إذا أحرقتَه .

هذا ما رواه أبو زيد ، قال العيني : وإنما اللَّذعة بالذال المهملة والغيرين
المعجمة : المِكْوَى . ١٥ .

- ١٥ وهذا معارضة النقل بالرأى . قال أبو زيد : والميسم : ما يؤسم به
البعير بالنار . وقوله : « ناهبتها » جواب ربَّ ، أى نهبت بالغارة الغنم
بالضم ، وهى الغنيمة . والغارة : اسمٌ من أغار القوم إغارة ، أى أسرعوا
فى السَّير . وقوله : « على طيِّع » أى فرس طيِّع ، وهو فيعل من الطَّوع ، وهو
الانقياد . قال أبو زيد : طيِّع : فرسٌ لَيِّن العنان طَوْعٌ . وأجرد ، بالجيم
والراء ، قال أبو زيد : هو قصير الشعر ^(١) . وهو صلبٌ كأنَّه قَدْحٌ من
خشب السَّاسِمِ الآينوس ^(٢) ، وهو السَّاسِم . والقِدَح بكسر القاف : السَّهم
قبل أن يراش ويُنصل . والسَّاسِم ، بسينين مهملتين مفتوحتين ، قال أبو
الحسن الأَخفش (فيما كتبه هنا) : وأنشِدتُ عن ابن الأعرابي : « ناهبتها
الغنمَ على صُنْتُع » ، وزعم أنَّه الصُّلب الشديد ، وهو بضم الصاد المهملة
وسكون النون وضم المثناة من فوق ، بعدها عين مهملة . قال أبو زيد :
رجلٌ رَعِيد ورَعِيدَة ، إذا كان يُرْعَد [عند ^(٣)] القتال . والأبْلخ ،

(١) الذى فى النوادر ٥٦ : « وأجرد قصير الشرة » ، وقداى الغوين يؤثرون
« الشرة » نالتا على « الشعر » مجرداً منها . وفى اللسان : « والشرة : الواحد من الشعر ،
وقد يكتنى بالشرة عن الجمع ، كما يكتنى بالشيبة عن الجنس » .

(٢) الآبنوس بكسر الباء ، كما فى تاج العروس ، وضبطت فى النوادر بضم الباء . والكلمة
دخيلة .

(٣) التكله من ش والنوادر .

بالموحدة والخاء المعجمة ، صفة رَعْدِيْدَة ، قال أبو زيد : المتكبرُ الفخور .
وَوَجَّادٌ بتشديد الجيم ، صفة ثانية لرَعْدِيْدَة . قال أبو زيد : وَجَّادٌ : كثير
الغَضَبِ ، وهو مبالغةُ فاعلٍ من الوجد ، وهو الغضب . ويقال المَوْجِدَة
أيضاً . والمُعْدِمُ : الفقير ، وهو اسم فاعلٍ من أَعْدَمَ فلانٌ ، إذا افتقر .

وقوله : « لا وَأَلَّتْ نَفْسُكَ » إلخ ، هذا دعاءٌ على رجل استأسرَ لأعدائه
دون أن يُجرح . قال أبو زيد : وَأَلَّتْ : نجت . والموتل : المنجى . وتُكَلِّمُ :
تجرح ، بالبناء للمفعول ، من الكَلَّم وهو الجرح .

وضمرة بن ضمرة شاعر جاهليٌّ ، تقدّمت ترجمته في الشاهد الثامن
والثمانين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(يا صاحِباً رُبَّتْ لِنَاسٍ حَسَنٌ يَسْأَلُ عَنْكَ الْيَوْمَ أَوْ يَسْأَلُ عَنْ)
على أَنّه جاء مجرور (رُبَّتْ) مذكراً على خلاف القياس .

وقد تقدّم الكلام عليه ، في باب المذكر والمؤنث ، في الشاهد [الواحد
و ^(٢)] الخمسين بعد الخمسمائة .

وأنشد بعده :

(والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرِ)

على أَنَّ (العائذات) كان في الأصل صفةً للطَّيْرِ فقدّم عليه وصار
الطَّيْرِ بدلاً من العائذات . والعائذات مفعول به للمؤمن ، والمؤمن

(١) الخزانة ٢ : ٣٨ - ٤٠ .

(٢) التكلة من ش . وانظر الخزانة ٧ : ٤٢١ - ٤٢٤ .

معطوفٌ على مُقسم به متقدّم . وقد تقدّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والأربعين بعد الثلاثائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده : وهو الشاهد الحادى والستون بعد السبعائة ^(٢) :

٧٦١ (لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ)

على أَنَّهُ قد يدخل الفعلُ الناسخ على المخصوص بالمدح أو الذم ، سواءً تقدّم المخصوص كما فى المثال ، أو تأخّر كما فى هذا البيت . وأصله لنعم السيدان أنتما ، فدخل عليه الناسخ فصار وجِدْتُمَا ، فضمير التثنية نائب الفاعل لوجد ، وهو المفعولُ الأوّل له . وقوله : « لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ » جواب القسم ، والقسم وجوابه فى موضع المفعول الثانى لوجد .

١٠٦ وكذا إعرابه على مقتضى مختارِ الشارح المحقّق فى جعل المخصوص مبتدأً وجملة المدح أو الذمّ خبره .

و (السَّحِيل) بالمهملتين : الخيط الذى لم يُحْكَمْ فتلّه . و (المبرم) الخيط الذى أُحْكِمَ فتلّه . وأراد بالأوّل الأمر السَّهْلَ ، وبالثانى الأمر الشَّدِيدَ .

والبيت من معلّقة زهير بن أبى سُلمى ، وقد شرحناه مع أبيات منها فى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال ^(٣) .

(١) الخزّانة ٥ : ٧١ - ٧٥ . والبيت بتمامه :

والمؤمن العائذات الطير يسبحها ركبّان مكة بين الفيل والسند

(٢) المجمع ٢ : ٤٢ ، والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥ .

(٣) الخزّانة ٣ : ٣ - ٢٠ .

وقوله : « فيدخله عوامل المبتدأ » يشمل باب كان ، وظن ، وإن وأخواتها .
والأولان جائزان ، والثالث لا يجوز ، فإنه لا يقال : نعم الرجل إن زيدا ، فكان ينبغي أن يقول كما قال ابن مالك (في التسهيل ^(١)) في صورة تأخير المخصوص : « أو أول معمول فعل ناسخ » ليحترز عن إن وأخواتها . ومثال الأول قوله :

لعمري لئن أنزفتُم أو صحتُم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا ^(٢)
وتعميم النواسخ إنما هو في صورة تقديم المخصوص ، كقوله :
إن ابن عبد الله نع م أخو الندى وابن العشيرة ^(٣)
وقول الآخر ^(٤) :

إذا أرسلوني عند تعذير حاجة أمارس فيها كنت نعم الممارس ^(٥)
ومثال ظن نحو : ظننت زيدا نعم الرجل .

• • •

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد السبعمئة ^(٦) :

(والله ما لي ليلى بنام صاحبة) ٧٦٢

(١) التسهيل ١٢٧ .

(٢) استشهد به في همع الهوامع ٢ : ٨٦ .

(٣) لأبي دهيل الجسعي في ديوانه ٩٦ . وانظر الميني ٤ : ٣٥ ، والهمع ٢ : ٨٧ ،
والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥ . وابن عبد الله هذا هو المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ،
كما في نسب قریش ٢٣٤ . وانظر أيضاً العمدة ٢ : ١٢٤ في باب السرقات .

(٤) ليزيد بن الطرية في ديوانه ٤٥ . وانظر الميني ٤ : ٣٤ والهمع ٢ : ٨٧ والهامنة
بشرح الرزوق ١٧٢٥ .

(٥) رواية الديوان والهامنة : « كنت عين المارس » ، فلا شاهد فيه على هذه الرواية .

(٦) الخصائص ٢ : ٣٦٦ وابن الشجرى ٢ : ١٤٨ والإنصاف ١١٢ وابن يمش

٦٢ : ٦٢ والميني ٤ : ٣ والهمع ١ : ٢/١٢٠ والأشئوى ٣ : ٢٧ واللسان (نوم ٧٦) .

على أنَّ حرف الجر داخلٌ على محذوف ، أى بمقول فيه : نام صاحبه ، فحذف القول وبقي المحكى به .

وذهب صاحبُ الباب إلى أنه من باب حذف الموصوف غير القول ، قال : تقديره : بليلٍ نام صاحبه فيه ، فالجرُّ دخل في الحقيقة على الموصوف المقدر لا على الصفة .

وأقول : لا فرق بينهما ، فإنَّ كلاً منهما ضرورةً يختصُّ بالشعر . إلا أنَّ ما ذهب إليه الشارح المحقق أقرب إلى القياس ، وهو قول أبي علي (في التذكرة) ، قال فيها : ومن زعم أنَّ نعم اسمٌ لدخول حرف الجر عليه في قول حسن :

أَلَسْتُ بِنَعَمِ الْجَارِ يُؤْلَفُ بَيْتُهُ أَخَا ثَلَّةٍ أَوْ مُعْدِمِ الْمَالِ مُضْرِمًا^(١)

فلا حجة له فيه ، لأنَّه يقدر فيه الحكاية ، ويلزمه على هذا أن يكون نام اسماً ، كقوله :

وَاللَّهُ مَا زِيدُ بِنَامِ صَاحِبِهِ وَلَا مَخَالِطُ اللَّيَّانِ جَانِبِهِ . ١ هـ

وكذا قال ابنُ الأنباري وابنُ الشجري ، إلا أنَّ روايتهما : « ما ليل بِنَامِ صاحبه » .

ونقل العيني عن ابن سيدة (في المحكم) أنَّ روايته كرواية أبي علي . وقال إنَّه قال : قيل إنَّ نام صاحبه علمٌ رجل . وإذا كان كذلك جرى مجرى شاب قرناها . ثم قال : فإن قلت : إنَّ قوله ولا مخالط اللّيان جانبُه ليس علماً وإنَّما هو صفة ، وهو معطوف على نام صاحبه ، فيجب أن

(١) ديوان حسان ٣٦٩ برواية : « لذى العرف ذا مال كثير ومعدما » . وانظر معجم الشواهد .

يكون قوله : « نام صاحبه » أيضاً صفة . قيل : قد يكون في الجمل إذا سمى بها معاني الأفعال . ألا ترى أن شاب قرناها اسم علم ، وفيه مع ذلك معنى الذم . وإذا كان كذلك جاز أن يكون قوله « ولا مخالط الليان جانبه » معطوفاً على ما في قوله نام صاحبه من معنى الفعل . هذا كلامه .

١٠٧

قال شارح اللباب : الليان بالكسر : الملاينة . وبالفتح : مصدر لان بمعنى اللين . يقال هو في ليان من العيش ، أى في نعم وخفض . اهـ . وروى صدره : (عمرُك ما ليلي) إلخ فيكون عمرُك مبتدأ خبره محذوف ، أى قسمي . وجملة ما ليلي إلخ جواب القسم ، وزيدت الباء في خبر ما . والبيت مع كثرة دورانه في كتب النحو غير معلوم قائله . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(يميناً لنعم السيدانِ وُجدتما على كلِّ حالٍ من سَحِيلٍ ومُبَرَمٍ)
تقدّم شرحه قريباً^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد السبعمائة^(٢) :

٧٦٣ (أبو موسى فجدُّك نعمَ جدًّا وشيخُ الحَيِّ خالكُ نعمَ خالاً)
على أنه قد يكون فاعل نعم ضميراً مفسراً بنكرة ، مع تقدّم المخصوص بالمدح ، كما هنا . فإن «أبو موسى» هو المخصوص ، وفاعل نعم ضمير

(١) هو الشاهد ٧٦١ في هذا الجزء .

(٢) ديوان ذي الرمة ٤٤٣ .

فسرّه بقوله جدًّا . وكذا المصراعُ الثاني، فإنَّ قوله «شيخ الحَيِّ» هو المخصوص وخالك بدلٌ منه ، وفاعل نعم ضمير مفسّر بقوله خالا .

وأما قوله : «فجدُّك» ، تحريفٌ^(١) وقع في نسخ هذا الشرح ، ولم يتنبّه له أحدٌ ، ولا فتش ديوان قائله حتّى يؤخذ الماء من مجاريه .

وقد تمحلّ لإعرابه المولى حسنُ الفناريّ (في حاشية المطوّل) ، وهو معنور . قال : قوله فجدك بدلٌ من أبو موسى ، والأقرب أنَّ أبو موسى مبتدأ فجدُّك خبره . والفاء زائدة في الخبر على ما جوزه الأخفش . أمّا زيادتها في البديل فلم أظفر به ، والمخصوص بالمدح محذوفٌ على قياس : نعم العبد . وهذا أولى لشيوعه .

هذا غاية ما تُكلّف به ، وصوابه : (فحسبك) ، كما هو مسطورٌ في عدّة نسخ^(٢) ديوانِ ذى الرمة .

والبيت من قصيدةٍ طويلةٍ عدَّتْها مائة بيت ، مدح بها بلالٌ بن أبي بردة صاحب الشاهد ابن أبي موسى الأشعريّ .

وليس البيتُ للأخطل كما زعم الشارح ، فإنَّ الأخطل هلك قبل ظهور بلال ، فإنَّ الأخطل كان من شعراء معاويةَ بنِ أبي سفيان ، وبلال كان في زمن عمرَ بنِ عبد العزيز .

والبيت موجودٌ في قصيدةٍ من شعر ذى الرمة . وغالب شعر ذى الرمة في مدح بلال . وقبله :

(١) كذا بإهمال فاء الجواب في النسختين .

(٢) كذا في النسختين بالإضافة .

آيات الشاهد (بني لك أهل بيتك يا ابن قيس) وأنت تزيدهم شرفاً جلالاً
مكارم ليس يُحصيها مدح ولا كذباً أقول ولا انتحالا
أبو موسى فحسبك نعم جداً وشيخ الركب خالك نعم خالا
كان الناس حين تمر حتى عواتق لم تكن تدع الحجالا
قياماً ينظرون إلى بلال رفاق الحج أبصرت الهلالا
فقد رفع الإله بكل أفق لضوئك يا بلال سنا طوالا
كضوء الشمس ليس به خفاء وأعطيت المهابة والجمالا

والجلال ، بضم الجيم : الجليل . ومكارم مفعول بني لك .

وقوله : (أبو موسى فحسبك) إلخ هو أبو موسى الأشعري الصحابي .
وقوله : (فحسبك) الفاء في فحسب زائدة لازمة . وحسب : اسم بمعنى
ليُكف ، كما قال الشارح المحقق في باب الإضافة ، مرفوع بالابتداء :
وخبره محذوف تقديره : هذا النسب ، أو هذا المدح . والجملة اعتراضية
بين المبتدأ والخبر . وقوله (وشيخ الركب) أي القافلة . وروى بدله :
(وزاد الركب) ، ومعناه أنه لا يدع أحداً من الركب يحمل زاد السفرة ^(١) ،
بل هو يُجرى التفقات على جميع من صحبه في السفرة .

ومدحه في هذا البيت بشرف التَّسْبِين : نسب الأب ونسب الأم .

وقوله : « كان الناس » إلخ خبر كأن قوله : « رفاق الحج » في البيت
بعده . وحتى حرف جر غاية للناس ، وما بعدها داخل في المغيا . وعواتق
مجرور بالفتحة ، جمع عاتق ، وهي البنت التي أدركت في بيت أبيها

(١) كذا في النسختين ، والسفرة ، بالضم : طعام المسافر ، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير ،
فتقل اسم الطعام إلى هذا الجلد الذي يبسط ويؤكل عليه .

ولم تكن متزوجة . والحِجَال : جمع حجلة بالتحريك ، وهو بيتها الذى تلازمه ولا تخرج منه . وقياماً منصوب على الحال . أراد : كأنَّ الناس فى حال قيامهم حين يمرُّ بلال ، رفاقُ الحج إذا نظروا إلى الهلال . والسَّنا ، بالقصر : الضوء . والطُّوال : مبالغة الطويل .

وفى هذه القصيدة أبياتٌ آخر شواهدٌ : منها :

(وميَّةٌ أحسنُ الثَّقَلَيْنِ جيداً وسالفةٌ وأحسنهم قَدَلاً)

والقَدَال : ما بين الأذن والنقرة ، وهما قذالان . ومنها :

(سمعتُ النَّاسُ ينتجعون غَيْشاً فقلتُ لصَيْدَحَ انتجِى بِلالاً)

وتقدَّم شرحه فى أفعال القلوب ^(١) .

وقد تقدمت ترجمةُ بلال هذا فى الشاهد الستين بعد المائة ^(٢) .

وترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن من أول الكتاب ^(٣) .

* * *

وأنشده بعده :

(وَيُلْمُهَا رَوْحَةٌ ^(٤))

هو قطعة من بيت ، وهو :

(وَيُلْمُهَا رَوْحَةٌ وَالرَّيْحُ مُعْصِفَةٌ وَالْغَيْثُ مُرْتَجِزٌ وَاللَّيْلُ مُقْتَرَبٌ ^(٥))

(١) فى الشاهد ٧١٩ من هذا الجزء التاسع .

(٢) الخزائن ٣ : ٣٥ .

(٣) الخزائن ١ : ١٠٦ .

(٤) ط : « دوحه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٥) ط : « ويلمها دوحه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وتقدّم شرحه في الشاهد الحادى عشر بعد المائتين (١).

* * *

وأنشد بعده :

(فيالك من ليل)

هذا أيضاً قطعة من بيت ، وهو :

(فيالك من ليل كأنّ نجومه

بكلّ مغارِ الفتل شدّت بيذبل)

وتقدم أيضاً شرحه في الشاهد العاشر بعد المائتين (٢).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد السبعمئة (٣) :

٧٦٤ (نزودّ مثل زاد أبك فينا فنعيم الزادُ زادُ أبيك زاداً)

على أنّه قد يجىء بعد الفاعل الظاهر تمييزٌ للتوكيد .

قال ابن يعيش : اختلف الأئمة في هذه المسألة ، فمنع سيبويه والسيرافى وابنُ السّراج ذلك ، وأجازهُ المبرّد وأبو على . واحتجّ سيبويه بأنّ المقصود من المرفوع والمنصوب الدّلالة على الجنس ، وأحدُهما كافٍ عن الآخر . وأيضاً فإنّ ذلك ربّما أوهم أنّ الفعل الواحد له فاعلان ، وذلك إنّ رفعت اسم الجنس بأنّه فاعل . وإذا نصبت النكرة بعد ذلك أدّنت بأنّ الفعل فيه ضمير فاعل ، لأنّ النكرة المنصوبة لاتأتى إلّا كذلك .

(١) الخزائن ٣ : ٢٧٣ - ٢٧٩ .

(٢) الخزائن ٣ : ٢٦٩ - ٢٧٣ .

(٣) المقتضب ٢ : ١٥٠ والمصانص ١ : ٨٣ ، ٣٩٦ وابن يعيش ٧ : ١٣٢ والمقرب

١ : ٦٩ والتسهيل ١٠٩ والمغنى ٤٦٣ والمبني ٤ : ٣٠ والأشعورى ٢ : ٢٠٣ / ٣ : ٢٤٠

وديوان جرير ١٣٥ .

وحجّة المبرّد في الجواز الغلو في البيان والتأكيد ، والأوّل أظهر . وأمّا بيت جرير ، وهو :

١٠٩

تزوّد مثل زاد أبيك إلخ

فإنّ المبرد أنشده شاهداً على ما ادّعى من جواز ذلك . فإنّ رفع الزاد المعرف باللام بأنّه فاعل نعم ، وزاد أبيك هو المخصوص بالمدح ، وزاداً تمييزاً وتفسير ، فالقول عليه أنا لا نسلم أنّ زاداً منصوب بنعم ، وإنّما هو مفعول به بتزوّد . والتقدير : تزود زاداً مثل زاد أبيك فينا ، فلمّا قدّم صفته عليه نصبها على الحال . ويجوز أن يكون مصدرأ مؤكّداً محذوف الزوائد ، والتقدير : تزوّد مثل زاد أبيك فينا تزوّداً . ويجوز أن يكون تمييزاً لمثل ، كما يقال ما رأيت مثله رجلاً . وعلى تقدير أن يكون العامل فيه نعم فإنّ ذلك من ضرورة الشعر ، ولا يُجعل قياساً . ومثله قول الآخر^(١) :

ذريني أصطبح يا بكرٍ لئنّي رأيت الموت نقبَ عن هشام^(٢)
تخيّره ولم يعدل سيّواه ونعم المرء من رجلٍ تهامى
فقوله : « من رجل » كقوله رجلاً ، لأنّ من تدخل على التمييز .
وذلك كلّ من ضرورة الشعر .

وقال ابن جنّي (في الخصائص) : إنّ الرجل من [نحو] قولهم :
نعم الرجل زيد ، غير المضمر في نعم إذا قلت نعم رجلاً زيد^(٣) لأنّ المضمر

(١) هو بجير بن عبد الله القشيري ، كما في الاشتقاق ١٠١ . وانظر معجم شواهد العربية .

(٢) في الدرر اللوامع ٢ : ١١٣ : « فدعني أصطبح يا بكر » ، وفي الكامل ٣١٤ : « ذريني أصطبح يا سلم » .

(٣) كلمة : « نحو » السابقة ساقطة من ط ، وإثباتها من ش والخصائص ١ : ٣٩٥ .
كما أن كلمة « زيد » هذه ساقطة من ش ، وإثباتها من ط والخصائص .

على شريطة التفسير لا يظهر ولا يُستعمل ملفوظاً به . ولذلك قال سيويه
هذا باب مالا يعمل في المعروف^(١) إلا مضمراً ، أى إذا فُسِّرَ بالنكرة ،
نحو : نعم رجلاً زيد ، فإنه لا يظهر أبداً . وإذا كان كذلك عُلِمَت زيادة
الزاد في قول جرير :

تزود مثل زاد أبيك فينا البيت

وذلك أن فاعل نعم مظهر فلا حاجة به إلى أن يفسر . فهذا يُسقط
اعتراض المبرد على صاحب الكتاب في هذا الموضع . ١٠ هـ .
وهذا جواب خامس .

وقال المرادى (في شرح التسهيل^(٢)) : منع سيويه الجمع بين
التمييز والفاعل الظاهر ، وأجاز ذلك المبرد والفارسي . قال المصنف :
وهو الصحيح . ١٠ هـ . وبالجواز قال ابن السراج . وفصل بعضهم فقال : إن
أفاد التمييز معنى لا يفيدُه الفاعل جاز ، نحو : نعم الرجل رجلاً فارساً
زيد ، وإلا فلا . قال المصنف : والحامل لسيويه على المنع كون التمييز
في الأصل مسوقاً لدفع الإبهام ، والإبهام إذا ظهر الفاعل زائلاً ، فلا حاجة
إلى التمييز . وهذا الاعتبار يلزم منه منع التمييز في كل ما لا إبهام فيه
كقولك : عندي من الدراهم عشرون درهماً . ومثل هذا جائز بلا خلاف . ١٠ هـ .

وما ذكره من أن الحامل لسيويه ما ذكر ليس هو في كتابه . وفرق
بين نعم رجل رجلاً زيد ، وبين : له من الدراهم عشرون درهماً ونحوه ،
بأنَّ عشرين وأمثالها محتاجة إلى التمييز في الأصل ، بخلاف نعم الرجل

(١) في النسختين : « المعروف » ، وأثبت ما في الخصائص وسيويه ١ : ٣٠٠ .

(٢) الملحوظ أن هذا النقل نقل طويل يستمر إلى س ١٦ من ص ٣٩٨ .

زيد . والتمييز مبناهُ على التبيين ، ثم يعرض له في بعض المواضع أنَّ يقتصرن بالكلام ما يُغنى عنه ، فيصير مؤكداً . وقد تأول الفارسيُّ كلامَ سيبويه على أنَّ معناه لا يكون الفاعل ظاهراً حيث يلزم التمييز ، بل الفاعل في حال لزوم التمييز مضمراً لا غير ، وأما مع الظاهر فلا يكون لازماً . وفيه بُعد . واستدلَّ المصنّف على الجواز بالقياس والسماع . أمّا القياس فقال بعد التمثيل بـ « لهُ من الدراهم عشرون درهما » وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ^(١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ^(٢) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ^(٣) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ^(٤) ﴾ . فكما حكم بالجواز في مثل هذا ، وجعل سببَ الجواز التوكيد ، لا رفع الإبهام ، فكذلك يفعل في نحو : نعم الرجل رجلاً . ولا يُمنع ، لأنَّ تخصيصه بالمنع كحكم بلا دليل . هذا لو لم تستعمله العرب ، فكيف وقد استعملته . اهـ .

١١٠

وقد تقدّم ما فرّق به بين ما ذكرته من التمثيل ، وبين نعم الرجل . قال : ومن ورود التمييز للتوكيد لا لرفع الإبهام قولُ أبي طالب :
ولقد علّمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ
من خيرِ أديانِ البريّةِ ديناً ^(٥)
وقول الآخر :

فأما التي خيرها يرتجى فأجود جوداً من اللأفظة ^(٦) اهـ

(١) الآية ٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٥) التسهيل ١٠٩ والعنى ٤ : ٨ والتصريح ٢ : ٩٦ وديوان أبي طالب الورقة ٤ .

(٦) البيت لطرفة كما في العنى ١ : ٥٧٢ . وانظر الأشباه والنظائر ٣ : ٢٨٠ . ولم يرد

البيت في ديوانه .

ولا يتأتَّى ذلك الفرقُ هنا . وأما السَّماعُ فقول جرير :
 والتغلبيون بثس الفحل فحلهم فحلاً وأمهم زلاًءً مِنْطِقٌ^(١)
 وقول جرير أيضاً :
 تزوّد مثل زادِ أبيك البيت
 وأنشد غيرُ المصنّف :

نعم الفتاة فتاةٌ هندُ لو بذلتَ ردَّ التَّحيّةِ نطقاً أو بإيماءٍ^(٢)
 وحكى من كلام العرب : « نِعم القَتيلُ قَتيلاً أصْلح بين بكر
 وتغلب »^(٣) . وهذا واردٌ في الاختيار .

وقد تأوَّل المانعون السَّماع . أمّا فحلاً وفتاةً فعلى الحال المؤكّدة .
 وأمّا زاداً فعلى أنّه مصدر محذوف الزوائد منصوبٌ بتزوّد . وقد حكى
 الفراء استعماله مصدرًا . أو على أنّه مفعول به ، ومثّل منصوب على
 الحال ، لأنّه لو تأخّر لكان صفة . وقال أبو حيّان : وعندى تأويل
 غير ما ذكرّوه ، وهو أقرب . وذلك أنّ يدعى أنّ في نعم وبثس ضميراً ،
 وفحلاً وفتاةً وزاداً تمييز لذلك الضمير ، وتأخّر عن المخصوص على جهة
 الندور . فالقحل والفتاة والزاد هي المخصوصة ، وفحلهم وزاد أبيك
 أبدالٌ من المرفوع قبلها .

هذا ما أورده المرادى ، ولقوائده سُقناه برُمته .

(١) ديوان جرير ٣٩٥ . وهو من شواهد التصريح ٩٦ : ٢ والمع ٢ : ٨٦
 والأشئوفى ٣ : ٣٤ . وفى ش : « نِعم الفحل فحلهم » . وفى حواشيا : « كذا بخط المؤلف ،
 والصواب بثس » .

(٢) العيى ٤ : ٣٢ والمع ٢ : ٨٦ والتصريح ٩٥ : ٢ والأشئوفى ٣ : ٣٤/٤ :

٢٠٣ .

(٣) هو من قول الحارث بن عباد ، يوم قُتِ ، حين قتل ابنه بجير ، وقيل إن بجير ابن
 أخيه . انظر أمالى القالى ٣ : ٢٦ والأغانى ٤ : ١٤٤ . ويروى : « نِعم الغلام غلام » .

صاحب الشاهد : والبيت من قصيدة لجريز مدح بها عمر بن عبد العزيز ، منها :

آيات الشاهد

(وسدت الناس قبل سنين عشر
كذلك أبوك قبل العشر سادا
وثبتت الفروع فمن خضر
ولو لم تُحي أصلهم لبادا^(١)
تزود مثل زاد أبيك فينا البيت
فما كعب بن مامة وابن سعدى
بأجود منك يا عمر الجواد
وتبني المجد يا عمر بن ليلي
وتكفي المُنجل السنة الجمادا^(٢)
يعود الحلم منك على قريش
وتفرج عنهم الكرب الشدا
وتدعو الله مجتهدا ليرضى
وتذكر في رعيّتك المعادا)

وباد : هلك . وأتبع الجواد لموضع عمر ، وهو من شواهد المنادى .
وكعب هو ابن مامة الإيادي ، أحد أجواد العرب . قال الواحدى (في

(١) هذا البيت وسابقه لم يردا في ديوان جريز من قصيدته ١٣٤ - ١٣٧ .

(٢) نسه إلى أم أبيه عبد العزيز بن مروان . وفي ليلي هذه يقول ابن قيس الرقيات (ديوانه

١٥٢ ، والطبرى ٦ : ١٤٥) :

أعنى ابن ليسل عبد العزيز ببايل سيون تغدو جفانه رذما
أما والده عمر بن عبد العزيز فهي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . الطبرى ٦ : ٥٦٦
والجمهرة ١٠٥ والتنبيه والإشراف ٢٧٦ .

أمثاله) : كان كعبٌ فيما يقال ، أجودَ من حاتم الطائي . حُكي أنه خرج في رَكْب وفيهم رجلٌ من النَّمْرِ بن قاسط ، في القيظ ، فضلوا فتصافنوا الماءَ بالمَقْلَة ، ففقد أصحابُ كعبٍ لِشُرْبِ الماءِ ^(١) ، فلما دار القَعْبُ إلى كعبٍ أبصر النَّمْرُ يحدُّ ^(٢) النظرَ إليه ، فأثره كعبٌ بمائه وقال للساقى : « اسقِ أخاك النَّمْرُ يَصْطَبِخُ » فذهبت مثلاً . فشرَبَ النمرُ نصيبَ كعب ذلك اليوم ، ثم نزلوا من الغدِ منزلاً آخرَ فتصافنوا بقيَّةَ ماثم ، فنظر النمرُ إلى كعبٍ كنظره بالأَمْس ، ففعل كعبٌ فعلته بالأَمْس ، وارتحل القوم وقالوا : يا كعبُ ارتحل . فلم يكن به قُوَّةُ النهوض ، وكانوا قد قَرُبوا من الماء ، فقبل : ردَّ كعبُ إنَّكَ ورَّاد . فعمجز عن الإصابة ، فلماً يثسوا منه خيلوا عليه بثوبٍ يمنعه من السَّباع ، وتركوه فمات ، فقال أبوه يبكيه :

١١١

أوفى على الماء كعبٌ ثم قيل له ردَّ كعبُ إنَّكَ ورَّادُ فما ورَّدا

قال : وكان من جوده أنه إذا مات جارٌ أدَّى ديتَه إلى أهله . وإن هلك لجاره بغيرٍ أو شاةٍ أخلفه عليه ^(٣) ، فجاوره أبو دُوَادِ الإيادي فعامله بذلك ، فصارت العرب إذا حَمِدَتْ مستجاراً به لِحُسْنِ جواره قالوا : « كجارِ أبي دُوَادِ » . ومنه قول قيس بن زهير :

سأفعلُ ما بدا لي ثم آوى إلى جارٍ كجارِ أبي دُوَادِ اه

قال المبرد (في الكامل) : والتصافنُ : أن يُطرح في الإناء حَجَرٌ ثم يُصبَّ فيه من الماء ما يغمُرُه لئلاً يتغابنوا ^(٤) . والمَقْلَة : اسمُ ذلك الحجر .

(١) ط : « لِشُرْبِ الماء » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « يحدُّ النظر » ، صوابه في ش .

(٣) ط : « أخلفهما عليه » .

(٤) من التبن ، وأصله في البيع أن يقلبه وينقصه ، والمراد أن يظلم بعضهم بعضاً في القسم .

وابن سُدَى هو (كما في كامل المبرد) : أَوْسُ بن حارثة بن أوس بن حارثة
لَأُمِ الطائي . وكان سَيِّدًا مُقَدِّمًا ، فوفد هو وحاتمُ بن عبد الله الطائيُّ
على عمرو بن هند ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوساً
فقال : أنتَ أَفْضَلُ أُمِ حاتم ؟ فقال : أبَيْتَ اللعن لو مَلَكَني حاتمٌ وولدي
وُلِحمتي لو هَبْنَا في غداة واحدة . ثم دعا حاتماً فقال : أنتَ أَفْضَلُ أُمِ
أوس ؟ فقال : أبَيْتَ اللعن ، إِنَّمَا ذُكِرْتَ بِأَوْس ، وَلَأَحَدُ وَلِدِهِ أَفْضَلُ
مَنِي . وكان النُّعْمَانُ بن المنذر دعا بِحُلَّةٍ وعنده وفودُ العرب من كلِّ
حَيٍّ ، فقال : احضُرُوا في غَدٍ فَإِنِّي مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أَكْرَمَكُم . فحضر
القومُ جميعاً إلا أوساً ، فقيل له : لم تتخلَّف^(١) ؟ فقال : إن كان المراد
غيري فأَجْمَلُ الأشياءِ أَن لا أَكون حاضراً ، وإن كنت المرادَ فسأُطَلَّبُ
ويُعرَفُ مكاني . فلَمَّا جلس النُّعْمَانُ لم ير أوساً فقال : اذهبوا إلى أوس
فقولوا له : احضُر آمناً ممَّا خِفْتَ . فحضرَ فألبسه الحُلَّةَ ، فحسده قومٌ
من أهله فقالوا للحطيئة : اهْجُوه ولك ثلثائة ناقة . فقال الحطيئة : كيف
أهجو رجلاً لا أرى في بقي أثنائاً ولا مالاً إلا من عنده ؟ ! ثم قال :

كَيْفَ الهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحَةٌ

مِنْ آلِ لَأُمٍ بظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِي

فقال لهم بِشْرُ بن أَبِي خازم ، أحد بني أسد بن خزيمه : أَنَا أَهْجُوهُ
لكم . فَأَخَذَ الإِبِلَ وفعل ، فَأَغَارَ أَوْسٌ عليها فَاكْتَسَحَهَا ، فجعل لا يستجير
حَيًّا إلا قال : قد أَجْرَتَكَ إلا من أَوْس . وكان في هجائه قد ذكر أُمَّه ،
فَأَتَيْنِي به فدخل أَوْسٌ على أُمَّه فقال : قد أَتَيْنَا ببشر الهاجِي لكِ ولي .

(١) الذي في الكامل ١٢٣ : « لم تخلت » .

قالت : أَوْ تُطِيعَنِي ؟ قال : نعم . قالت : أَرَى أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ وَتَعْفُوَ عَنْهُ وَتَحِبُّوهُ ، وَأَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَغْسِلُ هِجَاءَهُ إِلَّا مَذْحُهُ . فخرج فقال : إِنَّ أُمَّي سَعْدَى الَّتِي كُنْتُ تَهْجُوها قَدْ أَمَرْتُ فَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا ! فقال : لَا جَرَمَ ، وَاللَّهِ لَا مَذْحْتُ حَتَّى أَمُوتَ أَحَدًا غَيْرَكَ . ففيه يقول :

إِلَى أَوْيسَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ لِيَقْضَى حَاجَتِي فَيَمُنَّ قَضَاهَا
فَمَا وَطِئُ الثَّرَى مِثْلُ ابْنِ سَعْدَى وَلَا لَيْسَ النُّعَالَ وَلَا احْتِذَاهَا
• • •

وأنشد بعده :

١١٢

(أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاغُ الثَّنَابَا)

على أَنَّ الموصوف محذوف وصفته جملة فعلية ، وهي (جلا) على أَنَّهُ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر فيه ، والتقدير : أَنَا ابْنُ رَجُلٍ جَلَا الْأُمُورَ وَكَشَفَهَا .

وهذا أَحَدُ التَّخْرِيجِينَ فِي الْبَيْتِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُمَا مَشْرُوحِينَ فِيمَا لَا يَنْصَرَفُ ^(١) ، وَفِي النَّعْتِ ^(٢) .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد السبعمئة ^(٣) :

٧٦٥ (نِعَمَ الْفَتَى فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ)
على أَنَّ المخصوص بالمدح محذوف ، وهو موصوف بجملة أُقيمت مقامه ، تقديره : نعم الفتى فتىً فَجَعَتْ بِهِ إلخ .

(١) الخزانة ١ : ٢٥٨ - ٢٦٠ .

(٢) الخزانة ٥ : ٦٤ - ٦٥ .

(٣) المقدم ٢ : ٣١٥ وسجع المرباني ٢٤٥ والجملة ٨٠٨ بشرح المرباني .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة ^(١)) : الهاء فى به عائدة على موصوف محذوف ، أى نعم الفتى فتى فجعت به حوادث الأيام . (يوم البقيع) ظرف ، ويجوز أن تنصبه على أنه فى المعنى مفعول به ، لأن الفعل فى هذا النحو يُسند إلى ظرف الزمان ، نحو قولك : شفىنى يوم كذا ، وسرتنى وقت كذا ، فتنسب الفعل إلى ذلك اليوم والوقت . ا هـ .

وقال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : جملة فجعت به إلخ صفة فتى محذوف ، وهو المخصوص بالمدح خصصته حتى صار كالمعرفة . والحذف فى مثل هذا إنما يصلح إذا كان الممدوح مشهور البيان . ويوم البقيع ظرف منصوب . وحوادث الأيام فاعل فجعت . والفجعة ^(٢) : الرزية . وفجعه فجعا من باب نفع ، فهو مفجوع ، فى ماله وأهله .

والبیت أول أبيات ثلاثة لمحمد بن بشير الخارجى ، أوردها صاحب الشاهد أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وبعده :

(سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَّتْ بِبَابِهِ طَلَقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ أَيْتُ الشَّاهِدِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ ^(٣))

وقال الطبرسى : سهل الفناء : خبر مبتدأ محذوف ، وجعل فناءه سهلاً للزوار والمُفعاة ، وذلك مثل ^(٤) ، لكثرة إحسانه إليهم . وقوله . « مؤدب الخدام » تنبيه على اقتدائهم بمولاهم فى تفقد الزراد وإكرامهم ، والسعى

(١) إعراب الحماسة الورقة ١١٥ .

(٢) ط : « والفجة » ، صوابه فى ش .

(٣) فى الحماسة : « شقيقه وصديقه » .

(٤) ط : « ميل » ، صوابه فى ش .

في أمورهم . والشقيق من إخوان الولادة . والصديق من إخوان المودة .
يقول : لا يتميز صديقه عن شقيقه في شمول تفقده لهما وتساويهما في
المجد عنده . وهذا هو الغاية في الكرم .

ومحمد بن بشير الخارجي : شاعرٌ إسلاميٌّ تقدّمت ترجمته في
الشاهد الثلاثين بعد السبعمئة^(١) ، وهو من خارجة عدوان : قبيلة . وليس
من الخوارج .

ونقل ابنُ خلّكان في ترجمة يزيد بن مزيد الشيباني أنّ المرزباني ذكر
(في كتاب معجم الشعراء) أنّ هذه الأبيات لعُمير بن عامر^(٢) ، مولى
يزيد بن مزيد الشيباني ، رثى بها سيّده .

ورأيت أنا (في العقد الفريد لابن عبد ربه) هذه الأبيات منسوبةً
لإبراهيم بن هرمة^(٣) . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد السبعمئة^(٤) :

٧٦٦ (نِعمَ الفَتَى المُرّى أَنْتَ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(نِعمَ الفَتَى المُرّى أَنْتَ إِذَا هُمُ

حَضَرُوا لَدَى الحُجُرَاتِ نَارَ المَوْقِدِ)

(١) الخزانة ٢١٦ : ٩ . وفي ط : « الشاهد السابع والعشرين بعد السبعمئة » ، صوابه في ش .

(٢) كنيته أبو البله ، كما في معجم المرزباني .

(٣) انظر ديوان ابن هرمة ٢٧٩ .

(٤) الأصول لابن السراج ١ : ١٤٢ والمفني ٥٨٧ والمفني ٤ : ٢١ والأشعري ٣ : ٣١

وديوان زهير ٢٧٥ .

١١٣

على أنه يجوز وصف فاعل نعم ، فإنَّ المرئى صفة الفتى لا بدلٌ منه ،
خلافاً لابن السَّراج ، كما بيَّنه الشارح المحقق .

وهذه عبارة أبي بكر بن السَّراج (فى الأصول) : ولا يجوز توكيد
المرفوع بنعم . قالوا : وقد جاء فى الشعر منعوتاً . وأنشدوا :

نعم الفتى المرئى أنت البيت

وهذا يجوز أن يكون بدلاً غير نعت ، فكأنَّه قال : نعم المرئى
أنت . ١ هـ .

وقد نقله أبو على عنه (فى تذكيرته) وأقرَّه ، قال : قرئ على
أبي بكر من الأصول : « نعم الفتى المرئى أنت » البيت ، قال أبو بكر :
حَمَلَهُ قَوْمٌ عَلَى الصِّفَةِ ، وهو عندنا على البذل ، لأنَّ وصفه قبيح . قال
أبو على : لأنَّ فاعل نعم إذا كان ظاهراً فالمقصودُ به الجنس ، وليس بعد
الجنس شيءٌ يُلْبِسُ فيفصل بينهما . هذا كلامه .

وردَّ عليهما الشارحُ المحقِّقُ بأنَّ هذا المنع ليس بشيء ، لأنَّ الإيهام
مع مثل هذا التخصيص باقٍ . وهو فى مثل هذا الردِّ والتوجيه تابع لابن
جنى ، فإنَّه قال فى بيت الحماسة ، ليزيد بن قُنافة :

لعمري وما عمرى على بهين لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم^(١)

قال أصحابنا فى قول الشاعر : « نعم الفتى المرئى أنت » إنَّ المرئى
بدلٌ من الفتى ، قالوا : وذلك أنَّ فاعل نعم وبئس لا يجوز وصفه ، من
حيث كان واقعاً على الجنس ، والجنس أبعدُ شيء عن الوصف ؛ لفساد

(١) الحماسة ١٤٦٤ بشرح المزدوق .

معناه ، فلماً كان كذلك عدلوا به عن الوصف إلى البديل . فقياس هذا أن يكون المدعو بدلاً من الفتى . وأمّا أنا فأجيزه^(١) . وذلك أن يكون المدح والتفضيل إنما وقع على أن يُفضل حاتم على الفتيان المدعويين بالليل^(٢) ، أى فاق حاتم جميع الفتيان المدعويين بالليل ، ولم يرد أن يفضلّه على جميع الفتيان عموماً^(٣) . ولو أراد ذلك لما جازت الصفة ، ولكنه وصف الفتى وفضل حاتماً على جميع الفتيان المدعويين بالليل . وكذلك تقول : نعم الرجل الطويل زيد ، أى فاق زيد في الرجال الطوال خاصة . وهذا معنى مع أوّل تأمل يصح^(٤) . انتهى كلامه .

ولا بأس بإيراد كلام المرادى (فى شرح التسهيل) ، فإن فيه فوائد .

قال بعد قول التسهيل : « ولا يؤكّد فاعلها توكيداً معنوياً باتفاق » ما نصّه : لأنّ القصد بالتوكيد المعنوى رفع توهم إرادة المخصوص ممّا ظاهره العموم ، أو رفع توهم المجاز ممّا ظاهره الحقيقة ، وفاعل نعم وبئس فى الغالب بخلاف ذلك ، لأنّه قائم مقام الجنس إن كان ذا جنس ، أو مؤوّل بالجامع لأكمل خصال المدح اللائقة بسمّاه إن كان فاعل نعم ، وبالجامع^(٥) لأكمل خصال الذمّ إن كان فاعل بئس ، والتوكيد المعنوى منافٍ للقصدين فاتفق على منعه . وعلى القول بأنّ آل عهديّة فقد يمكن

(١) فى إعراب الحاشية الورقة ٢٠٧ : « فأجيز جوازاً حسناً أن يكون المدعو وصفاً للمعنى » .

(٢) الذى فى إعراب الحاشية : « وذلك أن يكون الذمّ إنما وقع على أن يحط حاتم عن الفتيان المدعويين بالليل » . وبعده : « أى انحط حاتم عن جميع الفتيان عموماً » . وهذا هو الوجه فى تخريج بيت يزيد بن قنافة .

(٣) انظر الحاشية السابقة . ولعل نسخة البغدادى من إعراب الحاشية ناقصة الجودة .

(٤) فى إعراب الحاشية : « يصح ويصح » ، ولعل صوابه « يضح ويضح » الأول من الوضوح ، والثانية من الصحة .

(٥) ش : « والجامع » .

أن يجوز توكيده توكيداً معنوياً لانتفاء المانع. قال في الشرح : وأما التوكيد اللفظي فلا يمتنع لك أن تقول نعم الرجل الرجل زيد . ٥١ . قيل : وينبغي أن لا يُقدّم على جواز ذلك إلاّ بسماع ، لأنّ باب نعم وبئس له أحكام مغايرة ، وأما النعت فلا ينبغي أن يمتنع على الإطلاق ، بل يمنع إذا قصد به التخصيص مع إقامة الفاعل مقام الجنس ، لأنّ تخصيصه حينئذ منافٍ لذلك القصد . وإذا تُؤوّل بالجامع لأكمل الخصال فلا مانع من نعته حينئذ ، لإمكان أن ينوى في النعت ما يُنَوّي في المنعوت . وعلى هذا يُحمل قول الشاعر :

نعم الفتى المرئى أنت البيت

وحمل ابن السّراج وأبو عليّ مثل هذا على البدل ، وأبيّنا النعت . ١١٤
ولا حجة لهما . ٥١ .

قيل : أمّا منع وصفه فهو قول الجمهور . وقال بعضهم : لا يجوز عند البصريين . ٥١ .

وأجاز أبو الفتح في بيت الحماسة :

* لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم *

أن يكون المدعو وصفاً للفتى . ومقتضى سكوت المصنّف عن البدل والعطف جوازهما . قيل : وينبغي أن لا يجوز منهما إلاّ ما يباشره نعم وبئس . انتهى كلام المرادى .

والبيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى عدتها سبعة وعشرون بيتاً ، صاحب الشاهد مدح بها سنان بن أبي حارثة المرئى ، بدأ بذكر حبيبتة سلمى ، ثم انتقل إلى وصف ناقته إلى أن قال :

آيات الشاهد

(وَتِيَمَّمَتْ غُرُضَ الْفَلَاةِ كَأَنَّهَا
وإلى سنانٍ سيرُها ووشيجُها
نعم الفتى المرئى أنت إذا همُ
خَلِطُ أَلُوفٍ لِلْجَمِيعِ بَيْتِهِ
يَسِطُ الْبُيُوتَ لَكِي يَكُونَ مَظَنَّةً
من حيثُ توضع جَفَنَةُ الْمُسْتَرْفَدِ
غَرَاءَ من قِطْعِ السَّحَابِ الْأَقْهَدِ
حَتَّى تَلَاقِيَهُ بِطَلْقِ الْأَسْعَدِ
حَضَرُوا لَدَى الْحُجُرَاتِ نَارَ الْمُوقِدِ
إِذْ لَا يَحُلُّ بِحَيَزةِ الْمُتَوَحِّدِ

قوله : « وَتِيَمَّمَتْ غُرُضَ الْفَلَاةِ » الخ تِيَمَّمَتْ : قصدت ، وفاعلها ضمير الناقه . وَالْغُرُضُ بالضم : الجانب . وَالْغَرَاءُ : البيضاء . وَالْأَقْهَدُ : الأبيض من كلِّ شيء . أَى كَأَنَّ الناقهَ سحابةً بيضاءَ فى سُرْعَتِهَا . وَالسَّحَابَةُ البيضاءُ أَخْفُ وَأَسْرَعُ ذَهَابًا ، لِقَلَّةِ مَائِهَا .

وقوله : « إِلَى سِنَانٍ سَيْرُهَا » هو سنان بن أبى حارثة بن مُرَّة بن نُشْبَةَ بن غَيْظ بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وكان زهيرٌ مادحًا لسنان هذا ولابنه هرم بن سنان المرئى الذبياني ، وغالب مدحه فى ابنه هرم . ووشيجها بالشين المعجمة والجيم ، قال شارح ديوانه صَعُودًا : الْوَشِيجُ : سيرٌ خفيفٌ ، هو أَلَيْنُ سِيرِ الْإِبِلِ ^(١) ، وسير النجائب . وَطَلَّقَ : سَلِمَ من كلِّ سوءٍ ومكروه ، يقال يومٌ طَلَقٌ وَلَيْلَةٌ طَلَقَةٌ : ليس فيها حرٌّ ولا بردٌ ولا مكروه . وَالْأَسْعَدُ : جمع سَعْدِ النجوم .

وقوله : « نَعَمْ الْفَتَى الْمُرْيَى » ، منسوبٌ إلى مُرَّة أحد أجداده القريب أو البعيد . وَأَنْتَ هو المخصوص بالمدح . وَإِذَا ظَرْفِيَّةٌ ، وَهْمٌ فاعِلٌ لفعل محذوف يفسره ما بعده ، كقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ^(٢) ﴾ . وَهْمٌ

(١) رواية الديوان : « ووشيجها » بالشين المهملة ، وفى شرحه : « الوسيج : ضرب من السير » . وهذا هو الصواب إن شاء الله ، فليس فى المأجم المتداولة أن « الوشيج » بالشين المعجمة ضرب من السير .

(٢) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ضمير الوفود والضيوف . ولدى ظرف متعلق بحضروا . والحجرات
بضميتين قال شارحه : هي حجرات الأضياف . يريد البيوت التي تنزل
فيها الضيوف . ونارَ : مفعول حضروا . والموقد : اسم فاعل ، قال شارحه :
هو الذي يُوقد ليستدلَّ الغرباء والعفاة بناره فيأتونه . يريد أنه أشدُّ
الناس إكراماً لضيوفه إذا حضروا دارَ ضيافته واستدلُّوا عليها بالنار
التي يُوقدها خادمه ليُقبل عليها مَنْ رآها . وقال العينى : إذا للمفاجأة ،
وهم مبتدأ وحضروا خبره . والحجرات : جمع حجرة ، وهي شدة الشتاء .
هذا كلامه ، وكأنه لم يفهم معنى البيت . والحجرات بالمعنى الذى ذكره
بفتحتين .

وقوله : « خَلِطُ أَلُوفٍ » إلخ خَلِطَ بِكسر اللام ، بمعنى مَخَالَطَ للناس
ومُعَاشَرَهُمْ وله أَلُفَةٌ بهم في بيته . والمتوَحَّد : المنفرد عن الحى ينزل بعيداً
منهم حتى لا يَقْصِدَهُ ضَيْفٌ . والحَيْزَةُ ، بفتح الحاء المهملة ، قال شارحه :
هو الموضع الذى انحاز إليه لثلاً يعرف العفاة والضيوف موضعه ، وهذا
أشدُّ شَيْءٍ تَسَبُّ الْعَرَبُ بِهِ الرَّجُلَ . يقول : سنان يألف الحى وينزل بينهم :

وقوله : « يَسِطُ الْبُيُوتِ » إلخ هو مضارع وَسَطَ وَسَطًا . قال الأصمعى :
يسط البيوت : ينزل وسطها . والمَظَنَّةُ ، قال شارحه : هو الموضع الذى
لا يُشَكُّ فيه . والعرب تقول : اطلب الأمرَ فى مظانِّه ، أى فى الموضع
الذى لا يُشَكُّ^(١) . والظنُّ يكون يقيناً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَأَى
الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾^(٢) فَأَيُّ ظَنٍّ يكون بعد المعاينة

(١) أى لا يشك فيه ، وفى ش : « تشك » . والمظنة بكسر الظاء ، قال ابن الأثير : « وكان
القياس فتح الظاء ، وإنما كسرت لأجل الهاء » . يريد أنه ليس موضعاً عاماً فيجرى على القياس .
وانظر شرح الشافية ١ : ١٨٤ - ١٨٥ .
(٢) الآية ٥٢ من سورة الكهف .

وقد أيقنوا ؟ ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ^(١) ﴾ ، أى أيقن بما فتناه وخرَّ عند اليقين . وهذا كثيرٌ فى كلامهم ومنه قوله تعالى : ﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ^(٢) ﴾ ، أى موقنون . والمسترفد : الذى يطلب الرِّفْدَ ، وهو الثَّيْلُ والعطاء . والجَفْنَةُ : القَصْعَةُ التى يُطْعَمُ فيها الطَّعام .

وترجمة زهير تقدّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة ^(٣) .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد السبعمئة ^(٤) :

٧٦٧ (فَنِعَمَ مَزَكَاً مَنْ ضَاقَتْ مَزَاهِبُهُ

وَنِعَمَ مَنْ هُوَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ)

على أن (مَنْ) الثانية موصولة بمعنى الذى ، وقعت فاعلاً لنعم عند أبى على والمبرد ، وهو مبتدأ وخبره محذوفٌ تقديره مثله ، والجملة صلة مَنْ ، والمخصوص بالمدح محذوف ، تقديره : بِشَرٍّ .

وأما قوله : فى سر وإعلان ، فهو متعلّق بنعم ، ولا يجوز أن يتعلّق بمحذوف على أنه خبر هو ، الواقع صلة الموصول ، لما بيّنه أبو على .

وقد بسط الكلام على هذا المصراع فى احتمال وجوه ثلاثة لَمَنْ ، فلا بأس بنقل كلامه ، قال (فى كتاب الشعر) : قال الشاعر :

(١) الآية ٢٤ من سورة ص .

(٢) الآية ٤٦ من سورة البقرة .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .

(٤) المغنى ٣٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، والعين ١ : ٤٨٧ والمص ١ : ٩٢/٢ : ٧٦ والأشعوفى

١ : ١٥٥ واللسان (زكاً ٨٤) .

(وكيف أَرَهَبُ أَمراً أو أَرَأُ له
وقد زَكَاتُ إلى بشرِ بنِ مَرْوانِ
فنعمَ مَزْكَاً مَنْ ضاقتْ مَذاهُهُ
ونعمَ مَنْ هُوَ في سِرٍّ وإِعلانِ)

القول في الظَّرْف أَنَّهُ يتعلق بنِعَمَ ، وذلك لِأَنَّهُ لا يخلو من أن يكون
خبر هو في الصَّلَة ، أو يكون متعلّقاً بنعم . فلا يجوز أن يكون متعلّقاً
بمحذوف على أن يكون في موضع خبر هو التي في الصَّلَة ، لِأَنَّ التقدير
قبل كون الكلام صلة يكون: هو في سر وإعلان، وهذا لا معنى له . فَإِذَنْ
المعنى كَرُمَ هذا الإنسانُ في سرِّهِ وعلانيته ، أى ليس ما يفعله من الخير
لتصنُّع^(١) ، فيفعلُ الخير في السرِّ كما يفعله في العلانية . وإذا كان كذلك
احتاج « هو » إلى جزء آخر حتّى تستقلَّ الصلة ، وذلك الجزء ينبغي
أن يكون الذى هو مثله ، ولا يكون الذى هو هو ، لتكون الصلة شائعة
فلا تكون مَنْ مخصوصة ، لِأَنَّها فاعل نعم . فإن قُدِّرَت الذى هو هو
وأنت تريد الذى هو مثله فتحذف المضاف فيصير الذى هو هو معناه
مثله جاز أيضاً . وقد يجوز في القياس أن تجعل مَنْ نكرة . فإذا جُعِلَتْ
نكرة احتاجت إلى صفة ، فتكون الجملة التي قُدِّرَتها صلة لها مقدّرة صفة ،
ويكون المقصود بالمدح مضمرأ ، لِأَنَّ ذكره قد جرى كما جرى ذكر
أيوب قبل قوله تعالى: ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ^(٢) ﴾ فاستغنى عن ذكر ما يخصّه بالمدح
وإظهاره . ويجوز في القياس أن تجعل مَنْ نكرة ولا تجعل له صفة
كما فعل ذلك بما ، في قوله تعالى: ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ^(٣) ﴾ . فإذا جعلتها كذلك

(١) لتصنع ، أى بسببه . وكذا وردت باللام في النسختين .

(٢) الآية ٣٠ من سورة ص .

(٣) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

كان كأنه قال : فنعم رجلاً ، فيكون موضع مَنْ نصباً ويكون هو كناية عن المقصود بالمدح . ووجه القياس في الحكم على مَنْ أنها نكرة غير موصوفة أنهم جعلوا ما بمنزلة شيء ، وهو أشدُّ إشاعة وإبهاماً مِنْ مَنْ . فإذا جازَ أن لا توصف مع أنها أشدُّ إبهاماً من مَنْ كان أن لا توصف مَنْ أجوزَ ، لأنها أخصُّ منها ، فيصير كأنه قال : نعم رجلاً هو ، لأنها تخصُّ الناس ومَنْ أشبههم ، كما كانت ما تعمُّ الأشياء . إلا أننا لم نعلمهم في الاستعمال تركوا مَنْ بغير صفة كما تركوا ما غير موصوفة في الخبر ، نحو التعجب والآية التي تلونها . انتهى كلام أبي على .

وقد نسب ابن هشام (في المغني) هذا التخريج الأخير إلى أبي على ، ونسب الأول إلى غيره . قال في بحث مَنْ ، وفي الباب الثالث : إن مَنْ تأتي نكرة تامة عند أبي على ، قاله في قوله :

* ونعم من هو في سر وإعلان *

فزعم أن الفاعل مستتر ومَنْ تمييز ، وقوله هو مخصوص بالمدح ، فهو مبتدأ وخبره ما قبله ، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف . وقال غيره : مَنْ موصولٌ فاعل ، وقوله هو مبتدأ خبره هو آخر محذوف ، على حد قوله :

* وشعري شعري^(١) *

والظرف متعلق بالمحذوف لأن فيه معنى الفعل ، أي ونعم مَنْ هو الثابت في حالتَي السر والعلانية . قلت : ويحتاج إلى تقدير « هو » ثالث يكون مخصوصاً بالمدح . انتهى .

(١) لأبي النجم المجل ، وهو الشاهد ٧١ في الخزانة ١ : ٤٣٩ . وتام الشطر :

* أنا أبو النجم وشعري شعري *

وصاحب هذا القول هو ابنُ مالك ، قال (في شرح الكافية) : هو مبتدأ خبره هو آخرُ محذوف ، والتقدير : ونعم من هو هو في سرٍّ وإعلان . وفي متعلقة بهو المحذوف لأنَّ فيه معنى الفعل . ١٠٨ .

وعُرف ضعف تقديره « هو هو » من كلام أبي علي .

وقد ردَّ ابن مالك (في شرح التسهيل) الوجهَ الثالث ، قال : لا يصحُّ لوجهين : أحدهما أنَّ التمييز لا يقع في الكلام بالاستقراء إلا نكرةً صالحةً للألف واللام ، ومنَّ بخلاف ذلك ، فلا يجوز كونها تمييزاً . الثاني : أنَّ الحكم عليها بالتمييز عند القائل به مرتَّب على كون مَنْ نكرة غير موصوفة ، وذلك منتفٍ بإجماعٍ في غير محلِّ النزاع ، فلا يُصار إليه بلا دليلٍ عليه . فصَحَّ القول بأنَّ مَنْ في موضعٍ رفع بنعم إذ لا قائلَ بقولٍ ثالث . ١٠٩ .

ورفعها بنعم عنده إنَّما يكون على جعلها موصولةً بمعنى الذي ، لأنَّه الذي ذكره . وأما جعلها نكرة موصوفة بالجملة التي بعدها ، كما هو الوجه الثاني في كلام أبي علي ، فلا . وهو واردٌ على قوله : « إذ لا قائلَ بقولٍ ثالثٍ » فتأمَّل . ويكون هذا من لغة مَنْ يرفع بنعم النكرة كما يأتي بعد هذا .

وأجاب التبريزي (في شرح الكافية) بأنَّ نحو نعم غلام رجل زيد بنصب الغلام ، تمييزٌ . ولم يقبل اللام . وأيضاً كونه فاعلاً لا يصحُّ إلا إذا كان معرفاً باللام ، أو مضافاً إلى المعرف باللام . ومنَّ ليس شيئاً من ذلك .

وأما الثاني فمعارَضٌ بمثله في هذه الصُّورة فيما تقدَّم . أمَّا في هذه

الصورة إنما^(١) يجوز أن يقع فاعلاً إذا كان معرفاً باللام أو مضافاً إليه ، وليس كذلك . وأما في غير هذه الصورة إنما تقع ما فاعلاً معرفةً إذا كان في غير صورة : ﴿ نِعِمَّا هِيَ ﴾ ثبت كونها معرفةً غير موصولة ، ولا يصار إليه من غير دليل . وأما المصراع الذي قبل هذا وهو :

* وَنِعِم مَزْكاً مَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ *

فقد قال ابنُ مالك : إِنَّ مَنْ فِيهِ مَوْصُولَةٌ أَيْضاً ، قَالَ (فِي شَرْحِ تَسْهِيلِهِ) :
وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فَاعِلَ نِعِم قَدْ يَكُونُ مَوْصُولاً وَمُضَافاً إِلَى مَوْصُولٍ قَوْلُ
الشاعر :

وَنِعِم مَزْكاً مَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ البيت

قال : فلو لم يكن في هذا إلا إسنادُ نعم إلى المضاف إلى مَنْ لكان فيه حُجَّةٌ على صحة إسنادِ نعم إلى مَنْ ، لأنَّ فاعلَ نعم لا يضاف في غير نُدُور إلى ما يصلح إسنادَ نعم إليه ، فكيف وفيه نعم من هو . ٥١ .

١١٧

قال المرادى : ولا حُجَّةٌ في البيت ، لاحتمال أن تكون مَنْ في قوله : « مَزْكاً مَنْ » نكرة موصوفة ، وتكون نعم قد رفعت المضاف إلى النكرة على ما تقدَّم نقله عن الأخفش . ٥١ .

وقوله : « وكيف أَرَهَب » إلخ ، الرَّهَبُ محرَّكة : الخوف . وأُراع بالبناء للمفعول ، من الرُّوع وهو الفزع . وزكاً بالزاي المعجمة والهمز في آخره ، أى لجأ . يقال زكأتُ إليه : لجأتُ إليه . والمَزْكُ مَفْعَلٌ ، اسم مكان منه ، بمعنى الملجأ .

(١) كذا بسقوط الفاء في النسختين في هذا الموضع والموضع التالي أيضاً .

وبشر هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي بشر بن مروان العَبْشَمِيُّ الأَمْوِيُّ . كان سمحاً جواداً . ولّى إمرةَ العراقيين لأخيه عبد الملك وهو أوّل أميرٍ مات بالبصرة ، وذلك سنة خمس وسبعين ، عن نيّف وأربعين سنة .

والبيتان لم أقف على قائلهما . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد السبعائة^(١) :

٧٦٨ (فَنِعَمَ صَاحِبُ قَوْمٍ لَا سِلَاحَ لَهُمْ)

على أن مجيء فاعل نعم نكرة مضافة إلى مثلها قليل .

قال المرادى (فى شرح التسهيل) بعد قول ابن مالك : « وقد ينكر مفرداً أو مضافاً^(٢) » : حكى الأخفش أن ناساً من العرب يرفعون بنعم النكرة مفردة ومضافة ، فيقال على هذا : نعم امرؤ زيد ، ونعم صاحب قوم عَمَرُوا . ووافق الأخفش فى كون الفاعل نكرة مضافة . وإلى هذا ونحوه أشار بقوله « وفاعل فى الغالب^(٣) » . ونُقِلَ إجازة كونه مضافاً إلى نكرة عن الكوفيّين وابن السّراج . وَمَنَعَ ذلك عامّة النحويّين إلّا فى الضرورة ، كقوله :

فَنِعَمَ صَاحِبُ قَوْمٍ لَا سِلَاحَ لَهُمْ

وصاحب الرّكب عثمان بن عفّان

(١) ابن يعيش ٧ : ١٣١ والمقرب ١ : ٦٦ والعيى ٤ : ١٧ والممع ٢ : ٨٦ والأشئوفى

٢٨ : ٣ .

(٢) التسهيل ١٢٧ .

(٣) نص التسهيل ١٢٦ : « فاعل نعم وبنس فى الغالب ظاهر معرف بالألف واللام ، أو مضاف إلى المعرف بهما مباشراً أو بواسطة .. الخ . ثم قال : « وقد ينكر مفرداً أو مضافاً » .

وقد كان يمكن تأويل هذا البيت على حذف التمييز لولا أنَّ الأَخفش حكى أنَّ ذلك لغة للعرب . وزعم صاحبُ البسيط^(١) أنَّه لم يرد نكرةً غير مضافة . وليس كما زعم ، بل ورد ولكنه أقلُّ من المضاف . ومنه قوله^(٢) :

وسلمى أكملُ الثَّقَلَيْنِ حُسْنًا وفي أثوابها قَمَرٌ وريِّمٌ
نيافُ القُرْطِ غَرَاءُ الثَّنَايَا وريد للنِّسَاءِ ونعم نيم^(٣)

والنِّيم : الضَّجيج والضَّجيجية^(٤) . وأجاز بعضُ النحويِّين أنَّ يكون فاعل نعم وبئس مضافا إلى ضمير ما فيه الألف واللام ، فأجاز : القوم نعم صاحبهم أنت . وأنشد :

* فنعم أخو الهَيْجَا ونِعمَ شِهابُها *^(٥)

قال بعضهم : والصَّحيح المنع . وهذا ممَّا يُحفظ ولا يقاس عليه . اهـ .
وبقى في القسمة النكرة الموصوفة كما تقدَّم في الشاهد قبل هذا .

وقال أبو علي (في المسائل البصرية) : اعلم أنَّ العرب تجعل ما أضيف^(٦) إلى ما ليس فيه ألف ولا ميم بمنزلة ما فيه الألف واللام فترفعه ،

(١) هو ركن الدين حسن بن محمد الإسماعيلي الحسني المتوفى سنة ٧١٧ . وفي كشف الظنون أنَّ له ثلاثة شروح على كافية ابن الحاجب : كبير وهو المسمى بالبسيط ، ومتوسط وهو المسمى بالوافية ، وصغير .

(٢) هو تأبط شرأ ، كما في اللسان (نوم ٧٩) . والريِّم : الرِّيم ، وهو الظبي الخالص البياض .

(٣) في النسختين : « نيم » بالتاء . وفي حواشي ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب نيم بالنون » . أما الريد فهي مسهلة الرند بالهمز ، وهي الترب بكسر التاء . ورند الرجل كذلك : تر به .

(٤) في النسختين هنا أيضاً : « التيم » بالتاء تحريف . وفي اللسان : « قيل عن بالنيم القטיפه ، وقيل عن به الضجيج » .

(٥) لم يوقف له على قائل ولا على تنمة .

(٦) عبارة : « ما أضيف » ساقطة من ش .

كما ترفع ذلك ، فتقول : نعم أخو قوم زيد . قال :

* فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم *

هو بمنزلة صاحب القوم . فإن قلت : لعلَّه ينشد بالنصب « صاحب قوم » ؟ قلت : لا يكون ذاك لأنَّك لانعطف معرفة مرفوعة على نكرة منصوبة . وهذا ضعيف . ولو قلت : نعم رجلاً في الدار وزيد ، لم يجز لأنه ليس قبل زيد شيء يعطف عليه ، لأنَّ في الدار ليس باسم ، ورجلاً نكرة منصوبة . ا هـ .

وقال ابن برى (في [شرح ^(١)] أبيات الإيضاح لأبي علي) : زعم الأخفش أنَّ قوماً من العرب يرفعون النكرة المضافة إلى مالمس فيه الألف واللام بنعم . قال أبو علي : ولا يجوز ذلك على مذهب سيبويه ، لأنَّ المرفوع بنعم لا يكون إلاَّ على الجنس . ولو قلت : أهلك الناس شاة وبعير ، لم يدل على الجنس كما دلَّت عليه الشاة والبعير . ولا يجوز صاحب قوم بالنصب ، لقوله « وصاحب الركب » ، ولا يعطف مرفوع على منصوب . ولا يكون معطوفاً على مضمّر في نعم ، لأنَّه مضمّر يحتاج إلى التفسير ، فكأنَّه لم يتم ، فلا يجوز إظهاره ولا تأكيده ولا العطف عليه . وإذا قبح العطف على المضمّر المرفوع بالفعل دون تأكيده فإنَّ لا يجوز هذا أولى ، لما بيَّناه . انتهى كلامه .

قال ابن يعيش : ولو نصبت صاحب قوم في غير هذا البيت على التفسير لجاز ، كما تنصب النكرة المفردة في نحو : نعم رجلاً ، لكنه ضعيف ههنا ، لعطفك في قولك : « وصاحب الركب عثمان » ، والمرفوع

(١) التكلة من ش .

لا يعطف على المنصوب . وكأنَّ الذي حسن ذلك في البيت قوله : « وصاحب
الركب » لَمَّا عطف عليه ما فيه الألف واللام دَلَّ على أَنَّها في المعطوف
عليه مُرادَة ، لأنَّ المعنى واحد فاعرفه . والبيت لكثير بن عبد الله النهشلي
المعروف بابن الغريرة . وقيل لحسان بن ثابت . ٥١ .

وقد راجعتُ ديوان حسان فلم أجده .

وقال العيني : عزاه ابنُ السَّيرافي (في شرح أبيات الإيضاح) لكثير
ابن عبد الله المذكور .

وقد راجعته أيضاً فلم أجده فيه .

وقال أيضاً : ونسبه صاحب (الموعِب في اللغة ^(١)) وأبو حاتم (في
كتاب إصلاح المُفسد) إلى أوس بن مَغرَاء . وقبله :
ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ

يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقَرَأْنَا

وأقول : ذكر الذهبي (في تاريخه) أنَّ هذا البيت من أبيات لحسان
ابن ثابت .

وقد راجعتُ ديوانه فرأيت أبياتاً على هذا الوزن ، وما فيها هذا
البيت . والله أعلم .

وكثير بن عبد الله المذكور أورده ابن حجر (في قسم المخضرمين كثير النهشل

(١) هو ابن التياي ، كما في إقليد الخزانة ١٢٢ . وقال الميمني : « عثروا عليه ووصفوه
في مجلة لغة العرب سنة ١٣٣٢ هـ . وذكروا أن نسخته في ١٢٤ ورقة » . وانظر لترجمة ابن التياي
إنباه الرواة بتحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم ١ : ٢٥٩ حيث تكفل بذكر مراجع ترجمته ،
وأصف إليها جنوة المقتبس ص ١٧٢ . وقد سبق ذكر هذا الكتاب في الخزانة ٣ : ٣٠١ .

من الإصابة) قال : هو كثير بن عبد الله بن مالك بن هبيرة بن صخر ابن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، يعرف بابن الغريرة النهشلي^(١) ، ذكره المرزباني (في معجم الشعراء) وقال : شاعر مخضرم بقي إلى إمرة الحجاج . وهو الذي يقول في قصيدة رثى بها عثمان بن عفان :

لعمري أبيك فلا تجزعن لقد ذهب الخير إلا قليلا
وقد فتن الناس عن دينهم وخلى ابن عفان شرا طويلا^(٢)

وقال أبو الفرج الأصبهاني : كان شاعرا مخضرمًا ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وغزا الطالقان في عهد عمر مع العباس بن مرادس وأخيه . وأنشد له في ذلك أبياتًا منها^(٣) :

سقى مزن السحاب إذا استهلّت مصارع فتية بالجوزجان

وقوله : « ضمّوا » إلخ أي ذبحوه كالأضحية . في المصباح : وضّحى ١١٩
تضحية ، إذا ذبح الأضحية وقت الضحى . هذا أصله ثم كثر حتى قيل ضحّى في أي وقت كان من أيام التشريق . ويتعدّى ، أي بالحرف . فيقال ضحيّت بشاة . قال ابن بري : قوله ضمّوا أي جعلوه بدل الأضحية كأنهم قتلوه في أيام لحوم الأضاحي ، وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . انتهى .

والشّمْطُ بالتحريك : بياض الشعر من الرأس يخالط سواده ، والرجل أشمط ، والمرأة شمطاء . وشمّط يشمّط من باب فرح . وعنوان مبتدأ بمعنى

(١) الغريرة أمه ، وقيل جدته ، وكانت سبية من بني تغلب . معجم المرزباني ٣٤٩ .

(٢) ط : « فتر » ، صوابه في ش . وفي معجم المرزباني : « فتي » ، تحريف .

(٣) رثى بها من قتل من أصحابه بالطالقان والجوزجان . والقصيدة في عشرين بيتا عند

أبي الفرج ١٠ : ٩٢ .

علامة ، وبه خبره ، والجملة صفة أشمط . وقال العيني : عنوان السُّجود حال من ضمير يقطع ، ويجوز جرُّه على النعت لأشمط ، كأنه قال : بأشمط ظاهر الخير . قال أبو الحجاج : وقد يكون حالا من أشمط وإن كان نكرة ، لأنها مفهومٌ من يراد بها ^(١) . هذا كلامه .

وأقول : الحالية لا تجوز لا لفظاً ولا معنى على الأول ، ولا لفظاً على الثاني للتعريف .

وقوله : (فنعم صاحب قوم) إلخ قال العيني : إشارة إلى فضل عثمان رضى الله تعالى عنه ، وأنه يغنى يوم القيامة بالشفاعة غنى من دافع في الدنيا بسلاحه عن عزل الجماعة . وقد يكون السلاح أيضاً عبارة عن بذله لماله وتوسيعته لصحبه ، فيكون ذلك أجدى من السلاح لحامله .

هذا كلامه ، وليس معنى الشعر ، إنما معناه إشارة إلى قوله يوم الدار : « من رمى سلاحه كان حراً » .

وقوله (صاحب الركب) ، أى ركب الحج .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد السبعمئة ^(٢) :

٧٦٩ (أو حرّة عيطلُ ثَبَجَاءُ مُجَفَّرَةٌ

دعائم الزَّوْرِ نِعَمَتْ زورقُ البلدِ)

على أنه قديونث (نعم) لكون المخصوص بالمدح مؤنثاً وإن كان الفاعل مذكراً ، فإنه أنث نعم مع أنه مسندٌ إلى مذكّر ، وهو زورقُ البلد .

(١) كلمة « بها » ساقطة من ش .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٣٦ والمقرب ١ : ٦٨ وديوان ذى الرمة ١٤٦ .

لأنَّه يريد الناقة ، فَأَنْتَ على المعنى كما أَنْتَ مع البلد في قولهم : هذه الدار نعمت البلد ، حين أراد به الدَّار . وكقول الراجز :

نَعَمْتُ جزاءُ الْمُتَّقِينَ الْجَنَّةَ دَارُ الْأَمَانِ وَالْمُنَى وَالْمِنَّةُ^(١)

و (الْحُرَّة) : الكريمة ، وأراد بها الناقة . و (العيطل) : الطويلة العنق . و (ثَبَجَاء) بفتح المثناة وسكون الموحدة بعدها جيم : الضَّخْمَةُ الثَّبَجُ ، وهو الصَّدْر . كذا جاء في تفسير هذا الشعر . والثَّبَجُ ، بفتحتين : ما بين الكاهل إلى الظهر . أَيْ إِنَّ هذا منها عظيم . وقال ابن يعيش : ثَبَجَاء : عظيمة السَّنام . و (الْمُجْفَرَة) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الفاء : العظيمة الجنبِ الواسعة الجوف . والجُفْرَة بالضم : الوسط ، يقال فرس مُجْفَرٌ وناقة مُجْفَرَة ، إذا كانت عريضة الجِرم . وَصَفَهَا بِأَنَّهَا عظيمة القوائم ، وكُنِيَ عن ذلك بدعائم الزَّور . و (الدَّعَائِم) : القوائم . و (والزَّور) بفتح الزاى : أعلى الصَّدر . وقال ابن المستوفى : دعائم الزَّور : الضلوع ، وكلُّ ضِلْعٍ دِعَامَة . وانتصب دعائم الزَّور على التشبيه بالمفعول به ، فهو من باب الحسن الوجهة . وقيل انتصابه على التمييز^(٢) وهو ضعيف ، لأنَّه معرفة . واخطأ من وجهين صاحب^(٣)

(التخمير) و (الموشَّح) في قولهما : إِنَّه منصوب على التَّمييز للمخصوص بالمدح المحذوف وناصبه نعمت . و (زورق) فاعل نعم ، والمخصوص بالمدح محذوف ، وهو ضمير الحرَّة ، أَيْ هِيَ . و (الزَّورق) : السفينة . و (الْبَلَد) : الْأَرْضُ والمفاضة . وهذا كقولهم : الْإِبِلُ سُفْنُ الْبَرِّ ؛ فَإِنَّ

(١) شذور الذهب ٢١ .

(٢) ش : « وقيل على التمييز » بإسقاط « انتصابه » .

(٣) كذا في النسختين ، وهو وجه جائز في العربية على حذف المضاف من الثاني لدلالة

الأول عليه .

الإبل تشبّه بالسُّفن ، والمفاوِزُ بالبحار . وهذا التشبيه شائع . قال أبو عبيدٍ
(في الغريب المصنف) : البُوصىُّ : الزُّورق . وتعقَّبَه عليُّ بن حمزة
البصرى بأنَّ البُوصىَّ إنما هو من سُفن البحر ، وهو بالفارسية : بُوزى ،
والزُّورق بالنُّبطية ، وقد تكلَّمت به العرب ، وجمعه الزُّوارق . والزُّورق
ممَّا يجرى في الماء العذب بدجلة والفرات . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لذي الرُّمَّة ، مدح بها بلال بن أبي بُردة . وقبله :

أبيات الشاهد

(وَمَنْهَلٍ آجِنٍ قَفِرٍ مَحَاضِرُهُ
خُضِرٍ كَوَاكِبُهُ ذِي عَرْمَضٍ لَبِيدٍ
فَرَجَّتْ عَنْ خَوْفِهِ الظُّلُمَاءُ يَحْمِلُنِي
غَوْجٌ مِنَ الْعِيدِ وَالْأَسْرَابُ لَمْ تَرِدِ^(١)
بَاقٍ عَلَى الْآيْنِ يُعْطَى إِنْ رَفَقَتْ بِهِ
مَعْجَا رُقَاقًا وَإِنْ تَخَرَّقَ بِهِ يَخِيدُ^(٢)
أَوْحَرَةً عَيْطَلُ ثِبْجَاءُ مُجْفَرَةٌ

البيت

لَانتْ عَرِيكَتُهَا مِنْ طَوْلِ مَا سَمِعَتْ
بَيْنَ الْمَفَاوِزِ تَنَامَ الصَّدَى الْفَرْدِ
حَنْتَ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنِ فَقُلْتُ لَهَا
أُمِّي بِلَالًا عَلَى التَّوْفِيقِ وَالرَّشْدِ

المنهل : المورد ، والواو : واو رب . والآجن : الماء المتغيَّر الطعم واللون .

(١) ط : « العبد » في هذا البيت وفي تفسيره التالي ، صوابه في ش والديوان .

(٢) ط : « إن رفعت » ، صوابه في ش والديوان .

وَأَجَنَ الْمَاءُ يَأْجُنُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَنَصْرٍ ، أَجْنًا وَأَجُونًا . وَحُكِيَ أَجِنَ مِنْ بَابِ فَرَحٍ . وَالْمَحَاضِرُ : جَمْعُ مُحَضَّرٍ كَجَعْفَرٍ ، وَهُوَ الْمَرْجِعُ إِلَى الْمِيَاهِ . وَكَوْكَبُ الشَّيْءِ : مَعْظَمُهُ . وَالْعَرْمَضُ ، كَجَعْفَرٍ ، بِإِهْمَالِ الْأَوَّلِ وَإِعْجَامِ الْآخِرِ : الطُّحْلُبُ ، وَهُوَ الْأَخْضَرُ الَّذِي يَعْلُو الْمَاءَ . وَاللَّبْدُ بِكَسْرِ الْمَوْحِدَةِ : الْمُتَلَبِّدُ الْمُتَرَكَبُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ .

وَالظُّلَمَاءُ مَفْعُولُ فَرَّجْتُ . وَجَمَلَةٌ يَحْمَلُنِي حَالٌ مِنْ تَاءٍ فَرَّجْتُ . وَالْفَوْجُ ، بِفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْوَائِ بَعْدَهَا جِيمٌ : اللَّيْنُ الْمَعَاطِفُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ . وَالْعِيدُ ، بِكَسْرِ الْمَهْمَلَةِ : فَحْلٌ مُنْجَبٌ مِنَ الْإِبِلِ ^(١) . وَالْأَسْرَابُ : جَمْعُ سِرْبٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ الْقَطِيعُ مِنَ الْقَطَا ، وَالظَّبَاءُ ، وَالْوَحْشُ ، وَالنِّسَاءُ . وَتَرَدُّ ، مِنْ وُرُودِ الْمَاءِ .

وَالْأَيْنُ : التَّعَبُ . وَالْمَعْجُ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ بَعْدَهَا جِيمٌ : سُرْعَةُ السَّيْرِ . وَالرُّقَاقُ بِضَمِّ الرَّاءِ : الرَّقِيقُ . وَتَخَرَّقَ بِفَتْحِ الرَّاءِ : مُضَارِعٌ خَرَّقَ بِكَسْرِهَا خَرَقًا بِفَتْحَتَيْنِ ، إِذَا عَمَلَ شَيْئًا فَلَمْ يَرْفُقْ بِهِ ، وَالْأَسْمُ الْخُرْقُ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ الْعُنْفُ . وَيَخْذُ مِنَ الْوَحْدِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ سِيرِ الْإِبِلِ ، وَهُوَ أَنْ يَرْمِيَ بِقَوَائِمِهِ كَمْشَى النَّعَامِ .

وَالْعَرِيكَةُ : الْخُلُقُ . وَالتَّنَامُ : تَفْعَالٌ مِنَ النَّثِمِ ، وَهُوَ صَوْتُ فِيهِ

(١) فِي السَّانِ (عُود) : « كَأَنَّهُ ضَرْبٌ فِي الْإِبِلِ مَرَاتٍ » . وَهَذَا تَعْلِيلٌ لِتَسْمِيَةِ هَذَا الْفَعْلِ . وَهُوَ أَحَدُ أَقْوَالٍ فِي نَسَبِ الْعِيدِيَّةِ ، وَقِيلَ الْعِيدِيَّةُ مُنْسُوبَةٌ إِلَى عَادِ بْنِ عَادٍ ، أَوْ عَادِي بْنِ عَادٍ ، عَلَى النَّسَبِ الشَّاذَةِ فِيهَا . وَقِيلَ مُنْسُوبَةٌ إِلَى بَنِي الْعِيدِ قَبِيلَةٍ . وَتَجَدُّ هَذِهِ الْأَقْوَالُ جَمِيعُهَا فِي السَّانِ . وَفِي شَرْحِ دِيوَانَ ذِي الرِّمَّةِ : « الْعِيدُ قَبِيلَةٌ مِنْ مِهْرَةَ إِبِلِهِمْ نَجَائِبٌ » .

وَفِي الْإِسْتِثْقَاقِ ٥٥٢ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى مِهْرَةَ بْنِ حِيدَانَ : « وَمِنْهُمْ بَنُو عَيْدِي ، تَنْسَبُ إِلَيْهِمُ الْإِبِلُ الْعِيدِيَّةُ . وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ لِلْقَلْقَشْنِيِّ ٦٩ : « بَنُو الْعِيدِي بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الْخَاءِ : بَطْنٌ مِنْ مِهْرَةَ مِنْ قِضَاعَةَ ، وَهُمْ بَنُو الْعِيدِي بْنِ فَدَعَى بْنِ مِهْرَةَ » .

ضَعَف كَالْأَنْبِيَاءِ . وَالصَّدَى : ذِكْرُ الْبُومِ . وَالْغَرْدُ بِكَسْرِ الرَّاءِ : الْمُنْطَرِبُ فِي الصَّوْتِ . وَالْغَرْدُ بِفَتْحِهَا : الْغِنَاءُ ، يُقَالُ غَرَدَ الطَّائِرُ ، مِنْ بَابِ فَرَحَ . وَالنَّعَمُ بِفَتْحَتَيْنِ : الْإِبِلُ . وَالذَّهْنُ : مَوْضِعُ بَيْلَادِ تَيْمٍ ، يَمْدُ وَيَقْصُرُ . وَأُمِّي : أَقْصَدِي .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت في الشاهد الثامن من أول الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد السبعمائة^(٢) :

٧٧٠ (بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي)

وهو قطعة من بيت من معلقة امرئ القيس ، وهو :

(قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ

وبَيْنَ الْعُذَيْبِ بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي)

على أَنَّ (بُعْدَ) فِيهِ لِلْمَدْحِ وَالتَّعْجُّبِ ، وَأَصْلُهُ بُعْدَ بَفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّ الْعَيْنِ أَصَالَةً ، الْحَقُّ بِفَعْلِ الْمَدْحِ . وَيَجُوزُ فِي بَاءِهِ وَجْهَانِ : فَتَحَهَا وَتَسْكِينِ عَيْنِهَا بِحَذْفِ حَرَكَتِهَا ، وَضَمَّهَا بِنَقْلِ حَرَكَةِ عَيْنِهَا إِلَيْهَا ، كَمَا يَجُوزُ فِي كُلِّ فَعْلٍ الْمُرَادُ بِهِ الْمَدْحُ أَوِ التَّعْجُّبُ ، كَمَا قَالَ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ فِي آخِرِ الْفَصْلِ وَصَوَّرَهُ بِهَذَا الْبَيْتِ .

١٢١

وقد روى أيضاً بالوجهين . قال العسكري (في كتاب التصحيف) : رواه أبو إسحاق الزياتي عن الأصمعي «بُعْدَ» مضمومة الباء ، ومعناه يا بُعْدَ مَا تَأَمَّلْتُ ، على التعجب ، أَيْ تَثَبُّتُ فِي النَّظَرِ أَيْنَ يَسْقَى^(٣) . ورواه أبو حاتم : «بُعْدَ» بَفَتْحِ الْبَاءِ ، وقال : خَفَّفَ بُعْدَ فَاسْكَنَ الْعَيْنَ وَبَقِيَتْ الْبَاءُ مَفْتُوحَةً ، مِثْلُ كَرَمَ وَكَرَّمَ . انتهى .

(١) الخزائن ١ : ١٠٦ .

(٢) التصحيف للعسكري ٢٢٥ وشرح شواهد الشافعية ٣٩ ورصف المباني للمالقي ٥٢ .

(٣) في التصحيف : «أين تسقى» ، وما هنا صوابه .

وفيه ردُّ على ابن مالك (في التسهيل) في اشتراط نقل ضمِّ العين إلى الفاء بكون الفاء حرفاً حلقياً كحَبَّ وحَسَن . و« ما » بعد « بُعَدَ » إمَّا زائدة ، ومتأمِّل فاعل بعد وهو مضاف إلى الياء ، والرفع فيه مقدَّر ، والمخصوص بالمدح محذوف . وإمَّا اسمٌ نكرةٌ منصوبةٌ المحلَّ على التمييز للضمير المستتر في بعد ، ومتأمِّل هو المخصوص بالمدح والتعجب ، فتكون « ما » كما في قوله تعالى : ﴿ فَنِعَمًا هِيَ ﴾ ^(١) .

أبيات الشاهد

وقبلَ هذا البيت :

(أصاح ترى برقاً أريك وميضه

كلمع اليدين في حبي مُكَلَّل

يضيء سنه أو مصابيح راهب

أهان السليط بالذبال المفتل

قعدت له وصحبتى البيت

قوله : « أصاح ترى » إلخ ، الهمزة لنداء القريب . وصاح : مرخم صاحب ، وحذف همزة الاستفهام بعده للضرورة . والوميض والإيماض : اللّمعان . يقال ومضَ البرقُ وأومضَ ، إذا لمع وتلألأ . واللمع : التحرك والتحريك جميعاً . والحبيُّ بالحاء المهملة وكسر الموحدة ، وهو السحاب ^(٢) المتراكم ، سمى به لأنَّه حباٌ بعضٌ إلى بعض ^(٣) أى تراكم . وجعله مُكَلَّلًا ، لأنَّه صار كالإكليل لأسفله . ومنه قولهم : كلَّلت الرجل ، إذا توجَّته . ويروى : « مكَلَّل » بكسر اللام : اسم فاعل من كلَّل تكليلاً ، إذا تبسَّم .

(١) الآية ٢٧١ من البقرة .

(٢) ش : « هو السحاب » بدون واو .

(٣) كذا في النسختين ، أى بعض منه .

يقول : يا صاحبي هل ترى برقاً أريك لمعانهُ في سحبٍ متراكم صار
أعلاه كالإكليل لأسفله ، أو في سحبٍ متبسّم بالبرق ، يشبهُ برقه
تحريكَ اليدين . أراد بتحريك تحركهما . وتقدير البيت : أريك
وميضه في حَيٍّ مكمل كلمع اليدين . شبه لمعان البرق وتحريكه بتحرك
اليدين .

وقوله : « يضيئُ سنّاه » إلخ السنّ بالقصر : الضوء ، يقال سنّا سنّوا .
والسليط : الزيت ، وقيل الشيرج^(١) ، وسمي سليطاً لإضاءة السراج ،
ومنه السلطان لوضوح أمره . والذّبّال : جمع ذبالة ، وهي الفتيلة .
ومعنى أمان السليط أنه لم يُعزّه وأكثر الإيقاد به . وروى : « أمال
السليط » ، فقليل من المقلوب ، وتقديره أمال الذّبّال بالسليط ، إذا صبّه
عليه . وقال بعضهم : تقديره : أمال السليط مع الذّبّال ، يريد أنه يُميل
المصباح إلى جانب فيكون أشدّ إضاءة لتلك الناحية من غيرها . يقول :
هذا البرق يتلألُ ضوءه ، فهو يشبه في تحركه لمع اليدين أو مصابيح
الرهبان التي أميلت فتائلها بصبّ الزيت عليها في الإضاءة ، يريد أن
تحركه يحكي تحرك اليدين ، وضوءه يحكي ضوء مصابيح الرهبان .
هذا ما نقلته من شرح الزوزني .

ومصابيح بالجر معطوف على لمع .

وقوله : « قعدتُ له » إلخ قال الخطيب التبريزي : صُحبة بالضم :

(١) جاء في استدراك التاج (شرح) : « والشيرج كصيقل وزينب : دهن السمسم ،
وربما قيل للدهن الأبيض ، وللمصير قبل أن يتغير ، تشبيهاً به لصفائه . وهو ملحق بياب فعلل
نحو جعفر ، ولا يجوز كسر الشين ، والدوام ينطقون به بإهمال السين مكسورة ، وهو معرب » .
وقال في (سرج) : « معرب سيده » .

اسم جمع صاحب . وضارج والعُذيب : مكانان . أى قعدت لذلك البرق ١٢٢
أنظر من أين يجىء بالمطر .

ومعنى قوله : (بَعْدَ ما متأمل) : ما أبعد ما تأملت . وحقيقته أنه
نداء مضاف . والمعنى : يا بعد ما متأمل ، أى يا بعد ما تأملت . وروى
الرياشى بفتح الباء وهى تحتل معنيين : أحدهما أَنَّ المعنى بَعْد ، ثُمَّ
حذف الضمة . ويجوز أَنْ يكون المعنى بَعْدَ ما تأملت . هذا كلامه .

وقال الزوزنى : يقول قعدت للنظر إلى السحاب وأصحابى بين هذين
الموضعين وكنت معهم ، فَبَعْدَ متأمل^(١) وهو المنظور إليه ، أى بَعْدَ السحاب
الذى كنت أنظر إليه وأرقب مطره وأشيم برقه . يريد أنه نظر إلى هذا
السحاب من مكان بعيد فتعجب من بَعْدِ نظره . انتهى .

وحاصله أَنْ بَعْدَ بالفتح فعلٌ ماضٍ مسكَّن العين ، وما زائدة ومتأمل
اسم مفعول واقع على السحاب مضاف إلى ياء المتكلم ، كما سبق من
تقرير كلام الشارح المحقق ، من أَنَّهُ مصدر مضاف إلى الياء .

ثم قال الزوزنى : وقال بعضهم : إنَّ ما فى البيت بمعنى الذى ، تقديره
بَعْدَ ما هو متأمل ، فحذف المبتدأ ، رتقديره على هذا لقول : بعد
السحاب الذى هو متأمل . انتهى .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد السبعائة^(٣) :

(وَحُبُّهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ) ٧٧١

(١) ط : « متأمل » ، صوابه فى ش وشرح الزوزنى .

(٢) الخزائن ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٣) الأصول لابن السراج ١ : ١٣٧ وصر الصناعة ١ : ١٥٩ وابن يعيش ٧ : ١٢٩

١٣٨ ، ٢٤١ وشرح شواهد الشافية ١٤ والعينى ٤ : ٢٦ وديوان الأخطل ٤ .

على أَنَّ حُبَّ فيه للمدح والتعجب ، وأصلها حُبُّ بضم العين للتحويل المذكور . فَإِنْ نقلنا حركةَ العَيْنِ إلى الفاء بعد حذف حركتها صار حُبُّ بضم الأوَّل . وَإِنْ حذفنا ضمة العين صار حُبُّ بفتح الأوَّل . والإدغام في الصورتين واجبٌ لاجتماع المثليين والأوَّل منهما ساكن . وفاعلها الضمير المؤنث المجرور بالباء ، لأنَّ هذه الصيغة تعجيبيَّة لكونها بمعنى أَحِبُّ بها .

قال ابن الحاحب (في أمالي المفصل) : مقتولة نصب على الحال من الضمير في بها ، وبها فاعل حُبِّ ، زيدت فيه الباء على غير قياس كقوله : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ^(١) ﴾ . وقال صاحب التخمير ^(٢) : الباء في بها ههنا للتعجب ، ونظيره قولهم : كفاك بزيد رجلاً . وقال ابن السراج ^(٣) : الباء دخلت لأنها دليلُ التعجب ، كما قالوا : إِنَّكَ من رجلٍ عالمٍ ^(٤) ، لم تسقط (من) لأنها دليلُ التعجب . وقيل هي كالباء : في كفى بالله . ومقتولة حال . انتهى .

قال ابن يعيش : حَبٌّ من المضاعف الذي عينه ولامه من باب واحد ، وفيه لغتان حَبٌّ وأَحَبٌّ ، وأَحَبُّ أَكْثَرُ في الاستعمال . وَأَمَّا حَبٌّ فوزنه فَعَلَ بفتح العين ، قال الشاعر ^(٥) :

(١) من الآيتين ٨١ ، ١٦٦ من سورة النساء : « وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً » و « والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً » .

(٢) ش : « التخمير » ، صوابه ما أثبت . وجاء في ترجمة صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي من معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٣ : « وله من التصانيف كتاب المجمرة في شرح المفصل صغير ، وكتاب السبيكة في شرحه أيضا وسيط ، وكتاب التخمير في شرح المفصل أيضا بسيط » ، أي واسع كبير . ولكن صاحب كشف الظنون عند الكلام على (المفصل) ذكر أنه « التخمير » وأن الفخر الأسفندي وضع له علامة هي « تخ » . والتخمير : التبخير ، وفي اللسان : « فتخمرت أطنابنا ، أي طابت روائح أبداننا بالبخور » .

(٣) انظر لهذا كتاب الأصول ١ : ١٢٨ - ١٢٩ . ونصه : « والباء دخلت دليل التعجب »

(٤) في الأصول : « إِنَّكَ من رجلٍ لعالم » .

(٥) هو غيلان بن شجاع النهشل ، كما في اللسان (حب) والكامل ١٩٢ .

فوالله لولا تمرُّه ما حَبَبْتُهُ ولا كان أدنى من عُبيد ومُشرق^(١)

فإذا أُريد به المدحُ نقل إلى فعل ، فتقول : حَبَّ زيد ، أى صار محبوباً ومنه قوله :

* حَبَّ بها مقتولة حين تُقتل *

وكذلك قول الآخر^(٢) :

* هَجَرَتْ غَضُوبٌ وَحَبَّ من يتجنب^(٣) *

وذهب الفراء إلى أَنَّ حَبَّ أصله حَبَّب مضموم العين ، واستدلَّ بقولهم : حبيب ، وفعلٌ بابهُ فعلٌ ، كظريف وكريم من ظرف وكرم . والصواب ما ذكرناه ، لأنَّه قد جاء متعدِّياً وفعلٌ لا يكون متعدِّياً . فأما قولهم حبيب فلا دليل فيه ، لأنَّه مفعول ، فحبيب ومحبوبٌ واحد ، فهو كجريح وقتيل . وَحَبَّبٌ من حُبَّ إن أُريد به المدح فاعل كظريف . وَحَبَّ فعل متصرف ، تقول منه : حَبَّه يَحِبُّه بالكسر ، وهو من الشاذِّ لأنَّ فعل إذا كان مضاعفاً متعدِّياً فمضارعه يفعل بالضم نحو رَدَّه يَرُدُّه ، وشَدَّه يَشُدُّه . وقالوا فى المفعول مُحَبَّبٌ ، وَقَلَّ مُحَبَّبٌ . وجاء مُحَبَّبٌ فى اسم الفاعل ، وَقَلَّ حَابٌ . انتهى .

(١) فى النسختين : « ومشرق » بالسین المهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى الكامل واللسان والخصائص ٢ : ٢٢٠ والمغنى ٣٦١ . وفى الكامل : « وكان عياض منه أدنى ومشرق » بدون إقواء ، لأن قبله :

أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الجار بالجار أرفق

(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلى . ديوان الهذليين ١ : ١٦٧ ، واللسان (حب ٢٨٣) .

(٣) عجزه : وعدت عواد دون وليك تشعب *

هذا والرواية في البيت :

(وَأَطِيبُ بِهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ)

بصيغة التعجب من الطيب . وقبله :

(فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمَزَاجِهَا)

وقتل الخمر : مَزَجَهَا وَكَسَرُ قُوَّتِهَا بِالْمَاءِ . جَعَلَ مَزَجَهَا بِالْمَاءِ قَتْلًا لَهَا .
ورواه أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) :

فَلَذْتُ لِمِرْتَاحٍ وَطَابَتْ لِشَارِبٍ

وَأَحْبَبُ بِهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ^(١)

وقال : إذا كانت الخمر طيبة فهي لذة ، نعت لها . وقد لذت لشاربها
تلذذ لذة ، ولذها شاربها يلذذها لذًا ولذاذة . انتهى .

وهذا مركب من بيتين كما يأتي .

والبيت من قصيدة للأخطل التصرائفي ، مدح بها خالد بن عبد الله
ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وكان أحد أجواد العرب في الإسلام .

صاحب الشاهد

وهذه القصيدة أول ديوانه ، وقبله :

(وَجَاءُوا بِبَيْسَانِيَةٍ هِيَ بَعْدَمَا يَعْلُ بِهَا السَّاقُ أَلَذُّ وَأَسْهَلُ
فَتَوَقَّفُ أَحْيَانًا فِي فَصْلِ بَيْنِنَا غِنَاءُ مَغْنٍ أَوْ شِوَاءُ مُرْعَبِلُ
فَلَذْتُ لِمِرْتَاحٍ وَطَابَتْ لِشَارِبٍ وَرَاجَعَتْنِي مِنْهَا مِرَاحُ وَأَخِيلُ
فَمَا لَيْثَتُنَا نَشْوَةٌ لَحَقَتْ بِنَا تَوَابَعُهَا مِمَّا نُعَلُّ وَنُنْهَلُ

آيات الشاهد

(١) ط : « وَأَحْبَبُ لَهَا » ، صوابه في ش والديوان .

تَدِبُّ دَبِيحاً فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ دَبِيبُ نِمَالٍ فِي نَقَا يَتَهَيَّلُ
 فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمَزَاجِهَا وَأَطِيبْ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ
 وبيسان، هي بلدة بَغُور الشام تنسب إليها الخمر. والعَلَلُ: الشُّرْبُ الثاني.
 والشَّوَاءُ: الكَبَاب. والمُرْعَبِلُ: المَقْطَع. والمَرَّاحُ^(١) بالكسر: السرور. والأَخِيلُ:
 الخِيَلَاءُ والعُجْبُ. ونَشَوْتَهَا: رَائِحَتِهَا. والنَشْوَةُ: السُّكْرُ أَيْضاً. وتَوَابِعُهَا
 ما لحق من سكرها^(٢). والنَّهْلُ: الشُّرْبُ الْأَوَّلُ. كَذَا فِي شَرْحِ دِيوانِهِ. وَنِمَالٌ
 بِالْكَسْرِ: جَمْعُ نَمَلٍ. وَالنَّقَا: الْكُثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ^(٣). وَيَتَهَيَّلُ:
 يَتَصَبَّبُ.

وترجمة الأخطل تقدّمت في الشاهد الثامن والسبعين^(٤).

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ^(٥) :

٧٧٢ (لَا يَمْنَعُ النَّاسُ مِنِّي مَا أَرَدْتُ وَلَا
 أُعْطِيهِمْ مَا أَرَادُوا ، حُسْنٌ ذَا أَدْبَا)

عَلَى أَنَّ (حُسْنَ) فِيهِ لِلْمَدْحِ وَالتَّعْجُبِ ، وَيَجُوزُ فِي مِثْلِهِ أَنْ تَنْقُلَ ضَمَّةَ
 الْعَيْنِ إِلَى الْفَاءِ كَمَا فَعَلَ الشَّاعِرُ ، وَأَنْ تَحْذِفَ وَتَبْقِيَ الْفَاءَ عَلَى فَتْحِهَا .

وَالْبَيْتُ أَنشَدَهُ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : وَقَدْ حَسَنَ الشَّيْءُ ، وَإِنْ شِئْتَ خَفَّفْتَ
 الضَّمَّ فَقُلْتَ حَسَنَ الشَّيْءِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَنْقُلَ الضَّمَّ إِلَى الْحَاءِ ، لِأَنَّهُ

(١) كَذَا . مَعَ أَنَّ النَّصْرَ هُنَا فِي الدِّيوانِ أَيْضاً : « بِمَزَاجِهَا » بِالْجَمِّ .

(٢) وَتَوَابِعُهَا مَا لَحَقَ مِنْ كَسْرِهَا ، سَاقَطَ مِنْ ش . وَفِي الْأَصْلِ هُنَا ، وَهُوَ ط : « كَسْرُهَا » ،
 وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ .

(٣) وَالنَّقَا الْكُثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ ، سَاقَطَ مِنْ ش .

(٤) الْخَزَانَةُ ١ : ٤٥٩ .

(٥) الْخَصَائِصُ ٣ : ٤٠ . وَإِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ ٤١ وَالْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ ٣ : ١٤٢ وَالْأَصْمَعِيَّاتُ

٥٦ وَاللَّسَانُ (حَسَنٌ ٢٦٩) .

خَبَر ، وإنَّما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح أو الذم ، لأنَّه يشبَّه في جواز النقل بنعم وبئس ، وذلك أنَّ الأصل فيهما نِعَمَ وبِئْسَ ، فسكن ثانيهما ونقلت حركته إلى ما قبله . وكذلك كلُّ ما كان في معناهما . قال الشاعر :

لم يمنع الناس مني ما أردتُ البيت

أراد : حَسَنَ هذا أدباً ، فحَفَّفَ ونَقَلَ . انتهى كلامه .

وقال ابن السيرافي : يريد أنَّه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ممَّا يريد منهم ، لعزِّه وقهره . واستحسن هو هذا وجعله أدباً حسناً . وإذا فاعل حَسَنَ ، وأدباً منصوبٌ على التمييز . انتهى . ١٢٤

وقال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : الأدب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسُن من الأخلاق وفعل المكارم ، مثل ترك السُّقَّة ، وبَذَلِ المجهود ، وحُسْنِ اللِّقَاءِ . قال الغنَوِيُّ :

لم يمنع الناس مني ما أردتُ البيت

كأنَّه ينكر على نفسه أنَّ يعطيَه الناس ولا يُعطيهم . واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أنَّ يسمُّوا العالمَ بالحنو والشعر وعلوم العرب أدبياً ، ويسمُّون هذه العلوم الأدب ، وذلك كلامٌ مولدٌ ، لأنَّ هذه العلوم حدثت في الإسلام . واشتقاقه من شيئين : يجوز أن يكون من الأَدَب وهو العَجَب ، ومن الأَدَب مصدر قولك : أدب فلانُ القوم يَأدِبُهُم أدباً ، إذا دَعَاهم . قال طرفة :

نحن في المَشْتَاةِ ندعو الجَفَلَى لا ترى الأدبَ فينا يَنْتَقِرُ

فإذا كان من الأدب الذى هو العَجَب^(١) فكأنه الشيء الذى يُعَجَبُ
منه لحُسْنِهِ ، لأنَّ صاحبه الرجل الذى يُعَجَبُ منه لفضله . وإذا كان
من الأدب الذى هو الدُّعَاءُ فكأنه الشيء الذى يدعو الناس إلى المحامد
والفضل ، فينهاهم عن المقابح والجهل . والفعل منه أَدَبْتُ آدَبُ آدَبًا
من باب فرح ، فأنا أديب . والمتأدَّب : الذى قد أخذ من الأدب بحظٍّ ،
وهو مُتَفَعِّلٌ من الأدب ، يقال منه أَدَبَ الرَّجُلُ يَأْدُبُ إذا صار أديباً ،
مثل كَرُمَ ، إذا صار كريماً . انتهى .

والبيت من قصيدةٍ لسهم بن حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ ، أورد بعضها أبو تمام صاحب الشاهد
(فى كتاب مختار أشعار القبائل) . وهذا ما أورده :

أبيات الشاهد

(إذا افتقرت نأى واشتدَّ جانبُهُ
وإن رآكَ غنيًّا لأنَّ واقترباً^(٢)
وإنَّ أُنَّاكَ لِمَالٍ أَوْ لَتَنْصُرَهُ
أثْنى عليك الذى تَهْوَى وإنَّ كَذْباً
مُدلى القَرَابَةِ عند النَّيْلِ يَطْلُبُهُ
وهو البعيدُ إذا نالَ السدى طَلَبًا
حُلُو اللِّسَانِ ، بعيدُ القلبِ ، مشتملٌ
على العداوةِ لابن العمِّ ما اصطحبنا
اللهُ مُخْلِيفٌ ما أَنْفَقْتَ مُحْتَسِباً
إذا شَكَرْتَ ومُؤْتِيكَ الذى كَتَبَا

(١) شاهده قول منظور بن حبة فى اللسان (أدب) :

بشمجى المشى عجول الوثب غلابة للتاجيات الفلـسب
حتى أتى أزيها بالأدب

(٢) ش : « وإن رآكَ غنى » ، صوابه فى ط .

لَا بَلَّ سَلَّ اللَّهُ مَا ضُنُّوا عَلَيْكَ بِهِ
 وَلَا يَمُنُّ عَلَيْكَ اللَّهُ مَا وَهَبَا
 يَا لِلرَّجَالِ لِأَقْوَامٍ أَجَاوَرُهُمْ
 مُسْتَقْبِسِينَ وَلَمَّا يُقْبِسُوا لَهَا
 يَصْلَوْنَ نَارِي وَأَحْمِيهَا لغيرهمُ
 وَلَوْ أَشَاءَ لَقَدْ كَانُوا لَهَا حَطَبَا
 مِنَ الرِّجَالِ رَجَالٌ لَا أَعَاتِبُهُمْ
 وَلَا تَفَزَعُ مِنْهُمْ هَامِي رُغْبَا
 مَنْ لَا يَزُلْ غَرَضًا أَرَى مَقَاتِلَهُ
 لَا يَتَّقِي وَهُوَ مِنِّي وَاقِفٌ كَتَبَا
 وَلَا أَسْبُ امْرَأً إِلَّا رَفَعْتُ لَهُ
 عَارًا يُسَبُّ بِهِ الْأَقْوَامُ أَوْ لَقَبَا
 قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي مِنْ خِيَارِهِمْ
 فِي الدِّينِ دِينَأَوْ فِي أَحْسَابِهِمْ حَسْبَا
 لَا تَمْنَعُ النَّاسَ مِنِّي مَا أَرَدْتُ وَلَا
 أُعْطِيَهُمْ مَا أَرَادُوا ، حُسْنُ ذَا أَدْبَا

قال التبريزي (في شرح إصلاح المنطق لابن السكيت) : يريد
 أَنَّهُ يَقْهَرُ النَّاسَ فَيَمْنَعُهُمْ مَا يَرِيدُونَ مِنْهُ ، وَلَا يَمْنَعُونَهُ مَا يَرِيدُ مِنْهُمْ ،
 لِعَزَّتْهُ . وَجَعَلَهُ أَدْبَا حَسَنًا . هَذَا تَفْسِيرُ أَبِي مُحَمَّدٍ .

١٢٥

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ فِي مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ : كَأَنَّهُ يَنْكُرُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ
 يُعْطِيَهُ النَّاسُ وَلَا يُعْطِيَهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ . وَهُوَ الصَّوَابُ ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ يَدُلُّ
 عَلَيْهِ . وَذَا فَاعِلٌ حُسْنٌ . وَأَدْبَا تَمْيِيزٌ . وَأَرَادَ حُسْنٌ فَخَفَّفَ وَنَقَلَ ؛ لِأَنَّ

هذا مذهب التعجب. وقال الصَّفَّار^(١): إِنَّ الشَّاعِرَ أَنْكَرَ عَلَى نَفْسِهِ بَانَ النَّاسَ^(٢)
يُعْطُونَهُ وَيَمْنَعُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : حَسَنَ ذَا أَدْبَا ، أَى مَا أَحْسَنَ هَذَا الْأَدْب !
على سبيل الإنكار والتَّهْكُؤْم . انتهى .

وسهم بن حنظلة : شاعر مخضرم أدرك الجاهليّة والإسلام . ذكره سهم بن حنظلة
ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة ، عن المرزبانى^(٣)) .

وقال الآمدي (فى المؤتلف والمختلف) : سهم بن حنظلة بن جَاوَان^(٤)
ابن خويلد ، أحد بنى شبيبة^(٥) بن غنّى بن أعصر ، فارسٌ مشهور ، وشاعر
مُحْسَن ، وهو القائل :

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ رَمَانِي كَاشِحٍ
وَنَجَوْتُ مِنْ أَمْرٍ أَغْرَّ مَشْهُرٍ

وَحَاذِرْتُ مِنْ أَمْرِ فَمَرٍّ بِجَانِبِي
لَمْ يُبَكِّنِي ، وَلَقِيتُ مَالِمَ أَحْذَرِ

ثم قال : ومنهم سهمٌ ، صاحبُ القصيدة المختارة الطويلة الى
يقول فيها :

تَدْنِي الْفَتَى فِي الْغَنَى لِلرَّاعِيَيْنِ إِذَا
لَيْلُ التَّامِ أَهَمَّ الْمُقْتِرَ الْعَزْبَا^(٦)

(١) ط : « الصوار » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) فى الإصابة ٣٧٠٣ : « قال المرزبانى : شاعر شامى مخضرم . وأنشد له بيتاً قاله من

أبيات » . واقتصر فى ترجمته على هذا النص .

(٤) فى المؤتلف ١٣٦ : « حلوان » ، وما هنا صوابه . وانظر أيضاً بجمهرة ابن حزم ٢٤٨ .

وقال ابن دريد فى اشتقاقه ٥٦٠ : « فعلان من الجؤوة ، وهو لون من ألوان الخيل دون الصداة » .

(٥) وكذا فى المؤتلف . لكن فى الاشتقاق ٢٧٠ : « ضبيبة » .

(٦) فى المؤتلف : « تدنى الفتى للراعىين »

حَتَّى تَمُوتَ يَوْمًا أَوْ يَقَالَ فَتَى

لَأَقَى الَّتِي تَشَعْبُ الْأَقْوَامَ فَانْشَعِبَا

انتهى .

وقد أخطأ في هذا ، فإنَّ صاحب القصيدة هو سهمٌ الذى ذكره
أولاً ، والبيتان من تلك القصيدة ، وقد نسبها إليه أبو تمام وغيره .
وقد اشتبه على الأمدى فظنَّ سهماً اثنين ، وأنَّ صاحبَ القصيدة غير
سهم الغنوى ، والصواب ما ذكرنا . وسهمٌ الذى ذكره ثانياً مجهول ،
ولهذا لم يرفع نسبه لا إلى أب ولا إلى جد . ولم يذكره غير الأمدى أحد .
والله أعلم بالصواب .

حروف الجر

أُنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٧٧٣ (باتت تنوش الجوض نوشاً من علا)

على أن (علا) فيه مبنى على الضم كقولهم : من علٌ بحذف المضاف إليه .

وبيانه ما قال ابن جني (في شرح تصريف المازني) نقلاً عن أبي علي : إنَّ الألف في علا منقلبة عن الواو ، لأنَّه من علوت ، وإنَّ الكلمة في موضع مبنى على الضم ، نحو قبلُ وبعد ، لأنَّه يريد نوشاً من أعلاه ، فلما اقتطع المضاف من المضاف إليه وجب بناء الكلمة على الضم نحو قبلُ وبعد ، فلما وقعت الواو مضمومة وقبلها فتحة قلبت ألفاً . وهذا مذهب حسن . انتهى .

وقال أبو علي (في التذكرة) : يجوز أن يكون علا مبنياً معرفة ، ويجوز أن يكون معرباً نكرة . فإن كان مبنياً كانت الألف منقلبة عن الواو لتحركها بالضممة . وإن كان معرباً كانت منقلبة عن الواو لتحركها بالجر . فإن قيل : لا يكون إلا مبنياً ، لأنَّه معرفة لتقدّم الحوض ، والمعنى من علا الحوض . قيل : قد قال الله تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٢) ، فهما نكرتان ، وإن كان ذكر الغلبة قد تقدّم ، وكان معلوماً ١٢٦ أن معنى الكلام من قبل الغلبة ومن بعدها . انتهى .

(١) في كتابه ٢ : ١٢٣ . وانظر معاني القرآن ٢ : ٣٦٥ والأصول ٢ : ١٤٢ والمنصف ٢ : ١٤٢ وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٣٤٨ والاقتصاب ٤٢٧ وابن يعيش ٤ : ٧٣ ، ٨٩ ورصف الباني ٣٧١ والأشباه والنظائر ٤ : ١٦١ واللسان (نوش ، علا ٣١٧) .

(٢) الآية ٤ من سورة الروم .

فعلم من هذا أنه لا يتعين بناؤه على ضمة على الواو المنقلبة ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، لقطعه عن الإضافة ونية معناه ، لجواز أن يكون معرباً بالجر والتنوين^(١) المقدَّرين على الواو المنقلبة ، ولا ينوى المضاف إليه لا لفظه ولا معناه ، ويكون كسائر الأسماء النكرة ، كما في قراءة : ﴿ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ ﴾ بالجر والتنوين .

واستشهد به سيبويه (في باب ما ذهب لأمه من أبواب التحقير) .
قال الأَعمى : استدلَّ به على أنَّ قولهم من علِّ محذوف اللام ، وإذا صغرت اسماً رُدَّتْ لامه ففيل عُلِّيَّ ، لأنَّ أصله من العلو . انتهى .

وكسيبويه أورده ابن السَّراج (في الأصول) .
وروى سيبويه : « وهى تنوش الحوض » بدل : « باتت تنوش » .

قال الفراء (في تفسيره) : النّوش : التناول . قال الشاعر :
فهى تنوش الحوضَ نوشاً من علّا نوشاً به تَقْطَعُ أجوازَ الفلا
قال الأَعمى : وصف إبلاً وردت الماء في فلاة من الأرض ، فعافتة وتناولته من أعلاه ولم تُمعن في شربه . انتهى .

وقال الجواليقي (في شرح أبيات أدب الكاتب) : يصف إبلاً تشرب من ماء الحوض وتناول ما فيه من الماء تناولاً من فوق ، تقطع به أرضاً بعيدة ، وتستغنى به عن المبالغة فيه . والأجواز : جمع جَوَز بفتح الجيم^(٢) ، وهو الوسط . وقال ابن السيد (في شرح أبياته أيضاً) :

(١) الكلام بعده إلى كلمة : « التنوين » التالية ساقط من ش .

(٢) في النسختين : « بضم الجيم » ، صوابه ما أثبت . على أن النص بهذا الضبط لم يرد في شرح الجواليقي .

لا أعلم هذا الرجز لمن^(١) هو ؟ يصف ناقهً شربت الماء من الحوض .
وقد يمكن أن يصف إبلا ويريد بقوله « به تقطع أجواز الفلا » أنهم
كانوا إذا حاولوا سفراً سقوا إبلهم الماء على نحو ما يقدرونه من بُعد
المسافة وقربها ، وكانوا يجعلون أظماء إبلهم ثلثاً وربعاً وخمساً إلى
العشر ، والعشر نهاية الأظماء . وكانوا ربما احتاجوا في الفلاة إلى الماء
ولا ماء عندهم ، فينحرون الإبل ويستخرجون ما في أجوافها من الماء
ويشربونه ، وهو معنى قول زيد الخيل الطائي :

نُصُولُ بِكَلِّ أَبْيَضَ مَشْرِقٍ عَلَى اللَّائِي بَقِيَ فِيهِنَّ مَاءٌ^(٢)
عَشِيَّةَ نَوْثَرِ الْغُرَبَاءِ فِينَا فَلَا هُمْ هَالِكُونَ وَلَا رِوَاءُ
انتهى

وهذا البيت من أبيات سيويه الخمسين التي لا يعلم قائلها، والله أعلم.
وأنشده صاحب الصحاح (في نوش) و (في علا) . وقال ابن
برى (في حاشيته عليه) : هذا الرجز لغيلان بن حريث الربيعي . ولم
أقف على خبر لغيلان . والله أعلم .

وأنشد بعده : وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد السبعائة^(٣) :

٧٧٤ (لِمَنْ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجَرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ)
على أَنَّ الكوفيَّينَ أجازوا استعمال (من الابتدائية) في الزمان أيضاً

(١) في الاقتضاب : « لا أعلم لمن هذا الرجز » .

(٢) جاءت « بق » هنا بفتح القاف على لغة طيء ، يقولون في بق : بقى ، وفي رضى :
رضى . وكذلك لغتهم في كل باء انكسر ما قبلها ، يجعلونها ألفا . اللسان (بق ٨٦) .

(٣) الجمل ١٥٠ والأزهية ٢٩٣ وابن يعيش ٤ : ٩٣ / ٨ : ١١ ورصف المباني ٢٣٠
والغنى ٣٣٥ والعينى ٣ : ٣١٢ والتصريخ ٢ : ١٧ والمص ١ : ٢١٧ والأشونى ٢ : ٢٢٩
وديون زهير ٨٦ .

كما في البيت . وسلّم الشارح المحقق هذه الدعوى منهم ، وطعن في الدليل ، قال : الإقواء لم يُبتدأ من الحجج ، بل المعنى من أجل مرور حجج وشهر . فمن فيه تعليلية^(١) لا ابتدائية .

اعلم أنّ محلّ النزاع بين أهل البلدين إنّما هو في ورود من لا ابتداء الغاية في الزمان ، فأهل الكوفة يثبتونه ، وأهل البصرة ينعونه . وأمّا ورودها لا ابتداء الغاية في المكان والأحداث والأشخاص فلا خلاف فيها عندهما . واستدلّ أهل الكوفة لورود من في ابتداء الغاية في الزمان^(٢) بقوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾^(٣) . وأول يوم من الزمان . وقوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾^(٤) وبالبيت المذكور . وأجاب البصريّون عن الآية الأولى بأنّ فيها مضافاً محذوفاً ، والتقدير : من تأسّس أول يوم . فمجرور من حدّث لا زمان . وضَعَفَهُ أَبُو الْبَقَاءِ بِأَنَّ التَّاسِيسَ لَيْسَ بِمَكَانٍ . وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّمِينُ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا مَنَعُوا مِنْ كَوْنِ مَنْ لَا بَتْدَاءَ الْغَايَةِ فِي الزَّمَانِ ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا فِي بَتْدَاءِ الْغَايَةِ فِي الْمَكَانِ . وَهَذَا رَدٌّ جَيِّدٌ حَقٌّ كَمَا ذَكَرْنَا .

ورّد الشارح المحقق دليل الكوفيّين بأنّه ليس التأسيس حدثاً ممتداً ولا أصلاً للمعنى الممتدّ . وإنّما هو حدث واقع فيما بعد من ، فتكون ظرفية كما في الآية الثانية .

فهو يوافقهم في مجيء من لا ابتداء الغاية في الزمان تبعاً للمبرد وابن

(١) ط : « تعليله » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « للزمان » ، وأثبت ما في ش .

(٣) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٤) الآية ٩ من سورة الجمعة .

دُرستويه ، ولهذا لم يؤوّل كما أوّل البصريُّون في الآية . وأجابوا عن الآية الثانية بأنّ من فيه ظرفية ، وإليه ذهب الشارح أيضاً .

وأجابوا عن البيت بما أجابوا به في الآية الأولى بأنّ فيه مصدراً محذوفاً ، أى من مرّ حجج ، فيكون مجرورها حدثاً لا زماناً .

وأجاب الشارح المحقق بأنّ من فيه تعليلية مع تقدير المضاف ، لا ابتدائية . وهو الحق ، فإنّ علة إقواء الديار مرور الدهور عليها ، لا ابتداء مرورها .

وأجاب بعضهم بأنّ من هنا على مذهب الأخفش زائدة ، والأصل أقوين حججاً ودهراً . نقله ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) . فيكون منصوباً على الظرفية . وأهونُ من هذا ادّعاء من ظرفية كما في الآيتين . ولم أر من قاله . وأجاب بعضهم بأنّ الرواية «مُد حجج ومُد دهر» وأنكر الأولى ^(١) . وهذا ليس بشيء ^(٢) . فإنّ البيت الواحد يأتى على روايات شتى وكلّها صحيحة ، إذا كان روائها ثقات . قال العسكري (في كتاب التصحيف) : قوله :

* أقوين من حجج ومن دهر *

قال الأصمعي : أقوين مُد حجج ومُد دهر . ومن روى : «من حجج» قال : معناه من مرّ حجج ومن مرّ دهر . قال الزجاج : قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ دخلت [من ^(٣)] في الزمان ، والأصل مذ ومنذ . هذا أكثر الاستعمال في الزمان . ومن جائز دخولها لأنّها أصل في ابتداء الغاية ، وفي التبعض . انتهى .

(١) ش : « وأنكر الأولى هنا » ، أى رواية « من حجج » .

(٢) ش : « وليس بشيء » .

(٣) التكلة من ش .

وقوله : (لمن الديار) الظرف خبر مقدم ، والديار مبتدأ مؤخر . وهذا الاستفهام تعجبٌ من شدة خرابها حتى كأنَّها لا تُعرف ولا يُعرف سُكَّانُها وأصحابُها . وبعض المصنِّفين حرَّفه ففتح اللام وكسر الميم ، وقال إنَّ مِن في البيت شاهدٌ لدخول من الجارة على المكان . وهذا مما يُتعجب منه .
(والقنَّة) بضم القاف وتشديد النون : أعلى الجبل . والقنَّة باللام موضع النون مثله . و (الحِجْر) بكسر الحاء المهملة : منازلُ ثمودِ بناحية الشام عند وادي القرى . قال صَعُوداءُ (في شرح ديوان زهير) : قال أبو عمرو : لا أعرف إلَّا حِجْرَ ثمود ، ولا أدري أَرادَه بعينه أم لا ؟ وأما حَجْرُ بفتح المهملة فهي قِصبة اليمامة ، ولكن لا يدخلها الألف واللام ، فلذلك أنكرها أبو عمرو . انتهى .

وكذا قال غيره . قال ابن السِّيد : هذا هو المروى هنا ، وقد أوَّله جماعة على زيادة آل .

قال اللخميُّ (في شرح أبيات الجمل) : قد يصنعون ذلك في الأعلام ١٢٨
قال الشاعر :

* ياليت أمَّ العَمْرِ كانت صاحبي ^(١) *

أراد : أمَّ عمرو . وقال الآخر :

* وجدت الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركا ^(٢) *

(١) مجهول القائل . وانظر المنصف ٣ : ١٣٤ وابن الشجري ١ : ١٥٤ والإنصاف ٣١٦ وابن يعيش ١ : ٤٤ ورصف المباني ٧٧ . وبعده :

* مكان من أشقى على الركائب *

(٢) لابن ميادة . وهو الشاهد ١١٥ من الخزائن ٢ : ٢٢٦ . وعجزة :

* شديداً بأحناء الخلافة كاهله *

أراد الوليد بن يزيد . هذا ما قالوا . والصواب دخول الألف واللام عليه . قال عاصم : الحَجْر بالفتح : مدينة اليمامة ، والحَجْر بالكسر : حَجْر ثمود . وقال الجوهري : الحجر ، بالفتح : قصبة اليمامة ، يذكُر ويؤنث ، ويؤيِّدهما البيت المتقدم وبيتُ النابغة :

وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحَجْرِ عَنُوءَ أَخَا جَابِرٍ وَاسْتَنَكَحُوا أُمَّ جَابِرٍ^(١)

والباء في قوله : (بَقْنَةُ) ظرفية متعلِّقة بمحذوف على أَنَّهُ حالٌ من الضمير المستتر في الجار والمجرور ، والعامل فيه الاستقرار المحذوف ، والتقدير : لمن الديار كائنةً بَقْنَةُ الحَجْر . و (أَقْوَيْنَ) : أَقْفَرْنَ ؛ يقال أَقوت الدار ، إذا خَلْتُ من سُكَّانِهَا وَأَقْفَرْتُ . والنون ضمير الديار ، وجملة أَقْوَيْنَ حالٌ من ذلك الضمير أيضاً . (والحجج) بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم : جمع حِجَّة بكسرها أيضاً ، وهى السَّنَةُ . والدَّهْر : الأبد الممدود . وروى بدله : (وَمِنْ شَهْرٍ) وأراد مِنْ شُهُورٍ ، فوضَعَ الواحد موضعَ الجمع اكتفاءً به . ونظائره كثيرة . قال اللَّخْمِي : ومن رواه مُذْ حِجِجٍ كَانَتْ مُذْ حَرْفٍ جَرٍّ ، والعامل فيها أَقْوَيْنَ ، وهى بمنزلة في ، لَأَنَّ المعنى أَقْوَيْنَ فِي حِجِجٍ .

والبيت مطلع قصيدة لزهير بن أَبِي سُلْمَى ، مدح بها هَرَمُ بْنُ سَنَانٍ صاحب الشاهد ابن أبي حارثة المُرِّي ، عدَّتْهَا تسعة عشر بيتاً ، وبعده :

(لِعِبَ الرِّيَّاحُ بِهَا وَغَيْرَهَا بَعْدَى سَوَافِي المُورِ والقَطْرِ
قَفَرٌ بِمَنْدَقِ النَّحَائِ مِنْ ضَفْوَى أُولَاتِ الضَّالِ والسَّدْرِ
دَغْ ذَا وَعَدَّ القَوْلَ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الكُھُولِ وَسَيِّدِ الحَضَرِ^(٢))

(١) ديوان النابغة ٤٧ برواية « فاستنكحوا » . واستنكحوا بمعنى نكحوا .

(٢) في رواية الأعلَم : « خير البداة » ، وهو الأوفى . وهو جمع باد لساكن البادية .

والسَّوافي : جمع سَاف ، اسم فاعل من سفت الريح الترابَ نَسْفِيهِ سَفِيًّا ، إِذَا ذَرَّتْهُ . والمُور ، بالضم : الغبار بالريِّح . والقَطَر : المطر . قال صَعُوداءُ (في شرحه) : قال أبو عبيدة : ليس للقطر سوافٍ ، ولكنه أشركه في الجرِّ . انتهى .

وليس هذا من الجرِّ على الجوار ، لأنَّه لا يكون في النَّسَق . ووجهه أَنَّ الرِّياح السَّوافي تُدري التُّراب من الأرض ، وتُنزل المطر من السحاب . وقوله : « قَفَرٌ » أى تلك الديار قفر . والمندفع بفتح الفاء . والنَّحاث^(١) ، بفتح النون بعدها حاءٌ مهملة وآخره مثناة فوقية ، قال صَعُوداءُ : هي آبارٌ . ومُنْدَفَعُها : مُنْدَفَعُ مياهاها ، ولعلَّها أودية . والآبار تفسير أبي عمرو . قال : ويقال موضعٌ فيه آبار . والضَّفوان ، بالضاد المعجمة بعدها فاءٌ : الجانبان ، الواحد ضَفًّا كَفًّا . و « أُولاتِ الضَّالِّ والسَّدَر » : مواضع فيها سِدر . والضَّالُّ ، هو السَّدَر البَرِّي .

وقوله : « دَعْ ذَا وَعَدٍ » إلخ ، قال صعُوداءُ : عَدُّ القول : اصرْفُه إليه . والحَضْر ، جمعٌ واحدُه حاضر ، مثل صَحْبٍ وصاحب . انتهى . والحاضر : الحيُّ العظيم . والحاضر : خلاف البادى .

والأبيات الثلاثة الأولى قد نسبها نُقَّادُ الشُّعر إلى حمادِ الرَّأوية ، صاحب الشاهد وقالوا : أوَّل القصيدة إنما هو : دَعْ ذَا وَعَدِّ القول البيت .

روى الأصبهانيُّ بسنده (في الأغاني) عن جماعةٍ أَنَّهُم كانوا في دارِ أمير المؤمنين المهديِّ بعيساباد ، وقد اجتمع فيها العلماءُ بأيَّام العرب

وآدابها وأشعارها ولُغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا
بالمفضل الضبي الراوية ، فدخل فمكث ملياً . ثم خرج ذلك الرجل بعينه
١٢٩ فدعا بحماد الراوية ، فمكث ملياً ثم خرج ومعه حماد والمفضل جميعاً ،
وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور
والنشاط ، ثم خرج الخادم^(١) معهما فقال : يا معشر من حَضَرَ من أهل
العلم ، إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماد الشاعر بعشرين ألف
درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته ، لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ،
ووصل المفضل بخمسين ألف درهم لصِدْقِهِ وصحّة روايته . فمن أراد أن
يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد روايةً صحيحةً
فليأخذها عن المفضل . فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهديّ قال للمفضل
لما دعا به وحده : إنّي رأيتُ زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

* دع ذا وعدّ القول في هرم *

ولم يتقدّم قبل ذلك قولٌ ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له
المفضل : ما سمعتُ في هذا شيئاً إلا أنّي توهمتُه كان [يفكر^(٢)] في
قول يقوله ، أو يروى في أن يقول شعراً ، قال : عدّ إلى مدح هرم ،
دع^(٣) ذا ، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : دعّ ذا ، أي
دعّ ما أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم . ثم دعا بحماد^(٤) فسأله
عن مثل ما سأل عنه المفضل فقال : ليس هكذا قال زهير ، يا أمير المؤمنين .
قال : كيف قال ؟ فأنشده :

(١) في الأغاني ٥ : ١٦٤ : « ثم خرج حسين الخادم » .

(٢) التكلة من الأغاني .

(٣) في الأغاني : « فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دعّ ذا » .

(٤) الأغاني : « فأمسك عنه ثم دعا بحماد » .

* لمن الديار بقنة الحجر *

الأبيات الثلاثة :

دع ذا وعدَّ القول في هرم البيت

قال : فأطرق المهدي ساعة ثم أقبل على حماد فقال : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبراً لا بد من استحلافك عليه . ثم استحلفه بآيمان البيعة ليصدقني عما يسأل عنه . فحلف له ، فلماً توثق منه قال له : اصدقني عن حال هذه الأبيات ، ومن أضافها إلى زهير . فأقر له حينئذ أنه قالها . فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهر أمرهما وكشفه . انتهى .

وحماد قد ترجمه صاحب الأغاني^(١) ، فلا بأس بإيراد شيء من أخباره ، فإنه كان من أعاجيب الدنيا ، ولكونه صاحب البيت الشاهد استحق أن نترجمه . وهو ممن يصح الاستشهاد بكلامه .

حماد الراوية

قال : هو حماد بن ميسرة ، فيما ذكره الهيثم بن عدي . وكان صاحبه وروايته وأعلم الناس به . وزعم أنه مولى بني شيبان . وكان من أعلم الناس بآيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتسنى بره^(٢) . وقال له الوليد بن يزيد : بما استحققت هذا اللقب^(٣) فقبل لك : حماد الراوية ؟ قال : لأنني أروي لكل شاعر يعرفه أمير المؤمنين أو سمع به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن لا تعرف^(٤) بأنك لا تعرفهم ولا سمعت بهم^(٥) ، ثم لا أنشد شعراً لقديم

(١) الأغاني : ١٥٦ - ١٦٥ .

(٢) في الأغاني : « وتسيره » أى تطلب زيارته .

(٣) وكذا في الأغاني ، وهي لغة جائزة قرئ بها : « عما يتسادلون » .

(٤) ط : « من لا تعرف » ، صوابه في ش والأغاني .

(٥) الأغاني : « أنك لم تعرفهم ولم تسمع به » .

أو محدث إلا ميّزت القديم منه من المحدث . قال : إن هذا لعلم وأبيك كثير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنني أنشدك على أي حرف شئت من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية . قال : سأمتحنك . وأمره الوليد بالإنشاد . فأنشده حتى ضجر الوليد ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه . فأنشده ألفي قصيدة وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

وروى أحمد بن عبيد ، عن حماد أنه قال : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشام يجفوني لذلك ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام جفاني^(١) ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن اثق به من إخواني سرا ، فلما لم أسمع أحدا يذكرني أمّنت وخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حماد ، أجب الأمير يوسف بن عمر . فقلت في نفسي : هذا ما كنت أخذر : فصرت إليه فرمى كتاباً إليّ فيه : من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أمّا بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروّع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرية يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق . فأخذتها وركبته وسيرت حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار مفروشة بالرخام ، وبين كل رُخامتين قضيب ذهب ، وحيطانها كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر ، وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مبثوث في أواني الذهب ،

(١) بدله في الأغاني : « خفت » .

يقلِّبه بيده فتفوح روائحه . فسَلِّمت عليه فردَّ عليَّ السلام ، واستدنانى
فدنوتُ حتى قَبَلْتُ رجله ، فإذا جاريتان لم أرَ مثلهما ، فى أُذُن كلِّ واحدةٍ
منهما حلقتان^(١) فيهما لؤلؤتان توقَّدان ، فقال لى : كيف أنت يا حمَّاد ،
وكيف حالك ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدرى فيما بعثتُ
إليك ؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إليك لبيتٍ خطرَ ببالى لم أدرِ مَنْ قاله ؟
قلتُ : وما هو ؟ قال :

فدَعَت بالصُّبوح يوماً فجاءت قَيْنَةً فى يمينها إِبْرِيْقُ^(٢)

قلت : هذا يقوله عدىُّ بن زيد فى قصيدةٍ له . قال : أنشدنيها .
فأنشدتها :

بَكَرَ العاذلون فى فلق الصُّبِّ ح يقولون لى : أَلَا تَسْتَفِيْقُ^(٣)

ويلومون فيك يا ابنة عبدِ الله والقَلْبُ عندكم موهوقُ^(٤)
لستُ أدرى إذْ أَكْثَرُوا العذلَ عندى

أَعْلُوْا يلومنى أم صديقُ^(٥)

زانهَا حُسْنُهَا وفرعُ عيمٍ وأثيثُ صِلْتُ الجبين أنيقُ

وثنايَا مُفْلَجَاتُ عذابٍ لا قِصاراً ترى ولا هُنَّ رُوْقُ

فدَعَت بالصُّبوح يوماً فجاءت قَيْنَةً فى يمينها إِبْرِيْقُ^(٦)

(١) فى الأغاني : « حلقتان من ذهب » .

(٢) الأغاني : « فدعوا » . وفى الديوان ٧٨ : « ثم نادوا على الصبح » .

(٣) الأغاني : « فى وضع الصبح » ، وهى رواية الديوان .

(٤) وكذا فى الديوان ٧٦ . والموهوق من الوهق ، وهو جبل مغار فيه أنشوطه ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٥) الأغاني : « أو صديق » .

(٦) الأغاني : « فدعوا بالصبح » .

قَدَّمْتَهُ عَلَى عَقَارِ كَعَيْنِ الْـ لَدَيْكَ صَفَى سُلَافِهَا الرَّاوُوقُ
ثُمَّ كَانَ الْمَزَاجُ مَاءً غَمَامٍ غَيْرَ مَا آجِنٍ وَلَا مَطْرُوقٍ^(١)

قال : فطربَ وقال : أَحسنتَ والله يا حماد ، سلتني حوائجَكَ . فقلت :

كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى الجاريتين . قال : هما جميعاً بما عليهما وما لهما لك . فوهبهما له ، وأنزله في داره ، ثم نقله من غدٍ إلى منزله أعدّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لهما وكل ما يحتاج إليه . فأقام عنده مدة ، فوصل إليه منه مائة ألف درهم .

وروى أيضاً بسنده أن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، والمعروف بابن الكردية ، كان يستخفُّ مطيع بن أبياس ويحبُّه ، وكان منقطعاً إليه ، وله منه منزلة حسنة . فذكر مطيع حماداً وكان صديقَه ، وكان مطرَحاً مجفواً في أيَّامهم ، فقال له : اتتنا به لنراه . فأتى مطيع حماداً فأعلمه بذلك ، وأمره بالمصير إليه ومعه ، فقال له حماد : دَعْنِي فَإِنْ دَوْلَتِي كَانَتْ مَعْنِي أُمِيَّةٌ ، وَمَالِي مَعَ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ . فَأَتَى مَطِيعُ إِلَّا الذَّهَابَ بِهِ ، فَاسْتَعَارَ حَمَادٌ سَوَادًا وَسَيْفًا^(٢) ، ثُمَّ أَتَاهُ فَمَضَى بِهِ إِلَى جَعْفَرٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : أَنْشِدْنِي لَجَرِيرٍ . قَالَ حَمَادٌ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ سُلِّخَ شَعْرُ جَرِيرٍ كُلُّهُ مِنْ قَلْبِي ، إِلَّا قَوْلَهُ :

١٣١

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعَا

أَوْ كُلَّمَا اعْتَزَّمُوا لَبِينَ تَجَزَعُ

(١) الأغانى : « ماء سماء » . وفي الديوان : « ماء سحاب لا حصى آجن » .

(٢) أى ثياباً سوداً . وكان السواد شعار العباسيين .

فاندفع ينشده إيّاها حتى قال :

وتقول بَوَزَعٌ قد دَبَبْتُ على العصا

هَلَّا هَزِزْتُ بغيرنا يا بَوَزَعُ

قال حمّاد : فقال لى جعفر : أَعِدْ هذا البيت . فأعدته . فقال :
بوزعُ أيش هو ؟ قلت : اسم امرأة . فقال : هو برىء من الله ورسوله
ونفى من العباس إن كانت بوزعُ إلا غولاً من الغيلان ! تركّنى والله
يا هذا لا أنام الليل من فزع بَوَزَع ! يا غلمان ، قفاه ! قال : فصُفِعتُ
حتى لم أدر أين أنا . ثم قال : جرّوا برجله . فجرّوا برجلي حتى أخرجتُ
من بين يديه مسحوباً ، فتخرّق السواد ، وانكسر جفنُ السيف ، ولقيتُ
شراً عظيماً . وكان أشدَّ من ذلك غرامتى ثمنَ السواد وجفنِ السيف .

وكتب حمادُ إلى بعضِ الرؤساء الأشراف :

إنّ لى حاجة فرأيتك فيها لك نفسى فدى من الأوصابِ
وهى ليست ممّا يبلغها غيب رى ولا يستطيعها فى كتاب^(١)
غير إنى أقولها حين ألقا لك رويداً أسرها فى حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتبْ لى بحاجتك ولا تشهرنى فى شعرك .
فكتب إليه حماد :

إنى عاشقٌ لجبتك الدكن اءِ عشقاً قد حال دُونَ الشرابِ
فاكسنيها فدتك نفسى وأهلى أتباى بها على الأصحابِ
ولك الله والأمانة أن أج علها عمرها أميرَ ثيابى

(١) الأغاني ٥ : ١٦١ : « ما يبلغه غيرى » ..

فبعث بها إليه .

قال ابن النطّاح : كان حمادُ في أول أمره يتشطرّ ، ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقّب ليلةً على رجل وأخذ ماله ، فكان فيه جزءٌ من أشعار الأنصار ، فقرأه حمادُ فاستحلاه وحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام العرب ولغاتها بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ .

وروى بسنده أيضاً عن ابن الأعرابي أنه قال : سمعت المفضل الضبي يقول : قد سلّط على الشعر حمادُ الراوية فآفسده . فقلت له ؟ وكيف ، أخطئ في روايته أم يلحن ؟ فقال : ليته كان ذلك ، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيها ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الافاق ، فيختلط بأشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذاك .

وروى أيضاً بسنده أن الطرمّاح قال : أنشدت حماداً الراوية ، في مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناس^(١) وأحفظهم ، قولي :

* بأن الخليطُ بسُحرة فتبدّوا *

وهي ستون بيتاً ، فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ، ثم أقبل على فقال : هذه لك ؟ قلت : نعم . قال : ليس الأمر كذلك . ثم ردّها على كلّها وزيادة عشرين بيتاً زاد فيها في وقته ، فقلت له : ويحك ، إن هذا شعراً قلته منذ أيام ما اطّلع عليه أحد . فقال : قد والله قلتُ هذا الشعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعلى وعلى . فقلت : لله على حجة أحجّها حافياً راجلاً إن

جالستك بعدها أبدا ؟ فأخذ قبضة من حصي المسجد ثم قال : علىَّ الله بكلِّ حصاةٍ مائة حَجَّةٍ إِنْ كُنْتُ أَبَالِي . فقلتُ له : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع . ثم انصرفت .

وروى بسنده [أيضاً^(١)] أَنَّهُ كَانَ بِالْكُوفَةِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يُقَالُ لَهُمُ الْحَمَّادُونَ : حَمَّادُ عَجْرَدَ ، وَحَمَّادُ الرَّاوِيَةِ ، وَحَمَّادُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَان ، يَتَنَادِمُونَ عَلَى الشَّرَابِ وَيَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَيَتَعَاشَرُونَ مُعَاشِرَةً جَمِيلَةً ، وَكَانُوا كَأَنَّهُمْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ، وَكَانُوا يُرْمَوْنَ بِالزُّنْدَقَةِ جَمِيعاً^(٢) .

وقد هجاه أبو الغول الطَّهَوِيُّ بقوله^(٣) :

نِعَمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ

أَوْ حِينَ وَقْتِ صَلَاتِهِ حَمَّادُ^(٤)

ضَمَّتْ مَشَافِرَهُ الشُّمُولُ فَانْفُسُهُ

مِثْلُ الْقَلْدُومِ يَسْنُهَا الْحَمَّادُ^(٥)

وَابْيَضَ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ

فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ

وَأُنْشِدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ^(٦) :

(١) التكلة من ش .

(٢) الأغاني ٥ : ١٥٧ . وانظر الحيوان ٤ : ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) نسب هذا الهجاء في الحيوان ٤ : ٤٤٥ إلى حماد بن الزبير قان . ولعل الأوفق نسبته إلى أبي الغول كما في الأغاني ٥ : ١٦٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٣٣ مع ما تقولوه الرواية ، أن الحمادين كانوا كأنهم نفس واحدة .

(٤) في الحيوان والأغاني وأمالى المرتضى :

• ويقم وقت صلاته حماد •

(٥) الأغاني والحيوان : « هدلت مشافره الدنان » . وفي أمالى المرتضى : « بسطت مشافره

الشمول » .

(٦) الأغاني ١٩ : ١١٢ ومعجم البلدان (طهيان) .

٧٧٥ (فليْتَ لَنَا مِنْ ماءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً

مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانٍ)

على أن (مِنْ) قد تَأَنَّى للبدل . أى فليْتَ لَنَا شَرْبَةً بَدَلَ ماءِ زَمْزَم .
(وَطَهْيَانٍ) بفتح الطاء المهملة والهاء والمثناة التحتية : جَبَل . ورواه
الصاغاني في العباب : « باتت على الهميان » ، وقال : هكذا الرواية : والنُّحَاة
يروونه : « على طَهْيَانٍ » . والهميانُ : قوائم من صخرٍ شاخِصَةٍ في بلاد
غطفان . وأنشده (في مادة برد) قال : وبرَّدت الماءَ تبريداً ، ولا يقال
أبردته إلا في لغة رديئة . ونسب البيت ^(١) إلى الأخولِ الكِنْدِيِّ .
وهذا خلاف ما عليه الرواة فإنهم قالوا : إنَّ البيت آخر قصيدةٍ ليعلى
الأزدى ، تقدَّمت في الشاهد الثالث والثمانين بعد الثلاثائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد السبعائة ^(٣) :

٧٧٦ (لَا تَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوَى شَطَطٍ

كَالطَّنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ)

على أَنَّهُ لو صحَّ قول المصنف في توجيه كلام العرب : « قد كَانَ
مِنْ مَطَرٍ » بَأَنَّ أَصله : قد كَانَ شَيْءٌ مِنْ مَطَرٍ ، فحذف الفاعلُ الموصوف
بالظرف ، لجاز أن تكون الكاف في هذا البيت حرفَ جرٍّ ، ويكون الفاعل

(١) ش : « وينسب البيت » .

(٢) الخزائن ٥ : ٤٠٤ .

(٣) المقتضب ٤ : ١٤١ والأصول ١ : ٥٣٥ والخصائص ٢ : ٣٦٨ وسر الصناعة
١ : ٢٨٣ وابن الشجري ٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦ وابن يعيش ٨ : ٤٣ ووصف المياني ١٩٥
والبيئ ٣ : ٣٩١ والهمع ٢ : ٣١ والأشياء والنظائر ٤ : ١١٥ ويس على التصريح ٢ : ١٨
واللسان (حط ١٤٤ عث ٤٥٠ غيل ٢٥ ، ٢٧) وديوان الأعشى ٤٨ .

محذوفاً ، وقد أقيم الظرفُ مقامه ، فلا يصح الاستدلال بالبيت على أنَّ الكاف اسمٌ مع أنَّها اسم وجوباً في البيت .

وقدره ابنُ السَّراج (في الأصول) ما ذكره المصنَّف قال : في الكلام والأشعار ما يُوجب للكاف أنَّها اسمٌ . قال الأعشى :

أتستهون ولا ينهى ذوى شَطَطٍ البيت

فالكاف هي الفاعلة . فإن قال القائل : إنما هي نعتٌ لمحذوف ، أراد شيئاً كالطَّعن ، وهي حرف . قيل له : إنما يخلف الاسم ويقوم مقامه ما كان اسماً مثله ، نحو جاعني عاقلٌ ومررت بظريف . وليس بالحسن إلا فيما يشكل من النعوت ، ولو كان غير الاسم يخلفها لصلح أن تقول جاعني يقوم ، وكلمت يضرب ، تريد إنساناً ورجلاً ونحو ذلك . وكذلك يلزمك أن تقول : جاعني في الدار ، تريد : رجلٌ في الدار . انتهى .

وسياتي إن شاء الله تعالى بقية الكلام عليه في الكاف .

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، تقدّم بعضها في الشاهد التاسع والثلاثين بعد السَّائة^(١) . وقبله :

<p>تَخْدِي وَسِيْقَ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْغُلْبُ لَنَقْتُلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَلُ لَا تُلْفِنَا عَنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَفِلُ كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْقَتْلُ يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجْلُ أَوْ ذَابِلُ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مَعْتَدُ</p>	<p>(إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمُهَا لَشَنْ قَتَلْتُمْ عَمِيداً لَمْ يَكُنْ صَدَداً وَإِنْ مُنِيتَ بَنَا عَنْ غِيبٍ مَعْرَكَةٍ لَا تَسْتَهْوِنَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ حَتَّى يَظُلَّ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُرْتَفِقاً أَصَابَهُ هُنُلُوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ</p>
--	--

١٣٣

قوله : « إني لعمر الذي » إلخ اللام للتوكيد ، وعمر بالفتح مبتدأ خبره محذوف يقدر بعد تمام البيت ، تقديره قسمي . وعمر مضاف إلى الذي بتقدير موصوف ، أي لعمر الله الذي . ومعنى لعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه . والبيت الذي بعده جواب القسم ، والقسم وجوابه خبر إني . وخطت ، بالخاء المهملة ، بمعنى اعتمدت . ومناسمها فاعله ، والمناسم : جمع منسم كمجلس ، وهو طرف خف الإبل . والضمير المؤنث ضمير الإبل وإن لم يجر لها ذكر ، لأن المناسم تدل عليها ^(١) . والعائد إلى الذي محذوف تقديره إليه ، أي إلى بيته ، ويدل عليه ما بعده . وتخذى بالخاء المعجمة والدال المهملة ، أي تسير سيراً شديداً ، وفاعله ضمير المناسم فيه ، والجملة حال من المناسم . وإسناد الخدى إلى المناسم مجاز عطف ، وفي الحقيقة إنما هو للإبل . وروى أبو عبيدة : « له » بدل تخدى ، فالعائد حيثئذ مذكور . وقوله : « وسيق » عطف على خطت ، أي وعمر الذي سيق إليه . والباقر نائب فاعل سيق ، وهو اسم جمع ^(٢) معناه جماعة البقر . والغيل بضمين : جمع غيل ، بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ، بمعنى الكثير . يريد : إني أقسم بالله الذي تسرع الإبل إلى بيته ويساق إليه الهدى . والخطيب التبريزي لم يأت في شرح هذا البيت بشيء ، مع أنه اختلفت الرواة فيه ، وخطأ العلماء بعضهم بعضاً فيه .

وقد روى أبو القاسم علي بن حمزة البصري (في أول كتابه : التنبيهات على أغلاط الرواة) . ما وقع للأئمة الأعلام من الردود وتخطئة بعضهم بعضاً ، فلا بأس بإيراده ، قال :

(١) ط : « يدل عليها » .

(٢) ط : « وهو اسم موضع » ، صوابه في ش .

ونَقِلَ إلينا من غير وجهٍ أن أبا عمرو الشَّيبانيَّ قال : روى أبو عبيدة بيت الأعشى : « وسبق إليه الباقر العُثْلُ » أى بعين مهملة وثاء مثناة مفتوحتين ، فأرسلت إليه : صَحَّفْتَ ، إنما هو الغُيْلُ : أى الكثير ، يقال : ماء غيل ، إذا كان كثيراً . وروى عنه أيضاً أنه قال : الغُيْلُ : السَّهْمُ ، من قولهم : ساعدٌ غَيْلٌ . وكان أبو عبيدة يروى هذا البيت

إِنِّى لَعَمْرُ الذى حَطَّطْتُ مناسمُها تَحْدِى وسبق إليه الباقرُ العُثْلُ

وحكى ابن قتيبة أن أبا حاتم قال : سألت الأصمعى عنه فقال : لم أسمع بالعُثْل إلا فى هذا البيت . ولم يفسره . قال : وسألت أبا عبيدة عنه فقال : العُثْلُ : الكثير . قال ابن قتيبة : وخبرنا غيره أن الأصمعى كان يروى .

• وَجَدَ عَلَيْهَا النَّاْفِرَ الْعَجَلُ •

يريد النَّفَار من مِنى . والنَّاْفِر لفظه لفظ واحد وهو معنى جمع . وقد اختلف عنه فى « العجل » فقال بعض : « العُجْل » بضم العين ، وقال بعض : « الْعَجَل » أى بفتح فكسر ، وجعله وصفاً لِمَوْاحِد . قال : ورواه أبو عبيدة : « حَطَّطْتُ مناسمها » بالخاء غير معجمة ، وقال : يعنى حِطاطها فى السَّير ^(١) ، وهو الاعتماد . ورواه الأصمعى : « حَطَّطْتُ مناسمها » بالخاء المعجمة ، أى شَقَّتْ التراب . وأنشد للنابغة :

١٣٤

• فما خططت غبارى ^(٢) •

أى شققته . وقال الأصمعى : حَطَّطَ خطأ .

(١) الحطاط وردت فى القاموس ولم ترد فى اللسان .

(٢) البيت بتمامه كما فى التفتيحات ٨١ ، وديوان النابغة ٣٤ وما ساقى فى ص ٤٥٨ :

أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني تحت المعاج فإ خططت غبارى

: فانظر إلى اختلافهم في هذا البيت . وردَّ بعضهم على بعض ، ومُرَّاسلة أبي عمرو أبا عبيدة فيه .

وقد أصاب أبو عمرو في الغُيْل ، وصَحَّفَ أبو عبيدة ، لأنَّ لتفسيرِي أبي عمرو وجهين صحيحين معروفين ، وتفسير أبي عبيدة غير مسموع من غيره ولا معروف ^(١) .

ولا تلتفتنَّ إلى قول ابن دريد : نَعَمْ عَثَلٌ وَعَثِلٌ : كثير ^(٢) ولا إلى قوله ^(٣) : العَثَلُ : الغلط والفخامة ، عَثِلَ يَعَثِلُ عَثَلًا . وكلُّ كثيرٍ عَثِلٌ ^(٤) . فكل هذا عن أبي عبيدة .

وأصاب أبو عبيدة في حَطَّتْ ، لأنه وجه صحيح ، وأخطأ الأصمعيُّ في قوله : حَطَّتْ بالمهملة خطأً . ولأنَّ تكونَ معتمِدةً في سيرها بمناسمها خيرٌ من أن تكون خاطئةً . والخطُّ بالمهملة : الاعتماد ، يقال حَطَّ يَحْطُّ حَطًّا ، إذا اعتمد . ولما لم يعرفه الأصمعيُّ ردَّه . قال عمرو بنُ الأَهم :

ذَرِينِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَا أُمَّ هَيْثُمَ لَصَالِحٍ أَخْلَاقِ الرُّجَالِ سَرُوقٌ ^(٥)
ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي عَلَى الْحَسَبِ الزَّاكِي الرَّفِيعِ شَفِيقٌ ^(٦)

ومن هذا أخذ : حَطَّ الأديم ، وهو صقله ودلَّكه ، وذلك لأنَّ صاقله

(١) جهرة ابن دريد ٢ : ٤٥ .

(٢) ما بعده إلى : « أبي عبيدة » ساقط من التنبيهات .

(٣) ط : « وإلى قوله » .

(٤) ش : « وكل شيء عَثِل » ، صوابه في ط .

(٥) المفصليات ١٢٥ والهامية ١٦٥٢ بشرح الموزوق و ٤ : ١٩٢ بشرح التبريزي .

(٦) ما بعد هذا البيت إلى نهاية النص لم يرد في نسخة التنبيهات .

يعتمد عليه . يقال حَطَّه يحطُّه حَطًّا ، فهو أديمٌ محطوط . والخشبة التي يُصَقَّل عليها يقال لها المِحْطُ . قال النمر بن تولب :

كَأَنَّ مِحْطًا فِي يَدَيَّ حَارِثِيَّةٍ صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّي بِهِ الْجِلْدَ مِنْ عَلٍّ^(١)

شَبَّه بَرَقَان بَدَنِهِ لِمَاءِ الشَّبَابِ وَتَرَارِيهِ ، بِالْأَدِيمِ الْمَصْقُولِ . انتهى ما أورده أبو القاسم .

وقال العسكري (في كتاب التصحيف) : وقد رَوَّأَ بَيْتًا مِنْ شَعْرِ الْأَعْشَى عَلَى عَشْرَةِ أَوَاجِهِ ، وَهُوَ :

إِنِّي لَعَمْرُ الدِّي حَطَّتْ مَنَاسِمَهَا الْبَيْتِ

وذكرت الأوجهَ لِيُعْلَمَ قَدْرُ عَنَايَتِهِمْ بِالْعِلْمِ ، وَصَرَفَ اهْتِمَامَهُمْ إِلَيْهِ . رواه الأصمعي : « إِنِّي لَعَمْرُ الدِّي حَطَّتْ » بالخاء المعجمة . ورواية عَسَل^(٢) عنه بالخاء غير المعجمة . وقال الأصمعي : حَطَّتْ ، يَعْنِي أَنَّهَا تَشَقُّ التُّرَابَ . قال : ومثله قول النابغة :

أَعْلِمْتَ يَوْمَ عُكَاطَ حِينَ لَقِيتَنِي

تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا حَطَّطَتْ غُبَارِي^(٣)

أَي قَصَّرَتْ عَنْهُ أَنْ تَدْرِكَهُ . قال : وَلَا يَكُونُ حَطَّتْ ، لِأَنَّ الْحِطَّاطَ

(١) ديوان النمر ٨٥ والحيوان ٥ : ٤٨ واللسان (حطط) ، وهو من قصيدة أولها :

تَأْبَسُ مِنْ أَطْلَالِ جِمْرَةٍ مَأْسَلٍ وَقَدْ أَقْسَرَتْ مِنْهَا سِرَاهُ فَيَذِلُّ

(٢) التصحيف ٢١٤ - ٢١٧ .

(٣) هو عسل بن ذكوان العسكري النحوي . روى عن المازني وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وروى أيضاً عن الرياشي ، وكان في أيام المبرد . وله : أقسام العربية ، والجواب المسكت . انظر إنباء الرواة ٢ : ٢٨٣ وفيه مراجع ترجمته .

(٤) سبق الكلام عليه قريباً .

الاعتماد في الزمام . ورواها أبو عمرو : « حَطَّت » بالحاء وقال : هو أن يعتمد في أحد شقيه . ورواه : « تَخَلَّى » بالخاء المعجمة ، وقال : « الباقر العيل » بعين غير معجمة بعدها ياءٌ تحتها نقطتان . وفي رواية الزيادي عن الأصمعي : « الباقر العئل » بعين وثاء فوقها ثلاث نقط ، وفسره فقال : العئل والعشج واحد ، وهو الجماعة . وفي رواية عسل : « حَطَّت » بالحاء غير المعجمة ، وقال : معناه أسرعت . قال : والعئل الكبير الثقيل : يقال انكسرت يده ثم عئلَتْ تعئل ، أى ثقُلَتْ عليه . هذه رواية الأصمعي . ورواه أبو عبيدة : « حَطَّت » بالحاء ، وهو الاعتماد في أحد شقيه إذا سارت . وروى : « العئل » وقال : هي القطيع والجماعات ، يقال ذلك في الناس والإبل . وكذلك العشج ، ولم يعرف الغئل . ورواه أبو عمرو الشيباني : « الغئل » بعين معجمة وتحت الياء نقطتان ، وفسره بالكثير وقال : يقال ماء غئل إذا كان كثيراً . والغئل أيضاً السَّمان . يقال ساعد غئل ، إذا كان ممتلئاً رياً . قال : وروى أبو عبيدة : « العئل » بالثاء منقوطة بثلاث ، فأرسلتُ إليه : أن قد صَحَّفْتَ ، إنما هو الغئل .

١٣٥

وروى بعضهم عن الأصمعي أنه قال : الرواية : « وجدَّ عليها النافر العُجلُ » بالجيم . والنافر بالنون والفاء . أى حَطَّتْ مناسمها تَخَلَّى ذاهبة ثم جدَّتْ عليها النُّفَّار من منى حيث نفَّروا .

وقال أبو الحباب : قلت له : إنما قالَ النافر ، وهو واحدٌ ، ثم قال العُجلُ ؟ فقال : كقولك : يَأْيُها الرجل وكلُّكم ذلك الرجل . وكثيراً ما يجىء الواحد في معنى الجميع ^(١) .

(١) ط : « الجمع » ، وأثبت ما في ش وكتاب التصحيف ٢١٦ .

ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن أصحابه « خَطَّتْ » بالخاء المعجمة ، وقال : يعنى أنها تشقُّ التراب . قال : وكذلك قول النابغة ^(١) :
 * فما خططت غبارى *

يعنى ما شققته ، أى قصّرت عنه ولم تدركه . وروى بعضهم :
 « خَطَّتْ مناسمها تُحدى » بحاء مهملة بدلا من تحدى .

فانظر إلى هذا البيت ، وكم أتعب من الرواة والعلماء واحتملوه ، لطلب الفائدة فيه . انتهى كلام العسكري .

وقوله : « لئن قتلتكم » إلخ اللام هى الموطئة للقسم . وقوله لنقتلن جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم .

وقوله : « وإن مُنيت بنا » إلخ يأتى إن شاء الله شرحه فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد التسعمائة ، فى حروف الشرط . والخطاب ليزيد بن مسهر الشيبانى ، فإنه كان أغوى بنى سيار فى أن يقتلوا سيّداً من رهط الأعشى ، على ما تقدّم سببه هناك .

والعميد : السيّد الذى يُعمد ، أى يُقصّد . والصّدّد ، بفتحيتين : المقارب .
 وقوله : « فتمثّل » أى نقتل الأمثل . وأماثل القوم : خيارهم . يقول :
 والله إن قتلتُم منا دونَ السيّد لنقتلُ أمثلكم .

وقوله : (لا تنتهون) إلخ أى لا تنزجرون . وقوله : (ولن ينهى) إلخ البيت : جملة معترضة بين لا تنتهون وبين متعلّقه وهو حتّى يظّل ، البيت الآتى . وزعم العينى أنّ الجملة حالية . وعُذره أنّه لم ينشد البيت الذى

(١) كلمة « النابغة » ساقطة من ش ، وفيها : « وكذلك قوله » .

بعده . ويروى : (أنتهون) بالاستفهام الإنكارى (ولن ينهى) بفتح الهاء ، وذوى مفعول مقدم . يقال ينهأ ، أى يزجره ويمنعه . و (الشطط) بفتحيتين : الجور والظلم . فى (المصباح) : شطَّ فلانٌ فى حكمه شطوطاً وشططاً : جار وظلم . وشط فى القول شططاً وشطوطاً : أغلظ فيه . وشط فى السوم : أفرط . والجميع من بابى ضرب وقتل^(١) . والكاف من قوله (كالطعن) اسمٌ فاعلٌ ينهى ، والطعن مضاف إليه ، وهو مصدر طعنه بالرمح طعناً ، من باب قتل . ويهلك بكسر اللام من باب ضرب . وجملة (يهلك) إلخ صفة للطعن ، لأن اللام فيه للجنس . (والقتل) بضميتين : جمع فتيلة ، أراد فتيلة الجراحة . والمعنى : لا ينهى أصحاب الجور مثل طعن جائف ، أى نافذ إلى الجوف ، يغيب فيه الزيت والقتل . يريد أنه لا يمنع الجائرين من الجور إلا القتل .

وقوله : « حتى يظل »^(٢) ، إلخ حتى جارة بمعنى إلى متعلقة بقوله لا تنتهون . ويظل بمعنى يستمر ، منصوب بأن مضرة بعد حتى . وعמיד القوم ، أى سيد القوم منكم . والمرتفق : الطالب الرفق والإعانة . والراح : جمع راحة اليد . والعجل بضميتين جمع عجول وهى الثكلى^(٣) . يقول : حتى يظل سيد الحى تدفع عنه النساء بأكفهن لثلا يقتل ، لأن من يدفع عنه من الرجال قتل . وقيل المعنى : يدفعن لثلا يوطأ بعد القتل . وهو المناسب لقوله : « أصابه هندوانى » أى سيفٌ منسوب إلى الهند . وأقصده : قتله مكانه . وذابل ، هو الرمح . والخط بالفتح : موضع باليامة تُنسب إليه الرماح ، وهى لا تنبت بالخط ، إنما هو ساحلٌ للسفن التى تحمِل القنا إليه وتعملُ به^(٤) .

(١) الكلام بعده إلى « من باب ضرب » ساقط من ش .

(٢) الكلام بعده إلى « حتى يظل » التالية ، ساقط من ش .

(٣) فى الأصل هنا ، وفى ط فقط : « الثكلاء » صوابه ما أثبت . يقال امرأة ثاكل وتكول

وتكل . وقد يقال ثكلانة أيضاً فى قلة . (٤) فى اللسان : « فتقوم به » .

وترجمة الأعشى تقدّمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب^(١).

• • •

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد السبعمئة^(٢) :
 ٧٧٧ (وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتِ شَغْبًا إِلَى بَدَاً إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادُ سِوَاهُمَا^(٣))
 على أَنَّ (إلى) الأولى فيه للانتهاء ، أى مضافاً إلى بَدَاً . وذكر المتعلق
 لإفادة أَنَّ إلى مع مجرورها واقعةً موقعَ الحال من شَغْب ، وإفادة أَنَّ
 الغاية داخلٌ في المُغَيَّا .

وزعم الكوفيون أنها هنا بمعنى مع ، وهو خلاف الأصل من غير
 ضرورة تلجئ إليه .

ومن الغريب قولُ ابن هشام (في المغنى) : إنها بمعنى الفاء . قال :
 إذ المغنى شغباً فبدأ ، وهما موضعان .. ويدلُّ على إرادة الترتيب قوله بعده :
 حَلَلْتِ بِهَذَا حَلَّةً ثُمَّ حَلَّةً بهذا ، قطاب الواديان كلاهما
 وهذا المغنى غريب لأننى لم أر من ذكره . ٥١ .

وقد ردّ عليه شارحه الدماميني بأنَّ من حقِّ النُّحاة أن لا يذكروه
 مستندين إلى هذا الدليل ، فإنَّنا لا نسلّم إرادة الترتيب في البيت الأوّل ،
 لاحتمال أن يكون إلى فيه للمعية ، كما قاله جماعة كثيرة ، ومتعلّقة
 بمحذوف إن لم نقل بذلك ، أى مع بدأ أو مضموماً إلى بدأ . والبيت الثانى

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) ط : « وأنت الذى » ، صوابه في ط ومراجع التفرغ التالية .

(٣) المغنى ١٦٢ والمجم ٢ : ١٣١ واللسان (بدأ ٧٣) والجماعة ١٢٨٨ بشرح المرزوق

ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠ وديوان كثير عزة ٣٦٣ .

لا يدلُّ على إرادة الترتيب في الأول ، إذ حلولها بأحد المكانين بعد حلولها بالآخر لا يقتضى أنَّ المكانَ الأولَ حُبَّ إليه أولاً بسبب حلولها فيه ، وأنَّ الثاني حُبَّ إليه بعد ذلك لحلولها به ، إذ من الجائز أن يكون حُبُّ المكانين حصل له في آنٍ واحد بعد حلولها فيهما على الترتيب . ثمَّ ولو سلَّم دلالة البيت الثاني على الترتيب في الأول لم يدلُّ على دعواه ، لأنَّ الترتيب الواقع في الثاني إنما هو بتمُّ لا بالفاء . وفي بعض النسخ : « حَلَّةٌ بعد حَلَّةٍ » . ٥١ .

وأما (إلى) الثانية فقد شرحها الشارح المحقق بعد أسطر .

والبيتان في الحماسة ، ونسبهما لكثير عزة . والرواية فيها كذا : صاحب الشاهد وحَلَّتْ بهذا حَلَّةٌ ثم أصبحت بهذا فطاب إلخ

قال المرزوقي : خاطبها في البيت ^(١) معتداً عليها ، بأنَّه كما آثرها على أهلها وعشيرته ، آثر بلادها على بلاده ، فذكر طرفي محالها فقال : أحبُّ لك وفيلك شغباً إلى بدا ، وبلادى بلاد غيرهما . ثم أخبر عنها في البيت الثاني فقال : نزلت بهذا ، يشير إلى شغب ، نزلة ^(٢) ثم أصبحت ببدأ ، ففاح الواديان وتضوعاً برياًها . ومثله قول الآخر :

استودعتُ نشرها الرياض فما

تزدادُ طيباً إلّا على القدم

وفي بعض نسخ الحماسة بيتٌ بينهما ، وهو :

إذا ذرفتُ عينايَ أعتلُّ بالقذى

وعزةٌ لو يدرى الطبيبُ قذاهما

(١) في شرح المرزوقي : « في البيت الأول » .

(٢) في النسختين : « نزلت » ، صوابهما في شرح المرزوقي .

أى عزة سبب قذاهما . (وشغب) بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين .
و (بدأ) بفتح الموحدة بعدها دال مهملة فألف مقصورة . قال العسكري
(فى كتاب التصحيف) : هما من بلاد عُذرة ، يريد أنهما من بلاد اليمن .

ويناسبه ما نقله أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) بعد قوله :
شَغَب : قرية الزهرى الفقيه : عن ابن أبي أويس قال : خرج عبد الله بن
السائب المخزومى نحو اليمن ومعه ابنه ، فنزلا على غداتهما ، فقال عبد الله
ابن السائب :

١٣٧ فلما علوا شَغَباً تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ تَقَطَّعَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ عَلَانِي
فقال ابنه :

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلُعاً لِمَ حَمَلْنَا

إلى بلدِ ناءٍ قليل الأَصَادِقِ^(١)

فقال أبوه : أُمِّكَ طَالِقٌ إِنْ تَغْدَيْنَا أَوْ تَعْشَيْنَا إِلَّا عَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ .

ولكنه قال : شغب قد تقدّم ذكره وتحديده فى رسم بدا . والذى
قاله فى بدا : أَنَّهُ مَوْضِعٌ بَيْنَ طَرِيقِ مِصْرَ وَالشَّامِ . قال كثير :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَغَباً إِلَى بَدَا الْبَيْتِ

وشَغَب : منهلٌ بين طريق مصر والشام أيضاً . قال جميل :

أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ لَا بُشَيْنَةَ تُرْتَجَى

بِوَادَى بَدَا ، وَلَا بِحِسْمَى وَلَا شَغَبِ^(٢)

(١) ش : « لو حملنا » ط : « لم حملنا » ، صوابه ما أثبت من معجم ما استعجم .
وفى إحدى روايات المعجم : « إذ حملنا » .

(٢) ديوان جميل ٣٣ ومعجم ياقوت ، ومعجم ما استعجم ، والأغاني ٧ : ٨٧ . وعند ياقوت :
« بوادى بداء لا بحسمى » ، وعند البكرى : « بوادى بداء ولا بحسمى » ، وفى الديوان :
« بوادى بداء فلا بحسمى » .

وقد ورد «بدا» في شعر زيادة بن زيد ممدوداً، فلا أدري أمده ضرورة أم فيه لغتان . قال :

وَهُمْ أَطْلَقُوا أَسْرَى بَدَاءً وَأَدْرَكُوا

نساء ابنِ هندٍ حين تُهْدَى لقيصراً

هذا ما ذكره . وهو لا يناسب شعر ابن السائب ولا شعر جميل ، فإنه عندي .

ولم يزد ابن ولاد والقالى (في المقصور والممدود لهما) على قولهما : بدا : اسم موضع ، مقصور ، يكتب بالآلف . يقال بين شغبٍ وبدًا . وأنشد البيت الشاهد . والله أعلم .

وترجمة كثير عزة تقدمت في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثمانمائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد السبعمائة^(٢) :

٧٧٨ (فلا تتركُنِّي بالوعيدِ كأنني

إلى الناس مطلقاً به القارُ أجربُ)

على أنه قيل (إلى) فيه بمعنى في ، والوجه أن تكون على أصلها للانتهاء ؛ لأن قوله مطلقاً به القار معناه مكرهٌ مبغض . وهو يتعدى إلى .

وهذا توجيه ابن عصفور ، قال (في كتاب الضرائر) : إنما وقعت فيه إلى موقع في ، لأنه إذا كان بمنزلة البعير الأجرب المطلق الذي يخاف

(١) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٤ .

(٢) أمالي ابن الشجري ٢ : ٢٦٨ و ضرائر ابن عصفور ٢٣٥ و رصف المباني ٨٣ والمغني ٧٥

والمعجم ٢ : ٢٠ والأشمونى ٢ : ٢١٤ وديوان النابغة ١٣ .

(م ٣٠ - خزنة الادب - ج ٩)

عَدَّوَاهُ فَيَطْرُدُ عَنْ الْإِبِلِ إِذَا أَرَادَ الدَّخُولَ بَيْنَهَا ، كَانَ مَبْغُضًا إِلَى النَّاسِ ،
فَعَوْمَلٌ مَطْلً كَذَلِكَ مُعَامَلَةٌ مَبْغُضٌ .

وقال في موضع آخر : هو على تضمين مَطْلٍ معنى مَبْغُضٍ . وَأَوْ صَحَّ
مَجِيءُ إِلَى بِمَعْنَى فِي لَجَازَ زَيْدٌ إِلَى الْكَوْفَةِ . ٥١ .

وقال بعضهم : إِلَى متعلِّقةٌ بِمَحذُوفٍ ، أَيْ مَطْلً بِالْقَارِ مضافاً إِلَى
النَّاسِ ، فَحَذَفَ ^(١) وَقَلَبَ الْكَلَامَ . وَلَا يَخْفَى سَمَاجَتُهُ .

و (الوعيد) : التهديد . و (القار) هنا : الْقَطِرَانُ . وَإِنَّمَا شَبَّهَ نَفْسَهُ
بِالْبَعِيرِ الْأَجْرَبِ الْمَطْلُ بِالْقَطِرَانِ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَطْرُدُونَهُ إِذَا أَرَادَ الدَّخُولَ
بَيْنَ إِبِلِهِمْ ، لَثَلَا يَعْرِهَا بِالْقَطِرَانِ وَيُعَدِّيْهَا بِدَائِهِ . وَالْقَارِ نَائِبٌ فَاعِلٌ
مَطْلً ، وَبِهِ مُتَعَلِّقٌ بِمَطْلٍ . وَالْأَصْلُ مَطْلً بِالْقَارِ ، فَمَرْفُوعٌ مَطْلٌ هُوَ الْمُسْتَرِ ،
لَكِنَّهُ قَلَبَ . وَقِيلَ : رَوَى « الْقَارِ » بِالْجَرِّ عَلَى أَنَّهُ بَدَلَ مِنْ ضَمِيرِهِ ،
فَلَا قَلْبَ .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للناطقة الذبياني يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر
للخمي في شيء اتهم به عنده ، فهرب منه إلى ملوك الشام بنى جفنة الغسانيين
كما تقدم بيانه في ترجمته ، واعتذر إليه بعدة قصائد في انضمامه إلى
بنى جفنة ، والتبري مما رمي به ، أولها :

أَتَانِي أَبِيتَ اللَّعْنِ أَنَّكَ لُمْتَنِي وتلك التي أهتم منها وأنصبُ

إلى أن قال :

١٣٨ (حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلبُ)

لئن كنتَ قد بلغتَ عنيَ جنايةً
ولكنني كنتُ امرأً لى جانبُ
ملوكٍ وإخوانُ إذا ما أتيتُهم
كفعلِكَ في قومٍ أراكِ اصطنعتُهم
فلا تتركني بالوعيدِ كأنني
ألم تر أن اللهَ أعطاكِ سورةً
فإنك شمسٌ والملوكِ كواكبُ
فلمستَ بمسبِقِ أخاً لا تُلْمُه
فإن أك مظلوماً فعبُدْ ظلمته

لمُبْلِغِكَ الواسيَ أغشُ وأكذبُ
من الأرضِ فيه مُستِرادٌ ومذهبُ
أحكَمُ في أموالمِ وأقربُ
فلم ترهم في شُكرِ ذلكِ أذنبوا
إلى الناسِ مطليُّ به القارُ أجربُ
تري كُلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
إذا طلعتْ لم يبدُ منهم كوكبُ^(١)
على شعثِ أيِّ الرجالِ المهذبُ^(٢)
وإن تكُ غضباناً فمثلك يعتبُ

وقوله : أبيتَ اللعن ، جملةٌ دعائية ، اعترض بها بين الفعل وفاعله ،
يخطبون الملوكَ بها تحيةً . ومعناه أبيتَ أن تفعلَ شيئاً تلعن به^(٣) .
قال ابن الأنباري (في شرح المفضليات) : أي أبيتَ أن تأتيَ من الأخلاقِ
المذمومةِ ما تلعن به^(٤) . وكانت هذه تحيةً ملوكٍ لخمٍ وجُذام ، وكانت
منازلهم الحيرةَ وما يليها . وتحيةُ ملوكِ غَسَّانَ : يا خيرَ الفتيان . وكانت
منازلهم الشام . و « تلك » إشارةٌ إلى الملامةِ المفهومةِ من لُمتَنِي ، إذ المعنى
أتتني ملامتكِ إيتاي . وأهتَمَ : أصيبرُ ذا همٍّ . وأنصَبُ : مضارعُ نَصَبٍ
كفَرَحَ ، أي أتعبُ وأعيا .

وقوله : « حلفت » قسمٌ ، وجوابه : لئن كنتَ ، وما بينهما اعتراضٌ .
والرَّيبةُ : الشكُّ ، وجملةٌ « وليس وراءَ الله » إلخ جملةٌ مؤكدةٌ لمضمونِ

(١) في الديوان ١٣ : « لأنك شمس » .

(٢) في الديوان : « ولست » .

(٣) ش : « تلعن عليه » .

(٤) ش : « ما تلعن عليه » .

ما قبلها ؛ فإنه إذا لم يكن وراء الله مطلبٌ لأحدٍ لم يحلف بأعظم منه فكيف يحلف به كاذباً .

وهذا البيت وما بعده من الأبيات الأربعة استشهد به أهل البديع على النوع المسمى عندهم بالمذهب الكلامي ، وهو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ^(١) .

والجناية : الذنب . والواشي : النمام . وغشه : لم يُخلص له النصيح . و « لي جانب من الأرض » صفة امرأ . وفيه إعادة الضمير الرابط ضمير تكلم . وأراد بالجانب أرض الشام . والمُستراد : موضع يُتردد فيه لطلب الرزق . وملوك وإخوان بدل من مُستراد ومذهب ، أو بتقدير : فيه ملوك وإخوان . ومعنى أحكم : أنصرف في أمواهم كيف أشاء .

وقوله : « كفعلك » إلخ ، قال الأصمعي : يريد كما فعلت أنت بقوم قرّبتهم وأكرمهم ، فتركوا الملوك ولزموك ، فلم ترَ ذلك ذنباً عليهم . وقوله : « في مثل ذلك » ^(٢) « أي في زيارتك والوفادة إليك .

والسورة بالضم : المنزلة الرفيعة والشرف . وبالبيت استشهد البيضاوي لمعنى السورة . وملك بسكون اللام : لغة في كسرهما . ويتذبذب : يضطرب .

وقوله : « فإنك شمس » قال المبرّد : هذا من أعجب التشبيه .

وأراد بهذا البيت والذي قبله ، تسليّة النعمان عما حصل عنده من

(١) انظر تحرير التحيير ١١٩ - ١٢١ .

(٢) هذه رواية أخرى في البيت الخامس من هذه المقطوعة . وفي تحرير التحيير : « في مدحهم ك أدبوا » . وفي الديوان ١٣ : « في شكر ذلك أدبوا » كما في الخزائن في الرواية الأولى .

مدحه لآل جفنة ، ثم كرم معذراً عن زلته فقال : « لست بمستبق أخاً »
إلخ ، يقول : أى الرجال يكون مبرراً من العيوب ؟ فإن قطعت إخوانك
بذنب لم يبق لك أخ . وتلمه : تصدحه وتصلح ما تشعث من أمره وفسد .

والبيت استشهد به علماء البيان للتذييل . وهو تعقيب الكلام
بجملة تشتمل على معناه ، للتوكيد ^(١) .

وقوله : « فإن أك مظلوماً » أى باستمرار غضبك على . جعل غضبه
ظلماً له ، لأنه عن غير موجب . فأنت إنما ظلمت عبداً من عبيدك ،
وليس لأحد اعتراض فيه . وقوله : « وإن تك غضباناً إلخ » روى أيضاً :
« وإن تك ذا عتبي فمثلك يُعتب » بالبناء للمفعول ، أى يرجع له إلى
ما يُحب . ويقال : لك العتبي ، أى الرجوع إلى ما تحب . وقيل يُعتب
بالبناء للفاعل ، أى يُعطى العتبي ، يقال أعتبه إذا أعطاه الرضا ، وهو
العتبي .

وترجمة التابغة تقدمت في الشاهد الرابع بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد السبعائة ^(٣) :
٧٧٩ (وإن يلتق الحى الجميع تلاقى إلى ذروة البيت الكريم المصمدي)
على أن (إلى) فيه على أصلها ، وهى مع مجرورها حال من الياء في
تلاقى ، متعلقة بمحذوف تقديره : تلاقى منتسباً إلى ذروة البيت إلخ .
وليست هنا بمعنى في كما قيل ، حكاه ابن السراج ، قال (في
الأصول) : وقالوا في قول طرفه :

(١) تحرير التحبير ٣٨٧ - ٣٨٨ . وفي النسختين هنا : « على مئانها » .

(٢) الخزائن ٢ : ١٣٥ .

(٣) الأصول ١ : ٥٠٦ والأزهية ٢٨٤ والاقتضاب ٤٣٢ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ ورصف

* وأن يلتقِ الحَيُّ الجميعُ تلاقى * إلخ .

إنَّ إلى بمعنى في .

وما ذهب إليه الشارح المحقق هو قول الزوزنى شارح المعلقات في شرح هذا البيت ، يقول : وإن اجتمع الحَيُّ للافتخار تلاقى أنتهى إلى ذروة البيت الشريف ، أى إلى أعلى الشرف . يريد أنه أوفاهم حظاً من الحسب ، وأعلام سَهْمًا من النسب . وقوله تلاقى ، يريد : أعترى إلى ذروة ، فحذف الفعل لدلالة الحرف عليه . ا هـ .

وكذا (في شرح أدب الكاتب) لابن السَّيِّد البَطْلَيْسُوسى ، قال : « قبل معناه في ذروة ^(١) » . وهذا لا يلزم ، لأنَّه يمكن أن يريد آوياً إلى ذروة كما قال تعالى : ﴿سَاوَى إِلَى جِبَلٍ يَافِئُونَ مِنَ الْمَاءِ ^(٢)﴾ ، فلا حُجَّةَ فيه .

وقال الأَعْلَمُ الشُّتَمْرِئُ (في شرح المعلقة) : يقول : إذا التقى الحَيُّ الجميعُ بعد افتراقهم وجدتنى في موضع الشرفِ منهم وعلوَّ المنزلة . وقوله : إلى ذروة ، أى في ذروة البيت . وذروة كلِّ شئ : أعلاه . والمصنِّد : الذى يصنِّدُ إليه الناس لشرفه ، ويلجئون إليه في حوائجهم . والصنِّد : القصد . ا هـ .

وقال ابن السكيت (في شرح ديوان طرفة) : أى إذا التقى الحَيُّ الجميع الذين كانوا متفرِّقين وجدتنى في الشرف .

وقال أبو جعفر النحاس ، والخطيب التبريزى : يريد : وإن يلتقِ

(١) الذى فى الاقتضاب : « وذروة كل شئ » : أعلاه ، فلمله استنباط من البغدادى .

(٢) الآية ٤٣ من سورة هود .

الحى للمفاخرة وذكر المعالى تجلنى معهم . قال أبو الحسن : معنى إلى ذروة مع ذروة ، وهو تمثيل . وإنما يريد بالبيت ههنا الأشراف الذين يُقصدون ، فشبههم ههنا بالبيت الرفيع . ١ هـ .

فهذا معنى ثالث لآلى فى البيت .

صاحب الشاهد

وهو من معلقة طرفة بن العبد . وقبله :

آيات الشاهد

(ولست بحلال التلاع مخافة

ولكن متى يسترقد القوم أرفد

فإن تبغنى فى حلقة القوم تلقى

وإن تقتنصنى فى الحوانيت تصطد

متى تأنى أضحك كأساً رويةً

وإن كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد

وإن يلتق الحى الجميع تلاقى

البيت

ندامى بيض كالنجوم وقينة

ترؤح علينا بين برد ومجسد

رحيب قطاب الجيب منها رفيقة

بجس الندامى بضة المتجرّد

قوله : « ولست بحلال التلاع » إلخ تقدّم شرحه مع الذى بعده فى ١٤٠ الشاهد السادس والتسعين بعد الستمائة ^(١) . وكذلك تقدّم شرح قوله : « ندامى

بيضٌ» مع البيت الذى بعده فى الشاهد الواحد بعد الثلاثئة ، وفى الشاهد الذى بعد الثانى عشر والستائة .

وقوله : « متى تأتني أصْبَحْكَ » إلخ فى الصباح : الصبوح : الشرب بالغداة ، وهو خلاف الغُبُوق . تقول : صَبَحْتُه صَبْحاً . ا هـ . يقول : أَسْفِكَ صَبُوحاً . والروية : المُرُوية . والكأس : الخمر فى الإناء ، [وهى الإناء ^(١)] أيضاً إذا كان فيه خمر . ومعنى « فاعنْ وازدد » : فاعنْ بما عندك ، أى استغنِ به وازدد غنى .

وترجمة طرفة تقدّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده

(أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كى يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا ^(٣))

تقدم شرحه مستوفى فى الشاهد السابع والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال ^(٤)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد السبعمئة ^(٥) :

٧٨٠ (وَأَكْفِيهِ مَا يَخْشَى وَأَعْطِيهِ سُؤْلَهُ

وَأَلْحِقْهُ بِالْقَوْمِ حَتَّى لَا يَحِقُّ)

على أن المبرد زعم أن (حَتَّى) هنا جرت الضمير . وليس كذلك ،

(١) التكلة من ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٣) فى النسختين : « حتى رحله » ، والصواب ما أثبت .

(٤) الخزانة ٣ : ٢١ - ٢٥ .

(٥) الضرائر لابن عصفور ١٢٦ .

ولإنما حتى هنا ابتدائية ، والضمير أصله هو ، فحذف الواو ضرورة كما
تقدّم بيانه في شرح قوله :

• فبيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائلٌ •

أى بينا هو يَشْرِي رَحْلَهُ ، في الشاهد الثمانين بعد الثلاثمائة ^(١) فحتى
حرف ابتداء داخلَةٌ على الجملة ، وهو الضمير المحذوف وأوّه ضرورة ،
في محلّ رفع على الابتداء ، ولاحقٌ خبره . ولو كانت حرف جر لم يكن
لذكر لاحق بالرفع وجه .

ولم يتنبّه لهذا صاحبُ اللبّ ، وإنّما قال : واختصّت بالظاهر خلافاً
للمبرّد . و :

• ألحقه بالقوم حتّاه لاحقٌ •

لا يعتدّ به . قال شارحه السيّد : لندوره وشنوذه ، ولو أورد البيت
الثاني لكان مناسباً .

وما ذهب إليه الشارح المحقّق هو قول ابن عُصفور (في الضرائر) ،
قال : ومنه حذف الياء من هيّ ، والواو من هوّ ، نحو :
• دارٌ لسعدى إذّه من هواكا •

أى : إذ هيّ . وقول الآخر :

• وألحقه بالقوم حتّاه لاحقٌ •

وقول العجّير :

• فبيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائلٌ •

أى حتى هو، وبيننا هو. وحذفهما يؤدي إلى بقاء الضمير المنفصل على حرف واحد، وذلك قبيح، لأنه عرضةً للابتداء، فلا أقل من أن يكون على حرفين: حرفٌ يبتدأ به، وحرفٌ يوقف عليه. ١٥١.

و (أكفيه): مضارع كفاه الشيء، متعدي إلى مفعولين، بمعنى منَعته الشيء. وما المفعول الثاني، موصولة أو نكرة موصوفة. والسؤال: ما يُسأل، مفعول ثانٍ لأعطى. (وألحقه): مضارع ألحقه بكذا، أى أتبعه به فلحق هو به. وأما ثلاثيته فيقال لَحَقْتَهُ وَلَحِقتُ بِهِ، من باب تعب لَحَاقًا بالفتح: أدرَكْتَهُ، يتعدى تارة بنفسه، وتارة بالباء. كذا في المصباح. وصلة لاحق في البيت محذوف، تقديره: حتى هو لاحقٌ بهم.

والبيت لم أقف على خبرٍ له. والله أعلم.

وأنشد بعده، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد السبعمائة^(١):

٧٨١ (فلا والله لا يلقاه ناسٌ فتى حَتَّاك يا ابنَ أبى يزيدِ)

على أَنَّ المبرِّدَ تَمَسَّكَ بِهِ عَلَى أَنَّ (حتى) تجر الضمير.

١٤١

وأجاب الشارح المحقق بأنه شاذ. والأحسن أن يقول ضرورة، فإنه لم يرد في كلام منشور.

ولم يظهر لى معنى الغاية فى حَتَّى هنا. و(فتى) حال من الهاء أو بدل منه. وروى: (لا يَلْقَى أناسٌ) ففتى مفعول يَلْقَى. وروى العينى: «لا يُلْفَى أناسٌ» بكسر الفاء، فأناسٌ فاعله، ويُنظر أين مفعولا ألقى،

(١) المقرب: ١: ١٩٤ ورصف المباني ١٨٥. وانظر العينى ٣: ٢٦٥ والممع ٢: ٢٣ والأشعوى ٢: ٢١٠.

فإن ألقى من نواسخ المبتدأ والخبر . وروى أيضاً آخره : (يا ابن أبي زياد) .
ولم أقف له على خبر ، والله أعلم .

والغاية في هذا البيت ^(١) ظاهرة :

أَتَتْ حَتَاكَ تَقْصِدُ كُلَّ فَجٍّ تُرْجَى مِنْكَ أَنَّهَا لَا تَخِيبُ ^(٢)

وهو من أبيات مغنى اللبيب .

ثم رأيت (في شرح التسهيل لأبي حيّان) وقد أنشد بيت :

* فَتَى حَتَاكَ يَا ابْنَ أَبِي يَزِيدَ *

أنه قال : وانتهاؤ الغاية في حَتَاكَ لا أفهمه ، ولا أدرى ما عني بِحَتَاكَ
فلعل هذا البيت مصنوع . ا . ه .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد السبعائة ، وهو من
شواهد س ^(٣) :

٧٨٢ (فوا عَجَبًا حَتَّى كَلِيبٌ تَسْبِيئِي كَانَ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِعٌ)

على أن (حَتَّى) فيه ابتدائية ، وفائدتها هنا التحقير .

أنشده سيبويه وقال : فَحَتَّى هُنَا بِمَنْزِلَةِ إِذَا ، وَإِنَّمَا هِيَ هُنَا كَحَرْفٍ
من حروف الابتداء .

وقال الأندلسي ^(٤) (في شرح المفصل) : يقع بعدها الجملة الفعلية

(١) يعني البيت التالى لا السابق .

(٢) المغنى ١٢٣ والتصریح ٢ : ٣ والجمع ٢ : ٢٣ والأشعور ٢ : ٢١٥ . وفى البيت
شاهد آخر ، وهو أن « أن » فى « أنها » مخففة من الثقيلة ومعها ضمير مذكور لا محذوف .

(٣) سيبويه ١ : ٤١٣ . وانظر المقتضب ٤ : ٤٠٦ والأصول ١ : ٥١٨ والجمل ٧٨
وابن يعيش ٨ : ١٨ ، ٦٢ ورصف الباني ١٨١ والمغنى ١٢٩ والجمع ٢ : ٢٤ وديوان
الفرزدق ٥١٨ .

(٤) هو علم الدين قاسم بن أحمد اللورق الأندلسي المتوفى سنة ٦٦١ كما فى كشف الظنون .
وسمى كتابه « الموصل » فى شرح المفصل . وانظر الأشباه والنظائر ٢ : ٧٦ .

والاسمية . وتسمى ^(١) حرف ابتداء ، وتفيدُ معناها الذي هو الغاية ، إمّا في التحقير أو في التعظيم ، كما في بيت الفرزدق :

* فواعجبا حتى كليبٌ تسبني *

أى تعجبوا لسبِّ الناس إيتاى حتى كليبٌ ، كأنه يقول : كلُّ الناس تسبني ^(٢) حتى كليبٌ على حقارتها . ولو خُفِضَ هنا كليبٌ لجاز ، ويكون تسبني إمّا حالٌ من كليب ، أو مستأنف ، وحتى كليب متعلق به .

قال ابن المستوفى بعد أن نقله : قوله أى تعجبوا في تفسير (واعجبا) ، غير صحيحٍ لأنه ينادى العجب ^(٣) على ما ذكره العلماء تأدباً لا يأمر أحداً به . وقوله : « ولو خُفِضَ كليب هنا لجاز » محال ، لأنَّ الخفض بعد حتى إمّا أن يكون بالعطف على المجرور قبلها ، أو يكون بمعنى إلى ، ولا مجرورَ قبلها فتعطف عليه . وليست بمعنى الغاية إذ ليس ما قبلها مفرداً من جنس ما بعدها . فبقى الرفع لا غير . وذكر قسميها ^(٤) في التعظيم والتحقير . ولم يأت إلا بالتحقير . وقوله : و « يكون تسبني إمّا حال من كليب أو مستأنف بالرفع فيهما » ، وصوابه « النصب فيهما » . ولا أعلم ما أراد بقوله : « وحتى كليب متعلق به » . ا هـ .

أقول : أمّا فواعجبا فقد روى أيضاً : (فيا عجباً) بتنوينٍ وبدونه . أمّا الأوّل فيحتمل أن يكون عجباً منادى منكراً ، ويحتمل أن يكون

(١) ط : « تسمى » بسقوط الواو .

(٢) ط : « يسبني » .

(٣) هذا الصواب من ش . وفي ط : « لأنه العجب » وقد كتبت « ينادى » في ش بخط أحد المصححين للنسخة .

(٤) ش : « قسميها » . والمراد أن الأندلسي لم يستشهد للتعظيم ، واقتصر على شاهد التحقير .

يا حرف تنبيه وعجبا مصدر منصوب بفعل محذوف، أى تعجبوا عجباً. ويحتمل أن تكون يا حرف نداء والمنادى محذوف، أى يا قوم، وعجباً كذلك. فكلام الأندلسي جارٍ على كل من هذين الوجهين. وأما الثاني فإنه أراد: فياعجبي، فقلب ياء المتكلم ألفاً. وهى لغة.

وأما قوله: «خفض كليب محال» إلخ فنقول: هى جارة والمغيا غير مذكور، والتقدير: فواعجباً الناس تسبى حتى كليب. وهذا المذكور لابد منه فى الابتدائية أيضاً.

وقوله: «ولم يأت إلا بالتحقير» نقول: لا يضر ذلك. ومثال التعظيم:

* حتى ماء دجلة أشكل * البيت الآتى.

وقوله: «صوابه النصب فيهما» يعنى أنه يجب أن يقول: ويكون يسبى إما حالا من كليب، أو مُستأنفاً بنصبهما، لأنه خبر كان. وكأنه رفع على تقدير يكون، إما تامة أو زائدة.

وقوله: «لا أعلم ما أراد بقوله وحتى كليب متعلق به» أقول: إنه يريد أن حتى الجارة تكون متعلقة بيسبى، إذ كل جار لا بد له من متعلق. وهذا ظاهر. قال ابن هشام (فى المغنى): ولا بد من تقدير محذوف قبل حتى من هذا البيت، يكون ما بعد حتى غاية له، أى فواعجباً يسبى الناس حتى كليب تسبى.

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريراً، تقدّم بعض منها فى صاحب الشاهد السادس بعد السبعائة^(١).

وقوله : (فواعجياً) هو من قبيل النُدبة للتوَجُّع ، كأنَّه يقول : أنا
أَتَوَجُّعُ لعدم حضورك يا عجي ، فاحضُرْ لهذا الأمر الذي يتعجَّب منه .

وكليب : جدُّ رهطٍ جرير ، وهو جرير بن عطية بن الخطفَى بن
بلدٍ بن سَلَمَة بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة
ابن تميم . ويجتمع مع الفرزدق في حنظلة بن مالك .

ونهل ومجاشع أخوان ، ابنا دارم بن مالك بن حنظلة . ومجاشعُ
قبيلة الفرزدق ، وهى أشرف من كليب . وأمَّا نهل فهم أعمام الفرزدق
لا آبائُه ، وإن كانت العرب ^(١) تسمي العمَّ أباً . جعلهم في الصِّفة ^(٢) بحيث
لا يَسُبُّون مثله لشرفه ^(٣) . يقول : يا عجباً لبسبَّ الناس إيتاي حتى كليبٍ
على ضعفها في القبائل ، وبُعديها من الفضائل ، كأنَّ لها أباً كريماً ،
وحسباً صميماً ، كما لنهل ومجاشع .

والسَّبُّ : الشتم . والسَّبُّ ، بالكسر : الذى يسألك وتسابه . قال
حسان بن ثابت :

لا تَسْبِنْنِي فَلَسْتُ بِسَبِيٍّ إِنَّ سَبِيٍّ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ ^(٤)

قال ابن طلحة الإشبيلي (في شرح جُمَل الزَّجَاجِي) : كأنَّ للتشبيه ،
وقد يجيء في ضمنها الظنُّ والتوهم كما قال الشاعر :

* كأنَّ أباهَا نَهْلٌ أو مُجَاشِعُ *

المعنى : توهمتُ أباهَا نهلاً أو مُجاشِعاً . ولو بقيت على معنى التشبيه

(١) ط : « كان العرب » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) كذا في النسختين ولعلها « الصفة » .

(٣) الكلام بعده إلى كلمة « ومجاشع » ساقط من ش .

(٤) السيرة ٦٢٥ . والبيت لم يرد في قصيدته بالديوان ٣٧٦-٣٨٠ . وقد نسب البيت
في اللسان (سبب ٤٣٩) إلى ولده عبد الرحمن بن حسان . وكثيراً ما يتداخل شعراهما .

من غير أَنْ تُضْمَنَ^(١) معنى الظن لا نقلب المحجُو على الهاجى . ا هـ .

وترجمة الفرزدق تقدّمت فى الشاهد الثلاثين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد السبعائة^(٣) :

٧٨٣ (فما زالتِ القتلى تُمَجُّ دِماءها
بِدِجْلَةٍ حتّى ماء دِجْلَةٍ أَشْكَلُ)

على أَنَّ فائدة (حتّى الابتدائية) هنا التعظيم والمبالغة ، وهو
تغيّر ماء دِجْلَةٍ من كثرة دماء القتلى حتّى صار أَشْكَلُ ، وهو حمرة
مختلطة ببياض . والشكلة كالحمرة وزناً ومعنى ، لكن يخالطها
بياض . وهو مأخوذ من أَشْكَلُ الأمرُ ، أى التبس .

فإن قلت : أين ما اشترط الشارح المحقّق من كون خبر المبتدأ بعد
حتى^(٤) من جنس الفعل المقدّم عليها ؟ قلت : ما قبل حتّى فى قوة قوله فما
زالت القتلى تغيّر ماء دِجْلَةٍ بالدماء .

و (القتلى) : جمع قتيل . و (تمجّج) : تقدّف ، يتعدّى إلى مفعول واحد
يقالُ مَجَّ الرجلُ الماء من فيه مجّاً ، من باب قتل : رمى به . ويروى بدله :
(يَمُورُ دِماؤها) مضارع مارَ الدم : سال . ومار الشيء : تحرك بسرعة .
ومار : تردّد فى عَرَض . ومار البحر : اضطرب ، فهو فعلٌ لازم ، ودماؤها
فاعله . قال صاحب المصباح : ويعدّى بنفسه وبالهزمة أيضاً فيقال :
ماره ، وأمّاره ، إذا أساله . فعلى هذا يجوز نصب دِماءها به على أنّه

(١) ط : « يضمن » . (٢) الخزّانة ١ : ٢١٧ .

(٣) الأزهية ٢٢٥ وابن عيش ٨ : ١٨ والنقى ١٢٨ ٣٨٦ والمجم ١ : ٢٤٨/٢ : ٢٤
والأشئوى ٣ : ٣٠ وديوان جرير ٤٥٧ .

(٤) أى فى الجملة الاسمية الواقعة بعد حتى . انظر الرضى ٢ : ٣٠٤ .

متعد . و (دَجَلَة) بفتح الدال وكسرها : النهر الذي يمرُّ ببغداد ، لا ينصرف
للعلمية والتأنيث . والباء بمعنى في .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لجريز هجا بها الأخطل ، وذكر ما أوقعه الجحافُ
ببني تغلب . قال بعد أبيات :

١٤٣

(بكى دَوْبِلُ لا يُرْقِي اللهُ دمعَه

أبيات الشاهد

أَلَا إِنَّمَا يَبْكِي مِنَ الذُّلِّ دَوْبِلُ
جَزِعَتَ ابْنُ ذَاتِ الْقَلَسِ لَمَّا تَدَارَكَتْ

من الحرب أنيابُ عليك وكلكلُ^(١)
فإنَّك والجحافُ يومَ تحضُّه

أردتَ بذاك المُكثَ والوردُ أعجلُ
سَمَا لَكُمْ لَيْلًا كَانَ نَجُومَه

قناديلُ فيهن الذُّبَالُ المقتلُ^(٢)
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنُوا

كَرَادِيسَ يَهْلِيهِنَّ وَرَدُّ مُحَجَّلُ^(٣)
فَقَدْ قَذَفَتْ مِنْ حَرْبِ قَيْسٍ نَسَاؤَهُمْ

بأولادها ، منها تمامٌ ومُعْجَلُ^(٤)
ومقتولةٌ صبراً ترى عندَ رجلها

بَقِيرًا ، وأخرى ذاتُ بَغْلٍ تولولُ
وقد قَتَلَ الجحافُ أزواجَ نِسوةٍ

يَسوقُ ابنُ خَلَّاسٍ بهنَ وعَزَمَلُ

(١) في الديوان ٤٥٦ : « ذات الفلَس » ، صوابه بالقاف كما سيأتي في الشرح .

(٢) الديوان : « سري نحوكم ليل » .

(٣) في الديوان : « حتى تعرفوا » .

(٤) في الديوان : « نساؤكم » .

تقول لك الثكلى المصاب حليلها
 أبا مالك ، ما في الطعائن مغزل
 خضضت عن القوم الذين تركتهم
 تعل الردينيات فيهم وتنهل
 عقاب المنايا تستدير عليهم
 وشعث النواصي لجمهن تصلل
 بدجلة إذ كروا وقيس وراءهم
 صفوفاً وإن راموا المخاضة أوخلوا
 فما زالت القتلى تمج دماءها
 بدجلة حتى ماء دجلة أشكل^(١)
 فإن لا تعلق من قريش بدمه
 فليس على أسياف قيس معول
 لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم
 ونحن لكم يوم القيامة أفضل
 وقد شققت يوم الحروب سيوفنا
 عواتق لم يثبت عليهن مخمل
 أجار بنو مروان منهم دماءكم
 فمن من بنى مروان أعلى وأفضل
 وينبى أن نقدّم أولاً سبب ما أوقعه الجحاف بيني تغلب ، ثم
 نشرح الأبيات ، فنقول :
 إن عمير بن الحباب السلمي خرج على عبد الملك في أول خلافته^(٢)

(١) الديوان : « نمر دماؤها » .

(٢) في الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس في أيام عبد الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان قد امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه » . وجل اشتقاقه من الحباب ، بالفهم ، وهو ضرب من الحيات .

فاجتمعت إليه قيسٌ وعامر ، وكان نازلاً في القرب من بني تغلبَ قبيلةَ
الأخطل ، وكانت منازلهم بين الخابور والفرات ودجلة ، فأساء
المجاورة مع تغلب ، فوقع بينهم شرٌّ ، فما زال الحربُ بينهم سجّالاً إلى
أن قتل بنو تغلبَ عُميراً وأرسلوا برأسه إلى عبد الملك ، في سنة سبعين
من الهجرة ، فأنعم عبد الملك على الوفدِ وكساهم . ثم إنَّ الأخطلَ وفدَ
على عبد الملك فدخلَ عليه الجَحَافُ بن حَكيم السُّلَمي فقال عبد الملك :
أتعرف هذا يا أخطل ؟ قال : ومن هو ؟ قال : الجَحَافُ . فقال الأخطل :

ألا سائلَ الجَحَافَ هل هو ثائرٌ بقتلى أُصِيبَتْ من سُلَيمٍ وعامِرٍ
حتّى فرغ من القصيدة ، وكان الجَحَافُ يأكلُ رُطباً فجعل النوى
يتساقط من يده غيظاً ثم أجابه فقال :

بلى سوفَ نبيّهم بكلّ مهنّدٍ ونبكي عُميراً بالرِّمّاحِ الشَّواجرِ

ثم قال : يا ابنَ النُصرانية ، ما ظننتك تجترئ علىّ بمثل هذا ، ولو
كنتُ مأسوراً لك . فحمَّ الأخطلُ خوفاً . فقال عبد الملك : أنا جارُك منه .
فقال : يا أمير المؤمنين ، هَبْكَ أجرتني منه في اليَقْظة فَمَنْ يُجيرُني منه
في النَّوم ؟ ثم قام الجَحَافُ ومشى يجرُّ ثوبه وهو لا يعقل حتّى دخل بيتاً
من بيوت الديوان ، فقال للكاتب : أعطني طوماراً من طوامير العهود .
فأتاه بطومار وليس فيه كتاب ، فخرج إلى أصحابه من القيسية فقال :
إنَّ أمير المؤمنين ولأني صدقاتِ بكر وتغلب . فلحقه زهاء ألف فارس ،
فسار حتى أتى الرُّصافة ، ثم قال لمن معه : إنَّ الأخطل قد أسمعني
ما علمتم ، ولست بوال ، فمن كان يحبُّ أن يغسلَ عنه العارَ فليصحبني
فإنني قد آليت أن لا أغسلَ رأسي حتّى أوقع بيني تغلب . فرجعوا غيرَ
ثلثمائة ، فسارَ ليلته فصَبَحَ الرَّحوب ، وهو ماءُ لبني جُشم بن بكر رهطٍ

الأخطل فصادف عليه جماعة كثيرة من تغلب ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأخذ الأخطل وعليه عباءة وسخة ، فظنّوه عبداً ، وسئل فقال : أنا عبد ! فخلّوا سبيله فخشي أن يراه من يعرفه ، فرمى بنفسه في جُب فلم يزل فيه حتى انصرفت القيسية فنجا ، وقتل أبوه غوث ، وأسرف الجحّاف في القتل ، وشقّ البطون عن الأجنة ، وفعل أمراً عظيماً . فلما عاد عنهم قديم الأخطل على عبد الملك فأنشده :

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمعول

والبشر ، بكسر الموحدة وسكون المعجمة : اسم ماء^(١) . فطلب عبدُ الملك الجحّاف فهرب إلى الروم ، فكان يتردّد فيها ، ثم بعث إلى بطانة عبد الملك من قيس ، فطلبوا له الأمان فآمنه ، فلما جاء ألزمه ديات من قتل ، وأخذ منه الكفلاء ، فسعى فيها حتى جمعها وأعطاهما . ثم تنسك الجحّاف وصلح ، ومضى حاجاً فتعلّق بأستار الكعبة وجعل يقول : اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل ! فسمعه محمد بن الحنفية فقال : يا شيخ ، فتوطّك شر من ذنبك !

ومن هنا نرجع إلى شرح الأبيات . فقوله : « بكى دؤبل » هو اسم الأخطل . قال شارحه : كان الأخطل يلقّب به صغيراً . وبكاؤه لقوله :

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعة البيت

و« ابن » منادى . و« القلس » بفتح القاف : جبل ضخم من ليف أو خوص ، أراد به زُنار النصارى . والجحّاف بفتح الجيم وتشديد

(١) في معجم ياقوت أنه جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية . لكن في اللسان أنه اسم ماء لبنى تغلب ، وقال أيضاً : « والبشر : اسم جبل ، وقيل جبل بالجزيرة » .

الحاء المهملة . وتحضه : تحثه . يقال حَضَّه على الأمر ، أى حمّله عليه .
والمكث : البطء . والورد ، بالكسر : الورود .

وذر قرن الشمس : طلعت . والكردوس بالضم : القطعة من الخيل
العظيمة ، والكراديس : الفِرَق منهم . يقال كَرَدَس القائد خيله ، أى
جعلها كتيبةً كتيبة . ويَهْدِين : يَدْلُهْن ويَقودهن . والوَرْد : الأسد ،
عنى به الجَحَاف .

وَأَتَمَّتِ الْجُبْلَى فَمِى مَمٍّ ، إِذَا تَمَّتْ أَيَّامُ حَمَلِهَا ، وولدت لِتِمَامٍ ، بفتح
التاء وكسرها ، وولد المولود لِتِمَامٍ كذلك . ومُعْجَلٌ : خلاف التام .

والصَّبر : القتلُ أسراً . والبقيـر : المبقور ، وهو الذى شق بطنه .
وتولول : تصوّت وتصيح .

وخلاس وعَزَّهَل : رجلان من قيس . والحليل : الزوج . وأبو مالك :
كنية الأخطل . والظعائن : جمع ظعينة ، وهى الهودج . والمَغْزَل كجعفر
قال شارحه : من الغَزَل ، وهو محادثةُ النساء واللَّعب . وإنمّا هُزِئَ به .
يقول : قد شغلك ما صنعتَ عن التغزُّل ^(١) . ١ هـ .

والرُّدِينِيَّات : الرِّمَاح . والنَّهْل : الشرب الأول . والعَلَل : الشرب
الثانى . وعُقَاب المنايا : الراية ، شَبَّهَها بالعُقَاب . واللَّجَم : جمع لجام .
وتصلِّل : تصوّت . وأراد يَشْعَث النواصى الخيل . وأَوْحَلُوا ، بالبناء للفاعل ،
أى وقعوا فى الوحل .

وقوله : « فَإِنْ لَا تَعْلَقْ » استهزاءً فى مَعْرِض النصيحة ، أى إن لم تتعلَّقْ
بذمّة قريش فلا طاقة لكم بسيوف قيس . ١٤٥

(١) فى النسختين : « من التغزل » .

وقوله : « لنا الفضلُ في الدنيا » البيت أورده ابن هشام (في المغنى)
على أنَّ اللام تأتي بمعنى مِنْ ، أى ونحن أفضل منكم . وشَقَّقتْ : قطعت .
وعَوَاتق : جمع عاتق ، وهو ما بين المنكب والعنق . والمِحْمَل بكسر
الميم الأولى : سُور السيف .

والمصراع الأخير تقديره : فَمَنْ أَعلى وأفضل من بنى مروان .
وترجمة جرير تقدّمت في الشاهد الرابع من أول الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد السبعمئة ^(٢) :

٧٨٤ (بَطِلَ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ)

على أَنَّ (في) بمعنى على فيه ، لَأَنَّهُ معلوم أَنَّ ثيابه ليست في جوف
سَرَحَةٍ ، وهى الشجرة العالية ، وإنما هى على بدنه .

قال الشارح المحقق : والأولى أَنَّ تكون على بابها ، لَأَنَّ ثيابه إذا
كانت عليها فقد صارت السَرَحَةُ موضعاً لها .

وهذا المصراع صدرٌ ، وعجزه :

(يُحْذَى نَعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ)

والبيت من معلقة عَنترَةَ العبسى ، وقبله :

(وَمَشَكُّ سَابِغَةٍ هَتَكَتْ فَرْوَجَهَا)

بالسيف عن حاي الحقيقة مُعَلِّم

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(١) الخزائن ١ : ٧٥ .

(٢) الحصائص ٢ : ٣١٢ والمنصف ٣ : ١٧ والأزهية ٢٧٧ وابن يمش ٨ : ٢١ ورصف
المباني ٣٨٩ والمغنى ١٦٩ والأشونى ٢ : ٢١٩ والمعلقات وشروحها .

رَبِّدْ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا
هَتَاكَ غَايَاتِ التُّجَارِ مَلُومٍ
بَطْلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ
يُحَذِّى نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوَامٍ
فَطَعَنَتْهُ بِالرُّمَحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ
بِمَهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مِخْنَمٍ
لَمَّا رَأَى قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ
أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لَغَيْرِ تَبَسُّمٍ
عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا
خُضِبَ الْبِنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلَمِ

قوله : « وَ مِشَكَّ سَابِغَةً » بكسر الميم وفتح الشين المعجمة ، قال الأعلم :
أراد رَبَّ مِشَكَّ دَرَعٍ سَابِغَةٍ . وَالْمِشَكُّ : التى شُكَّ بَعْضُهَا فى بَعْضٍ .
وَالْمِشَكُّ : مسامير الدروع . وَالسَّابِغَةُ : الكاملة . وقال الخطيب التبريزى :
مِشَكَّ الدَّرَعِ : حيث يُجْمَعُ جَيْبُهَا بِسِيرٍ . وكانت العرب تجعل سِيرًا فى
جَيْبِ الدَّرَعِ يجمع جيبها ، فإذا أراد أحدُ الفرار جذب السَّيرَ فَقَطَعَهُ
وَاتَّسَعَ الجيبُ فَأَلْقَاهَا عَنْهُ وهو يركض . وقيل : الدَّرَعُ التى شُكَّ بَعْضُهَا
إلى بَعْضٍ . وقيل الْمِشَكُّ : المسامير التى تكون فى حَلَقِ الدَّرَعِ . ومن جعل
المِشَكَّ الدَّرَعُ يكون من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وتأويله عند البصريين :
ومِشَكَّ حَدِيدَةٍ سَابِغَةٍ . وهتكت : جوابُ رَبِّ . وكذلك على قول من
جعله بمعنى السَّيرِ والمسامير ، لأنَّهُما من الدَّرَعِ ، فيصير الإخبار عن
الدَّرَعِ . وهتكتُ فَرُوجَهَا ، أى شَقَقْتُهَا وَخَرَقْتُهَا . وفروجها : جَيْبُهَا
وَكُمَاهَا ، واحدها فَرْجٌ بفتح الفاء . وحامى الحقيقة ، أى يَحْمِى
ما يحقُّ عليه أن يحميه . والمُعْلِمُ : ا م فاعل من أعلم نفسه بعلامة ، وهو

الذى شَهَرَ نَفْسَهُ بَعْلَامَةً إِدْلَالًا بِشَجَاعَتِهِ ، وإِعْلَامًا بِمَكَانِهِ . وقال أَبُو جَعْفَرٍ :
هو اسم مفعول ، وكذلك المَسُومُ ، يُقَالَانِ بِالْفَتْحِ . وَالسُّومَةُ بِالضَّمِّ : الْعَلَامَةُ .
وقال الزُّوزَنِيُّ : المَعْلَمُ بِكَسْرِ اللَّامِ : الذى أَعْلَمَ نَفْسَهُ بَعْلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا فِي
الْحَرْبِ حَتَّى تَبْرُزَ لَهُ الْأَبْطَالُ . وَالْمُعْلَمُ بِفَتْحِ اللَّامِ : الذى يشار إليه وَيُذَكَّرُ
عليه بِأَنَّهُ فَارَسُ الْكُتَيْبَةِ . يقول : رب موضع انتظام درع واسعة
شَقَقْتُ أَوْسَاطَهُ بِالسَّيْفِ عَنْ رَجُلٍ حَامٍ لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ حِفْظُهُ ، شَاهِرٍ
نَفْسِهِ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ أَوْ مِشَارٍ إِلَيْهِ فِيهَا . يريد أَنَّهُ هَتَكَ مِثْلَ هَذِهِ
الدَّرْعِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الشَّجَاعِ ، فَمَا الظَّنُّ بغيره ؟ !

١٤٦

وقوله : « رَبِذٌ يَدَاهُ » هو بِالْجَرِّ صِفَةٌ لِحَامِي الْحَقِيقَةِ . وَكَذَا هَتَاكَ .
وَالرَّبِذُ ، بِفَتْحِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ : السَّرِيعُ . قال أَبُو جَعْفَرٍ
وَالْخَطِيبُ : لم يَقُلْ رَبِذَةً يَدَاهُ لِأَنَّ الْيَدَ مُؤَنَّثَةٌ ، وَوَجْهَهُ أَنَّ قَوْلَهُ يَدَاهُ
بَدَلَ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ فِي رَبِذٍ الْعَائِدِ إِلَى حَامِي الْحَقِيقَةِ ، كَمَا تَقُولُ :
ضَرَبْتُ زَيْدًا يَدَهُ . وَمَذْهَبُ الْفَرَّاءِ فِي هَذَا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَذْكَرَ الْمُؤَنَّثُ فِي
الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلَامَةُ التَّأْنِيثِ . وَالْقَدَاحُ ، هِيَ سِهَامُ الْمَيْسَرِ ، جَمْعُ
قِدْحٍ بِالْكَسْرِ . أَيْ هُوَ حَاقِظٌ بِالْقِمَارِ وَالْمَيْسَرِ ، خَفِيفُ الْيَدِ بِضَرْبِ الْقَدَاحِ .
وَهَذَا كَانَ مَدْحًا عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَوْلُهُ : « إِذَا شَتَا » يريد أَنَّهُ إِذَا
اشْتَدَّ الزَّمَانُ ، وَكَانَ أَشَدُّ الزَّمَانِ عِنْدَهُمْ زَمَنَ الشِّتَاءِ ، وَكَانَ لَا يَبْسُرُ فِيهِ
إِلَّا أَهْلَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ . وَقَوْلُهُ : « هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ » هُوَ جَمْعُ تَجَرٍّ ،
وَهُوَ جَمْعُ تَاجِرٍ كَمَا يَجْمَعُ صَاحِبٌ عَلَى صَحْبٍ ، وَصَحْبٌ عَلَى صَحَابٍ .
وَأَرَادَ بِهِمْ تَجَارَ الْخَمْرِ ^(١) . وَالْغَايَاتُ : عِلَامَاتٌ تَكُونُ لِلْخَمَّارِينَ . يَقُولُ :
فَهُوَ يَهْتِكُ رَايَاتِ تَجَارِ الْخَمْرِ ، لِأَنَّهُ لَا يَتْرَكَ شَيْئًا مِنَ الْخَمْرِ إِلَّا اشْتَرَاهُ

(١) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى كَلِمَةِ « الْخَمْرُ » التَّالِيَةِ سَاقِطٌ مِنْ ش .

وإذا فَنِيَ ما عندهم رَفَعُوا علاماتهم . وقيل المعنى أَنَّهُ يعطيهم ما يطلبون في السَّوْم بها . والمَلُوم : الذى يكثر اللوم عليه فى تبذير ماله .

وقوله : (بطلٍ كَأَنَّ ثيابه) إلخ بطل بالجر صفة حامى الحقيقة ، ويجوز رفعه على تقدير هو بطلٌ ، وهو الشُّجاع الذى تبطلُ عنده شجاعةُ غيره . (والسَّرْح) ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين فحاء مهملة : واحدة السَّرْح ، وهو الشجر العظيم العالى . يريد أَنَّهُ طويلُ القامة كاملُ الجسم ، فكأنَّ ثيابه على شجرةٍ عالية . والعرب تمدح بالطول وتذمُّ بالقصر . قال أثال بن عَبْدة بن الطَّيِّب ^(١) :

ولمَّا التقى الصَّفانِ واختلَفَ القنا نهالاً وأسبابُ المنايا نهالها ^(٢)
تبيَّنَ لى أَن القماعةَ ذِلَّةٌ وأنَّ أعزَّاءَ الرِّجالِ طوالها ^(٣)

يريد أَنَّ القنا وردت الدم ولم تُثَنِّ ، وذلك أَنَّ الناهل الذى يشرب أوَّل شربة ، فإذا شرب ثانية فهو عَللٌ . وقوله : نهالها ، أى أوَّل ما يقع منها يكون سبباً لما بعده .

وقال بعض بنى العنبر :

فجاءت به عبلَ العظام كأنما عمامته بينَ الرجالِ لواء ^(٤)

(١) البيتان بدون تسمية فى الكامل ٥٤ ، ٥١٣ . واقتصر المبرد على قوله إنه أعزاني من بنى سعد ، وإن الخنوت ، وهو توبة بن مضر قد تمثل بهذا الشعر . ونسب إلى أنيف بن زيان النهشل فى الحماسة البصرية ١ : ٣٥ .

(٢) الحماسة البصرية : « واشتجر القنا » .

(٣) الكامل : « وأن أشدها الرجال طوالها » .

(٤) البيت مع سابقين له فى الحماسة ٢٧٠ بشرح المرزوقى ، وروايته : « سبط العظام » . وقوله :

لا تغدلى فى حديدٍ إن حنـدجاً وليث عفـرين لدى سواه
حيث على النهار أظهار أمه وبعض الرجال المدعين جفا

[وَقَالَ آخِرٌ ^(١)] :

أثم طویل السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا تُنَاطُ إِلَى جَذَعٍ طَوِيلٍ حَمَائِلُهُ
وَلَيْسَ لِمِ الْخَاسِرِ :

يقوم مع الرُّمَحِ الرُّدِينِي قَائِمًا
وَيَقْصُرُ عَنْهُ طَوْلُ كُلِّ نِجَادٍ

وقوله : (يَحْدَى نِعَالِ السَّبْتِ) يَحْدَى بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، وَنَائِبُ الْفَاعِلِ ضَمِيرُ الْبَطْلِ . وَنِعَالٌ مَفْعُولٌ ثَانٍ لَهُ ، أَيْ تُجْعَلُ لَهُ النُّعَالُ السَّبْتِيَّةُ حِذَاءً بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ . فِي الصَّحَاحِ : الْحِذَاءُ : النَعْلُ . وَاحْتَذَى : انْتَعَلَ . وَأَحْذَيْتَهُ نَعْلًا ، إِذَا أَعْطَيْتَهُ نَعْلًا . وَالسَّبْتُ بِكَسْرِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْمُوحَّدَةِ : الْجِلْدُ الْمَدْبُوعُ بِالْقَرْظِ وَلَمْ يَنْجَرْدُ مِنْ شَعْرِهِ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيُّ (فِي النِّبَاتِ) : الْجِلْدُ مَا لَمْ يُدْبَغْ فَهُوَ مُحَرَّمٌ ، وَكَذَلِكَ إِذَا دُبِغَ فَلَمْ يَبَالِغْ فِيهِ الدُّبَاغُ فَفِيهِ تَحْرِيمٌ . وَالْفَطِيرُ مِثْلُهُ ، وَهُوَ الْخَامُ . وَأَجُودُ مَا يَدْبَغُ بِهِ الْإِهَابُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ الْقَرْظُ ، وَهُوَ يُدْبَغُ بِوَرَقِهِ . وَيُقَالُ لِلَّذِي يَأْخُذُهُ مِنْ شَجَرِهِ : الْقَارِظُ ، وَالَّذِي يَبِيعُهُ : الْقَرَّازُ . فَمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ جُلُودِ الْبَقَرِ خَاصَّةً فَإِنَّ الْأَصْمَعِيَّ زَعَمَ أَنَّهُ السَّبْتُ . وَأَمَّا أَبُو عَمْرٍو فزَعَمَ أَنَّ كُلَّ جِلْدٍ مَدْبُوعٍ سَبْتُ ، بِالْقَرْظِ أَوْ بغيرِهِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ ، فَرَوَى مَا حَكَيْنَاهُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو ، وَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنْ الْأَصْمَعِيِّ . وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ : السَّبْتُ : جُلُودُ الْبَقَرِ . قَالَ : وَلَا تَقُولُ لِلْجِلْدِ سَبْتُ حَتَّى

١٤٧

(١) بِمِثْلِهَا يَلْتَمِسُ الْكَلَامُ . وَقَدْ تَنَبَّهَ لِذَلِكَ نَاسِخُ شِ فَكَتَبَ : « كَذَا بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ ، وَالْقَافِيَةُ مُخْطَلَفَةٌ ، فَهِنَا سَقَطَ بِلَا شَكِّ » . وَقَالَ نَاشِرُ ط : « قَافِيَةٌ هَذَا غَيْرُ قَافِيَةٍ مَا قَبْلَهُ . فَيُظْهِرُ أَنَّهُ سَقَطَ قَبْلَهُ وَقَالَ فُلَانٌ » .

يصير حذاء^(١) ، فذاك حين تنسبه إلى السبت فتقول نعلُ سبتٍ ونعالُ سبت . وأنشد قول عنتره :

* يُحْدَى نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(٢) *

وقال أبو زيد : نعل سبت، وهي من جلود البقر خاصة، وقال : السَّبْتُ جلود البقر خاصّة مدبوغة ، ولا يقال لغير جلود البقر سبت ، والجميع سُبُوتٌ وأسبات . فأما ما كان من جلود الضأن خاصّة فهو السِّلَفُ ، والواحدة سَلْفَةٌ ، وهي أضعفُ من الماعز وألين . وقال أبو زياد : خيرها ما دُبِغَ بالقرظ ، ثمَّ الأَرطَى ، ثمَّ السَّلَم . وشرها ما دُبِغَ بالألاء . وقال : الألاء شديدُ المارة ، شديدُ الخضرة ، طيبُ الريح . انتهى ما أردنا منه .

وقول عنتره : « يُحْدَى نِعَالُ السَّبْتِ » يريد أنه من الملوك الذين يلبسون النعال السَّبْتِيَّةَ الرقيقَةَ الطيِّبَةَ الرِّيح . وهم يتمدّحون بجودة النعال ، كما يتمدّحون بجودة الملابس . قال النابغة :

رَقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يُحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ

أراد أنهم ملوكٌ لا يَخْصِفُونَ نعالهم ، إنما يَخْصِفُهَا مَنْ يَمْشِي . والحُجْزَةُ : الوَسْطُ . أراد أنهم يَشْدُونُ أَزْرَهُمْ^(٣) على عِفَّة . والسَّبَاسِبِ : يوم الشعانين . وأراد برقّة النعال أن نعالهم ليست بمطبقة . وقال النجاشي :

(١) ط : « حلا » ش : « حلاء » ، وفي حواشي ش : « كذا بخط المؤلف حلاء » والصواب حذاء بالذال المعجمة . فهو الصواب إن شاء الله .

(٢) صدره في معلقته :

* بطل كأن ثيابه في سرحة *

(٣) ط : « إزارهم » .

• لا يأكل الكلبُ السُّرُوقُ نعالنا^(١) •

إنما يأكل الكلبُ الفطيرَ من النعال . وأما السَّبْتُ فلا . وقال كثير
وذكر نعلًا :

إذا طُرِحَتْ لا يطْبِي الكلبُ ريحُها

وإن طُرِحَتْ في مجلسِ القومِ شُمْتُ^(٢)

أى هى طيِّبَةُ الريح ليست بفطير ، لأنَّ النعل إذا كانت غيرَ
مدبوعة وظفّر بها الكلبُ أكلها . وقوله : « ليس بتوأم » يريد أنه لم يزاحمه
أخ في بطن أمّه فيكونَ ضعيفَ الخلقة . والتوأم : الذى يكون مع آخرَ
في بطن أمّه . فنفى عنه ذلك ووصفه بكمال الخلق وتمام الشدّة والقوّة .
يقول . هو بطلٌ مديد القامة ، كأنَّ ثيابه ألبست شجرةً عظيمة ، من
طول قامته واستواء خلقه ، ويتخذ النعال من جلود البقر المدبوعة ، ولم
تحمله أمّه مع غيره . وقد بالغ في وصفه بالشدّة والقوّة بامتداد قامته ،
وعظم أعضائه ، وتمام غذائه عند إرضاعه ؛ إذ كان غير توأم .

وقوله : « بمهند » هو السيف الهندى . وقوله : « صافى الحديد » أى
مجلو صقيل . والمِخْذَم ، بكسر الميم والمعجمتين : القاطع ، من خذمه
أى قطعته .

(١) ورد البيت معروفًا فى اللسان (نقا ٢١٤) ، وهو على الصواب فى البيان ٣ : ١٠٩ ،
وانظر تحقيقه فى كتابى « تحقيقات وقضايا فى معجم لسان العرب » ص ٣٧١ . ورواية البيان :
ولا يأكل الكلبُ السُّرُوقُ نعالهم ولا تنتق المخ الذى فى الججام
وفى المعاني الكبير ٤٨٣ :

لا يأكل الكلبُ السُّرُوقُ نعالنا ولا تنتق المخ الذى فى الججام

(٢) الحيوان ١ : ٢٦٦ والبيان ٣ : ١٠٩ والمعاني الكبير ٤٨٧ . وهو من تصيدة

فرثاء عبد العزيز بن مروان ، فى ديوان كثير ٣٢٤ .

وقوله: «لَمَّا رَأَى قَدْ نَزَلَتْ» إلخ. النواجذ: آخر الأضراس. ومعنى أبدى نواجذه، أَى كَلَّحَ غِيظاً عَلَى. ويقال بل كَلَّحَ كَرَاهَةً لِلطَّعْنِ. وقيل: المعنى لَمَّا رَأَى قاصداً له كَلَّحَ وكَشَّرَ أَسْنَانَهُ، فصار كَأَنَّهُ متبسمٌ. وقيل: المعنى لَمَّا قَتَلْتَهُ تَقَلَّصَتْ شَفَتَاهُ عَنْ أَسْنَانِهِ^(١) فَصَرَتْ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَبَسَّمُ. يقول: لَمَّا نَزَلْتُ عَنْ فَرْسِي أُرِيدُ قَتْلَهُ كَشَّرَ عَنْ أَسْنَانِهِ غَيْرَ مُتَبَسِّمٍ. أَى لَفَرَطَ كُلُّوْجِهِ مِنْ كَرَاهِيَةِ الْمَوْتِ تَقَلَّصَتْ شَفَتَاهُ عَنْ أَسْنَانِهِ.

١٤٨

وقوله: «عَهْدِي بِهِ» أَى مُشَاهِدَتِي لَهُ وَقَدْ تَخَضَّبَ بِدَمِهِ، فَكَأَنَّهُ قَدْ خُضِبَ بِالْعِظْمِ، كزبرج، وهو شَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ الْوَسْمَةُ. يقال إِنَّهُ الْكَتَمُ. وَإِنَّمَا شَبَّهَ الدَّمُ بِهِ لَمَّا انْعَقَدَ وَضُرِبَ إِلَى السَّوَادِ. وَيُقَالُ عَهْدَتُهُ أَعَهْدَهُ عَهْدًا، إِذَا لَقِيْتَهُ. قَالَ الْخَطِيبُ: عَهْدِي بِهِ مُبْتَدَأٌ، وَالْخَبَرُ فِي الْاسْتِقْرَارِ. وَقَوْلُهُ: «مَدَّ النَّهَارَ» بَدَلٌ مِنَ الْاسْتِقْرَارِ، كَمَا تَقُولُ: الْقِتَالُ الْيَوْمَ، وَكَمَا تَقُولُ: عَهْدِي قَرِيبًا، أَى وَقْتًا قَرِيبًا. إِلَّا أَنَّهُ يَجُوزُ فِي هَذَا أَنْ تَقُولَ قَرِيبَ، عَلَى أَنْ تَجْعَلَ الْقَرِيبَ الْعَهْدَ. وَمَدَّ النَّهَارَ: ارْتِفَاعُهُ. وَرَوَى: «شَدَّ النَّهَارَ» بِمَعْنَاهُ. وَيُرِيدُ بِالْبَنَانِ الْأَصَابِعَ. وَرَوَى بِدَلِهِ: «اللَّبَّانُ» بِفَتْحِ اللَّامِ، وَهُوَ الصَّدْرُ. يَقُولُ: رَأَيْتُهُ طَوَلَ النَّهَارَ وَامْتَدَّاهُ بَعْدَ قَتْلِي إِيَّاهُ وَجُفُوفِ الدَّمِ عَلَيْهِ، كَأَنَّ بَنَانَهُ أَوْ صَدْرَهُ وَرَأْسَهُ مَخْضُوبَةٌ^(٢) بِهَذَا النَّبْتِ.

وترجمة عنتره تقدّمت في الشاهد الثاني عشر من أوائل الكتاب^(٣).

* * *

(١) الكلام بعده إلى آخر هذه الفقرة ساقط من ش.

(٢) في النسختين: «مخضوباً».

(٣) الخزائن ١: ١٤٨.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد السبعمئة ^(١) :

٧٨٥ (ويركبُ يومَ الرُّوعِ فيها فوارسُ

بَصِيرُونَ في طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكُلَى)

على أَنَّهُ قِيلَ إِنَّ (فِي) بِمَعْنَى الْبَاءِ ، أَيْ بَصِيرُونَ بَطْعَنِ الْأَبَاهِرِ. وَالْأَوَّلَى
أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَاهَا ، أَيْ لَمْ يَصَارَ وَحْدُ فِي هَذَا الشَّأْنِ .

قال ابن عصفور (في الضرائر) : إِنَّمَا عَدَّى بِصِيرُ بَنِي ، لِأَنَّ

قَوْلِكَ : هُوَ بِصِيرٍ بِكَذَا ، يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى هُوَ حَكِيمٌ فِيهِ ، مُتَصَرِّفٌ
فِي وَجْهِهِ .

والبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ تِسْعَةِ لَزِيدِ الْخَيْلِ الطَّائِي ، رَوَاهَا أَبُو زَيْدٍ (فِي صَاحِبِ الشَّاهِدِ
نَوَادِرِهِ) ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْأَحْوَلُ (فِي شَرْحِ دِيْوَانِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ) ،
وَأَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي (فِي ذِيلِ الْأَمَالِي) ، وَهِيَ :

(أَفَى كُلِّ عَامٍ مَا تُمْ تَبْعَثُونَهُ

عَلَى مِخْمَرٍ عَوْدٍ أَثِيبَ وَمَا رُضَا

تُجِلُّونَ خَمْشاً بَعْدَ خَمْشٍ كَأَنَّهُ

عَلَى فَاجِعٍ مِنْ خَيْرِ قَوْمِكُمْ نَعَا

تَحْضَضُ جَبَّاراً عَلَى وَرَهْطِهِ

وَمَا صِرْمَتِي مِنْهُمْ لِأَوَّلِ مَنْ سَعَى

(١) نوادر أبي زيد ٨٠ والقالي ٣ : ٢٤ وأدب الكاتب ٤٠٠ والجواليقي ٣٥٧ ،

والاقتضاب ٤٣٧ والأزهية ٢٨١ والمخصص ١٤ : ٦١ والضرائر ٢١٨ وابن الشجري ٢ : ٢٦٨
والمغني ١٦٩ والتصريح ٢ : ١٤ والمعجم ٢ : ٣٠ والأشئوني ٢ : ٢١٩ وشرح ديوان كعب

ابن زهير ١٣٤ .

تَرَعَّى بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَدُونَهَا
 رَجَالٌ يَرُدُّونَ الظُّلُومَ عَنِ الْهَوَىٰ ^(١)
 وَيَرْكَبُ يَوْمَ الرُّوعِ فِيهَا فَوَارِسُ
 بِصِيْرُونَ فِي طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكُلَى ^(٢)
 فَلَوْلَا زَهِيرٌ أَنْ أَكْثَرَ نِعْمَةً
 لَقَاذَعْتُ كَعْباً مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقَا ^(٣)
 قَدْ انْبَعَثَ عِرْسِي بَلِيلٍ تَلَوْنِي
 وَأَقْرَبُ بِأَحْلَامِ النِّسَاءِ مِنَ السَّرْدَى
 تَقُولُ : أَرَى زَيْدًا وَقَدْ كَانَ مُقْتَرَاً
 أَرَاهُ لَعَمْرِي قَدْ تَمَوَّلَ وَاقْتَنَى ^(٤)
 وَذَاكَ عَطَاءُ اللَّهِ فِي كُلِّ غَارَةٍ
 مَشْمُورَةٌ يَوْمًا إِذَا قَلَّصَ الْخُصَى

وقوله : « أفى كل عام » إلخ استفهامٌ توبيخى . والمأثم ، مهموز ،
 وهو الجماعة من النساء يجتمعن لحزن أو فرح ، والمراد هنا الحزن ،
 ولهذا عاد الضمير إليه من تبعثونه مذكراً . وقال شراح أبيات الكتاب :
 الضمير عائذ على محذوف ، أى أفى كل عام اجتماع مأثم ، فيكون المأثم
 بالمعنى الأول . ولهذا قال أبو زيد : أراد : أفى كل عام ^(٥) ، حدوث مأثم ،
 فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ١ هـ .

(١) في شرح الديوان وأمال القالى والجواليق والاقنصاب : « يصندون الظلوم » .

(٢) في شرح الديوان : « يردون طعنًا فى الأباهر والكل » .

(٣) في شرح الديوان وأمال القالى : « لقاذعت كعباً » .

(٤) عند القالى : « وقد كان مصرماً » ، وفى رواية ثانية لشرح الديوان :

تقول أرى زيدا وقد بان مقتراً تمول من بصد التصمك واقتنى

(٥) ط : « فى كل عام » ، وأثبت ما فى ش . ولم أجد هذا النص فى نوادر أبى زيد .

وإنما قال كذا لثلاً يقع ظرف الزمان خبراً عن الجثة . وتبعثونه :
 ١٤٩ تهيجونه وتحركونه . وروى بدله : « تجمعونه » . والمِخْمَر بكسر الميم
 الأولى وسكون الحاء المهملة ، قال أبو زيد : هو الفرس الذي يُشَبِّه
 الحمار ، وهو أيضاً اللثيم من الرجال . أراد هنا أنه فرسٌ هجين ،
 أخلاقه كاخلاق الحمير ، بطيء الحركة . وعلى هنا تعليلية . والعود ،
 بفتح العين المهملة ، قال أبو زيد : المُسِنَّ . وأُثِيب : جُعِلَ لنا ثوابا .
 والثواب : الجزاء . وَرَوَى الجرمي : « على مِخْمَرٍ ثُوْبِتَمَوْه ومارضاً » يقال أثابه
 وثوبه ، أى أعطاه الثواب . وَرَضاً بضم الراء بمعنى رُضِيَ ، فعلٌ مجهول ،
 وهو لغة طيٌّ ، يكرهون مجيء الباء المتحركة بعد الكسرة ، فيفتحون
 ما قبلها لتنقلب إلى الألف لخفتها . يقولون في بَقِيَّ : بَقَا ، وفي نُعِيَّ
 نَعَا كما هنا .

وهذا البيت استشهد به سيبويه على أن تبعثونه صفة لما تم ، ولهذا
 لم يعمل فيه . يقول : إنكم تجمعون نساءً ليبكين على فقد هذا الفرس
 الذى جعلتموه جزاءً لنا على جميل فعلناه بكم ، والحال أننا لم نرض
 بهذا الفرس الذى يُشَبِّه الحمار .

وقوله : « تُجَدُّونَ خَمَشاً » إلخ : يقال أجَدَّ فلانُ الشيء واستجدَّه ،
 إذا أحدثه ، فتجدد . والخمش : مصدر خَمَشَتِ المرأة وجهها بظفرها ،
 من باب ضرب ، أى جرحَتْ ظاهرَ البشرة . وفاجع : الذى فَجَعَهُمْ بنفسه .
 يقال فجَعَتْهُ المصيبةُ ، أى أوجعته . وروى بدله : « على سيِّد » . ونعا أصله
 نُعِيَّ ، يقال نَعِيتَ الميتَ نعيّاً من باب نفع ، إذا أخبرت بموته . يقول :
 إنكم تخمِشُون وجوهكم مرّةً بعد مرّةً ، على هذا البردون ، كأنكم فقدتم
 خبر قومكم .

وقوله : « تحَضُّضٌ جَبَّاراً » إلخ . هذا خطابٌ لكعب بن زهير . قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : يقال حَضَّضْتُ الرجل ، إذا حَشَّنته على الخير والشرِّ جميعاً ، وحَضَّضْتُهُ بالتخفيف ، إذا حَشَّنته على الخير . وحَشَّنتُهُ ، إذا حَرَّضْتُهُ على سَوْقٍ أو سِير . ولا يكون الحَضُّ في السَّير والسوق .

وجَبَّار ، بفتح الجيم والموحدة المشددة : اسم رجل . وقال أبو العباس الأحول : هو رجلٌ من فِزَازة . والصَّرْمَةُ ، بكسر الصاد المهملة : القطعة من الإبل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . والرَّهْطُ : النَّفَرُ ، وهم مادون العشرة من الرجال . يقول : تُغَرِّى هذا الرجلَ لِيُغَيِّرَ على إِبِلِي ، وليست إِبِلِي لِأَوَّلِ جماعةٍ تغزوني ، لِأَنِّي أَقاتِلُ عنها وأدافع .

وقوله : « تَرَعَّى بِأَذْنَابٍ » إلخ أصله تَرَعَّى فهو مضارع . وقال الجواليقي : أى ترعَّى ، يريد أَنَّهُ مبالغة ترعَّى بالتخفيف . والأَذْنَابُ : جمع ذَنَبٍ بفتح الحتين . وروى بدله : « بِأَطْرَافٍ » . قال الجواليقي : والشُعَابُ : جمع شُعْبٍ ، وهو الموضع المنفرج بين جبلين ، وهو جمعٌ نادر كَقِدْحٍ وقَدَاحٍ . ودونها ، أى دون هذه الصَّرْمَةِ رجالٌ يردُّون الظَّالِمَ عن هَوَاهُ .

وقوله : (ويركبُ يومَ الرُّوعِ) بفتح الراء هو الفزع . و (فيها) أى من أجل الصَّرْمَةِ . قال الأحول : الأَبَاهِرُ والكلَى مَقْتَلَانِ . والأَبْهَرُ : عِرْقٌ في المتن . وقال الجواليقي : أى هم بُصَرَاءُ عالمون بمواضع الطَّعْنِ . والأَبَاهِرُ : جمع أَبْهَرٍ ، وهو عِرْقٌ مستبطن الصُّلْبِ . والكلَى : جمع كُلْيَةٍ . وللإنسان والحيوان ^(١) كليتان ، وهما لحمتان حمراوان مُنتَبِرَتَانِ ^(٢) لازقتان بعظم

(١) الجواليقي : « وكل الحيوان » .

(٢) ط : « منتبرتات » ، صوابه في ش . والانتبار : الارتفاع والبروز .

الصُّلب . ا ه . وكذا قال ابن السِّيد . وَصَفَهُم بِالْحَذَقِ فِي الطَّعْنِ ، فَهُمْ
يَتَعَمَّدُونَ الْمُقَاتِلَ . وَالْأَبْهَرُ : عَرَقٌ مُسْتَبْطِنٌ الْمُتَنُّ مُتَّصِلٌ بِالْقَلْبِ .

وقوله : « فلولاً زهيراً أَنْ أَكْذَرُ نِعْمَةً » إلخ هذا البيت في رواية
الأَحْوَلِ وفي رواية القَالِي آخرُ الأبيات . والملاصق لقوله : ويركب يوم
الرَّوْعِ ، عندهما : تقول أرى زيدا ، البيت . وليس عندهما « قد انبعثت
١٥٠ عرسي بليل تلومني » البيت .

وهذا هو المناسب لسياق الكلام . وبيت « قد انبعثت عرسي »
إنما هو من شعر كعب كما سيأتي ، لكن كتبنا الأبيات كما وجدناها
ثابتة في نسختين صحيحتين (من نوادر أبي زيد) .

وقوله : « فلولاً زهيراً » هو والدكعب . وقوله : « أَنْ أَكْذَرُ نِعْمَةً » هو
بدل اشتهال من زهير بتقدير الرابض ، والتقدير : فلولاً تكديرُ نعمة
لزهير . وقوله : « لِقَاذَعْتُ » جواب لولا . والقَذْعُ بالذال المعجمة :
الفُحْشُ والخَنَى . يقال قذعته ، إذا رميته بالفحش وشتمته .

وقوله : « قد انبعثت عرسي » إلخ ، هذا البيت أول أبيات كعب بن
زُهير الآتية ، ولا مناسبة له هنا . والمِصْرَاعُ الأوَّلُ في رواية الأَحْوَلِ :

* أَلَا بَكَرْتُ عِرْسِي تُوَاتِمُ مَنْ لَحَا *

قال الأَحْوَلُ : توَاتِمُ : تعارض وتفعل مَا يَفْعَلُونَ ^(١) . وأصل المواءمة
المباراة في الطعام . وقوله : « وَأَقْرَبُ بِأَحْلَامِ » إلخ ، هو صيغة تعجُّب .

(١) ط : « وتعمل ما يفعلون » .

والأحلام : العقول . قال الأحول : هو من مثل تضربه العرب « لُبُّ النساءِ إلى حُمقٍ »^(١) .

وقوله : « تقول أرى زيداً » : إلخ هذا خطاب لكعب لا حكاية قول عرسه وإن كان ظاهراً . والمُقْتِر اسم : فاعل من أقتر الرجلُ ، إذا افتقر . وروى بدله : « مُضْرِمًا » من أَصْرَمَ الرَّجُلُ ، إذا صار ذا صِرمة . وتموّل : صار ذا مال . والمال عند العرب : الإبل والماشية . واقتنى ، هو من قَنَيْت الشيءَ ، إذا اتَّخَذْتَهُ لنفسك لا للتجارة . ويروى بدله : « وافْتَلَى » أى صار ذا فُلُوٍ ، وهو المهر . والفُلُو كَفْعُول ، ويقال فُلُو بكسر الفاء وسكون اللام . ويقال افْتَلَى بمعنى رَبَّى أيضاً ، وبمعنى قَطَم الصغيرَ عن اللبن .

وقوله : « وذاك عطاء الله » إلخ ، الإشارة للتموّل والاقتناء . والغارة : الغزاة . ومشمرة ، من شَمَّرَ إزاره تشميراً ، إذا رفعه . ويروى : « قَلَصَ الْخُصَى » بتخفيف اللام وتشديدها ، بمعنى انضمت وانزوت . وتَقَلَّصَ الْخُصَى يكون عند الرُّعب والفزع .

وسبب هذه الآيات ما رواه القالى (فى ذيل الأمالى) قال : حدثنا أبو بكر قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال :

خرج بجير بن زهير بن أبي سلمى فى غِلْمَةٍ يَجْتَنُونَ جَنَى الْأَرْضِ ، فانطلق الغِلْمَةُ وتركوا ابن زهير ، فمرَّ به زيدُ الخيل الطائى فأخذه . - ودار طَبِئُ متاخمةً للدور بنى عبد الله بن غطفان - فسأل الغلام : من أنت ؟ فقال : أنا بجيرُ بن زهير . فحمله على ناقةٍ ثم أرسل به إلى أبيه

(١) عند الميدانى : « لب المرأة إلى حق » .

فلما أتى الغلام أخبره أن زيدا أخذَه ثم خلَّاه وحمله ، وكان لكعب بن زهير فرسٌ من جياد خيل العرب . وكان كعبٌ جسيماً ، وكان زيد الخيل من أعظم الناس وأجسمهم ، وكان لا يركب دابةً إلا أصابت إبهامه الأرض ، فقال زهير : ما أدري ما أثيبُ به زيدا إلا فرس كعب . فأرسل به إليه وكعبٌ غائب ، فجاء كعبٌ فسأل عن الفرس فقبل له : قد أرسل به أبوك إلى زيد . فقال كعبٌ لأبيه : كَأَظْكَ أَرَدْتَ أَنْ تَقْوَى زيدا على قتال غطفان . فقال زهيرٌ له : هذه إبلى فخذ ثمنَ فرسك ^(١) .

وكان بين بنى زهير وبين بنى ملقطٍ الطائيين إخاء ، وكان عمرو بن ملقط وفاداً إلى الملوك ، وهو الذى أصاب بنى تميم مع عمرو بن هند يوم أوازة ^(٢) ، فقال كعبٌ شعراً يريد أن يُلْقَى به بين بنى ملقط وبين رهط زيد الخيل شراً ، فعرف زهيرٌ حين سمع الشعرَ ما أراد به ، وعرف ذلك زيد الخيل وبنو ملقط ، فأرسلت إليه بنو ملقط بفرسٍ نحو فرسه ، وكانت عند كعب امرأةٌ من غطفان لها حَسَبٌ فقالت له : أما استحييت من أبيك لشرفه وسنّه أن تؤبسه ^(٣) في هبته عن أخيك . ولأمنته . وكان قد نزل بكعب قبل ذلك ضيفانٌ فنحَرَ لهم بكراً كان لامرأته ، فقال : ما تلومينى ^(٤) إلا لمكان بكرِك الذى نحرتُ ، فلك به بكران . وكان زهيرٌ كثيرَ المال ، وكان كعبٌ مجدوداً ^(٥) . فقال كعب :

ألا بكرت عِرسى بليل تلومنى وأقرب بأحلام النساء إلى الردى ^(٦)

(١) في الأماي : « فخذ منها عن فرسك ما شئت » .

(٢) بعده عند القالى : « فسأله فيهم فأطلقهم له » .

(٣) أبه يأبسه أبساً ، وأبسه تأبيساً : صغر به وحقره .

(٤) عند القالى : « تلومينى » بإثبات النونين . وكلاهما وجه جائز في العربية حين تجتمع نون الرفع مع نون الوقاية ، يجوز فيهما الفك والإدغام ، والتلقى بنون واحدة . وقد قرئ بهن في السبعة في قوله تعالى : « تأمرونى » . انظر المغنى ٣٤٤ .

(٥) مجدوداً ، أى ذا جد وحظ .

(٦) في ذيل الأماي ٢٤ : « وأكثر أحلام النساء » .

وذكر فيها زيدا ، فقال زهير لابنه : هجوت رجلاً غير مُفحَم ، وإنَّه
لخَلِيقٌ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْكَ . فَأَجَابَهُ زَيْدٌ فَقَالَ :

* أَفَى كُلِّ عَامٍ مَا تَمُّ تَجْمَعُونَهُ * إِلَى آخِرِ الْأَبْيَاتِ . ١٥

وهذه أبياتُ كعبٍ (من ديوانه) برواية أبي العباس الأحول :

(أَلَا بَكَرْتُ عِرسِي تُؤَانِمُ مِنْ لَحَا
وَأَقْرَبُ بِأَحْلَامِ النِّسَاءِ مِنَ الرَّدَى)

وتقدّم شرحه .

(أَمِنْ أَجَلٍ بَكَرٍ قَطَعْتَنِي مَلَامَةً

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا نَثَا ^(١))

البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل . قال الأحول : أَمِنْ أَجَلٍ بَكَرٍ نَحَرْتُهُ
وَأَطْعَمْتُهُ أَصْحَابِي بَكَرْتُ عَلَى بِاللَّوْمِ مَعَ مَنْ يَلُومُ . وقوله نَثَا ، بفتح
النون بعدها مثلثة ، أى مرّة بعد مرّة :

(أَلَا لَا تَلُومِي وَتَبَّ غَيْرِكِ عَارِيًّا

رَأَى ثَوْبَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَانْتَسَى ^(٢))

يقول : لا تلوّمي في أن نحرْتُ بَكَرًا وكسوتُ رجلاً عَارِيًّا فانْتَسَى .
وَوَيْتَبُ يُذْهَبُ بِهِ مَذْهَبٌ وَيَنْحَ .

(فَأَقِيمُ لَوْلَا أَنَّ أُسِيرَ نَدَامَةً

وَأُعْلِنَ أُخْرَى إِنْ تَرَاخَتْ بِي النَّوَى ^(٣))

(١) كذا في متن البيت وشرحه ، وهو خطأ من البغدادى ، والصواب : « نَثَى » بتقديم
الثاء المكسورة على النون كما في الديوان واللسان (ثنى ١٣١) .

(٢) في شرح الديوان : « ويروى نثا ثوبه ، أى سآخه ولبس غيره » .

(٣) في الديوان : « بك النوى » .

وقيلُ رجال لا يُبالون شأننا :

غوى أمرُ كعبٍ ، ما أرادَ وما ارتأى ^(١)

قال الأحول : يقول لولا قولُ رجال لا يبالون ماذكروا من أمرى وأمرِك ، وَيَنْثُون ^(٢) علىَّ وعلىكِ أمراً لم أرْتِه ولم أفعله .

(لقد سكنت بينى وبينك حِقْبَةً

بأُطلّأها العينُ الملمّعةُ الشّوى)

قال الأحول : ويروى : « لقد رتعت بينى وبينك » . والعين : الوحش . والشّوى : القوائم . يقول : يكون بينى وبينك تفرُّقٌ دهرٌ لانجتماع ، على بُعد منزل ، وتَنائى محلٌّ هذه صفته . تسكنه الوحش . والمعنى لفارقتكِ مفارقةً لا نجتمعُ معها .

(فيأراكباً إمّا عرضتَ فبلّغَن

بنى ملقطٍ عَنى إذا قيل : مَنْ عَنى

فما خلّتكم يا قوم كنتم أذِلَّةً

وما خلّتكم كنتم لمختلّين جَنى

لقد كنتم بالسهل والحزن حَيَّةً

إذا نهشتَ لم يَشْفِ نهشتها الرُّقى ^(٣)

وإن تغضبوا أو تدركوا لى بدمّة

لَعمرُكم أو مثلَ سعيكم كفى ^(٤)

(١) ط : « عوى » ، صوابه فى ش والديوان .

(٢) فى النسختين : « أو ينثون » ، صوابه ما أثبت . وفى شرح الديوان : « فينثون » ، يقال نثى الخير ينثيه نثياً : حدث به وأشاعه .

(٣) الديوان : « إذا لدغت لم تشف لدغتها » .

(٤) فى الديوان : « مثل سعيكم » .

لقد نال زيدُ الخيلَ مالَ أخيكُم
فأصبح زيدٌ قد تمَوَّلَ واقتنَى^(١)
وإنَّ الكميثَ عندَ زيدٍ ذِمَامَةٌ

وما بالكميث من خفاء لمن رأى)

قال أبو عمرو : إذا أتى ما لا يشتهد صاحبه فقد أذمَّ به^(٢) . وقال
غيره : يقول : إنَّ فرسي ذِمَامٌ عندَ زيدٍ وما به خفاء لمن رآه .
(يَبِينُ لأَفِيَالِ الرَّجَالِ . ومثله يبين إذا ما قِيدَ بالخيل أو جرى^(٣))
أفِيَالِ الرجال : الذين لا رأى لهم ولا فهِم . يقول : إذا رآه الذي
لا علم له بالخيل ولا بَصَرٍ ، يُقَادُ أو يَجْرَى ، علم كرمه وعِتْقَه ، ولم
يَحْتَجْ إلى أن يسأل عن نسبه . ثم وصفه ببيتين آخريين .

١٥٣

قال أبو العباس الأحول : وإنَّما قال كعب هذه الأبيات وأجابه زيد
الخيل ، وذلك أنَّ بجير بن زهير والحطيئة ورجلاً من بني بدر خرجوا يقتنصون
الوحشَ ولا سلاحَ معهم ، ومع زيد الخيل عدَّةٌ من أصحابه ، فقال :
استأْسرُوا ، فقالوا : لا إلَّا على الطاقة^(٤) . فأخذهم . فأما الحطيئة فخلَّى
سبيله لخُبث لسانه وفقره ، وأنَّه لم يكن عنده ما يَفْلِدِي به نفسه .
وأما بُجَيْرٌ ففدى نفسه بفرس كان يقال له الكميث . وأما أخو بني بدر
فأَفْتَدَى نفسه بمائة من الإبل . فقال كعب بن زهير وبلغه حديثُ القوم ،
وكان نازلاً في بني مَلْقَطٍ من طيء ، فقال يحرضهم على زيد الخيل ،

(١) الديوان : « وأصبح زيد بعد فقر قد اغتنى » .

(٢) ش : « فقد أذم » ، فقط .

(٣) الديوان : « إذا ما قيد في الخيل » .

(٤) ط : « فقالوا : لا على الطاقة » ، وأثبت ما في ش . وفي شرح الديوان : « فقالوا :

لا نستأسر إلا على الطاقة » .

ليأخذ الكميث . وزعم أنَّ الكميث كان له دون بُجير ، فقال في ذلك قصيدة : «ألا بكرت عرسى» ، وأجابه زيد الخيل : «أفى كل عام [ماتم^(١)]» ، فزعموا أنَّ زهيراً قال لكعب : هجوت امرأ غير مفحم ، وإنَّه لخليقٌ أن يَظْهَرَ عليك .

ثم نقل أبو العباس أربعة أبياتٍ للحطيثة مدح بها زيد الخيل^(٢) . والله أعلم أى ذلك قد كان .

وزيد الخيل وكعب صحابيَّان تقدَّمت ترجمتهما .

وأُتشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد السبعائة^(٣) :

٧٨٦ (نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءُنَا وَنُهِينُهَا

وَنَشْرَبُ فِي أَثْمَانِهَا وَنُقَايِرُ)

على أن (في) قيل إنَّها بمعنى الباء في البيت ، أى ونشرب بأثْمَانِهَا . والأولى أيضاً أن تكون على معناها بجعل أَثْمَانِهَا ظرفاً للشُّراب والقمار مجازاً .

والبيت آخر أبياتٍ أربعةٍ لسَبْرَةَ بن عمرو الفقعسى ، أوردها صاحب الشاهد أبو تمام (في الحماسة) ، وهى :

أَتَنْسَى دَفَاعَى عَنْكَ إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ

أبيات الشاهد

وقد سأل من نصر عليك قُرَاقِرُ

وَنِسَوْتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بِادٍ وَجُوهُهَا

يُخَلْنَ إِمَاءٌ وَالْإِمَاءُ حَرَائِرُ

(١) التكلة من ش .

(٢) شرح الديوان ١٣٥ ، وديوان الحطيثة ٨٢ . وأول الأبيات :

إلا يكن مال يشاب فإنه سيأتى ثنائى زيدا ابن مهلهل

(٣) أمال ابن الشجرى ١ : ٢١٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٣٩ ، وبشرح التبريزى

أَعْيَرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلَحُومَهَا

وذلك عارٌ يا ابنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ

نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا البيت

قوله : « أَتَنْسَى دَفَاعِي » إلخ استفهامٌ توبيخيٌّ ، يخاطب ضَمْرَةَ ^(١)

ابن ضمرة النهشلي . واذ ظرفٌ لدفاعي ، أى لم تنس مُدافعتي عنك ^(٢) حين كنتَ مخذولاً لا ناصر معك . ومُسَلَّم : اسم مفعول من أسامته بمعنى خذَلته ، وهو أن تخلَّى بينه وبين من يريد النكاية فيه . قوله : « وقد سأل من نصر » إلخ رواه شراح الحماسة : « وقد سأل من ذُلِّ » ، قال المرزوقي وغيره : قُرأقر بضم القاف الأولى : اسم واٍ ، ويكون ذكره مثلاً . ومن كلامهم : « سأل عليه الذُلُّ ، كما يسيل السَّيل » . ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذلِّ من ناحية قراقر ، فلذلك خصَّه ، والجملة حال . انتهى .

وأوّل من حرّفه أوّل شارحٍ للحماسة ، وهو أبو عبد الله النَمْرِيّ ، قال : يقول : سأل هذا الوادي عليك فلم تستطع الانتقال عنه ذُلّاً وضعفاً . وردّ عليه أبو محمد الأسود الأعرابي (فيما كتبه على شرح النمرى) ، وقال : الصواب : « وقد سأل من نصر » ، يعنى نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمه . يقول : دافعتهم عنك حين سأل الوادي بهم عليك . كما قال الآخر :

ونحن أسلنا مُصْعِداً بطنَ حائلٍ ولم يُرَ واٍ قبله سأل مُصْعِداً
يعنى أنهم أسألوه بالرجال . ولبيت سَبْرَة قصّة طويلة الذيل ذكرتها
(فى كتاب السِّلّة والسرقة) . انتهى .

١٥٣

(١) ط : « ضمير » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « مدافعتي » بإسقاط « عنك » .

أقول : قد ذكرها (في ضالّة الأديب) أيضاً ونحن نذكرها . إن شاء الله بعد الأبيات .

وقوله : « وَنِسَوْتَكُمْ فِي الرَّوْعِ » إلخ . هذه الجملة معطوفة على جملة الحال السابقة . قال المرزوقي : وصف الحال التي مُنِيَ بها حين نصره مخاطبُهُ . والمراد : نساؤُكم تشَبَّهْنَ^(١) بالإماء مخافة السبِّ ، حتّى تبرّجن وبرزن مكشوفات ناسيات للحياء . وإن كُنَّ حرائر . وإنّما قالَ هذا لأنّهم كانوا يَقْصِدُونَ بسبِّ مَنْ يسبون من النساءِ إلحاق العار ، لا اغتنام الفداء والمال^(٢) . ولمّا كان الأمر على هذا فالحرّة كانت في مثل ذلك الوقت تتشبه بالأمّة لكي يُزهد في سبِّها . ومعنى « والإماء حرائر » : واللاتي يُحسبن إماء حرائر . ولو قال يُخلن إماء وهُنَّ حرائر^(٣) لكان مأخذ الكلام أقرب ، لكنّه عدل إلى : والإماء حرائر ، ليكون الذكر أفخم .

وقوله : « أَعَيَّرْتَنَا أَلْبَانَهَا » ، إلخ استفهام للإنكار والتفريع ، أى لمَ عَيَّرْتَنَا ألبان الإبل ولحومها ، واقتناء الإبل مباح ، والانتفاعُ بأحْمِها وألبانها جائز ديناً وعقلاً . وقوله : « وذلك عارٌ ظاهر » أى زائل . قال أبو ذؤيب :

وَعَيَّرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّي أَحْبَبُهَا

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا^(٤)

ويقال عَيَّرْتَهُ كذا ، وهو الأفصح ، وعَيَّرْتَهُ بكذا . قال عدى :

(١) في النسختين : « فشبهن » ، صوابه من المرزوقي ٢٣٨ .

(٢) ط : « لاغتنام الفداء والمال » ، صوابه في ش والمرزوقي .

(٣) في النسختين : « يخلن إماءهن حرائر » ، صوابه من المرزوقي .

(٤) ديوان الهذليين ١ : ٢١ .

• أيُّها الشَّامتُ المعيرُ بالدَّهرِ ^(١) •

والواو للحال ، أى أتعيرنا ذلك والحالُ ذلك .

وقوله : (نحابى بها) إلخ قال المرزوقى : بيّن وجوه تصرفهم فيما غيرهم ^(٢) به فقال : نجعلها حياءً لنُظرائنا فنتهادى بها ، ونسهّل ثمكُن الزُّوَار والعُفاة منها ، بابتذالها وإهانتها - وحذف ذكر مَنْ أهينت له لأنَّ المراد مفهوم - ونبيعها فنصرف أثمانها إلى الخمر والإنفاق ، ونضرب بالقُداح عليها فى الميسر ^(٣) عند اشتداد الزمان ، فنصرفها فى الصُّعفاء والمحتاجين . وفى تعداد هذه الوجوه لإبطال لكلِّ ما أوهم أن يلحق ^(٤) من العار فى اقتنائها وأدخالها . انتهى .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : حَابَى : بارَى ، يقال حابيت فلاناً أى باريته فى الحياء ، مثل باهيته فى العطاء ، كما يقال كارمته أى باريته فى الكرم . فقوله : نحابى بها أكفاءنا ، لا يكون إلا بمعنى نباريهم فى الحياء . وقد ورد أحابى فى شعر زهير بمعنى أخص ، وذلك فى قوله :

أحابى به ميتاً بنخلٍ وأبتغى

إخاءك بالقييل الذى أنا قائل ^(٥)

قالوا : أراد أحابى بهذا الشعر ميتاً بنخل ، يعنى بالميت أبا المملوح ، أى أخصه به . ونخل : أرض بها قبره . وذهب ابن جنى فى قول المتنبي :

(١) البيت بتمامه كما فى ديوان عدى بن زيد ٨٧ وعيون الأخبار ٣ : ١١٥ :

أيُّها الشَّامتُ المعيرُ بالدَّهرِ — سر أنئت المبرأ الموفور

(٢) كذا فى المرزوقى . وفى ش : « عير به » .

(٣) ط فقط : « والميسر » .

(٤) كلمة « أن » ساقطة من ش . وفى حواشيها مع ذلك : « كذا بخط المؤلف ، وفيه نقص . والظاهر : إبطال لكلِّ ما أوهم ما يلحق » . والذى فى المرزوق : « إبطال لكلِّ ما أوهم أو ادعى يلحق من العار فى اقتنائها » .

(٥) فى ديوان زهير ٢٩٩ : « بالقول » موضع « بالقييل » ، وهما معنى ،

وإنَّ الذى حابى جديلة طيئى به الله يُعطى من يشاء ويمنع^(١)
إلى أن حابى بمعنى حَبَا ، مأخوذ من الحَبَاء وهو العطية ، واسم الله
مرتفع به . أى إنَّ الذى حَبَا الله به جديلة يعطى ، فالجملة التى هى
يعطى وفاعله خبر إنَّ . وخولف فى هذا القول ؛ على أنَّ عليه أكثر مفسرى
شعر المتنبي . والذى ردَّ عليه قال : إنَّ حابيته بكذا بمعنى حَبَوْتُهُ به
ليس بمعروف . فعلى هذا القول يكون فاعل حبا مضمراً فيه يعود على
الذى ، واسم الله مرفوعاً بالابتداء ، وخبره الجملة التى هى يعطى وفاعله
ومفعوله . أى إنَّ الذى بارى جديلة فى الحَبَاء الله يعطى به مَنْ يشاء .
ومفعول يمنع محذوفٌ دلَّ عليه مفعول يعطى ، ومفعول يشاء المذكور
ويشاء المحذوف محذوفان . فالتقدير : يعطى الله به مَنْ يشاء أن يعطيه .
ويمنع به من يشاء أن يمنعه . على أن المضميرين فى يعطيه ويمنعه يعودان
على المملوح . والمعنى أَنَّهُ مَلِكٌ قد فَوَّضَ الله إليه أَمْرَ الخلق فى الإعطاء
والمنع . فالمدح على هذا يتوجَّه إليه وإلى عشيرته : لأنَّ المباراة فى العطاء
أَنَّهُمْ يُعْطُونَ فيُعْطَى مباهاياً لهم بعطائه . والمعنى فى قول ابن جني أنَّ
الذى حبا الله به جديلة بأنَّ جعله منهم يُعطى من يشاء إعطائه ، ويمنع
من يشاء مَنَعَهُ ؛ لأنَّه يُعطى تَكْرُماً لا قهراً ، ويمنع عِزَّةً لا بخلاً .
وأقول^(٢) : إنَّ أصل فاعلته أن يكون من اثنين فصاعداً ، وإنَّ فاعله
مفعولٌ فى المعنى ومفعوله فاعلٌ فى المعنى ، كخاصمته وسابقتها . ولم يأت

(١) ديوان المتنبي ١ : ٣٨٧ . وقال ابن الشجري فى أماليه : « وإنما قال جديلة طيئى »
فخص لأن الجداول ثلاثة : جديلة طيئى فى قحطان : وهو جديلة بن خارجة بن همد البشيرة بن
مذحج . وفى مصر : جديلة ، قال أبو عبيدة : هم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان بن
مصر بن نزار . وفى ربيعة : جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) القائل هو ابن الشجري فى أماليه . وقد فات البغدادي أن ينبه على استمرار النقل من
الأمال إلى نهاية النص بعد البيتين التاليين ، إذ لم يعقب عليه بقوله « انتهى » كما هو عادته .

من واحدٍ إلّا في أحرفٍ نوادر كطارقتُ النعل . وعاقبتُ اللص ، وعافاك الله ، وقتلهم الله .

فابنُ جنّي ذهب بقولهم : حابيت زيدا مذهب هذه الألفاظ الخارجة عن القياس . وقد جاء حابي بمعنى حبا في قول أشجع بن عمرو السلمي ، يمدح جعفر بن يحيى البرمكي ، حين ولّاه الرشيد خراسان :
 إنّ خراسان وإن أصبحت ترفع من ذى الهمة الشانا
 لم يحب هارون بها جعفراً لكنه حابي خراسانا
 أى لم يحب جعفراً بخراسان ولكن حبا خراسان بجعفر . فهذا يعضد قول ابن جنّي (١) .

وهذه قصة سبرة الفقعسي مع ضمرة بن ضمرة (من ضالة الأديب لأبي محمد الأعرابي) قال : إنّ ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن ابن نهشل ، كان جاراً لنوفل بن جابر بن شجينة (٢) بن حبيب بن مالك ابن نصر ، وأمّ نوفل عاتكة بنت الأشتر بن جحّوان بن فقعس بن طريف ابن عمرو بن قعين . وكان ضمرة كثير المقامرة ، فنحر نوفل جزوراً فدعا الحيّ فأكلوا ، فدعا ضمرة فقال : يا معشر بني قعين هذا جاركم وأنا منه خلّو . ثم إنّ ضمرة قامر (٣) ، فقمر ماله كله ، وانتجعت أسد نحو أرض بني تميم وهم مقحمون مضيفون ، فأرسل ضمرة إلى من يليهم من بني تميم أن ميلوا عليهم ، فإنهم لأول من أتاهم . فأتى بني نصر الخبر فأنصرفوا وأتمروا بضمرة أن يأكلوه حين ينزلون ، فأمر نسوته سراً

(١) هذه هي نهاية نص ابن الشجري الذي بدأ في ص ٥٠٦ وإن لم ينته البندادي عليه .

(٢) ضبط في اللسان والاشتقاق ٢٥٧ بالكسر ، وفي القاموس بالفتح .

(٣) ط : « قام » ، صوابه في ش .

أَنْ يَتَأَخَّرْنَ وَيَلْحَقْنَ بِظُعْنِ بَنِي فَقْعَسَ ، وسار هو في سَلَفِ بَنِي نَصْرِ
وقد علم أَنَّهُمْ آكَلُوهُ إِذَا نَزَلُوا ، فَلَمَّا نَزَلُوا رَكِضَ نَحْوَ بَنِي فَقْعَسِ فَقَالَ :
أَنَا جَارٌ لَكُمْ : فَقَالُوا : إِنَّكَ لَسْتَ بِجَارٍ ، وَلَكَ أَمَانُ الْعَائِذِ الْغَادِرِ ،
وَمَنْعُوهُ مِنْ بَنِي نَصْرِ ، وَإِذَا مَالُهُ فِي بَنِي نَصْرِ قَدْ أَحْرَزُوهُ ، فَلَمَّا جَاءَتْ
ظُفْنُ بَنِي فَقْعَسِ إِذَا نَسُوهُ فِيهِنَّ ، فَعَدَلَ لَهُ بَنُو فَقْعَسِ خَمْسِينَ شَاةً^(١)
وَنَحَرُوا الْجُزُورَ ، وَكَانَ فِيهِمْ زَمَانًا ، ثُمَّ لَحِقَ بِقَوْمِهِ . فَنَافَرَ مَعْبِدُ بْنُ
نَضْلَةَ بْنِ الْأَشْتَرِ بْنِ حَجَّوَانَ ، خَالِدَ بْنَ وَهَبٍ الصَّيْدَاوِيَّ ، وَجَمَعَهُمَا وَضَمَّرَهُ
مَجْلِسُ النُّعْمَانِ ، فَأَرْسَلَ ضَمْرَهُ إِلَى خَالِدٍ : نَافَرُهُ وَاجْعَلْنِي الْكَفِيلَ وَهُوَ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ نِصْفَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخَافُنِي ، وَاجْعَلْهُمَا مِائَةً فِي مِائَةٍ فِي خُضْرَةِ
النُّعْمَانِ^(٢) وَاجْعَلْ بَيْنَكُمَا بِهَا رَهْنًا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدَّ مِنْ أَدَائِهَا إِذَا كُنْتُ أَنَا
الْكَفِيلُ . فَلَمَّا رَاحُوا إِلَى النُّعْمَانِ سَبَّ خَالِدٌ مَعْبِدًا فَقَالَ : أَتَسَابُّنِي وَلَمْ
تُنَافِرْنِي . قَالَ : أَنَا فِرْلَكٌ . قَالَ : مَا بَدَا لَكَ . قَالَ خَالِدٌ : إِنِّي أَجْعَلُ
الْكَفِيلَ مَنْ شِئْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ وَلِيَّ نِعْمَتِكُمْ هَذَا . قَالَ مَعْبِدٌ : فَلَمَّا
قَدْ فَعَلْتَ . وَاعْتَقَدَ عَلَيْهِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ ضَمْرَهُ ، ثُمَّ تَغَادَا^(٣) عَلَى ضَمْرِهِ
فَقَالَ ضَمْرُهُ : وَاللَّهِ إِنَّ بَنِي طَرِيفٍ لَمِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ ، وَمَا رَأَيْنَا قَطُّ أَكْرَمَ
مِنْ خَالِدٍ . فَتَنَفَّرَهُ عَلَى مَعْبِدٍ فِي مَجْلِسِهِ ، فَحَبِسَ قَيْسُ بْنُ مَعْبِدٍ عِنْدَ
النُّعْمَانِ رَهِينَةً بِمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ ، فَقَالَ مَعْبِدُ لِبَنِي جَابِرِ بْنِ شِجْنَةَ :
اكَفُلُونِي يَا بَنِي عَمِّي فَلَمَّا لَمْ يَشْنَى غَدْرُ ضَمْرِهِ وَلَا كَذِبُهُ . قَالَ بَنُو
جَابِرٍ : تَرَى بَنِي فَقْعَسِ مَقْرُئِينَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَرُونَ أَنَّهَا خِيَانَةٌ ،

(١) الشاة من الإبل : التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخفت لبنها .

(٢) الخفرة ، بالضم : الأمان والضمان ، ومثلها « الخفارة » وهذه مثقلة الخاء . ش « خضرة » ، تحريف .

(٣) تغاديا من الغدو . وفي ش : « تغاديا » بالمهمله .

ولا تضرهم . فكفل بنو جابر الإبل فلما أتى معبد بنى فقعى قال
بنو دثار وبنو نوفل بن فقعى : والله ما نرضى بهذا أبداً ما بقى منّا إنسان .
فنهضت بنو فقعى إلى النعمان فوجدوا عنده ضمرة ، فقال سبرة بن
عمرو بن الحارث بن دثار بن فقعى بن طريف :

إني لمن أنكر وجهي سبرة الرجل الأشم فيه الزُغرة^(١)
كاليمس الحامى عليه الغبرة

إلى أن قال :

والله ما نَعْقِل منها بكرة أو يامرُ النعمانُ فيها أمره
فأمرهم النعمان أن يتقاضوا إلى العزى : صنم كان بنخلة . فعندها
قال سبرة :

أضمرَ بنَ ضميرٍ أبقى الإستِ والقفا
وهل مثلنا في مثلها لك غافرُ
أتمنى دِفاعي عنكَ إذْ أنتَ مُسلمُ
وإذْ سال من نصرَ عليك قَراقرُ
ونسوتُكم في الرّوعِ بادٍ وجوهها
يُخلنَ إماءَ والإماءَ حرائرُ
يُسلخنَ بالليلِ الشوى بأذرعِ
كأيدي السباع ، والرؤوسِ حواسرُ
وعيرتنا ألبانها ولحومها
وذلك عارٌ يابنَ رَيْطَةَ ظاهرُ
وإنّا لتغشانا حقوقٌ ولم نكنْ
تقربنا للمخزياتِ الأباعرُ

(١) المروف « الزعارة » بمعنى الشراسة .

نُحاي بها أكفأنا ونُهينها
 ونشربُ في أثمانها ونقامرُ
 وتكسبُها في غير غدير أكفأنا
 إذا عُقدت يومَ الحِفاظِ التَّوابرُ
 وإنَّا لنقرى الضَّيفَ في ليلة الشَّنا
 عظيمَ الجفانِ فوقهنَّ الحوائِرُ
 جمع الحَوِير ، وهو الشحم الأبيض . وبعد هذا ثلاثة أبيات آخر .
 ثم أورد لبسرة الفقعسي أشعاراً كثيرة يُخاطب بها ضَمْرَةَ ويهجوهُ بها .
 وفي سياقه هذا نقص ^(١) فإنه لم يذكر فيه وجه تعبيره بالإبل ، ولا
 إلى أي شيء تمَّ حالهما . والله أعلم .
 وسبرة : شاعرٌ جاهلي . وذُكر نسبُهُ فيما سقناه .
 وترجمة ضَمْرَةَ تقدّمت في الشاهد الثامن والثمانين ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد السبعمئة ^(٣) :

٧٨٧ (ما بكاء الكبيرِ بالأطلالِ)

على أن (الباء) فيه للطَّرْفِيَّة ، أي في الأطلال . وهذا صدرٌ ، وعجزه :

(وسؤالي وما يردُّ سؤالي)

وهذا مطلع قصيدة للأعشى ميمون ، مدح بها الأسود بن المنذر اللّخمى ، صاحب الشاهد

١٥٦

أخا النعمان بن المنذر ، وسيأتي بعضُ منها (في رُبِّ) . وبعدهُ :

(دمنةٌ قَفْرَةٌ تعاوَرَهَا الصَّيْدُ فُ بَرِيحِينَ مِنْ صَبَاً وَشَمَالِ)

أبيات الشاهد

لَاتَ هُنَا ذِكْرَى جُبَيْرَةٍ أَوْ مَنْ جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الْأَهْوَالِ)

(١) ط : « نقص » ، صوابه في ش .

(٢) الخزائنة ٢ : ٣٨ .

(٣) أدب الكاتب ٤٠٨ والجواليقي ٣٦٩ والاقتضاب ٤٤٨ وديوان الأعشى ٣ .

أراد بالكبير نفسه ، وعذَّلَهَا بالوقوف على الأطلال وسؤاله إياها ، ثم رجع وقال : وما تردُّ سؤالي ؟ يقول : ما بكاءُ شيخ كبير مثلي في ظلل. والظِّل : ما شخص من بقايا المنزل . والدِّمْنَةُ : ما اجتمع من التُّراب والأبعار وغير ذلك . فتعاوَرَه الصَّيْفُ بريحين مختلفين ، وهما الصَّبا ومهبُّها من ناحية المشرق ، والشَّمَالُ ومهبُّها من القطب الشمالي إلى الجنوب. والجنوب من رياح اليمن .

قال أبو علي (في كتاب الشعر) : اعلم أنَّ قوله سؤالي بعد قوله ما بكاءُ الكبير حملٌ للكلام على المعنى ، وذلك أنَّ الكبير لَمَّا كان المتكلمَ في المعنى حمل سؤالي عليه . ألا ترى أنَّ ما بكاءُ الكبير إنما هو ما بكائي وأنا كبير ، وبكاءُ الكبير بالأطلال ممَّا لا يليق به ، لأنَّه احتياجٌ لصِّباً أو تَصَابٍ ، وذلك ممَّا لا يليق بالكبير . ومن ثمَّ قال الآخر :

أَنْجَزُ إنَّ دَارُ تَحْمَلِ أَهْلَهَا وَأَنْتَ امْرُؤٌ قَدْ حَمَلْتَكَ الْعِشَائِرُ

فحمل سؤالي على المعنى . فأَمَّا قوله : « وما يردُّ سؤالي دِمْنَةُ قفرة » فإنَّ (ما) تحتمل ضربين :

أحدهما : أن تكون استفهاماً في موضع نصب ، كأنه قال : أيَّ شيء يرجع عليك سؤالك من النفع ؟ وقد يقول : عاد على نفع من كذا ، وردَّ على كذا نفعاً ، ورجعَ على منه نفع .

ويكون « دمنَةُ » منتصباً بالمصدر الذي هو سؤالي . والبيت على هذا مضمَّن .

والآخر : أن يكون نفيّاً كأنه قال : ما يردُّ سؤالي ، أيَّ جواب سؤالي دمنَةُ . فالدمنة فاعل قوله : « تردُّ » . ومثْلُ هذا قوله :

• وَقُمْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ نَحِيَّةً •

إنما هو جواب تحية. وكذلك قوله سبحانه : ﴿ فحيُّوا بأحسن منها أو ردُّوها ^(١) ﴾ ، أى ردُّوا جوابها ^(٢) .

وقد قيل فى قوله : (فردَّت تحيةً) قولان : أحدهما : ردَّت التحية ، أى لم تقبلها . والآخر : ردَّت تحيةً أى جوابها ، كما تقدَّم . وذلك لما رأينا فى وجهها من البشاشة وإن لم تتكلَّم . فالتقدير : وما يردُّ جواب سؤالى دمنة . والبيت على هذا مضمَّن أيضاً ، لأنَّ الفاعل الذى هو « دمنة » فعله فى البيت الذى هو قبل البيت الثانى . فيجوز أن يقول : وما تردُّ ، فيؤنث على لفظ الدمنة ، ويذكر على المعنى . انتهى .

وقال ابن السَّيِّد البَطْلَيْوسِي (فى شرح أدب الكاتب) : وسؤالى فهل تردُّ سؤالى ، ويروى : « فما تردُّ » و « لا تردُّ » . ويروى : بالتاء والياء . فمن روى (فهل تردُّ) على لفظ التَّائِيث رفع الدَّمنة ^(٣) وجعلها فاعلاً ، وجعل سؤالى مفعولاً بتقدير مضاف ، أى فهل تردُّ جواب سؤالى ^(٤) دمنة . ومن روى : (فهل يردُّ) بلفظ التذكير نصب دمنةً مفعولاً ، وجعل سؤالى فاعلاً ^(٥) ومعناه : إنَّ سؤالى لا يردُّ الدمنة إلى ما كانت عليه . ومن روى : « وما » ، واعتقد أنَّها نقيض جاز أن يقول تردُّ بلفظ التَّائِيث ويرفع الدَّمنة لا غير ، وجاز أن يقول يردُّ بلفظ التذكير وينصب الدمنة إن شاء ، ويرفعها إن شاء . وإن اعتقد أنَّ ما استفهام قال : يردُّ ، على لفظ التذكير ، وجعل ما فى موضع نصب بيردُّ ، وسؤالى فى موضع رفع ، ونصب دمنة بسؤالى لا غير . ومن روى : « ولا يردُّ سؤالى » على لفظ التذكير نصب

١٥٧

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء .

(٢) الكلام بعده إلى « جوابها » التالية ، ساقط من ش .

(٣) ش : « رفع الدمنة لا غير » ، مع إسقاط سائر الكلام فى هذه الفقرة .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ط فقط : « سؤال » ، صوابه فى الاقتضاب ٤٤٧ .

(٥) الذى فى الاقتضاب : « وجعل سؤالى فى موضع رفع » .

الدمنة ، وإن شاء رفعها . ومن روى « ولا تردُّ » على لفظ التأنيث رفع
الدمنة لا غير ^(١) .

ثم قال ابن السَّيد : ورُويَت في هذا البيت حكايةٌ مستطرفة ^(٢) رأيت
إثباتها في هذا الموضع .

روى نَقْلَةُ الأخبار أَنَّ طليحةَ الأسدَيَّ كانَ شريفاً ، وكان يَفد على
كسرى فيكرمه ويُدني مجلسه . قال طليحة : فوفدتُ عليه مرَّةً فوافقت
عيداً من أعياد الفُرس ، فحضرتُ عند كسرى في جُملة مَنْ حضر من
أصحابه ، فلما طعمنا وُضِعَ الشَّرابُ فطفِقنا نشرب ، فغنَّى المغنَّى :
* لا يَتَأَرَى لما في القدر يَطْلُبُهُ ^(٣) * .

فقال كسرى لترجمانه : ما يقول ؟ ففسَّره له فقال كسرى : هذا
قبيح . ثم غناه المغنى :
* أنتك العيسُ تَنفُخُ في بُراها ^(٤) * .

فقال كسرى لترجمانه : ما يقول ؟ فقال : لا أدري . فقال بعض
جلسائه : « شاهانشاه ^(٥) » ، أَشْتَرُ أَف أَف » معناه : يا ملك الملوك هذا
جملٌ ينفخ . وَأَشْتَرُ بلغتهم : الجمل ، وَأَف : حكاية النَفخ . قال طليحة :
فأضحكني تفسيره العربيَّة بالفارسية . قال : ثمَّ غناه المغنَّى بشعر فارسيٍّ
لم أفهمه ، فطرب كسرى ومثلت له كأس ، وقام فشربها قائماً ، ودارت

(١) انظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٢) كذا بالطاء المعجمة في ط والانتصاب ٤٤٨ ، وفي ش : « مستطرفة » بالمهمله .

(٣) لأعشى باهلة في رثاء المنتشر بن وهب . الأصمعيات ٩٠ وجمهرة القرشي ١٣٧ . وعجزة :

« ولا يعض على شرسوفه الصفر »

(٤) لعبد الرحمن بن الحكم ، أو زياد الأعجم ، كما ينسب للأعشى . اللسان (قطع ١٥٦) . وعجزة :

« تكشف عن مناكبها القطوع »

(٥) في الانتصاب ٤٤٨ : « شاه شاه » .

الكأس على جميع الجلساء . قال طليحة : وكان التَّرجُمان إلى جانبي فقلت له : ما هذا الشَّعْرُ الذي أطرب الملكَ هذا الطَّربُ ؟ فقال : خرجَ يوماً متنزِّهاً فلقى غلاماً حسنَ الصُّورة وفي يمينه وَرْدٌ ، فاستحسنه وأمر أن يُصنَّعَ له فيه شعر ، فإذا غناه المغنَّى ذلك الشَّعْرَ طَرِبَ وفعلَ ما رأيتَ . فقلت : ما في هذا ممَّا يُطربُ حتَّى يبلغ فيه هذا المبلغ ؟ فسأل كسرى التَّرجُمانَ عمَّا حاورني فيه ، فأخبره ، فقال : قل له : إذا كان هذا لا يُطرب فما الذي يطربُك أنت ؟ فأدَّى إلى التَّرجُمان قولَه فقلت : قولُ الأعشى :

* ما بكاء الكبير بالأطلال * . . . البيت

فأخبره التَّرجُمانُ بذلك فقال كسرى : وما معنى هذا ؟ فقلت : هذا شيخٌ مرَّ بمنزل محبوبته فوجدَه خالياً قد عفا وتغيَّر ، وجعلَ يَبْكِي ^(١) . فضحك كسرى وقال : وما الذي يطربُك من شيخٍ واقفٍ في خربة وهو يَبْكِي ، أو ليس الذي أطربنا نحنُ أولى بأن يُطربَ له ؟ قال طليحة :

فثقل عليه جانبي ^(٢) بعد ذلك .

وقوله : « لات هَنا ذِكْرى جُبيرة » ، بضم الجيم : اسم امرأة ، وهو من شواهد النحويين ، وتقدَّم توجيهه في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين ^(٣) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد السبعمئة ^(٤) :

(غُلِبَ تَشَدُّرُ بالدُّحُولِ)

٧٨٨

(١) في الاقتصاب ٤٤٩ : « فوقف فيه وجعل يبكي » .

(٢) في الاقتصاب : « ثقل عليه بابي » ، يعنى الإذن لى .

(٣) الخزائن ٤ : ١٩٦ - ١٩٨ .

(٤) الأزهية ٢٩٧ والإنصاف ٧٧٢ والأشباه والنظائر ٣ : ١٠٨ . وانظر البيان والتبيين

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :
 (غلبَ تشدَّر بالذَّحول كأنَّها جنُّ البَـدِيِّ رواسِيًّا أقدامُها)
 على أنَّ الباءَ فيه للسببية .

قال الزوزنى (فى شرح معلقة لبيد) : يقول : هم رجالٌ غلاظُ الأعناق ، كالأسود ، أى خلقوا خلقة الأسود ، ويهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التى بينهم . ثم شبههم بجنِّ هذا الموضع فى ثباتهم فى الخصام والجدال . يمدح خصومه ، وكلما كان الخصم أقوى وأشدَّ كان غالبه أقوى وأشدَّ .

والبيت من معلقة لبيد الصحابي وقيله :

صاحب الشاهد

(وكثيرةٌ غرباؤها مجهولةٌ تُرجى نوافلُها ويُخشى ذامُها)
 ويعده :

١٥٨

(أنكرتُ باطلَها وبُوتُ بحقِّها عندي ولم يفخرْ على كِرامِها)
 قوله : « وكثيرة » الواو واو ربّ ، وجوابها : « أنكرتُ باطلَها » ، قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : يريد قُبّة ملكٍ فيها قومٌ غرباء من كلِّ قبيلة ، فاخروهُ بين يدي الملك ، فغلبَهُم وظهَرَ عليهم . وقوله : « مجهولة » أراد مجهولٌ مَنْ فيها ^(١) ولم يرد أنَّ القُبّة نفسها مجهولة . والنافلة : الفضل . والذَّامُ : العيبُ والعار . يريد أنَّ من حضرها يرجو أن يكون له الظهور والشرف ، ويَرهب أن يُغلب ويُظهر عليه ، فيكون ذلك عاراً يبقَى فى عقبه ، فهو لذلك يذبُّ عن نفسه ولا يدعُ غايةً من المفاخرة إلاّ قصدها . وشبَّههم بجمالٍ غلبَ تشدَّر بأذنانها إذا تصاولتْ وهاجَت . يقال : تشدَّر البعيرُ بذنبه ، إذا استشفَّر به ^(٢) وتشدَّر الرجلُ بثوبه عند القتال ، إذا تحزَّم وتهيأ للحرب .

(١) ش : « مجهول منها » ، صوابه فى ط .

(٢) استشفَّر به : أدخله بين فخذه حتى يلزقه ببطنه ، كأنه يسد ثفره به . والشفر ، بالفتح والقم : فرج الحيوان . وفى ط : « استشفَّر به » بالسین ، صوابه فى ش .

و(الغُلْب) الغِلَاطُ الأعناق ، الواحد أغْلَب . و(البَدْيُ) : وادٍ تسكنه الجنُّ فيما يزعمون . و (الرّوايى) : الثابتة التى لا تَبْرَح ، والأصل : مجهولة غرباؤها ، فحذف المضاف وأقام الضمير المضاف إليه مقامه فاستتر فى الصفة . انتهى .

وما ذهب إليه من أنَّ المراد بكثيرة قُبَّة الملك هو الراجح الصَّحيح ، وهو قول الزَّوزنى ، قال : المعنى ربَّ قبةٍ أو دارٍ كُثِرَت غرباؤها وغاشيتها وجُهِلَت ، لا يَعْرِف بعضُ الغرباء بعضاً . افتخَر بالمنظرة التى جَرَتْ بينه وبين الرَّبيع بن زيادٍ فى مجلس النُّعمان بن الأسود ملكِ العرب ، ولها قصَّةٌ طويلة .

أقول : قد ذكرتها أنا فى ترجمة النُّعمان بن المنذر فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة ^(١) ، وستأتى ^(٢) فى ربِّ أيضاً .

وكذا ذهب إلى هذا أبو الحسن الطُّوسى (فى شرح ديوان لبید) قال : يعنى قُبَّة كانت تُضْرَب على بابِ الملك يَقْعُد فيها النَّاسُ حتَّى يُؤْذَنَ لهم . ونوافلُها : فضولٌ من شرفٍ وجوائزٍ ومنازلٍ . يُخْشَى سِقَاطُ من كلامٍ أو فعلٍ ، يلحقه منه ذامٌ ، أى عيب . أو أنَّهم يرجعون بغير جائزة فيكون ذلك عيباً عليهم .

وفىها أقوال أُخَر :

أحدها : أنَّ المعنى وجماعةٍ كثيرةٍ غرباؤها . وإليه ذهب الجوالقي (فى شرح أدب الكاتب) ، قال : أى ربَّ جماعةٍ كثيرةٍ غرباؤها . ثم حذف الموصوف وأقام الصَّفة مقامه . هذا أصحُّ ما قيل فيه .

(١) صوابه : « الثامن والأربعين بعد المائة » . وانظر الخزانة ٤ : ١١ - ١٢ .

(٢) ط : « وسأتى » .

ثانيها: أَنَّ المعنى رَبَّ خُطَّةٍ وشَأْنٌ قد جُهِلَ الْقَضَاءُ^(١) فيها وَجُهِلَتْ جَهَانُهَا .

ثالثها: أَنَّ المعنى رَبَّ حَرْبٍ كثيرة غرباؤها^(٢) ، لِأَنَّ الحربَ مؤنثة . وجعلها كثيرة الغرباء لما يحضرها من أَلْفَافِ النَّاسِ وغيرهم . وجعلها مجهولةً لِأَنَّ العالمَ بها والجاهل يجهلان عاقبتها . وقوله : « ترجى نوافلها » أى الغنيمة والظفر . و « يُخْشَى ذَامُهَا » أى خلافها .

رابعها: أَنَّ المعنى رَبَّ أَرْضٍ كثيرة غرباؤها، يريد أرضاً يضلُّ بها مَنْ سَلَكَهَا إِذَا جَهِلَ طُرُقَهَا . قال أبو جعفر ، والجوابيقي ، والخطيب : وإنما وقع الاختلاف في ذلك أَنَّهُ أَقام الصِّفَةَ مقامَ الموصوف ، فاحتمل هذه المعانى ، إِلَّا أَنَّ الْأَشْبَهَ بما يريد الجماعةُ ، لِأَنَّ بعده :
* أَنْكَرْتُ بِاطْلَافِهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا *

وإقامة الصِّفَةِ مقامَ الموصوف في مثلِ هذا قبيح ، لما يقع به من الإشكال . أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ مَرَرْتُ بِجَالِسٍ كَانَ قَبِيحاً ، وَلَوْ قُلْتَ بِظَرِيفٍ كَانَ حَسَناً . وغرباؤها مرفوع بكثيرة^(٣) أى كثرت غرباؤها .

١٥٩

وقوله : (غُلِبَ تَشَدُّرٌ) إلخ هو خبر لمبتدأ محذوف هو ضمير الغرباء ، أى هُمُ غُلِبَ : جمع أَغْلَبَ ، وَالْأُنْثَى غُلْبَاءُ . قال الطُّوسِي : غُلِبَ : أُسِدَ غِلَازِ الرُّقَابِ . وقال ابن السِّيد : شَبَّهَهُم بِالْإِبِلِ . وعليهما فهو استعارة تصريحية . وَتَشَدَّرَ ، أصله تَشَدَّرَ بِالذَّالِ المعجمة . وفيه أقوال : أحدها أَنَّ التَّشَدَّرَ رَفْعُ الْيَدِ وَوَضْعُهَا ، أى إِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِذَا تَفَاخَرُوا

(١) ش : « الفضا » بالفاء ، تحريف ، والمراد الحكم .

(٢) الكلام بعده إلى « غرباؤها » التالية ساقط من ش .

(٣) في النسختين : « بكثير » ، ووجهه ما أثبت كما هو النص .

وتثالبوا . وإليه ذهب الجاحظ (في كتاب البيان والتبيين) قال : كانت العرب تخطب بالمخاصر . وتعتمد على الأرض بالقِيَّيِّ . وتشير بالعصيّ والقُنْيِيَّ^(١) . وقال لبيد في الإشارة :

غُلِبَ تشدَّر بالذَّحُول البيت

وقيل : التشدَّر : الإيعاد ، أي يُوعِد بعضهم بعضاً . وحكى ابن السكيت : تشدَّرت الناقة . إذا شالت بذنبها . وقال الطوسي : التشدَّر من الفعل بالذَّنْبِ تغضَّب^(٢) وإيعاد . ومن هنا قال ابن السكيت : شبههم بالإبل . وروى : « غلب تشاذر^(٣) » بتقديم المعجمة . وتشاذرهم^(٤) : نظر بعضهم إلى بعض بمؤخر عينه . والذَّحُول : جمع دَحَل ، بفتح الدال المعجمة وسكون الحاء المهملة . وهو الحقد^(٥) . وجملة (كأنها جن) حال من ضمير غُلِبَ في تشدَّر . و (البديّ) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء من غير همز ، قال أبو عبيد : البادية ، حكاه عنه الطوسي . وكذا قال أبو جعفر : والخطيب . وقال ابن السَّيد : وإد تسكنه الجن . وقال ابن الأنباري : هو وإد لبني عامر ، وقيل موضع . وقال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : وإد لبني عامر . وقال أبو حاتم عن الأصمعي : وإد لبني سعد . وذكره أبو عبيد أحمد بن محمد بن الهروي مهموزاً ، وذلك أنه ذكر حديث ابن المسيب في حريم البئر فقال : البديّ البئر التي ابتدئت فحفرت وليست عادية . قال : والبديّ في غير هذا الموضع : بلد تسكنه الجن . فإن كان هذا الذي ذكره الهروي صحيحاً

(١) القنائة : الرمح . والجمع قنوات وقنا وقني على فاعول ، وأقناء . والذي في البيان : « القنا » .

(٢) ط : « تقصب » ، صوابه في ش .

(٣) ط : « تشاذر » ، صوابه في ش وشرح ديوان لبيد ٣١٧ .

(٤) ط : « وتشاذرهم » ، صوابه في ش .

(٥) ط : « هو الحقد » بإسقاط الواو .

فهو موضع آخر ، والله أعلم ، لأنَّ البدئَ المذكور في الشواهد آهلٌ يسكنه الناس ويرعونهُ^(١)

أقول : قول الهروى : والبدئ^(٢) في غير هذا الموضع : بلدٌ ، يريد غير مهموز ، بدليل أنَّ كلامه في المهموز ، وقول البكرى « آهل يسكنه الناس » يردُّ عليه بيتُ هذه المعلقة .

و (رواسياً) حال من اسم كان ، لأنَّه في المعنى مفعول لأشبهه ، وصرفه للضرورة . و (أقدامها) فاعل رواسى ، جمع قدَم .

وقوله : « أنكرتُ باطلها » إلخ هذا جواب ربِّ . قال الزوزنى : بَاء بكذا : أَقَرَّ بِهِ ، ومنه قولهم في الدعاء : « أَبوءُ لك بالنعمة » . يقول : أنكرت باطلَ دعاوى تلك الرجال الغلب ، وأقررت بما كان حقاً منها عندى ، أى في اعتقادى ، ولم تفخرْ على كرامها ، أى ولم يغلبنى بالفخر كرامها ، من قولهم : فاخرته ففخرته ، أى غلبته بالفخر . وكان ينبغى أن يقول : ولم تفخرنى^(٣) كرامها ، ولكنه ألحقَ [على^(٤)] حملاً على معنى : ولم تتعال على ولم تتكبر على . قاله الزوزنى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد السبعمئة^(٥) :

٧٨٩ (نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ)

(١) بعده في معجم ما استمع : « على ما نطقت به أشعارهم التى أنشدناها » .

(٢) والبدئ ، ساقطة من ش .

(٣) ش : « يفخرنى » . وفخره يفخره بضم الخاء في المضارع ، من باب نصر : كان أفخر منه وأكرم أباً وأماً .

(٤) التكلة من ش والزوزنى .

(٥) أدب الكاتب ٤١٨ والاقتضاب ٢٦٥ ، ٤٥٨ والإنصاف ٢٨٤ والضرائر ٦٣ ورصف المباني ١٤٣ والمغنى ١٠٨ وشرح شواهد السيوطى ١١٤ ومعجم البلدان (الفلج) وديوان الجعدى ٢١٦ .

على أن (الباء الثانية) زائدة في المفعول به سماعاً .

قال ابن عصفور (في الضرائر) : وزيادة الباء هنا ضرورة . قال ابن السَّيِّد (في شرح أدب الكاتب) : إنما عدَّى الرَّجاء بالباء لأنَّه بمعنى الطَّمَع ، والطَّمَعُ يَتَعَدَّى بالباء ، كقولك : طَمِعْتُ بكذا . قال الشاعر ^(١) :

طَمِعْتُ بليلي أن تجودَ ، وإنَّما
تقطعَ أعناقَ الرِّجالِ المطامعُ ^(٢) [اهـ] ^(٣)

وقال (في شرح أبياته) : وزاد يعقوبُ قبله :

• نحنُ بنى جَعْدَةَ أربابُ الفَلَجِ •

ونحن مبتدأ وأربابُ خبره ، وبنى جعدة منصوبٌ على الاختصاص . وروى بالرفع أيضاً . والفَلَجُ . بفتح الفاء واللام . قال أبو عبيدٍ ^(٤) (في معجم ما استعجم) : موضعُ لبني قيس ، وهو في أعلى بلاد قيس . قال الراجز :

نحنُ بنو جَعْدَةَ أربابُ الفَلَجِ نَضْرِبُ بالبيض ونَرْجُو بالفَرَجِ
وأصله النَّهْرُ الصغير . انتهى .

والبيض ، بالكسر : السُّيُوفُ ، أى نقاتِلُ بالسيوف . وقال ياقوت (في معجم البلدان) : مدينة بأرض اليمامة لبني جَعْدَةَ وقُشَيْرِ ابني كَعْبِ بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما أنَّ حَجْرًا مدينة بني ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان . قال الجعدى :

(١) هو البيهق ، كما في اللسان (ربيع ٤٩٨) ، ولم ينسبه في الاقتضاب .

(٢) في الاقتضاب : « أن تريع » ، وفي اللسان : « أن تريع وإنما تضرب » . وراع ربيع :

عاد ورجع .

(٣) التكلة من ش .

(٤) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ . ط : « أبو عبيدة » ،

صوابه في ش مع أثر تصحيح .

نحن بنو جَعْدَة أربابُ الفَلَجِ

نحن منعنا سُبْلَهُ حَتَّى اعْتَلَجَ^(١)

والفَلَجُ في اللغة : الماء الجاري ، ويقال عَيْنُ فَلَجٍ وماءُ فَلَجٍ . قال أبو عبيد : الفَلَجُ : النهر . انتهى .

وقال ابن السِّدِّ : الفَلَجُ الجاري من العين . والفَلَجُ البئر الكبيرة ، عن ابن كنانة . وماءُ فَلَجٍ : جارٍ ، قال عبيد :

أَوْ فَلَجٍ ماءٍ ببطن وادٍ للماء من تحته قَسِيبٌ^(٢) انتهى

وتوهم الدماميني (في شرح المغني) أن الفَلَجَ هنا بمعنى الظَّفَر . قال : والظاهر أن المراد بالفَلَجِ الظَّفَرُ والفَوْزُ ، لكن لم يحك صاحبُ الصحاح غير سكون اللام ، فيحتمل أن يكون الشاعر فتحها اتباعاً لفتحها الفاء للضرورة . هذا كلامه ، وتبعه الحلبي (في شرحه) ونقل كلامه ، وزاد عليه بأنَّ صنيع صاحبِ القاموس أيضاً يقتضى سكون اللام . وتبعه شيخنا الشهاب الخفاجي أيضاً (في شرح درة الغواص) ، وتعقبه بأن فتح اللام لغة أصلية فيه ، وتوقفه من عدم الاطلاع . ثم نقل (من شرح مقامات الزمخشري له) ما يؤيد كونه بالفتح .

والمشهور : « نحن بنو ضَبَّة » ، وهو من تغيير النَّسَاخ ، والذي فيه « ضَبَّة » قافية لامية ، وهو :

• نحن بنو ضَبَّة أصحابُ الجَمَلِ •

وآخره :

• رُدُّوا علينا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ •

(١) ط : « نحن منعناه » ، صوابه في ش ومعجم ما استعجم .

(٢) القسيب : خريز الماء وصوته تحت ورق أو قاش . وفي النسختين : « قشيب » ، صوابه في معجم ، ما استعجم والديوان ١٢ واللسان (فَلَج ، قَسِب) .

وهذا من أبياتِ المفصّل ، وهو مما قيل في يومِ الجمل ، وهو مذكورٌ في الحماسة وغيرها ، وقائله معلوم مذكور^(١) .

وقوله : « نحن منغنا سُبُلَه » هو جمع سَبِيل ، وهو الطَّرِيق . واعتلجت الأرض : طال نباتُها .

وهذا الرّجز لم ينسُبه أحدٌ إلى قائله . والله أعلم .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد السبعائة^(٢) :

٧٩٠ (ولكنَّ أجراً لو فعلتَ بهيّن

وهل يُنكرُ المعروفُ في النَّاسِ والأجرُ^(٣))

على أنَّ الباءَ تُزاد سماعاً بقلةٍ في خبر لكنَّ .

قال ابن جني (في سرِّ الصناعة) : وقد زيدت في خبر لكنَّ لشبهه بالفاعل . وأُنشد البيت وقال : أراد ولكنَّ أجراً لو فعلته هَيِّنٌ . وقد يجوز فيه أن يكون معناه : ولكنَّ أجراً لو فعلته بشيءٍ هَيِّن ، أى أنتِ تصلين إلى الأجر بالشئِ الهَيِّن ، كقوالك : وجوبُ الشكر بالبر الهَيِّن . فتكون الباءُ على هذا غيرَ زائدة . انتهى .

وأفاد في تفسيره^(٤) أنَّ الخطابَ لمؤنث . ولم أقف على تتمته ، ولا على قائله . والله أعلم .

(١) ومن عجب ألا يذكره ، وربما كان هذا للخلاف فيه ، فهو الحارث الضبي ، أو الأعرج المعنى ، أو عمرو بن يثرب . وانظر معجم الشواهد .

(٢) سر الصناعة ١ : ١٥٧ ، وابن يعيش ٨ : ١٣٩ والعيّن ٢ : ١٣٤ والتصريح ١ : ٢٠٢ والمع ١ : ١٢٧ والأشئوف ١ : ٢٥٢ واللسان (كنى ٩١) .

(٣) في اللسان : « وهل يعرف المعروف » .

(٤) ط : « تقريره » ، وأثبت ما في ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والتسعون بعد السبعِمائة^(١) :

٧٩١ (أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ

بِأَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بْنِ تَمْلِكَ بَيَقَرًا)

على أَنَّ (الباء) قد تَزَادَ بِقَلَّةٍ «مع أَنَّ» الواقعة مع معموليها في تأويل مصدرٍ مرفوع على أَنَّهُ فاعل أَتَاهَا .

وقال ابن السيرافي (في شرح أبيات الغريب) : فاعل أَتَاهَا يجوز أن يكون مضمرًا دلَّ عليه معنى الكلام ، كأنَّهُ قال : هل أَتَاهَا الْخَبَرُ . ولكثرة استعمال الخبر أُمِضِر ، ويكون «بِأَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ» في موضع نصب . هذا كلامُهُ .

ولا مفهوم لقوله مع أَنَّ ، فكان ينبغي أن يقول وتزاد بِقَلَّةٍ في الفاعل في غير ما ذكر قياساً . وهذا عند ابن عُصْفُور وغيره ضرورة .

ومن زيادتها في الفاعل ضرورة بدون أَنَّ قوله :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَالَقَتِ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ^(٢)

فالْبَاءُ في بِمَا زائدة ، وما فاعل يَأْتِيكَ . وقال ابن الضائع : الْبَاءُ متعلِّقة بتَنْمِي ، وإنَّ فاعل يَأْتِي مضمر ، والمسألة من التنازع . ومن ذلك :

مَهْمَا لِيَ اللَّيْلَةُ مَهْمَا لِيَّةٌ أَوْ دَى بِنَعْلَى وَسِرْبَالِيَّةٍ^(٣)

(١) شرح القصائد السبع ٤٥٩ والأغاني ٨ : ٦١ والخصائص ١ : ٢٣٥ والنصف ١ : ٨٤ والإنصاف ١٧١ وابن يعيش ٨ : ٢٣ ، ٢٤ والضرائر ٦٣ ، واللسان (بقر) وديوان امرئ القيس ٣٩٢ .

(٢) لقيس بن زهير ، وهو من شواهد الخزائن ٨ : ٣٦١ .

(٣) لعمر بن ماقط ، وهو من شواهد الخزائن ٩ : ١٨ .

التقدير : أودى نعلای . وقال ابن الحاجب : الباء للتعدية .
وتقدّم شرحهما مفصلاً .

ومن ذلك قول النمر بن تولب :

ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ وَهَانَ بِسُخْطِهِ

شيئاً على مربوعها وعذارها^(١)

التقدير : هان سُخْطُهُ . قال ابن عصفور : وبالجمله لا تنقاس
زيادة الباء في سعة الكلام إلا في خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى
ومفعوله ، وفاعل أَفْعَلُ بمعنى ما أَفْعَلَهُ . وما عدا هذه المواضع لا تُزاد
فيه الباء إلا في ضرورة شعرٍ أو شاذٌّ من الكلام يُحْفَظ ولا يُقاس عليه .
انتهى .

ولقد أجاد ابن هشام (في المغنى) في تحرير زيادة الباء .

والبيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، قالها بعد أن ذهب إلى
الرّوم مستنجداً بقيصر للأخذ بشار أبيه . وأولها :

(سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظَبْيٍ فَعَرَعَرَا)

إلى أن قال :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً البيت

قوله : « سَمَا لَكَ » إلخ سما : علا وارتفع . وأقصر : كَفَّ . وحَلَّتْ :

نزلت . وبطن ظَبْيٍ : موضع ، ويقال ماء من مياه كلب . وعَرَعَرَا : وادٍ .

(١) ديوان النمر بن تولب ٦٤ والميسر والقذاح لابن قتيبة ٥٧ ، ١١٨ والضرائر ٦٣ ،

والمربوع والظهار : قدحان من ذوات الحظوظ .

وقوله : (أَلَا هَلْ أَتَاهَا) الضمير لحبيته . وقوله (والحوادثُ جَمَّة) أى كثيرة ، جملة اعتراضية بين الفعل وفاعله . وأوردهُ الزمخشريُّ عند قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ^(١) ﴾ على أنها جملة اعتراضية كقول امرئ القيس : « والحوادثُ جَمَّة » . وفائدة الاعتراض الإخبارُ بأنَّ هجرته عن بلاده حادثةٌ من الحوادث . والعرب تتمدَّح بالإقامة في البَنُو ، قال أبو العلاء :

وَيُوقِلُونُ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ لَا يَخْضُرُونَ وَفَقْدُ الْعَرْزِ فِي الْحَضَرِ ^(٢)

قال أبو عبيد (فى الغريب المصنّف) : بيقر الرجل بيقرة ، إذا هاجر من أرض إلى أرض . وأنشد هذا البيت . ١٦٢

وقال الجوهري : بيقر الرجل : أقام بالحضر وترك قومه بالبادية . وأنشد هذا البيت .

وقال ابن دريد : بيقر الرجل ، إذا خرج من الشام إلى العراق . ولم يذكر ابن جني (فى شرح تصريف المازني) غير هذا . وأنشد له البيت ، والواقع يخالفه .

(وتملك) بفتح المثناة الفوقية : اسم امرأة ، لا ينصرف . قال شارحُ تملك والدة امرئ القيس ديوانه : تملك : بعض أمهاته . قال صاحب الأغاني : أمُّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة ، أخت كليب ومهلل ابني ربيعة . وأمُّ امرئ القيس ابن السُّنْط اسمها تملك [بنت عمرو بن ربيعة بن زبيد بن مدحج ، رهط عمرو بن معد يكرب . وقد ذكر ذلك امرؤ القيس فقال :

(١) الآية ١٢٥ من سورة النساء .

(٢) شروح سقط الزند ١٨٢ .

• بَأَنَّ امراً القيس بن تَمْلِك^(١) [بيقراً • انتهى .

ومثله (في مختصر الجهمرة) لياقوت وغيره قالوا : ومن بني امرئ القيس بن عمرو بن معاوية السَّمط ، وأُمُّه تملك بنت عمرو ، من مذحج ، هم التَّمْلِكِيُّونَ ، بها يعرفون . وامرؤ القيس بن السَّمط بن امرئ القيس بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الأكبر الذي يقول فيه امرؤ القيس بن حجر :

• بَأَنَّ امراً القيس بن تملك بيقرا •

نسبه إلى جدِّته تملك . انتهى .

وكذا قال العسكري (في كتاب التصحيف) عند ما ذكر المسمَّين بامرئ القيس . وهذا خلاف ما ذكره شُرَّاحُ شعره^(٢) من أَنَّهُ أراد نفسه . وهو الأغلب على الظَّن .

فمنهم من قال : أُمُّه تملك ، ومنهم من قال : جدُّته . ويحتمل أن تكون جدُّته من قبل أُمِّه أو أُمِّهاتها . والله أعلم .

وقد ذكرنا أبياتاً كثيرةً من هذه القصيدة ، وذكرنا أيضاً طرفاً من حال امرئ القيس في الشاهد السابع والستين بعد السبعائة^(٣) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد السبعائة^(٤) :

٧٩٢ (فَأَصْبَحَنْ لَا يَسْأَلُنَّهُ عَنْ يَمَانِهِ أَصَعَّدَ فِي عُلُوِّ الْهَوَى أَمْ تَصَوَّبَا)

على أَنَّهُ^(٥) من الغريب زيادة الباء في المجرور ، فإنها زيدت مع ما المجرورة بَعْن .

(١) التكلة من ش .

(٢) ط : « شارح شعره » ، صوابه في ش .

(٣) الخزائن ٨ : ٥٤٥ - ٥٥١ .

(٤) معاني القرآن ٣ : ٢٢١ وسر الصناعة ١ : ١٥٣ والضرائر ٧٠ ، ٣٠٣ والمغني ٣٥٤

والصریح ٤ : ١٣٠ والأشعري ٣ : ٨٣ .

(٥) ط : « أن » .

قال ابن جني (في سر الصناعة) : وأما قول الشاعر :

* فَأَصْبَحَنَ لَا يَسْأَلُنَهُ عَنْ بَمَا بِهِ *

فإنه أراد الباء ، وفَصَلَ بها بين عن وما جَرَّتْه . وهذا من غريب مواضعها . انتهى .

وقال الفراء (في آخر تفسير سورة الإنسان) : قرأ عبد الله : ﴿ لِلظَّالِمِينَ أَعْدٌ لَهُمْ ^(١) ﴾ فكرر اللام في الظالمين وفي لهم . وربما فعلت العرب ذلك . أنشدني بعضهم :

فَأَصْبَحَنَ لَا يَسْأَلُنَهُ عَنْ بَمَا بِهِ أَصْعَدَ فِي عُلُوِّ الْهَوَى أَمْ تَصُوبَا
فَكَرَّرَ الْبَاءَ مرتين . ولو قال : لَا يَسْأَلُنَهُ عَمَّا بِهِ لَكَانَ أُبَيِّنَ وَأَجُودَ ،
ولكن الشاعر ربما زاد أو نقص ليكمل الشعر . انتهى .

وعده ابن عصفور كالفرء من ضرائر الشعر ، قال : ومنها إدخال الحرف على جهة التأكيد ، لاتفاقهما في اللفظ والمعنى ، أو في المعنى لا في اللفظ ، نحو قول بعض بني أسد :

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِمَلِمَاهِمُ أَبَدًا دَوَاءً ^(٢)

فزاد على لام الجر لآماً أخرى للتأكيد . ونحوه قول الآخر ، وأنشده الفراء :

فَلْتَن قَوْمٌ أَصَابُوا عِزَّةً وَأَصَبْنَا مِنْ زَمَانٍ رَنَقًا ^(٣)
لَلْقَدْ كُنَّا لَدَى أَزْمَانِنَا لِصُنْعَيْنِ لِبِأْسٍ وَتُقَى

(١) الآية ٣١ من سورة الإنسان .

(٢) لم بن معبد الوالي . وانظر معجم شواهد العربية .

(٣) معالي الفراء ٢ : ٦٧ والصاحبي ٢٦ والضرائر ٧٠ والمجم ١ : ١٤٠ .

فزاد على لام لقد لأمًا أخرى للتأكيد . ونحوه قول الآخر :

فأصبحن لا يسألنه عن بما به البيت

فأدخل عن على الباء تأكيداً ، لأنهم يقولون : سألت عنه ، وسألت به . والمعنى واحد . انتهى .

وصعد في الجبل بالثقل ، إذا علاه . وصعد في الجبل ، من باب تعب : لغة قليلة . وصعد في الوادي تصعيداً ، إذا انحدر . والهواء ^(١) : ما بين السماء والأرض . والتصوب : النزول . كذا في المصباح . وهذا البيت لم أقف على قائله ولا تتمته . والله أعلم .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السبعائة ^(٢) :

٧٩٣ (لِدُوا لِلْمَوْتِ وَاِبْنُوا لِلْخَرَابِ)

على أن اللام في قوله (للموت) تسمى لام العاقبة ، وهي فرع لام الاختصاص .

أقول : تسميتها بلام العاقبة وبلاد الصيرورة هو قول الكوفيين ، ومثله بقوله تعالى : ﴿ فَالتَّقَطُّهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(٣) ، ويقول الشاعر :

فللموت تغزو الوالداتُ سِخالَها

كما لخرابِ الدُّورِ تُبْنَى المساكنُ ^(٤)

(١) ش : « والهوى » .

(٢) الحيوان ٣ : ٥١ والأغاني ٣ : ١٥٥ والمجم ٢ : ٣٢ والتصريح ٢ : ١٢ ومحاضرات

الراغب ٢ : ٢٢٤ وديوان أبي نواس ٢٠٠ وأبي العتاهية ٣٣ .

(٣) الآية ٨ من سورة القصص .

(٤) لسابق البربري كما سيأتي ، وانظر المقد ٢ : ٦٩ .

وبقول الآخر :

فإن يكن الموتُ أفنَاهُمْ فللموت ما تَلَدُ الوالده^(١)

وقال ابن هشام (في المغنى) : وأنكر البصريُّون ومن تبعهم لامَ العاقبة . قال الزمخشري : والتحقيق أنَّها لام العلة ، وأنَّ التعليل فيها واردٌ على طريق المجاز دون الحقيقة . وبيانه : أنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أنَّ يكون لهم عدواً وحزناً ، بل المحبَّة والتبني . غير أنَّ ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ، شبه بالداعي الذي يُفعل الفعل لأجله ، فاللام مستعارة لما يشبه التعليل ، كما استعير الأسد لمن يشبه الأسد . انتهى .

وفهم منه أنَّ اللام في هذه الأبياتٍ للتعليل . وجعلها من فروع الاختصاص أولى ، لأنَّ التعليل أيضاً من فروع الاختصاص .

وهذا المصراعُ من أبياتٍ (في الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، وهي :

صاحب الشاهد

(عجبتُ لجازعٍ بالكِ مصابٍ بأهلٍ أو حبيبٍ ذى اكتئابٍ
شقيقِ الحبيبِ دأعى الويلِ جهلاً كأنَّ الموتَ كالشيءِ العُجابِ^(٢)
وسوى الله فيه الخلقَ حتى نبئ الله عنه لم يُحَابِ
له مَلَكٌ ينادى كُلَّ يومٍ : لِدُوا للموتِ وابنوا للخرابِ

أبيات الشاهد

(١) سياق الكلام على نسبته . وقد تمثل بمجزه زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب ابن أبي بكر بن كلاب ، عند يزيد بن معاوية ، كما جاء في عجز بيت لعبيد بن الأبرص في أمالي القالي ٣ : ١٩٥ : وعجز بيت آخر لملك بن عمرو العامل في اللسان (لوم ٣٨) . وانظر العقد ٢ : ٦٩ وجمهرة ابن حزم ٢٨٣ وما سياتي .

(٢) شقيق الحبيب : مشقوقه ، حزناً على من فجع به . وجيب القميص ونحوه : ما يدخل فيه الرأس عند لبسه .

قال شارح ديوانه حسين الميبدى^(١): المصاب : مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ .
والاكتئاب : الحزن . فَإِنْ قُلْتَ : الكاف مغنية عن كَأَنَّ ؟ قلت :
قال التفتازانى (فى المطول) : إِنَّ كَأَنَّ تُسْتَعْمَلُ فى مقام يَظُنُّ بثبوت
الخبر دون التشبيه . ولام « للموت » لام العاقبة ، وهى فرع لام الاختصاص .
انتهى .

وحتى ابتدائية ، ونبيّ الله مفعول مقدّم ليحاج^(٢) بمعنى يَخْصُرُ ،
كما تقدّم مجيئه بهذا المعنى فى شعر زهير^(٣) .

ورأيت (فى الفصول القصار من نهج البلاغة) لسيدنا على رضى الله
عنه : « إِنَّ اللَّهَ مُلْكًا ينادى فى كلِّ يوم : لُدُّو للموت ، واجمعوا للفناء ،
وابنوا للخراب » .

ورأيت أيضاً (فى جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب) :
قد رُوى أَنَّ بعض الملائكة قال :

لُدُّو للموت وابنوا للخرابِ فكلُّكم يصير إلى ذَّهابِ ١٦٤

والبيت الثانى هو من أبيات معنى اللبيب ، ولم يعرفه شراحه ، وهو
لسابق البربرى .

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : وفد عبد العزيز بن زُرارة
سيد أهل الكوفة على معاوية ، فخرج مع يزيد بن معاوية إلى الصّائفة
فهلك هناك ، فكتب به يزيد إلى معاوية ، فقال معاوية لأبيه زُرارة : أتانى

(١) فى النسختين : « الميبدى » . وانظر ما سبق من تحقيق اسمه ونسبه فى الخزائن ٦ : ٦٤ .

(٢) جاء هنا بلفظ المجزوم على الحكاية لما فى البيت الثالث .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٥٠٦ من الشاهد ٧٨٦ .

اليوم نَعْنَى سَيِّد شباب العرب ! فقال زرارَة : يا سَيِّدِي هو ابْنِي أو ابْنُكَ؟
قال : بل ابْنُكَ . قال : «للموت ما تلد الوالدة» . أَخَذَهُ سَابِقُ الْبِرْبَرِيِّ فَقَالَ :
* وَلِلْمَوْتِ تَغْذُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا * البيت

و(تغذو) بمجمعتين ، من الغِذاء بالكسر والمد : مابه نماء الجسم وقوامه .
وغذوت الصبي بالطعام واللبن فاغذى به . وأما الغِذاء بالفتح وإهمال
الدال فطعام الغُدوة ، وهو خلاف العِشاء . والسِّخال بالكسر : جمع سَخلة ،
وهي وَلَدُ الشاة من الضَّانِّ والمعز ، ذَكَرًا كَانَ أو أُنْثَى . وفيه إقامة
الظاهر مقام الضمير ، إِلَّا أَنَّهُ بِالْفِظِ الْمُرَادِفِ ، إِذْ أَصْلُ الْكَلَامِ كَمَا
تَبَيَّنَ الْمَسَاكِنُ لَخَرَابِهَا .

وكذا نسبه إلى سابق البربري (صاحب كتاب التفسُّح في اللغة^(١)) ،
وقال بعد أن أوردته : إِنَّمَا ابْتَنَوْا دُورَهُمَ لِلْعُمَرَانِ ، وَغَذَّوْا أَوْلَادَهُمَ لِلْبَقَاءِ
لَا لِلْفَنَاءِ ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الْمَصِيرَ إِلَى الْمَوْتِ وَالْخَرَابِ تَرَكُوا الشَّيْءَ الَّذِي
غَذَّوْا لَهُ أَوْلَادَهُمْ وَابْتَنَوْا دُورَهُمْ ، وَأَخْبَرُوا بِمَصِيرِهِمْ لِذَلِكَ ، اعْتِبَارًا كَمَا
قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَالْتَقِطْهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾^(٢) ، وَإِنَّمَا
الْتَقِطُوهُ لِيَكُونَ لَهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ أَمْرَهُ بِتَصْيِيرِهِ
إِلَى ذَلِكَ^(٣) . فَهَذَا عَلَى الْإِخْبَارِ بِالصِّيُورَةِ . انْتَهَى .

وسابق البربري هو أبو سعيد سابق بن عبد الله . له أشعارٌ حسنة في
الرَّهْدِ . وهو من موالى بني أُمَيَّة . سَكَنَ الرَّقَّةَ ، وَوَفَدَ عَلَى عَمْرِ بْنِ

سابق البربري

(١) لأبي الحسين النحوي ، كما سبق في الخزانة ١ : ٢٦ . ويبدو أنه من كتب المجاز اللغوي ،
كما يبدو من نصوصه المقتبسة .

(٢) الآية ٨ من سورة القصص .

(٣) هو مطاوع صيره تصييرا .

عبد العزيز ، وله معه حكايات لطيفة . روى عنه مكحول ، وموسى ابن أعين ، والمعافى بن عمران وغيرهم .

والبربري : نسبة إلى البربر ، وهي بلاد كثيرة في المغرب . قال ابن الأثير (في الأنساب) : ليس سابق منسوباً إلى البربر ، وإنما هو لقب له . والبيت الثالث هو من أبيات مغني اللبيب أيضاً . ولم يعرفه شراحه أيضاً .

وهو من أبيات أوردها ابن الأعرابي (في نوادره) لنهيكة بن الحارث صاحب الشاهد المازني ، من مازن فزارة ، وهي :

(لا يُبْعِدُ اللهُ رَبُّ الْعِبادِ	دِ وَالْمَلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَهُ ^(١)	أبيات الشاهد
هَمْ الْمُطْعَمُو الضَّيْفِ شَحْمَ السَّنَا	مِ وَالْقَاتِلُو اللَّيْلَةَ الْبَارِدَةَ	
هُمْ يَكْسِرُونَ صُدُورَ الرِّمَا	حِ فِي الْخَيْلِ تُطْرَدُ أَوْ طَارِدَهُ	
يَذْكُرُنِي حُسْنُ آلَانِهِمْ	تَفْجَعُ ثَكْلَانِهِ فَاقْدَهُ	
فَإِنْ يَكُنِ الْقَتْلُ أَفْنَاهُمْ	فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَهُ	

انتهى :

ونسبه المفضل بن سلمة (في كتاب الفاخر) لشتيم بن خويلد الفزارى . قال : والملح هنا : البركة . يقال : اللهم لا تبارك فيه ولا تملحه . وكلاهما جاهليان .

(١) ونسب الشعر في الحيوان ٤ : ٤٧٢ إلى شتيم بن خويلد الفزارى ، وكذا في اللسان (لوم ٣٨) والفاخر للمفضل ١١ . ونسبه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ إلى ابن الزبيرى . ونسب في مقطعات مراث ص ١٠٦ إلى الحارث بن عمرو الفزارى . والأبيات بدون نسبة في الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ . والأول منها في الكامل ٢٨٤ بدون نسبة أيضاً . وكلمة « الملح » في البيت تضبط بالرفع عطفاً على لفظ الجلالة ، وبالجر عطفاً على التباد أو بجعل الواو واو القسم .

قال أبو الوليد الوقشي (فيما كتبه على كامل المبرد على هذا البيت) :
خالدة هي بنت أرقم ، أم كزدم وكريدم ابني شعبة الفزاريين . وكزدم
هو الذي طعن دريد بن الصمة يوم قُتل أخوه عبد الله . وهذا المصراع
وقع في شعر عبيد بن الأبرص الجاهلي أيضاً ، لما قتله المنذر بن ماء
السباء ، قال له بعض الحاضرين ما أشدَّ جزعك للموت ! فقال :

١٦٥

(لا غرؤ من عيشة نافده وهل غير ما ميتة واحده
فأبلغ بنى وأعمامهم بأن المنايا هي الراصده
لها مدة فنفوس العباد إليها ، وإن كرهت ، قاصده
فلا تجزعوا لحمام دنا فللموت ما تلدُ الوالده)

ووقع في شعر سهاك بن عمرو الباهلي أيضاً ، وهو أول من قال :
« لا أطلب أثراً بعد عين » ، وهو جاهلي أيضاً . قال لما خير بين
أن يُقتل هو أو أخوه مالك ، فقتلوه دون أخيه ، من أبيات :

فأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصده
برأس سبيل على مرقب ويوماً على طُرقِ وارده
فأم سهاك فلا تجزعي فللموت ما تلدُ الوالده

* * *

وأنشد بعده :

(فلا والله لا يُلقي لما بي ولا ليما بهم أبداً دواء)

وتقدم شرحه في الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة في باب المنادي ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد السبعائة ^(١) :

٧٩٤ (رُبَّ هَيْضَلٍ لَجِبَ لِفَتْ هَيْضَلٍ بِهَيْضَلٍ)

على أن (رُبَّ) فيه للتكثير . أى كثيراً ما لففت هيضلاً بهيضلاً .

ورُبَّ على اختيار الشارح اسمٌ ومحلها رفع على الابتداء ، والموجب لبنائها تضمينها معنى الإنشاء الذى حققه أن يؤدى بالحرف ، كالاتسافام والأمر والنهى . ورُبَّ هنا مخففة مفتوحة الباء . قال أبو على (فى كتاب الشعر) : الحروف على ضربين : حرف فيه تضعيف ، وحرف لاتضعيف فيه . فالأول قد يخفف بالحذف منه كما فعل ذلك فى الاسم والفعل بالحذف والقلب ، وذلك نحو : إنَّ ، وأنَّ ، ولكنَّ ، ورُبَّ . والقياس إذا حذف المدغم فيه أن يبقى المدغم على السكون . وقد جاء :

(أزهيرُ إنَّ يَشِبُّ القذالُ فلإنه رُبَّ هَيْضَلٍ لَجِبَ لِفَتْ هَيْضَلٍ)

ويمكن أن يكون الآخر منه حرَّك لما لحقه الحذف والتأنيث ، فأشبه بهما الأسماء ، كما حرَّك الآخر من ضَرَبَ ^(٢) . انتهى المراد منه .

ورواه ابن جنى (فى المحتسب) بسكون الباء . أنشد البيت وقال : أراد ربَّ فحذف إحدى الباءين وبَقِيَ ^(٣) الثانية مجزومة ، كما كانت قبل الحذف .

ورواه العسكرى (فى كتاب التصحيف) بالوجهين . أنشد البيت

(١) المحتسب ٢ : ٣٤٣ والتصحيف ٣٦٤ والأزهية ٢٧٤ وابن الشجرى ٢ : ٤٤ ، ٣٠٢

والإنصاف ٢٨٥ وابن يمش ٥ : ١١٩ / ٨ : ٣١ والمقرب ١ : ٢٠٠ ورصف المباقى ٥٢ ،

١٩٢ وديوان الهذليين ٢ : ٨٩ وشرح السكرى ١٠٧٠

(٢) يعنى الأفعال الماضية المبينة على الفتح .

(٣) ش : « وأبقى » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى المحتسب . والمراد بالجزم إسكان الباء .

وقال : رُبَّ فيه خفيفة . ورواه بعضهم : « رُبَّ هيفل » بتسكين الباء ، وأنشد :

ألا رُبَّ ناصرٍ لك من لؤى كـرِيمٍ لو تناديه أجابا

وتقول العرب : رُبَّ بالتشديد ، ورُبَّ بالتخفيف ، ورُبَّ رجلٍ فيسكنون الباء ، ثم يقولون : رُبَّتْ رجلٍ ورُبَّتْ رجلٍ ، ورُبَّ رجلٍ فيفتحون الراء ويشددون ، ورُبَّما رجلٍ مشدد ومخفف ، ورُبَّتْما فيفتحون .
حكى ذلك قطرب . انتهى .

١٦٦

وبهذا النقل يُردُّ على أبي علي وعلى ابن يعيش في قوله تبعاً له : إنهم قالوا رُبَّ بضم الراء وفتح الباء خفيفة ، ويحتمل ذلك وجوهاً :

أحدها : أنَّهم حذفوا إحدى الباءين تخفيفاً ، كراهية التضعيف ، وكان القياس أن يسكن آخرها ، لأنَّه لم يلتق فيها ساكنان ، كما فعلوا بإنَّ ونظائرها حين خففوها ، إلا أنَّ المسموع رُبَّ بالفتح ، نحو قوله :

* رُبَّ هيفلٍ لَجِبٍ لَفَّتْ بِهِنْضِلٍ *

كَأَنَّهُمْ أَبَقُوا الْفَتْحَ مَعَ التَّخْفِيفِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مَثْقَلَةً مَفْتُوحَةً .

ويمكن أن يكون إنما فتح باء رُبَّ لأنَّه لَمَّا لحقه الحذف وتاء التانيث أشبهت الأفعال الماضية ففتحت .

وقيل إنَّهم لما استثقلوا التضعيف حذفوا الحرف الساكن .

وقد قالوا رُبَّ بالتخفيف وسكون الباء على القياس ، حذفوا المتحرك ، لأنَّه أبلغ في التخفيف . انتهى .

وقد نقض أول كلامه بآخره .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لأبي كبير الهذلي ، وأولها :

أبيات الشاهد

(أزْهَيْرَ هل عن شَيْبَةٍ من مَعْدِلٍ أم لا سبيلَ إلى الشَّبَابِ الأوَّلِ
 أم لا سبيلَ إلى الشَّبَابِ وذِكْرُهُ أشهى إلىَّ من الرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
 ذهبَ الشَّبَابُ وفاتَ منِّي ما مضى ونضاً ، زُهَيْرٌ ، كرهني وتبطلُ^(١)
 وصحوتُ عن ذكر الغواني وانتهى عُمرِي وأنكرني الغداةَ تَقْتُلِي
 أَزْهَيْرَ إنَّ يَشِبَّ القَدَالُ فَإِنَّهُ رَبُّ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لِفَتْ هَيْضَلٍ
 فلففتُ بينهم لغيرِ هَوَادَةٍ إلَّا لِسَفْكِ للدماءِ محلِّلِ)

وقوله : « أزهير » إلخ الهمزة للنداء . وزهير : مرخم زهيره ، وهي ابنته . قال السكري ، وكذا قال أبو سعيد : ومنهم من يقول امرأة ، ومنهم من يقول : رجل . أقول : يردُّ الأخيرين قوله في الرائية كما يأتي . والمَعْدِلُ : العُدُول . والرَّحِيقُ : الخمر . والسَّلْسَلُ : العذب يتسلسلُ في الحلقي تسلسلاً . ونضاً ، بالنون والضاد المعجمة ، بمعنى انسلخَ ومضى . وزهيرٌ منادى مرخم . وكرهته : شدته على الكريمة والحرب . وتبطله : أخذه في الباطل .

والغواني : جمع غانية ، وهي المرأة التي غنيت بحسنها عن الزينة . والتَّقْتُلُ بالقاف : التلين والتكسر والتثني .

وقوله : (أزهير إنَّ يَشِبَّ) إلخ هذا أيضاً منادى مرخم . (والقَدَالُ) : ما بين النقرة وأعلى الأذن ، وهو أبطأ الرأس شيئاً . و (الهَيْضَلُ) ، بفتح الهاء والضاد المعجمة : الجماعة . وقوله : (لفت هَيْضَلٍ) يريد : جمعت بينهم في القتال . و (اللَّجِبُ) بفتح اللام وكسر الجيم ، في

(١) رسمت « نضاً » هنا وفي الشرح التالي بالياء ، ووجهه ما أثبت ، فإن الفعل واوى .

الصحاح : وجيشٌ لجب : عرمرم ، أى ذو جَلَبَةٍ وكثرة . واللَّجَبُ ، بفتح الجيم : الصَّوْتُ والجَلَبَةُ . وروى بدله : (مَرِيس) بكسر الراء ، أى شديد.

وقوله : « فلففت بينهم » إلخ قال السكرى : يقول : إنما لففتُ بينهم ليقتتلوا ، لا لهوادة ولا لصداقة ، وهو قوله « إِلَّا لَسَفَكٍ لِلذَّمَاءِ مُحَلَّلٌ » أى محلل النَّذَرِ إذا بلغه . ومحللٌ : ممَّا يُسْتَحَلُّ . (والهَوَادَةُ) : الصُّلْحُ ، وأصله من اللَّيْنِ . يقال : هوَّد في السَّيْرِ ، إذا لَيَّن .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : أبو كبير هو عامر بن حِلْسٍ ، وله أربع قصائد أولها كلها شيء واحد . ولا يُعرف أحدٌ من الشعراء فعلَ ذلك ^(١) . انتهى .

أقول : ثانيها :

أزْهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَقْصِرٍ أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ الْمُذْبِرِ
فَقَدْ الشَّبَابَ أَبُوكَ إِلَّا ذِكْرَهُ فاعَجَبْ لَذَلِكَ فِعْلَ دَهْرٍ وَاهِكِرِ
قال السكرى : الهَكْرُ مِنْ أَشَدِّ الْعَجَبِ ^(٢) . وهذا خطابٌ لنفسه .

وثالثها :

أزْهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفٍ أَمْ لَا خُلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَلِّفٍ
ورابعها :

أزْهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعَكُمْ أَمْ لَا خُلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَرِّمٍ ^(٣)
قال السكرى : مِنْ مَعَكُمْ : مِنْ مَرِجَعٍ ، يقال عَكُمْ يَعْمَكُ .

(١) انظر كتاب « تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب » لمحقق الخزانة ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) عند السكرى : « الهكر أشد العجب » ، بطرح « من » .

(٣) فى النسختين : « لباذر » صوابه باللام فى آخره كما فى ديوان الهذليين وشرح السكرى . والباذل : الذى يبذل ماله .

وأبو كبيرٍ الهذليُّ صحابيٌّ تقدّمت ترجمته مع شرح أبياتٍ من هذه القصيدة في الشاهد الثامن بعد الستائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوى يا رَبِّتَمَا غَارَةٌ شَعْوَاءُ كَاللَّذْعَةِ بِالْمَيْسَمِ)

وتقدم شرحه قريباً في الشاهد الستين بعد السبعائة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السبعائة^(٣) :

٧٩٥ (فَإِنْ تُمَسِّسْ مَهْجُورُ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا

أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ)

على أَنَّ (رُبَّمَا) فيه للتكثير . وهو ظاهر .

وأورده الزمخشريُّ عند قوله تعالى : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾^(٤) على أَنَّ قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى رُبَّمَا ، فتوافقها في خروجها إلى معنى التكثير كما في البيت ، فَإِنَّ المقامَ مقامُ مدحٍ لا يُناسب التقليل ، وإلَّا لكان ذمًّا . ورُبَّ هنا مكفوفة بما عن عمل الجرِّ ، ومهيئةٌ للدخول على الجملة الفعلية .

ولا يتأتَّى هنا ما اختار الشارح من أَنَّها اسمٌ مبتدأ ، إذ لا مجرور موصوف بجملة فعلية . ولا يعرف على اختياره ما موقعُ الجملة بعد ربِّ المكفوفة .

(١) الخزانة ٨ : ٤٠٩

(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٣٨٤ .

(٣) أدب الكاتب ٢١ وشرح الجواليقي ١٢٤ وابن السيد ٢٩٢ والأشباه والنظائر ٢ : ٨٥

والحماسة بشرح المرزوقي ٨٠٠ وبشرح التبريزي ٢ : ٢٩٦

صاحب الشاهد والبيت من أبيات أربعة أوردها أبو تمام (في باب المرائي من الحماسة)
لأبي عطاء السندي ، رثي بها يزيد بن هُبَيْرَةَ الْفَزَارِي ، وهي :

أبيات الشاهد (أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجَمُودُ
عِشْيَةٍ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشُقِّقَتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَاتِمٍ وَخُدُودُ
فَإِنْ تَمُسْ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوَفُودِ وَفُودُ
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعَهْدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ)

وقيل رثاه بها مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِي ، وكان من أتباع ابن هُبَيْرَةَ
ومن أكبر أعوانه في الحروب وغيرها .

يزيد بن هبيرة وابن هبيرة مولده الشام في سنة سبع وثمانين ، وَلِيَ قَنْسَرِينَ لِلْوَلِيدِ
ابن يزيد بن عبد الملك ، وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ،
يومَ غَلَبَ عَلَى دِمَشْقَ وَجُمِعَ لَهُ وَلَايَةُ الْعِرَاقَيْنِ ، فَلَمَّا أَدْبَرَتْ دَوْلَةُ بَنِي
مَرْوَانَ خَرَجَ قَحْطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، أَحَدُ دَعَاةِ
بَنِي الْعَبَّاسِ ، فِي جِيُوشِ خِرَاسَانَ ، ثُمَّ وَلَدَهُ الْحَسَنُ مِنْ بَعْدِهِ فَهَزَمُوهُ ،
وَلَحِقَ ابْنُ هَبِيرَةَ بِمَدِينَةِ وَاسِطٍ ، فَحَاصَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ مَعَ الْحَسَنِ ،
وَجَرَتْ السُّفَرَاءُ بَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ وَابْنِ هَبِيرَةَ حَتَّى جَعَلَ لَهُ أَمَانًا وَكُتِبَ بِهِ
كِتَابًا . فَمَكَثَ يُشَاوِرُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً حَتَّى رَضِيَ بِهِ ابْنُ هَبِيرَةَ ،
ثُمَّ أَنْفَذَهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ، فَأَنْفَذَهُ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى أَخِيهِ السَّفَّاحِ ، فَأَمَرَهُ
بِإِمْضَائِهِ لَهُ . وَلَمَّا تَمَّ الْكِتَابُ خَرَجَ ابْنُ هَبِيرَةَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ فِي أَلْفٍ
وِثْلَمَاتٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْحَجْرَةَ عَلَى دَابَّتِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ الْحَاجِبُ فَقَالَ :
مَرْحَبًا أَبَا خَالِدٍ ، انْزِلْ رَاشِدًا ! وَقَدْ أَطَافَ بِالْحَجْرَةِ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ
أَهْلِ خِرَاسَانَ . فَانْزَلَ وَدَعَا لَهُ بَوَسَادَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : ادْخُلْ أَبَا خَالِدٍ .

فقال له : أنا ومن معي من القُوَاد . فقال له : إِنَّمَا اسْتَأْذَنْتُ لَكَ وَحْدَكَ .
 فدخَلَ على أبي جعفر وحادثه ساعة ثم انصرف . فقال أبو جعفر [للحاجب^(١)] :
 قل لابن هبيرة يدعُ الجماعة ويأتينا بحاشيته . وجاء بعدُ في نحوٍ من
 ثلاثين ، فكان بعد ذلك يأتى في ثلاثة من أصحابه يتغذى ويتعشى
 عنده ، وألح^(٢) أبو العباس على أبي جعفر بِأمره بقتله ، وهو يراجعهُ ،
 فكتب إليه : والله لتقتلنه أو لأرسلنَّ إليه من يخرجهُ من حُجْرَتِكَ ثم
 يقتلُهُ . فعزَمَ على قتله ، وأرسل الهيثم بن شُعْبَةَ في نحوٍ من مائة فأرسلوا
 إلى ابن هبيرة : إِنَّا جِئْنَا لَنَأْخُذَ هَذَا الْمَالَ . فقال ابن هُبَيْرَةَ لحاجبه :
 انطلقْ فدلُّهم عليه . فأقاموا عند كل بيتٍ نفرًا ، ثم جعلوا ينظرون في
 نواحي الدار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكتابه وحاجبه ، وعدَّةٌ من
 مواليه ، وبني له صغير في حِجْرِهِ ، فأقبلوا نحوه فقام حاجبه في وجوهمهم
 فضربه الهيثمُ فقتله ، وقاتل ابنه داودُ فقتل ، وقُتِلَ مواليه ، ونُحِيَ
 الصبيُّ من حِجْرِهِ وخرَّ ساجدًا ، فقتل وهو ساجد . وكان قتله بواسطة
 يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين
 ومائة .

ولمَّا قُتِلَ كان معنُ بن زائدة غائبًا عند السَّفَّاح فسَلِمَ ، فرثاه أبو عطاء
 السُّنْدِيُّ بهذه الأبيات : وقيل معن بن زائدة .

قال ابن عساكر (في تاريخه الكبير) : كان ابنُ هبيرة إذا أصبحَ
 أتى بِعُصٍّ ، وهو القَدَحُ الكبير ، وفيه لبنٌ قد حُلِبَ على عَسَلٍ ، وأحيانًا على

(١) التكلة من ش .

(٢) ط : « ولح » ، صوابه في ش .

سَكَّرَ فيشربُه ، فإذا صَلَّى الغدَاةَ جَلَسَ في مُصَلَّاهُ حَتَّى يَحَرِّكَهُ اللَّبَنُ ،
 فيدعو بالغَدَاءِ فيأكل دَجَاجَتَيْنِ وَفَرَخَيْنِ حَمَامَ ، وَنِصْفَ جَدْيٍ ، وَأَلْوَانًا
 من لَحْمٍ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَنْظُرُ في أُمُورِ النَّاسِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَدْخُلُ
 فيدعو جَمَاعَةً من خَوَاصِّهِ وَأَعْيَانِ النَّاسِ ، ويدعو بالغَدَاءِ فَيَتَغَدَّى وَيَعْظُمُ
 اللَّقْمَ وَيُتَابِعُ ، فإذا فَرَغَ من الغَدَاءِ دَخَلَ إِلَى نِسَائِهِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى
 صَلَاةِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ في أُمُورِ النَّاسِ ، فإذا صَلَّى العَصْرَ وَضَعَ لَهُ سَرِيرٌ
 وَوُضِعَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلنَّاسِ ، فإذا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ أَتَوْهُمْ بِعَسَاسِ اللَّبَنِ
 وَالْعَسَلِ وَأَلْوَانِ الْأَشْرِبَةِ ، ثُمَّ تَوَضَّعَ السُّفْرَةُ وَالطَّعَامُ لِلْعَامَّةِ ، وَيُوضَعُ لَهُ
 وَلِإِخْوَانِهِ خِوَانٌ مُرْتَفِعٌ ، فيأكلُ مَعَهُ الْوَجُوهُ ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ
 يَأْتِيهِ سُمَّارُهُ فَيَحْضُرُونَ مَجْلِسَهُ فَيَسَامِرُونَهُ حَتَّى يَذْهَبَ عَامَّةُ اللَّيْلِ . وَكَانَ
 يُسْأَلُ كُلَّ لَيْلَةٍ عَشَرَ حَوَائِجَ ، فإذا أَصْبَحُوا قُضِيَتْ . وَكَانَ رِزْقُهُ سِتْمَانَةَ
 أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَكَانَ يَقْسِمُ كُلَّ شَهْرٍ فِي أَصْحَابِهِ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنَ الْفُقَهَاءِ
 وَالْوُجُوهِ وَأَهْلِ الْبَيْتَاتِ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِهَا .

رَوَى أَنَّ شَرِيكَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّمْرِيَّ سَافِرُهُ يَوْمًا ، فَبَرَزَتْ بَغْلَةٌ
 شَرِيكَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ : غَضٌّ مِنْ لَجَامِهَا . فَقَالَ شَرِيكَ : إِنَّهَا
 مَكْتُوبَةٌ ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : مَا ذَهَبَتْ حَيْثُ أَرَدَتْ .
 وَقَوْلُ ابْنِ هُبَيْرَةَ : « غَضٌّ مِنْ لَجَامِهَا » ، يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا
 فَعَرَّضَ لَهُ شَرِيكَ بِقَوْلِ ابْنِ دَارَةَ :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَّوَتْ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

وَكَانَ بَنُو فِزَارَةَ فِي الْعَرَبِ يُرْمَوْنَ بِإِتْيَانِ الْإِبِلِ .

وَأَخْبَارُ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَمَحَاسِنُهُ كَثِيرَةٌ .

وقوله : « أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ » إلخ افتتح كلامه بحرف التنبيه ، ثم أخذ يعظم أمرَ الفجيعة ويبين موقعها من النفوس ، وتأثيرها في القلوب فقال : إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ بدمعها عليك يومَ واسطٍ لشديدة البُخل بما في شئونها من الماء .

قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : لَمْ تَجُدْ : لم تسمعْ بالكاء . وَجَمُودٌ : قليلة الدَّمع ، يقال عينٌ جامدة [وَجَمُودٌ ^(١)] . وَسَنَةٌ جمادٌ : قليلة القطر .

وقوله : « عَشِيَّةٌ قَامَ النَّائِحَاتِ » إلخ عشيَّةٌ بدلٌ من يومٍ واسط . قال ابن السَّيِّد (في شرح أدب الكاتب) إِنَّ قِيلَ : كيف جاز أن يعمل فيه لم تجد ، وقد حال الخبرُ وهو الجَمُودُ ^(٢) ، بين العامل والمعمول . ولو قلت : إِنَّ الضَّارِبَ أَخَوَكَ زَيْدًا ، أَوْ إِنَّ خَارِجًا غَيْرُ مُصِيبٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ^(٣) لَمْ يَجْزْ ، وإنما يجب فيهما تقديم المعمول على الخبر ؟ قلت : إِنَّ العشيَّةَ لَمَّا كَانَتْ بَدَلًا مِنْ يَوْمٍ ، والمبدل يقدر من جملة أخرى ويقدر معه إعادة العامل جاز ذلك . وقد أجاز النحويون تأخر الصِّفة بعد الخبر في نحو : إِنَّ زَيْدًا خَارِجُ الْكَرِيمِ ، والصِّفةُ أشدُّ اتصالاً بالموصوف من البدل . وأجازوا ذلك في المعطوف ، نحو : إِنَّ زَيْدًا خَارِجٌ وَعَمْرًا وَعَمْرُو : على اللفظ وعلى الموضع . وإذا جاز في الصفة كان في البدل أجوز .

وقوله : « قَامَ النَّائِحَاتِ » ^(٤) « أَى تَهَيَّأْنَ لِلنَّوْحِ . والمأتم : النساء

(١) التكلمة من شرح الجواليقي .

(٢) ش : « جمود » بطرح اللام .

(٣) في الاقتضاب : « وَإِنَّ خَارِجًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ غَيْرُ مُصِيبٍ » ، وما هنا صوابه لأنه المقصود .

(٤) في النسختين : « وقام النائحات » ، وهو خلاف نص البيت .

يجتمعن في الخير والشرّ ، قال الخطيب : وأصله من الأثم وهو التقاء
المسلّكين ، ومنه الأثوم في صفة النساء .

وقوله : (فَإِنْ تَمَسَّ مَهْجُورٌ) إلخ الفناء بكسر الفاء والمد : ساحة
الدار . و (الوفود) : الزوّار وطلاب الحاجات . قال المازوني : الرواية
المختارة : « وَرَبَّمَا أَقَامَ » بالواو . وذلك أَنَّ جواب الشرط في قوله :

• فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعَدٍّ •

وَيَصِيرُ « وَرَبَّمَا أَقَامَ » بيان الحال فيما تقدّم من رياسته وقت توفّر
الناس على قَصْدِهِ وزيارته . والمعنى : إِنْ مُتَّ وصرتَ مهجورَ السّاحة ،
وَرَبَّمَا كانت الوفود تزدهم على بابك ، فَإِنَّكَ السّاعةَ لَمْ تَبْعُدْ على من
يتعهّدك ويريد قضاء حقّك ، وإقامة الرّسم في زيارتك . ثم قال مستدركاً
على نفسه :

• بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ الشَّرَابِ بَعِيدٌ •

ويريد بالمتعهّد متبّع العهود بالحفظ لها ، ومنعها من الدروس .
وإذا رُوِيَتْ « فَرَبَّمَا » وجعلته جواب الشرط يكون « فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ »
استثناً كلام . والمعنى : إِنْ هُجِرَ فناؤك اليومَ فَرَبَّمَا كَانَ مَأْلَفاً
للفود أَيْامَ حياتك . وتقول العرب : هذا بذاك ، أى عوضٌ من ذاك .

وقال ابن جني (في إعراب الحماسة) : ينبغي أَنْ يكون جوابُ
الشرط مستقبلاً ، وَرَبَّمَا جاءت مكانه جملةٌ ماضيةٌ ^(١) ، والشرط
لا يصح إلا بالاستقبال ، والمستقبل لا يكون علّةً للماضي ؛ لثلاً

(١) يقال في النسبة إلى الماضي «ماضوي» ، و «ماضي» ، والصيغة الأخيرة أرجح . ونص
إعراب الحماسة : « وَرَبَّمَا كما يرى ماضية » .

يتقدم المعلوم على علته . وإذا كان الأمر كذلك فالكلام محمولاً على معناه دون لفظه . ألا ترى أن معناه [إن^(١)] أمسيت هكذا فتسل عنه بذكر ما مضى ، أى فليكن هذا بإزاء ذلك . انتهى .

وهذا البيت من الاستدراك ، وهو من محاسن الشعر . والاستدراك : أن يأخذ الشاعر في معنى يرسله ، أو وصف يذكره يستدركه على نفسه^(٢) .

وأبو عطاء السندی قيل اسمه مرزوق ، وهو قول ابن قتيبة . وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) : هو أفلح بن يسار ، مولى لبني أسد . وكان يسار سدياً أعجمياً لا يفصح ، وأبو عطاء ابنه عبد أسود لا يكاد يفصح أيضاً ، جمع بين لثغة ولكنة ، وهو مع ذلك من أحسن الناس بديهة ، وأشدهم عارضةً وتقدماً .

وهو شاعرٌ فحل في طبقة ، أدرك الدولتين . وكان من شعراء بني أمية وشيعتهم ، وهجا بني هاشم ، ومات عقب أيام المنصور . ودخل يوماً على المنصور وهو يسحب الوشي والخز ، فقال له المنصور : أننى لك هذا يا أبا عطاء ؟ فقال : كنت ألبس هذا في الزمن الصالح . ثم ولى ذاهباً فاستخفى ، فما ظهر حتى مات المنصور .

فمما قال في بني هاشم :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم فقد قام سقر التمر صاعاً بدرهم
فإن قلتهم رهط النبي صدقتم فهذي النصارى رهط عيسى بن مريم
انتهى .

(١) التكلة من ش .

(٢) انظر تحرير التعبير ٣٣١ - ٣٣٨ والديع لابن المعتز ١٠٨ . وسماه ابن المعتز الرجوع .

(م ٣٥ - خزانة الادب - ج ٩)

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : أبو عطاء السندي اسمه مرزوق ، وكان جيد الشعر ، وكانت به لُكنة . قال حماد الراوية : كنت يوماً وحماد عجرى وحماد بن الزبير قان مجتمعين ، فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا : لو بعثنا إلى أبي عطاء . فبعثنا إليه فقلنا : من يحتال حتى يقول : جرادة ، وزُج ، وشيطان ؟ فقلت : أنا . وجاء فقال : مَنْ ههنا ؟ فقلنا : ادخل . فدخل فقلنا : أتتعتي ؟ فقال : قد تأسيت . قلت : أفتشرب ؟ قال : بلى . فشرب حتى استرخى . فقال حماد الراوية : كيف بصرك باللُغز ؟ قال : هَسَن . قال :

فما صفراء تُكنى أمَّ عوفٍ كأنَّ رُجِلَتَيْهَا مِنْجَلَانِ^(١)

فقال : زَرَادَة . قال : أصبت . ثم قال :

فما اسمُ حديديةٍ في الرُّمَحِ تُرْسِي دُوَيْنَ الصَّدْرِ لَيْسَتْ بِالسُّنَانِ

قال : زَرَزَ . قال : أحسنت . ثم قال :

أَتَعْرِفُ مَسْجِداً لِبْنِي تَمِيمٍ فُوقَ الْمَيْلِ دُونَ بَنِي أَبَانِ

قال : بنى سَيْتَان . فقلنا : أصبت يا أبا عطاء ، وضحكنا . انتهى^(٢) .

وفي رواية غيره أنه أجابه في الأول بيت وهو :

فَتَلِكْ زَرَادَةُ وَأُذُنُ ذَنَّا بِأَنَّكَ قَدْ عَنَيْتَ بِهِ لِسَانِي^(٣)

يريد بالزُرَادَة الجرادة . وَأُذُنُ ذَنَّا ، أى أَظُنُّ ظَنَّا .

• • •

(١) في العقد والشرطي ٢ : ١٢٣ : « كأن سويقتها » . وانظر الحيوان ٥ : ٥٥٨ .

(٢) تصرف البغدادى سيرا في هذا النقل . والخبر بصورة أخرى في الأغاني ١٦ : ٨٠ .
والعقد ٦ : ٤٧١ .

(٣) ط : « وأذن ذنا » في هذا الموضع وتاليه ، وأثبت ما في ش وفي الشعراء والأغاني :
« وأذن ذنا » بالزاي فيما . والبيت لم يرد في العقد .

وأنشد بعده :

(هذا سُرَاقَةٌ للقرآن يدرُسُهُ)

على أَنَّ الضمير في (يدرُسُهُ) ضمير المصدر المفهوم من يدرُسُ ،
أى يدرس الدَّرْس .

وقد تقدّم شرحُهُ في الشاهد الثانى والثمانين ^(١) . ونماه :

(والمرءُ عند الرُّشَا إِن يَلْقَها ذِيبٌ)

* * *

١٧١

وأنشد بعده :

(غيرُ مأسوفٍ على زَمَنِ ينقضى بالهَمِّ والحَزَنِ)

وتقدّم شرحُهُ في الشاهد الثالث والخمسين من باب المبتدأ ^(٢)

* * *

وأنشد بعده : وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السعمائة ، هـ

من شواهد س ^(٣) :

(يا رَبِّ هَيِّجَا هِىَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا)

٧٩٦

على أَنَّهُ يجوز أن تقع الجملة الاسمية نعتاً لمجرورِ رَبِّ ، ف (هِىَ)
مبتدأ و (خَيْرٌ) خبره . والجملة نعت لِهَيِّجَا ، وهى الحرب ، تمدُّ وتقصّر ،
وهى هنا مقصورة .

و (الدَّعَا) : الخفض والراحة . والهَاءُ عوضٌ مِنَ الواوِ ، تقول منه :
وَدَّعَ الرَّجُلُ بالضم فهو وديع ، أى ساكن ، ووَادَعُ أيضاً . والموَادَعَةُ :

(١) الخزانة ٢ : ٣ - ٤ .

(٢) الخزانة ٣٤٥ - ٣٤٨ .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٢٧ . وانظر مجالس ثعلب ٤٤٢ ، ٤٤٩ والأغانى ١٤ : ٩٢ وآمال

المرتضى ١ : ١٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والمجمع ٢ : ٢٥ وديوان لبيد ٣٤٠ .

المصاحفة. ويا: حرف تنبيه ، أو حرف نداء ، والمنادى محذوف . ورُبَّ هنا للتكثير ، وهى اسمٌ مبتدأ على ما اختاره الشارح المحقق لا خبر لها ، والجملة التى هى نعت مجرورها قد سدت مسد الخبر ، لا يقدر لها جواب يعمل فى محل مجرورها .

صاحب الشاهد وهو من رجزٍ للبيد بن ربيعة العامريّ الصَّحَابِيّ، أورده ثعلبٌ (فى أماليه) ، وهو :

أشطار الشاهد (لا تزجرُ الفتيانَ عن سوءِ الرَّعَةِ يا رُبَّ هيجًا هى خيرٌ من دَعَه
فى كلِّ يومٍ هامسى مقزَّعَه نحنُ بنو أمِّ البنينَ الأربَعَه
نحنُ خيارُ عامِرِ بنِ صَعصَعَه المُطعمونَ الجَفْنَةَ المُدَعَدَه
والضاربونَ الهامَ تحتَ الخِيضَعَه يا واهبَ المالِ الجزيلِ مِنْ سَعَه
إليكَ جاوزنا بلاداً مَسْبَعَه إِذِ الفلاةُ أوحشتُ فى المِعمَه^(١)
يخبرُكَ عن هذا خبيرٌ فاسمَعَه)

فقال النعمان : ما هو ؟ فقال :

* مهلاً أبيتَ اللَّعنَ لا تأكلُ معه *

فقال النعمان : ولم ؟ قال :

* إِنَّ استَه من برِصٍ مِلمَعَه *

قال النعمان : وما على ؟ ! قال :

(وإِنَّهُ يُدْخِلُ فيها إصْبَعَه يُدْخِلُها حتَّى يُوارى أشْجَعَه
كأنَّما يطلُبُ شيئاً ضَيْعَه)

الرَّعَة : حالة الأحمق التى رَضِيَ بها . وقوله : « مقزَّعة » ، يقول : أنا

(١) فى مجالس ثعلب : « إِذا الفلاة » . والشطر لم يرد فى الأغاني .

أَقَانِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَأَقَاتِلْ . والمدعدة : المملوءة . والخَيْضعة : أصوات الحرب . انتهى .

وهذا السياق مبتورٌ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ . وأوفى ما رأيته ما رواه السيد المرتضى علم الهدى (في أماليه المسماة بغرر الفرائد ، وذرر القلائد) قال :

إِنَّ عُمَارَةَ ، وَأَنْسَاءً ، وَقِيْسًا ، وَالرَّبِيعَ ، بَنِي زِيَادِ الْعَبْسِيِّينَ ، وَقَدُوا عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ . ووفد عليه العامريُّونَ بنو أُمِّ الْبَنِينِ ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ . وهو ملاعب الأَسِنَّةِ ، وَكَانَ الْعَامِرِيُّونَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَفِيهِمْ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ كَلَابٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذُؤَابَةٌ . وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادِ الْعَبْسِيُّ يُنَادِمُ النُّعْمَانَ وَيُكْثِرُ عِنْدَهُ ، وَيَتَقَدَّمُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ، وَكَانَ يُدْعَى الْكَامِلَ لَشَطَاطِهِ وَبَيَاضِهِ وَكَمَالِهِ ^(١) ، فَضَرَبَ النُّعْمَانُ قَبَّةً عَلَى أَبِي بَرَاءٍ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ النَّزْلُ ، وَكَانُوا يَحْضُرُونَ النُّعْمَانَ لِحَاجَتِهِمْ ، فَافْتَخَرُوا يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ ، فَكَادَ الْعَبْسِيُّونَ يَغْلِبُونَ الْعَامِرِيِّينَ . وَكَانَ الرَّبِيعُ إِذَا خَلَا بِالنُّعْمَانِ طَعَنَ فِيهِمْ وَذَكَرَ مَعَايِبَهُمْ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا لِعِدَاوَتِهِمْ لِبَنِي جَعْفَرٍ . لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْرُوهُ ، فَصَدَّ النُّعْمَانُ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَعَ الْقَبَّةَ عَنْ أَبِي بَرَاءٍ ، وَقَطَعَ النَّزْلَ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا فَرَأَوْا مِنْهُ جَفَاءً وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُمْ وَيَقْدِّمُ مَجْلِسَهُمْ ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ غَضَابًا وَهُمُومًا بِالْإِنْصِرَافِ ، وَلَبِيدٌ فِي رَحْلِهِمْ يَحْفَظُ أَمْتَعَتَهُمْ وَيَغْدُو بِإِبِلِهِمْ فِيرْعَاهَا ، فَإِذَا أَمْسَى أَنْصَرَفَ بِهَا . فَأَتَاهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَمْرَ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ تَتَنَاجَوْنَ ؟ فَكَتَمُوهُ وَقَالُوا لَهُ : إِلَيْكَ عَنَّا .

١٧٢

(١) الشطاط ، كسحاب وكتاب أيضا : الطول واعتدال القامة .

فقال : أخبروني فلعلَّ لكم عندى فرجاً . فزجروه فقال : لا والله لا أحفظ لكم ولا أسرِّح لكم بعيداً أو تخبروني . وكانت أم لبيدٍ عبسيَّة في حجر الربيع ، فقالوا له : إنَّ خالك قد غلبنا على المَلِك . وصَدَّ عنا وجهه . فقال لهم : هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك ، فأرجز به رجزاً مُمِضاً مؤلماً . لا يلتفت إليه النُّعمان بعده أبداً ؟ قالوا له : وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم . قالوا : إنَّا نَبْلُوكُ بِشْتَمِ هذه البقلة ، وقُدَّامَهُم بقلَّة دقيقة القضبان ، قليلة الورق ، لاصقة فروعها بالأرض - تدعى التَّربة - فأقتلها من الأرض وأخذها بيده وقال : « هذه البقلة التَّربة الثَّقِيْلَةُ الرَّذْلَةُ ، التي لا تُدَكِّي ناراً ، ولا تسرُّ جاراً ^(١) » ، عودها ضئيلٌ ، وفرعها ذليل ، وخيرها قليلٌ . بلذُّها شاسع ، ونبتها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها قانع . أقصُرُ البقولِ فرعاً ، وأخبثها مرعى ، وأشدُّها قلعا ، فحرباً لجارها وجَدْعاً ^(٢) . ألقوا بي أخا عيس ، أرجعه عنكم بتغس ونكس ، وأتركه من أمره في لَبْسٍ » .

فقالوا : نصبح ونرى فيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، إنَّما تكلم بما جرى على لسانه . وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم . فرَمَقُوهُ بِأَبْصَارِهِمْ فوجدوه قد ركب رَحْلاً يكدم واسطته حتَّى أصبح . فلَمَّا أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبُه ^(٣) . فحلَّقُوا رأسه وتركوا له ذَوَابَتَيْنِ ، وألبسوه حُلَّةً وغَدَّوا به معهم ، فدخلوا على النُّعمان فوجدوه يتغدى ، ومعه الربيعُ ، ليس معه

(١) في أمالي المرتضى : « ولا تؤهل داراً ولا تسرُّ جاراً » و « تسرُّ » بحرفه عن « تسر » كما في الخزائن هنا والأغاني ١٤ : ٩١ .

(٢) الحرب ، بالتحريك : أن ينهب مال المرء ويترك لا شيء له .

(٣) أى صاحب الربيع ، تستطيع مغالته . أو صاحب هذا الأمر لا يقدر عليه غيرك .

غيره ، والدَّار والمجالس مملوءةٌ بالوفد . فلَمَّا فرغ من الغداء أَذِنَ للجعفرَينِ
فدخلوا عليه ، والرَّبيعُ إلى جانبه . فذكروا للنُّعمان حاجَتَهُمْ ،
فاعترَضَهُم الرَّبيعُ في كلامهم ، فقال لبَّيد ، وقد دَهَنَ أَحَدُ شِقَيِّ
رَأْسِهِ ^(١) وَأَرَخَى إِزَارَهُ . وانتعل نعلًا واحدًا - وكذلك كانت الشعراء
تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء - فَمَثَلَ بين يديه ثم قال :

يَارُبُّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مَقْرَعَةً
نَحْنُ بَنَى أُمُّ الْبَنِيْنَ الْأَرْبَعَةَ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةٍ ^(٢)
الْمُطْعِمُونَ الْجَنَّةَ الْمُدْعَدَةَ وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ
مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ إِنَّ اسْتَهَ مِنْ بَرَصٍ مُلْمَعَةٍ
وَأَنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَةً
كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئًا ضِيَعَهُ

١٧٣ فلما فرغ لبَّيدُ التفتَ النُّعمانُ إلى الرَّبيعِ يَرْمُقُهُ شَرًّا . قال : أَكذلك
أنت ؟ قال : كذب والله ابنُ الحَمِقِ اللَّثِيم ؟ فقال النُّعمان : أوفُ لهذا
الطعام ، لقد خُبِثَ عَلَى طَعَامِي . فقال الرَّبيعُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، أَمَا إِنِّي قد
فَعَلْتُ بِأُمَّه ! لَا يَكْتَنِي . وكانت في حجره . فقال لبَّيد : أنت لهذا الكلام
أهل ؟ ! أَمَا إِنَّهَا من نسوةٍ غيرِ فُعْلٍ ، وأنت المرءُ قال هذا في يَتِيمَتِهِ .
ووجدتُ في روايةٍ أُخرى ^(٣) : « أَمَا إِنَّهَا من نسوةٍ فُعْلٍ » . وإِنَّمَا قال ذلك
لأنَّهَا كانت من قومِ الرَّبيعِ ، فنسبها إلى القبيحِ وَصَدَّقَهُ عليها ، تهجينًا
له ولقومه .

(١) في النسختين : « إحدى شق رأسه » ، صوابه في أمالي المرتضى . وفي الأغاني :
« فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته ، وألبسوه حلة » .

(٢) بين هذا الشطر وسابقه في الأغاني :

« سيوف جز وجفان مترعه »

(٣) القائل هو الإمام المرتضى . وفي الأمالي : « قال سيدنا أدام الله علوه » .

فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِهِمْ جَمِيعاً فَأُخْرِجُوا ، وَأَعَادَ عَلَى أَبِي بَرَاءِ الْقُبَّةَ ،
وَانصَرَفَ الرَّبِيعُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَبِعَثَ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ بَضِيعاً مَا كَانَ يَحِبُّهُ بِهِ ،
وَأَمَرَهُ بِالْانْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ
قَدْ وَقَعَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَ لَبِيدٌ ، وَلَسْتُ بِرَأْسِهِ حَتَّى تَبْعَثَ مِنْ يُجَرِّدُنِي
لِيَعْلَمَ مِنْ حَضْرِكَ مِنَ النَّاسِ أَنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ
لَسْتَ صَانِعاً بِانْتِفَاكِكَ مِمَّا قَالَ لَبِيدٌ شَيْئاً ، وَلَا قَادِراً عَلَى رَدِّ مَا زَلَّتْ بِهِ
الْأَلْسُنُ ، فَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ ! ثُمَّ كُتِبَ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ فِي جُمْلَةٍ مَا كُتِبَهُ أَبِيبَانًا
جَوَاباً عَنْ أَبِيَاثَ كَتَبَهَا إِلَيْهِ الرَّبِيعُ مشهورة :

شَمَّرَ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا

تُكْثِرُ عَلَيَّ وَدَعَ عَنْكَ الْأَقَاوِيلَا

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا

فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَا

وقد جاءنا هذا الخبر من عدة طرق ، وفي كل زيادة على الآخر ،
ولم نأتِ بجميع الخبر على وجهه ، بل أسقطنا منه ما لم نحتج إليه . انتهى .
وقال أبو الحسن الطوسي (في شرح ديوان لبيد) : إِنَّ بَنِي أُمِّ
الْبَنِينَ وَجَمَاعَةً مِنْهُمْ ، أَتَوْا النُّعْمَانَ أَوَّلَ مَا مَلَكَ ، فِي أَسَارَى مِنْ
بَنِي عَامِرٍ يَشْتَرُونَهُمْ مِنْهُ . إِلَى آخِرِ مَا أوردناه في الشاهد الثامن والأربعين
بعد المائتين^(١) في شرح قوله :

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا . . . البيت

وساق هذا الخبر كالطوسي الخطيب التبريزي (في شرح ذيل

المعلقات) ، وأورد الأبيات كثعلبٍ إلا البيت الأول ، وقوله :

* يُخْبِرَكَ عَنْ هَذَا خَيْرٌ فَاسْمَعِهِ *

فإنه أسقطهما .

وقوله :

* فِي كُلِّ يَوْمٍ هَامَتِي مَقْرَعَةٌ *

قال السيّد المرتضى : القَرَعُ : تساقط بعض الشعر والصُّوف وبقاء بعضه . يقال كبشٌ أَقْرَعٌ وناقَةٌ قَزَعَاءُ .

وقوله : « نحن بنو أم » إلخ هذا البيت من شواهد سيبويه . أوردته في باب الاختصاص الذي يجرى على ما جرى عليه النداء . قال : وأما قول لبّيد :

* نحن بنو أمّ البنين الأربعة *

فلا ينشدونه إلا رفعا ، لأنه لم يُرَدَّ أن يجعلهم إذا افتخروا أن يُعرفوا بأنّ عدّتهم أربعة ، ولكنه جعل الأربعة وصفاً ثم قال : المطعمون الفاعلون ، بعد ما حلاهم ليُعرفوا . انتهى .

وخالفه المبرد وقال : النصب فيه جيّد على وجهين :

أحدهما : أن أمّ البنين امرأة شريفة ، وبنوها الأربعة كلّهم سيّد ، فيُنصّب (بَنَى) على الفخر .

والوجه الآخر : على معنى أغنى ، بلا مدح ولا ذم .

قال النحّاس بعد ما نقله : هذا الذي ذهب إليه سيبويه صحيح ، ألا تراه قال : إنّه لم يرد أن يجعلهم إلخ . فهذا قولٌ صحيح . فيجوز أن يكون بنو خبر نحن ، والأربعة نعتٌ كما قال سيبويه ، والمطعمون

خبر^(١) بعد خبر. ويجوز أن يكون بدلا من نحن والمطعمون خبر، والأربعة صفة للبنين. فإذا رفع فإنما أفاد هذا التَّسَبُّب. فإذا نصب فالخبر ما بعده، ونصبه على الاختصاص. انتهى.

١٧٤

وكذا ذهب ثعلب^(٢) (في أماليه) قال: بعضهم ينصب بنى، وليس بالوجه، لأنه ليس مدحا يمدح نفسه بأن عددهم أربعة. والعرب تفعل هذا في بنى، ورهط، ومعشر، وآل. قال الفراء: كأنهم قالوا: نحن جميعاً نقول ذلك^(٣). انتهى.

أم البنين

وأم البنين اسمها ليلى بنت عامر. قاله السهيلي (في الروض).

وقال السيد المرتضى: هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب، ولدت له عامر بن مالك ملاعب الأسنّة. وطُفَيْل بن مالك فارس قرزل، وهو أبو عامر بن الطفيل، وقرزل: فرس كانت له. وربيعه بن مالك أبا لبید، وهو ربيع المقتيرين. ومعاوية بن مالك معوّد الحكماء. وإنما لُقّب بهذا لقوله:

أعوّد مثلها الحكماء بعدى إذا ما الحق في الأشياء نابا

وولدت عبيدة الوضاح. فهؤلاء خمسة. وقال لبید: أربعة، لأن الشعر لا يمكنه غير ذلك^(٣).

قال السهيلي: وسمي ملاعب الأسنّة في يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقعة في أيام جبلة، وهي أيام حرب كانت بين قيس وتمم. وجبلة: اسم لهضبة عالية. وسبب تسميته ملاعب الأسنّة أن أخاه

(١) ما بعده إلى «خبر» التالية ساقط من ش

(٢) في مجالس ثعلب ٤٤٣: «نقول ذلك».

(٣) في أمالي المرتضى ٦: ١٩٤: «لم يمكنه من ذلك»

الذى يقال له فارس قُرْزُل ، وهو الطُّفِيل ، كان أسلمه في ذلك اليوم
وَقَرَّ ، فقال شاعر :

فَرَزْتَ وَأَسْلَمْتَ ابْنَ أُمِّكَ عَامراً يُلَاعِبُ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الْمَزْعَرِ
فَسَمِي مَلَاعِبَ الرِّمَاحِ ، وَمُلَاعِبَ الْأَسْنَةِ . قال لبيد :

وَأَبْنَى مُلَاعِبَ الرِّمَاحِ وَمِذْرَةَ الْكَتِيئَةِ الرَّدَاحِ ^(١) . انتهى .

وقال مُغْلَطَايُ (في الزَّهْرِ الْبَاسِمِ ^(٢)) : يَخْدُشُ فِيهِ مَا ذَكَرَهُ سَابِقاً :
أَنَّ عَامَرَ بْنَ مَالِكٍ مَلَاعِبَ الرِّمَاحِ ، وَعَامَرَ بْنَ الطُّفِيلِ مَلَاعِبَ الْأَسْنَةِ
لَقِبَا بَهِمَا مِبَالِغَةً فِي وَصْفِ شَجَاعَتِهِمَا .

ثم قال السُّهَيْلِي : وَسُمِّيَ مَعَاوِيَةَ مَعُوذَ الْحِكَمَاءِ بِقَوْلِهِ :

يُعَوِّدُ مِثْلَهَا الْحِكَمَاءُ بَعْدِي إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ نَابَا ^(٣)

وفي هذا الشعر :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا

وقول السيد المرتضى : إِنَّ لَبِيداً إِنَّمَا قَالَ أَرْبَعَةً وَهَمَّ خَمْسَةً لِحُضُورَةِ
الشعر ، هذا قولُ الْفَرَّاءِ ، وهو قولُ فَارِغٍ . والصواب كما قال ابن
عصفور (في الضرائر) ^(٤) : لَمْ يَقُلْ إِلَّا أَرْبَعَةً ، وَهَمَّ خَمْسَةً ، عَلَى جِهَةِ
الغلط . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مَاتَ وَبَقِيَ أَعْمَامُهُ وَهَمَّ أَرْبَعَةً .

وهو مسبوقٌ بالسُّهَيْلِي فَإِنَّهُ قَالَ : وَإِنَّمَا قَالَ الْأَرْبَعَةَ لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ

(١) المدره : زعيم القوم وخطيئهم والمتكلم عنهم ، وهو أيضا رأس القوم والدافع عنهم .
ط : « مدره » صوابه في ش والروض الأنف ٢ : ١٧٥ وديوان لبيد ٣٣٣ . ويروى :
« وعامر الكتبية » . والرداح : الضخمة الكثيرة .

(٢) الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم ، وعندى منه مضمورة .

(٣) وكذا في الروض . وصوابه « أعود مثلها » كما في القاموس (عود) والمفضليات ٣٥٨ .

(٤) الضرائر ٢٤٩

قد مات قبل ذلك ، لا كما قال بعضُ الناس . وهو قولٌ يعزى إلى
الفراء ، أنه قال : إنما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي .
فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن
يكذب لإقامة الوزن .

وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويلٍ فاسدٍ تأوّله في قوله
سبحانه : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ^(١) ﴾ وقال : أراد جنة واحدة
وجاء بلفظ التثنية لتتفق رؤوس الآي ، وكلاماً هذا معناه . فصصّى صمام
ما أشنع هذا الكلام ، وأبعد عن العلم وفهم القرآن ، وأقلّ هيبةً قائله
من أن يتبوأ مقعده من النار ، فحذارٍ منه حذار .

ومما يدلُّك أنهم كانوا أربعة حين قال لبيدُ هذه المقالة أن في
الخبر يُتَمَّ لبيدُ ^(٢) وصغر سته ، وأن أعمامه الأربعة استصغروه أن يدخلوه
معهم إلى النعمان . فبان بهذا أنهم كانوا أربعة . ولو سكت الجاهلُ
لقلَّ الخلاف . انتهى .

١٧٦

وقوله :

• المطعمون الجفنة المددعة •

الجفنة ، بفتح الجيم : القَصْعة الكبيرة . قال أبو حنيفة (في كتاب
النبات) : ولا آنية أكبر من الجفنة . والمددعة في قول لبيد ^(٣) هي
المملوءة ، فهو بالدال المهملة . قال في الصحاح : ددعت الشيء : ملأته .

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن . ولعله في كتاب آخر للفراء ولم أجده للفراء قد استشهد
بالرجز في معاني القرآن ، ولا ذكر تعليقه باتفاق رهوس الآي . انظر المعاني ٣ : ١١٨ .

(٢) في الروض : « ذكر يتم لبيد » .

(٣) في النسختين : « والمددعة قال لبيد » ، والوجه ما أثبت .

وجفنةٌ مُدْعَعَةٌ أى مملوءة . وقوله : « تحتَ الخَيْضَةِ » بالخاء والضاد المعجمتين . قال السيد : ذكر الأصمعيُّ أنَّ لبيداً قال : تحتَ الخَضَعَةِ يعنى الجلْبَةِ والأصوات ، فغيَّرته الرواة . وقيل : إنَّ الخَيْضَةَ أصواتٌ وَقَعَ السُّيوف . والخَيْضَةُ أيضاً : البيضة التى تُلْبَسُ على الرأس . والخَيْضَةُ : الغبار . والقول يحتمل كُلَّ ذلك ^(١) . انتهى .

وقال أبو عبيدٍ (فى الغريب المصنَّف) : الخَيْضَةُ : البَيْضَةُ . وأنشد هذا البيت :

وردَّ عليه على بن حمزة (فى كتاب التنبيهات) بأنَّ هذا لم يقله أحدٌ قطَّ ، وإنَّما اختلاف أهلِ العلم فى رواية الشعر ، فرواه قوم : تحتَ الخَيْضَةِ كما روى ، وفسَّروه بأنَّ قالوا : الخَيْضَةُ : اختلاط الأصوات فى الحرب . ورواه آخرون : « تحتَ الخَضَعَةِ » وقالوا : هى السُّيوف . وقال أبو حاتم : إنَّما قال لبيدٌ تحتَ الخَضَعَةِ ، فزادوا الياء ^(٢) فراراً من الزَّحاف . انتهى .

وقوله : « بلاداً مَسْبِعةً » البلاد : الأراضى . وأرضٌ مَسْبِعةٌ بالفتح ، أى ذات سباع . والمعجمة . قال صاحب الصحاح : هى صوتُ الحريق فى القَصَبِ ونحوه ، وصوتُ الأبطال فى الحرب . والملمَّع : الذى يكون فى جسده بُقْعٌ تخالف سائرَ لونه . والأشجع : أصولُ الأصابع التى تتَّصل بعصب ظاهر الكف .

وترجمة لبيدٍ تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة ^(٣) .

(١) ط : « يحتمل على ذلك » . ش مع أثر تغيير : « محتمل على ذلك » ، صوابها ما أثبت من أمال المرتضى .

(٢) كذا فى ط والتنبيهات ٢١٩ . وفى ش : « فزاد » ، تحريف .

(٣) الخزائن ٢ : ٢٤٦ .

وأورد ابن الجباب السَّعدى (فى كتاب مساوى الخمر)^(١) حكاية مناسبة رأينا إيرادها هنا ، قال :

ذكر بديعُ الزَّمانَ الهمدانيُّ أنه لاعبَ أبا سعيدٍ ، خليفةَ أبي علىِّ الحسينِ ابنِ أحمدَ بجرجانَ ، الشُّطرنجَ على خاتمين ، قَمَرَهُ البديعُ عليهما ، فأبى أن يعطيه إياهما ، فذكر قصَّةً طويلةً أفضتِ الحالُ فيها بينهما بعد مراسلاتٍ بهجاءٍ من البديعِ وإغلاظٍ من الآخر ، إلى أن اجتمعَ هو والبديعُ على مائدةٍ صاحبه أبي علىِّ الحسينِ .

قال البديع : وكان هذا الرجلُ أقرعَ ، ولم يكن أحدٌ يجسُرُ أن يذكرَ بحضرته القرعَ ولا القرعةَ ، ولا تقارعَ الأقرانِ ، ولا الأقرعَ بنَ حابسٍ ، ولا بنى قُريعٍ ، ولا يقرأ سورة القارعة . فلما وُضعت المائدةُ أمسكتُ عن الطعام ، فقال : مالكَ لا تأكلُ ؟ فقلت : وأشرتُ إلى أبي سعيد :

مهلاً أبيت اللعنَ لا تأكلُ معه	استقذِرْنَهُ وتجنَّبِ قَرعَهُ
فلأنه يُنَجِّى عليها إصبَعَهُ	يحكُّ تلكَ الهامةَ الملمَّعةَ
لا تُدنه وذلك الرأسُ معه	ومُرَّهُ إن أدنيتَه أن يَضَعَهُ
إن لم يزايلَ عن جِماك موضَعَهُ	فارمُ لفرأشك ذا أن يصفَعَهُ

قال : فأطرقت الجماعة ، وبقي الأستاذُ داهشاً ، ثم قال : يا مولاي إن لم يحترشني ما يحترشم المائدة ؟ فقلت له : أطلال الله بقائك ، ما أسرع

١٧٦

(١) سماء فى ٥ : ٣٣٠ « مساوى الخمرة » وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدَيْنِ » . وذكر الميمنى فى الإقليد ١٠٢ أن مجيدراً آباد جزءاً من كتاب « الكشف عن مساوى الخمرة » مخروم الأول .

ما أراك تتقدّر ؟ وحياتِكَ علىّ لأنشدتك فيه ألفَ بيت بعضها يلعنُ بعضاً ، إلا أن يُعطيتِ خاتَمَه عطاءً صُغْرياً^(١) . فقال الأستاذ : أمرُ الخاتَمين أسهلُ ، فما السَّبب ؟ فقصصت القصّة عليه ، فمال إليه وقال : أشهد أنكَ ساقطُ الهمة ، أمّا علمت أنه إن قُمِرَ أو قَمَرَ أعطى الخطرُ ! ثم تناول الخاتَمين وناولنِيهما ، وسألني السُّكوتَ عنه ، وعاهدني أن لا أزيد . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد السبعائة^(٢) :

٧٩٧ (رُبَ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْبَالَ)

على أن الأكثر مراعاة الأصل في وقوع صفة مجرورِ رُبَ جملةً فعليةً سواء كانت مذكورةً أو مقدّرة .

وقد اجتمعاً في هذا البيت . أمّا الأوّل فهو جملة « هَرَقْتَهُ » صفة لرفد ، وهو القدح الكبير . وإراقةُ الرّفْد كنايةٌ عن القتل والإماتة . وأمّا الثاني فإنَّ أسْرَى مجرور بربّ المذكورة بطريق التبعيّة ، ومن معشر متعلّق بأسْرَى ، وصفة أسْرَى محذوف تقديره : حصلّت لي ، ولا جواب لربّ في الموضعين ، لأنّ معنى الكلام تامٌّ لا يفتقر إلى شيء سوى الصّفة المقدّرة . ورُبَّ اسمٌ محلّها الرفع على الابتداء لا خبر لها ، للاستغناء بالصفة عن الخبر . هذا تقدير كلامه .

وأقول : يؤخذ من تقديره (حصلّت لي) أنّ تاء هَرَقْتَهُ مضمومة . وليس كذلك ، فإنّ هذا الكلام خطابٌ للأسود بن المنذر كما يأتي بيانه ، فكان ينبغي أن يقول : حصلّت لك بالخطاب . وقد أصاب فيما يأتي قريباً^(٣) : « وأسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْبَالَ ، أَيْ أَسْرَتْهُمْ » .

(١) أي عن صفار وذلة . والصفير ، بالضم والتحريك : الصفار وذلة .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٢٨ والمفني ٥٨٧ والعيني ٣ : ٢٥١ والمجم ١ : ٩ وديوان الأعشى ١٣ .

(٣) يعني ما أورده الرضي بعد الكلام السابق ، وهو « وأسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ » إلخ . وانظر

وقوله : (رَفَدَ) الرَّفْدُ : القَدْحُ الضَّخْمُ ، وهو قول الأصمعيّ فيما نقله أبو حنيفة (في كتاب النبات) عند ذكر أقسام الأواني ، وضبطه بكسر الراء ، وأنشد هذا البيت وقال : وكذلك المِرْفَدُ بكسر الميم .

وكذا نقل ابن الأنباري (في شرح المفضليات) عن أحمد بن عبيد تلميذ الأصمعي . قال : ورَوَى أحمدُ : « رَبٌّ رِفْدٌ » الرَّفْدُ بالكسر ، وقال هو القَدْحُ . والرَّفْدُ بالفتح : العمل .

قال ابن الأنباري : وقال أبو عبيدة : الرَّفْدُ بفتح الراء : القَدْحُ الضَّخْمُ بما فيه من القرى . والرَّفْدُ بالكسر : المَعُونَةُ . يقال رَفَدْتُهُ عند الأمير ، أى أعنته . (هَرَقْتُهُ) أصله أرقته ، فالهاء بدلٌ من الهمزة .

وقوله : هَرِيقَ رَفْدُهُ كنايةٌ عن الموت ^(١) ، هو أحد قولين . قال الزمخشري (في أساس البلاغة) : هَرِيقَ رَفْدٍ فلانٍ ، إذا قُتِلَ ، كما يقال : صَفِرَتْ وطابُهُ ، وَكُفِّتْ جَفْنَتُهُ .

وقال ابن الأنباري عند قول سلمة بن الخُرشب الأُمَاري :

هَرَقْنِ بِسَاحِقٍ جِفَانًا كَثِيرَةً وَغَادَرْنِ أُخْرَى مِنْ حَقِيقٍ وَحَازِرٍ

قوله : هَرَقْنِ ، يعنى الخيل . وسَاحِقٌ : موضع . أى قَتَلْتُ أَصْحَابَ الجِفَانِ وَمَنْ كَانَ يَقْرِي فِيهَا وَيَحْتَلِبُ ، فَكَأَنَّهَا لَمَّا قَتَلْتُ أَصْحَابَهَا هَرَاقَتَهَا ، كما قال الأعشى : رَبُّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، إلخ . ومثله قول امرئ القيس :

وَأَفْلَتْنَهُنَّ عِلْبَاءَ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفِيرَ الْوُطَابِ

(١) نص الرضى في ٢ : ٣٠٨ : يقال هريق رَفْدُهُ ، إذا مات ، وهو كناية كقولهم :

صَفِرَتْ وَطَابُهُ .

وعِلباءُ : رجل . والجريض : الذى قارب الموت ، فهو يجريض
بريقه ، أى يَغْصُ . والوطاب : جمع وَطَب . وهو سِقَاءُ اللَّبَنِ .

١٧٧

وقوله « وغادرَ أخرى » أى تركَنَ جِفَاناً لم يُرْقِنَهَا . وروى : « وأدين
أخرى » أى جئنَ بأسرى وغير ذلك . فاللفظ على اللَّبَنِ والمعنى على
القَوْمِ . وقوله : « من حَقِينِ وحازر » أى من سيِّدٍ شريفٍ ودون ذلك .
ومثله قولُ أبى زُبَيْد :

يا جَفَنَةً كنضِيجِ الحَوْضِ قد كُفِثَتْ
بِثْنَى صِفِينِ يعلو فوقها القَتَرُ^(١)
أى قَتِلَ صاحبُها فذهبتْ وبطلت . ومثله قولُ الآخر :

وماذا بالقلبِ قلبِ بدرٍ من الشَّيزَى تُكَلَّلُ بالسَّنامِ^(٢) . انتهى
وكذا (فى شرح الفصيح للمرزوق) قال فيه : الصَّفَرُ بالكسر :
الخالى ، يقال صَفِرَتِ الآيَةُ تَصْفَرُ صَفْراً ، فهى صَفِيرَةٌ . وقيل اشتقاق
الصَّفَرُ فى الشهور منه ، لأنَّ وطائبهم كانت حينئذ تخلو من الألبان .
ويقال فى الكناية عن الهلاك : صَفِرَتْ وطائبهم . وهذا كما يقال :
أريقَ جفانهم . انتهى .

وكذا نقل ابن المستوفى عن الأصمعى ، قال : يريد قتلت صاحب
ذلك الرَّفْدِ فبطل رِفْدُهُ . والرَّفْد : اللَّبَنُ والعطية والمعونة . والرَّفْدُ المصدر .

(١) ط : « يفتص » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ديوان أبى زبيد ٦٩ ، وفى جمهرة ابن دريد ٢ : ١٢ : « قد تركت بثنى صفين يجرى فوقها » . والقتر والقتر بالتحريك فهما : الذبابة

(٣) لأبى بكر شداد بن الأسود بن شعوب اللبثى ، فى السيرة ٥٣٠ . واللسان (شيز) ،
والشيزى : شجر تتخذ منه الجفان ، وبه سميت الجفان شيزى .

ويقال للقَدَح الذي يُقْرَى فيه رِفْد . والرَّفْد : المِخْلَب الذي يُحْلَب فيه . وأما القول الآخر فهو نهبُ الماشية وأخذُها .

قال شارح ديوان الأعشى : معناه رُبَّ رجلٍ كانت له إبِلٌ يحلبُها فاستَقَّتْها فذهب ما كان يحلبُه في الرَّفْد وهو القَدَح . وقوله : (وأسرى) : هو جمع أسير كجرَحَى جمع جريح . و (المعشر) : الجماعة من الناس . و (أقيال) روى بالثناة التحتيّة والفوقيّة . أما الأوّل فهو جمع قَيْل بفتح القاف مخفف قَيْل كسيّد ، وهو الملك مُطلقاً ، وقيل الملك من مُلوك حمير ، وقيل هو دون الملك الأعلى ، سَمِيَ به لأنّه يقول ما يشاء فينفذ . والمرأة قَيْلَة ، ويجمع على أقوالٍ أيضاً ، حكاه ابنُ السكيت . فالأوّل على اللفظ والثاني بالنظر إلى الاشتقاق من القول ، كما قالوا في جمع ريح أرياح وأزواج .

وقال الدماميني (في الحاشية الهندية) : وقال جماعة : لهذه الكلمة اشتقاقان : فَمَنْ قال أقوال فهو من القول ، ومن جَمعه على أقيال فهو من قولهم : تَقِيلُ أباه ، أى اتّبعه في النسب ، كما تسمى تَبَعاً مَنْ تَبَعَ الذي قبله في المُلْك . قال هؤلاء : ولو كان من القول لم يَجُزْ في جمعه إلّا أقوال ، كما لا يقال في الميت المخفف إلّا أموات ولا يقال أميات على اللفظ . قال ابن الشجري : ولا يلزم ذلك ، لأنهم قالوا من جَفوت ومن الشَّوب : مجفُوٌّ ومَشُوبٌ على الأصل ، ومجفُوٌّ ومَشِيبٌ على لفظ جُفِيَ وشِيبَ . ولم يطرّدوا ذلك في نحو مغزُوٍّ ومدعوٍّ ، فلم يقولوا مَغزَى ومدعى وإن قالوا غَزَى ودُعِيَ . فكذلك قالوا أقيال على لفظ قَيْل وإن لم يقولوا أميات . قلت : يُردّ هذا بأنّه لا يَصَارُ إلى خلاف الأصل ما وُجِدَ عنه

مندوحة . ولا شك أن جمع قَيْل المشتق من القول على أقيال رعاية^(١) للفظ الياء خارج عن الأصل ، فإذا وُجِدَ^(٢) مشتقاً عند جمعه كذلك من التقييل لم يخرج عن الأصل ، لكان قول أولئك الجماعة بالاشتقاقين هو الراجح لا محالة . انتهى كلامه .

وأما الرواية بالثناء الفوقية فهو « جمع » قَتَلَ بكسر القاف وسكون المثناة ، وله معنيان : أحدهما العدوُّ المقاتل . والثاني الشَّبه والنَّظير . أى العِدْلُ فى المقاتلة ، كما يقال سبُّ للعديل فى المُسَابَةِ . يقال هما قَتْلَانِ أى مثْلان . وكلُّ منهما قَيْلٌ به هنا .

١٧٨

قال ابن الأنباري : وقول الأعشى : « من معشر أقتال » يعنى الأعداء والقَتَلَةُ الذين قتلوا أصحابك . وأمّا أبو عُبَيْدة فإنه قال : هم الأشباه . وأنشد في أنهم الأعداء لابن قيس الرقيات :

واغترابى عن عامر بن لؤى^(٣) فى بلادٍ كثيرةٍ الأقتالِ

وأنشد أحمد فى القتلِ المثل والشَّبه ، فى وصف بعيرين :

من كلِّ قَتْلَيْنِ إذا ما ازدحمَا أدرك هذا غَرَبَ هذا بعدما

أغربَ ذاك ذرعه فانصرما

وقولُ الشارح المحقق : إنَّ صفةَ أسرى محذوفة تقديرها ما ذكره ، هذا مستغنى عنه بجعل من معشر متعلّقاً بفعل صفة لَأَسْرَى ، والتقدير

(١) ش : « مراعاة » .

(٢) ط : « جعل » .

(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ١١٣ واللسان (قتل ٦٨) .

وَأَسْرَى حَصَلَتْ مِنْ مَعْشَرِ أَقْبَالٍ ، كَمَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (فِي الْمَقْصَلِ) :
هَرَقْتَهُ وَمِنْ مَعْشَرٍ : صَفَتَانِ لِرِفْدٍ وَأَسْرَى .

وَكَانَ الشَّارِحَ عَلَّقَ مِنْ مَعْشَرٍ بِأَسْرَى ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى رَبٍّ مَاخُودِينَ مِنْ
مَعْشَرٍ . وَلَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَا اخْتَارَهُ الشَّارِحُ مِنْ جَعْلِ رَبٍّ مُبْتَدَأً لَا خَبَرَ لَهُ مُخَالَفٌ
لِلْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ .

أَمَّا الْبَصْرِيُّونَ فَقَدْ قَالُوا : إِنَّهَا حَرْفٌ لِأَنَّهَا لَا تَقْبَلُ شَيْئًا مِنْ خَوَاصِّ
الْأَسْمِ ، مِنْ الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَالْإِضَافَةِ ، وَعَوْدِ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ ، وَدُخُولِ أَلِ
وَالْتَّنوينِ . وَلِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ أَسْمًا لَجَازَ أَنْ يَتَعَدَّى إِلَيْهَا الْفِعْلُ بِنَفْسِهِ
إِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًا وَبِحَرْفِ الْجَرِّ إِنْ كَانَ لَازِمًا ، فَيَقَالُ : رَبٌّ رَجُلٍ أَكْرَمْتُ
وَبَرَبٌّ رَجُلٍ مَرَرْتُ ، كَمَا يَقَالُ : كَمْ رَجُلٍ أَكْرَمْتُ وَبِكَمْ رَجُلٍ مَرَرْتُ ،
إِذْ لَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أَسْمٌ يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الْفِعْلُ بِنَفْسِهِ ^(١) إِلَّا وَيَجُوزُ أَنْ
يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الْفِعْلُ اللَّازِمُ ^(٢) بِوَسْطَةِ حَرْفِ الْجَرِّ . وَالشَّارِحُ مُعْتَرِفٌ بِجَمِيعِ هَذَا .

وَأَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَقَدْ قَالُوا : إِنَّهَا أَسْمٌ مِثْلُ كَمْ ، وَقَالُوا : مُحَلُّهَا رَفْعٌ
بِالْإِبْتِدَاءِ فِي قَوْلِنَا : رَبٌّ رَجُلٍ كَرِيمٍ لَقِيْتُهُ ، وَفِي نَحْوِ : وَرَبٌّ قَتَلَ عَارِ .
وَمَحَلُّهَا نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ فِي نَحْوِ : رَبٌّ ضَرَبَ ضَرْبَتٌ ، مِثْلُ كَمْ ضَرْبَةٍ
ضَرْبَتٌ . وَعَلَى الظَّرْفِ فِي نَحْوِ : رَبٌّ يَوْمٍ سَرْتُ ، مِثْلُ كَمْ يَوْمٍ سَرْتُ .
وَعَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ فِي نَحْوِ : رَبٌّ رَجُلٍ ضَرْبَتٌ ، نَحْوِ : كَمْ رَجُلٍ ضَرْبَتٌ .

وَالشَّارِحُ تَبَعَ الْكُوفِيِّينَ فِي اسْمِيَّتِهَا ، وَخَالَفَهُمْ فِي جَعْلِهَا مُبْتَدَأً لَا خَبَرَ
لَهُ أَبَدًا . وَهَذَا لَا يَتِمُّشِي لَهُ فِي نَحْوِ : رَبٌّ ضَرْبَةٍ ضَرْبَتٌ ، وَلَا يَطْرُدُ لَهُ

(١) ط : « يَتَعَدَّى إِلَى الْفِعْلِ بِنَفْسِهِ » ، صَوَابُهُ فِي ش

(٢) ط : « بِالْفِعْلِ اللَّازِمِ » ، صَوَابُهُ فِي ش

في المكشوفة بما كتموله تعالى : ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا^(١)﴾ كما اعترف به ، وجعلها في هذا حرفاً . وجعلها نوعين بحسب الاستعمالين مع اتّحاد المعنى ، تعسّف لا ضرورة تدعو إليه .

وما أورده من الإشكاليين على حرفيّتها يضحّلان بجعلها حرفاً زائداً لا يتعلّق بشيء ، وهو مذهب جماعة من النحويين ، كالباء ومن الزائدين في نحو : ﴿كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً^(٢)﴾ ، و﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ^(٣)﴾ ، ولعلّ الجارّة في لغة عقيل ، ولولا الجارّة الضمير نحو : لولاي ولولاك ولولاه ، وكاف التشبيه ، وحرف الاستثناء وهو خلا وعدا وحاشا إذا خفّض . فهذه الحروف كلّها لا تتعلّق بشيء . ذكرها ابن هشام (في الباب الثالث من المغني) . فيكون محلّ مجرور ربّ في نحو : ربّ رجل كريم عندي ، رفعاً على الابتداء ، ومنه :

• وربّ قتلٍ عار^(٤) •

وفي نحو : ربّ رجل كريم لقيتُ ، نصباً على المفعولية ، ولا يجوز أن يكون مبتدأً والجملة بعده خبر والرابط محذوف ، أي لقيته ، لأنّ ١٧٩ في ذلك تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه . ومثله : «ربّ رقد هرقته» . البيت . وكذلك : «أسرى من معشر» فإنّه بتقدير : أسرتهم . وفي نحو : ربّ رجل كريم لقيته ، رفعاً أو نصباً ، وفي نحو : ربّ ضرب ضربتُ ، نصباً على المفعول المطلق ، وفي نحو : ربّ يوم سرت ، نصباً أيضاً على الظرف .

(١) الآية الثانية من سورة الحجر .

(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء وآيات أخرى .

(٣) الآية ٣ من سورة فاطر .

(٤) قطعة من الشاهد ٧٩٨ فيما ساقى .

والدليل على ما ذكرنا أنه يجوز مراعاة محلّ مجرورها كثيراً نحو :
 ربّ امرأةٍ صالحةٍ لقيتُ ورجلاً صالحاً ، وإنّ لم يجر نحو : مررت بزيد
 وعمراً إلّا قليلاً ، كما يأتى نقله من المغنى .

لكنّه قال فى الكلام على أقسام العطف على المحلّ : إنّ له ثلاثة
 شروط : أحدها إمكان ظهور ذلك المحلّ فى الفصيح . وهذا الشرط مفقود
 هنا ، ولعله مستثنى منه .

وقد ذهب ابن هشام (فى الباب الثالث من المغنى) إلى أنّها لا تتعلّق
 بشئٍ ، فقال : الرابع أى مما استثنى من قولهم : لا بدّ لحرف الجرّ من
 متعلّق : ربّ فى نحو : ربّ رجلٍ صالحٍ لقيتُه أو لقيت ، لأنّ مجرورها
 مفعولٌ فى الثانى ومبتدأ فى الأوّل ، أو مفعولٌ على حدّ : زيداً ضربته ، ويقدر
 الناصب بعد المجرور به ، لا قبل الجارّ ، لأنّ ربّ لها الصّدر من بين
 حروف الجرّ ، وإنّما دخلت فى المثاليين لإفادة التّكثير أو التّقليل ،
 لا لتعديّة عامل . هذا قول الرّمّانى وابن طاهر . وقال الجمهور : هى
 فيهما حرفُ جرٍّ مُعدّ . فإنّ قالوا : إنّها عدّت العامل المذكور فخطأ ، لأنّه
 يتعدّى بنفسه ، ولاستيفائه معمولّه فى المثال الأوّل . وإنّ قالوا : عدّت
 محذوفاً تقديره حصّل أو نحوه كما صرّح به جماعة ، ففيه تقديرٌ
 لما معنى الكلام مستغن عنه ^(١) ولم يُلفظ به فى وقت . انتهى .

وقال أيضاً (فى بحث ربّ من الباب الأوّل) : وتنفرد ربّ بوجوب
 تصديرها ، ووجوب تنكير مجرورها ، ونعته إن كان ظاهراً ، وإفراجه
 وتذكيره وتمييزه بما يطابق المعنى إن كان ضميراً ، وغلبة حذف مُعدّها

(١) ط : « مستغنى عنه » ، صوابه فى ش .

ومضيه ، وإعمالها محذوفة بعد الفاء كثيراً ، وبعد الواو أكثر ، وبعد
بَلْ قليلا ، وبدوننْ أَقْلَ . وبأئنها زائدة في الإعراب دون المعنى ، فمحلُّ
مجرورها في نحو : رَبَّ رجل صالح عندي رفعٌ على الابتداء . وفي نحو : رَبَّ
رجل صالح لقيتُ نصبٌ على المفعولية . وفي نحو : رَبَّ رجل صالح
لقيته ، رفعٌ أو نصب . كما في زيداً لقيته . ويجوز مراعاة محله كثيراً
وإن لم يجز نحو : مررت بزيد وعمراً ، إلّا قليلا . قال :

وَسَيِّئَ كَسْنِيَّتِي سَنَاءً وَسُنْمًا ذَعَرْتُ بِمِدْلَاجِ الْهَجِيرِ نَهْوَضٍ ^(١)

فعطفُ سُنْمًا على محل سَيِّئَ . والمعنى : ذعرت بهذا الفرس ثوراً وبقرة
عظيمة . وسُنِّيَق : جبل بعينه . وسَنَاءً : ارتفاعاً . وزعم الزجاج وموافقوه
أنَّ مجرورها لا يكون إلّا في محل نصب . والصواب ما قدّمناه . انتهى .

وقوله : «بوجوب تصدُّرها» ، أى في جملتها ، وإن كانت مبنية على
ما قبلها . ألا ترى أنَّ ما حرفُ نبي له صدر الكلام ، وأنه يصحُّ : إنَّ
زيداً ما قام . وكذلك رَبَّ تقع جملتها خبراً لأنَّ ، نحو :

أَمَاوِيَّ إِنِّي رَبُّ وَاحِدِ أُمِّهِ أَخَذْتُ فَلَ قَتْلُ لَدَيَّ وَلَا أَسْرُ ^(٢)

وخبراً لأنَّ المخففة ، كقوله :

تَيَقَّنْتُ أَنَّ رَبَّ أَمْرِي خَيْلَ خَائِنًا أَمِينٍ وَخَوَانٍ يُخَالُ أَمِينًا ^(٣)

وجواباً للواو . وهو غريبٌ كقوله :

وَلَوْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ كَيْفَ خَلَفْتُهُمْ لَرُبُّ مُقَدِّ فِي الْقَبْسُورِ وَحَامِدٍ

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٧٦ واللسان (ستق) . وفي ط : « ذعرت » في البيت وتفسيره ،
صوابه في ش والديوان واللسان .

(٢) لحاتم الطائي ، وهو الشاهد ٢٨٦ في الخزانة ٤ : ٢١٠ .

(٣) مع الموامع ١ : ١٤٣ / ٢ : ٢٦ .

ومنع أبو حيَّان وجوبَ تصدُّرها ، هذه الأبيات ، وغلَط فيه .

وقوله : « وغلبة حَذَف مُعَدَّاهَا » أى متعلِّقها . وكان ينبغي أن لا يذكر هذا ، فإنَّه لا يناسب ما اختاره من عدم التعلُّق بشئ .

وأجاب عنه الشُّمْنِيُّ بأنَّ مراده به الفعل الذى مجرورها مفعولُه .

وقوله « وبأَنَّها زائدة فى الإعراب » ، أورد عليه بأنَّ هذا لا يختصُّ برَبِّ ، بل لعلَّ ولولا وأخواتهما كذلك . وهو حقٌّ . ويمكن أن يجاب بأنَّ ربَّ تنفرد بجميع ما ذُكر لا بكلِّ واحد .

وقوله : « لأنَّ مجرورها مفعول فى الثانى » قيل فيه أمران : الأوَّل أنَّ كونه مفعولاً لا ينافى التعلُّق . والثانى أنَّ التعلُّق معناه أنَّ المتعلِّق معمولٌ بحسبِ المحلِّ ، إلَّا أنَّ يراد أنَّه مفعولٌ لفعلٍ يتعدَّى بنفسه فلا حاجة لتعلُّق الحرف ، بمعنى تعديته للفعل ، بدليل مقابله هذا الكلام بقوله : « وقال الجمهور هى فىهما حرف جر مُعَدٌّ » . ثمَّ إنَّه يمكن الجواب عن اعتراضه على الجمهور ^(١) باختيار الشَّقِّ الأوَّل ، وتعدَّى الفعل بنفسه لا يمنع تعدُّيه بالحرف إذا قُصِدَ معنى لا يحصل بدون تعدُّيه بذلك الحرف ، فإنَّه لو عدَّى هنا بنفسه فات معنى التقليل أو التكثير . ونظيره صحَّة قولك : أخذت من الدراهم ، فعديت الفعل بمن لإفادة معنى التبعية وإن كان يتعدَّى بنفسه . وأخذُ مفعولِه فى المثال الثانى لا يمنع جعله معمولاً لمثله ، كما فى : زيداً ضربته .

واعترض الدمامينى على الجمهور بأنَّه لو كان كما يقولون لم يُعطف على محلِّ مجرورها رفعاً ونصباً فى الفصيح ، وقد جاز كما تقول : ربَّ رجلٍ وأخاه أكرمتُ ، فيجعلون لها حكم الزائد فى الإعراب وإن لم تكن زائدة فى المعنى . ولا يجوز فى الفصيح : بزيدٍ وأخاه مررت .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدة للأعشى ميمون ، أولها :

(ما بكاء الكبير بالأطلال سُؤالي وما يردُّ سُؤالي)

وتقدّم شرحه مع أبيات منها قريباً .

ومدح بهذه القصيدة الأسود بن المنذر ، أخا النعمان بن المنذر اللخمي ، وكان قد أغار على الحليفين أسد وذبيان ، ثم أغار على الطّف ، فأصاب نَعْمًا وأسرى ، وسبى من بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة رهط الأعشى ، والأعشى غائب ، فلما جاء إليه وأنشده هذه القصيدة سأله أن يهب له الأسرى ففعل . وهذه أبيات منها يخاطب ناقتة :

أبيات الشاهد

ع ولا من حَتَّى ولا من كَلالِ	(لا تَشْكِيْ إِلَى من أَلَم النَّسْ
وَدَ أَهْلَ النَّدى وَأَهْلَ الفَعَالِ	لا تَشْكِيْ إِلَى وانتجى الأَسْ
لِ غَزِيرُ النَّدى شَدِيدِ المِحَالِ	فِرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ في غُصْنِ المَجْ
قٌ وَحَمْلٌ لِّلْمُعْضِلَاتِ الثَّقَالِ	عِنْدَهُ البِرُّ والتقى وَأَسَا الشَّ
سُ وفَكَ الأَسْرَى من الأَغْلَالِ	وَصِلَاتُ الأَرْحَامِ قد عِلِمَ النَّا
رِ إِذَا ما التَقَتْ صُدُورُ العَوَالِ	وَهَوَانُ النَّفْسِ الكَرِيْمَةِ لِلذِّكْ
تِ حِبَالٌ وَصَلَتْهَا بِحِبَالِ ^(٢)	ووفاء إِذَا أَجَزْتَ فما عَزَّ
رَةٌ كَانَتْ عَطِيَّةَ البُخَالِ	وعطاء إِذَا سَأَلْتَ إِذَا العِذْ
مُ رَكُودًا قِيَامَهُمُ لِلْهَلالِ	أَرِيحِيْ صَلَّتْ تَظْلُ لَه القَوُ
طِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لا يُبَالِ	إِنْ يَعاقِبُ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يَئِ
تَانِ تَحْنُو لِلدَّرْدِ أَطْفالِ	يَهَبُ الجِلَّةُ الجَرَّاجِرُ كالبُسْ
سَرِيحٍ وَالشَّرْعِيَّ ذَا الأَذْيالِ	والبغايا بِرُكُضْنِ أَكْسِيَّةِ الإِضْ

١٨١

(١) مع الهوامع ٢ : ٢٦ .

(٢) في ديوان الأعشى ١٠ : « فاغرت » .

والمكاكيك والصّحاف من الفِ
وجياداً كأنّها قُضِبُ الشّو
ودُروعا من نسجِ داودَ في الحر
لم يُنْشَرْنَ للصّديق ولكن
ربّاً رَفِدَ هرقته ذلك اليو
وشيوخ حَرَبَى بِشَطِّ أريك
وشريكين في كثير من الما
قَسَمَا الطّارِفَ التّليدَ من الغنْد
لن يزلوا كذلّكم ثمّ لا زِلَا
ضّة والصّامرات تحت الرّحال
حَطِرَ يَحْمِلْنَ شِكَّةَ الأبطال
بِوُسُوقًا يُحْمَلْنَ فوقَ الجمال
لقتال العدوَّ يومَ القتال^(١)
مَ وأسرى مِنْ معشرٍ أقيال
ونساء كأنّهنَّ السّعالِي^(٢)
ل و كانا مُحالِفَي إقلال
م فأبَا كلاهما ذُو مال
مَ لَمْ خالداً خلودَ الجبال

قوله : « لا تَبْشَكُنِي إِلَى مِنْ أَلَمْ النَّسْع » إلخ هو بكسر النون وسكون
المهملّة ، واحده نِسْعَة ، وهى التى تُنْسَج عريضاً للتّصدير . والحَقَى
بفتح المهملّة والقصر : رَقّة الخُفّ والحافر والقدم ، من كسرة المشى .
والكَالَال : مصدر كلّ البعير وغيره من المشى ، إذا أَعْيَا . والنَّدَى :
الجُود . والفَعَال بالفتح : الكرم والجميل . وغزير : كثير . والمحال ،
بالكسر : القوّة ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾^(٣) . كذا فى العباب .

وقوله : « وَأَسَا الشَّقِّ » قال شارح ديوانه : أى التّثام الشَّقِّ ، ومن ذلك
سَمَى الآسَى الذى يَأْسُو الجُرْح . والمُعْضِلَة : المشكِلة ، أى وعنده حملٌ
للأُمُور المعضلات ، وعنده فَكُّ الأسرى . والأَغْلال : جمع غُلٍّ بالضم ،
وهو ما يوضع فى عُنُق الأسير ونحوه من سلسلة حديدٍ أو قَدِي .

(١) فى الديوان : « لم ييسرن للصديق » .

(٢) فى الديوان : « بشطى أريك » ، بالتثنية .

(٣) الآية ١٣ من سورة الرعد .

وقوله : « وهَوَانٌ » أى وعنده هوانٌ أى إهانة النفس فى الحرب .
والعوالى : جمع عالية ، وهى من مدخل السنان فى الرُمح إلى ثلثه .
وصدورها : أوساطها .

وقوله : « ووفاءٌ » أى وعنده وفاءٌ ، إذا أجرت أحداً من أن يظلمه ظالم
فينبى بإجارة من أجارَ من أصدقائه ، فكيف لا ينبى هو بإجارة من يُجيره .
وهذا خطابٌ لكل من يصلح معه الخطاب . وكذا قوله : « وعطاءٌ إذا سألتَ »
أى وعنده عطاءٌ إذا سألتَه . والعذرة بالكسر : العذر ، أى هو يُعطى
ولا يَعتذر ، كما أن البخلاء يعتذرون ولا يُعطون . و« عَزَّ » من العِزَّة وهى
القلة . والحيال مستعارة للعهود .

والأزْيَحَى : الذى يَرْتاح للعطاء . والصَّلَت بالفتح ، قال شارحه :
هو القاطع . والراكد : القائم ، فيكون قيامهم مصدراً تشبيهاً .

والغرام ، بالفتح ، قال شارحه : هو المَوْجِع .

وقوله : « يَهَبُ الجِلَّة » بالكسر ، جمع جليل ، وهى الإبل المسنة .
والجَرَّاجِرُ بجيمين ، قال صاحب الصحاح : هى العظام من الإبل .
وأنشد هذا البيت . قال : وكذلك الجُرْجور . وقال شارحه : ويروى
الجراجير ، جمع جُرْجور وهى الإبل الكثيرة . وتَحْنُو : تَعْطِف . والدَّرْدَقُ :
الصغار من أولادها ، شَبَّها بالبستان .

وقوله : « والبغايا » أى ويَهَبُ البغايا ، قال شارحه : البغايا هنا : أولاد
الإماء . والإضريح : الأخضر من الخَزْ^(١) . وفى الصحاح : الشرعيُّ :
ضربٌ من البرود .

(١) بعده فى ش : « والشرعي : ضرب من البرود » ، فقط .

وقوله: « والمكاكيك » أى ويهبُ المكاكيك ، قال شارحه : المكاكيك :
آنية يُشرب فيها الخمر . والصّحاف : القصاص . والضامرات : النّجُب
من الإبل .

وقوله : « وجياداً » أى ويهبُ خيلاً جياداً . والقُضْب : جمع قضيب
وهو فرعُ الشّجر ، شَبَّها به لضمّرها . والشّوْحط : ضرب من شجر الجبال
يُتخذ منه القِيِي . قال شارحه : والشّكّة : السّلاح الكامل .

وقوله : « ودروعاً » أى ويهبُ دروعاً . قال شارحه : الوسوق : الأحمال ،
جمع وَسَق . ويُحْمَلْنَ بالبناء للمفعول . وكذلك قوله : « لم يُنْشَرْنَ » .
وقوله : (رَبِّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ) إلخ ، خطابٌ مع الأسود بن المنذر يمدحه
بكثرة قتله وكثرة أسره .

وقوله : « وشيوخ » بالجر عطف على مدخول رُبِّ ، وكذا قوله : « ونساء » ،
يقدّر في الثلاثة سَبَيْتَهُمْ . وحَرْبِي : جمع حَرِيب ، من حُرِبَ الرَّجُلُ
ماله أى سُلَيْبَه ، فهو محروبٌ وحَرِيب .

وقوله : « وشريكين » معطوف أيضاً على مجرور ربِّ ، وهو في محل
رفع على الابتداء . و« في كثير » متعلّق به ، وجملة « قَسَمَا » من الفعل
والفاعل خبره . وَصَرَعَى : جمع صَرِيع ، أى مقتول . والمخالفة :
المصاحبة . والإقلال : الفقر والحاجة . والطارف : المال المستحدث .
والتليد : المال القديم ، وحرف العطف منه محذوف . والغنم بالضم :
الغنيمة . وآبَا : رجّعا . يقول : كانا فقيرين فلما غَزَوَا معك استغنياً ، فقَسَمَا
بينهما مالَ الغنيمة الذي كان عند صاحبه طارفاً وتليداً .

قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : أريك ، بفتح الهمزة
وكسر الراء المهملة وآخره كاف : موضعٌ في ديار غَنَى بن يَعْصَر . وقال

أَبُو عُبَيْدَةَ: أَرِيكَ فِي بِلَادِ ذُبْيَانَ ، قَالَ : وَهُمَا أَرِيكَانَ : أَرِيكَ الْأَسْوَدَ وَأَرِيكَ الْأَبْيَضَ . وَالْأَرِيكَ : الْجَبَلُ الصَّغِيرُ . قَالَ : وَبِشْطُ أَرِيكَ قَتْلُ الْأَسْوَدُ بَنَى ذُبْيَانَ وَبَنَى دُودَانَ ، وَسَبَى نِسَاءَهُمْ . قَالَ الْأَعْشَى فِي مَدْحِهِ الْأَسْوَدَ :

وَشِيْخٌ صَرَعَى بِشْطَ أَرِيكَ الْبَيْتِ
وَيَدْلُكَ عَلَى أَنَّ أَرِيكَاً جَبَلٌ مُشْرِفٌ قَوْلُ جَابِرِ بْنِ حُنَيٍّْ ^(١) يَصِفُ نَاقَةً :
تَصَعَّدُ فِي بَطْحَاءِ عِرْقٍ كَأَنَّمَا تَرَقَّى إِلَى أَعْلَى أَرِيكَ بِسُلْمٍ ^(٢)
وَقَالَ الْأَخْفَشُ : إِنَّمَا سَمِيَ أَرِيكَاً لِأَنَّهُ جَبَلٌ كَثِيرُ الْأَرَاكِ . انْتَهَى .
وَقَالَ أَيْضاً (فِي شَرْحِ أَمَالِي الْقَالِ) : هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ :
« رَبِّ رَفِدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ » هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَغَارَ فِيهِ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمَنْذَرِ
عَلَى الطَّفِّ فَأَصَابَ نَعَمًا وَأَسْرَى مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ ضُبَيْعَةَ رَهْطِ الْأَعْشَى ،
وَذَلِكَ مُنْصَرَفَهُ مِنْ غَزْوِ الْحَلِيفِينَ أَسَدٍ وَذُبْيَانَ . وَكَانَ الْأَعْشَى غَائِبًا ، فَلَمَّا
قَدِمَ وَجَدَ الْحَيَّ مُبَاحًا ، فَأَنشَدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ الْأَسْرَى ،
فَفَعَلَ . انْتَهَى .

وَالطَّفُّ : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ الْعِرَاقِ مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ ^(٣) ، وَهَنَّاكَ الْمَوْضِعُ
الْمَعْرُوفُ بِكَرْبَلَاءَ ، الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] ^(٤) .
وَقَوْلُ الْبَكْرِى (فِي مَعْجَمِهِ) : وَالصَّحِيحُ أَنَّ الطَّفَّ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ
الْبَصْرَةِ غَلَطٌ وَخَطَأٌ .

وَسَبَبُ غَزْوِ الْحَلِيفِينَ هُوَ مَا ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ (فِي الْأَغَانِي) : أَنَّ الْحَارِثَ

(١) ط : « حَيٍّ » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَمَعْجَمِ الْبَكْرِى ١ : ١٤٤ وَالْمُفَضَّلِيَّاتُ .

(٢) الْبَيْتُ ١٠ مِنَ الْمُفَضَّلِيَّةِ ٤٢ ص ٢١٠ ، وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « تَصْعَدُن » ، تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ فِي الْمُفَضَّلِيَّاتِ وَمَعْجَمِ مَا اسْتَعْمَجَ ، لِأَنَّهُ فِي صِفَةِ نَاقَةٍ وَاحِدَةٍ .

(٣) ش : « بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ » ، وَمَا أَثْبَتَ مِنْ طِ يُوَافِقُ مَا فِي مَعْجَمِ مَا اسْتَعْمَجَ .

(٤) التَّكْلَةُ مِنْ شِ .

ابن ظالم المرئي لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب العامري ، وهو نازل عند النعمان بن المنذر : سأل الأسود بن المنذر عن أمر يبلغ من الحارث ، فقال عروة بن عتبة : إن له جارات ، ولا أراك تنال منه شيئاً هو أغلظ عليه من أخذهن وأخذ أموالهن . ففعل فبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فخرج من الحيين فدخل في غمار الناس حتى عرف موضع جاراته ومرعى إبلهن ، فجمعهن مع أموالهن ، وسار معهن حتى استنقذهن^(١) .

قال أبو عبيدة : ولحق ببلاد قومهم مستخفياً ، وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سنان بن أبي حارثة المري : وكان الأسود بن المنذر دفع إليها ابنه شرحبيل تكفلهُ ، وكانت بنت كثير^(٢) بن ربيعة من بني غنم بن دودان ، امرأة سنان ترضعه ، وهي أم هرم ، فجاء الحارث بن ظالم وكان قد اندس في بلاد غطفان ، فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان ، وهم نزول بالشربة ، فأتى أخته سلمى فقال : يقول لك بعلك : ابعني بابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له منه^(٣) ، وهذا سرجه آية إليك . فزيّنته ثم دفعته إلى الحارث ، فأتى بالغلام ناحية من الشربة فقتله وهرب ، فغزا الأسود بن ذبيان وبني أسد إذ نقضوا العهد ، بشط أريك . قال أبو عبيدة : هما أريكان : الأسود والأبيض ، ولا أدري بأيّهما كانت الواقعة .

قال أبو عبيدة : إن سلمى امرأة سنان التي أخذ الحارث شرحبيل من عندها من بني أسد ، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى ، لدفع الأسدية ابنه إلى الحارث . وفي ذلك يقول الأعشى يمدح الأسود :

(١) انظر الخبر بتفصيل في الأغاني ١٠ : ٢٢ .

(٢) في الأغاني : « وكانت سلمى بنت كثير » .

(٣) في الأغاني : « حتى أستأمن له ويتخفر به » .

وشيوخِ صَرَغَى بِشَطِّ أَرِيكِ ونساءِ كَانَنْهَنْ السَّعَالِي
 مِنْ نَوَاصِي دُودَانَ إِذْ نَقَضُوا الْعَهْدَ لَدَى وَذِيانَ وَالْمُحْجَانِ الْغَوَالِي
 رَبِّ رِفْدٍ هَرَقَتْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَسَالِ
 هَؤُلَاءِ ثُمَّ هَؤُلَاءِ كَلَّاءٌ أَحْذِي سَتَ نِعَالاً مَحْذُوءَةً بِمِثَالِ
 وَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو لاً وَكَعْبُ الذِّى يُطِيعُكَ عَلَى

قال : ووُجِدَتْ نَعْلُ شُرْحَبِيلَ عِنْدَ أَضَاخَ . بَضْمُ الْأَلْفِ وَبِالْمَعْجَمَتَيْنِ ،
 وَهِيَ مِنَ الشَّرْبَةِ مِنْ دِيَارِ بَنِي مُحَارِبَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ عِيلَانَ .

قال : فَأَحْمَى لَهُمُ الْأَسُودَ الصَّفَا بِصَحْرَاءِ أَضَاخَ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي
 أَحْذِيكُمْ نِعَالاً . فَأَمْسَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ الصَّفَا فَتَسَاقَطَ لَحْمُ أَقْدَامِهِمْ . فَلَمَّا كَانَ
 الْإِسْلَامُ هَجَا جَوْشَنُ الْكِندِيُّ بَنِي مُحَارِبَ ، فَعَبَّرَهُمْ بِتَحْرِيقِ الْأَسُودِ
 أَقْدَامَهُمْ ، فَقَالَ :

عَلَى عَهْدِ كِسْرَى نَعَّمْتُكُمْ مَلُوكُنَا صَفَاً مِنْ أَضَاخَ حَامِياً يَتَلَهَّبُ
 وَصَارَ ذَلِكَ مَثَلاً يَتَوَعَّدُ بِهِ الشُّعْرَاءُ .

ومثل ذلك أَنَّ ابْنَ عَبَادِ الْكِلَابِيِّ ، وَرَدَّ عَلَى بَنِي الْبُوسِ ^(١) مِنْ
 جَدِيلَةِ طَبِئٍ ، فَسَرَقُوا سِهَاماً لَهُ فَقَالَ يَحْذَرُهُمْ :
 بَنِي الْبُوسِ رُدُّوا أَسْهُمِي إِنْ أَسْهُمِي كَنَعْلُ شُرْحَبِيلَ الَّتِي فِي مُحَارِبِ
 وَإِنَّمَا فَعَلَ الْأَسُودُ ذَلِكَ بِبَنِي مُحَارِبَ مِنْ أَجْلِ نَعْلِ شُرْحَبِيلَ الَّتِي
 وَجِدَتْ عَنْدهُمْ . انْتَهَى .

وقوله : « لَنْ يَزَالُوا » بِالْيَاءِ التَّحْتِيَةِ بِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ الرَّاجِعِ لِمَجْمُوعِ مَنْ
 ذَكَرَ مَنْ قُتِلُوا وَأُسْرُوا وَنُهَبُوا مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ وَقَتَلَ وَغَنِمَ
 مِنَ الْأَوْلِيَاءِ . وقوله : « لَا زَلَتْ » بِالْخَطَابِ ، وَ« لَمْ » بِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ . فَظَهَرَ
 مِنْ هَذَا أَنَّ رِوَايَتَهُ فِي كِتَابِ النُّحُو « لَنْ تَزَالُوا » بِالْخَطَابِ « وَلَا زَلْتُ »

لكم « بالتكلم والخطاب ، على خلاف الرواية الصحيحة .
وترجمة الأعشى تقدّمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل
الكتاب ^(١) . وهو شاعر جاهليّ .

وقد اشتبه على العيني فقال : قائلُ :

ربّ رفدٍ هرقته ذلك اليو م البيت .

أعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن .
ولا يخفى أنّ هذا الشاعر إسلاميٌّ في الدولة المروانية زمن الحجاج ،
ولم يكن في زمن الأسود بن المنذر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد السبعمئة ^(٢) :
٧٩٨ (إنّ يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن عاراً عليك ورُبّ قتلٍ عارُ)
على أنّ الأخفش استدلّ به على اسميّة (ربّ) ، فهي مبتدأ وعارٌ خبرها .
قال الشارح المحقق : والأولى ^(٣) أنّ يكون عار خبر مبتدأ محذوف ،
والجملة صفة مجرورها .

وأقول : مفهومه أنّه يجوز على خلاف الأولى ما ذكره الأخفش ،
وهو خلاف ما اختار فيها من أنّها مبتدأ لا خبر له ، فكان الظاهر على
مذهبه أن لا يذكر الأولى .

ومن جعل ربّ حرف جرّ زائد ^(٤) لا يتعلّق بشيء قال : قتلٍ المجرور
في محل مبتدأ مرفوع وعار خبره ، وما في ربّ من معنى التكثير هو
المخصّص لابتدائية قتل .

(١) الخزائنة ١ : ١٧٥ .

(٢) المقتضب ٣ : ٦٦ والبيان ١ : ٢٩٣ والأغاني ١٣ : ٥٣ والأزهية ٢٦٩ وابن
الشجري ٢ : ٣٠١ وحماسة ابن الشجري ٩٠ والمقرب ١ : ٢٢٠ والضرائر ١٧٣ والمغني
٢٧ ، ١٣٤ ، ٥٠٣ والتصريح ٢ : ١١٢ والممع ١ : ٩٧ .

(٣) ط : « الأولى » ، وأثبت ما في ش وشرح الرضى ٢ : ٣٠٨ بإثبات الواو .

(٤) في النسختين : « زائد » صوابه بالنصب كما أثبت .

واقصر ابن عصفور (في كتاب الضرائر) على أَنَّ الضميرَ الواقعَ مبتدأً محذوف ، والجملة صفة لقتل ، لكن جعل حذفه ضرورة .

وكذا خرجهُ ابن هشام (في الأشياء التي تحتاج إلى الربط من الباب الرابع من المغني) ، إلاَّ أَنَّهُ لم يقيده بضرورة . وقيل فيه غير ذلك . وروى أيضاً : « وبعضُ قتلٍ عار » ، فلا شاهد فيه .

قال ابن السِّدِّ (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال أبو العباس المبرِّد : هكذا أنشده النحويون وربَّ قتلٍ عارٌ على إضمار هو عار . وأنشدنيه المازني : « وبعض قتلٍ عار » ، وهو الوجه .

والبيت من قصيدة لثابت قُطَنَة ، رثى بها يزيد بن المهلب بن أبي صاحب الشاهد
صُفْرَة ، أورد منها أربعة أبياتٍ الشَّريفِ الحُسَيْنِي (في حماسته) وبعده :
شهدتك من يمنٍ عَصَائِبُ ضَيَّعَتْ ونأى الذين بهم يُصَابُ الثَّارُ أبيات الشاهد
ولقد بسطتَ لهم يمينَكَ بالندى مثلَ الفراتِ تَمُدُّهُ الأنهارُ
حتَّى إذا شَرِقَ القنا ، وجعلتهم تحتَ الأسنة ، أسلموك وطاروا
واقصر الجاحظ (في البيان والتبيين) منها على الثلاثة أبيات ^(١) ،
وكذلك صاحب الأغاني ، وهي :

كلُّ القبائلِ بابعوكِ على الذي تدعو إليه طائِعِينَ وساروا
حتَّى إذا حمى الوغى وجعلتهم نُصَبَ الأسنةِ أسلموكِ وطاروا
إن يقتلوك فإنَّ قتلَكَ لم يكن البيت ^(٢)

والعصائب : جمع عِصَابَة ، وهي الجماعة . وشَرِقَ القنا ، أى احمرَّت

(١) كذا في النسختين ، وهو وجه جائز في العربية على قبحه ، حكاه ابن عصفور كما في شرح درة القواص ١٣٥ . قال الخفاجي : « ووقع في صحيح البخاري : « وأق بالآلف دينار » .

(٢) عجزه في البيان ١ : ٢٩٣ والشعراء ٦٣١ والأغاني ١٣ : ٥٢ :

• عاراً عليك وبعض قتل عار •

وبهذه الصورة لا شاهد فيه .

الرَّماح بالدم . وأسلموك : خذلك ولم يُعينوك . والأسنة : جمع سنان ، وهي حديدة الرمح التي يُطعن بها . ونُضِبَ الأسنة : قُبِلَتْهَا وَجِهَتَهَا . والوغي : الحرب . وحميها عبارة عن اشتدادها .

وقوله : (إنَّ يقتلوك فإنَّ قتلك) أراد : إنَّ يفتخروا بسبب قتلك أو إنَّ يتبين أنَّهم قتلوك .

١٨٥

وقوله : « كلُّ القبائل بايعوك » إلخ يريد أنه خلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه في البصرة ، فجهز يزيد بن عبد الملك لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وخرج يزيد بن المهلب واستخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد ، وسار حتى نزل العقر ، وهي عقر بابل عند الكوفة بالقرب من كربلاء ، ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب ، فاصطفوا ، فشدَّ أهل البصرة على أهل الشام فكشفوهم . ثم إنَّ أهل الشام كثروا عليهم فكشفوهم ، وما زال الحرب بينهم ثمانية أيام حتى كان يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة مضت من صفر^(١) سنة اثنتين ومائة ، وشرع أصحاب ابن المهلب يتمسللون من حوله ، وبقيت معه جماعة ، فقاتل حتى قُتِل هو وأخوه محمد بن المهلب ، وجماعة من أهله .

ثابت قطنة

وثابت قطنة هو (كما في الأغاني) ثابت بن كعب ، وقيل : ابن عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أبا العلاء ، أخو بني أسد بن الحارث ابن العتيك . وقيل بل هو مولى لهم . ولقب قطنة لأنَّ سهماً أصاب إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يحشوها قطنة . وهو شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية . وكان من أصحاب

(١) يقول النحاة إن رجب وصفر يمتدان من الصرف إن أريد بهما معين . انظر يس على

يزيد بن المهلب ، وكان يولّيه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيُحمّد فيها مكانه ، لكفايته ^(١) وشجاعته . وكان وليّ عملاً من أعمال خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رامّ الكلام فتعذّر عليه وحصر ، فقال : « سيجعل الله بعد عُسري يسراً ، وبعد عيبي بياناً ، وأنتم إلى أميرٍ فعّالٍ ، أحوجُ منكم إلى أميرٍ قوَّالٍ .

ولأأُكنّ فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب ^(٢) »

فبلغت كلماته خالد بن صفوان ، وقيل الأحنف بن قيس ، فقال : والله ما علا المنبر أخطبُ منه في كلماته هذه ، ولو أنّ كلاماً استخفني فأخرجني من بلادى إلى قائله ، استحساناً له ، لأخرجتني هذه الكلمات ^(٣) .

وروى عن دِعل بن علي قال : كان يزيد بن المهلب تقدّم إلى ثابت قطنة أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فلما صعد المنبر ولم يُطق الكلام قال حاجبُ الملقّب بالقيّل ، ابن ذبيان المازني ^(٤) :

(١) في الأغاني ١٣ : ٤٧ : « لكتابته » ، وما هنا صوابه .

(٢) في الشعراء ٦٣٠ أن يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان ، فلما علا المنبر حصر فلم ينطق حتى نزل ، فلما دخل عليه الناس قال :

فإلا أكنّ فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

فقالوا : لو كنت قلت هذا البيت على المنبر كنت أخطب الناس . ونحو هذه الرواية في العقد ٤ : ١٤٧ - ١٤٨ . لكن ذكر أن الخطبة كانت بسجستان ، وانظر أمالي المرتضى ٢ : ١٠٥ . والذي في الطبري ٧ : ٣٨ أنه خطب أهل خراسان فحصر فقال : « من يطلع الله ورسوله فقد ضل ! » وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال :

إن لم أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

ف قيل له : لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيباً .

هذا إلى أن الخطبة التي رواها البغدادى عن أبي الفرج ، منسوبة إلى يزيد بن أبي سفيان في الكامل ٥٧ والمقد ٤ : ١٤٧ قالها حين ولاه أبو بكر الصديق ربيعاً من أرباع الشام . وهي أيضاً منسوبة إلى عثمان بن عفان في أمالي المرتضى ٢ : ١٠٣ والبيان ١ : ٣٤٤ .

(٣) في المقد : « فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه » ، يعني كلام يزيد بن أبي سفيان : وكذلك أيضاً في الكامل : « فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال : هن مخرجاني من الشام ، استحساناً لكلامه » .

(٤) وكذا في الأغاني ، وصوابه « بن دينار » ، كما في الحيوان ١ : ١٩١ والبيان ٢ : ١٨٣ .

أبا العلاء لقد لُقِّيتَ مُعْضِلَةً يومَ العُرُوبَةِ من كَرْبٍ وتَحْنِيقٍ^(١)
 أمَّا القرآنُ فلمْ تُخْلَقْ لمُحْكَمِهِ ولمْ تُسَدِّدْ من الدُّنْيَا لتَوْفِيقٍ^(٢)
 لَمَّا رَمَتَكَ عِوُنُ النَّاسِ هَبَتَهُمْ فَكِدْتَ تَشْرِقُ لَمَّا قُمْتَ بِالرِّيقِ^(٣)
 تَلَوَى اللِّسَانُ وَقَدْ رُمْتَ الْكَلَامَ بِهِ كَمَا هَوَى زَلِقٌ من شَاهِقِ النَّيْقِ^(٤)
 ومن هَجَوِهِ فِيهِ :

لا يعرفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قُطْنَتِهِ وما سِوَاهَا من الْأَنْسَابِ مَجْهُولُ
 قال دِعْبِلُ : بلغني أَنَّ ثَابِتَ قُطْنَةَ قالَ هذا البيتُ في نَفْسِهِ ، وَخَطَرُ
 بِيَالِهِ يَوْمًا فَقَالَ :

لا يعرفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قُطْنَتِهِ البيت
 وقال : هذا بيتٌ سوفْ أُهْجِي بِهِ . وَأَنْشَدَهُ جَمَاعَةٌ من أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ
 الرِّوَايَةِ وقالَ : : اشْهَدُوا إِنِّي قَائِلُهُ . فقالوا : ويحك ما أردت أن تهجو
 نفسك به ؟ ! ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا . فقال : لا بد من أن يقع
 على خاطر غيري فأكونُ قد سبقته إليه فلما هجاه به حاجبُ الفيلِ
 استشهدهم على أَنَّهُ هو قائله . فشهدوا على ذلك ، فقال يردُّ على حاجب :
 هيهات ذلك بيتٌ قد سُبِقَتْ بِهِ فاطلبْ له ثَانِيًا يا حاجبُ الفيلِ
 قال أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ : نسخت من كتابٍ بخط المُرْهَبِيِّ الْكُوفِيِّ
 (في شعر ثَابِتِ قُطْنَةَ) قال : لَمَّا وَلِيَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَارِثِ

١٨٦

(١) الأبيات في الشعراء ٦٣٠ والطبري ٧ : ٣٨ وأمالى المرتضى ٢ : ١٠٥ . المرتضى :
 « لقد لاقيت » . و« تحنيق » كذا وردت بالأغاني وأمالى المرتضى . وفي سائر المراجع : « تحنيق »
 بالخاء المعجمة .

(٢) المرتضى : « فلا تهدي لمحكمة » . وفي الطبري :

أما القرآن فلا تهدي لمحكمة من القرآن ولا تهدي لتوفيق

(٣) الطبري :

لما رمتك عيون الناس ضاحية أنشأت تجرّس لما قت بالريق

(٤) الطبري والمرتضى : « إذا رمت الكلام به » . والنيق ، بالكسر : أرفع موضع في

ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان، بعد عزّل عبد الرحمن بن نعيم ،
جلسَ يعرض الناس : وعنده حميدُ الرُّؤاسي ، وعُبادَةُ المحاربي ، فلمّا
دعا بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامّ السلاح جوادَ الفرس ، فارساً من
الفرسان ، فسأل عنه فقيل : هذا ثابت قطنة ، وهو أحدُ فرسان الثُّغور .
فأمّضاهُ وأجاز على اسمه ، فلمّا انصرف قال له حميد، وعُبادَةُ : هذا أصلحك
الله الذي يقول :

إِنَّا لَضَرَابُونَ فِي حَمَسِ الْوَعَى رَأْسَ الْخَلِيفَةِ إِنْ أَرَادَ صُدُودَا
فَقَالَ سَعِيدٌ : عَلَى بِهِ . فَرَدُّوهُ وَهُوَ يَرِيدُ قَتْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْقَائِلُ :
« إِنَّا لَضَرَابُونَ » الْبَيْتُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ أَنَا الْقَائِلُ :

إِنَّا لَضَرَابُونَ فِي حَمَسِ الْوَعَى رَأْسَ الْمُتَوَجِّحِ إِنْ أَرَادَ صُدُودَا
عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ أَوْ خُلَفَائِهِ إِنْ رَامَ إِفْسَادًا وَكَرَّرَ عُنُودَا
فَقَالَ سَعِيدٌ : أَوَّلَى لَكَ ، لَوْلَا أَنَّكَ خَرَجْتَ مِنْهَا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ .

وروى الأصبهاني بسنده إلى أبي عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ ثَابِتٌ قُطْنَةُ قَدْ
جَالَسَ قَوْمًا مِنَ الشُّرَاةِ وَقَوْمًا مِنَ الْمُرْجَةِ ، كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فَيَتَجَادَلُونَ
بِخِرَاسَانَ ، فَمَالَ إِلَى قَوْلِ الْمُرْجَةِ وَأَحْبَبَهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْشَدَهُمْ
قَصِيدَةً قَالَهَا فِي الْإِرْجَاءِ :

يَا هِنْدُ إِنِّي أَظُنُّ الْعَيْشَ قَدْ نَفِذًا وَلَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا مُدْبِرًا نَكِدًا
إِنِّي رَهِينَةٌ يَوْمٍ لَسْتُ سَابِقَهُ إِلَّا يَكُنْ يَوْمَنَا هَذَا فَقَدْ أَفِدا
بَايَعْتُ رَبِّيَ بَيْعًا إِنْ وَفَيْتُ بِهِ جَاوَرْتُ قَبْلِي كِرَامًا جَاوَرُوا أَحَدًا^(١)
يَا هِنْدُ فَاسْتَمْعِي لِي إِنْ سِيرَتْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَمْ نُشِرْ لَهُ بِهِ أَحَدًا
نُرْجِي الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مَشْبَهَةً وَنَصْدُقُ الْقَوْلَ فِيمَنْ جَارَ أَوْ عَنَدَا
الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلُّهُمْ وَالْمُشْرِكُونَ اسْتَوَوْا فِي دِينِهِمْ قَدَدًا^(٢)

(١) في الأغاني : « قتل كراما » يشير إلى قتل أحد وشهدائها .

(٢) ط : « أشتوا دينهم » ش : « أشتروا دينهم » ، صوابها من الأغاني ١٣ : ٥٠ .

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً
لا نسفكُ الدّم إلا أن يُراد بنا
من يتق الله في الدنيا فإن له
وما قضى الله من أمرٍ فليس له
كل الخوارج مُحْطٍ في مقاتله
أما علي وعثمان فإنهما
وكان بينهما شغبٌ وقد شهدا
يُجزى علي وعثمان بسعيهما
الله يعلم ماذا يحضران به
وأطال الأصبهاني ترجمته ، وفيما أوردنا كفاية .

١٨٧

* * *

وأنشده بعده :

(يارب هِنَجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا)

وتقدم شرحه قبل بيتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد السبعمئة (٢) :

٧٩٩ (رَبُّمَا ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ بَيْنَ بُضْرَى وَطَعْنَةٍ نَجْلَاءِ)
على أن ما المتصلة برب فيه زائدة لا كافة ، ولذا عملت رُبَّ الجرِّ
في ضربة .

(١) الجدد ، بفتحين : الأرض الصلبة ، وقيل المستوية . وفي المثل : « من سلك الجدد آمن النار » .

(٢) مجم المرزباني ٢٥٢ والأزهية ٨٠ ، ٩٤ وابن الجري ٢ : ٢٤٣ وحامسة ابن الشجري ٥١ والمنفى ١٣٧ ، ٣١٢ والعيق ٣ : ٣٤٢ والمجمع ٢ : ٣٨ والتصريح ٢ : ٢١ والأشعري ٢ : ٢٣١ والأصمعيات ١٥٢ .

ومن العجائب قولُ العيني : كلمة ربٍّ دخلت عليها ما الكافّة ، ولكنّ ما كفّتها عن العمل ههنا ، ولهذا جرّت ضربة . انتهى .

وقوله : (بسيفٍ) متعلّق بضربة . (صَقِيل) بمعنى مصقول ، أى مجلّو ، صفة لسيف . و (طعنةٍ) بالجر معطوف على ضربة . و (نجلاء) بالنون والجيم . والنجلاء : الواسعة البيّنة الاتّساع ، من قولهم : عينٌ نَجْلَاءُ ، أى واسعة . وهى صفة طعنة ، وجرّها بالكسرة للضرورة . وقوله : (بين بُصْرَى) ظرف متعلّق بضربة ، ويقدر مثله لطةنة . و (بُصْرَى) بضم الموحّدة وسكون الصاد المهملة والقصر : بلدٌ قرب الشّام هى كرسى حوران ، كان يقوم فيها سوقٌ للجاهليّة . وقد قدّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرتّين : مرّةً مع عمّه أبى طالب ، وأخرى فى تجارة لسيدتنا خديجة أمّ المؤمنين رضى الله عنها . وإنّما صحّ إضافة بينَ إلى بُصْرَى لاشتغالها على متعدّدٍ من الأمكنة ، أى بين أماكن بُصْرَى ونواحيها .

وروى الشريف الحُسَيْنى (فى حماسته) : « دُونَ بُصْرَى » . ودون هنا بمعنى قَبْلَ ، أو بمعنى خَلْفَ . وقال العيني : بمعنى عند .

والبيت أوّل أبياتٍ سِتُّ لعدىّ بن الرّعلاء الغَسّانى ، أوردها الأعلام صاحب الشاهد والشريف الحسينى (فى حماستهما) . وبعده :

(وغموسٍ تَصِلُ فيها يدُ الآسى وَيَعْيَا طَبِيبُهَا بالدّواءِ أَيْاتُ الشّاهد
رَفَعُوا رَايَةَ الضُّرَابِ وَأَعْلَوْا لَا يَنْدُودُونَ سَامَرَ الْمَلْحَاءِ
فَصَبَرْنَا النُّفُوسَ لِلطَّعْنِ حَتَّى جَرَّتِ الْخَيْلُ بَيْنَنَا فِي الدِّمَاءِ
لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَثِيْبًا كَاسِفًا بِالْهَ قَلِيلَ الرِّخَاءِ^(٢)

(١) فى حماسة ابن الشجرى والأصمعيات : « وآلوا لينودون سائر البطحاء » .

(٢) كذا فى نص البيت وشرحه وهو يطابق ما فى معجم المرزبانى ٢٥٢ . والمعروف : « قليل

وقوله : « وَغَمُوسٌ » بالجرّ عطف على نجلاء ، يقال طعنة غموسٌ : نافذة . وقوله : « تَضَلُّ فِيهَا » إلخ صفةٌ كاشفةٌ لغموس ، أشار به إلى سعة الطعنة وَبُعْدِ غَوْرَها . والآسى : المُعالج الجراح . وَيَعْيَا ، من عَيْىَ بالأمر ، من باب تَعِبَ : عَجَزَ عنه ولم يَهْتِدِ لوجهه . وفيه إشارةٌ إلى إصابة الطعنة المقتلَ واليأس من علاجها .

وقوله : « رَفَعُوا رَايَةَ الضَّرَابِ » إلخ الراية : علمَ الجيش ، قبل أصلها الهمز ، لكنَّ العرب آثرت تركه تخفيفاً . وقد أَنْكَرَ هذا القولُ بآنَّه لم يُسمع الهمزُ أَضْلاً . والضَّرَاب : مصدر ضاربه بالسيف وغيره مضاربةٌ وضرباً . وقوله : « وَأَعْلَوْا » معطوف على رَفَعُوا ، وإِنَّمَا رَفَعُوا الراية وَأَعْلَوْهَا تأكيداً للضَّرَاب وتشديداً . وينودون : يطرُدون وَيَمْنَعُونَ . والسامر : اسمُ جمع بمعنى السَّمار ، وهم القوم يتحدَّثون بالليل . والمَلْحَاءُ ، بفتح الميم والحاء المهملة : موضعٌ يَدْفَعُ فيه وادى ذى الحُلَيْفَةِ . كذا قال البكرى (فى المعجم ^(١)) . وهذا المصراع هو معنى قوله : « رَفَعُوا رَايَةَ الضَّرَابِ » .

وقوله : « فَصَبَرْنَا النُّفُوسَ » أى حبسناها .

وقوله : « إِنَّمَا المَيْتُ » إلخ المَيْت بسكون الياء : مخفف مَيْت بتشديدها . وَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَآنَ الأوَّلِ مَنْ وَقَعَ عليه الموت ، والثانى هو الحىُّ الذى سيموت . وقد ضَمَّنَ البحترىُّ هذا البيت فى أَمْرَدَ طَلَعَتْ لَحِيَّتُهُ ، فقال :
يا قَتِيلًا بِاللَّحْيَةِ السُّودَاءِ آفَةُ المُرْدِ فى خُرُوجِ اللَّحَاءِ ^(٢)

(١) وفى اللسان (ملح ٤٤٥) أن الملحاء كناية كانت لآل المنذر . وفيه أيضا أن الملحاء والشهباء كنيتان كانتا لأهل جفنة .

(٢) فى ديوان البحترى ٨ هندية و ١ : ٤٩ صيرى : « للحية السوداء » عن أن سواد لحيته قفى على جماله بعد أن كان أَمْرَدَ بَضاً . وأصل اللحاء : قشر الشجرة ، كنى بها عن الحى . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان :

أجر الله عاشقك فقد ت وعريت من ثياب البهائم

شاهدى فى ادعاء موتك بيت قاله شاعر من الشعراء^(١)
 ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
 والكثير : الحزين . وكاسفاً وقليلاً^(٢) منصوبان ، من كسفت حال
 الرجل ، من باب ضرب ، إذا ساءت . والبال : الحال فاعل كاسفاً .
 والرخاء بالحاء المعجمة : اسم من رخی العيش ورخو ، من باب تعب وقرب ،
 إذا اتسع ، فهو رخی على فعيل^(٣) .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى المغنى) على أن الحال قد يتوقف
 معنى الكلام عليها كما هنا ، فإن كثيراً حال ولا معنى لما قبله بدونه .
 وهذه الأبيات من قصيدة أوردا^(٤) منها هذا المقدار .

وبعد السادس :

(فأناسٌ يُمَصِّصون عِشاراً وأناسٌ حُلُوقهم فى الماء^(٥))
 ومنها :

(كم تركنا منكم بعين أباع من ملوك وسوقة ألقاء^(٦)
 فرقت بينهم وبين نعيم ضربة فى صفيحة نجلاء^(٧))
 والعِشار : جمع عُشراء ، وهى الناقة . وأباع بضم الهزلة وفتحها بعدها

(١) فى الديوان : « فى بيان موتك بيت » .

(٢) ط : « وقليل » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) سبق التنبيه على أن الرواية المروقة : « قليل الرجاء » .

(٤) أى كلام الأعلام الشتمى والشريف الحسنى المعروف بابن الشجرى .

(٥) فى معجم المرزبانى : « يمصصون ثماداً » . والتماد كالمثد بالفتح ، والتد بالتحريك :
 الماء القليل . صور بذلك تباين الخطوط وتخالف الجودود . فهى الرواية الجيدة .

(٦) ط : « كم تركناكم » ، صوابه فى ش . والألقاء : جمع لقى كفى ، وهو الشيء الملقى .
 وفى معجم المرزبانى : « ألقاء » بالفاء : جمع لقى بوزن لى أيضاً ، وهو الشيء المطروح .

(٧) فى معجم المرزبانى : « ضربة من صفيحة » ، والصفيحة : إحدى صفائح الرأس ،
 وهى قبائله ، وهذا المعنى يتجه مع رواية الخزاعة . كما تتجه الرواية الأخرى بتفسير الصفيحة
 بأنها السيف المر يرض .

موحدة ثم غين : موضع بطرف الشام . وهناك أوقع الحارثُ الغسانی
الحرَّاب ، وهو يَدِين لقيصر ، بالمنذر بن المنذر وبالعرب العراق ، وهم يدينون
لكسرى ، وقُتِل المنذرُ يومئذٍ ، قتله شمر بن عمرو من بني حنيفة . كذا
في المعجم للبكري .

وعدي بن الرعلاء شاعرٌ جاهلي . والرَّعلاء اسمُ أمه اشتهر بها . وهي
بفتح الراء وسكون العين المهملتين بعدها لامٌ فألف ممدودة . كذا ضبطه
العسكري (في كتاب التصحيف ^(١)) .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوى يا رَبِّمَا غَارَةٌ)

وتقدّم شرحه قريباً ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للثمانائة ^(٣) :

٨٠٠ (رَبُّمَا الْجَامِلُ الْمُؤَبَّلُ فِيهِمْ وَعَنَاجِيحُ بَيْنَهُنَّ الْمِهَارُ)

على أَنَّ رَبَّ المكفوفة بما لا تدخل على الفعل عند سيويه . وهذا
البيت شاذٌّ عنده لدخول ربَّ المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإنَّ
الجميل مبتدأ ، والمؤبَّل صفة ، وفيهم هو الخبر ، وتكون ربَّ كما قال
أبو حيان من حروف الابتداء تدخل على الجمل فعلية كانت أو اسمية
للقصد إلى تقليل النسبة المفهومة من الجملة . فإذا قلت : ربَّما قام زيد ،
كأنَّكَ قللت النسبة المفهومة من قيام زيد . وكذلك إذا قلت : ربَّما زيد

١٨٩

(١) كتاب التصحيف ١٠ والنص فيه محرف فليصح .

(٢) هو الشاهد ٧٦٠ في هذا الجزء . وقد أعاده قبل الشاهد ٧٦٠ . وتماه :

* شعواء كاللذعة بالميسم *

(٣) الأزهية ٩٣ وابن الشجري ٢ : ٢٤٣ ورصف المباني ١٩٣ ، ٣١٨ والمغنى ١٣٧ ،

٣١٠ والمغنى ٣ : ٣٢٨ والتصريح ٢ : ٢٢ والمص ٢ : ٢٦ ، ٣٨ والأشئوى ٢ : ٢٣٠ ،

٢٣٢ وديوان أبي دواد ٣١٦ ،

شاعر، قللت نسبة شعر زيد. ونقل التبريزى عن المصنف (فى شرح هذه المقدمة) أن ربَّ المكفوفة نُقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق ، كما نُقلت قد الداخلة على المضارع فى نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾^(١) من معنى التقليل إلى معنى التحقيق. ودخلها على الجملة الاسمية مذهبُ المبرِّد والزمخشريّ ، وابن مالك . قال (فى التسهيل) : وإن ولى ربَّما اسمٌ مرفوعٌ فهو مبتدأٌ بعده خبرٌ ، لا خبر مبتدأٍ محذوف . وما نكرةٌ موصوفة ، خلافاً لأبى على . انتهى .

فما عند أبى على بمعنى شيء ، والجمال خبر مبتدأٍ محذوف ، أى هو الجامل ، والجملة الاسمية صفة له ، فيكون كقوله :
يا رَبُّ هَيْجَا هِى خَيْرٌ مِنْ دَعَا^(٢)

وقد تطلّقت على ذوى العلم . حكى أبو زيد : « سبحانَ ما سَخَرَكُنَّ لَنَا » وقال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴾^(٣) . وقال الشاعر^(٤) :
* رَبِّمَا ظَاعِنٌ بِهَا وَمُقِيمٌ^(٥) *

أى ربَّ إنسانٍ هو ظاعن بقلبه مع أحبَّته الذين ظعنوا عن بلده . قال المرادى (فى شرح التسهيل) : وخرَّجه ابن عصفورٍ على تخريج أبى على . ونسبه بعضهم إلى الجمهور ، قال : وهو الصحيح ، إذ لو كان ما اختاره المصنّف [لَسَمِعَ^(٦)] من كلامهم : رَبِّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، بتصريح المبتدأ والخبر . ولم يُسمع ذلك فيما أعلم . انتهى .

(١) الآية ٦٤ من سورة النور .

(٢) البيد . وهو الشاهد ٧٩٦ .

(٣) الآية ٥ من سورة الشمس .

(٤) هو أبو دواد . ديوانه ٣٤٢ ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠ .

(٥) صدره : * سالكات سبيل قفرة بدى *

وبدى على وزن فعل : موضع بالبادية كما فى معجم البكرى عند إنشاد البيت .

(٦) التكلة من ش .

أقول : قائل هذا أبو حيان .

فإن قلت : أليس الخبر وهو فيهم مصرحاً في البيت فكيف يدعى عدم السماع . قلت : له أن يمنعه بجعله ظرفاً مستقراً على أنه حال من الضمير في المؤنل . لكن ما ذهب إليه فاسد ، لأنه صحح مذهب الفارسي بما أبطله ، لأنه هو القائل بأن المرفوع بعد ربما خبر مبتدأ ، أي ربما هو الجامل . فذهب إلى أنه لو كان هذا التقدير صحيحاً لسمع من كلامهم : ربما زيد قائم ، لكن لم يسمع . فيلزم من هذا أن ما ذهب إليه الفارسي باطل من إضمار المبتدأ وإظهار الخبر ، إذ لو جاز لسمع إظهار المبتدأ والخبر في كلامهم . على أننا نقول : قد يمكن أن يكون في البيت ما يوجب تصحيح ما يريد إبطاله ، بجعل الجامل مبتدأ وفيهم الخبر ، والجملة صفة لما ، وهي بمعنى ناس ، ولا حذف ، لصحة المعنى عليه ، فيكون الجزءان قد سمعا بعد ربما . وهو عين ما ادعى عدم سماعه . والله أعلم .

والبيت من قصيدة طويلة عدتها ثمانية وسبعون لآبي دؤاد الإيادي .

حب الشاهد

وهذه أبيات من أولها :

ت الشاهد (أوحشت من شروب قومي تعارُ فأرومُ فشابةً فالستارُ
بعد ما كان سربُ قومي جيناً لهمُ الخيلُ كلُّها والبحارُ ^(١)
فإلى الدور فالمروراة منهمُ فجفيرُ فناعمُ فالديارُ ^(٢)
فقدَ أمت ديارهم بطنَ فلج ومصيرُ لصيفهمُ تعشارُ
ربما الجاملُ المؤنلُ فيهم وعناجيجُ بينهنَّ المهارُ
ورجالُ من الأقارب بانوا من حذاق هم الرؤوسُ الخيارُ
وجوادُ جمُ الندى ، وضروبُ برقاقِ الطُّباتِ ، فيه صَعَارُ
ذاك دهرٌ مضى فهلُ لدهورِ كنَّ في سالف الزَّمان انكراُ)

١٩٠

(١) في الديوان ٣١٦ : « لهم النخل » .

(٢) في الديوان : « فحفير » بالحاء المهملة .

قال شارحُ ديوانه يعقوبُ بن السكيت : أوحشت : أقفرت . وسُرُوبُ : جمع سَرَبٍ بفتح فسكون : المال السَّارحُ من إبلٍ وخيل . وتِعَارٌ ، وأروم ، وشابة ، والسَّتار : مواضع ، والأوَّلُ بكسر المثلثة الفوقية بعدها عين مهملة . والثاني بفتح همزة وضم الراء المهملة ، والثالث بالشين المعجمة والباء الموحدة ، والرابع بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقية . والبحار : الرِّيف . قال الأصمعي : وكذلك البُحور : الرِّيف .

وقوله « فإلى الدور » إلخ قال شارحه : الدور : جُوبٌ تنجاب في الرَّمْل . وما بعد الدور فأسماء مواضع ، والأوَّلُ بفتح الميم والراء ، والثاني بفتح الجيم وكسر الفاء ، والثالث بالنون وكسر العين المهملة . وفَلَجٌ بفتح الفاء وسكون اللام بعدها جيم . وكذلك تِعْشَارٌ بكسر المثناة الفوقية وسكون العين المهملة بعدها شين معجمة . قال شارحه : أى يحضرون في الصيف تِعْشَاراً^(١) .

وقوله : (ربَّما الجمال) إلخ . قال شارحه : الجمال : الجماعة من الإبل ، لا واحد لها من لفظها . ويقال إِبِلٌ مؤبلةٌ إذا كانت للقنية . والعناجيج : الخيل الطوال الأعناق ، واحداها عُنجوجٌ . انتهى . فالجمال : اسمُ جمعِ الجَمَل ، كالباقر اسم جمعِ البقر . وقال الجوهرى : الجمال : القطيع من الإبل مع رُعاته وأربابه . و (المؤبِّل) : اسم مفعول من أَبَّلَ الرَّجُلُ تَأْبِيلاً ، أى اتَّخَذَ الإِبِلَ واقتناها . وضمير (فيهم) راجعٌ لقومه إن كانت ما بمعنى شيء أو كافّة ، ولِمَا^(٢) ، إن كانت بمعنى ناس . و(عناجيجُ) بالرفع معطوف على الجمال . وجملة (بينهنَّ المِهَار) صفة لعناجيج ،

(١) ش : « تمشار » .

(٢) أى ولكلمة « ما » . وفى ط : « وأما » ، صوابه فى ش .

فالرابط محذوف أى فيهم . واليهار : جمع مُهَر ، بكسر الميم فى الجمع وضمها فى المفرد ، وهو ولد الفرس ، والأنثى مُهْرَة .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : ورواه بعضهم : « ربّما الجامل »
بجر الجامل على أنه مجرورٌ برُبّ وما زائدة .

وقوله : « ورجالٌ من الأقارب » إلخ بانوا : بُعدوا . وحُذاق : مرخّم حُذاقة فى غير النداء ، وهو بضم المهملة بعدها ذالٌ معجمة وقاف . قال شارحه : حُذاقة : بطنٌ من إياد . ورجالٌ بالرفع معطوف على الجامل ، ومن الأقارب فى موضع الصفة لرجال ، وبانوا خبر رجال . ومن حُذاق متعلّق ببانوا .

وقوله : « وجواد » إلخ الجواد : الكريم . وجُمُ الندى : كثير المعروف . والندى : السخاء ، يقال فلانٌ أندى من فلان كفاً . والطّبات : جمع طَبّة ، وهى طرف السيف . والصّعار ، بفتح المهملتين : العظمة والخيلاء . كذا فى فى شرحه . وجوادٌ معطوف على الجامل ، وجُمُ نعتة ، وضروبٌ معطوف على جُم ، وجملة « فيه صَعَار » خبر جواد .
وقوله « انكرار » قال شارحه : هو انفعال من كَرَّ يَكُرُّ .

وأبو دُواد بدالين مهملتين أولاهما مضمومة ، بعدها واو : شاعر جاهلى . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) قال بعضهم : اسمه جارية ابن الحجاج . وقال الأصمعى : هو حنظلة بن الشرفى . وكان فى عَصْر^(١) كعب بن مامة الإيادى ، الذى آثَرَ بنصيبه من الماء رفيقه النعمريّ ، فمات عطشاً ، فضُرب به المثل فى الجُود . ورثاه أبو دُواد بقصيدة منها :
لا أَعُدُّ الإِقْتارَ عُدْماً ولكنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رَزَتْهُ الإِعْدَامُ

أبو دُواد
الإيادى

مِنْ رِجَالٍ مِنَ الْأَقَارِبِ بَادُوا مِنْ حُذَاقِهِمْ الرُّعُوسُ الْعِظَامُ^(١)
 فِيهِمْ لِلْمَلَانِينِ أَنَاةٌ وَعُورَامُ إِذَا يُرَادُ عُرَامُ^(٢)
 فَعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ ، وَذَكَرُهُمْ لِي سَقَامُ

وكان أجاره بعضُ الملوك فأحسنَ به^(٤) . فَضُرِبَ المثلُ بجار
 أَبِي دُوَادٍ . قال طَرْفَةُ :

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ هَمَمْتُ بِهِ جَارٌ كَجَارِ الْحُذَاقِ الَّذِي انْتَصَفَا^(٤)
 وَهُوَ أَحَدُ نَعَاتِ الْخَيْلِ الْمَجِيدِينَ . قال الأصمعي : هم ثلاثة : أَبُو دُوَادٍ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَطُفَيْلٌ ، وَالْجَعْدِيُّ . قال : والعربُ لَا تَرَوِي شعر
 أَبِي دُوَادٍ وَعَدِي ، لِأَنَّ أَلْفَاظَهُمَا لَيْسَتْ بِنَجْدِيَّةٍ .

وَيُقَالُ : إِنَّمَا أَجَارَهُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ بِنِ مَرْةَ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ .
 وَذَلِكَ أَنَّ قُبَاذَ سَرَّحَ جَيْشًا إِلَى إِيَادٍ ، فِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ ، فَاسْتَجَارَ
 بِهِ قَوْمٌ مِنْ إِيَادٍ فِيهِمُ أَبُو دُوَادٍ ، فَأَجَارَهُمْ . قال قَيْسُ بْنُ زَهَيْرٍ
 ابْنُ جَذِيمَةَ :

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ

(١) فِي الدِّيَوَانِ ٣٣٨ وَالْأَصْمَعِيَّاتِ ١٨٧ : « فَادُوا » بِالْفَاءِ ، بِمَعْنَى هَلَكُوا أَيْضًا .

(٢) فِي الدِّيَوَانِ وَالْأَصْمَعِيَّاتِ : « فَهْمٌ لِلْمَلَانِينِ أَنَاةٌ » وَ « يُرَادُ الْعُرَامُ » .

(٣) الْجَارُ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ يَجِيرُ الْمُسْتَجِيرَ ، كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْخَلِيفِ وَالنَّاصِرِ أَيْضًا ، وَفِي اللِّسَانِ (جور ٢٢٦) : « وَيُقَالُ لِلَّذِي يَسْتَجِيرُ بَكَ جَارٌ ، وَلِلَّذِي يَجِيرُ جَارٌ » ، وَفِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ ٢٣٧ : « وَكَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ أَخَافَهُ ، فَصَارَ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ الْعَيْنِ فَأَجَارَهُ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ » .

(٤) الْبَيْتُ لَمْ يَرِدْ فِي دِيَوَانِ طَرْفَةَ ، وَأَنْشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (وصف) وَفِي ش : « مِنْ هَمِّ هَمَمْتُ بِهِ » ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْهُ يُوَافِقُ مَا فِي أَمْثَالِ الْمِيدَانِي (جار كجار أبي دواد) ، وَالْحُذَاقُ هُوَ أَبُو دُوَادٍ . وَرَوَايَةُ اللِّسَانِ وَالْمِيدَانِي : « الَّذِي انْتَصَفَا » وَفَرَسَهُ ابْنُ مَنْظُورٍ بِقَوْلِهِ : « أَيْ صَارَ مَوْصُوفًا بِحَسَنِ الْجَوَارِ » ، وَالْمِيدَانِيُّ بِقَوْلِهِ : « أَيْ صَارَ الْجَوَادَ » ، يَعْنِي كَيْبًا . وَمَا عِنْدَ الْمِيدَانِيِّ مَبْنًى عَلَى رَوَايَةِ أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَامَةَ هُوَ الَّذِي أَحَارَ أَبَا دُوَادٍ .

وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :
لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْمًا ولكن فَقَدُ مَنْ قَد رَزَتْهُ الإِعْدَامُ
الآبيات .

وَيُتَمَثَّلُ ^(١) مِنْ شعره :

أَكَلٌ أَمْرِي تَحْسِينِ أَمْرًا وَنَارٍ تَحْرِقُ بِاللَّيْلِ نَارًا ^(٢)
ومما سَبَقَ إِلَيْهِ فَأُخِذَ عَنْهُ قَوْلُهُ :

نَرَى جَارَنَا آمِنًا وَسَطْنَا يَرُوحُ بِعَقْدٍ وَثِيقِ السَّبَبِ ^(٣)
إِذَا مَا عَقَدْنَا لَهُ ذِمَّةً شَدَدْنَا الْعِنَاجَ وَعَقَدَ الْكَرْبُ
أَخَذَهُ الْحَطِيئَةُ فَقَالَ :

قَوْمُ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِهِمْ شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا ^(٤)
هَذَا مَا أَوْرَدَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ ^(٥) .

تم الجزء التاسع من خزانة الأدب
بتقسيم محققها

(١) ش : « وتمثل » ، بتشديد الشاء المكسورة .

(٢) ديوان أبى دؤاد ٣٥٣ ومعجم الشواهد .

(٣) ديوان أبى دؤاد ٢٩٢ .

(٤) ديوان الحطيئة ٧ . والعِناج ، ككتاب : خيط أو سير يشد فى أسفل الدلو حتى تنصل

إلى أعلى الكرب . والكرب : الحبل الذى يشد على الدلو ، والمراد توثيقهم للمهد وإيقاظهم به .

(٥) الشمره ٢٣٧ - ٢٤٠ .

الفهارس

١ - فهرس التراجم

٤١٨	كثير بن عبد الله ، ابن الغريرة	٢٥	عمرو بن ملقط
٤٣٥	سهم بن حنظلة الغنوي	٣٥	عبد الله بن همام السلولي
٤٤٦	حماد الراوية	٤٦	طفيل الغنوي
٥٠٨	سبرة الفقعسي	٥١	عبد الرحمن بن حسان
٥٢٦	تملك والدة امرئ القيس	٨٣	قتيبة بن مسلم
٥٣٢	سابق البربري	٨٥	عبد الله بن خازم الباهلي
٥٣٣	نهيكة بن الحارث	١١٢	القتال الكلابي
٥٣٣	شتيم بن خويلد	١٥٣	كعب بن زهير
٥٣٨	أبو كبير الهذلي	٢١٦	محمد بن بشير الخارجي
٥٤٠	يزيد بن هبيرة	٢٤٥	خليفة بن براز
٥٤٤	ملاعب الأسنه	٢٤٧	سالم بن قحطان
٥٤٤	أم البنين	٣٢٤	ضابي بن الحارث البرجمي
٥٤٥	أبو عطاء السندي	٣٣٤	هدبة بن خشرم
٥٧٦	أعشى همدان	٣٤٤	قسام بن رواحة العنبي
٥٧٨	ثابت قطنة	٣٦٨	عصام الخارجي
٥٩٠	أبو دواد الإيادي	٤١٥	بشر بن مروان بن الحكم

٢ - فهرس الشواهد

(الجوازم)

- ٦٧٦ لولا فوارس من ذهلٍ وأسرهم
 ٦٧٧ فأضحت مغانيها قفاراً رسومها
 ٦٧٨ احفظ وديعتك التي استودعتها
 ٦٧٩ إليكم يا بني بكرٍ إليكم
 ٦٨٠ محمدٌ تفدٍ نفسك كل نفسٍ
 ٦٨١ لتقمُ أنت يا ابن خير قرشي
 ٦٨٢ قالت بناتُ العمِّ يا سلمى وإن
 ٦٨٣ أماويٍّ مهمنٌ يسمعن في صديقه
 ٦٨٤ مهما لي الليلة مهما ليه
 ٦٨٥ ومهما وكلت إليه كفاه
 ٦٨٦ إذ ما دخلت على الرسول فقل له
 ٦٨٧ إماً تريني اليوم أزجي ظعيني
 ٦٨٨ ومن نحن نؤمنه بيت وهو آمن
 ٦٨٩ يُثني عليك وأنت أهل ثنائه
 ٦٩٠ وللخيل أيامٌ فمن يصطبِر لها
 ٦٩١ من يفعل الحسنات الله يشكرها
 ٦٩٢ وأنتي متى أشرف على الجانب الذي
 ٦٩٣ يرى كل من فيها وحاشاك فانيا
 ٦٩٤ فقلت تحمّل فوق طوقك إنَّها
 ٦٩٥ على حين من تلبث عليه ذنوبه
 يوم الصلفاء لم يوفون بالجار ٣
 كأن لم سوى أهلٍ من الوحش توهل ٥
 يوم الأعراب إن وصلت وإن لم ٨
 ألما تعرفوا منا اليقينا ١٠
 إذا ما خفت من أمرٍ تبالا ١١
 فلتقض حوائج المسلمينا ١٤
 كان فقيراً مُعديماً قالت وإن ١٤
 أقاويل هذا الناس ماوي يندم ١٦
 أودى بنعلي وسيرباليه ١٨
 حقاً عليك إذا اطمأن المجلس ٢٩
 أصعد سيراً في البلاد وأفرغ ٣٣
 ولديك إن هو يستزذك مزيد ٤١
 ويعرف لها أيامها الخير تعقب ٤٤
 به أنت من بين الجوانب ناظر ٥١
 مطبوعة من يأنها لا يضرها ٥٧
 يجد فقدما إذ في المقام تدابر ٦١

- ٦٩٦ ولستُ بحلالِ التلاعِ مخافةً ولكن متى يسترفِدِ القومُ أرِفِدِ ٦٦
 ٦٩٧ وما ذاكُ أن كان ابنُ عمِّي ولا أخِي ولكن متى ما أملك الضرَّ أنفعُ ٧٠
 ٦٩٨ من يَكَلِّني بسِيِّئٍ كنتُ منه كالشَّجَا بين حَلَقِهِ والوَرِيدِ ٧٦
 ٦٩٩ أَتَغْضَبُ إن أَدْنَا قُتَيْبَةَ حُرَّنَا ٧٨
 ٧٠٠ وقال رائدُهُم أرسُوا نزاوِلُها فكلُّ حَتَفٍ امرئٍ يَجْرِي بِمَقْدَارِ ٨٧
 ٧٠١ متى تَأْتِيهِ تَعَشُو إلى ضوءِ نارِهِ تجذُ حَطْباً جزلاً وناراً تَأَجَّجَا ٩٠
 ٧٠٢ متى تَأْتِنَا تُلِمُّ بنا في ديارنا تجذُ حَطْباً جزلاً وناراً تَأَجَّجَا ٩٦
 ٧٠٣ دَعْنِي فَأَذْهَبَ جانِباً يوماً وأَكْفِكَ جانِباً ١٠٠
 ٧٠٤ بدا لي أني لستُ مدركُ ما مَضَى ولا سابقُ شيئاً إذا كان جائياً ١٠٢

(المتعدى وغير المتعدى)

- ٧٠٥ تلك الحرائرُ لا رِبَاتٍ أحمرَةٍ سودِ المحاجرِ لا يقرَأُ بالسُورِ ١٠٧
 ٧٠٦ أشارت كليبٍ بالأَكْفِ الأصابعُ ١١٣
 ٧٠٧ تمرُّون الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا ١١٨
 ٧٠٨ ومنا الذي اختيرَ الرِّجالَ سَمَاحَةً ١٢٣
 ٧٠٩ خرجتُ إلى أَقْطاعِهِ في ثِيابِهِ على طِرْفِهِ من دارِهِ بحِسامِهِ ١٢٥

(أفعال القلوب)

- ٧١٠ تعلَّمُ أنْ بَعَدَ الغيُّ رَشْداً وأنْ لِهَذِهِ الغُيْرِ انْقِشَاعَا ١٢٩
 ٧١١ اللهُ موفٍ للعبيدِ ما زَعَمَا ١٣١
 ٧١٢ بَأَيِّ كِتَابٍ أَم. بَأَيَّةِ سَنَةٍ تَرَى جَبْهُمُ عَاراً على وَتَحْسِبُ ١٣٧
 ٧١٣ كذاكَ أَدْبِتُ حَتَّى صارَ من خُلُقِي إِنِّي وَجَدْتُ مِلَاكَ الشِّيمَةِ الأَدَبُ ١٣٩
 ٧١٤ أَرْجُو وَأُمِلُّ أنْ تَدْنُو مَوَدَّتُها وما إِخالُ لَدِينَا مِنْكَ تَنْوِيلُ ١٤٣
 ٧١٥ ولأستم فاعِلِينَ إِخالُ حَتَّى يَنالَ أَقاصِي الحَطْبِ الوَقُودُ ١٥٦

- ٧١٦ ولقد عَلِمْتُ لَتَاتَيْنِ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سَهَامُهَا ١٥٩
 ٧١٧ لقد عَلِمْتُ أَيَّ يَوْمٍ عُقْبِي ١٦٢
 ٧١٨ غادرته جَزَرَ السَّبَاعِ ١٦٥
 ٧١٩ سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لَصِيدَحَ انْتَجِعِي بِلَالَا ١٦٧
 ٧٢٠ إِذَا أَقْبَلْتُ قُلْتُ دُبَاءَةٌ ١٧٥
 ٧٢١ تَنَادَوْا بِالرَّحِيلِ غَدًا وَفِي تَرْحَالِهِمْ نَفْسِي ١٨٢
 ٧٢٢ أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لَوْيَ لَعَمْرُ أَبِيكَ أُمُّ مُتَجَاهِلِينَا ١٨٣

(الأفعال الناقصة)

- ٧٢٣ فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَلَذْتُ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالٍ ١٨٧
 ٧٢٤ أَبْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحْصَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا ١٨٨
 ٧٢٥ غَدَا طَاوِيًا يِعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيَا ١٩٠
 ٧٢٦ يَرَوْحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَنْكَحُلُ ١٩٧
 ٧٢٧ بَتَيْهَاءَ قَفَرٍ وَالْمَطْيُ كَانَتْهَا قَطَا الْحَزْنِ قَدْ كَانَتْ فَرَاخًا يَبُوضُهَا ٢٠١
 ٧٢٨ سَرَاةُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ نَسَامِي عَلَى كَانَ الْمَسُومَةِ الْعِرَابِ ٢٠٧
 ٧٢٩ فِي لُجَّةٍ غَمَرَتْ أَبَاكَ بِحُورُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ وَالْإِسْلَامِ ٢١١
 ٧٣٠ بَدَا لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوصِ بَدَاءُ ٢١٣
 ٧٣١ فَكَيْفَ إِذَا مَرَرْتُ بِدَارِ قَوْمٍ وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ ٢١٧
 ٧٣٢ كَانَ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ ٢٢٤
 ٧٣٣ فَلَا وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةٌ ٢٣٧
 ٧٣٤ تَنَفَّكَ نَسَمْعُ مَا حَبِيبِ تَ بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُونَهُ ٢٤٢
 ٧٣٥ تَزَالُ حِبَالُ مُبْرَمَاتٍ أُعِدُّهَا لَهَا مَا مَشَى يَوْمًا عَلَى خُفٍّ جَمَلُ ٢٤٥
 ٧٣٦ حَرَّاجِيجُ مَا تَنَفَّكَ إِلَّا مُنَاخَةٌ عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بِلْدًا قَفْرًا ٢٤٧

- ٧٣٧ نَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ ٢٥٧
 ٧٣٨ وَكَوْنِي بِالْمَكَارِمِ ذَكْرِي ٢٦٦
 ٧٣٩ قَنَاقْدُ هَذَا جَوْنَ حَوْلَ بِيوتِهِمْ بِمَا كَانَ لِإِيَّاهُمْ عَطِيَّةٌ عَوْدًا ٢٦٨
 ٧٤٠ مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا ٢٧٢
 ٧٤١ وَإِنَّ شِفَاءَ عَبْرَةٍ مُهْرَاقَةٌ ٢٧٧
 ٧٤٢ أَسْكَرَانَ كَانَ ابْنُ الْمِرَاغَةِ إِذْ هَجَا تَمِيمًا بِجَوْفِ الشَّامِ أُمُّ مُتْسَاكِرُ ٢٨٨
 ٧٤٣ أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ حَسَانَ عَنِّي أَطِيبُ كَانَ سِحْرَكَ أُمُّ جُنُونُ ٢٩٥
 ٧٤٤ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ ٢٩٦
 ٧٤٥ لَمْ يَكُ الْحَقُّ عَلَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرَرِ ٣٠٤

(أفعال المقاربة)

- ٧٤٦ إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدِ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةٍ يَبْرُحُ ٣٠٩
 ٧٤٧ ظَنَنْتُ بِهِمْ كَعَسَى وَهُمْ بَتَنُوفَةٍ يَتَنَازَعُونَ جَوَائِزَ الْأَمْثَالِ ٣١٣
 ٧٤٨ لَا تَلْحَقْنِي إِفَى عَسَيْتُ صَائِمًا ٣١٦
 ٧٤٩ هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَاتِلُهُ ٣٢٣
 ٧٥٠ عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ ٣٢٨
 ٧٥١ عَسَى طَيِّبٌ مِنْ طَيِّبٍ بَعْدَ هَذِهِ سَتُطْفِئُ غُلَاتِ الْكُلَى وَالْجَوَانِحِ ٣٤١
 ٧٥٢ فَعَادَى بَيْنَ هَادِيَتَيْنِ مِنْهَا وَأَوَّلَى أَنْ يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ ٣٤٥
 ٧٥٣ قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ الْبَلَى أَنْ يَمَصَّحَا ٣٤٥
 ٧٥٤ وَقَدْ جَعَلْتُ قُلُوصَ بَنِي زِيَادٍ مِنَ الْأَكْوَارِ مَرْتَعًا قَرِيبُ ٣٥٢
 ٧٥٥ وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا قَمْتُ يُثْقِلُنِي ثَوْبِي فَأَنْهَضُ نَهَضَ الشَّارِبِ الثَّمَلِ ٣٥٥
 ٧٥٦ وَنَاخُذُ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ ٣٦٣

٧٥٧ والله عَيْنًا حَبْتَرِ أَيَّمَا فَتَى ٣٧٠
 ٧٥٨ وقد وجدت مكانَ القولِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وجدتَ لساناً قاتلاً فَقُلْ ٣٧٤
 (أفعال المدح والذم)

٧٥٩ نِعِمَ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمُبَرِّ ٣٧٦
 ٧٦٠ يَا رَبُّنَا غَارَةَ شِعْوَاءُ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ ٣٨٤
 ٧٦١ يَمِيناً لَنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجُدْنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبَرِّمٍ ٣٨٧
 ٧٦٢ وَاللَّهُ مَا لِي بِنَامٍ صَاحِبُهُ ٣٨٨
 ٧٦٣ أَبُو مُوسَى فَجَدُكَ نِعَمَ جَدًّا وَشَيْخُ الْحَيِّ خَالِكَ نِعَمَ خَالًا ٣٩٠
 ٧٦٤ تَزَوَّدَ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا فَنِعَمَ الزَّادُ زَادَ أَبِيكَ زَادًا ٣٩٤
 ٧٦٥ نِعَمَ الْفَتَى فَجَعْتُ بِهِ إِخْوَانَهُ يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ ٤٠٢
 ٧٦٦ نِعَمَ الْفَتَى الْمَرَى أَنْتَ ٤٠٤
 ٧٦٧ فَنِعَمَ مَزَكًا مَنْ ضَاقَتْ مَدَاهِبُهُ وَنِعَمَ مَنْ هُوَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ ٤١٠
 ٧٦٨ فَنِعَمَ صَاحِبُ قَوْمٍ لَا سِلَاحَ لَهُمْ ٤١٥
 ٧٦٩ أَوْ حُرَّةً عَيْطَلُ نَبَجَاءُ مُجْفَرَةٌ دَعَائِمُ الزُّورِ نِعْمَتُ زُورِقِ الْبَلَدِ ٤٢٠
 ٧٧٠ بَعْدَ مَا مَتَأَمَّلِي ٤٢٤
 ٧٧١ وَحُبَّهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ ٤٢٧
 ٧٧٢ لَا يَمْنَعُ النَّاسُ مَنْى مَا أَرَدْتُ وَلَا أُعْطِيهِمْ مَا أَرَادُوا ، حَسَنَ ذَا أَدْبَا ٤٣١

(حروف الجر)

٧٧٣ بَاتَتْ تَنْوُسُ الْحَوْضُ نَوْشًا مِنْ عَلَا
 ٧٧٤ لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجَرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ ٤٣٩
 ٧٧٥ فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرِبَةً مَبْرَدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانٍ ٤٥٣
 ٧٧٦ لَا تَتَنَهَوْنَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطْطٍ كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ ٤٥٣
 ٧٧٧ وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَغْبًا إِلَى بَدَأِ إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادُ سِوَاهُمَا ٤٦٢

- ٧٧٨ فلا تترُكني بالوعيدِ كائنِي
٧٧٩ وإن يلتقِ الحيُّ الجميعُ تُلَاقِي
٧٨٠ وأَكْفِيهِ ما يَخْشَى وأَعْطِيهِ سُؤْلَهُ
٧٨١ فلا والله لا يلقاهُ ناسٌ
٧٨٢ فَوَاعِجِبًا حَتَّى كَلِيبُ تَسْبِي
٧٨٣ فما زالت القَتْلَى تَمُجُّ دَماءُها
٧٨٤ بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سِرْحَةٍ
٧٨٥ وترُكِبُ يَوْمَ الرُّوعِ فيها فِوارِسُ
٧٨٦ نُحَابِي بِهَا أَكْثَفَانَا وَنُهِنُهَا
٧٨٧ ما بَكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ
٧٨٨ غُلْبٍ تَشْدُرُ بِالذُّحُولِ
٧٨٩ نَضْرَبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجِ
٧٩٠ وَلَكِنْ أَجْرًا لَوْ فَعَلْتَ بِهَيْبِي
٧٩١ أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
٧٩٢ فَاصْبَحْنَ لَا يَسْأَلْنَهُ عَنْ بَمَا بِهِ
٧٩٣ لِنَا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ
٧٩٤ رَبِّ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلٍ
٧٩٥ فَإِنْ تُمِسْ مَهْجُورَ الْفَنَاءِ فَرُبَّمَا
٧٩٦ يَارُبُّ هَيْجًا هِيَ خَرٌّ مِنْ دَعَه
٧٩٧ رَبِّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ
٧٩٨ إِنَّ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ
٧٩٩ رَبِّمَا ضَرْبَةً بِسَيْفٍ صَقِيلٍ
٨٠٠ رَبِّمَا الْجَامِلُ الْمُؤَبَّلُ فِيهِمْ
٤٦٥ إِلَى النَّاسِ مَطْلَى بِهِ الْقَارُ أَجْرُبُ
٤٦٦ إِلَى ذُرُوءِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ الْمَصْمَدِ
٤٧٢ وَالْحِقَّةُ بِالْقَوْمِ حَتَّاهُ لَاحِقُ
٤٧٤ فَتَى حَتَّاكَ يَا ابْنَ أَبِي يَزِيدِ
٤٧٥ كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشْلُ أَوْ مُجَاشِعُ
٤٧٦ بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجْلَةٍ أَشْكَلُ
٤٨٥
٤٩٣ بَصِيرُونَ فِي طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكَلَى
٥٠٣ وَنَشْرَبُ فِي أَمْثَانِهَا وَنَقَامِرُ
٥١١
٥١٥
٥٢٠
٥٢٣ وَهَلْ يُنْكَرُ الْمَعْرُوفُ فِي النَّاسِ وَالْأَجْرُ
٥٢٤ بَأَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بْنِ عَمَلِكٍ بَيَّقِرَا
٥٢٧ أَصْعَدَ فِي عُلُوِّ الْهَوَى أَمْ تَصُوبًا
٥٢٩
٥٣٥
٥٣٩ أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
٥٤٧
٥٥٩ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعَشَرِ أَقْيَالِ
٥٧٦ عَارًا عَلَيْكَ وَرَبُّ قَتْلٍ عَارُ
٥٨٢ بَيْنَ بُصْرَى وَطَنْةٍ نَجْلَاءِ
٥٨٦ وَعَنَاجِيحَ بَيْنَهُنَّ الْيَهَارُ

رقم الإيداع : ١٩٨٢/٣٣.٩